



ما فيه من السور



وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وتسمى سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده وقيل هي مكية غير قوله تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم الاية نزلت بالمدينة في شان التمثيل بحمزة وقتلى احد وغير قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله الاية وغير قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية واما قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله من بعد ما ظلموا فمكي في شان هجرة الحبشة وقال ابن عباس هي مكية الا ثلاث ايات منها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله باحسن ما كانوا يعملون بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اتى امر الله فلا تستعجلوه قيل اتى بمعنى ياتي هو كقولك ان اكرمتني اكرمتك وقد تقدم ان اخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء لانه ات لا محالة كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وامر الله عقابه لمن اقام على الشرك وتكذيب رسوله قاله الحسن وابن جريج الضحاك انه ما جاء به القران من فرائضه واحكامه وفيه بعد لانه لم ينقل ان احدا من الصحابة استعجل فرائض الله من قبل ان تفرض واما انهم كانوا استعجلوا العذاب والعقاب فذلك منقول عن كثير من الكفار قريش وغيرهم حتى قال النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاستعجلوا العذاب قال الشيخ رحمه الله قد يستدل للضحاك بقول عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر خرجه مسلم والبخاري وقد تقدم في سورة البقرة وقال الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم وهو قوله حتى اذا جاء امرنا وفار التنور وقيل هو يوم القيمة او ما يدل على قربها من اشراطها قال ابن عباس لما نزلت اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون فامسكوا وانتظروا فلم يروا شيئا فقالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم وهم في الاية فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة فامتدت الايام فقالوا ما نرى شيئا فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وخافوا فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والتي تليها يقول ان كادت لتسبقني فسبقتها وقال ابن عباس بعث النبي صلى الله عليه وسلم من شرائط الساعة وان جبريل عليه الصلوة والسلم لما مر باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قد قامت الساعة **قوله تعالى** سبحانه وتعالى عما يشركون اي تنزيها له عما يصفونه من انه لا يقدر على قيام الساعة وذلك انهم يقولون لا يقدر احد على بعث الاموات فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به الا المخلوق وذلك شرك وقيل عما يشركون اي عن اشراكهم وقيل ما بمعنى الذي اي ارتفع عن الذين اشركوا به **قوله تعالى** ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون قرا المفضل عن عاصم تنزل الملائكة والاصل تتنزل فالفعل مسند الى الملائكة وقرا الكسائي عن ابي بكر عن عاصم باختلاف عنه والاعمش تنزل الملائكة غير مسمى الفاعل وقرا الجعفي عن ابي بكر عن عاصم ننزل الملائكة بالنون مسمى الفاعل ينزل بالياء مسمى الفاعل والضمير فيه لاسم الله عز وجل وروي عن قتادة تنزل الملائكة بالنون والتخفيف وقرا الاعمش تنزل بفتح التاء وكسر الزاء من النزول الملائكة رفعا مثل تنزل الملائكة بالروح اي بالوحي وهو النبوة قاله ابن عباس نظيره يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده الربيع ابن انس بكلام الله وهو القران وقيل هو بيان الحق الذي يجب اتباعه وقيل ارواح الخلق قاله مجاهد لا ينزل ملك الا ومعه روح وكذا روي عن ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله عز وجل

بيان الروح

كصور

كصور ابن ادم لا ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وقيل بالرحمة قاله الحسن وقتاده وقيل بالهداية لانها تحيى بها القلوب كما تحيى بالروح الابدان وهو معنى قول الزجاج وقال الزجاج الروح ما كان فيه من امر الله حياة بالارشاد الى امره وقال ابو عبيدة الروح هنا جبريل والباء في قوله بالروح بمعنى مع كقولك خرج بثيابه اي مع ثيابه من امره اي بامره على من يشاء من عباده اي على الذين اختارهم الله للنبوة وهذا رد لقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون تحذير من عبادة الاوثان ولذلك جاء الانذار لان اصله التحذير مما يخاف منه ودل على ذلك قوله فاتقون وان في موضع نصب بنزع الخافض اي بان انذروا اهل الكفر بانه لا اله الا الله فان في محل النصب بسقوط الخافض اي بوقوع الانذار عليه **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون بالحق اي للزوال والفناء وقيل بالحق اي للدلالة على قدرته وان له ان يتعبد العباد بالطاعة وان يحيي الخلق بعد الموت تعالى عما يشركون اي من هذه الاصنام التي لا تقدر على خلق شيء **قوله تعالى** خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين لما ذكر الدليل على توحيده ذكر بعده الانسان ومناكده وتعدي طوره والانسان اسم للجنس وروي ان المراد به ان ابي بن خلف الجمحي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال اترى يحيي الله هذا بعد ما رم وفي هذا ايضا نزل اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين اي خلق الانسان من ماء يخرج من بين الصلب والترائب فنقله اطوارا الى ان ولد ونشا بحيث يخاصم في الامور فمعنى الكلام التعجب من الانسان وضرب لنا مثلا ونسي خلقه وقوله فاذا هو خصيم مبين اي مخاصم كالنسيب بمعنى المناسب اي يخاصم الله في قدرته ومبين اي ظاهر الخصومة ويبين عن نفسه الخصومة بالباطل والمبين هو المفصح عما في ضميره بمنطقه **قوله تعالى** والانعام خلقها لكم فيها دفء فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى والانعام خلقها لكم لما ذكر الانسان ذكر ما من به عليه الانعام الابل والبقر والغنم واكثر ما يقال النعم والانعام للابل ويقال للمجموع ويقال للغنم مفردة قال حسان شعر

عفت ذات الاصابع فالجواء ... الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر ... تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها انيس ... خلال مروجها نعم وشاء

فالنعم هنا الابل خاصة وقال الجوهري والنعم واحد الانعام وهي المال الراعية والكثير ما يقع هذا الاسم على الابل قال الفراء هو ذكر لا يؤنث يقولون هذا نعم وارد ويجمع على نعمان مثل حمل وحملان قال الله تعالى مما في بطونه وفي موضع مما في بطونها وانتصب والانعام عطفا على الانسان او بفعل مضمر الثانية قوله تعالى دفء الدفء السخانة وهو ما استدفئ به من اصوافها واوبارها واشعارها ملابس ولحف وقطف وروي عن ابن عباس رضي الله عنه فيها نسلها والله اعلم قال الجوهري في الصحاح الدفء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها قال الله تعالى لكم فيها دفء وفي حديث لنا من دفئهم ما سلموا بالميثاق والدفء ايضا السخونة تقول منه دفئ الرجل دفاءة مثل كره كراهة وكذلك دفي دفا مثل ظمي ظما والاسم الدفء بالكسر وهو الذي يدفيك والجمع الادفاء تقول ما عليه دفء لانه اسم ولا تقول ما عليك دفاء لانه مصدر تقول اقعد في دفء هذا الحائط اي كنه ورجل دفي اذا لبس ما يدفيه وكذلك رجل دفان وامراة دفاي وقد ادفاه الثوب وتدفا هو بالثوب واستدفا وادفا به وهو افتعل اي لبس ما يدفيه ودفوت ليلتنا ويوم دفي على فعيل وليلة دفية وكذلك الثوب والبيت والمدفية الابل الكثير لان بعضها يدفي بعضا بانفاسها وقد تشدد المدفاة الابل الكثيرة الاوبار والشحوم عن الاصمعي وانشد للشماخ

وكيف يضيع صاحب مدفات ... على اثباجهن من الصقيع

قوله تعالى ومنافع للناس ومنها تاكلون قال ابن عباس المنافع نسل كل دابة مجاهد الركوب والحمل والالبان واللحوم والسمن ومنها تاكلون افرد منفعة الاكل بالذكر لانها معظم المنافع وقيل المعنى ومن لحومها تاكلون الذبح الثالثة دلت هذه الاية على لباس الصوف وقد لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله كموسى وغيره وفي حديث المغيرة فغسل وجهه وعليه جبة من صوف شامية ضيقة الكمين الحديث خرجه مسلم وغيره قال ابن العربي وهو شعار المتقين ولباس الصالحين وشارة الصحابة والتابعين واختيار الزهاد والعارفين لانه لباسهم في الغالب والهاء للمبالغة وقد انشد بعض اشياخهم بالبيت المقدس طهره الله تنازع الناس في الصوفي واختلفوا فيه وظنوه مشتقا من الصوف

ولست اجل هذا الاسم غير فتني صافي نصوفي حتي سمي الصوفي

قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الجمال ما يتجمل به ويتزين والجمال الحسن وقد جمل الرجل بالضم جمالا فهو جميل والمراة جميله وجملاء ايضا عن الكسائي وانشد

فهي جملاء كبدر طالع بذت الخلق جميعا بالجمال

وقول ابي ذويب جمالك ايها القلب القريح

يريد الزم تجملك وحياك ولا تجزع جزعا قبيحا قال علماؤنا فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة ويكون في الاخلاق الباطنة ويكون في الافعال فاما جمال الخلقة فهو امر يدركه البصر ويلقيه الي القلب متلايما فيتعلق بها النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبة لاحد من البشر واما جمال الاخلاق فكونها علي الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والفقه وكظم الغيظ وارادة الخير لكل احد واما جمال الافعال فهو وجودها ملايمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيه وصرف الشر عنهم وجمال الانعام والدواب من جمال الخلقة وهو مرئي بالابصار موافق للبصاير ومن جمالها كثرتها وقول الناس اذا راوها هذه نعم فلان قاله السدي اذا راحت توفر حسنها وعظم شانها وتعلقت القلوب بها لانها اذ ذاك اعظم ما يكون اسنمة ضروعا قاله السدي قتادة ولهذا المعني قدم الرواح علي السراح وان كان بعده لتكامل دردها وسرور النفس بها اذ ذاك والله اعلم وروي اشهب عن مالك يقول الله عز وجل ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك في المواشي حين تروح الي المرعي وتسرح عليه والرواح الي المرعي والسراح بالغداة تقول سرحت الابل سرحا وسروحا اذا غدوت بها الي المرعي فخليتها وسرحت هي المتعدي واللازم واحد **قوله تعالى** وتحمل اثقالكم الي بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وتحمل اثقالكم الي بلد الاثقال اثقال الناس من متاع وطعام وغيره وهو ما يثقل الانسان حمله وقيل المراد الابدان دليله قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها والبلد مكة في قول عكرمة وقيل هو محمول علي العموم في كل بلد مسلكه علي الظهر وشق الانفس مشقتها وغاية جهدها وقرا العامة بكسر الشين قال الجوهري والشق المشقة ومنه قوله تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وهذا قد يفتح حكاه ابو عبيد قال المهدوي وكسر الشين وفتحها في شق متقاربان وهما بمعني المشقة وهو من الشق في العصا ونحوها لانه ينال منها كالمشقة من الانسان وقال الثعلبي وقرا ابو جعفر لشق الانفس وهما لغتان مثل رق ورق وجص وجص ورطل ورطل وينشد قول الشاعر بكسر الشين وفتحها

وذي ابل نسعي وتحسبها له اخي من شقها ودؤوب

ويجوز ان تكون بمعني المصدر من شققت عليه اشق شقا والشق ايضا بالكسر النصف يقال اخذت شق الشاة وشقة الشاة وقد يكون المراد من الاية هذا المعني اي لم تكونوا بالغيه الا بنقص من القوة وذهاب شق منها اي لم تبلغوه الا بنصف قوي انفسكم وذهاب النصف الاخر والشق ايضا الناحية من الجبل وفي حديث ام زرع وجدني في اهل غنيمة بشق وقال ابو عبيدة هو اسم موضع والشق ايضا الشقيق يقال هو اخي وشق نفسي وشق اسم كاهن من كهان العرب والشق ايضا الجانب ومنه قول امري القيس

اذا ما بكي من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول

الثانية من الله سبحانه بالانعام عموما وخص الابل هنا بالذكر في حمل الاثقال علي سائر الانعام فهو مشترك فان الغنم للسرح والذبح والبقر للحرث والابل للحمل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت اليه البقرة فقالت اني لم اخلق لهذا ولكني انما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله تعجبا وفزعا ابقرة تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اومن به وابو بكر وعمر فدل هذا الحديث علي ان البقر لا يحمل عليها ولا تركب وانما هي للحرث وللاكل والنسل والرسل **الثالثة** في هذه الاية دليل علي جواز السفر بالدواب وحمل الاثقال عليها ولكن علي قدر ما تحتمله من غير اسراف في الحمل مع الرفق في السير وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق بها والاراحة لها ومراعاة التفقد لعلفها وسقيها وروي مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها رواه مالك في الموطا عن ابي عبيد عن خالد بن معدان قوله وروي معاوية بن قرة قال كان لابي الدرداء جمل يقال له دمون فكان يقول يا دمون لا تخاصمني عند ربي فالدواب عجم لا تقدر ان تحتال لنفسها ما تحتاج اليه ولا تقدر ان تفصح لحوايجها فمن ارتفق بمرافقها ثم ضيعها من حوايجها

حال الاخلاق

شق العصا

فقد ضيع الشكر وتعرض للخصومة بين يدي الله تعالى وروي مطر بن محمد قال حدثنا ابو داود قال حدثنا ابن خالد قال حدثنا المسيب بن ادم قال رايت عمر بن الخطاب ضرب جمالا وقال تحمل علي بعيرك ما لا يطيق **قوله تعالى** والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفيه ثمان مسايل **الاولى** قوله تعالى والخيل والبغال الخيل بالنصب معطوف اي وخلق الخيل وقرا ابن ابي عبلة والخيل والبغال والحمير بالرفع فيها كلها وسميت الخيل خيلا لاختيالها في المشية وواحد الخيل خايل كضاين واحد ضان وقيل لا واحد له وقد تقدم هذا في ال عمران وذكرنا الحديث هناك ولما افرد سبحانه الخيل والبغال والحمير بالذكر دل علي انها لم تدخل تحت لفظ الانعام وقيل دخلت ولكن افردها بالذكر لما يتعلق بها من الركوب فانه يكثر في الخيل والبغال والحمير **الثانية** قال العلماء ملكنا الله الانعام والدواب وذللها لنا واباح لنا تسخيرها والانتفاع بها رحمة منه تعالى لنا وما ملكه الانسان وجاز له تسخيره من الحيوان فكراوه له جايز باجماع اهل العلم لا اختلاف بينهم في ذلك وحكم كراء الرواحل والدواب مذكور في كتب الفقه **الثالثة** لا خلاف بين العلماء في اكتراء الدواب والرواحل للحمل عليها والسفر بها لقوله تعالى وتحمل اثقالكم الي بلد الاية واجازوا ان يكري الرجل الدابة او الراحلة الي مدينة بعينها وان لم يسم اين ينزل منها وكم من منزل ينزل فيه وكيف صفة سيره وكم ينزل في طريقه واجتزوا بالمتعارف بين الناس في ذلك قال علماؤنا والكري يجري مجري البيوع فيما يحل منه ويحرم وقال ابن القاسم فيمن اكتري دابة الي موضع كذا بثوب مروي ولم يصف رقعته وذرعه لم يجز لان مالكا لا يجيز هذا في البيع ولا يجوز في ثمن الكرا الا ما يجوز في ثمن المبيع قال المؤلف رحمه الله ولا يختلف في هذا ان شاء الله لان ذلك اجارة وقال ابن المنذر واجمع كل من نحفظ عنه من اهل العلم علي ان من اكتري دابة ليحمل عليها عشرة اقفزة فحمل عليها ما اشترط فتلفت ان لا شيء عليه وهكذا ان حمل عليها عشرة اقفزة شعير واختلفوا فيمن اكتري دابة ليحمل عليها عشرة اقفزة فحمل عليها احد عشر قفيزا فكان الشافعي وابو ثور يقولان هو ضامن لقيمة الدابة وعليه الكرا وقال ابن ابي ليلي عليه قيمتها ولا اجر عليه وفيه قول ثالث وهو ان عليه الكرا وعليه جزء من احد عشر جزءا من قيمة الدابة بقدر ما زاد من الحمل هذا قول النعمان ويعقوب ومحمد وقال ابن القاسم صاحب مالك لا ضمان عليه وفي قول مالك اذا كان القفيز الزايد لا يفدح الدابة ويعلم ان نقله لا تعطب فيه الدابة ولرب الدابة اجر القفيز الزايد مع الكرا الاول لان عطبها ليس من اجل الزيادة وذلك بخلاف مجاوزة المسافة لان مجاوزة المسافة تعد كله فيضمن اذا هلكت في قليله وكثيره والزيادة علي الحمل المشترط اجتمع فيه اذن وتعد فاذا كانت الزيادة لا تعطب في مثلها علم ان هلاكها مما اذن له فيه **الرابعة** واختلف اهل العلم في الرجل يكتري الدابة باجر معلوم الي موضع مسمي فيتعدي فيتجاوز ذلك المكان ثم يرجع الي المكان الماذون له في المصير اليه فقالت طايفة اذا جاز ذلك المكان ضمن وليس عليه في التعدي كراها هكذا قال الثوري وقال ابو حنيفة الاجر له فيما سمي ولا اجر له فيما لم يسم لانه خالف فهو ضامن وبه قال يعقوب وقال الشافعي عليه الكرا الذي سمي وكرا المثل فيما جاوز ذلك ولو عطبت لزمه قيمتها ونحوه قال الفقهاء السبعة مشيخة اهل المدينة قالوا اذا بلغ المسافة ثم زاد فعليه كرا الزيادة ان سلمت وان هلكت ضمن وقال احمد واسحاق وابو ثور عليه الكرا والضمان قال ابن المنذر وبه نقول وقال ابن القاسم اذا بلغ المكتري الغاية التي اكتري اليها ثم زاد ميلا ونحوه او اميالا او زيادة كثيرة فعطبت الدابة فلربها كرا الاول والخيار في اخذه كري الزايد بالغا ما بلغ او قيمة الدابة يوم التعدي قال ابن المواز وقد روي انه ضامن ولو زاد خطوة قال ابن القاسم عن مالك في زيادة الميل ونحوه واما ما يعدل الناس اليه في المرحلة فلا يضمن وقال ابن حبيب عن ابن الماجشون واصبغ اذا كانت الزيادة يسيرة او جاوزة الامد الذي تكاراها اليه بيسير ثم رجع بها سالمة الي موضع تكاراها اليه فماتت او ماتت في الطريق الي الموضع الذي تكاراها اليه فليس له الا كرا الزيادة كرده من الوديعة ولو زاد كثيرا مما فيه مقام الايام الكثيرة التي يتغير في مثلها سوقها فهو ضامن كما لو ماتت في مجاوزة الامد او المسافة لانه اذا كانت زيادة يسيرة مما يعلم ان ذلك لم يعن علي قتلها فهلاكها بعد ردها الي الموضع الماذون له فيه كهلاك ما تسلف من الوديعة بعد رده لا محالة وان كانت الزيادة كثيرة فتلك الزيادة قد اعانت علي هلاكها والله اعلم **الخامسة** قال ابن القاسم وابن وهب قال مالك قال الله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعلها للركوب والزينة ولم يجعلها للاكل ونحوه عن اشهب ولهذا قال اصحابنا لا يجوز اكل لحوم الخيل والبغال والحمير لان الله تعالى لما نص علي الركوب والزينة دل علي ان ما عداه بخلافه وقال في الانعام ومنها تاكلون

لا يجوز اكل لحوم الخيل

مع ما امتن الله منها من الدف، والمنافع فاباح لنا اكلها بالذكاة المشروعة فيها وبهذه الاية احتج ابن عباس
والحكم ابن عيينة قال الحكم لحوم الخيل حرام في كتاب الله وقرى هذه الاية والتي قبلها وقال هذه للاكل
وهذه للركوب وسيل ابن عباس عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الاية فقال هذه للركوب وقرا الاية التي
قبلها والانعام خلقها لكم ثم قال هذه للاكل وبه قال ابو حنيفة واصحابهما والاوزاعي ومجاهد وابو عبيد
وغيرهم واحتجوا بما خرجه ابو داود والنسائي والدارقطني وغيرهم عن صالح بن يحيى بن المقدام
بن معدي كرب عن ابيه عن جده عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل
لحوم الخيل والبغال والحمير وكل ذي ناب من السباع او مخلب من الطير لفظ الدارقطني وعند النساى
ايضا عن خالد بن الوليد انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وقال الجمهور
من الفقها والمحدثين هي مباحة وروي عن ابي حنيفة وشذت طايفة فقالت بالتحريم منهم الحكم كما ذكرنا
وروي عن ابي حنيفة حكى ثلاث روايات عنه الروياني في بحر المذهب على مذهب الشافعي قال المؤلف
رحمه الله الصحيح الذي يدل عليه النظر والخبر جواز اكل لحوم الخيل وان الاية والحديث لا حجة فيهما لازمة اما الاية
فلا دليل فيها على تحريم لحوم الخيل اذ لو دلت عليه لدلت على تحريم لحوم الحمر والسورة مكية واي حاجة كانت
الى تجديد تحريم لحوم الحمر عام خيبر وقد ثبت في الاخبار تحليل الخيل على ما ياتي وايضا لما ذكر تعالى الانعام ذكر
الاغلب من منافعها واهم ما فيها وهو حمل الاثقال والاكل ولم يذكر الركوب ولا الحرث بها وغير ذلك مصرحا
به وقد تركب ويحرث بها قال الله تعالى الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون وقال في الخيل لتركبوها
وزينة فذكر ايضا اغلب منافعها والمقصود منها ولم يذكر حمل الاثقال عليها وقد تحمل كما هو مشاهد فلذلك لم
يذكر الاكل وقد بينه نبيه الذي جعل اليه بيان ما انزل اليه على ما ياتي ولا يلزم من كونها خلقت للركوب
والزينة فهذه البقرة قد انطقها خالقها الذي انطق كل شي فقالت انما خلقت للحرث فيلزم من علل ان الخيل
لا توكل لانها خلقت للركوب ان لا توكل البقر لانها خلقت للحرث وقد اجمع المسلمون على جواز اكلها فكذلك
الخيل بالسنة الثابتة فيها روى مسلم من حديث جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر
الاهلية واذن في لحوم الخيل وقال النساي عن جابر اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الخيل ونهانا
عن لحوم الحمر وفي رواية عن جابر قال كنا ناكل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل الرواية عن جابر
بانهم اكلوها في خيبر حكاية حال وقضية في عين فيحتمل ان يكونوا ذبحوا لضرورة ولا يحتج بقضايا الاحوال قلنا
الرواية عن جابر واخباره بانهم كانوا ياكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيل ذلك
الاحتمال ولين سلمناه فمعنا حديث اسما قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة
فاكلناه رواه مسلم وكل تاويل من غير ترجيح في مقابلة النص فانما دعوى لا يلتفت اليه ولا يعرج عليه
وقد روى الدارقطني زيادة حسنة ترفع كل تاويل في حديث اسما قالت كان لنا فرس على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارادت ان تموت فذبحناها فاكلناها فذبحها انما كان لخوف الموت عليها لا لغير ذلك
من الاحوال وبالله التوفيق فان قيل حيوان من ذوات الحافر فلا يوكل كالحمار قلنا هذا قياس الشبه وقد اختلف
ارباب الاصول في القول به ولين سلمناه فهو منتقض بالخنزير فانه ذو ظلف وقد باين ذوات الاظلاف
وعلى ان القياس اذا كان في مقابلة النص فهو فاسد الوضع لا التفات اليه قال الطبري وفي اجماعهم على
جواز ركوب ما ذكر للاكل دليل على جواز اكل ما ذكر للركوب **السادسة** واما البغال فانها تلحق بالحمير
ان قلنا ان الخيل لا توكل فانها تكون متولدة من ماكول وغير ماكول فغلب التحريم على ما يلزم في الاصول
وكذلك ذبح المولود بين كافرين احدهما انه من اهل الذكاة والاخر ليس من اهلها لا يكون ذكاة ولا تحل به الذبيحة
وقد مضى في الانعام الكلام في تحريم الحمر فلا معنى للاعادة وقد علل تحريم اكل الحمار بانه ابدى جوهره الخبيث حيث
يرى على ذكر وتلوط فسمي رجسا **السابعة** في الاية دليل على ان الخيل لا زكاة فيها لان الله سبحانه من علينا بما اباح
منها وكرمنا به من منافعها فغير جايز ان يلزم فيها كلفة الا بدليل وقد روى مالك عن عبد الله بن دينار عن سليمان
بن يسار وعن عراك بن مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس على المسلم في عبده ولا
فرسه صدقة وروى ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في الخيل والرقيق صدقة
زكاة الا ان زكاة الفطر في الرقيق وبه قال مالك والشافعي والاوزاعي والليث وابو يوسف
ومحمد وقال ابو حنيفة ان كانت اناثا كلها او ذكورا واناثا ففي كل فرس دينار اذا كانت سايمة وان شاء

قومها فاخرج عن كل مايتي درهم خمسة دراهم واحتج باثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في كل الخيل السايمة في
كل فرس دينار وقوله صلى الله عليه وسلم الخيل ثلثه الحديث وفيه ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها والجواب
عن الاول انه حديث لم يروه الا غورك السعدي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر قال الدارقطني تفرد
به غورك عن جعفر وهو ضعيف جدا ومن دونه ضعفا واما الحديث الثاني فالحق المذكور فيه هو الخروج عليها اذا وقع
النفير وتعين بها لقتال العدو واذا تعين ذلك عليه ويحمل المنقطعين عليها اذا احتاجوا وهذا واجب عليه اذا
تعين ذلك كما يتعين عليه ان يطعمهم عند الضرورة فهذه حقوق الله في رقابها فان قيل هذا هو الحق الذي في
ظهورها وبقي الذي في رقابها قيل قد روي لا ينسى حق الله فيها ولا فرق بين قوله حق الله فيها او في رقابها
وظهورها فان المعنى يرجع الى شي واحد لان الحق يتعلق بجملتها وقد قال جماعة من العلما ان الحق هنا حسن ملكها
وتعهد شبعها والاحسان اليها وركوبها غير مشقوق عليها كما جا في الحديث لا تتخذوا ظهورها كراسي وانما
خص رقابها بالذكر لان الرقاب والاعناق تستعار كثيرا في مواضع الحقوق اللازمة والفروض الواجبة
ومنه قوله تعالى فتحرير رقبة مومنة وكثر عندهم استعمال ذلك استعارة حتى جعلوه في الرباع والاموال الا
ترى قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا علقت لضحكته رقاب المال

وايضا فان الحيوان الذي يجب فيه الذكاة له نصاب من جنسه ولما خرجت الخيل عن ذلك علمنا سقوط الذكاة
فيها وايضا فايجابه الذكاة في اناثها منفردة دون الذكور تناقض منه وليس في الحديث فصل بينهما
وتقيس الاناث على الذكور في نفي الصدقة بانه حيوان مقتنى لنسله لا لدره لا تجب الذكاة في ذكوره
فلم تجب في اناثه كالبغال والحمير وقد روي عنه انه لا ذكاة في اناثها وان انفردت كذكورها منفردة
وهذا الذي عليه الجمهور قال ابن عبد البر الخبر في صدقة الخيل عن عمر صحيح من حديث الزهري وغيره وقد
روي من حديث مالك رواه عنه جويرية عن الزهري ان السايب بن يزيد قال لقد رايت ابي يقوم الخيل
ثم يدفع صدقتها الى عمر وهذا حجة لابي حنيفة وشيخه حماد بن ابي سليمان لا اعلم احدا من فقهاء الامصار
اوجب الزكاة في الخيل غيرهما تفرد به جويرية عن مالك وهو ثقة **الثامنة** قوله تعالى وزينة منصوب
باضمار فعل المعنى وجعلها زينة وقيل هو مفعول من اجله والزينة ما يتزين به وهذا الجمال والتزيين وان
كان من متاع الدنيا فقد اذن الله سبحانه لعباده فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم الابل عز لاهلها والغنم
بركة والخيل في نواصيها الخير خرجه البرقاني وابن ماجة في السنن وقد تقدم في الانعام وانما جمع النبي
صلى الله عليه وسلم العز في الابل لان فيها اللباس والاكل واللبن والحمل والغزو وان نقصها الكر والفر وجعل
البركة في الغنم لما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الاولاد فانها تلد في العام ثلاث مرات
الى ما يتبعها من السكينة وتحمل صاحبها عليه من خفض الجناح ولين الجانب بخلاف الفدادين اهل الابل وقرن
النبي صلى الله عليه وسلم الخير بنواصي الخيل بقية الدهر لما فيها من الغنيمة المستفادة للكسب والمعاش وما
يوصل اليه من قهر الاعداء وغلب الكفار واعلاء كلمة الله تعالى **قوله تعالى** **ويخلق ما لا تعلمون** قال
الجمهور من الخلق وقيل من انواع الحشرات والهوام في اسافل الارض والبر والبحر مما لم يره البشر ولم يسمعوا
به وقيل ويخلق ما لا تعلمون مما اعد الله في الجنة لاهلها وفي النار لاهلها ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولا
يخطر على قلب بشر وقال قتادة والسدي هو خلق السوس في الثياب والدود في الفواكه وقال ابن عباس عين
تحت العرش حكاه الماوردي وقال الثعلبي وقال ابن عباس عن يمين العرش نهر من النور مثل السموات السبع
والارضين السبع والبحار السبع سبعين مرة يدخله جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخرج الله من كل ريشة سبعين الف قطرة ويخرج من كل قطرة سبعة
الاف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك الى البيت المعمور وفي الكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه
ابدا الى يوم القيامة وقول خامس وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارضا بيضا مسيرة الشمس ثلثين
يوما مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله تعالى لا يعصى في الارض قالوا يا رسول الله من ولد ادم قال لا يعلمون ان الله خلق
ادم قالوا يا رسول الله فاين ابليس منهم قال لا يعلمون ان الله خلق ابليس ثم تلا ويخلق ما لا تعلمون ذكره الماوردي
قال المؤلف رحمه الله ومن هذا المعنى ما ذكره البيهقي عن الشعبي قال ان لله عبادا من وراء الاندلس كما بيننا
وبين الاندلس ما يرون ان الله تعالى عصاه مخلوق رضراضهم الدر والياقوت وجبالهم الذهب والفضة لا يحرثون
ولا يزرعون ولا يعملون عملا لهم شجر على ابوابهم لها ثمر هي طعامهم وشجر لها اوراق عراض هي لباسهم

ذكره في بدء الخلق من كتاب الاسما والصفات وخرج من حديث موسي بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن
عبد الله الانصاري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من الملايكة من حملة
العرش ما بين شحمة اذنه الي عاتقه مسيرة سبع ماية عام **قوله تعالى** وعلى الله قصد السبيل ومنها
جاير اي على الله بيان قصد السبيل فحذف المضاف وهو البيان والسبيل الاسلام اي على الله بيانه بالرسل
والحجج والبراهين وقصد السبيل استقامة الطريق يقال طريق قاصد اي يودي الي المطلوب ومنها جاير اي ومن
السبيل جاير اي عادل عن الحق فلا يهتدي ومنه قول امري القيس

ومن الطريقة جاير وهدي . قصد السبيل ومنه ذو دخل

قال طرفة

عدولية او من سفين ابن يامن . يجور بها الملاح طورا

ويهتدي العدولية سفينة منسوبة الي عدول قرية بالبحرين والعدولي الملاح قاله في الصحاح وفي التنزيل
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقد تقدم وقيل المعنى ومنهم جاير عن سبيل الحق اي عادل
عنه فلا يهتدي اليه وفيهم قولان احدهما انهم اهل الاهواء المختلفة قاله ابن عباس الثاني ملل الكفر من اليهود
والمجوسية والنصرانية وفي مصحف عبد الله ومنكم جاير وكذا قرا علي رضي الله عنه ومنكم بالكاف وقيل
المعنى وعنها جاير اي عن السبيل فمن بمعنى عن وقال ابن عباس اي من اراد ان يهديه سهل له طريق الايمان ومن
اراد ان يضله ثقل عليه الايمان وفروعه وقيل معنى قصد السبيل مسيركم ورجوعكم والسبيل واحد بمعنى
الجمع ولذلك انث الكناية فقال ومنها والسبيل مونثة في لغة اهل الحجاز **قوله تعالى** ولو شاء لهداكم
اجمعين بين ان المشية لله تعالى وهو يصحح ما ذهب اليه ابن عباس في تاويل الاية ويرد على القدرية ومن وافقها
كما تقدم **قوله تعالى** هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الشراب
ما يشرب والشجر معروف اي ينبت من الامطار اشجار وعروش ونبات وتسيمون ترعون ابلكم يقال سامت
السايمة تسوم سوما اي رعت فهي سايمة والسوام والسايم بمعنى هو المال الراعي وجمع السايم والسايمة سوايم
واسمتها انا اي اخرجتها الي المرعي فانا مسيم وهي مسامة وسايمة قال

اولي لك ابن مسيمة الاجمال . واصل السوم الابعاد في المرعي وقال الزجاج احذ من السومة

وهي العلامة اي انها توثر في الارض علامات برعيها او لانها تعلم للارسال في المرعي قال المولف رحمه الله والخيل
المسومة تكون المرعية وتكون المعلمة وقوله مسومين قال الاخفش يكون معلمين ويكون مرسلين من قولك سوم
فيها الخيل اي ارسلها ومنه السايمة وانما جاء بالياء والنون لان الخيل سومت وعليها ركبانها **قوله تعالى**
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
قرا ابو بكر عن عاصم ننبت بالنون على التعظيم العامة بالياء على معنى ينبت الله لكم يقال نبت الارض وانبت بمعنى
ونبت البقل وانبت بمعنى وانشد الفراء

رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم . قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

اي نبت وانبته الله فهو منبوت على غير قياس وانبت الغلام نبتت عانته ونبت الشجر غرسته يقال نبت اجلك
بين عينيك ونبت الصبابيبا ربيته والمنبت موضع النبات يقال ما احسن نابتة بني فلان اي ما نبت
عليه اموالهم واولادهم ونبتت لهم نابتة اي نشا لهم نشا صغار وان بني فلان لنابتة شر والنوابت
من الاحداث الاغمار والنبيت حي من اليمن والينبوت شجر كله عن الجوهري والزيتون جمع زيتونة ويقال
للشجرة نفسها زيتونة وللثمرة زيتونة وقد مضي في سورة الانعام حكم زكاة هذه الثمار فلا معنى للاعادة ان في
ذلك الانزال والانبات لاية اي دلالة لقوم يتفكرون **قوله تعالى** وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وسخر لكم الليل والنهار اي للسكون والاعمال
كما قال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره اي مذللات لمعرفة الاوقات ونضج الثمار والزروع والاهتداء بالنجوم في الظلمات وقرا ابن عباس
وابن عامر واهل الشام والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع على الابتداء والخبر الباقون بالنصب عطفا على ما
قبله وقرا حفص عن عاصم برفع والنجوم مسخرات بامره خاصة نصب الشمس والقمر عطفا على الليل والنهار
ورفع والنجوم على الابتداء مسخرات خبره وقري والشمس والقمر والنجوم بالنصب مسخرات بالرفع وهو خبر
ابتداء محذوف اي هي مسخرات وهي في قراءة من نصبها حال موكدة كقوله وهو الحق مصدقا ان في ذلك

خلا الوش

زيتون وزيتونة

لايات لقوم يعقلون اي عن الله ما نبههم عليه ووفقهم له **قوله تعالى** وما ذرا لكم في الارض
مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون فيه ثلاث مسايل **الاولي** قوله تعالى وما ذرا اي وسخر ما
ذرا في الارض لكم ذرا الله الخلق يذرؤهم ذرءا خلقهم فهو ذاري ومنه الذرية وهي نسل الثقلين الا
ان العرب تركت همزها والجمع الذراري يقال انمي الله ذراك وذروك اي ذريتك واصل الذرء والذرو
التفريق عن جمع وفي الحديث ذرء النار اي انهم خلقوا لها **الثانية** ما ذراه الله سبحانه من مسخر مذلل كالدواب
والانعام والاشجار وغيرها ومنه غير ذلك والدليل عليه ما رواه مالك في الموطا عن كعب الاحبار وقال
لولا كلمات اقولهن لجعلتني يهود حمارا فقيل له وما هن فقال اعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شي
اعظم منه وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وباسماء الله الحسنى كلها ما علمت
منها وما لم اعلم من شر ما خلق وذرا وبرا وفيه عن يحيي بن سعيد انه قال اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
فراي عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار الحديث وفيه وشر ما ذرا في الارض وقد ذكرناه وما في معناه
في غير هذا الموضع **الثالثة** قوله تعالى مختلفا الوانه مختلفا نصب على الحال والوانه هيئاته ومناظره
يعني الدواب والشجر وغيرها ان في ذلك اي في اختلاف الوانها لاية اي لعبرة لقوم يذكرون اي يتعظون
ويعلمون ان في تسخير هذه المكونات لعلامات على وحدانية الله تعالى وانه لا يقدر على ذلك احد غيره
قوله تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى
الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فيه تسع مسايل **الاولي** قوله تعالى وهو
الذي سخر البحر تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والارفاء وغيره وهذه نعمة من نعم الله
علينا فلو شا سلطه علينا واغرقنا وقد مضي الكلام في البحر وفي صيده وسماه هنا لحما واللحوم عند مالك
ثلاثة اجناس فلحم ذوات الاربع جنس ولحم ذوات الريش جنس ولحم ذوات الماء جنس فلا يجوز بيع الجنس من
جنسه متفاضلا ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك متفاضلا وكذلك لحم الطير بلحم البقر والوحش
بلحم الطير والسمك متفاضلا وقال ابو حنيفة اللحوم كلها اصناف مختلفة كاصولها فلحم البقر صنف ولحم الغنم
صنف ولحم الابل صنف وكذلك الوحش مختلف وكذلك الطير وكذلك السمك وهو احد قولي الشافعي والقول
الاخر ان الكل من الغنم والصيد والطير والسمك جنس واحد لا يجوز التفاضل فيه والقول الاول هو المشهور
من مذهبه عند اصحابه ودليلنا هو ان الله تعالى فرق بين اسماء الانعام في حياتها فقال ثمانية ازواج من
الضان اثنين ومن المعز اثنين ثم قال ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين فلما ان ام الجميع الي اللحم قال احلت
لكم بهيمة الانعام فجمعها بلحم واحد لتقارب منافعها كتقارب لحم الضان والمعز وقال في موضع اخر ولحم طير
مما يشتهون وهذا جمع طاير الذي هو الواحد لقوله تعالى ولا طاير يطير بجناحيه فجمع لحم الطير كله باسم
واحد وقال هنا لحما طريا فجمع اصناف السمك بذكر لحم واحد فكان صغاره ككباره في الجمع بينهما وقد روي
عن ابن عمر انه سيل عن لحم المعز بلحم الكباش اثنين بواحد فقال لا ولا مخالف له هنا فصار كالاجماع والله اعلم
ولا حجة للمخالف في نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام الا مثلا بمثل فان الطعام في الاطلاق يتناول الحنطة
وغيرها من الماكولات ولا يتناول اللحم الا ترى ان القايل اذا قال اكلت طعاما لم يسبق الفهم منه الي اكل اللحم
وايضا فانه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شيتم وهذان جنسان وايضا فقد
اتفقنا على جواز اللبن بلحم الطير متفاضلا العلة فيه انه بيع طعام لا زكاة له ببيع لحم ليس فيه الذكاة
كذلك بيع السمك بلحم الطير متفاضلا **الثانية** واما الجراد فالمشهور عندنا جواز بيع بعضه ببعض متفاضلا
وذكر عن سحنون انه يمنع من ذلك واليه مال بعض المتاخرين وراه مما يدخر **الثالثة** اختلف العلماء فيمن
حلف ان لا ياكل لحما فقال ابن القاسم يحنث بكل نوع من هذه الانواع الاربعة وقال اشهب في المجموعة لا يحنث الا باكل
لحوم الانعام دون الوحش وغيره مراعاة للعرف في العادة وتقديما لها على الاطلاق اللفظ اللغوي وهذا حسن
الرابعة قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعني به اللولو والمرجان لقوله تعالى يخرج منهما اللولو
والمرجان واخراج الحلية انما هي فيما عرف من الملح فقط ويقال في الزمرد بحري وقد خطي الهذلي في قوله في
وصف الدرة

فجاء بها من درة لطمية . على وجهها ماء الفرات يدوم

فجعلها من الماء الحلو والحلية حق وهي نحلة الله تعالى لادم وولده خلق ادم ونوح وكلل باكليل الجنة وختم
بالخاتم الذي ورثه عنه سليمان بن داود صلوات الله عليهما وكان يقال خاتم العز فيما روي **الخامسة**

مبحث الحرير

امتن الله سبحانه على الرجال والنساء امتنانا عاما بما يخرج من البحر فلا يحرم عليهم شي منه وانما حرم الله تعالى على الرجال الذهب والحرير روي في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وسياتي في سورة الحج الكلام فيه ان شا الله تعالى وروي البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب وجعل فصه مما يلي باطن كفه ونقش فيه محمد رسول الله فاتخذ الناس مثله فلما راهم قد اتخذوها رمي به وقال لا البسه ابدا ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتم الفضة قال ابن عمر فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بير اريس قال ابو داود لم يختلف الناس على عثمان حتى سقط الخاتم من يده واجمع العلما على جواز التختم بالورق على الجملة للرجال قال الخطابي وكره للنسا التختم بالفضة لانه من زي الرجال فان لم يجدن ذهبا فليصفرنه بزعفران او شبهه وجمهور العلما من السلف والخلف على تحريم اتخاذ الرجال خاتم الذهب الا ما روي عن ابي بكر بن عبد الرحمن وخباب وهو خلاف شاذ وكل منهما لم يبلغهما النهي والنسخ والله اعلم واما ما رواه انس بن مالك انه راي في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتمهم اخرجه الصحيحان واللفظ للبخاري فهو عند العلما وهم من ابن شهاب لان الذي نبذ رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو خاتم الذهب رواه عبد العزيز بن صهيب وثابت وقتادة عن انس فوجب القضا بالجماعة على الواحد اذا خالفها مع ما يشهد للجماعة من حديث ابن عمر رضي الله عنه **السادسة** اذا ثبت جواز التختم للرجال بخاتم الفضة والتحلي به فقد كره ابن سيرين وغيره من العلماء نقشه وان يكون فيه ذكر الله واجاز نقشه جماعة من العلما ثم اذا نقش عليه اسم الله او كلمة حكمة او كلمات من القران وجعله في شماله فهل يدخل به الخلا ويستنجي بشماله خففه سعيد بن المسيب ومالك قيل لمالك ان كان في الخاتم ذكر الله ويلبسه في الشمال ايستنجي به قال ارجو ان يكون خفيفا وروي عنه الكراهة وهي الاولى وعلى المنع من ذلك اكثر اصحابه وقد روي همام عن ابن جريج عن الزهري عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء وضع خاتمه قال ابو داود هذا حديث منكر وانما نعرف عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم القاه قال ابو داود لم يحدث بهذا الا همام **السابعة** روي البخاري عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله وقال اني اتخذت خاتما ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد على نقشه قال علماونا هذا دليل على جواز نقش اسم صاحب الخاتم على خاتمه قال مالك ومن شان الخلفا والقضاة نقش اسمائهم على خواتمهم ونهيه عليه السلام ان لا ينقش احد على نقش خاتمه من اجل ان ذلك اسمه وصفته برسالة الله له الى الخلق وروي اهل الشام انه لا يجوز اتخاذ الخاتم لغير ذي سلطان ورووا في ذلك حديثا عن ابي ريحانة وهو حديث لا حجة فيه لضعفه وقوله عليه السلام لا ينقش احد على نقشه يرده ويدل على جواز اتخاذ الخاتم لجميع الناس اذا لم ينقش على نقش خاتمه وكان نقش خاتم الزهري محمد يسال العافية وكان نقش خاتم مالك حسبي الله ونعم الوكيل وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ان نقش خاتم موسى عليه السلام لكل اجل كتاب وقد مضي في الرعد وبلغ عمر بن عبد العزيز ان ابنه اشتري خاتما بالف درهم فكتب اليه انه بلغني انك اشتريت خاتما بالف درهم فبعه واطعم منه الف جايع واشتر خاتما من حديد بدرهم واكتب عليه رحم الله امرا عرف قدر نفسه **الثامنة** من حلف ان لا يلبس حليا فلبس لولوا لم يحنث وبه قال ابو حنيفة قال ابن خويزمنداد لان هذا وان كان الاسم اللغوي يتناوله فلم يقصده باليمين والايمان تخص بالعرف الا تري انه لو حلف ان لا ينام على فراش فنام على الارض لم يحنث وكذلك لا يستضي بسراج فجلس في الشمس لا يحنث وان كان الله قد سمى الارض فراشا والشمس سراجا وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد من حلف ان لا يلبس حليا فلبس اللولو انه يحنث لقوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها والذي يخرج منه اللولو والمرجان **التاسعة** قوله تعالى وتري الفلك مواخر فيه قد تقدم ذكر الفلك وركوب البحر في البقرة وغيرها وقوله مواخر قال ابن عباس جواري من جرت تجري سعيد بن جبير معترضة الحسن مواقر قتادة والضحاك اي تذهب وتجي مقبلة ومدبرة بريح واحدة وقيل مواخر ملججة في داخل البحر واصل المخر شق الماء عن يمين وشمال مخرت السفينة تمخر وتمخر مخرا ومخورا اذا جرت تشق الماء مع صوت ومنه قوله تعالى

نقش خاتم الزهري

بلغ عمر بن عبد العزيز ان ابنه اشتري خاتما

وتري الفلك مواخر فيه يعني جواري قاله الجوهري ومخر السابح اذا شق الماء بصدره ومخر الارض شقها للزراعة ومخرها بالماء اذا حبس الماء فيها حتى تصير اريضة اي خليقة بجودة نبات الزرع وقال الطبري المخر في اللغة صوت هبوب الريح ولم يقيد بكون ذلك في ماء وقال ان من ذلك قول واصل مولي ابي عيينة اذا اراد احدكم البول فليتمخر الريح اي لينظر في صوتها في الاجسام من اين تهب فيتجنب استقبالها لئلا ترد عليه بوله ولتبتغوا من فضله اي ولتركبوه للتجارة وطلب الربح ولعلكم تشكرون تقدم جميع هذا في البقرة **قوله تعالى** وَالقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون والقي في الارض رواسي اي جبالا ثابتة رسا يرسو اذا ثبت واقام قال

فصبرت عارفة لذلك حرة ... ترسو اذا نفس الجبان تطلع

ان تميد بكم اي لئلا تميد عند الكوفيين وكراهية ان تميد على قول البصريين والميد الاضطراب يمينا وشمالا ماد الشي يميد ميدا اذا تحرك ومادت الاغصان تمايلت وماد الرجل تبختر قال وهب بن منبه خلق الله الارض فجعلت تميد وتمور فقالت الملايكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال ولم تدر الملايكة مم خلقت الجبال وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لما خلق الله الارض قمصت ومالت وقالت اي رب اتجعل علي من يعمل بالمعاصي والخطايا ويلقي علي الجيف والنتن فارسي الله تعالى من الجبال ما ترون وما لا ترون وروي الترمذي في اخر كتاب التفسير حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن ابي سليمان عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت فعجبت الملايكة من شدة الجبال فقالوا يا رب فهل من خلقك شي اشد من الجبال قال نعم الحديد قالوا يا رب هل من خلقك شي اشد من الحديد قال نعم النار فقالوا يا رب هل من خلقك شي اشد من النار قال نعم الما قالوا فهل من خلقك شي اشد من الما قال نعم الريح قالوا يا رب فهل من خلقك شي اشد من الريح قال نعم ابن ادم تصدق بصدقة بيمينه يخفيها من شماله قال ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قال المولف رحمه الله وفي هذه الاية دليل على استعمال الاسباب وقد كان قادرا على سكونها دون الجبال وقد تقدم هذا المعنى وانهارا اي وجعل فيها انهارا او والقي فيها انهارا وسبلا اي طرقا ومسالك لعلكم تهتدون اي الي حيث تقصدون من البلاد فلا تضلون ولا تتحيرون **قوله تعالى** وعلامات وبالنجم هم يهتدون فيه ثلاث مسايل **الاولى** قوله تعالى وعلامات قال ابن عباس العلامات معالم الطرق بالنهار اي جعل للطرق علامات يقع الاهتداء بها وبالنجم هم يهتدون يعني بالليل والنجم يراد به النجوم وقرا ابن وثاب وبالنجم بضم النون والجيم جميعا ومراده النجوم فقصره كما قال الشاعر

ان الفقير بيننا قاض حكم ... ان يرد الماء اذا غاب النجم

وكذلك القول لمن قرا النجم الا انه اسكن استخفافا ويجوز ان يكون النجم جمع نجم كسقف وسقف واختلف في النجوم فقال الفرا الجدي والفرقدان وقيل الثريا قال الشاعر

حتى اذا ما استقل النجم في غلس ... وغودر البقل ملوي ومحصود

اي منه ملوي ومنه محصود وذلك عند طلوع الثريا يكون وقال الكلبي العلامات الجبال وقال مجاهد هي النجوم لان من النجوم ما يهتدي بها ومنها ما يكون علامة لا يهتدي بها وقاله قتادة والنخعي وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا تعالى وبالنجم هم يهتدون وعلى الاول اي وجعل لكم علامات ونجوما تهتدون بها ومن العلامات الرياح يهتدي بها وفي المراد بالاهتداء قولان احدهما في الاسفار وهذا قول الجمهور الثاني في القبلة وقال ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وبالنجم هم يهتدون قال هو الجدي يا ابن عباس عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم ذكره الماوردي **الثانية** قال ابن العربي اما جميع النجوم فلا يهتدي بها الا العارف بمطالعها ومغاربها والفرق بين الجنوبي والشمالي منها وذلك قليل في الاخرين واما الثريا فلا يهتدي بها الا من يهتدي بجميع النجوم وانما الهدي لكل احد بالجدي والفرقدين لانها من النجوم المنحصرة المطالع الظاهرة السمت الثابتة في المكان لانها تدور على القطب الثابت دورانا محصا فهي ابدا هدي الخلق في البر اذا عميت الطرق وفي البحر عند مجري السفن وفي القبلة اذا جهل السمت وذلك على الجملة بان تجعل القطب على ظهر منكبك الايمن

فتعجبت الملايكة هل من خلقك شي اشد

الاهتداء بالنجم

فما استقبلك فهو سمت الجهة قال المؤلف رحمه الله وسال ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجم
فقال الجدي عليه قبلتكم وبه يهتدي في بركم وبحركم وذلك ان اخر الجدي بنات نعش الصغرى والقطب
الذي تستوي عليه القبلة بينها الثالثة قال علماؤنا وحكم استقبال القبلة على وجهين احدهما ان يراها
ويعاينها فيلزمه استقبالها واصابتها وقصد جهتها بجميع بدنه والاخر ان تكون الكعبة بحيث لا يراها
فيلزمه التوجه نحوها وتلقاها بالدلائل وهي الشمس والقمر والنجوم والرياح وكل ما يمكن به معرفة جهتها
ومن غابت عنه وصلى مجتهدا الى غير ناحيتها وهو ممن يمكنه الاجتهاد فلا صلاة له فاذا صلى مجتهدا مستدلا
ثم انكشف له بعد الفراغ من صلاته انه صلى الى غير القبلة اعاد ان كان في وقتها وليس ذلك بواجب
عليه لانه قد ادى فرضه على ما امر به وقد مضى هذا المعنى في البقرة قوله تعالى افمن يخلق كمن
لا يخلق افلا تذكرون يريد الاصنام افلا تذكرون اخبر عن الاوثان التي لا تخلق ولا تضر ولا تنفع
كما يخبر عمن يعقل على ما تستعمله العرب في ذلك فانهم كانوا يعبدونها فذكرت بلفظ من يعقل
كقوله الهم ارجل يمشون بها وقيل لاقتران الضمير في الذكر بالخالق قال الفراء هو كقول العرب اشتبه
على الراكب جمله فلا ادري من ذا ومن ذا وان كان احدهما غير انسان قال المهدوي ويسال بمن عن البارئ
تعالى ولا يسال عنه بما لان ما انما يسال بها عن الاجناس والله تعالى ليس بذي جنس ولذلك اجاب
موسى عليه السلم حين قال له فمن ربكما يا موسى ولم يجب حين قال له وما رب العالمين الا بجواب من واضرب
عن جواب ما حين كان السوال فاسدا ومعنى الاية من كان قادرا على خلق الاشيا المتقدمة الذكر كان
بالعبادة احق ممن هو مخلوق ولا يضر ولا ينفع هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اروني
ماذا خلقوا من الارض قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تقدم في ابراهيم ان الله
لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تبطنونه وما تظهرونه وقد تقدم جميع هذا
مستوفى قوله تعالى والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون اموات غير احيا
وما يشعرون ايان يبعثون قراة العامة تدعون بالتا لان ما قبله خطاب وروى ابو بكر عن عاصم
وهبيرة عن حفص يدعون باليا وهي قراة يعقوب فاما قوله ما تسرون وما تعلنون فكلهم بالتا على الخطاب
الا ما روى هبيرة عن حفص عن عاصم انه قرا بالياء لا يخلقون شيا اي لا يقدرون على خلق شي وهم يخلقون
اموات غير احيا اي هم اموات يعني الاصنام لا ارواح فيها ولا تسمع ولا تبصر اي هي جمادات
فكيف تعبدونها وانتم افضل منها بالحياة وما يشعرون يعني الاصنام ايان يبعثون وقرا السلمي ايان
بكسر الهمزة وهما لغتان وموضعه نصب بيبعثون وهي في معنى الاستفهام والمعنى لا يدرون متى يبعثون
وعبر عنها كما عبر عن الادميين لانهم زعموا انها تعقل عنهم وتعلم وتشفع لهم عند الله فجرى خطابهم على
ذلك وقد قيل ان الله يبعث الاصنام يوم القيامة ولها ارواح فتتبرا من عبادتهم وهي في الدنيا
جماد لا تعلم متى تبعث قال ابن عباس تبعث الاصنام وتركب فيها الروح ومعها شياطينها فيتبرون من
عبدتهم ثم يومر بالشياطين والمشركين الى النار وقيل ان الاصنام تطرح في النار مع عبدتها يوم القيامة
دليله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل تم الكلام عند قوله لا يخلقون شيا وهم
يخلقون ثم ابتدا فوصف المشركين بانهم اموات وهذا الموت موت كفر وما يشعرون ايان يبعثون
اي وما تدري الكفار متى يبعثون اي وقت البعث لانهم لا يومنون بالبعث حتى يستعدوا للقاء الله
وقيل اي وما يدريهم متى الساعة ولعلها تكون قريبا قوله تعالى الهكم اله واحد فالذين لا
يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
انه لا يحب المستكبرين لما بين استحالة الاشراك بالله بين ان المعبود واحد لا رب غيره ولا معبود
سواه فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة اي لا تقبل الوعظ ولا ينجع فيها الذكر وهذا رد على القدرية
وهم مستكبرون اي متكبرون متعظمون عن قبول الحق وقد تقدم في البقرة معنى الاستكبار
لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي من القول والعمل فيجازيهم قال الخليل لا جرم كلمة
تحقيق ولا تكون الا جوابا يقال فعلوا ذلك فيقال لا جرم سيندمون اي حقا ان لهم النار وقد مضى
القول في هذا في هود مستوفى انه لا يحب المستكبرين اي لا يثيبهم ولا يثني عليهم وعن
الحسين بن علي انه مر بمساكين قد قدموا كسرا لهم وهم ياكلون فقالوا الغدا يا ابا عبد الله فنزل

(هامش: استقبال القبلة)

(هامش: يسال بمن عن البارئ ولا يسال عنه بما)

وجلس

وجلس معهم وقال انه لا يحب المستكبرين ثم اكل فلما فرغوا قال قد اجبتكم فاجيبوني فقاموا معه الى منزله
فاطعمهم وسقاهم واعطاهم وانصرفوا قال العلما وكل ذنب يمكن التستر به واخفاوه الا التكبر فانه
فسق يلزمه الاعلان وهو اصل العصيان كله وفي الحديث الصحيح ان المتكبرين يحشرون امثال الذر
يوم القيامة تطوهم الناس باقدامهم لتكبرهم او كما قال صلى الله عليه وسلم تصغر لهم اجسامهم في المحشر حتى
يضرهم صغرها وتعظم لهم في النار حتى يضرهم عظمها قوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا
اساطير الاولين يعني واذا قيل لمن تقدم ذكره ممن لا يومن بالاخرة وقلوبهم منكرة بالبعث ماذا انزل
ربكم قيل القايل النضر بن الحارث وان الاية فيه نزلت وكان خرج الى الحيرة فاشترى احاديث كليله
ودمنه وكان يقرا على قريش ويقول ما يقرا محمد على اصحابه الا اساطير الاولين اي ليس هو من تنزيل ربنا
وقيل ان المومنين هم القايلون لهم اختبارا فاجابوا بقولهم اساطير الاولين فاقروا بانزال الشي ثم هو اساطير
والاساطير الاباطيل والترهات وقد تقدم في الانعام والقول في ماذا انزل ربكم كالقول في ماذا ينفقون
وقوله اساطير الاولين خبر ابتدا محذوف التقدير الذي نزله اساطير الاولين قوله تعالى ليحملوا
اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا سا ما يزرون قيل هي لام
كي وهي متعلقة بما قبلها وقيل لام العاقبة كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا اي قولهم في القران والنبي ادا
الى ان حملوا اوزارهم اي ذنوبهم كاملة لم يتركوا منها شيا لنكبة اصابتهم في الدنيا بكفرهم
وقيل هي لام الامر والمعنى التهدد ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم قال مجاهد يحملون وزر من اضلوه
ولا ينقص من اثم المضل شي وفي الخبر ايما داع دعا الى ضلالة فان عليه مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص
من اوزارهم شي وايما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شي خرجه مسلم
بمعناه ومن للجنس لا للتبعيض فدعاة الضلالة عليهم مثل اوزار من اتبعهم وقوله بغير علم اي يضلون
الخلق جهلا منهم بما يلزمهم من الاثام اذ لو علموا لما اضلوا الا سا ما يزرون اي بيس الوزر الذي يحملونه ونظير
هذه الاية وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقد تقدم في اخر الانعام بيان قوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي سبقهم بالكفر اقوام مع الرسل المتقدمين فكانت
العاقبة الجميلة للرسل فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم قال ابن عباس ووهب
وزيد بن اسلم وغيرهم انه النمرود بن كنعان وقومه ارادوا صعود السما وقتال اهلها فبنوا الصرح
ليصعدوا منه بعد ان صنع النسور ما صنع فخر كما تقدم بيانه في اخر سورة ابراهيم ومعنى فاتى الله
بنيانهم اي اتى امره البنيان اما زلزلة او ريح فخربته قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح في السما
خمسة الاف ذراع وعرضه ثلاثة الاف وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فالقت راسه
في البحر وخر عليهم الباقي ولما سقط الصرح تبلبلت السن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة
وسبعين لسانا فلذلك سمي بابل وما كان لسان قبل ذلك الا السريانية وقد تقدم هذا المعنى في البقرة
وقرا ابن هرمز وابن محيصن السقف بضم السين والقاف جميعا وضم مجاهد السين واسكن القاف
تخفيفا كما تقدم في وبالنجم في الوجهين والاشبه ان يكون جمع سقف والقواعد اصول البنا واذا اختلت
القواعد سقط البنا وقوله من فوقهم قال ابن الاعرابي وكد ليعلمك انهم كانوا حالين تحته والعرب
تقول خر علينا سقف ووقع علينا حايط اذا كان يملكه وان لم يكن وقع عليه فجا بقوله من فوقهم ليخرج
هذا الشك الذي في كلام العرب فقال من فوقهم اي وقع عليهم وكانوا تحته فهلكوا وما افلتوا وقيل
ان المراد بالسقف السما اي ان العذاب اتاهم من السما التي هي فوقهم قاله ابن عباس وقيل ان قوله فاتى الله
بنيانهم من القواعد تمثيل والمعنى اهلكهم فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانه وقيل المعنى احبط الله
اعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه وقيل المعنى ابطل مكرهم وتدبيرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه
السقف من فوقه وعلى هذا اختلف في الذين خر عليهم السقف فقال ابن عباس وابن زيد ما تقدم
وقيل انه بختنصر واصحابه قال بعض المفسرين وقيل المراد المقتسمون الذين ذكرهم الله في سورة الحجر
قاله الكلبي وعلى هذا التاويل يخرج وجه التمثيل والله اعلم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
اي من حيث ظنوا انهم في امان وقال ابن عباس يعني البعوضة التي اهلك الله بها نمرود

(هامش: لام العاقبة)

قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يخزيهم اي يفضحهم بالعذاب ويذلهم به ويهينهم ويقول اين شركاءي اي بزعمكم وفي دعواكم اي الالهة التي عبدتم دوني وهو سؤال توبيخ الذين كنتم تشاقون فيهم اي تعادون انبيائي بسببها فليمنعوا عنكم هذا العذاب وقرا ابن كثير شركاي بياء مفتوحة من غير همز والباقون بالهمز نافع تشاقون بكسر النون على الاضافة اي تعادونني فيهم وفتحها الباقون قال الذين اوتوا العلم قال ابن عباس اي الملائكة وقيل المومنون ان الخزي اليوم اي الهوان والذل يوم القيمة والسوء اي العذاب على الكافرين قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون هذا من صفة الكافرين وظالمي انفسهم نصب على الحال اي وهم ظالمون انفسهم اذا وردوا بها موارد الهلاك فالقوا السلم اي الاسلام اي اقروا لله بالربوبية وانقادوا عند الموت وقالوا ما كنا نعمل من سوء اي شرك فقالت لهم الملائكة بلى قد كنتم تعملون الاسواء ان الله عليم بما كنتم تعملون وقال عكرمة نزلت هذه الاية بالمدينة في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا فاخرجتهم قريش الى بدر كرها فقتلوا بها فقال الذين تتوفاهم الملائكة بقبض ارواحهم ظالمي انفسهم في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة فالقوا السلم يعني في خروجهم معهم وفيه ثلثة اوجه احدها انه الصلح قاله الاخفش الثاني الاستسلام قاله قطرب الثالث الخضوع قاله مقاتل ما كنا نعمل من سوء يعني من كفر بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني ان اعمالكم اعمال الكفار وقيل ان بعض المسلمين لما راوا قلة المومنين رجعوا الى المشركين فنزلت فيهم وعلى القول الاول فلا يخرج كافر ولا منافق من الدنيا حتى ينقاد ويستسلم ويخضع ويذل ولا ينفعهم حينئذ توبة ولا ايمان كما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقد تقدم هذا المعنى وتقدم في الانفال ان الكفار يتوفون بالضرب والهوان وكذلك في الانعام وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين اي يقال لهم ذلك عند الموت وقيل هو بشارة لهم بعذاب القبر اذ هو باب من ابواب جهنم للكفار وقيل لا يصل اهل الدركة الثانية اليها مثلا الا بدخول الدركة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة هكذا وقيل لكل دركة باب مفرد فالبعض يدخلون من باب والبعض من باب آخر فالله اعلم خالدين فيها اي ماكثين فبئس مثوى المتكبرين اي مقام المتكبرين الذين تكبروا عن الايمان وعن عبادة الله تعالى وقد بينهم بقوله الحق انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي قالوا انزل خيرا وتم الكلام وماذا على هذا اسما واحدا وكان يرد الرجل من العرب مكة في ايام الموسم فيسال المشركين عن محمد عليه السلام فيقولون ساحر او شاعر او كاهن او مجنون ويسال المومنين فيقولون انزل الله عليه الخير والهدى والمراد القرآن وقيل ان هذا يقال لاهل الايمان يوم القيامة قال الثعلبي فان قيل لم ارتفع الجواب في قوله اساطير الاولين وانتصب في قوله خيرا فالجواب ان المشركين لم يومنوا بالتنزيل فكانهم قالوا الذي يقوله محمد هو اساطير الاولين والمومنون امنوا بالنزول فقالوا انزل خيرا وهذا مفهوم معناه من الاعراب قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل هو من كلام الله عز وجل وقيل هو من جملة كلام الذين اتقوا والحسنة هنا الجنة اي من اطاع الله فله الجنة غدا وقيل للذين احسنوا اليوم حسنة في الدنيا من النصر والفتح والغنيمة ولدار الاخرة خير اي ما ينالون في الاخرة من ثواب الجنة واعظم من دار الدنيا لفنائها وبقاء الاخرة ولنعم دار المتقين فيه وجهان قال الحسن المعنى ولنعم دار المتقين الدنيا لانهم نالوا بالعمل فيها ثواب الاخرة ودخول الجنة وقيل المعنى ولنعم دار المتقين الاخرة وهذا قول الجمهور وعلى هذا تكون جنات عدن بدلا من الدار فلذلك ارتفع وقيل ارتفع على تقدير هي جنات فهي مبينة لقوله دار المتقين او تكون مرفوعة بالابتداء التقدير جنات عدن نعم دار المتقين يدخلونها في موضع الصفة اي مدخولة وقيل جنات رفع بالابتداء وخبره يدخلونها وعليه يخرج قول الحسن والله اعلم تجري من تحتها الانهار تقدم معناه في البقرة لهم فيها ما يشاؤن اي مما تمنوه

وارادوه كذلك يجزي الله المتقين اي مثل هذا الجزاء يجزي المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين قرا الاعمش وحمزة تتوفاهم الملائكة في الموضعين بالياء واختاره ابو عبيد لما روي عن ابن مسعود انه قال ان قريشا زعموا ان الملائكة اناث فذكروهم انتم والباقون بالتاء لان المراد به الجماعة من الملائكة وطيبين فيه ستة اقوال الاول طيبين طاهرين من الشرك الثاني صالحين الثالث زاكية افعالهم واقوالهم الرابع طيبين الانفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى الخامس طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله تعالى السادس طيبين ان تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا الم بخلاف ما يقبض به روح الكافر والمخلط والله اعلم يقولون سلام عليكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون السلام انذارا لهم بالوفاة الثاني ان يكون تبشيرا لهم بالجنة لان السلام امان وذكر ابن المبارك قال اخبرنا حيوة قال اخبرنا ابو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال اذا استنقعت نفس العبد المومن جاءه ملك فقال السلام عليكم وقال ابن مسعود اذا جاءه ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقريك السلام وقال مجاهد ان المومن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه وقد اتينا على هذا في التذكرة وذكرنا هناك الاخبار الواردة في هذا المعنى والحمد لله وقوله ادخلوا الجنة يحتمل وجهين احدهما ان يكون معناه ابشروا بدخول الجنة الثاني ان يقولوا ذلك لهم في الاخرة بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من الصالحات قوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون هذا راجع الى الكفار اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وهم ظالمون لانفسهم وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي وخلف ياتيهم الملائكة بالياء الباقون بالتاء على ما تقدم او ياتي امر ربك اي بالعذاب من القتل كيوم بدر او الزلزلة والخسف في الدنيا وقيل المراد يوم القيامة والقوم لم ينتظروا هذه الاشياء لانهم ما امنوا بها ولكن امتناعهم عن الايمان اوجب عليهم العذاب فاضيف ذلك اليهم اي عاقبتهم العذاب كذلك فعل الذين من قبلهم اي اصروا على الكفر فاتاهم امر الله فهلكوا وما ظلمهم الله بتعذيبهم واهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم بالشرك قوله تعالى فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن قيل فيه تقديم وتاخير التقدير كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم سيئات ما عملوا وما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم فاصابهم عقوبات كفرهم وجزاء الخبيث من اعمالهم وحاق بهم اي احاط بهم ودار ما كانوا به يستهزؤن اي عقاب استهزائهم قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي شيئا ومن صلة قال الزجاج قالوه استهزاء ولو قالوه عن اعتقاد لكانوا مومنين وقد مضى هذا في سورة الانعام مبينا معنى واعرابا فلا معنى للاعادة قوله تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي مثل هذا التكذيب والاستهزاء فعل من كان قبلهم بالرسل فاهلكوا فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي ليس عليهم الا التبليغ واما الهداية فهي الى الله تعالى قوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان اعبدوا الله اي بان اعبدوا الله ووحدوه واجتنبوا الطاغوت اي اتركوا كل معبود دون الله كالشياطين والكاهن والصنم وكل من دعى الى الضلال فمنهم من هدى الله اي ارشده ومنهم من حقت عليه الضلالة اي بالقضاء السابق عليه حتى مات على كفره وهذا يرد على القدرية لانهم زعموا ان الله هدى الناس كلهم ووفقهم للهدى والله تعالى يقول فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقد تقدم هذا في غير موضع فسيروا في الارض اي فسيروا واعتبروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي كيف صار اخر امرهم الى الخراب والعذاب والهلاك قوله تعالى ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين اي ان تطلب يا محمد بجهدك هداهم فان الله لا يهدي من يضل اي لا يرشد من اضله اي من سبق له من الله الضلالة لم يهده وهذه قراءة ابن مسعود واهل الكوفة فيهدي فعل مستقبل وماضيه هدى ومن في موضع نصب بيهدي ويجوز ان يكون هدى يهدي بمعنى اهتدى يهتدي رواه ابو عبيد عن الفراء قال كما قرئ امن لا يهدي الا ان يهدى بمعنى يهتدي قال ابو عبيد ولا نعلم احدا روى هذا غير الفراء وليس بمتهم فيما يحكيه النحاس حكي لي عن محمد بن يزيد كان معنى لا يهدي من يضل من علم ذلك منه وسبق ذلك له عنده قال ولا يكون يهدي بمعنى يهتدي الا ان يقول يهدي او يهدي وعلى قول الفراء يهدي بمعنى يهتدي فيكون في موضع رفع والعائد

وارادوه

الي اسم ان الضمير المستكن في يضل وقرا الباقون لا يهدي بضم اليا وفتح الدال واختاره ابو عبيد وابو حاتم
علي معني من اضله الله لم يهديه هاد دليله قوله من يضلل الله فلا هادي له ومن في موضع رفع علي انه اسم
ما لم يسم فاعله وهو بمعني الذي والعايد عليها من صلتها محذوف والعايد علي اسم ان من فان الله الضمير
المستكن في يضل وما لهم من ناصرين تقدم معناه قوله تعالي واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت بلي وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون واقسموا بالله جهدا يمانهم هذا تعجيب من
صنعهم اذا قسموا بالله وبالغوا في تغليظ اليمين بان الله لا يبعث من يموت ووجه التعجيب انهم يظهرون
تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه عن بعث الاموات وقال ابو العالية كان لرجل من المسلمين علي مشرك
دين فتقاضاه وكان في بعض كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكذا فاقسم المشرك بالله لا يبعث
الله من يموت فنزلت الاية وقال قتادة ذكر لنا ان ابن عباس قال له رجل يا ابن عباس ان ناسا يزعمون ان عليا
مبعوث بعد الموت قبل الساعة ويتاولون هذه الاية فقال ابن عباس كذب اوليك انما هذه الاية عامة
للناس لو كان علي مبعوثا قبل القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه بلي هذا رد عليهم اي بلي ليبعثنهم
وعدا عليه حقا مصدر موكد لان قوله يبعثهم يدل علي الوعد اي وعد البعث وعدا حقا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انهم مبعوثون وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الله تعالي كذبني
ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني واما شتمه
اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وقد تقدم ويا في
قوله تعالي ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ليبين لهم
اي ليظهر لهم الذي يختلفون فيه اي من امر البعث وليعلم الذين كفروا بالبعث واقسموا عليه انهم كانوا كاذبين
وقيل المعني ولقد بعثنا في كل امة رسولا ليبين لهم الذي يختلفون فيه والذي اختلف فيه المشركون
والمسلمون امور منها البعث ومنها عبادة الاصنام ومنها اقرار قوم بان محمدا حق ولكن منعهم من اتباعه
التقليد كابي طالب قوله تعالي انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اعلمهم سهولة
الخلق عليه اي اذا اردنا ان نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في احيايهم ولا في غير ذلك مما نحدثه
لانا انما نقول له كن فيكون قراة ابن عامر والكسايي فيكون نصبا عطفا علي ان نقول وقال الزجاج يجوز
ان يكون نصبا علي جواب كن الباقون بالرفع علي معني فهو يكون وقد مضي القول فيه في البقرة مستوفا وقال
ابن الانباري اوقع لفظ الشيء علي المعلوم عند الله قبل الخلق لانه بمنزلة ما وجد وشوهد وفي الاية دليل
علي ان القران غير مخلوق لانه لو قال كن مخلوقا لاحتاج الي قول ثان والثاني الي ثالث وتسلسل وكان
محالا وفيها دليل علي ان الله سبحانه مريد لجميع الحوادث كلها خيرها وشرها نفعها وضرها والدليل
علي ذلك ان من يري في سلطانه ما يكرهه ولا يريده فلاحد شيين اما لكونه جاهلا واما لكونه مغلوبا
لا يطيق ولا يجوز ذلك في وصفه سبحانه وقد قام الدليل علي انه خالق لاكساب العباد ويستحيل ان يكون
فاعلا لشي وهو غير مريد له لان اكثر افعالنا تحصل علي خلاف قصودنا وارادتنا فلو لم يكن الحق سبحانه مريدا
لها لكانت تلك الافعال تحصل من غير قصد وهذا قول الطبايع وقد اجمع الموحدون علي خلافه وفساده
قوله تعالي والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوينهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة
اكبر لو كانوا يعلمون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا قد تقدم في النسا معني الهجرة وهي ترك الاوطان
والاهل والقرابة في الله او في دين الله وترك السيات وقيل في بمعني اللام اي الله من بعد ما ظلموا اي عذبوا
في الله نزلت في صهيب وبلال وخباب وعمار عذبهم اهل مكة حتي قالوا لهم ما ارادوا فلما خلوهم هاجروا
الي المدينة قاله الكلبي وقيل نزلت في ابي جندل ابن سهيل وقال قتادة المراد اصحاب محمد ظلمهم المشركون
بمكة واخرجوهم حتي لحق طايفة منهم بالحبشة ثم بواهم الله دار الهجرة وجعل لهم انصارا من المومنين
والاية تعم الجميع لنبوينهم في الدنيا حسنة في الحسنة ستة اقوال الاول نزول الاية في المدينة قاله ابن
عباس والحسن والشعبي وقتادة الثاني الرزق الحسن قاله مجاهد الثالث النصر علي عدوهم قاله الضحاك
الرابع انه لسان صدق حكاه ابن جريج الخامس ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لاولادهم فيها من
الولايات السادس ما بقي لهم في الدنيا من الثنا وما صار فيها لاولادهم من الشرف وكل ذلك اجتمع
لهم بفضل الله والحمد لله ولاجر الاخرة اكبر من ان يعلمه احد قبل ان يشاهده واذا رايت ثم رايت

بغيما

نعيما وملكا كبيرا لو كانوا يعلمون اي لو كان هاولاء الظالمون يعلمون العذاب ذلك وقيل هو راجع الي
المومنين اي لو راوا ثواب الاخرة وعاينوه لعلموا انه اكبر من حسنة الدنيا وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه كان اذا دفع الي المهاجرين العطا قال هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ذخر لكم في الاخرة اكبر ثم تلي عليهم
هذه الاية قوله تعالي الذين صبروا وعلي ربهم يتوكلون قيل الذين بدل من الذين الاول وقيل من
الضمير في لنبوينهم وقيل هم الذين صبروا علي دينهم وعلي ربهم يتوكلون في كل امورهم وقال بعض اهل
التحقيق خيار الخلق من اذا نابه امر صبر واذا عجز عن امر توكل قال الله الذين صبروا وعلي ربهم يتوكلون
قوله تعالي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون قراة العامة يوحي
بالياء وفتح الحاء وقرا حفص عن عاصم نوحي اليهم بنون العظمة وكسر الحاء نزلت في مشركي مكة حيث انكروا
نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا فرد الله
عليهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الي الامم الماضية يا محمد الا رجالا ادميين فاسالوا اهل الذكر قال
سفيان يعني مومن اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون يخبروكم ان جميع الانبيا كانوا بشرا وقيل المعني فاسالوا
اهل الكتاب فان لم يومنوا فهم معترفون بان الرسل كانوا من البشر روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقال
ابن عباس اهل الذكر اهل القران وقيل اهل العلم والمعني متقارب بالبينات والزبر قيل بالبينات
متعلق بارسلنا وفي الكلام تقديم وتاخير اي وما ارسلنا قبلك بالبينات والزبر الا رجالا اي غير رجال
الا بمعني غير كقوله الهة الا الله وهذا قول الكلبي نوحي اليهم وقيل في الكلام حذف دل عليه ارسلنا اي
ارسلناهم بالبينات والزبر ولا يتعلق بالبينات بارسلنا الاول علي هذا القول لان ما قبل الا لا يعمل
فيما بعدها وانما يتعلق بارسلنا المقدر اي ارسلناهم بالبينات وقيل مفعول بتعلمون والباء زايدة
او نصب باضمار اعني كما قال الاعشي

وليس مجيرا ان اتي الحي خايف ولا قايلا الا هو المتعيبا

اي اعني المتعيب والبينات الحجج والبراهين والزبر الكتب وقد تقدم في ال عمران وانزلنا اليك الذكر يعني
القران لتبين للناس ما نزل اليهم في هذا الكتاب من الاحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك والرسول
صلي الله عليه وسلم مبين عن الله عز وجل مراده مما اجمله في كتابه من احكام الصلاة والزكاة وغير ذلك
مما لم يفصله وقد تقدم هذا المعني مستوفا في مقدمة الكتاب والحمد لله ولعلهم يتفكرون فيتعظوا
قوله تعالي افامن الذين مكروا السيات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من
حيث لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم علي تخوف فان ربكم لرءوف
رحيم افامن الذين مكروا السيات اي بالسيات وهذا وعيد للمشركين الذين احتالوا في ابطال الاسلام
ان يخسف الله بهم الارض قال ابن عباس كما خسف بقارون يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الارض
وخسف الله به الارض خسوفا اي غاب به فيها ومنه قوله تعالي فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في
الارض وخسف به والاستفهام بمعني الانكار اي يجب ان لا يامنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين
او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط وغيرهم وقيل يريد يوم بدر فانهم اهلكوا ذلك
اليوم ولم يكن شي منه في حسابهم او ياخذهم في تقلبهم اي في اسفارهم وتصرفهم قاله قتادة فما هم بمعجزين
اي سابقين الله ولا فايتيه وقيل في تقلبهم علي فرشهم اين ما كانوا وقال الضحاك بالليل والنهار او ياخذهم علي
تخوف قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اي علي تنقص من اموالهم ومواشيهم وزروعهم وكذا قال ابن الاعرابي
اي علي تنقص من الاموال والانفس والثمرات حتي اهلكهم كلهم وقال الضحاك هو من الخوف المعني ياخذ
طايفة ويدع طايفة فتخاف الباقية ان ينزل بها ما نزل بصاحبتها وقال الحسن علي تخوف ان ياخذ القرية
فتخاف القرية الاخري وهذا هو معني القول الذي قبله بعينه وهما راجعان الي المعني الاول وان التخوف
التنقص تخوفه تنقصه وتخوفه الدهر وتخونه بالفاء والنون بمعني يقال تخونني فلان حقا اذا انتقصك قال
ذو الرمة لا بل هو الشوق من دار تخونها مرا سحاب ومرا بارح ترب وقال
لبيد تخونها نزولي وارتحالي اي ينقص لحمها وشحمها وقال الهيثم بن عدي التخوف
بالفاء التنقص لغة لازد شنوءة وانشد

وفيه دليل على ان القرآن غير مخلوق

اهل الذكر اهل القرآن

تخوف عدوهم مالي واهدي ... سلاسل في الحلوق لها صليل

وقال سعيد بن المسيب بينا عمر بن الخطاب على المنبر قال يا ايها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل او ياخذهم على تخوف فسكت الناس فقال شيخ من بني هذيل هي لغتنا يا امير المؤمنين التخوف التنقص فخرج رجل فقال يا فلان ما فعل دينك قال تخوفته اي تنقصته فرجع فاخبر عمر فقال عمر اتعرف العرب ذلك في اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير الهذلي يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم تمك السنام يتمك اي طال وارتفع فهو تامك والسفن والمسفن ما يجرد به الخشب وقال الليث بن سعد على تخوف على عجل وقيل على تقريع بما قدموه من ذنوبهم وهذا ايضا مروي عن ابن عباس ايضا وقال قتادة على تخوف ان يعاقب او يتجاوز فان ربكم لرءوف رحيم اي لا يعاجل بل يمهل **قوله تعالى** أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون قرا حمزة والكسائي وخلف ويحيى بن الاعمش ترووا بالتاء على ان الخطاب لجميع الناس الباقون بالياء خبرا عن الذين يمكرون السيئات وهو الاختيار من شيء يعني من جسم قائم له ظل من شجرة او جبل قاله ابن عباس وان كانت الاشياء كلها سميعة مطيعة لله تعالى تتفيؤ ظلاله قراءة ابو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتاء لتانيث الظلال الباقون بالياء واختاره ابو عبيد اي تميل من جانب الى جانب وتكون اول النهار على حال وتتقلص ثم تعود في اخر النهار على حالة اخرى فدورانها وميلانها من موضع الى موضع سجودها ومنه قيل للظل بالعشي فيء لانه فاء من المشرق الى المغرب اي رجع والفيء الرجوع ومنه حتى تفيء الى امر الله روي معنى هذا القول عن الضحاك وقتادة وغيرهما وقد مضى هذا المعنى في سورة الرعد وقال الزجاج يعني سجود الجسم وسجوده انقياده وما نرى فيه من اثر الصنعة وهذا عام في كل جسم ومعنى وهم داخرون اي خاضعون صاغرون والدخور الصغار والذل يقال دخر الرجل بالفتح فهو داخر وادخره الله وقال ذو الرمة

فلم يبق الا داخر في مخيس ... ومنجحر في غير ارضك في جحر

كذا نسبه الماوردي لذي الرمة ونسبه الجوهري للفرزدق وقال المخيس اسم سجن كان بالعراق اي موضع التذلل وقال

اما تراني كيسا مكيسا ... بنيت بعد نافع مخيسا

ووحد اليمين في قوله عن اليمين وجمع الشمائل لان معنى اليمين وان كان واحدا الجمع ولو قال عن الايمان والشمائل واليمين والشمائل واليمين والشمال لجاز لان المعنى الكثرة وايضا فمن شان العرب اذا اجتمعت علامتان في شيء واحد ان تجمع احداهما وتفرد الاخرى كقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وكقوله ويخرجهم من الظلمات الى النور ولو قال على اسماعهم والى الانوار لجاز ويجوز ان يكون رد اليمين على لفظ ما والشمائل على معناها ومثل هذا في الكلام كثير قال الشاعر

الواردون وتيم في ذرا سبا ... قد عض اعناقهم جلد الجواميس

ولم يقل جلود وقيل وحد اليمين لان الشمس اذا طلعت وانت متوجه الى القبلة انبسط الظل على اليمين ثم في حال يميل الى جهة الشمال ثم حالات فسماها شمائل **قوله تعالى** ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون من دابة اي من كل ما يدب على الارض والملائكة يعني الملائكة الذين في الارض وانما افردهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من صفة الدبيب بالذكر وان دخلوا فيها كقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل لخروجهم من جملة من يدب لما جعل الله لهم من الاجنحة فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب وما في الارض من دابة وتسجد ملائكة الارض وهم لا يستكبرون عن عبادة ربهم وهذا رد على قريش حيث زعموا ان الملائكة بنات الله ومعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم ففي الكلام حذف وقيل معنى يخافون ربهم من فوقهم يعني الملائكة يخافون ربهم وهي من فوق ما في الارض من دابة ومعنى ذلك يخافون فلا يخاف من دونهم اولى دليل قوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون يعني الملائكة **قوله تعالى** وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون قيل المعنى لا تتخذوا الهين اثنين وقيل جاء قوله اثنين توكيدا ولما كان الاله الحق

لا يتعدد

لا يتعدد وان كل من يتعدد فليس باله اقتصر على ذكر الاثنين لانه قصد نفي التعدد انما هو اله واحد يعني ذاته المقدسة وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته حسب ما تقدم بيانه في البقرة وذكرناه في اسمه الواحد في شرح الاسماء والحمد لله فاياي فارهبون اي خافوني وقد تقدم في البقرة **قوله تعالى** وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا الاية الدين الطاعة والاخلاص وواصبا معناه دائما قاله الفراء وحكاه الجوهري ووصب الشيء يصب وصوبا اي دام ووصب الرجل على الامر اذا واظب عليه والمعنى طاعة الله واجبة ابدا وممن قال واصبا دائما الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك ومنه قوله تعالى ولهم عذاب واصب اي دائم وقال الدؤلي

لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه ... يوما بذم الدهر اجمع واصبا

انشد الغزنوي والثعلبي وغيرهما

لا ابتغي المجد القليل بقاؤه ... يوما بذم الدهر اجمع واصبا

وقيل الوصب التعب والاعياء اي تجب طاعة الله وان تعب العبد فيها ومنه قول الشاعر

لا يمسك الساق من اين ولا وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

وقال ابن عباس واصبا واجبا الفراء والكلبي خالصا **قوله تعالى** افغير الله تتقون اي لا ينبغي ان تتقوا غير الله فغير نصب بتتقون **قوله تعالى** وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون وما بكم من نعمة فمن الله قال الفراء ما بمعنى الجزاء والباء في بكم متعلقة بفعل مضمر تقديره وما يكن بكم من نعمة اي صحة جسم وسعة رزق وولد فمن الله وقيل المعنى وما بكم من نعمة فمن الله هي ثم اذا مسكم الضر اي السقم والبلاء والقحط فاليه تجأرون اي تضجون بالدعاء يقال جأر يجأر جؤارا والجؤار مثل الخوار يقال جأر الثور يجأر اي صاح وقرا بعضهم عجلا جسدا له جؤار حكاه الاخفش وجأر الرجل الى الله اي تضرع بالدعاء وقال الاعشى يصف بقرة

فطافت ثلاثا بين يوم وليلة ... وكان النكير ان تضيف وتجأرا

ثم اذا كشف الضر عنكم اي البلاء والسقم اذا فريق منكم بربهم يشركون بعد ازالة البلاء وبعد الجؤار فمعنى الكلام التعجب من الاشراك بعد النجاة من الهلاك وهذا المعنى مكرر في القران وتقدم في الانعام ويونس ويأتي في سبحان وغيرها وقال الزجاج هذا خاص بمن كفر ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله التي انعم بها عليهم من كشف الضر والبلاء اي اشركوا ليجحدوا فاللام لام كي وقيل لام العاقبة وقيل ليكفروا بما اتيناهم اي ليجعلوا النعمة سببا للكفر وكل هذا فعل خبيث كما قال والكفر مخبثة لنفس المنعم فتمتعوا امر تهديد وقرا عبد الله قل تمتعوا فسوف تعلمون اي عاقبة امركم **قوله تعالى** ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ذكر نوعا اخر من جهالتهم وانهم يجعلون لما لا يعلمون انه يضر وينفع وهي الاصنام شيئا من اموالهم يتقربون به اليه قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فيعلمون على هذا للمشركين وقيل هي للاوثان وجرى بالواو والنون مجرى من يعقل فهو رد على ما ومفعول يعلم محذوف والتقدير ويجعل هؤلاء الكفار للاصنام التي لا تعلم شيئا نصيبا وقد مضى في الانعام تفسير هذا المعنى في قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع من الخبر الى الخطاب فقال تالله لتسألن وهذا سؤال توبيخ عما كنتم تفترون اي تختلقونه من الكذب على الله انه امركم بهذا **قوله تعالى** ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون نزلت في خزاعة وكنانة فانهم زعموا ان الملائكة بنات الله فكانوا يقولون الحقوا البنات بالبنات سبحانه نزه نفسه وعظمها عما نسبوه اليه من اتخاذ الاولاد ولهم ما يشتهون اي يجعلون لانفسهم البنين ويانفون من البنات وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لهم وتم الكلام عند قوله سبحانه واجاز الفراء كونها نصبا على تقدير ويجعلون لهم ما يشتهون وانكره الزجاج وقال العرب تستعمل في مثل هذا ويجعلون لانفسهم **قوله تعالى** واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر احدهم بولادة بنت ظل وجهه مسودا اي متغيرا وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض وانما هو كناية عن غمه بالبنت والعرب تقول لكل من لقي مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا قاله الزجاج وحكى الماوردي ان المراد سواد اللون قال وهو قول الجمهور وهو كظيم اي ممتلئ من الغم وقال ابن عباس حزين وقال الاخفش هو الذي يكظم غيظه فلا يظهره وقيل انه المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم ماخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة قاله علي بن عيسى وقد تقدم هذا المعنى

في سورة يوسف **قوله تعالى** يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون اي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به اي من سوء الحزن والعار والحيا الذي يلحقه بسبب البنت ايمسكه ذكر الكناية لانه مردود على ما على هون اي هوان وكذا قرا عيسى الثقفي على هوان والهون الهوان بلغة قريش قاله اليزيدي وحكاه ابو عبيد عن الكسائي وقال الفرا هو القليل بلغة تميم وقال الكسائي هو البلاء والمشقة وقالت الخنسا

تهين النفوس وهون النفوس ۞ يوم الكريهة انقى لها

وقرا الاعمش ايمسكه على سوء ذكره النحاس قال وقراة الجحدري ام يدسها في التراب يرده على قوله بالانثى ويلزمه ان يقرا ايمسكها ثم قيل يرجع الهوان الى البنت اي ايمسكها وهي مهانة عنده وقيل يرجع الى المولود له اي يمسكه على رغم انفه ام يدسه في التراب وهو ما كانوا يفعلونه من دفن البنت حية قاله قتادة كان مضر وخزاعة يدفنون البنات احيا واشدهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهم وطمع غير الاكفاء فيهن وكان صعصعة بن ناجية عم الفرزدق اذا احس بشي من ذلك وجه الى والد البنت ابلا يستحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر

وعمي الذي منع الوائدات ۞ فاحيى الوئيد فلم يوأد

وقيل دسها اخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كالمدسوس في التراب لاخفائه عن الابصار وهذا محتمل **مسالة** ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني امراة ومعها ابنتان لها فسالتني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فاعطيتها اياها فاخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تاكل منها شيا ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلي من البنات بشي فاحسن اليهن كن له سترا من النار ففي هذا الحديث ما يدل على ان البنات بلية ثم اخبر ان في الصبر عليهن والاحسان اليهن ما يقي من النار وعن عائشة انها قالت جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات فاعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت الى فيها تمرة لتاكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد ان تاكلها بينهما فاعجبني شانها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل قد اوجب لها بها الجنة واعتقها بها من النار وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيمة انا وهو وضم اصابعه خرجهما مسلم رحمه الله وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له بنت فادبها فاحسن ادبها وعلمها فاحسن تعليمها واسبغ عليها من نعم الله التي اسبغ عليه كانت له سترا او حجابا من النار وخطب الى عقيل بن علفة ابنته الجربا فقال ابي وان سيق الي المهر الف وعبدان وخود عشراوات احب اصهاري الى القبر وقال عبد الله بن طاهر

لكل ابي بنت يراعي شؤونها ۞ ثلاثة اصهار اذا حمد الصهر

فبعل يراعيها وخدر يكنها ۞ وقبر يواريها وخيرهم القبر

الا ساء ما يحكمون اي في اضافة البنات الى خالقهم واضافة البنين اليهم نظيره الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة وسياتي **قوله تعالى** للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم اي لهؤلاء الواصفين لله البنات مثل السوء اي صفة السوء من الجهل والكفر وقيل هو وصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد وقيل العذاب والنار ولله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى من الاخلاص والتوحيد قاله قتادة وقيل ان الصفة العليا بانه خالق رازق قادر ومجازي وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وقيل ليس كمثله شي وقيل ولله المثل الاعلى كقوله الله نور السموات والارض مثل نوره فان قيل كيف اضاف المثل هنا الى نفسه وقد قال فلا تضربوا لله الامثال فالجواب ان قوله فلا تضربوا لله الامثال اي الامثال التي توجب الاشباه والنقائص اي لا تضربوا لله مثلا يقتضي نقصا وتشبيها بالخلق والمثل الاعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير جل وتعالى عما يقوله الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وهو العزيز الحكيم تقدم معناه **قوله تعالى** ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم اي بكفرهم وافترائهم وعاجلهم ما ترك عليها اي على الارض فهو كناية عن غير مذكور لكن دل عليه قوله من دابة فان الدابة لا تدب الا على الارض والمعنى المراد من دابة كافرة فهو خاص وقيل المعنى انه لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء وقيل المراد بالاية العموم اي لو واخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر

يدفنون البنات احيا

هذه الارض من دابة ومن نبي ولا غيره وهذا قول الحسن وقال ابن مسعود وقرا هذه الاية لو اخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لاصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحورها ولامسك الامطار من السما والنبات من الارض فمات الدواب ولكن الله ياخذ بالعفو والفضل كما قال ويعفو عن كثير فاذا جاء اجلهم اي اجل موتهم ومنتهى اعمارهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقد تقدم فان قيل فكيف يعم بالهلاك مع ان فيهم مومنا ليس بظالم قيل يجعل هلاك الظالم انتقاما وجزاء وهلاك المومن معوضا بثواب الاخرة وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اراد الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم وعن ام سلمة وسيلت عن الجيش الذي يخسف به وكان في ايام ابن الزبير فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بالبيت عائذ فيبعث اليه بعث فاذا كانوا ببيدا من الارض خسف بهم فقلت يا رسول الله وكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وقد اتينا على هذا المعنى مجودا في كتاب التذكرة وتقدم في المايدة واخر الانعام ما فيه كفاية والحمد لله وقيل فاذا جاء اجلهم اي فاذا جاءت القيامة والله اعلم **قوله تعالى** ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون ويجعلون لله ما يكرهون اي من البنات وتصف السنتهم اي وتقول السنتهم الكذب ان لهم الحسنى قال مجاهد هو قولهم ان لهم البنين ولله البنات الكذب مفعول تصف وان في محل نصب بدل من الكذب لانه بيان له وقيل الحسنى الجزاء الحسن قاله الزجاج وقرا ابن عباس وابو العالية ومجاهد وابن محيصن الكذب برفع الكاف والذال والبا نعتا للالسنة وكذا ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب والكذب جمع كذوب مثل رسول ورسل وصبور وصبر وشكور وشكر لا رد لقولهم وتم الكلام اي ليس كما يزعمون جرم ان لهم النار اي حقا ان لهم النار وقد تقدم مستوفى وانهم مفرطون اي متروكون منسيون في النار قاله ابن الاعرابي وابو عبيدة والكسائي والفرا وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد قال ابن عباس وسعيد بن جبير ايضا مبعدون وقال قتادة والحسن معجلون الى النار مقدمون اليها والفارط الذي يتقدم الى الماء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم الى الحوض اي متقدمكم وقال القطامي

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا ۞ كما تعجل فراط الوراد

والفراط المتقدمون في طلب الماء والوراد المتاخرون وقرا نافع في رواية ورش مفرطون بكسر الرا وتخفيفها وهي قراءة عبد الله بن مسعود ومعناه مسرفون في الذنوب والمعصية اي افرطوا فيها يقال افرط فلان على فلان اذا اربى عليه وقال له اكثر مما قال من الشر وقرا ابو جعفر القاري مفرطون بكسر الرا وتشديدها اي مضيعون امر الله فهو من التفريط في الواجب **قوله تعالى** تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم اي اعمالهم الخبيثة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بان من تقدمه من الانبياء قد كفر بهم قومهم فهو وليهم اليوم اي ناصرهم في الدنيا على زعمهم ولهم عذاب اليم في الاخرة وقيل فهو وليهم اليوم اي قرينهم في النار اليوم يعني يوم القيامة واطلق عليه اسم اليوم لشهرته وقيل يقال لهم يوم القيامة هذا وليكم فاستنصروا به لينجيكم من العذاب على جهة التوبيخ لهم **قوله تعالى** وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون عليك الكتاب اي القران الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من الدين والاحكام فتقوم الحجة عليهم ببيانك وعطف هدى ورحمة على موضع قوله لتبين لان محله نصب ومجاز الكلام وما انزلنا عليك الكتاب الا بيانا للناس وهدى اي رشدا ورحمة للمومنين **قوله تعالى** والله انزل من السما ما فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون انزل من السما اي السحاب ما فاحيا به الارض بعد موتها عاد الكلام الى تعديد النعم وبيان كمال القدرة ان في ذلك لاية اي دلالة على البعث وعلى وحدانيته اذ علموا ان معبودهم لا يستطيع شيا فيكون هذه الدلالة لقوم يسمعون عن الله تعالى بالقلوب لا بالاذان فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور **قوله تعالى** وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فيه عشر مسائل الاولى **قوله تعالى** وان لكم في الانعام لعبرة قد تقدم القول في الانعام وهي هنا الاصناف الاربعة الابل والبقر والضان والمعز لعبرة اي دلالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته وعظمته والعبرة اصلها تمثيل الشي بالشي ليعرف حقيقته من طريق المشاكلة ومنه فاعتبروا وقال ابو بكر الوراق العبرة في الانعام تسخيرها لاربابها وطاعتها

الفراط المتقدمون في طلب الماء والوراد المتاخرون

لهم وتمردك على ربك وخلافك له في كل شيء ومن اعظم العبر بقاء بحمل هذا نبا **الثانية** قوله تعالى نسقيكم قراءة اهل المدينة وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر بفتح النون من سقى يسقي وقرا الباقون وحفص عن عاصم بضم النون من اسقى يسقي وهي قراءة الكوفيين واهل مكة قيل هما لغتان وقال لبيد

سقى قومي بني مجد واسقى   نميرا والقبائل من هلال

وقيل يقال لما كان من يدك الى فيه سقيته فاذا جعلت له شربا او عرضته لان يشرب بفيه او يزرعه قلت اسقيته قاله ابن عزيز وقد تقدم وقراءة فرقة تسقيكم بالتاء وهي ضعيفة يعني الانعام وقرئ بالياء اي يسقيكم الله عز وجل والقراء على القراءتين المتقدمتين ففتح النون لغة قريش وضمها لغة حمير **الثالثة** قوله تعالى مما في بطونه اختلف الناس في الضمير من قوله في بطونه على ماذا يعود فقيل هو عائد الى ما قبله وهو جمع المؤنث قال سيبويه العرب تخبر عن الانعام بخبر الواحد قال ابن العربي وما اراه عول عليه الا من هذه الاية وهذا لا يشبه منصبه ولا يليق بادراكه وقيل لما كان لفظ الجمع وهو اسم الجنس يذكر ويؤنث فيقال هو الانعام وهي الانعام جاز عود الضمير بالتذكير وقاله الزجاج وقال الكسائي معناه مما في بطون ما ذكرناه فهو عائد على المذكور وقد قال الله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وقال الشاعر

مثل الفراخ نتفت حواصله

ومثله كثير وقال الكسائي ايضا مما في بطونه اي مما في بطون بعضه اذ الذكور لا البان لها وهذا الذي عول عليه ابو عبيدة وقال الفراء الانعام والنعم واحد والنعم تذكر ولهذا تقول العرب هذه نعم وارد فرجع الضمير الى لفظ النعم الذي هو بمعنى الانعام قال ابن العربي انما يرجع التذكير الى معنى الجمع والتانيث الى معنى الجماعة فذكره هنا باعتبار لفظ الجمع وانثه في سورة المؤمنين باعتبار لفظ الجماعة فقال نسقيكم مما في بطونها وبهذا التاويل ينتظم المعنى انتظاما حسنا والتانيث باعتبار لفظ الجماعة والتذكير باعتبار لفظ الجمع اكثر من رمل يبرين ومها فلسطين **الرابعة** استنبط بعض العلماء الجلة وهو القاضي اسمعيل من عود هذا الضمير ان لبن الفحل يفيد التحريم وقال انما جيء به مذكرا لانه راجع الى ذكر النعم لان اللبن للذكر محسوب ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم ان لبن الفحل يحرم حين انكرته عائشة في حديث افلح اخي ابي القعيس فللمراة السقي وللرجل اللقاح فجرى الاشتراك فيه بينهما وقد مضى القول في تحريم لبن الفحل في النساء والحمد لله **الخامسة** قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا نبه سبحانه على عظيم قدرته بخروج اللبن خالصا من بين الفرث والدم والفرث الزبل الذي ينزل الى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا يقال افرثت الكرش اذا اخرجت ما فيها والمعنى ان الطعام يكون منه ما في الكرش ويكون منه الدم ثم يخلص اللبن من الدم فاعلم الله سبحانه ان هذا اللبن يخرج من بين ذلك وبين الدم في العروق وقال ابن عباس ان الدابة تاكل العلف فاذا استقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلط على هذه الاصناف فيقسم الدم ويجريه في العروق ويجري اللبن في الضروع ويبقى الفرث كما هو في الكرش حكمة بالغة فما تغني النذر خالصا يريد من حمرة الدم وقذارة الفرث وقد جمعهما وعاء واحد وقال ابن بحر خالصا بياضه قال النابغة

خالصة الاردان خضر المناكب

اي بعض الاكمام وهذه قدرة لا تنبغي الا للقائم على كل شيء بالمصلحة **السادسة** قال النقاش في هذا دليل على ان المني ليس بنجس وقاله ايضا غيره واحتج بان قال كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم سائغا خالصا كذلك يجوز ان يخرج المني على مخرج البول طاهرا قال ابن العربي ان هذا لجهل عظيم واخذ شنيع اللبن جاء الخبر عنه مجيء النعمة والمنة الصادرة عن القدرة ليكون عبرة فاقتضى ذلك كله وصف الخلوص واللذة وليس المني من هذه الحالة حتى يكون ملحقا به او مقيسا عليه قال المؤلف رحمه الله قد يعارض هذا بان يقال واي منة اعظم وارفع من خروج المني الذي يكون عنه الانسان المكرم وقد قال الله يخرج من بين الصلب والترائب وقال والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة وهذا غاية في الامتنان فان قيل انه يتنجس بخروجه من مجرى البول قلنا هو ما اردناه فالنجاسة عارضة واصله طاهر وقد قيل ان مخرجه غير مخرج البول وخاصة المراة فان مدخل الذكر منها ومخرج الولد غير مخرج البول على ما قال العلماء وقد تقدم في البقرة فان قيل اصله دم فهو نجس قلنا ينتقض بالمسك فان اصله دم وهو طاهر وممن قال بطهارته الشافعي واحمد واسحق وابو ثور وغيرهم لحديث عائشة رض قالت كنت افركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يابسا بظفري قال الشافعي فان لم يفرك فلا باس به وكان سعد ابن ابي وقاص يفرك المني من ثوبه وقال

التانيث باعتبار لفظ الجماعة والتذكير باعتبار لفظ الجمع

ابن عباس هو كالنخامة امطه عنك باذخرة وامسكه بخرقة فان قيل فقد ثبت عن عائشة انها قالت كنت اغسل المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج الى الصلاة في ذلك الثوب وانا انظر الى اثر الغسل فيه قلنا يحتمل ان يكون غسلته استقذارا كالاشياء التي تزال من الثوب لا لنجاسة ويكون هذا جمعا بين الاحاديث وقال مالك واصحابه والاوزاعي هو نجس قال مالك غسل الاحتلام من الثوب امر واجب مجمع عليه عندنا وهو قول الكوفيين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن مسعود وجابر بن سمرة انهم غسلوه من ثيابهم واختلف فيه عن ابن عمر وعائشة وعلى هذين القولين في نجاسة المني وطهارته التابعون **السابعة** في هذه الاية دليل على جواز الانتفاع بالالبان من الشرب وغيره فاما لبن الميتة فلا يجوز الانتفاع به لانه مائع طاهر حصل في وعاء نجس وكذلك ان ضرع الميتة نجس واللبن طاهر فاذا حلب صار ماخوذا من وعاء نجس فاما لبن المراة الميتة فاختلف اصحابنا فيه فمن قال ان الانسان طاهر حيا وميتا طاهر ومن قال ينجس بالموت فهو نجس وعلى القولين جميعا تثبت الحرمة لان الصبي قد يتغذى به كما يتغذى من الحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم ولم يخص به وقد مضى في النساء **الثامنة** قوله تعالى سائغا للشاربين اي لذيذا هنيئا لا يغص به من شربه يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا اي سهل مدخله في الحلق واساغه شاربه وسغته انا اسوغه واسيغه يتعدى ولا يتعدى والاجود اسغته اساغة يقال اسغ لي غصتي اي امهلني ولا تعجلني وقال تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه والسواغ بكسر السين ما اسغت به غصتك يقال الماء سواغ الغصص ومنه قول الكميت

فكانت سواغا ان جرت بغصة

وروي ان اللبن لم يشرق به احد قط وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم **التاسعة** في هذه الاية دليل على استعمال الحلاوة والاطعمة اللذيذة وتناولها ولا يقال ان ذلك يناقض الزهد او يباعده لكن اذا كان من وجهه ومن غير سرف ولا اكثار وقد تقدم هذا المعنى في المائدة وغيرها وفي الصحيح عن انس قال لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ واللبن والماء وقد كره بعض القراء اكل الفالوذج واللين من الطعام واباحه عامة العلماء وروي عن الحسن انه كان على مائدة ومعه مالك بن دينار فاتي بفالوذج فامتنع عن اكله فقال له الحسن كل فان عليك في الماء البارد اكثر من هذا **العاشرة** روى ابو داود وغيره عن ابن عباس قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن فشرب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه واذا سقي لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب الا اللبن قال علماؤنا وكيف لا يكون ذلك وهو اول ما يغتذي به الانسان وتنمى به الجثة والابدان فهو قوت خلي عن المفاسد به قوام الاجسام وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الامة التي هي خير الامم امة فقال في الصحيح فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اما انك لو اخترت الخمر غوت امتك ثم ان في الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب وظهور الخيرات وكثرة البركات فهو مبارك كله **قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون** فيه مسالتان **الاولى** قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب قال الطبري التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون فحذف ما ودل على حذفه قوله منه وقيل المحذوف شيء والامر قريب ومعنى منه اي من المذكور فلا يكون في الكلام حذف وهو اولى ويجوز ان يكون قوله ومن ثمرات عطفا على الانعام اي ولكم من ثمرات النخيل والانعام عبرة ويجوز ان يكون عطفا على مما اي ونسقيكم ايضا مشروبات من ثمرات **الثانية** قوله تعالى سكرا السكر ما يسكر هذا هو المشهور في اللغة قال ابن عباس نزلت هذه الاية قبل تحريم الخمر واراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يؤكل ويشرب حلالا من هاتين الشجرتين وقال بهذا القول ابن جبير والنخعي والشعبي وابو ثور وقد قيل ان السكر الخل بلغة الحبشة والرزق الحسن الطعام وقيل السكر العصير الحلو الحلال وسمي سكرا لانه قد يصير مسكرا اذا بقي فاذا بلغ الاسكار حرم قال ابن العربي اسد هذه الاقوال قول ابن عباس ويخرج ذلك على احد معنيين اما ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر واما ان يكون المعنى انعم الله عليكم بثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه ما حرم الله عليكم اعتداء منكم وما احل لكم اتفاقا او قصدا الى منفعة انفسكم والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر فتكون منسوخة فان هذه الاية مكية باتفاق من العلماء وتحريم الخمر مدني قال المؤلف رحمه الله فعلى ان السكر الخل والعصير الحلو لا نسخ وتكون الاية محكمة وهو حسن قال ابن عباس الحبشة يسمون الخل السكر

الا ان الجمهور علي ان السكر الخمر منهم ابن مسعود وابن عمر وابو رزين والحسن ومجاهد وابن ابي ليلى والكلبي
وغيرهم ممن تقدم ذكرهم كلهم قالوا السكر ما حرمه الله من ثمرتيهما وكذا قال اهل اللغة السكر اسم للخمر وما يسكر
وانشدوا

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم ... اذا جرى فيهم المزاء والسكر

والرزق الحسن ما احله من ثمرتيهما وقيل ان قوله تتخذون منه سكرا خبر معناه الاستفهام بمعنى الانكار
اي اتتخذون منه سكرا وتدعون رزقا حسنا الخل والزبيب والتمر كقوله فهم الخالدون اي افهم الخالدون
والله اعلم وقال ابو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم وانشد

جعلت عيب الاكرمين سكرا ... اي جعلت ذمهم طعما

وهذا اختيار الطبري ان السكر ما يطعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والاعناب وهو الرزق الحسن
واللفظ مختلف والمعنى واحد مثل انما اشكو بثي وحزني الى الله وهذا احسن ولا نسخ الا ان الزجاج قال قول
ابي عبيدة هذا لا يعرف واهل التفسير على خلافه ولا حجة له في البيت الذي انشده لان معناه عند غيره انه
يصف انها تتخمر بعيوب الناس وقال الحنفيون المراد بقوله سكرا ما لا يسكر من الانبذة والدليل عليه ان
الله سبحانه امتن علي عباده بما خلق لهم من ذلك ولا يقع الامتنان الا بمحلل لا بمحرم فيكون ذلك دليلا
علي جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ فاذا انتهى الى السكر لم يجز وعضدوا هذا من السنة بما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله الخمر بعينها والسكر من غيرها وبما رواه عبد الملك بن نافع عن ابن عمر قال
رايت رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند الركن ودفع اليه القدح فرفعه الى فيه فوجده شديدا فرده
علي صاحبه فقال له رجل من القوم يا رسول الله احرام هو فقال علي بالرجل فاتي به فاخذ منه القدح ثم دعا بماء
فصبه فيه ثم رفعه الى فيه فقطب ثم دعا بماء ايضا فصبه فيه ثم قال اذا اغتلمت عليكم هذه الاوعية فاكسروا
متونها بالماء وروي انه عليه السلام كان ينبذ له فيشربه ذلك اليوم فاذا كان من اليوم الثاني او الثالث
سقاه الخادم اذا تغير ولو كان حراما ما سقاه اياه قال الطحاوي وقد روى ابو عون الثقفي عن عبد الله
بن شداد عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها القليل منها والكثير والسكر من كل شراب خرجه الدارقطني
ايضا ففي هذا الحديث وما كان مثله ان غير الخمر لم يحرم عينه كما حرمت الخمر بعينها قالوا والخمر شراب العنب
لا خلاف فيها ومن حجتهم ايضا ما رواه شريك ابن عبد الله حدثنا ابو اسحاق الهمداني عن عمرو بن ميمون قال
قال عمر بن الخطاب انا ناكل لحوم هذه الابل وليس يقطعه في بطوننا الا النبيذ قال شريك ورايت الثوري
يشرب النبيذ في بيت حبر اهل زمانه مالك بن مغول والجواب — اما قولهم ان الله سبحانه امتن علي عبا
ولا يكون امتنانه الا بما احل فصحيح بيد انه يحتمل ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر كما بيناه فيكون منسوخا
كما قدمناه قال ابن العربي ان قيل كيف ينسخ هذا وهو خبر والخبر لا يدخله النسخ قلنا هذا كلام
من لم يتحقق الشريعة وقد بينا ان الخبر اذا كان عن الوجود الحقيقي او عن اعطاء ثواب فضلا من الله فهو الذي
لا يدخله النسخ فاما اذا تضمن الخبر حكما شرعيا فالاحكام تتبدل وتنسخ جاءت خبرا وامرا ولا يرجع
النسخ الى نفس اللفظ وانما يرجع الى ما تضمنه فاذا فهمتم هذا خرجتم عن الصنف الغبي الذي اخبر الله عن
الكفار فيه بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون
المعنى انهم جهلوا ان الرب يامر بما يشاء ويكلف ما يشاء ويرفع من ذلك بعد ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده
ام الكتاب قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا تشنيع شنيع حتى يلحق فيه العلماء الاخيار في قصورهم الفهم
بالكفار والمسالة اصولية وهي ان الاخبار عن الاحكام الشرعية هل يجوز نسخها ام لا اختلف في ذلك
والصحيح جوازه لهذه الاية وما كان مثلها ولان الخبر عن مشروعية حكم ما يتضمن طلب ذلك المشروع
وذلك الطلب هو الحكم الشرعي الذي يستدل علي نسخه والله اعلم واما ما ذكروا من الاحاديث فالاول
والثاني ضعيفان لانه عليه السلام قد روي عنه بالنقل الثابت انه قال كل شراب اسكر فهو حرام وقال
كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وقال ما اسكر كثيره فقليله حرام قال النسائي وهؤلاء اهل
الثبت والعدالة مشهورون بصحة النقل وعبد الملك لا يقوم مقام واحد منهم ولو عاضده من اشكاله
جماعة وبالله التوفيق واما الثالث وان كان صحيحا فانه ما كان يسقيه للخادم علي انه مسكر وانما كان
يسقيه لانه متغير الرائحة وكان صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه الرائحة فلذلك لم يشربه ولذلك
تحيل عليه ازواجه في عسل زينب بان قيل له انا نجد منك ريح مغافير يعني ريحا منكرة فلم يشربه بعد

كان ينبذ فيشربه ذلك اليوم

وسيأتي

وسيأتي في التحريم واما حديث ابن عباس فقد روي عنه خلاف ذلك من رواية عطاء وطاوس ومجاهد
انه قال ما اسكر كثيره فقليله حرام وروي عنه قيس بن دينار وكذلك فتياه في المسكر قاله الدارقطني
والحديث الاول رواه عنه عبد الله بن شداد وقد خالف الجماعة فسقط القول به مع ما ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم واما ما روي عن عمر من قوله ليس في بطوننا الا النبيذ فانه يريد غير المسكر بدليل ما ذكرنا
وقد روى النسائي عن عتبة بن فرقد قال كان النبيذ الذي شربه عمر بن الخطاب قد خلل قال النسائي ومما يدل
علي صحة حديث السائب قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وانا اسمع عن ابن القاسم حدثني مالك عن ابن شهاب
عن السائب بن يزيد انه اخبره ان عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال اني وجدت من فلان ريح شراب فزعم انه
شرب الطلا وانا سائل عما شرب فان كان مسكرا جلدته فجلده عمر رضي الله عنه الحد تاما وقد قال
في خطبته علي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس فانه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب
والعسل والتمر والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وقد تقدم في المائدة فان قيل فقد احل شربه
ابراهيم النخعي وابو جعفر الطحاوي وكان امام اهل زمانه وكان سفيان الثوري يشربه قلنا ذكر النسائي
في كتابه ان اول ما احل المسكر من الانبذة ابراهيم النخعي وهذه زلة عظيمة من عالم وقد حذرنا من
زلة العالم ولا حجة في قول احد مع السنة وذكر النسائي ايضا عن ابن المبارك قال ما وجدت الرخصة في المسكر
عن احد صحيحا الا عن ابراهيم قال ابو اسامة ما رايت رجلا اطلب للعلم من عبد الله ابن المبارك الشامات
ومصر واليمن والحجاز واما الطحاوي وسفيان لو صح ذلك عنهما لم يحتج بهما على من خالفهم من الائمة في تحريم المسكر
مع ما ثبت من السنة علي ان الطحاوي قد ذكر في كتابه الكبير في الاختلاف خلاف ذلك قال ابو عمر بن عبد البر في
كتاب التمهيد له قال ابو جعفر الطحاوي اتفقت الامة علي ان عصير العنب اذا اشتد وغلا وقذف
بالزبد فهو خمر ومستحله كافر واختلفوا في نقيع التمر اذا غلى واسكر قال فهذا يدلك علي ان حديث يحيى
ابن كثير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة غير
معمول عندهم لانهم لو قبلوا الحديث لكفروا مستحل نقيع التمر فثبت انه لم يدخل في الخمر المحرمة غير عصير العنب
الذي قد اشتد وبلغ ان يسكر قال ثم لا يخلوا من ان يكون التحريم معلقا بها فقط غير مقيس عليها غيرها
او يجب القياس عليها فوجدناهم جميعا قد قاسوا عليها نقيع التمر اذا غلا واسكر كثيره وكذلك نقيع الزبيب
قال فوجب قياسا علي ذلك ان يحرم كل ما اسكر من الاشربة قال وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كل مسكر حرام واستغني عن سنده لقبول الجميع له وانما الخلاف بينهم في تاويله فقال بعضهم اراد به
جنس ما يسكر وقال بعضهم اراد به ما يقع السكر عنده كما لا يسمى قاتلا الا مع وجود القتل قال الشيخ
رحمه الله فهذا يدل علي انه محرم عند الطحاوي لقوله فوجب قياسا علي ذلك ان يحرم كل ما اسكر من الاشربة
وقد روى الدارقطني في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان الله لم يحرم الخمر لاسمها وانما حرمها لعاقبتها
فكل شراب يكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كتحريم الخمر قال ابن المنذر وجاء اهل الكوفة باخبار معلولة
واذا اختلف الناس في الشيء وجب رد ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله وما روي عن بعض التابعين انه شرب
الشراب الذي يسكر كثيره فللقوم ذنوب يستغفرون الله منها وليس يخلو ذلك من احد معنيين اما مخطئ
اخطا في التاويل علي حديث سمعه او رجل اتى ذنبا لعله ان يكثر الاستغفار لله والنبي صلى الله عليه وسلم
حجة الله علي الاولين والاخرين من هذه الامة وقد قيل في تاويل هذه الاية انها انما ذكرت للاعتبار اي من قدر
علي خلق هذه الاشياء قادر علي البعث وهذه الاعتبار لا تختلف بان كانت الخمر حراما او حلالا فاتخاذ
السكر لا يدل علي التحريم وهو كما قال الله قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس والله اعلم **قوله تعالى**

واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون فيه ثلاث مسائل **الاولى**
قوله تعالى واوحى ربك قد مضى القول في الوحي وانه قد يكون بمعنى الالهام وهو ما يخلقه الله في القلب
ابتداء من غير سبب ظاهر وهو من قوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهائم
وما يخلق الله سبحانه فيها من درك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها وقد اخبر عز وجل بذلك
عن الموات فقال تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها قال ابراهيم الحربي لله عز وجل في الموات قدرة لم يدر
ما هي لم ياتها رسول من عند الله ولكن الله تبارك وتعالى عرفها ذلك اي الهمها ولا خلاف بين المتاولين
ان الوحي ها هنا بمعنى الالهام وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتح الحاء وسمي نحلا لان الله عز وجل نحله

العسل الذي يخرج منه قاله الزجاج والجوهري النحل والنحلة الدبر يقع على الذكر والانثى حتى يقال
يعسوب والنحل يؤنث في لغة الحجاز وكل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء وروي من حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الذباب كلها في النار يجعلها عذابا لاهل النار الا النحل ذكره الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول وروي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النملة والنحلة والهدهد
والصرد خرجه ابو داود ايضا وسياتي في النمل ان شاء الله تعالى **الثانية** قوله تعالى ان اتخذي من الجبال
بيوتا ومن الشجر هذا اذا لم يكن لها مالك ومما يعرشون جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الانواع اما في الجبال
وكواها واما في متجوف الاشجار واما فيما يعرش ابن ادم من الاجباح والخلايا والحيطان وغيرها وعرش
معناه هيا واكثر ما يستعمل فيما يكون من اتقان الاغصان والخشب وترتيب ظلالها ومنه العريش الذي
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومن هذا هي لفظة العرش يقال عرش يعرش ويعرش بكسر الراء وضمها
وقرئ بهما قرا ابن عامر بالضم وسائرهم بالكسر واختلف في ذلك عن عاصم **الثالثة** قال ابن العربي ومن
عجيب ما خلق الله في النحل ان الهمها لاتخاذ بيوتها مسدسة فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة وذلك
ان الاشكال من الثلاث الى العشر اذا جمع كل واحد منها الى امثاله لم يتصل وجاءت بينهما فروج الا الشكل
المسدس فانه اذا جمع الى امثاله اتصل كانه كالقطعة الواحدة قوله تعالى **ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي
سبل ربك ذللا يخرج من بطونها** وذلك انها انما تاكل النوار من الاشجار فاسلكي سبل ربك اي طرق ربك والسبل
الطرق واضافها اليه لانه خالقها اي ادخلي طرق ربك لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر ذللا جمع ذلول
وهو المنقاد اي مطيعة مسخرة فذللا حال من النحل اي تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها لانها تتبع اصحابها
حيث ذهبوا قاله ابن زيد وقيل المراد بقوله ذللا السبل يقول مذللة طرقها سهلة للسلوك عليها واختاره
الطبري وذللا حال من السبل واليعسوب سيد النحل اذا وقف وقفت واذا سار سارت قوله تعالى
يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فيه تسع
مسائل **الاولى** قوله تعالى يخرج من بطونها شراب رجع الخطاب الى الخبر على جهة تعديد النعمة والتنبيه على العبرة
فقال يخرج من بطونها شراب يعني العسل وجمهور الناس على ان العسل يخرج من افواه النحل وورد عن علي ابن
ابي طالب انه قال في تحقير الدنيا اشرف لباس ابن ادم فيها لعاب دودة واشرف شرابه رجيع نحلة فظاهر
هذا انه من غير الفم وبالجملة فانه يخرج ولا يدرى من فيها او اسفلها ولكن لا يتم صلاحه الا بحمي انفاسها
وقد صنع ارسطاطاليس بيتا من زجاج لينظر الى كيفية ما تصنع فابت ان تعمل حتى لطخت باطن الزجاج بالطين

صنع ارسطاطاليس بيتا من زجاج

ذكره الغزنوي وقال من بطونها لان استحالة الاطعمة لا تكون الا في البطن **الثانية** قوله تعالى مختلف
الوانه يريد انواعه من الاحمر والابيض والاصفر والجامد والسائل والام واحدة والاولاد مختلفون دليل
على ان القدرة نوعته بحسب تنويع الغذا كما يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول
زينب للنبي صلى الله عليه وسلم جرست نحله العرفط حين شبهت رائحته برائحة المغافير **الثالثة** قوله تعالى
فيه شفاء للناس الضمير للعسل قاله الجمهور اي في العسل شفاء للناس وروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد
والضحاك والفراء وابن كيسان الضمير للقران اي في القران قال النحاس وهذا قول حسن اي فيما قصصنا عليكم
من الايات والبراهين شفاء للناس وقيل العسل فيه شفاء وهذا القول بين ايضا لان اكثر الاشربة والمعجونات
التي يتعالج بها اصلها من العسل قال ابو بكر بن العربي من قال انه القران بعيد ما اراه يصح عنهم ولو صح نقلا
لم يصح عقلا فان مساق الكلام كله للعسل ليس للقران فيه ذكر قال ابن عطية وذهب قوم من اهل
الجهالة الى ان هذه الاية يراد بها اهل البيت وبنو هاشم وانهم النحل والشراب القران والحكمة وقد ذكر هذا
بعضهم في مجلس المنصور ابي جعفر العباسي فقال له رجل ممن حضر جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج
من بطون بني هاشم فاضحك الحاضرين وبهت الاخر وظهرت سخافة قوله **الرابعة** اختلف العلماء في قوله تعالى
فيه شفاء للناس هل هو على عمومه ام لا فقالت طائفة هو على العموم في كل حال ولكل احد فروي عن ابن عمر
انه كان لا يشكو قرحة ولا شيئا الا جعل عليه عسلا حتى الدمل اذا خرج عليه طلى عليه عسلا وحكى النقاش
عن ابي وجزة انه كان يكتحل بالعسل ويستمشي بالعسل ويتداوى بالعسل وروي ان عوف بن مالك الاشجعي
مرض فقيل له الا نعالجك فقال ائتوني بماء فان الله تعالى يقول ونزلنا من السماء ماء مباركا ثم قال
ائتوني بعسل فان الله يقول فيه شفاء للناس وائتوني بزيت فان الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاءه

خاصه عسل وزيت

بذلك كله فخلطه جميعا ثم شربه فبرا ومنهم من قال يقول انه على العموم اذا خلط بالخل وطبخ فياتي
شرابا ينتفع به في كل حالة من كل داء وقالت طائفة ان ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة
وفي كل انسان بل انه خبر عن انه يشفي كما يشفي غيره من الادوية في بعض وعلى حال دون حال ففائدة الاية
اخبار منبه في انه دواء لما كثر الشفاء به وصار خليطا ومعينا للادوية في الاشربة والمعاجين وليس
هذا باول لفظ خصص فالقران مملوء منه ولغة العرب ياتي فيها العام كثيرا بمعنى الخاص والخاص
بمعنى العام ومما يدل على انه ليس على العموم ان شفاء نكرة في سياق الاثبات ولا عموم فيها باتفاق
اهل اللسان ومحققي اهل الاصول لكن قد حملته طائفة من اهل الصدق والعزم على العموم فكانوا يستشفون
بالعسل من كل الاوجاع والامراض وكانوا يشفون من عللهم ببركة القران وبصحة التصديق والايقان
قال ابن العربي ومن ضعفت نيته وغلبته على الدين عادته اخذه مفهوما على قول الاطباء والكل من
حكم الفعال لما يشاء **الخامسة** ان قال قائل قد راينا من ينفعه العسل ومن يضره فكيف يكون شفاء للناس
قيل له الماء حياة كل شيء وقد راينا من يقتله الماء اذا اخذه على ما يضاده من علة في البدن وقد راينا شفاء
العسل في اكثر هذه الاشربة قال معناه الزجاج وقد اتفقت الاطباء على مدح عموم منفعة السكنجبين في
كل مرض واصله العسل وكذلك سائر المعجونات على ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حسم داء الاشكال وازاح
وجه الاحتمال حين امر الذي يشتكي بطنه بشرب العسل فلما اخبره اخوه بانه لم يزده الا استطلاقا امره
بعود الشراب له فبرا وقال صدق الله وكذب بطن اخيك **السادسة** اعترض بعض زنادقة الاطباء
على هذا الحديث فقال قد اجمعت الاطباء على ان العسل يسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فالجواب ان ذلك القول
حق في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه فيستعمله على الوجه الذي عينه وفي المحل الذي امره بعقد
نية وحسن طوية فانه يرى منفعته ويدرك بركته كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم
واما ما حكي من الاجماع فدليل على جهله بالنقل حيث لم يقيد واطلق قال الامام ابو عبد الله المازري ينبغي
ان يعلم ان الاسهال يعرض من ضروب كثيرة منها الاسهال الحادث عن التخم والهيضات والاطباء مجمعون
في مثل هذا على ان علاجه بان يترك الطبيعة وفعلها وان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت
القوة باقية فاما حبسها فضرر فاذا وضح هذا قلنا فيمكن ان يكون ذلك الرجل اصابه الاسهال عن
امتلاء وهيضة فامره النبي صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده فزاده الى ان فنيت المادة فوقف
الاسهال فوافقه شرب العسل فاذا خرج هذا على صناعة الطب اذن ذلك بجهل المعترض بتلك الصناعة
قال ولسنا نستظهر على قول نبينا بان يصدقه الاطباء لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم وصدقناه صلى الله عليه
وسلم فان اوجدنا بالمشاهدة صحة ما قالوه فيفتقر حينئذ الى تاويل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخريجه
على ما يصح اذ قامت الدلالة على انه لا يكذب **السابعة** في قوله تعالى فيه شفاء للناس دليل على جواز التعالج
بشرب الدواء وغير ذلك خلافا لمن كره ذلك من جلة العلماء وهو يرد على الصوفية الذين يزعمون ان الولاية
لا تتم الا اذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء ولا يجوز له مداواة ولا معنى لمن انكر ذلك روى الصحيح عن
جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله وروى
ابو داود والترمذي عن اسامة بن شريك قال قالت الاعراب يا رسول الله الا نتداوى قال نعم يا عباد
الله تداووا فان الله تعالى لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يا رسول الله وما هو
قال الهرم لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وروي عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد
من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله قال حديث حسن ولا نعرف لابي خزامة غير هذا الحديث وقال صلى الله عليه
وسلم ان كان في شيء من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة من عسل او لذعة بنار وما احب ان اكتوي خرجه
الصحيح والاحاديث في هذا الباب اكثر من ان تحصى وعلى اباحة التداوي والاسترقاء جمهور العلماء روي ان
ابن عمر اكتوى من اللقوة ورقي من العقرب وعن ابن سيرين ان ابن عمر كان يسقي ولده الترياق وقال
مالك لا باس بذلك وقد احتج من كره ذلك بما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت
امة بقضها وقضيضها الجنة كانوا لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
قالوا فالواجب على المؤمن ان يترك ذلك اعتصاما بالله وتوكلا عليه وثقة به وانقطاعا اليه فان الله تعالى

قد علم ايام المرض ايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا قال الله سبحانه وتعالى
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها الآية وممن ذهب الى هذا جماعة من
اهل الفضل والاثر وهو قول ابن مسعود وابي الدرداء رضوان الله عليهما دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه على
ابن مسعود في مرضه الذي قبض فيه فقال له عثمان ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال
الا ادعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وذكر الحديث وسياتي بكماله في فضل الواقعة ان شاء الله تعالى
وذكر وكيع قال حدثنا ابو هلال عن معاوية بن قرة قال مرض ابو الدرداء فعادوه فقالوا الا ندعو لك طبيبا
قال الطبيب اضجعني والى هذا ذهب الربيع بن خثيم وكره سعيد بن جبير الرقى وكان الحسن يكره شرب
الادوية كلها الا اللبن والعسل واجاب الاولون عن الحديث بانه لا حجة فيه لانه يحتمل ان يكون قصد الى
نوع من الكي مكروه بدليل كي النبي صلى الله عليه وسلم ابيا يوم الاحزاب على اكحله لما رمي وقال الشفاء في ثلاثة
كما تقدم ويحتمل ان يكون قصدا الى الرقى بما ليس في كتاب الله وقد قال سبحانه وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة على ما ياتي بيانه ورقى اصحابه وامرهم بالرقية على ما ياتي **الثامنة** ذهب مالك وجماعة اصحابه
الى ان لا زكاة في العسل وان كان مطعوما مقتاتا واختلف فيه قول الشافعي والذي قطع به في قوله الجديد
انه لا زكاة فيه وقال ابو حنيفة بوجوب زكاة العسل في قليله وكثيره لان النصاب فيه عنده ليس بشرط
وقال محمد بن الحسن لا شيء فيه حتى تبلغ خمسة افراق والفرق ستة وثلثون رطلا من ارطال العراق وقال
ابو يوسف في كل عشرة ازقاق زق متمسكا بما رواه الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في العسل في كل عشرة ازق زق قال ابو عيسى في اسناده مقال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في
هذا كبير شيء والعمل على هذا عند اكثر اهل العلم وبه يقول احمد واسحق وقال بعض اهل العلم ليس في العسل
شيء **التاسعة** قوله تعالى ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون اي يعتبرون ومن العبرة في النحل بانصاف النظر
والطاف الفكر في عجيب امرها فيشهد اليقين بان ملهمها الصنعة اللطيفة مع البنية الضعيفة وحذقها
باحتيالها في بعوات احوالها هو الله سبحانه كما قال واوحى ربك الى النحل الآية ثم انها تاكل الحامض والمر والمالح والحشائش
الضارة فيجعلها تعالى عسلا حلوا وشفاء وفي هذا دليل على قدرة الله تعالى **قوله تعالى** **والله
خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير** والله خلقكم ثم يتوفاكم
بين معناه ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني ارداه واوضعه وقيل الذي ينقص قوته وعقله ويصيره الى الخرف
ونحوه وقال ابن عباس يعني الى اسفل العمر يصير كالصبي الذي لا عقل له والمعنى متقارب وفي صحيح البخاري
عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ فيقول اللهم اني اعوذ بك من الكسل واعوذ بك
من الجبن واعوذ بك من الهرم واعوذ بك من البخل وفي حديث سعد بن ابي وقاص واعوذ بك ان ارد الى ارذل
العمر الحديث خرجه البخاري لكي لا يعلم بعد علم شيئا اي يرجع الى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم
قبل من الامور لفرط الكبر وقد قيل ان هذا لا يكون للمؤمن لان المؤمن لا ينزع عنه علمه وقيل المعنى لكي لا
يعلم بعد علم شيئا فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره اليه لان تاثير الكبر في عمله ابلغ من تاثيره في علمه والمعنى
المقصود الاحتجاج على منكري البعث اي الذي رده الى هذه الحال قادر على ان يميته ثم يحييه **قوله تعالى**
**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه
سواء افبنعمة الله يجحدون** والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعل منكم غنيا وفقيرا وحرا وعبدا فما
الذين فضلوا اي في الرزق برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق
شيئا حتى يستوي المملوك والمالك في المال وهذا مثل ضربه الله لعبدة الاصنام اي اذا لم يكن عبيدكم معكم
سواء فكيف تجعلون عبيدي معي سواء فلما لم يشركهم عبيدهم في اموالهم لم يجز لهم ان يشاركوا الله تعالى
في عبادة غيره من الاوثان والانصاب وغيرها مما عبد كالملائكة والانبياء وهم عبيده وخلقه حكى معناه
الطبري وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم وعن ابن عباس ايضا انها نزلت في نصارى نجران حين قالوا عيسى
ابن الله فقال الله لهم فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي لا يرد المولى على ما ملكت يمينه
مما رزق حتى يكون المولى والعبد في المال شرعا فكيف ترضون لي بما لا ترضونه لانفسكم فتجعلون لي ولدا
من عبادي ونظيرها ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم على ما ياتي ودل
هذا على ان العبد لا يملك على ما ياتي انفا **قوله تعالى** **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا**

والفرق ستة وثلثون رطلا من ارطال العراق

جعل بمعنى خلق وقد تقدم انفسكم ازواجا يعني آدم خلق منه حواء وقيل المعنى جعل من انفسكم اي من جنسكم
ونوعكم وعلى خلقتكم كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من الآدميين وفي هذا رد على العرب التي كانت
تعتقد انها كانت تتزوج الجن وتباضعها حتى روي ان عمرو بن هند تزوج منهم غولا وكان يخبؤها عن البرق
لئلا تراه فتنفر فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعاينته السعلاة فقالت عمرو ونفرت فلم يرها ابدا
وهذا من اكاذيبها وان كان جائزا في حكم الله عز وجل وحكمته فهو رد على الفلاسفة الذين ينكرون وجود الجن
ويحيلون طعامهم ازواجا زوج الرجل هي باثنته فانه فرد فاذا انضافت اليه كانا زوجين وانما جعلت
الاضافة اليه دونها لانه اصلها في الوجود كما تقدم **قوله تعالى** **وجعل لكم من ازواجكم بنين
وحفدة** فيه خمس مسائل **الاولى** قوله تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين ان هذه الآية ظاهرة في تعديد النعمة
في الابناء ووجود الابناء يكون منهما معا ولكنه لما كان خلق المولود فيها وانفصاله عنها اضيف اليها ولذلك
تبعها في الرزق والحرية وصار مثلها في المالية وصار يحكمها في الرزق والحرية لانه انفصل عن الرب
نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلاجل ذلك تبعها كما لو اكل
رجل تمرا في ارض رجل وسقطت منه نواة في الارض من يد الاكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الارض
دون الاكل باجماع الامة لانها انفصلت عن الاكل ولا قيمة لها **الثانية** قوله تعالى وحفدة روى ابن
القاسم عن مالك قال وسالته عن قوله بنين وحفدة فقال الحفدة الخدم والاعوان في رايي وروي عن
ابن عباس في قوله تعالى وحفدة قال هم الاعوان من اعانك فقد حفدك قيل له فهل تعرف العرب
ذلك قال نعم وتقوله اوما سمعت قول الشاعر

حفد الولائد حولهن واسلمت … باكفهن ازمة الاجمال

اي اسرعنا الخدمة والولائد الخدم الواحدة وليدة قال الاعشى

كلفت مجهولها نوقا يمانية … اذا الحداة على اكسائها حفدوا

اي اسرعوا وقال ابن عرفة الحفدة عند العرب الاعوان فكل من عمل عملا اطاع فيه وسارع فهو حافد قال
ومنه قولهم اليك نسعى ونحفد والحفدان السرعة قال ابو عبيد الحفد العمل والخدمة وقال الخليل بن احمد
الحفدة عند العرب الخدم وقاله مجاهد وقال الازهري قيل الحفدة اولاد الاولاد وروي عن ابن عباس
وقيل الاختان قاله ابن مسعود وعلقمة وابو الضحى وسعيد بن جبير وابراهيم ومنه قول الشاعر

فلو ان نفسي طاوعتني لاصبحت … لها حفد مما يعد كثير

ولكنها نفس على ابية … عيوف لاصهار اللئام قذور

وروى زر عن عبد الله قال الحفدة الاصهار وقاله ابراهيم والمعنى متقارب قال الاصمعي الختن من كان من قبل المراة
مثل ابيها واخيها وما اشبههما والاصهار منهما جميعا يقال اصهر فلان الى بني فلان وصاهر وقول عبد الله
هم الاختان يحتمل المعنيين جميعا يجوز ان يكون اراد بالمراة وما اشبهه من اقربائها ويجوز ان يكون اراد
وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيكون لكم بسببهن اختان وقال عكرمة الحفدة من نفع الرجل
من ولده واصله من حفد يحفد بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل اذا اسرع في سيره كما قال كثير

حفد الولائد بينهن الثيبب … ويقال حفدت واحفدت لغتان اذا

خدمت ويقال حافد وحفد مثل خادم وخدم وحافد وحفدة مثل كافر وكفرة قال المهدوي ومن جعل
الحفدة الخدم جعله منقطعا مما قبله ينوي به التقديم كانه قال جعل لكم حفدة وجعل لكم من ازواجكم
بنين قال المؤلف رحمه الله ما قاله الازهري ان الحفدة اولاد الاولاد هو ظاهر القرآن بل نصه الا ترى انه قال
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة والبنين منهن وقال ابن العربي الاظهر عندي في قوله بنين وحفدة
ان البنين اولاد الرجل لصلبه والحفدة اولاد ولده وليس في قوة اللفظ اكثر من هذا ويكون تقدير الآية
على هذا وجعل لكم من ازواجكم بنين ومن البنين حفدة وقال معناه الحسن **الثالثة** اذا فرعنا في قول
ابن عباس ومجاهد ومالك وعلماء اللغة في قولهم ان الحفدة الخدم والاعوان فقد خرجت خدمة الولد والزوجة
من القرآن بابدع بيان قاله ابن العربي روى البخاري وغيره عن سهل بن سعد ان ابا اسيد الساعدي
دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعرسه وكانت امراته خادمهم الحديث وقد تقدم في سورة هود وفي الصحيح
عن عائشة قالت انا فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم بيدي الحديث ولهذا قال علماؤنا عليه ان

تفرش الفرش وتطبخ القدر وتقم الدار بحسب حالها وعادة مثلها قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها
فكان تجمع لنا فيها السكن والاستمتاع وضربا من الخدمة بحسب جري العادة **الرابعة** ويخدم الرجل امرأته
فيما خف من الخدمة ويعينها لما رونه عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون في مهنة اهله فاذا
سمع الاذان خرج وهذا قول مالك ويعينها وفي اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخصف النعل ويقم
البيت ويخيط الثوب وقالت عائشة وقد قيل لها ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته قالت
كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه **الخامسة** وينفق على خادم واحد وقيل على اكثر
على قدر الثروة والمنزلة وهذا امر دائر على العرف الذي هو اصل من اصول الشريعة فان نساء الاعراب وسكان
البوادي يخدمن ازواجهن في استعذاب الماء وسياسة الدواب ونساء الحواضر يخدم المقل منهم زوجته
فيما خف ويعينها واما اهل الثروة فيخدمن ازواجهن ويترفهن معهم اذا كان له منصب ذلك فان كان
امرا مشكلا شرطت عليه الزوجة ذلك فيشهد انه قد عرف انها ممن لا تخدم نفسها فالتزم اخدامها
فينفذ ذلك وينقطع الدعوى فيه **قوله تعالى** وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ
اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ورزقكم من الطيبات اي من الثمار والحبوب والحيوان افبالباطل يعني الاصنام قاله ابن
عباس يؤمنون قراءة الجمهور بالياء وقرا عبد الرحمن بالتاء وبنعمة الله اي بالاسلام هم يكفرون **قوله تعالى**
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَلَا
تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ رزقا من السموات يعني المطر والارض يعني
النبات شيئا قال الاخفش هو بدل من الرزق وقال الفراء هو منصوب بايقاع الرزق عليه اي يعبدون
ما لا يملك ان يرزقهم شيئا ولا يستطيعون اي لا يقدرون على شيء يعني الاصنام فلا تضربوا لله الامثال
اي لا تشبهوا به هذه الجمادات لانه واحد قادر لا مثل له وقد تقدم **قوله تعالى** ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فيه خمس مسائل **الاولى** قوله تعالى ضرب الله مثلا نبه تعالى على ضلالة المشركين
وهو منتظم بما قبله من ذكر نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك من الهتهم ضرب الله مثلا اي بين شبها ثم ذكر ذلك فقال
عبدا مملوكا اي كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من امره على شيء ورجل حر قد رزق رزقا حسنا فكذلك
انا وهذه الاصنام فالذي هو مثال هذه الاية فهو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا من
امر نفسه وانما هو مسخر بارادة سيده ولا يلزم من الاية ان العبيد كلهم بهذه الصفة فان النكرة في الاثبات
لا تقتضي الشمول عند اهل اللسان كما تقدم وانما تفيد واحدا فاذا كانت بعد امر او نهي ومضافة الى مصدر
كانت للعموم الشيوعي كقوله اعتق رجلا ولا تهن رجلا والمصدر كاعتاق رقبة فاي رجل اعتق فقد
خرج عن عهدة الخطاب ويصح منه الاستثناء وقال قتادة هذا المثل للمؤمن والكافر فذهب قتادة الى ان العبد
المملوك هو الكافر لانه لا ينتفع في الاخرة بشيء من عبادته والى ان معنى ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن والاول
عليه الجمهور من اهل التاويل قال الاصم المراد بالعبد المملوك الذي ربما يكون اشد من مولاه اسرا وانظر وجها
وهو لسيده ذليل لا يقدر الا على ما اذن له فيه فقال الله تعالى ضربا للمثال اي فاذا كان هذا شانكم وشان عبيدكم
فكيف جعلتم احجارا مواتا شركاء لله تعالى في خلقه وعبادته وهي لا تعقل ولا تسمع **الثانية** فهم المسلمون
من هذه الاية ومما قبلها نقصان رتبة العبد عن الحر في الملك وانه لا يملك شيئا وان ملك قال اهل العراق
الرق ينافي الملك فلا يملك شيئا البتة بحال وهو قول الشافعي في الجديد وبه قال الحسن وابن سيرين ومنهم من
قال يملك الا انه ناقص الملك لان لسيده ان ينتزعه منه اي وقت شاء وهو قول مالك ومن اتبعه وبه قال
الشافعي في القديم وهو قول اهل الظاهر ولهذا قال اصحابنا لا يجب عليه عبادة الاموال من زكاة وكفارات
ولا من عبادات الابدان ما يقطعه عن خدمة سيده كالحج والجهاد وغير ذلك وفائدة هذه المسالة ان سيده
لو ملكه جارية جاز له ان يطاها بملك اليمين ولو ملكه اربعين من الغنم فحال عليها الحول لم يجب على السيد
زكاتها لانها ملك غيره ولا على العبد لان ملكه غير مستقر والعراقي يقول لا يجوز له ان يطا الجارية والزكاة
في النصاب واجبة على السيد كما كانت ودلائل هذه المسالة للفريقين في كتب الخلاف وادل دليل لنا قوله
تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم فسوى بين الحر والعبد في الرزق والخلق وقال عليه السلام من اعتق عبدا وله
مال فاضاف المال اليه وكان ابن عمر يري عبده يتسرى في ماله فلا يعيب ذلك عليه وروي عن ابن عباس

الملوك لا يقدر على شي من المال ولا من امر
وانما هو مسخر بارادة سيده

ان

ان عبدا له طلق امراته طلقتين فامره ان يرتجعها بملك اليمين فهذا دليل على انه يملك ما بيده ويفعل فيه
ما يفعل المالك في ملكه ما لم ينتزعه سيده والله اعلم **الثالثة** وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان
طلاق العبد بيد سيده وعلى ان بيع الامة طلاقها معولا على قوله تعالى لا يقدر على شيء قال فظاهره يفيد
انه لا يقدر على شيء اصلا لا على الملك ولا على غيره فهو على عمومه الا ان يدل دليل على خلافه وفيما ذكرناه عن ابن
عمر وابن عباس ما يدل على التخصيص والله اعلم **الرابعة** قال ابو منصور في عقيدته الرزق ما وقع الاغتذاء به
وهذه الاية ترد هذا التخصيص وكذلك قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وانفقوا مما رزقناكم وغير ذلك
من قول النبي صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله ارزاق امتي في سنابك خيلها واسنة رماحها
فالغنيمة كلها رزق وكل ما صح به الانتفاع فهو رزق وهو مراتب اعلاها ما يغذي وقد حصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست
فابليت او تصدقت فامضيت وفي معنى اللباس يدخل الركوب وغير ذلك وفي السنة المحدثين السماع
رزق يعنون سماع الحديث وهو صحيح **الخامسة** قوله تعالى ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو المؤمن يطيع
الله في نفسه وماله والكافر لما لم ينفق في الطاعة صار كالعبد الذي لا يملك شيئا هل يستوون اي لا يستوون
ولم يقل يستويان لمكان من لانه اسم مبهم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقيل ان عبدا مملوكا ومن
رزقناه اريد بهما الشيوع في الجنس الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اي هو المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه
اذ لا نعمة للاصنام عليهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لانه المنعم الخالق بل اكثرهم اي اكثر
المشركين لا يعلمون ان الحمد لي وجميع النعمة مني وذكر الاكثر وهو يريد الجميع فهو خاص اريد به التعميم وقيل
بل اكثر الخلق لا يعلمون وذلك ان اكثرهم المشركون **قوله تعالى** وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ
لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ هذا مثل اخر ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن فالابكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن والذي
يامر بالعدل هو الله تعالى قاله قتادة وغيره وقال ابن عباس الابكم عبد كان لعثمان رضه وكان يعرض عليه
الاسلام فيابى ويامر بالعدل عثمان وعنه ايضا انه مثل لابي بكر الصديق رضي الله عنه ومولى له كافر وقيل الابكم
ابو جهل والذي يامر بالعدل عمار بن ياسر العنسي وعنس بالنون حي من مذحج وكان حليفا لبني مخزوم رهط ابي
جهل وكان ابو جهل يعذبه على الاسلام ويعذب امه سمية وكانت مولاة لابي جهل وقال لها ذات يوم انما امنت
بمحمد لانك تحبينه لجماله ثم طعنها بالرمح في قبلها فماتت فهي اول شهيد مات في الاسلام من كتاب
النقاش وغيره وسياتي هذا في اية الاكراه مبينا ان شاء الله تعالى قال عطا الابكم ابي بن خلف كان لا ينطق بخير
وهو كل على مولاه اي قومه لانه كان يؤذيهم ويؤذي عثمان بن مظعون وقال مقاتل نزلت في هاشم بن عمرو بن
الحارث كان كافرا قليل الخير يعادي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان الابكم الكافر والذي يامر بالعدل جملة
بجملة وروي عن ابن عباس وهو حسن لانه يعم والابكم الذي لا نطق له وقيل الذي لا يعقل وقيل الذي لا يسمع
ولا يبصر وفي التفسير ان الابكم هاهنا الوثن بين انه لا قدرة له ولا امر وان غيره ينقله وينحته فهو كل عليه
والله الامر بالعدل الغالب على كل شيء وقيل معنا وهو كل على مولاه اي ثقل على وليه وقرابته ووبال على
صاحبه وابن عمه وقد يسمى اليتيم كلا لثقله على من يكفله ومنه قول الشاعر

اكول لمال الكل قبل شبابه ... اذا كان عظم الكل غير شديد

والكل الذي لا ولد له ولا والد والكل العيال والجمع الكلول يقال منه كل السكين يكل كلا اي غلظت شفرته
فلم تقطع اينما توجهه لا يات بخير قرا الجمهور يوجهه وهي خط المصحف اي اينما يرسله صاحبه لا يات بخير
لانه لا يعرف ولا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه وقرا يحيى بن وثاب اينما يوجه على الفعل المجهول وكذا روي
عن ابن مسعود وعن ابن مسعود ايضا توجه على الخطاب هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على الصراط
المستقيم **قوله تعالى** وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ولله غيب السموات والارض تقدم معناه وهذا متصل بقوله ان الله يعلم وانتم لا تعلمون
اي شرع التحليل والتحريم انما يحسن ممن يحيط بالعواقب والمصالح وانتم ايها المشركون لا تحيطون بها فلم تتحكمون
وما امر الساعة الا كلمح البصر وتجازون فيها باعمالكم والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة سميت
ساعة لانها تفجا الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة واللمح النظر بسرعة يقال لمحه لمحا ولمحانا ووجه

التاويل ان الساعة لما كانت اتية ولابد جعلت من القرب كلمح البصر وقال الزجاج لم يرد ان الساعة تاتي في
لمح البصر وانما وصف سرعة القدرة على الاتيان بها اي كما يقول للشيء كن فيكون وقيل انما مثل بلمح البصر
لان لمح السماء مع ما هي عليه من البعد من الارض وقيل هو تمثيل للقرب كما يقول القائل ما السنة الا لحظة
وشبهه وقيل المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين دليله قوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
او هو اقرب ليس او للشك بل للتمثيل يا بهما اراد المثل وقيل دخلت لشك المخاطب وقيل او بمنزلة
بل ان الله على كل شيء قدير تقدم **قوله تعالى** والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ذكر ان من نعمه ان اخرجكم من بطون امهاتكم اطفالا
لا علم لكم بشيء وفيه ثلاثة اقاويل احدها لا تعلمون شيئا مما اخذ عليكم من الميثاق في اصلاب ابائكم الثاني
لا تعلمون شيئا مما قضي عليكم من السعادة والشقا الثالث لا تعلمون شيئا من منافعكم وتم الكلام ثم ابتدا فقال
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي التي تعلمون بها وتدركون لان الله جعل ذلك لعباده قبل اخراجهم من
البطون وانما اعطاهم ذلك بعد اخراجهم اي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الامر والنهي والابصار لتبصروا بها
اثار صنعه والافئدة لتصلوا بها الى معرفته والافئدة جمع الفؤاد مثل غراب واغربة وقد قيل في ضمن
قوله وجعل لكم السمع اثبات النطق لان من لم يسمع لم يتكلم واذا وجدت حاسة السمع وجد النطق وقرا
الاعمش وابن وثاب وحمزة امهاتكم هنا وفي النور والزمر والنجم بكسر الهمزة والميم واما الكسائي فكسر الهمزة
وفتح الميم وانما كان هذا للاتباع والباقون بضم الهمزة وفتح الميم على الاصل واصل الامهات امات فزيدت
الهاء تاكيدا كما زادوها في اهرقت واصله ارقت وقد تقدم هذا المعنى في الفاتحة لعلكم تشكرون فيه تاويلان
احدها تشكرون نعمه الثاني يعني تبصرون ايات صنعته لان ابصارها يودي الى الشكر **قوله تعالى**
الم يروا الى الطير مسخرات في جو السما ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يومنون قرا يحيى
بن وثاب والاعمش وابن عامر وحمزة ويعقوب تروا بالتاء على الخطاب واختاره ابو عبيد الباقون بالياء
على الخبر مسخرات مذللات لامر الله تعالى قاله الكلبي وقيل مسخرات مذللات لمنافعكم في جو السماء الجو ما بين
السماء والارض واضاف الجو الى السماء لارتفاعه عن الارض وفي قوله مسخرات دليل على مسخر سخرها ومدبر مكنها من
التصرف ما يمسكهن الا الله في حال القبض والبسط والاصطفاف بين لهم كيف يعتبرون بها على وحدانيته
ان في ذلك لايات اي علامات وعبرا ودلالات لقوم يومنون بالله وبما جاءت به رسله **قوله تعالى**
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين فيه عشر مسايل **الاولى** قوله تعالى جعل معناه
صير وكل ما علاك فاظلك فهو سقف وسماء وكلما اقلك فهو ارض وكل ما سترك من جهاتك الاربع فهو جدار
فاذا انتظمت واتصلت فهو بيت وهذه الاية فيها تعديد نعم الله تعالى على الناس في البيوت فذكر اولا بيوت المدن
وهي التي للاقامة الطويلة وقوله سكنا اي تسكنون فيها وتهدا جوارحكم من الحركة وقد يتحرك فيه
ونسكن في غيره الا ان القول خرج على الغالب وعد هذا في جملة النعم فانه لو شا خلق العبد مضطربا ابدا كالافلاك
لكان ذلك كما خلق واراد ولو خلقه ساكنا كالارض لكان كما خلق واراد ولكنه اوجد خلقا يتصرف للوجهين
ويختلف حاله بين الحالتين ورددده كيف واين والسكن مصدر يوصف به الواحد والجمع ثم ذكر تعالى بيوت
النقلة والرحلة وهي **الثانية** فقال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها اي من الانطاع والادم
بيوتا يعني الخيام والقباب يخف عليكم حملها في الاسفار يوم ظعنكم الظعن سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع
الى موضع ومنه قول عنترة

ظعن الذين فراقهم اتوقع ... وجرى ببينهم الغراب الابقع

الظعن الهودج ايضا قال

الا هل هاجك الاظعان اذ بانوا ... واذ جادت بوشك البين غربان

وقرئ باسكان العين وفتحها كالشعر والشعر وقيل يحتمل ان يعم به بيوت الادم وبيوت الشعر وبيوت
الصوف لان هذه من الجلود لكونها نابتة فيها نحا الى ذلك ابن سلام وهو احتمال حسن ويكون قوله ومن اصوافها
ابتداء كلام كانه قال جعل اثاثا يريد الملابس والوطا وغير ذلك قال الشاعر

اهاجتك الظعائن يوم بانوا ... بذي الجميل من الاثاث

ويحتمل ان يريد بقوله من جلود الانعام بيوت الادم فقط كما قدمناه اولا ويكون قوله من اصوافها عطفا على
قوله من جلود الانعام اي جعل بيوتا ايضا قال ابن العربي وهذا امر انتشر في تلك الديار وعزبت

والسكن مصدر يوصف به الواحد والجمع

عنـ

عند بلادنا فلا تضرب الاخبية عندنا الا من الكتان والصوف وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم قبة من ادم
وناهيك من ادم الطايف غلاء واغلاء في الصفة وحسنا في البشرة ولم يعد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
ترفا ولا راه سرفا لانه مما امتن الله سبحانه به من نعمته واذن فيه من متاعه وظهرت وجوه منفعته
في الاكتساب والاستظلال الذي لا يقدر على الخروج عنه جنس الانسان ومن غريب ما جرى اني زرت بعض
المتزهدين من الغافلين مع بعض المحدثين فدخلنا عليه في خباء كتان فعرض عليه صاحبي المحدث ان يحمله
الى منزله ضيفا وقال ان هذا موضع يكثر فيه الحر والبيت ارفق بك واطيب لنفسي فيك فقال هذا الخبا
لنا كثير وكان في صنعنا من الحقير فقلت ليس كما زعمت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رئيس الزهاد
قبة من ادم طايفي يسافر معها ويستظل بها فبهت ورايته على منزله من الغي فتركته مع صاحبي وخرجت عنه
الثالثة قوله تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها اذن الله سبحانه بالانتفاع بصوف الغنم
ووبر الابل وشعر المعز كما اذن في الاعظم وهو ذبحها واكل لحومها ولم يذكر القطن والكتان لانه لم يكن في بلاد
العرب المخاطبين به وانما عدد عليهم ما انعم به عليهم وخوطبوا فيما عرفوا بما فهموا وما قام مقام هذه وناب
منابها فيدخل في الاستعمال والنعمة مدخلها وهذا كقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فخاطبهم
بالبرد لانهم كانوا يعرفون نزوله كثيرا عندهم وسكت عن ذكر الثلج لانه لم يكن في بلادهم وهو مثله في الصفة
والمنفعة وقد ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم معا في التطهير فقال اللهم اغسلني بماء وثلج وبرد قال
ابن عباس الثلج شيء ابيض ينزل من السماء وما رايته قط وقيل ان ترك ذكر القطن والكتان انما كان اعراضا عن
السرف اذ ملبس عباد الله الصالحين انما هو الصوف وهذا فيه نظر فانه سبحانه يقول يا بني ادم قد انزلنا
عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا حسب ما تقدم بيانه في الاعراف وقال هنا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر
فاشار الى القطن والكتان في لفظ السرابيل والله اعلم اثاثا قال الخليل متاعا منضما بعضه الى بعض من اث اذا كثر قال

وفرع يزين المتن اسود فاحم ... اثيث كقنو النخلة المتعثكل

ابن عباس اثاثا ثيابا وقد تقدم وتضمنت هذه الاية جواز الانتفاع بالاصواف والاشعار على كل حال ولذلك
قال اصحابنا المينة وشعرها طاهر يجوز الانتفاع به على كل حال ويغسل مخافة ان يكون علق به وسخ وكذلك روت
ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بمسك المينة اذا دبغ وبشعرها وبصوفها اذا اغتسل ولانه مما
لا يحله الموت وسواء كان شعر ما يوكل لحمه او لا كشعر ابن ادم والخنزير فانه طاهر كله وبه قال ابو حنيفة ولكنه
زاد علينا فقال القرن والسن والظفر مثل الشعر قال لان هذه الاشيا كلها لا روح فيها فلا تنجس بموت
الحيوان وقال الحسن البصري والليث بن سعد والاوزاعي ان الشعور كلها نجسة ولكنها تطهر بالغسل وعن
الشافعي ثلاث روايات الاولى طاهرة لا تنجس بالموت الثانية تنجس الثالثة الفرق بين شعر ابن ادم
وغيره فشعر ابن ادم طاهر وما عداه نجس ودليلنا عموم قوله تعالى ومن اصوافها الاية فمن علينا بان جعل
لنا الانتفاع بها ولم يخص شعر المينة من المذكاة فهو عموم الا ان يمنع منه دليل وايضا فان الاصل كونها طاهرة
قبل الموت باجماع فمن زعم انه انتقل الى نجاسة فعليه الدليل فان قيل حرمت عليكم المينة وذلك عبارة عن
الجملة قلنا نخصه بما ذكرنا فانه منصوص عليه في ذكر الصوف وليس في ايتكم ذكره صريحا فكان دليلنا اولى
والله اعلم وقد عول الشيخ الامام ابو اسحاق امام الشافعية ببغداد على ان الشعر جزء متصل بالحيوان خلقة
فهو ينمي بنمايه ويتنجس بموته كساير الاجزاء واجيب بان النما ليس بدليل على الحياة لان النبات ينمي وليس
بحي واذا عولوا على النماء المتصل كما على الحيوان ان عولنا نحن على الابانة التي تدل على عدم الاحساس
الذي يدل على عدم الحياة واما ما ذكره الحنفيون في العظم والسن والقرن انه مثل الشعر فالمشهور
عندنا ان ذلك نجس كاللحم وقال ابن وهب مثل قول ابي حنيفة ولنا قول ثالث يلحق اطراف القرون والا
ظلاف باصولها او بالشعر قولان وكذلك الشعري من الريش حكمه حكم الشعر والعظمي منه حكمه حكمه
ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم لا تنتفعوا من المينة بشيء وهذا عام فيها وفي كل جزء منها الا ما قام دليله
ومن الدليل القاطع على ذلك قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم وقال وانظر الى العظام كيف ننشزها
وقال فكسونا العظام لحما قال ايذا كنا عظاما نخرة فالاصل هي العظام والروح والحياة فيها كما في اللحم
والجلد وفي حديث عبد الله بن حكيم لا تنتفعوا من المينة باهاب ولا عصب فان قيل قد ثبت في الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في شاة ميمونة الا انتفعتم بجلدها فقالوا يا رسول الله انها مينة فقال

انما حرم اكلها والعظم لا يوكل قلنا العظم يوكل وخاصة عظم الجمل الرضيع والجدي والطير وعظم
الكبير يشوى ويوكل وما ذكرناه قبل يدل على وجود الحياة فيه وما كان طاهرا بالحياة او نسباح بالذكاة
تنجس بالموت والله اعلم **الرابعة** قوله تعالى من جلود الانعام عام في جلد الحي والميت فيجوز الانتفاع
بجلود الميتة وان لم تدبغ قال ابن شهاب والزهري والليث بن سعد قال الطحاوي لم نجد عن واحد من الفقها
جواز بيع جلد الميتة قبل الدباغ الا عن الليث قال ابو عمر يعني من الفقها ائمة الفتوى بالامصار بعد
التابعين واما ابن شهاب فذلك عنه صحيح وهو قول اباه جمهور اهل العلم وقد روى عنهما خلاف هذا
القول والاول اشهر **الخامسة** اختلف العلماء في جلد الميتة اذا دبغ هل يطهر ام لا فذكر ابن عبد الحكم
عن مالك ما يشبه مذهب ابن شهاب في ذلك وذكر ابن خوارزمنداد في كتابه عن ابن عبد الحكم ايضا قال
ابن خوازمنداد وهو قول الزهري والليث قال والظاهر من مذهب مالك ما ذكره ابن عبد الحكم وهو ان الدباغ
لا يطهر جلد الميتة ولكن يبيح الانتفاع به في الاشياء اليابسة ولا يصلى عليه ولا يوكل فيه وفي المدونة
لابن القاسم من اغتصب جلد ميتة غير مدبوغ فاتلفه كان عليه قيمته وحكي ان ذلك قول مالك وذكر ابو
الفرج ان مالكا قال من اغتصب لرجل جلد ميتة غير مدبوغ فلا شيء عليه قال اسماعيل الا ان يكون لمجوسي
وروى ابن وهب وابن عبد الحكم عن مالك جواز بيعه وهذا في كل جلد ميتة الا الخنزير وحده لان الذكاة
لا تعمل فيها فالدباغ اولى قال ابو عمر وكل جلد ذكي فجائز استعماله للوضوء وغيره وكان مالك يكره الوضوء
في اناء جلد الميتة بعد الدباغ على اختلاف من قوله ومرة قال انه لم يكرهه الا في خاصة نفسه ويكره الصلاة
عليه وبيعه وتابعه على ذلك جماعة من اصحابه واما اكثر المدنيين فعلى اباحة ذلك واجازته لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر وعلى هذا اكثر اهل الحجاز والعراق من اهل الفقه وهو اختيار
ابن وهب **السادسة** ذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه الى انه لا يجوز الانتفاع بجلود الميتة في شيء
وان دبغت لانها كلحم الميتة والاخبار بالانتفاع بعد الدباغ ترد قوله واحتج بحديث عبد الله بن حكيم رواه
ابو داود قال قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بارض جهينة وانا غلام شاب الا تستمتعوا من
الميتة باهاب ولا عصب وفي رواية قبل موته بشهر رواه القاسم بن مخيمرة عن عبد الله بن عكيم قال
حدثنا مشيخة لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليهم قال داود بن علي سالت يحيى بن معين عن هذا الحديث
فضعفه وقال ليس بشيء انما يقول حدثني الاشياخ قال ابو عمر ولو كان ثابتا لاحتمل ان لا يكون مخالفا للاحاديث
المروية عن ابن عباس وعائشة وسلمة بن المحبق وغيرهم لانه جائز ان يكون معنى حديث ابن عكيم الا تنتفعوا
من الميتة باهاب قبل الدباغ واذا احتمل ان لا يكون مخالفا فليس لنا ان نجعله مخالفا وعلينا ان نستعمل
الخبرين ما امكن وحديث عبد الله بن حكيم وان كان قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بشهر كما جاء في الخبر فيمكن
ان يكون قصة ميمونة وسماع ابن عباس ايما اهاب دبغ فقد طهر قبل موته بجمعة او دون جمعة والله اعلم
السابعة المشهور عندنا ان جلد الخنزير لا يدخل في الحديث ولا يتناوله العموم وكذلك الكلب
عند الشافعي وعند الاوزاعي وابي ثور لا يطهر بالدباغ الا جلد ما يوكل لحمه وروى معن بن عيسى عن مالك انه
سئل عن جلد الخنزير اذا دبغ فكرهه قال ابن وضاح وسمعت سحنونا يقول لا باس به وكذلك قال محمد بن عبد الحكم
وداود بن علي واصحابه لقوله عليه السلام ايما مسك دبغ فطهر قال ابو عمر يحتمل ان يكون اراد بهذا القول
عموم الجلود المعهودة الانتفاع بها واما الخنزير فلم يدخل في المعنى لانه غير معهود الانتفاع بجلده
اذ لا يعمل فيه الذكاة ودليل اخر وهو ما قاله النضر بن شميل ان الاهاب جلد البقر والغنم والابل وما عدا
فانما يقال له جلد لا اهاب قال الشيخ المؤلف رحمه الله وجلد الكلب وما لا يوكل لحمه ايضا غير معهود
الانتفاع به فلا يطهر وقد قال صلى الله عليه وسلم اكل كل ذي ناب من السباع حرام فليست الذكاة فيه
ذكاة كما انها ليست في الخنزير ذكاة وروى النسائي عن المقدام بن معدي كرب قال نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الحرير والذهب والفضة ومياثر النمور **الثامنة** اختلف الفقهاء في الدباغ الذي يطهر به
جلود الميتة ما هو فقال اصحاب مالك وهو المشهور من مذهبه كل شيء دبغ الجلد من ملح او قرظ او شب او غير
ذلك فقد جاز الانتفاع به وبه قال ابو حنيفة واصحابه وهو قول داود وللشافعي في هذه المسالة قولان
احدهما والاخر انه لا يطهره الا الشب والقرظ لانه الدباغ المعهود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
خرج الخطاب والله اعلم روى النسائي عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه مر برسول الله صلى الله

اي ما اهاب دبغ فقد طهر

عليه وسلم

عليه وسلم رجال من قريش يجرون شاة لهم مثل الحصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخذتم اهابها
قالوا انها ميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطهرها الماء والقرظ **التاسعة** قوله تعالى اثاثا الاثاث
متاع البيت واحدها اثاثة هذا قول ابي زيد الانصاري وقال الاموي الاثاث متاع البيت وجمعه اثة
واثث وقال غيرهما الاثاث جمع انواع المال ولا واحد له من لفظه وقال الخليل اصله من الكثرة واجتماع
بعض المتاع الى بعض حتى يكثر ومنه شعر اثيث اي كثير واث شعر فلان ياث اثا اذا كثر والتف قال
امرؤ القيس

وفرع يغشي المتن اسود فاحم ... اثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقيل الاثاث ما يلبس ويفترش وقد تاثثت اذا اتخذت اثاثا وعن ابن عباس رضي الله عنه اثاثا مالا **العاشرة**
قوله ومتاعا الى حين قد تقدم القول في الحين وهو هنا وقت غير معين بحسب كل انسان اما بموته
واما بفقد تلك الاشيا هي اثاث ومن هذه اللفظة قول الشاعر

اهاجتك الظعاين يوم بانوا ... بذي الزي الجميل من الاثاث

قوله تعالى **والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر
وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** فيه ست مسايل **الاولى** قوله تعالى ظلالا الظلال
كل ما يستظل به من البيوت والشجر وقوله مما خلق يعم جميع الاشخاص المظلة **الثانية** قوله تعالى اكنانا الاكنان
جمع كن وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك وهي هنا الغيران في الجبال جعلها الله عدة للخلق ياوون اليها
ويتحصنون بها ويعتزلون عن الخلق فيها وفي الصحيح انه عليه السلام كان في اول امره يتعبد بغار حرا ويمكث فيه
الليالي الحديث وفي صحيح البخاري قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا هاربا من قومه فارا بدينه مع
صاحبه ابي بكر حتى لحقا بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما فيه عبد الله ابن ابي بكر وهو غلام شاب
ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش كبايت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك
حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشا
فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي
الثلاث وذكر الحديث انفرد باخراجه البخاري **الثالثة** قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعني القمص
واحدها سربال وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع التي تقي الباس في الحرب ومنه قول كعب بن زهير

شم العرانين ابطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل

الرابعة ان قال قايل كيف قال جعل لكم من الجبال اكنانا ولم يذكر السهل وقال تقيكم الحر ولم يذكر البرد فالجواب
ان القوم كانوا اصحاب جبال ولم يكونوا اصحاب سهل وكانوا اهل حر ولم يكونوا اهل برد فذكر لهم النعمة التي
تختص بهم كما خصهم بذكر الصوف وغيره ولم يذكر القطن والكتان ولا الثلج كما تقدم فانه لم يكن ببلادهم
قال معناه عطا الخراساني وغيره وايضا فذكر احدهما يدل على الاخر ومنه قول الشاعر

وما ادري اذا يممت ارضا ... اريد الخير ايهما يليني
االخير الذي انا ابتغيه ... ام الشر الذي هو يبتغيني

الخامسة قال العلماء في قوله تعالى وسرابيل تقيكم باسكم دليل على اتخاذ العباد عدة الجهاد ليستعينوا
بها على قتال الاعداء وقد لبسها النبي صلى الله عليه وسلم المصطفى تقاة الجراحة وان كان يطلب الشهادة
وليس على العبد ان يطلبها بان يستسلم للحتوف وللطعن بالسنان وللضرب بالسيوف ولكنه يلبس لامة
حربه ليكون له قوة على قتال عدوه ويقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ويفعل الله بعد ما يشا **السادسة**
قوله تعالى كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون قرا ابن محيصن وحميد تتم بتاء مفتوحة نعمته رفعا على انها الفاعل الباقون
يتم بضم الياء على ان الله هو يتمها وتسلمون قراءة ابن عباس وعكرمة تسلمون بفتح التاء واللام اي تسلمون
من الجراح واسناده ضعيف رواه عباد بن العوام عن حنظلة عن شهر عن ابن عباس الباقون بضم التاء ومعناه
تستسلمون وتنقادون الى معرفة الله وطاعته شكرا على نعمه قاله ابو عبيد والاختيار قراءة العامة
لان ما انعم الله به علينا من الاسلام افضل مما انعم به من السلامة من الجراح قوله تعالى
فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين فان تولوا اي اعرضوا عن النظر والاستدلال والايمان فانما عليك
البلاغ المبين اي ليس عليك الا التبليغ واما الهداية فالينا قوله تعالى **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم
الكافرون** قال السدي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اي يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبونه وقال

مجاهد يريد ما عدد الله عليهم في هذه السورة من النعم اي يعرفون انها من عند الله وينكرونها بقولهم انهم ورثوا ذلك عن ابائهم وبمثله قال قتادة وقال عون بن عبد الله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان ما اصبت كذا وهو يعرف ان الضر والنفع من عند الله وقال الكلبي هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرفهم بهذه النعم كلها عرفوها وقالوا نعم هي كلها نعم من عند الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل يعرفون نعمة الله بتقلبهم فيها وينكرونها بترك الشكر عليها ويحتمل سادسا يعرفونها في الشدة وينكرونها في الرخا ويحتمل سابعا يعرفونها باقوالهم وينكرونها بافعالهم ويحتمل ثامنا اي يعرفونها بقلوبهم ويجحدونها بالسنتهم نظيره وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم واكثرهم الكافرون يعني جميعهم حسب ما تقدم

قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون

نظيره فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقد تقدم ثم لا يؤذن للذين كفروا اي في الاعتذار والكلام كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وذلك حين تطبق عليهم جهنم كما تقدم في اول الحجر ويأتي ولا هم يستعتبون يعني يسترضون اي لا يكلفون ان يرضوا ربهم لان الاخرة ليست بدار تكليف ولا يتركون الى رجوعهم الى الدنيا فيتوبون واصل الكلمة من العتب وهي الموجدة يقال عتب عليه يعتب اذا وجد عليه فيه فاذا فاتبه فاذا رجع الى مسرتك فقد اعتب والاسم العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضي العاتب قاله الهروي وقال النابغة

فان كنت مظلوما فعبدا ظلمته ... وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب

قوله تعالى واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا راى الذين ظلموا اي اشركوا العذاب اي عذاب جهنم بالدخول فيها فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون اذ لا توبة ثم

قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اي اصنامهم واوثانهم التي عبدوها وذلك ان الله يبعث معبوديهم فيتبعونهم حتى يردوهم النار وفي صحيح مسلم من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت الحديث خرجه من حديث انس والترمذي من حديث ابي هريرة وفيه فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون وذكر الحديث قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي الذين جعلناهم لك شركاء فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي القت اليهم الالهة القول اي نطقت بتكذيب من عبدها بانها لم تكن الهة ولا امرتهم بعبادتها فينطق الله الاصنام حتى تظهر عند ذلك فضيحة الكفار وقيل المراد بذلك الملائكة الذين عبدوهم والقوا الى الله يومئذ السلم يعني المشركين اي استسلموا لعذابه وخضعوا لعزه وقيل استسلم العابد والمعبود وانقادوا لحكمه فيهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي زال عنهم ما زين لهم الشيطان وما كانوا يؤملون من شفاعة الهتهم

قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال وحيات مثل اعناق الابل وافاعي كانها البخاتي تضربهم فتلك الزيادة وقيل المعنى يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار وقيل المعنى زدنا القادة عذابا فوق السفلة فاحد العذابين على كفرهم والعذاب الاخر على صدهم بما كانوا يفسدون في الدنيا من الكفر والمعصية

قوله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين

ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وهم الانبياء شهداء على اممهم يوم القيامة بانهم قد بلغوهم الرسالة ودعوهم الى الايمان وفي كل زمان شهيد وان لم يكن نبيا وفيهم قولان احدهما انهم ائمة الهدى الذين هم خلفاء الانبياء الثاني انهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع انبيائه قال الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى فعلى هذا لم تكن فترة الا وفيها من يوحد الله كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم يبعث امة وحده وسطيح وورقة بن نوفل الذي قال فيه عليه السلام رايته ينغمس في انهار الجنة فهؤلاء ومن كان مثلهم حجة على اهل زمانهم وشهيد عليهم والله اعلم وقوله وجئنا بك شهيدا تقدم في البقرة والنساء وقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء نظيره ما فرطنا

فيبادرون من شدة برده الى النار

في الكتاب من شيء وقد تقدم فلينظر هناك وقال مجاهد تبيانا للحلال والحرام **قوله تعالى** ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فيه ست مسائل الاولى روي عن عثمان بن مظعون انه قال لما نزلت هذه الاية قراتها على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فتعجب فقال يا ال غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليامر بمكارم الاخلاق وفي حديث ان ابا طالب لما قيل له ان ابن اخيك زعم ان الله انزل عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال اتبعوا ابن اخي فوالله لن يامر الا بمحاسن الاخلاق وقال عكرمة قرا النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية الى اخرها فقال يا ابن اخي اعد فاعادها عليه فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمورق واعلاه لمثمر وما هو بقول بشر وذكر الغزنوي ان عثمان بن مظعون هو القاري قال عثمان ما اسلمت ابتداء الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد فاعدت فقال والله ان له لحلاوة وذكر تمام الخبر وقال ابن مسعود هذه اجمع اية في القران لخير يمتثل وشر يجتنب وذكر النقاش قال يقال زكاة العدل والاحسان زكاة القدرة والعفو وزكاة الغني المعروف وزكاة الجاه كتب الرجل الى اخوانه الثانية اختلف العلماء في تاويل العدل والاحسان فقال ابن عباس العدل لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وقيل العدل الفرض والاحسان النافلة وقال ابن مسعود وسفيان بن عيينة العدل هاهنا استواء السريرة والاحسان ان تكون السريرة افضل من العلانية وقال علي بن ابي طالب العدل الانصاف والاحسان التفضل وقال ابن عطية العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع في اداء الامانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق والاحسان هو فعل كل مندوب اليه فمن الاشياء ما هو كله مندوب اليه ومنها ما هو فرض الا ان حد الاجزاء منه داخل في العدل والتكميل الزائد على الاجزاء داخل في الاحسان واما قول ابن عباس ففيه نظر لان اداء الفرائض هي الاسلام حسب ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل وذلك هو العدل وانما الاحسان التكميلات والمندوب اليه حسب ما يقتضيه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان صح هذا عن ابن عباس فانما اراد الفرائض مكملة وقال ابن العربي العدل بين العبد وبين ربه ايثار حقه تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه على هواه والاجتناب للزواجر والامتثال للاوامر واما العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى وعزوب الاطماع عن الاتباع ولزوم القناعة في كل حال ومعنى واما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر والانصاف من نفسك لهم بكل وجه ولا يكون منك اساءة الى احد بقول ولا فعل لا في سر ولا في علن والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى واقل ذلك الانصاف وترك الاذى قال المؤلف رحمه الله هذا التفصيل في العدل حسن وعدل واما الاحسان فقد قال علماؤنا الاحسان مصدر احسن يحسن احسانا ويقال على معنيين احدهما متعد بنفسه كقوله احسنت كذا اي حسنته وكملته وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء وثانيهما متعد بحرف جر كقوله احسنت الى فلان اي اوصلت اليه ما ينتفع به قال المؤلف رحمه الله وهو في هذه الاية مراد بالمعنيين معا فانه تعالى يحب من خلقه احسان بعضهم الى بعض حتى ان الطائر في سجنك والسنور في دارك لا ينبغي ان تقصر تعهده باحسانك وهو تعالى غني عن احسانهم ومنه الاحسان والنعم والفضل والمنن وهو في حديث جبريل بالمعنى الاول لا بالثاني فان المعنى الاول راجع الى اتقان العبادة ومراعاتها بادابها المصححة والمكملة ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار وهو المراد بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وارباب القلوب في هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكانه يراه ولعل النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى هذه الحالة بقوله وجعلت قرة عيني في الصلاة وثانيهما لا ينتهي الى هذا لكن يغلب عليه ان الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له واليه الاشارة بقوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وقوله الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه الثالثة قوله تعالى وايتاء ذي القربى اي القرابة يقول يعطيهم المال كما قال وات ذا القربى حقه يعني صلته وهذا من باب عطف المندوب على الواجب وبه استدل الشافعي في ايجاب ايتاء المكاتب على ما ياتي بيانه وانما خص ذا القربى لان حقوقهم اوكد وصلتهم اوجب لتاكيد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه وجعل صلتها من صلته فقال في الصحيح اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك ولا سيما اذا كانوا فقراء الرابعة قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي الفحشاء الفحش

وهو كل قبيح من فعل او قول وقال ابن عباس هو الزنا والمنكر ما انكره الشرع بالنهي عنه وهو يعم جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف انواعها وقيل هو الشرك والبغي هو الكبر والظلم والحقد والتعدي وحقيقته تجاوز الحد وهو داخل تحت المنكر لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به لشدة ضرره وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ذنب اسرع عقوبة من بغي وقال عليه السلام الباغي مصروع وقد وعد الله من بغي عليه بالنصر وفي بعض الكتب المنزلة لو بغي جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا **الخامسة** ترجم الامام ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري في صحيحه فقال باب قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقوله انما بغيكم على انفسكم ومن بغي عليه لينصرنه الله وترك اثارة الشر على مسلم او كافر ثم ذكر حديث عايشة في سحر لبيد بن الاعصم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن بطال فتاول رضي الله عنه من هذه الايات ترك اثارة الشر على مسلم او كافر كما دل عليه حديث عايشة حيث قال اما والله فقد شفاني واما انا فاكره ان اثير على الناس شرا ووجه ذلك والله اعلم انه تاول في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الندب بالاحسان الى المسيء وترك معاقبته على اساءته فان قيل كيف يصح هذا التاويل في ايات البغي قيل وجه ذلك والله اعلم انه لما اعلم الله عباده بان ضرر البغي ينصرف على الباغي بقوله انما بغيكم على انفسكم وضمن تعالى نصرة من بغي عليه كان الاولى بمن بغي عليه شكر الله تعالى على ما ضمن من نصره ومقابلة ذلك بالعفو عن من بغي عليه وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم باليهودي الذي سحره وكان له الانتقام منه بقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولكن اثر الصفح اخذا بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور **السادسة** تضمنت هذه الاية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تقدم القول فيهما وروي ان جماعة رفعت عاملها الى ابي جعفر المنصور العباسي فحاججها العامل وغلبها بانهم لم يثبتوا عليه كبير ظلم ولا جوره في شيء فقام فتى من القوم فقال يا امير المؤمنين ان الله امر بالعدل والاحسان وانه عدل ولم يحسن فقال فعجب ابو جعفر من اصابته وعزل العامل **قوله تعالى** وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تعالى واوفوا بعهد الله لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الانسان من بيع او صلة او موافقة في امر موافق للديانة وهذه الاية مضمن قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان لان المعنى فيها افعلوا كذا وانتهوا عن كذا فعطف على ذلك التقدير وقد قيل انها نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقيل نزلت في التزام الحلف الذي كان في الجاهلية وجاء الاسلام بالوفاء به قاله قتادة ومجاهد وابن زيد والعموم يتناول كل ذلك كما بيناه روى الصحيح عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة يعني في نصرة الحق والقيام به والمواساة وهذا كنحو حلف الفضول الذي ذكره ابن اسحاق قال اجتمعت قبائل من قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها او من غيرهم الا قاموا معه حتى يرد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول اي حلف الفضائل والفضائل هنا جمع فضل للكثرة كفلس وفلوس روى ابن اسحاق عن ابن شهاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت وقال ابن اسحق تحامل الوليد بن عتبة على حسين بن علي في مال له لسلطان الوليد فانه كان اميرا على المدينة فقال له الحسين احلف بالله لتنصفني من حقي او لاخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول قال عبد الله بن الزبير وانا احلف بالله لئن دعانا لاخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينتصف من حقه او نموت جميعا وبلغت المسور بن مخرمة فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد انصفه قال العلماء فهذا الحلف الذي كان في الجاهلية هو الذي شده الاسلام وخصه النبي صلى الله عليه وسلم من عموم قوله لا حلف في الاسلام والحكمة في ذلك ان الشرع جاء بالانتصار من الظالم واخذ الحق منه وايصاله الى المظلوم واوجب ذلك باصل الشريعة ايجابا عاما على من قدر من المكلفين وجعل لهم السبيل على الظالمين فقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر وفي الصحيح انصر اخاك ظالما او مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تاخذ على يديه وفي رواية تمنعه من الظلم فان ذلك نصره وقد تقدم قوله عليه السلام ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده

ان الشرع جاء بالانتصار من الظالم واخذ الحق منه

الثانية

الثانية قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يقول بعد تشديدها وتغليظها يقال توكيد وتاكيد ووكد واكد وهما لغتان وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني شهيدا ويقال حافظا ويقال ضامنا وانما قال بعد توكيدها فرقا بين اليمين المؤكدة بالعزم وبين لغو اليمين وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك التوكيد هو حلف الانسان في الشيء الواحد مرارا يردد فيه الايمان ثلاثا او اكثر من ذلك كقوله والله لا انقصه من كذا فكفارة ذلك واحدة مثل كفارة اليمين وقال يحيى بن سعيد هي العهود والعهد يمين ولكن الفرق بينهما ان العهد لا يكفر قال النبي صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان واما اليمين بالله فقد شرع الله سبحانه فيها الكفارة بخصلة واحدة وحل ما انعقد عليه اليمين وقال ابن عمر التوكيد هو ان يحلف مرتين فان حلف واحدة فلا كفارة وقد تقدم في المائدة **الثالثة** قوله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي كفيلا بالوفاء والواو واو الحال قيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم الله بالوفاء بالبيعة ولا تنقضوها اذا رأوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرة المشركين ان الله يعلم بما تصنعون تهديد اي يعلم ما تصنعون بالوفاء والنقض **قوله تعالى** وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ النقض والنكث واحد والاسم النكث والنقض والجمع الانكاث فشبهت هذه الاية الذي يحلف ويعاهد ويبرم عهده ثم ينقضه بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكما ثم تحله ويروى ان امرأة حمقاء كانت تفعل ذلك فبها وقع التشبيه قاله الفراء وحكاه عبد الله بن كثير والسدي ولم تسميا المرأة والسهيلي والنحاس نسباها ولا احد هافقالا هي ريطة بنت سعد بن زيد مناة بن تميم والله اعلم وقال مجاهد وقتادة ذلك ضرب مثلا لا على امرأة معينة وانكاثا نصب على الحال والدخل الدغل والخديعة والغش قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل ان تكون هي اربى من امة قال المفسرون نزلت هذه الاية في العرب الذين كانت القبيلة منهم اذا حالفت اخرى ثم جاءت احداهما قبيلة كبيرة قوية فداخلتها غدرت الاولى ونقضت عهدها ورجعت الى هذه الكبرى قاله مجاهد فقال الله تعالى لا تنقضوا العهود من اجل ان طائفة اكثر من طائفة اخرى او اكثر اموالا فتنقضون ايمانكم اذا رأيتم الكثرة والسعة في الدنيا لاعدائكم المشركين والمقصود النهي عن العود الى الكفر بسبب كثرة الكفار وكثرة اموالهم وقال الفراء المعنى لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم او لكثرتهم وقلتكم وقد عززتموهم بالايمان اربى اي اكثر من ربا الشيء يربو اذا كثر والضمير في به يحتمل ان يعود على الوفاء الذي امر الله به ويحتمل ان يعود على الربا اي ان الله تعالى ابتلى عباده بالتحاسد وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم ليرى من يجاهد نفسه فيخالفها ممن يتبعها ويعمل بمقتضى هواها وهو معنى قوله انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون من البعث وغيره **قوله تعالى** وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ امة واحدة اي على ملة واحدة ولكن يضل من يشاء بخذلانه اياهم عدلا منه فيهم ويهدي من يشاء بتوفيقه اياهم فضلا منه عليهم ولا يسأل عما يفعل بل تسألون انتم والاية ترد على اهل القدر كما تقدم واللام في وليبينن لكم ولتسألن مع النون المشددة يدلان على قسم مضمر اي والله ليبينن لكم ولتسألن **قوله تعالى** وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ كرر ذلك تاكيدا فتزل قدم بعد ثبوتها مبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين وتردده في معاشرات الناس اي لا تعتقدوا الايمان بالانطواء على الخديعة والفساد فتزل قدم بعد ثبوتها اي عن الايمان بعد المعرفة بالله وهذه استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه لان القدم اذا زلت نقلت الانسان من حال خير الى حال شر ومن هذا المعنى قول كثير

فلما توافينا ثبت وزلت

والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية او ساقط في ورطة زلت قدمه كقول الشاعر

سيمنع منك السبق ان كنت سابقا ... وتقتل ان زلت بك القدمان

ويقال لمن اخطا في شيء زل فيه ثم توعد تعالى بعد بعذاب في الدنيا وعذاب عظيم في الاخرة وهذا الوعيد انما هو فيمن نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من عاهده ثم نقض عهده خرج عن الايمان ولهذا قال وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله اي بصدكم وذوق السوء في الدنيا هو ما يحل بهم من المكروه والله اعلم

قوله تعالى وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا

عند كم ينفد وما عند الله باق ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا نهي عن الرشا واخذ الاموال على نقض العهد
اي لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا وانما كان قليلا وان كثر لانه مما يزول فهو على التحقيق قليل
وهو المراد بقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الاخرى بان هذه
تنفد وتحول وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفى بالعهد وثبت على العقد
ولقد احسن من قال شعر

المال ينفد حله وحرامه ... يوما ويبقى في غد آثامه
ليس التقي بمتق لالهه ... حتى تطيب شرابه وطعامه

اخر

هب الدنيا تساق اليك عفوا ... اليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فيء ... اظلك ثم آذن بالزوال

قوله تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وليجزين الذين صبروا اي على الاسلام
والطاعات وعن المعاصي اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي من الطاعات وجعلها احسن لان ما عداها من
الحسن مباح والجزاء انما يكون على الطاعة من حيث الوعد من الله وقرا عاصم وابن كثير ولنجزين بالنون على التعظيم
والباقون بالياء وقيل ان هذه الاية ولا تشتروا الى هنا نزلت في امرء القيس ابن عابس الكندي وخصمه
ابن اشوع اختصما في ارض فاراد امرء القيس ان يحلف فلما سمع هذه الاية نكل واقر له بحقه فالله اعلم
قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة شرط وجوابه وفي الحياة
الطيبة خمسة اقوال الاول انه الرزق الحلال قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والضحاك الثاني القناعة
قاله الحسن البصري وزيد بن وهب ووهب بن منبه ورواه الحكم عن عكرمة عن ابن عباس وهو قول علي بن ابي
طالب رضي الله عنهم الثالث توفيقه الى الطاعات فانها تؤديه الى رضوان الله قال معناه الضحاك وقال
ايضا من عمل صالحا وهو مؤمن في فاقة وميسرة فحياته طيبة ومن اعرض عن ذكر الله ولم يؤمن بربه ولا عمل
صالحا فمعيشته ضنك لا خير فيها وقال مجاهد وقتادة وابن زيد هي الجنة وقاله الحسن وقال لا تطيب
الحياة لاحد الا في الجنة وقيل هي السعادة روي عن ابن عباس ايضا وقال ابو بكر الوراق هي حلاوة الطاعة
وقال سهل بن عبد الله التستري هي ان ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره الى الحق وقال جعفر
الصادق هي المعرفة بالله وصدق المقام بين يدي الله وقيل الاستغنا عن الخلق والافتقار الى الحق وقيل
الرضا بالقضا ولنجزينهم اجرهم اي في الاخرة باحسن ما كانوا يعملون وقال فلنحيينه ثم قال ولنجزينهم
لان من تصلح للواحد والجمع فاعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى وقد تقدم وقال ابو صالح جلس ناس
من اهل التوراة وناس من اهل الانجيل وناس من اهل الاوثان فقال هؤلاء نحن افضل وقال هؤلاء
نحن افضل فنزلت قوله تعالى واذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فيه
مسالة واحدة وهي ان هذه الاية متصلة بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فاذا اخذت في
قراءته فاستعذ بالله من ان يعترض لك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل بما فيه وليس يريد استعذ
بعد القراءة بل هو كقولك اذا اكلت فقل بسم الله اي اذا اردت ان تاكل وقد روي جبير بن مطعم عن
ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة قال اللهم اني اعوذ بك من الشيطان من همزه
ونفخه ونفثه وروي ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة
قال الكيا الطبري ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقا احتجاجا بقوله تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا شك ان ظاهر ذلك يقتضي ان تكون الاستعاذة بعد القراءة
كقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا الا انه غير محتمل مثل قوله تعالى واذا قلتم
فاعدلوا واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب وليس المراد به ان يسالها من وراء حجاب
بعد سؤال متقدم ومثل قول القايل اذا اكلت فاصدق واذا احرمت فاغتسل يعني قبل الاحرام والمعنى
في جميع ذلك اذا اردت ذلك فكذلك الاستعاذة وقد تقدم هذا المعنى وتقدم القول في الاستعاذة
مستوفا قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه
على الذين يتولونه والذين هم به مشركون انه ليس له سلطان على الذين امنوا اي بالاغواء والكفر
اي ليس له قدرة على ان يحملهم على ذنب لا يغفر قاله سفيان وقال مجاهد لا حجة له فيما يدعوهم اليه من

الاستغناء عن الخلق والافتقار الى الحق

المعاصي

المعاصي وقيل انه ليس له عليهم سلطان بحال لان الله تعالى صرف سلطانه عليهم حين قال عدو الله
ابليس لعنه الله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين قال المؤلف رحمه الله قد بينا ان هذا عام يدخله التخصيص وقد اغوا ادم وحوا عليهما
السلام بسلطانه وقد شوش على الفضلاء اوقاتهم بقوله من خلق ربك حسب ما تقدم في الاعراف بيانه انما سلطانه
على الذين يتولونه اي يطيعونه يقال توليته اي اطعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه والذين هم به مشركون
اي بالله قاله مجاهد والضحاك وقيل يرجع به الى السلطان قاله الربيع بن انس والقتبي والمعنى والذين
هم من اجله مشركون يقال كفرت بهذه الكلمة اي من اجلها وصار فلان بك عالما اي من اجلك اي والذي
تولى الشيطان مشركون بالله قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت
الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين قيل المعنى بدلنا شريعة متقدمة بشريعة مستانفة قاله ابن
عمر وقال مجاهد اي رفعنا اية وجعلنا موضعها غيرها وقال الجمهور نسخنا اية باية اشد منها عليهم والنسخ
والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وقد تقدم الكلام في النسخ في البقرة مستوفا قالوا يعني كفار
قريش انما انت مفتر اي كاذب مختلق وذلك لما راوا من تبديل الحكم فقال الله بل اكثرهم لا يعلمون ان الله شرع
الاحكام وتبديل البعض بالبعض وقوله قل نزله روح القدس يعني جبريل نزل بالقران كله ناسخه ومنسوخه
وروي باسناد صحيح عن عامر الشعبي قال وكل اسرافيل بمحمد عليه السلام ثلاث سنين فكان ياتيه بالكلمة
والكلمة ثم نزل عليه جبريل بالقران وفي صحيح مسلم ايضا انه نزل عليه بسورة الحمد ملك لم ينزل الى الارض قط كما
تقدم في الفاتحة بيانه من ربك اي من كلام ربك ليثبت الذين امنوا اي بما فيه من الحجج والايات وهدى اي وهو
هدى وبشرى للمسلمين قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اختلف في اسم هذا الذي قالوا انه يعلمه فقيل انه هو غلام الفاكه بن
المغيرة واسمه جبر كان نصرانيا فاسلم وكانوا اذا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما مضى وما هو ات
مع انه امي لم يقرا قالوا انما يعلمه جبر وهو اعجمي فقال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين اي كيف يعلمه جبر وهو اعجمي هذا الكلام الذي لا يستطيع الانس والجن ان يعارضوا منه سورة واحدة فما
فوقها وذكر النقاش ان مولى جبر كان يضربه ويقول انت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني وقال
ابن اسحاق كان النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام نصراني يقال له جبر عبد بني
الحضرمي وكان يقرا الكتب فقال المشركون والله ما يعلم محمدا ما ياتي به الا جبر النصراني وقال عكرمة اسمه
يعيش عبد لبني الحضرمي كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقنه القران ذكره الماوردي وذكر الثعلبي عن عكرمة
وقتادة انه غلام لبني المغيرة اسمه يعيش وكان يقرا الكتب الاعجمية فقالت قريش انما يعلمه بشر فنزلت
وروي المهدوي عن عكرمة هو غلام لبني عامر بن لوي واسمه يعيش وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا غلامان
نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الاخر جبر كذا ذكر الماوردي والقشيري والثعلبي الا ان الثعلبي
قال يقال لاحدهما نبت ويكنى ابا فكيهة والاخر جبر وكانا صيقلين يعملان السيوف وكانا يقران كتابا لهما قال
الثعلبي يقران التوراة والانجيل وقال الماوردي والمهدوي التوراة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما
ويسمع قراتهما وكان المشركون يقولون يتعلم منهما فانزل الله هذه الاية واكذبهم وقيل عنوا سلمان الفارسي رضي
الله عنه قاله الضحاك وقيل نصرانيا بمكة اسمه بلعام وكان غلاما يقرا التوراة قاله ابن عباس وكان المشركون يرون
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام وقال القتبي كان بمكة رجل
نصراني يقال له ابو ميسرة يتكلم بالرومية فربما قعد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكفار انما يتعلم
محمد منه فنزلت وفي رواية ان عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل عابس غلام حويطب بن عبد العزى ويسار ابي
فكيهة مولى ابن الحضرمي وكانا قد اسلما فالله اعلم قال المؤلف رحمه الله والكل محتمل فان النبي صلى الله عليه وسلم
ربما جلس اليهم في اوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله وكان ذلك بمكة وقال النحاس هذه الاقوال ليست
بمتناقضة لانه يجوز ان يكونوا اوموا اليهما ولا جميعا وزعموا انهم يعلمونه قال المؤلف واما ما ذكره الضحاك انه
سلمان ففيه بعد لان سلمان انما اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهذه الاية مكية لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي الالحاد الميل يقال لحد والحد اي مال عن القصد وقد تقدم في الاعراف وقرا حمزة يلحدون بفتح اليا

والجاء اي لسان الذي يميلون اليه ويشيرون اعجمي والعجمة الاخفاء وضد البيان ورجل اعجم وامراة عجما اي لا يفصح ومنه عجم الذنب لاستتاره والعجماء البهيمة لانها لا توضح عن نفسها واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته والعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بكلامهم اعجميا قال الفرا الاعجم الذي في لسانه عجمة وان كان من العرب والاعجمي والعجمي الذي اصله من العجم وقال ابو علي الاعجمي الذي لا يفصح سوا كان من العرب او من العجم وكذلك الاعجم والاعجمي المنسوب الي العجم وان كان فصيحا واراد باللسان القران لان العرب تقول للقصيدة والبيت لسان قال الشاعر

لسان السير يهديها الينا ... وخنت وما حسبتك ان تخونا

يعني باللسان القصيدة وهذا لسان عربي مبين اي افصح ما يكون من العربية **قوله تعالى** ان الذين لا يومنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم اي ان هؤلاء المشركون الذين لا يومنون بالقران لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم واوليك هم الكاذبون **قوله تعالى** انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله واوليك هم الكاذبون هذا جواب وصفهم النبي صلي الله عليه وسلم بالافترا واوليك هم الكاذبون هذا مبالغة في وصفهم بالكذب اي كل كذب قليل بالنسبة الي كذبهم ويقال كذب فلان ولا يقال انه كاذب لان الفعل قد يكون لازما وقد لا يكون لازما واما النعت فلا يكون الا لازما ولهذا قال عصي ادم ربه فغوي ولا يقال انه عاص غاو فاذا قيل كذب فلان فهو كاذب كان مبالغة في الوصف بالكذب قاله القشيري **قوله تعالى** من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا علي الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اوليك الذين طبع الله علي قلوبهم وسمعهم وابصارهم واوليك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون فيه احدي وعشرون مسالة **الاولي** قوله تعالي من كفر بالله هذا متصل بقوله تعالي ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فكان مبالغة في الوصف للكذب لان معناه لا ترتدوا عن بيعة الرسول صلي الله عليه وسلم اي من كفر من بعد ايمانه وارتد فعليه غضب الله قال الطبري نزلت في عبد الله بن ابي سرح ومقيس بن صبابة وعبد الله بن انس بن خطل وقيس بن الوليد بن المغيرة كفروا بعد ايمانهم ثم قال الا من اكره وقال الزجاج من كفر بالله من بعد ايمانه بدل ممن يفتري الكذب اي انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه لانه راي الكلام الي اخر الاستثنا غير تام فعلقه بما قبله وقال الاخفش من ابتداء وخبره محذوف اكتفي منه بخبر من الثانية كقولك من ياتنا من يحسن نكرمه **الثانية** قوله تعالي الا من اكره هذه الاية نزلت في عمار بن ياسر في قول اهل التفسير لانه قارب بعض ما ندبوه اليه قال ابن عباس اخذه المشركون واخذوا اباه وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم وربطت سمية بين بعيرين ووجي قبلها بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فشكي ذلك الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له عليه السلام كيف تجد قلبك قال مطمين بالايمان فقال صلي الله عليه وسلم فان عادوا فعد وروي منصور بن المعتمر عن مجاهد قال اول شهيد في الاسلام ام عمار قتلها ابو جهل واول شهيد من الرجال مهجع مولي عمر وروي منصور ايضا عن مجاهد قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وامه سمية فاما رسول الله فمنعه ابو طالب واما ابو بكر فمنعه قومه واخذوا الاخرين فالبسوهم ادراع الحديد ثم صهروهم في الشمس حتي بلغ منهم الجهد كل مبلغ من حر الحديد والشمس فلما كان من العشي اتاهم ابو جهل ومعه حربة فجعل يسبهم ويوبخهم واتي سمية فجعل يسبها ويرفث ثم طعن فرجها حتي خرجت الحربة من فمها فقتلها قال وقال الاخرون ما سالوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله فجعلوا يعذبونه ويقولون له ارجع عن دينك وهو يقول احد احد حتي ملوه ثم كتفوه وجعلوا في عنقه حبلا من ليف ودفعوه الي صبيانهم يلعبون به بين اخشبي مكة حتي ملوه وتركوه قال فقال عمار كلنا تكلم بالذي قالوا لولا ان الله تداركنا غير بلال فانه هانت عليه نفسه في الله فهان علي قومه حتي ملوه وتركوه والصحيح ان ابا بكر اشتري بلالا واعتقه وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد ان ناسا من اهل مكة امنوا فكتب اليهم بعض اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم بالمدينة ان هاجروا فانا لا نراكم منا حتي تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة حتي ادركتهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين ففيهم نزلت الاية ذكر الروايتين عن مجاهد اسمعيل بن

اول شهيد في الاسلام ام عمار قتلها ابو جهل

اسحاق وروي الترمذي عن عايشة قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما خير عمار بين امرين الا اختار ارشدهما هذا حديث حسن غريب وروي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الجنة لتشتاق الي ثلاثة عمار وعلي وسلمان قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث الحسن بن صالح **الثالثة** لما سمح الله تعالي سبحانه بالكفر به وهو اصل الشريعة عند الاكراه ولم يواخذ به حمل العلما عليه فروع الشريعة كلها فاذا وقع الاكراه عليها لم يواخذ به ولم يترتب عليه حكم وبه جاء الاثر المشهور عن النبي صلي الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه والخبر وان لم يصح سنده فان معناه صحيح باتفاق من العلما قاله القاضي ابو بكر بن العربي وذكر ابو محمد عبد الحق ان اسناده صحيح وقد ذكره ابو بكر الاصيلي في الفوايد وابن المنذر في كتاب الاقناع **الرابعة** اجمع اهل العلم علي ان من اكره علي الكفر حتي خشي علي نفسه القتل انه لا اثم عليه ان كفر وقلبه مطمين بالايمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر هذا قول مالك والكوفيين والشافعي غير محمد بن الحسن فانه قال اذا اظهر الشرك كان مرتدا في الظاهر وفيما بينه وبين الله علي الاسلام وتبين منه امراته ولا يصلي عليه ان مات ولا يرث اباه ان مات مسلما وهذا قول يرده الكتاب والسنة قال الله تعالي الا من اكره الاية وقال الا ان تتقوا منهم تقاة وقال ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض الاية وقال الا المستضعفين من الرجال والنساء الاية فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما امر الله به والمكره لا يكون الا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما امر الله به قاله البخاري **الخامسة** ذهبت طايفة من العلما الي ان الرخصة انما جاءت في القول واما في الفعل فلا رخصة فيه مثل ان يكرهوه علي السجود لغير الله او الصلاة لغير القبلة او قتل مسلم او ضربه او اكل ماله او الزنا او شرب الخمر او اكل الربا يروي هذا عن الحسن البصري وهو قول الاوزاعي والشافعي وسحنون من علمائنا وقال محمد بن الحسن اذا قيل للاسير اسجد لهذا الصنم والا قتلناك فقال ان كان الصنم مقابل القبلة فليسجد ويكون نيته لله تعالي وان كان لغير القبلة فلا يسجد وان قتلوه والصحيح انه يسجد وان كان لغير القبلة وما احراه بالسجود حينئذ ففي الصحيح عن ابن عمر قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو مقبل من مكة الي المدينة علي راحلته حيث كان وجهه قال وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية ويوتر عليها غير انه لا يصلي عليها المكتوبة فاذا كان هذا مباحا في السفر في حالة الامن لتعب النزول عن الدابة للمتنفل فكيف بهذا واحتج من قصر الرخصة علي القول بقول ابن مسعود ما من كلام يدرا عني سوطين من ذي سلطان الا كنت متكلما به فقصر الرخصة علي القول ولم يذكر الفعل وهذا لا حجة فيه لانه يحتمل ان يجعل الكلام مثالا وهو يريد ان الفعل في حكمه وقالت طايفة الاكراه في الفعل والقول سواء اذا اسر الايمان روي ذلك مرفوعا عن عمر بن الخطاب ومكحول وهو قول مالك وطايفة من اهل العلم العراق روي ابن القاسم عن مالك انه من اكره علي شرب الخمر وترك الصلاة او الافطار في رمضان ان الاثم عنه مرفوع **السادسة** اجمع العلما علي ان من اكره علي قتل غيره انه لا يجوز له الاقدام علي قتله ولا انتهاك حرمته بجلد او غيره ويصبر علي البلاء الذي نزل به ولا يحل له ان يفدي نفسه بغيره ويسال الله العافية في الدنيا والاخرة واختلف في الزنا فقال مطرف واصبغ وابن عبد الحكم وابن الماجشون لا يفعل احد ذلك وان قتل لم يفعله فان فعله فهو اثم ويلزمه الحد وبه قال ابو ثور والحسن قال ابن العربي الصحيح انه يجوز الاقدام علي الزنا ولا حد عليه خلافا لمن الزمه ذلك لانه راي انها شهوة خلقية لا يتصور الاكراه عليها وغفل عن السبب في باعث الشهوة وهو الالجاء الي ذلك وهو الذي اسقط حكمه وانما يجب الحد علي شهوة بعث عليها سبب اختياري فقاس الشي علي ضده فلم يحل بصواب من عنده وقال ابن خواز منداد في احكامه اختلف اصحابنا متي اكره الرجل علي الزنا فقال بعضهم عليه الحد لانه انما يفعل ذلك باختياره وقال بعضهم لا حد عليه قال ابن خواز منداد وهو الصحيح وقال ابو حنيفة ان اكرهه غير السلطان فالقياس ان يحد ولكن استحسن ان لا يحد وخالفه صاحباه فقالا لا حد عليه ولم يراعوا الانتشار وقالوا متي علم انه يتخلص من القتل بفعل الزنا جاز ان ينتشر قال ابن المنذر لا حد عليه فلا فرق بين السلطان في ذلك وغيره **السابعة** اختلف العلماء في طلاق المكره وعتاقه فقال الشافعي واصحابه لا يلزمه شي وذكر ابن وهب عن عمر وعلي وابن عباس انهم كانوا لا يرونه طلاقه شيا وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير وابن عمر وابن عباس وعطا وطاوس والحسن وشريح والقاسم وسالم ومالك والاوزاعي واحمد واسحاق وابي ثور واجازت طايفة طلاقه روي

صلي

ذلك عن الشعبي والنخعي وابي قلابة والزهري وقتادة وهو قول الكوفيين وقال ابو حنيفة طلاق المكره يلزم
لانه لم يعدم فيه اكثر من الرضى وليس وجوده بشرط في الطلاق كالهازل وهذا قياس باطل فان الهازل
قاصد الى ايقاع الطلاق راض به والمكره غير راض ولا نية له في الطلاق وقد قال عليه السلام انما الاعمال
بالنيات وفي البخاري وقال ابن عباس فيمن تكرهه اللصوص فيطلق ليس بشيء وبه قال ابن عمر وابن الزبير
والشعبي والحسن قال الشعبي ان اكرهه اللصوص فليس بطلاق وان اكرهه السلطان فهو طلاق وفسره
ابن عيينة فقال ان اللص يقدم على قتله والسلطان لا يقتله **الثامنة** واما بيع المكره والمضغوط
فله حالتان الاولى ان يبيع ماله في حق وجب عليه فذلك ماض سائغ لا رجوع فيه عند الفقهاء لانه يلزمه
اداء الحق الى ربه من غير المبيع فلما لم يفعل ذلك كان بيعه اختيارا منه فيلزمه واما بيع المكره ظلما او قهرا
فذلك بيع لا يجوز عليه وهو اولى بمتاعه ياخذه بلا ثمن ويتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم فان فات
المتاع رجع بثمنه او قيمته بالاكثر من ذلك على الظالم اذا كان المشتري غير عالم بظلمه قال مطرف ومن كان
من المشترين يعلم حال المكره فانه ضامن لما ابتاع من رقيقه وعروضه كالغاصب وكلما احدث المبتاع في
ذلك من عتق او تدبير او تحبيس فلا يلزم المكره وله اخذ متاعه قال سحنون اجمع اصحابنا واهل العراق
على ان بيع المكره على الظلم والجور لا يجوز وقال الابهري انه اجماع **التاسعة** واما نكاح المكره فقال
سحنون اجمع اصحابنا على ابطال نكاح المكره والمكرهة وقالوا لا يجوز المقام عليه لانه لم ينعقد قال
محمد بن سحنون قال اهل العراق نكاح المكره جائز وقالوا لو اكره على ان ينكح امراة بعشرة آلاف درهم وصداق
مثلها الف درهم ان النكاح جائز وتلزمه الالف ويبطل الفضل قال محمد فكما ابطلوا الزائد على الالف
فكذلك يلزمهم ابطال النكاح بالاكراه وقولهم خلاف السنة الثابتة في حديث خنساء بنت خذام الانصارية
ولامره صلى الله عليه وسلم بالاستئمار في ابضاعهن وقد تقدم فلا معنى لقولهم **العاشرة** فان وطئ المكره
على النكاح غير مكره على الوطء والرضا بالنكاح لزمه النكاح عندنا وعليه المسمى من الصداق ودرئ عنه الحد
وان قال وطئتها على غير رضى مني بالنكاح فعليه الحد والصداق المسمى لانه مدع لابطال الصداق المسمى
وتحد المراة ان تقدمت وهي عالمة انه مكره على النكاح واما المكرهة على النكاح وعلى الوطء فلا حد عليها
ولها الصداق ويحد الواطئ فاعلمه قاله سحنون **الحادية عشرة** اذا استكرهت المراة على الزنا فلا حد
عليها لقوله الا من اكره وقوله عليه السلام ان الله تجاوز عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه
ولقول الله تعالى فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يريد الفتيات وبهذا المعنى حكم عمر رضي الله عنه في الوليدة
التي استكرهها العبد فلم يحدها والعلماء متفقون على انه لا حد على امراة مستكرهة وقال مالك ان
وجدت المراة حاملا وليس لها زوج فقالت استكرهت فلا يقبل ذلك منها وعليها الحد الا ان يكون لها بينة او
جاءت تدمى على انها اوتيت او ما اشبه ذلك واحتج بحديث عمر بن الخطاب انه قال الرجم في كتاب الله حق على من
زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف قال ابن المنذر وبالقول الاول
اقول **الثانية عشرة** واختلفوا في وجوب الصداق للمستكرهة فقال عطاء والزهري لها صداق مثلها وهو
قول مالك والشافعي واحمد واسحاق وابي ثور وقال الثوري اذا اقيم الحد على الذي زنا بها بطل الصداق
وروي ذلك عن الشعبي وبه قال اصحاب الراي قال ابن المنذر القول الاول صحيح **الثالثة عشرة** اذا اكره الانسان
على اسلام اهله لما لم يحل اسلمها ولم يقتل نفسه دونها ولا احتمل اذية في تخليصها والاصل في ذلك
ما خرجه البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ابراهيم عليه السلام بسارة
ودخل بها قرية فيها ملك من الملوك او جبار من الجبابرة فارسل اليه ان ارسل بها الي فارسل بها فقام اليها
فقامت تتوضا وتصلي وقالت اللهم ان كنت امنت بك وبرسولك فلا تسلط علي هذا الكافر فغط حتى
ركض برجله ودل هذا الحديث ايضا على ان سارة لما لم تكن عليها ملامة فكذلك لا يكون على المستكرهة
ملامة ولا حد فيما هو اكبر من الخلوة والله اعلم **الرابعة عشرة** واما يمين المكره فغير لازمة عند
مالك والشافعي وابي ثور واكثر العلماء قال ابن الماجشون وسواء حلف فيما هو طاعة لله او فيما هو معصية
اذا اكره على اليمين قاله اصبغ وقال مطرف ان اكره على اليمين فيما هو لله معصية او ليس في فعله
طاعة ولا معصية فاليمين فيه ساقطة وان اكره على اليمين فيما هو طاعة مثل ان ياخذ الوالي رجلا فاسقا فيكرهه ان يحلف بالطلاق لا يشرب خمرا او لا يفسق او
لا يغش في عمله او الوالد يحلف ولده تاديبا له فان اليمين تلزم وان كان المكره قد اخطا فيما يكلف

تجاوز عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه

من ذلك وقال به ابن حبيب وقال ابو حنيفة ومن اتبعه من الكوفيين انه ان حلف ان لا يفعل ففعل حنث
قالوا لان المكره له ان يوري في يمينه فلما لم يور ولا ذهبت نيته الى خلاف ما اكره عليه فقد قصد الى اليمين
احتج الاولون بان قالوا اذا اكره عليها فنيته مخالفة لقوله لانه كاره لما حلف عليه **الخامسة عشرة**
قال ابن العربي ومن غريب الامر ان علماءنا اختلفوا في الاكراه على الحنث هل يقع به ام لا وهذه مسالة
عراقية سرت لنا منهم لا كانت هذه المسالة ولا كانوا واي فرق يا معشر اصحابنا بين الاكراه على اليمين
في انها لا تلزم وبين الحنث في انه لا يقع فاتقوا الله وراجعوا بصائركم ولا تغتروا بهذه الرواية فانها وصمة
في الدراية **السادسة عشرة** اذا اكره الرجل على ان يحلف والا اخذ له مال كاصحاب المكس وظلمة السعاة
واهل الاعتداء فقال مالك لا تقية في ذلك وانما يدرا المرء بيمينه عن بدنه لا ماله وقال ابن الماجشون
لا يحنث وان درا عن ماله ولم يخف على بدنه وقال ابن القاسم بقول مطرف ورواه عن مالك وقاله ابن
عبد الحكم واصبغ قال المؤلف رحمه الله قول ابن الماجشون صحيح لان المدافعة عن المال كالمدافعة عن
النفس وهو قول الحسن وقتادة وسياتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دماءكم واموالكم واعراضكم
عليكم حرام وقال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وروى ابو هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان جاء رجل يريد اخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال ارايت ان قاتلني
قال قاتله قال ارايت ان قتلني قال فانت شهيد قال ارايت ان قتلته قال هو في النار خرجه مسلم وقد
مضى الكلام فيه وقال مطرف وابن الماجشون وان بدر الحالف بيمينه للوالي الظالم قبل ان يسالها ليذب
بها عن ماخاف عليه من ماله وبدنه فحلف له فانها تلزمه وقاله ابن عبد الحكم واصبغ وقال ايضا ابن الماجشون
فيمن اخذه ظالم فحلف له بالطلاق البتة من غير ان يحلفه وتركه وهو كاذب وانما حلف خوفا من ضربه وقتله
واخذ ماله فان كان انما تبرع باليمين خوفا ورجاء النجاة من ظلمه فقد دخل في الاكراه ولا شيء عليه وان
لم يحلف على رجاء النجاة فهو حانث **السابعة عشرة** قال المحققون من العلماء اذا تلفظ المكره بالكفر
فلا يجوز له ان يجريه على لسانه الا مجرى المعاريض فان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ومتى لم يكن كذلك
كان كافرا لان المعاريض لا سلطان للاكراه عليها مثاله ان يقال له اكفر بالله فيقول باللاهي فيزيد الياء
وكذا اذا قيل له اكفر بالنبي فيقول هو كافر بالنبي مشددا وهو المكان المرتفع من الارض ويطلق على ما يعمل
من الخواص شبه المائدة فيقصد احدهما بقلبه ويبرا من الكفر واثمه فان قيل له اكفر بالنبي مهموزا فيقول
هو كافر بالنبي يريد بالمخبر اي مخبر كان كطليحة ومسيلمة الكذاب او يريد به النبي الذي قال فيه الشاعر

شعر
فاضحى رفاة فاق الحصى … مكان النبي من الكاثب

الثامنة عشرة اجمع العلماء على ان من اكره على الكفر فاختار القتل انه اعظم اجرا عند الله ممن اختار الرخصة
واختلفوا فيمن اكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له فقال اصحاب مالك الاخذ بالشدة في ذلك واختيار
القتل والضرب افضل عند الله من الاخذ بالرخصة ذكره ابن حبيب وسحنون وذكر ابن سحنون عن اهل العراق
انه اذا تهدد بقتل او قطع او ضرب يخاف منه التلف فله ان يفعل ما اكره عليه من شرب خمر او اكل خنزير
فان لم يفعل حتى قتل خفنا ان يكون اثما لانه كالمضطر وروى خباب بن الارت شكونا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من
قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط
في امشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى
حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون فوصفه عليه السلام هذا عن الامم السالفة
على جهة المدح لهم والصبر على المكروه في ذات الله وانهم لم يكفروا في الظاهر ويبطنوا الايمان ليدفعوا العذاب
عن انفسهم وهذه حجة من اثر القتل والضرب والهوان على الرخصة والمقام بدار الجنان وسياتي لهذا مزيد
بيان في سورة الاخدود ان شاء الله تعالى وذكر ابو بكر محمد بن الفرج البغدادي قال حدثنا شريح بن يونس
عن اسمعيل بن ابراهيم عن يونس بن عبد الحميد عن الحسن ان عيونا لمسيلمة اخذوا رجلين من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فذهبوا بهما الى مسيلمة فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم فخلى سبيله وقال للاخر اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم
قال وتشهد اني رسول الله قال انا اصم لا اسمع قال تشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال وتشهد

ابي رسول الله قال انا اصم لا اسمع فقدمه وضرب عنقه فجاء هذا الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت قال وما اهلكك فذكر الحديث قال اما صاحبك فاخذ بالثقة واما انت فاخذ بالرخصة انت على ما انت عليه الساعة قال اشهد انك رسول الله قال انت على ما انت عليه الرخصة فيمن حلفه سلطان ظالم على نفسه او على ان يدله على رجل او مال رجل فقال الحسن اذا خاف عليه وعلى ماله فليحلف ولا يكفر يمينه وهو قول قتادة اذا حلف على نفسه او مال نفسه وتقدم قول العلماء في هذا وذكر موسى بن معاوية ان ابا سعيد بن اشرس صاحب مالك استحلفه السلطان بتونس على رجل اراد السلطان قتله انه ما اواه ولا يعلم له موضعا قال فحلف له ابن اشرس وهو يومئذ قد علم موضعه واواه فحلفه بالطلاق ثلاثا فحلف له ابن اشرس ثم قال لامراته اعتزلي فاعتزلته ثم ركب ابن اشرس حتى قدم على البهلول بن راشد القيرواني فاخبره بالخبر فقال له البهلول قال مالك انك حانث فقال ابن اشرس وانا سمعت مالكا يقول ذلك وانما اردت الرخصة او كلام هذا معناه فقال له البهلول ابن راشد قال الحسن البصري انه لا حنث عليك قال فرجع ابن اشرس الى زوجته واخذ بقول الحسن وذكر عبد الملك بن حبيب قال حدثني سعيد بن المسيب عن شريك عن ابي شيبة قال سالت انس بن مالك عن الرجل يوخذ بالرجل هل ترى ان يحلف ليقيه بيمينه فقال نعم ولان احلف سبعين يمينا واحنث احب الي من ان ادل على مسلم وقال ادريس بن يحيى كان الوليد بن عبد الملك يامر جواسيس يتجسسون الخلق ياتونه بالاخبار قال فجلس منهم رجل في حلقة رجا بن حيوة فسمع بعضهم يقع في الوليد فرفع ذلك اليه فقال يا رجا اذكر بالسوء في مجلسك ولم تغير فقال ما كان ذلك يا امير المومنين فقال له الوليد قل الله الذي لا اله الا هو فقال الله الذي لا اله الا هو فامر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطا فكان يلقى رجاء فيقول يا رجا بك يستقى المطر وسبعون سوطا في ظهري فيقول رجا سبعون سوطا في ظهرك خير لك من ان تقتل رجل مسلم

التاسعة عشرة اختلف العلماء في حد الاكراه فروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ليس الرجل امن على نفسه اذا اخفته او اوثقته او ضربته وقال ابن مسعود ما كلام يدرا عني سوطين الا كنت متكلما به وقال الحسن التقية جائزة للمومن الى يوم القيامة الا ان الله تبارك وتعالى ليس يجعل في القتل تقية وقال النخعي القيد اكراه والسجن اكراه وهذا قول مالك الا انه قال والوعيد المخوف اكراه وان لم يقع اذا تحقق ظلم ذلك المعتدي وانفاذه لما يتوعد به وليس عند مالك واصحابه في الضرب والسجن توقيت انما هو ما كان يولم من الضرب وما كان من سجن يدخل منه الضيق على المكره واكراه السلطان وغيره عند مالك اكراه وتناقض الكوفيون فلم يجعلوا السجن والقيد اكراها على شرب الخمر واكل الميتة لانه لا يخاف منهما التلف وجعلوهما اكراها في اقراره لفلان عندي الف درهم قال ابن سحنون وفي اجماعهم على ان الالم والوجع الشديد اكراه ما يدل على ان الاكراه يكون من غير تلف نفس وذهب مالك الى ان من اكره على يمين بوعيد او سجن او ضرب انه يحلف ولا حنث عليه وهو قول الشافعي وابي ثور واكثر العلماء والله اعلم

الموفية عشرين ومن هذا الباب ما ثبت ان من المعاريض لمندوحة عن الكذب وروى الاعمش عن ابراهيم النخعي انه قال لا باس اذا بلغ الرجل عنك شي ان تقول والله ان الله يعلم ما قلت فيك من ذلك من شي قال عبد الملك بن حبيب معناه ان الله يعلم الذي قلت وهو في ظاهره انتفي من القول ولا حنث على من قال ذلك في يمينه ولا كذب عليه في كلامه وقال النخعي كان لهم كلام من الغاز الايمان يدرون به عن انفسهم لا يرون ذلك من الكذب ولا يخشون فيه الحنث قال عبد الملك وكانوا يسمون ذلك المعاريض من الكلام اذا كان ذلك في غير مكر ولا خديعة في حق وقال الاعمش كان ابراهيم النخعي اذا اتاه احد يكره الخروج اليه جلس في مسجد بيته وقال لجاريته قولي له هو والله في المسجد وروى مغيرة عن ابراهيم انه كان يجيز للرجل من البعث اذا عرضوا على اميرهم ان يقول والله ما اهتدي الا ما سدد لي غيري ولا اركب الا ما حملني غيري هذا او نحو هذا من الكلام قال عبد الملك يعني بقوله غيري الله تعالى هو مسدده وهو حامله فلم يكونوا يرون على الرجل في هذا حنثا في يمينه ولا كذبا في كلامه وكانوا يكرهون ان يقال هذا في خديعة وظلم وجحدان حق فمن اجترا وفعل اثم في خديعته ولم يجب عليه كفارة في يمينه

الحادي والعشرون قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا اي وسعه لقبول الكفر ولا يقدر احد على ذلك الا الله فهو يرد

اختلف العلماء في حد الاكراه

على القدرية وصدرا انصب على المفعول فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني جهنم ذلك اي ذلك الغضب بانهم استحبوا الحياة الدنيا اي اختاروها على الاخرة وان الله ان في موضع خفض عطفا على بانهم لا يهدي القوم الكافرين ثم وصفهم فقال اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي عن فهم المواعظ وسمعهم عن كلام الله وابصارهم عن النظر في الايات واولئك هم الغافلون عما يراد بهم لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون تقدم

قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم هذا كله في عمار والمعنى وصبروا على الجهاد ذكره النحاس وقال قتادة نزلت في قوم خرجوا مهاجرين الى المدينة بعد ان فتنهم المشركون وعذبوهم وقد تقدم ذكرهم في هذه السورة وقيل نزلت في ابن ابي سرح وكان قد ارتد ولحق بالمشركين فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة فاستجار بعثمان فاجاره النبي صلى الله عليه وسلم ذكره النسائي عن عكرمة عن ابن عباس قال في سورة النحل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الى قوله عذاب عظيم فنسخ واستثنى من ذلك فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح الذي كان على مصر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فازله الشيطان فلحق بالكفار فامر به ان يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها اي ان الله غفور رحيم في ذلك اليوم او ذكرهم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها اي تخاصم وتحاج عن نفسها جاء في الخبر ان كل احد يقول يوم القيامة نفسي نفسي من شدة هول يوم القيامة سوى محمد عليه السلام فانه يسال في امته وفي حديث عمر انه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا هيجنا حدثنا نبهنا فقال كعب يا امير المومنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات ولا يهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي منتخب الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ان ابراهيم الخليل ليدلي بالخلة فيقول رب انا خليلك ابراهيم لا اسالك اليوم الا نفسي قال يا كعب اين تجد ذلك في كتاب الله قال قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال ابن عباس في هذه الاية ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فيقول رب الروح منك انت خلقته لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ولا اذن اسمع بها ولا عقل اعقل به حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فضعف عليه انواع العذاب ونجني فيقول الجسد رب انت خلقتني بيدك فكنت كالخشبة ليس لي يد ابطش بها ولا قدم اسعى بها ولا بصر ابصر به ولا سمع اسمع به فجاء هذا كشعاع النور فبه نطق لساني وبه ابصرت عيني وبه مشت رجلي وبه سمعت اذني فضعف عليه انواع العذاب ونجني منه قال فيضرب الله لهما مثلا اعمى ومقعد دخلا بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمرة والمقعد لا ينالها فنادى المقعد الاعمى ايتني فاحملني اكل واطعمك فدنا منه فحمله فاصابوا من الثمرة فعلى من يكون العذاب قال عليهما قال عليكما جميعا العذاب ذكره الثعلبي

قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون هذا متصل بذكر المشركين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على مشركي قريش وقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلوا بالقحط حتى اكلوا العظام ووجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ففرق فيهم كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان من البر والبحر نظيره يجبى اليه ثمرات كل شي الاية فكفرت بانعم الله الانعم جمع النعمة كالاشد جمع الشدة وقيل جمع نعمى مثل بوسى وابوس وهذا الكفران تكذيب محمد عليه السلام فاذاقها الله اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف سماه لباسا لانه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس بما كانوا يصنعون اي من الكفر والمعاصي وقرا حفص بن غياث ونصر بن عاصم وابن ابي اسحاق والحسن وابو عمرو فيما روى عنه عبد الوارث وعبيد وعباس والخوف نصبا بايقاع اذاقها عليه عطفا على لباس اي اذاقها الله لباس الجوع واذاقها الله الخوف وهو بعث النبي صلى الله عليه وسلم سراياه التي كانت تطيف بهم واصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء وضرب مكة مثلا لغيرها من البلاد اي انها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر

اهلها اصابهم القحط فكيف بغيرها من القرى وقد قيل انها المدينة امنت برسول الله ثم كفرت بانعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتن وهذا قول عايشة وحفصة رضي الله عنهما زوجي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه مثل مضروب باي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى **قوله تعالى** ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون هذا يدل على انها مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة فاخذهم العذاب وهو الجوع الذي وقع بمكة وقيل الشدايد والجوع منها **قوله تعالى** فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون اي كلوا يا معشر المسلمين من الغنايم وقيل الخطاب للمشركين لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بطعام رقة عليهم وذلك انهم لما ابتلوا بالجوع سبع سنين وقطع العرب عنهم الميرة بامر النبي صلى الله عليه وسلم اكلوا الطعام المحرقة والجيفة والكلاب الميتة والجلود والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم ثم ان روساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا هذا عذاب الرجال فما بال الصبيان والنسا وقال له ابو سفيان يا محمد انك جئت تامر بصلة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون **قوله تعالى** انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر الى رحيم تقدم القول فيها في البقرة مستوفا **قوله تعالى** ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون الى اليم فيه مسالتان الاولى قوله تعالى لما تصف ما هنا مصدرية اي لوصف وقيل اللام لام سبب واجل اي لا تقولوا لاجل وصفكم الكذب بنزع الخافض اي لما تصف السنتكم من الكذب وقري الكذب بضم الكاف والدال والباء نعتا للالسنة وقد تقدم وقرا الحسن هنا خاصة الكذب بفتح الكاف وخفض الدال والباء نعتا لما والتقدير ولا تقولوا لوصف السنتكم الكذب وقيل على البدل من ما اي لا تقولوا الكذب الذي تصف السنتكم هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب الاية خطاب للكفار الذين حرموا البحاير والسوايب فاحلوا ما في بطون الانعام وان كان ميتة فقوله هذا حلال اشارة الى ميتة بطون الانعام وكل ما احلوه وقوله هذا حرام اشارة الى البحاير والسوايب وكل ما حرموه ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل اي ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عن قريب وقال الزجاج اي متاعهم متاع قليل وقيل لهم متاع قليل ثم يردون الى عذاب اليم الثانية اسند الدارمي ابو محمد في مسنده اخبرنا هارون عن حفص عن الاعمش قال ما سمعت ابراهيم قط يقول حلال ولا حرام ولكن كان يقول كانوا يكرهون وكانوا يستحبون وقال ابن وهب قال مالك لم يكن من فتيا الناس ان يقولوا هذا حلال وهذا حرام ولكن يقولوا اياكم كذا وكذا ولم اكن لاصنع هذا ومعنى هذا ان التحليل والتحريم انما هو لله تعالى عز وجل وليس لاحد ان يقول او يصرح بهذا في عين من الاعيان الا ان يكون الباري يخبر بذلك وما يودي اليه الاجتهاد في انه حرام يقول اني اكره وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من اهل الفتوى فان قيل فقد قال فيمن قال لزوجته انت علي حرام انها حرام ويكون ثلاثا فالجواب ان مالكا لما سمع علي ابن ابي طالب يقول انها حرام اقتدى به وقد يقوى الدليل على التحريم عند المجتهد فلا باس عند ذلك ان يقول ذلك كما يقول ان الربا حرام لا يصلح في الاموال الربوية وفيما خالف المصالح وخرج عن طريق المقاصد لقوة الادلة في ذلك **قوله تعالى** وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ومنهم من لم نقصص عليك الى قوله يظلمون بين ان الانعام والحرث حلال لهذه الامة فاما اليهود فحرمت عليهم منها اشيا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام وما ظلمناهم اي بتحريم ما حرمنا عليهم ولكن ظلموا انفسهم فحرمنا عليهم تلك الاشيا عقوبة لهم كما تقدم في النساء **قوله تعالى** ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الى قوله رحيم ثم ان ربك للذين عملوا السوء اي الشرك قاله ابن عباس وقد تقدم في النسا **قوله تعالى** ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين دعى عليه السلم مشركي العرب الى ملة ابراهيم اذ كان اباهم وباني البيت الذي به عزهم والامة الرجل الجامع للخير وقد تقدم محامله وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال بلغني ان عبد الله بن مسعود قال يرحم الله معاذا كان امة قانتا فقيل له يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله عز وجل بهذا ابراهيم فقال ابن مسعود ان الامة الذي يعلم الناس الخير وان القانت

فيمن قال لزوجته انت علي حرام

هو المطيع وقد تقدم القنوت في البقرة وحنيفا في الانعام وقوله شاكرا لانعمه الانعم جمع نعمة وقد تقدم اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة قيل الولد الطيب وقيل الثنا الحسن وقيل النبوة وقيل الصلاة مقرونة بالصلاة على محمد في التشهد وقيل انه ليس اهل دين الا وهم يتولونه وقيل بقاء ضيافته وزيارة قبره وكل ذلك اعطاه الله وزاده صلى الله عليه وسلم وانه في الاخرة لمن الصالحين من بمعنى مع اي مع الصالحين لانه كان في الدنيا ايضا مع الصالحين وقد تقدم هذا في البقرة **قوله تعالى** ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قال ابن عمر امر باتباعه في مناسك الحج كما علم ابراهيم جبريل عليه السلام وقال الطبري امر باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بالاسلام وقيل امر باتباعه في جميع ملته الا ما امر بتركه قال بعض اصحاب الشافعي على ما حكاه الماوردي والصحيح الاتباع في عقايد الشرع دون الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا مسالة في هذه الاية دليل على جواز اتباع الافضل للمفضول لما تقدم الى الصواب والعمل به ولا درك على الفاضل في ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء عليهم السلام وقد امر بالاقتداء بهم فقال فبهداهم اقتده وقال هنا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا **قوله تعالى** انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اي لم يكن في شرع ابراهيم ولا من دينه بل كان سمحا لا تغليظ فيه وكان السبت تغليظا على اليهود في رفض الاعمال وترك التبسط في المعاش بسبب اختلافهم فيه ثم جاء عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقال تفرغوا للعبادة في كل سبعة ايام يوما واحدا فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وقد اختلف العلماء في كيفية ما وقع لهم من الاختلاف فقالت طايفة ان موسى عليه السلم امرهم بيوم الجمعة وعينه لهم واخبرهم بفضيلته على غيره فناظروه ان السبت افضل فقال الله تعالى له دعهم وما اختاروه لانفسهم وقيل ان الله تعالى لم يعينه لهم وانما امرهم بتعظيم يوم في الجمعة فاختلف اجتهادهم في تعيينه فعينت اليهود السبت لان الله تعالى فرغ فيه من الخلق وعينت النصارى الاحد لان الله تعالى بدا فيه الخلق فالزم كل منهم ما اداه اليه اجتهاده وعين الله لهذه الامة يوم الجمعة من غير ان يكلهم الى اجتهادهم فضلا منه ونعمة فكانت خير الامم امة روي في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى فقوله فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه يقوي قول من قال انه لم يعين لهم فانه لو عين لهم وعاندوا لما قيل اختلفوا وانما كان ينبغي ان يقال فخالفوا فيه وعاندوا ومما يقويه ايضا قوله عليه السلام اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا وهذا نص في المعنى وقد جاء في بعض طرقه فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم اختلفوا فيه وهو حجة للقول الاول وقد روي ان الله كتب الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع قوله على الذين اختلفوا فيه يريد في يوم الجمعة كما بيناه اختلفوا على نبيهم موسى وعيسى ووجه الاتصال بما قبله ان النبي صلى الله عليه وسلم امر باتباع الحق وحذر الله الامة من الاختلاف عليه فيشدد عليهم كما شدد على اليهود **قوله تعالى** ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فيه مسالة واحدة هذه الاية نزلت بمكة في وقت الامر بمهادنة قريش وامره ان يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف وهكذا ينبغي ان يوعظ المسلمون الى يوم القيامة فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين وقد قيل ان من امكنت معه هذه الاحوال من الكفار ورجي ايمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة والله اعلم **قوله تعالى** وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين فيه اربع مسايل الاولى اطبق جمهور اهل التفسير ان هذه الاية مدنية نزلت في شان التمثيل بحمزة يوم احد ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير وذهب النحاس الى انها مكية والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالا حسنا لانها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ الى الذي يجادل الى الذي يجازى على فعله ولكن ما روى الجمهور اثبت روى الدارقطني عن ابن عباس قال لما انصرف المشركون عن قتلى احد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى منظرا ساءه راى حمزة قد شق

بطنه واصطلم انفه وجدعت اذناه فقال لولا ان يحزن النسا او يكون سنة بعدي لتركته
حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير لامثلن مكانه بسبعين رجلا ثم دعي ببردة وغطى
بها وجهه فخرجت رجلاه فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وجعل على رجليه شيا من الاذخر
ثم قدمه فكبر عليه عشرا ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة وكان القتلى
سبعين فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الاية ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الى قوله واصبر
وما صبرك الا بالله فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمثل باحد خرجه اسمعيل بن اسحاق من حديث
ابي هريرة وحديث ابن عباس اكمل وحكى الطبري عن فرقة انها قالت انما نزلت هذه الاية فيمن اصيب
بظلامة ان لا ينال من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلامته لا يتعداه الى غيره وحكاه الماوردي عن ابن
سيرين ومجاهد **الثانية** واختلف اهل العلم فيمن ظلمه رجل في اخذ مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على
مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه فقالت فرقة يجوز ذلك منهم ابن سيرين وابراهيم النخعي
وسفيان ومجاهد واحتجت بهذه الاية وعموم لفظها وقال مالك وفرقة معه لا يجوز ذلك واحتجوا بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه الدارقطني وقد تقدم
هذا في البقرة هذا مستوفا ووقع في مسند ابن اسحق ان هذا الحديث انما ورد في رجل زنا بامراة اخر ثم
تمكن الاخر من زوجة الثاني بان تركها عنده وسافر فاستشار ذلك الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الامر فقال له اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وعلى هذا يتقوى قول مالك في امر المال
لان الخيانة لاحقة في ذلك وهي رذيلة لا انفكاك عنها فينبغي ان يتجنبها لنفسه فان تمكن من الانتصاف
من مال لم يأتمنه عليه فيشبه ان ذلك جائز وكان الله حكم له كما لو تمكن الاخذ بالحكم من الحاكم وقد قيل ان
هذه الاية منسوخة نسختها واصبر وما صبرك الا بالله **الثالثة** في هذه الاية دليل على جواز التماثل
في القصاص فمن قتل بحديدة قتل بها ومن قتل بحجر قتل به ولا يتعدى قدر الواجب وقد تقدم هذا المعنى
في البقرة مستوفا والحمد لله **الرابعة** سمى الله تعالى الادايات في هذه الاية عقوبة والعقوبة حقيقة انما
هي الثانية وانما فعل ذلك ليستوي اللفظان ويتناسب دباجة القول وهذا بعكس قوله ومكروا ومكر
الله وقوله الله يستهزئ بهم فان الثاني هو المجاز والاول هو الحقيقة قاله ابن عطية **قوله تعالى**
واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون فيه مسالة واحدة قال ابن زيد هي منسوخة بالقتال وجمهور الناس على انها محكمة اي اصبر
بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عاقبوا في المثلة ولا تحزن عليهم اي على قتلى احد فانهم صاروا الى رحمة الله
ولا تك في ضيق ضيق جمع ضيقة قال الشاعر — كشف الضيقة عنا وفسح
وقراءة الجمهور بفتح الضاد وقرا ابن كثير بكسرها ورويت عن نافع وهو غلط ممن رواه قال بعض اللغويين
الكسر والفتح في الضاد لغتان في المصدر قال الاخفش الضيق والضيق مصدر ضاق يضيق والمعنى لا يضيق
صدرك من كفرهم وقال الفراء الضيق ما ضاق عنه صدرك والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق
مثل الدار والثوب وقال ابن السكيت هما سواء يقال في صدره ضيق وضيق قال القتبي ضيق مخفف
ضيق اي لا تكن في امر ضيق فخفف مثل هين وهين وقال ابن عرفة يقال ضاق الرجل اذا بخل واضاق اذا افتقر
وقوله مع الذين اتقوا اي الفواحش والكبائر بالنصر والمعونة والفضل والبر والتاييد وتقدم معنى
الاحسان وقيل لهرم بن حيان عند موته اوص قال اوصيكم بايات الله واخر سورة النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة الى اخرها

احلف فيمن ظلم رجل في اخذ مال

تفسير سورة بني اسرائيل مكية

وهي مكية الا ثلاث ايات منها قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك من الارض نزلت حين جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفد ثقيف وحين قالت اليهود ليست هذه بارض الانبيا وقوله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل
صدق وقوله عز وجل ان ربك احاط بالناس الاية وقال مقاتل وقوله عز وجل ان الذين اوتوا العلم من قبله
الاية وقال ابن مسعود في بني اسرائيل والكهف انهن من العتاق الاول وهن من تلادي يريد من قديم كسبه
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير فيه ثمان مسائل **الاولى** قوله سبحان

وسبحان اسم موضوع موضع المصدر وهو غير متمكن لانه لا يجري بوجوه الاعراب ولا تدخل عليه الالف واللام
ولم يجر منه فعل ولم ينصرف لان في اخره زائدتين تقول سبحت تسبيحا وسبحانا مثل كفرت اليمين تكفيرا
وكفرانا ومعناه التنزيه والبراءة لله من كل نقص فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره فاما قول الشاعر

اقول لما جاءني فخره — سبحان من علقمة الفاخر

فانما ذكر على طريق النادر وقد روى طلحة بن عبيد الله الفياض احد العشرة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ما معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه
لا من لفظه اذ لم يجر من لفظه فعل وذلك مثل قعد القرفصا واشتمل الصما فالتقدير عنده نزه الله تنزيها
فوقع سبحان الله موقع قولك تنزيها **الثانية** قوله تعالى اسرى اسرى فيه لغتان سرى واسرى كسقى واسقى كما
تقدم قال

اسرت عليه من الجوزاء سارية — تزجي الشمال عليه جامد البرد

وقال اخر

حي النضيرة ربة الخدر — اسرت الي ولم تكن تسري

فجمع بين اللغتين في البيتين والاسراء سير الليل يقال سريت مسرى وسرى واسريت اسراء قال الشاعر

وليلة ذات ندى سريت — ولم يلتني من سراها ليت

وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من اخره والاول اعرف **الثالثة** قوله تعالى بعبده قال
العلماء لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية وفي معناه انشدوا

يا قوم قلبي عند زهرا — يعرفه السامع والرائي
لا تدعني الا بيا عبدها — فانه اشرف اسمائي

وقد تقدم قال القشيري لما رفعه الله الى حضرته السنية وارقاه فوق الكواكب العلوية الزمه اسم العبودية
تواضعا للامة **الرابعة** ثبت الاسراء في جميع مصنفات الحديث وروي عن الصحابة في كل اقطار الاسلام
فهو من المتواتر بهذا الوجه وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابيا روى الصحيح عن انس بن مالك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء قال ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن
فقال جبريل اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء وذكر الحديث ومما ليس في الصحيحين ما خرجه الاجري
والسمرقندي قال الاجري عن ابي سعيد الخدري في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قال ابو سعيد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة
اسري به قال النبي صلى الله عليه وسلم اتيت بدابة هي اشبه الدواب بالبغل له اذنان يضطربان وهو البراق
الذي كان الانبيا يركبه قبل فركبته فانطلق تقع يداه عند منتهى بصره فسمعت نداء عن يميني يا محمد
على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج عليه ثم سمعت نداء عن يساري يا محمد على رسلك حتى اسالك
فمضيت ولم اعرج عليه ثم استقبلتني امراة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول على رسلك
حتى اسالك فمضيت ولم اعرج ثم اتيت بيت المقدس الاقصى فنزلت عن الدابة فاوثقتها في الحلقة التي
كانت الانبيا توثق بها ثم دخلت المسجد فصليت فيه فقال لي جبريل عليه السلام ما سمعت يا محمد فقلت
نداء عن يميني يا محمد على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج فقال ذلك داعي اليهود لو وقفت لتهودت
امتك قال ثم سمعت نداء عن يساري على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج عليه فقال ذلك
داعي النصارى لو وقفت لتنصرت امتك قلت ثم استقبلتني امراة عليها من كل زينة الدنيا رافعة
يديها تقول على رسلك فمضيت ولم اعرج عليها فقال تلك الدنيا لو وقفت لاخترت الدنيا على الاخرة
قال ثم اوتيت باناءين احدهما فيه لبن والاخر فيه خمر فقيل لي خذ فاشرب ايهما شئت فاخذت اللبن
فشربته فقال لي جبريل اصبت الفطرة ولو انك اخذت الخمر غوت امتك ثم جاءه بالمعراج الذي
يعرج فيه ارواح بني ادم فاذا احسن ما رايت الم تر الى الميت كيف يحد بصره اليه فعرج بنا حتى
انتهينا باب السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قال
وقد ارسل اليه قال نعم ففتحوا لي وسلموا علي واذا ملك يحرس السماء يقال له اسمعيل معه سبعون الف
ملك مع كل ملك مائة الف قال وما يعلم جنود ربك الا هو وذكر الحديث الى ان قال ثم مضينا الى السماء

الخامسة فاذا انا بهرون بن عمران المحبب في قومه وحوله تبع كثير من قومه فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال رجل كثير الشعر طويل اللحية تكاد لحيته تضرب في سرته ثم مضيت الى السماء السادسة فاذا انا
بموسى فسلم علي ورحب بي فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل كثير الشعر لو كان عليه قميصان خرج
شعره منهما الحديث وروى البزار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بفرس فحمل عليه كل خطوة منه اقصى
بصره وذكر الحديث وقد جاء في صفة البراق من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا نائم في الحجر اذ اتاني ات فحركني برجله فاتبعت الشخص فاذا هو جبريل عليه السلم قائم على باب
المسجد معه دابة دون البغل وفوق الحمار وجهها وجه انسان وخفها خف حافر وذنبها ذنب ثور وعرفها
عرف الفرس فلما ادناها مني جبريل عليه السلام نفرت ونفشت عرفها فمسحها جبريل عليه السلم وقال
يا برقة لا تنفري من محمد فوالله فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل من محمد صلى الله عليه
وسلم ولا اكرم على الله منه قالت قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة واني احب ان اكون في شفاعته
فقلت انت في شفاعتي ان شا الله الحديث وذكر ابو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري عن ابي سعيد الخدري
قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بادريس في السماء الرابعة قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
الذي وعدنا ان نراه فلم نره الا الليلة قال فاذا فيها مريم بنت عمران لها سبعون قصرا من لولو ولام موسى
بن عمران سبعون قصرا من مرجانة حمرا مكللة باللولو ابوابها واسرتها من عرق واحد فلما عرج الملك
الى السما الخامسة وتسبيح اهلها سبحان من جمع بين الثلج والنار من قالها مرة واحدة كان له مثل ثوابهم
فاستفتح الباب جبريل ففتح له فاذا هو بكهل لم ير كهل قط اجمل منه عظيم العينين تضرب لحيته قريبا من
سرته قد كان ان يكون شمطه واذا حوله قوم جلوس يقص عليهم فقلت يا جبريل من هذا قال هرون
المحبب في قومه وذكر الحديث فهذه نبذة مختصرة من احاديث الاسرا خارجة عن الصحيحين ذكرها ابو الربيع
سليمان بن سبع بجملتها في كتاب شفا الصدور وله ولا اختلاف بين اهل العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة
انما فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في حين الاسراء حين عرج به الى السماء واختلفوا في تاريخ الاسرا
وهيئة الصلاة وهل كان الاسرا بروحه او جسده فهذه ثلاث مسائل تتعلق بالاية وهي مما ينبغي
الوقوف عليها والبحث عنها وانا اذكر ما وقفت عليه فيها من اقاويل العلما واختلاف الفقها بعون الله
فاما المسالة الاولى وهو هل كان الاسراء بروحه او بجسده اختلف في ذلك السلف والخلف
فذهبت طائفة الى انه اسرا بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه وانها كانت رؤيا راى فيها الحقائق
ورؤيا الانبيا حق وذهب الى هذا معاوية وعائشة وحكي عن الحسن وابن اسحاق وقالت طائفة كان الاسرا
بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسرا قالوا ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد
الاقصى لذكره فانه كان يكون ابلغ في المدح وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه كان اسراء بالجسد وفي
اليقظة وانه ركب البراق بمكة ووصل الى بيت المقدس وصلى فيه ثم اسري بجسده وعلى هذا تدل الاخبار
التي اشرنا اليها والاية وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة فلا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى
التاويل الا عند الاستحالة لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى يدل
على ذلك ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما قالت له ام هاني لا تحدث الناس فيكذبونك
ولا فضل ابو بكر بالتصديق ولا امكن قريش التشنيع والتكذيب وقد كذبه قريش فيما اخبره حتى ارتد
اقوام كانوا امنوا فلو كان بالرؤيا لم يستنكر وقد قال له المشركون ان كنت صادقا فخبرنا عن عيرنا اين لقيتها
قال بمكان كذا وكذا مررت عليها ففزع فلان فقيل له ما رايت يا فلان قال ما رايت شيا غير ان الابل
قد نفرت قالوا فاخبرنا متى ياتينا العير قال ياتيكم يوم كذا قالوا اية ساعة قال ما ادري طلوع الشمس
من ها هنا اسرع ام طلوع العير فقال رجل ذلك اليوم هذه الشمس قد طلعت وقال رجل هذه عيركم
قد طلعت واستخبروا النبي صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس فوصف لهم ولم يكن راه قبل ذلك
روي في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن
مسراي فسالتني عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا لم اكرب مثله قط قال فرفعه الله لي انظر
اليه ما سالوني عن شي الا انباتهم به الحديث وقد اعترض قول عائشة ومعاوية انما اسري بنفسه

هل كان الاسرا بروحه او بجسده

رسول الله صلى الله عليه وسلم بانها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم واما معاوية
فكان كافرا في ذلك الوقت غير مشاهد للحال ولم يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن اراد الزيادة
على ما ذكرنا فليقف على كتاب الشفا للقاضي عياض يجد من ذلك الشفا وقد احتج لقول عائشة بقوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا وهذا يرده قوله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده لانه لا يقال في النوم اسرى وايضا فقد يقال لرؤية العين رؤيا على ما ياتي بيانه في هذه السورة
وفي نصوص الاخبار الثابتة دلالة واضحة على ان الاسرا كان بالبدن واذا ورد الخبر بشي هو مجوز في العقل
في قدرة الله تعالى فلا طريق الى الانكار لا سيما في زمن خرق العوائد وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم معارج
فلا يبعد ان يكون البعض بالرؤيا وعليه يحمل قوله عليه السلام في الصحيح بينا انا عند البيت بين النائم
واليقظان الحديث ويحتمل ان يرد من الاسرا الى نوم والله اعلم **واما المسالة الثانية** في تاريخ الاسرا وقد
اختلف العلما في ذلك ايضا واختلف في ذلك على ابن شهاب فروى عنه موسى بن عقبة انه اسري به الى بيت المقدس
قبل خروجه الى المدينة بسنة وروى عنه يونس عن عروة عن عائشة قالت توفيت خديجة قبل ان تفرض الصلاة
قال ابن شهاب وذلك بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة اعوام وروى عنه القاضي قال اسري
به بعد مبعثه بخمس سنين قال ابن شهاب وفرض الصيام بالمدينة قبل بدر وفرضت الزكوة والحج بالمدينة
وحرمت الخمر بعد احد وقال ابن اسحاق اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وقد
فشى الاسلام بمكة وفي القبائل وروى عنه يونس بن بكير قال صلت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي
قال ابو عمر هذا يدلك على ان الاسرا كان قبل الهجرة باعوام لان خديجة توفيت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل
بثلاث وقيل باربع وقول ابن اسحاق مخالف لقول ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدم وقال الحربي اسري
به ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقال ابو بكر محمد بن علي بن القاسم الذهبي في تاريخه
اسري به من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا قال ابو عمر لا اعلم احدا من
اهل السير قال ما حكاه الذهبي ولم يسند قوله الى احد ممن يضاف اليه هذا العلم منهم ولا رفعه الى من يحتج به عليهم
والمسالة الثالثة واما فرض الصلاة وهيئتها حين فرضت فلا اختلاف بين اهل العلم وجماعات اهل
السير ان الصلاة انما فرضت بمكة ليلة الاسرا حين عرج به الى السماء وذلك منصوص في الصحيح وغيره
وانما اختلفوا في هيئتها حين فرضت فروي عن عائشة انها فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر
فاكملت اربعا واقرت صلاة السفر على ركعتين وبذلك قال الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن اسحق
قال الشعبي الا المغرب قال يونس بن بكير وقال ابن اسحاق ثم ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم حين فرضت
عليه الصلاة يعني في الاسرا فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء مزن فتوضا جبريل ومحمد
ينظر فوضا وجهه واستنشق ومضمض ومسح براسه واذنيه ورجليه الى الكعبين ونضح فرجه ثم قام يصلي
ركعتين باربع سجدات فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اقر الله عينه وطاب نفسه وجاءه ما يحب من
امر الله تعالى فاخذ بيد خديجة ثم اتى بها العين فتوضا كما توضا جبريل ثم ركع ركعتين باربع سجدات هو
وخديجة ثم كان هو وخديجة يصليان سوا وروي عن ابن عباس انها فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين
وكذلك قال نافع بن جبير والحسن بن ابي الحسن البصري وهو قول ابن جريج وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما يوافق ذلك ولم يختلفوا في ان جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الاسرا عند الزوال فعلم النبي
صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها وروى سالم بن بكير عن سالم مولى ابي المهاجر قال سمعت ميمون
بن مهران يقول كان اول الصلاة مثنى ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعا فصارت سنة واقرت الصلاة
للمسافر وهي تمام قال ابو عمر وهذا اسناد لا يحتج بمثله وقوله فصارت سنة قول منكر وكذلك استثنا
الشعبي المغرب وحدها ولم يذكر الصبح قول لا معنى له وقد اجمع المسلمون ان فرض الصلاة في الحضر اربع
الا المغرب والصبح ولا يعرفون غير ذلك عملا ونقلا مستفيضا ولا يضرهم الاختلاف فيما كان اصل
فرضها **الرابعة** قد مضى الكلام في الاذان في المائدة والحمد لله ومضى في ال عمران ان اول مسجد وضع في
الارض المسجد الحرام ثم المسجد الاقصى وان بينهما اربعين عاما من حديث ابي ذر وبناء سليمان عليه السلام
المسجد الاقصى ودعاؤه له من حديث عبد الله بن عمرو ووجه الجمع في ذلك فتامله هناك فلا معنى للاعادة
ونذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الى المسجد الحرام والى مسجدي هذا والى

مسجد ايليا او بيت المقدس خرجه مالك من حديث ابي هريرة وفيه ما يدل على فضل هذه المساجد الثلثه
على سائر المساجد ولهذا قال العلما من نذر صلاة في مسجد لا يصل اليه الا برحله وراحله فلا يفعل
ويصلي في مسجده الا في الثلاثة المساجد المذكورة فانه من نذر صلاة اليها خرج اليها وقد قال مالك
وجماعة من اهل العلم فيمن نذر رباطا في ثغر يسده فانه يلزمه الوفا حيث كان الرباط لانه طاعة عز وجل
وقد زاد ابو البختري في هذا الحديث مسجد الجند ولا يصح وهو موضوع وقد تقدم في مقدمة الكتاب
الثامنة قوله تعالى الى المسجد الاقصى سمي الاقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان ابعد مسجد عن اهل مكه
في الارض يعظم بالزيارة ثم قال الذي باركنا حوله قيل بالثمار وبمجاري الانهار وقيل بمن دفن حوله من الانبيا
والصالحين وبهذا جعله مقدسا وروي معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى يا شام
انت صفوتي من بلادي وانا سائق اليك صفوتي من عبادي لنريه من اياتنا هذا من باب تلوين الخطاب
والايات التي اراه الله من العجائب التي اخبر بها الناس واسراؤه من مكة الى المسجد الاقصى في ليلة وهو
مسيرة شهر وعروجه الى السما ووصفه الانبيا واحدا واحدا حسب ما ثبت في صحيح مسلم وغيره انه هو السميع
البصير تقدم قوله تعالى وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني
وكيلا اي كرمنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعراج واكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراة وجعلناه اي
ذلك الكتاب وقيل موسى وقيل معنى الكلام سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وآتى موسى الكتاب فخرج من الغيبة
الى الاخبار عن نفسه جل وعز وقيل ان معنى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا معناه اسرينا يدل عليه ما بعده
لنريه من اياتنا فحمل وآتينا موسى الكتاب على المعنى الا تتخذوا بالياء الباقون بالتاء فيكون من باب
تلوين الخطاب وكيلا اي شريكا عن مجاهد وقيل كفيلا باموركم حكاه الفرا وقيل ربا يتوكلون عليه في امورهم
قاله الكلبي وقال الفرا كافيا والتقدير عهدنا اليه في الكتاب الا تتخذوا من دوني وكيلا وقيل التقدير
لئلا تتخذوا والوكيل من يوكل اليه الامر قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا
اي ذرية من حملنا على السفن قاله مجاهد رواه عنه ابن ابي نجيح والمراد بالذرية كل من احتج بالقرآن وهم جميع من
على الارض ذكره المهدوي وقال الماوردي يعني موسى وقومه من بني اسرائيل والمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح لا
تشركوا وذكر نوحا ليذكرهم نعمة الانجا من الغرق على ابائهم وروي سفيان عن حميد عن مجاهد انه قرا ذرية بفتح
الذال وتشديد الرا والياء وذكر هذه القراءة عامر بن عبد الواحد عن زيد بن ثابت وروي عن زيد بن ثابت
ذرية بكسر الذال وتشديد الرا والياء ثم بين ان نوحا كان عبدا شكورا يشكر الله على نعمه ولا يرى الخير الا من
عنده قال قتادة كان اذا لبس ثوبا قال بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله كذا روي عنه معمر عن منصور عن ابرهيم
قال شكره اذا اكل قال بسم الله فاذا فرغ من الاكل قال الحمد لله وقال سلمان الفارسي لانه كان يحمد الله على
طعامه وقال عمران بن سليم انما سمي نوحا عبدا شكورا لانه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شا لاجاعني
واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لاظماني واذا اكتسي قال الحمد لله الذي كساني ولو شا لاعراني
واذا احتذي قال الحمد لله الذي حذاني ولو شا لاحفاني واذا قضا حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني الاذا
ولو شاء لحبسه في ومقصود الاية انكم من ذرية نوح وقد كان عبدا شكورا فانتم احق به دون ابائكم الجهال
وقيل المعنى ان موسى كان عبدا شكورا اذ جعله الله تعالى من ذرية نوح وقيل يجوز ان يكون ذرية مفعولا ثانيا
لتتخذوا ويكون قوله وكيلا يراد به الجمع فيسوغ ذلك في القراتين جميعا اعني اليا والتا في تتخذوا ويجوز ايضا
في القراتين جميعا ان يكون ذرية بدلا من قوله وكيلا لانه بمعنى الجمع فكانه قال لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح
ويجوز نصبها باضمار اعني وامدح والعرب قد تنصب على المدح والذم ويجوز رفعها على البدل من المضمر في يتخذوا
في قراة من قرا بالياء لان المخاطب لا يبدل منه الغائب ويجوز جرها على البدل من بني اسرائيل في الوجهين وان
من قوله ان لا تتخذوا في على قراءة من قرا بالياء في موضع نصب بحذف الجار التقدير هديناهم لئلا يتخذوا
ويصلح على قراءة التاء ان تكون زائدة والقول مضمر كما تقدم ويجوز ان تكون مفسرة بمعنى اي لا موضع لها من
الاعراب وتكون لا للنهي فيكون خروجا من الخبر الى النهي قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا وقرا سعيد بن جبير وابو العالية في الكتب
على لفظ الجمع وقد يرد لفظ الواحد ويكون معناه الجمع فتكون القراتان بمعنى واحد ومعنا قضينا اعلمنا واخبرنا
قاله ابن عباس وقال قتادة حكمنا واصل القضا الاحكام للشي والفراغ منه وقيل قضينا اوحينا ولذلك

انما سمي نوحا عبدا شكورا لانه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني

قال الى بني اسرائيل وعلى قول قتادة تكون الى بمعنى على اي قضينا عليهم وحكمنا قاله ابن عباس ايضا والمعنى
بالكتاب اللوح المحفوظ لتفسدن في الارض وقرا ابن عباس لتفسدن وعيسى الثقفي لتفسدن والمعنى
في القراتين قريب لانهم اذا افسدوا افسدوا والمراد بالفساد مخالفة احكام التوراة في الارض يريد ارض
الشام وبيت المقدس وما والاها مرتين ولتعلن اللام في لتفسدن ولتعلن لام قسم مضمر كما تقدم علوا
كبيرا اراد التكبر والبغي والطغيان والاستطالة والغلبة والعدوان قوله تعالى
فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا
فاذا جاء وعد اولاهما اي اولي المرتين من فسادهم بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد هم اهل بابل وكان عليهم
بخت نصر في المرة الاولى حين كذبوا ارميا وجرحوه وحبسوه قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ارسل عليهم جالوت
فقتلهم فهو وقومه اولو باس شديد وقال مجاهد جاءهم جند من فارس يتجسسون اخبارهم ومعهم بخت نصر
فوعى حديثهم من بين اصحابه ثم رجعوا الى فارس ولم يكن بينهم قتال وهذا في المرة الاولى فكان منهم جوس خلال
الديار لا قتل ذكره القشيري ابو نصر وذكر المهدوي عن مجاهد انه جاءهم بخت نصر فهزمه بنو اسرائيل ثم جاءهم
ثانية فقتلهم ودمرهم تدميرا رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد ذكره النحاس وقال محمد بن اسحاق في خبر فيه طول
ان المهزوم سنجاريب ملك بابل جاء ومعه ستمائة الف راية تحت كل راية مائة الف فارس فنزل حول بيت المقدس
فهزمه الله تعالى وامات جميعهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه وبعث ملك بني اسرائيل واسمه صديقة في
طلب سنجاريب فاخذ مع الخمسة احدهم بخت نصر فطرح في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول
بيت المقدس وايليا ويرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ثم اطلقهم فرجعوا الى بابل ثم مات سنجاريب بعد
سبع سنين واستخلف بخت نصر وعظمت الاحداث في بني اسرائيل واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا
فجاءهم بخت نصر ودخل هو وجنوده بيت المقدس وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وقال ابن عباس وابن مسعود
اول الفساد قتل زكريا وقال ابن اسحاق فسادهم في المرة الاولى قتل شعيا نبي الله في الشجرة وذلك انه لما مات
صديقة ملكهم مرج امرهم وتنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال الله تعالى
له قم في قومك اوح على لسانك فلما فرغ مما اوحى الله اليه عدوا اليه ليقتلوه فهرب وانفلقت له شجرة
فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها
حتى قطعوها وقطعوه في وسطها وذكر ابن اسحاق ان بعض العلما اخبره ان زكريا مات موتا ولم يقتل وانما المقتول
شعيا وقال سعيد بن جبير في قوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار هو سنجاريب
من اهل نينوي الموصل ملك بابل وهذا خلاف ما قال ابن اسحاق فالله اعلم وقيل انهم العمالقة وكانوا كفارا قاله
الحسن ومعنى جاسوا عاثوا وقتلوا وكذلك جاسوا وحاسوا وداسوا قاله ابن عزيز وهو قول القتبي وقرا ابن
عباس حاسوا بالحاء المهملة قال ابو زيد الحوس والجوس والعوس والهوس الطوف بالليل وقال الجوهري الجوس مصدر
قولك جاسوا خلال الديار اي تخللوها فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الاخبار اي يطلبها وكذلك الاجتياس
والجوسان بالتحريك الطوفان بالليل وهو قول ابي عبيدة وقال الطبري طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم
ذاهبين وجائين فجمع بين قولي اهل اللغة قال ابن عباس مشوا وترددوا بين الدور والمساكن وقال
الفرا قتلوكم بين بيوتكم وانشد لحسان رضي الله عنه

ومنا الذي لاقى بسيف محمد ... فجاس به الاعداء عرض العساكر

وقال قطرب قال

نزلنا فجسنا ديارهم عنوة ... وابنا بسادتهم موثقينا

وكان وعدا مفعولا اي قضا كائنا لا خلف فيه قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والرجعة وذلك لما تبتم
واطعتم وقيل ذلك بقتل داود جالوت او بقتل غيره على الخلاف فيمن قتلهم وامددناكم باموال وبنين حتى عاد
امركم كما كان وجعلناكم اكثر نفيرا اي اكثر عددا ورجالا من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من عشيرته يقال
نفير ونافر مثل قدير وقادر ويجوز ان يكون النفير جمعا جمع نفر كالكليب والمعيز والعبيد قال
الشاعر

فاكرم بقحطان من والد ... وحمير اكرم بقوم نفيرا

والمعنى انهم صاروا بعد هذه الوقعة الاولى اكثر انضماما واصلح احوالا من الله تعالى لهم على عود الاحسان
الى الطاعة قوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ان احسنتم احسنتم

لانفسكم اي نفع احسانكم عائد اليكم وان اساتم فلها اي فعليها نحو سلام لك اي سلام عليك قال
الشاعر فخر صريعا لليدين وللفم اي علي اليدين وعلي الفم وقال الطبري اللام بمعني
الي يعني وان اساتم فاليها اي فاليها مرجع الاساءة كقوله بان ربك اوحي لها وقيل فلها الجزاء والعقاب
وقال الحسن بن الفضل فلها رب يغفر الاساءة ثم يحتمل ان يكون هذا خطابا لبني اسرائيل في اول الامر اي اساتم
فحل بكم القتل والسبي والتخريب ثم احسنتم فعاد اليكم الملك والعلو وانتظام الحال ويحتمل ان يكون انه
خوطب بهذا بني اسرائيل في زمن النبي صلي الله عليه وسلم اي عرفتم استحقاق اسلافكم العقوبة علي العصيان
فارتقبوا مثله او يكون خطابا لمشركي قريش علي هذا الوجه فاذا جاء وعد الاخرة من افسادكم وذلك انهم
قتلوا في المرة الثانية يحيي بن زكريا عليه السلام قتله ملك من بني اسرائيل يقال له لاخت قاله
القتبي وقال الطبري اسمه هيردوس ذكره في التاريخ حمله علي قتله امراة اسمها اربيل وقال
السدي كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيي بن زكريا ويستشيره في الامور فاستشاره الملك ان يتزوج
بنت امراة له فنهاه عنها وقال انها لا تحل لك فحقدت امها علي يحيي ثم البست ابنتها ثيابا رقاقا حمرا
وطيبتها وارسلتها الي الملك وهو علي شرابه وامرتها ان تتعرض له واذا ارادها ابت حتي يعطيها ما
تساله فاذا اجاب سالته ان يوتي براس يحيي بن زكريا في طست من ذهب ففعلت ذلك حتي اتي براس يحيي
بن زكريا والراس تتكلم حتي وضع بين يديه وهو يقول لا يحل لك لا يحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلي فالقي
عليه التراب فغلي فوقه فلم يزل يلقي عليه التراب حتي بلغ سور المدينة وهي في ذلك يغلي ذكره الثعلبي
وغيره وذكر ابن عساكر الحافظ في تاريخه عن الحسين بن علي قال كان ملك من هذه الملوك مات وترك امراته
وابنته فورث ملكه اخوه فاراد ان يتزوج امراة اخيه فاستشار يحيي بن زكريا في ذلك وكانت الملوك
في ذلك الزمان يعملون براي الانبيا فقال له لا تتزوجها فانها بغي فعرفت المراة انه قد ذكرها وصرفه
عنها فقالت من اين هذا حتي بلغها انه من قبل يحيي فقالت ليقتلن يحيي او ليخرجن من ملكه فعمدت الي ابنتها
وصبغتها وقالت اذهبي الي عمك عند الملا فانه اذا راك سيدعوك ويجلسك في حجره ويقول سليني ما
شيت فانك لن تساليني شيا الا اعطيتك فاذا قال لك ذلك فقولي لا اسال الا راس يحيي قال
وكانت الملوك اذا تكلم احدهم بشي علي روس الملا ولم يمضه نزع من ملكه ففعلت ذلك قال
فجعل ياتيه الموت من قتله يحيي وجعل ياتيه الموت من خروجه من ملكه فاختار ملكه فقتله قال
فساخت امها الارض قال ابن جدعان فحدثت بهذا الحديث ابن المسيب فقال افما اخبرك كيف كان
قتل زكريا قلت لا قال ان زكريا حين قتل ابنه انطلق هاربا منهم واتبعوه حتي اتي علي شجرة ذات ساق
فدعته اليها فانطوت عليه وبقيت من ثوبه هدبة تكفها الرياح فانطلقوا الي الشجرة فلم يجدوا اثره
بعدها ونظروا الي الهدبة فدعوا بالمنشار فقطعوا الشجرة فقطعوه معها قال المولف رحمه الله وقع في
التاريخ الكبير للطبري فحدثني ابو السايب قال حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال بعث عيسي بن مريم يحيي بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس فقال
كان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الاخ قال وكان لملكهم ابنة اخ تعجبه وذكر الخبر بمعناه وعن ابن عباس قال بعث يحيي
بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس فكانوا فيما يعلمونهم ينهونهم عن نكاح بنت الاخت وكان
لملكهم بنت اخت تعجبه وكان يريد ان يتزوجها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك امها انهم نهوا
عن نكاح بنت الاخت قالت لها اذا دخلت علي الملك فقال الك حاجة فقولي له حاجتي ان يذبح يحيي بن زكريا
فقال سليني سوي هذا قالت ما اسالك الا هذا فلما ابت عليه دعي بطست ودعي به فذبحه فندرت قطرة
من دمه علي وجه الارض فلم تزل تغلي حتي بعث الله عليهم بخت نصر فالقي في نفسه ان يقتل علي ذلك
الدم منهم حتي يسكن فقتل عليه منهم سبعين الفا وفي رواية خمسة وسبعين الفا قال سعيد بن المسيب
هي دية كل نبي وعن ابن عباس قال اوحي الله تعالي الي محمد صلي الله عليه وسلم اني قتلت بيحيي بن زكريا سبعين الفا
واني قاتل بابن ابنتك سبعين الفا وسبعين الفا وعن سمير بن عطية قتل علي الصخرة التي في بيت المقدس
سبعين نبيا منهم يحيي بن زكريا وعن زيد بن واقد قال رايت راس يحيي بن زكريا عليهما السلام حيث ارادوا
بناء مسجد دمشق اخرج من تحت ركن من اركان القبة التي تلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشرة والشعر
علي حاله لم يتغير وعن قرة بن خالد قال ما بكت السماء علي احد الا علي يحيي بن زكريا والحسين بن علي وحمرتها

بكاؤها وعن سفيان بن عيينة قال اوحش ما يكون ابن ادم في ثلاث مواطن يوم ولد فيخرج الي دار هم
وليلة يبيت مع الموتي فيجاور جيرانا لم ير مثلهم ويوم يبعث فيشهد مشهدا لم ير مثله قال الله تعالي
ليحيي في هذه الثلاث مواطن وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا كله في التاريخ المذكور
واختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الاخيرة فقيل بخت نصر وقاله القشيري ابو نصر لم يذكر غيره
قال السهيلي وهذا لا يصح لان قتل يحيي كان بعد رفع عيسي عليه السلام وبخت نصر كان قبل عيسي بن
مريم عليهما السلام بزمان طويل وقبل الاسكندر وبين الاسكندر وعيسي نحو من ثلاث مائة سنة ولكنه
ان اريد بالمرة الاخري حين قتلوا اشعيا فقد كان بخت نصر اذ ذاك حيا فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس
واتبعهم الي مصر واخرجهم منها وقال الثعلبي ومن روي ان بخت نصر هو الذي غزا بني اسرائيل عند قتلهم
يحيي بن زكريا فغلط عند اهل السير والاخبار لانهم مجمعون ان بخت نصر انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم
شعيا وفي عهد ارميا قالوا ومن عهد ارميا وتخريب بخت نصر بيت المقدس الي مولد يحيي بن زكريا عليهما السلم
اربعمائة سنة واحدي وستون سنة وذلك انهم يعدون من عهد تخريب بخت نصر بيت المقدس الي عمرانه
في عهد كوشك سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الي ظهور الاسكندر علي بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة
ثم من بعد مملكة الاسكندر الي مولد يحيي ثلاث مائة سنة وثلاثة وستين سنة قال المص رحمه الله ذكر جميعه
الطبري في التاريخ قال الثعلبي وانما الصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن اسحاق قال لما رفع الله عيسي من بين اظهرهم
وقتلوا يحيي وبعض الناس يقول لما قتلوا زكريا بعث الله اليهم ملكا من ملوك بابل يقال له جردوس فسار اليهم
باهل بابل فظهر عليهم بالشام ثم قال لرئيس جنوده كنت حلفت بالهي لين اظهرني الله علي بيت المقدس
لاقتلنهم حتي تسيل دما وهو في وسط عسكري وامره ان يقتلهم حتي يبلغ ذلك منهم فدخل الرئيس بيت المقدس
فوجد فيها دما يغلي فسالهم فقالوا دم قربان قربناه فلم يتقبل منا منذ ثمانين سنة قال ما صدقتموني فذبح
علي ذلك الدم سبع مائة وسبعين رجلا من روسائهم فلم يهدا فامر بسبعة الاف من سبيهم وازواجهم فذبحهم
علي الدم فلم يبرد فقال يا بني اسرائيل اصدقوني من قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من انثي ولا ذكر الا قتلته
فلما راوا الجهد قالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله فقتلناه فهذا دمه كان اسمه
يحيي بن زكريا ما عصي الله طرفة عين ولا هم بمعصية فقال الان صدقتموني وخر ساجدا وقال لمن هنا بينهم
منكم وامر بغلق الابواب وقال اخرجوا من كان هاهنا من جنس خردوش وخلا في بني اسرائيل وقال يا نبي الله
يا يحيي بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي منهم احدا
فهدي دم يحيي بن زكريا باذن الله ورفع عنهم القتل وقال اني امنت بما امن به بنو اسرائيل وصدقت به فاوحي
الله الي راس من روسا الانبياء ان هذا الرئيس مومن صدوق ثم قال ان عدو الله خردوش امرني ان اقتل منكم
حتي تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لا اعصيه فامرهم فحفروا خندقا وامر واباموالهم من الابل والخيل
والبغال والحمير والبقر والغنم فذبحوها حتي سال دمها الي العسكر وامر بالقتلي الذين كانوا قتلوا قبل ذلك
فطرحوا علي ما قتل من مواشيهم ثم انصرف عنهم الي بابل وقد كاد ان يفني بني اسرائيل قال المولف رحمه الله
وقد ورد في هذا الباب حديث لم مرفوع فيه طول من حديث حذيفة وقد كتبناه في كتاب التذكرة مقطعا
في ابواب من اخبار المهدي نذكر منه هاهنا ما يبين معني الاية وتفسيرها حتي لا يحتاج معه الي بيان قال
حذيفة قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم هو من اجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت
وزمرد وذلك ان سليمان بن داود لما بناه سخر له الجن فاتوه بالذهب والفضة من المعادن واتوه بالجوهر
والياقوت والزمرد وسخر الله له الجن حتي بنوه من هذه الاصناف قال حذيفة فقلت يا رسول الله وكيف
اخذت هذه الاشيا من بيت المقدس فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان بني اسرايل لما عصوا وقتلوا
الانبيا سلط الله عليهم بخت نصر وهو من المجوس فكان ملكه سبع مائة سنة وهو قوله فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا
عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال
وسبوا النسا والاطفال واخذوا الاموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الاصناف فاحتملوها علي
سبعين الفا ومائة الف عجلة حتي اودعوها ارض بابل واقاموا يستخدمون بني اسرايل ويستملكونهم بالخزي
والعقاب والنكال مائة سنة ثم ان الله عز وجل رحمهم فاوحي الي ملك من ملوك فارس ان يسير الي المجوس

في ارض بابل وان يستنقذ من في ايديهم من بني اسرائيل فسار ذلك الملك اليهم حتى دخل ارض بابل
فاستنقذ من بقي من بني اسرائيل من ايدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في البيت المقدس
ورده الله اليه كما كان اول مرة وقال لهم يا بني اسرائيل ان عدتم الى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل
وهو قوله عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا فلما رجعت بنو اسرائيل الى البيت المقدس عادوا الى المعاصي
فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر وهو قوله تعالى فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم واخذ اموالهم ونساءهم
واخذ حلي جميع بيت المقدس واحمله على سبعين الفا ومائة الف عجلة حتى اودعه في كنيسة الذهب فهو فيها
الان حتى ياخذه المهدي ويرده الى بيت المقدس وهو الف سفينة وسبع مائة سفينة يرمي بها على يافا حتى
ينتقل الى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والاخرين وذكر الحديث **قوله تعالى** فاذا جاء وعد
الاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
فاذا جاء وعد الاخرة اي من المرتين وجواب اذا محذوف تقديره بعثناهم دل عليه بعثنا الاول
ليسوؤا وجوهكم اي بالسبي والقتل فيظهر اثر الحزن في وجوهكم فليسوؤا متعلق بمحذوف اي بعثنا
عبادا لنا ليفعلوا بكم ما يسوء وجوهكم وقيل المراد بالوجوه السادة اي ليذلوهم وقرا الكسائي لنسوءن
وفتح الهمزة فعل مخبر عن نفسه معظم اعتبارا بقوله وقضينا وبعثنا ورددنا ونحوه عن علي وتصديقها قراءة
ابي لنسوءن بالنون وحرف التاكيد وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب وحمزة وابن عامر ليسوء بالياء على
التوحيد وفتح الهمزة ولها وجهان احدهما ليسوء الله وجوهكم والثاني ليسوء الوعد وجوهكم وقرا الباقون
ليسوءوا بالياء وضم الهمزة على الجمع اي ليسوء العباد الذين هم اولوا باس شديد وجوهكم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا اي يدمروا ويهلكوا وقال قطرب يهدموا قال الشاعر

فما الناس الا عاملان فعامل ... يتبر ما يبني واخر رافع

ما علوا عليه اي غلبوا عليه من بلادكم تتبيرا **قوله تعالى** عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا وهذا مما اخبروا به في كتابهم وعسى وعد من الله ان يكشف عنهم وعسى من الله واجبة
ان يرحمكم بعد انتقامه منكم وكذلك كان فكثر عددهم وجعل منهم الملوك وان عدتم عدنا قال قتادة فعادوا
فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية بالصغار وروي عن ابن عباس وهذا خلاف ما
تقدم في الحديث وغيره قال القشيري وقد حل العقاب ببني اسرائيل مرتين على ايدي الكفار ومرة على
ايدي المسلمين وهذا حين عادوا فعاد الله عليهم وعلى هذا يصح قول قتادة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
اي محبسا وسجنا من الحصر وهو الحبس قال الجوهري يقال حصره يحصره حصرا اي ضيق عليه واحاط به والحصر
الضيق البخيل والحصير البارية والحصير الجنب قال الاصمعي وهو ما بين العرق الذي يظهر في جنب البعير
والفرس معترضا فما فوقه الى منقطع الجنب والحصير الملك لانه محجوب قال لبيد

وقماقم غلب الرقاب كانهم ... جن لدى باب الحصير قيام

ويروى ومقامة قال المؤلف ويروي وعصابة غلب الرقاب على ان يكون غلب بدلا من مقامة كانه قال
ورب غلب الرقاب وروي عن غير ابي عبيدة لدى طرف الحصير قيام اي عند طرف البساط للنعمان بن المنذر
والحصير المحبس قال الله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال القشيري ويقال للذي يفرش حصير
لحصر بعضه على بعض بالنسج وقال الحسن اي فراشا ومهادا ذهب الى الحصير التي تفرش لان العرب تسمي
البساط الصغير حصيرا قال الثعلبي وهو وجه حسن **قوله تعالى** ان هذا القران يهدي للتي
هي اقوم لما ذكر المعراج ذكر ما قضى الى بني اسرائيل وكان دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين
ان الكتاب الذي انزله الله عليه سبب اهتداء ومعنى للتي هي اقوم اي للطريقة التي هي اسد واعدل واصوب
فالتي نعت لموصوف محذوف اي الطريقة التي اقوم وقال الزجاج للحال التي هي اقوم الحالات وهي
توحيد الله تعالى والايمان برسله وقاله الكلبي والفرا **قوله تعالى** ويبشر المومنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا
اليما وبشر المومنين الذين يعملون الصالحات تقدم ان لهم اي بان لهم اجرا كبيرا اي الجنة وان الذين
لا يومنون بالاخرة اي ويبشرهم بان لا عذابهم العقاب والقران معظمه وعد ووعيد وقرا حمزة

وقال للذي يفرش حصير لحصر بعضه على بعض
بالنسج

والكسائي ويبشر مخففا بفتح الياء وضم الشين وقد ذكر **قوله تعالى** ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا قال ابن عباس وغيره هو دعا الرجل على نفسه وولده عند الضجر
بما لا يحب ان يستجاب له اللهم اهلكه ونحوه دعاءه بالخير اي كدعائه بالخير ربه ان يهب له العافية
فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك لكن بفضله لا يستجيب له في ذلك نظيره ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير وقد تقدم وقيل نزلت في النضر بن الحارث كان يدعو ويقول اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو ان يدعو في طلب المحظور
كدعائه في طلب المباح قال الشاعر وهو ابن جامع

اطوف بالبيت فيمن يطوف ... وارفع من مئزري المسبل
واسجد بالليل حتى الصباح ... واتلو من المحكم المنزل
عسى فارج الهم عن يوسف ... يسخر لي ربة المحمل

قال الجوهري يقال ما على فلان محمل مثال مجلس اي معتمد والمحمل ايضا واحد محامل الحاج والمحمل مثال المرجل
علاقة السيف وحذفت الواو من ويدع الانسان بالشر في اللفظ والخط ولم تحذف في المعنى
لان موضعها رفع فحذفت لاستقبالها اللام الساكنة كقوله سندع الزبانية ويمح الله الباطل وسوف
يوت الله المومنين ويناد المناد فما تغني النذر وكان الانسان عجولا اي طبعه العجلة فيعجل بسؤال
الشر كما يعجل بسؤال الخير وقيل اشار به الى ادم حين هبط قبل ان تتركب فيه الروح على الكمال قال سلمان
اول ما خلق الله من ادم راسه فجعل ينظر وهو يخلق جسده فلما كان عند العصر بقيت رجلاه لم ينفخ
فيهما الروح فقال يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله وكان الانسان عجولا وقال ابن عباس لما انتهت النفخة
الى سرته نظر الى جسده فذهب لينهض فلم يقدر فذلك قوله وكان الانسان عجولا وقال ابن مسعود لما
دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه
عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل ذكره البيهقي وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله تعالى ادم في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف
به فينظر ما هو فلما راه اجوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك وقد تقدم وقيل سلم عليه السلام اسيرا الى
سودة فبات يان فسالته فقال ابكي لشدة القد والاسر فارخت من كتافه فلما نامت هرب فاخبرت
النبي صلى الله عليه وسلم فقال قطع الله يديك فلما اصبحت كانت تتوقع الافة فقال عليه السلام اني سالت
ان يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر ونزلت الاية ذكره ابو
نصر القشيري رحمه الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته
او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة يقربه بها اليك يوم القيامة وفي الباب عن عائشة وجابر وقيل معنى وكان
الانسان عجولا اي يوثر العاجل وان قل على الاجل وان جل **قوله تعالى** وجعلنا الليل والنهار
ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب
وكل شيء فصلناه تفصيلا وجعلنا الليل والنهار ايتين اي علامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال علمنا
وقدرتنا والاية فيهما اقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم وادباره الى حيث لا يعلم ونقصان احدهما بزيادة
الاخر وبالعكس اية ايضا وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل وقد مضى هذا فمحونا اية الليل ولم يقل فمحونا الليل
فلما اضاف الاية الى الليل والنهار دل على ان الايتين المذكورتين لهما لا هما ومحونا معناه طمسنا وفي الخبر ان
الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء وكان كالشمس في النور والسواد الذي يرى في القمر
اثر المحو قال ابن عباس جعل الله الشمس سبعين جزءا والقمر سبعين جزءا فمحا من نور القمر تسعا وستين جزءا فجعله
في نور الشمس فالشمس على مائة وثلاثين جزءا والقمر على جزء واحد وعنه ايضا خلق الله شمسين من نور عرشه
فجعل ما سبق في علمه ان يكون شمسا مثل الدنيا على قدرها ما بين مشارقها الى مغاربها وجعل القمر دون الشمس
فارسل جبريل فامر جناحه ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فطمس ضوءه وبقي نوره فالسواد الذي ترونه في القمر
اثر المحو ولو تركه شمسا لم يعرف الليل من النهار ذكر عنه الاول الثعلبي والثاني المهدوي وسياتي مرفوعا
وقال علي رضي الله عنه وقتادة يريد بالمحو اللطخة السوداء التي في القمر ليكون ضوء القمر اقل من ضوء الشمس فيتميز

به الليل من النهار وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلنا شمسه مضيئة للابصار قال ابو عمرو بن العلاء اي
يبصر بها وقال الكسائي هو من قول العرب ابصر النهار اذا اضاء وصار بحالة يبصر بها وقيل هو
كقولهم خبيث مخبث اذا كان اصحابه خبثا ورجل مضعف اذا كانت دوابه ضعفا وكذلك النهار مبصرا
اذا كان اهله بصراء لتبتغوا فضلا من ربكم يريد التصرف في المعاش ولم يذكر السكون في الليل اكتفاء
بما ذكر في النهار وقد قال في موضع اخر وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ولتعلموا عدد
السنين والحساب اي لو لم يفعل ذلك لما عرف الليل من النهار ولا كان يعرف الحساب والعدد وكل
شيء فصلناه تفصيلا اي من احكام التكليف وهو كقوله تبيانا لكل شيء ما فرطنا في الكتاب من شيء وعن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ابرم الله خلقه فلم يبق من خلقه غير ادم خلق شمسا من
نور عرشه وقرا فكانا جميعا شمسين فاما ما كان في سابق علم الله ان يدعها شمسا فخلقها مثل الدنيا ما بين
مشارقها ومغاربها واما ما كان في علم الله ان يخلقها قمرا فخلقها دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرهما
من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من
النهار ولا كان الاجير يدري الى متى يعمل ولا الصائم الى متى يصوم ولا المراة كيف تعتد ولا يدري اوقات
الصلوات ولا الحج ولا محل الديون ولا حين يبذرون ويزرعون ولا متى يسكنون للراحة لابدانهم
لكان الله نظر لعباده وهو ارحم بهم من انفسهم فارسل جبريل عليه السلام فامر جناحه على وجه
القمر ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله وجعلنا الليل والنهار
ايتين الاية **قوله تعالى** وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن
اللزوم كلزوم القلادة للعنق وقال ابن عباس طائره عمله وما قدر عليه من خير وشر وهو ملازمه
اين ما كان وقال مقاتل والكلبي خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقال مجاهد عمله ورزقه
وعنه ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة فيها مكتوب شقي او سعيد وقال الحسين الزمناه طائره
اي سعادته وشقاوته وما كتب له من خير وشر وما طار له من التقدير اي صار له عند القسمة في
الازل وقيل اراد به التكليف اي قلدناه التزام الشرع وهو بحيث لو اراد ان يفعل ما امر به
به وينزجر عما زجر به امكنه ذلك ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا يعني كتاب طائره الذي
في عنقه وقرا الحسن وابو رجاء ومجاهد طيره بغير الف ومنه ما روي في الخبر اللهم لا خير الا خيرك ولا طير
الا طيرك ولا رب غيرك وقرا ابن عباس والحسن ومجاهد وابن محيصن وابو جعفر ويعقوب ويخرج بفتح
الياء وضم الراء على معنى ويخرج الطائر كتابا وقرا يحيى بن وثاب ويخرج بضم الياء وكسر الراء
وروي عن مجاهد اي يخرج الله وقرا شيبة ومحمد بن السميقع وروي ايضا عن ابي جعفر ويخرج بضم الياء
وفتح الراء على الفعل المجهول ومعناه ويخرج له الطائر كتابا وقرا الباقون ونخرج بنون مضمومة وكسر
الراء اي ونحن نخرج واحتج ابو عمرو في هذه القراءة بقوله الزمناه وقرا ابو جعفر والحسن وابن عامر يلقاه
بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف بمعنى يؤتاه الباقون بفتح الياء خفيفة اي يراه منشورا وقال
منشورا تعجيلا للبشرى بالحسنة والتوبيخ بالسيئة وقال ابو السوار العدوي وقرا هذه الاية وكل
انسان الزمناه طائره في عنقه قال ـــــــــــــــ

هما نشرتان وطية اما ما حييت ... يا ابن ادم فصحيفتك المنشورة فامل

فيها ما شئت فاذا مت طويت حتى اذا بعثت نشرت اقرا كتابك قال الحسن يقرا الانسان كتابه اميا كان
او غير امي كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا وقال بعض الصلحاء هذا كتاب لسانك قلمه وريقك
مداده واعضاؤك قرطاسه انت كنت المملي على حفظتك ما زيد عليه فيه ولا نقص منه ومتى انكرت
منه شيئا يكون فيه الشاهد منك عليك **قوله تعالى** من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى اي انما كل احد يحاسب عن نفسه لا عن غيره فمن
اهتدى فثواب اهتدائه له ومن ضل فعقاب كفره عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم في الانعام وقال
ابن عباس نزلت في الوليد بن المغيرة قال لاهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعلي اوزاركم فنزلت
هذه الاية اي ان الوليد لا يحمل اثامكم وانما اثم كل واحد عليه يقال وزر يزر وزرا ووزرة اي اثم

فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما
لم يعرف الليل من النهار

والوزر الثقل المثقل والجمع اوزار ومنه يحملون اوزارهم على ظهورهم اي اثقال ذنوبهم وقد وزر اذا حمل
فهو وازر ومنه وزير السلطان الذي يحمل ثقل دولته والهاء في قوله كتابه عن النفس اي لا تؤخذ نفس
اثمه باثم اخرى حتى ان الوالدة تلقى ولدها يوم القيامة فتقول يا بني الم يكن حجري لك وطاء الم يكن
ثديي لك سقاء الم يكن بطني لك وعاء فيقول بلى يا امه فتقول يا بني فان ذنوبي اثقلتني فاحمل عني
منها ذنبا واحدا فيقول اليك عني يا امه فاني بذنبي عنك اليوم مشغول **مسالة** نزعت عائشة رضي
الله عنها بهذه الاية في الرد على ابن عمر حيث قال ان الميت ليعذب ببكاء اهله قال علماؤنا وانما حملها
على ذلك انه لم تسمعه وانه معارض للاية ولا وجه لانكارها فان الرواة لهذا المعنى كثير كعمر وابنه
والمغيرة بن شعبة وقيلة بنت مخرمة وهم جازمون بالرواية فلا وجه لتخطيتهم ولا معارضة بين
الاية والحديث فان الحديث محمله على ما اذا كان النوح من وصية الميت وسنته كما كانت الجاهلية
تفعله حتى قال ـــــــ طرفه

شعر

اذا مت فانعيني بما انا اهله ... وشقي علي الجيب يا بنت معبد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

والى هذا نحى البخاري وقد ذهب جماعة من اهل العلم منهم داود الى اعتقاد ظاهر الحديث انما يعذب بنوحهم
لانه اهمل نهيهم عنه قبل موته وتاديبهم بذلك فيعذب بتفريطه في ذلك وبترك ما امره الله به من
قوله قوا انفسكم واهليكم نارا لا بذنب غيره والله اعلم **قوله تعالى** وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا اي لم نترك الخلق سدى بل ارسلنا الرسل وفي هذا دليل على ان الاحكام لا تثبت الا بالشرع
خلافا للمعتزلة القائلين بان العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر وقد تقدم في البقرة القول فيه والجمهور
على ان هذا في حكم الدنيا اي ان الله لا يهلك امة بعذاب الا بعد الرسالة اليهم والانذار وقالت فرقة
هذا عام في الدنيا والاخرة لقوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد
جاءنا قال ابن عطية والذي يعطيه النظر ان بعثه ادم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه
مع نصب الادلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر توجب على كل احد من العالم الايمان واتباع شريعة الله
ثم تجدد ذلك في زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار وهذه الاية ايضا تعطي احتمال الفاظها نحو هذا في
الذين لم تصلهم رسالة وهم اهل الفترات الذين قد قدر وجودهم بعض اهل العلم واما ما روي من ان الله
تعالى يبعث اليهم يوم القيامة والى المجانين والاطفال فحديث لم يصح ولا يقتضي ما تعطيه الشريعة
من ان الاخرة ليست دار تكليف قال المهدوي وروي عن ابي هريرة ان الله عز وجل يبعث يوم القيامة
رسولا الى اهل الفترة والابكم والاخرس والاصم فيطيعه منهم من كان يريد ان يطيعه في الدنيا وتلا هذه
الاية رواه معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة ذكره النحاس قال المؤلف رحمه الله هذا موقوف وسياتي
مرفوعا في اخر سورة طه ولا يصح وقد استدل قوم في ان اهل الجزائر اذا سمعوا بالاسلام وامنوا فلا
تكليف عليهم فيما مضى وهذا صحيح ومن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل
والله اعلم **قوله تعالى** واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميرا فيه ثلاث مسائل **الاولى** اخبر تعالى في الاية التي قبل انه لم يهلك القرى قبل
ابتعاث الرسل لا لانه يقبح منه ذلك ان فعل ولكنه وعد منه ولا خلف في وعده فاذا اراد اهلاك قرية مع تحقق
وعده كما قاله تعالى امرنا مترفيها بالفسق والظلم فيها فحق عليها القول بالتدمير يعلمك ان من هلك انما
هلك بارادته فهو الذي يسبب الاسباب ويسوقها الى غاياتها ليحق القول السابق من الله تعالى **الثانية**
قوله تعالى امرنا قرا ابو عثمان النهدي وابو رجاء وابو العاليه والربيع ومجاهد والحسن امرنا بالتشديد
وهي قراءة علي رضي الله عنه اي سلطنا شرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك اهلكناهم وقال ابو عثمان
النهدي امرنا بتشديد الميم جعلناهم امراء مسلطين وقاله ابن عزيز وتامر عليهم تسلط وقرا الحسن ايضا وقتادة
وابو حيوة الشامي ويعقوب وخارجة عن نافع وحماد بن سلمة عن ابن كثير وعلي وابن عباس باختلاف عنه
امرنا بالمد والتخفيف اي اكثرنا جبابرتها وامراءها قاله الكسائي وقال ابو عبيدة امرته بالمد وامرته
لغتان بمعنى كثرته ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة او سكة مابورة اي كثيرة النتاج والنسل
وكذا قال ابن عزيز امرنا وامرنا بمعنى واحد اي اكثرنا وعن الحسن ايضا ويحيى بن يعمر امرنا بالقصر وكسر

الميم على فعلنا وروي عن ابن عباس قال قتادة والحسن المعنى اكثر وحكى نحوه ابو زيد وابو عبيدة وانكره الكسائي قال لا يقال من الكثرة الا امرنا بالمد قال واصلها وامرنا فخفف حكاه المهدوي وفي الصحاح وقال ابو الحسن امرنا له بالكسر اي كثر وامر القوم اي كثروا قال الشاعر

امرون لا يرثون سهم القعدد ... وامر الله ماله بالمد قال الثعلبي

ويقال للشيء الكثير امر والفعل منه امر القوم يامرون امرا اذا كثروا وقال ابن مسعود كنا نقول في الجاهلية للحي اذا كثروا امر امر بني فلان قال لبيد

كل بني حرة مصيرهم قل ... وان كثرت من العدد

ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما ... يصيروا للهلاك والفند

قال المؤلف رحمه الله وفي حديث هرقل الحديث الصحيح لقد امر امر ابن ابي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر اي كثر وكله غير متعد ولذلك انكره الكسائي والله اعلم قال المهدوي ومن قرا امر فهي لغة ووجه تعدية امر انه شبهه بعمر من حيث كانت الكثرة اقرب شيء الى العمارة فعدي كما عدي عمر الباقون امرنا من الامر اي امرناهم بالطاعة اعذارا وانذارا وتخويفا ووعيدا ففسقوا فيها اي خرجوا عن الطاعة عاصين لنا فحق عليها القول فوجب عليها الوعيد عن ابن عباس وقيل امرنا جعلناهم امراء لان العرب تقول امير غير مامور اي غير مؤمر وقيل معناه بعثنا مستكبريها قال هرون وهي في قراءة ابي بعثنا اكابر مجرميها ففسقوا فيها ذكره الماوردي وحكى النحاس وقال هرون في قراءة ابي واذا اردنا ان نهلك قرية بعثنا فيها اكابر مجرميها فمكروا فيها فحق عليها القول ويجوز ان يكون امرنا بمعنى اكثرنا ومنه خير المال مهرة مامورة على ما تقدم وقال قوم مامورة اتباع لما بورة كالغدايا والعشايا وكقوله ارجعن مازورات لا ماجورات وعلى هذا لا يقال امرهم الله بمعنى كثرهم بل يقال امره وامره واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة العامة قال ابو عبيد وانما اخترنا امرنا لان المعاني الثلاثة تجتمع فيها من الامر والامارة والكثرة والمترف المنعم وخصوا بالامر لان غيرهم تبع لهم **الثالثة** قوله فدمرناها اي استاصلناها بالهلاك تدميرا ذكر المصدر للمبالغة في العذاب الواقع بهم وفي الصحيحين من حديث زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وقد تقدم الكلام في هذا الباب وان المعاصي اذا ظهرت ولم تغير كانت سببا لهلاك الجميع **قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا** اي كم من قوم كفروا احل بهم البوار يخوف كفار مكة وقد تقدم القول في القرن في اول سورة الانعام والحمد لله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا اخبيرا عليما بهم بصيرا يبصر اعمالهم وقد تقدم **قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا** من كان يريد العاجلة يعني الدنيا والمراد الدار العاجلة فعبر عن النعت بالمنعوت عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اي لم نعطه منها الا ما نشاء ثم نؤاخذه بعمله وعاقبته دخول النار مذموما مدحورا اي مطرودا مبعدا من رحمة الله وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين المداجين يلبسون الاسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها فلا يقبل ذلك العمل منهم في الاخرة ولا يعطون في الدنيا الا ما قسم لهم وقد تقدم في هود ان هذه الاية تقيد تلك الاية المطلقة فتامله ومن اراد الاخرة اي الدار الاخرة وسعى لها سعيها اي عمل لها عملها من الطاعات وهو مؤمن لان الطاعات لا تقبل الا من مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا غير مردود وقيل مضاعفا اي تضاعف لهم الحسنات الى عشر والى سبعين والى سبعمائة ضعف والى اضعاف كثيرة كما روي عن ابي هريرة وقد قيل له اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الفي الف حسنة **قوله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع**

الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا اعلم الله انه يرزق المؤمنين والكفار وما كان عطاء ربك محظورا اي محبوسا ممنوعا من حظر يحظر حظرا وحظارا ثم قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والعمل فمن مقل ومكثر وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي للمؤمنين فالكافر وان وسع عليه في الدنيا مرة وقتر على المؤمن مرة فالاخرة لا تقسم الا مرة واحدة باعمالهم فمن فاته شيء منها لم يستدركه فيها وقوله لا تجعل مع الله الها اخر فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وقيل الخطاب للانسان فتقعد اي تبقى مذموما مخذولا اي لا ناصر لك ولا وليا **قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** فيه ست عشرة مسالة **الاولى** قضى اي امر والزم واوجب قاله ابن عباس والحسن وقتادة وليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء امر وفي مصحف ابن مسعود ووصى وهي قراءة اصحابه وقراءة ابن عباس ايضا وعلي وغيرهما وكذلك عند ابي بن كعب قال ابن عباس انما هو ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين فقرئت وقضى ربك اذ لو كان على القضاء ما عصى الله احد وقال الضحاك تصحف على قوم وصى بقضى حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتب المصحف وذكر ابو حاتم عن ابن عباس مثل قول الضحاك وقال عن ميمون بن مهران انه قال ان على قول ابن عباس لنورا قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم ابى ابو حاتم ان يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا وقال علماؤنا المتكلمون وغيرهم القضاء يستعمل في اللغة على وجوه فالقضاء بمعنى الامر كقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه معناه امر والقضاء بمعنى الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات بمعنى خلقهن والقضاء بمعنى الحكم كقوله تعالى فاقض ما انت قاض يعني احكم ما انت حاكم والقضاء بمعنى الفراغ كقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ منه ومنه قوله فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيت الصلاة والقضاء بمعنى الارادة كقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون والقضاء بمعنى العهد كقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فاذا كان القضاء يحتمل هذه المعاني فلا يجوز اطلاق القول بان المعاصي بقضاء الله لانه ان اريد به الامر فلا خلاف انه لا يجوز ذلك لان الله سبحانه لم يامر بها فانه لا يامر بالفحشاء وقال زكريا ابن سلام جاء رجل الى الحسن فقال انه طلق امراته ثلاثا فقال انك قد عصيت ربك وبانت منك فقال الرجل قضى الله ذلك علي فقال الحسن وكان فصيحا ما قضى الله ذلك اي ما امر به وقرا هذه الاية وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه **الثانية** امر الله سبحانه بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك كما قرن شكرهما بشكره فقال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وفي صحيح البخاري عن عبد الله قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها قال ثم اي قال بر الوالدين قال ثم اي قال الجهاد في سبيل الله فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان بر الوالدين افضل الاعمال بعد الصلاة التي هي اعظم دعائم الاسلام ورتب ذلك بثم التي تعطي الترتيب والمهلة **الثالثة** من البر بهما والاحسان اليهما ان لا يتعرض لسبهما ولا يعقهما فان ذلك من الكبائر بلا خلاف وبذلك وردت السنة الثابتة ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه **الرابعة** عقوق الوالدين مخالفتهما في اغراضهما الجائزة لهما كما ان برهما موافقتهما على اغراضهما وعلى هذا اذا امرا او احدهما ولدهما بامر وجبت طاعتهما فيه اذا لم يكن ذلك الامر معصية وان كان ذلك المامور به من قبيل المباح في اصله وكذلك اذا كان من قبيل المندوب وقد ذهبت طائفة الى ان امرهما بالمباح يصيره في حق الولد مندوبا اليه وامرهما بالمندوب يزيده تاكيدا في ندبيته **الخامسة** روى الترمذي عن ابن عمر قال كانت تحتي امراة احبها

ويل للعرب من شر قد اقترب

وكان ابي يكرهها فامرني ان اطلقها فابيت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله بن عمر طلق امراتك قال هذا حديث حسن صحيح **السادسة** روي في الصحيح عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك فهذا الحديث يدل على ان محبة الام والشفقة عليها ينبغي ان تكون ثلاثة امثال محبة الاب لذكر النبي صلى الله عليه وسلم الام ثلاث مرات وذكر الاب في الرابعة فقط واذا تومل هذا المعنى شهد له العيان وذلك ان صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الام دون الاب فهذه ثلاث منازل يخلو منها الاب وروي عن مالك ان رجلا قال له ان ابي في بلد السودان وقد كتب الي ان اقدم عليه وامي تمنعني من ذلك فقال له اطع اباك ولا تعص امك فدل قول مالك هذا على ان برهما عنده متساو وقد سئل الليث عن هذه المسالة فامره بطاعة الام وزعم ان لها ثلثي البر وحديث ابي هريرة يدل على ان لها ثلاثة ارباع البر وهو الحجة على من خالف وقد زعم المحاسبي في كتاب الرعاية له انه لا خلاف بين العلماء ان للام ثلاثة ارباع البر وللاب الربع على مقتضى حديث ابي هريرة والله اعلم **السابعة** لا يختص بر الوالدين بان يكونا مسلمين بل ان كانا كافرين يبرهما ويحسن اليهما اذا كان لهما عهد قال الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وفي صحيح البخاري عن اسماء قالت قدمت امي وهي راغبة افاصلها قال نعم صلي امك وروي ايضا عن اسماء قالت اتتني امي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسالت النبي صلى الله عليه وسلم اصلها قال نعم قال ابن عيينة فانزل الله عز وجل لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الاول معلق والثاني مسند **الثامنة** من الاحسان اليهما والبر بهما اذا لم يتعين الجهاد ان لا يجاهد الا باذنهما روى الصحيحان عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه في الجهاد فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد لفظ مسلم وفي غير الصحيح قال نعم تركتهما يبكيان قال اذهب فاضحكهما كما ابكيتهما وفي خبر اخر انه قال نومك مع ابويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك افضل لك من الجهاد معي ذكره ابن خويز منداد ولفظ البخاري في كتاب بر الوالدين حدثنا ابو نعيم حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يبايعه على الهجرة وترك ابويه يبكيان قال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما قال ابن المنذر في هذا الحديث النهي عن الخروج بغير اذن الابوين ما لم يقع النفير فاذا وقع وجب الخروج على الجميع وذلك بين في حديث ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيش الامراء فذكر قصة زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وابن رواحة وان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى بعد ذلك ان الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اخرجوا فامدوا اخوانكم ولا يتخلفن احد فخرج الناس مشاة وركبانا في حر شديد فدل قوله اخرجوا فامدوا اخوانكم ان العذر في التخلف عن الجهاد انما هو ما لم يقع النفير مع قوله عليه السلام واذا استنفرتم فانفروا قال المؤلف رحمه الله وفي هذه الاحاديث دليل على ان الفروض او المندوبات متى اجتمعت قدم الاهم منها وقد استوفى هذا المعنى المحاسبي في كتاب الرعاية له **التاسعة** واختلفوا في الوالدين المشركين هل يخرج باذنهما اذا كان الجهاد من فروض الكفاية فكان الثوري يقول لا يغزو الا باذنهما وقال الشافعي له ان يغزو بغير اذنهما قال ابن المنذر الاجداد اباء والجدات امهات فلا يغزو المرء الا باذنهم ولا اعلم دلالة توجب ذلك لغيرهم من الاخوة وسائر القرابات وكان طاوس يرى السعي على الاخوات افضل من الجهاد في سبيل الله **العاشرة** من تمام برهما صلة اهل ودهما ففي الصحيح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من ابر البر صلة الرجل اهل ود ابيه بعد ان يولي وروى ابو اسيد وكان بدريا قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فجاءه رجل من الانصار فقال يا رسول الله هل بقي من بر والدي من بعد موتهما شيء ابرهما به قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما بعدهما

واكرام

الاحسان الى الوالدين والبر بهما

صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلهما فهذا الذي بقي عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يهدي لصدائق خديجة برا بها ووفاء لها وهي زوجته فما ظنك بالوالدين **الحادية عشرة** قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما خص حالة الكبر لانها الحالة التي يحتاجان فيها الى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر فالزم في هذه الحالة مراعاة احوالهما اكثر مما الزمه من قبل لانهما في هذه الحالة قد صارا كلا عليه فيحتاجان ان يلي منهما ما كان يحتاج في صغره ان يليا منه فلذلك خص هذه الحالة بالذكر وايضا فبطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فيكثر غضبه على ابويه وينتفخ لهما اوداجه ويستطيل عليهما بدالة البنوة وقلة الديانة واقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر وقد امر ان يعاملهما بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم عن كل عيب فقال ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وروى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كلاهما ثم لم يدخل الجنة وقال البخاري في كتاب بر الوالدين حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي رغم انف رجل ادرك ابويه عند الكبر او احدهما فلم يدخلاه الجنة ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له حدثنا ابن ابي اويس حدثني اخي عن سليمان بن بلال عن محمد بن هلال عن سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة السالمي عن ابيه قال ان كعب بن عجرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم احضروا المنبر فلما خرج رقى المنبر فرقى اول درجة قال امين ثم رقى الثانية فقال امين ثم رقى الثالثة قال امين فلما فرغ ونزل عن المنبر قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه منك قال وسمعتموه قلنا نعم قال ان جبريل عليه السلام اعترض قال بعد من ادرك رمضان فلم يغفر له فقلت امين فلما رقيت الثانية قال بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت امين فلما رقيت الثالثة قال بعد من ادرك عنده ابواه الكبر او احدهما فلم يدخلاه الجنة قلت امين حدثنا ابو نعيم حدثنا سلمة بن وردان سمعت انسا رضي الله عنه يقول رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر درجة فقال امين ثم ارتقى درجة فقال امين ثم ارتقى الدرجة الثالثة فقال امين ثم استوى فجلس فقال اصحابه يا رسول الله علام امنت فقال اتاني جبريل عليه السلام فقال رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت امين ورغم انف من ادرك ابويه او احدهما ولم يدخل الجنة فقلت امين فالسعيد الذي يبادر اغتنام فرصة برهما لئلا يفوته بموتهما فيندم على ذلك والشقي من عقهما لا سيما من بلغه الامر ببرهما **الثانية عشرة** قوله تعالى فلا تقل لهما اف اي لا تقل لهما ما يكون فيه ادنى تبرم وعن ابي رجاء العطاردي قال الاف الكلام القذع الرديء الخفي وقال مجاهد معناه اذا رايت منهما في حال الشيخ الغائط والبول الذي رايا منك في الصغر فلا تقذرهما وتقول اف والاية اعم من هذا والاف والتف وسخ الاظفار ويقال لكل ما يضجر ويستثقل اف له قال الازهري والتف ايضا الشيء الحقير وقرئ اف منونا مخفوضا كما تخفض الاصوات وتنون تقول صه وصه وفيه عشرة لغات اف واف واف وافا واف وافه واف لك بكسر الهمزة واف بضم الهمزة وتسكين الفاء وافا مخففة الفاء وفي الحديث والقى طرف ثوبه على انفه ثم قال اف اف قال ابو بكر معناه الاستقذار لما شم والاستقلال اخذ من الاففف وهو القليل وقال بعضهم معنى اف الاحتقار وقال القتبي اصله نفخك الشيء يسقط عليك من رماد او تراب وغير ذلك وللمكان تريد اماطة شيء لتقعد فيه فقيلت هذه الكلمة لكل مستثقل وقال ابو عمرو بن العلاء الاف وسخ بين الاظفار والتف قلامتها وقال الزجاج معنى اف النتن وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار وكثرة استعماله حتى ذكر في كل ما يتاذى به وروي من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علم الله من العقوق شيئا اردى من اف لذكره فليعمل البار ما شاء ان يعمل فلن يدخل النار وليعمل العاق ما شاء ان يعمل فلن يدخل الجنة قال علماؤنا وانما صارت قوله اف للابوين اردى شيء لانه رفضهما

رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد الوصية التي اوصاه في التنزيل فاف كلمة مقوله لكل شيء مرفوض ولذلك قال ابراهيم لقومه اف لكم ولما تعبدون من دون الله اي رفض لكم ولهذه الاصنام معكم **الثالثة عشر** قوله ولا تنهرهما النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما اي لطيفا لينا مثل يا ابتاه ويا اماه من غير ان يسميهما او يكنيهما قاله عطا وقال ابو البداح التجيبي قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته الا قوله وقل لهما قولا كريما ما هذا القول الكريم قال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ **الرابعة عشرة** قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للامير والعبيد للسادة كما اشار اليه سعيد بن المسيب وضرب خفض الجناح ونصبه مثلا بجناح الطاير حين ينتصب بجناحه لولده والذل هو اللين وقرأ الجمهور بضم الذال من ذل يذل ذلا وذلة ومذله فهو ذال وذليل وقرأ سعيد بن جبير وابن عباس وعروة بن الزبير الذل بكسر الذال وروبت عن عاصم من قولهم دابة ذلول بينة الذل والذل في الدواب المنقاد السهل دون الصعب وينبغي بحكم هذه الاية ان يجعل الانسان نفسه مع ابويه في خير ذلة في اقواله وسكناته ونظره ولا يحد اليهما بصره فان تلك هي نظرة الغاضب **الخامسة عشرة** الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته اذ لم يكن له عليه السلام في ذلك الوقت ابوان ولم يذكر الذل في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وذكره هنا بعظم الحق وتاكيده ومن في قوله من الرحمة لبيان الجنس اي ان هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بان يكون ذلك استعمالا ويصح ان يكون لابتداء الغاية ثم امر تعالى عباده بالترحم على ابائهم والدعا لهم وان ترحمهما كما رحماك وترفق بهما كما رفقا بك اذ وليا(ك) صغيرا جاهلا محتاجا فاثراك على انفسهما واسهرا ليلهما واشبعاك وتعريا وكسياك فلا تجزيهما الا ان يبلغا من الكبر الذي كنت فيه من الصغر فتلي منهما ما وليا منك ويكون لهما حينئذ فضل التقدم قال صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وسياتي في سورة مريم الكلام على هذا الحديث **السادسة عشرة** قوله تعالى كما ربياني صغيرا خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الابوين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك اشفاقا لهما وحنانا عليهما وكله في الابوين المومنين فقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين الاموات ولو كانوا اولي قربى كما تقدم وذكر عن ابن عباس ان هذا كله منسوخ نسخ بقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الى قوله اصحاب الجحيم فاذا كان والد المسلم ذميا استعمل معهما ما امره الله به هاهنا الا الترحم لهما بعد موتهما على الكفر لان هذا وحده نسخ بالاية المذكورة وقيل ليس هذا موضع نسخ فهو دعا بالرحمة الدنيوية للابوين المشركين ما داما حيين كما تقدم او يكون عموم هذه الاية خص بتلك لا رحمة الاخرة لاسيما وقد قيل ان قوله وقل رب ارحمهما نزلت في سعد بن ابي وقاص فانه اسلم فالقت امه نفسها في الرمضا متجردة فذكرت ذلك لسعد فقال لتمت فنزلت الاية وقيل الاية خاصة في الدعا للابوين المسلمين والصواب ان ذلك عموم كما ذكرنا وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من امسى مرضيا لوالديه واصبح امسى واصبح وله بابان مفتوحان من الجنة وان واحدا فواحدا ومن امسى واصبح مسخطا لوالديه امسى واصبح وله بابان مفتوحان الى النار وان واحدا فواحدا فقال رجل يا رسول الله وان ظلماه قال وان ظلماه وان ظلماه وان ظلماه وقد روينا بالاسناد المتصل عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي اخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاتني بابيك فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى يقريك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاساله عن شي قاله في نفسه ما سمعته اذناه فلما جاءه الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك اتريد ان تاخذ ماله فقال سله يا رسول الله هل انفقه الا على احدى عماته او خالاته وعلى نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه دعنا من هذا اخبرني عن شي قلته في نفسك ما سمعته اذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيا ما سمعته اذناي قال قل وانا اسمع قال قل

> جاء رجل فقال ان ابي اخذ مالي فقال فاتني بابيك فنزل جبريل عليه السلام

غدوتك مولودا وصنتك يافعا ... تعل بما اجني عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت ... لسقمك الا ساهرا اتململ
كاني انا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيني تهمل
حياتك لي هم وموتك موجع ... وخيرك مصروف وشرك مقبل
تخاف الردى نفسي عليك وانها ... لتعلم ان الموت وقت موجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... اليها مدى ما كنت فيك اومل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كانك انت المنعم المتفضل
فليتك ان لم ترع حق ابوتي ... فعلت كما الجار المصاقب يفعل
فاوليتني حق الجوار ولم تكن ... علي بمال دون مالك تبخل

قال فحينئذ اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال انت ومالك لابيك قال الطبراني اللخمي لا يروى يعني هذا الحديث عن ابن المنكدر بهذا التمام والشعر الا بهذا الاسناد تفرد به عبد الله بن خلصة والله اعلم قوله تعالى **ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا** ربكم اعلم بما في نفوسكم اي من اعتقاد الرحمة بهما والحنو عليهما او من غير ذلك من العقوق او من جعل ظاهر برهما رياء وقال ابن جبير يريد البادرة التي تبدر كالفلتة والزلة التي تكون من الرجل الى ابويه او احدهما لا يريد بذلك باسا قال الله تعالى ان تكونوا صالحين اي صادقين في نية البر بالوالدين فان الله يغفر البادرة وقوله فانه كان للاوابين غفورا وعد بالغفران مع شرط الصلاح والاوبة بعد الاوبة الى طاعة الله تعالى قال سعيد بن المسيب هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال ابن عباس الاواب الحفيظ الذي اذا ذكر خطاياه استغفر منها وقال عبيد بن عمير هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون الله وهذه الاقوال متقاربة وقال عون العقيلي الاوابون هم الذين يصلون صلاة الضحى وفي الصحيح صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال وحقيقة اللفظة انها من اب يؤوب اذا رجع قوله تعالى **وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تعالى وات ذا القربى حقه اي كما راعيت حق الوالدين فصل الرحم ثم تصدق على المسكين وابن السبيل وقال علي بن الحسين في قوله تعالى وات ذا القربى حقه هم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم امر عليه السلام باعطائهم حقوقهم من بيت المال اي من سهم ذوي القربى من الغزو والغنيمة ويكون خطابا للولاة او من قام مقامهم والحق في هذه الاية ما يتعين من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه **الثانية** قوله تعالى ولا تبذر اي لا تسرف في الانفاق في غير حق قال الشافعي التبذير انفاق المال في غير حقه ولا تبذير في عمل الخير وهذا قول الجمهور وقال اشهب عن مالك التبذير هو اخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه وهو الاسراف وهو حرام لقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فقوله اخوان يعني في حكمهم اذ المبذر ساع في افساد كالشياطين او انهم يفعلون ما تسول لهم انفسهم او انهم يقرنون معهم في النار ثلاثة اقوال والاخوان هنا جمع اخ من غير النسب ومنه قوله تعالى انما المومنون اخوة وقوله وكان الشيطان لربه كفورا اي احذروا متابعته والتشبه به في الفساد والشياطين اسم جنس وقرا الضحاك اخوان الشيطان على الافراد وكذلك ثبت في مصحف انس بن مالك **الثالثة** من انفق ماله زائدا على قدر الحاجات وعرضه بذلك للنفاد فهو مبذر ومن انفق درهما في حرام فهو مبذر ويحجر عليه في نفقة درهم في الحرام ولا يحجر عليه ان بذله في الشهوات الا اذا خيف عليه النفاد قوله تعالى **واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا** فيه ثلاث مسائل **الاولى** وهو انه سبحانه خص نبيه بقوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك وهو تاديب عجيب وقول لطيف بديع اي لا تعرض عنهم اعراض مستكبر عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم وانما يجوز ان تعرض عنهم عند عجز يعرض وعائق يعوق وانت عند ذلك ترجو وتريد من الله فتح باب الخير لتتوصل به الى مواساة السائل فان قعد بك الحال فقل لهم قولا ميسورا **الثانية** في سبب نزولها قال ابن زيد نزلت الاية في قوم كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيابى ان يعطيهم لانه

> الاوابون هم الذين يصلون صلاة الضحى

كان يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان يعرض عنهم رغبة في الاجر في منعهم لئلا يعينهم على فسادهم قال عطا الخراساني في قوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال ليس هذا في ذكر الوالدين جاء ناس من مزينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال ما اجد ما احملكم عليه فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا فانزل الله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها والرحمة الغني **الثالثة** قوله تعالى فقل لهم قولا ميسورا امره بالدعا لهم اي يسر فقرهم عليهم بدعائك لهم وقيل ادع لهم دعاء يتضمن الفتح لهم والاصلاح وقيل المعنى واما تعرضن عنهم اي ان اعرضت عنهم يا محمد عن اعطائهم لضيق يد فقل لهم قولا ميسورا اي احسن القول وابسط العذر وادع لهم بسعة الرزق وقل اذا وجدت فعلت واكرمت فان ذلك يعمل في مسرة نفسه عمل المواساة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي سكت انتظارا لرزق ياتي من الله كراهة الرد فنزلت هذه الاية فكان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على هذا الرزق المنتظر وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضمير في عنهم عائد على من تقدم ذكره من الاباء والقرابة والمساكين وابناء السبيل وقولا ميسورا اي لينا طيبا مفعول بمعنى الفاعل من لفظ اليسر كالميمون اي وعدا جميلا على ما بيناه ولقد احسن من قال

اذ لم يكن ورق يوما اجود بها … للسائلين فاني لين العود

لا يعدم السائلون الخير من خلقي … اما نوالي واما حسن مردود

يقول يسرت لك كذا اذا اعددته **قوله تعالى** ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فيه اربع مسائل **الاولى** قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة هذا مجاز عبر به عن البخيل الذي لا يقدر على اخراج شيء من ماله فضرب له مثل الغل الذي يمنع من التصرف باليد وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد قد اضطرت ايديهما الى ثديهما وتراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى انامله وتعفو اثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت واخذت كل حلقة مكانها قال ابو هريرة فانا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول باصبعه هكذا في جيبه فلو رايته يوسعها ولا يوسع **الثانية** قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط ضرب بسط اليد مثلا لذهاب المال فان قبض الكف يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها وهذا كله خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وكثيرا ما جاء به القران فان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان سيدهم وواسطتهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب في ذلك وايضا فانه عليه السلام لم يكن يدخر شيئا وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع وكان كثيرا من فضلاء الصحابة ينفقون في سبيل الله جميع اموالهم فلم يعنفهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم لصحة يقينهم وشدة بصائرهم وانما نهى الله تعالى عن الافراط في الانفاق واخراج ما حوته يده من المال من خيف عليه الحسرة على ما خرج من يده فاما من وثق بموعود الله وجزيل ثوابه فيما انفقه فغير مراد بالاية والله اعلم وقيل ان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه علمه فيه كيفية الانفاق وامره بالاقتصاد قال جابر وابن مسعود جاء غلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امي تسالك كذا وكذا فقال ما عندنا اليوم شيء قال فتقول لك اكسني قميصك فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت عريانا وفي رواية جابر فاذن بلال للصلاة وانتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج واشتغلت القلوب فدخل بعضهم فاذا هو عار فنزلت هذه الاية وكل هذا في انفاق الخير واما انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام كما تقدم **الثالثة** نهت هذه الاية عن استفراغ الوجد فيما يطرا اولا من سؤال المومنين لئلا يبقى من يأتي بعد ذلك لا شيء له او لئلا يضيع المنفق عياله ونحوه من كلام الحكمة ما رايت قط سرفا الا ومعه حق مضيع وهذه من ايات فقه الحال ولا يبين حكمها الا باعتبار شخص من الناس **الرابعة** قوله تعالى فتقعد ملوما محسورا قال ابن عرفة يقول لا تسرف ولا تتلف مالك فتبقى محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف كما يكون البعير الحسير وهو الذي ذهبت قوته فلا انبعاث به ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي كليل منقطع وقال قتادة اي نادما على ما سلف منك فجعله من الحسرة وفيه بعد

لان الفاعل من الحسرة حسر وحسران ولا يقال محسور والملوم الذي يلام على اتلاف ماله او يلومه من لا يعطيه **قوله تعالى** ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا فيه مسالتان **الاولى** قد مضى الكلام في هذه الاية في الانعام والحمد لله والاملاق الفقر وعدم الملك املق الرجل لم يبق له الا الملقات وهي الحجارة العظام الملس قال الهذلي يصف صائدا

اسح لها اقيدر ذو حشيف … اذا سامت على الملقات ساما

الواحدة ملقة والاقيدر تصغير الاقدر وهو الرجل القصير والحشيف من الثياب الخلق وسامت مرت وقال شمر املق لازم ومتعد املق اذا افتقر واملق الدهر ما بيده قال اوس

واملق ما عندي خطوب تنبل

الثانية قوله تعالى خطا قراءة الجمهور بكسر الخاء وسكون الطاء وبالهمزة والقصر وقرا ابن عامر خطا بفتح الخاء والطاء والهمزة مقصورة وهي قراءة ابي جعفر يزيد وهاتان القراءتان ماخوذتان من خطئ اذا اتى الذنب على عمد قال ابن عرفة يقال خطئ في ذنبه خطا اذا اثم فيه واخطا اذا سلك سبيل خطا عامدا او غير عامد قال ويقال خطئ في معنى اخطا وقال الازهري يقال خطئ يخطا خطا اذا تعمد الخطا مثل اثم يأثم اثما واخطا اذا لم يتعمد اخطا وخطا قال الشاعر

دعيني انما خطئي وصوبي … علي وانما اهلكت مالي

والخطا الاسم يقوم مقام الاخطا وهو ضد الصواب وفيه لغتان القصر وهو الجيد والمد وهو قليل وروي عن ابن عباس خطا بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة وقرا ابن كثير بكسر الخاء وفتح الطاء ومد الهمزة قال النحاس ولا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا قال ابو علي هي مصدر من خاطا يخاطئ وان كنا لم نجد خاطا ولكن وجدنا تخاطا وهو مطاوع خاطا فدلنا عليه ومنه قول الشاعر

تخاطات النبل احشاءه … واخر يومي فلم اعجل

وقول الاخر في وصف مهاة

تخاطاه القناص حتى وجدته … وخرطومه في منقع الماء راسب

الجوهري تخاطاه اي اخطاه وقال اوفى بن مطر المازني

الا ابلغا خلتي جابرا … بان خليلك لم يقتل

تخطات النبل احشاءه البيت وقرا الحسن خطاء بفتح الخاء والطاء والمد في الهمزة قال ابو حاتم لا يعرف هذا في اللغة وهي غلط غير جائز وقال ابو الفتح الخطاء من اخطات بمنزلة العطاء من اعطيت هو اسم بمعنى المصدر وعن الحسن ايضا خطا بفتح الخاء والطاء منونة من غير همز **قوله تعالى** ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فيه مسالة واحدة قال العلماء قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ابلغ من ان يقول لا تزنوا فان معناه لا تدنوا من الزنا والزنا يمد ويقصر لغتان قال الشاعر

كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم

وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء سبيله سبيلا اي لانه يودي الى النار والزنا من الكبائر ولا خلاف فيه وفي قبحه لا سيما بحليلة الجار وينشا عنه استخدام ولد الغير واتخاذه ابنا وغير ذلك من الميراث وفساد الانساب باختلاط المياه وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بامراة مجح على باب فسطاط فقال لعله يريد ان يلم بها فقالوا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان العنه لعنا يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستخدمه وهو لا يحل له **قوله تعالى** ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الاية قد مضى الكلام فيه في الانعام **قوله تعالى** ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله ومن قتل مظلوما اي بغير سبب يوجب القتل فقد جعلنا لوليه اي لمستحق دمه قال ابن خويز منداد الولي يجب ان يكون ذكرا لانه افرده بالولاية بلفظ التذكير سلطانا اي تسليطا ان شاء قتل وان شاء عفا وان شاء اخذ الدية قاله ابن عباس والضحاك واشهب والشافعي وقال ابن وهب قال مالك السلطان امر الله وقال ابن عباس السلطان الحجة وقيل السلطان طلبه حتى يدفع اليه قال ابن العربي هذه الاقوال متقاربة واوضحها قول مالك انه امر الله ثم ان امر الله لم يقع نصا فاختلف العلماء فيه فقال ابن القاسم عن مالك وابو حنيفة القتل خاصة وقال اشهب الخيرة كما ذكرنا انفا وبه قال الشافعي وقد مضى في سورة البقرة هذا المعنى **الثانية** قوله تعالى فلا يسرف في القتل فيه ثلاثة اقوال لا يقتل

فقال لك اكسني قميصك فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في بيته عريانا

غير قاتله قاله الحسن والضحاك ومجاهد وسعيد بن جبير الثاني لا يقتل بدل وليه اثنين كما كانت العرب تفعله الثالث لا يمثل بالقاتل قاله طلق بن حبيب وكله مراد لانه اسراف منهي عنه وقد مضى في البقرة القول في هذا مستوفى وقرا الجمهور يسرف بالياء يريد الولي وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي تسرف بالتاء المثناة من فوق وهي قراءة حذيفة وروى العلا بن عبد الكريم عن مجاهد قال هو للقاتل الاول والمعنى عنده فلا تسرف ايها القاتل وقال الطبري هو على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والائمة من بعده اي لا تقتلوا غير القاتل وفي حرف ابي ولا تسرفوا في القتل **الثالثة** قوله تعالى انه كان منصورا اي معانا يعني الولي فان قيل وكم من ولي مخذول لا يصل الى حقه قلنا المعونة تكون بظهور الحجة تارة وباستيفائها اخرى وبمجموعهما ثالثة فايها كان فهو نصر من الله سبحانه وروى ابن كثير عن مجاهد قال ان المقتول كان منصورا قال النحاس ومعنى قوله انه ان الله نصره بوليه وروي انه في قراءة ابي ولا تسرفوا في القتل ان ولي المقتول كان منصورا قال النحاس الابين بالياء ويكون للولي لانه انما يقال لا تسرف لمن كان له ان يقتل فهذا الولي وقد يجوز بالتاء ويكون للولي ايضا الا انه يحتاج فيه الى تحويل المخاطبة قال الضحاك هذا اول ما نزل من القران في شان القتل وهي مكية **قوله تعالى** ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده فيه مسئلتان **الاولى** قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده قد مضى الكلام فيه في الانعام **الثانية** قوله تعالى واوفوا بالعهد قد مضى الكلام فيه في غير موضع قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه فحذف كقوله ويفعلون ما يؤمرون اي ما يؤمرون به وقيل ان العهد يسال تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت كما تسال الموءودة تبكيتا لوائدها **قوله تعالى** واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا فيه ايضا مسئلتان **الاولى** قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم تقدم فيه في الانعام ايضا وتقتضي هذه الاية ان الكيل على البائع وقد مضى في سورة يوسف فلا معنى للاعادة والقسطاس بضم القاف وكسرها الميزان بلغة الروم وقاله ابن عزيز وقال الزجاج القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقال مجاهد القسطاس العدل وكان يقول هي لغة رومية فكان الناس قيل لهم زنوا بمعدلة في وزنكم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر القسطاس بضم القاف وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم القسطاس بكسر القاف وهما لغتان **الثانية** قوله تعالى ذلك خير واحسن تاويلا اي وفاء الكيل واقامة الوزن خير عند الله وابرك واحسن تاويلا اي عاقبة قال الحسن ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به الا مخافة الله تعالى الا ابدله في عاجل الدنيا قبل الاخرة ما هو خير له من ذلك **قوله تعالى** ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فيه ست مسائل **الاولى** قوله تعالى ولا تقف اي تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك قال قتادة لا تقل رايت وانت لم تر وسمعت وانت لم تسمع وعلمت وانت لم تعلم وقاله ابن عباس ايضا وقال مجاهد لا تذم احدا بما ليس لك به علم وقاله ابن عباس ايضا وقال محمد بن الحنفية هي شهادة الزور وقال القتبي المعنى لا تتبع الحدس والظنون وكلها متقاربة واصل القفو البهت والقذف بالباطل ومنه قوله عليه السلام نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا اي لا نسب امنا وقال الكميت

فلا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا

يقال قفوته اقفوه وقفته اقفوه وقفيته اذا اتبعت اثره ومنه القافة لتتبعهم الاثار وقافية كل شيء اخره ومنه قافية الشعر لانها تقفو البيت ومنه اسم النبي صلى الله عليه وسلم المقفي لانه جاء اخر الانبياء ومنه القائف وهو الذي يتبع اثر الشبه يقال قاف القائف يقوف اذا فعل ذلك ويقول قفوت الاثر بتقديم الفاء على القاف قال ابن عطية ويشبه ان يكون هذا من تلعب العرب في بعض الالفاظ كما قالوا رعملي في لعمري وحكى الطبري عن فرقة انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث وذهب منذر بن سعيد الى ان قفا وقاف مثل جذ وجذب وبالجملة فهذه الاية تنهى عن القذف وقول الزور وما اشبه ذلك من الاقوال الكاذبة والردية وقرا بعض الناس فيما حكى الكسائي ولا تقف بضم القاف وسكون الفاء وقرا الجراح والفواد بفتح الفاء وهي لغة لبعض الناس وانكرها ابو حاتم وغيره **الثانية** قال ابن خواز منداد

القسطاس الميزان بلغة الروم

تضمنت هذه الاية الحكم بالقافة لانه لما قال ولا تقف ما ليس لك به علم دل على جواز ما لنا به علم وكل ما علمه الانسان او غلب على ظنه جاز ان يحكم به وبهذا احتججنا على اثبات القرعة والخرص لانه ضرب من غلبة الظن وقد يسمى علما اتساعا فالقائف يلحق الولد بابيه من طريق الشبه بينهما كما يلحق الفقيه الفرع بالاصل من طريق الشبه وفي الصحيح عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي مسرورا تبرق اسارير وجهه فقال الم تري ان مجززا نظر الى زيد بن حارثة واسامة بن زيد وفي رواية عليهما قطيفة قد غطيا رءوسهما وبدت اقدامهما فقال ان بعض هذه الاقدام لمن بعض وفي حديث يونس بن يزيد وكان مجزز قائفا **الثالثة** قال الامام ابو عبد الله المازري كانت الجاهلية تقدح في نسب اسامة لكونه اسود شديد السواد وكان زيد ابوه ابيض من القطن هكذا ذكره ابو داود عن احمد بن صالح قال القاضي عياض وقال غير احمد كان زيد ازهر اللون وكان اسامة شديد الادمة وزيد بن حارثة عربي صريح من كلب اصابه سباء حسب ما ياتي بيانه في سورة الاحزاب ان شاء الله تعالى **الرابعة** استدل جمهور العلماء على الرجوع الى القافة عند التنازع في الولد بسرور النبي صلى الله عليه وسلم بقول هذا القائف وما كان عليه السلام بالذي يسر بالباطل ولا يعجبه ولم ياخذ بذلك ابو حنيفة واسحق والثوري واصحابهم متمسكين بالغاء النبي صلى الله عليه وسلم الشبه في حديث اللعان على ما ياتي في سورة النور ان شاء الله تعالى **الخامسة** واختلف الاخذون باقوال القافة هل يؤخذ بذلك في اولاد الحرائر والاماء او يختص باولاد الاماء على قولين فالاول قول الشافعي ومالك في رواية ابن وهب عنه ومشهور مذهبه قصره على ولد الامة والصحيح ما رواه ابن وهب عنه وقاله الشافعي لان الحديث الذي هو الاصل في الباب انما وقع في الحرائر فان اسامة واباه حران فكيف يلغى السبب الذي خرج عليه دليل الحكم وهو الباعث عليه هذا مما لا يجوز عند الاصوليين وكذلك اختلف هل يكتفى بقول واحد من القافة او لا بد من قول اثنين لانها شهادة وبالاول قال ابن القاسم وهو ظاهر الخبر بل نصه وبالثاني قال مالك والشافعي **السادسة** قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا اي يسال كل واحد منهم عما اكتسب فالفؤاد يسال عما افتكر فيه واعتقده والسمع والبصر عما راى من ذلك او سمع وقيل المعنى ان الله تعالى يسال الانسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالانسان راع على جوارحه فكانه قال كل هذه كان الانسان عنه مسئولا فهو على حذف مضاف والمعنى الاول ابلغ في الحجة فانه يقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي كما قال اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وعبر عن السمع والبصر والفؤاد باولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الاية مسئولة فهي حالة من يعقل فلذلك عبر عنها باولئك وقد قال سيبويه في قوله تعالى رايتهم لي ساجدين انما قال رايتهم في نجوم لانها لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل وقد تقدم وحكى الزجاج ان العرب تعبر عن من يعقل وعما لا يعقل باولئك وانشد هو والطبري

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام

وهذا امر يوقف عنده واما البيت فالرواية فيه الاقوام والله اعلم **قوله تعالى** ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها فيه خمس مسائل **الاولى** قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا هذا نهي عن الخيلاء وامر بالتواضع والمرح شدة الفرح وقيل التكبر في المشي وقيل تجاوز الانسان قدره وقال قتادة هو الخيلاء في المشي وقيل هو البطر والاشر وقيل هو النشاط وهذه الاقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين احدهما مذموم والاخر محمود فقد وصف الله تعالى نفسه باحدهما ففي الحديث الصحيح لله افرح بتوبة العبد من رجل الحديث والكسل مذموم شرعا والنشاط ضده وقد يكون التكبر وما في معناه محمودا وذلك على اعداء الله والظلمة اسند ابو حاتم محمد بن حبان عن ابن جابر بن عتيك عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الغيرة ما يبغض الله ومنها ما يحب الله ومن الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فاما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الدين والغيرة التي يبغض الله الغيرة التي في غير دينه والخيلاء التي يحب الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال التي يبغض الله الاختيال في الباطل واخرجه ابو داود في سننه وغيره وانشدوا

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

ولا تمش فوق الارض الا تواضعا　　فكم تحتها قوم هم منك ارفع
وان كنت في عز وحرز ومنعة　　فكم مات من قوم هم منك امنع

الثانية اقبال الانسان على الصيد ونحوه تنزها دون حاجة الى ذلك داخل في هذه الاية وفيه تعذيب الحيوان واجراءه لغير معنى واما الرجل يستريح في اليوم النادر والساعة من يومه يجم فيها نفسه في التفرج والراحة ليستعين بذلك على شغل من البر كقراءة علم او صلاة فليس بداخل في هذه الاية وقوله تعالى مرحا قراءة الجمهور بفتح الراء على بناء اسم الفاعل والاول ابلغ فان قولك جاء زيد ركضا ابلغ من قولك جاء زيد راكضا فكذلك قولك مرحا والمرح المصدر ابلغ من ان يقال مرحا الثالثة قوله تعالى انك لن تخرق الارض يعني لن تتولج باطنها فتعلم ما فيها ولن تبلغ الجبال طولا اي لن تساوي الجبال بطولك ولا بطولك ويقال خرق الثوب اي شقه وخرق الارض قطعها والخرق الواسع من الارض اي لن تخرق الارض بكبرك ومشيك عليها ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك اي قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ بل انت عبد ذليل يحاط بك من فوقك ومن تحتك والمحاط محصور ضعيف فلا يليق بك التكبر والمراد بخرق الارض هنا نقبها لا قطعها بالمسافة والله اعلم وقال الازهري معناه لن يقطعها قال النحاس وهذا ابين كانه ماخوذ من الخرق وهو الصحراء الواسعة ويقال فلان اخرق من فلان اي اكثر سفرا وغزوا منه يروى ان سبا دوخ الارض باجناده شرقا وغربا وسهلا وجبلا وقتل سادة وسبا ومنه سمي سبا ودان له الخلق فلما راى ذلك انفرد عن اصحابه ثلاثة ايام ثم خرج اليهم فقال اني لما نلت ما لم ينل احد رايت الابتداء بشكر هذه النعم فلم ار اوقع في ذلك من السجود للشمس اذا اشرقت فسجد والها وكان ذلك اول عبادة الشمس فهذه عاقبة الخيلاء والتكبر والمرح الرابعة قوله تعالى كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره مما امر به ونهي عنه وذلك يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقراء عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ومسروق سيئة على اضافة سي الى الضمير ولذلك قال مكروها نصب على خبر كان والسي هو المكروه وهو الذي لا يرضاه الله ولا يامر به وقد ضمن الله سبحانه في هذه الاي من قوله وقضى ربك الى قوله كان سيئة مامورات بها ومنهيا عنها فلا يخبر عن الجميع بانه سيئة فيدخل المامور به في المنهي عنه واختار هذه القراءة ابو عبيد ولان في قراءة ابي كل ذلك كان سيئاته فهذه لا تكون الا للاضافة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو سيئة بالتنوين اي كل ما نهى الله عنه سيئة وعلى هذا انقطع الكلام عند قوله واحسن تاويلا ثم قال ولا تقف ولا تمش ثم قال كل اولئك كان سيئة بالتنوين وقيل ان من قوله ولا تقتلوا اولادكم الى هذه الاية كان سيئة لا حسنة فيه فجعلوا كلا محيطا بالمنهي عنه دون غيره وقوله مكروها ليس نعتا لسيئة بل هو بدل منه والتقدير كان سيئة وكان مكروها وقد قيل ان مكروها خبر ثان لكان حمل على لفظة كل وسيئة محمول على المعنى في جميع هذه الاشيا المذكورة قبل وقال بعضهم هو نعت لسيئة لانه لما كان تانيثهما غير حقيقي جاز ان يوصف بمذكر وضعف ابو علي الفارسي هذا وقال ان المؤنث اذا ذكر فانما ينبغي ان يكون ما بعده مذكرا وانما التساهل ان يتقدم الفعل المسند الى المؤنث وهو في صيغة ما يسند الى المذكر الا ترى قول الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها　　ولا ارض ابقل ابقالها

مستقبح عندهم ولو قال قائل ابقل ارضا لم يكن قبيحا قال ابو علي ولكن يجوز في قوله مكروها ان يكون بدلا من سيئة ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذي في عند ربك في موضع الصفة لسيئة الخامسة استدل العلماء في هذه الاية على ذم الرقص وتعاطيه قال الامام ابو الوفا ابن عقيل قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال ولا تمش في الارض مرحا وذم المختال والرقص اشد المرح والبطر اولسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الاطراب والسكر فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فما اقبح من ذي لحية فكيف اذا كانت شيبة يرقص ويصفق على وقاع الالحان والقضبان وخصوصا ان كانت اصوات لنسوان ومردان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى احدى الدارين يشمس بالرقص شمس البهايم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رايت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن ضحك مع ادمان مخالطتي لهم وقال ابو الفرج الجوزي ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي انه قال الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول الا باللعب وسياتي لهذا الباب مزيد بيان في الكهف وغيرها ان شا الله تعالى قوله تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من

بل انت عبد ذليل يحاط بك من فوقك ومن تحتك

الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا الاشارة بذلك الى هذه الاداب والقصص والاحكام التي تضمنتها هذه الايات المتقدمة التي نزل بها جبريل اي هذه من الافعال المحكمة التي تقتضيها حكمة الله في عباده وخلقها لهم من محاسن الاخلاق والحكمة وقوانين المعاني المحكمة والافعال الفاضلة ثم عطف قوله ولا تجعل على ما تقدم من النواهي والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل من سمع الاية من البشر والمدحور المهان المبعد المقصي وقد تقدم يقال في الدعا اللهم ادحر عنا الشيطان اي ابعده قوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما هذا رد على من قال من العرب الملائكة بنات الله وكانت لهم بنات ايضا مع البنين ولكنه اراد افاخلص لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه انكم لتقولون قولا عظيما اي في الاثم عند الله قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ولقد صرفنا اي بينا وقيل كررنا في هذا القرآن قيل في زائدة والتقدير ولقد صرفنا هذا القرآن مثل واصلح لي في ذريتي اي اصلح لي ذريتي والتصريف صرف الشي من جهة الى جهة والمراد بهذا التصريف البيان والتكرير وقيل المغايرة اي غايرنا بين المواعظ ليتذكروا ويعتبروا ويتعظوا وقراءة العامة صرفنا بالتشديد على التكثير حيث وقع وقرا الحسن بالتخفيف وقوله في هذا القران يعني الامثال والعبر والحكم والمواعظ والاحكام والاعلام قال الثعلبي سمعت ابا القاسم الحسني يقول بحضرة الشيخ الامام ابي الطيب لقوله تعالى صرفنا معنيان احدهما لم يجعله نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها وامرا ونهيا وناسخا ومنسوخا واخبارا وامثالا مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال وتصريف الافعال من الماضي والمستقبل والامر والنهي والفعل والفاعل والمفعول ونحوها والثاني انه لم ينزله مرة واحدة بل نجوما نحو قوله وقرانا فرقناه ومعناه اكثرنا صرف جبريل اليك ليذكروا وقرا يحيى والاعمش وحمزة والكسائي ليذكروا مخففا وكذلك في الفرقان ولقد صرفناه بينهم ليذكروا والباقون بالتشديد واختاره ابو عبيد لان معناه ليتذكروا وليتعظوا قال المهدوي من شدد ليذكروا اراد التدبر وكذلك من قرا ليذكروا ونظيره الاول ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون والثاني واذكروا ما فيه وما يزيدهم اي التذكير والتصريف الا نفورا اي تباعدا عن الحق وغفلة عن النظر والاعتبار وذلك لانهم اعتقدوا في القران انه حيلة وسحر وكهانة وشعر قوله تعالى قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا هذا متصل بقوله ولا تجعل مع الله الها آخر وهو رد على عبدة الاصنام كما يقولون قرا حفص وابن كثير يقولون بالياء والباقون بالتاء على الخطاب اذا لابتغوا يعني الالهة الى ذي العرش سبيلا قال ابن عباس لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقال سعيد بن جبير المعنى اذا لطلبوا طريقا للوصول اليه ليزيلوا ملكه لانهم شركاؤه وقال قتادة المعنى اذا لابتغت الالهة القربة الى ذي العرش سبيلا والتمست الزلفة عنده لانهم دونه والقوم اعتقدوا ان الاصنام تقربهم الى الله زلفا فاذا اعتقدوا في الاصنام انها محتاجة الى الله فقد بطل انها الهة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا نزه سبحانه نفسه وقدسه ومجده عما لا يليق به والتسبيح التنزيه وقد تقدم قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا اعاد على السموات والارض ضمير من يعقل لما اسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح وقوله ومن فيهن يريد الملائكة والانس والجن ثم عم بعد ذلك الاشيا كلها في قوله وان من شي الا يسبح بحمده واختلف في هذا العموم هل هو مخصص ام لا فقالت فرقة ليس مخصوصا والمراد به تسبيح الدلالة فكل محدث يشهد على نفسه بان الله خالق قادر وقالت طايفة هذا التسبيح حقيقة فكل شي على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه ولو كان ما قاله الاولون من انه اثر الصنعة والدلالة لكان امرا مفهوما والاية تنطق بان هذا التسبيح لا يفقه واجيبوا بان المراد بقوله لا يفقهون الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الاشياء وقالت فرقة قوله من شي عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام وليس ذلك في الجمادات ومن هذا قول عكرمة الشجرة تسبح والاسطوان لا يسبح وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان ايسبح هذا الخوان يا ابا سعيد فقال قد كان يسبح مرة يريد بان الشجرة في زمن اعتدالها ونموها كانت تسبح واما الان

فقد صار حوا نامه هو نا قال المؤلف رحمه الله ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان
يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستتر من بوله فدعى بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا
واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فقوله عليه السلام ما لم ييبسا اشارة
الى انهما ما داما رطبين يسبحان واذا يبسا صارا جمادا والله اعلم وفي مسند ابي داود الطيالسي فوضع
على احدهما نصفا وعلى الاخر نصفا وقال انه يهون عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شي قال علماؤنا ويستفاد
من هذا غرس الاشجار وقراءة القران على القبور واذا خفف عنهم بالاشجار فكيف بقراءة الرجل المومن
القران وقد بينا هذا المعنى في كتاب التذكرة بيانا شافيا وانه يصل الى الميت ثواب ما يقرا ويهدى
والحمد لله على ذلك وعلى التاويل الثاني لا يحتاج الى ذلك فان كل شي من الجماد وغيره يسبح قال الشيخ
المؤلف وقد يستدل لهذا التاويل وهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه واذكر عبدنا داود الايد انه اواب
انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله على قول مجاهد
وقوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وذكر ابن المبارك في روايته اخبرنا مسعر عن عبد الله بن
واصل عن عون بن عبد الله بن مسعود ان الجبل ليقول للجبل يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر الله فان قال
نعم سر به ثم قرا عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية قال افتراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير
وفيه عن انس بن مالك قال ما من صباح ولا رواح الا تنادي بقاع الارض بعضها بعضا يا جاراه هل
مر بك اليوم عبد فصلى لله او ذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رات لها بذلك
عليها فضلا وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر
ولا شي الا شهد له يوم القيامة رواه ابن ماجة في سننه ومالك في موطاه من حديث ابي سعيد الخدري
وخرج البخاري عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن
مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قيل
انه الحجر الاسود والله اعلم والاخبار في هذا المعنى كثيرة قد اتينا على جملة منها في اللمع اللؤلؤية في شرح
العشر بينات النبوية الفازاري رحمه الله وخبر الجذع ايضا في هذا الباب مشهور خرجه البخاري في مواضع
من كتابه واذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات ولا استحالة في شي من ذلك فكل شي يسبح
للعموم وكذا قال النخعي وغيره هو عام فيما فيه روح وفيما لا روح فيه حتى صرير الباب واحتجوا بالاخبار التي
ذكرنا وقيل تسبيح الجمادات انها تدعو الناظر اليها الى ان يقول سبحان الله لعدم الادراك منها وقال
الشاعر

تلقى بتسبيحه من حيث انصرفت | وتستقر حشا الراي بترعاد

اي يقول من راها سبحان خالقها والصحيح ان الكل يسبح للاخبار الدالة على ذلك ولو كان هذا التسبيح
تسبيح دلالة فاي تخصيص لداود وانما ذلك تخصيص المقال بخلق الحياة والانطاق بالتسبيح كما ذكرنا
وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القران من تسبيح كل شي فالقول به اولى والله اعلم وقراء
الحسن وابو عمرو ويعقوب وحفص وحمزة والكسائي وخلف تفقهون بالتاء لتانيث الفاعل الباقون
بالياء واختاره ابو عبيد قال للحائل بين الفعل والتانيث انه كان حليما عن ذنوب عباده في الدنيا
غفورا للمؤمنين في الاخرة **قوله تعالى** وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا عن اسما بنت ابي بكر قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل
بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه
وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر فلما راها ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا اخاف ان تراك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقد قرا قرانا فاعتصم به كما قال وقرا واذا قرات القران
جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني فقال لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فولت وهي تقول

قد علمت قريش اني ابنة سيدها

وقال سعيد بن جبير لما نزلت تبت يدا ابي لهب
وتب جاءت امراة ابي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر فقال ابو بكر لو تنحيت لئلا تسمعك

وإذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات

ما يوذيك فانها امراة بذية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فلم تره فقالت لابي بكر
يا ابا بكر هجاني صاحبك فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فقالت وانك لمصدقه واندفعت راجعة
فقال ابو بكر يا رسول الله اما راتك قال لا ما زال ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت وقال كعب في هذه
الاية كان النبي صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين بثلاث ايات الاية الاولى التي في الكهف انا جعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا والاية التي في النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
الاية والاية التي في الشريعة افرايت من اتخذ الهه هواه الاية فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قراهن
يستتر من المشركين قال كعب فحدثت بهن رجلا من اهل الشام فاتى ارض الروم فاقام بها زمانا ثم خرج
هاربا فخرجوا في طلبه فقراهن فصاروا يكونون معه على طريقه ولا يبصرونه قال الكلبي وهذا الذي
يروونه عن كعب فحدثت به رجلا من اهل الري فاسر بالديلم فمكث فيهم زمانا ثم خرج هاربا فخرجوا
في طلبه فقراهن حتى جعلت ثيابهم لتمس ثيابه فما يبصرونه قال المؤلف رحمه الله ويزاد الى هذه الاي
اول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون فان في السيرة في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومقام علي رضي الله عنه
في فراشه قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب في يده واخذ الله على ابصارهم
عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الايات من يس والقران الحكيم الى قوله
فهم لا يبصرون حتى فرغ من هؤلاء الايات ولم يبق منهم رجل حتى وضع على راسه ترابا ثم انصرف الى
حيث اراد ان يذهب قال المؤلف رحمه الله ولقد اتفق لي ببلادنا بالاندلس بحصن منثور من اعمال قرطبة
مثل هذا وذلك اني هربت امام العدو وانحزت الى ناحية عنهم فلم البث ان خرج في طلبي فارسان وانا
في فضاء من الارض قاعد ليس يسترني عنهما شي وانا اقرا اول سورة يس وغير ذلك من القران فعبرا على
ثم رجعا من حيث جاءا واحدهما يقول للاخر هذا ديبلة يعنون شيطانا وعمى الله ابصارهم فلم يروني
والحمد لله كثيرا على ذلك وقيل الحجاب المستور طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه ولا يدركوا ما فيه من
الحكمة قاله قتادة وقال الحسن اي انهم لاعراضهم عن قراءتك وتغافلهم عنك كمن بينك وبينه حجاب في
عدم رؤيتهم لك حتى كان على قلوبهم اغطية وقيل نزلت في قوم كانوا يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرا القران وهم ابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث وام جميل امراة ابي لهب وحويطب فحجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ابصارهم عند قراءة القران وكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الزجاج وغيره وهو معنى
القول الاول بعينه وهو الاظهر في الاية والله اعلم وقوله مستورا فيه قولان احدهما ان الحجاب مستور
عنكم لا ترونه والثاني ان الحجاب ساتر عنكم ما وراءه ويكون مستورا بمعنى ساتر **قوله تعالى**
وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا
عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا وجعلنا على قلوبهم اكنة هي جمع كنان وهو ما ستر الشي وتقدم في الانعام ان يفقهوه اي
لا يفقهوه او كراهية ان يفقهوه اي ان يفهموا ما فيه من الاوامر والنواهي والحكم والمعاني وهذا رد
قول القدرية وفي اذانهم وقرا اي صمما وثقلا وفي الكلام اضمار اي ان يسمعوه واذا ذكرت
ربك في القران وحده اي قلت لا اله الا الله وانت تتلو القران وقال ابو الجوزاء اوس بن عبد الله ليس شي
اطرد للشيطان من القلب من قول لا اله الا الله ثم تلى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبا
رهم نفورا وقال علي بن الحسين هو قوله بسم الله الرحمن الرحيم وقد تقدم هذا في البسملة ولوا على
ادبارهم نفورا قيل يعني بذلك المشركين وقيل الشياطين ونفورا جمع نافر مثل شهود جمع شاهد وقعود جمع
قاعد فهو نصب على الحال ويجوز ان يكون مصدرا على غير الصدر اذا كان قوله ولوا بمعنى نفروا فيكون معناه
نفروا نفورا **قوله تعالى** نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا نحن اعلم بما يستمعون به قيل الباء زائدة في قوله به اي يستمعونه
وكانوا يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم القران ثم ينفرون فيقولون هو ساحر ومسحور كما اخبر الله
تعالى به عنهم قاله قتادة وغيره واذ هم نجوى اي متناجون في امرك قال قتادة وكانت نجواهم قولهم
انه مجنون وانه ساحر وانه ياتي باساطير الاولين وغير ذلك وقيل نزلت حين دعى عتبة اشراف قريش
الى طعام صنعه لهم فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم القران ودعاهم الى الله فتناجوا
يقولون ساحر ومجنون وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان يتخذ طعاما ويدعو اليه اشراف

قريش من المشركين ففعل ذلك علي ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم القران ودعاهم
الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم فابوا وكانوا يستمعون من النبي
صلى الله عليه وسلم ويقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور فنزلت الاية وقال الزجاج النجوي
اسم للمصدر اي واذ هم ذو نجوى اي سرار اذ يقول الظالمون ابو جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما ان
تتبعون الا رجلا مسحورا اي مخدوعا مثل قوله فاني تسحرون اي من اين تخدعون وقال ابو عبيدة
مسحورا معناه ان له سحرا اي رية فهو لا يستغني عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس بملك وتقول
العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل من ادمي وغيره او شرب مسحور ومسحر قال لبيد

فان تسالينا فيما نحن فاننا ... عصافير من هذا الانام المسحر

وقال امرؤ القيس

ارانا موضعين لامر غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

اي نغذى ونعلل وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من هذه التي تساميني من ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم وقد توفي صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري **قوله تعالى** انظر كيف
ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا عجبه من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة
مجنون وتارة شاعر فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اي حيلة في صد الناس عنك وقيل ضلوا عن الحق فلا
يجدون سبيلا اي الى الهدى وقيل مخرجا لتناقض كلامهم في قولهم مجنون ساحر شاعر **قوله تعالى**
وقالوا اءذا كنا عظاما ورفاتا اءنا لمبعوثون خلقا جديدا اي قالوا وهم يتناجون لما سمعوا القران
وسمعوا امر البعث لو لم يكن مسحورا مخدوعا لما قال هذا قال ابن عباس الرفات الغبار وقال مجاهد التراب
والرفات ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات والحطام والرضاض عن ابي عبيدة والكسائي والفراء
والاخفش يقول منه رفت الشيء رفتا اي حطم فهو مرفوت اءنا لمبعوثون خلقا جديدا اءنا استفهام والمراد
به الجحد والانكار وخلقا نصب لانه مصدر اي بعثا جديدا وكان هذا غاية الانكار منهم **قوله تعالى**
قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
فسينغضون اليك رءوسهم قل عسى ان يكون قريبا اي قل لهم يا محمد كونوا على جهة التعجيز حجارة او حديدا
في الشدة والقوة قال الطبري اي ان اعجبتم من انشاء الله لكم عظاما ولحما فكونوا انتم حجارة او حديدا ان قدرتم
وقال علي بن عيسى معناه انكم لو كنتم حجارة او حديدا لم تفوتوا الله عز وجل اذا ارادكم الا انه خرج مخرج
الامر لانه ابلغ في الالزام وقيل معناه لو كنتم حجارة او حديدا لاعادكم كما بداكم ولاماتكم ثم احياكم وقال
مجاهد المعنى كونوا ما شئتم فستعادون وقال النحاس وهذا قول حسن لانهم لا يستطيعون ان يكونوا حجارة
وانما المعنى انهم قد اقروا بخالقهم وانكروا البعث فقيل لهم استشعروا ان تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة
او حديدا لبعثتم كما خلقتم اول مرة او خلقا مما يكبر في صدوركم قال مجاهد يعني السموات والارض والجبال
لعظمها في النفوس وهو معنى قول قتادة يقول كونوا ما شئتم فان الله يميتكم ثم يبعثكم وقال ابن عباس وابن
عمر وعبد الله بن مسعود بن عمرو بن العاصي وابن جبير ومجاهد ايضا وعكرمة وابو صالح والضحاك يعني
لانه ليس شيء اكبر في نفس ابن ادم منه قال امية بن ابي الصلت والموت خلق في النفوس فظيع يقول انكم لو
خلقتم من حجارة او حديدا او كنتم الموت لاميتنكم ولابعثنكم لان القدرة التي بها انشاتكم بها نعيدكم
وهو معنى قوله فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وفي الحديث انه يؤتى بالموت يوم القيمة
في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار وقيل اراد به البعث لانه كان اكبر في صدورهم قاله الكلبي
فطركم خلقكم وانشاكم فسينغضون اليك رءوسهم اي يحركون رءوسهم استهزاء يقال نغض راسه
ينغض وينغض نغضا ونغوضا اي تحرك وانغض راسه اي حركه كالمتعجب من الشيء
ومنه قوله تعالى فسينغضون اليك رءوسهم قال الراجز

انغض نحوي راسه واقنعا ... ويقال ايضا نغض فلان راسه اي حركه

يتعدى ولا يتعدى حكاه الاخفش ويقال نغضت سنه اي تحركت وانقلعت قال الراجز

ونغضت من هرم اسنانها ... وقال اخر لما رأتني انغضت لي الراسا

وقال اخر

لا ماء في المقراة ان لم تنهض ... بمسد فوق المحال النغض

المحال والمحالة البكرة العظيمة التي يستقى بها الابل ويقولون متى هو اي البعث والاعادة وهذا الوعد

يؤتى بالموت يوم القيمة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار

قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب لان عسى واجب نظيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ولعل الساعة
قريب وكل ما هو ات قريب **قوله تعالى** يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا
قليلا الدعاء النداء الى المحشر بكلام يسمعه اهل الخلائق يدعوهم الله تعالى فيه بالخروج وقيل بالصيحة
التي يسمعونها فتكون داعية لهم الى الاجتماع في ارض القيامة قال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة
باسمائكم واسماء ابائكم فحسنوا اسمائكم فتستجيبون بحمده اي باستحقاقه الحمد على الاحياء وقال ابو سهل اي والحمد
لله كما قال الشاعر

واني بحمد الله لا ثوب فاجر ... لبست ولا من غدرة اتقنع

وقيل حامدين لله تعالى بالسنتكم قال سعيد بن جبير يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك وبحمدك
ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم وقال ابن عباس بحمده بامره اي تقرون بانه خالقكم وقال قتادة
بمعرفته وطاعته وقيل المعنى بقدرته وقيل بدعائه اياكم قال علماؤنا وهو الصحيح فان النفخ في الصور انما هو
سبب لخروج اهل القبور وبالحقيقة انما خروج الخلق بدعوة الحق قال الله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده فيقومون يقولون سبحانك اللهم وبحمدك قالوا فيوم القيمة يوم يبتدا بالحمد ويختم به قال الله تعالى
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وقال في اخره وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وتظنون ان لبثتم
الا قليلا يعني بين النفختين وذلك ان العذاب يكف عن المعذبين بين النفختين وذلك اربعون عاما
فينامون فذلك قوله من بعثنا من مرقدنا هذا فيكون خاصا للكفار وقال مجاهد للكافرين هجعة قبل يوم
القيامة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قاموا مذعورين وقال قتادة المعنى ان الدنيا
تحاقرت في اعينهم وقلت حين راوا يوم القيامة الحسن وتظنون ان لبثتم الا قليلا في الدنيا لطول لبثكم
في الاخرة **قوله تعالى** وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن تقدم اعرابها والاية نزلت في عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وذلك ان رجلا من العرب شتمه فسبه عمر وهم بقتله فكادت تثير فتنة فانزل الله فيه وقل
لعبادي يقولوا التي هي احسن ذكره الثعلبي والماوردي وابن عطية والواحدي وقيل لما نزلت قال المسلمون
ائذن لنا يا رسول الله في قتالهم فقد طال ايذاؤهم ايانا فقال لم اؤمر بعد بالقتال فانزل الله تعالى وقل لعبادي
الذين اعترفوا باني خالقهم وهم يعبدون الاصنام يقولوا التي هي احسن كلمة التوحيد والاقرار بالنبوة وقيل
المعنى وقل لعبادي المؤمنين اذا جادلوا الكفار في التوحيد ان يقولوا الكلمة التي هي احسن كما قال
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال الحسن هو ان يقول للكافر اذا تشطط
هداك الله يرحمك وهذا قبل ان يؤمروا بالجهاد وقيل المعنى قل لهم يامروا بما امر الله به وينهوا عما نهى الله
عنه وعلى هذا تكون الاية عامة في المؤمن والكافر اي قل للجميع والله اعلم وقالت طائفة امر الله تعالى
في هذه الاية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الادب والانة القول وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان
وقد قال صلى الله عليه وسلم وكونوا عباد الله اخوانا وهذا احسن وتكون الاية محكمة **قوله تعالى** ان الشيطان
ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ان الشيطان ينزغ بينهم اي بالفساد والقاء
العداوة والاغواء وقد تقدم في اخر الاعراف ويوسف يقال نزغ بيننا اي افسد قاله اليزيدي وقال
غيره النزغ الاغواء ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي شديد العداوة وقد تقدم في البقرة وفي الخبر
ان قوما جلسوا يذكرون الله فجاء الشيطان ليقطع مجلسهم فمنعته الملائكة فجاء الى قوم جلوس قريبا منهم لا
يذكرون الله فحرش بينهم فتخاصموا وتواثبوا فقال هؤلاء الذاكرون قوموا بنا نصلح بين اخواننا فقاموا
وقطعوا مجلسهم وفرح بذلك الشيطان فهذا من بعض عداوته **قوله تعالى** ربكم اعلم بكم ان
يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا هذا خطاب للمشركين والمعنى ان يشا
يوفقكم للاسلام فيرحمكم او يميتكم على الشرك فيعذبكم قاله ابن جريج واعلم بمعنى عليم نحو قولهم الله اكبر
بمعنى كبير وقيل الخطاب للمؤمنين اي ان يشا يرحمكم بان يحفظكم من كفار مكة او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم
قاله الكلبي وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ما وكلناك في منعهم من الكفر ولا جعلنا اليك ايمانهم وقيل
ما جعلناك كفيلا لهم تؤخذ بهم قاله الكلبي وقال الشاعر

ذكرت ابا اروى فبت كانني ... برد الامور الماضيات وكيل

اي كفيل **قوله تعالى** وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
واتينا داود زبورا اعاد بعد ان قال ربكم اعلم بكم ليبين انه خالقهم وانه جعلهم مختلفين في اخلاقهم وصورهم

واخوالهم وما لهم الا يعلم من خلق وكذا لبعض النبيين فضل بعضهم على بعض عن علم منه بحالهم وقد مضى القول في هذا في البقرة واتينا داود زبورا الزبور كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وانما هو دعا وتمجيد اي كما اتينا داود الزبور فلا تنكروا ان يوتى محمد القرآن وهو في محاجة اليهود

قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا لما ابتليت قريش بالقحط وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله هذه الاية اي ادعوا الذين تعبدون من دونه وزعمتم انها الهة وقال الحسن يعني الملائكة وعيسى وعزيرا وقال ابن مسعود يعني الجن فلا يملكون كشف الضر اي القحط سبع سنين كما قال مقاتل ولا تحويلا من الفقر الى الغنى ومن السقم الى الصحة

قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا اولئك مبتدا الذين صفة اولئك وضمير الصلة محذوف اي يدعونهم يعني اولئك المدعون يبتغون خبرا ويكون حالا والذين يدعون خبرا اي يدعون اليه عبادة او عبادة الى عبادته وقرا ابن مسعود تدعون بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر ولا خلاف في يبتغون انه بالياء وفي صحيح مسلم من كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال نفر من الجن اسلموا وكانوا يعبدون فبقي الذين كانوا يعبدون على عبادتهم وقد اسلم النفر من الجن وفي رواية قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجنيون والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وعنه ايضا انهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب ذكره الماوردي وقال ابن عباس ومجاهد عزير وعيسى ويبتغون يطلبون من الله الزلفة والقربة ويتضرعون الى الله في طلب الجنة وهي الوسيلة اعلمهم الله تعالى ان المعبودين يبتغون القربة الى ربهم والهاء والميم في ربهم تعود على العابدين او على المعبودين او عليهم جميعا واما يدعون فعلى العابدين ويبتغون على المعبودين ايهم اقرب ابتدا وخبر ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الضمير في يبتغون والمعنى يبتغي ايهم اقرب الوسيلة الى الله يرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا اي مخوفا لا امان لاحد منهم فينبغي ان يحذر منه ويخاف قال سهل بن عبد الله الرجا والخوف زمانان على الانسان فاذا استويا استقامت احواله وان رجح احدهما بطل الاخر

قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا اي وان من قرية الا نحن مهلكوها اي مخربوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا قال مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وقال ابن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية اذن الله في هلاكهم وقيل المعنى وان من قرية ظالمة يقوي ذلك قوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي فليتق المشركون فانه ما من قرية كافرة الا سيحل بها العذاب كان ذلك في الكتاب اي في اللوح مسطورا اي مكتوبا والسطر الخط والكتابة وهو في الاصل مصدر والسطر بالتحريك مثله قال جرير

من شاء بايعته مالي وخلعته ... ما تكمل التيم في ديوانهم سطرا

الخلعة بضم الخاء خيار المال والسطر جمع اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير وجمع السطر اسطر وسطور مثل فلس وفلوس والكتاب هنا يراد به اللوح المحفوظ

قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا في الكلام حذف والتقدير وما منعنا ان نرسل بالايات التي اقترحوها الا ان يكذبوا بها فيهلكوا كما هلك من كان قبلهم قال معناه قتادة وابن جريج وغيرهم فاخر الله العذاب عن كفار قريش لعلمه ان فيهم من يومن وفيهم من يلد مومنا وقد تقدم في الانعام وغيرها انهم طلبوا ان يحول الله لهم الصفا ذهبا وتتنحى الجبال عنهم فنزل جبريل وقال ان شئت كان ما سال قومك ولكنهم ان لم يومنوا لم يمهلوا وان شئت استانيت بهم فقال لا بل استان بهم وان الاولى في محل نصب بوقوع المنع عليه وان الثانية في محل رفع والباء في بالايات زائدة ومجاز الكلام وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والله تعالى لا يكون ممنوعا عن شي فالمعنى المبالغة في انه لا يفعل فكانه قد منع عنه ثم بين ما فعل بمن سال الايات فلم يومن بها فقال واتينا ثمود الناقة مبصرة اي اية دالة مضيئة

وقد اسلم النفر من الجن

نيرة على صدق صالح وعلى قدرة الله وقد تقدم ذلك فظلموا بها اي ظلموا بتكذيبها وقيل جحدوا بها وعرفوا انها من عند الله فاستاصلهم الله بالعذاب وما نرسل بالايات الا تخويفا فيه خمسة اوجه الاول العبر والمعجزات التي جعلها الله على ايدي الرسل من دلائل الانذار تخويفا للمكذبين الثاني انها ايات الانتقام تخويفا من المعاصي الثالث انها تقلب الاحوال من صغر الى شباب ثم الى تكهل ثم الى مشيب لتعتبر بتقلب احوالك فتخاف عاقبة امرك وهذا قول احمد بن حنبل رضي الله عنه الرابع القران الخامس الموت الذريع قاله الحسن

قوله تعالى واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس قال ابن عباس الناس هاهنا اهل مكة واحاطته بهم اهلاكه اياهم اي ان الله سيهلكهم وذكره بلفظ الماضي لتحقق كونه وعني بهذا الاهلاك الموعود ما جرى يوم بدر ويوم الفتح وقيل معنا احاط بالناس اي احاطت قدرته بهم فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته قاله مجاهد وابن ابي نجيح وقال الكلبي المعنى احاط علمه بالناس وقيل المراد عصمته من الناس ان يقتلوه حتى يبلغ رسالة ربه اي وما ارسلناك عليهم حفيظا بل عليك التبليغ فبلغ بجدك فانا نعصمك منهم ونحفظك فلا تهبهم وامض لما امرك به من تبليغ الرسالة فقدرتنا محيطة بالكل قال معناه الحسن وعروة وقتادة وغيرهم

قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس لما بين ان انزال ايات القران يقتضي التخويف ضم اليه ذكر اية الاسرا وهي المذكورة في اول السورة وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس قال هي رويا عين اريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القران هي شجرة الزقوم قال ابو عيسى هذا صحيح وبقول ابن عباس قالت عايشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن ابي نجيح وابن زيد وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا اسلموا حين اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم انه اسري به وقيل كانت رويا نوم وهذه الاية تقضي بفساده وذلك ان رويا المنام لا فتنة فيها وما كان احد لينكرها وعن ابن عباس قال الرويا التي في هذه الاية هي رويا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة في سنة الحديبية فرد فافتتن المسلمون لذلك فنزلت الاية فلما كان العام المقبل دخلها فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وفي هذا التاويل ضعف لان السورة مكية وتلك الرويا كانت بالمدينة وقال في رواية ثالثة انه عليه السلام راى في المنام بني مروان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فقيل انما هي الدنيا اعطوها فسري عنه وما كان له بمكة منبر ولكنه يجوز ان يرى بمكة رويا المنبر بالمدينة وهذا الثالث قاله ايضا سهل بن سعد رضي الله عنه قال سهل انما هي الرويا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بني امية ينزون على منبره نزو القردة فاغتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات فنزلت الاية مخبرة ان ذلك من ملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا وقرا الحسن بن علي في خطبته في شان بيعته لمعاوية وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال ابن عطية وفي هذا التاويل نظر ولا يدخل في هذه الرويا عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية

قوله تعالى والشجرة الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا فيه تقديم وتاخير اي ما جعلنا الرويا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس وفتنتها انهم لما خوفوا بها قال ابو جهل استهزاء هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر والزبد ثم امر ابو جهل جارية فاحضرت تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا وقيل ان القائل ما نعلم الزقوم الا الزبد والتمر ابن الزبعرى حيث قال كثر الله من الزقوم في داركم فانه التمر بالزبد بلغة اليمن وجائز ان يقول كلاهما ذلك فافتتن ايضا لهذه المقالة بعض الضعفا فاخبر الله تعالى نبيه انه انما جعل الاسرا وذكر شجرة الزقوم فتنة واختبارا ليكفر من سبق عليه الكفر ويصدق من سبق له الايمان كما روي ان ابا بكر الصديق قيل له صبيحة الاسرا ان صاحبك يزعم انه جاء البارحة من بيت المقدس فقال ان قال ذلك فلقد صدق فقيل له اتصدقه قبل ان تسمع منه فقال اين عقولكم انا اصدقه بخبر السماء فكيف لا اصدقه بخبر بيت المقدس والسما ابعد منها بكثير قال المولف رحمه الله ذكر هذا الخبر ابن اسحاق ونصه قال كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وابي سعيد الخدري وعايشة ومعاوية ابن ابي سفيان والحسن بن ابي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من اهل العلم وام هانى بنت ابي طالب ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من امره

انا اصدقه بخبر السماء فكيف لا اصدقه بخبر بيت المقدس

حين اسري به صلى الله عليه وسلم فكان في مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وامر من امر الله تعالى عز وجل في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من امر الله عز وجل على يقين فاسرى به صلى الله عليه وسلم كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما اراد حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني عنه يقول اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهو الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم اتي بثلاثة آنية اناء فيه لبن واناء فيه خمر واناء فيه ماء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا يقول حين عرضت علي ان اخذ الماء غرق وغرقت امته وان اخذ الخمر غوى وغوت امته وان اخذ اللبن هدي وهديت امته قال فاخذت اناء اللبن فشربت فقال لي جبريل هديت وهديت امتك يا محمد قال ابن اسحاق وحدثت عن الحسن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل عليه السلام فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا ثم عدت لمضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فاخذ بعضدي فقمت معه فخرج الى باب المسجد واذا دابة ابيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا افوته قال ابن اسحاق وحدثت عن قتادة انه قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لاركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته وقال الا تستحيي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد الله قبل محمد اكرم عليه منه قال فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه جبريل حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء عليهم السلام فامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم اتي باناءين في احدهما خمر وفي الآخر لبن قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اناء اللبن فشرب منه وترك اناء الخمر قال فقال له جبريل هديت الفطرة وهديت امتك وحرمت عليكم الخمر ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فلما اصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال اكثر الناس هذا والله الامر البين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة شهرا ومقبلة شهرا افيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة قال فارتد كثير ممن كان اسلم وذهب الناس الى ابي بكر فقالوا له يا ابا بكر في صاحبك يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال فقال ابو بكر الصديق انكم تكذبون عليه فقالوا بلى ها هو ذا في المسجد يحدث به الناس فقال ابو بكر والله ان كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرني ان الخبر ليأتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل او نهار فاصدقه فهذا ابعد مما تعجبون منه ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله احدثت هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله فصفه لي فاني قد جئته فقال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع لي حتى نظرت اليه فجعل رسول الله يصفه لابي بكر ويقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيئا قال صدقت اشهد انك رسول الله حتى اذا انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وانت يا ابا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق قال الحسن وانزل الله تعالى فيمن ارتد عن الاسلام لذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل فيه من حديث قتادة وذكرناه الاستواء عن من تقدم وفي السيرة وقال ابن عباس هذه الشجرة بنو امية وان النبي صلى الله عليه وسلم نفى الحكم وهذا قول ضعيف محدث والسورة مكية فيبعد هذا التأويل الا ان تكون هذه الآية مدنية ولم يثبت ذلك وقد قالت عائشة لمروان لعن الله اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله ثم قال والشجرة الملعونة في القرآن ولم يجر في القرآن لعن هذه الشجرة ولكن الله لعن الكفار وهم آكلوها فالمعنى والشجرة الملعونة في القرآن آكلوها ويمكن ان يجري هذا على قول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وقال ابن عباس الشجرة الملعونة هذه الشجرة التي تلتوي على الشجر فيقتلها يعني الكشوث ونخوفهم بالزقوم فما يزيدهم التخويف الا الكفر **قوله تعالى** وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال

أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم تقدم ذكر كون الشيطان عدوا للانسان فانجر الكلام الى ذكر آدم والمعنى اذكر بتمادي هؤلاء المشركين وعتوهم على ربهم قصة ابليس حين عصى ربه وابى السجود وقال ما قال وهو ما اخبر الله تعالى في قوله تعالى فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا اي من طين وهذا استفهام انكار وقد تقدم القول في خلق آدم في البقرة والانعام مستوفى قال أرأيتك اي قال ابليس والكاف توكيد للمخاطبة هذا الذي كرمت اي فضلته علي وراى جوهر النار خيرا من جوهر الطين ولم يعرف ان الجواهر متماثلة وقد تقدم هذا في الاعراف وهذا نصب بأرأيت الذي نعته والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد وفي الكلام حذف تقديره اخبرني عن هذا الذي فضلته علي لم فضلته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف لعلم السامع وقيل لا حاجة الى تقدير الحذف اي اترى هذا الذي كرمته لأفعلن به كذا وكذا ومعنى لأحتنكن في قول ابن عباس لاستولين عليهم وقاله الفراء ومجاهد لأحتوينهم ابن زيد لأضلنهم والمعنى متقارب اي لأستأصلن ذريته بالاغواء والاضلال ولأجتاحنهم وروي عن العرب احتنك الجراد الزرع اذا ذهب به كله وقيل المعنى لأسوقنهم حيث شئت واقودنهم حيث اردت من قولهم حنكت الفرس احنكه واحنكه حنكا اذا جعلت في فيه الرسن وكذلك احتنكته والقول الاول قريب من هذا لانه انما يأتي على الزرع بالحنك وقال الشاعر

اشكو اليك سنة قد اجحفت | جهدا الى جهد بنا واضعفت
واحتنكت اموالنا واجتلفت |

الا قليلا يعني المعصومين وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وانما قال ذلك ابليس ظنا منه كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او علم من طبع البشر تركيب الشهوة فيهم او بنى على قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وقال الحسن ظن ذلك لانه وسوس الى آدم فلم يجد له عزما **قوله تعالى** قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا هذا امر اهانة اي اجهد جهدك فقد انظرناك فمن تبعك اي اطاعك من ذرية آدم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا اي وافرا عن مجاهد وغيره وهو نصب على المصدر يقال وفرته افره وفرا ووفر المال بنفسه يفر وفورا فهو وافر فهو لازم ومتعد **قوله تعالى** واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فيه ست مسائل **الاولى** قوله تعالى واستفزز اي استزل واستخف واصله القطع ومنه تفزز الثوب اذا انقطع والمعنى استزله بقطعك اياه عن الحق واستفزه الخوف اي استخفه وقعد مستوفزا اي غير مطمئن واستفزز امر تعجيز اي انت لا تقدر على اضلال احد ليس لك على احد سلطان فافعل ما شئت **الثانية** قوله تعالى بصوتك وصوته كل داع يدعو الى معصية الله عن ابن عباس مجاهد الغناء والمزامير واللهو الضحاك صوت المزمار وكان آدم عليه السلام اسكن اولادها بيل على الجبل وولد قابيل اسفله وفيهم بنات حسان فزمر اللعين فلم يتمالكوا ان حدروا وافتتنوا ذكره الغزنوي وقيل بصوتك بوسوستك **الثالثة** قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك اصل الاجلاب السوق بجلبة من السائق يقال اجلب اجلابا والجلب والجلبة الاصوات تقول منه جلبوا بالتشديد وجلب الشيء يجلبه ويجلبه جلبا وجلبا وجلبت الشيء الى نفسه واجتلبته بمعنى واجلب على العدو اجلابا اي جمع عليهم والمعنى اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك وقال اكثر المفسرين يريد كل راكب وماش في معصية الله وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب او ماش يقاتل في معصية الله فهو من خيل ابليس ورجالته وروى سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس قال كل خيل سارت في معصية الله وكل رجل مشت في معصية الله وكل مال اصيب من حرام وكل ولد بغية فهو للشيطان والرجل جمع راجل مثل صحب وصاحب وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان يقال رجل ورجل بمعنى راجل وقرأ عكرمة وقتادة ورجالك على الجمع **الرابعة** قوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد اي اجعل لنفسك شركة في ذلك فشركته في الاموال انفاقها في معصية الله قاله الحسن وقيل هي التي اصابوها من غير حلها قاله مجاهد وقال ابن عباس ما كانوا يحرمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال قتادة

فاخذت اناء اللبن فشربت

والرجل جمع راجل

والضحاك ما كانوا يذكرونه لآلهتهم والاولاد هم اولاد الزنا قاله مجاهد والضحاك وعبد الله بن
عباس وعنه ايضا هم ما قتلوا من اولادهم واتوا فيهم من الجرائم وعنه ايضا هو تسميتهم عبد الحارث
وعبد العزى وعبد اللات وعبد شمس ونحوه وقيل انه صبغه اولادهم في الكفر حتى هودوهم ونصروهم
كصبغ النصارى اولادهم بالغمس في الماء الذي لهم قاله قتادة وقول خامس روي عن مجاهد قال
اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان وسياتي وروي من حديث عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيكم مغربين
قلت يا رسول الله وما المغربين قال الذين يشترك فيهم الجن رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول قال
الهروي سموا مغربين لانه دخل فيهم عرق غريب قال الحكيم الترمذي فللجن مساماة بابن ادم في الامور
والاختلاط فمنهم من يتزوج فيهم وكانت بلقيس ملكة سبا احد ابويها من الجن وسياتي بيانه ان شا
الله تعالى **الخامسة** قوله تعالى وعدهم اي منهم الاماني الكاذبة وانه لا قيامة ولا حساب وانه ان
كان حساب وجنة ونار فانتم اولى بالجنة من غيركم يقويه قوله يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اي باطلا وقيل وعدهم اي عدهم النصرة على من ارادهم بسوء وهذا الامر للشيطان
تهدد ووعيد له وقيل استخفاف به وبمن اتبعه **السادسة** في الاية ما يدل على تحريم المزامير
والغنا واللهو لقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان او فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه وروي نافع
عن ابن عمر انه سمع صوت زمارة فوضع اصبعيه في اذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول
يا نافع اتسمع فاقول نعم فمضى حتى قلت لا فوضع يديه واعاد راحلته الى الطريق وقال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا قال علماؤنا اذا كان هذا فعلهم في حق صوت
لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغنا اهل هذا الزمان وزمورهم وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة
لقمن ان شا الله تعالى **قوله تعالى** ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك
وكيلا قال ابن عباس هم المومنون وقد تقدم الكلام فيه وكفى بربك وكيلا اي عاصما من القبول
من ابليس وحافظا من كيده وسوء مكره **قوله تعالى** ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر
لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما الازجا السوق ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا وقال
الشاعر

يا ايها الراكب المزجي مطيته ... سائل بني اسد ما هذه الصوت

وازجا الفلك سوقه بالريح اللينة والفلك هنا جمع وقد تقدم والبحر الماء الكثير عذبا كان او ملحا وقد
غلب هذا الاسم على المشهور وهذه الاية توقيف على الا الله وفضله عند عباده اي ربكم الذي انعم عليكم
بكذا وكذا فلا تشركوا به شيا لتبتغوا من فضله اي في التجارات وقد تقدم انه كان بكم رحيما **قوله تعالى**
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان
كفورا الضر لفظ يعم خوف الغرق والامساك عن الجري واهوال حالات اضطرابه وتموجه ضل معناه تلف
وفقد وهي عبارة تحقير لمن يدعي الها من دون الله والمعنى في هذه الاية ان الكفار انما يعتقدون في اصنامهم
انها شافعة وان لها فضلا وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علما لا يقدر على مدافعته ان الاصنام لا فعل لها في
الشدايد العظام فوقفهم الله من ذلك على حالة البحر حيث تنقطع الحيل فلما نجاكم الى البر اعرضتم اي عن
الاخلاص وكان الانسان كفورا الانسان هنا الكافر وقيل وطبع الانسان كفور النعم الا من عصمه
الله فالانسان لفظ الجنس **قوله تعالى** افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم
حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا بين انه قادر على هلاكهم في البر وان سلموا من البحر والخسف انهيار
الارض بالشي يقال بير خسيف اذا انهدم اصلها وعين خاسف اذا غارت حدقتها في الراس وعين من
الماء خاسفة اي غار ماؤها وخسفت الشمس اي غابت عن الارض وقال ابو عمرو والخسيف البير
الذي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة والجمع خسف وجانب البر ناحية الارض وسماه جانبا
لانه يصير بعد الخسف جانبا وايضا فان البحر جانب والبر جانب وقيل انهم كانوا على ساحل البحر وساحله
جانب البر فكانوا فيه امنين من اهوال البحر فحذرهم ما امنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر او يرسل
عليكم حاصبا يعني ريحا شديدة وهي التي ترمي بالحصبا وهي الحصا الصغار قاله ابو عبيدة والقتبي

وقال

اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه

وقال قتادة يعني حجارة من السما تحصبهم كما فعل بقوم لوط ويقال للسحابة التي ترمي بالبرد حاصب
وللريح التي تحمل التراب والحصبا حاصب وحصبة قال لبيد

جرت عليها ان خوت من اهلها ... اذيالها كل عصوف حصبة

وقال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثور

ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي حافظا ونصيرا يمنعكم من باس الله **قوله تعالى** ام امنتم ان يعيدكم فيه
تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح تارة اخرى يعني في البحر فيرسل عليكم قاصفا من الريح القاصف

صف

الريح الشديدة التي تكسر بشدة من قصف الشي يقصفه اي كسره بشدة والقصف الكسر ويقال قصفت
الريح السفينة وريح قاصف شديدة ورعد قاصف شديد الصوت يقال قصف الرعد وغيره قصيفا والقصيف
هشيم الشجر والتقصف التكسر والقصف ايضا اللهو واللعب يقال انها مولدة **قوله تعالى**
فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي بكفركم وقرا ابن كثير وابو عمرو نخسف بكم او
نرسل عليكم او نعيدكم فنرسل عليكم فنغرقكم بالنون في الخمسة على التعظيم ولقوله علينا
الباقون بالياء لقوله في الاية قبل اياه وقرا ابو جعفر وشيبة ورويس ومجاهد فتغرقكم بالتاء نعتا للريح
وعن الحسن وقتادة فيغرقكم بياء مع التشديد في الراء وقرا ابو جعفر الرياح هنا وفي كل القران وقيل ان
القاصف المهلكة في البر والعاصف المغرقة في البحر حكاه الماوردي وقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
قال مجاهد ثايرا قال النحاس وهو من الثار وكذلك يقال لكل من طلب بثار وغيره تبيع وتابع ومنه قوله
فاتباع بالمعروف اي مطالبة **قوله تعالى** ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فيه اربع مسايل **الاولى** قوله تعالى ولقد كرمنا
بني ادم الاية لما ذكر من الترهيب ما ذكر بين النعمة عليهم ايضا وكرمنا تضعيف كرم اي جعلنا لهم كرما اي
شرفا وفضلا وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيية
في امتداد القامة وحسن الصورة وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني ادم ان يكون يتحمل بارادته
وقصده وتدبيره وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس وهذا لا يتسع فيه حيوان
اتساع بني ادم لانهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ويلبسون الثياب وياكلون المركبات من الاطعمة
وغاية كل حيوان ياكل لحما نيا او طعاما غير مركب وحكى الطبري عن جماعة ان التفضيل هو ان ياكل بيده
وساير الحيوان بالفم وروي عن ابن عباس ذكره المهدوي والنحاس وهو قول الكلبي ومقاتل ذكره الماوردي
وقال الضحاك كرمهم بالنطق والتمييز وقال عطا كرمهم بتعديل القامة وامتدادها وقال يمان بحسن
الصورة وقال محمد بن كعب بان جعل محمدا منهم وقيل اكرم الرجال باللحى والنسا بالذوايب وقال
محمد بن جرير الطبري بتسليطهم على ساير الخلق وتسخير ساير الخلق لهم وقيل بالكلام والخط وقيل
بالفهم والتمييز والصحيح الذي يعول عليه ان التفضيل انما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف
وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه وتصديق رسله الا انه لما لم ينهض بكل المراد من العبد
بعثت الرسل وانزلت الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين فاذا فتحت وكانت سليمة
رات الشمس وادركت تفاصيل الاشيا وما تقدم من الاقوال بعضه اقوى من بعض وقد جعل الله في
بعض الحيوان خصالا يفضل بها ابن ادم وذلك كجري الفرس وسمعه وابصاره وقوة الفيل وشجاعة
الاسد وكرم الديك وانما التكريم والتفضيل بالعقل كما بيناه والله اعلم **الثانية** قالت فرقة
هذه الاية تقضي بتفضيل الملايكة على الانس من حيث انهم المستثنون في قوله تعالى الا الملايكة المقربون
وهذا غير لازم من الاية بل التفضيل فيها بين الانس والجن فان هذه الاية انما عدد الله فيها على بني
ادم ما خصهم به من ساير الحيوان والجن هو الكثير المفضول والملايكة هم الخارجون عن الكثير المفضول
ولم تتعرض الاية لذكرهم بل يحتمل ان الملايكة افضل ويحتمل العكس ويحتمل التساوي على الجملة
فالكلام لا ينتهي في هذه المسالة الى القطع وقد تحاشا قوم من الكلام في هذا كما تحاشوا
من الكلام في تفضيل بعض الانبيا على بعض اذ في الخبر لا تخيروا بين الانبيا ولا تفضلوني على
يونس بن متى وهذا ليس بشي لوجود النص في القران في التفضيل بين الانبيا وقد بيناه في البقرة
ومضى فيها الكلام في تفضيل الملايكة والمومن **الثالثة** قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات

يعني لذيذ المطاعم والمشارب قال مقاتل السمن والعسل والزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم من التبن والعظام وغيرها وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي على البهائم والدواب والوحش والطير بالغلبة والاستيلاء والثواب والجزاء والحفظ والتمييز واصابة الفراسة

الرابعة هذه الاية ترد ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيعوا انفسكم طيب الطعام فانما قوي الشيطان ان يجري في العروق منها وبه يستدل لكثير من الصوفية في ترك اكل الطيبات ولا اصل لها لان القرآن يرده والسنة الثابتة بخلافه على ما تقرر في غير موضع وقد حكي ابو حامد الطوسي قال كان سهل يقتات ورق النبق مدة واكل دقاق ورق التين ثلاث سنين وذكر ابراهيم بن البنا قال صحبت ذا النون من اخميم الى الاسكندرية فلما كان وقت افطاره اخرجت قرصا وملحا كان معي وقلت هلم فقال لي ملحك مدقوق قلت نعم قال لست تفلح فنظرت الى مزودة واذا فيه قليل سويق شعير يستف منه وقال ابو يزيد ما اكلت شيئا مما ياكله بنو آدم اربعين سنة قال علماؤنا وهذا مما لا يجوز حمل النفس عليه لان الله تعالى اكرم الادمي بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا يصح مزاحمة الدواب في اكل التبن واما سويق الشعير فانه يورث القولنج فاذا اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه ينحرف مزاجه فان خبز الشعير بارد مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر واذا مالت النفس الى ما يصلحها فمنعت فقد قاومت حكمة الباري سبحانه بردها ثم يؤثر ذلك في البدن فكان هذا الفعل مخالفا للشرع والعقل ومعلوم ان البدن مطية الادمي ومتى لم يرفق بالمطية لم يبلغ وروي عن ابراهيم بن ادهم انه اشترى زبدا وعسلا وخبز حواري فقيل له هذا كله فقال اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وكان الثوري ياكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم الى الصلاة ومثل هذا عن السلف كثير وقد تقدم منه ما يكفي في المائدة والاعراف وغيرهما والاول غلو في الدين ان صح عنهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم **قوله تعالى** يوم ندعوا كل اناس بامامهم روى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال يدعى احدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على راسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى ياتيهم ويقول ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا قال واما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه اصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تاتنا بهذا قال فياتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول ابعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب ونظير هذا قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون والكتاب اماما لانه يرجع اليه في تعرف اعمالهم وقال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك بامامهم اي بكتابهم اي بكتاب كل انسان منهم الذي فيه عمله دليله فمن اوتي كتابه وقال ابن زيد بالكتاب المنزل عليهم اي يدعى كل انسان بكتابه الذي كان يتلوه فيدعى اهل التوراة بالتوراة واهل القرآن بالقرآن فيقال يا اهل القرآن ماذا عملتم هل امتثلتم اوامره هل اجتنبتم نواهيه وهكذا وقال مجاهد بامامهم بنبيهم والامام من يؤتم به فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي الاصنام فيقوم اهل الحق فياخذون كتابهم بايمانهم ويقوم اهل الباطل فياخذون كتابهم بشمالهم وقاله قتادة وقال علي رضي الله عنه بامام عصرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم فقال كل يدعى بامام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم فيقول هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد فيقوم اهل الحق فياخذون كتابهم بايمانهم ويقول هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي رؤساء الضلالة امام هدى وامام ضلالة وقال الحسن وابو العالية بامامهم اي باعمالهم وقاله ابن عباس فيقال اين الراضون بالمقدور اين الصابرون على المحذور وقيل بمذاهبهم فيدعون بمن كانوا ياتمون به في الدنيا حنفي يا شافعي يا معتزلي يا قدري فيتبعونه في خير او شر او على حق او باطل وهذا معنى قول ابي عبيدة وقد تقدم وقال ابو هريرة يدعى اهل الصدقة من باب الصدقة واهل الجهاد من باب الجهاد الحديث بطوله قال ابو سهل يقال اين فلان المصلي والصوام وعكسه الزفاف والنمام وقال محمد بن كعب بامامهم بامهاتهم وامام جمع ام قالت الحكماء في ذلك ثلاثة

فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا

اوجه من الحكمة احدها لاجل عيسى عليه السلام والثاني اظهار لشرف الحسن والحسين والثالث لئلا يفتضح اولاد الزنا قلت وفي هذا نظر فان في الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان خرجه مسلم والبخاري فقوله هذه غدرة فلان بن فلان دليل على ان الناس يدعون في الاخرة باسمائهم وباسماء ابائهم وهو يرد على من قال انما يدعون باسماء امهاتهم لان في ذلك سترا على ابائهم والله اعلم **قوله تعالى** فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا هذا يقوي قول من قال بامامهم بكتابهم ويقويه ايضا قوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا الفتيل الذي في شق النواة وقد مضى في النساء **قوله تعالى** ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ومن كان في هذه الدنيا اعمى اي في الدنيا عن الاعتبار وابصار الحق فهو في الاخرة اي في امر الاخرة اعمى وقال عكرمة جاء نفر من اهل اليمن الى ابن عباس فسالوه عن هذه الاية فقال اقرءوا ما قبلها ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر الى تفضيلا قال ابن عباس من كان في هذه النعم والايات التي راى اعمى فهو عن الاخرة التي لم تعاين اعمى واضل سبيلا وقيل المعنى من عمي عن النعم التي انعم الله بها عليه في الدنيا فهو عن نعم الاخرة اعمى وقيل المعنى من كان في الدنيا التي امهل فيها وفسح له ووعد بقبول التوبة اعمى فهو في الاخرة التي لا توبة فيها اعمى وقال الحسن من كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وقيل من كان في الدنيا اعمى عن حجج الله يبعثه الله يوم القيامة اعمى كما قال ونحشره يوم القيامة اعمى الايات وقال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وصما وبكما ماواهم جهنم وقيل المعنى في قوله فهو في الاخرة اعمى في جميع الاقوال اشد عمى لانه من عمى القلب ولا يقال مثله في عمى العين قال الخليل وسيبويه لانه خلقة بمنزلة اليد والرجل فلم يقل ما اعماه كما لا يقال ما ايداه قال الاخفش لم يقل فيه ذلك لانه على اكثر من ثلاثة احرف واصله اعمي وقد اجاز بعض النحويين ما اعماه وما اعشاه لان فعله عمي وعشي وقال الفراء حدثني بشام شيخ بصري انه سمع العرب تقول ما اسود شعره قال الشاعر

ما في المعالي لكم ظل ولا ثمر | وفي المخازي لكم اشباح اشياخ
اما الملوك فانت اليوم الامهم | لوما وابيضهم سربال طباخ

وامال ابو بكر وحمزة والكسائي وخلف الحرفين اعمى واعمى وفتح الباقون وامال ابو عمرو الاول وفتح الثاني واضل سبيلا يعني انه لا يجد طريقا الى الهداية **قوله تعالى** وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا قال سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه وقال ما علي ان الم بها بعد ان يدعوني استلم الحجر والله يعلم اني لها كاره فابى الله تعالى ذلك وانزل هذه الاية قاله مجاهد وقتادة وقال ابن عباس في رواية عطاء نزلت في وفد ثقيف اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه شططا وقالوا متعنا بالهتنا سنة حتى ناخذ ما يهدى لها فاذا اخذناه كسرناها واسلمنا وحرم وادينا كما حرمت مكة حتى تعرف العرب فضلنا عليهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك فنزلت هذه الاية وقيل هو قول اكابر قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد عنا هؤلاء السقاط والموالي حتى نجلس معك ونسمع منك فهم بذلك حتى نهي عنه وقال قتادة ذكر لنا ان قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه فقالوا انك تاتي بشيء لا ياتي به احد من الناس وانت سيدنا يا سيدنا وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون ثم عصمه الله تعالى من ذلك وانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى ليفتنونك اي يزيلونك يقال فتنت الرجل عن رايه اذا ازلته عما كان عليه قاله الهروي وقيل يصرفونك والمعنى واحد عن الذي اوحينا اليك اي عن حكم القرآن لان في اعطائهم ما سالوه مخالفة لحكم القرآن لتفتري علينا غيره لتختلق علينا غير ما اوحينا اليك وهو قول ثقيف وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فان سالتك العرب لم خصصتهم فقل الله امرني بذلك حتى يكون عذرا لك واذا لاتخذوك خليلا اي لو فعلت ما ارادوا لاتخذوك خليلا اي والوك وصافوك ماخوذ من الخلة بالضم وهي الصداقة لممايلته لهم وقيل لاتخذوك خليلا اي فقيرا ماخوذ من الخلة وهي الفقر لحاجته اليهم **قوله تعالى** ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا

لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ولولا ان ثبتناك اي على الحق
وعصمناك عن موافقتهم لقد كدت تركن اليهم اي تميل اليهم شيئا قليلا اي ركونا قليلا قال قتادة
لما نزلت هذه الاية قال عليه السلام اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وقيل ظاهر الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وباطنه اخبار عن ثقيف والمعنى وان كادوا ليركنونك اي كادوا يخبرون
عنك انك ملت الى قولهم فنسب فعلهم اليه مجازا واتساعا كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك اي
كاد الناس يقتلونك بسبب ما فعلت ذكره المهدوي وقيل ما كان منه هم بالركون اليهم بل المعنى
ولو لا فضل الله عليك لكان منك ميل الى موافقتهم ولكن تم فضل الله عليك ولم تفعل ذكره القشيري
وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوما ولكن هذا تعريف للامة لئلا يركن منهم احد
الى المشركين في شيء من احكام الله تعالى وشرايعه وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
اي لو ركنت لاذقناك مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الاخرة قاله ابن عباس ومجاهد
وغيرهما وهذا غاية الوعيد وكلما كانت الدرجة اعلى كان العذاب عند المخالفة اعظم قال الله
تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وضعف الشيء مثله
مرتين وقد يكون الضعف النصيب كقوله عز وجل لكل ضعف اي نصيب وقد تقدم في الاعراف

قوله تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا هذه الاية قيل انها مدنية حسب ما تقدم في اول السورة قال ابن عباس حسدت
اليهود مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا ان الانبياء بعثوا بالشام فان كنت نبيا فالحق بها
فانك ان خرجت اليها صدقناك وامنا بك فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل من المدينة على
مرحلة فانزل الله هذه الاية وقال عبد الرحمن بن غنم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك
لا يريد الا الشام فلما نزل الله تبوك نزل وان كادوا ليستفزونك من الارض بعدما ختمت السورة فامر
بالرجوع وقيل انها مكية قال مجاهد وقتادة نزلت فيهم لهم اهل مكة باخراجه ولو اخرجوه لما امهلوا ولكن
الله امره بالهجرة فخرج وهذا اصح لان السورة مكية ولان ما قبلها خبر عن اهل مكة ولم يجر لليهود ذكر
وقوله من الارض يريد ارض مكة كقوله فلن ابرح الارض اي ارض مصر دليله وكاين من قرية هي اشد قوة
من قريتك التي اخرجتك يعني مكة معناه هم اهلها باخراجه فلهذا اضاف اليهم وقال اخرجتك وقيل
هم الكفار كلهم ان يستخفوه من ارض العرب بتظاهرهم عليه فمنعه الله ولو اخرجوه من ارض العرب
لم يمهلوا وهو معنى قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرا عطاء بن ابي رباح لا يلبثون الباء
مشددة خلفك نافع وابو بكر وابن كثير وابو عمرو وخلفك معناه بعدك وقرا ابن عامر وحفص وحمزة
والكسائي خلافك واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ومعناه ايضا
بعدك قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكانما ... بسط البواسط بينهن حصيرا

يقال شطبت المراة الجريد شطبا اذا شققته ليعمل منه الحصر قال ابو عبيد ثم تلقيه الشاطبة الى
المنقية وقيل خلفك بمعنى بعدك وخلافك بمعنى مخالفتك ذكره ابن الانباري الا قليلا فيه وجهان
احدهما ان المدة التي لبثوها بعده ما بين اخراجهم الى قتلهم يوم بدر وهذا قول من ذكر انهم قريش الثاني
ما بين ذلك وجلاء بني النضير وسبي قريظة وهذا قول من انهم اليهود **قوله تعالى** سنة من
قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا اي يعذبون
كسنة من قد ارسلنا فهو نصب باضمار يعذبون فلما سقط الخافض عمل الفعل قاله الفرا وقيل انتصب
على معنى سننا سنة من قد ارسلنا وقيل هو منصوب على تقدير حذف الكاف التقدير لا يلبثون
خلفك الا قليلا كسنة من قد ارسلنا فلا يوقف على هذا التقدير على قوله الا قليلا ولا يوقف
على الاول والثاني قبلك من رسلنا وقف حسن ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لا خلف في وعدها

قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان
مشهودا فيه سبع مسايل **المسالة الاولى** لما ذكر مكايد المشركين امر نبيه عليه السلام بالصبر
والمحافظة على الصلاة وفيها طلب النصر على الاعداء ومثله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين وتقدم القول في معنى اقامة الصلاة في اول البقرة وهذه الاية

سبب النزول

باجماع

باجماع من المفسرين اشارة الى الصلوات المفروضة واختلف العلماء في الدلوك على قولين احدهما
انه زوال الشمس عن كبد السماء قاله عمر وابنه وابو هريرة وابن عباس وطايفة سواهم من علماء التابعين
وغيرهم الثاني ان الدلوك هو الغروب قاله علي وابن مسعود وابي بن كعب وروي عن ابن عباس قال
الماوردي من جعل الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك عينيه براحته لتبينها حالة المغيب
ومن جعله اسما لزوالها فلانه يدلك عينيه لشدة شعاعها وقال ابو عبيد دلوكها
غروبها ودلكت براح يعني الشمس اي غابت وانشد قطرب

هذا مقام قدمي رباح ... ذبب حتى دلكت براح

براح بفتح الباء على وزن حذام وقطام ورقاش اسم من اسماء الشمس ورواه الفراء بكسر الباء وهو
جمع راحة يعني الكف اي غابت وهو ينظر اليها وقد جعل كفه على حاجبه ومنه قول العجاج

والشمس قد كادت تكون دنفا ... ادفعها بالراح حتى تزحلفا

قال ابن الاعرابي الزحلوفة مكان منحدر املس لانهم يتزحلفون فيه وقال والزحلفة كالدحرجة والدفع
يقال زحلفته فتزحلف ويقال دلكت الشمس اذا غابت قال ذو الرمة

مصابيح ليست باللواتي تقودها ... نجوم ولا بالافلات الدوالك

قال ابن عطية الدلوك هو الميل في اللغة فاول الدلوك هو الزوال واخره هو الغروب ومن وقت
الزوال الى الغروب يسمى دلوكا لانها حالة ميل فذكر الله تعالى الصلوات التي تكون في حالة الدلوك
وعنده فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح ان تكون المغرب داخلة في غسق الليل وقد
ذهب قوم الى ان صلاة الظهر يتمادى وقتها من الزوال الى الغروب لان الله سبحانه علق وجوبها على الدلوك
وهذا دلوك كله قاله الاوزاعي وابو حنيفة في تفصيل واشار اليه مالك والشافعي في حال الضرورة
الثانية قوله تعالى الى غسق الليل روى مالك والشافعي عن ابن عباس قال دلوك الشمس ميلها وغسق
الليل اجتماع الليل وظلمته وقال ابو عبيدة الغسق سواد الليل قال قيس بن الرقيات

ان هذا الليل قد غسقا ... واشتكيت الهم والارقا

وقد قيل غسق الليل مغيب الشفق وقيل اقبال ظلمته قال الشاعر زهير

ظلت تجود يداها وهي لاهية ... حتى اذا جنح الاظلام والغسق

يقال غسق الليل غسوقا والغسق اسم بفتح السين واصل الكلمة من السيلان يقال غسقت العين
اذا سالت تغسق وغسق الجرح غسقانا اي سال منه ما اصفر واغسق المؤذن اي اخر المغرب الى غسق الليل
وحكى الفرا غسق الليل واغسق وظلم واظلم ودجي وادجي وغبش واغبش وكان الربيع بن خثيم يقول
لمؤذنه في يوم غيم اغسق اغسق يقول اخر المغرب حتى يغسق الليل وهو اظلامه **الثالثة** اختلف العلما
في اخر وقت المغرب فقيل وقتها وقت واحد لا وقت لها الا حين تجب الشمس وذلك بين في امامة جبريل
فانه صلاها في اليومين لوقت واحد وذلك غروب الشمس وهو الظاهر من مذهب مالك عند اصحابه
وهو احد قولي الشافعي في المشهور عنه ايضا وبه قال الثوري وقال مالك في الموطا فاذا غاب الشفق فقد
خرجت من وقت المغرب ودخل وقت العشاء وبهذا قال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن حي واحمد واسحق وابو
ثور وداود لان وقت الغروب الى الشفق غسق كله ولحديث ابي موسى وفيه ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى بالسايل المغرب في اليوم الثاني فاخر حتى كان عند سقوط الشفق خرجه مسلم وقالوا وهذا اولى
من اخبار امامة جبريل لانه متاخر بالمدينة وامامة جبريل بمكة والمتاخر اولى من فعله وامره لانه ناسخ
لما قبله وزعم ابن العربي ان هذا القول هو المشهور من مذهب مالك وقوله في موطاه الذي اقراه طول
عمره واملاه في حياته والنكتة في هذا ان الاحكام المتعلقة بالاسما هل تتعلق باوايلها او باخرها
او يرتبط الحكم بجميعها والاقوى في النظر ان يرتبط الحكم باوايلها لئلا يكون ذكرها لغوا فاذا ارتبط باوايلها
جرى بعد ذلك النظر في تعلقه بالكل الى الاخر قال المؤلف رحمه الله القول بالتوسعة ارجح وقد خرج
الامام الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث الاجلح عن عبد الله الكندي عن ابي الزبير عن جابر قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قريبا من غروب الشمس فلم يصل المغرب حتى اتى سرف وذلك
تسعة اميال واما القول بالنسخ فليس بالبين وان كان التاريخ معلوما فان الجمع ممكن قال علماونا

اختلف العلماء في الدلوك

اختلف في اخر وقت المغرب

تحمل احاديث جبريل على الافضلية في وقت المغرب ولذلك اتفقت الامة فيها على تعجيلها والمبادرة
اليها في حين غروب الشمس قال ابن خواز منداد ولا نعلم احدا من المسلمين تاخر باقامة المغرب
في مسجد جماعة عن وقت غروب الشمس واحاديث التوسعة تبين وقت الجواز فيرتفع التعارض ويصح
الجمع وهو اولى من الترجيح باتفاق الاصوليين لان فيها اعمال كل واحد من الدليلين والقول بالنسخ او الترجيح
فيه اسقاط احدهما والله اعلم **الرابعة** قوله تعالى وقران الفجر انتصب قران من وجهين احدهما ان يكون
معطوفا على الصلاة المعنى واقم قران الفجر اي صلاة الصبح قاله الفراء وقال اهل البصرة انتصب على
الاغراء اي فعليك بقران الفجر قاله الزجاج وعبر عنها بالقراءة خاصة دون غيرها من الصلاة
لان القران هو عظمها اذ قراءتها طويلة مجهور بها حسبما هو مشهور مسطور عن الزجاج ايضا قال

[illegible]

يعني قياما وهجد وتهجد بمعنى وهجدته اي نومته وهجدته اي ايقظته والتهجد التيقظ بعد رقدة فصار اسما
للصلاة لانه ينتبه لها فالتهجد القيام الى الصلاة من النوم قال معناه الاسود وعلقمة وعبد الرحمن
ابن الاسود وغيرهم وروى اسماعيل ابن اسحاق القاضي من حديث الحجاج بن عمرو صاحب النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ايحسب احدكم اذا قام من الليل كله انه قد تهجد انما التهجد الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة
بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة كذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الهجود النوم
يقال تهجد الرجل اذا سهر والقى الهجود وهو النوم ويسمى من قام الى الصلاة متهجدا لان المتهجد هو الذي
يلقي الهجود الذي هو النوم عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتحرج وتأثم وتحنث وتقذر وتنجس
اذا القى ذلك عن نفسه ومثله قوله تعالى فظلتم تفكهون معناه تندمون اي تطرحون الفاكهة عن انفسكم

[illegible]

وعرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها وعلى هذا
لا يلتفت لقول من قال انه يكره ان تسال الله ان يرزقك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لانها لا تكون الا
للمذنبين لانها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ثم كل عاقل معترف بالتقصير
محتاج الى العفو غير معتد بعمله مشفق ان يكون من الهالكين ويلزم هذا القائل ان لا يدعوا بالمغفرة
والرحمة لانها لاصحاب الذنوب ايضا وهذا كله خلاف ما عرف من دعا السلف والخلف روى البخاري
عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته وارزقنا شفاعته حلت له شفاعتي يوم القيامة القول الثاني ان المقام المحمود اعطاؤه
لواء الحمد يوم القيامة قال المؤلف رحمه الله وهذا القول لا تنافر بينه وبين القول الاول فانه يكون بيده
لواء الحمد ويشفع وروى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت
لواي الحديث القول الثالث ما حكاه الطبري عن فرقة منها مجاهد انها قالت المقام المحمود هو ان يجلس الله محمدا
معه على كرسيه وروت في ذلك حديثا وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول وهو لا يخرج
الا على التلطف في المعنى وفيه بعد [illegible] ويروى والعلماء [illegible] وذكر النقاش عن ابي داود
السجستاني انه قال من انكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال اهل العلم يتحدثون بهذا من انكر جوازه
على تاويله قال ابو عمر ومجاهد وان كان احد الايمة بتاويل القرآن فان له قولين مهجورين عند اهل العلم
احدهما هذا والثاني في تاويل قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال ينتظر الثواب ليس من النظر
قال المؤلف رحمه الله ذكر هذا ابن شهاب في باب حديث التنزيل وروي عن مجاهد ايضا في هذه الاية
قال يجلسه على العرش وهذا تاويل غير مستحيل لان الله تعالى كان قبل خلقه الاشيا كلها والعرش قايما
بذاته ثم خلق الاشيا من غير حاجة اليها اظهارا لقدرته وحكمته وليعرف وجوده وتوحيده وكمال
قدرته وعلمه بكل افعاله المحكمة وخلق لنفسه عرشا استوى عليه كما شاء من غير ان صار له مماسا او كان
العرش له مكانا بل هو الآن على الصفة التي كان عليها من قبل ان يخلق المكان والزمان فعلى هذا القول
سواء في الجواز اقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش او على الارض لان استواء الله تعالى على العرش ليس
بمعنى الانتقال والزوال وتحويل الاحوال من القيام والقعود والحال التي يشغل العرش بل هو مستوى على عرشه
كما اخبر عن نفسه بلا كيف وليس اقعاده محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا
له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريف له على خلقه واما قوله في الاخبار معه فهو بمنزلة قوله ان
الذين عند ربك ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة وان الله لمع المحسنين ونحو ذلك كل ذلك عايد الى الرتبة
والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان الرابع اخراجه من النار بشفاعته من يخرج قاله
جابر بن عبد الله ذكره مسلم وقد ذكرناه في كتاب التذكرة **السادسة** اختلف العلماء في كون القيام بالليل
سببا للمقام المحمود على قولين احدهما ان الباري تعالى يجعل ما يشاء من فضله سببا لفضله من غير
معرفة بوجه الحكمة فيه او بمعرفة وجه الحكمة الثاني ان قيام الليل فيه الخلوة مع الباري والمناجاة دون
الناس فاعطي الخلوة به ومناجاته في القيامة وهو المقام المحمود ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم
فاجلهم فيه درجة محمد صلى الله عليه وسلم فانه يعطى ما لا يعطى احد يشفع ولا يشفع احد وعسى من الله واجبة
ومقاما نصب على الظرف اي في مقام او الى مقام وذكر الطبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الانسان للامور الجليلة
كالمقامات بين يدي الملوك قوله تعالى **وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق**
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قيل المعنى امتني اماتة صدق وابعثني يوم القيامة مبعث صدق
ليتصل بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا كانه لما وعده ذلك امره ان يدعو لينجز له الوعد وقيل ادخلني
في المامور واخرجني من المنهي وقيل علمه ما يدعوا به في صلاته وغيرها من اخراجه من بين المشركين وادخاله
موضع الامن فاخرجه من مكة وصيره الى المدينة وهذا المعنى رواه الترمذي عن ابن عباس قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فنزلت وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق

كل ذلك عائد الى الرتبة والمنزلة والدرجة الرفيعة لا الى المكان

واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال هذا حديث حسن صحيح وقال الضحاك هو خروجه من مكة ودخوله مكة
يوم الفتح امنا وقال ابو سهل حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون ليخرجن الاعز منها الاذل يعني ادخال
عز واخراج نصر الى مكة وقيل المعنى ادخلني في الامر الذي اكرمتني به من النبوة مدخل صدق واخرجني
منه مخرج صدق اذا امتني قال معناه مجاهد والمخرج والمدخل بضم الميم بمعنى الادخال والاخراج كقوله انزلني
منزلا مباركا اي انزالا لا ارى فيه ما اكره وهي قراءة العامة وقراءة الحسن وابو العالية ونصر بن عاصم
مدخل ومخرج بفتح الميمين بمعنى الدخول والخروج قاله الكواشي وهذا الا في وقال ابن عباس ادخلني القبر
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق عند البعث وقيل ادخلني حيث ما ادخلته بالصدق واخرجني بالصدق
اي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون وجيها عندك وقيل الاية عامة في كل ما
يتناول من الامور ويحاول من الاسفار والاعمال وينتظر من صرف المقادير في الموت والحياة فهي دعاء ومعناه
رب اصلح لي ذريتي في كل الامور وصدري وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قاله الشعبي وعكرمة
اي حجة ثابتة وذهب الحسن الى انه العز والنصر واظهار دينه على الدين كله قال فوعده الله لينزعن عن
ملك فارس والروم وغيرهما قوله تعالى **وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**
فيه ثلاث مسايل **المسالة الاولى** روى البخاري والترمذي عن ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام
الفتح وحول الكعبة ثلثماية وستون نصبا فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعنها بمخصرة في يده وربما قال
بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد لفظ الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وكذا في صحيح مسلم نصبا وفي رواية صنما قال علماؤنا انما كانت بهذا العدد
لانهم كانوا يعظمون صنما ويخصون اعظمها بيومين وقوله فجعل يطعنها بعود في يده يقال انها كانت مثبتة
بالرصاص مشددة وانه كلما طعن منها صنما في وجهه خر لقفاه او في قفاه خر لوجهه وكان يقول جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا حكاه ابو عمر والقاضي عياض وقال القشيري فما بقي منها صنم الا خر لوجهه
ثم امر بها فكسرت **الثانية** في هذه الاية دليل على كسر نصب المشركين وجميع الاوثان اذا غلب عليهم ويدخل
بالمعنى كسر آلة الباطل كله وما لا يصلح الا لمعصية الله كالطنابير والعيدان والمزامير التي لا معنى لها الا
اللهو بها عن ذكر الله قال ابن المنذر وفي معنى الاصنام الصور المتخذة من المدر والخشب وشبهها كل ما يتخذه
الناس مما لا منفعة فيه الا اللهو المنهي عنه ولا يجوز بيع شيء منه الا الاصنام التي تكون من الذهب والفضة
والحديد والرصاص اذا غيرت عما هي عليه وصارت نقرا او قطعا فيجوز بيعها والشراء بها قال المهلب
وما كسر من آلات الباطل وكان في حبسها بعد كسرها منفعة فصاحبها اولى بها مكسورة الا ان يرى الامام
حرقها بالنار على معنى التشديد والعقوبة في المال وقد تقدم حرق ابن عمر وقد هم النبي صلى الله عليه وسلم
بتحريق دور من تخلف عن صلاة الجماعة وهذا اصل في العقوبة في المال مع قوله عليه السلام في الناقة التي
لعنتها صاحبتها دعوها فانها ملعونة فازال ملكها عنها تاديبا لصاحبتها وعقوبة لها فيما دعت عليه بما دعت
به وقد اراق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبنا شيب بماء على صاحبه **الثالثة** ما ذكرناه من تفسير الاية ينظر
الى قوله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن عيسى ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير
وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها الحديث خرجه الصحيحان ومن هذا الباب هتك النبي صلى
الله عليه وسلم الستر الذي فيه الصور وذلك ابهاد ليل على افساد الصور وآلات الملاهي كما ذكرنا وهذا
كله يحظر المنع من اتخاذها ويوجب التغيير على صاحبها ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال
لهم احيوا ما خلقتم وحسبك وسياتي هذا المعنى في النمل ان شاء الله تعالى وقل جاء الحق اي الاسلام وقيل القرآن
قاله مجاهد وقيل الجهاد وزهق الباطل قيل الشرك وقيل الشيطان قاله مجاهد والصواب تعميم اللفظ
بالغاية الممكنة فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الباطل يعني ما انطوى فيه زهق
الباطل بطل الباطل ومن هذا زهوق النفس وهو بطلانها يقال زهقت نفسه تزهق زهوقا وازهقتها ان
الباطل كان زهوقا اي لا بقاء له والحق الذي يثبت قوله تعالى **وننزل من القرآن ما هو شفاء**
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فيه سبع مسايل **الاولى** وننزل قرا الجمهور بالنون وقرا
مجاهد وينزل بالياء خفيفة ورواها المروزي عن حفص ومن لابتداء الغاية ويصح ان تكون لبيان الجنس
كانه قال وننزل ما فيه شفاء من القرآن وفي الخبر من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وانكر بعض المتاولين

ان تكون من للتبعيض لانه يحفظ من ان يلزمه ان بعضه لا شفاء فيه قال ابن عطية وليس يلزمه هذا بل يصح
ان تكون للتبعيض بحسب ان انزاله انما هو متبعض فكانه قال وننزل من القران شيئا شفاء ما فيه كله شفاء
الثانية اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين احدهما انه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وازالة الريب
وكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والامور الدالة على الله تعالى الثاني شفاء من الامراض الظاهرة
بالرقى والتعوذ ونحوه وقد روى الائمة واللفظ للدارقطني عن ابي سعيد الخدري قال بعثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سرية ثلاثين راكبا قال فنزلنا على قوم من العرب قال في رواية ابن قتة فان الملك يموت قال
قلت نعم انا ولكن لا افعل حتى تعطونا قالوا افيكم احد يرقي فانا نعطيكم ثلاثين شاة قال فقرات عليه
الحمد لله رب العالمين سبع مرات فبرا وفي رواية سليمان بن قتة عن ابي سعيد فافاق وبرا فبعث الينا
بالنزل وبعث الينا بالشاء فاكلنا الطعام انا واصحابي وابوا ان ياكلوا من الغنم حتى اتينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبرته الخبر فقال وما يدريك انها رقية فقلت يا رسول الله شيء القي في روعي قال كلوا واطعمونا
من الغنم خرجه في كتاب السنن وخرج في كتاب المديح من حديث السري بن يحيى قال حدثني المعتمر بن ابي سليمان
عن ليث بن ابي سليم عن الحسن عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينفع باذن الله تعالى من
البرص والجنون والجذام والبطن والسل والحمى والنفس ان يكتب بزعفران او بمشق يعني المغرة اعوذ بكلمات
الله التامة واسمائه كلها عامة من شر السامة والعامة ومن شر العين اللامة ومن شر حاسد اذا
حسد ومن شر ابي فروة وما ولد وكذا قال ولم يقل من شر ابي قترة وقال ثلاثة وثلاثون من الملائكة
اتوا ربهم عز وجل فقالوا وصب بارضنا فقال خذوا من تربة ارضكم فامسحوا نواصيكم او قال نوصيكم رقية
محمد صلى الله عليه وسلم لا افلح من كتمها ابدا او اخذ عليها صفدا ثم يكتب فاتحة الكتاب واربع ايات من اول
البقرة والاية التي فيها تصريف الرياح واية الكرسي والايتين التي من بعدها وخواتيم سورة البقرة من موضع
لله ما في السموات وما في الارض الى اخرها وعشرا من اول ال عمران وعشرا من اخرها واول اية من النساء واول
اية من المائدة واول اية من الانعام واول اية من الاعراف والاية التي في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض حتى يختم الاية والاية التي في يونس من موضع قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان
الله لا يصلح عمل المفسدين والاية التي في طه والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا
يفلح الساحر حيث اتى وعشرا من اول والصافات وقل هو الله احد والمعوذتين يكتب في اناء نظيف ثم يغسل
ثلاث مرات بماء نظيف ثم يحسوا منه الوجع ثلاث حسوات ثم يتوضا منه كوضوئه للصلاة ويتوضا قبل
وضوءه للصلاة حتى يكون على طهر قبل ان يتوضا ثم يصب على راسه وصدره وظهره ولا يستنجي به ثم يصلي
ركعتين ثم يستشفي الله تعالى يفعل ذلك ثلاثة ايام وقد ربما يكتب في كل يوم كما ها وفي رواية ومن شر ابي
قترة وما ولد وقال فامسحوا ابوصبكم ولم يشك وروى البخاري عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت انفث عنه بهن وامسح بيد نفسه
لبركتها فسالت الزهري كيف ينفث قال كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه وروى مالك عن ابن شهاب
عن عروة عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى قرا على نفسه المعوذتين وتفل او
نفث قال ابو بكر الانباري قال اللغويون تفسير نفث نفخ نفخا ليس معه ريق ومعنى تفل نفخ نفخا معه ريق قال
الشاعر
فان يبرا فلم انفث عليه … وان يفقد فحق له الفقود
وقال ذو الرمة
ومن جوف ماء عرمض الحول فوقه … متى يحس منه مائح القوم يتفل
اراد ينفخ بريق وسياتي ما للعلماء في النفث في سورة الفلق ان شاء الله تعالى **الثالثة** روى ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الرقى الا بالمعوذات قال الطبري وهذا حديث لا يجوز الا
حتجاج بمثله في الدين اذ في نقله من لا يعرف ولو كان صحيحا لكان اما غلطا واما منسوخا لقوله عليه
السلام في الفاتحة ما ادراك انها رقية واذا جاز الرقى بالمعوذتين وهما سورتان من القران كانت
الرقية بسائر القران مثلهما في الجواز اذ كله قران وروي عنه عليه السلام انه قال شفاء امتي في
ثلاث اية من كتاب الله او لعقة من عسل او شرطة محجم وقال رجاء الغنوي من لم يستشف بالقران فلا شفا
له **الرابعة** واختلف العلماء في النشرة وهي ان يكتب شيئا من اسماء الله او من القران ثم يغسله بالماء
ثم يمسح به المريض او يسقيه فاجازها سعيد بن المسيب قيل له الرجل يوخذ عن امراته ايحل عنه

ينفع البطن والسل والجذام والبرص

وينشر

وينشر قال لا باس به وما ينفع لم ينه عنه ولم ير مجاهد ان يكتب ايات من القران ثم تغسل ثم يسقاه
صاحب الفزع وكانت عايشة تقرا بالمعوذتين في اناء ثم تامر ان يصب على المريض وقال المازري
ابو عبد الله النشرة امر معروف عند اهل التعزيم وسميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اي تحل ومنعها
الحسن وابراهيم النخعي قال النخعي اخاف ان يصيبه بلاء وكانه ذهب الى انه ما يجيء به القران فهو الى
ان يعقب بلاء اقرب منه الى ان يفيد شفا وقال الحسن سالت انسا فقال ذكروا عن النبي صلى الله عليه
وسلم انها من الشيطان وقد روى ابو داود من حديث جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان قال ابن عبد البر وهذه اثار لينة ولها وجوه محتملة وقد قيل
ان هذا محمول على ما اذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله وعن المداواة المعروفة والنشرة
من جنس الطب فهي غسالة شيء له فضل فهو كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ومن استطاع منكم ان ينفع اخاه فليفعل قال المؤلف
رحمه الله قد ذكرنا النص في النشرة مرفوعا وان ذلك لا يكون الا من كتاب الله فليعتمد عليه **الخامسة**
قال مالك لا باس بتعليق الكتب التي فيها اسماء الله تعالى على اعناق المرضى على وجه التبرك بها اذا لم يرد
معلقها بتعليقها مدافعة العين وهذا معناه قبل ان ينزل به شيء من العين وعلى هذا القول جماعة اهل
العلم لا يجوز عندهم ان يعلق على الصحيح من بني ادم او البهائم شيء من العلائق خوف نزول العين وكلما
تعلق بعد نزول البلاء من اسماء الله عز وجل وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله عز وجل فهو كالرقى
المباح الذي وردت به السنة باباحته من العين وغيرها وقد روى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا فزع احدكم في نومه فليقل اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وسوء عقابه ومن
شر الشياطين وان يحضرون فكان عبد الله يعلمها ولده من ادرك منهم ومن لم يدرك منهم كتبها وعلقها
عليه فان قيل فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من علق شيئا وكل اليه وراى ابن مسعود
على ام ولده تميمة مربوطة فجذبها جذبا شديدا فقطعها وقال ان ال مسعود لاغنياء عن الشرك ثم
قال ان التمائم والرقى والتولة من الشرك قيل ما التولة قال ما تحببت به لزوجها وروي عن عقبة بن عامر
الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من علق تميمة فلا اتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع
الله له قلنا قال الخليل بن احمد التميمة قلادة فيها عوذ والودعة خرزة وقال ابو عمر التميمة في كلام
العرب القلادة ومعناه عند اهل العلم ما علق في الاعناق من القلائد خشية العين وغيرها من
انواع البلا وكان المعنى في الحديث ان من تعلق تميمة ما عسى ان ينزل او لا ينزل قبل ان ينزل فلا اتم
عليه صحته وعافيته ومن تعلق ودعة وهي مثلها في المعنى فلا ودع الله له اي فلا بارك الله له ما هو
من العافية والله اعلم وهذا كله تحذير مما كان اهل الجاهلية يصنعونه من تعليق التمائم والقلائد
ويظنون انها تقيهم وتصرف عنهم البلا وذلك لا يصرفه الا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي لا شريك
له فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم وعن عايشة قالت
ما تعلق بعد نزول البلاء فليس من التمائم وقد كره بعض اهل العلم تعليق التمائم على كل حال قبل نزول
البلاء وبعده والقول الاول اصح في الاثر والنظر ان شاء الله وما روي عن ابن مسعود يجوز ان يكون ما كره
تعليقه غير القران اشياء ماخوذة عن العراقيين والكهان اذ الاستشفاء بالقران معلقا وغير معلق
لا يكون شركا وقوله عليه السلام من علق شيئا وكل اليه فمن علق القران ينبغي ان يتولاه الله
ولا يكله الى غيره لانه تعالى هو المرغوب اليه والمتوكل عليه في الاستشفاء بالقران وسئل
ابن المسيب عن التعويذ ايعلق قال اذا كان في قصبة او رقعة يحرز فلا باس به وهذا على ان المكتوب
قران وعن الضحاك انه لم يكن يرى باسا ان يعلق الرجل الشيء من كتاب الله اذا وضعه عند الجماع وعند
الغائط ورخص ابو جعفر محمد بن علي في التعويذ يعلق على الصبيان وكان ابن سيرين لا يرى باسا بالشيء
من القران يعلقه الانسان **السادسة** قوله تعالى ورحمة للمؤمنين تفريج الكروب وتطهير العيوب
وتكفير الذنوب مع ما يتفضل به الله تعالى من الثواب في تلاوته كما روى الترمذي عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر
امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف قال هذا حديث حسن صحيح غريب

في تعليق التعويذ

وقد تقدم ولا يزيد الظالمين الا خسارا التكذيبهم به قال قتادة ما جالس احد القرآن الا قام عنه بزيادة
او نقصان ثم قرا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ونظيره
هذه الآية قوله قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى
وقيل شفاء في الفرايض والاحكام لما فيه من البيان قوله تعالى وَاِذَا اَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ
اَعْرَضَ وَنَاٰى بِجَانِبِهِ وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُسًا اي هاولا الذين يزيدهم القرآن خسارا ان
صفتهم الاعراض عن تدبر ايات الله والكفران لنعمه وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة ومعنى نأى بجانبه
اي تكبر وتباعد وناء اي مقلوب منه والمعنى بعد عن القيام بحقوق الله تعالى يقال نأى الشي اي بعد
ونايته ونايت عنه بمعنى اي بعدت وانايته فانتاى اي ابعدته فبعد وتناوا اي تباعدوا و
والمنتاى الموضع البعيد قال النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتاى عنك واسع

وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان ناء مثل باع الهمزة موخرة وهو على طريقة القلب من ناى كما يقال راء وراى
وقيل هو من النوء وهو النهوض والقيام وقد يقال ايضا للوقوع والجلوس نوء وهو من الاضداد وقرى
وناى بفتح النون وكسر الهمزة والعامة ناى في وزن راى واذا مسه الشر كان يوسا اي اذا ناله
شدة من فقر او سقم او بوس يئس وقنط لانه لا يثق بفضل الله قوله تعالى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلٰى شَاكِلَتِهِ
فَرَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ اَهْدٰى سَبِيْلًا قال ابن عباس ناحيته قاله الضحاك مجاهد طبيعته وعنه حدته ابن زيد
على دينه الحسن وقتادة نيته مقاتل جبلته الفراء على طريقته ومذهبه الذي جبل عليه وقيل قل كل يعمل
على ما هو اشكل عنده واولى بالصواب في اعتقاده وقيل هو ماخوذ من الشكل يقال لست على شكلي ولا
شاكلتي قال الشاعر

كل امرء يشبهه فعله ... ما يفعل المرء فهو يفعله

فالشكل هو المثل والنظير والضرب كقوله واخر من شكله ازواج والشكل بكسر الشين الهيئة يقال
جارية حسنة الشكل وهذه الاقوال كلها متقاربة المعنى ان كل احد يعمل على ما يشاكل اصله واخلاقه
التي الفها وهذا ذم للكافر ومدح للمومن والاية والتي قبلها نزلتا في الوليد بن المغيرة ذكره المهدوي فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي بالمومن والكافر وما سيحصل منهم كل واحد منهم وقيل اهدى سبيلا اي
اسرع قبولا وقيل احسن دينا وحكي ان الصحابة رضوان الله عليهم تذاكروا القرآن فقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه قرات القرآن من اوله الى اخره فلم ار فيه اية ارجى واحسن من قوله تبارك وتعالى قل كل
يعمل على شاكلته فانه لا يشاكل بالعبد الا العصيان ولا يشاكل بالرب الا الغفران وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرات القرآن من اوله الى اخره فلم ار اية ارجى واحسن من قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
قدم غفران الذنوب على قبول التوبة وفي هذا بشارة للمومنين وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه قرات
القرآن من اوله الى اخره فلم ار اية احسن وارجى من قوله تعالى نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قرات القرآن من اوله الى اخره فلم ار اية احسن وارجى من قوله تعالى قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم قال المولف رحمه الله وقرات القرآن من اوله الى اخره فلم ار اية احسن وارجى من قوله تعالى
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون قوله تعالى وَيَسْاَلُوْنَكَ
عَنِ الرُّوْحِ قُلِ الرُّوْحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّيْ روى البخاري والترمذي ومسلم عن عبد الله قال بينا انا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متوكي على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال
ما رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشي تكرهونه فقالوا سلوه عن الروح فامسك النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يرد عليه شيا فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا لفظ البخاري وفي مسلم فامسك النبي صلى الله عليه
وسلم وفيه وما اوتوا وقد اختلف الناس في الروح المسول عنه اي روح هو فقيل هو جبريل قاله قتادة
قال وكان ابن عباس يكتمه وقيل هو عيسى وقيل القرآن على ما ياتي بيانه في اخر الشورى وقال علي بن ابي
طالب هو ملك من الملايكة له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان في كل لسان سبعون

لا يشاكل بالعبد الا العصيان
ولا يشاكل بالرب الا الغفران

الف لغة يسبح الله بكل تلك اللغات يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملايكة الى يوم القيامة
ذكره الطبري قال ابن عطية وما اظن القول يصح عن علي رضي الله عنه قال المولف رحمه الله اسند البيهقي
اخبرنا ابو زكريا ابن ابي اسحق اخبرنا ابو الحسن الطرايفي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا عبد الله بن صالح
عن معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله ويسالونك عن الروح يقول الروح ملك وباسناده
عن معاوية بن صالح حدثني ابو هزان يزيد بن سمرة عن من حدثه عن علي بن ابي طالب انه قال في قوله تعالى
ويسالونك عن الروح قال هو ملك من الملايكة له سبعون الف وجه الحديث بلفظه ومعناه وروي عن
عطا عن ابن عباس قال الروح ملك له احد عشر الف جناح والف وجه يسبح الله الى يوم القيامة ذكره النحاس
وعنه جند من جنود الله لهم ايد وارجل ياكلون الطعام ذكره الغزنوي وقال الخطابي قال بعضهم هو
ملك من الملايكة بصفة وصفوها من عظم الخلقة وذهب اكثر اهل التاويل الى انهم سالوه عن الروح الذي
يكون به حياة الجسد وقال اهل النظر منهم انما سالوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الانسان وكيف
امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به وهذا شي لا يعلمه الا الله عز وجل وقال ابو صالح الروح خلق كخلق بني ادم
وليسوا بني ادم لهم ايد وارجل والصحيح الابهام لقوله قل الروح من امر ربي دليل على خلق الروح اي هو امر
عظيم وشان كبير من امر الله تعالى مبهما له وتاركا تفصيله وحكمة ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة
مجاور له دلالة على انه خالقه اعجز ليعرف الانسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها
واذا كان الانسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن ادراك حقيقة الحق اولى قوله تعالى
وَمَا اُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيْلًا اختلف فيمن خوطب بذلك فقالت فرقة السايلون فقط وقال قوم المراد
اليهود بجملتهم وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود وما اوتوا ورواها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة
المراد العالم كله وهو الصحيح وعليه قراءة الجمهور وما اوتيتم وقد قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم
كيف لم نوت من العلم الا قليلا وقد اوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
فعارضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم الله فغلبوا وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في بعض
الاحاديث كلا يعني ان المراد بما اوتيتم جميع العالم وذلك ان يهود قالت له نحن عنيت ام قومك فقال
كلا وفي هذا المعنى نزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام حكى ذلك الطبري رحمه الله وقد قيل
ان السايلين عن الروح هم قريش قالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح
فان اخبركم عن اثنين وامسك عن واحدة فهو نبي فاخبرهم بخبر اصحاب الكهف وبخبر ذي القرنين على ما ياتي
وقال في الروح من امر ربي اي من الامر الذي لا يعلمه الا الله ذكره المهدوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس
قوله تعالى وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيْ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهٖ عَلَيْنَا وَكِيْلًا اِلَّا رَحْمَةً
مِّنْ رَّبِّكَ اِنَّ فَضْلَهٗ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيْرًا بالذي اوحينا اليك يعني القرآن اي كما قدرنا على انزاله نقدر على
اذهابه حتى ينساه الخلق ويتصل هذا بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي ولو شيت ان اذهب بذلك القليل
لقدرت عليه ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي ناصرا يرده عليك الا رحمة من ربك يعني لكن لا نشا ذلك رحمة
من ربك فهو استثنا ليس من الاول وقيل الا ان يرحمك ربك فلا نذهب به ان فضله كان عليك كبيرا
اذ جعلك سيد ولد ادم واعطاك المقام المحمود وهذا الكتاب العزيز وقال عبد الله بن مسعود اول ما تفقدون
من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة وان هذا القرآن كانه قد نزع منكم يصبحون يوما وما فيكم
منه شي فقال رجل كيف يكون ذلك يا ابا عبد الرحمن وقد ثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا
ويعلمه ابناونا ابناهم الى يوم القيامة قال يسرى به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وما في القلوب
فيصبح الناس كالبهايم ثم قرا عبد الله ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الاية خرجه ابو بكر بن
ابي شيبة بمعناه قال حدثنا ابو الاحوص عن عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل قال قال عبد الله يعني
ابن مسعود ان هذا القرآن الذي بين اظهركم يوشك ان ينزع منكم قال قلت كيف ينزع منا وقد اثبته
الله في قلوبنا وثبتناه في مصاحفنا قال يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب
ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء ثم قرا ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الاية وهذا اسناد
صحيح عن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي كدوي النحل فيقول الله ما بالك
فيقول يا رب منك خرجت واليك اعود اتلى فلا يعمل بي قال المولف رحمه الله قد جاء معنى هذا مرفوعا

الروح ملك

لا يقوم الساعة حتى يرجع القرآن

من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس الاسلام
كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى
في ليلة فلا يبقى في الارض منه اية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون ادركنا
اباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة قال له
صلة ما تغني عنهم لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة فاعرض عنه
حذيفة ثم ردها ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم اقبل عليه حذيفة فقال يا صلة تنجيهم من النار
ثلاثا اخرجه ابن ماجة في السنن وقال عبد الله بن عمر خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوب الراس من
وجع فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ما هذه الكتب التي تكتبون اكتاب غير كتاب الله يوشك
ان يغضب الله لكتابه فلا يدع ورقا ولا قلبا الا اخذ منه قالوا يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ
قال من اراد الله به خيرا ابقى في قلبه لا اله الا الله ذكره الثعلبي والغزنوي وغيرهما في التفسير

قوله تعالى قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا اي عونا ونصيرا مثل ما يتعاون الشعرا على بيت شعر فيقيمونه نزلت
حين قال الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا فاكذبهم الله تعالى وقد مضى القول في اعجاز القرآن في اول الكتاب
والحمد لله ولا يأتون جواب القسم في لئن وقد يجزم على ارادة الشرط قال الشاعر

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا ... اقم في نهار القيظ للشمس باديا

قوله تعالى وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا اي وجهنا
القول فيه بكل مثل يجب به الاعتبار من الايات والعبر والترغيب والترهيب والاوامر والنواهي واقاصيص
الاولين والجنة والنار والقيامة فابى اكثر الناس الا كفورا يريد اهل مكة بين لهم الحق وفتح لهم
وامهلهم حتى يتبين لهم فابوا الا الكفر وقت تبيين الحق قال المهدوي ولا حجة للقدري في قولهم لا يقال
ابى الا لمن ابى فعل ما هو قادر عليه لان الكافر وان كان غير قادر على الايمان بحكم الله عليه بالاعراض عنه
وطبعه على قلبه فقد كان قادرا وقت الفسحة والمهلة على طلب الحق وتمييزه من الباطل قوله تعالى
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية نزلت في رؤسا قريش مثل عتبة وشيبة ابنا
ربيعة وابي سفيان والنضر بن الحارث وابي جهل وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف وابي البختري
والوليد بن المغيرة وغيرهم وذلك انهم لما عجزوا عن معارضة القرآن ولم يرضوا به معجزة اجتمعوا فيما ذكر
ابن اسحاق وغيره بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه
حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فاتهم فجاءهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا يحب رشدهم
ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من
العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وشتمت الالهة وسفهت
الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي امر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك او كما قالوا له فان كنت انما جئت
بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف
فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا تراه قد
غلب عليك وقد كانوا يسمون التابع من الجن رئيا فربما كان ذلك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى
نبريك منه او نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما يقولون ما جئت بما جئتكم به
اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني
ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في
الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله او كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان
كنت غير قابل منا شيئا عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس احد اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد

عيشا فاسال لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا
بلادنا وليجري لنا فيها انهارا كانهار الشام وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم
قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسالهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك وصنعت
ما سالناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله وسلامه
عليه ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله تعالى بما بعثني به وقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه
فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فان لم تفعل لنا
هذا فخذ لنفسك سل ربك ان يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك واساله ان فليجعل
لنا جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة تغنيك به عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش
كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انا بفاعل وما انا بالذي يسال ربه هذا وما بعثت بهذا اليكم ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا
او كما قال فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله
بيني وبينكم قالوا فاسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فانا لن نؤمن لك الا ان تفعل
قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله عز وجل ان شاء ان يفعله بكم فعل قالوا يا محمد فما علم
ربك انا سنجلس معك ونسالك عما سالناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك ويعلمك ما
تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا اذ لم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك
هذا رجل من اليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن ابدا فقد اعذرنا اليك يا محمد وانا والله لا
نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال
قائلهم لن نؤمن لك حتى تاتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم
وقام معه عبد الله ابن ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد
المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم امورا ليعرفوا
بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تاخذ لنفسك ما يعرفون
به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل
او كما قال له فوالله لا اومن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي بصك
معه اربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك ثم انصرف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا اسفا لما فاته مما كان يطمع به
من قومه حين دعوه ولما راى من مباعدتهم اياه كله لفظ ابن اسحاق وذكر الواحدي عن عكرمة عن ابن عباس
فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات ينبوعا يعني العيون عن مجاهد و
يفعول من نبع ينبع وقرا حمزة وعاصم والكسائي تفجر لنا مخففة واختاره ابو حاتم لان الينبوع واحد
ولم يختلفوا في تفجر الانهار انه مشدد قال ابو عبيد والاولى مثلها قال ابو حاتم ليست مثلها لان الاولى
بعدها ينبوع وهو واحد والثانية بعدها الانهار وهي جمع والتشديد يدل على التكثير قال مجاهد
الينبوع عين الماء والجمع الينابيع وقرا قتادة او تكون لك جنة خلالها اي وسطها او تسقط السماء
قراءة العامة وقرا مجاهد او يسقط السماء على اسناد الفعل الى السماء كسفا اي قطعا عن ابن عباس وغيره
والكسف بفتح السين جمع كسفة وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم الباقون كسفا باسكان السين قال
الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا قال المهدوي ومن اسكن السين
جاز ان يكون جمع كسفة وجاز ان يكون مصدرا من كسفت الشيء اذا غطيته فكانهم قالوا اسقطها طبقا
علينا وقال الجوهري الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطني كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف ويقال
الكسف واحد او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي معاينة عن قتادة وابن جريج وقال الضحاك وابن عباس
كفيلا وقال مقاتل شهيدا وقال مجاهد هو جمع القبيلة اي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة وقيل ضمنا يضمنون
لنا اتيانك به او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب عن ابن عباس وغيره واصله الزينة والمزخرف
المزين وزخارف الماء طرائقه وقال مجاهد كنت لا ادري ما المزخرف حتى رايته في قراءة ابن مسعود بيت
من ذهب اي نحن لا ننقاد لك مع هذا الفقر الذي نرى او ترقى في السماء اي تصعد يقال رقيت في السلم

او قارقيا ورقيا اذ اصعدت وارتقيت مثله ولن نؤمن لرقيك اي من اجل رقيك وهو مصدر نحو
مضى يمضي مضيا وهوى يهوي هويا كذلك رقي يرقى رقيا حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اي كتابا من الله
الى كل رجل منا كما قال بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قل سبحان ربي هل كنت وقرأ اهل
مكة والشام قال سبحان ربي يعني النبي صلى الله عليه وسلم اي قال ذلك تنزيها لله عن ان يعجز عن شيء وعن
ان يعترض عليه في فعل وقيل كل هذا تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم الباقون قل على الامر اي قل لهم
يا محمد هل كنت اي ما انا الا بشرا رسولا اتبع ما يوحى الي من ربي ويفعل الله ما يشاء من هذه الاشياء
التي ليست في قدرة البشر فهل سمعتم احدا من البشر اتى بهذه الايات وقال بعض الملحدين ليس هذا
جواب مقنع وغلطوا لانه اجابهم فقال انما انا بشر لا اقدر على شيء مما سألتموني وليس لي ان اتخير على ربي
ولم تكن الرسل قبل يأتون اممهم بكل ما يريدونه ويبغونه وسبيلي سبيلهم وكانوا يقتصرون على ما اتاهم
الله من فضله اياه الدالة على صحة نبوتهم فاذا اقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم ان يقترحوا غيرها
ولو وجب على الله ان يأتيهم بكل ما يقترحونه من الايات لوجب عليهم ان يأتيهم من يؤول الى ان يختارونه من
الرسل ولو وجب لكل انسان ان يقول لا اومن حتى اوتى باية خلاف ما طلب غيري وهذا يؤول الى ان يكون
التدبير الى الناس وانما التدبير الى الله تعالى **قوله تعالى** وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا اذ جاءهم الهدى يعني الرسل والكتب من عند الله بالدعاء
اليه الا ان قالوا جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا اي الله اجل من ان يكون رسوله من البشر فبين
الله فرط عنادهم لانهم قالوا انت مثلنا فلا يلزمنا الانقياد وغفلوا عن المعجزة وان الاولى في محل النصب
باسقاط الخافض وان الثانية في محل رفع بمنع اي وما منع الناس من ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا قولهم
ابعث الله **قوله تعالى** قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا اعلم الله تعالى ان الملك انما يرسل الى الملائكة لانه لو ارسل ملك الى الادميين لم يقدروا ان يروه
على الهيئة التي خلقوا عليها وانما اقدر الانبياء على ذلك وخلق فيهم ما يقدرون به ليكون ذلك اية لهم
ومعجزة وقد تقدم في الانعام نظير هذه الاية وهو قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر الاية وقد تقدم الكلام فيه **قوله تعالى** قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يروى ان كفار قريش قالوا حين سمعوا قوله هل كنت الا بشرا رسولا فمن
يشهد لك انك رسول فنزل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم الاية **قوله تعالى** من يهد الله فهو
المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا من يهد الله فهو المهتدي اي لو هداهم الله لاهتدوا
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اي لا يهديهم احد ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم فيه
وجهان احدهما ان ذلك عبارة عن الاسراع بهم الى جهنم من قول العرب قد مر القوم على وجوههم اذا
اسرعوا الثاني يسحبون يوم القيامة على وجوههم الى جهنم كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه
وهذا هو الصحيح لحديث انس ان رجلا قال يا رسول الله الذين يحشرون على وجوههم ايحشر الكافر على وجهه
يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا اخرجه البخاري ومسلم وحسبك عميا وبكما وصما قال ابن
عباس والحسن اي عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بحجة صما عما ينفعهم وعلى هذا القول حواسهم باقية على
ما كانت عليه وقيل انهم يحشرون على الصفة التي وصفهم الله بها ليكون ذلك زيادة في عذابهم ثم يخلق
لهم ذلك في النار فابصروا لقوله تعالى وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا لقوله
تعالى دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال مقاتل بن سليمان اذا قيل
لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون صاروا عميا لا يبصرون صما لا يسمعون بكما لا يفقهون وقيل عموا حين
دخلوا النار لشدة سوادها وانقطع كلامهم حين قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وذهب الزفير
والشهيق بسمعهم فلم يسمعوا شيئا ماواهم جهنم اي مستقرهم ومقامهم كلما خبت اي سكنت
عن الضحاك وغيره وقال مجاهد طفئت يقال خبت النار تخبو خبوا اي طفئت واخبيتها انا زدناهم
سعيرا اي نارا تلتهب وسكون التهابها من غير نقصان في الامهم ولا تخفيف عنهم من عذابهم وقيل اذا
ارادت ان تخبو كقوله واذا قرأت القرآن **قوله تعالى** ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا

اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون

وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا اي ذلك
العذاب جزاء كفرهم وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فانكروا البعث فاجابهم
الله تعالى فقال اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه قيل في الكلام تقديم وتاخير اي اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه قادر على ان يخلق مثلهم والاجل مدة بقائهم في الدنيا ثم موتهم وذلك مما لا يشكون فيه
اذ هو مشاهد وقيل هذا جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وقيل هو يوم القيامة فابى
الظالمون الا كفورا اي المشركون الا جحودا بذلك الاجل وبايات الله وقيل ذلك الاجل هو وقت البعث
ولا ينبغي ان يشك فيه **قوله تعالى** قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية
الانفاق وكان الانسان قتورا اي خزائن الارزاق وقيل خزائن النعم وهذا اعم اذا لامسكتم خشية
الانفاق من البخل وهو جواب قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا حتى نتوسع في المعيشة
اي لو توسعتم لبخلتم ايضا وقيل المعنى لو ملك احد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله تعالى لامرين احدهما
انه لا بد ان يمسك منها لنفقته وما يعود لمنفعته الثاني انه يخاف الفقر ويخشى العدم والله تعالى يتعالى
في وجوده عن هاتين الحالتين والانفاق في هذه الاية بمعنى الفقر قاله ابن عباس وقتادة وحكى اهل
اللغة انفق واصرم واعدم واقتر اذا قل ماله وكان الانسان قتورا اي بخيلا مضيقا يقال قتر على
عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا اي ضيق عليهم في النفقة وكذلك التقتير والاقتار ثلاث لغات
واختلف في هذه الاية على قولين احدهما انها نزلت في المشركين خاصة قاله الحسن الثاني انها عامة وهو قول
الجمهور ذكره الماوردي **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ
جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اختلف في هذه الايات فقيل هي بمعنى ايات
الكتاب كما روى الترمذي والنسائي عن صفوان المرادي ان يهوديين قال احدهما لصاحبه اذهب بنا
الى هذا النبي نسأله فقال لا تقل له نبي فانه ان سمعنا كان له اربعة اعين فاتيا النبي صلى الله عليه
وسلم فسألاه عن قول الله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا
بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى
سلطان فيقتله ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف شك شعبة وعليكم اليهود
خاصة ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي الله قال فما يمنعكما ان تسلما
قالا ان داود دعا الله ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اسلمنا ان تقتلنا اليهود قال ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح وقد مضى في البقرة وقيل الايات بمعنى المعجزات والدلالات قال ابن عباس والضحاك الايات
التسع العصا واليد واللسان والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات
وقال الحسن والشعبي الخمس المذكورة في الاعراف يعنيان الطوفان وما عطف عليه واليد والعصا والسنين
والنقص من الثمرات وروي نحوه عن الحسن الا انه يجعل السنين والنقص واحدة وجعل التاسعة تلقف
العصا ما يافكون وعن مالك كذلك الا انه جعل مكان السنين والنقص من الثمرات البحر والجبل وقال محمد
بن كعب هي الخمس التي في الاعراف والبحر والعصا والحجر والطمس على اموالهم وقد تقدم بيان هذه الاية
مستوفى والحمد لله فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم اي سلهم يا محمد اذ جاءهم موسى بهذه الايات حسب
ما تقدم بيانه في يونس وهذا سؤال استفهام ليعرف اليهود صحة ما يقول محمد فقال له فرعون اني لاظنك
يا موسى مسحورا اي ساحرا بغرائب فعالك قاله الفراء وابو عبيدة فوضع المفعول موضع الفاعل كما تقول
هذا ميمون ومشؤوم اي شائم ويامن وقيل مخدوعا وقيل مغلوبا قاله مقاتل وقيل غير هذا وقد تقدم وعن
ابن عباس وابو نهيك انهما قرآ فسأل بني اسرائيل على الخبر اي سأل موسى فرعون ان يخلي بني اسرائيل ويطلق
سبيلهم ويرسلهم معه **قوله تعالى** قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الايات التسع وانزل بمعنى
اوجد الا رب السموات والارض بصائر اي دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته وقراءة العامة
علمت بفتح التاء خطابا لفرعون وقرأ الكسائي بضم التاء وهي قراءة علي رضي الله عنه وقال والله ما علم عدو

الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغ ابن عباس فقالت انها قد علمت واحتج بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ونسب فرعون الى العناد وقال ابو عبيدة والماخوذ به عندنا فتح التاء وهو الاصح الذي احتج به ابن عباس ولان موسى لا يحتج بقوله علمت انا وهو الرسول الداعي ولو كان مع هذا كله تصح به القراءة عن علي لكان حجة ولكن لا يثبت عنه انما هي عن كلثوم المرادي وهو مجهول لا يعرف ولا نعلم احدا قرا بها غير الكسائي وقيل انما اضاف موسى الى فرعون العلم بهذه المعجزات لان فرعون قد علم مقدار ما يتهيا للسحرة فعله وان مثل ما فعل موسى لا يتهيا لساحر وانه لا يقدر على ما فعله الا من يفعل الاجسام ويملك السموات والارض وقال مجاهد دخل موسى على فرعون في يوم شات وعليه قطيفة له فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان فراى فرعون جانبي البيت بين فقميها ففزع واحدث في قطيفته الفقم بالضم اللحي وفي الحديث من حفظ ما بين فقميه اي ما بين لحييه واني لاظنك يا فرعون مثبورا الظن هاهنا بمعنى التحقيق والثبور الهلاك والخسران ايضا قال الكميت

ورات قضاعة في الايامن	راي مثبور وثابر

اي مخسور وخاسر يعني في انتسابها الى اليمن وقيل ملعونا رواه المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال ابان بن تغلب واتشد

يا قومنا لا تروموا حربنا سفها	ان السفاه وان البغي مثبور

اي ملعون وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس مثبورا ناقص العقل ونظر المامون رجلا فقال يا مثبور فسئل عنه فقال قال الرشيد قال المنصور لرجل مثبور فسالته فقال حدثني ميمون بن مهران فذكره وقال قتادة هالكا وعنه ايضا والحسن ومجاهد مهلكا والثبور الهلاك يقال ثبر الله العبد ثبورا اهلكه وقيل ممنوعا من الخير حكى اهل اللغة ما ثبرك عن كذا اي ما منعك منه وثبره الله يثبره ويثبره لغتان قال ابن الزبعري

اذ اجاري الشيطان في سنن الغي	ومن مال ميله مثبور

قال الضحاك مثبورا مسحورا رد عليه مثل ما قال له باختلاف اللفظ وقال ابن زيد مثبورا مخبولا لا عقل له قوله تعالى **فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا** فاراد ان يستفزهم من الارض اي اراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرائيل من ارض مصر اما بالقتل واما بالابعاد فاهلكه الله وقلنا من بعده اي من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض اي ارض الشام ومصر فاذا جاء وعد الاخرة اي القيامة جئنا بكم لفيفا اي من قبوركم مختلطين من كل موضع قد اختلط المؤمن بالكافر لا يتعارفون ولا ينحاز احد منكم الى قبيلته وحيه وقال ابن عباس وقتادة جئنا بكم لفيفا جميعا من جهات شتى والمعنى واحد قال الجوهري واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى يقال جاء القوم بلفهم ولفيفهم اي باخلاطهم وقوله تعالى جئنا بكم لفيفا اي مجتمعين مختلطين وطعام لفيف اذا كان مخلوطا من جنسين فصاعدا وفلان لفيف فلان اي صديقه قال الاصمعي اللفيف جمع وليس له واحد وهو مثل الجميع والمعنى انهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر مختلطين لا يتعارفون وقال الكلبي فاذا جاء وعد الاخرة يعني مجيء عيسى من السماء قوله تعالى **وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا** هذا متصل بما سبق من ذكر المعجزات والقران والكناية ترجع الى القران ووجه التكرير في قوله وبالحق نزل يجوز ان يكون معنى الاول اوجبنا انزاله بالحق ومعنى الثاني ونزل وفيه الحق كقوله خرج بثيابه اي خرج وعليه ثيابه وقيل الباء في قوله وبالحق الاول بمعنى مع اي مع الحق كقولك ركب الامير بسيفه اي مع سيفه وبالحق نزل اي بمحمد اي نزل عليه كما تقول نزلت بزيد وقيل يجوز ان يكون المعنى وبالحق قدرنا ان ينزل وكذلك نزل قوله تعالى **وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** مذهب سيبويه ان قرانا منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرا جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه بيناه واوضحناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل قاله الحسن وقال ابن عباس فصلناه وقرا ابن عباس وعلي وابن مسعود وابي بن كعب وقتادة وابو رجاء والشعبي فرقناه بالتشديد اي انزلناه شيئا بعد شيء لا جملة واحدة الا ان في قراءة ابن مسعود وابي فرقناه عليك واختلف في كم نزل القران من المدة فقيل في خمس وعشرين سنة ابن عباس في ثلاث وعشرين انس في عشرين وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلاف انه نزل الى السماء الدنيا جملة واحدة وقد مضى هذا القول في البقرة على مكث اي تطاول في المدة شيئا بعد شيء ويتناسق هذا القول على قراءة ابن مسعود اي انزلناه اية اية وسورة سورة واما على القول الاول فيكون على مكث اي على ترسل في التلاوة وترتيل قاله مجاهد وابن عباس وابن جريج فيعطي القارئ القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما امكن من غير تلحين ولا تطريب المؤدي الى تغيير لفظ القران بزيادة او نقصان فان ذلك حرام على ما تقدم اول الكتاب واجمع القراء على ضم الميم من مكث الا ابن محيصن فانه قرا مكث بفتح الميم ويقال مكث ومكث ومكث ثلاث لغات قال مالك على مكث على تثبت وترسل قوله تعالى ونزلناه تنزيلا مبالغة وتاكيد بالمصدر للمعنى المتقدم اي انزلناه نجما بعد نجم ولو اخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا قوله تعالى **قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون** قل امنوا به او لا تؤمنوا يعني القران وهذا من الله عز وجل على وجه التبكيت لهم والتهديد لا على وجه التخيير ان الذين اوتوا العلم من قبله اي من قبل نزول القران وخروج النبي صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنو اهل الكتاب في قول ابن جريج وغيره قال ابن جريج يعني اذا يتلى عليهم كتابهم وقيل القران يخرون للاذقان سجدا وقيل هم قوم من ولد اسمعيل تمسكوا بدينهم الى ان بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعلى هذا ليس يريد اوتوا الكتاب بل يريد اوتوا علم الدين وقال الحسن الذين اوتوا العلم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد انهم ناس من اليهود وهو اظهر لقوله من قبله اذا يتلى عليهم يعني القران في قول مجاهد كانوا اذا سمعوا ما انزل الله تعالى من القران سجدوا وقالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا وقيل كانوا اذا تلوا كتابهم وما انزل عليهم من القران خشعوا وسجدوا وسبحوا وقالوا هذا هو المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا الى الاسلام فنزلت الاية فيهم وقالت فرقة المراد بالذين اوتوا العلم من قبله محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في قبله عائد على القران حسب الضمير في به في قوله قل امنوا به وقيل الضميران لمحمد صلى الله عليه وسلم واستانف ذكر القران في قوله اذا يتلى عليهم قوله تعالى **ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا** دليل على جواز التسبيح في السجود وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي قوله تعالى **ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** فيه اربع مسائل الاولى قوله ويخرون للاذقان يبكون هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئا ان يجري الى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القران ويتواضع ويذل وفي مسند الدارقطني ابي محمد عن التيمي قال من اوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ان لا يكون اوتي علما لان الله تعالى نعت العلماء ثم تلا هذه الاية ذكره الطبري ايضا والاذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين وقال الحسن الاذقان عبارة عن اللحى اي يضعونها على الارض في حال السجود وهو غاية التواضع واللام بمعنى على تقول سقط لفيه اي على فيه وقال ابن عباس ويخرون للاذقان سجدا اي للوجوه وانما خص الاذقان بالذكر لان الذقن اقرب شيء من وجه الانسان قال ابن خويز منداد ولا يجوز السجود على الذقن لان الذقن هنا عبارة عن الوجه وقد يعبر بالشيء عما جاوره وببعضه عن جميعه فيقال خر لوجهه ساجدا وان كان لم يسجد على خده ولا عينه الا ترى الى قوله

فخر صريعا لليدين وللفم	

فانما اراد خر صريعا على وجهه ويديه الثانية قوله تعالى يبكون دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى او على معصية في دين الله وان ذلك لا يقطعها ولا يضرها ذكر ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز الرجل من البكاء وفي كتاب ابي داود وفي صدره ازيز كازيز الرحى من البكاء الثالثة اختلف الفقهاء في الانين فقال مالك الانين لا يقطع الصلاة للمريض واكرهه للصحيح وبه قال الثوري وروى ابن عبد الحكم عن مالك التنحنح والانين والنفخ لا يقطع الصلاة وقال ابن القاسم يقطع وقال الشافعي ان كان له حروف تسمع وتفهم يقطع الصلاة وقال ابو حنيفة ان كان من خوف الله لم يقطع وان كان من وجع قطع وروي عن ابي يوسف ان صلاته في ذلك كله تامة لانه لا يخلو مريض ولا ضعيف من انين الرابعة قوله تعالى ويزيدهم خشوعا تقدم القول في الخشوع في البقرة وياتي ان شاء الله تعالى قوله تعالى **قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى** سبب نزول هذه الاية ان المشركين سمعوا

اسكنوا الارض اي ارض الشام ومصر

دليل على جواز البكاء في الصلاة

رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن فقالوا كان محمد يامرنا بدعاء اله واحد وهو يدعو الهين
قاله ابن عباس وقال مكحول تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال في دعائه يا رحمان يا رحيم
فسمعه رجل من المشركين وكان باليمامة رجل يسمى الرحمن فقال ذلك السامع ما بال محمد يدعو رحمان
اليمامة فنزلت الاية مبينة انهما اسمان لمسمى واحد فان دعوتموه بالله فهو ذلك وان دعوتموه بالرحمن
فهو ذلك وقيل كانوا يكتبون في صدر الكتب باسمك اللهم فنزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقال المشركون هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن فنزلت
الاية وقيل ان اليهود قالت ما لنا لا نسمع في القران اسما هو في التوراة كثير يعنون الرحمان فنزلت الاية
وقرا طلحة بن مصرف ايا من تدعوا فله الاسماء الحسنى اي التي تقتضي افضل الاوصاف واشرف المعاني
وحسن الاسما انما يتوجه بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها وانضاف الى ذلك انها تقتضي معاني حسانا
شريفة وهي بتوقيف فلا يصح وضع اسم لله بنظر الا بتوقيف من القران او الحديث او الاجماع حسب ما
بيناه في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى **قوله تعالى** ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها وابتغ بين ذلك سبيلا فيه مسالتان **الاولى** اختلف في سبب نزولها على خمسة اقوال الاول ما
روى ابن عباس في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم
متوار بمكة فكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقران فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القران ومن انزله
ومن جاء به فقال الله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها عن اصحابك اسمعهم القران ولا تجهر ذلك الجهر
وابتغ بين ذلك سبيلا قال يقول بين الجهر والمخافتة خرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم واللفظ
لمسلم والمخافتة خفض الصوت والسكوت يقال للميت اذا برد خفت قال الشاعر

لم يبق الا نفس خافت	ومقلة انسانها باهت

الثاني ما رواه مسلم ايضا عن عائشة في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل هذا
في الدعاء الثالث قال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الاية في ذلك قال المؤلف
وعلى هذا فتكون الاية متضمنة لاخفاء التشهد وقال ابن مسعود من السنة ان يخفي التشهد ذكره ابن المنذر
الرابع ما روي عن ابن سيرين ايضا ان ابا بكر رضي الله عنه كان يسر قراءته وكان عمر يجهر بها فقيل لهما في ذلك
فقال ابو بكر انما اناجي ربي وهو يعلم حاجتي اليه وقال عمر انا اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فلما نزلت
هذه الاية قيل لابي بكر ارفع قليلا وقيل لعمر اخفض انت قليلا ذكره الطبري وغيره الخامس ما روي عن
ابن عباس ايضا ان معناها ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل ذكره يحيى بن سلام والزهراوي
فتضمنت احكام الجهر والاسرار بالقراءة في النوافل والفرائض فاما النوافل فالمصلي مخير في الجهر والسر
في الليل والنهار وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يفعل الامرين جميعا واما الفرائض فحكمها
في القراءة معلوم ليلا ونهارا وقول سادس قال الحسن يقول الله لا ترائي بصلاتك في العلانية ولا تسيئها
في السر وقال ابن عباس لا تصل مرائيا للناس ولا تدعها مخافة الناس **الثانية** عبر تعالى بالصلاة هنا
عن القراءة كما عبر بالقراءة عن الصلاة في قوله وقران الفجر لان كل واحد منهما مرتبط بالاخر لان الصلاة
تشتمل على قراءة وركوع وسجود فهي من جملة اجزائها فعبر بالجزء عن الجملة وعبر بالجملة عن الجزء على عادة
العرب في المجاز وهو كثير ومنه الحديث الصحيح قسمت الصلاة بيني وبين عبدي اي قراءة الفاتحة على
ما تقدم **قوله تعالى** وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له
ولي من الذل وكبره تكبيرا هذه الاية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم افرادا عزير والمسيح
والملائكة ذرية الله سبحانه وتعالى عن اقوالهم ولم يكن له شريك في الملك لانه واحد لا شريك له
في ملكه ولا في عبادته ولم يكن له ولي من الذل قال مجاهد المعنى لم يحالف احدا ولا ابتغى نصر احد
اي لم يكن له ناصر يجيره من الذل فيكون مدافعا وقال الكلبي لم يكن له ولي من اليهود والنصارى لانهم
اذل الناس رد لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال الحسين بن الفضل ولم يكن له ولي من الذل يعني لم يذل فيحتاج
الى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه وكبره تكبيرا اي عظمه عظمة تامة ويقال ابلغ لفظة للعرب في معنى
التعظيم والاجلال الله اكبر اي صفه بانه اكبر من كل شيء قال الشاعر

رايت الله اكبر كل شيء	محاولة واكثرهم جنودا

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في الصلاة قال الله اكبر وقد تقدم في اول الكتاب وقال عمر
بن الخطاب قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها وهذه الاية هي خاتمة التوراة روى مطرف عن عبد
الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بخاتمة هذه السورة وفي الخبر انها اية
العز رواه معاذ بن جبل عن النبي عليه السلام وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الاية وقال عبد الحميد بن واصل سمعت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا وقل الحمد لله الاية كتب الله من الاجر مثل الارض والجبال لان الله تعالى
يقول فيمن زعم ان له ولدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وجاء في الخبر ان
النبي صلى الله عليه وسلم امر رجلا شكى اليه بالدين ان يقرا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى اخر السورة ثم يقول
توكلت على الحي الذي لا يموت ثلاث مرات وصلى الله على النبي الامي وعلى اله واصحابه وتابعيه الى يوم الدين

تفسير سورة الكهف مكية

وهي مكية في قول جميع المفسرين وروي عن فرقة ان اول السورة نزل بالمدينة الى قوله جرزا والاول اصح وروي
في فضلها من حديث انس انه من قراها اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة القبر وقال اسحاق بن عبد الله
ابن ابي فروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة شيعها سبعون الف ملك ملا عظمها
ما بين السماء والارض لتاليها مثل ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال سورة اصحاب الكهف من قراها يوم الجمعة
غفر الله له الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام واعطي نورا يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال ذكره الثعلبي والمهدوي
ايضا بمعناه وفي مسند الدارمي عن ابي سعيد الخدري قال من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له من
النور فيما بينه وبين البيت العتيق وفي صحيح مسلم عن ابي الدرداء ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات
من اول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية من اخر الكهف وذكر الثعلبي عن سمرة بن جندب قال النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا عشر ايات من سورة الكهف حفظا لم تضره فتنة الدجال ومن قرا السورة كلها دخل الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا
من لدنه ذكر ابن اسحاق ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود وقالوا لهما سلاهم
عن محمد وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء
فخرجا حتى قدما المدينة فسالا احبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم امره واخبراهم ببعض
قوله وقالا انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما احبار يهود سلوه عن ثلاث
نامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في
الدهر الاول ما كان امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها
ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي وان لم يفعل فانه رجل متقول فاصنعوا
في امره ما بدا لكم فاقبل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم
بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا احبار يهود ان نساله عن اشياء امرونا بها فان اخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فهو متقول
فروا فيه رايكم فجاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت لهم
قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الارض ومغاربها واخبرنا عن الروح ما هي قال فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون
خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا ياتيه جبريل حتى ارجف اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم
خمس عشرة ليلة قد اصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سالناه عنه وحتى احزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه
وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه
عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف والروح قال ابن اسحاق فذكر لي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل حتى سوت ظنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما
بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله صلى الله
عليه وسلم لما انكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انك رسول
مني اي تحقيق لما سالوه عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا قيما اي معتدلا لا اختلاف فيه لينذر باسا شديدا من

لدنه عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا اليما في الاخرة اي من عند ربك الذي بعثك رسولا ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا اي دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جيت به مما كذبك به غيرهم وعملوا اما امرتهم به من الاعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في قولهم انا نعبد الملايكة وهي بنات الله ما لهم به من علم ولا لابايهم الذين اعظموا فراقهم وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من افواههم اي بقولهم ان الملايكة بنات الله ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجوا منهم

اي لا تفعل قال ابن هشام باخع نفسك اي مهلك لنفسك فيما حدثني ابو عبيدة قال ــــ ذو الرمة

الا ايها الباخع الوجد نفسه … لشيء نحته عن يديه المقادر

وجمعه باخعون وهذا البيت في قصيدة له وتقول العرب قد نحعت له نفسي ونصحي اي جهدت له انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قال ابن اسحاق اي ايهم اتبع لامري واعمل بطاعتي وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اي الارض وان ما عليها لفان وزايل وان المرجع الي فاجزي كلا بعمله فلا تاس ولا يحزنك ما ترى وتسمع فيها قال ابن هشام الصعيد وجه الارض وجمعه صعد قال ــــ ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا

كانه بالضحى ترمي الصعيد به … دبابة في عظام الراس خرطوم

البيت في قصيدة له

والصعيد ايضا الطريق وقد جاء في الحديث اياكم والقعود على الصعدات يعني الطرق والجزر الارض التي لا تنبت شيا وجمعها اجراز ويقال سنة جرز وسنون اجراز وهي التي لا يكون فيها مطر ويكون فيها جذوبة

قال ــــ ذو الرمة يصف ابلا

طوى النحز والاجراز ما في بطونها … فما بقيت الا الضلوع الجراشع

قال ابن اسحاق ثم استقبل قصة الخبر فيما سالوه عنه من شان الفتية فقال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي قد كان من اياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو اعجب من ذلك قال ابن هشام والرقيم الكتاب الذي رقم بخبرهم وجمعه رقم قال ــــ العجاج

ومستقر المصحف المرقم … وهذا البيت في ارجوزة له

قال ابن اسحاق ثم قال تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيي لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم فزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي لم يشركوا بي كما اشركتم بي ما ليس لكم به علم قال ابن هشام والشطط الغلو ومجاوزة الحق قال اعشى بن قيس بن ثعلبة

لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط … كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وهذا البيت في قصيدة له قال ابن اسحاق هاولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين قال ابن اسحاق اي بحجة بالغة فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيي لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه قال ابن هشام تزاور تميل وهو من الزور وقال ــــ ابو الزحف الكلبي يصف بلدا

جاب المندى عن هوانا ازور … ينضي المطايا خمسه العشنزر

وهذان البيتان في ارجوزة له وتقرضهم ذات الشمال تجاوزهم وتتركهم عن شمالها

قال ــــ ذو الرمة

الى ظعن يقرضن اقواز مشرف … شمالا وعن ايمانهن الفوارس

الفور بالفتح الكثيب الصغير والجمع افواز وفيزان قاله الجوهري وهذا البيت في قصيدة له والفجوة السعة وجمعها الفجا قال ــــ الشاعر

قومك مخزاة ومنقصة … حتى انتحوا وخلوا فجوة الدار

ذلك من ايات الله اي في الحجة على من عرف ذلك من امورهم من اهل الكتاب ممن امر هاولاء بمسئلتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن هشام الوصيد الباب قال ــــ العبسي واسمه عبيد بن وهب وهذا البيت في ابيات له

الصعيد الطريق

بارض فلاة لا يسد وصيدها … علي ومعروفي بها غير منكر

والوصيد ايضا الفنا وجمعه وصايد ووصد ووصدان لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا الى قوله قال الذين غلبوا على امرهم اهل السلطان والملك منهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون يعني احبار اليهود الذين امروهم بالمسالة عنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي لا تقولن لشيء سالوك عنه كما قلت في هذا اني مخبركم غدا واستثن مشية الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لخير مما سالتموني عنه رشدا فانك لا تدري ما انا صانع في ذلك ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين وازدادوا تسعا اي سيقولون ذلك قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا اي لم يخف عنه شيء مما سالوك عنه

قال المولف رحمه الله هذا ما وقع في السيرة من خبر اصحاب الكهف ذكرنا على نسقه وباتي خبر ذي القرنين ثم نعود الى اول السورة فنقول قد تقدم معنى الحمد لله وزعم الاخفش والكسايي والفرا وابو عبيد وجمهور المتاولين ان في اول هذه السورة تقديما وتاخيرا وان المعنى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وقيما نصب على الحال وقال قتادة الكلام على سياقه من غير تقديم ولا تاخير ومعناه ولم يجعل له عوجا ولكن جعلناه قيما وقول الضحاك فيه حسن وان المعنى مستقيم اي مستقيم الحكمة لا خطا فيه ولا فساد ولا تناقض وقيل قيما على الكتب السابقة يصدقها وقيل قيما بالحجج ابدا عوجا مفعول به والعوج بكسر العين في الدين والراي والامر والطريق وبفتحها في الاجسام كالخشب والجدار وقد تقدم وليس في القران عوج اي عيب اي ليس متناقضا مختلفا كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل اي لم يجعله مخلوقا كما روي عن ابن عباس في قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق وقال مقاتل عوجا اختلافا قال ــــ الشاعر

ادوم بودي للصديق تكرما … ولا خير فيمن كان في الود اعوجا

لينذر باسا شديدا اي لينذر محمد او القران وفيه اضمار اي لينذر الكافرين عقاب الله وهذا العذاب الشديد قد يكون في الدنيا وقد يكون في الاخرة من لدنه اي من عنده وقرا ابو بكر عن عاصم من لدنه باسكان الدال واشمامها الضم وكسر النون والها موصوله بيا الباقون لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الها قال الجوهري وفي لدن ثلاث لغات لدن ولدى ولد وقال من لد لحبيه الى منجوره المنجور لغة في المنجر **قوله تعالى** ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا وهي الجنة ماكثين فيها ابدا دايمين لا الى غاية وان حملت التبشير على البيان لم يحتج الى البا في بان والاجر الحسن الثواب العظيم الذي يودي الى الجنة **قوله تعالى** وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابايهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقريش قالت الملايكة بنات الله فالانذار في اول السورة عام وهذا خاص فيمن قال لله ولد ما لهم به من علم من صلة اي ما لهم بذلك القول علم لانهم مقلدة قالوه بغير دليل ولا لابايهم اي اسلافهم كبرت كلمة كلمة نصب على البيان اي كبرت تلك الكلمة كلمة وقرا الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن ابي اسحاق كلمة بالرفع اي عظمت كلمة يعني قولهم اتخذ الله ولدا وعلى هذه القراة فلا حاجة الى اضمار يقال كبر الشي اذا عظم وكبر الرجل اذا اسن تخرج من افواههم في موضع الصفة ان يقولون الا كذبا اي ما يقولون الا كذبا **قوله تعالى** فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا باخع اي مهلك وقاتل وقد تقدم اثارهم جمع اثر ويقال اثر والمعنى على اثر توليهم واعراضهم عنك ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا اي القران اي حزنا وغضبا على كفرهم وانتصب على التفسير **قوله تعالى** انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وزينة مفعولان والزينة كل ما على وجه الارض فهو عموم لانه دال على بارية وقال ابن جبير عن ابن عباس اراد بالزينة الرجال وقاله مجاهد وروى عكرمة عن ابن عباس ان الزينة الخلفا والامرا وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال

العلما، زينة الارض وقالت فرقة اراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ويدخل فيه الجبال الصم وكل ما لا زين فيه كالحيات والعقارب والقول بالعموم اولي وان كل ما علي الارض فيه زينة من جهة خلقه وصنعه واحكامه والاية بسط في التسلية اي لا تهتم يا محمد للدنيا واهلها فانا انما جعلنا ذلك امتحانا واختبارا لاهلها فمنهم من يتدبر ويومن ومنهم من يكفر ثم يوم القيامة بين ايديهم فلا يعظمن عليك كفرهم فانا نجازيهم **الثانية** معني الاية ينظر الي قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون وقوله عليه السلام ان اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قال وما زهرة الدنيا قال بركات الارض خرجهما مسلم وغيره من حديث ابي سعيد الخدري والمعني ان الدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها كالثمر المستحلي المعجب المراي فابتلي الله بها عباده لينظر ايهم احسن عملا اي من ازهد فيها واترك لها ولا سبيل للعباد الي بغضه ما زينه الله الا ان يعينه علي ذلك ولهذا كان عمر يقول فيما ذكر البخاري اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم اني اسالك ان انفقه في حقه فدعا الله ان يعينه علي انفاقه في حقه وهذا معني قوله عليه السلام فمن اخذه بطيب نفسه بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس كان كالذي ياكل ولا يشبع وهكذا هو المكثر من الدنيا لا يقنع بما يحصل له منه بل همته جمعها وذلك لعدم الفهم عن الله ورسوله فان الفتنة معها حاصلة وعدم السلامة غالبة وقد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه قال ابن عطية كان ابي رضي الله عنه يقول في قوله احسن عملا احسن العمل اخذ بحق وانفاق في حق مع الايمان واداء الفرائض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه قال المؤلف رحمه الله هذا قول حسن وجيز في الفاظه بليغ في معناه وقد جمعه النبي صلى الله عليه وسلم في لفظ واحد وهو قوله لسفيان بن عبد الله الثقفي لما قال يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك وفي رواية غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم خرجه مسلم وقال سفيان الثوري احسن عملا ازهدهم فيها وكذلك قال ابو عصام العسقلاني احسن عملا اترك لها وقد اختلفت عبارات العلماء في الزهد فقال قوم قصر الامل وليس باكل الخشن ولبس العبا قاله سفيان الثوري قال علماؤنا وصدق رضي الله عنه فان من قصر امله لم يتانق في المطعومات ولا تفنن في الملبوسات واخذ من الدنيا ما تيسر وترك اجتزا منها بما يبلغ وقال قوم بغض المحمدة وحب الثنا وهو قول الاوزاعي ومن ذهب اليه وقال قوم ترك الدنيا كلها هو الزهد احب تركها او كره وهو قول فضيل وعن بشر بن الحافي قال حب الدنيا حب لقاء الناس والزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس وعن الفضيل ايضا علامة الزهد في الدنيا الزهد في الناس وقال قوم لا يكون زاهدا حتي يكون ترك الدنيا احب اليه من اخذها قاله ابراهيم بن ادهم وقال قوم الزهد ان تزهد في الدنيا بقلبك قاله ابن المبارك وقالت فرقة الزهد حب الموت والقول الاول يعم هذه الاقوال بالمعني فهو اولي **قوله تعالى** وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا تقدم بيانه وقال ابو سهل تراها لا نبات له كانه قطع نباته والجرز القطع ومنه سيف جراز قال الراجز

ومنه سيف جراز قال الراجز		قد جرفتهن السنون الاجراز

والارض الجرز الذي لا نبات فيها ولا شي من عمارة وغيرها كانه قطع وازيل يعني يوم القيامة فان الارض تكون مستوية لا مستتر فيها قال النحاس والجرز في اللغة الارض التي لا نبات بها قال الكسائي جرزت الارض تجرز وجرزها القوم يجرزونها اذا اكلوا كلما فيها من النبات والزرع فهي مجروزة وجرز **قوله تعالى** أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا مذهب سيبويه ان ام اذا جات دون ان يتقدمها الف استفهام انها بمعني بل والف الاستفهام وهي المنقطعة وقيل ام عطف علي معني الاستفهام في لعلك او بمعني الف الاستفهام علي الانكار قال الطبري هو تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم علي حسابه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعني انكار ذلك عليه اي لا تعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة فان سائر ايات الله اعظم من قصتهم واشنع هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن اسحاق والخطاب للنبي صلعم وذلك ان المشركين سالوه عن فتية فقدوا وعن ذي القرنين وعن الروح وابطا الوحي علي ما تقدم فلما نزل قال الله لنبيه احسبت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي ليسوا بعجب من اياتنا بل في اياتنا ما هو اعجب من خبرهم قال الكلبي خلق السموات والارض اعجب من خبرهم قال الضحاك ما اطلعتك عليه من الغيب اعجب وقال الجنيد شانك في الاسرا اعجب وقال الماوردي

وما زهرة الدنيا قال بركات الارض

حب الدنيا حب لقاء الناس والزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس

معني الكلام النفي اي ما حسبت لولا اخبارنا وقال ابو سهل استفهام تقريري اي احسبت ذلك فانهم عجب والكهف النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار وحكي النقاش عن انس بن مالك انه قال الكهف الجبل وهذا غير شهير في اللغة واختلف الناس في الرقيم فقال ابن عباس كل شي اعلمه الا اربعة غسلين وحنان والاواه والرقيم وسيل مرة عن الرقيم فقال زعم كعب انها قرية خرجوا منها وقال مجاهد الرقيم واد وقال السدي الرقيم الصخرة التي كانت علي الكهف وقال ابن زيد الرقيم كتاب عمي الله علينا امره ولم يشرح لنا قصته وقالت فرقة الرقيم في لوح من نحاس وقال ابن عباس في لوح رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخا لهم ذكروا وقت فقدهم وكم كانوا وبني من كانوا وكذا قال الفرا قال الرقيم لوح من رصاص كتب فيه اسماؤهم وانسابهم ودينهم وممن هربوا قال ابن عطية ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوما مورخين للحوادث وذلك من نبل المملكة وهو امر مفيد وهذه الاقوال ماخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم ومنه الارقم لتخطيطه ومنه رقمة الوادي اي مكان جري الما وانعطافه وما روي عن ابن عباس ليس بمتناقض لان القول الاول انما سمعه من كعب والقول الثاني يجوز ان يكون عرف الرقيم بعده وروي عنه سعيد بن جبير قال ذكر ابن عباس اصحاب الكهف فقال ان الفتية فقدوا فطلبهم اهلوهم فلم يجدوهم فرفع ذلك الي الملك فقال ليكونن لهم نبا واحضر لوحا من رصاص فكتب فيه اسماءهم وجعله في خزانته فذلك اللوح هو الرقيم وقيل ان مومنين كانا في بيت الملك فكتبا شان الفتية واسماءهم وانسابهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان والله اعلم وعن ابن عباس ايضا الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسي وقال النقاش عن قتادة الرقيم دراهمهم وقال انس بن مالك والشعبي الرقيم كلبهم وقال عكرمة الرقيم الدواة وقيل الرقيم اللوح من الذهب تحت الجدار الذي اقامه الخضر وقيل الرقيم اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكروا كل واحد منهم اصلح عمله قال المؤلف رحمه الله وفي هذا خبر معروف اخرجه الصحيحان واليه نحا البخاري وقال قوم اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشي وقال الضحاك الرقيم بلدة بالروم فيه غار فيه احد وعشرون نفسا كانهم نيام علي هيئة اصحاب الكهف فعلي هذا هم فتية اخرون جري لهم ما جري لاصحاب الكهف والله اعلم وقيل الرقيم واد دون فلسطين فيه الكهف ماخوذ من رقمة الوادي وهو موضع الما يقال عليك بالرقمة ودع الصفة ذكره الغزنوي قال ابن عطية وبالشام علي ما سمعت من ناس كثير فيه موتي يزعم مجاوروه انهم اصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمي الرقيم ومعهم كلب رمة وبالاندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمي لوشة كهف فيه موتي ومعهم كلب رمة واكثرهم قد تجرد لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شانهم اثارة ويزعم ناس انهم اصحاب الكهف دخلت اليهم ورايتهم سنة اربع وخمسمائة وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بنا رومي يسمي الرقيم كانه قصر مخلق بقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خربة وباعلي غرناطة مما يلي القبلة اثار قديمة مكينة رومية يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في اثارها غرايب في قبور ونحوها قال المؤلف رحمه الله ما ذكر من رؤيته لهم بالاندلس فانهم غيرهم لان الله تعالي يقول في حق اصحاب الكهف لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقد قال ابن عباس لمعاوية لما اراد رويتهم قد منع الله من هو خير منك عن ذلك وسياتي في اخر القصة وقال مجاهد في قوله كانوا من اياتنا عجبا قال هم عجب كذا روي ابن جريج عنه يذهب الي انه ليس بانكار علي النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون عنده انهم عجب وروي ابن ابي نجيح عنه قال يقول ليس هم باعجب اياتنا **قوله تعالى** إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فيه ثلاث مسايل **الاولي** قوله تعالي اذ اوي الفتية الي الكهف روي انهم قوم من اشراف ابنا مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقلنوس ويقال فيه دقنيوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين بالذهب ذوو ذوايب وهم من الروم واتبعوا دين عيسي وقيل كانوا قبل عيسي والله اعلم وقال ابن عباس ان ملكا من الملوك يقال له دقيانوس ظهر علي مدينة من مداين الروم يقال لها افسوس وقيل هي طرسوس وكان بعد زمن عيسي عليه السلام يامر بعبادة الاصنام فدعا اهلها الي عبادة الاصنام وكان بها سبعة احداث يعبدون الله سرا فرفع خبرهم الي الملك فخافوه وهربوا ليلا ومروا براع معه كلب فتبعهم فاووا الي الكهف فتبعهم الملك الي فم الغار فوجد اثر دخولهم ولم يجد اثر خروجهم فدخلوا فاعمي الله ابصارهم فلم يروا شيا فقال الملك سدوا عليهم باب الغار حتي يموتوا فيه جوعا وعطشا وروي مجاهد عن ابن عباس

[قصه اصحاب كهف]

ايضا ان هاؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الاصنام ويذبح لها ويكفر بالله وقد تابعه على ذلك اهل المدينة فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش او من مومني الامم قبلهم فامنوا بالله وراوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فاخذوا انفسهم بالتزام الدين وعبادة الله فرفع امرهم الى الملك وقيل له انهم قد فارقوا دينك واستخفوا الهتك وكفروا بها فاستحضرهم الملك في مجلسه وامرهم باتباع دينه والذبح لالهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الى قوله واذا اعتزلتموهم وروي انهم قالوا نحو هذا الكلام وليس به فقال لهم الملك انكم اغمار شبان لا عقول لكم وانا لا اعجل بكم بل استاني فاذهبوا الى منازلكم ودبروا اراءكم وارجعوا الى امري وضرب لهم في ذلك اجلا ثم انه سافر خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب باديانهم فقال لهم احدهم اني قد عرفت كهفا في جبل كذا كان ابي يدخل غنمه فيه فليذهب فلنختفي فيه حتى يفتح الله لنا فخرجوا فيما روي يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم وروي انهم كانوا متفقين فحضر عيد خرجوا اليه فركبوا في جملة الناس ثم اخذوا باللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك وروي وهب بن منبه انه اول امرهم انما كان حواري لعيسى عليه السلام جاء الى مدينة اصحاب الكهف يريد دخولها فاجر نفسه من صاحب الحمام فكان يعمل فيه فراى صاحب الحمام في اعماله بركة عظيمة فالقى اليه بكل امره فعرف ذلك الرجل فتيان من اهل المدينة فعرفهم الله تعالى فامنوا به واتبعوه على دينه واشتهرت خلطتهم به فاتى يوما الى ذلك الحمام ولد الملك بامراة اراد الخلوة بها فنهاه ذلك الحواري فانتهى ثم جاء مرة اخرى فنهاه فشتمه وامضى عزمه في دخول الحمام مع البغي فدخل فماتا فيه جميعا فاتهم ذلك الحواري واصحابه بقتلهما ففروا جميعا حتى دخلوا الكهف وقيل في خروجهم غير هذا واما الكلب فروي انه كان كلب صيد لهم وروي انهم وجدوا في طريقهم راعيا وله كلب واتبعهم الراعي على رايهم وذهب الكلب معهم قاله ابن عباس واسم الكلب حمران وقيل قطمير

[اسامى اصحاب كهف]

واما اسما اهل الكهف فاغمبير والسند في معرفتها واه والذي ذكر الطبري هي هذه مكسلمينا وهو اكبرهم والمتكلم عنهم ومحسلمينا وتمليخا وهو الذي مضى بالورق الى المدينة عند بعثهم من رقدتهم ومرطوس وكشوطونس وبيرونس ودينموس وبطونس قال مقاتل وكان الكلب لمكسلمينا وكان اسنهم وكان صاحب غنم

[فى الفرار بالدين وهجرة الاهل والبنين]

الثانية هذه الاية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الاهل والبنين والقرابات والاصدقاء والاوطان والاموال خوف الفتنة وما يلقاه الانسان من المحنة وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فارا بدينه وكذلك اصحابه وجلس في الغار حسب ما قدمناه في سورة النحل وقد نص الله على ذلك في سورة براءة وقد تقدم فهجروا اوطانهم وتركوا ارضهم وديارهم واهاليهم وقراباتهم واخوانهم رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين فسكنى الجبال ودخول الغيران والفرار عن الخلق والانفراد بالخالق وجواز الفرار من الظالم هي سنة الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العزلة وفضلها جماعة من العلماء لاسيما عند ظهور الفتن وفساد الناس وقد نص الله عليها في كتابه فقال فاووا الى الكهف قال العلماء الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في السواحل والرباط ومرة في البيوت وقد جاء في الخبر اذا كانت الفتنة فاخف مكانك وكف لسانك ولم يخص موضعا من موضع وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر واهله بقلبك وعملك وان كنت بين اظهرهم وقال ابن المبارك في تفسير العزلة ان يكون مع القوم فاذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم وان خاضوا في غير ذلك فاسكت وروي البغوي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم صوامع المومنين بيوتهم من مراسيل الحسن وغيره وقال عقبة بن عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما النجاة يا رسول الله فقال يا عقبة امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن خرجه البخاري وذكر علي بن معبد عن الحسين بن واقد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان سنة ثمانين ومائة فقد حلت لامتي العزلة والعزوبة والترهب في رؤوس الجبال وذكر ايضا علي بن معبد عن عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق وحجر الى حجر فاذا كان ذلك لم تنل المعيشة الا بمعصية الله فاذا كان ذلك حلت العزبة قالوا يا رسول الله

[المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم]

كيف تحل العزبة وانت تامر بالتزويج قال اذا كان ذلك كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان كان هلاكه على يدي زوجته فان لم يكن له زوجة كان هلاكه على يدي ولده فان لم يكن له ولد كان هلاكه على يدي القرابات والجيران قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها قال المولف رحمه الله احوال الناس في هذا الباب تختلف فرب رجل يكون له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال وهي ارفع الاحوال لانها الحالة التي اختارها الله لنبيه في بداية امره ونص عليها في كتابه مخبرا عن الفتية فقال واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ورب رجل تكون العزلة له في بيته اخف عليه واسهل وقد اعتزل رجال من اهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا الا الى قبورهم ورب رجل متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر بها على مخالطة الناس واذاهم فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن وذكر ابن المبارك حدثنا وهيب بن الورد قال جاء رجل الى وهب بن منبه فقال ان الناس وقعوا فيما فيه وقعوا وقد حدثت نفسي ان لا اخالطهم فقال لا تفعل انه لا بد لك من الناس ولا بد لهم منك ولك اليهم حوائج ولهم اليك حوائج ولكن كن فيهم اصم سميعا اعمى بصيرا سكوتا نطوقا وقد قيل ان كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال والشعاب مثل الاعتكاف في المساجد ولزوم السواحل للرباط والذكر ولزوم البيوت فرارا عن شرور الناس وانما جاءت الاحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم والله اعلم لان ذلك هو الاغلب في المواضع التي يعتزل فيها فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرنا والله الموفق وبه العصمة وروى عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعجب ربك من راعي غنم في راس شظية الجبل يوذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا الى عبدي هذا يوذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وادخلته الجنة خرجه النسائي وغيره

[ورب رجل تكون العزلة له فى بيته اخف عليه]

الثالثة قوله وهيئ لنا من امرنا رشدا لما فروا واحسوا بطلبهم اشتغلوا بالدعاء ولجوا الى الله فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اي مغفرة ورزقا وهيئ لنا اي يسر لنا من امرنا رشدا توفيقا للرشاد وقال ابن عباس مخرجا من الغار في سلامة وقيل صوابا ومن هذا المعنى انه عليه السلام كان اذا حزنه امر فزع الى الصلاة قوله تعالى وضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم الاية عبارة عن القاء الله تعالى النوم عليهم وهذه من فصيحات القران التي اقرت العرب بالقصور عن الاتيان بمثله قال الزجاج اي منعناهم ان يسمعوا لان النائم اذا سمع انتبه وقال ابن عباس ضربنا على اذانهم بالنوم اي سددنا اذانهم عن نفوذ الاصوات اليها وقيل المعنى فضربنا على اذانهم اي فاستجبنا دعاءهم وصرفنا عنهم شر قومهم وانمناهم والمعنى كله متقارب وقال قطرب هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اذا منعهم الفساد وضرب السيد على يد عبده الماذون له في التجارة اذا منعه من التصرف قال الاسود بن يعفر وكان ضريرا

ومن الحوادث لا ابا لك انني	ضربت على الارض بالاسداد

واما تخصيص الاذان بالذكر فلانها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقيل ما ينقطع نوم نائم الا من جهة اذنه ولا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع ومن ذكر الاذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذاك رجل بال الشيطان في اذنه خرجه الصحيح اشار عليه السلام الى رجل طويل النوم لا يقوم الليل وعددا نعت للسنين اي معدودة والقصد به العبارة عن التكثير لان القليل لا يحتاج الى عدد لانه قد عرف والعد المصدر والعدد اسم المعدود كالنفض والخبط وقال ابو عبيدة عددا نصب على المصدر ثم قال قوم بين الله عدد ذلك السنين من بعد فقال ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قوله تعالى ثم بعثناهم اي من نومهم ويقال لمن احيي او اقيم من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود ومشاهدته وهذا على نحو كلام العرب اي لنعلم ذلك موجودا والا فقد كان الله تعالى علم اي الحزبين احصى الامد وقرا الزهري ليعلم بالياء والحزبان الفريقان والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني اهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بامر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وقالت فرقة هما حزبان من الكافرين اختلفا في مدة اصحاب الكهف وقيل هما حزبان من المومنين وقيل غير ذلك مما لا يرتبط بالفاظ الاية واحصى فعل ماض وامدا نصب على المفعول قاله ابو علي وقال

الفرا انتصب على التمييز وقال الزجاج نصب على الظرف اي الحزبين احصى للبثهم في الامد والامد الغاية وقال
مجاهد امدا معناه عددا وهذا التفسير بالمعنى على جهة التقريب وقال الطبري امدا منصوب بلبثوا قال
ابن عطية وهذا غير متجه واما من قال انه نصب على التفسير فيلحقه من الاختلال ان افعل لا يكون من فعل
رباعي الا في الشاذ واحصى فعل رباعي وقد يحتج له بان يقال ان افعل في الرباعي قد كثر كقولك ما اعطاه للمال
واتاه للخير وقال في صفة حوضه عليه السلام ماؤه ابيض من اللبن وقال عمر بن الخطاب فهو لما سواها اضيع
قوله تعالى نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم لما اقتضى قوله تعالى لنعلم اي الحزبين
احصى اختلافا وقع في الفتية اعقب بالخبر عن انه عز وجل يعلم من امرهم بالحق الذي وقع وقوله عز وجل انهم
فتية اي شباب واحداث حكم لهم بالفتوة حين امنوا بلا واسطة كذلك قال اهل اللسان راس الفتوة الايمان
وقال الجنيد الفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى وقيل الفتوة اجتناب المحارم واستعمال
المكارم وقيل غير هذا وهذا القول حسن جدا لانه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة **قوله تعالى**
وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم وزدناهم هدى اي يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع الى الله عز وجل
ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الايمان وقال السدي زادهم هدى بكلب الراعي
حين طردوه ورجموه مخافة ان ينبح عليهم وينبه عليهم فرفع الكلب يديه كالداعي فانطقه الله فقال يا قوم لم
تطردونني لم ترجمونني لم تضربونني فوالله لقد عرفت الله قبل ان تعرفوه باربعين سنة فزادهم الله بذلك هدى
قوله تعالى وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر اعطاها الله لهم حتى قالوا بين يدي الكفار ربنا رب
السموات والارض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب
الانحلال حسن في شدة النفس وشدة التصميم ان يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجاش اذا كان لا يفرق نفسه
عند الفزع والحرب وغيرها ومنه الربط على قلب ام موسى وقوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام
وقد تقدم **قوله تعالى** اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى اذ قاموا فقالوا يحتمل ثلاث معان احدها ان يكون هذا وصف
مقامهم بين يدي الملك الكافر كما تقدم وهو مقام يحتاج الربط على القلب حيث خالفوا دينه ورفضوا في ذات
الله هيبته والمعنى الثاني فيما قيل انهم كانوا اولاد عظماء تلك المدينة فخرجوا واجتمعوا وراء ملك المدينة
من غير ميعاد فقال اسنهم اني اجد في نفسي ان ربي رب السموات والارض فقالوا ونحن كذلك نجد في انفسنا
فقاموا جميعا وقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي لئن
دعونا الها غيره فقد قلنا اذا جورا ومحالا والمعنى الثالث ان يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم الى
الهروب الى الله ومنابذة الناس كما تقول قام فلان الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد الثانية قال
ابن عطية تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله تعالى اذ قاموا فقالوا قال المؤلف رحمه الله وهذا تعلق
غير صحيح هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما اولاهم من نعمته ونعمه ثم هاموا على وجوههم منقطعين
الى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله في المرسلين والانبياء والفضلاء والاولياء اين هذا من ضرب الارض
بالاقدام والرقص بالاكمام وخاصة في هذه الازمان عند سماع الاصوات الحسان من المرد والنسوان
هيهات والله بينهما ما بين السماء والارض ثم هذا حرام عند جماعة العلماء على ما ياتي بيانه في سورة لقمان
ان شا الله تعالى وقد تقدم في سبحان عند قوله ولا تمش في الارض مرحا فيه كفاية وقد قال الامام ابو بكر الطرطوشي
وسئل عن مذهب الصوفية فقال اما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا
له خوار وقاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعبادة العجل على ما ياتي **قوله تعالى** هؤلاء
قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين اي قال بعضهم لبعض هؤلاء قومنا اتخذوا
اهل عصرنا وبلدنا عبدوا الاصنام تقليدا من غير حجة لولا اي هلا ياتون عليهم بسلطان بين اي بحجة على
عبادتهم الصنم وقيل عليهم راجع الى الالهة اي هلا اقاموا بينة على الاصنام في كونها الهة فقولهم لولا تحضيض
بمعنى التعجيز واذا لم يمكنهم ذلك لم يجب ان يلتفت الى دعواهم **قوله تعالى** واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا واذ اعتزلتموهم قيل هو من
قول الله لهم اي واذ اعتزلتموهم فاووا الى الكهف وقيل هو من قول رئيسهم تمليخا فيما ذكر ابن عطية وقال
الغزنوي رئيسهم مكسلمينا قال لهم ذلك اي اذا اعتزلتموهم واعتزلتم ما تعبدون ثم استثنى وقال الا الله اي

انكم لم تتركوا عبادته فهو استثناء منقطع قال ابن عطية وهذا على تقدير ان الذين فر اهل الكهف منهم لا يعرفون
الله ولا علم لهم به وانما يعتقدون الاصنام في الوهيتهم فقط وان فرضنا انهم لا يعرفون الله كما كانت العرب
تفعل لكنهم يشركون اصنامهم معه في العبادة فالاستثناء متصل لان الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفار
الا في جهة الله وفي مصحف عبد الله بن مسعود وما يعبدون من دون الله قال قتادة هذا تفسيرها قال
المؤلف رحمه الله ويدل على هذا ما ذكره ابو نعيم الحافظ عن عطا الخراساني في قوله تعالى واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله قال كان فتية ممن يعبدون الله ويعبدون معه الهة فاعتزلت تلك الفتية عبادة
تلك الالهة ولم يعتزل عبادة الله قال ابن عطية فعلى ما قال قتادة تكون الا بمنزلة غير وما من قوله وما
يعبدون الا الله في موضع نصب عطفا على الضمير في قوله اعتزلتموهم ومضمن هذه الاية ان بعضهم
قال لبعض اذا فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف ماوى ونتكل على الله فانه سيبسط لنا
رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا مرفقا وهذا كله دعاء بحسب الدنيا وعلى ثقة كانوا من
الله في امر اخرتهم وقال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم كان اصحاب الكهف صياقلة واسم الكهف
حيوم ومرفقا قرئ بكسر الميم وفتحها وهو ما يرتفق به وكذلك مرفق الانسان ومرفقه ومنهم من يجعل المرفق
بفتح الميم وكسر الفاء من الامر والمرفق من الانسان وقد قيل المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وهما بعد لغتان
قوله تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات
الشمال وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتد الى اخر الاية اي ترى ايها المخاطب
الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم والمعنى انك لو رايتهم كذا لا ان المخاطب راهم على التحقيق وتزاور
تتنحى وتميل من الازورار والزور الميل والازور في العين المائل النظر الى ناحية ويستعمل في غير العين

كما قال ابن ابي ربيعة	وجنبي خيفة القوم ازور		ومن اللفظ في قول عنترة
	فازور من وقع القنا بلبانه		وفي حديث غزوة مؤتة رسول الله صلى

الله عليه وسلم راى في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سرير جعفر وزيد بن حارثة وقرا اهل الحرمين
وابو عمرو تزاور بادغام التاء في الزاي والاصل تتزاور وقرا عاصم وحمزة والكسائي تزاور مخففة الزاي
وقرا ابن عامر تزور مثل تحمر وحكى الفراء تزوار مثل تحمار وكلها بمعنى واحد واذا غربت تقرضهم قرا
الجمهور بالتاء على معنى تتركهم قاله مجاهد وقال قتادة تدعهم قال النحاس وهذا معروف في اللغة حكى
البصريون انه يقال قرضه يقرضه اذا تركه والمعنى انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة كرامة لهم وهو قول
ابن عباس يعني ان الشمس اذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين اي يمين الكهف واذا غربت تمر بهم ذات الشمال
اي شمال الكهف فلا تصيبهم لا في ابتداء النهار ولا في اخر النهار وكان كهفهم مستقبل بنات نعش في ارض
الروم فكانت الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية لا تبلغهم فتؤذيهم بحرها وتغير الوانهم وتبلي ثيابهم
وقد قيل انه كان لكهفهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاويته وذهب الزجاج الى
ان فعل الشمس كان اية من ايات الله دون ان يكون باب الكهف الى جهة توجب ذلك وقرات فرقة يقرضهم
بالياء من القرض وهو القطع اي يقطعهم الكهف بظله من ضوء الشمس وقد قيل واذا غربت ذات الشمال
اي يصيبهم يسير منها ماخوذا من قراضة الذهب والفضة اي تعطيهم الشمس اليسير من شعاعها وقالوا كان
في مسها لهم بالعشي اصلاح لاجسامهم وعلى الجملة فالاية في ذلك ان الله تعالى اواهم الى كهف هذه
صفته لا الى كهف اخر يتاذون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم النهار وعلى هذا فيمكن ان يكون صرف
الشمس عنهم باظلال غمام او سبب اخر والمقصود بيان حفظهم عن تطرق البلاء وتغير الابدان والالوان
والتاذي بحر او برد وهم في فجوة منه اي من الكهف والفجوة المتسع وجمعها فجوات وفجا مثل كوة وكوى

وركوات قال الشاعر	ونحن ملانا كل واد وفجوة		رجالا وخيلا غير ميل ولا عزل

اي كانوا بحيث يصيبهم نسيم الهوا ذلك من ايات الله اي ذلك الميل من الشمس عنهم ووصول الهوا اليهم
من ايات الله لطف بهم وهذا يقوي قول الزجاج وقال اهل التفسير كانت اعينهم مفتوحة وهم نائمون
فلذلك كان الراي يحسبهم ايقاظا لكثرة تقلبهم كالمستيقظ في مضجعه وايقاظا جمع يقظ ويقظان وهم
المنتبه وهم رقود كقولك هم قوم ركوع وسجود وقعود فوصف الجمع بالمصدر ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال قال ابن عباس لئلا تاكل الارض لحومهم قال ابو هريرة كان لهم في كل عام تقلبتان وقيل في كل سنة

حين طردوا الكلب الراعي فرفع الكلب يديه كالداعي فقال يا قوم لم تطردوني فوالله لقد عرفت الله قبل ان تعرفوه باربعين سنة

سئل عن الرقص والتواجد

مرة وقال مجاهد في كل سبع سنين مرة وقال فرقة انما قلبوا في التسع الاواخر واما في الثلثماية فلا وظاهر
كلام المفسرين ان التقليب كان من فعل الله ويجوز ان يكون من ملك بامر الله فيضاف الي الله وقوله
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال عمرو بن دينار ان مما اخذ علي العقرب ان لا تضر احدا في
ليله ولا في نهاره فقال صلي الله علي نوح وان مما اخذ علي الكلب ان لا يضر من حمل عليه وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد واكثر المفسرين علي انه كلب حقيقة وكان لصيد احدهم او لزرعه او غنمه علي ما قال مقاتل واختلف
في لونه اختلافا كثيرا ذكره الثعلبي تحصيله اي لون ذكرت اصبت حتي قيل لون الحجر وقيل لون السماء
واختلف ايضا في اسمه فعن علي ريان ابن عباس قطمير الاوزاعي نسر عبد الله بن سلام بسيط كعب
صهيبا وهب نقيا وقيل قطفير ذكره الثعلبي وكان اقتناء الكلب جائزا في وقتهم كما هو عندنا اليوم جايز
في شرعنا وقال ابن عباس هربوا ليلا وكانوا سبعة فمروا براع ومعه كلب فاتبعهم علي دينهم وقال كعب مروا
بكلب فنبح لهم فطردوه فعاد فطردوه مرارا فقام الكلب علي رجليه ورفع يديه الي السماء كهيئة الداعي
فنطق فقال لا تخافوا مني انا احب احباء الله فناموا حتي احرسكم **الثانية** روي الصحيح عن ابن عمر عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال من اقتني كلبا الا كلب صيد او ماشية نقص من اجره كل يوم قيراطان وروي الصحيح
ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص
من اجره كل يوم قيراط قال الزهري وذكر لابن عمر قول ابي هريرة فقال يرحم الله ابا هريرة كان صاحب زرع
فقد دلت السنة الثابتة علي اقتناء الكلب للصيد والزرع والماشية وجعل النقص في اجر من اقتناها
علي غير ذلك من المنفعة اما لترويع الكلب المسلمين وتشويشه عليهم بنباحه او لمنع دخول الملايكة البيت
او لنجاسته علي ما يراه الشافعي ولاقتحام النهي عن اتخاذ ما لا منفعة فيه والله اعلم وقال في احدي الروايتين
قيراطان وفي الاخري قيراط وذلك يحتمل ان يكون في نوعين من الكلاب احدهما اشد اذي من الاخر كالاسود الذي
امر النبي صلي الله عليه وسلم بقتله ولم يدخله في الاستثناء حين نهي عن قتلها كما هو منصوص في حديث
جابر اخرجه الصحيح وقال عليكم بالاسود البهيم ذي النقطتين فانه شيطان ويحتمل ذلك ان يكون ذلك
لاختلاف المواضع فيكون ممسكه بالمدينة مثلا او بمكة ينقص قيراطان ولغيرها قيراط والله اعلم
واما المباح اتخاذه فلا ينقص كالفرس والهر والله اعلم **الثالثة** وكلب الماشية الذي يباح اتخاذه عند
مالك هو الذي يسرح معها لا الذي يحفظها في الدار من السراق وكلب الزرع هو الذي يحفظه من الوحوش
بالليل او بالنهار لا من السراق وقد اجاز غير مالك اتخاذها لسراق الماشية والزرع وقد تقدم في
المايدة من احكام الكلاب ما فيه كفاية والحمد لله **الرابعة** قال ابن عطية وحدثني ابي رض قال سمعت
ابا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول علي منبر وعظه سنة تسع وستين واربعماية ان من احب اهل الخير نال
من بركتهم كلب احب اهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله قال المولف رحمه الله اذا كان بعض
الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحا والاوليا حتي اخبر الله تعالي بذلك في
كتابه جل وتعالي فما ظنك بالمومنين الموحدين المخالطين المحبين للاوليا والصالحين بل في هذا تسلية
وانس للمومنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي صلي الله عليه وسلم واله خير ال روي الصحيح عن انس
بن مالك قال بينا انا ورسول الله صلي الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدة المسجد فقال
يا رسول الله متي الساعة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما اعددت لها قال فكان الرجل استكان ثم قال
يا رسول الله ما اعددت لها كثير عمل صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فقال
فانت مع من احببت قال انس فانا احب الله ورسوله وابا بكر وعمر فارجو ان اكون معهم وان لم اعمل
باعمالهم قال المولف رحمه الله وهذا الذي تمسك به انس يشمل من المومنين كل ذي نفس فلذلك تعلقت
اطماعنا بذلك وان كنا مقصرين ورجونا رحمة الرحمن وان كنا غير مستاهلين كلب احب قوما فذكره الله معهم فكيف
بنا وعندنا عقد الايمان وكلمة الاسلام وحب النبي صلي الله عليه وسلم ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلا وقالت فرقة لم يكن
كلبا حقيقة وانما كان احدهم وكان قعد عند باب الغار طليعة لهم قال ابن عطية فسمي باسم الحيوان
الملازم لذلك الموضع كما سمي النجم التابع للجوزا كلبا لانه منها كالكلب من الانسان ويقال له كلب
الجبار قال وهذا القول يضعفه ذكر بسط الذراعين فانها في العرف من صفة الكلب حقيقة ومنه قول

النبي صلي الله عليه وسلم ولا يبسط احدكم ذراعيه انبساط الكلب وقد حكي ابو عمر المطرز في كتاب اليواقيت
انه قري وكالبهم باسط ذراعيه فيحتمل ان يريد بالكالب هذا الرجل علي ما روي اذ بسط الذراعين
واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هي هيية الريبة المستخفي بنفسه ويحتمل ان يريد بالكالب
الكلب وقرا جعفر بن محمد الصادق وكالبهم يعني صاحب الكلب قوله تعالي **وكلبهم باسط ذراعيه**
بالوصيد اعمل اسم الفاعل وهو بمعني الماضي لانها حكاية حال ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب والذراع من
طرف المرفق الي طرف الاصبع الوسطي ثم قيل بسط ذراعيه لطول المدة وقيل بل الكلب وكان ذلك من
الايات وقيل نام مفتوح العين والوصيد الفنا قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير اي فنا الكهف والجمع
وصايد ووصد وقيل الباب وقاله ابن عباس ايضا وانشد

بارض فضاء لا يسد وصيدها	علي ومعروفي بها غير منكري

وقد تقدم وقال عطا عتبة الباب والباب الموصد هو المغلق وقد اوصدت الباب وآصدته اي اغلقته
والوصيد النبات المتقارب والاصول فهو مشترك قوله تعالي **لو اطلعت عليهم لوليت**
منهم فرارا ولملئت منهم رعبا قرا الجمهور بكسر الواو والاعمش ويحيي بن وثاب بضمها لو ليت منهم فرارا
اي لو اشرفت عليهم لهربت منهم ولملئت منهم رعبا اي لما حفهم الله تعالي به من الرعب واكتنفهم من الهيبة
وقيل لوحشة مكانهم فكانهم اواهم الله الي هذا المكان الموحش في الظاهر لينفر الناس عنهم وقيل كان الناس
محجوبين بالرعب لا يجسر احدهم علي الدنو اليهم وقيل الفرار منهم لطول شعورهم واظفارهم ذكره المهدوي
والنحاس والزجاج والقشيري قال القشيري وهذا بعيد لانهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض
لبثنا يوما او بعض يوم فدل هذا علي ان شعورهم واظفارهم كانت بحالها الا ان يقال انما قالوا ذلك
قبل ان ينظروا الي اظفارهم وشعورهم قال ابن عطية والصحيح في امرهم ان الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي
ناموا عليها ليكون لهم ولغيرهم فيهم اية فلم يبل لهم ثوب ولم تغير لهم صفة ولم ينكر الناهض الي المدينة
الا معالم الارض والبنا ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه اهم وقرا نافع وابن كثير وابن عباس
واهل مكة والمدينة لمليت بتشديد اللام علي تضعيف المبالغة اي مليت ثم مليت وقرا الباقون
لمليت بالتخفيف والتخفيف اشهر في اللغة وقد جاء التثقيل في قول المخبل السعدي

واذ فتك النعمان بالناس محرما	فملي من كعب بن عوف سلاسله

وقرا الجمهور رعبا باسكان العين وقرا بضمها ابو جعفر قال ابو حاتم هما لغتان وفرارا نصب علي الحال
ورعبا مفعول ثان او تمييز قوله تعالي **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قايل منهم كم لبثتم**
البعث التحريك عن سكون والمعني كما ضربنا علي اذانهم وزدناهم هدي وقلبناهم بعثناهم ايضا اي ايقظناهم
من نومهم علي ما كانوا عليه من هيئاتهم في ثيابهم واحوالهم قال الشاعر

وفتيان قد بعثت بسحرة	فقاموا جميعا بين عاث ونشوان

اي ايقظت واللام في قوله ليتساءلوا لام الصيرورة وهي لام العاقبة كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا فبعثهم
لم يكن لاجل تساؤلهم قوله تعالي **قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم** وذلك
انهم دخلوه غدوة وبعثهم الله في اخر النهار فقال رئيسهم يمليخا او مكسلمينا الله اعلم بالمدة لي
قوله تعالي **فابعثوا احدكم بورقكم هذه الي المدينة فلينظر ايها ازكي طعاما فلياتكم برزق**
منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم
ولن تفلحوا اذا ابدا فيه سبع مسايل **الاولي** قال ابن عباس كانت ورقهم كاخفاف الربع ذكره النحاس وقرا
ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم بورقكم بكسر الراء وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن
عاصم بورقكم بسكون الراء حذفوا الكسرة لثقلها وهما لغتان وقرا الزجاج بورقكم بكسر الواو وسكون
الراء ويروي انهم انتبهوا جياعا وان المبعوث هو يمليخا وكان اصغرهم فيما ذكر الغزنوي والمدينة
افسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس وقال
ابن عباس كان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم **الثانية** فلينظر ايها ازكي طعاما
قال ابن عباس احل ذبيحة لان اهل بلدهم كانوا يذبحون علي اسم الصنم وكان فيهم قوم يخفون ايمانهم و
قيل ازكي طعاما اي اكثر بركة قيل انهم امروه ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او ثلاثة ليلا يطلع

عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة ولهذا قيل كان ذلك الطعام الارز وقيل كان زبيبا وقيل تمرا فالله اعلم وقيل ازكى اطيب وقيل ارخص فليأتكم برزق منه اي بقوت وليتلطف في دخول المدينة وشراء الطعام ولا يشعرن بكم احدا اي لا يخبرن وقيل ان ظهر عليه فلا يوقعن اخوانه فيما وقع فيه انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم قال الزجاج معناه بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يرموكم بالسب والشتم والاول اصح لانه كان عازما على قتلهم كما تقدم في قصصهم والرجم فيما سلف هي على ما ذكرت قبله لمخالفة دين الله اذ هي اشفى لجملة اهل ذلك الدين من حيث انهم يشتركون فيها

الثالثة في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة وصحتها وقد وكل علي ابن ابي طالب اخاه عقيلا عند عثمان رضي الله عنهما ولا خلاف فيها في الجملة والوكالة معروفة في الجاهلية والاسلام الا ترى الى عبد الرحمن بن عوف كيف وكل امية بن خلف باهله وحاشيته بمكة ان يحفظهم وامية مشرك والتزم عبد الرحمن لامية من حفظ حاشيته بالمدينة مثل ذلك مجازاة لصنعه روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال كاتبت امية بن خلف كتابا بان يحفظني في صاغيتي بمكة واحفظه في صاغيته بالمدينة فلما ذكرت الرحمن قال لا اعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو وذكر الحديث قال الاصمعي صاغية الرجل الذين يميلون اليه ويأتونه وهو مأخوذ من صغا يصغو ويصغى اذا مال فكل مائل الى الشيء او معه فقد صغى اليه واصغى من كتاب الافعال

الرابعة الوكالة عقد نيابة اذن الله سبحانه فيه للحاجة اليه وقيام المصلحة في ذلك اذ ليس كل احد يقدر على تناول اموره الا بمعونة من غيره او يترفه فيستنيب من يريحه وقد استدل علماؤنا على صحتها بآيات من الكتاب منها هذه وقوله تعالى والعاملين عليها وقوله اذهبوا بقميصي هذا واما من السنة فاحاديث كثيرة منها حديث عروة البارقي وقد تقدم في آخر الانعام وروي جابر بن عبد الله قال اردت الخروج الى خيبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اني اردت الخروج الى خيبر فقال اذا اتيت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقا فان ابتغى منك آية فضع يدك على ترقوته خرجه ابو داود والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وفي اجماع الامة على جوازها كفاية

الخامسة الوكالة جائزة في كل حق تجوز النيابة فيه فلو وكل الغاصب لم يجز وكان هو الوكيل لان كل محرم فعله لا تجوز النيابة فيه

السادسة في هذه الآية نكتة بديعة وهي ان الوكالة انما كانت مع التقية خوف ان يشعر بهم احد لما كانوا عليه من الخوف على انفسهم وجواز توكيل ذي العذر متفق عليه فاما من لا عذر له فالجمهور على جوازها وقال ابو حنيفة لا يجوز قال ابن العربي وكان سحنون تلقفه من اسد بن الفرات فحكم به ايام قضائه ولعله كان يفعل ذلك باهل الظلم والجبروت انصافا منهم واذلالا لهم وهو الحق فان الوكالة معونة فلا تكون لاهل الباطل قال المؤلف رحمه الله هذا حسن فاما اهل الدين والفضل فلهم ان يوكلوا وان كانوا حاضرين اصحاء والدليل على جواز صحة الوكالة الشاهد الصحيح ما خرجه الصحيحان وغيرهما عن ابي هريرة قال كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاء يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا له سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني اوفى الله لك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خياركم احسنكم قضاء لفظ البخاري فدل هذا الحديث مع صحته على جواز توكيل الحاضر الصحيح البدن فان النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان يعطوا عنه السن التي كانت عليه وذلك توكيل منه لهم على ذلك ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مريضا ولا مسافرا وهذا يرد قول ابي حنيفة وسحنون في قوله لا يجوز توكيل الحاضر الصحيح البدن الا برضا خصمه وهذا الحديث خلاف قوله

السابعة قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الآية جواز الشركة لان الورق كان لجميعهم وتضمنت جواز الوكالة لانهم بعثوا من وكلوه بالشراء وتضمنت جواز اكل الرفقاء وخلطهم طعامهم معا وان كان بعضهم اكثر اكلا من الآخر ومثله قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حسب ما تقدم بيانه في البقرة ولهذا قال اصحابنا في المسكين يتصدق عليه فيخلطه بطعام لغني ثم يأكل معه ان ذلك جائز وقالوا في المضارب يخلط طعامه بطعام غيره ثم يأكل معه ان ذلك جائز وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من اشترى له اضحية قال ابن العربي ليس في الآية دليل على جواز ذلك لانه يحتمل ان يكون كل واحد منهم قد اعطاه ورقه منفردا فلا يكون فيه اشتراك ولا معول في هذه المسألة الا على حديثين احدهما ان ابن عمر مر بقوم يأكلون تمرا فقال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاقران الا ان يستأذن الرجل اخاه الثاني حديث ابي عبيدة في جيش الخبط وهذا دون الاول

في الظهور لانه يحتمل ان يكون ابو عبيدة يعطيهم كفافا من ذلك القوت ولا يجمعهم عليه قال المؤلف رحمه الله ومما يدل على خلاف هذا من الكتاب قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقوله ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا على ما يأتي ان شاء الله

قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا

وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم واظهرناهم واعثر تعدية عثر بالهمزة واصل العثار في القدم ليعلموا ان وعد الله حق يعني الامة المسلمة الذين بعث اهل الكهف على عهدهم وذلك ان دقيانوس مات ومضت قرون وملك تلك اهل الديار رجل صالح فاختلط اهل بلده في الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا انما تحشر الارواح والاجساد تأكلها الارض وقال بعضهم يبعث الروح والجسد جميعا فكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يبين امره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله تعالى في حجة وبيان فاعثر الله على اهل الكهف فيقال انهم لما بعثوا احدهم بورقهم الى المدينة يرزق منها استنكر شخصه واستنكرت ورقه لبعد العهد فحمل الى الملك وكان صالحا قد آمن وآمن من معه فلما نظر اليه قال لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت ادعو الله ان يرينيهم وسأل الفتى فاخبره فسر الملك بذلك وقال لعل الله قد بعث لكم آية فلنسر الى الكهف معه فركب مع اهل المدينة اليهم فلما دنوا الى الكهف قال تمليخا انا ادخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم واعلمهم بالامر وان الامة امة اسلام فروي انهم سروا بذلك وخرجوا الى الملك وعظموه وعظمهم ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم تمليخا ميتة الحق على ما يأتي ورجع من كان شك في بعث الاجساد الى اليقين فهذا معنى اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق اي ليعلم الملك ورعيته ان القيامة حق والبعث حق اذ يتنازعون بينهم فقالوا وانما استدل الواحد بذلك على خبرهم وهابوا الدخول عليهم فقال الملك ابنوا عليهم بنيانا فقال الذين هم على دين الفتية اتخذوا عليهم مسجدا وروي ان طائفة كافرة قالت نبني بيعة او مصنعا فمانعهم المسلمون وقالوا لنتخذن عليهم مسجدا وروي ان بعض القوم ذهب الى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين وروي عن عبيد بن عمير ان الله اعمى على الناس حينئذ اثرهم وحجبهم عنهم فذلك دعا الى بناء البنيان ليكون معلما لهم وقيل ان الملك اراد ان يدفنهم في صندوق من ذهب فاتاه آت في المنام فقال اردت ان تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل فانا من التراب خلقنا واليه نعود فدعنا

وتنشأ هنا مسائل ممنوعة وجائزة فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها الى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز لما روى ابو داود والترمذي عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج قال الترمذي وفي الباب عن ابي هريرة وعائشة حديث ابن عباس حديث حسن وروى الصحيحان عن عائشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة لفظ مسلم قال علماؤنا وهذا يحرم على المسلمين ان يتخذوا قبور الانبياء والعلماء مساجد وروى الائمة عن مرثد الغنوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها لفظ مسلم اي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها او اليها كما فعل اليهود والنصارى فيؤدي الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الاصنام فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية الى ذلك فقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد وروى الصحيحان عن عائشة وعبد الله بن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه وقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وروى مسلم عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه وخرجه ابو داود والترمذي ايضا عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان توطأ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروى الصحيح عن ابي الهياج الاسدي قال قال لي علي ابن ابي طالب الا

قصة اهل الكهف

جواز توكيل ذي العذر متفق عليه

ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا ادع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته وفي رواية ولا صورة الا طمستها واخرجه ابو داود والترمذي قال علماؤنا ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها وان تكون لاطئة وقد قال به بعض اهل العلم وذهب الجمهور الى ان هذا الارتفاع المامور بازالته هو ما زاد على التسنيم ويبقى للقبر ما يعرف به ويحترم وذلك صفة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما على ما ذكر مالك في الموطا وقبر ابينا ادم صلى الله عليه وسلم على ما رواه الدارقطني من حديث ابن عباس واما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيما وتعظيما فذلك يهدم ويزال فان فيه استعمال زينة الدنيا في اول منازل الاخرة وتشبيها بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار هذا المعاني فظاهر النهي ينبغي ان يقال هو حرام والتسنيم في القبر ارتفاعه قدر شبر ماخوذ من سنام البعير ويرش عليه بالماء لئلا ينتشر بالريح وقال الشافعي لا باس ان يطين القبر وقال ابو حنيفة لا يجصص القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بناء وسقط ولا باس بوضع الاحجار لتكون علامة لما رواه ابو بكر الاثرم حدثنا مسدد حدثنا نوح بن دراج عن ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزور قبر حمزة بن عبد المطلب كل جمعة وعلمته بصخرة ذكره ابو عمر **واما الجائزة** فالدفن في التابوت وهو جائز لا سيما في الارض الرخوة وروي ان دانيال صلوات الله عليه كان في تابوت من حجر وان يوسف صلوات الله عليه اوصى بان يتخذ له تابوت من زجاج ويلقى في ركية مخافة ان يعبد وبقي كذلك الى زمن موسى صلى الله عليه وسلم فدلته عجوز فرفعه ووضعه في حظيرة اسحاق عليه السلام وفي الصحيح عن سعد بن ابي وقاص انه قال في مرضه الذي هلك فيه الحدوا لي لحدا وانصبوا علي اللبن نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد هو ان يشق في الارض ثم يحفر قبر اخر في جانب الشق من جانب القبلة ان كانت الارض صلبة يدخل فيه الميت ويسد عليه باللبن وهو افضل عندنا من الشق لانه الذي اختاره الله لرسوله وبه قال ابو حنيفة قال السنة اللحد وقال الشافعي الشق ويكره الاجر في اللحد وقال الشافعي لا باس به لانه نوع من الحجر وكرهه ابو حنيفة واصحابه لان الاجر لاحكام البناء والقبر وما فيه للبلاء فلا يليق به الاحكام وعلى هذا يسوي بين الحجر والاجر وقيل ان بالاجر اثر النار فيكره تفاؤلا وعلى هذا يفرق بين الحجر والاجر قالوا ويستحب اللبن والقصب لما روي انه وضع على قبر النبي صلى الله عليه وسلم طن حزمة من قصب وحكي عن الشيخ ابي بكر محمد بن الفضل الحنفي انه جوز اتخاذ التابوت في بلادهم لرخاوة الارض وقال لو اتخذ تابوت من حديد لا باس به لكن ينبغي ان يفرش فيه التراب ويطين طبقه العليا مما يلي الميت ويجعل اللبن الخفيف على يمين الميت ويساره ليصير بمنزلة اللحد قال المؤلف رحمه الله ومن هذا المعنى جعل القطيفة في قبر النبي فان المدينة سبخة قال شقران انا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر قال ابو عيسى الترمذي حديث شقران حديث حسن صحيح غريب **قوله تعالى** **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم** الضمير في سيقولون يراد به اهل التوراة ومعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص وقيل المراد به النصارى فان قوما منهم حضروا النبي صلى الله عليه وسلم من نجران فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون سبعة ثامنهم كلبهم وقيل هو اخبار عن اليهود الذين امروا المشركين بمسالة النبي صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الكهف والواو في قوله وثامنهم طريق النحويين انها واو عطف دخلت في اخر اخبار عن عددهم ليفصل امرهم ويدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام وقالت فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وحكى الثعلبي عن ابي بكر بن عياش ان قريشا كان يقول في عددها ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو في الثمانية وحكى نحوه القفال فقال ان قوما قالوا العدد ينتهي عند العرب الى سبعة فاذا احتيج الى الزيادة عليها استونف خبر اخر بادخال الواو كقوله التائبون العابدون ثم قال والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله يدل عليه انه لما ذكر ابواب جهنم قال حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها بلا واو فلما ذكر الجنة قال وفتحت بالواو وقال خيرا منكن مسلمات ثم قال وابكارا فالسبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة الان عندنا قال القشيري ابو نصر ومثل هذا الكلام تحكم ومن اين السبعة نهاية عندهم ثم هو منقوض بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز

الدفن في التابوت

الجبار المتكبر ولم يذكر الاسم الثامن بالواو وقال قوم ممن صار الى ان عددهم سبعة انما ذكر الواو في قوله سبعة وثامنهم لينبه على ان هذا العدد هو الحق وانه مباين للاعداد الاخر التي قال فيها اهل الكتاب ولهذا قال تعالى في الجملتين المتقدمتين رجما بالغيب ولم يذكره في الجملة الثالثة ولم يقدح فيها بشي وكانه تعالى قال لنبيه هم سبعة وثامنهم كلبهم والرجم القول بالظن يقال لكل ما يخرص رجم به ومرجوم ومرجم كما قال

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

قال المؤلف رحمه الله قد ذكر الماوردي والغزنوي وقال ابن جريج ومحمد بن اسحاق كانوا ثمانية وجعلا قوله تعالى وثامنهم كلبهم اي صاحب كلبهم وهذا مما يقوي طريقة النحويين في الواو وانها كما قالوا **قوله تعالى** **قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل** امر الله تعالى نبيه في هذه الاية ان يرد علم عدتهم اليه عز وجل ثم اخبر ان عالم ذلك من البشر قليل والمراد به قوم من اهل الكتاب في قول عطا وكان ابن عباس يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ثم ذكر السبعة باسمائهم والكلب اسمه قطمير كلب انمر فوق القلطي ودون الكردي وقال محمد بن سعيد بن المسيب هو كلب صيني والصحيح انه زبيري وقال ما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث الا من لم يقدر له قال وكتبه ابو عمرو الحيري عني وقال القشيري لم يذكر الواو في قوله رابعهم سادسهم ولو كان بالعكس لكان جائزا فطلب الحكمة والعلة في مثل هذه الواو تكلف بعيد وهو كقوله في موضع اخر وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفي موضع اخر الا لها منذرون **قوله تعالى** **فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا** اي لا تجادل في اصحاب الكهف الا بما اوحيناه اليك وهو رد علم عدتهم الى الله تعالى وقيل معنى المراء الظاهر ان تقول كما تقولون ونحو هذا ولا تحتج على امر مقدر في ذلك وفي هذا دليل على ان الله لم يبين لاحد عددهم فلهذا قال الا مراء ظاهرا اي ذاهبا كما قال

ولم يبح له في هذه الاية ان يماري ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ولكن قوله الا مراء استعارة من حيث يماريه اهل الكتاب سميت مراجعته لهم مراء ثم قيد بانه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم والضمير في قوله فيهم عائد على اهل الكهف وفي قوله منهم عائد على اهل الكتاب المعاصرين وقوله فلا تمار فيهم يعني في عدتهم وحذفت العدة لدلالة ظاهر القول عليها ولا تستفت فيهم منهم احدا روي انه عليه السلام سال نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة اهل الكتاب في شي من العلم **قوله تعالى** **ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله** فيه مسئلتان الاولى قال العلماء عاتب الله نبيه عليه السلام على قوله للكفار حين سالوه عن الروح والفتية وذي القرنين غدا اخبركم بجواب سؤالكم ولم يستثن في ذلك فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وارجف الكفار به فنزلت عليه السورة مفرجة وامر في هذه الاية ان لا يقول في امر من الامور اني افعل غدا كذا وكذا الا وان يعلق ذلك بمشية الله تعالى حتى لا يكون محققا لحكم الخبر فانه اذا قال لافعلن ذلك ولم يفعل كان كاذبا واذا قال لافعلن ذلك ان شاء الله خرج ان يكون محققا للمخبر عنه واللام في قوله لشي بمنزلة في او كانه قال لاجل شي **الثانية** قال ابن عطية وتكلم الناس في هذه الاية في الاستثناء في اليمين والاية ليست في الايمان وانما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين وقوله الا ان يشاء الله في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز تقديره الا ان يقول الا ان يشاء الله او الا ان يقول ان شاء الله فالمعنى الا ان يذكر مشية الله فليس الا ان يشاء الله من القول الذي نهى عنه قال المؤلف رحمه الله ما اختاره ابن عطية وارتضاه هو قول الكسائي والفراء والاخفش وقال البصريون المعنى الا بمشية الله فاذا قال الانسان انا افعل هذا ان شاء الله فمعناه بمشية الله قاله ابن عطية وقالت فرقة الا ان يشاء الله استثناء من قوله ولا تقولن قال وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه وهو من الفساد بحيث كان الواجب ان لا يحكى وقد تقدم القول في الاستثناء في اليمين وحكمه في المائدة **قوله تعالى** **واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا** فيه مسالة واحدة وهو الامر بالذكر بعد النسيان واختلف في الذكر المامور به فقيل هو قوله وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قال محمد الكوفي المفسر انها بالفاظها مما امر ان يقولها كل من لم يستثن وانها كفارة لنسيان الاستثناء وقال الجمهور هو دعاء مامور به دون هذا التخصيص وقيل هو قوله ان شاء الله الذي كان نسيه عند يمينه حكي عن ابن عباس انه ان نسي الاستثناء ثم ذكر ولو بعد سنة لم يحنث ان كان حالفا وهو قول مجاهد وحكى اسماعيل بن اسحاق ذلك عن ابي العالية في قوله واذكر

كلب اهل الكهف قطمير

ربك اذا نسيت قال ليستثني اذا ذكر قاله الحسن ما دام عن الاثم فاما الاستثنا المعتبر حكما فلا يصح الا متصلا
وقال السدي اي صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها وقيل استثني باسمه لئلا تنسى وقيل اذكر من ما نسيته
وقيل اذا نسيت شيئا فاذكره بذكرك وقيل اذكره اذا نسيت غيره او نسيت نفسك فذلك حقيقة
الذكر وهذه الاية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي استفتاح كلام على الاصح وليست من
الاستثنا في اليمين لشي وهي بعد تعم جميع امته لانه حكم يتردد في الناس بكثرة وقوعه والله الموفق
قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا هذا خبر من الله عن مدة لبثهم وفي قراءة
ابن مسعود وقالوا لبثوا قال الطبري ان بني اسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الاعثار عليهم
الى مدة النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم انهم لبثوا ثلثمائة سنة وتسع سنين فاخبر الله تعالى نبيه
ان هذه المدة في كونهم نياما وان ما بعد ذلك مجهول للبشر فامر الله ان يرد علم ذلك اليه قال ابن عطية
فقوله على هذا لبثوا الاول يريد في نوم الكهف ولبثوا الثاني يريد بعد الاعثار الى مدة محمد صلى الله عليه وسلم
او الى وقت عدمهم بالبلا قال مجاهد الى وقت نزول القران الضحاك الى ان ماتوا وقال بعضهم انه لما
قال وازدادوا تسعا لم يدر الناس اساعات هي ام ايام ام جمع ام شهور ام اعوام واختلف بنو اسرائيل
بحسب ذلك فامر الله برد العلم اليه في التسع فهي على هذا مبهمة وظاهر كلام العرب المفهوم منه انها
اعوام والظاهر من امرهم انهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى بيسير وقد بقيت من الحواريين بقية
وقيل غير هذا على ما ياتي قال القشيري لا يفهم من التسع تسع ليال وتسع ساعات لسبق ذكر السنين
كما تقول عندي مائة درهم وخمسة والمفهوم منه خمسة دراهم وقال ابو علي وازدادوا تسعا اي ازدادوا لبث
تسع فحذف وقال الضحاك لما انزلت ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنة سنة قالوا اسنة ام شهر قلنا بحساب الامم فلما كان الاخبار
هنا للنبي العربي ذكرت التسع اذ المفهوم عنده من السنين القمرية فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين
ونحوه ذكره الغزنوي اي باختلاف سني الشمس والقمر لانه يتفاوت في ثلاث وثلاثين وثلث سنة سنة
فيكون في ثلثمائة تسع سنين وقرا الجمهور ثلثمائة سنين بتنوين مائة ونصب سنين على التقديم والتاخير
اي سنين ثلثمائة فقدم الصفة على الموصوف فيكون سنين على هذا بدلا او عطف بيان وقيل على
التفسير والتمييز وسنين في موضع سنة وقرا حمزة والكسائي باضافة مائة الى سنين وترك التنوين
كانهم جعلوا السنين بمنزلة سنة اذ المعنى بهما واحد قال ابو علي هذه الاعداد التي تضاف في المشهور
الى الاحاد نحو ثلثمائة رجل وثوب قد تضاف الى الجموع وفي مصحف عبد الله ثلثمائة سنة وقرا الضحاك
ثلثمائة سنون بالواو وقرا ابو عمرو بخلاف تسعا بفتح التاء وقرا الجمهور بكسرها وقال الفرا والكسائي وابو
عبيدة التقدير ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة **قوله تعالى** قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات
والارض قيل بعد موتهم الى نزول القران فيهم على قول مجاهد او الى ان ماتوا على قول الضحاك او الى وقت
تغيرهم بالبلا على ما تقدم وقيل بما لبثوا اي في الكهف وهي المدة التي ذكرها الله تعالى عن اليهود ان ذكروا
زيادة ونقصانا اي لا يعلم علم ذلك الا الله تعالى او من علمه ذلك له غيب السموات والارض **قوله تعالى**
ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي اي ما ابصره واسمعه قال قتادة لا احد ابصر من الله ولا اسمع
وهذه عبارات عن الادراك ويحتمل ان يكون المعنى ابصر به اي بوحيه وارشاده هداك وحججك والحق
من الامور واسمع به العالم فيكونان امرين لا على وجه التعجب وقيل المعنى ابصرهم واسمعهم ما قال الله فيهم
ما لهم من دونه من ولي اي لم يكن لاصحاب الكهف ولي يتولى حفظهم دون الله ويحتمل ان يعود الضمير في
لهم على معاصري محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار والمعنى ما لهؤلاء المختلفين في مدة لبثهم ولي دون الله
يتولى تدبير امرهم فكيف يكونون اعلم منه او كيف يتعلمون من غير اعلامه اياهم **قوله تعالى** ولا يشرك
في حكمه احدا قرئ بالياء ورفع الكاف على معنى الخبر عن الله تعالى وقرا ابن عامر والحسن وابو رجا وقتادة
والجحدري ولا تشرك بالتاء من فوق واسكان الكاف على جهة النهي للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله ولا يشرك
عطفا على قوله وابصر به واسمع وقرا مجاهد يشرك بالياء من تحت والجزم قال يعقوب لا اعرف وجهه
اختلف في اصحاب الكهف هل ماتوا وفنوا او هم نيام واجسادهم محفوظة فروي عن ابن عباس
انه مر بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس معه اليه فوجدوا عظاما فقالوا
هذه عظام اصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس اولئك قوم فنوا وعدموا منذ مدة طويلة فسمعه راهب

اختلاف سني الشمس والقمر في ثلث وثلثين وثلث سنة

فقال ما كنت احسب ان احدا من العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن عم نبينا وروت فرقة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليحجن عيسى ابن مريم ومعه اصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد ذكره ابن عطية قال المؤلف
رحمه الله ومكتوب في التوراة والانجيل ان عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وانه يمر بالروحاء حاجا او معتمرا
او يجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه اصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا وقد
ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب التذكرة فعلى هذا هم نيام لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيامة بل يموتون
قبيل الساعة **قوله تعالى** واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه
ملتحدا قيل هو من تمام قصة اصحاب الكهف اي اتبع القران فلا مبدل لكلمات الله ولا خلف فيما اخبر به من
قصة اصحاب الكهف وقال الطبري لا مغير لما اوعد بكلماته اهل معاصيه والمخالفين لكتابه ولن تجد انت
من دونه ان لم تتبع القران وخالفته ملتحدا اي ملجا وقيل موئلا واصل الميل ومن لجا اليه فقد مال اليه
قال القشيري قال ابو نصر عبد الرحيم وهذا اخر قصة اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشفت لنا عنهم لا
فنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع الله من هو خير منك عن ذلك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال
لا انتهي حتى اعلم علمهم وبعث قوما لذلك فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم ذكره الثعلبي ايضا وذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم سال الله ان يريه اياهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم اربعة من
خيار اصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف ابعثهم
فقال ابسط كساك واجلس على طرف من اطرافه ابا بكر والطرف الاخر عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي ابن
ابي طالب ثم ادع الرخا المسخرة لسليمان فان الله تعالى يامرها ان تطيعك ففعل فحملتهم الريح الى باب الكهف
فقلعوا منه حجرا فحمل الكلب عليهم فلما راهم حرك راسه وبصبص بذنبه واومى اليهم براسه ان ادخلوا
فدخلوا الكهف فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله على الفتية ارواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا لهم معشر الفتية ان النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرا
عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما ابلغتم وقبلوا
دينه واسلموا ثم قالوا اقروا محمدا رسول الله منا السلام واخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى اخر الزمان
عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم
الساعة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهم ثم ردتهم الريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم لا تفرق بيني وبين اصحابي واصهاري واغفر لمن احبني واحب اهل بيتي وخاصتي واصحابي وقيل
اصحاب الكهف دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر الله المسيح بخبرهم ثم بعثوا في الفترة بين عيسى ومحمد
صلى الله عليهما وقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم في التوراة ولهذا سالت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل دخلوا الكهف بعد المسيح فالله اعلم اي ذلك كان **قوله تعالى**
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك ولا تعد عيناك عنهم
تريد زينة الحياة الدنيا هذا مثل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم في سورة الانعام وقد مضى الكلام
فيه وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن
والاقرع بن حابس فقالوا يا رسول الله انك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم
يعنون سلمان وابا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك
واخذنا عنك فانزل الله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم
يتهددهم بالنار فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى اذا اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال
الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات يريدون وجهه
اي طاعته وقرا نصر بن عاصم ومالك بن دينار وابو عبد الرحمن ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي
وحجتهم انها في السواد بالواو وقال ابو جعفر النحاس وهذا لا يلزم لكتبهم الحياة والصلاة بالواو ولا تكاد العرب
تقول الغدوة لانها معرفة وروي عن الحسن ولا تعد عينك عنهم اي لا تتجاوز عيناك الى غيرهم من ابناء
الدنيا طلبا لزينتها حكاه اليزيدي وقيل لا تحتقرهم عيناك كما يقال فلان تنبو عنه العين اي مستحقرا
تريد زينة الحياة الدنيا اي تتزين بمجالسة هؤلاء الذين اقترحوا ابعاد الفقراء من مجلسك ولم يرد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك ولكن الله نهاه ان يفعله وليس هذا باكبر من قوله لئن اشركت

الثالث

ليحبطن عملك وان كان الله عاده من الشرك وتريد فعل مضارع في موضع الحال اي لا تعدعيناك مريدا كقول امري القيس

فقلت له لا تبك عينك انما   نحاول ملكا او نموت فنعذرا

وزعم بعضهم ان حق الكلام لا تعد عينك عنهم لان تعدوا متعد بنفسه قيل والذي وردت به التلاوة من رفع العينين يؤول الى معنى النصب فيما اذ كان لا تعد واعيناك عنهم بمنزلة لا تنصرف عيناك عنهم لا تصرف عينيك عنهم فالفعل مسند الى العينين وهو في الحقيقة موجه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم فاسند الاعجاب الى الاموال والمعنى لا تعجبك يا محمد اموالهم وتريد وضوحا قول الزجاج ان المعنى لا تصرف بصرك عنهم الى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة ابن عباس في قوله ولا تطع من **قوله تعالى** وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا روي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا قال نزلت في امية بن خلف الجمحي وذلك انه دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى امر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد اهل مكة فانزل الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد واتبع هواه يعني الشرك وكان امره فرطا قيل هو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الايمان وقيل من الافراط ومجاوزة الحد وكان القوم قالوا نحن اشراف مضر ان اسلمنا اسلم الناس فكان هذا من التكبر والافراط في القول وقيل فرطا اي قدما في الشر من قولهم فرط منه امر اي سبق وقيل معنى اغفلنا قلبه وجدناه غافلا كما تقول لقيت فلانا فاحمدته اي وجدته محمودا وقال عمرو بن معدي كرب لبني الحارث بن كعب والله لقد سالناكم فما اجلناكم وقاتلناكم فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم اي ما وجدناكم بخلا ولا جبناء ولا مفحمين وقيل نزلت ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا في عيينة بن حصن الفزاري ذكره عبد الرزاق وحكاه النحاس عن سفيان الثوري فالله اعلم **قوله تعالى** وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا الحق رفع على خبر ابتدا مضمر اي قل هو الحق وقيل هو رفع على الابتداء وخبره في قوله من ربكم ومعنى الآية قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلنا على قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال يهدي من يشا فيؤمن ويضل من يشا فليكفر ليس الي من ذلك شي فالله يؤتي الحق من يشاء وان كان ضعيفا ويحرمه من يشاء وان كان قويا غنيا ولست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا وليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد اي ان كفرتم فقد اعد لكم النار وان امنتم فلكم الجنة قوله تعالى انا اعتدنا اي اعددنا للظالمين اي الكافرين الجاحدين نارا احاط بهم سرادقها قال الجوهري السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو سرادق قال رؤبة

يا حكم ابن المنذر بن الجارود   سرادق المجد عليك ممدود

يقال بيت مسردق وقال سلامة بن جندل يذكر ابرويز وقتله النعمان بن المنذر تحت ارجل الفيلة

هو المدخل النعمان بيتا   سماؤه صدور الفيول

يقال بيت مسردق وقال ابن الاعرابي سرادقها سورها وعن ابن عباس حائط من نار وقال الكلبي عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار وقال القتبي السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقاله ابن عزيز وقيل هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الذي ذكره الله في سورة والمرسلات حيث يقول انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب وقوله وظل من يحموم قاله قتادة وقيل انه البحر المحيط بالدنيا وروى يعلى بن امية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر هو جهنم ثم تلا نارا احاط بهم سرادقها ثم قال والله لا ادخلها ابدا ما دامت حيا ولا يصيبني منها قطرة ذكره الماوردي وخرج ابن المبارك من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسرادق النار اربع جدر كثف كل جدار مسيرة اربعين سنة وخرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح غريب قال المؤلف رحمه الله وهذا يدل على ان السرادق ما يعلو الكفار من دخان او نار وجدره ما وصف **قوله تعالى** وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا قال ابن عباس المهل ما غليظ مثل دردي الزيت وقال مجاهد القيح والدم وقال الضحاك ماء اسود وان جهنم لسوداء وماؤها اسود وشجرها سود واهلها سود قال ابو عبيدة هو كل ما اذيب من جواهر الارض من حديد ورصاص ونحاس وقزدير فتموج بالغليان

فذلك

لقيت فلانا فاحمدته اي وجدته محمودا

فذلك المهل ونحوه عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير هو الذي قد انتهى حره وقال المهل ضرب من القطران يقال مهلت البعير فهو ممهول وقيل هو السم والمعنى في هذه الاقوال متقارب وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه قال ابو عيسى هذا حديث انما نعرفه من حديث رشد بن سعد ورشد قد تكلم فيه من قبل حفظه وخرج عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا قال حديث غريب قال المؤلف رحمه الله وهذا يدل على صحة تلك الاقوال وانها مرادة والله اعلم وكذلك نص عليها اهل اللغة في الصحاح المهل النحاس المذاب وقال ابن الاعرابي المهل المذاب من الرصاص وقال ابو عمرو المهل دردي الزيت والمهل ايضا القيح والصديد وفي حديث ابي بكر ادفنوني في ثوبي هذين فانما هما للمهل والتراب ومرتفقا قال مجاهد معناه مجتمعا كانه ذهب الى معنى المرافقة وقال ابن عباس منزلا وقال عطا مقرا وقيل مهادا وقال القتبي مجلسا والمعنى متقارب واصله من المتكا يقال منه ارتفقت اي اتكات على المرفق قال الشاعر

قالت له وارتفقت الا فتى   يسوق بالقوم غزالات الضحى

ويقال ارتفق الرجل اذا نام على مرفقه لا ياتيه نوم قال ابو ذؤيب الهذلي

نام الخلي وبت الليل مرتفقا   كان عيني فيها الصاب مذبوح

الصاب عصارة شجر مر **قوله تعالى** إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ لما ذكر ما اعد للكافرين من الهوان ذكر ايضا ما للمومنين من الثواب وفي الكلام اضمار اي لا نضيع اجر من احسن منهم عملا فاما من احسن عملا من غير المومنين فعمله محبط وعملا نصب على التمييز وان شئت بايقاع احسن عليه وقيل انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض والخبر قوله اولئك لهم جنات عدن وجنات عدن سرة الجنة اي وسطها وسائر الجنات محدقة بها وذكر بلفظ الجمع لسعتها لان كل بقعة منها تصلح ان تكون جنة وقيل العدن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الابل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه ومنه جنات عدن اي جنات اقامة ومنه سمي المعدن بكسر الدال لان الناس يقيمون فيه الصيف والشتا ومركز كل شي معدنه والمعادن الناقة المقيمة في المرعى وعدن بلد قاله الجوهري تجري من تحتهم الانهار تقدم في غير موضع يحلون فيها من اساور من ذهب وهو جمع سوار وقال سعيد بن جبير على كل احد منهم ثلاثة اسورة واحد من ذهب وواحد من ورق وواحد من لولو قال المؤلف رحمه الله هذا منصوص في القران قال هنا من ذهب وقال في الحج وفاطر من ذهب ولولوا وفي الانسان من فضة وقال ابو هريرة سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضوء خرجه مسلم وحكى الفراء يحلون بفتح الياء وسكون الحاء وفتح اللام خفيفة يقال حليت المراة تحلى فهي حالية اذا لبست الحلي وحلي الشي بعيني يحلى ذكره النحاس والسوار سوار المراة والجمع اسورة وجمع الجمع اساورة وقال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قاله الجوهري وقال ابن عزيز اساور جمع اسورة واسورة جمع سوار وسوار وهو الذي يلبس في الذراع من ذهب فان كان من فضة فهو قلب وجمعه قلبه فان كان من قرن او عاج فهو مسكة وجمعه مسك قال النحاس وحكى قطرب في واحد الاساورة اسوار وقطرب صاحب شذوذ قد تركه يعقوب وغيره فلم يذكره قال المؤلف رحمه الله قد جا في الصحاح وقال ابو عمرو بن العلا واحدها اسوار وقال المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة **قوله تعالى** وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ السندس الرقيق النحيف واحده سندسة قاله الكسائي والاستبرق ما ثخن منه عن عكرمة وهو الحرير قال الشاعر

تراهن يلبسن المشاعر مرة   واستبرق الديباج طورا لباسها

فالاستبرق الديباج وقال ابن بحر المنسوج بالذهب وقال القتبي فارسي معرب قال الجوهري وتصغيره ابيرق وقيل هو استفعل من البريق والصحيح انه وفاق بين اللغتين اذ ليس في القران ما ليس من لغة العرب على ما تقدم والله اعلم وخص الاخضر لانه الموافق للبصر لان البياض يبدد النظر ويولم والسواد يذم والخضرة بين البياض والسواد وذلك يجمع الشعاع والله اعلم وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال

بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اخبرنا عن ثياب الجنة اتخلق خلقا او
تنسج نسجا فضحك بعض القوم فقال لهم مم تضحكون ان جاهلا سأل عالما فجلس يسيرا او قليلا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اين السائل عن ثياب الجنة فقال ها هو ذا يا رسول الله قال لا بل تشقق عنها ثمر الجنة قالها
ثلاثا وقال ابو هريرة دار المومن درة مجوفة في وسطها شجرة تنبت الحلل وياخذ باصبعه او قال باصبعيه
سبعين حلة منظمة بالدر والمرجان ذكره يحيي بن سلام في تفسيره وابن المبارك في رقائقه وقد ذكرنا
اسناده في كتاب التذكرة وذكر في الحديث انه يكون على كل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل وجه لون
يتكلمان بصوت يستحسنه سامعه يقول احد الوجهين للاخر انا اكرم على ولي الله منك انا الي وجهه
وانت لا تبصر **قوله تعالى** منكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا الارائك جمع
اريكة وهي السرر في الحجال وقيل الفرش في الحجال قاله الزجاج وقال ابن عباس هي الاسرة من ذهب
هي مكللة بالدر والياقوت عليها الحجال الاريكة ما بين صنعا الي ايله وما بين عدن الي الجابية
واصل متكئين موتكئين وكذلك اتكا اصله اوتكا واصل التكاه وكاه ومنه التوكل للتحامل على الشي فقلبت
الواو تاء وادغمت ورجل تكاه كثير الاتكا نعم الثواب وحسنت مرتفقا يعني الجنات عكس وساءت مرتفقا
وقد تقدم ولو كانت نعمت لجاز لانه اسم للجنة وعلى هذا وحسنت مرتفقا وروي البرا بن عازب ان اعرابيا
قام الي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته
العضبا فقال اني رجل متعلم فاخبرني عن هذه الاية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما انت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك هم هؤلاء الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فاعلم
قومك ان هذه الاية نزلت فيهم ذكره الماوردي واسنده النحاس في كتاب معاني القران فقال حدثنا
ابو عبد الله احمد بن علي بن سهل قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا يحيي بن الضريس عن زهير بن معاوية
عن ابي اسحاق عن البرا بن عازب قال قام اعرابي فذكره واسنده السهيلي في كتاب الاعلام وقد رويناه
جميع ذلك بالاجازة والحمد لله **قوله تعالى** واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من
اعناب هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المومنين وهو متصل بقوله واصبر نفسك
واختلف في اسم هذين الرجلين وتعيينهما فقال الكلبي نزلت في اخوين من اهل مكة مخزوميين احدهما
مومن وهو ابو عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه
وسلم والاخر كافر وهو الاسود بن عبد الاسد وهما الاخوان المذكوران في سورة والصافات في قوله قال
قايل منهم اني كان لي قرين ورث كل واحد منهم اربعة الاف دينار فانفق احدهما ماله في سبيل الله وطلب
من اخيه شيا فقال ما قال ذكره الثعلبي والقشيري وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم واهل مكة
وقيل هو مثل لجميع من امن بالله وجميع من كفر وقيل هو مثل لعيينة بن حصن واصحابه مع سلمان وصهيب
واصحابه شبههم الله برجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما مومن واسمه يهودا في قول ابن عباس وقال مقاتل اسمه
تمليخا والاخر كافر واسمه قرطوس وقال الغزنوي فطرس وهما اللذان وصفهما الله في سورة والصافات
وكذا ذكر محمد بن الحسن المقري قال اسم الخير منهما تمليخا والاخر قرطس وانهما كانا شريكين ثم اقتسما المال
فصار لكل واحد منهما ثلاثة الاف دينار فاشتري المومن عبيدا بالف واعتقهم وبالالف الثانية ثيابا وكسا
العراة وبالالف الثالثة طعاما فاطعم الجوع وبني ايضا مساجد وفعل خيرا واما الاخر فنكح بماله نساء
ذوات يسار واشتري دواب وبقرات فاستنتجها فنمت له نماء مفرطا واتجر بباقيها فربح حتي فاق
اهل زمانه غني وادركت الاول الحاجة فاراد ان يستاجر نفسه في جنة يخدمها فقال لو ذهبت لشريكي
وصاحبي فسالته ان يستخدمني في بعض جناته رجوت ان يكون ذلك اصلح بي فجاءه فلم يكد يصل اليه من
غلظ الحجاب فلما دخل عليه وعرفه وساله حاجته فقال له الم اكن قاسمتك المال شطرين فما صنعت بمالك
قال اشتريت به من الله تعالي ما هو خير منه وابقي فقال ايتك لمن المصدقين ما اظن الساعة قايمة وما
اراك الا سفيها وما جزاك عندي على سفاهتك الا الحرمان او ما تري ما صنعت انا بمالي حتي ال الي ما تراه
من الثروة وحسن الحال وذلك اني كسبت وسفهت انت اخرج عني ثم كان من قصة هذا الغني ما ذكره الله
في القران من الاحاطة بثمره وذهابها اصلا بما ارسل عليها من السماء من الحسبان وقد ذكر الثعلبي هذه
القصة بلفظ اخر والمعني متقارب قال عطا كانا شريكين لهما ثمانية الاف دينار وقيل ورثاه من

رجلين اخوين ورث كل واحد كل واحد منهما اربعة الاف ذهب

ابيهما وكانا اخوين فاقتسماها فاشتري احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشتري
ارضا بالف دينار واني اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بني دارا بالف
دينار ثم اشتري خدما فقال اللهم ان هذا فلانا قد بني دارا بالف دينار ثم تزوج امراة بالف دينار فقال
اللهم ان فلانا تزوج امراة بالف دينار واني اخطب اليك من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار
ثم اشتري خدما ومتاعا بالف دينار فقال الاخر اللهم ان فلانا اشتري خدما ومتاعا بالف دينار واني
اشتريت منك خدما ومتاعا من الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اصابته حاجة شديدة
فقال لعل صاحبي ينالني معروفه فاتاه فقال ما فعل مالك فاخبره قصته فقال وانك لمن المصدقين
بهذا الحديث والله لا اعطيك شيا ثم قال له انت تعبد اله السماء وانا لا اعبد الا صنما فقال صاحبه والله
لاعطينه فوعظه وذكره وخوفه فقال سر بنا نصطاد السمك فمن صاد اكثر فهو على حق فقال له يا اخي
ان الدنيا احقر عند الله من ان يجعلها ثوابا لمحسن او عقابا لكافر قال فاكرهه على الخروج معه فابتلاهما
الله فجعل الكافر يرمي بشبكته ويسمي باسم صنمه فتطلع متدفقة وجعل المومن يرمي بشبكته ويسمي باسم
الله فلا يطلع له فيها شي فقال له كيف تري انا اكثر منك في الدنيا نصيبا ومنزلة ونفرا كذلك اكون افضل
منك في الاخرة ان كان ما تقول بزعمك حقا قال فضج الملك الموكل بهما فامر الله تعالي جبريل ان ياخذه فيذهب
به الي الجنان فيريه منازل المومن فيها فلما راي ما اعد الله له قال وعزتك لا يضره ما ناله من الدنيا بعد
ما يكون مصيره الي هذا واراه منازل الكافر في جهنم فقال وعزتك لا ينفعه ما اصابه من الدنيا بعد
ان يكون مصيره الي هذا ثم ان الله تعالي توفي المومن واهلك الكافر بعذاب من عنده فلما استقر المومن في
الجنة وراي ما اعد الله له اقبل هو واصحابه يتساءلون فقال اني كان لي قرين يقول اانك لمن المصدقين الاية
فنادي مناد يا اهل الجنة هل انتم مطلعون فاطلع الي جهنم فراه في سواء الجحيم فنزلت واضرب لهم مثلا فبين
الله تعالي حال الاخوين في الدنيا في هذه السورة وبين حالهما في الاخرة في سورة والصافات في قوله اني
كان لي قرين يقول اانك لمن المصدقين الي قوله لمثل هذا فليعمل العاملون قال ابن عطية وذكر ابراهيم بن
القاسم الكاتب في كتابه في عجايب البلاد ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا لاخوين فباع
احدهما نصيبه من الاخر وانفق في طاعة الله حتي عيره الاخر وجرت بينهما المجاورة فغرقها الله في
ليلة واياها عني بهذه الاية وقد قيل ان هذا مثل ضربه الله لهذه الامة وليس بخبر عن حال متقدمة ليزهد
في الدنيا ويرغب في الاخرة وجعله زجرا وانذارا ذكره الماوردي وسياق الاية يدل على خلاف هذا والله
اعلم **قوله تعالى** وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه
شيا وحففناهما بنخل اي اطفناهما من جوانبهما بنخل والحفاف الجانب وجمعه احفة ويقال حف القوم بفلان
يحفون حفا اي طافوا به ومنه حافين من حول العرش وجعلنا بينهما زرعا اي جعلنا حول الاعناب
النخل ووسط الاعناب الزرع كلتا الجنتين اتت اكلها تاما ولذلك لم يقل اتتا واختلف في لفظ كلتا
وكلا هل هو مفرد او مثني فقال اهل البصرة هو مفرد لان كلا وكلتا في توحيدهما تثنيهما نظير كل في
الجموع وهو اسم مفرد غير مثني فاذا ولي اسما ظاهرا كان في الرفع والنصب والخفض على حالة واحدة تقول
رايت كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين فاذا اتصل بمضمر قلبت الالف يا في موضع الجر والنصب تقول
رايت كليهما ومررت بكليهما كما تقول عليهما وقال الفرا هو مثني وهو ماخوذ من كل فخففت اللام وزيدت
الالف للتثنية وكذلك كلتا للمونث ولا يكونان الا مضافين ولا يتكلم بواحد
ولو تكلم به لقيل كل وكلت وكلان وكلتان واحتج بقول الشاعر

في كلت رجليها سلامي واحده ... كلتاهما مقرونة بزايده

اراد في احدي رجليها فافرد وهذا القول ضعيف عند اهل البصرة لانه لو كان مثني لوجب ان يكون الفه
في النصب والجر يا مع الاسم الظاهر ولان معني كلا مخالف لمعني كل لان كلا للاحاطة وكلا يدل على
شي مخصوص واما هذا الشاعر فانما حذف الالف للضرورة وقدر انها زايدة وما يكون ضرورة لا يجوز ان
يكون حجة فثبت انه اسم مفرد كمعا الا انه وضع ليدل على التثنية كما ان قولهم نحن اسم مفرد يدل على الاثنين
فما فوقهما يدل على ذلك قول جرير

كلا يومي امامة يوم صدق ... وان لم ياتها الا لماما

وقيل كلا الرجلين

فاخبر عن كلا بيوم مفرد كما افرد الخبر بقوله اتت ولو كان مثنى لقال اتتا ويوما ذا واختلف ايضا في الف
كلتا فقال سيبويه الف كلتا للتانيث والتاء بدل من لام الفعل وهي واو والاصل كلوا وانما
ابدلت تا لان في التاء علم التانيث والالف في كلتا قد تصير يا مع المضمر فتخرج عن علم التانيث
فصار في ابدال الواو تاء تاكيد للتانيث وقال ابو عمر الجرمي التاء ملحقة والالف لام الفعل وتقديرها
عنده فعتل ولو كان الامر على ما زعم لقالوا في النسبة اليها كلتوي فلما قالوا كلوي واسقطوا التاء دل
انهم اجروها مجرى التي في اخت اذا نسبت اليها قلت اخوي ذكره الجوهري قال ابو جعفر النحاس واجاز
النحويون في غير القران الحمل على المعنى وان يقول كلتا الجنتين اتتا اكلهما لان المعنى الجنتان كلتاهما
اتتا واجاز الفرا اكلتا الجنتين اتى اكله قال لان المعنى كل الجنتين قال وفي قراءة عبد الله كل الجنتين
اتى والمعنى على هذا عند الفرا كل شي من الجنتين اتى اكله والاكل بضم الهمزة ثمر النخل والشجر وكل ما يوكل
فهو اكل ومنه قوله تعالى اكلها دائم وقد تقدم ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص **قوله تعالى** وفجرنا
خلالهما نهرا وكان له ثمر اي اجرينا وشققنا وسط الجنتين بنهر وكان له ثمر قرا ابو جعفر وشيبة وعاصم
ويعقوب وابن ابي اسحاق ثمر بفتح الثاء والميم وكذلك قوله واحيط بثمره جمع ثمرة قال الجوهري الثمرة
واحدة الثمر والثمرات وجمع الثمر ثمار مثل جبل وجبال قال الفراء وجمع الثمار ثمر مثل كتاب وكتب وجمع الثمر
اثمار مثل اعناق وعنق والثمر ايضا المال المثمر يخفف ويثقل وقرا ابو عمرو وكان له ثمر بضم الثاء واسكان
الميم وفسره بانواع المال الباقون بضمهما جميعا في الحرفين قال ابن عباس ذهب وفضة واموال وقد مضى في
الانعام نحو هذا مبينا وذكر النحاس حدثنا احمد بن شعيب قال اخبرني عمران بن بكار قال حدثنا ابراهيم
ابن العلا الزبيدي قال حدثنا هرون قال حدثني ابان بن تغلب عن الاعمش ان الحجاج قال لو سمعت
احدا يقرا وكان له ثمر لقطعت لسانه فقلت للاعمش اتاخذ بذلك قال لا ولا نعمة عين وكان يقرا ثمر وياخذه
من جمع الثمر قال النحاس فالتقدير على هذا القول انه جمع ثمرة على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر وهو حسن في
العربية الا ان القول الاول اشبه والله اعلم لان قوله كلتا الجنتين اتت اكلها يدل على ان له ثمرا
قوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا يحاوره اي يراجعه في الكلام
ويجاوبه والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب ويقال كلمته فما احار الي جوابا وما رجع الي حويرا ولا حويرة
ولا محورة ولا حوارا اي ما رد جوابا انا اكثر منك مالا واعز نفرا النفر الرهط ما دون عشرة واراد
ههنا الاتباع والخدم والولد حسب ما تقدم بيانه **قوله تعالى** ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها
منقلبا قيل اخذ بيد اخيه المومن يطيف به فيها ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره وهو جملة في
موضع الحال ومن ادخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا انكر فناء
الدنيا وما اظن الساعة قائمة اي لا احسب البعث كائنا ولئن رددت الى ربي اي وان كان بعث فكما اعطاني
هذه النعم في الدنيا فسيعطيني افضل منه لكرامتي عليه وهو معنى قوله لاجدن خيرا منها منقلبا وانما قال
ذلك لما دعاه اخوه الى الايمان بالحشر والنشر وفي مصاحف مكة والمدينة والشام منهما وفي مصاحف
اهل البصرة والكوفة منها على التوحيد والتثنية اولى لان الضمير اقرب الى الجنتين **قوله تعالى**
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو
الله ربي ولا اشرك بربي احدا يعني يهوذا او تمليخا على الخلاف في اسمه اكفرت بالذي خلقك من
تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وعظه وبين له ان ما اعترف به من هذه الاشيا التي لا ينكرها احد ابدع
من الاعادة وسواك اي جعلك معتدل الخلق والقامة صحيح الاعضا ذكرا لكنا هو الله ربي كذا قراءة
ابو عبد الرحمن السلمي وابو العالية وروي عن الكسائي لكن هو الله ربي بمعنى لكن الامر هو الله ربي فاضمر
اسمها فيها وقرا الباقون لكنا باثبات الالف قال الكسائي فيه تقديم وتاخير تقديره لكن الله هو ربي
انا فحذفت الهمزة من انا طلبا للخفة لكثرة استعمالها وادغمت احدى النونين في الاخرى وحذفت
الف انا في الوصل واثبتت في الوقف وقال النحاس مذهب الكسائي والفرا والمازني ان الاصل لكن انا
فالقيت حركة الهمزة على نون لكن وحذفت الهمزة وادغمت النون في النون فالوقف عليها لكنا وهي الف
انا لبيان الحركة وقال ابو عبيد الاصل لكن انا فحذفت الالف والتقت نونان فجاء بالتشديد لذلك

قال الحجاج لو سمعت احدا يقرا
وكان له ثمر لقطعت لسانه

وانشد الكسائي
لهنك من عبسية لوسيمة ... على هنوات كاذب من يقولها
اراد لله انك لوسيمة فاسقط احدى اللامين من لله وحذفت الالف من انك وقال آخر
وترميني بالطرف اي انت مذنب ... وتقليني لكن اياه لا اقلي
اي لكن انا قال ابو حاتم ورووا عن عاصم لكنا هو الله ربي وزعم ان هذا لحن يعني اثبات الالف في الادراج قال الزجاج
اثبات الالف في لكنا هو الله ربي في الادراج جيد لانه قد حذفت الالف من انا فجاوا بها عوضا قال
وفي قراءة ابي لكن انا هو الله ربي وقرا ابن عامر والمسيبي عن نافع ورويس عن يعقوب لكنا في حال الوصل
والوقف معا باثبات الالف قال الشاعر
انا سيف العشيرة فاعرفوني ... قد تذربت السناما
وقال الاعشى
فكيف انا وانتحالي القوافي ... بعد المشيب كفى ذاك عارا
ولا خلاف في اثباتها في الوقف هو الله ربي هو ضمير القصة والشان والامر كقوله فاذا هي شاخصة ابصار
الذين كفروا وقوله قل هو الله احد ولا اشرك بربي احدا دل مفهومه على ان الاخ الاخر كان مشركا بالله
يعبد غيره ويحتمل انه اراد لا ارى الغنى والفقر الا منه واعلم انه لو اراد صاحب الدنيا دنياه
قدر عليه وهو الذي اتاني الفقر ويحتمل انه اراد جحودك البعث مصيرك الى ان الله تبارك وتعالى لا يقدر
عليه وهو تعجيز الرب سبحانه وتعالى ومن عجزه سبحانه شبهه بخلقه فهو اشراك **قوله تعالى** ولولا
اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله لا قوة الا بالله فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ولولا اذ دخلت
جنتك قلت ما شا الله لا قوة الا بالله اي بالقلب وهو توبيخ ووصية من المومن للكافر ورد عليه اذ قال
ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما في موضع رفع تقديره هذه الجنة هي ما شا الله وقال الزجاج والفرا الامر
ما شا الله او هو ما شا الله كان ما لا يشا لا يكون لا قوة الا بالله اي ما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله
وقوته لا بقدرتك وقوتك ولو شا لنزع البركة عنه فلم تجتمع الثانية قال اشهب قال مالك ينبغي لكل من
دخل منزله ان يقول هذا وقال ابن وهب قال لي حفص بن ميسرة رايت على باب وهب بن منبه مكتوبا ما شا
الله لا قوة الا بالله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي هريرة الا ادلك على كنز من كنوز الجنة
قال بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم
اخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي موسى وفيه فقال يا ابا موسى او يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من
كنوز الجنة وفي رواية على كلمة من كنز الجنة قلت ما هي يا رسول الله فقال لا حول ولا قوة الا بالله وعنه
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلك على كلمة من كنوز الجنة او قال كنز من كنوز الجنة قلت
بلى فقال لا حول ولا قوة الا بالله وروي انه اذا دخل منزله او خرج منه فقال بسم الله ما شا الله لا قوة الا
بالله تنافرت عنه الشياطين من بين يديه وانزل الله عليه البركات وقالت عايشة اذا خرج الرجل من
منزله فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال ما شا الله قال الملك كفيت واذا قال لا قوة الا
بالله قال الملك وقيت خرجه الترمذي من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال يعني اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله قال له كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان
هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه الا من هذا الوجه خرجه ابو داود ايضا وزاد يقال له هديت وكفيت
ووقيت واخرجه ابن ماجه من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا خرج الرجل من
باب بيته او باب داره وكان معه ملكان موكلان به فاذا قال بسم الله قالا هديت فاذا قال لا حول ولا
قوة الا بالله قالا وقيت فاذا قال توكلت على الله قالا كفيت قال فيلقاه قريناه فيقولان ماذا تريدان
هدي ووقي وكفي وقال الحاكم ابو عبد الله في علوم الحديث سيل محمد بن اسحاق بن خزيمة عن قول النبي صلى الله
عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت هذه يعني الجنة يدخلني الضعفا فقيل من الضعيف قال الذي
يبرئ نفسه من الحول والقوة يعني في اليوم عشرين مرة او خمسين مرة وقال انس بن مالك قال النبي
صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شا الله لا قوة الا بالله لم تضره عين وقد قال قوم ما من
احد قال ما شا الله كان فاصابه شي وروي انه من قال اربعا امن من اربع من قال هذه امن من
ومن قال حسبنا الله ونعم الوكيل امن من كيد الناس ومن قال وافوض امري الى الله امن من مكر الناس ومن قال لا
اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين امن من الغم **قوله تعالى** ان ترن انا اقل منك مالا وو

الا ادلك على كنز من كنوز الجنة

اذ قال لا يضره عين

فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها
غورا فلن تستطيع له طلبا ان شرط ترن مجزوم به والجواب فعسى ربي وانا فاصلة لها لا موضع لها من الاعراب
ويجوز ان تكون في موضع نصب توكيدا للنون والياء وقرا عيسى بن عمران ترني انا اقل منك بالرفع يجعل انا مبتدا
واقل خبره والجملة في موضع المفعول الثاني والمفعول الاول النون والياء الا ان الياء حذفت لان الكسرة
تدل عليها واثباتها جيد بالغ وهو الاصل لانها الاسم على الحقيقة وفعسى بمعنى لعل اي فلعل ربي ان يؤتيني
خيرا من جنتك اي في الاخرة وقيل في الدنيا ويرسل عليها اي على جنتك حسبانا من السماء واحدها حسبانة
قاله الاخفش والقتبي وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي الحسبانة السحابة والحسبانة الوسيرة والحسبانة
الصاعقة وقال الجوهري الحسبان بالضم العذاب وقاله ابو زيد الكلابي اصاب الارض حسبان اي
جراد والحسبان ايضا الحساب قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقد فسر الحسبان هنا بهذا قال الزجاج
الحسبان من الحساب اي يرسل عليها عذاب الحساب وهو حساب ما اكتسبته يداك وهو من باب حذف
المضاف والحساب ايضا سهام وقصار يرمى بها في طلق واحد وكان من رمي الاكاسرة والمرامي من السماء
عذاب فتصبح صعيدا زلقا اي ارضا بيضا لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم وهي اضر ارض بعد ان
كانت جنة انفع ارض وزلقا تاكيد لوصف الصعيد اي تزل عنها الاقدام لملاستها يقال مكان زلق بالتحريك
اي دحض وهو في الاصل مصدر قولك زلقت رجله تزلق زلقا وازلقها غيره والزلق ايضا عجز الدابة قال
روبه كانها حقبا بلقاء الزلق والمزلقة والمزلقة الموضع الذي لا يثبت عليه
قدم وكذلك الزلاقة والزلق ايضا الحلق زلق راسه يزلقه زلقا حلقه قاله الجوهري والزلق المحلوق
كالنقص والنقص وليس المراد انها تصير مزلقة بل المراد به انه لا يبقى فيها نبات كالراس اذا حلق لا يبقى عليه
شعر قاله القشيري او يصبح ماؤها غورا اي غائرا ذاهبا فيكون اعدم ارض للماء بعد ان كان اوجد ارض للماء
والغور مصدر وضع موضع الاسم كما يقال رجل صوم وفطر وعدل ورضى وفضل ودور ونسا نوح ويستوي فيه
المذكر والمؤنث والتثنية والجمع قال عمرو بن كلثوم

تظل جياده نوحا عليه	مقلدة اعنتها صفوفا
هريقي من دموعهما سجاما	ضباع وجاوبي نوحا قياما

اي نائحات وقيل اي يصبح ماؤها ذا غور فحذف المضاف مثل واسال القرية ذكره النحاس وقال الكسائي مياه غور
وقد غار الماء يغور غورا وغؤورا دخلت في الراس اي سفلت في الارض ويجوز الهمزة لانضمام الواو وغارت
عينه تغور غورا وغؤورا وغارت تغار لغة فيه وقال

اغارت عينه ام لم تغارا	وغارت الشمس تغور غيارا	اي غربت وقال
ابو ذؤيب هل الدهر الا ليلة ونهارها	والا طلوع الشمس ثم غيارها	

فلن تستطيع له طلبا اي لن تستطيع رد الماء الغائر ولا تقدر عليه بحيلة وقيل فلن تستطيع طلب غيره
بدلا منه والى هذا الحد انتهت مناظرة اخيه وانذاره **قوله تعالى** واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه
على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا واحيط اسم ما لم يسم فاعله
مضمر وهو المصدر ويجوز ان يكون المخفوض في موضع رفع ومعنى احيط بثمره اي اهلك ماله كله وهذا اول
ما حقق الله تعالى به انذار اخيه فاصبح يقلب كفيه اي فاصبح الكافر يضرب احدى يديه على الاخرى ندما لان هذا يصدر من النادم وقيل يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما انفق وهذا لان الملك قد
يعبر عنه باليد من قولهم في يده مال اي في ملكه مال ودل قوله فاصبح على ان هذا الاهلاك جرى بالليل
كقوله فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم ويقال انفقت في هذه الدار كذا او
انفقت عليها وهي خاوية على عروشها اي خالية قد سقط بعضها على بعض ماخوذ من خوت النجوم تخوي
خيا امحلت وذلك اذا سقطت ولم تمطر في نوئها واخوت مثله وخوت الدار خواء اقوت وكذلك اذا
سقطت ومنه قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ويقال ساقطة كما يقال فهي خاوية على عروشها
اي ساقطة على سقوفها فجمع عليه بين هلاك الثمر والاصل وهذا من اعظم الجوائح مقابلة على بغيه ويقول
يا ليتني لم اشرك بربي احدا اي يا ليتني عرفت نعم الله علي وعرفت انها كانت بقدرة الله ولم اكفر به وهذا
ندم منه حين لا ينفعه الندم **قوله تعالى** ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان

فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضا لا ينبت فيها نبات

منتصرا فئة اسم تكن وله الخبر ينصرونه في موضع الصفة اي فئة ناصرة ويجوز ان يكون ينصرونه الخبر
والوجه الاول عند سيبويه اولى لانه قد تقدم وله وابو العباس يخالفه ويحتج بقول الله عز وجل ولم يكن
له كفوا احد وقد اجاز سيبويه الاخر وينصرونه على معنى فئة لان معناها اقوام ولو كان على اللفظ
لقال ولم تكن له فئة ينصره اي فرقة وجماعة تلتجئ اليهم وما كان منتصرا اي ممتنعا قاله قتادة وقيل
مستردا بدل ما ذهب منه وقد تقدم اشتقاق الفئة في آل عمران والهاء عوض من الياء التي نقصت من
وسطه اصله فيء مثال فيع لانه من فاء ويجمع على فئون وفئات مثل شيات ولدات وهيات اي لم يكن له
عشيرة يمنعونه من عذاب الله وضل عنه من افتخر بهم من الخدم والولد **قوله تعالى** هنالك الولاية لله
الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا اختلف في العامل في قوله هنالك
وهو ظرف فقيل العامل فيه ولم تكن له فيه ولا كان هنالك اي ما نصر ولا انتصر هنالك اي لما اصابه من العذاب
وقيل تم الكلام عند قوله منتصرا والعامل فيه قوله هنالك الولاية وتقديره على التقديم والتاخير الولاية لله
الحق هنالك اي في القيامة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع نعتا للولاية وقرا اهل المدينة وحمزة الحق بالخفض
نعتا لله عز وجل والتقدير لله ذي الحق قال الزجاج ويجوز الحق بالنصب على المصدر والتوكيد كما تقول هذا لك
حقا وقرا الاعمش وحمزة والكسائي الولاية بكسر الواو والباقون بفتحها وهما بمعنى واحد كالرضاعة والرضاعة
وقيل الولاية بالفتح من الموالاة كقوله الله ولي الذين امنوا ذلك بان الله مولى الذين امنوا وبالكسر يعني السلطان
والقدرة والامارة كقوله والامر يومئذ لله اي له الملك والحكم يومئذ اي لا يرد حكمه الى احد والملك في كل
وقت لله ولكن يزول الدعاوي والتوهمات يوم القيامة وقال ابو عبيدة انها بفتح الواو للخالق وبكسرها
للمخلوق وهو خير ثوابا اي الله خير ثوابا في الدنيا والاخرة لمن امن به وليس ثم غيره يرجا منه ولكنه اراد
في ظن الجهال اي هو خير من يرجا وخير عقبا قرا عاصم والاعمش وحمزة ويحيى عقبا ساكنة القاف الباقون
بضمها وهما بمعنى واحد اي هو خير عاقبة لمن رجاه وامن به يقال هذا عاقبة امر فلان وعقباه وعقبه
وعقبه اي اخره **قوله تعالى** واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض اي صف لهؤلاء المتكبرين الذين سالوك طرد فقراء المومنين مثل الحياة الدنيا اي شبهها كما انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض حتى استوى وقيل المعنى ان النبات اختلط بعضه ببعض حتى نزل عليه الماء
لان النبات انما يختلط ويكثر بالمطر وقد تقدم هذا المعنى في يونس مبينا وقالت الحكماء انما شبه الله الدنيا
بالماء لان الماء لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على واحد ولان الماء لا يستقيم على حالة واحدة
كذلك الدنيا ولان الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى ولان الماء لا يقدر احد ان يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا
لا تسلم احد دخلها من فتنتها وافتها ولان الماء اذا كان بقدر كان نافعا منبتا واذا جاوز المقدار كان
صار ضارا مهلكا وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها تضر وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل يا رسول
الله اني اريد ان اكون من الفائزين قال ذر الدنيا وخذ منها كالماء الراكد قال القليل منها يكفي والكثير منها يطغي
وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه فاصبح اي النبات
هشيما اي مكسرا من اليبس متفتتا يعني بانقطاع الماء عنه فحذف ذلك ايجازا لدلالة الكلام عليه والهشم
كسر الشيء اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر والشجرة البالية ياخذها الحاطب كيف يشاء ومنه قولهم
ما فلان الا هشيمة كرم اذا كان سمحا ورجل هشيم ضعيف البدن وتهشم عليه فلان اذا تعطف واهتشم ما
في ضرع الناقة اذا احتلبه ويقال هشم الثريد ومنه سمي هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو وفيه يقول عبد الله بن
الزبعري

عمرو العلا هشم الثريد لقومه	ورجال مكة مسنتون عجاف

وكان سبب ذلك ان قريشا اصابتهم سنوات ذهبن بالاموال فخرج هاشم الى الشام فامر بخبز كثير فخبز له فحمله
في الغرائر على الابل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده ونحر تلك الابل ثم امر الطهاة فطبخوا ثم
كفاه القدور على الجفان فاشبع اهل مكة فكان ذلك اول الحيا بعد السنة التي اصابتهم فسمي بذلك هاشما
تذروه الرياح اي تفرقه قاله ابو عبيدة وقال ابن قتيبة تنسفه ابن كيسان تذهب به وتجيء ابن عباس تديره
والمعنى متقارب وقرا طلحة بن مصرف تذريه الرياح قال الكسائي وفي قراءة عبد الله تذريه يقال
ذرته الريح تذروه وتذريه ذروا وذريا واذرته تذريه اذراء اذا اطارته به وحكى الفراء اذريت الرجل عن فرسه

اي قلبه وانشد سيبويه والفرا

قال

نقلت له صوب ولا تجهدنه … فيذرك من اخرى القطاة فتزلق

قوله تعالى وكان الله على كل شي مقتدرا من الاحيا والانشا والافنا سبحانه **قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ويجوز زينتا وهو خبر الابتدا في التثنية والافراد وانما كان المال زينة الحياة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعا فصارا زينة الحياة الدنيا لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين لان المعنى المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم وهو رد على عيينة بن حصن وامثاله لما افتخروا بالغني والشرف فاخبر الله تعالى ان ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى كالهشيم حين ذرته الريح وانما يبقى ما كان من زاد القبر وعدد الاخرة وكان يقال لا تعقد قلبك مع المال لانه في ذاهب ولا مع النسا لانها اليوم معك وغدا مع غيرك ولا مع السلطان لانه اليوم لك وغدا لغيرك وكفى هذا قول الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم **قوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا** اي ما ياتي به سلمان وصهيب وفقرا المسلمين من الطاعات خير عند ربك ثوابا اي افضل وخير املا اي افضل املا من ذي المال والبنين دون عمل صالح وليس في زينة الدنيا خير ولكنه خرج مخرج قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل خير في التحقيق مما يظنه الجهال انه خير في ظنهم واختلف العلماء في الباقيات الصالحات فقال ابن عباس وابن جبير وابو ميسرة عمرو بن شرحبيل هي الصلوات الخمس وعن ابن عباس ايضا انها كل عمل صالح من قول او فعل يبقى للاخرة وقاله ابن زيد ورجحه الطبري وهو الصحيح ان شا الله لان كل ما بقي ثوابه جاز ان يقال له هذا وقال علي رضي الله عنه الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون وحرث الاخرة الباقيات الصالحات وقد يجمعهن الله لاقوام وقال الجمهور هي الكلمات الماثورة فضلها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله خرجه مالك في موطاه عن عمارة بن صياد عن سعيد بن المسيب انه سمعه يقول في الباقيات الصالحات انها قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله اسنده الدارمي النسائي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله صححه ابو محمد عبد الحق رحمه الله وروي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ غصنا فخرطه حتى سقط ورقه وقال ان المسلم اذا قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر تحاتت خطاياه كما تحات هذا خذهن اليك ابا الدردا قبل ان يحال بينك وبينهن فانهن من كنوز الجنة وصفايا الكلام وهن الباقيات الصالحات ذكره الثعلبي وخرجه ابن ماجة بمعناه من حديث ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فانهن يعني يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها واخرجه الترمذي من حديث الاعمش عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصاه فتناثر الورق فقال ان الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة فقال هذا حديث غريب ولا نعرف للاعمش سماعا من انس الا انه قد راه ونظر اليه وخرج الترمذي ايضا عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرا امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال حديث حسن غريب خرجه الماوردي بمعناه وفيه فقلت وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وخرج ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا ابا هريرة ما الذي تغرس قال غراسا قال الا ادلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة وقد قيل ان الباقيات الصالحات هي النيات والهمات لان بها تقبل الاعمال وترتفع قاله الحسن وقال عبيد بن عمير هن البنات يدل عليه اوايل الاية المال والبنون زينة الحياة الدنيا ثم قال والباقيات الصالحات يعني البنات الصالحات هن عند الله لاباين خير ثوابا وخير املا في الاخرة لمن احسن اليهن يدل عليه ما روته عايشة قالت دخلت على امراة مسكينة الحديث وقد ذكرناه في سورة النحل في قوله يتوارى من القوم من سوء ما بشر به وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد رايت رجلا من امتي امر به الى النار

افضل الكلمات المأثورة

فتعلق

فتعلق به بناته وجعلن يصرخن ويقلن رب انه كان يحسن الينا في الدنيا فرحمه الله بهن وقال قتادة في قوله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما قال ابدلهما منه ابنة فتزوجها نبي فولدت له اثنا عشر غلاما كلهم انبيا **قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا** قال بعض النحويين التقدير والباقيات الصالحات خير عند ربك يوم نسير الجبال قال النحاس وهذا غلط من اجل الواو وقيل المعنى واذكر يوم نسير الجبال اي نزيلها من اماكنها من على وجه الارض ونسيرها كما نسير السحاب كما قال في اية اخرى وهي تمر مر السحاب ثم تكسر فتعود الى الارض كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وقرا ابن كثير والحسن وابو عمرو وابن عامر ويوم تسير بتاء مضمومة وفتح اليا والجبال رفعا على الفعل المجهول وقرا ابن محيصن ومجاهد ويوم تسير بفتح التاء مخففا من سار الجبال رفعا دليل قراءة ابي عمرو واذا الجبال سيرت ودليل قراءة ابن محيصن وتسير الجبال سيرا واختار ابو عبيد القراءة الاولى نسير بالنون لقوله وحشرناهم ومعنى بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان اي قد اجتثت ثمارها وقلعت جبالها وهدم بنيانها فهي بارزة ظاهرة وقيل على هذا القول اهل التفسير وقيل وترى الارض بارزة اي برز ما فيها من الكنوز والاموات كما قال والقت ما فيها وتخلت وقال واخرجت الارض اثقالها وهذا قول عطا وحشرناهم اي الى الموقف فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك يقال غادرت كذا اي تركته قال عنترة

غادرته متعفرا اوصاله … والقوم بين مجرح ومجدل

اي تركته والمغادرة الترك ومنه الغدر لانه ترك الوفا قالوا وانما سمي الغدير من الما غديرا لان الما ذهب وتركه ومنه غدائر المراة لانها تجعلها خلفها يقول حشرنا برهم وفاجرهم جهنم وانسهم **قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا** صفا نصب على الحال قال مقاتل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف في الصلاة كل امة وزمرة صفا لا انهم صف واحد وقيل جميعا كقوله ثم ايتوا صفا اي جميعا وقيل قياما وخرج الحافظ ابو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع يا عبادي انا الله لا اله الا انا ارحم الراحمين واحكم الحاكمين واسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا جوابا فانكم مسولون محاسبون يا ملايكتي اقيموا عبادي صفوفا على اطراف انامل اقدامهم للحساب قال المولف رحمه الله هذا الحديث غاية في البيان في تفسير الاية ولم يذكره كثير من المفسرين وقد كتبناه في كتاب التذكرة ومنه نقلناه والحمد لله لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة اي يقال لهم لقد جيتمونا حفاة عراة لا مال معكم ولا ولدا وقيل فرادى دليله قوله ولقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة وقد تقدم وقال الزجاج اي بعثناكم كما خلقناكم بل زعمتم هذا خطاب لمنكري البعث اي زعمتم في الدنيا ان لن تبعثوا وان لن نجعل لكم موعدا للبعث وفي صحيح مسلم عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال يا عايشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض غرلا اي غير مختونين وقد تقدم في الانعام بيانه **قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا** الكتاب اسم جنس وفيه وجهان احدهما انه كتب الاعمال في ايدي العباد قاله مقاتل الثاني انه وضع الحساب قاله الكلبي فعبر عن الحساب بالكتاب لانهم يحاسبون على اعمالهم المكتوبة والقول الاول اظهر ذكر ابن المبارك قال اخبرنا الحكم او ابو الحكم شك نعيم عن اسمعيل بن عبد الرحمن عن رجل من بني اسد قال قال عمر لكعب ويحك يا كعب حدثنا من حديث الاخرة قال نعم يا امير المومنين اذا كان يوم القيامة رفع الله اللوح المحفوظ فلم يبق احد من الخلايق الا وهو ينظر الى عمله قال ثم يوتى بالصحف التي فيها اعمال العباد فتنثر حول العرش فذلك قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك الا احصاها قال كعب ثم يدعى المومن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه فاذا حسناته باديات للناس وهو يقرا سياته لكيلا يقول كانت

الى حسنات فلم تذكر فاحب الله ان يريه عمله حتى اذا استنقص ما في الكتاب وجد في اخر ذلك كله
انه مغفور وانك من اهل الجنة فعند ذلك يقبل الى اصحابه ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت
اني ملاق حسابية ثم يدعي الكافر فيعطي كتابه بشماله ثم يلف فيجعل من وراء ظهره ويلوي عنقه
فذلك قوله واما من اوتي كتابه وراء ظهره فينظر في كتابه فنسيانه بادبان الناس وينظر في حسناته
ليلا يقول افا تاب على السيات وكان الفضيل بن عياض اذا قرا هذه الاية يقول يا ويلتاه ضجوا الى
الله من الصغاير قبل الكباير قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك يعني ما كان من ذلك في
معصية الله ذكره الثعلبي وحكى الما وردي عن ابن عباس ان الصغيرة الضحك قال المولف رحمه الله فيحتمل ان
يكون صغيرة اذا لم يكن في معصية فان الضحك من المعصية رضى بها والرضي بالمعصية معصية وعلى هذا
تكون كبيرة فيكون وجه الجمع هذا والله اعلم او يحمل الضحك فيما ذكر الما وردي على التبسم وقد قال
تعالى فتبسم ضاحكا من قولها وقال سعيد بن جبير ان الصغاير اللمم كالمس والقبلة والكبيرة المواقعة
والزنا وقد مضى في النساء بيان هذا قال قتادة اشتكي القوم الاحصا وما اشتكى احد ظلما فاياكم ومحقرات
الذنوب فانها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه وقد مضى ومعنا احصاها عدها واحاط بها واضيف الاحصاء
الى الكتاب توسعا ووجدوا ما عملوا حاضرا اي وجدوا احصا ما عملوا حاضرا وقيل وجدوا جزا ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك احدا اي لا ياخذ احدا بجرم احد ولا ياخذه بما لم يعلمه قاله الضحاك وقيل لا ينقص
طايعا من ثوابه ولا يزيد عاصيا في عقابه قوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو
بيس للظالمين بدلا تقدم في البقرة هذا مستوفى قال ابو جعفر النحاس وفي هذه الاية سوال يقال
ما معنى ففسق عن امر ربه ففي هذا قولان احدهما وهو مذهب الخليل وسيبويه ان المعنى اتاه الفسق لما
امر فعصى فكان سبب الفسق امر ربه كما تقول اطعمته عن جوع والقول الاخر وهو مذهب محمد بن قطرب
ان معنى ففسق عن رد امر ربه افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وقف عز وجل الكفرة على جهة التوبيخ
بقوله افتتخذونه يا بني ادم وذريته اوليا وهم لكم عدو اي اعداء فهو اسم جنس بيس للظالمين بدلا
اي بيس عبادة الشيطان بدلا عن عبادة الله او بيس ابليس بدلا عن الله واختلف هل لابليس ذرية من
صلبه فقال الشعبي سال رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله
افتتخذونه وذريته فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس ادخل فرجه
في فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذا اصل ذريته وقيل ان الله خلق له في فخذه اليمين ذكرا وفي اليسرى
فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعين شيطانا وشيطانة
فهو يخرج وهو يطير وهو اعظمهم عند الله بيهم منزلة اعظمهم في بني ادم فتنة وقال قوم ليس له اولاد
ولا ذرية وذريته اعوانه من الشياطين قال القشيري ابو نصر والجملة ان الله تعالى اخبر ان لابليس
اتباعا وذرية وانهم يوسوسون الى بني ادم وهم اعداهم ولا يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم وحدوث
الذرية عن ابليس فيتوقف الامر فيه على نقل صحيح قال المولف رحمه الله الذي يثبت في هذا الباب من الصحيح
ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن الامام ابي بكر البرقاني انه خرج في كتابه مسندا عن ابي محمد عبد
الغني بن سعيد الحافظ من رواية عاصم عن ابي عثمان عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن
اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ وهذا يدل على ان للشيطان ذرية
من صلبه والله اعلم قال ابن عطية وقوله وذريته ظاهر اللفظ يقتضي الموسوسين من الشياطين الذين
ياتون بالمنكر ويحملون على الباطل وذكر الطبري وغيره ان مجاهدا قال ذرية ابليس الشيطان وكان يعدهم
زلنبور صاحب الاسواق يضع رايته في كل سوق بين السماء والارض يجعل تلك الراية على حانوت اول
من يفتح واخر من يغلق وبثر صاحب المصايب يامر بضرب الوجوه وشق الجيوب والدعا بالويل والحرب
والاعور صاحب ابواب الريا ومسوط صاحب الاخبار ياتي بها فيلقيها في افواه الناس ولا يجدون لها اصلا
وداسم الذي اذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع وما لا يحسن موضعه
واذا اكل ولم يذكر اسم الله اكل معه قال الاعمش اني ربما دخلت البيت فلم اذكر الله ولم اسلم فرايت مطهرة
فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم اعوذ بالله منه زاد الثعلبي وغيره عن مجاهد

الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك

والابيض وهو الذي يوسوس للانبيا وصخر وهو الذي اختلس خاتم سليمان عليه السلم والولهان وهو صاحب
الطهارة والاقيس وهو صاحب الصلاة يوسوس فيها ومرة صاحب المزامير وبه يكنى والهفان يكون
بالصحاري يضل الناس ويتيههم ومنهم الغيلان وحكى ابو مطيع مكحول بن الفضل النسفي في كتاب اللولويات
عن مجاهد ان الهفاف هو صاحب الشراب ولقوس صاحب التحريش والاعور صاحب ابواب السلطان
قال وقال الداراني ان لابليس شيطانا يقال له المتقاضي يتقاضي ابن ادم فيخبر بعمل كان عمله في السر منذ
عشرين فيحدث به في العلانية قال ابن عطية وهذا وما جانسه مما لم يات به سند صحيح وقد طول النقاش
في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد عن الصحة ولم يمر بي في هذا صحيح الا ما في كتاب مسلم من ان للصلاة شيطانا
يسمى خنزب وذكر الترمذي ان للوضوء شيطانا يسمى الولهان قال المولف اما ما ذكر من التعيين في الاسم فصحيح
واما ان له اتباعا واعوانا وجنودا فمقطوع به وقد ذكرنا الحديث الصحيح في ان له اولادا من صلبه كما قال مجاهد
وغيره وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال ان الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فياتي القوم فيحدثهم
بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا اعرف وجهه ولا ادري ما اسمه يحدث
وفي مسند البزار عن سلمان الفارسي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونن ان استطعت اول من يدخل
السوق ولا اخر من يخرج منها فانها معركة الشيطان وبها ينصب رايته وفي مسند احمد بن حنبل قال اخبرنا
عبد الله بن المبارك قال حدثنا سفيان الثوري عن عطا بن السايب عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي موسى
الاشعري قال اذا اصبح ابليس بث جنوده فيقول من اضل مسلما البسته التاج قال فيقول له القايل لم ازل بفلان
حتى طلق امراته قال يوشك ان يتزوج ويقول اخر لم ازل بفلان حتى عق قال يوشك ان يبر قال ويقول القايل
لم ازل بفلان حتى شرب الخمر قال انت قال ويقول لم ازل بفلان حتى زنا قال انت قال ويقول لم ازل بفلان
حتى قتل فيقول انت انت وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على
الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيا
قال ويجي احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين اهله قال فيدنيه او قال فيلتزمه ويقول نعم
انت وقد تقدم وسمعت شيخنا الامام ابا محمد عبد المعطي بثغر الاسكندرية يقول ان شيطانا يقال له
البيضاوي يتمثل للفقراء المواصلين بالصيام فاذا استحكم منه الجوع واضر بادمغتهم يكشف لهم عن ضيا
ونور حتى يملا عليهم البيوت فيظنون انهم قد وصلوا وان ذلك من الله وليس كما ظنوا قوله تعالى
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا اما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم قيل الضمير عايد على ابليس وذريته اي لم اشاورهم في خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم بل خلقتهم على ما اردت وقيل ما اشهدت ابليس وذريته خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم اي انفس المشركين فكيف اتخذوهم اوليا من دوني وقيل الكناية في قوله ما اشهدتهم ترجع
الى المشركين والى الناس بالجملة فتتضمن الاية الرد على طوايف من المنجمين واهل الطبايع والمتحكمين من
الاطبا وسواهم وكل من يتخرص في هذه الاشيا قال ابن عطية وسمعت ابي رضي الله عنه يقول قال
سمعت الفقيه ابا عبد الله محمد بن معاذ المهدوي بالمهدية يقول سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول
ويتاول هذا التاويل في هذه الاية وانها رادة على هذه الطوايف وذكر هذا بعض الاصوليين قال
ابن عطية ونقول ان الغرض المقصود اولا بالاية هم ابليس وذريته وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوايف
المذكورة وعلى الكهان والعرب المعظمين للجن حتى يقولون اعوذ بعزيز هذا الوادي اذ الجميع من هذه
الفرق متعلقون بابليس وذريته وهم اصل الجميع ثم المراد الاول بالمضلين وتندرج هذه الطوايف
في معناهم قال الثعلبي وقال بعض اهل العلم ما اشهدتهم خلق السموات رد على المنجمين ان قالوا الافلاك
تحدث في الارض وفي بعضها في بعض وقوله والارض رد على اصحاب الهندسة حيث قالوا ان الارض كرية
والافلاك تجري تحتها والناس ملصقون عليها وتحتها وقوله ولا خلق انفسهم رد على الطبايعيين حيث
زعموا ان الطبايع هي الفاعلة في النفوس وقرا ابو جعفر ما اشهدناهم بالنون والالف على التعظيم الباقون
بالتاء بدليل قوله وما كنت متخذ المضلين يعني ما استعنت على خلق السموات والارض ولا شاورتهم وما
كنت متخذ المضلين يعني الشياطين وقيل الكفار عضدا اي اعوانا يقال اعتضدت بفلان اذا استعنت
به وتقويت والاصل فيه عضد اليد ثم يوضع موضع العون لان اليد قوامها العضد يقال عضده وعاضده

على كذا اذا اعانه واعزه ومنه قوله تعالى سنشد عضدك باخيك اي سنعينك باخيك ولفظ العضد على
جهة المثل والله سبحانه لا يحتاج الى عون احد وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ وقرا ابو جعفر
الجحدري وما كنت بفتح التاء اي وما كنت يا محمد متخذ المضلين عضدا وفي عضد ثمانية اوجه عضدا بفتح
العين وضم الضاد وهي قراءة الجمهور وهي افصحها وعضد بفتح العين واسكان الضاد وهي لغة بني تميم وعضد
بضم الضاد والعين وهي قراءة ابي عمرو والحسن وعضد بضم العين واسكان الضاد وهي قراءة عكرمة وعضد بكسر
العين وفتح الضاد وهي قراءة الضحاك وعضد بفتح العين والضاد وهي قراءة عيسى بن عمرو وحكى هارون
القاري عضدا واللغة الثامنة عضد على لغة من قال كتف وفخذ قوله تعالى ويوم يقول نادوا
شركاءي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا اي اذكروا يوم يقول الله نادوا
شركاءي اي الذين اشركتموهم فيمنعوكم من عذابي وانما يقول ذلك لعبدة الاوثان وقرا حمزة ويحيى وعيسى
بن عمر نقول بنون الباقون بالياء كقوله شركاءي ولم يقل شركاءنا فدعوهم اي فعلوا ذلك فلم يستجيبوا
لهم اي فلم يجيبوهم الى نصرهم ولم يكفوا عنهم شيئا وجعلنا بينهم موبقا قال انس بن مالك هو واد في جهنم من
قيح ودم قال ابن عباس اي جعلنا بين المومنين والكفار حاجزا وقيل بين الاوثان وعبدتها نحو قوله فزيلنا
بينهم قال ابن الاعرابي كل شي حاجز بين شيئين فهو موبق وذكر ابن وهب عن مجاهد في قوله موبقا قال وادي
جهنم يقال له موبق وكذلك نوف البكالي الا انه قال يحجز بينهم وبين المومنين وقال عكرمة هو نهر في جهنم
يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فاذا ثارت اليهم لتاخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في
النار وروى يزيد بن درهم عن انس بن مالك قال موبقا واد من قيح ودم في جهنم وقال عطا والضحاك مهلكا في
جهنم ومنه يقال اوبقته ذنوبه ايباقا وقال ابو عبيدة موعدا للهلاك وقال الجوهري وبق يبق وبوقا
هلك والموبق مثل الموعد مفعل من وعد يعد ومنه قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا وفيه لغة اخرى وبق يوبق
وبقا وفيه لغة ثالثة وبق يبق بالكسر فيهما واوبقه اهلكه وقال ——— زهير

ومن يشتري حسن الثنا بماله　　يصن عرضه عن كل شنعا موبق

قال الفرا جعل تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الاخرة قوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها
ولم يجدوا عنها مصرفا راى اصله راي قلبت الياء الفا لانفتاحها وانفتاح ما قبلها ولهذا زعم الكوفيون ان
راى يكتب بالياء وتابعهم على هذا القول بعض البصريين فاما الحذاق من البصريين منهم محمد بن يزيد فانهم
يكتبونه بالالف قال النحاس سمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول لا يجوز ان تكتب مضى
ورمى وكلما كان من ذوات الياء الا بالالف ولا فرق بين ذوات الياء وبين ذوات الواو في الخط كما انه
لا فرق بينهما في اللفظ ولو وجب ان يكتب ذوات الياء بالياء لوجب ان يكتب ذوات الواو بالواو وهم مع هذا
يناقضون فيكتبون رمى بالياء ورماه بالالف وان كانت العلة انه من ذوات الياء والواو وهذا اما لا يحصل
ولا يثبت على اصل فظنوا انهم مواقعوها وقيل راوها من مكان بعيد فتوهموا انهم مواقعوها
وظنوا انهم ياخذها في الحال وفي الخبران الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة
ملامسة الشي بشدة وظنوا انهم ملاقوها اي مجتمعون فيها واللفو الجمع ولم يجدوا عنها مصرفا اي مهربا
لاحاطتها بهم من كل جانب وقال القتبي معدلا لا ينصرفون اليه وقيل ملجا يلجئون اليه والمعنى واحد وقيل ولم
يجد الاصنام مصرفا للنار عن المشركين قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل
وكان الانسان اكثر شيء جدلا من كل مثل يحتمل وجهين احدهما ما ذكره لهم من العبر والقرون الخالية
الثاني ما اوضحه لهم من دلايل الربوبية وقد تقدم في سبحان فهو على الوجه الاول زجر وعلى الثاني بيان
وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي جدالا ومجادلة والمراد به النضر بن الحارث وجداله في القرآن وقيل الاية
في ابي بن خلف وقال الزجاج اي الكافر اكثر شيء جدلا والدليل على انه اراد الكافر قوله ويجادل الذين
كفروا بالباطل وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بالرجل يوم القيامة من الكفار فيقول الله
له يوم القيامة ماذا صنعت فيما ارسلت اليك فيقول رب امنت بك وصدقت برسلك وعملت بكتابك
فيقول الله له هذه صحيفتك ليس فيها شي من هذا فيقول يا رب اني لا اقبل ما في هذه الصحيفة فيقال
له هذه الملايكة الحفظة يشهدون عليك فيقول ولا اقبلهم يا رب وكيف اقبلهم ولا هم من عندي
ولا من جهتي فيقول الله تعالى هذا اللوح المحفوظ ام الكتاب قد شهد بذلك فيقول يا رب الم تجرني من

الظلم

الظلم قال بلى فيقال يا رب لا اقبل الا شاهدا علي من نفسي فيقول الله تعالى الآن نبعث عليك شاهدا من
نفسك فيتفكر من ذا الذي يشهد فيختم على فيه ثم تنطق جوارحه بالشرك ثم يخلي بينه وبين الكلام
فيدخل النار وان بعضه ليلعن بعضا يقول لاعضائه لعنكن الله فعنكن كنت اناضل فتقول اعضاؤه
لعنك الله افتعلم ان الله تعالى يكتم حديثا فذلك قول الله تعالى وكان الانسان اكثر شيء جدلا اخرجه مسلم
مسلم بمعناه من حديث انس ايضا وفي صحيح مسلم عن علي قوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم
الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا اي من ان يومنوا اذ جا
الهدى اي القرآن والاسلام ومحمد عليه السلام الا ان ياتيهم سنة الاولين فحذف وسنة الاولين اوستنا
في اهلاكهم اي ما منعهم عن الايمان الا حكمي عليهم بذلك ولو حكمت عليهم بالايمان امنوا وسنة الاولين
عادة الاولين في عذاب الاستيصال وقيل المعنى وما منع الناس ان يومنوا الا طلب ان تاتيهم سنة الاولين
فحذف وسنة الاولين معاينة العذاب فطلب المشركون ذلك وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الاية او
ياتيهم العذاب قبلا نصب على الحال ومعناه عيانا قاله ابن عباس وقال الكلبي هو السيف يوم بدر وقال
مقاتل فجاة وقرا ابو جعفر وعاصم والاعمش وحمزة ويحيى والكسائي قبلا بضمتين اراد وا به اصناف العذاب
كانه جمع قبيل اي متفرقا يتلو بعضه بعضا ويجوز عنده ان يكون المعنى عيانا وقال الاعرج وكانت قراته
قبلا معناه جميعا وقال ابو عمرو وكانت قراته قبلا ومعناه عيانا قوله تعالى وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا
هزوا مبشرين اي بالجنة لمن امن ومنذرين اي مخوفين بالعذاب من كفر وقد تقدم ويجادل الذين كفروا بالباطل
ليدحضوا به الحق قيل نزلت في المقتسمين كانوا يجادلون في الرسول فيقولون ساحر ومجنون وشاعر وكاهن
كما تقدم ومعنى يدحضوا يزيلوا ويبطلوا واصل الدحض الزلق يقال دحضت رجله اي زلقت تدحض
دحضا ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت ودحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله والادحاض
الازلاق وفي وصف الصراط ويضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول
الله وما الجسر قال دحض مزلة اي تزلق فيه القدم قال ——— طرفة

ابا منذر رمت الوفا فهبته　　وحدت كما حاد البعير عن الدحض

واتخذوا اياتي يعني القرآن وما انذروا من الوعيد هزوا وما بمعنى المصدر اي والانذار وقيل بمعنى
الذي اي اتخذوا القرآن والذي انذروا به من الوعيد هزوا اي لعبا وباطلا وقد تقدم في البقرة
بيانه وقيل هو قول ابي جهل في الزبد والتمر هذا هو الزقوم وقيل هو قولهم في القرآن انه سحر واضغاث
احلام واساطير الاولين وقالوا للرسول هل هذا الا بشر مثلكم ولولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم وماذا اراد الله بهذا مثلا قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها
ونسي ما قدمت يداه وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا اي لا احد اظلم لنفسه ممن وعظ بايات ربه فتهاون بها واعرض عن قبولها ونسي
ما قدمت يداه اي ترك كفره ومعاصيه فلم يتب منها والنسيان هنا بمعنى الترك وقيل المعنى
نسي ما قدم لنفسه وحصل من العذاب والمعنى متقارب على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا بسبب كفرهم اي نحن منعنا الايمان من ان يدخل قلوبهم واسماعهم وان تدعهم الى الهدى اي الى
الايمان فلن يهتدوا اذا ابدا نزل في قوم معينين وهو يرد على القدرية قولهم وقد تقدم معنى هذه
الاية في سبحان وغيرها قوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم
العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وربك الغفور ذو الرحمة للذنوب وهذا يختص به اهل
الايمان دون الكفر بدليل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ذو الرحمة فيه اربع تاويلات احدها
ذو العفو والثاني ذو الثواب وعلى هذين الوجهين يختص باهل الايمان دون الكفر الثالث ذو النعمة
الرابع ذو الهدى وعلى هذين الوجهين يعم اهل الايمان والكفر لانه ينعم في الدنيا على الكافر كانعامه
على المومن وقد اوضح هداه للكافر كما اوضحه للمومن وان اهتدى به المومن دون الكافر ومعنى قوله
بما كسبوا من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب ولكنه يمهل بل لهم موعد اي اجل مقدر يوخرون اليه
نظيره لكل نبا مستقر وسوف تعلمون لكل اجل كتاب اي اذا حل لم يتاخر عنهم اما في الدنيا واما في الاخرة

لن يجد وامن دونه موئلا اي ملجا قاله ابن عباس وابن زيد وحكاه الجوهري في الصحاح وقد وال يئل والا ووؤلا على فعول اي لجا وو ال منه على فاعل اي طلب النجاة وقال مجاهد محرزا قال قتادة واما ابو عبيد منجا وقيل محبصا والمعنى واحد والعرب تقول لا والت نفسه اي لا نجت ومنه قول الشاعر

لا والت نفسك خليتها للعامريين ولم تكلم

وقال الاعشى

وقد اخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم ما يئل

اي ما ينجو **قوله تعالى** وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا تلك في موضع رفع بالابتدا القرى نعت او بدل واهلكناهم في موضع الخبر محمول على المعنى لان المعنى اهل القرى ويجوز ان تكون تلك في موضع نصب على من قال زيدا ضربته اي تلك القرى التي قصصنا عليك نباءهم نحو قرى عاد وثمود ومدين وقوم لوط اهلكناهم لما ظلموا وكفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي وقتا لم نعدوه ومهلك من اهلكوا وقرا عاصم مهلكا بفتح الميم واللام وهو مصدر هلك واجاز الكسائي والفرا لمهلكهم بكسر اللام وفتح الميم قال النحاس وهو احب الي لانه من هلك وقال الزجاج اسم مهلك للزمان والتقدير لوقت مهلكهم كما يقال اتت الناقة على مضربها **قوله تعالى** واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فيه اربع مسايل **الاولى** قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح الجمهور من العلماء واهل التاريخ انه موسى بن عمران المذكور في القران ليس فيه موسى غيره وقالت فرقة منها نوف البكالي انه ليس ابن عمران وانما هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران وقد رد هذا القول ابن عباس في صحيح البخاري وغيره وفتاه هو يوشع بن نون وقد مضى ذكره في المايدة واخر يوسف ومن قول هو ابن منشي فليس الفتى يوشع بن نون لا ابرح اي لا ازال اسير قال الشاعر

وابرح ما ادام الله قومي بحمد الله منتطقا مجيدا

وقيل لا ابرح لا افارقك حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقاهما قال قتادة هو بحر فارس والروم وقاله مجاهد قال ابن عطية وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب في ارض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين على هذا القول وقيل هما بحر الاردن وبحر القلزم وقيل ومجمع البحرين عند طنجة قاله محمد بن كعب وروي عن ابي بن كعب انه بافريقية وقال السدي هو الكر والرس بارمانية وقال بعض اهل العلم هو بحر الاندلس من البحر المحيط حكاه النقاش وهذا مما يذكر كثيرا وقالت فرقة انهما موسى والخضر وهذا قول ضعيف وحكي عن ابن عباس ولا يصح فان الامر بين من الاحاديث انه انما رسم له بحر ماء وسبب هذه القصة ما خرجه الصحيحان عن ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرايل فسيل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب وكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم وذكر الحديث واللفظ للبخاري وقال ابن عباس لما ظهر موسى وقومه على اراضي مصر انزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار امره الله ان ذكرهم بايام الله فخطب قومه فذكرهم ما اتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من ال فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم في الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه والقى عليه محبة منه واتاكم من كل ما سالتموه فجعلكم افضل اهل الارض ورزقكم العز بعد الذل والغنى بعد الفقر والتوراة بعد ان كنتم جهالا فقال له رجل من بني اسرايل عرفنا الذي يقول فهل على وجه الارض احد اعلم منك يا نبي الله قال لا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث الله اليه جبريل ان يا موسى وما يدريك اين علمي بلى ان لي عبدا بمجمع البحرين اعلم منك وذكر الحديث قال علماونا قوله في الحديث هو اعلم منك اي باحكام وقايع مفصلة وحكم نوازل معينة لا مطلقا بدليل قول الخضر لموسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه انا وانا على علم علمنيه لا تعلمه انت وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما انه اعلم من الاخر بالنسبة الى ما يعلمه كل واحد منهما ولا يعلمه الاخر فلما سمع موسى هذا تشوقت نفسه الفاضلة وهمته العالية لتحصيل علم ما لم يعلم وللقاء من قيل فيه انه اعلم فعزم فسال سوال الذليل كيف السبيل فامر بالارتحال على كل حال وقيل له احمل معك حوتا مالحا في مكتل وهو الزنبيل فحيث يحيى وتفقده فثم السبيل فانطلق مع فتاه لما واتاه مجتهدا طلبا قايلا لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا بضم الحا والقاف وهو الدهر والجمع احقاب وقد يسكن قافه فيقال حقب وهو ثمانون سنة ويقال اكثر من ذلك والجمع

احقاب والحقبة بكسر الحا واحدة الحقب وهي السنون **الثانية** في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب واغتنام لقا الفضلا والعلما وان بعدت اقطارهم وذلك كان داب السلف الصالح وبسبب ذلك وصل المرتحلون الى الحظ الراجح وحصلوا على السعي الناجح فرسخت لهم في العلوم اقدام وصح لهم من الذكر والاجر افضل الاقسام قال البخاري ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى عبد الله بن انيس في حديث واحد **الثالثة** قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه للعلما فيه ثلاثة اقوال احدها انه كان معه يخدمه والفتى في كلام العرب الشاب ولما كان الخدمة اكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن الادب وندبت الشريعة الى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي ولا امتي وليقل فتاي فهذا ندب الى التواضع وقد تقدم هذا في يوسف والفتى في الاية هو الخادم وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام ويقال هو ابن اخت موسى عليه السلام وقيل انما سمي فتى لانه لزمه ليتعلم منه وان كان حرا وهذا معنى الاول وقيل انما سماه فتى لانه قام مقام الفتى وهو العبد قال الله تعالى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وقال تراود فتاها عن نفسه قال ابن العربي وظاهر القران يقتضي انه عبد وفي الحديث انه كان ابن اخته وهذا كله مما لا يقطع به فالتوقف فيه اسلم **الرابعة** قوله تعالى او امضي حقبا قال عبد الله بن عمر الحقب ثمانون سنة مجاهد سبعون خريفا قتادة زمان النحاس الذي يعرفه اهل اللغة ان الحقب والحقبة زمان من الدهر مبهم غير محدود كما ان رهطا وقوما مبهم غير محدود وجمعه احقاب **قوله تعالى** فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا الضمير في قوله بينهما للبحرين قاله مجاهد والسرب المسلك قاله مجاهد وقال قتادة جمد الماء فصار كالسرب وجمهور المفسرين ان الحوت بقي موضع سلوكه فارغا وان موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى افضى به الطريق الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر وظاهر الروايات والكتاب انه سار الى الخضر في ضفة البحر وقوله نسيا حوتهما وانما كان النسيان من الفتى وحده فقيل المعنى نسي ان يعلم موسى بما راى من حاله فنسب النسيان اليهما للصحبة كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح وقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس لا من الجن وفي البخاري فقال لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كثيرا فذلك قوله عز وجل واذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون ليست عن سعيد قال فبينما هو في ظل صخرة في مكان ثريان اذ تضرب الحوت وموسى نايم فقال فتاه لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره وتضرب الحوت حتى دخل البحر فامسك الله عنه جرية البحر حتى كان اثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان اثره في حجر وحلق بين ابهاميه واللتين تليانهما وفي رواية وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقيل ان النسيان كان منهما لقوله تعالى نسيا فنسب النسيان اليهما وذلك ان بدو حمل الحوت كان من موسى لانه الذي امر به فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له حتى اووا الى الصخرة نزلا فلما جاوزا بقي الحوت هناك منسيا اي متروكا فلما سال موسى الغدا نسب الفتى النسيان الى نفسه عند المخاطبة وانما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة فكان موسى شريكا في النسيان لان النسيان التاخير من ذلك قولهم في الدعا انسا الله في اجلك فلما مضيا من الصخرة اخرا حوتهما عن حمله فلم يحمله واحد منهما فجاز ان ينسب اليهما لانهما مضيا وتركا الحوت **قوله تعالى** فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره فيه مسالة واحدة وهو اتخاذ الزاد في الاسفار وهو رد على الصوفية الجهلة الاغمار الذين يقتحمون المهامه والقفار زعما منهم ان ذلك هو التوكل على الواحد القهار هذا موسى نبي الله وكليمه من اهل الارض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد وفي صحيح البخاري ان ناسا من اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا سالوا الناس فانزل الله تعالى وتزودوا وقد مضى هذا في البقرة واختلف في زاد موسى ما كان فقال ابن عباس كان حوتا مملوحا في زنبيل وكانا يصيبان منه غدا وعشيا فلما انتهيا الى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل فاصاب الحوت جري البحر فتحرك الحوت في المكتل فقلب المكتل وانسرب في البحر ونسي الفتى ان يذكر قصة الحوت لموسى وقيل انما كان الحوت دليلا

مجمع البحرين

قصة الحوت

حتى

على موضع الخضر لقوله في الحديث احمل معك حوتا في مكتل بحيث تفقد الحوت فهو ثم وعلى هذا يكون تزودوا اشنا
اخر غير الحوت وهذا ذكره شيخنا الامام ابو العباس واختاره قال ابن عطية قال ابي رضي الله عنه سمعت ابا
الفضل الجوهري يقول في وعظه مشى موسى الى المناجاة فبقي اربعين يوما لم يحتج الى الطعام ولما مشى الى بشر لحقه
الجوع في بعض يوم وقوله نصبا اي تعبا والنصب التعب والمشقة وقيل عني به هنا الجوع وفي هذا دليل على جواز
الاخبار بما يجده الانسان من الالم والامراض وان ذلك لا يقدح في الرضا ولا في التسليم للقضا لكن اذا لم يصدر
ذلك عن ضجر ولا عن تسخط وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ان مع الفعل بتاويل المصدر وهو
منصوب بدل اشتمال من الضمير في انسانيه وهو بدل الظاهر من المضمر اي وما انساني ذكره الا الشيطان
وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان اذكره الا الشيطان وهذا انما ذكره يوشع في معرض الاعتذار لقول
موسى لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا فاعتذر بذلك القول **قوله تعالى**
واتخذ سبيله في البحر عجبا يحتمل ان يكون من قول يوشع لموسى اي اتخذ الحوت سبيله عجبا للناس ويحتمل ان يكون
قوله واتخذ سبيله في البحر تمام الخبر ثم استانف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الامر وموضع العجب ان
يكون حوت قد مات فاكل شقه الايسر ثم حيي بعد ذلك قال ابو شجاع في كتاب الطبري رايته اتيت به فاذا
هو شقة حوت وعين واحدة وشق اخر ليس فيه شي قال ابن عطية وانا رايته والشق الذي ليس فيه شي عليه
قشرة رقيقة تشف تحته شوكة ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين اما
ان يخبر عن موسى انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا اي يعجب منه واما ان يخبر عن الحوت انه اتخذ سبيله
عجبا للناس ومن غريب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الاية ان الحوت انما حيي لانه مسه ماء عين
هناك تدعى عين الحياة ما مست قط شيا الا حيي وفي التفسير ان العلامة كانت ان يحيى الحوت فقيل لما نزل
موسى بعد ما اجهده السفر على صخرة الى جنبها ماء الحياة اصاب الحوت شيا من ذلك الماء فحيي وقال الترمذي
في حديثه قال سفيان يزعم الناس ان تلك الصخرة عندها عين الحياة ولا يصيب ماؤها ميتا الا عاش قال
وكان الحوت قد اكل منه فلما قطر عليه الماء عاش وذكر صاحب كتاب العروس ان موسى عليه السلام توضا
من عين الحياة فقطر من لحيته على الحوت قطرة فحيي والله اعلم **قوله تعالى** قال ذلك ما كنا نبغي
فارتدا على اثارهما قصصا اي قال موسى لفتاه امر الحوت وفقده هو الذي كنا نطلب فان الرجل الذي جينا
له ثم فرجعا يقصان اثرهما لئلا يخطيا طريقهما في البخاري فوجدا خضرا على طنفسة خضرا على كبد البحر مسجى بثوبه
قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت راسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بارضي من
سلام من انت قال موسى قال موسى بني اسرايل قال نعم قال فما شانك قال جيت لتعلمني مما علمت رشدا
الحديث وقال الثعلبي في كتاب العرايس ان موسى وفتاه وجدا الخضر وهو نايم على طنفسة خضرا على وجه الماء
وهو متلفح بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال اني بارضنا السلام ثم رفع راسه واستوى جالسا وقال
وعليك السلام يا نبي بني اسرايل فقال له موسى وما ادراك ومن اخبرك اني نبي بني اسرايل قال الذي اداك
اي وذلك علي ثم قال يا موسى لقد كان لك في بني اسرايل شغل قال موسى ان ربي ارسلني اليك لاتبعك واعلم من
من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء وذكر الحديث على ما ياتي **قوله تعالى**
فوجدا عبدا من عبادنا العبد هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور وبمقتضى الاحاديث الثابتة وخالف من لا
يعتد بقوله فقال ليس صاحب موسى بالخضر بل هو عالم اخر وحكى ايضا هذا القول القشيري وقال قوم هو عبد
صالح والصحيح انه كان الخضر بذلك ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد سمي الخضر لانه كان اذا صلى
اخضر ما حوله وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس
على فروة بيضا فاهتزت تحته خضرا هذا حديث صحيح غريب الفروة هنا وجه الارض قاله الخطابي وغيره
والخضر نبي عند الجمهور وقيل هو عبد صالح غير نبي والاية تشهد بنبوته لان بواطن افعاله هل كانت الا بوحي وايضا
فان الانسان لا يتعلم ولا يتبع الا من فوقه وليس يجوز ان يكون فوق النبي من ليس بنبي وقيل كان ملكا امر الله
تعالى موسى ان ياخذ عنه مما حمله من علم الباطن والاول الصحيح والله اعلم **قوله تعالى** اتيناه رحمة من
عندنا وعلمناه من لدنا علما الرحمة في هذه الاية النبوة وقيل النعمة وعلمناه من لدنا علما اي علم الغيب قال
ابن عطية قال كان علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت اليه لا يعطي ظواهر الاحكام افعاله بحسبها وكان علم موسى
علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال الناس وافعالهم **قوله تعالى** قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما

ما الحياة

سمي الخضر خضرا

علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فيه مسيلتان الاولى قوله
تعالى قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني هذا سوال الملاطف المخاطب المستنزل المبالغ في حسن الادب
المعنى هل يتفق لك ويخف عليك وهذا كما في الحديث هل تستطيع ان تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتوضا وعلى بعض التاويلات يجي كذلك قوله تعالى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة من السماء
حسب ما تقدم بيانه في المايدة **الثانية** في هذه الاية دليل على ان المتعلم تبع للعالم وان تفاوتت المراتب
ولا يظن ان في تعلم موسى من الخضر ما يدل على ان الخضر كان افضل منه فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول
والفضل لمن فضله الله فالخضر ان كان وليا فموسى افضل منه لانه نبي والنبي افضل من الولي وان كان نبيا فموسى
فضله بالرسالة والله اعلم ورشدا مفعول ثان بتعلمني قال له الخضر انك لن تستطيع معي صبرا اي انك يا موسى
لا تطيق ان تصبر على ما تراه من علمي لان الظواهر التي هي من علمك لا تعطيه وكيف تصبر على ما تراه خطا ولم يخبر بوجه
الحكمة فيه ولا طريق الصواب وهي معنى قوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا والانبيا لا يقرون على منكر ولا
يجوز لهم التقرير اي لا يسعك السكوت جريا على عادتك وحكمك وانتصب خبرا على التمييز المنقول عن الفاعل
وقيل على المصدر الملاقي في المعنى لان قوله لم تحط معناه لم تخبره فكانه قال لم تخبره خبرا واليه اشار مجاهد
والخبير بالامور هو العالم بخفاياها وبما يختبر منها **قوله تعالى** ستجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي
لك امرا اي ساصبر بمشيئة الله ولا اعصي لك امرا اي قد الزمت نفسي طاعتك واختلف في الاستثنا هل يشمل
قوله ولا اعصي لك امرا ام لا فقيل يشمله كقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل استثنى في الصبر
فصبر وما استثنى في قوله ولا اعصي فاعترض وسال قال علماونا انما كان ذلك منه لان الصبر امر مستقبل ولا
يدري كيف يكون حاله فيه ونفي المعصية معزوم عليه حاصل في الحال فالاستثنا فيه ينافي العزم عليه ويمكن ان
يفرق بينهما بان الصبر ليس مكتسبا لنا بخلاف فعل المعصية وتركها فان ذلك كله مكتسب لنا والله اعلم
قوله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى اكون انا الذي افسره
لك وهذا من الخضر تاديب وارشاد لما يقتضي دوام الصحبة فلو صبر ودأب لراى العجب لكنه اكثر من الاعتراض
فتعين الفراق والاعراض **قوله تعالى** فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق
اهلها لقد جيت شيا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا فيه مسيلتان الاولى في صحيح البخاري
ومسلم فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما
ركبا في السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت
الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جيت شيا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني
بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من موسى نسيانا قال
وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا
العصفور من هذا البحر قال علماونا حرف السفينة طرفها وحرف كل شي طرفه ومنه حرف الجبل وهو اعلاه المحدد والعلم هنا بمعنى
المعلوم كما قال ولا يحيطون بشي من علمه اي من معلوماته وهذا من الخضر تمثيل اي معلوماتي ومعلوماتك
في علم الله لا اثر لها كما ان ما اخذ هذا العصفور من هذا البحر لا اثر له بالنسبة الى ماء البحر وانما مثل له ذلك
بالبحر لانه اكثر ما نشاهده مما بين ايدينا واطلاق لفظ النقص هنا تجوز قصد التمثيل والتفهيم اذ لا نقص
في علم الله ولا نهاية لمعلوماته وقد اوضح هذا المعنى البخاري فقال والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله الا
كما اخذ هذا الطاير بمنقاره من البحر وفي التفسير عن ابي العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى وكان
عبدا لا تراه الا عين من اراد الله ان يريه ولو راه القوم لمنعوه من خرق السفينة وقيل خرج اهل السفينة
الى جزيرة وتخلف الخضر فخرق السفينة وقال ابن عباس لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في
نفسه ما كنت اصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرايل اتلو كتاب الله عليهم غدوة وعشية فيطيعوني
قال له الخضر يا موسى تريد ان اخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال كذا وكذا قال صدقت ذكره
الثعلبي في كتاب العرايس **الثانية** وخرق السفينة دليل على ان للولي ان ينقص مال اليتيم اذا راه صلاحا
مثل ان يخاف على ريعه ظالما فيخرب بعضه وقال ابو يوسف يجوز للولي ان يصانع السلطان ببعض مال اليتيم
عن البعض وقرا حمزة والكسايي ليغرق بالياء اهلها بالرفع فاعل يغرق فاللام على قراة الجماعة في لتغرق
لام المال مثل ليكون لهم عدوا وحزنا وعلى قراة حمزة لام كي ولم يقل لتغرقني لان الذي غلب عليه في الحال

خرق السفينة

علمت

فرط الشفقة عليهم ومراعاة حقهم وامرا معناه عجبا قاله القتبي وقيل منكرا قاله مجاهد وقال ابو عبيدة الامر الداهية العظيمة وانشد

لقد لقي الاقران مني نكرا ... داهية دهياء اذا امرا

وقال الاخفش يقال امرء امره يامرا اذا اشتد والاسم الامر **قوله تعالى** قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا في معناه قولان احدهما يروى عن ابن عباس قال هذا من معاريض الكلام والاخر انه نسي فاعتذر ففيه ما يدل على ان النسيان لا يقتضي المواخذة وانه لا يدخل تحت التكليف ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره وقد تقدم ولو نسي في الثانية لاعتذر **قوله تعالى** فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيا نكرا في البخاري قال يعلى قال سعيد وجد غلمانا يلعبون فاخذ غلاما كافرا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لم يعمل بالحنث وفي الصحيحين والترمذي ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر راسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا لفظ البخاري وفي التفسير ان الخضر مر بغلمان يلعبون فاخذ بيد غلام لبس فيهم اضوا منه واخذ حجرا فضرب به راسه حتى دمغه فقتله قال ابو العالية لم يره الا موسى ولو راوه لحالوا بينه وبين الغلام قال المولف رحمه الله ولا اختلاف بين هذه الاحوال الثلاث فانه يحتمل ان يكون دمغه اولا بالحجر ثم اضجعه فذبحه ثم اقتلع راسه والله اعلم بما كان من ذلك وحسبك بما في الصحيح وقرا الجمهور زاكية بالف وقرا الكوفيون وابن عامر زكية بغير الف وتشديد الياء قيل المعنى واحد قاله الكسائي وقال ثعلب الزكية ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت **قوله تعالى** غلاما اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغا ام لا فقال الكلبي كان بالغا يقطع الطريق بين قريتين وابوه من عظماء احدى القريتين وامه من عظماء القرية الاخرى فاخذه الخضر فصرعه ونزع راسه من جسده قال الكلبي واسم الغلام شمعون وقال الضحاك حشود وقال وهب اسم ابيه سلاس واسم امه رحمى وحكى السهيلي ان اسم ابيه كازري واسم امه سهوى وقال الجمهور لم يكن بالغا ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام فان الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ ويقابله الجارية في النساء وكان الخضر قتله لما علم من سره وانه طبع كافرا كما في صحيح الحديث وانه لو ادرك ابويه لارهقهما كفرا وقتل الصغير غير مستحيل اذا اذن الله في ذلك لان الله تعالى الفعال لما يريد القادر على ما يشاء وفي كتاب العرايس ان موسى لما قال للخضر اقتلت نفسا زاكية الاية غضب واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يومن بالله ابدا وقد احتج اهل القول الاول بان العرب تبقي على الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلى الاخيلية

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام اذا هز القناة شفاها

وقال صفوان لحسان

تلق ذباب السيف عني فانني ... غلام اذا هوجيت لست بشاعر

وفي الخبر ان هذا الغلام كان يفسد في الارض ويقسم لابويه انه ما فعل فيقسمان على قسمه ويحميانه ممن يطلبه قالوا وقوله بغير نفس يقتضي انه لو كان عن قتل نفس لم يكن به باس وهذا يدل على كبر الغلام والا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس وانما جاز قتله لانه كان بالغا عاصيا قال ابن عباس كان شابا يقطع الطريق وذهب ابن جبير الى انه بلغ سن التكليف لقراءة ابي وابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين والكفر والايمان من صفات المكلفين ولا يطلق على غير مكلف الا بحكم التبعية لابويه وابوا الغلام كانا مومنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر الا بالبلوغ فتعين ان يصار اليه والغلام من الاغتلام وهو شدة الشبق **قوله تعالى** نكرا اختلف الناس ايما ابلغ امرا او قوله نكرا فقالت فرقة هذا قتل بين وهذاك مترقب فنكرا ابلغ وقالت فرقة هذا قتل واحد وذلك قتل جماعة فامرا ابلغ قال ابن عطية وعندي انهما لمعنيان وقوله امرا افظع واهول من حيث هو متوقع عظيم ونكرا بين في الفساد لان مكروهه قد وقع وهذا بين قوله ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني شرط وهو لازم للمسلمين عند شروطهم واحق الشروط بالوفا ما التزمه الانبياء والتزم للانبياء وقوله قد بلغت من لدني عذرا يدل على قيام الاعتذار بالمرة الواحدة مطلقا وقيام الحجة

وابتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه مكتوب كافر

من المرة الثانية بالقطع قاله ابن العربي قال ابن عطية وتشبه ان تكون هذه القضية ايضا اصلا للاجال في الاحكام التي هي ثلاثة وايام التلوم ثلاثة فتامله **قوله تعالى** قال ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا كذا قرا الجمهور اي تتابعني وقرا الاعرج تصحبني بفتح التاء والباء وتشديد النون وقرا تصحبني اي تتبعني وقرا يعقوب تصحبني بضم التاء وكسر الحاء ورواها سهل عن ابي عمرو وقال الكسائي ومعناه فلا تتركني اصحبك وقد بلغت من لدني عذرا اي بلغت مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وقرا الجمهور من لدني عذرا بضم الدال الا ان نافعا وعاصما خففا النون فهي لدن اتصلت بها نون المتكلم التي في غلامي وفرسي وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه وقرا ابو بكر عن عاصم لدني بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون وروي عن عاصم لدني بضم اللام وسكون الدال قال ابن مجاهد وهي غلط قال ابو علي هذا التغليظ يشبه ان يكون من جهة الرواية فاما على قياس العربية فهي صحيحة وقرا الجمهور عذرا وقرا عيسى عذرا بضم الدال وحكى الداني ان ابيا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عذري بكسر الراء وياء بعدها مسالة اسند الطبري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لاحد بدا بنفسه فقال يوما رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لراى العجب ولكنه قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا والذي في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لولا انه عجل لراى العجب قال وكان اذا ذكر احدا من الانبياء بدا بنفسه رحمة الله علينا وعلى اخي كذا وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من امرهما الذمامة بالذال المعجمة المفتوحة وهو بمعنى المذمة بفتح الذال وكسرها وهي الرقة والعار من ترك الحرمة يقال اخذتني منه مذمة ومذمة وذمامة بمعناه وكانه استحيا من تكرار مخالفته ومما صدر عنه من تغليظ الانكار **قوله تعالى** فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فيه ثلاث عشرة مسالة **الاولى** قوله تعالى حتى اذا اتيا اهل قرية في صحيح مسلم عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم لياما قطافا في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يقول مائل قال الخضر بيده فاقامه قال له موسى قوم اتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه كان صبر حتى يقص علينا من اخبارهما **الثانية** واختلف العلماء في القرية فقيل هي ايلة قاله قتادة وقال محمد بن سيرين هي الايلة وهي ابخل قرية وابعدها من السماء وقيل انطاكية وقيل بجزيرة الاندلس روي ذلك عن ابي هريرة وغيره ويذكر انها الجزيرة الخضراء وقالت فرقة هي ابو حوران وهي بناحية اذربيجان وحكى السهيلي قالوا فيها انها برقة وقال الثعلبي هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصارى وهذا كله بحسب الخلاف في اي ناحية من الارض كانت قصة موسى والله اعلم بحقيقة ذلك **الثالثة** كان موسى عليه السلام حين سقى لبنت شعيب احوج منه الى حين اتى القرية مع الخضر ولم يسال قوتا بل سقى ابتداء وفي القرية سالا القوت وفي ذلك للعلماء انفصالات كثيرة منها ان موسى كان في حديث مدين منفردا وفي قصة الخضر متبعا لغيره قال المولف رحمه الله وعلى هذا المعنى يمشي قوله في اول الاية لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فاصابه الجوع مراعاة لصاحبه يوشع والله اعلم وقيل لما كان هذا سفر تاديب وكل الى تكلف المشقة وكان ذلك سفر هجرة فوكل الى العون والنصرة والقوة **الرابعة** في هذه الاية دليل على سوال القوت وان من جاع وجب عليه ان يطلب ما يرد جوعه خلافا لجهال المتصوفة والاستطعام سوال الطعام والمراد به هنا سوال الضيافة بدليل قوله فابوا ان يضيفوهما فاستحق اهل القرية لذلك ان يذموا وينسبوا الى اللوم والبخل كما وصفهم بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم قال قتادة في هذه الاية شر القرى التي لا يضيف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه ويظهر من ذلك ان الضيافة كانت عليهم واجبة وان الخضر وموسى انما سالا ما وجب لهما من الضيافة وهذا هو الاليق بحال الانبياء ومنصب الاولياء والفضلاء وقد تقدم القول في الضيافة في هود والحمد لله ويعفو الله عن الحريري حيث استخف في هذه الاية وتمجن واتى بخطل من القول وزلل فاستدل بها على الكدية والالحاح فيها وان ذلك ليس بمعتب على فاعله ولا منقصة عليه فقال

فان رددت فما في الرد منقصة ... عليك قد رد موسى قبل والخضر

ويعفو الله عن الحريري

وهذا لعب بالدين وانسلال عن احكام النبيين وهي شنشنة ادبيه وهفوة محافية ويرحم الله السلف الصالح فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح فقالوا لو انهما كنت لاعبا بشي فاياك ان تلعب بدينك **الخامسة** قوله تعالى جدارا الجدار والجدر بمعنى وفي الخبر حتى تبلغ الماء الجدر وبني مكان جدير اي بني حواليه جدار واصله الرفع واجدرت الشجرة طلعت ومنه الجدري **السادسة** قوله تعالى يريد ان ينقض اي قرب ان يسقط وهذا مجاز وتوسع وقد فسره في الحديث بقوله مائل فكان فيه دليل على وجود المجاز في القران وهو مذهب الجمهور وجميع الافعال التي حقها ان تكون للحي الناطق متى اسندت الى جماد او بهيمة فانما هي استعارة اي لو كان مكانهما انسان لكان ممتثلا لذلك الفعل وهذا في كلام العرب واشعارها كثير فمن ذلك قول الاعشى

اتنتهون ولا ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيها الزيت والفتل

فاضاف النهي الى الطعن ومن ذلك قول الاخر

يريد الرمح صدر ابي براء ... ويرغب عن دماء بني عقيل

وقال اخر

ان دهرا يلف شملي بسلمى ... لزمان يهم بالاحسان

وقال اخر

في مهمه قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس اذا اردن نصولا

اي ثبوتا في الارض من قولهم نصل السيف اذا ثبت في الرمية فشبه وقع السيوف على روسهم بوقع الفؤوس في الارض فان الفاس يقع فيها ويثبت لا يكاد يخرج وقال حسان بن ثابت

لو ان اللوم ينسب كان عبدا ... قبيح الوجه اعور من ثقيف

فازور من وقع القنا بلبانه ... وشكى الي بعبرة وتحمحم

وقد فسر هذا المعنى بقوله لو كان يدري ما المحاورة اشتكى وهذا في هذا المعنى كثير جدا ومنه قول الناس داري تنظر الى دار فلان وفي الحديث اشتكت النار الى ربها وذهب قوم الى منع المجاز في القران منهم ابو الحسن الاسفرايني وابو بكر داود الاصبهاني وغيرهما وان كلام الله جل وعز وكلام رسوله حمله على الحقيقة اولى بذي الدين والفضل لانه يقص الحق كما اخبر في كتابه ومما احتجوا به ان قالوا لو خاطبنا الله بالمجاز لزم وصفه بانه متجوز ايضا فان العدول عن الحقيقة الى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة وهو على الله تعالى محال قال الله تعالى اليوم نشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقال وتقول هل من مزيد وقال واذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال تدعوا من ادبر وتولى واشتكت النار الى ربها واحتجت النار والجنة وما كان مثله حقيقة وان خالقها انطق كل شي وفي صحيح مسلم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه هذا في الاخرة واما في الدنيا ففي الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث اهله من بعده وفي الباب عن ابي هريرة وهذا حديث حسن صحيح غريب **السابعة** قوله تعالى فاقامه قيل هدمه ثم قعد يبنيه فقال موسى للخضر لو شئت لتخذت عليه اجرا لانه فعل يستحق اجرا وذكر ابو بكر الانباري عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه قال ابو بكر وهذا الحديث ان صح سنده فهو جار من الرسول عليه السلم مجرى التفسير للقران وان بعض الناقلين ادخل تفسيره في موضع فسر لان ذلك قران نقص من مصحف عثمان على ما قاله بعض الطاعنين وقال سعيد بن جبير مسحه بيده واقامه فقام وهذا القول هو الصحيح وهو الاشبه بافعال الانبياء بل الاولياء عليهم السلام الا في بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وطوله على وجه الارض خمسماية ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر اي سواه بيده فاستقام قاله الثعلبي في كتاب العرايس فقال للخضر لو شئت لتخذت عليه اجرا اي طعاما تاكله ففي هذا دليل على كرامات الاولياء وكذلك ما وصف من احوال الخضر في هذا الباب كلها امور خارقة للعادة هذا اذا تنزلنا على انه ولي لا نبي وقوله وما فعلته عن امري يدل على نبوته وانه يوحى اليه بالتكاليف والاحكام كما اوحي الى الانبياء عليهم السلم غير انه ليس برسول والله اعلم **الثامنة** واجب على الانسان ان لا يتعرض للجلوس تحت جدار مائل يخاف سقوطه بل يسرع في المشي اذا كان مارا عليه لان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم اذا مر احدكم بطربال مائل فليسرع المشي قال

ابو عبيد القاسم بن سلام كان ابو عبيدة يقول الطربال شبيه بالمنظر من مناظر العجم كهيئة الصومعة والبناء المرتفع قال جرير

الوى بها شذب العروق مشذب ... فكانما وكنت على طربال

يقال منه وكن يكن اذا جلس وفي الصحاح الطربال القطعة العالية من الجدار والصخرة العظيمة المشرفة من الجبل وطرابيل الشام صوامعها ويقال طربل بوله اذا مده عاليا فوق **التاسعة** كرامات الاولياء ثابتة على ما دلت عليه الاخبار الثابتة والايات المتواترة ولا ينكرها الا مبتدع جاحد او فاسق حائد فالايات ما اخبر الله تعالى عز وجل في حق مريم من ظهور الفواكه الشتوية في الصيف والصيفية في الشتاء على ما نقله وما ظهر على يدها حيث امرت النخلة وكانت يابسة فاثمرت وهي ليست بنبية على الخلاف ويدل عليها ما ظهر على يد الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار قال بعض العلماء ولا يجوز ان يقال كان نبيا لان اثبات النبوة لا يجوز باخبار الاحاديث لا سيما وقد روي من طريق التواتر من غير ان يحتمل تاويلا باجماع قوله عليه السلام لا نبي بعدي وقال تعالى وخاتم النبيين والخضر ودانيال جميعا باقيين مع هذه الكرامة فوجب ان يكونا غير نبيين لانهما لو كانا نبيين لوجب ان يكون بعد نبينا عليه الصلاة والسلم نبي الا ما قامت الدلالة في حديث عيسى انه ينزل بعده قال المولف رحمه الله الجمهور ان الخضر كان نبيا على ما تقدم وليس بعد نبينا نبي اي يدعي النبوة بعده ابتداء والله اعلم **العاشرة** واختلف الناس هل يجوز ان يعلم الولي انه ولي ام لا على قولين احدهما انه لا يجوز وان ما يظهر على يديه يجب ان يلاحظه بعين خوف المكر لانه لا يامن ان يكون مكرا واستدراجا له وقد حكي عن السري انه كان يقول لو ان رجلا دخل بستانا فكلمه من راس كل شجرة طير بلسان فصيح السلام عليك يا ولي الله فلو لم يخف ان يكون ذلك مكرا لكان ممكورا به ولانه لو علم انه ولي لزال عنه الخوف وحصل له الامن ومن شرط الولي ان يستديم الخوف الى ان تتنزل عليه الملايكة كما قال جل وعز تتنزل عليهم الملايكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا ولان الولي من كان مختوما له بالسعادة والعواقب مستورة ولا يدري احد ماذا يختم له به ولهذا قال عليه السلام انما الاعمال بالخواتيم القول الثاني انه يجوز للولي ان يعلم انه ولي الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم يجوز ان يعلم انه ولي ولا خلاف انه يجوز لغيره ان يعرفه انه ولي الله فجاز له ان يعلم ذلك وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم من حال العشرة من اصحابه انهم من اهل الجنة ثم لم يكن في ذلك زوال خوفهم بل كانوا اكثر تعظيما لله سبحانه واشد خوفا وهيبة واذا جاز للعشرة ذلك ولم يخرجهم عن الخوف فكذلك غيرهم وكان الشبلي يقول انا امان هذا الجانب فلما مات ودفن عبر الديلم دجلة ذلك اليوم واستولوا على بغداد ويقول الناس مصيبتان موت الشبلي وعبور الديلم ولا يقال انه يحتمل ان يكون ذلك استدراجا لانه لو جاز ذلك لجاز ان لا يعرف النبي انه نبي وولي الله لجواز ان يكون ذلك استدراجا فلما لم يجز ذلك لان فيه ابطال المعجزات لم يجز هذا لان فيه ابطال الكرامات وما روي من ظهور الكرامات على يدي بلعام وانسلاخه عن الدين بعدها بقوله فانسلخ منها فليس في الاية انه كان وليا ثم انسلخت عنه الولاية وما نقل انه اظهر على يديه ما يجري مجرى الكرامات هو اخبار احاد لا توجب العلم والله اعلم والفرق بين المعجزة والكرامة ان الكرامة من شرطها الاستتار والمعجزة من شرطها الاظهار وقيل الكرامة ما تظهر من غير دعوى والمعجزة ما تظهر عند دعوى الانبياء فيطالبون بالبرهان فيظهر اثر ذلك وقد تقدم في مقدمة الكتاب شرايط المعجزة والحمد لله وحده لا شريك له **واما الاحاديث** الواردة في الدلالة على ثبوت الكرامة فمن ذلك ما خرجه البخاري من حديث ابي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وامر عليهم ثابت عاصم بن الانصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فانطلقوا حتى اذا كانوا بالهداة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا اليهم قريبا من مايتي رجل كلهم رامي فاقتصوا اثارهم حتى وجدوا ماكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا اثارهم فلما راهم عاصم واصحابه لجاوا الى فدفد واحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا فاعطونا بايديكم ولكم العهد والميثاق ولا يقتل منكم احدا فقال عاصم بن ثابت امير السرية اما انا فوالله لا انزل اليوم في ذمة كافر اللهم اخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة فنزل اليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الانصاري وابن دثنة ورجل اخر فلما استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فاوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا اول الغدر والله لا اصحبكم ان لي بهولاء لاسوة يريد القتلى فجرروه وعالجوه على ان يصحبهم فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد

وقعة بدر فابتاع خبيبًا بنوا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو قاتل الحارث بن عامر
يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرًا فاخبرني عبيد الله بن عياض ان بنت الحارث اخبرته انهم حين اجمعوا
استعار منها موسى يستحد بها فاعارته فاخذ ابنا لي وانا غافلة حتى اتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذه
والموسى بيده قالت ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال اتخشى ان اقتله ما كنت لافعل ذلك قالت
والله ما رايت اسيرًا قط خيرًا من خبيب والله لقد وجدته يومًا ياكل من قطف عنب في يده وانه لموثق في الحديد
وما بمكة من ثمر وكان يقول انه لرزق رزقه الله خبيبًا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب
ذروني اركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال لولا ان تظنوا ان ما بي جزع اللهم احصهم عددًا واقتلهم
بددًا ولا تبق منهم احدًا وقال

ما ابالي حين اقتل مسلمًا | على اي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا | يبارك على اوصال شلو ممزع

فقتله بنوا الحارث فكان خبيب هو اول من سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرًا فاستجاب الله لعاصم يوم
اصيب فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه خبرهم وما اصيبوا وبعث ناس من كفار قريش الى عاصم حين حدثوا
انه قتل ليوتوا بشيء منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر
فحمته من رسلهم فلم يقدروا على ان يقطعوا من لحمه شيئًا وقال ابن اسحاق في هذه القصة وان كانت هذيل حين
قتل عاصم بن ثابت ارادوا راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعيد بن الشهيد وقد كانت نذرت حين اصيب
ابناها باحد لئن قدرت على راسه لتشربن في قحفه الخمر فمنعهم الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه
حتى يمسي فيذهب عنه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب وقد كان عاصم اعطى الله عهدًا ان لا يمس
مشركًا ولا يمسه مشرك ابدًا في حياته فمنعه الله بعد وفاته مما امتنع منه في حياته وعن عمرو بن امية
الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عينًا وحده فقال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها
وانا اتخوف العيون فاطلقته فوقع بالارض ثم اقتحمته فانتبذت قليلا ثم التفت فكانما ابتلعته الارض
وفي رواية اخرى زيادة فلم يذكر لخبيب رمة حتى الساعة ذكره البيهقي رحمه الله **الحادية عشرة**
ولا ينكر ان يكون للولي مال وضيعة يصون بها وجهه وعياله وحسبك بالصحابة واموالهم مع ولايتهم وفضلهم
وهم الحجة على غيرهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل بفلاة من
الارض فسمع صوتًا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه في حرة فاذا شرجة
من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فاذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته
فقال له يا عبد الله ما اسمك فقال فلان الاسم الذي سمعه في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسالني
عن اسمي قال اني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها
قال اما اذا قلت هذا فاني انظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه واكل انا وعيالي ثلثا وارد فيها ثلثا
وفي رواية واجعل ثلثه في المساكين وابن السبيل والسائلين قال المؤلف رحمه الله وهذا الحديث
لا ينافيه قوله عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فتركنوا الى الدنيا خرجه الترمذي من حديث ابن مسعود
وقال فيه حديث حسن فانه محمول على من اتخذها مستكثرًا او متمتعًا او متمتعًا بزهرة الدنيا واما من
اتخذها معاشًا يصون بها نفسه وعياله فاتخاذها بهذه النية من افضل الاعمال وهي من افضل الاموال
قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد اكثر الناس في كرامات الاولياء وما ذكرنا فيه
كفاية والله الموفق للهداية **الثانية عشرة** قوله تعالى لتخذت عليه اجرا دليل على صحة جواز الاجارة
وهي سنة الانبيا والاوليا على ما ياتي بيانها في سورة القصص ان شاء الله وقرا الجمهور لاتخذت وابو عمرو لتخذت
وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة وهما لغتان بمعنى واحد على الاخذ مثل قولك تبع واتبع وبغى وابتغى
وادغم بعض القراء الذال في التاء ولم يدغمها بعضهم وفي حديث ابي بن كعب لو شئت لاوتيت اجرا وهذه
صدرت من موسى سؤالا على جهة العرض لا الاعتراض فعند ذلك قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك
بحكم ما شرطت على نفسك وتكريره بيني وبينك وعدوله عن بيننا لمعنى التاكيد قاله سيبويه كما يقال
اخزى الله الكاذب مني ومنك اي منا وقال ابن عباس كان قول موسى في السفينة والغلام لله وكان قوله في
الجدار لطلب شيء من الدنيا فكان سبب الفراق وقال وهب بن منبه كان ذلك الجدار جدارا طوله في السماء مائة

ذراع **الثالثة عشرة** قوله تعالى سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تاويل الشيء ماله اي اخبرك
لم فعلت ما فعلت وقيل في هذه الاية التي وقعت لموسى مع الخضر انها حجة على موسى وعجبا له وذلك انه لما انكر
من خرق السفينة نودي يا موسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا في اليم فلما انكر امر الغلام
قيل له اين انكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة الجدار نودي اين هذا من رفعك
حجر البئر لبنات شعيب دون اجر **قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** فاستدل
بها من قال ان المسكين احسن حالا من الفقير وقد مضى هذا المعنى مستوفى في براءة وقد قيل انهم كانوا تجارا
ولكن من حيث هم مسافرون على قلة في لجة بحر وحال صعب عن مدافعة عطب عبر عنهم بمساكين اذ هم في
حالة يشفق عليهم بسببها وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة او خطب مسكين وقال كعب وغيره كانت
لعشرة اخوة من المساكين ورثوها عن ابيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر وقيل كانوا تسعة بكل
واحد منهم زمانة ليست بالاخر وقد ذكر النقاش اسماءهم فاما العمال فاحدهم كان مجذوما والثاني اعور
والثالث اعرج والرابع آدر والخامس محموما لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو اصغرهم والخمسة الذين لا
يطيقون العمل اعمى واصم واخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس الى الروم ذكره الثعلبي
وقرات فرقة لمساكين بتشديد السين واختلف في ذلك فقيل هم ملاحو السفينة وذلك ان المساك هو الذي
يمسك رجل السفينة وكل الخدمة تصلح لامساكه فسمي الجميع مساكين وقالت فرقة اراد بالمساكين دبغة
المسوك وهي الجلود واحدها مسك والاظهر قراءة مساكين بالتخفيف جمع مسكين وان معناها ان السفينة
لقوم ضعفاء ينبغي ان يشفق عليهم **قوله تعالى فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل**
سفينة غصبا اي اجعلها ذات عيب يقال عبت الشيء فعاب اذا صار ذا عيب فهو معيب وعائب وقوله
وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا قرا ابن عباس وابن جبير صحيحة وقرا ايضا ابن عباس وعثمان بن
عفان صالحة ووراء اصلها بمعنى الخلف فقال بعض المفسرين انه كان خلفهم وكان رجوعهم عليه والاكثر على
ان معنى وراء هنا امام يعضده قراءة ابن عباس وابن جبير وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صحيحة غصبا
قال ابن عطية وراءهم هو عندي على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجيء مراعى بها الزمان وذلك ان الحادث
المقدم الوجود هو الامام والذي ياتي بعد هو الوراء وهو ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر بادي الراي وتامل
هذه الالفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الاية معناها ان هؤلاء وعملهم وسعيهم
ياتي بعده في الزمان غصب هذا الملك ومن قرا امامهم اراد في المكان اي كانهم يسيرون الى بلد وقول
النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة امامك يريد في المكان والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة في الزمان
وتامل هذه المقالة فانها مرجحة من شعب هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتاب الطبري وكان وراءهم ملك
قال قتادة امامهم الا تراه يقول من ورائهم جهنم وهي بين ايديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة
التي كان الحسن بن ابي الحسن يضج منها قاله الزجاج قال المؤلف رحمه الله وما اختاره هذا الامام قد سبقه اليه
في ذلك ابن عرفة قال الهروي قال ابن عرفة يقول القائل كيف قال ومن ورائهم وهي امامه فزعم ابو عبيد
وابو علي قطرب ان هذا من الاضداد وان وراء في معنى قدام وهذا غير محصل لان امام ضد وراء وانما
يصلح هذا في الاماكن والاوقات كقول الرجل اذا وعد وعدا في رجب لرمضان ثم قال ومن ورائك
شعبان لجاز وان كان امامه لانه يخلفه الى وقت وعده واشار الى هذا القول ايضا القشيري وقال انما
يقال هذا في الاوقات ولا يقال للرجل امامك انه وراءك قاله الفراء وجوزه غيره والقوم ما كانوا عالمين
بخبر الملك فاخبر الله الخضر حتى عيب السفينة ذكره الزجاج وقال الماوردي اختلف اهل العربية في استعمال
وراء موضع امام على ثلاثة اقاويل احدها يجوز استعمالها بكل حال وفي كل مكان وهو من الاضداد قال
الله تعالى ومن ورائهم جهنم اي من امامهم وقدامهم قال الشاعر

اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي | وقومي تميم والفلاة ورائيا

يعني امامي والثاني ان وراء تستعمل في موضع امام في المواقيت والازمان لان الانسان قد يجوزها فتصير وراءه
ولا يجوز في غيره والثالث انه يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد وراء ولا يجوز في غيرها
وهذا قول علي بن عيسى واختلف في اسم هذا الملك فقيل هدد بن بدد وقيل الجلندي وقال السهيلي وذكر البخاري
اسم الملك الاخذ كل سفينة غصبا والغلام الذي قتله الخضر فقال هو جيسور هكذا قيدناه في الجامع من

رواية ابي زيد المروزي وفي غير هذه الرواية جيسور بالجيم وعندي في حاشية الكتاب رواية ثالثة وهي
حيسون وكان ياخذ كل سفينة جيدة غصبا فلذلك عابها الخضر وخرقها ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح
اذا تحقق وجهها وجواز اصلاح كل المال بافساد بعضه وقد تقدم وفي صحيح مسلم الحكمة لخرق السفينة وذلك
قوله فاذا الذي جاء يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها فاصلحوها بخشبة الحديث ويحصل من هذا الحض
على الصبر على الشدائد فكم في ضمن ذلك المكروه من الفوائد وهذا معنى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
قوله تعالى وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين جاء في صحيح الحديث انه طبع يوم طبع كافرا وهذا يؤيد
ظاهره انه غير بالغ ويحتمل ان يكون خبرا عنه مع كونه بالغا وقد تقدم هذا المعنى **قوله تعالى** فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا فخشينا قيل هو من كلام الخضر وهو الذي يشهد له سياق الكلام وهو قول كثير من المفسرين
اي خفنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فكان الله قد اباح له الاجتهاد في قتل النفوس على هذه الجهة وقيل هو من
كلام الله تعالى وعنه عبر الخضر قال الطبري معناه فعلمناه وكذا قال ابن عباس اي فعلمنا وهذا كما كني عن العلم
بالخوف في قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله وحكي ان ابيا قرأ فعلم ربك وقيل الخشية بمعنى الكراهة يقال
فرقت بينهما خشية ان يقتتلا اي كراهة ذلك قال ابن عطية والاظهر عندي في توجيه هذا التاويل
وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة اي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت بينهم خشية
الرهق للابوين وقرأ ابن مسعود فخاف ربك وهذا بين في الاستعارة وهذا نظير ما يقع في القران في جهة
الله تعالى من لعل وعسى وان جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية انما هو بحسبكم انتم المخاطبون
ويرهقهما يجشمهما ويكلفهما والمعنى ان يلقيهما حبه في اتباعه فيضلا ويتدينا بدينه **قوله تعالى** فأردنا
ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قرأ الجمهور بفتح الباء وشد الدال وقرأ عاصم بسكون الباء
وتخفيف الدال اي ان يرزقهما الله ولدا خيرا منه زكاة اي دينا وصلاحا يقال بدل وابدل مثل مهل وامهل ونزل
وانزل واقرب رحما قرأ ابن عباس رحما بضم الراء والحاء قال الشاعر

وكيف بظلم جارية … ومنها اللين والرحم

الباقون بسكونها ومنه قول رؤبة

ابن العجاج … يا منزل الرحم على ادريسا … ومنزل اللعن على ابليسا

واختلف عن ابي عمرو ورحما معطوف
على زكاة اي رحمة يقال رحمه رحمة ورحمى والفه للتانيث ومذكره رحم وقيل ان الرحم هنا بمعنى الرحم قرأها ابن
عباس واصل رحما اي رحما وقرأ ايضا ازكى منه وعن ابن جريج انهما بدلا جارية قال الكلبي فتزوجها نبي من
الانبيا فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقال قتادة ولدت اثنا عشر نبيا وعن ابن جريج
ايضا ان ام الغلام يوم قتل كانت حاملا بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وعن ابن عباس فولدت جارية ولدت
نبيا وفي رواية ابدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبيا وقاله جعفر بن محمد عن ابيه قال علماؤنا وهذا
بعيد ولا يعرف كثرة الانبيا الا في بني اسرائيل وهذه المراة لم تكن فيهم ويستفاد من هذه الاية تهوين
المصايب بفقد الاولاد وان كانوا قطعا من الاكباد ومن سلم للقضا اسفرت عاقبته عن اليد البيضا قال
قتادة لقد فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فالواجب على كل امرأة الرضا
بقضا الله فان قضا الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضايه له فيما يحب **قوله تعالى** وأما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليتم واسمهما اصرم واصريم وقد قال عليه السلام
لا يتم بعد بلوغ هذا الظاهر ويحتمل ان يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ ان كان يتيمين على معنى الشفقة عليهما
وقد تقدم ان اليتم في الناس من قبل فقد الاب وفي غيرهم من الحيوان من قبل فقد الام ودل قوله في المدينة على ان القرية
تسمى مدينة ومنه الحديث امرت بقرية تاكل القرى وفي حديث الهجرة لمن انت فقال لرجل من اهل المدينة
يعني مكة واسم هذه المدينة قاله قتادة **قوله تعالى** وكان تحته كنز لهما وكان اختلف الناس في الكنز
فقال عكرمة وقتادة كان مالا جسيما وهو الظاهر من اسم الكنز اذ هو في اللغة المال المجموع وقد مضى القول
فيه وقال ابن عباس كان علما في صحف مدفونة وعنه ايضا كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب عجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح عجبت
لمن يومن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها لا اله الا الله محمد
رسول الله وروي نحوه عن عكرمة وعمر مولى غفرة ورواه عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من

ربك ظاهر اللفظ والسابق منه انه والدهما دنية وقيل هو الاب السابع قاله جعفر بن محمد وقيل العاشر فحفظا
فيه وان لم يذكر بصلاح وكان يسمى كاشحا قاله مقاتل واسم امهما دنيا ذكره النقاش ففيه ما يدل على ان الله يحفظ
الصالح في نفسه وفي ولده وان بعدوا عنه وقد روي ان الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وعلى هذا يدل
قوله ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين **قوله تعالى** وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما
لم تسطع عليه صبرا يقتضي ان الخضر نبي وقد تقدم الخلاف في ذلك تاويل اي تفسير ما لم تستطع
عليه صبرا وقرأت فرقة تستطع وقرأ الجمهور تسطع قال ابو حاتم كذا نقرأ كما في خط المصحف وهنا خمس مسايل
الاولى ان قال قايل لم يسمع لفتى موسى ذكر وقد كان معه فقال شرب الفتى من الماء فخلد واخذه العالم فطبق
عليه سفينة ثم ارسله في البحر وانه لتموج به الى يوم القيامة وذلك انه لم يكن له ان يشرب منه فشرب منه فقال
القشيري وهذا ان ثبت فليس الفتى يوشع بن نون فان يوشع بن نون قد عمر بعد موسى وكان خليفته والا
ظهر ان موسى صرف فتاه لما لقي الخضر وقال شيخنا الامام ابو العباس ويحتمل ان يكون اكتفى بذكر المتبوع عن التابع
والله اعلم **الثانية** ان قال قايل كيف اضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالى وقال في خرق السفينة
فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك فاضاف العيب الى نفسه قيل له انما اسند الارادة في الجدار الى
الله تعالى لانها في امر مستانف في الزمن طويل غيب من الغيوب فحسن افراد هذا الموضع بذكر الله تعالى وان
كان الخضر قد اراد ذلك الذي اعلمه الله انه يريده وقيل لما كان ذلك خيرا كله اضافه الى الله تعالى واضاف
عيب السفينة الى نفسه رعاية للادب لانها لفظة عيب فتادب فان لم يسند الارادة فيها الا الى نفسه كما تادب
ابراهيم عليه السلام في قوله واذا مرضت فهو يشفين فاسند الفعل قبل وبعد الى الله تعالى واسند المرض الى
نفسه اذ هو معنى نقص ومصيبة فلا يضاف اليه سبحانه من الالفاظ الا ما يستحسن منها دون ما يستقبح
وهذا كما قال تعالى بيدك الخير واقتصر عليه ولم ينسب الشر اليه وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر
اذ هو على كل شي قدير وبكل شي خبير ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل انه يقول يوم القيامة
يا ابن ادم مرضت فلم تعدني واستطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني فان ذلك تنزل في الخطاب
وتلطف في العتاب مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال وبمقادير ثواب هذه الاعمال وقد تقدم هذا
المعنى ولله تعالى ان يطلق على نفسه ما يشاء ولا نطلق نحن الا ما اذن لنا فيه من الاوصاف الجميلة والافعال
الشريفة جل وتعالى عن النقايص والافات وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال في الغلام فاردنا فكانه اضاف
القتل الى نفسه والتبديل الى الله والاشد كمال الخلق والعقل وقد مضى الكلام فيه في الانعام والحمد لله **الثالثة**
قال شيخنا الامام ابو العباس ذهب قوم من زنادقة الباطنية الى سلوك طريق يلزم منه هدم الاحكام الشرعية
فقالوا هذه الاحكام الشرعية العامة انما يحكم بها على الانبياء والعامة واما الاولياء واهل الخصوص
فلا يحتاجون الى تلك النصوص بل انما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم
قالوا وذلك لصفا قلوبهم عن الاكدار وخلوها عن الاغيار فتتجلى لهم العلوم الالهية والحقايق الربانية فيقفون
على اسرار الكاينات ويعلمون احكام الجزييات فيستغنون بها عن احكام الشرايع الكليات كما اتفق
للخضر فانه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم وقد جاء فيما ينقلون استفت
قلبك وان افتاك المفتون قال شيخنا رحمه الله وهذا القول زندقة وكفر يقتل قايله ولا يستتاب لانه انكار
ما علم من الشرايع فان الله قد اجرى سنته وانفذ حكمته بان احكامه لا تعلم الا بواسطة رسله السفراء بينه
وبين خلقه وهم المبلغون عنه رسالاته وكلامه المبينون شرايعه واحكامه اختارهم لذلك
وخصهم بما هنالك كما قال تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وقد قال الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية الى غير ذلك الاي وعلى الجملة فقد حصل العلم
القطعي واليقين الضروري واجماع السلف والخلف على ان لا طريق لمعرفة احكام الله التي هي راجعة الى امره
ونهيه ولا يعرف شي منها الا من جهة الرسل فمن قال ان هناك طريقا اخر يعرف بها امره ونهيه عن الرسل بحيث
يستغني عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه الى سوال ولا جواب ثم هو قول باثبات انبيا
بعد نبينا عليه الصلاة والسلام الذي قد جعله الله خاتم انبيايه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول وبيان
ذلك ان من قال باخذ عن قلبه وان ما وقع فيه هو حكم الله وانه يعمل بمقتضاه وانه لا يحتاج مع ذلك الى كتاب
ولا سنة فقد اثبت لنفسه خاصة النبوة فان هذا نحو مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث

في دوعي الحديث الرابعة ذهب جمهور الناس الى ان الخضر مات صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة انه حي لانه شرب
من عين الحياة وانه باق في الارض وانه يحج البيت كل عام قال ابن عطية وقد اطنب النقاش في هذا المعنى
وذكر في كتابه اشيا كثيرة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره وكل هذا لا يقوم على ساق ولو كان
الخضر عليه السلام حيا يحج لكان له في ملة الاسلام ظهور والله اعلم بتفاصيل الاشيا لا رب غيره ومما يقضي
بموت الخضر الان قوله عليه السلام ارايتكم ليلتكم هذه فانه على راس مائة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر
الارض احد قال الشيخ المؤلف رحمه الله الى هذا ذهب البخاري واختاره القاضي ابو بكر بن العربي والصحيح القول
الثاني فانه حي على ما نذكره وهذا الحديث خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم العشا في اخر حياته فلما سلم قام فقال ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة منها لا يبقى ممن هو على ظهر
الارض احد قال ابن عمر فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون من هذه الاحاديث
عن مائة سنة وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد يريد بذلك ان ينخرم
ذلك القرن ورواه ايضا من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل
ان يموت بشهر تسالوني عن الساعة وانما علمها عند الله واقسم بالله ما على الارض نفس منفوسة ياتي عليها مائة
سنة وفي اخرى قال سالم تذاكرنا انما هي مخلوقة يومئذ وفي اخرى ما من نفس منفوسة اليوم ياتي عليها مائة
سنة وهي حية يومئذ وفسرها عبد الرحمن صاحب السقاية قال نقص العمر وعن ابي سعيد الخدري نحو هذا
الحديث قال علماؤنا وحاصل ما تضمنه هذا الحديث انه عليه السلم اخبر قبل موته بشهر ان كل من كان
من بني ادم موجودا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة لقوله ما من نفس منفوسة وهذا اللفظ لا يتناول
الملايكة ولا الجن اذ لم يصح عنهم انهم كذلك ولا الحيوان غير العاقل لقوله ممن هو على ظهر الارض احد وهذا
انما يقال باصل وضعه على من يعقل فتعين ان المراد بنو ادم وقد بين ابن عمر هذا المعنى فقال يريد
بذلك انه ينخرم ذلك القرن ولا حجة لمن استدل به على بطلان قول من قال بالتخصيص فكما لم يتناول
عيسى عليه السلم فانه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القران ولا يتناول الرجال مع انه حي بدليل حديث
الجساسة فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهدا للناس ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم
حالة مخاطبة بعضهم بعضا فمثل هذا العموم لا يتناوله وقد قيل ان اصحاب الكهف احيا ويحجون مع عيسى عليه
السلام كما تقدم وكذلك فتى موسى في قول ابن عباس كما ذكرو وقد ذكر ابو اسحاق الثعلبي في كتاب العرايس
له والخضر على جميع الاقوال نبي معمر محجوب عن الابصار وروى محمد بن المتوكل عن ضمرة عن عبد الله بن سوار
قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان كل عام في الموسم وعن عمرو بن دينار قال ان الخضر
والياس لا يزالان يحييان في الارض ما دام القران في الارض فاذا رفع ماتا وقد ذكر شيخنا الامام ابو محمد
عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي في شرح الرسالة للقشيري حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين
والصالحات بانهم راوا الخضر ولقوه يفيد مجموعها غلبة الظن بحياته مع ما ذكره النقاش والثعلبي وغيرهما
وقد جاء في صحيح مسلم ان الرجال ينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس
او من خير الناس الحديث وفي اخره قال ابو اسحاق يقال ان هذا الرجل هو الخضر وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب
الهواتف بسند يرفعه الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لقي الخضر وعلمه هذا الدعا وذكر فيه ثوابا عظيما
ومغفرة ورحمة لمن قاله في اثر كل صلاة وهو يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسايل ويا من
لا يتبرم من الحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك وذكر ايضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في هذا الدعا بعينه نحو مما ذكر عن علي بن ابي طالب في سماعه من الخضر وذكر ايضا اجتماع الناس مع النبي صلى
الله عليه وسلم واذا جاز بقا الياس الى عهد النبي جاز بقاء الخضر وقد ذكر انهما يجتمعان عند البيت في كل
حول وانهما يقولان عند افتراقهما ما شا الله ما شا الله لا يصرف السوء الا الله ما شا الله ما يكون من نعمة
فمن الله ما شا الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل واما خبر الياس فياتي في والصافات
ان شا الله وذكر ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد عن علي رحمه الله قال لما توفي صلى الله عليه وسلم وسجي ثوب
هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
السلام عليكم اهل البيت كل نفس ذايقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل تالف
وعزاء من كل مصيبة فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب فكانوا يرون انه الخضر عليه

السلم يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والالف واللام في قوله على الارض للعهد لا للجنس وهي ارض العرب
بدليل تقصيرهم فيها والبها غالبا دون ارض ياجوج وماجوج واقصى جزر الهند والسند مما لا يقرع السمع
اسمه ولا يعلم علمه ولا جواب عن الرجال قال السهيلي واختلف في اسم الخضر اختلافا متباينا فعن ابن منبه
انه قال ابليا بن ملكا بن فالغ بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وقيل هو ابن عاميل بن سماحين بن اربا بن
علقما بن عيصو ابن اسحاق وان اباه كان ملكا وان امه كانت بنت فارس واسمها الها وانها ولدته في
مغارة وانه وجد هنالك شاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية فاخذه الرجل فرباه فلما شب
وطلب الملك ابوه كاتبا وجمع اهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي انزلت على ابراهيم وشيث
كان فيمن اقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته وبحث عن جلية
امره عرف انه ابنه فضمه الى نفسه وولاه امر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها
الى ان وجد عين الحياة فشرب منها فهو حي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي يقتله الدجال
ويقطعه ثم يحييه الله تعالى وقيل لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح وقال البخاري و
طايفة من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن العربي رحمه الله انه مات قبل انقضاء المائة من قوله
عليه السلام الى راس مائة عام لا يبقى على هذه الارض ممن هو عليها يعني من كان حيا حين قال هذه
المقالة قال المؤلف رحمه الله قد ذكرنا هذا الحديث والكلام عليه وهنا حياة الخضر الى الان والله اعلم
الخامسة قيل ان الخضر لما ذهب يفارق موسى قال له موسى اوصني قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع
اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران
قوله تعالى ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا قال ابن اسحاق وكان من خبر
ذي القرنين انه اوتي ما لم يؤت غيره فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض ومغاربها
لا يطا ارضا الا سلط على اهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شيء من الخلق قال ابن اسحق فحدثني
من يسوق الاحاديث عن الاعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلا من اهل مصر اسمه مرزبا
بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح قال ابن هشام واسمه الاسكندر وهو الذي بنى
الاسكندرية فنسبت اليه قال ابن اسحق وحدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي
وكان رجلا قد ادرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الارض من
تحتها بالاسباب وقال خالد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم
غفرا اما رضيتم ان تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة قال ابن اسحاق فالله اعلم اي ذلك كان اقال
النبي صلى الله عليه وسلم ام لا الحق ما قال قال المؤلف رحمه الله وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
مثل قول عمر سمع رجلا اخر يدعو يا ذا القرنين فقال علي اما كفاكم ان تسميتم باسما الانبيا حتى تسميتم
باسما الملايكة وعنه انه عبد ملك بكسر اللام صالح نصح الله فايده وقيل هو نبي مبعوث فتح الله على يديه الارض
وذكر الدارقطني في كتاب الاخبار ان ملكا يقال له رباقيل كان ينزل على ذي القرنين وذلك الملك هو الذي
يطوي الارض يوم القيامة وينقصها فتقع اقدام الخلايق كلهم بالساهرة قال السهيلي وهذا مشاكله
بتوكيله بذي القرنين الذي قطع الارض مشارقها ومغاربها كما ان قصة خالد بن سنان في تسخير النار
له مشاكله بحال الملك الموكل بها وهو مالك صلى الله عليه وسلم وعلى ساير الملايكة اجمعين وذكر ابن
ابي خيثمة في كتاب البدء له خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته وذكر انه وكل به من الملايكة مالك خازن
النار وكان من اعلام نبوته ان نارا يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مغارة فتاكل الناس فلا
يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد واختلف في اسم ذي القرنين وفي السبب الذي
سمي بذلك اختلافا كثيرا فاما اسمه فقيل هو الاسكندر الملك اليوناني المقدوني وقد تشدد قافه
فيقال المقدوني وقيل اسمه هرمس ويقال هرديس وقال ابن هشام هو الصعب بن ذي يزن الحميري من ولد
وايل بن حمير وقد تقدم قول ابن اسحاق وقال وهب بن منبه هو رومي وذكر الطبري حديثا عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث واهي السند قاله ابن عطية قال السهيلي والظاهر
من علم الاخبار انهما اثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام ويقال انه الذي قضى لابراهيم عليه
السلم حين تحاكموا اليه في بير السبع بالشام والاخر انه كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام وقد قيل

انه افريدون الذي قتل بنوا اراسف بن اندراسب الملك الطاغي على عهد ابراهيم او قبله بزمان واما الاخلا
بالسبب الذي سمي فقيل انه كان ذا ظفيرتين من شعر فسمي بهما ذكره المهدوي وغيره والظفاير قرون
الراس ومنه قول الشاعر

فلثمت فاها اخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقيل انه راى في اول ملكه كانه قابضا على قرني الشمس فقص ذلك ففسر انه سيغلب على ما درت عليه الشمس
فسمي بذلك ذوا القرنين وقيل انما سمي بذلك لانه بلغ المشرق والمغرب فكانه حاز قرني الدنيا وقالت
طايفة انه لما بلغ مطلع الشمس كشف بالروية قرونها فسمي بذلك اذ قرني الشيطان بها وقال وهب بن
منبه كان له قرنان تحت عمامته وسال ابن الكوا عليا رضي الله عنه عن ذي القرنين انبيا كان ام ملكا
فقال لا ذا ولا ذا كان عبدا صالحا دعا قومه الى الله فشجوه على قرنه ثم دعاهم فشجوه على قرنه الاخر فسمي ذا
القرنين واختلفوا ايضا في وقت زمانه فقال قوم كان بعد موسى وقال قوم كان في الفترة بعد
عيسى وقيل كان في وقت ابراهيم واسماعيل وكان الخضر صاحب لوايه الاعظم وقد ذكرناه في البقرة وبالجملة
فان الله تعالى مكنه وملكه ودانت له الملوك فروي ان جميع ملوك الدنيا كلها اربعة مومنان وكافران
فالمومنان سليمان بن داود و[ذو القرنين] والكافران نمرود وبخت نصر وسيملكها من هذه الامة خامس لقوله تعالى
ليظهره على الدين كله وهو المهدي وقيل انما سمي ذا القرنين لانه كان كريم الطرفين من اهل بيت شريف
من قبل ابيه وامه وقيل لانه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه
وركابيه جميعا وقيل لانه اعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل الظلمة والنور وقيل لانه ملك
فارس والروم **قوله تعالى** انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ
مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمية ووجد عندها قوما قال علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت
له الاسباب وبسط له في النور وكان الليل والنهار عليه سواء وفي حديث عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لرجل من اهل الكتاب سالوه عن ذي القرنين فقال ان اول امره انه كان غلاما من الروم فاعطي ملكا
فسار حتى اتى ارض مصر فابتنى بها مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ اتاه ملك فعرج به فقال
انظر ما تحتك قال ارى مدينتي وحدها لا ارى غيرها فقال له الملك تلك الارض كلها وهذا السواد
الذي ترى محيطا بها هو البحر وانما اراد الله ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فسر في الارض فعلم الجاهل
وثبت العالم الحديث قوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا قال ابن عباس من كل شيء علما يتسبب به الى ما يريد
وقال الحسن بلاغا الى حيث اراد وقيل من كل شيء يحتاج الى الخلق وقيل من كل شيء يستعين به الملك من فتح
المداين وقهر الاعداء واصل السبب الحبل فاستعير لكل ما يتوصل به الى شيء فاتبع سببا قرا ابن عامر
وعاصم وحمزة والكسائي فاتبع سببا مقطوعة الالف وقرا اهل المدينة وابو عمرو فاتبع بوصلها اي اتبع
سببا من الاسباب التي اوتيها قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته واردفته ومنه قوله تعالى
الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ومنه الاتباع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح قال النحاس
واختار قراءة اهل الكوفة قال لانها من السير وحكى هو والاصمعي انه يقال تبعته واتبعته اذا سار ولم يلحقه
واتبعه اذا لحقه قال ابو عبيد ومثله فاتبعوهم مشرقين قال النحاس وهذا من التفريق وان كان الاصمعي
قد حكاه لا يقبل الا بعلة او دليل وقوله جل وعز فاتبعوهم ليس في الحديث انهم لحقوهم وانما الحديث لما خرج
موسى صلى الله عليه وسلم واصحابه من البحر وحصل فرعون واصحابه انطبق عليهم البحر والحق في هذا ان تبع واتبع واتبع
لغتان بمعنى واحد وهي بمعنى السير وقد يجوز ان يكون معه لحاق وان لا يكون حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة قرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي حامية اي حارة الباقون حمئة اي كثيرة الحماة
وهي الطينة السوداء تقول حمات البير حما بالتسكين اذا نزعت حماتها وحميت البير حما بالتحريك كثرت حماتها
ويجوز ان تكون حامية من الحماة فخففت الهمزة وقلبت ياء وقد يجمع بين القراتين فيقال كانت حارة وذات
حماة وقال عبد الله بن عمر نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غربت فقال نار الله الحامية في نار الله
الحامية لولا ما يزعها من امر الله لاحرقت ما على الارض وقال ابن عباس اقرانيها ابي كما اقراه رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عين حمئة وقال معاوية هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاصي وانا مع امير المومنين
فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في التوراة فقال اجدها تغرب في عين سوداء فوافق

ملوك الدنيا اربعة مومنان وكافران

ابن عباس رض قال الشاعر

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد
فراى مغار الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حرمد

الخلب الطين والثاط الحماة والحرمد الاسود وقال القفال قال بعض العلماء ليس المراد انه انتهى الى الشمس شرقا
وغربا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان يلتصق بالارض وهي
اعظم من ان تدخل في عين من عيون الارض بل هي اكبر من الارض اضعافا مضاعفة بل المراد انه انتهى الى
اخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها في راي العين تغرب في عين حمئة كما انا نشاهدها
في الارض الملساء كانها تدخل في الارض ولهذا قال وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
ولم يرد انها تطلع عليهم بان تماسهم وتلاصقهم بل اراد انهم اول من تطلع عليه وقال القتبي ويجوز ان
ان يكون هذه العين من البحر ويجوز ان يكون الشمس تغيب وراها او معها او عندها فيقام حرف
الصفة مقام صاحبه والله اعلم ووجد عندها قوما اي عند العين او عند نهاية العين وهم اهل جابرس
ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين امنوا بصالح ذكره السهيلي وقال
وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجايزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر
فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى يا ذا القرنين اني باعثك الى امم الارض وهم امم مختلفة السنتهم وهم
امم جميع الارض وهم اصناف امتان بينهما طول الارض كله وامتان بينهما عرض الارض كله
وامم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فاما اللتان بينهما عرض الارض فامة في قطر
الارض الايمن تحت مهب الجنوب يقال لها هاويل وامة في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل واما اللتان
بينهما طول الارض فامة عند مطلع الشمس يقال لها منسك وامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك فقال
ذو القرنين الهي لقد ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا انت فاخبرني عن هذه الامم باي قوة
اكاثرهم وباي صبر اقاسيهم وباي لسان اناطقهم وكيف لي بان افقه لغتهم وليس عندي قوة فقال الله
تعالى ساطوقك بما حملتك اشرح لك صدرا فتسمع كل شيء واثبت لك فهمك فتفقه كل شيء والبسك
الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من امامك
وتحفظك الظلمة من ورايك فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق الى الامة التي عند مغرب الشمس
لانها كانت اقرب الامم منه وهي ناسك فوجد جموعا لا يحصيها الا الله تعالى وقوة وباسا لا يطيقه الا
الله والسنة مختلفة واهواء متشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من جند الظلمة
قدر ما احاط بهم من كل مكان حتى جمعتهم في مكان واحد ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته
فمنهم من امن ومنهم من صد عنه فادخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فدخلت في افواههم
وانوفهم واعينهم وبيوتهم فتحيروا وماجوا واشفقوا ان يهلكوا فعجوا الى الله بصوت واحد انا امنا فكشفها
عنهم واخذها عنوة فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب امما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم
يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور امامهم يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض اليمنى
يريد الامة التي في قطر الارض الايمن وهي هاويل وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطي اذا عمل
عملا فاذا اتوا مخاضة او بحرا بنى سفنا من الواح صغار امثال النعال فنظمها في ساعة واحدة ثم حمل فيها
جميع من معه من تلك الامم فاذا قطع الانهار والبحار فتقها ودفع الى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فانتهى
الى هاويل وفعل بهم كفعله بناسك فامنوا ففرغ منهم واخذ جيوشهم وانطلق في ناحية الارض الاخرى
الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الاولى ثم كر مقبلا حتى اخذ ناحية الارض
اليسرى يريد تاويل وهي الامة التي تقابل هاويل بينهما عرض الارض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عطف
الى الامم التي في وسط الارض من الجن والانس وياجوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع
الترك نحو المشرق قالت له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله
كثيرا ليس فيهم مشابهة الى الانس وهم اشباه البهايم ياكلون العشب ويفترسون الدواب
والوحش كما يفترسها السباع وياكلون دواب الارض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي

كان ذو القرنين

روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمي نما هو في العام الواحد فان طالت المدة فسلون الارض ويجلون اهلها منها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا او ذكر الحديث وسيأتي من صفة ياجوج وماجوج والترك اذهم نوع منهم ما فيه كفاية **قوله تعالى** قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا قال القشيري ابو نصر ان كان نبيا فهو وحي وان لم يكن نبيا فهو الهام

اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال ابراهيم بن السري خيره بين هذين كما خير لمحمد صلى الله عليه وسلم فقال فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم ونحوه وقال ابو اسحاق الزجاج المعنى ان الله تعالى خيره بين هذين الحكمين قال النحاس ورد علي بن سليمان عليه قوله لانه لم يصح ان ذا القرنين نبي فيخاطب بهذا فكيف يقول لربه جل وعز ثم يرد الى ربه فيعذبه وكيف تقول فسوف نعذبه فيخاطب بالنون قال والتقدير قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين قال ابو جعفر النحاس هذا الذي قاله ابو الحسن لا يلزم منه شيء اما قوله قلنا يا ذا القرنين فيجوز ان يكون الله عز وجل خاطبه على لسان نبي في وقته ويجوز ان يكون قال له هذا كما قال لنبيه اما منا بعد واما فداء واما اشكال فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فان تقديره ان الله عز وجل لما خيره بين القتل في قوله اما ان تعذب واما الاستبقاء في قوله واما ان تتخذ فيهم حسنا قال لاولئك القوم اما من ظلم اي اقام على الكفر منكم فسوف نعذبه اي بالقتل ثم يرد الى ربه اي يوم القيامة فيعذبه عذابا نكرا اي شديدا في جهنم واما من امن اي تاب من الكفر وعمل صالحا قال احمد بن يحيى ان في موضع نصب في اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال ولو رفعت كان صوابا بمعنى فاما هو كما قال

فسيروا فاما حاجة بقضيانها ... واما مقتل صالح وصديق

فله جزاء الحسنى قراءة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم فله جزاء بالرفع على الابتداء وبالاستقرار الحسنى في موضع خفض بالاضافة ويحذف التنوين للاضافة اي له جزاء الحسنى عند الله في الاخرة وهي الجنة فاضاف الجزاء الى الجنة كقوله حق اليقين ولدار الاخرة قاله الفراء ويحتمل ان يريد بالحسنى الاعمال الصالحة ويمكن ان يكون هذا الجزاء من ذي القرنين اي اعطيه واتفضل عليه ويجوز ان يحذف التنوين لالتقاء الساكنين ويكون الحسنى في موضع رفع على البدل عند البصريين وعلى الترجمة عند الكوفيين وعلى هذا قراءة ابن ابي اسحق فله جزاء الحسنى الا انك لم تحذف التنوين وهو اجود وقرا سائر الكوفيين فله جزاء الحسنى منصوبا منونا اي فله الحسنى جزاء قال الفراء جزاء منصوب على التمييز وقيل على المصدر وقال الزجاج هو مصدر في موضع الحال اي مجزيا بها جزاء وقرا ابن عباس ومسروق فله جزاء الحسنى منصوبا غير منون وهي عند ابي حاتم على حذف التنوين لالتقاء الساكنين مثل فله جزاء الحسنى في احدى الوجهين في الرفع قال النحاس وهذا عند غيره خطا لانه ليس موضع حذف تنوين لالتقاء الساكنين ويكون تقديره فله الثواب جزاء الحسنى **قوله تعالى** ثم اتبع سببا تقدم ان اتبع واتبع بمعنى اي سلك طريقا ومنازل **قوله تعالى** حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم قرا مجاهد وابن محيصن مطلع بفتح اللام يقال طلعت الشمس والكوكب طلوعا ومطلعا والمطلع والمطلع ايضا موضع طلوعها قاله الجوهري المعنى انه انتهى الى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس احد من الناس والشمس تطلع وراء ذلك بمسافة بعيدة فهذا معنى قوله تعالى وجدها تطلع على قوم واختلف فيهم فعن وهب بن منبه ما تقدم وانهم امة يقال لها منسك ومن مقابلتهم ناسك وقاله مقاتل وقتادة يقال انهم الزنج وقال الكلبي هم تارس وهاويل ومنسك عراة حفاة عماه عن الحق يتسافدون مثل الكلاب ويتهارجون تهارج الحمر وقيل هم اهل جابلق وهم من نسل مؤمني عاد الذين امنوا بهود ويقال لهم بالسريانية مرقيسيا والذين عند مغرب الشمس اهل جابرس ولكل واحد من المدينتين عشرة الاف باب بين كل بابين فرسخ وورا جابلق امم وهم منسك وتافيل وتارس وهم مجاورون ياجوج وماجوج واهل جابرس وجابلق امنوا بالنبي عليه السلام مر بهم ليلة الاسرا فدعاهم فاجابوه ودعا الامم الاخرين فلم يجيبوه ذكره السهيلي وقال اختصرت هذا كله من حديث طويل رواه مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الطبري مسندا الى مقاتل يرفعه والله اعلم **قوله تعالى** لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا يستترون منها عند طلوعها قال قتادة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر كانوا في مكان لا يستقر عليهم بناء وهم يكونون في اسراب لهم حتى اذا زالت الشمس

عنهم

عنهم رجعوا الى معايشهم وحروثهم يعني لا يستترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها وقال امية وجدت رجالا بسمرقند يحدثون الناس فقال بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فقيل لي ان بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فاستاجرت رجلا يرينهم حتى صبحتهم فوجدت احدهم يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى وكان صاحبي يحسن كلامهم فبتنا بهم فقالوا فيم جئتم قلنا جئنا ننظر كيف تطلع الشمس فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار وزالت الشمس عن رؤوسهم خرجوا يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج وقال ابن جريج جاءهم جيش مرة فقال لهم اهلها لا تطلع الشمس وانتم بها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس ثم قالوا ما هذه العظام قالوا والله هذه عظام جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا قال فولوا هاربين في الارض وقال الحسن كانت ارضهم لا جبل فيها ولا شجر وكانت لا تحمل البناء فاذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فيتراعون كما تتراعى البهائم قال المؤلف رحمه الله وهذه الاقوال تدل على ان لا مدينة هناك والله اعلم وربما يكون منهم من يدخل في النهر ومنهم من يدخل في السرب فلا تناقض بين قول الحسن وقتادة **قوله تعالى** ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان من قبل ارمينية واذربيجان روى عطاء الخراساني عن ابن عباس بين السدين الجبلين ارمينية واذربيجان وجد من دونهما اي من ورائهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وقرا حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف من افقه اذا ابان اي لا يفقهون غيرهم كلاما الباقون بفتح الياء والقاف اي يعلمون والقراءتان صحيحتان فلا هم يفقهون من غيرهم ولا يفقهون غيرهم **قوله تعالى** قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي قالت له امة من الانس صالحة ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض قال الاخفش من همز ياجوج يجعل الالف من الوصل يقول ياجوج وماجوج يفعول وماجوج مفعول كانه من اجيج النار قال ومن لا يهمز ويجعل الالفين زائدتين يقول ياجوج من يجت وماجوج من مجت وهما غير مصروفين قال رؤبة

لو ان ياجوج وماجوج معا ... وعاد عاد واستجاشوا تبعا

ذكره الجوهري وقيل انما لم ينصرفا لانهما اسمان اعجميان مثل طالوت وجالوت غير مشتقين علتاه في منع الصرف العجمة والتعريف والتانيث وقالت فرقة هو معرب من اج واج علتاه في منع الصرف التعريف والتانيث وقال ابو علي يجوز ان يكونا عربيين فمن همز ياجوج فهو على وزن يفعول مثل يربوع من قولك اجت النار اي صوتت ومنه الاجيج ومنه ملح اجاج ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفا مثل راس واما ماجوج فهو مفعول من اج والكلمتان من اصل واحد في الاشتقاق ومن لم يهمز فيجوز ان يكون خفف الهمزة ويجوز ان يكون فاعولا من مج وترك الصرف فيهما للتانيث والتعريف كانه اسم للقبيلة واختلف في افسادهم فقال سعيد بن عبد العزيز افسادهم اكل بني ادم وقالت فرقة افسادهم انما كان متوقعا اي سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة افسادهم هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الافساد المعلوم من البشر والله اعلم وقد وردت اخبار بصفتهم وخروجهم وانهم من ولد يافث روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد لنوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث ياجوج وماجوج والترك والسقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان قال كعب الاحبار احتلم ادم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فاسف فخلقوا من ذلك الماء فهم متصلون بنا من جهة الاب لا من جهة الام وهذا فيه نظر لان الانبياء صلوات الله عليهم لا يحتلمون وانما هم من ولد يافث كذلك قال مقاتل وغيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه الف رجل يعني ياجوج وماجوج قال ابو سعيد هم خمس وعشرون من وراء ياجوج وماجوج لا يموت الرجل منها ولا من ياجوج وماجوج حتى يخرج من صلبه الف رجل ذكره القشيري وقال عبد الله بن مسعود رض سالت النبي صلعم عن ياجوج وماجوج فقال ياجوج امة كل امة اربعمائة الف كل امة لا يعلم عددها الا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح قبل

حتى ننظر كيف تطلع الشمس

ياجوج وماجوج

وسول الله صلعم لنا قال هم ثلاثه اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طول الشجر عشرون ومائة
ذراع وصنف عرضه وطوله سوا نحو من الذراع ونصف يفرش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا
وحش ولا خنزير الا اكلوه وياكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون
انهار المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وقال علي رضي الله عنه وصنف
منهم في طول شبر لهم مخاليب وانياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهايم وعوا الذيب وشعور تقيهم
الحر والبرد واذان عظام احداها وبرة يشتون فيها والاخرى جلد يصيفون فيها يحفرون السد حتى
كادوا ينقبون فيعيده الله كما كان حتى يقولوا ننقبه غدا ان شا الله فينقبون ويخرجون ويتحصن الناس
بالحصون فيرمون الى السما فيرد السهم ملطخا بالدم ثم يهلكهم الله بالنغف في رقابهم ذكره الغزنوي
وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم ياجوج امة لها اربعمائة امير وكذا ماجوج لا يموت احد حتى ينظر الى الف
فارس من ولده قال الشيخ المولف رحمه الله وقد جا مرفوعا من حديث ابي هريرة خرجه بن ماجة في السنن قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون كل يوم حتى كادوا يرون شعاع الشمس قال
الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله اشد ما كانت حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم
على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه ان شا الله تعالى فاستثنوا
فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون الما ويتحصن منهم في
حصونهم فيرمون سهامهم الى السما فترجع عليها الدم والذي احفظ فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا
اهل السما فيبعث الله نغفا في اقفايهم فيقتلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان دواب
الارض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم قال الجوهري شكرت الناقة تشكر شكرا فهي شكرة واشتكر الضرع
امتلا لبنا وقال وهب بن منبه راهم ذو القرنين وطول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب
في مواضع الاظفار واضراس وانياب كالسباع واحناك كاحناك الابل وهم هلب عليهم من الشعر ما يواريهم
ولكل واحد اذنان عظيمتان يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وكل واحد منهم قد عرف اجله لا يموت حتى
يخرج من صلبه الف رجل ومن رحمها الف انثى ان كانت انثى وقال السدي والضحاك الترك شرذمة من ياجوج
وماجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذه الجانب قال السدي بني السد على احدى
وعشرون قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقاله قتادة قال الشيخ المولف رحمه
الله واذا كان هذا فقد نعت النبي صلى الله عليه وسلم الترك كما نعت ياجوج وماجوج فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوما وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون في
الشعر في رواية وينتعلون الشعر خرجه مسلم وابو داود وغيرهما ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم عددهم
وكثرتهم وحدة شوكتهم قال صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم وقد خرج منهم في هذا الوقت امم لا
يحصيهم الا الله ولا يردهم عن المسلمين الا الله حتى كانهم ياجوج وماجوج او مقدمتهم وروى ابو داود عن ابي
بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تنزل ناس من امتي بغايط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة
يكون عليه جسر يكثر اهلها ويكون من امصار المهاجرين قال ابن يحيى قال ابو معمر ويكون من امصار المسلمين
فاذا كان من اخر الزمان جا بنو قنطورا عراض الوجوه صغار الاعين حتى نزلوا على شط النهر فتتفرق
اهلها ثلاث فرق فرقة ياخذون اذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة ياخذون لانفسهم وكفروا وفرقة
يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهدا الغايط المطمين من الارض والبصرة الحجارة الرخوة
وبها سميت البصرة وبنو قنطورا هم الترك يقال ان قنطورا اسم جارية كانت لابراهيم صلوات الله عليه
ولدت له اولادا جا من نسلهم الترك **قوله تعالى** فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا استفهام على حسن الادب خرجا اي جعلا وقري
خراجا والخرج اخص من الخراج يقال ادخرج راسك وخراج مدينتك وقال الازهري الخراج يقع على
الضريبة ويقع على مال الفي ويقع على الجزية وعلى الغلة والخراج اسم لما يخرج من الفرايض في الاموال
والخرج المصدر وقوله تعالى على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي ردما والردم ما جعل بعضه على بعض حتى
يتصل وثوب مردم اي مرقع قاله الهروي يقال ردمت الثلمة اردمها بالكسر ردما اي سددتها
والردم ايضا الاسم وهو السد وقيل الردم ابلغ من السد اذ السد كل ما يسد به والردم وضع الشي على

فاذا كان من آخر الزمان جا بنو قنطورا

الشي

الشي من حجارة او تراب ونحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ومنه ردم ثوبه اذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها
فوق بعض ومنه قول عنترة

هل غادر الشعرا من متردم

اي قول يركب بعضه على بعض وقري سدا بفتح
السين فقال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح هو المصدر وقال الكسائي الفتح والضم لغتان بمعنى
واحد وقال عكرمة وابو عمرو بن العلا وابو عبيدة ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه احد بعمل فهو بالضم وما كان
من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقروا سدا بالفتح وقبل بين السدين بالضم وهي قراة
حمزة والكسائي وقال ابو حاتم عن ابن عباس عكس ما قال ابو عبيدة وقال ابن ابي اسحاق ما رايته عيناك
فهو سد بالضم وما لا يرى فهو سد بالفتح الثانية وهذه الاية دليل على اتخاذ السجون وحبس اهل الفساد
فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركوا وما هم عليه بل يوجعون ضربا ويحبسون او يكفلون
ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه **قوله تعالى** قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم
وبينهم ردما فيه مسالتان الاولى قوله تعالى قال ما مكني المعنى قال لهم ذو القرنين ما بسطه الله لي من
القدرة والملك خير من خرجكم واموالكم ولكن اعينوني بقوة اي بقوة الابدان اي برجال وعمل منكم
بالابدي والالة التي يبنا بها ابني به الردم وهو السد وهذا من تاييد الله تعالى لذي القرنين في هذه المحاورة
فان القوم لو جمعوا له خراجا لم يعينه احد ولوكلوه الى البنيان ومعونته بانفسهم اجمل به واسرع
في مدة انقضاء العمل وربما اربي ما ذكروه له على الخرج وقرا ابن كثير وحده ما مكنني بنونين وقرا الباقون
ما مكني في هذه الاية دليل على ان الملك فرض عليه ان يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم
وسد فرجهم واصلاح ثغورهم من اموالهم التي تفي عليهم وحقوقهم التي يجمعها خزانتهم تحت يده ونظره
حتى لو اكلتها الحقوق وانفدتها المون لكان عليهم جبر ذلك من اموالهم وعليه حسن النظر لهم وذلك
ثلاث شروط الاول ان لا يستاثر بشي عليهم الثاني ان يبدا باهل الحاجة فيعينهم الثالث
ان يسوي في العطا بينهم على قدر منازلهم فاذا فنيت بعد هذا وبقيت صفرا فاطلعت الحوادث
امرا بذلوا انفسهم قبل اموالهم فان لم يغن ذلك فاموالهم توخذ منهم على تقدير وتصرف بتدبير
فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال في ان يكف عنهم ما يجدونه من عادية ياجوج وماجوج
قال لست احتاج اليه وانما احتاج اليكم فاعينوني بقوة اي اخدموا بانفسكم معي فان الاموال عندي
والرجال عندكم ورأى ان الاموال لا تغني دونهم وانهم ان اخذوها اجرة نقص ذلك مما يحتاج اليه
فيعود بالاجر عليهم فكان التطوع بخدمة الابدان اولى وضبط الامر انه لا يحل مال احد الا لضرورة
تعرض فيوخذ ذلك المال جهرا لا سرا وينفق بالعدل لا بالاستيثار وبراي الجماعة لا بالاستبداد
بالامر والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** اتوني زبر الحديد اي اعطوني زبر الحديد وناولونيها
امرهم بنقل الالة وهذا كله انما هو استدعا العطية التي بغير معنى الهبة وانما هو استدعا
المناولة لانه قد ارتبط من قوله انه لا ياخذ منهم الخرج فلم يبق الا استدعا المناولة واعمال الابدان
وزبر الحديد قطع الحديد واصل الكلمة الاجتماع ومنه زبرة الاسد لما اجتمع من الشعر على كاهله
وزبرت الكتاب اي كتبته وجمعت حروفه وقرا ابو بكر والمفضل ردما ايتوني من الاتيان الذي هو المجي
اي جيئوني بزبر الحديد فلما سقط الخافض انتصب الفعل على نحو قول الشاعر

امرتك الخير ... حذف الجار فنصب الفعل

وقرا الجمهور زبر بفتح البا وقرا الحسن بضمها
وكل ذلك جمع زبرة وهي القطعة العظيمة منه **قوله تعالى** حتى اذا ساوى بين
الصدفين اذا ساوى يعني البنا فحذف لقوة الكلام عليه بين الصدفين قال ابو عبيدة هما جانبا
الجبل وسميا بذلك لتصادفهما اي لتلاقيهما وقال الزهري قال ابن عباس وكانه يعرض عن الاخر
من الصدوف قال الشاعر

شعر

كلا الصدفين ينفذه سناها ... توقد مثل مصباح الظلام

ويقال للبنا المرتفع صدف تشبيها بجانب الجبل وفي الحديث كان اذا مر بصدف مايل اسرع المشي قال
ابو عبيد الصدف والهدف كل بنا عظيم مرتفع وقال ابن عطية الصدفان الجبلان المتناوحان ولا
يقال للواحد صدف وانما يقال صدفان للاثنين لان احدهما يصادف الاخر وقرا نافع وحمزة والكسا

الصدفين بفتح الصاد وشدها وفتح الدال وهي قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقراءة عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه وهي اختيار ابي عبيدة لانها اشهر اللغات وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الصدفين
بضم الصاد والدال وقرا عاصم في رواية ابي بكر الصدفين بضم الصاد وسكون الدال نحو الحرق والحرق
وقرا ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال وقرا قتادة بين الصدفين بفتح الصاد وسكون الدال
وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتناوحان **قوله تعالى** قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال
اتوني افرغ عليه قطرا اي على زبر الحديد بالاكيار وذلك انه كان يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة
ثم توقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمي والحديد اذا اوقد عليه صار كالنار فذلك قوله حتى اذا جعله
نارا ثم يوتى بالنحاس المذاب او بالرصاص او والحديد بحسب الخلاف في القطر فيفرغه على تلك الطاقة
المنضدة فاذا التام واشتد ولصق البعض بالبعض استانف رصف طاقة اخرى الى ان استوى العمل
فصار جبلا صلدا قال قتادة هو كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله اني رايت سد ياجوج وماجوج قال كيف رايته قال
رايته كالبرد المحبر طريقة صفراء وطريقة حمراء وطريقة سوداء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
رايته حتى اذا جعله نارا اي كالنار ومعنى اتوني افرغ عليه قطرا اي اعطوني قطرا افرغ عليه على التقديم
والتاخير ومن قرا ائتوني فالمعنى عنده تعالى افرغ عليه قطرا او القطر عند اكثر المفسرين النحاس المذاب
واصله من القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الماء وقالت فرقة القطر الحديد المذاب وقالت
فرقة منهم ابن الانباري الرصاص المذاب وهو مشتق من قطر يقطر ومنه وارسلنا له عين القطر
قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا اي ما استطاع ياجوج وما
جوج ان يعلوه ويصعدوا فيه لانه املس مستو مع الجبل والجبل عال لا يرام وارتفاع السد مائتا ذراع
وخمسون ذراعا وروي في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ وفي عرضه خمسون فرسخا قاله
وهب بن منبه وما استطاعوا له نقبا لبعد عرضه وقوته وروي في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد وهيب بيده تسعين وفي رواية
وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها وذكر يحيى بن سلام عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن ابي رافع عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا
يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم
واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كانوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا ان
فستحفرونه غدا ان شاء الله فيعودون وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس الحديث
وقد تقدم قوله فما اسطاعوا بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور وقيل هي لغة بمعنى استطاعوا بعينه
كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا اسطاعوا وحذف بعضهم منه الطاء فقال
استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهي لغة مشهورة وقرا حمزة وحده فما اسطاعوا بتشديد
الطاء كانه اراد استطاعوا ثم ادغم التاء في الطاء فشددها وهي قراءة ضعيفة الوجه قال ابو علي هي
غير جائزة وقرا الاعمش فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا بالتاء في الموضعين
قوله تعالى قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا
القائل ذو القرنين واشار بهذا الى الردم والقوة عليه والانتفاع به في دفع ضرر ياجوج وماجوج وقرا
ابن ابي عبلة هذه رحمة قوله تعالى فاذا جاء وعد ربي اي يوم القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي
مستويا بالارض ومنه قوله تعالى اذا دكت الارض دكا قال ابن عرفة اي جعلت مستوية لا اكمة فيها ومنه
قوله تعالى جعله دكا قال اليزيدي اي مستويا يقال ناقة دكاء اذا ذهب سنامها وقال القتبي اي
جعله مدكوكا ملصوقا بالارض وقال الكلبي قطعا متكسرا قال

هل غير غاد دك غارا فانهدم

وقال الازهري يقال دككته اي دققته ومن قرا
دكاء اراد جعل الجبل ارضا دكاء وهي الرابية التي لا تبلغ ان تكون جبلا وجمعها دكاوات قرا عاصم
وحمزة والكسائي دكاء بالمد على التشبيه بالناقة الدكاء التي لا سنام لها وفي الكلام حذف
تقديره جعله مثل دكاء ولا بد من تقدير هذا الحذف لان السد مذكور فلا يوصف بدكاء ومن قرا دكا

سد ياجوج وماجوج

يوم صدر دك بدك اذا هدم ورض ويحتمل ان يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال وكذلك
النصب ايضا في قراءة من مد يحتمل الوجهين **قوله تعالى** وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض
ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا الضمير في تركنا لله اي تركنا الجن والانس يوم القيامة
يموج بعضهم في بعض وقيل تركنا ياجوج وماجوج يومئذ اي وقت كمال السد يموج بعضهم في بعض واستعار
الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض وقيل تركنا ياجوج وماجوج يوم انفتاح السد يموجون
في الدنيا مختلطين لكثرتهم قال المؤلف رحمه الله فهذه ثلاثة اقوال اظهرها اوسطها وابعدها اخرها
وحسن الاول لانه تقدم ذكر القيامة في تاويل قوله فاذا جاء وعد ربي والله اعلم قوله تعالى ونفخ في الصور
تقدم في الانعام فجمعناهم جمعا يعني الانسان والجن في عرصات القيامة وعرضنا جهنم اي ابرزناها
لهم يومئذ عرضا الذين كانت اعينهم موضع خفض نعت للكافرين في غطاء عن ذكري اي هم بمنزلة من
عينه مغطاة فلا ينظر الى دلائل الله عز وجل وكانوا لا يستطيعون سمعا اي لا يطيقون ان يسمعوا
كتاب الله فهو بمنزلة من صم **قوله تعالى** افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء
انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا اي ظن وقرا علي وعكرمة ومجاهد وابن محيصن افحسب باسكان السين
وضم الباء اي كفاهم ان يتخذوا عبادي يعني عيسى والملائكة وعزيرا من دوني اولياء ولا اعاقبهم ففي
الكلام حذف وقال الزجاج المعنى افحسبوا ان ينفعهم ذلك انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا
قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم
القيامة وزنا **المسالة الاولى** قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين فيه دلالة على ان
من الناس من يعمل العمل وهو يظن انه محسن وقد حبط سعيه والذي يوجب احباط السعي اما فساد الاعتقاد
او المراياة والمراد هنا الكفر وروى البخاري عن مصعب قال سالت ابي عن قوله قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا اهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى اما اليهود فكذبوا محمدا واما النصارى فكفروا
بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان
سعد يسميهم الفاسقين والاية معناها التوبيخ اي قل لهم يا محمد هؤلاء الكفرة الذين عبدوا غيري
يخيب سعيهم واملهم غدا فهم الاخسرون اعمالا وهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا في عبادة من سواي قال ابن عباس يريد كفار اهل مكة وقال علي هم الخوارج اهل
حروراء وقال مرة هم الرهبان اصحاب الصوامع وروي ان ابن الكواء ساله عن الاخسرين اعمالا فقال
له انت واصحابك قال ابن عطية ويضعف هذا كله قوله تعالى بعد ذلك اولئك الذين كفروا بايات
ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم وليس من هذه الطوائف من يكفر بلقاء الله والبعث والنشر وانما هذه
صفة مشركي عبادة الاوثان وذكر علي وسعد اقواما اخذوا بحظهم من صدر الاية واعمالا نصب على التمييز
وحبطت قراءة الجمهور بكسر الباء وقرا ابن عباس حبطت بفتحها **الثانية** قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا قراءة الجمهور نقيم بنون العظمة وقرا مجاهد بياء الغائب يريد فلا يقيم الله عز وجل وقرا عبيد بن عمير
فلا يقوم ويلزمه ان يقرا وزن وكذلك قرا مجاهد يقوم لهم يوم القيامة وزن قال عبيد بن عمير يؤتى يوم
القيامة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة قال المؤلف رحمه الله هذا لا يقال
مثله من جهة الراي وقد ثبت معناه مرفوعا في صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرؤوا ان شئتم
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا والمعنى انه لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة بالعذاب ولا حسنة لهم توزن
في موازين يوم القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار وقال ابو سعيد الخدري يؤتى باعمال كجبال تهامة فلا
تزن شيئا وقيل يحتمل ان يريد المجاز والاستعارة كانه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله اعلم وفي هذا الحديث
من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم بل يدل على كثرة الاكل
الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الحبر
السمين ومن حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم قرني ثم الذين يلونهم قال عمران

فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا ثم ان من بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن وهذا ذم وسبب ذلك ان السمن المكتسب انما هو من كثرة الاكل والشره والدعة والراحة والامن والاسترسال مع النفس على شهواتها فهو عبد نفسه لا عبد ربه ومن كان هذا حاله وقع لا محالة في الحرام وكل لحم تولد عن سحت فالنار اولى به وقد ذم الله تبارك وتعالى الكفار بكثرة الاكل فقال والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فاذا كان المؤمن يتشبه بهم ويتنعم بتنعمهم في احواله وازمانه فاين حقيقة الايمان والقيام بوظائف الاسلام ومن كثر اكله وشربه كثر نهمه وحرصه وزاد بالليل كسله ونومه فكان نهاره هائما وليله نائما وقد مضى في الاعراف هذا المعنى وتقدم فيها ذكر الميزان وان له كفتان يوزن فيهما صحائف الاعمال فلا معنى للاعادة وقال صلى الله عليه وسلم حين ضحكوا من حمش ساق ابن مسعود وهو يصعد النخلة اتضحكون من ساق يزن بعمل اهل الارض فدل هذا على ان الاشخاص توزن ذكره الغزنوي

قوله تعالى ذلك جزاؤهم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ذلك اشارة الى ترك الوزن وهو في موضع رفع بالابتداء جزاؤهم خبره وجهنم بدل من المبتدأ الذي هو ذلك وما في قوله بما كفروا مصدرية والهزو الاستخفاف والسخرية وقد تقدم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها واعلاها وافضلها وارفعها وقال ابو امامة الباهلي الفردوس سرة الجنة وقال كعب ليس في الجنان جنة اعلى من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا نبشر الناس قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة وقال مجاهد الفردوس البستان بالرومية وقال الفراء هو عربي والفردوس حديقة في الجنة وفردوس اسم روضة دون اليمامة والجمع فراديس قال امية بن ابي الصلت الثقفي

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة … فيها الفراديس والفومان والبصل

والفراديس موضع بالشام وكرم مفردس اي معرش خالدين فيها اي دائمين لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون تحولا عنها الى غيرها والحول بمعنى التحويل قاله ابو علي وقال الزجاج حال من مكانه حولا كما يقال عظم عظما قال ويجوز ان يكون من الحيلة اي لا يحتالون منزلا غيرها وقال الجوهري التحول التنقل من موضع الى موضع والاسم الحول ومنه قوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا **قوله تعالى** قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا نفد الشيء اذا فرغ وتم وقد تقدم ولو جئنا بمثله مددا اي زيادة على البحر عددا او وزنا وفي مصحف ابي مدادا على التمييز او الحال وقال ابن عباس قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا وكيف وقد اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فنزلت قل لو كان البحر مدادا الاية وقيل قالت اليهود انك اوتيت الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم زعمت انك لا علم لك بالروح فقال الله تعالى قل وان اوتيتم القران واوتيتم التوراة فهي بالنسبة الى كلمات الله قليلة قال ابن عباس كلمات ربي اي مواعظ ربي وقيل عنى بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهى وهو وان كان واحدا فيجوز ان يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فوائد الكلمات ولانه ينوب منابها فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيما وقال الاعشى

ووجه نقي اللون صاف يزينه … مع الجيد لبات لها ومعاصم

فعبر باللبات عن اللبة وفي التنزيل نحن اولياؤكم وانا نحن نزلنا الذكر وانا لنحن نحيي ونميت وكذلك ان ابراهيم كان امة قانتا لانه ناب مناب امة وقيل اي ما نفدت العبارات والدلالات التي تدل على مفهومات معاني كلامه سبحانه وقال السدي اي ان كان البحر مدادا لنفد قبل ان تنفد صفات الجنة التي هي دار الثواب وقال عكرمة لنفد البحر قبل ان تنفد ثواب من قال لا اله الا الله ونظير هذه الاية ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم وقرا حمزة والكسائي قبل ان ينفد بالياء لتقدم الفعل **قوله تعالى** قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا

الفردوس فانه وسط الجنة

ولا يشرك بعبادة ربه احدا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي اي لا اعلم الا ما يعلمني الله وعلم الله لا يحصى وانما امرت ان ابلغكم بانه لا اله الا الله فمن كان يرجو لقاء ربه اي يرجو رؤيته وثوابه ويخشى عقابه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ابن عباس نزلت في جندب بن زهير العامري قال يا رسول الله اني اعمل العمل لله واريد به وجه الله الا انه اذا اطلع عليه سرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه فنزلت فقال طاوس قال رجل يا رسول الله اني احب الجهاد في سبيل الله واحب ان يرى مكاني فنزلت وقال مجاهد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر ذلك مني واحمد عليه فيسرني واعجب به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا فانزل الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المؤلف رحمه الله والكل مراد والاية تعم ذلك وغيره من الاعمال وقد تقدم في هود حديث ابي هريرة الصحيح في الثلاثة الذين يقضى عليهم اول الناس وقد تقدم في سورة النساء الكلام على الريا وذكرنا من الاخبار هناك ما فيه كفاية وقال الماوردي وقال جميع اهل التاويل معنى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا انه لا يرائي بعمله احدا وروى الترمذي الحكيم رحمه الله في نوادر الاصول قال حدثنا ابي رحمه الله قال حدثنا مكي بن ابراهيم قال حدثنا عبد الواحد بن زيد عن عبادة بن نسي قال اتيت شداد بن اوس في مصلاه وهو يبكي فقلت ما الذي ابكاك يا ابا عبد الرحمن قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ رايت بوجهه امرا ساءني فقلت بابي وامي يا رسول الله ما الذي ارى بوجهك قال امرا اتخوفه على امتي من بعدي قلت وما هو قال الشرك والشهوة الخفية قلت يا رسول الله وتشرك امتك من بعدك قال يا شداد اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكنهم يراؤون باعمالهم قلت يا رسول الله والريا شرك هو قال نعم قلت فما الشهوة الخفية قال يصبح احدهم صائما فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر قال عبد الواحد فلقيت الحسن فقلت يا ابا سعيد اخبرني عن الريا اشرك هو قال نعم اما تقرا فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وروى اسمعيل بن اسحق قال حدثنا محمد بن ابي بكر قال حدثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن شهر بن حوشب قال كان عبادة بن الصامت وشداد بن اوس جالسين فقالا انا نتخوف على هذه الامة من الشرك والشهوة الخفية فاما الشهوة الخفية فمن قبل النساء وقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى صلاة يرائي بها فقد اشرك ومن صام صياما يرائي به فقد اشرك ثم تلا فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المؤلف رحمه الله وقد جاء تفسير الشهوة الخفية بخلاف هذا وقد ذكرناه في النساء وقال سهل بن عبد الله وسئل الحسن عن الاخلاص والريا فقال من الاخلاص ان تحب ان تكتم حسناتك ولا تحب ان تكتم سيئاتك فان اظهر الله عليك حسناتك تقول هذا من فضلك واحسانك ليس هو من فضلي ولا من صنيعي وتذكر قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا الاية يؤتون الاخلاص وهم يخافون ان لا يقبل منهم واما الريا فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا قيل له كيف يكون هذا قال من طلب بعمل بينه وبين الله سوى وجه الله والدار الاخرة فهو ريا وقال علماؤنا وقد يفضي الريا بصاحبه الى استهزاء الناس كما حكي ان طاهر بن الحسين قال لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق يا ابا عبد الله فقال دخلت العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صائم فقال يا ابا عبد الله سالناك عن مسالة فاجبتنا عن مسالتين وحكى الاصمعي ان اعرابيا صلى فاطال والى جانبه قوم فقالوا ما احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك صائم اين هذا من قول الاشعث بن قيس وقد صلى فخفف فقيل له انك خففت فقال انه لم يخالطها ريا فخلص من تنقصهم بنفي الريا عن نفسه والتصنع من صلاته وقد تقدم في النساء دواء الريا من قول لقمان وانه كتمان العمل وروى الترمذي الحكيم حدثنا ابي رحمه الله قال انبانا الجمالي قال انبانا ابن المبارك عن ليث عن شيخ عن معقل بن يسار قال قال ابو بكر وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو فيكم اخفى من دبيب النمل وسادلك على شيء اذا فعلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك شيئا وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم تقولها ثلاثا وقال عمر بن قيس الكندي سمعت معاوية تلا هذه الاية على المنبر فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فقال انها لاخر اية نزلت من السماء وقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم اوحي الي انه من قرا فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا رفع له نور ما بين عدن ابين الى

مكة حشوها الملايكة يصلون عليه ويستغفرون له وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا اول سورة الكهف واخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض
الى السماء وعن ابن عباس انه قال له رجل اني اضمر ان اقوم ساعة من الليل فيغلبني النوم فقال اذا اردت
ان تقوم اية ساعة شئت من الليل فاقرا اذا اخذت مضجعك قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر الى اخرها فان الله يوقظك متى شئت من الليل ذكره في الفضايل الثعلبي رحمه الله وفي مسند
الدارمي ابي محمد اخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن عبدة عن زر بن حبيش قال من قرا اخر سورة الكهف
لساعة من يريد يقوم من الليل قامها قال عبدة فجربناه فوجدناه كذلك قال ابن العربي كان شيخنا
الطرطوسي الاكبر يقول لا تذهب بكم الازمان في مصاولة الاقران ومواصلة الاخوان وقد
ختم سبحانه البيان بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

سورة مريم عليها السلام تسعون وثمان ايات

ولما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش ان ثاركم بارض الحبشة فاهدوا الى النجاشي
وابعثوا اليه رجلا من ذوي رايكم لعله يعطيكم من عنده من قريش فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار
قريش عمرو بن العاص وعبد الله ابن ابي ربيعة وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعثتهما فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري وكتب معه الى النجاشي فقدم على النجاشي فقرا كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين وارسل الى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم امر جعفر ان
يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم كهيعص وقاموا تفيض اعينهم من الدمع فهم الذين انزل الله فيهم ولتجدن
اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى الى الشاهدين ذكره ابو داود وفي السيرة فقال النجاشي
هل معك مما جاء به من الله شيء قال جعفر نعم فقال له النجاشي فاقراه علي فقرا كهيعص قال فبكى والله النجاشي
حتى اخضلت لحيته وبكت اساقفتهم حتى اخضلوا الحاهم حين سمعوا ما يتلى عليهم فقال النجاشي ان هذا والذي
جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا وذكر تمام الخبر بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى كهيعص تقدم الكلام في اوايل السور وقال ابن عباس في كهيعص ان الكاف من كاف والهاء
من هاد والياء من حليم والعين من عليم والصاد من صادق ذكره ابن عزيز القشيري عن ابن عباس معناه
كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم بهم صادق في وعده وذكره الثعلبي عن الكلبي والسدي
ومجاهد والضحاك وقال الكلبي ايضا الكاف من كريم وكبير وكاف والهاء من هاد والياء من رحيم والعين
من عليم وعظيم والصاد من صادق والمعنى واحد وعن ابن عباس ايضا هو اسم الله تعالى وعن علي رضي الله عنه
هو اسم الله عز وجل وكان يقول يا كهيعص اغفر لي ذكره الغزنوي وقال السدي هو اسم الله الاعظم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وقال قتادة هو اسم من اسماء القران ذكره عبد الرزاق عنه وقيل
هو اسم للسورة وهو اختيار القشيري في اوايل الحروف وعلى هذا قيل تمام الكلام عند قوله كهيعص فانه اعلام
باسم السورة كما تقول كتاب كذا او باب كذا ثم تشرع في المقصود وقرا ابو جعفر هذه الحروف متقطعة ووصلها
الباقون واما ابو عمرو الهاء وفتح الياء ابن عامر وحمزة على العكس واما لهما جميعا الكسائي وابو بكر وخلف
وقراهما بين اللفظين اهل المدينة نافع وغيره وفتحهما الباقون وعن خارجة ان الحسن كان يضم كاف
وحكى غيره انه كان يضمها وحكى اسمعيل بن اسحق ان الحسن كان يضم يا قال ابو حاتم لا يجوز ضم الكاف
ولا الهاء ولا الياء قال النحاس قراءة اهل المدينة من احسن ما في هذا والامالة جايزة في هاء وفي ياء
واما قراءة الحسن فقد اشكلت على جماعة حتى قالوا لا يجوز منهم ابو حاتم والقول فيها ما بينه هرون
القاري قال كان الحسن يشم الرفع فمعنى هذا انه يومي كما حكى سيبويه ان من العرب من يقول الصلاة
والزكاة يومي الى الواو ولهذا كتبنا في المصحف بالواو واظهر الدال نافع وابن كثير وعاصم ويعقوب
وهو اختيار ابي عبيد وادغمها الباقون **قوله تعالى** ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى
ربه نداء خفيا فيه ثلاث مسايل **الاولى** قوله تعالى ذكر رحمة ربك في موضع ذكر ثلاثة اقوال قال
الفراء هو مرفوع بكهيعص قال الزجاج هذا محال لان كهيعص ليس هو مما انبانا الله به عن زكريا وقد
خبر الله تعالى عنه وعن ما بشر به وليس كهيعص وقال الاخفش التقدير فيما نقص عليكم ذكر رحمة ربك والقول

هو اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اعطى

الثالث ان المعنى هذا الذي نتلوه عليكم ذكر رحمة ربك رفع باضمار اي هذا ذكر رحمة ربك وقرا الحسن
ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك وقرا ذكره على الامر ورحمه بالنصب وقف
عليها وكذلك كل ما كان مثلها لا اختلاف فيها بين النحويين واعتلوا في ذلك ان هذه الها لتانيث
الاسما فرقا بينها وبين الافعال **الثانية** قوله تعالى عبده قال الاخفش هو منصوب برحمة وزكريا
بدل منه كما تقول هذا ذكر ضرب زيد عمرا فعمرا منصوب بالضرب كما ان عبده منصوب بالرحمة
وقيل هو على التقديم والتاخير معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمة فعبده منصوب بالذكر قاله
الزجاج والفراء وقرا بعضهم عبده زكريا بالرفع وهي قراءة ابي العالية وقرا يحيى بن يعمر ذكر
بالنصب على معنى هذا القران من ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقد تقدمت اللغات والقراءة في
زكريا في ال عمران **الثالثة** قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا مثل قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية
وقد تقدم والدعا النداء والرغبة اي ناجى ربه بذلك في محرابه لدليله قوله فنادته الملايكة وهو قايم
يصلي في المحراب بين انه استجاب له في صلاته كما نادى في الصلاة واختلف في اخفايه هذا النداء فقيل
اخفاه من قومه ليلا يلام على مسالة الولد عند كبر السن ولانه امر دنيوي فان اجيب فيه نال بغيته وان
لم يجب لم يعرف احد بذلك وقيل مخلصا فيه لم يطلع الا الله وقيل لما كانت الاعمال الخفية افضل وابعد
من الريا اخفاه وقيل خفيا سرا من قومه في جوف الليل والكل محتمل والله اظهر والله اعلم وقد تقدم ان
المستحب من الدعا الاخفاء في سورة الاعراف وهذه الاية نص في ذلك لانه سبحانه اثنى بذلك على زكريا
وروى اسمعيل قال اخبرنا مسدد قال حدثنا يحيى بن سعيد عن اسامة بن زيد عن محمد بن عبد الرحمن
وهو ابن ابي كبشة عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان خير الذكر الخفي وخير
الرزق ما يكفي وهذا عام وقال يونس بن عبيد وكان الحسن يرى ان يدعوا الامام في القنوت ويومن من
خلفه من غير رفع صوت وتلى يونس اذ نادى ربه نداء خفيا قال ابن العربي وقد اسر مالك القنوت
وجهر به الشافعي والجهر به افضل لان النبي كان يدعو به جهرا **قوله تعالى** قال رب اني وهن العظم مني
فيه مسيلتان **الاولى** قرئ وهن بالحركات الثلاث اي ضعف يقال وهن يهن وهنا اي ضعف فهو واهن
وقال ابن زيد يقال وهن يهن ووهن يوهن وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنايه
فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراه اوهن ووحده لان
الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصد الى ان هذا الجنس الذي هو دون القوام واشد ما تركب
منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن
كلها **الثانية** قوله تعالى واشتعل الراس شيبا ادغم السين في الشين ابو عمرو وهذا من احسن الاستعارة
في كلام العرب والاشتعال انتشار شعاع النار فشبه به انتشار الشيب في الراس يقول شخت وضعفت
واضاف الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا
عليه السلام وشيبا في نصبه وجهان احدهما انه مصدر لان معنى اشتعل شاب وهذا قول الاخفش
وقال الزجاج هو منصوب على التمييز وقال النحاس قول الاخفش اولى لانه مشتق من فعل فالمصدر اولى به
والشيب مخالطة الشعر الابيض الاسود **الثالثة** قال العلما يستحب للمرء ان يذكر نعم الله تعالى عليه وما
يليق بالخضوع لان قوله وهن العظم مني اظهار للخضوع وقوله ولم اكن بدعايك رب شقيا اظهار لعادات
تفضله في اجابته ادعيته اي لم اكن بدعايي اياك شقيا اي لم تكن تخيب دعايي اذ دعوتك اي انك عودتني
الاجابة فيما مضى يقال شقي بكذا اي تعب فيه ولم يحصل مقصوده وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال
انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته **قوله تعالى** واني
خفت الموالي من وراي الى قوله وليا فيه سبع مسايل **الاولى** قوله تعالى واني خفت قرا عثمان بن عفان
ومحمد بن علي وعلي بن الحسين ويحيى بن يعمر رضي الله عنهم خفت بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء
وسكون الياء من الموالي لانه في موضع رفع بخفت ومعناه انقطعت اي بالموت وقرا الباقون
خفت بكسر الخاء وسكون الفاء وضم التاء ونصب الياء من الموالي لانه في موضع نصب بخفت والموالي
هنا الاقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب والعرب تسمي بني العم الموالي قال
الشاعر مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنشروا بيننا ما كان مدفونا

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة خاف ان يرثوا ماله وان يرثه الكلالة فاشفق ان يرثه غير الولد وقالت
طائفة انما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان يضيع الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده حكى
هذا القول الزجاج وعليه فلم يسال من يرث ماله اذ الانبياء لا تورث وهذا هو الصحيح من القولين
في تاويل الاية والله اعلم وانه عليه السلم اراد وراثة العلم نبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة وفي كتاب ابي داود وان العلماء
ورثة الانبيا وان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم وسياتي لهذا مزيد بيان
عند قوله يرثني **الثانية** هذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى وورث سليمان
داود وعبارة عن قول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وتخصيص للعموم في ذلك
فان سليمان لم يرث من داود مالا خلفه بعده وانما ورث منه الحكمة والعلم وكذلك ورث يحيى
من آل يعقوب هكذا قال اهل العلم بتاويل القرآن ما عدا الروافض والا ما روي عن الحسن انه قال
يرثني مالا ويرث من آل يعقوب النبوة والحكمة وكل قول يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو مدفوع مهجور قاله ابو عمر وقال ابن عطية والاكثر من المفسرين على ان زكريا انما اراد وراثة
المال ويحتمل قول النبي عليه السلم انا معاشر الانبيا لا نورث ان لا يريد به العموم بل على انه غالب
امرهم فتامله والاظهر الاليق بزكريا عليه السلام ان يريد وراثة العلم والدين فتكون الوراثة مستعارة
الا ترى انه لما طلب وليا ولم يخصص ولدا بلغه الله امله على اكمل الوجوه وقال ابو صالح وغيره وقوله من
آل يعقوب يريد العلم والنبوة **الثالثة** قوله تعالى من وراءي قرا ابن كثير بالمد والهمز وفتح الياء وعنه
انه قرا ايضا مقصورا مفتوح الياء مثل عصاي الباقون بالهمز والمد وسكون الياء والقراءة على قراءة
خفت مثل نمت الا ما ذكرنا عن عثمان وهي قراءة شاذة بعيدة جدا حتى زعم بعض العلماء انها لا تجوز قال
كيف تقول خفت الموالي من بعدي اي من بعد موتي وهو حي قال النحاس والتاويل لها ان لا يعني بقوله
من وراءي من بعد موتي ولكن من ورائي في ذلك الوقت وهذا ايضا بعيد محتاج الى دليل انهم خفوا
في ذلك الوقت وقلوا وقد اخبر الله تعالى بما يدل على الكثرة حين قالوا ايهم يكفل مريم وقال ابن عطية
من ورائي من بعدي في الزمن فهو الوراء على ما تقدم في الكهف **الرابعة** قوله تعالى وكانت امراتي
عاقرا امراته هي اشياع بنت فاقوذ بن قبيل وهي اخت حنة بنت فاقوذ قاله الطبري وحنة هي ام مريم
حسب ما تقدم في آل عمران بيانه وقال القتبي امراة زكريا هي اشياع بنت عمران فعلى هذا القول
لا يكون يحيى بن خالة عيسى على الحقيقة وعلى القول الآخر يكون ابن خالة امه وفي حديث الاسرا قال
عليه السلم فلقيت ابني الخالة يحيى وعيسى شاهدا للقول الاول والله اعلم والعاقر التي لا تلد لكبر سنها
وقد مضى في آل عمران بيانه والعاقر من النسا التي لا تلد من غير كبر ومنه قوله تعالى ويجعل من يشا عقيما
وكذلك العاقر من الرجال ومنه قول ــــــــ عامر بن الطفيل

لبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ جبانا فما عذري لدى كل محضر

الخامسة قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا سؤال ودعا ولم يصرح بولد لما علم من حاله وبعده عنه
بسبب المراة قال قتادة جرى له هذا الامر وهو ابن بضع وتسعين سنة وقال مقاتل خمس وتسعون
سنة وهو اشبه فقد كان غلب على ظنه انه لا يولد له لكبره ولذلك قال وقد بلغت من الكبر عتيا
وقالت طائفة بل طلب الولد ثم طلب ان تكون الاجابة في الولد لكن يخترم ولا يتحصل منه الغرض **السادسة**
قال العلما دعا زكريا عليه السلم في الولد انما كان لاظهار دينه واحيا نبوته ومضاعفة لاجره لا للدنيا
وكان ربه قد عوده الاستجابة ولذلك قال ولم اكن بدعائك رب شقيا اي بدعائي اياك وهذه
وسيلة حسنة ان يتشفع اليه بنعمه ويستدر فضله بفضله يروى ان حاتم الجود لقيه رجل فساله فقال
له حاتم من انت فقال انا الذي احسنت اليه عاما اول فقال مرحبا بمن تشفع الينا بنا فان قيل كيف
اقدم زكريا على مسالة ما يخرق العادة دون اذن فالجواب ان ذلك جائز في زمان الانبياء وفي القرآن
ما يكشف عن هذا المعنى فانه تعالى قال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم
انى لك هذا قالت هو من عند الله فلما راى خارق العادة استحكم طمعه من اجابة دعوته فقال تعالى
هنالك دعا زكريا ربه الاية **السابعة** ان قال قائل هذه الاية تدل على جواز الدعا بالولد والله تعالى

انه عليه السلام اراد وراثة العلم لا وراثة المال

قد حذرنا من آفات الاموال والاولاد ونبه على المفاسد الناشية من ذلك فقال انما اموالكم واولادكم
فتنة وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فالجواب ان الدعا بالولد معلوم من الكتاب
والسنة حسب ما تقدم في آل عمران بيانه ثم ان زكريا عليه السلم تحرز فقال ذرية طيبة وقال واجعله
رب رضيا والولد اذا كان بهذه الصفة نفع ابويه في الدنيا والآخرة وخرج من حد العداوة والفتنة الى
حد المسرة والنعمة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لانس خادمه فقال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيه فدعا له بالبركة تحرزا مما يؤدي اليه الاكثار من الهلكة وهكذا فليتضرع العبد الى مولاه
في هداية ولده ونجاته اولاه واخراه اقتداء بالانبيا والفضلا الاوليا وقد تقدم في آل عمران والحمد لله
قوله تعالى يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا فيه اربع مسائل **الاولى** قوله
يرثني قرا اهل الحرمين والحسن وعاصم وحمزة والكسائي يرثني ويرث بالرفع فيهما وقرا يحيى بن يعمر وابو عمرو
ويحيى بن وثاب والاعمش والكسائي بالجزم فيهما وليس هما جواب هب على مذهب سيبويه انما تقديره
ان تهب يرثني ويرث والاول اصوب في المعنى لانه طلب وارثا موصوفا اي هب من لدنك الولي هذه
حاله وصفته لان الاولياء منهم من لا يرث فقال هب الذي يكون وارثي قاله ابو عبيد ورد قراءة الجزم
قال لان معناه ان وهبت ورث وكيف اخبر الله عز وجل بهذا وهو اعلم به قال النحاس وهذه حجة متقصاة
لان جواب الامر عند النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة تقول اطع الله يدخلك الجنة اي ان تطعه يدخلك
الجنة **الثانية** قال النحاس فاما معنى يرثني ويرث من آل يعقوب فللعلما فيه ثلاثة اجوبة قيل هي
وراثة نبوة وقيل هي وراثة حكمة وقيل هي وراثة مال فاما قولهم وراثة نبوة فمحال لان النبوة
لا تورث ولو كانت تورث لقال قائل الناس ينتسبون الى نوح صلى الله عليه وسلم وهو نبي مرسل ووراثة
العلم والحكمة مذهب حسن وفي الحديث العلما ورثة الانبيا واما وراثة المال فلا يمتنع وان كان قد
انكروه لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة فهذا لا حجة فيه لان الواحد يخبر عن نفسه
باخبار الجمع وقد تؤول هذا بمعنى لا نورث الذي تركناه صدقة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخلف شيئا يورث
عنه وانما كان الذي اباحه الله عز وجل في حياته بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
لان معنى لله لسبيل الله ومن سبيل الله ما يكون في مصلحة الرسول صلى الله عليه وسلم ما دام حيا فان
قيل ففي بعض الروايات انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة ففيه التاويلان جميعا ان يكون
ما بمعنى الذي والآخر لا نورث من كانت هذه حاله وقال ابو عمر اختلف العلماء في تاويل قوله عليه
السلم لا نورث ما تركنا صدقة على قولين احدهما وهو الاكثر وعليه الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يورث وما تركه صدقة والآخر ان نبينا عليه السلام لم يورث لان الله تعالى خصه بان جعل ماله كله
صدقة زيادة في فضيلته كما خص في النكاح باشيا اباحها له وحرمها على غيره وهذا القول قاله بعض
اهل البصرة منهم ابن علية وسائر علماء المسلمين على القول الاول **الثالثة** قوله تعالى من آل يعقوب
قيل هو يعقوب اسرائيل الله وكان زكريا متزوجا باخت مريم بنت عمران ويرجع نسبها الى يعقوب لانها من
ولد سليمان بن داود عليهما السلام من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا من ولد هرون اخي موسى وهرون
وموسى من ولد لاوي بن يعقوب وكانت النبوة في سبط يعقوب بن اسحق وقيل المعني بيعقوب هاهنا
يعقوب وعمران ابنا ماثان وبنو ماثان رؤسا بني اسرائيل قاله مقاتل وغيره وقال الكلبي وكان
آل يعقوب اخواله وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك وكان زكريا من ولد هرون بن عمران اخي
موسى وروى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته ولم ينصرف
يعقوب لانه اعجمي واجعله رب رضيا اي مرضيا في افعاله واقواله واخلاقه وقيل راضيا بقضائك
وقدرك وقيل رجلا صالحا ترضى عنه وقال ابو صالح نبيا كما جعلت اباه نبيا **قوله تعالى** يا زكريا
في الكلام حذف اي فاستجاب الله دعاءه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى فتضمنت هذه
البشرى ثلاثة اشيا احدها اجابة دعائه وهو كرامة الثاني اعطاؤه الولد وهو قوة الثالث ان تفرد بتسميته
وقد تقدم معنى هذه البشرى تسميته بيحيى في آل عمران وقال مقاتل سماه الله يحيى لانه حيي بين
اب شيخ وام عجوز وهذا فيه نظر لما تقدم من ان امراته كانت عقيما لا تلد والله اعلم **قوله تعالى**
لم نجعل له من قبل سميا اي لم نسم به احدا قبل يحيى بهذا الاسم قاله ابن عباس وقتادة وابن اسلم والسدي

ومن عليه تعالى بان لم يكل تسميته الى الابوين وقال مجاهد وغيره سميا معناه مثلا ونظيرا وهو مثل قوله تعالى هل تعلم له سميا وهذا كأنه من المساماة والسمو وهذا فيه بعد لانه لا يفضل على ابراهيم وموسى اللهم الا ان يفضل في خاص كالسودد والحصر على ما تقدم بيانه في آل عمران وقال ابن عباس معناه لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل ان الله اشترط القبل لانه اراد ان يخلق بعده افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية دليل وشاهد على ان الاسامي الشنع جايزة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه واثره عن النبز حتى قال القائل

شنع الاسامي مسبلي أزر ... حمر تمس الارض بالهدب

وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت **قوله تعالى** قال رب انى يكون لي غلام ليس على معنى الانكار لما اخبر الله به على سبيل التعجب من قدرة الله ان يخرج ولدا من امراة عاقر وشيخ كبير وقيل غير هذا مما تقدم في آل عمران بيانه وقد بلغت من الكبر عتيا وهو النهاية في الكبر واليبس والجفاف ومثله العسي قال الاصمعي عسا الشيء يعسو عسوا وعساء ممدودا اي يبس وصلب وعسا الشيخ يعسو عسيا ولى وكبر مثل عتا يقال عتا الشيخ يعتو عتيا كبر وولى وعتوت يا فلان تعتو عتوا وعتيا والاصل عتو لانه من ذوات الواو فابدلوا من الواو ياء لانها اختها وهي اخف منها والآيات على الياءات ومن قال عتيا كره الضمة مع الكسرة والياء وقال الشاعر

انما يعذر الوليد ولا ... يعذر من كان في الزمان عتيا

وقرأ ابن عباس عسيا وهي كذلك في مصحف ابي وقرأ يحيى بن وثاب وحمزة والكسائي وحفص عتيا بكسر العين وكذلك جثيا وصليا حيث كن وضم حفص بكيا خاصة وكذلك الباقون في الجميع وهما لغتان وقيل عتيا قسيا يقال ملك عات اذا كان قاسي القلب **قوله تعالى** قال كذلك قال ربك هو علي هين اي قال له الملك كذلك قال ربك والكاف في موضع رفع اي الامر كذلك اي كما قيل لك هو علي هين قال الفراء اي خلقه علي هين وقد خلقتك من قبل يحيى وهذه قراءة اهل المدينة والبصرة وعاصم وقرأ سائر الكوفيين وقد خلقناك بالف ونون بالجمع على التعظيم والقراءة الاولى اشبه بالسواد ولم تك شيا اي كما خلقك الله بعد العدم ولم تك شيا موجودا فهو القادر على خلق يحيى وايجاده **قوله تعالى** قال رب اجعل لي آية طلب آية على حملها بعد بشارة الملايكة اياه وبعد قول الله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا زيادة طمانينة اي تمم النعمة بان تجعل لي آية وتكون تلك الآية زيادة نعمة وكرامة وقيل طلب آية تدل على البشارة منه بيحيى لا من الشيطان لان ابليس اوهمه ذلك قاله الضحاك وهو معنى قول السدي وهذا فيه نظر لاخبار الله تعالى ان الملايكة نادته حسب ما تقدم في آل عمران قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا تقدم في آل عمران بيانه **قوله تعالى** فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب اي اشرف عليهم من المصلى والمحراب ارفع المواضع واشرف المجالس وكانوا يتخذون المحاريب فيما ارتفع من الارض دليله محراب داود على ما ياتي واختلف الناس في اشتقاقه فقالت فرقة هو ماخوذ من الحرب بفتح الراء كان ملازمه يحارب الشيطان والشهوات وقالت فرقة هو ماخوذ من الحرب بفتح الراء كان ملازمه يلقى منه حربا وتعبا ونصبا **الثانية** هذه الآية تدل على ان ارتفاع امامهم على الماموين كان مشروعا عندهم في صلاتهم وقد اختلف في هذه المسألة فقهاء الامصار فاجاز ذلك الامام احمد بن حنبل وغيره متمسكا بقصة المنبر ومنع مالك ذلك في الارتفاع الكثير دون اليسير وعلل اصحابه المنع خوف الكبر على الامام قال المولف رحمه الله وهذا فيه نظر واحسن منه ما رواه ابو داود ان حذيفة ام الناس بالمداين على دكان فاخذ ابو مسعود بقميصه فجبذه فلما فرغ من صلاته قال الم تعلم انهم كانوا ينهون عن هذا قال بلى قد ذكرت حين مددتني وروي ايضا عن عدي بن ثابت الانصاري قال حدثني رجل انه كان مع عمار بن ياسر بالمداين فاقيمت الصلاة فتقدم عمار بن ياسر وقام على دكان يصلي والناس اسفل منه فتقدم حذيفة فاخذ على يديه فاتبعه عمار حتى انزله حذيفة فلما فرغ عمار من صلاته قال له حذيفة الم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ام الرجل القوم فلا يقم في مكان ارفع من

يعني

اشتقاق المحراب

محارب

معاهم

مقامهم او نحو ذلك فقال كذلك اتبعتك حين اخذت على يدي قال المولف رحمه الله فهذا الله من الصحابة قد اخبروا بالنهي عن ذلك ولم يحتج احد منهم على صاحبه بحديث المنبر فدل على انه منسوخ ومما يدل على نسخه ان فيه عملا زايدا في الصلاة وهو النزول والصعود فنسخ كما نسخ الكلام والسلام وهذا اولى مما اعتذر به اصحابنا من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من الكبر لان كثيرا من الايمة يوجد لا كبر عندهم ومنهم من علله بان ارتفاع المنبر كان يسيرا والله اعلم **الثالثة** قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا قال الكلبي والقرظي وقتادة وابن منبه اوحى اليهم اشار وقال القتبي اومى وقال مجاهد كتب على الارض وقال عكرمة في كتاب والوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول ذي الرمة

سوى الاربع الدهم اللواتي كانها ... بقية وحي في بطون الصحايف

وقال عنترة

كوحي صحايف من عهد كسرى ... فاهداها لاعجم طمطمي

بكرة وعشيا ظرفان وزعم الفراء ان العشي يونث ويجوز تذكيره اذا ابهمت قال وقد تكون العشي جمع عشية **الرابعة** قد تقدم الحكم في الاشارة في آل عمران واختلف علماونا فيمن حلف ان لا يكلم انسانا فكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا فقال مالك انه يحنث الا ان ينوي مشافهته ثم رجع فقال لا ينوي في الكتاب ويحنث الا ان يرتجع الكتاب قبل وصوله قال ابن القاسم اذا قرأ كتابه حنث وكذلك لو قرأ الحالف كتاب المحلوف عليه وقال اشهب لا يحنث اذا قراه الحالف وهذا بين لانه لم يكلمه ولا ابتداه بكلام الا ان يريد ان لا يعلم معنى كلامه فانه يحنث وعليه يخرج قول ابن القاسم فان حلف ليكلمنه لم يبر الا بمشافهته وقال ابن الماجشون وان حلف لين علم كذا ليعلمنه او ليخبرنه فكتب اليه او ارسل اليه رسولا بر ولو علماه جميعا لم يبر حتى يعلمه لان علمهما مختلف **الخامسة** اتفق مالك والشافعي والكوفيون ان الاخرس اذا كتب الطلاق بيده لزمه قال الكوفيون الا ان يكون رجلا صمت اياما فكتب لم يجز من ذلك شي قال الطحاوي الاخرس مخالف للصمت العارض كما ان العجز عن الجماع العارض كالمرض ونحوه يوما او نحوه مخالف للعجز المايوس منه الجماع نحو الجنون في باب خيار المراة في الفرقة **قوله تعالى** يا يحيى خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف فولد له وقال الله تعالى للمولود يا يحيى وهذا اختصار ما يدل الكلام عليه والكتاب التوراة بلا خلاف بقوة اي بجد واجتهاد وقاله مجاهد وقيل العلم به والحفظ له والعمل به وهو الالتزام لاوامره والكف عن نواهيه قاله زيد بن اسلم وقد تقدم في البقرة **قوله تعالى** وآتيناه الحكم صبيا قيل الاحكام والمعرفة بها وروى معمر ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقت فانزل الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال قتادة ابن سنتين او ثلث وقال مقاتل كان ابن ثلاث سنين وصبيا نصب على الحال وقال ابن عباس من قرأ القرآن قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكم صبيا وروي في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل بني آدم ياتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا وقال قتادة ان يحيى عليه السلام لم يعص الله قط بصغيرة ولا كبيرة ولا هم بامراة وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان للدمع في خديه مجار ثابتة وقد مضى الكلام في معنى قوله وسيدا وحصورا في آل عمران **قوله تعالى** وحنانا من لدنا حنانا عطف على الحكم روي عن ابن عباس انه قال والله ما ادري ما الحنان وقال جمهور المفسرين الحنان الرحمة والشفقة والمحبة وهو فعل من افعال النفس قال النحاس وفي معنى الحنان عن ابن عباس قولان احدهما قال يعطف الله عز وجل بالرحمة والقول الاخر ما اعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشرك واصله من حنين الناقة على ولدها ويقال حنانك وحنانيك يا رب بمعنى واحد يريد رحمتك قال امرو القيس

ويمنحها بنو شمجى بن جرم ... معيزهم حنانك ذا الحنان

وقال طرفة

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر اهون من بعض

قال الزمخشري حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقال

حنان ما اتى بك ها هنا ... اذو نسب ام انت بالحي عارف

قال ابن الاعرابي الحنان من صفة الله عز وجل مشددا الرحيم والحنان الرزق والبركة قال ابن عطية والحنان في كلام العرب ايضا ما عظم من الامور في ذات الله ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل في حديث

كان طعام يحيى العشب

بلال والله لين قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا وذكر هذا الخبر الهروي فقال وفي حديث بلال ومر عليه ورقة بن نوفل وهو يعذب فقال والله لين قتلتموه لاتخذنه حنانا اي لاتمسحن به وقال الازهري معناه لاتعطفن عليه ولاترحمن عليه لانه من اهل الجنة قال المولف رحمه الله فالحنان العطف ولذلك قال مجاهد وحنانا اي تعطفا منا عليه او منه على الخلق قال الخطيبة

تحنن علي هداك المليك   فان لكل مقام مقالا

وقال عكرمة محبه وحنة الرجل امراته لتوادهما قال الشاعر

فقالت حنان ما اتى بك هاهنا

قوله تعالى وزكاة الزكاة التطهير والبركة والتنمية في وجوه الخير والبر اي جعلناه مباركا للناس يهديهم وقيل المعنى زكيناه بحسن الثنا عليه كما يزكي الشهود انسانا وقيل زكاة صدقة به على ابويه قاله ابن قتيبة وكان تقيا اي مطيعا لله ولهذا لم يعمل خطيئة ولم يلم بها **قوله تعالى** وبرا بوالديه البر بمعنى البار وهو كثير البر والجبار المتكبر توصف يحيى عليه السلام بلين الجانب وخفض الجناح **قوله تعالى** وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه امان قال ابن عطية والاظهر عندي انها التحية المتعارفة فهي اشرف وانبه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان عنه وهي اقل درجاته وانما الشرف في ان الله سلم عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى الله وعظيم الهول قال المولف رحمه الله هذا قول حسن وقد ذكرنا معناه عن سفيان بن عيينة في سورة سبحان عند قتل يحيى وذكر الطبري عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا وهما ابنا الخالة فقال يحيى لعيسى ادع الله لي فانت خير مني فقال له عيسى بل انت ادع الله لي انت خير مني سلم الله عليك وانا سلمت على نفسي فانتزع بعض العلما من هذه الاية في التسليم فضل عيسى بان قال اذ لاله في التسليم على نفسه ومكانته من الله التي اقتضت ذلك حين قرر وحكى في محكم التنزيل اعظم في المنزلة من ان يسلم عليه قال ابن عطية ولكل وجه **قوله تعالى** واذكر في الكتاب مريم القصة الى اخرها هذه ابتداء قصة ليست من الاولى والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم اي عرفهم قصتها ليعرفوا كمال قدرتنا اذا انتبذت اي تنحت وتباعدت والنبذ الطرح والرمي قال الله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم ومن اهلها اي ممن كان معها واذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها والانتباذ الاعتزال والانفراد واختلف الناس لم انتبذت فقال السدي انتبذت لتطهر من حيض وقال غيره لتعبد الله وهذا حسن وذلك ان مريم عليها السلام كانت وقفا على سدانة المتعبد وخدمته والعبادة فيه فتنحت من الناس لذلك ودخلت في المسجد الى جانب المحراب في شرقيه لتخلو للعبادة فدخل عليها جبريل عليه السلم فقوله تعالى مكانا شرقيا اي مكانا من جانب الشرق والشرق بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس والشرق بفتح الراء الشمس وانما خص المكان بالشرق لانهم كانوا يعظمون جهة المشرق ومن حيث تطلع الانوار وكانت الجهات الشرقية من كل شي افضل من سواها حكاه الطبري وحكي عن ابن عباس انه قال اني لاعلم الناس لم اتخذ النصارى المشرق قبلة وقالوا لو كان شي من الارض لقول الله عز وجل اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة وقالوا لو كان شي من الارض خيرا من الشرق لوضعت مريم عيسى اليه واختلف الناس في نبوة مريم فقيل كانت نبية بهذا الارسال والمحاورة للملك وقيل لم تكن نبية وانما كلمها مثال بشر ورويتها للملك كما روي جبريل عليه السلام في صفة دحية حين سواله عن الايمان والاسلام والاول اظهر وقد مضى الكلام في هذا المعنى موعبا في ال عمران **قوله تعالى** فارسلنا اليها روحنا قيل هو روح عيسى لان الله خلق الارواح قبل الاجساد فركب الروح في جسد عيسى الذي خلقه في بطنها وقيل هو جبريل واضيف الروح الى الله تخصيصا وكرامة والظاهر انه جبريل لقوله فتمثل لها اي تمثل الملك لها بشرا تفسيرا وحال سويا اي مستوي الخلقة لانها لم تكن لتطيق ان تنظر الى جبريل في صورته ولما رات رجلا حسن الصورة في صورة البشر قد خرق عليها الحجاب ظنت انه يريدها بسوء قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي ان كنت ممن يتقي الله قال البكالي فنكص جبريل فزعا من ذكر الرحمن تبارك وتعالى قال الثعلبي كان صالحا فتعوذت منه

ان عيسى ويحيى التقيا وهما ابنا الخالة

تعجبا وقيل تقي فعيل بمعنى مفعول اي ان كنت ممن يتقى منه وفي البخاري قال ابو وايل علمت مريم ان التقي ذو نهية حين قالت ان كنت تقيا وقيل تقي اسم فاجر معروف في ذلك الوقت قاله وهب بن منبه حكاه مكي وغيره قال ابن عطية وهو ضعيف ذاهب مع التخرص فقال لها جبريل عليه السلم انما انا رسول ربك لاهب لك جعل الهبة من قبله لما كان الجيبة الاعلام بها من قبله وقرا ورش عن نافع ليهب على معنى ارسلني الله ليهب لك وقيل معنى لاهب بالهمز محمول على المعنى اي قال ارسلته لاهب لك ويحتمل ليهب بلا همز ان يكون بمعنى المهموز ثم خففت الهمزة فلما سمعت مريم ذلك من قوله استفهمت عن طريقه فقالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر اي بنكاح ولم اك بغيا اي زانية وذكرت هذا تاكيدا لان قولها لم يمسسني بشر يشمل الحلال والحرام وقيل ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيا ولكن ارادت كيف يكون هذا الولد من قبل زوج في المستقبل ام يخلقه الله ابتداء روي ان جبريل عليه السلم حين قاولها هذه المقاولة نفخ في جيب درعها وكمها قاله ابن جريج وقال ابن عباس اخذ جبريل ردن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى قال الطبري وزعمت النصارى ان مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وان عيسى عاش الى ان رفع اثنين وثلاثين سنة اياما وان مريم بقيت بعده ست سنين وكان جميع عمرها نيفا وخمسين سنة وقوله ولنجعله متعلق بمحذوف اي نخلقه لنجعله اية دلالة على قدرتنا عجيبة ورحمة لمن امن به وكان امرا مقضيا في اللوح مسطورا **قوله تعالى** فانتبذت به مكانا قصيا اي تنحت بالحمل الى مكان بعيد قال ابن عباس الى اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم بينه وبين ايلة اربعة اميال وانما بعدت فرارا من تعيير قومها اياها بالولادة من غير زوج قال ابن عباس ما هو الا ان حملت فوضعت في الحال وهذا هو الظاهر لان الله تعالى ذكر الانتباذ عقيب الولادة وقيل غير هذا على ما ياتي **قوله تعالى** فاجاءها المخاض الى جذع النخلة اجاءها بمعنى اضطرها وهو تعدية جاء بالهمز يقال جاء واجاءه الى موضع كذا كما يقال ذهب به واذهبه وقرا شبل ورويت عن عاصم فاجاها من المفاجاة وفي مصحف ابي اجاها المخاض قال زهير

وجار سار معتمدا اليكم   اجاته المخافة والرجا

وقرا الجمهور المخاض بفتح الميم وابن كثير بكسرها وهو الطلق وشدة الولادة واوجاعها مخضت المراة تمخض مخاضا ومخاضا وناقة ماخض اي دنا ولادها الى جذع النخلة كانها طلبت شيا تستند اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق والجذع ساق النخلة اليابسة في الصحراء الذي لا سعف عليه ولا غصن ولهذا لم يقل الى النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا تمنت مريم عليها السلم الموت من جهة الدين لوجهين احدهما انها خافت ان يظن بها الشر في الدين وتعير فيفتنها ذلك الثاني لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والنسبة الى الزنا وذلك مهلك وعلى هذا الحد يكون تمني الموت جايزا وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة يوسف عليه السلام قال المولف رحمه الله وسمعت ان مريم عليها السلم سمعت نداء من يقول اخرج يا من يعبد دون الله فحزنت لذلك وقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا النسي في كلام العرب الشي الحقير الذي شانه ان ينسى ولا يتالم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه وحكي عن العرب انهم اذا ارادوا الرحيل عن المنزل قالوا احفظوا انساكم الانسا جمع نسي وهو الشي الحقير يغفل وينسى ومنه قول الكميت

اتجعلنا جسر الكلب قضاعة   ولست بنسي في معد ولا دخل

وقال الفرا النسي ما تلقيه المراة من خرق اعتلالها تقول مريم نسيا منسيا اي حيضة ملقاة وقرى نسيا بفتح النون وقرا الكسائي نسيا بفتح النون من نساه الله في اجله وحكاها ابو الفتح عن محمد بن كعب وهما لغتان مثل الجسر والجسر والوتر والوتر وقرا محمد بن كعب القرظي بالهمز نسيا بكسر النون وقرا بكر بن حبيب نسا بشد السين وفتح النون دون همز وقد حكى الطبري في قصصها انها لما حملت بمريم حملت اختها ايضا بيحيى فجاءتها اختها زايرة فقالت يا مريم اشعرت اني حملت قالت لها واني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وذلك انها روي انها احست جنينها يخر براسه الى ناحية بطن مريم قال السدي فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وذكر ايضا من قصصها انها خرجت فارة مع رجل من بني اسرائيل يقال له يوسف النجار كان يخدم معها المسجد وطول في ذلك قال الكلبي قيل ليوسف وكانت سميت له انها حملت من الزنا فالان يقتلها الملك فهرب بها فهم في الطريق بقتلها فاتاه جبريل

وقال انه من روح القدس قال ابن عطية وهذا كله ضعيف وهذه القصة تقتضي انها حملت واستمرت حاملا على عادة البشر وتظاهرت الروايات بانها ولدته لثمانية اشهر قاله عكرمة ولذلك قيل لا يعيش ابن ثمانية اشهر حفظا لخاصة عيسى وقيل ولدته لسبعة وقيل لستة وما ذكرناه عن ابن عباس اصح واظهر والله اعلم **قوله تعالى** فناداها من تحتها قرئ بفتح الميم وكسرها قال ابن عباس المراد بمن جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها وقاله علقمة والضحاك وقتادة ففي هذا اية لها وامارة ان هذا من الامور الخارقة للعادة التي لله فيها مراد عظيم وقوله ان لا تحزني تفسير النداء وان مفسرة بمعنى اي المعنى فلا تحزني بولادتك قد جعل ربك تحتك سريا يعني عيسى والسري من الرجال العظيم الخصال السيد قال الحسن كان والله سريا من الرجال ويقال سري فلان على فلان اي تكرم وفلان سري من قوم سراة وقال الجمهور اشار لها الى الجدول الذي كان قريب جذع النخلة قال ابن عباس كان ذلك نهرا قد انقطع ماؤه فاجراه الله لمريم والنهر يسمى سريا لان الماء يسري فيه

قال الشاعر — سلم ترى الدالي منه ازورا ... اذا يعج في السري هرهرا

وقال لبيد — فتوسطا عرض السري فصدعا ... مسجورة متجاورا قلامها

وقيل ناداها عيسى وكان ذلك معجزة واية وتسكينا لقلبها والاول اظهر وقرا ابن عباس فناداها ملك من تحتها قالوا وكان جبريل في بقعة من الارض اخفض من البقعة التي كانت هي عليها **قوله تعالى** وهزي اليك بجذع النخلة فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وهزي امرها بهز الجذع اليابس لترى اية اخرى في احياء موات الجذع والباء في قوله بجذع النخلة زائدة مؤكدة كما يقال خذ بالزمام واعط بيدك وقال الله تعالى فليمدد بسبب الى السماء اي فليمدد سببا والمعنى وهزي اليك رطبا على جذع النخلة وتساقط اي تتساقط فادغم التاء في السين وقرا حمزة تساقط مخففا فحذف التي ادغمها غيره وقرا عاصم في رواية حفص تساقط بضم التاء مخففا وكسر القاف وقرئ تتساقط باظهار التاءين وتساقط بالياء بادغام التاء وتسقط ونسقط ويسقط الياء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراات ذكرها الزمخشري رطبا نصب بالهزاي اذا هززت الجذع هززت بهزه رطبا جنيا وعلى الجملة فرطبا يختلف نصبه بحسب معاني القراات لمرة يسند الفعل الى الجذع ومرة الى الهز ومرة الى النخلة وجنيا معناه قد طابت وصلحت للاجتناء وهو من جنيت الثمرة ويروي عن ابن مسعود ولا يصح انه قرا تساقط عليك رطبا جنيا برنيا وقال مجاهد كانت عجوة وقال ابن عباس الفضل سالت ابا عمرو بن العلا عن قوله رطبا جنيا فقال لم يذو وتفسيره لم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدي مجتنيه وهذا هو الصحيح وقال الفرا الجني والمجني واحد يذهب الى انهما بمنزلة القتيل والمقتول والجريح والمجروح وقال غير الفرا الجني المقطوع من نخلة والماخوذ من مكان نشاه وانشدوا

وطيب ثمار في رياض اريضة ... واشجار اغصان جناها على قرب

يريد بالجني ما يجني منها اي يقطع ويوخذ قال ابن عباس كان جذعا نخرا فلما هزت نظرت الى اعلا الجذع فاذا السعف قد طلع ثم نظرت الى الطلع قد خرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشدخ منه شي **الثانية** استدل بعض الناس من هذه الاية على ان الرزق وان كان محتوما فان الله قد وكل ابن ادم الى سعي ما فيه لانه امر مريم بهز الجذع لترى اية وكانت الاية تكون بان لا تهز **الثالثة** الامر بتكليف الكسب في الرزق سنة الله في عباده وان ذلك لا يقدح في التوكل خلافا لما يقوله جهال المتزهدة وقد تقدم هذا المعنى والخلاف فيه وقد كانت قبل ذلك ياتيها رزقها من غير تكسب كما قال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما ولدت امرت قال علماونا لما كان قلبها فارغا فرغ الله جارحتها عن النصب فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه واشتغل سرها بحديثه وامره وكلها الى كسبها وردها الى العادة بالتعلق بالاسباب في عباده حكى الطبري عن ابن زيد ان عيسى قال لها لا تحزني فقالت وكيف لا احزن وانت معي لا ذات زوج ولا مملوكة اي شي عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى انا اكفيك الكلام **الرابعة** قال الربيع ما للنفسا عندي خير من الرطب لهذه الاية ولو علم الله شيا هو افضل من الرطب للنفسا لاطعمه مريم ولذلك قالوا التمر للنفسا عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك

وقيل

وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ذكره الزمخشري وقال ابن وهب قال مالك قال الله تعالى رطبا جنيا الجني من التمر ما طاب من غير نقش ولا افساد والنقش ان ينقش في اسفل البسرة حتى ترطب فهذا مكروه يعني مالك ان هذا تعجل الشي قبل وقته فلا ينبغي لاحد ان يفعله وان فعله فاعل ما كان ذلك مجوزا لبيعه ولا حكما بطيبه وقد مضى هذا في الانعام والحمد لله وعن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع وان جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو قوله تعالى فكلي واشربي وقري عينا فكلي من الجني واشربي من السري وقري عينا برؤية الولد النبي وقرئ بفتح القاف قرا الجمهور وحكى الطبري قراءة وقري بكسر القاف وهي لغة نجد يقال قر عينا يقر ويقر بضم القاف وكسرها واقر الله عينه فقرت وهو ماخوذ من القر والقرة وهما البرد ودمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وضعف فرقة هذا وقالت الدمع كله حار فمعنى اقر الله عينه اي سكن الله عينه بالنظر الى من يحبه حتى تقر وتسكن وفلان قرة عيني اي نفسي تسكن بقربه وقال الشيباني وقري عينا معناه نامي حضها على الاكل والشرب والنوم قال ابو عمرو واقر الله عينه اي انام عينه واذهب سهره وعينا نصب على التمييز كقوله طبت نفسا والفعل في الحقيقة انما هو للعين فنقل ذلك الى ذي العين وينصب الذي كان فاعلا في الحقيقة على التفسير ومنه طبت نفسا وتفقات شحما وتصببت عرقا ومثله كثير **قوله تعالى** فاما ترين من البشر احدا فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تعالى فاما ترين الاصل في ترين ترايين فحذفت الهمزة كما حذفت من ترى ونقلت فتحتها الى الياء فصار ترايين ثم قلبت الياء الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان الالف المنقلبة عن الياء وياء التانيث فحذفت الالف لالتقا الساكنين فصار ترين ثم حذفت النون علامة للجزم لان ان حرف شرط وما صلة فبقي تري ثم دخلت نون التوكيد وهي مثقلة فكسرت ياء التانيث لالتقا الساكنين لان النون المثقلة بمنزلة نونين الاولى ساكنة فصار ترين وهذا على هذا النحو قول ابن دريد

اما تري راسي حاكي لونه ... وقول الافوه

اما ترى راسي ازري به الشيب ... وانما دخلت النون هاهنا بتوطئة ما كما يوطي لدخولها ايضا لام القسم وقرا طلحة وابو جعفر وشيبة ترين بسكون الياء وفتح النون خفيفة قال ابو الفتح وهي شاذة **الثانية** قوله تعالى فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا قاله ابن عباس وانس بن مالك وفي قراءة ابي بن كعب اني نذرت للرحمن صوما صمتا وروي عن انس عنه ايضا وصمتا بواو واختلاف اللفظين يدل على ان الحرف ذكر تفسيرا لا قرانا فاذا اتت معه واو فممكن ان يكون غير الصوم والذي تتابعت به الاخبار عن اهل الحديث ورواة اللغة ان الصوم هو الصمت لان الصوم امساك والصمت امساك عن الكلام وقيل هو الصمت الصوم المعروف وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم الا بالاشارة وعلى هذا تخرج قراءة انس وصمتا بواو وان الصمت كان عندهم في الصوم ملتزما كما لو نذر كما ان من نذر منا المشي الى البيت اقتضى ذلك الاحرام بالحج او العمرة ومعنى هذه الاية ان الله تعالى امرها على لسان جبريل او ابنها على الخلاف المتقدم بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها وتتبين الاية فتقوم عذرها وظاهر الاية انها ابيح لها ان تقول هذه الالفاظ التي في الاية وهو قول الجمهور وقالت فرقة معناه قولي بالاشارة لا بالكلام قال الزمخشري وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها **الثالثة** من التزم بالنذر ان لا يكلم احدا من الادميين فيحتمل ان يقال انه قربة فيلزم بالنذر ويحتمل ان يقال لا يجوز ذلك في شرعنا لما فيه من التضييق وتعذيب النفس كنذر القيام في الشمس ونحوه وعلى هذا كان نذر الصمت في تلك الشريعة لا في شريعتنا وقد امر ابن مسعود من نذر ذلك بالنطق بالكلام وهذا هو الصحيح لحديث ابي اسرائيل خرجه البخاري عن ابن عباس وقال ابن زيد والسدي كانت سنة الصيام عندهم الامساك عن الاكل والكلام قال المولف رحمه الله ومن سنتنا نحن في الصيام الامساك عن الكلام القبيح قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم وقال عليه السلام من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه **قوله تعالى** فاتت به قومها تحمله روي ان مريم لما اطمانت بما رات من الايات

ان الرزق وان كان محتوما يحتاج الى السعي

وعلمت ان الله سيبين عذرها اتت به تحمله من المكان القصي الذي كانت انتبذت فيه قال ابن عباس خرجت من عندهم حين تشرق الشمس وجاتهم عند الظهر ومعها صبي تحمله فكان الحمل والولادة في ثلث ساعات من النهار وقال الكلبي ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت اربعين يوما للنفاس ثم اتت قومها فلما راوها ومعها الصبي حزنوا وكانوا اهل بيت صالحين فقالوا منكرين لقد جيت شيئا فريا اي جيت بامر عظيم كالاتي بالشي يفتريه قال مجاهد فريا عظيما وقال سعيد بن مسعدة اي مختلقا مفتعلا يقال فريت وافريت بمعني واحد والولد من الزنا كالشي المفترى قال الله تعالى ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن اي بولد بقصد الحاقه بالزوج وليس منه يقال فلان يفري الفري اي يعمل العمل البالغ وقال ابو عبيدة الفري العجب النادر وقال الاخفش فريا عجيبا والفري القطع كانه مما يخرق العادة او يقطع القول بكونه عجيبا نادرا وقال قطرب الفري الجديد من الاسقية اي جيت بامر جديد بديع لم تسبقي اليه وقرا ابو حيوة شيئا فريا بسكون الراء وقال السدي ووهب لما اتت به قومها تحمله تسامع بذلك بنو اسرائيل فاجتمع رجالهم ونساؤهم فمدت امراة يدها اليها لتضربها فاجف الله شطرها فحملت كذلك وقال اخر ما اراها الا زنت فاخرسه الله فتحاما ها الناس من ان يضربوها او يقولوا لها كلمة توذيها وجعلوا يخفضون لها القول ويلينون فقالوا يا مريم لقد جيت شيئا فريا اي عظيما قال الراجز

قد اطعمتني دقلا حوليا　　مسوسا مدودا حجريا

قد كنت تفرين به الفريا　　اي تعظمينه

قوله تعالى يا اخت هرون اختلف الناس في معني هذه الاخوة ومن هرون فقيل هو هرون اخو موسي والمراد من كنا نظنها مثل هرون في العبادة تاتي بمثل هذا وقيل علي هذا كانت مريم من ولد هرون اخي موسي فنسبت اليه بالاخوة لانها من ولده كما يقال للتميمي يا اخا تميم وللعربي يا اخا العرب وقيل كان لها اخ من ابيها اسمه هرون وقال قتادة كان في ذلك الزمان هذا رجل صالح في ذلك الزمان تبع جنازته يوم مات اربعون الفا كلهم اسمه هرون وقال قتادة كان في ذلك الزمان في بني اسرائيل عابد منقطع الي الله عز وجل يسمي هرون فنسبوها الي اخوته من حيث كانت علي طريقته قبل اذ كانت موقوفة علي خدمة البيع اي يا هذه المراة الصالحة ما كنت اهلا لذلك وقال كعب الاحبار بحضرة عايشة ام المومنين ان مريم ليست باخت هرون اخي موسي فقالت له عايشة كذبت فقال لها يا ام المومنين ان كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قاله فهو اصدق وخير والا فاني اجد بينهما من المدة ستماية سنة قال فسكتت وفي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سالوني فقالوا انكم تقرؤن يا اخت هرون وموسي قبل عيسي بكذا وكذا فلما قدمت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بانبيايهم والصالحين قبلهم وقد جاء في بعض طرقه من غير الصحيح ان النصاري قالوا له اذ صاحبك يزعم ان مريم هي اخت هرون وبينهما من المدة ستماية سنة قال المغيرة فلم ادر ما اقول وذكر الحديث والمعني انه اسم وافق اسما ويستفاد من هذا جواز التسمية باسما الانبياء قال المولف رحمه الله فقد دل الحديث الصحيح انه كان بين موسي وهرون زمان مديد قال الزمخشري كان بينهما وبينه الف سنة او اكثر فلا يتخيل ان مريم كانت اخت موسي وهرون وان صح فكما قال السدي لانها كانت من نسله وكذا كما تقول للرجل من قبيلة يا اخا فلان ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم ان اخا صدا اذن ومن اذن فهو يقيم وهذا هو القول الاول قال ابن عطية وقالت فرقة بل كان في ذلك الزمان رجل فاجر اسمه هرون فنسبوها اليه علي جهة التعيير والتوبيخ ذكره الطبري ولم يسم قايله قال المولف رحمه الله ذكره الغزنوي عن سعيد بن جبير انه كان فاسقا مثلا في الفجور فنسبت اليه والمعني ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة فكيف جيت انت بها وهذا من التعريض الذي يقوم مقام التصريح وذلك يوجب عندنا الحد وسياتي في سورة النور القول فيه ان شا الله تعالي وهذا القول الاخير يرده الحديث الصحيح وهو نص صريح فلا كلام لاحد معه ولا غبار عليه وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان ابوك امرا سو قوله تعالي فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال ابو عبد الله فيه خمس مسايل الاولي قوله تعالي فاشارت التزمت مريم ما امرت به من ترك الكلام ولم يرد في هذه الاية انها نطقت باني نذرت للرحمن صوما وانما ورد بانها اشارت فيقوي بهذا قول من قال ان امرها بقولي انما اراد به الاشارة ويروي انهم لما اشارت الي الطفل قالوا استخفافها بنا اشد علينا من زناها ثم قالوا لها علي جهة التقرير كيف نكلم من كان في المهد صبيا وكان هنا ليس يراد بها المضي لان كل احد قد كان في المهد صبيا وانما هي في معني هو وقال ابو عبيدة كان هنا لغو كما قال

وجيران لنا كانوا كرام

وقيل هي بمعني الوجود والحدوث كقوله وان كان ذو عسرة وقد تقدم وقال ابن الاعرابي الانباري لا يجوز ان يقال زايدة وقد نصبت ولا ان يقال كان بمعني الحدوث والوقوع لاستغني فيه عن الخبر ويكتفي به والصحيح ان من في معني الجزاء وكان بمعني يكون والتقدير من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه كما تقول كيف اعطي من كان لا يقبل عطية اي من يكن لا يقبل والماضي قد يذكر بمعني المستقبل في الجزاء كقوله تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك جنات اي ان يشا يجعل وتقول من كان الي منه احسان كان مني اليه مثله اي من يكن منه الي احسان يكن مني اليه مثله والمهد قيل كان سريرا كالمهد وقيل المهد هنا حجر الام وقيل المعني كيف نكلم من سبيله ان ينوم في المهد لصغره فلما سمع عيسي كلامهم قال لهم من مرقده اني عبد الله الثانية فقيل كان عيسي يرضع فلما سمع كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكي علي يساره واشار اليهم بسبابته اليمني وقال اني عبد الله فكان اول ما نطق به الاعتراف بعبودية الله وربوبيته رد علي من غلا من بعده في شانه والكتاب الانجيل قيل اتاه في تلك الحالة الكتاب وفهمه وعلمه واتاه النبوة كما علم ادم الاسما وكان يصوم ويصلي وهذا في غاية الضعف علي ما نبينه في المسالة بعدها وقيل اي حكم لي بايتاء الكتاب والنبوة في الازل وان لم يكن الكتاب منزلا في الحال وهذا اصح وجعلني مباركا اي ذا بركات ومنافع في الدين والدعا اليه ومعلما له قال التستري وجعلني امر بالمعروف وانهي عن المنكر وارشد الضال وانصر المظلوم واغيث الملهوف واوصاني بالصلاة والزكاة اي لاوديهما اذا ادركني التكليف وامكنني اداوهما علي القول الاخير الصحيح ما دمت حيا ما في موضع نصب علي الظرف اي دوام حياتي وقوله تعالي وبرا بوالدتي قال ابن عباس لما قال وبرا بوالدتي ولم يقل بوالدي علم انه من جهة الله تعالي ولم يجعلني جبارا اي متعظما متكبرا يقتل ويضرب علي الغضب وقيل الجبار الذي لا يري لاحد عليه حقا شقيا اي خايبا من الخير قال ابن عباس عاقا وقيل عاصيا لربه وقيل لم يجعلني تاركا لامره فاشقي كما شقي ابليس لما ترك امره الثالثة قال مالك بن انس في هذه الاية ما اشدها علي اهل القدر اخبر عيسي عليه السلام بما قضي من امره وبما هو كاين الي ان يموت وقد روي في قصص هذه الاية عن ابن زيد وغيره انهم لما سمعوا كلام عيسي اذعنوا وقالوا ان هذا لامر عظيم وروي ان عيسي عليه السلام انما تكلم في طفوليته بهذه الاية ثم عاد الي حالة الاطفال حتي نشا علي حالة البشر الي ان بلغ مبلغ الصبيان فكان نطقه اظهار براة لا انه كان ممن يعقل في تلك الحالة وهو كما ينطق الله الجوارح يوم القيامة ولم ينقل انه دام نطقه ولا انه كان يصلي وهو ابن يوم او شهر ولو كان يدوم نطقه وتسبيحه ووعظه وصلاته في صغره من وقت الولادة لكان مثله مما لا ينكتم وهذا كله مما يدل علي فساد القول ويصرح بجهالة قايله ويدل ايضا علي انه تكلم في المهد خلافا لليهود والنصاري والدليل علي ذلك اجماع الفرق علي انها لم تحد وانما صح براتها من الزنا بكلامه في المهد ودلت هذه الاية ان الصلاة والزكاة وبر الوالدين كان واجبا علي الامم السالفة والقرون الماضية فهو مما ثبت حكمه ولم ينسخ في شريعة امره وكان عيسي عليه السلام في غاية التواضع ياكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس علي التراب وياوي حيث جنه الليل لا مسكن له صلي الله عليه وسلم الرابعة الاشارة بمنزلة الكلام وتفهم ما يفهم القول وكيف لا وقد اخبر تعالي عن مريم فقال فاشارت اليه وفهم منها القوم مقصودها وغرضها فقالوا كيف نكلم وقد مضي هذا في ال عمران مستوفا الخامسة قال الكوفيون لا يصح قذف الاخرس ولا لعانه وروي مثله عن الشعبي وبه قال الاوزاعي واحمد واسحاق وانما يصح القذف عندهم بصريح الزنا دون معناه وهذا لا يصح من الاخرس ضرورة فلم يكن قاذفا ولا يتميز بالاشارة الزنا من الوطي الحلال والشبهة قالوا واللعان عندنا شهادات وشهادة الاخرس لا تقبل بالاجماع قال ابن القصار قولهم ان القذف لا يصح الا بالتصريح فهو باطل بساير الالسنة ما عدا العربية فكذلك اشارة الاخرس وما ذكروه من الاجماع في شهادة الاخرس فغلط وقد نص مالك علي ان شهادته مقبولة اذا فهمت اشارته وانها تقوم مقام اللفظ بالشهادة واما مع القدرة فلا يقع منه الا باللفظ قال ابن المنذر والمخالفون يلزمون الاخرس الطلاق والبيوع وساير الاحكام فينبغي ان يكون القذف مثل ذلك قال المهلب وقد تكون الاشا

فكان الحمل والولادة في ثلث ساعات

وقد تكون في بعض المواضع اقوى من الكلام قوله تعالى والسلام علي اي السلامة علي من الله تعالى دليل على ان
الاشارة قال الزجاج ذكر السلام قبل هذا بغير الف ولام فحسن في الثانية ذكر الالف واللام وقوله يوم ولدت
يعني في الدنيا وقيل من همز الشيطان كما تقدم في آل عمران ويوم اموت يعني في القبر ويوم ابعث حيا
يعني في الاخرة لان له احوالا ثلاثا في الدنيا حيا وفي القبر ميتا وفي الاخرة مبعوثا فسلم في احواله كلها وهو معنى
قول الكلبي ثم انقطع كلامه في المهد حتى بلغ مبلغ الغلمان وقال قتادة ذكر لنا ان عيسى عليه
السلم راته امراة يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى للبطن الذي حملك والثدي
الذي ارضعت به فقال لها عيسى طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه وعمل به قوله تعالى
ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون اي ذلك الذي ذكرناه عيسى بن مريم فكذلك
اعتقدوه لا كما تقول اليهود انه لغير رشده وانه ابن يوسف النجار ولا كما قالت النصارى انه الاه او
ابن اله قول الحق قال الكسائي قول الحق نعت لعيسى اي ذلك عيسى ابن مريم وسمي قول الله كما سمي كلمة الله
والحق هو الله عز وجل وقال ابو حاتم المعنى هو قول الحق وقيل التقدير هذا الكلام قول الحق قال
ابن عباس يريد هذا كلام عيسى بن مريم عليه السلام قول الحق ليس بباطل واضيف القول الى
الحق كما قال وعد الصدق الذي كانوا يوعدون اي الوعد الصدق وقال ولدار الاخرة وقرا عاصم
وعبد الله بن عامر قول الحق بالنصب على الحال اي اقول قولا حقا والعامل معنى الاشارة في ذلك
الزجاج هو مصدر اي اقول قول الحق لان ما قبله يدل عليه وقيل مدح وقيل اغراء وقرا عبد الله قال
الحق وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى
واحد كالرهب والرهب والرهب الذي من نعت عيسى فيه يمترون اي يشكون اي ذلك عيسى بن
مريم الذي فيه يمترون القول الحق وقيل يمترون يختلفون ذكر عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن
قتادة في قوله ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم
اربعة نفر اخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال قوم هو الله هبط الى الارض فاحيى من
احيى وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان
منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين
للاخر قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى قال
الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا
فظهروا على المسلمين فذلك قول الله عز وجل ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس قال قتادة وهم الذين
قال الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم اختلفوا فيه فصاروا احزابا فهذا معنى قوله الذي فيه يمترون
بالتاء معجمة من فوق وهي قراءة ابي عبد الرحمن السلمي وغيره قال ابن عباس فمر بمريم ابن عمها ومعها ابنها
الى مصر فكانوا فيها اثنتي عشرة سنة حتى مات الملك الذي كانوا يخافونه ذكره الماوردي قال
المؤلف رحمه الله ووقع في تاريخ مصر فيما رايت وجاء في الانجيل الظاهر ان السيد المسيح لما ولد في بيت
لحم كان هيرودس في ذلك الوقت ملكا وان الله اوحى الى يوسف في الحلم وقال له قم خذ الصبي وامه
واذهب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك فان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه فقام من نومه
وامتثل امر ربه واخذ السيد المسيح ومريم امه وجاء الى مصر وفي حال مجيئه الى مصر نزل ببير البلسان
التي بظاهر القاهرة وغسلت ثيابه على ذلك الحجر فالبلسان لا يطلع ولا ينبت الا في تلك الارض
ومنه يخرج الدهن الذي يخالط الزيت الذي يعمد به النصارى ولذلك كانت قارورة واحدة في ايام
المصريين لها مقدار عظيم وتقع في نفوس النصارى مثل ملك القسطنطينية وملك صقلية وملك
الحبشة وملك النوبة وملك الافرنجية وغيرهم من الملوك عند ما تهاديهم به ملوك مصر موقعا جليلا
جدا ويكون احب اليهم من كل هدية لها قدر وفي تلك السفرة وصل السيد المسيح الى مدينة الاشمونين
وقسقام المعروفة الان بالمحرقة ولذلك يعظمها النصارى الى الآن ويحضرون اليها في عيد الفصح من
كل مكان لانها نهاية ما وصل اليها من ارض مصر ومنها عاد الى الشام والله اعلم قوله تعالى ما كان
لله اي ما كان ينبغي له ولا يجوز ان يتخذ من ولد من صلة للكلام اي ان يتخذ ولدا وان في موضع
رفع اسم كان اي ما كان من صفته اتخاذ الولد ثم نزه نفسه تعالى عن مقالتهم فقال سبحانه اذا

يكون له ولدا اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تقدم في البقرة مستوفى قوله تعالى وان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم قرا اهل المدينة وابن كثير وابو عمرو بفتح ان واهل الكوفة ان بكسر الهمزة
على انه مستانف يدل عليه قراءة ابي كن فيكون ان الله بغير واو وعلى العطف على قال اني عبد الله وفي الفتح اوجه
مذهب الخليل وسيبويه ان المعنى ولان الله ربي وربكم وكذا وان المساجد لله فان في موضع نصب عندهما واجاز
الفراء ان يكون في موضع خفض على حذف اللام واجاز ان يكون في موضع خفض بمعنى واوصاني بالصلاة
والزكوة وبان الله ربي وربكم واجاز الكسائي ان تكون في موضع رفع بمعنى والامر ان الله ربي وربكم وفيها
قول خامس حكى ابو عبيد ان ابا عمرو بن العلا قال وهو ان يكون المعنى وقضى ان الله ربي وربكم فهي معطوفة على
قوله امرا من قوله تعالى اذا قضى امرا والمعنى اذا قضى امرا وقضى ان الله ولا يبتدا بان على هذا التقدير ولا
على التقدير الثالث ويجوز الابتداء بها على الاوجه الباقية فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي دين قويم
لا اعوجاج فيه قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم من زائدة اي اختلف الاحزاب بينهم وقال
قتادة اي ما بينهم فاختلفت الفرق من اهل الكتاب في امر عيسى فاليهود بالقدح والسحر والنصارى
قالت النسطورية منهم هو ابن الله والملكية ثالث ثلثة واليعقوبية قالت هو الله فافرطت النصارى
وغلت وفرطت اليهود وقصرت وقد تقدم هذا في النسا وقال ابن عباس المراد بالاحزاب الذين تحزبوا
على النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهود
يوم القيامة والمشهد بمعنى المصدر والشهود الحضور ويجوز ان يكون الحضور لهم ويضاف الى الظرف
لوقوعه فيه كما يقال ويل لفلان من قتال يوم كذا اي من حضوره ذلك اليوم وقيل المشهد بمعنى الموضع
الذي يشهد فيه الخلائق كالمحشر للموضع الذي يحشر اليه الخلق وقيل فويل للذين كفروا من حضورهم المشهد
العظيم الذي اجتمعوا فيه للتشاور فاجمعوا على الكفر بالله وقولهم ان الله ثالث ثلاثة قوله تعالى
اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين قال ابو العباس العرب تقول هذا
في موضع التعجب فتقول اسمع بزيد وابصر بزيد ما اسمعه وابصره قال فمعناه انه عجب نبيه منهم قال
الكلبي لا احد اسمع منهم يوم القيامة ولا ابصر حين يقول الله لعيسى انت قلت للناس اتخذوني الاية
وقيل اسمع بمعنى الطاعة اي ما اطاعوهم لله ذلك اليوم لكن الظالمون اليوم يعني الدنيا في ضلال مبين
اي ضلال ابين من ان يعتقد المرء في شخص مثله حملته الارحام واكل وشرب واحدث واحتاج انه اله
ومن هذا وصفه فهو اصم اعمى ولكنه سيبصر ويسمع في الاخرة اذا راي ولكن لا ينفعه ذلك قال معناه
قتادة وغيره قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر روي عن عبد الله بن مسعود انه قال
ما من احد يدخل النار الا وله بيت في الجنة فيتحسر عليه وقيل تقع الحسرة اذا اعطي كتابه بشماله او قضي الامر
اي فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار جاء بالموت يوم القيامة كانه
كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون
نعم هذا الموت قال ثم يقال يا اهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا
الموت قال فيومر به فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيها ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون خرجه البخاري
بمعناه وابن ماجه من حديث ابي هريرة والترمذي عن ابي سعيد يرفعه وقال فيه حديث حسن
صحيح وقد ذكرنا ذلك في التذكرة وبينا هناك ان الكفار مخلدون بهذا الحديث والاي ردا على من قال
ان صفة الغضب تنقطع وان ابليس ومن اتبعه من الكفرة كفرعون وهامان واشباههما يدخلون الجنة
قوله تعالى انا نحن نرث الارض اي نميت سكانها فنرثها والينا يرجعون يوم القيامة فيجازي
كلا بعمله وقد تقدم هذا في الحجر وغيره قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
نبيا المعنى واذكر في الكتاب الذي انزل اليك وهو القرآن ومنه ابراهيم وخبره وقد تقدم معنى الصديق في
النساء واشتقاق الصدق في البقرة فلا معنى للاعادة ومعنى الاية اقرا عليهم يا محمد في القرآن امر ابراهيم فقد
عرفوا انهم من ولده فانه كان حنيفا مسلما وما كان يتخذ الانداد فهؤلاء لم يتخذون الانداد وهو كما قال
ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه قوله تعالى اذ قال لابيه وهو آزر وقد تقدم يا ابت

تقدم القول فيه في يوسف لم تعبد اي لاي شي تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا يريد الاصنام
يا ابت اني قد جاءني من العلم اي من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت وان من عبد غير الله عذب
فاتبعني الي ما ادعوك اليه اهدك صراطا سويا اي ارشدك الي دين مستقيم فيه النجاة يا ابت لا تعبد الشيطان
اي لا تطعه فيما يامرك من الكفر ومن اطاع شيا في معصية فقد عبده ان الشيطان كان للرحمن عصيا كان
صلة زايدة وقيل بمعني صار وقيل بمعني الحال اي هو للرحمن وعصيا وعاص بمعني واحد قاله الكساي يا ابت
اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن اي ان مت علي ما انت عليه ويكون اخاف بمعني اعلم ويجوز ان يكون اخاف علي
بابها ويكون المعني اني اخاف ان تموت علي كفرك فيمسك العذاب فيكون للشيطان وليا اي قرينا في النار قال
اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي اترغب عنها الي غيرها لين لم تنته لارجمنك قال الحسن يعني بالحجارة
الضحاك بالقول اي لاشتمنك وقال ابن عباس لاضربنك وقيل لاظهرن امرك واهجرني مليا قال ابن
عباس اي اعتزلني وقال سالم العرض لا يصيبك مني معرة واختاره الطبري فقوله مليا علي هذا حال من ابرهيم
وقال الحسن ومجاهد مليا دهرا طويلا ومنه قول مهلهل

فتصدعت صم الجبال لموته … وبكت عليه المرملات مليا

قال الكساي يقال هجرته مليا وملوة وملوة وملاوة وملاوة فهو علي هذا القول ظرف وهو بمعني الملاوة
من الزمان وهو الطويل منه قوله تعالى قال سلام عليك لم يعارضه ابراهيم عليه السلم بسوء الرد لانه لم
يومر بقتاله علي كفره والجمهور علي ان المراد بسلامه المسالمة التي هي المتاركة لا التحية قال الطبري معناه
امنة مني لك وعلي هذا لا يبدا الكافر بالسلام وقال النقاش حليم خاطب سفيها كما قال واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وقال بعضهم في معني تسليمه هو تحية مفارق وجوز تحية الكافر وان يبدا بها قيل
قيل لابن عيينة هل يجوز السلام علي الكافر فقال نعم قال الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين وقال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وقال ابراهيم لابيه سلام عليك قال المولف رحمه الله
الاظهر من الاية ما قاله سفيان بن عيينة وفي الباب حديثان صحيحان روي ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا تبدوا اليهود والنصاري بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروه الي اضيقه خرجه
مسلم وفي الصحيحين عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عليه اكاف تحته قطيفة فركبه
واردف وراءه اسامة بن زيد وهو يعود سعد بن معاذ في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتي
مر في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفيهم عبد الله بن ابي بن سلول وفي
المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردايه ثم قال لا تغبروا
علينا فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فالاول يفيد ترك السلام عليهم ابتداء لان ذلك اكرام والكافر
ليس اهله والحديث الثاني يجوز ذلك قال الطبري ولا يعارض ما رواه اسامة بحديث ابي هريرة فانه
ليس في احدهما خلاف للاخر وذلك ان حديث ابي هريرة مخرجه العموم وحديث اسامة يبين ان معناه
الخصوص وقال النخعي اذا كانت لك حاجة الي يهودي او نصراني فابداه بالسلام فبان بهذا ان حديث
ابي هريرة لا تبدوهم بالسلم اذا كان بغير سبب يدعوكم الي ان تبدوهم من قضاء ذمام او حاجة تعرض
لكم قبلهم او حق صحبة او جوار او سفر قال الطبري قد روي عن السلف انهم كانوا يسلمون علي اهل الكتاب
وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في طريقه قال علقمة فقلت له يا ابا عبد الرحمن اليس يكره ان يبدوا بالسلم
قال نعم ولكن حق الصحبة وكان ابو امامة اذا انصرف الي بيته لا يمر بمسلم ولا نصراني ولا صغير ولا
كبير الا سلم عليه فقيل له في ذلك فقال امرنا ان نفشوا السلم وسيل الاوزاعي عن مسلم مر بكافر فسلم
عليه فقال ان سلمت فقد سلم الصالحون قبلك وان تركت فقد ترك الصالحون قبلك وروي عن الحسن
البصري انه قال اذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم قال المولف رحمه الله وقد يحتج اهل المقالة
الاولي بان السلام الذي معناه التحية انما خص به هذه الامة لحديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله اعطي امتي ثلاثا لم يعط احدا قبلهم السلم وهي تحية اهل الجنة ذكره الترمذي الحكيم
في نوادر الاصول وقد مضي في الفاتحة بسنده ومضي الكلام في معني قوله ساستغفر لك ربي وارتفع السلم
بالابتداء وجاز ذلك مع نكرته لانه نكرة مخصصة فقربت المعرفة قوله تعالى انه كان بي حفيا
الحفي المبالغ في البر والالطاف يقال حفي به وتحفي اذا بره وقال الكساي يقال حفا به حفاوة وحفوة وقال

جوز تحية الكافر
وان يبدا بها قبل

الفرا انه كان بي حفيا اي عالما لطيفا يجيبني اذا دعوته قوله تعالى واعتزلكم العزلة المفارقة وقد تقدم
في الكهف بيانها وقوله تعالى عسي ان لا اكون بدعاء ربي شقيا قيل اراد بهذا الدعاء في ان يهب الله له اهلا
وولدا يتقوي بهم حتي لا يستوحش بالاعتزال عن قومه ولهذا قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبنا له اسحق ويعقوب اي انسنا وحشته بولد عن ابن عباس وغيره وقيل عسي يدل علي ان العبد لا يقطع
بانه يبقي علي المعرفة ام لا في المستقبل وقيل دعا لابيه بالهداية فعسي شك لانه كان لا يدري هل
يستجاب له فيه ام لا والاول اظهر وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي اثنينا حسنا لان جميع الملل يحسن
الثنا عليهم واللسان يذكر ويونث وقد تقدم قوله تعالى واذكر في الكتاب موسى اي واقرا عليهم
من القران قصة موسي انه كان مخلصا اي في عبادته غير مراءي وقرا اهل الكوفة بفتح اللام اي اخلصناه
فجعلناه مختارا وناديناه اي كلمناه ليلة الجمعة من جانب الطور الايمن اي يمين موسي وكانت الشجرة في
جانب الجبل عن يمين موسي حين اقبل من مدين الي مصر قاله الطبري وغيره فان الجبال لا يمين لها ولا شمال
وقربناه نجيا نصب علي الحال اي كلمناه من غير وحي وقيل ادنيناه لتقريب المنزلة حتي كلمناه وذكر وكيع و
قبيصة عن سفيان عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل وقربناه
نجيا قال ادني حتي سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا وذلك حين سال فقال واجعل
لي وزيرا من اهلي هرون اخي قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد فيه ست مسايل
الاولي قوله اسمعيل اختلف فيه فقيل هو اسمعيل بن حزقيل بعثه الله الي قومه فسلخوا جلدة راسه فخيره الله فيما
شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض امرهم اليه في عفوه وعقوبته والجمهور انه اسمعيل الذبيح
ابو العرب بن ابرهيم وقد قيل ان الذبيح اسحاق والاول اظهر علي ما تقدم وياتي في الصافات ان شا الله
وخصه الله تعالى بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبيا تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو
الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور الموصوف من خصاله الثانية صدق الوعد محمود من خلق النبيين
والمرسلين وضده وهو الخلف مذموم وذلك من اخلاق الفاسقين والمنافقين علي ما تقدم بيانه في براءة
وقد اثني الله علي نبيه اسمعيل فوصفه بصدق الوعد واختلف في ذلك فقيل انه وعد من نفسه بالصبر علي الذبح
فصبر حتي فدي هذا في قول من يري انه الذبيح وقيل وعد رجلا ان يلقاه في موضع فجاء اسمعيل وانتظر
الرجل يومه وليلته فلما كان من الغد جاء فقال له ما زلت هاهنا في انتظارك منذ امس وقيل انتظره ثلاثة
ايام وقد فعل مثله نبينا صلى الله عليه وسلم قبل بعثه ذكره النقاش وخرجه الترمذي وغيره عن عبد الله بن
ابي الحمسا قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في
مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتي لقد شققت علي انا هاهنا انتظرك
منذ ثلاث لفظ ابي داود وقال يزيد الرقاشي انتظره اسمعيل اثنين وعشرين يوما ذكره الماوردي وفي
كتاب ابن سلام انه انتظره سنة ذكره الزمخشري عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره
سنة وذكر القشيري قال فلم يبرح من مكانه سنة حتي اتاه جبريل فقال ان التاجر الذي سالك ان
تقعد له حتي يعود هو ابليس فلا تقعد ولا كرامة له فهو بعيد لا يصح وقيل ان اسمعيل لم يعد شيا الا وفي
وهذا اصح وهو الذي يقتضيه ظاهر الاية والله اعلم الثالثة من هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم العدة دين
وفي الاثر واي المومن واجب اي في اخلاق المومنين وانما قلنا ان ذلك ليس بواجب فرضا لاجماع العلما
علي ما حكاه ابن عمر ان من وعد بمال ما كان ليضرب به مع الغرما فلذلك قلنا ايجاب الوفا به حسن مع
المروة ولا يقضي به والعرب تمتدح بالوفا وتذم بالخلف والغدر وكذلك ساير الامم ولقد احسن
القايل

متي ما يقل حر لطالب حاجة … نعم يقضها والحر للواي ضامن

ولا خلاف ان الوفا يستحق صاحبه الحمد والشكر وعلى الخلف الذم وقد اثني الله علي من صدق وعده ووفا بنذره
وكفي بهذا مدحا وثناء وبما خالفه ذما الرابعة قال مالك اذا سال الرجل ان يهب له الهبة فيقول له نعم
ثم يبدو له ان لا يفعل فما اري يلزمه قال مالك ولو كان ذلك في قضاء دين فساله ان يقضيه عنه فقال
نعم وثم رجال يشهدون عليه فما احراه ان يلزمه اذا شهد عليه اثنان وقال ابو حنيفة والاوزاعي
والشافعي وساير الفقها ان العدة لا يلزم منها شي لانها منافع لم يقبضها في العارية لانها طارية وفي غير
العارية هي اشخاص واعيان موهوبة لم يقبض فلصاحبها الرجوع فيها وفي البخاري واذكر في الكتاب اسمعيل

انه كان صادق الوعد وقضي ابن اشوع بالوعد وذكر ذلك عن سمرة بن جندب قال البخاري ورايت اسحق
بن ابراهيم يحتج بحديث ابن اشوع **الخامسة** قوله وكان رسولا نبيا قيل ارسل اسمعيل الي جرهم وكل
الانبياء كانوا اذا وعدوا صدقوا وخص اسمعيل بالذكر تشريفا والله اعلم **السادسة** وكان يامر اهله
قال الحسن يعني امته وفي حرف ابن مسعود وكان يامر اهله جرهم وولده بالصلاة والزكاة وكان عند ربه
مرضيا اي رضيا زكيا صالحا قال الكسائي والفرا قال مرضي بناه علي رضيت قال واهل الحجاز يقولون مرضو
الكسائي والفرا من العرب من يقول رضوان ورضيان فرضوان علي مرضو ورضيان علي مرضي ولا يجيز البصريون
الا رضوان وربوان قال النحاس سمعت الزجاج يقول يخطئون في الخط فيكتبونه بالياء ثم يخطئون فيما هو اشد
من هذا فيقولون ربوان ورضوان قال الله تعالي وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس **قوله تعالي**
واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ادريس عليه السلام اول من خط بالقلم واول من خاط
الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها وسمي ادريس لكثرة درسه كتاب
الله وانزل عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث ابي ذر قال الزمخشري قيل سمي ادريس لكثرة درسه كتاب
الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية
وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل علي العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون
ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرائل كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت
منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معني ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا
من الدرس قال الثعلبي والغزنوي وغيرهما هو جد نوح وهو خطا وقد تقدم في الاعراف بيانه وكذا وقع
في السيرة ان نوحا عليه السلم بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس النبي فيما يزعمون وكان اول
اول بني ادم اعطي النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن ادم صلي الله عليه وسلم
قوله تعالي **ورفعناه مكانا عليا** قال انس بن مالك وابو سعيد الخدري وغيرهما يعني السما الرابعة
وروي ذلك عن النبي صلي الله عليه وسلم وقاله كعب الاحبار وقال ابن عباس يعني السما السادسة ذكره المهدوي
قال المؤلف رحمه الله ووقع في البخاري من حديث شريك بن عبد الله قال سمعت انس بن مالك يقول قال ليلة
اسري برسول الله من مسجد الكعبة الحديث وفيه كل سماء فيها انبياء قد سماهم منهم ادريس في الثانية وهو وهم
والصحيح انه في السما الرابعة كذلك رواه ثابت البناني عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ذكره مسلم في الصحيح
وروي مالك بن صعصعة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما عرج بي الي السما اتيت علي ادريس في
السما الرابعة خرجه مسلم ايضا وكان سبب رفعه علي ما قال ابن عباس وكعب الاحبار وغيرهما انه سار ذات
يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب انا مشيت يوما فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف
عنه يعني الملك الموكل بفلك الشمس يقول ادريس اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه من حرها فلما اصبح
الملك وجد من خفة الشمس والظل ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه فقال
الله تعالي اما ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب اجمع بيني وبينه
واجعل بيني وبينه خلة فاذن الله له حتي اتي ادريس وكان ادريس يساله فقال اخبرت انك اكرم الملائكة
وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليوخر اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يوخر الله نفسا اذا
جا اجلها فقال للملك قد علمت ذلك ولكنه اطيب لنفسي قال نعم ثم حمله ملك الشمس علي جناحه فرفعه
الي السما ووضعه عند مطلع الشمس ثم قال لملك الموت لي صديق من بني ادم تشفع بي اليك لتوخر اجله فقال
ليس ذلك الي ولكن ان احببت علمه اعلمته متي يموت قال نعم ثم نظر في ديوانه فقال انك تسالني عن انسان
ما اراه يموت ابدا قال فكيف قال لا اجده يموت الا عند مطلع الشمس قال فاني تركته
قال انطلق فما اراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من اجل ادريس شي فرجع الملك فوجده ميتا وقال
السدي انه نام ذات يوم واشتد عليه حر الشمس فقام وهو منها في كرب فقال اللهم خفف عن ملك الشمس
واعنه فانه يمارس نارا حامية فاصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور وعنده سبعون الف ملك عن
يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يا رب من اين لي هذا قال
دعا لك رجل من بني ادم يقال له ادريس ثم ذكر نحو حديث كعب قال فقال له ملك الشمس اتريد حاجة قال
نعم وددت اني لو رايت الجنة قال فرفعه علي جناحه ثم طار فبينما هو في السماء الرابعة التقي بملك الموت

سبب رفع ادريس الي السماء

ينظر

ينظر في السماء يمينا وشمالا فسلم عليه ملك الشمس وقال يا ادريس هذا ملك الموت فسلم عليه فقال ملك
الموت سبحان الله ولاي معني رفعته ها هنا قال رفعته لاريه الجنة قال فان الله امرني ان اقبض روح
ادريس في السماء الرابعة قلت يا رب واين ادريس من السماء الرابعة قلت يا رب واين ادريس من السما الرابعة
ثم نزلت فاذا هو معك فقبض روحه ورفعها الي الجنة ودفنت الملائكة جثته في السما الرابعة فذلك
قوله ورفعناه مكانا عليا وقال وهب بن منبه كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض
في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في زيارته فاذن له فاتاه في صورة
ادمي وكان ادريس يصوم النهار فلما كان وقت فطره دعاه الي طعامه فابي ان ياكل ففعل به ذلك ثلاث
ليال فانكره ادريس وقال له من انت قال انا ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك فاذن لي فقال ان
لي اليك حاجة قال وما هي قال ان تقبض روحي فاوحي الله ان اقبض روحه فقبضه ورده الله اليه بعد
ساعة فقال له ملك الموت ما الفايدة في قبض روحك قال لاذوق كرب الموت فاكون له اشد استعدادا
ثم قال له ادريس بعد حين ان لي اليك حاجة اخري قال وما هي قال ان ترفعني الي السماء فانظر الي الجنة
والنار فاذن له في رفعه الي السماوات فصعق فلما افاق قال ارني الجنة فادخله الجنة ثم قال له ملك
الموت فاخرج لتعود الي مقرك فتعلق بشجرة وقال لا اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال الملك لم لا تخرج
فقال لان الله قال كل نفس ذايقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم
منها بمخرجين فلست اخرج فقال الله تعالي لملك الموت باذني دخل الجنة وبامري يخرج فهو حي هنالك
فذلك قوله تعالي ورفعناه مكانا عليا قال النحاس قول ادريس وما هم منها بمخرجين يجوز ان يكون الله اعلم هذا ادريس
ثم نزل القرآن به قال وهب بن منبه فادريس تارة يرتع في الجنة وتارة يعبد الله في السماء مع الملائكة
قوله تعالي **اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين** فيه اربع مسايل **الاولي** قوله تعالي اوليك الذين
انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم يريد ادريس وحده وممن حملنا مع نوح يريد ابراهيم وحده ومن ذرية
ابراهيم يريد اسمعيل واسحق ويعقوب ومن ذرية اسرائيل يريد موسي وهرون وزكريا ويحيي وعيسي فكان
لادريس ونوح شرف القرب من ادم ولابراهيم شرف القرب من نوح ولاسمعيل واسحاق ويعقوب شرف
القرب من ابراهيم وممن هدينا الي الاسلام واجتبينا بالايمان اذا تتلي عليهم ايات الرحمن وقرا شبل بن عباد
المكي يتلي بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل خروا سجدا وبكيا وصفهم بالخشوع لله والبكاء
وقد مضي في سبحان يقال بكي يبكي بكاء وبكي وبكيا الا ان الخليل قال اذا قصرت البكا فهو مثل الحزن ليس معه صوت
كما قال الشاعر
بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل
وسجدا نصب علي الحال وبكيا عطف عليه **الثانية** في هذه الاية دلالة علي ان لايات الرحمن تاثيرا في القلوب
قال الحسن اذا تتلي عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا في الصلاة وقال الاصم المراد بايات الرحمن الكتب المتضمنة
لتوحيده وحججه وانهم كانوا يسجدون عند تلاوتها ويبكون عند ذكرها والمروي عن ابن عباس ان المراد به القران
خاصة وانهم كانوا يسجدون ويبكون عند تلاوته قال الكيا وفي هذا دلالة من قوله علي ان القران هو
الذي كان يتلي علي جميع الانبياء ولو كان كذلك لما كان الرسول عليه السلم مختصا بانزاله عليه **الثالثة** احتج
ابو بكر الرازي بهذه الاية علي وجوب سجود القران علي المستمع والقاري قال الكيا وهذا بعيد فان هذا الوصف
شامل لكل ايات الله تعالي وضم الي السجود البكا وابان به عن طريقة الانبيا عليهم السلم في تعظيم الله واياته
وليس فيه دلالة علي وجوب ذلك عند اية مخصوصة **الرابعة** قال العلما ينبغي لمن قرا سجدة ان يدعو
فيها بما يليق باياتها فان قرا سورة السجدة الم تنزيل قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين
بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من عبادك
المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك **قوله تعالي** **فخلف من بعدهم خلف** فيه اربع
مسايل **الاولي** قوله فخلف من بعدهم خلف اي اولاد سوء قال ابو عبيد حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
قال ذلك عند قيام الساعة وذهاب صالحي هذه الامة امة محمد صلي الله عليه وسلم ينزو بعضهم علي بعض في
الازقة زنا وقد تقدم القول في خلف في الاعراف **الثانية** قوله تعالي اضاعوا الصلاة وقرا عبد الله والحسن
الصلوات علي الجمع وهو ذم ونص في ان اضاعة الصلاة من الكباير التي توبق صاحبها ولا خلاف في ذلك وقد
قال عمر ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع واختلفوا فيمن المراد بهذه الاية فقال مجاهد النصاري خلفوا بعد

واشتاق اليه ملك الموت

اليهود وقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد وعطا هم قوم من امة محمد صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان اي يكون
في هذه الامة من هذه صفته لا انهم المراد بهذه الاية واختلفوا ايضا في معنى اضاعتها فقال القرظي هي
اضاعة كفر وجحد بها وقال القاسم بن مخيمرة وعبد الله بن مسعود وهي اضاعة اوقاتها وعدم القيام بحقوقها
وهو الصحيح وانها اذا صليت مخلا بها لا تصح ولا تجزي لقوله عليه السلم للرجل الذي صلى وجاء فسلم عليه
ارجع فصل فانك لم تصل ثلاث مرات خرجه مسلم وقال حذيفة لرجل راه يصلي فطفف منذ كم تصلي هذه
الصلاة قال منذ اربعين عاما قال ما صليت ولو مت وانت تصلي هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمد صلى
الله عليه وسلم ثم قال ان الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن خرجه البخاري واللفظ للنسائي وفي الترمذي
عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزي صلاة لا يقيم الرجل فيها يعني
صلبه في الركوع والسجود قال حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحابه صلى الله عليه وسلم
ومن بعدهم يرون ان يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود وقال الشافعي واحمد واسحاق من لم يقم صلبه في الركوع
والسجود فصلاته فاسدة وقال صلى الله عليه وسلم تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين
قرني الشيطان قام فنقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا وهذا ذم لمن يفعل ذلك وقال فروة بن خالد
بن سنان استبطا اصحاب الضحاك مرة اميرا في صلاة العصر حتى كادت الشمس تغرب فقرا الضحاك هذه
الاية ثم قال والله لئن ادعها احب الي من ان اضيعها وجملة القول في هذا الباب ان من لم يحافظ على اوقات
الصلوات لم يحافظ على الصلوات كما ان من لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها فقد
ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع كما ان من حافظ عليها حفظ دينه ولا دين لمن لا صلاة له وقال
الحسن عطلوا المساجد واشتغلوا بالصنائع والاسباب واتبعوا الشهوات اي اللذات والمعاصي **الثالثة**
روى الترمذي وابو داود عن انس بن حكيم الضبي انه اتى المدينة فلقي ابا هريرة فقال له يا فتى الا احدثك
حديثا لعل الله ان ينفعك به قلت بلى قال ان اول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من اعمالهم الصلاة يقول
ربنا تبارك وتعالى للملائكة وهو اعلم انظروا في صلاة عبدي اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت
له تامة وان كان انتقص منها شي قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال اكملوا لعبدي
فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الاعمال على ذلك قال يونس فاحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظ ابي داود
وقال حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد عن داود بن ابي هند عن زرارة بن ابي اوفى عن تميم الداري عن
النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك واخرجه النسائي
عن همام عن الحسن عن حريث بن قبيصة عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما
يحاسب به العبد بصلاته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر قال همام لا ادري هذا
من كلام قتادة او من الرواية فان انتقص من فريضته شي قال انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به
ما نقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله نحو ذلك خالفه ابو العوام فرواه عن قتادة عن الحسن عن ابي رافع
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان وجدت
تامة كتبت تامة وان كان انتقص منها شي قال انظروا هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته
من تطوعه ثم سائر الاعمال تجري على حسب ذلك قال النسائي اخبرنا اسحاق بن ابراهيم اخبرنا النضر بن
شميل اخبرنا حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس عن يحيى بن يعمر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اول ما يحاسب به العبد صلاته فان كان اكملها والا قال الله عز وجل انظروا لعبدي من تطوع فان وجد
له تطوع قال اكملوا به الفريضة قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد اما اكمال الفريضة من التطوع فانما يكون
فيمن سهى عن فريضة فلم يات بها او لم يحسن ركوعها ولم يدر قدر ذلك واما من تركها او نسي ثم ذكرها فلم يات
بها عامدا او اشتغل بالتطوع عن اداء فرضه وهو ذاكر له فلا يكمل له فريضته من تطوعه والله اعلم وقد روي
عن حديث الشاميين في هذا الباب حديث منكر يرويه محمد بن حمير عن عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن قرط
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده زيد من تسبيحاته حتى يتم قال ابو عمر وهذا
لا يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه وليس بالقوي فان كان صح كان معناه انه خرج من
صلاته وهو يظن انها تمت عند نفسه وليست في الحكم بتمامه والله اعلم قال المؤلف رحمه الله فينبغي للانسان ان يحسن
فرضه ونفله حتى يكون له نفل يجده زائدا على فرضه يقربه من ربه كما قال سبحانه وما يزال عبدي يتقرب

الي بالنوافل حتى احبه الحديث فاما اذا كان نفل يكمل به الفرض فحكمه في المعنى حكم الفرض ومن لا يحسن ان يصلي الفرض
فاولى واحرى ان لا يحسن النفل لا جرم تنفل الناس في اشد ما يكون من النقصان والخلل لخفته عندهم وتهاونهم به حتى
كانه غير معتد به ولعمر الله لقد نشاهد في الوجود من يشار اليه ويظن به العلم تنفله كذلك بل فرضه اذ ينقره
نقر الديك لعدم معرفته بالحديث فكيف بالجهال الذين لا يعلمون وقد قال العلماء ولا يجزي ركوع ولا سجود ولا
وقوف بعد الركوع ولا جلوس بين السجدتين حتى يعتدل راكعا وواقفا وساجدا وجالسا وهذا هو الصحيح
في الاثر وعليه جمهور العلماء واهل النظر وهذه رواية ابن وهب وابي مصعب عن مالك وقد مضى هذا في البقرة
واذا كان هذا فكيف يكمل بذلك النفل ما نقص من هذا الفرض على سبيل السهو والجهل بل كان ذلك غير صحيح
ولا مقبول لانه وقع على غير المطلوب **الرابعة** قوله تعالى واتبعوا الشهوات وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا
الشهوات هو من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور قال المؤلف رحمه الله الشهوات عبارة عما يوافق
الانسان ويشتهيه ويلايمه ولا يتقيه وفي الصحيح حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وما ذكره علي
رضي الله عنه جزء من هذا **قوله تعالى فسوف يلقون غيا** قال ابن زيد شرا او ضلالا او خيبة
قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره	ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقال عبد الله بن مسعود هو واد في جهنم والتقدير عند اهل اللغة فسوف يلقون جزاء الغي كما قال الرجل ذكره
ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاظهر ان الغي اسم للوادي سمي به لان الغاوين يصيرون اليه وقال كعب
يظهر في اخر الزمان قوم بايديهم سياط كاذناب البقر ثم قرا الاية فسوف يلقون غيا اي هلاكا وضلالا في
جهنم وعنه غي واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بئر تسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر
فتسعر منها جهنم وقال ابن عباس غي واد في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد ذلك الوادي للزاني
المصر على الزنا ولشارب الخمر المدمن عليه ولاكل الربوا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور
ولامراة ادخلت على زوجها ولدا ليس منه **قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا** اي من يضيع الصلاة
واتبع الشهوات فرجع الى طاعة ربه وامن به وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة قرا ابو جعفر وشيبة وابن كثير
وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب وابو بكر يدخلون وفتح الياء الباقون لا يظلمون شيئا اي لا ينقص من اعمالهم
الصالحة شيئا الا انهم يكتب لهم بكل حسنة عشر الى سبعمائة جنات عدن بدلا من الجنة فانتصب قال ابو اسحق
الزجاج ويجوز جنات عدن على الابتداء قال ابو حاتم ولولا الخط لكان جنة عدن لان قبله يدخلون الجنة التي
وعد الرحمن عباده بالغيب اي من عبده وحفظ عبده بالغيب وقيل امنوا بالجنة ولم يروها انه كان وعده
ماتيا ماتيا مفعول من الاتيان فكل ما وصل اليك فقد وصلت اليه يقول اتت على ستون سنة واتيت
على ستين سنة ووصل الي من فلان خير ووصلت منه الى خير وقال القتبي اتيا بمعنى ات فهو بمعنى مفعول فا
وما تيا مهموز لانه من اتى ياتي ومن خفف الهمزة جعلها الفا وقال الطبري الوعد هاهنا الموعود وهو الجنة
اي ياتيها اولياؤه **قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا** اي في الجنة واللغو معناه الباطل من الكلام
والفحش منه والفضول وما لا ينتفع به ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد
لغوت ويروى لغيت وهي لغة ابي هريرة وقال الشاعر

ورب اسراب حجيج كظم	عن اللغا ورفث التكلم

قال ابن عباس اللغو كلما لم يكن فيه ذكر الله تعالى اي كلامهم في الجنة حمد الله وتسبيحه الا سلاما اي لكن
يسمعون سلاما فهو من الاستثنا المنقطع يعني سلام بعضهم على بعض وسلام الملك عليهم قاله مقاتل وغيره
والسلام اسم جامع للخير والمعنى انهم لا يسمعون فيها الا ما يحبون **قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا** اي لهم ما يشتهون من المطاعم والمشارب بكرة وعشيا اي في قدر هذين الوقتين اذ لا بكرة ثمة
ولا عشيا كقوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر اي قدر شهر قال معناه ابن عباس وابن جريج وغيرهما
وقيل عرفهم اعتدال احوال اهل الجنة وكان اهنا النعمة عند العرب التمكن من المطعم والمشرب بكرة وعشيا
وقال يحيى ابن ابي كثير وقتادة كانت العرب في زمانها من وجد غداء وعشاء معا فذلك هو الناعم فنزلت
وقيل اي رزقهم فيها غير منقطع كما قال لا مقطوعة ولا ممنوعة وهو كما يقول انا اصبح وامسي في ذكرك اي في
ذكرى لك دائما ويحتمل ان يكون البكرة تشاغلهم بلذاتهم والعشي بعد فراغهم من لذاتهم لانه تتخللها فترات
انتقال من حال الى حال وهذا يرجع الى القول الاول وروى الزبير بن بكار عن اسمعيل بن اويس قال قال

قوم بايديهم سياط كاذناب البقر

اذا قلت لصاحبك

مالك بن انس طعام المومنين في اليوم مرتين وتلي قول الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ثم قال وعوض الله المومنين
في الصيام السحور ليلا من الغداء ليقووا به على عبادة ربهم وقيل انما ذكر ذلك لان صفة الغدا وهيئته غير صفة
العشاء وهيئته وهذا لا يعرفه الا الملوك ولذلك يكون في الجنة رزق الغدا غير رزق العشا يتلون عليهم النعم
ليزدادوا تنعما وغبطة وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابان عن الحسن وابي قلابة قالا قال
رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل قال وما هيجك على هذا قال سمعت الله يذكر في الكتاب ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا فقلت الليل من البكرة والعشي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك ليل انما هو ضوء
ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو وتاتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا
يصلون فيها في الدنيا فتسلم عليهم الملائكة وهذا في غاية البيان لمعنى الاية وقد ذكرناه في كتاب التذكرة
وقال العلما ليس في الجنة ليل ولا نهار وانما هم في نور ابدا وانما يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق
الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب ذكره ابو الفرج الجوزي والمهدوي وغيرهما
قوله تعالى تلك الجنة اي هذه الجنة التي وصفنا احوال اهلها نورث بالتخفيف وقرا يعقوب نورث بفتح
الواو وشد الراء والاختيار التخفيف لقوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا من كان تقيا قال
ابن عباس اي من اتقاني وعمل بطاعتي وقيل هو على التقديم والتاخير تقديره نورث من كان تقيا من
عبادنا **قوله تعالى** وما نتنزل الا بامر ربك روى الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجبريل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت هذه الاية وما نتنزل الا بامر ربك
الى اخر الاية قال هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه البخاري حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عمر بن ذر سمعت
ابي يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر
مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الاية قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال
مجاهد ابطا الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتاه فقال ما الذي ابطاك قال كيف ناتيكم وانتم
لا تقصون اظفاركم ولا تاخذون من شواربكم ولا تستاكون ولا تغسلون براجمكم قال مجاهد
فنزلت الاية في هذا وقال مجاهد ايضا وقتادة وعكرمة والضحاك ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي
صلى الله عليه وسلم حين ساله قومه عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيبهم
ورجا ان ياتيه جبريل بجواب ما سالوه قال عكرمة فابطا عليه اربعين يوما وقال مجاهد اثنا عشر ليلة وقيل
خمسة عشر وقيل ثلاثة ايام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت اليك
فقال جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا احتبست احتبست فنزلت وما نتنزل
الاية وانزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ذكره الثعلبي والواحدي والقشيري وغيرهم
وقيل هو اخبار عن اهل الجنة انهم يقولون عند دخولها وما نتنزل هذه الجنان الا بامر ربك وعلى هذا فتكون
الاية متصلة بما قبل وعلى ما ذكرناه من الاقوال قبل تكون غير متصلة بما قبلها والقران سور ثم السور
تشتمل على جمل وقد تنفصل جملة عن جملة وما نتنزل اي قال الله قل يا جبريل وما نتنزل الا بامر ربك
وهذا يحتمل وجهين احدهما انا اذا امرنا نزلنا عليك الثاني اذا امرك ربك نزلنا عليك فيكون الامر
على الوجه الاول متوجها الى النزول وعلى الثاني متوجها الى التنزيل **قوله تعالى** له ما بين ايدينا وما
خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا اي لله ما بين ايدينا اي علم ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين
ذلك قال ابن عباس وابن جريج ما مضى امامنا من امر الدنيا وما يكون بعدنا من امر الدنيا وامر الاخرة وما
بين ذلك البرزخ وقال قتادة ومقاتل له ما بين ايدينا من امر الاخرة وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما
بين ذلك ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة قال الاخفش ما بين ايدينا ما كان قبل ان نخلق
وما خلفنا ما يكون بعد ان نموت وما بين ذلك ما يكون منذ خلقنا الى ان نموت وقيل ما بين ايدينا
من الثواب والعقاب وامور الاخرة وما خلفنا ما مضى من اعمالنا في الدنيا وما بين ذلك اي ما يكون من
هذا الوقت الى يوم القيامة ويحتمل خامسا ما بين ايدينا السما وما خلفنا الارض وما بين ذلك من السما
والارض وقال ابن عباس في رواية له ما بين ايدينا يريد الدنيا الى الارض وما خلفنا يريد السموات
وهذا على عكس ما قبله وما بين ذلك يريد الهوا قاله القشيري وذكر الاول الماوردي وقيل ما مضى
من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها ولم يقل ما بين ذينك لان المراد ما بين ما ذكرنا كما قال

ربيع الخير ... [illegible]

احتبس جبريل عن النبي

ما بين النفختين

لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك اي بين ما ذكرنا وما كان ربك نسيا اي ناسيا اذا شاء ان يرسل اليك ارسل
وقيل المعنى لم ينسك وان تاخر عنك الوحي وقيل المعنى انه عالم بجميع الاشيا متقدمها ومتاخرها ولا ينسى
شيا منها **قوله تعالى** رب السموات والارض اي ربهما وخالقهما وما لكهما وما لك ما بينهما فكما اليه
تدبير الازمان كذلك اليه تدبير الاعيان فاعبده اي وحده لذلك وفي هذا دلالة على ان اكتساب
الخلق مفعول لله تعالى كما يقوله اهل الحق وهو القول الحق لان الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معنى من
معانيه الا على المالك اذا ثبت انه مالك ما بين السماء والارض دخل في ذلك اكتساب الخلق ووجب
عبادته كما ثبت انه المالك على الاطلاق وحقيقة العبادة الطاعة بغاية الخضوع ولا يستحقها احد سوى المالك
المعبود واصطبر لعبادته اي لطاعته ولا تحزن لتاخر الوحي عنك بل اشتغل بما امرت به واصل اصطبر
اصتبر فثقل الجمع بين التاء والصاد لاختلافهما فابدل من التاء طاء كما تقول من الصوم اصطام هل تعلم
له سميا قال ابن عباس يريد هل تعلم له ولدا او نظيرا او مثلا او شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن
وقال مجاهد ماخوذ من المسامات وروى اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس هل تعلم له احدا اسمي
الرحمن قال النحاس وهذا اجل اسناد علمته وروي في هذا الحرف وهو قول صحيح لا يقال الرحمن الا لله قال
المؤلف رحمه الله وقد مضى هذا مبينا في البسملة وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد هل تعلم له سميا قال مثلا وقال
ابن المسيب عدلا قتادة والكلبي هل تعلم احدا يسمى الله غير الله او يقال له الله الا هو وهل بمعنى لا اي لا
تعلم **قوله تعالى** ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا الانسان هنا ابي بن خلف وجد عظاما
بالية ففتها بيده وقال زعم محمد انا نبعث بعد الموت قاله الكلبي ذكره الواحدي والثعلبي وقال
المهدوي نزلت في الوليد بن المغيرة واصحابه وهو قول ابن عباس واللام في لسوف اخرج حيا للتاكيد كانه قيل
له اذا ما مت لسوف تبعث حيا فقال ائذا ما مت لسوف اخرج حيا قال ذلك منكرا فجاءت اللام في
الجواب كما كانت في القول الاول ولو كان مبتديا لم تدخل اللام لانها للتاكيد والايجاب وهو منكر للبعث
وقرا ابن ذكوان اذا ما مت على الخبر والباقون على الاستفهام على اصولهم في الهمز وقرا الحسن وابو حيوة
لسوف اخرج حيا قاله استهزاء لانهم لا يصدقون بالبعث والانسان هاهنا الكافر **قوله تعالى**
اولا يذكر الانسان اي اولا يذكر هذا القائل انا خلقناه من قبل اي من قبل سواله وقوله هذا القول ولم
يك شيا فالاعادة مثل الابتداء فلم يناقض وقرا اهل الكوفة الا عاصما واهل مكة وابو عمرو وابو جعفر اولا يذكر
وقرا شيبة ونافع وعاصم اولا يذكر بالتخفيف والاختيار التشديد واصله يتذكر لقوله انما يتذكر اولوا الالباب
واخواتها وفي حرف ابي اولا يتذكر وهذه القراءة على التفسير لانها مخالفة لخط المصحف ومعنى يتذكر يتفكر
ومعنى يذكر يتنبه ويعلم قاله النحاس **قوله تعالى** فوربك لنحشرنهم اقسم بنفسه بعد اقامة الحجة بانه يحشرهم
من قبورهم الى الميعاد كما يحشر المومنين والشياطين اي ولنحشرن الشياطين قرناء لهم قيل يحشر كل كافر مع
شيطان في سلسلة كما قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال الزمخشري والواو في والشياطين يجوز
ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
اغووهم يقرنون كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد
الانسان على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم
الكفرة مقرونين مع الشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا
عزل السعدا عن الاشقيا في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم في المحشر واحضروا
حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعدا الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا
لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم
وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر
الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف
جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية
على الحالة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز
والقلق واطلاق الحبا وخلاف الطمانينة ولما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم
فيجثون على ركبهم جثوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال

مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب
ويقال ان معنى لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثيا على ركبهم عن مجاهد وقتادة اي انهم لشدة ماهم فيه
لا يقدرون على القيام وحول جهنم على هذا يجوز ان يكون داخلها كما تقول جلس القوم حول البيت اي داخله
مطيفين به فقوله حول جهنم على هذا يجوز ان يكون بعد الدخول ويجوز ان يكون قبله وجثيا جمع جاث
يقال جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما واجثاه غيره وقوم جثي ايضا مثل جلس جلوسا
وقوم جلوس وجثي ايضا بكسر الجيم لما بعدها من الكسر وقال ابن عباس جثيا جماعات وقال مقاتل جمعا
جمعا وهو على التاويل جمع جثوة وجثوة وجثوة ثلاث لغات وهي الحجارة المجموعة والتراب المجموع فاهل
الخمر على حدة واهل الزنا على حدة وهكذا قال طرفة

ترى جثوتين من تراب عليهما … صفائح صم من صفيح منضد

وقال الحسن والضحاك جاثية على الركب وهو على هذا التاويل جمع جاثية على ما تقدم وذلك لضيق المكان
اي لا يمكنهم ان يجلسوا جلوسا تاما وقيل جثيا على ركبهم للتخاصم كقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
وقال الكميت

هم تركوا سراتهم جثيا … وهم دون السراة مقرنينا

قوله تعالى **ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا** اي لنستخرجن من كل امة واهل دين
ايهم اشد على الرحمن عتيا قال النحاس وهذه اية مشكلة في الاعراب لان القراء كلهم يقرؤون بالرفع الا
هارون القاري الاعور فان سيبويه حكى عنه ثم لننزعن من كل شيعة ايهم بالنصب اوقع على ايهم لننزعن
قال ابو اسحاق في رفع ايهم ثلاثة اقوال قال الخليل بن احمد حكاه عنه سيبويه انه مرفوع على الحكاية والمعنى
ثم لننزعن من كل شيعة الذي يقال من اجل عتوه اي هو اشد على الرحمن عتيا حكاه الخليل

ولقد ابيت من الفتاة بمنزل … فابيت لا حرج ولا محروم

اي فابيت بمنزلة الذي يقال له هو لا حرج ولا محروم ورايت ابا اسحاق يختار هذا القول ويستحسنه قال لانه
معنى قول اهل التفسير وزعم ان معنى ثم لننزعن من كل شيعة من كل فرقة الاعتى فالاعتى كانه يبتدا
بالتعذيب باشدهم عتيا ثم الذي يليه وهذا نص كلام ابي اسحق في معنى الاية وقال يونس لننزعن بمنزلة
الافعال التي تلغى ورفع ايهم على الابتداء قال المهدوي والفعل الذي هو لننزعن عند يونس معلق قال ابو علي
معنى ذلك انه يعمل في موضع ايهم اشد لا انه ملغى ولا تعلق عند الخليل وسيبويه مثل لننزعن انما تعلق بافعال
الشك وشبهها مالم يتحقق وقوعه وقال سيبويه ايهم مبني على الضم لانها خالفت اخواتها في الحذف لانك لو
قلت رايت الذي افضل من افضل كان قبيحا حتى تقول من هو افضل والحذف في ايهم جائز قال ابو جعفر
وما علمت احدا من النحويين الا وقد خطا سيبويه في هذا وسمعت ابا اسحاق يقول ما تبين لي ان
سيبويه غلط في كتابه الا في موضعين احدهما هذا قال وقد علمنا ان سيبويه اعرب ايا وهي مفردة لانها تضاف
فكيف تبنيها وهي مضافة ولم يذكر ابو اسحاق فيما علمت الا هذه الثلاثة اقوال قال ابو علي انما وجب البناء على
مذهب سيبويه لانه حذف منه ما يتعرف به وهو الضمير مع افتقار اليه كما حذف في من قبل ومن بعد
ما يتعرفان به مع افتقار المضاف الى المضاف اليه لان الصلة تبين الموصول وتوضحه كما ان المضاف يبين المضاف
اليه ويخصصه قال ابو جعفر وفيه اربعة اقوال سوى هذه الثلاثة التي ذكرها ابو اسحق قال الكسائي لننزعن
واقعة على المعنى كما تقول لبست من الثياب واكلت من الطعام ولم تقع لننزعن على ايهم فينصبها زاد المهدوي
وانما الفعل عنده واقع على موضع من كل شيعة وقوله ايهم اشد جملة مستانفة مرتفعة بالابتداء ولا يرى
سيبويه زيادة من في الواجب وقال الفرا المعنى ثم لننزعن بالنداء ومعنى لننزعن لننادين قال المهدوي
ونادى فعل تعلق اذا كان بعده جملة كظننت فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ قال ابو جعفر وحكى ابو بكر
بن شقير ان بعض الكوفيين يقول في ايهم معنى الشرط والمجازاة ولذلك لم تعمل فيها ما قبلها والمعنى ثم لننزعن
من فرقة ان تشايعوا او لم يتشايعوا كما تقول ضربت القوم ايهم غضب والمعنى ان غضبوا او لم يغضبوا قال
ابو جعفر فهذه ستة اقوال وسمعت علي بن سليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال ايهم متعلق بشيعة فهو مرفوع
بالابتداء والمعنى ثم لننزعن من الذين تشايعوا ايهم اي من الذين تعاونوا فنظروا ايهم اشد على الرحمن عتيا
وهذا قول حسن وقد حكى الكسائي ان التشايع التعاون وعتيا نصب على البيان قوله تعالى **ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا** اي احق بدخول النار يقال صلي يصلى صليا مثل مضى الشي يمضي مضيا اذا ذهب قال

الجوهري ويقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كانك تريد
الاحراق قلت اصليته بالالف وصليته تصلية وقرئ ويصلى سعيرا ومن خفف فهو من قولهم صلي فلان النار
بالكسر يصلى صليا احترق قال الله تعالى هم اولى بها صليا قال العجاج

والله لولا النار ان تصلاها

ويقال ايضا صلي بالامر اذا قاسى حره وشدته قال الطهوي

ولا تبلى بسالتهم وان هم … صلوا بالحرب حينا بعد حين

واصطليت بالنار وتصليت بها قال ابو زبيد

وقد تصليت حر حربهم … كما تصلى المقرور من قرس

وفلان لا يصطلى بناره اذا كان شجاعا لا يطاق قوله تعالى **وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا** فيه خمس مسائل **الاولى** قوله تعالى وان منكم هذا قسم والواو تتضمنه وتفسره حديث النبي صلى الله
عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قال الزهري كانه يريد هذه
الاية وان منكم الا واردها ذكره ابو داود الطيالسي فقوله الا تحلة القسم يخرج في التفسير المسند
لان القسم المذكور في هذا الحديث معناه عند اهل العلم قوله تعالى وان منكم الا واردها وقد قيل ان المراد
بالقسم قوله تعالى والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والاول اشهر والمعنى
متقارب **الثانية** اختلف الناس في الورود فقيل الورود الدخول روى جابر بن عبد الله قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين
بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اسنده ابو عمر في كتاب
التمهيد وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وروي عن يونس انه كان يقرا
وان منكم الا واردها الورود الدخول على التفسير الوارد فغلط فيه بعض الرواة فالحقه بالقرآن وفي
مسند الدارمي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون
منها باعمالهم فاولهم كلمح البصر ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل في مشيه وروي
عن ابن عباس انه قال في هذه المسالة لنافع الازرق الخارجي اما انا وانت فلا بد ان نردها فاما انا فينجيني
الله منها واما انت فما اظنه ينجيك لتكذيبك وقد اشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر
وقد بيناه في التذكرة وقالت فرقة الورود الممر على الصراط روي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار
والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله الحسن ايضا قال ليس الورود الدخول
انما هو كما تقول وردت البصرة ولم ادخلها قال فالورود ان تمروا على الصراط قال ابو بكر الانباري وقد
بنى على قول الحسن قوم من اهل اللغة واحتجوا بقول الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله ان يبعده منها وكان هؤلاء يقرؤون ثم ننجي بفتح الثاء ثم ننجي الذين
واحتج عليهم الاخرون اهل المقالة الاولى بان معنى قوله اولئك عنها مبعدون عن العذاب فيها والاحراق
بها قالوا فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا ولا الما فهو مبعد عنها في الحقيقة ويستدلون بقوله
تعالى ثم ننجي الذين اتقوا بضم الثاء فثم تدل على نجاة بعد الدخول قال المؤلف رحمه الله وفي صحيح مسلم ثم
يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه
خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف
العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس
في جهنم الحديث وبه احتج من قال ان الجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الاية لا الدخول فيها
وقالت فرقة بل هو ورود اشراف واطلاع وقرب وذلك انهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم
فيرونها وينظرون اليها في حالة الحساب ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا اليه ويصار بهم الى الجنة ونذر الظالمين
اي يؤمر بهم الى النار قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين اي اشرف عليه لا انه دخله وقال زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه … وضعن عصي الحاضر المتخيم

وروت حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد من اهل بدر والحديبية قالت
فقلت يا رسول الله وان منكم الا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا وخرجه
مسلم من حديث ام مبشر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة الحديث وزجح الزجاج

هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقال مجاهد ورود المؤمنين
هو الحمى الذي يصيب المؤمن في دار الدنيا وهي حظ المؤمن من النار فلا يردها روى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا من وعك به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ابشر فان الله تعالى
يقول هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار اسنده ابو عمرو قال حدثنا عبد الوارث
بن سفيان قال حدثنا قاسم بن اصبغ قال حدثنا محمد بن اسمعيل الصايغ قال حدثنا ابو اسامة قال حدثنا
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن اسمعيل بن عبيد الله الاشعري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم عاد مريضا
فذكره وفي الحديث الحمى حظ كل مومن من النار وقالت فرقة النظر الورود اليها في القبر فينجي منها الفايز ويصلاها
من قدر عليه دخولها ثم يخرج منها بالشفاعة او بغيرها من رحمة الله واحتجوا بحديث ابن عمر اذا مات احدكم
عرض عليه مقعده بالغداة والعشي الحديث وروى وكيع عن شعبة عن عبد الله بن السايب عن رجل عن ابن
عباس انه قال في قول الله تعالى وان منكم قال هذا خطاب للكفار وروي عنه انه كان في قول الله تعالى
كان يقرا وان منهم ردا على الايات التي قبلها في الكفار قوله تعالى فوربك لنحشرنهم ثم لنحضرنهم والنهم
اشد وعن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وان منهم وكذلك قرا عكرمة وجماعة وعليها فلا شغب في هذه
القراءة وقالت فرقة المراد منكم الكفرة والمعنى قل لهم يا محمد وهذا التاويل ايضا سهل التناول والكاف
في منكم راجعة الى الهاء في لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم فلا ينكر رجوع الكاف الى الهاء وقال
الاكثر المخاطب العالم كله فلا بد من ورود الجميع وعليه نشا
معناه كان لهم ورجعت الكاف الى الهاء وقال الاكثر المخاطب العالم كله فلا بد من ورود الجميع وعليه نشا
الخلاف في الورود وقد بينا اقوال العلماء فيه وظاهر الورود الدخول لقوله عليه السلام فتمسه النار لان
المسيس حقيقته في اللغة المماسة الا انها تكون بردا وسلاما على المومنين وينجون منها سالمين قال
خالد بن معدان اذا دخل اهل الجنة الجنة قالوا الم يقل ربنا انا نرد النار فيقال قد وردتموها فالفيتها
رمادا قال المولف رحمه الله وهذا القول يجمع شتات الاقوال فان من وردها ولم يصبه لهبها وحرها
فقد ابعد عنها ونجا منها نجانا الله منها بفضله وكرمه وجعلنا ممن وردها فدخلها سالما وخرج منها غانما فان
قيل هل تدخل الانبيا النار قلنا لا نطلق هذا ولكن نقول ان الخلق جميعا يردونها كما دل عليه حديث
جابر اول الباب فالعصاة يدخلونها بجرائمهم والاولياء والسعداء لشفاعتهم فبين الدخولين فرق قال
ابن الانباري محتجا لمصحف عثمان وقراءة العامة جايز في اللغة ان يرجع من مخاطبة الغايب الى لفظ المواجهة
بالخطاب كما قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء فابدل الكاف من الهاء وقد تقدم هذا
المعنى في يونس **الثالثة** الاستثنا في قوله عليه السلم الا تحلة القسم يحتمل ان يكون استثنا منقطعا
لكن تحلة القسم وهذا معروف في كلام العرب والمعنى لا تمسه النار اصلا وتم الكلام ههنا ثم ابتدا الا
تحلة القسم اي لكن تحلة القسم لا بد منها في قوله تعالى وان منكم الا واردها وهو الجواز على الصراط او الروية
او الدخول دخول سلامة فلا يكون في ذلك شي من مسيس لقوله عليه السلم لا يموت لاحدكم ثلاثة من الولد
فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار والجنة الوقاية والستر ومن وقي النار وستر عنها فلن تمسه اصلا
ولو مسته ما كان موقى **الرابعة** هذا الحديث يفسر الاول لان فيه ذكر الحسبة ولذلك جعله مالك باثره
مفسرا له ويقيد هذا الحديث الثاني ايضا ما رواه البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من
مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجابا من النار او دخل الجنة فقوله عليه السلام لم يبلغوا
الحنث معناه عند اهل اللغة لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا ان يلزمهم حنث دليل على ان اطفال المسلمين في
الجنة والله اعلم لان الرحمة اذا نزلت باباءهم استحال ان يرحموا من اجل من ليس بمرحوم وهذا اجماع من العلما
في ان اطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في ذلك الا فرقة شذت من المجبرة فجعلتهم في المشية وهو قول
مهجور مردود باجماع الامة وهم الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط الى ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم الشقي من شقي في بطن امه وان الملك ينزل فيكتب رزقه واجله الحديث مخصوص وان من
مات من اطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممن سعد في بطن امه ولم يشق بدليل الاحاديث والاجماع وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم لعايشة يا عايشة ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وهم في اصلاب ابايهم وخلق النار
وخلق لها اهلا وهم في اصلاب ابايهم ساقط ضعيف مردود بالاجماع والاثار وطلحة بن يحيى الذي يرويه

ضعيف

ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه وقد روى شعبة عن معاوية بن قرة بن اياس المزني
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا من الانصار مات له ابن صغير فوجد عليه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما يسرك الا تاتي بابا من ابواب الجنة الا وجدته يستفتح لك فقالوا يا رسول الله اله خاصة
ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة قال ابو عمر هذا حديث صحيح ثابت بمعنى ما ذكرناه من اجماع الجمهور
وهو يعارض حديث يحيى ويدفعه قال ابو عمرو الوجه عندي في هذا الحديث وما اشبهه من الاثار انها لمن حافظ
على اداء فرايضه واجتنب الكباير وصبر واحتسب في مصيبته فان الخطاب لم يتوجه في ذلك العصر الا الى
قوم الاغلب من امرهم ما وصفنا وهم الصحابة رضي الله عنهم وذكر النقاش عن بعضهم انه قال نسخ قوله وان منكم الا
واردها قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهذا ضعيف وهذا ليس موضع نسخ وقد بينا انه اذا لم تمسه
فقد ابعد عنها وفي الخبر تقول النار للمومن يوم القيامة جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي **الخامسة** قوله تعالى
كان على ربك حتما مقضيا اي قضاه الله عليكم وقال ابن مسعود اي قسما واجبا قوله تعالى **ثم ننجي الذين اتقوا**
اي نخلصهم ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا مما يدل على ان الورود الدخول لانه لم يقل وندخل الظالمين وقد
مضى هذا مستوفى والمذهب ان صاحب الكبيرة وان دخلها فانه يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو وقالت المرجية
لا تدخل وقالت الوعيدية يخلد وقد مضى بيان هذا في غير موضع وقرا عاصم الجحدري ومعاوية بن قرة ثم ننجي
مخففة من انجا وهي قراءة حميد ويعقوب والكسائي وثقل الباقون وقال ابن ابي ليلى ثمه بفتح الثاء اي هناك
وثم ظرف الا انه مبني لانه غير محصل فبني كما بني ذا والهاء يجوز ان تكون لبيان الحركة فتحذف في الوصل ويجوز
ان تكون لتانيث البقعة فتثبت في الوصل تا قوله تعالى **واذا تتلى عليهم اياتنا بينات** اي على الكفار
الذين سبق ذكرهم في قوله ابذا ما مت لسوف اخرج حيا وقال فيهم ونذر الظالمين فيها جثيا اي هولاء اذا قرئ
عليهم القران تعززوا بالدنيا وقالوا فما بالنا ان كنا على باطل اكثر اموالا واعز نفرا وغرضهم ادخال الشبهة
على المستضعفين وايهامهم ان من كثر ماله دل ذلك على انه المحق في دينه فكانهم لم يروا في الكفار فقيرا ولا في المسلمين
غنيا ولم يعلموا ان الله نحى اولياءه عن الاغترار بالدنيا وفرط الميل اليها وبينات معناه مرتلات الالفاظ
ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات فقد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول
قولا وفعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان يكون حالا موكدة
كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لان ايات الله تعالى لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا يريد مشركي قريش
النضر بن الحارث واصحابه للذين امنوا يعني فقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم
خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون خير ثيابهم
فقالوا للمومنين اي الفريقين خير مقاما قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد مقاما بضم الميم
وهو موضع الاقامة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقامة الباقون مقاما بالفتح اي منزلا ومسكنا وقيل
المقام الموضع الذي يقام فيه بالامور الجليلة اي اي الفريقين اكثر جاها وانصارا واحسن نديا اي مجلسا
عن ابن عباس وعنه ايضا المنظر وهو المجلس في اللغة وهو النادي ومنه دار الندوة لان المشركين كانوا يتشاورون
فيها في امورهم وناداه جالسه في النادي قال الشاعر

انادي به ال الوليد وجعفرا | والندي على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك

الندوة والنادي والمنتدى فان تفرق القوم فليس بندي قاله الجوهري قوله تعالى **وكم اهلكنا**
قبلهم من قرن اي من امة وجماعة هم احسن اثاثا اي متاعا كثيرا قال الشاعر

وفرع يزين المتن اسود فاحم | اثيث كقنو النخلة المتعثكل

والاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي

تقادم العهد من ام الوليد بنا | دهرا وصار اثاث البيت خرثيا

وقال ابن عباس هيئة مقاتل ثيابا ورئيا اي منظرا حسنا وفيه خمس قراءات قرا اهل المدينة وريا بغير همز وقرا اهل
الكوفة ورئيا بالهمز وحكى يعقوب ان طلحة قرا وريا بياء واحدة مخففة وروى سفيان عن الاعمش عن ابي ظبيان
عن ابن عباس هم احسن اثاثا وزيا بالزاي فهذه اربع قراءات قال ابو اسحاق ويجوز هم احسن اثاثا وريئا بياء بعد
همزة قال النحاس وقراءة اهل المدينة في هذا حسنة وفيها تقديران احدهما ان تكون من رايت ثم خففت الهمزة
فابدل منها ياء وادغمت الياء في الياء وكان هذا حسنا لتوافق رؤوس الايات لانها غير مهموزات وعلى هذا

لتوافق قال ابن عباس الري المنظر فالمعنى هم احسن اثاثا ولباسا والوجه الثاني ان جلودهم مرتوية من النعمة فلا يجوز الهمز على هذا وفي رواية ورش عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وريا بالهمز يكون على الوجه الاول وهي قراءة اهل الكوفة وابي عمرو من رايت على الاصل وقرا طلحة بن مصرف وريا بياء واحدة خفيفة احسبها غلطا وقد زعم بعض النحويين انه كان اصلها الهمز فقلبت الهمزة ياء ثم حذفت احدى اليائين قال المهدوي ويجوز ان يكون رايا قلبت فصارت ريا ثم نقلت حركة الهمزة على الياء وقد حذفت وقد قراء بعضهم وريا على القلب وهي القراءة الخامسة وحكى سيبويه راء بمعنى راى قال الجوهري من همز جعله من المنظر من رايت وهي ما راته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة وانشد ابو عبيد لمحمد بن نمير الثقفي

اشاقتك الظعائن يوم بانوا ... بذي الري الجميل من الاثاث

ومن لم يهمز اما ان يكون على تخفيف الهمزة او يكون من رويت الوانهم وجلودهم ريا اي امتلات وحسنت واما قراءة ابن عباس وابي بن كعب وسعيد بن جبير والاعصم المكي ويزيد البربري وزيا بالزاء فهو الهيئة والحسن ويجوز ان يكون من زويت اي جمعت فيكون اصلها زويا فقلبت الواو ياء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض اي جمعت اي فلم يكن يغني عنهم ذلك شيئا من عذاب الله فليعيشوا ما شاؤوا فمصيرهم الى الموت والعذاب وان عمروا والعذاب العاجل ياخذهم الله به **قوله تعالى** قل من كان في الضلالة اي في الكفر فليمدد له الرحمن مدا اي فليدعه في طغيان جهله وكفره فلفظه لفظ الامر ومعناه الخبر اي من كان في الضلالة مده الرحمن مدا حتى يطول اغتراره فيكون اشد لعقابه نظيره انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون ومثله كثير اي فليعش ما شاء وليوسع لنفسه في العمر فمصيره الى الموت والعذاب وهذا غاية في التهديد والوعيد وقيل هذا دعاء امر به النبي صلى الله عليه وسلم يقول من سرق مالي فليقطع الله يده فهو دعاء على السارق وهو جواب الشرط وعلى هذا فليس قوله فليمدد خبرا **قوله تعالى** حتى اذا راوا ما يوعدون قال رأوا لان لفظ من يصلح للواحد والجمع واذا مع الماضي بمعنى المستقبل اي حتى يروا ما يوعدون والعذاب هنا يكون اما بنطر المومنين عليهم فيعذبونهم بالسيف والاسر واما ان تقوم الساعة فيصيروا الى النار فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا اي ينكشف حينئذ الحقائق وهذا رد لقولهم اي الفريقين واحسن نديا **قوله تعالى** ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي ويثبت الله المومنين على الهدى ويزيدهم في النصيرة ونزول من الايات ما يكون سبب زيادة اليقين مجازاة لهم وقيل يزيدهم هدى بتصديقهم بالناسخ والمنسوخ الذي كفر به غيرهم قال معناه الكلبي ومقاتل ويحتمل بالنداء اي ويزيد الله الذين اهتدوا الى الطاعة هدى الى الجنة والمعنى متقارب وقد تقدم القول في معنى زيادة الايمان والهدى في آل عمران وغيرها والباقيات الصالحات تقدم القول فيها في الكهف خير عند ربك ثوابا اي جزاء وخير مردا اي في الاخرة بما افتخر به الكفار في الدنيا والمرد مصدر كالرد اي وخير ردا على عاملها بالثواب يقال هذا ارد عليك اي انفع لك وقيل خير مردا اي مرجعا فكل احد يرد الى عمله الذي عمله **قوله تعالى** افرايت الذي كفر باياتنا روي الائمة واللفظ لمسلم عن خباب قال كان لي على العاص بن وائل دين فاتيته اتقاضاه فقال لي لن اقضيك حتى تكفر بمحمد فقال فقلت لن اكفر حتى تموت ثم تبعث قال واني لمبعوث من بعد الموت فسوف اقضيك اذا رجعت الى مال وولد قال وكيع كذا قال الاعمش فنزلت هذه الاية افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله ويأتينا فردا وفي رواية قال كنت قينا في الجاهلية فعملت للعاص بن وائل عملا فاتيته اتقاضاه خرجه البخاري ايضا وقال الكلبي ومقاتل كان خباب قينا فصاغ للعاص حليا ثم تقاضاه اجرته فقال العاص ما عندي اليوم ما اقضيك قال خباب لست بمفارقك حتى تقضيني فقال العاص يا خباب ما لك ما كنت هكذا وان كنت لحسن الطلب فقال خباب ذلك اني كنت على دينك فاما اليوم فانا على دين الاسلام مفارق لدينك قال اولستم تزعمون ان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا قال خباب بلى قال فاخرني حتى اقضيك في الجنة استهزاء فوالله ان كان ما تقول حقا اني لاقضيك فيها فوالله لا تكون انت يا خباب واصحابك اولى بها مني فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا يعني العاص الايات اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وقال مجاهد اعلم الغيب حتى يعلم افي الجنة هو ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا قال قتادة والثوري اي عملا صالحا وقيل هو التوحيد وقيل هو من الوعد وقال الكلبي عاهد الله انه يدخله الجنة كلا رد عليه اي لم يكن ذلك لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا وتم الكلام عند قوله كلا وقال الحسن ان الايات نزلت في الوليد

من سرق مالي فليقطع الله يده

بن المغيرة والاول اصح لانه مدون في الصحاح وقرا حمزة والكسائي وولدا بضم الواو والباقون بفتحها واختلف في الضم والفتح على وجهين احدهما انهما لغتان معناهما واحد يقال ولد وولد كما يقال عدم وعدم وقال الحارث بن حلزة

ولقد رايت معاشرا ... قد ثمروا اموالا وولدا

وقال آخر

فليت فلانا كان في بطن امه ... وليت فلانا كان ولد حمار

الثاني ان قيسا يجعل الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا قال الماوردي في قوله لاوتين مالا وولدا وجهان احدهما انه اراد في الجنة استهزاء لما وعد الله تعالى على طاعته وعبادته قاله الكلبي الثاني انه اراد في الدنيا وهو قول الجمهور وفيه وجهان محتملان احدهما ان اقمت على دين ابائي وعبادة الهتي لاوتين مالا وولدا الثاني ولو كنت على باطل لما اوتيت مالا وولدا قال المؤلف رحمه الله قول الكلبي اشبه بظاهر الاحاديث بل نصها يدل على ذلك قال مسروق سمعت خباب بن الارت يقول جئت العاص بن وائل السهمي اتقاضاه حقا لي عنده فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا حتى تموت ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث فقلت نعم فقال ان لي هناك مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذي كفر باياتنا الاية قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح **قوله تعالى** اطلع الغيب الفه الف استفهام لمجي ام بعدها ومعناه التوبيخ واصله ااطلع فحذفت الالف الثانية لانها الف وصل فان قيل فهلا اتوا بمدة بعد الالف فقالوا آطلع كما قالوا آلله خير آلذكرين حرم قيل له كان الاصل في هذا االله االذكرين فابدلوا من الالف الثانية مدة ليفرقوا بين الاستفهام والخبر وذلك انهم لو قالوا الله خير بلا مد لالتبس الاستفهام بالخبر ولم يحتاجوا الى هذه المدة في قوله اطلع لان الف الاستفهام مفتوحة والف الخبر مكسورة وذلك انك تقول في الاستفهام اطلع افترى اصطفى استغفرت بفتح الالف وتقول في الخبر اطلع افترى اصطفى استغفرت لهم بالكسر فجعلوا الفرق بالفتح والكسر ولم يحتاجوا الى فرق آخر **قوله تعالى** كلا ليس في النصف الاول ذكر كلا وانما جاء ذكره في النصف الثاني وهو يكون بمعنيين احدهما بمعنى حقا والثاني بمعنى لا فاذا كانت بمعنى حقا جاز الوقف على ما قبله ثم يبتدي كلا اي حقا وان كانت بمعنى لا كان الوقف على كلا جائزا كما في هذه الاية لان المعنى ليس الامر كذلك اي حقا سنكتب ما يقول وكذلك قول الله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا يجوز الوقف على كلا وعلى تركت وقوله ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا الوقف على كلا لان المعنى لا ليس الامر كما ظنوا فاذهبا وليس للحق في هذا الموضع وقال الفراء كلا بمنزلة سوف لانها صلة وهي حرف رد فكانها نعم ولا في الاكتفاء قال وان جعلتها صلة لما بعدها لم يقف عليها كقولك كلا ورب الكعبة لا يقف على كلا لانها بمنزلة اي ورب الكعبة قال الله تعالى كلا والقمر فالوقف على كلا قبيح لانها صلة لليمين وكان ابو جعفر محمد بن سعدان يقول في كلا مثل قول الفراء وقال الاخفش معنى كلا الردع والزجر وقال ابو بكر بن الانباري وسمعت ابا العباس يقول لا يوقف على كلا في جميع القران لانها جواب والفائدة تقع فيما بعدها والقول الاول هو قول اهل التفسير **قوله تعالى** سنكتب ما يقول اي سنحفظ عليه قوله فنجازيه به في الاخرة ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق عذاب ونرثه ما يقول اي نسلبه ما اعطيناه في الدنيا من مال وولد وقال ابن عباس وغيره اي نرثه المال والولد بعد اهلاكنا اياه وقيل نحرمه ما تمناه في الاخرة من مال وولد ونجعله لغيره من المسلمين ويأتينا فردا اي منفردا لا مال له ولا ولد ولا عشيرة تنصره **قوله تعالى** واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا يعني مشركي قريش وعزا معناه اعوانا ومنعة يعني اولادا والعز المطر الجود ايضا قاله الهروي وظاهر الكلام ان عزا راجع الى الالهة التي عبدوها من دون الله ووحد لانه بمعنى المصدر اي لينالوا بها العز ويمتنعون بها من عذاب الله فقال الله تعالى كلا اي ليس الامر كما ظنوا وتوهموا بل يكفرون بعبادتهم اي يكفرون انهم يعبدوا الاصنام او تجحد الالهة عبادة المشركين لها كما قال تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وذلك لان الاصنام جمادات لا تعلم العبادة ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا في خصومتهم وتكذيبهم عن مجاهد وقال الضحاك يكونون عليهم اعداء وقال ابن زيد يكونون عليهم بلاء فتحشر الهتهم وتركب لهم عقول فتنطق وتقول يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك وكلا هاهنا يحتمل ان يكون بمعنى لا ويحتمل ان يكون بمعنى حقا اي حقا سيكفرون بعبادتهم وقرا ابو نهيك كلا سيكفرون بالتنوين وروي عنه مع ذلك ضم الكاف وفتحها قال المهدوي كلا ردع وزجر وتنبيه ورد لكلام متقدم وقد تقع لتحقيق ما بعدها والتنبيه عليه كقوله كلا ان الانسان ليطغى فلا يوقف

كلا ورب الكعبة

علي هذا او يوقف عليها في المعني الاول فان صلح فيها المعنيان جميعا جاز الوقف عليها والابتداء بها فمن
نون كلا من قوله سيكفرون بعبادتهم مع فتح الكاف فهو مصدر كل ونصبه بفعل مضمر والمعني كل
هذا الراي والاعتقاد كلا يعني اتخاذهم الالهة ليكونوا لهم عزا فيوقف علي هذا علي عزا او علي كلا
وكذلك في قراة الجماعة لانها تصلح للرد لما قبلها والتحقيق لما بعدها ومن روي ضم الكاف مع التنوين فهو
منصوب ايضا بفعل مضمر كانه قال سيكفرون كلا سيكفرون بعبادتهم يعني الالهة قال المولف رحمه الله
يحصل في كلا اربعة معان التحقيق ومنوان يكون بمعني حقا والنفي والتنبيه وصلة للقسم ولا يوقف
منها الا علي الاول وقال الكسائي لا تنفي فحسب وكلا تنفي شيا وتثبت شيا فاذا قيل اكلت تمرا قلت كلا اي
اكلت عسلا لا تمرا ففي هذه الكلمة نفي ما قبلها وتحقيق ما بعدها والضد يكون واحدا ويكون جمعا
كالعدو والرسول وقيل وقع الضد موقع المصدر اي ويكونون عليهم عونا فلهذا لم يجمع وهذا في مقابلة
قوله ليكونوا لهم عزا والعز مصدر وكذلك ما وقع في مقابلته ثم قيل الاية في عبدة الاصنام واجري الا
صنام مجري من يعقل جريا علي توهم الكفرة وقيل فيمن عبد المسيح او الجن او الملايكة او الشياطين والله اعلم

قوله تعالى ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم بالاغواء وذلك حين قال
لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك وقيل ارسلنا اي خلينا يقال ارسلت البعير اي خليته
اي خلينا الشياطين واياهم ولم يعصمهم من القبول منهم وقال الزجاج فيصا تؤزهم ازا قال ابن عباس
يزعجهم ازعاجا من الطاعة الي المعصية وعنه تغريهم اغراء بالشر امض امض في هذا الامر حتي توقعهم في النار
حكي الاول الثعلبي والثاني الماوردي والمعني واحد الضحاك تغويهم اغواء مجاهد تشليهم اشلاء واصله
الحركة والغليان ومنه الخبر المروي ان النبي صلي الله عليه وسلم قام الي الصلاة ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء
وايتزت القدر ايتزازا اشتد غليانها والاز التهييج والاغراء قال الله تعالي انا ارسلنا الشياطين تؤزهم ازا
اي تغريهم علي المعاصي والاز الاختلاط وقد ازرت الشي ازه ازا اذا ضممت بعضه الي بعض قاله الجوهري

قوله تعالى فلا تعجل عليهم اي تطلب العذاب لهم انما نعد لهم عدا قال الكلبي اجالهم يعني الايام والليالي
والشهور والسنين الي انتهاء اجل العذاب وقال الضحاك الانفاس وقال ابن عباس نعد انفاسهم في الدنيا
كما نعد سنيهم وقيل الخطوات وقيل اللحظات وقيل الساعات وقال قطرب نعد اعمالهم عدا وقيل لا
تعجل عليهم فانما نوخرهم ليزدادوا اثما وروي ان المامون قرا هذه السورة فمر بهذه الاية وعنده جماعة
من الفقهاء فاشار براسه الي ابن السماك فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع
ما تنفد وقيل في هذا المعني

حياتك انفاس تعد فكلما ... مضي نفس منها انتقصت به جزاء
يميتك ما يحييك في كل ليلة ... ويحدوك حاد ما يريد به الهزاء

ويقال ان انفاس ابن ادم ما بين اليوم والليلة اربعة وعشرون الف نفس اثنا عشر الفا في اليوم واثنا عشر
الفا في الليل والله اعلم فهي تعد وتحصي احصاء ولها عدد معلوم وليس لها مدد فما اسرع ما تنفد **قوله تعالى**
يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا في الكلام حذف اي الي جنة الرحمن ودار كرامته كقوله اني ذاهب
الي ربي وكما في الخبر من كانت هجرته الي الله ورسوله فهجرته الي الله ورسوله والوفد اسم الوافدين كما يقال
صوم وفطر وزور فهو جمع الوافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وهو من وفد يفد وفدا ووفودا ووفادة
اذا خرج الي ملك في فتح او امر خطير قال الجوهري يقال وفد علي الامير اي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد مثل
صاحب وصحب وجمع الوفد اوفاد ووفود والاسم الوفادة واوفدته انا الي الامير اي ارسلته وفي التفسير
وفدا اي ركبانا علي نجايب طاعاتهم وهذا لان الوافد في الغالب يكون راكبا والوفد الركبان ووحد لانه
مصدر قال ابن جريج وفدا علي النجايب وقال عمرو بن قيس الملاي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله
عمله احسن صورة واطيب ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد طيب ريحك وحسن صورتك
فيقول كذلك كنت في الدنيا انا عملك الصالح طالما ركبتك اركبني وتلي يوم نحشر المتقين الي الرحمن وفدا
وان الكافر يستقبله عمله اقبح شي صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد قبح صورتك
ونتن ريحك فيقول كذلك كنت في الدنيا انا عملك السي طالما ركبتني في الدنيا وانا اليوم اركبك
وتلي وهم يحملون اوزارهم علي ظهورهم الا ساء ما يزرون قال ابن العربي في سراج المريدين ولا يصح من

قيل اسناده وذكر هذا الخبر في تفسيره ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري عن ابن عباس بلفظه ومعناه
وقال ايضا عن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد الي الله علي خيل لا تروث ولا تبول لجمها من الياقوت
الاحمر ومن الزبرجد الاخضر ومن الدر الابيض وسروجها السندس والاستبرق ومن كان يحب ركوب
الابل فعلي نجايب لا تبعر ولا تبول ازمتها من الياقوت والزبرجد ومن كان يحب ركوب السفن فعلي سفن
من زبرجد وياقوت قد امنوا الغرق وامنوا الاهوال وقال ايضا عن علي ولما نزلت الاية قال علي رضي الله عنه
لرسول الله اني قد رايت الملوك ووفودهم فلم ار وفدا الا ركبانا فما وفد الله فقال عليه السلام اما انهم لا يحشرون
علي اقدامهم فلا يساقون سوقا ولكنهم يوتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلايق الي مثلها رحالها الذهب
وزمامها الزبرجد فيركبونها حتي يقرعوا باب الجنة ولفظ الثعلبي في هذا الخبر عن علي ابين وقال علي لما نزلت
هذه الاية قلت يا رسول الله اني رايت الملوك ووفودهم فلم ار وفدا الا ركبانا فما وفد الله قال يا علي اذا كان
المنصرف من بين يدي الله تلقت الملايكة المومنين بنوق بيض رحالها وازمتها الذهب علي كل مركب حلة لا تساويها
الدنيا فيلبس كل مومن حلة ثم تسير بهم مراكبهم فتهوي بهم النوق حتي تنتهي بهم الي الجنة فتتلقاهم الملايكة سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال المولف رحمه الله وهذا الخبر ينص علي انهم لا يركبون ولا يلبسون الا من
الموقف واما اذا خرجوا من القبور فمشاة حفاة عراة الي الموقف بدليل حديث ابن عباس قال قام فينا رسول
الله صلي الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الي الله حفاة عراة غرلا الحديث خرجه البخاري
ومسلم وسياتي بكماله في سورة المومنين ان شا الله وتقدم في ال عمران من حديث عبد الله بن انيس بمعناه
والحمد لله ولا يبعد ان تحصل الحالتان للسعدا فيكون حديث ابن عباس مخصوصا والله اعلم وقال ابو هريرة
وفدا علي الابل ابن عباس ركبانا يوتون بنوق من الجنة عليها رحايل من الذهب وسروجها وازمتها من الزبرجد
فيحشرون عليها وقال علي والله ما يحشرون علي ارجلهم ولكن علي نوق رحالها من ذهب وتحت سروجها
نوافيت ان هموا بها سارت وان حركوها طارت وقيل يفدون علي ما يحبون من ابل او خيل او سفن علي
ما تقدم عن ابن عباس والله اعلم وقيل انما قال وفدا لان من شان الوفود عند العرب ان يقدموا بالبشارات
وينتظرون الجوايز فالمتقون ينتظرون الثواب والعطا **قوله تعالى** ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا
السوق الحث علي السير وردا عطاشا قاله ابن عباس وابو هريرة والحسن والاخفش وقال الفرا مشاة وقيل
افرادا وقال الازهري اي مشاة عطاشا كالابل ترد الما فيقال جا ورد بني فلان قال القشيري وقوله وردا
يدل علي العطش لان الما في الغالب للعطش وفي التفسير مشاة عطاشا تتقطع اعناقهم من العطش واذا كان
سوق المجرمين الي النار فحشر المتقين الي الجنة وقيل وردا اي للورد كقولك جيتك اكراما اي لاكرامك اي
لسوقهم لورود النار قال المولف رحمه الله ولا تناقض بين هذه الاقوال فيساقون عطاشا حفاة عراة مشاة
افرادا قال ابن عرفة الورد القوم يردون الما فيسمي العطاش وردا لطلبهم ورود الما كما تقول قوم صوم
اي صيام وقوم زور اي زوار فهو اسم علي لفظ المصدر واحدهم وارد والورد ايضا الجماعة التي ترد الما من طير
وابل والورد الما الذي يورد وهذا من باب الايما بالشي الي الشي والورد الجز يقال قرات وردي والورد
يوم الحمي اذا اخذت صاحبها لوقت فهو لفظ مشترك وقال الشاعر يصف قليبا

يطمو اذا الورد عليه التكا ... اي الوراد الذين يردون الما

قوله تعالى لا يملكون الشفاعة اي هولاء الكفار لا يملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا وهم المسلمون فيملكون الشفاعة فهو استثنا الشي من غير جنسه اي لكن من اتخذ عهدا يشفع فمن في موضع
نصب علي هذا وقيل في موضع رفع علي البدل من الواو في يملكون اي لا يملك احد الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا فانه يملك وعلي هذا يكون الاستثنا متصلا والمجرمين في قوله ونسوق المجرمين يعم الكفرة والعصاة ثم اخبر
انهم لا يملكون الشفاعة الا العصاة المومنون فانهم يملكونها بان يشفع فيهم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا ازال
اشفع حتي اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول يا محمد انها ليست لك ولكنها لي خرجه مسلم بمعناه
وقد تقدم وتظاهرت الاخبار بان اهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون فيشفعون وعلي القول الاول
يكون الكلام متصلا بقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا فلا يقبل غدا شفاعة عبدة الاصنام لاحد
ولا شفاعة الاصنام لاحد ولا يملكون شفاعة الاصنام احد لهم اي لا تنفعهم شفاعة كما قال فما تنفعهم شفاعة
الشافعين وقيل اي نحشر المتقين والمجرمين ولا يملك احد شفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي اذا اذن

له الرب في الشفاعة كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وهذا العهد هو الذي قال وا تخذ عند الرحمن عهدا وهو لفظ جامع للايمان وجميع الاعمال الصالحة الذي يصل بها صاحبها في حيز من يشفع وقال ابن عباس العهد لا اله الا الله وقال مقاتل وابن عباس ايضا لا يشفع الا من شهد ان لا اله الا الله وتبرأ من الحول والقوة لله ولا يرجو الا الله وقال ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الدنيا الحياة باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تباعدني من الخير وتقربني من الشر واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه طابعا ووضعها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيقوم فيدخل الجنة

قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله وقرا يحيى والاعمش وحمزة والكسائي وخلف وُلدا بضم الواو واسكان اللام في اربعة مواضع من هذه السورة قوله لاوتين مالا وولدا وقد تقدم وقوله ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وفي سورة نوح ماله وولده ووافقهم في نوح خاصة ابن كثير ومجاهد وحميد وابو عمرو ويعقوب الباقون في الكل بالفتح في الواو واللام وهما لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم قال

ولقد رايت معاشرا ... قد ثمروا مالا وولدا

وقال اخر

فليت عيادا كان في بطن امه ... وليت عيادا كان ولد حمار

وقال النابغة

مهلا فداء لك الاقوام كلهم ... وما اثمر من مال ومن ولد

ففتح وقيس يجعلون الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا قال الجوهري الولد قد يكون واحدا وجمعا وكذلك الولد بالضم ومن امثال بني اسد ولدك من دمى عقبيك وقد يكون الولد جمع ولد مثل اسد واسد والولد بالكسر لغة في الولد وقال النحاس وفرق ابو عبيد بينهما فزعم ان الولد يكون الاهل والولد جميعا قال ابو جعفر وهذا قول مرد ودلا يعرفه احد من اهل اللغة ولا يكون الولد والولد الا ولد الرجل وولد ولده الا ان يكون ولدا اكثر في كلام العرب كما قال

مهلا فداء لك الاقوام كلهم ... وما اثمر من مال ومن ولد

قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول يجوز ان يكون ولد جمع ولد كما يقال وثن ووثن واسد واسد ويجوز ان يكون ولد وولد بمعنى واحد كما يقال عجم وعجم وعرب وعرب كما تقدم **قوله تعالى** لقد جئتم شيئا ادا اي منكرا عظيما عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقال الجوهري الاد والادة الداهية والامر الفظيع ومنه قوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا وكذلك الاد مثال فاعل وجمع الادة ادد وادت فلانا داهية تؤده ادا بالفتح والاد ايضا القوة قال الراجز

نضون عني شرة واد ا ... بعد ما كنت صملا جلدا

انتهى كلامه وقال ابو عبد الرحمن السلمي ادا بفتح الهمزة قال النحاس يقال اد يؤد ادا فهو اد والاسم الاد اذا جاء بشي عظيم منكر وقال الراجز

لقد لقي الاقران مني نكرا ... داهية دهيا ادا امرا

عن غير النحاس قال الثعلبي وفيه ثلاث لغات اد بالكسر وهي قراءة العامة واد بالفتح وهي قراءة السلمي واد مثل ماد وهي لغة لبعض العرب ورويت عن ابن عباس وابي العالية وكانها ماخوذة من الثقل اده الحمل يؤده اودا واداه اثقله **قوله تعالى** تكاد السموات قراءة العامة هنا وفي الشورى وقراء نافع ويحيى والكسائي يكاد بالياء التذكير والفعل يتفطرن اي يتشققن وقراءة نافع وابن كثير وحفص وغيرهم بتاء بعد الياء وشد الطاء من التفطر هنا وفي الشورى ووافقهم حمزة وابن عامر في الشورى وقراها ينفطرن من الانفطار وكذلك قراها ابو علي وابو بكر والمفضل في السورتين وهي اختيار ابي عبيد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وقوله منفطر به وقوله وتنشق الارض اي تتصدع وتخر الجبال هدا قال ابن عباس هدما تسقط بصوت شديد وفي الحديث اللهم اني اعوذ بك من الهد والهدة قال شمر قال احمد بن غياث المروزي الهدة الخسوف والهد الهدم وقال الليث هو الهدم الشديد كحائط يهد مرة ينهدم يقال هدني الامر وهدركني اي كسرني وبلغ مني قال الهروي وقال الجوهري هد البناء يهده هدا كسره وضعضعه وهدته المصيبة اي اوهنت ركنه وانهد الجبل انكسر قال الاصمعي الهد الرجل الضعيف يقول الرجل للرجل اذا اوعده اني لغير هد اي لغير ضعيف وقال ابن الاعرابي

الهد من الرجال الجواد الكريم واما الجبان الضعيف فهو الهد بالكسر وانشد

ليسوا بهدين في الحروب اذا ... تعقد فوق الحراقف النطق

والهدة صوت وقع الحائط ونحوه يقال منه هد يهد بالكسر هديدا والهاد صوت يسمعه اهل الساحل ياتيهم من قبل البحر له دوي في الارض وربما كان منه الزلزلة ودويه هديده قال النحاس هدا مصدر لان معنى تخر تهد وقال غيره حال اي مهدودة ان دعوا للرحمن ولدا ان في موضع نصب عند الفراء بمعنى لان دعوا ومن ان دعوا فموضع ان نصب بسقوط الخافض وزعم الفراء ان الكسائي قال هي في موضع خفض بتقدير الخافض ذكر ابن المبارك اخبرنا مسعر عن عبد الله عن عاصم عن عون بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود ان الجبل ليقول للجبل يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله فان قال نعم سر به ثم قرا عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية قال افتراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير قال وحدثني عوف عن غالب بن عجرد قال حدثني رجل من اهل الشام في مسجد منا قال ان الله لما خلق الارض وخلق ما فيها من الشجر لم يك في الارض شجرة ياتيها بنو ادم الا اصابوا منها منفعة وكانوا لهم منها منفعة فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة بني ادم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولدا فلما قالوها اقشعرت الارض وشاك الشجر وقال ابن عباس اقشعرت الجبال وما فيها من الاشجار والبحار وما فيها من الحيتان فصار من ذلك الشوك في الحيتان وفي الاشجار وقال ابن عباس ايضا وكعب فزعت السموات والارض وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم وشاك الشجر واكفهرت الارض وجدبت حين قالوا اتخذ الله ولدا وقال محمد بن كعب لقد كاد اعداء الله ان يقيموا علينا الساعة لقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وقال ابن العربي وصدق فانه قول عظيم سبق به القضاء والقدر ولولا ان الباري تبارك وتعالى لا يضعه كفر الكافر ولا يرفعه ايمان المومن ولا يزيد هذا في ملكه كما لا ينقص ذلك من ملكه لما جرى شي من هذا على الالسنة ولكنه القدوس الحكيم العليم فلم يبال بعد ذلك بما يقوله المبطلون

قوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا فيه اربع مسائل **الاولى** قوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا نفى عن نفسه سبحانه الولد لان الولد يقتضي الجنسية والحدوث على ما بيناه في البقرة اي لا يليق به ذلك ولا يوصف به ولا يجوز في حقه لانه لا يكون ولد الا من والد يكون والد واصل والله سبحانه يتعالى عن ذلك ويتقدس قال الشاعر

في راس خلقاء من عنقاء مشرفة ... ما ينبغي دونها سهل ولا جبل

الثانية قوله تعالى ان كل من في السموات والارض ان نافية بمعنى ما اي ما كل من في السموات والارض الا ياتي يوم القيامة مقرا له بالعبودية خاضعا ذليلا كما قال وكل اتوه داخرين اي صاغرين اذلاء اي الخلق كلهم عبيده فكيف يكون واحد منهم ولدا له جل وتعالى عما يقوله الظالمون والجاحدون علوا كبيرا واتي في الخط والاصل التنوين فحذف استخفافا واضيف وفي هذه الاية دليل على انه لا يجوز ان يكون الولد مملوكا للوالد خلافا لمن قال انه يشتريه فيملكه ولا يعتق عليه الا اذا اعتقه وقد ابان الله تعالى المنافاة بين الاولاد وبين الملك فاذا ملك الوالد ولده بنوع من التصرفات عتق عليه ووجه الدليل عليه من هذه الاية ان الله تعالى جعل الوالدية والعبودية في طرفي تقابل فنفى احدهما واثبت الاخر ولو اجتمعا لما كان لهذا القول فائدة يقع الاحتجاج بها وفي الحديث الصحيح لا يجزي ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه خرجه مسلم فاذا لم يملك الاب ابنه مع مرتبته عليه فالابن مع عدم ملك الاب اولى لقصوره عنه

الثالثة ذهب اسحق بن راهويه في تاويل قوله صلى الله عليه وسلم من اعتق شركا له في عبد ان المراد بذكر العبيد دون اناثهم فلا يحمل على من اعتق شركا في انثى وهو خلاف لما ذهب اليه الجمهور من السلف ومن بعدهم فانهم لم يفرقوا بين الذكور والاناث فان لفظ العبد يراد به الجنس كما قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا فانه قد تناول الذكر والانثى من العبيد قطعا وتمسك اسحق بانه قد حكي عبدة في المونث

الرابعة روى البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وقد تقدم في البقرة وغيرها واعادته في مثل هذا الموضع حسن جدا والله اعلم

قوله تعالى **لقد احصاهم** اي علم عددهم وعدهم عدا تاكيدا اي فلا يخفى عليه احد منهم قال المولف
رحمه الله ووقع لنا في اسمائه سبحانه المحصي الهي في السنة من حديث ابي هريرة خرجه الترمذي واستقاق
هذا الفعل يدل عليه وقال الاستاد ابو اسحق الاسفرايني ومنها المحصي ويختص بانه لا تشغله الكثرة
عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اجزاء الحركات في كل ورقة
وكيف لا يعلم وهو الذي خلق وقد قال الا يعلم من خلق ووقع في تفسير ابن عباس ان معنى لقد احصاهم
وعدهم عدا يريد اقروا له بالعبودية وشهدوا له بالوحدانية والربوبية قوله تعالى **وكلهم
اتيه يوم القيامة فردا** اي واحدا لا ناصر له ولا مال معه ينفعه كما قال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم فلا ينفعه الا ما قدم من عمل قال وكلهم اتيه على لفظ كل وعلى المعنى اتوه قال القشيري
وفيه اشارة الى انكم لا ترضون باستعباد اولادكم والكل عبيده فكيف رضيتم له ما لا ترضون لانفسكم وقد
رد عليهم بمثل هذا في انهم لا يرضون لانفسهم بالبنات ويقولون الملائكة بنات الله والاصنام بنات الله وقال
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فلا يصل الى شركائهم قوله تعالى **ان الذين امنوا** اي
صدقوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي حبا في قلوب عباده كما رواه الترمذي من حديث ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه قال
فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في الارض فذلك قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا واذا ابغض الله عبدا نادى جبريل اني قد ابغضت فلانا فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء
في الارض قال هذا حديث صحيح وخرجه البخاري ومسلم بمعناه ومالك في الموطا وفي نوادر الاصول وحدثنا
ابو بكر بن سابق الاموي قال حدثنا ابو مالك الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اعطى المومن المقة والملاحة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين
ثم تلى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واختلف فيمن نزلت فقيل في علي رض روى البرا
بن عازب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب يا علي اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في
قلوب المومنين مودة فنزلت ذكره الثعلبي وقال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن عوف جعل الله له في قلوب
العباد المودة لا يلقاه مومن الا وقره ولا مشرك ولا منافق الا عظمه وكان هرم بن حيان يقول ما اقبل
احد بقلبه على الله الا اقبل الله له بقلوب اهل الايمان اليه حتى يرزقهم مودتهم ورحمتهم وقيل يجعل لهم مودة
في قلوب المومنين والملائكة يوم القيمة قال الشيخ رحمه الله اذا كان محبوبا في الدنيا فهو كذلك في الاخرة فان
الله تعالى لا يحب الا مومنا تقيا ولا يرضى الا خالصا نقيا جعلنا الله منهم بمنه روى مسلم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا دعى جبريل عليه السلم فقال اني احب فلانا فاحبه
فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء قال ثم يوضع له القبول
في الارض واذا ابغض الله عبدا دعى جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في
اهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الارض قوله تعالى
فانما يسرناه بلسانك يعني القران اي بيناه بلسانك العربي وجعلناه سهلا على من تدبره وتامله وقيل
انزلناه عليك بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه لتبشر به المتقين اي المومنين وتنذر به قوما لدا الالد جمع
الالد وهو الشديد الخصومة ومنه قوله تعالى الد الخصام وقال الشاعر

ابيت نجيا للهموم كانني ... اخاصم اقواما ذوي جدل لدا

وقال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل وقال الحسن الالد الصم وقال الربيع صم اذان القلوب
وقال مجاهد فجارا وقال الضحاك مجادلين في الباطل وقال ابن عباس شدادا في الخصومة وقيل الظالم الذي
لا يستقيم والمعنى واحد وخصوا بالانذار لان الذي لا عناد عنده يسهل انقياده قوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة وجماعة من الناس خوف اهل مكة هل تحس منهم من احد في موضع
نصب اي هل ترى منهم احدا او تجد او تسمع لهم ركزا اي صوتا عن ابن عباس وغيره اي قد ماتوا وحصلوا
اعمالهم وقيل حسا قاله ابن زيد وقيل الركز ما لا يفهم من صوت او حركة قاله اليزيدي وابو عبيدة كركز
الكتيبة وانشد ابو عبيدة بيت لبيد

وتوجست ركز الانيس فراعها ... عن ظهر غيب والانيس سقامها

وقيل الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض قال طرفة

وصادقتا سمع التوجس للسرى ... لركز خفي او لصوت مندد

وقال ذو الرمة

يسمع الى صوت صائد وكلاب ... اذا توجس ركزا مقفر ندس ... بنباة الصوت ما في سمعه كذب

اي ما في استماعه كذب اي هو صادق الاستماع والندس الحاذق يقال ندس وندس كما يقال حذر وحذر
ويقظ ويقظ والنباة الصوت الخفي وكذلك الركز والركاز المال المدفون والله اعلم بالصواب

تفسير سورة طه عليه السلام

مكية في قول الجميع نزلت قبل اسلام عمر رضي الله عنه روى الدارقطني في سننه عن انس بن مالك قال
خرج عمر متقلدا بالسيف فقيل له ان ختنك واختك قد صبوا فاتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال
له خباب وكانوا يقرؤون طه فقال اعطوني الكتاب الذي عندكم فاقراه وكان عمر يقرا الكتب فقالت
له اخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم واغتسل وتوضا فقام عمر فتوضا ثم اخذ الكتاب فقرا
طه وذكره ابن اسحاق مطولا وان عمر خرج متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله فلقيه
نعيم بن عبد الله فقال اين تريد يا عمر فقال اريد محمدا هذا الصابي الذي فرق امر قريش وسفه احلامها وعاب
دينها وسب الهتها فاقتله فقال له نعيم فوالله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر اترى بني عبد مناف
تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا افلا ترجع الى اهلك فتقيم امرهم قال واي اهل بيتي قال
ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله اسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك
بهما قال فرجع عمر عامدا الى اخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئهما اياها فلما سمعوا
حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم او في بعض البيت واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت
فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت
قالا له ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد
فقامت اليه اخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له اخته وختنه نعم قد اسلمنا وامنا
بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ولما راى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لاخته اعطيني
هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون انفا انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت
له اخته انا نخشاك عليها قال لها لا تخافي وحلف لها بالهته ليردنها اذا قراها فلما قال ذلك طمعت
في اسلامه فقالت له يا اخي انك نجس على شركك وانه لا يمسه الا المطهرون فقام عمر فاغتسل
فاعطته الصحيفة وفيها طه فقراها فلما قرا منها صدرا قال ما احسن هذا الكلام واكرمه فلما سمع
ذلك خباب خرج اليه فقال له يا عمر والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني سمعته امس
وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك
فدلني يا خباب على محمد حتى اتيه فاسلم وذكر الحديث **مسالة** اسند الدارمي ابو محمد في مسنده عن ابي
هريرة عن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى قرا طه ويس قبل ان يخلق السموات
والارض بالف عام فلما سمعت الملائكة القران قالت طوبى لامة ينزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل
هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا قال ابن فورك ومعنى قوله ان الله تعالى قرا طه ويس اي اظهره واسمع وافهم
كلامه من اراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت والعرب تقول قرات الشي اذا تتبعته وتقول
ما قرات هذه الناقة في رحمها سلا قط اي ما ظهر فيها ولد فعلى هذا يكون الكلام سابقا وقراته اسماعه
وافهامه بعبارات يخلقها وكتابة يحدثها وهو معنا قولنا قرانا كلام الله ومعنا قوله فاقرؤوا ما تيسر من
القران ومن اصحابنا من قال معنى قوله قرا اي تكلم به وذلك مجاز كقولهم ذقت هذا الامر وذقته بمعنى
اختبرته ومنه قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اي ابلاهم الله به فسمى ذلك ذوقا والخوف لا يذاق على
الحقيقة لان الذوق في الحقيقة بالفم دون غيره من الجوارح قال ابن فورك وما قلناه اولا اصح في تاويل
هذا الخبر لان كلام الله تعالى ازلي قديم سابق لجملة الحوادث وانما اسمع وافهم من اراد من خلقه على ما
اراد في الاوقات والازمنة لا ان عين كلامه يتعلق وجوده بمدة وزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

طه اختلف العلماء في معناه فقال الصديق رض هو من الاسرار ذكره الغزنوي وقال

ابن عباس معناه يا رجل ذكره البيهقي وقيل انها لغة معروفة في عكل وقيل في عك قال الكلبي لو قلت في عك لرجل يا رجل لم يجب حتى تقول طه وانشد الطبري في ذلك

دعوت بطه في القتال فلم يجب ... فخفت عليه ان يكون موائلا

ويروي مزايلا قاله عبد الله بن عمر ويا حبيبي بلغة عك ذكره الغزنوي وقال قطرب هو بلغة طي وانشد ليزيد بن المهلهل وفي روايته

ان السفاهة طه في خلايقكم ... لا قدس الله ارواح الملاعين

ان السفاهة طه من شمايلكم ... لا بارك الله في القوم الملاعين

وكذلك قال الحسن معنى طه يا رجل وقاله عكرمة وقال هو بالسريانية لذلك ذكره المهدوي وحكاه الماوردي عن ابن عباس ايضا ومجاهد وحكى الطبري انه بالنبطية يا رجل وهذا قول السدي وسعيد بن جبير وابن عباس ايضا وقال عكرمة ايضا كقولك يا رجل بلسان الحبشة والصحيح انها وان وجدت في لغة اخرى فانها من لغة العرب كما ذكرنا وانها لغة يمنية في عك وطي وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وقسم اقسم به وهذا ايضا مروي عن ابن عباس وقيل هو اسم للنبي صلى الله عليه وسلم سماه الله به كما سماه محمدا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسما فذكر ان فيها طه ويس وقيل هو اسم للسورة ومفتاح لها وقيل هو اختصار من كلام خص الله رسوله بعلمه وقيل انها حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى واختلف في ذلك فقيل الطا شجرة طوبى والها النار الهاوية والعرب تعبر عن الشي كله ببعضه كانه اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن جبير الطا افتتاح اسمه طاهر وطيب والها افتتاح اسمه هادي وقيل طا يا طامع الشفاعة للامة ها يا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا من الطهارة والها من الهداية كانه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم يا طاهرا من الذنوب يا هادي الخلق الى علام الغيوب وقيل الطا طول الغزاة والها هيبتهم في قلوب الكافرين بيانه قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله وقذف في قلوبهم الرعب وقيل الطا طرب اهل الجنة والها هوان اهل النار وقول سادس ان معنى طه طوبى لمن اهتدى قاله محمد بن علي بن الحنفية وقول سابع ان معنى طه طا الارض وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم ويحتاج الى الترويح بين قدميه فقيل له طا الارض اي لا تتعب حتى تحتاج الى الترويح حكاه ابن الانباري وذكر القاضي عياض في الشفا عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى قال الزمخشري وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته هاء وقلبت في يطا ياء فمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والها للسكت وقال مجاهد كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام ثم نسخ ذلك بالفرض ونزلت هذه الاية وقال الكلبي لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلي الليل كله زمانا حتى نزلت هذه الاية فامره الله ان يخفف عن نفسه فيصلي وينام فصلوا فقال كفار قريش ما انزل الله هذا القران على محمد الا ليشقى فانزل الله طه يقول يا رجل ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب على ما ياتي وعلى هذا القول ان طه طا الارض فتكون الها والالف ضمير الارض اي طا الارض برجليك في صلاتك وخففت الهمزة فصارت الفا ساكنة وقرات طائفة طه واصله طا بمعنى طا الارض فحذفت الهمزة وادخلت ها السكت وقال زر بن حبيش قرا رجل على عبد الله بن مسعود طه فقال له عبد الله طه فقال يا ابا عبد الرحمن اليس قد امر ان يطا الارض برجله او بقدميه فقال طه كذلك اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ابو عمرو وابن ابي اسحق الها وفتح الطا واما لهما جميعا ابو بكر وحمزة والكسايي والاعمش وقراهما ابو جعفر وشيبة ونافع بين اللفظين واختاره ابو عبيد الباقون بالتفخيم قال الثعلبي وهي كلها لغات صحيحة فصيحة قال النحاس لا وجه للامالة عند اكثر اهل العربية لعلتين احديهما انه ليس هاهنا ياء ولا كسرة فتكون الامالة والعلة الاخرى ان الطا من الحروف الموانع للامالة فهاتان علتان بينتان **قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى** وقرئ ما نزل عليك القران لتشقى قال النحاس بعض النحويين يقول هذه لام

الطا طول الغزاة والها هيبتهم في قلوب الكافرين

النفي

النفي وبعضهم يقول لام الجحود قال ابو جعفر وسمعت ابن كيسان يقول انها لام الخفض والمعنى ما انزلنا عليك القران للشقا والشقا يمد ويقصر وهو من ذوات الواو واصل الشقا في اللغة العناء والتعب اي ما انزلناه عليك لتتعب قال

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... واخو الجهالة في الشقا منعم

فمعنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يومنوا كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يومنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وروي ان ابا جهل بن هشام والنضر بن الحرث قالا للنبي صلى الله عليه وسلم انك شقي لانك تركت دين ابايك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة فهو الشقاوة بعينها وعلى الاقوال المتقدمة انه عليه السلم صلى بالليل حتى اسمغرت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة **قوله تعالى الا تذكرة لمن يخشى** قال الزجاج هو بدل من لتشقى اي ما انزلناه الا تذكرة قال النحاس وهذا وجه بعيد وانكره ابو علي من اجل ان التذكرة ليست بشقا وانما هو منصوب على المصدر اي انزلناه لتذكر به تذكرة اي على المفعول من اجله اي ما انزلنا عليك القران الا تذكرة لمن يخشى ولان لا تشقى تنزيلا مصدر اي انزلناه تنزيلا وقيل بدل من قوله تذكرة وقرا ابو حيوة الشامي تنزيل بالرفع على معنى هذا تنزيل ممن خلق الارض والسموات العلى اي العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقوله كبرى وصغرى وكبر وصغر اخبر عن عظمته وجبروته وجلاله ثم قال الرحمن على العرش استوى ويجوز النصب على المدح قال ابو اسحق ويجوز الخفض على البدل ممن وقال سعيد بن مسعدة الرفع بمعنى هو الرحمن وقال النحاس يجوز الرفع بالابتداء والخبر له ما في السموات فلا يوقف على استوى وعلى البدل من المضمر في خلق فيجوز الوقف على استوى وكذا اذا كان خبر ابتداء محذوف ولا يوقف على العلى وقد تقدم القول في معنى الاستوا في الاعراف والذي ذهب اليه الشيخ ابو الحسن وغيره انه مستو على عرشه بغير حد ولا تكييف كما يكون استوا المخلوقين وقال ابن عباس يريد خلق ما كان وما هو كاين الى يوم القيامة وبعد القيامة له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى يريد ما تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها الا الله وقال محمد بن كعب يعني الارض السابعة وقال ابن عباس الارض على نون والنون على البحر وان طرفي النون راسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السموات منها وهي التي قال الله فيها فتكن في صخرة او في السموات او في الارض والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله عز وجل وقال وهب بن منبه على وجه الارض سبعة ابحر والارضون سبع بين كل ارضين بحر فالبحر الاسفل مطبق على شفير جهنم ولولا عظمه وكثرة مايه وبرده لاحرقت جهنم كل من عليها قال وجهنم على متن الريح ومتن الريح على حجاب من الظلمة لا يعلم عظمه الا الله عز وجل وذلك الحجاب على الثرى والى الثرى انتهى علم الخلايق **قوله تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى** قال ابن عباس السر ما حدث به الانسان غيره في خفا واخفى منه ما اضمر في نفسه مما لم يحدث به غيره وعنه ايضا السر حديث نفسك واخفى من السر ما ستحدث به غيرك مما لم يكن وهو كاين انت تعلم ما تسر به نفسك اليوم ولا تعلم ما تسر به غدا والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر غدا والمعنى الله يعلم السر واخفى من السر وقال ابن عباس ايضا السر ما اسر ابن ادم في نفسه واخفى ما خفي على ابن ادم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلايق في علمه كنفس واحدة وقال قتادة وغيره السر ما اضمره الانسان في نفسه واخفى منه ما لم يكن ولا اضمره احد وقال ابن زيد السر سر الخلايق واخفى منه سره عز وجل وانكر ذلك الطبري وقال ان الذي هو اخفى ما ليس في سر الانسان وسيكون في نفسه كما قال ابن عباس قال ابن عباس الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى الله رفع بالابتدا او على اضمار مبتدا او على البدل من الضمير في يعلم وحد نفسه سبحانه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا المشركين الى عبادة الله وحده لا شريك له فكبر ذلك عليهم فلما سمعه ابو جهل يذكر الرحمن قال للوليد بن المغيرة محمد ينهانا ان ندعو مع الله الها اخر وهو يدعو الرحمن فانزل الله تعالى الرحمن على العرش استوى وانزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وهو واحد واسماوه كثيرة ثم قال الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى وقد تقدم التنبيه عليها في سورة الاعراف **قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى** قال اهل المعاني هو استفهام

ائبات وايجاب معناه اليس قد اتاك وقيل معناه وقد اتاك قاله ابن عباس وقال الكلبي لم يكن اتاه حديثه
بعد ثم اخبره اذ راي نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد علي النار هدي
قال ابن عباس وغيره هذا حين قضي الاجل وسار باهله وهو مقبل من مدين يريد مصر وكان قد اخطا الطريق
وكان موسي رجلا غيورا يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه لئلا يروا امراته فاخطا الرفقة لما سبق
في علم الله وكانت ليلة مظلمة وقال مقاتل وكانت ليلة الجمعة في الشتا قال وهب بن منبه استاذن موسي شعيبا
في الرجوع الي والدته فاذن له فخرج باهله وغنمه فولد له في الطريق غلام في ليلة شاتية باردة مثلجة
وقد حاد عن الطريق وتفرقت ماشيته فقدح موسي النار فلم تور المقدحة شيئا اذ بصر
بنار من بعيد علي يسار الطريق فقال لاهله امكثوا اي اقيموا بمكانكم اني انست نارا اي ابصرت قال
ابن عباس فلما توجه نحو النار فاذا النار في شجرة عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء ذلك النار وشدة خضرة تلك
الشجرة فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة ولا كثرة ماء الشجرة ولا نعمة الخضرة تغير حسن ضوء النار وذكر
المهدوي فراي النار فيما روي وهي في شجرة من العليق فقصدها فتاخرت عنه فرجع واوجس في نفسه خيفة
ثم دنت منه وكلمه الله عز وجل من الشجرة قال الماوردي كانت عند موسي نارا وكانت عند الله نورا وقرا
حمزة لاهله امكثوا بضم الهاء وكذا في القصص قال النحاس وهذا علي لغة من قال مررت بهو يا رجل فجاء
به علي الاصل وهو جائز الا ان حمزة خالف اصله في هذين الموضعين خاصة وقال امكثوا ولم يقل اقيموا لان الاقامة
تقتضي الدوام والمكث ليس كذلك وانست ابصرت قاله ابن الاعرابي ومنه قوله فان انستم منهم رشدا اي علمتم
وانست الصوت سمعته والقبس شعلة من نار وكذا المقباس يقال قبست منه نارا اقبس قبسا واقبسني اي
اعطاني منه قبسا وكذلك اقتبست منه نارا واقتبست منه علما ايضا اي استفدته قال اليزيدي اقبست
الرجل علما واقبسته نارا فان كنت طلبتها له قلت اقبسته وقال الكسائي اقبسته نارا او علما سوا قال
وقبسته ايضا فيهما هدي اي هاديا **قوله تعالى** فلما اتاها نودي يا موسي اني انا ربك يعني النار نودي
اي من الشجرة كما في سورة القصص اي من جهتها وناحيتها علي ما ياتي يا موسي اني انا ربك **قوله تعالى**
فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوي فيه خمس مسايل الاولي قوله تعالي فاخلع نعليك روي الترمذي
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان علي موسي يوم كلمه ربه كسا صوف وجبة صوف وكمة صوف
وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حميد الاعرج منكر
الحديث وحميد بن قيس المكي صاحب مجاهد ثقة والكمة القلنسوة الصغيرة وقرا العامة اني بالكسر اي نودي فقيل
له يا موسي اني واختاره ابو عبيد وقرا ابو عمرو وابن كثير وابن محيصن وحميد اني بفتح الالف باعمال النداء واختلف
العلماء في السبب الذي من اجله امر بخلع النعلين والخلع النزع والنعل ما جعلته وقاية لقدميك من الارض فقيل
امر بطرح النعلين لانهما نجسة اذ هي من جلد غير مذكي قاله كعب وعكرمة وقتادة وقيل امر بذلك لينال بركة
الوادي المقدس وتمس قدماه تربة الوادي قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن وابن جريج وقيل امر بخلع
النعلين للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالي وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت وقيل اعظاما لذلك
الموضع كما ان الحرم لا يدخل بنعلين اعظاما قال سعيد بن جبير قيل له طا الارض حافيا كما تدخل الكعبة
حافيا والعرف عند الملوك ان تخلع النعال ويبلغ الانسان الي غاية التواضع فكان موسي امر بذلك علي هذا
الوجه ولا يبالي كانت نعلاه من ميتة او غيرها وكان مالك لا يري لنفسه ركوب دابة بالمدينة برا بتربتها
المحترمة علي الاعظم الشريفة والجثة الكريمة ومن هذا المعني قوله صلى الله عليه وسلم لبشير بن الخصاصية
وهو يمشي بين القبور بنعليه اذا كنت في مثل هذا المكان فاخلع نعليك قال فخلعتهما وقول خامس ان ذلك
عبارة عن تفريغ قلبه من امر الاهل والولد وعبر عن الاهل بالنعل وكذلك هو في التعبير من راي انه لابس نعلين
فانه يتزوج وقيل لان الله بسط له بساط النور والهدي ولا ينبغي ان يطا علي بساط رب العالمين بنعليه
وقد يحتمل ان يكون موسي امر بخلع نعليه فكان ذلك اول فرض عليه كما كان اول ما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم
قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر والله اعلم بالمراد من ذلك الثانية في الخبر ان موسي عليه
السلام خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي وقال ابو الاحوص زار عبد الله ابو موسي في داره فاقيمت الصلاة
فقال ابو موسي لعبد الله تقدم فقال له عبد الله تقدم انت في دارك فتقدم ونزع نعليه فقال عبد الله ابالواد
المقدس انت وفي صحيح مسلم عن سعيد بن يزيد قال قلت لانس اكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين قال

فاذا النار في شجرة عناب

امر بخلع النعلين للخشوع والتواضع

نعم ورواه النسائي عن عبد الله بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلي يوم الفتح فوضع نعليه عن يساره
وروي ابو داود من حديث ابي سعيد الخدري قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه
فوضعهما عن يساره فلما راي ذلك القوم خلعوا نعالهم فلما قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ما حملكم
علي القاء نعالكم قالوا يا رسول الله رايناك القيت نعليك فالقينا نعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
جبريل اتاني فاخبرني ان فيهما قذرا او قال اذا جاء احدكم المسجد فلينظر فان راي في نعليه اذي او قذرا
فليمسحه وليصل فيهما صححه ابو محمد عبد الحق وهو يجمع بين الحديثين قبله ويرفع بينهما التعارض ولم
يختلف العلماء في جواز الصلاة في النعال اذا كانت طاهرة من مذكي حتي لقد قال بعض العلماء ان الصلاة
فيهما افضل وهو معني قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد علي ما تقدم وقال ابراهيم النخعي في الذين يخلعون
نعالهم لوددت ان محتاجا جاء فاخذها الثالثة فاذا خلعهما فليجعلهما بين رجليه فان ابا هريرة قال قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلي احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة للمقبري اخلعهما
بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما وما رواه عبد الله بن السائب انه عليه السلام خلعهما عن يساره فانه كان
اماما فان كنت اماما او وحدك فافعل ذلك ان احببت وان كنت ماموما في الصف فلا تؤذ بهما من علي يسارك
ولا تضعهما بين قدميك فيشغلاك ولكن قدام قدميك وروي عن جبير بن مطعم انه قال وضع الرجل نعله
بين قدميه بدعة الرابعة فان تحقق فيها نجاسة مجمع علي تنجيسها كالدم والعذرة من بول بني ادم لم يطهرها
الا الغسل بالماء عند مالك والشافعي واكثر العلماء وان كانت النجاسة مختلفا فيها كبول الدواب وارواثها
الرطبة فهل يطهرها المسح بالتراب من النعل والخف اولا قولان واطلق الاجزاء بمسح ذلك بالتراب من غير تفصيل
الاوزاعي وابو ثور وقال ابو حنيفة يزيله اذا يبس الحك والفرك ولا يجزي في رطبه الا الغسل ما عدا البول فلا يجزي
عنده فيه الا الغسل وقال الشافعي لا يطهر شيئا من ذلك كله الا الماء والصحيح قول من قال ان المسح يطهره
من الخف والنعل لحديث ابي سعيد فاما لو كانت النعل والخف من جلد ميتة فان كان غير مدبوغ فهو نجس باتفاق
ما عدا ما ذهب اليه الزهري والليث علي ما تقدم وبيانه في سورة النحل ومضي في سورة براءة القول
في ازالة النجاسة الخامسة قوله تعالي انك بالوادي المقدس طوي المقدس المطهر والقدس الطهارة والارض
المقدسة اي المطهرة سميت بذلك لان الله اخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين وقد جعل الله لبعض الاماكن
زيادة فضل علي بعض كما قد جعل لبعض الازمان زيادة فضل علي بعض ولبعض الحيوان كذلك ولله ان يفضل
ما يشاء وعلي هذا فلا اعتبار بكونه مقدسا باخراج المشركين واسكان المؤمنين فقد شاركه في ذلك غيره
وطوي اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقال الضحاك هو واد عميق مستدير مثل الطوي وقرا عكرمة
طوي الباقون طوي قال الجوهري وطوي اسم موضع بالشام بكسر طاؤه وتضم يصرف ولا يصرف فمن صرفه
جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة وقال بعضهم طوي
مثل طوي وهو الشي المثني وقالوا في قوله المقدس طوي طوي مرتين اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة
والتقديس مرتين وذكر المهدوي عن ابن عباس انه قيل له طوي لان موسي طواه بالليل اذ مر به فارتفع الي اعلي الوادي
فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه فكانه قال انك بالوادي المقدس الذي طويته طوي اي تجاوزته فطويته
بسيرك وقال الحسن معناه انه قدس مرتين فهو مصدر من طويته طوي ايضا **قوله تعالى** وانا اخترتك
اي اصطفيتك للرسالة وقرا اهل المدينة وابو عمرو وعاصم والكسائي وانا اخترتك وقرا حمزة وانا
اخترناك والمعني واحد الا ان وانا اخترتك ها هنا اولي من وجهين احدهما انه اشبه بالخط والثاني انه اولي
بنسق الكلام لقوله عز وجل يا موسي اني انا ربك وعلي هذا النسق جرت المخاطبة قاله النحاس **قوله تعالى**
فاستمع لما يوحي فيه مسالة واحدة قال ابن عطية حدثني ابي رحمه الله قال سمعت ابا الفضل الجوهري
يقول لما قيل لموسي صلوات الله عليه استمع لما يوحي وقف علي حجر واستند الي حجر ووضع يمينه علي شماله والقي ذقنه
علي صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا قال المؤلف رحمه الله حسن الاستماع كما يجب قد مدح الله
عليه فقال الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله وذم علي خلاف هذا الوصف
فقال نحن اعلم بما يستمعون به الاية فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور العقل وامر عباده بذلك ادبا
لهم فقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وقال هنا فاستمع لما يوحي لان بذلك ينال الفهم عن الله تعالي
وروي عن وهب بن منبه انه قال من ادب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغاء بالسمع وحضور

العقل والعزم على العمل وذلك الاستماع كما يحب الله تعالى وهو ان يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشغل
قلبه عما يسمع ويغض بصره فلا يلهو قلبه بما يرى ويحضر عقله فلا يحدث نفسه بشئ سوى ما يستمع اليه ويعزم
على ان يفهم فيعمل بما يفهم وقال سفيان بن عيينة اول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر فاذا
استمع العبد الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام بنية صادقة على ما يحب الله افهمه كما يحب وجعل له
في قلبه نورا **قوله تعالى** اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى فيه سبع مسائل
الاولى اختلف في قوله لذكرى فقيل يحتمل ان يريد لتذكرني فيها او يريد لاذكرك بها فالمصدر على هذا يحتمل
الاضافة الى الفاعل والى المفعول وقيل المعنى اي حافظ بعد التوحيد على الصلاة وهذا تنبيه على عظم قدر الصلاة
اذ هي تضرع الى الله وقيام بين يديه وعلى هذا فالصلاة هي الذكر وقد سمى الله الصلاة ذكرا في قوله فاسعوا
الى ذكر الله وقيل المراد اذا نسيت فتذكرت فصل كما في الخبر فليصلها اذا ذكرها اي لا تسقط الصلاة بالنسيان
الثانية روى مالك وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها
قال الله عز وجل يقول اقم الصلاة لذكري وروى ابو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث حجاج بن ابي الحجاج وهو
حجاج الاول الذي روى عنه يزيد بن زريع قال حدثنا قتادة عن انس بن مالك قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الرجل يرقد عن الصلاة ويغفل عنها قال كفارتها ان يصليها اذا ذكرها تابعه ابراهيم بن
طهمان عن حجاج وكذا ابو روى همام بن يحيى عن قتادة وروى الدارقطني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من نسي صلاة فوقتها اذا ذكرها فقوله فليصلها اذا ذكرها دليل على وجوب القضاء على النائم
والغافل كثرت الصلاة او قلت وهو مذهب عامة العلماء وقد حكي خلاف شاذ لا يعتد به لانه مخالف لنص
الحديث عن بعض الناس فيما زاد على خمس صلوات انه لا يلزمه قضاء قال المؤلف رحمه الله امر تعالى باقامة
الصلوات ونص على اوقاتها معينة فقال اقم الصلاة لدلوك الشمس الاية وغيرها من الاي ومن اقام بالليل
ما امر الله باقامته بالنهار او بالعكس لم يكن فعله مطابقا لما امر به ولا ثواب له على فعله وهو عاص وعلى
هذا الحد كان لا يجب عليه قضاء ما فاته وقته ولولا قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها
فليصلها اذا ذكرها لم ينتفع احد بصلاة وقعت في غير وقتها وبهذا الاعتبار كانت قضاء لا اداء لان القضاء
بامر متجدد وليس بالامر الاول **الثالثة** فاما من ترك الصلاة متعمدا فالجمهور ايضا على وجوب القضاء عليه
وان كان عاصيا الا داود [illegible] لا يصح [illegible] حكاه عنه ابن القصار والفرق بين المتعمد
والناسي والنائم حط الماثم فالمتعمد ماثوم وجميعهم قاضون والحجة للجمهور قوله تعالى اقيموا الصلاة ولم يفرق
بين ان يكون في وقتها او بعده وهذا امر يقتضي الوجوب وايضا فقد ثبت الامر بقضاء الناسي والنائم مع
انهما غير ماثومين فالعامد اولى وايضا قوله من نام عن صلاة او نسيها والنسيان الترك قال الله تعالى
نسوا الله فنسيهم ونسوا الله فانساهم انفسهم سواء كان مع ذهول او لم يكن لان الله تعالى لا ينسى وانما
معناه تركهم وقال ما ننسخ من اية او ننسها اي نتركها وكذلك الذكر يكون بعد النسيان وبعد غيره
قال الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء وهو تعالى لا ينسى فيكون ذكره بعد نسيان وانما معناه
علمت وكذلك يكون معنى قوله تعالى اذا ذكرها اي علمها وايضا فان الديون التي للادميين اذا كانت متعلقة
بوقت ثم جاز الوقت لم يسقط قضاؤها بعد وجوبها وهي مما يسقطها الابراء كان في ديون الله ان لا يصح فيها
الابراء اولى الا يسقط قضاؤها الا باذن منه وايضا فقد اتفقنا انه لو ترك يوما من رمضان متعمدا
لا يقضي ابدا فالاشارة الى ان ما مضى لا يعود او يكون كلاما خرج على التغليظ كما روي عن ابن مسعود
وعلي ان من افطر في رمضان عامدا لم يكفره صيام الدهر وان صامه ومع هذا فلا بد من توفية التكليف
حقه باقامة القضاء مقام الاداء واتباعه بالتوبة ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء وقد روى ابو المطوس عن ابيه
عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من افطر يوما من رمضان متعمدا لم يجزه صيام
الدهر وان صامه وهذا يحتمل ان لو صح كان معناه التغليظ وهو حديث ضعيف خرجه ابو داود وقد جاءت
الكفارة باسانيد صحاح وفي بعضها قضاء اليوم والحمد لله **الرابعة** قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها
الحديث يخص عموم قوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ والمراد بالرفع هنا رفع المأثم
لا رفع الفرض عنه وليس هذا من باب قوله وعن الصبي حتى يحتلم وان كان ذلك جاء في اثر واحد فقف على هذا
الاصل **الخامسة** اختلف العلماء من هذا المعنى فيمن ذكر صلاة فائتة وهو في اخر وقت صلاة او ذكر صلاة

من ترك الصلوة عمدا

وهو في صلاة فجملة مذهب مالك ان من ذكر صلاة وقد حضر وقت صلاة اخرى بدا بالتي نسي اذا كان خمس صلوات
فادنى وان فات وقت هذه وان كان اكثر من ذلك بدا بالتي حضر وقتها وعلى نحو هذا مذهب ابي حنيفة والثوري
والليث الا ان ابا حنيفة واصحابه قالوا الترتيب عندنا واجب في اليوم والليلة اذا كان في الوقت سعة للفائتة
ولصلاة الوقت فان خشي فوات الوقت بدا بها فان زاد على صلاة يوم وليلة لم يجب الترتيب عندهم وقد
روي عن الثوري وجوب الترتيب ولم يفرق بين القليل والكثير وهو تحصيل مذهب الشافعي قال الشافعي
الاختيار ان يبدا بالفائتة ما لم يخف فوت هذه فان لم يفعل وبدا بصلاة الوقت اجزاه وذكر الاثرم ان
الترتيب عند احمد واجب في صلاة ستين سنة واكثر وقال لا ينبغي لاحد ان يصلي صلاة وهو ذاكر لما قبلها
لانها تفسد عليه وروى الدارقطني عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نسي احدكم
صلاة وهو في صلاة مكتوبة فليبدا بالتي هو فيها فاذا فرغ منها صلى التي نسي عمر بن عمر مجهول قال
المؤلف رحمه الله وهذا لو صح كان حجة للشافعي في البداية بصلاة الوقت والصحيح ما رواه الصحيح عن جابر بن
عبد الله ان عمر بن الخطاب يوم الخندق جعل يسب كفار قريش وقال يا رسول الله والله ما كدت ان اصلي العصر حتى كادت
ان تغرب الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ان صليتها فنزلنا الى بطحان فتوضا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتوضانا وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب
وهذا نص في البداية بالفائتة قبل وقت الحاضرة ولا سيما المغرب ووقتها واحد مضيق غير ممتد في المشهور عندنا
وعند الشافعي كما تقدم وقد روى الترمذي عن ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان المشركين
شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شاء الله فامر بلالا فاذن
ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ثم اقام فصلى المغرب ثم اقام فصلى العشاء وبهذا استدل العلماء على
ان من فاتته صلوات قضاها مرتبة كما فاتته اذا ذكرها في وقت واحد واختلفوا اذا ذكر فائتة في ضيق
وقت حاضرة على ثلاثة اقوال يبدا بالفائتة وان خرج وقت الحاضرة وبه قال مالك والليث والزهري
وغيرهم كما قدمناه الثاني يبدا بالحاضرة وبه قال الحسن والشافعي وفقهاء اصحاب الحديث والمحاسبي وابن
وهب من اصحابنا الثالث يتخير فيقدم ايتهما شاء وبه قال اشهب وجه الاول يكثر الصلوات ولا خلاف انه يبدا
بالحاضرة مع الكثرة قال القاضي عياض واختلفوا في مقدار اليسير فعن مالك الخمس فدون وقيل الاربع
فدون لحديث جابر ولم يختلف المذهب ان الست كثير **السادسة** واما من ذكر صلاة وهو في صلاة فان كان
وراء الامام فكل من قال بوجوب الترتيب ومن لم يقل به يقول يتمادى مع الامام حتى يكمل صلاته والاصل
في هذا ما رواه مالك والدارقطني عن ابن عمر قال اذا نسي احدكم صلاة فلم يذكرها الا وهو مع الامام
فليصل مع الامام فاذا فرغ من صلاته فليصل التي نسي ثم ليعد صلوته التي صلى مع الامام لفظ الدارقطني
وقال قال موسى بن هرون وحدثناه ابو ابراهيم الترجماني قال حدثنا سعيد ورفعه الى النبي صلى الله عليه
وسلم ووهم في رفعه فان كان قد رجع عن رفعه فقد وفق للصواب ثم اختلفوا فقال ابو حنيفة واحمد بن
حنبل يصلي التي ذكر ثم يصلي التي صلى مع الامام الا ان يكون بينهما اكثر من صلوات على ما قدمناه ذكره عن
الكوفيين وهو مذهب جماعة من اصحاب مالك المدنيين وذكر الخرقي عن احمد بن حنبل انه قال من ذكر صلاة
وهو في اخرى اتمها وقضى المذكورة واعاد التي كان فيها اذا كان الوقت مبقى فان خشي خروج الوقت وهو فيها
اعتقد ان لا يعيدها وقد اجزته ويقضي التي عليه وقال مالك من ذكر صلاة وهو في صلاة قد صلى منها ركعتين
سلم من ركعتيه فان كان اماما انهدمت عليه وعلى من خلفه وبطلت هذا الظاهر من مذهب مالك وليس
عند اهل النظر من اصحابه كذلك لان قوله فيمن ذكر صلاة في صلاة قد صلى منها ركعة انه يضيف اليها اخرى ويسلم
ولو ذكرها في صلاة قد صلى منها ثلاث ركعات اضاف اليها رابعة وسلم وصارت نافلة غير فاسدة ولو انفسدت
عليه كما ذكر وبطلت لم يؤمر ان يضيف اليها كما اخرى كما لو احدث بعد ركعة لم يضف اليها اخرى **السابعة**
روى مسلم عن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديث الميضاة بطوله وقال فيه ثم قال
اما لكم في اسوة حسنة ثم قال اما انه ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجي وقت
الصلاة الاخرى فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها فاذا كان الغد فليصلها عند وقتها واخرجه الدارقطني
هكذا بلفظ مسلم سواء فظاهره يقتضي اعادة المقضية مرتين عند ذكرها وحضور مثلها من الوقت الاتي ويعضد
هذا الظاهر ما خرجه ابو داود من حديث عمران بن الحصين وذكر القصة وقال في اخرها فمن ادرك منكم الصلاة

من غدٍ صالحًا فليقض معها مثلها قال المؤلف رحمه الله وهذا ليس على ظاهره ولا تعاد غير مرة واحدة لما رواه الدارقطني عن عمران بن حصين قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة او قال في سرية فلما كان السحر عرّسنا فما استيقظنا حتى ايقظنا حر الشمس فجعل الرجل منا يثب فزعًا دهشًا فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا فارتحلنا ثم سرنا حتى ارتفعت الشمس فقضى القوم حوائجهم ثم امر بلالًا فاذّن فصلّى ركعتين ثم امره فاقام فصلينا الغداة فقلنا يا نبي الله الا نقضيهما لوقتهما من الغد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم وقال الخطابي لا اعلم احدًا قال بهذا وجوبًا ويشبه ان يكون الامر به استحبابًا ليحرز فضيلة الوقت في القضاء والصحيح ترك العمل لقوله اينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم ولان طرق الصحاح من حديث عمران بن حصين ليس فيها من تلك الزيادة شيء الا ما ذكر في حديث ابي قتادة وهو محتمل كما بيناه قال المؤلف رحمه الله ذكر الكيا الطبري في احكام القرآن له ان من السلف من خالف قوله عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك فقال يصبر الى مثل وقته فيصلي فاذا فات الصبح يصلي من الغد وهذا قول بعيد شاذ

قوله تعالى ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى

اية مشكلة فروي عن سعيد بن جبير انه قرأ اكاد اخفيها بفتح الهمزة قال ومعناه اظهرها لتجزى اي الاظهار للجزاء رواه ابو عبيد عن الكسائي عن محمد بن سهل عن وقاء بن اياس عن سعيد بن جبير قال النحاس وليس لهذه الرواية طريق غير هذا قال المؤلف رحمه الله وكذا رواه ابو بكر بن الانباري في كتاب الرد حدثني ابي حدثنا محمد بن الجهم حدثنا الفراء حدثنا الكسائي ح وحدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يوسف حدثنا يحيى الحماني حدثنا محمد بن سهل قال النحاس واجود من هذا الاسناد ما رواه يحيى القطان عن الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انه قرأ اخفيها بضم الهمزة قال المؤلف رحمه الله فاما ما قراءه ابن جبير اخفيها بفتح الالف بالاسناد المذكور فقال ابو بكر الانباري قال الفراء معناه اظهرها من خفيت الشيء اذا اظهرته اخفيه وانشد الفراء لامرئ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه ... وان تبعثوا الحرب لا نقعد

اراد لا نظهره وقد قال بعض اللغويين يجوز ان يكون اخفيها بضم الهمزة معناه اظهرها لانه يقال خفيت الشيء واخفيته اذا اظهرته فاخفيته من حروف الاضداد يقع على الستر والاظهار قال ابو عبيدة خفيت واخفيت بمعنى واحد قال النحاس وهذا حسن وقد حكاه عن ابي الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لا يشك في صدقه وقد روى عنه سيبويه وانشد

وان تكتموا الداء لا نخفه

البيت كذا رواه ابو عبيدة عن ابي الخطاب بضم النون وقال امرؤ القيس ايضا

خفاهن من انفاقهن كانما ... خفاهن ودق من عشي مجلب

قال ابو بكر الانباري وتفسير الاية اخبر ان الساعة اتية اكاد انقطع الكلام على اكاد وبعده مضمر اكاد اتي بها والابتداء اخفيها لتجزى كل نفس قال ضابئ البرجمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

اراد وكدت افعل فاضمر مع كدت فعلا كالفعل المضمر معه في القران قال المؤلف رحمه الله هذا الذي اختاره النحاس وزيف القول الذي قبله فقال خفا الشيء يخفيه اذا اظهره وقد حكي انه يقال اخفاه ايضا اذا ستره وليس بالمعروف قال وقد رايت علي بن سليمان لما اشكل عليه معنا اخفيها عدل الى هذا القول وقال معناه كمعنا اخفيها قال النحاس ليس المعنى على اظهرها ولا سيما واخفيها قراءة شاذة فكيف ترد القراءة الصحيحة الشائعة الى الشاذة ومعنى المضمر اولى ويكون التقدير ان الساعة اتية اكاد اتي بها ودل اتية على اتي بها ثم قال اخفيها على الابتداء وهذا معنى صحيح لان الله عز وجل قد اخفى الساعة التي هي القيامة والساعة التي يموت فيها الانسان ليكون الانسان يعمل والامر عنده مبهم ولا يؤخر التوبة قال المؤلف رحمه الله وعلى هذا القول تكون اللام في لتجزى متعلقة باخفيها وقال ابو علي هذا من باب السلب وليس من الاضداد ومعنى اخفيها ازيل عنها خفاءها وهو سترها كخفاء القربة واذا زال عنها سترها ظهرت والاخفية الاكسية والواحدة خفاء بكسر الخاء ومن هذا قوله اشكيته اي ازلت شكواه واعديته اي قبلت استعداءه ولم احوجه الى اعادته وحكى ابو حاتم عن الاخفش ان كاد زائدة موكدة قال ومثله اذا اخرج يده لم يكد يراها لان الظلمات التي ذكرها الله تعالى بعضها يحول بين الناظر والمنظور اليه وروي معناه عن ابن جبير والتقدير ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال الشاعر

زيد القول الذي قبله

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه ... فما ان يكاد قرنه يتنفس

اراد فما يتنفس وقال اخر

وان لا الوم النفس فيما اصابني ... وان لا اكاد بالذي نلت انجح

معناه وان لا انجح بالذي نلت ناكاد توكيد للكلام وقيل المعنى اكاد اخفيها اي اقارب ذلك لانك اذا قلت كاد زيد يقوم جاز ان يكون قام وان يكون لم يقم ودل على انه قد اخفاها بدلالة غير هذه على هذا الجواب قال اللغويون كدت افعل معناه عند العرب قاربت الفعل ولم افعل وما كدت افعل معناه فعلت بعد ابطاء وشاهده قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون معناه وفعلوا بعد ابطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم وقد يكون ما كدت افعل بمعنى ما فعلت ولا قاربت اذا اكد الكلام باكاد وقيل معنى اكاد اخفيها اريد اخفيها قال الانباري وشاهد هذا القول الفصيح من الشعر

كادت وكدت وتلك خير ارادة ... لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

معناه ارادت واردت وقال ابن عباس واكثر المفسرين كما قال الثعلبي ان المعنى اكاد اخفيها من نفسي وكذلك في مصحف ابي وفي مصحف ابن مسعود اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءات فكيف اظهرها لكم وهذا محمول على انه جاء على ما جرت به عادة العرب في كلامها من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشيء قال كدت اخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شيء قال معناه قطرب وغيره وقال الشاعر

ايام تصحبني هند واخبرها ... ما اكتم النفس من حاجي واسراري

فكيف يخبرها بما تكتم نفسه منه ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه قال الزمخشري وقيل معناه واكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها قال المؤلف رحمه الله وقد قيل معنى قول من قال اكاد اخفيها من نفسي اي ان اخفاها كان من قبلي ومن عندي لا من عند غيري وروي عن ابن عباس ايضا اكاد اخفيها من نفسي رواه طلحة بن عمرو عن عطاء وروى علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس قال لا اظهر عليها احدًا وروي عن سعيد بن جبير قال قد اخفاها وهذا على ان كاد زائدة اي ان الساعة اكاد اخفيها والفائدة في اخفائها التخويف والتهويل وقيل تعلق بقوله لتجزى بقوله تعالى واقم الصلوة فيكون في الكلام تقديم وتاخير اي اقم الصلاة لذكري لتجزى كل نفس بما تسعى اي بسعيها ان الساعة اتية لتجزى فلا يصدنك عنها اي لا يصرفنك عن الايمان بها والتصديق بها من لا يومن بها واتبع هواه فتردى اي فتهلك وهو في موضع النصب لجواب النهي

قال تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي فيه خمس مسائل **الاولى** قوله تعالى وما تلك بيمينك قيل كان هذا خطاب من الله تعالى لموسى وحيًا لانه قال فاستمع لما يوحى ولا بد للنبي في نفسه معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه فاراه في العصا وفي نفسه ما اراه لذلك ويجوز ان يكون ما اراه في الشجرة اية كافية له في نفسه ثم تكون اليد والعصا زيادة تاكيد وبرهان يلقى بها قومه واختلف في ما في قوله وما تلك فقال الزجاج والفراء هي اسم ناقص وصلت بيمينك اي ما التي بيمينك وقال الفراء ايضا تلك بمعنى هذه ولو قال ما ذلك لجاز اي ما ذلك الشيء ومقصود السؤال تقرير الامر حتى يقول موسى هي عصاي لتثبت الحجة عليه بعد ما اعترف والا فقد علم الله ما هي في الازل قال ابن الجوهري وفي بعض الاثار ان الله تعالى عتب على موسى اضافة العصا الى نفسه في ذلك الموطن فقيل له القها لترى منها العجب فتعلم انه لا ملك لك عليها ولا تنضاف اليك وقرا ابن ابي اسحاق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشرى ومحياي وقد تقدم وقرا الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين ومثله قراءة حمزة وما انتم بمصرخي وعن ابن ابي اسحاق سكون الياء **الثانية** في هذه الاية دليل على جواب المسؤول باكثر مما سئل لانه لما قال وما تلك بيمينك يا موسى ذكر معاني اربعة وهي اضافة العصا اليه وكان حقه ان يقول عصا والتوكؤ والهش والمآرب المطلقة فذكر موسى من منافع عصاه عظمها وجمهورها واجمل سائر ذلك وفي الحديث سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وسالته امراة عن الصغير حين رفعته اليه وقالت الهذا حج قال نعم ولك اجر وفي الحديث مثله كثير **الثالثة** قوله تعالى اتوكا عليها اي اتحامل عليها في المشي والوقوف ومنه الاتكاء واهش بها واهش ايضا ذكره النحاس وهي قراءة النخعي اي اخبط بها الورق اي اضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها فيسهل على غنمي تناوله فتاكله قال الراجز

اهش بالعصا على اغنامي ... من ناعم الاراك والبشام

يقال هش على غنمه يهش بضم الهاء في المستقبل وهش الى الرجل بالفتح وكذلك هش للمعروف يهش وهششت انا وفي حديث عمر هششت يوما فقبلت وانا صايم قال شمر اي فرحت واشتهيت قال ويجوز هاش بمعنى هش قال الراعي

فكبر للرؤيا وهاش فؤاده　　وبشر نفسا كان قبل يلومها

اي طلب والاصل في الكلمة الرخاوة يقال رجل هش وخوز هش وقرا عكرمة واهس بالسين غير معجمة قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل معناهما مختلف فالهش بالاعجام خبط الشجر والهس بغير اعجام زجر الغنم ذكره الماوردي وكذلك ذكر الزمخشري واهس بالسين اي انحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم **الرابعة** قوله تعالى ولي فيها مارب اخرى اي حوايج واحدها مأربة ومأربة ومأربة وقال اخرى على صيغة الواحد لان مارب في معنى جماعة لكن المهيع في توابع جمع ما لا يعقل الافراد والكناية عنه بذلك فان ذلك يجري مجرى الواحدة المونثة كقوله ولله الاسماء الحسنى وكقوله يا جبال اوبي معه وقد تقدم هذا في الاعراف **الخامسة** تعرض قوم لتعديد منافع العصا منهم ابن عباس قال اذا انتهيت الى راس بير فقصر الرشا وصلته بالعصا واذا اصابني حر الشمس غرزتها في الارض والقيت عليها ما يظلني واذا خفت شيا من هوام الارض قتلته بها واذا امشيت القيتها على عاتقي وعلقت عليها القوس والكنانة والمخلاة واقاتل بها السباع عن الغنم وروي عنه ميمون بن مهران قال امساك العصا سنة للانبيا وعلامة للمومن وقال الحسن البصري فيها ست خصال سنة للانبيا وزينة للصلحا وسلاح على الاعدا وعون الضعفا وغم المنافقين وزيادة في الطاعات ويقال اذا كان مع المومن العصا يهرب منه الشيطان ويخشع منه المنافق والفاجر وتكون قبلته اذا صلى وقوة اذا اعيي ولقي الحجاج اعرابيا فقال من اين اقبلت يا اعرابي قال من البادية قال وما في يدك قال عصاي اركزها لصلاتي واعدها لعداي واسوق بها دابتي واقوى بها على سفري واعتمد بها في مشيتي لتتسع خطوتي واثب بها النهر وتومنني العثر والقي عليها كساي فتقيني الحر وتدفيني من القر وتدني الي ما بعد مني وهي محمل سفرتي وعلاقة اداوتي اعصي بها عند الضراب واقرع بها الابواب واتقي بها عقور الطلاب وتنوب عن الرمح في الطعان وعن السيف عند منازلة الاقران ورثتها عن ابي واورثها بعدي ابني وبها اهش على غنمي ولي فيها مارب اخرى كثيرة لا تحصى قال المولف رحمه الله منافع العصا كثيرة ولها مدخل في مواضع من الشريعة منها انها تتخذ قبلة في الصحرا وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنزة تغرز له فيصلي اليها وكان اذا خرج يوم العيد امر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي اليها وذلك ثابت في الصحيح والحربة والعنزة والنبوك والالة اسما المسمى واحد وكان له محجن وهو عصا معوجة الطرف يشير بها الى الحجر اذا لم يستطع ان يقبله ثابت في الصحيح ايضا وفي الموطا عن السايب بن يزيد انه قال امر عمر بن الخطاب رض ابي بن كعب وتميم الداري ان يقوما للناس باحدى عشرة ركعة وكان القاري يقرا بالمين حتى كنا نعتمد على العصا من طول القيام وما كنا ننصرف الا في فروع الفجر وفي الصحيحين انه عليه السلم كان له مخصرة والاجماع منعقد على ان الخطيب يخطب متوكيا على سيف او عصى فالعصا ما من اصل كريم ومعدن شريف ولا ينكرها الا جاهل وقد جمع الله لموسى عليه السلم في عصاه من البراهين العظام والايات الجسام ما امن به السحرة المعاندون واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته وكان ابن مسعود صاحب عصا النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته وكان يخطب بالقضيب وكفى بذلك شرفا على جلال العصا وعلى ذلك الخلفاء وكبير الخطباء وعادة العرب العربا الفصحا اللسن البلغا اخذ المخصرة والعصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب وانكر الشعوبية على خطباء العرب اخذ المخصرة والاشارة بها الى المعاني والشعوبية تبغض العرب وتفضل العجم قال مالك كان عطا بن السايب يمسك المخصرة يستعين بها قال مالك والرجل اذا كبر لم يكن مثل الشاب يقوى بها عند قيامه قال المولف رحمه الله وفي مشيه كما قال بعضهم

قد كنت امشي على رجلين معتمدا　　فصرت امشي على اخرى من الخشب

قال مالك رحمه الله وكان الناس اذا جاءهم المطر خرجوا بالعصا يتوكون عليها حتى لقد كان الشباب يحبسون عصيهم وربما اخذ ربيعة العصا من بعض من يجلس اليه حتى يقوم ومن منافع العصا ضرب الرجل نساءه بها فيما يصلحهم ويصلح به حاله وحاله معهم ومنه قوله عليه السلام واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه في احد التاويلات وقد روي عنه عليه السلم انه قال لرجل اوصاه لا ترفع عصاك عنهم في الله رواه عبادة بن الصامت خرجه النساي ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وقد تقدم هذا في النساء وفيها التنبيه على الانتقال من هذه الدار كما قيل لبعض الزهاد ما لك تمشي على عصى ولست بكبير ولا مريض قال اني اعلم اني مسافر وانها دار قلعة وان العصا من الة السفر واخذه بعض الشعرا فقال

حملت العصا لا الضعف اوجب حملها　　علي ولا اني تحنيت من كبر
ولكنني الزمت نفسي حملها　　لاعلمها ان المقيم على سفر

قال القها يا موسى الاية لما اراد الله تعالى ان يدربه في تلقي النبوة وتكاليفها امره بالقاء العصا فالقاها موسى فقلب الله اوصافها واعراضها وكانت عصا ذات شعبتين فصار الشعبتان لها فما وصارت حية تسعى اي تنتقل وتمشي وتلتقم الحجارة فلما راها عليه السلم راى عبرة فولى مدبرا ولم يعقب فقال الله له خذها ولا تخف وذلك انه اوجس في نفسه خيفة اي لحقه ما يلحق البشر وروي ان موسى تناولها بكمي جبته فنهي عن ذلك فاخذها بيده فصارت عصا كما كانت اولا وهي سيرتها الاولى وانما اظهر له هذه الاية لئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون ويقال ان العصا بعد ذلك كانت تماشيه وتحادثه ويعلق عليها احماله وتضي له الشعبتان بالليل كالشمع واذا اراد الاستقاء انقلبت الشعبتان كالدلو واذا اشتهى ثمرة ركزها في الارض فاثمرت تلك الثمرة وقيل انها كانت من اس الجنة وقيل اتاه جبريل بها وقيل ملك وقيل قال له شعيب خذ عصا من ذلك البيت فوقعت بيده تلك العصا وكانت عصا ادم هبط بها من الجنة والله اعلم **قوله تعالى فاذا هي حية تسعى** قال النحاس ويجوز حية يقال خرجت فاذا زيد جالس وجالسا والوقف حية بالهاء والسعي المشي لسرعة وخفة وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما راه يبتلع كل شي خافه ونفر منه وعن بعضهم انما خاف منه لانه عرف ما لقي ادم منه وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحيتها **قوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى** سمعت علي بن سليمان يقول التقدير الى سيرتها مثل واختار موسى قومه قال ويجوز ان يكون مصدرا لان معنى سنعيدها سنسيرها **قوله تعالى واضمم يدك الى جناحك** يجوز في غير القران ضم بفتح الميم وكسرها لالتقا الساكنين والفتح اجود لخفته والكسر على الاصل ويجوز الضم على الاتباع ويد اصلها يدي على فعل يدل على ذلك ايد وتصغيرها يدية والجناح العضد قاله مجاهد وقال الى بمعنى مع قال قطرب الى جناحك الى جيبك ومنه قول الراجز

اضمه للصدر والجناح

وقيل الى جنبك فعبر عن الجيب بالجناح لانه مائل في محل الجناح وقيل الى عندك وقال مقاتل الى بمعنى مع اي مع جناحك تخرج بيضاء من غير سوء من غير برص نورا ساطعا يضي بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوءا عن ابن عباس وغيره فخرجت نورا مخالفة للونه وبيضاء نصب على الحال ولا تنصرف لان فيها الفي التانيث لا يزايلانها فكان لزومها علة ثانية فلم تنصرف في النكرة وخالفتا الهاءان الهاء تفارق الاسم ومن صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء اية اخرى سوى العصا فاخرج يده من مدرعة له مصرية لها شعاع مثل شعاع الشمس يغشي البصر واية منصوبة على البدل من بيضاء قال الاخفش وقال النحاس هو قول النحاس وقال الزجاج المعنى اتيناك اية اخرى او نوتيك لانه لما قال تخرج بيضاء من غير سوء دل على انه قد اتاه اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى يريد العظمى وكان حقه ان يقول الكبيرة وانما قال الكبرى لوفاق رؤس الاي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من اياتنا الاية الكبرى دليله قول ابن عباس يد موسى اكبر اياته **قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى** لما انسه بالعصا واليد واراه ما يدل على انه رسول امره بالذهاب الى فرعون وان يدعوه وطغى معناه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد

قوله تعالى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي طلب الاعانة لتبليغ الرسالة ويقال ان الله اعلمه بانه ربط على قلب فرعون وانه لا يومن فقال موسى يا رب فكيف تامرني ان اتيه وقد ربطت على قلبه فاتاه ملك من خزان الريح فقال يا موسى انطلق لما امرك الله فقال موسى عند ذلك رب اشرح لي صدري اي وسعه ونوره بالايمان والنبوة ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واحلل عقدة من لساني يعني العجمة التي كانت فيه من جمرة النار التي القاها في فيه وهو طفل قال ابن عباس كانت في لسانه رتة وذلك انه كان في حجر فرعون ذات يوم وهو طفل فلطمه لطمة واخذ بلحيته فنتفها فقال فرعون لاسية هذا عدوي فهات الذباحين فقالت اسية على رسلك فانه صبي لا يفرق بين الاشياء ثم اتت بطستين فجعلت في احدهما جمرا وفي الاخر جوهرا فاخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه فكانت تلك الرتة وروي ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني

قالوا الى الذي ابرا بيدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرا بده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة
فتنعقد بينهما حرمة المواكلة ثم اختلف هل زالت تلك الرتة فقيل زالت بدليل قوله قد اوتيت سولك
يا موسى وقيل لم تزل كلها بدليل قوله حكاية عن فرعون ولا يكاد يبين ولانه لم يقل احلل كل لساني فدل على انه بقي
في لسانه شيء من الاستمساك وقيل زالت بالكلية بدليل قوله اوتيت سولك وانما قال فرعون ولا يكاد يبين
لانه عرف منه تلك العقدة في التربية وما ثبت عنده انها زالت قال المؤلف رحمه الله وهذا فيه نظر لانه
لو كان ذلك لما قال فرعون ولا يكاد يبين حين كلمه موسى بلسان ذلق فصيح والله اعلم وقيل ان تلك
العقدة حدثت بلسانه عند مناجاة ربه حتى لا يكلم غيره الا باذنه يفقهوا قولي اي يعلموا ما اقول لهم ويفهموه والفقه
في كلام العرب الفهم قال اعرابي لعيسى بن عمر شهدت عليك بالفقه تقول منه فقه الرجل بالكسر وفلان
لا يفقه ولا ينقه وافقهتك الشيء ثم خص به علم الشريعة والعالم به فقيه وتفقه بالضم فقاهة وفقهه الله وفقه
اذا تعالى ذلك وفاقهته اذا باحثته في العلم قال الجوهري والوزير الموازر كالوكيل المواكل لانه يحمل عن السلطان
وزره اي ثقله وفي كتاب النسائي عن قاسم بن محمد سمعت عمتي تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ولي منكم عملا فاراد الله به خيرا جعل الله له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ومن هذا المعنى
قوله عليه السلام ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف
وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله رواه البخاري فسال الله موسى
ان يجعل له وزيرا الا انه لم يرد ان يكون مقصورا على الوزارة حتى لا يكون له شريك في النبوة ولولا ذلك لجاز
ان يستوزره من غير مسالة وعين فقال هرون وانتصب على البدل من قوله وزيرا او يكون منصوبا
بـ اجعل على التقديم والتاخير والتقدير واجعل لي هرون اخي وزيرا وكان هرون اكبر من موسى بسنة
وقيل بثلاث اشدد به ازري اي ظهري والازر الظهر من موضع الحقوين ومعناه تقوى به نفسي والازر
القوة وآزره قواه ومنه قوله فآزره فاستغلظ وقال ابو طالب

اليس ابونا هاشم شد ازره ... واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

وقيل الازر العون اي يكون عونا يستقيم به امري قال الشاعر

شددت به ازري وايقنت انه ... اخو الفقر من ضاقت عليه مذاهبه

وكان هرون اكثر لحما من موسى واتم طولا وابيض جسما وافصح لسانا ومات قبل موسى بثلاث سنين وكان
في جبهة هرون شامة وعلى ارنبة انف موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم يكن على احد قبله ولا يكون
على احد بعده وقيل انها سبب العقلة في لسانه والله اعلم واشركه في امري اي في النبوة وتبليغ الرسالة قال
المفسرون فكان هرون يومئذ بمصر فامر الله موسى ان ياتي هو وهرون واوحى الى هرون وهو بمصر ان يلتقي موسى
فتلقاه بمرحلة واخبره بما اوحى الله اليه فقال له موسى ان الله امرني ان اتي فرعون فسالت ربي ان يجعلك معي
رسولا وقراءة العامة اخي اشدد بوصل الالف واشركه بفتح الهمزة على الدعاء اي اشدد يا رب ازري واشركه
معي في امري وقرا ابن عامر ويحيى بن الحارث وابو حيوة والحسن وعبد الله بن ابي اسحاق اشدد بقطع الالف
واشركه بضم الالف اي انا افعل ذلك اشدد انا به ازري واشركه انا يا رب في امري قال النحاس جعلوا الفعلين
في موضع جزم جوابا لقوله اجعل لي وزيرا وهذه القراءة شاذة بعيدة لان جواب مثل هذا انما يتخرج بمعنى
الشرط والمجازاة فيكون المعنى ان تجعل لي وزيرا من اهلي اشدد به ازري واشركه في امري وامر النبوة والرسالة
وليس هذا اليه صلى الله عليه وسلم فيخبر به انما يسال الله عز وجل ان يشركه معه في النبوة وفتح الياء من اخي ابن
كثير وابو عمرو كي نسبحك كثيرا قيل معنى نسبحك نصلي لك ويحتمل ان يكون التسبيح باللسان اي ننزهك
عما لا يليق بجلالك وكثيرا نعت لمصدر محذوف ويجوز ان يكون نعتا لوقت والادغام حسن وكذا ونذكرك
كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال الخطابي البصير المبصر والبصير العالم بخفيات الامور فالمعنى اي عالما بنا
ومدركا لنا في صغرنا فاحسنت الينا فاحسن الينا ايضا كذلك يا رب **قوله تعالى** قال قد اوتيت
سولك يا موسى لما ساله شرح الصدر وتيسير الامر الى ما ذكر اجاب سوله واتاه طلبته ومرغوبه والسول
الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول وقوله تعالى ولقد مننا عليك مرة اخرى
اي قبل هذه وهو حفظه سبحانه له من شر الاعداء في الابتداء وذلك حين الذبح والله اعلم والمن الاحسان
والافضال وقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى قيل اوحينا الهمنا وقيل اوحي اليها في النوم وقال ابن عباس

العقدة التي حدثت

اذ

عباس اوحي اليها كما اوحي الى النبيين ان اقذفيه في التابوت قال مقاتل مؤمن ال فرعون هو الذي صنع التابوت
ونجره وكان اسمه حزبيل وكان التابوت من جميز فاقذفيه في اليم اي اطرحيه في البحر نهر النيل فليلقه اليم قال
فاقذفيه في اليم وفيه معنى المجازاة اي اقذفيه يلقه اليم وكذا قوله واتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ياخذه
عدو لي وعدو له يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه نطعا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وخصاصه
يعني شقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فساقه الله في ذلك النهر الى دار
فرعون وروي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم
وكان يشرع منه الى بستان فرعون فبينما هو جالس على راس بركة مع اسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج
ففتح فاذا صبي اصبح الناس فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر القران يدل على
ان البحر القاه بساحله وهو شاطيه فراى فرعون التابوت بالساحل فامر باخذه ويحتمل ان يكون القاه اليم
بموضع من الساحل فيه فوهة فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة والله اعلم وقيل وجدته ابنة فرعون وكان
بها برص فلما فتحت التابوت شفيت وروي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا
كسره فاعياهم فدنت اسية فرات في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا صبي نوره بين عينيه
وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكان لفرعون بنت برصا وقالت له الاطباء لا تبرا الا من قبل البحر يوجد فيه شبه
انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصا برصها بريقه فبرات وقيل لما نظرت الى وجهه برات والله اعلم وقيل
وجدته جوار لامراة فرعون فلما نظر اليه فرعون راى صبيا من اصبح الناس وجها فاحبه فرعون فذلك قوله
تعالى والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه الله وحببه الى خلقه وقال ابن عطية جعل عليه مسحة من
جمال لا يكاد يصبر عنه من راه وقال قتادة كانت في عيني موسى ملاحة ما راه احد الا احبه وعشقه وقال
عكرمة المعنى جعلت فيك حسنا وملاحة فلا يراك احد الا احبك وقال الطبري المعنى والقيت عليك
رحمتي وقال ابن زيد جعلت من راك احبك حتى احبك فرعون فسلمت من شره واحبتك اسية بنت
مزاحم فتبنتك ولتصنع على عيني قال ابن عباس يريد ان ذلك بعيني حين جعلت في التابوت وحين
القي التابوت في البحر وحيث التقطتك جواري امراة فرعون فارادوا ان يفتحوا الباب لينظروا ما فيه
فقالت منهن واحدة لا تفتحنه حتى تاتين به سيدتكم فهو احظى لكم عندها واجدر بان لا تتهمكن بانكن وجدتن
فيه شيئا واخذتموه لانفسكم وكانت امراة فرعون لا تشرب من الماء الا ما استقينه اولئك الجواري
فذهبوا بالتابوت اليها مغلقا فلما فتحته رات صبيا لم ير مثله قط والقي عليها محبته فاخذته ودخلت
به على فرعون وقالت قرة عين لي ولك قال لها فرعون اما لك فنعم واما لي فلا فبلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لو ان فرعون قال نعم هو قرة عين لي ولك لامن وصدق فقالت هبه لي ولا تقتله فوهبه
لها وقيل ولتصنع على عيني اي تربى وتغذى على مراى مني قاله قتادة قال النحاس وذلك معروف في اللغة
يقال صنعت الفرس وصنعته اذا احسنت القيام عليه والمعنى ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقيل
اللام متعلقة بما بعدها من قولك اذ تمشي اختك على التقديم والتاخير فاذ ظرف لتصنع وقيل الواو في
ولتصنع زائدة وقرا ابن القعقاع ولتصنع باسكان اللام على الامر وظاهره للمخاطب والمامور غائب
وقرا ابن نهيك ولتصنع بفتح التاء والمعنى ولتكون حركتك وتصرفك بمشيئتي وعلى عين مني ذكره المهدوي
اذ تمشي اختك العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا واخته اسمها مريم
فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انها خرجت متعرفة خبره وكان موسى لما وهبه فرعون لامراته طلبت
له المراضع فكان لا ياخذ ثدي احد حتى اقبلت اخته فاخذته ووضعته في حجرها وناولته ثديها فمصه
وفرح به فقالوا لها تقيمين عندنا فقالت انه لا لبن لي ولكن ادلكم على من يكفله لكم وهم له ناصحون قالت ومن
هي قالت امي قالوا لها لبن قالت لبن اخي هرون وكان اكبر من موسى بسنة وقيل بثلاث وقيل باربع وذلك
ان فرعون رحم بني اسرائيل فرفع عنهم القتل اربع سنين فولد هرون فيها قاله ابن عباس فجاءت الام فقبل
ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك الى امك كي تقر عينها وفي مصحف ابي فرددناك الى امك كي تقر عينها ولا
تحزن وروى عبد الحميد عن ابن عامر كي تقر عينها بكسر القاف قال الجوهري وقررت به عينا وقررت قرة
وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر وتقر نقيض سخنت واقر الله عينه اي اعطاه حتى تقر فلا تطمح
الى من هو فوقه ويقال حتى تبرد ولا تسخن وللمسرور دمعة باردة وللمحزون دمعة حارة وقد تقدم في

تقر عينها ولا تحزن اي علي فقدك وقتلت نفسا قال ابن عباس قتل قبطيا كافرا قال كعب وكان اذ ذاك ابن
اثنتي عشرة سنة في صحيح مسلم وكان قتله خطا علي ما ياتي • فنجيناك من الغم • اي امناك من الخوف والقتل
والحبس وفتناك فتونا اي اختبرناك اختبارا حتي صلحت للرسالة وقال قتادة بلوناك بلاء مجاهد
اخلصناك اخلاصا وقال ابن عباس اختبرناك باشياء قبل الرسالة اولها حملته امه في السنة التي كان
فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاه في اليم ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه ثم جره بلحية فرعون
ثم تناوله الجمرة بدل الدرة فدرا ذلك عنه قتل فرعون ثم قتله القبطي وخروجه خايفا يترقب ثم رعايته
الغنم ليتدرب بها علي رعاية الخلق فيقال انه ند من الغنم جدي فاتبعه اكثر النهار واتعبه ثم اخذه فقبله
وضمه الي صدره وقال له اتعبتني واتعبت نفسك ولم يغضب عليه قال وهب بن منبه ولهذا اتخذه
الله كليما وقد مضي هذا في النساء • **قوله تعالى** فلبثت سنين في اهل مدين يريد عشر سنين
اتم الاجلين وقال وهب لبث عند شعيب ثمانية وعشرين سنة منها عشر مهر امراته صفورا ابنة شعيب
وثمانية عشر اقامة عنده حتي ولد له عنده وقوله ثم جيت علي قدر ياموسي قال ابن عباس وقتادة و
عبد الرحمن بن كيسان يريد موافقا للنبوة والرسالة لان الانبيا لا يبعثون الا ابنا اربعين سنة وقال
محمد بن كعب ثم جيت علي القدر الذي قدرت لك انك تجي فيه والمعني واحد اي جيت في الوقت الذي اردنا
ارسالك فيه قال الشاعر • نال الخلافة او كانت له قدرا • كما اتي ربه موسي علي قدر
قوله تعالى واصطنعتك لنفسي قال ابن عباس اي اصطفيتك لوحيي ورسالتي وقيل اصطنعتك
خلقتك ماخوذ من الصنعة وقيل قويتك وعلمتك لتبليغ عبادي امري ونهيي **قوله تعالى** اذهب
انت واخوك باياتي قال ابن عباس يريد التسع ايات التي انزلت عليه **قوله تعالى** ولا تنيا قال ابن عباس
تضعفا في امر الرسالة وقاله قتادة وقيل تفترا قال الشاعر

فما ونى محمد مذ ان غفر • له الاله ما مضي وما غبر

والوني الضعف والفتور والكلال والاعيا وكله مراد في الاية وقال امرؤ القيس

مسح اذا ما السابحات علي الوني • اثرن غبارا بالكديد المركل

يقال ونيت في الامر اني ونا وونيا اي ضعفت فانا وان وناقة وانية واونيتها اي اضعفتها واتعبتها
وفلان لا يني كذا اي لا يزال وبه فسر ابان معني الاية واستشهد بقول طرفة

كان القدور الراسيات امامهم • قباب بنوها لا تني ابدا تغلي

وعن ابن عباس ايضا لا تبطيا وفي قراءة ابن مسعود ولا تهنا في ذكري وتحميدي وتمجيدي وتبليغ رسالتي
قوله تعالى اذهبا الي فرعون انه طغي فقولا له قولا لينا فيه اربع مسايل الاولي قوله تعالى اذهبا
قال في اول الاية اذهب انت واخوك باياتي وقال هنا اذهبا فقيل امر الله موسي وهرون في هذه الاية بالنفوذ
الي دعوة فرعون وخاطب موسي اولا وحده تشريفا له ثم كرر للتاكيد وقيل بين بهذا بقوله انه لا يكفي
ذهاب احدهما وقيل الاول امر بالذهاب الي كل الناس والثاني بالذهاب الي فرعون الثانية في قوله تعالى
فقولا له قولا لينا دليل علي جواز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان ذلك يكون باللين من القول لمن
معه القوة وضمنت له العصمة الا تراه قال فقولا له قولا لينا وقال لا تخافا انني معكما اسمع واري
فكيف بنا فنحن اولي بذلك وحينيذ يحصل الامر والناهي علي مرغوبه ويظفر بمطلوبه وهذا واضح الثالثة
اختلف الناس في معني قوله لينا فقالت فرقة منهم الكلبي وعكرمة معناه كنياه وقاله ابن عباس ومجاهد
والسدي ثم قيل كنيته ابو العباس وقيل ابو الوليد وقيل ابو مرة فعلي هذا تكنية الكافر جايزة اذا كان وجيها ذا
شرف وطمع باسلامه وقد يجوز ذلك وان لم يطمع باسلامه لان الطمع ليس بحقيقة توجب عملا وقد قال
صلي الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ولم يقل وان طمعتم باسلامه ومن الاكرام دعاوه بالكنية وقد قال
صلي الله عليه وسلم لصفوان بن امية انزل ابا وهب فكناه وقال لسعد الم تسمع ما قال ابو حباب يعني عبد الله
بن ابي وروي في الاسرائيليات ان موسي عليه السلام قام علي باب فرعون سنة لا يجد رسولا يبلغ كلاما
حتي خرج فجري له ما قص الله علينا من ذلك فكان ذلك تسلية لمن جاء بعده من المومنين في سيرتهم مع الظالمين
وربك اعلم بالمهتدين وقيل قال له موسي تومن بما جيت به وتعبد رب العالمين علي ان لك شبابا لا يهرم الي الموت
وملكا لا ينزع منك الي الموت وينسا في اجلك اربعماية سنة فاذا مت دخلت الجنة فهذا القول

اللين وقال ابن مسعود القول اللين قوله فقل هل لك الي ان تزكي واهديك الي ربك فتخشي وقد قيل ان القول
اللين قول موسي يا فرعون انا رسول رب العالمين هو القول الذي لا خشونة فيه يقال لان الشي يلين
لينا وشي لين ولين مخفف والجمع اليناء فاذا كان موسي امر بان يقول لفرعون قولا لينا فمن دونه احري ان
يقتدي بذلك في خطابه وامره بالمعروف في كلامه وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا علي ما تقدم بيانه
في البقرة الرابعة قوله تعالى لعله يتذكر او يخشي معناه علي رجايكما وطمعكما فالتوقع فيهما انما هو راجع الي
جهة البشر قاله كبراء النحويين سيبويه وغيره وقد تقدم في اول البقرة قال الزجاج لعل لفظة
طمع وترج فخاطبهم بما يعقلون وقيل لعل هاهنا بمعني الاستفهام والمعني فانظر هل يتذكر وقيل هي
بمعني كي وقيل هو اخبار من الله تعالى عن قول هرون لموسي لعله يتذكر او يخشي قاله الحسن وقيل ان لعل
وعسي في جميع القران لما قد وقع وقد تذكر فرعون حين ادركه الغرق وخشي فقال امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنو اسرايل وانا من المسلمين ولكنه لم ينفعه ذلك قاله ابو بكر الوراق وغيره وقال يحيي بن معاذ
في هذه الاية هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله وقيل ان فرعون ركن الي قول
موسي لما دعاه وشاور امراته فامنت واشارت عليه بالايمان فشاور هامان فقال لا تفعل بعد ان كنت
مالكا تصير مملوكا وبعد ان كنت ربا تصير مربوبا وقال له انا اردك شابا فخضب لحيته بالسواد فهو اول
من خضب **قوله تعالى** قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغي قال الضحاك يفرط يعجل قال
ويطغي يعتدي وقال النحاس التقدير نخاف ان يفرط علينا منه امر قال الفرا فرط منه امر قال
وافرط اسرف قال وفرط ترك وقراءة الجمهور يفرط بفتح اليا وضم الرا ومعناه يعجل ويبادر بعقوبتنا يقال
فرط مني امر اي بدر ومنه الفارط في الماء الذي يتقدم القوم الي الماء اي يعذبنا عذاب الفارط في الذنب
وهو المتقدم فيه قاله المبرد وقرات جماعة منهم ابن محيصن يفرط بفتح اليا والرا قال المهدوي ولعلها لغة
وعنه ايضا بضم اليا وفتح الرا ومعناها ان يحمله حامل علي التسرع الينا وقرات طايفة يفرط بضم اليا
وكسر الرا وبها قرا ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن محيصن ايضا ومعناه يشطط في اذيتنا قال الراجز

قد افرط العلج علينا وعجل

قوله تعالى قال لا تخافا انني معكما اسمع واري فيه مسيلتان
الاولي قال العلما لما لحقهما ما يلحق البشر من الخوف علي انفسهما عرفهما سبحانه ان فرعون لا يصل اليهما ولا
قومه وهذه الاية ترد علي من قال انه لا يخاف والخوف من الاعداء سنة الله في انبيايه واوليايه مع معرفتهم
به وثقتهم ولقد احسن البصري حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله انه نزل مع اصحابه في طريق الشام علي ما
فحال الاسد بينهم وبين الما فجا عامر الي الما فاخذ منه حاجته فقيل له خاطرت بنفسك فقال لان
تختلف الاسنة في جوفي احب الي من ان يعلم الله اني اخاف شيا سواه قد خاف من كان خيرا من عامر موسي
صلي الله عليه وسلم حين قال له ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خايفا
يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وقال فاصبح في المدينة خايفا يترقب وقال حين القي السحرة حبالهم
وعصيهم فاوجس في نفسه خيفة موسي قلنا لا تخف انك انت الاعلي قال المولف رحمه الله ومنه حفر النبي صلي الله
عليه وسلم الخندق حول المدينة تحصينا للمسلمين واموالهم مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحل لم يبلغه
احد ثم كان من اصحابه ما لا يجهله احد من تحولهم عن منازلهم مرة الي الحبشة ومرة الي المدينة تخوفا علي انفسهم من
مشركي مكة وهربا بدينهم ان يفتنوهم عنه بتعذيبهم وقد قالت اسما بنت عميس لعمر لما قال سبقناكم بالهجرة
نحن احق برسول الله منكم كذبت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله صلي الله عليه وسلم يطعم جايعكم ويعظ
جاهلكم وكنا في دار او ارض البعدا البغضا في الحبشة وذلك في الله وفي رسول الله ونحن كنا نوذي
ونخاف الحديث بطوله خرجه مسلم قال العلما والمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني ادم كاذب وقد
طبعهم علي الهرب مما يضرها ويولمها او يتلفها قالوا ولا ضار اضر من سبع عاد في فلاة من الارض علي من لا الة
معه يرد بها عن نفسه من سيف او رمح او قوس وما اشبه ذلك الثانية قوله تعالى انني معكما اسمع واري
يريد بالنصر والمعونة والقدرة علي فرعون وهذا كما يقول الامير مع فلان اذا اراد انه يحميه وقوله
اسمع واري عبارة عن الادراك الذي لا يخفي معه خافية تبارك الله رب العالمين **قوله تعالى** فاتياه
فقولا انا رسولا ربك في الكلام حذف والمعني فاتياه فقالا له ذلك فارسل معنا بني اسرايل اي
خل عنهم ولا تعذبهم اي بالسخرة والتعب في العمل وكانت بنو اسرايل عند فرعون في عذاب شديد يذبح

ابناءهم ويستحيون نساءهم ويكلفهم من العمل في اللبن والطين وبناء المدائن ما لا يطيقونه **قوله تعالى** قد جئناك بآية من ربك قال ابن عباس يريد العصا واليد وقيل ان فرعون قال له وما هي فادخل يده في جيب قميصه ثم اخرجها بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس غلب نورها على نور الشمس فعجب منها ولم يره العصا الى يوم الزينة **قوله تعالى** والسلام على من اتبع الهدى قال الزجاج اي من اتبع الهدى امن من سخط الله تعالى وعذابه قال وليس بتحية قال والدليل على ذلك انه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب وقال الفراء السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء **قوله تعالى** انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة على من كذب انبياء الله وتولى اعرض عن الايمان وقال ابن عباس هذه ارجى اية للموحدين لانهم لم يكذبوا ولم يتولوا **قوله تعالى** قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ذكر فرعون موسى دون هرون لرؤوس الآي وقيل خصه بالذكر لانه صاحب الرسالة والكلام وقيل انهما جميعا بلغا الرسالة وان كان ساكتا لانه في وقت الكلام انما يتكلم واحد فاذا انقطع وازره الآخر وايده فصار لنا في هذا البيان فائدة علم ان الاثنين اذا قلدا الامر فقام به احدهما فالآخر شخصه هناك موجود مستغنى عنه في وقت دون وقت انهما اديا الامر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب لان الله تعالى قال اذهبا الى فرعون انه طغى وقال اذهب انت واخوك باياتي وقال فقولا له فامرهما جميعا بالذهاب والقول ثم اعلمنا في وقت الخطاب بقوله فمن ربكما انه كان حاضرا مع موسى قال موسى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى انه يعرف بصفاته وليس له اسم علم حتى يقال فلان بل هو خالق العالم وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة ولو كان الخطاب معهما لقالا قالا ربنا وخلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به على قول الضحاك على ما ياتي ثم هدى قال سعيد بن جبير وابن عباس والسدي اعطى كل شيء زوجه من جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وعن ابن عباس ثم هداه الى الالفة والاجتماع والمناكحة وقال الحسن وقتادة اعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه وقال مجاهد اعطى كل شيء صورة لم يجعل خلق الانسان في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الانسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا قال الشاعر

وله في كل شيء خلقة ... وكذلك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة الصورة وهو قول عطية ومقاتل وقال الضحاك اعطى كل شيء خلقه من المنفعة المنوطة به يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع وقيل اعطى كل شيء ما الهمه من علم او صناعة وقال الفراء خلق الرجل للمرأة ولكل ذكر ما يوافقه من الاناث ثم هدى الذكر للانثى فالتقدير على هذا اعطى كل شيء مثل خلقه قال المؤلف رحمه الله وهذا معنى قول ابن عباس والاية بعمومها تتناول جميع الاقوال وروى زائدة عن الاعمش انه قرا الذي اعطى كل شيء خلقه بفتح اللام وهي قراءة ابن ابي اسحاق ورواها نصير عن الكسائي وغيره اي اعطى بني آدم كل شيء خلقه مما يحتاجون اليه فالقراءتان متفقتان في المعنى

قوله تعالى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب فيه اربع مسائل **الاولى** قوله تعالى قال فما بال البال الحال اي ما حالها وما شانها فاعلمه ان علمها عند الله تعالى اي ان هذا من علم الغيب الذي سالت عنه وهو مما استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ وقيل المعنى فما بال القرون الاولى لم يقروا بذلك اي فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك وقيل انما سال عن اعمال القرون الاولى فاعلمه انها محصاة عند الله عز وجل محفوظة عنده في كتاب اي هي مكتوبة فسيجازيهم غدا بها وعليها وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ وقيل هو كتاب مع بعض الملائكة **الثانية** هذه الاية ونظائرها مما تقدم وياتي تدل على تدوين العلوم وكتبها لئلا تنسى فان الحفظ قد تعتريه الآفات من الغلط والنسيان وقد لا يحفظ الانسان ما يسمع فيقيده لئلا يذهب عنه وروينا بالاسناد المتصل عن قتادة انه قيل له انكتب ما نسمع منك قال وما يمنعك ان تكتب وقد اخبرك اللطيف الخبير انه يكتب فقال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي واسند الخطيب ابو بكر عن ابي هريرة قال كان رجل من الانصار يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فيستمع منه الحديث ويعجبه ولا يحفظه فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله

اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه

عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اسمع منك الحديث يعجبني ولا احفظه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك واومى الى الخط وهذا نص على جواز كتب العلم وتدوينه وعليه جمهور الصحابة والتابعين وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بكتب الخطبة التي خطب بها في الحج لابي شاة رجل من اليمن لما ساله كتبها اخرجه مسلم وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتاب وقال معاوية بن قرة من لم يكتب العلم لم يعد علمه علما وقد ذهب قوم الى المنع من الكتب فروى ابو نضرة قال قيل لابي سعيد انكتب حديثكم هذا قال لم تجعلوه قرآنا ولكن احفظوا كما حفظنا وممن كان لا يكتب الشعبي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء قال خالد ما كتبت شيئا قط الا حديثا واحدا فلما حفظته محوته وابن عون والزهري وقد كان بعضهم يكتب فاذا حفظ محاه منهم محمد بن سيرين وعاصم بن ضمرة وقال هشام بن حسان ما كتبت حديثا قط الا حديث الاعماق فلما حفظته محوته قلت وقد ذكرنا عن خالد الحذاء مثل هذا وحديث الاعماق خرجه مسلم في اخر الكتاب لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالاعماق او بدابق الحديث ذكره في كتاب الفتن وكان بعضهم يحفظ ثم يكتب ما يحفظ منهم الاعمش وعبد الله بن ادريس وهشيم وغيرهم وهذا احتياط على الحفظ والكتب اولى على الجملة وبه وردت الآي والاحاديث وهو مروي عن علي وجابر وانس وعمرو ومن يليهم من كبار التابعين كالحسن وعطاء وطاوس وعروة بن الزبير ومن بعدهم من اهل العلم قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وقال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الاية وقال وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقال علمها عند ربي في كتاب الى غير هذا من الآي وايضا فان العلم لا يضبط الا بالكتاب ثم بالمقابلة والمدارسة والتعهد والتحفظ والمذاكرة والسؤال والفحص عن الناقلين والثقة بما نقلوا وانما كره الكتاب من كره الصدر الاول لقرب العهد وتقارب الاسناد ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله او يرغب عن حفظه والعمل به فاما والوقت متباعد والاسناد غير متقارب والطرق مختلفة والنقلة متشابهون وآفة النسيان معترضة والوهم غير مامون فان تقييد العلم بالكتاب اشفى واولى والدليل على وجوبه اقوى فان احتج محتج بحديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه خرجه مسلم والجواب ان ذلك كان متقدما فهو منسوخ بامره بالكتابة واباحتها لابي شاة وغيره وايضا كان ذلك لئلا يخلط بالقرآن ما ليس منه وكذا ما روي عن ابي سعيد ايضا حرصنا ان ياذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فابى ان كان محفوظا فهو قبل الهجرة وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن **الثالثة** قال ابو بكر الخطيب ينبغي ان يكتب الحديث بالسواد ثم بالحبر خاصة دون المداد لان السواد اصبغ الالوان والحبر ابقاها على مر الدهور وهو آلة ذوي العلم وعدة اهل المعرفة ذكر عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي قال راى الشافعي وانا في مجلسه وعلى قميصي حبر وانا اخفيه فقال لم تخفيه وتستره ان الحبر على الثوب من المروءة لان صورته في الابصار سواد وفي البصائر بياض وقال خالد بن يزيد الحبر في ثوب صاحب الحديث مثل الخلوق في ثوب العروس واخذ هذا المعنى ابو عبد الله البلوي فقال

مداد المحابر طيب الرجال ... وطيب النساء من الزعفران
فهذا يليق باثواب ذا ... وهذا يليق بثوب الحصان

وذكر الماوردي ان عبيد الله بن سليمان فيما حكي راى على ثوبه اثر صفرة فاخذ من مداد الدواة فطلاه به ثم قال المداد بنا احسن من الزعفران وانشد

انما الزعفران عطر العذارى ... ومداد الدوي عطر الرجال

الرابعة قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اختلف في معناه على اقوال خمسة الاول انه ابتداء كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد كان الكلام تم في قوله في كتاب وكذا قال الزجاج وان معنى لا يضل لا يهلك من قوله ائذا ضللنا في الارض ولا ينسى شيئا نزهه عن الهلاك والنسيان القول الثاني لا يضل لا يخطئ قاله ابن عباس اي لا يخطئ في التدبير فمن انظره فلحكمة انظره ومن عاجله فلحكمة عاجله القول الثالث لا يضل لا يغيب قال ابن الاعرابي اصل الضلال الغيبوبة يقال ضل الناسي اذا غاب عنه حفظ الشيء قال ومعنى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء القول الرابع قاله الزجاج ايضا وقال النحاس وهو اشبهها بالمعنى اخبر الله عز وجل انه لا يحتاج الى كتاب والمعنى لا يضل عنه علم شيء من الاشياء

ولامعرفتنا ولاينسي ما علمه منها قال المؤلف رحمه الله وهذا القول راجع الي قول ابن الاعرابي والقول
الخامس انه لايضل ربي ولاينسي في موضع الصفة لكتاب اي الكتاب غير ضال عن الله تعالي اي غير ذاهب
عنه ولاينسي اي غير ناس له فهما نعتان لكتاب وعلي هذا يكون الكلام متصلا ولا يوقف علي كتاب
تقول العرب ضلني الشي اذا لم اجده واضللته انا اذا تركته في موضع فلم تجده فيه وقال الحسن وقتادة
وعيسي بن عمرو وابن محيصن وعاصم الجحدري وابن كثير فيما روي شبل عنه لايضل بضم اليا علي معني لايضيع
ربي ولاينساه قال ابن عرفة الضلال عند العرب سلوك سبيل غير القصد يقال ضل عن الطريق
واضل الشي اذا اضاعه ومنه قراءة من قرا لايضل ربي اي لايضيع هذا مذهب العرب **قوله تعالي**
الذي جعل لكم الارض مهادا الذي في موضع رفع نعت لربي اي لايضل ربي الذي جعل ويجوز ان يكون
خبر ابتدا مضمر اي هو الذي ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني وقرا الكوفيون مهدا هنا وفي الزخرف
بفتح الميم واسكان الهاء الباقون مهادا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لاتفاقهم علي قراءة الم نجعل الارض
مهادا قال النحاس والجمع اولي لان مهدا مصدر وليس هذا موضع مصدر الا علي حذف اي ذات مهد قال
المهدوي ومن قرا مهدا جاز ان يكون مصدرا كالفرش اي مهد لكم الارض مهدا وجاز ان يكون علي تقدير حذف
المضاف اي ذات مهد ومن قرا مهادا جاز ان يكون مفردا كالفراش وجاز ان يكون جمع مهد استعمل استعمال
الاسماء فكسر ومعني مهادا فراشا وقرارا تستقرون عليها **قوله تعالي** وسلك لكم فيها سبلا
اي طرقا نظيره والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل
لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون **قوله تعالي** وانزل من السماء ماء تقدم معناه وهذا اخر كلام موسي
ثم قال الله فاخرجنا وقيل كله من كلام موسي والمعني فاخرجنا به اي بالحرث والمعالجة لان الماء المنزل
سبب خروج النبات ومعني ازواجا ضروبا واشباها اي اصنافا من النبات المختلفة الازواج والالوان
وقال الاخفش التقدير ازواجا شتي من نبات قال وقد يكون النبات شتي فشتي يجوز ان يكون نعتا لازواج
ويجوز ان يكون نعتا للنبات وشتي ماخوذ من شت الشي اي تفرق يقال امر شت اي متفرق وشت
الامر شتا وشتاتا اي تفرق واشتت مثله وكذلك التشتت وشتته تشتيتا فرقه واشتت بي قومي
اي فرقوا امري والشتيت المتفرق قال ـــــ روبة يصف ابلا

جاءت معا واطرقت شتيتا ... وهي تثير الساطع السختيتا

وتفرشت اي مغلج وقوم شتي واشيا شتي وتقول جاوا اشتاتا اي متفرقين واحدهم شت قال الجوهري
قوله تعالي كلوا وارعوا انعامكم امر اباحة وارعوا من رعت الماشية الكلا ورعاها صاحبها
رعاية اي اسامها وسرحها لازم ومتعدي **قوله تعالي** ان في ذلك لايات لاولي النهي اي العقول
الواحدة نهية قال لهم ذلك لانهم الذين ينتهي الي رايهم وقيل لانهم ينهون النفس عن القبايح وهذا كله
من موسي احتجاج علي فرعون في اثبات الصانع جوابا لقوله فمن ربكما يا موسي وبين انه انما يستدل علي
الصانع اليوم بافعاله **قوله تعالي** منها خلقناكم يعني ادم عليه السلام لانه خلق من الارض قاله
الزجاج وغيره وقيل كل نطفة مخلوقة من التراب يدل علي هذا ظاهر القران وروي ابو هريرة قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من مولود الا وقد ذر عليه من تراب حفرته اخرجه ابو نعيم الحافظ في
باب ابن سيرين وقال هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه الا من حديث ابي عاصم النبيل وهو احد
الثقات الاعلام من اهل البصرة وقد مضي هذا المعني في سورة الانعام عن ابن مسعود وقال عطا
الخراساني اذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فاخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه
فيذره علي النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة ومن التراب فذلك قوله تعالي منها خلقناكم وفيها نعيدكم
قوله تعالي ومنها نخرجكم تارة اخري وفي حديث البرا عن النبي صلي الله عليه وسلم ان العبد المومن
اذا خرجت روحه صعدت به الملايكة فلا يمرون بها علي ملا من الملايكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة
فيقولون فلان بن فلان باحسن اسمايه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا فيستفتحون لها فيفتح فيشيعه
من كل سماء مقربوها الي السماء التي تليها حتي تنتهي بها الي السماء السابعة فيقول الله تعالي اكتبوا كتاب عبدي
في عليين واعيدوه الي الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخري فتعاد روحه
في جسده وذكر الحديث وقد ذكرناه بكماله في كتاب التذكرة وروي من حديث علي رضي الله عنه ذكره الثعلبي

اذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فاخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه

ومعني وفيها نعيدكم اي بعد الموت ومنها نخرجكم اي للبعث والحساب تارة اخري يرجع هذا الي قوله منها خلقنا
لا الي نعيدكم وهو كقولك اشتريت ناقة ودارا وناقة اخري فالمعني من الارض اخرجناكم ونخرجكم بعد الموت
من الارض تارة اخري **قوله تعالي** ولقد اريناه اياتنا كلها اي المعجزات الدالة علي نبوة موسي وقيل
حجج الله الدالة علي توحيده فكذب وابي اي لم يومن وهذا يدل علي انه كفر عنادا لانه راي الايات عيانا لا
خبرا نظيره وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا **قوله تعالي** قال اجيتنا لتخرجنا من ارضنا
بسحرك يا موسي لما راي الايات التي اتي بها موسي قال انها سحر والمعني جيت لتوهم الناس انك جيت باية
توجب اتباعك والايمان بك حتي تغلب علي ارضنا وعلينا **قوله تعالي** فلناتينك بسحر مثله اي لنعارضنك بمثل ما جيت به
لتبين للناس ان ما اتيت به ليس من عند الله فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر اي وعدا وقيل الموعد اسم
لمكان الوعد كما قال وان جهنم لموعدهم اجمعين فالموعد ههنا مكان وقيل الموعد اسم لزمان الوعد كقوله
ان موعدهم الصبح فالمعني اجعل لنا يوما معلوما او مكانا معروفا قال القشيري والاظهر انه مصدر
ولهذا قال لا نخلفه اي لا نخلف ذلك الوعد والاخلاف ان يعد شيا ولا ينجزه قال الجوهري والميعاد
المواعدة والوقت والموضع وكذلك الموعد وقرا ابن القعقاع وشيبة والاعرج لا نخلفه بالجزم جوابا
لقوله اجعل ومن رفع فهو نعت لموعد والتقدير موعدا غير مخلف مكانا سوي قرا ابن عامر وحمزة وعاصم
سوي بضم السين الباقون بكسرها وهما لغتان مثل عدا وعدا وطوي وطوي واختار ابو عبيد وابو حاتم
كسر السين لانها اللغة العالية الفصيحة وقال النحاس والكسر اعرف واشهر وكلهم نون الواو وقد روي
عن الحسن واختلف عنه ضم السين بغير تنوين واختلف في معناه فقيل سوي هذا المكان قاله الكلبي
وقيل مكانا مستويا يتبين للناس ما بيننا فيه قاله ابن زيد وقال ابن عباس نصفا مجاهد منصفا وعنه ايضا
وقتادة عدلا بيننا وبينك وقال النحاس واهل التفسير علي ان معني سوي نصف وعدل وهو قول حسن
قال سيبويه يقال سوي وسوي اي عدل يعني عدلا بين المكانين فيه النصفة واصله من قولك جلس في
سواء الدار بالمد اي في وسطها ووسط كل شي اعدله وفي الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم وكذلك
جعلناكم امة وسطا اي عدلا وقال ـــــ زهير

ارونا خطة لا ضيم فيها ... يسوي بيننا فيها السواء

وقال ابو عبيدة والقتيبي وسطا بين الفريقين وانشد ابو عبيد لموسي بن جابر الحنفي ـــــ شعر

وان ابانا كان حل ببلدة ... سوي بين قيس قيس عيلان والفزر

والفزر سعد بن زيد بن مناة بن تميم وقال الاخفش سوي اذا كان بمعني غير او بمعني العدل يكون فيه ثلث
لغات ان ضممت السين او كسرت قصرت فيهما جميعا وان فتحت مددت تقول مكان سوي وسوي
وسواء اي عدل ووسط فيما بين الفريقين وقيل مكانا سوي اي قصدا وانشد صاحب هذا القول

لو تمنت حبيبتي ما عدتني ... او تمنيت ما عدوت سواها

وتقول مررت برجل سواك وسواك وسواك اي غيرك وهما في هذا الامر سواء وان شيت سواءان وهم
سواء للجمع وهم اسواء وهم سواسية مثل ثمانية علي غير قياس وانتصب مكانا علي المفعول الثاني لجعل
ولا يحسن انتصابه بالموعد علي انه مفعول او ظرف له لان الموعد قد وصف والاسماء التي تعمل عمل الافعال
اذا وصفت او صغرت لم يسغ ان تعمل لخروجها عن شبه الفعل ولم يحسن حمله علي انه ظرف
وقع موقع المفعول الثاني لان الموعد اذا وقع بعده ظرف لم تجره العرب مجري المصادر مع الظروف
لكنهم يتسعون فيه كقوله تعالي ان موعدهم الصبح وموعدكم يوم الزينة واختلف في يوم الزينة فقيل هو يوم
عيد كانوا يتزينون فيه ويجتمعون قاله قتادة والسدي وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان
يوم عاشورا وقال سعيد بن المسيب يوم سوق كان لهم يتزينون فيها وقال الضحاك يوم السبت
وقيل يوم النيروز ذكره الثعلبي وقيل يوم يكسر فيه الخليج وذلك انهم يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون
وعند ذلك تامن الديار المصرية من قبل النيل وقرا الحسن والاعمش وعيسي الثقفي والسلمي وهبيرة عن
حفص يوم الزينة بالنصب ورويت عن ابي عمرو اي في يوم الزينة انجاز موعدنا الباقون بالرفع علي انه خبر
الابتداء **قوله تعالي** وان يحشر الناس ضحي اي وجمع الناس في موضع رفع علي قراءة من قرا يوم بالرفع
وعطف وان يحشر يقوي قراءة الرفع لان ان لا تكون ظرفا وان كان المصدر الصريح ظرفا كمقدم الحاج
لان من قال اتيك مقدم الحاج لم يقل اتيك ان يقدم الحاج قال النحاس واولي من هذا ان يكون في موضع

ضد تبغي علينا اي تغلب علينا والاعيان بك حتي تغلب علي ارضنا فلناتينك بسحر مثله اي فلنعارضنك بمثل ما جيت به

خفض عطفا على الزينة والضحى مونثة نصغرها العرب بغير هاء لئلا يشبه تصغير ضحوة قاله
النحاس وقال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة
يذكر ويونث فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل مثل صرد ونغر وهو ظرف
غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى اذا اردت به ضحى يومك لم تنونه ثم بعده الضحاء ممدود مذكر وهو
عند ارتفاع النهار الاعلى وخص الضحى لانه اول النهار فلو امتد الامر فيما بينهم كان في النهار متسع وروي عن ابن مسعود
والجحدري وغيرهما وان يحشر الناس ضحى على معنى وان يحشر الله الناس او نحوه وعن بعض القرا وان تحشر
الناس والمعنى وان تحشر انت يا فرعون الناس وعن الجحدري ايضا وان نحشر بالنون وانما واعدهم ذلك اليوم
ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى
رغبة من رغب في الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العام في كل بدو وحضر
ويشيع في اهل الوبر والمدر **قوله تعالى** فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى اي حيله وسحره والمراد
جمع السحرة قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم حبال وعصي وقيل كانوا اربعمائة
وقيل كانوا اثني عشر الفا وقيل اربعة عشر الفا وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقيل كانوا مجتمعين
على رئيس لهم يقال له شمعون وقيل كان اسمه يوحنا معه اثنا عشر نقيبا مع كل نقيب عشرون عريفا مع
كل عريف الف ساحر وقيل كانوا ثلثمائة الف ساحر من الفيوم وثلثمائة الف ساحر من الصعيد وثلثمائة الف
ساحر من الريف فصاروا تسعمائة الف وكان رئيسهم اعمى ثم اتى اي الميعاد **قوله تعالى** قال
لهم موسى اي قال لفرعون والسحرة ويلكم دعا عليهم بالويل وهو بمعنى المصدر وقال ابو اسحاق الزجاج هو منصوب
بمعنى الزمهم الله ويلا قال ويجوز ان يكون نداء كقوله يا ويلنا من بعثنا **قوله تعالى** لا تفتروا على الله
كذبا اي لا تختلقوا عليه الكذب ولا تشركوا به ولا تقولوا للمعجزات انها سحر **قوله تعالى**
فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى من عنده اي يستاصلكم بالاهلاك يقال فيه سحت واسحت
بمعنى واصله من استقصا الشعر وقرا الكوفيون فيسحتكم من اسحت الباقون فيسحتكم من سحت
وهذه لغة اهل الحجاز وبني تميم والنصب على جواب النهي وقال الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال الا مسحتا او مجلف

قال الزمخشري وهذا البيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه وقد خاب من افترى اي خسر وهلك
وخاب من الرحمة والثواب من ادعى على الله ما لم ياذن فيه **قوله تعالى** فتنازعوا امرهم بينهم اي
تشاوروا يريد السحرة **قوله تعالى** واسروا النجوى قال قتادة قالوا ان كان ما جاء به سحرا فسنغلبه
وان كان من عند الله فسيكون له امر فهذا الذي اسروه وقيل الذي اسروا قولهم ان هذان لساحران
الايات قاله السدي ومقاتل وقيل الذي اسروا قولهم ان غلبنا اتبعناه قاله الكلبي ودليله ما ظهر من
عاقبة امرهم وقيل كان سرهم ان قالوا حين قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ما هذا بقول
ساحر والنجوى المناجاة تكون اسما ومصدرا وقد تقدم في النساء بيانه **قوله تعالى** ان هذان
لساحران قرا ابو عمرو ان هذين لساحران ورويت عن عثمان وعايشة وغيرهما من الصحابة وكذلك قرا
الحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وغيرهما من التابعين ومن القرا عيسى بن عمر والجحدري فيما ذكر
النحاس وهذه القراءة موافقة للاعراب مخالفة للمصحف وقرا الزهري والخليل بن احمد والمفضل وابان
وابن محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه ان هذان بتخفيف ان لساحران وابن كثير يشدد
نون هذان وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الاعراب ويكون معناها ما هذان الا
ساحران وقرا المدنيون والكوفيون ان هذان بتشديد لساحران فوافقوا المصحف وخالفوا الاعراب
قال النحاس فهذه ثلاث قراآت قد رواها الجماعة عن الايمة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قرا
ان هذان الا ساحران بغير اللام وقال الكسائي في قراءة عبد الله ان هذان ساحران بغير لام وقال
الفرا في حرف ابي ان ذان الا ساحران فهذه ثلاث قراآت اخرى تحمل على التفسير لا انها جائز ان يقرا
بها لمخالفتها المصحف قال المولف رحمه الله وللعلماء في قراءة اهل المدينة والكوفة ستة اقوال ذكرها
ابن الانباري في اخر كتاب الرد له والنحاس في اعرابه والمهدوي في تفسيره وغيرهم دخل كلام
بعضهم في بعض وقد خطاها قوم حتى قال ابو عمرو اني لاستحي من الله ان اقرا ان هذان وروي عروه عن

عايشة انها سئلت عن قوله تعالى لكن الراسخون في العلم ثم قال والمقيمين وفي المايدة ان الذين امنوا و
الذين هادوا والصابئون وان هذان لساحران فقالت يا ابن اختي هذا خطا من الكاتب وقال عثمان
بن عفان رضي الله عنه في المصحف لحن وستقيمه العرب بالسنتهم وقال ابان بن عثمان قرات هذه الاية
عند ابي عثمان بن عفان فقال لحن وخطا فقال له قايل الا تغيروه فقال دعوه فانه لا يحرم حلالا ولا يحلل
حراما القول الاول من الستة انها لغة بني الحرث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة بن زيد يجعلون رفع
الاثنين ونصبه وخفضه بالالف يقولون جاء الزيدان ورايت الزيدان ومررت بالزيدان ومنه
قوله تعالى ولا ادريكم به على ما تقدم وانشد الفرا لرجل من بني اسد قال وما رايت افصح منه

فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى   مساغا لناباه الشجاع لصمما

ويقولون كسرت يداه وركبت علاه بمعنى يديه وعليه قال شاعرهم

تزود منا بين اذناه ضربة   دعته الى هابي التراب عقيم

وقال اخر

اي قلوص راكب تراها   طاروا علاهن فطر علاها

اي عليهن وعليها وقال اخر

ان اباها وابا اباها   قد بلغا في المجد غايتاها

اي ان اباها وغايتيها قال النحاس وهذا القول من احسن ما حملت عليه هذه الاية اذ كانت هذه اللغة
معروفة وقد حكاها من يرتضى علمه وامانته منهم ابو زيد الانصاري وهو الذي يقول اذا قال سيبويه حدثني
من اثق به فانما يعنيني وابو الخطاب الاخفش وهو رئيس من رؤساء اللغة والكسائي والفرا كلهم قالوا
هذا على لغة بني الحارث بن كعب وحكى ابو عبيدة عن ابي الخطاب ان هذه لغة بني كنانة قال المهدوي وحكى
غيره انها لغة لخثعم قال النحاس ومن ابين ما في هذا قول سيبويه واعلم انك اذا ثنيت الواحد زدت
عليه زايدتين الاولى منهما حرف مد ولين وهو حرف الاعراب قال ابو جعفر فقول سيبويه وهو حرف
الاعراب يوجب ان الاصل لا يتغير فيكون ان هذان جاء على اصله ليعلم ذلك وقد قال استحوذ عليهم
الشيطان ولم يقل استحاذ فجاء هذا ليدل على الاصل وكذلك ان هذان ولا تفكر في انكار من انكر هذه
اللغة اذ كانت الايمة قد رووها القول الثاني ان تكون ان بمعنى نعم كما حكى الكسائي عن عاصم قال
العرب تاتي بان بمعنى نعم وحكى سيبويه ان ان تاتي بمعنى اجل والى هذا القول كان محمد بن يزيد
واسمعيل بن اسحاق القاضي يذهبان قال النحاس ورايت ابا اسحاق الزجاج وعلي بن سليمان يذهبان
اليه قال الزمخشري وقد اعجب به ابو اسحاق النحاس وحدثنا علي بن سليمان قال حدثنا عبد الله بن
احمد بن عبد السلام النيسابوري ثم لقيت عبد الله بن احمد فحدثني قال حدثني عمير بن المتوكل
قال حدثنا محمد بن موسى النوفلي من ولد حارث بن عبد المطلب قال حدثنا عمير بن جميع الكوفي عن جعفر
بن محمد عن ابيه عن علي وهو ابن الحسين عن ابيه عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين قال لا احصي كم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره ان الحمد لله نحمده ونستعينه ثم يقول انا افصح قريش
كلها وافصحها بعدي ابان ابن سعيد بن العاص قال ابو محمد الخفاف قال عمير اعرابه عند اهل العربية
والنحو ان الحمد لله بالنصب الا ان العرب تجعل ان في معنى نعم كانه اراد نعم الحمد لله وذلك ان خطباء
الجاهلية كانت تفتتح في خطبها بنعم وقال الشاعر في معنى نعم

قالوا غدرت فقلت ان وربما   نال العلى وشفا الغليل الغادر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

بكر العواذل في الصباح يلمنني والومهنه   ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه

فعلى هذا جايز ان يكون قول الله عز وجل ان هذان لساحران بمعنى نعم ولا ينصب قال النحاس
انشدني داود بن الهيثم قال انشدني ثعلب

ليت شعري هل للمحب شفا   من جوى حبهن ان اللقا

قال النحاس وهذا قول حسن الا ان فيه شيا لانه انما يقال نعم زيد خارج فلا يكاد يقع اللام ها هنا وان كان
النحويين قد تكلموا في ذلك فقالوا اللام ينوى بها التقديم كما قال

خالي لانت ومن جرير خاله   ينل العلا ويكرم الاخوالا

اخر

ام الحليس لعجوز شهربه   ترضى من الشاة بعظم الرقبة

اي لخالي ولام الحليس قال الزجاج المعنى في الاية ان هذان لهما ساحران ثم حذف المبتدا قال المهدوي وانكره ابو علي وابو الفتح بن جني قال ابو الفتح هما المحذوف لم يحذف الا بعد ان عرف واذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته عن تاكيده باللام ويقبح ان تحذف المؤكد ويترك المؤكد القول الثالث قاله الفراء ايضا قال وجدت الالف دعامة ليست بلام الفعل فزدت عليها نونا ولم اغيرها كما قلت الذي ثم زدت عليه نونا فقلت جاءني الذين عندك ورايت الذين عندك ومررت بالذين عندك القول الرابع قاله بعض الكوفيين قال الالف في هذا مشبهة بالالف في يفعلان فلم تغير القول الخامس قال ابو اسحاق النحويون القدما يقولون الها ها هنا مضمرة والمعنى انه هذان لساحران قال ابن الاعرابي فاضمرت الها التي هي منصوب وهذان خبران وساحران يرفعهما المضمر انه هذان لهما ساحران والاشبه عند اصحاب ذا الجواب ان الها اسم ان وهذان رفع بالابتدا وما بعده خبر الابتدا القول السادس وسالت ابا الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال ان شئتما جئتك بجواب النحويين وان شئت اجبتك بقولي فقلت بقولك فقال سالني اسمعيل بن اسحق عنها فقلت القول عندي انه لما كان يقال هذا في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة وكانت التثنية يجب ان لا يغير لها الواحد اجريت التثنية مجرى الواحد فقال لما احسن هذا لو تقدمك احد بالقول به قال ابن كيسان فقلت له فنقول القاضي حتى يونس به فتبسم **قوله تعالى** يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى هذا من قول فرعون للسحرة ان غرضهما افساد دينكم الذي انتم عليه كما قال فرعون اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد يقال فلان حسن الطريقة اي حسن المذهب وقيل طريقة القوم افضل القوم وهو الذي ينبغي ان يسلكوا طريقه ويقتدوا به فالمعنى فيذهبا بسادتكم ورؤسائكم استمالة لهم او يذهبا ببني اسرائيل وهم الاماثل وان كانوا خولا لكم لما يرجعون اليه من الانتساب الى الانبياء او يذهبا باهل طريقتكم فحذف المضاف والمثلى تانيث الامثل كما يقال الافضل والفضلى وانث الطريقة على اللفظ وان كان يراد بها الرجال ويجوز ان يكون التانيث على الجماعة قال الكسائي بطريقتكم المثلى بسنتكم وسمتكم والمثلى نعت كقولك امراة كبرى تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم **قوله تعالى** فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا الاجماع الاحكام والعزم على الشي تقول اجمعت الخروج وعلى الخروج اي عزمت وقراءة كل الامصار فاجمعوا الا ابا عمرو فانه قرا فاجمعوا بالوصل وفتح الميم واحتج بقوله تعالى فجمع كيده ثم اتى قال النحاس وفيما حكي لي عن محمد بن يزيد انه قال يجب على ابي عمرو ان يقرا بخلاف هذه وهي القراءة التي عليها اكثر الناس قال لانه احتج بجمع وقرا جل وعز فجمع كيده قد ثبت فيبعد ان يكون بعده فاجمعوا ويقرب ان يكون بعده فاجمعوا اي اعزموا وجدوا ولما تقدم ذلك وجب ان يكون بخلاف معناه يقال امر مجمع ومجمع عليه قال النحاس ويصحح قراءة ابي عمرو فاجمعوا اي اجمعوا كل كيد لكم وكل حيلة فضموه مع اخيه وقال ابو اسحاق الثعلبي والقراءة بقطع الالف وكسر الميم لها وجهان احدهما بمعنى الجمع يقول اجمعت الشي وجمعته بمعنى واحد في الصحاح واجمعت الشي جعلته جميعا قال ابو ذويب يصف حمرا

فكانها بالجزع بين نبايع ... واولات ذي العرجاء نهب مجمع

اي مجموع واولات ذي العرجاء موضع نسبها الى مكان فيه اكمة عرجا فشبه الحمر بابل انتهبت والمجموع الذي جمع من ها هنا وها هنا قاله الجوهري والثاني انه بمعنى العزم والاحكام قال الشاعر

ليت شعري والمنا لا تنفع ... هل اغدون يوما وامري مجمع

اي محكم ثم ائتوا صفا قال مقاتل والكلبي جميعا وقيل صفوفا ليكون اشد لهيبتكم وهو منصوب بوقوع الفعل عليه على قول ابي عبيدة قال يقال اتيت الصف يعني المصلى فالمعنى عنده ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه يوم العيد وحكي عن بعض فصحا العرب ما قدرت ان اتي الصف اي المصلى وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى ثم ائتوا والناس مصطفون فيكون على هذا مصدرا في موضع الحال ولذلك لم يجمع وقرى ثم ايتوا بكسر الميم ويا ومن ترك الهمزة ابدل من الهمزة الفا **قوله تعالى** وقد افلح اليوم من استعلى اي من غلب وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض وقيل من قول فرعون لهم **قوله تعالى** قالوا يا موسى يريد السحرة اما ان تلقي عصاك من يدك واما ان نكون اول من القى تادبوا مع موسى فكان ذلك سبب ايمانهم **قوله تعالى** قال بل القوا فاذا حبالهم في الكلام حذف اي فالقوا دل عليه المعنى وقرا الحسن وعصيهم بضم العين قال

المثلى تانيث الامثل

هرون القاري لغة بني تميم وعصيهم وبها باخذ الحسن الباقون بالكسر اتباعا لكسرة الصاد ونحوه دلي ودلي وثدي وثدي **قوله تعالى** يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقرا ابن عباس وابو حياة وابن ذكوان وروح عن يعقوب تخيل بالتاء ردوه الى العصي والحبال اذ هي مؤنثة وذلك انهم لطخوا العصا بالزيبق فلما اصابها حر الشمس ارتهشت واهتزت قال الكسائي خيل الى موسى ان الارض حيات وانها تسعى على بطنها وقري تخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ومن قراءة يخيل بالياء رده الى الكيد وقري نخيل بالنون على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلا وقيل الفاعل انها تسعى فان في موضع رفع اي يخيل اليه سعيها قاله الزجاج وزعم الفرا ان موضعها موضع نصب اي بانها ثم حذف اليا والمعنى في الوجه الاول نسبة اليه من سحرهم وكيدهم حتى ظن انها تسعى قال الزجاج ومن قرا بالتاء جعل ان في موضع نصب اي تخيل اليه ذات سعي قال ويجوز ان يكون في موضع رفع بدلا من الضمير في تخيل وهو عايد على الحبال والعصي والبدل فيه بدل اشتمال وتسعى معناه تمشي **قوله تعالى** فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر وقيل وجد وقيل احس اي من الحيات وذلك على ما يعرض من طباع البشر على ما تقدم وقيل خاف ان يفتتن الناس قبل ان يلقي عصاه وقيل خاف حين ابطا عليه الوحي بالقاء العصا ان يفترق الناس قبل ذلك فيفتتنوا وقال بعض اهل الحقائق انما كان السبب ان موسى عليه السلم لما التقي بالسحرة وقال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب التفت فاذا جبريل عن يمينه فقال له يا موسى ترفق باوليا الله فقال موسى يا جبريل هؤلا سحرة جاوا بسحر عظيم ليبطلوا المعجزة وينصروا دين فرعون ويردوا دين الله يقول ترفق باوليا الله فقال جبريل هم من الساعة الى صلاة العصر عندك وبعد صلاة العصر في الجنة فلما قال له ذلك اوجس في نفسه خيفة موسى وخطر ان ما يدريني ما علم الله في فلعلي اكون الان في حاله وعلم الله في على خلافها كما كان هؤلاء فلما علم الله ما في قلبه اوحي اليه لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب لهم في الدنيا وفي الدرجات العلى في الجنة بالنبوة والاصطفاء الذي اتاك الله به واصل خيفة خوفة فانقلبت الواو يا لانكسار الخاء **قوله تعالى** والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ولم يقل والق عصاك فجايز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجايز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل واتره عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وتلقف بالجزم جواب الامر كانه قال ان تلقه تتلقف اي تاخذ وتبلع وقراءة السلمي وحفص تلقف ساكنة اللام من لقف يلقف لقفا وقرا ابن ذكوان وابو حيوة الشامي ويحيى بن الحارث تلقف بحذف التاء ورفع الفاء على معنى فانها تتلقف والخطاب لموسى وقيل للعصا واللقف الاخذ بسرعة يقال لقفت الشي بالكسر القفه لقفا وتلقفته ايضا اي تناولته بسرعة عن يعقوب يقال رجل لقف ثقف اي خفيف حاذق واللقف بالتحريك سقوط الحايط وقد لقف الحوض لقفا اي تهور من اسفله واتسع وتلقف وتلقم وتلهم بمعنى وقد مضى في الاعراف لقمت اللقمة بالكسر لقما وتلقمتها اذا ابتلعتها في مهلة وكذلك لهمه بالكسر اذا ابتلعه ما صنعوا اي الذي صنعوه وكذا انما صنعوا اي ان الذي صنعوه كيد بالرفع سحر بكسر السين واسكان الحاء وهي قراءة الكوفيين الا عاصما وفيه وجهان ان يكون الكيد مضافا الى السحر على الاتساع من غير تقدير حذف والثاني ان يكون في الكلام حذف اي كيد ذي سحر وقرا الباقون كيد بالنصب لوقوع الصنيع عليه وما كافة ولا يضمرها ساحر بالاضافة والكيد في الحقيقة على هذه القراءة مضاف للساحر لا للسحر ويجوز فتح ان على معنى لان ما صنعوه كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اي لا يفوز ولا ينجو حيث اتى من الارض وقيل حيث احتال وقد مضى في البقرة حكم الساحر ومعنى السحر فتامله هناك **قوله تعالى** فالقي السحرة سجدا لما راوا من عظيم الامر وخرق العادة في العصا فانها ابتلعت جميع ما احتالوا به من الحبال والعصي وكانت حمل ثلثماية بعير ثم عادت عصا لا يعلم احد اين ذهبت الحبال والعصي الا الله عز وجل وقد مضى في الاعراف هذا المعنى وامر العصي مستوفى **قوله تعالى** قالوا امنا برب هرون وموسى قال امنتم له اي به يقال امن له وامن به ومنه فامن له لوط وفي الاعراف امنتم به قبل ان اذن لكم انكار منه عليهم اي تعديتم وفعلتم ما لم امركم به انه لكبيركم الذي علمكم السحر اي رئيسكم في التعليم وانما غلبكم لانه اخذ به منكم وانما اراد فرعون بقوله هذا ليشبه على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كايمانهم والا فقد علم فرعون انهم لم يتعلموا من موسى بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى وولادته **قوله تعالى** فلاقطعن ايديكم وارجلكم

خوف العادة في العصا

من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل قال سعد بن ابي كامل هم صلبوا العبدي في
جذع نخلة فلا عطست شيبان الا باجدعا   فقطع وصلب حتى ماتوا رحمهم الله وقرا ابن محيصن هنا وفي
الاعراف فلاقطعن ولاصلبنكم بفتح الالف والتخفيف من قطع وصلب قوله تعالى ولتعلمن
اينا اشد عذابا وابقى انا ام رب موسى قوله تعالى قالوا اي السحرة لن نؤثرك اي لن نختارك على ما جاءنا
من البينات قال ابن عباس يريد من اليقين والعلم وقال عكرمة وغيره لما سجدوا اراهم الله في سجودهم منازلهم
في الجنة فلهذا قالوا لن نؤثرك وكانت امراة فرعون تسال من غلب فقيل لها غلب موسى وهرون فقالت امنت
برب موسى وهرون فارسل اليها فرعون فقال انظروا اعظم صخرة فان مضت على قولها فالقوها عليها
فلما اتوها رفعت بصرها الى السما فابصرت منزلها في الجنة فمضت على قولها فانتزعت روحها والقيت
الصخرة على جسدها وليس فيها روح وقيل مقدم السحرة لمن يثق به لما راى من عصى موسى ما راى انظر الى هذه
الحية هل تخوفت فتكون جنيا او لم تخوف فهي من صنعة الصانع الذي لا يعزب عليه مصنوع فقال لما تخوفت فقال
امنت انه لا اله الا الذي برب موسى وهرون قوله تعالى والذي فطرنا قيل هو معطوف على ما جاءنا
من البينات اي لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ولا على الذي فطرنا اي خلقنا وقيل هو قسم اي والله لن
نؤثرك قوله تعالى فاقض ما انت قاض التقدير ما انت قاضيه وليست ما هاهنا التي تكون مع الفعل
بمنزلة المصدر لان تلك توصل بالافعال وهذه موصولة بابتداء وخبر قال ابن عباس فاصنع ما انت صانع
وقيل فاحكم ما انت حاكم اي من القطع والصلب وحذفت الياء من قاض في الوصل لسكونها وسكون التنوين
واختار سيبويه اثباتها في الوقف لانه زال علة التقاء الساكنين قوله تعالى انما تقضي هذه
الحياة الدنيا اي انما ينفذ امرك فيها وهي منصوبة على الظرف والمعنى انما تقضي في متاع هذه الحياة الدنيا
او وقت هذه الحياة الدنيا فيقدر حذف المفعول ويجوز ان يكون التقدير انما تقضي امور هذه الحياة الدنيا فتنتصب
انتصاب المفعول وما كافة لان واجاز الفراء الرفع على ان يجعل ما بمعنى الذي وتحذف من تقضي
ورفعت هذه الحياة الدنيا قوله تعالى انا امنا بربنا اي صدقنا بالله وحده لا شريك له وما جاءنا به موسى
قوله تعالى ليغفر لنا خطايانا يريد الشرك الذي كانوا عليه قوله تعالى وما اكرهتنا عليه
من السحر ما في موضع نصب معطوفة على الخطايا وقيل لا موضع لها وهي نافية اي ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه قال النحاس والاول اولى وقال المهدوي وفيه بعد لقولهم ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
وليس هذا بقول مكرهين ولان الاكراه ليس بذنب وان كان يجوز ان يكونوا اكرهوا على تعلمه صغارا قال
الحسن كانوا يعلمون السحر اطفالا ثم عملوه مختارين بعده ويجوز ان يكون ما في موضع رفع بالابتداء ويضمر
الخبر والتقدير وما اكرهتنا عليه من السحر موضوع عنا ومن السحر على هذا القول والقول الاول يتعلق
باكرهتنا وعلى ان ما نافية تتعلق بخطايانا قوله تعالى والله خير وابقى اي ثوابه خير وابقى فحذف
المضاف قاله ابن عباس وقيل الله خير لنا منك وابقى عذابا لنا من عذابك لنا وهو جواب قوله ولتعلمن اينا اشد
عذابا وابقى وقيل الله خير لنا ان اطعناه وابقى عذابا منك ان عصيناه قوله تعالى انه من يات ربه
مجرما قيل هو من قول السحرة لما امنوا وقيل ابتداء كلام من الله عز وجل والكناية في انه يرجع الى الامر والشان
ويجوز ان من يات ومنه قول الشاعر

ان من يدخل الكنيسة يوما … يلق فيها جاذرا وظباء

اراد انه من يدخل اي ان الامر هذا وهو ان المجرم يدخل النار والمؤمن يدخل الجنة والمجرم الكافر وقيل الذي
يقترف المعاصي ويكتسبها والاول اشبه لقوله فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وهذه صفة
الكافر المكذب الجاحد على ما تقدم بيانه في سورة النساء وغيرها فلا ينتفع بحياته ولا
يستريح بموته قال الشاعر

الا من لنفس لا تموت فينقضي … عناها ولا تحيى حياة لها طعم

وقيل نفس الكافر معلقة في حنجرته كما اخبر الله تعالى عنه فلا يموت بفراقها ولا يحيى باستقرارها
ومعنى من يات ربه مجرما من يات موعد ربه ومعنى من ياته مؤمنا اي يمت عليه ويوافيه مصدقا به قد عمل
اي وقد عمل الصالحات اي الطاعات وما امر به ونهى عنه قوله تعالى فاولئك لهم الدرجات
العلى اي الرفيعة التي قصرت دونها الصفات ودل قوله مؤمنا على ان المراد بالمجرم المشرك

قال مقدم السحرة بل تخوفت العصا

وحذفت الياء من قاض لسكونها وسكون التنوين

ومن ياته

قوله تعالى جنات عدن بيان للدرجات وبدل منها والعدن الاقامة وقد تقدم بيانه تجري من تحتها
اي من تحت غرفها وسررها الانهار من الخمر والعسل واللبن والماء وقد تقدم خالدين فيها اي ماكثين
دائمين قوله تعالى وذلك جزاء من تزكى اي من تطهر من الكفر والمعاصي ومن قال هذا من قول السحرة
قال لعل السحرة سمعوه من موسى وبني اسرائيل اذ كان فيهم بمصر اقوام وكان فيهم ايضا المؤمن من ال فرعون
قال المؤلف رحمه الله ويحتمل ان يكون ذلك الهاما من الله لهم انطقهم بذلك لما امنوا والله اعلم قوله تعالى
ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي تقدم الكلام في هذا مستوفى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا
اي يابسا لا طين فيه ولا ماء وقد مضى في البقرة ضرب موسى البحر وكنيته اياه واغراق فرعون فلا معنى للاعادة
قوله تعالى لا تخاف دركا اي لحاقا من فرعون وجنوده ولا تخشى قال ابن جريج قال اصحاب موسى
هذا فرعون قد ادركنا وهذا البحر قد غشينا فانزل الله تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى اي لا تخاف دركا من
فرعون ولا تخشى غرقا من البحر ان غشيك وقرا حمزة لا تخف على انه جواب الامر التقدير ان تضرب
لهم طريقا في البحر لا تخف ولا تخشى مستانف على تقدير ولا انت تخشى او يكون مجزوما والالف مشبعة
من فتحة كقوله فاضلونا السبيلا ويكون على حد قول الشاعر

كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا … على تقدير حذف الحركة كما تحذف حركة الصحيح وهذا مذهب الفراء

وقال اخر

هجوت زبان ثم جئت معتذرا … من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

وقال اخر

الم ياتيك والانباء تنمي … بما لاقت لبون بني زياد

قال النحاس وهذا من اقبح الغلط ان يحمل كتاب الله تعالى على الشذوذ من الشعر وايضا فالذي جاء به من الشعر
لا يشبه من الاية شيئا لان الياء والواو مخالفتان للالف لانهما تتحركان والالف لا تتحرك والشاعر
اذا اضطر ان يقدرهما متحركتين ثم تحذف الحركة للجزم وهذا محال في الالف والقراءة الاولى بين لان بعده
ولا تخشى مجمع عليه بلا جزم وفيها ثلاث تقديرات الاول ان يكون لا تخاف في موضع الحال من المخاطب التقدير
فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا غير خائف ولا خاش الثاني ان يكون في موضع النعت للطريق لانه معطوف
على يبس الذي هو صفة ويكون التقدير لا تخاف فيه فحذف الراجع من الصفة والثالث ان يكون منقطعا خبر
ابتداء محذوف تقديره وانت لا تخاف قوله تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده اي اتبعهم ومعه جنوده
وقرئ فاتبعهم بالتشديد فتكون الباء في بجنوده عدت الفعل الى المفعول الثاني لان اتبع يتعدى الى مفعول
واحد اي تبعهم ليلحقهم بجنوده اي مع جنوده كما يقال ركب الامير بسيفه اي مع سيفه ومن قطع فاتبع
يتعدى الى مفعولين فيجوز ان تكون الباء زائدة ويجوز ان يكون اقتصر على مفعول واحد يقال تبعه واتبعه
ولحقه والحقه بمعنى واحد وقوله بجنوده في موضع الحال كانه قال فاتبعهم سائقا جنوده قوله تعالى
فغشيهم من اليم ما غشيهم اي اصابهم من البحر ما غرقهم وكرر على معنى التعظيم والمعرفة بالامر والله
اعلم قوله تعالى واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم عن الرشد وما هداهم الى خير ولا نجاة
لانه قدر ان موسى عليه السلام ومن معه لا يفوتونه لان بين ايديهم البحر فلما ضرب موسى البحر بعصاه انفلق
منه اثنا عشر طريقا وبين الطرق الماء قائما كالجبال وفي سورة الشعراء فكان كل فرق كالطود العظيم
اي الجبل الكبير فاخذ كل سبط طريقا واوحى الله الى اطواد الماء ان تشبكي فصارت شبكات يرى بعضهم
بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فكان هذا من اعظم المعجزات واكبر الايات فلما اقبل فرعون وراى الطرق
في الماء والماء قائما اوهمهم ان البحر فعل هذا لهيبته فدخل هو واصحابه فانطبق البحر عليهم وقيل ان قوله وما هدى
تاكيد لاضلاله اياهم وقيل هو جواب قول فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فكذبه
الله تعالى وقال ابن عباس وما هدى اي ما هدى نفسه بل اهلك نفسه وقومه قوله تعالى يا بني
اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم لما انجاهم من فرعون قال لهم هذا ليشكروا وواعدناكم جانب الطور الايمن
جانب نصب على المفعول الثاني لواعدنا ولا يحسن ان ينتصب على الظرف لانه ظرف مكان محض غير مبهم وانما
تتعدى الافعال والمصادر الى ظروف المكان بغير حرف جر اذا كانت مبهمة قال مكي هذا اصل لا خلاف فيه
وتقدير الاية وواعدناكم اتيان جانب الطور ثم حذف المضاف قال النحاس اي امرنا موسى ان يامركم
بالخروج معه ليكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام وقيل وعد موسى بعد اغراق فرعون ان ياتي جانب
الطور الايمن فيؤتيه التوراة فالوعد كان لموسى ولكن خوطبوا به لان الوعد كان لاجلهم وقرا ابو عمرو

ووعدناكم بغير الف واختاره ابو عبيد لان الوعد انما هو من الله تعالى لموسى خاصة والمواعدة لا تكون الا من
اثنين وقد مضى في البقرة هذا المعنى والايمن نصب لانه نعت للجانب وليس للجبل يمين ولا شمال فاذا قيل
خذ عن يمين الجبل فمعناه خذ على يمينك من الجبل وكان الجبل على يمين موسى اذ اتاه قوله تعالى ونزلنا
عليكم المن والسلوى اي في التيه وقد تقدم القول فيه قوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم
اي من لذيذ الرزق وقيل من حلاله اذ لا صنع فيه لادمي فتدخله شبهة ولا تطغوا فيه اي لا تحملنكم
السعة والعافية ان تطغوا لان الطغيان التجاوز الى ما لا يجوز وقيل المعنى لا تكفروا النعمة ولا تنسوا
شكر النعم ولا شكر المنعم بها عليكم وقيل اي ولا تستبدلوا بها شيئا اخر كما قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي
هو خير وقيل لا تدخروا منه لاكثر من يوم وليلة قال ابن عباس فيتدود عليهم ما ادخروه ولولا ذلك
ما تدود طعام ابدا قوله تعالى فيحل عليكم غضبي اي يجب وينزل وهو منصوب بالفاء في جواب
النهي من قوله ولا تطغوا ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى قرا الاعمش ويحيى بن وثاب والكسائي فيحل بضم
الحاء ومن يحلل بضم اللام الاولى والباقون بالكسر وهما لغتان وحكى ابو عبيدة وغيره انه يقال حل يحل اذا وجب
وحل يحل اذا نزل وكذا قال الفراء الضم من الحلول بمعنى الوقوع والكسر من الوجوب والمعنيان متقاربان
الا ان الكسر اولى لانهم قد اجمعوا على قوله ويحل عليه عذاب مقيم وغضب الله عقابه ونقمته وعذابه فقد
هوى قال الزجاج فقد هلك اي صار الى الهاوية وهي قعر النار من هوى يهوي هويا اي سقط من علو الى
سفل وهوى فلان اي مات وذكر ابن المبارك اخبرنا اسمعيل بن عياش قال حدثنا ثعلبة بن مسلم عن
ايوب بن بشير عن شفي الاصبحي قال ان في جهنم جبلا يدعى صعودا يطلع الكافر فيه اربعين خريفا قبل ان
يرقاه قال الله تعالى سارهقه صعودا وان في جهنم قصرا يقال له هوى يرمى الكافر من اعلاه فيهوي اربعين
خريفا قبل ان يبلغ اصله قال الله تعالى ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وذكر الحديث وقد ذكرناه في كتاب
التذكرة قوله تعالى واني لغفار لمن تاب من الشرك وامن وعمل صالحا ثم اهتدى اي اقام على ايمانه حتى
مات عليه قاله سفيان الثوري وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس اي لم يشك في ايمانه ذكره الماوردي
والمهدوي وقال ابن عباس ايضا وسهل بن عبد الله التستري اقام على السنة والجماعة ذكره الثعلبي وقال
انس اخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ذكره المهدوي وحكاه الماوردي عن الربيع بن انس وقول خامس اصاب
العمل قاله ابن زيد وعنه ايضا تعلم العلم ليهتدي كيف يفعل ذكر الاول المهدوي والثاني الثعلبي وقال
الشعبي ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا وعليه عقابا وقاله الفراء وقول ثامن ثم اهتدى في ولاية
اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قاله ثابت البناني والقول الاول احسن هذه الاقوال واليه يرجع سائرها
قال وكيع عن سفيان كنا نسمع في قوله عز وجل واني لغفار لمن تاب اي من الشرك وامن اي بعد الشرك
وعمل صالحا صام وصلى ثم اهتدى اي مات على ذلك قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى
اي ما حملك على ان تسبقهم قيل عنى بالقوم جميع بني اسرائيل فعلى هذا قيل استخلف هرون على بني اسرائيل
وخرج معه سبعين رجلا للميقات فقوله هم اولاء على اثري ليس يريد انهم يسيرون خلفه متوجهين
اليه بل اراد انهم بالقرب مني ينتظرون عودي اليهم وقيل لا بل كان امرهم ان يتبعوه في بني اسرائيل اثره ويلحقوا
به وقال قوم اراد بالقوم السبعين الذين اختارهم وكان موسى لما قرب من الطور سبقهم شوقا الى سماع كلام
الله وقيل لما وفد الى طور سينا بالوفد اشتاق الى ربه وطالت عليه المسافة من شدة الشوق الى الله تعالى
فضاق به الامر حتى شق قميصه ثم لم يصبر حتى خلفهم ومضى وحده فلما وقف في مقامه قال الله تبارك وتعالى
وما اعجلك عن قومك يا موسى فبقي صلى الله عليه وسلم متحيرا عن الجواب لهذه الكلمة لما استقبله من صدق
الشوق فاعرض عن الجواب وكنى عنه بقوله هم اولاء على اثري وانما ساله عن السبب الذي اعجله بقوله ما
فاخبر عن مجيئهم بالاثر ثم قال قوله تعالى وعجلت اليك رب لترضى فكنى عن ذكر الشوق وصرفه
الى ابتغاء الرضا ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا وكانت عائشة
اذا اوت الى فراشها قالت هاتوا المجيد فتؤتى بالمصحف فتاخذه في صدرها وتنام معه تتسلى بذلك رواه
سفيان عن مسعر عن عائشة وكان عليه السلام اذا امطرت السماء خلع ثيابه وتجرد حتى يصيبه المطر ويقول
انه حديث عهد بربي فهذا من الرسول صلى الله عليه وسلم وممن بعده من قبيل الشوق ولذلك قال تعالى
فيما يروى عنه طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم اشوق وقال ابن عباس كان الله عالما ولكن قال

ان في جهنم جبلا يدعى صعودا وقصرا يقال له هوى
يرمى الكافر من اعلاه

وما اعجلك

وما اعجلك عن قومك رحمة لموسى واكراما له بهذا القول وتسكينا لقلبه ورقة عليه فقال مجيبا لربه هم اولاء
على اثري قال ابو حاتم قال عيسى بنو تميم يقولون هم اولا مقصورة مرسلة واهل الحجاز يقولون اولاء ممدودة
وحكى الفراء اولاي على اثري وزعم ابو اسحق الزجاج ان هذا لا وجه له قال النحاس وهو كما قال لان هذا ليس مما
يضاف ايضا لان ما بعده فيكون مثل هداي ولا يخلو من احد جهتين اما ان يكون اسما مبهما فاضافته محال
واما ان يكون بمعنى الذين فلا يضاف ايضا لان ما بعده من تمامه وهي معرفة وقرا ابن ابي اسحاق ونصر ورويس
عن يعقوب على اثري بكسر الهمزة واسكان الثاء وهو بمعنى اثر لغتان وعجلت اليك رب لترضى اي عجلت الى
الموضع الذي امرتني بالمصير اليه لترضى عني يقال رجل عجل وعجل وعجول وعجلان بين العجلة والعجلة خلاف
البطء قوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي اختبرناهم وامتحناهم بان يستدلوا على الله عز
وجل واضلهم السامري اي دعاهم الى الضلالة اذ هو سببها وقيل فتناهم القيناهم في الفتنة اي زينا لهم
عبادة العجل ولهذا قال موسى ان هي الا فتنتك قال ابن عباس كان السامري من قوم يعبدون البقر فوقع
بارض مصر فدخل في دين بني اسرائيل بظاهره وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر وقيل كان رجلا من القبط
وكان جارا لموسى امن به وخرج معه وقيل كان عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة
وهم معروفون بالشام قال سعيد بن جبير كان من اهل كرمان قوله تعالى فرجع موسى الى
قومه غضبان اسفا حال وقد مضى بيانه في الاعراف مستوفى قوله تعالى قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا وعدهم جل وعز الجنة اذا اقاموا على طاعته ووعدهم انه يسمعهم كلامه في التوراة
على لسان موسى ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم وقيل وعدهم النصر والظفر وقيل وعده قوله واني
لغفار لمن تاب وامن الاية قوله تعالى افطال عليكم العهد اي افنسيتم كما قيل والشيء قد ينسى لطول
العهد قوله تعالى ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم يحل اي يجب وينزل والغضب العقوبة والنقمة
والمعنى ام اردتم ان تفعلوا فعلا يكون سبب حلول غضب الله بكم لان احدا لا يطلب غضب الرب بل يرتكب
ما يكون سببا للغضب فاخلفتم موعدي لانهم وعدوه ان يقيموا على طاعة الله الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل
وعدهم على اثره للميقات فتوقفوا قوله تعالى قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم وهي قراءة
نافع وعاصم قال مجاهد والسدي ومعناه بطاقتنا وقال ابن زيد لم نملك انفسنا اي كنا مضطرين وقرا ابن
كثير وابو عمرو وابن عامر بملكنا بكسر الميم واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها اللغة العالية وهو مصدر ملكت
الشيء املكه ملكا والمصدر مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف كانه قال بملكنا الصواب بل اخطانا
فهو اعتراف منهم بالخطا وقرا حمزة والكسائي بملكنا بضم الميم والمعنى بسلطاننا اي لم يكن لنا ملك
فنخلف موعدك ثم قيل قوله قالوا عام يراد به الخاص اي قال الذين ثبتوا على طاعة الله الى ان يرجع اليهم من
الطور ما اخلفنا موعدك بملكنا وكانوا اثني عشر الفا وكان جميع بني اسرائيل ستمائة الف قوله تعالى
ولكنا حملنا بضم الحاء وتشديد الميم مكسورة قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحفص ورويس الباقون
بفتح الحرفين خفيفة واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانهم حملوا حلي القوم معهم وما حملوه كرها اوزارا اثقالا
من زينة القوم اي من حليهم وكانوا استعاروه حين ارادوا الخروج مع موسى عليه السلام واوهموهم انهم
يجتمعون في عيد لهم او وليمة وقيل هو ما اخذوه من ال فرعون لما قذفهم البحر الى الساحل وسميت
اوزارا انها كانت اثاما اي لم يحل لهم اخذها ولم تحل لهم الغنائم وايضا فالاوزار هي الاثقال في اللغة
فقذفناها اي ثقل علينا حمل ما كان معنا من الحلي فقذفناه في النار ليذوب اي طرحناه فيها وقيل طرحناها
الى السامري لترجع فترى فيها رايك قال قتادة ان السامري قال لهم حين استبطا القوم موسى انما
احتبس عليكم من اجل ما معكم من الحلي فجمعوه ودفعوه الى السامري فرمى به في النار فصاغ لهم منه عجلا
ثم القى عليه قبضة من اثر فرس الرسول وهو جبريل عليه السلام وقال معمر الفرس الذي كان عليه جبريل
عليه السلام هو الحياة فلما القى القبضة عليه صار عجلا جسدا له خوار والخوار صوت البقر وقال ابن عباس
لما انسبكت الحلي في النار جاء السامري لهرون قال يا نبي الله القي ما في يدي وهو يظن انه كبعض ما جاء غيره
من الحلي فقذف التراب فيه وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان كما قال للبلاء والفتنة فخار خورة واحدة
لم يتبعها مثلها وقيل خواره وصوته كان بالريح لانه كان عمل فيه خروقا فاذا دخلت الريح في جوفه خار ولم
يكن فيه حياة وهذا قول مجاهد وعلى القول الاول كان عجلا جسدا من لحم ودم وهو قول الحسن وقتادة والسدي

وروى حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مر هرون بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما هذا قال ينفع ولا يضر فقال اللهم اعطه ما سالك على ما في نفسه فقال اللهم اني اسالك ان يخور فكان اذا خار سجدوا وكان الخوار من اجل دعوة هرون قال ابن عباس خار كما يخور الحي من العجول وروي ان موسى قال يا رب هذا السامري اخرج لهم عجلا جسدا له خوار من حليتهم فمن جعل الجسد والخوار قال الله تعالى انا قال موسى عليه السلام وعزتك وجلالك وارتفاعك وعلوك وسلطانك ما اضلهم غيرك قال صدقت يا حكيم الحكماء وقد تقدم هذا كله في سورة الاعراف **قوله تعالى** فقالوا هذا الهكم واله موسى اي قال السامري ومن تابعه وكانوا مايلين الى التشبيه اذ قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة هذا الهكم واله موسى فنسي اي فضل موسى يطلبه فلم يعلم مكانه واخطا الطريق الى ربه وقيل معناه فتركه موسى هنا وخرج يطلبه اي ترك موسى الهه هنا وروى اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال اي فنسي موسى ان يذكر لكم انه الهه وقيل الخطاب خبرا عن السامري اي ترك موسى السامري ما امره به موسى من الايمان وضل قاله ابن الاعرابي فقال الله تعالى محتجا عليهم افلا يرون اي تعتبرون فتتفكرون في انه لا يرجع اليهم قولا ولا يكلمهم وقيل لا يعود الى الخوار والصوت **قوله تعالى** ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكيف يكون الها والذي يعبده موسى عليه السلام يضر وينفع ويثيب ويعطي ويمنع وان لا يرجع تقديره انه لا يرجع فلذلك ارتفع الفعل فخففت ان وحذف الضمير وهو الاختيار في الروية والعلم والظن قال الشاعر

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقد تحذف مع التشديد قال

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجيا عظيم المشافر

اي ولكنك **قوله تعالى** ولقد قال لهم هرون من قبل اي من قبل ان ياتي موسى ويرجع اليهم يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم واضللتم به اي بالعجل **قوله تعالى** وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني في عبادته واطيعوا امري لا امر السامري او فاتبعوني في مسيري الى موسى ودعوا العجل فعصوه **قوله تعالى** وقالوا لن نبرح عليه عاكفين اي لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى فينظر هل نعبده كما عبدناه فتوهموا ان موسى يعبد العجل فاعتزلهم هرون في اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هرون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا **قوله تعالى** قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني اي اخطاوا الطريق وكفروا ان لا تتبعني لا زايدة اي ان تتبع امري ووصيتي وقيل ما منعك من اتباعي في الانكار عليهم وقيل معناه هلا قاتلتهم اذ قد علمت اني لو كنت بينهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل ما منعك من اللحوق بي لما فتنوا افعصيت امري يريد ان مقامك بينهم وقد عبدوا غير الله تعالى عصيان منك لي قاله ابن عباس وقيل معناه هلا فارقتهم فتكون مفارقتك اياهم تقريعا لهم وزجرا ومعنى افعصيت امري قيل ان امره ما حكاه الله تعالى عنه **قوله تعالى** وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما اقام معهم ولم يبالغ في الانكار ومنعهم نسبه الى عصيانه ومخالفة امره

مسالة وهذا كله اصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة اهله وان المقيم منهم لاسيما اذا كان راضيا حكمه كحكمهم وقد مضى هذا المعنى في ال عمران وغيرها وسيل الامام ابو بكر الطرطوشي ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية وليعلم حرس الله مدته انه اجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب على شي من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيا ياكلونه هل الحضور معهم جايز ام لا افتونا رحمكم الله وهذا القول الذي يذكرونه

يا شيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزلل

واعمل لنفسك صالحا ما دام ينفعك العمل

اما الشباب فقد مضى ومشيب راسك قد نزل

ومن مثل هذا **الجواب** مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل واما القضيب فاول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله وانما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كانما على رووسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يومن بالله واليوم الاخر

ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من ايمة المسلمين وبالله التوفيق **قوله تعالى** قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي قال ابن عباس اخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره لان الغيرة في الله ملكته اي لا تفعل هذا فيتوهموا منك استخفافا وعقوبة وقد قيل ان موسى عليه السلام انما فعل هذا على غير استخفاف ولا عقوبة كما ياخذ الانسان بلحية نفسه وقد مضى هذا المعنى في الاعراف بتمامه مستوفا والله اعلم بما اراد نبيه عليه السلام **قوله تعالى** اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل اي خشيت ان اخرج واتركهم وقد امرتني ان اخرج معهم فلو خرجت لاتبعني قوم وتخلف مع العجل قوم وربما ادى الامر الى سفك الدما وخشيت ان زجرتهم ان يقع قتال فتلومني على ذلك وهذا جواب هرون لموسى عن قوله افعصيت امري وفي الاعراف ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وقد تقدم ومعنى ولم ترقب قولي لم تعمل بوصيتي في حفظهم لانك امرتني ان اكون معهم قاله مقاتل وقال ابو عبيدة ولم تنتظر عهدي وقدومي فتركه موسى ثم اقبل على السامري فقال ما خطبك اي امرك وشانك وما الذي حملك على ما صنعت قال قتادة كان السامري من عظما بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر موسى فلما مرت بنو اسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة فاغتنمها السامري وعلم انهم يميلون الى عبادة العجل فاتخذ العجل فقال السامري مجيبا لموسى بصرت بما لم يبصروا به يعني رايت ما لم يروا رايت جبريل على فرس الحياة فالقي في نفسي ان اقبض من اثره قبضة فما القيته على شي الا صار فيه روح ولحم ودم فلما سالوا ان تجعل لهم الها زينت لي نفسي ذلك وقال علي رضي الله عنه لما نزل جبريل ليصعد بموسى الى السما ابصره السامري من بين الناس فقبض قبضة من اثر الفرس وقيل قال السامري رايت جبريل على الفرس وهي تلقي خطوها مد البصر فالقي في نفسي ان اقبض من اثرها فما القيته على شي الا صار له روح ودم وقيل راى جبريل يوم نزل على رملة ودبق فتقدم خيل فرعون في ورود البحر ويقال ان ام السامري جعلته حين وضعته في غار خوفا من ان يقتله فرعون فجعل كف السامري في فم السامري فوضع العسل واللبن واختلف اليه فعرفه من حينيذ وقد تقدم هذا المعنى في سورة الاعراف ويقال ان السامري سمع كلام موسى صلى الله عليه وسلم حيث عمد بتماثيل من شمع احدهما ثور والاخر فرس فالقاهما في النيل طلب قبر يوسف وكان في تابوت من حجر في النيل فاتى به الثور على قرنه فتكلم السامري بذلك الكلام الذي سمع من موسى والقي القبضة في جوف العجل فخار وقرا حمزة والكسايي والاعمش وخلف بما لم تبصروا بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر وقرا ابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة فقبصت قبصة بصاد غير معجمة وروي عن الحسن ضم القاف من قبصة والصاد غير معجمة الباقون فقبضت قبضة بالضاد معجمة والفرق بينهما ان القبض بجميع الكف والقبص باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والقبضة بضم القاف القدر المقبوض كرة المهدوي ولم يذكر الجوهري قبصة بضم القاف والصاد غير معجمة وانما ذكر القبضة بضم القاف والضاد المعجمة وهو ما قبضت عليه من شي يقال اعطاه قبضة من سويق او تمر اي كفا منه وربما جاء بالفتح قال والقبص بكسر القاف والصاد غير المعجمة العدد الكثير من الناس قال الكميت

لكم مسجد الله المزوران والحصى لكم قبصة من بين اثري واقترى

فنبذتها اي طرحتها في العجل **قوله تعالى** وكذلك سولت لي نفسي اي زينته قاله الاخفش وقال ابن زيد حدثتني نفسي والمعنى متقارب **قوله تعالى** قال فاذهب اي قال له موسى فاذهب اي من بيننا فان لك في الحياة ان تقول لا مساس اي لا امس ولا امس طول الحياة فنفاه موسى عن قومه وامر بني اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له قال الشاعر

تميم كرهط السامري وقوله الا لا يريد السامري مساسا

قال الحسن جعل الله عقوبة السامري ان لا يماس الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه الى يوم القيمة وكان الله شدد عليه المحنة بان جعله لا يماس احدا ولا يمكن من ان يمسه احد وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا وقيل ابتلي بالوسواس واصل الوسواس من ذلك الوقت وقال قتادة بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك لا مساس وان مس واحد من غيرهم احدا منهم حم كلاهما في ذلك الوقت ويقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى لا تقتله فانه سخي ويقال ان السامري لما قال له موسى فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس خاف فهرب فجعل

مطلب في مذهب الصوفية

يهيم في البرية مع السباع والوحش لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار كالقائل لا مساس لبعده عن الناس وبعد الناس عنه كما قال الشاعر

حمال رايات بها قناعسا ... حتى تقول الاسد لا مساسا

مسالة هذه الاية اصل في نفي اهل البدع والمعاصي وهجرانهم وان لا يخالطوا وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم بكعب بن مالك ذلك والثلثة الذين خلفوا ومن التجأ الى الحرم وعليه قتل لا يقتل عند بعض الفقها ولكن لا يعامل ولا يبايع ولا يشاري ويوارها في الخروج ومن هذا القبيل التغريب في حد الزنا وقد تقدم جميع هذا كله في موضعه فلا معنى لاعادته وقال هرون القاري ولغة العرب لا مساس بكسر السين وفتح الميم وقد تكلم النحويون فيه فقال سيبويه هو مبني على الكسر كما يقال اضرب الرجل وقال ابو اسحق لا مساس نفي وكسرت السين لان الكسرة من علامة التانيث تقول فعلت المراة قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول اذا اعتل الشي من ثلاث جهات وجب ان يبنى فاذا اعتل من جهتين وجب ان لا ينصرف لانه ليس بعد الصرف الا البنا فمساس ودراك اعتل من ثلاث جهات منها انه معدول ومنها انه مونث وانه معرفة فلما وجب البناء فيه وكانت الالف قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الساكنين كما تقول اضرب الرجل ورايت ابا اسحق يذهب الى ان هذا القول خطأ والزم ابا العباس اذا سمي امراة بفرعون ان يبنيه وهذا لا يقوله احد وقال الجوهري في الصحاح واما قول العرب لا مساس مثل قطام فانما بني على الكسر لانه معدول عن المصدر وهو المس وقرا ابو حيوة لا مساس **قوله تعالى** وان لك موعدا لن تخلفه يعني يوم القيامة والموعد مصدر يعني ان لك وعد العذاب وقرا ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام وله معنيان احدهما ستاتيه ولن تجده مخلفا كما تقول احمدته وجدته محمودا والثاني على التهديد اي لا بد لك من ان تصير اليه والباقون بفتح اللام بمعنى ان الله لن يخلفك اياه **قوله تعالى** وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي دمت واقمت عليه عاكفا اي ملازما واصله ظللت قال

خلا ان العتاق من المطايا ... احسن به فهن اليه شوس

اي احسسن وكذلك قرا الاعمش بلامين على الاصل وفي قراءة ابن مسعود ظلت بكسر الظاء يقال ظللت افعل كذا اذا فعلته نهارا وظلت وظلت فمن قال ظلت حذف اللام الاولى تخفيفا ومن قال ظلت القى حركة اللام على الظاء وقوله لنحرقنه قراءة العامة بضم النون وشد الراء من حرق يحرق وقراءة الحسن وغيره بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء من احرقه يحرقه وقرا علي وابن عباس وابو جعفر وابن محيصن والعقيلي لنحرقنه بفتح النون وضم الراء خفيفة من حرقت الشي احرقه حرقا بردته وحككت بعضه ببعض ومنه قولهم حرق نابه يحرقه ويحرقه اي سحقه حتى سمع له صريف فمعنى هذه القراءة لنبردنه بالمبارد ويقال للمبرد المحرق والقراءتان الاوليان معناهما الحرق بالنار وقد يمكن جمع ذلك فيه قال السدي ذبح العجل فسال منه مثل ما يسيل من العجل اذا ذبح ثم برد عظامه بالمبرد وحرقه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه واللحم والدم اذا احرقا صارا رمادا فيمكن تذريته في اليم فاما الذهب فلا يصير رمادا وقيل عرف ما صير به الذهب رمادا فكان ذلك من اياته ومعنى لننسفنه لنطيرنه وقرا ابو رجا لننسفنه بضم السين لغتان والنسف نفض الشي ليذهب به الريح وهو التذرية والمنسف ما ينسف به الطعام وهو شي منصوب الصدر اعلاه مرتفع والنسافة ما يسقط منه يقال اعزل النسافة وكل الخالص ويقال اتانا فلان كان لحيته منسف حكاه ابو نصر احمد بن حاتم والمنسفة الة يقلع بها البناء ونسفت البنا نسفا قلعته ونسف البعير الكلا ينسفه بالكسر اذا اقتلعه باصله وانتسفت الشي اقتلعته عن ابي زيد **قوله تعالى** انما الهكم الله الذي لا اله الا هو لا العجل وسع كل شي علما اي وسع علمه كل شي فنقل الفعل على العلم ونصب على التفسير وقرا مجاهد وقتادة وسع كل شي علما **قوله تعالى** كذلك الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي كما قصصنا عليك خبر موسى كذلك نقص عليك قصصا كذلك من اخبار ما قد سبق ليكون تسلية لك وليدل على صدقك **قوله تعالى** وقد اتيناك من لدنا ذكرا يعني القران وسمي القران ذكرا لما فيه من الذكر كما سمي الرسول ذكرا لان الذكر كان ينزل عليه وقيل اتيناك من لدنا ذكرا اي شرفا كما قال وانه لذكر لك ولقومك اي شرف وتنويه باسمك **قوله تعالى** من اعرض عنه يعني عن القران

اذا اعتل الشي من ثلاث جهات وجب ان يبنى

فلم يومن به ولم يعمل بما فيه **قوله تعالى** فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي اثما عظيما وحملا ثقيلا خالدين فيه يريد مقيمين فيه اي في جزائه وجزاوه جهنم **قوله تعالى** وساء لهم يوم القيامة حملا يريد بئس الحمل حملوه يوم القيامة وقرا داود بن رفيع فانه يحمل **قوله تعالى** يوم ينفخ في الصور قرا العامة ينفخ بضم الياء على الفعل المجهول وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحاق ننفخ بنون مسمى الفاعل واستدل ابو عمرو بقوله ونحشر بنون وعن ابن هرمز ينفخ بفتح الياء اي ينفخ اسرافيل ابو عياض في الصور الباقون في الصور وقد تقدم هذا في الانعام مستوفا وقرا طلحة بن مصرف ويحشر بضم الياء المجرمون رفعا بخلاف المصحف والباقون نحشر المجرمين اي المشركين زرقا حال من المجرمين والزرق خلاف الكحل والعرب تتشاءم بزرقة العيون وتذمه اي تشوه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم وقال الكلبي والفراء زرقا اي عميا وقال الازهري عطاشا قد ازرقت اعينهم من شدة العطش وقاله الزجاج قال لان سواد العين يتغير ويزرق من العطش وقيل انه الطمع الكاذب اذا تعقبته الخيبة يقال ابيضت عيني لطول انتظاري لكذا وقول خامس ان المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف قال الشاعر

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر ... كما كل ضبي من اللوم ازرق

يقال رجل ازرق العين والمراة زرقا بينة الزرق والاسم الزرقة وقد زرقت عينه بالكسر وازرقت عينه ازرقاقا وازراقت عينه ازريقاقا وقال سعيد بن جبير قيل لابن عباس في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال في موضع اخر ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فقال ان ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيه زرقا وحالة عميا يتخافتون بينهم اصل الخفت في اللغة السكون ثم قيل لمن خفض صوته خفته والمعنى يتسارون قاله مجاهد اي يقول بعضهم لبعض في الموقف سرا ان لبثتم اي ما لبثتم يعني في الدنيا وقيل في القبور الا عشرا يريد عشر ليال وقيل اراد ما بين النفختين وهو اربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار في قول ابن عباس فيستقصرون تلك المدة او مدة مقامهم في الدنيا لشدة ما يرون من اهوال القيامة ويخيل الى مسلمهم اي اعدلهم قولا واعلمهم واعقلهم عند نفسه انهم ما لبثوا الا يوما واحدا يعني لبثهم في الدنيا عن قتادة فالتقدير الا مثل يوم وقيل انهم من شدة المطلع نسوا ما كانوا فيه من نعيم الدنيا حتى راوه كيوم وقيل اراد بيوم لبثهم ما بين النفختين او لبثهم في القبور على ما تقدم وعشرا ويوما منصوب بلبثتم **قوله تعالى** ويسالونك عن الجبال اي عن حال الجبال يوم القيامة فقل جاء هذا بفاء وكل سؤال في القران قل بغير فاء الا هذا لان المعنى ان سالوك عن الجبال فقل فتضمن الكلام معنى الشرط وقد علم الله انهم يسالونه عنه فاجاب قبل السؤال وتلك اسولة تقدمت سالوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فجاء الجواب عقيب السؤال فلذلك كان بغير فاء وهذا سؤال لم يسالوه عنه بعد فتفهمه **قوله تعالى** ينسفها يطيرها نسفا قال ابن الاعرابي وغيره يقلعها قلعا من اصولها ثم يصيرها رملا تسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا قال ولا يكون العهن من الصوف الا المصبوغ ثم كالهباء المنثور فيذرها اي يذر مواضعها **قوله تعالى** قاعا صفصفا القاع الارض الملسا بلا نبات ولا بناء قال ابن الاعرابي وقال الجوهري والقاع المستوي من الارض والجمع اقوع واقواع وقيعان صارت الياء لكسر ما قبلها وقال الفراء القاع مستنقع الماء والصفصف القرعاء وقال الكلبي هو الذي لا نبات فيه وقيل المستوي من الارض كانه على صف واحد في استوائه قاله مجاهد والمعنى واحد في القاع والصفصف فالقاع الموضع المنكشف والصفصف المستوي الاملس وانشد سيبويه

وكم دون بيتك من صفصف ... ودكداك رمل واعقارها

وقاعا نصب على الحال والصفصف لا ترى فيها عوجا في موضع الصفة قال ابن الاعرابي العوج التعوج في الفجاج والامت النبك وقال ابو عمرو الامت النباك وهي التلال الصغار واحدها نبك اي هي ارض مستوية لا انخفاض فيها ولا ارتفاع تقول امتلا فما به امت وملات القربة ملا لا امت فيه اي لا استرخاء والامت الاثر مثل الشراك والامت في اللغة المكان المرتفع وقال ابن عباس عوجا ميلا قال وعنه ايضا عوجا واديا ولا امتا رابية وعنه ايضا العوج والامت الارتفاع وقال قتادة عوجا صدعا ولا امتا اي اكمة وقال يمان الامت الشقوق في الارض وقيل الامت ان يغلظ مكان في الفضا او في الجبل ويدق في مكان حكاه الصولي قال المولف رحمه الله وهذه الاية تدخل في باب الرقاق في ها التاليل وهي التي تسمى عندنا بالبراريق واحدها

بروقة تطلع في الجسد وخاصة في اليد تاخذ له اعوادا من تبن الشعير يكون في طرف كل عود عقدة تمر كل عقدة على الثاليل وتقرأ الآية مرة ثم تدفن الاعواد في مكان ندٍ تعفن وتعفن الثاليل فلا يبقى لها اثر جربت ذلك في نفسي وفي غيري فوجدته نافعا باذن الله والحمد لله **قوله تعالى** يومئذ يتبعون الداعي يعني اسرافيل عليه السلم اذا نفخ في الصور لا عوج له اي لا معدل لهم عنه اي عن دعائه لا يزيغون ولا ينحرفون بل يسرعون اليه ولا يحيدون عنه وعلى هذا اكثر العلما وقيل لا عوج له اي لدعائه وقيل يتبعون الداعي اتباعا لا عوج له فالمصدر مضمر والمعنى يتبعون صوت الداعي للمحشر نظيره واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب الآية وسياتي **قوله تعالى** وخشعت الاصوات للرحمن اي ذلت وسكنت عن ابن عباس قال لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع فكل لسان ساكت هناك للهيبة للرحمن اي من اجله **قوله تعالى** فلا تسمع الا همسا الهمس الصوت الخفي قاله مجاهد وقال ابن عباس الحس الخفي قال الحسن وابن جريج هو صوت وقع الاقدام بعضها على بعض الى المحشر ومنه قول الراجز وهن يمشين بنا هميسا يعني صوت اخفاف الابل في سيرها ويقال للاسد الهموس لانه يهمس في الظلمة اي يطا وطاء خفيفا قال رؤبة يصف نفسه بالشدة

ليث يدق الاسد الهموسا ... والاقهبين الفيل والجاموسا

وهمس الطعام اي مضغه وفوه منضم قال الراجز

لقد رايت عجبا مذ امسا ... عجائزا مثل السعالي خمسا

ياكلن ما اصنع همسا همسا ... وقيل الهمس تحريك الشفة واللسان

وقرأ ابي بن كعب فلا ينطقون الا همسا والمعنى متقارب اي لا تسمع لهم نطق ولا كلام ولا صوت اقدام وبناء ه م س اصله الخفاء كيف ما تصرف ومنه الحروف المهموسة وهي عشرة يجمعها قولك حثه شخص فسكت وانما سمي الحرف مهموسا لانه ضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس **قوله تعالى** يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من في موضع نصب على الاستثناء الخارج من الاول اي لا تنفع الشفاعة احدا الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي قوله اي رضي قوله في الشفاعة وقيل المعنى اي انما تنفع الشفاعة لمن اذن له الرحمن في ان يشفع وكان له قول يرضى قال ابن عباس هو قول لا اله الا الله **قوله تعالى** يعلم ما بين ايديهم اي من امر الساعة وما خلفهم من امر الدنيا قاله قتادة وقيل يعلم ما يصيرون اليه من ثواب او عقاب وما خلفهم ما خلفوه وراءهم في الدنيا ثم قيل الآية عامة في جميع الخلق وقيل المراد الذين يتبعون الداعي **قوله تعالى** ولا يحيطون به علما الهاء في به لله تعالى اي احد لا يحيط به علما اذ الاحاطة مشعرة بالحد ويتعالى الرب عن التحديد وقيل تعود على العلم اي احد لا يحيط علما بما يعلمه الله تعالى وقال الطبري الضمير في ايديهم وخلفهم ويحيطون يعود على الملائكة اعلم الله من يعبدها انها لا تعلم ما بين ايديها وما خلفها **قوله تعالى** وعنت الوجوه للحي اي ذلت وخضعت قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه قيل للاسير عان قال امية بن ابي الصلت

مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وقال ايضا

وعنى له وجهي وخلقي كله ... في الساجدين لوجهه مشكورا

قال الجوهري عنا يعنو خضع وذل واعناه غيره ومنه قوله تعالى وعنت الوجوه ويقال ارضا عنا فيهم اسيرا اي اقام فيهم على اساره واحتبس وعناه غيره تعنية حبسه والعاني الاسير وقوم عناة ونسوة عوان وعنت به امور نزلت وقال ابن عباس عنت ذلت وقال مجاهد خشعت وقال الماوردي الفرق بين الذل والخشوع وان تقارب معناهما هو ان الذل ان يكون ذليل النفس والخشوع ان يتذلل لذي طاعة وقال الكلبي عنت اي عملت وقال عطية العوفي استسلمت وقال طلق بن حبيب انه وضع الجبهة والانف على الارض في السجود قال النحاس وعنت الوجوه في معناه قولان احدهما ان هذا في الآخرة وروى عكرمة عن ابن عباس وعنت الوجوه للحي القيوم قال الركوع والسجود ومعنى عنت في اللغة القهر والغلبة ومنه فتحت البلاد عنوة اي غلبة قال الشاعر

فما اخذوها عنوة عن مودة ... ولكن بضرب المشرفي استقالها

وقيل هو من العناء بمعنى التعب وكنى عن الناس بالوجوه لان اثار الذل انما تتبين في الوجه وفي القيوم ثلاث تاويلات احدها انه القائم بتدبير الخلق الثاني انه القائم على كل نفس بما كسبت الثالث انه الدائم الذي لا يزول ولا يبيد وقد مضى هذا في البقرة **قوله تعالى** وقد خاب من حمل ظلما اي

الحروف المهموسة وهي عشرة يجمعها حثه شخص فسكت

الفرق بين الذل والخشوع

خسر من حمل شركا **قوله تعالى** ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن لان العمل لا يقبل من غير ايمان ومن في قوله من الصالحات للتبعيض اي شيئا من الصالحات وقيل للجنس فلا يخاف قرأ ابن كثير ومجاهد وابن محيصن يخف بالجزم جوابا لقوله ومن يعمل الباقون يخاف رفعا على الخبر اي فهو لا يخاف او فانه لا يخاف ظلما اي نقصا لثواب طاعته ولا زيادة عليه في سياته ولا هضما بالانتقاص من حقه والهضم النقص والكسر يقال هضمت ذلك من حقي اي حططته وتركته وهذا يهضم الطعام اي ينقص ثقله وامراة هضيم الكشح اي ضامرة البطن قال الماوردي والفرق بين الظلم والهضم ان الظلم المنع من الحق كله والهضم المنع من بعضه والهضم ظلم وان افترقا من وجه قال المتوكل الليثي

ان الاذلة واللئام لمعشر ... مولاهم المتهضم المظلوم

قال الجوهري ورجل هضيم ومهتضم اي مظلوم وتهضمه اي ظلمه واهتضمه اذا ظلمه وكسر عليه حقه **قوله تعالى** وكذلك اي كما بينا لك في هذه السورة من البيان وكذلك جعلناه قرآنا عربيا اي بلغة العرب **قوله تعالى** وصرفنا فيه من الوعيد اي بينا فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب لعلهم يتقون اي يخافون فيجتنبون معاصيه ويحذرون عقابه **قوله تعالى** او يحدث لهم ذكرا اي موعظة وقال قتادة حذرا وورعا وقيل شرفا فالذكر ها هنا بمعنى الشرف كقوله وانه لذكر لك وقيل اي ليتذكروا العذاب الذي توعدوا به وقرأ الحسن نحدث بالنون وروي عنه رفع الثاء وجزمها **قوله تعالى** فتعالى الله الملك الحق لما عرف العباد عظيم نعمه وانزال القرآن نزه نفسه عن الانداد والاولاد فقال فتعالى الله اي جل الله الملك الحق اي ذو الحق **قوله تعالى** ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه علم نبيه كيف يتلقى القرآن قال ابن عباس كان عليه السلم يبادر جبريل فيقرأ قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك وانزل ولا تعجل بالقرآن وهو كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به على ما ياتي وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا تتله قبل ان تبينه وقيل ولا تعجل اي لا تسل انزاله قبل ان يقضى اي ياتيك وحيه وقيل المعنى لا تلقه الى الناس قبل ان ياتيك بيان تاويله وقال الحسن نزلت في رجل لطم وجه امراته فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب القصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم لها القصاص فنزل الرجال قوامون على النساء ولهذا قال **قوله تعالى** وقل رب زدني علما اي فهما لانه عليه السلام حكم بالقصاص وابى الله ذلك وقرأ ابن مسعود وغيره من قبل ان نقضي بالنون وكسر الضاد وحيه بالنصب **قوله تعالى** ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي قرأ الاعمش باختلاف عنه فنسي باسكان الياء وله معنيان احدهما ترك اي ترك الامر والعهد وهذا قول مجاهد واكثر المفسرين ومنه نسوا الله فنسيهم وقال ابن عباس نسي هنا من النسيان والسهو وانما اخذ الانسان من انه عهد اليه فنسي قال ابن زيد نسي ما عهد الله اليه في ذلك ولو كان له عزم لما اطاع عدوه ابليس وعلى هذا القول يحتمل ان يكون آدم عليه السلام في ذلك الوقت ماخوذا بالنسيان وان كان النسيان عنا اليوم مرفوعا ومعنى من قبل اي من قبل ان ياكل الشجرة لانه نهي عنها والمراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ان طاعة بني آدم للشيطان امر قديم اي ان نقضوها ولا العهد فان آدم ايضا عهدنا اليه فنسي حكاه القشيري وكذلك الطبري اي وان يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا ابليس فقدما فعل ذلك ابوهم آدم قال ابن عطية وهذا التاويل ضعيف وذلك كون آدم مثالا للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء وآدم انما عصى بتاويل ففي هذا غضاضة عليه صلى الله عليه وسلم وانما الظاهر في الآية انما يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله وانما ان يجعل تعلقه انه لما عهد الى محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يعجل بالقرآن مثل له بنبي قبله عهد اليه فنسي فعوقب ليكون اشد في التحذير وابلغ في العهد الى محمد صلى الله عليه وسلم والعهد هنا في معنى الوصية ونسي معناه ترك ونسيان الذهول لا يمكن هنا لانه لا يتعلق بالناسي عقاب والعزم المضي على المعتقد في اي شيء كان وآدم عليه السلام قد كان يعتقد ان لا ياكل من الشجرة لكن لما وسوس اليه ابليس لم يعزم على معتقده والشيء الذي عهد الى آدم ان لا ياكل من الشجرة واعلم مع ذلك ان ابليس عدو له واختلف في معنى قوله ولم نجد له عزما فقال ابن عباس وقتادة لم نجد له صبرا عن اكل الشجرة ومواظبة على التزام الامر قال النحاس وكذلك هو في اللغة يقال لفلان عزم اي صبر وثبات على التحفظ من المعاصي حتى يسلم منها ومنه فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وعن ابن عباس ايضا وعطية العوفي حفظا لما امر به اي

لم يتحفظ مما نهيته حتى نسي وذهب عن علم ذلك بترك الاستدلال وذلك ان ابليس قال له ان اكلتها
خلدت في الجنة يعني عين تلك الشجرة فلم يطعه فدعاه الى نظير تلك الشجرة مما دخل في عموم النهي وكان
يجب ان يستدل عليه فلم يفعل وظن انها لم تدخل في النهي فاكلها تاويلا ولا يكون ناسيا للشيء من يعلم
انه معصية وقال ابن زيد عزما محافظة على امر الله وقال الضحاك عزيمة امر ابن كيسان اصرارا ولا
اضمارا للعود الى الذنب قال قوم اولم يكن من اولي العزم من الرسل لان الله تعالى قال ولم نجد له عزما وقال
المعظم كل الرسل اولو العزم وفي الخبر ما من نبي الا وقد اخطا او هم بخطيئة ما خلا يحيى بن زكريا فلو خرج
آدم بسبب خطيئته من جملة اولي العزم لخرج جميع الانبياء سوى يحيى وقد قال ابو امامة لو ان احلام بني
آدم جمعت منذ خلق الله الخلق الى يوم القيامة ووضعت في كفة ميزان ووضع حلم آدم في كفة اخرى لرجحهم
وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس ابى تقدم في البقرة مستوفى قوله تعالى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة نهي ومجازه لا تقبلا منه فيكون ذلك سببا لخروجكما من الجنة فتشقى يعني
انت وزوجك لانهما في استواء العلة واحد ولم يقل فتشقيا لان المعنى معروف وآدم عليه السلام هو
المخاطب وهو المقصود وايضا لما كان الكاد عليهما والكاسب لهما كان بالشقاء اخص وقيل الاخراج واقع
عليهما والشقاوة على آدم وحده وهو شقاوة البدن الا ترى انه عقبه بقوله ان لك ان لا تجوع فيها
ولا تعرى اي في الجنة قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فاعلمه ان له في الجنة هذا كله
الكسوة والطعام والشراب والمسكن وانك ان ضيعت الوصية واطعت العدو اخرجكما من الجنة
فشقيت تعبا ونصبا اي جعت وعريت وظمئت واصابتك الشمس لانك ترد الى الارض اذا اخرجت
من الجنة فانما خصه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقيان يعلمنا ان نفقة المرأة على الزوج فمن يومئذ جرت
نفقة النساء على الازواج فلما كانت نفقة حواء على آدم كذلك نفقة بناتها على بني آدم بحق الزوجية واعلمنا
في هذه الاية ان النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الاربعة الطعام والشراب والكسوة والمسكن
فاذا اعطاها هذه الاربعة فقد خرج اليها من نفقتها فان تفضل بعد ذلك فهو ماجور فاما هذه
الاربعة فلا بد لها منها لان بها اقامة المهجة قال الحسن المراد بقوله فتشقى شقاء الدنيا لا ترى
ابن آدم الا ناصبا وقال الفراء هو ان ياكل من كد يديه وقال سعيد بن جبير اهبط الى آدم ثور احمر فكان
يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فهو شقاؤه الذي قال الله تعالى وقيل لما اهبط من الجنة كان من اول
شقائه ان جبريل انزل عليه حبات من الجنة فقال يا آدم ازرع هذا فحرث وزرع ثم حصد ثم درس
ثم نقى ثم طحن ثم عجن ثم خبز ثم جلس لياكل بعد التعب فتدحرج رغيفه من يده حتى صار اسفل الجبل وجرى وراءه
آدم حتى تعب وعرق جبينه قال يا آدم فكذلك رزقك بالتعب والشقاء ورزق ولدك من بعدك
ما كنت في الدنيا قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا
تضحى فيه مسالتان الاولى قوله ان لك ان لا تجوع فيها اي في الجنة ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
اي لا تعطش والظمأ العطش ولا تضحى اي تبرز للشمس فتجد حرها اذ ليس في الجنة شمس انما هو ظل
ممدود كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس قال ابو العالية نهار الجنة هكذا واشار الى ساعة المصلين
صلاة الفجر قال ابو زيد ضحا الطريق يضحو ضحوا اذا بدا لك وظهر وضحيت بالفتح مثله والمستقبل اضحى في
اللغتين جميعا قال عمرو شعر

رأت رجلا ايما اذا الشمس عارضت ... فيضحى واما بالعشي فيخصر

وفي الحديث ان ابن عمر راى رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن احرمت له هكذا يرويه المحدثون
بفتح الالف وكسر الحاء من اضحيت وقال الاصمعي انما هو اضح لمن احرمت له بكسر الالف وفتح الحاء من ضحيت
اضحى لانه انما امره بالبروز للشمس ومنه قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وانشد

ضحيت له كي استظل بظله ... اذا الظل اضحى في القيامة قالصا

وقرأ ابو عمرو والكوفيون الا عاصما في رواية ابي بكر عنه وانك بفتح الهمزة عطفا على ان لا تجوع ويجوز ان
يكون في موضع رفع عطفا على الموضع والمعنى ولك انك لا تظمأ فيها الباقون بالكسر على الاستئناف
وعلى العطف على ان لك قوله تعالى فوسوس اليه الشيطان تقدم في الاعراف قال يعني الشيطان

ان النفقة التي تجب للمرأة على زوجها اربعة

يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وهذا يدل على المشافهة وانه دخل الجنة في جوف الحية
وقد تقدم في البقرة بيانه وتقدم هناك تعيين الشجرة وما للعلماء فيها فلا معنى لاعادتها قوله تعالى
فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تقدم في الاعراف
مستوفى وقال الفراء وطفقا في العربية اقبلا قال وقيل جعلا يلصقان عليهما ورق التين قوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى فعصى تقدم في البقرة القول في ذنوب الانبياء
وقال بعض المتاخرين من علمائنا والذي ينبغي ان يقال ان الله قد اخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها اليهم
وعاتبهم عليها واخبروا بذلك عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا وكل ذلك ورد في مواضع
كثيرة لا تقبل التاويل جملتها وان قبل ذلك آحادها وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور
التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطا والنسيان او تاويل دعا الى ذلك فهي الى غيرهم حسنات
وفي حقهم سيئات بالنسبة الى مناصبهم وعلو اقدارهم اذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس
فاشفقوا من ذلك في موقف يوم القيامة مع علمهم بالامن والامان والسلامة قال وهذا هو الحق ولقد
احسن الجنيد حيث قال حسنات الابرار سيئات المقربين فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانوا
قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبتهم بل قد تلافاهم واجتباهم
وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه الثانية قال ابو بكر ابن
العربي لا يجوز لاحد منا اليوم ان يخبر بذلك عن آدم الا اذا ذكرناه في اثناء قوله تعالى عنه او قول نبيه
فاما ان يبتدي ذلك من قبل نفسه فليس بجائز لنا في آبائنا الادنين الينا المماثلين لنا فكيف في ابينا الاقدم
الاعظم الاكرم النبي المقدم الذي عذره الله سبحانه وتاب عليه وغفر له قال المؤلف رحمه الله واذا كان هذا
في المخلوق لا يجوز فالاخبار عن صفات الله تعالى كاليد والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير ذلك اولى
بالمنع وانه لا يجوز الابتداء بشيء الا في اثناء قراءة كتابه او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال
مالك بن انس من وصف شيئا من ذات الله تعالى مثل قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة فاشار بيده الى
عنقه قطعت يده وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه الثالثة
روى الائمة واللفظ للبخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى انت
ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله عز وجل بكلامه وخط لك بيده
تلومني على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة فحج آدم موسى ثلاثا قال المهلب قوله فحج آدم موسى
اي غلبه بالحجة قال الليث بن سعد وانما صحت حجة آدم في هذه القصة على موسى عليهما السلام من اجل ان الله قد
غفر لآدم خطيئته وتاب عليه فلم يكن لموسى ان يعيره بخطيئة قد غفرها الله له ولذلك قال آدم انت موسى
الذي آتاك الله التوراة وفيها علم كل شيء فوجدت فيها ان الله قد قدر علي المعصية وقدر علي التوبة منها
واسقط بذلك اللوم عني افتلومني انت والله لا يلومني وبمثل هذا احتج ابن عمر على الذي قال له ان عثمان فر
يوم احد فقال ابن عمر ما على عثمان ذنب لان الله تعالى قد عفا عنه بقوله ولقد عفا الله عنهم وقد قيل ان آدم
عليه السلام اب وليس تعييره من بره ان لو كان مما يعير به غيره فان الله تعالى يقول في الابوين الكافرين
وصاحبهما في الدنيا معروفا ولهذا ان ابراهيم عليه السلام لما قال له ابوه وهو كافر لئن لم تنته لارجمنك
واهجرني مليا قال سلام عليك فكيف باب هو نبي قد اجتباه ربه فتاب عليه وهدى الرابعة واما من عمل
الخطايا ولم تاته المغفرة فان العلماء مجمعون على انه لا يجوز له ان يحتج بمثل حجة آدم فيقول تلومني على ان قتلت
او زنيت او سرقت وقد قدر الله علي ذلك والامة مجمعة على جواز حمد المحسن على احسانه ولوم المسيء على اساءته
وتعديد ذنوبه عليه الخامسة قوله تعالى فغوى اي ففسد عليه عيشه حكاه النقاش واختاره القشيري
وسمعت شيخنا الاستاذ المقرئ ابا جعفر القرطبي يقول فغوى ففسد عيشه بنزوله الى الدنيا والغي الفساد
وهو تاويل حسن وهو اولى من تاويل من يقول ان فغوى معناه ضل من الغي الذي هو ضد الرشد وقيل معناه
جهل موضع رشده اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة
الاكل قال الزمخشري وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنى
وبقى وهم بنو طي تفسير خبيث السادسة قال القشيري ابو نصر قال قوم يقال عصى آدم وغوى ولا يقال
له عاص ولا غاو كما ان من خاط مرة يقال له خاط ولا يقال له خياط ما لم تتكرر منه الخياطة وقيل يجوز للسيد

ان يطلق في عبد عند معصيته ما لا يجوز لعفوه ان يطلقه وهذا تكلف وما اضيف من هذا الى الانبيا
واما ان يكون صغاير او ترك الاولى او قبل النبوة قال المولف رحمه الله هذا احسن قال الامام ابو
بكر بن فورك رحمه الله كان هذا من ادم قبل النبوة ودليل ذلك قوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
وذكر ان الاجتبا والهداية كانا بعد العصيان واذا كان هذا قبل النبوة فجايز عليهم الذنوب وجها واحدا
لان قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم فاذا بعثهم الله تعالى الى خلقه وكانوا مامونين في الادا معصومين
لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب وهذا انفيس والله اعلم قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا خاطب
ادم وابليس منها اي من الجنة وقد قال يا ابليس اخرج منها مذوما مدحورا فلعله اخرج من الجنة
الى موضع من السما ثم اهبط الى الارض قوله تعالى بعضكم لبعض عدو تقدم في البقرة اي انت عدو للحية
ولابليس وهما عدوان لك وهذا يدل على ان قوله اهبطا ليس خطابا لادم وحوا لانهما ما كانا متعاديين
وتضمن هبوط ادم هبوط حوا قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى اي رشدا او قولا حقا وقد تقدم
في البقرة قوله تعالى فمن اتبع هداي يعني الرسل والكتب قوله تعالى فلا يضل ولا يشقى قال
ابن عباس ضمن الله تعالى لمن قرا القران وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وتلا الاية
وعنه من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ثم تلا ومن اعرض
عن ذكري اي ديني وتلاوة كتابي والعمل بما فيه وقيل عما انزلت من الدلايل ويحتمل ان يحمل الذكر على الرسول
لانه كان منه الذكر قوله تعالى فان له معيشة ضنكا اي عيشا ضيقا يقال منزل ضنك
ومنزل ضنك يستوي فيه الواحد والاثنين والمذكر والمونث والجمع قال عنترة

ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا اشدد	وان يلفوا بضنك انزل

وقال ايضا

ان المنية لو تمثل مثلت	مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

وقرى ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان الله عز وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة والتوكل عليه
وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافعا كما قال عز وجل فلنحيينه
حياة طيبة والمعرض عن الدين مستولى عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط
عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعضهم لا يعرض احد
عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته ويشوش عليه رزقه وكان في عيشه في ضنك وقال عكرمة ضنكا كسبا
حراما وقال الحسن طعام الضريع والزقوم وقول رابع وهو الصحيح انه عذاب القبر قاله ابو سعيد الخدري
وعبد الله بن مسعود ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة يضيق على
الكافر قبره حتى تختلف فيه اضلاعه وهو المعيشة الضنك قوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى
قيل اعمى في حال وبصيرا في حال وقد تقدم في اخر سبحان وقيل اعمى عن الحجة قاله مجاهد وقيل اعمى عن
جهات الخير لا يهتدي لشي منها وقيل عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه كالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه
قوله تعالى قال رب لم حشرتني اعمى اي باي ذنب عاقبتني بالعمى وقد كنت بصيرا اي عالما بحجتي قاله
القشيري وهو بعيد اذ ما كان للكافر حجة في الدنيا قوله تعالى قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها
قال الله له كذلك اتتك اياتنا اي دلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا فنسيتها اي تركتها ولم تنظر فيها
واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اي تترك في العذاب يريد جهنم قوله تعالى وكذلك نجزي
من اسرف اي وكما جزينا من اعرض عن القران وعن النظر في المصنوعات والتفكر فيها وجاوز الحد
في المعصية ولم يومن بايات ربه اي لم يصدق بها قوله تعالى ولعذاب الاخرة اشد اي افظع من
المعيشة الضنك وعذاب القبر وابقى اي ادوم واثبت لانه لا ينقطع ولا ينقضي قوله تعالى
افلم يهد لهم يريد اهل مكة اي افلم يتبين لهم خبر من اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
اذا سافروا وخرجوا في التجارة وطلب المعيشة فيرون بلاد الامم الماضية والقرون الخالية خاوية
اي افلا يخافون ان يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم وقرا ابن عباس والسلمي وغيرهما نهد لهم بالنون وهي ابين
ويهدي بالياء مشكل لاجل الفاعل فقال الكوفيون كم الفاعل وقال النحاس وهذا خطا لان كم استفهام
فلا يعمل فيها ما قبلها وقال الزجاج المعنى او لم يهد لهم الامر باهلاكنا من اهلكنا وحقيقته يهدي يدل على
الهدى والفاعل هو الهدى تقديره افلم يهد الهدى لهم قال الزجاج كم في موضع نصب باهلكنا

في ضنك العيش

قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك فيه تقديم وتاخير اي ولولا كلمة سبقت من ربك واجل
مسمى لكان لزاما قاله قتادة واللزام الملازمة اي لكان العذاب لهم واضمر اسم كان واجل مسمى عطف
على كلمة والمراد النعمة وقاله القتبي وقيل تاخيرهم الى يوم بدر قوله تعالى فاصبر على ما يقولون
امره تعالى بالصبر على اقوالهم انه ساحر انه كاهن انه كذاب الى غير ذلك والمعنى لا تحفل بهم فان لعذابهم
وقتا مضروبا لا يتقدم ولا يتاخر ثم قيل هذا منسوخ باية القتال وقيل ليس منسوخا اذ لم يستاصل الكفار
بعذاب القتال بل بقي المعظم منهم قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس قال اكثر المتاولين هذه
اشارة الى الصلوات الخمس قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر قوله تعالى ومن
اناء الليل العتمة واطراف النهار المغرب والظهر لان الظهر في اخر طرف النهار الاول واول طرف النهار الاخر
فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب وقيل النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال
ولكل قسم طرفان فعند الزوال طرفان الاخر من القسم الاول والاول من القسم الاخر فقال عن الطرفين اطرافا
على نحو فقد صغت قلوبكما واشار الى هذا النظر ابن فورك في المشكل وقيل النهار للجنس ولكل يوم طرف وهي
التي جمع لانه يعود في كل نهار واناء الليل ساعاته وواحد الاناء انا وانا واني وقالت فرقة المراد بالاية صلاة
التطوع قاله الحسن قوله تعالى لعلك ترضى بفتح التاء اي لعلك تثاب على هذه الاعمال بما ترضى به وقرا
الكسائي وابو بكر وعاصم ترضى بضم التاء اي لعلك تعطى ما يرضيك قوله تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به قد تقدم معناه في الحجر وازواجا مفعول ثان لمتعنا وزهرة نصب على الحال وقال الزجاج
زهرة منصوبة بمعنى متعنا لان معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة او بفعل مضمر وهو جعلنا اي جعلنا لهم
زهرة الحياة الدنيا عن الزجاج ايضا وقيل هي بدل من الهاء في به على الموضع كما تقول مررت به اخاك واشار
الفرا الى نصبه على الحال والعامل فيه متعنا قال كما تقول مررت به المسكين وقدره متعناهم به زهرة في الحياة
الدنيا وزينة فيها ويجوز ان ينتصب على المصدر مثل صنع الله ووعد الله وفيه نظر والاحسن ان ينتصب على
الحال ويحذف التنوين لسكونه وسكون اللام من الحياة كما قرى ولا الليل سابق النهار بنصب النهار بسابق
على تقدير حذف التنوين لسكونه وسكون اللام وتكون الحياة مخفوضة على البدل من ما في قوله الى ما متعنا به
فيكون التقدير ولا تمدن عينيك الى الحياة الدنيا زهرة اي في حال زهرتها ولا يحسن ان تكون زهرة بدلا من
ما على الموضع في قوله الى ما متعنا لان لنفتنهم متعلق بمتعنا وزهرة الحياة الدنيا يعني زينتها بالنبات
والزهرة بالفتح في الزاء والهاء نور النبات والزهرة بضم الزاي وفتح الهاء النجم وبنو زهرة بسكون الهاء
قاله ابن عزيز وقرا عيسى بن عمر زهرة بفتح الهاء مثل نهر ونهر ويقال سراج زاهر لبريقه وزهر الاشجار ما
يروق من الوانها وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي نير اللون يقال لكل شي مستنير
زاهر وهو احسن الالوان قوله تعالى لنفتنهم فيه اي لنبتليهم وقيل لنجعل ذلك فتنة لهم وضلالا
ومعنى الاية لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا وزنا فانه لا بقاء لها ولا تمدن ابلغ من لا تنظرن لان الذي يمد
بصره انما يحمله على ذلك حرص مقترن والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه مسالة قال بعض الناس سبب
هذه الاية ما رواه ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسلني عليه السلام الى رجل من اليهود وقال قل له يقول لك محمد نزل بنا ضيف ولم يلف عندنا بعض
الذي يصلحه فبعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فقال لا الا برهن قال فرجعت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله اني لامين في السما امين في الارض ولو باعني او اسلفني لاديت
اليه اذهب بدرعي اليه ونزلت الاية تعزية له عن الدنيا قال ابن عطية وهذا موضع فيه نظر فان السورة
مكية والقصة المذكورة مدنية في اخر عمره صلى الله عليه وسلم لانه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصة
المذكورة وانما الظاهر ان الاية متناسقة مع ما قبلها وذلك ان الله وبخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة
ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ثم امر نبيه بالاحتقار لشانهم والصبر على اقوالهم والاعراض عن اموالهم
وما في ايديهم من الدنيا اذ ذلك منصرم عنهم صاير الى خزي قال المولف رحمه الله وكذلك ما روي عنه
عليه السلام انه مر بابل بني المصطلق وقد عبست بابوالها من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى لقوله تعالى
ولا تمدن عينيك الاية ثم سلاه قال قوله تعالى ورزق ربك خير وابقى اي ثواب الله على الصبر
وقلة المبالاة بالدنيا اولى لانه يبقى والدنيا تفنى وقيل يعني بهذا الرزق ما يفتح الله على المومن من البلاد

والغنايم **وامر اهلك بالصلاة** امر تعالى بان يامر اهله بالصلاة ويمتثلها معهم ويصطبر
عليها ويلازمها وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع امته واهل بيته على
التخصيص وكان عليه السلام بعد نزول هذه الاية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلي رضي الله عنهما
فيقول الصلاة ويروى ان عروة بن الزبير كان اذا راى شيا من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله
فدخله وهو يقرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي بالصلاة الصلاة يرحمكم الله ويصلي وكان عمر بن
الخطاب يوقظ اهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بالاية **لا نسالك رزقا** اي لا
نسالك ان ترزق نفسك واياهم وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق بل نحن نتكفل برزقك واياهم فكان
عليه السلام اذا نزل باهله ضيق امرهم بالصلاة وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق **والعاقبة للتقوى**
اي الجنة لاهل التقوى يعني العاقبة المحمودة وقد تكون لغير التقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهي كالمعدومة
وقالوا لولا ياتينا باية من ربه يريد كفار مكة اي لولا ياتينا محمد باية توجب العلم
الضروري او باية ظاهرة كالناقة والعصي او هلا ياتينا بالايات التي نقترحها نحن كما اتى الانبياء
من قبله **اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى** يريد التوراة والانجيل والكتب المتقدمة
وذلك اعظم اية اذ اخبر بما فيها وقرئ الصحف بالتخفيف وقيل اولم تاتهم الاية الدالة على نبوته بما وجدوه في
الكتب المتقدمة من البشارة وقيل اولم يبين لهم اهلاكنا الامم الذين كفروا واقترحوا الايات فما يومنهم
ان اتتهم الايات ان يكون حالهم حال اولئك وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وابو عمرو ويعقوب وابن ابي
اسحاق وحفص اولم تاتهم بالتاء لتانيث البينة الباقون بالياء لتقدم الفعل ولان البينة هي البيان
والبرهان فردوه الى المعنى واختاره ابو عبيد وابو حاتم وحكى الكسائي اولم تاتهم بينة ما في الصحف
الاولى قال ويجوز على هذا بينة ما في الصحف الاولى قال النحاس اذا نونت بينة ورفعت جعلت ما بدلا
منها واذا نصبتها فعلى الحال والمعنى اولم ياتهم ما في الصحف الاولى مبينا **ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله** اي من قبل بعثة محمد ونزول القران لقالوا اي يوم القيامة لولا ارسلت
اي هلا ارسلت **الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى** على ما لم يسم فاعله
روى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال
يقول الهالك في الفترة لم ياتني كتاب ولا رسول ثم تلى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا
ارسلت الينا رسولا الاية ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا اعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود
رب لم ادرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله متقيا لو ادرك العمل قال فيقول الله تعالى اياي عصيتم
فكيف برسلي لو اتتكم ويروى مرفوعا الى ابي سعيد وفيه نظر وقد بيناه في كتاب التذكرة وبه احتج من
قال ان الاطفال وغيرهم يمتحنون في الاخرة فنتبع نصب بجواب التحضيض اياتك يريد ما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم من قبل ان نذل ونخزى في جهنم قاله ابن عباس وقيل ان نذل في الدنيا بالعذاب ونخزى في الاخرة
بعذابها **قل كل متربص** اي قل لهم يا محمد كل متربص اي كل المؤمنين والكافرين منتظر دوائر
الزمان ولمن يكون النصر **فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن
اهتدى** يريد الدين المستقيم والهدى والمعنى فستعلمون بالنصر من اهتدى الى دين الحق وقيل فستعلمون
يوم القيامة من اهتدى الى طريق الجنة وفي هذا ضرب من الوعيد والتخويف والتهديد ختم به السورة وقرئ
فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الزمخشري ومن في موضع رفع عند
الزجاج وقال الفراء يجوز ان يكون في موضع نصب مثل والله يعلم المفسد من المصلح قال ابو اسحاق هذا خطا
لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ومن هنا استفهام في موضع رفع بالابتداء والمعنى فستعلمون اصحاب
الصراط السوي نحن ام انتم قال النحاس والفراء يذهب الى ان معنى من اصحاب الصراط السوي من لم يضل والى
ان معنى ومن اهتدى من ضل ثم اهتدى وقرا يحيى بن يعمر وعاصم الجحدري فستعلمون من اصحاب الصراط
السوي بتشديد الواو بعدها الف التانيث على فعلى بغير همز وتانيث الصراط شاذ قليل قال الله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم فجاء مذكرا في هذا وفي غيره وقد رد هذا ابو حاتم قال ان كان من السوء وجب ان
يقال السواى وان كان من السواء وجب ان يقال السيا بكسر السين والاصل السويا قال الزمخشري

> اذا نزل باهله ضيق امرهم بالصلاة

دوري

وقرئ السواء بمعنى الوسط والعدل او المستوي قال النحاس وجواز قراءة يحيى بن يعمر والجحدري ان يكون
الاصل السواي والساكن ليس بحاجز حصين فكانه قلب الهمزة ضمة فابدل منها واوا كما يبدل منها الفا اذا
انفتح ما قبلها

تفسير سورة الانبياء عليهم السلام

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم **اقترب للناس حسابهم** قال عبد الله بن مسعود الكهف
ومريم وطه والانبياء من العتاق الاول وهن من تلادي يريد من قديم ما كسب وحفظ من القران كالمال التلاد
روي ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به اخر في يوم نزول هذه الاية السورة فقال الذي
يبني الجدار ماذا نزل اليوم من القران فقال الاخر نزل اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فنفض يده
من البنيان وقال والله لا بنيت ابدا وقد اقترب الحساب اقترب اي قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على اعمالهم
قال ابن عباس المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله الا استمعوه وهم يلعبون الى قوله افتاتون السحر
وانتم تبصرون وقيل الناس عموم وان كان المشار اليه في ذلك الوقت كفار قريش يدل على ذلك ما بعده من
الايات ومن علم اقتراب الساعة قصر امله وطابت نفسه بالتوبة ولم يركن الى الدنيا فكان ما كان لم يكن
اذا ذهب وكل ات قريب والموت لا محالة ات وموت كل انسان قيام ساعته والقيامة ايضا قريبة
بالاضافة الى ما مضى من الزمان فما بقي من الدنيا اقل مما مضى وقال الضحاك معنى اقترب للناس حسابهم
اي عذابهم يعني اهل مكة لانهم استبطؤا ما وعدوا به من العذاب تكذيبا وكان قتلهم يوم بدر قال
النحاس ولا يجوز في الكلام اقترب حسابهم للناس لئلا يتقدم مضمر على مظهر لا يجوز ان ينوى به التاخير
قوله تعالى وهم في غفلة معرضون ابتدا وخبر ويجوز النصب في غير القران على الحال وفيه وجهان
احدهما وهم في غفلة معرضون يعني بالدنيا عن الاخرة الثاني عن التاهب للحساب وعما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم وهذه الواو عند سيبويه بمعنى اذ وهي التي يسميها النحويون واو الحال كما قال تعالى يغشى
طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم **قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث** نعت لذكر
واجاز الكسائي والفراء محدثا بمعنى ما ياتيهم محدثا نصب على الحال واجاز الفراء ايضا رفع محدث على النعت
من ذكر لانك لو حذفت من رفعت ذكرا اي ما ياتيهم ذكر من ربهم محدث يريد في النزول وتلاوة جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان ينزل سورة بعد سورة واية بعد اية كما كان ينزله الله تعالى
عليه في وقت بعد وقت لا ان القران مخلوق وقيل الذكر ما يذكرهم به النبي صلى الله عليه وسلم ويعظهم به
وقال من ربهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق الا بالوحي فوعظ النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيرهم
ذكر وهو محدث قال الله تعالى فذكر انما انت مذكر ويقال فلان في مجلس الذكر وقيل الذكر الرسول نفسه قال
الحسن بن الفضل بدليل ما في سياق الاية **قوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم** ولو اراد بالذكر القران
لقال هل هذا الا اساطير الاولين ودليل هذا التاويل قوله تعالى ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قد انزل اليكم ذكرا رسولا **قوله تعالى الا استمعوه وهم يلعبون** يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم او القران من امته او من امته وهم يلعبون والواو الحال يدل عليه لاهية قلوبهم ومعنى
ومعنى يلعبون اي يلهون وقيل يشتغلون فان حمل تاويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين احدهما
بلذاتهم الثاني بسماع ما يتلى عليهم وان حمل تاويله على الشغل احتمل ما يتشاغلون به وجهين احدهما
بالدنيا لانها لعب كما قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو الثاني يتشاغلون بالقدح فيه والاعراض عليه
قال الحسن كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل وقيل يستمعون القران مستهزئين **قوله تعالى لاهية
قلوبهم** اي ساهية قلوبهم معرضة عن ذكر الله متشاغلة عن التامل والتفهم من قول العرب لهيت عن ذكر الشي
اذا تركته وسلوت عنه الهى لهيا ولهيانا ولاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت ان يتبع المنعوت
في جميع الاعراب فاذا تقدم النعت الاسم انتصب كقوله خاشعا ابصارهم ودانية عليهم ظلالها ولاهية
قلوبهم قال الشاعر: لعزة موحشا طلل يلوح كانه خلل. اراد طلل موحش واجاز الكسائي
والفراء لاهية قلوبهم بالرفع بمعنى قلوبهم لاهية واجاز غيرهما الرفع على ان يكون خبرا بعد خبر وعلى اضمار
مبتدا وقال الكسائي ويجوز ان يكون المعنى الا استمعوه لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا
اي تناجوا فيما بينهم بالتكذيب ثم بين من هم فقال الذين ظلموا اي الذين اشركوا فالذين ظلموا بدل

من الواو في اسروا وهو عائد على الناس المتقدم ذكرهم ولا نوقف على هذا القول على النحوي قال
المبرد هو كقولك ان الذين في الدار انطلقوا ابنوا عبد الله فبنوا بدل من الواو في انطلقوا وقيل بنو
رفع على الذم اي هم الذين ظلموا وقيل على حذف القول التقدير يقول الذين ظلموا وحذف القول مثل
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم واختار هذا القول النحاس قال والدليل على صحة هذا
الجواب ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم وقول رابع يكون منصوبا بمعنى اعني الذين ظلموا واجاز الفرا
ان يكون خفضا بمعنى اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم ولا يوقف على هذا الوجه على النجوي ويوقف
على الوجوه المتقدمة الثلثة قبله فهذه خمسة اقوال واجاز الاخفش الرفع على لغة من قال اكلوني
البراغيث وهو حسن قال الله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقال ـــــ الشاعر

بك نال النضال دون المساعي ... فاهتدين النبال للاغراض

وقال ـــــ اخر ... ولكن ديافي ابوه وامه ... بحوران يعصرن السليط اقاربه

وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير مجازه والذين ظلموا اسروا النجوى وقال ابو عبيدة اسروا هنا من
الاضداد فيحتمل ان يكونوا اخفوا كلامهم ويحتمل ان يكونوا اظهروه واعلنوه **قوله تعالى** هل هذا
الا بشر مثلكم اي تناجوا بينهم وقالوا هل هذا الذكر الذي هو الرسول او هل هذا الذي يدعوكم الا بشر
مثلكم لا يتميز عنكم بشيء ياكل الطعام ويمشي في الاسواق كما تفعلون وما علموا ان الله عز وجل بين انه لا
يجوز ان يرسل اليهم الا بشرا ليتفهموا ويعلمهم **قوله تعالى** افتاتون السحر اي ان الذي جاء به محمد سحر
فكيف يتبعونه فاطلع الله نبيه على ما تناجوا به والسحر في اللغة كل مموه لا حقيقة له ولا صحة **قوله تعالى**
وانتم تبصرون قيل معناه وانتم تبصرون انه انسان مثلكم مثل وانتم تعقلون لان العقل البصر بالاشيا
وقيل المعنى افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر وقيل المعنى افتعدلون الى الباطل وانتم تعرفون الحق
ومعنى الكلام التوبيخ **قوله تعالى** قل ربي يعلم القول في السماء والارض اي لا يخفى عليه شي مما
يقال في السماء والارض وفي مصاحف اهل الكوفة قال رب اي قال محمد رب يعلم القول اي هو عالم بما تناجيتم
به وقيل ان القراءة الاولى اولى لانهم اسروا هذا القول فاظهر الله عز وجل نبيه عليه وامره ان يقول
لهم هذا قال النحاس والقراءتان صحيحتان وهما بمنزلة ايتين وفيهما من الفائدة ان النبي صلى الله عليه
وسلم امر وانه قال كما امر **قوله تعالى** بل قالوا اضغاث احلام قال الزجاج اي قالوا الذي ياتي به
اضغاث احلام وقال غيره اي قالوا هو اخلاط كالاحلام المختلطة اي اهاويل راها في المنام قال معناه مجاهد
وقتادة ومنه قول ـــــ الشاعر ... كضغث حلم غر منه حالمه

وقال القتيبي انها الرؤيا الكاذبة ومنه قول ـــــ الشاعر

احاديث طسم او سراب بغدفد ... ترقرق للساري واضغاث حالم

وقال الترمذي الاضغاث ما لم يكن له تاويل وقد مضى هذا في يوسف فلما راوا ان الامر ليس كما قالوا
انتقلوا عن ذلك فقالوا بل افتراه ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا بل هو شاعر اي هم متحيرون لا يستقرون
على شي قالوا مرة سحر ومرة اضغاث احلام ومرة افتراه ومرة شاعر وقيل قال فريق انه ساحر وفريق
انه اضغاث احلام وفريق انه افتراه وفريق انه شاعر والافتراء الاختلاق وقد تقدم
فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل موسى بالعصا وغيرها من الايات ومثل ناقة صالح
وكانوا عالمين بان القران ليس بسحر ولا رؤيا ولكن قالوا ينبغي ان ياتي باية نقترحها ولم يكن لهم الاقتراح
بعد ما راوا اية واحدة وايضا اذا لم يؤمنوا باية هي من جنس ما هم اعلم الناس به ولا مجال للشبهة فيها
فكيف يؤمنون باية غيرها ولو ابرا الاكمه والابرص لقالوا هذا من باب الطب وليس ذلك من صناعتنا
وانما كان سؤالهم تعنتا اذ كان الله اعطاهم من الايات ما فيه كفاية وبين الله عز وجل انهم لو كانوا يؤمنون
لاعطاهم ما سالوه لقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون **قوله**
تعالى ما امنت قبلهم من قرية قال ابن عباس يريد قوم صالح وقوم فرعون
اهلكناها يريد كان في علمنا هلاكها **قوله تعالى** افهم يؤمنون يريد يصدقون اي فما امنوا بالايات
فاستؤصلوا افلو رايتها هؤلاء ما اقترحوا لما امنوا لما سبق من القضاء بانهم لا يؤمنون ايضا وانما تاخر
عقابهم لعلمنا بان في اصلابهم من يؤمن ومن زائدة في قوله من قرية كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين

قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم هذا رد عليهم في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم
وتانيس لنبيه اي لم نرسل قبلك الا رجالا **قوله تعالى** فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
يريد اهل التوراة والانجيل الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قاله سفيان وسماهم اهل الذكر لانهم
كانوا يذكرون خبر الانبيا مما لم تعرفه العرب وكانت كفار قريش تراجعون اهل الكتاب في امر محمد عليه
السلام وقال ابن زيد اراد بالذكر القران اي فاسالوا المومنين العالمين من اهل القران قال
جابر الجعفي لما نزلت هذه الاية قال علي رض نحن اهل الذكر وقد ثبت بالتواتر ان الرسل كانوا من البشر والمعنى
لا تبتدئوا في الانكار وتقولوا لكم ينبغي ان يكون الرسول من الملائكة بل ناظروا المومنين ليبينوا لكم جواز
ان يكون الرسول من البشر والملك لا يسمى رجلا لان الرجل يقع على ما له ضد من لفظه تقول رجل وامراة
ورجل وصبي فقوله الا رجالا اي من بني ادم وقرا حفص وحمزة والكسائي نوحي اليهم **مسالة** لم يختلف
العلما ان العامة عليها تقليد علمائها وانهم المراد بقول الله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
واجمعوا على ان الاعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة اذا اشكلت عليه فكذلك من لا علم
له ولا بصر بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه وكذلك لم يختلف العلماء ان العامة لا يجوز لها الفتيا
لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم **قوله تعالى** وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام
الضمير في جعلناهم للانبيا اي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون الى الطعام والشراب
قوله تعالى وما كانوا خالدين يريد لا يموتون وهذا جواب لقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وقولهم ما
لهذا الرسول ياكل الطعام وجسدا اسم جنس ولهذا لم يقل اجسادا وقيل لم يقل اجسادا لانه اراد وما
جعلنا كل واحد منهم جسدا والجسد ايضا الزعفران او نحوه من الصبغ وهو الدم ايضا قال ـــــ النابغة

وما اريق على الانصاب من جسد

وقال الكلبي والجسد هو الجسد الذي فيه
الروح ياكل ويشرب فعلى هذا مقتضى هذا القول يكون ما لا ياكل ولا يشرب جسما وقال مجاهد الجسد
ما لا ياكل ولا يشرب فعلى مقتضى هذا القول يكون ما ياكل ويشرب نفسا ذكره الماوردي
ثم صدقناهم الوعد يعني الانبيا اي بانجائهم ونصرهم واهلاك مكذبيهم ومن نشاء اي الذين صدقوا الانبيا
قوله تعالى واهلكنا المسرفين اي المشركين **قوله تعالى** لقد انزلنا اليكم كتابا يعني القران
فيه ذكركم رفع بالابتداء والجملة في موضع نصب لانها نعت لكتاب والمراد بالذكر هنا الشرف اي فيه
شرفكم مثل وانه لذكر لك ولقومك ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال عز وجل افلا
تعقلون وقيل فيه ذكركم اي ذكر امر دينكم واحكام شرعكم وما تصيرون اليه من ثواب وعقاب افلا تعقلون
هذه الاشيا التي ذكرناها وقال مجاهد فيه ذكركم اي حديثكم وقيل مكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقال
سهل بن عبد الله العمل بما فيه حياتكم قال المؤلف رحمه الله وهذه الاقوال بمعنى والاول يعمها اذ هي شرف
كلها والكتاب شرف لنبينا عليه السلام لانه معجزته وهو شرف لنا ان عملنا بما فيه دليله قوله عليه
السلام القران حجة لك او عليك **قوله تعالى** وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة يريد مداين كانت
باليمن وقال اهل التفسير والاخبار انه اراد اهل حضور وكان بعث اليهم نبي اسمه شعيب بن ذي
مهدم وقبر شعيب هذا باليمن بجبل يقال له ضنن كثير الثلج وليس بشعيب صاحب مدين لان قصة
حضور قبل مدة عيسى عليه السلام وبعد مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام وانهم قتلوا نبيهم
وقتل اصحاب الرس في ذلك التاريخ نبيا لهم اسمه حنظلة بن صفوان وكانت حضور بارض الحجاز من ناحية الشام
فاوحى الله الى ارميا ان ايت بخت نصر فاعلمه اني قد سلطته على ارض العرب واني منتقم بك منهم واوحى
الله الى ارميا ان احمل معد بن عدنان على البراق الى ارض العراق لكيلا تصيبه النقمة والبلا معهم فاني مستخرج
من صلبه نبيا في اخر الزمان اسمه محمد فحمل معدا وهو ابن اثني عشرة سنة وكان مع بني اسرائيل الى ان كبر
وتزوج امراة اسمها معانة ثم ان بخت نصر نهض بالجيوش وكمن للعرب في مكان وهو اول من اتخذ المكامن فيما
ذكروا ثم شن الغارات على حضور فقتل وسبى وخرب العامر ولم يترك بحضور اثرا ثم انصرف راجعا الى
السواد وكم في موضع نصب بقصمنا والقصم الكسر يقال قصمت ظهر فلان وانقصمت سنه اذا انكسرت
والمعنى به هاهنا الاهلاك واما الفصم بالفاء فهو الصدع بالشي من غير ان يبينونة قال ـــــ الشاعر

كانه دملج من فضة نبه ... ملعب من عذاري الحي مفصوم

ومنه الحديث فيفصم عنه فان جبينه لينفصد عرقا وقوله كانت ظالمة اي كافرة يعني اهلها والظلم وضع
الشي في غير موضعه وهم وضعوا الكفر موضع الايمان قوله تعالى وانشانا اي اوجدنا واحدثنا بعد
اهلاكهم قوما اخرين قوله تعالى فلما احسوا باسنا اي راوا عذابنا يقال احسست منه ضعفا
وقال الاخفش احسوا خافوا وتوقعوا اذا هم منها يركضون اي يهربون ويفرون والركض العدو وبشدة الوطي
والركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل
ركض الفرس اذا عدا وليس بالاصل والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض لا تركضوا اي لا تفروا
قيل ان الملائكة نادتهم لما انهزموا استهزاء بهم وقالت لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اي الى نعمكم
التي كانت سبب بطركم والمترف المنعم يقال اترف على فلان اي وسع عليه في معاشه وانما اترفهم الله عز وجل
كما قال واترفناهم في الحياة الدنيا لعلكم تسالون اي لعلكم تسالون شيئا من دنياكم استهزاء بهم قاله
قتادة وقيل المعنى لعلكم تسالون عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به وقيل المعنى لعلكم تسالون ان تؤمنوا
كما كنتم تسالون ذلك قبل نزول البأس بكم قيل لهم ذلك استهزاء وتقريعا وتوبيخا قالوا يا ويلنا لما قالت
الملائكة لهم لا تركضوا ونادت بالثارات للانبياء ولم يروا شخصا يكلمهم عرفوا ان الله هو الذي سلط عليهم
عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم فعند ذلك قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فاعترفوا بانهم ظلموا حين لا ينفع
الاعتراف قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم اي لم يزالوا يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين قوله تعالى
حتى جعلناهم حصيدا اي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل قاله مجاهد وقال الحسن اي بالعذاب خامدين
اي ميتين والخمود الهمود كخمود النار اذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفي تشبيها
بانطفاء النار قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اي عبثا وباطلا بل للتنبيه
على ان لها خالقا قادرا يجب امتثال امره والله يجازي المسيء والمحسن اي ما خلقنا السموات والارض ليظلم بعض
الناس بعضا ويكفر بعضهم ويخالف بعضهم ما امر به ثم يموتوا ولا يجازوا ولا يؤمروا في الدنيا بحسن ولا
ينهوا عن قبيح وهذا اللعب المنفي عن الحكيم ضده الحكمة قوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لما اعتقد
قوم ان له ولدا قال لو اردنا ان نتخذ لهوا واللهو المراة بلغة اليمن قاله قتادة وقال عقبة ابن ابي جسرة
وجاء طاوس وعطاء ومجاهد يسالونه عن قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا فقال اللهو الزوجة وقاله الحسن
وقال ابن عباس اللهو الولد وقاله الحسن ايضا قال الجوهري وقد يكنى باللهو عن الجماع قال المؤلف رحمه الله ومنه
قول امرئ القيس

الا زعمت بسباسة اليوم انني ... كبرت وان لا يحسن اللهو امثالي

وانما سمي الجماع لهوا لانه ملهي القلب كما قال

وفيه ملهى للصديق ومنظر

الجوهري وقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا قالوا امراة ويقال ولدا قوله تعالى لاتخذناه من لدنا
اي من عندنا لا من عندكم قال ابن جريج من اهل السماء لا من اهل الارض قيل اراد الرد على من قال الاصنام
بنات الله اي كيف يكون منحوتكم ولدا لنا وقال ابن قتيبة الاية رد على النصارى قوله تعالى
ان كنا فاعلين قال قتادة ومقاتل وابن جريج والحسن المعنى ما كنا فاعلين مثل ان انت الا نذير وان بمعنى
الجحد وتم الكلام عند قوله لاتخذناه من لدنا وقيل انه على معنى الشرط اي ان كنا فاعلين ذلك ولكن لسنا
بفاعلين ذلك لاستحالة ان يكون لنا ولد اذ لو كان ذلك لم نخلق جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا
وقيل لو اردنا ان نتخذ لهوا ولدا على طريق التبني لاتخذناه من عندنا من الملائكة ومال الى هذا قوم لان الارادة
قد تتعلق بالتبني فاما اتخاذ الولد فهو محال والارادة لا تتعلق بالمستحيل ذكره القشيري قوله تعالى
بل نقذف بالحق على الباطل القذف الرمي اي نرمي بالحق على الباطل فيدمغه اي يقهره ويهلكه واصل الدمغ
شج الراس حتى يبلغ الدماغ ومنه الدامغة والحق هو القران والباطل الشيطان في قول مجاهد قال وكل ما في
القران من ذكر الباطل فهو الشيطان وقيل الباطل كذبهم ووصفهم الله تعالى بغير صفاته من الولد وغيره
وقيل اراد بالحق الحجة وبالباطل شبههم وقيل الحق المواعظ والباطل المعاصي والمعنى متقارب والقران
يتضمن الموعظة والحجة قوله تعالى فاذا هو زاهق اي هالك تالف قاله قتادة ولكم الويل اي العذاب
في الاخرة بسبب وصفكم الرب بما لا يجوز وصفه وقال ابن عباس الويل واد في جهنم وقد تقدم قوله تعالى
مما تصفون اي مما تكذبون نظيره سيجزيهم وصفهم اي بكذبهم وقيل وصفهم الله بالمحال وهو اتخاذ الولد
قوله تعالى وله من في السماوات والارض اي ملكا وخلقا فكيف يجوز ان يشرك به ما هو عبده

ومن

وخلقه ومن عنده يعني الملائكة الذين ذكرتم انهم بنات الله لا يستكبرون اي لا يانفون عن عبادته
والتذلل له قوله تعالى ولا يستحسرون اي يعيون قاله قتادة ماخوذ من الحسير وهو
البعير المنقطع بالاعياء والتعب حسر البعير يحسر حسورا اعيا وكل واستحسر مثله وحسرته انا حسرا
يتعدى ولا يتعدى واحسرته ايضا فهو حسير قال ابن زيد لا يملون ابن عباس لا يستنكفون وقال ابن زيد
لا يكلون وقيل لا يفشلون ذكره ابن الاعرابي والمعنى واحد يسبحون الليل والنهار اي يصلون ويذكرون
الله وينزهونه دائما لا يفترون اي لا يضعفون ولا يسامون يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس
قال عبد الله بن الحارث سالت كعبا فقلت اما لهم شغل عن التسبيح اما يشغلهم عنه شي فقال من هذا فقلت
من بني عبد المطلب فضمني اليه وقال ابن اخي هل يشغلك عن النفس شي ان التسبيح عندهم بمنزلة النفس وقد
استدل بهذه الاية من قال ان الملائكة افضل من البشر وقد تقدم قوله تعالى ام اتخذوا الهة من
الارض هم ينشرون قال المفضل مقصود هذا الاستفهام الجحد اي لم يتخذوا الهة تقدر على الاحياء وقيل ام
بمعنى هل اي هل اتخذ هؤلاء المشركون الهة من الارض يحيون الموتى ولا تكون ام هنا بمعنى بل لان ذلك
يوجب لهم انشاء الموتى الا ان تقدر ام مع الاستفهام فتكون ام المنقطعة فيصح المعنى قاله المبرد وقيل ام عطف
على المعنى اي افخلقنا السماء والارض لعبا ام هذا الذي اضافوه الينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهة
او هل ما اتخذوه من الالهة في الارض يحيي الموتى فيكون موضع شبهة وقيل لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
افلا تعقلون ثم عطف عليه بالمعاتبة وعلى هذين التاويلين تكون ام متصلة وقرا الجمهور ينشرون بضم الياء
وكسر الشين من انشر الله الميت فنشر اي احياه فحيي وقرا الحسن بفتح الياء اي لا يموتون ويحيون قوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اي لو كان في السموات والارضين الهة غير الله معبودون لفسدتا
قال الكسائي وسيبويه الا بمعنى غير فلما جعلت الا في موضع غير اعرب الاسم الذي بعدها باعراب غير كما قال

وكل اخ مفارقه اخوه ... لعمر ابيك الا الفرقدان

وحكى سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لهلكنا وقال الفراء الا هاهنا في موضع سوى والمعنى لو كان فيهما
الهة سوى الله لفسد اهلها وقال غيره لو كان فيهما الهان لفسد التدبير لان احدهما ان اراد شيئا والاخر
ضده كان احدهما عاجزا وقيل معنى لفسدتا اي خربتا وهلك من فيهما بسبب التنازع والاختلاف
الواقع بين الشركاء قوله تعالى سبحان الله عما يصفون نزه نفسه وامر العباد ان ينزهوه
عن ان يكون له شريك او ولد قوله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون قاصمة للقدرية
وغيرهم المعنى لا يساله الخلق عن قضائه في خلقه وهو يسال الخلق عن عملهم لانهم عبيد بين بهذا ان
من يسال غدا عن اعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح للالهية وقيل لا يؤاخذ على افعاله وهم يؤاخذون وروي
عن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له يا امير المؤمنين نحب ربنا ان يعصى قال افيعصى ربنا قهرا قال ارايت
ان منعني الهدى ومنحني الردى احسن الي ام اساء قال ان منعك حقك فقد اساء وان منعك فضله فهو فضله
يؤتيه من يشاء ثم تلا لا يسال عما يفعل وهم يسالون وعن ابن عباس قال لما بعث الله موسى عليه السلام
وكلمه وانزل عليه التوراة قال اللهم انك رب عظيم لو شئت ان تطاع لاطعت ولو شئت ان
لا تعصى ما عصيت وانت تحب ان تطاع وانت في ذلك تعصى فكيف هذا يا رب فاوحى الله اليه اني لا اسال
عما افعل وهم يسالون قوله تعالى ام اتخذوا من دونه الهة اعاد التعجب في اتخاذ الالهة من دون
الله مبالغة في التوبيخ اي صفتهم كما تقدم في الانشاء والاحياء فتكون ام بمعنى هل فليأتوا بالبرهان
على ذلك وقيل الاول احتجاج من حيث المعقول لانه قال هم ينشرون ويحيون الموتى هيهات
والثاني احتجاج بالمنقول اي هاتوا برهانكم من هذه الجهة ففي اي كتاب نزل هذا في القران ام في الكتب
المنزلة على سائر الانبياء قوله تعالى هذا ذكر من معي باخلاص التوحيد في القران قوله تعالى
وذكر من قبلي في التوراة والانجيل وما انزل الله من الكتب فانظروا هل في كتاب من هذه الكتب ان الله امر
باتخاذ الهة سواه فالشرائع لم تختلف فيما يتعلق بالتوحيد وانما اختلفت في الاوامر والنواهي وقال
قتادة الاشارة الى القران المعنى هذا ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام وذكر من قبلي من الامم ممن
نجا بالايمان وهلك بالشرك وقيل ذكر من معي بما لهم من الثواب على الايمان والعقاب على الكفر وذكر من
قبلي من الامم السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقيل معنى الكلام الوعيد

وما التهديد اي افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء وحكى ابو حاتم ان يحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف قرا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين وكسر الميم وزعم انه لا وجه لهذا وقال ابو اسحاق الزجاج في هذه القراءة المعنى هذا ذكر مما انزل الي ومما هو معي وذكر من قبلي وقيل ذكر كاين من قبلي اي جيت بما جاءت به الانبياء من قبلي قوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق وقرا ابن محيصن والحسن الحق بالرفع بمعنى هو الحق او هذا الحق وعلى هذا يوقف على لا يعلمون ولا يوقف عليه على قراءة النصب فهم معرضون اي عن الحق وهو القران فلا يتاملون حجة التوحيد قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه وقرا حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون لقوله ارسلنا قوله تعالى انه لا اله الا انا فاعبدون اي قلنا للجميع لا اله الا الله فادلة العقل شاهدة انه لا شريك له والنقل عن جميع الانبيا موجود والدليل اما معقول واما منقول وقال قتادة لم يرسل نبي الا بالتوحيد والشرائع مختلفة في التوراة والانجيل والقران كل ذلك على الاخلاص والتوحيد قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وكانوا يعبدونهم طمعا في شفاعتهم لهم وروى معمر عن قتادة قال قالت اليهود قال معمر في روايته او طوايف من الناس خاتن الي الجن والملايكة من الجن فقال الله سبحانه بل عباد اي بل هم عباد مكرمون اي ليس كما زعم هاولاء الكفار ويجوز النصب عند الزجاج على معنى بل اتخذ عبادا مكرمين واجاز الفراء ان يرده على ولدا اي بل لم نتخذهم ولدا بل اتخذناهم عبادا مكرمين والولد هاهنا للجمع وقد يكون الواحد والجمع اولادا ويجوز ان يكون لفظ الولد للجنس كما يقال لفلان مال قوله تعالى لا يسبقونه بالقول اي لا يقولون حتى يقول ولا يتكلمون الا بما يامرهم وهم بامره يعملون اي بطاعته واوامره قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما عملوا وما هم عاملون قاله ابن عباس وعنه ايضا ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا ذكر الاول الثعلبي والثاني القشيري قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس هم اهل شهادة ان لا اله الا الله وقال مجاهد هو كل من رضي الله عنه والملايكة يشفعون غدا في الاخرة كما في صحيح مسلم وغيره وفي الدنيا ايضا فانهم يستغفرون للمومنين ولمن في الارض كما نص عليه في التنزيل على ما ياتي وهم يعني الملايكة من خشيته من خوفه مشفقون اي خايفون لا يامنون مكره قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه قال قتادة والضحاك وغيرهما عني بهذه الاية ابليس حيث ادعى الشركة ودعا الى عبادة نفسه وكان من الملايكة ولم يقل احد من الملايكة اني اله غيره وقيل الاشارة الى جميع الملايكة اي فذلك القايل نجزيه جهنم وهذا دليل على انهم وان اكرموا بالعصمة فهم متعبدون وليسوا مضطرين الى العبادة كما ظنه بعض الجهال وقد استدل ابن عباس بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل اهل السما وقد تقدم في البقرة قوله تعالى كذلك نجزي الظالمين اي كما جزينا هذا بالنار فكذلك نجزي الظالمين الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها قوله تعالى اولم ير الذين كفروا قراءة العامة اولم ير بالواو وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد الم ير بغير واو وكذلك هو في المصحف المكي يعني يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال الاخفش قال كانتا لانهما صنفان كما تقول العرب هما لقاحان اسودان وكما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا قال ابو اسحاق كانتا لانه يعبر عن السموات بلفظ الواحد سيما لان السموات كانت سماء واحدة وكذلك الارض وقال رتقا ولم يقل رتقين لانه مصدر والمعنى كانتا ذواتي رتق وقرا الحسن رتقا بفتح التاء قال عيسى بن عمر هو صواب وهي لغة والرتق السد ضد الفتق وقد رتقت الفتق ارتقه فارتتق اي التام ومنه الرتقا للمنضمة الفرج قال ابن عباس والحسن والضحاك وقتادة انها كانت شيا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهوا وكذلك قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعا والارضين سبعا قاله مجاهد والسدي وابو صالح كانت السموات موتلفة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبعا وكذلك الارضين كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبعا وحكى القتبي في عيون الاخبار عن اسمعيل بن ابي خالد قال كانت السما مخلوقة وحدها ففتق من هذه سبع سموات ومن هذه سبع ارضين خلق الارض العليا وجعل سكانها الجن والانس وشق فيها الانهار وانبت الاثمار وجعل فيها البحار وسماها رعاها عرضها مسيرة خمسماية عام ثم خلق الثانية مثلها في العرض والغلظ وجعل فيها اقواما افواههم كافواه الكلاب وايديهم ايدي الناس واذانهم اذان البقر وشعورهم شعور الغنم فاذا كان عند اقتراب

الساعة

الساعة القتهم الارض الى ياجوج وماجوج واسم تلك الارض الركما ثم خلق الارض الثالثة غلظها مسيرة خمسماية عام ومنها هوا الى الارض الرابعة خلق فيها ظلمة وعقارب لاهل النار مثل البغال السود ولها اذناب مثل اذناب الخيل الطوال ياكل بعضها بعضا فتسلط على بني ادم ثم خلق الله الخامسة في الغلظ والطول والعرض فيها سلاسل واغلال وقيود لاهل النار ثم خلق الله الارض السادسة واسمها ماد فيها حجارة سود بهم ومنها خلقت تربة ادم عليه السلام يبعث تلك الحجارة يوم القيامة وكل حجر كالطود العظيم وهي من كبريت تعلق في اعناق الكفار فتشتعل حتى تحترق وجوههم وايديهم فذلك قوله تعالى وقودها الناس والحجارة ثم خلق السابعة واسمها عربية وفيها جهنم فيها بابان اسم الواحد سجين والاخر الفلق فاما سجين فهو مفتوح واليه ينتهي كتاب الكفار وعليه تعرض اصحاب المايدة وقوم فرعون واما الفلق فهو مغلق لا يفتح الى يوم القيامة وقد مضى في البقرة انها سبع ارضين بين كل ارض مسيرة خمسماية عام وسياتي له في اخر الطلاق زيادة بيان وقول ثالث ان السموات كانتا رتقا لا تمطر والارض كانت رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات نظيره قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع واختار هذا القول الطبري لان بعده وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يومنون قال المص وبه يقع الاعتبار مشاهدة ومعاينة ولذلك اخبر بذلك في غير ما اية ليدل على كمال قدرته وعلى البعث والجزاء وقيل يهون عليهم اذا يغضبون

سخط العداة وارغامها ... ورتق الفتوق وفتق الرتوق ... ونقض الامور وابرامها

وفي قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي ثلاث تاويلات احدها انه خلق كل شيء من الماء قاله قتادة الثاني حفظ حياة كل شيء بالماء الثالث وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي قاله قطرب وجعلنا بمعنى خلقنا وروى ابو حاتم البستي في المسند الصحيح له من حديث ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني انبيني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء الحديث قال ابو حاتم قول ابي هريرة انبيني عن كل شيء اراد به عن كل شيء خلق من الماء والدليل على صحة هذا جواب المصطفى اياه حيث قال كل شيء خلق من الماء وان لم يكن مخلوقا وهذا احتجاج اخر سوى ما تقدم من كون السموات والارض رتقا وقيل الكل قد يذكر بمعنى البعض كقوله واوتيت من كل شيء وقوله تدمر كل شيء والصحيح العموم لقوله عليه السلام كل شيء خلق من الماء والله اعلم قوله تعالى افلا يومنون اي افلا يصدقون بما يشاهدون وان ذلك لم يكن بنفسه بل لمكون كونه ومدبر اوجده ولا يجوز ان يكون ذلك المكون محدثا قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت قوله تعالى ان تميد بهم اي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها قاله الكوفيون وقال البصريون المعنى كراهية ان تميد والميد التحرك والدوران يقال ماد راسه اي دار وقد مضى في النحل مستوفى قوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا يعني في الرواسي عن ابن عباس والفجاج المسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين وقيل وجعلنا في الارض فجاجا اي مسالك وهو اختيار الطبري لقوله لعلهم يهتدون اي يهتدون الى السير في الارض سبلا تفسير الفجاج لان الفج قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقيل ليهتدوا بالاعتبار بها الى دينهم قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا اي محفوظا من ان تقع وتسقط على الارض دليله قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقيل محفوظا بالنجوم من الشياطين قاله الفرا دليله قوله وحفظناها من كل شيطان رجيم وقيل محفوظا من الهدم والنقض وعن ان يبلغه احد بحيلة وقيل محفوظا فلا يحتاج الى عماد وقال مجاهد مرفوعا وقيل محفوظا من الشرك والمعاصي وهم يعني الكفار عن اياتها معرضون قال مجاهد يعني الشمس والقمر واضاف الايات الى السماء لانها مجعولة فيها وقد اضاف الايات الى نفسه في مواضع لانه الفاعل لها بين ان المشركين غفلوا عن النظر في السموات واياتها من ليلها ونهارها وشمسها وقمرها وافلاكها ورياحها وسحابها وما فيها من قدرة الله تعالى اذ لو نظروا واعتبروا لعلموا ان لها صانعا قادرا واحدا يستحيل ان يكون له شريك قوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار ذكرهم نعمة اخرى جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليتصرفوا فيه لمعايشهم قوله تعالى والشمس والقمر اي وجعل الشمس اية النهار والقمر اية الليل لتعلم الشهور والسنون والحساب كما تقدم في سبحان بيانه كل يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار في فلك يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء قال الله تعالى والسابحات سبحا ويقال للفرس الذي يمد يده في الجري سابح وفيه من النحو انه لم يقل يسبحن ولا تسبح قال سيبويه لما اخبر عنهن بفعل ما يعقل وجعلهن في الطاعة بمنزلة من يعقل اخبر عنهن بالواو

والنون ونحو قال الفراء وقد تقدم هذا المعنى في يوسف وقال الكسائي انما قال يسبحون لانه رأس اية كما قال
نحن جميع منتصر ولو يقل منتصرون وقيل الجري للفلك فنسب اليها والاصح ان السيارة تجري في الفلك
وهي تسعة افلاك دون السموات المطبقة التي هي مجال الملائكة واسباب الملكوت فالقمر في الفلك
الادنى ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج والتاسع الفلك
الاعظم والفلك واحد افلاك النجوم قال ابو عمرو ويجوز ان يجمع على فعل ثم اسد واسد وخشب وخشب
واصل الكلمة من الدوران ومنه فلكة المغزل لاستدارتها ومنه قيل فلك ثدي المرأة تفليكا
وتفلك استدار وفي حديث ابن مسعود تركت فرسي كانه يدور في فلك كانه لدورانه شبهه بفلك
السماء الذي تدور عليه النجوم قال ابن زيد الافلاك مجاري النجوم والشمس وهي بين السماء والارض وقال
قتادة الفلك استدارة في السماء تدور بالنجوم مع ثبوت السماء وقال مجاهد الفلك كهيئة حديدة
الرحا وهي قطبها وقال الضحاك فلكها مجراها وسرعة مسيرها وقيل الفلك موج مكفوف ومجرى
الشمس والقمر فيه والله اعلم قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي دوام البقاء في الدنيا نزلت
حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وذلك ان المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون شاعر نتربص به
ريب المنون ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان فقال الله قد مات الانبياء من قبلك وتولى الله دينه بالنصر
والحياطة فهكذا نحفظ دينك وشرعك قوله تعالى افإن مت فهم الخالدون اي افهم مثل قول الشاعر

رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع ... وانكرت الوجوه هم هم

اي اهم فهو استفهام انكار وقال الفراء جاء بالفاء ليدل على الشرط لانه جواب قولهم سيموت ويجوز ان يكون
جيء بها لان التقدير فيها افهم الخالدون ان مت قال الفراء ويجوز حذف الفاء واضمارها لان هم لا يتبين
فيها الاعراب اي ان مت فهم يموتون ايضا فلا شماتة في الاماتة وقرئ مت ومت بكسر الميم وضمها لغتان
قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت تقدم في آل عمران قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فتنة مصدر على غير اللفظ اي نختبركم بالشدة والرخاء والحرام والحلال فننظر كيف شكركم وصبركم
قوله تعالى والينا ترجعون اي للجزاء بالاعمال قوله تعالى واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا اي ما يتخذونك والهزو السخرية وقد تقدم وهم المستهزئون المتقدم ذكرهم في اخر سورة الحجر في قوله
انا كفيناك المستهزئين كانوا يعيبون من جحد الهية اصنامهم وهم جاحدون لالهية الرحمن وهذا غاية
الجهل قوله تعالى اهذا الذي يقولون اهذا الذي فاضمر القول وهو جواب اذا وقوله ان يتخذونك
الا هزوا كلام معترض بين اذا وجوابه قوله تعالى يذكر آلهتكم اي بالسوء والعيب ومنه قول
عنترة

لا تذكري مهري وما اطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الاجرب

اي لا تعيبي مهري قوله تعالى وهم بذكر الرحمن اي القرآن هم كافرون هم الثانية توكيد لكفرهم اي
هم الكافرون مبالغة في وصفهم بالكفر قوله تعالى خلق الانسان من عجل اي ركب على العجلة فخلق
عجولا كما قال الله الذي خلقكم من ضعف اي خلق الانسان ضعيفا ويقال خلق الانسان من الشر اي شريرا
اذا بالغت في وصفه به ويقال انما انت ذهاب ومجيء اي ذاهب جاء اي طبع الانسان العجلة فيستعجل كثيرا
من الاشياء وان كانت مضرة ثم قيل المراد بالانسان ادم قال سعيد بن جبير والسدي لما دخلت الروح في
عيني ادم نظر في ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب من قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان
الى ثمار الجنة فذلك قوله خلق الانسان من عجل وقيل خلق يوم الجمعة في اخر النهار فلما احيى الله راسه استعجل وطلب
تتميم نفخ الروح فيه قبل غروب الشمس قاله الكلبي ومجاهد وغيرهما قال ابو عبيدة وكثير من اهل المعاني
العجل الطين بلغة حمير وانشدوا

والنخل ينبت بين الماء والعجل

وقيل المراد بالانسان
الناس كلهم وقيل المراد النضر بن الحارث بن علقمة اي لا ينبغي لمن خلق من الطين الحقير ان يستهزئ
بايات الله ورسله وقيل انه من المقلوب اي خلق العجل من الانسان وهو مذهب ابي عبيدة قال النحاس
وهذا القول لا ينبغي ان يجاب به في كتاب الله لان القلب انما يقع في الشعر اضطرارا كما قال

كما كان الزناء فريضة الرجم

ونظيره هذه الاية وكان الانسان عجولا وقد مضى في سبحان
قوله تعالى ساوريكم اياتي فلا تستعجلون هذا يقوي القول الاول ان طبع الانسان العجلة وانه خلق
خلقا لا يتمالك كما قاله عليه السلم حسب ما تقدم في سبحان والمراد بالايات ما دل على صدق محمد من المعجزات

وما جعله له من العاقبة المحمودة وقيل ما طلبوه من العذاب فارادوا الاستعجال وقالوا متى هذا الوعد
وما علموا ان لكل شيء اجلا مضروبا نزلت في النضر بن الحارث وقوله ان كان هذا هو الحق وقال الاخفش سعيد
معنى خلق الانسان من عجل اي قيل له كن فكان فمعنى فلا تستعجلون على هذا القول انه من يقول للشيء كن
فيكون لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الايات ويقولون متى هذا الوعد اي الموعود كما يقال الله رجاؤنا
اي مرجونا وقيل معنى الوعد هنا الوعيد اي الذي يعدنا من العذاب وقيل القيمة قوله تعالى ان كنتم
صادقين يا معشر المؤمنين قوله تعالى لو يعلم الذين كفروا العلم هنا بمعنى المعرفة فلا يقتضي مفعولا
ثانيا مثل لا تعلمونهم الله يعلمهم وجواب لو محذوف اي لو علموا الوقت الذي قوله تعالى لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون وعرفوه لما استعجلوا العذاب وقال الزجاج اي لو علموا
صدق الوعد وقيل المعنى لو علموه لما اقاموا على الكفر ولامنوا وقال الكسائي هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة
اي لو علموه علم اليقين لعلموا ان الساعة اتية ودل عليه بل تاتيهم بغتة اي فجاة يعني القيامة وقيل العقوبة
وقيل النار فلا يتمكنون من حيلة فتبهتهم قال الجوهري بهته بهتا اخذه بغتة قال الله تعالى بل تاتيهم
بغتة فتبهتهم وقال الفراء فتبهتهم اي تحيرهم يقال بهته يبهته اذا واجهه بشيء يحيره وقيل فتفجاهم
فلا يستطيعون ردها اي صرفها عن ظهورهم ولا هم ينظرون اي يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار
قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية له يقول
ان استهزأ بك هؤلاء فقد استهزئ برسل من قبلك فاصبر كما صبروا ثم وعده النصر فقال
فحاق بالذين سخروا اي احاط ودار بالذين كفروا وسخروا منهم وهزؤوا بهم ما كانوا به يستهزئون اي جزاء
استهزائهم قوله تعالى قل من يكلؤكم اي يحرسكم ويحفظكم والكلاءة الحراسة والحفظ كلاه
الله كلاءة بالكسر اي حفظه وحرسه يقال اذهب في كلاءة الله واكتلات منهم احترست قال
الشاعر

ان سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها

انخت بعيري واكتلات بعينه

وحكى الكسائي والفراء قل من يكلوكم بفتح اللام واسكان
الواو وحكيا من يكلوكم على تخفيف الهمزة في الوجهين والمعروف تحقيق الهمزة وهي قراءة العامة فاما
يكلوكم فخطا من وجهين احدهما ان بدل الهمزة انما يكون في الشعر والثاني انهما يقولان في الماضي كليته
ومن قال للرجل كلاك الله فقد دعا عليه بان يصيبه الله بالوجع في كليته فينقلب المعنى لان كليته اوجعت
كليته ثم قيل مخرج اللفظ مخرج الاستفهام والمراد به النفي وتقديره قل لا حافظ لكم بالليل اذا نمتم وبالنهار
اذا قمتم وتصرفتم في اموركم من الرحمن اي من عذاب الرحمن وباسه كقوله فمن ينصرني من الله اي من عذاب
الله والخطاب لمن اعترف منهم بالصانع اي اذا اقررتم بانه الخالق فهو قادر على احلال العذاب الذي تستعجلونه
قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم اي عن القرآن وقيل عن مواعظ ربهم وعن معرفته معرضون لاهون
غافلون قوله تعالى ام لهم الهة المعنى الهم والميم صلة تمنعهم من دوننا اي من عذابنا لا يستطيعون
يعني الذين زعم هؤلاء الكفار انهم ينصرونهم لا يستطيعون نصر انفسهم فكيف ينصرون عابديهم
ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وعنه يجارون وهو اختيار الطبري تقول العرب انا لك جار وصاحب
من فلان اي مجير منه قال الشاعر

ينادي باعلى صوته متعوذا ... ليصحب منها والرماح دواني

وروى معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال ينصرون اي يحفظون قتادة اي لا يصحبهم الله بخير ولا يجعل
رحمته صاحبا لهم قوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم قال ابن عباس يريد اهل مكة اي بسطنا لهم
ولآبائهم في نعيمها فطال عليهم العمر في النعمة فظنوا انها لا تزول عنهم فاغتروا واعرضوا عن تدبر حجج الله
قوله تعالى افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اي بالظهور عليها لك يا محمد ارضا
بعد ارض وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة قال معناه الحسن وقيل بالقتل والسبي حكاه الكلبي والمعنى
واحد وقد مضى في الرعد الكلام في هذا مستوفى افهم الغالبون يعني كفار مكة بعد ان نقصنا من
اطرافهم بل انت الغالب قوله تعالى قل انما انذركم بالوحي اي اخوفكم واحذركم بالقرآن ولا يسمع
الصم الدعاء اي من اصم الله قلبه وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة عن فهم الايات وسماع الحق وقرا
ابو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن السميقع ولا يسمع بياء مضمومة وفتح الميم على ما لم يسم فاعله الصم بالرفع

اي ان الله لا يسمعهم وقرا ابن عامر والسلمي ايضا وابو حياة ويحيى بن الحارث ولا تسمع بتاء مضمومة وكسر الميم الصم بالنصب اي انك يا محمد ما تسمع الصم الدعا فالخطاب للنبي عليه السلام ورد هذه القراءة بعض اهل اللغة وقال كان يجب ان يقول اذا ما ينذرهم قال النحاس وذلك جائز لانه قد عرف المعنى **قوله تعالى** وَلَئِن مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ قال ابن عباس طرف قتادة عقوبة ابن كيسان قليل وادنى شي ماخوذ من نفحة المسك قال

وعمرو من سروات النساء … تنفح بالمسك اردانها

وقال ابن جريج نصيب كما يقال نفح فلان لفلان من عطائه اذا اعطاه نصيبا من المال قال الشاعر

لما اتيتكم ارجو افضل نائلكم … نفحتني نفحة طابت لها العرب

اي طابت لها النفس والنفحة في اللغة الدفعة اليسيرة والمعنى ولئن مستهم اقل شي من العذاب ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي متعدين فيعترفون حين لا ينفعهم الاعتراف **قوله تعالى** وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا الموازين جمع ميزان فقيل انه يدل بظاهره على ان لكل مكلف ميزانا يوزن به اعماله فيوضع الحسنات في كفة والسيات في كفة وقيل يجوز ان يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله كما قال

ملك تقوم الحادثات لامره … فلكل حادثة لها ميزان

ويمكن ان يكون ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع روى اللالكائي الحافظ ابو القاسم في سننه عن انس رفعه ان ملكا موكلا بالميزان فيوتى بابن ادم فيوقف بين كفتي الميزان فان رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وخرج عن حذيفة قال صاحب الميزان يوم القيامة جبريل وقيل للميزان كفتان وخيوط ولسان والشاهين فالجمع يرجع اليهما وقال مجاهد وقتادة والضحاك ذكر الميزان مثل وليس ثمه ميزان وانما هو العدل والذي وردت به الاخبار وعليه السواد الاعظم القول الاول وقد مضى في الاعراف بيان هذا وفي الكهف ايضا وكتبنا في كتاب التذكرة مستوفي والحمد لله والقسط العدل اي ليس فيها بخس ولا ظلم كما يكون في وزن الدنيا والقسط صفة الموازين ووحد لانه مصدر يقال ميزان قسط وميزانان قسط وموازين قسط مثل رجال عدل ورضى وقرات طائفة فرقة القسط بالصاد ليوم القيمة اي لاهل يوم القيامة وقيل المعنى في يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا اي تنقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة مسي **قوله تعالى** وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا قرا نافع وشيبة وابو جعفر مثقال بالرفع هنا وفي لقمان على معنى ان وقع او حضر فتكون كان تامة ولا تحتاج الى خبر الباقون مثقال بالنصب على معنى وان كان العمل او ذلك الشي مثقال ومثقال الشي ميزانه من مثله اتينا بها مقصورة الالف قراة الجمهور اي احضرناها وجينا بها للمجازاة عليها اي بالحبة ولو قال به اي بالمثقال لجاز وقيل مثقال الحبة ليس شيئا غير الحبة ولهذا قال اتينا بها وقرا مجاهد وعكرمة آتينا بها بالمد على معنى جازينا بها يقال آتى يواتي مواتاة **قوله تعالى** وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ اي مجازين على ما قدموه من خير وشر وقيل حاسبين اي لا احد اسرع حسابا منا والحساب العد روى الترمذي عن عايشة ان رجلا قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني واشتمهم واضربهم فكيف انا منهم قال يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل قال فتنحى الرجل وجعل يبكي ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تقرا كتاب الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الاية فقال الرجل والله يا رسول الله ما اجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم اشهدك انهم احرار كلهم قال حديث غريب **قوله تعالى** وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وحكي عن ابن عباس وعكرمة الفرقان ضياء بغير واو على الحال وزعم الفراء ان حذف الواو والمجي بها واحد كما قال عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا اي حفظا ورد عليه هذا القول الزجاج قال لان الواو تجي لمعنى فلا تزاد قال وتفسير الفرقان التوراة لان فيها الفرق بين الحلال والحرام قال وضياء مثل فيه هدى ونور وقال ابن زيد الفرقان هنا هو النصر على الاعداء دليله قوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر قال الثعلبي وهذا القول اشبه بظاهر الاية لدخول الواو في الضياء فيكون معنى الاية ولقد اتينا موسى وهرون النصر والتوراة التي هي الضيا والذكر للمتقين الذين يخشون

ربهم بالغيب اي غايبين لانهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال انهم ربا قادرا يجازي على الاعمال فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس وهم من الساعة اي من قيامها قبل التوبة مشفقون اي خائفون وجلون **قوله تعالى** وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ يعني القران فانتم يا معشر العرب له منكرون وهو معجز لا تقدرون على الاتيان بمثله واجاز الفرا وهذا ذكرا مباركا انزلناه بمعنى انزلناه مباركا **قوله تعالى** وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ قال الفرا اعطيناه هداه من قبل اي من قبل النبوة اي وفقناه للنظر والاستدلال لما جن عليه الليل فراى النجم والشمس والقمر وقيل من قبل اي من قبل موسى وهرون والرشد على هذا النبوة وعلى الاول اكثر المفسرين كما قال ليحيى واتيناه الحكم صبيا وقال القرظي رشده صلاحه **قوله تعالى** وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ اي انه اهل لايتاء الرشد وصالح للنبوة **قوله تعالى** إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ قيل المعنى اي اذكر حين قال فيكون الكلام قد تم عند قوله وكنا به عالمين وقيل المعنى وكنا به عالمين اذ قال فيكون الكلام متصلا ولا يوقف على قوله عالمين لابيه وهو آزر وقومه نمرود ومن اتبعه ما هذه التماثيل اي الاصنام والتمثال اسم موضوع للشي المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى يقال مثلت الشي بالشي اي شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها **قوله تعالى** قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ اي نعبدها تقليدا لاسلافنا **قوله تعالى** قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي في خسران في عبادتها اذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم قالوا اجئتنا بالحق اي اجاد انت محق فيما تقول ام انت من اللاعبين اي لاعب مازح **قوله تعالى** قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي لست بلاعب بل ربكم والقايم بتدبيركم خالق السموات والارض الذي فطرهن اي خلقهن وابدعهن **قوله تعالى** وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ اي انه رب السموات والارض والشاهد يبين الحكم ومنه شهد الله بين الله فالمعنى وانا ابين بالدليل ما اقول **قوله تعالى** وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ اخبر انه لم يكتف بالمحاجة باللسان بل كسر اصنامهم فعل واثق بالله موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين والتاء في تالله تختص في القسم باسم الله وحده والواو تختص بكل مظهر والباء بكل مضمر ومظهر قال الشاعر

تالله يبقى على الايام ذو حيد … بمشمخر به الظيان والاس

وقال ابن عباس اي وحرمة الله لاكيدن اصنامكم اي لامكرن بها والكيد المكر وكاده يكيده كيدا ومكيدة وكذلك المكايدة وربما سمي الحرب كيدا يقال غزا فلان فلم يلق كيدا وكل شي تعالجه فانت تكيده **قوله تعالى** بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ اي منطلقين ذاهبين وكان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه فقالوا لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا روي ذلك عن ابن مسعود على ما ياتي بيانه في والصافات فقال ابراهيم في نفسه تالله لاكيدن اصنامكم قال مجاهد وقتادة انما قال ذلك في سر من قومه ولم يسمعه الا رجل واحد وهو الذي افشاه عليه والواحد يخبر عنه بخبر الجمع اذا كان ما اخبر به عنه مما يرضى به غيره ومثله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقيل انما قاله بعد خروج القوم ولم يبق الا الضعفا فهم الذين سمعوه وكان ابراهيم احتال في التخلف عنهم بقوله اني سقيم اي ضعيف عن الحركة **قوله تعالى** فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا اي فتاتا والجذ الكسر والقطع جذذت الشي قطعته وكسرته الواحد جذاذة والجذاذ ما كسر منه والضم افصح من كسره قاله الجوهري قال الكسائي ويقال لحجارة الذهب جذاذ لانها تكسر وقرا الكسائي والاعمش وابن محيصن جذاذا بكسر الجيم اي كسرا وقطعا جمع جذيذ وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وظريف وظراف وقال الشاعر

جذذ الاصنام في محرابها … ذاك في الله العلي المقتدر

الباقون بالضم واختاره ابو عبيد وابو حاتم اي الحطام والرقاق الواحد جذاذة وهذا هو الكيد الذي اقسم بالله ليفعلنه بها وقال فجعلهم جذاذا لان القوم اعتقدوا في اصنامهم الالهية وقرا ابن عباس وابو نهيك وابو السمال جذاذا بفتح الجيم والفتح والكسر لغتان كالحصاد والحصاد قال ابو حاتم الفتح والضم والكسر بمعنى حكاه قطرب **قوله تعالى** إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ اي عظيم الالهة في الخلق فانه لم يكسره قال السدي ومجاهد ترك الصنم الاكبر وعلق الفاس التي كسر الاصنام بها في عنقه ليحتج به عليهم لعلهم اليه يرجعون اي الى ابراهيم ودينه يرجعون اذا قامت الحجة عليهم وقيل لعلهم اليه اي الى الصنم الاكبر يرجعون

في تكسيرها **قوله تعالى** قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين المعنى لما رجعوا من عيدهم ورأوا ما احدث بآلهتهم قالوا على جهة البحث والانكار من فعل هذا بآلهتنا وقيل انه لمن الظالمين من ليس استفهاما بل هو ابتداء وخبره لمن الظالمين اي فاعل هذا ظالم والاول اصح لقوله سمعنا فتى يذكرهم وهذا هو جواب من فعل هذا والضمير في قالوا للقوم الضعفاء الذين سمعوا ابراهيم او الواحد على ما تقدم ومعنى يذكرهم يعيبهم ويسبهم فلعله الذي فعل هذا واختلف الناس في وجه رفع ابراهيم قال الزجاج يرتفع على معنى يقال له هو ابراهيم فيكون مبتدأ وخبره محذوف والجملة محكية قال ويجوز ان يكون رفعا على النداء وضمه بناء وقام له مقام ما لم يسم فاعله وقيل رفعه على انه مفعول لم يسم فاعله على ان يجعل ابراهيم غير دال على الشخص بل يجعل النطق به دالا على بناء هذه اللفظة اي يقال له هذا القول وهذا اللفظ وهذا كما تقول زيد وزن فعل او زيد ثلاثة احرف فلم يدل بوجه على الشخص بل دللت بنطقك على نفس اللفظة وعلى هذه الطريقة تقول قلت ابراهيم ويكون مفعولا صحيحا انزلته منزلة قول وكلام فلا يتعذر بعد ذلك ان يبنى الفعل فيه للمفعول هذا اختيار ابن عطية في رفعه وقال الاستاذ ابن الحجاج الاشبيلي الاعلم هو رفع على الاهمال قال ابن عطية لما راى وجوه الرفع كانها لا توضح المعنى الذي قصدوه ذهب الى رفعه بغير شيء كما قد يرفع التجرد والعرو عن العوامل الابتداء والفتى الشاب والفتاة الشابة وقال ابن عباس ما ارسل الله نبيا الا شابا ثم قرا سمعنا فتى يذكرهم **قوله تعالى** قالوا فأتوا به على اعين الناس فيه مسالة واحدة وهو انه لما بلغ الخبر نمرود واشراف قومه كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فقالوا ائتوا به ظاهرا بمراى من الناس حتى يروه لعلهم يشهدون عليه بما قال ليكون ذلك حجة عليه وقيل لعلهم يشهدون عقابه فلا يقدم احد على مثل ما اقدم عليه ولعل قوما يشهدون بانهم راوه يكسر الاصنام او لعلهم يشهدون طعنه على آلهتهم ليعلموا انه يستحق العقاب قال المؤلف رحمه الله وفي هذا دليل على انه كان لا يؤاخذ احد بدعوى احد فيما تقدم فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون وهكذا الامر في شرعنا ولا خلاف فيه **قوله تعالى** قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم فيه اربع مسائل الاولى لما لم يكن السماع عاما ولا ثبتت الشهادة استفهموه هل فعل ام لا وفي الكلام حذف فجاء ابراهيم حتى اتي به فقالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا فقال لهم ابراهيم على جهة الاحتجاج عليهم بل فعله كبيرهم هذا اي انه غار وغضب من ان يعبد هو ويعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك **قوله تعالى** ان كانوا ينطقون فسألوهم فعلق فعل الكبير بنطق الآخرين تنبيها لهم على فساد اعتقادهم كانه قال بل هو الفاعل ان نطق هؤلاء وفي الكلام تقديم على هذا التأويل في قوله فسألوهم وقيل اراد بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون بين ان من لا يتكلم ولا يعلم لا يستحق العبادة وكان قوله من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب اي سلوهم ان نطقوا فانهم يصدقون وان لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بانه الفاعل وهذا هو الصحيح لانه عدده على نفسه فدل انه خرج مخرج التعريض وذلك انهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم آلهة من دون الله كما قال ابراهيم لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الاية فقال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا ليقولوا انهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون فيقول لهم فلم تعبدونهم فتقوم عليهم الحجة منهم ولهذا يجوز عند الامة فرض الباطل مع الخصوم حتى يرجع الى الحق من ذات نفسه فانه اقرب الى الحجة واقطع للشبهة كما قال لقومه هذا ربي وهذه اختي واني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقرا ابن السميقع بل فعله بتشديد اللام بمعنى فلعل الفاعل كبيرهم وقال الكسائي الوقف عند قوله بل فعله من فعله ثم يبتدي كبيرهم هذا اي لم ينكرون ان يكون فعله كبيرهم فهذا الزام بلفظ الخبر اي من اعتقد عبادتها يلزمه ان يثبت لها فعلا والمعنى بل فعله كبيرهم فيما يلزمكم **المسالة الثانية** روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم النبي في شيء قط الا في ثلاث قوله اني سقيم وقوله لسارة اختي وقوله بل فعله كبيرهم لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ووقع في الاسراء في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة في قصة ابراهيم قال وذكر قوله في الكوكب هذا ربي فعلى هذا تكون الكذبات اربعا الا ان الرسول عليه السلام قد نفى تلك بقوله لم يكذب ابراهيم النبي قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم

وقوله بل فعله كبيرهم وواحدة في شان سارة الحديث لفظ مسلم وانما لم يعد عليه قوله في الكوكب هذا ربي كذبة وهي داخلة في الكذب لانه والله اعلم كان حين قال ذلك في حال الطفولية وليست حال تكليف او قاله لقومه مستفهما لهم على جهة التوبيخ والانكار وحذفت همزة الاستفهام او على طريق الاحتجاج على قومه تنبيها على ان ما يتغير لا يصلح للربوبية وقد تقدمت هذه الوجوه كلها في الانعام مبينة والحمد لله **المسالة الثالثة** قال ابن العربي في هذا الحديث نكتة عظمى تقصم الظهر وهي انه عليه السلام قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين ما حل بها عن دين الله وهي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم ولم يعد هذه اختي في ذات الله تعالى وان كان دافع بها مكروها ولكن لما كان لابراهيم عليه السلام فيها حظ من صيانة فراشه وحماية اهله لم يجعلها في ذات الله وذلك لانه لا يجعل في جنب الله وذاته الا العمل الخالص من شوائب الدنيا والمعاريض التي ترجع الى النفس اذا خلصت للدين كانت لله سبحانه وتعالى كما قال الا لله الدين الخالص وهذا لو صدر منا لكان لله ولكن منزلة ابراهيم اقتضت هذا **المساله الرابعة** قال علماؤنا الكذب هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه والاظهر ان قول ابراهيم فيما اخبر عنه عليه السلام كان من المعاريض وان كانت معاريض وحسنات وحججا في الخلق ودلالات لكنها اثرت في الرتبة وخفضت عن محمد مجيد المنزلة واستحيى منها قائلها على ما ورد من حديث الشفاعة فان الانبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم اجلالا لله فان الذي كان يليق بمرتبته في النبوة والخلة ان يصدع بالحق ويصرح بالامر كيف ما كان ولكنه رخص له فقبل الرخصة فكان ما كان من القصة ولهذا جاء في حديث الشفاعة انما اتخذت خليلا من وراء وراء بنصبهما على البناء كخمسة عشر وكما قالوا جاري بيت بيت ووقع في بعض نسخ مسلم من وراء من وراء باعادة من وحينئذ لا يجوز البناء على الفتح وانما يبنى كل واحد منهما على الضم لانه قطع عن الاضافة ونوى المضاف كقبل وبعد وان لم ينو المضاف اعرب ونون غير ان وراء لا ينصرف لان الفه للتانيث لانهم قالوا في تصغيرها وريئة قال الجوهري وهي شاذة فعلى هذا الصحيح الفتح فيهما مع وجود من فيهما والمعنى اني كنت خليلا متأخرا عن غيري ويستفاد من هذا ان الخلة لم تصح بكمالها الا لمن صح له في ذلك اليوم المقام المحمود كما تقدم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** فرجعوا الى انفسهم اي رجع بعضهم الى بعض رجوع المنقطع عن حجته المتفطن لصحة حجة خصمه **قوله تعالى** فقالوا انكم انتم الظالمون بعبادة من لا ينطق بلفظة ولا يملك لنفسه لحظة وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم الباس من لا يرد عن راسه الفاس **قوله تعالى** ثم نكسوا على رؤوسهم اي عادوا الى جهلهم وعنادهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فقال قاطعا لما به يهذون ومفحما لهم **قوله تعالى** أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم اي النتن لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون وقيل ثم نكسوا على رؤوسهم اي طاطؤوا رؤوسهم خجلة من ابراهيم وفيه نظر لانه لم يقل نكسوا رؤوسهم بفتح الكاف بل قال نكسوا على رؤوسهم اي ردوا على ما كانوا عليه في اول الامر وكذا قال ابن عباس قال ادركهم الشقاء فعادوا الى كفرهم **قوله تعالى** قالوا حرقوه لما انقطعوا بالحجة اخذتهم عزة باثم وانصرفوا الى طريق الغشم والغلبة وقالوا حرقوه روي ان قائل هذه المقالة هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها قاله ابن عمر ومجاهد وابن جريج ويقال اسمه هيزر فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل بل قاله ملكهم نمرود **قوله تعالى** وانصروا آلهتكم بتحريق ابراهيم لانه يسبها ويعيبها وجاء في الخبر ان نمرود بنى صرحا طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا قال ابن اسحاق وجمعوا الحطب شهرا ثم اوقدوها واشتعلت واشتدت حتى ان كان الطائر ليمر بجنباتها فيحترق من شدة وهجها ثم قيدوا ابراهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولا ويقال ان ابليس صنع لهم المنجنيق يومئذ فضجت السموات والارض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلائق الا الثقلين ضجة واحدة ربنا ابراهيم ليس في الارض احد يعبدك غيره يحرق فيك فأذن لنا في نصرته فقال الله تعالى ان استغاث بشيء منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الماء وهو في الهواء فقال يا ابراهيم ان اردت اخمدنا النار بالماء فقال لا حاجة لي اليكم فاتاه ملك الريح فقال لو شئت طيرت النار فقال لا ثم رفع راسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الك حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل فاسأل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى وهو اصدق القائلين يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم

الك الحمد ولك الملك لاشريك لك قال ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال
يا ابراهيم الك حاجة فقال اما اليك فلا فقال جبريل فاسال ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي فقال
الله تعالى يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم • قال بعض العلماء جعل الله فيها بردا يدفع حرها وحرا يدفع
بردها فصارت سلاما عليه قال ابو العالية ولو لم يقل بردا وسلاما لكان بردها اشد عليه من حرها
ولو لم يقل على ابراهيم لكان بردها قايما على الابد وذكر بعض العلماء ان الله انزل زربية من الجنة فبسطها
في الجحيم وانزل الله جبريل وميكائيل وملك البرد وملك السلامة وقال علي وابن عباس لو لم يتبع بردها
سلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق يومئذ نار الا طفيت ظنت انها تعني قال السدي وامر الله كل عود من شجرة
ان يرجع شجرة ويطرح ثمرة قال كعب وقتادة ولم تحرق النار من ابراهيم الا وثاقه فاقام في النار سبعة
ايام لم يقدر احد ان يقرب من النار ثم جاوا فاذا هو قايم يصلي قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت اياما
قط انعم مني في الايام التي كنت فيها في النار وقال كعب وقتادة والزهري ولم يبق يومئذ دابة الا اطفات
عنه النار الا الوزغ فانها كانت تنفخ عليه فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها وسماها فويسقة
وقال شعيب الجماني القي ابراهيم في النار وهو ابن ست وعشرين سنة والله اعلم وقال الكلبي بردت نيران
الارض جميعا فما انضجت كراعا فراه نمرود من الصرح وهو جالس على السرير يونسه ملك الظل فقال نعم
الرب ربك لاقربن له اربعة الاف بقرة وكف عنه **قوله تعالى** وارادوا به كيدا اي اراد نمرود
واصحابه ان يمكروا به **قوله تعالى** فجعلناهم الاخسرين اي في اعمالهم ورددنا مكرهم عليه بتسليط اضعف
خلقنا كما قال ابن عباس سلط الله عليهم اضعف خلقه البعوض فما برح نمرود حتى راى عظام اصحابه وخيله
تلوح اكلت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في منخره فلم تزل تاكل الى ان وصلت دماغه وكان
اكرم الناس عليه الذي يضرب راسه بمرزبة من حديد فاقام بهذا نحوا من اربعماية سنة **قوله تعالى**
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يريد نجينا ابراهيم ولوطا الى ارض الشام وكانا
بالعراق وكان لوط عليه السلام عمه قاله ابن عباس وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وانهارها ولانها
معادن الانبيا والبركة ثبوت الخير ومنه برك البعير اذا لزم مكانه فلم يبرح وقال ابن عباس الارض المباركة
مكة وقيل بيت المقدس لان منها بعث الله اكثر الانبيا وهي ايضا كثيرة الخصب والثمر عذبة الما ومنها
تتفرق الى الارض قال ابو العالية ليس ما عذب الا يهبط من السماء الى الصخرة التي ببيت المقدس ثم تتفرق
في الارض ونحوه عن كعب الاحبار وقيل الارض المباركة مصر **قوله تعالى** ووهبنا له اسحاق
ويعقوب نافلة اي زيادة لانه دعا في اسحاق وزيد يعقوب من غير دعا فكان ذلك نافلة
اي زيادة على ما سال ويقال لولد الولد نافلة لانه زيادة على الولد **قوله تعالى** وكلا
جعلنا صالحين اي وكلا من ابراهيم واسحاق ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله وجعلهم صالحين
انما تحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم وبخلق القدرة على الطاعة ثم ما يكتسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى
قوله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا اي روسا تقتدي بهم في الخيرات واعمال الطاعات
ومعنى بامرنا اي بما انزلنا عليهم من الوحي والامر والنهي فكانه قال يهدون بكتابنا وقيل المعنى يهدون الناس
الى ديننا بامرنا اياهم بارشاد الخلق ودعاهم الى التوحيد **قوله تعالى** واوحينا اليهم فعل الخيرات
اي ان يفعلوا الطاعات **قوله تعالى** واقام الصلاة وايتا الزكاة وكانوا لنا عابدين اي
مطيعين **قوله تعالى** ولوطا اتيناه حكما وعلما لوطا منصوب بفعل مضمر دل عليه الثاني اي واتينا لوطا
اتيناه وقيل اي واذكر لوطا والحكم والنبوة والعلم والمعرفة بامر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم وقيل
علما فهما والمعنى واحد ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث يريد سدوم قال ابن عباس وكانت
سبع قرى قلب جبريل عليه السلام ستة وابقى واحدة للوط وعياله وهي زغر التي فيها الثمر من كورة فلسطين
الى حد الشراة ولها قرى كثيرة الى حد نجد بالحجاز وفي الخبايث التي كانوا يعملونها قولان احدهما اللواط
على ما تقدم والثاني الضراط اي كانوا يتضارطون في ناديهم ومجالسهم وقيل الضراط وحذف الحصى وسياتي
قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين اي خارجين عن طاعة الله والفسوق الخروج وقد تقدم
قوله تعالى وادخلناه في رحمتنا اي في النبوة وقيل في الاسلام وقيل الجنة وقيل عني بالرحمة انجاه
من قومه انه من الصالحين **قوله تعالى** ونوحا اذ نادى من قبل اي واذكر نوحا اذ نادى اي دعا من قبل

التي ابراهيم في النار وهو ابن ست وعشرين سنة

سلط الله البعوض على نمرود

اي من قبل ابراهيم ولوط على قومه وهو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال لما كذبوه اني
مغلوب فانتصر **قوله تعالى** فاستجبنا له ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق
والكرب الغم الشديد واهله اي المومنين منهم **قوله تعالى** ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا
قال ابو عبيدة من بمعنى على وقيل المعنى فانتقمنا له من القوم الذين كذبوا باياتنا فاغرقناهم اجمعين
اي الصغير منهم والكبير **قوله تعالى** وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله وعلما فيه
ست وعشرون مسالة الاولى قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان اي واذكرهما اذ يحكمان ولم يرد بقوله
اذ يحكمان الاجتماع في الحكم وان جمعهما في القولين فان حكمين على حكم واحد لا يجوز وانما حكم كل واحد منهما
على انفراده وكان سليمان الفاهم لها بتفهيم الله تعالى اياه في الحرث اختلف فيه على قولين فقيل كان زرعا
قاله قتادة وقيل كرما نبتت عناقيده قاله ابن مسعود وشريح والحرث يقال فيهما وهو في الزرع ابعد من
الاستعارة الثانية قوله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعت فيه ليلا والنفش الرعي بالليل يقال
نفشت بالليل وهملت بالنهار اذا رعت بلا راع وانفشها صاحبها وابل نفاش وفي حديث عبد الله بن عمر الحبة
في الجنة كمثل كرش البعير نفشت اي رعت حكاه الهروي وقال ابن سيدة لا يقال الهمل في الغنم انما يقال في
الابل الثالثة قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين دليل على ان اقل الجمع اثنان وقيل المراد الحاكمان والمحكوم
عليه فلذلك قال لحكمهم الرابعة قوله تعالى ففهمناها سليمان اي فهمناه القضية والحكومة فكنى عنها اذ سبق
ما يدل عليها وفضل حكم سليمان حكم ابيه في انه احرز ان يبقى ملك كل واحد منهما على متاعه وتبقى نفسه
طيبة بذلك وذلك ان داود عليه السلم راى ان تدفع الغنم الى صاحب الحرث وقالت فرقة بل دفع الغنم الى
صاحب الحرث والحرث الى صاحب الغنم قال ابن عطية فيشبه على القول الواحد انه راى الغنم تقاوم الغلة
التي افسدت وعلى القول الثاني راها تقاوم الحرث والغلة فلما خرج الخصمان على سليمان وكان يجلس على
الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون على داود من باب اخر فقال بم قضى بينكما نبي الله داود
فقالا قضى بالغنم لصاحب الحرث فقال لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فاتى اباه فقال يا نبي الله انك حكمت
بكذا وكذا واني رايت ما هو ارفق بالجميع فقال وما هو فقال ينبغي ان تدفع الغنم الى صاحب الزرع
فينتفع بالبانها وسمونها واصوافها وتدفع الحرث الى صاحب الغنم ليقوم عليه فاذا عاد الزرع الى حاله التي
اصابته الغنم عليه في السنة المقبلة رد كل واحد منهما ماله الى صاحبه فقال داود وفقت يا بني لا يقطع الله فهمك
وقضى بما قضى به سليمان قال معناه ابن مسعود ومجاهد وغيرهما قال الكلبي قوم داود الغنم والكرم الذي افسدته
الغنم فكانت القيمتان سوا فدفع الغنم الى صاحب الكرم وهكذا قاله النحاس وانما قضى بالغنم لصاحب الحرث
لان ثمنها كان قريبا منه واما في حكم سليمان فقد قيل كانت قيمة ما نال من الغنم وقيمة ما افسدت
الغنم سوا ايضا الخامسة وكلا اتيناه حكما وعلما تاول قوم ان داود لم يخطي في هذه النازلة بل فيها
اوتي الحكم والعلم وحملوا قوله ففهمناها سليمان على انه فضيلة له على داود وفضيلته راجعة الى داود
والوالد يسره زيادة ولده عليه وقالت فرقة بل لانه لم يصب العين المطلوبة في هذه النازلة وانما مدحه
الله تعالى بان له حكما وعلما يرجع اليه في غير هذه النازله واما في هذه فاصاب سليمان واخطا داود
ولا يمتنع وجود الغلط والخطا من الانبيا لوجوده من غيرهم لكن لا يقرون عليه وان اقر عليه غيرهم
ولما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التي راى ابوك تركها فان
كنت مصيبا فقد اخطا ابوك وان كان ابوك مصيبا فقد اخطات انت فاجابه الوليد وداود وسليمان اذ
يحكمان في الحرث الى قوله حكما وعلما الاية وقال قوم كان داود وسليمان عليهما السلام نبيين يقضيان بما
يوحي اليهما فحكم داود بوحي وحكم سليمان بوحي نسخ الله به حكم داود وعلى هذا ففهمناها سليمان اي بطريق الوحي
الناسخ لما اوحي الى داود وامر سليمان ان يبلغ ذلك داود ولهذا قال وكلا اتيناه حكما وعلما هذا قول
جماعة من العلما ومنهم ابن فورك وقال الجمهور ان حكمهما كان باجتهاد وهي السادسة واختلف العلما في جواز
الاجتهاد على الانبيا فمنعه قوم وجوزه المحققون لانه ليس فيه استحالة عقلية لانه دليل شرعي ولا خلف
فلا احالة ان يستدل به الانبيا كما لو قال له الرب سبحانه اذا غلب على ظنك كذا فاقطع بان ما غلب على ظنك
هو حكمي فبلغه الامة فهذا غير مستحيل في العقل فان قيل انما يكون دليلا اذا عدم النص وهم لا يعدمونه
قلنا اذا لم ينزل الملك فقد عدم النص عندهم وصاروا في البحر كغيرهم من المجتهدين عن معاني النصوص التي

عندهم والفرق بينهم وبين غيرهم من المجتهدين انهم معصومون عن الخطا والغلط وعن التقصير في اجتهادهم
وغيرهم ليس كذلك هذا مذهب الجمهور ان جميع الانبياء معصومون عن الخطا والغلط وعن التقصير في اجتهادهم
وذهب ابو علي بن ابي هريرة من اصحاب الشافعي الى ان نبينا صلى الله عليه وسلم مخصوص منهم في جواز الخطا وفرق
بينه وبين غيره من الانبيا انه لم يكن بعده من يستدرك غلطه ولذلك عصمه الله منه وقد بعث بعد غيره من
الانبيا من يستدرك غلطه وقد قيل انه على العموم في جميع الانبياء وان نبينا وغيره من الانبياء هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد سالته امراة عن العدة فقال لها اعتدي حيث شئت ثم قال امكثي في بيتك حتى يبلغ
الكتاب اجله وقال له رجل ارايت ان قتلت صابرا محتسبا اتجزيني عن الجنة شي فقال لا ثم دعاه فقال الا الدين
كذا اخبرني جبريل **السابعة** قال الحسن لولا هذه الاية لرايت القضاة هلكوا ولكنه تعالى اثنى على سليمان بصوابه
وعذر داود باجتهاده وقد اختلف الناس في المجتهدين في الفروع اذا اختلفوا فقالت فرقة الحق في طرف واحد
عند الله وقد نصب على ذلك ادلة وحمل المجتهدين على البحث عنها والنظر فيها فمن صادف العين المطلوبة في المسالة
فهو المصيب على الاطلاق وله اجران اجر في الاجتهاد واجر في الاصابة ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده
مخطي في انه لم يصب العين فله اجر وهو غير معذور وهذا سليمان قد صادف العين المطلوبة وهي التي فهم
وراءت فرقة ان العالم المخطي لا اثم عليه في خطائه وان كان غير معذور وقالت فرقة الحق في طرف واحد
ولم ينصب الله عليه دليلا بل وكل الامر الى نظر المجتهدين فمن اصابه اصاب ومن اخطا فهو معذور ماجور
ولم يتعبد باصابة العين بل تعبد بالاجتهاد فقط وقال جمهور اهل السنة وهو المحفوظ عن مالك واصحابه
ان الحق في مسائل الفروع في الطرفين وكل مجتهد مصيب والمطلوب انما هو الافضل في ظنه وكل مجتهد قد ادى
نظره الى الافضل في ظنه والدليل على هذه المقالة ان الصحابة فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض ولم ير احد
منهم ان تقع الاعمال على قوله دون قول مخالفه ومنه رد مالك رحمه الله للمنصور ابي جعفر عن حمل الناس
على الموطا فاذا قال عالم في امر حلال فذلك هو الحق فيما يخص بذلك العالم عند الله وبكل من اخذ بقوله
وكذا في العكس قالوا وان كان سليمان عليه السلام فهم القضية المثلى والتي هي ارجح فالاولى لم تبت بخطاء
وعلى هذا يحملون قوله عليه السلام اذا اجتهد العالم فاخطا اي فاخطا الافضل **الثامنة** روى مسلم
وغيره عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران
واذا حكم فاجتهد ثم اخطا فله اجر هكذا لفظ الحديث في كتاب مسلم اذا حكم فاجتهد فبدا بالحكم قبل الاجتهاد
والامر بالعكس فان الاجتهاد متقدم على الحكم فلا يجوز الحكم قبل الاجتهاد بالاجماع وانما معنى هذا الحديث
اذا اراد ان يحكم كما قال اذا قرات القران فاستعذ فعند ذلك مجتهد في النازلة ويفيد هذا صحة ما قاله الاصوليون
ان المجتهد يجب عليه ان يجدد نظرا عند وقوع النازلة ولا يعتمد على اجتهاده المتقدم لامكان ان يظهر له
ثانيا خلاف ما ظهر له اولا اللهم الا ان يكون ذاكرا لاركان اجتهاده مايلا اليه فلا يحتاج الى استيناف
نظر في امارة اخرى **التاسعة** انما يكون الاجر للحاكم المخطي اذا كان عالما بالاجتهاد والسنن والقياس وقضا
من مضى لان اجتهاده عبادة ولا يوجر على الخطا بل يوضع عنه الاثم فقط فاما من لم يكن محلا للاجتهاد
فهو متكلف لا يعذر بالخطا في الحكم بل يخاف عليه اعظم الوزر يدل على ذلك حديثه الاخر رواه ابو داود
القضاة ثلاثة الحديث قال ابن المنذر انما يوجر على اجتهاده في طلب الصواب لا على الخطا ومما يويد هذا
قوله تعالى ففهمناها سليمان الاية قال الحسن اثنى على سليمان ولم يذم داود **العاشرة** قال ابو التمام
المالكي ان مذهب مالك ان الحق في واحد من اقاويل المجتهدين وليس ذلك في اقاويل المختلفين وبه قال
اكثر الفقها قال وحكى ابن القاسم انه سال مالكا عن اختلاف الصحابة فقال مخطي ومصيب وليس الحق في
جميع اقاويلهم وهذا القول قيل هو المشهور عن مالك واليه ذهب محمد بن الحسن واحتج من قال هذا بحديث
عبد الله بن عمرو وقالوا وهذا نص على ان في المجتهدين وفي الحاكمين مخطيا ومصيبا قالوا والقول بان كل
مجتهد مصيب يودي الى كون الشي حلالا حراما وواجبا ندبا واحتج اهل المقالة الاولى بحديث ابن عمر قال
نادى فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم انصرف من الاحزاب الا لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة
فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة وقال الاخرون لا نصلي الا حيث امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وان فاتنا الوقت قال فما عنف واحدا من الفريقين قالوا فلو كان احد الفريقين
مخطيا لعينه النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يقال لعله انما سكت عن تعيين المخطيين لانه غير اثم

بل ما جوز فاستغني عن تعيينه ومسالة الاجتهاد طويلة متشعبة وهذه النبذة التي ذكرناها كافية في معنى الاية والله
اعلم **الحادية عشرة** تتعلق بالاية فصل اخر وهو رجوع الحاكم بعد قضائه من اجتهاد الى اجتهاد اخر ارجح من الاول
فان داود عليه السلام فعل ذلك وقد اختلف في ذلك علماونا فقال عبد الملك ومطرف في الواضحة ذلك له
ما دام في ولايته فاما ان كانت ولاية اخرى فليس له ذلك وهو بمنزلة غيره من القضاة وهو ظاهر
قول مالك في المدونة وقال سحنون في رجوعه من اجتهاد فيه قول الى غيره مما راه اصوب ليس له ذلك وقاله ابن
عبد الحكم قالا وليستانف الحكم بما قوي عنده قال سحنون الا ان يكون نسي الاقوى عنده او وهم فحكم بغيره فله
نقضه واما ان يكون حكم بحكم هو الاقوى عنده في ذلك الوقت ثم قوي عنده غيره بعد ذلك فلا سبيل الى
نقض الاول وقاله اشهب في كتاب ابن المواز ان كان رجوعه الى الاصوب في مال فله نقض الاول وان كان
في طلاق او نكاح او عتق فليس له نقضه قال المولف رحمه الله رجوع القاضي عما حكم به اذا تبين له ان
الحق في غيره ما دام في ولايته اولى وهكذا في رسالة عمر الى ابي موسى رواها الدارقطني وقد ذكرناها في الاعراف
ولم يفصل وهي الحجة لظاهر قول مالك ولم يختلف العلما ان القاضي اذا قضى بجور او بخلاف اهل العلم فهو مردود
وان كان على وجه الاجتهاد فاما ان يتعقب قاض حكم قاض اخر فلا يجوز ذلك له لان فيه مضرة عظمى
من جهة نقض الاحكام وتبديل الحلال والحرام وعدم ضبط قوانين الاسلام ولم يتعرض احد من الخلفا لبعض
ما راه الاخر وانما كان يحكم بما ظهر له **الثانية عشرة** قال بعض الناس ان داود لم يكن انفذ الحكم وظهر له
ما قال غيره وقال اخرون لم يكن حكما وانما كان فتيا قال المولف رحمه الله وهكذا تاول فيما رواه ابو
هريرة عنه عليه السلام انه قال بينما امراتان معهما ابناهما جاء الذيب فذهب بابن احديهما فقالت
هذه لصاحبتها انما ذهب بابنك انت وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى
فخرجتا على سليمان فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين اشقه بينكما فقالت الصغرى لا يرحمك الله
هو ابنها فقضى به للصغرى قال ابو هريرة ان سمعت بالسكين قط الا يوميذ ما كنا نقول الا المدية
اخرجه مسلم فاما القول بان ذلك من داود فتيا فهو ضعيف لانه كان النبي وفتياه حكم واما القول الاخر
فبعيد لانه تعالى قال اذ يحكمان في الحرث فبين ان كل واحد منهما كان قد حكم وكذا قوله في الحديث
فقضى به للكبرى يدل على انفاذ القضا وانجازه ولقد ابعد من قال انه كان من شرع داود ان يحكم
به للكبرى من حيث هي كبرى لان الكبر والصغر طرد محض عند الدعاوي كالطول والقصر والبياض
والسواد وذلك لا يوجب ترجيح احد المتداعيين حتى يحكم له او عليه لاجل ذلك وهذا مما يقطع به من فهم ما
جاءت به الشرائع والذي ينبغي ان يقال ان داود عليه السلام انما قضى به للكبرى لسبب اقتضى
عنده ترجيح قولها ولم يذكر في الحديث تعيينه اذ لم تدع حاجة اليه فيمكن ان الولد كان بيدها وعلم عجز الاخرى
عن اقامة البينة فقضى به لها ابقا لما كان على ما كان وهذا التاويل احسن ما قيل في هذا الحديث
وهو الذي يشهد له قاعدة الدعاوي الشرعية التي يبعد اختلاف الشرائع فيها لا يقال فاذا كان داود
قضى بسبب شرعي فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه فالجواب ان سليمان لم يتعرض لحكم ابيه بالنقض
وانما احتال حيلة لطيفة ظهر له بسببها صدق الصغرى وهي انه قال هاتوا السكين اشقه بينكما
قالت الصغرى لا فظهر له من قرينة الشفقة في الصغرى وعدم ذلك في الكبرى مع ما عساه انضاف
الى ذلك من القراين ما حصل له العلم بصدقها فحكم لها ولعله كان ممن سوغ له ان يحكم بعلمه وقد ترجم النسائي
على هذا الحديث حكم الحاكم بعلمه وترجم له ايضا نقض الحاكم ما يحكم به غيره ممن هو مثله او اجل منه ولعل
الكبرى اعترفت بان الولد للصغرى عندما رات من سليمان الجزم والجد في ذلك فقضى بالولد للصغرى
ويكون هذا كما اذا حكم الحاكم باليمين فلما مضى ليحلف حضر من استخرج من المنكر ما اوجب اقراره فانه يحكم
عليه بذلك الاقرار قبل اليمين وبعدها ولا يكون ذلك من باب نقض الحكم الاول لكن من باب تبدل
الاحكام بحسب تبدل الاسباب والله اعلم وفي هذا الحديث من الفقه ان الانبيا سوغ لهم الحكم بالاجتهاد
وفيه من الفقه استعمال الحكام الحيل التي بها تستخرج الحقوق وذلك يكون عن قوة الذكاء والفطنة
وممارسة احوال الخلق وقد يكون في اهل التقوى فراسة دينية وتوسمات نورية وذلك فضل الله يوتيه
من يشاء وفيه حجة لمن يقول ان الام تستلحق وليس مشهور مذهب مالك وليس هذا موضع ذكره وعلى الجملة
فقضا سليمان في هذه القضية يعني ما مدحه تعالى به بقوله ففهمناها سليمان **الثالثة عشرة**

قد تقدم القول في الحرث والحكم في هذه الواقعة في شرعنا ان على اصحاب الماشية حفظها بالليل وعلى اصحاب
الحوائط حفظ حيطانهم وزرعهم بالنهار ثم الضمان في المثل بالمثليات وبالقيمة في ذوات القيم والاصل
في هذه المسالة في شرعنا ما حكم به محمد نبينا صلى الله عليه وسلم في ناقة البرا بن عازب رواه مالك عن
ابن شهاب عن حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء دخلت حائط رجل فافسدت فيه فقضى رسول الله
صلى الله وسلم عليه ان على اهل الحوائط حفظها بالنهار وان ما افسدت المواشي بالليل ضامن على اهلها
هكذا رواه جميع الرواة مرسلا وكذلك رواه اصحاب بن هاشم عن ابن شهاب الا ابن عيينة فانه رواه
عن الزهري عن سعيد وحرام بن سعد بن محيصة ان ناقة ثم ذكر مثله بمعناه ورواه ابن ابي ذئب
عن ابن شهاب انه بلغه ان ناقة للبرا دخلت حائط قوم مثل حديث مالك سواء الا انه لم يذكر حرام بن سعد
بن محيصة ولا غيره قال ابو عمر ولم يصنع ابن ابي ذئب شيئا لانه افسد اسناده ورواه عبد الرزاق عن
معمر عن الزهري عن حرام بن محيصة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتابع عبد الرزاق على ذلك
وانكروا عليه قوله عن ابيه ورواه بن جريج عن ابن شهاب قال حدثني ابو امامة بن سهل بن حنيف ان ناقة دخلت
في حائط قوم فافسدت فجعل الحديث لابن شهاب عن ابي امامة ولم يذكر ان الناقة كانت للبرا وجائز ان
يكون الحديث عند بن شهاب عن بن محيصة وعن سعيد بن المسيب وعن ابي امامة فحدث به عمن شاء منهم على
ما حضره وكلهم ثقات قال ابو عمرو وهذا الحديث وان كان مرسلا فهو مشهور ارسله الائمة وحدث
به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول وجرى في المدينة به العمل وحسبك باستعمال
اهل المدينة وسائر اهل الحجاز لهذا الحديث ذهب مالك وجمهور الامة الى القول
بحديث البراء وذهب ابو حنيفة واصحابه وجماعة من الكوفيين الى ان هذا الحكم منسوخ وان البهائم اذا

ان البهائم اذا افسدت زرعا في ليل او نهار

افسدت زرعا في ليل او نهار وانه لا يلزم صاحبها شيء وادخل فسادها في عموم قوله صلى الله عليه وسلم
جرح العجماء جبار فقاس جميع افعالها على جرحها ويقال انه ما تقدم ابا حنيفة احد بهذا القول ولا حجة له ولا

جرح العجماء جبار

لمن اتبعه في حديث العجماء وكونه ناسخا لحديث البراء ومعارضا له فان النسخ شروطه معدومة والتعارض
انما يصح اذا لم يكن استعمال احدهما الا بنفي الآخر وحديث العجماء جرحها جبار حديث متفق عليه ثم خص منه
الزرع والحوائط بحديث البراء لان النبي صلى الله عليه وسلم لو جاء عنه في حديث واحد العجماء جرحها جبار ليلا
ونهارا في الزرع والحوائط لم يكن هذا مستحيلا من القول فكيف يجوز ان يقال في هذا متعارض وانما هذا من
باب العموم والخصوص على ما هو مذكور في الاصول ان قيل ما الحكمة في تفرقة الشارع
بين الليل والنهار وقد قال الليث بن سعد يضمن ارباب المواشي بالليل والنهار كلما افسدت ولا يضمن
اكثر من قيمة الماشية قلنا الفرق بينهما واضح وذلك ان اهل المواشي بهم ضرورة الى ارسال مواشيهم
لترعى بالنهار والاغلب عندهم ان من له زرع يتعاهده بالنهار ويحفظه عمن اراده فجعل حفظ ذلك
بالنهار على اهل الزروع لانه وقت التصرف في المعاش كما قال سبحانه وجعلنا النهار معاشا فاذا جاء الليل
فقد جاء الوقت الذي يرجع كل شيء الى موضعه وسكنه كما قال تعالى من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون
فيه ويرد اهل المواشي مواشيهم الى مواضعهم ليحفظوها فاذا فرط صاحب الماشية في ردها الى منزله او فرط
في ضبطها وحبسها عن الانتشار بالليل حتى اتلفت شيئا فعليه الضمان ذلك فجرى الحكم على الاوفق الاسمح
وكان ذلك ارفق بالفريقين واسهل على الطائفتين واحفظ للمالين وقد وضح الصبح لذي عينين
ولكن لسليم الحاستين واما قول الليث لا يضمن اكثر من قيمة الماشية فقد قال ابو عمر لا اعلم من
اين قال هذا الليث بن سعد الا ان يجعله قياسا على العبد الجاني لا يفتك باكثر من قيمته ولا يلزم
سيده في جنايته اكثر من قيمته وهذا ضعيف الوجه كذا قال في التمهيد وقال في الاستذكار
فخالف الحديث في العجماء جرحها جبار وخالف ناقة البراء وقد تقدمه الى ذلك طائفة من العلماء منهم عطاء
قال ابن جريج قلت لعطاء الحرث تصيبه الماشية ليلا او نهارا قال يضمن صاحبها ويغرم قلت كان عليه
خطرا ولم يكن قال نعم يغرم قلت ما يغرم قال قيمة ما اكل حماره ودابته وماشيته وقال معمر عن ابن
شبرمة يقوم الزرع على حاله التي اصيب عليها دراهم وروي عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز
يضمن رب الماشية ليلا او نهارا من طرق لا تصح قال مالك ويقوم الزرع الذي
افسدت المواشي بالليل على الرجاء والخوف قال والحوائط التي لا تحرس والتي لا تحظر عليها وغير المحظر

سواء يغرم اهلها ما اصابت بالليل بالغا ما بلغ وان كان اكثر من قيمتها قال واذا انفلتت دابة بالليل فوطئت
على رجل نائم لم يغرم صاحبها شيئا وانما هذا في الحائط والزرع والحرث ذكره عنه بن عبد الحكم وقال ابن
القاسم ما افسدت الماشية بالليل فهو في مال ربها وان كان اضعاف ثمنها لان الجناية من قبله اذ لم
يربطها وليست الماشية كالعبيد حكاه سحنون واصبغ وابو زيد عن ابن القاسم **السابعة عشرة**
ولا يستانى بالزرع ان ينبت او لا ينبت كما يفعل في سن الصغير وقال عيسى عن ابن القاسم قيمته لو حل بيعه
وقال اشهب وابن نافع في المجموعة عنه وان لم يبد صلاحه قال ابن العربي والاول اقوى لانها صفته
فتقوم كما تقوم كل متلف على صفته **الثامنة عشرة** لو لم يقض للمفسد له بشيء حتى نبت وانجبر فان كان
فيه قبل ذلك منفعة رعي او ضمن تلك المنفعة وان لم يكن فيه منفعة فلا ضمان وقال اصبغ يضمن لان التلف
قد تحقق والجبر ليس من جهته فلا يعتد له به **التاسعة عشرة** وقع في كتاب ابن سحنون ان الحديث انما جاء
في امثال المدينة التي هي حيطان محدقة واما البلاد التي هي زروع متصلة غير محظرة ولساتين كذلك
فيضمن ارباب النعم ما افسدت من ليل او نهار كانه ذهب الى ان ترك تثقيف الحيوان في هذه البلاد تعد لانها
ولا بد تفسد وهذا جنوح الى قول الليث **الموفية عشرين** قال اصبغ في المدينة ليس لاهل المواشي ان
يخرجوا مواشيهم الى قرى الزرع بغير ذواد فركب العلماء على هذا ان البقعة لا تخلو ان تكون بقعة زرع او بقعة
سرح فان كانت بقعة زرع فلا تدخلها ماشية الا ماشية تحتاج اليها وعلى اربابها حفظها وما افسدت
فصاحبها ضامن ليلا او نهارا وان كانت بقعة سرح فعلى صاحب الذي حرثه فيها حفظه ولا شيء على ارباب
المواشي **الحادية والعشرون** المواشي على قسمين ضواري وحريسة وعليها قسمها مالك فالضواري
هي المعتادة للزرع والثمار فقال مالك تغرب وتباع في بلد لا زرع فيه رواه ابن القسم وغيره قال
ابن حبيب وان كره ذلك ربها وكذلك قال مالك في الدابة التي ضريت افساد الزرع تغرب وتباع
واما ما يستطاع الاحتراس منه فلا يؤمر صاحبه باخراجه **الثانية والعشرون** قال اصبغ النحل والحمام
والاوز والدجاج كالماشية لا يمنع صاحبها من اتخاذها وان اضرت وعلى اهل القرية حفظ زرعهم قال
ابن العربي وهذه رواية ضعيفة لا يلتفت اليها من اراد ان يتخذ ما ينتفع به مما لا يضر بغيره مكن منه واما
انتفاعه بما يتخذ باضرار باحد فلا سبيل اليه قال عليه السلام لا ضرر ولا ضرار وهذه الضواري
عن ابن القاسم في المدينة لا ضمان على اربابها الا بعد التقدم قال ابن العربي وارى الضمان عليهم قبل
التقدم واذا كانت ضواري **الثالثة والعشرون** ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الشعبي ان شاة
وقعت في غزل حائك فاختصموا الى شريح فقال الشعبي انظروه فانه سيسالهم ليلا وقعت فيه
او نهارا ففعل ثم قال ان كان بالليل ضمن وان كان بالنهار لم يضمن ثم قرا شريح اذ نفشت فيه غنم القوم قال
والنفش بالليل والهمل بالنهار وقال المؤلف رحمه الله ومن هذا الباب قوله عليه السلام العجماء جرحها جبار
الحديث وقال ابن شهاب والجبار الهدر والعجماء البهيمة قال علماؤنا ظاهر قوله العجماء جرحها جبار انما انفرد
البهيمة باتلافه لم يكن فيه شيء وهذا مجمع عليه فلو كان معها قائد او سائق او راكب فحملها احدهم على شيء
فاتلفته لزم حكم المتلف فان كانت جناية مضمونة بالقصاص وكان الحمل عمدا كان فيه القصاص ولا يختلف
فيه لان الدابة كالالة وان كان من غير قصد كانت فيه الدية على العاقلة وفي الاموال الغرامة في مال
الجاني **الرابعة والعشرون** واختلفوا فيما اصابته برجلها او بذنبها فلم يضمن مالك والليث والاوزاعي
صاحبها وضمنه الشافعي وابن ابي ليلى وابن شبرمة واختلفوا في الضاربة فجمهورهم انها كغيرها ومالك وبعض
اصحابه يضمنونه **الخامسة والعشرون** روى سفيان عن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل جبار قال الدارقطني لم يروه غير سفيان
بن حسين ولم يتابع عليه وخالفه الحفاظ عن الزهري منهم مالك وابن عيينة ويونس ومعمر وابن جريج
والزبيدي وعقيل وليث بن سعد وغيرهم كلهم رووه عن الزهري فقالوا العجماء جبار والبئر جبار والمعدن
جبار ولم يذكروا الرجل وهو الصواب وكذلك رواه ابو صالح السمان وعبد الرحمن الاعرج ومحمد بن سيرين
ومحمد بن زياد وغيرهم عن ابي هريرة لم يذكروا فيه والرجل جبار وهو المحفوظ عن ابي هريرة **السادسة والعشرون**
قوله والبئر جبار قد روى موضعه والنار جبار قال الدارقطني حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمي حدثنا حنبل بن
اسحاق قال سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل يقول في حديث عبد الرزاق حديث ابي هريرة والنار جبار ليس بشيء

لم يكن في الكتاب باطل ليس ما هو بصحيح حدثنا محمد بن مخلد حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن هاني قال سمعت
احمد بن حنبل يقول اهل اليمن يكتبون النار النير ويكتبون البير مثل ذلك وانما لقن عبد الرزاق النار
جبار وقال الرمادي قال عبد الرزاق قال معمر لا اراه الا وهما قال ابو عمر وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم من حديث معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم النار جبار وقال
يحيى بن معين اصله البير ولكن معمر اصحفه قال ابو عمر لم يات ابن معين على قوله هذا بدليل وليس هكذا
ترد احاديث الثقات ذكر وكيع عن ابن عبد العزيز بن حصين عن يحيى بن يحيى الغساني قال احرق رجل
تبنا في قراح له فخرجت شررة من نار حتى احرقت شيئا لجاره قال فكتب فيه الى عمر بن عبد العزيز فكتب
اليه عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العجماء جبار وقد روي والنار جبار بدل العجماء فهذا ما ورد في الفاظ
هذا الحديث وكل معنى لفظ صحيح مذكور في شرح الحديث وكتب الفقه **قوله تعالى** وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن قال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا والجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل كان
داود اذا وجد فترة امر الجبال فسبحت حتى يشتاق ولهذا قال وسخرنا اي جعلناها بحيث تطيعه اذا امرها
بالتسبيح وقيل ان سيرها معه تسبيحها والتسبيح ماخوذ من السباحة دليله قوله يا جبال اوبي معه
وقال قتادة يسبحن يصلين معه اذا صلى والتسبيح الصلاة وكل محتمل وذلك فعل الله تعالى بها ذلك
لان الجبال لا تعقل فتسبيحها دلالة على تنزيه الله تعالى عن صفات العاجزين والمحدثين **قوله تعالى**
وعلمناه صنعة لبوس لكم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم يعني اتخاذ الدروع
بالانة الحديد له واللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان او جوشنا او سيفا او رمحا قال

الهذلي يصف رمحا ... وعندي لبوس في اللباسة كانه
روق بجبهة ذي نعاج مجفل
واللبوس كل ما يلبس وانشد ابن السكيت ... البس لكل حالة لبوسها
اما نعيمها واما بوسها
واراد الله تعالى هنا الدرع وهو بمعنى الملبوس

نحو الركوب والحلوب قال قتادة اول من صنع الدروع داود وانما كانت صفائح فهو اول من سردها وحلقها
الثانية قوله ليحصنكم ليحرزكم من باسكم اي من حربكم وقيل من السيف والسهم والرمح اي من آلة با
سكم فحذف المضاف قال ابن عباس من سلاحكم وقال الضحاك من حرب اعدائكم والمعنى واحد وقرا الحسن وابو
جعفر وابن عامر وحفص وشيبة لتحصنكم بالتاء رده على الصنعة وقيل على اللبوس والمنعة التي هي الدروع
وقرا الباقون بالياء جعلوا الفعل للبوس او يكون المعنى ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي على تيسير
نعمة الدروع لكم وقيل هل انتم شاكرون بان تطيعوا رسولي الثالثة هذه الاية اصل في اتخاذ الصنائع
والاسباب وهو قول اهل العقول والكتاب لا قول الجهلة الاغبياء القائلين بان ذلك انما شرع للضعفاء
فالتسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة ونسب من ذكرنا الى الضعف وعدم المنة
وقد اخبر الله عن نبيه داود انه كان يصنع الدروع وكان ايضا يصنع الخوص وكان ياكل من عمل يده وكان آدم
حراثا ونوح نجارا ولقمان خياطا وطالوت دباغا وقيل سقاء فالصنعة يكف بها الانسان نفسه عن
الناس ويدفع بها عن نفسه الضرر والباس وفي الحديث ان الله يحب المؤمن المحترف الضعيف المتعفف
ويبغض السائل الملحف **قوله تعالى** ولسليمان الريح عاصفة اي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة اي
شديدة الهبوب يقال عصفت الريح اي اشتدت فهي عاصف وعصوف وفي لغة بني اسد اعصفت الريح فهي
معصف ومعصفة والعصف التبن فسمي شدة الريح لانها تعصفه بشدة تطيرها وقرا عبد الرحمن الاعرج
والسلمي وابو بكر ولسليمان الريح برفع الحاء على القطع مما قبله والمعنى ولسليمان تسخير الريح ابتداء وخبر
قوله تعالى تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها يعني الشام ويروى انها كانت تجري به وباصحابه
الى حيث اراد ثم ترده الى الشام وقال وهب كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقامت
له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرءا غزاء لا يقعد عن الغزو فاذا اراد ان يغزو امر بخشب
فمدت ورفع عليها الناس والدواب وآلة الحرب او امر العاصف فاقلت ذلك ثم امر الرخاء فمرت به شهرا
في رواحه وشهرا في غدوه وهو معنى قوله تجري بامره رخاء حيث اصاب والرخاء اللينة **قوله تعالى**
ومن الشياطين من يغوصون له اي وسخرنا له من يغوصون يريد تحت الماء اي يستخرجون له الجواهر من البحر
والغوص النزول تحت الماء وقد غاص في الماء والهاجم على الشيء غائص والغواص الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ

ويقال له الغياصة **قوله تعالى** ويعملون عملا دون ذلك اي سوى ذلك من الغوص قاله الفراء وقيل يراد بذلك
المحاريب والتماثيل وغير ذلك مما يسخرهم فيه **قوله تعالى** وكنا لهم حافظين اي لاعمالهم وقال
الفراء حافظين لهم من ان يفسدوا اعمالهم او يهيجوا احدا من بني آدم في زمان سليمان وقيل حافظين من ان
يهربوا او يمتنعوا او حفظناهم من ان يخرجوا عن امره وقد قيل ان الحمام والنورة والطواحين والقارورة
والصابون من استخراج الشياطين **قوله تعالى** وايوب اذ نادى ربه اي اذكر ايوب اذ نادى
ربه **قوله تعالى** اني مسني الضر اي نالني في بدني ضر وفي مالي واهلي قال ابن عباس سمي ايوب
لانه آب الى الله في كل حال وروي ان ايوب عليه السلام كان رجلا من الروم ذا مال عظيم وكان برا تقيا رحيما
بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل شاكرا لانعم الله وانه دخل مع قومه
على جبار عظيم فخاطبوه في امر فجعل ايوب يلين له من اجل زرع كان له فامتحنه الله بذهاب ماله واهله وبالجذام
في جسمه حتى تناثر لحمه وتدود جسمه حتى اخرجه اهل قريته الى خارج القرية وكانت امراته تخدمه قال
الحسن مكث بذلك تسع سنين وستة اشهر فلما اراد الله ان يفرج عنه قال الله تعالى اركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقد وهبت لك اهلك وولدك ومثلهم معهم وسياتي في ص ما للمفسرين
في قصة ايوب من تسليط الشيطان واختلف في قول ايوب مسني الضر على خمسة عشر قولا الاول
انه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال مسني الضر اخبارا عن حاله لا شكوى لبلائه رواه انس مرفوعا
الثاني انه اقرار بالعجز فلم يكن منافيا للصبر الثالث انه سبحانه اجراه على لسانه ليكون حجة لاهل البلاء
بعده في الافصاح بما ينزل بهم الرابع انه اجراه على لسانه الزاما له في صفة الادمي في الضعف عن تحمل
البلاء الخامس انه انقطع عنه الوحي اربعين يوما فخاف هجران ربه فقال مسني الضر وهذا قول جعفر بن محمد
السادس ان تلامذته الذين كانوا يكتبون عنه لما افضت حالة الى ما انتهت اليه محوا ما كتبوا عنه وقالوا ما لهذا
عند الله قدر فاشتكى الضر في ذهاب الوحي والدين من ايدي الناس وهذا مما لم يصح سنده والله اعلم قاله
ابن العربي السابع ان دودة سقطت من لحمه فاخذها وردها في موضعها فعقرته فصاح مسني الضر فقيل اعلينا
تتصبر قال ابن العربي وهذا بعيد جدا مع انه يفتقر الى نقل صحيح ولا سبيل الى وجوده الثامن ان الدود كان
يتناول بدنه فصبر حتى تناولت دودة قلبه واخرى لسانه فقال اني مسني الضر لاشتغاله عن ذكر الله قال
ابن العربي وما احسن هذا لو كان له سند ولم يكن دعوى عريضة التاسع انه ابهم عليه جهة اخذ البلاء له
هل هو تاديب او تعذيب او تخصيص او تمحيص او ذخر او طهر فقال مسني الضر اي ضر الاشكال في جهة اخذ
البلاء قال ابن العربي وهذا غلو لا يحتاج اليه العاشر انه قيل له سل الله العافية فقال اقمت في النعم سبعين
سنة فاقيم في البلاء سبعين سنة ثم اساله فقال مسني الضر قال ابن العربي وهذا ممكن ولكنه لم يصح في
امتداد مدة ولا في هذه القصة الحادي عشر ان ضره قول ابليس لزوجته اسجدي لي فخاف ذهاب الايمان
عنها فتهلك ويبقى بغير كافل الثاني عشر لما ظهر به البلاء قال قومه قد اضر بنا كونه معنا وقذره فليخرج
فاخرجته امراته الى ظاهر البلد فكانوا اذا خرجوا راوه وتطيروا به وتشاءموا برؤيته فقالوا ليبعد بحيث
لا نراه فخرج الى بعد من القرية فكانت امراته تقوم عليه وتحمل قوته اليه فقالوا انها تتناوله وتخالطنا
فيعود بسببه ضره الينا فارادوا قطعها عنه فقال مسني الضر الثالث عشر قال عبد الله بن عبيد بن عمير
كان لايوب اخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران ان يدنوان منه من نتن ريحه فقال احدهما للاخر لو علم الله
في ايوب خيرا ما ابتلاه بهذا البلاء فلم يسمع شيئا اشد عليه من هذه الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال
اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعانا قط وانا اعلم مكان جائع فصدقني فنادى مناد من السماء ان صدق عبدي
وهما يسمعان فخرا ساجدين الرابع عشر ان معنى مسني الضر من شماتة الاعداء ولهذا قيل له ما كان اشد
عليك في بلائك قال شماتة الاعداء قال ابن العربي وهذا ممكن فان الكليم قد سال اخوه العافية منه ذلك
فقال ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء الخامس عشر ان امراته كانت ذات ذوائب
فعدمت حتى منعت ان يتصرف لاحد بسببه ما يعود عليه فقطعت ذوائبها واشترت بها ممن يصلها قوتا
وجاءت به اليه وكانت تستعين بذوائبها في تصرفه وتنقله فلما عدمها واراد الحركة في تنقله لم يقدر قال
مسني الضر وقيل انها لما اشترت القوت بذوائبها جاءه الشيطان في صفة رجل وقال ان اهلك
بغت فاخذت وحلق شعرها فحلف ايوب ان يجلدها فكانت المحنة على قلب المراة اشد من المحنة على قلب

المرادة ايوب وقوله سادس عشر حكاه ابن المبارك اخبرنا يونس بن زيد بن عقيل عن ابن شهاب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب النبي وما اصابه من البلا الحديث وفيه ان بعض اخوانه ممن
صابره ولازمه قال يا نبي الله لقد اعجبني امرك وذكرته الى اخيك وصاحبك انه قد ابتلاك بذهاب
العقل الاهل والمال وفي جسدك منذ ثمانية عشرة سنة حتى بلغت ما ترى لا يرحمك فيكشف عنك
لقد اذنبت ذنبا ما اظن احد ابلغه فقال ايوب عليه السلم ما ادري ما تقولان غير ان ربي عز وجل يعلم
اني كنت امر على الرجلين يتراغمان وكل يحلف بالله او على النفر يتزاعمون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم
ارادة ان لا ياثم احد منهم ذكره ولا يذكره احد الا بخير فنادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وانما
كان دعاوه عرضا مرضة على الله تعالى يخبره بالذي بلغه صابرا لما يكون من الله تعالى فيه وذكر الحديث
وقول سابع سمعته ولم اقف عليه ان دودة سقطت من جسده فطلبها ليردها الى موضعها فلم يجدها فقال
مسني الضر لما فقد من اجر الم تلك الدودة وكان اراد ان يبقى له الاجر موفرا الى وقت العافية وهذا حسن
الا انه يحتاج الى سند قال العلما ولم يكن قوله مسني الضر جزعا لان الله تعالى قال انا وجدناه صابرا بل كان
ذلك دعاء منه والجزع في الشكوى الى الخلق لا الى الله تعالى والدعا لا ينافي الرضا قال الثعلبي وسمعت
استاذنا ابا القاسم بن حبيب يقول حضرت مجلسا غاصا بالفقها والادبا في دار السلطان فسئلت عن
هذه الاية بعد اجتماعهم على ان قول ايوب كان شكاية وقد قال تعالى انا وجدناه صابرا فقلت ليس هذا
شكاية وانما كان دعاء بيانه فاستجبنا له والاجابة تتعقب الدعا لا الاشتكا فاستحسنوه وارتضوه
وسيل الجنيد عن هذه الاية فقال عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال **قوله تعالى**
فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم قال مجاهد وعكرمة قيل لايوب عليه السلام قد اتيناك
اهلك في الجنة فان شئت تركناهم لك في الاخرة وان شئت اتيناكهم في الدنيا قال مجاهد فتركهم الله عز وجل
في الجنة واعطا مثلهم في الدنيا قال النحاس والاسناد عنهما بذلك صحيح قال المولف رحمه الله حكاه المهدوي
عن ابن عباس وقال الضحاك قال عبد الله بن مسعود وكان اهل ايوب قد ماتوا الا امراته فاحياهم الله تعالى
في اقل من طرفة البصر واتاهم مثلهم معهم وعن ابن عباس ايضا كان بنوه قد ماتوا فاحيوا له وولد له مثلهم معهم
وقاله قتادة وكعب الاحبار والكلبي وغيرهم قال ابن مسعود اولاده وهم سبعة من الذكور وسبعة
من الاناث فلما عوفي نشروا له وولدت له امراته سبعة بنين وسبع بنات قال الثعلبي وهذا القول
اشبه بظاهر الاية قال المولف رحمه الله لانهم ماتوا ابتلاء قبل اجالهم حسب ما تقدم في سورة البقرة في قصة
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت وفي قصة السبعين الذين اصابتهم الصاعقة فماتوا
ثم احيوا وذلك انهم ماتوا قبل اجالهم وكذلك هنا والله اعلم وعلى قول مجاهد وعكرمة يكون المعنى واتيناه
اهله في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا وفي الخبر ان الله بعث اليه جبريل عليه السلام حتى ركض برجله على الارض
ركضة فظهرت عين ماء حار واخذ بيده ونفضه نفضة فتناثرت عنه الديدان وغاص في الماء غوصة
فنبت لحمه وعاد الى منزله ورد الله عليه اهله ومثلهم معهم ونشات سحابة على قدر قواعد داره فمطرت
ثلاثة ايام بلياليها جرادا من ذهب فقال له جبريل اشبعت فقال ومن يشبع من فضل الله فاوحى الله اليه
قد اثنيت عليك بالصبر قبل وقوعك في البلاء ولولا اني وضعت تحت كل شعرة منك صبرا ما صبرت
رحمة من عندنا اي فعلنا بهم رحمة من عندنا وقيل ابتليناه لنعظيم ثوابه هذا **قوله تعالى**
وذكرى للعابدين اي وتذكيرا للعباد لانهم اذا ذكروا بلاء ايوب وصبره عليه ومحنته له وهو افضل زمانه
وطنوا انفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل ايوب فيكون هذا تنبيها لهم على ادامة العبادة
واحتمال الضرر واختلف في مدة اقامته في البلاء فقال ابن عباس كانت مدة البلاء سبع سنين وسبعة
اشهر وسبعة ايام وسبع ليال وقال وهب ثلاثين سنة وقال الحسن تسع سنين وستة اشهر قال المولف
رحمه الله واصح من هذا والله اعلم ثمان عشرة سنة رواه ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن المبارك
قوله تعالى واسمعيل وادريس وهو خنوخ وقد تقدم **قوله تعالى وذا الكفل** اي واذكرهم
خرج الترمذي في نوادر الاصول وغيره من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرايل
رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امراة فاعطاها ستين دينارا فلما قعد منها مقعد الرجل
من امراته ارتعدت وبكت فقال ما يبكيك قالت من هذا العمل والله ما عملته قط قال اكرهتك قالت

لا ولكن حملني عليه الحاجة قال اذهبي فهو لك والله لا اعصيت الله ابدا ثم مات من ليلته فوجد واعلى باب
داره مكتوبا ان الله قد غفر لذي الكفل وخرجه الترمذي ايضا ولفظه عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم اسمعه الا مرة او مرتين حتى عد سبع مرات ولكنه سمعته اكثر
من ذلك وذكر الحديث وفيه ثم مات من ليلته فاصبح مكتوبا ان الله قد غفر لذي الكفل قال هذا حديث
حسن وقيل ان اليسع لما كبر قال لو استخلفت رجلا على الناس انظر كيف يعمل لي بثلاث يصوم النهار ويقوم
الليل وان لا يغضب ويقضي فقال رجل من ذرية العيص انا فرده ثم قال مثلها من الغد فقال الرجل انا فلم
فاستخلفه فوفى فاثنى الله عليه فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر قاله ابو موسى ومجاهد وقتادة وقال عمرو
بن عبد الله بن الحرث وقال ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا
فتكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فاحسن الله الثنا عليه وقال كعب كان في بني
اسرايل ملك كافر فمر ببلاده رجل صالح فقال والله ان خرجت من هذا البلاد حتى اعرض على هذا الملك
الاسلام فعرض عليه قال ما جزائي قال الجنة ووصفها له قال من يتكفل لي بذلك قال انا فاسلم الملك وتخلى عن
المملكة واقبل على طاعة ربه حتى مات فدفن فاصبحوا فوجدوا يده خارجة من القبر وفيها رقعة خضراء
مكتوب فيها بنور ابيض ان الله قد غفر لي وادخلني الجنة ووفى بكفالة فلان فاسرع الناس الى ذلك الرجل
بان ياخذ عليهم الايمان ويتكفل لهم بما تكفل للملك ففعل ذلك وامنوا كلهم فسمي ذا الكفل وقيل كان رجلا
عفيفا يتكفل بشان كل انسان وقع في بلاء او تهمة او مطالبة فينجيه الله على يديه وقيل سمي ذا الكفل لان الله
تعالى تكفل له في سعيه وعمله بضعف عمل غيره من الانبيا الذين كانوا في زمانه والجمهور على انه ليس بنبي
وقال الحسن هو نبي قبل الياس وقيل هو زكريا بكفالة مريم **قوله تعالى كل من الصابرين** اي على
امر الله والقيام بطاعته واجتناب معاصيه **قوله تعالى وادخلناهم في رحمتنا** اي الجنة **قوله تعالى**
انهم من الصالحين قوله تعالى وذا النون اي واذكر ذا النون وهو لقب ليونس بن متى لابتلاع
النون اياه والنون الحوت وفي حديث عثمان رضي الله عنه انه راى صبيا مليحا فقال دسموا نونته كيلا
تصيبه العين روى ثعلب عن ابن الاعرابي النونة النقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ومعنى دسموا سودوا
قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا قال الحسن والشعبي وسعيد بن جبير مغاضبا لربه جل وعز واختاره
الطبري والقتبي واستحسنه المهدوي وروي عن ابن مسعود وقال النحاس وربما انكر هذا من لا يعرف اللغة
وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا واستحسنه من اجل ربه كما تقول غضبت لك اي من اجلك اي والمومن يغضب
لله جل وعز اذا عصي واكثر اهل اللغة يذهب الى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة اشترطي لهم الولا
من هذا وبالغ القتبي في نصر هذا القول وفي الخبر من وصف يونس بن متى انه كان ضيق الصدر فلما حمل
اعبا النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فمضى على وجهه مضي الابق الناد فهذه المغاضبة كانت
صغيرة ولم يغضب على الله ولكن غضب لله اذ رفع العذاب عنهم وقال ابن مسعود ابق من ربه اي من امر ربه
حين امره بالعود اليهم بعد رفع العذاب عنهم فانه كان يتوعد قومه بنزول العذاب في وقت معلوم وخرج
من عندهم في ذلك الوقت فاظلهم العذاب فتضرعوا فرفع عنهم ولم يعلم يونس بتوبتهم فلذلك ذهب
مغاضبا وكان من حقه ان لا يذهب الا باذن محدد وقال الحسن امره الله تعالى بالمسير الى قومه فسال
ان ينظر ليتاهب فاعجله الله تعالى حتى سال ان ياخذ نعلا يلبسها فلم ينظر وقيل له الامر اعجل من ذلك
وكان في خلقه ضيق فخرج مغاضبا لربه فهذا قول وقول النحاس احسن ما قيل في تاويله اي خرج مغاضبا
من اجل ربه اي غضب على قومه من اجل كفرهم بربه وقيل انه غاضب قومه حين طال عليه امرهم وتعنتهم فذهب
فارا بنفسه ولم يصبر على اذاهم وقد كان الله امره بملازمتهم والدعا فكان ذنبه خروجه من بينهم من غير
اذن من الله روي معناه عن ابن عباس والضحاك وان يونس كان شابا ولم يحمل اثقال النبوة ولهذا قيل للنبي
صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وعن الضحاك ايضا خرج مغاضبا لقومه لان قومه لما لم يقبلوا
منه وهو رسول من الله كفروا بهذا فوجب ان يغاضبهم وعلى كل احد ان يغاضب من عصى الله عز وجل وقالت
فرقة منهم الاخفش انما خرج مغاضبا للملك الذي على قومه قال ابن عباس اراد شعيا النبي والملك الذي كان
في وقته واسمه حزقيل ان يبعثوا يونس الى ملك نينوى وكان غزا بني اسرايل وسبى الكثير ليكلمه حتى
يرسل معه بني اسرايل في ذلك الزمان يوحي اليهم والامر والسياسة الى ملك قد اختاروه فيعمل على وحي

رضي ذلك النبي وكان الله اوحي الي شعيا ان قل لحزقيل الملك ان تختار نبيا قويا من بني اسرايل فتبعثه
الي اهل نينوي فيامرهم بالتخلية عن بني اسرايل فاني ملق في قلوب ملوكهم وجبابرتهم التخلية عنهم فقال
يونس لشعيا هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا انبيا اقويا امنا فالحوا
عليه فخرج مغاضبا للنبي صلي الله عليه وسلم والملك وقومه فاتي بحر الروم فكان من قصته ما كان
فابتلي ببطن الحوت لتركه امر شعيا ولهذا قال الله تعالي فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم من فعل ما يلام عليه
وكان ما فعله اما صغيرة او ترك الاولي وقد خرج ولم يكن نبيا في ذلك الوقت ولكن امره ملك من ملوك
بني اسرايل ان ياتي نينوي ويدعوا اهلها بامر شعيا فانف ان يكون ذهابه اليهم بامر احد غير الله فخرج
مغاضبا للملك فلما نجا من بطن الحوت بعثه الله الي قومه فدعاهم وامنوا قال القشيري والاظهر ان هذه
المغاضبة كانت بعد ارسال الله تعالي اياه وبعد رفع العذاب عن القوم بعد ما اظلم فانه كره رفع العذاب
عنهم قال المولف رحمه الله هذا احسن ما قيل فيه علي ما ياتي بيانه في والصافات وقيل انه كان من اخلاق قوم
قتل من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتل فغضب وخرج فارا علي اهله وجهه حتي ركب في سفينة فسكنت
ولم تجر فقال اهلها افيكم آبق فقال انا هو وكان من قصته ما كان وابتلي ببطن الحوت تمحيصا من الصغير
كما قال في اهل احد حتي اذا فشلتم الي قوله وليمحص الله الذين امنوا فمعاصي الانبيا مغفورة ولكن قد يجري
تمحيص ويتضمن ذلك زجرا عن المعاودة وقول رابع انه لم يغاضب ربه ولا قومه ولا الملك وانه من قولهم
غضب اذا انف وفاعل قد يكون من واحد فالمعني انه لما وعد قومه بالعذاب وخرج عنهم تابوا وكشف
عنهم العذاب فلما رجع وعلم انهم لم يهلكوا انف من ذلك فخرج ابقا وينشد هذا البيت

واغضب ان يهجي تميم بدارم	اي انف وهذا فيه نظر فانه يقال لصاحب هذا القول

ان تلك المغاضبة وان كانت من الانفة فالانفة لا بد ان يخالطها الغضب وذلك الغضب وان دق علي
من كان وانت تقول لم يغضب علي ربه ولا علي قومه فذلك الغضب الذي يخالط الانفة علي ما كان
قوله تعالي فظن ان لن نقدر عليه قيل معناه استزله ابليس ووقع في ظنه امكان ان لا يقدر الله عليه
فيعاقبه وهذا قول مردود مرغوب فيه لانه كفر روي عن سعيد بن جبير حكاه عنه المهدوي والثعلبي عن
الحسن وذكر الثعلبي وقال عطا وسعيد بن جبير وكثير من العلما معناه فظن ان لن نضيق عليه قال
الحسن من قوله تعالي يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يضيق وقوله ومن قدر عليه رزقه قال المولف رحمه الله
وهذا الاشبه بقول سعيد والحسن وقدر وقدر وقتر وقتر بمعني اي ضيق وهو قول ابن عباس فيما ذكره الماوردي
وقيل هو من القدر الذي هو القضاء والحكم اي يظن ان لن نقضي عليه العقوبة قاله قتادة ومجاهد والفرا
ماخوذ من القدر وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة وروي عن ابي العباس احمد بن يحيي ثعلب انه قال
في قول الله تعالي فظن ان لن نقدر عليه قال هو من التقدير ليس هو من القدرة يقال منه قدر الله لك
الخير يقدره قدرا بمعني قدر الله لك الخير وانشد ثعلب

فليست عشيات اللوا بروا جع	لنا ابدا ما ابرم السلم النضر
ولا عايدا ذاك الزمان الذي مضي	تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

يعني ما تقدره وتقضي به يقع وعلي هذين التاويلين العلما وقرا عمر بن عبد العزيز والزهري فظن ان لن
نقدر بضم النون وتشديد الدال من التقدير وحكي هذه القراءة الماوردي عن ابن عباس وقال عبيد بن عمير
وقتادة والاعرج ان لن نقدر بضم اليا مشددا علي الفعل المجهول وقرا يعقوب وعبد الله بن ابي اسحاق
والحسن وابن عباس ايضا يقدر عليه بيا مضمومة وفتح الدال مخففا علي الفعل المجهول وعن الحسن ايضا فظن
ان لن نقدر عليه الباقون نقدر بفتح النون وكسر الدال وكله بمعني التقدير قال المولف رحمه الله وهذا
التاويلان تاولهما العلما في قول الرجل الذي لم يعمل خيرا قط لاهله اذا مات فحرقوه فوالله لين قدر الله
علي الحديث فعلي التاويل الاول يكون تقديره والله لين ضيق الله علي وبالغ في محاسبتي وجزاني علي ذنوبي
ليكونن ذلك ثم امر ان يحرق لافراط خوفه وعلي التاويل الثاني اي لين كان سبق في قدر الله وقضايه
ان يعذب كل ذي جرم علي جرمه ليعذبني الله علي اجرامي وذنوبي عذابا لا يعذبه احدا من العالمين غيري
وحديثه خرجه الايمة الموطا وغيره والرجل كان مومنا موحدا وقد جا في بعض طرقه لم يعمل خيرا قط
الا التوحيد وقد قال حين قال الله لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب والخشية لا تكون الا لمومن

فابتلي ببطن الحوت

مصدق

مصدق قال الله تعالي انما يخشي الله من عباده العلما وقد قيل ان معني فظن ان لن نقدر عليه الاستفهام وتقديره
افظن فحذف الف الاستفهام ايجازا وهذا قول سليمان بن المعتمر وحكي القاضي المنذر بن سعيد ان بعضهم
قرا افظن بالالف **قوله تعالي** فنادي في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
فيه مسيلتان الاولي قال الله تعالي فنادي في الظلمات اختلف الناس في جمع الظلمات ما المراد به فقالت
فرقة منهم ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال ابن ابي الدنيا حدثنا يوسف
بن موسي حدثنا عبد الله بن موسي عن اسرايل عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال حدثنا عبد الله بن مسعود
في بيت المال قال لما ابتلع الحوت يونس عليه السلم واهوي به الي قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصا فنادي
في الظلمات ظلمات ثلاث بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين فنبذناه بالعرا كهيية الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش وقالت فرقة منهم سالم ابن ابي الجعد
ظلمة البحر وظلمة حوت التقم الحوت الاول ويصح ان يعبر بالظلمات عن جوف الحوت الاول فقط كما قال
في غيابات الجب وفي كل جهاته ظلمة فجمعها سايغ وذكر الماوردي انه يحتمل ان يعبر بالظلمات عن ظلمة
الخطيية وظلمة الشدة وظلمة الوحدة وروي ان الله تعالي اوحي الي الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني
جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعامك وروي ان يونس عليه السلم سجد في بطن الحوت حين سمع تسبيح
الحيتان في قعر البحر وذكر ابن ابي الدنيا حدثنا العباس بن يزيد العبدي حدثنا اسحاق بن ادريس حدثنا
جعفر بن سليمان عن عوف عن سعيد بن ابي الحسن قال لما التقم الحوت يونس ظن انه قد مات فطول
رجليه فاذا هو لم يمت فقام الي عادته يصلي فقال في دعايه واتخذت لك مسجدا حيث لم يتخذه احد
وقال ابو المعالي قوله صلي الله عليه وسلم لا تفضلوني علي يونس بن متي المعني فاني لم اكن وانا في سدرة
المنتهي باقرب الي الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت وهذا يدل علي ان الباري سبحانه ليس في جهة
وقد تقدم هذا المعني في البقرة والاعراف ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين يريد فيما
خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم وقيل في الخروج من غير ان يوذن له ولم يكن ذلك من الله
عقوبة لان الانبيا لا يجوز ان يعاقبوا وانما كان ذلك تمحيصا وقد يودب من لا يستحق العقاب كالصبيان
ذكره الماوردي وقيل من الظالمين في دعاي علي قومي بالعذاب وقد دعا نوح علي قومه فلم يواخذ وقال
الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الي نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل قول ادم وحوا
ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما انفسهما غير الموضع الذي انزلا فيه **الثانية** روي ابو داود
عن سعيد بن ابي وقاص عن النبي صلي الله عليه وسلم قال دعا ذا النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين لم يدع به رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وقد قيل انه الاسم الاعظم ورواه سعد
عن النبي صلي الله عليه وسلم وفي الخبر في هذه الاية شرط الله لمن دعاه ان يجيبه كما اجابه وينجيه كما انجاه
وهو قوله وكذلك ننجي المومنين وليس هاهنا صريح دعا وانما هو مضمون قوله اني كنت من الظالمين
فاعترف بالظلم فكان تلويحا **قوله تعالي** وكذلك ننجي المومنين اي نخلصهم من همهم بما سبق
من عملهم وذلك قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الي يوم يبعثون وهذا حفظ من الله لعبده
يونس رعا له حق تعبده وحفظ ذمام ما سلف له من طاعته وقال الاستاذ ابو اسحاق صحب ذا النون
الحوت اياما قلايل فالي يوم القيامة يقال له ذو النون فما بالك بعبد عبده سبعين سنة يبطل هذا
عنده لا يظن به ذلك من الغم اي من بطن الحوت وقوله تعالي ننجي قراءة العامة بنونين من انجي ينجي
وقرا ابن عامر نجي بنون واحدة وجيم مشددة وتسكين اليا علي الفعل الماضي واضمار المصدر فلذلك
نجي النجاء المومنين كما تقول ضرب زيدا بمعني ضرب الضرب زيدا وانشد

ولو ولدت قفيرة جرو كلب	لسب بذلك الجرو الكلابا

اراد لسب السب بذلك الجرو وسكنت ياؤه علي لغة من يقول بقي ورضي فلا يحرك اليا وقرا الحسن وذروا
ما بقي من الربوا استثقالا لتحريك ما قبلها وانشد

خمر الشيب لمتي تخميرا	وحدا بي الي القبور البعيرا
ليت شعري اذا القيامة قامت	ودعي بالحساب اين المصيرا

سكن اليا في دعي استثقالا لتحريكها وقبلها كسرة وفاعل حدي المشيب اي وحدي المشيب البعير

دعاء ذا النون في بطن الحوت

ليت شعري المصير اين هو هذا انا وبل الفراء وابي عبيد وثعلب في تصويب هذه القراءة وخطاها ابو حاتم والزجاج وقالوا هو لحن لانه نصب اسم ما لم يسم فاعله وانما يقال نجي المؤمنون كما يقال كرم الصالحون ولا يجوز ضرب زيدا بمعنى ضرب الضرب زيد الا انه لا فايدة اذا كان ضرب يدل على الضرب ولا يجوز ان يحتج بمثل ذلك البيت على كتاب الله تعالى ولابي عبيد قول اخر وقاله القتبي وهو انه ادغم النون في الجيم قال النحاس وهذا القول لا يجوز عند احد من النحويين لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا تدغم فيها ولا يجوز فيمن جاء بالحسنة مجا بالحسنة قال النحاس ولم يسمع في هذا من شي سمعته من علي بن سليمان قال الاصل ننجي فحذف احدي النونين لاجتماعهما كما تحذف احدي التاين لاجتماعهما نحو قوله تعالى ولا تفرقوا والاصل ولا تتفرقوا وقرا ابن السميقع ولبو العالية وكذلك نجا المومنين اي نجا الله المومنين وهي حسنة قوله تعالى وزكريا اذ نادي ربه اي واذكر زكريا وقد تقدم في آل عمران ذكره رب لا تذرني فردا اي منفردا لا ولد لي وقد تقدم قوله تعالى وانت خير الوارثين اي خير من يبقي بعد من يموت وانما قال خير الوارثين لما تقدم من قوله يرثني اي اعلم انك لا تضيع دينك ولكن لا تقطع هذه الفضيلة التي هي القيام بامر الدين عن عقبي كما تقدم في مريم بيانه قوله تعالى فاستجبنا له اي اجبنا دعاءه قوله تعالى ووهبنا له يحيي تقدم ذكره قوله تعالى واصلحنا له زوجه قال قتادة واكثر المفسرين انها كانت عاقرا فجعلت ولودا وقال ابن عباس وعطا كانت سيئة الخلق طويلة اللسان فاصلحها الله تعالى فجعلها حسنة الخلق قال المؤلف رحمه الله ويحتمل ان يكون جمعت المعنيين فجعلت حسنة الخلق ولودا قوله تعالى انهم يعني الانبيا المسمين في هذه السورة قوله تعالى كانوا يسارعون في الخيرات وقيل الكناية راجعة الي زكريا وامراته ويحيي قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا فيه مسئلتان الاولي قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اي يفزعون الينا ويدعوننا في حال الرخا وحال الشدة وقيل المعني يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف لان الرغبة والرهبة متلازمان وقيل الرغب رفع بطون الاكف الي السماء والرهب رفع ظهورها قاله خصيف قال ابن عطية وتلخيص هذا ان عادة كل داع من البشر ان يستعين بيديه فالرغب من حيث هو طلب منه يحسن ان يوجه باطن الراح نحو المطلوب منه اذ هو موضع اعطا او بها يتملك والرهب من حيث هو دفع مضرة يحسن معه طرح ذلك والاشارة الي ذهابه وتوقيه بنفض اليد ونحوه الثانية روي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه في الدعا لم يحطهما حتي يمسح بهما وجهه وقد مضي في الاعراف الاختلاف في رفع الايدي وذكرنا هذا الحديث وغيره هناك وعلي القول بالرفع فقد اختلف الناس في صفته والي اين فكان بعضهم يختار ان يبسط كفيه رافعهما حذو صدره وبطونهما الي وجهه روي عن ابن عمر وابن عباس وكان علي يدعو بباطن كفيه وعن انس مثله وهو ظاهر حديث الترمذي وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله فاسالوه ببطون اكفكم ولا تسالوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم وروي عن ابن عمر وابن الزبير برفعهما الي وجهه واحتجوا بحديث ابي سعيد الخدري قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فجعل يدعو وجعل ظهر كفيه مما يلي وجهه ورفعهما فوق ثدييه واسفل من منكبيه وقيل حتي يحاذي بهما وجهه وظهورهما مما يلي وجهه قال الطبري والصواب ان يقال ان كل هذه الاثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم متفقة غير مختلفة المعاني وجايز ان يكون ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم لاختلاف احوال الدعا كما قال ابن عباس اذا اشار احدكم باصبع واحدة فهو الاخلاص واذا رفع يديه حذو صدره فهو الدعا واذا رفعهما حتي يجاوز بهما راسه وظاهرهما مما يلي وجهه فهو الابتهال قال الطبري وقد روي قتادة عن انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بظهر كفيه وباطنهما ورغبا ورهبا منصوبان على المصدر اي يرغبون رغبا ويرهبون رهبا او على المفعول من اجله اي للرغب والرهب او على الحال وقرا طلحة بن مصرف ويدعونا بنون واحدة وقرا الاعمش بضم الراء واسكان الغين والهاء مثل السقم والبخل والعدم والضر لغتان وابن وثاب والاعمش ايضا رغبا ورهبا بالفتح في الراء والتخفيف في الغين والهاء وهي لغتان مثل نهر ونهر وصخر وصخر ورويت هذه القراءة عن ابي عمرو قوله تعالى وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين خاضعين قوله تعالى والتي احصنت فرجها اي واذكر مريم التي احصنت فرجها وانما ذكرها وليست من الانبيا لتتميم ذكر عيسى ولهذا قال وجعلناها وابنها اية للعالمين ولم يقل ايتين لان معني الكلام وجعلنا شانهما وامرهما وقصتهما اية للعالمين وقال الزجاج ان الاية فيهما واحدة لانها ولدته

من غير ذكر وقيل على مذهب سيبويه والتقدير وجعلناها اية للعالمين وجعلنا ابنها اية للعالمين ثم حذف وعلى مذهب الفرا وجعلناها اية للعالمين وابنها مثل قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل ان من اياتها انها اول امراة قبلت في النذر في المتعبد ومنها ان الله تعالى غذاها برزق من عنده لم يجر على يد عبد من عبيده وقيل انها لم تلقم ثديا قط واحصنت معناه عفت وامتنعت من الفاحشة وقيل ان المراد بالفرج فرج القميص اي لم يعلق بثوبها ريبة اي انها طاهرة الاثواب وفروج القميص اربعة الكمان والاعلي والاسفل قال السهيلي ولا يذهبن وهمك الي غير هذا فانه من لطيف الكناية لان القران انزه معني واوزن لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من ان يريد ما يذهب اليه وهم الجاهل لا سيما والنفخ من روح القدس بامر القدوس فاضيف القدس الي القدس ونزه المطهرة المقدسة عن الظن الكاذب والحدس قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا يعني امرنا جبريل حتي نفخ في درعها فاحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وقد مضي هذا في النسا ومريم اية اي علامة واعجوبة للخلق وعلم النبوة عيسى ودلالة على نفوذ قدرتنا فيما نشاء قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة لما ذكر الانبياء قال كلهم مجتمعون على التوحيد والامة هنا بمعني الدين الذي هو الاسلام قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما فاما المشركون فقد خالفوا الكل قوله تعالى وانا ربكم اي الهكم وحدي قوله تعالى فاعبدون اي افردوني بالعبادة وقرا عيسى بن عمر وابن ابي اسحق ان هذه امتكم امة واحدة ورواها حسين عن ابي عمرو والباقون امة واحدة بالنصب على القطع لمجي النكرة بعد تمام الكلام وقال الزجاج انتصب امة على الحال اي في حال اجتماعها على الحق اي هذه امتكم ما دامت امة واحدة واجتمعتم على التوحيد فاذا خالفتم وتفرقتم فليس من خالف الحق من جملة اهل الدين الحق وهو كما قال فلان صديقي عفيفا اي ما دام عفيفا فاذا خالف العفة لم يكن واما الرفع فيجوز ان يكون على البدل اي امتكم وعلى اضمار مبتدا اي ان هذه امتكم هذه امة واحدة او يكون خبرا بعد خبر ولو نصبت امتكم على البدل من هذه لجاز ويكون امة واحدة خبر ان قوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم اي تفرقوا في الدين قاله الكلبي وقال الاخفش اختلفوا فيه والمراد المشركون ذمهم لمخالفة الحق واتخاذهم الهة من دون الله قال الازهري تفرقوا في امرهم فنصب امرهم بحذف في فالمتقطع على هذا لازم وعلى الاول يتعدي والمراد جميع الخلق اي جعلوا امرهم في اديانهم قطعا وتقسموه بينهم فمن موحد ومن يهودي ومن نصراني ومن عابد ملك او صنم قوله تعالى كل الينا راجعون اي الي حكمنا فنجازيهم قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن من للتبعيض لا للجنس اذ لا قدرة للمكلف ان ياتي بجميع الطاعات كلها فرضها ونفلها فالمعني من يعمل شيئا من الطاعات فرضا او نفلا وهو موحد مسلم وقال ابن عباس مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فلا كفران لسعيه اي لا جحود لعمله اي لا تضيع جزاؤه ولا يغطي والكفر ضد الايمان والكفر ايضا جحود النعمة وهو ضد الشكر وقد كفره كفورا وكفرانا وفي حرف ابن مسعود فلا كفر لسعيه قوله تعالى وانا له كاتبون لعمله حافظون نظيره اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثي اي كل ذلك محفوظ ليجازي به قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون قراءة اهل المدينة وزيد بن ثابت وحرام وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم واهل الكوفة وحرم ورويت عن علي وابن مسعود وابن عباس وهما لغتان مثل حل وحلال وقد روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وحرم بفتح الحا والميم وكسر الرا وعن ابن عباس ايضا وعكرمة وابي العالية وحرم بضم الرا وفتح الحاء والميم وعن ابن عباس وحرم وعنه ايضا وحرم وحرم وعن عكرمة وحرم وعن قتادة ومطر الوراق وحرم تسع قراات وقرا السلمي على قرية اهلكتها واختلف في لا في قوله لا يرجعون فقيل هي صلة روي ذلك عن ابن عباس واختاره ابو عبيد اي حرام على قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل ليست بصلة وانما هي ثابتة ويكون الحرام بمعني الواجب اي وجب على قرية كما قالت الخنسا

وان حراما لا اري الدهر باكيا	على شجوه الا بكيت على صخر

تريد اخاها فلا ثابتة على هذا القول الاول وقال النحاس الاية مشكلة ومن احسن ما قيل فيها واجله ما رواه ابن عيينة وابن علية وابن هشيم وابن ادريس ومحمد بن فضيل وسليمان بن حيان ومعلي عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وحرم على قرية اهلكناها قال وجب انهم لا يرجعون قال لا يتوبون قال ابو جعفر واشتقاق هذا من اللغة وشرحه ان معني حرم الشي حظر ومنع منه كما ان معني احل ابيح ولم يمنع منه فاذا كان حرام وحرم بمعني واجب فمعناه انه قد ضيق الخروج منه ومنع فقد دخل في باب المحظور لهذا فاما

فلان صديقي عفيفا اي ما دام عفيفا فاذا خالف الصفة لم يكن

اذا سألتم الله فاسألوه ببطون اكفكم

فهو الابتهال

قول ابي عبيدة فان لا زايدة فقد رد عليه جماعة لانها لا تزاد في مثل هذا الموضع ولا فيما يقع فيه اشكال
ولو كانت زايدة لكان التاويل بعيدا ايضا لانه ان اراد وحرام على قرية اهلكناها ان يرجعوا الى الدنيا
فهذا مما لا فايدة فيه وان اراد التوبة فالتوبة لا تحرم وقيل في الكلام اضمار اي وحرام على قرية حكمنا
باستيصالها او بالختم على قلوبها ان تتقبل منهم عمل لانهم لا يرجعون اي لا يتوبون قاله الزجاج وابو علي
ولا غير زايدة وهذا هو معنى قول ابن عباس **قوله تعالى** حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج تقدير الكلام
فيهم وفيه حذف اي حتى اذا فتح سد ياجوج وماجوج مثل واسال القرية **قوله تعالى** وهم من كل
حدب ينسلون قال ابن عباس من كل شرف يقبلون اي لكثرتهم ينسلون من كل ناحية والحدب ما ارتفع من
الارض والجمع الحداب ماخوذ من حدبة الظهر قال ـــــ عنترة

فما رعشت يداي ولا ازدهاني ... تواترهم الي من الحداب

وقيل ينسلون يخرجون ومنه قول ـــــ امرء القيس

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ... وقيل يسرعون ومنه قول ـــــ النابغة

عسلان الذيب امسى قاربا ... برد الليل عليه فنسل

يقال عسل الذيب يعسل عسلا وعسلانا اذا اعنق واسرع وفي الحديث كذب عليك العسل اي عليك بسرعة
المشي قال الزجاج والعسلان مشية الذيب اذا اسرع يقال نسل فلان في العدو ونسل وينسل بالكسر والضم
نسلا ونسولا ونسلانا اي اسرع ثم قيل في الذين ينسلون من كل حدب انهم ياجوج وماجوج وهو الاظهر وهو قول
ابن عباس وابن مسعود وقيل جميع الخلق وانهم يحشرون الى ارض الموقف وهم يسرعون من كل صوب وقرئ
في الشواذ وهم من كل جدث ينسلون اخذا من قوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وحكى هذه القراءة
عن ابن مسعود والثعلبي عن مجاهد وابي الصهبا **قوله تعالى** واقترب الوعد الحق يعني القيامة وقال
الفراء والكسائي وغيرهما الواو زايدة مقحمة والمعنى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق فاقترب
جواب اذا وانشد الفرا ـــ فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ... اي انتحى والواو زايدة ومنه قوله
وتله للجبين اي للجبين ناديناه واجاز الكسائي ان تكون جواب اذا **قوله تعالى** فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا ويكون قوله واقترب الوعد الحق معطوفا على الفعل الذي هو شرط وقال ـــــ
البصريون الجواب محذوف والتقدير قالوا يا ويلنا وهو قول الزجاج وهو قول حسن قال الله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى المعنى قالوا ما نعبدهم وحذف القول كثير
قوله تعالى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا هي ضمير الابصار والابصار المذكورة بعدها
تفسير لها كانه قال فاذا ابصار الذين كفروا شخصت عند مجيء الوعد قال ـــــ الشاعر

لعمر ابيها لا تقول ظعينتي ... الا فر عنها مالك ابن ابي كعب

فكنى عن الظعينة في ابيها ثم اظهرها وقال الفراء هي عماد مثل فانها لا تعمى الابصار وقيل ان الكلام تم عند قوله
هي التقدير فاذا هي يعني يوم القيامة بارزة اي واقعة اي من قربها كانها اتية حاضرة ثم ابتدا فقال

والعسلان مشية الذئب اذا اسرع

الفصحا والالسن البلغا ولو لم يكن للعموم لما صح ان يستثنى منها وقد وجد ذلك فهي للعموم وهذا واضح **الثالثة**
قراة اهل العامة بالصاد المهملة اي انكم يا معشر الكفار والاوثان التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم
قاله ابن عباس وقال مجاهد وعكرمة وقتادة حطبها وقرا علي بن ابي طالب وعايشة رضي الله عنها حطب جهنم
بالطاء وقرا ابن عباس حضب بالضاد المعجمة قال الفراء يريد الحضب وقال وذكر لنا ان الحضب في لغة اهل اليمن
الحطب وكلما هيجت به النار واوقدتها به فهي موقودة به فهو حضب ذكره الجوهري والموقد حضب وقال
ابو عبيدة في قوله حصب جهنم كلما القيته في النار فقد حصبتها به ويظهر من هذه الاية ان الناس من
الكفار وما يعبدون من الاصنام حصب جهنم ونظيره قوله فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقيل ان
المراد بالحجارة حجارة الكبريت على ما تقدم في البقرة وان النار لا تكون على الاصنام عذابا ولا عقوبة لانها
لم تذنب ولكن تكون عذابا على من عبدها اول شيء بالحسرة ثم تجمع على النار فيكون نارها اشد من كل نار
ثم يعذبون بها وقيل تحمى فتلصق بهم زيادة تعذيبهم وقيل انما جعلت في النار تبكيتا لعبادتهم **الرابعة**
قوله تعالى انتم لها واردون اي فيها داخلون والخطاب للمشركين عبدة الاصنام اي انتم واردوها
مع الاصنام ويجوز ان يقال الخطاب للاصنام وعبدتها لان الاصنام وان كانت جمادات فقد يخبر عنها
بكنايات الادميين وقال العلماء لا يدخل في هذا عيسى ولا عزير ولا الملايكة صلوات الله عليهم
لان ما لغير الادميين ولو اراد ذلك لقال ومن قال الزجاج ولان المخاطبين بهذه الاية مشركوا
مكة دون غيرهم **قوله تعالى** لو كان هاولاء الهة ما وردوها اي لو كانت الاصنام
الهة لما ورد عابدوها النار وقيل ما وردها العابدون والمعبودون ولهذا قال وكل فيها خالدون
قوله تعالى لهم فيها زفير اي لهاولاء الذين وردوا النار من الكفار والشياطين فاما الاصنام
فعلى الخلاف فيها هل يحييها الله ويعذبها حتى يكون لهم زفير او لا قولان والزفير صوت نفس المغموم يخرج
من القلب وقد تقدم في هود **قوله تعالى** وهم فيها لا يسمعون قيل في الكلام حذف
والمعنى وهم فيها لا يسمعون شيئا لانهم يحشرون صما كما قال الله عز وجل ونحشرهم يوم القيامة على
وجوههم عميا وبكما وصما وفي سماع الاشياء روح وانس فمنع الله الكفار ذلك في النار وقيل لا يسمعون
ما يسرهم بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية وقيل اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
يصيرون حينئذ صما بكما قال ابن مسعود اذا بقي من يخلد في النار في جهنم جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت
التوابيت في توابيت اخرى فيها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار من
يعذب غيره **قال تعالى** ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اي الجنة اولئك عنها اي عن النار
مبعدون فمعنى الكلام الاستثناء ولهذا قال بعض اهل العلم ان هنا بمعنى الا وليس في القران
غيره وقال محمد بن حاطب سمعت علي ابن ابي طالب رض يقرا هذه الاية على المنبر ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان عثمان منهم **قوله تعالى** لا يسمعون
حسيسها اي حس النار وحركة لهبها والحسيس والحس الحركة وروى ابن جريج عن عطا قال ابو اسحق

ابو سلمة بن عبد الرحمن مررت برجل يضرب غلاما له فاشار الي الغلام فكلمت مولاه حتي عفا عنه فلقيت
ابا سعيد الخدري فاخبرته فقال يا ابن اخي من اغاث مكروبا اعتقه الله من النار يوم الفزع الاكبر
سمعت ذلك من رسول الله صلي الله عليه وسلم **قوله تعالي** وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم
الملائكة علي ابواب الجنة يهنونهم ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون وقيل تستقبلهم ملائكة
الرحمة عند خروجهم من القبور عن ابن عباس هذا يومكم اي ويقولون لهم فحذف الذي كنتم توعدون
فيه الكرامة **قوله تعالي** يوم نطوي السما قرا ابو جعفر بن القعقاع وشيبة وابن وضاح والاعرج
والزهري تطوي بتاء مضمومة السما رفعا علي ما لم يسم فاعله مجاهد يطوي علي معني يطوي الله السماء
الباقون نطوي بنون العظمة وانتصاب يوم علي البدل من الهاء المحذوفة في الصلة التقدير الذي
كنتم توعدونه يوم نطوي السما او يكون منصوبا بنعيده من قوله كما بدانا اول خلق نعيده او بقوله
لا يحزنهم الفزع الاكبر في اليوم الذي نطوي فيه السماء او علي اضمار واذكر واراد بالسما الجنس دليله
والسموات مطويات بيمينه **قوله تعالي** كطي السجل للكتب وقال ابن عباس ومجاهد اي كطي الصحيفة علي
ما فيها فاللام بمعني علي وعن ابن عباس ايضا وابن عمر انه كاتب لرسول الله صلي الله عليه وسلم وليس بالقوي
لان كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم معروفون ليس هذا منهم ولا في اصحابه من اسمه السجل وقال
ابن عباس ايضا وابن عمر والسدي السجل ملك وهو الذي يطوي كتب بني ادم اذا رفعت اليه ويقال انه في
السماء الثالثة ترفع اليه اعمال العباد يرفعها اليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين وكان من
اعوانه فيما ذكروا هاروت وماروت والسجل الصك وهو اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتبة واصلها من
السجل وهو الدلو تقول ساجلت الرجل اذا نزعت دلوا ونزع دلوا ثم استعيرت فسميت المكاتبة والمراجعة
مساجلة وقد سجل الحاكم تسجيلا وقال الفضل بن العباس بن عتبة ابن ابي لهب من يساجلني يساجل ماجدا
يملا الدلو الي عقد الكرب ثم بني هذا الاسم علي فعل مثل حمر وطمر وبلم وقرا ابو زرعة
بن عمرو بن جرير كطي السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقرا الاعمش وطلحة كطي السجل بفتح السين واسكان
الجيم وتخفيف اللام قال النحاس والمعني واحد والتمام عند قوله للكتب والطي في هذه الاية يحتمل معنيين
احدهما الدرج الذي هو ضد النشر قال الله تعالي والسموات مطويات بيمينه والثاني الاخفا والتعمية
والمحو لان الله يمحو ويطمس رسومها ويكدر نجومها قال الله تعالي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
واذا السماء كشطت للكتاب وتم الكلام وقرا الاعمش وحمزة وحفص والكسائي ويحيي وخلف للكتب جمعا
ثم استانف الكلام فقال كما بدانا اول خلق نعيده اي نحشرهم حفاة عراة غرلا كما بدوا في البطون وروي
النساءي عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلا اول الخلائق
يكسي يوم القيامة ابراهيم صلي الله عليه وسلم ثم قرا اول خلق نعيده خرجه مسلم ايضا عن ابن عباس قال
قام فينا رسول الله صلي الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الي الله حفاة عراة غرلا
قوله تعالي كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا وان اول الخلائق يكسي
يوم القيامة ابراهيم عليه السلام وذكر الحديث وقد ذكرنا هذا الباب في كتاب التذكرة مستوفي وذكر سفيان
الثوري عن سلمة بن كهيل عن ابي الزعراء عن عبد الله بن مسعود قال يرسل الله عز وجل ماء من تحت العرش كمني
الرجال فتنبت منه لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الارض بالثري وقال كما بدانا اول خلق نعيده وقال
ابن عباس المعني نهلك كل شيء ونفنيه كما كان اول مرة وعلي هذا فالكلام متصل بقوله يوم نطوي
السماء اي نطويها فنعيدها الي الهلاك والفناء فلا يكون شيا وقيل يفني السماء ثم نعيدها مرة بعد
اخري بعد طيها وزوالها كقوله تعالي يوم تبدل الارض غير الارض والسموات والقول الاول اصح وهو
نظير قوله ولقد جيتمونا فرادي كما خلقناكم اول مرة وقوله وعرضوا علي ربك صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم
اول مرة **قوله تعالي** وعدا علينا نصب علي المصدر اي وعدنا وعدا علينا انجازه والوفاء به اي من
البعث والاعادة ففي الكلام حذف ثم اكد ذلك بقوله جل ثناوه **قوله تعالي** انا كنا فاعلين
قال الزجاج معني انا كنا فاعلين انا كنا قادرين علي ما نشا وقيل انا كنا فاعلين اي ما وعدناكم وهو كما قال
وكان وعده مفعولا وقيل كان للاخبار بما سبق من قضايه وقيل صلة **قوله تعالي**
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر الزبور والكتاب واحد ولذلك جاز ان يقال للتوراة والانجيل

اول الخلق يكسي يوم القيامة ابرهيم عليه السلام

زبور

زبور زبرت اي كتبت وجمعه زبر قال سعيد بن جبير الزبور التوراة والانجيل والقران من بعد الذكر
الذي في السماء **قوله تعالي** ان الارض ارض الجنة **قوله تعالي** يرثها عبادي الصالحون
رواه سليمان عن الاعمش عن سعيد بن جبير وقال الشعبي الزبور زبور داود والذكر توراة موسي عليه السلام
وقال مجاهد وابن زيد الزبور كتب الانبياء عليهم السلام والذكر ام الكتاب الذي عند الله في السماء
وقال ابن عباس الزبور الكتب التي انزلها الله تعالي من بعد موسي علي انبيايه والذكر التوراة المنزلة علي
موسي وقرا حمزة في الزبور بضم الزاي جمع زبر ان الارض يرثها عبادي الصالحون احسن ما قيل فيه انه يراد
بها ارض الجنة كما قال سعيد بن جبير لان الارض في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم وهو قول ابن
عباس ومجاهد وغيرهما قال مجاهد وابو العالية ودليل علي هذا التاويل قوله تعالي وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا الارض وعن ابن عباس انها الارض المقدسة وعنه ايضا انها ارض الامم الكافرة ترثها
امة محمد صلي الله عليه وسلم بالفتوح وقيل ان المراد بذلك بنو اسرايل بدليل قوله واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها واكثر المفسرين علي ان المراد بالصالحين امة
محمد صلي الله عليه وسلم وقرا حمزة عبادي بتسكين الياء **قوله تعالي** ان في هذا اي فيما جري ذكره
في هذه السورة من الوعظ والتنبيه وقيل اي في القران **قوله تعالي** لبلاغا لقوم عابدين قال ابو هريرة
وسفيان الثوري هم اهل الصلوات الخمس وقال ابن عباس عابدين مطيعين والعابد المتذلل الخاضع قال
القشيري ولا يبعد ان يدخل فيه كل عاقل لانه من حيث الفطرة متذلل للخالق وهو بحيث لو تامل القران
واستعمله لاوصله ذلك الي الجنة وقال ابن عباس ايضا هم امة محمد صلي الله عليه وسلم الذين يصلون
الخمس ويصومون شهر رمضان وهو القول الاول بعينه **قوله تعالي** وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان محمد صلي الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن امن به
وصدق به سعد ومن لم يومن به سلم مما لحق الامم من الخسف والغرق وقال ابن زيد اراد بالعالمين
المومنين خاصة **قوله تعالي** قل انما يوحي الي انما الهكم اله واحد فلا يجوز الاشراك به **قوله تعالي**
فهل انتم مسلمون اي منقادون لتوحيد الله اي فاسلموا كقوله تعالي فهل انتم منتهون اي انتهوا **قوله تعالي**
فان تولوا اي اعرضوا عن الاسلام **قوله تعالي** فقل اذنتكم علي سواء اي اعلمتكم علي بيان
انا واياكم حرب لا صلح بيننا كقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم علي سواء اي اعلمهم انك نقضت
العهد نقضا استويت انت وهم فليس لفريق عهد ملتزم في حق الفريق الاخر وقال الزجاج المعني اعلمتكم بما يوحي
الي علي استواء في العلم به ولم اظهر لاحد شيا كتمته عن غيره **قوله تعالي** وان ادري ان نافية بمعني
ما اي وما ادري **قوله تعالي** اقريب ام بعيد ما توعدون يعني اجل القيامة لا يدريه
احد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب قاله ابن عباس وقيل اي اذنتكم بالحرب ولكني لا ادري متي يوذن لي في
محاربتكم **قوله تعالي** انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي من الشرك وهو المجازي
عليه **قوله تعالي** وان ادري لعله اي لعل الامهال **قوله تعالي** فتنة لكم اي اختبار ليري
كيف صنيعكم وهو اعلم **قوله تعالي** ومتاع الي حين قيل الي انقضا المدة وروي عن النبي صلي الله عليه
وسلم انه راي بني امية في منامه يلون الناس فخرج الحكم من عنده فاخبر بني امية بذلك فقالوا له
ارجع فسله متي يكون ذلك فانزل الله تعالي وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون وان ادري لعله
فتنة لكم ومتاع الي حين يقول لنبيه عليه السلام قل لهم ذلك **قوله تعالي** قل رب احكم بالحق
ختم السورة بان امر النبي عليه السلام بتفويض الامر اليه وتوقع الفرج من عنده اي احكم بيني
وبين هولاء المكذبين وانصرني عليهم روي سعيد عن قتادة قال كانت الانبيا تقول ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق فامر النبي صلي الله عليه وسلم ان يقول رب احكم بالحق فكان اذا لقي العدو يقول
وهو يعلم انه علي الحق وعدوه علي الباطل رب احكم بالحق اي اقض به وقال ابو عبيدة الصفة هاهنا
اقيمت مقام الموصوف والتقدير رب احكم بحكمك الحق ورب في موضع نصب لانه نداء مضاف وقرا
ابو جعفر وابن القعقاع وابن محيصن قل رب احكم بالحق بضم الباء قال النحاس وهذا لحن عند النحويين لا
يجوز عندهم رجل اقبل حتي يقول يا رجل وما اشبهه وقرا الضحاك وطلحة ويعقوب ربي احكم بقطع الالف
مفتوحة الكاف والميم مضمومة اي قال محمد ربي احكم بالحق من كل حاكم وقرا الجحدري قل ربي احكم علي معني

احكم الامور بالحق قوله تعالى وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي تصفونه من الكفر والتكذيب وقراء المفضل والسلمي على ما يصفون بالياء على الخبر والباقون على الخطاب والله اعلم بالصواب

تفسير سورة الحج مكية

وهي مكية سوى ثلاث ايات قوله تعالى هذان خصمان الى تمام ثلاث ايات قاله ابن عباس ومجاهد وعن ابن عباس ايضا انهن اربع ايات الى قوله عذاب الحريق وقال الضحاك وابن عباس ايضا هي مدنية وقاله قتادة الا اربع ايات وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى عذاب يوم عقيم فهن مكيات وعد النقاش ما نزل بالمدينة عشر ايات وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني وهذا هو الاصح لان الايات تقتضي ذلك لان يا ايها الناس مكي ويا ايها الذين امنوا مدني قال الغزنوي وهي من اعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها مختلف العدد قال المؤلف رحمه الله وجاء في فضلها ما رواه الترمذي وابو داود والدارقطني عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما لفظ الترمذي وقال حديث حسن ليس اسناده بالقوي واختلف اهل العلم في هذا فروي عن عمر بن الخطاب وابن عمر انهما قالا فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين وبه يقول ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وراي بعضهم ان فيها سجدة واحدة وهو قول سفيان الثوري وروى الدارقطني عن عبد الله بن ثعلبة قال رايت عمر بن الخطاب سجد في الحج سجدتين قلت في الصبح قال في الصبح بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم روى الترمذي عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد قال انزلت عليه هذه الاية وهو في سفر فقال اتدرون اي يوم ذاك فقالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم ابعث بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فانشا المسلمون يبكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية فان تمت والا كملت من المنافقين وما مثلكم والامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة او كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا ولا ادري اقال الثلثين ام لا قال حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن الحسن عن عمران بن حصين وفيه فيئس القوم حتى ما ابدوا بضاحكة فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعملوا وابشروا فوالذي نفسي بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن مات من بني ادم وبني ابليس قال فسري عن القوم بعض الذي يجدون فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة قال هذا حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال يقول اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فاشتد ذلك عليهم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال ابشروا فان من ياجوج وماجوج الفا ومنكم رجل وذكر الحديث بنحو ما تقدم في حديث عمران بن حصين وذكر ابو جعفر النحاس قال حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة عن انس بن مالك قال يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى ولكن عذاب الله شديد قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب اليه اصحابه فقال اتدرون اي يوم هذا هذا يوم يقول الله تعالى لادم صلى الله عليه وسلم يا ادم قم فابعث بعث اهل النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الحمار وان معكم لخليقتين ما كانتا مع شيء الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس

يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك

قوله

قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم المراد بهذا النداء المكلفون اي اخشوه في اوامره ان تتركوها ونواهيه ان تقدموا عليها والاتقاء الاحتراس من المكروه وقد تقدم والقول في اول البقرة فيه مستوفى فلا معنى لاعادته والمعنى احترسوا بطاعته عن عقوبته قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة شدة الحركة ومنه وزلزلوا حتى يقول الرسول واصل الكلمة من زل عن الموضع اي زال عنه وتحرك وزلزل الله قدمه اي حركها وهذه اللفظة تستعمل في تهويل الشيء وقيل هي الزلزلة المعروفة التي هي احدى شروط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة هذا قول الجمهور وقد قيل ان هذه الزلزلة تكون في النصف من شهر رمضان ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها قوله تعالى يوم ترونها الهاء في ترونها عائدة عند الجمهور على الزلزلة ويقوي هذا قوله قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها والرضاع والحمل انما هو في الدنيا وقالت فرقة الزلزلة في يوم القيامة واحتجوا بحديث عمران بن حصين الذي ذكرناه وفيه اتدرون اي يوم ذاك الحديث وهو الذي يقتضيه مساق مسلم في حديث ابي سعيد قوله تذهل اي تشتغل قاله قطرب وانشد

ضرب يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

وقيل تنسى وقيل تلهو وقيل تسلو والمعنى متقارب عما ارضعت قال المبرد ما بمعنى المصدر اي تذهل عن الارضاع قال وهذا يدل على ان هذه الزلزلة في الدنيا اذ ليس بعد البعث حمل وارضاع الا ان يقال من ماتت حاملا تبعث حاملا فتضع حملها للهول ومن ماتت مرضعة تبعث كذلك ويقال هذا مثل كما يقال يوما يجعل الولدان شيبا وقيل يكون مع النفخة الاولى وقيل يكون مع قيام الساعة حتى يتحرك الناس من قبورهم في النفخة الثانية ويحتمل ان تكون الزلزلة في الاية عبارة عن اهوال يوم القيامة كما قال مستهم الباساء والضراء وزلزلوا وكما قال عليه السلام اللهم اهزمهم وزلزلهم وفائدة ذكر هول ذلك اليوم التحريض على التاهب له والاستعداد بالعمل الصالح وتسمية الزلزلة بشيء اما لانها حاصلة متيقن وقوعها فيستسهل لذلك ان يسمى لذلك شيئا وهي معدومة اذ اليقين يشبه الموجودات واما على المآل اي هي اذا وقعت شيء عظيم ولذلك تذهل المراضع وتسكر الناس كما قال قوله تعالى وترى الناس سكارى اي من هولها ومما يدركهم من الخوف والفزع قوله تعالى وما هم بسكارى من الخمر وقال اهل المعاني وترى الناس كانهم سكارى يدل عليه قراءة ابي زرعة هرم بن عمرو بن جرير بن عبد الله وترى الناس بضم التاء اي تظن ويخيل اليك وقراء حمزة والكسائي سكرى بغير الف والباقون سكارى وهما لغتان جمع سكران مثل كسلان وكسالى والزلزلة التحريك العنيف والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه من هم او وجع او غيره قال ابن زيد والمعنى تترك ولدها للكرب الذي نزل بها قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قيل المراد النضر بن الحرث قال ان الله عز وجل غير قادر على احياء من قد بلي وعاد ترابا قوله تعالى ويتبع كل شيطان مريد متمرد قوله تعالى كتب عليه انه من تولاه قال قتادة ومجاهد اي من تولى الشيطان فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم الى قوله مسمى فيه اثنتا عشرة مسالة الاولى قوله تعالى ان كنتم في ريب من البعث هذا احتجاج على العالم بالبداءة الاولى وقوله ان كنتم في ريب متضمنة التوقيف وقرا الحسن بن ابي الحسن البعث بفتح العين وهي لغة في البعث عند البصريين وهي عند الكوفيين تخفيف بعث والمعنى يا ايها الناس ان كنتم في شك من الاعادة فانا خلقناكم اي خلقنا اباكم الذي هو اصل البشر يعني ادم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة وهو المني سمي نطفة لقلته وهو القليل من الماء وقد يقع على الكثير منه ومنه الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا اراد بحر المشرق وبحر المغرب والنطفة القطر نطف ينطف وينطف وليلة نطوفة دائمة القطر قوله تعالى ثم من علقة وهو الدم الجامد والعلق الدم العبيط اي الطري وقيل الشديد الحمرة ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ومنه الحديث الا وان في الجسد مضغة وهي لحمة قليلة وهذه الاطوار اربعة اشهر قال ابن عباس وفي العشر بعد الاشهر الاربعة ينفخ فيه الروح فذلك عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا الثانية روى يحيى بن زكريا عن ابي زائدة حدثنا داود عن عامر عن علقمة عن ابن مسعود وعن ابن عمر ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه قال يا رب ذكر ام انثى شقي ام سعيد ما الاجل والاثر باي ارض تموت فيقال له انطلق الى ام الكتاب تجد فيها قصة هذه النطفة فتجد قصتها

عدة المتوفى عنها زوجها

في ام الكتاب فتخلق فتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا جاء اجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدر لها ثم
قرا عامر يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث وفي الصحيح عن انس بن مالك ورفع هذا الحديث قال
ان الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها
قال قال الملك اي رب ذكر ام انثى شقي او سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك في بطن امه وفي الصحيح
ايضا عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان
واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول
اي رب ذكر ام انثى وذكر الحديث وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويومر باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او
سعيد فهذا الحديث مفسر للاحاديث الاول فان فيه يجمع احدكم خلقه في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم
اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح فهذه اربعة اشهر وفي العشر ينفخ
الملك الروح وهذه عدة المتوفى كما قال ابن عباس وقوله ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه قد فسره ابن مسعود
سئل الاعمش ما يجمع في بطن امه فقال حدثنا خيثمة قال قال عبد الله اذا وقعت النطفة في الرحم فاراد الله
ان يخلق منها بشرا طارت في بشر المراة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين يوما ثم تصير دما في الرحم
فذلك جمعها وهذا وقت كونها علقة **الثالثة** نسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لا حقيقية
وانما صدر عنه فعل ما في المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدرة الله وخلقه واختراعه الا تراه
سبحانه قد اضاف اليه الخلقة الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم
وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وقال يا ايها الناس ان كنتم
في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة وقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم قال
وصوركم فاحسن صوركم وقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال لقد خلقنا الانسان من علق الى غير
ذلك من الايات مع ما دلت عليه قاطعات البراهين ان لا خالق لشي من المخلوقات الا رب العالمين
وهكذا القول في قوله ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح اي ان النفخ سبب خلق الله فيها الروح والحياة وكذلك
القول في سائر الاسباب المعتادة فانه باحداث الله لا بغيره فتامل هذا الاصل وتمسك به ففيه النجاة من
مذاهب اهل الضلال الطبائع وغيرهم **الرابعة** لم يختلف العلما ان نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين
يوما وذلك تمام اربعة اشهر ودخوله في الخامسة كما بيناه في الاحاديث وعليه يعول فيما يحتاج اليه
من الاحكام في الاستلحاق عند التنازع وفي وجوب النفقات وذلك لتيقن حركة الجنين في الجوف وقد
قيل ان الحكمة في عدة المراة من الوفاة باربعة اشهر وعشر وهذا الدخول في الخامس يحقق براة الرحم
ببلوغ هذه المدة اذا لم يظهر حمل **الخامسة** النطفة ليست بشي يقينا ولا يتعلق بها حكم اذا القتها
المراة اذا لم تجتمع في الرحم كما لو كانت في صلب الرجل فاذا طرحته علقة فقد تحققنا ان النطفة قد
استقرت واجتمعت واستحالت الى اول احوال ما يتحقق به انه ولد وعلى هذا فيكون وضع العلقة فما فوقها
من المضغة وضع حمل يبرا به الرحم وتنقضي به العدة ويثبت به لها حكم ام الولد وهذا مذهب مالك
واصحابه وقال الشافعي واصحابه لا اعتبار باسقاط العلقة وانما الاعتبار بظهور الصورة والتخطيط فان
خفي التخطيط وكان لحما فقولان بالنقل والتخريج والمنصوص انه تنقضي به العدة ولا يكون ام ولد قالوا
لان العدة تنقضي بالدم الجاري فبغيره اولى **السادسة** قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة قال الفرا مخلقة
تام الخلق وغير مخلقة السقط وقال ابن الاعرابي مخلقة قد بدا خلقه وغير مخلقة لم تصور بعد وقال
ابن زيد المخلقة التي خلق الله فيها الراس واليدين والرجلين وغير مخلقة التي لم يخلق فيها شي قال
ابن العربي اذا رجعنا الى اصل الاشتقاق فان النطفة والعلقة والمضغة مخلقة لان الكل خلق الله تعالى
وان رجعنا الى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال الله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر فذلك ما قال
ابن زيد قال المولف رحمه الله التخليق من الخلق وفيه معنى الكثرة فما تتابع عليه الاطوار فقد خلق خلقا
بعد خلق واذا كان نطفة فهو مخلوق ولهذا قال ثم انشاناه خلقا اخر والله اعلم وقد قيل ان قوله مخلقة
وغير مخلقة يرجع الى الولد نفسه والى السقط اي منهم من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الاعضا

اجمع

عدة المتوفى عنها زوجها

اجمع ومنهم من يكون حد يحا ناقصا غير تام وقيل المخلقة ان تلد المراة لتمام الوقت وقال ابن عباس المخلقة ما كان
حيا وغير المخلقة السقط قال

افي غير المخلقة البكا ... فاين الحزم ويحك والحيا

السابعة اجمع العلما على ان الامة تكون ام ولد بما يسقطه من ولد تام الخلق وعند مالك والاوزاعي وغيرهما
بالمضغة كانت مخلقة او غير مخلقة قال مالك اذا علم انها مضغة وقال الشافعي وابو حنيفة ان كان قد
تبين له شي من خلق بني ادم اصبع او عين او غير ذلك فهي به له ام ولد واجمعوا على ان المولود اذا
استهل صارخا يصلى عليه وان لم يستهل صارخا لم يصل عليه عند مالك وابو حنيفة والشافعي وغيرهم
وروي عن ابن عمر يصلى عليه وقال ابن المسيب وابن سيرين وغيرهما وروي عن المغيرة بن شعبة انه كان
يامر بالصلاة على السقط ويقول سموهم واغسلوهم وكفنوهم وحنطوهم فان الله اكرم بالاسلام كبيركم
وصغيركم ويتلوا هذه الاية انا خلقناكم من تراب الى وغير مخلقة قال ابن العربي لعل المغيرة اراد بالسقط
ما تبين خلقه فهو الذي يسمى وما لم يتبين خلقه فلا وجود له وقال بعض السلف يصلى عليه متى نفخ فيه الروح
وتمت له اربعة اشهر وروى ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استهل المولود ورث
الاستهلال رفع الصوت فكل مولود كان ذلك منه او حركة او عطاس او تنفس فانه يورث لوجود ما فيه
من دلالة الحياة والى هذا ذهب سفيان الثوري والاوزاعي والشافعي قال الخطابي واحسبه قول
اصحاب الراي وقال مالك لا ميراث له وان تحرك او عطس ما لم يستهل وروي عن محمد بن سيرين والشعبي
والزهري وقتادة **الثامنة** قال مالك ما طرحته المراة من مضغة او علقة او ما يعلم انه ولد
اذا ضرب بطنها ففيه الغرة وقال الشافعي لا شي فيه حتى يتبين من خلقه شي قال مالك اذا سقط الجنين
فلم يستهل صارخا ففيه الغرة وسواء تحرك او عطس ففيه الغرة ابدا حتى يستهل صارخا ففيه الدية كاملة
وقال الشافعي وسائر فقهاء الامصار اذا علمت حياته بحركة او عطاس او باستهلال او بغير ذلك مما تستيقن
به حياته ففيه الدية **التاسعة** ذكر القاضي اسمعيل ان عدة المراة تنقضي بالسقط الموضوع واحتج
عليه بانه حمل وقال قال الله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن قال القاضي اسمعيل والدليل
على ذلك انه يرث اباه فدل على وجوده خلقا وكونه ولدا وحملا وقال ابن العربي ولا يرتبط به شي من
هذه الاحكام الا ان يكون مخلقا قال المولف رحمه الله ما ذكرناه من الاشتقاق وقوله عليه السلم ان احدكم
يجمع في بطن امه يدل على صحة ما قلناه وبان مسقط العلقة والمضغة يصدق على المراة اذا القته
انها كانت حاملا وضعت ما استقر في رحمها فيشملها قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
ولانها وضعت مبدا الولد عن نطفة متجسدا كالمخطط وهذا بين **العاشرة** روى ابن ماجة حدثنا
ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسقط اقدمه بين يدي احب الي من فارس اخلفه ورائي
واخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث له عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة فقال احب الي
من الف فارس اخلفه وراي **الحادية عشرة** لنبين لكم يريد كمال قدرتنا بتصريفنا اطوار خلقكم
ونقر في الارحام قرئ بنصب نقر ونخرج رواه ابو حاتم عن ابي يزيد عن المفضل عن عاصم قال ابو حاتم
النصب على العطف وقال الزجاج نقر بالرفع لا غير لانه ليس المعنى فعلنا ذلك لنقر في الارحام ما نشا
وانما خلقهم عز وجل ليدلهم على الرشد والصلاح وقيل المعنى لنبين امر البعث فهو اعتراض بين الكلامين
وقرات هذه الفرقة بالرفع ونقر اي ونحن نقر وهي قراة الجمهور وقرئ ويقر ويخرجكم بالياء والرفع على
سائغ وقرا ابن وثاب ما نشا بكسر النون والاجل المسمى يختلف بحسب جنين جنين فثم من يسقط وثم
من يكمل امره ويخرج حيا وقال ما نشا ولم يقل من نشا لانه يرجع الى الحمل اي نقر في الارحام ما نشا من الحمل
ومن المضغة وهي جماد فكني عنها بلفظ ما **الثانية عشرة** قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا اي اطفالا
فهو اسم جنس وايضا فان العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد قال الشاعر

يلحينني في حبها ويلمنني ... ان العواذل ليس لي بامير

ولم يقل امرا وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل فيقع على الواحد والجمع قال الله تعالى
او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا وقال الطبري هو نصب على التمييز كقوله فان طبن لكم عن
شي منه نفسا وقيل المعنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلا والطفل يطلق من وقت انفصال الولد الى البلوغ وولد

كل وحشية ايضا طفل ويقال جارية طفل وجاريتان طفل وجواري طفل وغلام طفل وغلمان طفل ويقال
ايضا طفل وطفلة وطفلتان واطفال ولا يقال طفلات واطفلت المراة صارت ذا طفل والمطفلة
الظبية معها طفلها وهي قريبة عهد بالنتاج وكذلك الناقة مطافل ومطافيل والطفل بفتح الطا الناعم
يقال جارية طفلة اي ناعمة وبنان طفل وقد طفل الليل اذا اقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد العصر
اذا طفلت الشمس للغروب والطفل ايضا مطر قال ـــــــ لوهد جادة طفل الثريا
ثم لتبلغوا اشدكم قيل ان ثم زائدة كالواو في قوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها لان ثم من حروف النسق
كالواو **قوله تعالى** اشدكم كمال عقولكم ونهاية قواكم وقد مضى في الانعام بيانه **قوله تعالى**
ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي اخسه وادونه وهو الخوف والهرم حتى لا يعقل ولهذا **قوله تعالى** لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا كما قال في سورة يس ومن نعمره ننكسه في الخلق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو
يقول اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من
فتنة الدنيا ومن عذاب القبر اخرجه النسائي عن سعد وقال كان يعلمهن بنيه كما يعلم المكتب الغلمان
وقد مضى هذا في النحل **قوله تعالى** وترى الارض هامدة ذكر دلالة اخرى على البعث فقال في الاول
انا خلقناكم من تراب فخاطب جمعا وقال في الثاني وترى الارض هامدة فخاطب واحدا فانفصل اللفظ
عن اللفظ ولكن المعنى متصل من حيث الاحتجاج على منكري البعث هامدة يابسة لا تنبت شيئا وقيل
دارسة والهمود الدروس قال ـــــــ الاعشى

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا ... واري ثيابك باليات همدا

قال الهروي هامدة اي جافة ذات تراب قال ـــــــ شمر

يقال همد الارض اذا بلي وذهب ... وهمدت اصواتهم اذا سكنت

وهمود الارض ان لا يكون فيها حياة ولا نبت ولا عود ولا يصيبها مطر وفي الحديث حتى كان يهمد من الجوع
اي يهلك يقال همد الثوب يهمد اذا بلي وهمدت النار تهمد **قوله تعالى** فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت اي تحركت والاهتزاز شدة الحركة يقال هززت الشيء فاهتز اي حركته
فتحرك وهز الحادي الابل هزيزا فاهتزت اذا تحركت في سيرها بحدائه واهتز الكوكب في انقضاضه
وكوكب هاز والارض تهتز بالنبات لان النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض ازالة خفية فسماه
اهتزازا مجازا وقيل اهتز نباتها فحذف المضاف قاله المبرد واهتزازه شدة حركته كما قال الشاعر

تثني اذا قامت وتهتز ان مشت ... كما اهتز غصن البان في ورق خضر

والاهتزاز في النبات اظهر منه في الارض وربت اي ارتفعت وزادت وقيل انتفخت والمعنى واحد واصله
الزيادة ربا الشيء يربو ربوا اي زاد ومنه الربا والربوة وقرا يزيد بن القعقاع وخالد بن الياس وربأت
اي ارتفعت حتى صارت مثل الربيئة وهو الذي يحفظ القوم على شيء مشرف فهو رابئ وربيئة على المبالغة قال
امرء القيس

بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا ... كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي

وانبتت اي اخرجت من كل زوج اي لون بهيج اي حسن عن قتادة اي يبهج من يراه والبهجة الحسن يقال رجل ذو
بهجة وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة فهو بهيج وابهجني اعجبني بحسنه ولما وصف الارض بالانبات دل على ان قوله
اهتزت وربت يرجع الى الارض لا الى النبات والله اعلم **قوله تعالى** ذلك بان الله هو الحق لما ذكر افتقار
الموجودات اليه وتسخيرها على وفق اقتداره واختياره في قوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من
البعث الى قوله بهيج قال بعد ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة
اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فنبه سبحانه وتعالى بهذا على ان كل ما سواه وان كان موجودا
حقا فانه لا حقيقة له من نفسه لانه مسخر مصرف والحق الحقيقي هو الموجود المطلق الغني المطلق وان وجود
كل ذي وجود عن وجوب وجوده ولهذا قال في اخر السورة وان ما تدعون من دونه الباطل والحق الموجود الثابت
الذي لا يتغير ولا يزول وهو الله تعالى وقيل ذو الحق على عباده وقيل الحق بمعنى في افعاله وقال الزجاج
ذلك في موضع رفع اي الامر ما وصف لكم وبين بان الله هو الحق اي لان الله هو الحق قال ويجوز ان يكون
ذلك نصبا اي فعل الله ذلك بانه هو الحق وانه يحيي الموتى اي بانه وبانه قادر على
ما اراد وان الساعة اتية عطف على قوله ذلك بان الله هو الحق من حيث اللفظ وليس عطفا في المعنى

دعا النبي عليه السلام

اذ لا يقال فعل الله ما ذكر بان الساعة اتية بل لا بد من اضمار يتضمنه اي وليعلموا ان الساعة اتية لا ريب
فيها اي لا شك وان الله يبعث من في القبور يريد للثواب والعقاب **قوله تعالى** ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير اي نير بين الحجة نزلت في النضر بن الحرث وقيل في ابي جهل
بن هشام قاله ابن عباس والمعظم على انها نزلت في النضر بن الحرث كالاية الاولى فهما في فريق واحد والتكرير
للمبالغة في الذم كما تقول للرجل تذمه وتوبخه انت فعلت هذا اويجوز ان يكون التكرير لان وصفه في
كل اية بزيادة مكانه قال ان النضر بن الحارث يجادل في الله ويتبع كل شيطان مريد والنضر بن الحارث
يجادل في الله من غير علم ومن غير هدى وكتاب منير ليضل عن سبيل الله وهو كقولك زيد يشتمني وزيد يضربني
وهو يكفر بي مفيد قاله القشيري وقد قيل نزلت فيه بضع عشرة اية والمراد بالاية الاولى وبالثانية انكاره
النبوة وان القران منزل من جهة الله وقد قيل كان من قول النضر بن الحارث ان الملائكة بنات الله وهو
جدال في الله تعالى من في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله ومن الناس ثاني عطفه نصب على الحال ويتاول
على معنيين احدهما روي عن ابن عباس انه قال هو النضر بن الحارث لوى عنقه مرحا وتعظما والمعنى الاخر
وهو قول الفراء ان التقدير ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه اي معرضا عن الذكر ذكره النحاس
وقال مجاهد وقتادة لاويا عنقه كفرا وقال ابن عباس معرضا عما يدعى اليه كفرا والمعنى واحد وروى
الاوزاعي عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن ابن عباس في قوله عز وجل ثاني عطفه ليضل عن سبيل
الله قال هو صاحب البدعة وقال المبرد العطف ما انثنى من العنق وقال المفضل والعطف الجانب ومنه
قولهم فلان ينظر في اعطافه اي في جوانبه وعطفا الرجل من لدن راسه الى وركيه وكذلك عطفا كل
شيء جانباه ويقال ثنى فلان عني عطفه اذا اعرض عنه فالمعنى اي هو معرض عن الحق في جداله ومول عن
النظر في كلامه وهو كقوله تعالى ولى مستكبرا كان لم يسمعها وقوله لووا رءوسهم وقوله اعرض ونأى
بجانبه وقوله ذهب الى اهله يتمطى ليضل عن سبيل الله اي عن طاعة الله وقرئ ليضل بفتح الياء واللام لام
العاقبة اي يجادل فيضل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا اي فكان لهم كذلك ونظيره اذا فريق منهم بربهم
يشركون ليكفروا **قوله تعالى** له في الدنيا خزي اي هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على
السنة المؤمنين الى يوم القيامة كما قال ولا تطع كل حلاف مهين الاية وقوله تبت يدا ابي لهب وتب
وقيل الخزي هنا القتل فان النبي صلى الله عليه وسلم قتل النضر بن الحارث يوم بدر صبرا كما تقدم في الانفال
قوله تعالى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي نار جهنم **قوله تبارك وتعالى**
ذلك بما قدمت يداك اي يقال له في الاخرة اذا دخل النار ذلك العذاب بما قدمت يداك من المعاصي
والكفر وعبر باليد عن الجملة لان اليد التي تفعل وتبطش للجملة وذلك بمعنى هذا كما تقدم في اول البقرة
قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف من في موضع رفع بالابتداء والتمام انقلب على وجهه
في قراءة الجمهور خسر وهذه الاية خبر عن المنافقين قال ابن عباس يريد شيبة بن ربيعة كان قد اسلم قبل
ان يظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اوحي اليه ارتد شيبة بن ربيعة وقال ابو سعيد الخدري اسلم
رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال
ان الاسلام لا يقال فقال اني لم اصب في ديني هذا خيرا اذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي
ان الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة فانزل الله تعالى ومن الناس من
يعبد الله على حرف وروى اسرائيل عن ابي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ومن الناس
من يعبد الله على حرف قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما ونتجت خيله قال هذا
دين صالح فان لم تلد امراته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء وقال المفسرون نزلت في اعراب كانوا
يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون فان نالوا رخاء اقاموا وان نالتهم شدة ارتدوا وقيل
نزلت في النضر بن الحارث وقال ابن زيد وغيره نزلت في المنافقين ومعنى على حرف على شك قاله
مجاهد وغيره وحقيقته انه على ضعف في عبادته كضعف القائم على حرف مضطرب فيه وحرف كل شيء
طرفه وشفيره وحده ومنه حرف الجبل وهو اعلاه المحدد وقيل على حرف اي على وجه واحد وهو ان
يعبده على السراء دون الضراء ولو عبدوا الله على الشكر في السراء والصبر على الضراء لما عبدوا الله على
حرف وقيل على حرف على شرط وذلك ان شيبة بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يظهر

امره ادع لي ربك ان يرزقني مالا وابلا وخيلا وولدا حتي اومن بك واعدل الي دينك فدعا له فرزقه الله
عز وجل ما تمني ثم اراد الله تعالي فتنته واختباره وهو اعلم به فاخذ منه ما كان رزقه بعد ان اسلم فارتد عن
الاسلام فانزل الله تعالي فيه ومن الناس من يعبد الله علي حرف يريد شرط قال الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه
دون قلبه وبالجملة فهذا الذي يعبد الله علي حرف ليس داخلا بكليته وبين هذا بقوله فان اصابه خير
اي صحة جسم ورخاء معيشة رضي واقام علي دينه وان اصابته فتنة اي خلاف ذلك مما يختبر به انقلب
علي وجهه اي ارتد فرجع الي وجهه الذي كان عليه من الكفر **قوله تعالي** خسر الدنيا والاخرة
ذلك هو الخسران المبين قرا مجاهد وحميد والاعرج والزهري وابن اسحق وروي عن يعقوب
خاسر الدنيا بالالف نصبا علي الحال وعكسه فلا يوقف علي وجهه وخسرانه الدنيا بان لا حظ له في غنيمة ولا ثنا
والاخرة بان لا ثواب له فيها **قوله تعالي** يدعوا من دون الله اي هذا الذي يرجع الي الكفر يعبد الصنم الذي
لا ينفع ولا يضر ذلك هو الضلال البعيد قال الفرا الطويل **قوله تعالي** يدعو لمن ضره اقرب
من نفعه اي هذا الذي انقلب علي وجهه يعبد من ضره ادني من نفعه اي في الاخرة لانه بعبادته دخل النار
ولم ير منه نفعا اصلا ولكنه قال ضره اقرب من نفعه ترفيعا للكلام كقوله وانا واياكم لعلي هدي او في
ضلال مبين وقيل يعبد يعبدونهم توهما انهم ليشفعون لهم غدا كما قال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هاولاء شفعاونا عند الله وقال ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي وقال الفرا والكسائي و
الزجاج معني الكلام القسم والتاخير اي يدعوا الله من ضره اقرب من نفعه فاللام مقدمة في غير موضعها
ومن في موضع نصب بيدعوا واللام جواب القسم وضره مبتدا واقرب خبره وضعف الناس تاخير اللام وقال
ليس للام من التصرف ما يوجب ان يكون فيها تقديم ولا تاخير قال المولف رحمه الله حق اللام التقديم وقد
توخر قال الشاعر

خالي لانت ومن جرير خاله ... ينل العلاء ويكرم الاخوالا

اي لخالي انت وقد تقدم قال النحاس وحكي لنا علي بن سليمان عن محمد بن يزيد قال في الكلام حذف والمعني يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه الها قال النحاس واحسب هذا القول غلطا علي ابن محمد بن يزيد لا معني له لان ما بعد
اللام مبتدا فلا يجوز نصب اله وما احسب مذهب محمد بن يزيد الا قول الاخفش وهو احسن ما قيل في الاية
عندي والله اعلم قال يدعو بمعني يقول ومن مبتدا وخبره محذوف والمعني يقول لمن ضره اقرب من نفعه الهه
قلت وذكر هذا القول القشيري عن الزجاج والمهدوي عن الاخفش وكمل اعرابه فقال يدعو بمعني يقول
ومن مبتدا ومن ضره مبتدا ثان واقرب خبره والجملة صلة من وخبر من محذوف والتقدير يقول يدعو لمن
ضره اقرب من نفعه الهه ومثله قول عنترة

يدعون عنتر والرماح كانها ... اشطان بير في لبان الادهم

قال القشيري والكافر الذي يقول الصنم معبودي لا يقول ضره اقرب من نفعه ولكن المعني يقول الكافر لمن
ضره اقرب من نفعه في قول المسلمين معبودي وهو كقوله يا ايها الساحر ادع لنا ربك اي يا ايها الساحر عند
اولئك الذين يدعونك ساحرا وقال الزجاج يجوز ان يكون يدعون في موضع الحال وفيه ها محذوفة اي ذلك
هو الضلال البعيد يدعوه اي في حال دعايه اياه ففي يدعوها مضمرة ويوقف علي هذا علي يدعوا وقوله اقرب
من نفعه كلام مستانف مرفوع بالابتداء وخبره لبيس المولي وهذا لان اللام للتمييز والتوكيد فجعلها
اول الكلام قال الزجاج ويجوز ان يكون ذلك بمعني الذي ويكون في محل النصب بوقوع يدعو عليه
اي الذي هو الضلال البعيد يدعو كما قال وما تلك بيمينك يا موسي اي ما الذي قوله لمن ضره كلام
مبتدا ولبيس المولي خبر المبتدا وتقدير الاية علي الذي يدعوا الذي هو الضلال البعيد قدم المفعول وهو الذي
كما تقول زيدا اضرب واستحسنه ابو علي وزعم الزجاج ان النحويين اغفلوا هذا القول وانشد

عدس ما لعباد عليك امارة ... نجوت وهذا تحملين طليق

اي والذي وقال الزجاج ايضا والفرا يجوز ان يكون يدعو مكررا علي ما قبلها علي جهة تكثير هذا الفعل
الذي هو الدعا ولا تعدية اذ قد عديته اولا اي يدعوا من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره يدعو مثل ضربت
زيدا ضربت ثم حذفت يدعوا الاخرة اكتفا بالاولي قال الفرا ويجوز لمن ضره بكسر اللام اي يدعو الي من ضره
اقرب من نفعه قال الله عز وجل بان ربك اوحي لها اي اليها وقال الفرا ايضا والقفال اللام صلة اي يدعو
من ضره اقرب من نفعه اي يعبده وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود لبيس المولي اي في الناصر

من يعبد الله علي حرف اي شرط

ولبيس العشير اي المعاشر والصاحب والخليل يعني الوثن **قوله تعالي** ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما ذكر حال المشركين وحال المنافقين والشياطين ذكر حال
المومنين في الاخرة ايضا **قوله تعالي** ان الله يفعل ما يريد اي يثيب من يشا ويعذب من يشا فللمومنين
الجنة بحكم وعده الصدق وتفضله وللكافرين النار بما سبق من عدله لان فعل الرب معلل بفعل العبيد
قوله تعالي من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الي السماء قال
النحاس من احسن ما قيل فيها ان المعني من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا صلي الله عليه وسلم وانه يتهيا له
ان يقطع النصر الذي اوتيه فليمدد بسبب الي السماء اي فليطلب حيلة يصل بها الي السما **قوله تعالي**
ثم ليقطع اي ليقطع النصر ان تهيا له **قوله تعالي** فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وحيلته ما
يغيظه من نصر النبي صلي الله عليه وسلم والفايدة في الكلام انه اذا لم يتهيا له الكيد والحيلة بان
يفعل مثل هذا لم يصل الي قطع النصر وكذا قال ابن عباس ان الكناية في ينصره الله ترجع الي محمد صلي الله عليه
وسلم وهو وان لم يجر ذكره فجميع الكلام دال عليه لان الايمان هو الايمان بالله وبمحمد والانقلاب عن
الدين انقلاب عن الدين الذي اتي به محمد صلي الله عليه وسلم اي من كان يظن ممن يعادي محمدا ومن يعبد الله
علي حرف انا لا ننصر محمدا فليفعل كذا وكذا وعن ابن عباس ايضا ان الها تعود علي من والمعني من كان يظن
ان الله لا يرزقه فليختنق فليقتل نفسه اذ لا خير في حياة تخلو من عون الله والنصر علي هذا القول الرزق
تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من اعطاني اعطاه الله ومن ذلك قول العرب ارض منصورة اي
ممطورة قال الفقعسي

وانك لا تعطي امرا فوق حقه ... ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره

وكذا روي ابن ابي نجيح عن مجاهد قال من كان يظن ان لن ينصره الله اي لن يرزقه وهو قول ابي
عبيدة وقيل ان الها تعود علي الدين والمعني من كان يظن ان لن ينصر الله دينه فليمدد بسبب اي بحبل
والسبب ما يتوصل به الي الشي الي السما الي سقف البيت وقال ابن زيد هي السما المعروفة وقرا الكوفيون
ثم ليقطع باسكان اللام قال النحاس وهذا بعيد في العربية لان ثم ليست مثل الواو والفا لانها
يوقف عليها وتنفرد وفي قراءة عبد الله فليقطعه ثم لينظر هل يذهب كيده ما يغيظ قيل ما بمعني الذي
اي هل يذهبن كيده الذي يغيظه فحذف الهاء لتكون اخف وقيل بمعني المصدر اي هل يذهبن غيظه كيده
قوله تعالي وكذلك انزلناه ايات بينات يعني القران وان الله اي وكذلك ان الله يهدي
من يريد علق وجود الهداية بارادته فهو الهادي لا هادي سواه **قوله تعالي** قوله ان الذين امنوا اي
بالله وبمحمد صلي الله عليه وسلم والذين هادوا اي اليهود وهم المنتسبون الي ملة موسي صلي الله عليه وسلم
والصابيون هم قوم يعبدون النجوم والنصاري هم المنتسبون الي ملة عيسي عليه السلام والمجوس هم
عبدة النيران القايلين ان للعالم اصلين نور وظلمة قال قتادة والاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد
للرحمن وقيل المجوس في الاصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات والميم والنون يتعاقبان كالغيم والغين
والايم والاين وقد مضي في البقرة هذا كله مستوفي والذين اشركوا هم العرب عبدة الاوثان
قوله تعالي ان الله يفصل بينهم يوم القيامة اي يقضي ويحكم فللكافرين النار وللمومنين الجنة
وقيل هذا الفصل بان يعرفهم المحق من المبطل بمعرفة ضرورية واليوم يتميز المحق من المبطل بمعرفة ضرورية
بالنظر والاستدلال **قوله تعالي** ان الله علي كل شي شهيد اي من اعمال خلقه وحركاتهم
واقوالهم ولا يعزب عنه شي منها سبحانه وقوله ان الله يفصل بينهم خبر ان في قوله ان الذين امنوا كما تقول
ان زيدا ان الخير عنده وقال الفرا لا يجوز في الكلام ان زيدا ان اخاه منطلق وزعم انه انما جاز
في الاية لان في الكلام معني المجازاة اي من امن او من تهود او تنصر او صبا يفصل بينهم وحسابهم
علي الله ورد ابو اسحق علي الفرا هذا القول واستقبح قوله لا يجوز ان زيدا ان اخاه منطلق قال لانه
لا فرق بين زيد والذين وان تدخل علي كل مبتدا فتقول ان زيدا هو منطلق ثم تاتي بان فتقول
ان زيدا انه منطلق قال الشاعر

ان الخليفة ان الله سربله ... سربال عز به ترجي الخواتيم

قوله تعالي الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض هذه روية القلب الم تر بقلبك
وعقلك وتقدم معني السجود في البقرة وسجود الجماد في النحل والشمس معطوفة علي من وكذا والقمر والنجوم

قيل المجوس في الاصل النجوس

والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ثم قال وكثير حق عليه العذاب وهذا يشكل من الاعراب كيف لم ينتصب ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل مثل والظالمين اعد لهم عذابا اليما فزعم الكسائي والفراء انه لو نصب لكان حسنا ولكن اختير الرفع لان المعنى وكثير ابا السجود فيكون ابتداء وخبرا وتم الكلام عند قوله وكثير من الناس ويجوز ان يكون معطوفا على ان يكون السجود التذلل والانقياد لتدبير الله عز وجل من ضعف وقوة وصحة وسقم وحسن وقبح وهذا يدخل فيه كل شي ويجوز ان ينتصب على تقدير واهان كثيرا حق عليه العذاب ونحوه وقيل تم الكلام عند قوله والدواب ثم ابتدا فقال وكثير من الناس في الجنة وكثير حق عليه العذاب وكذا روي عن ابن عباس انه قال المعنى وكثير من الناس في الجنة وكثير حق عليه العذاب ذكره ابن الانباري وقال ابو العالية ما في السماء نجم ولا قمر ولا شمس الا يقع ساجدا لله حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يوذن له فيرجع من مطلعه قال القشيري وورد هذا في خبر مسند في حق الشمس فهذا سجود حقيقي ومن ضرورته تركيب الحياة والعقل في هذا الساجد قال المؤلف رحمه الله هذا الحديث المسند الذي اشار اليه خرجه مسلم وسياتي في سورة يس عند قوله الحق تعالى والشمس تجري لمستقر لها وقد تقدم في البقرة معنى السجود لغة ومعنى **قوله تعالى** ومن يهن الله فما له من مكرم اي من اهانه بالشقا والكفر لا يقدر احد على دفع الهوان عنه وقال ابن عباس ان من تهاون بعبادة الله صار الى النار **قوله تعالى** ان الله يفعل ما يشا يريد ان مصيرهم الى النار ولا اعتراض لاحد عليه وحكي الاخفش والكسائي والفراء ومن يهن الله فما له من مكرم اي اكرام **قوله تعالى** هذان خصمان اختصموا في ربهم خرج مسلم عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذان خصمان اختصموا في ربهم انها نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عقبة وبهذا الحديث ختم مسلم كتابه وقال ابن عباس نزلت هذه الايات على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في ثلاثة نفر من المومنين وثلاثة نفر من الكافرين وسماهم كما ذكر ابو ذر وقال علي بن ابي طالب انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله عز وجل يوم القيامة يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه ذكره البخاري والى هذا القول ذهب هلال بن يساف وعطا بن يسار وغيرهما وقال عكرمة المراد بالخصمين الجنة والنار اختصمتا فقالت النار خلقني لعقوبته وقالت الجنة خلقني لرحمته قال المؤلف رحمه الله وقد ورد تخاصم الجنة والنار حديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه انت عذابي اعذب بك من اشاء وقال لهذه انت رحمتي ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملوها خرجه البخاري ومسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس ايضا هم اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن اولى بالله منكم واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله امنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وتركتموه وكفرتم به حسدا فهذه كانت خصومتهم وانزلت فيهم هذه الاية والقول الاول اصح رواه البخاري عن حجاج بن منهال عن هشيم عن ابي هاشم عن ابي مجلز عن قيس بن عباد عن ابي ذر ومسلم عن عمرو بن زرارة عن هشيم ورواه سليمان التيمي عن ابي مجلز عن قيس بن عباد عن علي قال فينا نزلت هذه الاية وفي مبارزتنا يوم بدر هذان خصمان اختصموا في ربهم الى قوله الحريق وقرا ابن كثير هذانّ خصمان بتشديد النون من هذان وتاول الفرا الخصمين على انهما فريقان اهل دينين وزعم ان الخصم الواحد المسلمون والاخر اليهود والنصارى اختصموا في دين ربهم قال فقال اختصموا لانهم جمع قال ولو قال اختصما لجاز قال النحاس وهذا تاويل من لا دراية له بالحديث ولا بكتب اهل التفسير لان الحديث في هذه الاية مشهور رواه سفيان الثوري وغيره عن ابي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية نزلت في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنهم وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وهكذا روى ابو عمرو بن العلا عن مجاهد عن ابن عباس وفيه قول رابع انهم المومنون كلهم والكافرون كلهم من اي ملة كانوا قاله مجاهد والحسن وعطا بن ابي رباح وعاصم بن ابي النجود والكلبي وهذا القول بالعموم يجمع المنزل فيهم وغيرهم وقيل نزلت في الخصومة في البعث والجزاء اذ قال به قوم وانكره قوم **قوله تعالى** فالذين كفروا يعني من الفرق الذين تقدم ذكرهم **قوله تعالى** قطعت لهم ثياب من نار اي خيطت

اختصمت النار والجنة

وسويت وشبهت النار بالثياب لانها لباس لهم كالثياب وقوله قطعت اي تقطع لهم في الارض ثياب من نار وذكر بلفظ الماضي لان ما كان من اخبار الاخرة فالموعود منه كالواقع المتحقق قال الله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت للناس اي يقول الله تعالى ويحتمل ان يقال قد اعدت الان تلك الثياب لهم ليلبسوها اذا صاروا الى النار وقال سعيد بن جبير من نار من نحاس فتلك الثياب من نحاس قد اذيبت وهي السرابيل المذكورة من قطران وليس في الانية شي اذا حمي يكون اشد حرا منه وقيل المعنى ان النار قد احاطت بهم كاحاطة الثياب المقطوعة اذا لبسوها عليهم فصارت من هذا الوجه ثيابا لانها بالاحاطة كالثياب مثل وجعلنا الليل لباسا **قوله تعالى** يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي الماء الحار المغلي بنار جهنم وروى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان قال حديث حسن غريب **قوله تعالى** يصهر به يذاب به **قوله تعالى** ما في بطونهم والصهر اذابة الشحم والصهارة ما ذاب منه يقال صهرت الشي فانصهر اي اذبته فذاب فهو صهير قال ابن احمر يصف فرخ قطاة

تروي لقى القي في صفصف ... تصهره الشمس فما ينصهر

اي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك **قوله تعالى** والجلود اي ويحرق الجلود فان الجلود لا تذاب ولكن يضمر في كل شي ما يليق به فهو كما تقول اتيته فاطعمني ثريدا اي والله ولبنا قارصا اي وسقاني لبنا وقال الشاعر علفتها تبنا وماء باردا **قوله تعالى** ولهم مقامع من حديد اي يضربون بها ويدفعون الواحدة مقمعة ومقمع كالمحجن يضرب به على راس الفيل وقد قمعته اذا ضربته بها وقمعته واقمعته بمعنى اي قهرته واذللته فانقمع قال ابن السكيت اقمعت الرجل عني اقماعا اذا اطلع عليك فرددته عنك وقيل المقامع المطارق وهي المرازب ايضا وفي الحديث بيد كل ملك من خزنة جهنم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها سبعين الفا وقيل المقامع سياط من نار وسميت بذلك لانها تقمع المضروب اي تذلله **قوله تعالى** كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي من النار اعيدوا فيها بالضرب بالمقامع وقال ابو ظبيان ذكر لنا انهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش بهم وتفور فتلقي من فيها الى اعلا ابوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان اليها بالمقامع وقيل اذا اشتد غمهم فيها فروا فمن خلص منهم الى شفيرها اعادتهم الملائكة فيها بالمقامع ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق اي المحرق مثل الاليم والوجيع وقيل الحريق الاسم من الاحتراق وتحرق الشي بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق والذوق مماسة يحصل معها ادراك الطعم وهو هنا توسع والمراد به ادراكهم الالم **قوله تعالى** ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار لما ذكر حكم احد الخصمين وهو الكافر ذكر حال الخصم الاخر وهو المومن **قوله تعالى** يحلون فيها من اساور من ذهب من صلة والاساور جمع اسورة واسورة واحدها سوار وفيه ثلاث لغات ضم السين وكسرها واسوار قال المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة وليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لولو قال هنا وفي فاطر من اساور من ذهب ولولوا وقال في سورة الانسان وحلوا اساور من فضة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وقيل تحلى النسا بالذهب والرجال بالفضة وفيه نظر والقران يرده وقرا نافع وابن القعقاع وشيبة وعاصم هنا وفي سورة الملائكة لولوا بالنصب على معنى ويحلون لولوا واستدلوا بانها مكتوبة في جميع المصاحف هنا بالف وكذلك قرا يعقوب والجحدري وعيسى بن عمر بالنصب هنا والخفض في فاطر اتباعا للمصحف ولانها كتبت هنا بالف وهناك بغير الف الباقون بالخفض في الموضعين وكان ابو بكر لا يهمز اللولو في القران وهو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف قال القشيري والمراد ترصيع السوار باللولو ولا يبعد ان يكون في الجنة سوار من لولو مصمت قال المؤلف رحمه الله وهو ظاهر القران بل نصه وقال ابن الانباري من قرا ولولو بالخفض وقف عليه ولم يقف على الذهب وقال السجستاني من نصب اللولو فالوقف الكافي من ذهب لان المعنى ويحلون لولوا قال ابن الانباري وليس كما قال لانا اذا خفضنا اللولو نسقناه على لفظ الاساور واذا نصبناه نسقناه على تاويل الاساور وكانا قلنا يحلون فيها اساور ولولوا فهو في النصب بمنزلته في الخفض فلا معنى لقطعه من الاول **قوله تعالى** ولباسهم فيها حرير اي جميع ما يلبسونه من فرشهم ولباسهم

وستورهم حرير وهوا على ما في الدنيا بكثير وروى النسائي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الاخرة ومن شرب في انية
الذهب والفضة لم يشرب بها في الاخرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لباس اهل الجنة وشراب
اهل الجنة وشراب اهل الجنة وانية اهل الجنة فان قيل فدسوي النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الاشيا
الثلاثة فانه يحرمها في الاخرة فهل يحرمها اذا دخل الجنة قلنا نعم اذا لم يتب منها حرمها في الاخرة وان دخل
الجنة لاستعجاله ما حرم الله عليه في الدنيا لا يقال انما يحرم ذلك في الوقت الذي يعذب في النار او
بطول مقامه في الموقف فاما اذا دخل الجنة فلا لان حرمان شي من لذة الدنيا الجنة لمن كان في الجنة
نوع عقوبة ومواخذة والجنة ليست بدار عقوبة ولا مواخذة فيها بوجه فانا نقول ما ذكرتموه محتمل لولا
ما جاء ما يدفع هذا الاحتمال ويرده من ظاهر الحديث الذي ذكرناه وما رواه الايمة من حديث ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة والاصل التمسك بالظاهر
حتى يرد نص يدفعه بل قد ورد نص على صحة ما ذكرناه وهو ما رواه ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا
هشام عن قتادة عن داود السراج عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه وهذا نص صريح
واسناد صحيح فان كان وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو الغاية
في البيان وان كان من كلام الراوي على ما ذكره فهو اعلم بالمقال واقعد بالحال ومثله لا يقال بالراي
والله اعلم وكذلك من شرب الخمر ولم يتب ومن استعمل انية الذهب والفضة وكما لا يشتهي منزلة من هو ارفع
منه وليس ذلك بعقوبة كذلك لا يشتهي خمر الجنة ولا حريرها ولا يكون ذلك عقوبة وقد ذكرنا هذا كله في
كتاب التذكرة مستوفا وذكرنا فيها ان شجر الجنة وثمارها تتفتق عن ثياب الجنة وقد ذكرناه في سورة الكهف
قوله تعالى **وهدوا الى الطيب من القول** اي ارشدوا والى ذلك قال ابن عباس يريد لا اله الا الله والحمد لله
وقيل القران ثم قيل هذا في الدنيا هدوا الى الشهادة وقراءة القران وهدوا الى الصراط الحميد اي الى صراط
الله وصراط الله دينه وهو الاسلام وقيل هدوا في الاخرة الى الطيب من القول وهو الحمد لله لانهم يقولون غدا
الحمد لله الذي هدانا لهذا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فليس في الجنة لغو ولا كذب فما يقولونه فهو طيب
القول وقد هدوا في الجنة الى صراط الله اذ ليس في الجنة شي من مخالفة امر الله وقيل الطيب من القول
ما يأتيهم من الله من البشارات الحسنة وهدوا الى صراط الحميد اي الى طريق الجنة قوله تعالى **ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله الى قوله اليم** فيه سبع مسايل **الاولى** قوله ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله اعاد الكلام الى مشركي العرب حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام
عام الحديبية وذلك انه لم يعلم لهم صد قبل ذلك الجمع الا ان يريد صدهم لافراد من الناس وقد وقع ذلك
في صدر المبعث والصد المنع اي وهم يصدون وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي وقيل الواو زايدة
ويصدون خبران وهذا مفسد للمعنى المقصود وانما الخبر محذوف مقدر عند قوله والبادي تقديره خسروا
اذ هلكوا وجاء ويصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه كما جاء قوله الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله
فكانه قال ان الذين كفروا من شانهم الصد ولو قال ان الذين كفروا وصدوا لجاز قال النحاس وفي كتابي عن
ابي اسحاق قال وجايز ان يكون وهو الخبر الوجه نذقه من عذاب اليم قال ابو جعفر وهذا غلط لست اعرف
ما الوجه لانه جاء بخبران جزما وايضا فانه جواب الشرط ولو كان خبران لبقي الشرط بلا جواب
ولا سيما والفعل الذي في الشرط مستقبل فلا بد له من جواب **الثانية** قوله تعالى والمسجد الحرام قيل
انه المسجد نفسه وهو ظاهر القران لانه لم يذكر غيره وقيل الحرم كله لان المشركين صدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه عنه عام الحديبية فنزل خارجا عنه قال الله تعالى وصدوكم عن المسجد الحرام وقال
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وهذا صحيح لكنه قصد بالذكر هنا المهم المقصود من ذلك
الثالثة قوله تعالى جعلناه للناس اي للصلاة والطواف والعبادة وهو كقوله ان اول بيت وضع للناس
سوا العاكف فيه والبادي العاكف المقيم والملازم والبادي اهل البادية ومن يقدم عليهم يقول سواء
في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه الحاضر والذي ياتي من البلاد فليس اهل مكة احق من النازع اليه
وقيل ان المساواة انما هي في دوره ومنازله ليس المقيم فيها اولى من الطاري عليها وهذا على تعظيم

من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة

ان المسجد الحرام الحرم كله وهذا قول مجاهد ومالك رواه عنه ابن القاسم وروي عن عمر وابن عباس وجماعة
ان القادم له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء او ابى وقال ذلك سفيان الثوري
وغيره ولذلك كان الامر في الصدر الاول كانت دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة فاتخذ رجل
بابا فانكر عليه عمر وقال اتغلق بابا في وجه حاج بيت الله فقال انما اردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه
فاتخذ الناس الابواب وروي ايضا عن عمر انه كان يامر في الموسم بقلع ابواب دور مكة حتى يدخلها الذي يقدم
فينزل حيث شاء وكانت الفساطيط تضرب في الدور وروي عن مالك ان الدور ليست كالمسجد ولاهلها
الامتناع فيها والاستبداد وهذا هو العمل اليوم وقال بهذا جمهور من الامة وهذا الخلاف ينبني
على اصلين الاول ان دور مكة هل هي ملك لاربابها ام للناس والخلاف سببان احدهما هل فتح مكة
كان عنوة فتكون مغنومة لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقسمها واقرها لاهلها ولمن جاء بعدهم
كما فعل عمر رضي الله عنه بارض السواد وعفا لهم من الخراج كما عفا عن سبيهم واسترقاقهم احسانا
اليهم دون ساير الكفار فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق الى موضع كان اولى به وبهذا قال مالك
واحمد والاوزاعي او كان فتحها صلحا واليه ذهب الشافعي فتبقى ديارهم في ايديهم وفي املاكهم يتصرفون
كيف شاؤا وروي عن عمر انه اشترى دار صفوان بن امية باربعة الاف وجعلها سجنا وهو اول من سجن
في الاسلام على ما تقدم بيانه في اية المحاربين في المايدة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
حبس في تهمة وكان طاوس يكره السجن بمكة ويقول لا ينبغي لبيت عذاب ان يكون في بيت رحمة قال
المؤلف رحمه الله الصحيح ما قاله مالك وعليه تدل ظواهر الاخبار الثابتة بانها فتحت عنوة قال
ابو عبيد ولا نعلم مكة يشبهها شي من البلاد وروى الدارقطني عن علقمة بن نضلة قال توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما وما تدعى رباع مكة الا السوايب من احتاج سكن
ومن استغنى اسكن وزاد في رواية وعثمان وروي ايضا عن علقمة بن نضلة الكناني قال كانت تدعى
بيوت مكة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حرم مكة فحرام بيع رباعها واكل ثمنها
وقال من اكل من اجر بيوت مكة شيا فانما ياكل نارا قال الدارقطني كذا رواه ابو حنيفة مرفوعا
ووهم فيه ووهم ايضا في قوله عبيد الله بن يزيد وانما هو ابن ابي زياد القداح والصحيح انه موقوف واسند
الدارقطني ايضا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مناخ لا تباع رباعها ولا تؤجر
بيوتها وروى ابو داود عن عايشة قالت قلت يا رسول الله الا تبني لك بمنى بيتا او بناء يظلك من الشمس
فقال لا انما هو مناخ من سبق اليه وتمسك الشافعي رضي الله عنه بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
فاضافها اليهم وقال عليه السلام يوم الفتح من اغلق بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن
الرابعة قرا جمهور الناس سواء بالرفع وهو على الابتداء والعاكف خبره وقيل الخبر سواء وهو مقدم
اي العاكف فيه والبادي سواء وهو قول ابي علي والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة او متعبدا العاكف فيه
والبادي سواء وقرا حفص عن عاصم سواء بالنصب وهي قراءة الاعمش وذلك يحتمل ايضا وجهين احدهما
ان يكون مفعولا ثانيا لجعل ويرتفع العاكف به لانه مصدر فاعمل عمل اسم الفاعل لانه في معنى مستو
والوجه الثاني ان يكون حالا من الضمير في جعلناه وقرات فرقة سواء بالنصب العاكف بالخفض والباد
عطفا على الناس التقدير الذي جعلناه للناس العاكف والبادي وقراءة ابن كثير في الوصل والوقف
بالياء ووقف ابو عمرو بغير ياء ووصل بالياء وقرا نافع بغير يا في الوقف والوقف معا واجمع الناس على
الاستواء في المسجد الحرام واختلفوا في مكة وقد ذكرناه **الخامسة** ومن يرد فيه بالحاد بظلم شرط وجوابه
نذقه من عذاب اليم والالحاد في اللغة الميل الا ان الله تعالى بين ان الميل بالظلم هو المراد واختلفوا في
الظلم فروي عن علي رضي الله عن ابن عباس ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال الشرك وقال عطا الشرك والقتل وقيل
معناه صيد حمامه وقطع شجره ودخوله غير محرم وقال ابن عمر كنا نتحدث ان الالحاد فيه ان يقول الانسان
لا والله وبلى والله وكلا والله ولذلك كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فكان اذا اراد
الصلاة دخل فسطاط الحرم واذا اراد بعض شانه دخل فسطاط الحل صيانة للحرم عن قولهم كلا والله
وبلى والله حين عظم الله الذنب فيه ولذلك كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فسطاطان احدهما في الحل
والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل واذا اراد ان يصلي صلى في الحرم فقيل له في ذلك

فقال انا كنا نتحدث ان من الالحاد في الحرم ان يقول كلا والله وبلى والله والمعاصي تضاعف عليه في الحرم
كما تضاعف الحسنات فتكون المعصية معصيتين احدهما بنفس المخالفة والثانية باسقاط حرمة البلد الحرام
وهكذا الاشهر الحرم سواء وقد تقدم وروى ابو داود عن يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه وهو قول عمر بن الخطاب والعموم ياتي على هذا كله والله اعلم
السادسة ذهب قوم من اهل التاويل منهم الضحاك وابن زيد الى ان هذه الاية تدل على ان الانسان
يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة وان لم يعمله وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر قالوا لو ان
رجلا بعدن هم بقتل رجل بهذا البيت وهو بعدن لعذبه الله قال المولف رحمه الله هذا صحيح وقد جاء هذا المعنى في سورة
ن والقلم مبينا على ما ياتي بيانه هناك السابعة الباء في بالحاد زائدة كزيادتها في قوله تنبت بالدهن
وعليه حملوا قول ـــــــ الشاعر

نحن بنو جعدة اصحاب الفلج ... نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

اراد نرجوا الفرج وقال ـــــــ الاعشى

ضمنت برزق عيالنا ارماحنا ... اي رزق وقال ـــــــ اخر

الم ياتيك والانباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

اي ما لاقت فالباء زائدة وهو كثير وقال الفراء سمعت اعرابيا وسالته عن شيء فقال ارجو بذاك
اي ارجو ذاك وقال ـــــــ الشاعر

بواد يمان ينبت الشث صدره ... واسفله بالمرخ والشبهان

اي المرخ وهو قول الاخفش والمعنى عنده ومن يرد فيه الحادا بظلم وقال الكوفيون دخلت الباء لان المعنى بان يلحد
والباء مع ان يدخل ويحذف ويجوز ان يكون التقدير ومن يرد الناس فيه بالحاد وهذا الالحاد والظلم يجمع جميع المعاصي
من الكفر الى الصغائر فلعظم حرمة المكان توعد الله على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب
عليها الا في مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم وقد ذكرناه انفا قوله تعالى واذ
بوانا لابراهيم مكان البيت الى قوله والسجود فيه مسالتان الاولى قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت اي واذكر اذ بوانا يقال بواته منزلا وبوات له كما يقال مكنتك ومكنت لك فاللام في قوله
لابراهيم صلة للتاكيد كقوله ردف لكم وهذا قول الفراء وقيل بوانا لابراهيم مكان البيت اي اريناه اصله
ليبنيه وكان قد درس بالطوفان وغيره فلما جاءت مدة ابراهيم عليه السلام امره الله ببنائه فجاء الى
موضعه وجعل يطلب اثرا فبعث الله ريحا فكشف الله عن اساس ادم فرتب قواعده عليه حسب ما تقدم
بيانه في البقرة وقيل بوانا نازله منزله فعل يتعدى باللام كنحو جعلناه اي جعلنا لابراهيم مكان البيت
مبوا وقال ـــــــ الشاعر

كم من اخ لي ماجد ... بواته بيدي لحدا

الثانية ان لا تشرك هي مخاطبة لابراهيم عليه السلام في قول الجمهور وقرا عكرمة ان لا يشرك بالياء على نقل
معنى القول الذي قيل له قال ابو حاتم ولا بد من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى لان لا تشرك وقيل
بان ان مخففة من الثقيلة وقيل مفسرة وقيل زائدة مثل فلما ان جاء البشير وفي الاية طعن على من اشرك
من قطان البيت اي هذا كان الشرط على ابيكم فمن بعده وانتم فلم تفوا بل اشركتم وقالت فرقة
الخطاب في قوله ان لا تشرك لمحمد صلى الله عليه وسلم وامر بتطهير البيت والاذان بالحج والجمهور على ان ذلك
لابراهيم وهو الاصح وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الانجاس والدماء وقيل عني به التطهير عن
الاوثان كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان وذلك ان جرهما والعمالقة كانت لهم اصنام في محل البيت
وحوله قبل ان يبنيه ابراهيم وقيل المعنى نزه بيتي عن ان يعبد فيه صنم وهذا امر باظهار التوحيد فيه وقد
مضى ما للعلماء في تنزيه المسجد الحرام وغيره من المساجد بما فيه كفاية في براءة والقائمون هم المصلون
وذكر تعالى من اركان الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود قوله تعالى واذن في الناس
بالحج الى قوله عميق فيه سبع مسائل المسالة الاولى قوله تعالى واذن في الناس بالحج قرا جمهور الناس واذن
بشد الذال وقرا الحسن بن ابي الحسن وابن محيصن واذن بتخفيف الذال ومد الالف قال ابن عطية وتصحف
هذا على ابن جني فانه حكى عنهما واذن على انه فعل ماض واعرب عن ذلك بان جعله عطفا على بوانا والاذان
الاعلام وقد تقدم في براءة الثانية لما فرغ ابراهيم عليه السلم من بناء البيت وقيل له اذن في الناس

فلما جاءت مدة ابراهيم عليه السلام امره الله تعالى ببناء الكعبة

قال الله تعالى اذن وعلى الابلاغ

بالحج قال يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلى الابلاغ فصعد ابراهيم خليل الله جبل ابي قبيس فصاح يا ايها الناس
ان الله قد امركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فاجابه من كان في اصلاب الرجال
وارحام النساء لبيك اللهم لبيك فمن اجاب يومئذ حج على قدر الاجابة ان اجاب مرة فمرة وان اجاب
مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك قاله ابن عباس وابن جبير وروي عن ابي الطفيل قال قال لي ابن عباس
اتدري ما كان اصل التلبية قلت لا قال لما امر ابراهيم عليه السلم ان يؤذن في الناس بالحج خفضت الجبال
رؤوسها ورفعت له القرى فنادى في الناس بالحج فاجابه كل شيء لبيك اللهم لبيك وقيل ان الخطاب لابراهيم
تم عند قوله والسجود ثم خاطب الله عز وجل محمدا عليه السلم فقال واذن في الناس بالحج اي اعلمهم ان عليهم الحج وهو
قال ان الخطاب من قوله ان لا تشرك مخاطبة للنبي عليه السلام وهذا قول اهل النظر لان القران انزل
على النبي صلى الله عليه وسلم فكل ما فيه من المخاطبة فهي له الا ان يدل دليل قاطع على غير ذلك وها هنا دليل اخر
يدل على ان المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان لا تشرك بي بالتاء وهذه مخاطبة لمشاهد وابراهيم
عليه السلام غائب فالمعنى على هذا واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فجعلنا لك الدلائل على توحيد الله
تعالى وعلى ان ابراهيم عليه السلام كان يعبد الله وحده وقرا جمهور الناس بالحج بفتح الحاء وقرا ابن ابي اسحاق
في كل القران بكسرها وقيل ان نداء ابراهيم من جملة ما امر به من شرائع الدين والله اعلم الثالثة قوله تعالى
ياتوك رجالا وعلى كل ضامر وعدها اجابة الناس الى حج البيت ما بين راجل وراكب وانما قال ياتوك وان كانوا
وان كانوا ياتون الكعبة لان المنادي ابراهيم فمن اتى الكعبة حاجا فكانه اتى ابراهيم لانه اجاب نداءه
وفيه تشريف قال ابن عطية رجالا جمع راجل مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب وقيل الرجال جمع رجل
والرجل جمع راجل مثل تجار وتجر وتاجر وصحاب وصحب وصاحب وقد يقال في الجمع رجال بالتشديد مثل
كافر وكفار وقرا ابن ابي اسحاق وعكرمة رجالا بضم الراء وتخفيف الجيم وهو قليل في ابنية الجمع
ورويت عن مجاهد وقرا مجاهد رجالى على وزن فعالى فهو مثل كسالى قال النحاس في جمع رجل خمسة اوجه
رجال مثل ركاب وهذا الذي روي عن عكرمة ورجال مثل قيام ورجل ورجله ورجاله والذي روي عن
مجاهد رجالى غير معروف والاشبه به ان يكون غير منون مثل سكارى وكسالى ولو نون لكان على فعال
وفعال في الجمع قليل وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبهم في المشي وعلى كل ضامر ياتين
من كل فج عميق لان معنى ضامر معنى ضوامر قال الفراء ويجوز ياتي على اللفظ والضامر البعير المهزول
الذي اتعبه السفر يقال ضمر يضمر ضمورا فوصفها الله تعالى بالمال الذي انتهت عليه الى مكة وذكر سبب
الضمور فقال ياتين من كل فج عميق اي اثر فيها طول السفر ورد الضمير الى الابل تكرمة لها لقصدها الحج مع
اربابها كما قال والعاديات ضبحا في خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت في سبيل الله الرابعة قال بعضهم انما
قال رجالا لان الغالب خروج الرجال الى الحج دون الاناث فقوله رجالا من قولك هذا رجل وهذا فيه بعد لقوله
وعلى كل ضامر يعني الركبان فدخل فيه الرجال والنساء ولما قال تعالى رجالا وبدا بهم دل ذلك على ان
حج الراجل افضل من حج الراكب قال ابن عباس ما اسا على شيء فاتني الا ان اكون حججت ماشيا فاني سمعت الله
يقول ياتوك رجالا وقال ابي ابن نجيح حج ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ماشيين وقرا اصحاب ابن مسعود
ياتون وهي قراءة ابي بن ابي عبلة والضحاك والضمير للناس الخامسة لا خلاف في جواز الركوب والمشي
واختلفوا في الافضل منهما فذهب مالك والشافعي في اخرين الى ان الركوب افضل اقتداء بالنبي صلى الله
عليه وسلم ولكثرة النفقة ولتعظيم شعائر الحج باهبة الركوب وذهب غيرهم الى ان المشي افضل لما فيه من
المشقة على النفس ولحديث ابي سعيد قال حج النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة الى مكة
وقال اربطوا ازركم ومشى خلط الهرولة خرجه ابن ماجه في سننه ولا خلاف في ان الركوب
في الوقوف بعرفة افضل واختلفوا في الطواف والسعي فالركوب عند مالك في المناسك كلها افضل
للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم السادسة استدل بعض العلماء بسقوط ذكر البحر من هذه الاية على ان
فرض الحج بالبحر ساقط قال مالك في الموازية لا اسمع للبحر ذكرا وهذا تانس لا انه يلزم من سقوط ذكره
سقوط الفرض فيه وذلك ان مكة ليست في ضفة بحر فياتيها الناس في السفن ولا بد لمن ركب البحر ان يصير
في اتيان مكة اما راجلا واما على ضامر وانما ذكرت حالتا الوصول واسقاط فرض الحج بمجرد البحر ليس بالكثير
ولا بالقوي فاما اذا اقترن به عدو وخوف او هول شديد او مرض يلحق شخصا فمالك والشافعي

حج النبي واصحابه مشاة من المدينة الى مكة

وجمهور الناس على سقوط الوجوب بهذه الاعذار وانه ليس بسبيل لمستطاع قال ابن عطية وذكر صاحب الاستلحاق
في هذا المعنى كلاما ظاهره ان الوجوب لا يسقط بشي من هذه الاعذار وهذا ضعيف قال المؤلف
رحمه الله واضعف من ضعيف وقد مضى في البقرة بيانه والفج الطريق الواسعة والجمع فجاج وقد مضى في
الانبياء والعميق معناه البعيد وقرا الجماعة يأتين وقرا اصحاب عبد الله يأتون وهذا للركبان ويأتين
للجمال كانه قال وعلى ابل ضامرة تاتين من كل فج عميق اي بعيد ومنه بير عميقة اي بعيدة القعر ومنه
وقاتم الاعماق خاوي المخترق **السابعة** واختلفوا في الواصل الى البيت هل يرفع يديه
عند رويته ام لا فروى ابو داود وقال سئل جابر بن عبد الله عن الرجل يرى البيت ويرفع يديه فقال ما كنت
ارى ان احدا يفعل هذا الا اليهود وقد حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يفعله وروى ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع الايدي في سبع مواطن افتتاح الصلوة واستقبال
القبلة والصفا والمروة والموقفين والجمرتين والى هذا ذهب الثوري وابن المبارك واحمد واسحق وضعفوا
حديث جابر لان مهاجر المكي راويه مجهول وكان ابن عمر يرفع يديه عند روية البيت وعن ابن عباس مثله
قوله تعالى **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله الى قوله بالبيت العتيق** فيه ثلاث وعشرون
مسالة **الاولى** قوله ليشهدوا اي اذن بالحج ياتوك رجالا وركبانا ليشهدوا اي ليحضروا والشهود
الحضور منافع لهم اي المناسك كعرفات والمشعر الحرام وقيل المغفرة وقيل التجارة وقيل هو عموم اي ليحضروا
منافع لهم اي ما يرضي الله تعالى من امر الدنيا والاخرة قاله مجاهد واختاره ابن العربي فانه يجمع ذلك
كله من نسك وتجارة ومغفرة ومنفعة دنيا واخرى ولا خلاف في ان المراد بقوله ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم التجارة **الثانية** ويذكروا اسم الله في ايام معلومات قد مضى في البقرة الكلام
في الايام المعلومات والمعدودات والمراد بذكر اسم الله ذكر التسمية عند الذبح والنحر مثل قولك بسم الله والله
اكبر اللهم منك ولك ومثل قولك عند الذبح ان صلاتي ونسكي ومحياي الاية وكان الكفار يذبحون على اسم
اصنامهم فبين الرب ان الواجب الذبح على اسم الله تعالى وقد مضى في الانعام **الثالثة** اختلف العلما في
وقت الذبح يوم النحر فقال مالك بعد صلاة الامام وذبحه الا ان يؤخر تاخيرا يتعدى فيه فيسقط الاقتدا
به وراعى ابو حنيفة الفراغ من الصلاة دون ذبح الامام والشافعي دخول وقت الصلاة ومقدار ما توقع فيه
مع الخطبتين فاعتبر الوقت دون الصلاة هذه رواية المزني عنه وهو قول الطبري وذكر الربيع عن البويطي
قال الشافعي ولا يذبح احد حتى يذبح الامام الا ان يكون ممن لا يذبح فاذا صلى وفرغ من الخطبة حل الذبح وهذا
كقول مالك وقال احمد اذا انصرف الامام فاذبح وهو قول ابراهيم واصح هذه الاقوال قول مالك لحديث
جابر بن عبد الله قال صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بالمدينة فتقدم رجال فنحروا وظنوا ان النبي صلى
الله عليه وسلم خرجه مسلم والترمذي وقال وفي الباب عن جابر وجندب وانس وعويمر بن اشقر وابن عمر

ترفع الايدي في سبع مواطن

وعن سعيد بن جبير وجابر بن زيد انهما قالا النحر في الامصار يوم واحد وفي منى ثلاثة ايام وعن الحسن البصري
في ذلك ثلاث روايات احدها كما قال مالك والثاني كما قال الشافعي والثالثة الى اخر يوم من ذي الحجة
فاذا اهل هلال المحرم فلا اضحى قال المؤلف رحمه الله وهو قول سليمان بن يسار وابي سلمة بن عبد الرحمن
وروينا حديثا مرسلا مرفوعا خرجه الدارقطني الضحايا الى هلال ذي الحجة ولم يصح ودليلنا قوله تعالى في
ايام معلومات الاية وهذا جمع قلة لكن المتيقن منه الثلاثة وما بعد الثلاثة غير متيقن فلا يعمل به قال
ابو عمر اجمع العلما على ان يوم النحر يوم اضحى واجمعوا على ان الاضحى بعد انسلاخ ذي الحجة ولا يصح عندي
في هذه الا قولان احدهما قول مالك والكوفيين والاخر قول الشافعي والشاميين وهذان القولان مرويان
عن الصحابة فلا معنى للاشتغال بما خالفهما لان من خالفهما لا اصل له في السنة ولا في قول الصحابة
وما خرج عن هذين فمتروك لهما وقد روي عن قتادة قول سادس وهو ان الاضحى يوم النحر وستة ايام
بعده وهذا ايضا خارج عن قول الصحابة فلا معنى له **السادسة** اختلف في ليالي النحر هل تدخل مع الايام
فيجوز فيها الذبح او لا فروى عن مالك في المشهور انها لا تدخل فلا يجوز الذبح بالليل وعليه جمهور اصحابه
واصحاب الراي لقوله تعالى ويذكروا اسم الله في ايام فذكر الايام وهو دليل على ان الذبح في الليل لا يجوز وقال
ابو حنيفة والشافعي واحمد واسحاق وابو ثور الليالي داخلة في الايام ويجزي الذبح فيها وروي عن مالك
واشهب نحوه ولاشهب تفريق بين الهدي والضحية فاجاز الهدي ليلا ولم يجز الضحية ليلا **السابعة**
قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام وهي هنا الابل والبقر والغنم وبهيمة الانعام هي الانعام فهي
كقولك صلاة الاولى ومسجد الجامع **الثامنة** فكلوا منها امر معناه الندب عند الجمهور ويستحب
للرجل ان ياكل من هديه او ضحيته وان يتصدق بالاكثر مع تجويزهم الصدقة بالكل واكل الكل وشذت
طائفة فاوجبت الاكل والاطعام بظاهر الامر ولقوله عليه السلام فكلوا وادخروا وتصدقوا قاله
الكيا قوله تعالى فكلوا منها واطعموا يدل على انه لا يجوز بيع جميعه والتصدق بجميعه **التاسعة**
دما الكفارات لا ياكل منها اصحابها ومشهور مذهب مالك انه لا ياكل من ثلاث جزاء الصيد ونذر المساكين
وفدية الاذى وياكل مما سوى ذلك اذا بلغ محله واجبا كان او تطوعا ووافقه على ذلك جماعة من السلف
وفقهاء الامصار **العاشرة** فان اكل مما منع منه فهل يغرم قدر ما اكل او يغرم هديا كاملا قولان
في مذهبنا وبالاول قال ابن الماجشون قال ابن العربي وهو الحق لا شي عليه غيره وكذلك لو نذر هديا
للمساكين فيا كل منه بعد ان بلغ محله لا يغرم الا ما اكل خلافا للمدونة لان النحر قد وقع والتعدي انما هو
على اللحم فيغرم قدر ما تعدى فيه قوله تعالى وليوفوا نذورهم وليطوفوا فانه يدل على وجوب اخراج
النذور وان كان دما او هديا او غيره ويدل ذلك على ان النذر لا يجوز ان ياكل منه وفاء بالنذر وكذلك
جزاء الصيد وفدية الاذى لان المطلوب ان ياتي به كاملا من غير نقص لحم ولا غيره فان اكل من
... وكان عليه هدي كاملا والله اعلم **الحادية عشرة** هل يغرم قيمة اللحم او يغرم طعاما ففي كتاب محمد بن

ثم ما كان من الهدي اصله واجبا فلا ياكل منه وما كان تطوعا ونسكا اكل منه واهدى وادخر وتصدق والمتعة والقران عنده نسك ونحوه مذهب الاوزاعي وقال ابو حنيفة واصحابه ياكل من هدي المتعة والتطوع ولا ياكل مما سوى ذلك مما وجب بحكم الاحرام وحكي عن مالك لا ياكل من دم الفساد وعلى قياس هذا لا ياكل من دم الجبر كقول الشافعي والاوزاعي تمسك مالك بان جزاء الصيد جعله الله للمساكين بقوله او كفارة طعام مساكين وقال في فدية الاذى ففدية من صيام او صدقة او نسك وقال صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة اطعم ستة مساكين مدين لكل مسكين او صم ثلاثة ايام او انسك شاة ونذر المساكين مصرح به واما غير ذلك من الهدايا فهو باق على اصل قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله الى قوله فكلوا منها وقد اكل النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه من الهدي الذي جاء به وشربا من مرقه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قارنا في اصح الاقوال والروايات فكان هديه على هذا واجبا فما تعلق به ابو حنيفة غير صحيح وانما اذن الله سبحانه في الاكل من الهدايا لاجل ان العرب كانت لا ترى ان ياكل من نسكها فامر الله سبحانه نبيه عليه السلام بمخالفتهم فلا جرم كذلك شرع وبلغ وكذلك فعل حين اهدى واحرم صلى الله عليه وسلم **الثالثة عشرة** قوله تعالى فكلوا منها قال بعض العلما هو ناسخ لفعلهم لانهم كانوا يحرمون لحوم الضحايا على انفسهم ولا ياكلون منها كما قلناه في الهدايا فنسخ الله ذلك بقوله فكلوا منها وبقول النبي صلى الله عليه وسلم من ضحى فلياكل من اضحيته ولانه عليه السلم اكل من هديه ومن ضحيته وقال الزهري من السنة ان ياكل اولا من الكبد **الرابعة عشرة** ذهب اكثر العلما الى انه يستحب ان يتصدق بالثلث ويطعم الثلث وياكل هو واهله الثلث وقال ابن القاسم عن مالك ليس عندنا في الضحايا قسم معلوم موصوف قال مالك في حديثه وبلغني عن ابن مسعود وليس عليه العمل روى الصحيح وابو داود قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة ثم قال يا ثوبان اصلح لحم هذه الشاة قال فما زلت اطعم منه حتى قدم المدينة وهذا نص في الغرض واختلف قول الشافعي فمرة قال ياكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله تعالى فكلوا منها واطعموا البائس الفقير فذكر شخصين وقال مرة ياكل ثلثا ويهدي ثلثا ويطعم ثلثا لقوله تعالى فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر فذكر ثلاثة **الخامسة عشرة** المسافر مخاطب بالاضحية كما يخاطب بها الحاضر اذ الاصل عموم الخطاب بها وهو قول كافة العلما وخالف في ذلك ابو حنيفة والنخعي وروي عن علي والحديث حجة عليهم واستثنى مالك من المسافرين الحاج بمنى فلم ير عليه اضحية وبه قال النخعي وروي ذلك عن ابي بكر وعمر وجماعة من السلف لان الحاج انما هو مخاطب في الاصل بالهدي فاذا اراد ان يضحي جعله هديا والناس غير الحاج انما امروا بالاضحية ليتشبهوا باهل منى ليحصل لهم حظ من اجرهم **السادسة عشرة** اختلف العلما في الادخار على اربعة اقوال وروي عن علي وابن عمر رضي الله عنهم من وجه صحيح انه لا يدخر من الضحايا بعد ثلاث ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي وقالت جماعة ما روي من النهي عن الادخار منسوخ فيدخر الى اي وقت احب وقال ابو سعيد الخدري وبريدة الاسلمي وقالت فرقة يجوز الاكل منها مطلقا وقالت طايفة ان كان بالناس حاجة اليها فلا يدخر لان النهي انما كان لعلة وهي قوله عليه وسلم انما نهيتكم من اجل الدافة التي دفت ولما ارتفعت ارتفع النهي المتقدم لارتفاع موجبه لا لانه منسوخ وتنشا هنا مسالة اصولية وهي **السابعة عشرة** وهي الفرق بين رفع الحكم بالنسخ ورفعه لارتفاع علته اعلم ان المرفوع بالنسخ لا يحكم به ابدا والمرفوع لارتفاع علته يعود الحكم لعود العلة فلو قدم على اهل بلدة ناس محتاجون في زمان الاضحى ولم يكن عند اهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم الا الضحايا لتعين عليهم ان لا يدخروها فوق ثلاث كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم **الثامنة عشرة** الاحاديث الواردة في هذا الباب بالمنع والاباحة صحاح ثابتة وقد جاء المنع والاباحة معا كما هو منصوص في حديث عايشة وسلمة بن الاكوع وابي سعيد الخدري رواها الصحيح وروى الصحيح عن ابي عبيد مولى ابن ازهر انه شهد العيد مع عمر بن الخطاب ثم قال صليت العيد مع علي ابن ابي طالب قال فصلى لنا قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاكم ان تاكلوا لحوم نسككم فوق ثلاث ليال فلا تاكلوها وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تؤكل لحوم الاضاحي بعد ثلاث قال سالم فكان ابن عمر لا ياكل لحوم الاضاحي فوق ثلاث وروى ابو داود عن نبيشة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا نهيناكم عن لحومها فوق ثلاث لكي تسعكم جاء الله بالسعة فكلوا

من ضحى فلياكل من اضحيته

وادخروا واتجروا الا ان هذه الايام ايام اكل وشرب وذكر لله عز وجل قال النحاس وهذا القول احسن ما قيل في هذا حتى تتفق الاحاديث ولا تتضاد ويكون قول علي بن ابي طالب وعثمان رضي الله عنهما محفوظا لان الناس كانوا في شدة محتاجين ففعل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدمت الدافة والدليل على هذا ما حدثنا ابراهيم بن سهيل قال حدثنا احمد قال حدثنا ليث قال حدثني الحارث بن يعقوب عن يزيد بن ابي يزيد عن امراته انها سالت عايشة عن لحوم الاضاحي فقالت قدم علينا علي بن ابي طالب من سفر فقدمنا اليه منه فابى ان ياكل حتى يسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال كل من ذي الحجة الى ذي الحجة وقال الشافعي من قال بالنهي عن الادخار بعد ثلاث لم يسمع الرخصة ومن قال بالرخصة مطلقا لم يسمع النهي عن الادخار ومن قال بالنهي والرخصة سمعهما جميعا فعمل بمقتضاهما والله اعلم وسياتي في سورة الكوثر الاختلاف في وجوب الاضحية وندبيتها وانها ناسخة لكل ذبح تقدم **التاسعة عشرة** واطعموا البائس الفقير الفقير من صفة البائس وهو الذي ناله البؤس وشدة الفقر يقال بئس يبئس باسا اذا افتقر فهو بائس وقد تستعمل فيمن نزلت به نازلة دهر وان لم يكن فقيرا ومنه قوله عليه السلم لكن البائس سعد بن خولة ويقال رجل بئيس اي شديد وقد بؤس يبؤس باسا اذا اشتد ومنه قوله تعالى واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس اي شديد وكلما كان التصدق بلحم الاضحية اكثر كان الاجر اوفر وفي القدر الذي يجوز اكله خلاف قد ذكرناه فقيل النصف لقوله كلوا واطعموا وقيل الثلث لقوله الا فكلوا وادخروا واتجروا اي اطلبوا الاجر بالاطعام واختلف في الاكل والاطعام فقيل واجبان وقيل مستحبان وقيل بالفرق بين الاكل والاطعام فالاكل مستحب والاطعام واجب وهو قول الشافعي **الموفية عشرين** قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم اي ثم ليقضوا بعد نحر الضحايا والهدايا ما بقي عليهم من امر الحج كالحلق ورمي الجمار وازالة شعث ونحوه قال ابن عرفة اي ليزيلوا عنهم ادرانهم وقال الازهري التفث الاخذ من الشارب وقص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة وهذا عند الخروج من الاحرام وقال النضر بن شميل التفث في كلام العرب اذهاب الشعث والازهري يقول التفث في كلام العرب لا يعرف الا من قول ابن عباس واهل التفسير قال الحسن هو ازالة قشف الاحرام وقيل التفث عمل الحج كله رواه ابن عمر وابن عباس قال ابن العربي لو صح عنهما لكان حجة لشرف الصحبة والاحاطة باللغة قال وهذه اللفظة غريبة لم يجد اهل العربية فيها شعرا ولا احاطوا بها خبرا لكني تتبعت التفث لغة فرايت ابا عبيدة معمر بن المثنى قال انه قص الاظفار واخذ الشارب وكل ما يحرم على المحرم الا النكاح قال ولم يجي فيه شعر يحتج به وقال صاحب العين التفث هو الرمي والحلق والتقصير والذبح وقص الاظفار والشارب والابط وذكر الزجاج والفرا نحوه ولا اراه اخذوه الا من قول العلما وقال قطرب تفث الرجل اذا كثر وسخه قال امية بن ابي الصلت

حفوا رؤوسهم لم يحلقوا تفثا ... ولم يسلوا لهم قملا وصيبانا

وما اشار اليه قطرب هو الذي قاله ابن وهب عن مالك وهو الصحيح في التفث وهذه صورة القا التفث لغة واما حقيقته الشرعية فاذا نحر الحاج او المعتمر هديه وحلق راسه وازال وسخه وتطهر وتنقى ولبس فقد ازال تفثه ووفى نذره والنذر ما لزم الانسان والتزمه قال المؤلف رحمه الله ما حكاه عن قطرب وذكر من الشعر قد ذكره في تفسيره الماوردي وذكر شيا اخر فقال

قضوا تفثا ونحبا ثم ساروا ... الى نجد وما انتظروا عليا

وقال الثعلبي واصل التفث في اللغة الوسخ تقول العرب للرجل تستقذره ما اتفثك اي ما اوسخك واقذرك وقال الماوردي قيل لبعض الصلحا ما المعنى في شعث المحرم قال ليشهد الله تعالى منك الاعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته **الحادية والعشرون** وليوفوا نذورهم امروا بوفا النذر مطلقا الا ما كان معصية لقوله عليه السلام لا وفا لنذر في معصية الله وقوله من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه وليطوفوا بالبيت العتيق الطواف المذكور في هذه الاية هو طواف الافاضة الذي هو من واجبات الحج قال الطبري لا خلاف بين المتاولين في ذلك **الثانية والعشرون** للحج ثلاثة اطواف طواف القدوم وطواف الافاضة وطواف الوداع قال اسمعيل بن اسحق طواف القادم سنة وهو ساقط عن المراهق وعن المكي وعن كل من يحرم بالحج من مكة قال والطواف

الواجب الذي لا يسقط بوجه من الوجوه وهو طواف الافاضة الذي يكون بعد عرفة قال الله تعالى ثم ليقضوا
تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قال فهذا هو الطواف المفترض في كتاب الله تعالى
وهو الذي يحل به الحاج من احرامه كله قال الحافظ ابو عمر ما ذكره اسمعيل في طواف الافاضة هو قول
مالك عند اهل المدينة وهي رواية ابن وهب وابن نافع واشهب عنه وقد روى ابن القاسم وابن عبد الحكم
عن مالك ان طواف القدوم واجب وقال ابن القاسم في غير موضع من المدونة ورواه ايضا عن مالك
الطواف الواجب طواف القادم مكة وقال من نسي الطواف في حين دخوله مكة او نسي شوطا منه او نسي
السعي او شوطا منه حتى رجع الى بلده ثم ذكر فان لم يكن اصاب النساء رجع الى مكة حتى يطوف بالبيت
ويركع ويسعى بين الصفا والمروة ثم يهدي وان اصاب النساء وطاف وسعى ثم اعتمر واهدى وهكذا
كقوله فيمن نسي طواف الافاضة سوا فعلى هذه الرواية الطوافان جميعا واجبان والسعي ايضا
واما طواف الصدر وهو المسمى بطواف الوداع فروى ابن القاسم وغيره عن مالك فيمن طاف
طواف الافاضة على غير وضوء انه يرجع من بلده فيفيض الا ان يكون تطوع بعد ذلك وهذا مما اجمع
عليه مالك واصحابه وانه يجزيه تطوعه عن الواجب المفترض عليه من طوافه ولذلك اجمعوا ان من
فعل في حجه شيئا تطوع به من عمل الحج وذلك الشي واجب في الحج قد جاز وقته فان تطوعه ذلك يصير
للواجب لا للتطوع بخلاف الصلاة فاذا كان التطوع ينوب عن الفرض في الحج كان الطواف لدخول مكة
احرى ان ينوب عن طواف الافاضة الا ان اسمعيل وغيره وهو مذهب ابن القاسم لا ينوب عندهم عن
طواف الافاضة الا ما كان من الطواف بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر او بعده للوداع ورواية ابن عبد
الحكم عن مالك بخلاف ذلك لان فيها ان طواف الدخول مع السعي ينوب عن طواف الافاضة لمن رجع الى بلده
مع الهدي كما ينوب طواف الافاضة مع السعي لمن لم يطف ولم يسع حين دخوله مكة مع الهدي ايضا عن
طواف القدوم ومن قال هذا قال انما قيل لطواف القدوم واجب ولطواف الافاضة واجب لان
بعضهما ينوب عن بعض ولانه قد روي عن مالك انه يرجع من نسي احدهما من بلده على ما ذكرنا ولان الله عز
وجل لم يفترض على الحاج الا طوافا واحدا بقوله واذن في الناس بالحج وقال وليطوفوا بالبيت العتيق
والواو عندهم في هذه الاية لا توجب رتبة الا بتوقيف واسند الطبري عن عمرو بن سلمة قال سالت
زهيرا عن قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هو طواف الوداع وهذا يدل على انه واجب وهو احد
قولي الشافعي لانه عليه السلم رخص للحايض ان تنفر دون ان تطوفه ولا يرخص الا في الواجب **الثالثة
والعشرون** اختلف المتاولون في وجه صفته بالبيت العتيق فقال مجاهد والحسن العتيق القديم
يقال سيف عتيق وقد عتق اذا قدم وهذا قول يعضده النظر وفي الصحيح انه اول مسجد وضع في الارض
وقيل عتيقا لان الله اعتقه من ان يتسلط عليه جبار بالهوان الى انقضاء الزمان قال معناه ابن الزبير
وفي الترمذي عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر
عليه جبار قال هذا حديث حسن غريب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل فان ذكر ذاكر الحجاج بن
يوسف ونصبه المنجنيق على الكعبة حتى كسرها قيل له انما اعتقها عن كفار الجبابرة لانهم اذا اتوا بانفسهم
متمردين لحرمة البيت العتيق غير معتقدين وقصدوا الكعبة بالسوء فعصمت منهم ولم تنلها ايديهم
كان ذلك دلالة على ان الله عز وجل صرفهم عنها قسرا فاما المسلمون الذين اعتقدوا حرمتها فانهم ان كفوا عنها
لم يكن في ذلك من الدلالة على منزلتها عند الله مثل ما يكون منها في كف الاعداء فقصر الله تعالى هذه
الطايفة على الكف بالنهي والوعيد ولم يتجاوزه الى الصرف بالالجاء والاضطرار وجعل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر وقالت طايفة سمي عتيقا لانه لم يملك موضعه قط وقالت فرقة سمي عتيقا لان الله
تعالى يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب وقيل سمي عتيقا لانه اعتق من غرق الطوفان قاله ابن جبير
وقيل العتيق الكريم والعتق الكرم قال — طرفة يصف اذن فرس

و يولد بان تعرف العتق فيهما … كسامعتي مذعورة وسط ربرب

وعتق الرقيق الخروج من الرق الى كرم الحرية ويحتمل ان يكون العتق صفة مدح تقتضي جودة الشي كما قال
عمر حملت على فرس عتيق الحديث والقول الاول اصح للنظر والحديث الصحيح قال مجاهد خلق الله البيت قبل الارض
بالفي عام وسمي عتيقا لهذا والله اعلم **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له الى قوله

فيه ثمان مسايل **الاولى** قوله تعالى ذلك يحتمل ان يكون في موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك والواجب
ذلك ويحتمل ان يكون في موضع نصب بتقدير امتثلوا ذلك ونحو هذه الاشارة البليغة قول زهير

هذا وليس كمن يعيى بخطته … وسط الندي اذا ما قايل نطقا

والحرمات المقصودة هنا هي افعال الحج المشار اليها في قوله ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ويدخل في ذلك
تعظيم المواضع قاله ابن زيد وغيره ويجمع ذلك ان تقول الحرمات امتثال الامر من فرايضه وسننه وقوله
فهو خير له عند ربه اي التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشي منها وقيل ذلك التعظيم خير من خير ينتفع به
وليست للتفضيل وانما هي عدة بخير **الثانية** قوله تعالى واحلت لكم بهيمة الانعام اي ان تاكلوها
وهي الابل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم اي في الكتاب من المحرمات وهي الميتة والموقوذة واخواتها ولهذا
اتصال بامر الحج فان في الحج الذبح فبين ما يحل ذبحه واكل لحمه وقيل الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم
الثالثة قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان الرجس الشي القذر والوثن التمثال من خشب او حديد
او فضة او ذهب ونحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها والنصارى تنصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو
كالتمثال ايضا وقال عدي بن حاتم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال الق
هذا الوثن عنك اي الصليب واصله من وثن الشي اذا اقام في مقامه وسمي الصنم وثنا لانه ينصب ويركز في
مكان فلا يبرح عنه يريد اجتنبوا عبادة الاوثان روي عن ابن عباس وابن جريج وسماها رجسا لانها سبب
الرجز وهو العذاب وقيل وصفها بالرجس والرجس النجس فهي نجسة حكما وليست النجاسة وصفا ذاتيا للاعيان
وانما هو وصف شرعي من احكام الايمان فلا تزال الا بالايمان كما لا تجوز الطهارة الا بالماء **الرابعة** من في قوله
من الاوثان قيل انها لبيان الجنس فيقع نهيه عن رجس الاوثان فقط ويبقى ساير الارجاس نهيها في غير هذا الموضع
ويحتمل ان تكون لابتدا الغاية فكانه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبدا الذي منه يلحقهم اذ عبادة الوثن
جامعة لكل فساد ورجس ومن قال للتبعيض قلب معنى الاية وافسده **الخامسة** قوله تعالى واجتنبوا قول
الزور والزور الباطل والكذب وسمي زورا لانه امبل عن الحق ومنه تزاور عن كهفهم ومدينة زوراء اي مايلة
وكل ما عدى الحق فهو كذب وباطل وزور وفي الخبر انه عليه السلم قام خطيبا فقال عدلت شهادة الزور بالشرك
بالله قالها مرتين او ثلاثا يعني انها قد جمعت مع عبادة الوثن في النهي عنها **السادسة** هذه الاية تضمنت
الوعيد على الشهادة بالزور وينبغي للحاكم اذا عثر على الشاهد بالزور ان يعزره وينادي عليه ليعرف لئلا
يغتر بشهادته احد ويختلف الحكم في شهادته اذا تاب فان كان من اهل العدالة المشهور بها المبرز فيها لم تقبل
لانه لا سبيل الى علم حاله في التوبة اذ لا يستطيع ان يفعل من القربات اكثر مما هو عليه وان كان دون ذلك
فشمر في العبادة وزادت حاله في التقى قبلت شهادته وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اكبر الكباير
الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقول الزور وكان النبي صلى الله عليه وسلم متكيا فجلس فما زال يقولها
حتى قلنا ليته سكت **السابعة** حنفا لله معناه مستقيمين او مسلمين مايلين الى الحق والفظة حنفا من الاضداد
تقع على الاستقامة وتقع على الميل وحنفا نصب على الحال وقيل حنفا حجاجا وهذا تخصيص لا حجة معه **الثامنة**
قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء اي هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه
عذابا فهو بمنزلة من خر من السما فهو لا يقدر ان يدفع عن نفسه ومعنى فتخطفه الطير اي تقطعه بمخاليبها وقيل
هذا عند خروج روحه وصعود الملايكة بها الى سما الدنيا فلا تفتح لها فيرمى بها الى الارض كما في حديث البراء
وقد ذكرناه في كتاب التذكرة والسحيق البعيد ومنه قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير وقوله عليه السلم
فسحقا فسحقا **قوله تعالى** ذلك ومن يعظم شعاير الله فيه سبع مسايل **الاولى** قوله تعالى ذلك فيه
ثلاثة اوجه قيل يكون في موضع رفع بالابتدا اي ذلك امر الله ويجوز ان يكون في موضع رفع على خبر ابتدا محذوف
ويجوز ان يكون في موضع نصب اي اتبعوا ذلك **الثانية** قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعاير الله الشعاير جمع
شعيرة وهو كل شي لله تعالى فيه امر اشعر به واعلم ومنه شعار القوم في الحرب اي علامتهم التي يتعارفون بها
ومنه اشعار البدنة وهو الطعن في الجانب الايمن حتى يسيل الدم فيكون علامة فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة
فشعاير الله اعلام دينه وقال قوم المراد هنا تسمين البدن والاهتبال بامرها والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد
وجماعة وفيه اشارة لطيفة وذلك ان اصل شرا البدن ربما لا يحمل على فعل ما لا بد منه فلا يدل على الاخلاص
فاذا عظمها مع حصول الاجزا بما دونه فلا يظهر له عمل الا تعظيم الشرع وهو من تقوى القلوب والله اعلم

الثالثة الضمير في انها عايدة على الفعلة التي يتضمنها الكلام ولو قال فانه لجاز وقيل انها راجعة الى
الشعائر اي فان تعظيم الشعائر فحذف الكلام لدلالة المضاف لدلالة الكلام عليه فرجعت الكناية الى الشعاير
الرابعة قوله تعالى فانها من تقوى القلوب قرئ القلوب بالرفع على انها فاعلة بالمصدر الذي هو تقوى
فاضاف الى القلب لان حقيقة التقوى القلب ولهذا قال عليه السلم في صحيح الحديث التقوى هاهنا واشار
الى صدره الخامسة قوله تعالى لكم فيها منافع يعني البدن من الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك
اذا لم يبعثها ربها هديا فاذا بعثها فهو الاجل المسمى قاله ابن عباس فاذا صارت بدنا هديا فالمنافع
فيها ايضا ركوبها عند الحاجة وشرب لبنها بعد ري فصيلها وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راي رجلا يسوق بدنه فقال اركبها فقال انها بدنه قال اركبها قال انها بدنه قال اركبها ويلك
في الثانية او الثالثة وروي عن جابر بن عبد الله وسيل عن ركوب الهدي فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اركبها بالمعروف اذا الجيت اليها حتى تجد ظهرا والاجل المسمى على هذا القول نحرها قاله عطا
ابن ابي رباح السادسة ذهب بعض العلماء الى وجوب البدنة لقوله عليه السلم اركبها وممن اخذ بظاهره
احمد واسحاق واهل الظاهر وروي بن نافع عن مالك لاباس بركوب البدنة ركوبا غير فادح والمشهور انها
لا يركبها الا اذا اضطر اليها لحديث جابر فانه مقيد والمقيد يقضي على المطلق وبنحو ذلك قال
الشافعي وابو حنيفة ثم اذا ركبها عند الحاجة نزل قاله اسمعيل وهذا الذي يدل على مذهب مالك
وهو خلاف ما ذكره ابن القاسم انه لا يلزمه النزول وحجته اباحة النبي صلى الله عليه وسلم له الركوب
فجاز له استصحابه وقوله اذا الجيت اليها حتى تجد ظهرا يدل على صحة ما قاله الشافعي وابو حنيفة وما حكاه
اسمعيل عن مذهب مالك فقد جاء صريحا ان النبي صلى الله عليه وسلم راي رجلا يسوق بدنة وقد جهد
فقال اركبها وقال ابو حنيفة والشافعي ان نقصها الركوب المباح فعليه قيمة ذلك ويتصدق به
السابعة قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق يريد انها تنتهي الى البيت وهو الطواف فقوله محلها ماخوذ
من احلال المحرم والمعني ان شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي ينتهي الى طواف
الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التاويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطا وقال عطا ينتهي
الى مكة وقال الشافعي الى الحرم وهذا بناء على ان الشعائر هي البدن ولا وجه لتخصيص الشعائر
مع عمومها والغاء خصوصية ذكر البيت والله اعلم قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا الاية
لما ذكر تعالى الذبايح بين انه لم يخل منها امة والامة القوم المجتمعون على مذهب واحد اي ولكل جماعة
مومنة جعلنا منسكا والمنسك الذبح واراقة الدم قاله مجاهد يقال نسك اذا ذبح ينسك نسكا
والذبيحة النسيكة وجمعها نسك ومنه قوله تعالى او صدقة او نسك والنسك ايضا الطاعة
وقال الازهري في قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا انه يدل على موضع النحر في هذا الموضع اراد مكان
نسك ويقال منسك ومنسك لغتان وقري بهما قرا الكوفيون الا عاصما بكسر السين الباقون بفتحها وقال
الفرا المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير او شر وقيل مناسك الحج لترداد الناس اليها وقال ابن عرفة
في قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا اي مذهبا من طاعة الله تعالى يقال نسك نسك قومه اذا سلك مذهبهم وقيل
منسكا عيدا قاله الفرا وقيل حجا قاله قتادة والقول الاول الاظهر لقوله تعالى ليذكروا اسم الله على ما
رزقهم من بهيمة الانعام اي على ذبح ما رزقهم فامر تعالى عند الذبح بذكره وان يكون الذبح له لانه رازق
ذلك ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم الى اخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم فكذلك الامر في الذبيحة
انما ينبغي ان يخلص له قوله تعالى فله اسلموا معناه لحقه ولوجهه ولانعامه امنوا واسلموا ويحتمل
ان يريد الاستسلام اي له اطيعوا وانقادوا وبشر المخبتين المخبت المتواضع الخاشع من المومنين والخبت
ما انخفض من الارض اي بشرهم بالثواب الجزيل قال عمرو بن اوس المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم
ينتصروا وقال مجاهد فيما روي عنه سفيان عن ابن ابي نجيح المخبتون المطمينون بامر الله عز وجل قوله تعالى
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى وجلت اي خافت وحذرت
مخالفته فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكانهم بين يديه ووصفهم
بالصبر واقامة الصلاة وادامتها وروي ان هذه الاية قوله وبشر المخبتين نزلت في ابي بكر وعمر وعلي
رضوان الله عنهم وقرا الجمهور الصلاة بالخفض على الاضافة وقرا ابو عمرو الصلاة بالنصب على توهم

راي رجلا يسوق بدنة فقال اركبها

النون

النون وان حذفها للتخفيف لطول الاسم وانشد سيبويه الحافظو عورة العشيرة بالنصب
الثانية هذه الاية نظير قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم التي في الانفال
وقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها الاية هذه حالة العارفين بالله الخايفين من سطوته وعقوبته
كما لا يفعله جهال العوام والمبتدعة من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير فيقال لمن
تعاطى ذلك وزعم انه وجد وخشوع انك لم تبلغ ان تساوي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حال اصحابه
في المعرفة بالله تعالى والخوف منه والتعظيم لجلاله ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكا
خوفا من الله وكذلك وصف الله تعالى احوال اهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه ومن لم يكن كذلك
فليس على هداهم ولا على طريقتهم قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما
عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم فمن كان
مستنا فليستن ومن تعاطى احوال المجانين والمجون فهو من اخسهم حالا والجنون فنون روي الصحيح عن انس
بن مالك ان الناس سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه في المسالة فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال
سلوني لا تسالوني عن شي الا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا فلما سمع ذلك القوم ارموا ورهبوا ان يكون
بين امر قد حضر قال انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فاذا كل انسان لاف ثيابه في راسه في ثوبه يبكي وذكر
الحديث وقد مضى القول في هذه المسالة باشبع من هذا في الانعام والحمد لله قوله تعالى والبدن
جعلناها لكم من شعاير الله فيها عشر مسايل الاولى قوله تعالى والبدن وقرا ابن ابي اسحق والبدن
لغتان واحدها بدنة كما يقال ثمرة وثمر وخشبة وخشب وفي التنزيل وكان له ثمر وقري وثمر لغتان وسميت
بدنة لانها تبدن والبدانة السمن وقيل ان هذا الاسم خاص بالابل وقيل البدن جمع بدن بفتح الباء والدال
ويقال بدن الرجل بضم الدال اذا سمن وبدن بتشديدها اذا كبر واسن وفي الحديث اني قد بدنت
اي كبرت واسننت وروي بدنت وليس له معنى لانه خلاف صفته صلى الله عليه وسلم ومعناه كثرة اللحم
يقال بدن الرجل يبدن بدنا وبدانة فهو بادن اي ضخم الثانية اختلف العلماء في البدن هل يطلق على غير
الابل من البقر ام لا فقال ابن مسعود وعطا والشافعي لا وقال مالك وابو حنيفة نعم وفايدة الخلاف
فيمن نذر بدنة ولم يجد البدنة او لم يقدر عليها وقدر على البقرة فهل تجزيه ام لا فعلى مذهب الشافعي وعطا
لا تجزيه وعلى مذهب مالك تجزيه والصحيح ما ذهب اليه الشافعي وعطا لقوله عليه السلم في الحديث
الصحيح في يوم الجمعة من راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب
بقرة ومن راح في الساعة الثالثة الحديث فتفريقه صلى الله عليه وسلم بين البدنة والبقرة يدل على ان البقرة
لا يقال عليها بدن والله اعلم وايضا قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها يدل على ذلك وان هذا الوصف خاص بالابل
والبقر تضجع وتذبح كالغنم على ما ياتي ودليلنا ان البدنة ماخوذة من البدانة وهو الضخامة والضخامة
توجد فيهما جميعا والله اعلم وايضا فان البقرة في التقرب الى الله تعالى باراقة الدم بمنزلة الابل حتى تجزي
البقرة في الضحايا عن سبعة كالابل وهذا حجة لابي حنيفة حيث وافقه الشافعي على ذلك وليس ذلك
في مذهبنا وحكي ابن شجرة ان في الغنم بدنة وهو قول شاذ والبدن هي الابل التي تهدى الى الكعبة والهدي عام
في الابل والبقر والغنم الثالثة قوله تعالى من شعاير الله نص في انها بعض الشعاير وقوله لكم فيها خير يريد به
المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في الدنيا والاخرة الرابعة قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها
صواف اي انحروها على اسم الله وصواف اي قد صفت قوايمها والابل تنحر قياما معقولة واصل هذا الوصف
في الخيل يقال صفن الفرس فهو صافن اي قام على ثلاث قوايم وثنى سنبك الرابعة والسنبك طرف الحافر
والبعير اذا اراد وانحره تعقل احدي يديه فيقوم على ثلاث قوايم وقرا الحسن والاعرج ومجاهد وزيد بن اسلم
وابو موسى الاشعري صوافي اي خوالص لله عز وجل لا يشركون به في التسمية على نحرها احدا وعن الحسن ايضا صواف
بكسر الفاء وتنوينها مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت اليا تخفيفا على غير قياس وصواف قراة الجمهور بفتح
الفا وشدها من صف يصف وواحد صواف صافة وواحد صوافي صافية وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابو جعفر
محمد بن علي صوافن بالنون جمع صافنة ولا يكون واحدها صافنا لان فاعلا لا يجمع على فواعل الا في حروف مختصة
لا يقاس عليها وهي فارس وفوارس وهالك وهوالك وخالف وخوالف والصافنة هي التي قد رفعت احدي
يديها بالعقل لئلا تضطرب ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد وقال عمرو بن كلثوم

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة اعنتها صفوفا

ويروي نظل جياده نوحا عليه ... معلقة البيت وقال آخر

الف الصفوف فما يزال كانه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقال ابو عمرو الجرمي الصافن عرق في مقدم الرجل فاذا ضرب على الفرس رفع رجله وقال الاعشى

وكل كميت كجذع السحوق ... يزين الفناء اذا ما صفن

الخامسة قال ابن وهب اخبرني ابن ابي ذئب انه سال ابن شهاب عن الصواف فقال تقيدها ثم يصفها وقال لي مالك بن انس مثله وكافة العلماء على استحباب ذلك الا ابا حنيفة والثوري فانهما اجازا ان ينحرها باركة وقياما وشذ عطاء فخالف واستحب نحرها باركة والصحيح ما عليه الجمهور لقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها معناه سقطت بعد نحرها ومنه وجبت الشمس وفي صحيح مسلم عن زياد بن جبير ان ابن عمر اتى على رجل وهو ينحر بدنته باركة فقال ابعثها قائمة مقيدة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وروى ابو داود عن ابي الزبير عن جابر واخبرني عبد الرحمن بن سابط ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا ينحرون البدنة معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها **السادسة** قال مالك فان ضعف انسان او يخوف ان تنفلت بدنته فلا ارى باسا ان ينحرها معقولة والاختيار ان ينحر الابل قائمة غير معقولة الا ان يتعذر ذلك فيعقل ولا تعرقب الا ان يخاف ان تضعف عنها ولا يقوى عليها ونحرها باركة افضل من ان تعرقب وكان ابن عمر ياخذ الحربة بيده في عنفوان ايده فينحرها في صدرها ويخرجها على سنامها فلما اسن كان ينحرها باركة لضعفه ويمسك معه الحربة رجل اخر واخر بخطامها **السابعة** وتضجع البقر والغنم ولا يجوز النحر قبل الفجر من يوم النحر باجماع وكذلك الاضحية لا تجوز قبل الفجر فاذا طلع الفجر حل النحر بمنى وليس عليهم انتظار نحر امامهم بخلاف الاضحية في سائر البلاد والمنحر منى لكل حاج ومكة لكل معتمر ولو نحر الحاج بمكة والمعتمر بمنى لم يحرج واحد منهما **الثامنة** قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها يقال وجبت الشمس اذا سقطت ووجب الحائط اذا سقط قال قيس بن الخطيم

اطاعت بنو عوف اميرا نهاهم ... عن السلم حتى كان اول واجب

وقال اوس بن حجر

الم تكسف الشمس ضوء النهار ... والكوكب للجبل الواجب

فقوله تعالى فاذا وجبت يريد اذا سقطت على جنوبها ميتة كنى عن الموت بالسقوط على الجنب كما كنى عن النحر والذبح بقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف والكنايات في بعض المواضع ابلغ من التصريح قال الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه ... ما بين قلة راسه والمعصم

وقال عنترة

وضربت قرني كبشها فتجدلا

اي سقط مقتولا الى الجدالة وهي الارض ومثله كثير والوجوب للجنب بعد النحر علامة نزف الدم وخروج الروح منها وهو وقت الاكل اي وقت قرب الاكل لانه انما يبتدا بالسلخ وقطع شي من الذبيحة ثم يطبخ ولا يسلخ حتى يبرد لان ذلك من باب التعذيب قال عمر رض لا تعجلوا الانفس ان تزهق **التاسعة** فكلوا منها امر معناه الندب وكل العلما يستحب ان ياكل الانسان من هديه وفيه اجر وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لا ياكلون من هديهم كما تقدم وقال ابن شريح الاكل والاطعام مستحبان وله الاقتصار على ايهما شا وقال الشافعي الاكل مستحب والاطعام واجب فان اطعم جميعها اجزاه وان اكل جميعها لم يجزه وهذا فيما كان تطوعا فاما واجبات الدما فلا يجوز ان ياكل منها شيا حسب ما تقدم بيانه **العاشرة** قوله تعالى واطعموا القانع والمعتر قال مجاهد وابراهيم والطبري قوله واطعموا امر اباحة والقانع السايل يقال قنع الرجل يقنع قنوعا اذا سال بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف واستغنى ببلغته ولم يسال مثل حمد يحمد قناعة وقنعا وقنعانا قاله الخليل ومن الاول قول الشماخ شعر

لمال المرء يصلحه فيغني ... مفاقره اعف من القنوع

وقال ابن السكيت من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة وهي الرضا والتعفف وترك المسالة وروى عن ابي رجا انه قرا واطعموا القنع ومعنى هذا مخالف للاول يقال قنع الرجل فهو قنع اذا رضي واما المعتر فهو الذي يطيف بك يطلب ما عندك سايلا كان او ساكتا وقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد وابراهيم والكلبي والحسن ابن ابي الحسن المعتر من غير سوال قال زهير

على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

وقال مالك احسن ما سمعت ان القانع الفقير والمعتر الزائر وروي عن الحسن انه قرا والمعتري ومعناه كمعنى المعتر يقال اعتره واعتراه وعره وعراه اذا تعرض لما عنده او طلبه ذكره النحاس

قوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها فيه خمس مسائل **الاولى** كان اهل الجاهلية يضرجون البيت بدماء البدن فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فنزلت الاية قاله ابن عباس والنيل لا يتعلق بالباري تعالى ولكنه عبر عنه تعبيرا مجازيا عن القبول المعنى لن يصل اليه وقال ابن عباس لن يصعد اليه وقال ابن عيسى لن تقبل لحومها ولا دماؤها ولكن يصل اليه التقوى منكم اي ما اريد به وجهه فذلك الذي يقبله ويرفع اليه ويسمعه ويثيب عليه ومنه الحديث انما الاعمال بالنيات والقراءة لن ينال الله وينالهُ بالياء فيهما وعن يعقوب بالتاء فيهما نظرا الى اللحوم **الثانية** قوله تعالى كذلك سخرها لكم من سبحانه علينا بتذليلها وتمكيننا من تصريفها وهي اعظم منا ابدانا واقوى منا اعضاء ذلك ليعلم العبد ان الامور ليست على ما يظهر الى العبد من التدبير وانما هي بحسب ما يدبرها العزيز القدير فيغلب الصغير الكبير ليعلم الخلق ان الغالب هو الله الواحد القهار فوق عباده **الثالثة** قوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم ذكر سبحانه ذكر اسمه عليها في الاية قبلها فقال واذكروا اسم الله عليها صواف وذكر هنا التكبير وكان ابن عمر يجمع بينهما اذا نحر هديه فيقول بسم الله والله اكبر وفي الصحيح عن انس قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين قال ورايته يذبحهما بيده ورايته واضعا قدمه على صفاحهما وسمى وكبر وقد اختلف العلما في هذا فقال ابو ثور التسمية متعينة كالتكبير في الصلاة وكافة العلما على استحباب ذلك فلو قال ذكرا اخر فيه اسم من اسماء الله تعالى واراد به التسمية جاز وكذلك لو قال الله اكبر فقط او لا اله الا الله قاله ابن حبيب فلو لم يرد التسمية لم يجز عن التسمية ولا توكل قاله الشافعي ومحمد بن الحسن وكره كافة العلما وغيرهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند التسمية في الذبح او ذكره وقالوا لا يذكر هنا الا الله وحده واجاز الشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح **الرابعة** ذهب الجمهور الى ان قول المضحي اللهم تقبل مني جائز وكره ذلك ابو حنيفة والحجة عليه ما رواه الصحيح عن عائشة وفيه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد ومن ال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به واستحب بعضهم ان يقول ذلك بنص الاية ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وكره مالك قولهم اللهم منك واليك وقال هذه بدعة واجاز ذلك ابن حبيب من اصحابنا والحسن والحجة لهما ما رواه ابو داود عن جابر بن عبد الله قال ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر كبشين املحين اقرنين موجوءين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وقرا الى قوله وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح فلعل مالكا لم يبلغه هذا الخبر او لم يصح عنده او راي العمل يخالفه وعلى هذا يدل قوله انه بدعة والله اعلم **الخامسة** قوله تعالى وبشر المحسنين روي انها نزلت في الخلفاء الاربعة وظاهر اللفظ يقتضي العموم في كل محسن

قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا روي انها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة واذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى ارض الحبشة اراد بعض مومني مكة ان يقتل من امكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال فنزلت هذه الاية فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ونهى افصح نهي عن الخيانة والغدر وقد مضى في الانفال التشديد في الغدر وانه ينصب للغادر لواء عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان وقيل المعنى يدفع عن المومن بان يديم توفيقه حتى يتمكن الايمان من قلوبهم فلا يقدر الكفار على امالتهم عن دينهم وان جرى اكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم وقيل يدفع عن المومنين باعلائهم بالحجة ثم قتل كافر مومنا نادر وان كان فيدفع الله عن ذلك المومن بان قبضه الى رحمته وقرا نافع يدافع ولولا دفاع وقرا ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع وقرا عاصم وحمزة والكسائي يدافع ولولا دفع ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت اللص وعافاه الله والمصدر دفعا وحكى الزهراوي ان دفاعا مصدر دفع كحسبت حسابا

قوله تعالى اذن للذين يقاتلون قيل هذا بيان قوله ان الله يدافع عن الذين امنوا اي يدفع عنهم غوائل الكفار بان يبيح لهم القتال وينصرهم وفيه اضمار اي اذن للذين يصلحون للقتال في القتال فحذف لدلالة الكلام على المحذوف وقال الضحاك استاذن اصحاب

بجان وجبت الشمس اذا سقطت و وجب الحائط اذا سقط

رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار اذا اذوهم بمكة فانزل الله ان الله لا يحب كل خوان كفور فلما هاجر نزلت اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وهذا ناسخ لكل ما في القران من اعراض وترك صفح وهي اول اية نزلت في القتال قال ابن عباس وابن جبير نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى النسائي والترمذي عن ابن عباس قال لما اخرج النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر اخرجوا نبيهم ليهلكن فانزل الله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير فقال ابو بكر لقد علمت انه سيكون قتال هذا حديث حسن وقد روى غير واحد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير مرسل وليس فيه عن ابن عباس وفي هذه الاية دليل على ان الاباحة من الشرع خلافا للمعتزلة لان قوله اذن معناه ابيح وهو لفظ موضوع في اللغة للاباحة لكل ممنوع وقد تقدم هذا المعنى في البقرة وغير موضع وقرئ اذن بفتح الهمزة اي اذن الله يقاتلون بكسر التاء اي يقاتلون عدوهم وقرئ يقاتلون بفتح التاء اي يقاتلهم المشركون وهم المومنون ولهذا قال بانهم ظلموا اي اخرجوا من ديارهم **قوله تعالى** الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق فيه سبع مسائل **الاولى** قوله تعالى الذين اخرجوا هذا احد ما ظلموا به وانما اخرجوا لقولهم ربنا الله وحده فقوله الا ان يقولوا ربنا الله استثناء منقطع اي لكن لقولهم ربنا الله قاله سيبويه وقال الفراء يجوز ان يكون في موضع خفض يقدرها مردودة على الباء وهو قول الزجاج والمعنى عنده الذين اخرجوا من ديارهم بلا حق الا بان يقولوا ربنا الله اي اخرجوا بتوحيدهم اخرجهم اهل الاوثان والذين اخرجوا في موضع خفض بدلا من قوله للذين يقاتلون **الثانية** قال ابن العربي قال علماونا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يوذن له في الحرب ولم تحل له الدماء انما يومر بالدعاء الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل مدة من عشرة اعوام لاقامة حجة الله تعالى عليهم ووفاء بوعده الذي امتن به بفضله في قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاستمر الناس في الطغيان وما استدلوا بواضح البرهان وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن بلادهم فمنهم من فر الى ارض الحبشة ومنهم من صبر على الاذى ومنهم من خرج الى المدينة فلما عتت قريش على الله تعالى وردوا امره وكذبوا نبيه وعذبوا من امن به وعبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه اذن الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وانزل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله الامور **الثالثة** في هذه الاية دليل على ان نسبة الفعل الموجود من الملجا المكره منسوب الى الذي الجاه واكرهه لان الله تعالى نسب الاخراج الى الكفار لان الكلام في معنى تقدير الذنب والزامه وهذه الاية مثل قوله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا والكلام فيهما واحد وقد تقدم في براءة **الرابعة** **قوله تعالى** ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي لولا ما شرعه الله للانبياء والمومنين من قتال الاعداء لاستولى اهل الشرك وعطلوا ما بينته ارباب الديانات من مواضع العبادات ولكنه دفع بان اوجب القتال ليتفرغ اهل الدين للعبادة فالجهاد امر متقدم في الامم وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات فكانه قال اذن في القتال فليقاتل المومنون ثم قوى هذا الامر في القتال بقوله ولولا دفع الله الناس الاية اي لولا الجهاد والقتال لتغلب على الحق في كل امة فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه اذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه وايضا هذه المواضع التي اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالاسلام انما ذكرت لهذا المعنى اي لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد المساجد لهدمت من هدمت البنا اي نقضته فانهدم قال ابن عطية هذا اصوب ما قيل في تاويل هذه الاية وروي عن علي رض انه قال ولولا دفع الله باصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم وهذا وان كان دفع قوم بقوم الا ان معنى القتال اليق كما تقدم قال مجاهد لولا دفع الله ظلم قوم بشهادة العدول وقالت فرقة ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة وقال ابو الدرداء لولا ان الله عز وجل يدفع بمن في المساجد عمن ليس في المساجد وبمن يغزو عمن لا يغزو لاتاهم العذاب وقالت فرقة ولولا دفع الله العذاب بدعاء الفضلاء والاخيار الى غير ذلك من التفصيل المفسد لمعنى الاية وذلك ان الاية ولا بد تقتضي مدفوعا من الناس ومدفوعا عنه فتامله **الخامسة** قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الاية المنع من هدم كنايس اهل الذمة وبيعهم وبيوت نيرانهم ولا يتركون ان يحدثوا ما لم يكن ولا يزيدون في البنيان لا سعة ولا ارتفاعا ولا ينبغي

للمسلمين ان يدخلوها ولا يصلوا فيها ومتى احدثوا زيادة وجب نقضها وينقض ما وجد في بلاد الحرب من البيع والكنايس وانما لم ينقض ما في بلاد الاسلام لاهل الذمة لانها جرت مجرى بيوتهم واموالهم التي عاهدوا عليها في الصيانة ولا يجوز ان يمكنوا من الزيادة لان في ذلك اظهار اسباب الكفر وجايز ان ينقض المسجد ليعاد بنيانه وقد فعل ذلك عثمان بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم **السادسة** قرئ لهدمت بتخفيف الدال وتشديدها صوامع جمع صومعة وزنها فوعلة وهي بناء مرتفع حديد الاعلى يقال صمع التريدة اي رفع راسها وحدد ها ورجل اصمع القلب اي حاد الفطنة والاصمع من الرجال الحديد القول وقيل هو الصغير الاذن من الناس وغيرهم وكانت مختصة قبل الاسلام برهبان النصارى وبعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل في مئذنة المسلمين والبيع جمع بيعة وهي كنيسة النصارى قال الطبري وهي كنايس اليهود ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك وصلوات قال الزجاج والحسن هي كنايس اليهود وهي بالعبرانية صلوتا وقال ابو عبيدة الصلوات بيوت تبنى للنصارى في البراري يصلون فيها في اسفارهم تسمى صلوتا فعربت فقيل صلوات وفي صلوات تسع قراات ذكرها ابن عطية صلوات صلوات صلوات صلوت على وزن فعول صلوب بالباء بواحدة جمع صليب صلوث بالثاء المثلثة على وزن فعول صلوات بضم الصاد واللام والالف بعد الواو وصلوثا بضم الصاد واللام وقصر الالف بعد الثاء المثلثة صلويثا بكسر الصاد والثاء المثلثة وذكر النحاس وروي عن عاصم الجحدري انه قرا وصلوت وروي عنه انه قرا وصلوت وروي عن الضحاك انه قرا وصلوث بالثاء معجمة بثلاث ولا ادري افتح الصاد ام ضمها قال المولف رحمه الله فعلى هذا تجي ثنتا عشرة قراءة وقال ابن عباس الصلوات الكنايس ابو العالية الصلوات مساجد الصابئين ابن زيد هي صلوات المسلمين تنقطع اذا دخل عليهم العدو وتهدم المساجد فعلى هذا استعير الهدم للصلوات من حيث تعطل او اراد موضع صلوات فحذف المضاف وعلى قول ابن عباس والزجاج وغيرهم الهدم حقيقة وقال الحسن هدم الصلوات تركها قال قطرب هي الصوامع الصغار ولم يسمع لها واحد وذهب خصيف الى ان القصد بهذه الاسماء تقسيم متعبدات الامم فالصوامع للرهبان والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين قال ابن عطية والاظهر انها قصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات وهذه الاسما تشترك الامم في مسمياتها الا البيعة فانها مختصة بالنصارى في لغة العرب ومعاني هذه الاسما هي في الامم الذي لهم كتاب على قديم الدهر ولم يذكر في هذه الاية المجوس ولا اهل الاشراك لان هولاء ليس لهم ما يجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل الشرايع وقال النحاس يذكر فيها اسم الله الذي يجب في كلام العرب على حقيقة النظر ان يكون يذكر فيها اسم الله عايدا على المساجد لا على غيرها لان الضمير يليها ويجوز ان يعود على الصوامع وما بعدها ويكون المعنى وقت شرايعهم واقامتهم الحق **السابعة** فان قيل لم قدم مساجد اهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين قيل لانها اقدم بناء وقيل لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر كما اخر السابق في قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات **الثامنة** **قوله تعالى** ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دينه ونبيه **قوله تعالى** ان الله لقوي عزيز اي قادر قال الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شي فقد قدر عليه عزيز اي جليل شريف قاله الزجاج وقيل الممتنع الذي لا يرام وقد بيناهما في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى **قوله تعالى** الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة قال الزجاج الذين في موضع نصب ردا على من يعني في قوله ولينصرن الله من ينصره وقال غيره الذين في موضع خفض ردا على قوله اذن للذين يقاتلون ويكون الذين ان مكناهم في الارض اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكن في الارض غيرهم وقال ابن عباس المراد المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وقال قتادة هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة هم اهل الصلوات الخمس وقال الحسن وابو العالية هم هذه الامة اذا فتح الله عليهم اقاموا الصلاة وقال ابن ابي نجيح يعني الولاة وقال الضحاك هو شرط شرطه الله عز وجل على من اتاه الله الملك وهذا حسن وقال سهل بن عبد الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على السلطان وعلى العلما الذين ياتونه وليس على الناس ان يامروا السلطان لان ذلك لازم له واجب عليه ولا يامروا العلما فان الحجة قد وجبت عليهم **قوله تعالى** وان يكذبوك فقد

الي العجز كقولهم جهلته وفسقته اوليك اصحاب الجحيم قوله تعالي وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تمني اي قرا وتلي القي الشيطان في امنيته اي قراته وتلاوته وقد تقدم في البقرة قال ابن عطية وجاء عن ابن عباس انه كان يقرا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ذكره مسلمة بن القسم بن عبد الله ورواه سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال مسلمة فوجدنا المحدثين معتصمين بالنبوة علي قراة ابن عباس لانهم تكلموا بامور عالية من انباء الغيب خطرات ونطقوا بالحكمة الباطنة فاصابوا فيما تكلموا وعصموا فيما نطقوا كعمر بن الخطاب في قصة سارية وما تكلم به من البراهين العالية قال المولف رحمه الله وقد ذكر هذا الخبر ابو بكر الانباري في كتاب الرد له وقد حدثني ابي رحمه الله حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه قرا وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث قال ابو بكر فهذا حديث لا يوخذ به علي ان ذلك قران والمحدث هو الذي يوحي اليه في نومه لان رويا الانبيا وحي الثانية قال العلما هذه الاية مشكلة من جهتين احدهما ان قوما يرون ان الانبيا صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وفيهم غير مرسلين وغيرهم يذهب الي انه لا يجوز ان يقال نبي حتي يكون مرسلا والدليل علي صحة هذا قوله جل وعز وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي فاوجب النبي صلي الله عليه وسلم الرسالة وان معني نبي انبا عن الله عز وجل ومعني انبا عن الله الارسال بعينه وقال الفرا الرسول الذي ارسل الي الخلق بارسال جبريل عليه السلام عيانا والنبي الذي يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا قال المهدوي وهذا هو الصحيح ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسو وكذا ذكر القاضي عياض في كتاب الشفا قال والصحيح الذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واحتج بحديث ابي ذر وان الرسل من الانبياء ثلثماية وثلثة عشر اولهم ادم واخرهم محمد صلي الله عليه وسلم والجهة الاخري التي فيها الاشكال وهي الثالثة الاحاديث المروية في نزول هذه الاية وليس منها شي يصح وكان مما يموه به الكفار علي عوامهم قولهم حق الانبيا ان لا يعجزوا عن شي فلم لا ياتينا محمد بالعذاب وقد بالغنا في عداوته وكانوا يقولون ايضا ينبغي ان لا يجري عليهم سهو وغلط فبين الرب سبحانه انهم بشر والاتي بالعذاب هو الله علي ما يريد ويجوز علي البشر السهو والنسيان والغلط الي ان يحكم الله اياته وينسخ حيل روي الليث عن يونس عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم والنجم اذا هوي فلما بلغ افرايتم اللات والعزي ومناة الثالثة الاخري سها فقال فان شفاعتهن ترتجي فلقيه المشركون والذين في قلوبهم مرض فسلموا عليه وفرحوا فقال ان ذلك من الشيطان فانزل الله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني الاية قال النحاس وهذا حديث منقطع وفيه هذا الامر العظيم وكذا حديث قتادة وزاد وانهن لهن الغرانيق العلي واقطع من هذا ما ذكره الواقدي عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله قال فسجد المشركون كلهم الا الوليد بن المغيرة فانه اخذ ترابا من الارض فرفعه الي جبهته وسجد عليه وكان شيخا كبيرا ويقال انه ابو احيحة سعيد بن العاصي حتي نزل جبريل عليه السلم فقال ما جيتك به فانزل الله لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا قال النحاس وهذا حديث منكر منقطع ولا سيما من حديث الواقدي وفي البخاري ان الذي اخذ قبضة من تراب ورفعها الي جبهته هو امية بن خلف وسياتي تمام كلام النحاس علي الحديث ان شا الله تعالي اخر الباب قال ابن عطية وهذا الحديث هو الذي فيه هي الغرانقة العلي وقع في كتب المفسرين ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره في علمي مصنف مشهور بل يقتضي مذهب اهل الحديث ان الشيطان القي ولا يعينون هذا السبب ولا غيره ولا خلاف ان القاء الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة ثم اختلف الناس في صورة هذا الالقاء فالذي في التفاسير وهو مشهور القول ان النبي صلي الله عليه وسلم تكلم بتلك الالفاظ علي لسانه وحدثني ابي رحمه الله انه لقي بالمشرق من شيوخ العلماء والمتكلمين من قال هذا لا يجوز علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو المعصوم في التبليغ وانما الامر ان الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار عند قول النبي صلي الله عليه وسلم افرايتم اللات والعزي ومناة الثالثة الاخري وقرب صوته من صوت النبي صلي الله عليه وسلم حتي التبس الامر علي المشركين وقالوا محمد قراها وقد روي نحو هذا التاويل عن الامام ابي المعالي وقيل الذي القي الشيطان الانس لقوله عز وجل والغوا فيه وقال قتادة هو ما تلا

فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول

ناعسا

ناعسا وقال القاضي عياض في كتاب الشفا بعد ان ذكر الدليل علي صدق النبي صلي الله عليه وسلم وان الامة اجمعت فيما طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شي بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا اعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام علي مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما توهين اصله والثاني علي تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه بسند سليم متصل ثقة وانما اولع به وبمثله المفسرون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم قال ابو بكر البزار لا نعلمه يروي عن النبي صلي الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا رواه شعبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلي الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوي هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه الذي ذكرناه ولا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فيما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلي الله عليه وسلم قرا والنجم بمكة وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل واما الماخذ الثاني فمبني علي تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن علي ذلك من حال فقد اجاب ايمة المسلمين عنه باجوبة منها الغث والسمين والذي يظهر ويترجح في تاويله علي تسليمه ان النبي صلي الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلي الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلي الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة قبل ذلك علي ما انزل الله وتحققهم من النبي صلي الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه فيكون ما روي من حزن النبي صلي الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالي وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية قال المولف رحمه الله وهذا التاويل احسن ما قيل في هذا وقد قال سليمان بن حرب ان في بمعني عند اي القي الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي عليه السلم كقوله تعالي ولبثت فينا ضعيفا اي عندنا وهذا معني ما حكاه ابن عطية عن ابيه عن علماء الشرق واليه اشار القاضي ابو بكر بن العربي وقال قبله ان هذه الاية نص في غرضنا دليل علي صحة مذهبنا اصل في براءة النبي صلي الله عليه وسلم مما نسب اليه انه قاله وذلك ان الله تعالي قال وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني القي الشيطان في امنيته اي في تلاوته فاخبر تعالي ان من سنته في رسله وسيرته في انبيائه اذا قالوا عن الله تعالي قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه كما يفعل ساير المعاصي تقول القيت في الدار كذا والقيت في الكيس كذا فهذا نص في الشيطان انه زاد فيما قاله النبي عليه السلم لا ان النبي صلي الله عليه وسلم تكلم به ثم ذكر معني كلام القاضي عياض الي ان قال وما هدي لهذا الا الطبري لجلالة قدره وصفا فكره وسعة باعه في العلم وشدة ساعده في النظر وكانه اشار الي هذا الغرض وصوب علي هذا المرمي وقرطس بعد ما ذكر في ذلك روايات كثيرة كلها باطل لا اصل لها ولو شا ربك لما رواها احد ولا سطرها ولكنه فعال لما يريد واما غيره من التاويلات مما حكاه قوم ان الشيطان ارغمه حتي قال كذا فهو محال اذ ليس للشيطان قدرة علي سلب الانسان الاختيار قال الله تعالي مخبرا عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلو كان للشيطان هذه القدرة لما بقي لاحد من بني ادم قوة في طاعة ومن توهم ان للشيطان هذه القوة فهو قول الثنوية والمجوس في ان الخير من الله والشر من الشيطان ومن قال جري ذلك علي لسانه سهوا قال لا يبعد انه كان سمع الكلمتين من المشركين وكانتا علي حفظه فجري عند قراءة السورة ما كان في حفظه سهوا وعلي هذا يجوز السهو عليهم ولا يقرون عليه وانزل الله هذه الاية تمهيدا لعذره وتسلية له لئلا يقال انه رجع عن بعض قراته وبين ان هذا جري علي الانبيا سهوا والسهو انما ينتفي عن الله تعالي وقد قال ابن عباس ان شيطانا يقال له الابيض كان قد اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم في صورة جبريل والقي في قراءة النبي صلي الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلي وان شفاعتهن لترتجي وهذا التاويل وان

كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية اي كان قبلك انبيا
كذبوا فصبروا الى ان هلك الله المكذبين فاقتد بهم واصبر قوله تعالى وكذب موسى اي كذبه
فرعون وقومه فاما بنوا اسرائيل فما كذبوه فلهذا لم يعطفه على ما قبله فيكون وقوم موسى قوله تعالى
فأمليت للكافرين اي اخرت عنهم العقوبة قوله تعالى ثم اخذتهم فعاقبتهم قوله تعالى
فكيف كان نكير استفهام بمعنى التغيير اي فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب
والهلاك فكذلك افعل بالمكذبين من قريش قال الجوهري النكير والانكار تغيير المنكر والمنكر واحد المناكير
قوله تعالى فكأين من قرية اهلكناها اي اهلكنا اهلها وقد مضى في آل عمران الكلام في كاين
وهي ظالمة اي بالكفر قوله تعالى فهي خاوية على عروشها تقدم في الكهف قوله تعالى وبئر معطلة
وقصر مشيد قال الزجاج وبئر معطلة معطوف على من قرية اي ومن اهل قرية ومن اهل بئر
والفرا يذهب الى ان وبئر معطوف على عروشها وقال الاصمعي سالت نافع بن ابي نعيم ايهمز البئر
والذيب فقال ان كانت العرب تهمزهما فاهمزهما واكثر الرواة عن نافع بهمزهما الا ورشا فان روايته
عنه بغير همز والاصل الهمز فيهما ومعنى معطلة متروكة قاله الضحاك وقيل خالية من اهلها لهلاكهم
وقيل غايرة الماء وقيل معطلة من دلائها وارشيتها والمعنى متقارب وقصر مشيد قال قتادة والضحاك
ومقاتل رفيع طويل قال ــــــ عدي بن زيد

شاده مرمرا وجلله كلسا ... فللطير في ذراه وكور

اي رفعه وقال سعيد بن جبير وعطا وعكرمة ومجاهد مجصص من الشيد وهو الجص قال ــــ الراجز

لا تحسبني وان كنت امرا غمرا ... كحية الماء بين الطين والشيد

وقال ــــ امري القيس ... ولا اطما الا مشيدا بجندل

وقال ابن عباس مشيد اي حصين وقاله الكلبي وهو مفعل بمعنى مفعول كمبيع بمعنى مبيوع وقال الجوهري
المشيد المعمول بالشيد والشيد بالكسر كل شي طليت به الحايط من جص او بلاط وبالفتح المصدر تقول
شاده يشيده شيدا جصصه والمشيد بالتشديد المطول وقال الكسائي المشيد للواحد من قوله تعالى
وقصر مشيد والمشيد للجمع في قوله في بروج مشيدة وفي الكلام مضمر محذوف تقديره وقصر مشيد
مثلها معطل ويقال ان هذا البئر والقصر بحضرموت معروفان فالقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى
اليه بحال والبئر في سفحه لا تقر الريح شيئا سقط فيه الا اخرجته واصحاب القصور ملوك الحضر واصحاب
الابار ملوك البدو اي فاهلكنا هؤلاء وهؤلاء وذكر الضحاك وغيره فيما ذكر الثعلبي وابو بكر محمد بن الحسن
المقري وغيرهما ان البئر الرس وكانت بعدن باليمن بحضرموت في بلد يقال له حضورا نزل بها اربعة
الاف ممن امن بصالح ونجوا من العذاب ومعهم صالح فمات صالح فسمي المكان حضرموت لان صالحا
لما حضر مات فبنوا حضورا وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا يقال له العلس بن جلاس بن
سويد فيما ذكر الغزنوي وقال الثعلبي جلهس بن جلاس وكان حسن السيرة فيهم عادلا عليهم وجعلوا وزيره
سنجاريب بن سوادة فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وكانت البئر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع
ما فيها من الدواب والبقر والغنم وغيرها لانها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها ورجال كثيرون موكلون
عليها وابازن بالنون من رخام وهي شبه الحياض كثيرة تملا للناس واخر للدواب واخر للبقر واخر للغنم والهوام
يسقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيرها وطال عمر الملك الذي امروه فلما جاءه الموت
طلي بدهن لتبقى صورته لا تتغير وكذلك كانوا يفعلون اذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات
شق ذلك عليهم ورأوا ان امرهم قد فسد وضجوا جميعا بالبكاء واغتنمها الشيطان منهم فدخل في جثة
الملك بعد موته بايام كثيرة وقال اني لم امت ولكن تغيبت عنكم حتى ارى صنيعكم ففرحوا اشد الفرح وامر
خاصته ان يضربوا له حجابا بينه وبينهم ويكلمهم من ورائه كيلا يعرفوا الموت في وجهه فنصبوا صنما
من وراء الحجاب لا ياكل ولا يشرب واخبر انه لا يموت ابدا وانه الههم وذلك كله يتكلم به الشيطان
على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المومن المكذب منهم اقل من المصدق له فكلما تكلم
ناصح لهم زجر وقهر فاصفقوا على عبادته فبعث الله اليهم نبيا كان الوحي ينزل عليه في النوم دون
اليقظة اسمه حنظلة بن صفوان فاعلمهم ان الصورة صنم لا روح له وان الشيطان قد اضلهم وان

القصر بحضرموت مشرف على قلة جبل
لا يرتقى اليه بحال

الله لا يتمثل بالخلق وان الملك لا يجوز ان يكون شريكا لله ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربه ونقمته
فآذوه وعادوه وهو يتعهدهم بالموعظة ولا يغبهم بالنصيحة حتى قتلوه في السوق وطرحوه في بئر
فعند ذلك اصابتهم النقمة فباتوا شباعا رواء من الماء فاصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها
فصاحوا باجمعهم وضج النسا والولدان وضجت البهائم عطشا حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك وخلفهم
في ارضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت جناتهم واموالهم بالسدر وشوك العضاة
والقتاد فلا يسمع فيها الا عزيف الجن وزئير الاسد نعوذ بالله من سطواته ومن الاصرار على ما يوجب
نقماته قال السهيلي واما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد بن ارم لم يبن في الارض مثله وحاله
ايضا كحال البئر المذكورة في ايحاشه بعد الانس واقفاره بعد العمران وان احدا لا يستطيع ان يدنو
منه على اميال لما يسمع فيه من عزيف الجن والاصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وبهاء الملك
وانتظام الاهل كالسلك فبادوا وما عادوا فذكرهم الله في هذه الاية موعظة وذكرى وعبرة وتحذيرا
من مغبة المعصية وسوء عاقبة المخالفة نعوذ بالله من ذلك ونستجير به من سوء المال وقيل ان الذي
اهلكهم بختنصر على ما تقدم في سورة الانبيا في قوله وكم قصمنا من قرية قوله تعالى افلم
يسيروا في الارض يعني كفار مكة فيشاهدوا هذه القرى فيتعظوا ويحذروا عقاب الله ان ينزل بهم كما
نزل بمن قبلهم فتكون لهم قلوب يعقلون بها اضاف العقل الى القلب لانه محله كما ان السمع محله الاذن وقد قيل ان
العقل محله الدماغ وروي عن ابي حنيفة وما اراها عنه صحيحة فانها لا تعمى الابصار قال الفرا الهاء عماد
ويجوز ان يقال فانه وهي قراءة ابن مسعود والمعنى واحد التذكير على الخبر والتانيث على الابصار والقصة
اي فان الابصار لا تعمى او فان القصة لا تعمى الابصار اي ابصار العيون ثابتة لهم قوله تعالى ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور اي عن درك الحق والاعتبار وقال مجاهد لكل عين اربع اعين يعني لكل انسان
اربع اعين عينان في راسه لدنياه وعينان لقلبه لآخرته فان عميت عينا راسه وابصرت عينا قلبه فلم
يضره عماه شيا وان ابصرت عينا راسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيا وقال قتادة البصر
الناظر جعل بلغة ومنفعة والبصر النافع في القلب وقال قتادة وابن جبير نزلت هذه الاية في ابن
ام مكتوم الاعمى قال ابن عباس ومقاتل لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول
الله فانا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت فانها لا تعمى الابصار الاية اي من كان في هذه اعمى
بقلبه عن الاسلام فهو في الاخرة في النار قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن
الحرث وهو قوله ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وقيل نزلت في ابي جهل بن هشام وهو قوله اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك ولن يخلف الله وعده اي في انزال العذاب قال الزجاج استعجلوا العذاب
فاعلمهم الله انه لا يفوته شي وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر قوله تعالى وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون قال ابن عباس ومجاهد يعني من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض
وقال عكرمة يعني من ايام الاخرة اعلمهم الله اذا استعجلوه بالعذاب في ايام قصيرة انه ياتيهم به في ايام طويلة
قال الفرا هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم في الاخرة اي يوم من ايام عذابهم في الاخرة الف سنة وقيل
المعنى وان يوما في الخوف والشدة في الاخرة كالف سنة من سني الدنيا فيها خوف وشدة وكذلك يوم
النعيم قياسا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي مما يعدون بالياء واختاره ابو عبيد لقوله ويستعجلونك
الباقون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم قوله تعالى وكأين من قرية امليت لها اي امهلتها
مع عتوها قوله تعالى ثم اخذتها اي بالعذاب والى المصير قوله تعالى قل يا ايها الناس يعني اهل مكة
قوله تعالى انما انا لكم نذير اي منذر مخوف وقد تقدم معنى الانذار في البقرة مبين اي ابين لكم ما تحتاجون
اليه من امر دينكم قوله تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة قوله تعالى والذين سعوا في اياتنا معاجزين اي مغالبين مشاقين قاله ابن عباس وقال
الفرا معاندين وقال عبد الله بن الزبير مثبطين عن الاسلام وقال الاخفش معاجزين مسابقين
وقال الزجاج اي ظانين انهم يعجزوننا لانهم ظنوا ان لا بعث وظنوا ان الله لا يقدر عليهم وقاله
قتادة وكذلك معنى قراءة ابن كثير وابي عمرو معجزين بلا الف مشددا ويجوز ان يكون معناه انهم يعجزون
المؤمنين في الايمان بالنبي عليه السلام بالايات قاله السدي وقيل اي ينسبون من اتبع محمدا عليه السلم

كان اشبه مما قبله فتاً لنا وبل الاول عليه المعول فلانعدل عنه الي غيره لاختيار العلما المحققين اياه
وضعف الحديث مغن عن كل تاويل ومما يدل ايضا علي ضعفه وتوهينه من الكتاب قوله تعالي وان كادوا
ليفتنونك الايتين فانهما ترد ان الخبر الذي رووه لان الله تعالي ذكر انهم كادوا يفتنونه حتي تفتري
وانه لولا ان ثبته لكان تركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتي لم
يركن اليهم قليلاً فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد علي الركون والافترا بمدح
الهتهم وانه عليه السلم افتريت علي الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعيف الحديث
لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالي ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان
يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يضرونك من شي قال القشيري ولقد طالبته قريش
وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه بالايمان ان فعل ذلك فما فعل ولا كان ليفعل قال
ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقال الزجاج اي كادوا ودخلت الالف واللام للتاكيد وقد
قيل ان معني تمني حدث لا تلي وروي عن علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل الا اذا تمني قال الا
اذا حدث القي الشيطان في امنيته قال في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان قال فيبطل الله ما يلقي الشيطان
قال النحاس وهذا من احسن ما قيل في الاية واعلاه واجله احمد بن محمد بن حنبل بمصر صحيفة في التفسير رواها
علي ابن ابي طلحة لو رحل رجل الي مصر قاصدا ما كان كثيرا والمعني عليه ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا
حدث نفسه القي الشيطان في حديثه علي جهة الحيلة فيقول لو سالت الله عز وجل ان يغنمك ليتسع
المسلمون ويعلم الله عز وجل ان الصلاح في غير ذلك فيبطل ما يلقي الشيطان كما قال ابن عباس وحكي الكسائي
والفرا جميعا تمني اذا حدث نفسه وهذا هو المعروف في اللغة وحكيا ايضا تمني اذا تلي روي عن انس ايضا
وقاله مجاهد والضحاك وغيرهما وقال ابو الحسن بن مهدي ليس هذا التمني من القران والوحي في شي وانما كان
النبي صلي الله عليه وسلم اذا اصفرت يداه من مال وراي ما باصحابه من سوء الحال تمني الدنيا بقلبه وسوسه
الشيطان وذكر المهدوي عن ابن عباس ان المعني اذا حدث القي الشيطان في حديثه وهو اختيار الطبري
قال المولف رحمه الله قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الاية ترد حديث النفس وقد قال ابن عطية لا خلاف
ان القا الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة والله اعلم قال النحاس ولو صح هذا الحديث
واتصل اسناده لكان المعني فيه صحيحا ويكون معني سهي اسقط ويكون تقديره افرايتم اللات والعزي
وتم الكلام ثم اسقط والغرانيق العلي يعني الملايكة فان شفاعتهم يعود الضمير علي الملايكة واما من روي
فانهن الغرانيق العلي ففي روايته اجوبة منها ان يكون القول محذوفا كما تستعمل العرب في اشياء كثيرة
ويجوز ان يكون بغير حذف ويكون توبيخا لان قبله افرايتم ويكون هذا احتجاجا عليهم فان كان في الصلاة فقد كان
الكلام مباحا في الصلاة وقد روي في هذه القصة انه كان مما يقرا افرايتم اللات والعزي ومناة الثالثة
الاخري والغرانقة العلي وان شفاعتهم لترتجي روي معناه عن مجاهد اراد بالغرانيق العلي الملايكة
وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملايكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون ان الملايكة بنات الله
كما حكي الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثي فانكر الله كل هذا من قولهم ورجا
الشفاعة من الملايكة صحيح فلما تاوله المشركون علي ان المراد بهذا الهتهم ولبس الشيطان عليهم بذلك
فنسخ الله ما يلقي الشيطان واحكم اياته ودفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان فيهما سبيلا
للتلبيس كما نسخ كثيرا من القران ورفعت تلاوته قال القشيري وهذا غير سديد لقوله فينسخ ما يلقي
الشيطان اي يبطله وشفاعة الملايكة غير باطلة **قوله تعالي** والله عليم حكيم عليم بما اوحي الي
نبيه حكيم في خلقه **قوله تعالي** ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي ضلالة للذين في قلوبهم مرض
اي شرك ونفاق والقاسية قلوبهم فلا تلين لامر الله قال الثعلبي وفي الاية دليل علي ان الانبيا يجوز عليهم
السهو والنسيان والغلط بوسواس الشيطان او عند شغل القلب حتي يغلط ثم يتنبه فيرجع الي الصحيح
وهو معني قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته ولكن انما يكون الغلط علي حسب ما يغلط
احدنا فاما ما يضاف اليه من قولهم تلك الغرانيق العلي فكذب علي النبي صلي الله عليه وسلم لان فيه
تعظيم الاصنام ولا يجوز ذلك علي الانبيا كما لا يجوز ان يقرا بعض القران ثم ينشد شعرا ويقول غلطت
وحسبته قرانا **قوله تعالي** وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي الكافرين لفي خلاف وعصيان

ومشاقة

ومشاقة لله ولرسوله **قوله تعالي** وليعلم الذين اوتوا العلم اي من المومنين وقيل اهل الكتاب **قوله تعالي**
انه اي الذي احكم من الايات القران **قوله تعالي** هو الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم
اي تخشع وتسكن وقيل تخلص **قوله تعالي** وان الله لهادي الذين امنوا قرا ابو حياة لهاد الذين امنوا بالتنوين
قوله تعالي الي صراط مستقيم اي يثبتهم علي الهداية **قوله تعالي** ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
يعني في شك من القران قاله ابن جريج وغيره من الدين وهو الصراط المستقيم وقيل مما القي الشيطان علي لسان
محمد صلي الله عليه وسلم ويقولون ما باله ذكر الاصنام ثم ارتد عنها وقرا السلمي في مرية بضم الميم والكسر اعرف
ذكره النحاس **قوله تعالي** حتي تاتيهم الساعة اي القيامة بغتة اي فجاة **قوله تعالي** او ياتيهم
عذاب يوم عقيم قال الضحاك عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة قال النحاس سمي يوم القيامة عقيما لانه ليس
يعقب بعده يوما مثله وهو معني قول الضحاك والعقيم في اللغة عبارة عمن لا يكون له ولد ولما كان الولد
يكون بين الابوين وكانت الايام تتوالي قبل وبعد جعل الاتباع فيها بالبعدية كهيئة الولادة ولما لم يكن بعد
ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة المراد عذاب يوم بدر ومعني عقيم لا مثل له في عظمه
لان الملايكة قاتلت فيه وقال ابن جريج لانهم لم ينظروا فيه الي الليل بل قتلوا قبل المسا فصار يوما لا ليلة له
وقيل لانه لم يكن فيه رافة ولا رحمة فكان عقيما من كل خير ومنه قوله تعالي فارسلنا عليهم الريح العقيم اي التي
لا خير فيها ولا تاتي بمطر ولا رحمة **قوله تعالي** الملك يومئذ لله يحكم بينهم يعني يوم القيمة هو لله وحده
لا منازع له فيه ولا مدافع والملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الامور ثم بين حكمه فقال **قوله تعالي**
فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاوليك لهم عذاب
مهين قال المولف رحمه الله وقد يحتمل ان يكون الاشارة بيومئذ ليوم بدر وقد حكم فيه باهلاك الكافر وسعادة المومن
وقد قال عليه السلم لعمر وما يدريك لعل الله اطلع علي اهل بدر فقال اعملوا ما شيتم فقد غفرت لكم **قوله تعالي**
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية افرد ذكر المهاجرين الذين ماتوا وقتلوا تفضيلا لهم وتشريفا
علي ساير الموتي وسبب نزول هذه انه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس
من قتل في سبيل الله افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه الاية مسوية بينهم وان الله يرزق جميعهم رزقا
حسنا وظاهر الشريعة يدل ان المقتول افضل وقد قال بعض اهل العلم ان المقتول في سبيل الله والميت في سبيل الله
شهيد ولكن للمقتول لمزية ما اصابه في ذات الله وقال بعضهم هما سوا واحتج بالاية وبقوله تعالي ومن يخرج من
بيته مهاجرا الي الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره علي الله وبحديث ام حرام فانها صرعت عن دابتها
فماتت ولم تقتل فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم انت من الاولين وبقول النبي صلي الله عليه وسلم في حديث
عبد الله بن عتيك من خرج من بيته مجاهدا في سبيل الله فخر عن دابته فمات او لدغته حية او مات حتف
انفه فقد وقع اجره علي الله ومن مات قعصا فقد استوجب الماب وذكر ابن المبارك عن فضالة بن عبيد
في حديث ذكر فيه رجلين احدهما اصيب في غزاة بمنجنيق والاخر مات هناك فجلس فضالة عند الميت فقيل
له تركت الشهيد ولم تجلس عنده فقال ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت ثم تلي قوله تعالي والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية كلها وقال سليمان بن عامر كان فضالة برودس اميرا علي الارباع
فخرج بجنازة رجلين احدهما قتيل والاخر متوفي فراي ميل الناس مع جنازة القتيل الي حفرته فقال اراكم
ايها الناس تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت اقرووا قوله تعالي والذين
هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره واحتج من قال ان للمقتول زيادة فضل
بما ثبت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه سيل اي الجهاد افضل قال من اهريق دمه وعقر جواده افضل الشهدا
علم انه من لم يكن بتلك الصفة مفضول وقرا ابن عامر واهل الشام قتلوا بالتشديد علي التكثير الباقون
بالتخفيف **قوله تعالي** ليدخلنهم مدخلا يرضونه اي الجنان وقراة اهل المدينة مدخلا بفتح الميم اي دخولا
ومنها الباقون **قوله تعالي** ان الله لعليم حليم قال ابن عباس عليم بنياتهم حليم عن عقابهم **قوله تعالي**
ذلك ومن عاقب ذلك في موضع رفع اي ذلك الامر الذي قصصنا عليك وقد مضي في سبحان قال مقاتل نزلت
في قوم من مشركي مكة لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في
الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ان لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فابي المشركون الا القتال
فحملوا عليهم فثبت المسلمون ونصرهم الله علي المشركين وحصل في انفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شي

فنزلت هذه وقيل نزلت في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم احد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله فمعنى من عاقب بمثل ما عوقب اي من جازى الظالم بمثل ما عمله فسمي جزا العقوبة عقوبة لاستواء الفعلين في الصورة فهو مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقد تقدم قوله تعالى ثم بغي عليه اي بالكلام والازعاج من وطنه وذلك ان المشركين كذبوا نبيهم واذوا من امن به واخرجوهم من مكة وظاهروا على اخراجهم قوله تعالى لينصرنه الله اي لينصرن محمدا عليه السلام واصحابه فان الكفار بغوا عليهم قوله تعالى ان الله لعفو غفور اي عفا عن المومنين ذنوبهم وقتالهم في الشهر الحرام وستر قوله تعالى ذلك بان الله يولج الليل في النهار اي ذلك الذي قصصت عليك من نصر المظلوم هو باني انا الذي اولج الليل في النهار فلا يقدر احد على ما اقدر عليه اي من قدر على هذا اقدر على ان ينصر عبده وقد مضى في ال عمران معنى يولج الليل في النهار قوله تعالى وان الله سميع بصير يسمع الاقوال ويبصر الافعال فلا يعزب عنه مثقال ذرة ولا دبيب نملة الا يعلمها ويسمعها ويبصرها قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اي ذو الحق فدينه الحق وعبادته حق والمومنون يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق قوله تعالى وان ما يدعون من دونه هو الباطل اي الاصنام التي لا استحقاق لها في العبادة وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وابي بكر وان ما تدعون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم الباقون بالياء على الخبر هنا وفي لقمان واختاره ابو عبيد قوله تعالى وان الله هو العلي اي العالي على كل شي بقدرته والعالي عن الاشباه والانداد المتقدس عما يقول الظالمون من الصفات التي لا تليق بجلاله قوله تعالى الكبير اي الموصوف بالعظمة والجلال وكبر الشان وقيل الكبير ذو الكبريا والكبرياء عبارة عن كمال الذات اي له الوجود المطلق ازلا وابدا فهو الاول القديم والاخر الباقي بعد فناء خلقه قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة دليل على كمال قدرته اي من قدر على هذا قادر على اعادة الحياة بعد الموت كما قال فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومثله كثير فتصبح ليس بجواب فيكون منصوبا وانما هو خبر عن الخليل وسيبويه قال الخليل المعنى انتبه انزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا كما قال

الم تسال الربع القواء فينطق ... وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق

المعنى قد سالته فنطق وقال الفراء الم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم ان الله جل وعز انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اي ذات خضرة كما تقول مبقلة ومسبعة اي ذات بقل وسباع وهو عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء بالنبات واستمرارها كذلك عادة قال ابن عطية وروي عن عكرمة انه قال هذا لا يكون الا بمكة وتهامة ومعنى هذا انه احد قوله فتصبح مقصودا به صباح ليلة المطر وذهب الى ان ذلك الاخضرار يتاخر في سائر البلاد وقد شاهدت هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط اصبحت تلك الارض الرملة التي تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف رقيق قوله تعالى ان الله لطيف خبير قال ابن عباس خبير بما ينطوي عليه العبد من القنوط عند تاخير المطر لطيف بارزاق عباده وقيل لطيف باستخراج النبات من الارض خبير بحاجتهم وفاقتهم قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وكل يحتاج الى تدبيره واتقانه قوله تعالى وان الله هو الغني الحميد فلا يحتاج الى شي وهو المحمود في كل حال قوله تعالى الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض ذكر نعمة اخرى فاخبر انه سخر لعباده ما يحتاجون اليه من الدواب والشجر والانهار والفلك اي وسخر لكم الفلك في حال جريها وقرا عبد الرحمن الاعرج والفلك رفعا على الابتداء وما بعده خبر الباقون بالنصب نسقا على قوله ما في الارض ويمسك السماء ان تقع على الارض اي كراهة ان تقع وقال الكوفيون لئلا تقع وامساكها لما خلق السكون فيها حالا بعد حال الا باذنه اي الا باذن الله لها بالوقوع فتقع باذنه اي بارادته وتخليته قوله تعالى ان الله بالناس لرءوف رحيم اي في هذه الاشيا التي سخرها لهم قوله تعالى وهو الذي احياكم اي بعد ان كنتم نطفا ثم يميتكم اي عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم اي للحساب والثواب والعقاب قوله تعالى ان الانسان لكفور اي لجحود لما ظهر من الايات الدالة على قدرته ووحدانيته قال ابن عباس يريد الاسود بن عبد الاسد وابا جهل والعاص بن هشام وجماعة من المشركين وقيل انما قال ذلك لان الغالب على الانسان كفر المنعم كما قال وقليل من عبادي الشكور قوله تعالى لكل امة

مبقلة ومسبعة اي ذات بقل وسباع

جعلنا منسكا اي شرعا هم ناسكوه اي عاملون به قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر اي لا ينازعنك احد منهم فيما تشرع لامتك فقد كانت الشرايع في كل عصر وروت فرقة ان هذه الاية نزلت بسبب جدال الكفار في امر الذبايح وقولهم للمومنين تاكلون ما ذبحتم ولا تاكلون ما ذبح الله من الميتة فكان ما قتل الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم بسكاكينكم فنزلت الاية بسبب هذه المنازعة وقد مضى هذا في الانعام وتقدم في اول السورة ما للعلماء في قوله تعالى منسكا وقوله هم ناسكوه يعطي ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه وقال الزجاج فلا ينازعنك في الامر اي فلا يجادلنك ودل على هذا وان جادلوك ويقال قد نازعوه فكيف قال فلا ينازعنك والجواب ان المعنى فلا تنازعهم انت نزلت الاية قبل الامر بالقتال تقول لا يضاربنك فلان ولا تضاربه انت فيجري هذا في باب المفاعلة ولا يقال لا يضربنك زيد وانت تريد لا تضرب زيدا وقرا ابو مجلز فلا ينزعنك في الامر اي لا يستخفنك ولا يغلبنك عن دينك وقراءة الجماعة من المنازعة ولفظ النهي في القراءتين للكفار والمراد النبي عليه السلام قوله تعالى وادع الى ربك اي الى توحيده ودينه والايمان به قوله تعالى انك لعلى هدى اي دين مستقيم اي قويم لا اعوجاج فيه قوله تعالى وان جادلوك اي خاصموك يا محمد يريد مشركي مكة قوله تعالى فقل الله اعلم بما تعملون يريد من تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وقال مقاتل نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وهو في السماء السابعة لما راى من ايات ربه الكبرى فاوحى الله اليه وان جادلوك بالباطل فادفعهم بقولك الله اعلم بما تعملون من الكفر والتكذيب فامره بالاعراض عن مماراتهم صيانة له عن الاشتغال بتعنتهم ولا جواب لصاحب العناد قوله تعالى الله يحكم بينكم يوم القيامة يريد بين يدي النبي وقومه قوله تعالى فيما كنتم فيه تختلفون يريد في خلافكم اياي فتعرفون حينئذ الحق من الباطل مسالة في هذه الاية ادب حسن علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتا ومراء ان لا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه وقد قيل ان هذه الاية منسوخة بالسيف يعني السكوت عن مخالفه والاكتفا بقوله الله يحكم بينكم قوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض اي واذ قد علمت يا محمد هذا وايقنت فاعلم انه يعلم ايضا ما انتم مختلفون فيه فهو يحكم بينكم وقد قيل انه استفهام تقرير للغير قوله تعالى ان ذلك في كتاب اي كل ما يجري في العالم فهو مكتوب عند الله في ام الكتاب قوله تعالى ان ذلك على الله يسير اي ان الفصل بين المختلفين على الله يسير وقيل المعنى ان كتاب القلم الذي امره ان يكتب ما هو كاين الى يوم القيامة على الله يسير قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ويعبدون يريد كفار قريش من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وبرهانا قوله تعالى وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قوله تعالى تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الغضب والعبوس يكادون يسطون اي يبطشون والسطوة شدة البطش يقال سطا به يسطو اذا بطش به كان ذلك بضرب او بشتم وسطا عليه قوله تعالى بالذين يتلون عليهم اياتنا قال ابن عباس يسطون يبسطون اليهم ايديهم وقال محمد بن كعب اي يقعون بهم وقال الضحاك اي ياخذونهم اخذا باليد والمعنى واحد واصل السطو القهر والله ذو سطوات اي اخذات شديدة قوله تعالى قل افانبئكم بشر من ذلكم النار اي اكره من هذا القران الذي تسمعونه هو النار فكانهم قالوا ما الذي هو شر فقيل هو النار وقيل اي هل انبيكم بشر مما يلحقكم من تالي القران منكم هو النار فيكون هذا وعيدا لهم على سطوتهم بالذين يتلون القران ويجوز في النار الرفع والنصب والخفض فالرفع على هو النار او هي النار والنصب بمعنى اعني او على اضمار فعل مثل الثاني او يكون محمولا على المعنى اي اعرفكم بشر من ذلكم النار والخفض على البدل قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا اي في القيامة قوله تعالى وبئس المصير اي الموضع الذي يصيرون اليه وهو النار قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له هذا متصل بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وانما قال ضرب مثل لان حجج الله تعالى عليهم بضرب الامثال لهم اقرب الى افهامهم فان قيل فاين المثل المضروب ففيه وجهان الاول قال الاخفش ليس ثمة مثل وانما المعنى ضربوا لي مثلا فاستمعوا قولهم يعني ان الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره فكانه قال جعلوا الله شبيها في عبادتي فاستمعوا خبر هذا التشبيه الثاني قول القتبي ان المعنى يا ايها الناس مثل من عبد الهة لم يستطع ان يخلق ذبابا وان سلبها الذباب شيا لم يستطع ان يستنقذه منه وقال

النحاس المعنى ضرب الله عز وجل مما يعبد من دونه مثلا قال وهذا من أحسن ما قيل فيه أي بين الله لكم شبها ولمعبودكم **قوله تعالى** إن الذين تدعون من دون الله قراءة العامة تدعون بالتاء وقرأ السلمي وأبو العالية ويعقوب يدعون بالياء على الخبر والمراد الأوثان الذين عبدوهم من دون الله وكانت حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما وقيل السادة الذين صرفوهم عن طاعة الله تعالى وقيل الشياطين الذين حملوهم على معصية الله تعالى والأول أصوب **قوله تعالى** لن يخلقوا ذبابا الذباب اسم واحد للذكر والأنثى والجمع القليل أذبة والكثير ذبان على مثل غراب وأغربة وغربان وسمي به لكثرة حركته قال الجوهري الذباب معروف الواحدة ذبابة ولا تقل ذبانة والمذبة ما يذب به الذباب وذباب أسنان الإبل حدها وذباب السيف طرفه الذي يضرب به وذباب العين إنسانها والذبابة البقية من الدين وذبب النهار إذا لم يبق منه إلا بقية والتذبذب التحرك والذبذبة نوس الشيء المعلق في الهواء والذبذب الذكر لتردده وفي الحديث من وقي شر ذبذبه وهذا مما لم يذكره أعني قوله وفي الحديث **قوله تعالى** وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه الاستنقاذ والاستنقاذ التخليص قال ابن عباس كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه وقال السدي كانوا يجعلون للأصنام طعاما فيقع عليه الذباب فيأكله **قوله تعالى** ضعف الطالب والمطلوب قيل الطالب الآلهة والمطلوب الذباب وقيل بالعكس وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم فالطالب يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه والصنم المطلوب إليه وقد قيل لا يسلبهم الذباب شيئا راجع إلى ألمه في قرض أبدانهم حتى يسلبهم الصبر لها والوقار معها وخص الذباب لأربعة أمور تخصه لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابا مطاعين وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان **قوله تعالى** ما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له وقد مضى في الأنعام إن الله لقوي عزيز تقدم **قوله تعالى** الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ختم السورة بأن الله اصطفى محمدا لتبليغ الرسالة أي ليس بعثة محمد أمرا بدعا وقيل إن الوليد بن المغيرة قال أأنزل عليه الذكر من بيننا فنزلت الآية وأخبر أن الاختيار إليه سبحانه إن الله سميع لأقوال عباده بصير بمن يختاره من خلقه لرسالته يعلم ما بين أيديهم يريد ما قدموا وما خلفهم يريد ما خلفوا مثل قوله في يس إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا يريد بين أيديهم وآثارهم يريد ما خلفوا وإلى الله ترجع الأمور **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا تقدم في أول السورة أنها فضلت بسجدتين وهذه السجدة الثانية لم يرها مالك وأبو حنيفة من العزائم لأنه قرن الركوع بالسجود وأن المراد بها الصلاة المفروضة وخص الركوع والسجود تشريفا للصلاة وقد مضى القول في الركوع والسجود مبينا في البقرة **قوله تعالى** واعبدوا ربكم أي امتثلوا أمره **قوله تعالى** وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع **قوله تعالى** وجاهدوا في الله حق جهاده قيل عني به جهاد الكفار وقيل هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به والانتهاء عن كل ما نهى عنه أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردوها عن الهوى وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته والظلمة في رد ظلمهم والكافرين على كفرهم قال ابن عطية وقال مقاتل هذه الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وكذا قال هبة الله إن قوله حق جهاده وقوله في الآية الأخرى حق تقاته منسوخ بالتخفيف إلى الاستطاعة في هذه الأوامر ولا حاجة إلى تقدير النسخ فإن هذا هو المراد من أول الحكم لأن حق جهاده ما ارتفع عنه الحرج وقد روى سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم أيسره وقال أبو جعفر النحاس وهذا مما لا يجوز أن يقع فيه نسخ لأنه واجب على الإنسان كما روى حيوة بن شريح يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل وكما روى أبو غالب عن أبي أمامة أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الجهاد أفضل عند الجمرة الأولى فلم يجبه ثم سأله عند الجمرة الثانية فلم يجبه ثم سأله عند جمرة العقبة فقال صلى الله عليه وسلم أين السائل فقال أنا ذا فقال عليه السلام كلمة عدل عند سلطان جائر **قوله تعالى** اجتباكم أي اختاركم للذب عن دينه والتزام أمره وهذا تأكيد للأمر بالمجاهدة أي وجب عليكم أن تجاهدوا لأن الله اختاركم له **قوله تعالى** وما جعل عليكم في الدين من حرج فيه ثلاث مسائل **الأولى** قوله من حرج أي من ضيق وقد تقدم في الأنعام وهذه الآية تدخل في كثير من الأحكام وهي مما خص الله بها هذه الأمة روى معمر عن قتادة قال أعطيت هذه

المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل
الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر

الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي كان يقال للنبي اذهب فلا حرج عليك وقيل لهذه الأمة وما جعل عليكم في الدين من حرج والنبي شهيد على أمته وقيل لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس ويقال للنبي سل تعطه وقيل لهذه الأمة ادعوني أستجب لكم **الثانية** اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله فقال عكرمة هو ما أحل الله من النساء مثنى وثلاث ورباع وما ملكت يمينك وقيل المراد قصر الصلاة والإفطار للمسافر وصلاة الإيماء لمن لا يقدر على غيره وحط الجهاد عن الأعمى والأعرج والمريض والعديم الذي لا يجد ما ينفق في غزوه والغريم ومن له والدان وحط الإصر الذي كان على بني إسرائيل وقد مضى تفسير أكثر هذه الأشياء وروي عن ابن عباس والحسن البصري أن هذا في تقديم الأهلة وتأخيرها في الفطر والأضحى والصوم فإذا أخطأت الجماعة هلال ذي الحجة فوقفوا قبل عرفة بيوم أو وقفوا يوم النحر أجزأهم على خلاف فيه بيناه في كتاب المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس وما ذكرناه هو الصحيح في الباب وكذلك الفطر والأضحى لما رواه حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن المنكدر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون خرجه أبو داود والدارقطني ولفظه ما ذكرناه والمعنى باجتهادكم من غير حرج يلحقكم وقد روى الأئمة أنه عليه السلام سئل يوم النحر عن أشياء فما يسأل عن أمر مما ينسى المرء أو يجهل من تقديم الأمور بعضها قبل بعض وأشباهها إلا قال افعل ولا حرج **الثالثة** قال العلماء رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع وأما السلابة والسراق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع أعظم حرجا من إلزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج

ملة أبيكم قال الزجاج المعنى اتبعوا ملة أبيكم وقال الفراء انتصب على تقدير حذف الكاف كأنه قال كملة وقيل المعنى وافعلوا الخير فعل أبيكم فأقام الفعل مقام الملة وإبراهيم هو أبو العرب قاطبة وقيل الخطاب لجميع المسلمين وإن لم يكن الكل من ولده لأن حرمة إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد **قوله تعالى** هو سماكم المسلمين من قبل قال ابن زيد والحسن هو راجع إلى إبراهيم والمعنى هو سماكم المسلمين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا أي في حكمه أن من اتبع محمدا فهو مسلم قال ابن زيد وهو معنى قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال النحاس وهذا القول مخالف لقول علماء الأمة وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال سماكم الله المسلمين من قبل أي في الكتب المتقدمة وفي هذا القرآن وقال مجاهد وغيره ليكون الرسول عليكم شهيدا أي بتبليغه إياكم وتكونوا شهداء على الناس أن رسلهم قد بلغتهم كما تقدم في البقرة **قوله تعالى** فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير تقدم مستوفى والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليما كثيرا

سورة المؤمنون مائة وثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون إلى قوله خالدون فيه تسع مسائل **الأولى** قوله تعالى قد أفلح المؤمنون روى البيهقي من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون وروى النسائي عن عبد الله بن السائب قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فصلى في قبل الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره فافتتح سورة المؤمنين فلما جاء ذكر موسى أو عيسى عليهما السلام أخذته سعلة فركع خرجه مسلم بمعناه وفي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل وأنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأرضنا وارض عنا ثم قال أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم عشر آيات صححه ابن العربي وقال النحاس معنى من أقامهن من أقام عليهن ولم يخالف ما فيهن كما تقول فلان يقوم بعمله ثم نزل بعد هذه الآيات فرض الوضوء والحج فدخل معهن وقرأ طلحة بن مصرف قد أفلح المؤمنون بضم الألف على الفعل المجهول أي أبقوا في الثواب والخير وقد مضى في أول البقرة معنى الفلاح لغة ومعنى والحمد لله **الثانية** قوله تعالى خاشعون روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر حيث يسجد وفي رواية كان المسلمون يلتفتون في الصلاة وينظرون حتى أنزل الله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون فأقبلوا على صلاتهم ونظروا أمامهم وقد تقدم ما للعلماء في حكم المصلي إلى حيث ينظر في البقرة عند قوله تعا

قوله وجهك شطر المسجد الحرام وتقدم ايضا معنى الخشوع عند قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين والخشوع
محله القلب فاذا خشع خشعت الجوارح لخشوعه اذ هو ملكها حسب ما بيناه اول البقرة وكان الرجل من
العلماء اذا اقام الصلاة وقام اليها يهاب الرحمن ان يمد بصره الى شي وان يحدث نفسه بشي من الدنيا و
قال عطا هو ان لا يعبث بشي من جسده في الصلاة وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته
في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم
الى الصلاة فان الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصا رواه الترمذي وقال الشاعر

في فضيلة الصلاة

الا في الصلاة الخير والفضل اجمع — لان بها الاراب لله تخضع
واول فرض من شريعة ديننا — واخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة — وكان كعبد باب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته — نجيا فيا طوباه لو كان يخشع

وروى ابو عمران الجوني قال قيل لعائشة ما كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اتقرؤن سورة
المؤمنين قيل نعم قالت اقرؤا فقرئ عليها قد افلح المؤمنون حتى بلغ يحافظون وروى النسائي عن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحظ في صلاته يمينا وشمالا ولا يلوي عنقه خلف ظهره وقال

يلحظ في صلاته يمينا وشمالا

كعب بن مالك في حديثه الطويل ثم اصلي قريبا منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم واسارقه النظر فاذا اقبلت
على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه اعرض عني الحديث ولم يامره باعادة **الثالثة** اختلف الناس في الخشوع
هل هو من فرائض الصلاة او فضائلها ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب وهو اول علم
يرفع من الناس قاله عبادة بن الصامت رواه الترمذي من حديث جبير بن نفير عن ابي الدردا وقال
هذا حديث حسن غريب وقد صححه النسائي من حديث جبير بن نفير ايضا عن عوف بن مالك الاشجعي من
طريق صحيحة قال ابو عيسى ومعاوية بن صالح ثقة عند اهل الحديث ولا نعلم احدا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد
القطان قال المؤلف رحمه الله معاوية بن صالح ابو عمرو ويقال ابو عمر وبن الحضرمي الحمصي قاضي الاندلس
سئل عنه ابو حاتم الرازي فقال صالح الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به واختلف فيه قول يحيى بن معين ووثقه
عبد الرحمن بن مهدي واحمد بن حنبل وابو زرعة الرازي واحتج به مسلم في صحيحه وقد تقدم في البقرة معنى
اللغو والزكاة فلا معنى للاعادة وقال الضحاك ان اللغو هنا الشرك وقال الحسن انه المعاصي كلها
فهذا قول جامع يدخل فيه قول من قال هو الشرك وقول من قال هو الغنا كما روى مالك بن انس عن محمد
بن المنكدر على ما ياتي في لقمان بيانه ومعنى فاعلون مؤدون وهي فصيحة وقد جاءت في كلام العرب
قال امية بن ابي الصلت — المطعمون الطعام في السنة الازمة — والفاعلون للزكوات
الرابعة قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الاية قال ابن العربي من غريب القران ان هذه العشر
ايات عامة في الرجال والنسا كسائر الفاظ القران التي هي محتملة لهم فانها عامة فيهم الا قوله والذين
هم لفروجهم حافظون فانما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات بدليل قوله الا على ازواجهم او
ما ملكت ايمانهم وانما عرف حفظ المراة فرجها من ادلة اخر كايات الاحصان عموما وخصوصا وغير
ذلك من الادلة قال المؤلف رحمه الله وعلى هذا التاويل في الاية فلا يحل لامراة ان يطاها من تملكه
اجماعا من العلما لانها غير داخلة في الاية ولكنها لو اعتقته بعد ملكها له جاز له ان يتزوجها كما يجوز
لغيره عند الجمهور وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة والشعبي والنخعي انها لو اعتقته حين ملكته
كانا على نكاحهما قال ابو عمر ولا يقول بهذا احد من فقها الامصار لان تملكها عندهم يبطل النكاح
بينهما وليس ذلك بطلاق وانما هو فسخ للنكاح فانه لو اعتقته بعد ملكها له لم يراجعها الا بنكاح
جديد ولو كانت في عدة منه قال محمد بن عبد الحكم سمعت حرملة بن عبد العزيز قال سالت
مالكا عن الرجل يجلد عميرة فتلا هذه الاية والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون وذلك لانهم
يكنون عن الذكر بعميرة وفيه يقول الشاعر

لو اعتقته حين ملكته كانا على نكاحهما
قال ابو عمر ولا يقول بهذا احد من فقهاء الامصار

اذا حللت بواد لا انيس به — فاجلد عميرة لا داء ولا حرج

وتسميه اهل العراق الاستمنا وهو استفعال من المني واحمد بن حنبل على ورعه يجوزه ويحتج بانه اخراج
فضلة من البدن فجاز عند الحاجة اصله الفصد والحجامة وعامة العلماء على تحريمه وقال بعض

العلما انه كالفاعل بنفسه وهي معصية احدثها الشيطان واجراها بين الناس حتى صارت مسالة ويا ليتها
لم تقل ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها فان قيل انها خير من نكاح
الامة قلنا نكاح الامة وان كانت كافرة على مذهب بعض العلما خير من هذا وان كان قد قال
به قائل ايضا ولكن الاستمنا ضعيف في الدليل عار بالرجل الدني فكيف بالرجل الكبير **السادسة**
قوله تعالى الا على ازواجهم قال الفرا اي من ازواجهم اللاتي احل الله لهم لا يجاوزونهن وما ملكت ايمانهم في
موضع خفض معطوفة على ازواجهم وما مصدرية وهذا يقتضي تحريم الزنا وما قلناه من الاستمنا ونكاح
المتعة لان المتمتع بها لا تجري مجرى الزوجات لا ترث ولا تورث ولا يلحق به ولدها ولا يخرج من نكاحها
بطلاق يستانف لها بانقضاء المدة التي عقدت عليها وصارت كالمستاجرة قال ابن العربي
ان نكاح المتعة جائز في زوجة الى اجل ينطلق عليها اسم الزوجية وان قلنا بالحق بالذي اجمعت عليه
الامة من تحريم نكاح المتعة لما كانت زوجة فلم تدخل في الاية قال المؤلف رحمه الله وفائدة هذا الخلاف
هل يجب الحد ولا يلحق الولد كالزنا الصريح او يدفع الحد للشبهة ويلحق الولد قولان لاصحابنا وقد كانت
المتعة في التحليل والتحريم احوال فمن ذلك انها كانت مباحة ثم حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر
ثم حللها في غزاة الفتح ثم حرمها بعد قاله ابن خواز منداد من اصحابنا وغيره واليه اشار ابن العربي
وقد مضى في النساء القول فيه مستوفى **السابعة** قوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
فسمى من نكح ما لا يحل عاديا واوجب عليه الحد لعدوانه واللائط عاد قرانا ولغة بدليل قوله بل انتم قوم عادون
كما تقدم في الاعراف فوجب ان يقام الحد عليهم وهذا ظاهر لا غبار عليه قال المؤلف رحمه الله فيه نظر
ما لم يكن جاهلا او متاولا وان كان الاجماع منعقد على ان قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين خص به الرجال دون النسا فقد روى معمر عن قتادة
قال تسررت امراة غلامها فذكر ذلك لعمر فسالها عن ذلك فقالت كنت اراه يحل لي بملك يميني
كما يحل للرجل المراة بملك اليمين فاستشار عمر في رجمها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تاولت
كتاب الله على غير تاويله لا رجم عليها فقال عمر لا جرم والله لا احلك لحر بعده ابدا عاقبها بذلك ودرا الحد
عنها وامر العبد ان لا يقربها وعن ابي بكر بن عبد الله انه سمع اباه يقول انا حضرت عمر بن عبد العزيز
جاءته امراة بغلام لها وضي فقالت اني استسررته فمنعني بنو عمي من ذلك وانما انا بمنزلة الرجل يكون
له الوليدة يطاها فانه بني عمي عني فقال عمر اتزوجت قبله قالت نعم قال اما والله لولا منزلتك من
الجهالة لرجمتك بالحجارة ولكن اذهبوا به فبيعوه الى من يخرج به الى غير بلدها ووراء بمعنى سوى وهو مفعول
بابتغى اي من طلب سوى الازواج والولائد المملوكة له قال الزجاج اي فمن ابتغى ما بعد ذلك فمفعول
الابتغا محذوف ووراء ظرف وذلك يشار به الى كل مذكور مؤنثا كان او مذكرا فاولئك هم العادون
اي المجاوزون الحد من عدا اي من جاوز الحد وجازه **الثامنة** قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون قرا الجمهور لاماناتهم بالجمع وابن كثير بالافراد والامانة والعهد
تجمع كل ما تحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولا وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك وغاية
ذلك حفظه والقيام به والامانة اعم من العهد وكل عهد فهو امانة فيما تقدم فيه قولا وفعلا ومعتقدا
التاسعة قرا الجمهور صلواتهم وحمزة والكسائي صلاتهم بالافراد وهذا الافراد اسم جنس فهو في معنى
الجمع والمحافظة على الصلاة اقامتها والمبادرة بها اوائل اوقاتها واتمام ركوعها وسجودها وقد تقدم
في البقرة مستوفى ثم قال اولئك هم الوارثون اي من عمل بما ذكر في هذه الايات فهم الوارثون اي يرثون
منازل اهل النار من الجنة وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل لكل انسان مسكنا
في الجنة ومسكنا في النار فاما المؤمنون فياخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويحصل الكفار
في منازلهم في النار خرجه ابن ماجه بمعناه عن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله
فذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون اسناده صحيح ويحتمل ان يسمى الحصول على الجنة وراثة من
حيث حصلوها دون غيرهم فهو اسم مستعار على الوجهين والفردوس ربوة في الجنة واوسطها
وافضلها خرجه الترمذي من حديث الربيع بنت النضر حارثة وقال حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم

حكاية عمر بن عبد العزيز
مع امراة جاءت

فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة ومنه تفجر انهار الجنة قال ابو حاتم محمد بن حبان قوله صلى الله عليه وسلم فانه اوسط الجنة يريد ان الفردوس في اوسط الجنة الجنان في العرض وهو اعلى الجنة يريد في الارتفاع وهذا كله يصحح قول ابي هريرة ان الفردوس جبل الجنة التي تتفجر منه انهار الجنة واللفظة فيما قال مجاهد رومية عربت وقيل هي فارسية عربت وقيل حبشية فان ثبت ذلك فهو وفاق بين اللغات وقال الضحاك هو عربي والعرب تقول للكروم فراديس هم فيها خالدون انث على معنى الجنة قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله احسن الخالقين فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان الانسان هنا ادم عليه السلام قاله قتادة وغيره لانه استل من الطين ويجي الضمير في قوله ثم جعلناه عايدا على ابن ادم وان كان لم يذكر لشهرة الامر فان المعنى لا يصلح الا له نظير ذلك حتى توارت بالحجاب وقيل المراد بالسلالة ابن ادم قاله ابن عباس وغيره والسلالة على هذا صفوة الماء يعني المني والسلالة فعالة من السل وهو استخراج الشي من الشي يقال سللت الشعر من العجين والسيف من الغمد فانسل ومنه قوله

فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي

فالنطفة سلالة والولد سليل وسلالة وانشد

فجاءت به عضب الاديم غضنفرا | سلالة فرج كان غير حصين
وسلالة عني به الماء يسيل من الظهر سيلا

وهل هند الا مهرة عربية | سليلة افراس تجللها بغل

وقوله من طين اي ان الاصل ادم وهو من طين قال المولف رحمه الله اي من طين خالص واما ولده فمن طين ومني حسب ما بيناه في اول سورة الانعام وقال الكلبي السلالة الطين اذا عصرته انسل من بين اصابعك فالذي يخرج هو السلالة الثانية قوله تعالى من نطفة قد مضى القول في النطفة والعلقة والمضغة وما في ذلك من احكام في اول الحج الثالثة قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر اختلف الناس في الخلق الاخر فقال ابن عباس وغيره هو نفخ الروح فيه بعد ان كان جمادا وعن ابن عباس خروجه الى الدنيا وقال قتادة عن فرقة نبات شعره الضحاك خروج الاسنان ونبات الشعر مجاهد كمال شبابه وروي عن ابن عمر والصحيح انه عام في هذا وفي غيره من النطق والادراك وحسن المحاولة وتحصيل المعقولات الى ان يموت الرابعة قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين يروى ان عمر بن الخطاب لما سمع صدر الاية الى قوله اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت وفي مسند الطيالسي ونزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية فلما نزلت قلت انا تبارك الله احسن الخالقين ويروى ان قايل ذلك عبد الله بن ابي سرح وبهذا السبب ارتد وقال اتي بمثل ما ياتي به محمد وفيه نزلت ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله على ما تقدم في الانعام بيانه وقوله تعالى تبارك تفاعل من البركة احسن الخالقين اتقن الصانعين يقال لمن صنع شيا خلقه ومنه قول الشاعر

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وذهب بعض الناس الى نفي هذه اللفظة عن الناس وانما تضاف الخلق الى الله تعالى وقال ابن جريج انما قال احسن الخالقين لانه تعالى قد اذن لعيسى عليه السلام ان يخلق واضطرب بعضهم في ذلك ولا ينفي اللفظة عن البشر في معنى الصنع وانما هي منتفية بمعنى الاختراع والايجاد عن العدم الخامسة من هذه الاية قال ابن عباس لعمر حين سال مشيخة الصحابة عن ليلة القدر فقالوا الله اعلم فقال عمر ما تقول يا ابن عباس فقال يا امير المومنين ان الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وخلق ابن ادم من سبع وجعل رزقه في سبع فاراها في ليلة سبع وعشرين فقال عمر اعجزكم ان تاتوا بمثل ما اتى هذا الغلام الذي لم يجتمع شوون راسه وهذا الحديث بطوله في مسند ابن ابي شيبة فاراد ابن عباس خلق ابن ادم من سبع بهذه الاية بقوله وجعل رزقه في سبع قوله فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا الاية السبع منها لابن ادم والاب للانعام والقضب ياكله ابن ادم ويسمن منه النسا هذا قول وقيل القضب البقول لانها تقضب فهي رزق ابن ادم وقيل القضب والاب للانعام والست الباقية لابن ادم والسابعة للانعام اذ هي من اعظم رزق ابن ادم قوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد الخلق والحياة قال النحاس ويقال في هذا المعنى لمايتون ثم اخبر بعد ذلك بالبعث بعد الموت فقال ثم انكم يوم القيامة تبعثون قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق وما قال ابو عبيدة اي سبع سموات يقال طارقت الشي اي جعلت بعضه فوق بعض فقيل للسموات طرايق لان بعضها فوق بعض والعرب تسمي كل شي فوق شي طريقة وقيل لانها طرايق الملايكة قوله تعالى وما كنا عن الخلق غافلين قال بعض العلما اي عن خلق السما وقال اكثر المفسرين اي عن الخلق كلهم من ان يسقط عليهم فتهلكهم قال المولف رحمه الله ويحتمل ان يكون المعنى وما كنا عن الخلق غافلين اي في القيام بمصالحهم وحفظهم وهو معنى الحي القيوم على ما تقدم قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فيه اربع مسايل الاولى هذه الاية من نعم الله على خلقه ومما امتن به عليهم ومن اعظم المنن الماء الذي هو حياة الابدان ونما الحيوان والماء المنزل من السماء على قسمين هذا الذي ذكر الله سبحانه واخبر عنه بانه استودعه في الارض وجعله فيها مخزونا لسقي الناس يجدونه عند الحاجة اليه وهو ماء الانهار والعيون وما يستخرج من الابار وروي عن ابن عباس وغيره انه انما اراد الانهار الاربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات وقال مجاهد ليس في الارض ماء الا وهو من السماء وهذا ليس على الاطلاق والا فالاجاج ثابت في الارض فيمكن ان يقيد قوله بالماء العذب ولا محالة ان الله قد جعل في الارض ماء وانزل من السماء ماء وقد قيل ان قوله وانزلنا من السماء ماء اشارة الى الماء العذب وان اصله من البحر رفعه تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر الى السماء حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم انزله الى الارض لينتفع به ولو كان الامر الى ماء البحر لما انتفع به من ملوحته الثانية قوله تعالى بقدر اي على مقدار مصلح لانه لو كثر اهلك ومنه قوله تعالى وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم وانا على ذهاب به لقادرون يعني الماء المختزن وهذا تهديد ووعيد اي في قدرتنا اذهابه وتغويره ويهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم وهذا كقوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غايرا فمن ياتيكم بماء معين الثالثة ذكر النحاس قرى على ابي يعقوب اسحق بن ابراهيم بن يونس عن جامع بن سوادة قال حدثنا سعيد بن سابق قال حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله عز وجل من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة في اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله عز وجل جبريل عليه السلام فرفع من الارض القران والعلم وجميع الانهار الخمسة فيرفع ذلك الى السماء فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشيا من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا الرابعة كلما نزل من السماء مخزونا كان او غير مخزون فهو طاهر مطهر يغتسل به ويتوضا به على ما ياتي في الفرقان بيانه قوله تعالى فانشانا لكم به جنات فيه مسالتان الاولى قوله فانشانا اي جعلنا ذلك سبب النبات واوجدناه به وخلقناه وذكر الله تعالى النخيل والاعناب لانها ثمرة الحجاز بالطايف والمدينة وغيرهما قاله الطبري ولانها ايضا اشرف الثمار فذكرها تشريفا لها وتنبيها عليها لكم فيها اي في الجنات فواكه من غير الرطب والعنب ويحتمل ان يعود على النخيل والاعناب خاصة اذ فيها مراتب وانواع والاول اعم لساير الثمرات الثانية من حلف ان لا ياكل فاكهة ففي الرواية عندنا يحنث بالباقلا الاخضر وما اشبهها وقال ابو حنيفة لا يحنث باكل القثا والخيار والجزر لانها من البقول لا من الفواكه وكذلك الجوز واللوز والفستق لان هذه الاشيا لا تعد من الفاكهة وان اكل تفاحا او خوخا او مشمشا او تينا او اجاصا يحنث وكذلك البطيخ لان هذه الاشيا توكل على جهة التفكه قبل الطعام وبعده فكانت فاكهة وكذلك يابس هذه الاشيا الا البطيخ اليابس لان ذلك لا يوكل الا في بعض البلدان ولا يحنث باكل البطيخ الهندي لانه لا يعد من الفواكه وان اكل عنبا او رمانا او رطبا لا يحنث وخالفه صاحباه فقالا يحنث لان هذه الاشيا اعز الفواكه وتوكل على وجه التنعم والافراد لها بالذكر في كتاب الله لكمال معانيها كتخصيص جبريل وميكايل بالذكر من الملايكة واحتج ابو حنيفة بان قال لعطف هذه على الفاكهة مرة فقال فيهما فاكهة ونخل ورمان ومرة عطف الفاكهة على هذه الاشيا فقال وفاكهة وابا والمعطوف غير

المعطوف عليه ولا يليق بالحكمة ذكر الشيء الواحد بلفظين مختلفين في موضع المنة والعنب والرمان يكتفى فيهما في بعض البلدان فلا يكون فاكهة ولأن ما كان فاكهة لا فرق بين رطبه ويابسه ويابس هذه الأشياء لا يعد فاكهة فكذلك رطبها **قوله تعالى** وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ فيه ست مسائل **الأولى** قوله تعالى وشجرة شجرة عطف على جنات وأجاز الفراء الرفع لأنه لم يظهر الفعل بمعنى وثم شجرة ويريد بها شجرة الزيتون وأفردها بالذكر لعظم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار تخرج في موضع الصفة من طور سيناء أي أنبتها الله في الأصل من هذا الجبل الذي بارك الله فيه وطور سيناء من أرض الشام وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام قاله ابن عباس وقد تقدم في البقرة والأعراف والطور الجبل في كلام العرب وقيل هما مما عرب من كلام العجم وقال ابن زيد هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر إلى أيلة واختلف في سيناء فقال قتادة معناه الحسن ويلزم على هذا التأويل أن ينون الطور على النعت وقال مجاهد معناه مبارك وقال معمر عن فرقة معناه شجر ويلزمهم أن ينونوا الطور وقال الجمهور هو اسم الجبل كما يقال جبل أحد وعن مجاهد أيضا سيناء حجر بعينه أضيف الجبل إليه وقال مقاتل كل جبل يحمل الثمار فهو سيناء أي حسن وقال الكوفيون بفتح السين على وزن فعلاء وفعلاء في كلام العرب كثير يمنع من الصرف في المعرفة والنكرة لأن في آخرها ألف التأنيث وألف التأنيث ملازمة لما هي فيه وليس في الكلام فعلاء ولكن من قرأ سيناء بكسر السين جعله فعلالا فالهمزة فيه كهمزة حرباء ولم يصرف في هذه الآية لأنه جعل اسم بقعة وزعم الأخفش أنه اسم أعجمي **الثانية** قوله تعالى تنبت بالدهن قرأ الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء والتقدير تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء واختلف في التقدير على هذه القراءة فقال أبو علي الفارسي تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول محذوف وقيل الباء زائدة مثل ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وهذا مذهب أبي عبيدة وقال الشاعر

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وقال آخر

هن الحرائر لا ربات أحمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور

ونحو هذا قاله أبو علي أيضا وقد تقدم وقيل نبت وأنبت بمعنى فيكون المعنى كما مضى في قراءة الجمهور وهو مذهب الفراء ومنه قول زهير

والأصمعي ينكر أنبت ويتهم قصيدة زهير التي فيها

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا بها حتى إذا أنبت البقل

أي نبت وقرأ الزهري والحسن والأعرج تنبت بالدهن برفع الباء ونصب التاء قال ابن جني والزجاج هي باء الحال أي تنبت ومعها دهنها وفي قراءة ابن مسعود تخرج بالدهن وهي باء الحال قال ابن درستويه الدهن الماء اللين تنبته من الإنبات وقرأ زر بن حبيش تنبت بضم التاء وكسر الباء الدهن بحذف الباء ونصبه وقرأ سليمان بن عبد الملك والأشهب بالدهان والمراد من الآية تعديد نعمة الزيت على الإنسان وهي من أركان النعم التي لا غنى بالصحة عنها ويدخل في معنى الزيتونة شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الأقطار **الثالثة** قوله تعالى وصبغ للآكلين قراءة الجمهور وصبغ وقرأت فرقة وأصباغ بالجمع وقرأ عامر بن عبد قيس وصباغا والمراد به الزيت الذي يصطبغ به الأكل يقال صبغ وصباغ مثل دبغ ودباغ ولبس ولباس وكل إدام يؤتدم به فهو صبغ حكاه الهروي وغيره وأصل الصبغ ما يلون به الثوب وشبه الإدام به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه وقال مقاتل الإدام الزيتون والدهن الزيت وقد جعل الله في هذه الشجرة إداما ودهنا فالصبغ على هذا الزيتون **الرابعة** لا خلاف أن كل ما يصطبغ فيه من المائعات كالزيت والسمن والعسل والرب والخل وغير ذلك من الأمراق أنه إدام وقد نص صلى الله عليه وسلم على الخل فقال نعم الإدام الخل رواه تسعة من الصحابة سبعة رجال وامرأتان وممن رواه في الصحيح جابر وعائشة وخارجة وعمر وابنه وعبد الله وابن عباس وأبو هريرة وسمرة بن جندب وأنس وأم هانئ **الخامسة** واختلف فيما كان جامدا كاللحم والتمر والزيتون وغير ذلك من الجوامد فالجمهور أن ذلك كله إدام فمن حلف أن لا يأكل إداما فأكل لحما أو جبنا حنث وقال أبو حنيفة لا يحنث وخالفه صاحباه وقد روي عن أبي يوسف مثل قول أبي حنيفة والبقل ليس

نبت وانبت

حلف لا ياكل اداما

بإدام في قول جميعهم وعن الشافعي في التمر وجهان والمشهور أنه ليس بإدام قاله في التنبيه وقيل يحنث وصحح أن هذا أكله إدام وقد روى أبو داود عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمرة وقال هذه إدام هذه وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد إدام الدنيا والآخرة اللحم ذكره أبو عمر وترجم عليه البخاري باب الإدام وساق حديث عائشة ولأن الإدام مأخوذ من المؤادمة وهي الموافقة وهذه الأشياء توافق الخبز فكان إداما وفي الحديث عنه عليه السلام ائتدموا ولو بالماء ولأبي حنيفة أن حقيقة الإدام الموافقة في الاجتماع على وجه لا يقبل الفصل كالخل والزيت وغيرهما وأما اللحم والبيض وغيرهما لا يوافق الخبز بل يجاوره كالبطيخ والتمر والعنب والحاصل أن كل ما يحتاج في الأكل إلى موافقة الخبز كان إداما وكل ما لا يحتاج ويؤكل وحده لم يكن إداما **السادسة** روى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة هذا حديث لا يعرف إلا من حديث عبد الرزاق وكان يضطرب فيه فربما يذكر عن عمر وربما رواه على الشك فقال أحسبه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وربما قال عن زيد بن أسلم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل خص الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت منها وقيل إن الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان والله أعلم **قوله تعالى** وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً الآيتين إلى آخرهما تقدم القول فيهما في النحل وفي هود قصة السفينة ونوح وركوب البحر في غير موضع **قوله تعالى** وَعَلَيْهَا أي وعلى الأنعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وإنما الحمل في البر على الإبل فيجوز أن ترجع الكناية إلى بعض الأنعام وروي أن رجلا ركب بقرة في الزمان الأول فأنطقها الله معه فقالت إنا لم نخلق لهذا وإنما خلقنا للحرث **قوله تعالى** مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قرئ بالخفض ردا على اللفظ وبالرفع ردا على المعنى وقد مضى في الأعراف **قوله تعالى** مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ أي يسودكم ويشرف عليكم بأن يكون متبوعا ونحن له تبع **قوله تعالى** وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً أي لو شاء الله أن لا يعبد شيء سواه لجعل رسوله ملكا **قوله تعالى** مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ أي بمثل دعوته وقيل ما سمعنا بمثله بشرا أتى برسالة ربه في آبائنا الأولين أي في الأمم الماضية قاله ابن عباس والباء في بهذا زائدة أي ما سمعنا هذا كائنا في آبائنا الأولين ثم عطف بعضهم على بعض فقالوا إن هو يعنون نوحا إلا رجل به جنة أي جنون لا يدري ما يقول **قوله تعالى** فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ أي انتظروا موته وقيل حتى يستبين جنونه وقال الفراء ليس يراد بالحين هاهنا وقت بعينه إنما هو كقوله دعه إلى يوم ما فقال حين تمادوا على كفرهم **قوله تعالى** رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ أي انتقم منهم بتكذيبهم ولم تسمع رسالتي **قوله تعالى** فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أي أرسلنا إليه رسولا من السماء أن اصنع الفلك على ما تقدم بيانه **قوله تعالى** فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أي علوت أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ راكبين فقل الحمد لله أي احمدوا الله على تخليصه إياكم من القوم الظالمين ومن الغرق والحمد لله كلمة كل شاكر لله وقد مضى في الفاتحة بيانه **قوله تعالى** فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ أي أدخل فيها واجعل فيها يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه إذا أدخلته قال عبد مناف بن ربع الهذلي

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة ... شلا كما تطرد الجمالة الشردا

قوله تعالى مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ قرأ حفص من كل بالتنوين الباقون بالإضافة وقد تقدم وقال الحسن لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد ويبيض فأما البق والذباب والدود فلم يحمل شيئا منها وإنما خرج من الطين وقد مضى القول في السفينة والكلام فيها مستوفى **قوله تعالى** وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا قراءة العامة منزلا بضم الميم وفتح الزاي على المصدر الذي هو الإنزال أي أنزلني إنزالا مباركا وقرأ زر بن حبيش وأبو بكر عن عاصم والمفضل منزلا بفتح الميم وكسر الزاي على الموضع أي أنزلني موضعا مباركا قال الجوهري والمنزل بفتح الميم والزاي النزول وهو الحلول تقول نزلت نزولا ومنزلا وقال

أإن ذكرتك الدار منزلها جمل ... بكيت فدمع العين منحدر سجل

نصب المنزل لأنه مصدر وأنزله غيره واستنزله بمعنى ونزله تنزيلا والتنزيل أيضا الترتيب قال ابن عباس ومجاهد هذا حين خرج من السفينة مثل قوله اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وقيل حين دخلها فعلى هذا يكون قوله مباركا يعني بالسلامة والنجاة قال المؤلف رحمه الله وبالجملة فالآية تعليم من الله جل وعز لعباده إذا ركبوا أو إذا نزلوا أن يقولوا هذا وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا أن يقولوا

وروي عن علي رضي الله عنه انه كان اذا دخل المسجد قال اللهم انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين قوله تعالى
ان في ذلك لايات اي في امر نوح والسفينة واهلاك الكافرين لايات اي دلالات على قدرة الله تعالى وانه ينصر
اولياءه ويهلك اعداءهم وان كنا لمبتلين اي ما كنا الا مبتلين الامم قبلكم اي مختبرين لهم بارسال الرسل
اليهم ليظهر المطيع والعاصي ليتبين للملايكة حالهم لا ان يستجد الرب علما وقيل اي يعاملهم معاملة
المختبرين وقد تقدم هذا المعنى في البقرة وغيرها وقيل وان كنا اي وقد كنا قوله تعالى ثم
انشانا من بعدهم اي من بعد هلاك قوم نوح قوله تعالى قرنا اخرين قيل هم قوم عاد قوله تعالى
فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا لانه ما كانت امة في اثر قوم نوح الا عاد وقيل هم قوم ثمود فارسلنا
فيهم رسولا يعني صالحا قالوا والدليل عليه قوله تعالى اخر الاية فاخذتهم الصيحة نظيرها واخذ الذين
ظلموا الصيحة قال المولف رحمه الله وممن اخذ بالصيحة ايضا اصحاب مدين قوم شعيب فلا يبعد ان يكونوا
هم والله اعلم منهم اي من عشيرتهم يعرفون مولده ومنشاءه ليكون سكونهم الى قوله اكثر قوله تعالى
وقال الملا اي الاشراف والقادة والروسا قوله تعالى من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة
يريد بالبعث والحساب قوله تعالى واترفناهم في الحياة الدنيا اي وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا واوصلنا
ياتون بالترفه وهي مثل التحفة قوله تعالى ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون فلا فضل له عليكم لانه محتاج الى الطعام والشراب كانتم وزعم الفرا ان معنى ويشرب مما تشربون
على حذف من اي مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف البتة لان ما اذا كان
مصدرا لم يحتج الى عايد فان جعلتها بمعنى الذي حذفت المفعول ولم تحتج الى اضمار من قوله تعالى
ولين اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون يريد لمغبونون بترككم الهتكم واتباعكم اياه من غير
فضيلة له عليكم قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون يحدث اخراجكم
فان الثانية في موضع رفع بفعل مضمر كما تقول اليوم القتال والمعنى اليوم يحدث القتال وقال ابو اسحق
ويجوز ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون لان معنى ايعدكم ايقول لكم قوله تعالى
هيهات هيهات لما توعدون قال ابن عباس هي كلمة للبعد كانهم قالوا بعيد ما توعدون اي ان هذا
لا يكون ما يذكر من البعث وقال ابو علي هو بمنزلة الفعل اي بعد ما توعدون قال ابن الانباري وفي هيهات
عشر لغات هيهات لك بفتح التاء وهي قراءة الجماعة وهيهات لك بخفض التاء يروى عن ابن القعقاع
وهيهات لك بالخفض والتنوين يروى عن عيسى بن عمر وهيهات لك برفع التاء الثعلبي وبها قرا نصر بن عاصم
وابو العالية وهيهات بالرفع والتنوين وبها قرا ابو حيوة ذكر الثعلبي ايضا الشامي وهيهاتا لك بالنصب والتنوين
قال الاحوص

تذكرت اياما مضين من الصبا … وهيهات هيهاتا اليك رجوعها

واللغة السابعة ايهات ايهات وانشد الفراء

فايهات ايهات العقيق ومن به … وايهات خل بالعقيق نواصله

قال المهدوي وقرا عيسى الهمداني هيهات هيهات بالاسكان قال ابن الانباري ومن العرب من يقول
ايهان بالنون ومنهم من يقول ايها بلا نون وانشد الفرا

ومن دوني الاعيار والقنع كله … وكتمان ايها ما اشت وابعدا

فهذه عشر لغات فمن قال هيهات بفتح التاء جعله مثل اين وكيف وقيل لانهما اداتان مركبتان
مثل خمسة عشر وبعلبك ورام هرمز وتقف على الثاني بالهاء كما تقول خمسة عشرة وقال الفراء
نصبها كنصب ثمت وربت ويجوز ان يكون الفتح اتباعا للالف والفتحة التي قبلها ومن كسر جعله مثل
امس وهؤلاء قال

وهيهات هيهات اليك رجوعها

قال الكسائي ومن كسر التاء وقف عليها بالهاء فيقول هيهاه ومن نصبها وقف بالتاء وان شاء بالهاء
ومن ضمها فعلى مثل منذ وقط وحيث ومن قرا هيهات بالتنوين فهو جمع ذهب به الى التكثير كانه قال بعدا بعدا
وقيل خفض ونون تشبيها بالاصوات بقولهم غاق وطاق وقال الاخفش يجوز في هيهات ان يكون جماعة
فتكون التاء التي فيها تاء الجمع التي للتانيث ومن قرا هيهات جاز ان يكون اخلصها اسما معربا فيه معنى
البعد ولم يجعله اسما للفعل فيبنيه وقيل شبه التاء بتاء الجمع كقوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا
الله قال الفراء وكاني استحب الوقف على التاء لان من العرب من يخفض التاء على كل حال فكان مثل عرفات

كلمة للبعد

وملكوت

وملكوت وما اشبه ذلك وكان مجاهد وعيسى بن عمر وابو عمرو بن العلا والكسائي وابن كثير يقفون
عليها هيهاه بالهاء وقد روي عن ابي عمرو ايضا انه كان يقف على هيهات بالتاء وعليه بقية القراء لانها حرف
قال ابن الانباري من جعلهما حرفا واحدا لا ينفرد احدهما من الاخر وقف على الثاني بالهاء ولم يقف على الاول
فيقول هيهات هيهاه كما تقول خمس عشرة على ما تقدم ومن نوى افراد احدهما من الاخر وقف فيهما جميعا
بالهاء والتاء لان اصل الهاء تاء قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا هي كناية عن الدنيا اي ما الحياة الا
ما نحن فيه لا الحياة الاخرة التي تعدنا بعدها البعث قوله تعالى نموت ونحيا يقال كيف قالوا نموت
ونحيا وهم لا يقرون بالبعث ففي هذا اجوبة منها ان يكون المعنى نكون مواتا اي نطفا ثم نحيا في الدنيا وقيل
فيه تقديم وتاخير اي ان هي الا حياتنا الدنيا نحيا فيها ونموت كما قال واركعي واسجدي وقيل نموت يعني
الاباء ونحيا يعني الاولاد وما نحن بمبعوثين بعد الموت قوله تعالى ان هو الا رجل يعنون الرسول
الا رجل افترى اي اختلق قوله تعالى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون
تقدم قوله تعالى قال عما قليل اي عن قليل وما زايدة قوله تعالى ليصبحن نادمين على
كفرهم واللام لام القسم اي والله ليصبحن قوله تعالى فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة
واحدة مع الريح التي اهلكهم الله بها فماتوا عن اخرهم قوله تعالى فجعلناهم غثاء اي هلكى هامدين
كغثاء السيل وهو ما يحمله من بالي الشجر من الحشيش والقصب مما يبس وتفتت قوله تعالى فبعدا للقوم
الظالمين اي هلاكا لهم وقيل بعدا لهم من رحمة الله وهو منصوب على المصدر ومثله سقيا له ورعيا
قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم اي من بعد هلاك هؤلاء قرونا اي امما اخرين قال ابن عباس يريد
بني اسرائيل وفي الكلام حذف فكذبوا انبياءهم فاهلكناهم قوله تعالى ما تسبق من امة
اجلها من صلة اي ما تسبق من امة الوقت المؤقت لها ولا تتاخره مثل قوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون ومعنى تترا تتواتر ويتبع بعضهم بعضا ترغيبا وترهيبا قال الاصمعي
واترت كتبي عليه اتبعت بعضها بعضا الا ان بين كل واحد منهما وبين الاخر مهلة وقال غيره المتواترة
المتتابع بغير مهلة وقرا ابن كثير وابو عمرو تترا بالتنوين على انه مصدر ادخل فيه التنوين على فتح الراء كقولك
حمدا وشكرا فالوقف على هذا على الالف المعوضة من التنوين ويجوز ان يكون ملحقا بجعفر فيكون مثل ارطى
وعلقى كما قال

يستن في علقى وفي مكور

فاذا وقف على هذا الوجه جازت الامالة
على ان ينوي الوقف على الالف الملحقة وقرا ورش بين اللفظين مثل سكرى وغضبى وهو اسم جمع مثل
شتى واسرى واصله وترا من المواترة والتواتر فقلبت الواو تاء مثل التقوى والتكلان وتجاه ونحوها
وقيل هو من الوتر وهو الفرد فالمعنى ارسلناهم فردا فردا قال النحاس وعلى هذا يجوز تترا بكسر التاء الاولى
وموضعها نصب على المصدر لان معنى ثم ارسلنا واترنا ويجوز ان يكون في موضع الحال اي متواترين ومعنى
فاتبعنا بعضهم بعضا اي بالهلاك قوله تعالى وجعلناهم احاديث جمع احدوثة وهي ما يتحدث
به كاعاجيب جمع اعجوبة وهو ما يتعجب منه قال الاخفش انما يقال هذا في الشر جعلناهم احاديث ولا يقال
في الخير كما يقال صار فلان حديثا اي عبرة ومثلا كما قال في اية اخرى فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل
ممزق قال المولف رحمه الله وقد يقال فلان حديث حسن اذا كان مقيدا بذكر ذلك ومنه قول ابن دريد

وانما المرء حديث حسن … بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هرون الاية تقدم ومعنى عالين متكبرين قاهرين لغيرهم
بالظلم كما قال ان فرعون علا في الارض فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا تقدم ايضا ومعنى من المهلكين اي بالغرق
في البحر قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة وخص موسى بالذكر لان التوراة نزلت
عليه في الطور وهرون خليفة في قومه ولو قال اتيناهما جاز كما قال ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان
قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية تقدم في مريم القول فيه قوله تعالى واويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين الربوة المكان المرتفع وقد تقدم في البقرة والمراد بها هنا في قول ابي هريرة فلسطين
وعنه ايضا الرملة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس وابن المسيب وابن سلام دمشق
وقال كعب وقتادة بيت المقدس قال كعب وهي اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال

وكنت هبيدا اغتدي منبي بربوة … تناوحني ريح جنوب وشمال

وقال ابن زيد مصر وروي سالم الافطس عن سعيد بن جبير واويناهما الى ربوة قال القتبي من الارض ذات
قرار اي مستوية يستقر عليها وقيل ذات ثمار ولاجل الثمار يستقر فيها الساكنون ومعين ماء جار
طاهر للعيون يقال معين ومعن كما يقال رغيف ورغف قاله علي بن سليمان وقال الزجاج هو الماء الجاري
في العيون فالميم على هذا زائدة كزيادتها في مبيع وكذلك الميم زائدة في قول من قال انه الماء الذي
يرى بالعين وقيل انه فعيل بمعنى مفعول قال علي بن سليمان يقال معن الماء اذا جرى فهو معين
وممعون قال ابن الاعرابي معن الماء يمعن معونا اذا جرى وسهل وامعن ايضا وامعنته ومياه معنان
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فيه ثلاث مسائل الاولى روى الصحيح
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر
المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء
يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك الثانية
قال بعض العلماء الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم وانه اقامه مقام الرسل كما قال الذين قال
لهم الناس يعني نعيم بن مسعود وقال الزجاج هذه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ودل الجمع على ان
الرسل كلهم كذلك امروا اي كلوا من الحلال وقال الطبري الخطاب لعيسى روي انه كان ياكل
من غزل امه والمشهور عنه انه كان ياكل من بقل البرية ووجه خطابه لعيسى ما ذكرناه من تقديره
لمحمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له وقيل ان هذه المقالة خوطب بها كل نبي لان هذه طريقتهم التي ينبغي
لهم الكون عليها فيكون المعنى وقلنا يا ايها الرسل كلوا من الطيبات كما تقول لتاجر يا تجار ينبغي ان
تجتنبوا الربا فانت تخاطبه بالمعنى وقد اقترن بذلك ان هذه المقالة تصلح لجميع صنفه فلم يخاطبوا
قط مجتمعين صلوات الله عليهم اجمعين وانما خوطب كل واحد في عصره قال الفراء هو كما تقول للرجل
الواحد كفوا عنا اذاكم الثالثة سوى الله تعالى بين المرسلين والمؤمنين في الخطاب بوجوب
اكل الحلال وتجنب الحرام ثم شمل الكل في الوعيد الذي تضمنه قوله تعالى اني بما تعملون عليم واذا كان
هذا معهم فما ظن كل الناس بانفسهم وقد مضى القول في الطيبات والرزق في غير موضع والحمد لله وفي
قوله عليه السلام يمد يديه دليل على مشروعية مد اليدين عند الدعاء الى السماء وقد مضى الخلاف
في هذا والكلام فيه وقوله عليه السلام فانى يستجاب لذلك على جهة الاستبعاد اي انه ليس
اهلا لاجابة دعائه لكن يجوز ان يستجيب الله له تفضلا ولطفا وكرما قوله تعالى وان
هذه امتكم امة واحدة فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وان هذه امتكم المعنى هذا الذي تقدم
ذكره هو دينكم وملتكم فالزموه والامة هنا الدين وقد تقدم محامله ومنه قوله تعالى انا وجدنا اباءنا
على امة اي على دين وقال النابغة شعر

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... وهل ياثمن ذو امة وهو طائع

الثانية قرئ وان هذه بكسر ان على القطع وبفتحها وتشديد النون قال الخليل هي في موضع نصب لما زال الخافض
اي انا عالم بان هذا دينكم الذي امرتكم ان تؤمنوا به وقال الفراء ان متعلقة بفعل مضمر وتقديره واعلموا
ان هذه امتكم وهي عند سيبويه متعلقة بقوله فاتقون والتقدير فاتقون لان امتكم واحدة وهذا
كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اي لان المساجد لله فلا تدعوا معه غيره وكقوله لايلاف
قريش اي فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش الثالثة هذه الاية تقوي ان قوله تعالى
يا ايها الرسل انما هو مخاطبة لجميعهم وانه بتقدير حضورهم واذا قدرت يا ايها الرسل مخاطبة لمحمد صلى
الله صلى الله عليه وسلم قلق اتصال هذه واتصال قوله فتقطعوا اما ان قوله وانا ربكم فاتقون وان كان
قيل للانبياء فامهم داخلون فيه بالمعنى فيحسن بعد ذلك اتصال فتقطعوا امرهم اي الامم اي جعلوا دينهم اديانا
بعد ما امروا بالاجتماع ثم ذكر تعالى ان كلا منهم معجب برايه وضلالته وهذا غاية الضلال الرابعة
هذه الاية تنظر الى قوله صلى الله عليه وسلم الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين
ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي
الجماعة الحديث خرجه ابو داود ورواه الترمذي وزاد قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي

روي ان عيسى عليه السلام ياكل من غزل امه

خرجه من حديث عبد الله بن عمرو وهذا يبين ان الافتراق المحذر منه في الاية والحديث انما هو في اصول الدين
وقواعده لانه قد اطلق عليها مللا واخبر ان التمسك بشيء من تلك الملل موجب لدخول النار ومثل
هذا لا يقال في الفروع فانه لا يوجب تعديد الملل ولا عذاب النار قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا قوله تعالى زبرا يعني كتبا وضعوها وضلالات الفوها قاله ابن زيد وقيل انهم فرقوا
الكتب فاتبعت فرقة منهم الصحف وفرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة الانجيل ثم حرف الكل وبدل
قاله قتادة وقيل اخذ كل فريق منهم كتابا امن به وكفر بما سواه وزبرا بضم الباء قراءة نافع جمع زبور
والاعمش وابو عمرو بخلاف عنه زبرا بفتح الباء اي قطعا كقطع الحديد كقوله تعالى اتوني زبر الحديد
قوله تعالى كل حزب اي كل فريق وملة بما لديهم اي عندهم من الدين فرحون
اي معجبون به وهذه الاية مثال لقريش خاطب محمدا عليه السلام في شانهم متصلا بقوله فذرهم في غمرتهم
اي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة من تقدم ولا يضيق صدرك بتاخر العذاب عنهم فلكل شيء وقت والغمرة
في اللغة ما يغمرك ويعلوك واصله الستر ومنه الغمر الحقد لانه يغطي القلب والغمر الماء الكثير
وغمرة الرداء الذي يشمل الناس بالعطاء قال الشاعر

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

والمراد هنا الحيرة والغفلة والضلالة ودخل فلان في غمار الناس اي زحمتهم وقوله حتى حين قال
مجاهد حتى الموت فهو تهديد لا توقيف قوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
ما بمعنى الذي اي يحسبون يا محمد ان الذي نعطيهم في الدنيا من المال والاولاد هو ثواب لهم انما هو استدراج
واملاء ليس اسراعا في الخيرات وفي خبران ثلاثة اقوال احدها انه محذوف قال الزجاج المعنى نسارع
لهم به في الخيرات وحذفت به وقال هشام الضرير قولا دقيقا قال انما هي الخيرات فصار المعنى نسارع
لهم فيه ثم اظهر فقال في الخيرات ولا حذف فيه على هذا التقدير ومذهب الكسائي ان انما حرف واحد
ولا يحتاج الى تقدير حذف ويجوز الوقف على قوله وبنين ومن قال انما حرفان فلا بد من ضمير يرجع من الخبر
الى اسم ان ولم يتم الوقف على وبنين وقال السجستاني لا يحسن الوقف على وبنين لان يحسبون يحتاج الى مفعولين
وتمام المفعولين في الخيرات قال ابن الانباري وهذا خطا لان ان كافية من اسم ان وخبرها ولا يجوز ان
يؤتى بعد ان بمفعول ثان وقرا السلمي وعبد الرحمن بن ابي بكرة يسارع بالياء على ان يكون فاعله امدادنا
وهذا يجوز على ان يكون على غير حذف اي يسارع لهم الامداد ويجوز ان يكون فيه حذف ويكون المعنى
يسارع الله لهم وقرئ ونسارع لهم في الخيرات وفيه ثلاثة اوجه احدها على حذف به ويجوز ان يكون يسارع
الامداد ويجوز ان يكون لهم اسم ما لم يسم فاعله ذكره النحاس قال المهدوي وقرا الحر النحوي نسرع لهم في الخيرات
وهو بمعنى قراءة الجماعة قال الثعلبي والصواب قراءة العامة كقوله نمدهم بل لا يشعرون ان ذلك فتنة
لهم واستدراج قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون لما فرغ ذكر الكفرة
وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين المسارعين في الخيرات ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم ومشفقون
خائفون وجلون مما خوفهم الله تعالى قوله تعالى والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين
هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يؤتون الاخلاص ويخافون
ان لا يقبل منهم وروى الترمذي عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية
والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قالت عائشة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت
الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ان لا يقبل منهم
قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات وقال الحسن لقد ادركت اقواما كانوا من حسناتهم
ان ترد عليهم اشفق منكم على سيئاتكم ان تعذبوا عليها وقرات عائشة وابن عباس والنخعي والذين ياتون
ما اتوا مقصورا من الاتيان قال الفراء ولو صحت هذه القراءة عن عائشة لم تخالف قراءة الجماعة لان الهمز
من العرب من يلزم فيه الالف في كل الحالات اذا كتب فتكتب سئل الرجل بالف بعد السين ويستهزءون
بالف بين الزاي والواو وشيء بالف بعد الياء فغير مستنكر في مذهبها ولا ان يكتب يؤتون بالف بعد
الياء فيحتمل هذا اللفظ بالبناء على هذا الخط قراءتين يؤتون ما اتوا وينفرد ما عليه الجماعة باحتمال
تاويلين احدهما والذين يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقلوبهم خائفة والاخر والذين يؤتون

الملئكة الذين يكتبون اعمال العباد ما اتوا وقلوبهم وجلة فيجد فمفعول في هذا الباب لوضوح معناه
كما حذف في قوله تعالى فيه يغاث الناس وفيه يعصرون والمعنى يعصرون السمسم والعنب فاختزل
المفعول لوضوح معناه ويجوز ان يكون الاصل في الحرف على هجايه الموجود في الامام يا توان بالف مبدله
من الهمزة فكتبت الالف واو النواخي حروف المد واللين في المحاكاة ابن الانباري قال النحاس المعروف
من قراءة ابن عباس والذين يوتون ما اتوا وهي القراءة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة
رضي الله عنها ومعناها يعملون ما عملوا كما روي في الحديث والوجل نحو الاشفاق والخوف فالتقي والتائب
خوفه امر العاقبة وما يطلع عليه بعد الموت وفي قوله انهم الى ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وفي صحيح
البخاري انما الاعمال بالخواتيم واما المخلط فينبغي له ان يكون تحت خوف من ان ينفذ فيه الوعيد بتخليطه
وقال بعض اصحاب الخواطر وجل العارف من طاعته اكثر وجلا من وجله من مخالفته لان المخالفة تمحوها
التوبة والطاعة تطلب بتصحيح الغرض انهم اي لانهم اي من اجل انهم الى ربهم راجعون **قوله تعالى**
اولئك يسارعون في الخيرات اي في عمل الخيرات اي في الطاعات كي ينالوا بذلك اعلى الغرف
والدرجات وقرئ يسرعون في الخيرات اي يكونون سراعا اليها ويسارعون على معنى يسابقون
من سابقهم اليها فالمفعول محذوف قال الزجاج يسارعون ابلغ من يسرعون
وهم لها سابقون احسن ما قيل فيه انهم يسبقون الى اوقاتها ودل بهذا ان الصلاة في اول الوقت افضل
كما تقدم في البقرة وكل من تقدم في شيء فقد سبق اليه وكل من تاخر عنه فقد سبقه وفاته فاللام في لها
على هذا القول بمعنى الى كما قال بان ربك اوحى لها اي اليها وانشد سيبويه

تجانف عن جو اليمامة ناقتي ... وما قصدت من اهلها لسوائكا

وعن ابن عباس في معنى وهم لها سابقون سبقت لهم من الله السعادة فلذلك سارعوا في الخيرات
وقيل المعنى وهم من اجل الخيرات سابقون **قوله تعالى** **ولا نكلف نفسا الا وسعها** مضى في البقرة
انه ناسخ لجميع ما ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق **قوله تعالى** **ولدينا كتاب ينطق بالحق**
اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصاء الاعمال الذي ترفعه الملائكة واضافه الى نفسه لان الملائكة
كتبته بامره فهو ينطق بالحق وفي هذا تهديد وتانيس من الحيف والظلم ولفظ النطق يجوز في الكتاب
والمراد ان النبيين تنطق بما فيه والله اعلم وقيل عنى اللوح المحفوظ وقد اثبتت فيه كل شيء فهم لا يجاوزون ذلك
وقيل الاشارة بقوله ولدينا كتاب القران وكل محتمل والاول اظهر **قوله تعالى** **بل قلوبهم في غمرة**
من هذا قال مجاهد اي في غطاء وغفلة وعماية من القران ويقال غمره الماء اذا غطاه ونهر غمر يغطي من دخله
ورجل غمر يغمره اراء الناس وقيل غمرة لانها تغطي الوجه ومنه دخل في غمار الناس وخمارهم اي فيما تغطيه من الجمع
وقيل بل قلوبهم في غمرة اي في حيرة وعمى اي مما وصف من اعمال البر في الايات المتقدمة قاله قتادة
او من الكتاب الذي ينطق بالحق **قوله تعالى** **ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون** قال قتادة
ومجاهد اي لهم خطايا لا بد لهم ان يعملوها من دون الحق وقال الحسن وابو زيد المعنى ولهم اعمال ردية لم
يعملوها من دون ما هم عليه لا بد ان يعملوها فيدخلون بها النار لما سبق لهم من
الشقوة ويحتمل ثالثا انه ظلم الخلق مع الكفر بالخالق ذكره الماوردي والمعنى متقارب **قوله تعالى**
حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب يعني بالسيف يوم بدر قاله ابن عباس وقال الضحاك يعني بالجوع
حين قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فابتلاهم الله بالقحط والجوع حتى اكلوا العظام والميتة والكلاب والجيف وهلك الاموال والاولاد
قوله تعالى **اذا هم يجارون** اي يضجون ويستغيثون واصل الجوار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل
الثور قال الاعشى يصف بقرة

فطافت ثلاثين يوما وليلة ... وكان النكير ان تضيف وتجارا

قال الجوهري والجوار مثل الخوار يقال جار الثور يجار اذا صاح وقرا بعضهم عجلا جسدا له جوار حكاه
الاخفش وجار الرجل الى الله تضرع بالدعا قال قتادة يصرخون بالتوبة فلا يقبل منهم قال

يراوح من صلوات المليك ... فطورا سجودا وطورا جؤارا

وقال ابن جريج حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب هم الذين قتلوا ببدر واذا هم يجارون هم الذين بمكة

ان الصلاة في اول الوقت افضل

فجمع بين القولين المتقدمين وهو حسن **قوله تعالى** **لا تجاروا اليوم انكم منا** اي من عذابنا لا تنصرون
لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم وقال الحسن لا تنصرون بقبول التوبة وقيل معنى هذا النهي الاخبار
اي انكم ان تضرعتم لم ينفعكم **قوله تعالى** **قد كانت ايتي تتلى عليكم** تتلى تقرا قال الضحاك قبل ان
تعذبوا بالقتل فكنتم على اعقابكم تنكصون الايات يريد بها القران قال مجاهد يستاخرون واصله
ان يرجع القهقرى قال الشاعر

زعموا انهم على سبل الحق ... وانا نكص على الاعقاب

وهو هنا استعارة للاعراض عن الادبار عن الحق وقرا علي بن ابي طالب على ادباركم بدل على اعقابكم
تنكصون بضم الكاف ومستكبرين حال والضمير في به قال الجمهور وهو عائد على الحرم او المسجد او البلد
الذي هو مكة وان لم يتقدم له ذكر لشهرته في الامر اي يقولون نحن اهل الحرم فلا نخاف وقيل المعنى
انهم يعتقدون في نفوسهم ان لهم بالمسجد والحرم اعظم الحقوق على الناس والمنازل فيستكبرون لذلك
وليس الاستكبار من الحق وقالت فرقة الضمير عائد على القران من حيث ذكرت الايات والمعنى يحدث
لكم سماع اياتي كبرا وطغيانا فلا تؤمنوا به قال ابن عطية وهذا قول جيد قال النحاس والقول الاول اولى
والمعنى انهم يفتخرون بالحرم ويقولون نحن اهل الحرم **قوله تعالى** **سامرا تهجرون** فيه اربع مسائل **الاولى**
سامرا نصب على الحال والمعنى سمارا وهي الجماعة يتحدثون بالليل ماخوذ من السمر وهو ظل القمر ومنه سمرة
اللون وكانوا يتحدثون حول الكعبة في سمر القمر فسمي التحدث به قال الثوري يقال لظل القمر السمر ومنه
السمرة في اللون ويقال له الفخت ومنه قيل فاختة وقرا ابو رجا سمارا وهو جمع سامر كما قال

من دونهم ان جئتهم سمرا ... عزف القيان ومجلس غمر

ولعل الاشكال في ترتيب الابيات؛ والذي في الاصل:

تري السمار والناس احوالي ... وفي حديث قبلنا اذا جاء ذوو جامن المسامر

يعني من القوم الذين يسمرون بالليل فهو اسم مفرد بمعنى الجمع كالحاضر وهم القوم النازلون على الماء والباقر
جمع البقر والجامل جمع الابل ذكورها واناثها ومنه قوله ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا يقال قوم سمر وسمر وسامر
ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الاشجار من ضوء القمر قال الجوهري والسامر ايضا السمار وهم
القوم الذين يسمرون كما يقال للحاج حجاج وقال الشاعر

وسامر طال فيه اللهو والسمر

كانه سمي المكان الذي يجتمع فيه للسمر بذلك
وقيل وحد سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت كقول الشاعر

من دونهم ان جئتهم سمرا ... عزف القيان ومجلس غمر

فقال سمرا لان معناه ان جئتهم ليلا وجدتهم وهم يسمرون وابنا سمير الليل والنهار لانه يسمر فيهما
يقال لا افعله ما سمر ابنا سمير ابدا ويقال السمير الدهر وابناه الليل والنهار ولا افعله السمر والقمر اي ما دام
الناس يسمرون في ليلة قمراء ولا افعله سمير الليالي قال الشنفري

هنالك لا ارجو حياة تسرني ... سمير الليالي مبسلا بالجرائر

والسمار بالفتح اللبن الرقيق وكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا اوجب معرفتها بالنجوم لانها تجلس في الصحراء
فترى الطوالع والغوارب وكانت قريش تسمر حول الكعبة مجالس في اباطيلها وكفرها فعابهم الله بذلك
وتهجرون قرئ بضم التاء وكسر الجيم من اهجر اذا نطق بالفحش وبنصب التاء وضم الجيم من هجر المريض اذا هذى ومعناه
يتكلمون بهوس وشيء من القول في النبي عليه السلام وفي القران **الثانية** روى سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال انما كره السمر حين نزلت هذه الاية مستكبرين به سامرا تهجرون يعني ان الله تعالى ذم اقواما
يسمرون في غير طاعة الله تعالى اما في هذيان واما في اذاية وكان الاعمش يقول اذا رايت الشيخ ولم
يكتب الحديث فاصفعه فانه من شيوخ القمرا يعني يجتمعون في ليالي القمر فيتحدثون بايام الخلفاء والامراء
ولا يحسن احدهم يتوضا للصلاة **الثالثة** روى مسلم عن ابي برزة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤخر العشاء الى ثلث الليل ويكره النوم قبلها والحديث بعدها قال العلماء اما الكراهية للنوم قبلها فلئلا يعرضها
للفوات عن كل وقتها او افضل وقتها ولهذا قال عمر فمن نام فلا نامت عينه ثلاثا وممن كره النوم قبلها
عمر وابنه عبد الله وابن عباس وغيرهم مالك ورخص فيه بعضهم منهم علي وابو موسى وغيرهم وهو مذهب الكوفيين
وشرط بعضهم ان يجعل معه من يوقظه للصلاة وروي عن ابن عمر مثله واليه ذهب الطحاوي واما كراهية
الحديث بعدها فلان الصلاة قد كفرت خطاياه فينام على سلامة وقد ختم الكتاب صحيفته بالعبادة فان

موسمر وتحدث فيملوها بالهوس ويجعل خاتمتها اللغو والباطل وليس هذا من فعل المومنين وايضا فان
السمر في الحديث مظنة غلبة النوم اخر الليل فينام عن قيام اخر الليل وربما ينام عن صلاة الصبح وقد قيل
انما يكره السمر بعدها لما روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسمر بعد هداة
الرجل فان احدكم لا يدري ما يبث الله من خلقه اغلقوا الباب واوكوا السقا وخمروا الانا واطفوا المصابيح
وروي عن عمر انه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشا اسمرا اول الليل ونوما اخره اريحوا كتابكم حتى انه روي
عن ابن عمر انه قال من قرض بيت شعر بعد العشا لم تقبل له صلاة حتى يصبح واسنده شداد بن اوس الى النبي صلى الله
عليه وسلم وقد قيل ان الحكمة في كراهية الحديث بعدها انما هو لما ان الله تعالى جعل الليل سكنا اي ليسكن فيه
فاذا احدث الانسان فيه فقد جعله كالنهار الذي متصرف للمعاش فكانه قصد الى مخالفة حكمة الله التي
اجرى عليه وجوده فقال وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا **الرابعة** ان
هذه الكراهة انما لا تختص بما لا يكون من قبيل القرب والاذكار وتعليم العلم ومسامرة الاهل بالعلم وتعليم
المصالح وما شابه ذلك فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف ما يدل على جواز ذلك بل على ندبيته
وقد قال البخاري باب السمر في الفقه والخير بعد العشا وذكر ان قرة بن خالد قال انتظرنا الحسن وراث
علينا حتى جاء قريبا من وقت قيامه فجاء فقال دعانا جيراننا هولاء ثم قال انس انتظرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات ليلة حتى كان شطر الليل فجاء فصلى ثم خطبنا فقال ان الناس قد صلوا وانكم لم تزالوا في صلاة
ما انتظرتم الصلاة قال الحسن فان القوم لا يزالون في خير ما انتظروا الخير قال باب السمر مع الضيف
والاهل وذكر حديث ابي بكر بن عبد الرحمن ان اصحاب الصفة كانوا فقرا الحديث اخرجه مسلم ايضا وقد جاء
في حراسة الثغور وحفظ العساكر بالليل من الثواب الجزيل والاجر العظيم ما هو مشهور في الاخبار وقد مضى
من ذلك جملة في اخر ال عمران قوله تعالى **افلم يدبروا القول** يعني القران وهو كقوله افلا يتدبرون
القران وسمي القران قولا لانهم خوطبوا به قوله تعالى **ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين** فانكروه
واعرضوا عنه وقيل ام بمعنى بل اي بل جاءهم ما لا عهد لهم لابائهم به فلذلك انكروه وتركوا التدبر له قاله
ابن عباس وقيل المعنى ام جاءهم امان من العذاب وهو شي لم يات اباءهم الاولين فتركوا قوله تعالى
ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون هذا تستعمله العرب على معنى التوقيف والتقبيح فيقولون الخير
احب اليك ام الشر اي قد اخترت الشر فتجنبه وقد عرفوا رسولهم وانه من اهل الصدق والامانة ففي اتباعه
النجاة والخير لولا العنت قال سفيان بلى قد عرفوه ولكنهم قد حسدوه قوله تعالى **ام يقولون به جنة**
اي ام تحتجون في ترك الايمان به بانه مجنون فليس هو هكذا لزوال امارات الجنون عنه قوله تعالى
بل جاءهم بالحق يعني القران والتوحيد الحق والدين الحق قوله تعالى **واكثرهم** اي كلهم **للحق كارهون**
اي حسدا وبغيا وتقليدا قوله تعالى **ولو اتبع الحق اهواءهم** الحق هنا الله سبحانه وتعالى قاله الاكثرون
منهم مجاهد وابن جريج وابو صالح وغيرهم وتقديره في العربية ولو اتبع صاحب الحق قاله النحاس وقد قيل هو
مجاز اي لو وافق الحق اهواءهم فجعل موافقته اتباعا مجازا اي لو كانوا يكفرون بالرسل ويعصون الله تعالى ثم
لا يعاقبون ولا يجازون على ذلك اما عجزا واما جهلا قوله تعالى **لفسدت السموات والارض** وقيل
المعنى ولو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الهة مع الله جل وعز لتنافت الالهة واراد بعضهم ما لا يريد
بعض فاضطرب التدبير وفسدت السماوات والارض واذا فسدتا فسد من فيهما وقيل لو اتبع الحق
اهواءهم اي بما يهواه الناس ويشتهونه لبطل نظام العالم لان شهوات الناس تختلف وتتضاد وسبيل الحق
ان يكون متبوعا وسبيل الناس الانقياد للحق وقيل الحق القران اي لو نزل القران بما يحبون لفسدت السموات
والارض ومن فيهن اشارة الى من يعقل من ملائكة السموات وانس الارض وجنها الماوردي وقال
الكلبي يعني وما بينهما من خلق وهي قراءة ابن مسعود لفسدت السماوات والارض وما بينهما فيكون
على تاويل الكلبي وقراءة ابن مسعود محمولا على افساد من يعقل وما لا يعقل من الحيوان لان ما لا يعقل
تابع لما يعقل في الصلاح والفساد فعلى هذا ما يكون من الفساد يعود على من في السماوات من الملائكة
بان جعلت اربابا وهي مربوبة وعبدت وهي مستعبدة وفساد الانس يكون على وجهين احدهما باتباع
الهوى وذلك مهلك الثاني بعبادة غير الله وذلك كفر واما فساد ما عدا ذلك فيكون على وجه
التبع لانهم مدبرون بذوي العقول فعاد فساد المدبرين عليهم قوله تعالى **بل اتيناهم بذكرهم** اي

بما فيه شرفهم وعزهم قاله السدي وسفيان وقال قتادة اي بما لهم فيه ذكر ثوابهم وعقابهم ابن عباس اي ببيان
الحق وذكر ما لهم به حاجة من امر الدين فهم عن ذكرهم معرضون قوله تعالى **ام تسالهم خرجا** اي اجرا على
ما جيتهم به قاله الحسن وغيره نحوه قوله تعالى **فخراج ربك خير** وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابن
وثاب خراجا بالالف الباقون بغير الف وكلهم قرا فخراج بالالف الا ابن عامر وابا حيوة فانهما قراه
بغير الف والمعنى ام تسالهم رزقا فرزق ربك خير وهو خير الرازقين اي ليس يقدر احد ان يرزق مثل
رزقه ولا ينعم مثل انعامه وقيل اي ما يوتيك الله من الاجر على طاعتك له والدعا اليه خير من عرض الدنيا
وقد عرضوا عليك اموالهم حتى تكون كاغنى رجل من قريش فلم تجبهم الى ذلك قال معناه الحسن والخرج
والخراج واحد الا ان اختلاف الكلام احسن قاله الاخفش وقال ابو حاتم الخرج الجعل والخراج العطاء
وقال المبرد الخرج المصدر والخراج الاسم وقال النضر بن شميل سالت ابا عمرو بن العلا عن الفرق بين
الخرج والخراج فقال الخراج ما لزمك والخرج ما تبرعت وعنه ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض
ذكر الاول الثعلبي والثاني الماوردي قوله تعالى **وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم** اي الى
دين قويم والصراط في اللغة الطريق فسمي الدين طريقا لانه يودي الى الجنة فهو طريق اليها قوله تعالى
وان الذين لا يومنون بالاخرة اي بالبعث **عن الصراط لناكبون** قيل هو مثل الاول وقيل انهم عن
طريق الجنة لعادلون حتى يصيروا الى النار نكب عن الطريق ينكب نكوبا اذا عدل عنه ومال الى غيره
ومنه نكبت الريح اذا لم تستقم على مجرى وشر الريح النكبا قوله تعالى **ولو رحمناهم وكشفنا ما
بهم من ضر** اي لو رددناهم الى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم قوله تعالى **للجوا في طغيانهم يعمهون**
قال السدي في معصيتهم يعمهون قال الاعمش يترددون وقال ابن جريج ولو رحمناهم يعني في الدنيا
وكشفنا ما بهم من ضر اي من قحط وجوع للجوا اي لتمادوا في طغيانهم وضلالتهم وتجاوزهم الحد يعمهون يتذبذبون
ويخبطون قوله تعالى **ولقد اخذناهم بالعذاب** قال الضحاك بالجوع وقيل بالامراض والحاجة والجوع وقيل
بالقتل والجوع قوله تعالى **فما استكانوا لربهم** اي ما خضعوا وما يتضرعون اي ما يخشعون
لله جل وعز في الشدائد تصيبهم قال ابن عباس نزلت في قصة ثمامة بن اثال لما اسرته السرية واسلم وخلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبيله حال بين مكة وبين الميرة وقال والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى
ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ الله قريشا بالقحط والجوع حتى اكلوا الميتة والكلاب والعلهز
قيل وما العلهز قال كانوا ياخذون الصوف والوبر فيبلونه بالدم فيشوونه وياكلونه فقال
له ابو سفيان انشدك الله والرحم اليس تزعم ان الله بعثك رحمة للعالمين قال بلى قال فوالله ما اراك الا
قتلت الاباء بالسيف وقتلت الابناء بالجوع فنزل قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر الاية قوله تعالى
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال عكرمة هو باب من ابواب جهنم عليه من الخزنة اربعمائة
الف سود وجوههم كالحة انيابهم بارزة قد قلعت الرحمة من قلوبهم اذا بلغوه فتحه الله عز وجل عليهم وقال
ابن عباس هو قتلهم بالسيف يوم بدر وقال مجاهد هو القحط الذي اصابهم حتى اكلوا العلهز من الجوع على ما
تقدم وقيل فتح مكة اذا هم فيه مبلسون اي يائسون متحيرون لا يدرون ما يصنعون كالايس من الفرج
ومن كل خير وقد تقدم في الانعام قوله تعالى **وهو الذي انشا لكم السمع والابصار** عرفهم كثرة نعمه
وكمال قدرته قوله تعالى **قليلا ما تشكرون** اي ما تشكرون الا شكرا قليلا وقيل اي لا تشكرون
البتة قوله تعالى **وهو الذي ذراكم في الارض** اي نشركم وبثكم وخلقكم واليه تحشرون
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي جعلهما مختلفين كقولك لك الاجر والصلة
اي انك تؤجر وتوصل قاله الفرا وقيل اختلافهما نقصان احدهما وزيادة الاخر وقيل اختلافهما في النور والظلمة
وقيل تكررهما يوم بعد ليلة وليلة بعد يوم ويحتمل خامسا اختلاف ما مضى فيهما من سعادة وشقاوة
وضلال وهدى قوله تعالى **افلا تعقلون** كنه قدرته وربوبيته ووحدانيته وانه لا يجوز ان يكون له شريك
من خلقه وانه قادر على البعث ثم عيرهم بقولهم واخبر عنهم انهم قالوا مثل ما قال الاولون قوله تعالى
قالوا ااذا متنا وكنا ترابا وعظاما اانا لمبعوثون هذا لا يكون ولا يتصور قوله تعالى **لقد وعدنا
نحن واباؤنا هذا من قبل** اي من قبل مجي محمد صلى الله عليه وسلم فلم نر له حقيقة ان هذا اي ما هذا الا اساطير
الاولين اي اباطيلهم وترهاتهم وقد تقدم هذا كله قال الله تعالى قل لهم يا محمد جوابا عما قالوه لمن الارض

العلهز

ومن فيها بخبر بوبيته ووحدانيته وملكه الذي لا يزول وقدرته التي لا تحول فسيقولون الله ولا بد لهم من ذلك
قل افلا تذكرون افلا تتعظون وتعلمون ان من قدر على خلق ذلك ابتدا فهو على احيا الموتى بعد موتهم قادر
قوله تعالى **قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون** يريد
افلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون زعمتم ان الملائكة بناتي وكرهتم لانفسكم البنات
قل من بيده ملكوت كل شي يريد السموات وما فوقها وما بينهن والارضين وما تحتهن وما بينهن وما لا
يعلمه احد الا هو وقال مجاهد ملكوت كل شي خزائن كل شي وقال الضحاك ملك كل شي والملكوت من صيغ
المبالغة كالجبروت والرهبوت وقد مضى في الانعام قوله تعالى **وهو يجير ولا يجار عليه سيقولون
الله** اي يمنع ولا يمتنع منه وقيل يجير يومن من شاء ولا يجار عليه اي لا يومن من اخافه ثم قيل هذا في
الدنيا اي من اراد الله خوفه واهلاكه لم يمنعه منه مانع ومن اراد نصره وامنه لم يدفعه عن نصره
وامنه دافع وقيل هذا في الاخرة اي لا يمنعه من مستحق الثواب مانع ولا يدفعه عن مستوجب العذاب
دافع قوله تعالى **فاني تسحرون** اي كيف تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده او كيف يخيل اليكم
ان تشركوا به من لا يضر ولا ينفع والسحر هو التخييل وكل هذا احتجاج على العرب المقرين بالصانع وقرا ابو
عمرو سيقولون الله في الموضعين الاخيرين وهي قراة اهل العراق الباقون لله ولا خلاف في الاول انه
لله لانه جواب لقل لمن الارض ومن فيها فلما تقدمت اللام في لمن رجعت في الجواب ولا خلاف انه مكتوب
في جميع المصاحف بغير الف واما من قرا سيقولون الله فلان السوال بغير لام فجا الجواب على لفظه وجا
في الاول لله لما كان السوال باللام واما من قرا لله باللام في الاخيرين وليس في السوال لام فلان المعنى
قل لمن السموات السبع والعرش العظيم فكان الجواب لله حين قدرت اللام في السوال وعليه الثالثة
لعلة الثانية وقال الشاعر

اذا قيل من رب المزالف والقرى ‏ ‏ ‏ ‏ ورب الجياد الجرد قيل لخالد

اي لمن المزالف والمزالف البراعيل وهي البلاد التي بين الريف والبر الواحدة مزلفة ودلت هذه الايات
على جواز جدال الكفار واقامة الحجة عليهم وقد تقدم في البقرة ونبهت على ان من استبد بالخلق والاختراع
والايجاد والابداع هو المستحق للالوهية والعبادة قوله تعالى **بل اتيناهم بالحق** اي بالقول
الصدق لا ما يقوله الكفار من اثبات الشريك ونفي البعث وانهم لكاذبون ان الملائكة بنات الله فقال
تعالى ما اتخذ الله من ولد من صلة وما كان معه من اله من زايدة التقدير ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ولا
كان معه اله فيما خلق وفي الكلام حذف والمعنى لو كانت معه الهة لانفرد كل اله بخلقه ولعلا
بعضهم على بعض اي ولغالب وطالب القوي الضعيف كالعادة بين الملوك وكان الضعيف المغلوب لا يستحق
الالهية وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد ايضا لان الولد ينازع الاب في الملك منازعة
الشريك قوله تعالى **سبحان الله عما يصفون** تنزيها له عن الولد والشريك قوله تعالى **عالم
الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون** وقرا نافع وابو بكر وحمزة والكسائي عالم بالرفع على الاستيناف
اي هو عالم الغيب الباقون بالجر على الصفة لله وروي رويس عن يعقوب عالم اذا وصل خفضا وعالم اذا ابتدا
رفعا قوله تعالى **قل رب اما تريني ما توعدون** علمه ما يدعو به اي قل رب اي يا رب ان اريتني
ما توعدون من العذاب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي في نزول العذاب بهم بل اخرجني منهم وقيل النداء
معترض وما في اما زايدة وقيل ان اصل اما ان ما وان شرط وما شرط فجمع بين الشرطين توكيدا والجواب
فلا تجعلني في القوم الظالمين اي اذا اردت بهم عقوبة فاخرجني منهم وكان عليه السلام يعلم ان الله تعالى
لا يجعله في القوم الظالمين اذا نزل بهم العذاب ومع هذا امره الرب بهذا الدعا والسوال ليعظم اجره
وليكون في كل الاوقات ذاكرا لربه قوله تعالى **وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون** نبه على ان خلاف
المعلوم مقدور وقد اراه الله ذلك بالجوع فيهم والسيف ونجاه الله ومن امن به من ذلك قوله تعالى
ادفع بالتي هي احسن السيئة امره بالصفح ومكارم الاخلاق فما كان منها لهذه الامة فيما بينهم فهو محكم
باق في الامة ابدا وما فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن امورهم فمنسوخ بالقتال
قوله تعالى **نحن اعلم بما يصفون** اي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي انها اية موادعة والله اعلم
قوله تعالى **وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين** فيه مسالتان **الاولى** الهمزات جمع

همزة والهمز في اللغة النخس والدفع يقال همزه ولمزه ونخسه دفعه وقال الليث الهمز كلام من وراء
القفا واللمز مواجهة والشيطان يوسوس فيهمس في صدر ابن ادم وهو قوله اعوذ بك من همزات الشياطين
اي نزغات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله وفي الحديث كان يتعوذ من همز الشيطان وهمسه ولمزه قال
ابو الهيثم اذا اسر الكلام واخفاه فذلك الهمس من الكلام وسمي الاسد هموسا لانه يمشي بخفة
فلا يسمع صوت وطيه وقد تقدم في طه **الثانية** امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بالتعوذ
من الشيطان من همزاته وهي سورة الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه وكانها هي التي كانت
تصيب المومنين مع الكفار فتقع المحادة فلذلك اتصلت بهذه الاية فالنزغات وسورات الغضب الواردة
من الشيطان هي المتعوذ منها في الاية وقد تقدم في الاعراف بيانه مستوفى وفي اول الكتاب ايضا وروى
علي بن حرب الطاي حدثنا سفيان عن ايوب عن محمد بن حبان كان يورق من الليل فذكر ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم فامره ان يتعوذ بكلمات الله التامة من غضب الله وعقابه ومن شر عباده ومن همزات
الشياطين وان يحضرون وفي كتاب ابي داود قال عمرو هذه الموتة وقال ابن ماجة الموتة يعني الجنون
والتعوذ ايضا من الجنون وكيد وفي قراءة ابي رب عايذا بك من همزات الشياطين وعايذا بك ان يحضرون
اي يكونوا معي في اموري فانهم اذا حضروا الانسان كانوا معدين للهمز واذا لم يكن حضور فلا همز وفي صحيح
مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان يحضر احدكم عند كل شي من
شانه حتى يحضر عند طعامه فاذا سقط من احدكم اللقمة فليمط ما كان بها من اذى ثم لياكلها ولا يدعها
للشيطان فاذا فرغ فليلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة قوله تعالى **حتى اذا
جاء احدهم الموت قال رب ارجعون** عاد الكلام الى ذكر المشركين اي قالوا ايذا متنا الى قوله ان
هذا الا اساطير الاولين ثم احتج عليهم وذكرهم قدرته على كل شي ثم قال هم مصرون على ذلك حتى
اذا جاء احدهم الموت تيقن ضلالته وعاين الملايكة التي تقبض روحه كما قال ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملايكة قال رب ارجعون تمنى الرجعة كي يعمل صالحا فيما ترك وقد يكون القول في النفس قال الله
تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله فاما قوله ارجعون وهو يخاطب ربه ولم يقل ارجعني فقيل جاء على
تعظيم الذكر للمخاطب وقيل استغاثوا بالله جل وعز اولا فقال قايلهم رب ثم رجع الى مخاطبة الملايكة
فقال ارجعون اي ارجعون الى الدنيا قاله ابن جريج وقيل ان معنى ارجعون على جهة التكرير اي ارجعني
ارجعني وهكذا قال المازني في قوله القيا في جهنم قال معناه الق الق قال الضحاك المراد به اهل الشرك
قال المولف رحمه الله ليس سوال الرجعة مختصا بالكافر فقد يسالها المومن كما في اخر سورة المنافقين
على ما ياتي ودلت الاية على ان احدا لا يموت حتى يعرف اضطرارا اهو من اولياء الله ام من اعداء الله ولو
لا ذلك لما سال الرجعة فيعلموا ذلك قبل نزول الموت وذواقه قوله تعالى **لعلي اعمل صالحا** قال
ابن عباس يريد اشهد ان لا اله الا الله فيما تركت اي فيما ضيعت وتركت العمل به من الطاعات وقيل فيما تركت
من مالي فاتصدق ولعل تتضمن ترددا وهذا الذي يسال الرجعة قد استيقن العذاب وهو يوطن نفسه على
العمل قطعا من غير تردد فالتردد يرجع اما الى رده الى الدنيا واما الى التوفيق اي اعمل صالحا ان وفقتني
اذ ليس على قطع من وجود القدرة والتوفيق لو رد الى الدنيا كلا هذه كلمة رد اي ليس الامر على ما
تظنه من انه يجاب الى الرجوع الى الدنيا بل هو كلام يطيح في ادراج الريح وقيل لو اجيب الى ما يطلب
لما وفا بما يقول كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل كلا انها كلمة هو قايلها يرجع الى الله تعالى
اي لا خلف في خبره وقد اخبر انه لن يوخر نفسا اذا جاء اجلها واخبر بان هذا الكافر لا يومن وقيل انها كلمة هو
قايلها عند الموت ولكن لا تنفع قوله تعالى **ومن ورايهم برزخ** اي ومن امامهم وبين ايديهم وقيل
من خلفهم برزخ اي حاجز بين الموت والبعث قاله الضحاك ومجاهد وابن زيد وعن مجاهد ايضا ان البرزخ
هو الحاجز بين الميت والرجوع الى الدنيا وعن الضحاك هو ما بين الدنيا والاخرة وعن ابن عباس حجاب
وعن السدي اجل وعن قتادة بقية الدنيا وقيل الامهال الى يوم القيامة حكاه ابن عيسى وقال الكلبي
هو الاجل ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة وهذه اقوال متقاربة وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ
قال الجوهري البرزخ الحاجز بين الشيئين والبرزخ ما بين الدنيا والاخرة من وقت الموت الى البعث
فمن مات فقد دخل في البرزخ وقال رجل بحضرة الشعبي فلان قد صار من اهل الاخرة فقال لم يصر

التعوذ من الشيطان

ما بين النفختين اربعون سنة

من اهل الاخرة ولكنه صار من اهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الاخرة واضيف يوما الى يبعثون لانه
ظرف زمان والمراد بالاضافة المصدر قوله تعالى فاذا نفخ في الصور المراد بهذه النفخة النفخة
الثانية قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا من اي قبيلة
انت ولا من اي نسب ولا يتعارفون لهول ما اذهلهم وعن ابن عباس ان ذلك في النفخة الاولى حين
يصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وسال رجل ابن عباس عن هذه
الاية وعن قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال لا يتساءلون في النفخة الاولى لانه لا يبقى
على الارض حي فلا انساب ولا تساؤل واما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانهم اذا دخلوا الجنة
تساءلوا وقال ابن مسعود انما عنى في هذه الاية النفخة الثانية وقال ابو عمر زاذان دخلت على ابن مسعود
فوجدت اصحاب الخير الميمنة قد سبقوني اليه فناديت باعلى صوتي يا عبد الله مسعود يا عبد الله بن مسعود
من اجل اني رجل اعجمي ادنيت هؤلاء واقصيتني فقال ادنه فدنوت منه حتى ما كان بيني وبينه جليس فسمعته
يقول يؤخذ بيد العبد او الامة يوم القيامة فينصب على رؤوس الاشهاد الاولين والاخرين ثم ينادي مناد
هذا فلان بن فلان من كان له حق فلياتي الى حقه فتفرح المراة ان يدور لها الحق على ابيها او على زوجها
او على اخيها او على ابنها ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب سبحانه ات
هؤلاء حقوقهم فيقول رب قد فنيت الدنيا فمن اين اوتيهم فيقول الرب للملائكة خذوا من حسناته
فاعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل فضاعفها الله
حتى يدخله بها الجنة ثم قرا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الاية وان كان
شقيا قالت الملائكة فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى خذوا من اعمالهم فاضيفوها الى
سياته وصكوا له صكا الى جهنم قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون تقدم الكلام
فيها قوله تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون اللفح والنفح بمعنى الا ان اللفح ابلغ باسا يقال لفحته النار والسموم
بحرها احرقته ونفحته بالسيف نفحة اذا ضربته به ضربة خفيفة وهم فيها كالحون قال ابن عباس عابسون وقال
اهل اللغة الكلوح تكشر في عبوس والكالح الذي قد تشمرت شفتاه وبدت اسنانه قال الاعشى

وله المقدم لا مثل له ... ساعة الشدق عن الناب كلح

وقد كلح الرجل كلوحا وكلاحا وما اقبح كلحته يراد به الفم وما حواليه ودهر كالح اي شديد وعن ابن عباس
ايضا وهم فيها كالحون يريد كالذي كلح وتقلصت شفتاه وسال صديده وقال ابن مسعود

الم تر الى الراس المشيط بالنار ... وقد بدت اسنانه وتقلصت شفتاه

وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار
فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال هذا حديث حسن
صحيح غريب قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا قرا اهل المدينة وابي عمرو وعاصم شقوتنا
وقرا الكوفيون الا عاصما شقاوتنا وهذه القراءة مروية عن ابن مسعود والحسن شقا وشقاوة ويقال وشقاء
بالمد والقصر واحسن ما قيل في معناه غلبت علينا لذاتنا واهواؤنا فسمى اللذات والاهواء شقوة لانهما
يؤديان اليها كما قال عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا لان ذلك
يؤديهم الى النار وقيل ما سبق في علمك وكتب علينا في ام الكتاب من الشقاوة وقيل حسن الظن بالنفس
وسوء الظن بالخلق قوله تعالى وكنا قوما ضالين اي كنا في فعلنا ضالين عن الهدى وليس هذا اعتذار
منهم انما هو اقرار ويدل على ذلك قولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون لانفسنا بالعود اليه
فيجابون بعد الف سنة اخسئوا فيها ولا تكلمون اي ابعدوا في جهنم كما يقال للكلب اخسا اي ابعد
خسات الكلب خسا طردته وخسا الكلب بنفسه خسوءا فيتعدى ولا يتعدى وانخسا الكلب ايضا ذكر
ابن المبارك قال حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة يذكر عن ابي ايوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال ان اهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم
على مالك ورب مالك قال ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا
اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون

قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق في نار جهنم فشبه اصواتهم بصوت
الحمير اولها زفير واخرها شهيق خرجه الترمذي مرفوعا بمعناه من حديث ابي الدرداء وقال
قتادة صوت الكفار في النار كصوت الحمار اوله زفير واخره شهيق وقال ابن عباس يصير لهم نباح كنباح
الكلب وقال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة الخبر بطوله ذكره
ابن المبارك وقد ذكرناه بكماله في التذكرة وفي اخره ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم قوله تعالى
الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قال فلما سمعوا صوته قالوا الان يرحمنا فقالوا عند ذلك
ربنا غلبت علينا شقوتنا اي الكتاب الذي كتب علينا قوله تعالى وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون فقال عند ذلك اخسئوا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك الدعاء
والرجاء واقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجه بعض واطبقت عليهم قوله تعالى انه كان فريق
من عبادي يقولون ربنا امنا الاية قال مجاهد هم بلال وخباب وصهيب وفلان وفلان من ضعفاء
المسلمين كان ابو جهل واصحابه يهزؤون بهم قوله تعالى فاتخذتموهم سخريا بالضم قراءة نافع وحمزة
والكسائي ها هنا وفي ص وكسر الباقون قال النحاس وفرق ابو عمرو بينهما فجعل المكسورة من جهة
التهزؤ والمضمومة من جهة السخرة ولا يعرف هذا التفريق الخليل ولا سيبويه ولا الكسائي ولا الفراء
قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد كما يقال عصي وعصي ولجي ولجي وحكى الثعلبي عن الكسائي والفراء
الفرق الذي ذكره ابو عمرو وان الكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقول والضم بمعنى التسخير والاستعباد
بالفعل وقال المبرد انما يوجد التفريق بين المعاني عن العرب واما التاويل فلا يكون والكسر في سخري في
المعنيين جميعا لان الضمة تستثقل في مثل هذا قوله تعالى حتى انسوكم ذكري اي حتى اشتغلتم
بالاستهزاء بهم عن ذكري وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم واضاف الانساء الى المؤمنين لانهم كانوا سببا
لاشتغالهم عن ذكره وتعدي شؤم استهزائهم بالمؤمنين الى استيلاء الكفر على قلوبهم قوله تعالى
اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم وصبروا على طاعتي قوله تعالى انهم هم الفائزون
قراءة حمزة والكسائي بكسر الهمزة على ابتداء المدح من الله تعالى لهم وفتح الباقون اي لانهم هم الفائزون
ويجوز نصبه بوقوع الجزاء عليه تقديره اني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة قال المؤلف رحمه الله وينظر الى
معنى هذا قوله تعالى في اخر المطففين فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون الى اخر السورة على ما ياتي
بيانه هناك ويستفاد من هذا التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين والاحتقار
لهم والازراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعني وان ذلك مبعد من الله عز وجل قوله تعالى قال كم
لبثتم في الارض قيل يعني في القبور وقيل هو سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا وهذا السؤال للمشركين
في عرصات القيامة او في النار عدد سنين بفتح النون على انه جمع مسلم ومن العرب من يخفضها وينونها
قوله تعالى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم انساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور وقيل لان
العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الاولى الى الثانية وذلك
انه ليس من احد قتله نبي او قتل نبيا او مات بحضرة نبي الا عذب من ساعة يموت الى النفخة الاولى
ثم يمسك عنه العذاب فيكون كالماحي بنفخ الثانية وقيل استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور
وراوه يسيرا بالنسبة الى ما هم بصدده قوله تعالى فاسال العادين اي سل الحساب اي سل
الحساب الذين يعرفون ذلك فانا قد نسيناه او فسل الملائكة الذين كانوا معنا في الدنيا الاول قول
قتادة والثاني قول مجاهد وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي قل كم لبثتم في الارض على الامر ويحتمل ثلاث
معان احدها قوله كم لبثتم فاخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمراد الجماعة اذ كان المعنى مفهوما
الثاني ان يكون امرا للملك ليسالهم يوم البعث على قدر مكثهم في الدنيا او اراد قل ايها الكافر لم لبثتم وهو الثا
الباقون قال كم على الخبر اي قال الله لهم او قالت الملائكة لهم كم لبثتم وقرا حمزة والكسائي ايضا قل ان لبثتم
الا قليلا الباقون قال على الخبر على ما ذكر من التاويل الاول اي ما لبثتم في الارض الا قليلا وذلك
ان مكثهم في القبور وان طال كان متناهيا وقيل هو قليل بالنسبة الى مكثهم في النار لانه لا نهاية له لو انكم
كنتم تعلمون ذلك قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب
لها ولا عقاب عليها مثل قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى يريد كالبهائم مهملا لغير فائدة قال

الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي ان الله تعالى خلق الخلق جميعا عبيد العبدوه فيثيبهم على العبادة
ويعاقبهم على تركها فان عبدوه فهم اليوم له عبيد احرار كرام من رق الدنيا ملوك في دار الاسلام
وان رفضوا العبودية فهم اليوم له عبيد اباق سقاط لئام وغدا اعداء في السجون بين اطباق النيران
وعبثا نصب على الحال عند سيبويه وقطرب وقال ابو عبيدة هو نصب على المصدر او لانه مفعول له **قوله تعالى**
وانكم الينا لا ترجعون فتجازون باعمالكم وقرا حمزة والكسائي ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم من
الرجوع **قوله تعالى** فتعالى الله الملك الحق اي تنزه وتقدس الله الملك الحق عن الاولاد والشركاء و
الانداد عن ان يخلق شيئا عبثا او سفها لانه الحكيم **قوله تعالى** لا اله الا هو رب العرش الكريم ليس في
القران غيرها وقرا ابن محيصن وروي عن ابن كثير الكريم بالرفع نعتا لله **قوله تعالى** ومن يدع مع الله
الها اخر لا برهان له به اي لا حجة له عليه **قوله تعالى** فانما حسابه عند ربه اي هو يعاقبه ويحاسبه
الهاء ضمير الامر والشان **قوله تعالى** لا يفلح الكافرون وقرا الحسن وقتادة لا يفلح بالفتح من كذب وجحد
ما جئت به وكفر نعمتي ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لتقتدي به الامة وقيل امر بالاستغفار
لامته واسند الثعلبي من حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن حنش بن عبد الله الصنعاني عن عبد
الله بن مسعود انه مر بمصاب مبتلى فقرا في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى ختم السورة فبرا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا قرات في اذنه فاخبره فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال
والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

تفسير سورة النور مدنية باجماع

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سورة
انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون مقصود هذه السورة ذكر احكام العفاف
والستر وكتب عمر رضي الله عنه الى الكوفة علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة لا تنزلوا النساء الغرف
ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والمغزل وفرضناها قرئ مخففة الراء اي فرضنا عليكم
وعلى من بعدكم ما فيها من الاحكام وبالتشديد اي انزلنا فيها فرائض مختلفة وقرا ابو عمرو وفرضنا بالتشديد
اي قطعناها في الانزال نجما نجما والفرض القطع ومنه فرضة القوس وفرائض الميراث وفرض النفقة وعنه
ايضا فرضناها فصلناها وبيناها وقيل هو على التكثير لكثرة ما فيها من الفرائض والسورة في اللغة اسم للمنزلة
الشريفة ولذلك سميت السورة من القران سورة قال زهير

الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

وقد مضى في مقدمة الكتاب القول فيها وقرئ سورة بالرفع على انها مبتدا وخبرها انزلناها قاله ابو عبيدة
والاخفش وقال الزجاج والفراء والمبرد سورة رفع لانها خبر الابتداء لانها نكرة ولا يبتدا بالنكرة في كل
موضع اي هي سورة ويحتمل ان يكون قوله سورة ابتداء وما بعده صفة لها اخرجتها عن حد النكرة
المحضة فحسن الابتداء بذلك ويكون الخبر في قوله الزانية والزاني وقرئ سورة بالنصب على تقدير انزلنا
سورة انزلناها وقال الشاعر

شعر

والذئب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا

او تكون منصوبة باضمار فعل اي اتلو سورة وقال الفراء هي حال من الهاء والالف والحال من المكنى يجوز ان
يتقدم عليه **قوله تعالى** الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الى قوله المؤمنين
فيه احدى وعشرون مسالة **الاولى** قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة كان الزنا
في اللغة معروفا قبل الشرع مثل اسم السرقة والقتل وهو اسم لوطء الرجل امراة في فرجها من غير نكاح
ولا شبهة نكاح بمطاوعتها وان شئت قلت هو ادخال فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا فاذا كان
ذلك وجب الحد وقد مضى الكلام في حد الزنا وحقيقته وما للعلماء في ذلك وهذه الاية ناسخة لاية الحبس واية
الاذى اللتين في سورة النساء باتفاق **الثانية** قوله تعالى مائة جلدة هذا حد الزاني الحر البالغ البكر وكذلك
الزانية البكر البالغة الحرة وثبت بالسنة تغريب عام على الخلاف في ذلك واما المملوكات فالواجب خمسون
جلدة لقوله فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وهذا في الامة ثم العبد في

معناها واما المحصن من الاحرار فعليه الرجم دون الجلد ومن العلماء من يقول يجلد مائة ثم يرجم وقد مضى هذا كله
ممهدا في سورة النساء فاغنى عن اعادته **الثالثة** قرا جمهور الناس الزانية والزاني بالرفع وقرا عيسى بن عمر
الثقفي الزانية بالنصب وهو اوجه عند سيبويه لانه عنده كقولك زيدا اضرب ووجه الرفع عنده خبر
ابتداء تقديره فيما يتلى عليكم الزانية والزاني واجمع الناس على الرفع وان كان القياس عند سيبويه النصب
واما الفراء والمبرد والزجاج فان الرفع عندهم هو الاوجه والخبر في قوله فاجلدوا لان المعنى الزانية
والزاني مجلودان بحكم الله وهو قول اكثر النحاة وان شئت قدرت الخبر ينبغي ان يجلدا وقرا ابن مسعود والزان
بغير ياء **الرابعة** ذكر الله سبحانه الذكر والانثى والزاني كان يكفي منهما فقيل ذكرهما للتاكيد كما قال والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما ويحتمل ان يكون ذكرهما هنا لئلا يظن ظان ان الرجل لما كان هو الواطئ والمراة محل
ليست بواطئة فلا يجب عليها حد فذكرها رفعا لهذا الاشكال الذي اوقع جماعة من العلماء منهم الشا
فعي فقالوا لا كفارة على المراة في رمضان لانه قال جامعت اهلي في نهار رمضان فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم كفر فامره بالكفارة والمراة ليست بمجامعة ولا واطئة **الخامسة** قدمت الزانية
في هذه الاية من حيث انه كان في ذلك الزمان زنا النساء فاش وكان لاماء العرب وبغايا الوقت رايات
وكن مجاهرات بذلك وقيل لان الزنا في النساء اعر وهو لاجل الحبل اضر وقيل لان الشهوة في المراة اكثر
وعليها اغلب فصدرها تغليظا لتردع شهوتها وان كان قد ركب فيها حياء لكنها اذا زنت ذهب الحياء كله
وايضا فان العار بالنساء الحق اذ موضوعهن الحجبة والصيانة فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما **السادسة**
الالف واللام في قوله الزانية والزاني للجنس وذلك يعطي انها عامة في جميع الزناة ومن قال بالجلد مع الرجم
قال السنة جاءت بزيادة حكم فيقام مع الجلد وهو قول اسحاق بن راهويه والحسن بن ابي الحسن وفعله علي بن
ابي طالب بشراحة وقد مضى في النساء بيانه وقال الجمهور هي خاصة في البكرين واستدلوا على انها غير
عامة بخروج العبيد والاماء منها **السابعة** نص الله سبحانه على ما يجب على الزانيين اذا شهد بذلك عليهما
على ما ياتي واجمع العلماء على القول به واختلفوا فيما يجب على الرجل يوجد مع المراة في ثوب فقال
اسحاق بن راهويه يضرب كل واحد منهما مائة وروي ذلك عن عمر وعلي وليس يثبت ذلك عنهما وقال
عطاء وسفيان الثوري يؤدبان وبه قال مالك واحمد على قدر مذهبهم في الادب قال ابن المنذر
والاكثر ممن رايناه يرى على من وجد على هذه الحال الادب وقد مضى في هود اختيارنا في هذه المسالة
الثامنة قوله تعالى فاجلدوا دخلت الفاء لانه موضع امر والامر مضارع للشرط وقال المبرد فيه معنى الجزاء
اي ان زنى زان فافعلوا به كذا ولهذا دخلت الفاء وهكذا والسارق والسارقة فاقطعوا **التاسعة** لا خلاف
ان المخاطب بهذا الامر الامام ومن ناب منابه وزاد مالك والشافعي السادة في العبيد قال الشافعي
في كل جلد وقطع وقال مالك في الجلد دون القطع وقيل الخطاب للمسلمين لان اقامة مراسم الدين
واجبة على المسلمين ثم الامام ينوب عنهم اذ لا يمكنهم الاجتماع على اقامة الحدود **العاشرة** اجمع العلماء
على ان الجلد بالسوط يجب والسوط الذي يجب ان يجلد به يكون سوطا بين سوطين لا شديدا ولا لينا روى
مالك عن زيد بن اسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فاتي بسوط مكسور فقال فوق هذا فاتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته
فقال دون هذا فاتي بسوط قد ركب به ولان فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد قال ابو عمر
هكذا روى هذا الحديث مرسلا جميع رواة الموطا ولا اعلمه يستند بهذا اللفظ بوجه من الوجوه وقد
روى معمر عن يحيى بن ابي كثير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء وقد تقدم في المائدة ضرب عمر
الجارود بسوط تام يريد وسطا **الحادية عشرة** اختلف العلماء في تجريد المجلود في الزنا فقال مالك وابو
حنيفة وغيرهما يجرد ويترك على المراة ما يسترها دون ما يقيها الضرب وقال الاوزاعي الامام
مخير ان شاء جرد وان شاء ترك وقال الشعبي والنخعي لا يجرد ولكن يترك عليه قميص قال ابن مسعود لا
يحل في هذه الامة تجريد ولا مد وبه قال الثوري **الثانية عشرة** اختلف العلماء في كيفية ضرب الرجال
والنساء فقال مالك الرجل والمراة في الحدود كلها سواء لا يقام واحد منهما ولا يجزي عنده الا في الظهر
واصحاب الراي والشافعي يرون ان يجلد الرجل وهو واقف وهو قول علي بن ابي طالب وقال
الليث بن سعد وابو حنيفة والشافعي الضرب في الحدود كلها وفي التعزير مجردا قائما غير ممدود

اذا دعي بمصاب يبتلي عافاك الله تعالى

الا حد القذف فانه يضرب وعليه ثيابه وحكاه المهدوي في التحصيل عن مالك وينزع عنه المحشو والفرو
وقال الشافعي ان كان مده صلاح الحامد **الثالثة عشرة** اختلفوا في المواضع التي تضرب من الانسان
في الحدود فقال مالك الحدود كلها لا تضرب الا في الظهر وكذلك في التعزير وقال الشافعي واصحابه
يتقي الوجه والفرج وتضرب سائر الاعضاء وروي عن علي واشار ابن عمر بالضرب الى رجلي امة جلدها
في الزنا قال ابن عطية والاجماع في تسليم الوجه والعورة والمقاتل واختلفوا في ضرب الراس
فقال الجمهور يتقى الراس وروي عن عمر وابنه فقالا يضرب الراس وضرب عمر صبيغا في راسه وكان
تعزيرا لا حدا ومن حجة مالك ما ادرك عليه الناس وقوله عليه السلم البينة والا حد في ظهرك
الرابعة عشرة الضرب الذي يجب هو ان يكون مولما لا يجرح ولا يبضع ولا يخرج الضارب يده من تحت
ابطه وبه قال الجمهور وبه قال علي وابن مسعود واتي عمر برجل في حد فاتي بسوط بين سوطين وقال
للضارب اضرب ولا يرى ابطك واعط كل عضو حقه واتي رضي الله عنه بشارب فقال لا بعثنك الى رجل
لا تاخذه فيك هوادة فبعثه الى مطيع بن الاسود العدوي فقال اذا اصبحت الغد فاضربه الحد فجاء عمر
وهو يضربه ضربا شديدا فقال قتلت الرجل كم ضربته قال ستين قال اقص عنه بعشرين قال ابو عبيد
قوله اقص عنه بعشرين يقول اجعل شدة هذا الضرب الذي ضربته قصاصا بالعشرين التي بقيت
ولا تضربه العشرين وفي الحديث من الفقه ان ضرب الشارب ضرب خفيف وقد اختلف العلما في اشد
الحدود ضربا فقال مالك واصحابه والليث بن سعد الضرب في الحدود كلها سواء ضرب غير مبرح
ضرب بين ضربين وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه التعزير اشد الضرب وضرب الزنا
اشد من الضرب في الخمر وضرب الشارب اشد من الضرب في حد القذف وقال الثوري ضرب الزنا
اشد من ضرب القذف وضرب القذف اشد من ضرب الخمر احتج مالك بورود التوقيف على عدد الجلدات
ولم يرد في شي منها تخفيف ولا تثقيل عمن يجب التسليم له واحتج ابو حنيفة بفعل عمر فانه ضرب في
التعزير ضربا اشد منه في الزنا واحتج الثوري بان الزنا لما كان اكثر عددا في الجلدات استحال ان يكون
القذف ابلغ في النكاية وكذلك الخمر لانه لم يثبت فيه الحد الا بالاجتهاد وسبيل الاجتهاد لا يقوى قوة
التوقيف **الخامسة عشرة** الحد الذي اوجب الله في الزنا والخمر والقذف وغير ذلك ينبغي ان يقام
بين ايدي الحكام ولا يقيمه الا فضلاء الناس وخيارهم يختارهم الامام لذلك ولذلك كانت الصحابة
تفعله كلما وقع لهم شي من ذلك وسبب ذلك انه قيام بقاعدة شرعية وقربة تعبدية تجب المحافظة
على فعلها وقدرها ومحلها وحالها بحيث لا يتعدى شي من شروطها ولا احكامها فان دم المسلم
وحرمته عظيمة فيجب مراعاته بكل ما امكن روى الصحيح عن حضين بن المنذر ابي ساسان قال
شهدت عثمان بن عفان اتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال ازيدكم فشهد عليه رجلان احدهما
حمران انه شرب الخمر وشهد اخر انه راه يتقيا فقال عثمان انه لم يتقيا حتى شربها فقال يا علي قم
فاجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فكانه وجد عليه فقال يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده
فجلده وعلي يعد الحديث وقد تقدم في المائدة فانظر قول عثمان لعلي قم فاجلده **السادسة عشر**
نص الله تعالى في الزنا والقذف وثبت التوقيف في الخمر على ثمانين من فعل عمر في جمع من الصحابة على ما تقدم
في المائدة فلا يجوز ان يتعدى الحد في ذلك كله قال ابن العربي وهذا ما لم يتتابع الناس في الشر
ولا احلولت لهم المعاصي حتى يتخذوها ضراوة ويعطفون عليها بالهوادة فلا يتناهوا عن منكر فعلوه
فحينئذ تتعين الشدة ويزاد الحد لاجل زيادة الذنب وقد اتي عمر بسكران في رمضان فضربه مائة
ثمانين حد الخمر وعشرين لهتك حرمة الشهر فهكذا يجب ان تركب العقوبات على تغليظ الجنايات
وهتك الحرمات وقد لعب رجل بصبي فضربه الوالي ثلاثمائة سوط فلم يغير مالك حين بلغه فكيف لو راي
في زماننا هذا بهتك الحرمات والاستهتار بالمعاصي والتظاهر بالمناكر وبيع الحدود واستيفا
العبيد لها في منصب القضاة لمات كمدا ولم يجالس احدا وحسبنا الله ونعم الوكيل قال المولف ولهذا المعنى
والله اعلم زيد في حد الخمر حتى انتهى الى ثمانين وروى الدارقطني حدثنا القاضي الحسين بن اسمعيل
حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا اسامة بن زيد عن الزهري
قال اخبرني عبد الرحمن بن ازهر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وهو يتخلل الناس

يسال عن منزل خالد بن الوليد فاتي بسكران قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن عنده فضربوه
بما في ايديهم قال وحثا رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ثم اتي ابو بكر بسكران قال فتوخى الذي كان
من ضربهم يومئذ فضرب اربعين قال الزهري ثم اخبرني حميد بن عبد الرحمن عن ابن وبرة الكلبي
قال ارسلني خالد بن الوليد الى عمر قال فاتيته ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعلي وطلحة والزبير
متكئون في المسجد فقلت ان خالد بن الوليد ارسلني اليك وهو يقرا عليك السلام ويقول
ان الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فيه فقال عمر هم هولاء عندك فسلهم فقال علي نراه
اذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون قال فقال عمر ابلغ صاحبك ما قال قال فجلد خالد
ثمانين وعمر ثمانين قال وكان عمر اذا اتي بالرجل الضعيف الذي كانت منه الزلة ضربه اربعين قال
وجلد عثمان ايضا ثمانين واربعين ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تاخر الهلال لزدتكم كالمنكل
لهم حين ابوا ان ينتهوا وفي رواية لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم وروى
حماد بن يحيى عن سفيان عن مسعر عن عطا بن ابي مروان ان عليا ضرب النجاشي في الخمر مائة جلدة
ذكره ابو عمر ولم يذكر سببا **السابعة عشرة** قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله اي لا تمنعوا
عن اقامة الحدود ولا تخففوا الضرب من غير ايجاع هذا قول جماعة اهل التفسير وقال الشعبي والنخعي
وسعيد بن جبير لا تاخذكم بهما رافة قالوا في الضرب والجلد وقال ابو هريرة اقامة حد بارض
خير لها من مطر اربعين ليلة ثم قرا هذه الاية والرافة ارق الرحمة وقري رافة بفتح العين على وزن فعلة
وقري رافة على وزن فعالة ثلاث لغات وهي كلها مصادر اشهرها الاولى من راف اذا رق ورحم
ويقال رافة ورافة مثل كابة وكابة وقد رافت به ورؤفت به والرؤوف من صفات الله تعالى العطوف
الرحيم **الثامنة عشرة** قوله تعالى في دين الله اي في حكم الله قال ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي في
حكمه وقيل في دين الله اي في طاعة الله وشرعه فيما امركم به من اقامة الحد ثم قررهم على معنى التثبيت
والحض بقوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وهذا كما يقول الرجل يحضه ان كنت رجلا فافعل كذا
اي هذه افعال الرجال **التاسعة عشرة** قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المومنين قيل لا تشهد
التعذيب الا من لا يستحق التعذيب قال مجاهد رجل فما فوقه الى الف وقال ابن زيد لا بد من حضور اربعة
قياسا على الشهادة على الزنا وان هذا باب منه وهو قول مالك والليث والشافعي وقال عكرمة وعطا
لا بد من اثنين وهذا مشهور قول مالك فراها موضع شهادة وقال الزهري ثلاثة لانه اقل الجمع وقال
الحسن واحد فصاعدا وعنه عشرة الربيع ما زاد على الثلاثة وحجة مجاهد قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة وقوله وان طائفتان ونزلت في تقاتل رجلين فلذلك قوله وليشهد عذابهما طائفة
من المومنين والواحد يسمى طائفة الى الالف وقاله ابن عباس وابراهيم وامر ابو برزة الاسلمي بجارية له
قد زنت وولدت فالقى عليها ثوبا وامر ابنه ان يضربها خمسين ضربة غير مبرح ولا خفيف لكن مولم
ودعا جماعة ثم تلا وليشهد عذابهما طائفة من المومنين **الموفية عشرين** اختلف في المراد بحضور الجماعة
هل المقصد بها الاغلاظ على الزناة والتوبيخ بحضرة الناس وان ذلك يردع المحدود ومن شهده وحضره
يتعظ به ويزدجر لاجله ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده او الدعا لهما بالتوبة والرحمة قولان
للعلما **الحادية والعشرون** روي عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الناس اتقوا
الزنا فان فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الاخرة فاما اللواتي في الدنيا فيذهب البها ويورث
الفقر وينقص العمر واما اللواتي في الاخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار وعن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعمال امتي تعرض علي في كل جمعة مرتين فاشتد غضب الله على الزناة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله على امتي فغفر لكل مومن لا يشرك بالله شيا
الا خمسة ساحرا او كاهنا او عاقا لوالديه او مدمن خمر او مصرا على الزنا قوله تعالى **الزاني لا ينكح الا
زانية او مشركة** فيه سبع مسائل **الاولى** اختلف العلماء في معنى هذه الاية على ستة اوجه من
التاويل الاول ان يكون مقصد الاية تشنيع الزنا وتبشيع امره وانه محرم على المومنين واتصال هذا المعنى
بما قبل حسن بليغ ويريد بقوله لا ينكح اي لا يطا فيكون النكاح بمعنى الجماع وردد القصة مبالغة واخذا
من كلا الطرفين ثم زاد تقسيم المشركة والمشرك من جهة الشرك اعم في المعاصي من الزنا فالمعنى

الزاني لا يطا في وقت زناه الا زانية من المسلمين او من هي اخس منها من المشركات وقد روي عن ابن عباس
واصحابه ان النكاح في هذه الاية الوطي وانكر ذلك الزجاج وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى
التزويج وليس كما قال وفي القرآن حتى تنكح زوجا غيره وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم انه بمعنى الوطي
وقد تقدم في البقرة وذكر الطبري ما ينحو الى هذا التاويل عن سعيد بن جبير وابن عباس وعكرمة ولكن
غير مخلص ولا مكمل وحكاه الخطابي عن ابن عباس ايضا وان معناه الوطي اي لا يكون زنا الا بزانية ويفيد
انه زنا في الجهتين فهذا قول الثاني ما رواه ابو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان مرثد بن ابي مرثد كان يحمل الاسارى بمكة وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقته قال
فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناق فسكت عني فنزلت الزانية لا ينكحها الا زان
او مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها لفظ ابي داود وحديث الترمذي اكمل قال الخطابي هذا
خاص بهذه المراة اذا كانت كافرة فاما الزانية المسلمة فان العقد عليها لا ينفسخ الثالث انها مخصوصة
في رجل من المسلمين ايضا استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح امراة يقال لها ام مهزول
وكانت من بغايا الزانيات وشرطت ان تنفق عليه فانزل الله هذه الاية قاله عمرو بن العاص ومجاهد
الرابع انها نزلت في اهل الصفة وكانوا قوما من المهاجرين ولم يكن لهم بالمدينة منازل مساكن ولا عشائر
فنزلوا صفة المسجد وكانوا اربعمائة رجل يلتمسون الرزق بالنهار وياوون الى الصفة بالليل وكان
بالمدينة بغايا متعالنات بالفجور مخاصيب بالكسوة والطعام فهم اهل الصفة ان يتزوجوهن فياووا
الى مساكنهن وياكلوا من طعامهن وكسوتهن فنزلت هذه الاية صيانة لهم عن ذلك قاله ابن
ابي صالح الخامس ذكره الزجاج وغيره عن الحسن وذلك انه قال المراد الزاني المحدود والزانية المحدودة
قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود ان يتزوج الا محدودة وقال ابراهيم النخعي نحوه وفي
مصنف ابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكح الزاني المجلود الا مثله
وروي ان محدودا تزوج غير محدودة ففرق علي رضي الله عنه بينهما قال ابن العربي وهذا معنى لا يصح
نظرا كما لم يثبت نقلا وهل يصح ان يوقف نكاح من حد من الرجال على نكاح من حد من النساء فباي اثر
يكون ذلك وعلى اي اصل يقاس من الشريعة قال المؤلف رحمه الله وحكى هذا القول الكيا عن بعض اصحاب
الشافعي المتاخرين وان الزاني اذا تزوج غير زانية فرق بينهما لظاهر الاية قال الكيا وان هو عمل بالظاهر
فيلزمه عليه ان لا يجوز للزاني التزوج بالمشركة ويجوز للزانية ان تزوج نفسها من مشرك وهذا في
غاية البعد وهو خروج عن الاسلام بالكلية وربما قال هؤلاء ان الاية منسوخة في المشرك خاصة
دون الزانية السادس انها منسوخة روى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك قال نسخت هذه الاية التي بعدها
وانكحوا الايامى منكم وقاله ابن عمر وقال دخلت الزانية في ايامى المسلمين قال ابو جعفر النحاس وهذا القول
عليه اكثر العلماء واهل الفتيا يقولون ان من زنا بامراة فله ان يتزوجها ولغيره ان يتزوجها وهو
قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وعطاء وطاوس ومالك بن انس وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقال
الشافعي القول فيها كما قال سعيد بن المسيب ان شاء الله هي منسوخة قال ابن عطية وذكر الاشراك في الاية
يضعف هذه المناحي قال ابن العربي والذي عندي ان النكاح لا يخلو ان يراد به الوطي كما قال ابن عباس
او العقد فان اريد به الوطي فان معناه لا يكون زنا الا بزانية وذلك عبارة ان الوطيين من الرجل والمراة
زنا من الجهتين ويكون تقدير الاية وطي الزانية لا يقع الا من زان او مشرك وهذا يوثر عن ابن عباس
وهو معنى صحيح فان قيل فاذا زنا بالغ بصبية او عاقل بمجنونة او مستيقظ بنائمة فان ذلك من جهة الرجل
زنا فهذا زان نكح غير زانية فيخرج المراد بانه الذي تقدم قلنا هو زنا من كل جهة الا ان احدهما سقط فيه
الحد والاخر ثبت فيه وان اريد به العقد كان معناه ان يتزوج الزانية التي قد زنت ودخل بها ولم يستبرئها
يكون بمنزلة الزاني الا انه لا حد عليه لاختلاف العلماء في ذلك واما اذا عقد عليها ولم يدخل بها حتى يستبرئها
فذلك جائز اجماعا وقيل ليس المراد بالاية ان الزاني لا ينكح قط الا زانية واما اذا عقد عليها اذ قد
يتصور ان يتزوج غير زانية ولكن المعنى ان من تزوج بزانية فهو زان فكانه قال لا ينكح الزانية الا
زان فقلب الكلام وذلك انه لا ينكح زانية الا وهو راض بزناها وانما يرضى بذلك اذا كان هو ايضا زانيا

الثانية

الثانية في هذه الاية دليل على ان التزوج بالزانية صحيح واذا زنت زوجة الرجل لم يفسد النكاح واذا زنى
الزوج لم يفسد نكاحه مع زوجته وهذا على ان الاية منسوخة وقيل الاية محكمة وسياتي **الثالثة**
روي ان رجلا زنا بامراة في زمن ابي بكر رضي الله عنه فجلدهما مائة جلدة ثم زوج احدهما من الاخر مكانه ونفاهما
سنة وروي مثل ذلك عن عمر وابن مسعود وجابر وقال ابن عباس اوله سفاح واخره نكاح ومثل ذلك
مثل رجل سرق من حائط ثمره ثم اتى صاحب البستان فاشترى منه ثمره فما سرق حرام وما اشترى
حلال وبهذا اخذ الشافعي وابو حنيفة وراوا ان الماء لا حرمة له وروي عن ابن مسعود انه قال اذا زنى
الرجل بالمراة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان ابدا وبهذا اخذ مالك فراى انه لا ينكحها حتى يستبريها من مائه
الفاسد لان النكاح له حرمة ومن حرمته ان لا يصب على ماء السفاح فيختلط الحرام بالحلال ويمتزج
ماء المهانة بماء العزة **الرابعة** قال ابن خويز منداد من كان معروفا بالزنا او بغيره من الفسوق معلنا به
فتزوج الى اهل بيت ستر وغرهم بنفسه فلهم الخيار في البقاء معه او فراقه وذلك كعيب من العيوب واحتج
بقوله عليه السلام لا ينكح المجلود الا مثله قال وانما ذكر المجلود لاشتهاره بالفسوق وهو الذي يجب ان يفرق
بينه وبين غيره فاما من لم يشتهر بالفسوق فلا **الخامسة** قال قوم من المتقدمين الاية محكمة غير منسوخة
وعندها لا من زنى فسد النكاح بينه وبين زوجته واذا زنت الزوجة فسد النكاح بينها وبين
زوجها وقال قوم من هؤلاء لا ينفسخ النكاح بذلك ولكن يؤمر الرجل بطلاقها اذا زنت وان امسكها
اثم ولا يجوز التزوج بالزانية ولا من الزاني بل لو ظهرت التوبة فحينئذ يجوز النكاح **السادسة** قوله تعالى
وحرم ذلك على المؤمنين اي نكاح اولئك البغايا حرمه الله على امة محمد ومن اشهرهن عناق **السابعة**
حرم الله الزنا في كتابه فحيثما زنا الرجل فعليه الحد وهو قول مالك والشافعي وابي ثور وقال اصحاب الراي
في الرجل المسلم اذا كان في دار الحرب بامان وزنا هنالك ثم خرج لم يحد قال ابن المنذر دار الحرب ودار الاسلام
واحد من زنى فعليه الحد على ظاهر قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والله اعلم

قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الى قوله غفور رحيم فيه ست وعشرون مسالة **الاولى**
هذه الاية نزلت في القاذفين قال سعيد بن جبير كان سببها ما قيل في عائشة ام المومنين رضي الله عنها
وقيل بل نزلت بسبب القذفة عاما لا في تلك النازلة وقال ابن المنذر لم نجد في اخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم خبرا يدل على تصريح القذف وظاهر كتاب الله مستغنى به دالا على القذف الذي يوجب الحد
واهل العلم على ذلك مجمعون **الثانية** قوله تعالى والذين يرمون يريد يسبون واستعير له اسم الرمي لانه
اذاية بالقول كما قال النابغة

وجرح اللسان كجرح اليد

وقال اخر

رماني بامر كنت عنه ووالدي … بريا ومن حال الطوي رماني

ويسمى قذفا ومنه الحديث ان ابن امية قذف امراته بشريك بن سحما اي رماها **الثالثة** ذكر الله في الاية
النساء من حيث هن اهم ورميهن بالفاحشة اشنع وانكى للنفوس وقذف الرجال داخل في حكم الاية بالمعنى واجماع
الامة على ذلك وهذا نحو نصه على تحريم لحم الخنزير ودخل شحمه وغضاريفه ونحو ذلك بالمعنى والاجماع وحكى
الزهراوي ان المعنى والانفس المحصنات فهي بلفظها تعم الرجال والنساء ويدل على ذلك قوله والمحصنات
من النساء وقال قوم اراد بالمحصنات الفروج كما قال والتي احصنت فرجها فيدخل فيه فروج الرجال
والنساء وقيل انما ذكر المراة الاجنبية اذا قذفت لتعطف عليها قذف الرجل زوجته والله اعلم وقرا
الجمهور والمحصنات بفتح الصاد وكسرها قال يحيى بن وثاب والمحصنات العفائف في هذا الموضع وقد مضى
في النساء ذكر المحصنات ومراتبه **الرابعة** للقذف شروط عند العلماء تسعة شرطان في القاذف
وهما العقل والبلوغ لانهما اصلا التكليف اذ التكليف ساقط دونهما وشرطان في الشيء المقذوف به وهو
ان يقذف بوطء يلزمه فيه الحد وهو الزنا او اللواط او بنفيه من ابيه دون سائر المعاصي وخمسة في
المقذوف وهي العقل والبلوغ والاسلام والحرية والعفة عن الفاحشة التي رمي بها كان عفيفا من غيرها
ام لا وانما شرطنا في المقذوف العقل والبلوغ كما شرطناهما في القاذف وان لم يكونا من معاني الاحصان
لاجل ان الحد انما وضع للزجر عن الاذاية بالمعرة الداخلة على المقذوف ولا معرة على من عدم العقل والبلوغ
اذ لا يوصف الوطء فيهما ولا منهما بانه زنا **الخامسة** اتفق العلماء على انه اذا صرح بالزنا كان قذفا ورميا
موجبا للحد فان عرض ولم يصرح فقال مالك هو قذف وقال الشافعي وابو حنيفة لا يكون قذفا حتى

يقول اردت به القذف والدليل لما قاله مالك هو ان موضوع الحد في القذف انما هو لازالة المعرة التي اوقعها
القاذف بالمقذوف فاذا حصلت المعرة بالتعريض وجب ان يكون قذفا كالتصريح والمعول على الفهم وقد
قال تعالى مخبرا عن شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره
المدح في احد التاويلات حسب ما تقدم في هود وقال تعالى في ابي جهل ذق انك انت العزيز الكريم
وقال حكاية عن مريم يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا فمدحوا اباها ونفوا
عن امها البغا اي الزنا وعرضوا لمريم بذلك ولذلك قال تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما
وكفرهم معروف والبهتان العظيم هو التعريض لها اي ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا
اي انت بخلافهما وقد اتيت بهذا الولد وقال تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا واياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين فهذا اللفظ قد فهم منه ان المراد به ان الكفار على غير هدى وان الله ورسوله
على الهدى ففهم من هذا التعريض ما يفهم من صريحه وقد حبس عمر رضي الله عنه الحطيئة لما قال

دع المكارم لا ترحل لبغيتها … واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

لانه شبهه بالنسا في انهن يطعمن ويسقين ويكسين ولما سمع قول النجاشي

قبيلة لا يغدرون بذمة … ولا يظلمون الناس حبة خردل

قال ليت الخطاب كذلك وانما اراد الشاعر ضعف القبيلة **السادسة** الجمهور من العلما على انه لا حد على من
قذف رجلا من اهل الكتاب او امراة منهم وقال الزهري وسعيد بن المسيب وابن ابي ليلى عليه الحد
اذا كان لها ولد من مسلم وفيه قول ثالث وهو انه اذا قذف النصرانية تحت المسلم جلد الحد قال ابن المنذر
وجل العلما مجمعون وقائلون بالقول الاول ولم ادرك احدا ولا لقيته يخالف في ذلك فاذا قذف
في ذلك النصراني المسلم الحر فعليه ما على المسلم ثمانون جلدة لا اعلم في ذلك اختلافا **السابعة**
والجمهور من العلما على ان العبد اذا قذف حرا جلد اربعين لانه حد يتشطر بالرق كحد الزنا وروي عن
ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وقبيصة بن ذويب يجلد ثمانين وجلد ابو بكر بن محمد عبدا قذف
حرا ثمانين قال الاوزاعي احتج الجمهور بقول الله تعالى فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما
على المحصنات من العذاب وقال الاخرون فهمنا هناك ان حد الزنا لله تعالى وانه ربما كان اخف
فيمن قلت نعم الله عليه وافحش ممن عظمت نعم الله عليه واما حد القذف فحق للادمي وجب للجناية على عرض
المقذوف والجناية لا تختلف بالرق والحرية وربما قالوا لو كان يختلف لذكر كما ذكر في الزنا قال ابن المنذر
والذي عليه عوام علماء الامصار القول الاول وبه اقول **الثامنة** اجمع العلما على ان الحر لا يجلد للعبد
اذا افترى عليه لتباين مرتبتيهما ولقوله عليه السلام من قذف مملوكه بالزنا اقام عليه الحد يوم
القيامة الا ان يكون كما قال خرجه البخاري ومسلم وفي بعض طرقه من قذف عبده بزنا ثم لم يثبت
اقيم عليه يوم القيامة الحد ثمانون ذكره الدارقطني قال العلما وانما كان ذلك في الاخرة لارتفاع الملك
واستواء الشريف والوضيع والعبد والحر ولم يكن لاحد فضل الا بالتقوى ولما كان ذلك تكافا الناس
في الحدود والحرمة واقتص من كل واحد لصاحبه الا ان يعفو المظلوم عن الظالم وانما لم يتكافوا في
الدنيا لئلا تدخل الداخلة على المالكين في مكافاتهم لهم فلا يصح لهم حرمة ولا فضل في منزلة
وتبطل فائدة التسخير حكمة من الحكيم العليم لا اله الا هو **التاسعة** قال مالك والشافعي من قذف
من يحسبه عبدا فاذا هو حر فعليه الحد وقاله الحسن البصري واختاره ابن المنذر قال مالك ومن قذف
ام الولد حد وروي عن ابن عمر وهو قياس قول الشافعي وقال الحسن البصري لا حد عليه **العاشرة**
اختلف العلما فيمن قال لرجل يا من وطئ بين الفخذين فقال ابن القاسم عليه الحد لانه تعريض وقال
اشهب لا حد عليه لانه نسبه الى فعل لا يعد زنا اجماعا **الحادية عشرة** اذا رمى صبية يمكن وطيها
قبل البلوغ بالزنا كان قذفا عند مالك وقال ابو حنيفة والشافعي وابو ثور ليس بقذف لانه ليس بزنا
اذ لا حد عليها ويعزر قال ابن العربي والمسالة محتملة مشكلة لكن مالك طلب حماية عرض المقذوف
وغيره راعى حماية ظهر القاذف وحماية عرض المقذوف اولى لان القاذف كشف ستره بطرف لسانه فلزمه
الحد قال ابن المنذر وقال احمد في الجارية بنت تسع يجلد قاذفها وكذلك الصبي اذا بلغ عشرا ضرب
قاذفه قال اسحق اذا قذف غلاما يطا مثله فعليه الحد والجارية اذا جاوزت تسعا مثل ذلك

قال

قال ابن المنذر لا حد من قذف من لم يبلغ لان ذلك كذب ويعزر على الاذى قال ابو عبيد في حديث علي رضي
ان امراة جاءته فذكرت ان زوجها يأتي جاريتها فقال ان كنت صادقة رجمناه وان كنت كاذبة جلدناك
فقالت ردوني الى اهلي غيرى نغرة قال ابو عبيدة في هذا الحديث من الفقه ان على الرجل اذا واقع جارية امراته
الحد وفيه ايضا اذا قذفه بذلك قاذف كان على قاذفه الحد الا تسمع الى قوله وان كنت كاذبة جلدناك
ووجه هذا كله اذا لم يكن الفاعل جاهلا بما ياتي وبما يقول فان كان جاهلا او ادعى شبهة درئ
عنه الحد في ذلك كله وفيه ايضا ان رجلا لو قذف رجلا بحضرة حاكم وليس المقذوف بحاضر انه لا
شيء على القاذف حتى يجيء فيطلب حده لانه لا يدري لعله يصدقه الا ترى ان عليا لم يعرض لها وفيه ان الحاكم
اذا قذف عنده رجل ثم جاء المقذوف طلب حقه اخذه الحاكم بالحد بسماعه الا ترى يقول وان كنت كاذبة
جلدناك وهذا لانه من حقوق الناس قال المؤلف رحمه الله اختلف هل هو من حقوق الله او حقوق الادميين
وسياتي قال ابو عبيد قال الاصمعي سالني شعبة عن قوله غيرى نغرة فقلت له ماخوذ من نغر القدر
وهو غليانها وفورها يقال منه نغرت تنغر ونغرت تنغر اذا غلت فمعناه انها ارادت ان جوفها يغلي
من الغيظ والغيرة لما لم تجد عنده ما تريد قال ويقال منه رايت فلانا يتنغر على فلان اي يغلي جوفه عليه
غيظا **الثانية عشرة** من قذف زوجة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حد حدين قاله مسروق
قال ابن العربي والصحيح انه حد واحد لعموم قوله والذين يرمون المحصنات المؤمنات ولا يقتضي شرفهن
زيادة في حد من قذفهن لان شرف المنزلة لا يؤثر في الحدود ولا نقصها يؤثر في الحد بتنقيص والله اعلم
وسياتي الكلام فيمن قذف عايشة هل يقتل ام لا **الثالثة عشرة** قوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة
شهداء الذي يفتقر الى اربعة شهداء دون سائر الحقوق هو الزنا رحمة لعباده وسترا لهم وقد تقدم في
النساء **الرابعة عشرة** من شرط اداء الشهود الشهادة عند مالك ان يكون في مجلس واحد فان افترقت
لم تكن شهادة وقال عبد الملك تقبل شهادتهم مجتمعين ومفترقين فراى مالك ان اجتماعهم تعبد وبه
قال ابن الحسن وراى عبد الملك ان المقصد اداء الشهادة واجتماعها وقد حصل وهو قول عثمان البتي
وابي ثور واختاره ابن المنذر لقوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهداء وقوله فاذ لم ياتوا بالشهادة ولم يذكر
مفترقين ولا مجتمعين **الخامسة عشرة** فان تمت الشهادة الا انهم لم يعدلوا فكان الحسن البصري
والشعبي يريان ان لا حد على الشهود ولا على المشهود وبه قال احمد والنعمان ومحمد بن الحسن وقال مالك
اذا شهد عليه اربعة بالزنا فان كان احدهم مسخوطا عليه او عبدا يجلدون جميعا وقال سفيان
الثوري واحمد واسحق في اربعة عميان يشهدون على امراة بالزنا يضربون **السادسة عشرة**
قال رجع احد الشهداء وقد رجم المشهود عليه في الزنا فقالت طائفة يغرم ربع الدية ولا شيء على الاخرين
وكذلك قال قتادة وحماد وعكرمة وابو هاشم ومالك واحمد واصحاب الراي وقال الشافعي ان قال عمدت
لتقتل فالاولياء بالخيار ان شاؤا قتلوا وان شاؤا عفوا واخذوا ربع الدية وعليه الحد وقال
الحسن البصري يقتل وعلى الاخرين ثلاثة ارباع الدية وقال ابن سيرين اذا قال اخطات واردت
غيره فعليه الدية كاملة وان قال تعمدت قتل وبه قال ابن شبرمة **السابعة عشرة**
اختلف العلماء في حد القذف هل هو من حقوق الله او حقوق الادميين او فيه شائبة منهما الاول
قول ابي حنيفة والثاني قول مالك والشافعي والثالث قاله بعض المتاخرين وفائدة الخلاف ان ان
كان حقا لله وبلغ الامام اقامه وان لم يطلب ذلك المقذوف ونفعت القاذف التوبة فيما
بينه وبين الله تعالى ويتشطر فيه الحد بالرق كالزنا وان كان حقا للادمي فلا يقيمه الامام الا
بمطالبة المقذوف ويسقط بعفوه ولم تنفع القاذف التوبة حتى يحلله المقذوف **الثامنة عشرة**
قوله تعالى باربعة شهداء قراءة الجمهور على اضافة الاربعة الى الشهداء وقرا عبد الله بن مسلم بن يسار
وابو زرعة بن عمرو بن جرير باربعة بالتنوين شهداء وفيه اربعة اوجه يكون في موضع جر على النعت لاربعة
او بدلا ويجوز ان يكون حالا من نكرة او تمييزا وفي الحال والتمييز نظر اذ الحال من نكرة والتمييز مجموع
وسيبويه يرى ان تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز في الشعر وقد حسن ابو الفتح عثمان بن جني
هذه القراءة وحبب على قراءة الجمهور قال النحاس ويجوز ان يكون شهداء في موضع نصب بمعنى ثم لم
يحضروا اربعة شهداء **التاسعة عشرة** حكم شهادة الاربعة ان تكون على معاينة يرون ذلك

كالمردود في المكحلة على ما تقدم في الزنا في نص الحديث وان يكون في موطن واحد على قول مالك وان اضطرب
واحد منهم جلد الثلاثة كما فعل عمر في امر المغيرة بن شعبة وذلك انه شهد عليه ابو بكرة نفيع بن الحارث
واخوه نافع وقال الزهراوي عبد الله بن الحارث وزاد اخوهما لامه وهو مستملي معاوية وشبل بن معبد
البجلي فلما جاء الاداء الشهادة وتوقف زياد ولم يردها جلد عمر الثلاثة المذكورين **الموفية عشرين** قوله تعالى فاجلدوهم الجلد الضرب والمجالدة المضاربة في الجلود او بالجلود ثم استعير
الجلد لغير ذلك من سيف او غيره ومنه قول ـــــ قيس بن الحطيم

اجالدهم يوم الحديقة حاسرا ... كان يدي بالسيف مخراق لاعب

ثمانين نصب على المصدر جلدة تمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا هذا يقتضي مدة اعمارهم ثم حكم
عليهم بانهم فاسقون اي خارجون عن طاعة الله عز وجل **الحادية والعشرون** قوله تعالى الا الذين
تابوا واصلحوا في موضع نصب على الاستثناء ويجوز ان يكون في موضع خفض على البدل والمعنى ولا تقبلوا لهم شهادة
ابدا الا الذين تابوا واصلحوا من بعد القذف فان الله غفور رحيم فتضمنت الاية ثلاثة احكام في القاذف
جلده ورد شهادته ابدا وفسقه والاستثناء غير عامل في جلده باجماع الا ما روي عن الشعبي على ما ياتي
وعامل في فسقه باجماع واختلف الناس في عمله في رد الشهادة فقال شريح القاضي وابراهيم النخعي والحسن
البصري وسفيان الثوري وابو حنيفة لا يعمل الاستثناء في رد شهادته وانما يزول فسقه عند الله تعالى
واما شهادة القاذف لا تقبل البتة ولو تاب واكذب نفسه ولا بحال من الاحوال وقال الجمهور الاستثناء
عامل في رد الشهادة واذا تاب القاذف قبلت شهادته وانما كان ردها لعلة الفسق فاذا زال بالتوبة
قبلت شهادته مطلقا قبل الحد وبعده وهو قول عامة الفقهاء ثم اختلفوا في صورة توبته فمذهب عمر بن
الخطاب والشعبي وغيره ان توبته لا تكون الا بان يكذب نفسه في ذلك الوقت الذي حد فيه وهكذا فعل عمر
فانه قال للذين شهدوا على المغيرة من اكذب نفسه اجزت شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم اجز شهادته
فاكذب الشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كلدة انفسهما وتابا وابى ابو بكرة ان يفعل فكان لا يقبل شهادته
وحكى هذا القول النحاس عن اهل المدينة وقالت فرقة منها مالك رحمه الله وغيره توبته ان يصلح ويحسن
حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب وحسبه الندم على قذفه والاستغفار منه وترك العود الى مثله وهو
قول ابن جرير ويروى عن الشعبي انه قال الاستثناء من الاحكام الثلاثة اذا تاب وظهرت توبته لم يحد
وقبلت شهادته وزال عنه التفسيق لانه قد صار ممن يرضى من الشهداء وقد قال الله تعالى واني لغفار
لمن تاب الاية **الثانية والعشرون** اختلف علماؤنا رحمهم الله متى تسقط شهادة القاذف
فقال ابن الماجشون بنفس قذفه وقال ابن القاسم واشهب وسحنون لا تسقط حتى يجلد فان منع من
جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته وقال ابو الحسن اللخمي شهادته في مدة الاجل موقوفة ورجح القول
بان التوبة انما تكون بالتكذيب في القذف والا فاي رجوع لعدل ان قذف وحد وبقي على عدالته
الثالثة والعشرون واختلفوا ايضا على القول بجواز شهادته بعد التوبة في اي شيء تجوز فقال
مالك تجوز في كل شيء مطلقا وكذلك من حد في شيء من الاشياء رواه ابن نافع وابن عبد الحكم عن مالك
وهو قول ابن كنانة وذكر الوقار عن مالك انه لا تقبل شهادته فيما حد فيه خاصة وتقبل فيما سوى ذلك
وهو قول مطرف وابن الماجشون وروى العتبي عن اصبغ وسحنون مثله من حد في شيء من الاشياء
فلا تجوز شهادته في مثل ما حد فيه وقال مطرف وابن الماجشون من حد في قذف او زنا فلا تجوز شهادته
في شيء من وجوه الزنا ولا في قذف ولا لعان وان كان عدلا ورواه عن مالك واتفقوا على ان ولد الزنا
لا تجوز شهادته في الزنا **الرابعة والعشرون** الاستثناء اذا تعقب جملا معطوفا عاد الى جميعها
عند مالك والشافعي واصحابهما وعند ابي حنيفة وجل اصحابه يرجع الاستثناء الى اقرب مذكور وهو الفسق
ولهذا لا تقبل شهادته فان الاستثناء راجع الى الفسق خاصة لا الى قبول الشهادة وسبب الخلاف
في هذا الاصل شيئان احدهما هل الجمل في حكم الجملة الواحدة للعطف الذي فيها او لكل جملة نفسها
الاستقلال وحرف العطف محسن لا مشرك وهو الصحيح لا في عطف الجمل لجواز عطف الجمل المختلفة بعضها
على بعض على ما يعرف في النحو السبب الثاني تشبيه الاستثناء بالشرط في عوده الى الجمل المتقدمة فانه
يعود الى جميعها عند الفقهاء او لا تشبيه به لانه من باب القياس في اللغة وهو فاسد على ما تقرر في

اصول الفقه والاصل ان كل ذلك محتمل ولا ترجيح فتعين ما قاله القاضي من الوقف وتتأيد الاشكال
بانه قد جاء في كتاب الله تعالى كلا الامرين فان اية المحاربة فيها عود الضمير الى الجميع باتفاق واية قتل
المؤمن خطأ فيها رد الاستثناء الى الاخيرة باتفاق واية القذف محتملة للوجهين فتعين الوقف من غير مين
قال علماؤنا وهذا نظر كلي اصولي ويترجح قول مالك والشافعي من جهة نظر الفقه الجزئي بان يقال
الاستثناء راجع الى الفسق والتوبة جميعا الا ان يفرق بين ذلك بخبر يجب التسليم له واجمعت الامة
على ان التوبة تمحو الكفر فيجب ان يكون ما دون ذلك اولى والله اعلم قال ابو عبيد الاستثناء يرجع الى الجمل
السابقة وليس من نسب الى الزنا باعظم جرما من مرتكب الزنا ثم الزاني اذا تاب قبلت شهادته لان التائب
من الذنب كمن لا ذنب له واذا قبل الله التوبة من العبد كان العباد بالقبول اولى مع ان مثل هذا الاستثناء
موجود في مواضع من القران منها قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى قوله الا الذين تابوا ولا شك
ان هذا الاستثناء الى الجميع قال الزجاج وليس القاذف باشد جرما من الكافر فحقه اذا تاب واصلح ان تقبل
شهادته قال وقوله ابدا اي ما دام قاذفا كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا فان معناه ما دام كافرا وقال
الشعبي للمخالف في هذه المسالة يقبل الله توبته ولا تقبلون شهادته ثم ان كان الاستثناء يرجع الى الجملة الاخيرة
عند اقوام من الاصوليين فقوله واولئك هم الفاسقون تعليل لا جملة مستقلة بنفسها اي لا تقبلوا شهادتهم
لفسقهم فاذا زال الفسق فلم لا تقبل الشهادة ثم توبة القاذف اكذابه نفسه كما قال عمر لقذفة المغيرة بحضور
الصحابة من غير نكير مع اشاعة القضية وشهرتها من البصرة الى الحجاز وغير ذلك من الاقطار ولو كان
تاويل الاية ما تاوله الكوفيون لم يجز ان يذهب علم ذلك عن الصحابة ولقالوا لعمر لا يجوز قبول توبة القاذف
ابدا او لم يسعهم السكوت عن القضاء بتحريف الكتاب فسقط قولهم والله المستعان **الخامسة والعشرون**
قال القشيري ولا خلاف انه اذا لم يجلد القاذف بان مات المقذوف قبل ان يطالب القاذف بالحد او لم
يرفع الى السلطان او عفا المقذوف فالشهادة مقبولة لان عند الخصم في المسالة النهي عن قبول الشهادة
معطوف على الجلد قال الله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وعند هذا الشافعي
هو قبل ان يحد شر منه حين حد لان الحدود كفارات فكيف ترد شهادته في احسن حاليه دون اخسهما قال
المؤلف رحمه الله هكذا قال ولا خلاف وقد تقدم عن ابن الماجشون انه بنفس القذف ترد شهادته وهو قول
الليث والاوزاعي والشافعي ترد شهادته وان لم يحد لانه بالقذف يفسق لانه من الكبائر فلا تقبل شهادته
حتى تصح براءته باقرار المقذوف له بالزنا او بقيام البينة عليه **السادسة والعشرون** قوله تعالى
واصلحوا الا ان يريد اظهار التوبة وقيل واصلحوا العمل فان الله غفور رحيم حيث تابوا وقبلت توبتهم والله اعلم

قوله تعالى **والذين يرمون ازواجهم الى قوله تواب حكيم** فيه ثلاثون مسالة **الاولى** قوله تعالى ولم يكن
لهم شهداء الا انفسهم بالرفع على البدل ويجوز النصب على الاستثناء وعلى خبر يكن فشهادة احدهم
اربع شهادات بالرفع على الابتداء والخبر اي فشهادة احدهم التي تزيل عنه حد القذف اربع شهادات
وقرا اهل المدينة وابو عمرو اربع بالنصب لان معنى فشهادة ان تشهد والتقدير فعليهم ان يشهد احدهم
اربع شهادات او فالامر ان يشهد احدهم اربع شهادات ولا خلاف في الثاني انه منصوب بالشهادة والخامسة
رفع بالابتداء والخبر ان وصلتها ومعنى المخففة كمعنى المثقلة لان معناها انه وقرا ابو عبد الرحمن وطلحة وعاصم
في رواية حفص والخامسة بالنصب بمعنى وتشهد الشهادة الخامسة **الثانية** في سبب نزولها وهو ما رواه
ابو داود عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن السحماء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا رجلا على امراته
يلتمس البينة فجعل النبي عليه السلام يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق
ولينزلن الله في امري ما يبرئ ظهري من الحد فنزلت والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا
انفسهم فقرا حتى بلغ من الصادقين الحديث بكماله وقيل لما نزلت الاية المتقدمة في الذين يرمون المحصنات
وتناول ظاهرها الازواج وغيرهم قال سعد بن معاذ يا رسول الله ان وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى
اتي باربعة والله لاضربنه بالسيف غير مصفح عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيرة سعد
لانا اغير منه والله اغير مني وفي الفاظ سعد روايات مختلفة هذا نحو معناها ثم جاء من بعد ذلك هلال بن
امية الواقفي فرمى زوجته بشريك بن سحماء البلوي على ما ذكرنا وعزم النبي صلى الله عليه وسلم على ضربه

دنهم

حد القذف فنزلت هذه الآية عند ذلك فجمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فتلاعنا فتلكأت
المرأة عند الخامسة لما وعظت وقيل انها موجبة ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فالتعنت وفرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينهما وولدت غلاما كأنه جمل اورق على النعت المكروه ثم كان الغلام بعد ذلك
اميرا بمصر وهو لا يعرف لنفسه ابا وجاء ايضا عويمر العجلاني فرمى امرأته ولاعن والمشهور ان نازلة
هلال كانت قبل وانها سبب نزول الآية وقيل نازلة عويمر بن اشقر كانت قبل وهو حديث صحيح مشهور خرجه
الائمة قال ابو عبد الله بن ابي صفرة الصحيح ان القاذف لزوجته عويمر وهلال بن امية خطأ قال
الطبري يستنكر قوله في الحديث هلال بن امية وانما القاذف عويمر بن زيد بن الجد بن العجلاني شهد احدا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رماها بشريك بن السحماء والسحماء امه قيل لها ذلك لسوادها وهو ابن
عبدة بن الجد بن العجلاني كذلك كان يقول اهل الاخبار وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على الناس في
الخطبة يوم الجمعة والذين يرمون المحصنات فقال عاصم بن عدي الانصاري جعلني الله فداك لو ان رجلا
منا وجد على بطن امرأته رجلا فتكلم واخبر بما جرى جلد ثمانين وسماه المسلمون فاسقا فلا تقبل
شهادته فكيف لاحدنا عند ذلك باربعة شهود فقد نزع الرجل من حاجته فقال عليه السلام كذلك انزلت
يا عاصم بن عدي فخرج عاصم سامعا مطيعا فاستقبله هلال بن امية يسترجع فقال ما وراءك قال
شر وجدت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة يزني بها وخولة هذه بنت عاصم بن عدي كذا في هذا الطريق
ان الذي وجد مع امرأته شريكا هو هلال بن امية والصحيح خلافه حسب ما تقدم بيانه قال الكلبي
والاظهر ان الذي وجد مع امرأته شريكا عويمر العجلاني لكثرة ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بين
العجلاني وامرأته واتفقوا على ان هذا الزاني هو شريك بن عبدة وامه السحماء وكان عويمر وخولة بنت
قيس وشريك بني عم عاصم وكانت هذه القصة في شعبان سنة تسع من الهجرة منصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تبوك الى المدينة قاله الطبري وروى الدارقطني عن عبد الله بن جعفر قال حضرت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين لاعن بين عويمر العجلاني وامرأته مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة
تبوك وانكر حملها الذي في بطنها وقال هو لابن السحماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هات امرأتك
فقد نزل القرآن فيكما فلاعن بينهما بعد العصر عند المنبر على حمل في طريقه الواقدي عن الضحاك بن
عثمان عن عمران بن ابي انس قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول فذكره **الثالثة** قوله تعالى والذين يرمون
ازواجهم عام في كل رمي سواء قال زنيت او يا زانية او رأيتها تزني او هذا الولد ليس مني فان الآية مشتملة
عليه ويجب اللعان ان لم يأت باربعة شهداء وهذا قول جمهور العلماء وعامة الفقهاء وجماعة اصحاب
الحديث وقد روي مثل ذلك عن مالك وكان يقول لا يلاعن الا ان يقول رأيتك تزني او ينفي حملا او ولدا
منها وتوقف ابي الزناد ويحيى بن سعيد مثل قول مالك ان الملاعنة لا تجب بالقذف وانما تجب بالرؤية
او نفي الحمل مع دعوى الاستبراء هذا هو المشهور عن مالك وقاله ابن القاسم والصحيح الاول لعموم قوله
والذين يرمون ازواجهم قال ابن العربي وظاهر القرآن يكفي لايجاب اللعان بمجرد القذف من غير رؤية
فليعولوا عليه لا سيما وفي الحديث الصحيح ارأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فاذهب فأت بها ولم يكلفه ذكر الرؤية واجمعوا ان الاعمى يلاعن اذا قذف زوجته ولو كان الرؤية من
شرط اللعان ما لاعن الاعمى قاله ابو عمر وقد ذكر ابن القصار عن مالك ان لعان الاعمى لا يصح الا ان يقول
لمست فرجه في فرجها والحجة لمالك ولمن اتبعه ما رواه ابو داود عن ابن عباس قال جاء هلال بن امية
وهو احد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من ارضه عشاء فوجد عند اهله رجلا فرأى بعينه وسمع باذنه
فلم يهجه حتى اصبح ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جئت اهلي عشاء فوجدت عندهم
رجلا فرأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه والذين يرمون
ازواجهم الآية وذكر الحديث وهو نص على ان الملاعنة التي قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانت
في الرؤية فلا يجب ان يتعدى ذلك ومن قذف امرأته ولم يذكر رؤية حد لعموم قوله والذين يرمون
المحصنات **الرابعة** اذا نفى الحمل فانه يلتعن لانه اقوى من الرؤية ولا بد من ذكر عدم الوطء والاستبراء
بعده واختلف علماؤنا في الاستبراء فقال المغيرة ومالك في احد قوليهما يجزي في ذلك حيضة وقال
مالك ايضا لا ينفيه الا بثلاث حيض والصحيح الاول لان براءة الرحم من الشغل يقع بها كما في استبراء

الامة وانما راعينا الثلاث حيض في العدد لحكم آخر يأتي بيانه في الطلاق ان شاء الله وحكى اللخمي عن مالك انه لا ينفي الولد
بالاستبراء لان الحيض يأتي على الحمل وقاله اشهب في كتاب ابن المواز وقاله المغيرة وقال لا ينفي الولد الا
بخمس سنين لانه اكثر مدة الحمل على ما تقدم **الخامسة** اللعان يكون عندنا في كل زوجين حرين كانا او عبدين
مؤمنين كانا او كافرين فاسقين او عدلين وبه قال الشافعي ولا لعان بين الرجل وامته ولا بينه
وبين ام ولده وقيل لا ينتفي ولد الامة عنه الا بيمين واحدة بخلاف اللعان وقد قيل انه اذا نفى ولد ام الولد
لاعن والاول تحصيل مذهب مالك وهو الصواب وقال ابو حنيفة لا يصح اللعان الا من زوجين حرين مسلمين
وذلك لان اللعان عنده شهادة وعندنا وعند الشافعي يمين فكل من صحت يمينه صح قذفه ولعانه واتفقوا على
انه لا بد ان يكونا مكلفين وفي قوله في الحديث وجد مع امرأته رجلا دليل على ان الملاعنة تجب على كل زوجين
لانه لم يخص رجلا من رجل ولا امرأة من امرأة ونزلت آية اللعان على هذا الجواب فقال والذين يرمون
ازواجهم ولم يخص زوجا من زوج والى هذا ذهب مالك واهل المدينة وهو قول الشافعي واحمد واسحق
وابي عبيدة وابي ثور وايضا فان اللعان يوجب فسخ النكاح فاشبه الطلاق فكل من يجوز طلاقه يجوز لعانه
واللعان ايمان لا شهادات قال الله تعالى لشهادتنا احق من شهادتهما اي ايماننا وقال تعالى اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة وقال عليه السلام لولا الايمان
لكان لي ولها شأن واما ما احتج به الثوري وابو حنيفة فهي حجج لا تقوم على ساق منها حديث عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة ليس بينهم لعان ليس
بين الحر والامة لعان وليس بين الحرة والعبد لعان وليس بين المسلم واليهودية لعان وليس بين المسلم
والنصرانية لعان اخرجه الدارقطني من طرق ضعفها كلها وروي عن الاوزاعي وابن جريج وهما امامان
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قوله ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا من جهة النظر ان
الازواج لما استثنوا من جملة الشهداء بقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم وجب ان لا يلاعن الا من
تجوز شهادته وايضا فلو كانت يمينا ما رددت والحكمة في ترديدها قيامها في الاعداد مقام الشهود في الزنا
قلنا هذا يبطل بيمين القسامة فانها تكرر وليست بشهادة اجماعا والحكمة في تكرارها التغليظ في الفروج
والدماء قال ابن العربي والفيصل في انها يمين لا شهادة ان الزوج يحلف لنفسه في اثبات دعواه وتخليصه
من العذاب فكيف يجوز لاحد ان يدعي في الشريعة ان شاهدا يشهد لنفسه بما يوجب حكما على غيره هذا بعيد
في الاصل معدوم في النظر **السادسة** اختلف العلماء في ملاعنة الاخرس فقال مالك والشافعي يلاعن لانه
ممن يصح طلاقه وظهاره وايلاؤه اذا فهم ذلك عنه وقال ابو حنيفة لا يلاعن لانه ليس من اهل الشهادة
ولانه قد ينطق بلسانه فينكر اللعان فلا يمكننا اقامة الحد عليه وقد تقدم هذا المعنى في مريم والدليل
عليه **السابعة** قال ابن العربي رأى ابو حنيفة عموم الآية فقال ان الرجل اذا قذف زوجته بالزنا قبل ان يتزوجها
فانه يلاعن ونسي ان ذلك قد تضمنه قوله والذين يرمون المحصنات وهذا رماها محصنة غير زوجة
وانما يكون اللعان في قذف يلحق فيه النسب وهذا قذف لا يلحق فيه نسب فلا يوجب لعانا كما لو قذف اجنبية
الثامنة اذا قذفها بعد الطلاق نظرت فان كان هنالك نسب يريد ان ينفيه او حمل يتبرأ منه لاعن
والا لم يلاعن وقال عثمان البتي لا يلاعن بحال لانها ليست بزوجة وهذا ينتقض عليه بالقذف
قبل الزوجية كما ذكرناه آنفا بل هذا اولى لان النكاح قد تقدم وهو يريد الانتفاء من النسب وتبرئته
من ولد يلحق به فلا بد من اللعان واذا لم يكن هناك حمل يرجى ولا نسب يخاف تعلقه لم يكن للعان فائدة فلم يحكم فيه
وكان قذفا مطلقا داخلا تحت عموم قوله والذين يرمون المحصنات الآية فوجب عليه الحد وبطل ما قال
البتي لظهور فساده **التاسعة** لا ملاعنة بين الرجل وزوجته بعد انقضاء العدة الا في مسألة واحدة وهي
ان يكون الرجل غائبا فتأتي امرأته بولد في مغيبه وهو لا يعلم فيطلقها فتنقضي عدتها ثم يقدم فينفيه فله
ان يلاعنها ها هنا بعد العدة وكذلك لو قدم بعد وفاتها ونفى الولد لاعن لنفسه وهي ميتة بعد مدة من
العدة ويرثها لانها ماتت قبل وقوع الفرقة بينهما **العاشرة** اذا انتفى من الحمل ووقع ذلك بشرطه
لاعن قبل الوضع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يلاعن الا بعد ان تضع لانه يحتمل ان يكون ريحا او داء
من الادواء ودليلنا النص الصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن قبل الوضع وقال ان جاءت به كذا فهو
لابيه وان جاءت به كذا فهو لفلان فجاءت به على النعت المكروه **الحادية عشرة** اذا قذف بالوطء في الدبر

لاعن وقال ابو حنيفة لا يلاعن وبناه على اصله في ان اللواطة لا توجب الحد وهو فاسد لان الرمي فيه معرة
وقد دخلت تحت عموم قوله والذين يرمون ازواجهم وقد تقدم في الاعراف والمومنين انه يجب به الحد
الثانية عشرة قال ابن العربي من غريب امر هذا الرجل انه اذا قذف زوجته وامها بالزنا انه ان حد
للام سقط امر البنت فان لاعن للبنت لم يسقط حد الام وهذا لا وجه له وما رايت لهم شيئا يحكى وهذا
باطل جدا فانه خص عموم الاية في البنت وهي زوجة بحد الام من غير اثر ولا اصل قاسه عليه **الثالثة
عشرة** اذا قذف زوجته ثم زنت قبل التعانه فلا حد ولا لعان وبهذا قال ابو حنيفة والشافعي
واكثر اهل العلم وقال الثوري والمزني لا يسقط الحد عن القاذف وزنا المقذوف بعد ان قذف لا
يقدح في حصانته المتقدمة ولا يرفعها لان الاعتبار الحصانة والعفة في القذف في حال القذف لا بعده
كما لو قذف مسلما فارتد المقذوف بعد القذف وقبل ان يحد القاذف لم يسقط الحد عنه وايضا فان الحدود
كلها معتبرة بوقت الوجوب لا وقت الاقامة ودليلنا انه قد ظهر قبل استيفا الحد واللعان معنى
لو كان موجودا في الابتداء منع صحة اللعان ووجوب الحد فلذلك اذا طرا في الثاني كما اذا شهد شاهدان
ظاهرهما العدالة فلم يحكم الحاكم بشهادتهما حتى اذا ظهر فسقهما بان زنيا او شربا خمرا لم يجز للحاكم
ان يحكم بشهادتهما تلك وايضا فان الحكم بالعفة والاحصان يوخذ من طريق الظاهر لا من حيث القطع
واليقين وقد قال عليه السلم ظهر المومن حمى فلا يحد القاذف الا بدليل قاطع **الرابعة عشرة** من قذف
امراته وهي كبيرة لا تحمل تلاعنا لرفع الحد وهي لدرء العذاب فان كانت صغيرة لا تحمل لاعن هو لرفع
الحد ولم تلاعن هي لانها لو اقرت لم يلزمها شي وقال ابن الماجشون لا حد على قاذف من لم يبلغ قال اللخمي
فعلى هذا لا لعان على زوج الصغيرة التي لا تحمل **الخامسة عشرة** اذا شهد اربعة على امراة بالزنا
احدهم زوجها فان الزوج يلاعن وتحد الشهود الثلاثة وهو احد قولي الشافعي والقول الثاني انهم لا يحدو
وقال ابو حنيفة اذا شهد الزوج والثلاثة ابتداء قبلت شهادتهم وحدت المراة ودليلنا قوله تعالى
والذين يرمون المحصنات الاية فاخبر ان من قذف محصنا ولم ياتي باربعة شهداء حد والزوج رامي
لزوجته فخرج عن ان يكون احد الشهود **السادسة عشرة** اذا ظهر بامراة حمل فترك ان ينفيه لم يكن له
نفيه بعد سكوته بعد العلم به رضي به كما لو اقر وقال مجاهد وشريح له ان ينفيه ابدا وهو خطا لان سكوته
بعد العلم به رضي به كما لو اقر به ثم ينفيه فانه لا يقبل منه **السابعة عشرة** فان اخر ذلك الى ان وضعت
وقال رجوت ان يكون ريحا تنفش او تسقطه فاستريح من القذف فهل ينفيه بعد وضعه مدة ما فاذا
تجاوزها لم يكن له ذلك فقد اختلف في ذلك فنحن نقول ان لم يكن له عذر في سكوته حتى مضت ثلاثة
ايام فهو راض به ليس له نفيه وبهذا قال الشافعي وقال ايضا متى امكنه نفيه على ما جرت به العادة
من تمكنه من الحاكم فلم يفعل لم يكن له نفيه من بعد ذلك وبهذا قال مالك انه من ترك اليوم واليومين
لم يكن له نفيه وقال ابو حنيفة لا اعتبر مدة وقال ابو يوسف ومحمد يعتبر فيه اربعون يوما مدة النفاس
قال ابن القصار والدليل لقولنا هو ان نفي ولده محرم عليه واستلحاق ولد ليس منه محرم عليه فلا بد
ان يوسع عليه لكي ينظر فيه ويفكر هل يجوز له نفيه او لا وانما جعلنا الحد ثلاثة لانه اول حد الكثرة
واخر حد القلة وقد جعلت ثلاثة ايام يختبر بها حال المصراة فلذلك ينبغي ان يكون هنا واما ابو يوسف
ومحمد فليس اعتبارهم باولى من اعتبارنا مدة الولادة والرضاع اذ لا شاهد لهم في الشريعة وقد ذكرنا شاهد
في الشريعة من مدة المصراة **الثامنة عشرة** قال ابن القصار اذا قالت المراة لزوجها او لاجنبي
يا زانية بالها وكذلك الاجنبي للاجنبي فلست اعرف فيه نصا لاصحابنا ولكنه عندي يكون قذفا وعليه
الحد وقد زاد حرفا وبه قال الشافعي ومحمد بن الحسن وقال ابو حنيفة وابو يوسف لا يكون قذفا واتفقوا على
انه اذا قال لامراة يا زان انه قذف والدليل على انه يكون في الرجل قذفا هو ان الخطاب اذا فهم معناه
ثبت حكمه سواء كان بلفظ اعجمي او عربي الا ترى انه اذا قال للمراة زنيت بفتح التاء كان قذفا لان معناه يفهم منه
ولابي حنيفة وابي يوسف انه لما جاز ان يخاطب المونث بخطاب المذكر لقوله وقال نسوة صلح ان يكون قوله يا زان
للمونث قذفا ولما لم يجز ان يونث فعل المذكر اذا تقدم عليه لم يكن لخطابه بالمونث حكم والله اعلم
التاسعة عشرة يلاعن في النكاح الفاسد زوجته لانها صارت فراشا ويلحق النسب فيه فجرى
اللعان عليه **الموفية عشرين** اختلفوا في الزوج اذا ابى من اللعان فقال ابو حنيفة لا حد عليه

لان الله تعالى جعل على الاجنبي الحد وعلى الزوج اللعان فلما لم ينتقل اللعان الى الاجنبي لم ينتقل الحد الى الزوج
ويسجن ابدا حتى يلاعن لان الحدود لا توخذ قياسا وقال مالك والشافعي وجمهور الفقهاء ان لم يلتعن الزوج
حد لان اللعان له براءة كالشهود للاجنبي فان لم يات الاجنبي باربعة شهدا حد فكذلك الزوج ان لم يلتعن
وفي حديث العجلاني ما يدل على هذا لقوله ان سكت سكت على غيظ وان قتلت قتلت وان نطقت جلدت
الحادية والعشرون واختلفوا ايضا هل للزوج ان يلاعن مع شهوده فقال مالك والشافعي يلاعن
كان له شهود او لم يكن لان الشهود ليس لهم عمل في غير درء الحد واما رفع الفراش ونفي الولد فلا بد فيه
من اللعان وقال ابو حنيفة واصحابه انما جعل اللعان للزوج اذا لم يكن له شهود غير نفسه لقوله تعالى
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم **الثانية والعشرون** البداية في اللعان بما بدا الله به وهو الزوج
وفائدته درء الحد عنه ونفي النسب لقوله عليه السلم البينة والا حد في ظهرك ولو بدا بالمراة قبله
لم يجز لانه عكس ما رتبه الله وقال ابو حنيفة يجزيه وهذا باطل لانه خلاف القران وليس له اصل يرده
اليه ولا معنى يقوى به بل المعنى لنا لان المراة اذا بدات باللعان فتنفي ما لم يثبت وهذا لا وجه له
الثالثة والعشرون كيفية اللعان ان يقول الحاكم للملاعن قل اشهد بالله لرايتها تزني ورايت فرج الزاني في فرجها
كالمرود في المكحلة وما وطيتها بعد رؤيتها وان شيت قل لقد زنت وما وطيتها بعد زناها يردد ما شا من هذ
اللفظين اربع مرات فان نكل عن هذه الايمان او عن شي منها حد فاذا نفى حملا قال اشهد بالله لقد
استبراتها وما وطيتها بعد وما هذا الحمل مني ويشير اليه فيحلف بذلك اربع مرات ويقول في كل يمين
منها واني لمن الصادقين ثم يقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان شا قال ان كنت
كاذبا فيما ذكرت عنها فاذا قال ذلك سقط عنه الحد وانتفى عنه الولد فاذا فرغ الرجل من التعانه
قامت المراة بعده فحلفت بالله اربعة ايمان تقول فيها اشهد بالله انه لكاذب او انه لمن الكاذبين فيما
ادعاه علي وذكر عني وان كانت حاملا قالت وان حملي هذا منه ثم تقول في الخامسة وعلي غضب الله ان
كان صادقا او ان كان من الصادقين في قوله ذلك ومن اوجب اللعان في القذف يقول في كل شهادة
من الاربع اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة من الزنا ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان
كنت كاذبا فيما رميتها به من الزنا وتقول هي اشهد بالله انه لكاذب فيما رماني به من الزنا وتقو
في الخامسة علي غضب الله ان كان صادقا فيما رماني به من الزنا وقال الشافعي يقول الملاعن اشهد بالله
اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة بنت فلان ويشير اليها ان كانت حاضرة يقول ذلك اربع
مرات ثم يقعده الامام ويذكره الله ويقول اني اخاف ان لم تكن صدقت ان تبوء بلعنة الله فان
راه يريد ان يمضي على ذلك امر من يضع يده على فيه ويقول ان قولك وعلي لعنة الله ان كنت من الكاذبين
موجبا فان ابى تركه يقول ذلك لعنة الله علي ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة من الزنا
واحتج بما رواه ابو داود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر رجلا حين امر المتلاعنين
ان يضع يده على فيه عند الخامسة يقول انها موجبة **الرابعة والعشرون** اختلف العلما في حكم من
قذف امراته برجل سماه هل يحد له ام لا فقال مالك عليه اللعان لزوجته وحد للمرمي به وبه قال
ابو حنيفة لانه قاذف لم يكن له ضرورة الى قذفه وقال الشافعي لا حد عليه لان الله تعالى لم يجعل على من
رمى زوجته بالزنا الا حدا واحدا بقوله والذين يرمون ازواجهم ولم يفرق بين من ذكر رجلا بعينه
وبين من لم يذكره وقد رمى العجلاني زوجته بشريك وكذلك هلال بن امية فلم يحد واحدا منهما قال
ابن العربي وظاهر القران لنا ان الله رفع الحد في قذف الاجنبي والزوجة مطلقين ثم خص حد الزوجة
بالخلاص باللعان ونفي الاجنبي على مطلق الاية وانما لم يحد العجلاني لشريك ولا هلال لانه لم يطلبه
وحد القذف لا يقيمه الامام الا بعد المطالبة اجماعا منا ومنه **الخامسة والعشرون** اذا فرغ
المتلاعنان من تلاعنهما جميعا تفرقا وخرج كل واحد منهما على باب من المسجد الجامع غير الباب
الذي يخرج منه صاحبه ولو خرجا من باب واحد لم يضر ذلك لعانهما ولا خلاف في انه لا يكون اللعان
الا في مسجد جامع يجمع فيه الجمعة بحضرة السلطان او من يقوم مقامه من الحكام وقد استحب جماعة من
اهل العلم ان يكون اللعان في الجامع بعد العصر وتلتعن النصرانية من زوجها المسلم في الموضع
الذي تعظمه من كنيستها مثل ما تلتعن به المسلمة **السادسة والعشرون** قال مالك

واصحابه وبتمام اللعان تقع الفرقة بين المتلاعنين فلا يجتمعان ابدا ولا يتوارثان ولا يحل له مراجعتها
ابدا لا قبل زوج ولا بعده وهو قول الثوري لقول ابن عمر والليث وزفر والاوزاعي وقال ابو حنيفة
وصاحباه لا تقع الفرقة بعد فراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وهو قول الثوري لقول ابن عمر
فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين فاضاف الفرقة اليه ولقوله عليه السلام لا سبيل
لك عليها وقال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة والالتعان فقد زال فراش امراته التعنت او لم تلتعن
قال واما التعان المراة فانما هو لدرء الحد عنها لا غير وليس لالتعانها في زوال الفراش معنى ولما كان
لعان الزوج ينفي الولد ويسقط الحد رفع الفراش وكان عثمان البتي لا يرى التلاعن ينقص شيئا من
عصمة الزوجين حتى يطلق وهذا قول لم يتقدمه اليه احد من الصحابة على ان البتي قد استحب للملاعن
ان يطلق بعد اللعان ولم يستحسنه قبل ذلك فدل على ان اللعان عنده قد احدث حكما وبقول عثمان
قال جابر بن زيد فيما ذكره الطبري وحكاه اللخمي عن محمد بن ابي صفرة ومشهور المذهب ان نفس تمام اللعان
بينهما فرقة واحتج اهل هذه المقالة بانه ليس في كتاب الله تعالى اذا لاعن او لاعنت يجب وقوع الفرقة
وبقول عويمر كذبت عليها ان امسكتها فطلقها ثلاثا قال فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليه ولم
يقل له لم قلت هذا وانت لا تحتاج اليه لان باللعان قد طلقت والحجة لمالك في المشهور ولمن وافقه
قوله عليه السلام لا سبيل لك عليها وهذا اعلام منه ان تمام اللعان رفع سبيله عليها وليس تفريقه
منهما باستئناف حكم وانما كان تنفيذا لما اوجب الله بينهما من المباعدة وهو معنى اللعان في اللغة

السابعة والعشرون ذهب الجمهور من العلماء ان المتلاعنين لا يتناكحان ابدا وان اكذب نفسه
جلد الحد ولحق به الولد ولم يرجع اليه ابدا وهذا على السنة التي لا شك فيها ولا اختلاف وذكر ابن المبارك
عن عطا ان الملاعن اذا اكذب نفسه بعد اللعان لم يحد وقال قد تفرقا بلعنة من الله وقال ابو حنيفة
ومحمد اذا اكذب نفسه جلد ولحق به الولد وكان خاطبا من الخطاب ان شاء وهو قول سعيد بن المسيب
والحسن وسعيد بن جبير وعبد العزيز بن ابي سلمة وقالوا يعود النكاح حلالا كما لحق به الولد لانه لا فرق
بين شيء من ذلك وحجة الجماعة قوله عليه السلام لا سبيل لك عليها ولم يقل الا ان تكذب نفسك وروى
ابن اسحق وجماعة عن الزهري قال فمضت السنة انهما اذا تلاعنا فرق بينهما فلا يجتمعان ابدا ورواه
الدارقطني ورواه مرفوعا من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المتلاعنان اذا تفرقا لا يجتمعان ابدا وروي عن علي وعبد الله قالا مضت السنة ان لا يجتمع المتلاعنان
ابدا **الثامنة والعشرون** اللعان يفتقر الى اربعة اشياء عدد الالفاظ وهو اربع شهادات
على ما تقدم والمكان وهو ان يقصد به اشرف البقاع بالبلدان ان كان بمكة فعند الركن والمقام وان كان
بالمدينة فعند المنبر وان كان ببيت المقدس فعند الصخرة وان كان في سائر البلدان ففي مساجدها
وان كانا كافرين بعث بهما الى الموضع الذي يعتقدان تعظيمه ان كانا يهوديين فالكنيسة وان
كانا مجوسيين ففي بيت النار وان كانا لا دين لهما مثل الوثنيين فانه يلاعن بينهما في مجلس حكمه والوقت
وذلك بعد صلاة العصر وجمع الناس وذلك ان يكون اربعة انفس فصاعدا فاللفظ وجمع الناس مشروطان
والزمان والمكان مستحبان **التاسعة والعشرون** من قال ان الفراق لا يقع الا بالتعانهما
فعليه لو مات احدهما قبل تمامه ورثه الاخر ومن قال لا يقع الا بتفريق الامام فمات احدهما قبل ذلك
وتمام اللعان ورثه الاخر وعلى قول الشافعي ان مات احدهما قبل ان تلتعن المراة لم يتوارثا
الموفية ثلاثين قال ابن القصار تفريق اللعان عندنا ليس بفسخ وهو المذهب في المدونة ان اللعان حكم
تفريقه حكم الطلاق ويعطى لغير المدخول بها نصف الصداق وفي مختصر ابن الجلاب لا شيء لها وهذا
على ان تفريق اللعان فسخ **قوله تعالى ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم** الآيات العشر فيه
ثمان وعشرون مسالة **الاولى** قوله تعالى ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم عصبة خبر ان ويجوز
نصبها على الحال ويكون الخبر لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم وسبب نزولها ما رواه الائمة من
حديث الافك الطويل في قصة عائشة رضي الله عنها وهو خبر صحيح مشهور اغنى اشتهاره عن ذكره وسياتي
مختصرا واخرجه البخاري تعليقا وحديثه اتم قال وقال اسامه عن حديث هشام بن عروة عن
ابيه عن عائشة واخرجه ايضا محمد بن كثير عن اخيه سليمان من حديث مسروق عن ام رو

ام رومان وهي ام عائشة انها قالت لما رميت عائشة خرت مغشيا وعن موسى بن اسمعيل من حديث ابي وائل
قال حدثني مسروق بن الاجدع قال حدثتني ام رومان وهي ام عائشة قالت بينا انا قاعدة انا وعائشة
اذ ولجت امراة من الانصار فقالت فعل الله بفلان وفعل فقالت ام رومان وما ذاك قالت ابني فيمن حدث
الحديث قالت وما ذاك قالت كذا وكذا قالت عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وابو بكر
قالت نعم فخرت مغشيا عليها فما افاقت الا وعليها حمى بنافض فطرحت عليها ثيابها فغطيتها فجا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما شان هذه قلت يا رسول الله اخذتها حمى بنافض قال فلعل في حديث تحدث به
قالت نعم فقعدت عائشة رضي الله عنها فقالت والله لئن حلفت لا تصدقوني ولئن قلت لا تعذروني
مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه والله المستعان على ما تصفون قالت فانصرف ولم يقل شيئا فانزل الله
عذرها قالت نحمد الله لا نحمد احدا ولا نحمدك قال ابو عبد الله الحميدي كان بعض من لقينا من
الحفاظ البغداديين يقول الارسال في هذا الحديث ابين واستدل على ذلك بان ام رومان توفيت في
حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومسروق لم يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وللبخاري من حديث
عبيد الله بن عبد الله ابن ابي مليكة ان عائشة كانت تقرا اذ تلقونه بالسنتكم وتقول الولق الكذب
قال ابن ابي مليكة وكانت اعلم بذلك من غيرها لانه نزل فيها قال البخاري وقال معمر بن راشد عن
الزهري وكان حديث الافك في غزوة المريسيع قال ابن اسحاق وذلك سنة ست وقال موسى بن عقبة
سنة اربع واخرج البخاري من حديث معمر عن الزهري قال قال لي الوليد بن عبد الملك ابلغك ان عليا
كان فيمن قذف قال قلت لا ولكن اخبرني رجلان من قومك ابو سلمة بن عبد الرحمن وابو بكر بن عبد
الرحمن بن الحارث بن هشام ان عائشة قالت لهما كان علي مسلما في شانها واخرجه ابو بكر بن الاسمعيلي
في كتابه المخرج على الصحيح من وجه اخر من حديث معمر عن الزهري وفيه قال كنت عند عبد الملك فقال
الذي تولى كبره منهم علي بن ابي طالب فقلت لا قال حدثني سعيد بن المسيب وعروة وعلقمة وعبد الله
بن عبد الله بن عتبة كلهم يقول سمعت عائشة تقول والذي تولى كبره عبد الله بن ابي واخرج البخاري
ايضا من حديث الزهري عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي **الثانية**
قوله تعالى بالافك الافك الكذب والعصبة ثلاثة رجال قاله ابن عباس وعنه ايضا من الثلثة الى العشرة
ابن عيينة اربعون رجلا مجاهد من عشرة الى خمسة عشر واصلها في اللغة وكلام العرب الجماعة
الذين يتعصب بعضهم لبعض والخير حقيقته ما زاد نفعه على ضره والشر ما زاد ضره على نفعه وان خيرا لا
شر فيه هو الجنة وان شرا لا خير فيه هو جهنم واما البلاء النازل على الاولياء فهو خير لان ضرره
من الالم قليل في الدنيا وخيره هو الثواب الكثير في الاخرى فنبه الله تعالى عائشة واهلها وصفوان
اذ الخطاب لهم في قوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لرجحان النفع والخير على جانب الشر **الثالثة**
لما خرج صلى الله عليه وسلم بعائشة معه في غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع وقفل ودنا من
المدينة اذن ليلة بالرحيل قامت حين اذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت الجيش فلما فرغت من شانها اقبلت
الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسها ابتغاوه فوجدته
وانصرفت فلم تجد احدا وكانت شابة قليلة اللحم فرفع الرجال هودجها ولم يشعروا بزوالها منه فلما
لم تجد احدا اضطجعت في مكانها رجاء ان تفتقد فيرجع اليها فنامت في الموضع ولم يوقظها الا قول
صفوان بن المعطل انا لله وانا اليه راجعون وذلك انه كان تخلف وراء الجيش لحفظ الساقة وقيل انها
استيقظت لاسترجاعه ونزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة واخذ يقودها حتى بلغ الجيش
بها في نحر الظهيرة فوقع اهل الافك في مقالتهم وكان الذي يجتمع اليه فيه ويستوشيه ويشيعه عبد الله
ابن ابي بن سلول المنافق وهو الذي راى صفوان اخذا بزمام ناقة عائشة فقال والله ما نجت منه
وما نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل وكان من قاله حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش هذا اختصار الحديث وهو بكماله واتقانه في البخاري ومسلم وهو في مسلم اكمل ولما بلغ صفوان
قول حسان في الافك جاء فضربه بالسيف ضربة على راسه وقال

تلق ذباب السيف عني فانني … غلام اذا هوجيت ليس بشاعر

فاخذ جماعة حسان ولببوه وجاوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهدر رسول الله جرح حسان

واستوهبه اباه وهذا يدل على ان حسان ممن تولى الكبر على ما ياتي والله اعلم وكان صفوان هذا صاحب
ساقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته لشجاعته وكان من خيار الصحابة وقيل كان حصورا لا ياتي النسا
ذكره ابن اسحاق من طريق عايشة وقيل كان له ابنان يدل على ذلك حديثه المروي مع امراته وقول النبي صلى
الله عليه وسلم في ابنيه لهما اشبه به من الغراب بالغراب وقوله في الحديث والله ما كشفت كنف انثى قط يريد
بزنى وقتل شهيدا رضي الله عنه في غزوة ارمينية سنة تسع عشرة في زمان عمر رضي الله عنه وقيل ببلاد الروم
سنة ثمان وخمسين في زمن معاوية **الرابعة** قوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يعني ممن تكلم
بالافك ولم يسم من اهل الافك الا حسان ومسطح وحمنة وعبد الله وجهل الغير قاله عروة بن الزبير وقد
ساله عن ذلك عبد الملك بن مروان وقال الا انهم كانوا عصبة كما قال الله وفي مصحف حفصة عصبة
اربعة **الخامسة** قوله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب وقرا يعقوب وحميد الاعرج كبره بضم الكاف
قال الفرا وهو وجه جيد لان العرب تقول فلان تولى عظم كذا وكذا اي اكثره روي عن عايشة انه حسان
وانها قالت حين عمي لعل العذاب العظيم الذي اوعده الله به ذهاب بصره رواه عنها مسروق
وروي عنها انه عبد الله ابن ابي وهو الصحيح قاله ابن عباس وحكى ابو عمر بن عبد البر ان عايشة برات حسان
من الفرية وقالت انه لم يقل شيا وقد انكر حسان ان يكون قال شيا من ذلك في قوله

حصان رزان ما تزن بريبة	وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا	نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لوي بن غالب	كرام المساعي مجدها غير زايل
مهذبة قد طيب الله خيمها	وطهرها من كل شين وباطل
فان كان ما بلغت عني قلته	فلا رفعت سوطي الي انا ملي
فكيف وودي ما حييت ونصرتي	لال رسول الله زين المحافل
له رتب عالي على الناس فضلها	تقاصر عنها سورة المتطاول

وقد روي انه لما انشدها حصان رزان قالت له لست كذلك تريد انك وقعت في الغوافل وهذا تعارض
ويمكن الجمع بان يقال ان حسانا لم يقل ذلك نصا ونصريحا ويكون عرض بذلك واومى اليه فنسب ذلك اليه
والله اعلم وقد اختلف الناس فيه هل خاض في الافك ام لا وهل جلد الحد ام لا فالله اعلم اي ذلك كان وهي
المسالة **السادسة** فروى محمد بن اسحق وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الافك رجلين وامراة
مسطحا وحسان وحمنة ذكره الترمذي وذكر القشيري عن ابن عباس قال جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن
ابي ثمانين جلدة وله في الاخرة عذاب النار قال القشيري والذي ثبت في الاخبار انه ضرب ابن ابي وضرب
حسان وحمنة واما مسطح فلم يثبت منه قذف صريح ولكنه كان يسمع ويشيع من غير تصريح **السابعة**
قال الماوردي اختلفوا هل حد النبي صلى الله عليه وسلم اصحاب الافك على قولين احدهما انه لم يحد احدا من
اصحاب الافك لان الحدود انما تقام باقرار وبينة ولم يتعبده الله ان يقيمها باخباره عنها كما لم يتعبده بقتل المنافقين
وقد اخبر بكفرهم قال المولف رحمه الله وهذا مخالف لنص القران قال الله تعالى يقول والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي على صدق قولهم فاجلدوهم ثمانين جلدة والقول الثاني ان النبي صلى الله
عليه وسلم حد اهل الافك عبد الله بن ابي ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وفي ذلك قال
شاعر من المسلمين

لقد ذاق حسان الذي كان اهله	وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح
وابن سلول ذاق في الحد خزيه	كما خاض في افك من القول يفصح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم	وسخطة ذي العرش الكريم فابرحوا
واذوا رسول الله فيها فجللوا	مخازي تبقى عمموها وفضحوا
فصبت عليهم محصدات كانها	شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح

قال المولف رحمه الله المشهور من الاخبار المعروف عند العلما ان الذي حد حسان ومسطح وحمنة ولم يسمع بحد
لعبد الله بن ابي روى ابو داود عن عايشة قالت لما نزل عذري قام النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
وتلا القران فلما نزل من المنبر امر بالرجل والمراة فضربوا حدهم وسماهم مسطح بن اثاثة وحسان بن
ثابت وحمنة بنت جحش وفي كتاب الطحاوي ثمانين ثمانين قال علماونا وانما لم يحد عبد الله بن ابي لان الله

جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي ثمانين جلدة

اعد له في الاخرة عذابا عظيما فلو حد في الدنيا لكان ذلك نقصا من عذابه الاخروي وتخفيفا عنه مع ان الله
قد شهد ببراءة عايشة وبكذب كل من رماها فقد حصلت فايدة الحد اذ مقصوده اظهار كذب القاذف
وبراءة المقذوف كما قال فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانما حد هولا المسلمون
ليكفر عنهم اثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك في الاخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم
في الحدود انها كفارة لمن اقيمت عليه كما في حديث عبادة بن الصامت ويحتمل ان يقال انما ترك حد ابن ابي
استيلافا لقومه واحتراما لابنه واطفاء لنايرة الفتنة المتوقعة من ذلك وقد كان ظهر مبادها من
سعد بن عبادة ومن قومه كما في صحيح مسلم والله اعلم **الثامنة** قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المومنون
والمومنات بانفسهم خيرا الاية هذا عتاب من الله سبحانه للمومنين في ظنهم حين قال اصحاب الافك ما قالوا
قال ابن زيد ظن المومنون ان المومن لا يفجر بامه قال المهدوي ولولا بمعنى هلا وقيل المعنى انه كان ينبغي
ان يقيس فضلا المومنين والمومنات الامر على انفسهم فان كان ذلك يبعد فذلك في عايشة وصفوان ابعد
وروي ان هذا النظر السديد وقع من ابي ايوب الانصاري وامراته وذلك انه دخل عليها فقالت له يا ابا ايوب
اسمعت ما قيل فقال نعم وذلك الكذب اكنت انت يا ام ايوب تفعلين ذلك قالت لا والله قال فعايشة والله
افضل قالت ام ايوب نعم فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله على المومنين اذ لم يفعله جميعهم **التاسعة**
قوله تعالى بانفسهم قال النحاس معنى بانفسهم باخوانهم فاوجب الله على المسلمين اذا سمعوا رجلا يقذف احدا ويذكره
بقبيح لا يعرفونه به ان ينكروا عليه ويكذبوه وتواعد من ترك ذلك ومن نقله قال المولف رحمه الله ولاجل هذا
قال العلما ان الاية اصل في ان درجة الايمان التي حازها الانسان ومنزلة الصلاح التي حلها المرء ولبسة
العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وان شاع اذا كان اصله فاسدا او مجهولا **العاشرة**
قوله تعالى لولا جاءوا عليه باربعة شهداء هذا توبيخ لاهل الكتاب ولولا بمعنى هلا اي هلا جاءوا عليه
باربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء وهذا رد على الحكم الاول واحالة على الاية السابقة في اية القذف
الحادية عشرة قوله تعالى فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون اي في حكم الله كاذبون
وقد يعجز الرجل عن اقامة البينة وهو صادق في قذفه ولكنه في حكم الشرع وظاهر الامر كاذب لا في علم الله
وهو سبحانه انما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالانسان على ما هو عليه
فانما يبتني على ذلك حكم الاخرة قال المولف رحمه الله ومما يقوي هذا المعنى ويعضده ما خرجه البخاري
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايها الناس ان الوحي قد انقطع وانما ناخذكم الان بما ظهر لنا من اعمالكم
فمن اظهر لنا خيرا امناه وقربناه وليس لنا من سريرته شي الله يحاسبه في سريرته ومن اظهر لنا سوا
لم نامنه ولم نصدقه وان قال ان سريرته حسنة واجمع العلما على ان احكام الدنيا على الظاهر وان السراير
الى الله عز وجل **الثانية عشرة** قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فضل رفع بالابتداء عند سيبويه
والخبر محذوف لا يظهره العرب وحذف جواب لولا لانه قد ذكر مثله بعد قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لمسكم اي بسبب ما قلتم في عايشة رضي الله عنها عذاب عظيم في الدنيا والاخرة وهذا عتاب
من الله بليغ ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا ويرحم في الاخرة من اتاه الله تايبا والافاضة الاخذ في
الحديث وهو الذي وقع عليه العتاب يقال افاض القوم في الحديث اي اخذوا فيه **الثالثة عشرة** قوله
تعالى اذ تلقونه بالسنتكم قراءة محمد بن السميقع بضم التاء وسكون اللام وضم القاف من الالقاء وهذه
قراءة بينة وقرا ابي وابن مسعود تتلقونه من التلقي بتاءين وقرا الجمهور السبعة بحذف التاء الواحدة
واظهار الدال دون ادغام وهو ايضا من التلقي وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بادغام الدال في التاء
وقرا ابن كثير باظهار الذال وادغام التاء في التاء وهذه قراءة قلقة لانها تقتضي اجتماع ساكنين
وليست كقراءة من قرا لا تناجوا ولا تنابزوا لان دونه الالف الساكنة وكونها حرف لين حسنت
هنالك ما لا يحسن مع سكون الدال وقرا ابن يعمر وعايشة رضي الله عنها وهم اعلم الناس بهذا الامر تلقونه
بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قول العرب ولق الرجل يلق ولقا اذا كذب
واستمر عليه فجاوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي قال ابن عطية وعندي انه اراد اذ تلقون فيه
فحذف حرف الجر فاتصل الضمير وقال الخليل وابو عمرو واصل الولق الاسراع يقال جاءت الابل تلق اي تسرع
قال

لما راوا جيشا عليهم قد طرق	باسراب جاءوا من الشام ولق

آخر — ان الحصين زلق وزملق … جاءت به عبس من الشام تلق

يقال رجل زلق وزملق مثل هدبد وزمالق وزملق بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع

قال الراجز — ان الحصين زلق وزملق … والزلق ايضا اخو الطعن وقد ولقه يلقه ولقا

يقال ولقه بالسيف ولقات اي ضربات فهو مشترك **الرابعة عشرة** قوله تعالى وتقولون بافواهكم

مبالغة والزام وتاكيد والضمير في تحسبونه عائد على الحديث والخوض فيه والاذاعة وهينا اي شيئا

يسيرا لا يلحقكم فيه اثم وهو عند الله عظيم في الوزر وهذا مثل قوله عليه السلام في حديث القبرين

انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اي بالنسبة اليكم **الخامسة عشرة** قوله تعالى ولولا اذ سمعتموه

الى قوله عليم عتاب لجميع المومنين اي كان ينبغي عليكم ان تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة

الحكاية وان تنزهوا الله عن ان يقع هذا من زوج نبيه عليه السلام وان تحكموا على هذه المقالة بانها بهتان

وحقيقة البهتان ان يقول في الانسان ما ليس فيه والغيبة ان تقول في الانسان ما فيه وهذا المعنى

قد جاء في صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعظكم الله تعالى في العود الى مثل هذه الحالة وان

مفعول من اجله بتقدير كراهية ان ونحوه **السادسة عشرة** قوله تعالى ان كنتم مومنين توقيف

وتاكيد كما تقول ينبغي لك ان تفعل كذا وكذا ان كنت رجلا **السابعة عشرة** قوله تعالى يعظكم

الله ان تعودوا لمثله ابدا يعني في عائشة لان مثله لا يكون الا نظير القول في المقول عنه بعينه او فيمن

كان في مرتبته من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم

في عرضه واهله وذلك كفر من فاعله **الثامنة عشرة** قال هشام بن عمار سمعت مالكا يقول من سب

ابا بكر او عمر ادب ومن سب عائشة قتل لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم

مومنين فمن سب عائشة فقد خالف القران ومن خالف القران قتل وقال ابن العربي قال اصحاب الشافعي

من سب عائشة رضي الله عنها ادب كما في سائر المومنين وليس قوله ان كنتم مومنين في عائشة كفرا وانما

هو كقوله عليه السلام لا يومن من لا يامن جاره بوائقه ولو كان سلب الايمان فيمن سب عائشة حقيقة

لكان سلبه في قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن حقيقة قلنا ليس كما زعمتم ان اهل الافك

رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبراها الله فكان من سبها بما براها الله تعالى منه مكذبا لله ومن

كذب الله فهو كافر فهذا طريق قول مالك وهو سبيل لائح لاهل البصائر ولو ان رجلا سب عائشة

بما براها الله منه لكان جزاوه الكفر **التاسعة عشرة** قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة

اي تفشو يقال شاع الشي شيوعا وشيعا وشيعانا وشيوعة اذا ظهر وتفرق في الذين امنوا في المحصنين

والمحصنات والمراد بهذا اللفظ العام عائشة وصفوان والفاحشة الفعل القبيح المفرط في القبح وقيل

الفاحشة في هذه الاية القول السي لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة عذاب النار اي للمنافقين فهو مخصوص

وقد بينا ان الحد للمومن كفارة وقال الطبري معناه ان من مات مصرا غير تائب والله يعلم اي يعلم مقدار

عظم الذنب والمجازاة عليه ويعلم كل شي وانتم لا تعلمون روي من حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ايما رجل شد عضد امرئ من الناس في خصومة لا علم له بها فهو في سخط الله حتى ينزع عنها وايما

رجل حالت شفاعته دون حد من حدود الله ان يقام فقد عاند الله حقا واقدم على سخطه وعليه لعنة الله تتابع

الى يوم القيامة وايما رجل اشاع على مسلم كلمة وهو منها بري يرى ان يشينه بها في الدنيا كان حقا على

الله ان يرميه بها في النار ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا

الاية **الموفية عشرين** قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان يعني مسالكه

ومذاهبه المعنى لا تسلكوا الطريق التي يدعوكم اليها الشيطان وواحد الخطوات خطوة وهو ما بين

القدمين والخطوة بالفتح المصدر يقال خطوت خطوة وجمعها خطوات وتخطى اليناء فلان ومنه الحديث

انه راى رجلا يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة وقرا الجمهور خطوات بضم الطاء واسكنها عاصم والاعمش وقرا

الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف اي ما اهتدى ولا اسلم ولا عرف رشدا وقيل ما زكى اي ما صلح يقال زكى

يزكو زكاء اي صلح وشددها الحسن وابو حيوة اي تزكيته لكم وتطهيره وهدايته انما هي بفضله لا باعمالكم

وقال الكسائي يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان معترض وقوله ما زكى منكم من احد ابدا

جواب قوله اولا ثانيا ولولا فضل الله **الحادية والعشرون** قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم

والسعة

والسعة الاية المشهور من الروايات ان هذه الاية نزلت في قصة ابي بكر ابن ابي قحافة رضي الله عنه ومسطح

بن اثاثة وذلك انه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين وهو مسطح بن اثاثة

بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته وقرابته

فلما وقع امر الافك وقال فيه مسطح ما قال حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة ابدا فجاء مسطح

فاعتذر وقال انما كنت اغشى مجلس حسان فاسمع ولا اقول فقال له ابو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما

قيل ومر على يمينه فنزلت الاية وقال الضحاك وابن عباس ان جماعة من المومنين قطعوا منافعهم عن كل

من قال في الافك وقالوا والله لا نصل من تكلم في عائشة فنزلت الاية في جميعهم والاول اصح غير ان

الاية تتناول الامة الى يوم القيامة بان لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ان لا ينفع من هذه صفته غابر

الدهر روي في الصحيح ان الله لما انزل هذه الايات ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم عشر ايات

قال ابو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق عليه شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة

فانزل الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم قال عبد الله بن المبارك

هذه ارجى اية في كتاب الله فقال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان

ينفق عليه وقال لا انزعها منه ابدا **الثانية والعشرون** في هذه الاية دليل على ان القذف وان كان

كبيرا لا يحبط الاعمال لان الله وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والايمان وكذلك سائر الكبائر ولا يحبط

الاعمال الا الشرك قال الله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك **الثالثة والعشرون** من حلف على

شي لا يفعله فراى فعله اولى من تركه اتاه وكفر عن يمينه او كفر عن يمينه واتاه كما تقدم في المائدة

وراى الفقهاء ان من حلف ان لا يفعل سنة من السنن او مندوبا وابد ذلك انها جرحة في شهادته ذكره

الباجي في المنتقى **الرابعة والعشرون** قوله تعالى ولا ياتل معناه يحلف وزنها يفتعل من الالية وهي اليمين

ومنه قوله تعالى يولون من نسائهم وقد تقدم في سورة البقرة وقالت فرقة معناه يقصر من قولك

الوت في كذا اذا قصرت فيه ومنه قوله تعالى لا يالونكم خبالا **الخامسة والعشرون** قوله

تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم تمثيل وحجة اي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم وينظر

الى هذا قوله عليه السلام من لا يرحم لا يرحم **السادسة والعشرون** قال بعض العلماء هذه ارجى

اية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ وقيل ارجى اية في كتاب الله عز وجل

قوله وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقد قال في اية اخرى والذين امنوا وعملوا الصالحات

في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فشرح الفضل الكبير في هذه الاية

وبشر به المومنين في تلك ومن ايات الرجاء قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى

الله لطيف بعباده وقال بعضهم ارجى اية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وذلك ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى ببقاء احد من امته في النار **السابعة والعشرون** قوله تعالى ان يوتوا

اي لا يوتوا فحذف لا كقول القائل — فقلت يمين الله ابرح قاعدا — اي لا ابرح قاعدا ذكره الزجاج

وعلى قول ابي عبيدة لا حاجة الى اضمار لا وليعفوا من عفا الربع اذا درس فهو محو الذنب حتى يعفو كما

يعفو اثر الربع قوله تعالى **ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات** فيه مسائل

الاولى قوله تعالى المحصنات تقدم في النساء واجمع العلماء على ان حكم المحصنين في القذف كحكم المحصنات

قياسا واستدلالا وقد بيناه في اول السورة والحمد لله واختلف فيمن المراد بهذه الاية فقال

سعيد بن جبير هي في رماة عائشة رضوان الله عليها خاصة وقال قوم هي في عائشة وسائر ازواج

النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس والضحاك وغيرهما ولا تنفع التوبة ومن قذف غيرهن من

المحصنات فقد جعل الله له توبة لانه قال والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء الى قوله

الا الذين تابوا فجعل الله لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة قاله الضحاك وقيل هو الوعيد لمن اصر

على القذف ولم يتب وقيل نزلت في عائشة الا انه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة وقيل انه

عام لجميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان الذين يرمون الانفس المحصنات

فدخل في هذا المذكر والمونث واختاره النحاس وقيل انها نزلت في مشركي مكة لانهم يقولون للمراة

اذا هاجرت انما خرجت لتفجر **الثانية** قوله تعالى لعنوا في الدنيا والاخرة قال العلماء ان كان المراد

بهذه الاية المومنون من القذفة فالمراد باللعنة الابعاد وضرب الحد واستيحاش المومنين منهم وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبة العدالة والبعد عن الثنا الحسن على السنة المومنين وعلى قول من قال هي خاصة لعايشة رضي الله عنها يترتب في هذه الشدايد في جانب عبد الله بن ابي واشباهه وعلى قول من قال نزلت في مشركي مكة فلا كلام انهم مبعدون ولهم في الاخرة عذاب عظيم ومن اسلم فالاسلام يجب ما قبله وقال ابو جعفر النحاس من احسن ما قيل في تاويل هذه الاية انه عام في جميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان الذين يرمون الانفس المحصنات فدخل في هذا المذكر والمونث وكذا في الذين يرمون الا انه غلب المذكر المونث **قوله تعالى** يوم تشهد عليهم السنتهم قرا العامة بالتاء واختاره ابو حاتم وقرا الاعمش ويحيى وحمزة والكسايي وخلف يشهد باليا واختاره ابو عبيد لان الجار والمجرور قد حال بين الاسم والفعل والمعنى يوم تشهد السنة بعضهم على بعض بما كانوا يعملون من القذف والبهتان وقيل تشهد عليهم السنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به وايديهم وارجلهم اي وتتكلم الجوارح بما عملوا في الدنيا **قوله تعالى** يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي حسابهم وجزاءهم وقرا مجاهد يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق على انه نعت لله تعالى قال ابو عبيد ولولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع ليكون نعتا لله عز وجل وتكون موافقة لقراءة ابي وذلك ان جرير بن حازم قال رايت في مصحف ابي يوفيهم الله دينهم الحق قال النحاس وهذا الكلام من ابي عبيد غير مرضي لانه احتج بما هو مخالف للسواد الاعظم ولا حجة ايضا فيه لانه لو صح هذا انه في مصحف ابي كذا جاز ان تكون القراءة يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم يكون دينهم بدلا من الحق وعلى قراءة العامة يكون الحق نعتا لدينهم والمعنى حسن لان الله ذكر المسيئين واعلم انه يجازيهم بالحق كما قال جل وعز وهل يجازى الا الكفور لان مجازاة الله عز وجل للكافر والمسيء بالحق والعدل ومجازاة المحسن بالاحسان والفضل **قوله تعالى** ويعلمون ان الله هو الحق المبين اسمان من اسمايه عز وجل وقد ذكرناهما في غير موضع وخاصة في الكتاب الاسنى **قوله تعالى** الخبيثات للخبيثين الاية قال ابن زيد المعنى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون للخبيثات وكذا الطيبون للطيبات والطيبات للطيبين وقال مجاهد وابن جبير وعطا واكثر المفسرين المعنى الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول قال النحاس في كتاب معاني القران وهذا احسن ما قيل في هذه الاية ودل على صحة هذا القول **قوله تعالى** اولئك مبرءون مما يقولون اي عايشة وصفوان مما يقولون الخبيثون والخبيثات وقيل ان هذه الاية مبنية على قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الاية فالخبيثات الزواني والطيبات العفايف وكذا الطيبون والطيبات واختار هذا القول النحاس ايضا وهو معنى قول ابن زيد اولئك مبرءون مما يقولون يعني به الجنس وقيل عايشة وصفوان فجمع كما قال فان كان له اخوة والمراد اخوان قاله الفراء ومبرءون يعني منزهين مما رموا به قال بعض اهل التحقيق ان يوسف عليه السلم لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد وان مريم لما رميت بالفاحشة براها الله على لسان ابنها عيسى صلوات الله عليه وان عايشة لما رميت بالفاحشة براها الله بالقران فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي حتى براها الله بكلامه من القذف والبهتان وروى علي بن زيد بن جدعان عن جدته عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفت الملايكة بيتي وان كان الوحي لينزل عليه وهو في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه فما يبينني عن جسده واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة وعند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تعني قوله اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وهو الجنة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها فيه تسعة عشر مسالة **الاولى** قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا

لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الابصار وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد وحجر على الخلق ان يطلعوا على ما فيها من خارج او يلجوها من غير اذن اربابها ادبهم بما يرجع الى الستر عليهم لئلا يطلع احد منهم على عورة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم حل لهم ان يفقؤوا عينه وقد اختلف في تاويله فقال بعض العلما ليس هذا على ظاهره فان فقا فعليه الضمان والخبر منسوخ وكان قبل نزول قوله تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ويحتمل ان يكون خرج على وجه الوعيد لا على وجه الحتم والخبر لو كان مخالفا لكتاب الله تعالى فلا يجوز العمل به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بالكلام في الظاهر وهو يريد شيا اخر كما جاء في الخبر ان عباس بن مرداس لما مدحه قال لبلال قم فاقطع لسانه واراد بذلك ان يعطيه شيا ولم يرد به القطع في الحقيقة وكذلك هذا يحتمل ان يكون ذكر فقا العين والمراد ان يعمل عملا فلا ينظر بعد ذلك في بيت غيره وقال بعضهم لا ضمان عليه ولا قصاص وهو الصحيح ان شاء الله لحديث يبين الى ما ياتي **الثانية** سبب نزول هذه الاية ما رواه الطبري وغيره عن عدي بن ثابت ان امراة من الانصار قالت يا رسول الله اني اكون في بيتي على حال لا احب ان يراني عليها احد لا والد ولا ولد فياتي الاب فيدخل علي وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلي وانا على تلك الحال فكيف اصنع فنزلت الاية فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله افرايت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فانزل الله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة **الثالثة** مد الله تعالى التحريم في دخول بيت ليس هو بيتك الى غاية هي الاستيناس وهو الاستيذان قال ابن وهب قال مالك الاستيناس فيما نرى والله اعلم الاستيذان وكذلك في قراءة ابي وابن عباس وسعيد بن جبير حتى تستاذنوا وتسلموا على اهلها وقيل ان معنى حتى تستانسوا حتى تستعلموا اي تستعلموا من في البيت قال مجاهد بالتنحنح او باي وجه امكن ويتانى قدر ما يعلم انه قد شعر به ويدخل اثر ذلك وقال معناه الطبري ومنه قوله تعالى فان انستم منهم رشدا اي علمتم وقال الشاعر

انست نباة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء

قلت وفي سنن ابن ماجة حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن واصل بن السايب عن ابي سورة عن ابي ايوب الانصاري قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح يوذن اهل البيت وهذا نص في ان الاستيناس غير الاستيذان كما قال مجاهد ومن وافقه **الرابعة** روي عن ابن عباس وبعض الناس يقول عن سعيد بن جبير تستانسوا خطا او وهم من الكاتب انما هو حتى تستاذنوا وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره فان مصاحف الاسلام كلها قد ثبت فيها حتى تستانسوا وصح الاجماع فيها من لدن مدة عثمان وهي التي لا يجوز خلافها واطلاق الخطا والوهم على الكاتب في لفظ اجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس وقد قال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقد روي عن ابن عباس ان في الكلام تقديما وتاخيرا والمعنى حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا حكاه ابو حاتم قال ابن عطية ومما ينفي هذا القول عن ابن عباس وغيره ان تستانسوا متمكنة في المعنى بينة الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم استانس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضي انه طلب الانس به صلى الله عليه وسلم فكيف يخطي ابن عباس اصحاب الرسول في مثل هذا قلت قد ذكرنا من حديث ابي ايوب ان الاستيناس انما يكون قبل السلام وتكون الاية على بابها لا تقديم فيها ولا تاخير وانه اذا دخل سلم والله اعلم **الخامسة** السنة في الاستيذان ان يقول الرجل السلام عليكم اادخل فان اذن له دخل وان امره بالرجوع انصرف وان سكت عنه استاذن ثلاثا ثم ينصرف بعد الثالثة وانما قلنا ان السنة في الاستيذان ثلاث مرات لا يزاد عليه لحديث ابي موسى الاشعري الذي استعمله مع عمر بن الخطاب وشهد به لابي موسى ابو سعيد الخدري ثم ابي بن كعب وهو حديث مشهور اخرجه الصحيح وهو نص صريح فان فيه فقال يعني عمر ما منعك ان تاتينا فقلت اتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم يرد احد علي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يوذن له فليرجع واما ذكرناه من صورة الاستيذان فلما رواه ابو داود عن ربعي قال بينا رجل من بني عامر استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت لعله جاء فقال النبي صلى الله عليه

بلا ثم عمد ان لا احب ان يزيد احد علينا الا من يعلم فلا ادري بانا ان نزداد الاستيذان ام الهم يستمعون الاستيذان ان

وسلم لخادمه اخرج الي هذا فعلمه الاستيذان فقال له قل السلام عليكم ادخل فسمعه الرجل فقال
السلام ادخل فاذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل وذكره الطبري وقال فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لامة له يقال لها روضة قولي لهذا يقول السلام عليكم اادخل الحديث وروي عن ابن عمر اذته
الرمضا يوما فاتي فسطاط امراة من قريش فقال السلام عليكم اادخل فقالت المراة ادخل بسلام
فاعاد فاعادت فقال لها قولي ادخل فقالت المراة ذلك ادخل بسلام فتوقف لما قالت بسلام لا
حتمال اللفظ ان يريد بسلامك لا بشخصك **السادسة** قال علماؤنا رحمهم الله انما خص الاستيذان
ثلاث لان الغالب من الكلام اذا كرر ثلاثا سمع وفهم ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثا حتي يفهم عنه واذا سلم علي قوم سلم عليهم ثلاثا واذا كان الغالب هذا فاذا
لم يؤذن له بعد ثلاث ظهر ان رب المنزل لا يريد الاذن او لعله يمنعه من الجواب عذر لا يمكنه
قطعه فينبغي للمستاذن ان ينصرف لان الزيادة علي ذلك قد يقلق رب المنزل وربما يضره الا
لحاح حتي ينقطع عما كان مشغولا به كما قال عليه السلام لابي ايوب حين استاذن النبي فخرج
مستعجلا فقال لعلنا اعجلناك الحديث وروي عقيل عن ابن شهاب قال انما سنت التسليمات
الثلاث لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي سعد بن عبادة فقال السلام عليكم فلم يردوا ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردوا ثم قال السلام عليكم فلم يردوا فانصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما فقد سعد تسليمه علم انه قد انصرف فخرج سعد في اثره حتي ادركه فقال وعليك السلام
يا رسول الله انما اردنا ان نستكثر من تسليمك وقد والله سمعنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع سعد حتي دخل بيته قال ابن شهاب فانما اخذ التسليم ثلاثا من قبل ذلك ورواه الوليد بن مسلم عن الاوزاعي
قال سمعت يحيي بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن سعد بن زرارة قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله قال فرد سعد ردا خفيا قال قيس فقلت الا تاذن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ذره يكثر علينا من السلام الحديث اخرجه ابو داود وليس فيه قال ابن شهاب
فانما اخذ التسليم ثلاثا من قبل ذلك قال ابو داود ورواه عمر بن عبد الواحد وابن سماعة عن الاوزاعي
مرسلا لم يذكرا قيس بن سعد **السابعة** روي عن ابن عباس ان الاستيذان ترك العمل به الناس قال
علماؤنا رحمة الله عليهم وذلك لاتخاذ الناس الابواب وقرعها والله اعلم روي ابو داود عن عبد الله بن
بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من
ركنه الايمن او الايسر فيقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور
الثامنة فان كان الباب مردودا فله ان يقف حيث شاء منه ويستاذن وان شاء دق الباب
لما رواه ابو موسي الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حائط بالمدينة علي قف بير فمد رجليه
في البير فدق الباب ابو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له وبشره بالجنة وكذا رواه عبد
الرحمن بن ابي الزناد وتابعه صالح بن كيسان ويونس بن يزيد فرووه جميعا عن الزناد عن ابي سلمة عن
ابي موسي وخالفهم محمد بن عمرو بن الليثي فرواه عن ابي الزناد عن ابي سلمة عن نافع بن عبد الحارث عن النبي
صلى الله عليه وسلم كذلك واسناد الاول اصح والله اعلم **التاسعة** وصفة الدق ان يقول خفيفا بحيث
يسمع ولا يعنف في ذلك فقد روي انس بن مالك قال كانت ابواب النبي صلى الله عليه وسلم يقرع
بالاظافير ذكره ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب في جامعه **العاشرة** روي الصحيحان وغيرهما عن
جابر بن عبد الله قال استاذنت علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انا انا كانه كره ذلك قال علماؤنا انما كره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان قوله انا لا يحصل
به تعريف وانما الحكم في ذلك ان يذكر اسمه كما فعل عمر بن الخطاب رض وابو موسي لان في ذكر الاسم اسقاط
كلفة السؤال والجواب ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة
له فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم ايدخل عمر وفي صحيح مسلم ان ابا موسي جاء الي عمر بن
الخطاب فقال السلام عليكم هذا ابو موسي السلام عليكم هذا الاشعري الحديث **الحادية عشرة**
ذكر الخطيب في جامعه عن علي بن عاصم الواسطي قال قدمت البصرة فاتيت منزل شعبة فدققت عليه الباب
فقال من هذا فقلت انا فقال يا هذا ما لي صديق يقال له انا ثم خرج الي فقال حدثني محمد بن المنكدر

عن جابر بن عبد الله قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لي فدققت عليه الباب فقال من هذا فقلت
انا فقال انا انا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره قولي هذا او قوله هذا وذكر عن عمر بن ابي شيبة حدثنا
محمد بن سلام عن ابيه قال دققت علي عمرو بن عبيد الباب فقال لي من هذا فقلت انا فقال لا يعلم الغيب الا
الله قال الخطيب سمعت علي بن الحسين القاضي يحكي عن بعض الشيوخ انه اذا كان دق الباب عليه فقال
من هذا فقال الذي علي الباب انا فيقول الشيخ انا هم دق **الثانية عشرة** ثم لكل قوم في الاستيذان
عرفهم في العبارة كما رواه ابو بكر الخطيب مسندا عن ابي عبد الملك مولى ام مسكين بنت عاصم بن عمر
بن الخطاب قال ارسلتني مولاتي الي ابي هريرة فجاء معي فلما قام بالباب قال اندراي قالت اندرون
وذكر عن احمد بن صالح كان الدراوردي من اهل اصبهان فنزل المدينة فكان يقول للرجل اذا اراد ان
يدخل اندرون فلقبه اهل المدينة الدراوردي **الثالثة عشرة** روي ابو داود عن كلدة بن حنبل
ان صفوان بن امية بعثه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن وجداية وضغابيس والنبي صلى الله عليه
وسلم باعلا مكة فدخلت ولم اسلم فقال ارجع فقل السلام عليكم وذلك بعدما اسلم صفوان بن امية
وروي ابو الزبير عن جابر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يبدا بالسلام فلا تاذنوا له وذكر ابن
جريج اخبرني عطا قال سمعت ابا هريرة يقول اذا قال الرجل ادخل ولم يسلم فقل لا حتي ياتي فقلت السلام
عليكم قال نعم وروي ان حذيفة جاءه رجل فنظر الي ما في البيت فقال السلام عليكم اادخل فقال
حذيفة اما بعينك فقد دخلت واما باستك فلم تدخل **الرابعة عشرة** ومما يدخل في هذا الباب ما رواه
ابو داود عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الي الرجل اذنه اي اذا ارسل اليه فقد
اذن له في الدخول يبينه قوله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن
اخرجه ابو داود عن ابي هريرة **الخامسة عشرة** فان وقعت العين علي العين فالسلام قد تعين ولا
تعد رويته اذنا لك في الدخول فاذا قضيت حق السلام لانك الوارد عليه تقول ادخل فان اذن
لك والا رجعت **السادسة عشرة** هذه الاحكام كلها انما هي في بيت ليس لك فاما بيتك
الذي تسكنه فان كان فيه اهلك فلا اذن عليها الا انك تسلم اذا دخلت قال قتادة اذا دخلت
بيتك فسلم علي اهلك فهم احق من سلمت عليهم فان كان فيه معك امك او اختك فقالوا تنحنح واضرب
برجلك حتي ينتبها لدخولك لان الاهل لا حشمة بينك وبينها واما الاخت والام فقد يكونا علي
حالة لا تحب ان تراهما فيها قال ابن القاسم قال مالك ويستاذن الرجل علي امه واخته اذا اراد ان يد
خل وقد روي عطا بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن علي امي قال نعم قال اني
اخدمها قال استاذن عليها فعاوده ثلاثا قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن عليها
ذكره الطبري **السابعة عشرة** فان دخل بيت نفسه وليس فيه احد فقال علماؤنا يقول السلام علينا
من ربنا التحيات الطيبات المباركات لله السلام رواه ابن وهب عن النبي صلى الله عليه وسلم وسنده
ضعيف وقال قتادة اذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين
فانه يومر بذلك قال وذكر لنا ان الملائكة ترد عليهم قال ابن العربي والصحيح ترك السلام والاستيذان
والله اعلم قلت قول قتادة حسن قوله تعالى **فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها** فيه اربع مسايل
الاولي قوله تعالى فان لم تجدوا الضمير في تجدوا للبيوت التي هي بيوت الغير وحكي الطبري عن مجاهد
انه قال معني قوله فان لم تجدوا فيها احدا اي لم يكن فيها متاع وضعف الطبري هذا التاويل وكذلك هو
في غاية الضعف وكان مجاهد اراد ان البيوت غير المسكونة انما تدخل دون اذن اذا كان للداخل فيها
متاع وراي لفظة المتاع متاع البيت الذي هو البسط والثياب وهذا كله ضعيف والصحيح ان هذه
الاية مرتبطة بقوله بما قبلها والاحاديث التقدير يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي
تستانسوا وتسلموا علي اهلها فان اذن لكم فادخلوا والا فارجعوا كما فعل عليه الصلاة والسلام مع سعد
وابي موسي مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها حتي تجدوا اذنا
واسند الطبري عن قتادة قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الاية فما ادركتها ان
استاذن علي بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانا مغتبط بقوله تعالى هو ازكى لكم **الثانية** سواء كان
هذا الباب مفتوحا او مغلوقا لان الشرع قد اغلقه بالتحريم للدخول حتي يفتحه الاذن من ربه بل يجب

عليه ان ياتي الباب ويحاول الاذن على صفة لا يطلع منه على البيت لا في اقباله ولا في انقلابه فقد علماونا
عن عمر بن الخطاب رض انه قال من ملاء عينيه من قاعة بيت فقد فسق وروي في الصحيح عن سهل بن سعد
ان رجلا اطلع من جحر في باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله مدرى يحك به راسه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو اعلم انك تنظر لطعنت به في عينيك انما جعل الله الاذن من اجل البصر وروي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا اطلع عليك بغير اذن فخذفته بحصاة ففقات
عينه ما كان عليك من جناح **الثالثة** اذا ثبت ان الاذن شرط في دخول المنزل فانه يجوز من الصغير
والكبير وقد كان انس بن مالك يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة مع ابنايهم
وغلمانهم رض وسياتي لهذا مزيد بيان في اخر السورة ان شاء الله تعالى **الرابعة** قوله تعالى **والله
بما تعملون عليم** توعد لاهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة للمعاصي والنظر الى ما
لا يحل لغيرهم ممن يقع في محظور قوله تعالى **ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع
لكم** فيه مسائل **الاولى** روي ان بعض الناس لما نزلت اية الاستيذان تعمق في الامر فكان لا ياتي
موضعا خربا ولا مسكونا الا سلم واستاذن فنزلت هذه الاية اباح الله فيها رفع الاستيذان في
كل بيت لا يسكنه احد لان العلة اي الاستيذان انما هي لاجل خوف الكشفة على الحرمات فاذا زالت
العلة زال الحكم **الثانية** اختلف العلماء في المراد بهذه البيوت فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد
هي الفنادق التي في طرق السابلة قال مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفة لياوي اليها كل ابن سبيل
وفيها متاع لهم اي استمتاع وعن محمد بن الحنفية ايضا ان المراد بها دور مكة ويبينه قول مالك
وهذا على القول بانها غير متملكة وان الناس شركاء فيها وان مكة اخذت عنوة وقال ابن زيد والشعبي
هي حوانيت القيساريات قال الشعبي لانهم جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلم وقال عطاء المراد
بها الخرب التي يدخلها الانسان للبول والغائط ففي هذا ايضا متاع وقال جابر بن زيد ليس يعني
بالمتاع الجهاز ولكنه ما سواه من الحاجة اما منزل ينزله قوم من ليل او نهار او خربة يدخلها لقضاء
الحاجة او دار ينظر اليها فهذا متاع وكل منافع الدنيا متاع قال ابو جعفر النحاس وهذا شرح
حسن من قول امام من ايمة المسلمين وهو موافق للغة والمتاع في كلام العرب المنفعة ومنه
امتع الله بك ومنه فمتعوهن قلت واختاره ايضا القاضي ابو بكر ابن العربي وقال اما من فسر المتاع
بانه جميع الانتفاع فقد طبق المفصل وجاء بالفيصل بين ان الداخل فيها انما هو لما له من الانتفاع
فالطالب يدخل في الخانقاة وهي المدارس لطلب العلم والساكن يدخل الخانات وهي الفنادق اي الفنادق
والزبون يدخل الدكان للابتياع والحاقن يدخل الخلاء للحاجة وكل يوتى على وجهه من بابه واما قول
ابن زيد فقول الشعبي وذلك ان بيوت القيساريات محظورة باموال الناس غير مباحة لكل من اراد دخولها
باجماع ولا يدخلها الا من اذن له ربها بل اربابها موكلون بدفع الناس قوله تعالى **قل للمومنين
يغضوا من ابصارهم الى قوله يصنعون** فيه سبع مسائل **الاولى** قوله تعالى قل للمومنين يغضوا من
ابصارهم وصل تعالى بذكر الستر ما يتعلق بالنظر يقال غض بصره يغضه غضا قال الشاعر

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال عنترة

واغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي ماواها

ولم يذكر تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج غير ان ذلك معلوم بالعادة وان المراد منه المحرم
دون المحلل وفي البخاري وقال سعيد بن ابي الحسن للحسين ان نساء العجم يكشفن صدورهن ورؤسهن
قال اصرف بصرك يقول الله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال قتادة
عما لا يحل لهم وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن خائنة الاعين النظر الى ما نهي عنه
الثانية قوله تعالى من ابصارهم من زائدة كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين وقيل من للتبعيض
لان من النظر ما يباح وقيل الغض النقصان يقال غض فلان من فلان اي وضع منه فالبصر
اذا لم يمكن من عمله فهو موضوع عنه ومنقوص فمن صلة الغض وليست للتبعيض ولا للزيادة
الثالثة البصر هو الباب الاكبر الى القلب واعمر طرق الحواس اليه وبحسب ذلك كثر السقوط من
جهته ووجب التحذير منه وغضه واجب عن جميع المحرمات وكلما يخشى الفتنة من اجله وقال صلى الله

عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال فاذا ابيتم
الا المجالس فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى ورد
السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه ابو سعيد الخدري خرجه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه
وسلم لعلي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الثانية وروى الاوزاعي قال حدثني
هارون بن رئاب ان غزوان وابا موسى الاشعري كانا في بعض مغازيهم فكشفت جارية فنظر اليها غزوان
فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت فقال انك للحاظة الى ما يضرك ولا ينفعك فلقي ابا موسى فساله فقال
ظلمت عينك فاستغفر الله وتب ان لها اول نظرة وعليها ما كان بعد ذلك وقال الاوزاعي وكان غزوان
ملك نفسه فلم يضحك حتى مات وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن نظرة الفجاءة فامرني ان اصرف بصري وهذا يقوي قول من يقول ان من للتبعيض لان النظرة
الاولى لا تملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف اذ وقوعها لا يتاتى ان يكون مقصودا فلا تكون مكتسبة
فلا يكون مكلفا بها فوجب التبعيض لذلك ولم يقل ذلك في الفروج لانها تملك ولقد كره الشعبي ان يديم الرجل
النظر الى ابنته وامه واخته وزمانه خير من زماننا هذا وحرام على الرجل ان ينظر الى ذات محرمه نظرة
شهوة يرددها **الرابعة** قوله تعالى ويحفظوا فروجهم اي يستروها عن ان يراها من لا يحل له وقيل
ويحفظوا فروجهم اي عن الزنا ولو قال من فروجهم لجاز والصحيح ان الجميع مراد واللفظ عام وروى بهز بن حكيم
بن معاوية القشيري عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما ناتي منها وما نذر قال احفظ
عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك قال الرجل يكون مع الرجل قال ان استطعت ان لا يراها
فافعل قلت فالرجل يكون خاليا قال فالله احق ان يستحيى منه من الناس وقد ذكرت عائشة رضي الله عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالها معه فقالت ما رايت ذلك منه ولا راى ذلك مني **الخامسة** بهذه
الاية حرم العلماء نصا دخول الحمام بغير مئزر وروي عن ابن عمر انه قال اطيب ما انفق الرجل درهم يعطيه للحمام
في خلوة وصح عن ابن عباس انه دخل الحمام وهو محرم بالجحفة فدخوله جائز للرجال بالمآزر وكذلك النساء
للضرورة كغسلهن من الحيض او النفاس او مرض يلحقهن والاولى بهن والافضل لهن غسلهن في بيوتهن
ان امكن ذلك فقد روى احمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان عن سهل بن
معاذ عن ابيه عن ام الدرداء انه سمعها تقول لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرجت من الحمام فقال
من اين يا ام الدرداء فقلت من الحمام فقال والذي نفسي بيده ما من امراة تضع ثيابها في غير
بيت احد من امهاتها الا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن عز وجل وخرج ابو بكر البزار عن طاوس عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله ينقي الوسخ
قال فاستتروا قال ابو محمد عبد الحق هذا اصح اسناد حديث في هذا الباب على ان الناس يرسلونه
عن طاوس واما ما خرجه ابو داود في هذا من الحظر والاباحة فلا يصح منه شيء لضعف الاسانيد وكذلك
ما خرجه الترمذي قلت اما دخول الحمام في هذا الزمان فحرام على اهل الفضل والدين لغلبة الجهل على الناس
واستسهالهم اذا توسطوا الحمام رموا مآزرهم حتى يرى الرجل البهي ذو الشيبة قائما منتصبا وسط الحمام
وخارجه باديا عن عورته ضاما بين فخذيه ولا احد يغير عليه هذا امر الرجال فكيف بالنساء لا سيما
بالديار المصرية اذ حماماتهم خالية عن المظاهر التي هي عن اعين الناس سواتر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم **السادسة** قال العلماء فان استتر فليدخل بعشرة شروط الاول ان لا يدخل الا بنية التداوي
او بنية التطهر عن الحيض او النفاس او الجنابة الثاني ان يعتمد اوقات الخلوة او قلة الناس الثالث ان يستر
عورته بازار صفيق الرابع ان يكون نظره الى الارض او يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور الخامس ان
يغير ما يرى من منكر برفق يقول استتر سترك الله السادس ان دلكه احد لا يمكنه من عورته من سرته
الى ركبته الا امراته او جاريته وقد اختلف في الفخذين هل هما عورة ام لا السابع ان يدخله باجرة
معلومة بشرط او بعادة الناس الثامن ان يصب الماء على قدر الحاجة التاسع ان لم يقدر على دخوله وحده
اتفق مع قوم يحفظون اديانهم على كرائه العاشر ان يتذكر به جهنم فان لم يمكنه ذلك كله فليستتر
وليجتهد في غض البصر ذكر الترمذي ابو عبد الله في نوادر الاصول من حديث طاوس عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام قيل يا رسول الله انه يذهب الوسخ

ويذكر النار فقال ان كنتم لابد فاعلين فادخلوه مستترين وخرج من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام وذلك انه اذا دخله سال الله الجنة واستعاذ به من النار وبئس البيت يدخله الرجل بيت العروس وذلك لانه يرغبه في الدنيا وينسيه الاخرة قال ابو عبد الله فهذا لاهل الغفلة صير الله الدنيا بما فيها سببا للذكر لاهل الغفلة ليذكروا بها اخرتهم فاما اهل اليقين فقد صارت الاخرة نصب اعينهم فلا بيت حمام يزعجه ولا بيت عروس يستفزه لقد دقت الدنيا بما فيها من الصنفين والضربين في جنب الاخرة حتى ان جميع نعم الدنيا في اعينهم كنثارة من مايدة عظيمة وجميع شدائد الدنيا في اعينهم كتفلة عوقب بها مجرم او مسيء قد كان استوجب القتل من جميع عقوبات اهل الدنيا **السابعة** قوله تعالى ذلك ازكى لهم اي غض البصر وحفظ الفرج ازكى واطهر في الدين وابعد من دنس الانام ان الله خبير اي عالم بما يصنعون تهديد ووعيد قوله تعالى **قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن الى قوله زينتهن** فيه ثلاث وعشرون مسالة **الاولى** قوله تعالى قل للمؤمنات خص الله تعالى هنا الاناث بالخطاب على طريق التاكيد فان قوله قل للمؤمنين يكفي لانه قول عام يتناول الذكر والانثى من المؤمنين حسب كل خطاب عام في القران واظهر التضعيف في يغضضن ولم يظهر في يغضوا لان لام الفعل من الثاني ساكنة ومن الاول متحركة وهما في موضع جزم جوابا وبدا بالغض قبل الفرج لان البصر رايد للقلب كما ان الحمى رايد الموت واخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال

الم تر ان العين للقلب رايد ... فما تالف العينان فالقلب آلف

وفي الخبر النظر سهم من سهام ابليس مسموم فمن غض بصره اورثه الله الحلاوة في قلبه وقال مجاهد اذا اقبلت المراة جلس الشيطان على راسها فزينها لمن ينظر واذا ادبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر وقال خالد بن ابي عمران لا تتبع النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة نغل بها قلبه كما ينغل الاديم فلا ينتفع به فامر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات بغض الابصار عما لا يحل فلا يحل للرجل ان ينظر الى المراة ولا المراة الى الرجل فان علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر الحديث وقال الزهري في النظر الى التي لم تحض من النسا لا يصلح النظر الى شي منهن ممن يشتهى النظر اليهن وان كانت صغيرة وكره عطا النظر الى الجواري التي يبعن بمكة الا ان يريد ان يشتري وفي الصحيح عنه عليه السلام انه صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سالته وطفق الفضل ينظر اليها وقال عليه السلام الغيرة من الايمان والمذاء من النفاق والمذاء هو ان يجمع الرجل بين الرجال والنساء ثم يخليهم يماذي بعضهم بعضا ماخوذ من المذي وقيل هو ارسال الرجال الى النساء ماخوذ من قولهم مذيت الفرس اذا ارسلتها ترعى وكل ذكر يمذي وكل انثى تقذي فلا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تبدي زينتها الا لمن تحل له او لمن هي محرمة عليه على التابيد فهو امن ان يتحرك بطبعه اليها لوقوع الياس له منها **الثانية** روى الترمذي عن نبهان مولى ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ولميمونة وقد دخل عليهما ابن ام مكتوم احتجبا فقالتا انه اعمى قال افعميا وان انتما الستما تبصرانه فان قيل هذا الحديث لا يصح عند اهل النقل لان راويه عن ام سلمة نبهان مولاها وهو ممن لا يحتج بحديثه وعلى تقدير صحته فان ذلك منه تغليظ على ازواجه لحرمتهن كما غلظ عليهن امر الحجاب كما اشار اليه ابو داود وغيره من الايمة ويبقى معنى الحديث الصحيح الثابت وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم امر فاطمة بنت قيس ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امراة يغشاها اصحابي اعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك ولا يراك قلنا قد استدل بعض العلما بهذا الحديث على ان المراة يجوز لها ان تطلع من الرجل ما لا يجوز للرجل ان يطلع على المراة كالراس ومعلق القرط واما العورة فلا فعلى هذا يكون مخصصا بعموم قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن وتكون من للتبعيض كما في الاية قبلها قال ابن العربي انما امرها بالانتقال من بيت ام شريك الى بيت ابن ام مكتوم لان ذلك اولى بها من بقائها في بيت ام شريك اذ كانت ام شريك موسرة بكثرة الداخل اليها فيكثر الراي لها وفي بيت ابن ام مكتوم لا يراها احد فكان

به امساك بصرها عنه واقرب من ذلك واولى فرخص لها في ذلك والله اعلم **الثالثة** امر الله تعالى بان لا يبدين زينتهن للناظر الا ما استثناه من الناظرين في باقي الاية حذارا من الافتتان ثم استثنى ما يظهر من الزينة واختلف الناس في قدر ذلك فقال ابن مسعود ظاهر الزينة هو الثياب وزاد ابن جبير الوجه وقال سعيد بن جبير ايضا وعطا والاوزاعي الوجه والكفان والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة ظاهر الزينة هو الكحل والخضاب والسوار الى نصف السا والقرطة والفتخة ونحو هذا فمباح ان تبديه المراة لكل من دخل عليها من الناس وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر اخر عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر اذا عركت ان تظهر الا وجهها ويديها الى ها هنا وقبض على نصف الذراع قال ابن عطية ويظهر لي بحكم الفاظ الاية ان المراة مامورة بان لا تبدي وان تجتهد في الاخفا لكل ما هو زينة ووقع الاستثنا فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه او اصلاح شان ونحو ذلك فما ظهر على هذا الوجه مما يودي اليه الضرورة في النسا فهو المعفو عنه قلت هذا قول حسن الا انه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج فيصلح ان يكون الاستثنا راجعا اليهما يدل على ذلك ما رواه ابو داود عن عايشة ان اسما بنت ابي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا اسما ان المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها هذا الا هذا واشار الى وجهه وكفيه فهذا اقوى في جانب الاحتياط ولمراعاة فساد الناس فلا تبدي المراة من زينتها الا ما ظهر من وجهها وكفيها والله الموفق لا رب غيره وقد قال ابن خواز منداد من اصحابنا ان المراة اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك وان كانت عجوزا او مقبحة جاز ان تكشف وجهها وكفيها **الرابعة** الزينة على قسمين خلقية ومكتسبة فالخلقية وجهها فانه اصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية لما فيه من المنافع وطرق العلوم واما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المراة في تحسين خلقها كالثياب والحلي والكحل والخضاب ومنه قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد ومنه قول الشاعر

ياخذن زينتهن احسن ما ترى ... واذا عطلن فهن خير عواطل

الخامسة من الزينة ظاهر وباطن فما ظهر فمباح ابدا لكل الناس من المحارم والاجانب وقد ذكرنا ما للعلما فيه واما ما بطن فلا يحل ابداوه الا لمن سماهم الله تعالى في هذه الاية او حل محلهم واختلف في السوار فقالت عايشة هو من الزينة الظاهرة لانها في اليدين وقال مجاهد هو من الزينة الباطنة لانه خارج من الكفين وانما يكون في الذراع وقال ابن العربي واما الخضاب فهو من الزينة الباطنة اذا كان في القدمين **السادسة** قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن قرا الجمهور بسكون اللام التي هي للامر وقرا ابو عمرو في رواية ابن عباس بكسرها على الاصل لان اصل لام الامر الكسر وحذفت الكسرة لثقلها وانما تسكينها كتسكين عضد وفخذ ويضربن في موضع جزم بالامر الا انه بني على حالة واحدة اتباعا للماضي عند سيبويه وسبب هذه الاية ان النسا كن في ذلك الزمان اذا غطين روسهن بالاخمرة وهي المقانع سدلنها من وراء الظهر قال النقاش كما يصنع النبط فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر على ذلك فامر الله تعالى بلي الخمار على الجيوب وهيئة ذلك ان تضرب المراة خمارها على جيبها لتستر صدرها روى البخاري عن عايشة رضي الله عنها انها قالت رحم الله نساء المهاجرين الاول لما نزلت وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن ازرهن فاختمرن بها ودخلت على عايشة حفصة بنت اخيها عبد الرحمن وقد اختمرت بشي يشف عن عنقها وما هنالك فشقته عليها وقالت انما يضرب بالكثيف الذي يستر **السابعة** الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به راسها ومنه اختمرت المراة وتخمرت وهي حسنة الخمرة والجيوب جمع الجيب وهو موضع القطع من الدرع والقميص وهو من الجوب وهو القطع ومشهور القراة ضم الجيم من جيوبهن وقرا بعض الكوفيين بكسرها بسبب اليا لقراتهم ذلك في بيوت وشيوخ والنحويون القدما لا يجيزون هذه القراة ويقولون بيت وبيوت كفلس وفلوس قال الزجاج يجوز ان تبدل من الضمة كسرة فاما ما روي عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر فمحال لا يقدر احد ان ينطق به الا على الايماء الى ما لا يجوز قال مقاتل على جيوبهن اي على صدورهن يعني على مواضع جيوبهن **الثامنة** في هذه الاية دليل على ان الجيب انما يكون في الثوب موضع الصدر وكذلك كانت الجيوب في ثياب

السلف رضوان الله عليهم على ما تصنعه النساء عندنا بالاندلس واهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم
وقد ترجم البخاري رحمه الله باب جيب القميص من عند الصدر وغيره وساق الحديث لابي هريرة
قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد وقد اضطرت
ايديهما الى تراقيهما الحديث وقد تقدم بكماله وفيه قال ابو هريرة فانا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
باصبعيه هكذا في جيبه فلو رايته يوسعها ولا تتوسع لك فهذا يبين لك ان جيبه عليه السلام كان في صدره
لانه لو كان في منكبيه لم تكن يداه مضطرة الى ثدييه وتراقيه وهذا استدلال حسن **التاسعة** قوله تعالى
الا لبعولتهن البعل هو الزوج والسيد في كلام العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه
السلام اذا ولدت الامة بعلها يعني سيدها اشارة الى كثرة السراري بكثرة الفتوحات فيأتي الاولاد
من الاماء فتعتق كل ام بولدها وكانه سيدها الذي من عليها بالعتق اذ كان العتق حاصلا لها من سببه قاله
ابن العربي قلت ومنه قوله عليه السلام في مارية اعتقها ولدها فنسب العتق اليه وهذا من احسن
تاويلات هذا الحديث والله اعلم مسالة الزوج والسيد يرى الزينة من المراة واكثر من الزينة اذ كل
محل من بدنها حلال له لذة ونظرا ولهذا المعنى بدا بالبعولة لان اطلاعهم يقع على اعظم من هذا قال
الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين **العاشرة**
اختلف الناس في جواز نظر الرجل الى فرج المراة على قولين احدهما يجوز لانه اذا جاز التلذذ به فالنظر
اولى وقيل لا يجوز لقول عائشة رضي الله عنها في ذكر حالها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت
ذلك منه ولا راى ذلك مني والاول اصح وهذا محمول على الادب قاله ابن العربي وقال اصبغ من علمائنا
يجوز له ان يلحسه بلسانه وقال ابن خويز منداد اما الزوج والسيد فيجوز له النظر الى سائر الجسد وظاهر
الفرج دون باطنه وكذلك المراة يجوز ان تنظر الى عورة زوجها قلت وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال النظر الى الفرج يورث الطمس اي العمى اي في الدنيا للناظر وقيل ان الولد بينهما يولد اعمى فالله اعلم
الحادية عشرة لما ذكر الله تعالى الازواج وبدا بهم ثنى بذوي المحارم وسوى بينهم في ابداء الزينة ولكن
تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر فلا مرية ان كشف الاب والاخ على المراة احوط من كشف ولد
زوجها وتختلف مراتب ما يبدى لهم فيبدى للاب ما لا يجوز ابداؤه لولد الزوج وقد ذكر القاضي اسمعيل
عن الحسن والحسين رضوان الله عليهما انهما كانا لا يريان امهات المومنين وقال ابن عباس ان رؤيتهما لهن تحل
قال اسمعيل احسب ان الحسن والحسين ذهبا في ذلك الى ان ابناء البعولة لم يذكروا في الاية التي في ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم وهي قوله لا جناح عليهن في ابائهن وقال في سورة النور ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
فذهب ابن عباس الى هذه الاية وذهب الحسن والحسين الى الاية الاخرى **الثانية عشرة** قوله تعالى او ابناء
بعولتهن يريد ذكور اولاد الزوج ويدخل فيه اولاد الاولاد وان سفلوا ذكرانا كانوا او اناثا كبني البنين
وبني البنات وكذلك اباء البعولة والاجداد وان علوا من جهة الذكران لاباء الاباء واباء الامهات
وكذلك ابناؤهن وان سفلوا وكذلك ابناء البنات وان سفلن وكذلك ابناء البعولة وان سفلوا فيستوي
فيه اولاد البنين واولاد البنات وكذلك اخواتهن وهم من ولده الاباء والامهات او احد الصنفين وكذلك
بنو الاخوة وبنو الاخوات وان سفلوا من ذكر كانوا او اناث كبني بني الاخوات وبني بنات الاخوات
وهذا كله في معنى ما حرم من المناكح فان ذلك على المعاني في الولادات وهؤلاء محارم وقد تقدم
في النساء والجمهور على ان العم والخال كسائر المحارم في جواز النظر لهما الى ما لا يجوز لهم وليس في الاية
ذكر الرضاع وهو كالنسب على ما تقدم وعند الشعبي وعكرمة ليس العم والخال من المحارم وقال عكرمة لم يذكرهما
في الاية لانهما تبعان لابنائهما **الثالثة عشرة** قوله تعالى او نسائهن يعني المسلمات ويدخل في هذا
الاماء المومنات ويخرج منه نساء المشركين من اهل الذمة وغيرهم فلا يحل لامراة مؤمنة ان تكشف
شيئا من بدنها بين يدي امراة مشركة الا ان تكون امة لها فذلك قوله تعالى او ما ملكت ايمانهن وكان
ابن جريج وعبادة بن نسي وهشام القاري يكرهون ان تقبل النصرانية المسلمة او ترى عورتها ويتاولون
او نسائهن وقال عبادة بن نسي وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة بن الجراح انه بلغني
ان نساء اهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وحل دونه فانه لا يجوز ان ترى
الذمية عرية المسلمة قال فعند ذلك قام ابو عبيدة وابتهل وقال ايما امراة تدخل الحمام من غير عذر

لا تريد الا ان تبيض وجهها سود الله وجهها يوم تبيض الوجوه وقال ابن عباس لا يحل للمسلمة ان تراها يهودية
ولا نصرانية لئلا تصفها لزوجها وفي هذه المسالة خلاف للفقهاء فان كانت الكافرة امة للمسلمة جاز ان تنظر
الى سيدتها واما غيرها فلا لانقطاع الولاية بين اهل الاسلام واهل الكفر ولما ذكرناه والله اعلم **الرابعة
عشرة** قوله تعالى او ما ملكت ايمانهن ظاهر الاية يشمل العبيد والاماء المسلمات والكتابيات وهو قول
جماعة من اهل العلم وهو الظاهر من مذهب عائشة وام سلمة رضي الله عنهما وقال ابن عباس لا باس ان ينظر
المملوك الى شعر مولاته وقال اشهب سئل مالك اتلقي المراة خمارها بين يدي الخصي قال نعم اذا كان مملوكا
لها او لغيرها واما الحر فلا وان كان فحلا كبيرا وغدا تملكه لا هيئة له ولا منظر فلينظر الى شعرها
قال اشهب قال مالك ليس بواسع ان تدخل جارية الولد او الزوجة على الرجل المرحاض قال الله تعالى او ما
ملكت ايمانكم وقال اشهب عن مالك ينظر الغلام الوغد الى شعر سيدته ولا احب لغلام الزوج وقال
سعيد بن المسيب لا تغرنكم هذه الاية او ما ملكت ايمانهن انما عني به الاماء ولم يعن به العبيد وكان الشعبي
يكره ان ينظر العبد المملوك الى مولاته وهو قول عطا ومجاهد روى ابو داود عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا غطت راسها لم يبلغ الى رجليها واذا
غطت به رجليها لم يبلغ الى راسها فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى من ذلك قال انه لا باس عليك
انما هو ابوك وغلامك **الخامسة عشرة** قوله تعالى او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي غير اولي
الحاجة والاربة الحاجة اربت الى كذا ارب اربا والارب والاربة والمأربة والارب الحاجة والجمع مآرب
اي حوائج ومنه قوله تعالى ولي فيها مآرب اخرى وقد تقدم وقال طرفة

اذا المرء قال الجوب والجهل والخنى تقدم يوما ثم ضاعت مآربه

واختلف الناس في قوله او التابعين غير اولي الاربة فقيل هو الاحمق الذي لا حاجة به الى النساء وقيل الابله
وقيل الرجل يتبع القوم فياكل معهم ويرتفق بهم وهو ضعيف لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن وقيل
العنين وقيل الخصي وقيل المخنث وقيل الشيخ الكبير والصبي الذي لم يدرك وهذا الاختلاف كله متقارب
المعنى ويجتمع فيمن لا فهم له ولا همة ينتبه بها الى امر النساء وبهذه الصفة كان هيت المخنث عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع منه ما سمع من وصف محاسن المراة بادية ابنة غيلان امر بالاحتجاب
منه اخرج حديثه مسلم وابو داود ومالك في الموطا وغيرهم عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة
قال ابو عمر ذكر عبد الملك بن حبيب عن حبيب كاتب مالك قال قلت لمالك ان سفيان زاد في حديث
ابنة غيلان ان مخنثا يقال له هيت وليس في كتابك هيت فقال مالك صدق هو كذلك وغربه النبي
صلى الله عليه وسلم الى الحمى وهو موضع بذي الحليفة ذات الشمال من مسجدها قال حبيب وقلت لمالك
وقال سفيان في الحديث اذا قعدت تبنت واذا تكلمت تغنت قال مالك صدق هو كذلك قال ابو عمر
ما ذكره ابن حبيب كاتب مالك عن سفيان انه قال في الحديث يعني حديث هشام بن عروة ان مخنثا يدعى
هيتا وانما ذكره عن ابن جريج بعد تمام الحديث وكذلك قوله عن سفيان انه يقول في الحديث اذا قعدت
تبنت واذا تكلمت تغنت هذا لم يقله سفيان ولا غيره في حديث هشام بن عروة وهذا اللفظ لا يوجد
الا من رواية الواقدي والعجب انه يحكيه عن سفيان ويحكي عن مالك انه كذلك فصارت رواية
عن مالك ولم يروه عن مالك عن حبيب ولا ذكره عن سفيان غيره ايضا والله اعلم وحبيب كاتب مالك
روايته متروكة ضعيف عند جميعهم لا يكتب حديثه ولا يلتفت الى ما يجي به ذكر الواقدي والكلبي ان
هيتا المخنث قال لامية بن عبد الله المخزومي وهو اخو ام سلمة لابيها وام عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي في بيت اخته ام سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ان فتح الله عليكم الطائف فعليك
ببادية ابنة غيلان بن سلمة الثقفي فانها تقبل باربع وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان ان جلست تبنت
وان تكلمت تغنت بين رجليها كالاناء المكفو وهي كما قال قيس بن الخطيم

تغترق الطرف وهي لاهية كانما شف وجهها نزف
بين شكول النساء خلقتها قصدا فلا جبلة ولا قضف
تنام عن كبر شانها فاذا قامت رويدا تكاد تنقصف

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله ثم اجلاه عن المدينة الى الحمى قال

لما افتتحت الطايف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له منه بريهة في قول الكلبي ولم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي ابو بكر كلم فيه فابى ان يرده فلما ولي عمر كلم فيه فابى ثم كلم فيه عثمان بعد وقيل انه قد كبر وضعف واحتاج فاذن له ان يدخل كل جمعة فيسل ويرجع الى مكانه قال وكان هيت مولى لعبد الله بن امية المخزومي وكان له طويس ايضا فمن ثم قبل الخنث قال ابو عمر يقال بادية بالباء ونادية بالنون والصواب فيه عندهم بالباء وهو قول اكثرهم وكذلك ذكره الزبير بالباء السادسة عشرة ووصف التابعين بغير لان التابعين غير مقصودين باعيانهم فصار اللفظ كالنكرة وغير لا يتمحض نكرة فيجوز ان يجري وصفا على المعرفة وان شئت قلت هو بدل من القول فيها كالقول في غير المغضوب عليهم وقرا عاصم وابن عامر غير بالنصب فيكون استثناء اي يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم ويجوز ان يكون حالا اي والذين يتبعونهن عاجزين عنهن قاله ابو حاتم وذو الحال ما في التابعين من الذكر السابعة عشرة قوله تعالى او الطفل اسم جنس بمعنى الجمع والدليل على ذلك نعته بالذين وفي مصحف حفصة او الاطفال على الجمع ويقال طفل ما لم يراهق الحلم ويظهرون معناه يطلعون بالوطى اي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع لصغرهم وقيل لم يبلغوا ان يطيقوا النساء يقال ظهرت على كذا اي علمته وظهرت على كذا اي قدرت عليه والجمهور على سكون الواو من عورات لاستثقال الحركة على الواو وروي عن ابن عامر فتح الواو مثل جفنة وجفنات وحكى الفرا انها لغة قيس عورات الثامنة عشرة اختلف العلماء في وجوب ستر ما سوى الوجه والكفين منه على قولين احدهما لا يلزم لانه لا تكليف عليه وهو الصحيح والاخر يلزم لانه قد يشتهي وقد تشتهي هي ايضا فان راهق فحكمه حكم البالغ في وجوب الستر ومثله الشيخ الذي سقطت شهوته اختلف فيه ايضا على قولين كما في الصبي والصحيح بقا الحرمة قاله ابن العربي التاسعة عشرة اجمع العلماء على ان السوءتين عورة من الرجل والمراة وان المراة كلها عورة الا وجهها ويديها فانهم اختلفوا فيهما وقال اكثر العلما في الرجل من سرته الى ركبته عورة لا يجوز ان ترى وقد مضى في الاعراف القول في هذا مستوفى الموفية عشرين قال اصحاب الراي عورة المراة مع عبدها من السرة الى الركبة ابن العربي وكانهم ظنوها رجلا او ظنوه امراة والله تعالى قد حرم المراة على الاطلاق بنظر او لذة ثم استثنى اللذة للازواج وملك اليمين ثم استثنى الزينة لاثني عشر شخصا العبد منهم فما لنا ولذلك هذا نظر فاسد واجتهاد عن السداد متباعد وقد تاول بعض الناس قوله او ما ملكت ايمانهن على الاماء دون العبيد منهم سعيد بن المسيب فكيف يحملون على العبيد ثم يلحقون بالنساء هذا بعيد جدا قال ابن العربي وقد قيل ان التقدير او ما ملكت ايمانهن من غير اولي الاربة حكاه المهدوي الحادية والعشرون قوله تعالى ولا يضربن بارجلهن الاية اي لا تضرب المراة برجلها اذا مشت لتسمع صوت خلخالها فاسماع صوت الزينة كابداء الزينة واشد والغرض التستر اسند الطبري عن المعتمر عن ابيه انه قال زعم حضرمي ان امراة اتخذت برتين من فضة واتخذت جزعا فجعلت ذلك في ساقيها فمرت على القوم فضربت برجلها الارض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الاية وسماع هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها قاله الزجاج الثانية والعشرون من فعل ذلك منهن فرحا بالزينة فهو مكروه ومن فعل ذلك تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب بنعله من الرجال ان فعل ذلك تعجبا حرم فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرجا لم يجز الثالثة والعشرون قال مكي رحمه الله ليس في القران اية اكثر ضماير من هذه جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمومنات من مخفوض ومرفوع قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى وتوبوا الى الله امر ولا خلاف عن الامة في وجوب التوبة وانها فرض متعين وقد مضى الكلام فيها في النسا وغيرها فلا فايدة في اعادة ذلك والمعنى وتوبوا الى الله فانكم لا تخلون من سهو وتقصير في اداء حقوق الله ولا تتركوا التوبة في كل حال المسالة الثانية قرا الجمهور ايها بفتح الها وقرا ابن عامر بضمها ووجهه ان تجعل الها من نفس الكلمة فيكون اعراب المنادي فيها وضعف ابو علي هذا جدا وقال اخر الاسم هو اليا الثانية اي فالمضموم ينبغي ان يكون اخر الاسم ولو جاز ضم اليا ضاهى لانتر لها بالكلمة في كلام طويل والصحيح انه اذا ثبت عن النبي

صلى الله عليه وسلم قراءة فليس الا اعتقاد الصحة في اللغة فان القران هو الحجة وانشد الفرا

يا ايه القلب اللجوج النفس ... افق عن البيض الحسان اللعس

اللعس لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك يستملح يقال شفة لعسا وفتية ونسوة لعس وبعضهم يقف ايه وبعضهم يقف ايها بالالف لان علة حذفها في الوصل انما هو سكونها وسكون اللام فاذا كان الوقف ذهبت العلة فرجعت الالف كما ترجع اليا اذا وقفت على محلي من قوله غير محلي وهذا الاختلاف الذي ذكرناه كذلك هو في يا ايه الساحر وايه الثقلان

وانكحوا الايامى منكم فيه سبع مسايل المسالة الاولى هذه المخاطبة تدخل في باب الستر والصلاح اي زوجوا من لا زوج له منكم فانه طريق التعفف والخطاب للاوليا وقيل للازواج والصحيح الاول اذ لو اراد الازواج لقال وانكحوا بغير همز وكانت الالف للوصل وفي هذا دليل على ان المراة ليس لها ان تنكح نفسها بغير ولي وهو قول اكثر العلما وقال ابو حنيفة اذا زوجت الثيب او البكر نفسها بغير ولي كفو لها جاز وقد مضى هذا في البقرة مستوفى الثانية اختلف العلماء في هذا الامر على ثلاثة اقوال فقال علماونا يختلف الحكم في ذلك باختلاف حال المومن من خوف العنت ومن عدم صبره وقوته على الصبر وزوال خشية العنت عنه واذا خاف الهلاك في الدين او الدنيا او فيهما فالنكاح حتم وان لم يخش شيا وكانت الحال مطلقة فقال الشافعي النكاح مباح وقال مالك وابو حنيفة هو مستحب تعلق الشافعي بانه قضا لذة فكان مباحا كالاكل والشرب وتعلق علماونا بالحديث الصحيح من رغب عن سنتي فليس مني الثالثة قوله تعالى الايامى منكم اي الذين لا ازواج لهم من الرجال والنسا واحدهم ايم قال ابو عمرو ايامى مقلوب ايايم واتفق اهل اللغة على ان الايم في الاصل هي المراة التي لا زوج لها بكرا كانت او ثيبا حكى ذلك ابو عمرو والكسايي وغيرهما تقول العرب تايمت المراة اذا قامت لا تتزوج وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعا الخدين تايمت على ولدها الصغار حتى يبلغوا او يغنيهم الله من فضله كهاتين في الجنة وقال الشاعر

فان تنكحي انكح وان تتايمي ... وان كنت افتى منكم اتايم

ويقال ايم بين الايمة وقد امت هي وامت انا قال الشاعر

لقد امت حتى لامني كل صاحب ... رجاء سليمى ان تيم كما امت

قال ابو عبيد يقال رجل ايم وامراة ايم واكثر ما يكون في النسا وهو كالمستعار في الرجال وقال امية ابن ابي الصلت

لله دري على ايم منهم وناكح

وقال قوم هذه الاية ناسخة لحكم قوله والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين وقد بيناه في اول السورة والحمد لله وحده الرابعة المقصود من قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الحراير والاحرار ثم بين حكم المماليك فقال والصالحين من عبادكم وامايكم وقرا الحسن والصالحين من عبيدكم وعبيد اسم للجمع قال الفرا ويجوز وايماكم بالنصب ترده على الصالحين يعني الذكور والاناث والصلاح الايمان وقيل المعنى ينبغي ان تكون الرغبة في تزويج الاماء والعبيد اذا كانوا صالحين اما غير الصالحين فيجوز تزويجهم ولكن لا ترغيب فيه ولا استحباب كما قال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ثم قد يجوز الكتابة وان لم يعلم في العبد خير ولكن الخطاب ورد في الترغيب والاستحباب وانما يستحب كتابة من فيه خير الخامسة اكثر العلماء على ان السيد ان يكره عبده وامته على النكاح وهو قول مالك وابي حنيفة وغيرهما قال مالك ولا يجوز ذلك اذا كان ضررا وروي نحوه عن الشافعي ثم قال ليس للسيد ان يكره العبد على النكاح وقال النخعي كانوا يكرهون المماليك على النكاح ويغلقون عليهم الابواب تمسك اصحاب الشافعي فقالوا العبد مكلف فلا يجبر على النكاح لان التكليف يدل على ان العبد كامل من جهة الادمية وانما تتعلق به المملوكية فيما كان حظا للسيد من ملك الرقبة والمنفعة بخلاف الامة فان له حق المملوكية في بضعها ليستوفيه فاما بضع العبد فلا حق له فيه ولاجل ذلك لا تباح السيدة لعبدها هذه عمدة اهل خراسان والعراق وعمدتهم ايضا الطلاق فانه يملكه العبد بتملك عقده ولعلماينا النكتة العظمى في ان مالكية العبد استغرقتها مالكية السيد ولذلك لا تتزوج الا باذنه باجماع والنكاح وبابه انما هو من المصالح ومصلحة العبد موكولة للسيد هو يراها ويقيمها للعبد السادسة قوله تعالى ان تكونوا فقرا يغنهم الله من فضله رجع الكلا

الى الاحرار اي لا تمتنعوا عن التزوج بسبب فقر الرجل والمراة ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وهذا
وعد بالغنى للمتزوج طلب رضا الله واعتصاما عن معاصيه وقال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح
وتلى هذه الاية وقال عمر رضي الله عنه عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح وقد قال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله وروي هذا المعنى عن ابن عباس ايضا ومن حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاثة كلهم حق على الله عونه المجاهد في سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء
اخرجه ابن ماجه في سننه فان قيل فقد نجد الناكح لا يستغني قلنا لا يلزم ان يكون هذا على الدوام بل لو كان
في لحظة واحدة لصدق الوعد وقد قيل يغنيه اي يغني النفس وفي الصحيح ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى
غنى النفس وقد قيل ليس وعدا لا يقع فيه خلف بل المعنى ان المال غاد ورايح فارجوا الغنى وقد قيل المعنى
يغنهم الله من فضله ان شاء كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال يبسط الرزق لمن يشاء وقيل
المعنى ان يكونوا فقراء الى النكاح يغنهم الله من فضله بالحلال ليتعففوا عن الزنا **السابعة** هذه الاية
دليل على تزوج الفقير ولا يقول كيف اتزوج وانا فقير وليس لي مال فان رزقه على الله وقد زوج رسول
الله المراة التي اتته تهب له نفسها لمن ليس له الا ازار واحد وليس لها بعد ذلك فسخ النكاح
بالاعسار لانها دخلت عليه وانما يكون ذلك اذا دخلت على اليسار فخرج معسرا او طرا الاعسار
بعد ذلك لان الجوع لا صبر عليه قال علماؤنا وقال النقاش هذه الاية حجة على من قال ان القاضي
يفرق بين الزوجين اذا كان الزوج فقيرا لا يقدر على النفقة لان الله تعالى قال يغنهم ولم يقل يفرق
وهذا انتزاع ضعيف وليس هذه الاية حكما فيمن عجز عن النفقة وانما هي وعد بالاغناء لمن تزوج فقيرا
فاما من تزوج موسرا ثم اعسر بالنفقة فانه يفرق بينهما قال الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا
من سعته ونفحات الله مامولة في كل حال موعود بها **قوله تعالى** **وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله** فيه اربع مسائل **الاولى** قوله تعالى وليستعفف الخطاب لمن
يملك امر نفسه لا لمن زمامه بيد غيره فانه يقوده الى ما يراه كالمحجور قولا واحدا والامة والعبد على احد
قولي العلماء **الثانية** واستعفف وزنه استفعل ومعناه طلب ان يكون عفيفا فامر الله تعالى بهذه
الاية كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده باي وجه تعذر ان يستعفف ثم لما كان اغلب الموانع في النكاح
عدم المال وعد بالاغناء من فضله فيرزقه ما يتزوج به او يجد امراة ترضى باليسير من الصداق او تزول
عنه شهوة النساء وروى النسائي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة كلهم حق على الله
عز وجل عونه المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد العفاف والمكاتب الذي يريد الاداء **الثالثة**
قوله تعالى لا يجدون نكاحا اي طول نكاح فحذف المضاف وقيل النكاح هاهنا ما تنكح به المراة من المهر
والنفقة كاللحاف اسم لما يلتحف به واللباس اسم لما يلبس فعلى هذا لا اختلاف في الاية قاله جماعة من
المفسرين وحملهم على هذا قوله تعالى حتى يغنيهم الله من فضله فظنوا ان المامور بالاستعفاف انما هو
لاجل المال الذي يتزوج به وفي هذا القول تخصيص المامورين بالاستعفاف وذلك ضعيف
بل الامر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح باي وجه تعذر كما قدمناه والله اعلم **الرابعة**
من تاقت نفسه الى النكاح فان وجد الطول فعليه بالاستعفاف ما امكن ولو بالصوم فان له وجاء كما في الخبر
الصحيح ومن لم تتق نفسه الى النكاح فالاولى له التخلي لعبادة الله تعالى وفي الخبر خيركم الخفيف الحاذ الذي
لا اهل له ولا ولد وقد تقدم جواز نكاح الاماء عند عدم الطول للحرة في النساء والحمد لله ولما لم يجعل
الله بين العفة والنكاح درجة دل على ان ما عداهما محرم ولا يدخل فيه ملك اليمين لانه بنص اخر مباح وهو قوله
او ما ملكت ايمانكم فجاءت فيه زيادة ويبقى على التحريم الاستمناء ردا على احمد وكذلك يخرج عنه نكاح
المتعة بنسخه وقد تقدم هذا في المومنين **قوله تعالى** **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت
ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا** فيه ست عشرة مسالة **الاولى** قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب
الذين في موضع رفع وعند الخليل وسيبويه في موضع نصب على اضمار فعل لان بعده امرا ولما جرى ذكر العبيد
والاماء فيما سبق وصل به ان العبد ان طلب الكتابة فالمستحب كتابته فربما يقصد بالكتابة ان يستقل
ويكتسب ويتزوج اذا اراد فيكون اعف له قيل نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح
وقيل صبيح طلب من مولاه ان يكاتبه فابى فانزل الله هذه الاية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له

منها عشرين دينارا فاداها وقتل بحنين في الحرب ذكره القشيري وحكاه النقاش وقال مكي هو صبيح القبطي غلام
حاطب بن ابي بلتعة وعلى الجملة فان الله امر المومنين كافة ان يكاتب منهم كل من له مملوك وطلب المملوك
الكتابة وعلم سيده منه خيرا **الثانية** الكتاب والمكاتبة سواء مفاعلة مما لا يكون الا بين اثنين
لانها معاقدة بين السيد وعبده يقال كاتب يكاتب كتابا ومكاتبة كما يقال قاتل قتالا ومقاتلة فالكتاب
في الاية مصدر كالقتال والجدال والجلاد والدفاع وقيل الكتاب هاهنا هو الكتاب المعروف الذي يكتب
فيه الشي وذلك انهم اذا كاتبوا العبد كتبوا عليه وعلى انفسهم بذلك كتابا فالمعنى يطلبون العتق الذي يكتب
به الكتاب فيدفع اليهم **الثالثة** معنى المكاتبة في الشرع هو ان يكاتب الرجل عبده على مال يوديه منجما عليه
فاذا اداه فهو حر ولها حالتان الاولى ان يطلبها العبد ويجيبه السيد فهذا مطلق الاية وظاهرها الثانية
ان يطلبها العبد وياباها السيد وفيها قولان الاول لعكرمة وعطاء ومسروق وعمرو بن دينار والضحاك
بن مزاحم وجماعة اهل الظاهر ان ذلك واجب على السيد وقال علماء الامصار لا يجب ذلك وتعلق من
اوجبها بمطلق الامر وافعل بمطلقه يدل على الوجوب حتى ياتي الدليل بغيره وروي ذلك عن عمر بن الخطاب
وابن عباس واختاره الطبري واحتج داود ايضا بان سيرين ابا محمد بن سيرين سال انس بن مالك الكتابة
وهو مولاه فابى انس فرفع عمر عليه الدرة وتلى فكاتبوهم فكاتبه انس وقال داود وما كان عمر يرفع الدرة
على انس فيما له مباح ان لا يفعله وتمسك الجمهور بان الاجماع منعقد على انه لو ساله ان يبيعه من غيره
لم يلزمه ذلك ولم يجبر عليه وان ضوعف له الثمن وكذلك لو قال له اعتقني او دبرني او زوجني لم
يلزمه ذلك باجماع فكذلك الكتابة لانها معاوضة فلا تصح الا عن تراض وقولهم مطلق الامر يقتضي
الوجوب صحيح لكن اذا عري عن قرينة تقتضي صرفه عن الوجوب وتعليقه هاهنا بشرط علم الخير فيه
تعلق الوجوب على امر باطن وهو علم السيد بالخير واذا قال العبد كاتبني وقال السيد لم اعلم فيك خيرا
وهو امر باطن فيرجع فيه اليه ويعول فيه عليه وهذا قوي في بابه **الرابعة** واختلف العلماء في قوله تعالى خيرا
فقال ابن عباس وعطاء المال مجاهد المال والاداء الحسن النخعي الدين والامانة وقال مالك سمعت بعض اهل
العلم يقولون هو القوة على الاكتساب والاداء وعن الليث نحوه وهذا قول الشافعي وقال عبيدة السلماني
اقامة الصلاة والخير قال الطحاوي وقول من قال انه المال لا يصح عندنا لان العبد مال لمولاه فكيف
يكون له مال والمعنى عندنا ان علمتم فيهم الدين والصدق وعلمتم انهم معاملونكم على انهم متعبدون بالوفاء
لكم بما عليهم من الكتابة والصدق في المعاملة فكاتبوهم وقال ابو عمر من لم يقل ان الخير هنا المال انكر ان
يقال ان علمتم فيهم مالا وانما يقال علمت فيه الخير والصلاح والامانة ولا يقال علمت فيه المال وانما يقال
علمت عنده المال قلت وحديث بريرة يرد على من قال ان الخير المال على ما ياتي **الخامسة** اختلف العلماء
في كتابة من لا حرفة له فكان ابن عمر يكره ان يكاتب عبده اذا لم يكن له حرفة ويقول تامرني ان اكل
اوساخ الناس ونحوه عن سلمان الفارسي وروي حكيم بن حزام قال كتب عمر بن الخطاب الى عمير بن سعد
اما بعد فانه شرط امنع من قبلك ان يكاتبوا ارقاءهم على مسالة الناس وكرهه الاوزاعي
واحمد واسحق ورخص في ذلك مالك وابو حنيفة والشافعي وروي عن علي رضي الله عنه ان ابن التياح مؤذنه
قال له اكاتب وليس لي مال قال نعم ثم حض الناس على الصدقة علي فاعطوني ما فضل عن كتابتي فاتيت
عليا فقال اجعلها في الرقاب وقد روي عن مالك كراهة ذلك وان الامة التي لا حرفة لها تكره كتابتها لما
يودي اليه من فسادها والحجة في السنة لا فيما خالفها روى الائمة عن عائشة قالت دخلت علي بريرة
فقالت ان اهلي كاتبوني على تسع اواق في تسع سنين كل سنة اوقية فاعينيني الحديث فهذا دليل
على ان للسيد ان يكاتب عبده وهو لا شي معه الا ترى ان بريرة جاءت عائشة تخبرها بانها كاتبت اهلها
وسالتها ان تعينها وذلك كان في اول كتابتها قبل ان تودي شيئا كذلك ذكر ابن شهاب عن عروة ان عائشة
اخبرته ان بريرة جاءت تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيئا اخرجه البخاري وابو داود وفي
هذا دليل على اجازة كتابتها بعني الامة وهي غير ذات صنعة ولا حرفة ولا مال ولم يسال النبي صلى الله عليه
وسلم هل لها كسب او عمل او مال ولو كان هذا واجبا لسال عنه ليقع حكمه عليه لانه بعث مبينا معلما
صلى الله عليه وسلم وفي هذا الحديث ما يدل على ان من تاول في قوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا ان المال
الخير ليس بالتاويل الجيد وان الخير المذكور هو القوة على الاكتساب مع الامانة والله اعلم **السادسة**

ان القاضي يفرق بين الزوجين اذا كان الزوج فقيرا

خيركم الخفيف الحاد

الكتابة تكون بقليل المال وكثيره ويكون على نجم لحديث بريرة وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء والحمد لله فلو كاتبه
على الف درهم ولم يذكر اجلا نجمت عليه بقدر سعايته وان كره السيد قال الشافعي لا بد فيها من اجل واقلها
ثلاثة انجم واختلفوا اذا وقعت على نجم واحد فاكثر اهل العلم يجيزها على نجم واحد وقال الشافعي لا تجوز
على نجم واحد ولا تجوز حالة البتة وانما ذلك عتق على صفة كانه قال اذا اديت كذا وكذا فانت حر
وليست كتابة قال ابن العربي اختلف العلماء والسلف في الكتابة اذا كانت حالة على قولين واختلف
قول علمائنا كاختلافهم والصحيح في النظر ان الكتابة مؤجلة كما ورد بها الاثر في حديث بريرة حين كاتبت
اهلها على تسع اواق في كل عام اوقية وكما فعلت الصحابة ولذلك سميت الكتابة لانها تكتب ويشهد عليها
فقد استوسق الاسم والاثر وعضده المعنى فان المال ان جعله حالا وكان عند العبد شيء فهو مال
مقاطعة وعقد مقاطعة لا عقد كتابة وقال ابن خواز منداد اذا كاتبه على مال معجل كان عتقا على مال
ولم يكن كتابة واجاز غيره من اصحابنا الكتابة الحالة وسماها قطاعة وهو القياس لان الاجل فيها انما
هو فسحة للعبد في التكسب الا ترى انه لو جاء بالمنجم عليه قبل محله لوجب على السيد ان يأخذه
ويتعجل المكاتب عتقه وتجوز الكتابة الحالة قاله الكوفيون قلت لم يرد عن مالك نص في الكتابة
الحالة والاصحاب يقولون انها جائزة ويسمونها قطاعة واما قول الشافعي انها لا تجوز على اقل من ثلاثة
انجم فليس بصحيح لانه لو كان صحيحا لجاز لغيره ان يقول لا تجوز على اقل من خمسة انجم لانها اقل النجوم التي
كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بريرة وعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وقضى فيها فكان
بصواب الحجة اولى روى البخاري عن عائشة ان بريرة دخلت عليها تستعينها في كتابتها وعليها خمسة
اواق نجمت عليها في خمس سنين الحديث كذا قال الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة
وعليها خمسة اواق نجمت عليها في خمس سنين وقال ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن
عائشة قالت جاءت بريرة فقالت اني كاتبت اهلي على تسع اواق الحديث وظاهر الروايتين تعارض
غير ان حديث هشام اولى لاتصاله وانقطاع حديث يونس لقول البخاري وقال الليث حدثني يونس
ولان هشاما اثبت في حديث ابيه وجده من غيره والله اعلم **السابعة** المكاتب عبد ما بقي عليه من
مال الكتابة شيء لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه شيء من كتابته درهم اخرجه ابو داود
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وروي عنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما عبد كاتب
على مائة دينار فاداها الا عشرة دنانير فهو عبد وهذا قول مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابهم والثوري
واحمد واسحق وابي ثور وداود والطبري وروي ذلك عن ابن عمر من وجوه عن زيد بن ثابت وعائشة
وام سلمة لم يختلف عنهم في ذلك رضي الله عنهم وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وبه قال ابن المسيب والقاسم
وسالم وعطا قال مالك وكل من ادركنا ببلدنا يقول ذلك وفيها قول اخر عن علي انه اذا ادى الشطر فهو غريم
وبه قال النخعي وروي ذلك عن عمر رضي الله عنه والاسناد عنه بان المكاتب عبد ما بقي عليه درهم خير
من الاسناد عنه بان المكاتب اذا ادى الشطر فلا رق عليه وعن علي ايضا يعتق منه بقدر ما ادى
وعنه ايضا ان العتاقة تجري فيه باول نجم يؤديه وقال ابن مسعود اذا ادى الكتابة فهو عتيق غريم
وهو قول شريح وعن ابن مسعود لو كانت الكتابة مائتي دينار وقيمة العبد مائة دينار فادى العبد المائة
التي قيمته عتق وهو قول النخعي ايضا وقول سابع اذا ادى الثلاثة الارباع وبقي عليه الربع فهو غريم
ولا يعود عبدا قاله عطا ابن ابي رباح رواه ابن جريج عنه وحكي عن بعض السلف انه بنفس عقد
الكتابة حر وهو غريم بالكتابة لا يرجع الى الرق ابدا وهذا القول يرده حديث بريرة لصحته عن النبي
صلى الله عليه وسلم وفيه دليل واضح على ان المكاتب عبد ولولا ذلك ما بيعت بريرة ولو كان فيها شيء
من العتق ما اجاز بيع ذلك اذ من سنته المجمع عليها ان لا يباع الحر وكذلك كتابة سلمان وجويرية
فان النبي صلى الله عليه وسلم حكم لجميعهم بالرق حتى ادوا الكتابة وهي حجة للجمهور على ان المكاتب
عبد ما بقي عليه شيء وقد ناظر علي ابن ابي طالب زيد بن ثابت في المكاتب فقال علي اكنت راجمه لو زنا
او مجيزا شهادته لو شهد فقال زيد لا فقال علي هو عبد ما بقي عليه شيء وقد روى النسائي عن ابن
عباس وعلي رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المكاتب يعتق عنه بقدر ما
ودى كذا او يرث بقدر ما عتق منه واسناده صحيح وهو حجة لما روي عن علي ويعتضد بما رواه ابو

المكاتب عبد ما بقي عليه من مال الكتابة شي

داود عن نبهان مكاتب لام سلمة قال سمعت ام سلمة تقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كان لاحداكن مكاتب وكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه واخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
الا انه يحتمل ان يكون خطابا مع زوجاته اخذا بالاحتياط والورع في حقهن كما قال لسودة احتجبي
منه مع انه قد حكم باخوتها له وبقوله لعايشة وحفصة افعمياوان انتما الستما تبصرانه يعني ابن ام مكتوم
مع انه قال لفاطمة بنت قيس اعتدي عند ابن ام مكتوم وقد تقدم هذا المعنى **الثامنة** اجمع العلماء
على ان المكاتب اذا حل عليه نجم من نجومه او نجمان او نجومه كلها فوقف السيد عن مطالبته وتركه
بحاله ان الكتابة لا تنفسخ ما داما على ذلك ثابتين **التاسعة** قال مالك ليس للعبد ان يعجز نفسه
اذا كان له مال ظاهر وان لم يظهر له مال فذلك اليه وقال الاوزاعي لا يمكن من عجز نفسه اذا كان
قويا على الاداء وقال الشافعي له ان يعجز نفسه علم له مال او قوة على الكتابة او لم يعلم فاذا قال قد عجزت
وابطلت الكتابة فذاك اليه وقال مالك اذا عجز المكاتب فكل ما قبضه منه سيده قبل العجز حل له كان من كسبه او من صدقة عليه واما ما اعين به على فكاك رقبته فلم يف ذلك بكتابته كان لكل
من اعانه الرجوع بما اعطى او تحلل منه المكاتب ولو اعانوه صدقة لا على فكاك رقبته فذلك ان عجز حل
لسيده ولو تم به فكاكه وبقيت منه فضلة فان كان بمعنى الفكاك ردها اليهم بالحصص او يحللونه
منها هذا كله مذهب مالك فيما ذكر ابن القاسم وقال اكثر اهل العلم ان ما قبضه السيد منه
من كتابته وما فضل بيده بعد عجزه من صدقة او غيرها فهو لسيده يطيب له اخذ ذلك كله هذا
قول الشافعي وابي حنيفة واصحابهما واحمد بن حنبل ورواية عن شريح وقال الثوري يجعل السيد
ما اعطاه في الرقاب وهو قول مسروق والنخعي ورواية عن شريح وقالت طائفة ما قبض منه
السيد فهو له وما فضل بعد العجز له فهو له دون سيده وهذا قول من ذهب الى ان العبد يملك
وقال اسحاق ما اعطي بحال الكتابة رد على اربابه **العاشرة** حديث بريرة على اختلاف طرقه والفاظه
يتضمن ان بريرة وقع فيها بيع بعد كتابة تقدمت واختلف الناس في بيع المكاتب بسبب ذلك
وقد ترجم البخاري باب بيع المكاتب اذا رضي والى جواز بيعه للعتق اذا رضي المكاتب بالبيع ولو لم يكن عاجزا
ذهب ابن المنذر والداودي وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وبه قال ابن شهاب وابو الزناد وربيعة
غير انهم قالوا لان رضاه بالبيع عجز منه وقال مالك وابو حنيفة واصحابهما لا يجوز بيع المكاتب ما دام
مكاتبا حتى يعجز ولا يجوز بيع كتابته بحال وهو قول الشافعي بمصر وكان بالعراق يقول بيعه جائز واما بيع
كتابته فلا يجوز واجاز مالك بيع الكتابة فان اداها عتق والا كان رقيقا للمشتري الكتابة ومنع من ذلك
ابو حنيفة لانه بيع غرر واختلف قول الشافعي في ذلك بالمنع والاجازة وقالت طائفة يجوز بيع المكاتب
على ان يمضي في كتابته فان ادى عتق وكان ولاؤه للذي ابتاعه ولو عجز فهو عبد له وبه قال النخعي وعطا
والليث واحمد وابو ثور وقال الاوزاعي لا يباع المكاتب الا للعتق ويكره ان يباع قبل عجزه وهو قول
احمد واسحق قال ابو عمر في حديث بريرة اجازة بيع المكاتب اذا رضي بالبيع ولم يكن عاجزا عن اداء نجم
قد حل عليه خلاف قول من زعم ان بيع المكاتب غير جائز الا بالعجز لان بريرة لم يذكر انها عجزت عن اداء نجم
ولا اخبرت بان النجم قد حل عليها ولا قال لها النبي صلى الله عليه وسلم اعاجزة انت ام حل عليك نجم فلم تؤد
ولو لم يجز بيع المكاتب والمكاتبة الا بالعجز عن اداء ما قد حل لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد سالها اعاجزة
هي ام لا وما كان ليأذن في شرائها الا بعد علمه صلى الله عليه وسلم انها عاجزة ولو عن اداء نجم واحد قد حل
عليها وفي حديث الزهري انها لم تكن قضت من كتابتها شيئا ولا اعلم في هذا الباب حجة اصح من حديث
بريرة هذا ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء يعارضه ولا في شيء من الاخبار دليل على عجزها استدل
من منع من بيع المكاتب بامور منها ان قالوا ان الكتابة المذكورة لم تكن انعقدت وان قولها كاتبت
اهلي معناه انها راوضتهم عليها وقدروا مبلغها واجلها ولم يعقدوا وظاهر الاحاديث خلاف
هذا اذا تؤمل مساقها وقيل ان بريرة عجزت عن الاداء فاتفقت هي واهلها على فسخ الكتابة وحينئذ صح البيع
الا ان هذا انما يتمشى على قول من يقول ان تعجيز المكاتب غير مفتقر الى حكم حاكم اذا اتفق العبد والسيد
عليه لان الحق لا يعدوهما وهو المذهب المعروف وقال سحنون لا بد من السلطان وهذا انما خاف
ان يتواطا على ترك حق الله ويدل على صحة انها عجزت ما روي ان بريرة جاءت عايشة تستعينها

في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيئا فقالت لها عايشة ارجعي الي اهلك فان احبوا ان اقضي عنك كتابتك فعلت فظاهر هذا ان جميع كتابتها او بعضها استحق عليها لانه لا تقضي من الحقوق الا ما وجبت المطالبة به والله اعلم هذان التاويلان اشبه ما لهم وفيهما من المدخل ما بيناه وقال ابن المنذر ولا اعلم حجة لمن قال ليس له بيع المكاتب الا ان يقول لعل بريرة عجزت قال الشافعي واظهر معانيه ان لمالك المكاتب بيعه

الحادية عشرة المكاتب اذا ادي كتابته عتق ولا يحتاج الي ابتداء عتق من السيد وكذلك ولده الذين ولدوا في كتابته من امته يعتقون بعتقه ويرقون برقه لان ولد الانسان من امته بمثابته اعتبارا بالحر وكذلك ولد المكاتبة فان كان لهما ولد قبل الكتابة لم يدخل في الكتابة الا بشرط **الثانية عشرة** قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم هذا امر للسادة باعانتهم في مال الكتابة اما بان يعطوهم شيئا مما في ايديهم اعني ايدي السادة او يحطوا عنهم شيئا من مال الكتابة قال مالك يوضع عن المكاتب من اخر كتابته وقد وضع ابن عمر خمسة الاف من خمسة وثلاثين الفا واستحسن علي رضي الله عنه ان يكون ذلك ربع الكتابة قال الزهري وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم واستحسن ابن مسعود والحسن ابن ابي الحسن ثلثها وقال قتادة عشرها ابن جبير يسقط عنه شيئا ولم يحده وهو قول الشافعي واستحسنه الثوري قال الشافعي والشي اقل شي يقع عليه اسم شي ويجبر عليه السيد ويحكم به الحاكم علي الورثة ان مات السيد وروي مالك رحمه الله هذا الامر علي الندب ولم ير لقدر الوضيعة حدا احتج الشافعي بمطلق الامر في قوله وآتوهم وراي ان عطف الواجب علي الندب معلوم في القرآن ولسان العرب كما قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وما كان مثله قال ابن العربي وذكره قبله اسمعيل بن اسحاق القاضي جعل الشافعي الايتاء واجبا والكتابة غير واجبة فجعل الاصل غير واجب والفرع واجبا وهذا لا نظير له فصارت دعوي محضة فان قيل يكون ذلك كالنكاح لا يجب فاذا انعقد وجبت احكامه منها المتعة قلنا عندنا لا تجب المتعة فلا معنى لايجاب الشافعي وقد كاتب عثمان بن عفان عبده وحلف ان لا يحطه في حديث طويل قلت وقد قال الحسن والنخعي وبريدة انما الخطاب بقوله وآتوهم للناس اجمعين في ان يتصدقوا علي المكاتبين وان يعينوهم في فكاك رقابهم وقال زيد بن اسلم انما الخطاب للولاة بان يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حظهم وهو الذي تضمنه قوله تعالى وفي الرقاب وعلي هذين القولين فليس لسيد المكاتب ان يضع شيئا عن مكاتبه ودليل هذا انه لو اراد حط شي من نجوم الكتابة لقال وضعوا عنهم كذا **الثالثة عشرة** اذا قلنا ان المراد بالخطاب السادة فراي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يكون ذلك من اول نجومه مبادرة الي الخير خوفا ان لا يدرك اخرها وراي مالك وغيره ان يكون الوضع من اخر نجم وعلة ذلك انه اذا وضع من اول نجم ربما عجز العبد فرجع هو وماله الي السيد فعادت اليه وضيعته وهي شبه الصدقة وهذا قول عبد الله بن عمر وعلي وقال مجاهد يترك له من كل نجم قال ابن العربي والاقوي عندي ان تكون في اخرها لان الاسقاط ابدا انما يكون في اخريات الديون والمكاتب اذا بيع للعتق رضي منه بعد الكتابة وقبض بايعه ثمنه لم يجب عليه ان يعطيه من ثمنه شيئا سواء باعه لعتق او لغير عتق وليس ذلك كالسيد يودي اليه مكاتبه فيوتيه منها او يضع عنها من اخرها نجما او ما شا الله علي ما امر الله به في كتابته لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يامر موالي بريرة باعطائها مما قبضوا شيئا وان كانوا قد باعوها للعتق **الرابعة عشرة** اختلفوا في صفة عقد الكتابة فقال ابن خواز منداد صفتها ان يقول السيد لعبده كاتبتك علي كذا وكذا من المال في كذا وكذا نجما اذا اديته فانت حر او يقول له اد الي الفا في عشرة انجم وانت حر فيقول العبد قد قبلت ونحو ذلك من الالفاظ فمتي اداها عتق وكذلك لو قال العبد كاتبني فقال السيد قد فعلت او قد كاتبتك قال ابن العربي وهذا لا يلزم لان لفظ القرآن لا يقتضيه والحال يشهد له فان ذكره فحسن وان تركه فمعلوم لا يحتاج اليه ومسايل هذا الباب وفروعه كثيرة وقد ذكرنا من اصوله جملة فيها لمن اقتصر عليها كفاية والله الموفق للهداية

صفة عقد الكتابة

الخامسة عشرة في ميراث المكاتب واختلف العلماء في ذلك علي ثلاثة اقوال فمذهب مالك ان المكاتب اذا هلك وترك مالا اكثر مما بقي عليه من كتابته وله ولد ولدوا في كتابته او كاتب عليهم ورثوا ما بقي من المال بعد قضا كتابته لان حكمهم كحكمه وعليهم السعي فيما بقي من كتابته لو لم يخلف مالا ولا يعتقون الا بعتقه ولو ادي عنهم ما رجع عليهم بذلك عليهم لانهم يعتقون عليه فهم اولي بميراثه لانهم ساووه

في جميع حاله والقول الاول الثاني انه يودي عنه من ماله جميع كتابته وجعل كانه قد مات حرا ويرثه جميع ولده وسوا في ذلك من كان حرا قبل موته من ولده ومن كاتب عليهم او ولدوا في كتابته لانهم قد استووا في الحرمة كلهم حين تادت عنهم كتابتهم روي هذا القول عن علي وابن مسعود ومن التابعين من عطا والحسن وطاوس وابراهيم وبه قال فقها الكوفة سفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حي واليه ذهب اسحق والقول الثالث ان المكاتب اذا مات قبل ان يودي جميع كتابته فقد مات عبدا وكل ما يخلفه من المال فهو لسيده ولا يصح عتقه بعد موته لانه لا يرثه احد من اولاده الا الاحرار ولا الذين معه في كتابته لانه لما مات قبل ان يودي جميع كتابته فقد مات عبدا وماله لسيده فلا يصح عتقه بعد موته لانه محال ان يعتق عبد بعد موته وعلي ولده الذين كاتب عليهم او ولدوا في كتابته ان يسعوا في باقي الكتابة ويسقط عنهم منها قدر حصته فان ادوا عتقوا لانهم كانوا فيها تبعا لابيهم وان لم يودوا ذلك رقوا هذا قول الشافعي وبه قال احمد بن حنبل وهو قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة قوله تعالى **ولا تكرهوا فتياتكم علي البغا ان اردن تحصنا** روي عن جابر بن عبد الله وابن عباس ان هذه الاية نزلت في عبد الله بن ابي وكانت له جاريتان احديهما تسمى معاذة والاخري مسيكة فكان يكرههما علي الزنا ويضربهما عليه ابتغا الاجر وكسب الولد فشكتا ذلك الي النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين ومعاذة هذه ام خولة التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم في زوجها وفي صحيح مسلم عن جابر ان جارية لعبد الله ابن ابي يقال لها مسيكة واخري يقال لها اميمة فكان يكرههما علي الزنا فشكتا ذلك الي النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم علي البغاء الي قوله ان الله غفور رحيم قوله تعالى **ان اردن تحصنا** راجع الي الفتيات وذلك ان الفتاة اذا ارادت التحصن فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها ويمكن ان ينهي عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد التحصن فلا يتصور ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للزنا فهذا امر في سادة وفتيات حالهم هذه والي هذا المعني اشار ابن العربي فقال انما ذكر الله تعالى ارادة التحصن من المراة لان ذلك هو الذي يصور الاكراه فاما اذا كانت هي راغبة في الزنا لم يتصور اكراه فحصلوه وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله ان اردن تحصنا راجع الي الايامي قال الزجاج والحسين بن الفضل في الكلام تقديم وتاخير وانكحوا الايامي والصالحين من عبادكم ان اردن تحصنا وقال بعضهم هذا الشرط في قوله ان اردن تحصنا ملغي ونحو ذلك مما يضعف والله الموفق قوله تعالى **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** اي الشي الذي تكسبه الامة بفرجها والولد يسترق فيباع وقيل كان الزاني يفتدي ولده من المزني بها بماية من الابل قوله تعالى **ومن يكرههن** اي يقهرهن **فان الله من بعد اكراههن غفور** لهن **رحيم** بهن وقرا ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن جبير لهن غفور بزيادة لهن وقد مضي الكلام في الاكراه في النحل والحمد لله ثم عدد ذلك علي المومنين نعمته فيما انزل اليهم من الايات المنيرات وفيما ضرب لهم من امثال الماضين من الامم ليقع التحفظ مما وقع اوليك فيه قوله تعالى **الله نور السموات والارض الاية** النور في كلام العرب الاضواء المدركة بالبصر واستعمل مجازا فيما صح من المعاني ولاح فيقال منه كلام له نور ومنه الكتاب المنير ومنه قول الشاعر

نسب كان عليه من شمس الضحى ... نورا ومن فلق الصباح عمودا

والناس يقولون فلان نور البلد وشمس العصر وقمره وقال

فانك شمس والملوك كواكب

وقال اخر

هلا خصصت من البلاد بمقصد ... قمر القبايل خالد بن يزيد

وقال اخر

اذا سار عبد الله من مرو ليلة ... فقد سار منها نورها وجمالها

فيجوز ان يقال لله تعالى نور من جهة المدح لانه اوجد الاشياء ونور جميع الاشيا منه ابتداؤها وعنه صدورها وهو سبحانه ليس من الاضواء المدركة جل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد قال هشام الجواليقي وطايفة من المجسمة هو نور لا كالانوار وجسم لا كالاجسام وهذا كله محال علي الله تعالى عقلا ونقلا علي ما يعرف في موضعه من علم الكلام ثم ان قولهم متناقض فان قولهم جسم او نور حكم عليه بحقيقة ذلك وقولهم لا كالانوار ولا كالاجسام نفي لما اثبتوه من الجسمية والنور وذلك متناقض وتحقيقه

في علم الكلام والذي او فعهم في ذلك ظواهر يتبعونها منها هذه الاية وقوله عليه السلم اذ اقام من الليل يتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض وقال عليه السلام وقد سيل هل رايت ربك فقال رايت نورا الي غير ذلك من الاحاديث واختلف العلماء في تاويل هذه الاية فقيل المعنى اي به وبقدرته انارت اضواها واستقامت امورها وقامت موضوعاتها مصنوعات فالكلام على التقريب للذهن كما يقال الملك نور اهل البلد اي به قوام امرها وصلاح جملتها لجريان امورها على سنن السداد فهو في الملك مجاز وهو في صفة الله حقيقة محضة اذ هو الذي ابدع الموجودات وخلق العقل نورا هاديا لان ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات تبارك الله لا رب غيره قال مجاهد معناه والزهري وغيرهما قال ابن عرفة اي منور السموات والارض وكذا قال الضحاك والقرظي كما يقولون فلان غياثنا اي مغيثنا وفلان زادي اي مزودي

قال جرير

وانت لنا نور وغيث ورحمة ... ونبت لمن يرجو بذاك ودبق

اي ذو ورق وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض ابي ابن كعب والحسن وابو العالية مزين السموات والارض بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين وقال ابن عباس وانس المعنى الله هادي اهل السموات والارض والاول اعم للمعاني واصح مع التامل **قوله تعالى** مثل نوره اي صفة دلايله التي يقذفها في قلب المومن والدلايل تسمى نورا وقد سمى الله تعالى كتابه نورا فقال وانزلنا اليكم نورا مبينا وسمى نبيه نورا فقال قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وهذا لان الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول ووجه الاضافة الى الله تعالى انه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها ويحتمل الاية معنى اخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء الممثل به بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة وذلك ان يريد مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعه كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور التي تتخذونه انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفات النور التي بين ايدي الناس فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم ايها البشر والمشكاة الكوة في الحائط غير النافذة قاله ابن جبير وجمهور المفسرين وهي اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها واصلها الوعاء يجعل فيها الشي والمشكاة وعاء من ادم كالدلو يبرد فيها الماء وهو على وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة قال الشاعر

كان عينيه مشكاتان في حجر ... فيضا اقتناصا باطراف المناقير

وقيل المشكوة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد هي القنديل ثم قال في زجاجة لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه في غير الزجاج والمصباح الفتيل بناره **قوله تعالى** كانها كوكب دري اي في الانارة والضوء وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما ان يريد انها في نفسها لصفايها وجودة جوهرها كذلك وهذا التاويل ابلغ في التعاون على النور قال الضحاك الكوكب الدري الزهرة **قوله تعالى** توقد من شجرة اي من زيت شجرة فحذف المضاف والمباركة المنماة والزيتون من اعظم الزيتون نما والرمان كذلك والعيان يقتضي ذلك وقول ابي طالب يرثي مسافر بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس

ليت شعري مسافر بن ابي ... عمرو وليت يقولها المحزون

بورك الميت الغريب كما ... بورك نبع الرمان والزيتون

وقيل من بركتها ان اغصانها تورق من اسفلها الى اعلاها وقال ابن عباس في الزيتونة منافع يسرج بالزيت وهو ادام ودهان ودباغ ووقود يوقد بحطبه وتفله وليس فيه شي الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم وهي اول شجرة نبتت في الدنيا واول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت في منازل الانبيا والارض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال اللهم بارك في الزيتون قاله مرتين **قوله تعالى** لا شرقية ولا غربية اختلف العلماء في قوله لا شرقية ولا غربية فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم الشرقية التي تصيبها الشمس اذا اشرقت ولا تصيبها اذا غربت لان لها سترا والغربية عكسها اي انها شجرة في صحراء ومنكشف من الارض لا يواريها عن الشمس شي وهو اجود لزيتها فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية بل هي شرقية غربية وقال الطبري عن ابن عباس انها شجرة في دوحة قد احاطت بها فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من جهة الغرب قاله ابن عطية وهذا قول لا يصح عن ابن عباس لان الثمرة التي بهذه الصفة يفسد جناها وذلك مشاهد في الوجود وقال الحسن ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره ولو

منافع الزيتون

صلت

كانت في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية الثعلبي وقد افصح القران بانها من شجر الدنيا لانه ابدل من الشجرة فقال زيتونة وقال ابن زيد انها من شجرة الشام فان الشام لا شرقي ولا غربي وشجر الشام هي افضل الشجر وهي الارض المباركة وشرقية نعت لزيتونة ولا ليست تحول بين النعت والمنعوت ولا غربية عطف عليه

قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار مبالغة في حسنه وصفايه وجودته نور على نور اي اجتمع في المشكاة ضوء المصباح الى ضوء الزجاجة والى ضوء الزيت فصار لذلك نور على نور واعتقلت هذه الانوار في المشكاة فصارت كانور ما يكون فكذلك براهين الله واضحة وهي برهان بعد برهان وتنبيه بعد تنبيه كارساله الرسل وانزاله الكتب ومواعظ يتكرر فيها لمن له عقل معتبر ثم ذكر تعالى هداه لنوره من يشاء واسعد من عباده وذكر تفضله للعباد في ضرب الامثال لتقع لهم العبرة والنظر المودي الى الايمان وقرا عبد الله بن عياش ابن ابي ربيعة وابو عبد الرحمن السلمي الله نور بفتح النون والواو مشددة واختلف المتاولون في عود الضمير في نوره على من يعود فقال كعب الاحبار وابن جبير هو عايد على محمد صلى الله عليه وسلم اي مثل نور محمد قال ابن الانباري الله نور السموات والارض وقف حسن ثم يبتدي مثل نوره كمشكاة فيها مصباح على معنى نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابي بن كعب وابن جبير ايضا والضحاك هو عايد على المومنين وفي قراءة ابي مثل نور المومنين وروي ان في قراته مثل نور المومنين وروي ان فيها مثل نور من امن به وقال الحسن هو عايد على القران والايمان قال مكي وعلى هذه القراءة يوقف على قوله والارض قال ابن عطية وهذه الاقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر وفيه مقابلة جزء من المثال من الممثل فعلى من قال الممثل به محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب الحبر فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من عمله وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة هي الوحي والملايكة رسل الله اليه وسببه المتصل به والزيت هو الحجج والبراهين والايات التي تضمنها الوحي ومن قال الممثل به المومن وهو قول ابي فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها قال ابي فهو على احسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات ومن قال ان الممثل به هو القران والايمان فتقدير الكلام مثل نوره الذي هو الايمان في صدر المومن في قلبه كمشكاة اي هذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاولين لان المشكوة ليست تقابل الايمان وقالت طايفة الضمير في نوره عايد على الله تعالى وهذا قول ابن عباس فيما ذكر الثعلبي والماوردي والمهدوي وقد تقدم معناه ولا يوقف على هذا القول على والارض قال المهدوي روي ذلك عن ابن عباس المعنى الله عز وجل والتقدير الله هادي اهل السموات والارض مثل هداه في قلوب المومنين كمشكاة روي ذلك عن ابن عباس وكذلك قال زيد بن اسلم والحسن ان الها لله عز وجل وكان ابن مسعود وابي يقرا بانها مثل نوره في قلب المومن كمشكاة قاله محمد بن علي الترمذي واما غيرهما فلم يقراها في التنزيل هكذا وقد وافقهما في التاويل ان ذلك نوره في قلب المومن وتصديقه في اية اخرى يقول افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واعتل الاولون بان قالوا لا يجوز ان يكون الها لله عز وجل لان الله عز وجل لا حد لنوره واما الكسايي فيما روي عنه ابو عمر والدوري الالف من مشكاة وكسر الكاف التي قبلها وقرا نصر بن عاصم زجاجة بفتح الزاء والزجاجة كذلك وهي لغة وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم دري بضم الدال وشد اليا ولهذه القراءة وجهان اما ان ينسب الكوكب الى الدر لبياضه وصفايه واما ان يكون اصله دري مهموز فعيل من الدرء وهو الدفع وخففت الهمزة ويقال للنجوم العظام التي لا يعرف اسماوها داري بغير همز فلعلهم خففوا الهمزة والاصل من الدرء الذي هو الدفع وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم دريء بالهمز والمد وهو فعيل من الدرء بمعنى انها تدفع بعضها بعضا وقرا الكسايي وابو عمرو دريء بكسر الدال والهمز من الدرء والدفع مثل السكير والفسيق قال سيبويه اي يدفع بعض ضوئه بعضا من لمعانه قال النحاس وضعف ابو عبيد قراءة ابي عمرو والكسايي تضعيفا شديدا لانه تاولها من درات اي دفعت اي كوكب يجري من الافق الى الافق واذا كان التاويل على ما تاوله لم يكن في الكلام فايدة ولا كان لهذا الكوكب مزية على اكبر الكواكب الا ترى انه لا يقال جاءني انسان من بني ادم ولا ينبغي ان يتاول لمثل ابي عمرو والكسايي مع علمهما وجلالتهما هذا التاويل البعيد ولكن التاويل لهما على ما روي عن محمد بن يزيد ان معناهما في ذلك كوكب مندفع بالنور كما يقال اندرا الحريق اي اندفع وهذا

تاويل صحيح لهذه القراءة وحكي سعيد بن مسعدة انه قال درء الكوكب بضوءه اذا امتد ضوءه وعلا وقال
الجوهري في الصحاح ودرا علينا فلان يدرا درؤا اي طلع مفاجاة ومنه كوكب دري على فعيل مثل سكير
وخمير لشدة توقده وتلالاه وقد درا الكوكب درؤا قال ابو عمرو بن العلا سالت رجلا من سعد بن بكر من اهل
ذات عرق فقلت وهذا الكوكب الضخم ما تسمونه قال الدري وكان من افصح الناس قال النحاس فاما قراءة حمزة
فاهل اللغة جميعا قالوا هي لحن لا تجوز لانه ليس في كلام العرب اسم على فعيل وقد اعترض ابو عبيد في
هذا فاحتج لحمزة فقال ليس هو فعيل وانما هو فعول مثل سبوح ابدل من الواو ياء كما قالوا عتي قال ابو جعفر
النحاس وهذا الاعتراض والاحتجاج من اعظم الغلط واشده لان هذا لا يجوز البتة ولو جاز لما قال لقيل
في سبوح سبيح وهذا لا يقوله احد وليس عتي من هذا والفرق بينهما واضح بين لانه ليس يخلو عتيا من احدى
جهتين اما ان يكون جمع عات فيكون البدل فيه لازما لان الجمع باب تغيير والواو لا يكون طرفا في الاسماء
وقبلها ضمة فلما كان مثل هذه ساكن وقبل الساكن ضمة والساكن ليس بحاجز حصين ابدل من الضمة كسرة فقلبت
الواو ياء وان كان عتي واحدا كان بالواو اولى وجاز قلبها لانها طرف والواو في فعول ليست طرفا فلا يجوز
قلبها قال الجوهري قال ابو عبيد ان ضممت الدال قلت دري يكون منسوبا الى الدر على فعلي ولم تهمزه لانه ليس
في كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما اراد فعول مثل سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر
وحكي الاخفش عن بعضهم دري من دراته وهمزها وجعلها على فعيل مفتوحة الاول قال وذلك من تلالؤه
قال الثعلبي وقرا سعيد بن المسيب وابو رجاء دري بفتح الدال المهموزا قال ابو حاتم هذا اخطا لانه ليس
في الكلام فعيل فان صح عنهما فهما حجة توقد قرا شيبة ونافع وايوب وسلام وابن عامر واهل الشام
وحفص يوقد بيا مضمومة وتخفيف القاف وضم الدال وقرا الحسن والسلمي وابو جعفر وابو عمرو بن العلا
البصري توقد مفتوحة الحروف كلها مشددة القاف واختارها ابو حاتم وابو عبيد قال النحاس وهاتان
القراءتان متقاربتان لانهما جميعا للمصباح وهو اشبه بهذا الوصف لانه الذي ينير ويضي وانما الزجاجة
وعاء له وتوقد فعل ماض من توقد يتوقد ويتوقد فعل مستقبل من اوقد يوقد وقرا نصر بن عاصم والاصل
على قراءته تتوقد حذفت احدى التاءين لان الاخرى تدل عليها وقرا الكوفيون توقد بالتاء يعنون الزجاجة
فهاتان القراءتان على تانيث الزجاجة من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية تقدم القول فيه
قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وزعم ابو عبيد انه لا يعرف الا هذه القراءة
وحكى ابو حاتم ان السدي روى عن ابي مالك عن ابن عباس انه قراءة ولو لم يمسسه نار بالياء قال محمد بن يزيد
التذكير على انه تانيث غير حقيقي وكذا سبيل المؤنث عنده قال ابن عمر المشكاة جوف محمد عليه السلام
والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه يوقد من شجرة مباركة اي ان اصله من ابراهيم
وهو شجرته فاوقد الله في قلب محمد عليه السلام النور كما جعله الله في قلب ابراهيم عليه السلام وقال محمد
بن كعب المشكاة ابراهيم عليه السلام والزجاجة اسمعيل صلوات الله عليهم اجمعين سماه الله مصباحا
كما سماه سراجا فقال وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ادم عليه السلام
بورك في نسله وكثر منه الانبياء والاولياء وقيل هي ابراهيم سماه مباركا لان اكثر الانبياء كانوا من
صلبه لا شرقية ولا غربية اي لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وانما قال ذلك لان اليهود
تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء اي تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم
تظهر للناس قبل ان اوحي الله اليه نور على نور نبي من نسل نبي وقال الضحاك شبه عبد المطلب بالمشكاة
وعبد الله بالزجاجة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح كان في قلبهما فورث النبوة من ابراهيم من شجرة اي
شجرة التقى والرضوان وعشيرة الهدى والايمان شجرة اصلها نبوة وفرعها مروة واغصانها تنزيل وورقها
تاويل وخدمها جبريل وميكائيل قال القاضي ابو بكر ابن العربي ومن غريب الامر ان بعض الفقها قال
ان هذا مثل ضربه الله تعالى لابراهيم ومحمد ولعبد المطلب وابنه عبد الله فالمشكاة هي الكوة بلغة الحبشة
نشبه عبد المطلب بالمشكاة فيها القنديل وهو الزجاجة ومحمد كالمصباح يعني من اصلابهما وكانه
كوكب دري وهو المشتري توقد من شجرة مباركة يعني ارث النبوة من ابراهيم عليه السلام هو الشجرة المباركة
يعني حنيفية لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تقول
يكاد ابراهيم يتكلم بالوحي من قبل ان يوحى اليه نور على نور ابراهيم ثم محمد عليهما السلام قال القاضي

وهذا كله عدول عن الظاهر وليس يمتنع في التمثيل ان يتوسع المرء فيه قلت وكذلك جميع الاقوال
لعدم ارتباطه بالاية ما عدا القول الاول وان هذا مثل ضربه الله لنوره ولا يمكن ان يضرب لنوره
المعظم مثلا تنبيها لبعض خلقه الا ببعض خلقه لان الخلق لقصورهم لا يفهمون الا بانفسهم ومن انفسهم
ولولا ذلك ما عرف الله الا الله وحده قال ابن العربي قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المومن
كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسسه نار فان مسته نار زاد ضوءه كذلك قلب المومن يكاد يعمل بالهدى
قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم زاده هدى على هدى ونورا على نور كقول ابراهيم من قبل ان تجيئه المعرفة
هذا ربي من قبل ان يخبره احد ان له ربا فلما اخبره الله انه ربه زاده هدى فقال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ومن قال ان هذا مثل للقران في قلب المومن قال كما ان هذا المصباح يستضاء به
ولا ينقص فكذلك القران يهتدي به ولا ينقص فالمصباح القران والزجاجة قلب المومن والمشكاة
لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد حجج القران تتضح ولو لم
يقرا نور على نور يعني ان القران نور من الله تعالى لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول
القران فازدادوا بذلك نورا على نور ثم اخبر ان هذا النور المذكور عزيز وانه لا يناله الا من اراد
الله هداه فقال يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس اي يبين الاشباه تقريبا الى
الافهام **قوله تعالى** والله بكل شيء عليم اي بالمهتدي والضال وروي عن ابن عباس ان اليهود قالوا
يا محمد كيف يخلص نور الله تعالى من دون السماء فضرب الله تعالى ذلك مثلا لنوره **قال الله تعالى**
في بيوت اذن الله ان ترفع الى قوله وايتاء الزكاة فيه تسع عشرة مسالة الاولى قوله تعالى في بيوت اذن
الله ان ترفع الباء في بيوت ترفع وتكسر وقد تقدم وقد اختلف في الفاء من قوله في فقيل هي متعلقة
بمصباح وقيل بيسبح له فعلى هذا التاويل يوقف على عليم قال ابن الانباري سمعت ابا العباس يقول هو حال
للمصباح والزجاجة والكوكب كانه قال وهي في بيوت وقال الترمذي الحكيم محمد بن علي في بيوت منفصل
كانه يقول الله في بيوت اذن الله ان ترفع وبذلك جاءت الاخبار انه من جلس في المسجد فانما يجالس ربه وكذا
ما جاء في الخبر فيما يحكى عن التوراة ان المومن اذا مشى الى المسجد قال الله تعالى تبارك وتعالى اسمه عبدي
زارني وعلى قراه ولن ارضى له قرى دون الجنة قال ابن الانباري ان جعلت في متعلقة بيسبح او رافعة للرجال
حسن الوقف على قوله والله بكل شيء عليم وقال الرماني هي متعلقة بتوقد وعليه فلا توقف على عليم فان قيل
فما الوجه اذا كان البيوت متعلقة بتوقد يتوقد في توقيد المصباح والمشكاة وجمع البيوت ولا يكون
مشكاة واحدة الا في بيت واحد قيل هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله
سبحانه وتعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ونحوه وقيل راجع الى كل واحد من البيوت وقيل هو كقوله تعالى
وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منهن واختلف الناس في البيوت هنا على خمسة اقوال الاول
انها المساجد المخصوصة لله تعالى بالعبادة وانها تضيء لاهل السما كما تضيء النجوم لاهل الارض قاله ابن عباس
ومجاهد والحسن الثاني هي بيوت بيت المقدس عن الحسن ايضا الثالث بيوت النبي صلى الله عليه وسلم عن مجاهد
ايضا الرابع هي البيوت كلها قاله عكرمة **قوله تعالى** يسبح له فيها بالغدو والاصال يقوي انها
المساجد وقول خامس انها المساجد الاربعة التي لم يبنها الا نبي الكعبة وبيت اريحا ومسجد المدينة
ومسجد قبا قاله ابن بريدة وقد تقدم ذلك في براءة قال المولف رحمه الله الاظهر القول الاول لما رواه
انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الله عز وجل فليحبني ومن احبني فليحب
اصحابي ومن احب اصحابي فليحب القران ومن احب القران فليحب المساجد فانها افنية الله ابنيته اذن
الله في رفعها وبارك فيها ميمونة ميمون اهلها محفوظة محفوظ اهلها هم في صلاتهم والله في حوائجهم هم في
المساجد والله من ورائهم محيط **الثانية** قوله تعالى اذن الله ان ترفع اذن معناه امر وقضى وحقيقة الاذن العلم
والتمكين دون حظر فان اقترن بذلك امر وانفاذ كان اقوى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد وعكرمة
ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا من ماله بنى
الله له بيتا في الجنة وفي هذا المعنى احاديث كثيرة تحض على بنيان المساجد وقال الحسن البصري وغيره
معنى ترفع تعظم ويرفع شانها وتطهر من الانجاس والاقذار ففي الحديث ان المسجد لينزوي من النجاسة
كما ينزوي الجلد من النار وروى ابن ماجة في سننه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله

ان المؤمن اذا مشى الى المسجد

جدهم

من بنى مسجدا ابن الله له
بيتا في الجنة

عليه وسلم من اخرج اذى من المسجد بنى الله له بيتا فى الجنة وروى عن عايشة قالت امرنا رسول الله صلى الله
وسلم ان نتخذ المساجد فى الدور وان تطهر وتطيب **الثالثة** اذا قلنا ان المراد بنيانها فهل تزين وتنقش
اختلف فى ذلك فكرهه قوم واباحه اخرون فروى حماد بن سلمة عن ايوب عن ابى قلابة عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد اخرجه ابو داود وفى البخارى
وقال انس يتباهون بها ثم لا يعمرونها الا قليلا وقال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى
وروى الترمذى الحكيم ابو داود فى نوادر الاصول من حديث ابى الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم احتج من اباح ذلك بان فيه تعظيم المساجد والله سبحانه
امر بتعظيمها فى قوله فى بيوت اذن الله ان ترفع يعنى تعظم وروى عن عمر انه بنى مسجد النبى صلى الله عليه
وسلم بالساج وحسنه قال ابو حنيفة لا باس بنقش المساجد بماء الذهب وروى عن عمر بن عبد العزيز انه بنى
مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وبالغ فى عمارته وتزيينه وذلك فى زمن ولايته قبل خلافته ولم ينكر عليه
احد فى ذلك وذكر ان الوليد بن عبد الملك انفق فى عمارة مسجد دمشق وفى تزيينه مثل خراج الشام ثلاث
مرات وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام بنى مسجد المقدس وبالغ فى تزيينه **الرابعة** ومما تصان عنه
المساجد وتنزه عنه الروايح الكريهة والاقوال السيئة وغير ذلك على ما نبينه وذلك من تعظيمها وقد صح من
حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى غزوة تبوك من اكل من هذه الشجرة يعنى الثوم فلا ياتين
المساجد وفى حديث جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اكل من هذه البقلة الثوم وقال
مرة وقال مرة من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملايكة تتاذى مما يتاذى منه
بنو ادم وقال عمر بن الخطاب رض فى خطبته ايها الناس تاكلون شجرتين لا اراهما الا خبيثتين هذا
البصل والثوم لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد ريحهما من الرجل فى المسجد امر به فاخرج الى
البقيع فمن اكلهما فليمتهما طبخا خرجه مسلم فى صحيحه قال العلماء واذا كانت العلة فى اخراجه من المسجد
انه يتاذى به ففى القياس ان كل من يتاذى به جيرانه فى المسجد بان يكون ذرب اللسان سفيها عليهم او كان
ذا رايحة قبيحة لا تريمه لسوء صناعة او عاهة مؤذية كالجذام ونحوه وكل ما يتاذى به الناس كان لهم اخراجه
ما كانت العلة موجودة فيه حتى تزول وكذلك يجتنب مجتمع الناس حيث كانت لصلاة او غيرها كمجالس العلم
والولايم وما اشبهها من اكل الثوم وما فى معناه مما له رايحة كريهة تؤذى الناس ولذلك جمع بين الثوم
والبصل والكراث واخبر ان ذلك مما يتاذى به الناس قال ابو عمر بن عبد البر وقد شاهدت شيخنا ابا عمر
احمد بن عبد الملك بن هشام افتى فى رجل شكاه جيرانه واتفقوا عليه انه يؤذيهم فى المسجد بلسانه ويده
فشوور فيه فافتى باخراجه من المسجد وابعاده عنه وان لا يشاهد معهم الصلاة اذ لا سبيل مع جنونه واستطالته
الى السلامة منه فذاكرته يوما امره وطالبته بالدليل فيما افتى به من ذلك وراجعته فيه القول فاستدل
بحديث الثوم وقال هو عندى اكثر اذى من اكل الثوم وصاحبه يمنع من شهود الجماعة فى المسجد قال المؤلف رح
وفى الاثار المرسلة ان الرجل ليكذب الكذبة فيتباعد عنه الملك من نتن ريحه فعلى هذا يخرج من عرف
منه الكذب والتقول بالباطل فان ذلك يؤذى **الخامسة** اكثر العلماء على ان المساجد كلها سواء لحديث
ابن عمر وقال بعضهم انما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من اجل جبريل ونزوله فيه ولقوله فى حديث جابر
فلا يقربن مسجدنا والاول اصح لانه ذكر الصفة فى الحكم وهى المسجدية وذكر الصفة فى الحكم تعليل وقد
روى الثعلبى باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتى الله يوم القيامة بمساجد
الدنيا كانها نجايب بيض قوايمها من العنبر واعناقها من الزعفران ورؤوسها من المسك وازمتها من
الزبرجد الاخضر وقوامها والمؤذنون فيها يقودونها وايمتها يسوقونها وعمارها متعلقون بها
فتجوز عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول اهل الموقف هؤلاء ملايكة مقربون وانبياء
مرسلون فينادى ما هؤلاء بملايكة ولا انبياء ولكنهم اهل المساجد والمحافظون على الصلوات
من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفى التنزيل انما يعمر مساجد الله من امن بالله وهذا عام فى كل مسجد وقال
النبى صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ان الله سبحانه وتعالى يقول
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وقد تقدم **السادسة** وتصان المساجد عن البيع والشراء
ايضا وجميع الاشتغال لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى دعا الى الجمل الاحمر لا وجدت انما بنيت

فافتى باخراجه من المسجد وابعاده عنه

النبى على مساجد

ياتى الله يوم القيمة بمساجد الدنيا كانها نجايب بيض

المساجد لما بنيت له خرجه مسلم من حديث سليمان بن بريدة عن ابيه ان النبى صلى الله عليه وسلم لما
صلى قام رجل فقال من دعا الى الجمل الاحمر فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا وجدت انما بنيت المساجد لما
بنيت له وهذا يدل على ان الاصل ان لا يعمل غير الصلوات والاذكار وقراءة القران وكذا جاء مفسرا
من حديث انس قال بينما نحن فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اعرابى فقام يبول فى المسجد
فقال اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مه مه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه دعوه فتركوه
حتى بال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول
ولا القذر انما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القران او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فامر
رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه خرجه مسلم ومما يدل على هذا من الكتاب قوله الحق ويذكر فيها
اسمه وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاوية بن الحكم السلمى ان هذه المساجد لا يصلح فيها شىء من كلام الناس انما هى
للتسبيح والتكبير وقراءة القران او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله خرجه مسلم فى صحيحه
وحسبك وسمع عمر بن الخطاب رض الله عنه صوت رجل فى المسجد فقال ما هذا الصوت اتدرى اين انت
وكان خلف بن ايوب جالسا فى مسجده فاتاه غلامه يساله عن شىء فقام وخرج واجابه فقيل له فى ذلك فقال
ما تكلمت فى المسجد بكلام الدنيا منذ كذا وكذا فكرهت ان اتكلم اليوم **السابعة** روى الترمذى من حديث
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن تناشد الاشعار فى المسجد وعن
البيع والشراء فيه وان يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة قال وفى الباب عن بريدة وجابر وانس حديث
عبد الله بن عمرو حديث حسن قال محمد بن اسمعيل رايت محمدا واسحاق وذكر غيرهما يحتجون بحديث عمرو بن
شعيب وقد كرهه قوم من اهل العلم البيع والشراء فى المسجد وبه يقول احمد واسحق وروى ان عيسى بن مريم
عليهما السلام اتى على اقوام يتبايعون فى المساجد فجعل رداءه مخراقا ثم جعل يسعى عليهم ضربا ويقول
يا ابناء الافاعى اتخذتم مساجد الله اسواقا هذا سوق الاخرة قال المؤلف رحمه الله وقد كره بعض اصحابنا
تعليم الصبيان فى المساجد وراى انه من باب البيع وهذا اذا كان باجرة فان كان بغير اجرة يمنع ايضا
من وجه اخر وهو ان الصبيان لا يتحرزون عن الاقذار والوسخ فيؤدى ذلك الى عدم تنظيف المساجد
وقد امر صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم
واقامة حدودكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم وجمروها فى الجمع واجعلوا على ابوابها المطاهر فى اسناده
العلا بن كثير مولى بنى امية وهو ضعيف عندهم وذكر ابو احمد بن عدى الجرجانى الحافظ وذكر ابو احمد
ايضا من حديث على بن ابى طالب قال صليت العصر مع عثمان امير المؤمنين فراى خياطا فى ناحية المسجد
فامر باخراجه فقال يا امير المؤمنين انه يكنس المسجد ويغلق الابواب ويرش احيانا فقال عثمان انى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جنبوا صناعكم من مساجدكم هذا حديث غير محفوظ فى اسناده محمد بن
مجيب الثقفى وهو ذاهب الحديث قال المؤلف رحمه الله ما ورد فى هذا المعنى وان كان طريقه لينا فهو صحيح معنى
يدل على صحته ما ذكرناه قبل قال الترمذى وقد روى عن بعض اهل العلم من التابعين رخصة فى البيع
والشراء فى المسجد وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غير حديث رخصة فى انشاد الشعر فى المسجد
قال المؤلف رحمه الله اما تناشد الشعر فاختلف فى ذلك فمن مانع مطلقا ومن مجيز مطلقا والاولى
التفصيل وهو ان ينظر الى الشعر فان كان مما يقتضى الثناء على الله عز وجل او على رسوله صلى الله عليه وسلم
او الذب عنهما كما كان حسان يقول او يتضمن الحض على الخير والوعظ والزهد فى الدنيا والتقلل منها فهو
حسن فى المساجد وغيرها كقول القايل

طرقى يا نفس كى اقصد فردا صمدا ... وذرينى لست ابغى غير ربى احدا
فهو انسى وجليسى ودعى الناس فما ... ان تجدى من دونه ملتحدا

وما لم يكن كذلك لم يجز لان الشعر فى الغالب لا يخلو عن الفواحش والكذب والتزين بالباطل ولو سلم من
ذلك فاقل ما فيه اللغو والهزل والمساجد منزهة عن ذلك لقوله فى بيوت اذن الله ان ترفع وقد
يجوز انشاده فى المسجد كقول القايل

كفعل الغراب الفرد يضربه الندى ... تعلى الندى فى متنه وتحدرا

وقول الاخر

اذا سقط الغمام بارض قوم ... رعيناه وان كانوا غضابا

فاتاه غلامه يساله عن شىء فقام فخرج واجابه

جنبوا صناعكم من مساجدكم

فهذا النوع وان لم يكن فيه حمد ولا ثنا يجوز لانه خال من الفواحش والكذب وسيأتي ذكر الاشعار الجائزة
وغيرها مما فيه كفاية في الشعر ان شا الله تعالى وقد روى الدارقطني من حديث هشام بن عروة عن
عايشة رضي الله عنها قالت ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر فقال هو كلام حسنه حسن
وقبيحه قبيح وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
ذكره في السنن قال المؤلف رحمه الله واصحاب الشافعي يأثرون هذا الكلام عن الشافعي وان لم
يتكلم به غيره وكانهم لم يقفوا على الاحاديث في ذلك والله اعلم **الثامنة** واما رفع الصوت فان كان
مما تقتضي مصلحة للرافع صوته دعي عليه بنقيض قصده لحديث بريدة المتقدم وحديث ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فان
المساجد لم تبن لهذا والى هذا ذهب مالك وجماعة حتى كرهوا رفع الصوت في المسجد في العلم وغيره
واجاز ابو حنيفة واصحابه ومحمد بن مسلمة من اصحابنا رفع الصوت فيه في الخصومة والعلم قالوا لانهم لابد لهم
من ذلك وهذا مخالف لظاهر الحديث وقولهم لابد لهم من ذلك ممنوع بل لهم بد من ذلك لوجهين احدهما
بملازمة الوقار والحرمة وباحضار ذلك بالبال والتحرز من نقيضه والثاني انه اذا لم يتمكن من ذلك فليتخذ
لذلك موضعا يخصه كما فعل عمر حيث بنى رحبة تسمى البطيحا وقال من اراد ان يلغط او ينشد شعرا
يعني في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليخرج الى هذه الرحبة وهذا يدل على ان عمر كان يكره
انشاد الشعر في المسجد ولذلك بنى البطيحا خارجه **التاسعة** واما النوم في المسجد لمن احتاج الى ذلك
من رجل وامراة كالغربا ومن لا بيت له فجائز لان في البخاري وقال ابو عبد الله قلابة عن انس قدم رهط
من عكل على النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في الصفة وقال عبد الرحيم ابن ابي بكر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصحاب الصفة فقرا وفي الصحيحين عن ابن عمر انه كان ينام وهو شاب اعزب لا اهل له في مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم لفظ البخاري وترجم باب نوم المراة في المسجد وادخل حديث عايشة في قصة السودا التي
اتهمها اهلها بالوشاح قالت عايشة رضي الله عنها وكان لها خبا في المسجد حفش الحديث وقيل كان
بيت عطا ابن ابي رباح في المسجد اربعين سنة **العاشرة** روى مسلم عن ابي حميد او عن ابي اسيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا
خرج قال اللهم اني اسالك من فضلك خرجه ابو داود وكذلك الا انه زاد بعد قوله اذا دخل احدكم المسجد
فليسلم وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي الحديث وروى ابن ماجة عن فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال بسم الله والسلام
على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج قال بسم الله والسلام على رسول الله
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وفضلك وروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم وخرج ابو داود عن حيوة قال لقيت
عقبة بن مسلم فقلت له بلغني انك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل
المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال نعم قال فاذا
قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم **الحادية عشرة** روى مسلم عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وعنه قال دخلت المسجد ورسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس بين ظهراني الناس قال فجلست فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تركع ركعتين
قبل ان تجلس فقلت يا رسول الله رايتك جالسا والناس جلوس قال فاذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع
ركعتين قال العلما فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسجد مزية يتميز بها عن سائر البيوت وهو ان لا يجلس
حتى يركع وعامة العلما على ان الامر بالركوع على الندب والترغيب وقد ذهب داود واصحابه الى ان ذلك على
الوجوب وهذا باطل ولو كان الامر على ما قالوه لحرم دخول المسجد على المحدث الحدث الاصغر حتى يتوضا ولا
قايل به فيما اعلم والله اعلم فان قيل فقد روى ابو ابراهيم بن يزيد عن الاوزاعي عن يحيى ابن كثير عن ابي سلمة بن عبد
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين واذا دخل
احدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله سبحانه وتعالى جاعل له في ركعتيه في بيته خيرا فهذا يقتضي

التسوية بين المسجد والبيت قيل له هذه الزيادة في الركوع عند دخول البيت لا اصل لها قال ذلك البخاري وانما
يصح في هذا حديث لابي قتادة الذي تقدم لمسلم وابراهيم هذا لا اعلم له روى عنه الا سعد بن عبد الحميد
ولا اعلم له الا هذا الحديث الواحد قاله ابو محمد عبد الحق **الثانية عشرة** روى سعيد بن زبان حدثني ابي عن
ابيه عن جده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال حمل تميم يعني الداري من الشام الى المدينة قناديل وزيتا ومقطا
فلما انتهى الى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة فامر غلاما يقال له ابو البراد فقام فنشط المقط وعلق القناديل
وصب فيها الماء والزيت وجعل فيها الفتيل فلما غربت الشمس امر ابا البراد فاسرجها وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا هو يزهر فقال من فعل هذا قالوا تميم الداري يا رسول الله فقال نورت الاسلام
نور الله عليك في الدنيا والاخرة اما انه لو كانت لي ابنة لزوجتكها قال نوفل بن الحارث لي ابنة يا رسول الله تسمى
المغيرة فافعل فيها ما اردت فانكحه اياها زبان بفتح الزاي والبا وتشديدها بنقطة واحدة من تحتها تنفرد
بالتسمي به سعيد وحده فهو ابو عثمان سعيد بن زبان بن فايد بن زبان بن ابي هند وابو هند هذا مولى بني
بياضة حجام النبي صلى الله عليه وسلم والمقط جمع المقاط وهو الحبل وكانه مقلوب القماط وروى ابن ماجة
عن ابي سعيد الخدري قال اول من سرج في المسجد تميم الداري وروى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش يصلون عليه ويستغفرون له ما دام
ذلك الضوء فيه وان كنس غبار المسجد نقد الحور العين قال العلما ويستحب ان ينور البيت الذي يقرا فيه
القران بتعليق القناديل ونصب الشموع فيه ويزاد في شهر رمضان في انوار المساجد **الثالثة عشرة**
قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال اختلف العلما في وصف الله سبحانه وتعالى المسبحين فقيل هم
المراقبون امر الله الطالبون رضاه الذين لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شي من الدنيا وقال كثير من الصحابة
نزلت هذه الاية في اهل الاسواق الذين اذا سمعوا الندا بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا وراى سالم بن عبد
الله اهل الاسواق وهم مقبلون الى الصلاة فقال هاولا الذين اراد الله بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله وروي ذلك عن ابن مسعود وقرا عبد الله بن عامر وعاصم في رواية ابي بكر عنه والحسن يسبح له فيها
بفتح البا على ما لم يسم فاعله وكان نافع وابو عمرو وحمزة يقرون يسبح بكسر البا وكذلك روى ابو عمرو عن عاصم
فمن قرا يسبح بفتح البا كان على معنيين احدهما ان يرفع رجال بفعل مضمر دل عليه الظاهر المعنى يسبحه
رجال فيوقف على هذا على الاصال وقد ذكر سيبويه مثل هذا وانشد

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ... ومختبطٌ مما تُطيح الطوائح

المعنى يبكيه ضارع وعلى هذا تقول ضرب زيد عمرو على معنى ضربه عمرو والوجه الاخر ان يرفع رجال بالابتدا
والخبر في بيوت اي في بيوت اذن الله ان ترفع رجال ويسبح له فيها حال من الضمير اي ترفع كانه قال ان ترفع
له مسبحا له ولا يوقف على هذا التقدير ومن قرا يسبح بكسر البا لم يقف على الاصال لان يسبح فعل الرجال
والفعل يضطر الى فاعله ولا اضمار فيه وقد تقدم القول في الغدو والاصال في اخر الاعراف والحمد لله وحده
الرابعة عشرة قوله يسبح له فيها قيل معناه يصلي قال ابن عباس كل تسبيح في القران صلاة ويدل عليه
قوله بالغدو والاصال اي بالغداة والعشي قال اكثر المفسرين اراد الصلاة المفروضة فالغدو صلاة
الصبح والاصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصال يجمعها **الخامسة عشرة** روى ابو داود
عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج
المحرم ومن خرج الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة كتاب في عليين وخرج
عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشر المشايين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له نزلا
في الجنة كلما غدا او راح وفي غير الصحيح من الزيادة كما ان احدكم لو زاره من يحب زيارته لاجتهد في كرامته
ذكره الثعلبي وخرج مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطهر في بيته
ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرايض الله كان خطوتاه احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في
سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك ان احدهم اذا توضا فاحسن الوضو ثم اتى المسجد لا ينهزه الا الصلاة
لم يخط خطوة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد كان في الصلاة

ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون عليه على احدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه في رواية ما يحدث قال يفسو ويضرط وقال حكيم بن زريق قيل لسعيد بن المسيب احضور الجنازة احب اليكم ام الجلوس في المسجد فقال من صلى على جنازة فله قيراط ومن اتبعها حتى تدفن كان له قيراطان والجلوس في المسجد احب الي لان الملائكة يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تب عليه وروي عن الحكم بن عمر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا في الدنيا اضيافا واتخذوا المساجد بيوتا وعودوا قلوبكم الرقة واكثروا التفكر والبكاء ولا تختلفن بكم الاهواء تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وقال ابو الدرداء لابنه ليكن المسجد بيتك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المساجد بيوت المتقين من كانت المساجد بيته ضمن الله تعالى له بالروح والراحة والجواز على الصراط وكتب ابو صادق الازدي الى شعيب بن الحبحاب عليك بالمساجد فالزمها فانه بلغني انها كانت مجالس الانبيا وقال ابو ادريس الخولاني المساجد مجالس الكرام من الناس وقال مالك بن دينار بلغني ان الله تبارك وتعالى يقول اني اهم بعذاب عبادي فانظر الى عمار المساجد وجلساء القران وولدان الاسلام فيسكن غضبي وروي عنه عليه السلام انه قال سيكون في اخر الزمان رجال ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبها فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال ابن المسيب من جلس في مسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان يقول الا خيرا وقد مضى في تعظيم المساجد وحرمتها ما فيه كفاية وقد جمع بعض العلماء في ذلك خمس عشرة خصلة فقال من حرمة المسجد ان يسلم وقت الدخول ان كان القوم جلوسا وان لم يكن في المسجد احد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وان يركع ركعتين قبل ان يجلس ولا يشتري فيه ولا يبيع ولا يسل فيه سهما ولا سيفا ولا يطلب فيه ضالة ولا يرفع فيه صوتا بغير ذكر الله ولا يتكلم فيه باحاديث الدنيا ولا يتخطى رقاب الناس ولا ينازع في المكان ولا يضيق على احد في الصف ولا يمر بين يدي مصل ولا يبزق ولا يتنخم ولا يتمخط ولا يفرقع اصابعه ولا يعبث بشيء من جسده وان ينزه عن النجاسات والصبيان والمجانين واقامة الحدود وان يكثر ذكر الله سبحانه وتعالى ولا يغفل عنه فاذا فعل هذه الخصال فقد ادى حق المسجد وكان المسجد حرزا له وحصنا من الشيطان الرجيم وفي الخبر ان مسجدا ارتفع باهله الى السماء يشكوهم الى الله لما يتحدثون فيه من احاديث الدنيا وروى الدارقطني عن عامر الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة ان يرى الهلال قبلا فيقال لليلتين وان تتخذ المساجد طرقا وان يظهر موت الفجاة هذا يرويه عبد الكبير بن المعافا عن شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي عن انس والغير يرويه عن الشعبي مرسلا والله اعلم وقال ابو حاتم عبد الكبير بن معافا ثقة كان يعد من الابدال وفي البخاري عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مر في شيء من مساجدنا او اسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها لا يعقر بكفه مسلما وخرج مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اعمال امتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن اعمالها الاذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوي اعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن وخرج ابو داود عن الفرج بن فضالة عن ابي سعيد الحميري قال رايت واثلة بن الاسقع في مسجد دمشق بصق على الحصير ثم مسحه برجله فقيل له لم فعلت هذا قال لاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله فرج بن فضالة ضعيف وايضا فلم يكن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حصير والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بصق على الارض ودلكه بنعله اليسرى ولعل واثلة انما اراد هذا الحصير عليه **السادسة عشرة** لما قال سبحانه وتعالى رجال وخصهم بالذكر خرج النساء والصبيان والعبيد عن الذكر على الاحاطة لما ان المساجد لا جمعة عليهن ولا جماعة وان صلاتهن في بيوتهن افضل وروى ابو داود عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المراة في بيتها افضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها **السابعة عشرة** قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل بها الانسان عن الصلاة فان قيل فلم كرر ذكر البيع والتجارة تشمله قيل له اراد بالتجارة الشراء لقوله ولا بيع نظيره قوله سبحانه وتعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها قاله الواقدي وقال الكلبي التجار هم الجلاب المسافرون والباعة

ازالمساجد بيوت المتقين

اي يشغلهم

هم المقيمون عن ذكر الله اختلف في تاويله فقال عطا يعني حضور الصلاة وقاله ابن عباس وقال المكتوبة وقيل عن الاذان ذكره يحيى بن سلام وقيل عن ذكره باسمائه الحسنى اي يوحدونه ويمجدونه والاية نزلت في اهل الاسواق قاله ابن عمر قال سالم جاز عبد الله بن عمر بالسوق وقد اغلقوا حوانيتهم وقاموا ليصلوا في جماعة فقال فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة الاية وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم الذين يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقيل ان رجلين كانا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم احدهما بياع فاذا سمع النداء بالصلاة فان كان الميزان في يده طرحه ولا يضعه وضعا وان كان بالارض لم يرفعه وكان الاخر قينا يعمل السيوف للتجارة فكان اذا كانت مطرقته على السندان ابقاها موضوعة وان كان قد رفعها القاها من وراء ظهره اذا سمع الاذان فانزل الله هذا ثناء عليهما وعلى كل من اقتدى بهما **الثامنة عشرة** قوله تعالى واقام الصلاة هذا يدل على ان المراد بقوله عن ذكر الله غير الصلاة لانه يكون تكرارا يقال اقام الصلاة اقامة والاصل اقوامة نقلت حركة الواو الى القاف فانقلبت الواو الفا وبعدها الف ساكنة فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فلما اضيفت قام المضاف مقام الهاء فحذفها وان لم تضف لم يجز حذفها الا ترى انك تقول وعد عدة ووزن زنة فلا يجوز حذف الهاء لان الاصل وعد وعدة ووزن وزنة فان اضيفت حذفت الهاء وانشد الفراء

ان الخليط اجدوا البين فانجردوا · واخلفوك عد الامر الذي وعدوا

يريد عدة فحذف الهاء لما اضاف روي من حديث انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يا بني الله يوم القيامة مساجد الدنيا كانها نجب بيض قوائمها من العنبر واعناقها من الزعفران ورؤسها من المسك وازمتها من الزبرجد الاخضر وقوامها والمؤذنون فيها يقودونها وائمتها يسوقونها وعمارها متعلقون بها فتجوز عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول اهل الموقف هولاء ملائكة مقربون او انبياء مرسلون فينادى ما هولاء بملائكة ولا انبياء ولكنهم اهل المساجد والمحافظون على الصلوات من امة محمد صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه قال ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القران الا رسمه يعمرون مساجدهم وهي من ذكر الله خراب شر اهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود يعني انهم يعلمون ولا يعملون بواجبات ما علموا **التاسعة عشرة** قوله تعالى وايتاء الزكاة قيل الزكاة المفروضة قاله الحسن وقال ابن عباس الزكاة هنا طاعة الله والاخلاص اذ ليس لكل مؤمن مال **قوله تعالى يخافون يوما** يعني يوم القيامة **تتقلب فيه القلوب والابصار** يعني من هوله وحذر الهلاك والتقلب التحول والمراد قلوب الكفار وابصارهم فتقلب القلوب انتزاعها من اماكنها الى الحناجر فلا هي ترجع الى اماكنها ولا هي تخرج واما تقلب الابصار فالزرق بعد الكحل والعمى بعد البصر وقيل تتقلب القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك والابصار تنظر من اي ناحية يعطون كتبهم والى اي ناحية يؤخذ بهم وقيل ان قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك ابصارهم لرؤيتهم اليقين وذلك مثل قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فما كان يراه في الدنيا غيا يراه رشدا الا ان ذلك لا ينفعهم في الاخرة وقيل تقلب على جمر جهنم كقوله يوم تقلب وجوههم في النار ونقلب افئدتهم وابصارهم وقيل تتحول المغلقين على الهلاك ولا تنفلت بان تلحقها النار الناضجة وتقصيها اخرى وقيل ان تقلب القلوب والابصار وجيبها وتقلب الابصار النظر الى الجنة لاهوال **قوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما عملوا** فذكر الجزاء على الحسنات ولم يذكر الجزاء على السيئات وان كان يجازى عليها لامرين احدهما انه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة الثاني انه في صفة قوم لا يكون منهم الكبائر فكانت صغائرهم مغفورة **قوله تعالى ويزيدهم من فضله** يحتمل وجهين احدهما ما يضاعفه من الحسنة بعشر امثالها الثاني ما يتفضل به من غير جزاء **والله يرزق من يشاء بغير حساب** اي من غير ان يحاسب على ما اعطاه اذ لا نهاية لعطائه وروي انه لما نزلت هذه الاية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء مسجد قبا فحضر عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله قد افلح من بنى المساجد قال نعم يا ابن رواحة قال وصلى فيها قائما وقاعدا قال نعم يا ابن رواحة قال ولم يبت لله الا ساجدا قال نعم يا ابن رواحة كف عن السجع فما اعطي عبد شيئا شرا من طلاقة في لسانه ذكره الماوردي **قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة** لما ضرب مثل المؤمن ضرب

مثل الكافر مقابله نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس كان يترهب ملتمسا للدين فلما خرج صلى الله عليه وسلم
كفر ابو سهل في اهل الكتاب الضحاك في اعمال الخير للكافر كصلة الرحم ونفع الحيوان والسراب
ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر كالماء في المفاوز يلصق بالارض والآل الذي يكون ضحى كالماء
الا انه يرتفع عن الارض حتى يصير كانه بين السماء والارض وسمي السراب سرابا لانه ينسرب اي
يجري كالماء يقال سرب الفحل اي مضى وسار في الارض ويسمى الآل ايضا ولا يكون الا في البرية والحر
فيغتر به العطشان قال ــــ الشاعر

وكنت كمهريق الذي في سقائه ... لرقراق آل فوق رابية صلد

وقال آخر

فلما كففنا الحرب كانت عهودهم ... كلمع سراب بالفلا متألق

وقال امرؤ القيس

الم انض المطي بكل خرق ... طويل الطول لماع السراب

والقيعة جمع القاع مثل جيرة وجار قاله الهروي وقال ابو عبيدة قيعة وقاع واحد حكاه النحاس والقاع ما
انبسط من الارض واتسع ولم يكن فيه نبت وفيه يكون السراب واصل القاع الموضع المنخفض من الارض الذي
يستقر فيه الماء وجمعه قيعان قال الجوهري القاع المستوي من الارض والجمع اقوع واقواع وقيعان
صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والقيعة مثل القاع وبعضهم يقول هو جمع
قوله تعالى يحسبه الظمآن اي العطشان ماء اي يحسب السراب ماء قوله تعالى حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا مما قدره ووجد ارضا لا ماء فيها وهذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للكفار يعولون على ثواب
اعمالهم فاذا قدموا على الله سبحانه وتعالى وجدوا ثواب اعمالهم محبطة بالكفر اي لم يجدوا شيئا كما لم يجد صاحب
السراب الا ارضا لا ماء فيها فهو يهلك او يموت قوله تعالى ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد فوفاه
حسابه جزاء عمله قال امرؤ القيس

فولى مدبرا يهوي حثيثا ... وايقن انه لاقى الحسابا

وقيل وجد وعد الله بالجزاء على عمله وقيل وجد امر الله عند حشره والمعنى متقارب وقرئ بقيعات
المهدوي ويجوز ان يكون الالف مشبعة من فتحة العين ويجوز ان يكون مثل رجل عزه وعزهات للذي لا يقرب
النساء ويجوز ان يكون جمع الجوهري رجل عزهاة وعزها وعزهى منون لا يطرب للهو ويبعد عنه والجمع
عزاهي مثل سعلاة وسعالي وعزهون بالضم الكسائي رجل فيه عزهوة اي كبر ويكون على هذا بالتاء في
الوصل والوقف وروي عن نافع وابي جعفر وشيبة الظمان بغير همز والمشهور عنهما الهمز يقال ظمئ يظما ظما فهو ظمآن
وان خففت الهمزة قلت الظمان والذين كفروا واعمالهم ابتداء ثان والكاف من كسراب الخبر والجملة خبر عن الذين
ويجوز ان تكون اعمالهم بدلا من الذين كفروا اي واعمال الذين كفروا كسراب فحذف المضاف قوله تعالى
او كظلمات في بحر لجي ضرب الله تعالى مثلا آخر للكفار كسراب بقيعة او كظلمات قال الزجاج ان شئت
مثل بالسراب وان شئت مثل بالظلمات فاو للاباحة حسب ما تقدم من القول في او كصيب من السماء وقال
الجرجاني الآية الاولى في ذكر اعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر على اعمالهم لان الكفر ايضا من
اعمالهم وقد قال الله سبحانه وتعالى يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان وقال ابو علي او
كظلمات اي وكذا الظلمات ودل على هذا المضاف قوله سبحانه وتعالى حتى اذا اخرج يده لم يكد يراها
فالكناية تعود الى المضاف المحذوف قال القشيري فعند الزجاج التمثيل وقع لاعمال الكفار وعند الجرجاني لكفر
الكافر وعند ابي علي للكافر وقال ابن عباس في رواية هذا مثل قلب الكافر بحر لجي قيل هو منسوب الى اللجة
وهذا الذي لا يدرك قعره واللجة معظم الماء والجمع لجج والتج البحر اذا تلاطمت امواجه ومنه ما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من ركب البحر اذا التج فقد برئت منه الذمة والتج الامر اذا عظم واختلط وقوله
حسبته لجة اي ما له عمق ولججت السفينة اي خاضت اللجة بضم اللام فاما اللجة بفتح اللام فاصوات
الناس يقول سمعت لجة الناس اي اصواتهم وصخبهم قال ــــ ابو النجم

في لجة امسك فلانا عن فل

والتجت الاصوات اي اختلطت وعظمت
قوله تعالى يغشاه موج اي يعلو ذلك البحر اللجي موج قوله تعالى من فوقه موج اي من فوق الموج
موج ومن فوق هذا الموج الثاني سحاب فيجتمع خوف الموج وخوف الريح وخوف السحاب وقيل المعنى يغشاه موج
من بعده فيكون الموج يتبع بعضه بعضا حتى كان بعضه فوق بعض وهو اخوف ما يكون اذا توالى موجه وتقارب
ومن فوق هذا الموج سحاب وهو اعظم للخوف من وجهين احدهما انه غطى النجوم الذي يهتدى بها الثاني الريح

تنشو مع السحاب والمطر الذي ينزل منه قوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض قرا ابن محيصن
والبزي عن ابن كثير سحاب ظلمات بالاضافة والخفض قيل سحاب منونا ظلمات بالجر والتنوين الباقون
بالرفع والتنوين قال المهدوي من قرا من فوقه سحاب ظلمات بالاضافة فلان السحاب يرتفع وقت هذه
الظلمات فاضيف اليها كما يقال سحاب رحمة اذا ارتفع في وقت المطر ومن قرا سحاب ظلمات جر ظلمات
على التاكيد لظلمات الاول او البدل منها وسحاب ابتدا او من فوقه الخبر ومن قرا سحاب ظلمات فظلمات
خبر ابتداء محذوف التقدير هي ظلمات او هذه ظلمات قال ابن الانباري ومن فوقه موج غير تام لان
قوله من فوقه سحاب صلة للموج والوقف على قوله من فوقه سحاب حسن ثم تبتدي ظلمات بعضها
فوق بعض على معنى هي ظلمات بعضها فوق بعض فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على السحاب
ثم قيل المراد بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر ولا يبصر من كان في هذه
الظلمات شيئا ولا كوكبا وقيل المراد بالظلمات الشدائد اي شدائد بعضها فوق بعض وقيل المراد بالظلمات
اعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه وبالموج فوق الموج ما يغشى قلبه من الشك والجهل والشك والحيرة
وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه روي معناه عن ابن عباس وغيره اي لا يبصر بقلبه نور الايمان
كما ان صاحب الظلمات في البحر اذا اخرج يده لم يكد يراها وقال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم
كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة الى الظلمات في النار وبئس
المصير اذا اخرج يده يعني الناظر لم يكد يراها اي من شدة الظلمات قال الزجاج وابو عبيدة المعنى
لم يراها ولم يكد وهو معنى قول الحسن ومعنى لم يكد لم يطمع ان يراها وقال الفراء كاد صلة اي لم يراها كما
تقول ما كدت اعرفه وقال المبرد يعني لم يرها الا من بعد الجهد كما تقول ما كدت اراك من الظلمة
وقد رآه بعد ياس وشدة وقيل معناه قرب من الرؤية ولم ير كما يقال كاد العروس يكون اميرا
وكاد النعام يطير وكاد المنتعل يكون راكبا النحاس واصح الاقوال في هذا ان المعنى لم يقارب رؤيتها
فاذا لم يقارب رؤيتها فلم يرها رؤية قريبة ولا بعيدة قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا يهتدي
به اظلمت عليه الامور وقال ابن عباس اي من لم يجعل الله له دينا فما له من دين ومن لم يجعل الله له نورا يمشي
به يوم القيامة لم يهتد الى الجنة كقوله ويجعل لكم نورا تمشون به وقال الزجاج ذلك في الدنيا والمعنى من لم
يهده الله لم يهتد وقال مقاتل بن سليمان نزلت في عتبة بن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس
المسوح ثم كفر في الاسلام قال المؤلف رحمه الله الماوردي في شيبة بن ربيعة وكان يترهب في الجاهلية
ويلبس الصوف ويطلب الدين وكفر في الاسلام قال المؤلف رحمه الله وكلاهما مات كافرا ولا يبعد
ان يكونا هما المراد بالآية وغيرهما وقيل نزلت في عبد الله بن جحش كان اسلم وهاجر الى ارض الحبشة ثم
تنصر بعد اسلامه وذكر الثعلبي وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني من نور وخلق ابا بكر
من نوري وخلق عائشة من نور ابي بكر وخلق المومنين من امتي من نور عمر وخلق المومنات من امتي من نور
عائشة فمن لم يحبني ويحب ابا بكر وعائشة فما له من نور فنزلت ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات لما ذكر وضوح الآيات
زاد في الحجة والبينات وبين ان مصنوعاته تدل بتغيرها على ان لها صانعا قادرا على الكمال فله بعثة
الرسل وقد بعثهم وايدهم بالمعجزات واخبروا بالجنة والنار والخطاب في الم تعلم للنبي صلى الله عليه وسلم
ومعناه الم تعلم والمراد الكل ان الله يسبح له من في السموات والارض من الملائكة ومن في الارض من الجن
والانس والطير صافات قال مجاهد وغيره الصلاة للانسان والتسبيح لما سواه من الخلق وقال
سفيان للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود وقيل ان ضربها واجنحتها صلاة وان اصواتها تسبيح
حكاه النقاش وقيل التسبيح هاهنا ما يرى في المخلوقين من اثر الصنعة ومعنى صافات مصطفات
الاجنحة في الهواء وقراءة الجماعة والطير بالرفع عطفا على من وقال الزجاج ويجوز والطير بمعنى مع
الطير قال النحاس وسمعته يجيز قمت وزيدا بمعنى مع زيد قال وهو اجود من الرفع قال فان قلت قمت
انا وزيد كان الاجود الرفع ويجوز النصب قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يجوز ان يكون المعنى
كل قد علم الله صلاته وتسبيحه اي علم صلاة المصلي وتسبيح المسبح ولهذا قال والله عليم بما يفعلون اي لا
يخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم ومن هذه الجهة يجوز نصب كل عند البصريين والكوفيين باضمار

ان الله خلقني من نور وخلق ابا بكر من نوري

يفترض ما بعده قال مجاهد الصلاة للانسان والتسبيح لما سوي ذلك من خلقه وقيل المعني قد علم كل
مصل ومسبح صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلف به وقرأ بعض الناس كل قد علم صلاته وتسبيحه
وذكر بعض النحويين ان بعضهم قرأ كل قد علم صلاته وتسبيحه ويجوز ان يكون تقديره كل قد علم الله صلاته
وتسبيحه اي صلاة نفسه فيكون التعليم هو الافهام والمراد الخصوص لان من الناس من لم يعلم ويجوز ان
يكون المعني كل قد استدل منه المستدل فعبر عن الاستدلال بالتعليم قاله المهدوي والصلاة هنا
بمعني التسبيح وكرر تاكيدا كقوله يعلم السر والنجوي والصلاة قد تسمي تسبيحا قاله القشيري
قوله تعالي ولله ملك السموات والارض والي الله المصير تقدم في غير موضع قوله تعالي
الم تر ان الله يزجي سحابا ذكر من حججه شيئا اخر الم تر بعيني قلبك يزجي سحابا اي يسوق سحابا الي حيث يشاء
والريح يزجي السحاب والبقرة تزجي ولدها اي تسوقه ومنه زجا الخراج يزجو زجاء ممدودا اذا تيسرت
جبايته قال النابغة

اني اتيتك من اهلي ومن وطني ... ازجي حشاشة نفس ما بها رمق

وقال ايضا

اسرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجي الشمال عليه جامد البرد

قوله تعالي ثم يؤلف بينه اي يجمعه عند انتشائه ليقوي ويتصل ويكثف والاصل في التاليف الهمز
تقول يؤلف وقرأ يولف بالواو تخفيفا والسحاب واحد في اللفظ ولكن معناه جمع ولهذا قال وينشي
السحاب الثقال وبين لا يقع الا لاثنين فصاعدا فكيف جاز بينه والجواب ان بينه هاهنا لجماعة
السحاب كما تقول الشجر قد جلست بينه لانه جمع وذكر الكناية علي اللفظ قال معناه الفراء وجواب اخر وهو
ان يكون السحاب واحدا فجاز ان يقال بينه لانه مشتمل علي قطع كثيرة كما قال بين الدخول فحومل فاوقع
بين علي الدخول وهو واحد لاشتماله علي مواضع وكما تقول ما زلت ادور بين الكوفة لان الكوفة اماكن
كثيرة قاله الزجاج وغيره وزعم الاصمعي ان هذا لا يجوز وكان يروي بين الدخول وحومل
قوله تعالي ثم يجعله ركاما اي مجتمعا يركب بعضه بعضا كقوله سبحانه وتعالي وان يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم والركم جمع الشيء يقال منه ركم الشيء يركمه ركما اذا جمعه والقي
بعضه علي بعض وارتكم الشيء وتراكم اذا اجتمع والركمة الطين المجموع والركام الرمل المتراكب وكذلك
السحاب وما اشبهه ومرتكم الطريق بفتح الكاف جادته قوله تعالي فتري الودق يخرج من
خلاله في الودق قولان احدهما انه البرق قاله ابو الاشهب العقيلي ومنه قول الشاعر

اثرن عجاجة وخرجن منها ... خروج الودق من خلل السحاب

الثاني انه المطر قاله الجمهور ومنه قول الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا ارض ابقل ابقالها

وقال امرؤ القيس

فدمعهما ودق وسح وديمة ... وسكب وتوكاف وتنهملان

يقال ودقت السحاب فهي وادقة وودق المطر يدق ودقا اي قطر وودقت اليه اي دنوت
منه وفي المثل ودق العير الي الماء اي دنا منه يضرب لمن خضع للشيء لحرصه عليه والموضع مودق
وودقت به ودقا استانست به ويقال لذات الحافر اذا ارادت الفحل ودقت تدق ودقا واودقت
واستودقت واتان ودوق وفرس ودوق ووديق ايضا بعا وداق والودق لغة شدة الحر وخلال
جمع خلل مثل جبل وجبال وهي فرجه ومخارج القطر منه وقد تقدم في البقرة ان كعبا قال ان السحاب
غربال المطر لولا السحاب حين ينزل الماء من السما لافسد ما يقع عليه من الارض وقرأ ابن عباس والضحاك
وابو العالية من خلله علي التوحيد ويقول كنت في خلال القوم اي وسطهم وينزل من السماء من جبال
فيها من برد قيل خلق الله في السماء جبالا من برد فهو ينزل منها بردا وفيه اضمار اي ينزل من
جبال البرد بردا فالمفعول محذوف ونحو هذا قال الفراء لان التقدير عنده من جبال برد فالجبال
عنده هي البرد وبرد في موضع خفض ويجب ان يكون علي قوله المعني من جبال برد فيها بتنوين جبال
وقيل ان الله سبحانه وتعالي خلق في السماء جبالا فيها برد فيكون التقدير وينزل من السماء من جبال
فيها برد ومن صلة وقيل المعني وينزل من السماء قدر جبال او مثل جبال من برد الي الارض فمن الاولي
للغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان البرد بعض الجبال والثالثة لتبيين

للجنس لان جنس تلك الجبال من البرد وقال الاخفش ان من في الجبال وبرد زائدة في الموضعين والجبال والبرد
في موضع نصب اي ينزل من السماء بردا يكون كالجبال والله اعلم قوله تعالي فيصيب به من يشاء
ويصرفه عن من يشاء فيكون اصابته نقمة وصرفه نعمة وقد مضي في البقرة والرعد ان من قال حين يسمع
الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته عوفي مما يكون في ذلك الرعد قوله تعالي
يكاد سنا برقه اي ضوء ذلك البرق الذي في السحاب قوله تعالي يذهب بالابصار من شدة بريقه
وضوئه قال الشماخ

وما كادت اذا رفعت سناها ... ليبصر ضوءها الا البصير

وقال امرؤ القيس

يضيء سناه او مصابيح راهب ... اهان السليط في الذبال المفتل

فالسنا مقصور ضوء البرق والسنا ايضا نبت يتداوي به والسناء من الرفعة ممدود وكذلك قراءة طلحة
بن مصرف بالمد علي المبالغة في شدة الضوء والصفا فاطلق عليه اسم الشرف قال المبرد السنا مقصور
وهو اللمع فاذا كان من الشرف والحسب فهو ممدود واصلهما واحد وهو الالتماع وقرأ طلحة بن مصرف
سنا برقه قال احمد بن يحيي وهو جمع برقة قال النحاس البرقة المقدار من البرق والبرقة المرة الواحدة
وقرأ الجحدري وابن القعقاع يذهب بالابصار بضم الياء وكسر الهاء من الاذهاب وتكون الباء في بالابصار
صلة زائدة الباقون يذهب بالابصار بفتح الهاء والباء للالصاق والبرق دليل علي تكاثف السحاب وتذير بقوة
المطر ويحذر من نزول الصواعق قوله تعالي يقلب الله الليل والنهار قيل تقليبهما ان ياتي باحدهما
بعد الاخر وقيل تقليبهما زيادتهما ونقصانهما وقيل هو تغيير النهار بظلمة السحاب مرة وبضوء الشمس
اخري وكذا الليل مرة بظلمة السحاب ومرة بضوء القمر قاله النقاش وقيل تقليبهما باختلاف
ما يقدر فيهما من خير وشر ونفع وضر قوله تعالي ان في ذلك اي في الذي ذكرناه من تقلب الليل
والنهار واحوال المطر والصيف والشتاء لعبرة اي اعتبارا لاولي الابصار اي لاهل البصائر من خلقي
قوله تعالي والله خلق كل دابة من ماء قرأ يحيي بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي والله
خالق كل بالاضافة الباقون خلق علي الفعل قيل ان المعنيين في القرائتين صحيحان اخبر الله عز وجل بخبرين
ولا ينبغي ان يقال في هذا احد القرائتين اصح من الاخري وقد قيل ان خلق لشيء مخصوص وانما يقال خالق
علي العموم كما قال عز وجل الخالق الباري وفي الخصوص الحمد لله الذي خلق السموات والارض وكذا هو
الذي خلقكم من نفس واحدة وكذا يجب ان يكون خلق الله كل دابة من ماء والدابة كل ما دب علي الارض
من الحيوان يقال دب يدب فهو داب والهاء للمبالغة وقد تقدم في البقرة من ماء لم يدخل في هذا الجن والملائكة
لانا لم نشاهدهم ولم يثبت انهم خلقوا من ماء بل في الصحيح ان الملائكة خلقوا من نور والجان من نار وقد
تقدم وقال المفسرون من ماء اي من نطفة قال النقاش اراد امنية الذكور وقال جمهور النظرة اراد ان
خلقة كل حيوان فيها ماء كما خلق الله ادم من الماء والطين وهذا يتخرج قول النبي صلي الله عليه وسلم للشيخ
الذي سال في غزاة بدر ممن انتما فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم نحن من ماء الحديث فقال قوم لا يستثني
الجن والملائكة بل كل حيوان خلق من الماء وخلق النار من الماء اذ اول ما خلق الله سبحانه وتعالي من العالم
الماء ثم خلق كل شيء من الماء الذي منه قلت ويدل علي صحة هذا قوله فمنهم من يمشي علي بطنه المشي علي البطن للحيات
والحوت ونحوه من الدود وغيره وعلي الرجلين الانسان والطير اذا مشي والاربع لسائر الحيوان وفي
مصحف ابي ومنهم من يمشي علي اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان كالسرطان والخشاش ولكنه قران
لم يثبته اجماع لكن قال النقاش انما اكتفي في القول بذكر ما يمشي علي اربع عن ذكر ما يمشي علي اكثر
لان جميع الحيوان انما اعتماده علي اربع وهي قوام مشيه وكثرة الارجل في بعضه زيادة في خلقته لا يحتاج
ذلك الحيوان في مشيه الي جميعها قال ابن عطية والظاهر ان تلك الارجل الكثيرة ليست باطلا بل هي
محتاج اليها في تنقل الحيوان وهي كلها تتحرك في تصرفه وقال بعضهم ليس في الكتاب ما يمنع من المشي
علي اكثر من اربع اذ لم يقل ليس منها ما يمشي علي اكثر من اربع وقيل فيه اضمار اي ومنهم من يمشي علي
اكثر من اربع كما وقع في مصحف ابي والله اعلم ودابة تشمل من يعقل وما لا يعقل فغلب من يعقل لما
اجتمع مع من لا يعقل لانه المخاطب والمعتمد ولذلك قال فمنهم فاشار بالاختلاف الي ثبوت الصانع
اي لولا ان للجميع صانعا مختارا لما اختلفوا بل كانوا من جنس واحد وهو كقوله تسقي بماء واحد

ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات قوله تعالى يخلق الله ما يشا ان الله على كل شي
قدير مما يريد خلقه قدير قوله تعالى لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشا الى صراط
مستقيم تقدم بيانه في غير موضع قوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول يعني المنافقين
يقولون بالسنتهم امنا بالله وبالرسول من غير يقين ولا اخلاص واطعنا اي ويقولون وكذبوا ثم يتولى فريق
منهم بعد ذلك وما اولئك بالمومنين قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم فريق
اذا فريق منهم معرضون فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله قال الطبري
وغيره ان رجلا من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود حكومة في ارض فدعاه اليهودي
الى التحاكم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا فابى من ذلك وقال ان محمدا يحيف علينا
فلنحكم عند كعب بن الاشرف فنزلت الاية فيه وقيل نزلت في المغيرة بن وايل بن بني امية كان بينه وبين
علي بن ابي طالب رض خصومة في ماء وارض فامتنع المغيرة ان يحاكم عليا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال انه يبغضني فنزلت الاية ذكره الماوردي وقال ليحكم ولم يقل ليحكما لان المعني الرسول عليه السلام
وانما بدا بذكر الله اعظاما لله واستفتاح كلام الثانية قوله تعالى وان يكن لهم الحق ياتوا
اليه مذعنين اي طايعين منقادين لعلمهم انه عليه السلام يحكم بالحق يقال اذعن فلان لحكم فلان يذعن
اذعانا وقال النقاش مذعنين خاضعين مجاهد مستدعين الاخفش وابن الاعرابي مقرين قوله تعالى
افي قلوبهم مرض شك وريب ام ارتابوا ام حدث لهم شك في نبوته وعدله قوله تعالى ام يخافون
ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يجور في الحكم والظلم واتى بلفظ الاستفهام لانه اشد في التوبيخ
وابلغ في الذم كقول ــــــــــ جرير في المدح

الستم خير من ركب المطايا … واندى العالمين بطون راح

بل اولئك هم الظالمون اي المعاندون الكافرون لاعراضهم عن حكم الله سبحانه الثالثة القضا يكون
للمسلمين اذا كان المعاهد والمسلم ولا حق لاهل الذمة فيه واذا كان بين ذميين فذلك اليهما فان جا قاضي
الاسلام فان شا حكم وان شا اعرض كما تقدم في المايدة الرابعة هذه الاية دليل على وجوب اجابة
الداعي الى الحاكم لان الله سبحانه وتعالى ذم من دعي الى رسوله ليحكم بينه وبين خصمه باقبح الذم فقال
افي قلوبهم مرض الاية قال ابن خويزمنداد واجب من دعي الى مجلس الحاكم ان يجيب ما لم يعلم ان الحاكم فاسق
او عداوة بين المدعي والمدعي عليه واسند الزهراوي عن الحسن بن ابي الحسن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من دعاه خصمه الى حاكم من حكام المسلمين ولم يجب فهو ظالم ولا حق له ذكره الماوردي ايضا قال ابن العربي
وهذا حديث باطل فاما قوله فهو ظالم فكلام صحيح واما قوله فلا حق له فلا يصح ويحتمل ان يريد انه على
غير الحق قوله تعالى انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله اي الى كتاب الله وحكم رسوله
قوله تعالى ان يقولوا سمعنا واطعنا قال ابن عباس اخبر بطاعة المهاجرين والانصار وان كان ذلك
فيما يكرهون اي هذا قولهم وهاولا لو كانوا مومنين لقالوا سمعنا واطعنا فالقول نصب على خبر كان
واسمها في قوله ان يقولوا نحو وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقيل انما قول المومنين وكان
صلة في الكلام كقوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقرا ابن القعقاع ليحكم بينهم غير مسمى الفاعل
علي ابن ابي طالب انما كان قول بالرفع قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فيما امر به وحكم ويخشى الله
ويتقه قراء حفص ويتقه باسكان القاف على نية الجزم قال ــــــــــ الشاعر

ومن يتق فان الله معه … ورزق الله موتاب وغادي

وكسرها الباقون لان جزمه بحذف اخره واسكن الها ابو عمرو وابو بكر واختلس الكسرة يعقوب وقالون عن
نافع والمسيبي عن ابي عمرو وحفص واشبع كسرة الها الباقون قوله تعالى فاولئك هم الفايزون
ذكر اسلم ان عمر رضي الله عنه بينما هو قايم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا رجل من دهاقين الروم
قايم على راسه وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال عمر ما شانك قال
اسلمت لله قال هل لهذا سبب قال نعم اني قرات التوراة والزبور والانجيل وكثيرا من كتب الانبيا
فسمعت اسيرا يقرا اية من القران جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة فعلمت انه من عند الله فاسلمت
قال ما هذه الاية قال قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله في السنن ويخش الله فيما مضى في الفرايض

في الفرايض

سمع آية من القران فاسلم

من عمره ويتقه فيما بقي من عمره فاولئك هم الفايزون والفايز من نجي من النار وادخل الجنة فقال عمر قال
النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
عاد الى ذكر المنافقين فانه لما بين كراهتهم لحكم النبي صلى الله عليه وسلم اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان
نخرج من ديارنا ونسايبنا واموالنا لخرجنا ولو امرتنا بالجهاد لجاهدنا فنزلت هذه الاية اي واقسموا بالله
انهم يخرجون معك في المستانف ويطيعون جهد ايمانهم اي طاقة ما قدروا ان يحلفوا وقال مقاتل من حلف
بالله فقد اجهد في اليمين وقد مضى في الانعام بيان هذا وجهد منصوب على مذهب المصدر تقديره
اقساما بليغا قل لا تقسموا وبه تم الكلام قوله تعالى طاعة معروفة اي طاعة معروفة اولى بكم
من ايمانكم او ليكن منكم طاعة معروفة وقول معروف باخلاص القلب ولا حاجة الى اليمين وقال مجاهد المعنى
قد عرفت طاعتكم وهي الكذب والتكذيب اي المعروف منكم الكذب دون الاخلاص قوله تعالى
ان الله خبير بما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قوله تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
باخلاص الله وترك النفاق فان تولوا اي فان تتولوا فحذف احدى التايين ودل على هذا ان بعده وعليكم
ولم يقل وعليهم قوله تعالى فانما عليه ما حمل اي من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي من الطاعة
له عن ابن عباس وغيره قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا جعل الاهتداء مقرونا بطاعته وما على
الرسول الا البلاغ المبين قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض الاية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما قاله مالك وقيل ان سبب هذه الاية ان بعض اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على انفسهم وانهم لا يضعون
اسلحتهم فنزلت هذه الاية وقال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين بمكة بعد ما اوحي الله اليه
خايفا هو واصحابه يدعون الى الله سرا وجهرا ثم امر بالهجرة الى المدينة وكانوا فيها خايفين يصبحون ويمسون
في السلاح فقال رجل يا رسول الله ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لن تلبثوا
الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديد ونزلت هذه الاية واظهر الله نبيه على
جزيرة العرب فوضعوا السلاح وامنوا قال النحاس فكان في هذه الاية دلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان الله جل وعز انجز ذلك الوعد قال النحاس في كتاب المنقلب هذه الاية تتضمن خلافة ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي لانهم اهل الايمان وعملوا الصالحات وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون
والى هذا القول قال ابن العربي في احكامه واختاره وقال قال علماونا هذه الاية دليل على ان خلافة الخلفاء
الاربعة رضي الله عنهم وان الله استخلفهم ورضي امانتهم وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم لانه لم يتقدمهم
احد في الفضيلة الى يومنا هذا فاستقر الامر لهم وقاموا بسياسة المسلمين وذبوا عن حوزة الدين فنفذ
الوعد فيهم واذا لم يكن هذا الوعد لهم نجز وفيهم نفذ وعليهم ورد ففيمن يكون اذن وليس بعدهم مثلهم الى
يومنا هذا ولا يكون فيما بعده رضي الله عنهم وحكى هذا القول القشيري عن ابن عباس واحتجوا بما رواه
سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي
ثلثون سنة ثم يكون ملكا قال سفينة امسك خلافة ابي بكر رض سنتان وخلافة عمر عشر وخلافة عثمان
اثنا عشر سنة وخلافة علي ست سنين وقال قوم هذا وعد لجميع الامة في ملك الارض كلها تحت كلمة
الاسلام كما قال عليه الصلاة والسلام زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي
ما زوي لي منها واختار هذا القول ابن عطية في تفسيره حيث قال والصحيح في الاية انها في استخلاف الجمهور
واستخلافهم هو ان يملكهم البلاد ويجعلهم اهلها كالذي جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب
قال ابن العربي قلنا لهم هذا وعد عام في النبوة والخلافة واقامة الدعوة وعموم الشريعة فنفذ الوعد
في كل احد بقدره وعلى حاله حتى في المفتين والقضاة والايمة وليس للخلافة محل تنفذ فيه الموعدة الكريمة
الا من تقدم من الخلفا ثم ذكر قيل هذا اعتراضا وانفصالا معناه فان قيل هذا الامر لا يصح الا في ابي بكر وحده
فاما عمر وعثمان فقتلا غيلة وقد نوزع علي في الخلافة قلنا ليس في ضمن الامن السلامة من الموت باي وجه
كان واما علي فلم يكن نزاله في الحرب مذهبا للامن وليس من شرط الامن رفع الحرب انما شرطه ملك
الانسان لنفسه باختياره لا كما كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم قال في اخر كلامه وحقيقة الحال انهم كانوا
مقهورين فصاروا قاهرين وكانوا مطلوبين فصاروا طالبين فهذا نهاية الامن والعز قال المولف رحمه

ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح

الخلافة بعدي ثلثون سنة

الله هذه الحال لا تختص بالخلفاء الاربعة رضي الله عنهم حتى يخصوا بها من عموم الاية بل شاركهم في ذلك جميع المهاجرين بل وغيرهم الا ترى الى غزاة قريش في احد وغيرها خاصة الخندق حتى اخبر سبحانه وتعالى عن جميعهم فقال اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ثم ان الله رد الكافرين لم ينالوا خيرا وامن المؤمنين واورثهم ارضهم وديارهم وهو المراد بقوله ليستخلفنهم في الارض وقوله كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل اذ اهلك الجبابرة بمصر واورثهم ديارهم واموالهم فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وهكذا كانت الصحابة مستضعفين خائفين ثم ان الله امنهم ومكنهم وملكهم فصح ان الاية عامة لامة محمد صلى الله عليه وسلم غير مخصوصة اذ التخصيص لا يكون الا بخبر ممن يجب التسليم ومن الاصل المعلوم التمسك بالعموم وجاء في معنى تبديل خوفهم بالامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اصحابه ما يأتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تلبثون الا قليلا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديدة وقال عليه السلام والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخشى الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون خرجه مسلم في صحيحه فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالاية معجزة النبوة لانها اخبار عما سيكون فكان قوله تعالى ليستخلفنهم في الارض فيه قولان احدهما يعني ارض مكة لان المهاجرين سالوا ذلك فوعدوا كما وعدت بنو اسرائيل قال معناه النقاش الثاني بلاد العرب والعجم قال ابن العربي وهو الصحيح لان ارض مكة محرمة على المهاجرين قال النبي صلى الله عليه وسلم لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة وقال في الصحيح ايضا يمكث المهاجر بمكة بعد قضا نسكه ثلاثا واللام في ليستخلفنهم جواب قسم مضمر لان الوعد قول مجازها قال الله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الارض فيجعلهم ملوكها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم وقراءة العامة كما استخلف بفتح التاء واللام لقوله وعد وقوله ليستخلفنهم وقرا عيسى بن عمر وابو بكر والمفضل عن عاصم استخلف بضم التاء وكسر اللام على الفعل المجهول **قوله تعالى** وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا وقد تقدم وروى سليم بن عامر عن المقداد بن الاسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما على وجه الارض بيت حجر ولا مدر الا ادخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز او ذل ذليل اما بعزهم فيجعلهم من اهلها واما بذلهم فيدينون بها ذكره الماوردي حجة لمن قال ان المراد بالارض بلاد العرب والعجم وهو القول الثاني على ما تقدم انفا وليبدلنهم من بعد قرا ابن محيصن وابن كثير ويعقوب وابو بكر بالتخفيف من ابدل وهي قراءة الحسن واختيار ابي حاتم الباقون بالتشديد من بدل وهي اختيار ابي عبيد لانها اكثر ما في القران قال الله سبحانه وتعالى لا تبديل لكلمات الله وقال تعالى واذا بدلنا اية مكان اية ونحوه وهما لغتان قال النحاس وحكى محمد بن الجهم عن الفرا قال قرا عاصم والاعمش وليبدلنهم مشددة وهذا غلط على عاصم وقد ذكر بعده غلطا اشد منه وهو انه حكى عن الكسائي والفرا جميعا ان ليبدلنهم ... العقول صحيح كما تقول ابدل لي هذا الدرهم اي ازله واعطني غيره وتقول قد تبدلت بعدنا اي غيرت فقد يستعمل احدهما موضع الاخر والذي ذكره اكثر وقد مضى هذا في النسا والحمد لله وذكرنا في سورة ابراهيم الدليل من السنة على ان بدل معناه ازال العين فتامل هناك وقرئ عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها مخففا ومثقلا يعبدونني هو في موضع الحال اي في حال عبادتهم الله بالاخلاص ويجوز ان يكون استئنافا على طريق الثناء عليهم **قوله تعالى** لا يشركون بي شيئا فيه اربعة اقوال احدها لا يعبدون الها غيري حكاه النقاش الثاني لا يراؤون بعبادتي احدا الثالث لا يخافون غيري قاله ابن عباس الرابع لا يحبون غيري قاله مجاهد **قوله تعالى** ومن كفر بعد ذلك اي بهذه النعم والمراد كفران النعمة لانه قال سبحانه وتعالى **قوله تعالى** فاولئك هم الفاسقون والكافر بالله فاسق بعد هذا الانعام وقبله **قوله تعالى** واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون تقدم فاعاد الامر بالاعادة تاكيدا قوله تعالى لا تحسبن الذين كفروا ... هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد بالنصر وقرا العامة تحسبن بالتاء خطابا وقرا ابن عامر وحمزة وابو حيوة يحسبن بالياء بمعنى لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الله في الارض لان الحسبان يتعدى الى مفعولين وهذا قول الزجاج وقال الفرا وابو علي يجوز

ان يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تحسبن الذين كفروا معجزين فالذين مفعول اول ومعجزين مفعول ثان وعلى القول الاول الذين كفروا فاعل انفسهم مفعول اول وهو محذوف مراد معجزين مفعول ثاني قال النحاس وما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يخطئ قراءة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا ابو حاتم وقال الفرا هو ضعيف واجازه على ضعفه على انه يحذف المفعول الاول وقد بيناه قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول في هذه القراءة يكون الذين في موضع نصب قال ويكون المعنى ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الارض قال المؤلف رحمه الله وهذا موافق لما قاله الفرا وابو علي لا ان الفاعل هناك النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا القول الكافر ومعجزين معناه فائتين وقد تقدم وما واهم النار ولبئس المصير اي المرجع **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الى قوله حكيم فيه ثمان مسائل **الاولى** قال العلما هذه اية خاصة والتي قبلها عامة لانه قال يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ثم خص هنا فقال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فخص في هذه الاية بعض المستاذنين وكذلك يتناول القول في الاولى جميع الاوقات عموما وخص في هذه الاية بعض الاوقات فلا يدخل فيها عبد ولا امة وغدا كان او ذا منظر الا بعد الاستيذان قال مقاتل نزلت في اسما بنت مرثد دخل عليها غلام لها كبير فاشتكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه الاية وقيل سبب نزولها دخول مدلج على عمر وسياتي **الثانية** اختلف العلما في المراد بقوله سبحانه وتعالى ليستاذنكم على ستة اقوال الاول انها منسوخة قاله ابن المسيب وابن جبير الثاني انها ندب غير واجبة قاله ابو قلابة قال انما امروا بهذا نظرا لهم الثالث عني بها النسا قاله ابو عبد الرحمن السلمي وقال ابن عمر هي في الرجال دون النسا وهو القول الرابع الخامس كان ذلك واجبا اذ لو كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب حكاه المهدوي عن ابن عباس السادس انها محكمة واجبة ثابتة على الرجال والنسا وهو قول اكثر اهل العلم منهم القاسم وجابر بن زيد والشعبي واضعفها قول السلمي لان الذين لا يكون للنساء في كلام العرب وان كان يجوز ان يدخل معهم النسا فانما يقع ذلك بدليل والكلام على ظاهره غير ان في اسناده ليث بن ابي سليم واما قول ابن عباس فروى ابو داود عن عبيد الله بن ابي يزيد سمع ابن عباس يقول انه لم يؤمن بها اكثر الناس اية الاستيذان واني لامر جاريتي هذه تستاذن علي قال ابو داود وكذلك رواه عطا عن ابن عباس يامر به وروى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس كيف ترى في هذه الاية التي امرنا فيها بما امرنا ولا يعمل بها **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض قال ابو داود وقرا القعنبي الى عليم حكيم قال ابن عباس ان الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم او الولد او يتيمة والرجل على اهله فامرهم الله بالاستيذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك قال المؤلف رحمه الله هذا متن حسن وهو يرد قول سعيد بن جبير فانه ليس فيه دليل على نسخ الاية ولكن على انها كانت على حال ثم زالت فان كان مثل ذلك الحال فحكمها قائم كما كان بل حكمها اليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحارى ونحوها وروى وكيع عن سفيان عن موسى بن ابي عائشة عن الشعبي يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ليست بمنسوخة قال المؤلف رحمه الله ان الناس لا يعملون بها قال الله جل وعز المستعان قال بعض اهل العلم ان الاستيذان ثلاثا ماخوذ من قوله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات قال يزيد ثلاث دفعات قال فورد القران في المماليك والصبيان وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجميع قال ابن عبد البر ما قاله من هذا وان كان له وجه فانه غير معروف عند العلما في تفسير الاية التي نزع بها والذي عليه جمهورهم في قوله ثلاث مرات اي في ثلاث اوقات ويدل على صحة هذا القول ذكره فيها من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا **الثالثة** ادب الله عباده في هذه الاية بان يكون العبيد اذ لا بال لهم والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم الا انهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها يستاذنون على اهليهم في هذه

الاوقات الثلاثة وهي الاوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعري فما قبل الفجر وقت انتهاء النوم ووقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار ووقت القايلة وقت التجرد وهي الظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا علا واشتد حره وبعد صلاة العشا وقت التعري للنوم فالتكشف غالب في هذه الاوقات يروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر رضي الله عنه ظهيرة ليدعوه فوجده نايما وقد اغلق عليه الباب فدق الغلام الباب فناداه ودخل واستيقظ عمر وجلس فانكشف منه فقال عمر وددت ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الاية قد نزلت فخر ساجدا لله عز وجل وهي مكية

الرابعة قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي الذين لم يحتلموا من احراركم قاله مجاهد وذكر اسمعيل بن اسحق كان يقول ليستاذنكم الذين لم يبلغوا الحكم مما ملكت ايمانكم على التقديم والتاخير ان الاية في الاما وقرا الجمهور بضم اللام وسكنها الحسن بن ابي الحسن لثقل الضمة وكان ابو عمرو يستحسنها وثلاث مرات نصب على الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان في ثلاث مواطن والظرفية في ثلاث بينة من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا وقد مضى معناه ولا يجب ان يستاذن ثلاث مرات في كل وقت ثلاث عورات لكم قرا جمهور السبعة ثلاث عورات برفع الثلاث وقرا حمزة والكسايي وابو بكر عن عاصم ثلاث بالنصب على البدل من الظرف من قوله ثلاث مرات قال ابو حاتم النصب ضعيف مردود وقال الفرا الرفع احب الي قال وانما اخترت الرفع لان المعنى هذه الخصال ثلاث عورات والرفع عند الكسايي بالابتداء والخبر عنده ما بعده ولم يقل بالعايد وقال نصا بالابتدا قال والعورات الساعات التي تكون فيها العورة الا انه قرا بالنصب والنصب فيه قولان احدهما انه مردود على قوله ثلاث مرات ولهذا استبعده الفرا وقال الزجاج المعنى ليستاذنكم اوقات ثلاث عورات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعورات جمع عورة وبابه في الصحيح ان يجي على فعلات بفتح العين كجفنة وجفنات ونحو ذلك وسكنوا العين في المعتل كبيضة وبيضات لان فتحه داع الى اعتلاله فلم يفتح لذلك فاما قول الشاعر

اخو بيضات رايح متاوب ... او مفيد عجلات ذا زاد وغير مزود

الخامسة قوله تعالى ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم اي في الدخول من غير ان تستاذنوا وان كنتم متبذلين طوافون بمعنى هم طوافون قال الفرا كقولك في الكلام انما هم خدمكم وطوافون عليكم واجاز الفرا نصب طوافين لانه نكرة والمضمر في عليكم معرفة ولا يجيز البصريون ان يكون حالا من المضمرين اللذين في عليكم وفي بعضكم لاختلاف العاملين ولا يجوز مررت بزيد ونزلت على عمرو والعاقلين على النعت لهما ومعنى طوافون عليكم اي يطوفون عليكم ويطوفون عليهم ومنه الحديث في الهرة انما هي من الطوافين عليكم او الطوافات فمنع في الثلاث العورات من دخولهم علينا لان حقيقة العورة كل شي لا مانع دونه ومنه قوله ان بيوتنا عورة اي سهلة المدخل فبين العلة الموجبة للاذن وهي الخلوة في حال العورة فتعين امتثاله وتعذر رفع الجناح بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض اي يطوف عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات الكاف في موضع نصب اي يبين الله لكم اياته الدالة على متعبداته بيانا مثل ما يبين لكم هذه الاشيا والله عليم حكيم تقدم

السادسة قوله تعالى ومن بعد صلاة العشا يريد العتمة وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم الا انها العشا وهم يعتمون بالابل وفي رواية فانها في كتاب الله العشا وانها تعتم بحلاب الابل وفي البخاري عن ابي برزة كان النبي صلى الله عليه وسلم يوخر العشا وقال انس اخر النبي صلى الله عليه وسلم العشا وهذا يدل على العشا الاولى وفي الصحيح فصلاها يعني العصر بين العشاين المغرب والعشا وفي الموطا وغيره لو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا وفي مسلم عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلوات نحوا من صلاتكم وكان يخف الصلاة وكان يوخر العتمة بعد صلاتكم شيا قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذه اخبار متعارضة لا يعلم الاول منها من الاخر بالتاريخ ونهيه عليه السلام عن تسمية المغرب عشاء وعن تسمية العشا عتمة ثابت فلا مرد له من اقوال الصحابة فضلا عمن عداهم وقد كان ابن عمر يقول من قال صلاة العشا فالله سماها صلاة العشا فاحب النبي صلى الله عليه وسلم ان يسمي بما سماها الله سبحانه

وتعالى ويعلمها الانسان اهله وولده ولا يقول عتمة الا عند خطاب من لا يفهم وقد قال حسان

وكانت لا يزال بها انيس ... خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف ... يورقني اذا ذهب العشاء

وقد قيل ان هذا النهي عن اتباع الاعراب في تسميتهم العشاء عتمة انما كان لئلا يعدل بها عما سماها الله تعالى في كتابه اذ قال ومن بعد صلاة العشا فكانه نهي ارشاد الى ما هو الاولى وليس على جهة التحريم ولا على ان تسميتها العتمة لا يجوز الا ترى انه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلق عليها ذلك وقد اباح تسميتها بذلك ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل انما نهى عن ذلك تنزيها لهذه العبادة الشرعية الدينية عن ان يطلق عليها ما هو اسم لفعلة دنيوية وهي الحلبة التي كانوا يحلبونها في ذلك الوقت ويسمونها العتمة ويشهد لذلك قوله فانها تعتم بحلاب الابل

السابعة روى ابن ماجة في سننه حدثنا عثمان بن ابي شيبة اخبرنا اسمعيل بن عباس عن عمارة بن غزية عن انس بن مالك عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول من صلى في جماعة اربعين ليلة لا تفوته الركعة الاولى من صلاة العشا كتب الله له بها عتقا من النار وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف ليله ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله وروى الدارقطني في سننه عن سبيع او تبيع عن كعب قال من توضا فاحسن الوضوء وصلى العشا الاخرة وصلى بعدها اربع ركعات فاتم ركوعهن وسجودهن ويعلم ما يقرا فيهن كن عليه بمنزلة ليلة القدر

قوله تعالى **واذا بلغ الاطفال منكم الحلم** الاية قرا الحسن الحلم حذف الضمة لثقلها والمعنى ان الاطفال امروا بالاستيذان في الاوقات الثلاثة المكروهة وابيح لهم الامر في غير ذلك كما ذكرنا ثم امر تعالى في هذه الاية ان يكونوا اذا بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستيذان في كل وقت وهذا بيان من الله جل وعز لاحكامه وايضاح حلاله وحرامه وقال فليستاذنوا ولم يقل فليستاذنكم وقال في الاول ليستاذنكم لان الاطفال غير مخاطبين ولا متعبدين وقال ابن جريج قلت لعطا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا قال واجب على الناس ان يستاذنوا اذا احتلموا احرارا كانوا او عبيدا وقال ابو اسحاق الفزاري قلت للاوزاعي ما حد الطفل الذي يستاذن قال اربع سنين قال لا يدخل على امراة حتى تستاذن وقال الزهري اي يستاذن الرجل على امه وفي هذا المعنى نزلت هذه الاية

قوله تعالى **والقواعد من النسا اللاتي لا يرجون نكاحا** الى قوله سميع عليم فيه خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى والقواعد من النساء القواعد جمع واحدها بلا هاء ليدل حذفها على انه قعود الكبر كما قالوا امراة حامل ليدل بحذف الهاء انه حمل حبل قال الشاعر

فلو ان ما في بطنه بين نسوة ... حبلن وان كن القواعد عقرا

وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها بالهاء والقواعد ايضا اساس البيت واحده قاعدة بالهاء

الثانية القواعد العجز اللواتي قعدن عن التصرف من السن وقعدن عن الولد والمحيض هذا قول اكثر العلما قال ربيعة هي التي اذا رايتها تستقذرها من كبرها وقال ابو عبيدة اللاتي قعدن عن الولد وليس ذلك بمستقيم لان المراة تقعد عن الولد وفيها مستمتع قاله المهدوي

الثالثة قوله تعالى فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة انما خص القواعد بذلك لانصراف الانفس عنهن اذ لا مذهب للرجال فيهن فابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وازيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن

الرابعة قرا ابن مسعود وابي وابن عباس ان يضعن من ثيابهن بزيادة من قال ابن عباس وهو الجلباب وروي عن ابن مسعود ايضا من جلابيبهن والعرب يقول امراة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها وقال قوم الكبيرة التي ايست من النكاح لو بدا شعرها فلا باس فعلى هذا يجوز لها وضع الخمار والصحيح انها كالشابة في التستر الا ان الكبيرة تضع الجلباب الذي يكون فوق الدرع والخمار قاله ابن مسعود وابن جبير وغيرهما

الخامسة قوله تعالى غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات ولا متعرضات بالتزين لينظر اليهن فان ذلك من اقبح الاشيا وابعده عن الحق والتبرج التكشف والظهور للعيون ومنه بروج مشيدة وبروج السما والاسوار اي لا حايل دونها يسترها وقيل لعايشة رضي الله عنها يا ام المومنين ما تقولين في الصباغ والخضاب والتمايم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب ورقاق

ومن صلى الفجر في جماعة

الثياب فقالت يا معشر النسا فضحكن فضة امراة واحدة احل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لا
يحل لهن ان يروا منكن محرما وقال عطا هذا في بيوتهن وعلي هذا يلزم ان يقال اذا خرجت فلا يحل لها
وضع الجلباب وعلي هذا غير متبرجات غير خارجات من بيوتهن وعلي هذا يلزم ان يقال اذا كانت في
بيتها فلا بد لها من جلباب فوق الذراع وهذا بعيد الا اذا دخل عليها اجنبي ثم ذكر سبحانه وتعالي ان تحفظ
الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن الثياب افضل لهن وخير وقرا ابن مسعود وان
يتعففن بغير سين ثم قيل من التبرج ان تلبس المراة ثوبين رقيقين يصفانها وروي في الصحيح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون
بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلن
الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من كذا وكذا قال ابن العربي انما جعلهن كاسيات لان الثياب
عليهن وانما وصفهن بانهن عاريات لان الثوب اذا رق يصفهن ويبدين محاسنهن وذلك حرام وقال
المؤلف رحمه الله هذا احد التاويلين للعلما في هذا المعني الثاني انهن كاسيات من الثياب عاريات
من لباس التقوي الذي قال الله سبحانه وتعالي فيه ولباس التقوي ذلك خير وانشد

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقوي … تقلب عريانا وان كان كاسيا

وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بينا انا نائم رايت قوما يعرضون
علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه قميص يجره
قالوا ماذا اولت ذلك يا رسول الله قال الدين فتاويله صلي الله عليه وسلم القميص بالدين ماخوذ من قوله تعالي
ولباس التقوي ذلك خير والعرب تكني عن الفضل والعفاف بالثياب كما قال شاعرهم

ثياب بني عوف طهاري نقية

وقد قال صلي الله عليه وسلم لعثمان ان الله سيكسيك
قميصا فان ارادوك ان تخلعه فلا تخلعه فعبر عن الخلافة بالقميص وهي استعارة حسنة معروفة قال
المؤلف رحمه الله هذا التاويل اصح التاويلين وهو اللايق بهن في هذه الازمان وخاصة الشباب فانهن يتزين
ويخرجن متبرجات فهن كاسيات بالثياب عاريات من التقوي حقيقة ظاهرا وباطنا حيث تبدي زينتها
ولا تبالي بمن ينظر اليها بل ذلك مقصودهن وذلك يشاهد في الوجود منهن فلو كان عندهن شي من
التقوي لما فعلن ذلك ولم يعلم احد ما هنالك ومما يقوي هذا التاويل ما ذكر في وصفهن في بقية الحديث
في قوله رؤسهن كاسنمة البخت والبخت ضرب من الابل عظام الاجسام عظام الاسنمة شبه رؤسهن بها
لما يرفعن من ضفاير شعورهن علي اوساط رؤسهن وهذا مشاهد معلوم والناظر اليهن ملوم قال صلي الله عليه
وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر علي الرجال من النسا خرجه البخاري قوله تعالي **ليس علي الاعمي
حرج** الي قوله تعقلون فيه احدي عشرة مسالة **الاولي** قوله ليس علي الاعمي حرج اختلف العلما في تاويل
هذه الاية علي ثمانية اقوال اقربها هل هي منسوخة او ناسخة او محكمة فهذه ثلاثة اقوال الاول انها منسوخة
من قوله ولا علي انفسكم الي اخر الاية قاله عبد الرحمن بن زيد قال هذا شي قد انقطع كانوا في اول الاسلام
ليس علي ابوابهم اغلاق وكانت الستور مرخاة فربما جاء الرجل فدخل البيت وهو جائع وليس فيه احد فسوغ
الله عز وجل ان ياكل منه ثم صارت الاغلاق علي البيوت فلا يحل لاحد ان يفتحها فذهب هذا وانقطع
قال صلي الله عليه وسلم لا يحتلبن احد ماشية احد الا باذنه الحديث خرجه الايمة الثاني انها ناسخة قاله جماعة
روي علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال لما انزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل قال المسلمون ان الله عز وجل قد نهانا ان ناكل اموالنا بيننا بالباطل وان الطعام من افضل الا
موال فلا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فكف الناس عن ذلك فانزل الله عز وجل ليس علي الاعمي حرج الي
او ما ملكتم مفاتحه قال هو الرجل يوكل الرجل بضيعته قال المؤلف رحمه الله علي ابن ابي طلحة هذا مولي بني هاشم
سكن الشام يكني ابا الحسن ويقال ابا محمد واسم ابيه ابي طلحة سالم يكلم في تفسيره فقيل انه لم ير ابن عباس
والله اعلم الثالث انها محكمة قاله جماعة من اهل العلم ممن يقتدي بقولهم منهم سعيد بن المسيب وعبد الله بن
عبيد الله بن عتبة بن مسعود وروي الزهري عن عروة عن عايشة قالت كان المسلمون يوعبون في النفير
مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فكانوا يدفعون مفاتحهم الي ضمنايهم ويقولون ان احتجتم فكلوا فكانوا يقولون
انما احلوه لنا عن غير طيب نفس فانزل الله عز وجل ليس عليكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم

الي

مائلات رؤسهن كاسنام البخت المائلة لا يدخلن الجنة

الي اخر الاية قال النحاس يوعبون اي يخرجون باجمعهم في المغازي يقال اوعب بنو فلان لبني فلان اذا جاوهم
باجمعهم وقال ابن السكيت اوعب بنو فلان جاوا فلم يبق ببلدهم منهم احد وجاء الفرس بركض وعب اي
باقصي ما عنده وفي الحديث وفي الانف اذا استوعب جدعه الدية اذا لم يترك منه شي واستيعاب
الشي استيصاله ويقال بيت وعيب اذا كان واسعا يستوعب كل ما جعل فيه والضمني هم الزمنا
واحدهم ضمن مثل زمن قال النحاس وهذا القول من اجل ما روي في الاية لما فيه عن الصحابة والتابعين
من التوقيف ان الاية نزلت في شي بعينه قال ابن العربي وهذا كلام منتظم لاجل تخلفهم عنهم في
الجهاد وبقاء اموالهم بايديهم لكن قوله او ما ملكتم مفاتحه قد اقتضاه فكان هذا القول بعيدا جدا
لكن المختار ان يقال ان الله رفع الحرج عن الاعمي فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر
وعن الاعرج فيما يشترط في التكليف به من المشي وما يتعذر من الافعال مع وجود العرج وعن المريض فيما
يوثر المرض في اسقاطه كالصوم وشروط الصلاة واركانها والجهاد ونحو ذلك ثم قال بعد ذلك مبينا وليس عليكم
حرج ان تاكلوا من بيوتكم فهذا معني صحيح وتفسير مبين مفيد يعضده الشرع والعقل ولا يحتاج
في تفسير الاية الي نقل قال المؤلف رحمه الله والي هذا اشار ابن عطية فقال فظاهر الاية وامر الشريعة
ان الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم اليه العذر وتقتضي نيتهم فيه الاتيان بالاكمل ويقتضي
العذر ان يقع منهم الانقص فالحرج مرفوع عنهم في هذا فاما ما قال الناس في هذا الحرج هنا وهي الثانية
فقال ابن زيد هو الحرج في الغزو اي لا حرج عليهم في تاخرهم وقوله ولا علي انفسكم الاية معني مقطوع من
الاول وقالت فرقة الاية كلها في معني المطاعم قالت وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث
تجتنب الاكل مع اهل الاعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من الاعمي ولانبساط الجلسة
من الاعرج ولرائحة المريض وعلاته وهي اخلاق جاهلية وكبر فنزلت الاية موذنة وبعضهم كان يفعل
ذلك تحرجا من غير اهل الاعذار اذ هم مقصرون عن درجة الاصحا في الاكل لعدم الروية في الاعمي
والعجز عن المزاحمة عن الاعرج ولضعف المريض فنزلت الاية في اباحة الاكل معهم وقال ابن عباس
في كتاب الزهراوي ان اهل الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من اجل عذرهم فنزلت الاية مبيحة وقيل
كان الرجل اذا ساق اهل العذر الي بيته فلم يجد شيا ذهب به الي بيوت قرابته فتحرج اهل الاعذار من
ذلك فنزلت الاية **الثالثة** قوله تعالي ولا علي انفسكم هذا ابتدا كلام ولا عليكم ايها الناس
ولكن لما اجتمع المخاطب وغير المخاطب غلب المخاطب لينتظم الكلام وذكر بيوت القرابات
وسقط منها بيوت الابنا فقال المفسرون ذلك لانها داخلة في قوله بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته
وفي الخبر انت ومالك لابيك ولانه ذكر الاقربا بعد ولم يذكر الاولاد قال النحاس وعارض بعضهم هذا
القول فقال هذا تحكم علي كتاب الله بل الاولي في الظاهر ان لا يكون الابن مخالفا لهولا وليس الاحتجاج
بما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انت ومالك لابيك بقوي هذا الحديث وانه لو صح لم يكن فيه حجة
اذ قد يكون النبي صلي الله عليه وسلم علم ان مال ذلك المخاطب لابيه وقد قيل ان معني انت لابيك وما لك مبتدا
اي ومالك لك والقاطع لهذا التوارث بين الاب والابن وقال الترمذي الحكيم ووجه قوله سبحانه
وتعالي ولا علي انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم كانه يقول مساكنكم التي فيها اهاليكم واولادكم فيكون
الاهل والولد هناك شي قد افادهم هذا الرجل الذي له المسكن فليس عليه حرج ان ياكل معهم
من ذلك القوت او يكون للزوجة والولد هناك شي من ملكهم معهم من ذلك القوت او يكون للزوجة
والولد هناك شي من ملكهم فليس عليكم في ذلك حرج **الرابعة** قوله تعالي او بيوت ابايكم الي قوله
او بيوت خالاتكم قال بعض العلما هذا اذا اذنوا له في ذلك وقال اخرون اذنوا له او لم ياذنوا فله ان
ياكل لان القرابة التي بينهم هي اذن منهم وذلك لان في تلك القرابة عطفا تسمح النفوس منهم بذلك
العطف ان ياكل هذا من شيهم ويسروا بذلك اذا علموا ابن العربي اباح لنا الاكل من جهة
النسبة من غير استيذان اذا كان الطعام مبذولا فان كان محوزا دونهم لم يكن لهم اخذه ولا يجوز ان
يجاوزوا الي الادخار ولا الي ما ليس بماكول وان كان غير محوز عنهم الا باذن منهم **الخامسة** قوله تعالي
او ما ملكتم مفاتحه يعني ما اختزنتم وصار في قبضتكم وعظم ذلك ما ملكه الرجل في بيته وجب غلقه
وذلك تاويل الضحاك وقتادة ومجاهد وعند جمهور المفسرين يدخل في الاية الوكلا والعبيد

والاجرا قال ابن عباس عني وكلاء الرجل على ضيعته وخازنه على ماله فيجوز له ان ياكل مما هو قيم عليه
وذكر معمر عن قتادة عن عكرمة قال اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن ولا باس ان يطعم الشي اليسير
ابن العربي وللخازن ان ياكل مما يخزن اجماعا وهذا اذا لم يكن له اجرة على الخزن فاما ان كانت له اجرة
على الخزن حرم الاكل وقرا سعيد بن جبير ملكتم بضم الميم وكسر اللام وتشديدها وقرا ايضا مفاتيحه
بيا بين التاء والحا جمع مفتاح وقد مضى في الانعام وقرا مفتاحه على الافراد وقال ابن عباس نزلت
هذه الاية في الحارث بن عمرو خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا وخلف مالك بن زيد على اهله
فلما رجع وجده مجهودا فساله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه
الاية السادسة قوله تعالى او صديقكم الصديق بمعنى الجمع وكذلك العدو قال الله سبحانه وتعالى فانهم
عدو لي وقال جرير

شعر

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... باسهم اعداء وهن صديق

والصديق من يصدقك في مودتك ثم قيل هذا منسوخ بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن
لكم وقوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها الاية وقوله عليه السلام لا يحل مال امرء مسلم الا بطيب
نفس منه وقيل هي محكمة وهو اصح وذكر محمد بن ثور عن معمر قال دخلت بيت قتادة فابصرت فيه رطبا فجعلت
اكله فقال ما هذا فقلت ابصرت رطبا في بيتك فاكلت قال احسنت قال الله سبحانه وتعالى او صديقكم
وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله او صديقكم قال اذا دخلت بيت صديقك من غير مؤامرته
لم يكن بذلك باسا وقال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا الحب قال انت لي صديق فما هذا الاستيذان
وكان صلى الله عليه وسلم يدخل حائط ابي طلحة المسمى ببيرحا ويشرب فيها من ماء فيها طيب بغير اذنه
على ما قاله علماؤنا قالوا والماء متملك لاهله واذا جاز الشرب من ماء الصديق بغير اذنه جاز الاكل
من طعامه وثماره اذا علم ان نفس صاحبه تطيب به لتفاهته ويسير مؤنته او لما بينهما من المودة و
هذا المعنى الطعام ام حرام له صلى الله عليه وسلم اذ نام عندها لان الاغلب ان ما في البيت من الطعام
هو للرجل وان يد زوجته في ذلك عارية وهذا كله اذا لم يتخذ الاكل خبنة ولم يقصد بذلك وقاية
ماله وكان تافها يسيرا السابعة قرن الله عز وجل في هذه الاية الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة
لان قرب المودة لصيق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم قال المؤلف رحمه الله ولهذا لا يجوز عندنا شهادة الصديق لصديقه كما لا يجوز شهادة القريب
لقريبه وقد مضى بيان هذا والعلة فيه في النساء وفي المثل ايهم احب اليك اخوك او صديقك
قال اخي اذا كان صديقي الثامنة قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قيل انها
نزلت في بني ليث بن بكر وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده ويمكث اياما جائعا حتى يجد
من يواكله ومنه قول بعض الشعراء

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... اكيلا فاني لست اكله وحدي

قال ابن عطية وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن ابراهيم عليه السلام فانه كان لا ياكل وحده
وكان بعض العرب اذا كان له ضيف لا ياكل الا ان ياكل مع ضيفه فنزلت الاية مبينة سنة الاكل
ومذهبة كلما خالفها من سيرة العرب ومبيحة من اكل المنفرد ما كان عند العرب محرما نحت به نحو كرم الخلق
فافرطت في الزامه وان احضار الاكيل لحسن لكن بان يحرم الانفراد التاسعة قوله تعالى جميعا او اشتاتا
جميعا نصب على الحال واشتاتا جمع شت والشت المصدر بمعنى التفرق يقال شت القوم اي تفرقوا
وقد ترجم البخاري في صحيحه باب ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج والنهد
ومما قاله علماؤنا في هذا الباب اباحة الاكل جميعا وان اختلفت احوالهم في الاكل فقد سوغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فصار ذلك سنة في الجماعات التي تدعى الى الطعام في النهد والولايم
وفي الاملاق في السفر وما ملكت مفاتحه بامانة او قرابة او صداقة فلك ان تاكل مع القرب
او الصديق وحدك والنهد ما يجمعه الرفقاء من مال او طعام على قدر في النفقة ينفقونه بينهم
وقد تناهدوا عن صاحب العين وقال ابن دريد يقال من ذلك تناهد القوم الشي بينهم الهروي
وفي حديث الجن اخرجوا نهدكم فانه اعظم للبركة واحسن لاخلاقكم النهد ما يخرجه الرفقة عند

المناهدة وهو استقسام النفقة بالسوية في السفر وغيره والعرب تقول هات نهدك بكسر النون
قال المهلب فطعام النهد لم يوضع للاكلين على انهم ياكلون بالسواء وانما ياكل واحد على قدر
نهمته وقد ياكل الرجل اكثر من غيره وقد قيل ان تركها اشبه بالورع وان كانت الرفقة تجتمع
كل يوم على طعام واحد فهو احسن من النهد لانهم لا يتناهدون الا ليصيب كل واحد منهم من
ماله ثم لا يدري لعل احدهم يقصر من ماله وياكل غيره اكثر من ماله واذا كانوا يوما عند هذا ويوما عند
هذا بلا شرط فانما يكونون اضيافا والضيف ياكل بطيب نفس مما يقدم اليه وقال ايوب السختياني
انما كان النهد ان القوم كانوا يكونون في السفر فيسبق بعضهم الى المنزل فيذبح ويهيي الطعام
ثم ياتيهم ثم يسبق ايضا الى المنزل فيفعل مثل ذلك فقالوا ان هذا الذي يصنع كلنا يحب ان
نصنع مثله فتعالوا نجعل بيننا شيا لا يتفضل بعضنا على بعض فوضعوا النهد بينهم وكان الصلحا
اذا تناهدوا تحري افضلهم ان يزيد على ما يخرجه اصحابه وان لم يرضوا بذلك منه اذا علموه فعله
سرا دونهم السادسة قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا الاية اختلف المتاولون في اي البيوت اراد فقال
ابراهيم النخعي والحسن اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها من ضيفكم فان لم يكن في المساجد
احد فالسلام ان يقول المرء السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يقول السلام عليكم
يريد الملائكة ويقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر عبد الرزاق اخبرنا معمر عن عمرو بن
دينار عن ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الاية قال اذا دخلت
المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقيل المراد بالبيوت البيوت المسكونة اي فسلموا
على انفسكم قاله جابر بن عبد الله وابن عباس ايضا وعطا ابن ابي رباح قالوا ويدخل في ذلك البيوت
غير المسكونة ويسلم المرء على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال ابن العربي
القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ولا دليل على التخصيص واطلق القول ليدخل تحت هذا العموم
كل بيت كان للغير او لنفسه فاذا دخل بيتا لغيره استاذن كما تقدم فاذا دخل بيتا لنفسه سلم كما
ورد في الخبر يقول السلام قاله ابن عمر وهذا اذا كان فارغا فان كان فيه اهله وخدمه فليقل السلام
عليكم وان كان مخبرا فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعليه حمل ابن عمر البيت الفارغ
قال ابن العربي والذي اختاره اذا كان البيت فارغا ان لا يلزم السلام فانه ان كان المقصود الملائكة
فالملائكة لا تفارق العبد بحال اما انه اذا دخلت بيتك يستحب لك ذكر الله بان يقول ما شا الله
لا قوة الا بالله وقد تقدم في الكهف وقال القشيري في قوله اذا دخلتم بيوتا والاوجه ان يقال ان
هذا عام في دخول كل بيت فان كان فيه ساكن مسلم فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وان لم
يكن فيه ساكن فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وان كان في البيت من ليس بمسلم قال
السلام على من اتبع الهدى والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر ابن خواز منداد قال
كتب الي ابو العباس الاصم قال حدثنا محمد بن الحكم قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا جعفر بن ميسرة
عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على اهلها واذكروا اسم
الله فان احدكم اذا سلم حين يدخل بيته وذكر اسم الله تعالى على طعامه قال الشيطان لاصحابه لا مبيت
لكم ها هنا ولا عشا واذا لم يسلم احدكم ولم يذكر اسم الله على طعامه قال الشيطان لاصحابه ادركتم
المبيت والعشا قال المؤلف رحمه الله هذا الحديث ثبت معناه مرفوعا من حديث جابر خرجه مسلم
وفي كتاب ابي داود عن ابي مالك الاشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ولج الرجل في بيته
فليقل اللهم اني اسالك خير المولج وخير المخرج بسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم
على اهله الحادية عشرة قوله تعالى تحية مصدر لان قوله فسلموا معناه فحيوا ووصفها بالبركة
لان فيها الدعا واستجلاب مودة المسلم عليه ووصفها بالطيب ايضا لان سامعها يستطيبها
والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشارة الى ان هذه السنن اي كما بين لكم سنة دينكم في هذه
الاشيا يبين لكم سائر ما لكم حاجة اليه في دينكم **قوله تعالى** انما المومنون الذين امنوا بالله
ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله انما في هذه الاية للحصر المعنى لا يتم ولا يكمل ايمان

من امن بالله ورسوله الا ان يكون من الله سامعا غير معنت في ان يكون الرسول يريد اكمال امر فيريد هو فساده بزواله في وقت الجمع ونحو ذلك وبين الله سبحانه تعالى في اول السورة انه انزل ايات بينات وانما النزول على محمد صلى الله عليه وسلم فختم السورة بتاكيد الامر في متابعته عليه السلم ليعلم ان اوامره كاوامر القران **الثانية** واختلف العلماء في الامر الجامع ما هو فقيل المراد به ما للحرب بد وم حاجة الى جميع الناس فيه لمراعاة مصلحة من اقامة سنة في الدين او لترهيب عدو باجتماعهم قال الله سبحانه وتعالى وشاورهم في الامر فاذا كان امر يشملهم نفعه وضره جمعهم للتشاور في ذلك والامام الذي يترقب اذنه هو امام الامرة فلا يذهب احد لعذر الا باذنه فاذا ذهب باذنه ارتفع عنه الظن السيء وقال مكحول والزهري الجمعة من الامر الجامع وامام الصلاة ينبغي ان يستاذنه اذا اقدمه امام الامرة اذا كان يرى المستاذن قال ابن سيرين كانوا يستاذنون الامام على المنبر فلما كثر ذلك قال زياد من جعل يده على فيه فليخرج دون اذن وقد كان هذا بالمدينة حتى ان سهل بن ابي صالح رعف يوم الجمعة فاستاذن الامام وظاهر الاية يقتضي ان يستاذن امير الامرة الذي هو مقعد النبوة فانه ربما كان له راي في حبس ذلك الرجل لامر من امور الدين واما امام الصلاة فقط فليس ذلك اليه لانه وكيل على جزء من اجزاء الدين الذي هو في مقعد النبوة وروي ان هذه الاية نزلت في حفر الخندق حين جاءت قريش وقايدها ابو سفيان وعطفان وقايدها عيينة بن حصين فضرب النبي صلى الله عليه وسلم الخندق على المدينة وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة وكان المنافقون يتسللون لواذا من العمل ويعتذرون باعذار كاذبة ونحوه روى اشهب وابن عبد الحكم عن مالك وكذلك قال محمد بن اسحاق وقال مقاتل نزلت في عمر رضي الله عنه استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في الرجعة فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد بذلك ان يسمع المنافقين وقال ابن عباس انما استاذن عمر في العمرة فقال عليه السلم لما اذن له يا ابا حفص لا تنسنا في صالح دعائك قلت والصحيح الاول لتناوله جميع الاقوال واختار ابن العربي ما ذكر في نزول الاية عن مالك وابن اسحق وان ذلك مخصوص في الحرب قال والذي يبين ذلك امران احدهما قوله في الاية الاخرى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وذلك ان المنافقين كانوا يتلوذون ويخرجون عن الجماعة ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله جميعهم بان لا يخرج احد منهم حتى ياذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك يتبين ايمانه الثاني قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه اي اذن في الحدث والامام يخطب فليس للامام خيار في منعه ولا ابقاؤه وقد قال فاذن لمن شئت منهم فتبين بذلك انه مخصوص في الحرب قلت القول بالعموم اولى وارفع واحسن واعلى فاذن لمن شئت منهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم بالخيار ان شاء ان ياذن وان شاء منع وقال قتادة قوله فاذن لمن شئت منهم منسوخة بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم واستغفر لهم الله اي لخروجهم عن الجماعة ان علمت لهم عذرا ان الله غفور رحيم **قوله تعالى** **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** يريد يصيح من بعيد يا ابا القسم بل عظموه كما قال في الحجرات ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وقال سعيد بن جبير ومجاهد المعنى قولوا يا رسول الله في رفق ولين ولا تقولوا يا محمد بتجهم وقال قتادة امرهم ان يشرفوه ويفخموه ابن عباس لا تتعرضوا لدعاء الرسول عليكم باسخاطه فان دعوته موجبة **قوله تعالى** **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا** التسلل والانسلال الخروج واللواذ من الملاوذة وهي ان تستتر بشيء مخافة من يراك فكان المنافقون يتسللون عن صلاة الجمعة لواذا مصدر في معنى الحال اي متلاوذين اي يلوذ بعضهم ببعض ينضم اليه استتارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن على المنافقين اثقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة حكاه النقاش وقد مضى القول فيه وقيل كانوا يتسللون في الجهاد رجوعا عنه يلوذ بعضهم ببعض لواذا فرارا من الجهاد ومنه قول حسان

وقريش تجول منكم لواذا   لم تحافظ وخف منها الحلوا

وصحت واوها لتحرج كما في لاوذ يقال لاوذ يلاوذ ملاوذة ولواذا ولاذ يلوذ لياذا انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها للاذ في الاعتلال فاذا كان مصدر فاعل لم يعل لان فاعل لا يجوز

فليحذر الذين يخالفون عن امره بهذه الاية احتج الفقها على ان الامر على الوجوب ووجهها ان الله تبارك وتعالى قد حذر عن مخالفة امره وتوعد بالعقاب عليها بقوله ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم فتحرم مخالفته فيجب امتثال امره والفتنة هنا القتل قاله ابن عباس عطا الزلازل والاهوال جعفر بن محمد سلطان جائر يتسلط عليهم وقيل الطبع على القلوب لشوم مخالفة الرسول والضمير في امره قيل هو عائد على امر الله سبحانه وتعالى قاله يحيى بن سلام وقيل الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله قتادة ومعنى يخالفون عن امره اي يعرضون عنه وقال ابو عبيدة والاخفش عن في هذا الموضع زائدة وقال الخليل وسيبويه ليست بزائدة والمعنى يخالفون بعد امره كما قال لم تنتطق ان تفضل ومنه قوله ففسق عن امر ربه اي بعد امر ربه وان في موضع نصب بيحذر ولا يجوز عند اكثر النحويين حذف لا وفي ان جائز لان حروف الخفض تحذف معها **قوله تعالى** **الا ان لله ما في السموات والارض** خلقا وملكا **قوله تعالى** **قد يعلم ما انتم عليه** فهو يجازيكم به ويعلم ها هنا بمعنى علم ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا اي يخبرهم باعمالهم ويجازيهم بها **قوله تعالى** **والله بكل شيء عليم** من اعمالهم واحوالهم ختمت السورة بما تضمنت من التفسير والحمد لله على التيسير   وهو مولانا ونعم النصير

تفسير سورة الفرقان وهي مكية في قول الجمهور

وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث ايات منها نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله الها اخر الايات ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظم القران وذكر مطاعن الكفار في النبوة والرد على مقالاتهم من جملتها قولهم ان القران افتراه محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده الاية** تبارك اختلف في معناه فقال الفرا هي في العربية وتقدس واحد وهما للعظمة وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة وقال ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير وقيل تبارك تعالى وقيل تعالى عطاؤه اي زاد وكثر وقيل المعنى دام وثبت انعامه قال النحاس وهذا اولاها في اللغة والاشتقاق من برك الشيء اذا ثبت ومنه برك الجمل والطير على الماء اي دام وثبت فاما القول الاول فمخلط لان التقديس انما هو من الطهارة وليس من ذا في شيء قال الثعلبي ويقال تبارك الله ولا يقال يتبارك ولا متبارك لانه ينتهي في اسمائه وصفاته الى حيث ورد التوقيف

قال الطرماح   تباركت لا معط لشيء منعته   وليس لما اعطيت يا رب مانع

وقال اخر   تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

قال المولف رحمه الله قد ذكر بعض العلما في اسمائه الحسنى المبارك وذكرناه ايضا في كتابنا فان كان وقع الاتفاق على انه لا يقال فيسلم للاجماع وان كان وقع فيه اختلاف فكثير من الاسماء اختلف في عده كالدهر وغيره وقد نبهنا على ذلك هناك والحمد لله والفرقان القران وقيل اسم لكل منزل كما قال ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وفي تسميته فرقانا وجهان احدهما لانه فرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر الثاني لان فيه بيان ما شرع من حلال وحرام حكاه النقاش على عبده يريد محمدا صلى الله عليه وسلم **قوله تبارك وتعالى** **ليكون للعالمين نذيرا** اسم يكون مضمر يعود على عبده وهو اولى لانه اقرب اليه ويجوز ان يكون يعود على الفرقان وقرا عبد الله بن الزبير على عباده ويقال انذر اذا خوف وقد تقدم في اول البقرة والنذير المحذر من الهلاك الجوهري النذير المنذر والنذير الانذار والمراد بالعالمين هنا الانس والجن لان النبي صلى الله عليه وسلم كان رسولا اليهما ونذيرا لهما وانه خاتم الانبياء ولم يكن غيره عام الرسالة الا نوح فانه عم برسالته جميع الانس بعد الطوفان لانه بداية الخلق **قوله تعالى** **الذي له ملك السموات والارض** عظم تعالى نفسه ولم يتخذ ولدا نزه سبحانه نفسه عما قاله المشركون من ان الملائكة اولاد الله تعالى يعني بنات الله سبحانه وتعالى وعما قالت اليهود عزير ابن الله وعما قالت النصارى المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك **قوله تعالى** **ولم يكن له شريك في الملك** كما قال عبدة الاوثان وخلق كل شيء فقدره لا كما قال المجوس والثنوية ان الشيطان او الظلمة تخلق بعض الاشياء ولا كما يقول من قال للمخلوق قدرة الايجاد فالاية رد على هؤلاء **قوله تعالى** **فقدره تقديرا** اي قدر كل

شيء مما خلق بحكمته على ما أراد لا عن سهو وغفلة بل جرت المقادير على ما خلق الله إلى يوم القيامة وبعد القيامة فهو الخالق المقدر فإياه فاعبدوا **قوله تعالى** وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ذكر ما صنع المشركون على جهة التعجب في اتخاذهم الآلهة مع ظهور الدلالة على وحدانيته وقدرته لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لما اعتقد الكفار فيها أنها تضر وتنفع عبر عنها كما يعبر عما يعقل **قوله تعالى** وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا أي لا دفع ضر وجلب نفع فحذف المضاف وقيل لا يقدرون أن يضروا أنفسهم ولا ينفعوها بشيء ولا لمن يعبدهم لأنها جمادات **قوله تعالى** وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا أي لا يميتون أحدا ولا يحيونه والنشور الإحياء بعد الموت أنشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم وقال الأعشى

حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر

قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا يعني مشركي قريش وقال ابن عباس القائل منهم ذلك النضر بن الحارث وكذا كلما كان في القرآن فيه ذكر الأساطير قال محمد بن إسحاق وكان مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم إن هذا يعني القرآن إلا إفك افتراه أي كذب اختلقه **قوله تعالى** وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ يعني اليهود قاله مجاهد وقال ابن عباس المراد بقوله قوم آخرون أبو فكيهة مولى الحضرمي وعداس وجبر وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب وقد مضى في النحل ذكرهم فقد جاؤوا ظلما أي بظلم فقيل المعنى فقد أتوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين قال الزجاج واحد الأساطير أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث وقال غيره أساطير جمع أسطار مثل أقوال وأقاويل اكتتبها يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فهي تملى عليه أي تلقى وتقرأ بكرة وأصيلا حتى تحفظ وتملى أصله تملل وفي نسخة تمل فأبدلت اللام الأخيرة ياء من التضعيف كقولهم تقضى البازي وشبهه **قوله تعالى** قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي قل يا محمد أنزل هذا القرآن الذي يعلم السر فهو عالم الغيب فلا يحتاج إلى معلم وذكر السر دون الجهر لأنه من علم السر فهو من الجهر أعلم ولو كان القرآن مأخوذا من أهل الكتاب وغيرهم لما زاد عليها وقد جاء بفنون تخرج عنها فليس مأخوذا منها وأيضا لو كان مأخوذا من هؤلاء لتمكن المشركون منه أيضا كما تمكن محمد صلى الله عليه وسلم فهلا عارضوه فبطل اعتراضهم من كل وجه إنه كان غفورا رحيما يريد غفورا لأوليائه رحيما بهم **قوله تعالى** وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ فيه مسألتان الأولى قوله تعالى وقالوا ذكر شيئا آخر من مطاعنهم والضمير في وقالوا لقريش وذلك أنهم كان لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس مشهور وقد تقدم في سبحان ذكره ابن إسحاق في السيرة وغيره مضمنه أن سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا يا محمد إن كنت تحب الرياسة وليناك علينا وإن كنت تحب المال جمعنا لك من أموالنا فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا في باب الاحتجاج فقالوا ما بالك وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكل الطعام وتمشي في الأسواق فعيروه بأكل الطعام لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملكا وعيروه بالمشي في الأسواق حين رأوا الأكاسرة والقياصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن الأسواق وكان صلى الله عليه وسلم يخالطهم في أسواقهم ويأمرهم وينهاهم فقالوا هذا يطلب أن يتملك علينا فما له يخالف سيرة الملوك فأجابهم الله بقوله وأنزل على نبيه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق فلا تغتم ولا تحزن فإنها شكاة ظاهر عنك عارها الثانية دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب المعاش وكان عليه السلام يدخلها لحاجته ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته ويعرض فيها نفسه على القبائل لعل الله أن يرجع بهم إلى الحق وفي البخاري في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق وقد تقدم في الأعراف وذكر السوق مذكور في غير ما حديث ذكره أهل الصحيح وتجارة الصحابة فيها معروفة وخاصة المهاجرين كما قال أبو هريرة وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق خرجه البخاري وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان في هذه السورة إن شاء الله سبحانه وتعالى **قوله تعالى** لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ أي هلا فيكون معه نذيرا جواب الاستفهام أو يلقى في موضع رفع والمعنى أو هلا يلقى إليه كنز أو هلا تكون له جنة يأكل منها بالياء قرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم وقرأ سائر الكوفيين بالنون والقراءتان حسنتان يؤديان عن معنى وإن كانت القراءة بالياء أبين ذكره النحاس **قوله تعالى** وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا تقدم في سبحان والقائل عبد الله بن الزبعرى فيما ذكره الماوردي **قوله تعالى** انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ أي ضربوا لك هذه ليتوصلوا إلى تكذيبك فضلوا عن سبيل الحق وعن بلوغ ما أرادوا فلا يستطيعون سبيلا إلى تصحيح ما قالوه فيك **قوله تعالى** تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي شرط ومجازاة ولم تدغم جعل لك لأن الكلمتين منفصلتان ويجوز الإدغام لاجتماع المثلين وجعل لك في موضع جزم عطفا على موضع جعل ويجوز أن يكون في موضع رفع مقطوعا من الأول وكذلك قرأ أهل الشام ويروى عن عاصم أيضا ويجعل لك بالرفع أي وسيجعل لك في الآخرة قصورا قال مجاهد كانت قريش ترى البيت من حجارة قصرا كائنا ما كان والقصر في اللغة الحبس وسمي القصر قصرا لأن من فيه مقصور عن أن يوصل إليه وقيل العرب تسمي بيوت الطين القصر وما يتخذ من الصوف والشعر البيت حكاه القشيري وروى سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أن نعطيك خزائن الدنيا ومفاتيحها ولم نعط ذلك من قبلك ولا نعطيه أحدا بعدك وليس ذلك بناقصك في الآخرة شيئا وإن شئت جمعنا لك في الآخرة فقال يجمع لي ذلك في الآخرة فأنزل الله عز وجل تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويروى أن هذه الآية أنزلها رضوان خازن الجنة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الخبر أن رضوان لما نزل سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد رب العزة يقرئك السلام وهذا سفط فإذا سفط من نور يتلألأ يقول لك ربك هذه مفاتيح خزائن الدنيا مع أنه لا ينقص ما لك في الآخرة مثل جناح بعوضة فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كالمستشير له فضرب جبريل بيده الأرض يشير أن تواضع فقال يا رضوان لا حاجة لي فيها الفقر أحب إلي وأن أكون عبدا صابرا شكورا فقال رضوان أصبت أصاب الله لك وذكر الحديث **قوله تعالى** بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ يريد يوم القيامة **قوله تعالى** وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا يريد جهنم تتلظى عليهم إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أي من مسيرة خمسمائة عام سمعوا لها تغيظا وزفيرا قيل المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم وقيل المعنى إذا رأتهم خزانها سمعوا لها تغيظا وزفيرا حرصا على عذابهم والأول أصح لما روي مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عينان قال أما سمعتم الله عز وجل يقول إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بكل من جعل مع الله إلها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه وفي رواية فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم ذكره رزين في كتابه وصححه ابن العربي في قبسه وقال أي تفصلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين وفي الباب من حديث أبي سعيد الخدري قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وقال الكلبي سمعوا لها تغيظا كتغيظ بني آدم وصوتا كصوت الحمار وقيل فيه تقديم وتأخير سمعوا لها زفيرا وعلموا لها تغيظا وقال قطرب التغيظ لا يسمع ولكن يرى والمعنى إذا رأتهم رأوا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى ... متقلدا سيفا ورمحا

أي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها أي فيها تغيظا وزفيرا للمعذبين كما قال لهم فيها زفير وشهيق وفي واللام متقاربان يقال أفعل هذا في الله ولله **قوله تعالى** وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ قال قتادة ذكر لنا أن عبد الله كان يقول إن جهنم لتضيق على الكافر كتضييق الزج على الرمح ذكره ابن المبارك في رقائقه وكذا قال ابن عباس ذكره الثعلبي والقشيري عنه وحكاه الماوردي عن عبد الله بن عمرو ومعنى مقرنين مكتفين قاله ابن صالح وقيل مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وقيل قرنوا مع الشياطين أي قرن كل واحد منهم إلى شيطانه قاله يحيى بن سلام وقد مضى هذا في سورة إبراهيم وقال عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مقرنينا

قوله تعالى دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا أي هلاكا قاله الضحاك وابن عباس وبلالا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أول من يقوله إبليس وذلك أنه أول من يكسى حلة من النار فتوضع على حاجبيه ويسحبها من خلفه

وهو يقول واثبوراه وانتصب على المصدر اي ثبرنا ثبورا قاله الزجاج وقال غيره هو مفعول به
قوله تعالى **لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا** فان هلاككم اكثر من ان تدعوا
مرة واحدة وقال ثبورا لانه مصدر يقع للقليل والكثير فلذلك لم يجمع وهو كقوله ضربته ضربا كثيرا
وقعد قعودا طويلا ونزلت الايات في ابن خطل واصحابه قوله تعالى **قل اذلك خير ام جنة
الخلد التي وعد المتقون** ان قيل كيف قال ذلك خير ولا خير في النار فالجواب حكي عن العرب الشقا
احب اليك ام السعادة وقد علم ان السعادة احب اليه وقيل ليس هو من باب افعل منك وانما هو
كقولك عنده خير وقال النحاس وهذا قول حسن كما قال

فشركما لخيركما فداء

وقيل انما قال ذلك لان الجنة والنار قد دخلتا في باب
المنازل فقال ذلك لتفاوت ما بين المنزلتين وقيل هو مردود على قوله تبارك الذي ان شاء جعل
لك خيرا من ذلك الاية وقيل هو مردود على قوله او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقيل انما قال
ذلك على معنى علمكم واعتقادكم ايها الكفار وذلك انهم لما كانوا يعملون عمل اهل النار صاروا كانهم
يقولون ان في النار خيرا قوله تعالى **لهم فيها ما يشاؤون** اي من النعيم خالدين كان على ربك
وعدا مسؤلا قال الكلبي وعد الله المومنين الجنة جزاء على اعمالهم فسالوه ذلك الوعد فقالوا ربنا
واتنا ما وعدتنا على رسلك وهو معنى قول ابن عباس وقيل ان الملائكة تسال لهم الجنة دليل قوله ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الاية وهذا قول محمد بن كعب القرظي وقيل معنى وعدا مسؤلا اي
واجبا وان لم يسال كالدين حكي عن العرب لاعطينك الفا وقيل بمعنى وعدا مسؤلا اي واجبا وان
لم تساله انه واجب لك فتساله وقال زيد بن اسلم سلوا الله الجنة في الدنيا وارغبوا اليه في الدعاء
فاجابهم في الاخرة الى ما سالوه واعطاهم ما طلبوا وهذا يرجع الى القول الاول قوله تعالى
ويوم يحشرهم قرا ابن محيصن وحميد بن كثير وحفص ويعقوب وابو عمرو في رواية الدوري
يحشرهم بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله في اول الكلام كان على ربك وفي اخره اانتم
اضللتم عبادي هؤلاء الباقون بالنون على التعظيم وما يعبدون من دون الله من الملائكة
والانس والجن والمسيح وعزير قاله مجاهد وابن جريج الضحاك وعكرمة الاصنام فيقول قراءة العامة
بالياء وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا ابن عامر وابو حياة بالنون على التعظيم قوله تعالى
اانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وهذا استفهام توبيخ للكفار قالوا سبحانك
يعني المعبودون من دون الله تنزيها لك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك فان قيل فان كانت
الاصنام التي تعبد تحشر فكيف تنطق وهي جماد قيل له ينطقها الله سبحانه وتعالى يوم القيامة كما
تنطق الايدي والارجل وقرا الحسن وابو جعفر نتخذ بضم النون وفتح الخاء على الفعل المجهول وقد تكلم في
هذه القراءة النحويون فقال ابو عمرو بن العلا وعيسى بن عمر لا يجوز نتخذ قال ابو عمرو لو كانت نتخذ
لحذفت من الثانية فقلت ان نتخذ من دونك اولياء وقال ابو عبيدة لا يجوز نتخذ لان الله سبحانه
وتعالى ذكر من مرتين ولو كان كما قال لقال ان نتخذ من دونك اولياء وقيل من الثانية صلة قال
النحاس ومثل ابو عمرو على جلالته ومحله يستحسن ما قال لانه شبهه بحجة بينة وشرح ما قال انه يقال
ما اتخذت رجلا وليا فيجوز ان يقع هذا الواحد بعينه ثم يقال ما اتخذت من رجل وليا فيكون نفيا عاما
وقولك وليا تابع لما قبله فلا يجوز ان تدخل فيه من لانه لا فائدة في ذلك قوله تعالى
ولكن متعتهم واباءهم اي في الدنيا بالصحة والغنى وطول العمر بعد موت الرسل صلوات الله عليهم
حتى نسوا الذكر اي تركوا ذكرك فاشركوا بك بطرا وجهلا فعبدونا من غير ان امرناهم بذلك
وفي الذكر قولان احدهما القران المنزل على الرسل تركوا العمل به قاله ابن زيد الثاني الشكر على الاحسان
اليهم والانعام عليهم انهم كانوا قوما بورا اي هلكى قاله ابن عباس ماخوذ من البوار وهو الهلاك وقال
ابو الدرداء وقد اشرف على اهل حمص يا اهل حمص هلم الى اخ لكم ناصح فلما اجتمعوا حوله قال ما لكم لا
تستحيون تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون ان من كان
قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وامالهم غرورا ومساكنهم
قبورا فقوله بورا اي هلكى وفي حديث اخر فاصبحت منازلهم بورا اي خالية لا شيء فيها قال

الحسن بورا لا خير فيهم ماخوذ من بوار الارض وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير وقال شهر بن حوشب
البوار الفساد والهلاك ماخوذ من قولهم بارت السلعة اذا كسدت كساد الفساد ومنه الحديث
نعوذ بالله من بوار الايم وهو اسم للمصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر و
المونث قال ابن الزبعري

شعر

يا رسول المليك ان لساني   راتق ما فتقت اذ انا بور
اذ اباري الشيطان في   سنن الغي ومن مال ميله مثبور

وقال بعضهم الواحد بائر والجمع بور كما يقال عائذ وعوذ وهائد وهود وقيل بورا عميا عن الحق قوله تعالى
فقد كذبوكم بما تقولون اي يقول الله عز وجل عند تبري المعبودين فقد كذبوكم اي في قولكم انهم
الهة فما يستطيعون يعني الالهة صرف العذاب عنكم ولا نصركم وقيل فما يستطيع هؤلاء الكفار
لما كذبهم المعبودون صرفا للعذاب ولا نصرا من الله وقاله ابن زيد المعنى فقد كذبوكم ايها المؤمنون
هؤلاء الكفار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فمعنى بما يقولون بما يقولون من الحق وقال
ابو عبيد المعنى فما تقولون فما يستطيعون لكم صرفا عن الحق الذي هداكم الله اليه ولا نصرا لانفسهم
مما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم اياكم وقراءة العامة بالتاء على الخطاب وقد بينا معناه وحكى الفراء
انه قرا فقد كذبوكم مخففا بما تقولون وكذا قرا مجاهد والبزي بالياء ويكون معنى يقولون بقولهم
وقرا ابو حياة بما يقولون بياء فما تستطيعون بتاء على الخطاب لمتخذي الشركاء ومن قرا بالياء فالمعنى
فما يستطيع الشركاء ومن يظلم منكم قال ابن عباس من يشرك منكم ثم مات عليه نذقه في الاخرة
عذابا كبيرا اي شديدا كقوله تعالى ولتعلن علوا كبيرا اي شديدا قوله تعالى **وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الى قوله بصيرا** فيه تسع مسائل **الاولى** قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين
نزلت جوابا للمشركين حيث قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقال ابن عباس
لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق الاية حزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فنزلت تعزية له فقال جبريل عليه السلم
السلام عليك يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام ويمشون في الاسواق اي يبتغون المعايش في الدنيا **الثانية** قوله تعالى الا انهم لياكلون الطعام
اذا دخلت اللام لم يكن في ان الا الكسر ولو لم تكن اللام ما جاز ايضا الا الكسر لانها مستانفة هذا قول جميع
النحويين قال النحاس الا ان علي بن سليمان حكى لنا عن محمد بن يزيد انه قال يجوز في ان هذه الاية الفتح
وان كان بعدها اللام واحسبه وهما قال ابو اسحاق الزجاج وفي الكلام حذف والمعنى وما ارسلنا
قبلك رسلا الا انهم لياكلون الطعام ثم حذف رسلا لان في قوله من المرسلين ما يدل عليه فالموصوف
محذوف عند الزجاج ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقية الصلة كما قال الفراء المحذوف من والمعنى الا
من انهم لياكلون الطعام وشبهه بقوله وما منا الا له مقام معلوم وقوله وان منكم الا واردها اي ما منكم
الا من هو واردها وهذا قول الكسائي ايضا وتقول العرب ما بعثت اليك من الناس الا من انه ليعطيك
وقولك انه ليعطيك صلة من قال الزجاج هذا خطا لان من موصولة فلا يجوز حذفها وقال اهل
المعاني المعنى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام دليله قوله سبحانه وتعالى ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال ابن الانباري كسرت انهم بعد الا للاستيناف باضمار واو اي
والا انهم وذهبت فرقة الى ان قوله لياكلون الطعام كناية عن الحدث قال المؤلف رحمه الله وهذا
بليغ في معناه ومثله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام ويمشون في الاسواق قرا الجمهور يمشون بفتح الياء وسكون الميم وتخفيف الشين وقرا علي وابن
مسعود وابن عوف بضم الياء وفتح الميم وشد الشين المفتوحة بمعنى يدعون الى المشي ويحملون عليه وقرا ابو عبد
الرحمن السلمي بضم الياء وفتح الميم وضم الشين المشددة وهي بمعنى يمشون قال الشاعر

امشي باعطان المياه واتقي   قلائص منها صعبة وركوب

وقال كعب بن زهير

من تظل سباع الجو ضامزة   ولا تمشي بواديه الاراجيل

بمعنى يمشي **الثالثة** هذه الاية اصل في تناول الاسباب وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك

وقد مضى هذا المعنى في غير موضع لكنا نذكر هاهنا من ذلك ما يكفي فنقول قال لي بعض مشايخ هذا الزمان
في كلام جرى ان الانبيا عليهم السلام انما بعثوا للسو والاسباب للضعفا فقلت مجيبا له هذا
قول لا يصدر الا من الجهال الاغبيا والرعاع السفها ومن طاعن في الكتاب والسنة العليا وقد
اخبر الله سبحانه في كتابه عن اصفيائه ورسله وانبيائه بالاسباب والاحتراف فقال وعلمناه صنعة
لبوس لكم وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
قال العلما اي يتجرون ويحترفون وقال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال تعالى فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا وكان الصحابة رضي الله عنهم يتجرون ويحترفون وفي اموالهم يعملون ومن خالفهم
من الكفار ينا تلون اتراهم ضعفا بل هم والله كانوا الاقويا وبهم الخلف الصالح اقتدي وطريقهم
فيه الهدي والاهتدا قال المولف رحمه الله لو كان ذلك لوجب عليهم وعلى الرسول معهم البيان كما
ثبت في القران وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال ان الذين يكتمون ما انزلنا من
البينات والهدي وهذا من البينات والهدي واما اصحاب الصفة فانهم كانوا ضيف الاسلام
عند ضيق الحال وكان عليه السلام اذا اتته صدقة خصهم بها واذا اتته هدية اكلها معهم وكانوا
مع هذا يحتطبون ويسوقون الما الى ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وصفهم البخاري وغيره
ثم لما افتتح الله عليهم البلاد ومهد لهم المهاد تامروا وبالاسباب امروا ثم ان هذا القول يدل على
ضعف النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم ايدوا بالملايكة وثبتوا بهم فلو كانوا اقويا ما احتا
جوا الى تاييد الملايكة وتثبيتهم اذ ذلك سبب من اسباب النصر نعوذ بالله من قول والطلاق
يؤول الى هذا بل القول بالاسباب والوسايط سنة الله وسنة رسوله وهو الحق المبين والطريق المستقيم
الذي انعقد عليه اجماع المسلمين والا كان يكون قوله الحق واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية
مقصورا على الضعفا وجميع الخطابات كذلك وفي التنزيل حيث خاطب موسى الكليم اضرب
بعصاك البحر وقد كان قادرا على فلق البحر دون ضرب عصاه وكذلك مريم عليها السلام وهزي
اليك بجذع النخلة وقد كان قادرا على سقوط الرطب دون هز ولا تعب ومع هذا كله فلا ينكر
ان يكون رجلا يلطف به وينال اويجاب دعوته او يكرم بكرامة في خاصة نفسه او لاجل غيره ولا تهد
لذلك القواعد الكلية والامور الجملية هيهات هيهات لا يقال فقد قال سبحانه وتعالى وفي
السماء رزقكم وما توعدون فانا نقول صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وان الرزق هنا
المطر باجماع اهل التاويل بدليل قوله تعالى وننزل لكم من السماء رزقا وقال تعالى وانزلنا من السما
ماء فانبتنا به جنات وحب الحصيد ولم نشاهد ننزل من السما على الخلق اطباق الخبز ولا جفان
اللحم بل الاسباب اصل في وجود ذلك وهو معنى قوله عليه السلام اطلبوا الرزق في خبايا الارض
اي بالحرث والحفر والغرس وقد يسمي الشي بما يوول اليه فسمي المطر رزقا لانه عنه يكون الرزق
وذلك شهير في كلام العرب وقال عليه السلام لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره
خير له ان يسال احدا اعطاه او منعه وهذا انما خرج بغير تعب من الحشيش والحطب ولو قدر
رجل بالجبال منقطع عن الناس لكان له بد من الخروج الى ما تخرجه الاكمام وظهور الاعلام حتى يتناول
من ذلك ما يعيش به وهو معنى قوله عليه السلام لو انكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فغدوها ورواحها سبب والعجب العجب ممن يدعي التجريد والتوكل
على التحقيق ويقعد على بيان الطريق ويدع الطريق المستقيم والمنهج الواضح القويم ثبت في البخاري عن
ابن عباس قال كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا سالوا
الناس فانزل الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوي ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضوان الله عليهم اجمعين انهم خرجوا الى اسفارهم بغير زاد وكانوا المتوكلين حقا والتوكل اعتماد
القلب على الرب في ان يلم شعثه ويجمع عليه اربه ثم تناول الاسباب بمجرد الامر وهذا هو الحق سال
رجل الامام احمد بن حنبل فقال اني اريد ان احج على قدم التوكل فقال اخرج وحدك فقال لا الا مع الناس
فقال له انت اذا متوكل على اجربتهم وقد انبينا على هذا في كتاب قمع الحرص بالتزهد والقناعة ورد
ذل السوال بالكف والشفاعة والله الموفق للصواب **الرابعة** خرج مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وخرج البزار عن سلمان
الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن ان استطعت اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج
منها فانها معركة الشيطان وبها تنصب رايته اخرجه ابو بكر البرقاني مسندا عن ابي محمد عبد الغني
بن سعيد الحافظ من رواية عاصم عن ابي عثمان النهدي عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تكن اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ ففي هذا الحديث ما يدل
على كراهة دخول الاسواق لاسيما في هذه الازمان التي يخالط فيها الرجال النسوان وهكذا قال
علماونا لما كثر الباطل في الاسواق وظهرت فيها المناكر كره دخولها لارباب الفضل والمقتدي بهم في
الدين تنزيها لهم عن البقاع التي يعصي الله فيها فحق على من ابتلاه الله بالسوق ان يخطر بباله انه قد
دخل محل الشيطان ومحل جنوده وانه ان اقام هناك هلك ومن كانت هذه حاله اقتصر منه على قدر
ضرورته وتحرز من سوء عاقبته وبليته **الخامسة** تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم السوق بالمعركة
تشبيه حسن وذلك ان المعركة موضع القتال سمي بذلك لتعارك الابطال فيه ومصارعة بعضهم
بعضا فشبه السوق وفعل الشيطان بها ونيله منهم بما يحملهم من المكر والخديعة والتساهل
في البيوع الفاسدة والايمان الكاذبة واختلاط الاصوات وغير ذلك بمعركة الحرب ومن يصرع فيها
السادسة قال ابن العربي اما اكل الطعام فضرورة الخلق لا عار ولا درك فيه واما الاسواق فسمعت
مشيخة اهل العلم يقولون لا يدخل الاسواق الا لكتب والسلاح وعندي انه يدخل كل سوق للحاجة اليه ولا ياكل
فيها لان ذلك اسقاط للمروة وهدم للحشمة ومن الاحاديث الموضوعة الاكل في السوق دناءة قال
المولف رحمه الله ما ذكره مشيخة اهل العلم فنعما هي فان ذلك خال عن النظر الى النسوان ومخالطتهن
اذ ذلك من حاجتهن واما غيرها من الاسواق فمشحونة منهن وقلة الحيا غلب عليهن حتى ترى المراة في
القيساريات وغيرهن قاعدة متبرجة بزينتها وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا نعوذ بالله من
سخطنا **السابعة** خرج ابو داود الطيالسي في مسنده انا حماد بن زيد قال حدثنا حماد بن زيد
قال حدثنا عمرو بن دينار قهرمان ال الزبير عن سالم عن ابيه عن عمر بن الخطاب قال من دخل سوقا من
هذه الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شي قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف
درجة في رواية وبني له قصرا في الجنة خرجه الترمذي ايضا وزاد بعد ومحا عنه الف الف سيئة وبني له
قصرا في الجنة خرجه الترمذي ايضا وزاد بعد ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة
وبني له بيتا في الجنة وقال هذا حديث غريب قال ابن العربي وهذا اذا لم يقصد في تلك البقعة سوى
ليعمرها بالطاعة اذا عمرت بالمعصية وليحليها بالذكر اذا عطلت بالغفلة وليعلم الجهلة وليذكر الناسين
الثامنة قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون اي ان الدنيا دار بلاء وامتحان فاراد سبحانه
ان يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مومن وكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني
فتنة للفقير والفقير الصابر فتنة للغني ومعنى هذا ان كل واحد مختبر بصاحبه فالغني ممتحن بالفقير
عليه ان يواسيه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغني عليه ان لا يحسده ولا ياخذ منه الا ما اعطاه
وان يصبر كل واحد منهما على الحق قال الضحاك في الغني اتصبرون اي على الحق واصحاب البلايا
يقولون لم لم نعاف والاعمى لم لم نجعل كالبصير وهكذا اصحاب كل افة والرسول المخصوص بكرامة
النبوة فتنة لاشراف الناس من الكفار في عصره وكذلك العلما وحكام العدل الا ترى الى قولهم لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فالفتنة ان يحسد المبتلي المعافا ويحقر المعافا المبتلي والصبر
ان يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وهذا عن الضجر اتصبرون محذوف الجواب يعني ام لا تصبرون
ليقتضي جوابا عما قاله المزني وقد اخرجته الفاقة فراي خصيا في مراكب ومواكب فخطر بباله شي فسمع
من يقرا الاية اتصبرون فقال بلي ربنا نصبر ونحتسب وقد تلي ابن القاسم صاحب مالك هذه الاية
حين راي اشهب بن عبد العزيز في مملكته عابرا عليه ثم اجاب نفسه بقوله سنصبر وعن ابي الدردا
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من
المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان

من الرعية وقيل الرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وقوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
اسنده الثعلبي رحمه الله وقال مقاتل نزلت في ابي جهل ابن هشام والوليد بن المغيرة والعاص بن
وايل وعتبة بن ابي معيط وعتبة بن ابي ربيعة والنضر بن الحارث حين راوا اباذر وعبد الله بن مسعود
وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وسالما مولى ابي حذيفة ومهجعا مولى عمر بن الخطاب
وجبرا مولى الحضرمي وذويهم فقالوا على سبيل الاستهزاء انسلم فنكون مثل هؤلاء فانزل الله سبحانه
وتعالى يخاطب هؤلاء المومنين اتصبرون على ما ترون من هذه الحالة الشديدة فالتوقف خاص المومنين
المحققين من امة محمد صلى الله عليه وسلم كانه جعل امهال الكفار والتوسعة عليهم فتنة للمومنين اي
اختبارا لهم ولما صبر المسلمون انزل الله فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا الاية التاسعة قوله تعالى
وكان ربك بصيرا اي بكل امرء وبمن يصبر او يجزع وبمن يومن ومن لا يومن وبمن ادى ما عليه من الحق
وبمن لا يودي وقيل اتصبرون مثل فهل انتم مسلمون منتهون اي انتهوا فهو امر للنبي صلى الله عليه
وسلم بالصبر قوله تعالى **وقال الذين لا يرجون لقاءنا** يريد لا يخافون البعث ولقاء الله اي
لا يومنون بذلك قال اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل
وقيل لا يرجون لا يبالون قال

لعمرك لا ارجوا اذا كنت مسلما ... على اي جنب كان في الله مصرعي

ابن شجرة لا
يا ملون قال

ارجوا مة قتلت حسينا ... شفاعة جده يوم الحساب

لولا انزل عليه اي هلا انزل علينا الملائكة فيخبرونا ان محمدا صادق او نرى ربنا عيانا فيخبرنا
برسالته نظير قوله سبحانه وتعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله او تاتي
بالله والملائكة قبيلا قوله تعالى **لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا** حيث سالوا
الله الشطط لان الملائكة لا ترى الا عند الموت او نزول العذاب والله سبحانه وتعالى لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار فلا عين تراه وقال مقاتل عتوا عادا في القول والعتو اشد الكفر وافحش
الظلم واذلم يكتفوا بالمعجزات وهذا القرآن فكيف يكتفوا بالملائكة وهم لا يميزون بينهم وبين
الشياطين ولا بد لهم من معجزة يقيمها من يدعي انه ملك وليس للقوم طلب معجزة بعد ان شاهدوا
معجزة وان قوله تعالى **يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين** يريد ان الملائكة
لا يراها احد الا عند الموت فتبشر المومنين بالجنة وتضرب المشركين والكفار بمقامع الحديد حتى
تخرج انفسهم قوله تعالى **ويقولون حجرا محجورا** يريد يقول الملائكة حراما محرما ان تدخل الجنة
الا من قال لا اله الا الله واقام شرايعها عن ابن عباس وغيره وقيل ان ذلك يوم القيامة قاله مجاهد
وعطية العوفي قال عطية اذا كان يوم القيامة يلقى المومن بالبشرى فاذا راى ذلك الكافر تمنى فلم يره
من الملائكة وانتصب يوم يرون بتقدير لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة يومئذ تاكيد
ليوم يرون قال النحاس لا يجوز ان يكون يوم يرون منصوبا ببشرى لان ما في حيز النفي لا يعمل فيما قبله
ولكن فيه تقدير ان يكون المعنى يمنعون البشارة يوم يرون الملائكة ودل هذا الحذف على ما بعده
ويجوز ان يكون التقدير لا بشرى يكون يوم يرون الملائكة يومئذ موكد ويجوز ان يكون المعنى اذكر يوم
يرون الملائكة ثم ابتدا فقال لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا اي وتقول الملائكة حراما
محرما ان يكون لهم البشرى الا للمومنين قال المولف رحمه الله تعالى قال الشاعر

الا اصبحت اسماء حجرا محرما ... واصبحت من ادنى حموتها حما

اراد الا اصبحت اسماء حراما محرما وقال اخر

حنت الى النخلة القصوى ... فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس

وروي عن الحسن انه قال ويقولون حجرا وقف من قول المجرمين فقال الله عز وجل محجورا عليهم ان يعاذوا
ويجاروا فحجر الله عليهم يوم القيامة والاول قول ابن عباس وبه قال الفراء قاله ابن الانباري وقرا
الحسن وابو رجا وحجرا بضم الحا والناس على كسرها وقيل ان ذلك من قول الكفار لانفسهم قاله قتادة
فيما ذكر الماوردي وقيل هو من قول الكفار للملائكة وهي كلمة استعاذة وكانت معروفة في الجاهلية
وكان الرجل اذا لقي من يخافه قال حجرا محجورا اي حرام عليك التعرض لي انتصابه على معنى حجرت

عليك او حجر الله عليك كما تقول سقيا ورعيا اي ان المجرمين اذا راوا الملائكة يلقونهم في النار قالوا
نعوذ بالله منكم وذكر القشيري وحكى معناه المهدوي عن مجاهد وقيل حجرا من قول المجرمين محجورا من
قول الملائكة اي قالوا للملائكة نعوذ بالله منكم ان تتعرضوا لنا فتقول الملائكة محجورا اي يعاذون من
شر هذا اليوم قاله الحسن قوله تعالى **وقدمنا الى ما عملوا من عمل** تنبيه على عظم قدر يوم القيامة
اي قصدنا في ذلك الى ما كان يعمله المجرمون من عمل بر عند انفسهم يقال قدم فلان الى امر كذا اي قصده
وقال مجاهد قدمنا اي عمدنا وقال الراجز

وقدم الخوارج الضلال ... الى عباد ربهم فقالوا ان دماكم لنا حلال

وقيل هو قدوم الملائكة اخبر به عن نفسه تعالى فاعله قوله تعالى **فجعلناه هباء منثورا**
اي لا ينتفع به اي ابطلناه بالكفر وليس هباء من ذوات الهمز وانما همزت لالتقا الساكنين والتصغير
هبي في موضع الرفع ومن العرب من يقول هبي في موضع الرفع حكاه النحاس وواحده هباءة والجمع
اهباء قال الحارث بن جابر يصف قوى

... خلفها من الرجيع والرفع مثنا كانه اهبا

وروى الحارث عن علي قال الهباء المنثور شعاع الشمس الذي يدخل من الكوة وقال الازهري الهبا ما
يخرج من الكوة في ضوء الشمس شبه بالغبار وتاويله ان الله سبحانه وتعالى احبط اعمالهم حتى صارت
بمنزلة الهباء المنثور فاما الهباء المنبث فهو ما يثيره الخيل بسنابكها من الغبار والمنبث المتفرق وقال
ابن عرفة الهبوة والهبا التراب الرقيق قال الجوهري ويقال له اذا ارتفع هبا يهبوا هبوا واهبيته
انا والهبوة الغبرة قال روبة

تبدو لنا اعلامه بعد الغرق ... في قطع الال وهبوات الدقق

وموضع هابي التراب اي كان ترابه مثل الهباء في الدقة وقيل انه ما ذرته الريح من يابس اوراق
الشجر قاله قتادة وابن عباس وقال ابن عباس ايضا انه الما المهراق وقيل انه الرماد قاله عبيد بن يعلى
قوله تعالى **اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا** تقدم القول فيه عند قوله
تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد قال النحاس والكوفيون يجيزون العسل احلى من الخل وهذا قول مردود
لان معنى فلان خير من فلان انه اكثر خيرا منه ولا حلاوة في الخل ولا يجوز ان يقال النصراني خير من اليهودي
لانه لا خير فيهما فيكون احدهما ازيد في الخير ولكن يقال اليهودي شر من النصراني فعلى هذا
كلام العرب ومستقرا نصب على الظرف اذا قدر على غير باب افعل منك والمعنى لهم خير في
مستقر واذا كان من باب افعل منك فانتصابه على البيان قاله النحاس والمهدوي قال قتادة واحسن
مقيلا منزلا وماوى وقيل هو على ما تعرفه العرب من مقيل نصف النهار ومنه الحديث المرفوع ان
الله تبارك وتعالى يفرغ من حساب الخلق في مقدار نصف يوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار ذكره المهدوي وقال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة من نهار الدنيا حتى يقيل هولا
في الجنة وهولا في النار ثم قرا ان مرجعهم لا الى الجحيم كذا في قراءة ابن مسعود وقال ابن عباس
ذلك اليوم في اوله فلا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة
ومنه ما روي قيلوا فان الشياطين لا تقيل وذكر قاسم بن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا اليوم فقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المومن حتى يكون عليه اخف من صلاة المكتوبة
يصليها في الدنيا قوله تعالى **ويوم تشقق السماء بالغمام** اي واذكر يوم تشقق السماء
وقرا عاصم والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي وابو عمرو وتشقق بتخفيف الشين واصله تتشقق بتاءين فحذفوا
الاولى تخفيفا واختاره ابو عبيد الباقون تشقق بتشديد الشين على الادغام واختاره ابو حاتم وكذلك
في ق والباء في بالغمام اي عن الغمام والباء وعن يتعاقبان كما يقول رميت بالقوس وعن القوس روي ان السماء
تتشقق عن سحاب ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم فتشقق السماء عنه وهو الذي قال
تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام وتنزل الملائكة من السموات ويأتي الرب عز
وجل في الثامنة الذين يحملون العرش لفصل القضاء على ما يجوز ان يحمل عليه اتيانه لا على ان يحمل عليه
صفات المخلوقين من الحركة والانتقال وقال ابن عباس تشقق سماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر

ممن في الارض من الجن والانس ثم تنشق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السماء الدنيا
ثم كذلك تنشق السماء السابعة ثم تنزل الكروبيون وحملة العرش وهو معنى قوله ونزل الملايكة تنزيلا
اي من السماء الى الارض لحساب الثقلين وقيل ان السما تنشق بالغمام الذي بينها وبين الناس فتنشق
الغمام فتنشق السماء فاذا انشقت السما انتقض تركيبها وطويت فنزلت الملايكة الى مكان سواها وقرا ابن
كثير ونزل الملايكة بالنصب من الانزال الباقون ونزل الملايكة بالرفع دليله تنزيلا ولو كان على الاول
لقال انزالا وقد قيل ان نزل وانزل بمعنى فجاء تنزيلا على نزل وقد قرا عبد الوهاب عن ابي عمرو ونزل
الملايكة وقرا ابن مسعود وانزل الملايكة ابي بن كعب ونزلت الملايكة وعنه ايضا وتنزلت الملايكة
قوله تعالى الملك يوميذ الحق للرحمن الملك مبتدا والحق صفة له وللرحمن الخبر لان الملك
الذي يزول وينقطع ليس بملك بطلت يوميذ املاك المالكين وانقطعت دعاوهم وزال كل ملك وملكه
وبقي الملك الحق لله وحده وكان يوما على الكافرين عسيرا اي لما ينالهم من الاهوال ويلحقهم من الخزي
والهوان وهو على المومنين اخف من صلاة مكتوبة على ما تقدم في الحديث وصف الاية دالة عليه لانه
اذا كان على الكافرين عسيرا فهو على المومنين يقال عسر يعسر وعسر يعسر **قوله تعالى** ويوم يعض
الظالم على يديه الماضي عضضت وحكى الكساي عضضت بفتح الضاد الاولى وجا التوقيف عن اهل
التفسير منهم ابن عباس وابن المسيب ان الظالم ههنا يراد به عقبة بن ابي معيط وان خليله امية بن
خلف فعقبة قتله علي ابن ابي طالب عليه السلام وذلك انه كان من الاساري يوم بدر فامر النبي
صلى الله عليه وسلم بقتله فقال اقتل دونهم فقال بكفرك وعتوك فقال من للصبية فقال النار فقام
علي رضي الله عنه فقتله وامية قتله النبي صلى الله عليه وسلم فانه خبر عنهما بهذا فقتلا على الكفر
ولم تسميا في الاية لانه ابلغ في الفايدة ليعلم ان هذا سبيل كل ظالم قبل من غيره في معصية الله
جل وعز قال ابن عباس وقتادة وغيرهما وكان عقبة قد هم بالاسلام فمنعه ابي بن خلف في المبارزة
يوم احد ذكره القشيري والثعلبي والاول ذكره النحاس وقال السهيلي ويوم يعض الظالم على يديه هو عقبة
بن ابي معيط وكان صديقه امية بن خلف الجمحي ويروي ابي بن خلف اخي امية وكان قد صنع وليمة فدعا
اليها قريشا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياتيه الا ان يسلم وكره عقبة ان يتاخر عن
طعامه من اشراف قريش احد فاسلم وانطق بالشهادتين فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واكل من طعامه فعاتبه خليله امية بن خلف او ابي بن خلف وكان غايبا فقال عقبة رايت عظيما
ان لا يحضر طعامي رجل من اشراف قريش ولا ياكل فقال له خليله لا ارضى حتى ترجع وتبصق في
وجهه وتطا عنقه وتقول كيت وكيت ففعل عدو الله ما امره به خليله فانزل الله عز وجل ويوم
يعض الظالم على يديه قال الضحاك لما بصق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم رجع بصاقه في
وجهه وشوي وجهه وشفتيه حتى اثر في وجهه واحرق خديه فلم يزل اثر ذلك في وجهه حتى قتل
وعضه يديه فعل النادم الحزين لاجل طاعة خليله **قوله تعالى** يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا في الدنيا يعني طريقا الى الجنة يا ويلتى دعا بالويل والثبور على عدم مخالفة
الكافر وموافقة المومن ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني امية وكنى عنه ولم يصرح باسمه لئلا يكون
هذا الوعد مخصوصا ولا مقصورا بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما وقال مجاهد وابو رجا
الظالم عام في كل ظالم وفلان الشيطان واحتج لصاحب هذا القول بان بعده وكان الشيطان
للانسان خذولا وقرا الحسن يا ويلتي وقد مضى في هود بيانه والخليل الصاحب والصديق وقد مضى
في النسا بيانه اضلني عن الذكر اي يقول هذا النادم لقد اضلني من اتخذته في الدنيا خليلا عن
الايمان والقران به وقيل عن الذكر اي عن الرسول وكان الشيطان للانسان خذولا قيل هذا
من قوله سبحانه وتعالى لا من قول الشيطان وتمام الكلام على هذا عند قوله بعد اذ جاءني
والخذل الترك من الاغاثة ومنه خذل لان ابليس للمشركين لما ظهر لهم في صورة سراقة بن مالك فلما
راوا الملايكة تبرا منهم وكل من صد عن سبيل الله واطيع في معصية الله فهو شيطان للانسان
خذولا عند نزول البلا والعذاب ولقد احسن قول من قال

تجنب قرين السوء واصرم حباله   فان لم تجد عنه محيصا فداره

واحب حبيب الصدق واحذر مراءه   تنل منه صفو الود ما لم تماره
وفي الشيب ما ينهى الحليم عن الصبي   اذا اشتعلت نيرانه في عذاره

آخر

اصحب خيار الناس حيث لقيتهم   خير الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دراهم ميزتها   فوجدت منها فضة وزيوفا

وفي الصحيح من حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء
كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة
ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد ريحا خبيثة لفظ مسلم واخرجه ابو داود من حديث انس
وذكر ابو بكر البزار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي جلسايناخير قال من ذكركم بالله رويته وزاد في
علمكم منطقه وذكركم بالاخرة عمله وقال مالك بن دينار انك ان تنقل الاحجار مع الابرار خير لك من
ان تاكل الخبيص مع الفجار وانشد

وصاحب خيار الناس تنج مسلما   وصاحب شرار الناس يوما فتندما

قوله تعالى وقال الرسول يا رب يريد محمدا صلى الله عليه وسلم يشكوهم الى الله سبحانه وتعالى
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا اي قالوا فيه غير الحق من انه سحر وشعر عن مجاهد والنخعي وقيل
مهجورا اي متروكا فعزاه الله سبحانه وتعالى وسلاه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
اي كما جعلنا لك يا محمد عدوا من مشركي قومك وهو ابو جهل في قول ابن عباس فكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا من مشركي قومه فاصبر لامري كما صبروا فاني هاديك وناصرك على كل من ناواك وقد
قيل ان قول الرسول يا رب انما يقوله يوم القيامة اي هجروا القران وهجروني وكذبوني وقال انس قال النبي
صلى الله عليه وسلم من تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا
به يقول يا رب العالمين ان عبدك هذا اتخذني مهجورا فاقض بيني وبينه ذكره الثعلبي **قوله تعالى**
وكفى بربك هاديا ونصيرا نصب على الحال والتمييز اي يهديك وينصرك فلا تبال بمن عاداك وقال
ابن عباس عدو النبي صلى الله عليه وسلم ابو جهل لعنه الله **قوله تعالى** وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القران جملة واحدة اختلف في قايل هذا الكلام على قولين احدهما انه كفار قريش قاله ابن عباس الثاني
انهم اليهود حين راوا نزول القران مفرقا قالوا هلا انزل عليه جملة واحدة كما انزلت التوراة على موسى
والانجيل على عيسى والزبور على داود فقال الله سبحانه وتعالى كذلك لنثبت به فوادك نقوي به
قلبك فتعيه وتحمله لان الكتب المتقدمة انزلت على انبياء يكتبون ويقرءون والقران نزل على نبي
امي ولان من القران الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سال عن امور ففرقناه ليكون اوعى عند
النبي صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به وكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب قال المولف
رحمه الله فان قيل هلا انزل القران دفعة واحدة وحفظه اذ لو كان ذلك في قدرته قيل في قدرة الله سبحانه
وتعالى ان يعلمه الكتابة والقران في لحظة واحدة ولكنه لم يفعل ولا معترض عليه في حكمه وقد بينا وجه
الحكمة في ذلك وقد قيل ان قوله كذلك من كلام المشركين اي لولا انزل عليه القران جملة واحدة
كذلك اي كالتوراة والانجيل فيتم الوقف على كذلك لنثبت به فوادك ثم يبتدي على معنى انزلنا
عليك متفرقا لنثبت به فوادك ويجوز ان يكون الوقف على قوله جملة واحدة ثم يبتدي كذلك لنثبت
به فوادك قال ابن الانباري والوجه الاول اجود واحسن والقول الثاني قد جاء به التفسير حدثنا محمد
بن عثمان الشيبي قال حدثنا اسحق قال اخبرنا بشر بن عمار عن ابي روق عن الضحاك عن ابن عباس في
قوله سبحانه وتعالى انا انزلناه في ليلة القدر قال انزل القران جملة واحدة من عند الله عز وجل في
اللوح المحفوظ والى السفرة الكرام البررة الكاتبين في السما فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة
ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال فهو قوله فلا اقسم بمواقع النجوم يعني نجوم القران
وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم قال فلما لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم جملة واحدة قال
الله تبارك وتعالى كذلك لنثبت به فوادك يا محمد **قوله تعالى** ورتلناه ترتيلا يقول ورسلناه
ترسيلا يقول شيئا بعد شي **قوله تعالى** ولا ياتونك بمثل الا جيناك بالحق واحسن تفسيرا
يقول لو انزلنا عليك القران جملة واحدة ثم سالوك لم يكن عندك ما تجيب ولكن نمسك عليك فاذا

منع وليمة ودعا النبي عليه السلام فابى ان ياتيه الا ان يسلم

الجليس الصالح والسوء

سألوك اجبت قال النحاس وكان ذلك من علامات النبوة لانهم لا يسألون عن شيء الا اجيبوا عنه وهذا لا يكون الا من نبي وكان ذلك تثبيتا لفؤاده وافئدتهم ويدل على هذا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم وعلم الله عز وجل ان الصلاح في انزاله متفرقا لانهم ينبهون به مرة بعد مرة ولو نزل جملة واحدة لزال معنى التنبيه وفيه ناسخ ومنسوخ وكانوا يتعبدون بالشيء الى وقت بعينه قد علم الله فيه الصلاح ثم ينزل النسخ بعد ذلك فمحال ان ينزل جملة واحدة افعلوا كذا ولا تفعلوا قال النحاس والاول ان يكون التمام جملة واحدة لانه اذا وقف كذلك صار كالتوراة والانجيل والزبور ولم يتقدم فيهما ذكر قال النحاس الضحاك واحسن تفسيرا اي تفصيلا والمعنى احسن من مثلهم تفصيلا فحذف لعلم السامع وقيل كان المشركون يستمدون من اهل الكتاب وكان قد غلب على اهل الكتاب التحريف والتبديل فكان ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم احسن تفسيرا مما عندهم لانهم كانوا يخلطون الحق بالباطل قد قيل لا يأتونك بمثل كقولهم في صفة عيسى انه خلق من غير اب الا جئناك بالحق اي بما فيه نقض حجتهم كادم خلق من غير اب وام قوله تعالى **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم** تقدم في سبحان اولئك شر مكانا لانهم في جهنم وقال مقاتل قال الكفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هو شر الخلق فنزلت الاية واضل سبيلا اي دينا وطريقا ونظم الاية ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وانت منصور عليهم بالحجج الواضحة وهم يحشرون على وجوههم قوله تعالى **ولقد اتينا موسى الكتاب** يريد التوراة **وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا** تقدم في طه **فقلنا اذهبا الى القوم** الخطاب لهما وقال انما امر موسى عليه السلام بالذهاب وحده في المعنى وهذا بمنزلة قوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما قال النحاس وهذا مما لا ينبغي ان يجترأ به على كتاب الله عز وجل فقد قال الله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فأتياه فقولا انا رسولا ربك ونظير هذا ومن دونهما جنتان وقد قال جل ثناؤه ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا قال القشيري وقوله في موضع اخر اذهب الى فرعون انه طغى لا ينافي هذا لانهما اذا كانا مأمورين فكل واحد مأمور ويجوز ان يقال امر موسى ولانه لما قال واجعل لي وزيرا من اهلي قال اذهبا الى فرعون انه طغى الى القوم الذين كذبوا باياتنا يريد فرعون وهامان والقبط فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا قوله تعالى **وقوم نوح** في نصب قوم اربعة اقوال العطف على الهاء والميم في دمرناهم الثاني بمعنى اذكر الثالث باضمار فعل يفسره ما بعده والتقدير واغرقنا قوم نوح اغرقناهم الرابع انه منصوب باغرقناهم قاله الفراء ورده النحاس قال لان اغرقنا ليس مما يتعدى الى مفعولين فيعمل في المضمر وفي قوم نوح لما كذبوا الرسل ذكر الجنس والمراد نوح وحده لانه لم يكن في ذلك الوقت رسول اليهم الا نوح وحده فنوح انما بعث بلا اله الا الله وبالايمان بما ينزل الله فلما كذبوا كان في ذلك تكذيبا لكل من بعث بعده بهذه الكلمة وقيل ان من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل لانه لا يفرق بينهم في الايمان ولانه ما من نبي الا يصدق بسائر انبياء الله فمن كذب منهم نبيا فقد كذب كل من صدقه من النبيين اغرقناهم اي بالطوفان على ما تقدم في هود وجعلناهم للناس اية اي علامة ظاهرة على قدرتنا واعتدنا للظالمين اي للمشركين من قوم نوح عذابا اليما اي في الاخرة وقيل اي هذه سبيلي في كل ظالم قوله تعالى **وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا** كله معطوف على قوم نوح اذا كان قوم نوح منصوبا على العطف او بمعنى اذكر ويجوز ان يكون كله منصوبا باضمار فعل اي اذكر عادا الذين كذبوا هودا فاهلكهم الله بالريح العقيم وثمود كذبوا صالحا فاهلكوا بالرجفة واصحاب الرس والرس في كلام العرب البئر التي تكون غير مطوية والجمع رساس قال

فما له يحفرون الرساسا   يعني ابار المعادن قال ابن عباس سالت كعبا عن اصحاب

الرس قال صاحب يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين قتله قومه ورسوه في بئر لهم يقال لها الرس طرحوه فيها وكذلك قال مقاتل وقال السدي هم اصحاب قصة يس اهل انطاكية والرس بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار مؤمن ال يس فنسبوا اليها وقال علي رضي الله عنه هم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم وكان من ولد يهوذا فيبست الشجرة فقتلوه ورسوه في بئر فاظلتهم سحابة سوداء فاحرقتهم وقال ابن عباس هم باذربيجان قتلوا الانبياء فجفت اشجارهم وزروعهم فماتوا جوعا وعطشا وقال وهب بن منبه كانوا اهل بئر يقعدون عليها واصحاب مواشي وكانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا

فيه اربعة اقوال

الرس بئر بانطاكية

وكذبوه

وكذبوه وتمادوا على كفرهم وطغيانهم فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت بهم وبديارهم خسف الله بهم فهلكوا جميعا وقال قتادة اصحاب الرس واصحاب الايكة امتان ارسل الله اليهم شعيبا فكذبوه فعذبهم الله بعذابين قال قتادة والرس قرية بفلج اليمامة وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بئر حكاه لبيد ماروي محمد بن كعب القرظي عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اول الناس دخولا الجنة يوم القيامة عبد اسود وذلك ان الله بعث نبيا الى قومه فلم يؤمن به الا ذلك الاسود فحفر اهل القرية بئرا والقوه فيه حيا واطبقوا عليه حجرا ضخما فكان العبد يحتطب على ظهره ويبيعه ويأتيه بطعامه وشرابه فيعينه الله على رفع تلك الصخرة حتى يدليه اليه فبينما هو يحتطب اذ نام فضرب الله على اذنه سبع سنين ثم هب واتى لشقه الاخر فضرب الله على اذنه سبع سنين ثم هب فاحتمل حزمة الحطب فباعها واتى بطعامه وشرابه الى البئر فلم يجده وكان قومه قد اراهم الله اية فاستخرجوه وامنوا به وصدقوه ومات ذلك النبي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة ذكر هذا الحديث المهدوي والثعلبي واللفظ للثعلبي وقال مجاهد وامنوا الا انهم تدمروا باحداث احدثوها بعد نبيهم وقال الكلبي اصحاب الرس قوم ارسل الله نبيا فاكلوه وهم اول من عمل نساؤهم السحر ذكره الماوردي وقيل هم اصحاب الاخدود الذين حفروا الاخاديد وحرقوا فيها المؤمنين وسيأتي وقيل هم بقايا من قوم ثمود وان الرس البئر المذكور في الحج في قوله وبئر معطلة على ما تقدم وفي الصحاح والرس اسم بئر كانت لبقية من ثمود وقال جعفر بن محمد عن ابيه اصحاب الرس قوم كانوا يستحسنون لنسائهم السحق وكان نساؤهم كلهن سحاقات وروي من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشراط الساعة ان يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق وقيل الرس ماء ونخل لبني اسد وقيل الثلج المتراكم في الجبال ذكره القشيري وما ذكرناه اولا هو المعروف وهو كل حفر احتفر كالقبر والمعدن والبئر قال ابو عبيدة الرس كل ركية لم تطو وجمعها رساس قال الشاعر

وهم سائرون الى ارضهم   فيا ليتهم يحفرون الرساسا

والرس اسم واد في قول زهير

بكرن بكورا واستحرن بسحرة   فهن لوادي الرس كاليد للفم

ورسست رسا حفرت بئرا ورس الميت اي قبر والرس الاصلاح بين الناس والافساد ايضا وقد رسست بينهم فهو من الاضداد وقد قيل في اصحاب الرس غير ما ذكرناه ذكره الثعلبي وغيره قوله تعالى **وقرونا بين ذلك كثيرا** اي امما لا يعلم عددهم الا الله بين قوم نوح وعاد وثمود واصحاب الرس وعن الربيع بن خثيم اشتكى فقيل له الا تتداوى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى فقال لقد هممت في ذلك ثم فكرت فيما بيني وبين نفسي فاذا عادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كانوا اكثر واشد حرصا على جمع المال وكان فيهم اطباء فلا الناعت منهم بقي ولا المنعوت فابى ان يتداوى فما مكث الا خمسة ايام حتى مات رحمه الله قوله تعالى **وكلا ضربنا له الامثال** قال الزجاج اي وانذرنا كلا ضربنا له الامثال وبينا لهم الحجة ولم نضرب لهم الامثال الباطلة كما يفعله هؤلاء الكفرة وقيل انتصب على تقدير ذكرنا كلا ونحوه لان ضرب الامثال تذكير ووعظ ذكره المهدوي والمعنى واحد **وكلا تبرنا تتبيرا** اي اهلكنا بالعذاب وتبرت الشيء كسرته وقال المؤرج والاخفش دمرناهم تدميرا ابدل التاء والباء من الدال والميم قوله تعالى **ولقد اتوا على القرية** يعني مشركي مكة والقرية قوم لوط ومطر السوء الحجارة التي امطروا بها افلم يكونوا يرونها اي في اسفارهم ليعتبروا قال ابن عباس كانت قريش في تجارتها الى الشام تمر بمدائن قوم لوط كما قال تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وقال وانهما لبامام مبين وقد تقدم قوله تعالى **بل كانوا لا يرجون نشورا** اي لا يصدقون بالبعث ويجوز ان يكون معنى يرجون يخافون ويجوز ان يكون على بابه ويكون معناه بل كانوا لا يرجون ثواب الاخرة قوله تعالى **واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا** جواب اذا ان يتخذونك وقيل الجواب محذوف وهو قالوا او يقولون اهذا الذي وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض ونزلت في ابي جهل كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم مستهزئا اهذا الذي بعث الله رسولا والعائد محذوف اي بعثه الله رسولا نصب على الحال ويجوز ان يكون مصدرا لان معنى بعث ارسل ويكون معنى رسولا رسالة على هذا والالف للاستفهام على معنى التقرير والاحتقار والتقدير اهذا الذي بعثه الله مرسلا قوله تعالى **ان كاد ليضلنا** اي قالوا قد كاد ان يصرفنا قوله تعالى **عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها** اي حبسنا انفسنا على عبادتها

اول الناس دخولا الجنة عبد اسود

من اشراط الساعة ان يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء

قوله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا يريد من اضل دينا انتم ام محمد وقد
راوه في يوم بدر قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه عجبه نبيه صلى الله عليه وسلم من اضمادهم على الكفر
واصرارهم عليه مع اقرارهم بانه خالقهم ورازقهم ثم يعمد الى حجر يعبده من غير حجة قال الكلبي وغيره كانت
العرب اذا هوي الرجل منهم شيا عبده من دون الله فاذا راى احسن منه ترك الاول وعبد الاحسن فعلى هذا يعني
ارايت من اتخذ الهه بهواه فحذف الجار وقال ابن عباس الهوى اله يعبد من دون الله ثم تلى هذه الاية قال
الشاعر

لعمر ابيها لو تبدت لناسك ... قد اعتزل الدنيا باحدي المناسك
لصلى لها قبل الصلاة لربه ... ولارتد في الدنيا باعمال فاتك

وقيل اتخذ الهه هواه اي اطاع هواه وعن الحسن لا يهوي شيا الا اتبعه والمعنى واحد قوله تعالى
افانت تكون عليه وكيلا اي حفيظا وكفيلا حتى ترده الى الايمان وتخرجه من هذا الفساد اي ليست
الهداية والضلالة موكولتين الى مشيئتك وانما عليك التبليغ وهذا رد على القدرية ثم قيل انها منسوخة
باية القتال وقيل لم تنسخ لان الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ولم يقل انهم لان منهم من قد علم انه يومن وذمهم عز وجل بهذا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
سماع قبول وقيل المعنى انهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكانهم لم يسمعوا والمراد اهل مكة وقيل ام بمعنى بل في مثل
هذا الموضع قوله تعالى ان هم الا كالانعام اي في الاكل والشرب لا يفكرون في الاخرة بل هم اضل اذ
لا حساب ولا عقاب على الانعام وقال مقاتل البهائم تعرف ربها وتهتدي الى مراعيها وتنقاد لاربابها
التي تعلفها وهؤلا لا ينقادون ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم وقيل لان البهائم لم تعقل صحة
التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك ايضا قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل يجوز ان تكون هذه
الروية من روية العين ويجوز ان تكون من العلم قال الحسن وقتادة وغيرهما مد الظل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس
وقيل من غيبوبة الشمس الى طلوعها والاول اصح والدليل عليه انه ليس من ساعة اطيب من تلك الساعة فانه يجد
فيها المريض راحة والمسافر وكل ذي علة وفيها ترد نفوس الاحيا فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب
وقال ابو العالية نهار الجنة هكذا اشار الى ساعة المصلين صلاة الفجر ابو عبيدة والظل بالغداة والفي بالعشي
لانه يرجع بعد زوال الشمس سمي فيا لانه فا من المشرق الى المغرب قال الشاعر
وهو حميد بن ثور يصف سرحه وكنى بها عن امراة

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفي من برد العشي تذوق

وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفي ما نسخ الشمس وحكى ابو عبيدة عن روبة قال كل ما كان عليه الشمس
فزالت عنه فهو في وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل قوله تعالى ولو شا لجعله ساكنا
دايما مستقرا قال ابن عباس يريد الى يوم القيامة وقيل لو شا لمنع الشمس من الطلوع عليه دليلا اي جعلنا
الشمس تنسخها الظل عند مجيئها على ان الظل شي ومعنى لان الاشيا تعرف باضدادها ولولا الشمس ما عرف
الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة فالدليل فعيل بمعنى الفاعل وقيل بمعنى المفعول كالقتيل والدهين
والخضيب اي دللنا الشمس على الظل حتى ذهب به اي اتبعناها اياه فالشمس دليل اي حجة وبرهان وهو الذي
يكشف المشكل ويوضحه ولم يونث الدليل وهو صفة الشمس لانه في معنى الاسم كما يقال الشمس برهان
والشمس حق قوله تعالى ثم قبضناه يريد ذلك الظل الممدود قوله تعالى الينا قبضا يسيرا
اي يسيرا اقبضه علينا فكل امر ربنا عليه يسير افالظل مكثه في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر الى طلوع الشمس
فاذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فاشرق على الارض وعلى الاشياء
الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هناك ظل انما ذلك بقية نور النهار فقال قوم قبضه بغروب الشمس
لانها ما لم تغرب فالظل فيه بقية وانما يتم زواله بمجي الليل ودخول الظلمة عليه وقيل ان هذا القبض وقع
بالشمس لانها اذا طلعت اخذ الظل في الذهاب شيا فشيا قاله ابو مالك وابراهيم التيمي وقيل ثم
قبضناه اي قبضنا ضيا الشمس بالفي قبضا يسيرا وقيل يسيرا اي سريعا قاله الضحاك قتادة خفيا
اي اذا غابت الشمس قبض الظل قبضا خفيا كلما قبض جزو منه جعل مكانه جزو من الظلمة وليس يزول
دفعة واحدة فهذا معنى قول قتادة وهو قول مجاهد قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وهو الذي جعل لكم

الليل لباسا يعني سترا للخلق يقوم مقام اللباس في ستر البدن قال الطبري وصف الليل باللباس تشبيها
من حيث انه يستر الاشياء ويغشاها الثانية قال ابن العربي ظن بعض الغفلة ان من
صلى عريانا في الظلام انه يجزيه لان الليل لباس وهذا يوجب ان يصلي في بيته عريانا اذا اغلق عليه بابه
والستر في الصلاة عبادة تختص بها ليست لاجل نظر الناس ولا حاجة الى الاطناب في هذا الثالثة قوله
تعالى والنوم سباتا اي راحة لابدانكم بانقطاعكم عن الاشتغال واصل السبات من التمدد يقال
سبتت المراة شعرها اي نقضته وارسلته ورجل مسبوت اي ممدود الخلقة وقيل للنوم سبات لانه
من التمدد يكون وفي التمدد معنى الراحة وقيل السبت القطع فالنوم انقطاع عن الاشتغال ومنه
سبت اليهود لانقطاعهم عن الاعمال فيه وقيل السبت الاقامة في المكان فكان السبات سكون ما
وثبوت عليه فالنوم سبات على معنى انه سكون عن الاضطراب والحركة وقال الخليل والسبات
نوم ثقيل اي جعلنا نومكم ثقيلا ليكمل الاجمام والراحة الرابعة قوله تعالى وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين
يدي رحمته تقدم في الاعراف مستوفا قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا فيه خمس عشرة مسالة
الاولى قوله تعالى ماء طهورا اي يطهر به كما يقال وضوء للماء الذي يتوضا به وكل طهور طاهر وليس كل طاهر
طهورا فالطهور بفتح الطا الاسم وكذلك الوضوء والوقود والضمير للمصدر وهذا هو المعروف في اللغة قاله
ابن الانباري فبين ان الماء المنزل من السما طاهر في نفسه مطهر لغيره فان الطهور بناء مبالغة في طاهر وهذه
المبالغة اقتضت ان يكون طاهرا مطهرا والى هذا ذهب الجمهور وقيل ان طهورا بمعنى طاهر وهو قول ابي
حنيفة وتعلق بقوله سبحانه وتعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا بمعنى طاهرا قال الشاعر

خليلي هل في نظرة بعد توبة ... اداوي بها قلبي علي فجور
الى رجح الاكفال غيد من الظبا ... عذاب الثنايا ريقهن طهور

فوصف الريق بانه طهور وليس بمطهر وتقول العرب رجل نؤوم وليس ذلك بمعنى انه منيم لغيره وانما يرجع ذلك
الى فعل نفسه وقد اجاب علماؤنا عن هذا فقالوا وصف شراب الجنة بانه طهور يفيد التطهير عن اوصاف
الذنوب وعن خسايس الصفات كالغل والحسد فاذا شربوا هذا الشراب يطهرهم الله من رحض الذنوب واوضار
الاعتقادات الذميمة فجاؤا الله بقلب سليم ودخلوا الجنة بصفات التسليم وقيل لهم سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين ولما كان حكمه في الدنيا زوال حكم الحدث بجريان الماء على الاعضا كانت تلك رحمته وحكمته
في الاخرة واما قول الشاعر ريقهن طهور فانه قصد بذلك المبالغة في وصف الريق بالطهورية لعذوبته
وتعلقه بالقلوب وطيبه في النفوس وسكون غليل المحب برشفه حتى كانه الماء الطهور وبالجملة فان الاحكام الشرعية
لا تثبت بالمجازاة الشعرية فان الشعرا يتجاوزون في الاستغراق حد الصدق الى الكذب ويسترسلون في القول
حتى يخرجهم ذلك الى البدعة والمعصية وربما وقعوا في الكفر من حيث لا يشعرون الا ترى الى قول بعضهم

ولو لم تلامس صفحة الارض رجلها ... لما كنت ادري علة التيمم

وهذا اكفر صراح نعوذ بالله منه قال القاضي بن العربي هذا منتهى كلام لنا وكلام العلما وهو بالغ في
فنه الا اني لما تاملت من طريق العربية وجدت فيه مطلعا مشرقا وهو ان بناء فعول للمبالغة الا ان المبالغة
قد تكون في الفعل المتعدي كما قال الشاعر

ضروب بنصل السيف سوق سمانها ... وقد تكون في الفعل القاصر كما قال الشاعر
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل ... وانما يوجد طهورية الماء لغيره

من الجنس نظافة ومن الشرع طهارة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور اجمعت الامة
لغة وشريعة على ان وصف طهور يختص بالماء ولا يتعدى الى سائر المايعات وهي طاهرة فكان اقتصارهم
بذلك على الماء اذن دليل ان الطهور هو المطهر فقد ياتي فعول لوجه اخر ليس من هذا كله وهو عبارة
عن الالة للفعل لا عن الفعل كقولنا وقود وسحور بفتح الواو فانه عبارة عن الحطب والطعام المتسحر به
فوصف الماء بانه طهور ايضا بفتح الطا يكون خبرا عن الالة التي يتطهر بها فاذا ضمت الواو في الوقود والسحور
والطهور عاد الى الفعل فثبت بهذا ان الاسم للمفعول بفتح الفاء يكون بناء للمبالغة ويكون خبرا عن الالة
وهو الذي مال الحنفية ولكن قصرنا شدا فيما عن لو كه وبعد هذا يقف الباب عن المبالغة وعن الالة على
الدليل فقوله تعالى من السماء ماء طهورا وقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا يحتمل

في وصف الريق بالطهور

الظل ما نسخته الشمس والفي ما نسخ الشمس فهو ظل

المبالغة ويحتمل العبارة عن الازالة فلا حجة فيه لعلمائنا لكن قوله سبحانه ليطهركم به نص في ان فعله تعدى
الى غيره **الثانية** المياه المنزلة من السما والمودعة في الارض طاهرة مطهرة على اختلاف الوانها وطعومها
وروايحها حتى يخالطها غيرها والمخالطة للماء على ثلاثة اضرب يوافقه في صفتيه جميعا لم يسلبه
ومعنى منهما الموافقة لها وهو التراب والضرب الثاني يوافقه في احدى صفتيه وهي الطهارة فاذا خالطه
لم يسلبه ما خالفه فيه وهو التطهير كما الورد وسائر الطاهرات والضرب الثالث يخالفه في
الصفتين جميعا فاذا خالطه فغير سلبه صفتين جميعا لمخالفته لهما فيهما ونحو النجس **الثالثة**
ذهب البغداديون من اصحاب مالك الى ان قليل الماء يفسده قليل النجاسة وان الكثير لا يفسده الا ما غير
لونه او طعمه او ريحه من المحرمات ولم يحدوا بين القليل والكثير حدا يوقف عنده الا ان ابن القسم روى عن
مالك الجنب يغتسل في حوض من الحياض التي يسقي فيها الدواب ولم يكن غسل ما به من الاذى انه قد افسد
الماء وهو مذهب ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم ومن اتبعهم من البصريين الا ابن وهب فانه يقول في الماء
بقول المدنيين من اصحاب مالك وقوله ما حكاه ابو المصعب عنهم وعنه ان الماء لا تفسده النجاسة الحالة
فيه قليلا كان او كثيرا الا ان تظهر فيه النجاسة وتغير منه طعما او ريحا او لونا وذكر احمد بن المعدل
ان هذا قول مالك بن انس في الماء والى هذا ذهب اسمعيل بن اسحاق ومحمد بن بكير وابو الفرج وسائر
المنتحلين لمذهب مالك من البغداديين وهو قول الاوزاعي والليث بن سعد والحسن بن صالح وداود بن
علي وهو مذهب اهل البصرة وهو الصحيح في النظر وجيد الاثر وقال ابو حنيفة اذا وقعت نجاسة في الماء افسدته
كثيرا كان او قليلا اذا تحققت عموم النجاسة ووجه تحققها عن ان تقع مثلا نقطة بول في بركة
فان كانت تتحرك بتحرك طرفاها لتحرك احدهما فالكل نجس وان كان حركة الطرفين لا يتحرك به الاخر لم ينجس
وفي المجموعة نحو مذهب ابي حنيفة وقال الشافعي بحديث القلتين وهو حديث مطعون فيه اختلف
في اسناده ومتنه اخرجه ابو داود والترمذي وخاصة الدارقطني فانه صدر به كتابه وجمع طرقه قال
ابن العربي وقد رام الدارقطني علما منه ان يصحح حديث القلتين فلم يقدر وقال ابو عمر بن عبد البر واما ما ذهب
اليه الشافعي من حديث القلتين فمذهب ضعيف من جهة النظر غير ثابت في الاثر لانه قد تكلم فيه جماعة من
اهل العلم بالنقل ولان القلتين لا يوقف على حقيقة مبلغهما في اثر ثابت ولا اجماع ولو كان ذلك حدا لازما
لوجب على العلماء البحث عنه ليقفوا على حد ما حده النبي صلى الله عليه وسلم لانه من اصل دينهم وفرضهم
ولو كان ذلك كذلك ما ضيعوه فلقد بحثوا عما هو ادون من ذلك والطف قال المؤلف رحمه الله
وفيما ذكرت من الخلاف يدل على عدم التوقف فيهما والتحديد وفي سنن الدارقطني
عن حماد بن زيد عن عاصم بن المنذر القلال الخوابي العظام وعاصم هذا احد رواة القلتين
ويظهر من قول الدارقطني انها مثل قلال هجر لسياقه حديث الاسرا عن انس بن مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر
وورقها مثل اذان الفيلة وذكر الحديث وقال ابن العربي وتعلق علماؤنا بحديث ابي سعيد
الخدري في بير بضاعة رواه النسائي والترمذي وابو داود وغيرهم وهو ايضا حديث ضعيف
لا قدم له في الصحة فلا معول عليه وقد فاوضت الطوسي الاكبر في هذه المسالة فقال ان اخلص
المذاهب في هذه المسالة مذهب مالك فان الماء طهور ما لم يتغير احد اوصافه اذ لا حديث
في الباب يعول عليه وانما المعول على ظاهر القول وهو قوله سبحانه وتعالى وانزلنا من
السماء ماء طهورا وهو ماء بصفاته فاذا تغير عن شيء منها خرج عن الاسم لخروجه عن الصفة
ولذلك لما لم يجد البخاري امام الحديث والفقه في الباب خبرا يعول عليه قال باب اذا تغير وصف
الماء وادخل الحديث الصحيح ما من احد يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب
دما اللون لون الدم والريح ريح المسك ولم تخرجه الرائحة عن صفته المذمومة ولذلك قال
علماؤنا اذا تغير الماء بريح جيفة على طرفه وساحله لم يمنع ذلك الوضوء منه ولو تغير بها وقد
وقعت فيه لكان ذلك نجسا للمخالطة والاول مجاورة قال المؤلف رحمه الله وقد استدل به
ايضا على ان تغير الرائحة يخرجه عن اصله ووجه هذا الاستدلال ان الدم
لما استحالت رائحته الى رائحة المسك خرج عن كونه مستخبثا نجسا وانه صار مسكا وان

المسك بعض دم الغزال فكذلك الماء اذا تغيرت رائحته والى هذا التاويل ذهب الجمهور في
الماء والى الاول ذهب عبد الملك قال ابو عمر جعل الرائحة دون اللون وكان الحكم لها فاستدلوا
عليها في زعمهم بهذا الحديث وهذا لا يفهم منه معنى تسكن اليه النفس ولا في الدم معنى الماء فيقاس
عليه ولا يشتغل بمثل هذا الفقهاء وليس من شان اهل العلم الغوص على مثله وانما هذا شان اهل
ديانه ولذلك اخذ المسالة على من لتبيينه للناس ولكونه ولكثرة الماء او على العين نجاسة او بغير
نجاسة فان كان نجاسة وتغير فقد اجمع العلماء على انه طاهر ولا مطهر وكذا اجمعوا انه اذا تغير
بغير نجاسة انه طاهر على اصله وقال الجمهور انه غير مطهر الا ان يكون تغيره من سببه وحماه وما
اجمعوا عليه فيه المرى الذي لا اشكال فيه ولا التباس **الرابعة** الماء المتغير بقراره
كزرنيخ او جرى عليه او تغير بطحلب او ورق شجر تسقط عليه لا يمكن الاحتراز منه فاتفق العلماء
ان ذلك لا يمنع من الوضوء به لعدم الاحتراز منه والانفكاك عنه وقد روى ابن وهب عن مالك
ان غيره اولى منه **الخامسة** قال علماؤنا رحمهم الله ويكره سور النصراني وسائر الكفار والمدمن
خمرا وما اكل الجيف كالكلاب وغيرها ومن توضا منها ومن سورهم فلا شي عليه حتى يستيقن
النجاسة قال البخاري وتوضا عمر من بيت نصرانية ذكره سفيان قال حدثنا زيد بن
اسلم عن ابيه قال لما كان بالشام اتيته بماء فتوضا منه فقال عمر بن الخطاب من اين جئت بهذا الماء ما
رايت ماء عذبا ولا ماء سماء اطيب منه قلت جئت به من بيت هذه العجوز النصرانية فلما توضا
منه اتاها فقال ايتها العجوز اسلمي بعث الله محمدا بالحق فكشفت عن راسها فاذا مثل الثغامة فقالت
عجوز كبيرة وانما اموت الان فقال عمر اللهم اشهد اخرجه الدارقطني حدثنا الحسين بن اسمعيل قال
حدثنا احمد بن ابراهيم البوشنجي قال حدثنا سفيان فذكره ورواه ايضا عن الحسين بن اسمعيل قال
حدثنا خلاد بن اسلم حدثنا سفيان عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر توضا من بيت نصرانية
اتاها فقال ايتها العجوز اسلمي وذكر الحديث بمثل ما تقدم **السادسة** واما الكلب اذا ولغ في الماء
فقال مالك يغسل الاناء سبعا ولا يتوضا منه وهو طاهر وقال الثوري يتوضا بذلك الماء ويتيمم
معه وهو قول عبد الملك بن عبد العزيز ومحمد بن مسلمة وقال ابو حنيفة الكلب نجس ويغسل الاناء منه
لانه نجس وبه قال الشافعي واحمد واسحق وقد كان مالك يفرق بين ما يجوز اتخاذه من الكلاب وبين
ما لا يجوز اتخاذه في غسل الاناء من ولوغه وتحصيل مذهبه انه طاهر عنده لا ينجس ولوغه شيئا ولغ فيه
طعاما ولا غيره الا انه استحب هراقة ما ولغ فيه من الماء ليسارة مؤنته وكلب البادية والحاضر سواء
ويغسل الاناء منه على كل حال سبعا تعبدا هذا ما استقر عليه مذهبه عند المناظرين من اصحابه
ذكر ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عطاء عن ابي هريرة قال سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الحياض التي تكون فيما بين مكة والمدينة فقيل له ان الكلاب والسباع ترد عليها فقال
لها ما اخذت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور اخرجه الدارقطني وهذا نص في طهارة الكلاب وطهارة
ما ولغ فيه وفي البخاري عن ابن عمر ان الكلاب كانت تقبل وتدبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكونوا يرشون شيئا من ذلك وقال عمر رضي الله عنه بحضرة الصحابة لصاحب الحوض الذي سأله عمرو بن العاص
هل ترد حوضك السباع وقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد على السباع وترد علينا اخرجه مالك
والدارقطني ولم يفرق بين الكلاب والسباع وعن حمل ما ولغ فيه طاهرا بلا خلاف امر باراقة ما ولغ فيه
وانما ذلك لا لنجاسة وانما امر باراقته لان النفوس تعافه لا لنجاسة لان التنزه من الاقذار مندوب
اليه والتغليظ عليهم لانهم نهوا عن اقتنائها كما قال عمر والحسن فلما لم ينتهوا عن ذلك غلظ عليهم في
الماء لقلته عندهم في البادية حتى يشتد عليهم فيمتنعوا عن اقتنائها واما الامر بغسل الاناء
تعبدا لا للنجاسة كما ذكرنا بدليلين احدهما ان الغسل قد دخله العدد والثاني انه قد جعل للتراب
فيه مدخل لقوله عليه السلام وعفروه الثامنة بالتراب ولو كانت النجاسة لما كان العدد ولا التراب
فيه مدخل كالبول وقد جعل صلى الله عليه وسلم الهر وما ولغ فيه طاهرا والهر سبع بلا خلاف لانه يفترس
وياكل الميتة فكذلك الكلاب وما كان مثله من السباع لانه اذا جاء نص في احدهما كان نصا في الاخر
وهذا من اقوى انواع القياس هذا لو لم يكن هناك دليل وقد ذكرنا النص على طهارته فسقط قول المخالف

والحمد لله **السابعة** ما مات في الماء مما لا دم له فلا ينجس الماء ان لم يتغير ريحه فان انتن لم يتوضا وكذلك
ما كان دوا الماء كالحوت والضفدع لم يفسد ذلك موته فيه الا ان تتغير رايحته فان تغيرت رايحته
وانتن لم يجز التطهير به ولا الوضوء منه وليس بنجس عند مالك واما ما له نفس سايلة فمات في الماء
ونزع مكانه فلم يتغير لونه ولا رايحته فهو طاهر مطهر وسوا كان الماء قليلا او كثيرا عند المدنيين
واستحب بعضهم ان ينزح من ذلك الماء دلاء لتطيب النفس به ولا يحدون في ذلك حدا لا يتعدى
ويكرهون استعمال ذلك الماء قبل نزوح الدلاء فان استعمله احد في غسل او وضوء جاز اذا كانت
حاله ما وصفنا وقد كان بعض اصحاب مالك يرى لمن توضا بهذا الماء وان لم يتغير ان يتيمم فيجمع بين
الطهارتين احتياطا وان لم يفعل وصلى بذلك الماء اجزاه رواه الدارقطني عن محمد بن سيرين ان زنجيا وقع
في زمزم يعني مات فامر به العباس فاخرج وامر بها ان تنزح قال فغلبتهم عين جاءتهم من الركن فامر
بها فدسمت بالقباطي والمطارف حتى نزحوها فلما نزحوها انفجرت عليهم واخرجه عن ابي الطفيل ان غلاما
وقع في بير زمزم فنزحت وهذا يحتمل ان يكون الماء تغير والله اعلم روى شعبة عن مغيرة عن ابرهيم
انه كان يقول كل نفس سايلة لا يتوضا منها ولكن رخص في الخنفسا والعقرب والجراد والجدجد اذا وقعت
في الركا فلا باس به قال شعبة واظنه قد ذكر الوزغة اخرجه الدارقطني حدثنا الحسين بن اسمعيل قال
حدثنا محمد الوليد قال اخبرنا محمد بن جعفر قال اخبرنا شعبة **الثامنة** ذهب الجمهور من الصحابة
وفقها الامصار وساير التابعين بالحجاز والعراق الى ان ما ولغ فيه الهر من الماء طاهر وانه لا باس
بالوضوء بسوره لحديث ابي قتادة اخرجه مالك وغيره وقد روي عن ابي هريرة فيه خلاف وروي عن عطا
بن ابي رباح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين الهر مر واباراقة ما ولغ فيه الهر وغسل الاناء منه
واختلف في ذلك عن الحسن ويحتمل ان يكون الحسن راى في فيه نجاسة ليصح مخرج الروايتين قال الترمذي
لما ذكر حديث مالك وفي الباب عن عايشة وابي هريرة هذا حديث حسن صحيح وهو قول اكثر اهل العلم
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم مثل الشافعي واحمد واسحق لم يروا بسوره
باسا وهذا احديث حسن في الباب وقد وجد مالك هذا الحديث عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة ولم
يات به احد اتم من مالك قال الحافظ ابو عمر والحجة عن التنازع والاختلاف سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد صح من حديث ابي قتادة انه اصغى الى الهرة حتى شربت وعليه اعتماد الفقها في كل الامصار
الا ابو حنيفة ومن قال بقوله فانه كان يكره سوره وقال ان توضا به احد اجزاه ولا اعلم حجة لمن كره
الوضوء بسور الهر احسن من انه لم يبلغه حديث ابي قتادة وبلغه حديث ابي هريرة في الكلب فقاس
الهر عليه وقد فرقت السنة بينهما في باب التعبد في غسل الاناء ومن حجته السنة خاصمته وما خالفها
مطرح وبالله التوفيق ومن حجتهم ايضا ما رواه قرة بن خالد عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال طهور الاناء اذا ولغ فيه الهر مرة او مرتين شك قرة وهذا الحديث لم يرفعه
الا قرة بن خالد وقرة ثقة ثبت قال المولف رحمه الله هذا الحديث اخرجه الدارقطني ومتنه طهور
الاناء اذا ولغ فيه الكلب ان يغسل سبع مرات الاولى بالتراب والهر مرة او مرتين قال ابو بكر
هكذا رواه ابو عاصم مرفوعا ورواه غيره عن قرة وولوغ الكلب مرفوعا وولوغ الهر موقوفا
روى ابو صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل الاناء من الهر كما يغسل من
الكلب قال الدارقطني لا يثبت هذا مرفوعا والمرفوع والمحفوظ قول ابي هريرة واختلف عنه ذكر
معمر بن جريج عن ابن طاوس عن ابيه انه كان يجعل الهر مثل الكلب وعن مجاهد انه قال في الاناء يلغ فيه
السنور قال اغسله سبع مرات قال الدارقطني **التاسعة** الماء المستعمل طاهر اذا كانت
اعضاء المتوضي به طاهرة الا ان مالكا وجماعة من الفقها اطلقه كانوا يكرهون الوضوء وقال مالك لا خير
فيه ولا احب لاحد ان يتوضا به فان فعل وصلى لم ار عليه اعادة وليتوضا لما يستقبل وقال ابو حنيفة والشافعي
واصحابهما لا يجوز استعماله في رفع الحدث ومن توضا به اعاد لانه ليس بماء مطلق ويتيمم واجده
لانه ليس بواجد ماء وقال بقولهم في ذلك اصبغ من الفرج وهو قول الاوزاعي واحتجوا بحديث الصنابحي
خرجه مالك وحديث عمرو بن عبسة اخرجه مسلم وغيره ذلك من الاثار وقالوا الماء اذا توضا به خرجت
الخطايا معه فوجب التنزه عنه لانه ماء الذنوب وقال ابو عمر وهذا عندي لا وجه له لان الذنوب

ما ولغ فيه الهر من الماء طاهر وانه لا باس بالوضوء بسوره

لا ينجس الماء لانها لا اشخاص لها ولا اجسام تمازج الماء فتفسده وانما معنى قوله خرجت الخطايا مع الماء اعلام
منه بان الوضوء للصلاة عمل يكفر الله به السيات عن عباده المومنين رحمة منه بهم وتفضلا عليهم وقال ابو ثور وداود
مثل قول مالك وان الوضوء بالماء المستعمل جايز لانه ماء طاهر لا ينضاف اليه شي وهو ماء مطلق واحتجوا
عليه باجماع الامة على طهارته اذا لم يكن في اعضاء المتوضي نجاسة والى هذا ذهب ابو عبد الله المروزي
محمد بن نصر وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر وابي امامة وعطا ابن ابي رباح والحسن البصري
ومكحول والزهري انهم قالوا فيمن نسي مسح راسه فوجد في لحيته بللا انه يجزيه ان يمسح بذلك البلل راسه فهاولاء
كلهم اجازوا الوضوء بالماء المستعمل روى عبد السلام بن صالح اخبرنا اسحاق بن سويد عن العلا بن زياد
عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ذات يوم وقد
اغتسل وقد بقيت لمعة من جسده لم يصبها الماء فقلنا يا رسول الله هذه لمعة لم يصبها الماء فكان له شعر
وارد فقال بشعره هكذا على المكان فبله اخرجه الدارقطني وقال عبد السلام بن صالح هذا بصري
وليس بقوي وغيره من الثقات يرويه عن اسحاق عن العلا مرسلا وهو الصواب قال المولف رحمه الله الراوي
الثقة عن اسحاق بن سويد العدوي عن العلا بن زياد العدوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل
الحديث فذكره هشيم قال ابن العربي في مسالة الماء انما تنبني على اصل اخر وهو ان الالة اذا اديت بها
فرضا هل يودى بها فرضا اخر ام لا فمنع ذلك المخالف قياسا على الرقبة اذا اديت بها فرض عتق لم يصلح ان يكون
في اداء فرض اخر وهذا باطل من القول فان العتق اذا اتى على الرق اتلفه ولا يبقى محل لاداء الفرض
لعتق اخر ونظيره ما تلف من الاعضا فانه لا يصح ان يودى به فرض اخر لتلف عينه حسا كما تلف الرق في
الرقبة بالعتق حكما وهذا نفيس فتاملوه **العاشرة** لم يفرق مالك واصحابه بين الماء تقع فيه النجاسة
وبين النجاسة يرد الماء عليها راكدا كان الماء او غير راكد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء لا
ينجسه شي الا ما غلب عليه فغير طعمه او ريحه او لونه وفرقت الشافعية فقالوا اذا وردت النجاسة
على الماء تنجس واختاره ابن العربي وقال من اصول الشريعة في احكام المياه ان ورود النجاسة على الماء
ليس كورود الماء على النجاسة لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اذا استيقظ احدكم من
نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده فمنع من ورود اليد
على الماء وامر بايراد الماء عليها وهذا اصل بديع في الباب ولولا وروده على النجاسة قليلا كان او
كثيرا لما طهرت وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بول الاعرابي في المسجد صبوا عليه
ذنوبا من ماء قال شيخنا العابدي واستدلوا ايضا بحديث القلتين فقالوا اذا كان الماء دون قلتين
فحلته نجاسة تنجس وان لم يتغير وان ورد ذلك القدر فاقل على النجاسة فاذهب عينها بقي الماء على
طهارته وازال النجاسة وهذه مناقضة اذ المخالطة قد حصلت في الصورتين وتفريقهم بورود الماء
على النجاسة وورودها عليه فرق صوري ليس من الفقه شي وليس الباب باب التعبدات بل من باب
عقلية المعاني فانه من باب ازالة النجاسة واحكامها ثم هذا ينتهم يرده قوله عليه السلام الماء طهور لا ينجسه
شي الا ما غير طعمه او لونه او ريحه قال المولف رحمه الله هذا الحديث اخرجه الدارقطني عن رشدين
بن ابي سعد ابي الحجاج عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن ابي امامة الباهلي عن ثوبان عن النبي
صلى الله عليه وسلم وليس فيه ذكر اللون وقال لم يرفعه غير رشدين عن معاوية بن صالح وليس بالقوي
والاحسن منه في الاسناد لا ما رواه ابو اسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب عن عبيد الله بن رافع
بن خديج عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انتوضا من بير بضاعة وهي بير يلقى فيها الحيض
ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شي اخرجه ابو داود
والترمذي والدارقطني كلهم بهذا الاسناد قال ابو عيسى هذا حديث حسن وقد جود ابو اسامة هذا
الحديث لم ير وحديث ابي سعيد في بير بضاعة احسن مما روى ابو اسامة فهذا الحديث نص في ورود النجاسة
على الماء وقد حكم صلى الله عليه وسلم بطهارته وطهوريته قال ابو داود وسمعت قتيبة بن سعد قال سالت
قيم بير بضاعة قلت اكثر ما يكون الماء فيها قال الى العانة قلت فاذا نقص قال دون العورة قال
ابو داود وقدرت بير بضاعة بردائي مددته عليها ثم ذرعته فاذا عرضها ستة اذرع وسالت الذي
فتح لي باب البستان فادخلني اليه هل غير بناؤها عما كان عليه فقال لا ورايت فيها ماء متغير اللون

لكان هذا دليلا لنا على ما ذكرناه غير ان ابن العربي قال انها في وسط السبخة فما وهما يكون متغيرا من
قرارها والله اعلم

الحادية عشرة

الماء الطاهر المطهر يكون الذي يجوز به الوضوء وغسل النجاسات
هو الماء القراح الصافي من ماء السماء والانهار والبحار والعيون والابار وما عرفه الناس ماء مطلقا
غير مضاف الى شي خالطه كما خلقه الله عز وجل صافيا ولا يضره لون ارضه على ما بيناه وخالف في هذه
الجملة ابو حنيفة وعبد الله بن عمر فاما ابو حنيفة فاجاز الوضوء بالنبيذ في السفر وجوز ازالة النجاسة
بكل مائع طاهر فاما بالدهن والمرق فعنه روايتان لا يجوز ازالتها به الا ان اصحابه يقولون اذا ازالت
النجاسة به جاز وكذلك عنده النار والشمس حتى ان جلد الميتة اذا جفت في الشمس طهر من غير دباغ
وكذلك النجاسة على الارض اذا جفت بالشمس فانه يطهر ذلك الموضع بحيث يجوز الصلاة عليه ولكن
لا يجوز التيمم بذلك التراب قال ابن العربي لما وصف الله سبحانه الماء بانه طهور وامتن بانزاله من
السما ليطهرنا به دل على اختصاصه بذلك وكذلك قال عليه السلام لاسما بنت الصديق حين سالته
عن دم الحيض يصيب الثوب حتيه ثم اغسليه بالماء فلذلك لم يلحق غير الماء بالماء لما في ذلك من ابطال
الامتنان وليست النجاسة عينا محسوسا حتى يقال كلما ازالها فقد قام به الفرض وانما النجاسة حكم
شرعي عين له صاحب الشرع الماء فلا يلحق به غيره اذ ليس في معناه ولانه لو لحق به لاسقط الفرع
اذا عاد الحاقه بالاصل في اسقاطه سقط في نفسه وقد كان تاج السنة ذو العز المرتضى الدبوسي
يسميه فرخ زنا قال المؤلف رحمه الله واما ما استدل به على استعمال النبيذ فاحاديث واهية ضعاف
لا يقوم منها شي على ساق ذكرها الدارقطني وضعفها ونص عليها وكذلك ضعف ما روي عن ابن عباس
موقوفا النبيذ وضوء من لم يجد الماء في طريقه ابن محرز متروك الحديث وكذلك ما روي عن علي انه قال
انه قال لا باس بالوضوء بالنبيذ الحجاج وابو ليلى ضعيفان وضعف حديث ابن مسعود وقال تفرد
به لهيعة وهو ضعيف الحديث وذكر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود اشهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم احد منكم ليلة اتاه داعي الجن فقال لا قال الشيخ هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة رواته
واخرج الترمذي حديث ابن مسعود وقال سالني النبي صلى الله عليه وسلم ما في اداوتك فقلت نبيذ
فقال تمرة طيبة وماء طهور قال وتوضا منه قال ابو عيسى وانما روي هذا الحديث عن ابي زيد عن عبد الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم وابو زيد رجل مجهول وقد راى بعض اهل العلم الوضوء بالنبيذ منهم سفيان
وغيره وقال بعض اهل العلم لا يتوضا بالنبيذ وهو قول الشافعي واحمد واسحق وقال اسحق ان ابتلي رجل بهذا
وتوضا بالنبيذ وتيمم احب الي قال ابو عيسى قول من يقول لا يتوضا بالنبيذ اقرب الى الكتاب واشبه
لان الله سبحانه وتعالى قال فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وهذه المسالة مطولة في كتب
الخلاف وعمدتهم التمسك بلفظ الماء حسب ما تقدم في المائدة بيانه فاعلم

الثانية عشرة

لما قال الله سبحانه وتعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وقال ليطهركم به توقف جماعة في ماء البحر لانه ليس
بمنزل من السماء حتى رووا عن عبد الله بن عمر وابن عمرو معا انه لا يتوضا لانه نار ولانه طبق جهنم ولكن النبي صلى
الله عليه وسلم بين حكمه حين قال لمن ساله هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه مالك وقال فيه ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح وهو قول اكثر الفقها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو بكر وعمر وابن عباس لم يروا بماء البحر
باسا وقد كره بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء بماء البحر منهم ابن عمر وعبد الله بن عمرو وقال
عبد الله بن عمر وهو نار قال ابو عمر وقد سال ابو عيسى الترمذي عن حديث مالك هذا عن صفوان بن سليم
فقال هو عندي حديث صحيح قال ابو عيسى فقلت للبخاري هشيم يقول فيه ابن ابي برزة فقال وهم فيه
انما هو المغيرة بن ابي بردة قال ابو عمر لا ادري ما هذا من البخاري ولو كان صحيحا لاخرجه من مصنف
الصحيح عنده ولم يفعل لانه لا يعول في الصحيح الا على الاسناد وهذا الحديث لا يحتج اهل الحديث بمثل اسناده
وهو عندي صحيح لان العلما تلقوه بالقبول له والعمل به ولا يخالف في جملته احد من الفقها وانما الخلاف
بينهم في بعض معانيه وقد اجمع جمهور العلما وجماعة ائمة الفتوى بالامصار من الفقها ان البحر طهور ماؤه
وان الوضوء به جائز الا ما روي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص انهما كرها
الوضوء بماء البحر ولم يتابعهما احد من فقها الامصار على ذلك ولا عرج عليه ولا التفت اليه لحديث
هذا الباب وهذا يدلك على اشتهار الحديث عندهم وعملهم به وقبولهم له وهو اولى عندهم من الاسناد

تمرة طيبة وماء طهور

الظاهر

الظاهر الصحة لمعنى ترده الاصول وبالله التوفيق قال ابو عمر صفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف
الزهري من عباد اهل المدينة واتقاهم لله ناسكا كثير الصدقة بما وجد من قليل وكثير كثير العمل خائفا
لله يكنى ابا عبد الله سكن المدينة لم ينتقل عنها وبها مات سنة اثنين وثلاثين ومائة ذكر عبد الله بن احمد
بن حنبل قال سمعت ابي سيل عن صفوان بن سليم فقال ثقة من خيار عباد الله الصالحين وفضلاء المسلمين
واما سعيد بن سلمة فلم يرو عنه فيما علمت الا صفوان والله اعلم ومن كانت هذه حاله فهو مجهول لا تقوم
به حجة عند جميعهم واما المغيرة بن ابي بردة فقيل عنه انه غير معروف في حملة العلم كسعيد بن سلمة
وقيل ليس بمجهول قال ابو عمر المغيرة بن ابي بردة وجدت ذكره في مغازي موسى بن نصير بالمغرب وكان
موسى يستعمله على الخيل وفتح الله له في بلاد البربر فتوحات في البر والبحر وروى الدارقطني من غير طريق
مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يطهره ماء البحر فلا طهره الله قال اسناده
حسن

الثالثة عشرة

قال ابن العربي توهم قوم ان الماء اذا فضلت فضلة منه للجنب لا يتوضا به
وهو مذهب باطل فقد ثبت عن ميمونة انها قالت اجنبت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واغتسلت
من جفنة وفضلت فضلة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتسل منها فقلت قد اغتسلت منه فقال
ان الماء ليس عليه نجاسة وان الماء لا يجنب قال ابو عمر وردت اثار في هذا الباب مرفوعة في النهي عن ان
يتوضا الرجل بفضل المراة وزاد بعضهم في بعضها ولكن ليغترفا جميعا فقالت طائفة لا يجوز ان يغترف
الرجل مع المراة في اناء واحد لان كل واحد منهما متوضي بفضل صاحبه وقال اخرون انما كره من ذلك
ان تنفرد المراة بالاناء ثم يتوضا الرجل بعدها بفضلها وكل واحد منه روي بما ذهب اليه اثرا والذي
ذهب اليه الجمهور من العلماء وجماعة فقهاء الامصار انه لا باس ان يتوضا الرجل بفضل المراة وتتوضا المراة
من فضله انفردت المراة بالاناء او لم تنفرد وفي مثل هذا اثار كثيرة صحاح والذي يذهب اليه ان الماء
لا ينجسه شي الا ما ظهر فيه من النجاسات او غلب عليه منها فلا وجه للاشتغال بما لا يصح من الاثار
والاقوال والله المستعان روى الترمذي عن ابن عباس قال حدثتني قال كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم من اناء واحد من الجنابة قال هذا حديث حسن صحيح وروى البخاري عن عايشة قالت كنت
اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد يقال له الفرق وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بفضل ميمونة وروى الترمذي عن ابن عباس قال اغتسل بعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم في جفنة فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوضا منه فقالت يا رسول الله
اني كنت جنبا فقال ان الماء لا يجنب قال هذا حديث حسن صحيح وهو قول سفيان الثوري ومالك والشافعي
وروى الدارقطني عن عمرة عن عايشة رضي الله عنه قالت كنت اتوضا منه انا والنبي صلى الله عليه وسلم
من اناء واحد وقد اصابت الهرة منه قبل ذلك قال هذا حديث صحيح وروي ايضا عن رجل من بني
غفار قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضل طهور المراة وفي الباب عن عبد الله بن سرجس
ذكره بعض الفقها فضل طهور المراة وهو قول احمد بن اسحق

الرابعة عشرة

روى الدارقطني
عن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب ان عمر بن الخطاب كان يسخن له ماء في قمقمة ويغتسل به قال
وهذا حديث حسن صحيح وروي عن عايشة قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سخنت
ماء في الشمس فقال لا تفعلي يا حميرا فانه يورث البرص رواه خالد بن اسمعيل المخزومي عن هشام بن
عروة عن ابيه عن عايشة وهو منكر الحديث ولم يروه غيره عن الفليح ولا يصح عن الزهري قاله الدارقطني

الخامسة عشرة

كل اناء طاهر فجائز منه الوضوء الا انا الذهب والفضة لنهي رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اتخاذهما وذلك والله اعلم للتشبه بالاعاجم والجبابرة لا لنجاسة فيهما ومن توضا فيهما
اجزاه وضوءه وكان عاصيا باستعمالهما وقد قيل لا يجزي الوضوء في احدهما والاول اكثر
قال ابو عمر وكل جلد ذكي فجائز استعماله للوضوء وغير ذلك وكان مالك يكره الوضوء في اناء جلد الميتة
بعد الدباغ على اختلاف من قوله وقد تقدم في النحل **قوله تعالى** لنحيي به اي بالمطر بلدة ميتا
بالجدوبة والمحل وعدم النبات قال كعب المطر روح الارض يحييها الله وقال ميتا ولم يقل ميتة لان معنى
البلدة والبلد واحد قاله الزجاج وقيل اراد بالبلد المكان ونسقيه قراءة العامة بضم النون وقرا
عمر بن الخطاب وعاصم والاعمش فيما روى المفضل عنهما نسقيه بفتح النون **قوله تعالى** مما خلقنا

ج

انعاما واناسي كثيرا اي بشرا كثيرا واناسي واحد انسي نحو جمع القرقور قراقير وقواقير في قول
الاخفش والمبرد وواحد في قول الفرا وله قول اخر وهو ان يكون واحده انسانا ثم تبدل من النون يا فتقول
اناسي والاصل اناسين مثله سرحان وسراحين وبستان وبساتين فجا اليا عوضا من النون وعلى
هذا يجوز سراحي وبساتي لا فرق بينهما قال الفرا ويجوز اناسي بتخفيف اليا كانهم اسقطوا اليا التي فيما
بين لام الفعل وعينه مثل قراقر وقرارة وقال كثيرا ولم يقل كثيرين لان فعيلا قد يراد به الكثرة نحو وحسن
اولئك رفيقا قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم يعني القرآن وقد جرى ذكره في اول السورة قوله
تبارك الذي نزل الفرقان وقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وقوله اتخذوا هذا القرآن مهجورا
ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا له وتكذيبا به وقيل ولقد صرفناه بينهم هو المطر وروي
عن ابن عباس وابن مسعود وانه ليس عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشا فما زيد
لبعض نقص من غيرهم فهذا معنى التصريف وقيل صرفناه بينهم وابلا وطشا وطلا ورهاما ورذاذا
الجوهري الرهام الامطار اللينة الواحدة رهمة بالكسر وجمع الجمع رهائم وقيل تصريفه تنويع
الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات به والطهارات وسقي البساتين والغسل وشبهه
قوله تعالى ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا قال عكرمة هو قولهم في الانوا مطرنا بنوء
فلان كذا قال النحاس ولا نعلم بين اهل التفسير اختلافا ان الكفر ها هنا قولهم مطرنا بنوء كذا وكذا
وان نظيره فعل النجم كذا وان كل من نسب اليه فعلا فهو كافر وروى الربيع بن صبيح قال مطرنا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبحت قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس فيها رجلين
شاكر وكافر فاما الشاكر فيحمد الله تعالى على سقياه وغياثه واما الكافر فيقول مطرنا بنوء كذا وكذا
متفق على صحته بمعناه وسياتي في الواقعة ان شا الله تعالى وروي من حديث ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من سنة بامطر من اخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي صرف ذلك الى
غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف ذلك الى الفيافي والبحار وقيل التصريف راجع الى الريح وقد مضى في
البقرة بيانه وقرا حمزة والكسائي ليذكروا بتخفيف الذال من الذكر الباقون مثقلا من التذكر اي
ليذكروا نعمة الله ويعلموا ان من انعم بها لا يجوز الاشراك به فالتذكر قريب من الذكر غير ان التذكر يطلق فيما
بعد عن القلب فيحتاج الى تكلف في التذكر قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
اي رسولا ينذرهم كما قسمنا المطر ليخف عليك اعبا النبوة ولكنا لم نفعل بل جعلناك نذيرا للكل لترتفع
درجتك فاشكر نعمة الله عليك قوله تعالى فلا تطع الكافرين اي فيما يدعونك اليه من
اتباع الهتهم وجاهدهم به قال ابن عباس بالقرآن ابن زيد بالاسلام وقيل بالسيف وهذا فيه بعد
لان السورة مكية نزلت قبل الامر بالقتال جهادا كبيرا لا يخالطه فتور قوله تعالى وهو الذي
مرج البحرين عاد الكلام الى ذكر النعم ومرج خلى وخلط وارسل قال مجاهد ارسلهما وافاض احدهما
في الاخر وقال ابن عرفة مرج البحرين اي خلطهما فهما يلتقيان يقال مرجته اذا خلطته ومرج الدين والامر
اختلط واضطرب ومنه قوله سبحانه وتعالى في امر مريج ومنه قوله عليه السلام لعبد الله بن عمرو بن
العاص اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين اصابعه
فقلت له كيف اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر العامة خرجه ابو داود والنسائي وغيرهما وقال
الازهري مرج البحرين خلى بينهما يقال مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وقال ثعلب المرج الاجرا فقوله
مرج البحرين اي اجراهما وتقول قوم امرج البحرين مثل مرج فعل وافعل يعني هذا عذب فرات اي حلو
شديد العذوبة وهذا ملح اجاج اي فيه ملوحة ومرارة وروي عن طلحة انه قرا ملح بفتح الميم وكسر اللام
قوله تعالى وجعل بينهما برزخا اي حاجزا من قدرته لا يغلب احدهما صاحبه كما قال في سورة
الرحمن مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قوله تعالى وحجرا محجورا اي سترا مستورا
يمنع احدهما من الاختلاط بالاخر فالبرزخ الحاجز والحجر المنع وقال الحسن يعني بحر فارس والروم وقال
ابن عباس وابن جبير يعني بحر السما وبحر الارض قال ابن عباس يلتقيان في كل عام وبينهما برزخ
قضا من قضايه وحجرا محجورا حراما محرما ان يعذب هذا المالح بالعذب او يملح هذا العذب بالمالح

قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى وهو الذي خلق
من الماء بشرا اي خلق من النطفة انسانا فجعله اي جعل الانسان نسبا وصهرا وقيل من الماء اشارة الى
اصل الخلقة في ان كل حي مخلوق من الماء وفي هذه الاية تعديد النعمة على الناس في ايجادهم بعد العدم
والتنبيه على العبرة في ذلك الثانية فجعله نسبا وصهرا النسب والصهر معنيان يعمان كل قربى تكون
بين ادميين قال ابن العربي النسب عبارة عن خلط الماء بين الذكر والانثى على وجه الشرع فان كان بمعصية
كان خلقا ولم يكن نسبا محققا ولذلك لم يدخل تحت قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم بنته من الزنا لانها ليست
بنت له في اصح القولين لعلمائنا واصح القولين في الدين واذا لم يكن نسب شرعا فلا صهر شرعا فلا يحرم الزنا
بنت ام ولا ام بنت وما يحرم من الحلال لا يحرم من الحرام لان الله تعالى امتن بالنسب والصهر على عباده ورفع
قدرهما وعلق الاحكام بهما في الحل والحرمة عليهما ولا يلحق الباطل بهما ولا يساويهما قال المؤلف رحمه الله اختلف
الفقها في نكاح الرجل ابنته من زنا او اخته او بنت ابنه من زنا فحرم ذلك قوم منهم ابو القاسم وهو قول
ابي حنيفة واصحابه واجاز ذلك اخرون منهم عبد الملك بن الماجشون وهو قول الشافعي وقد مضى
هذا في النسا مجودا قال الفرا النسب الذي لا يحل نكاحه قال الزجاج وهو قول علي بن ابي طالب رضي الله
عنه واشتقاق الصهر من صهرت الشي اذا خلطته فكل واحد من الصهرين قد خالط صاحبه فسميت
المناكح صهرا لاختلاط الناس بها وقيل الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجة هم الاختان وقرابة الزوج
هم الاحما والاصهار يقع عاما لذلك كله قال الاصمعي وقال ابن العربي الاختان ابو المراة واخوها وعمها كما قال
الاصمعي والصهر زوج ابنة الرجل واخوه وابوه وعمه
وقال محمد بن الحسن في رواية ابي سليمان الجوزجاني اختان الرجل ازواج بناته واخواته وعماته وخالاته
وكل ذات محرم منه واصهاره وكل ذي رحم محرم من زوجته قال النحاس الاولى في هذا القول ان يكون الاصهار
ما قاله الاصمعي وان يكون من قبلهما جميعا يقال صهرت الشي اي خلطته فكل واحد منهما قد خلط صاحبه
والاولى في الاختان ما قاله محمد بن الحسن لجهتين احدهما الحديث المرفوع روى محمد بن اسحاق عن يزيد بن
عبد الله بن قسيط عن اسامة بن زيد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا علي فختني
وابو ولدي وانت مني وانا منك فعلى هذا ان زوج البنت ختن والجهة الاخرى ان اشتقاق الختن من
ختنه اذا قطعه فكان الزوج قد انقطع عن اهله وقطع زوجته عن اهلها وقال الضحاك الصهر
قرابة الرضاع قال ابن عطية وذلك عندي وهم اوجبه ان ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر
خمس وفي رواية اخرى من الصهر سبع يريد قول الله سبحانه وتعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم
وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت فهذا هو النسب ثم يريد بالصهر قوله تعالى وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين ثم ذكر المحصنات وحمل هذا ابن عباس اراد حرم من الصهر
ما ذكر معه فقد نبه بما ذكر الى عظمه وهو الصهر لان الرضاع صهر وانما الرضاع عديل النسب يحرم منه
ما يحرم من النسب بحكم الحديث الماثور فيه ومن روى وحرم من الصهر خمس اسقط من الاثنين الجمع بين
الاختين والمحصنات ومن ذوات الازواج قال الشيخ المؤلف رحمه الله فابن عطية جعل الزوج
مع ما تقدم نسبا وهو قول الزجاج قال ابو اسحاق النسب الذي ليس بصهر من قوله جل ثناؤه حرمت
عليكم امهاتكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين والصهر من له التزوج قال ابن عطية وحكى الزهراوي
قولا ان النسب من جهة البنين والصهر من جهة البنات قال المؤلف رحمه الله وذكر هذا القول
النحاس وقال لان المصاهرة من جهتين تكون وقال ابن سيرين نزلت هذه الاية في النبي صلى الله عليه
وسلم وعلي رضي الله عنه لانه جمعه معه نسب وصهر قال ابن عطية فاجتماعهما وكادة حرمة الى يوم
القيامة وكان ربك قديرا على خلق ما يريده قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم
ولا يضرهم لما عدد نعمه وبين كمال قدرته عجب من المشركين في اشراكهم به من لا يقدر على نفع ولا
ضر اي ان الله هو الذي خلق ما في ذكره ثم هؤلاء بجهلهم يعبدون من دونه امواتا جمادات لا تنفع ولا تضر
قوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا روي عن ابن عباس الكافر ها هنا ابو جهل لعنه الله و
شرحه انه يستظهر بعبادة الاوثان على اوليايه وقال عكرمة الكافر ابليس ظهير على عداوة ربه وقال
مطر الكافر هنا الشيطان وقال الحسن ظهيرا اي معينا للشيطان على المعاصي وقيل المعنى وكان الكافر

بارته هيبا ذليلا لا قدرة له ولا وزن عنده من قول العرب ظهرت به اي جعلته خلف ظهرك ولم
تلتفت اليه ومنه قوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا اي هينا ومنه قول الفرزدق

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي ... بظهر ولا يعيا علي جوابها

فهذا معنى قول ابي عبيدة وظهير بمعنى مظهور اي كفر الكافر على الله هين والله مستهين به لان كفره
لا يضره وقيل وكان الكافر على ربه الذي يعبده وهو الصنم قويا غالبا يعمل به ما يشا لان الجماد لا قدرة له
على دفع ونفع قوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا يريد بالجنة مبشرا ونذيرا من النار
ما ارسلناك وكيلا ولا مسيطرا قوله تعالى قل ما اسالكم عليه من اجر يريد على ما جئتكم به من
القران والوحي ومن التاكيد الا من شا الله لكن من شاء فهو استثنا منقطع والمعنى لكن من شا ان
يتخذ الى ربه سبيلا بانفاقه من ماله في سبيل الله فلينفق ويجوز ان يكون متصلا ويقدر حذف المضاف
التقدير الا اجر من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا باتباع ديني حتى ينال كرامة الدنيا والاخرة قوله تعالى
وتوكل على الحي الذي لا يموت تقدم معنى التوكل في ال عمران وهذه السورة وانه اعتماد القلب
على الله سبحانه وتعالى في كل الامور وان الاسباب وسائط امر بها من غير اعتماد عليها قوله تعالى
وسبح بحمده اي نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار اليه من الشركاء والتسبيح التنزيه وقد
تقدم وقيل وسبح اي صل لله وتسمى الصلاة تسبيحا قوله تعالى وكفى به بذنوب عباده خبيرا
اي عليما فيجازيهم بها قوله تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش تقدم في الاعراف والذي في موضع خفض نعتا للحي وقال بينهما ولم يقل بينهن لانه
اراد الصنفين والنوعين والشيئين لقول القطامي

الم يحزنك ان حبال قيس ... وتغلب قد تباينتا انقطاعا

اراد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه اراد الشيئين والنوعين الرحمن فاسال به خبيرا
قال الزجاج فاسال عنه وقد حكي عنه جماعة من اهل اللغة ان الباء تكون بمعنى عن كما قال
سال سايل بعذاب واقع وقال الشاعر

هلا سالت الخيل يا بنت مالك ... ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

وقال امرؤ القيس

فان تسالوني عن النساء فانني ... خبير بادواء النساء طبيب

اي عن النسا وعما لم تعلمي وانكر علي بن سليمان وقال اهل النظر يكون ان تكون الباء بمعنى عن لان في هذا
افساد المعاني تقول العرب لو لقيت فلانا للقيك به الاسد اي للقيك بلقايك اياه الاسد
والمعنى على هذا فاسال بسؤالك اياه خبيرا وكذلك قال ابن جبير الخبير الله سبحانه وتعالى خبيرا
نصب على المفعول به بالسوال وقال المؤلف رحمه الله قول الزجاج يخرج على قول الحسن وهو ان يكون
الخبير غير الله سبحانه وتعالى اي فاسال عنه خبيرا اي عالما به اي بصفاته واسمائه وقيل المعنى
فاسال له خبيرا فهو نصب على الحال من الهاء المضمر قال المهدوي والحسن حالا اذ لا يخلوا ان يكون
الحال من السائل والمسوول ولا يصح كونها حالا من الفاعل لان الخبير لا يحتاج ان يسال غيره ولا يكون
من المفعول لان المسوول عنه وهو الرحمن خبير ابدا والحال في اغلب الامر يتغير وينتقل الا ان يحمل على انها
حال موكدة مثل وهو الحق مصدقا فاما يجوز واما الرحمن ففي رفعه ثلاثة اوجه يكون بدلا من المضمر الذي في
استوى ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا وخبره فاسال به خبيرا ويجوز الخفض بمعنى وتوكل على الحي
الذي لا يموت الرحمن يكون نعتا ويجوز النصب على المدح قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
اي لله تعالى قالوا وما الرحمن على جهة الانكار والتعجب اي ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون
مسيلمة الكذاب وزعم القاضي ابو بكر بن العربي انهم انما جهلوا الصفة لا الموصوف واستدل على
ذلك بقوله وما الرحمن ولم يقولوا ومن الرحمن قال ابن الحصار رحمه الله لم يقرا الاية الاخرى وهم
يكفرون بالرحمن قوله تعالى انسجد لما تامرنا هذه قراءة المدنيين والبصريين اي لما تامرنا
انت يا محمد واختار ابو عبيد وابو حاتم وقرا الاعمش وحمزة والكسائي يامرنا بالياء يعنون الرحمن
كذا تاوله ابو عبيد قال ولو اقروا ان الرحمن امرهم ما كانوا كافرين فقال النحاس وليس يجب ان يتاول
على الكوفيين في قراءتهم هذا التاويل البعيد ولكن الاولى ان يكون التاويل لما تسجد لما يامرنا النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فتصح القراءة على هذا وان كانت الاولى ابين واقرب متناولا
وزادهم نفورا اي زادهم قول القائل لهم اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين وكان سفيان الثوري يقول
في هذه الاية الهي زادني لك خضوعا ما زاد عداك نفورا قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء
بروجا اي منازل وقد تقدم ذكرها قوله تعالى وجعل فيها سراجا قال ابن عباس يعني الشمس
نظيره وجعل الشمس سراجا وقرا العامة سراجا بالتوحيد وقرا حمزة والكسائي سرجا يريدون
النجوم العظام الوقادة والقراءة الاولى عند ابي عبيد اولى لانه تاول ان البروج النجوم وان البروج
النجوم فيجيء المعنى نجوما وهو النجوم قال النحاس ولكن التاويل لهم ان ابان بن تغلب قال السرج النجوم الدراري
التي كالزهرة والمشتري وزحل والسماكين ونحوها قوله تعالى وقمرا منيرا ينير الارض اذا
طلع وروى عصمة عن الاعمش وقمرا بضم القاف واسكان الميم وهذه قراءة شاذة ولو لم يكن فيها الا ان
احمد بن حنبل وهو امام المسلمين في وقته قال لا تكتبوا ما يحكيه عصمة الذي يروي القراءات وقد
اولع ابو حاتم السجستاني بذكر ما يرويه عصمة هذا قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى خلفة قال ابو عبيد الخلفة كل
شيء بعد شيء وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه ويقال للمبطون اصابه خلفة اي قيام وقعود يخلف
هذا ذاك ومنه خلفة النبات وهو ورق يخرج بعد الورق الاول في الصيف ومن هذا المعنى قول
زهير

بها العين والارام يمشين خلفة ... واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

الريم ولد الظبي وجمعها ارام تقول اذا ذهب فوج جاء فوج ومنه قول الاخر يصف امراة
تنتقل من منزل في الشتاء الى منزل في الصيف دائما

ولها بالماطرون اذا ... اكل النمل الذي جمعا
خلفة حتى اذا ارتبعت ... سكنت من جلق بيعا
في بيوت وسط دسكرة ... حولها الزيتون قد ينعا

قال مجاهد خلفة من الخلاف هذا ابيض وهذا اسود والاول
اقوى وقيل يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان وقيل هو من باب حذف المضاف
اي جعل الليل والنهار ذوي خلفة اي اختلاف قوله تعالى لمن اراد ان يذكر اي يتذكر فيعلم ان الله لم
يجعله كذلك عبثا فيعتبر في مصنوعات الله ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر
والفهم وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن معناه من فاته شيء من الخير بالليل ادركه بالنهار ومن
فاته بالنهار ادركه بالليل وفي الصحيح ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم فيصلي ما
بين طلوع الشمس الى صلاة الظهر الا كتب الله له اجر صلاته وكان نومه عليه صدقة وروى مسلم عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او عن شيء منه فقراه ما
بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كانما قراه من الليل الثانية قال ابن العربي سمعت ذا الشهيد
الاكبر يقول ان الله تعالى خلق العبد حيا عالما وبذلك كماله وسلط عليه افة النوم وضرورة الحدث
ونقصان الخلقة اذ الكمال للاول الخالق فما امكن الرجل من دفع النوم بقلة الاكل والسهر في طاعة الله
فليفعل ومن الغبن العظيم ان يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب النصف من عمره لغوا وينام
سدس النهار راحة فيذهب ثلثاه ويبقى له من العمر عشرون سنة ومن الجهالة والسفاهة ان يتلف الرجل
ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره بسهر في لذة باقية عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم
الثالثة الاشياء لا تتفاضل بانفسها فان الجواهر والاعراض من حيث الوجود متماثلة وانما يقع التفاضل
بالصفات وقد اختلف اي الوقتين افضل الليل او النهار وفي الصوم غنية في الدلالة والله اعلم قاله
ابن العربي قال المؤلف رحمه الله والليل عظيم قدره امر نبيه عليه السلام بقيامه فقال ومن الليل
فتهجد به نافلة لك وقال قم الليل على ما ياتي بيانه ومدح المؤمنين على قيامه فقال تتجافى جنوبهم عن
المضاجع وقال عليه السلام والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفي الما النار وصلاة الرجل في جوف الليل
وفيه ساعة يستجاب فيها الدعا وفيه ينزل الرب سبحانه وتعالى حسبما ياتي بيانه الرابعة قرا حمزة وحده يذكر
بسكون الذال وضم الكاف وهي قراءة ابن وثاب وطلحة والنخعي وفي مصحف ابي يتذكر بزيادة تاء
وقرا الباقون يذكر بتشديد الكاف ويذكر ويذكر بمعنى واحد وقيل معنى يذكر بالتخفيف اي يذكر ما

نسبه في احد الوقتين في الوقت الثاني او ليذكر لتنزيه الله وتسبيحه فيهما او اراد شكورا يقال شكر يشكر شكرا
او شكورا مثل كفر يكفر كفرا او كفورا او هذا الشكر على انهما جعلهما قواما لمعاشهم وكانهم لما قالوا وما الرحمن
قالوا هو الذي يقدر على هذه الاشيا **قوله تعالى** وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض الاية لما
ذكر جهالات المشركين وطعنهم في القران والنبوة ذكر عبادة المومنين ايضا وذكر صفاتهم واضافهم الي عبوديته
تشريفا لهم كما قال سبحان الذي اسرى بعبده وقد تقدم من اطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره
ولسانه وقلبه بما امره فهو الذي يستحق اسم العبودية ومن كان بعكس هذا اشمله قوله سبحانه وتعالى اوليك
كالانعام اي في عدة الاعتبار كما تقدم في الاعراف فكانه قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا هم
كقولك زيد الامير اي هو الامير فالذين خبر ابتدا محذوف قاله الاخفش وقيل الخبر قوله في اخر السورة اوليك
يجزون الغرفة بما صبروا وما بين المبتدا والخبر اوصاف لهم وما تعلق بها قاله الزجاج قال ويجوز ان يكون
الخبر الذين يمشون على الارض هونا ويمشون عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر من ذلك العظم
لاسيما وفي الانتقاد في الارض معاشرة الناس وخلطتهم **قوله تعالى** هونا الهون مصدر الهين وهو من
السكينة والوقار وفي التفسير يمشون على الارض حلما متواضعين يمشون في اقتصاد والقصد والتودة
وحسن السمت من اخلاق النبوة وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس في الايضاع
وروي في صفته صلى الله عليه وسلم انه كان اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى
كانما ينحط من صبب التقلع رفع الرجل بقوة والتكفو الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار و
الذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته
وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب قاله القاضي عياض وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يسرع في مشيه جبلة لا تكلفا قال الزهري سرعة المشي يذهب ببهاء الوجه قال ابن عطية يريد
الاسراع الحثيث لانه يخل بالوقار والخير في التوسط وقال زيد بن اسلم كنت اسال عن تفسير قوله الذين يمشون
على الارض هونا فما وجدت من ذلك شفاء فرايت في النوم من جاءني فقال هم الذين لا يريدون ان يفسدوا
في الارض قال القشيري وقيل لا يمشون بافساد ومعصية بل في طاعة الله والامور المباحة من غير هزل
وقد قال الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور وقال ابن عباس بالطاعة والمعروف
والتواضع الحسن حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقيل لا يتكبرون على الناس قال المؤلف رحمه الله وهذه كلها
معان متقاربة ويجمعها العلم بالله والخوف من الله والمعرفة باحكامه والخشية من عذابه وعقابه جعلنا الله منهم
بفضله ومنه وذهبت فرقة الى ان هونا مرتبط بقوله يمشون على الارض اي ان المشي هو هون قال ابن عطية ويشبه
ان يتاول هذا على ان تكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه فيرجع القول الى نحو ما بيناه واما ان يكون
صفة المشي وحده فباطل لانه رب ماش هونا رويدا وهو ذيب اطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكفا
في مشيه كانما يمشي في صبب وهو عليه السلام الصدر في هذه الاية وقوله عليه السلام من مشى منكم
في طمع فليمش رويدا انما اراد في عقد نفسه ولم يرد المشي وحده والا تري ان المبطلين المحيلين بالذين
تمسكوا بصورة المشي فقط حتى قال فيهم الشاعر ذما لهم

كلهم يمشي رويد كلهم يطلب صيدا	قلت وفي عكسه انشد ابن العربي لنفسه
تواضعت في العليا والاصل كابر	وحزت قصاب السبق بالهون في الامر
سكون فلا خبث السريرة اصله	وجل سكون الناس من عظم الكبر

قوله تعالى وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا قال النحاس ليس سلاما من التسليم انما هو من التسليم
تقول العرب سلاما اي تسلما منك اي براءة منك منصوب على احد امرين يجوز ان يكون منصوبا بقالوا و
يجوز ان يكون مصدرا وهذا قول سيبويه والذي اقوله ان قالوا هو العامل في سلاما لان المعنى قالوا
هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما سدادا اي يقول للجاهل كلاما يدفعه برفق ولين فقالوا على هذا
التاويل عامل في قوله سلاما على طريقة النحويين وذلك انه بمعنى قولا وقالت فرقة ينبغي للمخاطب ان يقول
للجاهل سلاما بهذا اللفظ اي سلمنا سلاما او تسليما ونحو هذا فيكون العامل فيه فعلا من لفظه
على طريقة النحويين **مسالة** هذه الاية كانت قبل اية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وهي
ادب في المسلمين الى يوم القيامة وذكر سيبويه النسخ في هذه الاية في كتابه وما تكلم فيه على نسخ سواه رجح

به ان المراد السلامة لا التسليم لان المومنين لم يومروا قط بالسلام على الكفرة والاية مكية فنسختها اية
السيف قال النحاس ولا نعلم لسيبويه كلاما في معنى الناسخ والمنسوخ الا في هذه الاية قال
سيبويه لم يومر المسلمون يوميذ ان يسلموا على المشركين لكنه على معنى قوله تسلما منكم ولا خير ولا شر بيننا
وبينكم المبرد كان ينبغي ان يقول لم يومر المسلمون يوميذ بحربهم ثم امروا بحربهم محمد بن يزيد اخطا سيبويه
في هذا واساء العبارة ابن العربي لم يومر المسلمون يوميذ ان يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك بل امروا
بالصفح والهجر الجميل وقد كان عليه السلام يقف على انديتهم ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم وقد اتفق
الناس ان السفيه من المومنين اذا حياك يجوز لك ان تقول له سلام عليك قال المؤلف رحمه الله هذا
القول اشبه بدلايل السنة وقد بينا في سورة مريم اختلاف العلما في جواز التسليم على الكفار فلا حاجة
الى دعوى النسخ والله اعلم وقد ذكر النضر بن شميل قال حدثني الخليل قال اتيت ابا ربيعة الاعرابي
وكان من اعلم من رايت فاذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا استووا فبقينا متحيرين
ولم ندر ما قال فقال لنا اعرابي الى جنبه امركم ان ترتفعوا قال الخليل هو من قول الله سبحانه وتعالى ثم
استوى الى السما وهي دخان فصعدنا اليه فقال هل لكم في خبز فطير ولبن هجير وماء نمير فقلنا
الساعة فارقناه فقال سلاما فلم ندر ما قال فقال الاعرابي انه سالكم متاركة لا خير فيها ولا شر
قال الخليل هو من قول الله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ابن عطية ورايت في بعض
التواريخ ان ابراهيم بن المهدي وكان من المايلين على علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يوما بحضرة
المامون وعنده جماعة كنت ارى علي بن ابي طالب في النوم فكنت اقول له من انت فكان يقول علي بن
ابي طالب فكنت اجي معه الى قنطرة فيذهب فيتقدمني في عبورها فكنت اقول انما تدعي هذا الامر بامراة ونحن
احق به منك فما رايت له في الجواب بلاغة كما تذكر عنه قال المامون وما ذا جاءك به قال فكان يقول
لي سلاما سلاما قال الراوي وكان ابراهيم بن المهدي لا يحفظ الاية او ذهبت عنه في ذلك الوقت
فنبه المامون على الاية من حضره وقال هو والله يا عم علي ابن ابي طالب فقد جاوبك بابلغ جواب فخزي ابراهيم
واستحيا وكانت رويا لا محالة صحيحة **قوله تعالى** وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا قال الزجاج
يقال بات الرجل يبيت اذا ادركه الليل نام او لم ينم قال امرؤ القيس

فبتنا قياما عند راس جوادنا	يزاولنا عن نفسه ونزاوله

وانشد في صفة الاوليا

امنع جفونك ان تذوق مناما	واذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بانك ميت ومحاسب	يا من على سخط الجليل اقاما
لله قوم اخلصوا في حبه	فرضي بهم واختصهم خداما
قوم اذا جن الظلام عليهم	باتوا هنالك سجدا وقياما
خمص البطون من التعفف ضمرا	لا يعرفون سوى الحلال طعاما

وقال ابن عباس من صلى ركعتين او اكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقايما وقال الكلبي من قام
بعد المغرب واربعا بعد العشاء فقد بات ساجدا وقايما **قوله تعالى** وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ
عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ اي هم مع طاعتهم مشفقون خايفون وجلون من عذاب الله ابن عباس يقولون ذلك في
قيامهم وسجودهم **قوله تعالى** إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا اي لازما دايما غير مفارق ومنه سمي الغريم
لملازمته ويقال فلان مغرم بكذا اي لازم له مولع به هذا معناه في كلام العرب فيما ذكر ابن العربي
وابن عرفة وغيرهما وقال الاعشى

ان يعاقب يكن غراما وان لم	يعط جزيلا فانه لا يبالي

قال الحسن قد علموا ان كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم وقال الزجاج الغرام اشد العذاب وقال ابن
زيد الغرام الشر وقال ابو عبيدة الهلاك والمعنى واحد وقال محمد بن كعب طالبهم الله تعالى بثمن النعيم
في الدنيا فلما لم ياتوا به غرمهم ثمنها بادخالهم النار **قوله تعالى** إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا اي
بيس المستقر وبيس المقام اي انهم يقولون ذلك عن علم واذا قالوا عن علم كانوا اعرف بعظم قدر ما
يطلبون فيكون ذلك اقرب الى النجح **قوله تعالى** وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
اختلف المفسرون في تاويل هذه الاية فقال النحاس ومن احسن ما قيل في معناه ان من انفق في غير

طاعة الله فهو الاسراف ومن امسك عن طاعة الله فهو الاقتار ومن انفق في طاعة الله فهو القوام وقال
ابن عباس من انفق مائة الف في حق فليس بسرف ومن انفق درهما في غير حقه فهو سرف ومن منع من حق
عليه فقد قتر وقاله مجاهد وابن زيد وغيرهما وقال عون بن عبد الله الاسراف ان تنفق مال غيرك
قال ابن عطية وهذا ونحوه غير مرتبط بالاية والوجه ان يقال ان النفقة في معصية امر قد حظرت
الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير وهاولا الموصوفون منزهون عن ذلك
وانما التاديب في هذه الاية هو في نفقة الطاعات في المباحات فادب الشرع فيها ان لا يفرط الانسان
حتى يضيع حقا اخر او عيالا ونحو هذا وان لا يضيق ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك
هو القوام اي العدل والقوام في كل واحد بحسب عياله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب او ضد هذه
الخصال وخير الامور اوساطها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق ان يتصدق
بجميع ماله لان ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعم ما قال ابراهيم النخعي
هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وقال يزيد بن ابي حبيب هم
الذين لا يلبسون الثياب جمالا ولا ياكلون طعاما للذة وقال يزيد ايضا في هذه الاية اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما
يسد عنهم الجوع ويقويهم على طاعة ربهم ومن اللباس ما يستر عوراتهم ويكنهم عن الحر والبرد وقال
عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك فقال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم
تلا الاية وقال عمر بن الخطاب كفى بالمرء سرفا ان لا يشتهي الا اشتراه فاكله وفي سنن ابن ماجه
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف ان تاكل ما اشتهيت وقال ابو عبيد
لم يزيدوا على المعروف ولم يبخلوا كقوله سبحانه وتعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وقال الشاعر

ولا تغل في شي من الامر واقتصد	كلا طرفي قصد الامور ذميم

وقال اخر

اذا المرء اعطى نفسه كل ما اشتهت	ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذي	دعته اليه من حلاوة عاجل

وقال عمر لابنه عاصم يا بني كل في نصف بطنك ولا تطرح ثوبا حتى تستخلقه ولا تكونن من قوم يجعلون
ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم ولحاتم الطائي

اذا انت قد اعطيت بطنك سؤله	وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

ولم يقتروا وقرا حمزة والكسائي والاعمش وعاصم ويحيى بن وثاب على اختلاف يقتروا بفتح الياء وضم
التاء وهي قراءة حسنة من قتر يقتر وهذا القياس في اللازم مثل قعد يقعد وقرا ابو عمرو وابن كثير بفتح
الياء وكسر التاء وهي لغة حسنة معروفة وقرا اهل المدينة وابن عامر وابو بكر عن عاصم بضم الياء وكسر
التاء قال الثعلبي وكلها لغات صحيحة النحاس وتعجب ابو حاتم من قراءة اهل المدينة لان اهل المدينة عنده لا
يقع في قراءتهم الشاذ وانما قالوا اقتر يقتر اذا افتقر كما قال عز وجل وعلى المقتر قدره وتاول ابو حاتم لهم ان
المسرف يفتقر سريعا وهذا تاويل بعيد ولكن التاويل لهم ان ابا عمر الجرمي حكى عن الاصمعي انه يقال
للانسان اذا ضيق قتر يقتر ويقتر واقتر يقتر فعلى هذا تصح القراءة وان كان فتح الياء اصح واقرب متناولا واشهر
واعرف وقرا ابو عمرو والناس قواما بفتح القاف يعني عدلا وقرا حسان بن عبد الرحمن قواما بكسر القاف
اي مبلغا وسدادا وملاك حال والقوام بالكسر ما يدوم عليه الامر ويستقر وقيل هما لغتان بمعنى وقواما
خبر كان واسمها مقدر فيها اي كان الانفاق بين الاسراف والقتر قواما قاله الفراء وله قول
اخر يجعل بين اسم كان وينصبها لان هذه الالفاظ كثيرا استعمالها فتركت على حالها في موضع الرفع
وقال النحاس ما ادري ما وجه هذا لان بينا اذا كانت في موضع رفع رفعت كما يقال بين عينيه احمر
قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية اخرج لعباده المومنين من صفات الكفرة في
عبادتهم للاوثان وقتلهم للنفس بواد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات ومن الزنا
الذي كان عندهم مباحا وقال من صرف هذه الاية عن ظاهرها من اهل المعاني لا تليق بمن اضافهم
الرحمن اليه اضافة الاختصاص وذكرهم ووصفهم من صفات المعرفة والتشريف وقوع هذه الامور

القبيحة منهم حتى يمدحوا بنفيها عنهم لانهم اعلى واشرف فقال معناها لا يدعون الهوى ولا يذلون انفسهم
بالمعاصي فيكون قتلا لها ومعنى الا بالحق اي الا بسكين الصبر وسيف المجاهدة ولا ينظرون الى دنيا
ليست لهم بمحرم لشهوة فيكون سفاحا بل بالضرورة فيكون كالنكاح قال شيخنا ابو العباس وهذا كلام
رائق غير انه عند اهل السبر مائق وهي نبعة باطنية ونزغة باطلية وانما صح تشريف عباد الرحمن باختصاص
الاضافة بعد ان تحلوا بتلك الصفات الحميدة وتخلوا عن نقائض ذلك من الاوصاف الذميمة فبدا في صدر
هذه الايات بصفات التحلي تشريفا لهم ثم اعقبها بصفات التخلي تبعيدا لها والله اعلم قال المؤلف رحمه الله
وانما يدل على بطلان ما ادعاه هذا القائل من ان تلك الامور ليست على ظاهرها ما روى مسلم عن حديث
عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم
اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله تصديقها
قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاثام في كلام العرب العقاب وقد فسر ابن زيد وقتادة هذه الاية ومنه قول الشاعر

نون

اعر

جزى الله ابن عروة حيث امسى	عقوقا والعقوق له اثام

اي جزاء وعقوبة وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد ان اثاما واد في جهنم جعله الله عقابا للكفرة
قال الشاعر

لقيت المهالك في حربنا	وبعد المهالك تلقى اثاما

وقال السدي جبل فيها قال الشاعر

وان مقامنا ندعوا عليكم	بابطح ذي المجاز له اثام

وفي صحيح مسلم ايضا عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى
الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملناه كفارة فنزلت والذين لا يدعون
مع الله الها اخر الاية ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وقد قيل ان هذه الاية يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله سعيد بن جبير وابن عباس وسياتي في الزمر بيانه
قوله تعالى الا بالحق اي بالحق ان يقتل به النفوس من كفر بعد ايمان او زنى بعد احصان على ما تقدم بيانه
في الانعام قوله تعالى ولا يزنون فيستحلون الفروج بغير نكاح ولا ملك يمين ودلت الاية على انه
ليس بعد الكفر اعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنا ولهذا ثبت في حد الزنا القتل لمن كان محصنا واقصى
الجلد لمن كان غير محصن قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب قرا نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي يضاعف ويخلد جزما وقرا ابن كثير يضعف بتشديد العين وطرح الالف وبالجزم في يضعف
ويخلد وقرا طلحة بن سليمان نضعف بضم النون وكسر العين المشددة العذاب نصب ويخلد جزم وهي قراءة
ابي جعفر وشيبة وقرا عاصم في رواية ابي بكر يضاعف ويخلد بالرفع فيهما على القطع والاستيناف
وقرا طلحة بن سليمان وتخلد بالتاء على معنى مخاطبة الكافر وروي عن ابي عمرو ويخلد بضم الياء
من تحت وفتح اللام قال ابو علي وهي غلط من جهة الرواية ويضاعف بالجزم بدل من يلق الذي هو جزاء الشرط
قال سيبويه مضاعفة العذاب لقي الاثام وقال الشاعر

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا	تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
ان على الله ان تبايعنا	توخذ كرها او تجي طائعا

واما الرفع ففيه قولان احدهما ان تقطعه عما قبله والاخر ان يكون محمولا على المعنى كان قائلا قال ما
لقي الاثام فقيل له يضاعف له العذاب ومهانا معناه ذليلا خاسئا مبعدا مطرودا قوله تعالى
الا من تاب لا اختلاف بين العلماء ان الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين
على ما تقدم بيانه في النساء القول في جواز التراخي في الاستثناء في اليمين وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه
الاية قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال النحاس من احسن ما قيل فيه انه
يكتب موضع كافر مومن وموضع عاص مطيع وقال مجاهد والضحاك ان يبدلهم الله من الشرك
الايمان وروي نحوه عن الحسن قال الحسن قوم يقولون التبديل في الاخرة وليس كذلك انما التبديل
في الدنيا يبدل لهم الله ايمانا من الشرك واخلاصا من الشك واحصانا من الفجور وقال الزجاج ليس
يجعل مكان السيئة الحسنة ولكن يجعل مكان السيئة التوبة والحسنة مع التوبة وروى ابو ذر عن

النبي صلى الله عليه وسلم ان السيات تبدل بحسنات وروي معناه عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير
وغيرهما وقال ابو هريرة ذلك في الاخرة فمن غلبت حسناته على سياته فيبدل الله السيات حسنات وفي
الخبر ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيات قيل ومن هم قال الذين يبدل الله سياتهم حسنات
رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الثعلبي والقشيري وقيل التبديل عبارة عن الغفران اي يغفر
الله لهم تلك السيات لا ان يبدلها حسنات قال المؤلف رحمه الله ولا يبعد في كرم الله تعالى اذا صحت
توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ واتبع السيئة الحسنة
تمحها وخالق الناس بخلق حسن وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل الجنة
دخولا واخر اهل النار خروجا منها رجل يوتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه
كبارها فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا وعملت يوم كذا كذا وكذا فيقول نعم لا
يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان يعرض عليه فيقال ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول
يا رب قد عملت اشيا لا اراها هاهنا فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
وقال ابو طويل يا رسول الله ارايت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيا وهو في ذلك لم يترك حاجة
ولا داجة الا اقتطعها فهل له من توبة قال هل اسلمت قال انا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له واشهد انك عبد الله ورسوله قال نعم تفعل الخيرات وتترك الشرات يجعلهن الله كلهن خيرات
قال وغدراتي وفجراتي قال الله اكبر فما زال يكررها حتى توارى ذكره الثعلبي قال مبشر بن عبيد
وكان عالما بالنحو والعربية الحاجة التي تقطع على الحاج اذا توجهوا والداجة التي تقطع عليهم اذا
قفلوا وكان الله غفورا رحيما **قوله تعالى** ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا
لا يقال من قام فانه يقوم فكيف يقال من تاب فانه يتوب وقال ابن عباس المعنى من امن من اهل مكة
وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحا وادى الفرايض فانه يتوب الى الله متابا اي فاني قد فضلتهم وقدمتهم
على من قاتل النبي صلى الله عليه وسلم واستحل المحارم وقال القفال يحتمل ان تكون الاية الاولى فيمن تاب من
المشركين ولهذا قال الا من تاب وامن ثم عطف عليه فمن تاب من المسلمين واتبع توبته عملا صالحا فله
حكم التائبين ايضا وقيل اي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله فليست تلك التوبة نافعة بل من تاب
وعمل صالحا فحقق التوبة بالاعمال الصالحة فهو الذي تاب الى الله متابا اي تاب حق التوبة وهي النصوح
ولذلك اكد بالمصدر فمتابا مصدر معناه التاكيد وكلم الله موسى تكليما اي فانه يتوب الى الله حقا
فيقبل الله توبته حقا **قوله تعالى** والذين لا يشهدون الزور فيه مسالتان الاولى قوله لا يشهدون
الزور اي لا يحضرون الكذب والباطل ولا يشاهدونه والزور كل باطل زور وزخرف واعظمه الشرك
وتعظيم الانداد وبه فسر الضحاك وابن زيد وابن عباس وفي رواية عن ابن عباس انه اعياد للمشركين عكرمة
لعب كان في الجاهلية يسمى بالزور مجاهد الغنا وقال علي بن ابي طلحة ومحمد بن علي المعنى لا يشهدون
بالزور من الشهادة لا من المشاهدة قال ابن العربي اما القول بانه الكذب فصحيح لان كل ذلك الى الكذب
يرجع واما من قال انه لعب كان في الجاهلية فانه يحرم ذلك اذا كان فيه قمار او جهالة او امر يعود الى
الكفر واما القول بانه الغنا فليس ينتهي الى هذا الحد قال المؤلف رحمه الله من الغنا ما ينتهي سماعه الى
التحريم وذلك كالاشعار التي يذكر فيها الصور المستحسنات والخمر ونحو ذلك مما يحرك الطبائع ويخرجها
عن الاعتدال ويثير كامنا من اللهو مثل قول بعضهم

ذهبي اللون تحسب من — وجنته النار تقتدح
خوفوني من فضيحته — ليته وافى وافتضح

لاسيما اذا اقترن بذلك شبابات وطارات مثل ما يفعل اليوم في هذا الازمان على ما بيناه في غير هذا
الموضع واما من قال انه شهادة الزور وهي الثانية فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين
جلدة ويسخم وجهه ويحلق راسه ويطوف به في السوق وقال اكثر اهل العلم لا تقبل له شهادة ابدا وان
تاب وحسنت حاله فامره الى الله ولا تقبل له شهادة ابدا وقد قيل انه اذا كان عن غير ريبة وحسنت حاله
قبلت شهادته حسبما تقدم بيانه في سورة الحج فتامله هناك **قوله تعالى** واذا مروا باللغو
مروا كراما قد تقدم الكلام في اللغو وهو كل سقط من فعل او قول فيدخل فيه الغناء واللهو وغير

ذلك

ذلك مما قاربه ويدخل فيه سفه المشركين واذاهم للمومنين وذكر النسا وغير ذلك من المنكر وقال
مجاهد اذا اوذوا صفحوا وروي عنه اذا ذكروا النكاح كنوا عنه وقال الحسن اللغو المعاصي كلها وهذا
جامع وكراما معناه معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه ولا يجالسون اهله اي مروا مر الكرام
الذين لا يدخلون في الباطل يقال تكرم فلان عما يشينه اي تنزه واكرم نفسه عنه وروي ان عبد الله بن عمر
سمع غناء فاسرع وذهب فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد اصبح ابن ام عبد كريما وقيل
من المرور باللغو كريما ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر **قوله تعالى** والذين اذا ذكروا بايات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى واذا ذكروا بايات ربهم اي اذا قرئ
عليهم القران ذكروا اخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع وقال لم يخروا وليس ثم
خرور كما يقال — قعد يبكي وان كان غير قاعد
قاله الطبري واختاره قال ابن عطية وهو ان يخروا صما وعميانا صفة للكفار وهو عبارة عن اعراضهم وقرن
ذلك بقولهم قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي وانت لم تقصد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هي توطئات
في الكلام والعبارة قال ابن عطية فكان المستمع للذكر قائم القناة قويم الامر فاذا اعرض وضل كان
ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وان كان قد شبه به الذي يخر ساجدا لكن اصله على غير
ترتيب وقيل اي اذا تليت عليهم ايات الله وجلت قلوبهم فخروا سجدا وبكيا ولم يخروا عليها صما وعميانا وقال
الفراء اي لم يقعدوا على حالهم الاول كان لم يسمعوا الثانية قال بعضهم ان من سمع رجلا يقرا سجدة يسجد
معه لانه قد سمع ايات الله تتلى عليه قال ابن العربي وهذا لا يلزم الا القاري وحده واما غيره فلا
يلزمه ذلك الا في مسالة واحدة وهو ان الرجل اذا تلا القران وتلا السجدة فان كان الذي جلس معه جلس
ليسمعه فليسجد معه وان لم يلتزم السماع معه فلا سجود عليه وقد مضى هذا في الاعراف **قوله تعالى**
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين قال الضحاك اي مطيعين لك
وفيه جواز الدعا بالولد وقد تقدم والذرية تكون واحدا وجمعا فكونها للواحد قوله رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة وهب لي من لدنك وليا وكونها للجمع ذرية ضعافا وقد مضى في البقرة اشتقاقها
مستوفى وقرا نافع وابن كثير وابن عباس والحسن وذرياتنا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وطلحة وعيسى
وذريتنا بالافراد قرة اعين نصب على المفعول اي قرة اعين لنا وهذا نحو قوله عليه السلام اللهم اكثر
ماله وولده وبارك له فيه وقد تقدم بيانه في ال عمران ومريم وذلك ان الانسان اذا بورك له في ماله
وولده قرت عينه باهله وعياله حتى اذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها امانيه من جمال وعفة ونظر
وحوطة او كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة يعاونون على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت الى زوج
احد ولا الى ولده فتسكن عينه من الملاحظة ولم تمتد عينه الى ما ترى فذلك قرة العين وسكون النفس
ووحد قرة لانه مصدر تقول قرت عينك قرة وقرة العين يحتمل ان تكون من القرار ويحتمل ان تكون
من القر وهو الاشهر والقر البرد لان العرب تتاذى بالحر وتستريح بالبرد ايضا فان دمع السرور بارد
ودمع الحزن سخن فمن هذا يقال اقر الله عينك واسخن الله عين عدوك قال — الشاعر

فكم سخنت بالامس عين قريرة — وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

قوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما اي قدوة يقتدى بنا في الخير وهذا لا يكون الا ان يكون الداعي
متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعي وفي الموطا انكم ايها الرهط ايمة يقتدى بكم وكان ابن عمر يقول في دعائه
اللهم اجعلنا من ايمة المتقين وقال اماما ولم يقل ايمة على الجمع لان الامام مصدر يقال ام فلان فلانا اماما
مثل الصيام والقيام وقال بعضهم اراد ايمة كما يقال اميرنا هؤلاء يعني امراؤنا وقال — الشاعر

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي — ان العواذل لسن لي بامير

اي امرا وكان القشيري ابو القاسم شيخ الصوفية يقول الامامة بالدعا لا بالدعوى يعني بتوفيق الله و
تيسيره ومنته لا بما يدعيه كل احد لنفسه وقال ابراهيم النخعي لم يطلبوا الرياسة بل بان يكونوا قدوة في
الدين وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هدى كما قال وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا وقال مكحول اجعلنا
ايمة في التقوى يقتدي بنا المتقون وقيل هذا من المقلوب مجازه واجعل المتقين لنا اماما وقاله مجاهد
والقول الاول اظهر واليه يرجع قول ابن عباس ومكحول ويكون فيه دليل على ان طلب الرياسة

التحلي هو احدى عشر

في الدين نذهب وامام واحد يدل علي الجمع لانه مصدر كالقيام قال الاخفش الامام جمع امّ من امّ يؤمّ جمع
علي فعال نحو صاحب وصحاب وقايم وقيام **قوله تعالى** اولئك يجزون الغرفة بما صبروا اولئك
خبر وعباد الرحمن في قول الزجاج علي ما تقدم وهو احسن ما قيل فيه وما تخلل بين المبتدا وخبره اوصافهم
من التحلي والتخلي وهو احدي عشر التواضع والحلم والتهجد والخوف وترك الاسراف والاقتار والنزاهة
عن الشرك والزنا والقتل والتوبة وتجنب الكذب والعفو عن المسيء وقبول المواعظ والابتهال الي الله تعالى
والغرفة الدرجة الرفيعة وهي اعلي منازل الجنة وافضلها كما ان الغرفة اعلي مساكن الدنيا حكاه ابن شجرة
وقال الضحاك الغرفة الجنة بما صبروا اي بصبرهم علي امر ربهم وطاعة نبيهم عليه السلام وقال محمد بن علي بن
الحسين بما صبروا علي الفقر والفاقة في الدنيا وقال الضحاك بما صبروا عن الشهوات **قوله تعالى**
ويلقون فيها تحية وسلاما قرا ابو بكر والمفضل والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف ويلقون مخففة واختاره
الفرّا قال لان العرب تقول فلان يتلقي بالسلام وبالتحية وبالخير وبالياء وقل ما يقولون فلان يلقي السلام
وقرا الباقون ويلقّون واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله سبحانه وتعالى ولقاهم نضرة وسرورا قال
ابو جعفر النحاس وما ذهب اليه الفرّا واختاره غلط لانه يزعم انها لو كانت يلقون كانت في العربية بتحية وسلام
وقال كما يقال فلان يتلقي بالسلام وبالخير فمن عجب ما في هذا انه قال يتلقي والاية تلقّون والفرق بينهما
بيّن لانه يقال فلان يتلقي بالتحية ولا يجوز حذف الياء فكيف يشبه هذا ذاك واعجب من هذا ان في القران ولقّاهم
نضرة وسرورا لا يجوز ان يقرا بغيره وهذا يبين ان الاولي خلاف ما قال والتحية من الله والسلام من الملائكة
وقيل التحية البقا الدايم والملك العظيم والاظهر انهما بمعني واحد وانهما من قبل الله تعالى دليله قوله سبحانه
وتعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وسيأتي خالدين نصب علي الحال فيها حسنت مستقرا ومقاما **قوله تعالى**
قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم هذه اية مشكلة وهي التي تعلقت بها الملحدة يقال ما عبات بفلان اي
ما باليت به اي ما كان له عندي وزن ولا قدر واصل يعبا من العبء وهو الثقل وقول الشاعر

وكان بصدره وبجانبيه عبيرا   اباتَ يعبوه عروس

اي يجعل بعضه علي بعض فالعبء الحمل الثقيل والجمع اعباء والعبء المصدر وما استفهامية ظهر في اثنا
كلام الزجاج وصرح به الفرّا وليس يبعد ان يكون نافية لانك اذا حكمت بانها استفهام فهو نفي خرج مخرج
الاستفهام كما قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال ابن الشجري وحقيقة القول عندي ان موضع
ما نصب والتقدير اي عبء يعبا بكم اي اي مبالاة يبالي بكم لولا دعاؤكم اي لولا دعاؤه اياكم لتعبدوه فالمصدر
الذي هو الدعا علي هذا القول مضاف الي مفعوله وهو اختيار الفرّا وفاعله محذوف وجواب لولا محذوف
كما حذف في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال تقديره لم يعبا بكم ودليل هذا القول قوله سبحانه وتعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالخطاب لجميع الناس فكانه قال لقريش منهم اي ما يبالي الله
بكم ولا ينظر اليكم لولا عبادتكم اياه اي لولا كانت وذلك الذي يعبا بالبشر من اجله ويؤيد هذا قراءة
ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون فالخطاب بما يعبا قيل لجميع الناس ثم يقول لقريش فانتم كذبتم ولم تعبدوه
فسوف يكون التكذيب الذي هو سبب العذاب لزاما وقال النقاش وغيره المعني لولا استغاثتكم اليه
في الشدايد ونحو ذلك بيانه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ونحو هذا وقيل ما يعبا بكم ان
شكرتم اي بمغفرة ذنوبكم ولا هو عنده عظيم لولا دعاؤكم معه الالهة والشركا قيل بيانه ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم قاله الضحاك وقال الوليد بن ابي الوليد بلغني فيها اي ما خلقتكم وبي حاجة اليكم
الا ان تسالوني فاغفر لكم واعطيكم وروي وهب بن منبه انه كان في التوراة يا ابن ادم وعزتي ما خلقتك
لاربح عليك انما خلقتك لتربح علي فاتخذني بدلا من كل شي قال ابن جني قرا ابن الزبير وابن عباس فقد كذب
الكافرون قال الزهراوي والنحاس وهو قراءة ابن مسعود وهي علي التفسير للتاء والميم في كذبتم
وذهب القتبي والفارسي الي ان الدعا مضاف الي الفاعل والمفعول محذوف والاصل لولا دعاؤكم الهة من دونه
وجواب لولا محذوف تقديره في هذا الوجه لم نعذبكم ونظيره قوله لولا دعاؤكم الهة قوله ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم **قوله تعالى** فقد كذبتم اي كذبتم بما دعيتم اليه هذا علي القول
القول الاول وكذبتم بتوحيد الله علي الثاني **قوله تعالى** فسوف يكون لزاما اي يكون تكذيبكم
لازما لكم والمعني فسوف يكون جزاء التكذيب كما قال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا اي جزاء ما عملوا

وقوله

وقوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي جزاء ما كنتم تكفرون وحسن اضمار التكذيب لتقدم ذكر فعله
لانك اذا ذكرت الفعل دل بلفظه علي مصدره كما قال

ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اي لكان الايمان وقوله وان تشكروا يرضه لكم اي
يرضي الشكر ومثله كثير وجمهور المفسرين علي ان المراد باللزام هنا ما نزل بهم يوم بدر وهو قول عبد الله
بن مسعود وابي بن كعب وابي مالك ومجاهد ومقاتل وغيرهم وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود وقد مضت
البطشة والدخان واللزام وسياتي مبينا في سورة الدخان ان شا الله تعالى ايضا وقالت فرقة هو توعد
بعذاب الاخرة وعن ابن مسعود ايضا اللزام التكذيب نفسه اي لا يعطون التوبة منه ذكره الزهراوي
فدخل في هذا يوم بدر وغيره من العذاب الذي يلزمونه وقال ابو عبيدة لزاما اي فيصلا اي فسوف يكون
فيصلا بينكم وبين المومنين والجمهور من القراء علي كسر اللام وانشد ابو عبيدة لصخر

فاما ينجو من خسف ارض   فقد لقيا حتوفهما لزاما

ولزاما وملازمة واحد وقال الطبري لزاما يعني عذابا دايما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم
ببعض كقول ابي ذويب

ففاجاه بعادية لزام   كما يتفجر الحوض اللقيف

يعني باللزام الذي يتبع بعضه بعضا وباللقيف المتساقط الحجارة المتهدمة النحاس وحكي ابو حاتم عن ابي زيد
قال سمعت قعنبا ابا السمال يقرا لزاما بفتح اللام قال ابو جعفر يكون مصدر لزم والكسر اولي يكون مثل
قتال ومقاتل كما اجمعوا علي الكسر في قوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما قال غيره اللزام بالكسر
مصدر لازم لزاما مثل خاصم خصاما واللزام بالفتح مصدر لزم لزاما مثل سلم سلاما اي سلامة فاللزام بالفتح
اللزوم واللزام الملازمة والمصدر وقع موقع ملازم واللزام وقع موقع لازم كما قال سبحانه وتعالى قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا اي غايرا قال النحاس وللفرا قول في اسم يكون قال يكون مجهولا وهذا غلط لان المجهول
لا يكون خبره الا جملة كما قال تعالى انه من يتق ويصبر وكما حكي النحويون كان زيد منطلق يكون في كان مجهول
ويكون المبتدا وخبره خبر المجهول والتقدير كان الحديث فاما ان يقال كان منطلقا ويكون في كان مجهول
فلا يجوز عند واحد علمناه تم تفسير سورة الفرقان بحمد الله الحنان المنان وبالله المستعان وعليه التكلان

تفسير سورة الشعراء مكية في قول الجمهور

وقال مقاتل منها مدني الاية التي يذكر فيها الشعرا وقوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقال
ابن عباس مكية الا اربع ايات منها نزلت بالمدينة من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الي اخرها وهي مايتان
وسبع وعشرون اية وفي رواية ست وعشرون اية وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت
السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه وطسم من الواح موسى واعطيت فواتح القران
وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل من نافلة وعن البرا بن عازب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى اعطاني السبع الطوال مكان التوراة واعطاني المبين مكان الانجيل واعطاني الطواسين
مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي قبلي بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طسم قرا الاعمش ويحيى وابو بكر والمفضل وحمزة والكسائي وخلف بامالة الطاء مشبعا في
هذه السورة وفي اختيها وقرا نافع وابو جعفر وشيبة والزهري بين اللفظين واختاره ابو عبيد
وابو حاتم وقرا الباقون بالفتح مشبعا قال الثعلبي وهي كلها لغات فصيحة وقد مضي في طه قول النحاس
في هذا قال النحاس وقرا المدنيون وابو عمرو وعاصم والكسائي بادغام النون في الميم والفرا يقولون
باخفا النون وقرا الاعمش وحمزة طسين ميم باظهار النون قال النحاس للنون الساكنة والتنوين اربعة اقسام عند
سيبويه يبينان عند حروف الحلق ويدغمان عند الراء واللام والميم والواو والياء ويقلبان ميما عند الباء
ويكونان من الخياشيم اي لا يبينان فعلي هذه الاربعة اقسام التي نصها سيبويه لا تجوز هذه القراءة لانه
ليس ها هنا حرف من حروف الحلق فتبين النون عنده ولكن في ذلك وجه وهو ان حروف المعجم حكمها ان
يوقف عليها فاذا وقف عليها تبينت النون قال الثعلبي الادغام اختيار ابي عبيد وابي حاتم قياسا علي كل
القران وانما اظهرها اولئك للتبيين والتمكين وادغمها هؤلاء لمجاورتها حروف الفم قال النحاس وحكي ابو

ابو اسحق في كتابه فيما يجزي وما لا يجزي ان يقال طس ميم بفتح النون وضم الميم كما يقال هذا معدي كرب وقال
ابو حاتم قرا خالد طسين ميم ابن عباس طسم قسم وهو اسم من اسما الله سبحانه وتعالى والمقسم عليه ان نشا ننزل
عليهم من السما اية وقال قتادة اسم من اسما القران اقسم الله به مجاهد هو اسم السورة الحسن افتتاح السو
لو تبيع حساب مدة قوم وقيل قاد لمة تخل بطريق بقوم وطس وطسم واحد قال

وجاؤكما كالربع اشجاه طاسمه ... بان تسعدوا والدمع اشفاه ساجمه

وقال القرطبي اقسم الله بطوله وسنايه وملكه وقال عبد الله بن محمد بن عقيل الطا طور سينا والسين اسكندرية
والميم مكة وقال جعفر بن محمد بن علي الطا شجرة طوبي والسين سدرة المنتهي والميم محمد المصطفي صلى الله
عليه وسلم وقيل الطا من الطاهر والسين من القدوس وقيل من السميع وقيل من السلام والميم من
المجيد وقيل من الرحيم وقيل من الملك وقد مضي هذا المعني في اول البقرة والطواسيم والطواسين
سور في القرقان جمعت على غير قياس وانشد ابو عبيدة

وبالطواسيم التي قد ثلثت ... وبالحواميم التي قد سبعت

قال الجوهري والصواب ان تجمع بذوات وتضاف الي واحد فيقال ذوات طسم وذوات حم **قوله تعالى**
تلك ايات رفع على اضمار مبتدا اي هذه تلك ايات الكتاب المبين التي كنتم وعدتم بها لانهم قد وعدوا
في التوراة والانجيل بانزال القران وقيل تلك بمعني هذه **قوله تعالى** **لعلك باخع نفسك**
اي قاتل نفسك ومهلكها وقد مضي في الكهف بيانه **قوله تعالى** **الا يكونوا مومنين** اي لتركهم الايمان
قال الفرا ان في موضع نصب لانها جزا كذا التعارف والقول في هذا ما قاله ابو اسحق في كتابه في
القران قال ان في موضع نصب مفعول من اجله والمعني لعلك قاتل نفسك لترك الايمان **قوله تعالى**
ان نشا ننزل عليهم من السما اية اي معجزة ظاهرة وقدرة باهرة فتصير معارفهم ضرورية ولكن
سبق القضا بان تكون المعارف نظرية وقال ابو حمزة اليماني في هذه الاية بلغني ان هذه الاية صوت
يسمع من السما في النصف من شهر رمضان يخرج به العواتق من البيوت وتضج له الارض وهذا فيه
بعد لان المراد قريش لا غيرهم فظلت اي فتظل اعناقهم لها خاضعين قال مجاهد اعناقهم كبراوهم
قال النحاس ومعروف في اللغة يقال جاني عنق من الناس اي روسا منهم ابو زيد والاخفش اعناقهم
جماعاتهم يقال جاني عنق من الناس اي جماعة وقيل انما اراد اصحاب الاعناق فحذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه وقال قتادة المعني لو شا لانزل اية يذلون بها فلا يلوي احد منهم عنقه الي
معصية وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني امية سيكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد
صعوبة ذكره الثعلبي والغزنوي فالله اعلم وخاضعين وخاضعة هنا سوا قاله عيسى بن عمر والختار
المبرد والمعني انهم اذا ذلت رقابهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب اخبار عن اصحابها ويسوغ في كلام
العرب ان يترك الخبر عن الاول ويخبر عن الثاني قال الراجز

طول الليالي اسرعت في نقضي ... طوين طولي وطوين عرضي

فاخبر عن الليالي وترك الطول وقال جرير

اراي مر السنين اخذن مني ... كما اخذ السرار من الهلال

وانما جاز ذلك لانه لو اسقط مر وطول من الكلام لم يفسد معناه فكذلك رد الفعل الي الكناية
في قوله فظلت اعناقهم لها لانه لو اسقط الاعناق لما فسد الكلام ولادي ما بقي من الكلام عنه
حتي يقول فظلوا لها خاضعين وعلى هذا اعتمد الفرا وابو عبيد والكسايي يذهب الي ان المعني خاضعيها
هم وهذا خطا عند البصريين والفرا ومثل هذا الحذف لا يقع في شي من الكلام قاله النحاس
قوله تعالى **وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين** تقدم في
الانبيا فقد كذبوا اي اعرضوا ومن اعرض عن شي ولم يقبله فهو تكذيب له **قوله تعالى**
فسياتيهم انبا ما كانوا به يستهزون وعيد لهم اي فسوف ياتيهم عاقبة ما كذبوا والذي استهزوا
به **قوله تعالى** **اولم يروا الي الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم** نبه على عظمته وقدرته وانهم
لو راوا بقلوبهم ونظروا ببصايرهم لعلموا انه الذي يستحق ان يعبد اذ هو القادر على خلق كل شي
والزوج اللون قاله الفرا وكريم حسن شريف واصل الكرم في اللغة الشرف والفضل فنخلة كريمة اي

فاضله كثيرة الثمر ورجل كريم شريف فاضل صفوح ونبتت الارض وانبتت بمعني واحد وقد تقدم في البقرة
والله سبحانه المخرج للنبات والمنبت له وروي عن الشعبي انه قال الناس من نبات الارض فمن صار منهم
الي الجنة فهو كريم ومن صار الي النار فهو لييم **قوله تعالى** **ان في ذلك لاية** اي فيما ذكر من الانبات
في الارض لدلالة على ان الله قادر لا يعجزه شي **قوله تعالى** **وما كان اكثرهم مومنين** اي مصدقين
لما سبق من علمي فيهم وكان هنا صلة في قول سيبويه وما كان اكثرهم مومنين **قوله تعالى** **وان ربك**
لهو العزيز الرحيم يريد المنيع المنتقم من اعدايه الرحيم باوليايه **قوله تعالى** **واذ نادي ربك**
موسي اذ في موضع نصب المعني واتل عليهم نبا ابراهيم ذكره النحاس وقيل المعني واذكر اذ نادي كما صرح به في قوله
واذكر اخا عاد وقوله واذكر عبادنا ابراهيم وقوله واذكر في الكتاب مريم وقيل المعني واذ نادي ربك موسي
كان كذا وكذا والندا الدعا يا فلان اي قال ربك يا موسي ان ايت القوم الظالمين ثم اخبر منهم فقال
قوم فرعون الا يتقون فقوم بدل والمعني الا يتقون الا يخافون عقاب الله وقيل هذا من الايما الي الشي
لانه امره ان ياتي القوم الظالمين ودل قوله يتقون على انهم لا يتقون وعلى انه امرهم بالتقوي وقيل المعني
قل لهم الا يتقون وجا بالياء لانهم غيب وقت الخطاب ولو جا بالتا لجاز ومثله قل للذين كفروا ستغلبون
بالياء والتاء وقد قرا عبيد بن عمير وابو حازم الا تتقون بتاءين اي قل لهم الا تتقون **قوله تعالى**
قال رب اي قال موسي **قوله تعالى** **اني اخاف ان يكذبون** اي في الرسالة والنبوة ويضيق صدري
لتكذيبهم اياي وقرا العامة ويضيق ولا ينطلق بالرفع على الاستيناف وقرا يعقوب وعيسى بن عمرو
ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما ردا على قوله ان يكذبون قال الكسايي القراءة بالرفع يعني في ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني يعني نسقا على اني اخاف قال الفرا ويقرا بالنصب حكي ذلك عن الاعرج وطلحة وعيسى
بن عمرو وكلاهما له وجه قال النحاس الوجه الرفع لان النصب عطف على يكذبون وهذا بعيد يدل على
ذلك قوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فهذا يدل على ان هذا كذا معني ولا ينطلق لساني في
المحاجة على ما احب وكان في لسانه عقدة على ما تقدم في طه **قوله تعالى** **فارسل الي هرون**
اي ارسل اليه جبريل بالوحي واجعله رسولا معي ليوازرني ويظاهرني ويعاونني ولم يذكر هنا ليعينني
لان المعني كان معلوما وقد صرح به في طه **قوله تعالى** **واجعل لي وزيرا** وفي القصص ارسله معي ردا
يصدقني وكان موسي اذن له في هذا السوال ولم يكن ذلك استعفا من الرسالة بل طلب من يعينه وفي
هذا دليل على ان من لا يستقل بامر ويخاف من نفسه تقصيرا ان ياخذ من يستعين به عليه ولا يلحقه في
ذلك لوم **قوله تعالى** **ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون** الذنب هنا قتل القبطي واسمه فاثور على
ما ياتي في القصص بيانه وقد مضي في طه ذكره وخاف موسي ان يقتلوه به ودل على ان الخوف قد يصحب الانبيا
والفضلا الاوليا مع معرفتهم بالله وان لا فاعل الا هو اذ قد يسلط من يشا على من يشا قال كلا اي كلا لن
يقتلوك فهو ردع وزجر عن هذا الظن وامر بالثقة بالله سبحانه وتعالى اي ثق بالله وانزجر عن خوفك منهم
فانهم لا يقدرون على قتلك ولا يقوون عليه فاذهبا اي انت واخوك فقد جعلته رسولا معك باياتنا
اي ببراهيننا وبالمعجزات وقيل اي مع اياتنا انا معكم يريد نفسه سبحانه وتعالى مستمعون اي سامعون
ما تقولون وما تجاوبون وانما اراد بذلك تقوية قلبهما وانه يعينهما ويحفظهما فالاستماع انما يكون
بالاصغا ولا يوصف الباري سبحانه بذلك وقد وصف سبحانه نفسه بانه السميع البصير وقال في
طه اسمع واري وقال معكم فاجراهما مجري الجمع لان الاثنين جماعة ويجوز ان يكون لهما ولمن ارسلا
اليه ويجوز ان يكون لجميع بني اسرايل **قوله تعالى** **فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين**
قال ابو عبيدة رسول بمعني رسالة والتقدير على هذا انا ذوو رسالة رب العالمين قال الهذلي

الكني اليها وخير الرسول ... اعلمهم بنواحي الخبر

وقال اخر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بسر ولا ارسلتهم برسول

وقال اخر

الا ابلغ ابا عمرو رسولا ... فاني عن فناحتكم غني

وقال العباس بن مرداس

الا من مبلغ عني خفافا ... رسولا بيت اهلك منتهاها

يعني رسالة فلذلك انثها ابو عبيدة ويجوز ان يكون الرسول في معني الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي
ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي وهولاء رسولي ووكيلي ومنه قوله سبحانه وتعالى فانهم عدو لي الا

جاءني عنق من الناس اي جماعة

ابوجوة

وقيل معناه ان كل واحد منا رسول رب العالمين **قوله تعالى** ان ارسل معنا بني اسرائيل اي اطلقهم وخل
سبيلهم حتى يسيروا معنا الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك
الوقت ستمائة الف وثلاثون الفا فانطلقا الى فرعون فلم يؤذن لهما في الدخول عليه سنة فدخل البواب
على فرعون وقال ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين قال ايذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه
واديا الرسالة وروي وهب وغيره انهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد اخرج سباعا من اسد ونمور وفهود
عليها فخاف سواسها ان تبطش بموسى وهرون فاسرعوا اليها واسرعت السباع الى موسى وهرون
فاقبلت تلحس اقدامهما وتبصبص اليهما باذنابها وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك
فقال ما انتما قالا انا رسول الله رب العالمين فعرف موسى لانه نشا في بيته فقال الم نربك فينا وليدا على جهة
المن عليه والاحتقار اي ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا ولبثت فينا سنين فمتى كان هذا الذي
تدعيه ثم قرره بقتل القبطي بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت والفعلة بفتح الفا المرة من الفعل وقرا
الشعبي فعلتك بكسر الفاء والفتح اولى لانها للمرة الواحدة والكسر بمعنى الهيئة والحال اي فعلتك
التي تعرف فكيف تدعي مع علمنا احوالك بان الله ارسلك وقال ـــــــ الشاعر

كان مشيتها من بيت جارتها … من السحابة لا ريث ولا عجل

ويقال كان ذلك ايام الردة **قوله تعالى** وانت من الكافرين قال الضحاك اي في قتلك القبطي
اذ هو نفس لا يحل قتله وقيل اي بنعمتي التي كانت لنا عليك من التربية والاحسان اليك قاله ابن زيد
الحسن من الكافرين في اني الهك السدي من الكافرين بالله لانك كنت معنا على ديننا الذي تعيبه وكان
بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيا احدى عشرة سنة غير اشهر فقال
فعلتها اذا اي فعلت ذلك الفعله يريد قتل القبطي وانا اذ ذاك من الضالين اي من
الجاهلين فنفى عن نفسه الكفر واخبر انه فعل ذلك على الجهل وكذا قال مجاهد من الضالين من الجاهلين
ابن زيد من الجاهلين بان الوكزة تبلغ القتل وفي مصحف عبد الله من الجاهلين ويقال لمن جهل شيئا ضل
عنه وقيل انا من الضالين من الناسين قاله ابو عبيدة وقيل من الضالين عن النبوة ولم ياتني فيه عن الله
شيء فليس علي ما فعلته في تلك الحالة توبيخ وبين بهذا ان التربية فيهم لا تنافي النبوة والحكم على الناس وان
القتل خطا او في وقت لم يكن فيه شرع لا ينافي النبوة **قوله تعالى** ففررت منكم لما خفتكم
اي خرجت من بينكم الى مدين كما في سورة القصص فخرج منها خائفا يترقب وذلك حين القتل **قوله تعالى**
فوهب لي ربي حكما يعني النبوة عن السدي وغيره الزجاج تعليمه التوراة فيها حكم الله وقيل علما وفهما
وجعلني من المرسلين **قوله تعالى** وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اختلف الناس في معنى
هذا الكلام فقال السدي والطبري والفرا هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الاقرار
بالنعمة كانه يقول نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني ولكن لا يدفع ذلك رسالتي
وقيل هو من موسى على جهة الانكار اي اتمن علي بان ربيتني وليدا وانت قد استعبدت بني اسرائيل
وقتلتهم اي ليست بنعمة لان الواجب كان ان لا تقتلهم ولا تستعبدهم فانهم قومي فكيف تذكر احسانك
الي على الخصوص قال معناه قتادة وغيره وقيل فيه تقدير استفهام اي او تلك نعمة قاله الاخفش والفرا
ايضا وانكره النحاس وغيره قال النحاس وهذا لا يجوز لان الالف الاستفهام تحدث معنى وحذفها محال
الا ان يكون في الكلام ام كما قال ـــــــ الشاعر … تروح من الحي ام تبتكر
ولا اعلم بين النحويين خلافا في هذا الا شيا قاله الفرا قال يجوز حذف الف الاستفهام في افعال الشك
وحكى ترى زيدا منطلقا بمعنى اترى وكان علي بن سليمان يقول في هذا انما اخذه من الفاظ العامة قال
الثعلبي قال الفرا ومن قال انها انكار قال معناه او تلك نعمة على طريق الاستفهام كقوله اهذا ربي افهم
الخالدون قال ـــــــ الشاعر

رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع … فقلت وانكرت الوجوه هم هم
وانشد الغزنوي شاهدا على ترك الالف قولهم … لم انس يوم الرحيل وقفتها
وجفنها من دموعها شرق … وقولها والركاب واقفة
تركتني هذا او تنطلق … قال المؤلف رحمه الله ففي هذا حذف الف

اي حكم الله او علما وفهما

الاستفهام

الاستفهام مع عدم ام خلاف قول النحاس وقال الضحاك ان الكلام خرج مخرج التبكيت والتبكيت يكون
باستفهام وبغير استفهام والمعنى لو لم تقتل بني اسرائيل لرباني ابواي فاي نعمة لك علي فانت تمن علي
بما لا يجب ان تمن به وقيل كيف تمن علي بالتربية وقد اهنت قومي ومن اهين قومه ذل وان عبدت في موضع
رفع على البدل من نعمة ويجوز ان يكون في موضع نصب بمعنى لان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا يقال
عبدته واعبدته بمعنى قال ـــــــ الفرا وانشد

علام يعبدني قومي وقد كثرت … فيهم اباعر ما شاؤوا وعبدان

قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين لما غلب موسى فرعون بالحجة ولم يجد اللعين من تقريره على
التربية ونحو ذلك حجة رجع الى معارضة موسى في قوله رسول رب العالمين فاستفهمه استفهاما عن
مجهول من الاشيا قال مكي وغيره كما يستفهم عن الاجناس فلذلك استفهم بما قال مكي وقد ورد له استفهام
بمن في موضع اخر ويشبه انها مواطن فاتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها
مخلوق وقد سال فرعون عن الجنس ولا جنس لله سبحانه وتعالى لان الاجناس محدثة فعلم موسى جهله فاضرب
عن سؤاله واجابه بعظيم قدرة الله التي تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها فقال فرعون الا تستمعون
على معنى الاغراء والتعجب من سفه المقالة اذ كانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنة
قبله كذلك فزاد موسى في البيان بقوله ربكم ورب ابائكم الاولين فجاء بدليل يفهمونه عنه لانهم يعلمون انه
قد كان لهم ابا وانهم قد فنوا وانه لا بد من مغير وانهم قد كانوا بعدا ان لم يكونوا وانه لا بد لهم من مكون
فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف **قوله تعالى** ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
اي ليس يجيبني عما اسال فاجابه موسى عليه السلام عن هذا بان قال رب المشرق والمغرب اي ليس ملكه
كملكك لانك انما تملك بلدا واحدا لا يجوز امرك في غيره ويموت فيه من لا تحب موته والذي ارسلني
يملك المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وقيل علم موسى عليه السلام ان قصده في السؤال
معرفة من سال عنه فاجاب بما هو الطريق الى معرفة الرب اليوم ثم لما انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة
رجع الى الاستعلاء والتغلب فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليلك على ان هذا الاله ارسلك لان فيه الاعتراف
بان ثم الها غيره وفي توعده بالسجن ضعف وكان فيما يروى يفزع منه فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك
بوله وروي ان سجنه كان اشد من القتل فكان اذا سجن احدا لم يخرجه من سجنه حتى يموت فكان مخوفا ثم لما كان
عند موسى عليه السلام من امر الله سبحانه وتعالى ما لم يرعه توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع
في ايمانه او لو جئتك بشيء مبين فيتضح لك به صدقي فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد بها موضع معارضة
فقال له فات به ان كنت من الصادقين ولم يحتج الشرط الى جواب عند سيبويه لان ما تقدم يكفي منه
قوله تعالى فالقى عصاه من يده فكان ما اخبر الله من قصته وقد تقدم بيان ذلك وشرحه في الاعراف
الى اخر القصة وقول السحرة لما توعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل لا ضير اي لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب
الدنيا اي انما عذابك ساعة فنصبر لها وقد لقينا الله مومنين وهذا يدل على شدة استبصارهم وقوة
ايمانهم قال مالك دعا موسى عليه السلام فرعون اربعين سنة الى الاسلام وان السحرة امنوا به في يوم واحد
يقال لا ضير ولا ضر ولا ضور ولا ضارورة بمعنى واحد قاله الهروي وانشد ابو عبيدة

فانك لا يضورك بعد حول … اظبي كان امك ام حمار

قال الجوهري ضاره يضوره ويضيره ضورا وضيرا اي ضره قال الكسائي سمعت بعضهم يقول لا ينفعني
ذلك ولا يضورني والتضور الصياح والتلوي عند الضرب او الجوع والضورة بالضم الرجل الحقير الصغير
الشان **قوله تعالى** انا الى ربنا منقلبون يريد ننقلب الى رب كريم رحيم **قوله تعالى** انا
نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين ان في موضع نصب اي لان كنا واجاز الفرا كسرها
على ان تكون مجازاة ومعنى اول المومنين اي عند ظهور الاية ممن كان في جانب فرعون الفرا اول مومني
زماننا وانكره الزجاج وقال قد روي انه امن معه ستمائة الف وسبعون الفا وهم الشرذمة القليلون
الذين قال فيهم فرعون ان هولاء لشرذمة قليلون روي ذلك عن ابن مسعود وغيره **قوله تعالى**
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون لما كانت من سنته سبحانه وتعالى في عباده انجاء المومنين
المصدقين من اوليائه المعترفين برسالة رسله وانبيائه واهلاك الكافرين المكذبين لهم من اعدائه

امر موسي ان يخرج بني اسرائيل ليلا وسماهم عباده لانهم امنوا بموسي عليه السلم ومعني انكم متبعون اي
يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم وفي ضمن هذا الكلام تعريفهم ان الله ينجيهم منهم فخرج موسي عليه
السلام ببني اسرائيل سحرا فترك الطريق الي الشام علي يساره وتوجه نحو البحر وكان الرجل من بني اسرايل
يقول له في ترك الطريق فيقول هكذا امرت فلما اصبح فرعون وعلم بسري موسي ببني اسرائل خرج
في اثرهم وبعث الي مداين مصر ليلحقه العساكر فروي انه لحقه ومعه ماية الف ادهم من الخيل حاشي ساير الالوان
وروي ان بني اسرائيل كانوا ستماية الف وسبعين الفا والله اعلم بصحته وانما اللازم من الاية الذي يقطع
به ان موسي عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني اسرائيل وان فرعون تبعه باضعاف ذلك قال ابن عباس كان
مع فرعون الف جبار كلهم عليه تاج وكلهم امير خيل والشرذمة الجمع القليل المحتقر والجمع الشراذم قال الجوهري
الشرذمة الطايفة من الناس والقطعة من الشي وثوب شراذم اي قطع وانشد الثعلبي قول الراجز

جاء الشتاء وقميصي اخلاق   شراذم يضحك منها النواق

النواق من الرجال الذي يروض الامور ويصلحها قاله في الصحاح واللام في قوله لشرذمة لام تاكيد وكثيرا ما
تدخل في خبر ان الا الكوفيين لا يجيزون ان زيدا لسوف يقوم والدليل علي انه جايز قوله تعالي فلسوف
تعلمون وهذه لام التوكيد بعينها وقد دخلت علي سوف قاله النحاس **قوله تعالي** وانهم لنا
لغايظون اي اعداء لنا لمخالفتهم ديننا وذهابهم باموالنا التي استعاروها علي ما تقدم وماتت
ابكارهم تلك الليلة وقد مضي هذا في الاعراف وطه مستوفي يقال غاظني كذا واغاظني والغيظ
الغضب ومنه التغيظ والاغتياظ اي غاظونا بخروجهم من غير اذن **قوله تعالي** وانا لجميع
حاذرون اي مجتمع مستعد اخذنا حذرنا واسلحتنا وقرئ حاذرون معناه معني حذرون وقيل
حاذرنا اي علينا السلاح وحذرون اي فرقون اي خايفون قال الجوهري وقرئ وانا لجميع حاذرون
وحذرون وحذرون ايضا بضم الذال حكاه الاخفش ومعني حاذرون متاهبون ومعني حذرون خايفون
قال النحاس حذرون قراءة المدنيين وابي عمرو وقراءة الكوفيين حاذرون وهي معروفة عند عبد الله بن
مسعود وابن عباس وحادرون بالدال غير معجمة قراءة ابي عباد وحكاه المهدوي عن ابي عمار والماوردي
والثعلبي عن سميط بن عجلان قال النحاس ابو عبيدة يذهب الي ان معني حذرون وحاذرون واحد وهو
قول سيبويه واجاز هو حذر زيدا كما يقال حاذر زيدا وانشد

حذر امورا لا تضير وامن   ما ليس ينجيه من الاقدار

وزعم ابو عمر الجرمي انه يجوز هو حذر زيدا علي حذف من اما اكثر النحويين فيفرقون بين حذر وحاذر
منهم الكساي والفرا ومحمد بن يزيد فيذهبون الي ان معني حذر في خلقته الحذر اي متيقظ متنبه فاذا
كان هكذا لم يتعد ومعني حاذر مستعد وبهذا جاء التفسير عن المتقدمين قال عبد الله بن مسعود
في قول الله عز وجل وانا لجميع حاذرون قال مودون في السلاح والكراع مقوون فهذا ذاك بعينه وقوله
مودون معهم اداة وقد قيل ان المعني ان معنا سلاح وليس معهم سلاح يحرضهم علي القتال فاما حادرون
بالدال المهملة مشتق من قولهم عين حدرة اي ممتلية اي ممتلئون غيظا عليهم ومنه قول الشاعر

وعين لها حدرة بدرة   شقت مآقيهما من اخر

وحكي اهل اللغة انه يقال رجل حادر اذا كان ممتلي اللحم فيجوز ان يكون المعني الامتلا من السلاح المهدي
الحادر القوي الشديد **قوله تعالي** فاخرجناهم من جنات وعيون يعني من ارض مصر وعن عبد الله
بن عمرو قال وكانت الجنات بحافتي النيل في الشقتين جميعا من اسوان الي رشيد وبين الجنات زروع
وللنيل سبعة خلجان خليج الاسكندرية خليج سخا خليج دمياط خليج سردوس خليج منف خليج الفيوم
خليج المنهي متصلة لا ينقطع منها شي عن شي والزروع ما بين الخلجان كلها وقد كانت ارض مصر كلها
تروي من ستة عشر ذراعا بنيل السلطان بما قدروا ودبروا من قناطيرها وجسورها وخلجها ولذلك سمي
النيل واغلق ستة عشر ذراعا نيل السلطان ويخلع علي ابن ابي الرداد وهذه الحالة مستمرة الي الان
وانما قيل نيل السلطان لانه حينئذ يجب الخراج علي الناس وكانت ارض مصر جميعها تروي من اصبع واحد
من سبعة عشر ذراعا وكانت اذا اغلق النيل سبعة عشر ذراعا ونودي عليه اصبع واحد من ثمانية
عشر ذراعا ازداد في خراجها الف الف دينار فاذا خرج عن ذلك ونودي عليه اصبعا واحدا من تسعة

بعض من ارض مصر وتفصيل احواله

عشر ذراعا نقص خراجها الف الف دينار وسبب هذا ما كان ينصرف في المصالح والخلجان والجسور والاهتمام
بعمارتها فاما الان فان اكثرها لا يروي حتي ينادي اصابع من تسعة عشر ذراعا بمقياس مصر فاما اعمال
الصعيد الاعلي فان بها ما لا يتكامل ريه الا بعد دخول الماء في الذراع الثاني والعشرين بالصعيد الاعلي قال
المؤلف رحمه الله اما ارض مصر فلا تروي جميعها الان الا من عشرين ذراعا واصابع لعلو الارض وعدم الا
هتمام بعمارة جسورها وهو من عجايب الدنيا وذلك انه يزيد اذا انصبت المياه في جميع الارض حتي يسيح علي
ارض مصر وتبقي البلاد كالاعلام لا يوصل اليها الا بالمراكب والقياسات وروي عن عبد الله بن عمرو
بن العاص انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلل الله له الانهار
فاذا اراد الله عز وجل ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فامدته الانهار بمايها وفجر الله له عيونا فاذا
انتهي الي ما اراد الله عز وجل اوحي الله سبحانه وتعالي الي كل ماء ان يرجع الي عنصره وقال قيس بن الحجاج
لما افتتحت مصر اتي اهلها الي عمرو بن العاص حين دخل بؤنه من اشهر القبط فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا
سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا اذا كان لاثني عشر ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الي جارية
بكر بين ابويها ارضينا ابويها وحملنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال
لهم عمرو هذا شي لا يكون في الاسلام وان الاسلام ليهدم ما قبله فاقاموا بؤونة وابيب ومسري لا يجري
قليل ولا كثير وهموا بالجلا فلما راي ذلك عمرو بن العاص كتب الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعلمه بالقصة
فكتب اليه عمر بن الخطاب انك اصبت بالذي قد فعلت وان الاسلام يهدم ما قبله ولا يكون هذا وبعث
اليه بطاقة في داخل كتابه وكتب الي عمرو اني قد بعثت اليك ببطاقة في داخل كتابي فالقها في النيل اذا اتاك
كتابي هذا فلما قدم كتاب عمر الي عمرو بن العاص اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد عمر امير المومنين الي
نيل مصر اما بعد فان كنت انما تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك
فنسال الله الواحد القهار ان يجريك قال فالقي البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم وقد تهيا اهل مصر
للجلا والخروج منها لانه لا تقوم مصلحتهم فيها الا بالنيل فلما القي البطاقة في النيل اصبحوا يوم الصليب وقد
اجراه الله سبحانه وتعالي في ليلة واحدة ستة عشر ذراعا فقطع الله سبحانه وتعالي تلك عن اهل مصر
من تلك السنة فقال كعب الاحبار اربعة انهار من الجنة وضعها الله في الدنيا سيحان وجيحان والنيل
والفرات فسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة قال المؤلف رحمه الله الذي في الصحيح من
هذا حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار
الجنة لفظ مسلم في حديث الاسرا وفي حديث الاسرا من حديث انس عن مالك بن صعصعة رجل من قومه
قال وحدث نبي الله عليه السلام انه اذا راي اربعة انهار يخرج من اصلها نهران ظاهران ونهران
باطنان فقلت يا جبريل ما هذه الانهار فقال اما النهران الباطنان فنهران من الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات لفظ مسلم وقال البخاري من طريق شريك عن انس فاذا هو في السما الدنيا بنهرين يطردان
فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضي في السماء فاذا هو بنهر اخر
عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر
الذي خبا لك ربك وذكر الحديث والجمهور علي ان المراد بالعيون عيون الماء وقال سعيد بن جبير المراد
عيون الذهب وفي الدخان كم تركوا من جنات وعيون وزروع قيل انهم كانوا يزرعون ما بين الجبلين من
اول مصر الي اخرها وليس في الدخان وكنوز وكنوز اسم كنز وقد مضي في براءة والمراد بها هنا الخزاين وقيل
الدفاين وقال الضحاك الانهار وفيه نظر لان العيون يشملها ومقام كريم قال ابو عمرو بن عباس ومجاهد
المقام الكريم المنابر وكانت الف منبر لالف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه وقيل مجالس الامرا والروسا
حكاه ابن عيسي وهو قريب من الاول وقال سعيد بن جبير المنازل الحسان وقال ابن لهيعة سمعت ان المقام
الكريم الفيوم وقيل كان يوسف عليه السلام قد كتب في مجلس من مجالسه لا اله الا الله ابراهيم خليل الله
فسماها الله كريمة بهذا وقيل مرابط الخيل لتفرد الزعما بارتباطها عدة وزينة فصار مقامها اكرم
منزول ذكره الماوردي الاظهر انها المساكن الحسان كانت تكوم عليهم والمقام في اللغة يكون موضعا
ويكون مصدرا النحاس المقام في اللغة الموضع من قولك قام يقوم وكذلك المقامات واحدها مقامه
كما قال

وفيهما مقامات حسان وجوهها   واندية ينتابها القول والفعل

ورقه عمر بن الخطاب الى نيل المصر

والمقام ايضا المصدر من قام والمقام بالضم الموضع من اقام والمصدر ايضا من اقام يقيم قوله تعالى
كذلك واورثناها بني اسرائيل يريد ان جميع ما ذكره الله سبحانه وتعالى من الجنات والعيون والكنوز
والمقام الكريم اورثه الله بني اسرائيل قال الحسن وغيره رجع بنو اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون
وقومه وقيل اراد بالوراثة هنا ما استعاروه من حلي آل فرعون بامر الله تعالى قال المؤلف رحمه الله
وكلا الامرين حصل لهم والحمد لله قوله تعالى فاتبعوهم مشرقين اي فتبع فرعون وقومه
بني اسرائيل قال السدي حين اشرقت الشمس بالشعاع وقال قتادة حين اشرقت الشمس بالضياء قال
الزجاج شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت واختلف في تاخر فرعون وقومه عن موسى
وبني اسرائيل على قولين احدهما لاشتغالهم بدفن ابكارهم لان الوبا وقع في تلك الليلة فيهم فقوله
مشرقين حال لقوم فرعون الثاني ان سحابة اظلتهم وظلمة فقالوا نحن بعد في الليل فما تقشعت
عنهم حتى صبحوا وقال ابو عبيدة فاتبعوهم مشرقين ناحية المشرق وقرا الحسن وعمرو بن ميمون
فاتبعوهم مشرقين بالتشديد والف الوصل اي نحو المشرق ماخوذ من قولهم شرق وغرب اذا صار
نحو المشرق والمغرب ومعنى الكلام قدرنا ان يرثها بنو اسرائيل فاتبع قوم فرعون بني اسرائيل مشرقين
فهلكوا وورث بنو اسرائيل بلادهم قوله تعالى فلما تراءا الجمعان اي تقابلا الجمعان بحيث يرى كل فريق
صاحبه وهو تفاعل من الرؤية قوله تعالى قال اصحاب موسى انا لمدركون اي قرب منا العدو
ولا طاقة لنا بهم وقراءة جماعة لمدركون بالتخفيف من ادرك ومنه حتى اذا ادركه الغرق وقرا عبيد بن
عمير والاعرج والزهري لمدّركون بتشديد الدال من ادّرك قال الفرا حفر واحتفر بمعنى واحد
وكذلك لمدركون ولمدّركون بمعنى واحد النحاس وليس كذلك يقول النحويون الحذاق انما يقولون مدركون
ملحقون ومدّركون مجتهد في لحاقهم كما يقال كسبت بمعنى اصبت وظفرت واكتسبت بمعنى اجتهدت
وطلبت ومنه معنى قول سيبويه قوله تعالى قال كلا ان معي ربي سيهدين لما لحق فرعون بجمعه
جمع موسى وقرب منهم ورات بنو اسرائيل العدو القوي والبحر امامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسى على
جهة التوبيخ والجفا انا لمدركون فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه وتعالى له بالهداية
والظفر اي كلا اي لم يدركوكم ان معي ربي اي بالنصر على العدو سيهدين اي سيدلني على طريق النجاة
فلما عظم البلاء على بني اسرائيل وراوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها امر الله سبحانه وتعالى ان يضرب
البحر بعصاه وذلك انه اراد عز وجل ان تكون الاية متصلة بموسى ومتعلقة بفعل يفعله والا فضرب
العصا ليس بفارق للبحر ولا معين على ذلك بذاته الا بما اقترن به من قدرة الله سبحانه وتعالى واختراعه
وقد مضى في البقرة قصة هذا البحر ولما انفلق صار فيه اثنا عشر طريقا على عدد اسباط بني اسرائيل
ووقف الماء بينهما كالطود العظيم اي كالجبل العظيم والطود الجبل وقال امرؤ القيس

فبينا المرء في الاجياد طود ... رماه الناس عن كثب فمالا

وقال الاسود بن يعفر

حلوا بانقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من اطواد

جمع طود اي جبل فصار لموسى واصحابه طريقا في البحر يبسا فلما خرج اصحاب موسى وتكامل اخر اصحاب
فرعون على ما تقدم في يونس انصب عليهم وغرق فرعون فقال اصحاب موسى ما غرق فرعون فنبذ على
ساحل البحر حتى نظروا اليه وروى ابن القاسم عن مالك قال خرج مع موسى عليه السلام رجلان من
التجار الى البحر فلما اتوه اليه قالا له بما امرك الله قال امرت ان اضرب البحر بعصاي هذه فيجف
فقالا له افعل ما امرك ربك ثم القيا انفسهما في البحر تصديقا فما زال كذلك البحر حتى دخل فرعون
ومن معه ثم ارتد كما كان وقد مضى هذا المعنى في البقرة قوله تعالى وازلفنا ثم الاخرين
اي قربناهم الى البحر يعني فرعون وقومه قاله ابن عباس وغيره قال الشاعر

وكل يوم مضى وليلة سلفت ... فيها النفوس الى الاجال تزدلف

ابو عبيدة ازلفنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزدلفة جمع وقرا ابو عبد الله بن الحارث وابي بن كعب
وابن عباس وازلقنا بالقاف على معنى اهلكناهم من قولهم ازلقت الفرس فهي مزلق اذا القت
ولدها قوله تعالى وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين يعني فرعون وقومه
قوله تعالى ان في ذلك لاية اي علامة على قدرة الله سبحانه وتعالى قوله تعالى وما

ولما انفلق البحر صار فيه اثني عشر طريقا

كان اكثرهم مؤمنين لانه لم يؤمن من آل فرعون الا مؤمن آل فرعون وكان اسمه حزقيل وابنته
آسية امراة فرعون ومريم ابنة ذا موسى العجوز التي دلت على قبر يوسف الصديق عليه السلام
وذلك ان موسى عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل من مصر اظلم عليهم القمر فقال لقومه ما هذا فقال
علماؤهم ان يوسف عليه السلام لما حضره الموت اخذ علينا موثقا من الله انا لا نخرج من مصر حتى ننقل
عظامه قال موسى فايكم يدري اين قبره قالوا ما يعلمه الا عجوز لبني اسرائيل فارسل اليها فقال
دليني على قبر يوسف قالت لا والله لا افعل حتى تعطيني حكمي قال وما حكمك قالت حكمي ان اكون معك
في الجنة فثقل عليه فقيل له اعطها حكمها فدلتهم عليه فاحتفروه واخرجوا عظامه فلما اقلوها فاذا
الطريق مثل ضوء النهار في رواية فاوحى الله اليه ان اعطها ففعل فاتت بهم الى بحيرة فقالت انضبوا هذا
الماء فانضبوه واستخرجوا عظام يوسف عليه السلام فتبينت لهم الطريق مثل ضوء النهار وقد مضى
في سورة يوسف فروى ابو بردة عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك قال ناقة ارحلها
وعنز احلبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عجزت ان تكون مثل عجوز بني اسرائيل فقال اصحابه
وما عجوز بني اسرائيل فذكر لهم حال هذه العجوز احتكمت على موسى ان تكون معه في الجنة قوله تعالى
واتل عليهم نبا ابراهيم نبه المشركين على فرط جهلهم اذ رغبوا عن اعتقاد ابراهيم ودينه وهو ابوهم
والنبا الخبر اي اقصص عليهم يا محمد خبره وحديثه وعيبه على قومه ما تعبدون وانما قال ذلك ملزما
لهم الحجة والجمهور من القراء على تحقيق الهمزة الثانية وهو احسن الوجوه لانهم قد اجمعوا على تخفيف
الثانية من كلمة واحدة نحو آدم وان شئت حققتهما فقلت نبا ابراهيم وان شئت حققت
الاولى وثم وجه خامس الا انه بعيد في العربية وهو ان تدغم الهمزة في الهمزة كما يقال راس للذي يبيع
الراس وانما بعد لانك تجمع بين همزتين كانهما في كلمة واحدة وحسن في فعال لانه لا يأتي الا مدغما
قوله تعالى اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شيء تعبدون قوله تعالى
قالوا نعبد اصناما وكانت اصنامهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب قوله تعالى
فنظل لها عاكفين اي فنقيم على عبادتها وليس المراد وقتا معينا بل هو اخبار عما هم فيه وقيل كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل وكانوا في الليل يعبدون الكواكب يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات
يفعل كذا اذا فعله ليلا قوله تعالى قال هل يسمعونكم قال الاخفش فيه حذف والمعنى هل
يسمعون منكم او هل يسمعون دعاءكم كما قال الشاعر

القائد الخيل منكوبا دوابرها ... قد احكمت حكمات القد والابقا

قال والابق الكتان فحذف والمعنى واحكمت حكمات الابق وفي الصحاح الابق بالتحريك القنب
وروي عن قتادة انه قرا هل يسمعونكم بضم اليا اي هل يسمعونكم اصواتهم قوله تعالى اذ تدعون
او ينفعونكم او يضرون اي هل تنفعكم هذه الاصنام وترزقكم او تملك لكم ضرا ان عصيتم
وهذا استفهام لتقرير الحجة فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها قوله تعالى قالوا
بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فنزعوا الى التقليد من غير حجة ولا دليل وقد مضى القول فيه
قال افرايتم ما كنتم تعبدون من هذه الاصنام قوله تعالى انتم واباؤكم
الاقدمون الاولون فانهم عدو لي واحد يؤدي عن جماعة وكذلك يقال للمراة هي عدو الله وعدوة
الله حكاهما الفرا قال علي بن سليمان من قال عدوة فاثبت الهاء قال هي بمعنى معادية ومن قال
عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى النسب ووصف الجماد بالعداوة بمعنى انهم عدو لي ان عبدتهم
يوم القيامة كما قال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفرا هو من المقلوب
مجازه فاني عدو لهم لان من عاديته عاداك ثم قال الا رب العالمين قال الكلبي اي الا من عبد رب العالمين
اي الا عابد رب العالمين فحذف المضاف قال ابو اسحق الزجاج قال النحويون هو استثناء ليس من الاول
واجاز ابو اسحاق ان يكون من الاول على انهم كانوا يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الاصنام
فاعلمهم انه تبرا مما يعبدون الا الله وتاوله الفرا على الاصنام وحدها والمعنى عنده فانهم لو
عبدتهم عدو لي يوم القيامة على ما ذكرنا وقال الجرجاني تقديره افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لي لان من عبدون وسوى كقوله لا يذوقون

فيها الموت الا الموتة الاولى اي دون الموتة الاولى **قوله تعالى** الذي خلقني فهو يهدين اي يرشدني الى الدين **قوله تعالى** والذي هو يطعمني ويسقين اي يرزقني ودخول هو تنبيه على ان غيره لا يطعم ولا يسقي كما تقول زيد هو الذي فعل كذا اي لم يفعله غيره **قوله تعالى** واذا مرضت فهو يشفين قال مرضت رعاية الادب والا فالمرض والشفاء من الله عز وجل جميعا ونظير هذا قول فتى موسى وما انسانيه الا الشيطان **قوله تعالى** والذي يميتني ثم يحيين يريد البعث وكانوا ينسبون الموت الى الاسباب فبين ان الله هو الذي يحيي ويميت وكله بغير ياء يهدين يشفين لان الحذف في رؤس الاي حسن لتتفق كلها وقرا ابن ابي اسحاق على جلالته وقدره ومحله من العربية هذه كلها بالياء لان الياء اسم وانما دخلت النون لعلة فان قيل فهذه صفة لجميع الخلق فكيف جعلها ابراهيم دليلا على هدايته ولم يهتد بها غيره وقيل انما ذكرها احتجاجا على وجوب الطاعة لان من انعم وجب ان يطاع ولا يعطي ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها وهذا الزام صحيح قال المؤلف رحمه الله وتجوز بعض اهل الاشارات في غوامض المعاني فعدل عن ظاهر ما ذكرناه الى ما تدفعه بداية العقول من انه ليس المراد من ابراهيم فقال والذي هو يطعمني ويسقين اي يطعمني لذة الايمان ويسقيني حلاوة القبول ولهم في قوله واذا مرضت فهو يشفين وجهان احدهما اذا مرضت بمخالفته شفاني برحمته الثاني اذا مرضت بمقاساة الخلق شفاني بمشاهدة الحق وقال جعفر بن محمد الصادق اذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة وتاولوا قوله والذي يميتني ثم يحيين على ثلاثة اوجه فالذي يميتني بالمعاصي يحيي بالطاعات الثاني يميتني بالخوف يحيي بالرجاء الثالث يميتني بالطمع ويحيي بالقناعة وقول رابع يميتني بالعدل ويحييني بالفضل وقول خامس يميتني بالفراق ويحييني بالتلاق وقول سادس يميتني بالجهل ويحيي بالعقل الى غير ذلك مما ليس شيء منه مرادا من الاية فان هذه التاويلات الغامضة والامور الباطنة انما تكون لمن صدق وعرف الحق واما من كان في عمى عن الحق ولا يعرف الحق فكيف ترمز له الامور الباطنة وتترك الامور الظاهرة هذا محال والله اعلم **قوله تعالى** والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين الطمع اي ارجو وقيل هو بمعنى اليقين في حقه وبمعنى الرجاء في حق المؤمنين سواه وقرا الحسن وابن ابي اسحق خطاياي وقال ليست خطيئة واحدة قال النحاس خطيئة بمعنى خطايا معروف في كلام العرب وقد اجمعوا على التوحيد في قوله عز وجل فاعترفوا بذنبهم معناه بذنوبهم وكذا واقيموا الصلاة معناه الصلوات وكذا خطيئتي ان كانت خطايا والله اعلم فالظاهر يعني خطيئته قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم وقوله ان سارة اخته زاد الحسن وقوله للكواكب هذا ربي وقد مضى بيان هذا مستوفى وقال الزجاج الانبياء بشر فيجوز ان تقع منهم الخطيئة نعم لا تجري عليهم الكبائر لانهم معصومون عنها يوم الدين يوم الجزاء حيث يجازي العباد باعمالهم وهذا من ابراهيم اظهار العبودية وان كان يعلم انه مغفور له وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين **قوله تعالى** رب هب لي حكما والحقني بالصالحين حكما معرفة بك وبحدودك واحكامك قاله ابن عباس وقال مقاتل فهما وعلما وهو راجع الى الاول وقال الكلبي نبوة ورسالة الى الخلق والحقني بالصالحين اي من قبلي في الدرجة وقال ابن عباس باهل الجنة وهو تاكيد قوله رب هب لي حكما **قوله تعالى** واجعل لي لسان صدق في الاخرين قال ابن عباس هو اجتماع الامم عليه وقال مجاهد الثناء الحسن قال ابن عطية هو الثناء وقيل علو المكان باجماع المفسرين وكذلك اجاب الله دعوته وكل امة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكي وقيل معناه سؤاله ان يكون من ذريته في اخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت الدعوة في محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وهذا معنى حسن الا ان لفظ الاية لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ وقال القشيري اراد الدعاء الحسن الى قيام الساعة فان زيادة الثواب مطلوبة في حق كل احد قال المؤلف رحمه الله ذلك اذ ليس احد يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلي على ابراهيم وخاصة في الصلوات وعلى المنابر التي هي افضل الحالات وارفع المقامات والصلاة دعاء بالرحمة والمراد باللسان القول واصله جارحة الكلام قال القتبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة وقد تكني العرب بها عن الكلمة قال الاعشى

اني اتتني لسان لا اسر بها ... من علو لا عجب منها ولا سخر

وقال الجوهري يروى ان علو بضم الواو وفتحها وكسرها اي اتاني خبر من اعلى والتانيث للكلمة وكان اتاه خبر بقتل اخيه المنتشر روى اشهب عن مالك قال الله عز وجل واجعل لي لسان صدق في الاخرين لا باس ان يحب الرجل ان يثنى عليه صالحا ويرى في عمل الصالحين اذا قصد به وجه الله تعالى وقد قال الله سبحانه وتعالى والقيت عليك محبة مني وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي في قلوب عباده وثناء حسنا فنبه تعالى بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل الليث بن سليمان اذ هي الحياة الثانية قيل قد كان قوم وهي في الناس احياء قال ابن العربي وقال المحققون من شيوخ الزهاد في هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثناء الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث وفي رواية انه كذلك في الغرس والزرع وكذلك فيمن مات مرابطا يكتب له عمله الى يوم القيامة وقد بيناه في اخر ال عمران والحمد لله **قوله تعالى** واجعلني من ورثة جنة النعيم دعا بالجنة وبمن يرثها وهو يرد قول بعضهم لا اسال جنة ولا نارا **قوله تعالى** واغفر لابي انه كان من الضالين كان ابوه وعده في الظاهر ان يؤمن به فاستغفر له لهذا فلما بان انه لا يفي بما قال تبرا منه وقد تقدم هذا المعنى انه كان من الضالين اي المشركين وكان زائدة **قوله تعالى** ولا تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني على رؤس الاشهاد ولا تعذبني يوم القيامة وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم يرى اباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة الغبرة هي القترة وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم اباه فيقول يا رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله عز وجل اني حرمت الجنة على الكافرين انفرد بهما البخاري **قوله تعالى** يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم بدل من يوم الاول اي يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا والمراد بقوله ولا بنون الاعوان لان الابن اذا لم ينفع فغيره متى ينفع وقيل ذكر البنين لانه جرى والد ابراهيم اي لم ينفعه ابراهيم الا من اتى الله بقلب سليم هو استثناء من الكافر اي لا ينفعه ماله ولا بنوه وقيل هو استثناء من غير الجنس اي لكن من اتى الله بقلب سليم ينفعه لسلامة قلبه وخص القلب بالذكر لانه اذا سلم سلمت الجوارح وقد تقدم في اول البقرة واختلف في القلب السليم فقيل من الشرك والشك فاما الذنوب فليس يسلم منها احد قاله قتادة وابن زيد واكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب القلب السليم الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق قال الله سبحانه وتعالى في قلوبهم مرض وقال ابو عثمان السيادي هو القلب الخالي عن البدعة المطمئن الى السنة وقال الحسين سليم من افة المال والبنين وقال الجنيد السليم في اللغة اللديغ فمعناه انه قلب كاللديغ من خوف الله وقال الضحاك السليم الخالص قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا القول يجمع شتات الاقوال بعمومه وهو حسن اي الخالص من الاوصاف الذميمة والمتصف بالاوصاف الجميلة والله اعلم وقد روي عن عروة انه قال يا بني لا تكونوا لعانين فان ابراهيم لم يلعن شيئا قط وقال الله سبحانه وتعالى اذ جاء ربه بقلب سليم وقال محمد بن سيرين القلب السليم ان يعلم ان الله حق وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة اقوام افئدتهم مثل افئدة الطير يريد والله اعلم انها مثلها في انها خالية عن كل ذنب سالمة من كل عيب لا خبرة لهم بامور الدنيا كما روى انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وهو حديث صحيح اي البله عن معاصي الله تعالى قال الازهري الابله هنا هو الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه وقال القتبي البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس **قوله تعالى** وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وادنيت لهم ليدخلوها وقال الزجاج قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها **قوله تعالى** وبرزت الجحيم اي اظهرت الجحيم يعني جهنم للغاوين اي الكافرين الذين ضلوا عن الهدى اي تظهر جهنم لاهلها قبل ان يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر اهل الجنة الفرح لعلمهم انهم يدخلون الجنة **قوله تعالى** وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله اي من الاصنام والانداد

هل ينصرونكم من عذاب الله او ينتصرون **قوله تعالى** وَكُبْكِبُوا فِيهَا اي قلبوا على رؤسهم وقيل
دهوروا القي بعضهم على بعض وقيل جمعوا مأخوذ من الكبكبة وهي الجماعة قال الهروي قال النحاس هو
مشتق من كوكب الشيء اي معظمه والجماعة من الخيل كوكب وكبكبة وقال ابن عباس جمعوا فطرحوا في النار
وقال مجاهد دهدهوا وقال مقاتل قذفوا والمعنى واحد تقول دهورت الشيء اذا جمعته ثم قذفته في مهواه
يقال هو يدهور اللقم اذا كبرها ويقال في الدعاء كب الله عدو المسلمين ولا يقال اكبه وكبكبه اي
قلبه ومنه قوله سبحانه وتعالى فكبكبوا والاصل كببوا فابدل من الباء الوسطى كافا استثقالا لاجتماع
الباءات قال السدي الضمير في كبكبوا لمشركي قريش والغاوون الالهة **قوله تعالى** وَجُنُودُ إِبْلِيسَ من
كان من ذريته وقيل كان كل من عاد عاه الى عبادة الاصنام فاتبعه وقال قتادة ومقاتل والكلبي
الغاوون هم الشياطين وقيل انما يلقى الاصنام في النار وهي حديد ونحاس ليعذب بها غيرهم **قوله تعالى**
قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ يعني الانس والشياطين والمعبودين اختصموا حينئذ تالله حلفوا بالله ان
كنا لفي ضلال مبين اي في خسار وتبار وحيرة عن الحق بينه اذ اتخذنا مع الله الهة فعبدناها كما نعبد
وهذا هو معنى قوله **قوله تعالى** إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ اي في العبادة وانتم لا تستطيعون الان
نصرنا ولا نصر انفسكم **قوله تعالى** وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ يعني الشياطين الذين زينوا لنا
عبادة الاصنام وقيل اسلافنا الذين قلدناهم قال ابو العالية وعكرمة المجرمون ابليس وابن ادم
القاتل هما اول من سن الكفر والقتل وانواع المعاصي **قوله تعالى** فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ اي
شفعاء يشفعون لنا من الملائكة والنبيين والمومنين **قوله تعالى** وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ اي صديق مشفق
وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول عليكم بالاخوان فانهم عدة الدنيا وعدة الاخرة الا تسمع قول
اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم الزمخشري جمع الشافع لكثرة الشافعين ووحد الصديق
لقلته الا ترى الى الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم مغيث جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له
وحسبه وان لم يسبق باكثرهم معرفة واما الصديق فهو الصادق في وداده الذي يهمه ما يهمك فاعز
من بيض الانوق وعن بعض الحكما انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع والحميم القريب الخاص ومنه حامة الرجل اي اقرباؤه واصل هذا من الحميم وهو الماء الحار ومنه
الحمام والحمى فالحامة الرجل الذي يحرقهم كما احرقه كما يقال هم حزانته اي يحزنهم ما يحزنه ويقال حم الشيء
واحم اذا قرب ومنه الحمى لانها تقرب من الاجل وقال علي بن عيسى انما سمي القريب حميما لانه يحمى بغضب
صاحبه فجعله ماخوذا من الحمية وقال قتادة يذهب الله عز وجل يوم القيامة مودة الصديق ورقة
الحميم ويجوز ولا صديق حميم بالرفع على موضع من شافعين لان من شافعين في موضع رفع وجمع صديق
اصدقا وصدقاء وصداق ولا يقال اصدق للفرق بين النعت وغيره وحكى الكوفيون انه يقال في جمعه صدقا
النحاس وهذا بعيد لان هذا جمع ما ليس بنعت نحو رغيف ورغفان وحكوا ايضا صديق واصادق وافاعل
انما هو جمع افعل اذا لم يكن نعتا نحو اشجع واشاجع ويقال صديق للواحد والجماعة والمراة قال الشاعر

نصبنا الهوى ثم ارتمين قلوبنا … باعين اعدا وهن صديق

ويقال فلان صديقي اي اخص اصدقائي وانما يصغر على جهة المدح كقول حباب بن المنذر

انا جذيلها المحكك … وعذيقها المرجب

ذكره الجوهري النحاس وجمع حميم احما واحمة وكرهوا فعلا فيه التضعيف **قوله تعالى** فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً
ان في موضع رفع والمعنى فلو وقع لنا رجوع الى الدنيا الا منا حتى يكون لنا شفعاء تمنوا حين لا ينفعهم التمني وانما
قالوا ذلك حين تشفع الملائكة والمومنون قال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليقول
في الجنة ما فعل فلان وصديقه في الجحيم فلا يزال يشفع له حتى يشفعه الله فيه فاذا نجا قال المشركون ما لنا
من شافعين ولا صديق حميم وقال الحسن ما اجتمع ملا على ذكر الله فيهم عبد من اهل الجنة الا شفعه الله فيهم
وان اهل الايمان يشفع بعضهم في بعض وهم عند الله شافعون مشفعون قال كعب ان الرجلين كانا
صديقين في الدنيا فيمر احدهما بصاحبه وهو يجر الى النار فيقول له اخوه والله ما بقي لي الا حسنة واحدة
انجو بها خذها يا اخي فتنجو بها فما ادري وابقى انا واياك من اصحاب الاعراف قال فيامر الله بهما جميعا فيدخلان
الجنة **قوله تعالى** إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له

الرحيم تقدم والحمد لله وحده **قوله تعالى** كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ قال كذبت والقوم مذكر لان المعنى
كذبت جماعة قوم نوح وقال المرسلين لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل لان كل رسول يامر بتصديق
جميع الرسل وقيل كذبوا نوحا في النبوة وفيما اخبرهم به من مجي المرسلين بعده وقيل ذكر الجنس والمراد نوح
وقد مضى هذا في الفرقان **قوله تعالى** إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ اي ابن ابيهم وهي اخوة نسب لا اخوة
دين وقيل هي اخوة المجانسة قال الله سبحانه وتعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقد مضى هذا
في الاعراف وقيل هو من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم الزمخشري ومنه بيت الحماسة

لا يسالون اخاهم حين يندبهم … في النائبات على ما قال برهانا

الا تتقون اي الا تتقون الله في عبادة الاصنام **قوله تعالى** إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ اي صادق
فيما ابلغكم عن الله سبحانه وتعالى وقيل امين فيما بينكم فانهم كانوا عرفوا امانته وصدقه من قبل كمحمد
صلى الله عليه وسلم في قريش فاتقوا الله اي استتروا بطاعة الله تعالى من عقابه واطيعون فيما امركم به من
الايمان **قوله تعالى** وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ اي لا طمع لي فيما لكم ان اجري اي ما جزاي الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون كرر تاكيدا **قوله تعالى** قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ فيه مسالتان
الاولى قوله تعالى انؤمن لك اي نصدق قولك واتبعك الارذلون الواو للحال وفيه اضمار قد اي وقد
اتبعك الارذلون جمع الارذل والمكسر اراذل والانثى الرذلى والجمع الرذل قال النحاس ولا يجوز حذف
الالف واللام في شي من هذا عند احد من النحويين علمناه وقرا ابن مسعود والضحاك ويعقوب الحضرمي
وغيرهم واتباعك الارذلون النحاس وهي قراءة حسنة وهذه الواو اكثرها يتبعها الاسما والافعال
بقد واتباع جمع تبع وتبع يكون للواحد والجمع قال الشاعر

له تبع قد يعلم الناس انه … على من يدانى صيف وربيع

النحاس وهي قراءة حسنة وهذه الواو كثير تتبعها الاسما والافعال بقد واساغ والى ارتفاع اتباعك
يجوز ان يكون بالابتداء والارذلون الخبر والتقدير انومن لك وانما اتباعك الارذلون ويجوز ان يكون
معطوفا على الضمير في انومن لك التقدير انومن نحن لك واتباعك الارذلون فنعد منهم وحسن ذلك
الفصل بقوله لك وقد مضى القول في الارذال في هود مستوفا ونزيد ها هنا بيانا وهي **المسالة الثانية**
فقيل ان الذين امنوا به بنوه ونساؤه وكنائنه وبنو ابنيه واختلف هل كان معهم غيرهم ام لا وعلى اي الوجهين
كان فالكل صالحون وقد قال نوح رب نجني ومن معي من المومنين الذين امنوا به معه هم الذين اتبعوه
ولا يلحقهم من قول الكفرة شين ولا ذم بل الارذلون هم المكذبون لهم قال السهيلي وقد اغرى كثير من
من العوام بمقالة رويت في تفسير هذه الاية هم الحاكة والحجامون ولو كانوا حاكة كما زعموا لكان ايمانهم
بنبي الله واتباعهم له شرفا كما تشرف بلال وسلمان بسبقهما للاسلام فهما من وجوه اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ومن اكابرهم فلا ذرية نوح كانوا حاكة ولا حجامين ولا قول الكفرة في الحاكة والحجامين
ان كانوا بهم ارذلون ما يلحق اليوم بحاكتنا ذما ولا نقصا لان هذه حكاية عن قول الكفرة الا ان يجعل الكفرة
حجة ومقالتهم اصلا وهذا جهل عظيم وقد اعلم الله سبحانه وتعالى ان الصناعات ليست بضائرة في الدين
قوله تعالى قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ كان زائدة والمعنى وما علمي بما يعملون اي لم اكلف
العلم باعمالهم انما كلفت ان ادعوهم الى الايمان والاعتبار بالايمان لا بالحرف والصنائع وكانهم قالوا
انما اتبعك هاؤلاء الضعفا طمعا في العزة والمال فقال اني لم اقف على باطن امرهم وانما الي ظاهرهم
وقيل المعنى لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويرشدهم ويغويكم ويوفقهم ويخذلكم **قوله تعالى**
إِنْ حِسَابُهُمْ اي في اعمالهم وايمانهم **قوله تعالى** إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وجواب لو محذوف
اي لو شعرتم ان حسابهم على ربهم لما عبتموهم بصنائعهم وقراءة العامة تشعرون بالتاء على المخاطبة
للكفار وهو الظاهر وقرا ابن ابي عبلة ومحمد بن السميقع لو يشعرون بالياء كانه خبر عن الكفار
وترك الخطاب لهم نحو قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وروي ان رجلا سال سفيان عن امراة
زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار فقال سفيان ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون
قوله تعالى وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ اي لخساسة احوالهم واشغالهم وكانهم طلبوا منه طرد
الضعفا كما طلبته قريش **قوله تعالى** إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ يعني ان الله ما ارسلني اخص ذوي الغنى

دون الفقر انما انا رسول ابلغكم ما ارسلت به فمن اطاعني فذلك السعيد عند الله وان كان فقيرا

قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا نوح عن سب الهتنا وعيب ديننا لتكونن من المرجومين اي بالحجارة قاله قتادة وقال ابن عباس ومقاتل من المقتولين قال الثمالي كل المرجومين في القران فهو القتل الا في مريم لئن لم تنته لارجمنك اي لاسبنك وقيل من المرجومين من المشتومين قاله السدي ومنه قول ابي داود قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين قال ذلك لما يئس من ايمانهم والفتح الحكم وقد تقدم قوله تعالى فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون يريد السفينة وقد مضى ذكرها والمشحون المملوء والشحن ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يونث الفلك هاهنا لان الفلك هاهنا واحد لا جمع قوله تعالى ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد انجائنا نوحا ومن امن معه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت عاد المرسلين التانيث بمعنى القبيلة والجماعة وتكذيبهم المرسلين كما تقدم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين بين المعنى وقد تقدم قوله تعالى اتبنون بكل ريع اية تعبثون الريع ما ارتفع من الارض في قول ابن عباس وغيره جمع ريعة وكم ريع ارضك اي كم ارتفاعها وقال قتادة والريع الطريق وهو قول الضحاك والكلبي ومقاتل والسدي وقاله ابن عباس ايضا ومنه قول المسيب بن علس شعر

في الال يخفضها ويرفعها ... ريع يلوح كانه سحل

قال الشاعر

طراق الخوافي مشرف فوق ريعة ... ندي ليله في ريشه يترقرق

وقال عمارة الريع الجبل الواحد ريعة والجمع رياع وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين وعنه الثنية الصغير وعنه المنظرة وقاله عكرمة ومقاتل وكانوا يهتدون بالنجوم اذا سافروا فبنوا على الطريق اميالا طوالا عبثا ليهتدوا بها يدل عليه قوله اية اي علامة وعن مجاهد الريع بنيان الحمام دليله تعبثون اي تلعبون اي تبنون بكل مكان مرتفع اية اي علما تلعبون بها على معنى ابنية الحمام وبروجها وقيل تعبثون بمن يمر بالطريق اي تبنون بكل موضع مرتفع لتشرفوا على السابلة فتسخروا منهم قال الكلبي انه عبث العشارين باموال من يمر بهم ذكره الماوردي وقال ابن الاعرابي الريع الصومعة والريع البرج من الحمام يكون في الصحراء والريع التل العالي وفي الريع لغتان كسر الراء وفتحها وجمعه ارياع ذكره الثعلبي قوله تعالى وتتخذون مصانع اي منازل قاله الكلبي وقيل حصونا مشيدة قاله ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشاعر

تركن ديارهم منهم قفارا ... وهدمن المصانع والبروجا

وقيل قصورا مشيدة وقاله مجاهد ايضا وعنه بروج الحمام وقاله السدي قال الشيخ القرطبي رحمه الله وفيه بعد عن مجاهد لانه تقدم عنه في الريع بنيان الحمام فيكون تكرارا في الكلام وقال قتادة ما جعل للعلماء تحت الارض وكذا قال الزجاج انها مصانع الماء واحدتها مصنعة ومصنع ومنه قول لبيد

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

الجوهري المصنع كالحوض يجمع فيه ماء المطر وكذلك المصنعة بضم النون والمصانع الحصون وقال ابو عبيد يقال لكل بناء مصنعة حكاه المهدوي وقال عبد الرزاق المصانع عندنا بلغة اهل اليمن القصور العادية قوله تعالى لعلكم تخلدون اي تخلدون وقيل لعل استفهام بمعنى التوبيخ اي فهل تخلدون كقولك لعلك تشتمني اي هل تشتمني روي معناه عن ابن زيد وقال الفراء كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتادة كانكم خالدون باقون فيها وفي بعض القران كانكم تخلدون ذكره النحاس وحكى قتادة انها كانت في بعض القراءات كانكم خالدون قوله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين البطش السطوة والاخذ بالعنف وقد بطش به يبطش ويبطش بطشا وباطشه مباطشة وقال ابن عباس ومجاهد البطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط ومعنى ذلك فعلتم ذلك ظلما وقال مجاهد ايضا هو ضرب السياط ورواه مالك عن انس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي وقيل هو القتل بالسيف في غير حق حكاه يحيى بن سلام وقال الكلبي والحسن هو القتل على الغضب من غير تثبت وكله يرجع الى قول ابن عباس وقيل انه المواخذة على العمد والخطا من غير عفو

قال الشيخ القرطبي رحمه الله

ولا ابقاء قاله ابن عباس العربي وبويد ما قال مالك قول الله سبحانه وتعالى ذكره عن موسى فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وذلك ان موسى عليه السلام لم يسل عليه سيفا ولا طعنه برمح وانما وكزه وكانت منيته في وكزته والبطش باليد واقله الوكز والدفع ويليه السوط والعصا ويليه الحديد والكل مذموم الا بحق والاية نزلت خبرا عمن تقدم من الامم ووعظا من الله عز وجل في مجانبة ذلك الفعل الذي ذمهم به وانكره عليهم قال المؤلف رحمه الله وهذه الاوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الامة لا سيما في الديار المصرية وليتها البحرية فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك يكون كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رووسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا واخرج ابو داود من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم جبارين قتالين والجبار القتال في غير حق وكذلك قوله سبحانه وتعالى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قاله الهروي وقيل الجبار المتسلط العالي ومنه قوله تعالى وما انت عليهم بجبار اي بمسلط قال الشاعر

سلبنا من الجبار بالسيف ملكه ... عشيا واطراف الرماح شوارع

قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون تقدم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي من الخيرات ثم فسرها فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اي سخر لكم ذلك وتفضل بها عليكم فهو الذي يجب ان يعبد ويشكر ولا يكفر قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان كفرتم به واصررتم على ذلك قوله تعالى قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين كل ذلك عندنا سواء لا نسمع منك ولا نلوي على ما تقوله وروى العباس عن ابي عمرو وبشر عن الكسائي اوعظت مدغمة الظاء في التاء وهو بعيد لان الظاء حرف اطباق انما يدغم فيما قرب منه جدا وكان مثله ومخرجه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين اي دينهم عن ابن عباس وغيره وقال الفراء عادة الاولين وقرا ابن كثير والكسائي وابو عمرو خلق الاولين الباقون خلق الاولين قال الهروي وقوله عز وجل ان هذا الا خلق الاولين اي اختلاقهم وكذبهم ومن قرا خلق الاولين فمعناه عادتهم والعرب تقول حدثنا فلان باحاديث الخلق اي بالخرافات والاحاديث المفتعلة وقال ابن الاعرابي الخلق الدين والخلق الطبع والخلق المروءة وقال النحاس خلق الاولين عند الفراء بمعنى عادة الاولين وحكى محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد قال خلق الاولين مذهبهم وما جرى عليه امرهم قال ابو جعفر القولان متقاربان ومنه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا اي احسنهم مذهبا وعادة وما يجري عليه الامر في طاعة الله عز وجل ولا يجوز ان يكون من كان حسن الخلق فاضلا وان لا يكون اكمل ايمانا من السيئ الخلق الذي ليس بفاجر قال ابو جعفر وحكى لنا عن محمد بن يزيد ان معنى خلق الاولين تكذيبهم وتخرصهم غير انه كان يميل الى القراءة الاولى لان فيها مدح ابائهم واكثر ما جاء القران في صفة مدحهم لابائهم وقولهم انا وجدنا اباءنا على امة وعن ابي قلابة انه قرا خلق الاولين بضم الخاء وسكون اللام تخفيف خلق ورواها ابن جبير عن اصحاب نافع عن نافع وقد قيل ان معنى خلق الاولين دين الاولين ومنه قوله فليغيرن خلق الله اي دين الله وخلق الاولين عادة الاولين حياة ثم موت ولا بعث وقيل ما هذا الذي انكرت علينا من البنيان والبطش الا عادة من قبلنا فنحن نقتدي بهم قوله تعالى وما نحن بمعذبين على ما نفعل وقيل المعنى خلق اجسام الاولين اي ما خلقنا الا كخلق الاولين الذين خلقوا قبلنا وماتوا ولم ينزل بهم شيء مما تحذرنا به من العذاب قوله تعالى فكذبوه فاهلكناهم اي بريح صرصر عاتية على ما ياتي في الحاقة قوله تعالى ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين قال بعضهم اسلم معه ثلاثة الاف وستون وهلك باقيهم وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين ذكر قصة صالح وقومه وهم ثمود وكانوا يسكنون الحجر كما تقدم في الحجر وهي ذوات نخل وزروع ومياه قوله تعالى اتتركون فيما هاهنا يعني في الدنيا امنين من الموت والعذاب قال ابن عباس كانوا معمرين لا يبقى البنيان مع اعمارهم ودل على هذا قوله سبحانه وتعالى واستعمركم

فيها فتقرعهم صالح ووبخهم وقال اتظنون انكم باقون في الدنيا بلا موت **قوله تعالى** في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم الزمخشري فان قلت لم قال ونخل بعد قوله وجنات والجنات تتناول النخل كما تتناول النعم الابل لذلك في الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون الانعام ولا يقصدون الا الابل قال زهير

كان عيني في غربي مقتلة ... من النواضح تسقي جنة سحقا

يعني النخل والنخلة السحوق البعيدة الطوال قال القرطبي رحمه الله فيه وجهان احدهما ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عنها والثاني ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل والطلعة هي التي تطلع من النخل كنصل السيف في اصله سماريخ القنوان والخارج من الجذع كما هو بعرجونه وهضيم قال ابن عباس لطيف ما دام في كفراه والهضيم اللطيف الرقيق ومنه قول امرء القيس

هضيم الكشح ريا المخلخل

الجوهري ويقال للطلع هضيم ما لم يخرج منه كفراه لدخول بعضه في بعض والهضيم من النسا اللطيفة الكشحين ونحوه حكى الهروي قال هو المنضم في وعائه قبل ان يظهر ومنه يقال رجل اهضم الجنبين اي منضمهما هذا قول اهل اللغة وحكى الماوردي وغيره في ذلك اثنا عشر قولا احدها انه الرطب اللين قاله عكرمة الثاني المذنب من الرطب قاله سعيد بن جبير قال النحاس وروى ابو اسحاق عن يزيد وهو ابن ابي مريم لوفي ويزيد بن ابي مريم شامي نخل طلعها هضيم قال منه ما قد ارطب ومنه مذنب الثالث انه الذي ليس فيه نوى قاله الحسن الرابع انه المتهشم المتفتت اذا مس تفتت قاله مجاهد وقال ابو العالية يتهشم في الفم الخامس هو الذي قد ضمر بركوب بعضه بعضا قاله الضحاك ومقاتل السادس انه المتلاصق قاله ابو صخر السابع انه الطلع حين يتفرق ويخضر قاله الضحاك ايضا الثامن انه اليانع النضيج قاله ابن عباس التاسع انه المكسر قبل ان ينشق عنه القشر حكاه ابن شجرة قال كان حموله نخل عليه هضيم ما يجتر له شقوق العاشر انه الرخو قاله الحسن الحادي عشر انه الرخص اللطيف اول ما يخرج وهو الطلع النضيد قاله الهروي الثاني عشر انه المري قاله ابن العربي فعيل بمعنى فاعل اي هني مري من انهضام الطعام والطلع اسم مشتق من الطلوع وهو الظهور ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات **قوله تعالى** وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين النحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاته البراية والمنحت ما ينحت به وفي والصافات اتعبدون ما تنحتون وكانوا ينحتون من الجبال لما طالت اعمارهم وتهدم بناؤهم من المدر وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهين بغير الف الباقون فارهين بالف وهما بمعنى واحد في قول ابي عبيدة وغيره مثل عظام ناخرة ونخرة وقاله قطرب وحكى فره يفره فهو فاره وفره يفره فهو فره وفاره اذا كان نشيطا وهو نصب على الحال وفرق بينهما قوم فقالوا فارهين حاذقين بنحتها قاله ابو عبيدة وروي عن ابن عباس وابو صالح وغيرهما وقال عبد الله بن شداد فارهين متجبرين وروي عن ابن عباس ايضا ان معنى فرهين بغير الف اشرين بطرين وقاله مجاهد ايضا وروي عنه شرهين كيسين قتادة معجبين وعنه ناعمين وعنه ايضا امنين وقيل متجبرين قاله الكلبي والسدي ومنه قول الشاعر

الى فره يماجد كل امر ... قصدت له لاختبر الطباعا

وقيل متعجبين قاله خصيف وقال ابن زيد اقويا وقيل فرهين فرحين قاله الاخفش والعرب تعاقب بين الهاء والحاء تقول مدهته ومدحته فالفره الاشر الفرح ثم الفرح بمعنى المرح مذموم قال الله سبحانه وتعالى ولا تمش في الارض مرحا وقال ان الله لا يحب الفرحين **قوله تعالى** فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قيل المراد الذين عقروا الناقة وقيل التسعة الرهط الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قال السدي وغيره اوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم صالح ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد في هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد قبل ذلك فكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه فقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم ابناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج الى سفر فيرى الناس سفرنا

ناد تطرب

فنكون

فنكون في غار حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويعلمون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية كان ينام في مسجده فاذا اصبح اتاهم ووعظهم فلما دخلوا الغار ارادوا ان يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم فراى ذلك ناس ممن كان اطلع على ذلك فصاحوا في القرية يا عباد الله اما رضي صالح ان امر بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما اجتمع التسعة على تبييت صالح بعد عقرهم الناقة فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وانذارهم العذاب على ما ياتي بيانه في سورة النمل **قوله تعالى** قالوا انما انت من المسحرين هو من السحر في قول مجاهد وقتادة على ما قاله المهدوي اي اصبت بالسحر فبطل عقلك لانك بشر مثلنا فلم تدعي الرسالة وقيل من المعللين بالطعام والشراب قاله ابن عباس والكلبي وقتادة ومجاهد ايضا فيما ذكر الثعلبي وهو على هذا القول من السحر وهو الرية اي لست الا بشرا ذا سحر اي رية تاكل وتشرب مثلنا قال امرء القيس

فان تسالينا فيم نحن فاننا ... عصافير من هذا الانام المسحر

وقال لبيد

... ونسحر بالطعام وبالشراب

قوله تعالى فات باية ان كنت من الصادقين في قولك **قوله تعالى** قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس قالوا ان كنت صادقا فادع الله ان يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر وترد هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبنا فدعا الله ذلك فقال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب اي حظ يوم ولها شرب يوم فكان اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله اول النهار وتسقيهم اللبن اخر النهار واذا كان يوم شربهم كان لانفسهم ومواشيهم وارضهم ليس لهم في يوم ورودها ان يشربوا من شربها شيئا ولا لها ان تشرب في يومهم من مائهم شيئا قال الفراء الشرب الحظ من الماء قال النحاس فاما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا وشربا واكثرها المضموم لان المكسورة والمفتوحة يشتركان مع شيء اخر فيكون الشرب الحظ من الماء ويكون الشرب جمع شارب كما قال

فقلت للشرب في درنا وقد ثملوا ...

الا ان ابا عمرو بن العلا والكسائي يختاران الشرب بالفتح في المصدر ويحتجان برواية بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انها ايام اكل وشرب **قوله تعالى** ولا تمسوها بسوء لا يجوز اظهار التضعيف هاهنا لانهما حرفان متحركان من جنس واحد **قوله تعالى** فياخذكم جواب النهي ولا يجوز حذف الفاء منه والجزم كما جاز في الاشيا وروي عن الكسائي انه يجيزه **قوله تعالى** فعقروها فاصبحوا نادمين اي على عقرها لما ايقنوا بالعذاب وذلك انه انظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامات في كل يوم وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينة العذاب وقيل لم ينفعهم الندم لانهم لم يتوبوا بل طلبوا صالحا عليه السلام ليقتلوه لما ايقنوا بالعذاب وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد اذ لم يقتلوه معها وهذا بعيد **قوله تعالى** ان في ذلك لاية الى اخرها تقدم وقيل انما امن به في تلك الامم الا الفان وثمان مائة رجل وامراة وقيل كانوا اربعة الاف وقال كعب كان قوم صالح اثنا عشر الف قبيل من سوى النسا والذرية ولقد كان قوم عاد مثلهم ست مرات **قوله تعالى** كذبت قوم لوط المرسلين مضى معناه وقصته في الاعراف وهود مستوفى والحمد لله **قوله تعالى** اتاتون الذكران من العالمين كانوا ينكحونهم في ادبارهم وكانوا يفعلون ذلك بالغربا على ما تقدم في الاعراف **قوله تعالى** وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني فروج النسا فان الله خلقها للنكاح قال ابراهيم بن المهاجر قال لي مجاهد كيف يقرا عبد الله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم قلت وتذرون ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم قال الفرج كما قال فاتوهن من حيث امركم الله **قوله تعالى** بل انتم قوم عادون متجاوزون لحدود الله قالوا لئن لم تنته يا لوط عن قولك هذا لتكونن من المخرجين اي من بلدنا وقريتنا **قوله تعالى** قال اني لعملكم يعني اللواط من القالين اي المبغضين والقلي البغض قليته اقليه قلى وقلاء قال

فلست بمقلي الخلال ولا قالي

وقال اخر

عليك السلام لا مللت قريبة ... وما لك عندي ان نايت قلاء

قوله تعالى رب نجني واهلي مما يعملون اي من عذاب عملهم دعا الله لما يئس من ايمانهم ان لا

يصيبه من عذابهم فقال سبحانه وتعالى قوله تعالى **فنجيناه واهله اجمعين** ولم يكن الا ابنتيه على ما تقدم في هود قوله تعالى **الا عجوزا في الغابرين** روى سعيد عن قتادة غبرت في عذاب الله حل وغزا اي بقيت وابو عبيدة يذهب الى ان المعنى من الباقين في الهرم اي بقيت حتى هرمت قال النحاس يقال للذاهب غابر وللباقي غابر كما قال

لم نكسع الشول باغبارها ... انك لا تدري من الناتج

والاغبار بقيات الالبان قوله تعالى **ثم دمرنا الاخرين** اي اهلكناهم بالخسف والحصب قال مقاتل خسف الله بقوم لوط وارسل عليهم الحجارة على من كان خارجا من القرية وامطرنا عليهم مطرا يعني الحجارة فساء مطر المنذرين قيل ان جبريل خسف بقريتهم وجعل عاليها سافلها ثم اتبعها الله بالحجارة ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين لم يكن فيها مؤمن الا بيت لوط وابنتاه قوله تعالى **كذب اصحاب الايكة المرسلين** الايك الشجر الكثيف الملتف الواحدة ايكة ومن قرا اصحاب الايكة فهي الغيضة ومن قرا اصحاب ليكة فهي اسم القرية ويقال هما مثل مكة وبكة قال الجوهري وقال النحاس وقرا ابو جعفر ونافع كذب اصحاب ليكة المرسلين وكذا قرا في ص واجمع القراء على الخفض في التي في سورة الحجر والتي في سورة ق فيجب ان يرد ما اختلفوا فيه الى ما اجمعوا عليه اذ كان المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيدة من ان ليكة هي اسم القرية التي كانوا فيها وان الايكة اسم البلد كله فشيء لا يثبت ولا يعرف من قاله فيثبت علمه ولو عرف من قاله لكان فيه نظر لان اهل العلم جميعا من اهل التفسير وبكلام العرب على خلافه روى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة قال ارسل شعيب عليه السلام الى امتين الى قومه من اهل مدين والى اصحاب الايكة قال والايكة غيضة من شجر وروى سعيد عن قتادة قال كان اصحاب الايكة اهل غيضة وشجر وكانت عامة شجرهم الدوم وهو شجر المقل وروى ابن جبير عن الضحاك قال خرج اصحاب الايكة يعني حين اصابهم الحر فانضموا الى الغيضة والشجر فارسل الله عليهم سحابة فاستظلوا تحتها فلما تكاملوا تحتها احترقوا ولو لم يكن في هذا الا ما روي عن ابن عباس قال الايكة الشجر ولا نعلم بين اهل اللغة اختلافا ان الايكة الشجر الملتف فاما احتجاج بعض من احتج بقراءة من قرا في هذين الموضعين بالفتح انه في السواد ليكة فلا حجة فيه والقول فيه ان اصله الايكة ثم خففت الهمزة فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنيت عن الف الوصل لان اللام قد تحركت ولا يجوز على هذا الا الخفض كما تقول بالاحمر ثم تخفف الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شئت كتبته في الخط على ما كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف ولم يجز الا الخفض فكذا لا يجوز في ليكة الا الخفض قال سيبويه واعلم ان ما لا ينصرف اذا دخلت عليه الالف واللام او اضيف انصرف ولا نعلم احدا خالف سيبويه في هذا وقال الخليل الايكة غيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر قوله تعالى **اذ قال لهم شعيب** ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن اخا لاصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وقد تقدم في الاعراف القول في نسبه قال ابن زيد ارسل الله شعيبا رسولا الى قومه اهل مدين والى اهل البادية وهم اصحاب الايكة وقاله قتادة وقد ذكرناه الا تتقون الا تخافون الله قوله تعالى **اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون** الاية انما كان جواب هؤلاء الرسل واحدا على صيغة واحدة لانهم متفقون على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة قوله تعالى **اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين** من الناقصين للكيل والوزن قوله تعالى **وزنوا بالقسطاس المستقيم** اي اعطوا الحق وقد مضى في سبحان وغيرها قوله تعالى **ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين** تقدم في هود وغيرها قوله تعالى **واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين** قال مجاهد الجبلة الخليقة وجبل فلان على كذا اي خلق والخلق جبلة وجبلة وجبلة وجبلة وجبلة ذكره النحاس في معاني القران والجبلة عطف على الكاف والميم قال الهروي الجبلة والجبلة والجبل والجبل والجبل لغات وهو الجمع ذو العدد الكثير من الناس ومنه قوله سبحانه وتعالى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا قال النحاس في كتاب اعراب القران له ويقال جبلة والجمع فيه جبال وبحذف الضمة والكسرة من الباء وكذلك التشديد من اللام فيقال

جبلة وجبل ويقال جبلة وجبال وتحذف الهاء من هذا كله وقرا الحسن باختلاف عنه والجبلة الاولين بضم الجيم والباء وروي عن شيبة والاعرج الباقون بالكسرة قال

والموت اعظم حادث فيما يمر على الجبلة قوله تعالى **قالوا انما انت من المسحرين** الذين ياكلون الطعام والشراب على ما تقدم قوله تعالى **وان نظنك لمن الكاذبين** في انك رسول الله تعالى فاسقط علينا كسفا من السماء وقطعة منه فينظر فيها كما قال وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقيل ارادوا انزل علينا العذاب وهو مبالغة في التكذيب وقال ابو عبيدة الكسف جمع كسفة مثل سدر وسدرة وقرا السلمي وحفص كسفا جمع كسفة ايضا وهي القطعة والجانب تقديره كسرة وكسر قال الجوهري الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطني كسفة من ثوبك والجمع كسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا فقد مضى هذا في سبحان وقال الهروي ومن قرا كسفا على التوحيد فجمعه اكساف وكسوف كانه قال او تسقطها علينا طبقا واحدا وهو من كسفت الشيء كسفا اذا غطيته ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون اي انما علي التبليغ وليس العذاب الذي سالتم الي وهو يجازيكم قوله تعالى **فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة** قال ابن عباس اصابهم حر شديد فارسل الله سبحانه وتعالى سحابة فهربوا اليها ليستظلوا بها فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا وقيل اقامها الله فوق رؤوسهم والهبها عليهم حرا حتى ماتوا من الرمد وكان من اعظم يوم في الدنيا عليهم وقيل بعث الله عذابا سموما فخرجوا الى الايكة يستظلون بها فاضرمها الله عليهم نارا فاحترقوا وعن ابن عباس ايضا وغيره ان الله سبحانه وتعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم هدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا ابيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هاربين الى البرية فبعث الله سحابة فاظلتهم فوجدوا لها بردا وريحا طيبة وروحا فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعت تحت السحابة الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي فصاروا رمادا فذلك قوله فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها وقوله فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وقيل ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام وسلط عليهم الحر حتى اخذ بانفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الاسراب ليتبردوا فيها فيجدوها اشد حرا من الظاهر فهربوا الى البرية فاظلتهم سحابة وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فامطرت عليهم فاحترقوا وقال يزيد الجريري سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليهن ثم رفع لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته انهار وعيون وشجر وماء بارد فاجتمعوا كلهم تحته فوقع عليهم الجبل وهو الظلة وقال قتادة بعث الله شعيبا الى امتين الى اصحاب الايكة واصحاب مدين فاهلك اصحاب الايكة بالظلة واما اصحاب مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا اجمعين قوله تعالى **ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين** قيل امن بشعيب من الفئتين تسعمائة انسان قوله تعالى **وانه لتنزيل رب العالمين** عاد الى ما تقدم في اول السورة من اعراض المشركين عن القران نزل به الروح الامين نزل مخففا قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو والباقون نزل مشددا به الروح الامين نصبا وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله وانه لتنزيل رب العالمين وهو مصدر نزل والحجة لمن قرا بالتخفيف ان يقول ليس هو مصدرا انما المعنى وان القران لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل كما قال قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك اي يتلوه عليك فيعيه قلبك وقيل ليثبت قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين اي لئلا يقولوا لسنا نفهم ما تقول قوله تعالى **وانه لفي زبر الاولين** اي وان ذكر نزوله لفي كتب الاولين يعني الانبياء وقيل اي ان ذكر محمد في كتب الاولين كما قال تعالى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل والزبر الكتب الواحد زبور كرسول ورسل وقد تقدم قوله تعالى **اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل** قال مجاهد يعني عبد الله بن سلام وسلمان وغيرهما ممن اسلم وقال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسالونهم عن محمد عليه السلام فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد في التوراة نعته وصفته فيرجع لفظ العلماء الى كل من كان له علم بكتبهم اسلم او لم يسلم على هذا القول وانما صارت شهادة اهل الكتاب حجة على المشركين لانهم كانوا يرجعون في اشياء من امور الدين الى اهل الكتاب لانهم مظنون بهم علم ذلك وقرا ابن عامر اولم تكن لهم اية

حبس عنهم الريح سبعة ايام وسلط عليهم الحر

الباقون او لم يكن لهم آية بالنصب على الخبر واسم يكن ان يعلمه والتقدير او لم يكن لهم علم علماء بني اسرايل الذين اسلموا اية واضحة وعلى القراءة الاولى اسم كان اية والخبر ان يعلمه علم علماء بني اسرايل وقرا عاصم الجحدري ان يعلمه علماء بني اسرايل ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي على رجل ليس بعربي اللسان فقراءه عليهم بغير لغة العرب لما امنوا ولقالوا لا نفقه نظيره ولو جعلناه قرانا اعجميا الاية وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما امنوا به انفة وكبرا يقال رجل اعجم واعجمي اذا كان غير فصيح وان كان عربيا ورجل عجمي وان كان فصيحا ينسب الى اصله الا ان الفراء اجاز ان يقال رجل عجمي بمعنى اعجمي وقرا الحسن على بعض الاعجميين مشددة بيائين جعله نسبة ومن قرا الاعجمين فقيل انه لفظ اعجم وفيه بعد لان ما كان من الصفات الذي مؤنثه فعلى لا يجمع مونثه بالواو والنون ولا مؤنثه بالالف والتا لا يقال احمرون ولا احمراوات وقيل اصله الاعجميين كقراءة الجحدري ثم حذف ياء النسبة وجعل جمعه بالياء والنون دليلا عليها قاله ابو الفتح عثمان بن جني وهو مذهب سيبويه **قوله تعالى** كذلك سلكناه يعني القران اي الكفر به **قوله تعالى** في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقيل سلكنا التكذيب في قلوبهم فذلك الذي منعهم من الايمان قاله يحيى بن سلام وقال عكرمة القسوة والمعنى متقارب وقد مضى في الحجر واجاز الفراء الجزم في لا يؤمنون لان فيه معنى الشرط والمجازاة وزعم ان من شان العرب اذا وضعت لا موضع كي لا في مثل هذا ربما جزمت ما بعدها وربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا ينفلت بالرفع والجزم قال لان معناه ان لم اربطه ينفلت والرفع عنده بمعنى كيلا ينفلت وانشد لبعض بني عقيل

وحتى راينا احسن الفعل بيننا ... مساكنة لا يعرف الشر قارف

بالرفع الى حذف كي ومن الجزم قول اخر

لطالما حلاتماها لا ترد ... فخلياها والسجال تبترد

قال النحاس وهذا كله في يؤمنون خطا عند البصريين ولا يجوز الجزم بلا جازم ولا يكون شي يعمل عملا فاذا حذف عمل عملا اقوى من عمله وهو موجود فهذا احتجاج بين حتى يروا العذاب فياتيهم بغتة اي العذاب وقرا الحسن فتاتيهم بالتاء والمعنى فتاتيهم الساعة بغتة فاضمرت لدلالة العذاب الواقع فيها ولكثرة ما في القران من ذكرها وقال رجل للحسن وقد قرا فتاتيهم يا ابا سعيد انما ياتيهم العذاب بغتة فانتهره وقال انما هي الساعة تاتيهم بغتة اي فجاة وهم لا يشعرون باتيانها **قوله تعالى** فيقولوا هل نحن منظرون اي مؤخرون وممهلون يطلبون الرجعة هناك ولا يجابون اليها قال القشيري وقوله فياتيهم ليس عطفا على قوله حتى يروا بل هو جواب قوله لا يؤمنون فلما كان جوابا للنفي انتصب وكذلك فيقولوا **قوله تعالى** افبعذابنا يستعجلون قال مقاتل قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد الى متى تعدنا بالعذاب ولا تاتي به فنزلت افبعذابنا يستعجلون **قوله تعالى** افرايت ان متعناهم سنين يعني في الدنيا والمراد اهل مكة في قول الضحاك وغيره **قوله تعالى** ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ما الاولى استفهام معناه التقرير وهو في موضع نصب باغنى وما الثانية في موضع رفع ويجوز ان تكون الاولى نفيا لا موضع لها وقيل ما الاولى حرف نفي وما الثانية في موضع رفع باغنى والهاء العايدة محذوفة والتقدير ما اغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه وعن الزهري ان عمر بن عبد العزيز كان اذا اصبح امسك بلحيته ثم يقرا افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ثم يبكي ويقول

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

فلا انت في الايقاظ يقظان حازم ... ولا انت في النوام ناج فسالم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات في النوم حالم

وتسعى الى ما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهايم

قوله تعالى وما اهلكنا من قرية من صلة المعنى وما اهلكنا قرية الا لها منذرون اي رسل ذكرى قال الكسائي ذكرى في موضع نصب على القطع الحال النحاس وهذا لا يحصل والقول فيه قول الفراء وابي اسحاق انها في موضع نصب على المصدر قال الفراء اي يذكرون ذكرى وهذا قول صحيح لان معنى الا لها منذرون الا لها مذكرون وذكرى لا يتبين فيه الاعراب لان فيها الفا مقصورة ويجوز ان تكون ذكرى بالتنوين ويجوز ان تكون ذكرى في موضع رفع على اضمار مبتدا قال ابو اسحاق انذارنا ذكرى وقال الفراء ذلك ذكرى وتلك

ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما امنوا به

في الغفلة

ذكري

ذكرى وقال ابن الانباري قال بعض المفسرين ليس في الشعراء وقف تام الا قوله الا لها منذرون وهذا عندنا وقف حسن ثم تبتدي ذكرى اي يذكرهم ذكرى والوقف على ذكرى اجود وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم **قوله تعالى** وما تنزلت به الشياطين يعني القران بل نزل به الروح الامين **قوله تعالى** وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون اي برمي الشهب كما تقدم في الحجر بيانه وقرا الحسن ومحمد بن السميقع وما تنزلت به الشياطون قال المهدوي وهو غير جايز في العربية ومخالف للخط وقال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول هذا غلط العلماء انما يكون بدخول شبهة لما راى الحسن في اخره ياء ونونا وهو في موضع رفع اشتبه عليه بالجمع المسلم فغلط وفي الحديث احذروا زلة العالم وقد قرا هو مع الناس واذا خلوا الى شياطينهم ولو كان هذا بالواو في موضع رفع لوجب حذف النون للاضافة وقال الثعلبي قال الفراء غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال ان جاز ان يحتج بقول رؤبة والعجاج ودويهما جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه مع انا نعلم انهما لم يقرا بذلك الا وقد سمعا في ذلك شيا وقال المؤرج ان كان الشيطان من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا بساتين من ورائها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن **قوله تعالى** ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قيل المعنى قل لمن كفر هذا وقيل هو مخاطبة له عليه السلام وان كان لا يفعل هذا لانه معصوم مختار ولكنه خوطب بهذا والمراد غيره ودل على هذا قوله وانذر عشيرتك الاقربين اي لا يتكلوا على نسبهم وقرابتهم فيدعوا ما يجب عليهم **قوله تعالى** وانذر عشيرتك الاقربين فيه مسالتان **المسالة الاولى** وانذر عشيرتك الاقربين خص عشيرته الاقربين بالانذار لتنحسم اطماع سائر عشيرته واطماع الاجانب في مفارقته اياهم على الشرك وعشيرته الاقربون قريش وقيل بنو عبد مناف ووقع في صحيح مسلم وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين وظاهر هذا انه كان قرانا يتلى وانه نسخ اذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر ويلزم على ثبوته اشكال وهو انه كان يلزم عليه الا ينذر الا من امن من عشيرته فان المؤمنين هم الذين يوصفون بالاخلاص في دين الاسلام وفي حب النبي صلى الله عليه وسلم لا المشركون لانهم ليسوا على شي من ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم دعا عشيرته كلهم مؤمنهم وكافرهم وانذر جميعهم ومن معهم ومن ياتي بعدهم صلى الله عليه وسلم فلم يثبت ذلك نقلا ولا معنى وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لوي انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم من الله شيا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها **المسالة الثانية** في هذه الاية والحديث دليل على ان القرب في الانساب لا ينفع مع البعد في الاسباب ودليل على جواز صلة المؤمن الكافر وارشاده ونصيحته لقوله ان لكم رحما سابلها ببلالها وقوله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الاية على ما ياتي بيانه هناك **قوله تعالى** واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين تقدم في الحجر وسبحان يقال خفض جناحه اذا لان فان عصوك اي خالفوا امرك **قوله تعالى** فقل اني بري مما تعملون اي بري من معصيتكم اياي لان عصيانهم اياه عصيان لله عز وجل لانه عليه السلام لا يامر الا بما يرضاه ومن تبرا منه فقد تبرا الله منه **قوله تعالى** وتوكل على العزيز الرحيم اي فوض امرك اليه فانه العزيز الذي لا يغالب الرحيم الذي لا يخذل اولياءه وقراءة العامة وتوكل بالواو وكذلك هو في مصاحفهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفاء وكذلك في مصاحف المدينة والشام **قوله تعالى** الذي يراك حين تقوم اي حين تقوم الى الصلاة في قول اكثر المفسرين ابن عباس وغيره وقال مجاهد يعني تقوم حيثما كنت **قوله تعالى** وتقلبك في الساجدين قال مجاهد وقتادة في المصلين وقال ابن عباس اي في اصلاب الاباء ادم ونوح وابراهيم حتى اخرجه نبيا وقال عكرمة يراك قائما وساجدا وراكعا وقاله ابن عباس ايضا وقيل المعنى انك ترى بقلبك في صلاتك من خلفك كما ترى بعينيك من قدامك وروي عن مجاهد ذكره الماوردي والثعلبي وكان عليه السلام يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وذلك ثابت في الصحيح وفي تاويل الاية بعد انه هو السميع العليم تقدم **قوله تعالى** هل انبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم انما قال

تنزل لانها اكثر ما تكون في الهوا وانه يمر مر الريح يلقون السمع واكثرهم كاذبون تقدم في الحجر فليلقون السمع صفة للشياطين واكثرهم يرجع الي الكهنة وقيل الي الشياطين **قوله تعالى** هل

والشعراء يتبعهم الغاوون فيه ست مسايل **الاولى** قوله والشعراء جمع شاعر مثل جاهل وجهلا قال ابن عباس هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس وقيل الغاوون الزايلون عن الحق ودل بهذا ان الشعرا ايضا غاوون لانهم لو لم يكونوا غاوين ما كان اتباعهم كذلك وقد قدمناه في سورة النور ان من الشعر ما يجوز انشاده ويكره ويحرم وروي مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت شي قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته ماية بيت هكذا صواب هذا السند وصحيح روايته وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم عن عمرو بن الشريد عن الشريد ابيه وهو وهم لان الشريد هو الذي اردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسم ابي الشريد سويد وفي هذا دليل على حفظ الاشعار والاعتنا بها اذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعا وطبعا وانما استكثر النبي صلى الله عليه وسلم من شعر امية لانه كان حكيما الا ترى الي قوله عليه السلام وكاد امية بن ابي الصلت ان يسلم فاما ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء عليه فذلك مندوب اليه كقول القايل

الحمد لله العلي المنان … جبار الثريد في روس العبدان

او ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم او مدحه كقول العباس

من قبلها طبت في الظلال وفي … مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر … انت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد … الجم نسرا واهله الغرق

تنقل من صلب الي رحم … اذا مضى عالم بدا طبق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك او الذب عنه كقول حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه … وعند الله في ذاك الجزاء

وهي ابيات ذكرها مسلم في صحيحه وهي في السير اتم او الصلاة عليه كما روي زيد بن اسلم قال خرج عمر ليلة يحرس فراي مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار … صلى عليه الطيبون الاخيار

قد كنت قواما بكا بالاسحار … يا ليت شعري والمنايا اطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار … تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وكذلك

ذكر اصحابه ومدحهم رضي الله عنهم ولقد احسن محمد بن اسحاق حيث قال

اني رضيت عليا للهوى علما … كما رضيت عتيقا صاحب الغار

وقد رضيت ابا حفص وشيعته … وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة عندي قدوة علم … فهل علي بهذا القول من عار

ان كنت تعلم اني لا احبهم … الا من اجلك فاعتقني من النار

وقال اخر

حب النبي لجميع الخلق مفترض … وحب اصحابه نور ببرهان

من كان يعلم ان الله خالقه … لا يرمين ابا بكر ببهتان

ولا ابا حفص الفاروق صاحبه … ولا الخليفة عثمان بن عفان

اما علي فمشهور فضايله … والبيت لا يستوي الا باركان

قال ابن العربي واما الاستعارات في التشبيهات فماذون فيها وان استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد فبذلك يضرب بالملك الموكل بالرويا المثل وقد انشد كعب بن زهير النبي صلى الله عليه وسلم

شعر

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول … متيم اثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا … الا اغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت … كانه منهل بالراح معلول

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر

في تشبيه ريقها بالراح وانشد ابو بكر رضي الله عنه

فقدنا الوحي اذ وليت عنا … وودعنا من الله الكلام

سوى ما قد تركت لنا رهينا … تواربه القراطيس الكرام

فقد اورثتنا ميراث صدق … عليك به التحية والسلام

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعه وابو بكر ينشده فهل للتقليد والاقتدا موضع ارفع من هذا قال ابو عمر ولا ينكر الحسن من الشعر احد من اهل العلم ولا من اولي النهى وليس احد من كبار الصحابة واهل العلم وموضع القدوة الا وقد قال الشعر وتمثل به او سمعه فرضيه ما كان حكمة او مباحا ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم اذى فان كان كذلك فهو والمنثور من القول سوا لا يحل سماعه ولا قوله روي ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول اصدق كلمة او شعر قالتها العرب قول لبيد

الا كل شي ما خلا الله باطل

اخرجه مسلم وزاد وكاد امية بن ابي الصلت ان يسلم قال وروي ان ابا بكر قيل له بعض جلسايه مثلك ينشد الشعر يا ابا بكر فقال ويلك يا لكع وهل الشعر الا كلام لا يخالف سائر الكلام الا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح قال وقد كانوا يتذاكرون الشعر قال وسمعت ابن عمر ينشد

يحب الخمر من مال الندامى … ويكره ان تفارقه الفلوس

وكان عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد فقها المدينة العشرة ثم المشيخة السبعة شاعرا مجيدا مقدما فيه وللزبير بن بكار القاضي في اشعاره كتاب وكان له زوجة تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الامر فطلقها وله فيها اشعار كثيرة منها قوله

تغلغل حب عثمة في فوادي … فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب … ولا حزن ولم يبلغ سرور

اكاد اذا ذكرت العهد منها … اطير لو ان انسانا يطير

وقال ابن شهاب قلت له تقول الشعر في نسكك وفضلك فقال ان المصدور اذا نفث برا

الثانية واما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري ويفسقوا التقي وان يفرطوا في القول بما لا يفعله المرء رغبة في تسلية النفس وتحسين القول كما روي عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات … وبت افض اغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المومنين قد درا الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وروي ان النعمان بن عدي بن نضلة كان عاملا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال

الا هل اتى الحسناء ان حليلها … بميسان يسقى في زجاج وحنتم

اذا شيت غنتني دهاقين قرية … ورقاصة تجذو على كل منسم

فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني … ولا تسقني بالاصغر المتثلم

لعل امير المومنين يسوءه … تنادمنا بالجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر فارسل اليه بالقدوم وقال اي والله يسووني فقال والله يا امير المومنين ما فعلت شيا مما قلت وانما كان نضلة من القول وقد قال الله سبحانه وتعالى والشعراء يتبعهم الغاوون فقال له عمر اما عذرك فقد درا عنك الحد ولكن لا تعمل لي عملا ابدا وذكر الزبير بن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم يكن له هم الا عمر بن ابي ربيعة والاحوص فكتب الي عامله بالمدينة اني عرفت عمر بن ابي ربيعة والاحوص بالخبث والشر فاذا اتاك كتابي هذا فاشدد عليهما واحملهما الي فلما اتاه الكتاب حملهما اليه فاقبل على عمر فقال هيه

فلم ار كالتجمير منظر ناظر … ولا كليالي الحج افلتن ذا هوى

وكم مالي عينيه من شي غيره … اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

اما والله لو اهتممت بحجك لم تنظر الي شي غيرك فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الايام فمتى يفلتون ثم امر بنفيه فقال يا امير المومنين او خير من ذلك قال ما هو قال اعاهد الله الا اعود بمثل هذا الشعر ولا اذكر النسا في شعر ابدا واجدد توبة فقال او تفعل قال نعم فعاهد الله على توبته وخلاه ثم دعا بالاحوص

فقال هبه الله بيني وبين قيمتها سرب بها مني واسعه بل الله بين فيمتها وبينك ثم امر بنفيه فكلمه فيه
رجال من الانصار فابي فقال والله لا اردّه ما كان لي سلطان فانه فاسق مجاهر فهذا هو الشعر المذموم
وحكم صاحبه فلا يحل سماعه ولا انشاده في مسجد ولا في غيره كمنثور الكلام القبيح وغيره وروي اسمعيل
بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الشعر
كحسن الكلام رواه اسمعيل عن عبد الله بن عون الشامي وحديثه عن اهل الشام صحيح فيما قال
يحيى بن معين وغيره وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر
بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام **الثالثة** روي مسلم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلي جوف احدكم قيحا يريه خير من ان يمتلي شعرا وفي الصحيح
ايضا عن ابي سعيد الخدري قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض شاعر
ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان لان يمتلي جوف رجل
قيحا خير من ان يمتلي شعرا قال علماؤنا انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مع هذا الشاعر لما
علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله انه قد اتخذ الشعر طريقا للتكسب فيفرط
في المدح اذا اعطي وفي الهجو والذم اذا منع فيوذي الناس في اموالهم واعراضهم ولا خلاف في ان من كان
على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام وكل ما يقوله عليه حرام من ذلك ولا يحل الاصغاء اليه
بل يجب الانكار عليه فان لم يكن ذلك فمن خاف من لسانه قطعا تعين عليه ان يداريه بما استطاع ويدافعه
بما امكن ولا يحل ان يعطي شيا ابدا لان ذلك عون على المعصية فان لم يجد من ذلك بدا اعطا بنيته وقاية
العرض فما وقي به الانسان عرضه كتب له صدقة وقوله لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه القيح المدّة يخالطها
دم يقال منه قاح الجرح يقيح وتقيح وقيح ويريه قال الاصمعي هو من الوري على مثال الرمي وهو ان يدوي
جوفه يقال رجل موري مشدد غير مهموز وفي الصحاح وري القيح جوفه يريه وريا اذا اكله وانشد
اليزيدي قالت له وريا اذا تنحنح وهذا الحديث احسن ما قيل في تاويله انه الذي غلب
عليه الشعر وامتلي صدره منه دون علم سواه ولا شي من الذكر ممن يخوض به في الباطل ويسلك به مسالك
لا تحمد له كالمكثر من اللغط والهذر والغيبة وقبيح القول ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه
الاوصاف الذميمة الدنية بحكم العادة الادبية وهذا المعنى هو الذي اشار اليه البخاري في صحيحه
لما بوب على هذا الحديث باب ما يكره من ان يكون الغالب على الانسان الشعر وقد قيل في تاويله
ان المراد بذلك الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ليس بشي لان القليل من هجو النبي
صلى الله عليه وسلم وكثيره سوا وحينيذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى **الرابعة** قال الشافعي
الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام يعني ان الشعر ليس يكره لذاته وانما يكره
لضمناته وقد كان عند العرب عظيم الموقع وقد قال الاول منهم وجرح اللسان كجرح اليد وقال النبي صلى
الله عليه وسلم في الشعر الذي يرد به حسان على المشركين انه لاسرع فيهم من رشق النبل اخرجه مسلم وروي
الترمذي وصححه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضا وعبد الله بن رواحة
يمشي بين يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
خل عنه يا عمر فلهو اسرع فيهم من نضح النبل **الخامسة** قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون لم يختلف
القراء في رفع والشعراء فيما علمت ويجوز النصب على اضمار فعل يفسره يتبعهم وبه قرا عيسى بن عمر
قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا والسارق والسارقة وحمالة الحطب وسورة انزلناها
وقرا نافع وشيبة والحسن والسلمي يتبعهم مخففا والباقون يتّبعهم وقال الضحاك تهاجر رجلان على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما انصاري والاخر مهاجري مع كل واحد غواة قومه وهم
السفها فنزلت وقاله ابن عباس وعنه هم الرواة للشعر وروي عنه عن علي بن ابي طلحة انهم الكفار
يتبعهم ضلال الجن والانس وقد ذكرناه وروي غضيف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احدث
هجاء في الاسلام فاقطعوا لسانه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة رن ابليس رنة فاجتمع اليه

ابن عباس انه

في ذم الشعر الهجاء

ذريته فقال ايسوا ان ترد امة محمد صلى الله عليه وسلم على الشرك بعد يومكم هذا ولكن افشوا فيها
يعني مكة والمدينة الشعر **السادسة** قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون يقول في كل لغو يخوضون
ولا يتبعون سنن الحق لان من اتبع الحق وعلم انه يكتب عليه ما يقوله تثبت ولم يكن هايما يذهب على
وجهه لا يبالي ما قال نزلت في عبد الله بن الزبعري ومسافع بن عبد مناف وامية ابن الصلت
قوله تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون يقول اكثرهم يكذبون اي يدلون بكلامهم على
الكرم والجود ولا يفعلونه وقيل انها نزلت في ابي عزة الجمحي حيث قال

الا ابلغا عني النبي محمدا	بانك حق والمليك حميد
ولكن اذا ذكرت بدرا واهلها	تاوه مني اعظما وجلود

ثم استثنى شعر المؤمنين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان
على طريقتهم من القول الحق فقال **قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا** في كلامهم
وانتصروا من بعد ما ظلموا وانما يكون الانتصار بالحق وبما حده الله عز وجل فان تجاوز ذلك فقد
انتصر بالباطل وقال ابو الحسن المبرد لما نزلت والشعراء جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انزل الله سبحانه وتعالى هذه الاية وهو تعالى يعلم انا
شعراء فقال اقروا ما بعدها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية انتم وانتصروا من بعد ما ظلموا
انتم اي بالرد على المشركين قال صلى الله عليه وسلم انتصروا ولا تقولوا الا حقا ولا تذكروا الاباء والامهات فقال
حسان لابي سفيان

هجوت محمدا فاجبت عنه	وعند الله في ذاك الجزاء
وان ابي ووالده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء
اتشتمه ولست له بكفو	فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه	وبحري لا تكدره الدلاء

وقال كعب يا رسول الله ان الله قد انزل في الشعراء ما قد علمت فكيف ترى فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان المومن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل وقال كعب
جاءت سخينة كي تغالب ربها وليغلبن مغالب الغلاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد مدحك الله
يا كعب في قولك هذا وروي الضحاك عن ابن عباس انه قال والشعراء يتبعهم الغاوون منسوخ بقوله
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المهدوي والصحيح عن ابن عباس انه استثنى وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون في هذه الاية تهديد لمن انتصر بظلم وقال شريح سيعلم الذين ظلموا
كيف يخلصون من بين يدي الله عز وجل فالظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصرة وقرا ابن عباس
اي منفلت ينفلتون بالفاء والتاء ومعناهما واحد الثعلبي ومعنى اي منقلب ينقلبون اي مصير يصيرون
واي مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو اقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو شر مرجع والفرق
بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال
كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا والله اعلم ذكره الماوردي واي منصوب
بينقلبون وهو بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون منصوبا بسيعلم لان اي وسائر اسما الاستفهام لا يعمل
فيها ما قبلها فيما ذكر النحويون قال النحاس وحقيقة القول في ذلك ان الاستفهام معنى وما قبله
معنى اخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض والله اعلم تمت السورة والحمد لله

تفسير سورة النمل مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى طس تلك
ايات القران وكتاب مبين** مضى الكلام في الحروف المقطعة في البقرة وغيرها وتلك بمعنى هذه
اي هذه السورة ايات القران وايات كتاب مبين وذكر القران بلفظ المعرفة وقال وكتاب مبين بلفظ
النكرة وهما في معنى المعرفة كما تقول فلان رجل عاقل وفلان الرجل العاقل والكتاب هو القران فجمع له ما
بين الصفتين بانه قران وانه كتاب لانه ما يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة وقد مضى اشتقاقهما في البقرة

وقال في سورة الحجر الر تلك ايات الكتاب وقران مبين فاخرج الكتاب بلفظ المعرفة والقرآن بلفظ النكرة
وذلك لان القران والكتاب اسمان تصلح لكل واحد منهما ان يجعل معرفة وان يجعل صفة ووصفه
بالمؤمنين لانه بين فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وقد تقدم **قوله تعالى**
هدي وبشري للمؤمنين هدي في موضع نصب علي الحال من الكتاب اي تلك ايات الكتاب هادية ومبشرة
ويجوز فيه الرفع علي الابتداء اي هو هدي وان شئت علي حذف حرف الصفة اي فيه هدي ويجوز ان يكون
الخبر للمؤمنين ثم وصفهم فقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون وقد
مضي في اول البقرة بيان هذا **قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة** اي لا يصدقون بالبعث
قوله تعالى زينا لهم اعمالهم قيل اعمالهم السيئة حتي راوها حسنة وقيل زينا لهم اعمالهم الحسنة
فلم يعملوها وقال الزجاج جعلنا جزاءهم علي كفرهم ان زينا لهم ما هم فيه **قوله تعالى فهم يعمهون**
اي يترددون في اعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس ابو العالية يتمادون قتادة يلعبون الحسن
يتحيرون قال الراجز

ومهمه اطرافه في مهمه | اعمي الهدي بالحائرين العمه

قوله تعالى اولئك الذين لهم سوء العذاب وهو جهنم **قوله تعالى وهم**
في الاخرة هم الاخسرون في الاخرة تبيين وليس بمتعلق بالاخسرين فان من الناس من خسر الدنيا
وربح الاخرة وهؤلاء خسروا الاخرة بكفرهم فهم اخسر كل خاسر **قوله تعالى وانك لتلقي**
القران اي يلقي عليك فتلقاه وتعلمه وتاخذه من لدن حكيم عليم لدن بمعني عند الا انها مبنية غير معربة
لانها لا تتمكن وفيها لغات ذكرت في الكهف وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق من الاقاصيص
وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه **قوله تعالى اذ قال موسي لاهله** اذ منصوب
بمضمر وهو اذكر كانه قال علي اثر قوله وانك لتلقي القران من لدن حكيم عليم خذ يا محمد من اثار حكمته وعلمه
قصة موسي اذ قال لاهله اني انست نارا اي ابصرتها من بعد قال الحارث بن حلزة

انزعها القناص عصرا | وقد دنا الامساء

قوله تعالى سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
قرا عاصم وحمزة والكسائي بشهاب قبس بتنوين شهاب والباقون بغير تنوين علي الاضافة اي بشعلة نار
واختاره ابو عبيد وابو حاتم وزعم الفراء في ترك التنوين انه بمنزلة قولهم ولدار الاخرة ومسجد الجامع
وصلاة الاولي اضاف الشيء الي نفسه اذا اختلفت اسماؤه قال النحاس اضافة الشيء الي نفسه محال
عند البصريين لان معني الاضافة في اللغة ضم الشيء الي الشيء فمحال ان يضم الي نفسه وانما يضاف الي الشيء
ليبين به معني الملك او النوع فمحال ان يبين انه مالك نفسه او من نوعها وبشهاب قبس اضافة النوع والجنس
كما تقول هذا ثوب خز وخاتم حديد وشبهه والشهاب كل ذي نور نحو الكوكب والعود الموقد والقبس اسم
لما يقتبس من جمر وما اشبهه فالمعني بشهاب من قبس يقال اقتبست قبسا والاسم قبس كما تقول
قبضت قبضا والاسم قبض ومن قرا بشهاب قبس جعله بدلا منه المبرد وهي او صفة له لان الجنس يجوز ان
يكون اسما غير صفة ويجوز ان يكون صفة فاما كونه صفة فلانهم قالوا اقبسته اقبسه قبسا والقبس
المقبوس واذا كان صفة فالاحسن ان يكون نعتا والاضافة فيه اذا كان غير صفة احسن وهي اضافة
النوع الي جنسه كخاتم فضة وشبهه ولو قرئ بنصب قبس علي البيان والحال لجاز النحاس ويجوز في غير القران
بشهاب قبسا علي انه مصدر او بيان او حال لعلكم تصطلون اصل الطاء تاء فابدل منها طاء لان الطاء
مطبقة والصاد مطبقة فكان الجمع بينهما حسنا ومعناه تستدفئون من البرد
يقال اصطلي يصطلي اذا استدفا قال الشاعر

النار فاكهة الشتاء فمن يرد | اكل الفواكه شاتيا فليصطلي

الزجاج كل ابيض ذي نور فهو شهاب ابو عبيدة الشهاب النار قال ابو النجم كلما كان شهابا وقاد اضاءة
ضوءا ثم صار خامدا احمد بن يحيي اصل الشهاب عود في احد طرفيه جمرة والاخر لا نار فيه وقول النحاس
فيه حسن والشهاب الشعاع المضيء ومنه قيل للكوكب الذي يمتد ضوءه في السماء وقال الشاعر

في كفه صعدة مثقفة | فيها سنان كشعلة القبس

قوله تعالى فلما جاءها اي فلما جاء موسي الذي ظن انه نار وهي نور قاله وهب بن منبه فلما راي موسي

النار وقف قريبا منها فراها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها العليق لا تزداد النار
الا تضرما وعظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة وحسنا فتعجب منها واهوي اليها بضغث في يده لتقتبس
منها فمالت اليه فخافها فتاخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها الي ان وضع امرها علي انها مامورة لا يدري
من امرها الي ان نودي ان بورك من في النار ومن حولها وقد مضي هذا المعني في طه نودي اي ناداه
الله كما قال وناديناه من جانب الطور الايمن ان بورك ان في موضع نصب اي بانه قال ويجوز ان يكون
في موضع رفع جعلها اسم ما لم يسم فاعله وحكي ابو حاتم ان في قراءة ابي وابن عباس ومجاهد ان بوركت
النار ومن حولها قال النحاس ومثل هذا لا يوجد باسناد صحيح ولو صح لكان علي التفسير وتكون راجعة الي
النار ومن حولها الملائكة وموسي وحكي الكسائي عن العرب باركك الله وبارك فيك الثعلبي العرب
تقول باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك اربع لغات قال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا | وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب

قال بورك من في النار ولم يقل بورك علي النار علي لغة من يقول باركك الله ويقال باركه الله وبارك
له وبارك عليه وبارك فيه بمعني اي بورك علي من في النار وهو موسي او علي من في قرب النار لانه كان في
وسطها وقال السدي كان في النار ملائكة فالتبريك عائد الي موسي والملائكة اي بورك فيك يا موسي
وفي الملائكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله سبحانه وتعالي الي موسي وتكرمة له كما حيا ابراهيم
علي لسان الملائكة حين دخلوا عليه قال رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وقول ثالث قاله
ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير قد بين من في النار وهو الله سبحانه تقدس وتعالي عني به نفسه قال
ابن عباس ومحمد بن كعب النار نور الله عز وجل نادي الله موسي وهو في النور وتاويل هذا ان موسي عليه السلم
راي نورا عظيما فظنه نارا وهذا لان الله سبحانه وتعالي ظهر لموسي باياته وكلامه من النار لا انه
يتحيز في جهة وهو في السماء اله وفي الارض اله لا انه يتحيز فيهما ولكن يظهر في كل فعل فيعلم له وجود الفا[عل]
وقيل علي هذا اي بورك من في النار سلطانه وقدرته وقيل اي بورك ما في النار من امر الله سبحانه وتعالي
الذي جعله علامة قال المؤلف رحمه الله ومما يدل علي صحة قول ابن عباس ما خرجه مسلم في صحيحه وابن ما[جه]
في سننه واللفظ له عن ابي موسي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان
ينام يخفض القسط ويرفعه حجابه النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره ثم قرا ابو
عبيدة ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين خرجه البيهقي ايضا ولفظ مسلم
عن ابي موسي قال قام فينا رسول الله صلي الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا
ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل
حجابه النور وفي رواية ابي بكر النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهي اليه بصره من خلقه
قال ابو عبيدة يقال ان السبحة جلال وجهه ومنها قيل سبحان الله انما هو تعظيم له وتنزيه وقوله لو
كشفها يعني لو رفع الحجاب عن اعينهم ولم يثبتهم لرؤيته لاحترقوا وما استطاعوها وقال ابن جريج
النار حجاب من الحجب وهي سبعة حجب حجاب العزة وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وحجاب
النور وحجاب من الحجب الغمام وحجاب الماء وبالحقيقة فالمخلوق المحجوب والله لا يحجبه شيء فكانت النار
نورا وانما ذكره بلفظ النار لان موسي حسبه نارا والعرب تضع احدهما موضع الاخر وقال سعيد بن
جبير كانت النار بعينها فاسمعه سبحانه وتعالي كلامه من ناحيتها واظهر له ربوبيته من جهتها وهو
كما روي انه مكتوب في التوراة انه جاء الله من سينا واشرف من ساعير واستعلي من جبال فاران فمجيئه
من سينا بعثته موسي منها واشرافه من ساعير بعثته المسيح منها واستعلاؤه من فاران بعثته محمدا
صلي الله عليه وسلم وفاران مكة وسياتي في القصص لا سماعه سبحانه كلامه من الشجرة زيادة بيان
قوله تعالى وسبحان الله رب العالمين تنزيها وتقديسا لله رب العالمين وقد تقدم في غير موضع
والمعني اي ويقول من حولها سبحان الله فحذف وقيل ان موسي قاله حين فرغ من سماع النداء استعانة
بالله سبحانه وتعالي وتنزيها له قاله السدي وقيل هو من قول الله سبحانه وتعالى ومعناه وبورك
فيمن سبح الله رب العالمين حكاه ابن شجرة **قوله تعالى يا موسي انه انا الله العزيز الحكيم**
الهاء عماد وليست بكناية في قول الكوفيين والصحيح انها كناية عن الامر والشان انا الله العزيز الغالب

النار فاكهة الشتا

بارك الله بارك فيك بارك الله فيك بارك عليك وبارك لك

الذي ليس كمثله شي الحكيم في امره وفعله وقيل قال موسي يا رب من الذي نادي فقال انه اي اني انا
المنادي لك انا الله **قوله تعالى** والق عصاك قال وهب بن منبه ظن موسي ان الله امره ان
يرفضها فرفضها وقيل انما قال له ذلك ليعلم موسي ان المكلم هو الله وان موسي رسوله وكل نبي فلا بد
له من اية في نفسها يعلم بها نبوته وفي الاية حذف اي والق عصاك فالقاها من يده فصارت حية تهتز
كانها جان وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم وقال الكلبي لا صغيرة ولا كبيرة وقيل انها قلبت له اولا
حية صغيرة فلما انس بها قلبت حية كبيرة وقيل انقلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعي وهي الانثي
ومرة ثعبانا وهو الذكر الكبير من الحيات وقيل المعني انقلبت ثعبانا **قوله تعالى** تهتز كانها جان
لها عظم الثعبان وخفة الجان واهتزازه وهي حية تسعي وجمع الجان جنان ومنه الحديث نهي عن قتل الجنان
التي في البيوت ولي مدبرا خايفا علي عادة البشر **قوله تعالى** ولم يعقب اي لم يرجع قاله مجاهد
وقال قتادة لم يلتفت **قوله تعالى** يا موسي لا تخف اي من الحية وضررها **قوله تعالى** اني
لا يخاف لدي المرسلون وتم الكلام ثم استثني استثناء منقطعا فقال الا من ظلم وقيل انه استثنا من محذوف
والمعني اني لا يخاف لدي المرسلون وانما يخاف غيرهم ممن ظلم **قوله تعالى** الا من ظلم ثم بدل حسنا
قاله الفراء قال النحاس استثنا من محذوف محال لانه استثنا من شي لم يذكر ولو جاز هذا لجاز اني لا اضرب
القوم الا زيدا بمعني اني لا اضرب القوم انما اضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجي بما لا يعرف
معناه وزعم الفرا ايضا ان بعض النحويين يجعل الا بمعني الواو اي ولا من ظلم قال

وكل اخ مفارقه اخوه ... لعمر ابيك الا الفرقدان

احوك

قال النحاس وكون الا بمعني الواو لا وجه له ولا يجوز في شي من الكلام ومعني الا خلاف الواو لانك اذا قلت
الا زيدا اخرجت زيدا مما دخل فيه الاخوة واذا قلت جاني اخوتك الا زيدا اخرجت زيدا فيما دخل فيه الاخوة
ولا نسبة بينهما ولا تقارب وفي الاية قول اخر وهو ان يكون الاستثنا متصلا والمعني الا من ظلم من المرسلين
باتيان الصغاير التي لا يسلم منها احد سوي ما روي عن يحيي بن زكريا عليه السلم وما ذكره الله سبحانه وتعالي
في نبينا عليه السلام من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ذكره المهدوي واختاره
النحاس قال علم الله من عصي منهم فاستثناه فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سو اي فانه يخاف وان كنت قد
غفرت له الضحاك يعني ادم وداود عليهما السلام الزمخشري كالذي فرط من ادم ويونس وداود
وسليمان واخوة يوسف ومن موسي عليه السلام بوكزة القبطي فان قال قايل فما معني الخوف بعد التوبة
والمغفرة قيل له هذه سبيل العلما بالله عز وجل ان يكونوا خايفين من معاصيهم وجلين وهم ايضا لا يامنون
ان يكون قد بقي من اشراط التوبة شي لم ياتوا به فهم يخافون من المطالبة به وقال الحسن وابن جريج قال الله تعالي
اني احمك لقتلك النفس قال الحسن وكانت الانبيا تذنب فتعاقب قال الثعلبي والقشيري والماوردي
وغيرهم فالاستثنا علي هذا صحيح اي الا من ظلم نفسه من المرسلين والنبيين فيما فعل من صغيرة او قبل
النبوة وكان موسي يخاف من قتل القبطي وتاب منه وقد قيل انهم بعد النبوة معصومون من الصغاير
والكباير وقد مضي هذا في البقرة وقال المولف رحمه الله والاول اصح لتنصلهم من ذلك في القيامه
كما في حديث الشفاعة فاذا احدث المقرب حدثا فهو وان غفر له ذلك الحدث فاثر ذلك الحدث باق وما
دام الاثر والتهمة قايمة فالخوف كاين لا خوف العقوبة ولكن خوف العظمة والمتهم عند السلطان يجد
للتهمة حزازة تودية الي ان يكدر عليه صفا الثقة وموسي صلي الله عليه وسلم قد كان معه الحدث في ذلك
الفرعوني ثم استغفر واقر بالظلم علي نفسه فغفر له ثم قال بعد المغفرة رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا
للمجرمين ثم ابتلي من الغد بالفرعوني الاخر واراد ان يبطش به فصار حدثا اخر بهذه الارادة وانما ابتلي من الغد
لقوله فلن اكون ظهيرا للمجرمين وتلك كلمة اقتدار من لن افعل فعوقب بالارادة وحين اراد ان يبطش ولم
يفعل فسلط الله عليه الاسرايلي حتي افشي سره لان الاسرايلي لما راه تشمر للبطش ظن انه يريده فافشي
عليه فقال يا موسي اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فهرب الفرعوني فاخبر فرعون بما افشي الاسر
علي موسي وكان القتل بالامس مكتوما لا يدري من قتله فلما علم فرعون بذلك وجه في طلب موسي ليقتله
اشد الطلب واخذوا مجامع الطرق جاء رجل من اقصي المدينة يسعي فقال يا موسي ان الملا ياتمرون بك
ليقتلوك فخرج كما اخبر الله سبحانه وتعالي فخوف موسي انما كان من اجل هذا الحدث فهو وان قربه

فامعنى الخوف بعد التوبة والمغفرة

ربه واكرمه واصطفاه بالكلام فالتهمة الباقية ولت به ولم يعقب **قوله تعالى** وادخل يدك
في جيبك تخرج بيضا من غير سو تقدم تفسيره والقول فيه في تسع ايات قال النحاس احسن ما قيل فيه ان
هذه الاية داخلة في تسع ايات قال المهدوي المعني الق عصاك وادخل يدك في جيبك فهما ايتان
من تسع ايات وقال معناه القشيري كما تقول خرجت في عشرة نفر وانت احدهم اي خرجت عاشر عشرة
ففي بمعني من لقربها منها كما تقول خذ لي عشرا من الابل فيها فحلان اي منها وقال الاصمعي في قول امري القيس

وهل ينعمن من كان اخر عهده ... ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال

دع

في بمعني من وقيل في بمعني مع فالايات عشرة منها اليد والتسع الفلق والعصا والجراد والقمل والضفادع
والدم والسنين والطمس وقد تقدم بيان جميعه **قوله تعالى** الي فرعون وقومه قال الفراء في
الكلام اضمار لدلالة الكلام عليه اي انك مبعوث او مرسل الي فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين
اي خارجين عن طاعة الله وقد تقدم **قوله تعالى** فلما جاتهم اياتنا مبصرة اي واضحة بينة قال
الاخفش ويجوز مبصرة وهو مصدر كما يقال الولد مجبنة **قوله تعالى** قالوا هذا سحر مبين جروا علي
عادتهم في التكذيب ولهذا قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اي تيقنوا انها من عند الله
وانها ليست سحرا ولكنهم كفروا بها وتكبروا ان يومنوا بموسي وهذا يدل علي انهم كانوا معاندين وظلما
وعلوا منصوبان علي نعت مصدر محذوف اي وجحدوا بها جحودا ظلما وعلوا والبا زايدة اي وجحدوها قاله
ابو عبيدة فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين اي جزا امر الكافرين انظر ذلك بعين قلبك
وتدبر فيه الخطاب له والمراد غيره **قوله تعالى** ولقد اتينا داود وسليمان علما اي فهما قاله قتادة
وعلما بالدين والحكم وغيرهما كما قال وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل صنعة الكيميا وهو شاذ وانما الذي اتاهما
الله النبوة والخلافة في الارض والزبور **قوله تعالى** وقالا الحمد لله الذي فضلنا علي كثير من عباده
المومنين وفي الاية دليل علي شرف العلم وانافة محله وقد تقدم جملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم
واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا علي كثير من عباد الله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وقد تقدم هذا في غير موضع **قوله تعالى** وورث سليمان داود قال الكلبي
كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا ذكرا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ولو كان
وراثة المال لكان جميع اولاده فيه سوا وقاله ابن العربي قال فلو كانت وراثة مال لانقسمت علي العدد
فخص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة وزاده من فضله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده قال
ابن عطية داود من بني اسرايل وكان ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة بمعني صار اليه
ذلك بعد موت ابيه فسمي ميراثا تجوزا وهذا نحو قولهم العلما ورثة الانبيا ويحتمل قوله عليه السلم انا معشر
الانبيا لا نورث يريد ان ذلك من فعل الانبيا وسيرتهم وان كان فيهم من ورث ماله كزكريا علي اشهر الاقوال
فيه وهذا كما تقول انا معشر المسلمين انما شغلتنا العبادة والمراد ان ذلك فعل الاكثر ومنه ما حكي
سيبويه انا معشر العرب اقري الناس لضيف قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد تقدم هذا المعني في مريم
وان الصحيح القول الاول لقوله عليه السلام انا معشر الانبيا لا نورث فهو عام ولا يخرج شي منه الا بدليل
قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضي منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان قال غيره
ولم يبلغ احد من الانبيا ما بلغ ملكه فان الله سبحانه وتعالي سخر له الانس والجن والطير والوحش واتاه
ما لم يوت احدا من العالمين وورث اباه في الملك والنبوة وقام بشريعته وكل نبي جا من بعد موسي
ممن بعث او لم يبعث فانما كان بشريعة موسي الي ان بعث الله المسيح عليه السلام فنسخها وبينه وبين
الهجرة نحو من الف وثمانماية سنة واليهود تقول الف وثلثماية سنة وقيل ان بين موته وبين مولد النبي صلي
الله عليه وسلم نحو من الف وسبعماية سنة واليهود تنقص منها ثلثماية سنة وعاش نيفا وخمسين سنة
قوله تعالى وقال يا ايها الناس اي قال سليمان لبني اسرايل علي جهة الشكر لنعم الله **قوله تعالى**
علمنا منطق الطير اي تفضل الله علينا علي ما ورثنا من داود من العلم والنبوة والخلافة في الارض
في ان فهمنا من اصوات الطير المعاني التي في نفوسها قال مقاتل في الاية كان سليمان جالسا اذ مر به
طاير يطوف فقال لجلسايه اتدرون ما يقول هذا الطير انها قالت لي السلام عليك ايها الملك
المسلط والنبي لبني اسرايل اعطاك الله الكرامة واظهرك علي عدوك اني منطلق الي افراخي ثم

كان سليمان اعظم ملكا من داود عليه السلام واقضي منه

امرتك الثانية وانه سيرجع الينا الثانية فقال انه يقول السلام عليك ايها الملك المسلط ان شئت
ان تاذن لي كيما اكتسب على افراخي حتى يشبعوا ثم اتيك فافعل بي ما شئت فاخبرهم سليمان بما قال
واذن له فانطلق وقال فرقد السنجي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال
لاصحابه اتدرون ما تقول هذا البلبل قالوا الا يا نبي الله قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفا. ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخا فقال له سليمان احذر يا هدهد فقال
يا نبي الله هذا صبي لا عقل له فانا اسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في
يديه فقال يا هدهد ما هذا قال ما رايتها حين وقعت فيها يا نبي الله قال ويحك فانت ترى الما تحت
الارض اما ترى الفخ قال يا نبي الله اذا نزل القضا عمي البصر. وقال كعب صاح ورشان عند سليمان بن داود
قال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا
وصاح طاوس عنده فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان. وصاح عنده
هدهد قال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم. وصاح صرد عنده فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثمة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قتله وقيل ان الصرد هو الذي دل ادم على مكان البيت وهو اول من صام وكذلك يقال له الصرد
الصوام روي عن ابي هريرة. وصاحت عنده طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول
كل حي ميت وكل جديد بال. وصاحت عنده خطافة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول قدموا
خيرا تجدوه فمن ثمة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها وقيل ان ادم لما خرج من الجنة اشتكى الى
الله الوحشة فانسه الله بالخطاف والزمها البيوت فهي لا تفارق بني ادم انسا لهم قال ومعها اربع ايات
من كتاب الله عز وجل لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخرها وتمد صوتها بقولها العزيز الحكيم
وهدرت حمامة عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى عدد ما
في سمواته وارضه. وصاح قمري عند سليمان قال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي
العظيم سبحان ربي الاعلى المهيمن. قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار
والحداة تقول كل شي هالك الا وجهه. والقطا تقول من سكت سلم. والببغا تقول ويل لمن الدنيا
همه. والضفدع يقول سبحان ربي القدوس. والبازي يقول سبحان ربي وبحمده. والسرطان يقول
سبحان المذكور بكل مكان. وقال مكحول صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا
قال انه يقول الرحمن على العرش استوى. وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال اذكروا
الله يا غافلين. وقال الحسن بن علي بن ابي طالب النسر اذا صاح قال يا ابن ادم عش ما شئت فاخرك الموت
واذا صاحت العقاب قالت في البعد من الناس الراحة. واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغض ال محمد
صلى الله عليه وسلم. واذا صاح الخطاف قرا الحمد لله رب العالمين الى اخرها فيقول ولا الضالين ويمد بها
صوته كما يمد القاري. قال قتادة والشعبي انما هذا الامر في الطير خاصة لقوله علمنا منطق الطير والنملة
طاير اذ قد يوجد له اجنحة قال الشعبي وكذلك كانت هذه النملة ذات جناحين وقالت فرقة بل كان
في جميع الحيوان. وانما ذكر الطير لانه كان جندا من جند سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس وفي البعث
في الامور فخص بالذكر لكثرة مداخلته ولان امر ساير الحيوان نادر وغير متردد ترداد امر الطير وقال
ابو العالية جعفر قال ابن النحاس فالمنطق قد يقع لما يفهم بغير كلام فالله عز وجل اعلم بما اراد قال
ابن العربي من قال انه لا يعلم الا منطق الطير فنقصان عظيم. وقد اتفق الناس على انه كان يعلم كلام
من لا يتكلم ويخلق له فيه القول من النبات. وكان كل نبت يقول له انا شجر كذا انفع من كذا
واضر من كذا فما ظنك بالحيوان **قوله تعالى** وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ اي من كل شي بنا اليه حاجة
من النبوة والعلم والحكمة والمال وتسخير الجن والانس والطير والوحش والرياح والدواب وكل ما بين
السما والارض **قوله تعالى** إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ اي الظاهر والمظهر لتفضيلنا
قوله تعالى وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ فيه مسالتان
الاولى قوله سبحانه وتعالى وحشر حشر جمع والحشر الجمع ومنه قوله عز وجل وحشرناهم فلم نغادر منهم
احدا اختلف الناس في مقدار جند سليمان عليه السلام فيقال كان معسكره مائة فرسخ في مائة خمسة

اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا

كما تدين تدان

من لا يرحم لا يرحم

كل حي ميت وكل جديد بال

سبحان ربي العظيم

اذكروا الله يا غافلين

لكل نبت قول

وعشرين للجن وخمسة وعشرين للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له
الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية ابن عطية اختلف في معسكره ومقدار
جنده اختلافا شديدا غير ان الصحيح ان ملكه كان ملكا عظيما ملا الارض وانقادت له المعمورة كلها
فهم يوزعون معناه يرد اولهم الى اخرهم ويكفون عن قتادة كان لكل صنف وزعة في رتبتهم ومواضعهم من
الكرسي ومن الارض اذا مشوا فيها يقال وزعته ازعه وزعا اي كففته والوازع في الحرب الموكل بالصفوف
يزع من تقدم منهم روى محمد بن اسحاق عن اسما بنت ابي بكر قالت لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذي طوى يعني يوم الفتح قال ابو قحافة وقد كف بصره يومئذ لابنته اظهري بي على ابي قبيس قالت
فاشرفت به عليه فقال ما ترين قالت ارى سوادا مجتمعا قال تلك الخيل قالت وارى رجلا بين السواد
مقبلا ومدبرا قال ذلك الوازع يمنعها ان تنتشر وذكر تمام الخبر ومن هذا قوله عليه السلام فما رئي
الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من
تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر قيل وما راى يا رسول الله قال اما
انه راى جبريل عليه السلام يزع الملايكة اخرجه الموطا ومن هذا المعنى قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا	وقلت الما اصح والشيب وازع
اخر: ولما تلاقينا جرت من عيوننا	دموع وزعنا غربها بالاصابع
اخر: ولا يزع النفس اللجوج عن الهوى	من الناس الا وافر العقل كامله

وقيل هو من التوزيع بمعنى التفريق والقوم اوزاع اي طوايف وفي القصة ان الشياطين نسجت
له بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له كرسي من ذهب وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب
وفضة فتقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة **الثانية** في الاية دليل على اتخاذ
الامام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعهم من تطاول بعضهم على بعض اذ لا يمكن ذلك بانفسهم وقال
ابن عباس سمعت الحسن يقول وهو في مجلس قضائه فلما راى ما يصنع الناس قال والله ما يصلح هولا الا
وزعه وقال الحسن ايضا لا بد للناس من وازع اي من سلطان يكفهم وقال ابن القاسم حدثنا مالك
ان عثمان بن عفان كان يقول ما يزع الامام اكثر مما يزع القران اي من الناس قال ابن القاسم قلت
لمالك ما يزع قال يكف قال القاضي ابو بكر بن العربي وقد جهل قوم المراد بهذا الكلام فقالوا ان المعنى
ان قدرة السلطان تردع الناس اكثر مما تردعهم حدود القران هذا جهل بالله وحكمته فان الله ما وضع
الحدود الا مصلحة عامة كافة قايمة لقوام الخلق لا زيادة عليها ولا نقصان معها ولا مصلحة سواها
ولكن الظلمة خاسوا بها وقصروا عنها واتوا ما اتوا بغير نية ولم يقصدوا وجه الله سبحانه وتعالى
في القضا بها فلم يردع الخلق بها ولو حكموا بالعدل واخلصوا النية لاستقامت الامور وصلح الجمهور
قوله تعالى حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ الى قوله فتبسم ضاحكا فيه
ست مسايل **الاولى** قوله تعالى حتى اذا اتوا على واد النمل قال قتادة ذكر لنا انه واد بارض الشام وقال
كعب هو الطايف قالت نملة يا ايها النمل قال الشعبي كان للنملة جناحان فطارت مع الطاير
فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لما علمه وقد مضى هذا ويأتي وقرا سليمان التيمي نملة والنمل بفتح
النون وضم الميم وعنه ايضا بضمهما جميعا وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة
قرارها وقال كعب اتى سليمان عليه السلام بوادي السدير من اودية الطايف فاتى على وادي
النمل فراى نملة تمشي وكانت عرجا اسمها شكاوس مثل الذيب في العظم فنادت ايها النمل الاية
الزمخشري سمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال وكانت تمشي وهي عرجا وكان اسمها شكاوس
وقيل كان اسمها طاخية وقال السهيلي ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه السلم وقالوا اسمها
حرميا ولا ادري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضا ولا الادميون يمكنهم تسمية
واحدة منهم باسم علم لانه لا يتميز للادميين بعضهم من بعض ولا هم ايضا واقعون تحت ملكة بني ادم
كالخيل والكلاب ونحوها فان العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب فان قلت ان العلمية
موجودة في الاجناس كثعالة واسامة وجعال وقثام في الضبع وغير ذلك ونحو هذا كثير
فليس اسم النملة من هذا لانهم زعموا انه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين ساير النمل وثعالة

اتخاذ الامام

اسم النملة

ونحوه لا يختص بواحدة من الجنس بل كل واحدة رايته من ذلك الجنس فهو ثعاله وكذلك اسامة وابن اوي وابن عرس وما اشبه ذلك فان صح ما قالوه فله وجه وهو ان يكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم في التوراة او في الزبور او في بعض الكتب المنزلة او في بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الانبيا قبل سليمان او بعضهم وخصت بالتسمية لنطقها وايمانها فهذا وجه واما معنى قولنا بايمانها انها قالت للنمل لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون التفاته مومن اي من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها الا بان لا يشعرون وقد قيل ان تبسم سليمان سرورا بهذه الكلمة منها وكذلك اكد التبسم بقوله ضاحكا اذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضى الا تراهم يقولون تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئين وتبسم الضحك انما يكون عن سرور ولا يسر نبي بامر دنيا وانما يسر بما كان من الدين وقولها وهم لا يشعرون اشارة الى الدين والرافة ونظير قول النملة في جند سليمان قوله سبحانه وتعالى في جند محمد صلى الله عليه وسلم فتصيبكم منهم معرة بغير علم التفاتا الى انهم لا يقصدون هدر مومن الا ان المثني على جند سليمان هي النملة باذن الله سبحانه وتعالى والمثني على جند محمد صلى الله عليه وسلم هو الله جل وعز بنفسه لما لجنود محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جند غيرهم من الانبيا كما لمحمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على ساير النبيين صلى الله عليهم اجمعين وقرا شهر بن حوشب مسكنكم بسكون السين على الانفراد وفي مصحف ابي في مساكنكن لا يحطمنكن ذكره النحاس اي لا يكسرنكم بوطيهم عليكم وهم لا يعلمون بكم قال المهدوي وافهم الله سبحانه وتعالى هذه النملة لتكون معجزة لسليمان وقال وهب امر الله تعالى الريح ان لا يتكلم احد بشي الا طرحته في سمع سليمان بسبب ان الشيطان اراد كيده وقد قيل ان هذا الوادي كان ببلاد اليمن وانها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد قاله الكلبي وقال نوف الشامي وشقيق بن سلمة كان نمل ذلك الوادي كهيئة الذباب في العظم وقال بريدة الاسلمي كهيئة النعاج قال محمد بن علي الترمذي فان كان على هذه الخلقة فلها صوت وانما افتقد صوت النمل الان لصغر خلقها والا فالاصوات في الطيور والبهايم كائنة وذلك منطقهم وفي تلك المناطق معاني التسبيح وغير ذلك وهو قوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقوله لا يحطمنكم سليمان يدل على صحة قول الكلبي اذ لو كانت كهيئة الذباب والنعاج لما حطمت بالوطي والله اعلم وقال ادخلوا مساكنكم فجا على خطاب الادميين لان النمل هاهنا اجري مجرى الادميين حين نطق كما ينطق الادميون قال ابو اسحاق الثعلبي ورايت في بعض الكتب ان سليمان قال لها لم حذرت النمل اخفت ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يتمنين مثل ما اعطيت او يفتتن بالدنيا او يشتغلن بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر فقال لها سليمان عظيني فقالت النملة اما علمت لم سمي ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جرحه فوداهل علمت لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم الناحية على ما اوتيته بسلامة صدرك وان لك ان تلحق بابيك ثم قالت اتدري لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا ثم مضت مسرعة الى قومها فقالت هل عندكم من شي نهديه الى نبي الله قالوا وما قدر ما نهدي له والله ما عندنا الا نبقة واحدة قالت حسنة ايتوني بها فاتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها وامر الله الريح فاحملتها واقبلت تشق الجن والانس والعلما والانبيا على البساط حتى وقعت بين يدي سليمان ثم وضعت تلك النبقة من فيها في كفه وانشات تقول

الم ترنا نهدي الى الله ماله	وان كان عنه ذا غني فهو قابله
وان كان يهدي للجليل بقدره	لا قصر عنه البحر يوما وساحله
ولكننا نهدي الى من نحبه	فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك الا من كريم فعاله	والا فما في ملكنا ما يشاكله

فقال لها بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة اشكر خلق الله واكثر خلق الله وقال ابن عباس نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب الهدهد والصرد والنملة والنحلة خرجه ابو داود وصححه

انواع التبسم

قال الشيخ القرطبي

مقالة النملة لسليمان داود

وصف النملة في نفسها وانشادات تقول

ابو محمد عبد الحق وروي من حديث ابي هريرة وقد مضى في الاعراف فالنملة اثنت على سليمان واخبرت باحسن ما يقدر عليه بانهم لا يشعرون ان حطموك ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم فنفت عنه الجور فلذلك نهي عن قتلها وعن قتل الهدهد لانه كان دليل سليمان على الما ورسوله الى بلقيس وقال عكرمة انما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لانه كان بارا بابويه والصرد يقال له الصرد الصوام وروي عن ابي هريرة قال اول من صام الصرد ولما خرج ابراهيم عليه السلام من الشام الى الحرم في بناء البيت كانت السكينة معه والصرد فكان الصرد دليله الى الموضع والسكينة مقداره فلما صار الى البقعة وقعت السكينة على موضع البيت ونادت ابن يا ابراهيم على مقدار ظلي وقد تقدم في الاعراف سبب النهي عن قتل الضفدع وفي النحل النهي عن قتل النحل والحمد لله **الثانية** قرا الحسن لا يحطمنكم وعنه ايضا لا يحطمنكم وعن ابي رجا لا يحطمنكم والحطم الكسر حطمته حطما اي كسرته وحطم والتحطم التكسير وهم لا يشعرون يجوز ان يكون حالا من سليمان وجنوده والعامل في الحال يحطمنكم او حالا من النملة والعامل قالت اي قالت ذلك في حال غفلة الجنود كقولك قمت والناس غافلون او حالا من النمل ايضا والعامل قالت على ان المعنى والنمل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالتها وفيه بعد وسياتي **الثالثة** روى مسلم من حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نملة قرصت نبيا من الانبياء فامر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة اهلكت امة من الامم تسبح وفي طريق اخر فهلا نملة واحدة قال علماؤنا ان هذا النبي هو موسى عليه السلام وانه قال يا رب تعذب اهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطايع فكانه احب ان يريه ذلك من عنده فسلط الله عليه حتى التجى الى شجرة مستروحا الى ظلها وعندها قرية النمل فغلبه النوم فلما وجد لذة النوم لذعته نملة فاضجرته فدلكهن بقدمه فاهلكهن واحرق تلك الشجرة التي عندها مساكنهم فاراه الله العبرة في ذلك انه لما لذعتك نملة فكيف اصبت الباقين بعقوبتها يريد ان ينبهه ان العقوبة من الله تعالى تعم فتصير رحمة على المطيع وطهارة وبركة وشرا ونقمة على العاصي وعلى هذا فليس في الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر من قتل النمل فان من اذاك حل لك دفعه عن نفسك ولا احد من خلقه اعظم حرمة من المومن وقد ابيح لك دفعه عنك بقتل وضرب على المقدار فكيف بالهوام والدواب التي قد سخرت لك وسلطت عليك فاذا اذاك احل لك قتله وروي عن ابراهيم ما اذاك من النمل فاقتله وقوله الا نملة واحدة دليل على ان الذي يوذي يوذى ويقتل وكلما كان القتل لدفع ضرر او نفع فلا باس به عند العلما واطلق له نملة ولم يخص تلك النملة التي لذعت من غيرها لانه ليس المراد القصاص لانه لو اراده لقال الا نملتك التي لذعتك ولكن قال الا نملة واحدة فكان نملة تعم البري والجاني وذلك ليعلم انه اراد ان ينبهه لمسالة ربه في المطيع والعاصي وقد قيل ان هذا النبي كانت العقوبة للحيوان بالتحريق جايزة في شرعه ولذلك انما عاتبه الله سبحانه وتعالى في احراق الكثير من النمل لا في اصل الاحراق الا تري الى قوله تعالى فهلا نملة واحدة احرقت نملة واحدة وهذا بخلاف شرعنا فان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التعذيب بالنار فقال لا يعذب بالنار الا الله وكذلك ايضا كان قتل النمل مباحا في شريعة ذلك النبي فان الله تعالى لم يعتبه على اصل قتل النمل واما شرعنا فقد جا عن ابن عباس وابي هريرة النهي عن ذلك وقد كره مالك قتل النمل الا ان يضر ولا يقدر على دفعه الا بالقتل وقد قيل ان هذا النبي انما عاتبه الله لانه اسم لنفسه باهلاك جماعة اذاه واحدة وكان الاولى به الصبر والصفح لكن وقع للنبي ان هذا النوع موذ لبني ادم وحرمة بني ادم اعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق فلو انفرد له هذا النظر ولم ينضم اليه التشفي الطبعي لم يعاتب والله اعلم لكن لما انضاف اليه التشفي الطبعي الذي دل عليه سياق الحديث عوتب عليه **الرابعة** قوله اي ان قرصتك نملة اهلكت امة من الامم تسبح مقتضى هذا انه تسبيح مقال ونطق كما اخبر الله عن النمل ان لها منطقا وفهمه سليمان عليه السلام معجزة له وتبسم من قولها وهذا يدل دلالة واضحة على ان للنمل نطقا وقولا لكن لا يسمعه كل احد بل من شا الله سبحانه وتعالى ممن خرق له العادة من نبي او ولي ولا ينكر هذا من حيث انا لا نسمع ذلك فانه لا يلزم من عدم الادراك عدم المدرك في نفسه ثم ان الانسان يجد من نفسه قولا وكلاما لا يسمع منه الا اذا نطق بلسانه وقد خرق الله العادة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واسمعه كلام النفس من قوم تحدثوا مع انفسهم واخبرهم بما في نفوسهم كما قد نقل منه الكثير من ايمتنا في كتاب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

اني

وكذلك قد وقع لكثير ممن اكرمه الله سبحانه وتعالى من الاوليا مثل ذلك ما قصه واباه عن النبي
صلي الله عليه وسلم بقوله ان في امتي محدثون وان منهم عمر وقد مضي هذا المعني في الجماد في سبحان وانه
يسبح تسبيح لسان ومقال لا تسبيح دلالة حال والحمد لله **الخامسة** قوله تعالي فتبسم ضاحكا من قولها
وقرا ابن السميقع ضحكا بغير الف وهو منصوب علي المصدر بفعل محذوف يدل عليه تبسم لانه في معني
ضحك ومن قرا ضاحكا فهو منصوب علي الحال من الضمير في تبسم والمعني تبسم بمقدار الضحك لان الضحك
يستغرق التبسم والتبسم دون الضحك وهو اوله يقال بسم بالفتح يبسم بسما فهو باسم وابتسم وتبسم
والمبسم الثغر مثل المجلس من جلس يجلس ورجل مبسام وبسام كثير التبسم فالتبسم ابتداء الضحك والضحك
عبارة عن الابتداء والانتهاء الا ان الضحك يقتضي مزيدا علي التبسم فاذا زاد ولم يضبط الانسان
نفسه قيل قهقه والتبسم ضحك الانبياء عليهم السلام في غالب امرهم وفي الصحيح عن جابر بن سمرة و
قيل له اكنت تجالس رسول الله صلي الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح
او الغداة حتي تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فياخذون في امر الجاهلية فيضحكون
ويتبسم وفيه عن سعد قال كان رجل من المشركين قد احرق في المسلمين فقال له النبي صلي الله عليه وسلم
ارم فداك ابي وامي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فاصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته
فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي نظرت الي نواجذه فكان عليه السلام في اكثر احواله يتبسم
وكان ايضا يضحك في احوال اخر ضحكا اعلي من التبسم واقل من الاستغراق الذي تبدو فيه اللهوات
وكان في النادر عند افراط تعجبه ربما ضحك حتي بدت نواجذه وقد كره العلماء منه الكثرة كما قال لقمان
لابنه اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقد روي مرفوعا من حديث ابي ذر وغيره وضحك النبي
صلي الله عليه وسلم حتي بدت نواجذه حتي رمي سعد الرجل فاصابه انما كان سرورا باصابته لا
بانكشاف عورته وانه المنزه عن ذلك صلي الله عليه وسلم **السادسة** لا خلاف بين العلما ان الحيوانات
كلها لها افهام وعقول وقد قال الشافعي الحمام اعقل الطير قال ابن عطية والنمل حيوان فطن
قوي شمام جدا يدخر ويتخذ القري ويشق الحب بقطعتين ليلا ينبت ويشق الكزبرة باربع قطع لانها
تنبت اذا قسمت شقتين وياكل في عامه نصف ما جمع ويبقي سايره عدة قال ابن العربي وهذه خواص
العلوم عندنا وقد ادركتها النمل بخلق الله ذلك لها قال الاستاذ ابو المظفر شاهبور الاسفرايني
ولا يستبعد ان تدرك البهايم حدث العالم وحدث المخلوقات ووحدانية الاله ولكنا لا نفهم عنها ولا
تفهم عنا اما انا نطلبها وهي تفر منا بحكم الجنسية **قوله تعالي** وقال رب اوزعني ان اشكر
اي اشكر نعمتك علي وعلي والدي فان مصدريه اي الهمني ذلك واصله من وزع فكانه قال كفني عما
ما يسخطك قال محمد بن اسحق بن عمر اهل الكتاب ان ام سليمان هي امراة اوريا التي امتحن الله بها داود
وانه بعد موت زوجها تزوجها داود وولدت له سليمان وسياتي بيان هذا في سورة ص ان شا الله تعالي
قوله تعالي وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اي مع عبادك عن ابن زيد وقيل المعني في
جملة عبادك الصالحين **قوله تعالي** وتفقد الطير الي اخر قصة الهدهد فيه ثمان عشر مسالة
الاولي قوله تعالي وتفقد الطير ذكر شيئا اخر مما جري له في مسيره الذي كان فيه من النمل ما تقدم والتفقد
تطلب ما غاب عنك من شي والطير اسم جامع والواحد طاير والمراد بالطير هنا جنس الطير وجماعتها
وكانت تصحبه في سفره وتظله باجنحتها واختلف الناس في معني تفقد الطير فقالت فرقة ذلك
بما تقتضيه العناية بامور الملك والتهمم بكل جزء منها وهذا ظاهر الاية وقالت فرقة بل تفقد لان
الشمس دخلت في موضع الهدهد حين غاب وكان ذلك سبب تفقد الطير ليتبين من اين دخلت الشمس
وقال عبد الله بن سلام طلب الهدهد لانه احتاج الي معرفة الما علي كم هو من وجه الارض لانه كان نزل
في مفازة عدم الما فيها وان الهدهد كان يري باطن الارض وظاهرها وكان يخبر سليمان بموضع الما
ثم كانت الجن تخرجه في ساعة يسيرة تسلخ عنه وجه الارض كما تسلخ الشاة قاله ابن عباس فيما روي
عن ابن سلام قال ابو مجلز وانت تقرا القران قال نعم ثلاث مرات قال لما تفقد سليمان الهدهد
دون ساير الطير قال احتاج الي الما ولم يعرف عمقه او قال مسافته فكان الهدهد يعرف ذلك
دون ساير الطير فتفقده وقال في كتاب النقاش مسندا وروي ان نافع بن الازرق وكان

فضحك رسول الله حتي بدت الي نواجذه

سمع ابن عباس يذكر بيان الهدهد فقال له قف يا وقاف كيف يري الهدهد باطن الارض وهو لا يري الفخ حتي
يقع فيه فقال ابن عباس اذا نزل القضا عمي البصر وقال مجاهد قيل لابن عباس كيف تفقد الهدهد من الطير
فقال نزلت منزلا ولم يدر ما بعد الما وكان الهدهد مهتديا اليه فاراد ان يساله قال مجاهد كيف
يهتدي والصبي يضع له الحبالة فيصيده فقال اذا جا القدر عمي البصر قال ابن العربي ولا يقدر علي هذا
الجواب الا عالم القران قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا الجواب قد قاله الهدهد لسليمان كما تقدم
وانشدوا

اذا اراد الله امرا بامري	وكان ذا عقل وراي ونظر
وحيلة يعملها في دفع ما	ياتي به مكروه اسباب القدر
غطي عليه سمعه وعقله	وسله عن ذهنه سل الشعر
حتي اذا انفذ فيه حكمه	رد عليه عقله ليعتبر

قال الكلبي لم يكن له في مسيره الا هدهد واحد والله اعلم **الثانية** في هذه الاية دليل علي تفقد الامام
احوال رعيته والمحافظة عليهم فانظر الي الهدهد مع صغره كيف لم يخف علي سليمان حاله فكيف بعظام الملك
ويرحم الله عمر فانه كان علي سيرته قال لو ان سخلة علي شاطي الفرات اخذها الذيب ليسال عنها عمر فما
ظنك بوال يذهب علي يديه البلدان ويضيع الرعية ويضيع الرعيات وفي الصحيح عن عبد الله بن عباس ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الي الشام حتي اذا كان بسرغ لقيه امراء الاجناد ابو عبيدة واصحابه
فاخبروه ان الوبا قد وقع بالشام الحديث قال علماونا كان هذا الخروج من عمر بعدما فتح بيت المقدس
في سنة سبع عشرة علي ما ذكره خليفة بن خياط وكان يتفقد احوال رعيته واحوال امرايه بنفسه
فقد دل القران والسنة وهنا ما يجب علي الامام من تفقد احوال رعيته ومباشرة ذلك بنفسه والسفر
الي ذلك وان طال ورحم الله ابن المبارك حيث يقول وما افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
الثالثة قوله تعالي مالي لا اري الهدهد اي ما للهدهد لا اراه من القلب الذي يعرف معناه كقولك
مالي لا اراك كسيا اي مالك والهدهد طير معروف وهدهدته صوته قال ابن عطية انما مقصد الكلام
الهدهد غاب لكنه اخذ اللازم عن نفسه وهو انه لا يراه فاستفهم علي جهة التوقيف علي اللازم وهذا ضرب
من الايجاز والاستفهام الذي في قوله مالي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام وقيل انما قال مالي
لا اري الهدهد لانه اعتبر حال نفسه اذ علم انه اوتي الملك العظيم وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر باقامة
الطاعة وادامة العدل فلما فقد نعمة الهدهد توقع ان يكون قصر في حق الشكر فلاجله سلبها فجعل
يتفقد نفسه فقال مالي قال ابن العربي وهكذا تفعل شيوخ الصوفية اذا فقدوا امالهم تفقدوا اعمالهم
هكذا في الاداب فكيف بنا اليوم ونحن نقصر في الفرايض وقرا ابن كثير وابن محيصن وعاصم والكسايي
وهشام وايوب مالي بفتح اليا وكذلك في يس مالي لا اعبد واسكنها حمزة ويعقوب وقرا الباقون المدنيون
وابو عمرو بفتح التي في يس واسكان هذه قال ابو عمرو لان هذه التي في النمل استفهام والاخري انتفا
واختاره ابو حاتم وابو عبيد الاسكان فقال مالي وقال ابو جعفر النحاس زعم قوم انهم ارادوا ان
يفرقوا بين ما كان مبتدا وبين ما كان معطوفا علي ما قبله وهذا ليس بشي وانما هي يا النفس
من العرب من يفتحها ومنهم من يسكنها فقرءوا باللغتين واللغة الفصيحة في يا النفس ان تكون مفتوحة
لانها اسم وهي علي حرف واحد وكان الاختيار الا يسكن فيجحف بالاسم ام كان من الغايبين بمعني بل **الرابعة**
قوله تعالي لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه دليل علي ان الحد علي قدر الذنب لا علي قدر الجسد اما انه
يرفق بالمحدود في الزمان والصفة روي عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد ان تعذيبه للطير كان بان
ينتف ريشه قال ابن جريج ريشه اجمع وقال يزيد بن رومان جناحاه وفعل هذا سليمان الهدهد اغلاظا
علي العاصين وعقابا علي اخلاله بنوبته وكان الله اباح له ذلك كما اباح ذبح البهايم والطيور للاكل
وغيره من المنافع والله اعلم وفي نوادر الاصول حدثنا سليمان بن حميد ابو الربيع الايادي قال اخبرنا
عون بن عمارة عن الحسين الجعفي عن الزبير بن حريث عن عكرمة قال انما صرف الله شر سليمان عن الهدهد
لانه كان بارا بوالديه وسياتي وقيل تعذيبه ان يجعل مع اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة
الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه وقيل ايداعه القفص وقيل بان جعله في الشمس بعد نتفه
وقيل تبعيده عن خدمتي والملوك يودبون بالهجران الجنيد بتفريق الفه وهو موكد بالنون

ظا.

الثقيلة وهي لازمة او الخفيفة قال ابو حاتم لو قريت لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه جاز او ليأتيني
بسلطان مبين اي بحجة بينة ابي وليست اللام من ليأتيني لام القسم لانه لا يقسم سليمان على فعل
الهدهد ولكن لما جاء في قوله لاعذبنه وهو مما جاز به القسم اجراه مجراه وقرا ابن كثير وحده ليأتينني
بنونين **الخامسة** قوله تعالى فمكث غير بعيد اي الهدهد والجمهور من القراء على ضم الكاف
وقرا عاصم وحده بفتحها ومعناه في القراتين اقام قال سيبويه مكث يمكث مكوثا كما قالوا قعد يقعد
قعودا قال ومكث مثل ظرف قال غيره والفتح احسن لقوله تعالى ماكثين اذ هو من مكث يقال مكث يمكث
فهو ماكث ومكث يمكث مثل عظم يعظم فهو مكيث مثل عظيم ومكث يمكث فهو ماكث مثل حمد يحمد فهو حامد
والضمير في مكث يحتمل ان يكون لسليمان والمعنى بقي سليمان بعد التفقد والوعيد غير طويل اي غير وقت
طويل ويحتمل ان يكون للهدهد وهو الاكثر فجاء فقال احطت بما لم تحط به وهي **السادسة** اي علمت
ما لم تعلمه من الامر فكان في هذا رد على من قال ان الانبيا تعلم الغيب وحكى الفرا احط بادغام الطا في التا
وحكى احت بقلب الطاء تاء وبادغم **السابعة** قوله تعالى وجئتك من سبا بنبا يقين اعلم ان سليمان ما لم يكن
يعلمه ودفع عن نفسه ما توعده من العذاب والذبح وقرا الجمهور سباء بالصرف وابن كثير وابو عمرو سبا
بفتح الهمزة وترك الصرف فالاول على انه اسم رجل نسب اليه قوم وعليه قول الشاعر

الواردون وتيم في ذرا سبا | قد عض اعناقهم جلد الجواميس

وانكر الزجاج ان تكون اسم رجل وقال سبا اسم مدينة تعرف قارب اليمن بينها وبين صنعا مسيرة ثلاثة
ايام قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقع في عيون المعاني للغزنوي ثلاثة اميال
السدي بعث اليه اثني عشر نبيا وانشد النابغة الجعدي

من سبا الحاضرين مارب اذ | يبنون من دون سيله العرما

قال فمن لم يصرف قال انه مدينة ومن صرف وهو الاكثر فهو انه اسم للبلد ليكون مذكرا سمي به مذكر
وقيل انه اسم امراة سميت به المدينة والصحيح انه اسم رجل كذلك في كتاب الترمذي من حديث فروة
بن مسيك المرادي عن النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي ان شا الله سبحانه وتعالى قال ابن عطية وخفي
هذا الحديث على الزجاج فخبط عشوا وزعم الفرا ان ابن الرواسي سال عمرو بن العلا عن سبا قال ما ادري
ما هو قال النحاس وتاول الفرا على ابي عمرو انه منعه من الصرف لانه مجهول وانه اذا لم يعرف الشي لم
ينصرف قال النحاس وابو عمرو اجل من ان يقول هذا وليس في حكاية الرواسي عنه دليل انه انما منعه من
الصرف لانه لم يعرفه وانما قال لا اعرفه ولو سيل نحوي عن اسم فقال لا اعرفه لم يكن هذا دليلا على انه
من الصرف بل الحق على غير هذا والواجب اذا لم يعرفه ان يصرفه لان اصل الاسما الصرف وانما يمنع
الشي من الصرف لعلة داخلة عليه والاصل ثابت بيقين فلا يزول بما لا يعرفه وذكر كلاما كثيرا عن
النحاة قال في اخره والقول في سبا ما جاء فيه التوقيف في الاصل اسم رجل فان صرفته فلانه قد صار اسما
للحي وان لم تصرفه جعلته اسما للقبيلة مثل ثمود الا ان الاختيار عند سيبويه الصرف وحجته في ذلك
قاطعة لان هذا الاسم لما كان يقع له التذكير والتانيث اولى لانه الاصل والاخف **الثامنة**
وفي الاية دليل على ان الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس عندك اذا تحقق ذلك وتيقنه هذا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلالته وعلمه لم يكن علم بالاستيذان وكان التيمم عند عمار وغيره غاب
عن عمر وابن مسعود حتى قال لا يتيمم الجنب وكان حكم الاذن في ان تنفر الحايض عند ابن عباس ولم يعلمه عمر
ولا زيد بن ثابت وكان عند راس المحرم معلوما عند ابن عباس وخفي عن المسور بن مخرمة ومثله كثير
فلا نطول به **التاسعة** قوله تعالى اني وجدت امراة تملكهم لما قال الهدهد وجئتك من سبا
بنبا يقين قال سليمان وما ذاك الخبر قال اني وجدت امراة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل تملك
اهل سبا ويقال كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بينه وبينها قريبة وهي مسيرة
ثلاث بين صنعا ومارب فالجواب ان الله سبحانه وتعالى اخفى ذلك عنه لمصلحة لها كما اخفى مكان يوسف
على يعقوب ويحكى ان احد ابويها كان من الجن قال ابن العربي وهذا امر تنكره الملحدة ويقولون الجن لا ياكلون
ولا يتلذذون لعنهم الله اجمعين ذلك صحيح ونكاحهم جائز عقلا وان صح نقلا فبها ونعمت قال الشيخ القرطبي
رحمه الله خرج ابو داود من حديث عبد الله بن مسعود انه قال قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه

وسلم فقالوا يا محمد انه امتك ان يستنجوا بعظم او روثة او حممة فان الله جاعل لنا فيه رزقا وفي صحيح مسلم
لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانه طعام اخوانكم وفي البخاري من حديث ابي هريرة قال فقلت فما بال
العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه اتاني جن نصيبين ونعم الجن فسالوني الزاد فدعوت الله ان لا
يمروا بعظم ولا روثة الا وجدوا عليهما طعاما وهذا كله نص في انهم يطعمون واما نكاحهم فقد تقدمت
الاشارة اليه في سبحان عند قوله وشاركهم في الاموال والاولاد وروي وهب بن حزم عن الخليل بن
احمد عن عثمان بن حاضر قال كانت ام بلقيس من الجن يقال لها بلقمة بنت شيصان وسياتي لهذا زيادة
بيان ان شا الله تعالى **العاشرة** روى البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه
ان اهل فارس قد ملكوا ابنة كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة قال القاضي ابو بكر ابن العربي
هذا نص في ان المراة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل عن محمد بن جرير الطبري انه يجوز ان تكون
المراة قاضية ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن ابي حنيفة انها انما تقضي فيما تشهد
فيه وليس بان تكون قاضية على الاطلاق ولا بان يكتب لها مسطور بان فلانة مقدمة على الحكم
وانما ذلك كسبيل التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة وهذا هو الظن بابي حنيفة وابن
جرير وقد روي ان عمر قدم امراة على حسبة السوق ولم يصح فلا يلتفتوا اليه وانما هو من دسائس
المبتدعة في الاحاديث وقد تناظر في هذه المسالة القاضي ابو بكر بن الطيب الاشعري مع ابي الفرج
طرار شيخ الشافعية فقال ابو الفرج الدليل على ان المراة يجوز ان تحكم ان الغرض من الاحكام تنفيذ
القاضي ابو بكر ونقض كلامه بالامامة الكبرى فان الغرض منه حفظ الثغور وتدبير الامور وحماية
البيضة وقبض الخراج ورده على مستحقه وذلك لا يتاتى من المراة كتاتيه من الرجل قال ابن
العربي وليس كلام الشيخين في هذه المسالة بشي فان المراة لا يتاتى منها ان تبرز الى المجلس ولا تخالط
الرجال ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير لانها ان كانت فتاة حرم النظر اليها وكلامها وان كانت
برزة لا يجمعها والرجال مجلس واحد تزدحم فيه معهم وتكون مناظرة لهم ولن يفلح قوم من تصور هذا ولا من
اعتقده **الحادية عشرة** قوله تعالى واوتيت من كل شي مما تحتاجه المملكة وقيل المعنى واوتيت من كل
شي في زمانها فحذف المفعول لان الكلام دل عليه ولها عرش عظيم اي سرير ووصفه بالعظيم
في الهيبة ورتبة السلطان قيل كان من ذهب تجلس عليه وقيل العرش الملك والاول اصح لقوله تعالى
ايكم ياتيني بعرشها الزمخشري فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف
بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابنا
جنسها من الملوك ووصف عرش الله العظيم تعظيم له بالنسبة الى ما خلق من السموات والارض قال
ابن عباس كان طول عرشها ثمانين ذراعا وعرضه اربعين ذراعا وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعا
مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر قوائمه من زبرجد اخضر قتادة وقوائمه لولو وجوهر
وكان مسترا بالديباج والحرير عليه سبعة مغاليق مقاتل كان ثمانين ذراعا وهو مكلل بالجواهر
ابن اسحاق وكان يخدمها النسا وكان معها لخدمتها ستمائة امراة ابن عطية واللازم من الاية
انها امراة ملكة على مداين اليمن ذات ملك عظيم وكانت كافرة من قوم كفار **الثانية عشرة**
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله الاية قيل كانت ممن يعبد الشمس لانهم كانوا زنادقة
فيما يروى وقيل كانوا مجوسا يعبدون الانوار وروي عن نافع ان الوقف على عرش قال المهدوي فعظيم
على هذا متعلق بما بعده وكان ينبغي على هذا ان يكون عظيم ان وجدتها اي عظيم وجودي اياها كافرة
وقال ابن الانباري ولها عرش عظيم وقف حسن ولا يجوز ان يقف على العرش ويبتدي عظيم وجدتها الا
على من فتح لان عظيما نعت للعرش فلو كان متعلقا بوجدتها لقلت عظيمة وجدتها وهذا محال من كل وجه
وقد حدثني ابو بكر محمد بن الحسين بن شهرياذ قال حدثنا ابو عبد الله الحسين بن الاسود العجلي عن بعض
اهل العلم انه قال الوقف على عرش والابتدا عظيم على معنى عظيم عبادتهم الشمس والقمر قال وقد
سمعت لمن يويد هذا المذهب ويحتج بان عرشها احقر وادق شانا من ان يصفه الله بالعظمة قال
ابن الانباري والاختيار عندي ما ذكرته اولا لانه ليس على اضمار عبادة الشمس والقمر دليل وغير ممكن

ان يصف الهدهد عرشها بالعظمة اذ رآه متناهي الطول والعرض وحيه على اعراب عرش دليل على انه نعته وزين لهم الشيطان اعمالهم اي ما هم فيه من الكفر فصدهم عن السبيل اي عن طريق التوحيد فبين بهذا ان ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق فهم لا يهتدون الى الله وتوحيده

الثالثة عشرة قوله تعالى الا يسجدوا لله قرا ابو عمرو وعاصم ونافع وحمزة الا يسجدوا بتشديد الا قال ابن الانباري فهم لا يهتدون غير تام لمن شدد الا لان المعنى وزين لهم الشيطان ان لا يسجدوا قال النحاس هي ان دخلت لا وان في موضع نصب قال الاخفش بزين اي زين لهم لان لا يسجدوا وقال الكسائي بصدهم اي فصدهم لا يسجدوا وهو في الوجهين مفعول له وقال اليزيدي وعلي بن سليمان ان بدل من اعمالهم في موضع نصب وقال ابو عمرو وان في موضع خفض على البدل من السبيل وقيل العامل فيها لا يهتدون ان يسجدوا لله اي لا يعلمون ان ذلك واجب عليهم وعلى هذا القول لا زائدة كقوله ما منعك الا تسجد اي ما منعك ان تسجد وعلى هذه القراءة فليس بموضع سجدة لان ذلك خبر عنهم بترك السجود اما بالتزيين او بالصد او بمنع الاهتداء وقرا الزهري والكسائي وغيرهما الا يسجدوا لله بمعنى الا يا هولاء اسجدوا والان يا منادى بها الاسما دون الافعال وانشد سيبويه

يا لعنة الله والاقوام كلهم ... والصالحين على سمعان من جار

قال سيبويه يا لغير اللعنة لانه لو كان للعنة لكان نصبها لانه كان يصير منادى مضافا ولكن تقديره يا هولاء لعنة الله والاقوام على سمعان وحكى بعضهم سماعا عن العرب الا يا رحموا الا يا اصدقوا يريد الا يا قوم ارحموا اصدقوا فعلى هذه القراءة اسجدوا في موضع جزم بالامر والوقف عليه الا يا ثم يبتدي فيقول اسجدوا قال الكسائي ما كنت اسمع الاشياخ يقروها الا بالتخفيف على نية الامر وفي قراءة عبد الله هلا تسجدون لله بالتاء والنون وفي قراءة ابي الا تسجدون لله فهاتان القراءتان حجة لمن خفف وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد واختار ابو حاتم وابو عبيد قراءة التشديد وقال التخفيف وجه حسن الا ان فيه انقطاع الخبر عن امر سبا ثم يرجع بعد الى ذكرهم والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضا لا انقطاع في وسطه ونحوه قال النحاس قال قراءة التخفيف بعيدة لان الكلام يكون معترضا وقراءة التشديد يكون الكلام بها متسقا وايضا فان السواد على غير هذه القراءة لانه حذف منها الفان وانما يختصر مثل هذا بحذف الف واحدة نحو يا عيسى ابن مريم ابن الانباري وسقطت الف اسجدوا كما تسقط مع هاولا اذا اظهروا ولما سقطت بها الف وانضلت بها الف اسجدوا واسقطت فعد سقوطها دلالة على الاختصار وايثارا لما يخف وتقل الفاظه وقال الجوهري في اخر كتابه قال بعضهم ان يا في هذا الموضع انما هو للتنبيه كانه قال الا اسجدوا فلما ادخل عليه يا التنبيه سقطت الالف التي في اسجدوا لانها الف وصل وذهبت الالف التي في يا لاجتماع الساكنين لانها والسين ساكنان قال ذو الرمة

الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ... ولا زال منهلا بجرعايك القطر

وقال الجرجاني هو كلام معترض من الهدهد او سليمان او من الله اي الا تسجدوا كقوله قل للذين امنوا يغفروا للذين وقيل انه امر اي ليغفروا او يتنظم على هذا كتابة المصحف اي ليس ها هنا نداء قال ابن عطية فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل ان يكون من قول سليمان لما اخبره الهدهد عن القوم ويحتمل ان يكون من قول الله سبحانه وتعالى فهو اعتراض بين الكلامين وهو الثابت مع التامل وقراءة التشديد في ان لا يعطي ان الكلام للهدهد وقراءة التخفيف تمنعه والتخفيف يقتضي الامر بالسجود لله عز وجل الامر على ما بينا وقال الزمخشري فان قلت اسجدوا والتلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها واما مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للترك قال مصنفه غفر الله له وقد اخبر الله عن الكفار بانهم لا يسجدون كما في الانشقاق وسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في صحيح البخاري وغيره وكذلك في النمل والله اعلم الزمخشري وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التثقيل فغير مرجوع اليه الذي يخرج الخبا وخبء السماء قطرها وخبء الارض كنوزها ونباتها وقال قتادة الخبء السر النحاس وهذا اولى اي ما غاب في السموات والارض ويدل عليه ويعلم ما تخفون وما تعلنون وقرا عكرمة ومالك بن دينار الخب بفتح الباء بغير همز قال المهدوي وهو التخفيف

القياس وذكر من ترك الهمزة في الوقف وقال النحاس وحكى ابو حاتم ان عكرمة قرا الذي يخرج الخبا بالف غير مهموز وزعم ان هذا لا يجوز في العربية واعتل بانه ان خففت الهمزة القى حركتها على الباء وحذفها فقال الخب في السموات والارض وانه ان حول الهمزة قال الخبي باسكان الباء وبعدها يا قال النحاس وحكى ابو حاتم ان عكرمة قرا الذي يخرج الخبا باسكان الباء وبعدها ياء وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول كان ابو حاتم دون اصحابه في النحو ولم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلده لم يلق اعلم منه حكى سيبويه عن العرب انها تبدل من الهمزة الفا اذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة وتبدل منها واوا اذا كان قبلها ساكن وكانت مضمومة تبدل منها ياء اذا كان قبلها ساكن وكانت مكسورة فتقول هذا الوثو وعجبت من الوثي ورايت الوثا وهذا من وثيت يده وكذلك الخبو وعجبت من الخبي ورايت الخبا وانما فعل هذا لان الهمزة خفيفة فابدل منها هذا الحرف وحكى سيبويه عن قوم من بني تميم وبني اسد انهم يقولون هذا الخبو فيضمون الساكن اذا كانت الهمزة مضمومة ويثبتون الهمزة ويكسرون الساكن اذا كانت الهمزة مكسورة ويفتحون الساكن اذا كانت الهمزة مفتوحة وحكى سيبويه ايضا انهم يكسرون وان كانت الهمزة مضمومة الا ان هذا عن بني تميم فيقولون الردي وزعم انهم لم يضموا الدال لانهم كرهوا ضمة قبلها كسرة لانه ليس في الكلام فعل وهذه كلها لغات داخلة على اللغة التي قرا بها الجماعة وفي قراءة عبد الله الذي يخرج الخبا في السموات ومن ونى يرعا فبان تقول العرب لاستخرجن العلم منكم يريد فيكم قاله الفرا ويعلم ما يخفون وما يعلنون قراءة العامة فيهما بياء الغائب وهذه القراءة تعطي ان الاية من كلام الهدهد وان الله سبحانه وتعالى خصه من المعرفة بتوحيده ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه لهم ما خص به غيرهم من الطيور وسائر الحيوان من المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقول الراجحة تهتدي لها وقرا الجحدري وعيسى بن عمر وحفص والكسائي تخفون وتعلنون بالتاء على الخطاب وهذه القراءة تعطي ان هذه الاية من خطاب الله عز وجل لامة محمد صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قرا ابن محيصن العظيم رفعا نعتا لله الباقون بالخفض نعتا للعرش وخص بالذكر لانه اعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه وقبضه

الرابعة عشرة قوله تعالى قال سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح اصدقت ام كنت من الكاذبين في مقالتك وكنت بمعنى انت وقال سننظر ولم يقل سننظر في امرك لان الهدهد لما خرج بخبر العلم فقوله احطت بما لم تحط به صرح له سليمان بانه سننظر اصدقت ام كذبت وكان ذلك كما قاله

الخامسة عشرة في قوله اصدقت ام كنت من الكاذبين دليل على ان الامام يجب عليه ان يقبل عذر رعيته ويدرا العقوبة عنهم في ظاهر احوالهم بباطن اعذارهم لان سليمان لم يعاقب الهدهد حين اعتذر اليه وانما صار صدق الهدهد عذرا لانه اخبر بما يقتضي الجهاد وكان سليمان حبب اليه الجهاد وفي الصحيح لا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وقد قبل عمر عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه ولكن للامام ان يمتحن ذلك اذا تعلق به حكم من احكام الشريعة كما فعل سليمان فانه لما قال الهدهد اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم لم يستفزه الطمع ولا تستجره الزيادة والملك الى ان تعرض له حتى قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فغاضه حينئذ ما سمع وطلب الانتها الى ما اخبر به وتحصيل علم ما غاب عنه من ذلك فقال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين ونحو منه ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة حين استشار عمر الناس في املاص المراة وهي التي تضرب بطنها فتلقي جنينها فقال المغيرة بن شعبة شهدت النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة عبد او امة قال فقال عمر ايتني بمن يشهد معك قال فشهد له محمد بن مسلمة وفي رواية فقال لا تبرح حتى تاتي بالمخرج من ذلك فخرجت فوجدت محمد بن مسلمة فجيت به فشهد ونحوه حديث ابي موسى في الاستيذان وغيره

السادسة عشرة قوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم قال الزجاج فيها خمسة اوجه فالقه اليهم باثبات الياء في اللفظ وبحذف الياء واثبات الكسرة دالة عليها فالقه اليهم وبضم الهاء واثبات الواو على الاصل فالقهو اليهم وبحذف الواو واثبات الضمة فالقه اليهم والقراءة الخامسة قرا بها حمزة باسكان الهاء فالقه اليهم النحاس وهذا عند النحويين لا يجوز الا على حيلة بعيدة تكون بقدر الوقف وسمعت علي بن سليمان يقول لا يلتفت الى هذه العلة ولو جاز ان

يصل وينوي الوقف جاز ان يحذف الاعراب من الاسما وقال اليهم على لفظ الجمع ولم يقل اليها لانه
قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فكانه قال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين
واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك وروي في قصص هذه الاية
ان الهدهد وصل دون هذه الملكة تحت جدارات فعمد الى كوة كانت بلقيس صنعتها لتدخل منها
الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها فدخل منها فرمى الكتاب على بلقيس وهي فيما يروى نايمة فلما
انتبهت وجدته فراعها وظنت انه قد دخل عليها احد ثم قامت فوجدت حالها كما عهدت فنظرت
الى الكوة تهمما بامر الشمس فرات الهدهد فعلمت وقال وهب وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة
مطلع الشمس فاذا طلعت سجدت فسدها الهدهد بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطات
الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في
خاتمه فقراته فجمعت الملا من قومها فخاطبتهم بما ياتي بعد وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره
وطار حتى وقف على راس المراة وحولها الجنود والعساكر فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه
فرفعت المراة راسها فالقى الكتاب في حجرها السادسة عشرة وفي هذه الاية دليل على ارسال
الكتب للمشركين وتبليغهم الدعوة ودعاهم الى الاسلام وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى
وقيصر والى كل جبار كما تقدم في ال عمران السابعة عشرة قوله تعالى ثم تول عنهم امره بالتولي حسن
لينتحي حسب ما يتادب به مع الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعتهم قاله وهب بن منبه وقال
ابن زيد امره بالتولي بمعنى الرجوع اليه اي القه وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون في معنى
التقديم على قوله ثم تول واتساق رتبة الكلام واظهر اي القه ثم تول وفي خلال ذلك فانظر اي فانتظر
وقيل فاعلم كقوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي اعلم ماذا يرجعون اي يجيبون او ماذا يردون من القول
وقيل فانظر ماذا يتراجعون بينهم من الكلام قوله تعالى قالت يا ايها الملا اني القي الي
كتاب كريم فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى قالت يا ايها الملا في الكلام حذف والمعنى
فذهب فالقاه اليهم فسمعها تقول يا ايها الملا ثم وصفت الكتاب بالكريم اما لانه من عند عظيم في نفسها
ونفوسهم فعظمته اجلالا لسليمان عليه السلام وهذا قول ابن زيد واما انها اشارة الى انه مطبوع عليه
بالخاتم وكرامة الكتاب ختمه روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه بدا فيه ببسم الله الرحمن
الرحيم وقد قال صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يبدا فيه فهو اجزم وقيل لانه بدا فيه بنفسه بسم الله الرحمن الرحيم
ولا يفعل ذلك الا الجلة وفي حديث ابن عمر انه كتب الى عبد الملك بن مروان يبايعه من عبد الله لعبد الملك
بن مروان امير المومنين اني اقر لك بالسمع والطاعة ما استطعت وان بني قد اقروا لك بذلك
وقيل توهمت انه كتاب جاء من السما اذ كان الموصل طيرا وقيل كريم حسن كقوله ومقام كريم اي مجلس حسن
وقيل وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعا الى عبادة الله عز وجل وحسن الاستعطاف
والاستلطاف من غير ان يتضمن سبا ولا لعنا ولا ما يغير النفس ومن غير كلام نازل ولا مستغلق
على عادة الرسل في الدعا الى الله تعالى الا ترى الى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله لموسى وهرون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكلها وجوه
حسان وهذا احسنها وقد روي انه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم احد قبل سليمان وفي قراءة ابي وانه بزيادة
الواو الثانية الوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى انه لقران كريم
واهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير والاثير والمبرور فان كان لملك قالوا العزيز واسقطوا الكريم
غفلة وهو افضلها خصلة فاما الوصف بالعزيز فقد وصف به القران فقال سبحانه وتعالى وانه
لكتاب عزيز فهذه عزته وليست لاحد الا له فاجتنبوها في كتبكم واجعلوا بدلها العالي توفية لحق الولاية
وحياطة الديانة قاله القاضي ابو بكر بن العربي الثالثة كان رسم المتقدمين اذا كتبوا ان يبدوا
بانفسهم من فلان الى فلان وبذلك جاءت الاثار وروى الربيع عن انس قال ما كان احد اعظم حرمة من
النبي صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه اذا كتبوا بدوا بانفسهم وقال ابن سيرين قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان اهل فارس اذا كتبوا بدوا بعظمائهم فلا يبدا الرجل الا بنفسه قال ابو الليث السمرقندي
في كتاب البستان له ولو بدا بالمكتوب اليه جاز لان الامة قد اجمعت عليه وفعلوه لمصلحة راوا في

فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت

ذلك او نسخ ما كان من قبل والاحسن في زماننا هذا ان يبدا بالمكتوب اليه ثم بنفسه لان البداية بنفسه
تعد منه استخفافا بالمكتوب اليه وتكبرا عليه الا ان يكتب الى عبد من عبيده او غلام من غلمانه الرابعة
اذا ورد على انسان كتاب بالتحية او نحوها ينبغي ان يرد الجواب لان الكتاب من الغايب كالسلام من الحاضر
وروي عن ابن عباس انه كان يرى رد الكتاب واجبا كما يرى رد السلام والله اعلم الخامسة اتفقوا على كتب
بسم الله الرحمن الرحيم في اول الكتاب والرسايل وعلى ختمها لانه ابعد من الريبة وعلى هذا جرى الرسم وبه جاء الاثر
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايما كتاب لم يكن مختوما فهو اغلف وفي الحديث كرم الكتاب ختمه
وقال بعض الادبا من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به لان الختم ختم وقال انس لما اراد النبي صلى الله عليه
وسلم ان يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم فاصطنع خاتما ونقش على خاتمه لا اله الا الله
محمد رسول الله وكاني انظر الى وبيصه وبياضه في كفه السادسة قوله تعالى انه من سليمان وانه بالكسر
فيهما اي وان الكلام او ان مبتدا الكلام بسم الله الرحمن الرحيم واجاز الفرا انه من سليمان وانه بفتح
جميعا على ان يكونا في موضع رفع بدل من الكتاب بمعنى القي الي انه من سليمان واجاز ان يكونا في موضع نصب
على حذف الخافض لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره ببسم الله الرحمن الرحيم
وقرا اشهب العقيلي ومحمد بن السميفع الا تغلوا علي بالغين المعجمة وروي عن وهب بن منبه من غلا يغلو
اذا تجاوز وهي راجعة الى قراءة الجماعة واتوني مسلمين اي منقادين طايعين مومنين قوله تعالى
قالت يا ايها الملا افتوني في امري فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى قالت يا ايها الملا اشراف
القوم وقد مضى في البقرة القول فيه قال ابن عباس كان معها الف قيل وقيل اثنا عشر الف قيل مع كل قيل
ماية الف والقيل الملك دون الملك الاعظم فاخذت في حسن الادب مع قومها ومشاورتهم في امرها
واعلمتهم ان ذلك مطرد عندها في كل امر يعرض بقولها ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون فكيف في هذه
النازلة الكبرى فراجعها الملا بما يقر عينها من اعلامهم اياها بالقوة والباس ثم سلموا الامر الى نظرها
وهذه محاورة حسنة من الجميع قال قتادة ذكر لنا انه كان لها ثلاثماية وثلاثة عشر رجلا هم اهل مشورتها
كل رجل منهم على عشرة الاف الثانية في هذه الاية دليل على صحة المشاورة بالاراء وقد قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر في ال عمران اما استعانة بالاراء واما مداراة للاولياء
وقد مدح الله سبحانه وتعالى الفضلا بقوله وامرهم شورى بينهم فالمشاورة في الامر القديم وخاصة في الحرب
فهذه بلقيس امراة جاهلية كانت تعبد الشمس قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم وحزمهم فيما يقيم امرهم وامضاءهم على الطاعة لها لعلمها بانهم ان لم يبذلوا انفسهم
ودماءهم واموالهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها وان لم يجتمع امرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك
عونا لعدوهم عليهم وان لم تختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من امرهم وربما كان في استبدادها
برايها وهن في طاعتها ودخيلة في تقديرهم وكان في مشاورتهم واخذ رايهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم
وشدة مدافعتهم الا ترى الى قولهم في جوابهم نحن اولوا قوة واولوا باس شديد قال ابن عباس كان من قوة
احدهم انه يركض فرسه حتى اذا احتمى ضم فخذيه فحبسه بقوته الثالثة قوله تعالى والامر اليك فانظري
ماذا تامرين سلموا الامر الى نظرها مع ما اظهروا لها من القوة والباس والشدة فلما فعلوا ذلك اخبرت عند
ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي هذا الكلام خوف على قومها وحيطة لهم واستعظام
لامر سليمان وكذلك يفعلون قيل هو من قول بلقيس تاكيدا للمعنى الذي ارادته وقال ابن عباس هو من قول
الله عز وجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته بذلك ومخبرا به وقال وهب لما قرات عليهم الكتاب لم يعرف
اسم الله فقالت ما هذا فقال بعض القوم ما نظن هذا الا عفريتا عظيما من الجن يقتدر به هذا الملك على ما يريده
فسكتوه وقال الاخر اراهم ثلاثة من العفاريت فسكت فقال شاب قد علمت يا سيدة الملوك ان سليمان
ملك قد اعطاه الله ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة الا بدا فيها بتسمية الاهه والله اسم مليك
السما والرحمن والرحيم نعوته فعندها قالت افتوني في امري فقالت نحن اولوا قوة في القتال واولوا باس
شديد في الحرب واللقا والامر اليك ردوا امرهم اليها لما جربوا على رايها من البركة فانظري ماذا تامرين
فقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها واخربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اهانوا اشرافها ليستقيم
لهم الامور فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون قال ابن الانباري وجعلوا اعزة اهلها اذلة وهذا وقف

تام فقال الله عز وجل تحقيقا لقولها وكذلك يفعلون وشبهه في سورة الاعراف قال الملأ من قوم فرعون
ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم تم الكلام فقال فرعون فماذا تامرون قال ابن شجرة هو من قول
بلقيس فالوقف فكذلك يفعلون اي وكذلك يفعل سليمان اذا دخل بلادنا **قوله تعالى** واني مرسلة
اليهم بهدية فيه ست مسايل **المسالة الاولى** قوله تعالى اني مرسلة اليهم بهدية هذا من حسن نظرها
وتدبيرها اي اني اختبر هذا الرجل بهدية واعطيه فيها نفايس الاموال واغرب عليه بامور المملكة
فان كان ملكا دنيا ويا ارضاه المال وعلمنا معه بحسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال ولازمنا في امر الدين
فينبغي ان نؤمن به ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهدية عظيمة اكثر الناس في تفضيلها فقال سعيد بن جبير
عن ابن عباس ارسلت بلبنة من ذهب فرات الرسل الحيطان من ذهب فصغر عندهم ما جاؤوا به وقال
مجاهد ارسلت بمايتي غلام ومايتي جارية وروي عن ابن عباس باثني عشر وصيفا مذكرين قد البستهم
زي الغلمان واثني عشر غلاما مونثين قد البستهم زي النسا وعلى ايدي الوصايف اطباق مسك وعنبر وباثني
عشر نجيبة تحمل لبن الذهب وبخرزتين احديهما غير مثقوبة والاخرى مثقوبة ثقبا معوجا وبقدح لا شيء
فيه وبعضا كانوا يتوارثونها ملوك حمير وانفذت الهدية مع جماعة من قومها وقيل كان الرسول واحدا
ولكن كان في صحبته اتباع وخدم وقيل ارسلت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمنت
اليه رجالا ذوي راي وعقول والهدية مائة وصيف ومائة وصيفة قد خولف بينهم في اللباس وقالت
للغلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث يشبه كلام النسا وقالت للجواري كلمنه بكلام فيه
غلظ يشبه كلام الرجال ويقال ان الهدهد جاء فاخبر سليمان بذلك كله وقيل ان الله اخبر سليمان
بذلك فامر سليمان ان يبسط من موضعه الى تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضة ثم قال اي الدواب
رايتم احسن في البر والبحر قالوا يا نبي الله رايناها في بحر كذا ذوات منطقة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف
ونواصي فامر بها فجاءت فشدت على يمين الميدان وعلى يساره الذهب لبنات والفضة والقوا اليها علوفا
ثم قال للجن علي باولادكم فاقامهم احسن ما يكون من الشباب عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان عليه
السلام على كرسيه في مجلسه ووضع له اربعة الاف كرسي من ذهب عن يمينه ومثلها عن يساره واجلس
عليها الانبياء والعلما وامر الشياطين والجن ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر السباع والوحوش والهوام
والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب
التي لم تر اعينهم احسن منها تروث على لبنات الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم
من الهدايا وفي بعض الروايات ان سليمان لما امرهم ان يفرشوا الميدان بلبنات الذهب والفضة
امرهم ان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع بساط من الارض غير مفروشة فلما مروا بها خافوا
ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان فلما راوا الشياطين راوا منظرا هائلا فظيعا
ففزعوا فقال لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والبهائم
والهوام والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان فنظر اليهم نظرا حسنا بوجه طلق وقد كانت
قالت لرسولها ان نظر اليك نظر مغضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايت
الرجل بشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فاخبر الهدهد سليمان بذلك على ما تقدم
وكانت عمدت الى حقة من ذهب فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب وكتبت
مع رسولها كتابا تقول فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفان والوصايف واخبر بما في الحقة وعرفني
راس العصا من اسفلها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيط الخرزة واملا القدح ماء ليس من الارض
ولا من السما فلما وصل الرسول ووقف بين يدي سليمان عليه السلم اعطاه كتاب الملكة فنظر فيه
وقال اين الحقة فاتي بها فحركها فاخبره جبريل عليه السلم بما فيها ثم اخبرهم سليمان فقال له الرسول صدقت
فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فسال سليمان الجن والانس عن ثقبها فعجزوا فقال للشياطين ما الراي
فيها فقالوا ترسل الى الارضة فجاءت الارضة فاخذت شعرة في فيها حتى خرجت من الجانب الاخر
فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تصير رزقي في الشجر فقال لها لك ذلك قال من لهذه الخرزة يسلكها
الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى
خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تصير رزقي في الفواكه فقال ذلك لك

هدية بلقيس

ثم ميز بين الغلمان فقال السدي امرهم بالوضوء فجعل الرجل يحدر الما على اليد والرجل حدرا وجعلت الجواري
يصببن من اليد اليسرى على اليمنى ومن اليمنى على اليسرى فميز بينهم بهذا وقيل كانت الجارية تاخذ الما
من الانية باحدى يديها ثم تحمله على الاخرى ثم تضرب به على الوجه والغلام كما ياخذ الما من الانية يضرب
في الوجه والجارية تصب على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد والجارية تصب الما صبا والغلام
يحدر على يديه فميز بينهم بهذا وقيل كانت الجارية ... وروى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال ارسلت
بلقيس بمايتي وصيف وقالت ان كان نبيا سيعلم الذكور من الاناث فامرهم فتوضوا فمن توضا منهم فبدا
بمرفقه قبل كفه قال هو من الاناث ومن بدا بكفه قبل مرفقه قال هو من الذكور ثم ارسل العصا الى الهوا
فقال اي راس سبق الى الارض فهو اصلها وامر بالخيل فاجريت حتى عرقت وملا القدح من عرقها ثم رد
سليمان الهدية فيروى انه لما صرف الهدية عليها واخبرها رسولها بما شاهد قالت لقومها امر من السما
الثانية كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ولا يقبل الصدقة وكذلك كان سليمان وجميع
الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين وانما جعلت بلقيس قبول الهدية او ردها علاما على ما في نفسها على
ما ذكرناه من كون سليمان ملكا او نبيا لانه قال لها في كتابه الا تعلوا علي واتوني مسلمين وهذا لا يقبل فيه
فدية ولا يوخذ عنه هدية وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة من قبول الهدية بسبيل وانما هي رشوة
وبيع الحق بالباطل وهي الرشوة التي لا تحل واما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فانها جايزة من كل احد وعن
كل احد وهذا اما لم يكن من مشرك **الثالثة** فان كانت من مشرك ففي الحديث نهيت عن زبد المشركين
يعني رفدهم وعطاياهم وروي عنه عليه السلام انه قبلها كما في حديث مالك عن ثور بن زيد الديلي فقال
جماعة من العلما بالنسخ فيهما وقال اخرون ليس فيها ناسخ ولا منسوخ والمعنى فيهما انه كان لا يقبل هدية
من يطمع بالظهور عليه واخذ بلده ودخوله في الاسلام وهذه الصفة كانت حالة سليمان عليه السلام
فعن مثل هذا نهي ان يقبل هديته ويهاديه ويقوم على دينه مع قدرته عليه لان في قبول هديته حملا على
الكف عنه وهذا احسن تاويل للعلماء في هذا فانه جمع بين الاحاديث وقيل غير هذا **الرابعة** الهدية
مندوب اليها وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة روى مالك عن عطا الخراساني قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحنا وروى معاوية بن الحكم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضعف المودة ويذهب بغوايل الصدر قال الدارقطني
تفرد به ابن بكر عن ابيه عن مالك ولم يكن بالرضا ولا يصح عن مالك ولا عن الزهري ولا عن ابن شهاب
قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تهادوا بينكم فان الهدية تذهب السخيمة قال ابن وهب
سالت يونس عن السخيمة ما هي فقال الغل وهذا الحديث وصله الوقاصي عثمن عن الزهري وهو ضعيف وعلى
الجملة فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية وفيه الاسوة الحسنة ومن فضل الهدية مع اتباع
السنة انها تزيل حرارات النفوس وتكسب المهدي والمهدى اليه زينة في اللقاء والجلوس ولقد احسن القايل

هدايا الناس بعضهم لبعض — تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودا — ويلبسهم اذا حضروا جمالا

وقال اخر

ان الهدايا لها حظ اذا وردت — احظى من الابن عند الوالد الحدب

الخامسة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلساوكم شركاوكم في الهدية واختلف في معناه
فقيل هو محمول على ظاهره وقيل يشاركهم على وجه الكرم والمروة فان لم يفعل فلا يجبر عليه وقال ابو يوسف
ذلك في الفواكه ونحوها وقال بعضهم هم شركاوه في السرور لا في الهدية والخبر محمول في مثل اصحاب الصفة
والخوانق والرباطات واما اذا كان فقيها من الفقها اختص بهدية فلا شركة فيها لاصحابه فان اشركهم
فذلك كرم وجود منه **السادسة** قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون قال قتادة رحمها الله ان كانت لعاقلة
في اسلامها وشركها قد علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس وسقطت الالف في بم للفرق بين ما الخبرية
وقد يجوز اثباتها قال

على ما قام يشتمني لييم — كخنزير تمرغ في رماد

قوله تعالى فلما جاء سليمان اي جا الرسول سليمان بالهدية **قوله تعالى** قال
اتمدونني بمال قرا حمزة ويعقوب والاعمش بنون واحدة مشددة وبانانية بعدها الباقون بنونين
وهو اختيار ابي عبيد لانها في كل المصاحف بنونين وقد روى اسحق عن نافع انه كان يقرا اتمدوني بنون

في قبول الهدية

واحدة مخففة بعدها يا في اللفظ قال ابن الانباري فهذه الرواية يجب فيها اثبات اليا في الوقف
ليصح لها هجا موافقة المصحف والاصل في النون التشديد فخفف التشديد من ذلك الموضع كما خففت
من اشهد انك عالم واصله انك عالم وعلى ذا المعنى بني الذي قرا ليشا قون فيهم اتحاجوني في الله وقد قالت
العرب الرجال يضربوني ويقصدوني واصله يضربونني ويقصدونني لانه ادغام يضربونني ويقصدونني
قال الشاعر   ترهبيني والجيد منك لليلى   والحشا والبغام والعينان
والاصل ترهبينني فخفف ومعنى اتمدونني تزيدونني مالا الى ما تشاهدون من اموالي قوله تعالى
فما اتاني الله خير مما اتاكم اي ما اعطاني من الاسلام والنبوة والملك خير مما اعطاكم فلا افرح
بالمال واتان وقعت في كل المصاحف بغير يا وقرا ابو عمرو ونافع وحفص اتاني الله بيا مفتوحة فاذا
وقفوا احذفوا واما يعقوب فانه يثبتها في الوقف ويحذف في الوصل لالتقا الساكنين الباقون بغير ياء
في الحالين قوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا قوله تعالى
ارجع اليهم اي قال سليمان للمنذر بن عمرو امير الوفد ارجع اليهم بهديتهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لام
قسم والنون لها لازمة قال النحاس وسمعت ابا الحسن بن كيسان يقول هي لام توكيد وكذا كان عنده ان
اللامات كلها ثلاث لا غير لام توكيد ولام امر ولام خفض وهذا قول الحذاق من النحويين لانهم يردون
الشي الى اصله وهذا لا يتهيا الا لمن ادرب في العربية ومعنى لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم عليها ولنخرجنهم
منها اي من ارضهم اذلة وهم صاغرون وقيل منها اي من قرية سبا وقد سبق ذكر القرية في قوله ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها اذلة قد سلبوا ملكهم وعزهم وهم صاغرون اي مهانون اذلا من الصغر وهو الذل
ان لم يسلموا فرجع اليها رسولها فاخبرها فقالت قد عرفت انه ليس بملك ولا طاقة لنا بقتال نبي من انبياء
الله ثم امرت بعرشها فجعل في سبعة ابيات بعضها في جوف بعض في اخر قصر من سبع قصور لها وغلقت
الابواب وجعلت الحرس عليه وتوجهت الى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل
مائة الف قال ابن عباس وكان سليمان مهيبا لا يبتدي بشي حتى يكون هو الذي يسال عنه فنظر ذات
يوم رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا نبي الله فقال سليمان لجنوده وقال وهب وغيره للجن
ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين وقال عبد الله بن شداد كانت بلقيس على فرسخ من سليمان لما قال
ايكم ياتيني بعرشها وكانت خلفت عرشها بسبا ووكلت به حفظه وقيل انما لما بعثت بالهدية بعثت رسلها
في جندها لتغافص سليمان عليه السلام بالقتل قبل ان يتاهب له سليمان ان كان طالب ملك فلما علم ذلك
قال ايكم ياتيني بعرشها قال ابن عباس كان امره بالاتيان بالعرش قبل ان يكتب الكتاب اليها ولم يكتب اليها حتى
جاءه العرش قال ابن عطية فظاهر الايات ان هذه المقالة من سليمان عليه السلام هي بعد مجي هديتها
وردها اياها وبعثة الهدهد بالكتاب وعلى هذا جمهور المتاولين واختلفوا في فائدة استدعاء عرشها
فقال قتادة ذكر له بعظم وجوده فاراد اخذه قبل ان يعصمها وقومها الاسلام ويحمي اموالهم والاسلام
على هذا الدين وهو قول ابن جريج وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله ويجعله
دليلا على نبوته لاخذه من ثقاتها دون جيش ولا حرب ومسلمين على هذا التاويل بمعنى مستسلمين وهو
قول ابن عباس وقال ابن زيد ايضا اراد ان يختبر عقلها ولهذا قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي وقيل
خافت الجن ان يتزوج بها سليمان عليه السلام فقالت الجن لسليمان ان في عقلها خللا فاراد ان يمتحنها
بعرشها وقيل اراد ان يختبر صدق الهدهد في قوله ولها عرش عظيم قاله الطبري وعن قتادة احب ان يراه
لما وصفه الهدهد والقول الاول عليه اكثر العلماء لقوله سبحانه وتعالى قبل ان ياتوني مسلمين ولانها لو
اسلمت لحظر عليه مالها ولا يوتى به الا باذنها روي انه كان من فضة وذهب مرصعا بالياقوت والجوهر وانه كان
في جوف سبعة ابيات عليه سبعة اغلاق قوله تعالى قال عفريت من الجن قرا الجمهور وقرا ابو رجا
وعيسى الثقفي ومحمد بن السميقع عفريه ورويت عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي الحديث ان الله يبغض
العفريه النفريه اتباع لعفريه قال قتادة هي الداهية قال النحاس يقال للشديد اذا كان
معه خبث ودهاء عفر وعفريه وعفريت وعفاريت وقال عفريت اي رئيس وقرات فرقة قال عفر بكسر
العين حكاه ابن عطية قال النحاس من قال عفريت جمعه على عفار ومن قال عفريت كان له في الجمع
ثلاثة اوجه ان شاء الله قال عفاريت وان شاء قال عفار لان التا زائدة كما يقال طواغ في جمع طاغوت

لجعل في سبعة ابيات بعضها في جوف بعض

وان شا عوض من التا يا فقال عفاري والعفريت من الشياطين القوي المارد والتا زائدة فقد قالوا تعفرت
الرجل اذا تخلق بخلق الاذية قال وهب بن منبه اسم هذا العفريت كودن ذكره النحاس وقيل ذكوان ذكره السهيلي
وقال شعيب الجبائي اسمه دعوان وروي عن ابن عباس انه صخر الجني ومن هذا الاسم قول ذي الرمة
كانه كوكب في اثر عفرية   مصوب في سواد الليل منقضب   وانشد
الكسائي   فقال شيطان لهم عفريت   ما لكم مكث ولا تبييت
وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن جعل يفتك علي البارحة
ليقطع علي الصلاة وان الله سبحانه وتعالى امكنني منه فذعته وذكر الحديث وفي الحديث تفلت علي البارحة
مكان جعل يفتك وفي الموطا عن يحيى بن سعيد انه قال اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عفريتا من الجن يطلبه
بشعلة من نار كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم راه فقال جبريل عليه السلام افلا اعلمك
كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت شعلته وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال اعوذ بوجه
الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج
فيها وشر ما ذرا في الارض وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق
بخير يا رحمن قوله تعالى انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك يعني مجلسه الذي يحكم فيه قوله تعالى
واني عليه لقوي امين اي قوي على حمله امين على ما فيه ابن عباس امين على فرج المراة ذكره المهدوي
فقال سليمان اريد اسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك اكثر المفسرين على ان الذي عنده علم من الكتاب اصف بن برخيا وهو من بني اسرائيل وكان صديقا يحفظ
اسم الله الاعظم الذي اذا دعي الله به اجاب واذا سيل به اعطى وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان اسم الله الاعظم الذي دعا به اصف يا حي يا قيوم وقيل هو بلسانهم اهيا شراهيا وقال
الزهري دعا الذي عنده اسم الله الاعظم يا الهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها
فتمثل بين يديه وقال مجاهد دعا فقال يا الهنا واله كل شي يا ذا الجلال والاكرام قال السهيلي الذي عنده
علم من الكتاب هو اصف بن برخيا ابن خالة سليمان وكان عنده اسم الله الاعظم من اسما الله الحسنى
سبحانه وتعالى وقيل هو سليمان نفسه ولا يصح في سياق الكلام مثل هذا التاويل قال ابن عطية وقالت
فرقة هو سليمان عليه السلام والمخاطبة في هذا التاويل للعفريت كما قال انا اتيك به قبل ان تقوم من
مقامك كان سليمان استبطا ذلك فقال له على جهة تحقير انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
واستدلوا قائلوا هذه المقالة بقوله هذا من فضل ربي قال الشيخ القرطبي رحمه الله ما ذكره ابن
عطية قاله النحاس في معاني القران وهو حسن ان شا الله تعالى الا بحر هو ملك بيده كتاب المقادير ارسله
الله تعالى عند قول العفريت قال السهيلي وذكر محمد بن الحسن المقري انه ضبة بن اد وهذا لا يصح البتة
لان ضبة هو ابن اد بن طابخة واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ومعد كان في مدة بخت نصر
وكان ذلك بعد عهد سليمان عليه السلام بدهر طويل فاذا لم يكن معد في عهد سليمان فكيف ضبة
بن اد وهو بعده بخمسة ابا وهذا بين لمن تامله ابن لهيعة هو الخضر عليه السلام وقال ابن زيد رضي
الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزائر البحر خرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الارض
وهل يعبد الله ام لا فوجد سليمان فدعا باسم من اسما الله سبحانه وتعالى فجي بالعرش وقول سابع انه رجل
من بني اسرائيل اسمه يمليخا كان يعلم اسم الله الاعظم ذكره القشيري وقال ابن ابي بزة كان الرجل الذي عنده
علم من الكتاب اسمه اسطوم كان عابدا في بني اسرائيل وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان عليه السلام
اما ان الناس يرون انه كان ذلك اسم وليس كذلك انما كان رجل من بني اسرائيل عالم اتاه الله علما وفقها
قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال هات قال انت نبي الله بن نبي الله فان دعوت الله جا بك
اليك فدعا الله سليمان فجا الله بالعرش وقول تاسع انه جبريل عليه السلام قاله النخعي وروي عن
ابن عباس وعلم الكتاب على هذا علمه بكتب الله المنزلة او بما في اللوح المحفوظ وقيل علم كتاب سليمان
الى بلقيس قال ابن عطية والذي عليه الجمهور من الناس انه رجل صالح من بني اسرائيل اسمه اصف بن
برخيا روي انه صلى ركعتين ثم قال لسليمان يا نبي الله امدد بصرك فمد بصره نحو اليمن فاذا بالعرش
فما رد سليمان بصره الا وهو عنده قال مجاهد هو ادامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئا حسيرا وقيل

اسم الاعظم

اراد ما يفتح عينه ثم يطرف وهو كما يقول افعل كذا في لحظة عين وهذا اشبه لانه ان كان هذا الفعل من
سليمان فهو معجزة وان كان من اصف او غيره من اولياء الله سبحانه وتعالى فهي كرامة وكرامة الولي
معجزة النبي قال القشيري وقد انكر كرامات الاولياء من قال ان الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان
قال العفريت انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وعنده هو لان ما فعل العفريت فليس من المعجزات

بحسب اعلام من الصرح وحا وقيل الصرح الصحن كما يقال هذه صرحة الدار وقاعتها بمعنى
وحكى ابو عبيد في الغريب المصنف ان الصرح كل بناء عال مرتفع من الارض وان الممرد الطويل النحاس
اصل هذا انه يقال لكل ما عمل عملا واحدا صرح من قولهم لبن صريح اذا لم يشبه ماء ومن قولهم صرح
بالامر ومنه عربي صريح وقيل عمله ليختبر قول الجن فيها ان امها من الجن ورجلها رجل حمار قاله وهب

قصة بلقيس تفصيلا

ابو بكرة ذكرت بلقيس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا امرهم امراة ويقال ان سبب تزوج
من الجن انه كان وزيرا الملك عاتٍ يغتصب نساء الرعية وكان الوزير غيورا فلم يتزوج فصحب مرة بعرفه
رجلا في الطريق فقال له هل لك من زوجة قال لا اتزوج ابدا فان ملك بلدنا يغتصب النساء من ازواجهن
قال لين تزوجت ابنتي لم يغتصبها ابدا قال بل يغتصبها قال انا قوم من الجن لا يقدر علينا فتزوج ابنته
فولدت له بلقيس ثم ماتت الام وابتنت بلقيس قصرا في الصحراء فتحدث ابوها عند بنيها غلطا فنمي
للملك خبرها فقال له يا فلان تكون عندك هذه البنت الجميلة ولا تاتيني بها وانت تعلم حبي النساء ثم امر بحبسه
فارسلت اليه بلقيس اني بين يديك فتجهز للمسير الى قصرها فلما هم بالدخول بمن معه خرجت اليه
جوارى من بنات الجن مثل صورة الشمس وقلن له الا تستحيي قالت لك سيدتنا اتدخل بها وهولاء الرجال
معك على اهلها فاذن لهم بالانصراف ودخل وحده فاغلقت عليه الباب وقتلته بالنعال ثم قطعت راسه
ورمت به الى عسكره فامروها عليهم فلم تزل كذلك الى ان ابلغ الهدهد خبرها سليمان عليه السلام
وذلك ان سليمان لما نزل في بعض منازله قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السما
فابصر طول الدنيا وعرضها فابصر الدنيا يمينا وشمالا فراى بستانا لبلقيس فيه هدهد وكان اسم ذلك

عنفير اليمن ليعفور سليمان

الهدهد عنفير فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي
سليمان بن داود عليهما السلام قال ومن سليمان قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والريح
وكل ما بين السماء والارض فمن اين انت قال من هذه البلاد ملكها امراة يقال لها بلقيس تحت يدها
اثنا عشر قايد تحت كل يد قايد مائة الف مقاتل من سوى النساء والذراري فانطلق معه ونظر الى
بلقيس وملكها ورجع الى سليمان وقت العصر وكان سليمان قد فقده وقت الصلاة فلم يجده وكانوا على
غير ما قال ابن عباس في رواية وقعت نفحة من الشمس فنظر فقال لو نري الطير هذا موضع من قال
يا نبي الله هذا موضع الهدهد قال واين ذهب قال لا ادري اصلح الله الملك فغضب سليمان وقال
لاعذبنه الاية ثم دعا بالعقاب سيد الطير واحرفها واشدها باسا فقال ما تريد يا نبي الله قال علي
بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السما حتى لزق بالهوا فنظر الى الدنيا كالقصعة بين
ايدي احدكم فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض نحوه وانشب فيه مخلبه فقال له الهدهد
اسالك بالله الذي اقدرك وقواك على الا ما رحمتني فقال له الويل لك وثكلتك امك ان نبي الله سليمان
ان يعذبك او يذبحك ثم اتى به فتلقته النسور وسائر عساكر الطير وقالوا له الويل لك لقد توعدك
نبي الله فقال وما قدري وما انا اما استثنى قالوا بلى انه قال اوليأتيني بسلطان مبين ثم دخل على
سليمان فرفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمان فقال له سليمان اين كنت عن خدمتك
ومكانك لاعذبنك عذابا شديدا او لاذبحنك فقال له الهدهد اذكر وقوفك بين يدي الله بمنزلة
وقوفي بين يديك فاقشعر جلد سليمان وارتعد وعفا عنه وقال عكرمة انما صرف الله سليمان عن ذبح

اذكر وقوفك بين يدي الله بمنزلة وقوفي بين يديك

الهدهد لانه كان بارا بوالديه ينقل الطعام اليهما فيزقهما ثم قال له سليمان ما الذي ابطاك فقال الهدهد
ما اخبر الله عنه عن بلقيس وعرشها وقومها حسب ما تقدم بيانه قال الماوردي والقول بان ام بلقيس
جنية مستنكر من العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفاوت الحسين لان الادمي جسماني والجن
روحاني وخلق الله الادمي من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ويمتنع الامتزاج مع هذا التباين
ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى القول في هذا والعقل
لا يحيله مع ما جاء في الخبر في ذلك واذا نظر في اصل الخلق فاصله الماء على ما تقدم بيانه ولا بعد في ذلك
والله اعلم وفي التنزيل وشاركهم في الاموال والاولاد وقد تقدم وقال تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان على ما ياتي في الرحمن **قوله تعالى** قالت رب اني ظلمت نفسي اي بالشرك الذي كانت
عليه قاله ابن شجرة وقال سفيان اي بالظن الذي توهمته في سليمان لانها لما امرت بدخول الصرح حسبته
لجة وان سليمان يريد ان يغرقها فيه فلما تبين لها انه صرح ممرد من قوارير علمت انها ظلمت نفسها بذلك
الظن وكسرت ان لانها مبتداة بعد القول ومن العرب من يفتحها فيعمل فيها القول **و**
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اذا سكنت مع فهي حرف جاء لمعنى بلا اختلاف بين النحويين
واذا فتحتها ففيها قولان احدهما انها بمعنى الظرف اسم والاخر انها حرف خالص مبني على الفتح قال النحاس

وقوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله تقدم معناه **قوله تعالى**
فاذا هم فريقان يختصمون اي مومن وكافر قال والخصومة ما قصه الله تعالى في قوله اتعلمون ان
صالحا مرسل من ربه الى قوله كافرون وقيل تخاصمهم ان كل فرقة قالت نحن على الحق دونكم **قوله تعالى**
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة قال مجاهد بالعذاب قبل الرحمة والمعنى لم تؤخرون الايمان
الذي يجلب اليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب وكان الكفار يقولون لفرط الانكار
ايتنا بالعذاب وقيل اي لم تفعلون ما تستحقون به العقاب لا انهم التمسوا تعجيل العذاب لولا تستغفرون
الله اي هلا تتوبون الى الله من الشرك لعلكم ترحمون لكي ترحموا وقد تقدم **قوله تعالى** قالوا اطيرنا
بك وبمن معك اي تشاءمنا والشوم النحس ولا شي اضر بالراي ولا افسد للتدبير من اعتقاد الطيرة
ومن ظن ان خوار بقرة او نعيق غراب يرد قضا او يدفع مقدورا فقد جهل قال الشاعر

طيرة الدهر لا ترد قضاء	فاعذر الدهر لا تشبه بلوم
اي يوم نخصه بسعود	والمنايا ينزلن في كل يوم
ليس يوم الا وفيه سعود	ونحوس تجري لقوم وقوم

وقد كانت العرب اكثر الناس طيرة وكانت اذا ارادت سفرا نفرت طايرا فان طار يمنة سارت وتيمنت
وان طار شامة رجعت وتشاءمت فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال اقروا الطير
في وكناتها على ما تقدم بيانه في المائدة قال طايركم عند الله اي مصايبكم بل انتم قوم تفتنون
اي تمتحنون وقيل تعذبون بذنوبكم **قوله تعالى** وكان في المدينة اي مدينة صالح وهي الحجر
تسعة رهط اي تسعة رجال من ابناء اشرافهم قال الضحاك كان هولاء التسعة عظماء اهل المدينة
وكانوا يفسدون ويامرون بالفساد فجلسوا عند صخرة عظيمة فقلبها الله عليهم وقال عطاء ابن ابي
رباح بلغني انهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم وذلك من الفساد في الارض وقاله سعيد بن
المسيب وقيل فسادهم انهم كانوا يتبعون عورات الناس ولا يسترون عليهم وقيل غير هذا واللازم
من الاية ما قاله الضحاك وغيره انهم كانوا من اوجه القوم واغناهم وافناهم وكانوا اهل كفر ومعاصي
جمة جملة امرهم انهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم الجماعة فكانهم كانوا رؤسا يتبع كل واحد
منهم رهط والجمع ارهط قال ———— يا بوس الحرب التي وضعت اراهط فاستراحوا
وهولاء المذكورون كانوا اصحاب قدار عاقر الناقة ذكره ابن عطية قال الشيخ القرطبي رحمه الله واختلف
في اسمايهم فقال الغزنوي واسماؤهم قدار بن سالف ومصدع واسلم ودهما ودهم ودعمي ودعيم وقبال وصداق
بن اسحق رئيسهم قدار بن سالف ومصدع بن مهرع فاتبعهم سبعة هويلع بن ميلع ودعير بن غنم وذواب
بن مهرج واربعة لم تحفظ اسماؤهم وذكر الزمخشري اسماءهم عن وهب بن منبه الهذيل بن عبد رب غنم بن
غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن
سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم السهيلي ذكر النقاش
التسعة الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون سماهم باسمائهم وذلك لا ينضبط برواية غير اني
اذكره على وجه الاجتهاد والتخيير ولكن نذكره على ما وجدناه في كتاب محمد بن حبيب وهم مصدع بن دهر
ويقال دهم وقدار بن سالف وهريم وصواب ورياب وداب ودعمي وهرمي ودعين بن عمرو وقال ————
الشيخ القرطبي رحمه الله وقد ذكر الماوردي اساميهم عن ابن عباس فقال هم دعمي ودعيم وهرمي وهريم
وداب وصواب ورياب ومسطع وقدار وكانوا بارض الحجر وهي ارض الشام **قوله تعالى** قالوا
تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
يجوز ان يكون تقاسموا فعلا مستقبلا وهو امر اي قال بعضهم لبعض احلفوا ويجوز ان يكون ماضيا في
معنى الحال كانه قال قالوا متقاسمين بالله ودليل هذا التاويل قراءة عبد الله يفسدون في الارض ولا يصلحون
تقاسموا بالله وليس فيها قالوا لنبيتنه واهله بالنون ثم لنقولن لوليه قراءة العامة بالنون فيهما واختاره
ابو حاتم وقرا حمزة والكسائي بالتاء فيهما وضم التاء واللام على الخطاب انهم مخاطبون بذلك واختاره
ابو عبيد وقرا مجاهد وحميد بالياء فيهما وضم التاء واللام على الخبر والبيات مباغتة العدو ليلا

قصة ثمود ارسل صالح عليه السلام

ومعني لوليه اي رهط صالح الذي له ولاية الدم ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا قتله ولا ندري
من قتله وقتل اهله وانا لصادقون في انكارنا لقتله والمهلك بمعني الاهلاك ويجوز ان يكون الموضع
وقرا حفص والسلمي بفتح الميم واللام اي الهلاك يقال ضرب يضرب مضربا اي ضربا وقرا المفضل وابو
بكر بفتح الميم وجر اللام فيكون اسم المكان كالمجلس لموضع الجلوس ويجوز ان يكون مصدرا كقوله سبحانه
وتعالي اليه مرجعكم اي رجوعكم ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما روي ان هولاء
التسعة لما كان في صدر الثلاثة الايام بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجي العذاب اتفقوا وتحالفوا
على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختص به قالوا فان كان كاذبا في وعيده اوقعنا به ما
يستحقه وان كان صادقا كنا عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا قاله معناه مجاهد وغيره قال ابن عباس ارسل
الله سبحانه وتعالي الملايكة تلك الليلة فامتلات بهم دار صالح فاتي التسعة دار صالح شاهرين سيو
فقتلتهم الملايكة رضخا بالحجارة فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها وقال قتادة خرجوا مسرعين الي صالح
فسلط الله عليهم ملكا بيده صخرة فقتلهم وقال السدي نزلوا على جرف من الارض فانهار بهم فاهلكهم الله
تحته وقيل اختفوا في غار قريب من دار صالح فانحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا فهذا كان
مكرهم ومكر الله مجازاتهم على ذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين اي بالصيحة
التي اهلكتهم وقد قيل ان هلاك الكل كان بصيحة جبريل والاظهر ان التسعة هلكوا بعذاب مفرد
ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة وكان الاعمش والحسن وابن ابي اسحاق وعاصم وحمزة والكسائي
يقرون انا بالفتح قال ابن الانباري فعلي هذا المذهب لا يحسن الوقف على عاقبة مكرهم لان انا دمرناهم
خبر كان ويجوز ان يجعلها في موضع رفع على الاتباع للعاقبة ويجوز ان يجعلها في موضع نصب
من قول الفراء وخفض من قول الكسائي على معني بانا دمرناهم ويجوز ان يجعلها في موضع نصب على الاتباع
لموضع كيف فمن هذه المذاهب لا يحسن الوقف على مكرهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو انا دمرناهم بكسر
الالف على الاستيناف فعلي هذا المذهب يحسن الوقف على مكرهم قال النحاس ويجوز ان ينصب عاقبة على
خبر كان ويكون انا في موضع رفع على انها اسم كان ويجوز ان تكون انا في موضع رفع على اضمار مبتدا تبيينا
للعاقبة والتقدير هي انا دمرناهم قال ابو حاتم وفي حرف ابي ان دمرناهم تصديقا لفتحها قوله تعالي
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
قراءة العامة بالنصب على الحال عند الفراء والنحاس اي خالية عن اهلها خرابا ليس لها ساكن وقال
الكسائي وابو عبيدة خاوية نصب على القطع مجازه فتلك بيوتهم الخاوية فلما قطع منها الالف
واللام نصب كقوله وله الدين واصبا وقرا عاصم بن عمرو ونصر بن عاصم والجحدري بالرفع على انها خبر عن
تلك بيوتهم وخاوية خبر ثان عن تلك ويجوز ان تكون رفع خاوية على انها خبر ابتداء محذوف اي خاوية
او بدل من بيوتهم لان النكرة تبدل من المعرفة ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا
يتقون الله ويخافون عذابه قيل امن بصالح اربعة الاف رجل والباقون خرج بابدانهم في قول مقاتل
وغيره خراج مثل الحمص وكان في اليوم الاول احمر ثم صار من الغد اصفر ثم صار في الثالث اسود وكان
عقر الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم الاحد قال مقاتل نفقت تلك الخراجات وصاح بهم جبريل
خلال ذلك صيحة فخمدوا وكان ذلك ضحوة وخرج صالح بمن امن معه الي حضرموت فلما دخلها مات
صالح فسمي حضرموت قال الضحاك ثم بني الاربعة الاف مدينة يقال لها حاضورا كما تقدم بيانه
في قصة اصحاب الرس قوله تعالي **ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون** اي وارسلنا لوطا او واذكر لوطا
اذ قال لقومه وهم اهل سدوم وقال لقومه اتاتون الفاحشة والفعلة القبيحة الشنيعة وانتم تبصرون
انها فاحشة وذلك اعظم لذنوبكم وقيل ياتي بعضكم بعضا وانتم تنظرون اليه وكانوا لا يستترون
عتوا منهم وتمردا اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء اعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعتها بل انتم
قوم تجهلون اما التحريم او العقوبة فاختيار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية من اينكم فاما الخط
فالسبيل فيه ان يكتب بالياء على الوجوه كلها لانها همزة مبتداة دخلت عليها الف الاستفهام
قوله تعالي **فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس**

**يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا
فساء مطر المنذرين** اي عن ادبار الرجال يقولون ذلك استهزاء منهم قاله مجاهد وقال قتادة عابوهم
والله بغير عيب لانهم يتطهرون من اعمال السوء فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
قرا عاصم قدرنا مخففا والمعني واحد يقال قدرت الشيء قدرا وقدرا وقدرته وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين اي من انذر فلم يقبل الانذار وقد مضى بيان هذا في الاعراف وهود قوله تعالي
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون قال الفرا قال اهل المعاني قيل
للوط قل الحمد لله على هلاكهم وخالف جماعة من العلما الفرا في هذا وقالوا هو مخاطبة لنبينا صلى الله عليه
وسلم اي قل الحمد لله على هلاك كفار الامم الخالية قال النحاس وهذا اولي لان القران منزل على النبي صلى
الله عليه وسلم وكل ما فيه فهو مخاطب به عليه السلام الا ما لم يصح معناه الا لغيره وقيل المعني اي قل
يا محمد الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى يعني امته عليه السلام قال الكلبي اصطفاهم الله بمعرفته
وطاعته وقال ابن عباس وسفيان هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتلو هذه الايات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شي وحكمته وانه يستفتح
بتحميده والسلام على انبيايه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على
التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغايهم
اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي تبغيها للمستمع ولقد توارث العلما والخطبا والوعاظ كابرا عن
كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة
وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث
التي لها شان قوله تعالي الذين اصطفى اختار اي لرسالته وهم الانبيا عليهم السلام دليله قوله تعالي
وسلام على المرسلين الله خير واجاز ابو حاتم االله خير بهمزتين النحاس ولا نعلم احدا تابعه على ذلك لان
هذه المدة انما جي بها فرقا بين الاستفهام والخبر وهذه الف التوقيف وخير هاهنا ليس بمعنى
افضل منك وانما هو مثل قول الشاعر

ذا تهجوه ولست له بكفو … فشركما لخيركما الفداء

والمعني فالذي فيه الشر منكما للذي فيه الخير الفداء ولا يجوز ان يكون بمعني من لانك قلت فلان شر من
فلان ففي كل واحد منهما شر وقيل المعني الخير في هذا ام في هذا الذي تشركونه في العبادة وحكي سيبويه
السعادة احب اليك ام الشقا وهو يعلم ان السعادة احب اليه وقيل هو على بابه من التفضيل والمعني الله خير اما يشركون
اي ثوابه خير ام عقاب ما تشركون وقيل قال لهم ذلك لانهم كانوا يعتقدون ان في عبادة الاصنام خيرا فخاطبهم
الله عز وجل على اعتقادهم وقيل اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب يشركون بالياء
على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب وهي اختيار ابي عبيدة وابي حاتم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الاية
يقول الله خير وابقى واجل واكرم قوله تعالي **امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء
ماء فانبتنا به حدايق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اله مع الله بل هم قوم يعدلون** قال ابو حاتم
تقديره الهتكم خير ام من خلق السموات والارض وقدر على خلقهن وقيل المعني اعبادة ما تعبدون من اوثانكم
خير ام عبادة من خلق السموات والارض فهو مردود على ما قبله من المعني وفيه معني التوبيخ لهم والتنبيه
على قدرة الله عز وجل وعجز الهتهم فانبتنا به حدايق ذات بهجة الحديقة البستان الذي عليه حايط والبهجة المنظر
الحسن قال الفرا الحديقة البستان المحوط عليه فان لم يكن عليه حايط فهو البستان وليس بحديقة وقال
قتادة وعكرمة الحدايق النخل ذات بهجة البهجة الزينة والحسن يبهج به من راه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ما
للنفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا اي ما كان للبشر ولا يتهيا لهم ولا يقع تحت قدرهم ان ينبتوا شجرها
اذ هم عجزة عن مثلها لان ذلك اخراج شي من العدم الى الوجود قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقد يستدل من هذا
على منع تصوير شي سوا كان له روح او لم يكن وهو قول مجاهد ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة وليخلقوا شعيرة رواه مسلم في صحيحه من حديث
ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل فذكره فعم بالذم والتهديد
والتقبيح كل من يتعاطى تصوير شي مما خلقه الله وضاهاه في التشبيه في خلقه فيما انفرد به سبحانه وتعالى

من الخلق والاختراع وهذا واضح وذهب الجمهور الى ان تصوير شي ما ليس فيه روح يجوز هو ولا الاكتساب به وقد قال ابن عباس للذي ساله ان يصنع الصور ان كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له خرجه مسلم ايضا والمنع اولى والله اعلم لما ذكرنا وسياتي لهذا مزيد بيان في سبا ان شا الله سبحانه وتعالى ثم قال على جهة التوبيخ االه مع الله اي هل معبود مع الله يعينه على ذلك بل هم قوم يعدلون بالله غيره وقيل يعدلون عن القصد والحق اي يكفرون وقيل اله مرفوع بمع تقديره امع الله ويلكم اله والوقف على مع الله حسن قوله تعالى

امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون قرارا اي مستقرا وجعل خلالها اي وسطها انهارا اي مياها وانهارا الارض غيونا وجعل لها رواسي يعني جبالا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة وجعل بين البحرين حاجزا اي مانعا من قدرته لئلا يختلط الاجاج بالعذب وقال ابن عباس سلطانا من قدرته فلا هذا يغير ذاك ولا ذاك يغير هذا والحجز المنع االه مع الله اي اذا ثبت انه لا يقدر على هذا غيره فلم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع بل اكثرهم لا يعلمون يعني كانهم يجهلون الله ولا يعلمون ما يجب له من الوحدانية قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض االه مع الله قليلا ما تذكرون فيه ثلاث مسايل

الاولى قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه قال ابن عباس هو ذو الضرورة المجهود وقال السدي الذي لا حول له ولا قوة وقال ذو النون هو الذي قطع العلايق عما دون الله وقال ابو جعفر وقال ابو عثمان النيسابوري هو المفلس وقال سهيل بن عبد الله هو الذي اذا رفع يديه الى الله داعيا لم يكن له وسيلة من طاعة قدمها وجاء رجل الى مالك بن دينار فقال انا اسالك بالله ان تدعو لي فاني والله مضطر قال اذا فسله فانه يجيب المضطر اذا دعاه وقال الشاعر

واني لادعو الله والامر ضيق	علي فما ينفك ان يتفرجا
ورب اخ سدت عليه وجوهه	اصاب لها لما دعا الله مخرجا

الثانية وفي مسند ابي داود الطيالسي عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء المضطر اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت الثالثة ضمن الله سبحانه وتعالى اجابة المضطر اذا دعاه واخبر بذلك عن نفسه والسبب في ذلك ان الضرورة اليه باللجاء ينشا عن الاخلاص وقطع القلب عما سواه وللاخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وجد من مومن او كافر طايع او فاجر كما قال سبحانه وتعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجابهم عند ضرورتهم ووقوع اخلاصهم مع علمه انهم يعودون الى شركهم وكفرهم وقال سبحانه وتعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية فيجيب المضطر لموضع اضطراره واخلاصه وفي الحديث ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده ذكره صاحب الشهاب وهو حديث صحيح وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ لما وجهه الى اليمن اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وفي كتاب الشهاب اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين وهو صحيح ايضا وخرج الاجري من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فاني لا اردها ولو من فم كافر فيجيب المظلوم لموضع اخلاصه لضرورته بمقتضى كرمه واجابة لاخلاصه وان كان كافرا وكذلك ان كان فاجرا في دينه ففجور الفاجر وكفر الكافر لا يعود منه نقص ولا وهن على مملكة سيده فلا يمنعه ما قضى للمضطر من اجابته وفسر اجابته للمظلوم بالنصرة على ظالمه بما شاء سبحانه مما من قهر له او اقتصاص منه او تسليط ظالم اخر عليه يقهره كما قال جل وعز وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا واكد سرعة اجابتها بقوله تحمل على الغمام ومعناه والله اعلم ان الله عز وجل يوكل ملايكته بتلقي دعوة المظلوم وبحملها على الغمام فيعرجوا بها الى السماء والسماء قبلة للدعاء ليراها الملايكة كلهم فيظهر منهم معاونة المظلوم وشفاعة منهم له في اجابة دعوته رحمة له وفي هذا التحذير من الظلم جملة لما فيه من سخط الله ومعصيته ومخالفة امره حيث قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث فالمظلوم مضطر ويقرب منه المسافر لانه منقطع عن الاهل والو

ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن

منفرد عن الصديق والحميم لا يسكن قلبه الى مسعد ولا معين لغربته فتصدق ضرورته الى المولى فيخلص اليه في اللجا وهو المجيب المضطر اذا دعاه وكذلك دعوة الوالد على ولده ولا تصدر منه مع ما يعلم من شفقته عليه وشفقته الا عند تكامل عجز عنه وصدق ضرورته واياسه عن بره لديه مع وجود اذيته فيسرع الحق الى اجابته قوله تعالى ويكشف السوء اي الضر وقال الكلبي الجور ويجعلكم خلفاء الارض اي سكانها يهلك قوما وينشي اخرين وفي كتاب النقاش اي ويجعل اولادكم خلفا منكم وقال الكلبي خلفا من الكفار ينزلون ارضهم وطاعة الله بعد كفرهم االه مع الله على جهة التوبيخ كانه قال اامع الله ويلكم اله فاله مرفوع بمع ويجوز ان يكون مرفوعا باضمار اله مع الله يفعل ذلك فتعبدوه والوقف على الله حسن قليلا ما تذكرون قرا ابو عمرو وهشام ويعقوب يذكرون بالياء على الخبر لقوله بل اكثرهم لا يعلمون وتعالى الله عما يشركون فاخبر فيما قبلها وبعدها واختاره ابو حاتم الباقون بالتاء خطابا لقوله ويجعلكم خلفاء الارض قوله تعالى امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته االه مع الله تعالى الله عما يشركون يهديكم اي يرشدكم الطريق في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم الى البلاد التي تتوجهون اليها بالليل وقيل جعل مفاوز البر التي لا اعلام لها ولجج البحر لها كانها ظلمات لانه ليس فيها علم يهتدى به ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر باتفاق اهل التاويل االه مع الله يفعل ذلك ويعينه عليه تعالى الله عما يشركون من دونه قوله تعالى امن يبدا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين كانوا يقرون بانه الخالق الرازق فالزمهم الاعادة اي اذا قدر على الابتداء فمن ضرورته القدرة على الاعادة وهو اهون عليه االه مع الله يخلق ويرزق ويبدي ويعيد قل هاتوا برهانكم اي حجتكم ان لي شريكا او حجتكم في انه صنع احد شيا من هذه الاشيا غير الله ان كنتم صادقين قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة ومن في موضع رفع والمعنى قل لا يعلم احد الغيب الا الله بدل من من قاله الزجاج قال الفرا وانما رفع ما بعد الا لان ما قبلها جحد كقوله ما ذهب احد الا ابوك والمعنى احد قال الزجاج ومن نصب نصب على الاستثناء يعني في الكلام قال النحاس وسمعت ... يحتج بهذه الاية على من صدق منجما وقال اخاف ان يكفر بعموم هذه الاية قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى هذا في الانعام مستوفا وقالت عايشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله سبحانه وتعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله خرجه مسلم وروي انه دخل على الحجاج منجم فاعتقله الحجاج ثم اخذ حصيات فعدهن ثم قال له كم في يدي من حصاة فحسب المنجم ثم قال كذا فاصاب ثم اعتقله واخذ حصيات لم يعدهن فقال كم في يدي فحسب فاخطا ثم حسب فاخطا فقال ايها الامير اظنك لا تعرف عددها قال لا قال فاني لا اصيب قال فما الفرق قال ان ذلك قد احصيته فخرج عن حد الغيب وهذا لم تحصه فهو غيب ولا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقد مضى هذا في ال عمران قوله تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون قراءة اكثر الناس منهم عاصم وشيبة ونافع ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسايي وقرا ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو وحميد بل ادرك من الادراك وقرا عطا بن يسار واخوه سليمان بن يسار والاعمش بل ادرك غير مهموز مشددا وقرا ابن محيصن بل ادرك على الاستفهام وقرا ابن عباس بلى باثبات الياء اادرك بهمزة قطع والدال مشددة والف بعدها قال النحاس واسناده صحيح هو من حديث شعبة رفعه ابن عباس وزعم هرون القاري ان قراءة ابي بل تدارك علمهم وحكى الثعلبي انها في حرف ابي ام تدارك والعرب تضع بل موضع ام وام موضع بل اذا كان في اول الكلام استفهام كقول الشاعر

فوالله ما ادري اسلمى تغولت	ام القوم ام كل الي حبيب

اي بل كل قال النحاس القراءة الاولى والاخرة معناهما واحد لان اصل ادرك تدارك ادغمت التاء في الدال وجي بالف الوصل وفي معناه قولان احدهما ان المعنى بل تكامل علمهم في الاخرة والقول الاخر ان المعنى بل تتابع علمهم اليوم في الاخرة فقالوا تكون وقالوا لا تكون القراءة الثانية فيها ايضا قولان احدهما ان معناه كمل في الاخرة مثل الاول قال مجاهد معناه يدرك علمهم في الاخرة ويعلمونها اذا

قال الشيخ القرطبي

فانبوها خبر لا ينفعهم علمهم لانهم كانوا في الدنيا مكذبين والقول الاخر انه على معنى الانكار وهو مذهب ابي اسحق واستدل على صحة هذا القول بان ما بعده بل هم منها عمون اولم يدرك علمهم علم الاخرة وقيل بل ضل وغاب علمهم في الاخرة فليس لهم فيها علم والقراءة الثالثة بل ادرك فهي بمعنى بل ادارك وقد يجيء افتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صححا ازدوجوا حين كان بمعنى تزاوجوا القراءة الرابعة ليس فيها الا قول واحد يكون فيه معنى الانكار كما تقول انا قاتلتك فيكون المعنى لم يدرك واليه ترجع ابن عباس قال ابن عباس بل ادارك علمهم في الاخرة اي لم يدرك قال الفراء وهو وجه حسن كانه وجهه الى الاستهزاء بالمكذبين بالبعث كقولك الرجل تكذبه بلى لعمري قد ادركت السلف وانت تروي ما لا اروي فانت تكذبه وقراءة سابقة بل ادرك بفتح اللام عدل الى الفتحة لخفتها وقد حكي نحو ذلك عن قطرب في قم الليل فانه عدل الى الفتح وكذلك بع الثوب ونحوه وذكر الزمخشري في الكتاب وقري بل ادرك بهمزتين وبل آدرك بالف بينهما بلى ادرك بلى ادرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة ثم اخذ يعلل وجوه القراءات فقال فان قلت وجه قراءة بل ادرك على الاستفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة واما من قرا بلى ادرك على الاستفهام فمعناه بل تشعرون متى تبعثون ثم انكر عليهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكاين تابع العلم بكون الكاين في الاخرة في شان الاخرة ومعناها بل هم في شك منها بل هم منها عمون اي يتلو لهم واحدهم عمو وقيل عم اصله عميون حذفت اليا للا لتقا الساكنين ولم يجز تحريكها لثقل الحركة فيها **قوله تعالى** وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون هكذا يقرا نافع هنا وفي سورة العنكبوت وقرا ابو عمرو باستفهامين الا انه خفف الهمزة وقرا حمزة وعاصم ايضا باستفهامين الا انهما خففا الهمزتين وكل ما ذكرناه في السورتين جميعا واحد وقرا الكسائي وابن عامر ورويس ويعقوب اذا بهمزتين اننا بنونين على الخبر في هذه السورة وفي سورة العنكبوت باستفهام قال ابو جعفر النحاس القراءة اذا كنا ترابا وابا نا اينا موافقة للخط حسنة وقد عارض فيها ابو حاتم فقال وهذا معنى كلام اذا ليس باستفهام واينا استفهام وفيه ان فيكون يجوز ان يعمل ما في حيز الاستفهام كان ابعد وهذا اذا سئل عنه فيما قبله وكيف يجوز ان يعمل ما بعد ان فيما قبلها وكيف يجوز غدا ان زيدا خارج فاذا كان فيه استفهام كان ابعد وهذا اذا سئل عنه كان مشكلا لما ذكره قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول سالنا ابا العباس عن اية من القران صعبة مشكلة وهو قول الله عز وجل وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد فقال ان اعمل في اذا ينبيكم كان محالا لانه لا ينبيهم ذلك الوقت وان عمل فيه ما بعد ان كان المعنى صحيحا وكان خطا في العربية ان يعمل ما قبل ان فيما بعدها وهذا سؤال بين رايت ان لا يذكر في السورة التي هو فيها فاما ابو عبيد فمال الى قراءة نافع ورد على من جمع بين استفهامين واستدل بقوله سبحانه وتعالى افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وبقوله افاين مت فهم الخالدون وهذا الرد على ابي عمرو وعاصم وحمزة وطلحة والاعرج لا يلزم منه شيء ولا يشبه ما جا به من الاية شيئا والفرق بينهما ان الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد ومعنى افاين مت فهم الخالدون افاين مت خلدوا ونظير هذا ازيد منطلق ولا يقال ازيدا منطلق لانها بمنزلة شيء واحد وليس كذا الاية لان الثاني جملة قايمة بنفسها فيصلح فيها الاستفهام والاول كلام مفرد يصلح فيها الاستفهام فاما من حذف الاستفهام من الثاني واثبته في الاول فقرا اذا كنا وابا نا اننا فحذفه من الثاني لان في الكلام دليلا عليه بمعنى الانكار **قوله تعالى** لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين تقدم في سورة المؤمنين وكانت الانبيا يقربون امر البعث مبالغة في التحذير وكل ما هو ات فقريب **قوله تعالى** قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي قل لهؤلاء الكفار سيروا في بلاد الشام والحجاز واليمن فانظروا اي بقلوبكم وبصايركم كيف كان عاقبة المكذبين لرسلهم ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي على كفار مكة ان لم يومنوا ولا تكن في ضيق حرج مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة وقد تقدم ذكرهم وقرئ في ضيق

بالكسر وقد مضى في اخر النحل ويقولون متى هذا الوعد اي وقت يجينا العذاب تكذيبا ان كنتم صادقين **قوله تعالى** قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ردف لكم اي اقترب لكم ودنا منكم بعض الذي تستعجلون اي من العذاب قاله ابن عباس وهو من ردفه واتبعه وجاء في اثره وتكون اللام ادخلت لان المعنى اقترب لكم ودنا لكم او تكون متعلقة بالمصدر وقيل معناه معكم وقال ابن شجرة تبعكم ومنه ردف المراة لانه تبع لها من خلفها ومنه قول ابي ذويب شعر

عاد السواد بياضا في مفارقه ... لا مرحبا ببياض الشيب اذ ردفا

قال الجوهري وارد فه امر لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه بمعنى قال خزيمة بن مالك بن نهد

اذا الجوزاء اردفت الثريا ... ظننت بال فاطمة الظنونا

يعني فاطمة بنت يذكر بن عنزة احد القارظين وقال الفرا ردف لكم دنا لكم ولهذا قال لكم وقيل ردفه وردف له بمعنى فيزاد اللام للتوكيد عن الفرا ايضا كما تقول نقدته ونقدت له وكلته وكلت له ووزنته ووزنت له ونحو ذلك بعض الذي تستعجلون من العذاب وكان ذلك يوم بدر وقيل عذاب القبر وان ربك لذو فضل على الناس اي في تاخير العقوبة وادرار الرزق ولكن اكثرهم لا يشكرون فضله ونعمه **قوله تعالى** وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ما تكن اي تخفي صدورهم وما يعلنون يظهرون من الامور وقرا ابن محيصن وحميد ما تكن من كننت الشي اذا سترته هنا وفي القصص تقديره وما تكن صدورهم عليه وكان الضمير الذي في الصدور كالجسم الساتر ومن يكن فهو المعروف يقال اكننت الشي اذا اخفيته في نفسك **قوله تعالى** وما من غايبة في السماء والارض الا في كتاب مبين قال الحسن الغايبة هنا القيامة وقيل ما غاب عنهم من عذاب السماء والارض حكاه النقاش وقال ابن شجرة الغايبة هنا جميع ما اخفى الله سبحانه وتعالى عن خلقه وغيبه عنهم وهذا عام وانما دخلت التاء في الغايبة اشارة الى الجمع اي ما من خصلة غايبة عن الخلق الا والله عالم بها قد اثبتها في ام الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يسرها ولا وما يعلنونه وقيل اي كل شي هو مثبت في ام الكتاب يخرجه للاجل المؤجل له فالذي يستعجلونه من العذاب له اجل مضروب لا يتاخر عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ اثبت الله فيه ما اراد ليعلم بذلك من يشاء من ملايكته **قوله تعالى** ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وذلك انهم اختلفوا في كثير من الاشيا حتى لعن بعضهم بعضا فنزلت والمعنى ان هذا القران يبين لهم الذي اختلفوا فيه لو اخذوا به وذلك بما حرفوه من التوراة والانجيل وما سقط من كتبهم من الاحكام وانه يعني القران لهدى ورحمة للمومنين خص المومنين لانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بحكمه اي يقضي بين بني اسرائيل فيما اختلفوا فيه في الاخرة ليجازي المحق والمبطل وقيل يقضي بينهم في الدنيا فيظهر ما حرفوه وهو العزيز المنيع الغالب الذي لا يرد امره العليم الذي لا يخفى عليه شي **قوله تعالى** وانه لهدى ورحمة للمومنين **قوله تعالى** ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فتوكل على الله اي فوض اليه امرك واعتمد عليه فانه ناصرك انك على الحق المبين اي الظاهر وقيل المظهر لمن تدبر وجه الصواب انك لا تسمع الموتى يعني الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وقيل هذا فيمن علم الله انه لا يومن ولا يسمع الصم الدعاء يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فاذا دعوا الى الخير اعرضوا وولوا كانهم لا يسمعون نظيره صم بكم عمي كما تقدم وقرا ابو محيصن وحميد وبن كثير وابن ابي اسحاق وعباس عن ابي عمرو ولا يسمع بفتح اليا والميم الصم رفعا على الفاعل الباقون ولا تسمع مضارع اسمعت الصم نصبا **مسالة** وقد احتجت عايشة رضي الله عنها في انكارها ان النبي صلى الله عليه وسلم اسمع موتى بدر بهذه الاية ونظرت في الامر بقياس عقلي ووقفت مع هذه الاية وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتم باسمع منهم قال ابن عطية فيشبه ان قصة بدر خرق عادة لمحمد صلى الله عليه وسلم في ان رد الله اليهم ادراكا سمعوا به مقالة ولولا اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماعهم لحملنا نداءه اياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفاء صدور المومنين قال الشيخ القرطبي رحمه الله روى البخاري حدثني عبد الله بن محمد

يجيء افتعل بمعنى تفاعل

في الشيب

سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا انس بن مالك عن ابي طلحة ان نبي
صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوى من اطوا
بدر خبيث مخبث فكان اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته
فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه قالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفير الركي فجعل
يناديهم باسمائهم واسماء ابائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا وجدنا ما
وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم قال قتادة احياهم الله تعالى
حتى اسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما خرجه مسلم ايضا قال البخاري حدثني عثمان قال
حدثنا عبدة عن هشام عن ابيه عن ابن عمر قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال هل وجدتم
ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم الان يسمعون ما اقول فذكر لعائشة فقالت انما قال انهم الان ليعلمون
ان الذي كنت اقول لهم هو الحق ثم قرات انك لا تسمع الموتى حتى قرات الاية وقد عورضت هذه الاية بقصة
بدر وبالسلام على القبور وبما روي في ذلك من ان الارواح تكون على شفير القبور في اوقات وبان الميت
يسمع قرع النعال اذا انصرفوا عنه الى غير ذلك ولو لم يسمع الميت لم يسلم عليه وهذا واضح وقد ذكرناه
في كتاب التذكرة **قوله تعالى** وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من
يؤمن باياتنا فهم مسلمون عن ضلالتهم اي كفرهم اي ليس في وسعك خلق الايمان في قلوبهم وقرا حمزة
وما انت تهدي العمي عن ضلالتهم كقوله افانت تهدي العمي الباقون بهادي العمي وهو اختيار ابي عبيد
وابي حاتم وفي الروم مثله وكلهم وقف على بهادي بالياء في هذه السورة وبغير ياء في الروم اتباعا للمصحف
الا يعقوب فانه وقف فيهما جميعا بالياء واجاز الفراء وابو حاتم وما انت بهاد العمي وهي الاصل وفي حرف
عبد الله وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن باياتنا قال ابن عباس اي الا من خلقته للسعادة
فهم مخلصون في التوحيد **قوله تعالى** واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اختلف في معنى وقع القول وفي الدابة فقيل معنى وقع القول
عليهم وجب الغضب عليهم قاله قتادة وقال مجاهد اي حق القول عليهم بانهم لا يؤمنون وقال ابو عمر وابو سعيد
الخدري رضي الله عنهما اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وقال عبد الله
بن مسعود ووقع القول يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القران قال عبد الله اكثروا تلاوة القران
قبل ان يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يسرى عليه ليلا فيصبحون منه
فقرا وينسون لا اله الا الله ويقعون في قول الجاهلية واشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول قال الشيخ القرطبي
رحمه الله اسنده ابو بكر البزار قال حدثنا عبيد الله بن يوسف الثقفي قال حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز
عن موسى بن عبيدة عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن مسعود عن ابيه انه قال اكثروا من زيارة هذا البيت
من قبل ان يرفع وينسى الناس مكانه واكثروا تلاوة القران قبل ان يرفع قالوا يا ابا عبد الرحمن هذه
المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يصبحون فيقولون كنا نتكلم بكلام ونقول قولا فيرجعون
الى شعر الجاهلية واحاديث الجاهلية وذلك حين يقع القول عليهم وقيل القول هو قوله تعالى ولكن حق القول
مني لاملان جهنم فوقوع القول وجوب العقاب على هؤلاء فاذا صاروا الى حد لا تقبل توبتهم ولا يولد
لهم ولد مؤمن فحينئذ تقوم القيامة ذكره القشيري وقول سادس قالت حفصة بنت سيرين سالت ابا
العالية عن قول الله عز وجل واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا
باياتنا لا يوقنون فقال اوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وكانما كان
على وجهي غطاء كشف قال النحاس وهذا من احسن الجواب لان الناس ممتحنون لان فيهم مؤمنين وصالحين
ومن قد علم الله عز وجل انه سيؤمن ويتوب فلهذا امهلوا وامر باخذ الجزية واذا زال هذا وجب القول
عليهم وصاروا كقوم نوح حين قال الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال الشيخ القرطبي
رحمه الله وجميع الاقوال عند التامل ترجع الى معنى واحد والدليل عليه اخر الاية ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون وقرئ ان بفتح الهمزة وسياتي وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وقد مضى

اليت يسمع قرع النعال

ترفع المصاحف

في الانعام واختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها ومن اين تخرج اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة
ونذكره هنا ان شاء الله تعالى مستوفى فاول الاقوال انه فصيل ناقة صالح وهو اصحها والله اعلم لما ذكره ابو داود الطيالسي
في مسنده عن حذيفة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في
اقصى البادية ولا تدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى دون ذلك فيفشو ذكرها
في اهل البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينا الناس في اعظم المساجد
على الله حرمة خيرها واكرمها المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن راسها التراب
فارفض الناس منها شتى ومعا وثبتت عصابة من المؤمنين وعرفوا انهم لن يعجزوا الله فبدات بهم فجلت وجوههم
حتى جعلتها كانها الكوكب الدري وولت في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل ليتعوذ
منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك
الناس في الاموال ويصطحبون في الامصار يعرف المؤمن من الكافر حتى ان المؤمن يقول يا كافر اقض حقي وحتى
ان الكافر يقول يا مؤمن اقض حقي وموضع الدليل من هذا الحديث انه الفصيل قوله وهي ترغو والرغاء
انما هو للابل وذلك ان الفصيل لما قتلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى
يخرج باذن الله عز وجل وروي انها دابة مزغبة شعراء ذات قوائم طولها ستون ذراعا ويقال انها الجساسة
وهو قول عبد الله بن عمرو وروي عن ابن عمر انها على خلقة الادميين وهي في السحاب وقوائمها في الارض وروي
انها جمعت من خلق كل حيوان وذكر الماوردي والثعلبي انها دابة راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن
فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها
ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا الزمخشري بذراع ادم عليه السلام
تخرج معها عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت في وجه المؤمن بعصا موسى نكتة بيضاء فيبيض وجهه وتنكت في
وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه قاله ابن الزبير رضي الله عنهما وفي كتاب النقاش عن ابن عباس ان الدابة
الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين ارادت قريش بناء الكعبة وحكى الماوردي عن محمد بن
كعب عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه سئل عن الدابة فقال اما والله ما لها ذنب وان لها لحية قال الماوردي
وفي هذا القول منه اشارة الى انها من الانس وان لم يصرح به قال الشيخ القرطبي رحمه الله ولهذا والله اعلم قال
بعض المتاخرين من المفسرين ان الاقرب ان تكون هذه الدابة انسانا متكلما يناظر اهل البدع والكفر ويجادلهم
لينقطعوا فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر القرطبي في كتاب
المفهم له وانما كان عند هذا القائل الاقرب لقوله تعالى تكلمهم وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة اية خاصة
خارقة للعادة ولا يكون من جملة العشر الايات المذكورة في الحديث لان وجود المناظرين والمحتجين على اهل
البدع كثير فلا اية خاصة فلا ينبغي ان تذكر مع العشر وترتفع خصوصية وجودها اذا وقع القول ثم فيه
العدول عن تسمية هذا الانسان المناظر الفاضل العالم الذي على اهل الارض باسم الانسان او بالعالم او بالامام
الى ان يسمى بدابة وهذا خروج عن عادة الفصحاء وعن تعظيم العلماء وليس ذلك داب العقلاء فالاولى ما قاله اهل
التفسير والله بحقائق الامور عليم قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد رفع الاشكال في هذه الدابة ما ذكرناه من
حديث حذيفة فليعتمد عليه واختلف من اي موضع تخرج فقال عبد الله بن عمر تخرج من جبل الصفا بمكة
يتصدع فتخرج منه وقال عبد الله بن عمرو وقال لو شئت ان اضع قدمي على موضع خروجها لفعلت وروي في خبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض تنشق وان عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى
وانه تخرج من الصفا فتسم بين عيني المؤمن هو مؤمن سمة كانها كوكب دري وتسم بين عيني الكافر نكتة سوداء
وذكر في الخبر انها ذات وبر وريش ذكره المهدوي وعن ابن عباس انها تخرج من شعب فيمس راسها السحاب ورجلاها
في الارض لم تخرجا وتخرج معها عصى موسى وخاتم سليمان وعن حذيفة تخرج ثلاث خرجات خرجة في بعض
الوادي ثم تكمن وخرجة في القرى يتقاتل فيها الامراء حتى تكثر الدماء وخرجة من اعظم المساجد واكرمها
واشرفها وافضلها الزمخشري تخرج من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون
وقوم يقفون نظارة وروي عن قتادة انها تخرج من تهامة وروي انها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور
نوح عليه السلام وقيل من ارض الطائف قال ابو قبيل ضرب عبد الله بن عمرو ارض الطائف برجله وقال
من هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس وقيل من بعض اودية تهامة قاله ابن عباس وقيل من شعب من حجر

قال الشيخ القرطبي

اجياد قاله عبد الله بن عمرو وقيل من بجرسد وقاله وهب بن منبه ذكر هذه الاقوال الثلاثة الاخيرة الماوردي
في كتابه وذكر البغوي ابو القاسم عباد الله ابن محمد بن عبد العزيز حدثنا علي ابن الجعد عن فضيل بن مرزوق
الرقاشي الاغر وسيل عنه يحيى بن معين فقال ثقة عن عطية عن العوفي عن ابن عمر قال تخرج الدابة من
صدع في الكعبة كجري الفرس ثلاثة ايام لا يخرج ثلثها قال الشيخ القرطبي رحمه الله فهذه اقوال الصحابة
والتابعين في خروج الدابة وصفتها وهي ترد قول من قال من المفسرين ان الدابة انما هي انسان متكلم
يناظر اهل البدع والكفر وقد روى ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة فتسم الناس على
خراطيمهم ذكره الماوردي تكلمهم بضم التاء وشد اللام مكسورة من الكلام قراءة العامة تدل عليه قراءة
ابي تنبيهم وقال السدي تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل تكلمهم بما يسوءهم وقيل تكلمهم
بلسان ذلق فتقول بصوت يسمعه من قرب ومن بعد ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي بخروجي لان خروجها
من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وقرا ابو زرعة وابن عباس والحسن وابو رجا تكلمهم بفتح التاء
من الكلم وهو الجرح قال عكرمة اي تسمهم وقال ابو الجوزاء سالت ابن عباس عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم
قال هي والله تكلمهم تكلم المومن وتكلمهم تكلم الفاجر اي تجرحه وقال ابو حاتم تكلمهم كما تقول تجرحهم يذهب الى
انه تكثير من تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قرا الكوفيون وابن ابي اسحق ان بالفتح وقرا اهل الحرمين
واهل الشام واهل البصرة ان بكسر الهمزة قال النحاس في المفتوحة قولان وكذلك المكسورة قال
الاخفش المعنى بانه وكذا قرا ابن مسعود بان وقال ابو عبيدة موضعها نصب بوقوع الفعل عليها اي تخبرهم ان الناس
وقرا الكسائي والفرا ان الناس يعني الكفار باياتنا لا يوقنون يعني بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك حين لا يقبل الله من كافر ايمانا ولم يبق الا مومنون وكافرون في علم الله قبل خروجها **قوله تعالى**
ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها
علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون فوجا اي زمرة وجماعة ممن يكذب باياتنا
يعني القران وباعلامنا الدالة على الحق فهم يوزعون اي يدفعون ويساقون الى موضع الحساب قال الشماخ

وكم وزعنا من خميس جحفل ... وكم حوينا من رئيس مسحل

اي يرد اولهم على اخرهم حتى اذا جاءوا قال اي قال الله اكذبتم باياتي التي انزلتها على رسلي بالايات التي اقمتها
دلالة على توحيدي ولم تحيطوا بها علما اي ببطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين غير مستدلين اماذا
كنتم تعملون تقريع وتوبيخ اي ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا فيها ووقع القول
عليهم بما ظلموا اي وجب العذاب عليهم بظلمهم اي بشركهم فهم لا ينطقون اي ليس لهم عذر ولا حجة
وقيل يختم على افواههم فلا ينطقون قاله اكثر المفسرين **قوله تعالى** اولم يروا انا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يومنون ليسكنوا فيه اي يستقرون وينامون
والنهار مبصرا اي يبصر فيه لسعي الرزق ان في ذلك لايات لقوم يومنون بالله ذكر الدلالة على الالهية وقدرته
اي ليعلموا كمال قدرتنا فيومنوا **قوله تعالى** ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين اي واذكر يوم او ذكرهم يوم ينفخ في الصور ومذهب الفراء
ان المعنى وذلكم يوم ينفخ في الصور واجاز فيه الحذف والصحيح في الصور انه قرن من نور ينفخ فيه اسرافيل
وقال مجاهد كهيئة البوق وقيل هو البوق بلغة اليمن وقد مضى في الانعام بيانه وما للعلماء في ذلك ففزع
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ
من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو على فيه واصبعه شاخص ببصره الى العرش ينتظر
متى يومر بالنفخة قلت يا رسول الله ما الصور قال قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم دارة فيه
كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق
والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين وذكر الحديث ذكره علي ابن معبد والطبري والثعلبي
وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هنالك وان الصحيح في النفخ
في الصور نفختان لا ثلاث وان نفخة الفزع اما ان تكون راجعة الى نفخة الصعق لان الامرين لازمان لها
اي فزعوا فزعا ماتوا منه او الى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره فانه قال في كلامه
على هذه الاية والمراد النفخة الثانية اي يحيون فزعين يقولون من بعثنا من مرقدنا ويعاينون من

الحر

٢٢٧

الامور ما يهولهم ويفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق ليجتمع الخلق في ارض الجزاء وقال الماوردي ويوم ينفخ
في الصور هو يوم النشور من القبور قال وفي هذا الفزع قولان احدهما انه الاسراع والاجابة الى النداء
من قولهم فزعت اليك في كذا اي اسرعت الى ندائك في معونتك والقول الثاني ان الفزع هنا هو الفزع
المعهود من الخوف والحذر لانهم ازعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا اشبه القولين قال الشيخ القرطبي
رحمه الله والسنة الثابتة من حديث ابي هريرة وعبد الله بن عمرو يدل على انهما نفختان لا ثلاث خرجهما
مسلم وقد ذكرناهما في كتاب التذكرة وهو الصحيح ان شا الله انهما نفختان قال الله سبحانه وتعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله فاستثنى كما استثنى في نفخة الفزع فدل انهما
واحدة وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون
سنة الاولى يميت الله بها كل حي والاخرى يحيي الله بها كل ميت فان قيل فان قوله سبحانه وتعالى يوم ترجف
الراجفة تتبعها الرادفة الى ان قال فانما هي زجرة واحدة وهذا يقتضي بظاهره انها ثلاث قيل له
ليس كذلك وانما المراد بالزجرة النفخة الثالثة التي تكون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك قال
ابن عباس ومجاهد وعطا وابن زيد وغيرهم قال مجاهد هما صيحتان اما الاولى فيميت كل شي باذن الله
واما الاخرى فيحيي كل شي باذن الله سبحانه وتعالى وقال عطا الراجفة القيامة والرادفة البعث قال ابن زيد
الراجفة الموت والرادفة الساعة والله اعلم اختلف في هذا المستثنى من هم ففي حديث ابي هريرة انهم
الشهداء عند ربهم يرزقون انما يصل الفزع الى الاحيا وهو قول سعيد بن جبير انهم الشهداء متقلدو
السيوف حول العرش قال القشيري والانبياء داخلون في جملتهم لان لهم الشهادة مع النبوة وقيل
الملائكة قال الحسن استثنى طوائف من الملائكة يموتون من النفختين وقال مقاتل يعني جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت وقيل الحور العين وقيل هم المومنون لان الله سبحانه وتعالى قال عقيب هذا
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون وقال بعض علمائنا والصحيح انه لم يرد في تعيينهم
خبر صحيح والكل محتمل قال الشيخ القرطبي رحمه الله خفي عليه حديث ابي هريرة وقد صححه القاضي ابو بكر
بن العربي فليعول عليه لانه نص في التعيين وغيره اجتهاد والله اعلم وقيل هذا على ما ياتي في الزمر وقوله
ففزع من في السموات ماض وينفخ مستقبل فيقال كيف عطف ماضيا على مستقبل فزعم الفرا ان هذا
محمول على المعنى لان المعنى اذا نفخ في الصور ففزع الا من شا الله نصب على الاستثناء وكل اتوه داخرين
قرا ابو عمرو وعاصم والكسائي ونافع وابن عامر وابن كثير اتوه جعلوه فعلا مستقبلا وقرا الاعمش
ويحيى وحمزة وحفص عن عاصم وكل اتوه مقصورا على الفعل الماضي وكذلك قراءة ابن مسعود وعن
قتادة وكل اتوه داخرين قال النحاس وفي كتابي عن ابي اسحاق في القران وكل اتوه وحد على لفظ كل ومن قرا
اتوه جمع على معناها وهذا القول غلط قبيح لانه اذا قال وكل اتوه فلم يوحد وانما جمع ولو وحد لقال
اتاه ولكن من قال اتوه جمع على المعنى وجاء به ماضيا لانه رده الى ففزع ومن قرا وكل اتوه حمله على
المعنى ايضا وقال اتوه لانها جملة منقطعة من الاول وقال ابن نصر قد حكي عن ابي اسحاق رحمه الله ما لم
يقله ونص ابي اسحاق وكل اتوه داخرين ويقرا اتوه فمن وحد فللفظ كل ومن جمع فلمعناها يريد ما اتى في
القران او غيره من توحيد خبر كل فعلى اللفظ او جمع فعلى المعنى فلم ياخذ ابو جعفر هذا المعنى
قال المهدوي ومن قرا وكل اتوه داخرين فهو فعل من الاتيان وحمل على معنى كل دون لفظها ومن
قرا وكل اتوه فهو اسم الفاعل من اتى يدلك على ذلك قوله تعالى وكلهم اتيه يوم القيامة فردا ومن
قرا وكل اتاه حمله على لفظ كل دون معناها وحمل داخرين على المعنى ومعناه صاغرين عن ابن عباس
وقتادة وقد مضى في النحل **قوله تعالى** وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شي انه خبير بما يفعلون قال ابن عباس جامدة اي قائمة وهي تسير سيرا
حثيثا قال القتبي وذلك ان الجبال تجمع وتسير وهي في روية العين كالقائمة وهي تسير وكذلك كل
شي عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته وبعد ما بين اطرافه وهو في حسبان الناظر كالواقف
وهو يسير قال الشاعر وهو النابغة في وصف جيش

بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

ويقال للجيش الارعن وهو المضطرب لكثرته قال القشيري وهذا يوم القيامة اي هي لكثرتها

كانها جامدة اي واقفة في مراى العين وان كانت في انفسها تسير سير السحاب والسحاب متراكم يظن
انها واقفة وهي تسير اي تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها شي قال الله سبحانه وتعالى وسيرت الجبال
فكانت سرابا يقال ان الله سبحانه وتعالى وصف الجبال بصفات مختلفة مرجع كلها الى تفريغ الارض
منها وابراز ما كانت تواريها فاول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش
وذلك اذا صارت السماء كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال يوم تكون السما كالمهل وتكون الجبال كالعهن
والحالة الثانية ان تصير كالهبا وذلك ان تنشق بعد ان كانت كالعهن والحالة الرابعة
ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة في موضعها قارة والارض تحتها بارزة فتنشق عنها لتبرز
فاذا انسفت فبارسال الرياح اليها والحالة الخامسة ان الرياح ترفعها على وجه الارض فتظهرها
شعاعا في الهواء لانها غبار فمن نظر اليها من بعد يحسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي في الحقيقة
مارة الا ان مرورها مرور الرياح متدكة متفتتة والحالة السادسة ان تكون سرابا يعني لا شي فمن
نظر الى مواضعها لم يجد فيها شيئا منها كالسراب قال مقاتل تقع على الارض فيستوي بها ثم قيل هذا
مثل ما قال الماوردي وفيما ضرب له ثلاثة اقاويل احدها انه مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للدنيا
يظن الناظر اليها انها واقفة كالجبال وهي اخذة بحظها من الزوال كالسحاب قاله سهل بن عبد الله
الثاني انه مثل ضرب للايمان تحسبه ثابتا في القلب وعمله صاعدا الى السما الثالث انه مثل ضرب
للنفس عند خروج الروح والروح تسير الى العرش صنع الله الذي اتقن كل شي اي هذا من فعل الله وهو
فعل منه فهو متقن وترى من روية العين فلو كانت من روية القلب لتعدت الى مفعولين والاصل
ترأى فالقيت حركة الهمزة على الرا فتحركت الرا وحذفت الهمزة وهذا سبيل تخفيف الهمزة اذا كان
قبلها ساكن الا ان التخفيف لازم لترى واهل الكوفة يقرون تحسبها بفتح السين وهو القياس لانه من
حسب يحسب الا انه قد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلافها انه قرا بالكسر في المستقبل فيأتون على
فعل يفعل مثل نعم ينعم وباس يباس ويباس وحكي بيس ييس من السالم لا يعرف في كلام العرب غير هذه
الاحرف وهي تمر مر السحاب تقديره تمر مرا مثل مر السحاب فاقيمت الصفة مقام الموصوف والمضاف
مقام المضاف اليه فالجبال تزال من اماكنها من على وجه الارض وتجمع وتسير كما تسير السحاب
ثم تكسر فتعود الى الارض كما قال وبست الجبال بسا صنع الله منصوب عند الخليل وسيبويه على انه
مصدر لانه لما قال عز وجل وهي تمر مر السحاب دل على انه قد صنع ذلك صنعا ويجوز النصب على الا
اي انظروا صنع الله فيوقف على هذا على السحاب ولا يوقف عليه على التقدير الاول ويجوز رفعه على
تقدير ذلك صنع الله الذي اتقن كل شي اي احكمه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله من عمل
عملا فاتقنه وقال قتادة احسن كل شي والاتقان الاحكام ويقال رجل تقن اي حاذق بالاشياء
وقال الزهري اصله من ابن تقن وهو رجل من عاد ولم يكن يسقط له سهم فضرب به المثل يقال اتقن
ارمى من ابن تقن ثم يقال لكل حاذق تقن انه خبير بما يفعلون قرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بالياء الباقون
تفعلون بالتاء على الخطاب قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
امنون قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما الحسنة لا اله الا الله وقال ابو معشر كان ابراهيم يحلف
بالله الذي لا اله الا هو ولا يستثني ان الحسنة لا اله الا الله محمد رسول الله وقال علي بن الحسن بن علي
رضوان الله عليهم غزا رجل فاذا خلا بمكان قال لا اله الا الله وحده لا شريك له فبينما هو في ارض الروم
في ارض خلفا ويروي رفع صوته فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له فخرج عليه رجل على فرس
عليه ثياب بيض فقال له والذي نفسي بيده انها الكلمة التي قال الله سبحانه وتعالى من جا بالحسنة
الاية وروى ابو ذر وقال قلت يا رسول الله اوصني قال اتق الله واذا عملت سيئة فاتبعها حسنة
تمحها قال قلت يا رسول امن الحسنات لا اله الا الله قال من افضل الحسنات في رواية قال نعم هي
احسن الحسنات ذكره البيهقي وقال قتادة من جاء بالحسنة بالاخلاص والتوحيد وقيل اداء
الفرايض كلها قال الشيخ القرطبي اذا اتى بلا اله الا الله على حقيقتها وما يجب لها على ما تقدم
بيانه في سورة ابراهيم فقد اتى بالتوحيد والاخلاص والفرايض فله خير منها قال ابن عباس اي
وصل اليه الخير منها وقاله مجاهد وقيل فله الخير الجميلة وهو الجنة وليس خير التفضيل قال عكرمة

وابن

وابن جريج اما ان يكون له خير منها يعني من الايمان فلا فانه ليس شي خيرا ممن قال لا اله الا الله ولكن له منها
خير وقيل فله خير منها للتفضيل اي ثواب الله خير من عمل العبد وقوله وذكره ولذلك رضوان الله
خير للعبد من فعل العبد قاله ابن عباس ايضا وقيل يرجع هذا الى الاضعاف فان الله سبحانه وتعالى
يعطيه بالواحدة عشرا وبالايمان في مدة يسيرة الثواب الابدي قاله محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد
من فزع يومئذ امنون قرا عاصم وحمزة والكسائي من فزع يومئذ بالتنوين وفتح الميم نافع بفتح الميم من غير
تنوين الباقون من فزع يومئذ بالاضافة قال ابو عبيد وهذا اعجب الي لانه اعم التاويلين ان يكون الامن
من جميع فزع ذلك اليوم واذا قال ومن فزع يومئذ صار كانه فزع دون فزع قال القشيري وقري من
فزع بالتنوين ثم قيل يعني به فزعا واحدا كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل عني الكثرة لانه مصدر
والمصدر صالح قال الشيخ القرطبي رحمه الله فعلى هذا تكون القراتان بمعنى قال المهدوي ومن قرا من
فزع يومئذ بالتنوين انتصب يومئذ بالمصدر الذي هو فزع ويجوز ان يكون صفة لفزع ويكون متعلقا
بمحذوف لان المصادر يخبر عنها باسما الزمان وتوصف ويجوز ان تتعلق باسم الفاعل الذي هو امنون
والاضافة على الا... نساع في الظروف ومن حذف التنوين وفتح الميم بناه لانه ظرف زمان وليس
الاعراب في ظروف متمكنا فلما اضيف الى غير متمكن ... ولا معرب بني وانشد سيبويه

على حين الهى الناس جل امورهم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب

قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون
قوله بالسيئة اي بالشرك قاله ابن عباس وابو هريرة والنخعي ومجاهد وقيس بن سعد والحسن وهو اجماع
من اهل التاويل في ان الحسنة لا اله الا الله وان السيئة الشرك في هذه الاية فكبت وجوههم في النار
قال ابن عباس القيت وقال الضحاك طرحت يقال كببت الانا اي قلبته على وجهه واللازم منه اكب وقيل
ما ياتي هذا في كلام العرب هل تجزون اي يقال لهم هل تجزون ثم يجوز ان يكون من قول الله ويجوز ان
يكون من قول الملايكة الا ما كنتم تعملون الا جزاء عملكم قوله تعالى انما امرت ان اعبد رب
هذه البلدة الذي حرمها وله كل شي وامرت ان اكون من المسلمين يعني مكة التي عظم الله حرمتها
اي جعلها حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر على ما تقدم
بيانه في غير موضع وقرا ابن عباس التي حرمها نعتا للبلدة وقراءة الجماعة الذي وهو في موضع نصب
نعت لرب ولو كان بالالف واللام لقلت المحرمها فان كان نعتا للبلدة قلت المحرمها هو لا بد من اظهار
المضمر مع الالف واللام لان الفعل جرى على غير من هو له فان قلت التي حرمها لم يحتج ان يقول هو وله كل
شي خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين اي المنقادين لامره الموحدين له وان اتلو القران اي وامرت
ان اتلو القران اي اقراه فمن اهتدى فله ثواب هدايته ومن ضل فليس علي الا البلاغ نسختها اية القتال
قال النحاس وان اتلو نصب بان قال الفراء وفي احدى القرايتين وان اتل وزعم انه في موضع جزم بالامر فلذلك
حذفت منه الواو قال النحاس ولا نعرف احدا قرا هذه القراءة وهي مخالفة لجميع المصاحف قوله تعالى
وان اتلوا القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين تقدم ومعناه
وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون الحمد لله على
نعمه وعلى ما هدانا سيريكم اياته اي في انفسكم وفي غيركم كما قال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
فتعرفونها اي تعرفون دلايل قدرته ووحدانيته في انفسكم وفي السموات وفي الارض نظيره قوله سبحانه
وتعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وما ربك بغافل عما تعملون قرا اهل المدينة
واهل الشام وحفص عن عاصم بالتاء على الخطاب لقوله سيريكم اياته فتعرفونها فيكون الكلام على نسق واحد والباقون
بالياء على ان يرد الى ما قبله من قوله فمن اهتدى ... فاخبر عن تلك الاية ... تمت السورة والحمد لله

تفسير سورة القصص

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا انه نزلت بين مكة والمدينة
وقال ابن سلام بالجحفة في وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو قوله سبحانه وتعالى
ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وقال مقاتل فيها من المدني الذين اتيناهم الكتاب

قال الشيخ القرطبي

الي قوله سبحانه وتعالي لا نبتغي الجاهلين وهي ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالي** طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسي وفرعون بالحق لقوم يؤمنون طسم تقدم الكلا
فيه تلك ايات الكتاب المبين تلك في موضع رفع بمعني هذه تلك وايات بدل منها ويجوز ان تكون تلك في
موضع نصب بنتلوا وايات بدل منها ايضا وتنصبها كما تقول زيدا ضربت المبين اي المبين بركته وخيره
والمبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وقصص الانبيا ونبوة محمد صلي الله عليه وسلم ويقال ابان الشي
وبان وابان افصح قال سبحانه وتعالي نتلوا عليك من نبا موسي وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ذكر قصة
موسي وفرعون وقارون واحتج علي مشركي قريش وبين ان قرابة قارون من موسي لم تنفعه مع كفره فكذلك
قرابة قريش من محمد صلي الله عليه وسلم لا ينفعهم وبين ان فرعون علا وكبر فكان ذلك من كفره فليجتنب
العلو في الارض وكذلك التعزز بكثرة المال وهما من سيرة فرعون وقارون نتلوا عليك اي نقرا عليك
جبريل من امرنا من نبا موسي وفرعون اي من خبرهما ومن للتبعيض ومن نبا مفعول نتلوا اي نتلوا عليك
بعض خبرهما كقوله سبحانه وتعالي تنبت بالدهن ومعني بالحق اي بالصدق الذي لا ريب فيه ولا كذب لقوم
يؤمنون اي يصدقون بالقران ويعلمون انه من عند الله فاما من لم يؤمن فلا يعتقد انه حق **قوله تعالي**
ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
انه كان من المفسدين علا في الارض اي استكبر وتجبر قاله ابن عباس والسدي وقال قتادة
علا في نفسه عن عبادة ربه بكفره وادعي الربوبية وقيل بملكه وسلطانه وصار عاليا علي من تحت يده
في الارض اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا واصنافا في الخدمة قال الاعشي

شعر
وبلدة يرهب الجواب دلجتها ... حتي تراه عليها يبتغي الشيعا

يستضعف طائفة منهم اي من بني اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين تقدم القول
في البقرة عند قوله يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم الاية وذلك ان الكهنة
قالوا له ان مولودا يولد في بني اسرائيل يذهب ملكك علي يديه وقال المنجمون له ذلك او راي رويا
فعبرت بذلك قال الزجاج العجب من حمقه لم يدر ان الكاهن ان صدق فالقتل لا ينفع وان كذب فلا معني
للقتل وقيل جعلهم شيعا فاستسخر كل قوم من بني اسرائيل في شغل مفرد انه كان من المفسدين اي في الارض
بالعمل بالمعاصي والتجبر **قوله تعالي** ونريد ان نمن علي الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم
ائمة ونجعلهم الوارثين اي نتفضل عليهم وننعم وهذه حكاية مضت ونجعلهم ائمة قال ابن عباس وقتادة
في الخير مجاهد دعاة الي الخير قتادة ولاة وملوكا دليله قوله سبحانه وتعالي وجعلكم ملوكا قال الشيخ
القرطبي رحمه الله وهذا اعم فان الملك امام يؤتم به ويقتدي ونجعلهم الوارثين لملك فرعون يرثون ملكه
ويسكنون مساكن القبط وهذا معني قوله سبحانه وتعالي وتمت كلمة ربك الحسني علي بني اسرائيل بما
صبروا **قوله تعالي** ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحذرون اي نجعلهم مقتدرين علي الارض واهلها حتي يتولوا عليها يعني ارض مصر والشام ونري فرعون
وهامان وجنودهما اي نريد ان نري فرعون وقرا الاعمش ويحيي وحمزة والكسائي وخلف ويري بالياء علي انه
فعل ثلاثي من راي وفرعون وهامان وجنودهما رفعا لان الفاعل الباقون نري بضم النون وكسر الراء
علي انه فعل رباعي من اري يري وهي علي نسق الكلام لان قوله ونريد وبعده ونمكن فرعون وهامان
وجنودهما نصبا بوقوع الفعل واجاز الفرا ويري فرعون بضم الياء وكسر الراء وفتح الياء بمعني ويري الله
فرعون منهم ما كانوا يحذرون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم علي يد رجل من بني اسرائيل وكانوا علي وجل
منهم فاراهم الله تعالي ما كانوا يحذرون قال قتادة كان حازيا لفرعون والحازي المنجم قال له انه سيولد
في هذه السنة مولود يذهب بملكك فامر فرعون بقتل الولدان في تلك وقد تقدم **قوله تعالي**
واوحينا الي ام موسي ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم قد تقدم معني الوحي ومحامله
واختلف في هذا الوحي الي ام موسي فقالت طايفه كان قولا في منامها وقال قتادة كان الهاما وقالت
فرقة كان بملك تمثل لها قال مقاتل اتاها جبريل بذلك فعلي هذا هو وحي اعلام لا الهام واجمع الكل
علي انها لم تكن نبية وانما ارسال الملك اليها علي نحو تكليم الملك للاقرع والابرص والاعمي في الحديث

الجازي المنجم

المشهور خرجه البخاري ومسلم وقد ذكرناه في سورة براءة وغيرها ذلك مما روي من تكليم الملائكة
للناس من غير نبوة وقد سلمت علي عمران بن حصين ولم يكن بذلك نبيا واسمها ايا وحا وقيل ايا ذخت فيما ذكر
السهيلي قال الثعلبي واسم ام موسي لوخا بنت هاند بن لاوي ابن يعقوب ان ارضعيه وقرا عمر بن عبد
العزيز ان ارضعيه بكسر النون والف وصل حذف همزة ارضع تخفيفا ثم كسر لالتقا الساكنين قال مجاهد وكان
الوحي بالرضاع قبل الولادة وقال غيره بعدها قال السدي لما ولدت ام موسي موسي امرت ان ترضعه عقيب
الولادة وتصنع به ما في الاية لان الخوف كان عقيب الولادة وقال ابن جريج امرت برضاعته اربعة اشهر
في بستان فاذا خافت ان يصيح لان لبنها لا يكفيه صنعت به هذا والاول اظهر الا ان الاخر يعضده قوله
تعالي فاذا خفت عليه واذا لما يستقبل من الزمان فيروي انها اتخذت له تابوتا من بردي وقيرته بالقار
من داخله ووضعت فيه موسي والقته في نيل مصر وقد مضي خبره في طه قال ابن عباس ان بني اسرائيل
لما كثروا بمصر استطالوا علي الناس وعملوا بالمعاصي فسلط الله عليهم القبط وساموهم سوء العذاب الي
ان انجاهم الله سبحانه وتعالي علي يدي موسي قال وهب بلغني ان فرعون ذبح في طلب موسي سبعين الف وليد
ويقال تسعون الفا ويروي انه اقتربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالي بني
اسرائيل مصاحبة لها فقالت لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الي الارض له نور بين عينيه وارتعش كل مفصل
منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما
وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور نارا
لم تعلم ما تصنع لما طاش عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور
وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما **قوله تعالي** ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين فيه وجهان احدهما لا تخافي عليه الغرق قاله ابن زيد الثاني لا تخافي عليه
الضيعة قاله يحيي بن سلام ولا تحزني فيه وجهان احدهما لا تحزني لفراقه قاله ابن زيد الثاني لا
تحزني ان يقتل قاله يحيي بن سلام فقيل جعلته في تابوت طوله خمسة اشبار وجعلت المفتاح مع التابوت
وطرحته في اليم بعد ان ارضعته اربعة اشهر وقال اخرون ثلاثة اشهر وقال اخرون ثمانية اشهر في
حكاية الثعلبي وحكي انه لما فرغ النجار من صنعة التابوت ثم الي فرعون يخبره فبعث معه من ياخذه فطمس
الله عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق فايقن انه المولود الذي تخوف منه فرعون فامن من ذلك الوقت وهو
مومن ال فرعون ذكره الماوردي وقال ابن عباس فلما تواري عنها ندمها الشيطان وقالت في نفسها
لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان احب الي من القائه في البحر فقال الله سبحانه وتعالي انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين اي الي اهل مصر حكي الاصمعي قال سمعت جارية اعرابية تنشد فتقول

استغفر الله لذنبي كله ... قتلت انسانا بغير حله
مثل الغزال ناعما في دله ... فانتصف الليل ولم اصله

فقلت قاتلك الله ما افصحك فقالت اويعد هذا فصاحة مع قوله سبحانه وتعالي واوحينا الي ام موسي الاية
فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين **قوله تعالي** فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فاللام في ليكون لام العاقبة
ولام الصيرورة لانهم انما اخذوه ليكون لهم قرة عين فكان عاقبة ذلك بان كان لهما عدوا وحزنا فذكر
الحال بالمال كما قال الشاعر

وللمنايا تربي كل مرضعة ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقال اخر

فللموت ما تلد الوالدات ... كما لخراب الدهر تبني المساكن

اي فعاقبة البنا الخراب وان كان في الحال مفروحا به والالتقاط وجود الشي من غير طلب ولا ارادة والعرب
تقول لما وجدت من غير طلب ولا ارادة التقطته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا قال الراجز

ومنهل وردته التقاطا ... لم الق اذ وردته فراطا

ومنه اللقطة وقد مضي في ذلك من الاحكام في سورة يوسف ما فيه كفاية وقرا الاعمش ويحيي والمفضل
وحمزة والكسائي وخلف وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي الباقون بفتحهما واختاره ابو عبيد وابو حاتم
قال التفخيم فيه وهما لغتان مثل العدم والعدم والسقم والسقم والرشد والرشد ان فرعون وهامان

ويروي تسعون الفا

وكان وزيره من القبط وجنودهما كانوا خاطئين اي عاصين مشركين آثمين **قوله تعالى** وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا يروى ان اسية امراة فرعون رات التابوت يعوم في اليم فامرت بسوقه وفتحه فرات فيه صبيا صغيرا فرحمته واحبته فقالت لفرعون قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لي ولك فقرة خبر مبتدا مضمر قاله الكسائي وقال النحاس وفيه وجه اخر بعيد ذكره ابو اسحاق يكون رفعا بالابتداء والخبر لا تقتلوه وانما بعد لانه يصير المعنى انه معروف بانه قرة عين لي ولك ولا تقتلوه وقيل تمام الكلام عند قوله ولك النحاس والدليل على هذا ان قراءة عبد الله بن مسعود وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك ويجوز النصب بمعنى لا تقتلوا قرة عين لي ولك وقالت لا تقتلوه ولم تقل لا تقتله فهي تخاطب فرعون كما يخاطب الجبارون وكما يخبرون عن انفسهم وقيل قالت لا تقتلوه فان الله اتى به من ارض وليس من بني اسرائيل عسى ان ينفعنا فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد واستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وكان فرعون لما راى الرؤيا وقصها على كهنته وعلمائه على ما تقدم قالوا له ان غلاما من بني اسرائيل يفسد ملكك فاخذ بني اسرائيل بذبح الاطفال فراى انه يقطع نسلهم فعاد يذبح عاما ويستحيي عاما فولد هرون في عام الاستحيا وولد موسى في عام الذبح **قوله تعالى** وهم لا يشعرون هذا ابتداء كلام من الله سبحانه وتعالى اي وهم لا يشعرون ان هلاكهم بسببه وقيل هو من كلام المراة اي وبنو اسرائيل لا يدرون انا التقطناه ولا يشعرون الا انه ولدنا واختلف المتاولون في الوقت الذي قالت فيه امراة فرعون قرة عين لي ولك فقالت فرقة كان ذلك عند التقاط التابوت لما اشعرت فرعون به ولما اعلمته سبق الى وهمه انه من بني اسرائيل وان ذلك قصد به ليتخلص من الذبح فقال علي بالذباحين فقالت امراته ما ذكر فقال فرعون اما لي فلا قال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون نعم لامن بموسى ولكان قرة عين له وقال السدي بل ربته حتى درج فراى فرعون فيه شهامة وظنه من بني اسرائيل فاخذه في يده فمد موسى يده ونتف لحية فرعون فهم حينئذ بذبحه وحينئذ خاطبته بهذا وجربته له في الجمرة والياقوتة فاحترق لسانه وعلق العقدة على ما تقدم في طه وقال الفرا سمعت محمد بن مروان الذي يقال له السدي يذكر عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال انها قالت قرة عين لي ولك لا ثم قالت تقتلوه قال الفرا وهو لحن قال ابن الانباري وانما حكم عليه باللحن لانه لو كان كذلك لكان تقتلونه بالنون لان الفعل المستقبل مرفوع حتى يدخل عليه الناصب او الجازم فالنون فيه علامة الرفع قال الفرا ويقويك على رده قراءة عبد الله بن مسعود وقالت امراة فرعون لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه **قوله تعالى** واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابو عمران الجوني وابو عبيدة فارغا من الوحي اذ اوحي اليها خاليا من ذكر كل شي في الدنيا الا من ذكر موسى وقال الحسن ايضا وابن اسحاق وابن زيد فارغا من الوحي اذ اوحي اليها حين امرت ان تلقيه في البحر ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهده اليها ان يرده ويجعله من المرسلين فقال لها الشيطان يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فغرقتيه انت ثم بلغها ان ولدها وقع في يد فرعون فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن والغم لعلمها انه لم يغرق وقاله الاخفش ايضا وقال العلاء بن زياد فارغا نافرا الكسائي ناسيا ذاهلا وقيل والها رواه سعيد بن جبير بن القاسم عن مالك هو ذهاب العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الفزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة ابرهيم وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرا فزعا النحاس اصح هذه الاقوال الاول والذين قالوه اعلم بكتاب الله عز وجل واذا كان فارغا من كل شي الا من ذكر موسى فهو فارغ من الغم غلط قبيح لان بعده ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كادت تقول وا ابناه وقرا فضالة بن عبيد الانصاري رضي الله عنه ومحمد بن السميقع وابو العالية وابن محيصن فزعا بالفاء والعين المهملة من الفزع اي خائفا عليه ان يقتل ابن عباس قرعا بالقاف والعين والراء المهملتين وهي راجعة الى

قراءة الجماعة فارغا ولذلك قيل للراس الذي لا شعر فيه اقرع لفراغه من الشعر وحكى قطرب ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قرا فزغا بالفاء والزاي والغين المعجمة من غير الف وهو كقولك هدرا وباطلا يقال دماؤهم بينهم فزغ اي هدر والمعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها وفي قوله واصبح وجهان احدهما انها القته ليلا فاصبح فؤادها في النهار فارغا الثاني انها القته نهارا ومعنى اصبح اي صار وقال الشاعر

مضى الخلفاء بالامر الرشيد … واصبحت المدينة للوليد

ان كادت اي انها كادت فلما حذفت الكناية سكنت النون فهي ان المخففة ولذلك دخلت اللام في لتبدي به اي لتظهر امره من بدا يبدو اذا ظهر قال ابن عباس ان تصيح عند القايه وا ابناه السدي كادت تقول لما حملت لارضاعه وحضانته هو ابني وقيل انه لما شب سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون فشق عليها وضاق صدرها وكادت تقول هو ابني وقيل الهاء في به عائدة الى الوحي تقديره ان كادت لتبدي بالوحي الذي اوحينا اليها ان نرده عليها والاول اظهر قال ابن مسعود كادت تقول انا امه وقال الفرا ان كادت لتبدي باسمه لضيق صدرها لولا ان ربطنا على قلبها قال قتادة بالايمان السدي بالعصمة وقيل بالصبر والربط على القلب الهام الصبر لتكون من المؤمنين اي من المصدقين بوعد الله حين قال لها انا رادوه اليك وقال السدي به ولم يقل لتبديه لان حروف الصفات قد تزاد في الكلام تقول اخذت الحبل وبالحبل وقيل اي لتبدي القول به **قوله تعالى** وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون اي قالت ام موسى لاخته اتبعي اثره حتى تعلمي خبره واسمها مريم بنت عمران وافق اسمها اسم مريم ام عيسى عليه السلام ذكره الثعلبي والسهيلي وذكر الماوردي عن الضحاك ان اسمها كلثمة وذكر السهيلي كلثوم جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اشعرت ان الله عز وجل زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم اخت موسى واسية امراة فرعون فقالت الله اخبرك بهذا فقال نعم فقالت بالرفاء والبنين فبصرت به عن جنب اي بعد قاله مجاهد ومنه الاجنبي قال الشاعر

فلا تحرمني نائلا عن جنابة … فاني امرؤ وسط القباب غريب

واصله عن مكان جنب وقال ابن عباس عن جنب اي عن جانب وقرا النعمان بن سالم عن جانب اي ناحية وقيل عن شوق وحكى ابو عمرو بن العلا انها لغة جذام يقولون جنبنا اليك اي اشتقنا اليك وقيل عن جنب عن مجانبة لها منه فلم يعرفوا انها امه بسبيل وقال قتادة جعلت تنظر اليه بناحية كانها لا تريده وكان يقرا عن جنب بفتح الجيم واسكان النون وهم لا يشعرون انها اخته لانها كانت تمشي على ساحل البحر حتى راتهم اخذوه **قوله تعالى** وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون حرمناه اي منعناه من الارتضاع من قبل اي من قبل مجي امه واخته والمراضع جمع مرضع ومن قال مراضع فهو جمع مرضاع ومفعال يكون للتكثير ولا تدخل الهاء فيه فرقا بين المذكر والمونث لانه ليس بجار على الفعل ولكن من قال مرضاعة جاء بالهاء للمبالغة كما يقال مطرابة قال ابن عباس لا يؤتى بمرضع فيقبلها وهذا تحريم منع لا تحريم شرع قال امرؤ القيس

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري … اني امرؤ صرعي عليك حرام

اي ممتنع فلما رات اخته ذلك قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم الاية فقالوا لها عند قولها وهم له ناصحون وما يدريك لعلك تعرفين اهله فقالت لا ولكنهم يحرصون على مسرة الملك ويرغبون في ظئره وقال السدي وابن جريج قيل لها لما قالت وهم له ناصحون قد عرفت اهل هذا الصبي فدلينا عليهم فقالت اردت وهم للملك ناصحون فدلتهم على ام موسى فانطلقت اليها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فدفع اليها فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وقال ابن زيد استرابوها حين ذلك فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون وقيل انها لما قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وكانوا يبالغون في طلب مرضعة يقبل ثديها فقالوا من هي فقالت هي امي فقيل لها لبن فقالت نعم لبن هرون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها الصبيان فقالوا صدقت والله وهم له ناصحون اي فيهم شفقة ونصح فروي انه قيل لام موسى حين ارتضع منها كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لاني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اكاد اوتى بصبي الا ارتضع مني قال ابو عمران الجوني

اخذ موسى بيده ونتف لحية فرعون

وكان فرعون يعطي ام موسى كل يوم دينارا قال الزمخشري فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على رضاع ولدها قلت ما كانت تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي تاخذه على وجه الاباحة

قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي رددناه وقد عطفنا بقلب العدو عليه ووفينا لها بالوعد كي تقر عينها اي بولدها ولا تحزن بفراق ولدها ولتعلم ان وعد الله حق اي لتعلم وقوعها فانها كانت عالمة بان رده عليها سيكون ولكن اكثرهم يعني اكثر ال فرعون لا يعلمون اي كانوا في غفلة عن التقدير وسر القضا وقيل اي اكثر الناس لا يعلمون اي وعد الله حق في كل ما وعد حق

قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين قد مضى الكلام في الاشد في الانعام وقول ربيعة ومالك ان الحكم اولى ما قيل فيه لقوله سبحانه وتعالى حتى اذا بلغوا النكاح وذلك اول الاشد واقصاه اربع وثلثون سنة وهو قول سفيان الثوري واستوى قال ابن عباس بلغ اربعين سنة والحكم الحكمة قبل النبوة وقيل الفقه في الدين وقد مضى بيانها في البقرة وغيرها والعلم الفهم في قول السدي وقيل النبوة وقال مجاهد الفقه محمد بن اسحاق لما في دينه ودين ابائه وكان له تسعة من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به ويجتمعون اليه وكان هذا قبل النبوة وكذلك نجزي المحسنين اي كما جزينا ام موسى لما استسلمت لامر الله سبحانه وتعالى والقت ولدها في البحر وصدقت بوعد الله سبحانه وتعالى فرددنا ولدها بالتحف والطرف اليها وهي امنة ثم وهبنا له العقل والحكمة والنبوة فكذلك نجزي كل محسن

قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قيل لما عرف موسى ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون وفشا ذلك منه فاخافوه وخافهم وكان لا يدخل مدينة فرعون الا خائفا مستخفيا وقال السدي كان موسى في وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى كان يدعى موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مداين مصر يقال لها منف مقاتل هي قرية على راس فرسخين من مصر ثم علم موسى بركوب فرعون فركب بعده ولحق بتلك القرية في وقت الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشاء والعتمة قال ابن اسحاق بل المدينة مصر نفسها وكان موسى في هذا الوقت قد اظهر خلاف فرعون وعاب عليهم عبادة فرعون الاصنام فدخل مدينة فرعون يوما على حين غفلة من اهلها قال سعيد بن جبير وقتادة وقت الظهر والناس نيام وقال ابن زيد كان فرعون قد نابذ موسى واخرجه من المدينة وغاب عنها سنين وجاء والناس على غفلة بنسيانهم لامره وبعد عهدهم به وكان ذلك يوم عيد وقال الضحاك اراد ان يدخل المدينة وقت غفلة اهلها فدخلها حين علم منهم ذلك وكان من قتل الرجل من قبل ان يؤمر بقتله فاستغفر ربه فغفر له قال في الكلام دخلت المدينة حين غفل اهلها ولا يقال على حين غفل اهلها ودخلت على في هذه الاية لان الغفلة هي المقصودة فصار هذا كما تقول جيت على غفلة وان شئت قلت جيت على حين غفلة وكذا الاية فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته والمعنى اذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته اي من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من قوم فرعون فاستغاثه الذي من شيعته اي طلب نصره وعونه وكذا قال في الاية بعدها فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيث به على قبطي اخر وانما اغاثه لان نصر المظلوم دين في الملل كلها وفرض في جميع الشرايع قال قتادة اراد القبطي ان يسخر الاسرائيلي ليحمل حطبا لمطبخ فرعون فابى عليه فاستغاث بموسى قال سعيد بن جبير وكان خبازا لفرعون فوكزه موسى قال قتادة بعصاه مجاهد بكفه اي دفعه والوكز واللكز واللهز واللكد بمعنى واحد وهو الضرب بجميع الكف وقيل الضرب بجميع الكف مجموعا العقد ثلاث وسبعين وقرا ابن مسعود الثعلبي ان في مصحف ابن مسعود فنكزه بالنون والمعنى واحد وقال الجوهري عن ابي عبيدة ايضا وقال ابو زيد هو بالجمع في اللهازم والرقبة والرجل ملهز بكسر الميم وقال الاصمعي نكزه اي ضربه ودفعه الكسائي بهمزة مثل نكزه ووكزه اي ضربه ودفعه ولهزه لهزا اي دفعه فذلك فهو ملهود وكذلك لهده قال طرفة يذم رجلا شعر

بطي الى الداعي سريع الى الخنا ... ذلول باجماع الرجال ملهد

قصة موسى عليه السلام

اي مدفع وانما شدد للكثرة وقالت عايشة رضي الله عنها فلقد بي نعني رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه او جعني حرجه مسلم فعل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد قتله انما قصد دفعه وكانت فيه نفسه وهو معنى نقضى عليه وكل امر اتيت عليه وفرغت منه فقد قضيت عليه شي قال قد عضه فقضى عليه الاسجع قال هذا من عمل الشيطان اي من اغوايه قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يوميذ في تلك الحال لانها كانت حال كف عن القتال انه عدو مضل مبين خبر بعد خبر قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ندم موسى عليه السلام على ذلك الوكز الذي كان فيها ذهاب النفس فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه قال قتادة عرف والله المخرج فاستغفر ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم يعدد ذلك على نفسه مع علمه بانه قد غفر له حتى انه يقول في القيامة اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها وانما عدده على نفسه ذنبا وقال ظلمت نفسي فاغفر لي من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر وايضا فان الانبيا يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم قال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة قال كعب كان اذ ذاك ابن اثني عشرة سنة وكان قتله مع ذلك خطا وان الوكزة واللكزة في الغالب لا تقتل روى مسلم عن سالم ابن عبد الله انه قال يا اهل العراق ما اسالكم عن الصغيرة واركبكم الكبيرة سمعت ابي عبد الله بن عمر يقول ان الفتنة تجي من ههنا واومي بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان وانتم تضرب بعضكم رقاب بعض وانما قتل موسى الذي قتل من ال فرعون خطا فقال الله سبحانه وتعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا

قوله تعالى قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فيه مسالتان الاولى قوله تعالى قال رب بما انعمت علي من المعرفة والحكمة والتوحيد فلن اكون ظهيرا للمجرمين اي عونا على الكافرين وقال القشيري ولم يقل بما انعمت علي من المغفرة لان هذا قبل الوحي وما كان عالما بان الله سبحانه وتعالى غفر له ذلك القتل وقال الماوردي بما انعمت علي فيه وجهان احدهما من المغفرة وكذلك ذكر المهدوي والثعلبي قال المهدوي بما انعمت علي بالمغفرة فلن اكون بعدها مجرما وقال الثعلبي بما انعمت علي بالمغفرة فلم تعاقبني الوجه الثاني من الهداية قال الشيخ القرطبي رحمه الله قوله سبحانه وتعالى فغفر له يدل على المغفرة والله اعلم الزمخشري قوله بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المودية الى القتل الذي لم يحل له قتله وقيل اراد اني وان اسات في هذا القتل الذي لم اومر به فلا اترك نصرة المسلمين على المجرمين فعلى هذا كان الاسرائيلي مومنا ونصرة المومنين واجبة في جميع الشرايع وقيل في بعض الروايات ان ذلك الاسرائيلي كان كافرا وانما قيل له انه من شيعته لانه كان اسرائيليا ولم يرد الموافقة في الدين فعلى هذا ندم لانه اعان كافرا على كافر فقال لا اكون بعد هذا ظهيرا للكافرين وقيل ليس هذا خبرا بل هو دعاء اي فلا اكون بعد هذا ظهيرا اي فلا تجعلني يا رب ظهيرا للمجرمين وهذا قول الكسائي قال الفرا وقال الكسائي في قراة عبد الله فلا تجعلني يا رب ظهيرا للمجرمين وقال الفرا المعنى اللهم فلن اكون ظهيرا للمجرمين وزعم ان قوله هذا هو قول ابن عباس قال النحاس وان يكون بمعنى الخبر اولى واشبه بنسق الكلام كما يقال لا اعطيك لانك انعمت علي وهذا قول ابن عباس على الحقيقة لا ما حكاه الفرا لان ابن عباس قال لم يستثن فابتلي من ثاني يوم والاستثنا لا يكون الا في الدعاء لا يقال اللهم اغفر لي ان شيت واعجب الاشيا ان الفرا روى ان ابن عباس قال هذا ثم حكى عنه قوله قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى هذا المعنى ملخصا مبينا في سورة النمل وانه خبر لا دعا وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شا الله نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا الثانية قال سلمة بن نبيط بعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك بعطا اهل بخارى فقال اعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه حتى اعفاه فقيل له ما عليك ان تعطيهم انت ولا ترزاهم شيا قال لا احب ان اعين الظلمة على شي من امرهم وقال عبد الله بن الوليد الوصافي قلت لعطا ابن ابي رباح ان لي اخا ياخذ بقلمه وانما يحسب ما يدخل ويخرج وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وادان فقال من الرئيس قلت خالد

بن عبد الله الوليد فقال اما تقرا ما قال العبد الصالح رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين
قال ابن عباس فلم يستثن فابتلي به ثانية فاعانه الله فلا يعينهم اخوك فان الله يعينهم قال عطا ولا
يحل لاحد ان يعين ظالما ولا يكتب له ولا يصحبه وانه من فعل شيا من ذلك فانه قد صار معينا للظالمين
وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة
او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمي به في جهنم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول فيه الاقدام ومن مشى مع ظالم
ليعينه على ظلمه ازل الله قدميه على الصراط يوم القيامة يوم تدحض فيه الاقدام وفي الحديث من مشى
مع ظالم فقد اجرم فالمشي مع الظالم لا يكون جرما الا اذا مشى معه ليعينه لانه ارتكب نهي الله سبحانه
وتعالى في قوله سبحانه ولا تعاونوا على الاثم والعدوان **قوله تعالى** فاصبح في المدينة خائفا
يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما اراد ان
يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون
جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين قد تقدم في طه وغيرها ان الانبيا صلوات الله عليهم
يخافون ردا على من قال غير ذلك وان الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل على الله وقيل اصبح خايفا من قتل
النفس ان يوخذ بها وقيل خائفا من قومه ان يسلموه وقيل خايفا من الله سبحانه وتعالى يترقب قال سعيد بن
جبير يتلفت من الخوف وقيل ينتظر ما يتحدث به الناس وقال قتادة يترقب اي يترقب الطلب وقيل خرج
يستخبر الخبر ولم يكن احد علم بقتل القبطي غير الاسرايلي واصبح يحتمل ان يكون بمعنى صار اي لما قتل صار خايفا
ويحتمل ان يكون دخل في الصباح اي في صباح اليوم الذي يلي يومه خايفا وخايفا منصوب على خبر اصبح وان شيت
على الحال ويكون الظرف في موضع الخبر فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي فاذا صاحبه الاسرايلي
الذي خلصه امس يقاتل قبطيا اخر اراد ان يسخره والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك
لان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث قال

كنا اذا ما اتانا صارخ جزع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب

قيل كان هذا الاسرايلي المستنصر السامري استسخره طباخ فرعون في حمل الحطب الى المطبخ ذكره القشيري
والذي رفع بالابتداء ويستصرخه في موضع الخبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال وامس اليوم الذي قبل
يومك وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين فاذا دخله الالف واللام او الاضافة تمكن فاعرب بالرفع
والفتح عند اكثر النحويين ومنهم من يبنيه وفيه الالف واللام وحكى سيبويه وغيره ان من العرب من يجري
امس مجرى ما لا ينصرف في موضع الرفع خاصة وربما اضطر الشاعر ففعل هذا في الخفض والنصب قال
الشاعر

لقد رايت عجبا مذ امسا ... عجائزا مثل السعالي راسا

فخفض بمذ ما مضى واللغة الجيدة الرفع فاجرى امس في الخفض مجراه في الرفع على اللغة الثانية قال له موسى
انك لغوي مبين والغوي الخايب اي انك لتشار من لا تطيقه وقيل مضل بين الضلاله قتلت بسببك
امس رجلا وتدعوني اليوم لاخر والغوي فعيل من اغوى يغوي وهو بمعنى مغو وهو كالوجيع والاليم
بمعنى الموجع والمولم وقيل الغوي المغاوي اي انك لغوي في قتال من لا تطيق دفع شره عنك وقال
الحسن انما قال للقبطي انك لغوي مبين في استسخار هذا الاسرايلي وهم ان يبطش به يقال بطش يبطش ويبطش
والضم اقيس لانه فعل لا يتعدى قال يا موسى اتريد ان تقتلني قال ابن جبير اراد موسى ان يبطش بالقبطي
فتوهم الاسرايلي انه يريده لانه اغلظ له القول فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فسمع القبطي
الكلام فافشاه وقيل اراد ان يبطش الاسرايلي بالقبطي فنهاه موسى فخاف منه فقال اتريد ان تقتلني كما
قتلت نفسا بالامس ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي قتالا قال عكرمة والمعنى لا يكون الا
نسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير حق وقيل الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب
ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين اي الذين
يصلحون بين الناس **قوله تعالى** وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون
بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين
قال اكثر اهل التفسير هذا الرجل هو حزقيل ابن صبورا مومن ال فرعون كان ابن عم فرعون ذكره الثعلبي

وان الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل على الله تعالى

وقيل طالوت ذكره السهيلي وقال المهدوي عن قتادة اسم الرجل شمعون مومن ال فرعون وقيل شمعان قال
الدارقطني لا يعرف شمعان بالشين المعجمة الا مومن ال فرعون امر بقتل موسى فسبق ذلك الرجل بالخبر فقال
ان الملا ياتمرون اي يتشاورون في قتلك بالقبطي الذي قتلت بالامس وقيل يامر بعضهم بعضا قال
الازهري ايتمر القوم وتامروا اي امر بعضهم بعضا نظيره قوله واتمروا بينكم بمعروف وقال النمر بن تولب

اري الناس قد احدثوا شيمة ... وفي كل حادثة يوتمر

فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب اي ينتظر الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين
قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل لما خرج موسى
عليه السلام فارا بنفسه منفردا خايفا لا شي معه من زاد ولا راحلة ولا حذاء نحو مدين للنسب الذي بينه
وبينهم لان مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وراى حاله وعدم معرفته
بالطريق وخلوه من زاد وغيره اسند امره الى الله بقوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل وهذه حالة
المضطر وروى انه كان يتقوت ورق الشجر وما وصل حتى سقط خف قدمه في لبنات الطريق فان موسى لا يعرف
الطريق فجاء ملك راكبا فرسا ومعه عنزة فقال لموسى اتبعني فاتبعه فهداه الى الطريق فيقال انه اعطاه العنزة
فكانت عصاه ويروى ان عصاه انما اخذها لرعية الغنم في مدين وهو اصح واكثر وقال مقاتل والسدي ان الله
بعث اليه جبريل فالله اعلم وبين مدين ومصر ثمانية ايام قاله ابن جبير والناس وكان ملك مدين لغير فرعون
قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب
اني لما انزلت الي من خير فقير فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما
سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما
يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله
من الصالحين قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل
فيه اربع وعشرون مساله **الاولى** قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه مشى موسى عليه السلام حتى ورد
ماء مدين اي بلغها وورود الماء معناه بلغه لا انه دخل فيه ولفظة الورود قد تكون بمعنى الدخول
في المورود وقد تكون بمعنى الاطلاع عليه والبلوغ اليه وان لم يدخل فورود موسى هذا الماء كان بالوصول
اليه ومنه قول زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه ... وضعن عصي الحاضر المتخيم

وقد تقدمت هذه المعاني في قوله تعالى وان منكم الا واردها ومدين لا ينصرف اذ هي بلدة معروفة
قال الشاعر

رهبان مدين لو راوك تنزلوا ... والعصم من شعف الجبال الفارد

وقيل قبيلة من ولد مدين بن ابراهيم وقد مضى في الاعراف القول فيه والامة الجمع الكثير ويسقون معنا
ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة التي جاء منها فوصل الى المراتين قبل وصوله الامة ووجدهما
تذودان ومعناه تمنعان وتحبسان ومنه قوله عليه السلام فليذادن رجال عن حوضي وفي بعض المصاحف
امراتين حابستين تذودان يقال ذاد يذود اذا ذهب وجاء وذدت الشي حبسته قال الشاعر

ابيت على باب القوافي كانما ... اذود بها سربا من الوحش نزعا

اي احبس وامنع وقيل تذودان تطردان قال الشاعر

لقد سلبت عصاك بنو تميم ... فما تدري باي عصا تذود

اي تطرد وتكف وتمنع ابن سلام تمنعان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس فحذف المفعول اما ابهاما على المخاطب
واما استغناء لعلمه قال ابن عباس تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقويا قتادة
تذودان الناس عن غنمهما قال النحاس والاول اولى لان بعده قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ولو كانتا
تذودان عن غنمهما الناس لم يخبرا عن تاخير سقيهما بغنمهما حتى يصدر الرعاء فلما راى موسى عليه السلام
ذلك منهما قال ما خطبكما اي شانكما قال رؤبة

يا عجبا ما خطبه وخطبي

ابن عطية وكان استعمال السوال بالخطب انما هو

في مصاب او مضطهد او من يشفق عليه او يأتي بمنكر من الامر فكانه بالجملة في شر فاجرناه بجبرهما وان
اباهما شيخ كبير فالمعنى لا يستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه وانهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران
على مزاحمة الاقوياء وان عادتهما التأني حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى وحينئذ يردان وقرا ابن عامر
وابو عمرو يصدر من صدر وهو ضد ورد اي يرجع الرعاء والباقون يصدر بضم الياء من اصدر اي حتى يصدروا
مواشيهم من وردهم والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب قالت فرقة كانت الآبار مكشوفة
وكان زحم الناس يمنعهما فلما اراد موسى ان يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى فعن هذا الغلب
الذي كان منه وصفته احداهما بالقوة وقالت فرقة انهما كانتا تتبع فضالتهم في الصهاريج فان وجدتا
في الحوض بقية كان ذلك سقيهما وان لم يكن بقية عطشت غنمهما فرق لهما موسى فعمد الى بئر كانت
مغطاة والناس يسقون من غيرها وكان حجرها لا يرفعه الا سبعة قاله ابن زيد ابن جريج عشرة ابن
عباس ثلاثون الزجاج اربعون فرفعه وسقى للمرأتين فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة وقيل ان بئرهم
كانت واحدة وانه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة اذ كانت عادة المرأتين شراب الفضلات
روى عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب انه لما سقا الرعاء غطوا على البئر صخرة لا يقلها الا عشرة فجاء موسى
فاقتلعها واستقى ذنوبا واحدا لم يحتج الى غيره فسقا لهما **الثانية** ان قيل كيف ساغ لنبي الله
الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه لسقي الماشية قيل ليس ذلك بمحظور والشرع لا يأباه واما
المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم
ومذهب اهل البدو غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة **الثالثة** قوله تعالى
ثم تولى الى الظل الى ظل سمرة قاله ابن مسعود وتعرض لسؤال ما يطعمه بقوله اني لما انزلت الي من خير فقير
وكان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق بطنه بظهره فعرض بالدعاء ولم يصرح بسؤال هكذا روى
جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما ياكله فالخير يكون بمعنى الطعام كما في هذه الاية ويكون
بمعنى المال كما قال ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد ويكون بمعنى القوة كما قال اهم خير ام قوم
تبع ويكون بمعنى العبادة كقوله واوحينا اليهم فعل الخيرات قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع واخضر
لونه من اكل البقل في بطنه وانه لاكرم الخلق على الله ويروى انه لم يصل الى مدين حتى سقط باطن قدميه وفي
هذا معتبر واشعار بهوان الدنيا على الله وقال ابو بكر بن طاهر في قوله اني لما انزلت الي من خير فقير
اي اني لما انزلت الي من فضلك وغناك فقير الى ان تغنيني بك عمن سواك قلت ما ذكره اهل التفسير
اولى فان الله تعالى انما اعطاه بواسطة شعيب **الرابعة** قوله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء
في هذا الكلام اختصار يدل عليه هذا الظاهر قدره ابو اسحاق فذهبتا الى ابيهما سريعتين
وكانت عادتهما الابطاء في السقي فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه
وقيل الصغرى ان تدعوه له فجاءت على ما في هذه الاية قال عمرو بن ميمون ولم تكن سلفعا من النساء
خراجة ولا ولاجة وقيل جاءته ساترة وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب وروي ان اسم احداهما ليا
والاخرى صفورا ابنتا يثرون ويثرون هو شعيب وقيل ابن اخي شعيب فان شعيبا كان قد مات
واكثر الناس على انهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القرآن قال الله تعالى والى مدين اخاهم
شعيبا كذا في سورة الاعراف وفي سورة الشعراء كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب
قال قتادة بعث الله تعالى شعيبا الى امتين اصحاب الايكة واصحاب مدين وقد مضى في الاعراف الخلاف
في اسم ابيه فروي ان موسى عليه السلام لما جاءته بالرسالة قام يتبعها وكان بين موسى وبين ابيها ثلاثة
اميال فهبت ريح فضمت قميصها فوصفت عجيزتها فتحرج موسى من النظر اليها فقال ارجعي خلفي وارشديني
الى الطريق بصوتك وقيل ان موسى قال ابتداء كوني ورائي فاني رجل عبراني لا انظر في ادبار النساء ودليني
على الطريق يمينا او يسارا فذلك سبب وصفها له بالامانة قاله ابن عباس فوصل موسى الى داعيه فقص عليه
امره من اوله الى اخره فآنسه بقوله لا تخف نجوت من القوم الظالمين وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون
وقرب اليه طعاما فقال موسى لا اكل فانا اهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا فقال شعيب ليس هذا
عوض السقي ولكن عادتي وعادة ابائي قرى الضيف واطعام الطعام فحينئذ اكل موسى **الخامسة**
قوله تعالى قالت يا ابت استاجره دليل على ان الاجارة كانت عندهم مشروعة معلومة وكذلك كانت

فالخير يكون بمعنى الطعام

ليس هذا عوض السقي ولكن عادتي وعادة آبائي
قرى الضيف واطعام الطعام

في كل ملة وهي من ضرورة الخليقة ومصلحة الخلطة بين الناس خلافا للاصم حيث كان من سماعهما اصم
السادسة قوله تعالى اني اريد ان انكحك الاية فيه عرض الولي ابنته على الرجل وهذه سنة قائمة عرض
صالح مدين ابنته على صالح بني اسرائيل وعرض عمر ابن الخطاب ابنته حفصة على ابي بكر وعثمان وعرضت
الموهوبة نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فمن الحسن عرض الرجل وليته والمراة نفسها على النبي صلى الله عليه
وسلم الرجل ابتداء اقتداء بالسلف الصالح قال ابن عمر لما تايمت حفصة قال عمر لعثمان ان شئت انكحك
حفصة بنت عمر الحديث انفرد باخراجه البخاري **السابعة** في هذه الاية دليل على ان النكاح الى الولي لا
حظ للمراة فيه لان صالح مدين تولاه وبه قال فقهاء الامصار وخالف في ذلك ابو حنيفة وقد تقدم
الثامنة هذه الاية تدل على ان للاب ان يزوج ابنته البكر البالغ من غير استئمار وبه قال مالك واحتج
بهذه الاية وهو ظاهر قوي في الباب واحتجاجه بها يدل على انه كان يعول على الاسرائيليات كما تقدم وبه
قال في هذه المسالة قال الشافعي وكثير من العلماء وقال ابو حنيفة اذا بلغت الصغيرة فلا يزوجها
احد الا برضاها لانها بلغت حد التكليف فاما اذا كانت صغيرة فانه يزوجها بغير رضاها فانه لا اذن
لها ولا رضى بغير خلاف **التاسعة** استدل اصحاب الشافعي بقوله اني اريد ان انكحك على ان النكاح
موقوف على لفظ التزويج والانكاح وبه قال ربيعة وابو ثور وابو عبيد وداود ومالك على اختلاف عنه
وقال علماؤنا في المشهور ينعقد النكاح بكل لفظ وقال ابو حنيفة ينعقد بكل لفظ يقتضي التمليك على التأبيد
واما الشافعية فلا حجة لهم في الاية لانه شرع من قبلنا وهم لا يرونه حجة في شيء في المشهور عندهم واما ابو
حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن حي فقالوا ينعقد النكاح بلفظ الهبة وغيره اذا كان قد اشهد
عليه لان الطلاق يقع عليه بالتصريح وبالكناية قالوا فكذلك النكاح قالوا وكذا ما خص به النبي
صلى الله عليه وسلم تعري البضع من العوض لا النكاح بلفظ الهبة وتابعهم ابن القاسم وقال ان وهب
ابنته وهو يريد انكاحها فلا احفظ عن مالك فيه شيئا وهو عندي جائز كالبيع قال ابو عمر والصحيح انه لا
ينعقد نكاح بلفظ الهبة كما لا ينعقد بلفظ النكاح هبة شيء من الاموال وايضا فان النكاح مفتقر الى
التصريح لتقع الشهادة عليه وهو ضد الطلاق فكيف يقاس عليه وقد اجمعوا ان النكاح لا ينعقد بقوله
ابحت لك واحللت لك فكذلك الهبة وقال صلى الله عليه وسلم استحللتم فروجهن بكلمة الله يعني القران
وليس في القران عقد النكاح بلفظ الهبة وانما فيه التزويج والنكاح وفي اجازة النكاح بلفظ الهبة
ابطال لبعض خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم **العاشرة** قوله تعالى احدى ابنتي هاتين يدل على انه عرض
لا عقد لانه لو كان عقدا لعين المعقود عليها له لان العلماء وان كانوا قد اختلفوا في جواز البيع اذا قال
بعتك احد عبدي هذين بثمن كذا فانهم قد اتفقوا على ان ذلك لا يجوز في النكاح لانه خيار وشيء من
الخيار لا يلصق بالنكاح **الحادية عشرة** قال مكي في هذه الاية خصائص في النكاح منها انه لم يعين الزوجة ولا حد
اول الامد وجعل المهر اجارة ودخل ولم ينقد شيئا قلت فهذه اربع مسائل تضمنتها **الثانية عشرة**
الاولى من الاربع قال علماؤنا اما التعيين فيشبه انه كان في ثاني حال المراوضة وانما عرض الامر مجملا وعين
بعد ذلك وقد قيل انه زوجه صفورا وهي الصغرى يروى عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما واوفاهما وان سئلت اي المراتين فقل الصغرى وهي التي جاءت
خلفه وهي التي قالت يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قيل الحكمة في تزويجه الصغرى
من قبل الكبرى وان كانت الكبرى احوج الى الرجال انه توقع ان يميل اليها لانه راها في رسالته وماشاها
في اقباله الى ابيها معها فلو عرض عليه الكبرى ربما اظهر له الاختيار وهو يضمر غيره وقيل غير هذا والله
اعلم وفي بعض الاخبار انه تزوج بالكبرى حكاه القشيري الثانية واما ذكر اول المدة فليس في الاية ما يقتضي
اسقاطه بل هو مسكوت عنه واما رسماه واما فهو من اول وقت العقد الثالثة واما النكاح بالاجارة
فظاهر من الايات وهو امر قد قرره شرعنا وجرى في حديث الذي لم يكن عنده الا شيء من القران
رواه الائمة وفي بعض طرقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحفظ من القران فقال سورة البقرة
والتي تليها قال قم فعلمها عشرين اية وهي امراتك واختلف العلماء في هذه المسالة على ثلاثة اقوال
فكرهه مالك ومنعه ابن القاسم واجازه ابن حبيب وهو قول الشافعي واصحابه قالوا يجوز ان يكون منفعة
الحر صداقا كالخياطة والبناء وتعليم القران وقال ابو حنيفة لا يصح وجوز ان يتزوجها بان يخدمها

عبده سنة او يسكنها داره سنة لان العبد والدار مال وليس خدمتها بنفسه مالا وقال ابو الحسن الكرخي
ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جايز لقوله تعالى اللاتي اتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان
الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان وقال ابن القسم يفسخ قبل البناء ويثبت
بعد وقال اصبغ ان نقد معه شيا ففيه اختلاف وان لم ينقد فهو اشد فان نزل مضى على كل حال بدليل
قصة شعيب قاله مالك وابن المواز واشهب وعول على هذه الاية جماعة من المتاخرين والمتقدمين في
هذه النازلة قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الاية النكاح على الاجارة والعقد صحيح ويكره ان تجعل
الاجارة مهرا وينبغي ان يكون المهر مالا كما قال عز وجل ان تبتغوا باموالكم محصنين هذا قول اصحابنا
جميعا الرابعة واما قوله ودخل ولم ينقد فقد اختلف الناس في هذا اصل دخل عند ام حين سافر وان كان
دخل حين عقد فما نقد وقد منع علماؤنا من الدخول حتى ينقد ولو ربع دينار قاله ابن القاسم فان دخل قبل
ان ينقد مضى لان المتاخرين من اصحابنا قالوا تعجيل الصداق او شي منه مستحب على انه ان كان الصداق
رعية الغنم فقد نقد الشروع في الخدمة وان كان دخل حين سافر فطول الانتظار في النكاح جايز وان كان
مدى العمر بغير شرط واما ان كان بشرط فلا يجوز الا ان يكون العرض مثل التاهب للبنا او انتظار صلاحية
الزوجة للدخول ان كانت صغيرة نص عليه علماؤنا **الثالثة عشرة** في هذه الاية اجتماع اجارة
ونكاح وقد اختلف علماؤنا في ذلك على ثلاثة اقوال الاول قال مالك في ثمانية ابن زيد اكره ابتداء
فان وقع مضى الثاني قال مالك ايضا وابن القاسم في المشهور لا يجوز ويفسخ قبل الدخول وبعده لاختلاف
مقاصدهما كساير العقود المتباينة الثالث اجازة اشهب واصبغ قال ابن العربي وهذا هو الصحيح
وعليه تدل الاية وقد قال مالك النكاح اشبه شي بالبيوع فاي فرق بين اجارة وبيع او بين بيع ونكاح

فرع وان اصدقها تعليم شعر مباح صح قال المزني وذلك مثل قول الشاعر

يقول المرء فايدتي ومالي ... وتقوى الله افضل ما استفادا

وان اصدقها تعليم شعر فيه هجو او فحش كان كما لو اصدقها خمرا او خنزيرا **الرابعة عشرة** قوله تعالى ان تاجرني
ثماني حجج جرى ذكر الخدمة مطلقا وقال مالك انه جايز ويحمل على العرف فلا يحتاج في التسمية الى الخدمة وهو
ظاهر قصة موسى فانه ذكر اجارة مطلقة وقال ابو حنيفة والشافعي لا يجوز حتى يسمى لانه مجهول وقد ترجم
البخاري باب من استاجر اجيرا فبين له الاجل ولم يبين له العمل لقوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج قال
المهلب ليس كما ترجم لان العمل عندهم كان معلوما من سقي وحرث ورعي وما شاكل ذلك اعمال البادية في مهنة
اهلها فهذا متعارف وان لم يبين له اشخاص الاعمال ولا مقاديرها مثل ان تقول له انك تحرث كذا من
السنة وترعى كذا من السنة هذا انما هو على المعهود من خدمة البادية وانما الذي لا يجوز عند الجميع ان تكون
المدة مجهولة والعمل مجهول غير معهود لا يجوز حتى يعلم قال ابن العربي وقد ذكر اهل التفسير انه عين له
رعية الغنم ولم يرو من طريق صحيحة ولكن قالوا ان صالح مدين لم يكن له عمل الا رعية الغنم فكان ما علم
من حاله قايما مقام التعيين للخدمة فيه **الخامسة عشرة** اجمع العلماء على انه جايز ان يستاجر الراعي شهورا
معلومة لرعاية غنم معدودة فان كانت معدودة معينة ففيها تفصيل لعلمائنا قال ابن القاسم لا يجوز حتى
يشترط الخلف ان ماتت وهي رواية ضعيفة جدا وقد استاجر صالح مدين موسى على غنمه وقد راها
وقد لا يشترط خلفا وان كانت مطلقة غير مسماة ولا معينة جازت عند علمائنا وقال ابو حنيفة والشافعي
لا يجوز لجهالتها وعول علماؤنا على العرف حسب ما ذكرناه انفا وانه يعطي بقدر ما تحتمل قوته وزاد بعض
علمائنا انه يجوز حتى يعلم المستاجر قدر قوته وهذا صحيح فان صالح مدين علم قدر قوة موسى برفع الحجر **السادسة
عشرة** قال مالك وليس على الراعي ضمان وهو مصدق فيما هلك او سرق لانه امين كالوكيل وقد ترجم
البخاري باب اذا ابصر الراعي او الوكيل شاة تموت او شيا يفسد فاصلح ما يخاف الفساد وساق
حديث كعب بن مالك عن ابيه انه كانت لهم غنم ترعى بسلع فابصرت جارية لنا شاة من غنمنا موتى فكسرت
حجرا فذبحتها به فقال لهم لا تاكلوا حتى اسال النبي صلى الله عليه وسلم او ارسل الى النبي صلى الله عليه
وسلم من يساله وانه سال النبي صلى الله عليه وسلم او ارسل اليه فامره باكلها قال عبيد الله فيعجبني انها
امة وانها ذبحت قال المهلب فيه من الفقه تصديق الراعي والوكيل فيما ائتمنا عليه حتى يظهر عليهما دليل
الخيانة والكذب وهذا قول مالك وجماعة وقول ابن القاسم اذا خاف الموت على شاة فذبحها لم يضمن

يجوز ان يستاجر الراعي شهرا معلوما لرعاية غنم معلومة

ويصدق اذا جاء بها مذبوحة وقال غيره يضمن حتى يبين ما قال **السابعة عشرة** واختلف ابن القاسم واشهب
اذا انزى الراعي على اناث الماشية بغير اذن اربابها فهلكت فقال ابن القاسم لا ضمان عليه لان الانزاء
من اصلاح المال ونمائه وقال اشهب عليه الضمان وقول ابن القاسم اشبه بدليل حديث كعب وانه لا
ضمان عليه فيما تلف باجتهاده اذا كان من اهل الصلاح وممن يعلم اشفاقه على المال واما اذا كان من اهل
الفسوق والفساد واراد صاحب المال ان يضمنه فعل لانه يصدق انه راى بالشاة موتا لما عرف من فسقه
الثامنة عشرة لم ينقل ما كانت اجرة موسى عليه السلام ولكن روى يحيى بن سلام ان صالح مدين جعل
لموسى كل سخلة توضع خلاف لون امها فاوحى الله الى موسى ان الق عصاك بينهن يلدن خلاف شبههن كلهن
وقال غير يحيى بل جعل له كل بلقاء تولد فولدت له كلهن بلقاء وذكر القشيري ان شعيبا لما استاجر موسى
قال له ادخل بيت كذا وخذ عصا من العصي الذي في البيت فاخرج موسى عصا وكان اخرجها ادم من الجنة
وتوارثها الانبياء حتى صارت الى شعيب فامره شعيب ان يلقيها في البيت ويا خذ عصا اخرى فدخل
واخرج تلك العصى وكذلك سبع مرات كل ذلك تقع بيده غير تلك فعلم شعيب ان له شانا فلما اصبح
قال له سق الاغنام الى مفرق الطريق فخذ عن يمينك وليس بها عشب كثير ولا تاخذ عن يسارك فان
بها عشبا كثيرا وتنينا يقتل المواشي فساق المواشي الى مفرق الطريق فاخذ نحو اليسار ولم يقدر موسى
على ضبطها فنام موسى وخرج التنين فقامت العصا وصارت شعبتاها حديدا وحاربت التنين
حتى قتلته وعادت الى موسى عليه السلام فلما انتبه موسى راى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فعاد
الى شعيب عشاء وكان شعيب ضريرا فمس الاغنام فاذا اثر الخصب بادٍ عليها فساله عن القصة فاخبره
بها ففرح شعيب وقال كلما ولدت هذه المواشي هذه السنة قالب لون اي ذات لونين فهو لك فجاء جميع السخال
تلك السنة ذات لونين فعلم شعيب ان لموسى عند الله مكانة وروى عيينة بن حصن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اجر موسى نفسه بشبع بطنه وعفة فرجه فقال له شعيب لك منها يعني من نتاج
غنمه ما جاءت به قالب لون ليس فيها عزوز ولا فشوش ولا كموش ولا ضبوب ولا ثعول ولا
مغول قال الهروي العزوز النكيتة ماخوذ من العزاز وهي الارض الصلبة وقد تعززت الشاة والفشوش
التي ينفش لبنها من غير حلب وذلك لسعة الاحليل ومثله الفتوح والثرور والعزوز التي يحصل حلبها
والفشوش التي اذا مشت سال لبنها والكموش الصغيرة الضرع الذي لا يضبطه الحالب الضبوب التي ضرعها
مثل المورتين الثعول التي لها زيادة حلمة وهو عيب فيها ومن امثالهم لا يبسنك فش الوطب
اي لا يخرجن غضبك وكبرك من راسك ويقال فش السقا اذا اخرج منه الريح ومنه الحديث ان الشيطان
يفش بين اليتي احدكم حتى يخيل اليه انه احدث اي ينفخ نفخا ضعيفا والكموش الصغيرة الضرع وهي الكميشة
ايضا سميت بذلك لانكماش ضرعها وهو تقلصه ومنه يقال رجل مكيش الازار والكشور مثل الكموش
والضبوب الضيقة ثقب الاحليل والضب الحلب بشدة العصر والثعول الشاة التي لها زيادة حلمة وهي
الثعلاء والثعل زيادة السن وتلك الزيادة هي الثعل ورجل اثعل والثعل مخرج اللبن قال الهروي في
تفسير قالب لون في الحديث انها جاءت على غير الوان امهاتها **التاسعة عشرة** الاجارة بالعوض المجهول
لا تجوز فان ولادة الغنم غير معلومة وان من البلاد الخصبة ما يعلم ولادة الغنم فطعا وعدتها وسلامة
سخالها كديار مصر وغيرها بيد ان ذلك لا يجوز في شرعنا لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغرر ونهى
عن المضامين والملاقيح والمضامين ما في بطون الامهات والملاقيح ما في اصلاب الفحول او على خلاف
ذلك قال الشاعر

ملفوحة في بطن ناب حامل

وقد مضى في سورة الحجر بيان ذلك على ان راشد بن معمر اجاز الاجارة على الغنم بالثلث والربع وقال
ابن سيرين وعطا ينسج الثوب بنصيب منه وبه قال احمد **الموفية العشرين** الكفاءة في النكاح
معتبرة واختلف العلماء هل في الدين والمال والحسب او في بعض ذلك والصحيح جواز نكاح الموالي
العربيات والقرشيات لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد جاء موسى الى صالح مدين غريبا
طريدا خايفا عريانا فانكحه ابنته لما تحقق وراى من حاله واعرض عما سوى ذلك وقد تقدمت هذه
المسالة موعبة والحمد لله **الحادية والعشرون** قال بعضهم هذا الذي جرى من شعيب لم يكن ذكرا للصداق
المزادة وانما كان اشتراطا لنفسه على ما تفعله الاعراب فانها تشترط صداق بناتها وتقول لي

كذا في خاصة نفسي وترك المهر مفوضا ونكاح التفويض جايز قال ابن العربي هذا الذي تفعله الاعراب هو حلوان وزيادة على المهر وهو حرام لا يليق بالانبيا فاما اذا اشترط الولي شيا لنفسه فقد اختلف العلماء فيما يخرجه الزوج من يده ولا يدخل في يد المراة على قولين احدهما انه جايز والاخر لا يجوز والذي يصح عندي التقسيم فان المراة لا تخلو ان تكون بكرا او ثيبا فان كانت ثيبا جاز لان نكاحها بيدها وانما يكون للولي مباشرة العقد ولا يمتنع اخذ العوض عليه كما ياخذه الوكيل على عقد البيع وان كانت بكرا كان العقد بيده فكانه عوض في النكاح لغير الزوج وذلك باطل فان وقع فسخ قبل البنا وثبت بعده على مشهور الرواية **الثانية والعشرون** لما ذكر الشرط واعقبه بالطوع في العشر خرج كل واحد منهما على حكمه ولم يلحق الاخر بالاول ولا اشترك الفرض والتطوع ولذلك يكتب في العقود الشروط المتفق عليها ثم يقال وتطوع بكذا فيجري الشرط على سبيله والطوع على حكمه وانفصل الواجب من التطوع وقيل ومن لفظ شعيب حسن في لفظ العقود في النكاح انكحه اياها اولى من انكحها اياه على ما ياتي بيانه في الاحزاب وجعل شعيب الثمانية الاعوام شرطا ووكل العاشرة الى المروءة **الثالثة والعشرون** قوله تعالى قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي لما فرغ كلام شعيب قرره موسى عليه السلام وكرر معناه على جهة التوثيق في ان الشرط انما وقع في ثماني حجج وايما استفهام منصوب بقضيت والاجلين مخفوض باضافة اي اليهما وما صلة للتاكيد وفيه معنى الشرط وجوابه فلا عدوان وان عدوان منصوب بلا وقال ابن كيسان ما في موضع خفض باضافة اي اليها وهي نكرة والاجلين بدل منها وكذلك قال في قوله فبما رحمة من الله ان رحمة بدل من ما قال مكي وكان يتلطف في ان لا يجعل شيئا زايدا في القران ويخرج له وجها يخرجه من الزيادة وقرا الحسن ايما بسكون اليا وقرا ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرا الجمهور عدوان بضم العين وابو حيوة بكسرها والمعنى لا تبعة علي ولا طلب في الزيادة عليه والعدوان التجاوز في غير الواجب والحجج السنون قال الشاعر

لمن الدار بقنة الحجر ... اقوين من حجج ومن دهر

الواحدة حجة بكسر الحا والله على ما نقول وكيل قيل هو من قول موسى وقيل هو من قول المراة فاكتفى الصالحان صلوات الله عليهما في الاشهاد عليهما بالله ولم يشهدا احدا من الخلق وقد اختلف العلماء في وجوب الاشهاد في النكاح وهي **الرابعة والعشرون** على قولين احدهما انه لا ينعقد الا بشاهدين وبه قال ابو حنيفة والشافعي وقال مالك انه ينعقد دون شهود لانه عقد معاوضة فلا يشترط فيه الاشهاد كالبيع وانما يشترط فيه الاعلان والتصريح وفرق ما بين النكاح والسفاح الدف وقد مضت هذه المسالة في البقرة مستوفى وفي البخاري عن ابي هريرة ان رجلا من بني اسرايل سال بعض بني اسرايل ان يسلفه الف دينار فقال ايتني بالشهداء اشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال ايتني بكفيل قال كفى بالله وكيلا قال صدقت ودفعها اليه وذكر الحديث **قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله** فيه ثلاث مسايل **الاولى** قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل قال سعيد بن جبير سالني رجل من النصارى اي الاجلين قضى موسى فقلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله اعني ابن عباس فقدمت عليه فسالته فقال قضى اكملهما واوفاهما فاعلمت النصراني فقال صدق والله هذا العالم وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سال في ذلك جبريل فاخبره انه قضى عشر سنين وحكى الطبري عن مجاهد انه قضى عشرا وعشرا بعدها رواه الحكم ابن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال ابن عطية وهذا ضعيف **الثانية** قوله تعالى وسار باهله فيه دليل على ان الرجل يذهب باهله حيث شا لما له عليها من فضل القوامية وزيادة الدرجة الا ان يلتزم لها امرا فالمومنون عند شروطهم واحق الشروط ان يوفى بها ما استحللتم به الفروج **الثالثة** قوله تعالى انس من جانب الطور نارا الاية تقدم القول في ذلك في طه والجذوة بكسر الجيم قراءة العامة وضمها حمزة ويحيى والاعمش وفتحها عاصم والسلمي وزر بن حبيش قال الجوهري الجذوة والجذوة والجذوة الجمرة والجمع جذى وجذى وجذى قال مجاهد في قوله تعالى او جذوة من النار اي قطعة من الجمر قال وهي بلغة جميع العرب وقال ابو عبيدة الجذوة مثل الجذمة وهي القطعة الغليظة من الخشب كان في طرفها نار او لم يكن قال ابن مقبل

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

وقال

والقى على قبس من النار جذوة ... شديدا عليها حميها ولهيبها

قوله تعالى فلما اتاها نودي من شاطي الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين فلما اتاها يعني الشجرة قدم ضميرها عليها نودي من شاطي الوادي الايمن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطي الواد الايمن من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطي الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطي وشاطي الوادي شطه وجانبه والجمع شطان وشواطي ذكره القشيري وقال الجوهري ويقال شاطي الاودية ولا يجمع وشاطات الرجل اذا مشيت على شاطي ومشى هو على الشاطي الاخر الايمن اي عن يمين موسى وقيل عن يمين الجبل في البقعة المباركة وقرا الاشهب العقيلي في البقعة بفتح البا وقولهم بقاع يدل على بقعة كما يقال جفنة وجفان ومن قال بقعة قال بقع مثل غرفة وغرف من الشجرة اي من ناحية الشجرة قيل كانت شجرة العليق وقيل سمرة وقيل عوسج ومنها كانت عصاه ذكره الزمخشري وقيل عناب والعوسج اذا عظم يقال له الغرقد وفي الحديث انه شجر اليهود فاذا نزل عيسى وقتل اليهود الذين مع الدجال فلا يختفي احد منهم خلف شجرة الا نطقت وقالت يا مسلم هذا يهودي ورايي فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود فلا ينطق خرجه مسلم قال المهدوي وكلم الله موسى عليه السلام من فوق عرشه واسمعه كلامه من الشجرة على ما شاء ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بالانتقال والزوال وشبه ذلك من صفات المخلوقين قال ابو المعالي واهل الحق يقولون كلم الله تعالى وخصه بالرتبة العليا والغاية القصوى فيدرك كلامه القديم المقدس عن مشابهة الحروف والاصوات والعبارات والنغمات وضروب اللغات كما ان من خصه الله بمنازل الكرامات واكمل عليهم نعمته ورزقه رويته يرى الله سبحانه منزها عن مماثلة الاجسام واحكام الحوادث ولا مثل له سبحانه في ذاته وصفاته واجمعت الامة على ان الرب تعالى خصص موسى عليه السلام بكلامه وغيره من المصطفين من الملايكة بكلامه قال الاستاذ ابو اسحق اتفق اهل الحق على ان الله تعالى خلق موسى عليه السلام معنى من المعاني ادرك به كلامه كان اختصاصه في سماعه وانه قادر على مثله في جميع خلقه واختلفوا في نبينا عليه السلام هل سمع ليلة الاسرا كلام الله تعالى وهل سمع جبريل عليه السلام كلامه على قولين وطريق احدهما النقل المقطوع به وذلك مفقود واتفقوا على ان سماع الخلق له عند قراءة القران على معنى انهم سمعوا العبارة التي عرفوا بها معناه دون سماعه له في عينه وقال عبد الله سعد بن كلاب ان موسى عليه السلام فهم كلام الله القديم من اصوات مخلوقة اثبتها الله تعالى في بعض الاجسام قال ابو المعالي وهذا مردود بل يجب اختصاص موسى عليه السلام بادراك كلام الله خرقا للعادة ولو لم يقل ذلك لم يكن لموسى عليه السلام اختصاص بتكليم الله اياه والرب سبحانه وتعالى اسمعه كلامه العزيز وخلق له علما ضروريا حتى علم ان ما سمعه كلام الله وان الذي كلمه وناداه هو الله رب العالمين وقد ورد في الاقاصيص ان موسى عليه السلام قال سمعت كلام ربي بجميع جوارحي ولم اسمعه من جهة واحدة من جهاتي وقد مضى هذا المعنى في البقرة مستوفى ان يا موسى ان في موضع نصب بحذف حرف الجر اي بان يا موسى اني انا الله رب العالمين نفى لربوبية غيره سبحانه وصار بهذا الكلام من اصفيا الله عز وجل لا من رسله لانه لا يصير رسولا الا بعد امره بالرسالة والامر بها انما كان بعد هذا الكلام **قوله تعالى وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين** وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وتقدم الكلام في هذا في النمل وطه ومدبرا نصب على الحال وكذلك موضع قوله ولم يعقب نصب على الحال فقال له الملك ان ابت ان اراد الله ان يصيبك بما تحاذر اينفعك لفك يدك قال لا ولكني ضعيف خلقت من ضعيف وكشف يده فادخلها في فم الحية فعادت عصا انك من الامنين اي مما تحاذر **قوله تعالى اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين** تقدم القول فيه واضمم اليك جناحك من الرهب من متعلقة بولى اي ولى مدبرا من الرهب وقرا حفص والسلمي وعيسى بن عمر وابن ابي اسحاق من الرهب بفتح الرا وسكون الها وقرا ابن عامر والكوفيون الا حفصا بضم الرا وجزم الها الباقون بفتح الرا والها واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وكلها لغات وهو بمعنى الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك وشعاعها فادخلها في جيبك واردها اليه

نعد كما كانت وقيل امر الله ان يضم يده الي صدره فيذهب عنه خوف الحية عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك
عن ابن عباس فقال ابن عباس ليس من احد يدخله رهب بعد موسي عليه السلام ثم يدخل يده فيضعها على
صدره الا ذهب عنه الرهب ويحكي عن عمر بن عبد العزيز رحمة الله ان كاتبا يكتب بين يديه فانفلتت منه
فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك
فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي وقيل المعنى اضمم يدك الي صدرك ليذهب الله ما
في صدرك من الخوف وكان موسي يرتعد خوفا اما من آل فرعون واما من الثعبان وضم الجناح هو السكون
لقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق وكذلك قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من
المومنين اي ارفق بهم وقال الفرا اراد بالجناح عصاه وقال بعض اهل المعاني الرهب الكم بلغة حمير
وبني حنيفة قال مقاتل سالني اعرابية شيئا وانا اكل فملات الكف واومات اليها فقالت هاهنا في

النحاس وقد ارداه ورداه اي اعاده وترك همزة تخفيف وبه قرا نافع وهو بمعنى المهموز قال المهدوي ويجوز
ان يكون ترك الهمز من قولهم اردا على المائة اذا زاد عليها فكان المعنى ارسله معي زيادة في تصديقي
قاله مسلم بن جندب وانشد قول الشاعر

وأسمر خطيا كأن كعوبه نوى القسب	قد أردي ذراعا على العشر

كذا انشده الماوردي هذا البيت فقد اردي وانشده الغزنوي والجوهري في الصحاح قد اربى قال
والقسب الصلب والقسب تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة قال يصف رمحا واسم البيت قال
الجوهري ردا الشي يردو رداءة فهو ردي اي فاسد واردانه افسدته ايضا بمعنى اعنته تقول اردانه
بنفسي اي كنت له ردءا وهو العون قال الله تعالى ارسله معي ردا يصدقني قال النحاس وقد حكي ردانه
رداء وجمع ردي اردي دقراءة عاصم وحمزة يصدقني بالرفع وجزم الباقون وهي اختيار ابي حاتم على جواب

لعلهم يتذكرون واستكبر اي تعظم هو وجنوده اي عن الايمان بموسى في الارض بغير الحق اي بالعدوان
اي لم تكن له حجة يدفع ما جاء به موسى فظنوا انهم الينا لا يرجعون اي توهموا انهم لا معاد ولا بعث وقرا نافع و
شيبة وابن محيصن وحميد ويعقوب وحمزة والكسائي لا يرجعون بفتح اليا وكسر الجيم على انه مسمي الفاعل
الباقون يرجعون على الفعل المجهول ومواختيار ابي عبيد والاول اختيار ابي حاتم فاخذناه وجنوده وكانوا
الفي الف وستمائة الف فنبذناهم في اليم اي طرحناهم في البحر المالح قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له
اساف اغرقهم الله فيه وقال وهب والسدي المكان الذي اغرقهم الله فيه ناحية القلزم يقال له بطن
مريرة وهو الي اليوم غضبان وقال مقاتل يعني نهر النيل والمشهور الاول فانظر يا محمد كيف كان عاقبة
الظالمين اي اخر امرهم وجعلناهم ايمة اي جعلناهم زعما يتبعون على الكفر فيكون لهم وزر من اتبعهم حتى
يكون عقابهم اكثر وقيل جعل الله الملاء منه قومه رؤسا السفلة منهم فهم يدعون الي جهنم وقيل ايمة يأتم
بهم ذو العبر ويتعظ بهم اهل البصا يدعون الي النار اي الي عمل اهل النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة اي امرنا العباد بلعنهم فمن ذكرهم لعنهم وقيل اي الزمناهم اللعن اي التبعد عن الخير هم من
المقبوحين اي من المهلكين الممقوتين قاله ابن كيسان وابو عبيدة وقال ابن عباس المشوهين الخلقة بسواد
الوجوه وزرقة العيون وقيل من المبعدين يقال قبحه الله اي نحاه من كل خير وقبحه اذا جعله قبيحا وقال
ابو عمرو قبحت وجهه بالتخفيف بمعني قبحت قال الشاعر

الا قبح الله البراجم كلها وقبح يربوعا وقبح دارها

وانتصب يوم على الحمل على موضع في هذه الدنيا واستغني عن حرف العطف في قوله هم من المقبوحين كما استغني
عنه في قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويجوز ان يكون العامل في يوم مضمرا يدل عليه قوله هم من
المقبوحين فيكون كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويجوز ان يكون العامل في يوم قوله هم
من المقبوحين وان كان الظرف متقدما ويجوز ان يكون مفعولا على السعة كانه قال واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة ولعنة يوم القيامة قوله ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة قاله قتادة قال يحيي بن سلام هو اول
كتاب نزل فيه الفرايض والحدود والاحكام وقيل الكتاب ههنا ست من المثاني والسبع التي انزلها الله على رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس ورواه مرفوعا من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قال ابو سعيد
الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة ولا اهل قرية بعذاب من السما
ولا من الارض منذ انزل الله التوراة على موسى غير القرية التي مسخت قردة الم تر الي قوله تعالي ولقد
اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اي من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقيل من بعد ما اغرقنا
فرعون وقومه وخسفنا بقارون بصاير للناس اي اتيناه الكتاب بصاير اي ليتبصروا وهدى اي من الضلالة
لمن عمل بها ورحمة لمن امن بها لعلهم يتذكرون اي ليتذكروا هذه النعمة فيقيموا على ايمانهم في الدنيا ويثقوا
بثوابهم في الاخرة **قوله تعالي** وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الي موسى الامر وما كنت من الشاهدين
اي ما كنت يا محمد بجانب الغربي اي بجانب الجبل الغربي قال الشاعر

اعطاك من اعطى الهدى النبيا نورا يزين المنبر الغربيا

اذ قضينا الي موسى الامر اي اذ كلفناه امرنا ونهينا والزمناه عهدنا وقيل اي اذ قضينا الي موسى امرك وذكرناك
بخير ذكر وقال ابن عباس اذ قضينا اخبرنا ان امة محمد صلى الله عليه وسلم خير الامم وما كنت من الشاهدين اي
من الحاضرين **قوله تعالي** ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل
مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين قرونا اي من بعد موسى فتطاول عليهم العمر حتى نسوا ذكر الله اي
عهده وامره نظيره فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وظاهر هذا يوجب ان يكون جرى لنبينا عليه السلام
ذكر في ذلك الوقت وان الله سيبعثه ولكن طالت المدة وغلبت القسوة فنسي القوم ذلك وقيل اتينا موسى
الكتاب واخذنا على قومه العهود ثم تطاول العهد فكفروا فارسلنا محمدا مجددا للدين وداعيا الخلق اليه قوله
تعالي وما كنت ثاويا في اهل مدين اي مقيما كمقام موسى وشعيب بينهم قال العجاج

فبات حين يدخل الثوي اي الضيف المقيم وقوله تتلوا عليهم اياتنا اي تذكرهم

بالوعد والوعيد ولكنا كنا مرسلين اي ارسلناك في اهل مكة واتيناك كتابا فيه هذه الاخبار ولولا ذلك لما
علمتها **قوله تعالي** وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون اي كما لم تحضر جانب المكان الغربي اذ ارسل الله موسى الي فرعون فكذلك
لم تحضر جانب الطور اذ نادينا موسى لما اتى الميقات مع السبعين وروى عمرو بن دينار يرفعه قال نودي يا محمد
اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني فذلك قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقال ابو
هريرة وفي رواية عن ابن عباس ان الله تعالي قال يا محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني
وغفرت لكم قبل ان تستغفروني ورحمتكم قبل ان تسترحموني قال وهب وذلك ان موسى لما ذكر الله له
فضل محمد وامته قال يا رب ارنيهم فقال الله تعالي انك لن تدركهم وان شئت ناديتهم فاسمعتك صوتهم
قال بلى يا رب فقال الله تعالي يا امة محمد فاجابوا من اصلاب ابائهم فقال فقد اجبتكم قبل ان تدعوني ومعني
الاية على هذا ما كنت بجانب الطور اذ كلمنا موسى فنادينا امتك واخبرناه بما كتبناه لك ولامتك من الرحمة
الي اخر الدنيا ولكن فعلنا ذلك رحمة منا بكم قال الاخفش رحمة نصب على المصدر ولكن رحمناك رحمة وقال
الزجاج هو مفعول من اجله اي فعل ذلك بك لاجل الرحمة النحاس اي لم تشهد قصص الانبيا ولا تليت عليك
ولكنا بعثناك واوحيناها اليك للرحمة الكسائي على خبر كان التقدير ولكن كان رحمة قال ويجوز الرفع بمعني
ولكن هي رحمة الزجاج الرفع بمعني ولكن فعل ذلك رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني
العرب اي لم تشاهد تلك الاخبار ولكن اوحيناها اليك رحمة بمن ارسلت اليه لتنذرهم بها لعلهم يتذكرون
قوله تعالي ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين يريد قريشا وقيل اليهود مصيبة اي عقوبة ونقمة بما قدمت
ايديهم من الكفر والمعاصي وخص الايدي بالذكر لان الغالب من الكسب انما يقع بها وجواب لولا محذوف
اي لولا ان يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة فيقولوا ربنا لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا لما
بعثنا الرسل وقيل لعاجلناهم بالعقوبة وبعث الرسل ازاحة لعذر الكفار كما تقدم في سبحان واخر طه
فنتبع اياتك نصب على جواب التخصيص ونكون عطف عليه من المصدقين وقد احتج بهذه الاية من قال ان العقل
يوجب الايمان والشكر لانه قال بما قدمت ايديهم وذلك موجب للعقاب اذ تقرر الوجوب قبل بعثة
الرسل وانما يكون ذلك بالعقل قال القشيري والصحيح ان المحذوف لولا كذا لما احتيج الي تجديد الرسل اي
هولاء الكفار غير معذورين اذ بلغتهم الشرايع السابقة والدعاء الي التوحيد ولكن تطاول العهد
فلو عذبناهم فقد يقول قايل منهم طال العهد بالرسل ويظن ان ذلك عذر ولا عذر لهم بعد ان بلغهم
خبر الرسل ولكن اكملنا ازاحة العذر واتممنا البيان فبعثناك يا محمد اليهم وقد حكم الله بانه لا
يعاقب عبدا الا بعد اكمال البيان والحجة وبعثة الرسل **قوله تعالي** فلما جاءهم الحق من
عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون
فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا يعني كفار مكة لولا اي هلا اوتي مثل ما اوتي
موسى من العصا واليد البيضا وانزل عليه القران جملة واحدة كالتوراة وكان بلغهم ذلك من امر موسى
قبل محمد فقال الله تعالي اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا اي موسى ومحمد تعاونا
على السحر قال الكلبي بعثت قريش الي اليهود وسالوهم عن نعت محمد وشانه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته
وصفته فلما رجع الجواب اليهم قالوا ساحران تظاهرا وقال قوم ان اليهود علموا المشركين وقالوا قولوا
لمحمد لولا اوتيت مثل ما اوتي موسى فانه اوتي التوراة بدفعة واحدة فهذا الاحتجاج وارد على اليهود اي
اولم يكفر وا هولاء اليهود بما اوتي موسى حين قالوا في موسى وهرون انهما ساحران وانا بكل كافرون
بكل واحد منهما وقرا الكوفيون سحران بغير الف اي الانجيل والقران وقيل التوراة والقران قاله الفرا
وقيل التوراة والانجيل قاله ابو رزين الباقون ساحران بالالف وفيه ثلاثة اقاويل احدها موسى ومحمد
عليهما السلام وهذا قول مشركي العرب وبه قال ابن عباس والحسن الثاني موسى وهرون وهذا قول
اليهود لهما في ابتدا الرسالة وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد فيكون الكلام احتجاجا عليهم وهذا
يدل على ان المحذوف في قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة لما جددنا بعثة الرسول لان اليهود اعترفوا بالنبوة
ولكنهم حرفوا وغيروا واستحقوا العقاب فقال قد اكملنا ازاحة عذرهم ببعثة محمد عليه السلام
الثالث عيسى ومحمد عليهما السلام وهذا قول اليهود اليوم وبه قال قتادة وقيل اولم يكفر جميع اليهود
بما اوتي موسى في التوراة من ذكر المسيح وذكر الانجيل والقران فراوا موسى ومحمدا ساحرين والكتابين

سحرين **قوله تعالى** قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين اي قل يا محمد اذ كفرتم معاشر المشركين بهذين الكتابين فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما ليكون ذلك عذرا لكم في الكفران كنتم صادقين في انهما سحران او قالوا بكتاب هو اهدى من كتابي موسى ومحمد عليهما السلام وهذا يقوي قراءة الكوفيين سحران اتبعه قال الفرا بالرفع لانه صفة الكتاب وكتاب نكرة قال الفرا واذا جزمت وهو الوجه فعلى الشرط **قوله تعالى** فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان لم يستجيبوا لك يا محمد ان ياتوا بكتاب من عند الله فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي اراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان وانه لا حجة لهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي لا احد اضل منه ان الله لا يهدي القوم الظالمين **قوله تعالى** ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون اي اتبعنا بعضه بعضا وبعثنا رسولا بعد رسول وقرا الحسن وصلنا مخففا وقال ابو عبيدة والاخفش معنا وصلنا اتممنا كصلتك الشي وقال ابن عيينة والسدي بينا وقاله ابن عباس وقال مجاهد فصلنا وكذلك كان يقرؤها وقال ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا وقال اهل المعاني والبيان وتابعنا وانزلنا القران تتبع بعضه بعضا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ونصائح ومواعظ ارادة ان يتذكروا فيفلحوا واصلها من وصل الحبال بعضها الى بعض قال الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف ما يزال يوصل

درير لحدروف الوليد امره بقلب كفيه بخيط موصل

والضمير في لهم لقريش عن مجاهد وقيل هو لليهود وقيل هو لهم جميعا والاية رد على من قال هلا اوتي محمد القران جملة واحدة لعلهم يتذكرون قال ابن عباس يتذكرون محمدا فيؤمنوا به وقيل يتذكرون فيخافون ان ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم قاله ابن عيسى وقيل لعلهم يتعظون بالقران عبادة الاوثان حكاه النقاش **قوله تعالى** الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اخبر ان قوما ممن اوتوا الكتاب من بني اسرائيل من قبل القران يؤمنون بالقران لعبد الله بن سلام وسلمان ويدخل فيه من اسلم من علماء النصارى وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابي طالب المدينة اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية نفر قدموا من الشام وكانوا ائمة النصارى منهم بحيرا الراهب وابرهة والاشرف وعامر وايمن وادريس ونافع كذا سماهم الماوردي وانزل الله فيهم هذه الاية والتي بعدها الى قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا قاله قتادة وعنه ايضا انها نزلت في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي اسلموا فنزلت فيهم هذه الاية وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقال الزهري نزلت في النجاشي واصحابه ووجه باثني عشر رجلا فجلسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل واصحابه قريبا منهم فامنوا بالنبي عليه السلام فلما قاموا من عنده تبعهم ابو جهل ومن معه فقال لهم خيبكم الله من ركب وقبحكم من وفد لم تلبثوا ان صدقتموه وما راينا ركبا احمق منكم ولا اجهل فقالوا سلام عليكم لم نال انفسنا رشدا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وقد تقدم هذا في المائدة عند قوله واذا سمعوا ما انزل الى الرسول مستوفى وقال ابو العالية هؤلاء قوم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد ادركه بعضهم من قبله اي من قبل القران وقيل من قبل محمد عليه السلام هم به اي بالقران او بمحمد عليه السلام يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اي اذا قرئ عليهم القران قالوا صدقنا بما فيه انا كنا من قبله اي من قبل نزوله او من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين اي موحدين او مؤمنين بانه سيبعث محمد وينزل عليه القران **قوله تعالى** اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ثبت في صحيح مسلم عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم

مر آكم من علماء النصارى

وسلم قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم فامن به واتبعه وصدقه فله اجران ورجل كانت له امة فغذاها فاحسن غذاءها ثم ادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ثم قال الشعبي للخراساني خذ هذا الحديث بغير شي فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا الى المدينة خرجه البخاري ايضا قال علماؤنا لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطبا بامرين من جهتين استحق كل واحد منهم اجرين فالكتابي كان مخاطبا من جهة نبيه فاجابه واتبعه فله اجر الملتين وكذلك العبد هو مامور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده ورب الامة لما قام بما خوطب به من تربية امته وادبها فقد احياها واحيا التربية ثم انه لما اعتقها وتزوجها احياها احيا الحرية التي الحقها فيه بمنصبه فقد قام بما امر فيها فاجر كل واحد منهما اجرين ثم ان كل واحد من الاجرين مضاعف في نفسه الحسنة بعشر امثالها فيضاعف الاجور ولذلك قيل ان العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى افضل من الحر وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وغيره وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد المملوك المصلح اجران والذي نفس ابي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر امي لاحببت ان اموت وانا مملوك قال سعيد بن المسيب وبلغنا ان ابا هريرة لم يحج حتى ماتت امه لصحبتها وفي الصحيح ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما للعبد المملوك ان يتوفى بحسن عبادة الله وصحابة سيده نعما له **الثانية** قوله تعالى بما صبروا عام في صبرهم على ملتهم ثم على هذه وعلى الاذى الذي يلقونه من الكفار وغير ذلك **الثالثة** قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم اي يدفعون درات اذا دفعت والدرا الدفع وفي الحديث ادروا الحدود ما استطعتم قيل يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الاذى وقيل يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب وعلى الاول فهو وصف لمكارم الاخلاق اي من قال لهم سوءا لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه وهذه اية مهادنة وهي من صدر الاسلام وهي مما نسختها اية السيف وهي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاه امة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ومنه قوله عليه السلام لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ومن الخلق الحسن دفع المكروه والاذى والصبر على الجفا بالاعراض عنه ولين الحديث **الرابعة** قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اثنى عليهم بانهم ينفقون من اموالهم في الطاعات وفي رسم الشرع وفي ذلك حض على الصدقات وقد يكون الانفاق من الابدان بالصوم والصلاة ثم مدحهم ايضا على اعراضهم عن اللغو كما قال واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا سمعوا ما قال لهم المشركون من الاذى والشتم اعرضوا عنه اي لم يشتغلوا به وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم اي متاركة مثل قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي لنا ديننا ولكم دينكم سلام عليكم اي امنا لكم منا فانا لا نحاوركم ولا نسابكم وليس من التحية في شي قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال لا نبتغي الجاهلين اي لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة قوله تعالى انك لا تهدي من احببت الاية قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب قلت والصواب ان يقال اجمع كل المفسرين على انها نزلت في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو نص حديث البخاري ومسلم وقد تقدم الكلام في ذلك في براءة وقال ابو روق قوله ولكن الله يهدي من يشاء اشارة الى العباس وقاله قتادة وهو اعلم بالمهتدين قال مجاهد لمن قدر له ان يهتدي وقيل معنى من احببت اي من احببت ان يهتدي وقال جبير بن مطعم لم يسمع احد الوحي يلقى على النبي صلى الله عليه وسلم الا ابا بكر الصديق فانه سمع جبريل وهو يقول يا محمد اقرا انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء **قوله تعالى** وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون هذا قول مشركي قريش قال ابن عباس قائل ذلك الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا ان نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا العرب من ارضنا يعني مكة لاجتماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم وكان هذا من تعللاتهم فاجاب الله تعالى عما اعتل به فقال اولم نمكن لهم حرما امنا اي ذا امن وذلك ان العرب كانت في الجاهلية تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة امنون حيث كانوا بحرمة الحرم فاخبر انه قد امنهم بحرمة البيت ومنع عنهم عدوهم فلا يخافون ان يستحل العرب حرمته في قتالهم والتخطف الانتزاع بسرعة

وقد تقدم وقال يحيى بن سلام يقول كنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبدون غيري افتخافون اذا
عبدتموني وامنتم به يجبى اليه ثمرات كل شي اي يجمع اليه ثمرات كل ارض وبلد عن ابن عباس وغيره يقال
جبى الماء في الحوض اي جمعه والجابية الحوض العظيم وقرا نافع تجبى بالتاء لاجل الثمرات الباقون بالياء
لقوله كل شي واختاره ابو عبيد قال لانه حال بين الاسم المؤنث وبين فعله حايل وايضا فان الثمرات
جمع وليس بتانيث حقيقي رزقا من لدنا اي من عندنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اي هم غافلون عن الاستدلال
وان من رزقهم وامنهم فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو اسلموا ويمنع الكفار عنهم في اسلامهم ورزقا نصب
على المفعول من اجله ويجوز نصبه على المصدر بالمعنى لان معنى يجبى يرزق وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته
بالى كقولك يجبى اليه فيه ويجبى الى الخافة خريطة من ادم يشتار فيها العسل **قوله تعالى** وكم اهلكنا من
قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين بين لمن توهم انه لو
امن لقاتله العرب ان الخوف في ترك الايمان اكثر فكم من قوم كفروا ثم حل بهم البوار والبطر الطغيان بالنعمة
قال الزجاج معيشتها اي في معيشتها فلما حذف في تعدى الفعل قاله المازني والزجاج لقوله واختار موسى
قومه الفراء منصوب على التفسير قال كما تقول ابطرك مالك وبطرته وبطرته عنده الا من سفه نفسه
وكذا عنده فان طبن لكم عن شي منه نفسا ونصب المعارف على التفسير محال عند البصريين لان معنى
التفسير والتمييز ان يكون واحدا نكرة يدل على الجنس وقيل انتصب ببطرت ومعنى بطرت جهلت
فالمعنى جهلت شكر معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا اي لم تسكن بعد هلاك اهلها
الا قليلا من المساكن واكثرها خراب والاستثناء يرجع الى المساكن اي بعضها يسكن قاله الفراء واعترض عليه
فقيل لو كان الاستثناء يرجع لقال الا قليل واذا نصبت كان القليل صفة للضرب اي لم تضرب الا ضربا
قليلا فالمعنى اذا فتلك مساكنهم لم يسكنها الا المسافر ومار بالطريق يوما او بعض يوم اي لم تسكن من
بعدهم الا سكونا قليلا وكذا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن
الوارثين اي لما خلفوا بعد هلاكهم **قوله تعالى** وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها
رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وما اوتيتم من شي فمتاع
الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون مهلك القرى اي القرى الكافرة اهلها حتى
يبعث في امها رسولا قرئ بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر يعني مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل
في امها في اعظمها رسولا ينذرهم وقال الحسن في اوايلها قلت ومكة اعظم القرى لحرمتها واولها لقوله ان اول
بيت وضع للناس وخصت بالاعظم لبعثة الرسول فيها لان الرسل تبعث الى الاشراف وهم يسكنون المداين
وهي ام ما حولها وقد مضى هذا القول في اخر سورة يوسف يتلو عليهم اياتنا يتلو في موضع الصفة اي تاليا
اي يخبرهم ان العذاب ينزل بهم ان لم يومنوا وما كنا مهلكي القرى سقطت النون بالاضافة مثل ظالمي اهلها
الا واهلها ظالمون اي لم اهلكهم الا وقد استحقوا الاهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وفي
هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم اخبر انه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم
ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم
غير ظالمين كما قال عز من قايل وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو
اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما لهم منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف
النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم قوله وما اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اي تتمتعون
بها مدة حياتكم او مدة في حياتكم فاما ان تزولوا عنها او تزول عنكم وما عند الله خير وابقى اي افضل وادوم
يريد الدار الاخرة وهي الجنة افلا تعقلون ان الباقي افضل من الفاني قرا ابو عمرو يعقلون بالياء الباقون
بالتاء على الخطاب وهو الاختيار لقوله وما اوتيتم **قوله تعالى** افمن وعدناه وعدا حسنا فهو
لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين فهو لاقيه يعني الجنة وما فيها من الثواب
كمن متعناه متاع الحياة الدنيا فاعطي منها بعض ما اراد ثم هو يوم القيامة من المحضرين اي في النار ونظيره قوله
ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وقال
مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقال محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلي وفي ابي جهل وفي
عمارة بن الوليد وقيل في عمارة والوليد بن المغيرة قاله السدي قال القشيري والصحيح انها نزلت في المومن

لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق

والكافر على التعميم الثعلبي وبالجملة فانها نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافية والغنى وله في الاخرة
النار وفي كل مومن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله وله في الاخرة الجنة **قوله تعالى** ويوم يناديهم فيقول
اين شركاءي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هولاء الذين اغوينا اغويناهم
كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون اي ينادي الله يوم القيامة هولاء المشركين فيقول
اين شركاءي بزعمكم انهم ينصرونكم ويشفعون لكم قال الذين حق عليهم القول اي حقت عليهم كلمة العذاب
وهم الروسا قاله الكلبي وقال قتادة هم الشياطين ربنا هولاء الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغي
فقيل لهم اغويتموهم قالوا اغويناهم يعنون اضللناهم كما كنا ضالين تبرانا اليك اي تبرا بعضنا
من بعض والشياطين يتبرون ممن اطاعهم والروسا يتبرون ممن قبل منهم كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين **قوله تعالى** وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا
العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء
يومئذ فهم لا يتساءلون وقيل اي للكفار ادعوا شركاءكم اي استغيثوا بالهتكم التي عبدتموها في الدنيا
لتنصركم وتدفع عنكم فدعوهم اي استغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم ولا انتفعوا بهم وراوا العذاب
لو انهم كانوا يهتدون قال الزجاج جواب لو محذوف والمعنى لو انهم كانوا يهتدون لانجاهم الهدى ولو صاروا
الى العذاب وقيل لو انهم كانوا يهتدون ما دعوهم وقيل المعنى ودوا حين راوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
في الدنيا اذا راوا العذاب يوم القيامة ماذا اجبتم المرسلين اي يقول الله لهم ما كان جوابكم لمن ارسل
اليكم من النبيين لما بلغوكم رسالاتي فعميت عليهم الانباء يومئذ اي خفيت عليهم الحجج قاله مجاهد
لان الله قد اعذر اليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة والانباء الاخبار سمي حججهم انباء
لانها اخبار يخبرونها فهم لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا عن الحجج لان الله تعالى ادحض حججهم قاله الضحاك
وقال ابن عباس لا يتساءلون اي لا ينطقون بحجة وقيل لا يتساءلون في تلك الساعة ولا يدرون ما يجيبون به
من هول تلك الساعة ثم يجيبون بعد ذلك كما اخبر عن قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقال مجاهد لا يتساءلون
بالانساب وقيل لا يسال بعضهم بعضا ان يحمل من ذنوبه شيئا حكاه ابن عيسى **قوله تعالى** فاما من
تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اي من الشرك وامن اي صدق وعمل صالحا ادى الفرايض
واكثر من النوافل فعسى ان يكون من المفلحين اي من الفايزين بالسعادة وعسى من الله واجبة **قوله تعالى**
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون هذا متصل
بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعة اي الاختيار الى الله تعالى في الشفعاء لا الى المشركين وقيل
هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وعروة
بن مسعود الثقفي من الطايف وقيل هو جواب اليهود اذ قالوا لو كان الرسول الى محمد غير جبريل لامنا به
قال ابن عباس والمعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منهم من يشاء لطاعته وقال يحيى بن سلام
والمعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوته وحكى النقاش ان المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ويختار الانصار لدينه قلت وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا عن جابر ان الله اختار
اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم اصحابي وفي اصحابي كلهم خير واختار امتي على ساير الامم واختار لي من امتي اربعة قرون وذكر
سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن ابيه في قوله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار
قال اختار من الغنم الضان ومن الطير الحمام والوقف التام ويختار قال علي بن سليمان هذا وقف تام ولا يجوز
ان يكون ما في موضع نصب لانها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شي قال وفي هذا رد على القدرية
قال النحاس التمام ويختار اي ويختار الرسل ما كان لهم الخيرة اي ليس يرسل من اختاروه وقال ابو اسحاق ويختار
هذا وقف تمام مختار ويجوز ان يكون ما في موضع نصب بيختار ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة
قال القشيري والصحيح الاول لاطباقهم على الوقف على قوله ويختار قال المهدوي وهو اشبه بمذهب اهل السنة
وما من قوله ما كان لهم الخيرة نفي عام لجميع الاشياء ان يكون للعبد فيه سوى اكتسابه بقدرة الله عز
وجل الزمخشري ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف

اختار من النعم الضان ومن الطير الحمام

والمعني ان الخيرة لله في افعاله و هو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه واجاز الزجاج وغيره
ان يكون ما منصوبا بيختار وانكر الطبري ان يكون ما نافية لئلا يكون المعني انهم لم يكن لهم الخيرة فيما مضي
وهي لهم فيما يستقبل ولانه لم يتقدم كلام بنفي قال المهدوي ولا يلزم ذلك لان ما ينفي الحال
والاستقبال كليس ولذلك عملت عملها ولان الاي كانت تنزل علي النبي صلي الله عليه وسلم علي ما يسال
عنه وعلي ما هم مصرون عليه من الاعمال وان لم يكن ذلك في النص وتقدير الاية عند الطبري ويختار لولا
تانيه الخيرة من خلقه لان المشركين كانوا يختارون خيار اموالهم فيجعلونه لالهتهم فقال الله تبارك وتعالي
وربك يخلق ما يشا ويختار للهداية من خلقه من سبقت له السعادة في علمه كما اختار المشركون خيار
اموالهم لالهتهم فما علي هذا لمن يعقل وهي بمعني الذي والخيرة رفع بالابتداء ولهم الخيرة والجملة خبر كان
وشبهه بقولك كان زيد ابوه منطلق وفيه ضعف اذ ليس في الكلام عايد يعود علي اسم كان الا ان يقدر
حذف فيه فيجوز علي حذف بعد وقد روي معني ما قاله الطبري عن ابن عباس قال الثعلبي وما نفي اي ليس
لهم الاختيار علي الله وهذا اصوب لقوله تعالي وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضي الله ورسوله امرا
ان يكون لهم الخيرة من امرهم فهو الصواب وقال ـــــــ محمود الوراق

توكل علي الرحمن في كل حاجة	اردت فان الله يقضي ويقدر
اذا ما يرد ذو العرش امرا بعبده	يصبه وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الانسان من وجه حذره	وينجو بحمد الله من حيث يحذر

وقال اخر

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر	والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير اجمع فيما اختار خالقنا	وفي اختيار سواه اللوم والشوم

قال العلما لا ينبغي لاحد ان يقدم علي احد من امور الدنيا الا حتي يسال الله الخيرة في ذلك وذلك بان يصلي ركعتين
صلاة الاستخارة ويقرا في الركعة الاولي بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الركعة الثانية قل
هو الله احد واختار بعض المشايخ ان يقرا في الركعة الاولي وربك يخلق ما يشا ويختار الاية وفي الركعة
الثانية وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضي الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وكل حسن
ثم يدعو بهذا الدعا بعد السلام وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلي الله
عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القران يقول اذا هم احدكم بالامر
فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك
العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في
ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة امري او قال في عاجل امري واجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه
اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة امري او قال في عاجل امري واجله
فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمي حاجته وروت عايشة رضي الله
عنها عن ابي بكر رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا اراد امرا قال اللهم خر لي واختر لي وروي انس
رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال له يا انس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر
الي ما سبق قلبك فان الخير فيه قال العلماء وينبغي ان يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتي لا يكون مايلا الي امر من الامور
فعند ذلك ما يسبق الي قلبه يعمل عليه فان الخيرة فيه ان شا الله وان عزم علي سفر فيتوخي بسفره يوم الخميس او يوم
الاثنين اقتداء برسول الله صلي الله عليه وسلم ثم نزه نفسه سبحانه بقوله الحق فقال سبحان الله اي تنزيها وتعالي
وتقدس وتمجد عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون وقرا ابن محيصن وحميد تكن
بفتح اليا وضم الكاف وقد تقدم وهذا في النمل تمدح سبحانه بانه عالم الغيب والشهادة لا يخفي عليه وهو الله لا
اله الا هو له الحمد في الاولي والاخرة وله الحكم واليه ترجعون تقدم ومعناه وانه المتفرد بالوحدانية
وان جميع المحامد انما تجب له وان لا حكم الا له واليه المصير **قوله تعالي** قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الي يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الي يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون سرمدا اي دايما ومنه قول
طرفة

لعمرك ما امري علي بغمة	نهاري ولا ليلي علي بسرمد

الاستخارة في الامور

بين سبحانه انه مهد اسباب المعيشة ليقوموا بشكر نعمه من اله غير الله ياتيكم بضياء اي بنور يطلبون فيه
المعيشة وقيل بنهار تبصرون فيه في معايشكم ويصلح فيه الثمار والنبات افلا تسمعون سماع فهم وقبول
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الي يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه اي
تستقرون فيه من النصب افلا تبصرون ما انتم فيه من الخطا في عبادة غيره واذا اقررتم بانه لا يقدر علي ايتان
الليل والنهار غيره فلم تشركون به ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي فيهما وقيل الضمير للزمان
وهو الليل والنهار ولتبتغوا من فضلكم اي لتطلبوا من رزقه اي في النهار فحذف ولعلكم تشكرون الله علي
ذلك **قال الله تعالي** ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اعاد
هذا لاختلاف الحالين ينادون مرة فيقال لهم اين شركاي فيدعون الاصنام فلا يستجيبون فتظهر
حيرتهم ثم ينادون مرة اخري فيسكتون وهو توبيخ وزيادة خزي والمناداة هنا ليست من الله لان الله لا
يكلم الكفار لقوله تعالي ولا يكلمهم الله يوم القيامة لكنه تعالي يامر من يوبخهم ويبكتهم ويقيم الحجج عليهم
في مقام الحساب ويحتمل ان يكون من الله وقوله لا يكلمهم الله حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل شركاي
لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم **قوله تعالي** ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم
فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون شهيدا اي نبيا عن مجاهد وقيل هم عدول الاخرة يشهدون
علي العباد باعمالهم في الدنيا والاول اظهر لقوله تعالي فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك علي هولا
شهيدا وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا وشهيد كل امة رسولها الذي يشهد عليها والشهيد الحاضر
اي احضرنا رسولهم المبعوث اليهم فقلنا هاتوا برهانكم اي حجتكم فعلموا ان الحق لله اي علموا صدق ما جا
به الانبياء وضل عنهم وبطل ما كانوا يفترون اي يختلقونه من الكذب علي الله من ان معه الهة تعبد
قوله تعالي ان قارون كان من قوم موسي فبغي عليهم واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين لما قال وما اوتيتم من
شي فمتاع الحياة الدنيا بين ان قارون اوتيها واغتر بها ولم تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ولستم
ايها المشركون باكثر عددا ومالا من قارون وفرعون فلم ينفع فرعون جنوده وامواله ولم ينفع قارون
قرابته من موسي ولا كنوزه قال النخعي وقتادة وغيرهما كان ابن عم موسي حا وكان وهو قارون بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسي بن عمران بن قاهث وقال ابن اسحاق كان عم موسي لاب وام وقيل كان
ابن خالته ولم ينصرف للعجمة والتعريف وما كان علي وزن فاعول اعجميا لا يحسن فيه الالف واللام لم ينصرف
في المعرفة وانصرف في النكرة فان حسنت فيه الالف واللام انصرف ان كان اسما للمذكر نحو طاوس وراقود
قال الزجاج ولو كان قارون من قرنت الشي لانصرف فبغي عليهم بغيه انه زاد في طول ثوبه شبرا قاله شهر
بن حوشب وفي الحديث لا ينظر الله الي من جر ازاره بطرا وقيل بغيه كفره بالله عز وجل قاله الضحاك
وقيل بغيه استخفافه بهم لكثرة ماله وولده قاله قتادة وقيل بغيه نسبته ما اتاه الله من الكنوز الي
نفسه بعلمه وحيلته قاله ابن بحر وقيل بغيه قوله اذ كانت النبوة لموسي والذبح والقربان في هارون
فما لي فروي انه لما جاوز بهم موسي البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون تقرب القربان ويكون راسا فيهم
وكان القربان الي موسي فجعله موسي الي اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسي الامر لكما و
لست علي شي الي متي اصبر قال موسي هذا صنع الله قال والله لا اصدقنك حتي تاتي باية فامر روسا بني
اسرايل ان يجي كل واحد منهم بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون
عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر كانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو
باعجب مما تصنع من السحر فبغي عليهم من البغي وهو الظلم وقال يحيي بن سلام وابن المسيب كان قارون
عاملا لفرعون علي بني اسرايل فتعدي عليهم وظلمهم وكان منهم وقول سابع روي عن ابن عباس قال لما امر
الله تعالي موسي برجم الزاني عمد قارون الي امراة بغي فاعطاها مالا وحملها علي ان ادعت علي موسي انه زنا
بها وانه احبلها فعظم علي موسي ذلك واحلفها بالله الذي فلق البحر لبني اسرايل وانزل التوراة علي موسي
الا صدقت فتداركها الله فقالت اشهد انك بري وان قارون اعطاني مالا وحملني علي ان قلت ما قلت
وانت الصادق وقارون الكاذب فجعل الله امر قارون الي موسي وامر الارض ان تطيعه فجاءه وهو
يقول للارض يا ارض خذيه يا ارض خذيه تاخذه شيا شيا وهو يستغيث يا موسي الي ان ساخ في الارض

فلم ينفع فرعون جنوده وقارون ماله

كان قارون عاملا لفرعون

هو وداره وجلساءه الذين كانوا على مذهبه ويروى ان الله تعالى اوحى الى موسى يا موسى استغاث بك عبادي فلم ترحمهم اما انهم لو دعوني لوجدوني قريبا مجيبا ابن جريج بلغنا انه يخسف بهم كل يوم قامة فلا يبلغون الى اسفل الارض الى يوم القيامة وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج حدثني ابراهيم بن راشد قال حدثني داود بن مهران عن الوليد بن مسلم عن مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال لقي قارون يونس في ظلمات البحر فنادى قارون يونس فقال يا يونس تب الى الله فانك تجده عند اول قدم ترجع بها اليه فقال يونس ما منعك من التوبة فقال ان توبتي جعلت الى ابن عمي فابى ان يقبل مني وفي الخبر اذا وصل قارون الى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل في الصور والله اعلم السدي وكان اسم البغي سبرتا وبذل لها قارون الفي درهم قتادة وكان قد قطع البحر مع بني اسرائيل وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري قوله تعالى واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه قال عطا اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقال الوليد بن مروان كان يعمل الكيميا ما ان مفاتحه ان واسمها وخبرها في صلة ما وما مفعوله اتينا قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول ما اقبح ما يقول الكوفيون في الصلة انه لا يجوز ان تكون صلة الذي واخواته ان وما عملت فيه وفي القرآن ما ان مفاتحه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ومن قال مفتاح قال المفاتيح ومن قال هي الخزائن فواحدها مفتح بالفتح لتنوء بالعصبة احسن ما قيل فيه ان المعنى لتنيء العصبة اي تميلهم بثقلها فلما انفتحت التاء دخلت الباء كما قالوا هو يذهب بالبؤس ويذهب البؤس واختار لتنوء بالعصبة بجعل العصبة تنوء تنهض متثاقلة كقولك قم بنا اي اجعلنا نقوم يقال نا ينوء نوءا اذا انهض بثقل قال الشاعر

تنوء باخراها فلايا قيامها ... وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر

اخذت فلم املك ونوت فلم انم ... كاني من طول الزمان مقيد

ونابني وانا بي اذا اثقلني عن ابي زيد وقال ابو عبيدة فقوله لتنوء بالعصبة مقلوب والمعنى لتنوء بها العصبة اي ينهض بها ابو زيد نوت بالعمل اذا نهضت قال الشاعر

انا وجدنا خلفا بئس الخلف ... عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف

والاول معنى قول ابن عباس وابي صالح والسدي وهو قول الفرا واختاره النحاس كما يقال ذهبت به واذهبته وجيت به واجانه وانابه ونوت به فاما قولهم عندي ما ساءه وناءه فهو اتباع كان يجب ان يقال واناءه مثله هنا في الشي ومراي واخذه ما قدم وحدث وقيل هو ماخوذ من الناي وهو البعد ومنه قول الشاعر

ينؤن عنا وما تنا مودتهم ... فالقلب فيهم رهين حيث ما كانوا

وقرا بديل بن ميسرة بالياء اي لينوء الواحد منها او المذكور فحمل على المعنى وقال ابو عبيدة قلت لروبة بن العجاج في قوله

فيها خطوط من سواد وبلق ... كانه في الجلد توليع البهق

ان كنت اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كل ذلك واختلف في العصبة وهي الجماعة التي يتعصب بعضها ببعض على احد عشر قولا الاول ثلاثة رجال قاله ابن عباس وعنه ايضا من الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد والعصبة هنا ما بين العشرين الى خمسة عشر وعنه ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعنه ايضا من عشرة الى خمسة ذكر الاول الثعلبي والثاني القشيري والماوردي والثالث المهدوي وقال ابو صالح والحكم بن عيينة وقتادة والضحاك اربعون رجلا السدي ما بين العشرة الى الاربعين وقاله قتادة ايضا وقال عكرمة منهم من يقولون اربعون ومنهم من يقول سبعون وهو قول ابي صالح ان العصبة سبعون رجلا ذكره الماوردي والاول ذكره عنه الثعلبي وقيل ستون رجلا وقال سعيد بن جبير ست او سبع عبد الرحمن بن زيد ما بين الثلاثة والتسعة وهو النفر الكلبي عشرة لقول اخوة يوسف ونحن عصبة وقاله مقاتل وما بل خيثمة وجدت في الانجيل ان مفاتح خزاين قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة وانها لتنوء بها من ثقلها ما يزيد مفتح منها على اصبع لكل مفتح منها كنز قال لو قسم ذلك الكنز على اهل البصرة لكفاهم قال مجاهد كانت المفاتيح من جلود الابل وقيل اتخذها من جلود البقر لتخف عليه فكانت تحمل معه اذا ركب على سبعين بغلا فيما ذكر القشيري وقيل على اربعين بغلا وهو قول الضحاك وعنه ايضا ان مفاتحه اوعيته وكذا قال ابو صالح ان المفاتح الخزاين والله اعلم اذ قال له قومه اي المومنون من بني اسرائيل قاله السدي وقال يحيى بن سلام القوم هنا موسى وقال له

الفرا وهو جمع اريد به واحد كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس وانما هو نعيم بن مسعود على ما تقدم لا تفرح اي لا تاشر ولا تبطر ان الله لا يحب الفرحين اي البطرين قاله مجاهد والسدي قال الشاعر

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ... ولا صارع في صرفه المتقلب

وقال الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يودي حقه وقال مبشر بن عبد الله لا تفرح لا تفسد قال الشاعر

اذا انت لم تبرح تودي امانة ... وتحمل اخرى افرحتك الودائع

اي افسدتك وقال ابو عمرو وافرحه الدين اثقله وانشد

اذا انت لم تبرح البيت وافرحه سره فهو مشترك قال الزجاج والفرحين والفارحين سوا وفرق بينهما الفرا فقال معنى الفرحين الذين هم في حال فرح والفارحين الذين يفرحون في المستقبل وزعم ان مثله طمع وطامع وميت ومايت ويدل على خلاف ما قال قول الله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ولم يقل مايت وقال مجاهد ايضا معنى لا تفرح لا تبغ ان الله لا يحب الفرحين اي الباغين وقال ابن بحر لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين قوله تعالى وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين اي اطلب فيما اعطاك الله من الدنيا الدار الاخرة وهي الجنة فان حق المومن ان يصرف الدنيا فيما ينفعه في الاخرة لا في التجبر والبغي ولا تنس نصيبك من الدنيا اختلف فيه فقال ابن عباس والجمهور لا تضيع عمرك في ان لا تعمل عملا صالحا في دنياك اذ الاخرة انما يعمل لها فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح فيها فالكلام على هذا التاويل شدة في الموعظ وقال الحسن وقتادة معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك اياه ونظرك لعاقبة دنياك فالكلام على هذا التاويل فيه بعض الرفق به واصلاح الامر الذي يشتهيه وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة قاله ابن عطية قلت وهذان التاويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله

احرث لدنياك كانك تعيش ابدا ... واعمل لاخرتك كانك تموت غدا

وعن الحسن قدم الفضل وامسك ما تبلغ وقال مالك هو الاكل والشرب بلا سرف وقيل اراد بنصيبه الكفن فهذا وعظ متصل كانهم قالوا لا تنس انك تترك جميع مالك الا نصيبك هذا الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداان تلوى فيهما وحنوط

اخر

وهي القناعة لا تبغي بها بدلا ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا باجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

ابن العربي وابدع ما فيه عندي قول قتادة ولا تنس نصيبك الحلال فهو نصيبك من الدنيا ويا ما احسن هذا واحسن كما احسن الله اليك اي اطع الله واعبده كما انعم عليك ومنه الحديث ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه وقيل هو امر بصلة المساكين قال ابن العربي فيه اقوال كثيرة جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله وقال مالك هو الاكل والشرب من غير سرف قال ابن العربي ارى مالكا اراد الرد على الغالين في العبادة والتقشف فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلوى ويشرب العسل ويستعمل الشوا ويشرب الماء البارد وقد مضى هذا المعنى في غير موضع ولا تبغ الفساد في الارض اي لا تعمل بالمعاصي ان الله لا يحب المفسدين قوله تعالى قال انما اوتيته على علم عندي يعني علم التوراة وكان فيما روي من اقرا الناس لها واعلمهم بها وكان احد العلما السبعين الذين اختارهم موسى للميقات وقال ابن زيد اي انما اوتيته لعلمه بفضلي ورضاه عني فقوله عندي معناه ان عندي ان الله اتاني هذه الكنوز على علم باستحقاقي اياها لفضل في وقيل اوتيته على علم من عندي بوجوه المكاسب والتجارات قاله علي بن عيسى ولم يعلم ان الله تعالى لو لم يسهل له اكتسابها لما اجتمعت عنده وقال ابن عباس على علم عندي بصيغة الذهب واشار الى علم الكيميا وحكى النقاش ان موسى عليه السلام علمه الثلث من صنعة الكيميا ويوشع الثلث وهرون الثلث فخدعهما قارون وكان على ايمانه حتى علم ما عندهما وعمل الكيميا فكثرت امواله وقيل ان موسى علم الكيميا ثلاثة يوشع بن نون وطالوت وقارون واختار الزجاج القول الاول وانكر قول من قال انه يعمل الكيميا باطل لا حقيقة لها وقيل ان موسى علم اخته علم الكيميا وكانت زوجة قارون وعلمت اخت موسى قارون فالله اعلم قوله تعالى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون من قبله اي بالعذاب من القرون اي الامم الخالية الكافرة

الوليد بن مروان كان يعمل الكيميا

تحمل سوا اذا ركب على سبعين بغلا

من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي للمال ولو كان المال يدل على فضل لما اهلكهم وقيل القوة والالات والجمع
والاعوان والانصار والكلام خرج مخرج التقريع من الله تعالى لقرون اولم يعلم ان الله قد اهلك من
قبله من القرون ولا يسال عن ذنوبهم المجرمين اي لا يسالون استعتابا كما قال وهم لا يستعتبون
وما هم من المعتبين وانما يسال سوال التقريع وتوبيخ لقوله فوربك لنسالنهم اجمعين قال الحسن
وقال مجاهد لا تسال الملائكة غدا عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم فانهم يحشرون سود الوجوه
وقال قتادة لا يسال المجرمين عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها بل يدخلون النار بلا حساب وقيل لا
يسال مجرموا هذه الامة عن ذنوبهم الامم الخالية الذين عذبوا في الدنيا وقيل اهلك من اهلك من القرون
على علم منه بذنوبهم فلم يحتج الى مسالتهم عن ذنوبهم **قوله تعالى** فخرج على قومه في زينته قال
الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم اي على بني اسرائيل فيما
راه زينة من متاع الحياة الدنيا من الثياب والدواب والتجمل في يوم عيد الخزنوي في يوم السبت
في زينته اي مع زينته قال ——— شعر

اذا ما قلوب القوم طارت مخافة ... من الموت ارسوا بالنفوس النواجد

اي مع النفوس وكان خرج في سبعين الفا من تبعه عليهم المعصفرات وكان اول من صبغ الثياب المعصفرة
السدي مع الف جواد بيض بسروج من ذهب على قطف الارجوان قال ابن عباس خرج على البغال الشهب
مجاهد على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليهم المعصفرات وكان ذلك اول يوم راي فيه المعصفر
قتادة خرج على اربعة الاف دابة عليهم ثياب حمر منها الف بغل ابيض عليها قطف حمر ابن جريج خرج على
بغلة شهباء عليها الارجوان ومعه ثلثمائة جارية على البغال الشهب عليهن ثياب الحمر ابن زيد خرج في
سبعين الفا عليهم المعصفرات الكلبي خرج في ثوب كان الله انزله على موسى من الجنة فسرقه منه قارون
وقال جابر بن عبد الله رض كانت زينته القرمز قلت القرمز صبغ احمر مثل الارجوان والارجوان في اللغة
صبغ احمر ذكره القشيري قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ
عظيم اي نصيب وافر من الدنيا ثم قيل هذا من قول مومني ذلك الوقت تمنوا مثل ماله رغبة في الدنيا
وقيل هو من قول اقوام لم يرغبوا في الاخرة وهم الكفار **قوله تعالى** وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون اوتوا العلم وهم احبار بني
اسرائيل للذين تمنوا ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون اي لا يوتى الاعمال
الصالحة او لا يوتى الجنة في الاخرة الا الصابرون على طاعة الله وجاز ضميرها لان المعنية بقوله ثواب الله
قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان
من المنتصرين قال مقاتل لما امر موسى الارض فابتلعته قالت بنو اسرائيل انما اهلكه ليرث ماله لانه كان
ابن عمه اخي ابيه فخسف الله تعالى بداره وجميع امواله بعده بثلاثة ايام واوحى الى موسى اني لا اعيد
طاعة الارض الى احد بعدك يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسف الله به الارض
خسفا اي غاب به فيها ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في الارض وخسف به وخسوف
القمر كسوفه قال ثعلب كسفت الشمس وخسف القمر هذا اجود الكلام والخسف النقصان يقال رضي فلان
بالخسف اي بالنقيصة فما كان له من فئة اي جماعة وعصابة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين
لنفسه اي الممتنعين مما نزل به من الخسف فيروي ان قارون يسفل كل يوم بقدر قامة حتى اذا بلغ قعر
الارض السفلى نفخ اسرافيل في الصور وقد تقدم والله اعلم **قوله تعالى** واصبح الذين تمنوا مكانه
بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف
بنا ويكانه لا يفلح الكافرون اي صاروا يتندمون على ذلك التمني ويقولون ويكان الله حري
تندم قال النحاس واحسن ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه ويونس والكسائي ان القوم تنبهوا او نبهوا
فقالوا وي والمتندم من العرب يقول في حال ندمه وي قال الجوهري وي كلمة تعجب ويقال ويك و وي
لعبد الله وقيل تدخل وي على كان المخففة والمشددة تقول ويكان الله الخليل وهي مفصولة تقول وي
ثم تبتدي فتقول كان الثعلبي وقال الفراء هي كلمة تقرير كقولك اما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر
ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت اي اما ترينه وقال ابن عباس والحسن

اول من صبغ الثياب المعصفرة

وي كلمة ابتداء وتحقيق تقديره ان الله يبسط الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة الا في قولك الا تفعل واما في قوله
اما بعد قال الشاعر

سالتاني الطلاق اذ راتاني ... قل مالي قد جئتماني بنكر
وي كان من يكن له نشب يحبب ... ومن يفتقر يعش عيش ضر

وقال قطرب انما هو ويلك فاسقطت لامه وضمت الكاف التي هي للخطاب الى وي قال عنترة شعر

ولقد شفا نفسي وابرا سقمها ... قول الفوارس ويك عنتر اقدم

وانكره النحاس وغيره وقالوا ان المعنى لا يصح عليه لان القوم لم يخاطبوا احدا فيقولوا له ويلك ولو كان كذلك
لما كان انه بالكسر وايضا فان حذف اللام من ويلك لا يجوز وقال بعضهم التقدير ويلك اعلم انه اضمر فاضمر اعلم ابن
الاعرابي ويك ان الله اي اعلم وقيل معناه الم تر ان الله وقال القتبي معناه رحمة له بلغة حمير الكسائي
وي صلة وفيه معنى التعجب وروي عنه ايضا الوقف على وي وقال كلمة تفجع ومن قال ويك فوقف على
الكاف حرف خطاب لا اسما لان وي ليست مما يضاف وانما كتبت متصلة لانها لما كثر استعمالها جعلت
مع ما بعدها كشي واحد لولا ان من الله علينا بالايمان والرحمة وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر
والبغي لخسف بنا وقرا الاعمش لولا ان من الله وقرا حفص لخسف مسمى الفاعل الباقون على ما لم يسم فاعله وهو اختيار
ابي عبيد لان في حرف عبد الله لانخسف بنا كما تقول انطلق بنا وكذلك قرا الاعمش وطلحة بن مصرف واختار قراءة
الجماعة ابو حاتم لوجهين احدهما قوله فخسفنا به وبداره الارض والثاني قوله لولا ان من الله علينا فهو بان يضاف
الى الله لقرب اسمه منه اولى ويك انه لا يفلح الكافرون عند الله **قوله تعالى** تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين الدار الاخرة يعني الجنة وقال
ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض اي رفعة وتكبرا على الايمان والمومنين ولا فسادا عملا بالمعاصي قاله ابن جريج ومقاتل وقال
عكرمة ومسلم البطين الفساد اخذ المال بغير حق وقال الكلبي الدعا الى غير عبادة الله وقال يحيى بن سلام هو قتل الانبيا
والمرسلين والمومنين والعاقبة للمتقين قال الضحاك الجنة وقال ابو معاوية الذين لا يريدون علوا هو من لم
يجزع من ذلها ولم ينافس في عزها وارفعهم عند الله اشدهم تواضعا واعزهم غدا الزمهم لذل اليوم وروي
سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن ابي خالد قال مر علي بن الحسين وهو راكب على مساكين ياكلون كسر الهم
فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فتلى هذه الاية للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ثم نزل فاكل معهم ثم
قال قد اجبتكم فاجيبوني فحملهم الى منزله فاطعمهم وكساهم وصرفهم خرجه الطبراني ابو القاسم سليمان بن
احمد قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثني ابي قال حدثنا سفيان بن عيينة فذكره وقيل لفظ الدار
الاخرة تشمل الثواب والعقاب والمراد انما ينتفع بتلك الدار من اتقى ومن لم يتق فتلك الدار عليه لا له لانها
تضره ولا تنفعه **قوله تعالى** من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون تقدم في النمل وقال عكرمة ليس شي خير من لا اله الا الله وانما
المعنى من جاء بلا اله الا الله فله منها خير ومن جاء بالسيئة اي الشرك فلا يجزي الذين عملوا السيئات الا ما كانوا
يعملون اي يعاقب بما يليق بعمله **قوله تعالى** ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد
قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ختم السورة ببشارة النبي صلى الله عليه وسلم برده الى مكة
قاهرا لاعدائه وقيل هو بشارة بالجنة والاول اكثر وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم قال
القتبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود وقال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلا مهاجرا في غير الطريق
مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل الجحفة عرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فقال له جبريل ان الله يقول
ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اي الى مكة ظاهرا عليها قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالجحفة
ليست مكية ولا مدنية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس الى معاد قال الى الموت وعن مجاهد ايضا وعكرمة والزهري
والحسن ان المعنى لرادك الى يوم القيامة وهو اختيار الزجاج يقال بيني وبينك المعاد اي يوم القيمة
لان الناس يعودون فيه احياء وفرض معناه انزل وعن مجاهد ايضا وابي مالك وابي صالح الى الجنة وهو قول
ابي سعيد الخدري وابن عباس ايضا لانه دخلها ليلة الاسرا وقيل لان اباه ادم خرج منها قل ربي اعلم اي قل للكفار
مكة اذ قالوا انك لفي ضلال ربي اعلم بمن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين انا ام انتم **قوله تعالى**
وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين اي ما علمت

انا نرسلك الي الخلق ونرسل عليك القران الا رحمة من ربك قال الكسائي هو استثنا منقطع بمعني لكن فلا
تكونن ظهيرا للكافرين اي عونا لهم ومساعدا وقد تقدم في هذه السورة **قوله تعالى** ولا
يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الي ربك ولا تكونن من المشركين يعني اقوالهم وكذبهم
واذاهم ولا تلتفت نحوه وامض لامرك وشانك وقرا يعقوب يصدنك بجزم النون وقري يصدنك من
اصده بمعني صده وهي لغة في كلب وقال ــــــــ اناس

اصدوا الناس بالسيف عنهم … صدود السواقي عن الزق الحوايم

وادع الي ربك الي التوحيد وهذا يتضمن المهادنة والموادعة وهذا كله منسوخ باية السيف وسبب هذه الاية
ما كانت تدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الي تعظيم اوثانهم وعند ذلك القي الشيطان في امنيته امر الغرانيق
علي ما تقدم والله اعلم **قوله تعالى** ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شي هالك الا وجهه
له الحكم واليه ترجعون اي لا تعبد معه غيره فانه لا اله الا هو نفي لكل معبود واثبات لعبادته كل شي هالك الا
وجهه قال مجاهد الا هو وقال الصادق دينه وقال ابو العالية وسفيان اي الا ما اريد به وجهه اي ما يقصد اليه بالقربة
قال ــــ

استغفر الله ذنبا لست محصيه … رب العباد اليه الوجه والعمل

وقال محمد بن يزيد حدثني الثوري قال سالت ابا عبيدة عن قوله كل شي هالك الا وجهه فقال الا جاهه كما تقول
لفلان وجه في الناس اي جاه له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون قال الزجاج وجهه منصوب
علي الاستثنا ولو كان في غير القران كان الا وجهه بالرفع بمعني كل شي غير وجهه هالك كما قال ــــ

وكل اخ مفارقه اخوه … لعمر ابيك الا الفرقدان

والمعني وكل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه واليه ترجعون بمعني وترجعون اليه ختمت السورة والحمد لله والمنة

تفسير سورة العنكبوت

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر بن عبد الله ومدنية كلها في احد قولي ابن عباس وقتادة وفي القول
الاخر لهما وهو قول يحيى بن سلام مكية الا عشر ايات من اولها فانها نزلت بالمدينة في شان من كان من المسلمين
بمكة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه نزلت بين مكة والمدينة وهي تسع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون تقدم القول في اوائل السور وقال ابن عباس المعني انا
الله اعلم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم للقران احسب استفهام واريد به التقرير والتوبيخ ومعناه الظن ان يتركوا
في موضع نصب بحسب وهي وصلتها مقام المفعولين علي قول سيبويه وان الثانية من ان يقولوا في موضع نصب
علي احدي جهتين بمعني لان يقولوا او بان يقولوا او علي ان يقولوا والجهة الاخري ان يكون علي التكرير التقدير
الم احسب الناس ان يتركوا احسبوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون قال ابن عباس وغيره يريد بالناس قوما من المومنين
كانوا بمكة وكان الكفار من قريش يوذونهم ويعذبونهم علي الاسلام كسلمة بن هشام وعياش ابن ابي ربيعة
والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وياسر ابيه وسمية امه وعدة من بني مخزوم وغيرهم وكانت صدورهم
تضيق لذلك وربما استنكر ان يمكن الله الكفرة من المومنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الاية مسلية ومعلمة
ان هذه هي سيرة الله في عباده اختيارا للمومنين وفتنة قال ابن عطية وهذه الاية وان كانت نزلت بهذا السبب
او ما في معناه من الاقوال فهي باقية في امة محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتنة من
الله تعالى باق في ثغور المسلمين بالاسر ونكاية العدو وغير ذلك واذا اعتبر ايضا كل موضع ففيه ذلك بالامراض
وانواع المحن ولكن التي تشبه نازلة المسلمين المومنين مع قريش هي ما ذكرناه من امر العدو في كل ثغر قلت
ما احسن ما قال ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه وقال مقاتل نزلت في مهجع مولي عمر بن الخطاب كان اول
قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يوميذ سيد
الشهداء مهجع وهو اول من يدعي الي باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته فنزلت الم احسب
الناس وقال الشعبي نزلت مفتتح هذه السورة في اناس كانوا بمكة من المسلمين فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم من الحديبية انه لا يقبل منكم اقرار ولا اسلام حتي تهاجروا فخرجوا فاتبعهم المشركون فاذوهم فنزلت فيهم هذه
الاية الم احسب الناس ان يتركوا فكتبوا اليهم نزلت فيكم اية كذا فقالوا نخرج وان اتبعنا احد قاتلناه فاتبعهم

سبب النزول

المشركون

المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فنزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وهم لا يفتنون
يمتحنون اي اظن الذين جزعوا من اذي المشركين ان يقنع منهم ان يقولوا انا مومنون ولا يمتحنون في ايمانهم
وانفسهم واموالهم بما يتبين به حقيقة ايمانهم **قوله تعالى** ولقد فتنا الذين من قبلهم اي
ابتلينا الماضين كالخليل القي في النار وكقوم نشروا بالمناشير في دين الله فلم يرجعوا عنه روي البخاري عن
خباب الارت قال شكونا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر
لنا الا تدعو لنا [illegible] فيجعل فيها فيجا بالمنشار فيوضع علي راسه فيجعل نصفين
ويمشط بامشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتي يسير الراكب
من صنعا الي حضرموت لا يخاف الا الله والذيب علي غنمه ولكنكم تستعجلون وخرج ابن ماجة عن ابي سعيد الخدري
قال دخلت علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو موعوك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف
فقلت يا رسول الله ما اشدها قال انا كذلك يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الاجر قلت يا رسول الله اي الناس اشد
بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلي بالفقر حتي ما يجد الا العباءة يحويها وان كان
احدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح احدكم بالرخاء وروي سعيد ابن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد
بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلي الرجل علي حسب دينه وان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه
رقة ابتلي علي حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتي يتركه يمشي علي الارض ما عليه من خطيية وروي عبد
الرحمن بن زيد ان عيسي عليه السلام كان له وزير فركب يوما فاخذه السبع فاكله فقال عيسي يا رب
وزيري في دينك وعوني علي بني اسرايل وخليفتي فيهم سلطت عليه كلبا فاكله قال نعم كانت له عندي
منزلة رفيعة لم اجد عمله يبلغها فابتليته بذلك لابلغه تلك المنزلة وقال وهب قرات في كتاب رجل من
الحواريين اذا سلك بك سبيل البلاء فقر عينا واذا سلك بك سبيل الرخاء فابك علي نفسك فقد خولف
بك عن سبيلهم **قوله تعالى** فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليبين الله الذين
صدقوا في ايمانهم وقد مضي هذا المعني في البقرة وغيرها قال الزجاج ليعلم صدق الصادق بوقوع صدقه
منه وقد علم الصادق من الكاذب قبل ان يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازي عليه وانما يعلم صدق
الصادق واقعا كاينا وقوعه وقد علم انه سيقع وقال النحاس فيه قولان احدهما ان يكون صدقوا مشتقا
من الصدق والكاذبين مشتقا من الكذب الذي هو ضد الصدق ويكون المعني فليبين الله الذين صدقوا
فقالوا نحن مومنون واعتقدوا مثل ذلك والذين كذبوا حين اعتقدوا غير ذلك والقول الاخر ان يكون صدقوا
مشتقا من الصدق وهو الصلب والكاذبين مشتقا من كذب اذا انهزم فيكون المعني فليعلمن الله الذين
ثبتوا في الحرب والذين انهزموا كما قال ــــ الشاعر

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا … ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

فجعل ليعلمن في موضع ليبين مجازا وقراءة الجماعة فليعلمن الله بفتح الياء واللام وقرا علي بن ابي طالب
بضم الياء وكسر اللام وهي تبين معني ما قاله النحاس ويحتمل ثلاثة معان الاول ان يعلم في الاخرة هاولاء
الصادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه وباعمالهم في الدنيا بمعني يوقفهم علي ما كان منهم الثاني
ان يكون المفعول الاول محذوفا تقديره فليعلمن الناس والعالم هاولاء الصادقين والكاذبين اي يفضحهم
ويشهرهم هاولاء في الخير وهاولاء في الشر وذلك في الدنيا والاخرة الثالث ان يكون ذلك من العلامة
اي يضع لكل طايفة علامة يشتهر بها فالاية علي هذا تنظر الي قول النبي صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة البسه
الله رداءها **قوله تعالى** ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا ساء ما يحكمون
السيات اي الشرك ان يسبقونا اي يفوتونا ويعجزونا قبل ان نواخذهم بما يفعلون قال ابن عباس يريد الوليد
بن المغيرة وابا جهل والاسود والعاصي بن هاشم وشيبة وعتبة وعقبة بن ابي معيط وحنظلة ابن ابي
سفيان والعاصي بن وايل ساء ما يحكمون اي بيس الحكم حكموا في صفات ربهم انه مسبوق والله القادر
علي كل شي قدير وما في موضع نصب بمعني ساء شيا او حكما يحكمون ويجوز ان يكون ما في موضع رفع بمعني
ساء الشي او الحكم حكمهم وهذا قول الزجاج وقدرها ابن كيسان تقديرين اخرين خلاف ذينك احدهما
ان يكون موضع ما يحكمون بمنزلة شي واحد كما تقول اعجبني ما صنعت اي صنيعك فما والفعل مصدر في موضع
رفع التقدير ساء حكمهم والتقدير الاخر ان يكون ما لا موضع لها من الاعراب وقد قامت مقام الاسم

تبتلي الرجل علي حسب

لسا وكذلك نعم وبئس قال ابو الحسن بن كيسان وانا اختار ان اجعل لها موضعا في كل ما اقدر نحو قوله عز وجل فبما رحمة من الله وكذا فبما نقضهم ميثاقهم وكذا ايما الاجلين في موضع خفض في هذا كله وما بعدها تابع لها وكذا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة ما في موضع نصب وبعوضة تابعة لها **قوله تعالى** من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم يرجو بمعنى يخاف من قول الهذلي في وصف عسال

اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها

واجمع اهل التفسير على ان المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملا صالحا فانه لا بد ان يأتيه ذكره النحاس الزجاج معنى يرجوا لقاء الله ثواب الله ومن في موضع رفع بالابتداء وكان في موضع الخبر وهي في موضع جزم بالشرط ويرجوا في موضع خبر كان والمجازاة فان اجل الله لآت وهو السميع العليم **قوله تعالى** ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين اي ومن جاهد في الدين وصبر على قتال الكفار واعمال الطاعات فانما يسعى لنفسه اي ثواب ذلك له ولا يرجع الى الله نفع من ذلك ان الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم وقيل المعنى من جاهد عدوه لنفسه لا يريد وجه الله فليس لله حاجة بجهاده **قوله تعالى** والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون الذين امنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اي لنغطينها عنهم بالمغفرة لهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم وهو الطاعات ثم قيل يحتمل ان يكفر عنهم كل معصية عملوها في الشرك ويثابوا على ما عملوا من حسنة في الاسلام ويحتمل ان يكفر عنهم سيئاتهم في الكفر والاسلام ويثابوا على حسناتهم في الكفر والاسلام **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين نزلت في سعد ابن ابي وقاص فيما روى الترمذي قال نزلت في اربع ايات فذكر قصة فقالت ام سعد قد امر الله بالبر والله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اموت او تكفر قال فكانوا اذا ارادوا ان يطعموها سجروا فاها فنزلت هذه الاية ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي الاية قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وروي عن سعد انه قال كنت برا بامي فاسلمت فقالت لتدعن دينك او لا اكل ولا اشرب حتى اموت فتعير بي ويقال يا قاتل امه وبقيت يوما ثم يوما فقلت يا اماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فان شئت فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما رأت ذلك اكلت ونزلت وان جاهداك لتشرك بي وقال ابن عباس نزلت في عياش ابن ابي ربيعة اخي ابي جهل لامه وقد فعلت امه مثل ذلك وعنه ايضا نزلت في جميع الامة اذ لا يصبر على بلاء الله الا صديق وحسنا نصب عند البصريين على التكرير اي ووصيناه حسنا وقيل هو على القطع تقديره ووصيناه بالحسن كما تقول وصيته خيرا اي بالخير وقال اهل الكوفة تقديره ووصينا الانسان ان يفعل حسنا فيقدر له فعل قال الشاعر

عجبت من دهماء اذ تشكونا ... ومن ابي دهماء اذ يوصينا

خيرا بها كانما خافونا

اي يوصينا ان نفعل بها خيرا كقوله فطفق مسحا اي يمسح مسحا وقيل تقديره ووصيناه امرا ذا حسن فاقيمت الصفة مقام الموصوف وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه الزمناه حسنا وقراءة العامة حسنا بضم الحاء واسكان السين وقرا ابو رجا وابو العالية والضحاك بفتح الحاء والسين وقرا الجحدري احسانا على المصدر وكذلك في مصحف ابي التقدير ووصينا الانسان ان يحسن اليهما احسانا ولا ينتصب بوصينا لانه قد استوفى مفعوليه الي مرجعكم وعيد في طاعة الوالدين في معنى الكفر فانبئكم بما كنتم تعملون والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين مبالغة على معنى في الذين هم في نهاية الصلاح وابعد غاياته واذا تحصل للمؤمن هذا الحكم تحصل ثمرة وجزاؤه وهو الجنة **قوله تعالى** ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين نزلت في المنافقين كانوا يقولون امنا بالله فاذا اوذوا في الله جعلوا فتنة الناس اي اذاهم كعذاب الله في الاخرة فارتد عن ايمانه وقيل جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الاذية في الله ولئن جاء نصر من ربك المؤمنين ليقولون هؤلاء المرتدين انا معكم وهم كاذبون فقال الله لهم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين يعني الله اعلم بما في صدورهم منهم بانفسهم قال

فقالت لتدعن دينك او لا اكل ولا اشرب حتى اموت

مجاهد

مجاهد نزلت في ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الله او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال الضحاك نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك وقال عكرمة كان قوم قد اسلموا فاكرههم المشركون على الخروج معهم الى بدر فقتل الله بعضهم فانزل الله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فكتب بها المسلمون الى المدينة الى المسلمين بمكة فخرجوا فلحقهم المشركون فافتتن بعضهم فنزلت هذه الاية فيهم وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة اسلم وهاجر ثم اوذي وضرب فارتد وانما عذبه ابو جهل والحارث وكانا اخويه لامه قال ابن عباس ثم عاش بعد ذلك بدهر وحسن اسلامه وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين قال قتادة نزل ذلك في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة **قوله تعالى** وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسالن يوم القيامة عما كانوا يفترون اتبعوا سبيلنا اي ديننا ولنحمل خطاياكم جزم على الامر قال الفراء والزجاج هو امر في تاويل الشرط والجزاء اي ان تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم كما قال

فقلت ادعي وادع فان اندى ... لصوت ان ينادي داعيان

اي ان دعوت دعوت قال المهدوي وجاء وقوع وانهم لكاذبون بعده على الحمل على المعنى لان المعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فلما كان الامر يرجع في المعنى الى الخبر اوقع عليه التكذيب كما يوقع على الخبر قال مجاهد قال المشركون من قريش نحن وانتم لا نبعث فان كان عليكم وزر فعلينا اي نحن نحمل عنكم ما يلزمكم والحمل هاهنا بمعنى الحمالة لا الحمل على الظهر وروي ان قائل ذلك الوليد بن المغيرة وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يعني ما يحمل عليهم من سيئات من ظلموه بعد فراغ حسناتهم وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في آل عمران قال ابو امامة الباهلي يؤتى بالرجل يوم القيامة وهو كثير الحسنات فلا يزال يقتص منه حتى تفنى حسناته ثم يطالب فيقول الله عز وجل اقتصوا من عبدي فتقول الملائكة ما بقيت له حسنات فيقول خذوا من سيئات المظلوم فاجعلوا عليه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال قتادة من دعا الى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيء ونظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون ونظير هذا قوله عليه السلام من سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء روي من حديث ابي هريرة وغيره وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى فاتبع عليه وعمل به فله مثل اجور من اتبعه لا ينقص من ذلك من اجورهم شيئا وايما داع دعا الى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها بعده فعليه مثل اوزار من عمل بها ممن اتبعه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا ثم قرا الحسن وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذا مرسل وهو معنى حديث ابي هريرة خرجه مسلم ونص حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان له مثل اوزار من اتبعه ولا ينقص من اوزارهم شيء وايما داع دعا الى هدى فاتبع فان له مثل اجور من اتبعه ولا ينقص من اجورهم شيء خرجه ابن ماجة في السنن وفي الباب عن ابي جحيفة وجرير وقد قيل ان المراد اعوان الظلمة وقيل اصحاب البدع اذا اتبعوا عليها وقيل محدثوا السنن الجائرة اذا عمل بها من بعدهم والمعنى متقارب والحديث يجمع ذلك كله **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون ذكر قصة نوح تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم اي ابتلي النبيون قبلك بالكفار فصبروا وخص نوحا بالذكر لانه اول رسول ارسل الى الارض وقد امتلات كفرا على ما تقدم بيانه في هود وانه لم يلق نبي من قومه ما لقي نوح على ما تقدم في هود عن الحسن وروى قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح قال قتادة وبعث من الجزيرة واختلف في مبلغ عمره فاذكره الله في كتابه قال قتادة لبث فيهم قبل ان يدعوهم ثلثمائة سنة ودعاهم ثلثمائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة وقال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وعنه ايضا بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة ولبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان مائتي سنة وقال وهب عمر نوح الفا واربعمائة وقال كعب الاحبار لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان سبعين عاما فكان مبلغ عمره الف سنة وعشرين عاما ولبث في قومه

وعشرين عاما وقال عون بن ابي شداد بعث نوح وهو ابن خمسين وثلثماية سنة ولبث في قومه الف سنة
الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ثلثماية وخمسين عاما فكان مبلغ عمره الف سنة وستماية سنة
وخمسين سنة ونحوه عن الحسن لما اتا ملك الموت نوحا ليقبض روحه قال يا نوح كم عشت في الدنيا
قال ثلثماية قبل ان ابعث والف سنة الا خمسين عاما في قومي وثلثماية وخمسين سنة بعد الطوفان
قال ملك الموت وكيف وجدت الدنيا قال نوح مثل دار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا وروي
من حديث انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث الله نوحا الى قومه بعثه وهو ابن خمسين وماتين
سنة فلبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وبقي بعد الطوفان خمسين وماتين سنة فلما اتاه ملك
الموت قال يا نوح يا اكبر الانبيا ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوات كيف رايت الدنيا قال مثل رجل بني له
بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الاخر وقد قيل دخل من احدهما وجلس هنيهة ثم خرج من الباب الاخر
وقال ابن الوردي بنى نوح بيتا من قصب فقيل له لو بنيت غير هذا فقال هذا كثير لمن يموت وقال ابو المهاجر
لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما في بيت من شعر فقيل له يا نبي الله ابن بيتا فيقول اموت اليوم
اموت غدا وقال وهب بن منبه مرت بنوح خمسماية سنة لم يقرب النسا وجلا من الموت وقال مقاتل
وجويبر ان ادم عليه السلام حين كبر ورق عظمه قال يا رب الى متى اكد واسعى قال يا ادم حتى يولد لك
ولد مختون فولد له نوح بعد عشرة ابطن وهو ابن الف سنة الا ستين عاما وقال بعضهم الا اربعين عاما فالله
اعلم فكان نوح ابن لامك بن متوشلح بن ادريس وهو خنوخ بن برد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم
وكان اسم نوح السكن وانما سمي السكن لان الناس بعد ادم سكنوا اليه فهو ابوهم وولد له سام وحام ويافث
فولد سام العرب وفارس والروم وفي كلها خير وولد حام القبط والسودان والبربر وولد يافث الترك
والصقالبة وياجوج وماجوج وليس من هولاء خير وقال ابن عباس في ولد سام بياض وادمة وفي ولد
حام سواد وبياض قليل وفي ولد يافث الصفرة والحمرة وكان له ولد رابع وهو كنعان الذي غرق
والعرب تسميه يام وسمي نوح نوحا لانه ناح على قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله فاذا كفروا
بكى وناح عليهم وذكر القشيري ابو القاسم عبد الكريم في كتاب التحبير له يروى ان نوحا عليه السلام كان
اسمه يشكر ولكن لكثرة بكائه على خطيئته اوحى الله تعالى اليه يا نوح كم تنوح فسمي نوحا فقيل يا رسول الله فاي شي
كان خطيئته فقال انه مر بكلب فقال في نفسه ما اقبحه فاوحى اليه اخلق انت احسن من هذا وقال يزيد الرقاشي
انما سمي نوحا لطول ما ناح على نفسه فان قيل فلم قال الف سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسعماية وخمسين
عاما ففيه جوابان احدهما ان المقصود به تكثير العدد وكان ذكره الالف في اللفظ اكثر في العدد الثاني
ما روي انه اعطي من العمر الف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما حضرته الوفاة
رجع في استكمال الالف فذكر الله سبحانه ذلك تنبيها على ان النقيصة كانت من جهته فاخذهم الطوفان
قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة المطر الضحاك الغرق وقيل الموت روته عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنه قول الشاعر
افناهم طوفان موت خارق
النحاس يقال لكل كثير مطيف بالجميع من مطر
او قتل او موت طوفان وهم ظالمون جملة في موضع الحال والف سنة منصوب على الظرف الا خمسين
عاما منصوب على الاستثناء من الموجب وهو عند سيبويه بمنزلة المفعول لانه مستغنى عنه كالمفعول فاما
المبرد ابو العباس محمد بن يزيد فهو عنده مفعول محض كانك قلت استثنيت زيدا اتفيه روى حسان بن
غالب بن نجيح ابو القاسم المصري حدثنا مالك بن انس عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جبريل يذاكرني فضل عمر فقلت له يا جبريل ما بلغ عمر قال لي يا محمد
لو لبثت معك ما لبث نوح في قومه ما بلغت لك فضل عمر ذكره الخطيب ابو بكر احمد بن ثابت البغدادي
وقال تفرد بروايته حسان بن غالب عن مالك وليس بثابت من حديثه قوله تعالى فانجيناه
واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين واصحاب السفينة معطوف على الهاء وجعلناها اية للعالمين
الهاء والالف في جعلناها للسفينة او للعقوبة او للنجاة ثلاثة اقوال قوله تعالى وابراهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون قال الكسائي وابراهيم
منصوب بانجينا يعني انه معطوف على الهاء واجاز ان يكون معطوفا على نوح والمعنى وارسلنا ابراهيم

وقال ثالث ان يكون منصوبا بمعنى واذكر ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اي افردوه بالعبادة واتقوه
اي اتقوا عقابه وعذابه ذلكم خير لكم اي من عبادة الاوثان ان كنتم تعلمون قوله تعالى انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين اوثانا اي اصناما قال ابو عبيدة الصنم ما يتخذ من فضة او ذهب
او نحاس والوثن من جص وحجارة الجوهري الوثن الصنم والجمع وثن واوثان مثل اسد واساد وتخلقون افكا
قال الحسن معنى تخلقون تنحتون فالمعنى انما تعبدون اوثانا وانتم تصنعونها وقال مجاهد الافك
الكذب فالمعنى تعبدون الاوثان وتخلقون الكذب وقرا ابو عبد الرحمن وتخلّقون وقري وتخلقون
من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقري افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا
نحو كذب ولعب والافك مخففا منه كالكذب واللعب ان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك
وباطل واوثانا نصب بتعبدون وما كافة ويجوز في غير القران رفع اوثان على ان يجعل ما اسما لان وتعبدون
صلته وحذفت الهاء لطول الاسم وجعلت اوثانا خبر ان فاما وتخلقون افكا فهو منصوب بالفعل لا غير وكذا لا
يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق اي اصرفوا رغبتكم في ارزاقكم الى الله فاياه فاسالوه ووحدوه
دون غيره وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم قيل هو من قول ابراهيم اي التكذيب عادة الكفار وليس على
الرسل الا التبليغ قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير
قراءة العامة بالياء على الخبر والتوبيخ لهم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم قال ابو عبيد لذكر الامم كانه قال
اولم ير الامم كيف وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي وخلف تروا بالتاء خطابا خلافا
لقوله وان تكذبوا وقد قيل وان تكذبوا خطاب لقريش من قول ابراهيم ثم يعيده يعني الخلق والبعث
وقيل المعنى اولم يروا كيف يبدئ الله الثمار فتحيى ثم تفنى ثم يعيدها ابدا وكذلك يبدأ خلق الانسان
ثم يهلكه بعد ان خلق منه ولدا وخلق من الولد ولدا وكذلك سائر الحيوان اي فاذا رايتم قدرته على الابتدا
والايجاد فهو القادر على الاعادة ان ذلك على الله يسير لانه اذا اراد امرا قال له كن فيكون قوله تعالى
قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شي قدير يعذب
من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض فانظروا كيف
بدا الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف السنتهم والوانهم وطبايعهم وانظروا الى مساكن القرون
الماضية وديارهم واثارهم كيف اهلكهم الله ليعلموا بذلك كمال قدرة الله ثم الله ينشئ النشاة الاخرة
وقرا ابو عمرو وابن كثير النشاءة بفتح الشين والمد عن ابي عمرو بن العلا ان الله على كل شي قدير يعذب من
يشا اي بعدله ويرحم من يشا بفضله واليه تقلبون ترجعون وتردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في
السما قال الفراء معناه ولا من في السما بمعجزين الله وهو غامض في العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني
وهو كقول حسان
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
اراد ومن يمدحه وينصره سواء فاضمر وقاله عبد الرحمن بن زيد ونظيره قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
اي من له والمعنى ان الله لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل السماء ان عصوه وقال قطرب ولا في السماء
لو كنتم فيها كما تقول لا يفوتني فلان بالبصرة ولا هاهنا بمعنى لا يفوتني بالبصرة لو صار اليها وقيل لا يستطيعون
هربا لا في الارض ولا في السما وقال المبرد المعنى ولا من في السماء على ان من ليس موصوله ولكن تكون نكرة وفي
السما صفة لها فاقيمت الصفة مقام الموصوف ورد ذلك علي بن سليمان وقال لا يجوز وقال من اذا كانت
نكرة فلا بد من وصفها وصفتها كالصلة ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة قال والمعنى ان الناس خوطبوا
بما يعقلون والمعنى لو كنتم في السما ما اعجزتم الله كما قال ولو كنتم في بروج مشيدة وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير ويجوز نصير بالرفع على الموضع وتكون من زائدة والذين كفروا بايات الله اي بالقران

او بما نصب من الادلة والاعلام اولئك يئسوا من رحمتي اي من الجنة ونسب الناس اليهم والمعنى او يئسوا
وهذه الايات اعترض بها تعالى تذكيرا وتحذيرا لاهل مكة ثم عاد الخطاب الى قصة ابراهيم فقال فما كان جواب
قومه حين دعاهم الى الله الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه ثم اتفقوا على تحريقه فانجاه الله من النار اي من اذى النار
ان في ذلك اي في انجائه من النار العظيمة حتى لم تحرقه بعد ما القي فيها لايات وقراءة العامة جواب بنصب
الباء على انه خبر كان واسم كان ان قالوا وقرأ سالم الافطس وعمرو بن دينار جوابُ بالرفع على انه اسم كان وان في موضع
الخبر نصبا وقال ابراهيم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا قرأ حفص وحمزة مودةَ بينِكم
وابن كثير وابو عمرو والكسائي مودةُ بينِكم والاعشى عن ابي بكر عن عاصم وابن وثاب والاعمش مودةٌ
بينَكم الباقون مودةً بينَكم واما قراءة ابن كثير ففيها ثلاثة اوجه ذكر الزجاج منها وجهين احدهما ان المودة
ارتفعت على خبر ان وتكون ما بمعنى الذين والتقدير ان الذين اتخذتموهم من دون الله اوثانا مودةُ بينِكم
والوجه الاخر ان يكون على اضمار مبتدأ اي هي مودة او تلك مودة بينكم والمعنى الفتكم واجتماعكم مودة
بينكم قال ابن الانباري اوثانا وقف حسن لمن رفع المودة باضمار ذلك مودة بينكم ومن رفع المودة على انها
خبر ان لم يقف والوجه الثالث الذي لم يذكره ان يكون مودة رفعا بالابتداء وفي الحياة الدنيا خبره واما اضافة
مودة الى بينكم فانه جعل بينكم اسما غير ظرف والنحويون يقولون جعله مفعولا على السعة وحكى سيبويه
يا سارق الليلة اهل الدار ولا يجوز ان يضاف اليه وهو ظرف لعلة ليس هذا موضع ذكرها ومن رفع
مودة ونونها فعلى معنى ما ذكر وبينكم بالنصب ظرفا ومن نصب مودة ولم ينونها جعلها مفعوله بوقوع الاتخاذ
عليها وجعل انما حرفا واحدا ولم يجعلها بمعنى الذي ويجوز نصب المودة على انه مفعول من اجلها كما تقول
جئتك ابتغاء الخير وقصدت فلانا مودة له بينكم بالخفض ومن نون مودة ونصبها فعلى ما ذكر بينكم بالنصب
من غير اضافة قال ابن الانباري ومن قرأ مودة بينكم ومودة بينكم لم يقف على الاوثان ووقف على الحيوة الدنيا
ومعنى الاية جعلتم الاوثان تتحابون عليها وعلى عبادتها في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا تتبرأ الاوثان من عبادها والرؤساء من السفلة كما قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقون ومأواكم النار وهو خطاب لعبدة الاوثان الرؤساء منهم والاتباع وقيل
يدخل فيه الاوثان كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قوله تعالى
فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم لوط اول من صدق ابراهيم حين راى النار عليه
بردا وسلاما قاله ابن اسحق آمن لوط بابراهيم وكان ابن اخيه وآمنت به سارة وكانت بنت عمه وقال اني مهاجر
الى ربي قال النخعي وقتادة الذي قال اني مهاجر الى ربي هو ابراهيم عليه السلام قال قتادة هاجر من كوثا
وهي قرية من سواد الكوفة الى حران ثم الى الشام ومعه ابن اخيه لوط بن هاران بن تارخ وامراته سارة
الكلبي هاجر من ارض حران الى فلسطين وهو اول من هاجر من ارض الكفر قال مقاتل هاجر ابراهيم
وهو ابن خمس وسبعين سنة وقيل ان الذي قال اني مهاجر الى ربي لوط عليه السلام ذكر البيهقي عن قتادة قال
قال اول من هاجر الى الله عز وجل باهله عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قتادة سمعت النضر بن انس يقول
سمعت ابا حمزة يعني انس بن مالك يقول خرج عثمان بن عفان ومعه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
ارض الحبشة فابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم فقدمت امراة من قريش فقالت يا محمد قد رايت
ختنك ومعه امراته قال على اي حال رايتهما قالت رايته قد حمل امراته على حمار من هذه الدابة وهو يسوقها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط قال البيهقي هذا في الهجرة
الاولى واما الهجرة الثانية الى الحبشة فهي فيما زعم الواقدي سنة خمس من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى ربي
الى رضى ربي والى حيث امرني انه هو العزيز الحكيم تقدم وتقدم الكلام في الهجرة في النساء وغيرها
قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم

لوطا اول من صدق ابراهيم عليه السلام حين راى النار عليه بردا وسلاما

وضاق

وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون
ووهبنا له اسحق ويعقوب اي من الله عليه بالاولاد فوهب له اسحاق ولدا ويعقوب ولد ولد وانما وهب له اسحق
من بعد اسمعيل ويعقوب من اسحاق وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فلم يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الا من
صلبه ووحد الكتاب لانه اراد المصدر كالنبوة والمراد التوراة والانجيل والفرقان فهو عبارة عن الجمع فالتوراة
انزلت على موسى من ولد ابراهيم والانجيل على عيسى من ولده والفرقان على محمد من ولده صلى الله عليه وسلم
وآتيناه اجره في الدنيا يعني اجتماع اهل الملل عليه قاله عكرمة وروى سفيان عن حميد بن قيس قال امر سعيد
بن جبير انسانا ان يسال عكرمة عن قوله جل ثناؤه وآتيناه اجره في الدنيا قال عكرمة اهل الملل كلها
تدعيه وتقول هو منا وقال سعيد بن جبير صدق وقال قتادة هو مثل قوله وآتيناه في الدنيا حسنة اي
عاقبة وعملا صالحا وثناء حسنا وذلك ان اهل كل دين يتولونه وقيل آتيناه اجره في الدنيا اي اكثر
الانبياء من ولده وانه في الآخرة لمن الصالحين ليس في الآخرة داخلا في الصلة وانما هو تبيين وقد مضى
في البقرة بيانه وكل هذا حث على الاقتداء بابراهيم في الصبر على الدين الحق قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه
قال الكسائي المعنى وانجينا لوطا او ارسلنا لوطا قال وهذا الوجه احب الي ويجوز ان يكون المعنى واذكر
لوطا اذ قال لقومه موبخا او محذرا ائنكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من العالمين ائنكم تقدم القراءة
في هذا وبيانها في سورة الاعراف وتقدم قصة لوط وقومه في الاعراف وهود ايضا وتقطعون السبيل قيل
كانوا قطاع الطريق قاله ابن زيد وقيل كانوا ياخذون الناس من الطرق لقضاء الفاحشة حكاه ابن شجرة وقيل
انه قطع النسل بالعدول عن النساء الى الرجال قاله وهب بن منبه اي استغنوا بالرجال عن النساء قلت ولعل الجميع
كان فيهم كانوا يقطعون الطريق لاخذ الاموال والفاحشة ويستغنون عن النساء بذلك وتاتون في ناديكم المنكر
النادي المجلس واختلف في المنكر الذي كانوا ياتونه فيه فقالت فرقة كانوا يحذفون الناس بالحصا ويستخفون بالغريب
والخاطر عليهم وروت ام هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت ام هانئ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قول الله عز وجل في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون من يمر بهم ويسخرون منه فذلك المنكر الذي كانوا ياتونه
اخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وذكره النحاس والثعلبي والمهدوي والماوردي وذكر الثعلبي وقال
معاوية قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل قصعة فيها الحصا
للحذف فاذا مر بهم عابر قذفوه فايهم اصابه كان اولى به يعني يذهب به للفاحشة فذلك قوله ويأتون في
ناديكم المنكر وقالت عائشة وابن عباس والقاسم بن ابي بزة والقاسم بن محمد انهم كانوا يتضارطون في
مجالسهم وقال مجاهد ومنصور كانوا ياتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وعن مجاهد كان من امرهم
لعب الحمام وتطريف الاصابع بالحناء والصفير والحذف ونبذ الحياء في جميع امورهم قال ابن عطية وقد توجد
هذه الامور في بعض عصاة امة محمد صلى الله عليه وسلم فالتناهي واجب قال مكحول عشرة في هذه الامة من
اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار وتنقيض الاصابع والعمامة التي تلف حول الراس
والتشابك ورمي الجلاهق والصفير والحذف واللوطية الجلاهق البندق ومنه قوس الجلاهق وعن ابن
عباس ان قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة منها انهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضا
ويتضارطون في مجالسهم ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون المصبغات ويتناقرون بالديكة
ويتناطحون بالكباش ويطرفون اصابعهم بالحناء ويتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال ويضربون
المكوس على كل عابر ومع هذا كله كانوا يشركون بالله وهم اول من ظهر على ايديهم اللوطية والسحاق فلما
وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح رجعوا الى التكذيب واللجاج فقالوا ائتنا بالعذاب اي ان ذلك
لا يكون ولا يقدر عليه وهم لم يقولوا هذا الا وهم مصممون على اعتقاد كذبه وليس يصح في الفطرة ان
يكون معاند يقول هذا ثم استنصر لوط عليه السلام ربه فبعث عليهم ملائكة لعذابهم فجاؤوا ابراهيم
اولا مبشرين بنصرة لوط على قومه حسب ما تقدم بيانه في هود وغيرها وقرأ الاعمش ويعقوب وحمزة
والكسائي لننجينه واهله بالتخفيف وشدد الباقون وقرأ ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي انا
منجوك واهلك بالتخفيف وشدد الباقون وهما لغتان انجى ونجى بمعنى وقد تقدم وقرأ ابن عامر انا منزلون
بالتشديد وهي قراءة ابن عباس الباقون بالتخفيف وقوله ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون قال قتادة

هي الحجارة التي ابغيت وقال ابو العاليه وقيل انه يرجم بها قوم من هذه الامه وقال ابن عباس هي اثار منازلهم الخربة
وقال مجاهد هو الماء الاسود على وجه الارض فكل ذلك باق فلا ببعارض **قوله تعالى** والي مدين
اخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين اي وارسلنا الى مدين وقد تقدم ذكرهم وفسادهم في الاعراف
وهود وارجوا اليوم الاخر قال يونس النحوي اي اخشوا الاخرة التي فيها الجزاء على الاعمال ولا تعثوا في الارض

يقال عنكب وعنكبات قال الشاعر
كانما يسقط من لغامها   بيت عنكبات على زمامها
وقد حكي عن يزيد بن ميسرة ان العنكبوت شيطان مسخها الله تعالى وقال عطا الخراساني نسجت العنكبوت
مرتين مرة على داود حين كان جالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك نهي عن قتلها وروي
عن علي رضي الله عنه انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر ومنع الخمير

سمعت ابي رضي الله عنه يقول فاذا قررناه ونظرنا معناه فغير جائز ان يقول ان نفس صلاة العاصي تبعده عن الله
حتى كانها معصية وانما يخرج ذلك على انها لا تؤثر في تقريبه من الله بل تتركه في حاله ومعاصيه من الفحشاء
والمنكر تبعده فلم تزده الصلاة الا تقرير ذلك البعد الذي كان بسبيله فكانها بعدته حين لم يكف بعده
عن الله وقيل لابن مسعود ان فلانا كثير الصلاة فقال انها لا تنفع الا من اطاعها قلت وعلى الجملة فالمعنى المقصود
بالحديث لم تزده من الله الا بعدا ولم يزدد بها من الله الا مقتا اشارة الى ان مرتكب الفحشاء والمنكر لا قدر
لصلاته لغلبة المعاصي على صاحبها وقيل هو خبر بمعنى الامر اي لينته المصلي عن الفحشاء والصلاة بنفسها
لا تنهى ولكنها سبب الانتهاء وهو كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو
يتكلم بما كانوا به يشركون **الرابعة** قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم
اكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم قال معناه ابن مسعود وابن عباس وابو الدرداء وسلمان والحسن
وابو قرة وهذا اختيار الطبري وروي مرفوعا من حديث موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال في قول الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم وقيل ذكركم الله في صلاتكم
وفي قراءة القران افضل من كل شيء وقيل المعنى ان ذكر الله اكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء
والمنكر وقال الضحاك ولذكر الله عندما يحرم فيتركه اجل الذكر وقيل المعنى ولذكر الله للنهي عن الفحشاء والمنكر
اكبر اي كبير واكبر يكون بمعنى كبير وقال ابن زيد وقتادة معناه ولذكر الله اكبر من كل شيء اي افضل من
العبادات كلها بغير ذكر وقيل ذكر الله يمنع من المعصية فان من كان ذاكرا له لا يخالفه قال ابن عطية وعندي
ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذي منه في الصلاة
يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا من ذاكر الله مراقب له وثواب ذلك الذاكر
ان يذكره الله تعالى كما في الحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه
والحركات التي في الصلاة لا تاثير لها في نهي والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما ما
لا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى وذكر الله تعالى للعبد هو افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر
العبد ربه قال الله عز وجل فاذكروني اذكركم وباقي الاية ضرب من الوعيد والحث على المراقبة **قوله تعالى**
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به
وما يجحد باياتنا الا الكافرون فيه مسئلتان **الاولى** اختلف العلماء في قوله ولا تجادلوا اهل الكتاب
فقال مجاهد هي محكمة فتجوز مجادلة اهل الكتاب بالتي هي احسن على معنى الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه على حججه
واياته رجاء اجابتهم الى الايمان لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة وقوله على هذا الا الذين ظلموا منهم معناه ظلموكم
والا فكلهم ظلمة على الاطلاق وقيل المعنى لا تجادلوا من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب المؤمنين
كعبد الله بن سلام ومن امن معه الا بالتي هي احسن اي بالموافقة فيما حدثوكم به من اخبار اوائلهم وغير ذلك وقوله
على هذا التاويل الا الذين ظلموا يريد به من بقي على كفره كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم والاية على هذا
ايضا محكمة وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد قال من قاتلك ولم يعط الجزية فقاتله بالسيف وقيل هذه الاية
منسوخة باية القتال قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون قاله قتادة الا الذين ظلموا اي جعلوا لله ولدا وقالوا
يد الله مغلولة وان الله فقير فهؤلاء المشركون في سقوط الجزية فانتصروا قال النحاس وغيره من قال هي منسوخة
احتج بان الاية مكية ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول مجاهد لان احكام
الله تعالى لا يقال فيها انها منسوخة الا بخبر يقطع العذر او حجة من معقول واختار هذا القول ابن العربي
قال مجاهد وسعيد بن جبير وقوله الا الذين ظلموا منهم معناه الا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف
حتى يسلموا او يعطوا الجزية **الثانية** قوله تعالى وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم روى البخاري عن ابي هريرة
قال كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم وروى
عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسالوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا
اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل وفي البخاري عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش
بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن الكتاب وان كان مع

الله اكبر اي اكبر من كل شيء

ذلك لنبلو عليه الكذب **قوله تعالى** **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب**
المبطلون فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله الضمير في قبله عائد الى الكتاب وهو القران
المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم اي وما كنت يا محمد تقرا قبله ولا تختلف بل انزلناه اليك في غاية الاعجاز والتضمين
للغيوب وغير ذلك فلو كنت ممن يقرا القران ويخط حروفا لارتاب المبطلون اي من اهل الكتاب وكان لهم في
ارتيابهم متعلق وقالوا الذي نجده في كتبنا انه امي لا يكتب ولا يقرا وليس به قال مجاهد كان اهل الكتاب يجدون في
كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرا فنزلت هذه الاية قال النحاس دليلا على نبوته لقريش
لانه لا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن بمكة اهل الكتاب فجاءهم باخبار الانبياء والامم وزالت الريبة
والشك **الثانية** ذكر النقاش في تفسير هذه الاية عن الشعبي انه قال ما مات النبي صلى الله عليه وسلم
حتى كتب واسند ايضا حدثنا ابي كبشة السلولي مضمنه انه صلى الله عليه وسلم قرا صحيفة لعيينة بن حصين واخبر
بمعناها قال ابن عطية وهذا كله ضعيف وقول الباجي رحمه الله منه قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقع في صحيح
مسلم من حديث البراء في صلح الحديبية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المشركون لو نعلم انك رسول الله تابعناك في رواية بايعناك
ولكن اكتب محمد بن عبد الله فامر عليا ان يمحاها فقال علي والله لا امحاها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربني
مكانها فاراه فمحاها وكتب ابن عبد الله قال علماؤنا رضي الله عنهم ظاهر هذا انه عليه السلام محى تلك الكلمة
التي هي رسول الله بيده وكتب مكانها ابن عبد الله وقد رواه البخاري باظهر من هذا فقال فاخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكتاب فكتب وزاد في طريق اخرى ولا يحسن ان يكتب فقال جماعة بجواز هذا الظاهر عليه
وانه كتب بيده منهم السمناني وابو ذر والباجي وراوا ان ذلك غير قادح في كونه اميا ولا معارض لقوله
تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا لقوله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب بل راوه
زيادة في معجزاته واستظهارا على صدقه وصحة رسالته وذلك انه كتب من غير تعلم الكتابة ولا تعاطي لاسبابها
وانما اجرى الله على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله لمن قراها فكان ذلك خارقا للعادة
كما انه عليه السلام علم علم الاولين والاخرين من غير تعلم ولا اكتساب فكان ذلك ابلغ في معجزاته واعظم في فضائله
ولا يزول عنه اسم الامي بذلك ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة ولا يحسن ان يكتب فبقي عليه اسم الامي مع كونه قال كتب قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر وانكر كثير هذا من متفقهة الاندلس
وغيرهم وشددوا النكير عليه ونسبوا قائله الى الكفر وذلك دليل على عدم العلوم النظرية وعدم التوقف في
تكفير المسلمين ولم يتفطنوا لان تكفير المسلم كقتله على ما جاء به عنه عليه السلام في الصحيح لا سيما رمي
من شهد له اهل عصره بالعلم والفضل والامامة على ان المسئلة ليست قطعية بل مستندها ظواهر اخبار احاد صحيحة
غير ان العقل لا يحيلها وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها قال الشيخ رحمه الله وقال بعض المتاخرين من
قال هي اية خارقة فيقال له كانت تكون اية لا تنكر لولا انها مناقضة لاية اخرى وهو كونه اميا لا يكتب
وبكونه اميا في امة امية قامت الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فكيف يطلق الله تبارك وتعالى يده فيكتب
فتكون اية وانما الاية ان لا يكتب والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا وانما معنى كتب واخذ القلم اي امر من
يكتب به من كتابه وكان كتبة الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ستة وعشرين كاتبا **الثالثة** ذكر القاضي عياض
عن معاوية انه كان يكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق
السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم قال القاضي وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه
وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة قال الشيخ رحمه الله هذا هو الصحيح في الباب
انه ما كتب حرفا واحدا وانما امر من يكتب وكذلك ما قرا ولا تهجى فان قيل فقد تهجى النبي صلى الله عليه وسلم حين
حكى الدجال فقال مكتوب بين عينيه كفر وقلتم ان المعجزة قائمة في كونه اميا قال الله العظيم وما كنت تتلو
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية وقال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب فكيف هذا والجواب
ما نصه عليه السلام في حديث حذيفة والحديث في القران يفسر بعضه بعضا ففي حديث حذيفة يقرؤه كل مؤمن
كاتب وغير كاتب فقد نص في ذلك على غير الكاتب ممن يكون اميا وهذا من اوضح ما يكون جليا **قوله تعالى**
بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون بينات يعني القران قال الحسن
وزعم الفراء ان في قراءة عبد الله بل هي ايات بينات المعنى بل ايات القران ايات بينات قال ومثله هذا بصائر
ولو كانت هذه لجاز ونظيره هذا رحمة من ربي قال الحسن اعطيت هذه الامة الحفظ وكان من قبلها لا يقرؤون

كتابهم الا نظرا فاذا طبقوه لم يحفظوا ما فيه الا النبيون فقال كعب في صفة هذه الامة انهم حكما علماوهم
في الفقه انبيا في صدور الذين اوتوا العلم وهم اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم والمومنون به يحفظونه ويقرونه
ووصفهم بالعلم لانهم ميزوا بافهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين وقال قتادة وابن عباس بل
هو يعني محمدا صلي الله عليه وسلم ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب يجدونه مكتوبا
في كتبهم بهذه الصفة اميا لا يقرا ولا يكتب ولكنهم ظلموا انفسهم وكتموا وهذا اختيار الطبري
ودليل هذا القول قراة ابن مسعود وابن السميفع بل هذا ايات بينات وكان عليه السلام ايات
لا اية واحدة لانه دل علي اشيا كثيرة من امر الدين فلهذا قال الا الظالمون اي الكفار لانهم جحدوا نبوته
صلي الله عليه وسلم وما جا به **قوله تعالى** وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه قل انما الايات
عند الله وانما انا نذير مبين اية من ربه هذا قول المشركين لرسول الله صلي الله عليه وسلم ومعناه هلا انزلت
عليه اية من ربه كايات الانبيا قبل كما جا صالح بالناقة وموسي بالعصا وعيسي باحيا الموتي قل اي قل لهم
يا محمد انما الايات عند الله فهو ياتي بها كما يريد اذا شا ارسلها وليست عندي وانما انا نذير مبين وقرا ابن كثير
وابو بكر وحمزة والكسائي اية بالتوحيد وجمع الباقون وهو اختيار ابي عبيد لقوله قل انما الايات
قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري
لقوم يومنون هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه اي اولم يكف المشركين من الايات هذا الكتاب
المعجز الذي قد تحديتهم بان ياتوا بمثله او بسورة منه فعجزوا ولو اتيتهم بايات موسي وعيسي لقالوا سحر ونحن
لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة وقيل ان سبب نزول هذه الاية ما رواه
عبيبه عن عمرو بن دينار عن يحيي بن جعدة قال اتي النبي صلي الله عليه وسلم بكتف فيه كتاب فقال كفي بقوم ضلالة
ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الي ما جا به نبي غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فانزل الله تعالي اولم يكفهم انا
انزلنا عليك الكتاب الاية اخرجه الدارمي ابو محمد في مسنده وذكره اهل التفسير في كتبهم وفي مثل
هذا قال صلي الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لو كان موسي ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي وفي مثله قال
صلي الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران اي ليستغن به عن غيره وهذا تاويل البخاري رحمه الله في
الاية واذا كان لقاريه بكل حرف عشر حسنات واكثر علي ما ذكرناه في مقدمة الكتاب فالرغبة عنه الي
غيره ضلال وخسران وغبن وخسران ان في ذلك اي في القران لرحمة في الدنيا والاخرة وقيل رحمة في
الدنيا باستنقاذهم به من الضلالة وذكري في الدنيا بارشادهم به الي الحق لقوم يومنون **قوله تعالى**
قل كفي بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله
اولئك هم الخاسرون اي قل للمكذبين لك كفي الله شهيدا يشهد لي بالصدق فيما ادعيه من اني رسوله
وان هذا القران كتابه يعلم ما في السموات والارض اي لا يخفي عليه شي وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته
عليهم لانهم قد اقروا بعلمه فلزمهم ان يقروا بشهادته وكفروا بالله لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتابه
وقيل بل بما اشركوا من الاوثان واضافوا اليه من الاولاد والاضداد اولئك هم الخاسرون انفسهم واعمالهم
في الاخرة **قوله تعالى** ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمي لجاءهم العذاب وليأتينهم
بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين لما انذرهم
بالعذاب قالوا لفرط الانكار عجل لنا هذا العذاب وقيل ان قائل ذلك النضر بن الحارث وابو جهل حين قالا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما وقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
وقوله ولولا اجل مسمي في نزول العذاب قال ابن عباس يعني ما وعدتك لا اعذب قومك واوخرهم الي يوم
القيامة بيانه بل الساعة موعدهم وقال الضحاك مدة اعمارهم في الدنيا وقيل المراد بالاجل المسمي النفخة
الاولي قاله يحيي بن سلام وقال الوقت الذي قدره الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن شجرة وقيل هو القتل
يوم بدر وبالجملة فلكل عذاب اجل لا يتقدم عليه ولا يتاخر لقوله لكل نبا مستقر لجاءهم العذاب يعني
الذي استعجلوه وليأتينهم بغتة اي فجاة وهم لا يشعرون اي لا يعلمون بنزوله عليهم يستعجلونك
بالعذاب اي يستعجلونك وقد اعد لهم جهنم وانها ستحيط بهم لا محالة فما معني الاستعجال وقيل نزلت
في عبد الله ابن ابي امية واصحابه من المشركين حين قالوا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا
قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون

قل

قيل هو متصل بما هو قبله اي يوم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاذا غشيهم العذاب احاطت بهم
جهنم وانما قال من تحت ارجلهم للمقارنة والا فالغشيان من فوق قال

فاعلفتها تبنا وماء باردا   وقال اخر

لقد كان قواد الجياد الي العدا   عليهن غابت من قنى ودروع

ويقول ذوقوا قرا اهل المدينة والكوفة نقول بالنون والباقون بالياء واختاره ابو عبيد لقوله قل كفي بالله ويحتمل
ان يكون الموكل بهم يقول او قوا والقراتان ترجع الي معني اي يقول الملك بامرنا ذوقوا **قوله تعالى**
يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون هذه الاية نزلت في تحريض المومنين الذين
كانوا بمكة علي الهجرة في قول مقاتل والكلبي فاخبرهم تعالي بسعة ارضه وان البقاء في بقعة علي اذي الكفار
ليس بصواب بل علي ان يلتمس عبادة الله في ارضه مع صالحي عباده اي ان كنتم في ضيق من اظهار الايمان بها فهاجروا
الي المدينة فانها واسعة لاظهار التوحيد بها وقال ابن جبير وعطا ان الارض واسعة فهاجروا وجاهدوا
وقال مطرف بن الشخير المعني ان رحمتي واسعة وعنه ايضا ان رزقي لكم واسع فابتغوه في الارض قال سفيان
اذا كنت بارض غالية فانتقل الي غيرها تملا فيه جرابك خبزا بدرهم وقيل المعني ان ارضي التي ارض الجنة
واسعة فاعبدوني حتي اورثكموها فاياي فاعبدون اياي منصوب بفعل مضمر اي فاعبدوا اياي فاعبدون
فاستغني باحد الفعلين عن الثاني والفاء في قوله فاياي بمعني الشرط اي ان ضاق بكم موضع فاياي فاعبدوا
لان ارضي واسعة **قوله تعالى** كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا
وعلي ربهم يتوكلون تقدم في ال عمران وجاء ذكره هنا تحقيرا لامر الدنيا ومخاوفها كان بعض المومنين نظر
في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة انه يموت او يجوع ونحو هذا فحقر الله شان الدنيا اي انتم لا محالة
ميتون ومحشورون الينا فالبدار الي طاعة الله والهجرة اليه والي ما يمتثل ثم وعد المومنين العاملين
بسكني الجنة تحريضا منه تعالي وذكر الجزاء الذي ينالونه ثم نعتهم بقوله الذين صبروا وعلي ربهم يتوكلون
وقرا ابو عمرو ويعقوب والجحدري وابن ابي اسحاق وابن محيصن والاعمش وحمزة والكسائي وخلف يا عبادي
باسكان الياء وفتحها الباقون ارضي فتحها ابن عامر وسكنها الباقون وروي ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال من فر بدينه من ارض الي ارض ولو قيد شبر من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد
عليهما السلام ثم الينا ترجعون قرا السلمي وابو بكر عن عاصم يرجعون بالياء لقوله كل نفس ذائقة الموت
الباقون بالتاء لقوله يا عبادي الذين امنوا وانشد بعضهم شعر

الموت في كل حين ينشر الكفنا   ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تركنن الي الدنيا وزهرتها   وان توشحت من اثوابها الحسنا

اين الاحبة والجيران ما فعلوا   اين الذين هم كانوا لها سكنا

سقاهم الموت كاسا غير صافية   صيرهم تحت اطباق الثري رهنا

وقرا ابن مسعود والاعمش ويحيي بن وثاب وحمزة والكسائي لنثوينهم بالثاء مكان الباء من الثواء وهو الاقامة
اي لنعطينهم غرفا يثوون فيها وقرا رويس عن يعقوب والجحدري والسلمي ليبوئنهم بالياء مكان النون الباقون
لنبوئنهم اي لننزلنهم غرفا جمع غرفة وهي العلية المشرفة وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الافق من المشرق
او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلي والذي نفسي
بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان في الجنة لغرفا يري ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام اليه اعرابي فقال لمن هي يا رسول
الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلي لله بالليل والناس نيام وقد زدنا هذا المعني بيانا
في ابواب الجنة من كتاب التذكرة والحمد لله **قوله تعالى** وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم اسند الواحدي عن يزيد بن هرون قال حدثنا الجراح بن المنهال عن الزهري
وهو عبد الرحيم بن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي دخل بعض حيطان الانصار
فجعل يلتقط من التمر فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت لا اشتهيه يا رسول الله وهذه صبحة رابعة

في متاع الدنيا

لو اذق طعاما ولو شئت لدعوت ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم
يخبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال والله ما برحنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم
وهو السميع العليم قال الشيخ رحمه الله وهذا ضعيف بضعفه انه عليه السلم كان يدخر لاهله قوت سنتهم
اتفق عليه البخاري ومسلم وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة واهل اليقين والايمة لمن بعدهم
من المتقين المتوكلين وقد روى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمومنين بمكة حين اذاهم المشركون
اخرجوا الى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة قالوا ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من
يسقينا فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله اي ليس معها رزقها مدخرا وكذلك انتم يرزقكم الله في
دار الهجرة وهذا اشبه من القول الاول وتقدم الكلام في كاين وان هذه اي دخلت عليها كاف التشبيه
وصارت فيها معنى كم والتقدير عند الخليل وسيبويه كالعدد اي كشي كثير من العدد من دابة قال مجاهد يعني الطير
والبهايم تاكل بافواهها ولا تحمل شيا الحسن تاكل لوقتها ولا تدخر لغد وقيل لا تحمل رزقها اي لا تقدر على
رزقها الله يرزقها اينما توجهت واياكم وقيل الحمل معنى الحمالة وحكى النقاش ان المراد النبي صلى الله عليه وسلم ياكل
ولا يدخر قال الشيخ رحمه الله وليس بشي لاطلاق لفظ الدابة وليس مستعملا في العرف اطلاقها على الادمي
فكيف على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى هذا في النمل عند قوله واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من
الارض تكلمهم ان الناس قال ابن عباس الدواب وهو كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر الا ابن
ادم والنمل والفار وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها الله يرزقها
واياكم سوى بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين الجبول والعاجز حتى لا يغتر الجلد انه مرزوق
بجلده ولا يتصور العاجز انه ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق
توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو اخماصا وتروح بطانا وهو السميع لقولكم لا نجد ما ننفق بالمدينة
العليم بما في قلوبكم **قوله تعالى** ولين سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
ليقولن الله فاني يوفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له ان الله بكل شي عليم لما عير المشركون
المسلمين بالفقر وقالوا لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء وكان هذا تمويها وكان في الكفار فقراء ايضا ازال الله
هذه الشبهة وكذا قول من قال ان هاجرنا لم نجد ما ننفق فاذا اعترفتم بان الله خالق هذه الاشيا فكيف
تشكون في الرزق فمن بيده تكوين الكاينات لا يعجز عن رزق العبد ولهذا وصله بقوله الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له فاني توفكون اي كيف تكفرون بتوحيدي وتنقلبون عن عبادتي الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده اي لا يختلف امر الرزق بالايمان والكفر فالتوسيع والتقتير فلا تعيير بالفقر
فكل شي بقضاء وقدر ان الله بكل شي عليم من احوالكم واموركم وقيل عليم بما يصلحكم من اقتار او توسيع
قوله تعالى ولين سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل
الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو وان الدار الاخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون من السماء اي من السحاب مطرا فاحيا به الارض من بعد موتها اي جدبها وقحط اهلها ليقولن
الله اي فاذا اقررتم بذلك فلم تشركون به وتنكرون الاعادة واذا قدر على ذلك فهو القادر على اغنا المومنين
فكرر تاكيدا قل الحمد لله اي على ما اوضح من الحجج والبراهين على قدرته بل اكثرهم لا يعقلون اي لا يتدبرون
هذه الحجج وقيل الحمد لله على اقرارهم بذلك وقيل على انزال الماء واحيا الارض وما هذه الحياة الدنيا الا لهو
ولعب اي شي يلهى به ويلعب اي ليس ما اعطاه الله تعالى الاغنياء الا وهو يضمحل ويزول كاللهو الذي لا
حقيقة له ولا ثبات قال بعضهم الدنيا ان بقيت لك لن تبق لها وانشد

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت	وتحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة	وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره	فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا	وايقن ان الدايرات تدور

قال الشيخ رحمه الله وهذا كله في امور الدنيا من المال والجاه والملبس الزايد على الضروري الذي به قوام
العيش والقوة على الطاعات واما ما كان منها لله فهو من الاخرة وهو الذي يبقى كما قال ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام اي ما ابتغي به ثوابه ورضاه وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي دار الحياة الباقية

المتوكلون من المتوكل

في زوال الدنيا

التي لا تزول ولا موت فيها وزعم ابو عبيدة ان الحيوان والحياة والحي بكسر الحاء واحد كما قال
وقد ترى اذ الحياة حي وغيره تقول ان الحي جمع على فعول مثل عصا وعصي والحيوان يقع على كل شي حي والحيوان
عين في الجنة وقيل اصل حيوان حييان فابدلت احداهما واوا لاجتماع المثلين لو كانوا يعلمون انها كذلك
قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
في الفلك يعني السفن وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين اي صادقين في نياتهم وتركوا عبادة الاصنام ودعاها
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانا وقيل اشراكهم ان يقول
قايلهم لولا الله والرييس او الملاح لغرقنا فيجعلون ما فعل الله لهم من النجاة قسمة بين الله تعالى وبين خلقه
قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون قيل هما لام كي اي لكي يكفروا ولكي
يتمتعوا وقيل اذا هم يشركون ليكون ثمرة شركهم ان يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا وقيل هما لام امر معناه
التهديد والوعيد اي اكفروا بما اعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا ودليل هذا قراءة ابي وتمتعوا
ابن الانباري ويقوي هذا المذهب قراءة نافع والاعمش وحمزة وليتمتعوا بجزم اللام النحاس وليتمتعوا
لام كي ويجوز ان تكون لام امر لان اصل لام الامر الكسر الا انه امر فيه معنى التهديد ومن قرا وليتمتعوا باسكان
اللام لم يجعلها لام كي لان لام كي لا يجوز اسكانها وهي قراءة ابن كثير والمسيبي وقالون عن نافع والكساي
وحمزة وحفص عن عاصم الباقون بكسر اللام وقرا ابو العالية ليكفروا بما اتيناهم فيتمتعوا فسوف يعلمون
تهديد ووعيد **قوله تعالى** اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل
يومنون وبنعمة الله يكفرون قال عبد الرحمن بن زيد هي مكة وهم قريش امنهم الله تعالى بها ويتخطف الناس من
حولهم قال الضحاك يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا والخطف الاخذ بسرعة وقد مضى في القصص وغيرها
فاذكرهم الله هذه النعمة ليذعنوا له بالطاعة اي جعلت لهم حرما امنوا فيه من السبي والغارة والقتل وخلصتهم
في البر كما خلصتهم في البحر فصاروا يشركون في البر ولا يشركون في البحر فهذا التعجب من تناقض احوالهم افبالباطل
يومنون قال قتادة افبالشرك وقال يحيى بن سلام افبابليس وبنعمة الله بمحمد يكفرون قال ابن عباس افبعافية
الله وقال ابن شجرة افبعطا الله واحسانه وقال ابن سلام بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى وحكى
النقاش افبا طعامهم من جوع وامنهم من خوف يكفرون وهذا التعجب وانكار خرج مخرج الاستفهام
قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى
للكافرين اي لا احد اظلم ممن جعل لله شريكا وولدا واذا فعل فاحشة قال وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها
او كذب بالحق لما جاءه قال يحيى بن سلام بالقران السدي بالتوحيد ابن شجرة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقول
يتناول القولين اليس في جهنم مثوى للكافرين اي مستقر وهو استفهام تقرير **قوله تعالى**
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين اي جاهدوا الكفار فينا اي في طلب مرضاتنا
وقال السدي وغيره ان هذه الاية نزلت قبل فرض القتال قال ابن عطية فهي قبل الجهاد العرفي وانما هو
جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته قال الحسن بن ابي الحسن الاية في العباد وقال عباس وابراهيم بن ادهم
هي في الذين يعملون بما يعلمون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم ونزع بعض العلما
بقوله واتقوا الله ويعلمكم الله وقال عمر بن عبد العزيز انما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا
ولو عملنا ببعض ما علمنا لاورثنا علما لا تقوم به ابداننا وقال ابو سليمان الداراني ليس الجهاد في الاية قتال
الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعظمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الاكبر وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك اذا رايت
الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين واهل الثغور فان الله يقول لنهدينهم وقال الضحاك معنى الاية
والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الايمان ثم قال مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في
العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم وقال عبد الله بن عباس والذين
جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الاقوال ونحوه قول عبد الله
بن الزبير قال تقول الحكمة من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين ان يعمل باحسن ما يعلمه ويجتنب اسوا
ما يعلمه وقال الحسن بن الفضل فيه تقديم وتاخير الذين هديناهم الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يعني
طريق الجنة قاله السدي النقاش يوفقهم لطريق الحق وقال يوسف بن اسباط المعنى لنخلصين نيا نفوصد قاتهم

وصلوا انفهو وصيامهم وان الله لمع المحسنين لام كيد ودخلت في مع علي احد وجهين ان يكون اسما ولام التوكيد
انما تدخل علي الاسما او حرفا عليها الان فيها معني الاستقرار كما تقول ان زيدا لفي الدار ومع اذا اسكنت
فهي حرف لا غير واذا فتحت جاز ان يكون اسما وان يكون حرفا والاكثر جاء لمعني وتقدم معني الاحسان
والمحسن في البقرة وغيرها ∴ وهو سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية ومع
الجميع بالاحاطة والقدرة فبين المعيتين بون تمت السورة بحمد الله تعالي وعونه

تفسير سورة الروم

مكية كلها من غير خلاف وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالي

الم غلبت الروم في ادني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين روي الترمذي عن ابي
سعيد الخدري قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم علي فارس فاعجب ذلك المومنين ونزلت الم غلبت الروم في
ادني الارض وهم من بعد غلبهم الي قوله يفرح المومنون بنصر الله قال ففرح المومنون بظهور الروم
علي فارس قال هذا حديث غريب من هذا الوجه هكذا قرا نصر بن علي الجهضمي غلبت الروم في ادني الارض
ورواه ايضا من حديث ابن عباس بتمامه قال ابن عباس في قول الله عز وجل الم غلبت الروم في ادني الارض
قال غلبت وغلبت قال كان المشركون يحبون ان يظهر اهل فارس علي الروم لانهم واياهم اهل
اوثان وكان المسلمون يحبون ان يظهر الروم علي فارس لانهم اهل كتاب فذكروه لابي بكر فذكره ابو بكر لرسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال اما انهم سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلا فان ظهرنا
كان لنا كذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل اجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك للنبي صلي الله عليه
وسلم فقال الا جعلته الي دون قال اراه العشر قال قال ابو سعيد والبضع ما دون العشرة قال ثم ظهرت
الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت الروم الي قوله ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله قال سفيان سمعت
انهم ظهروا عليهم يوم بدر قال ابو عيسي هذا حديث حسن غريب صحيح ورواه ايضا عن نيار بن مكرم الاسلمي قال لما
نزلت الم غلبت الروم في ادني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وكانت فارس يوم نزلت هذه
الاية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وفي ذلك قول الله ويومئذ
يفرح المومنون بنصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور فارس عليهم لانهم واياهم ليسوا
باهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله هذه الاية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة
الم غلبت الروم في ادني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قال ناس من قريش لابي بكر فذلك
بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارسا في بضع سنين افلا نراهنك علي ذلك قال بلي وذلك
قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين
او تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ننتهي اليه قال فسموا بينهم ست سنين قال فمكث الست سنين
قبل ان يظهروا فاخذ المشركون رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم علي فارس فعاب
المسلمون علي ابي بكر تسمية ست سنين قال لان الله تعالي قال في بضع سنين قال واسلم عند ذلك ناس
كثير قال ابو عيسي هذا حديث حسن غريب صحيح وروي القشيري وابن عطية وغيرهما انه لما نزلت
الايات خرج ابو بكر بها الي المشركين فقال اسركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن الله تعالي انهم
سيغلبون في بضع سنين فقال له ابي بن خلف وامية اخوه وقيل ابو سفيان ابن حرب يا ابا فصيل
تعرضون بكنيته بالبكر فلنتناحب اي نتراهن في ذلك فراهنهم ابو بكر قال قتادة وذلك قبل ان يحرم
القمار وجعلوا الرهان خمس قلايص والاجل ثلاث سنين وقيل جعلوا الرهان ثلاث قلايص ثم اتي
النبي صلي الله عليه وسلم فاخبره فقال احتطت فان البضع ما بين الثلاث والتسع والعشر ولكن
ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الاجل ففعل ابو بكر فجعلوا القلايص مائة والاجل تسعة
اعوام فغلبت الروم في اثنا الاجل وقال الشعبي فظهروا في تسع سنين القشيري المشهور في الروايات
ان ظهور الروم كان في السابعة من غلبة فارس للروم ولعل رواية الشعبي تصحيف من السبع الي التسع
من النقلة وفي بعض الروايات انه جعل القلايص سبعة الي تسع سنين ويقال انه اخر فتوح كسري
ابرويز حتي فتح فيه القسطنطينية حتي بني فيها بيت النار فاخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم فساءه ذلك

خرج ابو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم

فانزل الله هاتين الايتين وحكي النقاش وغيره ان ابا بكر رضي الله عنه لما اراد الهجرة مع النبي صلي الله عليه
وسلم تعلق به ابي بن خلف وقال له اعطني كفيلا بالخطر ان غلبت فكفل به ابنه عبد الرحمن فلما اراد ابي
الخروج الي احد طلبه عبد الرحمن بالكفيل فاعطاه كفيلا ثم مات ابي بمكة من جرح جرحه النبي صلي الله عليه
وسلم وظهرت الروم علي فارس يوم الحديبية علي راس تسع سنين من مناحبتهم وقال الشعبي لم تمض تلك
المدة حتي غلبت الروم فارس وربطوا خيلهم بالمداين وبنوا رومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته
فقال له النبي صلي الله عليه وسلم تصدق به فتصدق به وقال المفسرون ان سبب غلبة الروم فارس امراة
كانت في فارس لا تلد الا الملوك والابطال فقال لها كسري اريد ان استعمل احد بنيك علي جيش اجهزه الي
الروم فقالت هذا هرمز اروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان احد من سنان وانفذ من نبل وهذا
شهربزان احلم من كذا فاختر فقال فاخترت الحليم وولاه فسار الي الروم باهل فارس فظهر علي الروم قال
عكرمة وغيره ان شهربزان لما غلب الروم خرب ديارها حتي بلغ الخليج فقال اخوه فرخان لقد رايتني جالسا
علي سرير كسري فكتب كسري الي شهربزان ارسل الي براس فرخان فلم يفعل فكتب كسري الي فارس اني قد استعملت
عليكم فرخان وعزلت شهربزان وكتب الي فرخان اذا ولي ان يقتل شهربزان فاراد فرخان قتل شهربزان
فاخرج له شهربزان ثلاثة صحايف من كسري يامره بقتل فرخان وراجعته ابدا في امرك ثم تقتلني انت
بكتاب واحد فرد الملك الي اخيه وكتب شهربزان الي قيصر ملك الروم فتعاونا علي كسري فغلبت الروم فارس
ومات كسري وجاء الخبر الي النبي صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح من معه من المسلمين فذلك قوله تعالي
الم غلبت الروم في ادني الارض يعني ارض الشام عكرمة باذرعات وهي ما بين بلاد العرب والشام وقيل ان
قيصر كان بعث يحنس وبعث كسري شهربزان فالتقيا باذرعات وبصري وهي ادني بلاد الشام الي ارض العرب
والعجم مجاهد بالجزيرة وهو موضع بين العراق والشام مقاتل بالاردن وفلسطين وادني معناه اقرب
قال ابن عطية فان كانت الواقعة باذرعات فهي من ادني الارض بالقياس الي مكة وهي التي ذكر امرؤ القيس
فهي ادني بالقياس الي ارض كسري وكانت بالاردن فهي ادني الي ارض الروم فلما طرا ذلك
وغلبت الروم وسر الكفار فبشر الله عباده بان الروم سيغلبون وتكون الدولة لهم في الحرب وقد مضي الكلام
في فواتح السور وقرا ابو سعيد الخدري وعلي ابن ابي طالب ومعاوية بن قرة غلبت بفتح الغين واللام وتاويل
ذلك ان الذي طرا يوم بدر انما كانت الروم غلبت فعز ذلك علي كفار قريش وسر بذلك المسلمون فبشر الله
عباده انهم سيغلبون ايضا في بضع سنين ذكره هذا التاويل ابو حاتم قال ابو جعفر النحاس قراءة اكثر الناس غلبت
بضم الغين وكسر اللام وروي عن ابن عمر وابو سعيد انهما قرا غلبت الروم وقرا سيغلبون وحكي ابو حاتم
ان عصمة روي عن هرون ان هذه قراءة اهل الشام واحمد بن حنبل يقول ان عصمة هذا ضعيف وابو حاتم
كثير الحكاية عنه والحديث يدل علي ان القراءة غلبت بضم الغين وكان في هذا الاخبار دليل علي نبوة محمد صلي الله
عليه وسلم لان الروم غلبتها فارس فاخبر الله عز وجل نبيه ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين وان المومنين
يفرحون بذلك لان الروم اهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذي اخبر الله عز وجل به مالم يكن وامر ابا بكر ان
يراهنهم علي ذلك وان يبالغ في الرهان بعد ونسخ بتحريم القمار قال ابن عطية والقراءة بضم الغين اصح واجمع
الناس علي سيغلبون انه بفتح الياء يراد به الروم وروي عن ابن عمر انه قرا ايضا بضم الياء في سيغلبون وفي
هذه القراءة قلب للمعني الذي تظاهرت الروايات به قال ابو جعفر النحاس ومن قرا سيغلبون فالمعني عنده
وفارس من بعد غلبهم اي من بعد ان غلبوا سيغلبون وروي ان ايقاع الروم بالفرس كان يوم بدر كما في حديث
ابي سعيد الخدري حديث الترمذي وروي ان ذلك كان يوم الحديبية وان الخبر وصل يوم بيعة الرضوان قاله
عكرمة وقتادة قال ابن عطية وفي كلا اليومين كان نصر من الله تعالي للمومنين وقد ذكر الناس ان سبب سرور
الناس بغلبة الروم وهمهم ان تغلب انما هو ان الروم اهل كتاب كالمسلمين فهم اقرب من اهل الاوثان كما
تقدم بيانه في الحديث النحاس وقول اخر وهو ان فرحهما انما كان لانجاز وعد الله عز وجل اذ كان فيه دليل
علي النبوة لانه اخبر عز وجل بما يكون في بضع سنين فكان فيه ابن عطية ويشبه ان يعلل ذلك بما يقتضيه
الفطر من محبة ان يغلب العدو الاصغر لانه ايسر مونة ومتي غلب الاكبر كثر الخوف منه فتامل هذا
المعني مع ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يرجاه من ظهور دينه وشرع الله الذي بعثه به وغلبته
علي الامم وارادة كفار مكة ان يرميه الله بملك يستاصله ويريحهم منه وقيل سرورهم انما كان بنصر رسو

فانزل

الله صلى الله عليه وسلم على المشركين لان جبريل اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حكاه القشيري قال الشيخ رحمه الله ويحتمل ان يكون سرورهم بالمجموع من ذلك فسروا بظهورهم على عدوهم وبظهور الروم ايضا وعد الله وقرا ابو حياة الشامي ومحمد بن السميفع من بعد غلبهم بسكون اللام وهما لغتان مثل الظعن والظعن وزعم الفرا ان الاصل من بعد غلبتهم فحذفت التا كما حذفت في قوله عز وجل واقام الصلاة واصله واقامة الصلاة قال النحاس وهذا غلط على كثير من اهل النحو لان اقامة الصلاة مصدر قد حذف منه لاعتلال فعله فجعلت التا عوضا من المحذوف وغلب ليس بمعتل ولا حذف منه شي وقد حكى الاصمعي طرد طردا وجلب حلبا وحلب حلبا وغلب غلبا فاي حذف في هذا وهل يجوز ان يقال في اكل اكلا وما اشبه حذف منه في بضع سنين حذفت الهاء في بضع فرقا بين المذكر والمونث وقد مضى الكلام فيه في يوسف وفتحت النون من سنين لانه جمع مسلم ومن العرب من يقول في بضع سنين كما تقول في غسلين وجاز ان يجمع سنة جمع من يعقل بالواو والنون والياء والنون لانه قد حذف منها شي فجعل هذا الجمع عوضا من النقص الذي في واحده لان اصل سنة سنهة او سنوة وكسرت السين منه دلالة على ان جمعه خارج عن قياسه ونمطه هذا قول البصريين ويلزم الفراء ان يضمها لانه يقول الضمة دليل على الواو وقد حذف من سنة واو في احدى القولين ولا يضمها احد علمناه **لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم** اخبر تعالى بانفراده بالقدرة وان ما في العالم من غلبة وغيرها انما هي منه وبارادته وقدرته فقال لله الامر اي انفراد الاحكام من قبل ومن بعد اي من قبل هذه الغلبة ومن بعدها وقيل من قبل كل شي ومن بعد كل شي ومن قبل ومن بعد ظرفان بنيا على الضم لانهما تعرفا بحذف ما اضيفا اليه وصارا متضمنين ما حذف فخالفا تعريف الاسما واشبها الحروف في التضمين فبنيا وخصا بالضم لشبههما بالمنادي المفرد في انه اذا نكر واضيف زال بناؤه وكذلك هما فضما ويقال من قبل ومن بعد وقد حكى الكسائي عن بعض بني اسد لله الامر من قبل ومن بعد الاول مخفوض منون والثاني مضموم بلا تنوين وحكى الفرا من قبل ومن بعد مخفوض بغير تنوين وانكره النحاس ورده وقال الفرا في كتابه في القراات اشيا كثيرة الغلط فيها بين منها انه زعم انه يجوز من قبل ومن بعد وانما يجوز من قبل ومن بعد على انهما نكرتان قال الزجاج المعنى من متقدم ومن متاخر ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله تقدم ذكره ينصر من يشا يعني من اوليائه لان نصره مختص بغلبة اوليائه لاعدائه فاما غلبة اعدائه لاوليائه فليس بنصره وانما هو ابتلا وقد يسمى ظفرا وهو العزيز في نقمته والرحيم لاهل طاعته

قوله تعالى **وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون** لان كلامه صدق ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهم الكفار وهم اكثر وقيل المراد مشركو مكة وانتصب وعد الله على المصدر اي وعد ذلك وعدا ثم بين تعالى مقدار ما يعلمون فقال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني امر معاشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون وكيف يبنون قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة وقال الضحاك هو بنيان قصورها وتشقيق انهارها وغرس اشجارها والمعنى واحد وقيل هو ما يلقيه الشياطين اليهم من امور الدنيا عند استراقهم السمع من سماء الدنيا قاله سعيد بن جبير وقيل الظاهر الباطل كما قال في موضع اخر ام بظاهر من القول قال الشيخ رحمه الله وقول ابن عباس اشبه بظاهر الحياة الدنيا حتى لقد قال الحسن بلغ والله من علم احدهم بالدنيا انه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن ان يصلي قال ابن عباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو والحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم اي عن العلم بها والعمل لها هم غافلون قال بعضهم

ومن البلية ان ترى لك صاحبا　　في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله　　واذا يصاب بدينه لم يشعر

قوله تعالى **او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** قوله في انفسهم ظرف للتفكر وليس بمفعول تعدى اليه يتفكروا بحرف جر لانهم لم يومروا ان يتفكروا في خلق انفسهم انما امروا ان يستعملوا التفكر في خلق السموات والارض وانفسهم حتى يعلموا ان الله لم يخلق السموات وغيرها الا بالحق قال الزجاج في الكلام حذف اي فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق قال الفرا معناه الا للحق يعني الثواب والعقاب

لاجل

قسم كسرى ايامه للنوم والصيد للشرب واللهو والحوائج

وقيل الا لاقامة الحق وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة والمعنى متقارب وقيل بالحق اي انه هو الحق وللحق خلقها وهو الدلالة على توحيده وقدرته واجل مسمى اي للسموات والارض اجل تنتهيان اليه وهو يوم القيامة وفي هذا تنبيه على الفنا وعلى ان لكل مخلوق اجلا وعلى ثواب المحسن وعقاب المسي وقيل اجل مسمى اي خلق ما خلق في وقت سماه لان يخلق ذلك الشي فيه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اللام للتوكيد والتقدير لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتاخير اي لكافرون بالمبعث بعد الموت وتقول ان زيدا في الدار لجالس ولو قلت ان زيدا لفي الدار لجالس جاز فان قلت ان زيدا جالس لفي الدار لم يجز لان اللام انما يوتى بها توكيدا لاسم ان وخبرها واذا جيت بهما لم يجز ان ياتي بها وكذا ان قلت ان زيدا الجالس لفي الدار لم يجز

قوله تعالى **او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون** فينظروا بابصارهم وقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة لان اهل مكة لم يكونوا اصحاب حرث قال الله تعالى واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها اولئك اكثر مما عمروا هولا فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم وجاتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات وقيل بالاحكام فكفروا فلم يومنوا وما كان الله ليظلمهم بان اهلكهم من غير ذنب ولا ارسال ولا حجة ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالشرك والعصيان **قوله تعالى** **ثم كان عاقبة الذين اساوا السوا ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزون** السوا فعلى من السو تانيث الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن وقيل يعني بها ههنا النار قاله ابن عباس ومعنى اساوا اشركوا دل عليه ان كذبوا بايات الله فالسوا اسم جهنم كما ان الحسنى اسم الجنة ان كذبوا بايات الله اي لان كذبوا قاله الكسائي وقيل بان كذبوا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ثم كان عاقبة الذين بالرفع اسم كان وذكرت لان تانيثها غير حقيقي والسوا خبر كان والباقون بالنصب على خبر كان السوا بالرفع اسم كان ويجوز ان يكون اسمها التكذيب فيكون التقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين اساوا ويكون السوا مصدرا لاساوا او صفة لمحذوف اي الخلة السوا وروي عن الاعمش انه قرا ثم كان عاقبة الذين اساوا السو برفع السو قال النحاس السوا اشد الشر والسوا الفعلى منه ان كذبوا بايات الله قيل بمحمد والقران قاله الكلبي مقاتل بالعذاب ان ينزل بهم الضحاك بمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا بها يستهزون **قوله تعالى** **الله يبدو الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون** قرا ابو عمرو وابو بكر يرجعون بالياء الباقون بالتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون وقرا ابو عبد الرحمن السلمي يبلس بفتح اللام والمعروف في اللغة ابلس الرجل اذا سكت وانقطعت حجته ولم يومل ان يكون له حجة وقريب منه تحير كما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا　　قال نعم اعرفه وابلسا

وقد زعم بعض النحويين ان ابليس مشتق من هذا وانه ابلس لانه انقطعت حجته النحاس ولو كان كما قال لوجب ان ينصرف وهو في القران غير منصرف وقال الزجاج المبلس الساكت المنقطع في حجته اليايس من ان يهتدي اليها ولم يكن لهم من شركايهم اي ما عبدوه من دون الله شفعا وكانوا بشركايهم كافرين قالوا ليسوا بالهة فتبروا منها وتبرات منهم حسب ما تقدم في غير موضع **قوله تعالى** **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون** يتفرقون يعني المومنين من الكافرين ثم بين كيف تفرقهم فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات قال النحاس سمعت الزجاج يقول اما دع ما كنا فيه وخذ في غيره وكذا قال سيبويه ان معناها مهما يكن من شي اي خذ في غير ما كنا فيه فهم في روضة يحبرون قال الضحاك الروضة الجنة والرياض الجنان وقال ابو عبيد الروضة ما كان في تسفل فاذا كان مرتفعا فهو ترعة وقال غيره احسن ما تكون الروضة اذا كانت في موضع مرتفع غليظ كما قال الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة　　خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق　　موزر بعميم النبت مكتهل

يوما باطيب منها نشر رائحة　　ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

الا انه لا يقال لها روضة الا اذا كان فيها نبت فان لم يكن فيها نبت وكانت مرتفعة فهي ترعة وقد قيل في الترعة غير هذا وقال القشيري والروضة عند العرب ما ينبت حول الغدير من البقول ولم يكن عند العرب

شي احسن منه الجوهري والجمع روض ورياض صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والروض نحو من نصف القربة ماء وفي الحوض روضة من ماء اذا غطي اسفله وانشد ابو عمرو

ورَوضة سقيت منها نضوتي

يحبرون قال الضحاك وابن عباس يكرمون وقيل ينعمون قاله مجاهد وقتادة وقيل يسرون السدي يفرحون والحبرة عند العرب السرور والفرح ذكره الماوردي وقال الجوهري والحبرة الحبور وهو السرور ويقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبرة قال تعالى فهم في روضة يحبرون اي ينعمون ويكرمون ويسرون ورجل يحبور يفعول من الحبور النحاس وحكي الكسائي حبرته اي اكرمته ونعمته وسمعت علي ابن سليمان يقول هو مشتق من قولهم علي اسنانه حبرة اي اثر فيحبرون يتبين عليهم اثر النعيم والحبر من هذا اشتق قال الشاعر

لا تملأ الدلو وعرق فيها ... الا ترى حبار من يسقيها

وقيل اصله من التحبير وهو التحسين فيحبرون يحسنون يقال فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة ويقال ايضا فلان حسن الحبر والسبر بالفتح وهذا كانه مصدر قولك حبرته حبرا اذا احسنته والاول اسم ومنه الحديث رجل يخرج من النار ذهب حبره وسبره وقال يحيي بن ابي كثير يحبرون قال السماع في الجنة وقاله الاوزاعي قال اذا اخذ اهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة الا وردت الغنا بالتسبيح والتقديس وقال الاوزاعي ليس شي من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع علي اهل سبع سموات صلواتهم وتسبيحهم زاد غير الاوزاعي ولم تبق شجرة في الجنة الا وردت ولم يبق ستر ولا باب الا ارتج وانفتح ولم تبق حلقة الا طنت بالوان طنينها ولم تبق اجمة من اجام الذهب الا وقع اهبوب الصوت في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر ولم تبق جارية من جوار الحور العين الا غنت باغانيها والطير بالحانها ويوحي الله تبارك وتعالي الي الملايكة ان جاوبوهم واسمعوا عبادي الذين نزهوا اسماعهم عن مزامير الشياطين فيجاوبون باصوات والحان روحانيين فتختلط هذه الاصوات فتصير رجة واحدة ثم يقول الله جل ذكره يا داود قم عند ساق عرشي فمجدني فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يغمر الاصوات ويجليها وتتضاعف اللذة فذلك قوله فهم في روضة يحبرون ذكره الترمذي الحكيم رحمه الله وذكر الثعلبي من حديث ابي الدردا ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي اخريات القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع فقال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضا خمصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلايق بمثلها قط لذلك افضل نعيم الجنة فسال رجل ابا الدردا بماذا يتغنين فقال بالتسبيح والخمصانية المرهفة الاعلي الخمصانية البطن الضخمة الاسفل قال الشيخ رحمه الله هذا كله من النعيم والسرور والاكرام فلا تعارض بين تلك الاقوال واين هذا من قوله الحق فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين علي ما ياتي وقوله عليه السلام فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر وقد روي ان في الجنة لاشجارا علي‍ها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ذكره الزمخشري **قوله تعالي** وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ تقدم الكلام فيه ولقا الاخرة اي بالبعث فاولئك في العذاب محضرون اي مقيمون وقيل مجموعون وقيل معذبون وقيل نازلون ومنه قوله اذا حضر احدكم الموت اي نزل به قاله ابن شجرة والمعني متقارب **قوله تعالي** فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ فيه ثلاث مسايل **الاولي** قوله تعالي فسبحان الله الاية فيه ثلاثة اقوال الاول انه خطاب للمومنين بالامر بالعبادة والحض علي الصلاة في هذه الاوقات قال ابن عباس الصلوات الخمس في القران قيل له اين قال الله تعالي فسبحان الله حين تمسون صلاة المغرب والعشا وحين تصبحون صلاة الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وقاله الضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا وقتادة ان الاية تنبيه علي اربع صلوات المغرب والصبح والعصر والظهر قالوا والعشا الاخرة وهي في اية اخري في زلف من الليل وفي ذكر اوقات العورة وقال النحاس اهل التفسير علي ان هذه الاية فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون في الصلوات وسمعت علي ابن سليمان يقول حقيقته عندي فسبحوا الله في الصلوات لان التسبيح يكون في الصلوات وهو القول الثاني والقول الثالث فسبحوا الله حين تمسون

ليس شي من خلق الله تعالي احسن صوتا من اسرافيل

وحين تصبحون ذكره الماوردي وذكر القول الاول ولفظه فيه فصلوا حين تمسون وفي تسمية الصلاة بالتسبيح وجهان احدهما لما تضمنها من ذكر التسبيح في الركوع والسجود الثاني ماخوذ من السبحة والسبحة الصلاة ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم تكون لهم سبحة يوم القيامة اي صلاة **الثانية** وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين الكلام بدوب الحمد علي نعمه والايه وقيل معني وله الحمد اي الصلاة لاختصاصها بقراة الحمد والاول اظهر فان الحمد من نوع تعظيم الله تعالي والحض علي عبادته ودوام نعمته فيكون نوعا اخر خلاف الصلاة والله اعلم وبدا بصلاة المغرب لان الليل يتقدم النهار وفي سبحان بدا بصلاة الظهر اي هي اول صلاة صلاها جبريل بالنبي صلي الله عليه وسلم قال الماوردي وخص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لان للانسان في النهار متقلبا في احوال توجب حمد الله عليها وفي الليل علي خلوة توجب تنزيه الله من الاسوا فيها فلذلك صار الحمد بالنهار اخص فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل اخص فسميت به صلاة الليل **الثالثة** قرا عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعني حينا تمسون فيه وحينا تصبحون فيه فحذف فيه تخفيفا والقول فيه كالقول في واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا وعشيا قال الجوهري العشي والعشية من صلاة المغرب الي العتمة تقول اتيته عشية امس وعشي امس وتصغير العشي عشيان علي غير مكبره فانهم صغروا عشيانا والجمع عشيانات وقيل ايضا في تصغيره عشيشيان والجمع عشيشيانات وتصغير العشية عشيشية والجمع عشيشيات والعشا بالمد والكسر مثل العشي والعشاان المغرب والعتمة وزعم قوم ان العشا من زوال الشمس الي طلوع الفجر وانشدوا

غدونا غدوة سحرا بليل ... عشاء بعد ما انتصف النهار

الماوردي والفرق بين المسا والعشا ان المسا بدو الظلام بعد المغيب والعشا اخر النهار عند ميل الشمس للمغيب وهو ماخوذ من عشا العين وهو نقص النور من الناظر كنقص نور الشمس **قوله تعالي** يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ بين كمال قدرته اي كما احيي الارض باخراج النبات بعد همودها كذلك يحييكم بالبعث وفيه دليل علي صحة القياس وقد مضي في ال عمران بيان يخرج الحي من الميت **قوله تعالي** وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ اي من علامات ربوبيته ووحدانيته ان خلقكم من تراب اي خلق اباكم منه والفرع كالاصل وقد مضي بيان هذا في الانعام وان في موضع رفع بالابتدا وكذا ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم انتم عقلا ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم يكن ليخلقكم عبثا ومن قدر علي هذا فهو اهل للعبادة والتسبيح ومعني خلق لكم من انفسكم ازواجا اي نساء تسكنون اليها من انفسكم اي من نطفة الرجال ومن جنسكم وقيل المراد حوا خلقها من ضلع ادم قاله قتادة وجعل بينكم مودة ورحمة قال ابن عباس ومجاهد المودة الجماع والرحمة الولد قاله الحسن وقيل المودة والرحمة عطف قلوب بعضهم علي بعض وقال السدي المودة المحبة والرحمة الشفقة وروي معناه عن ابن عباس قال المودة حب الرجل امراته والرحمة رحمته اياها ان يصيبها بسو ويقال ان الرجل اصله من الارض وفيه قوة الارض وفيه الفرج الذي منه بدا خلقه فيحتاج الي سكن وخلقت المراة سكنا للرجل قال الله تعالي ومن اياته ان خلقكم من تراب الاية وقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فاول ارتفاق الرجل بالمراة سكونه اليها مما فيه من غليان القوة وذلك ان الفرج اذا تحمل فيه هيج ماء الصلب اليه فاليها يسكن وبها يتخلص من الهياج وللرجال خلق البضع منهن قال الله تعالي وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون فاعلم الله عز وجل الرجال ان ذلك الموضع خلق منهن للرجال فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج فان منعته فهي ظالمة وفي حرج عظيم ويكفيك من ذلك ما ثبت من صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الي فراشها فتابا عليه الا كان الذي في

السما ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي لفظ آخر اذا باتت المراة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ومن اياته خلق السموات والارض تقدم في البقرة وكانوا يعترفون بان الله هو الخالق واختلاف السنتكم والوانكم اللسان في الفم واختلاف اللغات من العربية والعجمية والتركية والرومية واختلاف الالوان في الصور من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى احدا الا وانت تفرق بينه وبين الاخر وليس هذه الاشياء من فعل النطفة ولا من فعل الابوين فلا بد من فاعل فعلم ان الفاعل هو الله تعالى وهذا من ادل دليل على المدبر البارى ان في ذلك لايات للعالمين اي للبر والفاجر وقرا حفص للعالمين بكسر اللام جمع علم ومن اياته منامكم بالليل والنهار قيل في هذه الاية تقديم وتاخير والمعنى ومن اياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر باتصاله بالليل وعطفه عليه والواو تقوم مقام حرف الجر اذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصة فجعل النوم بالليل دليلا على الموت والتصرف بالنهار دليلا على البعث ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يريد سماع تفهم وتدبر وقيل يسمعون الحق فيتبعونه وقيل يسمعون الوعظ فيخافونه وقيل يسمعون القران فيصدقونه والمعنى متقارب وقيل كان منهم من اذا تلي القران وهو حاضر سد اذنيه حتى لا يسمع فبين الله عز وجل هذه الاية الدلائل عليه ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا قيل المعنى ان يريكم فحذف ان لدلالة الكلام عليه قال طرفة

الا ايهذا اللائمي احضر الوغى ... وان اشهد اللذات هل انت مخلد

وقيل هو على التقديم والتاخير اي ويريكم البرق من اياته وقيل اي ومن اياته يريكم البرق كما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما ... اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

وقيل اي من اياته انه يريكم البرق خوفا وطمعا ومن اياته قاله الزجاج فيكون عطف جملة على جملة خوفا اي للمسافر وطمعا للمقيم قاله قتادة الضحاك خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث يحيى بن سلام خوفا من البرد ان يهلك الزرع وطمعا في المطر يحيي الزرع ابن بحر خوفا ان يكون البرق برقا خلبا لا يمطر وطمعا ان يكون ممطرا وانشد الشاعر

لا يكن برقك برقا خلبا ... ان خير البرق ما الغيث معه

وقال اخر

فقد ارد المياه بغير زاد ... هوى عدى لها برق الغمام

والبرق الخلب الذي لا غيث فيه كانه خادع ومنه قيل لمن يعد ولم ينجز

انما انت كبرق خلب

والخلب ايضا السحاب الذي لا مطر فيه ويقال برق خلب بالاضافة وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون تقدم ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ان في محل رفع كما تقدم اي قيامها واستمساكها بقدرته بلا عمد وقيل بتدبيره وحكمته اي يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق وقيل بامره باذنه والمعنى واحد ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اي الذي فعل هذه الاشيا قادر على ان يبعثكم من قبوركم والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا لبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل

دعوت كليبا باسمه فكانما ... دعوت براس الطود او هو اسرع

يريد براس الطود الصدى او الحجر اذا تدهده وانما عطف هذا على قيام السموات والارض لعظم ما يكون ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى في قوله اذا دعاكم للشرط والثانية في قوله اذا انتم للمفاجاة وهي تنوب مناب الفا في جواب الشرط واجمع القراء على فتح التاء هنا في يخرجون واختلفوا في التي في الاعراف فقرا اهل المدينة ومنها تخرجون بضم التاء وقرا اهل العراق بالفتح واليه يميل ابو عبيد والمعنيان متقاربان الا ان اهل المدينة فرقوا بينهما لنسق الكلام فنسق الكلام في التي في الاعراف بالضم اشبه اذا كان الموت ليس من فعلهم وكذا الاخراج والفتح في سورة الروم اشبه بنسق الكلام اي اذا دعاكم خرجتم اي اطعتم فالفعل اشبه وهذا الخروج انما هو عند نفخة اسرافيل النفخة الاخرة على ما تقدم وسياتي وقرئ يخرجون بضم التاء وفتحها ذكره الزمخشري لم يزد على هذا شيئا ولم يذكر ما ذكرناه من الفرق والله اعلم وله من في السموات والارض خلقا وملكا وعبدا كل له قانتون روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القران

وهذا من ادل دليل على المدبر البارى

فهو طاعة قال النحاس مطيعون طاعة انقياد وقيل قانتون مقرون بالعبودية اما قالة واما دلالة قاله عكرمة وابو مالك والسدي وقال ابن عباس قانتون مصلون الربيع بن انس كل له قانتون اي قائم يوم القيامة كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين اي للحساب الحسن كل له قائم بالشهادة انه عبد له سعيد بن جبير قانتون مخلصون **قوله تعالى** وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم اما بدء خلقه فبعلوقه في الرحم قبل ولادته واما اعادته فباحيائه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلا على ما يخفى من اعادته استدلالا بالشاهد على الغائب ثم اكد ذلك بقوله وهو اهون عليه وقرا ابن مسعود وابن عمر يبدي الخلق من ابدى يبدي دليله قوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد ودليل قراءة العامة قوله سبحانه كما بداكم تعودون واهون بمعنى هين اي الاعادة هين عليه قاله الربيع بن خثيم ومن جعل والحسن فاهون بمعنى هين لانه ليس شيء اهون على الله من شيء قال ابو عبيدة ومن جعل اهون يعبر عن تفضيل شيء على شيء فقوله مردود بقول الله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا بقوله ولا يؤوده حفظهما والعرب تحمل افعل على فاعل ومنه قول الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه اعز واطول

اي دعائمه عزيزة طويلة وقال اخر

لعمرك ما ادري واني لاوجل ... على اينا تعدو المنية اول

اراد اني لوجل وانشد ابو عبيدة ايضا

اني لامنحك الصدود وانني ... قسما اليك مع الصدود لاميل

اراد لمائل وانشد احمد بن يحيى

تمنى رجال ان اموت وان امت ... فتلك سبيل لست فيها باوحد

اراد بواحد وقال اخر

لعمرك ان الزبرقان لباذل ... لمعروفه عند السنين وافضل

اي فاضل ومنه قولهم الله اكبر انما معناه الله الكبير وروى معمر عن قتادة قال في قراءة عبد الله بن مسعود وهو عليه هين وقال مجاهد وعكرمة والضحاك ان المعنى ان الاعادة اهون عليه اي على الله من البداية اي ايسر وان كان جميعه على الله هينا وقاله ابن عباس ووجهه ان هذا مثل ضربه الله لعباده يقول اعادة الشيء على الخلائق اهون من ابتدائه فينبغي ان يكون البعث لمن قدر على البداية عندكم وفيما بينكم اهون عليه من الانشاء وقيل الضمير عليه للمخلوقين اي وهو اهون عليه اي على الخلق يصاح بهم صيحة واحدة فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون فذلك اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم اجنة ثم اطفالا ثم غلمانا ثم شبانا ثم رجالا او نساء وقاله ابن عباس وقطرب وقيل اهون اسهل قال

وهان على اسماء ان شطت النوى ... يحن اليها واله ويتوق

اي سهل عليها وقال الربيع بن خثيم في قوله تعالى وهو اهون عليه قال ما شيء على الله بعزيز عكرمة تعجب الكفار من احياء الله تعالى الموتى فنزلت هذه الاية وله المثل الاعلى اي ما اراده جل وعز كان وقال الخليل المثل الصفة اي وله الوصف الاعلى في السموات والارض كما قال مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفتها وقد مضى الكلام في ذلك وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه اي الذي له الوصف الاعلى اي الاله الذي هو الوصف بالوحدانية وكذا قال قتادة ان المثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم على ما نبينه انفا ان شاء الله تعالى وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول وقال ابن عباس اي ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم تقدم **قوله تعالى** ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى من انفسكم ثم قال من شركاء ثم قال من ما ملكت ايمانكم فمن الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم والثانية للتبعيض والثالثة لتاكيد الاستفهام والاية نزلت في كفار قريش كانوا يقولون في التلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك قاله سعيد بن جبير وقال قتادة هذا مثل ضربه الله للمشركين والمعنى هل يرضى احدكم ان يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله فاذا لم ترضوا بهذا لانفسكم فكيف جعلتم لله عليكم شريكا **الثانية** قال بعض العلماء هذه الاية اصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار

اعادة الشيء اهون من ابتدائه

فع

بعضهم الي بعض ونفيها عن الله سبحانه وتعالي وذلك انه لما قال جل وعز ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم الاية فيجب ان يقولوا ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقنا فيقال لهم فكيف يتصور ان تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركاي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمي قلب فاذا ابطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما تملكه السادة والخلق كلهم عبيد الله تعالي فيبطل ان يكون شيا من العالم شريكا لله تعالي في شي من افعاله فلم يبق الا انه واحد يستحيل ان يكون له شريك اذ الشركة تقتضي المعاونة ونحن مفتقرون الي معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل والقديم الازلي منزه عن ذلك جل وعز وهذه المسالة افضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لان جميع العبادات البدنية لا تصح الا بتصحيح هذه المسالة في القلب فافهم ذلك **قوله تعالي** **بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين** لما قامت عليهم الحجة ذكر انهم يعبدون الاصنام باتباع اهواءهم في عبادتها وتقليد الاسلاف في ذلك فمن يهدي من اضل الله اي لا هادي لمن اضله الله تعالي وفي هذا رد علي القدرية وما لهم من ناصرين **قوله تعالي** **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها** فيه ثلاث مسايل **الاولي** قوله تعالي فاقم وجهك قال الزجاج منصوب بمعني اتبع فطرة الله قال لان معني فاقم وجهك للدين اتبع الدين واتبع فطرة الله وقال الطبري فطرة الله مصدر من معني فاقم وجهك لان معني ذلك فطر الله الناس علي الدين الحسن فطرة وقيل معني ذلك اتبعوا دين الله الذي خلق الانسان له وعلي هذا القول يكون الوقف علي حنيفا تام وعلي القولين الاولين يكون متصلا فلا يوقف علي حنيفا وسميت الفطرة دينا لان الناس يخلقون له قال جل وعز وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون ويقال عليها بمعني لها كقوله تعالي وان اساتم فلها والخطاب باقم وجهك للنبي صلي الله عليه وسلم امره باقامة وجهه للدين المستقيم كما قال فاقم وجهك للدين القيم وهو دين الاسلام واقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة علي الجد في اعمال الدين وخص الوجه بالذكر لانه جامع حواس الانسان واشرفه ودخل في هذا الخطاب امته باتفاق اهل التاويل وحنيفا معناه معتدلا مايلا عن جميع الاديان المحرفة المنسوخة **الثانية** في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يولد علي الفطرة في رواية علي هذه الملة ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم يقول ابو هريرة واقروا ان شيتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله في رواية حتي تكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين لفظ مسلم **الثالثة** واختلف العلما في معني الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة علي اقوال متعددة منها الاسلام قال ابو هريرة وابن شهاب وغيرهما قالوا وهو المعروف عند عامة السلف من اهل التاويل واحتجوا بالاية وحديث ابي هريرة وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال للناس يوما الا احدثكم بما حدثني الله في الكتاب ان الله خلق ادم وبنيه حنفا مسلمين واعطاهم المال حلالا لا حرام فيه فجعلوا مما اعطاهم الله حلالا وحراما الحديث وبقوله صلي الله عليه وسلم خمس من الفطرة فذكر منها قص الشارب وهو من سنن الاسلام وعلي هذا التاويل فيكون معني الحديث ان الطفل خلق سليما من الكفر علي الميثاق الذي اخذه الله علي ذرية ادم حين اخرجهم من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل ان يدركوا في الجنة اولاد مسلمين كانوا او اولاد كفار وقال اخرون الفطرة هي البداة التي ابتداهم الله عليها اي علي ما فطر الله عليه خلقه من انه ابتداهم للحياة والموت والسعادة والشقا الي ما يصيرون اليه عند البلوغ قالوا والفطرة في كلام العرب البداة والفاطر المبتدي واحتجوا بما روي عن ابن عباس انه قال لم اكن ما ادري ما فاطر السموات والارض حتي اتي اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدايتها قال المروزي كان احمد بن حنبل يذهب الي هذا القول ثم تركه قال ابو عمر في كتاب التمهيد له ما رسمه مالك في موطيه وذكر في ابواب القدر فيه من الاثار يدل علي ان مذهبه في ذلك نحو هذا والله اعلم ومما احتجوا به ما روي عن كعب القرظي في قوله تعالي فريقا هدي وفريقا حق عليهم الضلالة قال من ابتدا الله خلقه للضلالة صيره للضلالة وان عمل باعمال الهدي ومن ابتدا الله خلقه علي الهدي صيره الي الهدي وان عمل باعمال الضلالة ابتدا الله خلق ابليس علي الضلالة وعمل باعمال السعادة مع الملايكة ثم رده الله الي ما ابتدا عليه خلقه قال وكان من الكافرين قال الشيخ رحمه الله قول كعب هذا في

اولاد الكفرة مع اولاد المسلمين في الجنة

الاعراف وجاء معناه مرفوعا من حديث عايشة رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلي الله عليه وسلم الي جنازة غلام من الانصار فقلت يا رسول الله طوبي لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوا ولم يدركه قال او غير ذلك يا عايشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم خرجه ابن ماجة في السنن وخرج ابو عيسي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي في يده اليمني هذا كتاب من رب العالمين فيه اسما اهل الجنة واسماء ابايهم وقبايلهم ثم اجمل علي اخرهم فقال فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وذكر الحديث وقال فيه حديث حسن وقالت فرقة ليس المراد بقوله تعالي فطر الناس ولا بقوله عليه السلام كل مولود يولد علي الفطرة العموم وانما اراد بالناس المومنون اذ لو فطر الجميع علي الاسلام لما كفر احد وقد ثبت انه خلق اقواما للنار كما قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا واخرج الذرية من صلب ادم سودا وبيضا وقال في الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا وروي ابو سعيد الخدري قال صلي الله عليه وسلم العصر بنهار ثم قام خطيبا فذكر الحديث وكان فيما حفظنا ان قال الا ان بني ادم خلقوا طبقات شتي فمنهم من يولد مومنا ويحيي مومنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيي كافرا ويموت مومنا ومنهم حسن القضا حسن الطلب ذكره حماد بن زيد كذا قال حدثنا علي بن زيد عن علي بن نضرة عن ابي سعيد قالوا والعموم بمعني الخصوص كثير في لسان العرب الا تري الي قوله عز وجل تدمر كل شي ولم تدمر السموات والارض وقوله فتحنا عليهم ابواب كل شي ولم يفتح عليهم ابواب الرحمة وقال اسحق بن راهويه الحنظلي تم الكلام عند قوله فاقم وجهك للدين حنيفا ثم قال فطرة الله اي فطر الله الخلق فطرة اما لجنة او نار واليه اشار النبي صلي الله عليه وسلم في قوله كل مولود يولد علي الفطرة ولهذا قال لا تبديل لخلق الله قال شيخنا ابو العباس من قال هي سابقة السعادة والشقاوة فهذا انما يليق بالفطرة المذكورة في القران لان الله تعالي قال لا تبديل لخلق الله واما في الحديث فلا لانه قد اخبر في الحديث بانها تبدل وتغير وقالت طايفة من اهل الفقه والنظر الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه فكانه قال كل مولود يولد علي خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة لخلقة البهايم التي لا تصل بخلقتها الي معرفته واحتجوا علي ان الفطرة الخلقة والفاطر الخالق بقول الله عز وجل الحمد لله الذي فاطر السموات والارض يعني خالقهن وبقوله ما لي لا اعبد الذي فطرني يعني خلقني وبقوله الذي فطرهن يعني خلقهن قالوا فالفطرة الخلقة والفاطر الخالق وانكروا ان يكون المولود يفطر علي كفر او ايمان او معرفة او انكار قالوا وانما المولود علي السلامة في الاغلب خلقة وطبعا وبنية ليس معها ايمان ولا كفر ولا انكار ولا معرفة ثم يعتقدون الكفر والايمان بعد البلوغ اذا ميزوا واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن فمثل قلوب بني ادم بالبهايم لانها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان ثم تقطع اذانها بعد وانوفها فيقال هذه بحاير وهذه سوايب فكذلك قلوب الاطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار كالبهايم السايمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر اكثرهم وعصم الله اقلهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا علي شي من الكفر والايمان في اوليه امرهم ما انتقلوا عنه ابدا وقد نجدهم يومنون ثم يكفرون قالوا ويستحيل في المعقول ان يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفرا او ايمانا لان الله اخرجهم في حال لا يفقهون معها شيا قال الله تعالي والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا فمن لا يعلم شيا استحال منه كفر او ايمان او معرفة او انكار قال ابو عمر بن عبد البر هذا اصح ما قيل في معني الفطرة التي يولد الناس عليها ومن الحجة ايضا قوله تعالي انما تجزون ما كنتم تعملون وكل نفس بما كسبت رهينة ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشي وقال وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا ولما اجمعوا علي دفع القود والقصاص والحدود والاثام عنهم في دار الدنيا كانت الاخرة اولي بذلك والله اعلم ويستحيل ان يكون الفطرة المذكورة الاسلام كما قال ابن شهاب لان الاسلام والايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل لا يجهل ذلك ذو عقل واما قول الاوزاعي سالت الزهري عن رجل عليه رقبة اتجزي عنه الصبي ان يعتقه وهو رضيع قال نعم لانه ولد علي الفطرة يعني الاسلام فانما اجزا عتقه عنه من اجازه لان حكمه حكم ابويه وخالفهم اخرون فقالوا لا يجزي في الرقاب الواجبة الا من صام وصلي وليس في قوله تعالي كما بداكم تعودون ولا في ان يختم الله للعبد بما قضاه له وقدره عليه دليل

علينا رسول الله

رة

على ان الطفل يولد حين يولد مومنا او كافرا لما شهدت له العقول انه في ذلك الوقت ليس ممن يعقل ايمانا
ولا كفرا والحديث الذي جا فيه ان الناس خلقوا على طبقات ليس من الاحاديث التي لا مطعن فيها لانه
انفرد به علي بن زيد بن جدعان وقد كان شعبة يتكلم فيه على انه يحتمل قوله يولد مومنا اي يولد ليكون
مومنا ويولد ليكون كافرا على سابق علم الله فيه وليس في قوله في الحديث خلقت هاولا للجنة وخلقت
هاولا للنار اكثر من مراعاة ما يختم به لهم لا انهم في حين طفوليتهم ممن يستحق جنة او نارا او يعقل كفرا او
ايمانا قال الشيخ رحمه الله والى ما اختاره ابو عمرو واحتج له ذهب غير واحد من المحققين منهم ابن عطية في
تفسيره في معنى الفطرة وشيخنا ابو العباس قال ابن عطية في تفسيره والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة
انها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهياة لان يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على
ربه ويعرف شرايعه ويومن به فكانه تعالى اقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على
الاعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فذكر الابوين انما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة وقال شيخنا في عبارته
ان الله تعالى خلق قلوب بني ادم موهلة لقبول الحق كما خلق اعينهم واسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات
فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الاهلية ادركت الحق ودين الاسلام وهو الدين الحق وقد دل
على صحة هذا المعنى قوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا يعني ان البهيمة تلد
ولدها كامل الخلقة سليما من الافات فلو ترك على اصل تلك الخلقة لبقي كاملا بريا من العيوب
لكن يتصرف فيه فيجدع اذنه ويوسم وجهه فتطرا عليه الافات والنقايص فيخرج على الاصل وكذلك
الانسان وهو تشبيه واقع ووجهه واضح قال الشيخ رحمه الله وهذا القول مع القول الاول موافق
له في المعنى وان ذلك بعد الادراك حين عقلوا امر الدنيا وتاكدت حجة الله عليهم بما نصب من الايات
الظاهرة من خلق السموات والارض والشمس والقمر والبر والبحر واختلاف الليل والنهار فلما عملت
اهوا هم فيهم اتتهم الشياطين فدعتهم الى اليهودية والنصرانية فذهبت باهوايهم يمينا وشمالا وانهم
ان ماتوا صغارا فهم في الجنة اعني جميع الاطفال لان الله تعالى لما اخرج ذرية ادم من صلبه في صورة الذر
اقروا له بالعبودية بالربوبية وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ثم اعادهم في صلب ادم بعد ان اقروا له بالربوبية وانه الله لا
اله غيره ثم يكتب العبد في بطن امه شقيا او سعيدا على الكتاب الاول فمن كان في الكتاب الاول شقيا عمر
حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم بالشرك ومن كان في الكتاب الاول سعيدا
عمر حتى يجري عليه القلم فيصير سعيدا ومن مات صغيرا من اولاد المسلمين قبل ان يجري عليه القلم فهم مع
ابايهم في الجنة ومن كان من اولاد المشركين فمات قبل ان يجري عليه القلم فليس يكونون مع ابايهم لانهم ماتوا
على الميثاق الاول الذي اخذ عليهم في صلب ادم ولم ينقض الميثاق ذهب الى هذا جماعة من اهل التاويل
وهو يجمع بين الاحاديث ويكون معنا قوله عليه السلم لما سيل عن اولاد المشركين فقال الله اعلم بما
كانوا عاملين يعني لو بلغوا ودل على هذا التاويل ايضا حديث البخاري عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله
عليه وسلم الحديث الطويل حديث الرويا وفيه قوله صلى الله عليه وسلم واما الرجل الطويل الذي في الروضة فابراهيم
عليه السلم واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقيل يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين وهذا نص يرفع الخلاف وهو اصح شي روي في هذا الباب وغيره من
الاحاديث فيها علل وليست من احاديث الايمة الفقها قاله ابو عمر بن عبد البر وقد روي من حديث انس قال
سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولاد المشركين فقال لم يكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك
الجنة ولم تكن لهم سيات فيعاقبوا عليها فيكونوا من اهل النار فهم خدم لاهل الجنة ذكره يحيى بن سلام
في التفسير له وقد ذكرنا هذه المسالة بيانا في كتاب التذكرة في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن انس ما ذكره
ابن عمر من ذلك والحمد لله وذكر اسحق بن راهويه قال حدثنا يحيى ابن ادم قال اخبرنا جرير ابن حازم عن ابي رجا
العطاردي قال سمعت ابن عباس يقول لا يزال امر هذه الامة موانيا او متقاربا او كلمة تشبه هاتين
حتى يتكلموا او ينظروا في الاطفال والقدر قال يحيى بن ادم فذكرته لابن المبارك فقال ايسكت
الانسان على الجهل قلت فتامر بالكلام قال فسكت وقال ابو بكر الوراق فطرة الله التي فطر الناس

عليها

ومن مات صغيرا من اولاد المسلمين

عليها هي الفقر والفاقة وهذا احسن لانه منذ ولد الى حين يموت فقير محتاج نعم وفي الاخرة قوله تعالى
لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لخلق الله اي هذه الفطرة لا تبديل
لها من جهة الخالق ولا يجي الامر على خلاف هذا بوجه اي لا يشقى من خلقه سعيدا ولا يسعد من خلقه
شقيا وقال مجاهد المعنى لا تبديل لدين الله وقاله قتادة وابن جبير والضحاك وابن زيد والنخعي قالوا
هذه معناه في المعتقدات وقاله عكرمة وروي عن ابن عباس وعمر بن الخطاب ان المعنى لا تغيير لخلق
الله من البهايم ان تخصى فحولها فيكون معناه النهي عن خصاء الفحول من الحيوان وقد مضى هذا في النسا
ذلك الدين القيم اي دين الاسلام هو الدين القيم المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يتفكرون
فيعلمون ان لهم خالقا معبودا والها قديما سبق قضاوه ونفذ حكمه قوله تعالى منيبين اليه
واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب
بما لديهم فرحون اختلف في معناه فقيل راجعين اليه بالتوبة والاخلاص وقال يحيى بن سلام والفرا
منقلبين اليه وقال عبد الرحمن بن زيد تايبين اليه من الذنوب ومنه قول قيس بن الاسلت

فان تابوا فان بني سليم ... وقومهم هوازن قد انابوا

والمعنى واحد فان معنى تاب وثاب واب معناه الرجوع وقال الماوردي وفي اصل الانابة قولان
احدهما ان اصله القطع ومنه اخذ اسم الناب لانه قاطع فكان الانابة هي الانقطاع الى الله عز وجل بالطاعة
الثاني اصله الرجوع ماخوذ من ناب ينوب اذا رجع مرة بعد اخرى ومنه النوبة لانها الرجوع الى عادة
الجوهري وانابة الى الله اقبل وتاب والنوبة واحدة النوب تقول جاءت نوبتك ونيابتك وهم يتناوبون
النوبة فيما بينهم في الماء وغيره وانتصب على الحال قال محمد بن يزيد لان معنى اقم وجهك فاقيموا وجوهكم
منيبين وقال الفرا المعنى فاقم وجهك ومن معك منيبين وقيل انتصب على القطع اي فاقم وجهك انت
وامتك المنيبين اليه لان الامر له امر لامته فحسن ان يقول منيبين اليه وقد قال الله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النسا واتقوه اي خافوه وامتثلوا ما امركم به واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين وقد مضى هذا ايضا
في النسا والكهف وغيرهما من الذين فارقوا دينهم تاوله ابو هريرة وعايشة وابو امامه لاهل القبلة من
اهل الاهوا والبدع وقد مضى في الانعام بيانه وقال الربيع بن انس الذين فرقوا دينهم اهل الكتاب من اليهود
والنصارى وقاله قتادة ومعمر وقرا حمزة والكسايي فارقوا دينهم وقد قرا بذلك علي ابن ابي طالب
اي فارقوا دينهم الذي يجب اتباعه وهو التوحيد وكانوا شيعا اي فرقا قاله الكلبي وقيل اديانا قاله مقاتل
كل حزب بما لديهم فرحون اي مسرورون معجبون لانهم لم يتبينوا الحق وعليهم ان يتبينوه وقيل كان هذا قبل
ان تنزل الفرايض وقول ثالث ان العاصي لله عز وجل قد يكون فرحا بمعصيته فكذلك الشيطان وقطاع
الطريق وغيرهم والله اعلم وزعم الفرا انه يجوز ان يكون التمام ولا تكونوا من المشركين ويكون المعنى من الذين
فارقوا دينهم وكانوا شيعا على الاستيناف وانه يجوز ان يكون متصلا بما قبله قال النحاس وهو عند البصريين على البدل
باعادة الحرف كما قال عز وجل وقال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم ولو كان
بلا حرف لجاز قوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا
فريق منهم بربهم يشركون ضر اي قحط وشدة دعوا ربهم ان يرفع ذلك عنهم منيبين اليه قال ابن عباس
مقبلين عليه بكل قلوبهم لا يشركون ومعنى هذا الكلام التعجب عجب سبحانه من المشركين في ترك الانابة الى
الله تعالى مع تتابع الحجج عليهم اي اذا مس هولاء الكفار ضر من مرض وشدة دعوا ربهم اي استغاثوا به
في كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون الاصنام لعلمهم بانه لا فرج عندها ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي
عافية ونعمة اذا فريق منهم بربهم يشركون اي يشركون به في العبادة قوله تعالى ليكفروا بما
اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون قيل هي لام
كي وقيل هي لام امر فيه معنى التهديد كما قال عز وجل فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر فتمتعوا فسوف
تعلمون تهديد ووعيد وفي مصحف عبد الله وليتمتعوا اي مكناهم من ذلك لكي يتمتعوا فهو اخبار عن
غايب مثل ليكفروا وهو على خط المصحف خطاب بعد الاخبار عن غايب اي تمتعوا ايها الفاعلون لهذا قوله
تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا استفهام فيه معنى التوقيف قال الضحاك سلطانا اي كتابا وقاله قتادة
والربيع بن انس واضاف الكلام الى الكتاب توسعا وزعم الفرا ان العرب تونث السلطان تقول قضت

به عليك السلطان فاما البصريون فالتذكير عندهم افصح وبه جاء القرآن والتانيث عندهم جايز لانه بمعنى الحجة اي حجة تنطق بشرككم قاله ابن عباس والضحاك وقال علي بن سليمان عن ابي العباس محمد بن يزيد قال السلطان جمع سليط مثل رغيف ورغفان فتذكيره على معنى الجمع وتانيثه على معنى الجماعة وقد مضى في آل عمران الكلام في السلطان ايضا مستوفى والسلطان ما يدفع به الانسان عن نفسه امرا يستوجب به عقوبة وكما قال تعالى او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين **قوله تعالى** وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون فرحوا بها يعني الخصب والسعة والعافية قاله يحيى بن سلام النقاش النعمة والبطر وقيل الامن والدعة والمعنى متقارب فرحوا بها اي بالرحمة وان تصبهم سيئة اي بلاء وعقوبة قاله مجاهد السدي قحط المطر بما قدمت ايديهم اي بما عملوا من المعاصي اذا هم يقنطون اي ييأسون من الرحمة والفرج قاله الجمهور وقال الحسن ان القنوط ترك فرايض الله تعالى في السر قنط يقنط وهي قراءة العامة وقنط يقنط وهي قراءة ابي عمرو والكسائي ويعقوب وقرا الاعمش قنط يقنط بالكسر فيهما مثل حسب يحسب والاية صفة للكافر يقنط عند الشدة ويبطر عند النعمة كما قيل

كحمار السوء ان اعلفته ... رمح الناس وان جاع نهق

وكثير ممن لم يرسخ الايمان في قلبه بهذه المثابة وقد مضى في غير موضع فاما المؤمن فيشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة **قوله تعالى** أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون اي يوسع الخير في الدنيا لمن يشاء ويضيق فلا يجب ان يدعوهم الفقر الى القنوط ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون **قوله تعالى** فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل فيه ثلاث مسائل الاولى لما تقدم انه سبحانه يبسط الرزق ويقدر امر من وسع عليه الرزق ان يوصل الى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغني والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لانه قال ذلك خير للذين وامر بايتاء ذي القربى لقرب رحمه وخير الصدقة ما كان على القريب وفيها صلة الرحم وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على الاقارب على عتق الرقاب فقال لميمونة وقد اعتقت وليدة اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الثانية واختلف في هذه الاية فقيل هي منسوخة باية المواريث وقيل لا نسخ بل للقريب حق لازم في البر على كل حال وهو الصحيح قال مجاهد وقتادة صلة الرحم فرض من الله عز وجل حتى قال مجاهد لا يقبل الله صدقة من احد ورحمه محتاجة وقيل المراد بالقربى اقربا النبي صلى الله عليه وسلم والاول اصح فان حقهم مبين في كتاب الله عز وجل في قوله فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وقيل ان الامر بالايتاء لذي القربى على جهة الندب قال الحسن حقه المواساة في اليسر وقول ميسور في العسر والمسكين قال ابن عباس اي اطعم السائل الطواف وابن السبيل الضعيف فجعل الضيافة فرضا وقد مضى جميع هذا مبسوطا مبينا في مواضعه والحمد لله الثالثة **قوله تعالى** ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون اي اعطاء الحق افضل من الامساك اذا اريد بذلك وجه الله والتقرب اليه واولئك هم المفلحون اي الفائزون بمطلوبهم من الثواب في الاخرة وقد تقدم في البقرة القول فيه **قوله تعالى** وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون فيه اربع مسائل الاولى لما ذكر ما يراد به وجهه ويثيب عليه ذكر غير ذلك من الصفة وما يراد به ايضا وجهه وقرا الجمهور آتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرا ابن كثير ومجاهد وحميد بغير مد بمعنى ما فعلتم من ربا كما تقول اتيت صوابا واتيت خطا واجمعوا على المد في قوله وما آتيتم من زكاة والربا الزيادة وقد مضى في البقرة معناه وهو هناك محرم وها هنا حلال وثبت بهذا انه قسمان منه حلال ومنه حرام قال عكرمة في قوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس قال الربا ربوان فربا حلال وربا حرام فاما الربا الحلال فهو الذي يهدى يلتمس ما هو افضل منه وعن الضحاك في هذه الاية هو الربا الحلال الذي يهدى ليثاب افضل منه لا له ولا عليه ليس له فيه اجر وليس عليه فيه اثم وكذلك قال ابن عباس قال وما آتيتم من ربا يريد هدية الرجل الشيء يرجو ان يثاب افضل منه فذلك الذي لا يربو عند الله ولا يوجر صاحبه ولكن لا اثم عليه وفي هذا المعنى نزلت الاية قال ابن عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد هذه اية نزلت في هبة الثواب قال ابن عطية وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وقال القاضي ابو بكر بن العربي وفي كتاب النسائي

فضل الصدقة على الاقارب على عتق الرقاب

عن عبد الرحمن بن علقمة قال قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم هدية وصدقة فقال ان كانت هدية فانما يبتغى بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاء الحاجة وان كانت صدقة فانما يبتغى بها وجه الله قالوا لا بل هدية فقبلها منهم وقعد معهم يسائلهم ويسائلونه وقال ابن عباس ايضا وابراهيم النخعي نزلت في قوم يعطون قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيدوا في اموالهم على وجه النفع لهم وقال الشعبي معنى الاية ان ما خدم الانسان به احدا وخف له لينتفع به في دنياه فان ذلك النفع الذي يجزى به الخدمة لا يربو عند الله على هذا القول وقيل كان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر فنهي ان يعطي شيئا فياخذ اكثر منه عوضا وقيل انه الربا المحرم فمعنى لا يربو عند الله على هذا القول لا يحكم به لاخذه بل هو للماخوذ منه قال السدي نزلت هذه الاية في ربا ثقيف لانهم كانوا يعملون بالربا ويعمله فيهم قريش الثانية قال القاضي ابو بكر ابن العربي صريح الاية فيمن يهب يطلب الزيادة من اموال الناس في المكافاة قال المهلب اختلف العلماء فيمن وهب هبة يطلب ثوابها وقال انما اردت الثواب فقال مالك ينظر فيه فان كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له فله ذلك مثل هبة الفقير للغني وهبة الخادم لصاحبه وهبة الرجل لاميره ومن فوقه وهذا احد قولي الشافعي وقال ابو حنيفة لا يكون له ثواب اذا لم يشترط وهو قول الشافعي الاخر قال والهبة للثواب باطلة لا تنفعه لانها بيع بثمن مجهول واحتج الكوفي بان موضوع الهبة التبرع فلو اوجبنا فيها العوض لبطل معنى التبرع وصارت في معنى المعاوضات والعرب قد فرقت بين لفظ البيع ولفظ الهبة فجعلت لفظ البيع على ما يستحق فيه العوض والهبة بخلاف ذلك ودليلنا ما رواه مالك في موطاه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايما رجل وهب هبة يرى انها للثواب فهو على هبته حتى يرضى منها ونحوها عن علي رضي الله عنه انه قال المواهب ثلاثة موهبة يراد بها وجه الله وموهبة يراد بها وجوه الناس وموهبة يراد بها الثواب فموهبة الثواب يرجع فيها صاحبها اذا لم يثب وترجم البخاري رحمه الله باب المكافاة في الهبة وساق حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واثاب على لقحة ولم ينكر على صاحبها حين طلب الثواب وانما انكر سخطه للثواب وكان زايدا على القيمة خرجه الترمذي الثالثة ما ذكره علي رضي الله عنه وفصله من الهبة صحيح وذلك ان الواهب لا يخلو في هبته من ثلاثة احوال احدها ان يريد بها وجه الله تعالى ويبتغي عليه الثواب منه والثاني ان يريد بها وجوه الناس رياء ليحمدوه عليها ويثنوا عليه من اجلها والثالث ان يريد بها الثواب من الموهوب له وقد مضى الكلام فيه وقال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فاما اذا اراد بهبته وجه الله تعالى ابتغى عليه الثواب من عنده فله ذلك عند الله بفضله ورحمته قال الله تعالى وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وكذلك من يصل قرابته ليكون غنيا حتى لا يكون كلا فالنية في ذلك متبوعة فان كان ليتظاهر بذلك دنيا فليس لوجه الله وان كان لما له عليه من حق القرابة وبينهما من وشيجة الرحم فانه لوجه الله واما من اراد بهبته وجوه الناس رياء ليحمدوه عليها ويثنوا عليه من اجلها فلا منفعة له في هبته لا ثواب في الدنيا ولا اجر في الاخرة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس الاية واما من اراد بهبته الثواب من الموهوب له فله ما اراد بهبته وله ان يرجع فيها ما لم يثب بقيمتها على مذهب ابن القاسم او ما لم يرض منها بازيد من قيمتها على ظاهر قول عمر وعلي وهو قول مطرف في الواضحة ان الهبة ما كانت قائمة العين وان زادت او نقصت فللواهب الرجوع فيها وان اثابه الموهوب فيها اكثر منها وقد قيل انها اذا كانت قائمة العين لم تتغير فانه ياخذ ما شاء وقيل تلزمه القيمة كنكاح التفويض واما اذا كانت بعد فوت الهبة فليس له الا القيمة اتفاقا قاله ابن العربي الرابعة قوله تعالى ليربوا قراءة جمهور القراء ليربوا بالياء واسناد الفعل الى الربا وقرا نافع وحده بضم التاء ساكنة على المخاطبة بمعنى تكونوا ذوي زيادات وهذه قراءة ابن عباس والحسن وقتادة والشعبي قال ابو حاتم هي قراءتنا وقرا ابو مالك ليربوها بضمير مؤنث فلا يربو عند الله اي لا يزكو ولا يثيب عليه لانه لا يقبل الا ما اريد به وجهه وكان خالصا له وقد تقدم في النساء وما آتيتم من زكاة قال ابن عباس اي من صدقة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون اي ذلك الذي يقبله ويضاعفه له عشرة اضعافه او اكثر كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا

كثيرة قال ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة وقال
فاولئك هم المضعفون ولم يقل فانتم المضعفون لانه رجع من المخاطبة الى الغيبة مثل قوله حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وفي معنى المضعفين قولان احدهما تضاعف لهم الحسنات كما ذكرنا والاخر
انهم قد اضعف لهم الخير والنعيم اي هم اصحاب اضعاف كما يقال فلان مقو اذا كانت ابله قوية
او له اصحاب اقوياء ومسمن اذا كانت له ابل سمان ومعطش اذا كانت له ابل عطاش ومضعف اذا كانت
ضعيفة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم
فالمخبث الذي اصحابه خبثة ويقال فلان ردي او هو ردي في نفسه ومردي اصحابه اردياء
قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون الله الذي خلقكم ابتدا وخبر وعاد الكلام الى
الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرازق المميت المحيي ثم قال على جهة الاستفهام هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء لا يفعل ثم نزه نفسه عن الانداد والاضداد والصاحبة والاولاد بقوله الحق سبحانه
وتعالى عما يشركون واضاف الشركاء اليهم لانهم كانوا يسمونهم بالالهة والشركاء ويجعلون لهم من
اموالهم **قوله تعالى** ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي
عملوا لعلهم يرجعون اختلف في معنى الفساد في البر والبحر فقال قتادة والسدي الفساد الشرك
وهو اعظم الفساد وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد فساد البر قتل ابن ادم اخاه قابيل قتل هابيل وفي البحر
بالملك الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وقيل الفساد القحط وقلة النبات وذهاب البركة ونحوه قال
ابن عباس قال هو نقصان البركة باعمال العباد كي يتوبوا قال النحاس وهو احسن ما قيل في الاية وعنه
ايضا ان الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني ادم وقال عطية فاذا قل المطر قل الغوص عنده واخفق
الصيادون وعميت دواب البحر وقال ابن عباس اذا امطرت السما تفتحت الاصداف في البحر فما وقع فيها
من السماء فهو لؤلؤ وقيل الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل الفساد المعاصي وقطع السبيل
والظلم اي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات والمعنى كله متقارب
والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس لا ما قاله بعض العباد ان البر اللسان
والبحر القلب لظهور ما على اللسان وخفاء ما على القلب وقيل البر الفيافي والبحر القرى قاله عكرمة
والعرب تسمي الامصار البحار وقال قتادة البر اهل العمود والبحر اهل القرى والريف وقال ابن عباس
ان البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر والبحر ما كان على شط نهر وقاله مجاهد قال اما والله ما هو
بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهي بحر قال معناه النحاس قال في معناه قولان احدهما ظهر الجدب في البر
اي في البوادي وقراها وفي البحر اي في مدن البحر مثل واسال القرية اي ظهر قلة الغيث وغلاء السعر
بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا ثم حذف والقول الاخر انه ظهرت المعاصي
من قطع السبيل والظلم فهذا هو الفساد على الحقيقة والاول مجاز الا انه على الجواب الثاني فيكون في
الكلام حذف واختصار دل عليه ما بعده ويكون المعنى ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهما
الغيث واغلى سعرهم ليذيقهم عذاب بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون لعلهم يتوبون وقال بعض الذي
عملوا لان معظم الجزاء في الاخرة والقراءة ليذيقهم بالياء وقرا ابن عباس بالنون وهي قراءة السلمي
وابن محيصن وقنبل ويعقوب على التعظيم اي نذيقهم عقوبة بعض ما عملوا **قوله تعالى** قل
سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين اي
قل لهم يا محمد سيروا في الارض ليعتبروا بمن قبلهم وينظروا كيف كان عاقبة الذين من كذب
الرسل كان اكثرهم مشركين اي كافرين فاهلكوا **قوله تعالى** فاقم وجهك للدين القيم
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون قال الزجاج اي اقم قصدك واجعل جهتك
اتباع الدين القيم يعني الاسلام وقيل المعنى اوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل بما انت فيه ولا تحزن
عليهم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له اي لا يرده الله عنهم فاذا لم يرده لم يتهيا لاحد دفعه ويجوز عند
غير سيبويه لا مرد له وذلك عند سيبويه بعيد الا ان يكون في الكلام عطف والمراد يوم القيامة
يومئذ يصدعون قال ابن عباس معناه يتفرقون وقال الشاعر

ظهر الفساد في البر والبحر

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
اي لن يتفرقا ونظيره قوله يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير والاصل يتصدعون ويقال
تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه اشتق الصداع لانه يفرق شعب الراس **قوله تعالى** من كفر فعليه
كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون فعليه كفره اي جزاء كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يوطئون لانفسهم في الاخرة فراشا ومسكنا وقرارا بالعمل الصالح ومنه مهد الصبي والمهاد الفراش وقد
مهدت الفراش مهدا بسطته ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها وتمهيد العذر بسطه وقبوله
والتمهيد التمكن وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد فلانفسهم يمهدون قال في القبر **قوله تعالى**
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين اي يمهدون لانفسهم ليجزيهم
الله من فضله وقيل يصدعون ليجزيهم الله اي ليميز الكافر من المسلم انه لا يحب الكافرين **قوله تعالى**
ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون اي ومن اعلام كمال قدرته ارسال الرياح مبشرات اي بالمطر لانها تتقدمه
وقد مضى في الحجر بيانه وليذيقكم من رحمته يعني الغيث والخصب ولتجري الفلك اي في البحر عند هبوبها وانما
اراد بامره لان الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت
فاغرقتها بامره ولتبتغوا من فضله يعني الرزق بالتجارة ولعلكم تشكرون هذه النعم بالتوحيد والطاعة
وقد مضى هذا كله مبينا **قوله تعالى** ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المومنين بالبينات بالمعجزات والحجج النيرات
فانتقمنا اي فكفروا فانتقمنا ممن كفر وكان حقا علينا نصر المومنين حقا خبر كان ونصر المومنين اسمها
وكان ابو بكر يقف على حقا اي وكان عقابنا حقا ثم قال علينا نصر المومنين ابتدا وخبرا اي اخبرنا به ولا خلف
في خبرنا وروي من حديث ابي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذب عن عرض
اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا وكان حقا علينا نصر المومنين ذكره النحاس
والثعلبي والزمخشري وغيرهم **قوله تعالى** الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في
السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا
هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين قرا ابن محيصن وابن كثير
وحمزة والكسائي الريح بالتوحيد والباقون بالجمع قال ابو عمرو وكل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى
العذاب فهو موحد وقد مضى في البقرة معنى هذه الاية وفي غيرها كسفا جمع كسفة وهي القطعة وفي قراءة
الحسن وابي جعفر وعبد الرحمن الاعرج وابن عامر كسفا باسكان السين وهي ايضا جمع كسفة كما يقال سدرة
وسدر وعلى هذه القراءة يكون المضمر الذي بعده عائدا عليه اي فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله
الكسف لان كل جمع بينه وبين واحده الهاء لا غير فالتذكير فيه حسن ومن قرا كسفا فالمضمر عنده عائد على
السحاب وفي قراءة الضحاك وابي العالية وابن عباس فترى الودق يخرج من خلله ويجوز ان يكون خلل جمع
خلال فاذا اصاب به اي بالمطر من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون يفرحون بنزول المطر عليهم وان
كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي يائسين مكتئبين قد ظهر الحزن عليهم لاحتباس المطر عنهم
ومن قبله تكرير عند الاخفش معناه التاكيد واكثر النحويين على هذا القول قال النحاس وقال قطرب
ان قبل الاولى للانزال والثانية للمطر اي وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر وقيل المعنى من قبل تنزيل
الغيث عليهم من قبل الزرع ودل على الزرع المطر اذ بسببه يكون ودل عليه ايضا فراوه مصفرا على ما ياتي
وقيل المعنى من قبل السحاب من قبل رويته واختار هذا القول النحاس اي من قبل روية السحاب لمبلسين
ليائسين وقد تقدم ذكر السحاب **قوله تعالى** فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها
ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير رحمة الله يعني المطر اي انظروا نظر استبصار واستدلال
اي استدلوا بذلك على ان من قدر عليه قادر على احيا الموتى وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي اثار
بالجمع والباقون بالتوحيد لانه مضاف الى مفرد والاثر فاعل يحيي ويجوز ان يكون الفاعل اسم الله عز وجل
ومن قرا اثار بالجمع فلان رحمة الله يجوز ان يراد بها الكثرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقرا الجحدري وابو حيوة وغيرهما كيف تحيي الارض بالتاء ذهب بالتانيث الى لفظ الرحمة لان اثر

يقوم مقامها فكأنه هو الرحمة أي كيف تحيي الرحمة الأرض والآثار وتحيي أي يحيي الله عز وجل أو المطر أو الأثر فيمن قرأ بالياء وكيف يحيي الأرض في موضع نصب على الحال على الحمل على المعنى لأن اللفظ لفظ الاستفهام والحال خبر والتقدير فانظروا إلى أثر رحمة الله محيية للأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير استدلال بالشاهد على الغائب **قوله تعالى** ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون مصفرا يعني الريح والريح يجوز تذكيره قال محمد بن يزيد لا يمتنع تذكير كل مؤنث غير حقيقي نحو أعجبني الدار وشبهه وقيل فرأوا السحاب وقال ابن عباس الزرع وهو الأثر والمعنى فرأوا الأثر مصفرا واصفرار الزرع بعد اخضراره يدل على يبسه وكذا السحاب يدل على أنه لا يمطر والريح على أنها لا تلقح لظلوا من بعده يكفرون أي ليظلوا وحسن وقوع الماضي في موضع المستقبل لما في الكلام من معنى المجازاة والمجازاة لا تكون إلا بالمستقبل قاله الخليل وغيره **قوله تعالى** فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون أي وضحت الحجج يا محمد لكنهم لإلفهم تقليد الأسلاف في الكفر ماتت عقولهم وعميت بصائرهم فلا يتهيأ لك إسماعهم وهدايتهم وهذا رد على القدرية إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا أي لا يسمع مواعظ الله إلا المؤمنين الذين يصغون إلى أدلة التوحيد وخلقت لهم الهداية وقد مضى هذا في النمل ووقع قوله بهادي العمي هنا بغير ياء **قوله تعالى** الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ذكر استدلالا آخر على قدرته في نفس الإنسان ليعتبر ومعنى من ضعف من نطفة ضعيفة وقيل من ضعف أي في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولية والصغر ثم جعل من بعد ضعف قوة يعني الشبيبة ثم جعل من بعد قوة ضعفا يعني الهرم وقرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد فيهن والباقون بالضم لغتان والضم لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الجحدري من ضعف ثم جعل من بعد ضعف بالفتح فيهما ضعفا بالضم خاصة أراد أن يجمع بين اللغتين قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم الجوهري الضعف والضعف خلاف القوة وقيل الضعف بالفتح في الرأي وبالضم في الجسد ومنه الحديث في الرجل الذي كان يخدع في البيوع أنه يبتاع وفي عقدته ضعف وشيبة مصدر كالشيب والمصدر يصلح للجملة وكذلك القول في الضعف والقوة يخلق ما يشاء يعني من قوة وضعف وهو العليم بتدبيره القدير على إرادته وأجاز النحويون الكوفيون من ضعف بفتح العين وكذا كل ما كان فيه حرف من حروف الحلق ثانيا أو ثالثا **قوله تعالى** ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون يقسم المجرمون أي يحلف المشركون ما لبثوا غير ساعة ليس فيها رد لعذاب القبر إذ كان قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير طريق أنه تعوذ منه وأمر أن يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة وهي تقول اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم أو عذاب القبر في أحاديث مشهورة خرجها مسلم والبخاري وغيرهما وقد ذكرنا منها جملة في كتاب التذكرة وفي معنى ما لبثوا غير ساعة قولان أحدهما أنه لا بد من خمدة قبل يوم القيامة فعلى هذا قالوا ما لبثنا غير ساعة والقول الآخر أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وإن كانوا قد أقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون قال الله تعالى كذلك كانوا يؤفكون أي كانوا يكذبون في الدنيا يقال أفك الرجل إذا صرف عن الصدق والخير وأرض مأفوكة ممنوعة من المطر وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن يكون فيها كذب لما هم فيه والقرآن يدل على غير ذلك قال الله عز وجل كذلك كانوا يؤفكون أي كما صرفوا عن الحق في قسمهم أنهم ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يصرفون عن الحق في الدنيا وقال عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون وقال ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا **قوله تعالى** وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون اختلف في الذين أوتوا العلم فقيل الملائكة وقيل الأنبياء وقيل علماء الأمم وقيل مؤمنو هذه الأمة وقيل جميع المؤمنين أي يقول المؤمنون للكفار ردا عليهم لقد لبثتم في قبوركم إلى يوم البعث والفاء في قوله

وأرض مأفوكة ممنوعة من المطر

فهذا يوم البعث جواب لشرط محذوف دل عليه الكلام مجازه إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وحكى يعقوب عن بعض القراء وهي قراءة الحسن إلى يوم البعث بالتحريك وهذا مما فيه حرف من حروف الحلق وقيل معنى في كتاب الله في حكم الله وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث قاله مقاتل وقتادة والسدي القشيري وعلى هذا أوتوا العلم بمعنى كتاب الله وقيل الذين حكم لهم في الكتاب بالعلم فهذا يوم البعث أي اليوم الذي كنتم تنكرونه **قوله تعالى** فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون معذرتهم أي لا ينفعهم العلم بالقيامة ولا الاعتذار يومئذ وقيل لما رد عليهم المؤمنون سألوا الرجوع إلى الدنيا واعتذروا فلم يعذروا ولا هم يستعتبون أي ولا حالهم حال من يستعتب ويرجع يقال استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني وذلك إذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه وسيأتي في فصلت بيانه وقرأ عاصم وحمزة والكسائي فيومئذ لا ينفع بالياء والباقون بالتاء **قوله تعالى** ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون من كل مثل أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل ولئن جئتهم بآية أي معجزة كفلق البحر والعصا وغيرهما ليقولن الذين كفروا إن أنتم يا معشر المؤمنين إلا مبطلون أي تتبعون الباطل والسحر كذلك أي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك يطبع على قلوب الذين لا يعلمون أدلة التوحيد فاصبر إن وعد الله حق أي اصبر على أذاهم فإن الله ينصرك ولا يستخفنك أي لا يستفزنك عن دينك الذين لا يوقنون قيل هو النضر بن الحارث والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته يقال استخف فلان فلانا أي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي وهو في موضع جزم بالنهي أكد بالنون الثقيلة فبني على الفتح كما يبنى الشيئان إذا ضم أحدهما إلى الآخر الذين لا يوقنون في موضع رفع ومن العرب من يقول اللذون في موضع رفع وقد مضى في الفاتحة ختمت السورة بعون الله تعالى

تفسير سورة لقمان

وهي مكية غير آيتين قال قتادة أولهما ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام إلى آخر الآيتين وقال ابن عباس ثلاث آيات أولهن ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وهي أربع وثلاثون آية

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل برحمتك يا أرحم الراحمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون مضى الكلام في فواتح السور وتلك في موضع رفع على إضمار مبتدأ أي هذه تلك آيات الكتاب الحكيم بدل من تلك والكتاب القرآن والحكيم المحكم أي لا خلل فيه ولا تناقض وقيل ذو الحكمة وقيل الحاكم هدى ورحمة بالنصب على الحال مثل هذه ناقة الله لكم آية وهذه قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم والكسائي وقرأ حمزة هدى ورحمة بالرفع وهو من وجهين أحدهما على إضمار مبتدأ لأنه أول آية والآخر أن يكون خبر تلك والمحسن الذي يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه وقيل هم المحسنون في الدين وهو الإسلام قال الله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله الآية الذين يقيمون الصلاة في موضع الصفة ويجوز الرفع على القطع بمعنى هم الذين والنصب بإضمار أعني وقد مضى الكلام في هذه الآية والتي بعدها في البقرة وغيرها **قوله تعالى** ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين فيه خمس مسائل الأولى قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث من في موضع رفع بالابتداء ولهو الحديث الغناء في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما النحاس وهو ممنوع بالكتاب والسنة والتقدير من يشتري ذات لهو أو ذا لهو مثل واسأل القرية أو يكون التقدير لما كان إنما اشتراها يشتريها ويبالغ في ثمنها كأنه اشتراها للهو قال الشيخ رحمه الله هذه إحدى الآيات الثلاث التي استدل بها العلماء على كراهة الغناء والمنع منه والآية الثانية قوله وأنتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بالحميرية اسمدي لنا أي غني لنا والآية الثالثة قوله واستفزز

من استطعت منهم بصوتك قال مجاهد الغنا والمزامير وقد مضي في سبحان الكلام فيه وروي الترمذي عن ابي
امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في
تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا انزلت هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل
الله الي اخر الاية قال ابو عيسي هذا حديث غريب انما يروي من حديث القاسم عن ابي امامة والقاسم ثقة وعلي
بن زيد يضعف في الحديث قاله محمد بن اسمعيل قال ابن عطية وبهذا فسر ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد
الله ومجاهد وذكر ابو الفرج الجوزي عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والنخعي قال الشيخ رحمه الله هذا
اعلي ما قيل في هذه الاية وحلف علي ذلك ابن مسعود بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات انه الغنا وروي سعيد
بن جبير عن ابي الصهباء البكري قال سيل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالي ومن الناس من يشتري لهو الحديث
فقال الغنا والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وعن ابن عمر هو الغنا وكذلك قال عكرمة وميمون
بن مهران وروي شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغنا ينبت
النفاق في القلب وقاله مجاهد وزاد ان لهو الحديث في الاية الاستماع الي الغنا والي مثله من الباطل وقال
الحسن لهو الحديث المعازف والغنا وقال القاسم بن محمد الغنا باطل والباطل في النار وقال ابن القاسم سالت
مالكا عنه فقال قال الله تعالي فماذا بعد الحق الا الضلال افحق هو وترجم البخاري باب

كل لهو باطل اذا اشغل عن طاعة الله ومن قال لصاحبه تعال اقامرك وقوله تعالي ومن الناس من يشتري
لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا فقوله اذا اشغل عن طاعة ماخوذ من قوله تعالي ليضل
عن سبيل الله وعن الحسن ايضا هو الكفر والشرك وتاوله قوم علي الاحاديث التي يلتهي بها اهل الباطل
باللعب وقيل نزلت في النضر بن الحارث لانه اشتري كتب الاعاجم رستم واسفنديار فكان يجلس بمكة
فاذا قالت قريش ان محمدا قال كذا ضحك منه وحدثهم باحاديث ملوك الفرس ويقول حديثي هذا احسن من
حديث محمد حكاه الفرا والكلبي وغيرهما وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام
الا انطلق به الي قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام
وان تقاتل بين يديه وهذا القول والاول ظاهر في الشرا وقالت طايفة الشرا في هذه الاية مستعار
وانما نزلت الاية في احاديث قريش وتلهيهم بامر الاسلام وخوضهم في الباطل قال ابن عطية فكان ترك ما يجب
فعله وامتثال هذه المنكرات شرا لها علي حد قوله تعالي اوليك الذين اشتروا الضلالة بالهدي اشتروا الكفر
بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وقال مطرف شرا لهو الحديث استحبابه قتادة ولعله لا ينفق
فيه مالا ولكن سماعه شراوه قال الشيخ رحمه الله القول الاول اولي ما قيل به في هذا الباب للحديث المرفوع
فيه وقول الصحابة والتابعين فيه وقد زاد الثعلبي والواحدي في حديث ابي امامة وما من رجل يرفع صوته
بالغنا الا بعث الله عليه شيطانين احدهما علي هذا المنكب والاخر علي هذا المنكب فلا يزالان يضربان
بارجلهما حتي يكون هو الذي يسكت وروي الترمذي وغيره من حديث انس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال صوتان ملعونان فاجران انهي عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نغمة ومرح ورنة عند مصيبة
لطم خدود وشق جيوب وروي جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي رض قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلاني وخرج بن بشران عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل وروي الترمذي من حديث علي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القينات والمعازف
وفي حديث ابي هريرة وظهرت القينات والمعازف وروي ابن المبارك عن مالك بن انس عن محمد بن المنكدر
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس الي قينة يسمع منها صب في اذنه الانك يوم القيامة
وروي اسد بن موسي عن عبد العزيز بن ابي سلمة عن محمد بن المنكدر قال بلغنا ان الله تعالي يقول يوم القيامة
اين عبادي الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان احلوهم رياض المسك
واخبروهم اني قد احللت عليهم رضواني وروي ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر مثله وزاد بعضهم
قوله المسك ثم يقول للملايكة اسمعوهم حمدي وشكري وثناء يدي واخبروهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقد روي مرفوعا هذا المعني من حديث ابي موسي الاشعري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع
الي صوت غناء لم يوذن له ان يسمع الروحانيين فقيل ومن الروحانيون يا رسول الله قال قرا اهل الجنة

كل لهو باطل

خمس عشرة خصلة

ابو عبد الله

خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد ذكرناه في كتاب التذكرة مع نظايره فمن شرب الخمر في الدنيا لم
يشرب بها في الاخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة الي غير ذلك وكل ذلك صحيح المعني علي ما بيناه
هناك ومن رواية مكحول عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية
فلا تصلوا عليه ولهذه الاثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغنا وهي المسالة **الثانية** الغنا المعتاد عند المشتهرين
به الذي يحرك النفوس ويبعثها علي الهوي والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع
اذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النسا ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه
لانه اللهو والغنا المذموم بالاتفاق فاما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في اوقات الفرح كالعرس والعيد
وعند التنشيط علي الاعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق وحدو الحبشة وسلمة بن الاكوع فاما ما ابتدعته
الصوفية اليوم من الادمان علي سماع المغاني بالالات المطربة من الشبابات والطار والمعازف والاوتار
فحرام ابن العربي فاما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو وفي اليراعة تردد والدف
مباح قال القشيري ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل المدينة فهم ابو بكر بالزجر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعهن يا ابا بكر حتي تعلم اليهود ان ديننا فسيح فكن يضربن ويقلن

نحن بنات النجار حبذا محمد من جار

وقد قيل ان الطبل في النكاح كالدف وكذلك الالات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام
ولم يكن فيه رفث **الثالثة** الاشتغال بالغنا علي الدوام سفه ترد به الشهادة فان لم يدم لم ترد وذكر اسحاق بن عيسي
الطباع قال سالت مالكا عما يرخص فيه اهل المدينة من الغنا فقال انما يفعله عندنا الفساق وذكر ابو الطيب
طاهر بن عبد الله الطبري قال اما مالك بن انس فانه نهي عن الغنا وعن استماعه وقال اذا اشتري جارية ووجدها
مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب ساير اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد فانه حكي عنه زكريا
الساجي انه كان لا يري به باسا وقال ابن خويزمنداد فاما مالك فيقال عنه وانا غلام شاب فقالت لي امي اي بني
ان هذه الصناعة يصلح لها من كان صبيح الوجه ولست كذلك فاطلب العلوم الدينية فصحبت ربيعة فجعل
الله في ذلك خيرا قال ابو الطيب الطبري واما مذهب ابي حنيفة فانه يكره الغنا مع اباحته شرب النبيذ
ويجعل سماع الغنا من الذنوب وكذلك مذهب ساير اهل الكوفة ابراهيم والشعبي وحماد والثوري وغيرهم
لا اختلاف بينهم في ذلك وكذلك لا يعرف بين اهل البصرة خلاف في كراهية ذلك والمنع منه الا ما روي عن
عبيد الله بن الحسن العنبري انه كان لا يري به باسا قال واما مذهب الشافعي فقال الغنا مكروه يشبه الباطل ومن
استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وذكر ابو الفرج الجوزي عن امامه احمد بن حنبل ثلاث روايات قال وقد ذكر
اصحابنا عن ابي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز اباحة الغنا وانما اشاروا الي ما كان في زمانهما من القصايد
الزهديات قال وعلي هذا يحمل لم يكرهه احمد ويدل عليه انه سيل عن رجل مات وخلف ولدا وجارية مغنية
فاحتاج الصبي الي بيعها فقال تباع علي انها ساذجة لا علي انها مغنية فقيل له انها تساوي ثلاثين الفا ولعلها اذا
بيعت ساذجة تساوي عشرين الفا فقال لا تباع الا علي انها ساذجة قال ابو الفرج وانما قال احمد هذا لان
هذه الجارية المغنية لا تغني بقصايد الزهد بل بالاشعار المطربة المثيرة الي العشق وهذا دليل علي ان
الغنا محظور اذ لو لم يكن محظورا ما جاز تفويت المال علي اليتيم وصار هذا كقول ابي طلحة للنبي صلى الله عليه وسلم عندي خمر
لايتام فقال ارقها فلو جاز استصلاحها لما امر بتضييع مال اليتامي قال الطبري فقد اجمع علما الامصار علي كراهة
الغناء والمنع منه وانما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليكم بالسواد الاعظم ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية قال ابو الفرج وقال القفال من اصحابنا لا
تقبل شهادة المغني والرقاص قال الشيخ رحمه الله واذ قد ثبت ان هذا الامر لا يجوز فاخذ الاجرة عليه
لا يجوز وقد ادعي ابو عمر بن عبد البر الاجماع علي تحريم الاجرة علي ذلك وقد مضي في الانعام عند قوله وعنده
مفاتح الغيب وحسبك **الرابعة** قال القاضي ابو بكر بن العربي واما سماع القينات فيجوز للرجل ان يسمع
غنا جاريته اذ ليس شي منها عليه حرام لا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها اما انه لا
يجوز انكشاف النسا للرجال ولا هتك الاستار ولا سماع الرفث فاذا خرج ذلك الي ما لا يحل ولا يجوز منع
من اوله واجتث من اصله وقال ابو الطيب الطبري واما سماع الغنا من المراة التي ليست بمحرم فان اصحاب
الشافعي قالوا لا يجوز سواء كانت حرة او مملوكة قال وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها

الدف مباح

فهو سفيه ترد شهادته ثم غلظ القول فيه فقال وهي دياثة وانما جعل صاحبها سفيها لانه دعي الناس الي الباطل ومن دعي الناس الي الباطل كان سفيها الخامسة قوله ليضل عن سبيل الله قراة العامة بضم اليا اي ليضل غيره عن طريق الهدي واما اضل غيره فقد ضل وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد وابو عمرو ورويس وابن ابي اسحق بفتح اليا علي اللازم اي ليضل هو نفسه ويتخذها هزوا قراة المدنيين وابي عمرو وعاصم بالرفع عطفا علي من يشتري ويجوز ان يكون مستانفا وقرا الاعمش وحمزة والكسائي ويتخذها بالنصب عطفا علي ليضل ومن الوجهين جميعا لا يحسن الوقف علي قوله بغير علم والوقف علي قوله هزوا والها في يتخذها كناية عن الايات ويجوز ان تكون كناية عن السبيل لان السبيل تونث وتذكر اولئك لهم عذاب اليم مهين اي شديد يهينهم قال الشاعر

ولقد جزعت الي النصاري بعدما | لقي الصليب من العذاب مهينا

قوله تعالي واذا تتلي عليه اياتنا ولي مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم اياتنا يعني القران ولي اي اعرض مستكبرا نصب علي الحال كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا اي ثقلا وصمما وقد تقدم فبشره بعذاب اليم تقدم ايضا قوله تعالي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم لما ذكر عذاب الكفار ذكر نعيم المومنين خالدين فيها اي دايمين وعد الله حقا اي وعدهم الله هذا وعدا حقا لا خلف فيه تقدم وهو العزيز الحكيم تقدم ايضا قوله تعالي خلق السموات بغير عمد ترونها والقي في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم يكون ترونها في موضع خفض علي النعت لعمد فيمكن ان يكون ثم عمد ولكن لا تري ويجوز ان يكون في موضع نصب علي الحال من السموات ولا عمد ثم البتة النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول الاولي ان يكون مستانفا ولا عمد ثم قاله مكي ويكون بغير عمد التمام وقد مضي في الرعد الكلام في هذه الاية والقي في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد في موضع نصب اي كراهية ان تميد والكوفيون يقدرونه بمعني لئلا تميد وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم عن ابن عباس من كل لون حسن وتاوله الشعبي علي الناس لانهم مخلوقون من الارض قال من كان منهم يصير الي الجنة فهو الكريم ومن كان منهم يصير الي النار فهو اللئيم وقد تاول غيره ان النطفة مخلوقة من تراب بظاهر القران يدل علي هذا ذلك قوله تعالي هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذا خلق الله مبتدا وخبر والخلق بمعني المخلوق اي هذا الذي ذكرته مما تعاينون خلق الله اي مخلوق الله اي خلقها من غير شريك فاروني معاشر المشركين ماذا خلق الذي من دونه يعني الاصنام بل الظالمون اي المشركون في ضلال مبين اي خسران ظاهر وما استفهام في موضع رفع بالابتداء وخبره ذا وذا بمعني الذي وخلق واقع علي ها محذوفة تقديره فاروني اي شي خلق الذين من دونه والجملة في موضع نصب باروني وتضمر الها مع خلق تعود علي الذي اي فاروني الاشيا التي خلقها الذين من دونه وعلي هذا القول تقول ماذا تعلمت انحو ام شعر ويجوز ان تكون ما في موضع نصب باروني وذا زايد وعلي هذا تقول ماذا تعلمت انحوا ام شعرا قوله تعالي ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني حميد لقمان الحكمة مفعولان ولم ينصرف لقمان لان في اخره الفا ونونا زايدتين فاشبه فعلان الذي انثاه فعلي فلم ينصرف في المعرفة لان ذلك ثقل ثان وانصرف في النكرة لان احد الثقلين قد زال قاله النحاس وهو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو ازر ابو ابراهيم كذا نسبه محمد بن اسحاق وقيل هو لقمان بن عنقا بن سرون وكان نوبيا من اهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب كان ابن اخت ايوب وقال مقاتل ذكر انه كان ابن خالة ايوب الزمخشري وهو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد ازر عاش الف سنة وادرك داود واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوي فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقال الواقدي كان قاضيا في بني اسرايل قال سعيد بن المسيب كان لقمان اسود من سودان مصر ذو مشافر اعطاه الله تعالي الحكمة ومنعه النبوة وعلي هذا جمهور اهل التاويل انه كان وليا ولم يكن نبيا وقال بنبوته عكرمة والشعبي وعلي هذا تكون الحكمة النبوة والصواب انه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالي وهي الصواب في المعتقدات والفقه في الدين والعقل قاضيا في بني اسرايل اسود مشقق الرجلين ذا مشافر اي عظيم الشفتين قاله ابن عباس وغيره وروي من حديث ابن عمر قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم

فهرس لقمان

يقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال رب ان خيرتني قبلت العافية وتركت البلا وان عزمت علي فسمعا وطاعة فانك ستعصمني ذكره ابن عطية وزاد الثعلبي فقالت له الملايكة بصوت لا يراهم لم يا لقمن قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ان يعن فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون فيها شريفا ومن يختر الدنيا علي الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملايكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها يعني الخلافة ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوي في الخطية غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبي لك يا لقمن لقد اعطيت الحكمة وصرف عنك البلا واعطي داود الخلافة وابتلي بالبلا والفتنة وقال قتادة خير الله تعالي لقمن بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة علي النبوة فاتاه جبريل عليه السلم وهو نايم فذر عليه الحكمة فاصبح وهو ينطق بها فقيل له كيف اخترت الحكمة علي النبوة وقد خيرك ربك فقال لو ارسل الي بالنبوة عزمة لرجوت فيها العون منه ولكنه خيرني فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الي واختلف في صنعته فقيل كان خياطا قاله سعيد بن المسيب وقال لرجل اسود لا تحزن من انك اسود فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولي عمر ولقمان وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة حطب وقال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وقيل كان راعيا فراه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال الست عبد بني فلان قال بلي قال فما بلغ بك ما اري قال قدر الله واداي الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني قاله عبد الرحمن بن زيد بن جابر وقال خالد الربعي كان نجارا فقال له سيده اذبح لي شاة وايتني باطيبها مضغتين فاتاه باللسان والقلب فقال له ما كان فيها شي اطيب من هاذين فسكت ثم امره بذبح شاة اخري ثم قال له الق اخبثها مضغتين فالقي اللسان والقلب فقال امرتك ان تاتي باطيب مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي اخبثها فالقيت اللسان والقلب فقال له ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قال الشيخ رحمه الله هذا معناه مرفوع في غير ما حديث من ذلك قوله صلي الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وجا في اللسان اثار كثيرة صحيحة منها قوله عليه السلام من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة ما بين لحييه ورجليه الحديث وحكم لقمان كثيرة ماثورة هذا منها وقيل له اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان راه الناس مسيئا قال الشيخ رحمه الله وهذا ايضا مرفوع معني قال صلي الله عليه وسلم كل امتي معافي الا المجاهرون وان من الجهار ان يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه رواه ابو هريرة خرجه البخاري وقال وهب بن منبه قرات من حكمة لقمان ارجح من عشرة الاف باب وروي انه دخل علي داود وهو يسرد الدروع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود حق ما سميت حكيما قوله تعالي ان اشكر لله فيه تقديران احدهما ان تكون ان بمعني اي مفسرة اي قلنا له اشكر والقول الاخر انها في موضع نصب والفعل داخل في صلتها كما حكي سيبويه كتبت اليه ان قم الا ان هذا الوجه عنده بعيد وقال الزجاج المعني ولقد اتينا لقمان الحكمة لان يشكر لله تعالي وقيل اي بان اشكر لله فشكر فكان حكيما بشكره لنا والشكر لله طاعته فيما امر به وقد مضي القول في حقيقته لغة ومعني في البقرة وغيرها ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اي من يطع الله فانما يعمل لنفسه لان نفع الثواب عايد اليه ومن كفر اي كفر النعم فلم يوحد الله فان الله لغني عن عبادة خلقه حميد عند الخلق اي محمود وقال يحيي بن سلام غني عن خلقه حميد في فعله قوله تعالي واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وهو يعظه قال السهيلي اسم ابنه ثاران في قول الطبري والقتبي وقال الكلبي مشكم وقيل انعم حكاه النقاش وذكر القشيري ان ابنه وامراته كانا كافرين فما زال يعظهما حتي اسلما قال الشيخ رحمه الله ودل علي هذا قوله لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك علي اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم واختلف في قوله ان

اللسان والقلب

الشرك لظلم عظيم فقيل انه من كلام لقمان وقيل هو خبر من الله منقطعا من كلام لقمان متصلا به في تاكيد المعنى ويويده هذا الحديث الماثور انه لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اشفق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم نظلم فانزل الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فسكن اشفاقهم وانما يسكن اشفاقهم بان يكون خبرا من الله تعالى وقد يسكن الاشفاق بان يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد واذ في موضع نصب بمعنى اذكر وقال الزجاج في كتابه في القران ان اذ في موضع نصب باتينا والمعنى ولقد اتينا لقمان الحكمة اذ قال النحاس واحسبه غلطا لان في الكلام واوا يمنع من ذلك وقال يا بني بكسر الياء لانها دالة على الياء المحذوفة ومن فتحها فلخفة الفتحة عنده وقد مضى في يوسف القول في هذا وقوله يا بني ليس هو على حقيقة التصغير وان كان على لفظه وانما هو على وجه الترقيق كما يقال للرجل يا اخي وللصبي هو كويس **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبيكم بما كنتم تعملون فيه ثمان مسايل **الاولى** قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه هاتان الايتان اعتراض بين اثنا وصية لقمن وقيل ان هذا انما اوصى به لقمان ابنه اخبر الله به عنه اي قال لقمان لابنه لا تشرك بالله ولا تطع في الشرك والديك فان الله وصى بهما في طاعتهما مما لا يكون شركا ومعصية لله تعالى وقيل اي واذ قال لقمان لابنه فقلنا للقمان فيما اتيناه من الحكمة ووصينا الانسان بوالديه اي قلنا له اشكر لله وقلنا له ووصينا الانسان وقيل واذ قال لقمان لابنه لا تشرك ونحن وصينا الانسان بوالديه حسنا وامرنا الناس بهذا وامر لقمان به ابنه ذكر الاقوال القشيري والصحيح ان هاتين الايتين نزلتا في شان سعد بن ابي وقاص كما تقدم في العنكبوت وعليه جماعة من المفسرين وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الاعيان وتلزم طاعتهما في المباحات وليستحسن في ترك الطاعات الندب ومنه امر الجهاد الكفاية والاجابة للام في الصلاة مع امكان الاعادة على ان هذا اقوى من الندب لكن يعلل بخوف هلكة عليها ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون اقوى من الندب وخالف الحسن في هذا الفصل فقال ان منعته امه من شهود العشاء شفقة فلا يطعها **الثانية** لما خص تعالى الام بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل بذلك ثلاث مراتب وللاب واحدة واشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ثم ابوك فجعل له الربع من المبرة كالاية وقد مضى هذا كله في سبحان **الثالثة** قوله تعالى وهنا على وهن اي حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف وقيل المراة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل وقرا عيسى الثقفي وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما ورويت عن ابي عمرو وهما بمعنى واحد قال قعنب ابن ام صاحب

هل للعواذل من ناه فيزجرها ... ان العواذل فيها الاين والوهن

يقال وهن يهن ووهن يوهن مثل ورم يرم وانتصبا وهنا على المصدر ذكره القشيري النحاس على المفعول الثاني باسقاط حرف الجر اي حملته بضعف على ضعف وقرا الجمهور وفصاله وقرا الحسن ويعقوب وفصله وهما لغتان اي وفصاله في انقضاء عامين والمقصود من الفصال الفطام فعبر بغايته ونهايته ويقال انفصل عن كذا اي تميز وبه سمي الفصيل **الرابعة** الناس مجمعون على العامين في مدة الرضاع في باب الاحكام والنفقات واما في تحريم اللبن فحددت فرقة بالعام لا زيادة ولا نقص وقالت فرقة العامان وما اتصل بهما من الشهر ونحوه اذا كان متصل الرضاع وقالت فرقة ان فطم الصبي قبل العامين وترك اللبن فان ما شرب بعد ذلك في الحولين لا يحرم وقد مضى هذا في البقرة مستوفى **الخامسة** قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير ان في موضع نصب في قول الزجاج وان المعنى ووصينا الانسان بوالديه ان اشكر لي النحاس واجود منه ان تكون ان مفسرة والمعنى قلنا له ان اشكر لي ولوالديك قيل الشكر لله على نعمة الايمان وللوالدين على نعمة التربية وقال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما **السادسة** قوله تعالى وان جاهداك الاية قد بينا ان هذه الاية والتي قبلها نزلتا في شان سعد ابن ابي وقاص لما اسلم وان امه وهي حمنة بنت ابي سفيان ابن امية حلفت ان لا تاكل كما تقدم في الاية قبلها **السابعة** قوله تعالى وصاحبهما

في بر الوالدين

في الدنيا معروفا نعت لمصدر محذوف اي مصاحبا معروفا يقال صاحبته مصاحبة ومصاحبا ومعروفا اي ما يحسن والاية دليل على صلة الابوين الكافرين بما امكن من المال ان كانا فقيرين والانة القول والدعا الى الاسلام برفق وقد قالت اسما بنت ابي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قدمت عليها خالتها وقيل امها من الرضاعة فقالت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم وراغبة قيل معناه عن الاسلام قال ابن عطية والظاهر عندي انها راغبة في الصلة وما كانت لتقدم على اسما لولا حاجتها ووالدة اسما هي قتيلة بنت عبد العزى بن عبد اسعد وام عايشة وعبد الرحمن هي ام رومان قديمة الاسلام **الثامنة** قوله تعالى واتبع سبيل من اناب الي وصية لجميع العالم كان المامور الانسان واناب معناه مال ورجع الى الشي وهذه سبيل الانبيا والصالحين وحكى النقاش ان المامور سعد والذي اناب ابو بكر وقال ان ابا بكر لما اسلم اتاه سعد وعبد الرحمن بن عوف وعثمان وطلحة وسعيد والزبير فقالوا امنت قال نعم فنزلت فيه امن هو قانت اناء الليل فلما سمعها الستة امنوا فانزل الله فيهم والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الى قوله اوليك الذين هداهم الله وقيل الذي اناب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس لما اسلم سعد اسلم معه اخوه عامر وعويمر فلم يبق منهم مشرك الا عتبة ثم توعد عز وجل بالبعث من القبور والرجوع اليه للجزا والتوقيف على صغير الاعمال وكبيرها **قوله تعالى** يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير المعنى وقال لقمان لابنه يا بني وهذا القول من لقمان انما قصد به الاعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى وهذه الغاية التي امكنه ان يفهمه لان الخردلة يقال ان الحس لا يدرك لها ثقلا اذ لا ترجح ميزانا اي لو كان للانسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها الى من هي رزقه اي لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن اداء الفرايض وعن اتباع سبيل من اناب قال الشيخ رحمه الله ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود لا يكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وقد نطقت هذه الاية بان الله تعالى قد احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا سبحانه لا شريك له وروي ان ابن لقمان سال اباه عن الحبة تقع في سفل البحر ايعلمها الله فراجعه لقمان بهذه الاية وقيل المعنى انه اراد الاعمال المعاصي والطاعات اي ان تك الحسنة او الخطية مثقال حبة يات بها الله اي لا يفوت الانسان المقدور وقوعها منه وبهذا المعنى تحصل في الموعظة ترجية وتخويف مضاف الى تبيين قدرة الله تعالى وفي القول الاول ليس فيه ترجية ولا تخويف قوله تعالى مثقال حبة عبارة تصلح للجواهر اي قدر حبة وتصلح للاعمال اي ما يزنه على جهة المماثلة قدر حبة ومما يويد قول من قال هي من الجواهر قراة عبد الكريم الجزري فتكن بكسر الكاف وشد النون من الكن الذي هو الشي المغطى وقرا جمهور القراء ان تك بالتاء من فوق مثقال بالنصب على خبر كان واسمها مضمر تقديره مسيلتك على ما روي او المعصية والطاعة على القول الثاني ويدل على صحة قول ابن لقمان لابيه يا ابت ان عملت الخطية حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله تعالى فقال لقمان له يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات الاية فما زال ابنه يضطرب حتى مات قال مثقال والضمير في انها ضمير القصة كقولك انها هند قايمة اي القصة انها ان تك مثقال حبة والبصريون يجيزون انها زيد ضربته بمعنى ان القصة والكوفيون لا يجيزون هذا الا في المونث كما ذكرنا وقرا نافع مثقال بالرفع وعلى هذا تك يرجع الى معنى خردلة اي ان تك حبة من خردل وقد اسند الى المثقال فعلا فيه منه علامة التانيث من حيث انضاف الى مونث هو منه لان مثقال الحبة من الخردل اما سيية او حسنة كما قال فله عشر امثالها فانث وان كان المثل مذكرا لانه اراد الحسنات وهذا كقول الشاعر

مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... اعاليها مر الرياح النواسم

وتك هنا بمعنى تقع فلا تقتضي خبرا قوله تعالى فتكن في صخرة قيل معنى الكلام المبالغة والانتها في التفهيم اي ان قدرته تعالى تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السما والارض وقال ابن عباس الصخرة تحت الارضين السبع وعليها الارض وقيل هي الصخرة على ظهر الحوت وقال السدي هي صخرة ليست في السموات والارض بل هي ورا سبع ارضين عليها ملك قايم لانه قال او في السموات او في الارض وفيهما غنية عن قوله فتكن في صخرة وهذا الذي قاله ممكن ويمكن ان يقال قوله فتكن في صخرة تاكيد كقوله اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا **قوله تعالى** يا بني اقم الصلاة

وامر بالمعروف وانه عن المنكر ان ذلك لمن عزم الامور فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تعالي يا بني
اقم الصلاة وصي ابنه بعظم الطاعات وهي الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا انما يريد به بعد
ان يمتثل ذلك هو في نفسه ويزدجر عن المنكر وهنا هي الطاعات والفضايل اجمع ولقد احسن من قال

وابدا بنفسك فانهها عن غيها　　فاذا انتهت عنه فانت حكيم

في ابيات تقدم في البقرة ذكرها الثانية قوله تعالي واصبر علي ما اصابك يقتضي حضا علي تغيير المنكر
وان نالك ضرر فهو اشعار بان المغير يودي احيانا وهذا القدر علي جهة الندب والقوة في ذات الله واما
علي اللزوم فلا ومضي الكلام في هذا مستوفي في ال عمران والمايدة وقيل امره بالصبر علي شدايد
الدنيا كالامراض وغيرها وان لا يخرج من الجزع الي معصية الله عز وجل وهذا قول حسن لانه يعم
الثالثة قوله تعالي ان ذلك لمن عزم الامور قال ابن عباس من حقيقة الايمان الصبر علي المكاره
وقيل ان الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الامور اي مما عزمه الله وامر به قاله
ابن جريج ويحتمل ان يريد ان ذلك من مكارم الاخلاق وعزايم اهل الحزم السالكين طريق النجاة وقول ابن جريج
اصوب **قوله تعالي** ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال
فخور فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تعالي ولا تصعر خدك قرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسايي وابن
محيصن تصاعر بالالف بعد الصاد وقرا ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد تصعر وقرا الجحدري
تصعر بسكون الصاد والمعني متقارب والصعر الميل ومنه قول الاعرابي

وقد اقام الدهر صعري　　بعد ان اقمت صعره

ومنه قول عمرو بن حني التغلبي

وكنا اذا الجبار صعر خده　　اقمنا له من ميله فتقوم

وانشده الطبري فتقوما قال ابن عطيه وهو خطا لان قافية الشعر مخفوضة وفي بيت اخر

اقمنا له من خده المتصعر

قال الهروي ولا تصاعر اي لا تعرض عنهم تكبرا عليهم
يقال اصاب البعير صعر وصيد اذا اصابه داء يلوي منه عنقه ثم يقال للمتكبر فيه صعر وصيد فمعني لا
تصعر اي لا تلزم خدك الصعر وفي الحديث ياتي علي الناس زمان ليس فيهم الا اصعر وابتر والاصعر
المعرض بوجهه كبرا واراد رذالة الناس الذين لا دين لهم وفي الحديث كل صعار ملعون اي كل ذي ابهة
وكبر الثانية معني الاية ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا واحتقارا لهم وهذا تاويل
ابن عباس وجماعة وقيل هو ان تلوي شدقك اذا ذكر الرجل عندك كانك تحتقره فالمعني اقبل عليهم
متواضعا مونسا مستانسا واذا حدثك اصغرهم فاصغ اليه حتي يكمل حديثه وكذلك كان النبي صلي الله
عليه وسلم يفعل قال الشيخ رحمه الله ومن هذا المعني ما رواه مالك عن ابن شهاب عن انس بن مالك ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم
ان يهجر اخاه فوق ثلاث فالتدابر الاعراض وترك الكلام والسلام ونحوه وانما قيل للاعراض تدابر
لان من ابغضته اعرضت عنه ووليته دبرك وكذلك يصنع هو بك ومن احببته اقبلت عليه بوجهك
وواجهته لتسره ويسرك فمعني التدابر موجود فيمن صعر خده وبه فسر مجاهد الاية وقال ابن خويز منداد
قوله ولا تصاعر خدك للناس كانه نهي ان يذل الانسان نفسه من غير حاجة ونحو ذلك روي عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه قال ليس للانسان ان يذل نفسه الثالثة قوله تعالي ولا تمش في الارض مرحا اي متبخترا
متكبرا مصدر في موضع الحال وقد مضي في سبحان وهو النشاط والمشي فرحا في غير شغل وفي غير حاجة
واهل هذه الخلق ملازمون للفخر والخيلا فالمرح مختال في مشيته روي يحيي بن جابر الطايي عن ابن عايذ
الازدي عن غضيف بن الحارث قال اتيت بيت المقدس انا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال فجلسنا الي عبد
الله بن عمرو بن العاصي فسمعته يقول ان القبر يكلم العبد اذا وضع فيه فيقول يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم
اني بيت الوحدة الم تعلم اني بيت الظلمة الم تعلم اني بيت الحق يا ابن ادم ما غرك بي لقد كنت تمشي حولي
فدادا قال ابن عايذ قلت لغضيف ما الفداد يا ابا اسما قال كبعض مشيتك يا ابن اخي احيانا قال ابو عبيد
والمعني ذا مال كثير وذا خيلا وقال صلي الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلا لا ينظر الله اليه يوم القيامة
والفخور هو الذي يعدد ما اعطي ولا يشكر الله قاله مجاهد وفي اللفظة الفخر بالنسب وغير ذلك
قوله تعالي واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير فيه

ست مسايل الاولي واقصد في مشيك لما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي ان
يستعمله فقال واقصد في مشيك اي توسط فيه والقصد ما بين الاسراع والبطء اذ لا يدب دبيب
المتماوتين ولا يثب وثب الشطار وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بها المومن فاما ما
روي عنه عليه السلام انه كان اذا امشي اسرع وقول عايشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا امشي اسرع فانما
ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت والله اعلم وقد مدح الله من هذه صفته حسب ما تقدم بيانه
في الفرقان الثانية قوله تعالي واغضض من صوتك اي انقص منه اي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه
ما تحتاج اليه فان الجهر باكثر من الحاجة تكلف يوذي والمراد بذلك كله التواضع وقد قال عمر لموذن تكلف
رفع الاذان باكثر من طاقته لقد خشيت ان ينشق مريطاوك والموذن هذا هو ابو محذورة سمرة بن معير
والمريطا ما بين السرة الي العانة الثالثة قوله تعالي ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي اقبحها واوحشها
ومنه اتانا بوجه منكر والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره
مجردا انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين كما يكني عن الاشيا المستقذرة
وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب
الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة وكان النبي عليه السلام يركبه تواضعا وتذللا لله عز وجل
الرابعة في الاية دليل علي تعريف قبح رفع صوت الحمار في المخاطبة والملاحاة بقبح اصوات
الحمير لانها عالية وفي الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله
من الشيطان الرجيم فانها رات شيطانا وقد روي انه ما صاح حمار ولا نبح كلب الا ان يري شيطانا
وقال سفيان الثوري صياح كل شي تسبيح الا نهيق الحمار وقال عطا نهيق الحمار دعا علي الظلمة الخامسة
وفي هذه الاية ادب من الله تعالي بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم او بترك الصياح جملة
وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك فمن كان منهم اشد صوتا كان اعز ومن كان اخفض
كان اذل حتي قال شاعرهم

شعر

جهير الكلام جهير العطاس　　جهير الرواء جهير النعم
ويعدو علي الاين عدو الظليم　　ويعلو الرجال بخلق عمم

فنهي الله سبحانه عن هذه الخلق الجاهلية بقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي لو ان شيا يهاب لصوته
لكان الحمار فجعلهم في المثل سواء السادسة قوله تعالي لصوت الحمير اللام للتاكيد ووحد الصوت
وان كان مضافا الي الجماعة لانه مصدر والمصدر يدل علي الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتا فهو صات
ويقال صوت تصويتا فهو مصوت ورجل صات اي شديد الصوت بمعني صايت كقولهم رجل مال ونال اي كثير
المال والنوال **قوله تعالي** الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة ذكر نعمه علي بني ادم وانه سخر لهم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وملايكة تحوطهم
وتجر اليهم منافعهم وما في الارض عام في الجبال والاشجار والثمار وما لا يحصي واسبغ عليكم نعمه اي اكملها
واتمها وقرا ابن عباس ويحيي بن عمارة واصبغ بالصاد علي بدلها من السين لان حروف الاستعلا تجتذب
السين من سفلها الي علوها فتردها صادا والنعم جمع نعمة كسدرة وسدر بفتح الدال وهي قراءة ابي عمرو ونافع
وحفص الباقون نعمة علي الافراد والافراد يدل علي الكثرة كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي
قراءة ابن عباس من وجوه صحيحة وقيل ان معناها الاسلام قال النبي صلي الله عليه وسلم لابن عباس وقد
ساله عن هذه الاية الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيي عملك النحاس
وشرح هذا ان سعيد بن جبير قال في قول الله تعالي ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم قال
يدخلكم الجنة وتمام نعمة الله عز وجل علي العبد ان يدخله الجنة وكذا لما كان الاسلام يوول امره الي الجنة
سمي نعمة وقيل الظاهرة الصحة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل وقال المحاسبي الظاهرة نعم الدنيا
والباطنة نعم العقبي وقيل الظاهرة ما يري بالابصار من المال والجمال والجاه في الناس وتوفيق الطاعات
والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله عن العبد من الافات وقد سرد
الماوردي في هذا اقوالا تسعة كلها ترجع الي هذا **قوله تعالي** ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم ولا هدي ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه

اذا سمعتم نهيق الحمار

كل صعار ملعون

ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث

ان القبر يكلم العبد اذا وضع

اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير تقدم في الحج وغيرها نزلت في يهودي جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن ربك من اي شي هو فجاءت صاعقة فاخذته قاله
مجاهد وقد مضى هذا في الرعد وقيل انها نزلت في النضر بن الحارث كان يقول ان الملايكة بنات الله قاله
ابن عباس يجادل يخاصم بغير علم اي بغير حجة ولا هدى ولا كتاب منير اي نير بين الا الشيطان فيما يلقي
اليهم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون والا تقليد الاسلاف كما في الاية بعد
ان لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير اي ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير يتبعونه

قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن يسلم وجهه الى الله اي يخلص عبادته وقصده الى الله وهو محسن لان العبادة من غير احسان ولا
من معرفة القلب لا تنفع نظيره ومن يعمل من الصالحات وهو مومن وفي حديث جبريل قال فاخبرني عن
الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقد استمسك بالعروة
الوثقى قال ابن عباس لا اله الا الله وقد مضى في البقرة وقرا علي بن ابي طالب والسلمي وعبد الله بن مسلم بن
يسار ومن يسلم النحاس ويسلم في هذا اعرف كما قال عز وجل فقل اسلمت وجهي لله ومعنى اسلمت وجهي الى الله
قصدت بعبادتي الى الله عز وجل ويكون يسلم على التكثير الا ان المستعمل في سلمت انه بمعنى دفعت في الحنطة
وقد يقال اسلمت الزمخشري قراءة علي ابن ابي طالب والسلمي وعبد الله بن مسلم ابن يسار ومن يسلم النحاس
ويسلم في هذا اعرف كما قال عز وجل فقل اسلمت وجهي لله ومعنى اسلمت وجهي الى الله قصدت بعبادتي
الى الله عز وجل ويكون يسلم الا ان المستعمل في سلمت انه بمعنى دفعت يقال سلمت في الحنطة وقد يقال
اسلمت الزمخشري قرا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك
الى الله فان قلت ماله عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام
انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا ومعناه مع الى راجع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم
المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه والى الله عاقبة الامور اي
مصيرها قوله تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبيهم ان الله عليم بذات
الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ فننبيهم بما عملوا اي نجازيهم ان الله عليم
بذات الصدور نمتعهم قليلا اي نبقيهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها ثم نضطرهم نلجيهم ونسوقهم
الى عذاب غليظ وهو عذاب جهنم ولفظ من يصلح للواحد والجمع فلهذا قال كفره ثم قال مرجعهم وما بعده
على المعنى قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل
اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد اي هم يعترفون بالله ثم
لعنتم يعبدون غيره قل الحمد لله اي على ما هدانا له من دينه وليس الحمد لغيره ولكن اكثرهم لا يعلمون
اي لا ينظرون ولا يتدبرون لله ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا ان الله هو الغني عن خلقه وعن
عبادتهم وانما امرهم لينفعهم الحميد اي المحمود على صنعه قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم لما احتج على المشركين بما احتج بين ان معاني
كلامه سبحانه لا تنفد وانها لا نهاية لها وقال القفال لما ذكر انه سخر لهم ما في السموات وما في الارض
وانه اسبغ النعم نبه على ان الاشجار لو كانت اقلاما والبحار مدادا فكتب بها عجايب صنع الله الدالة على قدرته
ووحدانيته لم تنفد تلك العجايب قال القشيري فرد معنى الكلمات الى المقدورات وحمل الاية على
الكلام القديم اولى والمخلوق لا بد له من نهاية واذا نفيت النهاية عن مقدوراته فهو نفي النهاية
عما يقدر في المستقبل على ايجاده فاما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناهيه والقديم لا نهاية له على
التحقيق وقد مضى الكلام في معنى كلمات الله في اخر الكهف وقال ابو علي المراد بالكلمات والله اعلم ما في
المقدورون ما خرج منه الى الوجود وهذا نحو ما قاله القفال وانما الغرض من الاعلام بكثرة معاني كلمات
الله وهي في نفسها غير متناهية وانما قرب الامر على افهام البشر بما يتناهى لانه غاية ما يعهده البشر
من الكثرة لا انها تنفد باكثر من هذه الاقلام والبحور ومعنى نزول الاية يدل على ان المراد بالكلمات
الكلام القديم قال ابن عباس ان سبب هذه الاية ان اليهود قالت يا محمد كيف عنينا بهذا القول وما اوتيتم
من العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا التوراة فيها كلام الله واحكامه وعندك انها تبيان كل شي فقال

لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التوراة قليل من كثير ونزلت هذه الاية والاية مدنية قال ابو جعفر النحاس
فقد تبين ان الكلمات ها هنا يراد بها العلم وحقايق الاشيا لان الله عز وجل علم قبل ان يخلق الخلق ما هو خالق
في السموات والارض من شي وعلم ما فيه من مثاقيل الذر وعلم الاجناس كلها وما فيها من شعرة وعضو
وما في الشجرة من ورقة وما فيها من ضروب الخلق وما يتصرف فيه من ضروب الطعم واللون فلو سمي كل
دابة وحدها وسمى اجزاها على ما يعلم من قليلها وكثيرها وما تحولت عليه من الاحوال وما زاد فيها
من كل زمان وبين كل شجرة وحدها وما تفرعت اليه وقدر ما ييبس من ذلك في كل زمان ثم كتب البيان على
كل واحد منها وما احاط الله جل ثناوه به منها ثم كان البحر مدادا لذلك البيان الذي بين الله عز وجل عن
تلك الاشيا يمده من بعده سبعة ابحر لكان البيان عن تلك الاشياء اكثر قال الشيخ رحمه الله هذا
معنى قول القفال وهو حسن ان شا الله وقال قوم ان قريشا قالت سيتم هذا الكلام لمحمد وينحسر فنزلت
وقال السدي قالت قريش ما اكثر كلام محمد فنزلت قوله تعالى والبحر يمده قرا الجمهور بالرفع على الابتداء
وخبره في الجملة التي بعدها والجملة في موضع الحال كانه قال والبحر هذه حاله كذا قدرها سيبويه
وقال بعض النحويين هو عطف على ان لانها في موضع رفع بالابتداء وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحاق والبحر بالنصب
على العطف على ما وهي اسم ان وقيل اي ولو ان البحر يمده اي يزيد فيه وقرا ابن هرمز والحسن يمده من امد قالت
فرقة هما بمعنى واحد وقالت فرقة مد الشي بعضه بعضا كما تقول مد النيل الخليج اي زاد فيه وامد
الشي ما ليس منه وقد مضى هذا في البقرة وال عمران وقرا جعفر بن محمد والبحر مداده ما نفدت
كلمات الله تقدم ان الله عزيز حكيم تقدم ايضا وقال ابو عبيدة البحر ها هنا الماء العذب الذي ينبت
الاقلام واما الماء الملح فلا ينبت الاقلام قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان
الله سميع بصير قال الضحاك المعنى ما ابتدا خلقكم جميعا الا كخلق نفس واحدة وما بعثكم يوم القيامة الا
كبعث نفس واحدة قال النحاس وهكذا قدره النحويون بمعنى الا كخلق نفس مثل واسال القرية وقال مجاهد لانه
يقول للقليل والكثير كن فيكون ونزلت الاية في ابي بن خلف وابي الاسدين ومنبه ونبيه ابني الحجاج بن السباق
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يقول انا نبعث
خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة فانزل الله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لان الله تعالى لا يصعب
عليه ما يصعب على العباد وخلقه لجميع العالم كخلقه لنفس واحدة ان الله سميع لما يقولون بصير بما يفعلون
قوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل
وان الله هو العلي الكبير تقدم في الحج والانعام وسخر الشمس والقمر اي ذللهما بالطلوع والافول تقديرا للاجال
واتماما للمنافع كل يجري الى اجل مسمى قال الحسن الى يوم القيامة قتادة الى وقته في طلوعه وافوله لا يعدوه
ولا يقصر عنه وان الله بما تعملون خبير اي من قدر على هذه الاشيا فلا بد من ان يكون عالما بها والعالم بها عالم
باعمالكم وقراءة العامة تعملون بالتاء خطابا وقرا السلمي ونصر بن عاصم والدوري عن ابي عمرو بالياء على الخبر ذلك
اي فعل الله ذلك لتعلموا وتقروا بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل اي الشيطان قاله مجاهد وقيل
ما اشركوا به الله تعالى من الاصنام والاوثان وان الله هو العلي الكبير العلي في مكانته الكبير في سلطانه
قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور ان الفلك اي السفن تجري في موضع الخبر في البحر بنعمة الله اي بلطفه بكم ورحمته لكم في خلاصكم منه وقرا
ابن هرمز بنعمات الله جمع نعمة وهو جمع السلامة وكان الاصل تحريك العين فاسكنت ليريكم من اياته من
للتبعيض اي يريكم جري السفن قاله يحيى بن سلام وقال ابن شجرة من اياته ما تشاهدون من قدرة الله تعالى
فيه النقاش ما يرزقهم الله منه وقال الحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الارض الطرق ومفتاح السما الدعا
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي صبار لقضايه شكور على نعمايه وقال اهل المعاني اراد لكل مومن بهذه
الصفة لان الصبر والشكر من افضل خصال الايمان والاية العلامة والعلامة لا تستبين في صدر كل مومن
انما تستبين لمن صبر على البلا وشكر على الرخا وقال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين
الايمان كله الم تر الى قوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وقوله ان في ذلك لايات للموقنين وقال
عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل

دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور كالظلل قال
مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب وقال قتادة جمع ظله شبه الموج بها لكبرها وارتفاعها قال النابغة
في وصف بحر   وغاشيهن اخضر ذو ظلال   علي حافاته فلق الدنان
وانما شبه الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع لان الموج ياتي شيا بعد شي ويركب بعضه بعضا كالظلل وقيل
هو بمعني الجمع وانما لم يجمع لانه مصدر واصله من الحركة والازدحام ومنه ماج البحر والناس يموجون قال
كعب   فجئنا الي موج من البحر وسطه   احابيش منهم حاسر ومقنع
وقرا محمد بن الحنفية موج كالظلال جمع ظل دعوا الله مخلصين له الدين موحدين له لا يدعون لخلاصهم سواه
وقد تقدم فلما نجاهم يعني من البحر الي البر فمنهم مقتصد قال ابن عباس موف بما عاهد عليه الله في البحر النقاش
يعني عدل في العهد وفي البر بما عاهد عليه الله في البحر وقال الحسن مقتصد مومن متمسك بالتوحيد والطاعة
وقال مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر وقيل في الكلام حذف والمعني فمنهم مقتصد ومنهم كافر ودل
علي المحذوف قوله تعالي وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور الختار الغدار والختر اسوء الغدر قال عمرو بن معدي
كرب   فانك لو رايت ابا عمير   ملات يديك من غدر وختر
قال الاعشي   بالابلق الفرد من تيما منزله   حصن حصين وجار غير ختار
قال الجوهري الختر الغدر يقال ختره فهو ختار الماوردي وهو قول الجمهور وقال عطية انه الجاحد ويقال
ختر يختر ويختر بالضم والكسر ختر ذكره القشيري وجحد الايات انكار اعيانها والجحد بالايات انكار دلايلها
قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الناس اتقوا ربكم
يعني الكافر والمومن اي خافوه ووحدوه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيا تقدم معني يجزي في البقرة وغيرها فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد
لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم وقال من ابتلي بشي من هذه البنات فاحسن اليهن كن له حجابا
من النار قيل له المعني بهذه الاية انه لا يحمل والد ذنب ولده ولا مولود ذنب والده ولا يواخذ احدهما عن
الاخر والمعني بالاخبار ان ثواب الصبر علي الموت والاحسان الي البنات يحجب العبد عن النار ويكون الولد سابقا
له الي الجنة ان وعد الله حق اي بالبعث فلا تغرنكم اي تخدعنكم الحياة الدنيا بزينتها وما تدعوا اليه فتتكلوا
عليها وتركنوا اليها وتتركوا العمل للاخرة ولا يغرنكم بالله الغرور قراة العامة هنا وفي سورة الملايكة
والحديد بفتح الغين وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره وهو الذي يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الاخرة
وفي سورة النسا يعدهم ويمنيهم وقرا سماك بن حرب وابو حياة وابن السميقع بضم الغين اي لا تغتروا
كانه مصدر غر يغر غرورا قال سعيد بن جبير هو ان يعمل بالمعصية ويتمني المغفرة **قوله تعالى**
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير زعم الفرا ان هذا معني النفي اي ما يعلمه احد الا الله عز وجل قال ابو جعفر
النحاس وانما صار فيه معني النفي والايجاب بتوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم علي ذلك لانه صلى الله عليه وسلم
قال في قول الله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو انها هذه قال الشيخ رحمه الله وقد ذكرنا في سورة
الانعام حديث ابن عمر في هذا اخرجه البخاري وفي حديث جبريل قال اخبرني عن الساعة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما المسوول عنها باعلم من السايل هن خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل
الغيث ويعلم ما في الارحام الاية فقال الرجل صدقت لفظ ابي داود الطيالسي وقال عبد الله ابن مسعود كل
شي اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم غير خمس ان الله عنده علم الساعة الاية وقال ابن عباس هذه الخمس لا يعلمها
ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعي انه يعلم شيا من هذه فقد كفر بالقران لانه خالفه ثم ان الانبيا يعلمون كثيرا
من الغيب بتعريف الله اياهم والمراد ابطال كون الكهنة والمنجمين ومن يستسقي بالانوا وقد يعرف بطول
التجارب اشيا من ذكورة الحمل وانوثته الي غير ذلك حسب ما ذكرنا في الانعام وقد تختلف التجربة وتنكسر
العادة ويبقي العلم لله وحده وروي ان يهوديا كان يحسب حساب النجوم فقال لابن عباس ان شيت انباتك
نجم ابنك وانه يموت بعد عشرة ايام وانت لا تموت حتي تعمي وانا لا يحول علي الحول حتي اموت قال فاين موتك يا
يهودي فقال لا ادري فقال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس باي ارض تموت فرجع ابن عباس فوجد ابنه

من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار

محموما ومات بعد عشرة ايام ومات اليهودي قبل الحول ومات ابن عباس اعمي قال علي ابن حسين راوي هذا الحديث
هذا اعجب الاحاديث وقال مقاتل ان هذه الاية نزلت في رجل من اهل البادية اسمه الوارث ابن عمرو بن حارثة
اتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امراتي حبلي فاخبرني متي تلد وبلادنا جدبة متي ينزل الغيث وقد علمت
متي ولدت فاخبرني متي اموت وقد علمت ما عملت اليوم فاخبرني ماذا اعمل غدا واخبرني متي تقوم الساعة
فانزل الله هذه الاية ذكره القشيري والماوردي وروي ابو المليح عن ابي عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالي قبض روح عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتي يقدمها ثم قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الي قوله بارض تموت ذكره الماوردي وخرجه ابن ماجة من حديث
ابن مسعود بمعناه وقد ذكرناه في كتاب التذكرة مستوفي وقراة العامة وينزل مشددا وقرا ابن كثير وابو
عمرو وحمزة والكسايي مخففا وقرا ابي ابن كعب باية ارض وقرا الباقون باي ارض قال الفرا اكتفي بتانيث الارض
من تانيث اي وقيل اراد بالارض المكان فذكر قال
ولا مزنة ودقت ودقها   ولا ارض ابقل ابقالها
وقال الاخفش يجوز مررت بجارية اي جارية واية جارية وشبه سيبويه تانيث اي بتانيث كل في قولهم كلتهن ان الله
عليم خبير   تمت السورة بحمد الله   وعونه وحسن توفيقه   وحسبنا الله ونعم الوكيل

تفسير سورة السجدة

وهي مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون الي تمام ثلاث
ايات قاله الكلبي ومقاتل وقال غيرهما الا خمس ايات من قوله تتجافي جنوبهم الي الذي كنتم به تكذبون
وهي ثلاثون اية وقيل تسع وعشرون اية وفي الصحيح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في
صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتي علي الانسان حين من الدهر الحديث وخرج الدارمي ابو
محمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتي يقرا الم تنزيل السجدة
وتبارك الذي بيده الملك قال الدارمي واخبرنا ابو المغيرة حدثنا عبدة عن خالد بن معدان قال اقروا المنجية
وهي الم تنزيل فانه بلغني ان رجلا كان يقراها ما يقرا شيا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها
عليه وقالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتي فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيية حسنة وارفعوا له درجة

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب
فيه من رب العالمين الاجماع علي رفع تنزيل الكتاب ولو كان منصوبا علي المصدر لجاز كما قرا الكوفيون انك لمن المرسلين
علي صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم وتنزيل رفع بالابتدا والخبر لا ريب فيه او خبر علي اضمار مبتدا اي هذا
تنزيل او المتلو تنزيل او هذه الحروف تنزيل ودلت الم علي ذكر الحروف ويجوز ان يكون لا ريب فيه في موضع
الحال من الكتاب ومن رب العالمين الخبر قال مكي وهو احسنها ومعني لا ريب فيه من رب العالمين لا شك فيه انه من
عند الله فليس بسحر ولا شعر ولا كهانة ولا اساطير الاولين **قوله تعالى** ام يقولون افتراه بل هو الحق
من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون هذه ام المنقطعة التي تقدر ببل والف
الاستفهام اي بل ايقولون وهي تدل علي خروج من حديث الي حديث فانه عز وجل اثبت انه تنزيل من رب
العالمين وان ذلك مما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الي قوله ام يقولون افتراه اي افتعله واختلقه
بل هو الحق من ربك كذبهم في دعوي الافترا لتنذر قوما قال قتادة يعني قريشا كانوا امة امية لم ياتهم
نذير من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولتنذر متعلق بما قبلها فلا يوقف علي من ربك ويجوز ان يتعلق بمحذوف
التقدير انزله لتنذر قوما فيجوز الوقف علي من ربك وما في قوله ما اتاهم نفي من نذير صلة ونذير في محل
الرفع وهو المعلم المخوف وقيل المراد بالقوم اهل الفترة بين عيسي ومحمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس
ومقاتل وقيل كانت الحجة ثابتة لله عز وجل عليهم بانذار من تقدم من الرسل وان لم يروا رسولا وقد تقدم
هذا المعني **قوله تعالى** الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوي
علي العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون عرفهم كمال قدرته ليسمعوا القران ويتاملوه
ومعني خلق ابدع واوجد بعد العدم وبعد ان لم يكن شيا في ستة ايام من يوم الاحد الي اخر يوم الجمعة
قال الحسن من ايام الدنيا وقال ابن عباس ان اليوم من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض

مقداره الف سنة من سني الدنيا وقال الضحاك في ستة الاف سنة اي في مدة ستة ايام من ايام الاخرة ثم
استوي علي العرش تقدم في الاعراف والبقرة وغيرها وذكرنا ما للعلما في ذلك مستوفي في الكتاب الاسني
في شرح اسما الله الحسنى وليست ثم للترتيب وانما هو بمعني الواو ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما
للكافرين من ولي يمنع من عذابهم ولا شفيع ويجوز الرفع علي الموضع افلا تتذكرون في قدرته ومخلوقاته

قوله تعالى يدبر الامر من السماء الي الارض قال ابن عباس ينزل القضا والقدر وقيل ينزل الوحي
مع جبريل وروي عمرو بن مرة عن عبد الرحمن ابن سابط قال يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكائيل وملك
الموت واسرافيل صلوات الله عليهم اجمعين فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل
بالقطر والماء واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل
ان العرش موضع التدبير كما ان ما دون العرش موضع التفصيل قال الله تعالي ثم استوي علي العرش يدبر الامر
يفصل الايات وما دون السموات موضع التصريف قال الله تعالي ولقد صرفناه بينهم ليذكروا انه

قوله تعالى ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون قال يحيي بن سلام
هو جبريل يصعد الي السماء بعد نزوله بالوحي النقاش هو الملك الذي يدبر الامر من السماء الي الارض وقيل
انها اخبار اهل الارض تصعد اليه مع حملتها من الملائكة قاله ابن شجرة في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
وقيل ثم يعرج اليه اي يرجع ذلك الامر والتدبير اليه بعد انقضاء الدنيا في يوم كان مقداره الف سنة
وهو يوم القيامة وعلي الاقوال المتقدمة فالكناية في يعرج عن الملك ولم يجر له ذكر لانه مفهوم من المعني وقد
جاء صريحا في سأل سائل قوله تعرج الملائكة والروح اليه والضمير في اليه يعود علي السماء علي لغة
من يذكرها او علي مكان الملك الذي يرجع اليه او علي اسم الله تعالي والمراد الي الموضع الذي اقره فيه واذا رجعت
الي الله فقد رجعت الي السما اي الي سدرة المنتهي فانه اليها يرتفع ما يصعد به من الارض ومنها ينزل ما يهبط
به اليها ثبت معني ذلك في صحيح مسلم والهاء في مقداره راجعة الي التدبير والمعني كان مقدار ذلك
التدبير الف سنة من سني الدنيا اي يقضي امر كل شي لالف سنة في يوم واحد ثم يلقيه الي ملايكته فاذا مضت
قضي لالف سنة اخري ثم كذلك ابدا قاله مجاهد وقيل الهاء للعروج وقيل المعني انه يدبر امر الدنيا
الي ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر فيحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وقيل المعني يدبر امر
الشمس في طلوعها وغروبها ورجوعها الي موضعها من الطلوع في يوم مقداره في المسافة الف سنة وقال
ابن عباس المعني كان مقداره لو ساره غير الملك الف سنة لان النزول خمسمائة والصعود خمسمائة وروي
ذلك عن جماعة من المفسرين وهو اختيار الطبري ذكره المهدوي وهو معني القول الاول اي ان جبريل عليه
السلام لسرعة سيره يقطع مسيرة الف سنة في يوم من ايامكم ذكره الزمخشري وذكر الماوردي
عن ابن عباس والضحاك ان الملك يصعد في يوم مسيرة الف سنة وعن قتادة ان الملك ينزل ويصعد
في يوم مقداره الف سنة فيكون مقدار نزوله خمسمائة سنة ومقدار صعوده خمسمائة سنة علي قول قتادة
والسدي وعلي قول ابن عباس والضحاك النزول الف سنة والصعود الف سنة مما تعدون اي مما تحسبون
من ايام الدنيا وهذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بالف سنة من سني الدنيا وليس بيوم يستوعب
نهارا بين ليلتين لان ذلك ليس عند الله والعرب قد تعبر عن مدة العصر باليوم كما قال الشاعر

يومان يوم مقامات واندية ... ويوم سير الي الاعداء تاويب

وليس يريد يومين مخصوصين وانما اراد ان زمانهم ينقسم شطرين فعبر عن كل واحد من الشطرين بيوم
وقرا ابن ابي عبلة يعرج علي البنا للمفعول وقرئ يعدون بالياء فاما قوله تعالي في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة مما تعدون فمشكل مع هذه الاية وقد سال عبد الله بن فيروز الديلمي عبد الله بن عباس
عن هذه الاية وعن قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقال ايام سماها الله سبحانه وما ادري
ما هي واكره ان اقول فيها ما لا اعلم ثم سئل عنها سعيد بن المسيب فقال لا ادري فاخبرته بقول ابن
عباس فقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس اتقي ان يقول فيها وهو اعلم مني ثم تكلم العلما في ذلك
فقيل ان اية سال سائل هو اشارة الي يوم القيامة بخلاف هذه الاية والمعني ان الله تعالي جعله في
صعوبته علي الكفار كخمسين الف سنة قاله ابن عباس والعرب تصف ايام المكروه بالطول وايام السرور
بالقصر قال الشاعر

ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقيل ان يوم القيامة فيه ايام فمنه ما مقداره الف سنة ومنه ما مقداره خمسين الف سنة وقيل اوقات
مختلفة فيعذب الكافر بجنس من العذاب الف سنة ثم ينقل الي جنس اخر مدته خمسون الف سنة وقيل
مواقف القيامة خمسون موقفا كل موقف الف سنة فمعني يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة اي
مقدار وقت او موقف من يوم القيامة وقال النحاس اليوم في اللغة بمعني الوقت فالمعني تعرج الملائكة والروح
اليه في وقت كان مقداره الف سنة وفي وقت اخر كان مقداره خمسين الف سنة وعن وهب بن منبه في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة قال ما بين اسفل الارض الي العرش وذكر الثعلبي عن مجاهد وقتادة والضحاك في قوله
تعالي تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون اراد من الارض الي سدرة
المنتهي التي فيها جبريل يقول تعالي يسير جبريل والملائكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف
سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وقوله اليه يعني الي المكان الذي امرهم الله تعالي ان يعرجوا اليه وهذا كقول
ابراهيم اني ذاهب الي ربي سيهدين اراد ارض الشام وقال ومن يخرج من بيته مهاجرا الي الله اي الي المدينة
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني ملك من ربي تعالي برسالته ثم رفع رجله فوضعها فوق السما
والاخري علي الارض لم يرفعها بعد

قوله تعالى ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم اي علم ما
غاب عن الخلق وما حضرهم وذلك بمعني انا حسبت ما تقدم بيانه في اول البقرة وفي الكلام معني التهديد
والوعيد اي اخلصوا افعالكم واقوالكم فاني اجازي عليها

قوله تعالى الذي احسن كل شي خلقه
قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه باسكان اللام وفتحها الباقون واختاره ابو عبيد وابو حاتم طلبا
لسهولتها وهو فعل ماض في موضع خفض نعت لشي والمعني علي ما روي عن ابن عباس احكم كل شي خلقه اي
جاء به علي ما اراد لم يتغير عن ارادته وقول اخر ان كل شي خلقه حسن لانه لا يقدر احد ان ياتي بمثله وهو دال
علي خالقه ومن اسكن اللام فهو مصدر عند سيبويه لان قوله احسن كل شي يدل علي خلق كل شي خلقا فهو مثل
صنع الله وكتاب الله عليكم وعند غيره منصوب علي البدل من كل اي احسن خلق كل شي وهو مفعول ثان عند
بعض النحويين علي ان يكون معني احسن افهم وعلم فيتعدي الي مفعولين اي افهم كل شي خلقه وقيل هو منصوب
باسقاط حرف الجر والمعني احسن كل شي في خلقه وروي معناه عن ابن عباس واحسن اي اتقن واحكم فهو احسن من
جهة ما هو لمقاصده التي اريد لها ومن هذا المعني قال ابن عباس وعكرمة ليست است القرد بحسنة ولكنها
متقنة محكمة وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد احسن كل شي خلقه قال اتقنه وهو مثل قوله تعالي اعطي كل شي خلقه
اي لم يخلق الانسان علي خلق البهيمة ولا خلق البهيمة خلق الانسان ويجوز خلقه بالرفع علي تقدير ذلك
خلقه وهو عموم في اللفظ خصوص في المعني والمعني احسن خلق كل شي حسن وقيل هو عموم في اللفظ والمعني
اي جعل كل شي خلقه حسنا حتي جعل الكلب في خلقه حسنا قاله ابن عباس وقال قتادة في است القرد حسنة

قوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه
ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون خلق الانسان
من طين يعني ادم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين تقدم في المومنين وغيرها وقال الزجاج من ماء
مهين ضعيف وقال غيره مهين لا خطر له عند الناس ثم سواه رجع الي ادم اي سوي خلقه ونفخ فيه من روحه
ثم رجع الي ذريته فقال وجعل لكم السمع والابصار وقيل ثم جعل ذلك الماء المهين خلقا معتدلا وركب
فيه الروح واضافه الي نفسه تشريفا وايضا فانه من فعله وخلقه كما اضاف العبد اليه بقوله عبدي
وعبر عنه بالنفخ لان الروح في جنس الريح وقد مضي هذا مبينا في النساء وغيرها قليلا ما تشكرون
اي ثم انتم لا تشكرون بل تكفرون

قوله تعالى وقالوا ائذا ضللنا في الارض اينا لفي خلق جديد
بل هم بلقاء ربهم كافرون هذا قول منكري البعث اي هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا واصله من قول
العرب ضل الماء في اللبن اذا ذهب والعرب تقول للشي غلب عليه غيره حتي خفي فيه اثره قد ضل قال الاخطل

شعر
كنت القذي في موج اكدر مزبد ... قذف الاتي به فضل ضلالا

وقال قطرب معناه ضللنا غبنا في الارض وانشد قول النابغة الذبياني

فآب مضلوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزم ونائل

وقرا ابن محيصن ويحيي بن يعمر ضللنا بكسر اللام وهي لغة قال الجوهري وقد ضللت اضل قال الله تعالي

يقطع مسيرة الف سنة في يوم من ايامكم

قلت ان ضللت فانما اضل على نفسي هذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالية يقولون ضللت بالكسر اضل وهو
ضال تال وهي الضلالة والتلالة واضله اي اضاعه واهلكه يقال اضل الميت اذا دفن قال واب مضلوه
البيت ابن السكيت اضللت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعها وكذلك
كل شي مقيم لا يهتدي له وفي الحديث لعلي اضل الله يريد اضل عنه اي اخفي عليه من قوله تعالى ايذا اضللنا في
الارض اي خفينا واضله الله فضل تقول انك تهدي الضال ولا تهدي المتضال وقرا الاعمش والحسن صللنا
بالصاد اي انتنا وهي قراءة علي ابن ابي طالب رضي الله عنه النحاس ولا يعرف في اللغة صللنا ولكن يقال صل اللحم
واصل وخم واخم اذا انتن الجوهري صل اللحم يصل بالكسر صلولا اي انتن مطبوخا كان او نيا قال الحطيئة شعر

ذاك فتى يبذل ذا قدره لا يفسد اللحم لديه الصلول

واصل مثله انا لفي خلق جديد اي نخلق بعد ذلك خلقا جديدا او نقرا ابنا النحاس وفي هذا سوال صعب من العربية
يقال ما العامل في اذا وان لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والسوال في الاستفهام اشد لان ما بعد الاستفهام
اجدر ان لا يعمل فيما قبله من ان كيف وقد اجتمعا فالجواب على قراءة من قرا انا ان العامل ضللنا وعلى قراءة
من قرا اينا ان العامل مضمر والتقدير انبعث اذا امتنا وفيه ايضا سوال اخر يقال اين جواب اذا على القراءة
الاولى لان فيها معنى الشرط فالقول في ذلك ان ما بعدها فعلا ماضيا فلذلك جاز هذا بل هم بلقاء ربهم
كافرون اي ليس لهم جحود قدرة الله تعالى عن الاعادة لانهم يعترفون بقدرته ولكنهم اعتقدوا ان لا
حساب عليهم وانهم لا يلقون الله **قوله تعالى** قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم
الى ربكم ترجعون فيه مسالتان **الاولى** قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت لما ذكر استبعادهم للبعث ذكر توفيهم
وانه يعيدهم يتوفاكم من توفي العدد والشي اذا توفاه وقبضه جميعا يقال توفاه الله اي استوفاه وحه
وتوفيت مالي من فلان اي استوفيته ملك الموت واسمه عزرائيل ومعناه عبد الله كما تقدم في البقرة وتصرفه
كله بامر الله عز وجل وبخلقه واختراعه وروي في الحديث ان البهائم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك

طب نفسا وقر عينا فاني بكل مومن رفيق

الموت كانه يعدم حياتها ذكره ابن عطية قال الشيخ رحمه الله وقد روي خلافه وان ملك الموت يتوفى جميع ارواح
جميع الخلائق حتى البرغوث والبعوضة وروي جعفر بن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
ملك الموت عند راس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبي فانه مومن فقال ملك
الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مومن رفيق واعلم ان ما من اهل بيت مدر ولا شعر
في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لانا اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا
محمد لو اني اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الامر بقبضها قال جعفر بن علي
بلغني انه يتصفحهم عند مواقيت الصلوات ذكره الماوردي وذكر الخطيب ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي
حدثني ابو محمد الحسن ابن محمد الخلال قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن عثمان الصفار قال حدثنا ابو بكر حامد المصري
قال حدثنا يحيى بن حماد ابو ب العلاف قال حدثنا سليمان بن مهير الكلابي قال حضرت مالك بن انس فاتاه
رجل فسال له يا ابا عبد الله البراغيث املك الموت يقبض ارواحها قال فاطرق مالك طويلا ثم قال النها
نفس قال نعم قال ملك الموت يقبض ارواحها الله يتوفي الانفس حين موتها قال ابن عطية بعد ذكره الحديث
وكذلك الامر في بني ادم الا انه نوع شرف بتصرف ملك وملايكة معه في قبض ارواحهم فخلق الله ملك
الموت وخلق على يديه قبض الارواح واستلالها من الاجسام واخراجها منه وخلق جندا يكونون معه يعملون
عمله بامره فقال تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة وقال توفته رسلنا وقد مضى هذا المعنى في الانعام
والباري خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الذي
خلق الموت والحياة يحيي ويميت فملك الموت يقبض والاعوان يعالجون والله يزهق الروح وهذا هو الجمع
بين الاي والاحاديث لكنه لما كان ملك الموت متولي ذلك بالوساطة والمباشرة اضيف التوفي اليه كما
اضيف الخلق للملك كما تقدم في الحج وروي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطشت بين يدي
الانسان ياخذ من حيث شاء وقد روي هذا المعنى مرفوعا وقد ذكرناه في التذكرة وروي ان ملك الموت
لما وكله الله بقبض الارواح قال رب جعلتني اذكر بسوء ويشتمني بنو ادم فقال الله تعالى له اني اجعل

قال ملك الموت رب جعلتني اذكر بسوء ويشتمني بنو ادم

لهم اسبابا من الامراض والاسقام ينسبون الموت اليها فلا يذكرك احد الا بخير وقد ذكرنا في التذكرة
مستوفى وذكرنا انه يدعو الارواح فتجيبه فيقبضها ثم يسلمها الى الملايكة الرحمة او العذاب بما فيه

شفاء لمن اراد الوقوف على ذلك **الثانية** استدل بهذه الاية بعض العلماء على جواز الوكالة من قوله وكل بكم
اي بقبض الارواح قال ابن العربي وهذا اخذ من لفظه لا من معناه ولو اطرد ذلك لقلنا في قوله تعالى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا انها نيابة عن الله تعالى ووكالة في تبليغ رسالته ولقلنا ايضا
في قوله عز وجل واتوا الزكاة انه وكالة فان الله ضمن الرزق لكل دابة وخص الاغنيا بالاغذية واوعدهم بان
رزق الفقراء عندهم وامر بتسليمه مقدرا معلوما في وقت معلوم دبره بعلمه وانفذه من حكمه وقدره بحكمته
والاحكام لا تتعلق بالالفاظ الا ان ترد على موضوعاتها الاصلية في مقاصدها المطلوبة فان ظهرت
في غير مقصدها لم تعلق عليها الا ترى ان البيع والشرى معلوم اللفظ والمعنى وقد قال الله تعالى ان الله
اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولا يقال هذه الاية دليل جواز مبايعة السيد لعبده
لان المقصدين مختلفان اما انه اذا لم يكن بد من المعاني فيقال ان هذه الاية دليل على ان للقاضي ان يستنيب
من ياخذ الحق ممن هو عليه قسرا دون ان يكون له في ذلك فعل او يرتبط به رضى اذا وجد ذلك **قوله تعالى**
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
عند ربهم ابتدا وخبر قال الزجاج والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة لامته فالمعنى ولو ترى يا محمد
منكري البعث يوم القيامة لرايت العجب ومذهب ابي العباس غير هذا وان يكون المعنى يا محمد قل للمجرم ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك ناكسوا رءوسهم اي من الندم والخزي والحزن
والذل والغم عند ربهم اي عند محاسبة ربهم وجزاء اعمالهم ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا اي ابصرنا ما كنا نكذب
وسمعنا ما كنا ننكر وقيل ابصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك ابصروا حين لا ينفعهم البصر
وسمعوا حين لا ينفعهم السمع فارجعنا اي الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي مصدقون بالبعث قاله النقاش
وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم انه حق قاله يحيى بن سلام قال سفيان الثوري فاكذبهم
الله تعالى فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقيل معنى انا موقنون اي قد زالت عنا الشكوك
الان وكانوا يبصرون ويسمعون في الدنيا ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع فلما تنبهوا
في الاخرة صاروا حينيذ كانهم سمعوا وابصروا وقيل اي ربنا لك الحجة قد ابصرنا رسلك وعجايب خلقك
في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا فهذا اعتراف منهم ثم طلبوا ان يردوا الى الدنيا ليومنوا
قوله تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين قال محمد بن كعب القرظي لما قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
رد عليهم بقوله ولو شينا لاتينا كل نفس هداها يقول لو شيت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم احد ولكن حق
القول مني لاملان الاية ذكره ابن المبارك في دقايقه في حديث فيه طول وقد ذكرناه في التذكرة النحاس ولو شينا
لاتينا كل نفس هداها في معناه قولان احدهما انه في الدنيا والاخر انه سياق الكلام يدل على انه في الاخرة
اي لو شينا لرددناهم الى الدنيا والمحنة كما سالوا ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
اي حق القول مني لاعذبن من عصاني بعذاب جهنم وعلم الله عز وجل لو ردهم لعادوا كما قال ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وهذه الهداية معناها خلق المعرفة في القلب وتاويل المعتزلة ولو شينا لاكرهناهم على
الهداية باظهار الايات الهايلة لكن لا يحسن منه فعله لانه ينقض الغرض المجرى بالتكليف اليه وهو الثواب
الذي لا يستحق الا بما يفعله المكلف باختياره وقالت الامامية في تاويلها انه يجوز انه يريد هداها الى طريق
الجنة في الاخرة ولم يعاقب احدا لكن حق القول منه انه يملا جهنم فلا يجب على الله عندنا هداية الكل اليها
قالوا بل الواجب هداية المعصومين فاما من له ذنب فجايز هدايته الى النار جزاء على افعاله وفي جواز ذلك
منع لقطعهم على ان المراد هداها الى الايمان وقد تكلم العلماء عليهم في هذين التاويلين بما فيه كفاية في الحاصل
في اصول الدين واوقع ما لهم في الجواب ان يقال فقد بطل عندنا وعندكم ان يهديهم سبحانه على طريق الالجاء
والاجبار والاكراه فصار يودي ذلك الى مذهب الجبرية وهو مذهب رذل عندنا وعندكم فلم يبق الا ان المهتدين
من المومنين انما هداهم الله الى الايمان والطاعة على طريق الاختيار حتى يصح التكليف فمن شاء امن واطاع اختيارا
لا جبرا قال الله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وقال فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم عقب هاتين الايتين
بقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله فوقع ايمان المومنين بمشيتهم ونفى ان يشاءوا الا ان يشاء الله ولهذا فرط
المجبرة لما راوا ان هدايتهم معدوق بمشية الله تعالى فقالوا الخلق مجبورون في طاعاتهم كلها التفاتا

الى قوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله وفرطت القدرية لما راوا ان هدايتهم الى الايمان معدوق بمشيئة العباد فنفوا خلق الله تعالى لافعالهم التفاتا منهم الى قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد هو مذهب بين مذهبي المجبرة والقدرية وخير الامور اوسطها وذلك ان اهل الحق قالوا نحن نفرق بين ما اضطررنا اليه وبين ما اخترناه وهو انا ندرك تفرقة بين حركة الارتعاش الواقعة في يد الانسان بغير محاولته وارادته ولا مقرونة بقدرته وبين حركة الاختيار اذا حرك يده حركة مماثلة لحركة الارتعاش ومن لا يفرق بين الحركتين حركة الارتعاش وحركة الاختيار وهما موجودتان في ذاته ومحسوستان في يده بمشاهدته وادراك حاسته فهو معتوه في عقله ومختل في حسه وخارج من حزب العقلاء وهذا هو الحق المبين وهو طريق بين طريقي الافراط والتفريط وكلا طرفي قصد الامور ذميم وبهذا الاعتبار اختار اهل النظر من العلماء ان سموا هذه المنزلة بين المنزلتين كسبا واخذوا هذه التسمية من كتاب الله العزيز وهو قوله سبحانه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون** فيه قولان احدهما انه من النسيان الذي لا ذكر معه اي لم يعملوا لهذا اليوم فكانوا بمنزلة الناسين والاخر انا تركتم وكذا انا نسيناكم واحتج محمد بن يزيد بقوله عز وجل ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي قال والدليل على انه بمعنى ترك ان الله تعالى عز وجل اخبر عن ابليس انه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلو كان ادم ناسيا لكان قد ذكره وانشد شعر

كانه خارجا من جنب صفحته	سفود شرب نسوه عند مفتاد

اي تركوه ولو كان من النسيان لكان قد عملوا به مرة قال الضحاك نسيتم اي تركتم امري يحيى بن سلام اي تركتم الايمان بالبعث في هذا اليوم نسيناكم تركناكم من الخير قاله السدي مجاهد تركناكم في العذاب وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان الله اوذوقوا العذاب المخلد وهو الدائم الذي لا انقطاع له في جهنم بما كانوا يعملون يعني في الدنيا من المعاصي وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس وان لم يكن مطعوما لاحساسها به كاحساسها بذوق المطعوم قال عمر بن ابي ربيعة

فذق هجرها ان كنت تزعم انها	فساد الا يا رب ما كذب الزعم

الجوهري وذقت ما عند فلان اي خبرته وذقت القوس اذا جذبت وترها لتنظر ما شدتها واذاقه الله وبال امره قال طفيل

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر	من الغيظ في اكبادنا والتحوب

وتذوقته اي ذقته شيئا بعد شيء وامر مستذاق اي مجرب معلوم قال الشاعر

وعهد الغانيات كعهد قين	ونت عنه الجعائل مستذاق

والذواق الملول **قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي انهم لالفهم الكفر لا يؤمنون بك انما يؤمن بك وبالقران المتدبرون له والمتعظون به وهم الذين اذا قرئ عليهم القران خروا سجدا قال ابن عباس ركعا قال المهدوي وهذا على مذهب من يرى الركوع عند قراءة السجدة واستدل بقوله تعالى وخر راكعا واناب وقيل المراد به السجود وعليه اكثر العلماء اي خروا سجدا لله على وجوههم تعظيما لاياته وخوفا من سطوته وعذابه وسبحوا بحمد ربهم اي خلطوا التسبيح بالحمد اي نزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده سبحان ربي الاعلى وبحمده اي تنزيها لله عن قول المشركين وقال سفيان وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا حمدا لربهم وهم لا يستكبرون عن عبادته قاله يحيى بن سلام النحاس لا يستكبرون كما استكبر اهل مكة عن السجود **قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون** تتجافى اي ترتفع وتنبو عن مواضع الاضطجاع وهو في موضع نصب على الحال اي متجافية جنوبهم والمضاجع جمع مضجع وهي مواضع النوم ويحتمل عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز والحقيقة اولى ومنه قول عبد الله بن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه	اذا انشق معروف من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه	اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قال الزجاج والرماني التجافي التنحي الى جهة فوق وكذلك هو في الصفح عن المخطئ في سب ونحوه والجنوب جمع جنب

وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لاجله قولان احدهما لذكر الله تعالى اما في صلاة قال ابن عباس والضحاك الثاني للصلاة وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لاجلها اربعة اقوال احدها التنفل بالليل قاله الجمهور من المفسرين وعليه اكثر الناس وهو الذي فيه المدح وهو قول مجاهد والاوزاعي ومالك بن انس والحسن بن ابي الحسن وابي العالية وغيرهم ويدل عليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لانهم جوزوا على ما اخفوا بما خفي والله اعلم وسياتي بيانه وفي قيام الليل احاديث كثيرة منها حديث معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل قال ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون اخرجه ابو اسحاق الطيالسي في مسنده والقاضي اسمعيل بن اسحاق وابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح الثاني صلاة العشاء التي يقال لها العتمة قاله الحسن وعطاء وفي الترمذي عن انس بن مالك ان هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة قال هذا حديث حسن غريب الثالث التنفل ما بين المغرب والعشاء قاله قتادة وعكرمة وروى ابو داود عن انس بن مالك في هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء الرابع قال الضحاك تجافي الجنب هو ان يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة وقاله ابو الدرداء وعبادة قال الشيخ رحمه الله وهذا قول حسن وهو يجمع الاقوال بالمعنى وذلك ان منتظر العشاء الى ان يصليها في صلاة وذكر لله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاة وقال انس المراد بالاية انتظار صلاة العشاء الاخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤخرها الى نحو ثلث الليل قال ابن عطية وكانت الجاهلية ينامون من اول الغروب ومن اي وقت شاء الانسان فجاء انتظار وقت العشاء غريبا شاقا ومصلي الصبح في جماعة لا سيما في اول الوقت كما كان عليه السلام يصليها والعادة ان من حافظ على هذه الصلاة في اول الوقت يقوم سحرا يتوضا ويصلي ويذكر الله عز وجل الى ان يطلع الفجر فقد حصل التجافي اول الليل واخره هذا يزيد ما رواه مسلم من حديث عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة كان له قيام نصف ليلة ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة وقد مضى في سورة النور عن كعب فيمن صلى بعد العشاء الاخرة اربع ركعات كن له بمنزلة ليلة القدر وجاءت اثار حسان في فضل الصلاة بين المغرب والعشاء وقيام الليل ذكره ابن المبارك اخبرنا يحيى بن ايوب قال حدثني محمد بن الحجاج او ابن ابي الحجاج انه سمع عبد الكريم يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر بن الخطاب اذا تكثر قصورنا وبيوتنا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال صلاة الاوابين الخلوة التي بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس الى الصلاة وكان عبد الله بن مسعود يصلي في تلك الساعة ويقول ساعة الغفلة بين المغرب والعشاء ذكره ابن المبارك ورواه الثعلبي مرفوعا عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من جفت جنباه المضاجع ما بين المغرب والعشاء بني له قصران في الجنة مسيرة عام وفيهما من الشجر ما لو نزلها اهل المشرق والمغرب لاوسعتهم فاكهة وهي صلاة الاوابين وغفلة الغافلين ومن الدعاء المستجاب الذي لا يرد الدعاء بين المغرب والعشاء **فصل** في فضل التجافي ذكر ابن المبارك عن ابن عباس قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادي ثانية ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون الى الجنة قال ثم ينادي ثالثة ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون فيسرحون الى الجنة ذكره الثعلبي مرفوعا عن اسماء بنت يزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمعه الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي الثانية ستعلمون اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون ثم ينادي الثالثة ستعلمون اليوم من اولى بالكرم ليقم الحامدون لله على كل حال في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وذكر ابن المبارك اخبرنا معمر عن رجل عن ابي العلاء بن الشخير عن ابي ذر قال ثلاثة يضحك الله اليهم ويستبشر الله بهم رجل قام من الليل وترك فراشه

ينادي مناد بصوت يسمع الخلائق كلهم

ود فيه ثم توضا فاحسن الوضوء ثم قام الي الليل فيقول الله للملايكة ما حمل عبدي علي ما صنع فيقولون ربنا انت
اعلم به منا فيقول انا اعلم به ولكن اخبروني فيقولون رجيته شيا فرجاه وخوفته فخافه فيقول اني اشهدكم
اني قد امنته مما يخاف واوجبت له ما رجاه قال ورجل كان في سرية فلقي العدو فانهزم اصحابه وثبت هو حتي
يقتل او يفتح الله عليهم فيقول الله للملايكة مثل هذه القصة ورجل سرا في ليله حتي اذا كان في اخر الليل نزل هو
واصحابه فنام اصحابه وقام هو يصلي فيقول الله للملايكة فذكر القصة قوله تعالي يدعون ربهم في موضع نصب علي
الحال اي داعين ويحتمل ان يكون صفة مستانفة اي تتجافي جنوبهم وهم ايضا في كل حال يدعون ليلهم ونهارهم
خوفا مفعول من اجله ويجوز ان يكون مصدرا وطمعا مثله اي خوفا من العذاب وطمعا في الثواب ومما رزقناهم
ينفقون يكون بمعني الذي وتكون مصدرا وفي كلا الوجهين يجب ان تكون منفصلة من من وينفقون قيل
معناه الزكاة المفروضة وقيل النوافل وهذا القول امدح **قوله تعالي** فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قرا حمزة ما اخفي لهم باسكان اليا وفتحها الباقون
وفي قراءة عبد الله ما نخفي بالنون مضمومة وروي المفضل عن الاعمش ما يخفي لهم باليا المضمومة وفتح الفاء
وقرا ابن مسعود وابو هريرة من قراة اعين فمن اسكن اليا من قوله ما اخفي فهو مستقبل والفه الف المتكلم
وما في موضع نصب باخفي وهي استفهام والجملة في موضع نصب لوقوعها موقع المفعولين والضمير العايد
علي ما محذوف ومن فتح اليا فهو فعل ماض مبني للمفعول وما في موضع رفع بالابتداء والخبر اخفي وما بعده
والضمير في اخفي عايد علي ما قال الزجاج ويقرا ما اخفي لهم بمعني ما اخفا الله لهم وهي قراة محمد بن كعب
وما في موضع نصب المعدوي ومن قرا قرات اعين فهو جمع قرة وحسن الجمع فيه لاضافته الي جمع والافراد
لانه مصدر وهو اسم للجنس وقال ابو بكر الانباري وهذا اعتبر مخالف للمصحف لان تا قرة تكتب تا علي لغة
من يجري الوصل علي الوقف كما كتبوا رحمت الله بالتا ولا يستنكر سقوط الالف من قراة في الخط وهو موجود
في اللفظ كما لم يستنكر سقوط الالف من السموات وهي ثابتة في اللسان والنطق والمعني المراد انه اخبر تعالي
بما لهم من النعيم الذي لم تعلمه نفس ولا بشر ولا ملك وفي معني هذه الاية قال النبي صلي الله عليه وسلم
قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ثم قرا
هذه الاية تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون الي قوله بما كانوا يعملون
اخرجه الصحيح من حديث سهل بن سعد الساعدي وقال ابن مسعود في التوراة مكتوب علي الله للذين تتجافي
جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر وقال ابن عباس الامر في هذا اجل
واعظم من ان يعرف تفسيره قال الشيخ رحمه الله وهذه الكرامة انما هي لاعلي اهل الجنة منزلة كما جاء مبينا في
صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه الي رسول الله صلي الله عليه وسلم قال سال موسي عليه السلام ربه فقال
يا رب ما ادني اهل الجنة منزلة قال هو رجل ياتي بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول
اي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له اترضي ان يكون لك مثل ملك ملك من ملوك
الدنيا فيقول رضيت ربي فيقول لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت
ربي فيقال هذا لك وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت ربي قال رب
فاعلاهم منزلة قال فاوليك الذين اردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع اذن
ولم يخطر علي قلب بشر قال ومصداقه من كتاب الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية وقد روي
عن المغيرة موقوفا قوله وخرج مسلم ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الله عز
وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ذخرا بله ما
اطلعكم عليه ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن سيرين المراد به النظر الي الله تعالي وقال
الحسن اخفي القوم اعمالا فاخفي الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت **قوله تعالي** افمن كان
مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تعالي افمن كان مومنا كمن كان
فاسقا لا يستوون اي ليس المومن كالفاسق فلهذا اثبنا هاولاء المومنين الثواب العظيم قال ابن عباس وعطا
ابن يسار نزلت الاية في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط وذلك انهما تلاحيا فقال له الوليد انا
ادرب منك لسانا واحد سنانا وارد للكتيبة وروي واملا في الكتيبة جسدا فقال له علي اسكت
فانك فاسق فنزلت الاية وذكر الزجاج والنحاس انها نزلت في علي وعقبة بن ابي معيط قال ابن عطية

وعلي هذا يلزم ان تكون الاية مكية لان عقبة لم يكن بالمدينة وانما قتل في طريق مكة منصرف رسول الله صلي
الله عليه وسلم من بدر ويعترض القول الاخر باطلاق اسم الفسق علي الوليد وذلك يحتمل ان يكون في صدر
اسلام الوليد لشي كان في نفسه او لما روي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن حتي نزلت فيه ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا علي ما ياتي في الحجرات بيانه ويحتمل ان تطلق الشريعة ذلك عليه لانه كان علي طرف مما يبغي وهو الذي شرب
الخمر في زمن عثمان وصلي الصبح بالناس ثم التفت وقال تريدون ازيدكم ونحو هذا مما يطول ذكره **الثانية**
لما قسم الله المومنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر لان التكذيب في اخر الاية يقتضي ذلك اقتضي ذلك نفي
المساواة بين المومن والكافر ولهذا منع القصاص بينهما اذ من شرط وجوب القصاص المساواة بين القاتل
والمقتول وبذلك احتج علماونا علي ابي حنيفة في قتله المسلم بالذمي وقال اراد نفي المساواة ها هنا في الاخرة
في الثواب وفي الدنيا بالعدالة ونحن حملناه علي عمومه وهو اصح دليل اذ لا دليل يخصه قاله ابن العربي **الثالثة**
قوله تعالي لا يستوون قال الزجاج وغيره من يصلح للواحد والجمع النحاس لفظ من يودي عن الجماعة فلهذا قال
لا يستوون هذا قول كثير من النحويين وقال بعضهم لا يستوون لاثنين لان الاثنين جمع لانه واحد جمع
مع اخر وقاله الزجاج ايضا والحديث يدل علي هذا القول لانه عن ابن عباس وغيره قال نزلت افمن كان مومنا
في علي ابن ابي طالب كمن كان فاسقا في الوليد بن عقبة بن ابي معيط وقال الشاعر

اذا ما تواوا وصاروا في القبور ... اليس الموت بينهما سواء

قوله تعالي اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوي نزلا بما كانوا يعملون واما
الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون اخبر عن مقر الفريقين غدا فللمومنين جنات الماوي اي ياوون الي الجنات فاضاف الجنات الي
الماوي لان ذلك الموضع يتضمن جنات نزلا اي ضيافة والنزل ما يهيا للنازل والضيف وقد مضي في ال
عمران وهو نصب علي الحال من الجنات اي لهم الجنات معدة ويجوز ان يكون مفعولا له واما الذين فسقوا
اي خرجوا عن الايمان الي الكفر فماواهم النار اي مقامهم فيها كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي اذا
دفعهم لهب النار الي اعلاها ردوا الي موضعهم فيها لانهم يطمعون في الخروج منها وقد مضي هذا في الحج وقيل
لهم اي يقول لهم خزنة جهنم او يقول الله لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون والذوق يستعمل محسوسا
ومعني وقد مضي في هذه السورة بيانه **قوله تعالي** ولنذيقنهم من العذاب الادني دون العذاب
الاكبر لعلهم يرجعون قال الحسن وابو العالية والضحاك وابي بن كعب وابراهيم النخعي العذاب الادني
مصايب الدنيا واسقامها مما يبتلي به العبد حتي يتوبوا وقاله ابن عباس وعنه ايضا انه الحدود وقال ابن مسعود
والحسن بن علي وعبد الله بن الحارث هو القتل بالسيف يوم بدر وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتي اكلوا
الجيف وقاله مجاهد وعنه ايضا العذاب الادني عذاب القبر وقاله البرا بن عازب قالوا والاكبر عذاب
يوم القيامة قال القشيري وقيل عذاب القبر وفيه نظر لقوله لعلهم يرجعون قال ومن حمل العذاب علي القتل
قال لعلهم يرجعون اي يرجع من بقي منهم ولا خلاف ان العذاب الاكبر عذاب جهنم الا ما روي عن جعفر
بن محمد انه خروج المهدي بالسيف والادني غلا السعر وقد قيل ان معني قوله لعلهم يرجعون علي قول مجاهد
والبرا اي لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما
سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالي اذا قمتم الي الصلاة ويدل عليه قراءة من قرا يرجعون علي البنا للمفعول
ذكره الزمخشري **قوله تعالي** ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين
منتقمون من اظلم اي لا احد اظلم لنفسه ممن ذكر بايات ربه اي بحججه وعلاماته ثم اعرض عنها بترك القبول
انا من المجرمين منتقمون لتكذيبهم واعراضهم **قوله تعالي** ولقد اتينا موسي الكتاب فلا تكن
في مرية من لقايه وجعلناه هدي لبني اسرايل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا
باياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فلا تكن في مرية
من لقايه فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسي قاله ابن عباس وقد لقيه ليلة الاسرا قتادة المعني فلا تكن
في شك من انك لقيته ليلة الاسراء والمعني واحد وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسي في القيامة وستلقاه
فيها وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسي الكتاب بالقبول قاله مجاهد والزجاج وعن الحسن انه قال في معناه
ولقد اتينا موسي الكتاب فاوذي وكذب فلا تكن في شك من انه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والاذي

اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات

فالهاء عايدة على محذوف والمعنى من لقاء ما لاقى النحاس وهذا قول غريب الا انه من رواية عمرو بن عبيد وقيل
في الكلام تقديم وتاخير وقيل المعنى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقايه
فجاء معترضا بين ولقد اتينا موسى الكتاب وبين وجعلناه هدى لبني اسرايل والضمير في جعلناه فيه
وجهان احدهما جعلنا موسى قاله قتادة الثاني جعلنا الكتاب قاله الحسن وجعلنا منهم ايمة اي قادة وقد
يقتدى بهم في دينهم والكوفيون يقرون ايمة النحاس وهو لحن عند جميع النحويين لانه جمع بين همزتين في
كلمة واحدة وهو من دقيق النحو وشرحه ان الاصل اممة ثم القيت حركة الميم على الهمزة وادغمت الميم
وخففت الهمزة الثانية لئلا تجتمع همزتان والجمع بين همزتين في حرفين بعيد فاما في حرف واحد فلا
يجوز الا تخفيف الثانية نحو قولك ادم وادم والاخرون ويقال هذا اوم من هذا وايم بالواو والياء وقد مضى في براءة
يهدون بامرنا اي يدعون الخلق الى طاعتنا بامرنا اي امرناهم بذلك وقيل بامرنا اي لامرنا اي يهدون
الناس لديننا ثم قيل المراد الانبياء قاله قتادة وقيل المراد الفقهاء والعلماء لما صبروا قراءة العامة
لما بفتح اللام وشد الميم وفتحها اي حين صبروا وقرا يحيى وحمزة والكسايي وخلف ورويس عن يعقوب لما
صبروا اي لصبرهم جعلناهم ايمة واختاره ابو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود بما صبروا وبالباء قرا
الصبر صبر على الدين وعلى البلاء وقيل صبروا عن الدنيا ان ربك هو يفصل بينهم اي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار
فيما ذي كلا مما يستحق وقيل يقضي بين الانبياء وبين قومهم حكاه النقاش **قوله تعالى**
اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا
يسمعون وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة وابو زيد عن يعقوب نهد لهم بالنون فهذه قراءة بينة
النحاس وبالياء فيها اشكال لانه يقال الفعل لا يخلو من فاعل واين الفاعل ليهد فتكلم النحويون في هذا
فقال الفراء كم في موضع رفع بيهد وهذا نقض لاصول النحويين في قولهم ان الاستفهام لا يعمل فيه ما
قبله ولا في كم بوجه اعني ما قبلها ومذهب ابي العباس ان يهد يدل على الهدى فالمعنى اولم يهد لهم الهدى
والمعنى اولم يهد الله لهم فيكون معنى الياء والنون واحدا اي اولم نبين لهم اهلاكنا القرون الكافرة
من قبلهم وقال الزجاج كم في موضع نصب باهلكنا يمشون في مساكنهم يحتمل الضمير في يمشون ان يعود
على الماشين في مساكن المهلكين اي وهؤلاء يمشون ولا يعتبرون ويحتمل ان يعود على المهلكين فيكون
حالا والمعنى اهلكناهم ماشين في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون ايات الله وعظاته
فيتعظون **قوله تعالى** اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج منه زرعا تاكل منه انعامهم
وانفسهم افلا يبصرون اي اولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء الى الارض الجرز اليابسة التي لا نبات
فيها لتحييها الزمخشري الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال
لانه ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا قال ابن عباس هي ارض باليمن
وقال مجاهد هي ابين وقال عكرمة هي الارض الظما وقال الضحاك هي الارض الميتة العطشى وقال الفراء هي
الارض التي لا نبات فيها وقال الاصمعي هي الارض التي لا تنبت شيا قال محمد بن يزيد يبعد ان تكون الارض
بعينها لدخول الالف واللام الا انه يجوز على قول من قال العباس والضحاك والاسناد عن ابن عباس صحيح
لا مطعن فيه وهذا انما هو نعت والنعت المعرفة يكون بالالف واللام وهو مشتق من قولهم رجل جروز اذا
كان لا يبقي شيا الا اكله قال الراجز

خب جروز واذا جاع بكى ... وياكل التمر ولا يلقي النوى

وكذلك ناقة جروز اذا كانت تاكل شيا تجده وسيف جراز اي قاطع ماض وجرزت الجراد الزرع اذا استاصلته
بالاكل وحكى الفراء وغيره انه يقال ارض جرز وجرز وجرز وجرز وكذلك بخل ورغب ورهب في الاربعة
اربع لغات وتدري ان هذه الارض لا انهار فيها وهي بعيدة من البحر وانما ياتيها في كل عام واديان فيزرعون
ثلاث مرات في كل عام وعن مجاهد ايضا انها ارض النيل فنخرج به اي بالماء زرعا تاكل منه انعامهم من الكلا
والحشيش وانفسهم من الحب والخضر والفواكه افلا يبصرون هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم فنخرج
يكون معطوفا على نسوق او منقطعا مما قبله تاكل منه انعامهم في موضع نصب على النعت **قوله تعالى**
ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون متى في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب على الظرف قال قتادة الفتح القضاء وقال

ارض الجرز

الفراء والقتبي يعني فتح مكة واولى من هذا ما قاله مجاهد قال يعني يوم القيامة ويروى ان المؤمنين قالوا سيحكم
الله عز وجل بيننا يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء فقال الكفار على التهزي متى يوم الفتح اي هذا
الحكم ويقال للحاكم فاتح وفتاح لان الاشياء تنفتح على يديه وتنفصل وفي القران ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وقد مضى هذا في البقرة وغيرها قل يوم الفتح على الظرف واجاز الفراء الرفع لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا
هم ينظرون اي يوخرون ويمهلون للتوبة ان كان يوم الفتح يوم بدر او فتح مكة ففي بدر قتلوا ويوم الفتح هربوا
فلحقهم خالد بن الوليد فقتلهم **قوله تعالى** فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون قيل معناه اعرض
عن سفههم ولا تجبهم الا بما امرت به وانتظر انهم منتظرون اي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك
عليهم ابن عباس فاعرض عنهم اي عن مشركي قريش مكة وان هذا منسوخ بالسيف في براءة في قوله فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وانتظر اي موعدي لك قيل يعني يوم بدر انهم منتظرون اي ينتظرون بكم حوادث
الزمان وقيل الاية غير منسوخة اذ قد يقع الاعراض مع الامر بالقتال كالهدنة وغيرها وقيل اعرض عنهم
بعد ما بلغت الحجة وانتظر انهم منتظرون ان قيل كيف ينتظرون القيامة وهم لا يومنون ففي هذا جوابان
احدهما ان يكون المعنى انهم منتظرون فيكون هذا مجازا والاخر ان فيهم من يشك ومنهم من يومن بالقيمة
فيكون هذا جوابا لهذا التصنيف والله اعلم وقرا ابن السميقع انهم منتظرون بفتح الظاء ورويت عن مجاهد
وابن محيصن قال الفراء لا يصح هذا الا باضمار مجازه انهم منتظرون بهم قال ابو حاتم الصحيح الكسر اي انتظر
عذابهم انهم منتظرون هلاكك وقيل ان قراءة ابن السميقع بفتح الظاء ومعناها وانتظر هلاكهم فانهم
احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة وانتظر ذلك فان الملايكة في السماء ينتظرونه
ذكره الزمخشري وهو معنى قول الفراء والله اعلم تمت السورة المباركة بحمد الله وعونه وتوفيقه

تفسير سورة الاحزاب

مدنية في قول جميعهم نزلت في المنافقين وايذايهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنهم فيه وفي مناكحته
وغيرها وهي ثلاث وسبعون اية وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة وكانت فيها اية الرجم
الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ذكره ابو بكر الانباري عن ابي بن كعب
وهذا يحمله اهل العلم على ان الله تعالى رفع من الاحزاب اليه ما يزيد على ما في ايدينا وان اية الرجم رفع لفظها
وقد حدثنا احمد بن الهيثم بن خالد حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام حدثنا ابن ابي مريم عن ابن لهيعة عن
ابي الاسود عن عروة عن عايشة قالت كانت سورة الاحزاب تعدل على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم مايتي اية فلما كتب المصحف لم يقدر منها الا على ما هي الان قال ابو بكر فمعنى هذا من ام المومنين عايشة
رضي الله عنها ان الله تعالى رفع اليه من سورة الاحزاب ما يزيد على ما عندنا قال الشيخ رحمه الله هذا وجه
من وجوه النسخ وقد تقدم في البقرة القول فيه مستوفى والحمد لله وروى زر عن ابي بن كعب انه قال كم تعدون
سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين اية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة
او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد
ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من القران واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عايشة فاكلتها
الداجن فمن تاليف الملاحدة والروافض بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما ضمت اي لانه نداء مفرد والتنبيه
لازم لها والنبي نعت لاي عند النحويين الا الاخفش فانه يقول انه صلة لاي مكي ولا يعرف في كلام العرب
اسم مفرد صلة لشيء النحاس وهو خطا عند النحويين لان الصلة لا تكون الا جملة والاحتيال له فيما قال
انه لما كان نعتا لازما سمي صلة وهكذا الكوفيون يسمون نعت النكرة صلة لها ولا يجوز نصبه على الموضع عند
اكثر النحويين واجازه المازني جعله كقولك يا زيد الظريف بنصب الظريف على موضع زيد مكي وهذا
نعت لا يستغنى عنه ونعت اي لا يستغنى عنه فلا يحسن نصبه على الموضع وايضا فان نعت اي هو المنادى في
المعنى فلا يحسن نصبه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود
قريظة والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم
واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وقيل انها نزلت فيما ذكر الواحدي والقشيري

والثعلبي والماوردي وغيرهم في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفين نزلوا المدينة
علي عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين بعد احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان علي ان
يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده
عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزي ومناة وقل ان لها شفاعة ومنعة لمن عبدها وندعك
وربك فشق علي النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا فقال له عمر يا رسول الله ايذن لنا في قتلهم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يخرجوا من المدينة فنزلت الاية يا ايها النبي اتق الله اي خف الله ولا تطع الكافرين من اهل مكة يعني ابا
سفين وابا الاعور وعكرمة والمنافقين من اهل المدينة يعني عبد الله بن ابي وطعمة وعبد الله بن ابي
سرح فيما نهيت عنه ولا تمل اليهم ان الله كان عليما بكفرهم حكيما فيما يفعل بهم الزمخشري روي ان ابا
سفيان ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا علي النبي صلى الله عليه وسلم في الموادعة التي
كانت بينهم وبينه وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ارفض ذكر الهتنا وذكر الخبر بمعنى ما تقدم وان الاية نزلت في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من
اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الي ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم ويزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه
ان لم يرجع فنزلت وقد ل بقوله ان الله كان عليما حكيما علي انه كان يميل اليهم استدعا لهم الي الاسلام اي لو علم الله
عز وجل ان ميلك اليهم فيه منفعة لما نهاك عنه لانه حكيم ثم قيل الخطاب له ولامته **قوله تعالى**
واتبع ما يوحي اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل علي الله وكفي بالله وكيلا
يعني القران وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية وامر بجهادهم ومنابذتهم وفيه دليل علي ترك اتباع الاراء مع
وجود النص والخطاب له ولامته ان الله كان بما تعملون خبيرا قراة العامة بنا علي الخطاب وهو اختيار ابي عبيد
وابي حاتم وقرا السلمي وابو عمرو وابن ابي اسحاق يعملون بالياء علي الخبر وكذلك في قوله بما يعملون بصيرا وتوكل
علي الله اي اعتمد عليه في كل احوالك فهو الذي ينفعك ولا يضرك من خذلك وكفي بالله وكيلا حافظا وقال
شيخ من اهل الشام قدم علي النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني ثقيف وطلبوا منه ان يمتعهم باللات والعزي
سنة وهي الطاغية التي كانت ثقيف تعبدها وقالوا لتعلم قريش منزلتنا عندك فهم النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فنزلت وتوكل علي الله وكفي بالله وكيلا اي كافيا لهم ما تخافه منهم وبالله في موضع رفع لانه الفاعل
ووكيلا نصب علي البيان او الحال **قوله تعالى** ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازوا
جكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل فيه خمس مسايل **الاولي** قال مجاهد نزلت في رجل من قريش كان يدعي ذا القلبين من
ذهانه وكان يقول ان لي في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد قال وكان من فهر الواحدي
والقشيري وغيرهما نزلت في جميل بن معمر الفهري وكان رجلا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ هذه
الاشيا الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان اعقل بهما افضل من عقل محمد فلما هزم المشركون يوم بدر
ومعهم جميل ابن معمر راه ابو سفيان في العير وهو معلق احدي نعليه بيده والاخري في رجله فقال ابو سفيان
ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال احدي نعليك في يدك والاخري في رجلك فقال ما شعرت الا انهما
في رجلي فعرفوا يوميذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وقال السهيلي كان جميل بن معمر الجمحي وهو ابن
معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح واسم جمح تيم وكان يدعي ذا القلبين فنزلت فيه الاية وفيه يقول
الشاعر
وكيف ثوابي بالمدينة بعد ما ... قضي وطرا منها جميل بن معمر

قال الشيخ رحمه الله كذا قالوا جميل بن معمر وقال الزمخشري جميل بن اسد الفهري وقال ابن عباس سببها ان
بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شي فنزع في غيره نزعه ثم عاد الي شانه الاول فقالوا
ذلك عنه فاكذبهم الله عز وجل وقيل نزلت في عبد الله بن خنظل وقال الزهري وابن حبان نزلت ذلك
تمثيلا في زيد بن حارثة لما تبناه النبي صلى الله عليه وسلم فالمعني كما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون ولد
واحد لرجلين قال النحاس وهذا قول ضعيف لا يصح في اللغة وهو من منقطعات الزهري رواه معمر عنه
وقيل هو مثل ضرب للمظاهر اي كما لا يكون للرجل قلبان كذلك لا تكون امراة المظاهر امه حتي تكون

احدی نعليك بيدك والاخرى في رجلك

له امان وقيل كان الواحد من المنافقين يقول لي قلب يامرني بكذا وقلب يامرني بكذا فالمنافق ذو قلبين
فالمقصود رد النفاق وقيل لا يجتمع الكفر والايمان بالله في قلب كما لا يجتمع قلبان في جوف فالمعني لا يجتمع
اعتقادان متغايران في قلب ويظهر من الاية بجملتها نفي اشيا كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت
واعلام بحقيقة الامر والله اعلم **الثانية** القلب بضعة صغيرة علي هيية الصنوبرة خلقها الله تعالي في
الادمي وجعلها محلا للعلم فيحصي به العبد من العلوم ما لا يسع في اسفار يكتبه الله بالخط الالهي ويضبطه
فيه بالحفظ الرباني حتي يحصيه ولا ينسي منه شيا وهو بين لمتين لمة من الملك ولمة من الشيطان كما قال عليه السلام
خرجه الترمذي وقد مضي في البقرة وهو محل الخطرات والوساوس ومكان الكفر والايمان وموضع الاصرار
والانابة ويجري الانزعاج والطمانينة والمعني في الاية انه لا يجتمع في القلب الكفر والايمان والهدي
والضلال والانابة والاصرار وهذا نفي لكل ما توهمه احد في ذلك من حقيقة او مجاز والله اعلم **الثالثة**
اعلم الله عز وجل في هذه الاية انه لا احد بقلبين ويكون في هذا طعن علي المنافقين الذين تقدم ذكرهم اي انما
هو قلب واحد فاما فيه ايمان واما كفر لان درجة النفاق كانها متوسطة فنفاها الله وبين انه قلب واحد
وعلي هذا النحو يستشهد الانسان بهذه الاية حتي نسي شيا او وهم يقول علي جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه **الرابعة** قوله تعالي وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم يعني قول الرجل لامراته
انت كظهر امي وذلك مذكور في سورة المجادلة علي ما ياتي ان شا الله تعالي **الخامسة** قوله تعالي وما جعل ادعياءكم ابناءكم
اجمع اهل التفسير علي ان هذا نزل في زيد بن حارثة وروي الايمة ان ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن
حارثة الا زيد بن محمد حتي نزلت ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله وكان زيد فيما روي عن انس بن مالك
وغيره مسبيا من الشام سبيه خيل من تهامة فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد
فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فاقام عنده مدة ثم جاء عمه وابوه يرغبان في فدايه
فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعث خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فدا فاختار الرق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي حريته وقومه فقال محمد صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا
انه ابني يرثني وارثه وكان يطوف علي حلق قريش يشهدهم علي ذلك فرضي ذلك عمه وابوه وانصرفا وكان ابوه لما سبي
يدور علي الشام ويقول

شعر

بكيت علي زيد ولم ادر ما فعل	احي يرجي ام اتي دونه الاجل
فوالله لا ادري واني لسايل	اغالك بعدي السهل ام غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر اوبة	فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها	ويعرض ذكراه اذا غربها افل
وان هبت الارياح هيجن ذكره	فيا طول ما حزني عليه وما وجل
ساعمل نص العيس في الارض جاهدا	ولا اسام التطواف او تسام الابل
حياتي او تاتي علي منيتي	فكل امري فان وان غره الامل

فاخبر انه بمكة فجا اليه فهلك عنده
وروي انه جا اليه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا وانصرف وسياتي من ذكره وشرفه وفضله شفا عند قوله
فلما قضي زيد منها وطرا زوجناكها ان شا الله وقتل زيد بموتة من ارض الشام سنة ثمان من الهجرة وكان النبي صلى الله
عليه وسلم امره في تلك الغزاة وقال ان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة في تلك
الغزاة رضوان الله عليهم اجمعين ولما اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم نعي زيد وجعفر بكي وقال اخواي ومونساي
ومحدثاي **قوله تعالى** ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين
ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما فيه ست
مسايل **الاولي** قوله تعالي ادعوهم لابائهم نزلت في زيد بن حارثة علي ما تقدم بيانه وفي قول ابن عمر ما كنا ندعو
زيد بن حارثة الا زيد بن محمد دليل علي ان التبني كان معمولا به في الجاهلية والاسلام يتوارث به ويتناصر الي
ان نسخ الله ذلك بقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله اي اعدل فرفع الله حكم التبني ومنع من اطلاق لفظه وارشد
بقوله الي ان الاولي والاعدل ان ينسب الرجل الي ابيه نسبا فيقال كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه
ضمه الي نفسه وجعل له نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينتسب اليه فيقال فلان بن فلان وقال النحاس
هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنة بالقران فامر ان يدعوا من دعوا الي ابيه المعروف

فان لم يكن له اب معروف نسبوه الي ولاية فان لم يكن له ولاء معروف قال يا اخي يعني في الدين قال الله تعالى
انما المومنون اخوة الثانية لو نسبه انسان الي ابيه من التبني فان كان علي جهة الخطا وهو ان يسبق
لسانه الي ذلك من غير قصد فلا اثم ولا مواخذة لقوله تعالي وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به وكذلك لو
دعوت رجلا لغير ابيه وانت تري انه ابوه فليس عليك باس قاله قتادة ولا يجري هذا المجري ما غلب عليه اسم
التبني كالحال في المقداد بن عمرو فانه كان غلب عليه نسب التبني فلا يكاد يعرف الا بالمقداد بن الاسود فان
الاسود بن عبد يغوث كان قد تبناه في الجاهلية وعرف به فلما نزلت الاية قال المقداد انا ابن عمرو ومع ذلك
فبقي الاطلاق عليه ولم يسمع فيمن مضي من عصي مطلق ذلك كله وان كان متعمدا وكذلك سالم مولي ابي حذيفة
وكان يدعي لابي حذيفة وغيرها ولا ممن تبني وانتسب لغير ابيه وشهد بذلك وغلب عليه وذلك بخلاف الحال
في زيد بن حارثة فانه لا يجوز ان يقال فيه زيد بن محمد فان قاله احد متعمدا اعصي بقوله ولكن ما تعمدت
قلوبكم اي فعليكم الجناح والله اعلم ولذلك قال بعده وكان الله غفورا رحيما اي غفورا للعمد ورحيما برفع
اثم الخطا الثالثة وقد قيل ان قوله تعالي لا جناح عليكم فيما اخطاتم به مجمل اي وليس عليكم جناح في شي اخطاتم
به وكانت فتيا عطا وكثير من العلماء علي هذا اذا احلف رجل ان لا يفارق غريمه حتي يستوفي منه حقه فاخذ منه
ما يري انه جيد من دنانير فوجدها زجاجا انه لا شي عليه وكذلك عنده اذا حلف ان لا يسلم علي فلان فسلم عليه وهو لا يعرفه
لانه لم يتعمد ذلك وما في موضع خفض ردا علي ما التي مع اخطاتم ويجوز ان تكون في موضع رفع علي اضمار مبتدا والتقدير
ولكن الذي تواخذون به ما تعمدت قلوبكم قاله قتادة وغيره من نسب رجلا الي غير ابيه وهو يري انه ابوه
خطا فذلك الذي رفع الله فيه الجناح وقيل هو ان يقول له في المخاطبة يا بني علي غير تبنين الرابعة
قوله تعالي ذلكم قولكم بافواهكم تاكيد لبطلان القول اي انه قول لا حقيقة له في الوجود انما هو لساني فقط وهذا
كما تقول انا امشي اليك علي قدم فانما يريد بذلك المبرة وهذا كثير وقد تقدم وهذا المعني في غير موضع
والله يقول الحق الحق نعت لمصدر محذوف اي يقول القول الحق ويهدي معناه يبين فهو يتعدي بغير حرف جر
الخامسة الادعياء جمع الدعي وهو الذي يدعي ابنا لغير ابيه والمصدر الدعوة بالكسر فامر تعالي بدعا الادعيا
الي ابايهم للصلب فمن جهل ذلك فيه ولم تشتهر انسابهم كان مولي واخا في الدين وذكر الطبري ان ابا بكرة قرا هذه
الاية وقال انا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم في الدين ومولاكم قال الراوي عنه ولو علم والله ان اباه حمار لانتمي
اليه ورجال الحديث يقولون في ابي بكرة نفيع بن الحارث السادسة روي الصحيح عن سعد بن ابي وقاص وابي
بكرة قال سمعت اذناي ووعاه قلبي محمدا صلي الله عليه وسلم يقول من ادعي الي غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه
فالجنة عليه حرام وفي حديث ابي ذر انه سمع النبي صلي الله عليه وسلم يقول ليس من رجل ادعي لغير ابيه وهو يعلمه
الا كفر **قوله تعالي** النبي اولي بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم
اولي ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الي اوليايكم معروفا كان ذلك في
الكتاب مسطورا فيه تسع مسايل الاولي قوله تعالي النبي اولي بالمومنين من انفسهم هذه الاية ازال الله بها
احكاما كانت في صدر الاسلام منها انه عليه السلام كان لا يصلي علي ميت عليه دين فلما فتح الله عليه الفتوح
قال انا اولي بالمومنين من انفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاوه ومن ترك مالا فلورثته اخرجه الصحيحان
وفيهما ايضا فايكم ترك دينا او ضياعا فانا مولاه قال ابن العربي فانقلبت الحال الان بالذنوب فان تركوا مالا
ضويق العصبة فيه وان تركوا ضياعا اسلموا اليه فهذا تفسير الولاية المذكورة في هذه الاية بتفسير النبي
صلي الله عليه وسلم وتنبيهه ولا عطر بعد عروس قال ابن عطية وقال بعض العلما العارفين هو اولي بهم من
انفسهم لان انفسهم تدعوهم الي الهلاك وهو يدعوهم الي النجاة قال ابن عطية ويويد هذا قوله عليه السلام
وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش قال الشيخ رحمه الله هذا قول حسن في معني الاية
وتفسيرها والحديث الذي ذكر اخرجه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انما مثلي
ومثل امتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه وانا اخذ بحجزكم وانتم تقحمون فيه وعن
جابر مثله وقال وانتم تفلتون من يدي قال العلما الحجزة للسراويل والمعقد للازار فاذا اراد الرجل امساك من
يخاف سقوطه اخذ بذلك الموضع منه وهذا مثل لاجتهاد نبينا صلي الله عليه وسلم في نجاتنا وحرصه علي تخلصنا
من المهلكات التي بين ايدينا فهو اولي بنا من انفسنا ولجهلنا بقدر ذلك وغلبت شهواتنا علينا وظفر
عدونا اللعين صرنا احقر من الفراش واذل من الفراش ولا حول ولا قوة الا بالله وقيل اولي بهم اي انه

من ادعى الى غير ابيه وهو
يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام

اذا امرهم بشي ودعت النفس الي غيره كان امر النبي صلي الله عليه وسلم اولي وقيل اولي بهم هو اولي بان يحكم علي المومنين
فينفذ حكمه في انفسهم اي فيما يحكمون به لانفسهم مما يخالف حكمه الثانية قال بعض اهل العلم يجب علي الامام
ان يقضي من بيت المال دين الفقراء اقتداء بالنبي صلي الله عليه وسلم فانه قد صرح بوجوب ذلك عليه حيث
قال فعلي قضاوه والضياع بفتح الضاد مصدر ضاع ثم جعل اسما لكل ما هو بصدد ان يضيع من عيال وبنين
لا كافل لهم ومال لا قيم له وسميت الارض ضيعة لانها معرضة للضياع وتجمع ضياعا بكسر الضاد الثالثة
قوله تعالي وازواجه امهاتهم شرف تعالي ازواج نبيه صلي الله عليه وسلم بان جعلهن امهات المومنين اي في وجوب
التعظيم والمبرة والاجلال وحرمة النكاح علي الرجال وحجبهن رضي الله عنهن بخلاف الامهات وقيل لما كانت
شفقتهن عليهم كشفقة الامهات انزلن منزلة الامهات ثم هذه الامومة لا توجب ميراثا كامومة التبني
وجاز تزوج بناتهن ولا يجعلن اخوات للناس وسياتي عدد ازواج النبي صلي الله عليه وسلم في اية التخيير ان
شا الله تعالي واختلف الناس هل هن امهات الرجال والنسا ام امهات الرجال خاصة علي قولين فروي
الشعبي عن مسروق عن عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها يا امه فقالت لها لست لك بام انما انا ام
رجالكم قال ابن العربي وهو الصحيح قال الشيخ رحمه الله لا فايدة لاختصاص الحصر في الاباحة للرجال دون النسا
والذي يظهر لي انهن امهات الرجال والنسا تعظيما لحقهن علي الرجال والنسا ويدل عليه صدر الاية النبي
اولي بالمومنين من انفسهم وهذا يشمل الرجال والنسا ضرورة ويدل علي ذلك حديث ابي هريرة وجابر
فيكون قوله وازواجه امهاتهم عايدا الي الجميع ثم ان في مصحف ابي بن كعب وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقرا
ابن عباس من انفسهم وهو اب وازواجه وهذا كله يوهن ما رواه مسروق ان صح من جهة الترجيح وان لم يصح
يسقط الاستدلال به في التخصيص وبقينا علي الاصل الذي هو العموم الذي يسبق الي الفهم والله اعلم الرابعة
قوله تعالي واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله من المهاجرين والمومنين قيل انه اراد بالمومنين الانصار
وبالمهاجرين قريشا وفيه قولان احدهما انه ناسخ للتوارث بالهجرة حكي سعيد عن قتادة قال كان نزل في سورة
الانفال والذين امنوا وعملوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتي يهاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة
فكان لا يرث الاعرابي المسلم من قريبه المسلم المهاجر شيا حتي يهاجر ثم نسخ ذلك في هذه السورة بقوله
واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض الثاني ان ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والمواخاة في الدين روي هشام
بن عروة عن ابيه عن الزبير واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله وذلك انا معشر قريش لما قدمنا
المدينة قدمنا ولا اموال لنا فوجدنا الانصار نعم الاخوان فاخيناهم فاورثونا واورثناهم فاخي ابو بكر
خارجة بن زيد واخيت انا كعب بن مالك فجيت فوجدت السلاح قد اثقله فوالله لقد مات عن الدنيا ما ورثه
غيري حتي انزل الله هذه الاية فرجعنا الي موارثنا وثبت عن عروة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اخي
بين الزبير وبين كعب بن مالك فارتث كعب يوم احد فجا الزبير يقوده بزمام راحلته فلو مات يوميذ
كعب عن الضح والريح لورثه الزبير فانزل الله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله فبين
الله ان القرابة اولي من الحلف فتركوا الوراثة بالحلف وورثوا بالقرابة وقد مضي في الانفال الكلام في توريث
ذوي الارحام وقوله في كتاب الله يحتمل ان يريد القران ويحتمل ان يريد اللوح المحفوظ الذي قضي فيه احوال
خلقه ومن المومنين متعلق بقوله اولي لا بقوله واولوا الارحام بالاجماع لان ذلك كان يوجب تخصيصا ببعض
المومنين ولا خلاف في عمومها وهذا حل اشكالها قاله ابن العربي النحاس واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض
في كتاب الله من المومنين والمهاجرين يجوز ان يتعلق من المومنين باولوا فيكون التقدير واولوا الارحام من المومنين
والمهاجرين ويجوز ان يكون المعني اولي من المومنين وقال المهدوي وقيل ان معناه واولوا الارحام بعضهم اولي
ببعض في كتاب الله الا ما يجوز لازواج النبي صلي الله عليه وسلم ان يدعين امهات المومنين الخامسة واختلف
في كونهن كالامهات في المحرم واباحة النظر علي وجهين احدهما هن محرم لا يحرم النظر اليهن الثاني ان النظر اليهن
محرم لان تحريم نكاحهن انما يكون حفظا لحق رسول الله صلي الله عليه وسلم فيهن وكان من حفظ حقه تحريم النظر
اليهن ولان عايشة رضي الله عنها كانت اذا ارادت دخول رجل عليها امرت اختها اسما ان ترضعه ليصير
ابنا لاختها من الرضاعة فيصير محرما يستبيح النظر واما اللاتي طلقهن رسول الله صلي الله عليه وسلم في
حياته فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمة لهن علي ثلاثة اوجه احدها تثبت لهن هذه الحرمة تغليبا لحرمة
رسول الله صلي الله عليه وسلم الثاني لا يثبت ذلك لهن بل هن كساير النسا لان النبي صلي الله عليه وسلم

فقد ثبت عصمتهن وقال ازواجي في الدنيا هن ازواجي في الاخرة الثالثة من دخل بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهن ثبت حرمتها وحرم نكاحها وان طلقها لحرمته وحراسة لخلوته ومن لم يدخل بها لم يثبت لها هذه الحرمة
وقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجم امراة فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البنا بها ارادت
تتزوج فقالت لم هذا ولا ضرب علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حجابا ولا سميت ام المومنين فكف عنها **السادسة**
قال قوم لا يجوز ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم ابا لقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن يقال
مثل الاب للمومنين كما قال انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم الحديث خرجه ابو داود والصحيح انه يجوز ان يقال
انه ابو المومنين اي في الحرمة وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي في النسب وسياتي وقرا ابن عباس
من انفسهم وهو اب لهم وازواجه وسمع عمر هذه القراة فانكرها وقال حكها يا غلام فقال له انها في مصحف
ابي فذهب اليه فساله فقال له ابي انه كان يلهيني القران ويلهيك الصفق بالاسواق واغلظ لعمر وقد قيل
في قوم لوط عليه السلام هاولا بناتي انما اراد المومنات اي تزوجوهن وقد تقدم **السابعة** قال قوم لا
يقال بناته اخوات المومنين ولا اخوالهن اخوال المومنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت
ابي بكر وهي اخت عايشة ولم يقل هي خالة المومنين واطلق قوم هذا وقالوا معاوية خال المومنين يعني في
الحرمة لا في النسب **الثامنة** قوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا يريد الاحسان في الحياة والوصية
عند الموت اي ان ذلك جايز قاله قتادة والحسن وعطا وابن الحنفية قال محمد بن الحنفية نزلت في اجازة
الوصية لليهودي والنصراني اي يفعل هذا مع الولي والقريب وان كان كافرا فالمشرك ولي في النسب
لا في الدين فيوصى له بوصية واختلف العلما هل يجعل الكافر وصيا فجوز بعضهم ومنع بعض ورد النظر الى السلطان
في ذلك بعض منهم مالك رضي الله عنه وذهب مجاهد وابن زيد والرماني الى ان المعنى الى اوليايكم من المومنين ولفظ
الاية يعضد هذا المذهب وتعميم الولي ايضا حسن وولاية النسب لا يدفع الكافر وانما يدفع ان يلقى اليه بالمودة
كولي الاسلام **التاسعة** قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا الكتاب يحتمل الوجهين المذكورين
المتقدمين في كتاب الله ومسطورا من قولك سطرت الكتاب اذا اثبته اسطارا وقال قتادة اي مكتوبا
عند الله تعالى ان لا يرث كافر مسلما قال قتادة وفي بعض القراة كان ذلك عند الله مكتوبا وقال القرظي
كان ذلك في التوراة **قوله تعالى** واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ميثاقهم اي عهدهم على الوفا بما حملوا وان يبشر بعضهم
ببعض ويصدق بعضهم بعضا اي كان مسطورا حين كتب الله ما هو كاين وحين اخذ الله المواثيق من الانبياء
ومنك يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وانما خص هولا الخمسة وان دخلوا في زمرة
النبيين تفضيلا لهم وقيل لانهم اصحاب الشرايع والكتب واولوا العزم من الرسل وايمة الامم ويحتمل ان يكون
هذا تعظيما في قطع الولاية بين المسلمين والكافرين اي هذا مما لا يختلف فيه شرايع الانبيا اي كان في ابتدا
الاسلام توارث بالهجرة والهجرة سبب متاكد في الديانة ثم توارثوا القرابة مع الايمان وهو سبب وكيد
فاما التوارث بين مومن وكافر فلم يكن في دين احد من الانبيا الذين اخذ عليهم المواثيق فلا تداهنوا في الدين
ولا تمايلوا الكفار ونظيره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ولا تتفرقوا فيه ومن ترك التفرق
في الدين ترك موالاة الكفار وقيل اي النبي اولى بالمومنين من انفسهم كان ذلك في الكتاب مسطورا وما خوذا
به المواثيق من الانبيا واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا وثيقا عظيما على الوفا بما التزموا من تبليغ
الرسالة وان يصدق بعضهم بعضا والميثاق هو اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تاكيد للميثاق الاول
باليمين وقيل الاول هو الاقرار بالله والثاني في امر النبوة ونظير هذا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الاية اي اخذ عليهم ان يعلنوا
ان محمدا رسول الله ويعلن محمد ان لا نبي بعده وقدم محمدا في الذكر لما روى قتادة عن الحسن عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيل عن قوله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال كنت اولهم
في الخلق واخرهم في البعث وقال مجاهد هذا في ظهر ادم عليه السلام **قوله تعالى** ليسال الصادقين
عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما فيه اربعة اوجه احدها ليسال الانبيا عن تبليغهم الرسالة الى قومهم
حكاه النقاش وفي هذا تنبيه اذا كان الانبيا يسالون فكيف من سواهم الثاني ليسال الانبيا عما اجابهم
به قومهم حكاه علي بن عيسى الثالث ليسال الانبيا عن الوفا بالميثاق الذي اخذه عليهم حكاه ابن شجرة الرابع ليسال

الاي

الافواه الصادقة عن القلوب المخلصة وفي التنزيل فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقد تقدم
وقيل فايدة سوالهم توبيخ الكفار كما قال أانت قلت للناس واعتدنا للكافرين عذابا اليما وهو عذاب جهنم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا يعني يوم الاحزاب غزوة الخندق والاحزاب وبني قريظة وكانت
حالا شديدة معقبة بنعمة ورخاء وغبطة وتضمنت احكاما كثيرة وايات باهرة عزيزة ونحن نذكر من ذلك
بعون الله ما يكفي في عشر مسايل **الاولى** اختلف في اي سنة كانت فقال ابن اسحاق كانت في شوال من السنة
الخامسة وقال وهب بن القاسم عن مالك كانت وقعة الخندق سنة اربع وهي وبنو قريظة في يوم واحد وبين بني
قريظة والنضير اربع سنين قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال من المدينة
وذلك قوله تعالى اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قال ذلك
يوم الخندق جاءت قريش من هاهنا واليهود من هاهنا والنجدية من هاهنا يريد مالك ان الذين جاوا من فوقهم
بنو قريظة وسلام بن ابي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن اخطب النضيريون وهوذة بن قيس وابو عمار من بني
وايل وهم كلهم يهود هم الذين حزبوا الاحزاب والبوا وجمعوا خرجوا في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل
فاتوا مكة فدعوا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وواعدوهم من انفسهم بعون من انتدب الى ذلك
فاجابهم اهل مكة الى ذلك ثم خرج اليهود المذكورون الى غطفان فدعوهم الى مثل ذلك فاجابوهم فخرجت
قريش يقودهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدهم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري على فزارة
والحارث بن عوف المري على بني مرة ومسعود بن رخيلة على اشجع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
باجتماعهم وخروجهم شاور اصحابه فاشار عليهم سلمان بحفر الخندق فرضي رايه وقال المهاجرون يوميذ
سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت وكان الخندق
اول مشهد شهده سلمان مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوميذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا
خندقنا فعمل المسلمون في الخندق مجتهدين ونكص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت فيهم ايات من
القران ذكرها ابن اسحق وغيره وكان من فرغ من المومنين من حصته عاد الى غيره حتى كمل الخندق وكانت
فيه ايات بينات وعلامات للنبوات قال الشيخ رحمه الله ففي هذا الذي ذكرناه من هذا الخبر من الفقه وهي
الثانية مشاورة السلطان اصحابه وخاصته في امر القتال وقد مضى ذلك في ال عمران والنمل وفيه
التحصن من العدو بما امكن من الاسباب واستعمالها وقد مضى ذلك في غير موضع وفيه ان حفر الخندق
يكون مقسوما على الناس فمن فرغ منهم عاون من لم يفرغ فالمسلمون يد على من سواهم وفي البخاري ومسلم عن البرا بن
عازب قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى
عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ويقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا

واما ما كان فيه من الايات وهي **الثالثة** فروى النساي عن ابي سكينة رجل من المحررين عن رجل من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال وتمت كلمة ربك الاية
فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قايم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ثم ضرب الثانية
وقال وتمت الاية فندر الثلث الاخر فبرقت برقة فراها سلمان ثم ضرب الثالثة
وقال وتمت الاية فندر الثلث الباقي وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رداءه وجلس قال وجلس قال
سلمان يا رسول الله رايتك حين ضربت ما تضرب ضربة الا كانت معها برقة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
ذلك يا سلمان قال اي والذي بعثك بالحق نبيا يا رسول الله قال فاني حين ضربت الضربة الاولى رفعت
لي مداين كسرى وما حولها ومداين كثيرة حتى رايتها بعيني قال له من حضره من اصحابه يا رسول الله ادع
الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب
الضربة الثانية فرفعت لي مداين قيصر وما حولها حتى رايتها بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا
ويغنمنا ذراريهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب الثالثة فرفعت

الى مداين الحيرة وما حولها من القرى حتى رايتها بعيني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم وخرجه ايضا عن البراء بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحفر الخندق عرض لنا صخرة لا تاخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى ثوبه واخذ المعول وقال بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر الى قصورها الحمر الان من مكاني هذا ثم ضرب اخرى وقال بسم الله فكسر ثلثا اخر ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المداين الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر باب صنعا صححه ابو محمد عبد الحق **الرابعة** فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش في نحو عشرة الاف بمن معهم من كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان بمن معها من اهل نجد حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى نزلوا بظهر سلع في ثلاثة الاف وضربوا عسكرهم والخندق بينهم وبين المشركين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم في قول ابن شهاب وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي وكان صاحب عقد بني قريظة ورييسهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاقده وعاهده فلما سمع كعب بن اسد بحيي بن اخطب اغلق دونه باب حصنه وابى ان يفتح له فقال له افتح لي يا اخي فقال لا افتح لك فانك رجل مشوم تدعوني الى خلاف محمد وانا قد عاقدته وعاهدته ولم ار منه الا وفاء وصدقا فلست بناقض ما بيني وبينه قال اخي افتح لي حتى اكلمك وانصرف عنك قال لا افعل قال انما تخاف ان ناكل معك جشيشتك فغضب كعب وفتح له فقال له يا كعب انما جيتك بعز الدهر جيتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد تعاقدوا على ان يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جيتني والله بذل الدهر وجهام لا غيث فيه ويك يا حيي دعني فلست بفاعل ما تدعوني اليه فلم يزل حيي بكعب يعده ويغره حتى رجع اليه وعاقده على خذلان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وان يسير معهم وقال له حيي بن اخطب ان انصرفت قريش وغطفان دخلت عندك بمن معي من يهود فلما انتهى خبر كعب وحيي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وسيد الاوس سعد بن معاذ وبعث معهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا الى بني قريظة فان كان ما قيل لنا حقا فالحنوا لنا لحنا ولا تفتوا في اعضاد الناس وان كان كذبا فاجهروا به للناس فانطلقوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما قيل لهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عهد له عندنا فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكانت فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم اكثر من ذلك ثم اقبل سعد وسعد حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة المسلمين فقالا عضل والقارة يعرضان بغدر عضل والقارة باصحاب الرجيع خبيب واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلا واشتد الخوف واتى المسلمين عدوهم من فوقهم يعني من فوق الوادي من قبل المشرق ومن اسفل منهم من بطن الوادي من قبل المغرب حتى ظنوا بالله الظنونا واظهر المنافقون كثيرا مما كانوا يسرون فمنهم من قال ان بيوتنا عورة فلننصرف اليها فانا نخاف عليها وممن قال ذلك اوس بن قيظي ومنهم من قال يعدنا محمد ان نفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يامن على نفسه يذهب الى الغايط وممن قال ذلك معتب بن قشير احد بني عمرو بن عوف فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشتد على المسلمين البلا بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحارث بن عوف المري وهما قايدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا بقومهما عنهم وكانت هذه المقالة مراوضة ولم يكن عقدا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما انهما قد انابا ورضيا اتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وذكر ذلك لهما واستشارهما فقالا يا رسول الله هذا امر تحبه فنصنعه لك او شي امرك الله به فنسمع له ونطيع او امر تصنعه لنا قال بل امر اصنعه لكم والله ما اصنعه الا اني قد رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله والله لقد كنا نحن وهولا القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط ان ينالوا منها ثمرة الا شرا او قرا فحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله لا

نعطيهم

اغلق باب حصنه

نعطيهم اموالنا الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال انتم وذاك وقال لعيينة والحرث انصرفا فليس لكم عندنا الا السيف وتناول سعد الصحيفة وليس فيها شهادة فمحاها **الخامسة** فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على قتالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن ود العامري من بني عامر بن لوي وعكرمة ابن ابي جهل وهبيرة ابن ابي وهب وضرار بن الخطاب الفهري وكانوا فرسان قريش وشجعانهم اقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما راوه قالوا ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت بهم وجازوا الخندق وصاروا بين الخندق وبين سلع وخرج علي ابن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا فيها واقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قد اثبتته الجراح يوم بدر فلم يشهد احدا واراد يوم الخندق ان يرى مكانه فلما وقف هو وخيله نادى من يبارز فبرز له علي ابن ابي طالب وقال له يا عمرو انك عاهدت الله فيما بلغنا انك تدعى الى احدى خلتين الا اخذت احداهما قال نعم قال فاني ادعوك الى الله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فادعوك الى البراز قال والله يا ابن اخي ما احب ان اقتلك لما كان بيني وبين ابيك فقال له علي انا والله احب ان اقتلك فحمي عمرو بن عبد ود ونزل عن فرسه فعقره وصار نحو علي فتبارزا وتجاولا وثار النقع بينهما حتى حال دونهما فما انجلى النقع حتى رءي علي على صدر عمرو يقطع راسه فلما راى اصحابه انه قد قتله علي اقتحموا بخيلهم الثغرة منهزمين وقال علي رضي الله في ذلك

نصر الحجارة من سفاهة رايه * ونصرت دين محمد بضراب
ما زلته فتركته متجدلا * كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن اثوابه ولو انني * كنت المقطر بزني اثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه * ونبيه يا معشر الاحزاب

قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي قال ابن هشام والقى عكرمة ابن ابي جهل رمحه يوميذ وهو منهزم عن عمرو فقال حسان بن ثابت في ذلك

فر والقى لنا رمحه * لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم * ما ان تجور عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستانسا * كان قفاك قفا فرعل

قال ابن هشام فرعل صغير الضباع وكانت عايشة رضي الله عنها في حصن بني حارثة وام سعد بن معاذ معها وعلى سعد درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه وفي يده حربته وهو يقول

لبث قليلا يلحق الهيجا جمل * لا باس بالموت اذا كان الاجل

ورمي يوميذ سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل واختلف فيمن رماه فقيل رماه حبان بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال له خذها وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك في النار وقيل ان الذي رماه خفاجة بن عاصم بن حبارة وقيل بل الذي رماه ابو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم ولحسان مع صفية بنت عبد المطلب خبر طريف يوميذ ذكره ابن اسحاق وغيره قالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها كنا يوم الاحزاب في حصن حسان بن ثابت وحسان معنا في النسا والصبيان والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في نحر العدو لا يستطيعون الانصراف الينا فاذا يهودي يدور فقلت لحسان انزل اليه فاقتله فقال ما انا بصاحب هذا يا ابنة عبد المطلب فاخذت عمودا ونزلت من الحصن فقتلته فقلت يا حسان انزل فاسلبه فلم يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب قال فنزلت فسلبته قال ابو عمرو بن عبد البر وقد انكر هذا عن حسان جماعة من اهل السير وقالوا لو كان في حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك الذين كان يهاجيهم في الجاهلية والاسلام ولهجي بذلك ابنه عبد الرحمن فانه كان كثيرا ما يهاجي الناس من شعرا العرب مثل النجاشي وغيره **السادسة** واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي فقال يا رسول الله اني قد اسلمت ولم يعلم قومي باسلامي فمرني بما شيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل واحد من غطفان فلو خرجت وخذلت عنا ان استطعت كان احب الينا من بقايك معنا فاخرج فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان ينادمهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم

كلام علي كرم الله وجهه

قالوا قل فلست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم فيه اموالكم وابناءكم
ونساءكم وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه فان راوا نهزة
اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا مع
القوم حتى تاخذوا منهم رهنا ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودي لكم معشر قريش وفراقي محمدا
وقد بلغني امر اري من الحق ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على
ما كان من خذلانهم محمدا وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان ناخذ من قريش وغطفان
رهنا رجالا ونسلمهم اليكم فتضربوا اعناقهم ثم نكون معك على ما بقي منهم حتى نستاصلهم ثم اتى غطفان
فقال مثل ذلك فلما كان ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين ارسل ابو سفيان
الى بني قريظة عكرمة ابن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان يقول لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف
والحافر فاغدوا صبيحة غد للقتال حتى نناجز محمدا فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وقد علمتم ما نال منا
من تعدى في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فلما رجع الرسول بذلك قالوا صدقنا
والله نعيم بن مسعود فردوا اليهم الرسل وقالوا والله لا نعطيكم رهنا ابدا فاخرجوا معنا ان شئتم والا
فلا عهد بيننا وبينكم فقال بنو قريظة صدق والله نعيم بن مسعود وخذل الله بينهم واختلفت كلمتهم وبعث
الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديدة البرد فجعلت الريح تقلب ابنيتهم وتكفا قدورهم **السابعة**
فلما اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف امرهم بعث حذيفة بن اليمان لياتيه بخبرهم فلما اتاهم فاستتر
في غمارهم وسمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش ليتعرف كل امري جليسه قال حذيفة فاخذت بيد جليسي
وقلت من انت فقال انا فلان ثم قال ابو سفيان ويحكم يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد
هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون ما تستمسك لنا ابنا ولا يثبت لنا
قدر ولا تقوم لنا نار فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قايم قال حذيفة ولولا عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لي اذ بعثني قال لي امر الى القوم فاعلم ما هم عليه ولا تحدث شيا لقتلته بسهم ثم اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رحيلهم فوجدته قايما يصلي في مرط لبعض نسايه مراجل قال ابن هشام المراجل
ضرب من وشي اليمن فاخبرته فحمد الله قال الشيخ رحمه الله وخبر حذيفه هذا مذكور في صحيح مسلم وفيه اية عظيمة
رواه جرير عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال كنا عند حذيفه فقال رجل لو ادركت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاتلت معه وابليت فقال حذيفة انت كنت تفعل ذاك لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة الاحزاب واخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل ياتيني بخبر القوم جعله
الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا احد ثم قال الا رجل ياتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة
فسكتنا فلم يجبه منا احد فقال قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم اجد بدا اذ دعاني باسمي ان اقوم قال
اذهب فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي فلما وليت من عنده جعلت كانما امشي في حمام حتى اتيتهم فرايت
ابا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فاردت ان ارميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تذعرهم علي ولو رميته لاصبته فرجعت وانا امشي في مثل الحمام فلما اتيته فاخبرته بخبر القوم وفرغت
قررت فالبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نايما حتى اصبحت
قال قم يا نومان ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الاحزاب رجع الى المدينة ووضع المسلمون سلاحهم
فاتاه جبريل عليه السلم في صورة دحية بن خليفة الكلبي على بغلة عليها قطيفة ديباج فقال يا محمد ان كنتم
قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملايكة سلاحها ان الله يامرك ان تخرج الى بني قريظه واني متقدم اليهم فمزلزل
بهم حصونهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي **الثامنة** مناديا فنادى لا يصلين احد العصر الا في بني
قريظة فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة وقال اخرون لا نصلي العصر الا حيث امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان فاتنا الوقت فما عنف واحدا من الفريقين وفي هذا من الفقه تصويب المجتهدين
وقد مضى بيانه في الانبيا وكان سعد بن معاذ اذا اصابه السهم دعا ربه فقال اللهم ان كنت ابقيت من حرب
قريش فابقني لها فانه لا قوم احب ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك واخرجوه اللهم وان كنت وضعت
الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة وروى ابن وهب عن مالك
قال بلغني ان سعد بن معاذ مر بعايشة رضي الله عنها ونسا معها في الاطم الذي فارع وعليه درع مقلصة

ان كنتم وضعتم سلاحكم فما وضعت الملايكة سلاحها

مشمو

مشمر الكمين وبه اثر صفرة وهو يرتجز

شعر

لبث قليلا يدرك الهيجا جمل — لا باس بالموت اذا حان الاجل

فقالت عايشة رضي الله عنها لست اخاف ان يصاب سعد اليوم الا من اطرافه فاصيب في الاكحل وروى ابن
وهب وابن القاسم عن مالك قالت عايشة ما رايت رجلا اجمل من سعد بن معاذ حاشا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاصيب في الاكحل ثم قال اللهم ان كان حرب قريظة لم يبق منه شي فاقبضني اليك وان كانت قد
بقيت منه بقية فابقني حتى اجاهد مع رسولك اعداءه فلما حكم في بني قريظة توفي ففرح الناس وقالوا نرجو
ان يكون قد استجيبت دعوته **التاسعة** ولما خرج المسلمون الى بني قريظة اعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الراية علي بن ابي طالب واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ونهض علي وطايفة معه حتى اتوا بني قريظة
ونازلوهم فسمعوا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال له اظنك سمعت منهم شتمي لو راوني لكفوا عن ذلك ونهض اليهم
فلما راوه امسكوا فقال لهم نقضتم العهد يا اخوة القرود اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا ما كنت جاهلا
يا محمد فلا تجهل علينا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة وعرض عليهم
سيدهم كعب ثلاث خصال ليختاروا ايها شاوا اما ان يسلموا ويتبعوا محمدا على ما جاء به فيسلموا
قال فتحرزوا اموالكم ونساءكم وابناءكم فوالله لتعلمون انه الذي تجدونه مكتوبا في كتابكم واما ان
تقتلوا ابناءهم ونساءهم ثم تتقدمون فتقاتلون حتى تموتوا من اخرهم واما ان تبيتوا المسلمين ليلة
السبت في حين طمانينتهم فتقتلونهم قتلا فقالوا له اما الاسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراة واما
قتل ابنائنا ونسائنا فما جزاء هولاء المساكين منا ان نقتلهم ونحن لا نتعدى في السبت ثم بعثوا الى ابي لبابة
وكانوا حلفاء بني عمرو بن عوف وسائر الاوس فاتاهم فجمعوا اليه ابناءهم ورجالهم ونساءهم وقالوا له يا
ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد فقال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح ان فعلتم ثم ندم ابو لبابة في الحين
وعلم انه خان الله ورسوله وانه امر لا يستره الله عليه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فانطلق الى المدينة ولم يرجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم فربط نفسه في سارية واقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه فكانت امراته
تحله لوقت الصلاة قال ابن عيينة وغيره فيه نزلت يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
الاية واقسم ان لا يدخل ارض بني قريظة ابدا مكانا اصاب فيه الذنب فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من فعل
ابي لبابة قال اما انه لو اتاني لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فلست اطلقه حتى يطلقه الله تعالى فانزل
الله في امر ابي لبابة واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية فلما انزل فيهم القران امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باطلاقه فلما اصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد علمت انهم حلفاونا وقد اسعفت عبد الله بن ابي بن سلول في بني النضير حلفا
بني الخزرج فلم يكن حظنا اوكس وانقص عندك من حظ غيرنا فهم موالينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
معشر الاوس الا ترضون ان يحكم فيكم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد ضرب له خيمة في المسجد ليعوده من قريب في مرضه من جرحه الذي اصابه في الخندق فحكم
فيهم بان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنسا وتقسم اموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع ارقعة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرجوا الى موضع بسوق
المدينة اليوم زمن ابن اسحاق فخندق بها خنادق ثم امر عليه السلام فضربت اعناقهم في تلك الخنادق وقتل
يومئذ حيي بن اخطب وكعب بن اسد وكانا راس القوم وكانوا من الستماية الى السبعماية وكان على حيي حلة
تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة فلما نظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين اتي به ويداه الى عنقه بحبل قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل
ثم قال ايها الناس لا باس بامر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرايل ثم جلس فضربت عنقه وقتل
من نسايهم امراة وهي بنانة امراة الحكم القرظي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته وامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكل قتل من انبت منهم وترك من لم ينبت وكان عطية القرظي ممن لم ينبت فاستحياه
الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مذكور في الصحابة ووهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس
بن شماس ولد الزبير بن باطا فاستحياهم منهم عبد الرحمن بن الزبير اسلم ايضا وله صحبة وذهب ايضا

كم ر مضى قبل بورقة

علم السلامة

رفاعة بن شموال القرظي لام المنذر سلمى بنت قيس اخت سليط بن قيس من بني النجار وكانت قد صلت القبلتين
فاسلم رفاعة وله صحبة ورواية وروي ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالا ثنا ثابت بن قيس بن شماس الى ابن
باطا وكانت له عنده يد وقال قد استوهبتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبدك التي لك عندي قال ذلك
يفعل الكريم بالكريم ثم قال وكيف يعيش رجل لا ولد له ولا اهل قال فاتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فاعطاه اهله وولده فاتى فاعلمه فقال كيف يعيش رجل لا مال له فاتى ثابت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فطلبه فاعطاه ماله فرجع اليه فاخبره قال لما فعل ابن ابي الحقيق الذي كان وجهه مراة صينية قال
قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة قال قتلوا قال فما فعلت الفتيان قال بوبيت ذمتك ولن اصب
فيها دلوا ابدا يعني النخل فالحقني بهم فابى ان يقتله فقتله غيره واليد التي كانت لابن باطا عند ثابت
انه اسره يوم بعاث فجز ناصيته فاطلقه **العاشرة** وقسم صلى الله عليه وسلم اموال بني قريظة فاسهم للفارس
ثلاثة اسهم وللراجل سهما وقد قيل للفارس سهمان وللراجل سهم واحد وكانت الخيل للمسلمين يومئذ ستة وثلاثين
فرسا ووقع للنبي صلى الله عليه وسلم من سباهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احد بني عمرو بن قريظة فلم تزل عنده
الى ان مات صلى الله عليه وسلم وقيل ان غنيمة قريظة هي اول غنيمة قسم فيها للفارس والراجل واول غنيمة
جعل فيها الخمس وقد تقدم ان اول ذلك كان في بعث عبد الله بن جحش والله اعلم قال ابو عمر وقد ثبت ذلك ان تكون
غنيمة قريظة اول غنيمة جرى فيها الخمس بعد ما نزل قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية
وكان عبد الله بن جحش قد خمس قبل ذلك في بعثه ثم نزل القران بمثل ما فعله وكان ذلك من فضائله رحمة الله عليه
وكان فتح قريظة في اخر ذي القعدة واول ذي الحجة من السنة الخامسة من الهجرة فلما تم امر بني قريظة اجيبت دعوة
الرجل الفاضل الصالح سعد بن معاذ فانفجر جرحه وانفتح عرقه فجرى دمه ومات رضي الله عنه وهو الذي اتى الحديث
فيه اهتز لموته عرش الرحمن يعني سكان العرش من الملائكة فرحوا بقدوم روحه واهتزوا له وقال ابن القاسم
عن مالك حدثني يحيى بن سعيد قال لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون الف ملك ما نزلوا الى الارض قبل
قال مالك ولم يستشهد يوم الخندق احد من المسلمين الا اربعة او خمسة قال الشيخ رحمه الله الذي استشهد
من الخندق من المسلمين ستة نفر فيما ذكر اهل العلم بالسير سعد بن معاذ ابو عمرو من بني عبد الاشهل وانس بن
اوس بن عتيك وعبد الله بن سهل وكلاهما ايضا من بني عبد الاشهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة
وكلاهما من بني سلمة وكعب بن زيد من بني دينار ابن النجار اصابه سهم غرب فقتله رضي الله عنهم
وقتل من الكفار ثلاثة منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم مات منه بمكة وقد
قيل انما هو عثمان بن امية بن منبه بن عبيد بن السباق ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي اقتحم الخندق فتورط
فيه فقتل وغلب المسلمين على جسده فروي الزهري انهم اعطوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم في جسده عشرة
الاف درهم فقال لا حاجة لنا بجسده ولا بثمنه فخلى بينهم وبينه وعمرو بن ود الذي قتله علي مبارزة
وقد تقدم واستشهد يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو من بني الحرث بن الخزرج
طرحت عليه امراة من بني قريظة رحى فقتله ومات في الحصار ابو سنان بن محصن بن حرثان الاسدي
اخو عكاشة بن محصن فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقبرة بني قريظة التي يتدافن بها المسلمون الساكنون
بها اليوم ولم يصب غير هاذين ولم يغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق واسند الدارمي ابو محمد في مسنده
اخبرنا يزيد بن هرون عن ابن ابي ذئب عن المقبري عن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه قال
حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل حتى كفينا وذلك قول الله عز وجل وكفى الله المومنين القتال
وكان الله قويا عزيزا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام فصلى الظهر فاحسن كما كان يصليها في وقتها
ثم امره فاقام بالعصر فصلاها ثم امره فاقام المغرب فصلاها ثم امره فاقام العشاء فصلاها وذلك
قبل ان ينزل فان خفتم فرجالا او ركبانا اخرجه النساي ايضا وقد مضت هذه المسالة في طه وقد ذكرنا
في هذه الغزاة احكاما كثيرة لمن تاملها في مسائل عشر ثم يرجع الى اول الاي وهي تسع عشرة اية
تضمنت ما ذكرنا قوله تعالى اذ جاتكم جنود يعني الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا قال مجاهد هي الصبا ارسلت
على الاحزاب يوم الخندق حتى القت قدورهم ونزعت فساطيطهم قال والجنود الملائكة ولم تقاتل يومئذ
وقال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
الشمال ان محوه لا تسري بليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا وروي سعد بن جبير عن ابن عباس

لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون الف ملك

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وكانت هذه الريح معجزة للنبي
لان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا قريبا منها لم يكن بينهم وبينها الا عرض الخندق وكانوا في
عافية منها ولا خبر عندهم بها وجنودا لم تروها وقري بالياء اي لم يروها المشركون قال المفسرون بعث
الله عليهم الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت
الخيل بعضها في بعض وارسل الله عليهم الرعب وكبر تكبير الملائكة في جوانب العسكر حتى كان سيد كل خباء
يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا قال لهم النجا النجا لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما تعملون
بصيرا وقري يعملون بالياء على الخبر وهي قراءة ابي عمرو والباقون بالتاء يعني من حفر الخندق والتحذر
من العدو **قوله تعالى** اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا اذ في موضع نصب بمعنى واذكر كذا واذ قالت طايفة منهم
من فوقكم يعني من فوق الوادي وهو اعلاه من قبل المشرق جاء منه عوف بن مالك في بني نضر وعيينة
بن حصن في اهل نجد وطليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من
قبل المغرب جاء منه ابو سفيان بن حرب على اهل مكة ويزيد بن جحش على قريش وجاء ابو الاعور السلمي
ومعه حيي بن اخطب اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق واذ زاغت الابصار
اي شخصت وقيل مالت فلم تلتفت الا الى عدوها دهشا من فرط الهول وبلغت القلوب الحناجر اي
زالت عن اماكنها من القلوب حتى بلغت الحناجر وهي الحناجر الحلاقيم واحدها حنجرة فلولا ان الحلوق
ضاقت عليها لخرجت قاله قتادة وقيل هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على اضمار كاد قال

• اذا ما غضبنا غضبة مضرية • هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما •

اي كادت تقطر ويقال ان الرية تنتفخ عند الخوف فيرتفع القلب حتى كاد يبلغ الحنجرة مثلا ولهذا يقال
للجبان انتفخ سحره وقيل انه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلب الحناجر وان لم يزل عن اماكنها
مع بقاء الحياة قال معناه عكرمة وحماد بن زيد عن ايوب عن عكرمة بلغ فزعها والاظهر انه اراد اضطراب
القلب وضربانه اي كانه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة والحنجرة والحنجور بزيادة النون حرف الحلق وتظنون
بالله الظنونا قال الحسن ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المومنون انهم ينصرون وقيل
هو خطاب للمنافقين اي قلتم هلك محمد واصحابه واختلف القرا في قوله الظنونا والرسولا والسبيلا
اخر السورة فاثبت الفاتها في الوصل والوقف نافع وابن عامر وروي عن ابي عمرو والكسائي تمسكا بخط المصحف
مصحف عثمان وجميع المصاحف في جميع البلدان واختاره ابو عبيد الا انه قال لا ينبغي للقاري ان يدرج
القراءة بعدهن لكن يقف عليهن قالوا ولان العرب تفعل ذلك في قوافي اشعارهم ومصاريعها قال

• نحن جلبنا القرح القوافلا • تستنفر الاواخر الاوائلا •

وقرا ابو عمرو والجحدري ويعقوب وحمزة بحذفها في الوصل والوقف معا قال هي زائدة في الخط كما زيدت الالف
في قوله ولاوضعوا خلالكم فكتبوها كذلك وغير هذا واما الشعر فموضع ضرورة بخلاف القران فانه
افصح اللغات ولا ضرورة فيه قال ابن الانباري ولم يخالف المصحف من قرا الظنون والسبيل والرسول بغير
الف في الحروف الثلاثة وخطهن في المصحف بالف لان الالف في اطعنا والداخلة في اول الرسول والظنون
والسبيل كفى من الالف المتطرفة المتاخرة كما كفت الف ابي جاد من الف هواز وفيه حجة اخرى ان الالف
انزلت منزلة الفتحة وما يلحق دعامة للحركة التي تسبق والنية فيه السقوط فلما عمل على هذا كانت الالف
مع الفتحة كالشيء الواحد يوجب الوقف سقوطهما ويعمل على ان ضرورة الالف في الخط لا توجب موضعا
في اللفظ وانها كالالف في ساحران وفي فاطر السموات وفي واعدنا موسى وما يشبههن مما يحذف
في الخط وهو موجود في اللفظ ويثبت في اللفظ وهو مسقط من الخط وفيه حجة ثالثة هي انه كتب على لغة من
يقول لقيت الرجلا وقري على لغة من يقول لقيت الرجل بغير الف اخبرنا احمد بن يحيى عن جماعة من
اهل اللغة انهم رووا عن العرب قام الرجلو بالواو ومررت بالرجلي بالياء في الوصل والوقف
ولقيت الرجلا بالف في الحالتين كلتيهما قال الشاعر

• اسائلة عميرة عن ابيها • خلال الجيش تعترف الركابا •

فاثبت الالف في الركابا بناء على هذه اللغة وقال الاخر • شعر •

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

وعلى هذه اللغة بنى نافع وغيره وقرأ ابن كثير وابن محيصن والكسائي بإثباتها في الوقف وحذفها في الوصل قال ابن الأنباري ومن وصل بغير ألف ووقف بألف فجائز أن يحتج بأن الألف احتاج إليها عند السكوت حرصا على بقاء الفتحة وأن الألف تدعمها وتقويها **قوله تعالى** هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا هنا للقريب من المكان وهنالك للبعد وهناك للمتوسط ويشار به إلى الوقت أي عند ذلك اختبر المؤمنون ليتبين المؤمن من المنافق وكان هذا الابتلاء بالخوف والقتال والجوع والحصر والنزال وزلزلوا زلزالا شديدا أي حركوا تحريكا قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعلال يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقلته قلقالا وقلقالا وزلزلوا زلزالا شديدا وزلزالا والكسر أجود لأن غير المضاعف على الكسر نحو دحرجته دحراجا وقراءة العامة بكسر الزاي وقرأ عاصم والجحدري زلزالا بفتح الزاي قال ابن سلام أي حركوا بالخوف تحريكا شديدا وقال الضحاك هو إزاحتهم عن أماكنهم حتى لم يكن لهم إلا موضع الخندق وقيل إنه اضطرابهم عما كانوا عليه فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه وهنالك يجوز أن يكون العامل فيه ابتلي فلا يوقف على هنالك ويجوز أن يكون وتظنون بالله الظنونا فيوقف على هنالك **قوله تعالى** وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا في قلوبهم مرض أي شك ونفاق ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا أي باطلا من القول وذلك أن طعمة بن أبيرق ومعتب بن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلا قالوا يوم الخندق كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز وإنما قالوا ذلك لما فشا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عند ضرب الصخرة على ما تقدم في حديث النسائي فأنزل الله هذه الآية **قوله تعالى** وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الطائفة تقع على الواحد فما فوقه وعني به أوس بن قيظي والد عرابة بن أوس الذي يقول فيه الشماخ شعر

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ويثرب هي المدينة وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وطابة وقال أبو عبيدة يثرب اسم أرض والمدينة ناحية منها السهيلي وسميت يثرب لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن مهلائيل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم وفي بعض هذه الأسماء اختلاف وبنو عميل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفت بهم السيول فيها وبها سميت الجحفة لا مقام لكم بفتح الميم قراءة العامة وقرأ حفص والسلمي والجحدري وأبو حيوة بضم الميم يكون مصدرا من أقام أي لا إقامة أو موضعا يقيمون فيه ومن فتح هو اسم كان أي لا موضع لكم تقيمون فيه فارجعوا أي إلى منازلكم أمروهم بالهروب من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس قالت اليهود لعبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه فارجعوا إلى المدينة فإنا مع القوم فأنتم آمنون **قوله تعالى** ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا في الرجوع إلى منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة بن الحارث في قول ابن عباس وقال يزيد بن رومان قال ذلك أوس بن قيظي عن ملإ من قومه يقولون إن بيوتنا سائبة ضائعة ليست بمحصنة وهي مما يلي العدو وقيل ممكنة للسراق لخلوها من الرجال يقال دار معورة وذات عورة إذا كان يسهل دخولها يقال عور المكان عورا فهو عور وبيوت عورة وأعور فهو معور وقيل عورة ذات عورة وكل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة قاله الهروي وقرأ ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو رجاء العطاردي بكسر الواو عورة يعني قصيرة الجدران فيها خلل تقول العرب دار فلان عورة إذا لم تكن حصينة وقد أعور الفارس إذا بدا فيه خلل للضرب والطعن قال الشاعر

متى ما تلقهم لم تلق في البيت معورا ولا الضيف مفجوعا ولا الجار مرملا

الجوهري والعورة كل خلل يتخوف منه في ثغر أو حرب النحاس يقال أعور المكان إذا تبينت فيه عورة وأعور الفارس إذا تبين فيه موضع الخلل المهدوي ومن كسر الواو في عورة فهو شاذ ومثله قولهم رجل عور أي لا شيء له وكان القياس أن يعل فيقال عارة كيوم راح ورجل مال أصلهما روح ومول ثم قال تعالى وما هي بعورة تكذيبا لهم وردا عليهم فيما ذكروه إن يريدون إلا فرارا أي ما يريدون إلا الهرب قيل من القتل وقيل من الدين وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في قبيلتين من الأنصار بني حارثة وبني سلمة وهموا أن

يتركوا

وسميت بيثرب

يتركوا مراكزهم يوم الخندق وفيهم أنزل الله تعالى إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية فلما نزلت هذه الآية قالوا والله ما ساءنا ما كنا هممنا به إذ الله ولينا وقال السدي الذي استأذنه منهم رجلان من الأنصار من بني حارثة أحدهما أبو عرابة بن أوس والآخر أوس بن قيظي قال الضحاك ورجع ثمانون رجلا بغير إذنه **قوله تعالى** ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا من أقطارها وهي البيوت أو المدينة أي من نواحيها وجوانبها الواحد قطر وهو الجانب والناحية وكذلك القتر لغة في القطر ثم سئلوا الفتنة لآتوها أي لجاؤوها هذا على قراءة نافع وابن كثير بالقصر وقرأ الباقون بالمد أي لأعطوها من أنفسهم وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم وقد جاء في الحديث أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعذبون في الله ويسألون الشرك فكل أعطى ما سألوه إلا بلالا وفيه دليل على قراءة المد من الإعطاء ويدل على قراءة القصر قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار فهذا يدل على لآتوها مقصورا وفي الفتنة هنا وجهان أحدهما سئلوا القتال في العصبية لأسرعوا إليه قاله الضحاك الثاني ثم سئلوا الشرك لأجابوا إليه مسرعين قاله الحسن وما تلبثوا بها أي بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا قاله السدي والقتبي والحسن والفراء وقال أكثر المفسرين أي وما احتبسوا عن فتنة الشرك إلا قليلا ولأجابوا بالشرك مسرعين وذلك لضعف نياتهم ولفرط نفاقهم فلو اختلطت بهم الأحزاب لأظهروا الكفر **قوله تعالى** ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا أي من قبل غزوة الخندق وبعد بدر قال قتادة وذلك أنهم غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم وكان عهد الله مسئولا أي مسئولا عنه قال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأموالكم وأولادكم فقالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة فذلك قوله وكان عهد الله مسئولا أي إن الله ليسألهم عنه يوم القيامة **قوله تعالى** قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي من حضر أجله مات أو قتل فلا ينفع الفرار وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي في الدنيا بعد الفرار إلى أن تنقضي آجالكم وكل ما هو آت فقريب وروى الساجي عن يعقوب الحضرمي وإذا لا يمتعون بالياء وفي بعض الروايات وإذا لا تمتعوا نصب بإذن والرفع بمعنى ولا تمتعون وإذا ملغاة ويجوز إعمالها فحكمها إذا كان قبلها الواو والفاء إذا كانت مبتدأة نصبت بها فقلت إذا أكرمك **قوله تعالى** قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يعصمكم من الله أي يمنعكم منه إن أراد بكم سوءا أي هلاكا أو أراد بكم رحمة أي خيرا ونصرا وعافية ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا إلا قريبا ينفعهم ولا ناصرا ينصرهم **قوله تعالى** قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا المعوقين منكم أي المعترضين منكم لأن يصدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتق من عاقني عن كذا أي صرفني عنه وعوق على التكثير والقائلين لإخوانهم هلم إلينا على لغة أهل الحجاز وغيرهم يقولون هلموا للجماعة وهلمي للمرأة لأن الأصل ها التي للتنبيه ضمت إليها لم ثم حذفت الألف استخفافا وبنيت على الفتح ولم يجز فيها الكسر ولا الضم لأنها لا تنصرف ومعنى هلم أقبل وهؤلاء طائفتان أي منكم من يثبط ويعوق والعوق المنع والصرف يقال عاقه يعوقه عوقا وعوقه واعتاقه بمعنى واحد قال مقاتل هم عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقون والقائلين لإخوانهم هلم فيهم ثلاثة أقوال أحدها أنهم المنافقون قالوا للمسلمين ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس وهو هالك ومن معه فهلم إلينا الثاني أنهم اليهود من بني قريظة قالوا لإخوانهم من المنافقين هلم إلينا أي تعالوا إلينا وفارقوا محمدا فإنه هالك وإن أبا سفيان إن ظفر لم يبق منكم أحدا الثالث ما حكاه ابن زيد أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان بين الرماح والسيوف فقال له أخوه وكان من أمه وأبيه هلم إلي قد تبع بك وبصاحبك أي قد أحيط بك وبصاحبك فقال له كذبت والله لأخبرنه بأمرك وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليخبره فوجده قد نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقايلين
لاخوانهم هلم الينا ذكره الماوردي والثعلبي ايضا ولفظه قال ابن زيد هذا يوم الاحزاب انطلق
رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم فوجد اخاه بين يديه رغيف وشوا ونبيذ فقال انت في
هذا ونحن بين الرماح والسيوف فقال هلم الي هذا فقد تبع لك ولا صاحبك والذي يحلف به لا يستقل
بها محمد ابدا فقال كذبت فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره فوجده قد نزل جبريل بهذه الاية
ولا ياتون الباس الا قليلا خوفا من الموت وقيل لا يحضرون القتال الا ريا وسمعة **قوله تعالى**
اشحة عليكم فاذا جاء الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اوليك لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم
وكان ذلك على الله يسيرا اشحة عليكم اي بخلا عليكم اي بالحفر في الخندق والنفقة في سبيل الله
قاله مجاهد وقتادة وقيل بالقتال معكم وقيل بالنفقة على فقرايكم ومساكينكم وقيل اشحة بالغنايم
اذا اصابوها قاله السدي وانتصب على الحال قال الزجاج ونصبه عند الفرا من اربع جهات احدها ان
يكون على الذم ويجوز ان يكون عنده نصبا بمعنى يعوقون اشحة ويجوز ان يكون التقدير والقايلين اشحة
يعني اشحة على الفقرا بالغنيمة حينا النحاس ولا يجوز ان يكون العامل فيه المعوقين ولا القايلين لئلا يفرق
بين الصلة والموصول ابن الانباري الا قليلا غير تام ولان اشحة متعلق بالاول فهو ينتصب من اربعة اوجه
احدها ان ينصبه على القطع من المعوقين كانه قال قد يعلم الله الذين يعوقون عند القتال ويشحون عن
الانفاق على فقرا المسلمين ويجوز ان يكون منصوبا على القطع من القايلين اي وهم اشحة ويجوز ان ينصبه
على القطع مما في ياتون كانه قال ولا ياتون الناس الا جبنا بخلا ويجوز ان ينصب اشحة على الذم فمن هذا
الوجه الرابع يحسن ان يقف على قوله الا قليلا اشحة عليكم وقف حسن ومثله اشحة على الخير حال من المضمر
في سلقوكم وهو العامل فيه فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من
الموت وصفهم بالجبن وكذا سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محددا ابصره وربما غشي عليه وفي الخوف وجهان
احدهما من قتال العدو واذا اقبل قاله السدي الثاني الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم اذا غلب
قاله بن شجرة رايتهم ينظرون اليك خوفا من القتال على القول الاول ومن النبي صلى الله عليه وسلم على
الثاني تدور اعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة وقيل لشدة خوفهم حذرا ان ياتيهم
القتل من كل جهة فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد وحكى الفرا اصلقوكم بالصاد وخطيب سلاق
وصلاق اذا كان بليغا واصل الصلق الصوت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله الصالقة والحالقة
والشاقة قال الاعشى

فيهم المجد والسماحة والنجدة فيهم والخاطب السلاق

قال قتادة يعني بسطوا السنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطنا فانا قد شهدنا معكم فعند الغنيمة
اشح قوم وابسطهم لسانا ووقت الباس اجبن قوم واخوفهم قال النحاس هذا قول حسن لان بعده اشحة
على الخير وقيل المعنى بالغوا في مخاصمتكم والاحتجاج عليكم وقال
القتبي المعنى اذوكم بالكلام الشديد والسلق الاذى ومنه قول الشاعر

ولقد سلقن هوازنا بنواهل حتى انحنينا

اشحة على الخير اي على الغنيمة قاله يحيى بن سلام وقيل على المال ان ينفقوه في سبيل الله قاله السدي
اوليك لم يومنوا يعني بقلوبهم وان كان ظاهرهم الايمان والمنافق كافر على الحقيقة لوصفهم الله عز
وجل بالكفر فاحبط الله اعمالهم اي لم يثبهم عليها اذ لم يقصدوا وجه الله تعالى بها وكان ذلك على
الله يسيرا وفيه وجهان احدهما وكان نفاقهم على الله هينا الثاني وكان احباط عملهم على الله هينا **قوله تعالى**
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون
عن انبايكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي لجبنهم يظنون الاحزاب
لم ينصرفوا وكان انصرفوا ولكنهم لم يتباعدوا في السير وان يات الاحزاب اي وان يرجع الاحزاب
اليهم للقتال يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا ان يكونوا مع الاعراب حذرا من القتل وتربصا
للدوائر وقرا طلحة بن مصرف لو انهم بدا في الاعراب يقال باد وبدي مثل غاز وغزي ويمد مثل صايم
وصوام بدا فلان يبدو اي خرج الى البادية وهي البداوة والبداوة بالكسر والفتح واصل الكلمة من
البدو وهو الظهور يسالون وقرا يعقوب في رواية رويس يتسالون عن انبايكم اي عن اخبار

لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة

النبي صلى الله عليه وسلم يتحدثون اما هلك محمد واصحابه اما غلب ابو سفيان واحزابه اي يود والوانهم بادون
يسالون عن انبايكم من غير مشاهدة القتال لفرط جبنهم وقيل اي هو ابدا لجبنهم يسالون عن
اخبار المومنين وهل اصيبوا وقيل كان منهم في اطراف المدينة من لم يحضر الخندق جعلوا يسالون عن
اخباركم ويتمنون هزيمة المسلمين ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي رميا بالنبل والحجارة على طريق
الريا والسمعة ولو كان ذلك لله لكان قليله كثيرا **قوله تعالى** لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة هذا عتاب للمتخلفين عن القتال اي كان لكم قدوة في النبي صلى الله عليه
وسلم حيث بذل نفسه لدين الله في خروجه الى الخندق والاسوة القدوة وقرا عاصم اسوة بضم الهمزة
والباقون بالكسر وهما لغتان والجمع بينهما واحد عند الفراء والعلة عنده في الضم على لغة من كسر في الواحدة
الفرق بين ذوات الواو وذوات الياء فيقولون كسوة وكسا ولحية ولحي الجوهري والاسوة والاسوة
بالضم والفتح والكسر لغتان والجمع اسي واسي وروى عقبة بن حسان الهجري عن مالك بن انس عن نافع عن ابن
عمر لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قال في جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب ابو بكر احمد
وقال تفرد به عقبة بن حسان عن مالك ولم اكتبه الا بهذا الاسناد **الثانية** قوله تعالى اسوة حسنة الاسوة
القدوة والاسوة ما يتاسى به اي يتعزى به فيقتدي به في جميع افعاله ويتعزى به في جميع احواله فلقد
شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يلف الا صابرا محتسبا وشاكرا راضيا وعن انس
بن مالك عن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن حجر حجر فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن حجرين خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم لما شج اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقد تقدم لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر قال سعيد بن جبير المعنى لمن كان
يرجو لقاء الله بايمانه ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الافعال وقيل اي لمن كان يرجوا ثواب الله في اليوم
الاخر ولا يجوز عند الحذاق من النحويين ان يكتب يرجوا الا بغير الف اذا كان لواحد لان العلة التي في
الجمع ليست في الواحد وذكر الله كثيرا خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وقيل ان لمن بدل من قوله لكم ولا
يجيزه البصريون لان الغايب لا يبدل من المخاطب وانما اللام من لمن متعلقة بحسنة واسوة اسم كان ولكم
الخبر واختلف فيمن اريد بهذا الخطاب على قولين احدهما المنافقون عطفا على ما تقدم من خطابهم الثاني
المومنون لقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر واختلف في هذه الاسوة بالرسول عليه السلام هل هي
على الايجاب او على الاستحباب على قولين احدهما على الايجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب الثاني على الا
ستحباب حتى يقوم دليل على الايجاب ويحتمل ان يحمل على الايجاب في امور الدين وعلى الاستحباب في امور
الدنيا **قوله تعالى** ولما راي المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وما زادهم
الا ايمانا وتسليما ومن العرب من يقول راء على القلب قالوا هذا ما وعدنا الله يريد قوله في سورة البقرة
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية فلما راي المومنون الاحزاب يوم الخندق
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله قاله قتادة وقول ثان رواه كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن ابيه عن جده قال
خط رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذكرت الاحزاب فقال اخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها
يعني على قصور الحيرة ومداين كسرى فابشروا بالنصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صادق
اذ وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت الاحزاب فقال المومنون هذا ما وعدنا الله ورسوله ذكره الماوردي
وما وعدنا ان جعلت ما بمعنى الذي فالهاء محذوفة وان جعلتها مصدرا لم تحتج الى عايد وما زادهم الا ايمانا
وتسليما قال الفراء وما زادهم النظر الى الاحزاب وقال علي بن سليمان راي تدل على الروية وتانيث
الروية غير حقيقي والمعنى ما زادهم الروية الا ايمانا بالرب وتسليما للقضا قاله الحسن ولو قال ما زادوهم
لجاز ولما اشتد الامر على المسلمين وطال المقام في الخندق قام عليه السلام على التل الذي عليه مسجد الفتح في
بعض الليالي وتوقع ما وعده الله من النصر وقال من يذهب لياتينا بخبرهم فله الجنة فلم يجبه احد فنظر الى
جانبه وقال من هذا فقال حذيفة فقال الم تسمع كلامي منذ الليلة قال حذيفة فقلت يا رسول الله منعني
ان اجيبك الضر والقر فقال انطلق حتى تدخل في القوم فتسمع كلامهم وتاتيني بخبرهم اللهم احفظه
من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده الي انطلق ولا تحدث شيا حتى تاتيني فانطلق

وصدق الله ورسوله

حذيفة بسلاحه ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يقول يا صريخ المكروبين اكشف همي وغمي وكربي
فقد ترى حالي وحال اصحابي فنزل جبريل وقال ان الله سمع دعوتك وكفاك هول عدوك فخر رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ركبتيه وبسط يديه وارخى عينيه ويقول شكرا شكرا كما رحمتني ورحمت اصحابي واخبره
جبريل ان الله مرسل عليهم ريحا فبشر اصحابه بذلك قال حذيفة فانتهيت اليهم واذا انيرانهم تتقد فاقبلت
ريح شديدة فيها حصبا فما تركت لهم نارا الا اطفاتها ولا بناء الا طرحته وجعلوا يتترسون من الحصباء وقام ابو
سفيان الى راحلته وصاح في قريش النجا النجا وفعل كذلك عيينة بن حصن والحرث بن عوف والاقرع بن
حابس وتفرقت الاحزاب واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد الى المدينة وبه من الشعث ما شاء الله
فجاته فاطمة بغسول فكانت تغسل راسه فاتاه جبريل فقال وضعت السلاح ولم تضعه اهل السما ما زلت
اتبعهم حتى جاوزت بهم الروحا ثم قال انهض الى بني قريظة وقال ابو سفيان ما زلت اتبعهم حتى جاوزت
بهم اسمع نقعقة السلاح حتى جاوزت الروحا **قوله تعالى** من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما رجال رفع بالابتداء وصلح الابتدا
بالنكرة لان صدقوا في موضع النعت فمنهم من قضى نحبه من في موضع رفع بالابتداء وكذا ومنهم من ينتظر والخبر
في المجرور والنحب النذر والعهد يقول منه نحبت انحب بالضم قال الشاعر

واذا نحبت كلب على الناس انهم • احق بتاج الماجد المتكرم • وقال اخر
قد نحب المجد علينا نحبا • وقال اخر
انحب فيقضي ام ضلال وباطل • وروى البخاري ومسلم والترمذي عن انس قال قال

عمي انس بن النضر سميت به ولم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر عليه فقال اول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد
ليرين الله ما اصنع قال فهاب ان يقول غيرها فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد من العام القابل
فاستقبله سعد بن مالك فقال يا ابا عمرو اين قال واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في
جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت اخي الا ببنانه
ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا
تبديلا لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفي الترمذي عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي
جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترون على مسالته توقيرا له ومهابة فساله الاعرابي فاعرض
عنه ثم ساله فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما راني النبي
صلى الله عليه وسلم قال اين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي انا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال
هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يونس بن بكير وقيل النحب الموت اي مات على ما عاهد عليه عن ابن
عباس والنحب ايضا الوقت والمدة يقال قضى فلان نحبه اذا مات وقال ذو الرمة شعر

عشية فر الحارثيون بعدما • قضى نحبه في ملتقى الخيل هوبر •

والنحب ايضا الحاجة والهمة يقول قائلهم ما لي عندهم نحب وليس المراد بالاية والمعنى في هذا الموضع بالنحب
النذر كما قدمنا اولا اي منهم من بذل جهده على الوفا بعهده حتى قتل مثل حمزة وسعد بن معاذ وانس بن النضر
وغيرهم ومنهم من ينتظر الشهادة وما بدلوا عهدهم ونذرهم وروى البيهقي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه ودعا له
وقرا هذه الاية من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم الاية ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هولاء شهداء عند الله يوم القيامة فاتوهم وزوروهم والذي نفسي بيده لا يسلم
عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقد روي عن ابن عباس انه قرا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
ومنهم من بدل تبديلا قال ابو بكر الانباري وهذا الحديث عند اهل العلم مردود لخلافه الاجماع ولان فيه
طعنا على المومنين والرجال الذين مدحهم الله وشرفهم بالصدق والوفا فما يعرف فيهم مغير وما وجد من جماعتهم

واها لريح الجنة اجدها دون احد

مبدل رضي الله عنهم ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي امر الله بالجهاد ليجزي الله الصادقين في الاخرة بصدقهم
ويعذب المنافقين في الاخرة ان شاء ان يعذبهم ثم يوفقهم للتوبة وان لم يشا ان يعذبهم تاب عليهم قبل الموت
ان الله كان غفورا رحيما **قوله تعالى** ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين
القتال وكان الله قويا عزيزا قال محمد بن عمرو يرفعه الى عائشة رضي الله عنها قالت الذين كفروا هاهنا
ابو سفيان وعيينة بن بدر رجع ابو سفيان الى تهامة ورجع عيينة الى نجد وكفى الله المومنين القتال
بان ارسل عليهم ريحا وجنودا حتى رجعوا ورجعت بنو قريظة الى صياصيهم فكفى امر قريظة بالرعب وكان
الله قويا عزيزا امره عزيزا لا يغلب **قوله تعالى** وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم
واموالهم وارضا لم تطوها وكان الله على كل شيء قديرا يعني الذين عاونوا الاحزاب قريشا
وغطفان وهم بنو قريظة وقد مضى خبرهم من صياصيهم اي حصونهم واحدها صيصة قال الشاعر

فاصبحت النيران صرعى واصبحت • نساء تميم يبتدرن الصياصيا •
ومنه قيل لشوكة الحائك التي بها تسوي السداة واللحمة صيصة قال دريد بن الصمة •
فجئت اليه والرماح تنوشه • كوقع الصياصي في النسيج الممدد •

ومنه صيصة الديك التي في رجله وصياصي البقر قرونها لانها تمتنع بها وربما كانت تركب في الرماح مكان الاسنة
ويقال جد الله صيصته اي اصله وقذف في قلوبهم فريقا تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النسا
والذرية على ما تقدم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها بعد قال يزيد بن رومان
وابن زيد ومقاتل يعني حنين ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله اياها قال قتادة كنا نتحدث انها مكة
وقال الحسن هي فارس والروم وقال عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا فيه وجهان
احدهما على ما اراد بعباده من نقمة او عفو قدير قاله محمد بن اسحق الثاني على ما اراد ان يفتحه من الحصون
والقرى قدير قاله النقاش وقيل وكان الله على كل شيء مما وعدكموه قديرا لا ترد قدرته ولا يجوز عليه العجز
تعالى ويقال تاسرون وتاسرون بكسر السين وضمها حكاه الفرا **قوله تعالى** يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما فيه ثمان مسائل
الاولى قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك قال علماونا هذه الاية متصلة بمعنى ما تقدم من المنع من ايذاء
النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تاذى ببعض الزوجات قيل سالنه شيئا من عرض الدنيا وقيل زيادة في
النفقة وقيل اذينه بغيرة بعضهن على بعض وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوة هذه الاية عليهن وتخييرهن
بين الدنيا والاخرة وقال الشافعي رحمه الله ان من ملك زوجة فليس عليه تخييرها وامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يخير نساءه فاخترنه وجملة ذلك ان الله سبحانه خير النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا
وعرض عليه مفاتيح خزائن الدنيا وبين ان يكون نبيا مسكينا فشاور جبريل فاشار بالمسكنة فاختارها
فلما اختارها وهي على المنزلتين امره الله عز وجل ان يخير زوجاته فربما كان فيهن من يكره المقام معه
على الشدة تنزيها له وقيل ان السبب الذي اوجب التخيير لاجله ان امراة من ازواجه سالته ان يصوغ لها
حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من فضة وطلاها بالذهب وقيل بالزعفران فابت الا ان تكون من ذهب
فنزلت اية التخيير فخيرهن فقلن اخترنا الله ورسوله وقيل ان واحدة منهن اختارت الفراق فالله
اعلم روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر ثم جاء عمر فاستاذن فاذن له فوجد
النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال والله لاقولن شيئا اضحك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة
يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن
شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا
عظيما قال فبدا بعائشة فقال يا عائشة اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري

ابويك قالت وما هو برسول الله فتلي عليها الاية قالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله
والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسائك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها
ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا وروي الترمذي عن عائشة قالت لما امر رسول
الله صلي الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا بي فقال يا عائشة اني ساذكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي
حتي تستامري ابويك قالت وقد علم ان ابوي لم يكونا ليامراني بفراقه قالت ثم قال ان الله يقول يا ايها النبي
قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا حتي بلغ
للمحسنات منكن اجرا عظيما فقلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفعل
ازواج النبي صلي الله عليه وسلم مثل ما فعلت قال هذا حديث صحيح قال العلما وقد امر النبي صلي الله عليه
وسلم عائشة ان تشاور ابويها لانه كان يحبها وكان يخاف ان يحملها فرط الشباب علي ان تختار فراقه
ويعلم من ابويها انهما لا يشيران عليها بفراقه **الثانية** قوله تعالي قل لازواجك كان للنبي صلي الله عليه
وسلم ازواج منهن من دخل بها ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها ومنهن من خطبها فلم يتم نكاحه معها
الاولي خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب وكانت قبل عند ابي هالة واسمه
زرارة بن النباش الاسدي وكانت قبله عند عتيق ابن عابد ولدت منه غلاما اسمه عبد مناف وولد
من ابي هالة هند بن ابي هاله وعاش الي زمان الطاعون فمات فيه ويقال ان الذي عاش الي الطاعون
هند بنت هند وسمعت يقول حين مات واهند بن هنداه واربيب رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم
يتزوج رسول الله صلي الله عليه وسلم علي خديجة غيرها حتي ماتت وكانت يوم تزوجها رسول الله صلي الله
عليه وسلم بنت اربعين سنة وتوفيت بعد ان مضي من النبوة سبع سنين وقيل عشر وكان لها حين توفيت
خمس وستون سنة وهي اول امراة امنت به وجميع اولاده منها غير ابراهيم قال حكيم بن حزام توفيت خديجة
فخرجنا بها من منزلها حتي دفناها بالحجون ونزل رسول الله صلي الله عليه وسلم في حفرتها ولم تكن يومئذ الجنازة
الصلاة عليها سنة **الثانية** سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية اسلمت قديما وبايعت وكانت
عند ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو واسلم ايضا وهاجرا جميعا الي ارض الحبشة في الهجرة الثانية
فلما قدما مكة مات زوجها وقيل مات بالحبشة فلما حلت خطبها رسول الله صلي الله عليه وسلم فتزوجها
ودخل بها بمكة وهاجر بها الي المدينة فلما كبرت اراد طلاقها فسالته ان لا يفعل وان يدعها في نسائه
وجعلت ليلتها لعائشة حسب ما هو مذكور في الصحيح فامسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين
الثالثة عائشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وكانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله دعني اسلها من جبير سلا رفيقا فتزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم بمكة
قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث سنين وبنا بها بالمدينة وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين ومات
صلي الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وماتت سنة تسع وخمسين
وقيل ثمان وخمسين **الرابعة** حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية تزوجها رسول الله صلي
الله عليه وسلم ثم طلقها فاتاه جبريل فقال ان الله يامرك ان تراجع حفصة فانها صوامة قوامة
فراجعها قال الواقدي وتوفيت في شعبان سنة خمسين واربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين
سنة وقيل ماتت في خلافة عثمان بالمدينة **الخامسة** ام سلمة واسمها هند بنت ابي امية المخزومية
واسم ابي امية سهيل تزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال سنة اربع زوجها منه ابنها
سلمة علي الصحيح وكان عمر ابنها صغيرا وتوفيت في سنة تسع وخمسين وقيل سنة ثنتين وستين والاول
اصح وصلي عليها سعيد بن زيد وقيل ابو هريرة وقبرت بالبقيع وهي ابنة اربع وثمانين سنة **السادسة**
ام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري الي النجاشي
ليخطب عليه ام حبيبة فزوجه اياها وذلك سنة سبع من الهجرة واصدق النجاشي عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم اربعماية دينار وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وتوفيت سنة اربع واربعين وقال الدارقطني وكانت
ام حبيبة تحت عبيد الله بن جحش فمات بارض الحبشة علي النصرانية فزوجها النجاشي النبي صلي الله عليه وسلم
وامهرها عنه اربعة الاف وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة **السابعة** زينب بنت جحش ابن رباب
الاسدية وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلي الله عليه وسلم زينب وكان اسم ابيها برة فقالت يا رسول الله

ازواج النبي عليه السلام

بدل

بدل اسم ابي فان البرة حقيرة فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم لو كان ابوك مؤمنا سميناه باسم رجل
منا اهل البيت ولكني قد سميته جحشا والجحش اكبر من البرة ذكر هذا الحديث الدارقطني تزوجها رسول
الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة في سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنة عشرين وهي بنت ثلاثة وخمسين
الثامنة زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عمرو بن مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية
كانت تسمي في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم تزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم في رمضان
علي راس احدي وثلاثين شهرا من الهجرة فمكثت عنده ثمانية اشهر **التاسعة** جويرية بنت الحرث بن ابي
ضرار الخزاعية المصطلقية اصابها في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها فقضي
رسول الله صلي الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها وذلك في شعبان سنة ست وكان اسمها برة فسماها رسول
الله صلي الله عليه وسلم جويرية وتوفيت في ربيع الاول سنة ست وخمسين وقيل سنة خمسين وهي ابنة
خمس وستين **العاشرة** صفية بنت حيي بن اخطب الهارونية سباها النبي صلي الله عليه وسلم يوم خيبر
واصطفاها لنفسه واسلمت واعتقها وجعل عتقها صداقها وفي الصحيح انها وقعت في سهم دحية الكلبي
فاشتراها رسول الله صلي الله عليه وسلم بسبعة ارؤس وماتت في سنة خمسين وقيل سنة اثنين وخمسين
ودفنت بالبقيع **الحادية عشرة** ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النضير سباها رسول الله صلي الله
عليه وسلم واعتقها وتزوجها في سنة ست وماتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها بالبقيع وقال
الواقدي ماتت سنة عشر وصلي عليها عمر قال ابو الفرج الجوزي وقد سمعت من يقول انه كان يطاها
بملك اليمين ولم يعتقها قال الشيخ رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يذكرها ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي
في عداد ازواج النبي صلي الله عليه وسلم **الثانية عشرة** ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها رسول
الله صلي الله عليه وسلم بسرف علي عشرة اميال من مكة وذلك في سنة سبع من الهجرة في عمرة القضا وهي
اخر امراة تزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم وقدر الله تعالي انها ماتت في المكان الذي بني رسول
الله صلي الله عليه وسلم بها ودفنت هنالك وذلك في سنة احدي وستين وقيل ثمان وثلاثين فهولاء
المشهورات من ازواج النبي صلي الله عليه وسلم وهن اللاتي دخل بهن رضي الله عنهن **فاما** من تزوجها
ولم يدخل بها **الاولي** الكلابية واختلفوا في اسمها فقيل فاطمة وقيل عمرة وقيل العالية قال الزهري
تزوج فاطمة بنت الضحاك الكلابية واستعاذت منه فطلقها وكانت تقول انا الشقية تزوجها في
ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين **الثانية** اسما بنت النعمان بن ابي الجون بن الحارث
الكندية وهي الجونية قال قتادة لما دخل عليها دعاها فقالت تعال انت فطلقها وقال غيره هي التي
استعاذت منه وفي البخاري قال تزوج النبي صلي الله عليه وسلم اميمة بنت شراحيل فلما دخلت
عليه بسط يده اليها فكانها كرهت ذلك فامر ابا اسيد ان يجهزها ويكسوها ثوبين وفي لفظ اخر قال
ابو اسيد اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم بالجونية فلما دخل عليها قال هبي لي نفسك فقالت وهل
تهب الملكة نفسها للسوقة فاهوي بيده ليضعها عليها لتسكن فقالت اعوذ بالله منك قال عذت بمعاذ
ثم خرج علينا فقال يا ابا اسيد اكسها رازقيين والحقها باهلها **الثالثة** قتيلة بنت قيس اخت الاشعث
بن قيس زوجها اياه الاشعث ثم انصرف الي حضرموت فحملها اليه فبلغه وفاة النبي صلي الله عليه وسلم
فردها الي بلاده فارتد وارتدت معه ثم تزوجها عكرمة ابن ابي جهل فوجد ابو بكر من ذلك وجدا شديدا
فقال له عمر انها والله ما هي من ازواجه ما خيرها ولا حجبها ولقد براها الله منه بالارتداد وكان عروة ينكر
ان يكون تزوجها **الرابعة** ام شريك الازدية واسمها غزية بنت جابر بن حكيم وكانت قبله عند ابي بكر بن ابي
سلمي فطلقها النبي صلي الله عليه وسلم ولم يدخل بها وهي التي وهبت نفسها وقيل ان التي وهبت نفسها للنبي
صلي الله عليه وسلم خوله بنت حكيم **الخامسة** خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها رسول الله صلي الله عليه
وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه **السادسة** شراف بنت خليفة اخت دحية تزوجها ولم يدخل بها
السابعة ليلي بنت الحطيم اخت قيس تزوجها وكانت غيورا فاستقالته فاقالها **الثامنة**
عمرة بنت معاوية الكندية تزوجها النبي صلي الله عليه وسلم قال الشعبي تزوج امراة من كندة
فجي بها بعد ما مات **التاسعة** ابنة جندب بن ضمرة الجندعية قال بعضهم تزوجها رسول الله صلي الله
عليه وسلم وانكر بعضهم وجود ذلك **العاشرة** الغفارية قال بعضهم تزوج امراة من غفار فامرها فنزعت

نيابها فراي بياضا فقال الحقي باهلك ويقال انما راي البياض بالكلابية فهؤلاء اللاتي عقد عليهن
ولم يدخل بهن صلى الله عليه وسلم فاما من خطبهن فلم يتم نكاحه معهن ومن وهبت له نفسها **الاولى** ام هاني
بنت ابي طالب واسمها فاختة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها
الثانية ضباعة بنت عامر **الثالثة** صفية بنت بشامة بن نضلة خطبها النبي صلى الله عليه
وسلم وكان اصابها سبا فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان شئت انا وان شئت زوجك قالت زوجي
فارسلها فلعنتها بنو تميم قاله ابن عباس **الرابعة** ام شريك وقد تقدم ذكرها **الخامسة** ليلى بنت
الحطيم وقد تقدم ذكرها **السادسة** خولة بنت حكيم ابن امية وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فارجاها
فتزوجها عثمان بن مظعون **السابعة** جمرة بنت الحرث بن عوف المزني خطبها النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابوها ان بها سوءا ولم يكن بها فرجع اليها ابوها وقد برصت وهي ام شبيب بن البرصاء الشاعر **الثامنة**
سودة القرشية خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت اخاف ان تضغو صبيتي عند
راسك فحمدها ودعا لها **التاسعة** امراة لم يذكر اسمها قال مجاهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة
فقالت استامر ابي فلقيت اباها فاذن لها فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قد التحفنا لحافا
غيرك فهؤلاء جميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان له من السراري جاريتان مارية القبطية وريحانة
في قول قتادة وقال غيره كان له اربع مارية وريحانه واخرى جميلة اصابها في السبي وجارية وهبتها له زينب
بنت جحش **الثالثة** قوله تعالى ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ان شرط وجوابه فتعالين فعلق التخيير
على شرط وهذا يدل على ان التخيير والطلاق المعلقين على شرط صحيحان فينفذان ويمضيان خلافا
للجهال المبتدعة الذين يزعمون ان الرجل اذا قال لزوجته انت طالق ان دخلت الدار انه لا يقع الطلاق
ان دخلت الدار لان الطلاق الشرعي هو المنجز في الحال لا غير **الرابعة** قوله تعالى هو جواب الشرط وهو فعل
جماعة النساء من قولك تعال وهو دعا الى الاقبال اليه يقال تعال بمعنى اقبل وضع لمن له جلاله ورفعه
ثم صار في الاستعمال لكل داع الى الاقبال واما في هذا الموضع فهو على اصله فان الداعي هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم امتعكن قد تقدم الكلام في المتعة وقرئ امتعكن بضم العين وكذا واسرحكن بضم الحاء
على الاستيناف والسراح الجميل هو ان يكون طلاقا للسنة من غير ضرار ولا منع واجب لها **الخامسة**
اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه على قولين الاول انه خيرهن باذن الله
في البقاء على الزوجية او الطلاق فاخترن البقا قالته عايشة ومجاهد وعكرمة والشعبي وابن شهاب
وربيعة ومنهم من قال انما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن او بين الاخرة فيمسكهن لتكون لهن المنزلة العليا
كما كانت لزوجهن ولم يخيرهن في الطلاق ذكره الحسن وقتادة ومن الصحابة علي فيما رواه عنه احمد بن حنبل
انه قال لم يخير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه الا بين الدنيا والاخرة قلت القول الاول
اصح لقول عايشة رضي الله عنها لما سئلت عن الرجل يخير امراته فقالت قد خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
افكان طلاقا في رواية فاخترناه فلم يعده طلاقا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا التخيير
المامور بين البقا والطلاق ولذلك قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان تعجلي فيه حتى تستامري
ابويك الحديث ومعلوم انه لم يرد الاستيمار في اختيار الدنيا وزينتها على الاخرة فثبت ان الاستيمار
انما وقع في الفرقة او النكاح والله اعلم **السادسة** اختلف العلماء في المخيرة اذا اختارت زوجها
فقال جمهور العلما من السلف وغيرهم وايمة الفتوي انه لا يلزمه طلاق لا واحدة ولا اكثر هذا قول
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وعايشة ومن التابعين عطا ومسروق
وسليمان بن يسار وربيعة وروي عن علي وزيد ايضا ان اختارت زوجها فواحدة باينة وهو قول الحسن
البصري والليث وحكاه النقاش والخطابي عن مالك وتعلقوا بان قوله اختاري كناية في ايقاع الطلاق
فاذا اضافه اليها وقعت طلقة لقوله انت باين والصحيح الاول لقول عايشة خيرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخترنا فلم يعده علينا طلاقا اخرجه الصحيحان قال ابن المنذر وحديث عايشة يدل على
ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا ويدل على ان اختيارها نفسها يوجب الطلاق ويدل
على معنى ثابت وهو ان المخيرة اذا اختارت نفسها انها تطليقة يملك زوجها رجعتها اذ غير جايز ان
يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما امره الله وروي هذا عن عمر وابن مسعود وابن عباس وبه

يقال تعال بمعنى اقبل

وابن شهاب

قال

قال ابن ابي ليلى والثوري والشافعي وروي عن علي انها اذا اختارت نفسها انها واحدة باينة وهو قول
ابي حنيفة واصحابه وبه قال ابن خواز منداد عن مالك وروي عن زيد بن ثابت انها اذا اختارت
نفسها انها ثلاث وهو قول الحسن البصري وبه قال مالك والليث لان الملك انما يكون بذلك وروي عن علي
رضي الله عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية **السابعة** ذهب جماعة من المدنيين وغيرهم الى
ان التمليك والتخيير سواء والقضا ما قضت فيهما جميعا وهو قول عبد العزيز بن ابي سلمة قال ابن شعبان
وقد اختاره كثير من اصحابنا وهو قول جماعة من اهل المدينة قال ابو عمر وعلى هذا القول اكثر
العلما والمشهور من مذهب مالك الفرق بينهما وذلك ان التمليك عند مالك هو قول الرجل لامراته
قد ملكتك اي قد ملكتك ما جعل الله لي من الطلاق واحدة او اثنين او ثلاثا فلما جاز ان يملكها
بعض ذلك دون بعض وادعى ذلك كان القول قوله مع يمينه اذا ناكرها وقالت طايفة من اهل المدينة
له المناكرة في التمليك وفي التخيير سواء في المدخول بها والاول قول مالك في المشهور وروي ابن خواز منداد
عن مالك ان للزوج ان يناكر المخيرة في الثلاث ويكون طلقة باينة كما قال ابو حنيفة وبه قال ابن الجهم
قال سحنون وعليه اكثر اصحابنا وتحصيل مذهب مالك ان المخيرة اذا اختارت نفسها وهي مدخول بها فهو
الطلاق كله وان انكر زوجها فلا نكره له وان اختارت واحدة فليس بشيء وانما الخيار البتات
اما اخذته واما تركته لان معنى التخيير التسريح قال الله تعالى في اية التخيير فتعالين امتعكن واسرحكن
سراحا جميلا فمعنى التسريح البتات قال الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان
هي الطلقة الثالثة وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومن جهة المعنى ان قوله اختاريني
او اختاري نفسك يقتضي ان لا يكون له عليها سبيل اذا اختارت نفسها ولا يملك منها شيا اذ جعل اليها
ان تخرج ما يملكه منها او يقيم معه اذا اختارته فاذا اختارت البعض من الطلاق لم تعمل بمقتضي اللفظ
وكانت بمنزلة من خير بين شيئين فاختار غيرهما واما التي لم يدخل بها فله مناكرتها في التخيير والتمليك
اذا زادت على واحدة لانها تبين في الحال **الثامنة** اختلفت الرواية عن مالك متى يكون لها الخيار فقال
مرة لها الخيار ما دامت في المجلس قبل القيام والاشتغال بما يدل على الاعراض فان لم تختر ولم تقض
شيا حتى افترقا من مجلسهما بطل ما كان من ذلك اليها وعلى هذا اكثر الفقها وقال مرة لها الخيار ابدا
ما لم تعلم انها تركت وذلك يعلم بان تمكنه من نفسها بوطي او مباشرة فعلى هذا ان منعت نفسها ولم تختر
شيا كان له دفعها الى الحاكم لتوقع او تسقط فان ابت اسقط الحاكم تمليكها وعلى القول الاول اذا اخذت
في غير ذلك من حديث او عمل او مشي او ما ليس من التخيير بشي كما ذكرنا سقط تخييرها واحتج بعض اصحابنا
لهذا القول بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وايضا فان الزوج اطلق لها القول
ليعرف الخيار منها فصار كالعقد بينهما فان قبلت والا سقط كالذي تقول قد وهبت لك او بايعتك
فان قبل والا كان الملك باقيا بحاله هذا قول الثوري والكوفيين والاوزاعي والليث والشافعي وابي ثور
وهو اختيار ابن القاسم ووجه الرواية الثانية ان ذلك قد صار في يدها وملكته على زوجها
بتمليكه اياها فلما ملكت ذلك وجب ان يبقى في يدها كبقايه في يد زوجها قال الشيخ رحمه الله هذا
هو الصحيح لقوله عليه السلام لعايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستامري ابويك
رواه الصحيح وخرجه البخاري وصححه الترمذي وقد تقدم في اول الباب وهو حجة لمن قال انه اذا خير الرجل
امراته او ملكها ان لها ان تقضي في ذلك وان افترقا من مجلسهما روي هذا عن الحسن والزهري وقاله
مالك في احدى روايتيه وقال ابو عبيد والذي عندنا في هذا الباب اتباع السنة في عايشة في هذا الحديث
حين جعل لها التاني الى ان تستامر ابويها ولم يجعل قيامها من مجلسها خروجا من الامر قال المروزي هذا
اصح الاقاويل عندي وقاله ابن المنذر والطحاوي **قوله تعالى** يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله
وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما فيه ثلاث مسايل **الاولى** قال
العلما لما اختار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم شكرهن الله على ذلك
وقال تكرمة لهن لا يحل لك النساء من بعد الاية وبين حكمهن من غيرهن فقال وما كان لكم ان توذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وجعل ثواب طاعتهن وعقاب معصيتهن اكثر مما لغيرهن

قال يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فاخبر تعالى ان من جاء من نساء
النبي صلى الله عليه وسلم بفاحشة والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك يضاعف لها العذاب
ضعفين لشرف منزلتهن وفضل درجتهن وتقدمهن على سائر النساء اجمع وكذلك بينت الشريعة في غير
ما موضع حسب ما تقدم بيانه غير مرة انه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات
ولذلك ضوعف حد الحر على العبد والثيب على البكر وقيل لما كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في مهبط
الوحي وفي منزل اوامر الله ونواهيه قوي الامر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف
لهن الاجر والعذاب وقيل انما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن بايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت العقوبة
على قدر عظم الجريمة في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والاخرة واختار هذا القول الكيا الطبري الثانية قال قوم لو قدر الزنا من واحدة منهن وقد
اعاذهن الله عن ذلك لكانت تحد حدين لعظم قدرها كما يزاد حد الحرة على الامة والعذاب بمعنى الحد قال
الله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين او المرتين
وقال ابو عبيدة ضعف الشيء شيئين حتى يكون ثلاثة وقاله ابو عمرو فيما حكى الطبري عنه فيضاف اليه
عذابان مثله فيكون ثلاثة اعذبة وضعفه الطبري ولذلك هو غير صحيح وان كان باللفظ تعلق الاحتمال
وكون الاجر مرتين مما يفسد هذا القول لان العذاب في الفاحشة بازاء الاجر في الطاعة قاله ابن عطية
وقال النحاس فرق ابو عمرو بين يضاعف ويضعف قال يضاعف للمرار الكثيرة ويضعف مرتين وقرا يضعف
لهذا وقال ابو عبيد يضاعف لها العذاب يجعل ثلاثة اعذبة قال النحاس التفريق الذي جاء به ابو عمرو لا
يعرفه احد من اهل اللغة علمته والمعنى في يضاعف ويضعف واحد اي يجعل ضعفين كما تقول ان دفعت الي
درهما دفعت اليك ضعفيه اي مثليه يعني درهمين ويدل على هذا نؤتها اجرها مرتين ولا يكون العذاب
اكثر من الاجر وقال في موضع اخر آتهم ضعفين من العذاب اي مثلين وروى معمر عن قتادة يضاعف
لها العذاب ضعفين قال عذاب الدنيا وعذاب الاخرة قال القشيري ابو نصر الظاهر انه اراد بالضعفين
المثلين لانه قال نؤتها اجرها مرتين فاما في الوصايا لو اوصى لانسان بضعفي نصيب ولده فهو وصية
بان يعطى مثل نصيبه ثلاث مرات فان الوصايا تجري على العرف فيما بين الناس وكلام الله يرد تفسيره
الى كلام العرب والضعف في كلام العرب المثل الى ما زاد وليس بمقصور على مثلين يقال هذا ضعف
هذا اي مثله وهذا ضعفاه اي مثلاه فالضعف في الاصل زيادة غير محصورة قال الله تعالى فاولئك
لهم جزاء الضعف ولم يرد مثلا ولا مثلين كل هذا قول الازهري وقد تقدم في النور الاختلاف في
حد من قذف واحدة منهن والحمد لله الثالثة قال ابو رافع كان عمر رضي الله عنه كثيرا ما يقرا سورة
يوسف وسورة الاحزاب في الصبح وكان اذا بلغ يا نساء النبي رفع بها صوته فقيل له في ذلك فقال
اذكرهن العهد قرا الجمهور من يات بالياء وكذلك من يقنت حملا على لفظ من والقنوت الطاعة وقد تقدم
وقرا يعقوب من تات وتقنت بالتاء من فوق حملا على المعنى وقال قوم الفاحشة اذا وردت معرفة
فهي الزنا واللواط واذا وردت منكرة فهي سائر المعاصي واذا وردت منعوتة فهي عقوق الزوج
وفساد عشرته وقالت فرقة بل قوله فاحشة مبينة تعم جميع المعاصي وكذلك الفاحشة كيف
وردت وقرا ابن كثير مبينة بفتح الياء وقرا نافع وابو عمرو بكسرها وروى خارجة نضاعف بالنون المضمومة
ونصب العذاب وهذه قراءة ابن محيصن وهذه مفاعلة من واحد كطارقت النعل وعاقبت اللص
وقرا نافع وحمزة والكسائي يضاعف بالياء وفتح العين العذاب رفعا وهي قراءة الحسن وابن كثير وعيسى
وقرا ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وكسر العين المشددة العذاب نصبا قال مقاتل هذا التضعيف
في العذاب انما هو في الاخرة لان ايتاء الاجر مرتين في الاخرة وهذا حسن لان نساء النبي صلى الله عليه
وسلم لا يأتين بفاحشة توجب حدا وقد قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما خانتا في الايمان والطاعة
وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعدون به ضعفين هو عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وكذلك
الاجر قال ابن عطية وهذا ضعيف اللهم الا ان يكون ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لا ترفع عنهن
حدود الدنيا عذاب الاخرة على ما هي حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصامت وهذا امر لم يرو
في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقرره واطرد التفسير على ان الرزق الكريم الجنة ذكره النحاس

كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات

قوله تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي
في قلبه مرض وقلن قولا معروفا يعني في الفضل والشرف وقال كاحد ولم يقل كواحدة لان احدا نفي عن المذكر
والمؤنث والواحد والجمع وقد يقال على ما ليس بادمي يقال ليس فيها احد لا شاة ولا بعير وانما خصص النساء
بالذكر لان فيمن تقدم آسية ومريم وقد اشار الى هذا قتادة وقد تقدم في آل عمران الاختلاف في
بينهن فتامله هنالك ثم قال ان اتقيتن اي خفتن فبين ان الفضيلة انما تتم لهن بشرط التقوى لما منحهن
الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن قوله تعالى فلا تخضعن في موضع جزم بالنهي
الا انه مبني كما بني الماضي هذا مذهب سيبويه اي لا تلن القول امرهن الله ان يكون قولهن جزلا وكلامهن
فصلا ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال عليه في نساء العرب
من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه مثل كلام المريبات والمومسات فنهاهن عن مثل هذا قوله
تعالى فيطمع الذي بالنصب على جواب النهي الذي في قلبه مرض اي شك ونفاق عن قتادة والسدي وقيل تشوف
الفجور وهو الفسق والغزل قاله عكرمة وهذا اصوب وليس للنفاق مدخل في هذه الاية وحكى ابو حاتم ان الاعرج
قرا فيطمع بفتح الياء وكسر الميم النحاس احسب هذا غلطا وان يكون قرا فيطمع بفتح الياء وكسر العين
بعطفه على تخضعن وهذا وجه جيد حسن ويجوز فيطمع بمعنى فيطمع الخضوع او القول قوله تعالى وقلن قولا معروفا
قال ابن عباس امرهن بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمراة تندب اذا خاطبت الاجانب وكذا المحرمات
عليها بالمصاهرة الى الغلظة في القول من غير رفع صوت فان المراة مامورة بخفض الكلام وعلى الجملة فالقول
المعروف هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس قوله تعالى وقرن في بيوتكن ولا
تبرجن تبرج الجاهلية الاولى فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وقرن قرا الجمهور بكسر القاف وقرا
عاصم ونافع بفتحها فاما القراءة الاولى فتحتمل وجهين احدهما ان يكون من الوقار تقول وقر يقر وقارا اي سكن
والامر قر وللنساء قرن مثل عدن وزن والقول الثاني وهو قول المبرد ان يكون من القرار تقول قررت
بالمكان بفتح الراء اقر والاصل اقررن بكسر الراء فحذفت الراء الاولى تخفيفا كما قالوا ظلت
ومست ونقلوا حركتها الى القاف واستغني عن الف الوصل لتحرك القاف قال ابو علي بل على ان
ابدلت الراء ياء كراهة التضعيف كما ابدلت في قيراط ودينار ويصير للياء حركة الحرف المبدل منه فالتقدير
اقيرن ثم تلقى حركة الياء على القاف كراهة تحرك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة
الوصل لتحرك ما بعدها فيصير قرن واما قراءة اهل المدينة وعاصم فعلى لغة العرب قررت في المكان اذا
اقمت فيه بكسر الراء اقر بفتح القاف من باب حمد يحمد وهي لغة اهل الحجاز ذكرها ابو عبيد في الغريب المصنف
عن الكسائي وهو من اجل مشايخه وذكرها الزجاج وغيره والاصل اقررن حذفت الراء الاولى لثقل التضعيف
والقيت حركتها على القاف فتقول قرن قال الفراء هو كما تقول احسست صاحبك اي هل احسست وقال
ابو عثمان المازني قررت به عينا بالكسر لا غير من قرة العين ولا يجوز قررت في المكان بالكسر وانما
هو قررت بفتح الراء وما انكره من هذا لا يقدح في القراءة اذا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيستدل
بما ثبت عنه من القراءة على صحة هذه اللغة وزعم ابو حاتم ان قرن لا مذهب له في كلام العرب
وقال النحاس واما قول ابي حاتم انه لا مذهب له فقد خولف فيه وفيه مذهبان احدهما ما حكاه الكسائي
والاخر ما سمعت علي بن سليمان يقول قال وهو من قررت به عينا اقر والمعنى واقررن به عينا في بيوتكن وهو
وجه حسن الا ان الحديث يدل على انه من الاول كما روي ان عمارا قال لعائشة رضي الله عنها ان الله امرك
ان تقري في منزلك فقالت يا ابا اليقظان ما زلت قوالا بالحق فقال الحمد لله الذي جعلني كذلك على
لسانك وقرا ابن ابي عبلة واقررن بالف وصل وراءين الاولى مكسورة الثانية معنى هذه الاية
الامر بلزوم البيت وان كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى هذا لو
لم يرد دليل يخص جميع النساء كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها
الا لضرورة على ما تقدم في غير موضع فامر الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بملازمة بيوتهن
وخاطبهن بذلك تشريفا لهن ونهاهن عن التبرج واعلم انه فعل الجاهلية الاولى فقال ولا تبرجن
تبرج الجاهلية الاولى وقد تقدم معنى التبرج في النور وحقيقته اظهار ما ستره احسن وهو ماخوذ
من السعة يقال في اسنانه برج اذا كانت متفرقة قاله المبرد واختلف الناس في الجاهلية الاولى فقيل

في الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق
تعرض نفسها علي الرجال وقال الحكم بن عيينة ما بين ادم ونوح وهي ثمانماية سنة وحكيت لهم سير ذميمة
وقال ابن عباس ما بين نوح وادريس الكلبي ما بين نوح وابراهيم قيل ان المراة كانت تلبس الدرع من
اللولو غير مخيط الجانبين وتلبس الثياب الرقاق ولا تواري بدنها وقالت فرقة ما بين موسى و عيسى
الشعبي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ابو العالية هي زمان داود وسليمان كان فيه للمراة
قميص من الدرع غير مخيط الجانبين وقال ابو العباس المبرد والجاهلية الاولى كما تقول الجاهلية الجهلاء
قال وكان النساء في الجاهلية الجهلا يظهرن ما يقبح اظهاره حتى كانت المراة تجلس مع زوجها وخلها
فينفرد خلها بما فوق الازار الى الاعلى وينفرد زوجها بما دون الازار الى الاسفل وربما سال احدهما
صاحبه البدل وقال مجاهد كان النسا يتمشين بين الرجال فذلك التبرج قال ابن عطية والذي
يظهر عندي انه اشار للجاهلية التي لحقتها فامرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع
من سيرة الكفرة لانهم كانوا لا غيرة عندهم فكان امر النسا دون حجبة وجعلها اولى بالنسبة الى ما كن عليه
وليس المعنى ان ثم جاهلية اخرى وقد اوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام فقالوا جاهلي في
الشعر او قال ابن عباس في البخاري سمعت ابي يقول في الجاهلية الى غير هذا قال الشيخ المصنف رحمه
الله وهذا قول حسن ويعترض بان العرب كانت اهل تشف وظنك في الغالب وان التنعم والزينة
انما جرى في الازمان السابقة وهي المراد بالجاهلية الاولى وان المراد بالاية مخالفة من قبلهن من المشية
على تغنج وتكسير واظهار المحاسن للرجال الى غير ذلك مما لا يجوز شرعا وذلك يشمل الاقوال كلها
ويعمها فيلزمن البيوت وان مست الحاجة الى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام والله الموفق **الثالثة**
ذكر الثعلبي وغيره ان عايشة رضي الله عنها اذا قرات هذه الاية تبكي حتى تبل خمارها وذكر ان سودة قيل
لها لم لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي قال
الراوي فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت جنازتها رضوان الله عليهن قال ابن العربي لقد دخلت
نيفا على الف قرية فما رايت نسا اصون عيالا ولا اعف نساء من نساء نابلس التي رمي بها الخليل صلى
الله عليه وسلم بالنار فاني اقمت فيها فما رايت امراة في طريق نهارا الا في يوم الجمعة فانهن يخرجن اليها حتى
يمتلي المسجد منهن فاذا قضيت الصلاة وانقلبن الى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن الى الجمعة الاخرى
وقد رايت بالمسجد الاقصى عفائف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه **الرابعة** قال ابن عطية
بكاء عايشة رضي الله عنها انما كان بسبب سفرها ايام الجمل وحينئذ قال لها عمار ان الله قد امرك ان تقري
في بيتك قال ابن العربي تعلق الرافضة لعنهم الله بهذه الاية على ام المومنين عايشة رضي الله عنها اذ قالوا
انها خالفت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مازق الطعن
والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجوز لها قالوا ولو حصر عثمان فلما رات ذلك امرت برواحلها فقربت لتخرج
الى مكة فقال لها مروان اقيمي هنا يا ام المومنين وردي هولاء الرعاع فان الاصلاح بين الناس خير من
حجك قال ابن العربي قال علماونا رحمة الله عليهم ان عايشة رضي الله عنها نذرت الحج قبل الفتنة فلم تر التخلف
عن نذرها ولو خرجت في تلك الثايرة لكان ذلك صوابا لها واما خروجها الى حرب الجمل فما خرجت لحرب
ولكن تعلق الناس بها وشكوا اليها ما صاروا اليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس ورجوا بركتها وطمعوا
في الاستحياء منها اذا وقفت الى الخلق وظنت هي ذلك معتدية بالله في قوله لا خير في كثير من نجواهم الا من
امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وبقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما والا
بالاصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر وانثى حر او عبد فلم يرد الله بسابق قضائه ونافذ حكمه ان يقع
اصلاح ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان فعمد بعضهم الى الجمل فعرقبه فلما سقط
لجنبه ادرك محمد بن ابي بكر عايشة رضي الله عنها فاحتملها الى البصرة وخرجت مع ثلاثين امراة قرنهن علي بها
حتى اوصلها الى المدينة برة تقية مجتهدة مصيبة مثابة فيما تاولت ماجورة فيما فعلت اذ كل مجتهد في
الاحكام مصيب وقد تقدم في النحل اسم هذا الرجل وبه يعرف ذلك اليوم **قوله تعالى** وَاقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَاٰتِينَ الزَّكَاةَ وَاَطِعْنَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا اي فيما امر ونهى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال الزجاج قيل يراد نسا النبي

صلى الله عليه وسلم وقيل يراد به نساوه واهله الذين هم اهل بيته على ما ياتي بيانه بعد واهل المدح نصب
على المدح قال وان شيت على البدل قال ويجوز الرفع والخفض قال النحاس ان خفض على انه بدل من الكاف
والميم لم يجز عند ابي العباس محمد بن يزيد قال لا يبدل من المخاطبة ولا من المخاطب لانهما لا يحتاجان الى تبيين
ويطهركم تطهيرا مصدر في معنى التاكيد **قوله تعالى** وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ اٰيَاتِ اللّٰهِ وَالْحِكْمَةِ
اِنَّ اللّٰهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا فيه ثلاث مسايل **الاولى** قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات
الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا هذه الالفاظ تعطي ان اهل البيت نساوه وقد اختلف اهل العلم في اهل
البيت من هم فقال عطا وعكرمة وابن عباس زوجاته خاصة لا رجل معهن وذهبوا الى ان اهل البيت اريد به
مساكن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقالت فرقة منهم الكلبي هم علي وفاطمة
والحسن والحسين خاصة وفي هذا احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله تعالى ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم بالميم ولو كان للنسا خاصة لكان عنكن ويطهركن الا انه يحتمل ان يكون خرج على لفظ الاهل كما يقول
الرجل لصاحبه كيف اهلك اي امراتك ونساوك فيقول هم بخير قال اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت والذي يظهر من الاية انها عامة في جميع اهل البيت من الازواج وغيرهم وانما قال ويطهركم لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليا وحسنا وحسينا كان فيهم واذا اجتمع المذكر والمونث غلب المذكر فاقتضت
الايات ان الزوجات من اهل البيت لان الاية فيهن والمخاطبة لهن تدل على سياق الكلام والله اعلم اما
ان ام سلمة قالت نزلت هذه الاية في بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا
فدخل معهم تحت كسا خيبري وقال هولاء اهل بيتي وقرا الاية وقال اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
قالت ام سلمة وانا معهم يا نبي الله انت على مكانك وانت على خير خرجه الترمذي وغيره وقال هذا حديث غريب
وقال القشيري وقالت ام سلمة ادخلت راسي الكسا وقلت انا منهم قال نعم وقال الثعلبي هم بنو هاشم فهذا يدل
على ان البيت يراد به بيت النسب فيكون العباس واعمامه وبنو اعمامه منهم وروي نحوه عن زيد بن ارقم رضي الله عنه
وعلى قول الكلبي يكون قوله واذكرن ابتداء مخاطبة امر الله عز وجل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الموعظة
وتعديد النعمة بذكر ما يتلى في بيوتهن من ايات الله والحكمة قال اهل العلم بالتاويل ايات الله القران والحكمة السنة
والصحيح ان قوله واذكرن منسوق على ما قبله وقال عنكم لقوله اهل فالاهل مذكر فسماهن وان كن اناثا باسم
التذكير فلذلك صار عنكم ولا اعتبار بقول الكلبي واشباهه فانه يوجد له اشيا في هذا التفسير ما لو كان في
زمان السلف الصالح لمنعوه من ذلك وحجروا عليه فالايات كلها من قوله يا ايها النبي قل لازواجك الى قوله ان
الله كان لطيفا خبيرا منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلاما منفصلا لغيرهن وانما هذا شي
جرى في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين فعمد النبي صلى الله عليه
وسلم الى كسا فلفها عليهم ثم الوى بيده الى السماء فقال اللهم هولاء اهلي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
فهذه دعوة من النبي صلى الله عليه وسلم لهم بعد نزول الاية احب ان يدخلهم في الاية التي خوطب بها الازواج فذهب
الكلبي ومن وافقه فصيرها لهم خاصة وهي دعوة لهم خارجة من التنزيل **الثانية** لفظ الذكر يحتمل ثلاث
معان احدها اي اذكرن موضع النعمة اذ صيركن الله في بيوت تتلى فيها ايات الله والحكمة الثاني اذكرن ايات الله واقدرن
قدرها وفكرن فيها حتى يكون منكن على بال لتتعظن بمواعظ الله ومن كان هذا حاله ينبغي ان تحسن افعاله والثالث
اذكرن بمعنى احفظن واقران والزمنه الالسنة فكانه يقول واحفظن اوامر الله ونواهيه وذلك هو الذي يتلى
في بيوتكن من ايات الله فامر سبحانه ان يخبرن بما ينزل من القران في بيوتهن وما يرين من افعال النبي صلى الله عليه
وسلم ويسمعن من اقواله حتى يبلغن ذلك الى الناس فيعملون عليه ويقتدون وهذا يدل على جواز قبول خبر الواحد
من الرجال والنساء في الدين **الثالثة** قال ابن العربي في هذه الاية مسالة بديعة وهي ان الله تعالى امر نبيه
عليه السلام بتبليغ ما نزل عليه من القران وتعليم ما علمه من الدين فكان اذا قرا على واحد او ما اتفق سقط
عنه الفرض وكان على من سمعه ان يبلغه الى غيره ولا يلزمه ان يذكره لجميع الصحابة ولا كان عليه اذا علم ذلك
ازواجه ان يخرج الى الناس فيقول لهم نزل كذا ولا كان كذا ولهذا قلنا يجوز العمل بخبر بسرة في ايجاب الوضوء من
مس الذكر لانها روت ما سمعت وبلغت ما وعت ولا يلزم ان يبلغ ذلك الرجال كما قال ابو حنيفة على انه قد نقل
عن سعد بن ابي وقاص وابن عمر **قوله تعالى** اِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ
وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ

ای المراة كانت تلبس الدرع من اللولو

ای ان الاصلاح خير من الحج

والمتصدقين والمتصدقات والصايمين والصايمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما فيه مسالتان الاولى روي الترمذي عن
ام عمارة الانصارية انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما ارى كل شي الا للرجال وما ارى النسا يذكرن
بشي فنزلت هذه الاية ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الاية هذا حديث غريب والمسلمين اسم ان
والمسلمات عطف عليه ويجوز رفعهن عند البصريين واما الفرا فلا يجوز عنده الا فيما يتبين فيه الاعراب
الثانية بدا تعالى في هذه الاية بذكر الاسلام الذي يعم الايمان وعمل الجوارح ثم ذكر الايمان تخصيصا له وتنبيها
على انه اعظم الاسلام ودعامته والقانت العابد المطيع والصادق معناه فيما عوهد عليه ان يفي به والصابر
عن الشهوات وعلى الطاعات في المكره والمنشط والخاشع الخائف لله والمتصدق بالفرض وبالنفل وقيل بالفرض
خاصة والاول المدح والصايم كذلك والحافظين فروجهم والحافظات اي عما لا يحل من الزنا وغيره وفي قوله
والحافظات حذف يدل عليه المتقدم تقديره والحافظاتها فاكتفى بما تقدم وفي الذاكرات ايضا مثله
ونظيره قول الشاعر   وكمتا مدماة كان متونها   جرى فوقها واستشعرت لون مذهب
وروى سيبويه لون مذهب بالنصب وانما يجوز الرفع على حذف الهاء كانه واستشعرته فيمن رفع لونا والذاكر
قيل في ادبار الصلوات وغدوا وعشيا وفي المضاجع وعند الانتباه من النوم وقد تقدم هذا كله
مفصلا في مواضعه وما يترتب عليه من الفوايد والاحكام فاغنى عن الاعادة والحمد لله قال مجاهد
لا يكون ذاكرا لله عز وجل كثيرا حتى يذكره قايما وجالسا ومضطجعا وقال ابو سعيد الخدري من ايقظ اهله بالليل
وصليا اربع ركعات كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات **قوله تعالى** وما كان لمومن ولا مومنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا
فيه اربع مسايل   قوله تعالى وما كان روى قتادة وابن عباس ومجاهد في سبب نزول هذه الاية ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمته فظنت ان الخطبة لنفسه فلما تبين انه يريدها لزيد
كرهت وابت وامتنعت فنزلت الاية فاذعنت زينب حينيذ وتزوجته في رواية فامتنعت وامتنع اخوها
عبد الله لنسبها من قريش وان زيدا كان بالامس عبدا الى ان نزلت هذه الاية فقال له اخوها مرني بما شيت
فزوجها من زيد وقيل انها نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزوجنا غيره فنزلت هذه الاية بسبب ذلك فاجابا الى تزويج زيد قاله ابن زيد وقال الحسن ليس لمومن
ولا مومنة اذا امر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بامر ان يعصياه الثانية لفظ ما كان وما ينبغي
ونحوهما معناها الحظر والمنع فيجي لحظر الشي والحكم بانه لا يكون كما في هذه الاية وربما كان امتناع ذلك الشي عقلا
كقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وربما كان العلم بامتناعه شرعا كقوله وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا وربما كان في المندوبات كما تقول ما كان لك يا فلان ان تترك النوافل ونحو هذا الثالثة
في هذه الاية دليل بل نص في ان الكفاءة لا تعتبر في الاحساب وانما تعتبر في الاديان خلافا لمالك والشافعي
والمغيرة وسحنون وذلك ان الموالي تزوجت في قريش تزوج زيد زينب بنت جحش وتزوج المقداد بن الاسود ضباعة
بنت الزبير وزوج ابو حذيفة سالما من هند بنت الوليد بن عتبة وتزوج بلال اخت عبد الرحمن بن عوف
وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع الرابعة قوله تعالى ان تكون لهم الخيرة قرا الكوفيون ان يكون بالياء
وهو اختيار ابي عبيد لانه قد فرق بين المونث وبين فعله الباقون بالتاء لان اللفظ مونث فعله حسن
والتذكير على ان الخيرة بمعنى التخيير فالخيرة مصدر بمعنى الاختيار وقرا ابن السميقع الخيرة باسكان الياء
وهذه الاية في ضمن قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم ثم توعد تعالى واخبر ان من يعص الله ورسوله
فقد ضل وهذا ادل دليل على ما ذهب اليه الجمهور من فقهاينا وفقهاء اصحاب الامام الشافعي وبعض الاصوليين
من ان صيغة افعل للوجوب في اصل وضعها لان الله تبارك وتعالى نفى خيرة المكلف عند سماع امره
وامر رسوله ثم اطلق على ما بقيت له خيرة عند صدور الامر اسم المعصية ثم علق على المعصية بذلك
الضلال فلزم حمل الامر على الوجوب والله اعلم **قوله تعالى** واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم اذا قضوا

من ايقظ اهله بالليل وصليا اربع ركعات كتبا من الذاكرين

منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين
خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله وكفى بالله حسيبا فيه تسع مسايل الاولى روى الترمذي قال حدثنا علي بن حجر قال حدثنا
داود بن الزبرقان عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن عايشة قالت لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كاتما شيا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه يعني بالاسلام وانعمت عليه بالعتق فاعتقته
امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه الى قوله
وكان امر الله مفعولا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قالوا تزوج حليلة ابنه فانزل الله ما
كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان رسول الله تبناه وهو صغير فلبث
حتى صار رجلا يقال له زيد بن محمد فانزل الله تعالى ادعوهم لابايهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم
فاخوانكم في الدين ومواليكم فلان مولى فلان وفلان اخو فلان هو اقسط عند الله قال ابو عيسى هذا حديث
قد روي عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق عن عايشة قالت لو كان النبي صلى الله عليه وسلم
كاتما شيا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه هذا الحرف لم يرد بطوله
قلت هذا القدر الذي اخرجه مسلم في صحيحه وهو الذي صححه الترمذي في جامعه وفي البخاري عن انس بن مالك
ان هذه الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شان زينب بنت جحش وزيد بن حارثة وقال عمر وابن
مسعود وعايشة والحسن ما انزل الله على رسوله اية اشد عليه من هذه الاية وقال الحسن وعايشة لو كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحي لكتم هذه الاية لشدتها عليه وروي في الخبر انه امسى زيد فاوى
الى فراشه قالت زينب ولم يستطعني زيد وما امتنع منه غير ما منعه الله مني فلا يقدر علي هذه رواية ابي
عصمة نوح بن ابي مريم رفع الحديث الى زينب انها قالت ذلك وفي بعض الروايات ان زيدا تورم ذلك منه
حين اراد ان يقربها فهذا قريب من ذلك وجاء زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان زينب توذيني
بلسانها وتفعل وتفعل واني اريد ان اطلقها فقال له امسك عليك زوجك واتق الله الاية فطلقها زيد
فنزلت واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الاية واختلف الناس في تاويل هذه الاية فذهب
قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره الى ان النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه
استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصا على ان يطلقها زيد فيتزوجها هو ثم ان زيدا
لما اخبره بانه يريد فراقها ويشكو منها غلظة قول وعصيان امر واذى باللسان وتعظما بالشرف قال له
اتق الله اي فيما تقول عنها وامسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص على طلاق زيد اياها وهذا الذي كان
يخفي في نفسه ولكنه لزم ما يجب من الامر بالمعروف وقال مقاتل زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش من زيد فمكثت عنده حينا ثم انه عليه السلام اتى زيدا يوما يطلبه فابصر زينب قايمة وكانت بيضا
جميلة جسيمة من اتم نسا قريش فهويها وقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها
لزيد ففطن زيد فقال يا رسول الله ايذن لي في طلاقها فان فيها كبرا تعظم علي وتوذيني بلسانها فقال عليه
السلام امسك زوجك واتق الله وقيل ان الله بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها فراى
زينب فوقعت في نفسه ووقع في نفس زينب انها وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما جا يطلب زيدا فجاء
زيد فاخبرته بذلك فوقع في نفس زيد ان يطلقها وقال ابن عباس وتخفي في نفسك الحب لها وتخشى الناس اي
تستحييهم وقيل تخاف وتكره لايمة المسلمين لو قلت طلقها ويقولون امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها
حين طلقها والله احق ان تخشاه في كل حال وقيل والله احق ان تستحيي ولا تامر زيدا بامساك زوجته بعد
ان اعلمك الله انها ستكون زوجتك فعاتبه الله على جميع هذا وروي عن ابن الحسين ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان قد اوحي اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما شكى زيد للنبي صلى الله عليه
وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الادب
والوصية اتق الله في قولك وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه يفارقها وهذا هو الذي اخفى في نفسه ولم يرد
ان يامره بالطلاق لما علم انه سيتزوجها وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلحقه قول من الناس في
ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر من ان خشي الناس في
شي قد اباحه الله له بان قال امسك مع علمه بانه يطلق واعلمه بان الله احق بالخشية اي في كل حال قال علماونا

يستحي من الناس

وهذا القول احسن ما قيل في تاويل هذه الاية وهو الذي عليه اهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين
كالزهري والقاضي بكر بن العلا القشيري والقاضي ابو بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى
الناس انما هو ارجاف المنافقين بانه نهى عن تزوج نساء الابناء وتزوج زوجة ابنه **فاما ما روي** ان النبي
صلى الله عليه وسلم هوي امراة زيد وربما اطلق بعض المجان لفظ عشق فهذا انما يصدر عن جاهل بعصمة النبي
صلى الله عليه وسلم لمن مثل هذا او مستخف بحرمته صلى الله عليه وسلم قال الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
واسند الى علي بن الحسين قوله فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرا من الجواهر ودرا من الدرر
انه انما عتب الله عليه في انه قد اعلمه ان ستكون هذه من ازواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد امسك عليك
زوجك واخذتك خشية الناس ان يقولوا تزوج امراة ابنه والله احق ان تخشاه وقال النحاس قال بعض العلماء
ليس هذا من النبي صلى الله عليه وسلم خطيئة الا ترى انه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار منه وقد يكون الشيء
ليس خطيئة الا ان غيره احسن منه واخفى ذلك خشية ان يفتتن الناس **الثانية** قال ابن العربي فان قيل
لاي معنى قال له امسك عليك زوجك وقد اخبره الله انها زوجه قلنا اراد ان يختبر ما لم يعلمه الله من رغبته
فيها او رغبته عنها فابدى له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في امرها فان قيل كيف
يامره بالتمسك بها وقد علم ان الفراق لا بد منه وهذا تناقض قلنا بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لاقامة الحجة
ومعرفة العاقبة الا ترى ان الله تعالى يامر العبد بالايمان وقد علم انه لا يؤمن فليس في مخالفة متعلق الامر
لمتعلق العلم ما يمنع من الامر به عقلا وحكما وهذا من نفيس العلم فتقبلوه وتقبلوه وقوله واتق الله اي في طلاقها
فلا تطلقها واراد نهي تنزيه لا نهي تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى
الزوج وتخفي في نفسك قيل تعلق قلبه وقيل مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها لان الله قد
اعلمه بذلك **الثالثة** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لزيد ما اجد في نفسي اوثق منك فاخطب زينب
علي قال فذهبت ووليتها ظهري توقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم وخطبتها ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا
حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها قلت
معنى هذا الحديث ثابت في الصحيح وترجم له النسائي صلاة المراة اذا خطبت واستخارتها ربها روى الايمة
واللفظ لمسلم عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد فاذكرها علي قال
فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينتها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران وجاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد
النهار الحديث في رواية حتى تركوه وفي رواية عن انس ايضا قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على
امراة ما اولم على زينب فانه ذبح شاة قال علماؤنا فقوله عليه وسلم لزيد فاذكرها علي اي اخطبها كما بينه
الحديث الاول وهذا امتحان لزيد واختبار له حتى يظهر صبره وانقياده وطوعه قلت وقد يستنبط
من هذا ان يقول الانسان لصاحبه اخطب علي فلانة لزوجه المطلقة منه ولا حرج في ذلك والله اعلم
الرابعة لما وكلت امرها الى الله تعالى وصح تفويضها اليه تولى الله انكاحها ولذلك قال فلما قضى زيد منها
وطرا زوجناكها وروى الامام جعفر بن محمد عن ابايه عن النبي صلى الله عليه وسلم وطرا زوجتكها ولما اعلمه
الله بذلك دخل عليها بغير اذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق ولا شيء مما يكون شرطا في حقوقنا ومشروعا
لنا وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها احد باجماع من المسلمين ولهذا كانت
تفاخر نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن اباؤكن وزوجني الله تعالى اخرجه النساءي عن انس بن
مالك قال كانت زينب تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم تقول ان الله عز وجل انكحني من السماء وفيها نزلت
اية الحجاب رضي الله عنها وسياتي **الخامسة** المنعم عليه في هذه الاية هو زيد بن حارثة كما بيناه وقد تقدم
خبره في اول السورة وروي ان عمه لقيه يوما وكان ورد مكة في شغل له فقال ما اسمك يا غلام قال زيد قال
ابن من قال ابن حارثة قال ابن من قال ابن شراحيل الكلبي قال فما اسم امك قال سعدى وكنت في اخوالي
طي فضمه الى صدره وارسل الى اخيه وقومه فحضروا وارادوا منه ان يقيم معهم فقالوا لمن انت قالوا لمحمد
بن عبد الله فاتوه وقالوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرض عليه فان اختاركم فخذوا بيده فبعث الى زيد

كان زينب تفتخر على نسائه

وقال هل تعرف هاولاء قال نعم هذا ابي وهذا اخي وهذا عمي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاني صاحب
كنت لك فبكى وقال لم سالتني عن ذلك قال اخيرك فان احببت ان تلحق بهم فالحق وان كنت اردت ان تقيم فانا من
قد عرفت فقال ما اختار عليك احدا فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبودية على ابيك وعمك قال اي والله
العبودية عند محمد احب الي من ان اكون عندكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اني وارث وموروث
فلم يزل يقال زيد بن محمد الى ان نزل قوله ادعوهم لابائهم ونزل ما كان محمد ابا احد من رجالكم **السادسة**
قال الامام ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي رضي الله عنه كان يقال زيد بن محمد الى ان نزل قوله ادعوهم لابائهم
فقال انا زيد بن حارثة وحرم ان يقول انا زيد بن محمد فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشته
من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يخص بها احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهي انه سماه في القران فقال
تعالى فلما قضى زيد منها وطرا يعني من زينب ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرانا يتلى في المحاريب
نوه به غاية التنويه فكان في هذا تانيس له وعوض من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم له الا ترى الى قول ابي بن كعب
حين قال له صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان اقرا عليك سورة كذا فبكى فقال او ذكرت هنالك وكان بكاوه من
الفرح حين اخبر ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرانا يتلى مخلدا لا يبيد يتلوه اهل الدنيا اذا قرءوا القران واهل
الجنة كذلك ابدا لا يزال على السنة المؤمنين كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين اذ القران كلام
الله القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد هذا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة يذكره في التلاوة السفرة
الكرام البررة وليس ذلك لاسم من اسماء المؤمنين الا لنبي من الانبياء ولزيد بن حارثة تعويضا من الله
تعالى له مما نزع عنه وزاد في الاية ان قال واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بالايمان فدل على انه من اهل الجنة
علم ان ذلك قبل ان يموت وهذه فضيلة اخرى رضي الله عنا به **السابعة** قوله تعالى وطرا الوطر كل
حاجة للمرء له فيها همة والجمع الاوطار قال ابن عباس اي بلغ ما اراد من حاجته يعني الجماع وفيه اضمار اي لما قضى
وطره منها طلقها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل الوطر عبارة عن الطلاق قاله قتادة
الثامنة ذهب بعض الناس من هذه الاية ومن قول شعيب اني اريد ان انكحك احدى ابنتي الى ان ترتيب
هذا المعنى في المهور ينبغي ان يكون انكحه اياها فتقدم ضمير الزوج كما في الايتين وكذلك قوله عليه السلام
لصاحب الرداء اذهب فقد انكحتكها بما معك من القران قال ابن عطية وهذا غير لازم لان الزوج في الاية
مخاطب فحسن تقديمه وفي المهور الزوجان فقدم من شيت ولم يبق ترجيح الا بدرجة الرجال وانهم القوامون
التاسعة قوله تعالى زوجناكها دليل على ثبوت الولي في النكاح وقد تقدم الخلاف في ذلك روي
ان عايشة رضي الله عنها وزينب تفاخرتا فقالت عايشة انا الذي جاء بي الملك الى النبي صلى الله عليه وسلم
في سرقة من حرير فيقول هذه امراتك اخرجه الصحيح وقالت زينب انا التي زوجني الله من فوق سبع سموات
وقال الشعبي كانت زينب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امراة
تدل بهن ان جدي وجدك واحد وان الله انكحك اياي من السماء وان السفير في ذلك جبريل وروي عن زينب
انها قالت لما وقعت في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستطع زيد وما امتنع منه غير ما يمنعه الله
تعالى مني فلا يقدر على قوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة اعلمهم
ان هذا ونحوه هو السنن الاقدم في الانبياء ان ينالوا ما احل لهم اي سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة
عليه في النكاح سنة الانبياء الماضية كداود وسليمان فكان لداود ماية امراة وثلثماية سرية ولسليمان
ثلثماية امراة وسبع ماية سرية وذكر الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي ان الاشارة الى داود عليه السلام
حيث جمع الله بينه وبين من فتن بها وسنة نصب على المصدر اي سن الله له سنة واسعة والذين خلوا هم
الانبياء بدليل وصفهم بعد بقوله الذين يبلغون رسالات الله **قوله تعالى** **ما كان محمد ابا احد من
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** فيه ثلاث مسايل **الاولى** قوله تعالى ما
كان محمد لما تزوج زينب قال الناس تزوج امراة ابنه فنزلت الاية اي ليس هو بابنه حتى تحرم عليه حليلته
ولكنه ابو امته في التبجيل والتعظيم وان نساءه عليهم حرام فاذهب الله بهذه الاية ما وقع في نفوس
المنافقين وغيرهم واعلم ان محمدا لم يكن ابا احد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة ولم يقصد بهذه الاية
ان النبي لم يكن له ولد فقد ولد له ذكور ابراهيم والقاسم والطيب والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى يصير
رجلا واما الحسن والحسين فكانا طفلين ولم يكونا رجلين معاصرين له **الثانية** قوله تعالى ولكن رسول

الله قال الاخفش والفرا اي ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واجازا ولكن رسول الله وخاتم بالرفع وكذا قرا ابن ابي عبلة وبعض الناس ولكن رسول الله بالرفع على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين وقرات فرقة ولكن بتشديد النون ونصب رسول الله على انه اسم كان والخبر محذوف وخاتم قرا عاصم وحده بفتح التا بمعنى انهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم وقرا الجمهور بكسر التا بمعنى انه ختمهم اي جا اخرهم وقيل الخاتم والخاتم لغتان مثل طابع وطابع ودانق ودانق وطابق من اللحم وطابق **الثالثة** قال ابن عطية هذه الالفاظ عند جماعة علما الامة خلفا وسلفا متلقاة على العموم مقتضية نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وما ذكره القاضي ابن الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في الفاظ هذه الاية ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه الاية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد الحاد عندي ونطرق خبيث الى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته قلت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا نبوة بعدي الا ما شا الله قال ابو عمر يعني الرؤيا والله اعلم التي هي جزء منها كما قال عليه السلام لن يبقى بعدي من النبوة الا الرؤيا الصالحة وقرا ابن مسعود من رجالكم ولكن نبيا ختم النبيين قال الرماني ختم به عليه السلام الاستصلاح فمن لم يصلح به فمايوس من صلاحه قلت ومن هذا المعنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا موضع اللبنة جيت فختمت الانبيا ونحوه عن ابي هريرة غير انه قال فانا اللبنة وانا خاتم النبيين **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا امر تعالى عباده بان يذكروه ويشكروه ويكثروا من ذلك على ما انعم به عليهم وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد ولعظم الاجر فيه قال ابن عباس لم يعذر احد في ترك ذكر الله الا من غلب على عقله وروى ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقيل الذكر الكثير ما جرى على الاخلاص من القلب والقليل ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا اي اشغلوا السنتكم في معظم احوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير قال مجاهد وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب وقيل ادعوا قال جرير

فلا تنس تسبيح الضحى ان يوسفا ... دعا ربه فاختاره حين سبحا

وقيل المراد صلوا لله بكرة واصيلا والصلاة تسمى تسبيحا وخص الفجر والمغرب والعشا بالذكر لانها احق بالتحريض عليها لاتصالها باطراف الليل وقال قتادة والطبري الاشارة الى صلاة الغداة وصلاة العصر والاصيل العشي وجمعه اصائل والاصل بمعنى الاصيل وجمعه اصال قاله المبرد وقال غيره اصل جمع اصيل كرغيف ورغف وقد تقدم مساله هذه الاية مدنية فلا تعلق بها لمن زعم ان الصلاة انما فرضت اولا صلاتين في طرفي النهار والرواية بذلك ضعيفة فلا التفات اليها ولا معول عليها وقد مضى الكلام في كيفية فرض الصلاة وما للعلما في ذلك في سبحان والحمد لله **قوله تعالى** هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمومنين رحيما قال ابن عباس لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال المهاجرون والانصار هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شي فانزل الله فيه هذه الاية قلت وهذه نعمة من الله تعالى على هذه الامة من اكبر النعم ودليل على فضلها على ساير الامم وقد قال كنتم خير امة اخرجت للناس والصلاة من الله تعالى على العبد هي رحمته له وبركته له وصلاة الملائكة دعاؤهم للمومنين واستغفارهم كما قال ويستغفرون للذين امنوا وسياتي وفي الحديث ان بني اسرائيل سالوا موسى عليه السلام ايصلي ربك عز وجل فاعظم ذلك فاوحى الله عز وجل ان صلاتي بان رحمتي سبقت غضبي ذكره النحاس وقال ابن عطية وروت فرقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاة الله على عباده قال سبوح قدوس رحمتي سبقت غضبي واختلف في تاويل هذا القول فقيل انه كله من كلام الله وهي صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس من كلام محمد صلى الله عليه وسلم وقدمه نطقه باللفظ الذي هو صلاة الله وهو رحمتي سبقت غضبي من حيث فهم من السايل انه توهم في صلاة الله على عباده وجها لا يليق بالله عز وجل فقدم التنزيه والتعظيم بين يدي اخباره قوله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من الضلالة الى الهدى ومعنى هذا التثبيت على الهداية لانهم كانوا في وقت الخطاب على الهداية ثم اخبر تعالى برحمته للمومنين تانيسا لهم فقال وكان بالمومنين رحيما **قوله تعالى** تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما اختلف في الضمير الذي في يلقونه على من يعود فقيل على الله تعالى اي كان بالمومنين رحيما فهو يومنهم من عذاب الله يوم القيامة وفي ذلك اليوم القيامة يلقونه وتحيتهم اي تحية بعضهم لبعض سلام اي سلامة لنا ولكم من عذاب الله وقيل هذه التحية من الله تعالى المعنى فيسلمهم من الافات او يبشرهم بالامن واستشهد بقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام وقيل يوم يلقونه اي يوم يلقون ملك الموت وقد ورد انه لا يقبض روح مومن الا سلم عليه روي عن البرا بن عازب تحيتهم يوم يلقونه سلام فيسلم ملك الموت على المومنين عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه **قوله تعالى** يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية هذه الاية فيها تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين وتكريم لجميعهم وهذه الاية تضمنت من اسمائه صلى الله عليه وسلم ستة اسما ولنبينا صلى الله عليه وسلم اسما كثيرة وسمات جليلة ورد ذكرها في الكتاب والسنة والكتب المتقدمة وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد وقال صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه الثقات العدول لي خمسة اسما انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطعم وقد سماه الله تعالى رووفا رحيما وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة وقد تتبع القاضي ابو الفضل عياض في كتابه المسمى بالشفا ما جا في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما نقل في الكتب القديمة واطلاق الامة اسما كثيرة وصفات عديدة صدقت عليه صلى الله عليه وسلم مسميا ونعتا ووجدت فيه معانيها وقد ذكر القاضي ابو بكر بن العربي في احكامه في هذه الاية من اسما النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وستين اسما وذكر صاحب وسيلة المتعبدين الى متابعة سيد المرسلين عن ابن عباس ان لمحمد صلى الله عليه وسلم مائة وثمانين اسما من ارادها وجدها هنالك وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فبعثهما الى اليمن وقال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فانه قد انزل علي وقرا الاية قوله تعالى شاهدا قال سعيد عن قتادة شاهدا على امته بالتبليغ اليهم وعلى ساير الامم بتبليغ انبيائهم ونحو ذلك ومبشرا معناه للمومنين برحمة الله وبالجنة ونذيرا معناه للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد وداعيا الى الله هو تبليغ التوحيد والاخذ به ومكافحة الكفرة وباذنه معناه هنا بامره اياك وتقديره ذلك في وقته واوانه وسراجا منيرا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه وقيل وسراجا اي هاديا من ظلم الضلالة وانت كالمصباح المضي ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضي اذا قلت سليطته ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطي وسراج لا يضي وماىدة ينتظر لها من يجي سئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر واسند النحاس قال حدثنا محمد بن ابراهيم الرازي قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن شيبان النحوي قال حدثنا قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا فانه قد نزل علي الليلة اية انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا من النار وداعيا الى الله قال شهادة ان لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا قال بالقران وقال الزجاج وسراجا اي وذا سراج منيرا اي كتاب نير واجاز ايضا ان يكون بمعنى وتاليا كتاب الله **قوله تعالى** وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا الواو عاطفة جملة على جملة والمعنى منقطع من الذي قبله امره تعالى ان يبشر المومنين بالفضل الكبير من الله عز وجل وعلى قول الزجاج ذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا يكون معطوفا على الكاف في ارسلناك قال ابن عطية قال لنا ابي رضي الله عنه هذه من ارجى اية عندي في كتاب الله لان الله تعالى قد امر نبيه ان يبشر المومنين بان لهم عنده فضلا كبيرا وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فالاية التي في هذه السورة خبر والتي في حم عسق تفسير لها ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تطعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين ولا تمالئهم الكافرين اي سفيان وعكرمة وابي الاعور السلمي قالوا يا محمد لا تذكر الهتنا بسوء نتبعك والمنافقين عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة بن ابيرق حثوا النبي صلى الله عليه وسلم على اجابتهم بعلة المصلحة ودع اذاهم اي دع ان توذيهم

رحمتي سبقت غضبي

بلغ

جازاة على اذايتك اياهم فامره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ونسخ من الاية على هذا التاويل ما يخص الكافرين وناسخه اية السيف وفيه معنى ثان اي اعرض عن اقوالهم وما يوذونك ولا تشتغل به فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد والاية منسوخة باية السيف وتوكل على الله امره بالتوكل عليه وانسه بقوله وكفى بالله وكيلا وفي قوة الكلام وعد بنصر والوكيل الحافظ القايم على الامر **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا فيه سبع مسايل **الاولى** قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات لما جرت قصة زيد وتطليقه زينب وكانت مدخولا بها وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها كما بيناه خاطب الله المومنين بحكم الزوجة تطلق قبل البنا وبين ذلك الحكم للامة فالمطلقة اذا لم تكن ممسوسة لا عدة عليها بنص الكتاب واجماع الامة على ذلك فان دخل بها فعليها العدة اجماعا **الثانية** النكاح في الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانه سبب في اقتراف الاثم ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء وهو من اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان **الثالثة** استدل بعض العلما بقوله تعالى وان طلقتموهن وبمهلة ثم على ان الطلاق لا يكون الا بعد نكاح وان من طلق المراة قبل نكاحها وان عينها فان ذلك لا يلزمه وقال هذا انيف على ثلاثين من صاحب وتابع وامام سمى البخاري منهم اثنين وعشرين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل نكاح ومعناه ان الطلاق لا يقع حتى يحصل النكاح قال حبيب بن ثابت سيل علي بن الحسين رضي الله عنهما عن رجل قال لامراته ان تزوجتك فانت طالق فقال ليس بشي ذكر الله النكاح قبل الطلاق وقالت طايفة من اهل العلم ان طلاق المعينة الشخص او القبيلة او البلد لازم قبل النكاح منهم مالك وجميع اصحابه وجمع عظيم من العلما الامة وقد مضى في براءة الكلام فيها ودليل الفريقين وحمد الله فاذا قال كل امراة اتزوجها وكل عبد اشتريه حر لم يلزمه شي وان قال كل امراة اتزوجها الى عشرين سنة او ان تزوجت من بلد فلان او من بني فلان فهي طالق لزمه الطلاق ما لم يخف العنت على نفسه في طول السنين او يكون عمره في الغالب لا يبلغ ذلك فله ان يتزوج وانما لم يلزمه الطلاق اذا عم لانه ضيق على نفسه المناكح فلو منعناه ان لا يتزوج لحرج وخيف عليه العنت وقد قال بعض اصحابنا انه ان وجد ما يتسرى به لم ينكح وليس بشي وذلك ان الضرورات والاعذار ترفع الاحكام فيصير هذا من حيث الضرورة كمن لم يحلف قال ابن خواز منداد **الرابعة** استدل داود ومن قال بقوله ان المطلقة الرجعية اذا راجعها زوجها قبل ان تنقضي عدتها ثم فارقها قبل ان يمسها انه ليس عليه ان يتم عدتها ولا عدة مستقبلة لانها مطلقة قبل الدخول بها وقال عطا ابن ابي رباح وفرقة تمضي في عدتها من طلاقها الاول وهو احد قولي الشافعي لان طلاقه لها اذا لم يمسها في حكم من طلقها في عدتها قبل ان يراجعها ومن طلق امراته في كل طهر مرة بنت ولم تستانف وقال مالك اذا فارقها قبل ان يمسها لا تبني على ما مضى من عدتها وانها تنشي من يوم طلقها عدة مستقبلة وقد ظلم زوجها نفسه واخطا ان كان ارتجعها ولا حاجة له بها وعلى هذا اكثر اهل العلم لانها في حكم الزوجات المدخول بهن في النفقة والسكنى وغير ذلك ولذلك تستانف العدة من يوم طلقت وهو قول جمهور فقها البصرة والكوفة ومكة والمدينة والشام وقال الثوري اجمع الفقها عندنا على ذلك **الخامسة** فلو كانت باينة غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول فقد اختلفوا في ذلك ايضا فقال الشافعي ومالك وزفر وعثمان البتي لها نصف الصداق وتتم بقية العدة الاولى وهو قول الحسن وعطا وعكرمة وابن شهاب وقال ابو حنيفة وابو يوسف والثوري والاوزاعي لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة جعلوها في حكم المدخول بها لاعتدادها من مايه وقال داود لها نصف الصداق وليس عليها بقية العدة الاولى ولا عدة مستقبلة والاولى ما قاله مالك والشافعي والله اعلم **السادسة** هذه الاية مخصصة لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولقوله واللاي يئسن من المحيض من نسايكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر وقد مضى في البقرة ومضى فيها الكلام في المتعة فاغنى عن الاعادة هنا وسرحوهن سراحا جميلا فيه وجهان احدهما انه دفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة قاله ابن عباس الثاني انه طلاقها طاهرا من غير جماع قاله قتادة وقيل فسرحوهن بعد الطلاق

اذا قال كل امراة اتزوجها وكل عبد اشتريه

الي اهلهن فلا يجتمع الرجل والمطلقة في موضع واحد **السابعة** قوله تعالى فمتعوهن قال سعيد هي منسوخة بالاية التي في البقرة وهي قوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي فلم يذكر المتعة وقد مضى هذا في البقرة مستوفى وقوله سرحوهن طلقوهن والتسريح كناية عن الطلاق عند ابي حنيفة لانه يستعمل في غيره فيحتاج الى النية وعند الشافعي صريح وقد مضى في البقرة القول فيه فلا معنى للاعادة جميلا بسنة من غير بدعة **قوله تعالى** يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما فيه تسع عشرة مسالة **الاولى** روى السدي عن ابي صالح عن ام هاني بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقا خرجه ابو عيسى وقال هذا حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه قال ابن العربي وهذا ضعيف جدا ولم يات هذا الحديث من طريق صحيح يحتج بها **الثانية** لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنه حرم عليه التزوج بغيرهن والاستبدال بهن مكافاة لهن على فعلهن والدليل على ذلك قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد الاية وهل كان يحل له ان يطلق واحدة منهن بعد ذلك فقيل لا يحل له ذلك جزاء لهن على اختيارهن له وقيل كان يحل له ذلك كغيره من الناس ولكن لا يتزوج بدلها ثم نسخ هذا التحريم فاباح له ان يتزوج بمن شا عليهن من النسا والدليل عليه قوله انا احللنا لك ازواجك والاحلال يقتضي تقدم حظر وزوجاته اللاتي في حياته لم تكن محرمات عليه وانما كان حرم عليه التزوج بالاجنبيات فانصرف الاحلال اليهن ولانه قال في سياق الاية وبنات عمك الاية ومعلوم انه لم يكن تحته احد من بنات عمه ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته فثبت انه احل له التزوج بهذا ابتداء وهذه الاية وان كانت متقدمة في التلاوة فهي متاخرة النزول على الاية المنسوخة بها كاية الوفاة في البقرة وقد اختلف الناس في تاويل قوله تعالى احللنا لك ازواجك فقيل المراد بها ان الله تعالى احل له ان يتزوج كل امراة يوتيها مهرها قاله ابن زيد والضحاك فعلى هذا تكون الاية مبيحة جميع النساء حاشى ذوات المحارم وقيل المراد احللنا لك ازواجك اي الكاينات عندك لانهن قد اخترنك على الدنيا والاخرة قاله الجمهور من العلما وهو الظاهر لان قوله اتيت ماض ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال الا بشروط ويجي الامر على هذا التاويل ضيقا على النبي صلى الله عليه وسلم ويويد هذا التاويل ما قاله ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج في اي الناس شاء وكان يشق على نسايه فلما نزلت هذه الاية وحرم عليه بها النساء الا من سمى سر نساوه بذلك والقول الاول اصح لما ذكرناه ويدل ايضا على صحته ما خرجه الترمذي عن عطا قال قالت عايشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا قال هذا حديث حسن صحيح **الثالثة** قوله تعالى وما ملكت يمينك احل الله السراري لنبيه صلى الله عليه وسلم ولامته مطلقا واحل الازواج لنبيه صلى الله عليه وسلم مطلقا واحله للخلق بعدد وقوله مما افاء الله عليك اي رده عليك من الكفار والغنيمة قد تسمى فيا اي مما افاء الله عليك من النسا الماخوذة على وجه القهر والغلبة **الرابعة** قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك اي احللنا لك ذلك زايدا من الازواج اللاتي اتيت اجورهن على قول الجمهور لانه لو اراد احللنا لك كل امراة تزوجت واتيت اجرها لما قال بعد ذلك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم قلت وهذا لا يلزم وانما خص هولاء بالذكر تشريفا لهن كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان والله اعلم **الخامسة** قوله تعالى اللاتي هاجرن معك فيه قولان الاول لا يحل لك النساء من قرابتك كبنات عمه العباس وغيره من اولاد عبد المطلب وبنات اولاد بنات عبد المطلب وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف بن زهرة الا من اسلم لقوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه الثاني لا يحل لك منهن من هاجر الى المدينة لقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا ومن لم يهاجر لم يكمل ومن لم يكمل لم يصلح للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كمل وشرف وعظم صلى الله عليه وسلم **السادسة** قوله تعالى معك المعية هنا الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة

فيها لمن هاجر حاله كان في صحبته اذ هاجرا ولم يكن بنا لا دخل فلان معي وخرج معي اي كان عمله كعملي وان لم يكن
لو يفيتون فيه عملكما ولو قلت خرجنا معًا لاقتضي ذلك المعنيين جميعًا الاشتراك في الفعل والاقتران
السابعة ذكر الله عز وجل العم فردًا والعمات جمعًا وكذلك قال خالك وخالاتك والحكمة في ذلك ان
العم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز وليس كذلك العمة والخالة وهذا عرف لغوي فجا الكلام
عليه بغاية البيان لرفع الاشكال قاله وهذا دقيق فتاملوه قاله ابن العربي الثامنة
قوله تعالى وامراة مومنة عطف على واحللنا امراة وهبت نفسها من غير صداق وقد اختلف في هذا المعني فروي
عن ابن عباس انه قال لم يكن عند رسول الله صلي الله عليه وسلم المراة الا بعقد نكاح او ملك يمين فاما الهبة
فلم يكن عنده منهن احد وقال قوم بلي كانت عنده موهوبة قلت والذي في الصحيحين يقوي هذا القول ويعضده
روي مسلم عن عايشة انها قالت كنت اغار علي اللاي وهبن انفسهن لرسول الله صلي الله عليه وسلم واقول
اما تستحيي امراة تهب نفسها لرجل حتي انزل الله ترجي من تشا منهن وتووي اليك من تشا فقلت
والله ما اري ربك الا يسارع في هواك وروي البخاري عن عايشة انها قالت كانت خوله بنت حكيم من اللاي
وهبن انفسهن لرسول الله صلي الله عليه وسلم فدل هذا انهن كن غير واحدة والله اعلم الزمخشري قيل
الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت
جابر وخوله بنت حكيم قلت وفي بعض هذا اختلاف قال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال الشعبي هي زينب
بنت خزيمة ام المساكين امراة من الانصار وقال علي ابن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر
الاسدية وقال عروة بن الزبير ام حكيم بنت الاوقص السلمية التاسعة وقد اختلف في اسم الواهبة
نفسها فقيل هي ام شريك الانصارية اسمها عزية وقيل عزيله وقيل ليلي بنت حكيم وقيل هي ميمونة بنت الحارث
حين خطبها رسول الله صلي الله عليه وسلم فجاءها الخاطب وهي علي بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله
صلي الله عليه وسلم وقيل هي ام شريك العامرية وكانت عند ابي العكر الازدي وقيل عند الطفيل ابن الحارث
فولدت له شريكا وقيل ان رسول الله صلي الله عليه وسلم تزوجها ولم يثبت ذلك والله اعلم ذكره ابو عمر بن عبد
البر وقال الشعبي وعروة وهي زينب بنت خزيمة ام المساكين والله اعلم العاشرة ذهب جمهور الناس الي ان
وهبت بكسر الالف وهذا يقتضي استيناف الامر اي ان وقع فهو حلال له وقد روي عن ابن عباس ومجاهد انهما قالا
لم يكن عند النبي صلي الله عليه وسلم امراة موهوبة وقد دللنا علي خلافه وروي الايمة من طريق سهل وغيره
في الصحاح ان امراة قالت للنبي صلي الله عليه وسلم جيت اهب لك نفسي فسكت حتي قام رجل فقال زوجنيها
ان لم يكن لك بها حاجة فلو كانت هذه الهبة غير جايزة لما سكت رسول الله صلي الله عليه وسلم لانه لا يقر علي
الباطل اذا سمعه غير انه يحتمل ان يكون سكوته منتظرًا بيانا فنزلت الاية بالتحليل والتخيير فاختار تركها
وزوجها من غيره ويحتمل ان يكون سكت ناظرًا في ذلك حتي قام الرجل لها طالبا وقرا الحسن البصري وابي
بن كعب والشعبي ان وهبت بفتح الالف وقرا الاعمش وامراة مومنة وهبت قال النحاس وكسر ان اجمع للمعاني
لانه قيل انهن نسا واذا فتح كان المعني علي واحدة بعينها لان الفتح علي البدل من امراة او بمعني لان الحادية
عشرة قوله تعالى مومنة يدل علي ان الكافرة لا تحل له قال امام الحرمين وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة
عليه قال ابن العربي والصحيح عندي تحريمها عليه وبهذا يتميز علينا فانه من كان من جانب الفضايل والكرامة
فحظه فيه اكبر وما كان من جانب النقايص فجانبه عنها اطهر فجوز لنا نكاح الحراير الكتابيات وقصر هو
صلي الله عليه وسلم لجلالته علي المومنات واذا كان لا يحل له من لم يهاجر لنقصان الهجرة فاحري ان لا يحل له
الكتابية الكافرة لنقصان الكفر الثانية عشرة قوله تعالى ان وهبت نفسها دليل علي ان النكاح
عقد معاوضة علي صفات مخصوصة قد تقدمت في النسا وغيرها وقال الزجاج معني ان وهبت نفسها
للنبي اي ان وهبت نفسها للنبي حلت وقرا الحسن ان وهبت بفتح الهمزة وان في موضع نصب قال الزجاج اي
لان وقال غيره ان وهبت بدل الاشتمال من امراة الثالثة عشرة قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها
اي اذا وهبت المراة نفسها وقبلها النبي صلي الله عليه وسلم حلت له وان لم يقبلها لم يلزم ذلك كما اذا وهب
لرجل شيا فلا يجب عليه القبول بيد ان مكارم الاخلاق يبينا ان تقبل من الواهب هبته ويري الاكارم
ان ردها هجنة في العادة ووصمة علي الواهب واذاية في قلبه فبين الله ذلك في حق رسوله وجعله قرانا
يتلي ليرفع عنه الحرج ويبطل بطل الناس في عادتهم وقولهم الرابعة عشرة قوله تعالى خالصة لك من دون

تجوز لنا نكاح الحراير الكتابيات

المومنين اي هبة النسا انفسهن خالصة ومزية لا تجوز فلا يجوز ان تهب المراة نفسها لرجل ووجه الخاصة انها لو
طلبت فرض المهر قبل الدخول لم يكن لها ذلك فاما في ما بيننا فللمفوضة طلب المهر قبل الدخول ومهر المثل
بعد الدخول الخامسة عشرة اجمع العلما علي ان هبة المراة نفسها غير جايز وان هذا اللفظ من الهبة لا يتم
عليه نكاح الاما وروي عن ابي حنيفة وصاحبه فانهم قالوا اذا وهبت فاشهد هو علي نفسه بمهر فذلك
جايز قال ابن عطية فليس في قولهم الا تجويز العبارة ولفظة الهبة والا فالافعال التي اشترطوها هي افعال النكاح
بعينه وقد تقدمت هذه المسالة في القصص مستوفاة والحمد لله السادسة عشرة خص الله رسوله
في احكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها احد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزية علي الامة وهبت له ومرتبة خص
بها ففرضت عليه اشيا ما فرضت علي غيره وحرمت عليه افعال لم تحرم عليهم وحللت له اشيا لم تحلل لهم منها متفق
عليه ومختلف فيه فاما ما فرض عليه فتسعة الاول التهجد بالليل الثاني الضحي الثالث الاضحي الرابع الوتر وهو
يدخل في قسم التهجد الخامس السواك السادس قضاء دين من مات معسرًا السابع مشاورة ذوي الارحام
في غير الشرايع الثامن تخيير النسا التاسع اذا عمل عملا اثبته واما ما حرم عليه فجملته عشرة الاول
تحريم الزكاة عليه وعلي اله الثاني صدقة التطوع عليه وفي اله تفصيل باختلاف الثالث خاينة الاعين
وهو ان يظهر خلاف ما يضمر او ينخدع عما يجب وقد ذم بعض الكفار عند اذنه ثم الان له القول عند دخوله
الرابع حرم عليه اذا لبس لامته ان يخلعها عنه او يحكم الله بينه وبين محاربه الخامس الاكل متكيًا السادس
اكل الاطعمة الكريهة الرايحة السابع التبدل بازواجه وسياتي الثامن نكاح امراة تكره صحبته
التاسع نكاح الحرة الكتابية العاشر نكاح الامة وحرم الله عليه اشيا لم يحرمها علي غيره تنزيها له وتطهيرًا
فحرم عليه الكتابة وقول الشعر وتعليمه تاكيدًا لحجته وبيانا لمعجزته قال الله وما كنت تتلوا من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وذكر النقاش ان النبي صلي الله عليه وسلم ما مات حتي
كتب والاول هو المشهور وحرم عليه ان يمد عينيه الي ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك
الي ما متعنا به ازواجا الاية واما ما احل الله له صلي الله عليه وسلم فجملته ستة عشر الاول صفي المغنم الثاني
الاستبداد بخمس الخمس او الخمس الثالث الوصال الرابع الزيادة علي اربع نسوة الخامس النكاح بلفظ الهبة
السادس النكاح بغير ولي السابع النكاح بغير صداق الثامن نكاحه في حالة الاحرام التاسع سقوط
القسم بين الازواج عنه وسياتي العاشر اذا وقع بصره علي امراة وجب علي زوجها طلاقها وحل له
نكاحها قال ابن العربي هكذا قال امام الحرمين وقد مضي ما للعلما في قصة زيد من هذا المعني الحادي
عشر انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها الثاني عشر دخوله مكة بغير احرام وفي حقنا فيه اختلاف
الثالث عشر القتال بمكة الرابع عشر انه لا يورث وانما ذكر هذا في قسم التحليل لان الرجل اذا قارب
الموت فالمرض زال عنه اكثر ملكه ولم يبق له الا الثلث خالصا وبقي ملك رسول الله صلي الله عليه
وسلم علي ما تقرر بيانه في اية المواريث وسورة مريم بيانه ايضا الخامس عشر بقاء زوجيته من بعد الموت
السادس عشر اذا طلق امراة تبقي حرمته عليها فلا تنكح وهذه الاقسام الثلاثة تقدم معظمها مفصلا
في مواضعها وياتي ان شا الله السابع عشر قوله تعالى ان يستنكحها اي ينكحها يقال نكح واستنكح مثل عجب
واستعجب وعجل واستعجل ويجوز ان يرد الاستنكاح بمعني طلب النكاح او طلب الوطي وخالصة
نصب علي الحال قاله الزجاج وقيل حال من ضمير متصل بفعل مضمر دل عليه المضمر تقديره احللنا
لك ازواجك واحللنا لك امراة مومنة احللناها خالصة بلفظ الهبة وبغير صداق الثامنة عشرة
قوله تعالى من دون المومنين فايدته ان الكفار وان كانوا مخاطبين بفروع الشريعة عندنا فليس لهم
في ذلك دخول لان تصرف الاحكام انما يكون فيهم علي تقدير الاسلام قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم
في ازواجهم اي ما اوجبنا علي المومنين وهو ان لا يتزوجوا الا اربع نسوة بمهر وبينة وولي قال معناه ابي
ابن كعب وقتادة وغيرهما التاسعة عشرة قوله لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق في امر انت فيه محتاج
الي السعة اي بينا هذا البيان وشرحنا هذا الشرح لكي لا يكون عليك حرج فلكيلا متعلقة بقوله انا احللنا لك
ازواجك اي فلا يضيق قلبك حتي يظهر منك انك قد اثمت عند ربك في شي ثم انس تعالي جميع المومنين
بغفرانه ورحمته فقال تعالى وكان الله غفورًا رحيما قوله تعالى ترجي من تشا منهن وتووي
اليك من تشا ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادني ان تقر اعينهن ولا يحزن

لك

وترضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما فيه احدي عشرة
مسالة الاولي قوله تعالي ترجي من تشا منهن وتؤوي اليك قري مهموزا او غير مهموز وهما لغتان يقال
ارجيت الامر وارجاته اذا اخرته وتؤوي تضم يقال اوي اليه ممدودة الالف ضم اليه واوي مقصورة الا
انضم اليه الثانية واختلف العلما في تاويل هذه الاية واصح ما قيل فيها التوسعة علي النبي صلي الله عليه
وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته وهذا القول هو الذي يناسب ما مضي وهو الذي
ثبت معناه في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اغار علي اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلي الله عليه
وسلم واقول وتهب المراة نفسها للرجل فلما انزل الله عز وجل ترجي من تشا منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن
ابتغيت ممن عزلت فلا جناح قالت قلت والله ما اري ربك الا يسارع في هواك قال ابن العربي هذا الذي
ثبت في الصحيح هو الذي ينبغي ان يعول عليه والمعني المراد هو ان النبي صلي الله عليه وسلم كان مخيرا في
ازواجه ان شا ان يقسم قسم وان شا ان يترك القسم ترك فخص النبي صلي الله عليه وسلم بان جعل الامر اليه فيه
لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون فرض ذلك عليه تطييبا لنفوسهم وصونا لهن عن اقوال الغيرة التي تؤدي
الي ما لا ينبغي وقيل كان واجبا علي النبي صلي الله عليه وسلم ثم نسخ الوجوب عنه بهذه الاية وقيل المراد الواهبات
روي مسلم عن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها في قوله ترجي من تشاء منهن قالت هذا في الواهبات
انفسهن قال الشعبي هن الواهبات انفسهن تزوج رسول الله صلي الله عليه وسلم منهن وترك منهن وقال
الزهري ما علمنا ان النبي صلي الله عليه وسلم ارجا احدا من ازواجه بل اواهن كلهن قال ابو رزين كان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قد هم بطلاق بعض نسايه فقلن له اقسم لنا ما شيت فكان ممن اوي عايشة وحفصة
وام سلمة وزينب فكانت قسمتهن من نفسه وماله سوا بينهن وكان ممن ارجي سودة وجويرية وام حبيبة
وميمونة فكان يقسم لهن ما شاء وقال ابن عباس وغيره المعني في طلاق من شا ممن حصل في عصمته وامساك
من شا وقيل غير هذا وعلي كل معني فالاية معناها التوسعة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم والاباحة
وما اخترناه اصح والله اعلم الثالثة ذهب هبة الله في الناسخ والمنسوخ الي ان قوله ترجي من تشاء منهن
الاية ناسخ لقوله تعالي لا يحل لك النساء من بعد الاية وقال ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ سوي
هذا وكلامه يضعف من جهة وفي البقرة عدة المتوفي عنها اربعة اشهر وعشر وهو ناسخ للحول وقد
تقدم عليه الرابعة قوله تعالي ومن ابتغيت ممن عزلت ابتغيت طلبت والابتغا الطلب والعزل الازالة
والعزلة الازالة اي اردت ان تؤوي اليك امراة ممن عزلتهن من القسمة وتضمها اليك فلا باس عليك في ذلك
وكذلك حكم الارجا فدل احد الطرفين علي الثاني الخامسة قوله تعالي فلا جناح عليك اي لا ميل يقال
جنحت السفينة اي مالت الي الارض اي لا ميل عليك باللوم والتوبيخ السادسة قوله تعالي ذلك ادني ان
تقر اعينهن قال قتادة وغيره اي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن ادني الي رضاهن اذ كان من عندنا لا
من عندك لانهن اذا علمن ان العدل من الله قرت اعينهن بذلك ورضين لان المرء اذا علم انه لا حق له في شي كان
راضيا بما اوتي منه وان قل وان علم ان له حقا لم يقنعه ما يؤتي منه واشتدت غيرته عليه وعظم استقراره
فيه فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض الامر اليه في احوال ازواجه اقرب الي رضاهن معه
والي استقرار اعينهن بما يسمح به لهن دون ان يتعلق قلوبهن باكثر منه وقري تقر اعينهن بضم التاء
ونصب الاعين وتقر اعينهن علي البنا للمفعول وكان عليه السلام مع هذا يشدد علي نفسه في رعاية التسوية
بينهن تطييبا لنفوسهن كما قدمناه ويقول اللهم هذه قدرتي فيما املك ولا تلمني فيما تملك ولا املك
يعني قلبه لايثاره عايشة دون ان يكون يظهر ذلك في شي من فعله وكان في مرضه الذي توفي فيه يطاف
به محمولا علي بيوت ازواجه الي ان استحللهن ان يقيم في بيت عايشة قالت عايشة اول ما اشتكي رسول الله
صلي الله عليه وسلم في بيت ميمونة فاستاذن ازواجه ان يمرض في بيتها يعني بيت عايشة فاذن له الحديث
خرجه الصحيح وفي الصحيح ايضا عن عايشة قالت ان كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ليتفقد يقول اين
انا اليوم اين انا غدا استبطا ليوم عايشة قالت فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري صلي الله عليه
وسلم السابعة علي الرجل ان يعدل بين نسايه لكل واحدة منهن يوما وليلة هذا قول عامة العلما وذهب
بعضهم الي وجوب ذلك في الليل دون النهار ولا يسقط حق الزوجة مرضها ولا حيضها ويلزمه المقام عندها
في يومها وليلتها وعليه ان يعدل بينهن في مرضه كما يفعل في صحته الا ان يعجز عن الحركة فيقيم حيث غلب عليه

اللهم هذه قسمتي فيما املك ولا تلمني فيما تملك ولا املك

المرض فاذا صح استانف القسم والاما والحراير والكتابيات والمسلمات في ذلك سوا قال عبد الملك للحرة
ليلتان وللامة ليلة واما السراري فلا قسم بينهن وبين الحراير ولا حظ لهن فيه الثامنة ولا يجمع بينهن في
منزل واحد الا برضاهن ولا يدخل لاحداهن في يوم الاخري وليلتها لغير حاجة واختلف في دخوله لحاجة
وضرورة فالاكثرون علي جوازه مالك وغيره وفي كتاب ابن حبيب منعه وروي ابن بكير عن مالك عن يحيي
بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له امراتان فاذا كان يوم هذه لم يشرب من بيت الاخري الما قال ابن بكير
وحدثنا مالك عن يحيي بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له امراتان ماتتا في الطاعون فاسهم بينهما ايهما
تدلي اول التاسعة قال مالك ويعدل بينهن في النفقة والكسوة اذا كن معتدلات الحال ولا يلزم ذلك
في المختلفات المناصب واجاز مالك ان يفضل احداهما في الكسوة علي غير وجه الميل فاما الحب والبغض فخارجان
عن الكسب فلا يتاتي العدل فيهما وهو المعني بقوله عليه السلام في قسمته اللهم هذا فعلي فيما املك فلا تلمني
فيما تملك ولا املك اخرجه النساي وابو داود عن عايشة رضي الله عنها وفي كتاب ابي داود يعني القلب واليه
الاشارة بقوله تعالي ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وقوله والله يعلم ما
في قلوبكم وهذا هو وجه تخصيصه بالذكر هنا تنبيها منه لنا علي انه يعلم ما في قلوبنا من ميل بعضنا الي بعض من
عندنا من النسا دون بعض وهو العالم بكل شي لا يخفي عليه شي في الارض ولا في السما يعلم السر واخفي لكنه
سمح في ذلك اذ لا يستطيع العبد ان يصرف قلبه عن ذلك الميل والي ذلك يعود قوله وكان الله غفورا رحيما
وقد قيل في قوله ذلك ادني ان تقر اعينهن وهي العاشرة اي ذلك اقرب ان لا يحزن اذا لم يجمع احداهن
مع الاخري وتعاين الاثرة والميل وروي ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان
فمال الي احداهما جا يوم القيامة وشقه مايل ويرضين بما اتيتهن كلهن توكيد للمضمر اي ويرضين كلهن وقال
ابو حاتم والزجاج ويرضين بما اتيتهن كلهن علي التوكيد للمضمر الذي في اتيتهن والفرا لا يجيزه لان المعني
ليس عليه اذ كان المعني وترضي كل واحدة منهن وليس المعني بما اعطيتهن كلهن النحاس والذي قاله حسن
الحادية عشرة قوله تعالي والله يعلم ما في قلوبكم خبر عام والاشارة الي ما في قلب رسول الله صلي الله عليه وسلم
من محبة شخص دون شخص ولذلك يدخل في المعني ايضا المؤمنون وفي البخاري عن عمرو بن العاص ان النبي صلي
الله عليه وسلم بعثه علي جيش ذات السلاسل فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عايشة فقلت من الرجال
فقال ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا وقد تقدم القول في القلب بما فيه كفاية في اول البقرة
وفي اول هذه السورة يروي ان لقمان الحكيم كان عبدا نجارا قال له سيده اذبح شاة وايتني باطيبها بضعتين
فاتاه بالقلب واللسان ثم امره بذبح شاة اخري فايتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي اخبثها بضعتين
فالقيت اللسان والقلب فقال ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قوله تعالي
لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك
وكان الله علي كل شي رقيبا فيه سبع مسايل الاولي اختلف العلما في تاويل قوله لا يحل لك النساء من
بعد علي اقوال سبعة الاول انها منسوخة بالسنة والناسخ لها حديث عايشة قالت ما مات رسول الله صلي الله عليه
وسلم حتي احل له النسا وقد تقدم الثاني انها منسوخة باية اخري روي الطحاوي عن ام سلمة قالت لم يمت رسول الله
صلي الله عليه وسلم حتي احل الله له ان يتزوج من النسا من شا الا ذات محرم وذلك قول الله عز وجل ترجي من تشاء
منهن وتؤوي اليك من تشا قال النحاس وهذا والله اعلم اولي ما قيل في الاية وهو قول عايشة واحد في النسخ
وقد يجوز ان تكون عايشة ارادت احل له ذلك بالقران وهو مع هذا قول علي ابن ابي طالب وابن عباس وعلي
بن ابي طالب والحسين والضحاك وقد عارض بعض فقها الكوفيين فقال محال ان تنسخ هذه الاية يعني ترجي من
تشاء منهن لا يحل لك النساء من بعد وهي قبلها في المصحف الذي اجمع عليه المسلمون ورجح قول من قال نسخت
بالسنة قال النحاس وهذه المعارضة لا تلزم وقايلها غالط لان القران بمنزلة سورة واحدة كما صح عن ابن
عباس انزل الله القران جملة واحدة الي السما الدنيا في شهر رمضان وتبين لك ان اعتراض هذا لا يلزم
قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الي الحول غير منسوخة علي قول
اهل التاويل لا يعلم بينهم خلافا بالاية التي قبلها والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا الثالث انه صلي الله عليه وسلم حظر عليه ان يتزوج علي نسايه لانهن اخترن الله ورسوله
والدار الاخرة هذا قول الحسن وابن سيرين وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال النحاس

وهذا القول يجوز ان يكون هكذا ثم نسخ الرابع انه لما حرم عليهن ان يتزوجن بعده حرم عليه ان يتزوج غيرهن قاله ابو امامة بن سهل بن حنيف الخامس لا يحل لك النسا من بعد اي من بعد الاصناف التي سميت قاله ابي ابن كعب وعكرمة وابو رزين وهو اختيار محمد بن جرير ومن قال بان الاباحة كانت له مطلقة قال هنا لا يحل لك النسا معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات وهذا تاويل فيه بعد وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ايضا وهو القول السادس قال مجاهد لئلا تكون كافرة اما للمومنين وهذا القول يبعد لانه يقدره من بعد المسلمات ولم يجز للمسلمات ذكر وكذلك قدر ولا ان تبدل بهن اي ولا ان يطلق مسلمة لتستبدل بها كتابية السابع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له حلالا ان يتزوج من شا ثم نسخ ذلك بقوله قال وكذلك كانت الانبيا قبله صلى الله عليه وسلم قاله محمد بن كعب القرظي **الثانية** قوله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج قال ابن زيد هذا شي كانت العرب تفعله يقول احدهم خذ زوجتي واعطني زوجتك روى الدارقطني عن ابي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي وازيدك فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة فدخل بغير اذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة فاين الاستيذان فقال يا رسول الله ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت قال من هذه الحميرا الي جنبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عايشة ام المومنين قال افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال يا عيينة ان الله قد حرم ذلك قال فلما خرج قالت عايشة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقد انكر الطبري والنحاس وغيرهما ما حكاه ابن زيد عن العرب من انها كانت تبادل بازواجها قال الطبري وما فعلت العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة بن حصن من انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة الحديث فليس بتبديل ولا اراد ذلك وانما احتقر عايشة لانها كانت صبية فقال هذا القول قلت وما ذكرناه من حديث زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي هريرة من ان البدل كان في الجاهلية يدل على خلاف ما انكر من ذلك والله اعلم قال المبرد وقري لا تحل بالتاء والياء فمن قرا بالتاء فعلى معنى جماعة النسا وبالياء من تحت على معنى جميع النسا وزعم الفرا قال اجتمعت القراء على القراءة بالياء وهذا غلط وكيف يقال اجتمعت القراء وقد قرا ابو عمرو بالتاء بلا اختلاف عنه **الثالثة** قوله تعالى ولو اعجبك حسنهن قال ابن عباس نزل ذلك بسبب اسما بنت عميس اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات عنها جعفر بن ابي طالب حسنها فاراد ان يتزوجها فنزلت الاية وهذا حديث ضعيف قاله ابن العربي **الرابعة** في هذه الاية دليل على جواز ان ينظر الرجل الى من يريد زواجها وقد اراد المغيرة بن شعبة زواج امراة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه احرى ان يودم بينكما وقال عليه السلام لاخر انظر اليها فان في اعين الانصار شيا اخرجه الصحيح قال الحميدي وابو الفرج الجوزي يعني صفرا او زرقا وقيل رمصا **الخامسة** الامر بالنظر الى المخطوبة انما هو على جهة الارشاد الى المصلحة فانه اذا نظر اليها فلعله يرى منها شيا ما يرغبه في نكاحها ومما يدل على ان الامر على جهة الارشاد ما ذكره ابو داود من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر منها الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل فقوله فان استطاع فليفعل لا يقال مثله في الواجب وبهذا قال جمهور الفقها مالك والشافعي والكوفيون وغيرهم واهل الظاهر وقد كره ذلك قوم لا مبالاة بقولهم للاحاديث الصحيحة وقوله تعالى ولو اعجبك حسنهن وقال سهل بن ابي حثمة رايت محمد بن مسلمة يطارد بثبيتة بنت الضحاك على اجار من اجاجير المدينة فقلت له اتفعل هذا فقال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا القى الله في قلب احدكم خطبة امراة فلا باس ان ينظر اليها **السادسة** اختلف فيما يجوز ان ينظر منها فقال مالك ينظر الى وجهها وكفيها ولا ينظر الا باذنها وقال الشافعي واحمد باذنها وبغير اذنها اذا كانت مستترة وقال الاوزاعي ينظر اليها ويجتهد وينظر مواضع اللحم منها قال داود ينظر الى سائر جسدها تمسكا بظاهر اللفظ واصول الشريعة ترد عليه في تحريم الاطلاع على العورة والله اعلم **السابعة** قوله تعالى الا ما ملكت يمينك اختلف العلما في احلال الامة الكافرة للنبي صلى الله عليه وسلم على قولين تحل لعموم قوله الا ما ملكت يمينك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وعطا والحكم قالوا قوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد اي لا يحل لك النسا من غير المسلمات فاما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك اي لا يحل لك ان تتزوج كافرة تكون اما للمومنين ولو اعجبك حسنها الا ما ملكت يمينك فان له ان يتسرى بها القول الثاني لا تحل تنزيها لقدره عن مباشرة الكافرة وقد قال تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر فكيف به صلى الله عليه وسلم وما في قوله الا ما ملكت يمينك في موضع رفع بدل من النسا ويجوز ان تكون في موضع نصب على استثنا وفيه ضعف ويجوز ان تكون مصدرية والتقدير الا ملك يمينك وملك بمعنى مملوك وهو في موضع نصب لانه استثنا من غير الجنس الاول

قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا الى قوله ان ذلكم كان عند الله عظيما فيه ست عشرة مسالة

الاولى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم ان في موضع نصب على معنى الا بان يوذن لكم او يكون الا استثنا ليس من الاول الى طعام غير ناظرين اناه نصب على الحال اي لا تدخلوا في هذه الحال ولا يجوز في غير الخفض على النعت للطعام لانه لو كان نعتا لم يكن بد من اظهار الفاعلين وكان يقول غير ناظرين اناه انتم ونظير هذا من النحو هذا رجل مع رجل ملازم له وان شيت قلت هذا رجل مع رجل ملازم له هو وان في موضع نصب على معنى الا بان يوذن لكم او يكون الا استثنا ليس من الاول وهذه الاية تضمنت قصتين احديهما الادب في امر الطعام والجلوس والثانية امر الحجاب وقال حماد بن زيد هذه الاية نزلت في الثقلا فاما القضية الاولى فالجمهور من المفسرين على ان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش امراة زيد اولم عليها فدعا الناس فلما طعموا جلس منهم طوايف يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته مولية وجهها الى الحايط فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس فما ادري انا اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم ان القوم قد خرجوا او اخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب قال ووعظ القوم بما وعظوا به وانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى قوله ان ذلكم كان عند الله عظيما اخرجه الصحيح وقال قتادة ومقاتل في كتاب الثعلبي ان هذا السبب جرى في بيت ام سلمة والاول الصحيح كما رواه الصحيح وقال ابن عباس نزلت في ناس من المومنين كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل ان يدرك الطعام فيقعدون الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وقال اسمعيل بن ابي حكيم وهذا ادب ادب الله به الثقلا وقال ابن ابي عايشة في كتاب الثعلبي حسبك من الثقلا ان الشرع لم يحتملهم واما قصة الحجاب فقال انس بن مالك وجماعة سببها امر القعود في بيت زينب القصة المذكورة انفا وقالت عايشة وجماعة سببها ان عمر قال قلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت هذه الاية وروي في الصحيح عن ابن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلث في مقام ابرهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر هذا اصح ما قيل في امر الحجاب وما عدا هذين القولين من الاقوال والروايات فواهية لا يقوم شي منها على ساق واضعفها ما روي عن ابن مسعود ان عمر امر نسا النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب بنت جحش يا ابن الخطاب انك تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فانزل الله تعالى واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من ورا حجاب وهذا باطل لان الحجاب نزل يوم البنا بزينب كما بيناه اخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصاب يد رجل منهم يد عايشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت اية الحجاب قال ابن عطية وكانت سيرة القوم اذا كان لهم طعام او وليمة او نحوه ان يبكر من يشا من الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك اذا فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله المومنين عن امثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في النهي ساير المومنين والتزم الناس ادب الله تعالى لهم في ذلك فمنعهم من الدخول الا باذن عند الاكل لا قبله لانتظار نضج الطعام **الثانية** في قوله تعالى بيوت النبي دليل على ان البيت للرجل ويحكم له به فان الله اضافه له فان قيل فقد قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله الاية قلنا اضافة البيوت الى النبي اضافة ملك واضافة البيوت الى الازواج اضافة محل بدليل انه جعل فيها الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم والاذن انما يكون للمالك **الثالثة** واختلف العلما في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان يسكن فيها اهله بعد موته هل هي ملك لهن ام لا على قولين فقالت طايفة كانت ملكا لهن بدليل انهن سكن فيها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاتهن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب لهن

جواز النظر الى من يريد زواجها

ذلك في حياته الثاني ان ذلك كان اسكانا كما يسكن الرجل اهله ولم يكن هبة وتمادي سكناهن بها الى الموت
وهذا هو الصحيح وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهم فان ذلك من مؤنتهن التي كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناها لهن كما استثنى لهن نفقاتهن حين قال لا تقتسم ورثتي دينارا ولا
درهما ما تركت بعد نفقة اهلي ومؤونة عاملي فهو صدقة هكذا قال اهل العلم قالوا ويدل على ذلك ان مساكنهن
لم يرثها عنهن ورثتهن قالوا ولو كان ذلك ملكا لهن كان لا شك قد ورثه عنهن ورثتهن قالوا وفي ترك ورثتهن
ذلك دليل على انها لم تكن لهن ملكا وانما كان لهن سكنى حياتهن فلما توفين جعل ذلك زيادة في المسجد الذي
يعم المسلمين نفعه كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مضين
لسبيلهن فزيد الى اصل المال فصرف في منافع المسلمين مما يعم جميعهم نفعه والله الموفق قوله تعالى غير ناظرين
اناه اي غير منتظرين اناه وقت نضجه واناه مقصور وفيه لغات اني بكسر الهمزة قال الشيباني

تمخضت المنون له بيوم ... اني ولكل حاملة تمام

وكسرى اذ تقسمه بنوه ... باسياف كما اقتسم اللحام

وقرا ابن ابي عبلة غير ناظرين مجرورا صفة لطعام الزمخشري وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن
حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي وانا بفتحها
وانا بفتح الهمزة والمد قال الحطيئة شعر

واخرت العشاء الى سهيل ... او الشعرى فطال بي الاناء

يعني الى طلوع سهيل واناه مصدر انى الشي يانى اذا فرغ وحان وادرك **الرابعة** قوله تعالى ولكن اذا
دعيتم فادخلوا فاكد المنع وحضر وقت الدخول بان يكون عند الاذن على جهة الادب وحفظ الحضرة
الكريمة من المباسطة المكروهة قال ابن العربي وتقدير الكلام ولكن اذا دعيتم واذن لكم في الدخول
فادخلوا والا فنفس الدعوة لا تكون اذنا كافيا في الدخول والفا في جواب اذا لازمة لما فيها معنى المجازاة
الخامسة قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا امر بعد الطعام بان يتفرق جمعهم وينتشروا والمراد الزام
الخروج من المنزل عند انقضا المقصود من الاكل والدليل على ذلك ان الدخول حرام وانما جاز لاجل
الاكل فاذا انقضى الاكل زال السبب المبيح وعاد التحريم الى اصله **السادسة** في هذه الاية دليل
على ان الضيف ياكل على ملك المضيف لا على ملك نفسه لانه قال فاذا طعمتم فلم يجعل له اكثر من الاكل ولا
اضاف اليهم سواه وبقي الملك على اصله **السابعة** قوله تعالى ولا مستانسين لحديث عطف على قوله غير
ناظرين وغير منصوبة على الحال من الكاف والميم في لكم اي غير ناظرين ولا مستانسين والمعنى المقصود
لا تمكثوا مستانسين بالحديث كما فعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب ان ذلكم كان
يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يمتنع من بيانه واظهاره ولما كان ذلك يقع من
البشر لعلة الاستحيا نفى عن العلة الموجبة لذلك في البشر وفي الصحيح عن ام سلمة قالت جات ام سليم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله لا يستحيي من الحق فهل على المراة من غسل اذا احتلمت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رات الماء **الثامنة** قوله تعالى واذا سالتموهن متاعا الاية
روى ابو داود الطيالسي عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في اربع الحديث وفيه قلت يا رسول
الله لو ضربت على نسائك الحجاب فانه يدخل عليهن البر والفاجر فانزل الله عز وجل واذا سالتموهن متاعا
فاسالوهن من وراء حجاب واختلف في المتاع فقيل ما يتمتع به من العواري وقيل فتوى وقيل صحف
القران والصواب انه عام في جميع ما يمكن ان يطلب من المواعين وساير المرافق للدين والدنيا
التاسعة في هذه الاية دليل على ان الله تعالى اذن في مسالتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض او مسالة
يستفتين فيها ويدخل في ذلك جميع النسا بالمعنى وبما تضمنته اصول الشريعة من ان المراة كلها عورة
بدنها وصوتها كما تقدم فلا يجوز كشف ذلك الا لحاجة كالشهادة عليها او داء يكون ببدنها او سوالها عما
يعرض وتعين عندها **العاشرة** استدل بعض العلما باخذ الناس عن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من
وراء حجاب على جواز شهادة الاعمى وبان الاعمى يطا زوجته بمعرفته بكلامها وعلى اجازة شهادته اكثر
العلما ولم يجزها ابو حنيفة والشافعي وغيرهما قال ابو حنيفة يجوز في الانساب وقال الشافعي لا يجوز
الا بما راه قبل ذهاب بصره **الحادية عشرة** قوله تعالى ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من الخواطر

امر بعد الطعام بان يتفرق جمعهم وينتشر

التي تعرض للرجال في امر النسا وللنساء في امر الرجال اي ذلك انفى للريبة وابعد للتهمة واقوى في الحماية وهذا يدل
على انه لا ينبغي لاحد ان يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبة ذلك احسن لحاله واحصن لنفسه واتم
لعصمته **الثانية عشرة** قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية هذا تكرار للعلة وتاكيد
لحكمها وتاكيد العلل اقوى في الاحكام **الثالثة عشرة** قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
روى اسمعيل بن اسحاق قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان رجلا قال لو قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عايشة فانزل الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا الاية ونزلت وازواجه امهاتهم وقال القشيري ابو نصر عبد الرحيم قال ابن عباس قال
رجل من سادات قريش من العشرة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على حرا في نفسه لو توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عايشة وهي بنت عمي قال مقاتل هو طلحة بن عبيد الله قال ابن عباس وندم هذا
الرجل على ما حدث به في نفسه فمشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة افراس في سبيل الله واعتق رقيقا فكفر
الله عنه وقال ابن عطية روي انها نزلت بسبب ان بعض الصحابة قال لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتزوجت عايشة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاذى به هكذا كنى عنه ابن عباس ببعض الصحابة
وحكى مكي عن معمر انه قال هو طلحة بن عبيد الله قلت وكذا حكى النحاس عن معمر انه طلحة ولا يصح قال ابن عطية
لله در ابن عباس وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله قال شيخنا الامام ابو العباس القرطبي وحكي هذا القول
عن فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله والكذب في نقله وانما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال
وروي ان رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة بعد ابي سلمة وحفصة
بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات لاجلنا السهام على نسائه فنزلت الاية
في هذا فحرم الله نكاح ازواجه من بعده وجعل لهن حكم الامهات وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه
وتنبيها على مرتبته صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رحمه الله وازواجه امهاتنا صلى الله عليه وسلم اللاتي مات
عنهن لا يحل لاحد نكاحهن ومن استحل ذلك كان كافرا لقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وقد قيل انما منع من التزوج بزوجاته لانهن ازواجه في الجنة وان المراة
في الجنة لاخر ازواجها قال حذيفة لامراته ان سرك ان تكوني زوجتي في الجنة ان جمعنا الله فيها فلا
تتزوجي من بعدي فان المراة لاخر ازواجها وقد ذكرنا ما للعلما في هذا في كتاب التذكرة من ابواب الجنة
الرابعة عشرة اختلف العلماء في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته هل بقين ازواجا ام زال النكاح
بالموت فيجب عليهن عدة ام لا فقيل عليهن العدة لانه توفي عنهن والعدة عبادة وقيل لا عدة عليهن
لانها مدة تربص لا ينتظر بها الاباحة وهو الصحيح لقوله عليه السلام ما تركت بعد نفقة عيالي وروي
اهلي وهذا اسم خاص بالزوجية فابقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن لكونهن نساءه وحرمن على
غيره وهذا هو معنى بقا النكاح وانما جعل الموت في حقه عليه السلام لهن بمنزلة المغيبة في حق غيره
لكونهن ازواجا له في الاخرة قطعا بخلاف ساير الناس لان الرجل لا يعلم كونه مع اهله في دار واحدة فربما كان
احدهما في الجنة والاخر في النار فبهذا انقطع السبب في حق الخلق وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد
قال صلى الله عليه وسلم زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الاخرة وقال عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع
الا سببي ونسبي فانه باق الى يوم القيامة **فرع** فاما زوجاته عليه السلام اللاتي فارقهن في حياته
مثل الكلبية وغيرها فهل كان يحل لغيره نكاحهن فيه خلاف والصحيح جواز ذلك لما روي ان الكلبية التي فارقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها عكرمة ابن ابي جهل على ما تقدم وقيل ان الذي تزوجها اشعث بن قيس
الكندي قال ابو الطيب الذي تزوجها مهاجر بن ابي امية ولم ينكر ذلك احد فدل على انه اجماع **الخامسة
عشرة** قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما يعني اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم او نكاح ازواجه
فجعل ذلك من جملة الكباير ولا ذنب اعظم منه **السادسة عشرة** قد بينا سبب نزول الحجاب من
حديث انس وقول عمر وكان يقول لسودة اذا خرجت وكانت امراة طويلة قد رايناك يا سودة حرصا
على ان ينزل الحجاب فانزل الله تعالى اية الحجاب ولا بعد في نزول الاية عند هذه الاسباب كلها
والله اعلم بيد انه قال لما ماتت زينب بنت جحش قال لا يشهد جنازتها الا ذو محرم منها مراعاة للحجاب
الذي نزل بسببها فدلته اسما بنت عميس على سترها في النعش في القبة واعلمته انها رات ذلك

فان المراة لآخر ازواجها

في بلاد الحبشة فصنعه عمر ورُدي ان ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما الباري سبحانه وتعالى عالم بما
بدا وما خفا وما كان وما لم يكن لا يخفى عليه ماض تقضى ولا مستقبل يأتي وهذا على العموم يمدح به وهو
اهل المدح والحمد لله والمراد هاهنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض به في الاية قبلها ممن اشير اليه
بقوله ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ومن اشير اليه في قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا فقيل لهم في هذه الاية ان الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر
المكروهة ويجازيكم عليها فصارت هذه الاية منعطفة على ما قبلها مبينة لها والله اعلم **قوله تعالى**
لا جناح عليهن في اباىهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت
ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا فيه ثلاث مسائل **الاولى** لما نزلت اية الحجاب
قال الاباء والابناء والاقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت
هذه الاية **الثانية** ذكر الله في هذه الاية من يحل للمراة البروز له ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان
مجرى الوالدين وقد يسمى العم قال الله تعالى نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق كان العم
قال ان جاء العم والخال ربما يصفان المراة لولديهما فان المراة لا تحل لابن العم وابن الخال فكره
لهما الروية وقد كره الشعبي وعكرمة ان تضع المراة خمارها عند عمها او خالها وقد ذكر في هذه الاية
بعض المحارم وذكر الجميع في سورة النور فهذه الاية بعض تلك فقد مضى الكلام هنالك مستوفى والحمد
لله **الثالثة** قوله تعالى واتقين الله لما ذكر تعالى الرخصة في هذه الاصناف وانجزمت الاباحة عطف
بامرهن بالتقوى عطف جملة وهذا في نهاية البلاغة والايجاز كانه قال اقتصرن على هذا واتقين الله
فيه ان تتعدينه الى غيره وخص النساء بالذكر وعينهن في هذا الامر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن
والله اعلم ثم توعد تعالى بقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا ان الله وملائكته
يصلون على النبي هذه الاية شرف الله تعالى بها رسوله عليه السلام حياته وموته وذكر منزلته منه وطهر بها
سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء او في ازواجه ونحو ذلك والصلاة من الله رحمة ورضوانه ومن
الملائكة الدعاء والاستغفار ومن الامة الدعاء والتعظيم لامره **مسئلة** واختلف العلماء في الضمير
في قوله يصلون فقالت فرقة الضمير فيه لله والملائكة وهذا قول من الله تعالى شرف به ملائكته فلا
يصحبه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اخرجه الصحيح قالوا لانه
ليس لاحد ان يجمع ذكر الله مع غيره في ضمير ولله ان يفعل في ذلك ما يشاء وقالت فرقة في الكلام
حذف تقديره ان الله يصلي وملائكته يصلون وليس في الاية اجتماع في ضمير وذلك جائز للبشر فعله
ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب انت لهذا المعنى وانما قاله لان الخطيب وقف على
ومن يعصهما وسكت سكتة واستدلوا بما رواه ابو داود عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ومن يطع الله ورسوله ومن يعصهما فقال قم او اذهب بئس الخطيب
الا انه يحتمل ان يكون لما خطاه في وقفه وقال له بئس الخطيب اصلح له بعد ذلك جميع كلامه فقال
قل ومن يعص الله ورسوله كما في كتاب مسلم وهو يويد القول الاول فانه لم يقف على ومن يعصهما وقرا
ابن عباس وملائكته بالرفع على موضع اسم الله قبل دخول ان والجمهور بالنصب عطفا على المكتوبة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فيه خمس مسائل **الاولى** قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا الاية امر تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون انبيائه
تشريفا له ولا خلاف في ان الصلاة عليه فرض في العمر مرة وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن
المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه الزمخشري فان قلت الصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من
اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى
انه قيل له يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام
هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل لي ملكين فلا اذكر عند مسلم

فيصلي

فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذلك الملكين امين ولا اذكر
عند كل مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين
امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قال في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك
في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر وكذا في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط
الصلاة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار في ذلك **الثانية** واختلفت الاثار في صفة الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم فروى مالك عن ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في
مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابراهيم
في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم ورواه النسائي عن طلحة مثله باسقاط قوله في العالمين
وقوله والسلام كما قد علمتم وفي الباب عن كعب بن عجرة وابي حميد الساعدي وابي سعيد الخدري وعلي
ابن ابي طالب وابي هريرة وبريدة الخزاعي وزيد بن خارجة ويقال ابن حارثة اخرجها ائمة الحديث في
كتبهم وصحح الترمذي حديث كعب بن عجرة خرجه مسلم في صحيحه مع حديث ابي حميد الساعدي
قال ابو عمر روى شعبة والثوري عن الحكم بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا
السلام قد عرفناه فكيف الصلاة فقال قل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما
صليت على ال ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد وهذا لفظ
حديث الثوري لا حديث شعبة وهو يدخل في التفسير المسند لقول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الاية فبين كيف الصلاة عليه وعلمهم في التحيات كيف السلام عليه وهو قوله السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته وروى المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابي فاختة عن الاسود عن
عبد الله انه قال اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه به الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
وروينا بالاسناد المتصل في كتاب الشفا للقاضي عياض عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال عدهن
في يد النبي صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك
حميد مجيد قال ابن العربي من هذه الروايات صحيح ومنها سقيم واصحها ما رواه مالك فاعتمدوه ورواية
غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة وغيرها لا يقوى وانما على الناس ان ينظروا في اديانهم نظرهم في
اموالهم وهم لا ياخذون في البيع دينارا معيبا وانما يختارون السالم الطيب كذلك لا يوخذ من الروايات
عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ما صح سنده لئلا يدخل في حيز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبينما هو يطلب الفضل اذا به قد اصاب النقص بل ربما اصاب الخسران المبين **الثالثة** في فضل الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا
وقال سهل بن عبد الله الصلاة على محمد افضل العبادات لان الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم امر بها
المومنين وسائر العبادات ليس كذلك قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله حاجة فليبدا
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال الله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يسال الله حاجته فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يرد ما بينهما وروي سعيد بن المسيب
عن عمر بن الخطاب انه قال الدعاء يحجب دون السماء حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءت الصلاة

الصلوة على النبي

علي النبي صلي الله عليه وسلم رفع الدعا وقال النبي صلي الله عليه وسلم من صلي علي في كتاب لم تزل الملايكة
يصلون عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب **الرابعة** واختلف العلما في الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم في
الصلاة فالذي عليه الجم الغفير والجمهور ان ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها قال ابن المنذر يستحب ان
لا يصلي احد الا صلي فيها علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب
مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم
وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسي وشذ الشافعي فاوجب
علي تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وقال ابو عمر والشافع
اذا لم يصل علي النبي صلي الله عليه وسلم في التشهد الاخير بعد التشهد وقبل التسليم اعادة الصلاة قال وان
صلي عليه قبل ذلك لم يجزه وهذا قول حكاه عنه حرمله بن يحيي لا يكاد يوجد هكذا عن الشافعي الا من رواية
حرملة عنه وهو من كبار اصحابه الذين كتبوا كتبه وقد تقلده اصحاب الشافعي ومالوا اليه وناظروا عليه
وهو عندهم تحصيل مذهبه وزعم الطحاوي انه لم يقل به احد من اهل العلم غيره وقال الخطابي وهو من اصحاب
الشافعي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقها الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل علي
انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع عليه في هذه المسالة
جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلي الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة
علي النبي صلي الله عليه وسلم وكذلك كل من روي التشهد عنه صلي الله عليه وسلم وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا
التشهد علي المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا علي المنبر عمر وليس فيه ذكر الصلاة علي النبي صلي الله
عليه وسلم قلت قد قال بوجوب الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم في الصلاة محمد بن المواز من اصحابنا
فيما ذكر ابن القصار وعبد الوهاب واختاره ابن العربي للحديث الصحيح ان الله امرنا ان نصلي عليك فكيف
نصلي عليك فعلم الصلاة ووقتها فتعينت كيفية ووقتا وذكر الدارقطني عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين
انه قال لو صليت صلاة لم اصل فيها علي النبي صلي الله عليه وسلم ولا علي اهل بيته لرايت انها لا تتم وروي مرفوعا
عنه عن ابن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم والصواب انه قول ابي جعفر قاله الدارقطني **الخامسة**
قوله تعالي وسلموا تسليما قال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية علي النبي صلي الله عليه وسلم فامر الله اصحابه
ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره وروي النساي عن عبد الله
بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشري في وجهه فقلت انا لنري البشري
في وجهك قال انه اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه
عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وعن محمد بن عبد الرحمن ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
ما منكم من احد يسلم علي اذا مت الا جاءني سلامه مع جبريل يقول يا محمد هذا فلان بن فلان يقرا عليك السلام
فاقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وروي النساي عن عبد الله قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام قال القشيري والتسليم قولك سلام عليك

قوله تعالي **ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا**
مهينا فيه خمس مسايل **الاولي** اختلف العلما في اذاية الله بماذا تكون فقال الجمهور من العلما معناه بالكفر ونسبة
الصاحبة والولد والشريك اليه ووصفه بما لا يليق به كقول اليهود لعنهم الله يد الله مغلولة والنصاري المسيح
ابن الله والمشركين بنات الله والاصنام شركاؤه وفي صحيح البخاري قال الله تعالي كذبني ابن ادم ولم يكن له
ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك الحديث وقد تقدم في سورة مريم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال الله تبارك
وتعالي يوذيني ابن ادم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره
فاذا شئت قبضتهما هكذا جا هذا الحديث موقوفا علي ابي هريرة في هذه الرواية وقد جا مرفوعا عنه
يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار اخرجه ايضا مسلم وقال عكرمة معناه بالتصوير
والتعرض لفعل ما لا يفعله الا الله بنحت الصور وغيرها وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لعن الله المصورين
قلت وهذا مما يقوي قول مجاهد في المنع من تصوير الشجر وغيرها اذ كل ذلك صفة اختراع وتشبه بفعل الله الذي
انفرد به سبحانه وتعالي وقد تقدم هذا في سورة النمل والحمد لله وقالت فرقة ذلك علي حذف مضاف
تقديره يوذون اوليا الله واما اذاية رسول الله صلي الله عليه وسلم فهي كل ما يوذيه من الاقوال في غير معني

واحد ومن الافعال ايضا فطواف فساحر فشاعر كاهن مجنون واما فعلا فكسر رباعيته وشج وجهه يوم احد
وبمكة القا السلا علي ظهره وهو ساجد الي غير ذلك وقال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين
اتخذ صفية بنت حيي واطلق ايذا الله ورسوله وقيد ايذا المومنين والمومنات لان ايذا الله ورسوله لا يكون
الا بغير حق ابدا واما ايذا المومنين والمومنات فمنه ومنه **الثانية** قال علماونا والطعن في تامير اسامة
بن زيد اذاية له عليه السلام روي الصحيح عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم بعثا وامر عليهم اسامة
بن زيد فطعن الناس في امرته فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ان تطعنوا في امرته فقد كنتم تطعنون
في امرة ابيه من قبل وايم الله ان كان لخليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي وان هذا لمن احب الناس
الي بعده وهذا البعث والله اعلم هو الذي جهزه رسول الله صلي الله عليه وسلم مع اسامة وامره عليهم وامره
ان يغزو ابني وهي القرية التي عند موته والموضع الذي قتل فيه زيد ابوه مع جعفر بن ابي طالب وعبد الله
بن رواحة فامره ان ياخذ بثار ابيه فطعن من في قلبه ريب في امارته من حيث انه من الموالي ومن حيث
انه كان صغير السن لانه كان اذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة فمات النبي صلي الله عليه وسلم وقد برز هذا البعث
عن المدينة ولم ينفصل بعد عنها فنفذه ابو بكر بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم **الثالثة** في هذا الحديث اوضح
دليل علي جواز امامة المولي والمفضول علي غيرهما ما عدا الامامة الكبري وقد قدم رسول الله صلي الله عليه
وسلم سالما مولي ابي حذيفة علي الصلاة بقبا فكان يومهم وفيهم ابو بكر وعمر وغيرهم رضي الله عنهما من كبرا قريش
وروي الصحيح عن عامر بن واثلة ان نافع بن الحارث لقي عمر رضي الله عنه بعسفان وكان عمر يستعمله
علي مكة فقال من استعملت علي هذا الوادي قال ابن ابزي قال ومن ابن ابزي قال مولي من موالينا قال
فاستخلفت عليهم مولي قال انه لقاري لكتاب الله وانه عالم بالفرايض قال اما ان نبيكم قد قال ان الله يرفع
بهذا العلم اقواما ويضع به اخرين **الرابعة** كان اسامة رضي الله عنه الحب ابن الحب وبذلك كان يدعي وكان
اسود شديد السواد وكان زيد ابوه ابيض من القطن هكذا ذكره ابو داود عن احمد بن صالح وقال غير احمد
كان زيد ازهر اللون وكان شديد الادمة وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يجلس اسامة وهو صغير
ويمسح مخاطه وينقي انفه ويقول لو كان اسامة جارية لزيناه وجهزناه وحببناه الي الازواج وقد ذكر ان سبب
ارتداد العرب بعد النبي صلي الله عليه وسلم انه لما كان عليه السلام في حجة الوداع بجبل عرفة عشية عرفة
عند النفر احتبس النبي صلي الله عليه وسلم قليلا بسبب اسامة الي ان اتاه فقالوا ما احتبس الا لاجل
هذا فكفروا له فكان قولهم هذا سبب ارتدادهم **الخامسة** كان عمر رضي الله عنه يفرض لاسامة في العطاء
خمسة الاف ولابنه عبد الله الفين فقال عبد الله فضلت علي اسامة وقد شهدت ما لم يشهد فقال ان اسامة
كان احب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم منك واباه كان احب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم من ابيك
ففضل رضي الله عنه محبوب رسول الله صلي الله عليه وسلم علي محبوبه وهكذا يجب ان يحب ما احب رسول الله صلي الله
عليه وسلم ويبغض من ابغض وقد قابل مروان هذا الحب بنقيضه وذلك انه مر باسامة ابن زيد وهو يصلي عند
باب البيت بيت النبي صلي الله عليه وسلم فقال له مروان انما اردت ان يري مكانك فقد رايناه مكانك ففعل
الله بك وفعل فقال اسامة انك اذيتني وانك فاحش متفحش وقد سمعت رسول الله صلي
الله عليه وسلم يقول ان الله يبغض الفاحش المتفحش فانظر ما بين الفعلين وقس ما بين الرجلين فلقد
اذي بنو امية النبي صلي الله عليه وسلم في احبابه وناقضوه في محابه قوله تعالي لعنهم ابعدهم من كل خير
واللعن في اللغة الابعاد ومنه اللعان واعد لهم عذابا مهينا تقدم في غير موضع **قوله تعالي**
والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اذاية المومنين
والمومنات هي ايضا بالاقوال والافعال القبيحة كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق وهذه الاية
نظير الاية التي في النساء ومن يكسب خطيية او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا كما
قال هنا وقد قيل ان من الاذاية تعييره بحسب مذموم او حرفة دنية او بشي يثقل عليه اذا سمعه
لان اذاه في الجملة حرام وقد ميز الله تعالي بين اذايته واذا رسول الله واذي المومنين فجعل الاول
كفرا والثاني كبيرة فقال في اذي المومنين فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقد بيناه وروي ان عمر بن
الخطاب قال لابي ابن كعب قرات البارحة هذه الاية ففزعت منها والذين يوذون المومنين والمومنات
الاية والله لاضربهم وانهرهم فقال له ابي يا امير المومنين لست منهم انما انت معلم ومقوم وقد قيل ان

سبب نزول هذه الآية ان عمر راى جارية من الانصار فضربها وكره زينتها فخرج اهلها فاذوا عمر باللسان فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في علي فان المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه رضي الله عنه

قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما فيه ست مسائل **الاولى** قوله تعالى قل لازواجك وبناتك قد مضى الكلام في تفصيل ازواجه واحدة واحدة قال قتادة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسع خمس من قريش عايشة وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث من سائر العرب ميمونة وزينب بنت جحش وجويرية وواحدة من بني هرون صفية واما اولاده فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اولاد ذكور واناث فالذكور من اولاده القاسم وامه خديجة وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم وهو اول من مات من اولاده وعاش سنتين وقال عروة ولدت خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم القاسم والطاهر وعبد الله والطيب وقال ابو بكر البرقي ويقال ان الطاهر هو الطيب وهو عبد الله وابراهيم امه مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفي ابن ستة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر ذكره الدارقطني وتوفي بالبقيع وقال صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا يتم رضاعه في الجنة وجميع اولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة سوى ابراهيم وكل اولاده ماتوا في حياته غير فاطمة واما الاناث من اولاده فمنهن فاطمة الزهرا بنت خديجة ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي اصغر بناته وتزوجها علي رضي الله عنهما في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة وقيل تزوجها في رجب وتوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير وهي اول من لحقه باهل بيته رضي الله عنها ومنهن زينب امها خديجة تزوجها ابن خالتها ابو العاص بن الربيع وكانت ام العاص هالة بنت خويلد اخت خديجة واسم ابي العاص لقيط وقيل هاشم وقيل هشيم وقيل مهشم وكانت اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب عتبة ابن ابي لهب قبل النبوة فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب لابنه راسي من راسك حرام ان لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن بنا بها واسلمت حين اسلمت امها خديجة وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي واخواتها حين بايعه النسا وتزوجها عثمان بن عفان وكانت نسا قريش يقلن حين تزوجها عثمان احسن شخصين راى انسان رقية وبعلها عثمان بن عفان وهاجرت معه الى ارض الحبشة الهجرتين وكانت قد اسقطت من عثمان سقطا ثم ولدت بعد ذلك عبد الله وكان عثمان يكنى به في الاسلام وبلغ ست سنين فنقره ديك في وجهه فمات ولم تلد له شيا بعد ذلك وهاجرت الى المدينة ومرضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز الى بدر فخلف عثمان عليها فتوفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر على راس سبعة عشر شهرا من الهجرة وقدم زيد بن حارثة بشيرا من بدر فدخل المدينة حين سوي التراب على رقية ولم يحضر دفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهن ام كلثوم امها خديجة تزوجها عتيبة ابن ابي لهب اخو عتبة قبل النبوة وامره ابوه ان يفارقها للسبب المذكور في امر رقية ولم يكن دخل بها فلم تزل بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت حين اسلمت امها وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخواتها حين بايعه النساء وهاجرت الى المدينة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفيت رقية تزوجها عثمان وبذلك سمي ذا النورين وتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة تسع من الهجرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرها ونزل في حفرتها علي والفضل واسامة وذكر الزبير بن بكار ان اكبر ولد النبي صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر وولد بعد النبوة ومات صغيرا ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم بمكة ثم مات عبد الله **الثانية** لما كانت عادة العربيات التبذل وكن يكشفن وجوههن كما تفعل الاما وكان ذلك داعية الى نظر الرجال اليهن وتشعب الفكرة فيهن امر الله رسوله ان يامرهن بارخاء الجلابيب عليهن اذا اردن الخروج الى حوائجهن وكن يتبرزن في الصحراء قبل ان تتخذ الكنف فيقع الفرق بينهن وبين الاما فتعرف الحراير بسترهن فيكف عن معارضتهن من كان عزبا او شابا وكانت المراة من نساء المومنين قبل نزول هذه الآية تتبرز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن انها امة فتصيح به فيذهب فشكوا ذلك الى النبي

وهي اول من لحقه باهل بيته رضي الله عنها

صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية بسبب ذلك قال معناه الحسن وغيره **الثالثة** قوله تعالى من جلابيبهن الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب اكبر من الخمار وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه الردا وقد قيل انه القناع والصحيح انه الثوب الذي يستر جميع البدن وفي صحيح مسلم عن ام عطية قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم احدانا لا يكون لها جلباب قال لتلبسها اختها من جلبابها **الرابعة** واختلف الناس في صورة ارخايها فقال ابن عباس وعبيدة السلماني ذلك ان تلويه المراة حتى لا يظهر منها الا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس ايضا وقتادة ذلك ان تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناه لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وقال الحسن تغطي نصف وجهها **الخامسة** امر الله سبحانه جميع النسا بالستر وان ذلك لا يكون الا بما لا يصف جلدها الا اذا كانت مع زوجها فلها ان تلبس ما شاءت لان له ان يستمتع بها كيف شاء ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال سبحان الله ماذا انزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزاين من يوقظ صواحب الحجر رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة وروي ان دحية الكلبي لما رجع من عند هرقل فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية فقال اجعل صديعا قميصا واعط صاحبتك صديعا تختمر به والصديع النصف ثم قال له مرها تجعل تحتها شيا لئلا يصف وذكر ابو هريرة رقة الثياب للنسا فقال الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات ودخل نسوة من بني تميم على عايشة رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق فقالت عايشة ان كنتن مومنات فليس هذا بلباس المومنات وان كنتن غير مؤمنات فتمتعنه وادخلت امراة عروس على عايشة رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر فلما راتها قالت لم تؤمن بسورة النور امراة تلبس هذا وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نسا كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن مثل اسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وقال عمر رضي الله عنه ما يمنع المراة المسلمة اذا كان لها حاجة ان تخرج في اطمارها او اطمار جاراتها مستخفية لا يعلم بها احد حتى ترجع الى بيتها **السادسة** قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن اي الحراير حتى لا يختلطن بالاما فاذا عرفن لم يقابلن باذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية فينقطع الاطماع عنهن وليس المعنى ان يعرف المراة حتى يعلم من هي وكان عمر رضي الله عنه اذا راى امة قد تقنعت ضربها بالدرة محافظة على زي الحراير وقد قيل انه يجب الستر والتقنع الآن في حق الجميع من الحراير والاما وهذا كما ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا النسا المساجد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله لا تمنعوا اما الله مساجد الله حتى قالت عايشة رضي الله عنها لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا لمنعهن من الخروج الى المساجد كما منعت نسا بني اسرائيل وكان الله غفورا رحيما تانيس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الامر المشروع

قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فيه خمس مسائل **الاولى** قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون الآية اهل التفسير على ان الاوصاف الثلاثة لشي واحد كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن ابي رزين قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة قال هم شي واحد يعني انهم قد جمعوا هذه الاشيا والواو مقحمة كما قال

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

اراد الى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة وقد مضى في البقرة وقيل كان قوم منهم يرجفون وقوم يتبعون النسا للريبة وقوم يشككون المسلمين قال عكرمة وشهر بن حوشب الذين في قلوبهم مرض يعني الذين في قلوبهم الزنا وقال طاوس نزلت هذه الآية في امر النساء وقال سلمة بن كهيل نزلت في اصحاب الفواحش والمعنى متقارب وقيل المنافقون والذين في قلوبهم مرض شي واحد عبر عنهم بلفظين دليله آية المنافقين في اول البقرة والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المومنين بما يسوءهم من عدوهم فيقولون اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قد قتلوا او هزموا وان العدو قد اتاكم قاله قتادة وغيره وقيل كانوا يقولون اصحاب الصفة قوم عزاب فهم الذين يتعرضون للنسا وقيل هم قوم من المسلمين ينطقون بالاخبار الكاذبة حبا للفتنة وقد كان في اصحاب الافك قوم مسلمون ولكنهم خاضوا حبا للفتنة وقال ابن عباس الارجاف التماس الفتنة والارجاف اشاعة الكذب والباطل للاغتمام به وقيل تحريك القلوب يقال رجفت الارض اي تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان الاضطراب

الشديد والرجاف البحر سُمّي لاضطرابه قال الشاعر

المطعمون اللحم كل عشية ... حتى تغيب الشمس في الرجاف

والارجاف واحد الاراجيف الاخبار وقد ارجفوا في الشيء اي خاضوا فيه قال الشاعر

فانا وان عيّرتمونا بقتله ... وارجف بالاسلام باغ وحاسد

وقال آخر ابا لاراجيف يا ابن اللوم توعدني ... وفي الاراجيف خلت اللوم

والجور والارجاف حرام لان فيه اذاية فدلت الآية على تحريم الايذاء بالارجاف **الثانية** قوله تعالى لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم فتستاصلهم بالقتل وقال ابن عباس لم ينتهوا عن اذاء النساء ان الله عز وجل قد اغراه بهم ثم انه عز وجل قال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وانه امره بلعنهم وهذا هو الاغراء وقال محمد بن يزيد قد اغراه بهم في الآية التي تلي هذه مع اتصال الكلام بها وهو قوله عز وجل اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فهذا فيه معنى الامر بقتلهم واخذهم اي هذا حكمهم اذا كانوا مقيمين على النفاق والارجاف وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم فهذا فيه معنى الامر كالآية سواء النحاس وهذا احسن ما قيل في الآية وقيل انهم قد انتهوا عن الارجاف فلم يغر بهم ولام لنغرينك لام القسم واليمين واقعة عليها وادخلت اللام في ان توطئة لها **الثالثة** قوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة الا قليلا نصب على الحال من الضمير في يجاورونك فكان الامر كما قال عز وجل لانهم لم يكونوا الا اقلاء فهذا احد جوابي الفراء عنده اي لا يجاورونك الا في حال قلتهم والجواب الآخر ان يكون المعنى الا وقتا قليلا اي لا يبقون معك الا مدة يسيرة اي لا يجاورونك فيها الا جوارا يسيرا حتى يكون نعتا لمصدر او ظرف محذوف ودل على ان من كان معك ساكنا بالمدينة فهو جار وقد مضى في النساء **الرابعة** قوله تعالى ملعونين هذا تمام الكلام عند محمد بن يزيد وهو منصوب على الحال وقال ابن الانباري قليلا ملعونين وقف حسن النحاس ويجوز ان يكون التمام الا قليلا وينصب ملعونين على الشتم كما قرا عيسى بن عمر وامراته حمالة الحطب وقد حكي عن بعض النحويين انه قال يكون المعنى اينما ثقفوا اخذوا ملعونين وهذا خطا لا يعمل ما مع المجازاة فيما قبله وقيل معنى الآية انهم ان اصروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينة الا وهم مطرودون ملعونون وقد فعل بهم هذا فانه لما نزلت سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد **الخامسة** قوله تعالى سنة الله نصب على المصدر اي سن الله عز وجل فيمن ارجف بالانبياء واظهر نفاقه ان يؤخذ ويقتل ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تحويلا وتغييرا حكاه النقاش وقال السدي يعني ان من قتل بحق فلا دية على قاتله المهدوي وفي الآية دليل على جواز ترك انفاذ الوعيد والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه حتى مات والمعروف من اهل الفضل اتمام وعدهم وتاخير وعيدهم وقد مضى هذا في آل عمران وغيرها

قوله تعالى يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا هؤلاء المؤذون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما توعدوا بالعذاب سالوا عن الساعة استبعادا وتكذيبا موهمين انها لا تكون قل انما علمها عند الله اي اجبهم عن سؤالهم وقل علمها عند الله وليس في اخفاء الله وقتها عني ما يبطل نبوتي وليس من شرط النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل وما يدريك اي ما يعلمك لعل الساعة تكون قريبا اي في زمان قريب وقال صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى خرجه اهل الصحيح وقيل اي ليست الساعة تكون قريبا فحذف هاء التانيث ذهابا بالساعة الى اليوم كقوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة ذهابا بالرحمة الى العفو اذ ليس تانيثها اصليا وقد مضى هذا مستوفى وقيل انما اخفى وقت الساعة ليكون العبد مستعدا لها في كل وقت **قوله تعالى** ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ان الله لعن الكافرين اي طردهم وابعدهم واللعن الطرد والابعاد عن الرحمة وقد مضى في البقرة بيانه واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا انث السعير لانها بمعنى النار لا يجدون وليا ولا نصيرا ينجيهم من عذاب الله والخلود فيه **قوله تعالى** يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا قراءة العامة بضم التاء وفتح اللام على الفعل المجهول وقرا عيسى الهمداني وابن اسحاق

بنون واحدة وكسر اللام وجوههم نصبا وقرا عيسى ايضا تقلب بضم التاء وكسر اللام على معنى تقلب السعير وجوههم وقرا ابو حيوة باختلاف عنه وابو جعفر وشيبة تقلب بفتح التاء واللام على معنى تتقلب وهذا التقليب تغيير الوانهم بلفح النار فتسود مرة وتخضر اخرى واذا بدلت جلودهم بجلود اخر فحينئذ يتمنون انهم ما كفروا يا ليتنا اي يقولون يا ليتنا ويجوز ان يكون المعنى يقولون يوم تقلب وجوههم في النار يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا اي لم نكفر فننجو من العذاب كما نجي المؤمنون وهذه الالف تقع في الفواصل فيوقف عليها ولا يوصل بها وكذا السبيلا وقد مضى اول السورة وقرا الحسن انا اطعنا ساداتنا بكسر التاء جمع سادة وكان في هذا زجر عن التقليد والسادة جمع السيد وهو فعلة مثل كتبة وفجرة وساداتنا جمع الجمع والسادة والكبراء بمعنى وقال مقاتل هم المطعمون في غزوة بدر والاظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلالة اي اطعناهم في معصيتك وما دعونا اليه فاضلونا السبيلا اي عن السبيل وهو التوحيد فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب والاضلال لا يتعدى الى مفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله لقد اضلني عن الذكر **قوله تعالى** ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا قال قتادة عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل عذاب الكفر وعذاب الاضلال اي عذبهم مثلي ما تعذبنا فانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا قرا ابن مسعود واصحابه ويحيى وعاصم بالياء الباقون بالثاء واختاره ابو حاتم وابو عبيد والنحاس لقوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذا المعنى كثير وقال محمد بن ابي السري رايت في المنام كاني في مسجد عسقلان وكان رجلا يناظرني فيمن يبغض اصحاب محمد فقال والعنهم لعنا كثيرا ثم كررها حتى غاب عني لا يقولها الا بالثاء وقراءة الباء ترجع في المعنى الى الثاء لان ما كبر كان كثيرا عظيم المقدار **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها لما ذكر تعالى المنافقين والكفار الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حذر المؤمنين من التعرض للايذاء ونهاهم عن التشبه ببني اسرائيل في اذيتهم نبيهم موسى واختلف الناس فيما اوذي به محمد صلى الله عليه وسلم فحكى النقاش ان اذيتهم محمدا قولهم زيد بن محمد وقال ابو وائل اذاه انه عليه السلام قسم قسما فقال رجل من الانصار ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر واما اذاية موسى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس وجماعة هي ما تضمنه حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال كان بنو اسرائيل يغتسلون عراة وكان موسى عليه السلام يستتر كثيرا ويخفي بدنه فقال قوم هو آدر او ابرص او به آفة فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بارض الشام وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثيابه واتبعه موسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء من بني اسرائيل فنظروا اليه من احسنهم خلقا واعدلهم صورة وليس به الذي قالوا فهو قوله فبراه الله مما قالوا اخرجه البخاري ومسلم بمعناه ولفظ مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى عليه السلام باثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سواة موسى وقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله انه بالحجر ندب ستة او سبعة ضرب موسى بالحجر فهذا قول وروى ابن عباس عن علي بن ابي طالب انه قال آذوا موسى بان قالوا قتل هرون وذلك ان موسى وهرون خرجا من فحص التيه الى جبل فمات هرون فيه فجاء موسى فقالت بنو اسرائيل لموسى انت قتلته وكان الين لنا منك واشد حبا فآذوه بذلك فامر الله ملائكته فحملته حتى طافوا به في بني اسرائيل ورأوا آية عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم يكن فيه اثر وقد قيل ان الملائكة تكلمت بموته ولم يعرف موضع قبره الا الرخم وان الله تعالى جعله اصم ابكم ومات هرون قبل موسى في التيه ومات موسى قبل انقضاء التيه بشهرين وحكى القشيري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الله تعالى احيا هرون فاخبرهم انه لم يقتله ثم مات وقد قيل ان اذاية موسى رميهم اياه بالسحر والجنون والصحيح الاول ويحتمل ان فعلوا كل ذلك فبراه الله من جميع ذلك **مسالة** في وضع موسى عليه السلام ثوبه على الحجر ودخوله في الماء عريانا دليل على جواز ذلك وهو مذهب الجمهور ومنعه ابن ابي ليلى واحتج بحديث لم يصح وهو قوله عليه السلام لا تدخلوا الماء الا بمئزر فان للماء عامرا قال القاضي عياض وهو ضعيف عند اهل العلم قلت اما انه يستحب التستر لما رواه اسرائيل

وكان موسى عليه السلام يستتر كثيرا ويخفي بدنه

عن عبد الاعلي ان الحسن بن علي دخل غديرا وعليه برد له متوشحا به فلما خرج قيل له قال انما استترت ممن يراني
ولا اراه من ربي والملائكة فان قيل كيف نادي موسي عليه السلام الحجر نداء من يعقل قيل لانه صدر عن الحجر
فعل من يعقل وحجر منادي مفرد محذوف حرف الندا كما قال تعالي يوسف اعرض عن هذا وثوبي منصوب
بفعل مضمر التقدير اعطني ثوبي او اترك ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه قوله تعالي وكان عند الله وجيها
اي عظيما والوجيه عند العرب العظيم القدر الرفيع المنزلة ويروي انه كان اذا سال الله شيا اعطاه اياه
وقرا ابن مسعود وكان عبد الله وقيل معني وجيها اي كلمه تكليما قال ابو بكر الانباري في كتاب
الرد زعم من طعن في القران ان المسلمين صحفوا وكان عند الله وجيها وان الصواب عنده وكان عبد الله وجيها
وذلك يدل علي ضعف مقصده ونقصان فهمه وقلة علمه وذلك ان الاية لو حملت علي قوله وقرئت وكان عبد
الله نقص الثنا علي موسي عليه السلم وذلك ان وجيها يكون عند اهل الدنيا وعند اهل زمانه وعند اهل الاخرة فلا
يوقف علي مكان المدح لانه ان كان وجيها عند بني الدنيا كان ذلك انعاما من الله عليه لا يسن عليه معه شيا
من الله فلما اوضح الله تعالي موضع المدح بقوله وكان عند الله وجيها استحق الشرف واعظم الرفعة بان الوجاهة
عند الله فمن غير اللفظة صرف عن نبي الله افخر الثنا واعظم المدح قوله تعالي **يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما**
قولا سديدا اي قصدا او حقا وقال ابن عباس اي صوابا وقال قتادة ومقاتل يعني قولوا قولا سديدا في شان زيد
وزينب ولا ينسبوا النبي صلي الله عليه وسلم الي ما لا يحل وقال عكرمة وابن عباس ايضا القول السداد لا اله
الا الله وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه وقيل هو ما اريد به وجه الله دون غيره وقيل هو الاصلاح
بين المتشاجرين ماخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض والقول السداد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما
ذكر وغير ذلك وظاهر الاية يعطي انه انما اشار الي ما يكون خلافا للاذي الذي قيل في جهة الرسول وجهة
المومنين ثم وعد عز وجل بانه يجازي علي القول السداد باصلاح الاعمال وغفران الذنوب وحسبك بذلك
درجة ورفعة منزلة ومن يطع الله ورسوله اي فيما امر به ونهي عنه فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالي **انا
عرضنا الامانة علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
علي المومنين والمومنات وكان الله غفورا رحيما** لما بين تعالي في هذه الاية السورة من الاحكام ما
بين امر بالتزامها وامره والامانة تعم جميع وظايف الدين علي الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور روي الترمذي
الحكيم ابو عبد الله قال حدثنا اسمعيل بن نصر عن صالح بن عبد الله عن محمد بن زيد بن جوهر عن الضحاك عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الله لادم يا ادم اني عرضت الامانة علي السموات
والارض فلم تطقها فهل انت حاملها بما فيها قال وما فيها يا رب قال ان حملتها اجرت وان ضيعتها عذبت
فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة الا قدر ما بين صلاة الاولي الي العصر حتي اخرجه الشيطان منها فالامانة
هي الفرايض التي ايتمن الله عليها العباد وقد اختلف في تفاصيل بعضها علي اقوال فقال ابن مسعود هي في امانات
الاموال كالودايع وغيرها وروي عنه انها في كل الفرايض واشدها امانة المال وقال ابي بن كعب من
الامانة ان اوتمنت المراة علي فرجها وقال ابو الدرداء غسل الجنابة امانة وان الله تعالي لم يامن ابن ادم
علي شي من دينه غيرها وفي حديث مرفوع الامانة الصلاة ان شيت قلت صليت وان شيت لم اصل وكذلك
الصيام وغسل الجنابة وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي اول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة
استودعتكها فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واللسان
امانة والبطن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقال السدي هي ايتمان ادم
ابنه قابيل علي ولده واهله وخيانته اياه في قتل اخيه وذلك ان الله تعالي قال له يا ادم هل تعلم ان
لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال فان لي بيتا بمكة فاته فقال للسما احفظي ولدي بالامانة فابت
وقال للارض احفظي ولدي بالامانة فابت فقال للجبال فابت فقال لقابيل احفظ ولدي بالامانة فقال
نعم تذهب وترجع فتجد ولدك كما يسرك فرجع فوجده قد قتل اخاه فلذلك قوله تعالي انا عرضنا الامانة علي
السموات والارض والجبال الاية وروي معمر عن الحسن ان الامانة عرضت علي السموات والارض والجبال
قالت وما فيها قيل لها ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله ادم

عرضها عليه قال وما هي قال ان احسنت اجرتك وان اسات عذبتك قال فقد تحملتها يا رب قال مجاهد فما كان
بين ان تحملها الي ان اخرج من الجنة الا قدر ما بين الظهر والعصر وروي علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله
تعالي انا عرضنا الامانة علي السموات والارض والجبال قال الامانة الفرايض عرضها الله علي السموات
والارض والجبال ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما
لدين الله عز وجل الا تقوموا به ثم عرضها علي ادم فقبلها بما فيها وقال النحاس وهذا القول هو الذي عليه اهل
التفسير وقيل لما حضرت ادم عليه السلام الوفاة امر ان تعرض الامانة علي الخلق فعرضها فلم يقبلها الا
بنوه وقيل هذه الامانة هي ما اودعه الله تعالي في السموات والارض والجبال والخلق من الدلايل علي
ربوبيته ان يظهروها فاظهروها الا الانسان فانه كتمها وجحدها قال بعض المتكلمين ومعني عرضنا اظهرنا
كما تقول عرضت الجارية علي البيع والمعني انا عرضنا الامانة ووضعها علي اهل السموات واهل الارض من
الملائكة والانس والجن فابين ان يحملنها اي يحملن وزرها كما قال عز وجل وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
وحملها الانسان قال الحسن المراد الكافر والمنافق انه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه فيكون علي هذا الجواب
مجازا مثل واسال القرية وفيه جواب اخر علي ان يكون حقيقة انه عرض علي السموات والارض والجبال
الامانة وتضييعها وهي الثواب والعقاب اي اظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها واشفقت وقالت لا نبتغي
ثوابا ولا عقابا وكل يقول هذا امر لا نطيقه ونحن لك سامعون ومطيعون فيما امرت به وسخرت له قاله
الحسن وغيره قال العلما معلوم ان الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة علي القول الاخير وهذا العرض
عرض تخيير لا الزام والعرض علي الانسان الزام وقال القفال وغيره العرض في هذه الاية ضرب
مثل اي ان السموات والارض علي كبر اجرامهما لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرايع
لما فيها من ثواب وعقاب اي ان التكليف امر حقه ان يعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان
وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله لو انزلنا هذا القران علي جبل لرايته ثم قال وتلك الامثال نضربها
للناس قال القفال واذا تقرر في انه تعالي يضرب الامثال وورد علينا من الخبر ما لا يخرج الا علي ضرب
المثل وجب حمله عليه وقال قوم ان الاية من المجاز اي انا اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة السموات والارض
والجبال راينا انها لا تطيقها وانها لو تكلمت لابت واشفقت فعبر عن هذا المعني بقوله انا عرضنا الامانة
الاية وهذا كما تقول عرضت الحمل علي البعير فاباه وانت تريد قايست قوته بثقل الحمل فرايت انها تقصر
عنه وقيل عرضنا بمعني عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشيا عن الامانة
ورجحت الامانة بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانة علي السموات والارض والجبال انما كان من ادم عليه
السلام وذلك ان الله تعالي لما استخلفه علي ذريته وسلطه علي جميع ما في الارض من الانعام والطير والوحش
وعهد اليه عهدا امره فيه ونهاه وحرم واحل فقبله ولم يزل عاملا به فلما ان حضرته الوفاة سال الله ان يعلمه
من يستخلف بعده ويقلده من الامانة ما تقلده فامره ان يعرض ذلك علي السموات بالشرط الذي اخذ
عليه من الثواب ان اطاع ومن العقاب ان عصي فابين ان يقبلنه منه شفقا من عذاب الله ثم امره ان يعرض
ذلك علي الارض والجبال كلها فابياه ثم امره ان يعرض علي ولده فعرضه عليه فقبله بالشرط ولم يهب
منه ما تهيبت السموات والارض والجبال انه كان ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تقلد لربه قال الترمذي
الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي عجبت لهذا القايل من اين اتي بهذه القصة فان نظرنا الي الاثار وجدناها بخلاف
ما قال وان نظرنا الي ظاهره وجدناه بخلاف ما قال وان نظرنا الي باطنه وجدناه بعيدا مما قال وذلك انه
ردد ذكر الامانة ولم يذكر ما الامانة الا انه يومي في مقالته الي انه سلط علي جميع ما في الارض وعهد الله
اليه عهدا فيه امره ونهيه وحله وحرامه وزعم انه امره ان يعرض ذلك علي السموات والارض والجبال
فما تصنع السموات والارض والجبال بالحلال والحرام وبالتسليط علي الانعام والطير والوحش وكيف اذا
عرضه علي ولده فقبله في اعناق ذريته من بعده وفي مبتدا الخبر في التنزيل انه عرض الامانة علي السموات
والارض والجبال حتي ظهر الابا منهم ثم ذكر ان الانسان حملها اي من قبل نفسه لا انه حمل ذلك وسماه ظلوما
اي لنفسه جهولا بما فيها واما الاثار التي هي بخلاف ما ذكر فحدثنا ابي رحمه الله قال حدثنا الفيض بن
الفضل الكوفي قال حدثنا السري بن اسمعيل عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال
لما خلق الله الامانة مثلها صخرة ثم وضعها حيث شاء ثم دعا لها السموات والارض والجبال ليحملنها وقال

فلما ان حضرته الوفاة سال الله ان يعلمه من يستخلفه

لئن ان هذه الامانة ولها ثواب وعليها عقاب قالوا يرب لا طاقة لنا بها وا قبل الانسان من قبل ان يدعا
فقال للسموات والارض والجبال ما وفوقكم قالوا دعا نادبنا ان نحمل هذه فاشفقن منها ولم نطقها قال
فحركها بيده وقال والله لو شئت ان احملها حملتها فحملها حتى بلغ بها الي ركبتيه ثم وضعها وقال والله لو شئت
ان ازددت لازددت قالوا دونك فحملها حتى بلغ بها حقويه ثم وضعها وقال والله لو شئت ان ازداد لازددت
قالوا دونك فحملها حتى وضعها على عاتقه فلما اهوي ليضعها قالوا مكانك ان هذه الامانة ولها ثواب وعليها
عقاب وامرنا ربنا ان نحملها فاشفقنا منها وحملتها انت من غير ان تدعى لها فهي في عنقك وفي اعناق ذريتك
الي يوم القيامة انك كنت ظلوما جهولا وذكروا اخبارا عن الصحابة والتابعين تقدم اكثرها وحملها الانسان
اي التزم القيام بحقها وهو في ذلك ظلوم لنفسه وقال قتادة للامانة جهول القدر ما دخل فيه وهذا تاويل
ابن عباس وابن جبير وقال الحسن جهول بربه قال ومعنى حملها خان فيها وقاله الزجاج والاية في الكافر
والمنافق والعصاة على قدرهم على هذا التاويل وقال ابن عباس واصحابه والضحاك وغيره الانسان ادم
تحمل الامانة فما تم له يوم حتى عصي المعصية التي اخرجته من الجنة وعن ابن عباس ان الله تعالى قال له اتحمل هذه
الامانة بما فيها قال وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قال انا احملها بما فيها بين اذني وعاتقي
فقال الله تعالى اني سا عينك قد جعلت لبصرك حجابا فاغلقه عما لا يحل لك ولفرجك لباسا فلا تكشفه الا على
ما احللت لك وقال قوم الانسان النوع كله وهذا احسن مع عموم الامانة كما ذكرناه اولا وقال
السدي الانسان قابيل فالله اعلم ليعذب الله المنافقين والمنافقات اللام في ليعذب متعلقة بحمل اي حملها
ليعذب العاصي ويثيب المطيع فهي لام التعليل لان العذاب نتيجة حمل الامانة وقيل تعرضنا اي تعرضنا
الامانة على الجميع ثم تقلدناها الانسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله وايمان
المؤمن ليثيبه الله ويتوب الله قراءة الحسن بالرفع يقطعه من الاول اي يتوب الله عليهم بكل حال وكان الله غفورا
رحيما خبر بعد خبر لكان ويجوز ان يكون نعتا لغفور ويجوز ان يكون حالا من المضمر والله اعلم

تفسير سورة سبا

مكية في قول الجميع الا اية واحدة اختلف فيها وهي قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الاية فقالت فرقة
هي مكية والمراد المؤمنون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقالت فرقة هي مدنية والمراد
بالمؤمنين من اسلم بالمدينة كعبد الله بن سلام وغيره قاله مقاتل وقال قتادة هم امة محمد صلى الله
عليه وسلم المؤمنون به كان من كان وهي اربع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم
الخبير الذي في موضع خفض على النعت او البدل ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا وان يكون
في موضع نصب بمعنى اعني وحكى سيبويه الحمد لله اهل الحمد بالرفع والنصب والخفض والحمد الكامل والثناء الشامل
كله لله اذ النعم كلها منه وقد مضى الكلام فيه في اول الفاتحة وله الحمد في الاخرة قيل هو قوله تعالى
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل هو قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهو المحمود في الاخرة
كما انه المحمود في الدنيا وهو المالك للاخرة كما انه المالك للاولى وهو الحكيم في فعله الخبير بامر خلقه قوله تعالى
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور يعلم ما يلج في
الارض اي ما يدخل فيها من قطر وغيره كما قال فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفاين والاموات
وما هي له كفات وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق
والارزاق والمقادير والبركات وقرا علي ابن ابي طالب وما ننزل بالنون والتشديد وما يعرج فيها من
الملايكة واعمال العباد قاله الحسن وغيره وهو الرحيم الغفور قوله تعالى وقال الذين كفروا
لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
اوليك لهم مغفرة ورزق كريم قيل المراد اهل مكة قال مقاتل قال ابو سفيان لكفار مكة واللات
والعزى لا تاتينا الساعة ابدا ولا نبعث فقال الله قل يا محمد بلى وربي لتاتينكم وروى هرون عن طلق
المعلم قال سمعت اشياخنا يقرون قل بلى وربي لياتينكم بياء حملوه على المعنى كانه قال لياتينكم البعث

ان احسنت جزيت
وان اسات عوقبت

اوامره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي امر ربك فهولاء الكفار مقرون بالابتداء منكرون
للاعادة وهو نقض لما اعترفوا بالقدرة على البعث وقالوا وان قدر لا يفعل فهذا تحكم بعد ان اخبر على
السنة الرسل انه يبعث الخلق واذا ورد الخبر بشي وهو ممكن في الفعل مقدور فتكذيب من وجب صدقه محال
عالم الغيب بالرفع قرا نافع وابن كثير على الابتداء وخبره لا يعزب عنه وقرا عاصم وابو عمرو والكسائي
علام الغيب على المبالغة والنعت لا يعزب عنه اي لا يغيب عنه ويعزب ايضا قال الفرا والكسر احب
الي النحاس وهي قراءة يحيى بن وثاب وهي لغة معروفة يقال عزب يعزب اذا بعد وغاب مثقال ذرة
اي قدر نملة صغيرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وفي قراءة
الاعمش ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالفتح فيهما عطفا على ذرة وقراءة العامة بالرفع عطفا على مثقال
الا في كتاب مبين فهو العالم بما خلق ولا يخفى عليه شي ليجزي منصوب بلام كي والتقدير لتاتينكم ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات بالثواب والكافرين بالعقاب اوليك يعني المؤمنين لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم
وهو الجنة قوله تعالى والذين سعوا في اياتنا معاجزين اوليك لهم عذاب من رجز اليم في اياتنا اي
في ابطال ادلتنا والتكذيب باياتنا معجزين مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا وان الله لا يقدر على بعثهم في
الاخرة وظنوا انا نهملهم فهولاء لهم عذاب من رجز اليم يقال عاجزه واعجزه اذا غالبه وسبقه واليم
قراءة نافع بالكسر نعتا للرجز فان الرجز هو العذاب قال الله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما
وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم عذاب من رجز اليم برفع اليم هنا وفي الجاثية نعتا للعذاب وقرا ابن
كثير وابن محيصن وحميد بن قيس ومجاهد وابو عمرو معجزين اي مثبطين اي ثبطوا الناس عن الايمان
بالمعجزات وايات القران قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك الحق
ويهدي الى صراط العزيز الحميد لما ذكر الذين سعوا في ابطال النبوة بين ان الذين اوتوا العلم يرون ان القران
حق قال مقاتل الذين اوتوا العلم هم مؤمنوا اهل الكتاب وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل جميع المسلمين وهو اصح لعمومه والروية بمعنى العلم وهي في موضع نصب عطفا على ليجزي اي ليجزي وليرى
قاله الزجاج والفرا وفيه نظر لان قوله ليجزي متعلق بقوله لتاتينكم الساعة ولا يقال لتاتينكم الساعة ليرى
الذين اوتوا العلم ان القران حق فانهم يرون القران حقا وان لم تاتهم الساعة والصحيح انه رفع على الاستيناف
ذكره القشيري قلت واذا كان ليجزي متعلقا بمعنى اثبت ذلك في كتاب مبين فيحسن عطف ويرى اي
واثبت ايضا ليرى الذين اوتوا العلم ان القران حق فانهم يرون القران حقا ويجوز ان يكون مستانفا
الذي في موضع نصب على انه مفعول اول ليرى هو الحق مفعول ثان وهو فاصلة والكوفيون يقولون عماد
ويجوز الرفع على ان يكون مبتدا والحق خبره والجملة في موضع نصب على المفعول الثاني والنصب اكثر فيما
كانت فيه الالف واللام عند جميع النحويين وكذا ما كان نكرة لا يدخله الالف واللام فيشبه المعرفة
فان كان الخبر اسما معروفا نحو قولك كان اخوك هو زيد وزعم الفرا ان الاختيار فيه الرفع وكذا كان
محمد هو عمرو وعلته في اختياره الرفع انه لما لم يكن فيه الالف واللام اشبه النكرة في قولك كان زيد
هو جالس لان هذا لا يجوز فيه الا الرفع ويهدي الى صراط العزيز الحميد اي يهدي القران الى طريق الاسلام
الذي هو دين الله ودل بقوله العزيز على انه لا يغالب وبقوله الحميد على انه لا يليق به صفة العجز قوله تعالى
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد وان شيت ادغمت
اللام في النون لقربها منها ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق هذا اخبار عن من قال لا تاتينا الساعة اي هل نرشدكم
الى رجل ينبيكم اي يقول لكم انكم تبعثون بعد البلاء في القبور وهذا صادر عن فرط انكارهم الزمخشري
فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباوه بالبعث شايعا عندهم
فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبيكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على امر مجهول في امر
مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والهزءة والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي
يتحاجي بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره واذا في موضع نصب والعامل فيها مزقتم قاله النحاس ولا يجوز ان
يكون العامل فيها ينبيكم لانه ليس يخبرهم ذلك الوقت ولا يجوز ان يكون العامل ما بعد ان لانه لا يعمل
فيما قبله وان لا يتقدم عليها ما بعدها ولا معمولها واجاز الزجاج ان يكون العامل فيها محذوفا
والتقدير اذا مزقتم كل ممزق وبعثتم او ينبيكم بانكم تبعثون اذا مزقتم المهدوي ولا يعمل فيه مزقتم

لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف واجازه بعضهم على ان يجعل اذا للمجازاة فتعمل فيها حينئذ ما بعدها لانها غير مضافة اليه واكثر ما تقع اذا للمجازاة في الشعر ومعنى مزقتم كل ممزق فرقتم كل تفريق والمزق خرق الاشيا يقال ثوب مزيق وممزوق ومتمزق وممزق **قوله تعالى** افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد لما دخلت الف الاستفهام استغنيت عن الف الوصل فحذفتها وكان فتح الف الاستفهام فرقا بينها وبين الف الوصل وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى اطلع الغيب مستوفي ام به جنة هذا مردود على ما تقدم من قول المشركين والمعنى قال المشركون افترى على الله كذبا والافترا الاختلاق ام به جنة اي جنون فهو يتكلم بما لا يدري ثم رد عليهم فقال بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد اي ليس الامر كما قالوا بل هو اصدق الصادقين ومن ينكر البعث فهو غدا في العذاب واليوم في الضلال عن الصواب اذ صاروا الى تعجيز الاله ونسبة الافترا الى من ايده الله بالمعجزات **قوله تعالى** افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اعلم الله تعالى ان الذي قدر على خلق السموات والارض وما فيهن قادر على البعث وعلى تعجيل العقوبة لهم فاستدل بقدرته عليهم وان السموات والارض ملكه وانهما محيطتان بهم من كل جانب فكيف يامنون الخسف والكسف كما فعل بقارون واصحاب الايكة وقرا حمزة والكسائي ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط بالياء في الثلاث اي ان يشا الله امر الارض فتخسف بهم او السماء فتسقط عليهم كسفا الباقون بالنون على التعظيم وقراءة السلمي وحفص كسفا بفتح السين والباقون بالاسكان وقد تقدم بيانه في سبحان وغيرها ان في ذلك لاية اي في هذا الذي ذكرناه من قدرتنا لاية اي دلالة ظاهرة لكل عبد منيب اي تائب رجاع الى الله بقلبه وخص المنيب بالذكر لانه المنتفع بالفكرة في حجج الله واياته **قوله تعالى** ولقد اتينا داود منا فضلا بين لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان ارسال الرسل ليس امرا بدعا بل ارسلنا الرسل وايدناهم بالمعجزات واحللنا بمن خالفهم العقاب اتينا اعطينا فضلا اي امرا فضلناه به على غيره واختلف في هذا الفضل على تسعة اقوال الاول النبوة الثاني الزبور الثالث العلم قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما الرابع القوة قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد الخامس تسخير الجبال والناس قال الله تعالى يا جبال اوبي معه السادس التوبة فغفرنا له ذلك السابع الحكم بالعدل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الاية الثامن الانة الحديد والنا له الحديد التاسع حسن الصوت وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن وحسن الصوت هبة من الله وتفضل منه وهو المراد بقوله عز وجل يزيد في الخلق ما يشا على ما ياتي وقال صلى الله عليه وسلم لابي موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود قال العلما المزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سميت الة الزمر مزمارا وقد استحسن كثير من فقها الامصار القراة بالتزيين والترجيع وقد مضى هذا في مقدمة الكتاب والحمد لله **قوله تعالى** يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد اي وقلنا يا جبال اوبي معه اي سبحي معه لانه عز وجل قال انا سخرنا الجبال معه يسبحن قال ابو ميسرة هو التسبيح بلسان الحبشة ومعنى تسبيح الجبال هو ان الله تعالى خلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى سيري معه حيث شا من التاويب الذي هو سير النهار اجمع وينزل الليل قال ابن مقبل

لحقنا بحي اوبوا السير بعدما	دفعنا شعاع الشمس والطرف مجنح

وقرا الحسن وقتادة وغيرهما اوبي معه اي رجعي معه من اب يووب اذا رجع اوبا واوبة وايابا وقيل المعنى تصرفي معه على ما يتصرف عليه داود بالنهار فكان اذا قرا الزبور صوتت الجبال معه واصغت اليه الطير فكانها فعلت ما فعل وقال وهب بن منبه المعنى نوحي معه والطير تسعده على ذلك فكان اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس انما كان من ذلك اليوم الى هذه الساعة فايد بمساعدة الجبال والطير لئلا يجد فترة فاذا دخلت الفترة اهتاج اي ثار وتحرك وقوي بمساعدة الجبال وكان قد اعطي من الصوت ما يتزاحم الوحوش من الجبال على صوته وكان الماء الجاري ينقطع عن الجري وقوفا لصوته والطير بالرفع قراة ابن ابي اسحاق ونصر عن عاصم وابن هرمز ومسلمة بن عبد الملك عطفا على لفظ الجبال او على المضمر في اوبي وحسنه الفضل مع الباقي

وحسن الصوت هبة من الله تعالى

بالنصب عطفا على موضع يا جبال اي نادينا الجبال والطير قاله سيبويه وعند ابي عمرو بن العلا باضمار فعل على معنى وسخرنا له الطير وقال الكسائي هو معطوف على واتيناه الطير حملا على ولقد اتينا داود منا فضلا النحاس ويجوز ان يكون مفعولا معه كما تقول استوى الماء والخشبة وسمعت الزجاج يجيز قمت وزيدا فالمعنى اوبي معه ومع الطير والنا له الحديد قال ابن عباس صار عنده كالشمع وقال الحسن كالعجين فكان يعمله من غير نار وقال السدي كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف يشا من غير ادخال نار ولا ضرب بمطرقة وقاله مقاتل وكان يفرغ من الدرع في بعض اليوم او بعض الليل ثمنها الف درهم وقيل اعطي قوة يثني بها الحديد وسبب ذلك ان داود لما ملك بني اسرائيل لقي ملكا وداود يظنه انسانا وداود متنكر خرج يسال عن نفسه وسيرته في بني اسرائيل في خفا فقال داود لذلك الشخص الذي تمثل له ما قولك في هذا الملك داود فقال له الملك نعم العبد لولا خلة فيه قال داود وما هي قال يرتزق من بيت المال ولو اكل من عمل يده لتمت فضائله فرجع فدعا الله في ان يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة لبوس كما قال في سورة الانبيا فالان له الحديد فصنع الدروع فكان يصنع الدرع فيما بين يومه وليلته يساوي الف درهم حتى ادخر منها كثيرا وتوسعت معيشته منزله ويتصدق على الفقرا والمساكين وكان ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين وهو اول من اتخذ الدروع وصنعها وكانت قبل صفائح ويقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة الاف درهم والدرع مونثة اذا كانت للحرب ودرع المراة مذكر **مسالة** في هذه الاية دليل على تعلم اهل الفضل الصنائع وان التحرف بها لا ينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم اذ يحصل لهم التواضع في انفسهم والاستغنا عن غيرهم وكسب الحلال الخلي عن الامتنان وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان خير ما اكل المومن عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده وقد مضى هذا في الانبيا مجودا **قوله تعالى** ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير سابغات اي دروعا سابغات اي كوامل تامات واسعات يقال سبغ الدرع والثوب وغيرهما اذا غطى كلما هو عليه وفضل منه وقدر في السرد قال قتادة كانت الدروع قبله صفائح فكانت ثقالا فلذلك امر هو بالتقدير فيما يجمع من الخفة والحصانة اي قدر ما تاخذ من هذين الحقين بقسطه اي لا تقصد الحصانة فيثقل ولا الخفة فتزيل المنعة وقال ابن زيد التقدير الذي امر به هو في قدر الحلقة اي لا تعملها صغيرة فيضعف ولا يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فينال لابسها وقال ابن عباس التقدير الذي امر به هو في المسمار اي لا تجعل مسمار الدرع دقيقا فيقلق ولا غليظا فيفصم الحلق وروي يقصم بالقاف والفاء اتصار وايه في السرد والسرد نسج حلق الدروع ومنه قيل لصانع الدروع السراد والزراد تبدل من السين الزاي كما يقال سراط وزراط والسرد الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز والمسرد الاشفى ويقال مسراد وقال الشماخ

فظلت تباعا خيلنا في بيوتكم	كما تابعت سرد العنان الخوارز

والسراد السير الذي يخرز به قال لبيد

يشد صفاحها بالروق سردا	كما خرج السراد من النعال

ويقال قد سرد الحديث والصوم فالسرد فيهما ان يجي به ولاء في نسق واحد ومنه سرد الكلام وفي حديث عائشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم وكان يحدث الحديث لو اراد العاد ان يعده لاحصاه قال سيبويه ومنه رجل سرندى اي جري قال لانه يمضي قدما واصل ذلك في سرد الدروع وهو ان يحكمها ويجعل نظام حلقها ولاء غير مختلف قال لبيد

صنع الحديد مضاعفا اسراده	لينال طول العيش غير مروم

وقال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع واعملوا صالحا اي عملا صالحا وهذا خطاب لداود واهله كما قال اعملوا ال داود شكرا اني بما تعملون بصير **قوله تعالى** ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال الزجاج التقدير وسخرنا لسليمان الريح وقرا عاصم في رواية ابي بكر عنه الريح بالرفع على الابتداء والمعنى له تسخير الريح او بالاستقرار اي ولسليمان الريح ثابتة وفيه ذلك المعنى الاول فان قال قائل اذا قلت اعطيت زيدا درهما ولعمرو دينار فرفعته لم يكن فيه معنى الاول وجاز ان يكون لم تعطه الدينار وقيل الامر كذا ولكن الاية على خلاف هذا من جهة المعنى لانه قد علم انه لم يسخرها

احدا الا الله عز وجل غدوها شهر ورواحها شهر اي مسيرة شهر قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع ثم تروح من اصطخر وتبيت بكابل وبينهما شهر للمسرع قال السدي كانت تسير به في اليوم مسيرة شهرين وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمان اذا جلس نصبت حواليه اربعمائة الف كرسي ثم جلس رؤسا الانس مما يليه وجلس سفلة الانس مما يليهم وجلس رؤسا الجن مما يلي سفلة الانس وجلس سفلة الانس مما يليهم وموكل بكل كرسي طاير لعمل قد عرفه ثم تقلهم الريح والطير تظلهم من الشمس فيغدو من بيت المقدس الي اصطخر فيبيت ببيت المقدس ثم قرا ابن عباس ورواحها شهر وقال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوبا فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلنا وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رايحون منه ان شا الله فبايتون بالشام وقال الحسن شغلت سليمان الخيل حتي فاتته صلاة العصر فعقر الخيل فابدله الله خيرا منها واسرع ابدله الريح تجري بامره حيث شا غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن زيد كان مستقر سليمان بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه من الشام الي العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفيه يقول النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له	قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم	يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن اطاعك فانفعه بطاعته	كما اطاعك وادلله علي الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة	تنهي الظلوم ولا تقعد علي ضمد

ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بارض كسكر انشاهن بعض اصحاب سليمان عليه السلام

ونحن ولا حول سوي حول ربنا	نروح الي الاوطان من ارض تدمر
اذا نحن رحنا كان ريث رواحنا	مسيرة شهر والغدو لاخر
اناس شروا الله طوعا نفوسهم	بنصر بن داود النبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورافة	وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متي يركب الريح المطيعة اسرعت	مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوف عليهم	متي رفرفت من فوقهم لم تنفر

قوله تعالى واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير القطر النحاس عن ابن عباس وغيره اسيلت له مسيرة ثلاثة ايام كما يسيل الما وكانت بارض اليمن ولم يذب النحاس فيما روي لاحد قبله وكان لا يذوب ومن وقته ذاب وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله لسليمان عليه السلام قال قتادة اسال الله عينا يستعملها فيما يريد وقيل لعكرمة الي اين سالت فقال لا ادري وقال ابن عباس ومجاهد والسدي اجريت له عين الصفر ثلاثة ايام بلياليهن قال القشيري وتخصيص الاسالة بثلاثة ايام لا يدري ما ماخذه ولعله وهم من الناقل اذ في رواية عن مجاهد انها سالت من صنعا ثلاث ليال مما يليها وهذا يشير الي بيان الموضع لا الي بيان المدة والظاهر انه جعل النحاس لسليمان في معدنه عينا يسيل كعيون المياه دلالة علي نبوته وقال الخليل القطر النحاس المذاب قلت دليله قراءة من قرا من قطر آن ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامره ومن يزغ منهم عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير اي في الاخرة قاله اكثر المفسرين وقيل ذلك في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم فيما روي عن السدي ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة من حيث لا يراه فاحرقت ومن في موضع نصب بمعني وسخرنا له من الجن من يعمل ويجوز ان يكون في موضع رفع كما تقدم في الريح **قوله تعالى** يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل فيه ثمان مسائل الاولي قوله تعالى من محاريب المحاريب في اللغة كل موضع مرتفع وقيل للذي يصلي فيه محراب لانه يجب ان يرفع ويعظم وقال الضحاك من محاريب اي من مساجد وكذا قال قتادة وقال مجاهد المحاريب دون القصور وقال ابو عبيدة المحراب اشرف بيوت الدار قال

وماذا عليه ان ذكرت اوانسا	كغزلان رمل في محاريب اقيال

وقال عدي بن زيد

كدمي العاج في المحاريب او	كالبيض في الروضة زهره مستنير

وقيل ما يرقي اليه بالدرج كالغرفة الحسنة كما قال اذ تسوروا المحراب وقوله فخرج عليهم من المحراب اي اشرف عليهم وفي الخبر انه امران يعمل حول كرسيه الف محراب فيها الف رجل عليهم المسوح يصرخون الي الله دايبا وهو علي الكرسي في موكبه والمحاريب حوله ويقول لجنوده اذا ركب سبحوا الله الي ذلك العلم فاذا بلغوه قالوا هللوه الي ذلك العلم فاذا بلغوه قال كبروه الي ذلك العلم الاخر فتلج الجنود بالتسبيح والتهليل لجة واحدة الثانية قوله تعالى وتماثيل جمع تمثال قيل كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل اشيا ليست بحيوان وهو كل ما صور علي مثل صورة غيره من حيوان وذكر انها صورة الانبيا عليهم السلام والعلما وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا قال صلى الله عليه وسلم ان اوليك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا علي قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اي ليذكروا عبادته فيجتهدوا في العبادة وهذا يدل علي ان التصوير كان مباحا في ذلك الزمان ونسخ ذلك بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة نوح عليه السلم وقيل التماثيل طلسمات كان يعملها ويحرم علي كل مصور ان يتجاوزها فلا يتجاوزها فيعمل تمثالا للذباب او للبعوض او للتماسيح في مكان ويامرهم ان لا يتجاوزوه فلا يتجاوزه واحد ابدا ما دام ذلك التمثال قايما وواحد التماثيل تمثال بكسر التاء قال

ويا رب يوم قد لهوت وليلة	بانسة كانها خط تمثال

وقيل ان هذه التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسال ربه ان ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح ويقال ان اسفنديار كان منهم والله اعلم وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما الثالثة حكي مكي في الهداية له ان فرقة تجوز التصوير وتحتج بهذه الاية قال ابن عطية وذلك خطا وما احفظ عن احد من ايمة العلم من يجوزه قلت ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله قال النحاس قال قوم عمل الصور جايز لهذه الاية ولما اخبر الله عز وجل عن المسيح وقال قوم قد صح النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم عنها والتوعد لمن عملها او اتخذها فنسخ الله عز وجل بهذا ما كان مباحا قبله وكانت الحكمة في ذلك لانه بعث عليه السلم والصور تعبد فكان الاصلح ازالتها الرابعة التمثال علي قسمين حيوان وموات والموات علي قسمين جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه لعموم قوله وتماثيل وفي الاسرائيليات ان التماثيل من الطير كانت علي كرسي سليمان فان قيل لا عموم لقوله وتماثيل فانه اثبات في نكرة والاثبات في النكرة لا عموم له انما العموم في النفي في النكرة قلنا كذلك هو بيد انه قد اقترن بهذا الاثبات في النكرة ما يقتضي حمله علي العموم وهو قوله ما يشا فنسخ ذلك بشرعنا كما بينا والله اعلم وعن ابي العالية لم تكن الصور اذ ذاك محرمة الخامسة مقتضي الاحاديث تدل علي ان الصور ممنوعة ثم جا الا ما كان رقما في ثوب فخص من جملة الصور ثم ثبتت الكراهية فيه بقوله عليه السلام لعايشة في الثوب اخريه عني فاني كلما رايته ذكرت الدنيا ثم بهتكه الثوب المصور علي عايشة منع منه ثم بقطعها له وسادتين حتي تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها بان جواز ذلك اذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز لقولها في النمرقة المصورة اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها فمنع منه وتوعد عليه وتبين بحديث الصلاة الي الصور ان ذلك جايز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه فهكذا استقر الامر والله اعلم قاله ابن العربي السادسة روي مسلم عن عايشة قالت كان لنا ستر فيه تمثال طاير وكان الداخل اذا دخله استقبله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حولي هذا فاني كلما دخلت فرايته ذكرت الدنيا قالت وكانت لنا قطيفة كنا نقول علمها حرير فكنا نلبسها وعنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مستترة بقرام فيه صور فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه ثم قال ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل وعنها انه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود الي سهوة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اليه فقال اخريه عني قالت فاخرته فجعلته وسادتين قال بعض العلما ويشبه ان يكون تهتيكه عليه السلم الثوب وامره بتاخيره ورعا لان محل النبوة والكمال فتامله السابعة قال المزني عن الشافعي ان دعي رجل الي عرس فراي صورة ذات روح او ذوات ارواح لم يدخل ان كانت منصوبة فان كانت توطا فلا باس وان كانت صور الشجر ولم يختلفوا ان التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك عندهم ما كان خطا او نقشا في البناء واستثني بعضهم ما كان رقما في ثوب لحديث سهل بن حنيف قلت لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المصورين ولم يستثن وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق

كان لسليمان عليه السلام نصبت حواليه اربعمائة الف كرسي

غدوها شهر

من النار يوم القيمة له عينان يبصران واذنان يسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعي مع الله الها اخر وبالمصورين قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد عذابا يوم القيامة المصورون يدل على المنع من تصوير شي اي شي كان وقد قال عز وجل ما كان لكم ان تنبتوا شجرها على ما تقدم بيانه فاعلمه **الثامنة** وقد استثني من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين وزفت اليه وهي بنت تسع ولعبتها معها ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وعنها ايضا قالت كنت العب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن منه فيسربهن الي فيلعبن معي خرجهما مسلم قال العلما وذلك للضرورة الى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية اولادهن ثم انه لابقا لذلك وكذلك ما يصنع من الحلاوة او من العجين لابقا له فرخص في ذلك والله اعلم **قوله تعالى** وجفان كالجوابي قال ابن عرفة الجوابي جمع الجابية وهي حفيرة كالحوض وقال مجاهد كحياض الابل وقال ابن القسم عن مالك كالجوبة من الارض والمعنى متقارب وكان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل النحاس وجفان كالجوابي الاولى ان تكون باليا ومن حذف اليا قال سبيل الالف واللام ان يدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها فلما كان يقال جواب ودخلت الالف واللام اقر على حاله فحذف اليا وواحد الجوابي جابية وهي القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير الذي يجبى فيه الشي اي يجمع ومنه جبيت الخراج وجبيت الجراد اي جعلت الكسا فجمعته فيه الا ان ليثا روى عن مجاهد قال الجوابي جمع جوبة والجوبة الحفرة الكبيرة تكون في الجبل فيها ما المطر وقال الكساي جبوت الما في الحوض وجبيته اي جمعته والجابية الحوض الذي يجبى فيه الما للابل قال

تروح على ال المحلق جفنة ... كجابية الشيخ العراقي يفهق

ويروى تغدو على ال المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي يفهق ذكره النحاس **قوله تعالى** وقدور راسيات قال سعيد بن جبير هي قدور النحاس تكون بفارس وقال الضحاك هي قدور تعمل من الجبال غيره قد نحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين اثافيها منها منحوتة هكذا من الجبال ومعنى راسيات ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها قال ابن العربي وكذلك كانت قدور عبد الله بن جدعان يصعد اليها في الجاهلية بسلم وعنها عبر طرفة بن العبد بقوله

كالجوابي لا تني مترعة ... لقرى الاضياف او للمحتضر

قال ابن العربي ورايت برباط ابي سعيد قدور الصوفية على نحو ذلك فانهم يطبخون جميعا وياكلون جميعا من غير استيثار واحد منهم على احد **قوله تعالى** اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور تقدم معنى الشكر في البقرة وغيرها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فتلى هذه الاية ثم قال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود فقلنا ما هن يا رسول الله فقال العدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله عن عطا بن يسار عن ابي هريرة وروي ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اطيق شكرك على نعمك والهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك فقال يا داود الان عرفتني وقد مضى هذا المعنى في سورة ابراهيم وان الشكر حقيقة الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في طاعته والكفران استعمالها في المعصية وقليل من يفعل ذلك لان الخير اقل من الشر والطاعة اقل من المعصية بحسب سابق التقدير وقال مجاهد لما قال الله عز وجل اعملوا ال داود شكرا قال داود لسليمان ان الله عز وجل قد ذكر الشكر فاكفني صلاة النهار اكفك صلاة الليل قال لا اقدر قال فاكفني قال الفار بابي اراه قال الى صلاة الظهر قال نعم وكفاه وقال الزهري اعملوا ال داود شكرا اي قولوا الحمد لله وشكرا انتصب على جهة المفعول اي اعملوا عملا هو الشكر وكان الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر اذ سدت مسده ويبين هذا قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وهو المراد بقوله وقليل من عبادي الشكور وقد قال سفيان بن عيينة زيادة عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تاويل قوله تعالى ان اشكر لي ان المراد بالشكر الصلوات الخمس وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تفطرت قدماه فقالت له عايشة رضي الله عنها اتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال

ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود

اذلا

اذلا اكون عبدا شكورا انفرد باخراجه مسلم فبظاهر القران والسنة ان الشكر بعمل الابدان دون الاقتصار على عمل اللسان فالشكر بالافعال عمل الاركان والشكر بالاقوال عمل اللسان فاعلم **قوله تعالى** وقليل من عبادي الشكور يحتمل ان يكون مخاطبة لال داود ويحتمل ان يكون مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وعلى كل وجه ففيه تنبيه وتحريض وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعا فقال الرجل اردت قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور فقال عمر رضي الله عنه كل الناس اعلم منك يا عمر وروي ان سليمان عليه السلام كان ياكل الشعير ويطعم اهله الخشكار ويطعم المساكين الدرمك وقد قيل انه كان ياكل الرماد ويتوسده والاول اصح اذ الرماد ليس بقوت وروي انه ما شبع قط فقيل له في ذلك فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجياع وهذا من الشكر ومن القليل فتامله **قوله تعالى** فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما قضينا عليه الموت اي فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالامر المفروغ منه ووقع به الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته وذلك انه كان متكيا على المنساة وهي العصا بلسان الحبشة في قول السدي وقيل هي لغة اهل اليمن ذكره القشيري فمات كذلك وبقي خافي الحال الى ان سقط ميتا لانكسار العصا لاكل الارضة اياها فعلم موته بذلك فكانت الارضة دالة على موته اي سببا لظهور موته وكان سال الله ان لا يعلموا بموته حتى يمضي عليه سنة واختلفوا في سبب سواله لذلك على قولين احدهما ما قاله قتادة وغيره قال كانت الجن تدعي علم الغيب فلما مات سليمان وخفي موته عليهم تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ابن مسعود اقام حولا والجن تعمل بين يديه حتى اكلت الارضة منساته فسقط ويروي انه لما سقط لم يعلم انه مات فوضعت الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وقيل كان رؤسا الجن سبعة وكانوا منقادين لسليمان عليه السلام وكان داود اسس بيت المقدس فلما مات اوصى الى سليمان في اتمام المسجد بيت المقدس فامر سليمان الجن به فلما دنا وفاته قال لاهله لا تخبروهم بالهلى حتى يتموا بنا المسجد وكان بقي لاتمامه سنة وفي الخبر ان ملك الموت كان صديقه فساله عن اية موته فقال ان تخرج من موضع سجودك شجرة يقال لها الخروبة فلم يكن يوم يصبح فيه الا تنبت في بيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول ولاي شي انت فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع ويغرسها في بستان له ويامر بكتب منافعها ومضارها واسمها وما تصلح له في الطب فبينما هو يصلي ذات يوم اذ راى شجرة تنبت بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروبة قال ولاي شي انت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت الذي على وجهك هلاكي وهلاك بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايطه ثم قال اللهم عم عن الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشيا وانهم يعلمون ما في غد ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب فقام يصلي واتكا على عصاه على كرسيه فمات ولم يعلم الجن الى ان مضت سنة وتم بنا بيت المقدس قال ابو جعفر النحاس وهذا احسن ما قيل في الاية ويدل على صحته الحديث المرفوع روى ابراهيم بن طهمان عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله سليمان بن داود اذا صلى راى شجرة نابتة بين يديه فيسالها ما اسمك فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم واذا شجرة نابتة بين يديه فقال ما اسمك قالت الخرنوب فقال لاي شي انت قالت لخراب هذا البيت قال اللهم عم عن الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكا عليها حولا ميتا وهم لا يعلمون فسقط فعلمت الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنظروا مقدار ذلك فوجدوه سنة وفي قراة ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب وقرا يعقوب في رواية رويس تبينت الجن غير مسمى الفاعل ونافع وابو عمرو وتاكل منساته بالف بين السين والتا من غير همز والباقون بهمزة مفتوحة موضع الالف لغتان الا ابن ذكوان اسكن الهمزة تخفيفا قال الشاعر في ترك الهمز

اذا دببت على المنساة من كبر ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وقال اخر فهمز وفتح

ضربنا بمنساة وجهه ... فصار بذاك مهينا ذليلا

وقال اخر

امن اجل حبل لا اباك ضربته ... بمنساة قد جر حبلك احبلا

وقال اخر فسكن همزها

وقايم قد قام من تكاته ... كقومة الشيخ الى منساته

ان سليمان عليه السلام كان ياكل الشعير

واصلها من ساءت الغنم اي زجرتها وسقتها فسميت العصا بذلك لانه يزجر بها الشي وليساق قال طرفة
امون كالواح الاران نساتها على لاحب كانه ظهر برجد
قال النحاس واشتقاقها يدل على انها مهموزة لانها مشتقة من نساته اي اخرته ودفعته فقيل منساة
لانه يدفع بها الشي ويوخر وقال مجاهد وعكرمة هي العصا ثم قرا منساته ابدل من الهمزة الفا فان قيل
البدل من الهمز قبيح جدا وانما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ وابو عمرو بن العلا لا يغيب عنه مثل هذه
واهل المدينة على هذه القراءة فالجواب على هذا ان العرب استعملت في هذه الكلمة البدل
ونطقوا بها هكذا كما يقع البدل في غير هذا ولا يقاس عليه حتى قال ابو عمرو ولست ادري ممن هو الا
انها غير مهموزة لان ما كان مهموزا فقد يترك همزه وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه المهدوي ومن
قرا بهمزة ساكنة فهو شاذ بعيد لان هاء التانيث لا يكون ما قبلها الا متحركا او الفا لكنه يجوز ان يكون
مما سكن من المفتوح استخفافا ويجوز ان يكون لما ابدل الهمزة الفا على قياس قلب الالف همزة كما قلبوا
في قولهم العالم والخاتم وروي عن سعيد بن جبير من مفعوله سائه مهموزة مكسورة التا فقيل انه من
سية القوس في لغة من همزها وقد روي همز سية القوس عن روبة قال الجوهري سية القوس ما عطف
من طرفيها والجمع سيات والها عوض من الواو والنسبة اليها سيوي قال ابو عبيدة كان روبة يهمز
سية القوس وسائر العرب لا يهمزونها وفي دابة الارض قولان احدهما انها الارضة قال ابن عباس
ومجاهد وغيرهما وقد قرئ دابة الارض بفتح الراء وهو واحد الارضة ذكره الماوردي الثاني انها دابة
تاكل العيدان قال الجوهري والارضة بالتحريك دويبة تاكل الخشب يقال ارضت الخشبة تورض
ارضا بالتسكين فهي ماروضة اذا اكلتها **قوله تعالى** فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين فلما خر اي سقط تبينت الجن قال الزجاج اي تبينت
الجن موته وقال غيره المعنى تبين امر الجن مثل واسال القرية وفي التفسير بالاسانيد الصحاح عن ابن
عباس قال اقام سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم حولا لا يعلم بموته وهو متكي على عصاه والجن منصرفة
فيما كان امرها به ثم سقط بعد حول فلما خر تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين وهذه القراءة من ابن عباس على جهة التفسير وفي الخبر ان الجن شكرت ذلك للارضة فانما كانت
ياتونها بالما قال السدي والطين الم تر الى الطين الذي في جوف الخشب فانه مما ياتيها به الشياطين شكرا
وقالت لو كنت تاكلين الطعام والشراب لاتيناك بهما وان في موضع رفع في البدل من الجن والتقدير
تبين امر الجن فحذف المضاف اي تبين وظهر للانس وانكشف لهم امر الجن انهم لا يعلمون الغيب وهذا بدل
الاشتمال ويجوز ان يكون في موضع نصب على تقدير حذف اللام ولبثوا اقاموا والعذاب المهين السخرة
والحمل والبنيان وغير ذلك وعمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة فملك وهو ابن
ثلاث عشرة سنة وابتداء في بنيان بيت المقدس وهو ابن سبع عشرة سنة وقال السدي وغيره
كان عمر سليمان ستا وسبعين ملك وهو سبع عشرة سنة وابتداء في بنيان بيت المقدس وهو
ابن عشرين وكان ملكه خمسين سنة وحكي ان سليمان عليه السلام ابتداء بنيان بيت المقدس
في السنة الرابعة من ملكه وقرب بعد فراغه منه اثني عشر الف ثور ومائة وعشرين الف شاة واتخذ
اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعا فقال اللهم انت
وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد اللهم فاوزعني شكرك على ما انعمت علي وتوفني
على ملتك ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني اللهم اني اسالك لمن دخل هذا البيت خمس خصال لا يدخله مذنب
دخل للتوبة الا غفرت له وتبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا اغنيته
والخامس ان لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من اراد الحادا او ظلما يا رب العالمين ذكره الماوردي
قلت وهذا اصح مما تقدم انه لم يفرغ بناؤه الا بعد موته بسنة والدليل على صحة هذا ما اخرجه النسائي
وغيره باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس
سال الله خلالا ثلاثا سال الله حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله
حين فرغ من بنائه المسجد الا ان ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته
امه وقد ذكرنا هذا الحديث في ال عمران وذكرنا بناءه في سبحان والحمد لله **قوله تعالى** لقد

الارضة دويبة تاكل الخشب

كان لسبا في مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور قرا نافع وغيره بالصرف والتنوين على انه اسم حي وهو في الاصل اسم رجل جاء بذلك التوقيف
عن النبي صلى الله عليه وسلم روى الترمذي قال حدثنا ابو كريب وعبد بن حميد قالا حدثنا ابو اسامة
عن الحسن بن الحكم النخعي قال حدثنا ابو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك المرادي قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله الا اقاتل من ادبر من قومي من اقبل منهم فاذن لي في قتالهم وامرني فلما خرجت من
عنده سال عني ما فعل الغطيفي فاخبر اني قد سرت قال فارسل في اثري فردني فاتيته وهو في نفر من اصحابه
فقال ادع القوم فمن اسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى احدث اليك قال وانزل في سبا ما انزل
فقال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض ولا بامراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب
فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا
فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم
خثعم وبجيلة وروي في هذا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عيسى هذا حديث حسن
غريب وقرا ابن كثير وابو عمرو لسبا بغير صرف جعله اسما للقبيلة وهو اختيار ابي عبيد واستدل
على انه اسم قبيلة ان بعده في مساكنهم النحاس ولو كان كما قال لكان في مساكنها وقد مضى في النمل
زيادة لهذا المعنى وقال الشاعر في الصرف
الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس
وقال اخر في غير الصرف
من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما
وقرا قنبل وابو حيوة والجحدري لسبا باسكان الهمزة في مساكنهم قراءة العامة على الجمع وهي اختيار ابي
عبيد وابي حاتم لان لهم مساكن كثيرة وليس بمسكن واحد وقرا ابراهيم وحمزة وحفص مسكنهم موحدا
الا انهم فتحوا الكاف وقرا يحيى والاعمش والكسائي موحدا كذلك الا انهم كسروا الكاف قال النحاس
ومساكن في هذا ابين لانه يجمع اللفظ والمعنى فاذا قلت مسكنهم كان فيه تقديران احدهما ان
يكون واحدا يودي عن الجمع والاخر ان يكون مصدرا لا يثنى ولا يجمع كما قال عز وجل ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فجاء بالسمع موحدا وكذا مقعد صدق ومسكن مثل مسجد خارج عن
القياس ولا يوجد مثله الا سماعا اية اسم كان اي علامة دالة على قدرة الله عز وجل على ان لهم خالقا
خلقهم وان كل الخلائق لو اجتمعوا على ان يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ولم يهتدوا الى اختلاف
اجناس الثمار والوانها وطعومها وروايحها وازهارها وفي ذلك ما يدل على انها لا تكون الا من عالم
قادر جنتان يجوز ان يكون بدلا من اية ويجوز ان يكون خبر ابتدا محذوف فيوقف على هذا الوجه على اية
وليس بتمام قال الزجاج اي الاية جنتان فجنتان رفع لانه خبر ابتدا محذوف وقال الفرا رفع تفسيرا
للاية ويجوز ان ينصب اية على انها خبر كان ويجوز ان يكون ينصب اية على انها خبر كان ويجوز ان ينصب
الجنتين على الخبر ايضا في غير القران وقال عبد الرحمن بن زيد ان الاية التي كانت لاهل سبا في مساكنهم
انهم لم يروا فيها بعوضة قط ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا حية ولا غيرها من الهوام
واذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل والدواب فاذا نظروا الى بيوتهم ماتت الدواب وقيل ان الاية
هي الجنتان كانت المراة تمشي فيهما وعلى راسها مكتل فيمتلي من انواع الفواكه من غير ان تمسها بيدها
قاله قتادة وروي ان الجنتين كانتا بين جبلين باليمن قال سفيان وجد فيهما قصران مكتوب على
احدهما نحن بنينا سلحين في سبعين خريفا دايبين وعلى الاخر مكتوب نحن بنينا صرواح مقيل ومراح
فكانت احدى الجنتين عن يمين الوادي والاخرى عن شماله قال القشيري ولم يرد جنتين اثنتين بل اراد
من الجنتين يمنة ويسرة اي كانت بلادهم ذات بساتين واشجار وثمار تستر الناس بظلالها كلوا
من رزق ربكم اي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم امر ولكنهم تمكنوا من تلك النعم وقيل اي قالت الرسل لهم
قد اباح الله لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعة من رزق ربكم اي من ثمار الجنتين واشكروا له يعني على
ما رزقكم بلدة طيبة هذا كلام مستانف اي هذه بلدة طيبة اي كثيرة الثمار وقيل غير سبخة وقيل
غير طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها قال مجاهد صنعا ورب غفور اي والمنعم بها عليكم رب غفور
يستر ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه وقيل انما ذكر المغفرة مشيرا

الى ان الرزق قد يكون فيه حرام وقد مضى القول في هذا في البقرة وقيل انما امتن عليهم بعفوه عن عذاب
الاستيصال بتكذيب من كذبوه من سالف الانبيا الى ان استداموا الاصرار فاستوصلوا قوله تعالى
فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم فاعرضوا يعني عن امره واتباع رسله بعد ان كانوا مسلمين قال
السدي ووهب بعث الى اهل سبا ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم قال القشيري وكان لهم رئيس يلقب بالحمار وكانوا
في زمن الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان له ولد فمات فرفع راسه الى السماء فبزق وكفر
فلهذا يقال اكفر من حمار وقال الجوهري وقولهم اكفر من حمار هو رجل من عاد مات له اولاد فكفر كفرا
عظيما فلا يمر بارضه احد الا دعاه الى الكفر فان اجابه والا قتله ثم لما سال السيل بجنتيهم تفرقوا في
البلاد على ما ياتي ولهذا قيل في المثل تفرقوا ايادي سبا وقيل الاوس والخزرج منهم فارسلنا عليهم سيل
العرم العرم فيما يروى عن ابن عباس السد فالتقدير سيل السد العرم وقال عطا العرم اسم الوادي قتادة
العرم وادي سبا كان يجتمع اليه مسايل من الاودية من البحر واودية اليمن فردموا ردما بين جبلين
وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث
على قدر حاجاتهم فاخصبوا وكثرت اموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفار فنقبت الردم قال
وهب كانوا يزعمون انهم يجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين صخرتين
الا ربطوا الى جانبها هرة فلما جاء ما اراد الله بهم اقبلت فارة حمرا الى بعض تلك الهر فساورتها حتى
استاخرت عن الجحرة ثم وثبت ودخلت في الفرجة التي كانت عندها ونقبت السد حتى اوهنته وهم لا يدرون
فلما جاء السيل دخل تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الما على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم وقال الزجاج
العرم اسم الجرذ الذي نقب السكر عليهم وهو الذي يقال له الخلد وقاله قتادة ايضا فنسب السيل اليه
لانه سببه وقد قال ابن الاعرابي ايضا العرم من اسما الفار وقال مجاهد وابن ابي نجيح العرم ما احمر
ارسله الله تعالى في السد فشقه وهدمه وعن ابن عباس ايضا ان العرم المطر الشديد وقيل العرم بسكون
الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقال عمرو بن شرحبيل العرم المسناة
وقاله الجوهري ولا واحد لها من لفظها ويقال واحدها عرمة وقال محمد بن يزيد العرم كل شي حاجز بين
شيئين وهو الذي يسمى السكر وهو جمع عرمة النحاس وما يجتمع من مطر بين جبلين وفي وجهه مسناة
فهو العرم والمسناة هي التي يسميها اهل مصر الجسر فكانوا يفتحونها اذا شاؤا فاذا رويت جنتاهم سدوها
قال الهروي المسناة الضفيرة تبنى للسيل ترده سميت مسناة لان فيها مفاتح الما وروي ان العرم
سد بنته بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وهو المسناة بلغة حمير بنته بالصخر والقار وجعلت له
ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وهو مشتق من العرامة وهي الشدة ويقال رجل عارم اي شديد وعرمت
العظم اعرمه واعرمه عرما اذا عرقته وكذلك عرمت الابل الشجر اي نالت منه والعرام بالضم العراق
من العظم والشجر وتعرمت العظم تعرقته وصبي عارم بين العرام بالضم اي شرس وقد عرم يعرم ويعرم
عرامة بالفتح والعرم العارم عن الجوهري قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل
خمط واثل وشي من سدر قليل وقرا ابو عمرو اكل بغير تنوين مضافا قال اهل التفسير والخليل الخمط الاراك
الجوهري ضرب من الاراك له حمل يوكل وقال ابو عبيدة هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة الزجاج كل نبت
فيه مرارة ولا يمكن اكله المبرد الخمط كل ما تغير الى ما لا يشتهى واللبن خمط اذا حمض والاولى عنده
في القراة ذواتي اكل خمط بالتنوين على انه نعت لاكل او بدل منه لان الاكل هو الخمط بعينه عنده فاما
الاضافة فباب جوازها ان يكون تقديرها ذواتي اكل حموضة او اكل مرارة وقال الاخفش والاضافة
احسن في كلام العرب نحو قولهم ثوب خز والخمط اللبن الحامض وذكر ابو عبيد ان اللبن اذا ذهب عنه
حلاوة الحلب ولم يتغير طعمه فهو سامط وان اخذ شيا من الريح فهو خامط وخميط فان اخذ شيا من
طعم فهو ممحل فاذا كان فيه طعم الحلاوة فهو فوهه وتخمط الفحل هدر وتخمط فلان اي تغضب وتكبر وتخمط
البحر التطم وخمطت الشاة اخمطها خمطا اذا نزعت جلدها وشويتها فهو خميط والخمطة الخمر التي قد
اخذت ريح الادراك كريح التفاح ولم تدرك بعد ويقال هي الحامضة قاله الجوهري وقال
القتبي في ادب الكتاب يقال للحامضة خمط ويقال للخمطة التي قد اخذت شيا من الريح وانشد
شعر
عقار كماء النيء ليست بخمطة ولا خلة تكوي الشروب شهابها

فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفار

والاثل قال الفرا هو شبيه بالطرفا الا انه اعظم منه طولا ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وللاثل
اصول غليظة يتخذ منه الابواب وورقه كورق الطرفا الواحدة اثلة والجمع اثلات وقال الحسن الاثل
الخشب قتادة هو ضرب من الخشب يشبه الطرفا رايته بفيد وقيل هو السمر وقال ابو عبيدة هو شجر النضار
وشي من سدر قليل قال الفرا هو السمر ذكره النحاس وقال الازهري السدر من الشجر سدران بري
لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمر عفص لا يوكل وهو الذي يسمى الضال والثاني سدر ينبت
على الما وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العناب قال قتادة
بينما شجر القوم من خير شجر اذ صيره الله من شر الشجر
باعمالهم فاهلك اشجارهم المثمرة وانبت بدلها الاراك والطرفا والسدر القشيري واشجار البوادي
لا تسمى جنة وبستانا ولكن لما وقعت الثانية في مقابلة الاولى اطلق لفظ الجنة وهو كقوله وجزاء
سيئة مثلها ويحتمل ان يرجع قوله قليل الى جملة ما ذكر من الخمط والاثل والسدر قوله تعالى
ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازي الا الكفور اي هذا التنزيل جزا كفرهم وموضعه نصب اي
جزيناهم ذلك بكفرهم وهل يجازى الا الكفور قراة العامة يجازى بيا مضمومة وزاي مفتوحة الكفور
رفعا على ما لم يسم فاعله وقرا يعقوب وحفص وحمزة والكسائي نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور بالنصب
واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لان قبله جزيناهم ولم يقل جوزوا النحاس والامر في هذا واسع والمعنى
فيه بين ولو قال قايل خلق الله ادم صلى الله عليه وسلم من طين وقال اخر خلق ادم من طين لكان المعنى
واحدا مسالة في هذه الاية سوال ليس في السورة اشد منه وهو ان يقال لم خص المجازاة بالكفور
ولم يذكر اصحاب المعاصي فتكلم العلما في هذا فقال قوم ليس يجازي بهذا الجزا الذي هو الاصطلام
والاهلاك الا من كفر وقال مجاهد يجازي بمعنى يعاقب وذلك ان المومن يكفر الله عنه سياته والكافر
يجازى بكل سو عمله والمومن يجزى ولا يجازى لانه يثاب وقال طاوس هو المناقشة في الحساب
واما المومن فلا يناقش الحساب وقال قطرب خلاف هذا اجعلها في اهل المعاصي غير الكفار وقال
المعنى على من كفر بالنعم وعمل بالكباير النحاس واولى ما قيل في هذه الاية واجل ما روي فيها ان
الحسن قال مثلا بمثل وعن عايشة قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من حوسب هلك فقلت
يا نبي الله فاين قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال انما ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك
وهذا اسناد صحيح وشرحه ان الكافر يكافا على اعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير ويبين هذا قوله
جل وعز في الاول ذلك جزيناهم بما كفروا وفي الثاني وهل يجازي ومعنى يجازي يكافا بكل عمل ومعنى
جزيناهم وفيناهم فهذا حقيقة اللغة وان كان جازى يقع بمعنى جزى مجازا قوله تعالى وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما
امنين قال الحسن يعني بين اليمن والشام والقرى التي بورك فيها الشام والاردن وفلسطين والبركة
قيل انها كانت اربعة الاف وسبع مائة قرية بورك فيها بالشجر والثمر والما ويحتمل ان يكون باركنا
فيها بكثرة العدد قرى ظاهرة قال ابن عباس يريد بين المدينة والشام وقال قتادة معنى ظاهرة متصلة
على الطريق يغدون فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون في قرية وقيل كان على كل ميل قرية بسوق
وهو سبب امن الطريق قال الحسن كانت المراة تخرج معها مغزلها وعلى راسها مكتلها ثم تلتهي بمغزلها
فلا تاتي بيتها حتى يمتلي مكتلها من كل الثمار فكان ما بين الشام واليمن كذلك وقيل ظاهرة اي
مرتفعة قاله المبرد وقيل انما قيل لها ظاهرة لظهورها اي اذا خرجت من هذه ظهرت لك الاخرى
فكانت قرى ظاهرة اي معروفة يقال هذا امر ظاهر اي معروف وقدرنا فيها السير اي جعلنا
السير بين قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية الى قرية الغرا
اي جعلنا من كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيل في قرية والمبيت في اخرى وانما يبالغ الانسان في السير
لعدم الزاد والما ولخوف الطريق فاذا وجد الزاد والامن لم يحمل على نفسه المشقة ونزل اينما اراد سيروا
فيها اي وقلنا لهم سيروا فيها اي في هذه المسافة فهو امر تمكين اي كانوا يسيرون فيها الى مقاصدهم
اذا ارادوا امنين فهو امر بمعنى الخبر وفيه اضمار القول ليالي واياما ظرف فامنين نصب على الحال
وقيل ليالي واياما بلفظ النكرة تنبيها على قصر اسفارهم اي كانوا لا يحتاجون الى طول السفر لوجود

ما يحتاجون اليه قال قتادة كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء كانوا يسيرون مسيرة اربعة اشهر في امان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل ابيه لم يحركه قوله تعالى فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لما بطروا وطغوا وسئموا الراحة ولم يصبروا على العافية تمنوا طول الاسفار والكدح في المعيشة كقول بني اسرائيل ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها الاية وكالنضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابه الله وقتل يوم بدر بالسيف صبرا فكذلك هؤلاء تبددوا في الدنيا ومزقوا كل ممزق وجعل بينهم وبين الشام فلوات ومفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون الازواد وقراءة العامة ربنا بالنصب على انه نداء مضاف وهو منصوب لانه مفعول به لان معناه ناديت ودعوت باعد سألوا المباعدة في اسفارهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر ربنا كذلك على الدعاء بعد من التبعيد النحاس وباعد وبعد واحد في المعنى كما تقول قارب وقرب وقرا ابو صالح ومحمد بن الحنفية وابو العالية ونصر بن عاصم ويعقوب ويروى عن ابن عباس ربنا رفعا باعد بفتح العين والدال على الخبر تقديره لقد باعد ربنا بين اسفارنا كان الله تعالى يقول قربنا لهم اسفارهم فقالوا اشرا وبطرا لقد بوعد علينا اسفارنا واختار هذه القراءة ابو حاتم قال لانهم ما طلبوا التبعيد انما طلبوا اقرب من ذلك القرب بطرا وعجبا مع كفرهم وقراءة يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر ويروى عن ابن عباس ربنا بعد بين اسفارنا بشد العين من غير الف وفسرها ابن عباس قال شكوا ان ربهم بعد بين اسفارهم وقراءة سعيد بن ابي الحسن اخو الحسن البصري ربنا بعد بين اسفارنا ربنا نداء مضاف ثم اخبروا بعد ذلك فقالوا بعد بين اسفارنا ورفع بين بالفعل اي بعد ما يتصل باسفارنا وروى الفراء وابو اسحاق قراءة سادسة مثل الذي قبلها في ضم العين الا انك تنصب بين على انه ظرف وتقديره في العربية بعد سيرنا بين اسفارنا النحاس وهذه القراءات اذا اختلفت معانيها لم يجز ان يقال احدها اجود من الاخرى كما لا يقال ذلك في اخبار الاحاد اذا اختلفت معانيها ولكن خبر عنهم انهم دعوا ربهم ان يبعد بين اسفارهم بطرا واشرا وخبر عنهم انهم لما فعل ذلك بهم خبروا به وشكوا كما قال ابن عباس وظلموا انفسهم اي بكفرهم فجعلناهم احاديث اي يتحدث باخبارهم وتقديره في العربية ذوي احاديث ومزقناهم كل ممزق اي لما لحقهم ما لحقهم تفرقوا وتمزقوا قال الشعبي فلحقت الانصار بيثرب وغسان بالشام والاسد بعمان وخزاعة بتهامة وكانت العرب تضرب بهم المثل فيقول تفرقوا ايدي سبا وايادي سبا اي مذاهب سبا وطرقها ان في ذلك لايات لكل صبار شكور الصبار الذي يصبر عن المعاصي وهو تكثير صابر يمدح بهذا الاسم فان اردت انه صبر عن المعصية لم يستعمل فيه الا صبار عن كذا شكور لنعمه وقد مضى هذا المعنى في البقرة قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين فيه اربع قراءات قرا ابو جعفر وشيبة ونافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويروى عن مجاهد ولقد صدق بالتخفيف ابليس بالرفع ظنه بالنصب اي في ظنه قال الزجاج وهو على المصدر اي صدق عليه ظنا ظنه اذ صدق في ظنه فنصب على المصدر او على الظرف وقال ابو علي ظنه نصب لانه مفعول به اي صدق الظن الذي ظنه اذ قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقال لاغوينهم اجمعين ويجوز تعدية الصدق الى المفعول به ويقال صدق الحديث اي في الحديث وقرا ابن عباس ويحيى ابن وثاب والاعمش وعاصم وحمزة والكسائي صدق بالتشديد ظنه بالنصب بوقوع الفعل عليه قال مجاهد ظن ظنا فكان كما ظن فصدق ظنه وقرا ابو جعفر بن محمد وابو الهجهاج صدق عليهم بالتخفيف ابليس بالنصب ظنه بالرفع قال ابو حاتم لا وجه لهذه القراءة عندي والله اعلم وقد اجاز هذه القراءة الفراء وذكرها الزجاج وجعل الظن فاعل صدق وابليس مفعولا به والمعنى ان ابليس سول له ظنه فيهم شيئا فصدق ظنه فكانه قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس وعلى متعلقة بصدق كما تقول صدقت عليك فيما ظننته بك ولا يتعلق بالظن لاستحالة تقدم شيء من الصلة على الموصول والقراءة الرابعة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه برفع ابليس والظن مع التخفيف في صدق على ان يكون ظنه بدلا من ابليس وهو بدل الاشتمال ثم قيل هذا في اهل سبا اي كفروا وغيروا وبدلوا بعد ان كانوا مسلمين الا قوما منهم امنوا برسلهم وقيل هذا عام اي صدق ابليس ظنه على الناس كلهم الا من اطاع الله

لقد باعد ربنا بين اسفارنا

قاله مجاهد وقال الحسن لما اهبط ادم من الجنة ومعه حوا واهبط ابليس قال ابليس اما اذ اصبت من الابوين ما اصبت فالذرية اضعف واضعف فكان ذلك ظنا من ابليس فانزل الله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقال ابن عباس ان ابليس قال خلقت من نار وخلق ادم من طين والنار تحرق كل شيء لاحتنكن ذريته الا قليلا فصدق ظنه عليهم وقال زيد بن اسلم قال يا رب ارايت هؤلاء الذين كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم علي لا تجد اكثرهم شاكرين ظنا منه فصدق عليهم ظنه فاتبعوه وقال الحسن ما ضربهم بسوط ولا بعصا وانما ظن ظنا فكان كما ظن بوسوسته الا فريقا من المومنين نصب على الاستثناء وفيه قولان احدهما انه يراد به بعض المومنين لان كثيرا من المومنين من يذنب وينقاد لابليس في بعض المعاصي اي ما سلم من المومنين ايضا الا فريق وهو المعنى بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاما ابن عباس فعنه انه قال هم المومنون كلهم فمن على هذا للتبيين لا للتبعيض فان قيل كيف علم ابليس صدق ظنه وهو لا يعلم الغيب قيل له لما نفذ له في ادم ما نفذ غلب على ظنه انه ينفذ له مثل ذلك في ذريته وقد وقع له تحقيق ما ظن وجواب اخر وهو انه ما اجيب من قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فاعطي القوة والاستطاعة فظن انه يملكهم كلهم بذلك فلما راى انه تاب على ادم وانه سيكون له نسل يتبعونه الى الجنة وقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين علم انه يتبعه ولادم تبع فظن ان تبعه اكثر من تبع ادم لما وضع في يديه من سلطان الشهوات ووضعت الشهوات في اجواف الادميين فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في اعينهم تلك الشهوات ومدهم اليها بالاماني والخدائع فصدق عليهم الظن الذي ظنه والله اعلم قوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ اي لم يقهرهم ابليس على الكفر وانما كان منه الدعاء والتزيين والسلطان القوة وقيل الحجة اي لم يكن له حجة يستتبعهم بها وانما اتبعوه بشهوة وتقليد وهوى نفس لا عن حجة ودليل الا لنعلم من يومن بالاخرة يريد علم الشهادة الذي يقع به الثواب والعقاب فاما الغيب فقد علمه جل وعز ومذهب الفراء يكون المعنى الا لنعلم ذلك عندهم كما قال اين شركائي اي على قولكم وعندكم وليس قوله لنعلم ذلك بجواب وما كان له عليهم من سلطان في ظاهره انما هو محمول على المعنى اي وما جعلنا له عليهم من سلطان الا لنعلم فالاستثناء منقطع اي لا سلطان له عليهم ولكنا ابتليناهم بوسوسته لنعلم فالا بمعنى لكن وقيل هو متصل بقوله اي ما كان له عليهم من سلطان غير انا سلطناه عليهم ليتم الابتلاء وقيل كان زائدة اي وما له عليهم من سلطان كقوله كنتم خير امة اي انتم خير امة وقيل لما اتصل طرف منه بقصة سبا قال وما كان لابليس على اولئك الكفار من سلطان وقيل وما كان له في قضائنا السابق سلطان عليهم وقيل الا لنعلم الا لنظهر وهو كما تقول النار تحرق الحطب فيقول اخر لا بل الحطب يحرق النار فيقول الاول تعال حتى نجرب النار والحطب لنعلم ايهما يحرق صاحبه اي لنظهر ذلك وان كان معلوما لهم ذلك وقيل الا لتعلموا انتم وقيل اي ليعلم اولياؤنا والملائكة كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياء الله ورسوله وقيل اي لنميز كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب وقد مضى هذا المعنى في البقرة وغيرها وقرا الزهري الا ليعلم على ما لم يسم فاعله وربك على كل شيء حفيظ اي انه عالم بكل شيء وقيل يحفظ كل شيء على العبد حتى يجازيه عليه قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير اي هذا الذي مضى ذكره من امر داود وسليمان وقصة سبا من اثاري فقل يا محمد لهؤلاء المشركين هل عند شركائكم قدرة على شيء من ذلك وهذا خطاب توبيخ وفيه اضمار اي ادعوا الذين زعمتم انهم الهة لكم من دون الله لتنفعكم او لتدفع عنكم ما قضاه الله عز وجل عليكم فانكم لا يملكون ذلك ولا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما له فيهما من شرك وما له منهم من ظهير اي ما لله من هؤلاء من معين على خلق شيء بل الله المنفرد بالايجاد فهو الذي يعبد وعبادة غيره محال قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير اي شفاعة الملائكة وغيرهم عنده اي عند الله الا لمن اذن له قراءة العامة اذن بفتح الهمزة لذكر الله جل وعز اولا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم الهمزة على ما لم يسم فاعله والاذن هو الله عز وجل ومن يجوز ان

يرجع الى الشافعين ويجوز ان يرجع الى المشفوع لهم حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ابن عباس جلي عن قلوبهم الفزع
فطوبى اخرج ما فيها من الخوف مجاهد كشف عن قلوبهم الغطا يوم القيامة اي ان الشفاعة لا تكون من
احد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبيا والاصنام الا ان الله ياذن للانبيا
والملائكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال وهم من خشيته مشفقون والمعنى انه اذا اذن
لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك الحال من الامر الهائل والخوف ان يقع
في تنفيذ ما اذن فيه تقصير فاذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي
بالاذن ماذا قال ربكم اي ماذا امر الله به فيقولون لهم قال الحق وهو انه اذن لكم في الشفاعة للمؤمنين
وهو العلي الكبير فله ان يحكم في عباده بما يريد ثم يجوز ان يكون هذا اذنا لهم في الدنيا في شفاعة اقوام
ويجوز ان يكون في الاخرة وفي الكلام اضمار اي ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ففزع
لما ورد عليه من الاذن تهيبا لكلام الله عز وجل حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم اجاب بالانقياد وقيل
هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل امر يامر به الرب تعالى اي لا تنفع الشفاعة الا من الملائكة الذين
هم فزعون اليوم مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السماء امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانها
سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال والشياطين
بعضهم فوق بعض قال حديث حسن صحيح وقال النواس بن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اذا
اراد ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او رعدة شديدة خوفا من الله تعالى
فاذا سمع اهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من رفع راسه جبريل فيكلمه الله
ويقول له من وحيه ما اراد ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل
فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم كما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث
امره الله تعالى وذكر البيهقي عن ابن عباس في قوله عز وجل حتى اذا فزع عن قلوبهم قال كان لكل قبيل
من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي وكان اذا نزل الوحي سمع له صوت كامرار السلسلة على
الصفوان فلا ينزل على اهل سماء الا صعقوا فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو
العلي الكبير ثم يقول يكون العام كذا ويكون كذا فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة به والكهنة الناس يكون كذا
كذا فيجدونه كذلك فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم دحروا بالشهب فقالت العرب حين لم يخبرهم الجن بذلك
هلك من في السما فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم شاة
حتى اسرعوا في اموالهم فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من في
السماء وان هذا ليس بساعة السنم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر والليل والنهار قال
فقال ابليس لقد حدث في الارض اليوم حدث فاتوني من تربة كل ارض فاتوه بها فجعل يشمها فلما شم تربة
مكة قال من هاهنا جاء الحدث فنصتوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وقد مضى هذا المعنى
مرفوعا مختصرا في سورة الحجر ومضى القول ايضا في رميهم بالشهب واحراقهم بها ويأتي في سورة الجن بيان
ذلك وقيل انما يفزعون من قيام الساعة قال الكلبي وكعب كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام فترة خمسمائة
وخمسون سنة لا يجي فيها الرسول فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم الله جبريل بالرسالة فلما
سمعت الملائكة الكلام ظنوا انها الساعة قد قامت فصعقوا لما سمعوا فلما انحدر جبريل جعل
يمر بكل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقولون بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فلم يدروا ما قال
ولكنهم قالوا قال الحق وهو العلي الكبير وذلك ان محمدا عند اهل السموات من اشراط الساعة وقال
الضحاك ان الملائكة المعقبات الذين يختلفون الى اهل الارض يكتبون اعمالهم يرسلهم الرب تعالى
فاذا انحدروا سمع لهم صوت شديد فيحسب الذين هم اسفل من الملائكة انه من امر الساعة فيخرون
سجدا ويصعقون حتى يعلموا انه ليس من امر الساعة وهذا تنبيه من الله تعالى واخبار الملائكة مع اصطفائهم
ورفعتهم لا يمكنهم ان يشفعوا لاحد حتى يؤذن لهم فاذا اذن لهم وسمعوا صعقوا وكان هذه حالهم فكيف
تشفع الاصنام او كيف يؤملون انتم الشفاعة ولا يعترفون بالقيامة وقال الحسن وابن زيد ومجاهد حتى
اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين قال مجاهد في الاخرة وقال الحسن وابن زيد عند نزول الموت اقامة

ايام الفترة خمسمائة وخمسون سنة

للحجة عليهم قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار اي قالوا
قال الحق وقراءة العامة فزع عن قلوبهم وقرا ابن عباس فزع عن قلوبهم مسمى الفاعل وفاعله ضمير يرجع
الى اسم الله عز وجل ومن بناه للمفعول فالجار والمجرور في موضع رفع والفعل في المعنى لله عز وجل والمعنى
في القراءتين ازيل الفزع عن قلوبهم حسب ما تقدم بيانه ومثله اشكاه اذا ازال الله ما يشكوه وقرا الحسن
فرغ مثل قراءة العامة الا انه خفف الزاي والجار والمجرور في موضع رفع ايضا وهو كقولك انصرف
عن كذا الى كذا وكذا معنى فرغ بالراء والغين المعجمة والتخفيف غير مسمى الفاعل روي عن الحسن ايضا
وقتادة وعنهما ايضا فرغ بالراء والغين المعجمة مسمى الفاعل والمعنى فرغ الله قلوبهم اي كشف عنها
اي فرغها من الفزع والخوف والى ذلك يرجع البنا للمفعول على هذه القراءة وعن الحسن ايضا فرغ بالتشديد
قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين لما ذكر ان الهتهم لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب قرر ذلك فقال قل يا محمد للمشركين من
يرزقكم من السموات والارض اي من يخلق لكم هذه الارزاق الكائنة من السموات اي عن المطر والشمس
والقمر والنجوم وما فيها من المنافع والارض اي الخارجة من الارض عن الماء والنبات اي لا يمكنهم ان يقولوا
هذا فعل الهتنا فيقولون لا ندري فقل ان الله يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم وان قالوا الله يرزقنا
فقد تقررت الحجة فانه الذي ينبغي ان يعبد وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا على وجه
الانصاف في الحجة كما يقول القائل احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وان صاحبه كاذب والمعنى ما نحن
وانتم على امر واحد بل على امرين متضادين واحد الفريقين مهتد وهو نحن والاخر ضال وهو انتم فكذبهم
باحسن من تصريح التكذيب والمعنى انتم الضالون حين اشركتم بالذي يرزقكم من السموات
والارض واياكم معطوف على اسم ان ولو عطف على الموضع لكان وانتم ويكون لعلى هدى للاول لا
غير واذا قلت انا او اياكم كان للثاني اولى وحذفت من الاول ويجوز ان يكون للاول وهو اختيار المبرد
قال ومعناه معنى قول المستبصر لصاحبه على صحة الوعيد والاستظهار بالحجة الواضحة احدنا كاذب
وقد عرف المعنى كما تقول انا افعل كذا وتفعل انت كذا واحدنا مخطي وقد عرف انه هو المخطي فهكذا وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين واو عند البصريين على بابها وليست للشك لكنها على ما تستعمله
العرب في مثل هذا اذا لم يرد المخبر ان يبين وهو عالم بالمعنى وقال ابو عبيدة والفرا هي بمعنى الواو و
تقديره وانا على هدى واياكم لفي ضلال مبين وقال ـــــ جرير

اثعلبة الفوارس او رياحا ٭	عدلت بهم طهية والربابا ٭
يعني اثعلبة ورياحا	

وقال اخر ٭ فلما اشتد امر الحرب فينا ٭	تاملنا رياحا او رزاما ٭
اي ورزاما	

قوله تعالى قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون اي اكتسبنا ولا نسأل عن ايضا عما
تعملون اي انما اقصد بما ادعوكم اليه الخير لكم لا انه ينالني ضرر كفركم وهذا كما قال لكم دينكم ولي دين والله
مجازي الجميع فهذه اية مهادنة ومتاركة وهي منسوخة بالسيف وقيل نزل هذا قبل اية السيف
قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم يريد يوم القيامة
ثم يفتح بيننا بالحق اي يقضي فيثيب المهتدي ويعاقب الضال وهو الفتاح اي القاضي بالحق العليم باحوال
الخلق وهذا كله منسوخ باية السيف قوله تعالى قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا
بل هو الله العزيز الحكيم يكون اروني هنا من رؤية القلب فيكون شركاء المفعول الثالث اي عرفوني
هذه الاصنام والاوثان التي جعلتموها شركاء لله عز وجل هل شاركت في خلق شي فبينوا ما هو والا فلم
تعبدونها ويجوز ان يكون من رؤية البصر فيكون شركاء حالا كلا اي ليس الامر كما زعمتم وقيل ان كلا
رد لجوابهم المحذوف كانه قال اروني الذين الحقتم به شركاء قالوا هي الاصنام فقال كلا اي ليس
له شركاء بل هو الله العزيز الحكيم قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد
يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي وما ارسلناك الا للناس كافة اي عامة ففي الكلام
تقديم وتاخير وقال الزجاج اي وما ارسلناك الا جامعا للناس بالانذار والابلاغ والكافة بمعنى
الجامع وقيل معناه كافا للناس يكفهم عما هم فيه من الكفر ويدعوهم الى الاسلام والهاء للمبالغة

وقيل اي الا ذا كافة فحذف المضاف اي ذا منع للناس من ان يشذوا عن تبليغك او ذا منع لهم من الكفر ومنه
كف الثوب لانه ضم طرفيه بشيرا اي بالجنة لمن اطاع ونذيرا من النار لمن كفر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما عند
الله وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت اكثر من المومنين عددا ويقولون متى هذا الوعد يعني موعدكم
لنا بقيام الساعة ان كنتم صادقين فقال الله تعالى قل لكم يا محمد ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون فلا يغرنكم تاخيره والميعاد الميقات ويعني بهذا الميعاد وقت البعث
وقيل وقت حضور الموت اي لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي وقيل اراد
بهذا اليوم يوم بدر لان ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى واجاز النحويون ميعاد يوم
على ان يكون ميعاد ابتداء ويوم بدلا منه والخبر لكم واجازوا ميعاد يوما يكون ظرفا وتكون الهاء في عنه
ترجع الى يوم ولا يصح ميعاد يوم لا يستاخرون بغير تنوين واضافة يوم الى ما بعده اذا قدرت الهاء
عائدة على اليوم لان ذلك يكون من اضافة الشي الى نفسه من اجل الهاء التي في الجملة ويجوز ذلك على ان تكون
الهاء للميعاد لا لليوم قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين
يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين قال الذين كفروا اي كفار قريش لن نومن بهذا القران
ولا بالذي بين يديه قال سعد عن قتادة ولا بالذي بين يديه من الكتب والانبيا عليهم السلام وقيل من الاخرة
وقال ابن جريج قايل ذلك ابو جهل ابن هشام وقيل ان اهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا
فاسلوه فلما سالوه فوافق ما قال اهل الكتاب قال المشركون لن نومن بهذا القران ولا بالذي قبله
من التوراة والانجيل بل نكفر بالجميع وكانوا قبل ذلك يراجعون اهل الكتاب ويحتجون بقولهم فظهر بهذا
تناقضهم وقلة علمهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم فيما لهم فقال ولو ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند
ربهم يرجع بعضهم اي محبوسون في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد ان
كانوا في الدنيا اخلاء متناصرين وجواب لو محذوف اي لرايت امرا هايلا فظيعا ثم ذكر اي شي يرجع
من القول بينهم فقال يقول الذين استضعفوا في الدنيا من الكافرين للذين استكبروا وهم القادة و
الروسا لولا انتم لكنا مومنين اي اغويتمونا واضللتمونا واللغة الفصيحة لولا انتم ومن العرب من
يقول لولاكم حكاها سيبويه تكون لولا تخفض المضمر ويرتفع المظهر بعدها بالابتداء ويحذف خبره
ومحمد بن يزيد يقول لا يجوز لولاكم لان المضمر عقيب المظهر فلما كان المظهر مرفوعا بالاجماع وجب
ان يكون المضمر ايضا مرفوعا قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى هو استفهام
بمعنى الانكار اي ما رددناكم نحن عن الهدى ولا اكرهناكم بعد اذ جاكم بل كنتم مجرمين اي المشركين مصرين على
الكفر وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار المكر اصله في كلام العرب
الاحتيال والخديعة وقد مكر به يمكر فهو ماكر ومكار وقال الاخفش هو على تقدير هذا مكر الليل والنهار
قال النحاس والمعنى والله اعلم مكركم في الليل والنهار اي مسارتكم ايانا ودعاكم لنا الى الكفر حملنا على هذا وقال
سفيان الثوري بل عملكم في الليل والنهار وقال قتادة بل مكركم بالليل والنهار صدنا فاضيف المكر اليهما لوقوعه
فيهما وهو كقوله تعالى ان اجل الله اذا جا لا يوخر فاضاف الاجل الى نفسه ثم قال فاذا جا اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون اذا كان الاجل لهم وهذا من قبيل قولك ليله قايم ونهاره صايم قال المبرد اي
بل مكركم الليل والنهار كما تقول العرب نهاره صايم وليله قايم وانشد لجرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى	ونمت وما ليل المطي بنايم

وانشد سيبويه	فنام ليلي وتجلى همي

اي نمت فيه ونظيره والنهار مبصرا وقرا قتادة بل مكر الليل والنهار بتنوين مكر ونصب الليل والنهار
والتقدير بل مكر كاين في الليل والنهار فحذف وقرا سعيد بن جبير بل مكر بفتح الكاف وشد الراء بمعنى
الكرور وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف ويجوز ان يرتفع بفعل مضمر دل عليه انحن صددناكم كانهم
لما قالوا لهم انحن صددناكم عن الهدى قالوا بل صدنا مكر الليل والنهار وروي عن سعيد بن جبير
بل مكر الليل والنهار قال مر الليل والنهار فغفلوا وقيل طول السلامة فيهما كقوله فطال عليهم الامد
وقرا راشد بل مكر الليل والنهار بالنصب كما تقول رايته مقدم الحاج وانما يجوز هذا فيما يعرف لو قلت

في تفصيل لولا

رايته مقدم زيد لم يجز ذكره النحاس اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي اشباها وامثالا ونظرا
قال محمد بن يزيد ند فلان مثله ويقال نديد وانشد شعر

اينما تجعلون الي ندا	وما انتم لذي حسب نديد

وقد مضى هذا في البقرة واسروا الندامة اي اظهروها وهو من الاضداد اذ يكون بمعنى الاخفا والابدا
قال امرو القيس

تجاوزت احراسا واهوال معشر	على حراص لو يسرون مقتلي

وقد روي يشرون وقيل واسروا الندامة اي تبينت الندامة في اسرار وجوههم وقيل الندامة لا
تظهر وانما تكون في القلب وانما يظهر ما يتولد عنها حسب ما تقدم بيانه في سورة يونس وال عمران
وقيل اظهروا الندامة قولهم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين وقيل اسروا الندامة فيما بينهم ولم
يجهروا القول بها كما قال واسروا النجوى الذين وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا الاغلال جمع
غل يقال في رقبته غل من حديد ومنه قيل للمراة السية الخلق غل قمل واصله ان الغل كان يكون من قد وعليه
شعر فيقمل وغللت يده الى عنقه وقد غل فهو مغلول يقال ما له ال وغل والغل ايضا والغلة حرارة العطش
وكذلك الغليل يقال منه غل الرجل يغل غللا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهري اي جعلت الجوامع
في اعناق التابعين والمتبوعين قيل من غيرهما ولا الفريقين وقيل يرجع الذين كفروا اليهم وقيل تم الكلام
عند قوله لما راوا العذاب ثم ابتدا فقال وجعلنا الاغلال بعد ذلك في اعناق ساير الكفار هل يجزون
الا ما كانوا يعملون في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قال قتادة اغنياوها
وروساوها وجبابرتها وقادة الشر للرسل انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
اي فضلنا عليكم بالاموال والاولاد ولو لم يكن ربكم راضيا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك
وما نحن بمعذبين لان من احسن اليه فلا يعذبه فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال لنبيه صلى
الله عليه وسلم قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا اي يوسعه ويقدر اي يقتر اي ان الله هو الذي يفاضل بين عباده
في الارزاق امتحانا لهم فلا يدل شي من ذلك على ما في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة
الاخرة فلا تظنوا اموالكم واولادكم تغني عنكم غدا شيا ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذا لانهم لا يتاملون ثم قال
تاكيدا وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قال مجاهد اي قربى والزلفة القربة وقال
الاخفش اي ازلافا وهو اسم مصدر فيكون موضع قربى نصبا كانه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبا وزعم
الفرا ان التي تكون للاموال والاولاد جميعا وله قول اخر وهو مذهب ابي اسحاق الزجاج يكون المعنى
وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف خبر الاول لدلالة الثاني عليه و
وانشد الفرا شعر

نحن بما عندنا وانت بما	عندك راض والراي مختلف

ويجوز في غير القران باللتين وباللاتي وباللواتي وبالذين وباللذين للاولاد خاصة اي لا تزيدكم الاموال
عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبا الا من امن وعمل صالحا قال سعيد بن جبير المعنى الا من امن وعمل صالحا
فلن يضره ماله وولده في الدنيا وروى ليث عن طاوس انه كان يقول اللهم ارزقني الايمان والعمل وجنبني
المال والولد فاني سمعت فيما اوحيت وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل
صالحا قال الشيخ رحمه الله قول طاوس فيه نظر والمعنى والله اعلم جنبني المال والولد المطغيين او اللذين لا خير
فيهما فاما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى هذا في ال عمران ومريم والفرقان
ومن في موضع نصب على الاستثنا المنقطع اي لكن من امن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه مني وزعم الزجاج
انه في موضع نصب بالاستثنا على البدل من الكاف والميم التي في تقربكم النحاس وهذا القول غلط
لان الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابي اسحق هذا هو قول الفرا
الا ان الفرا لا يقول بدل لانه ليس من لفظ الكوفيين ولكن قوله يوول الى ذلك وزعم ان مثله الا من اتى الله
بقلب سليم يكون منصوبا عنده بينفع واجاز الفرا ان يكون في موضع رفع بمعنى ما هو الا من امن كذا قال
ولسن احتمل معناه فاوليك لهم جزاء الضعف بما عملوا يعني قوله من جا بالحسنة فله عشر امثالها
فالضعف الزيادة اي لهم جزاء التضعيف وهو من باب اضافة المصدر الى المفعول وقيل لهم جزاء
الاضعاف فالضعف في معنى الجمع واضافة الجزا الى الضعف كاضافة الشي الى نفسه نحو حق اليقين

جاج

وصلاة الاولى اي لهم الجزاء المضعف للواحد عشرة الى ما يريد الله من الزيادة وبهذه الاية يستدل من فضل الغني على الفقير وقال محمد بن كعب ان المومن اذا كان غنيا تقيا اتاه الله اجره مرتين بهذه الاية وهم في الغرفات امنون قراءة العامة جزاء الضعف بالاضافة وقرا الزهري ويعقوب ونصر بن عاصم جزاء منونا منصوبا الضعف رفعا اي فاولئك لهم الضعف جزاء على التقديم والتاخير وجزاء الضعف على ان يجازون الضعف وجزاء الضعف مرفوعا ان الضعف بدل من جزاء وقرا الجمهور ايضا في الغرفات على الجمع وهو اختيار ابي عبيد لقوله لنبوينهم من الجنة غرفا الزمخشري وقرئ في الغرفات بضم الراء وسكونها وفتحها وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة وخلف في الغرفة على التوحيد لقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة والغرفة قد يراد بها اسم الجمع واسم الجنس قال ابن عباس هي غرف من ياقوت وزبرجد ودر وقد مضى بيان ذلك امنون اي من العذاب والموت والاسقام والاحزان والذين يسعون في اياتنا اي في ابطال ادلتنا وحججنا وكتابنا معاجزين معاندين يحسبون انهم يفوتوننا بانفسهم فاولئك في العذاب محضرون اي في جهنم تحضرهم الزبانية فيها **قوله تعالى** قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين كرر تاكيدا وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اي قل يا محمد لهؤلاء المفتخرين بالاموال والاولاد ان الله يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تغتروا بالاموال والاولاد بل انفقوها في طاعة الله فان ما انفقتم في طاعة الله فهو يخلفه وفيه اضمار اي فهو يخلفه عليكم يقال اخلف له واخلف عليه اي يعطيكم خلفه وبدله وذلك البدل اما في الدنيا واما في الاخرة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وفيه ايضا عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى قال لي انفق انفق عليك الحديث وهذه اشارة الى الخلف في الدنيا بمثل المنفق فيها اذا كانت النفقة في طاعة الله وقد لا يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعا كما تقدم سواء في الاجابة او التكفير او الادخار والادخار ههنا مثله في الاجر **مسئلة** روى الدارقطني وابو احمد بن عدي عن عبد الحميد الهلالي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل عرضه فهو صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان من نفقة في بنيان او معصية قال عبد الحميد قلت لابن المنكدر وما وقى الرجل عرضه قال يعطي الشاعر وذا اللسان عبد الحميد وثقه ابن معين قال الشيخ رحمه الله اما ما انفق في معصية فلا خلاف انه غير مثاب عليه ولا مخلوف له واما البنيان فما كان منه ضروريا يكن الانسان ويحفظه فذلك مخلوف عليه وماجور ببنيانه وذلك لحفظ بنيته وستر عورته قال صلى الله عليه وسلم لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء وقد مضى هذا المعنى في الاعراف مستوفى قوله تعالى وهو خير الرازقين لما كان يقال في الانسان انه يرزق عياله والامير جنده قال وهو خير الرازقين والرازق من المخلوق يرزق لكن ذلك من مال يملك عليهم ثم ينقطع والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ولا تتناهى ومن اخرج من عدم الى الوجود فهو الرازق على الحقيقة كما قال ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين **قوله تعالى** ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون هذا متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم لو تراهم في هذه الحالة لرايت امرا فظيعا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته ثم قال ولو تراهم ايضا يوم نحشرهم جميعا العابدين والمعبودين اي نجمعهم للحساب ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن قتادة هذا استفهام كقوله عز وجل لعيسى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال النحاس فالمعنى ان الملائكة صلى الله عليهم وسلم اذا اكذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم فهو استفهام توبيخ للعابدين قالوا سبحانك اي تنزيها لك انت ولينا من دونهم اي انت ربنا الذي نتولاه ونطيعه ونعبده ونخلص في العبادة له بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم اي يطيعون ابليس واعوانه وفي التفسير ان حيا يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون ان الجن تتراءى لهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله وهو قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا **قوله تعالى** فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب

اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا

النار التي كنتم بها تكذبون وإذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين نفعا اي شفاعة ونجاة ولا ضرا اي عذابا وهلاكا وقيل اي لا تملك الملائكة دفع ضر عن عابديهم فحذف المضاف ويقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يجوز ان يقول الله لهم او الملائكة ذوقوا قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القران قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم اي اسلافكم من الالهة التي كانوا يعبدونها وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القران اي ما هو الا كذب مختلق وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين قتادة قالوا سحر وتارة قالوا افك ويحتمل ان يكون منهم من قال سحر ومنهم من قال افك **قوله تعالى** وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير يدرسونها اي لم يقروا في كتاب اوتوه بطلان ما جئت به ولا سمعوه من رسول بعث اليهم كما قال ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه يتشبث به ولا شبهة يتعلق بها كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتاب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله الحق وكذب الذين من قبلهم اي كذب قبلهم اقوام كانوا اشد من هؤلاء بطشا واكثر اموالا واولادا واوسع عيشا فاهلكتهم كثمود وعاد وما بلغوا اي ما بلغ اهل مكة معشار ما اتينا تلك الامم والمعشار والعشير سواء لغتان وقيل المعشار عشر العشر الجوهري ومعشار الشيء عشره ولا يقولون هذا في شيء سوى العشر وقيل ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما اعطيناهم حكاه النقاش وقيل ما اعطى الله تعالى من قبلهم معشار ما اعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان قال ابن عباس فليس امة اعلم من امته ولا كتاب ابين من كتابه وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير عشر العشر فيكون جزءا من الف جزء الماوردي وهو الاظهر لان المراد المبالغة في التقليل فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي عقابي في الامم وفيه محذوف وتقديره فاهلكناهم فكيف كان نكيري **قوله تعالى** قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل انما اعظكم بواحدة تمم الحجة على المشركين اي قل لهم يا محمد انما اعظكم اي اذكركم واحذركم سوء عاقبة ما انتم فيه بواحدة اي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام يقتضي نفي الشرك واثبات الاله قال مجاهد هي لا اله الا الله وهذا قول ابن عباس والسدي وعن مجاهد ايضا بطاعة الله وقيل بالقران لانه يجمع كل المواعظ وقيل تقديره بخصلة واحدة ثم بينها بقوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى فتكون ان في موضع خفض على البدل من واحدة او في موضع رفع على اضمار مبتدا اي هي ان تقوموا ومذهب الزجاج انها في موضع نصب بمعنى لان تقوموا وهذا القيام معناه القيام الى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود وهو كما يقال قام فلان بامر كذا اي لوجه الله والتقرب اليه وكما قال تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط مثنى وفرادى اي وحدانا ومجتمعين قاله السدي وقيل منفردا برايه ومشاورا لغيره وهذا قول ماثور وقال القتبي مناظرا مع غيره ومفكرا في نفسه وكله متقارب ويحتمل رابعا ان المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل لانه في النهار معان وفي الليل وحيد قاله الماوردي وقيل انما قال مثنى وفرادى لان الذهن حجة الله على العباد وهو العقل فاوفرهم عقلا اوفرهم حظا من الله فاذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة واذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى لهما من العلم ما اضعف على الانفراد والله اعلم ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة الوقف عند ابي حاتم وابن الانباري على ثم تتفكروا وقيل ليس هو بوقف لان المعنى ثم تتفكروا هل جربتم على صاحبكم كذبا او رايتم منه جنة او في احواله من فساد او اختلف الى احد ممن يدعي العلم بالسحر او تعلم الاقاصيص وقرا الكتب او عرفتموه بالطمع في اموالكم او تقدرون على معارضته في سورة واحدة فاذا عرفتم بهذا الفكر صدقه فما بال هذه المعاندة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه

السورة تبت يدا ابي لهب وقد تب كذا قرا الاعمش الي اخر السورة **قوله تعالى** قل ما سالتكم من
اجر فهو لكم ان اجري الا علي الله وهو علي كل شي شهيد اي جعل علي تبليغ الرسالة فهو لكم اي ذلك الجعل لكم
ان كنت سالتكموه ان اجري الا علي الله وهو علي كل شي شهيد اي رقيب وعالم وحاضر لاعمالي واعمالكم لا يخفي
عليه شي فهو يجازي الجميع **قوله تعالى** قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدي
الباطل وما يعيد يقذف بالحق اي يبين الحجة ويظهرها قال قتادة بالوحي بالحق وعنه الحق القران وقال
ابن عباس اي يقذف الباطل بالحق علام الغيوب وقرا عيسى بن عمر علام الغيوب علي انه بدل اي قل ان ربي علام
الغيوب يقذف بالحق قال الزجاج الرفع من وجهين علي الموضع لان الموضع موضع رفع او علي البدل مما في يقذف
النحاس وفي الرفع وجهان اخران يكون خبرا بعد خبر ويكون علي اضمار مبتدا وزعم الفرا ان الرفع في مثل هذا
اكثر في كلام العرب اذا اتي بعد خبر ان ومثله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقري الغيوب بالحركات
الثلاث فالغيوب بالرفع كالبيوت والغيوب بالنصب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا قوله
تعالى قل جاء الحق قال سعيد عن قتادة يريد القران النحاس والتقدير جاء صاحب الحق اي الكتاب الذي
فيه البراهين والحجج وما يبدي الباطل قال قتادة الشيطان اي ما يخلق الشيطان احدا وما يعيد فما نفي ويجوز
ان يكون استفهاما بمعني اي شي اي جاء الحق فاي شي بقي للباطل حتي يعيده ويبديه اي فلم يبق منه شي كقوله
فهل تري لهم من باقية اي لا تري **قوله تعالى** قل ان ضللت فانما اضل علي نفسي وان اهتديت
فيما يوحي الي ربي انه سميع قريب وذلك ان الكفار قالوا تركت دين ابائك فضللت فقال له قل يا محمد قل
ان ضللت كما تزعمون فانما اضل علي نفسي وقراءة العامة ضللت بفتح اللام وقرا يحيى بن وثاب وغيره قل
ان ضللت بكسر اللام وفتح الضاد من اضل والضلال والضلالة ضد الرشاد وقد ضللت بفتح اللام اضل
بكسر الضاد قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل علي نفسي فهذه لغة نجد الفصيحة واهل العالية يقولون
ضللت بالكسر اضل اي اثم ضلالي علي نفسي وان اهتديت فيما يوحي الي ربي من الحكمة والبيان انه سميع
قريب اي سميع من دعاه قريب الاجابة وقيل وجه النظم قل ان ربي يقذف بالحق ويبين الحجة وضلال من
ضل لا يبطل الحجة ولو ضللت لاضررت بنفسي لا انه يبطل حجة الله فاذا اهتديت فذلك فضل الله اذ ثبتني
علي الحجة انه سميع قريب **قوله تعالى** ولو تري اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان
قريب ذكر احوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه الي معرفة الحق والمعني ولو تري اذ فزعوا في الدنيا عند نزول
الموت او غيره من باس الله تعالى لهم روي معناه عن ابن عباس والحسن هو فزعهم في القبور من الصيحة وعنه ان ذلك
الفزع انما هو اذا اخرجوا من قبورهم وقاله قتادة وقال ابن مغفل اذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة السدي
هو فزعهم يوم بدر حين ضربت اعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا فرارا ولا رجوعا الي التوبة سعيد
بن جبير هو الجيش الذي يخسف به في البيدا فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي اصحابه فيفزعوا فهذا هو فزعهم
فلا فوت فلا نجا قاله ابن عباس مجاهد فلا مهرب واخذوا من مكان قريب اي من القبور وقيل من حيث
كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه قال ابن عباس نزلت في ثمانين الفا يغزون في اخر الزمان
الكعبة ليخربوها فكما يدخلون البيدا يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب قال الشيخ رحمه الله وفي هذا
المعني خبر مرفوع عن حذيفة وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة
تكون بين اهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره
ذلك حتي ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الي المشرق وجيشا الي المدينة فيصير الجيش نحو المشرق حتي
ينزلوا بارض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة يعني مدينة بغداد قال فيقتلون اكثر من
ثلاثة الاف ويفتضون اكثر من مائة امراة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من ولد العباس ثم يخرجون متوجهين
الي الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فيلحق ذلك الجيش منها علي ليلتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر
ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنائم ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة ايام
ثم يخرجون متوجهين الي مكة حتي اذا كانوا بالبيدا بعث الله جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب
فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم وذلك قوله تعالى ولو تري اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من
مكان قريب فلا يبقى منهم الا رجلان احدهما بشير والاخر نذير وهما من جهينة ولذلك جا القول
وعند جهينة الخبر اليقين وقيل اخذوا من مكان قريب اي قبضت ارواحهم في اماكنهم فلم يمكنهم

فيبعث جيشا الي المشرق وجيشا الي المغرب

الفرار من الموت وهذا علي قول من يقول هذا الفزع عند النزع ويجوز ان يكون هذا من الفزع الذي هو بمعني
الاجابة يقال فزع الرجل اي اجاب الصارخ الذي يستغيث به اذا نزل به خوف ومنه الخبر اذ قال للانصار
انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع ومن قال اراد الخسف او القتل في الدنيا كيوم بدر قال
اخذوا في الدنيا قبل ان يوخذوا في الاخرة ومن قال هو فزع يوم القيامة قال اخذوا من بطن الارض الي
ظهرها وقيل اخذوا من مكان قريب من جهنم فالقوا فيها **قوله تعالى** وقالوا امنا به وانى
لهم التناوش من مكان بعيد امنا به اي بالقران وقال مجاهد بالله عز وجل الحسن بالبعث قتادة بالرسول
عليه السلام واني لهم التناوش من مكان بعيد قال ابن عباس والضحاك التناوش الرجعة اي يطلبون
الرجعة الي الدنيا ليومنوا وهيهات من ذلك ومنه قول الشاعر

تمني ان توب الي مي ... وليس الي تناوشها سبيل

وقال السدي هي التوبة اي طلبوها وقد بعدت لانه انما يقبل التوبة في الدنيا وقيل التناوش التناول
قال ابن السكيت يقال للرجل اذا تناول رجلا ليأخذ برأسه ولحيته ناشه ينوشه نوشا وانشد

فهي تنوش الحوض نوشا من علا ... نوشا به تقطع اجواز الفلا

اي تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الي ماء اخر قال ومنه
المناوشة في القتال وذلك اذا تدانى الفريقان ورجل نووش اي ذو بطش والتناوش التناول والانتياش مثله
قال الراجز ... كانت تنوش العنق انتياشا ... وقوله تعالى واني لهم التناوش من مكان بعيد
يقول اني لهم تناول الايمان في الاخرة وقد كفروا به في الدنيا وقرا ابو عمرو والكسائي والاعمش وحمزة
واني لهم التناؤش بالهمز النحاس وابو عبيد يستبعد هذه القراءة لان التناؤش بالهمز البعد فكيف يكون
واني لهم البعد من مكان بعيد قال ابو جعفر والقراءة جائزة حسنة ولها وجهان في كلام العرب ولا
يتاول بها هذا المتناول البعيد فاحد الوجهين ان يكون الاصل غير مهموز ثم همزت الواو لان الحركة
فيها خفية وذلك كثير في كلام العرب وفي المصحف الذي نقلته الجماعة عن الجماعة واذا الرسل اقتت
والاصل وقتت لانه مشتق من الوقت ويقال في جمع دار ادور والوجه الاخر ذكره ابو اسحاق قال يكون
مشتقا من النيش وهو الحركة في ابطا اي من اين لهم الحركة فيما قد بعد يقال نأشت الشي اخذته من بعد
والنيش الشي البطي قال الجوهري التناؤش بالهمز التاخر والتباعد وقد ناشت الامر انأشه نأشا اخرته
فانتاش ويقال فعله نئيشا اي اخيرا قال الشاعر

تمني نئيشا ان يكون اطاعني ... وقد حدثت بعد الامور امور

وقال اخر

قعدت زمانا عن طلابك للعلى ... وجئت نئيشا بعد ما فاتك الخبر

وقال الفرا الهمز وترك الهمز في التناوش متقارب مثل ذمت الرجل وذامته اي عبته من مكان بعيد اي
من الاخرة وروى ابو اسحق عن التميمي عن ابن عباس واني لهم قال الرد سالوه وليس بحين رد **قوله تعالى**
وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وقد كفروا به اي بالله عز وجل وقيل بمحمد من
قبل يعني في الدنيا ويقذفون بالغيب العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحقه هو يقذف ويرجم بالغيب من مكان
بعيد علي جهة التمثيل لمن يرجم ولا يصيب اي يرمون بالظن فيقولون لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار رجما
منهم بالظن قاله قتادة وقيل يقذفون اي يرمون في القران فيقولون سحر وشعر واساطير الاولين وقيل في
محمد فيقولون شاعر ساحر كاهن مجنون من مكان بعيد اي ان الله بعد لهم ان يعلموا صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد
البعد عن القلب اي من مكان بعيد عن قلوبهم وقرا مجاهد ويقذفون بالغيب غير مسمى الفاعل اي يرمون به وقيل
يقذف به اليهم من يغويهم ويضلهم **قوله تعالى** وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم
من قبل انهم كانوا في شك مريب قيل حيل بينهم وبين النجاة من العذاب وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون
في الدنيا من اموالهم واهليهم ومذهب قتادة ان المعني انهم كانوا يشتهون لما راوا العذاب ان تقبل منهم
ان يطيعوا الله عز وجل وينتهوا الي ما يامرهم به الله فحيل بينهم وبين ذلك لان ذلك انما كان في الدنيا وقد زالت
في ذلك الوقت والاصل حول فقلبت حركة الواو علي الحاء فانقلبت ياء ثم حذفت حركتها لثقلها كما فعل باشياعهم
الاشياع جمع شيع وشيع جمع شيعة من قبل اي بمن مضي من القرون السالفة الكافرة انهم كانوا في شك اي
من امر الرسل والبعث والجنة والنار وقيل في الدين والتوحيد والمعني واحد مريب اي يستراب به يقال

اراب الرجل اذا صار ذا ريبة فهو مريب ومن قال هو من الريب الذي هو الشك والتهمة قال فيقال
شك مريب كما يقال عجب عجيب وشعر شاعر في التأكيد ختمت السورة بحمد الله وعونه

تفسير سورة فاطر

مكية في قول الجميع وهي خمس واربعون اية قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق
ما يشاء ان الله على كل شيء قدير يجوز في فاطر ثلاثة اوجه الخفض على النعت والرفع على اضمار مبتدا
والنصب على المدح وحكى سيبويه الحمد لله اهل الحمد وكذا جاعل الملائكة والفاطر الخالق وقد مضى في يوسف وغيرها
والفطر الشق عن الشيء يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشيء تشقق وسيف
فطار اي فيه تشقق قال عنترة

وسيفي كالعقيقة فهو كمعي ... سلاحي لا افل ولا فطارا

والفطر الابتداء والاختراع قال ابن عباس كنت لا ادري ما فاطر السموات حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بير فقال احدهما انا فطرتها اي انا ابتداتها والفطر حلب الناقة بالسبابة والابهام والمراد بذكر
السموات والارض العالم كله ونبه بهذا على ان من قدر على الابتداء قادر على الاعادة جاعل الملائكة
لا يجوز فيه التنوين لانه لما مضى رسلا مفعول ثان ويقال على اضمار فعل لان فاعلا اذا كان لما مضى لم يعمل فيه
شيئا واعماله على انه مستقبل حذف التنوين منه تخفيفا وقرا الضحاك الحمد لله فطر السموات والارض
على الفعل الماضي جاعل الملائكة رسلا الرسل منهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت صلى الله عليهم
اجمعين وقرا الحسن جاعل الملائكة بالرفع وقرا خليد بن نشيط جعل الملائكة وكله ظاهر اولي اجنحة
نعت اي اصحاب اجنحة مثنى وثلاث ورباع اي اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة قال قتادة بعضهم
له جناحان وبعضهم له ثلاثة وبعضهم اربعة ينزلون بها من السماء الى الارض ويعرجون من الارض
الى السماء وهي مسيرة كذا في وقت واحد اي جعلهم رسلا قال يحيى بن سلام الى الانبياء وقال السدي
الى العباد برحمة او نقمة وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلام
له ستمائة جناح وعن الزهري ان جبريل عليه السلام قال له يا محمد لو رايت اسرافيل ان له لاثني عشر الف
جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش لعلى كاهله وانه في الاحايين ليتضاءل لعظمة الله
حتى يعود مثل الوصع والوصع عصفور صغير حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته واولو اسم جمع لذو كما ان هؤلاء
اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة وقد مضى الكلام في مثنى وثلاث ورباع
في النساء وانه غير منصرف يزيد في الخلق ما يشاء اي في خلق الملائكة في قول اكثر المفسرين ذكره المهدوي
وقال الحسن يزيد في الخلق اي في اجنحة الملائكة ما يشاء وقال الزهري وابن جريج يعني حسن الصوت
وقد مضى القول فيه في مقدمة الكتاب وقال الهيثم الفارسي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
منامي فقال انت الهيثم الذي تزين القران بصوتك جزاك الله خيرا وقال قتادة يزيد في الخلق ما يشاء
الملاحة في العينين والحسن في الانف والحلاوة في الفم وقيل الخط الحسن وقال مهاجر الكلاعي
والشعر الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الخط الحسن يزيد الكلام وضوحا وقيل الوجه الحسن وقيل في
الخبر في هذه الاية هو الوجه الحسن والصوت الحسن ذكره القشيري النقاش هو الشعر الجعد وقيل العقل
والتمييز وقيل العلوم والصنائع ان الله على كل شيء قدير من النقصان والزيادة الزمخشري الاية مطلقة
تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة
في العقل وجزالة في الراي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم
وحسن تات في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به وصف قوله تعالى ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم واجاز النحويون في
غير القران فلا ممسك له على لفظ ما ولها على المعنى واجازوا وما يمسك فلا مرسل لها واجازوا ما يفتح
الله للناس من رحمة بالرفع يكون ما بمعنى الذي اي ان الرسل بعثوا رحمة للناس فلا يقدر على ارسالهم
غير الله وقيل ما ياتيهم به من مطر او رزق فلا يقدر احد ان يمسكه وما يمسك من ذلك فلا يقدر احد

على ان يرسله وقيل هو الدعاء قاله الضحاك ابن عباس من توبة وقيل من توفيق وهداية قلت ولفظ الرحمة
يجمع ذلك اذ هي منكرة للاشاعة والابهام فهي متناولة لكل رحمة على البدل فهو عام في جميع ما ذكر وفي
موطا مالك انه بلغه ان ابا هريرة كان يقول اذا اصبح وقد مطر الناس مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو هذه الاية
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو العزيز الحكيم قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا
نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون
معنى هذا الذكر الشكر هل من خالق غير الله يجوز في غير القران الرفع والنصب والخفض فالرفع من وجهين
احدهما بمعنى هل من خالق الا الله بمعنى ما خالق الا الله والوجه الثاني ان يكون نعتا على الموضع لان المعنى
هل خالق غير الله ومن زائدة والنصب على الاستثناء والخفض على اللفظ قال حميد الطويل قلت للحسن
من خلق الشر فقال سبحان الله هل من خالق غير الله جل وعز خلق الخير والشر وقرا حمزة والكسائي
هل من خالق غير الله بالخفض الباقون بالرفع يرزقكم من السماء اي المطر والارض اي النبات لا اله الا هو
فانى تؤفكون من الافك بالفتح وهو الصرف يقال ما افكك عن كذا اي ما صرفك عنه وقيل من الافك
بالكسر وهو الكذب ويرجع هذا ايضا ما تقدم لانه قول مصروف عن الصدق والصواب اي من اين
يقع لكم التكذيب بتوحيد الله والاية حجة على القدرية لانه نفى خالقا غير الله وهم يثبتون معه خالقين على
ما تقدم في غير موضع قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور
وان يكذبوك يعني كفار قريش فقد كذبت رسل من قبلك يعزي نبيه ويسليه صلى الله عليه وسلم وليتاسى
بمن قبله في الصبر والى الله ترجع الامور قرا الحسن والاعرج ويعقوب وابن عامر وابو حيوة وابن محيصن
وحميد والاعمش وحمزة والكسائي وخلف بفتح التاء على انه مسمى الفاعل واختاره ابو عبيد لقوله تعالى
الا الى الله تصير الامور الباقون ترجع على الفعل المجهول قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد ايضاح الدليل
على صحة قوله اي البعث والثواب والعقاب حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا قال ابن جبير غرور الحياة الدنيا
ان يشتغل الانسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الاخرة حتى يقول يا ليتني قدمت لحياتي ولا يغرنكم بالله
الغرور قال ابن السكيت وابو حاتم الغرور الشيطان وغرور جمع غر مصدر ويكون الغرور مصدرا
وهو بعيد عند غير ابي اسحاق لان غررته متعد والمصدر المتعدي انما هو على فعل نحو ضربته ضربا الا في
اشياء يسيرة لا يقاس عليها قالوا لزمه لزوما ونهكه المرض نهوكا فاما معنى الحرف فاحسن ما قيل
فيه ما قاله سعيد بن جبير قال الغرور بالله ان يكون الانسان يعمل بالمعاصي ثم يتمنى على الله المغفرة
وقراءة العامة الغرور بفتح الغين وهو الشيطان اي لا يغرنكم بوساوسه في انه يتجاوز عنكم لفضلكم
وقرا ابو حيوة وابن سماك العدوي ومحمد بن السميقع الغرور برفع الغين وهو الباطل اي لا يغرنكم
الباطل وقال ابن السكيت والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا قال الزجاج ويجوز ان يكون
الغرور جمع غار مثل قاعد وقعود الزمخشري او مصدر غره كاللزوم والنهوك النحاس او جمع غر وتشبيه
بقولهم نهكه المرض نهوكا ولزمه لزوما قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما
يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي فعادوه ولا
تطيعوه ويدلكم على عداوته اخراجه اباكم من الجنة وضمانه اضلالكم في قوله ولاضلنهم ولامنينهم
الاية وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم الاية
فاخبرنا جل وعز ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا ادم صلوات الله عليه
وكيف انتدب لعداوتنا وغرورنا من قبل وجودنا وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا
مما فيه هلاكنا وكان الفضيل بن عياض يقول يا كذاب يا مفتري اتق الله ولا تسب الشيطان في
العلانية وانت صديقه في السر وقال ابن السماك يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته باحسانه
واطاع اللعين بعد معرفته بعداوته وقد مضى هذا المعنى في البقرة مجودا واوعد وفي قوله ان الشيطان
لكم عدو يجوز ان يكون بمعنى معاد فيثنى ويجمع ويؤنث ويكون بمعنى النسب فيكون موحدا بكل حال
كما قال عز وجل فانهم عدو لي وفي المؤنث على هذا ايضا عدو النحاس فاما قول بعض النحويين ان الواو

خفية مخافة ابا لفا. فيطابل الواو حتى جعلها ما بدعوا حزبه كفت ما ان عن العمل فوقع بعدها الفعل حزبه
اي اشياعه ليكونوا من اصحاب السعير فهذه بدل او نعت الذين كفروا لهم عذاب شديد يكون الذين بدلا من
اصحاب فيكون في موضع خفض او يكون بدلا من الواو حزبه فيكون في موضع نصب او يكون بدلا من
الواو فيكون في موضع رفع وقول رابع وهو احسنها يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره لهم
عذاب شديد وكانه سبحانه بين حال موافقته ومخالفته ويكون الكلام قد تم في قوله من اصحاب السعير
ثم ابتدا فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات في موضع رفع بالابتدا
ايضا وخبره لهم مغفرة اي لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة **قوله تعالى** افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم
بما يصنعون من في موضع رفع بالابتدا وخبره محذوف قال الكسائي والذي يدل عليه قوله تعالى
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال فالمعنى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا ذهبت نفسك عليهم
حسرات قال وهذا كلام عربي ظريف لا يعرفه الا القليل وذكره الزمخشري عن الزجاج قال
النحاس والذي قاله الكسائي احسن ما قيل في الاية لما ذكره من الدلالة على المحذوف والمعنى ان الله عز
وجل نهى نبيه عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال جل وعز فلعلك باخع نفسك قال اهل التفسير
قاتل نفسك قال نصر بن علي سالت الاصمعي عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في اهل اليمن هم ارق قلوبا وابخع طاعة
ما معنى ابخع فقال انصح فقلت له ان اهل التفسير مجاهدا وغيره يقولون في قول الله عز وجل لعلك باخع
نفسك معناه قاتل نفسك فقال هو من ذاك بعينه كانه من شدة النصح لهم قاتل نفسه وقال الحسين بن
الفضل فيه تقديم وتاخير مجازه افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله
يضل من يشا ويهدي من يشا وقيل الجواب محذوف المعنى افمن زين له سوء عمله كمن هدي ويكون تدل عليه
هذا المحذوف فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا وقرا يزيد بن القعقاع فلا تذهب نفسك وفيمن زين
له سوء عمله اربعة اقوال احدها انهم اليهود والنصارى والمجوس قاله ابو قلابة ويكون سوء عمله معاندة
الرسول الثاني انهم الخوارج رواه عمرو بن القاسم فيكون سوء عمله تحريف التاويل الثالث الشيطان
قاله الحسن ويكون سوء عمله الاغواء الرابع كفار قريش قاله الكلبي ويكون سوء عمله الشرك وقال
انها نزلت في العاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب وقال غيره نزلت في ابي جهل ابن هشام فراه
حسنا اي صوابا قاله الكلبي وقيل جميلا قال الشيخ رحمه الله والقول بان المراد كفار قريش اظهر
الاقوال لقوله تعالى ليس عليك هداهم وقوله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقوله فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث وقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين وقوله في
هذه الاية فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وهذا ظاهر بين اي لا ينفع تاسفك على مقامهم على
كفرهم فان الله اضلهم وهذه الاية ترد على القدرية قولهم على ما تقدم اي افمن زين له سوء عمله فراه
حسنا يريد ان يهديه وانما ذلك الى الله لا اليك والذي اليك هو التبليغ وقرا ابو جعفر وشيبة
وابن محيصن فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصبا على المفعول والمعنيان متقاربان حسرات
منصوب مفعول من اجله اي فلا تذهب نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات
عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بالحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته
ويجوز ان يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى ... حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قول الاخر

فعلى اثرهم تساقط نفسي ... حسرات وذكرهم لي سقام

او مصدر ان الله عليم بما يصنعون **قوله تعالى** والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ميت وميت واحد وكذا ميتة وميتة هذا
قول الحذاق من النحويين وقال محمد بن يزيد هذا قول البصريين ولم يستثن احد واستدل على ذلك بدلائل قاطعة
وانشد

ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا ... كاسفا باله قليل الرجاء

هم ارق قلوبا وابخع طاعة

قال ... ثم ترى بين ميت وميتا فرقا ... وانشد

هينون لينون ايسار بنو يسر ... سواس مكرمة ابنا ايسار

قال فقد اجمعوا على ان هينون ولينون واحد وكذا ميت وميت وسيد وسيد وقال فسقناه بعد ان
قال الله الذي ارسل الرياح وهو من باب تلوين الخطاب وقال ابو عبيدة سبيله فتسوقه لانه قال
فتثير سحابا قال الزمخشري فان قلت لم جا فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال
التي تقع فيها اثارة الرياح وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وكذلك
يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تابط شرا

باني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجران

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم
على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى
البلد الميت لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة
الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه وقراءة العامة الرياح وقرا ابن محيصن وابن كثير والاعمش
ويحيى وحمزة والكسائي الريح توحيدا وقد مضى بيان هذه الاية والكلام فيها مستوفى وكذلك النشور
اي كذلك تحيون بعدما متم من نشر الانسان نشورا فالكاف في محل الرفع اي مثل احيا الموات نشر الاموات
وعن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه قال اما مررت
بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم يا رسول الله قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته
في خلقه وقد ذكرنا هذا الخبر في الاعراف وغيرها مستوفى **قوله تعالى** من كان يريد العزة
فلله العزة جميعا التقدير عند الفرا من كان يريد علم العزة وكذا قال غيره من اهل العلم اي من كان
يريد علم العزة التي لا ذلة معها لان العزة اذا كانت تودي الى ذلة فانما هي تعرض للذلة والعزة التي لا
ذل معها لله عز وجل جميعا منصوب على الحال وقدر الزجاج معناه من كان يريد بعبادته الله عز وجل العزة
والعزة له سبحانه فان الله عز وجل يعزه في الاخرة والدنيا قال الشيخ رحمه الله وهذا احسن وروي مرفوعا
على ما ياتي فلله العزة جميعا ظاهر هذا ايئاس السامعين من عزته وتعريفهم ان ما وجب له من ذلك
لا مطمع فيه لغيره فتكون الالف واللام للعهد عند العالمين به سبحانه بما وجب له من ذلك وهو
المفهوم من قوله الحق في سورة يونس فلا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا ويحتمل ان يريد سبحانه ان ينبه
ذوي الاقدار والهمم من اين تنال العزة ومن اين تستحق فتكون الالف واللام للاستغراق وهو
المفهوم من ايات هذه السورة فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع
وجدها عنده ان شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن
طلبها من غيره وكله الى من طلبها عنده وقد ذكر قوما طلبوا العزة عند من سواه فقال الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فانبا لك صريحا لا
اشكال فيه ان العزة له يعز بها من يشا ويذل من يشا وقال صلى الله عليه وسلم مفسرا لقوله من
كان يريد العزة فلله العزة جميعا من اراد عز الدارين فليطع العزيز وهذا معنى قول الزجاج
ولقد احسن من قال

واذا تذللت الرقاب تواضعا ... منا اليك فعزها في ذلها

فمن كان يريد العزة لينال الفوز الاكبر ويدخل دار العزة ولله العزة فليقصد بالذلة الله سبحانه
والاعتزاز به فانه من اعتز بالعبيد اذله الله ومن اعتز بالله اعزه الله **قوله تعالى** اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو
يبور فيه مسالتان الاولى قوله اليه اي الى الله يصعد الكلم الطيب وتم الكلام ثم تبتدي والعمل الصالح يرفعه على معنى
يرفعه الله او يرفع الله صاحبه ويجوز ان يكون المعنى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون الكلام متصلا
على ما ياتي بيانه والصعود هو الحركة الى فوق وهو العروج ايضا ولا يتصور ذلك في الكلام لانه عرض لكن
ضرب صعوده مثلا لقبوله لان موضع الثواب فوق وموضع العذاب اسفل وقال الزجاج يقال ارتفع
الامر الى القاضي اي علمه فهو بمعنى العلم وخص الكلام الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه وقوله اليه اي الى

الله يصعد وقيل يصعد الي سمايه والمحل الذي لا يجري فيه لاحد غيره حكم وقيل اي يحمل الكتاب الذي كتب فيه طاعات العبد الي السماء والكلم الطيب هو التوحيد الصادر عن عقدة طيبة وقيل هو التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه وانشدوا

لا ترض من رجل حلاوة قوله ... حتي تزين ما يقول فعال
فاذا وزنت فعاله بمقاله ... فتوازنا فاخاء ذاك جمال

وقال ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وفيه قيل

لا يكون المقال الا بفعل ... كل قول بلا فعال هباء
ان قولا بلا فعال جميل ... ونكاحا بلا ولي سواء

وقرا الضحاك يصعد بضم الياء وقرا جمهور الناس الكلم جمع كلمة وقرا ابو عبد الرحمن الكلام قال الشيخ رحمه الله فالكلام علي هذا قد يطلق بمعني الكلم وبالعكس وعليه يخرج قول ابي القاسم اقسام الكلام ثلثة فوضع الكلام موضع الكلم والله اعلم والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما المعني والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة قال ابن عباس فاذا ذكر العبد الله وقال كلاما طيبا وادي فرايضه ارتفع قوله مع عمله واذا قال ولم يود فرايضه رد قوله علي عمله قال ابن عطية وهذا قول يرده معتقد اهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق ان العاصي التارك للفرايض اذا ذكر الله وقال كلاما طيبا فانه مكتوب له متقبل منه وله حسناته وعليه سياته والله تعالي يتقبل من كل من اتقي الشرك وايضا فان الكلام الطيب عمل صالح وانما يستقيم قول من يقول ان العمل هو الرافع للكلم بان يتاول انه يزيده في رفعه وحسن موقعه اذا تعاضد معه كما ان صاحب الاعمال من صلاة وصيام وغير ذلك اذا تخلل اعماله كلم طيب وذكر الله تعالي كانت الاعمال اشرف فيكون قوله والعمل الصالح يرفعه موعظة وتذكرة وحضا علي الاعمال واما الاقوال التي هي اعمال في نفوسها كالتوحيد والتسبيح فمقبوله قال ابن العربي ان كلام المرء بذكر الله ان لم يقترن به عمل صالح لم ينفع لان من خالف قوله فعله فهو وبال عليه وتحقيق هذا ان العمل اذا وقع شرطا في قبول القول او مرتبطا فانه لا قبول له الا به وان لم يكن شرطا فيه فان كلمه الطيب يكتب له وعمله السيئ يكتب عليه وتقع الموازنة بينهما ثم يحكم الله بالفوز والربح والخسران قال الشيخ رحمه الله ما قاله ابن العربي تحقيق والظاهر ان العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب وقد جاء في الاثار ان العبد اذا قال لا اله الا الله بنية صادقة نظرت الملايكة الي عمله فان كان العمل موافقا لقوله صعدا جميعا وان كان عمله مخالفا وقف قوله حتي يتوب من عمله فعلي هذا العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب الي الله والكناية في يرفعه ترجع الي الكلم الطيب وهذا قول ابن عباس وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وابي العالية والضحاك وعلي ان الكلم الطيب هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح لانه لا يقبل العمل الصالح الا مع الايمان والتوحيد اي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالكناية تعود علي العمل الصالح وروي هذا القول عن شهر بن حوشب قال الكلم الطيب القران والعمل الصالح يرفعه القران وقيل تعود علي الله عز وجل اي ان العمل الصالح يرفعه الله علي الكلم الطيب لان العمل تحقيق الكلم والعامل اكثر تعبا من القايل وهذا هو حقيقة الكلام لان الله هو الرافع الخافض والثاني والاول مجاز ولكنه سايغ جايز قال النحاس القول الاول اولاهما واصحهما لعلو من قال به وانه في العربية اولي لان القراء علي رفع العمل ولو كان المعني والعمل الصالح يرفعه الله او العمل الصالح يرفع الكلم الطيب لكان الاختيار نصب العمل ولا نعلم احدا قراه منصوبا الا شيا عن عيسي بن عمر انه قال قراه اناس والعمل الصالح يرفعه وقيل والعمل الصالح يرفع صاحبه وهو الذي اراد العزة

وعلم انها تطلب من الله تعالي ذكره القشيري **الثانية** ذكروا عند ابن عباس ان الكلب يقطع الصلاة فتلا هذه الاية اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وهذا استدلال بعموم علي مذهب السلف في القول بالعموم وقد دخل في الصلاة بشروطها فلا يقطعها عليه شي الا بثبوت ما يوجب ذلك من مثل ما انعقدت به من قران او سنة او اجماع وقد تعلق من راي ذلك بقوله عليه السلام تقطع الصلاة المراة والحمار والكلب الاسود فقلت ما بال الكلب الاسود من الكلب الابيض من الكلب الاحمر فقال ان الاسود شيطان خرجه مسلم وقد جاء ما يعارض هذا وهو ما خرجه البخاري عن ابن اخي ابن شهاب انه سال عمه عن

الصلاة يقطعها شي فقال لا يقطعها شي اخبرني عروة بن الزبير ان عايشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم قالت لقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقوم فيصلي من الليل واني لمعترضة بينه وبين القبلة علي فراش اهله قوله تعالي والذين يمكرون السيات ذكر الطبري في كتاب اداب النفوس حدثني ابن عبد الاعلي قال حدثنا سفيان عن ليث عن ابن ابي سليم عن شهر بن حوشب الاشعري في قوله عز وجل والذين يمكرون السيات لهم عذاب شديد ومكر اوليك هو يبور قال هم اصحاب الريا وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال ابو العالية هم الذين مكروا بالنبي صلي الله عليه وسلم لما اجتمعوا في دار الندوة وقال الكلبي يعني الذين يعملون السيات في الدنيا مقاتل يعني الشرك فتكون السيات مفعوله ويقال بار يبور اذا هلك وبطل وبارت السوق اي كسدت ومنه نعوذ بالله من بوار الايم وقوله وكنتم قوما بورا اي هلكي والمكر ما عمل علي سبيل احتيال وخديعة وقد مضي في سبا **قوله تعالي** والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثي ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك علي الله يسير قال سعيد عن قتادة قال يعني ادم عليه السلام والتقدير علي هذا خلق اصلكم من تراب ثم من نطفة قال اي التي اخرجها من ظهور ابايكم ثم جعلكم ازواجا قال اي زوج بعضكم بعضا فالذكر زوج الانثي ليتم البقاء في الدنيا الي انقضاء مدتها وما تحمل من انثي ولا تضع الا بعلمه اي جعلكم ازواجا فيتزوج الذكر بالانثي فيتناسلان بعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع الا والله عالم به فلا يخرج شي عن تدبيره وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب سماه معمرا انما هو صاير اليه قال سعيد بن جبير عن ابن عباس وما يعمر من معمر الا كتب عمره كم هو سنة كم هو شهرا كم هو يوما كم هو ساعة ثم يكتب في كتاب اخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتي يستوفي اجله وقال ابن جبير ايضا قال فما مضي من اجله فهو النقصان وما يستقبل فهو الذي يعمره فالهاء علي هذا للمعمر وعن سعيد ايضا يكتب عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتي ياتي علي اخره وقال قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة ومذهب الفرا في معني وما يعمر من معمر اي ما يكون من عمره بمعني معمر اخر اي ولا ينقص الاخر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فالكناية في عمره ترجع الي اخر غير الاول وكني عنه بالهاء كانه الاول ومثله قولك عندي درهم ونصفه نصف اخر وقيل ان الله كتب عمر الانسان مايه سنة ان اطاع وتسعين ان عصي فايهما بلغ فهو في كتاب وهذا مثل قوله عليه السلام من احب ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه اي انه يكتب في اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فان وصل رحمه زيد في عمره كذا سنة فبين ذلك في موضع اخر من اللوح المحفوظ انه سيصل رحمه فمن اطلع علي الاول دون الثاني ظن انه زيادة او نقصان وقد مضي هذا المعني عند قوله تعالي يمحو الله ما يشاء ويثبت والكناية علي هذا ترجع الي المعمر وقيل المعني وما يعمر من معمر اي هرم ولا ينقص اخر من عمر الهرم الا في كتاب اي بقضاء من الله عز وجل روي معناه عن الضحاك واختاره النحاس قال وهو اشبهها بظاهر التنزيل وروي نحوه عن ابن عباس فالهاء علي هذا يجوز ان تكون للمعمر ويجوز ان تكون لغير المعمر ان ذلك علي الله يسير اي كتابة الاعمال والاجال غير متعذر عليه وقراءة العامة ينقص بضم الياء وفتح القاف وقرات فرقة منهم يعقوب ينقص بفتح الياء وضم القاف اي لا ينقص من عمره شي يقال نقص الشي بنفسه ونقصه غيره وزاد بنفسه وزاده غيره متعد ولازم وقرا الاعرج والزهري من عمره بتخفيف الميم وضمها الباقون وهما لغتان مثل السحق والسحق ويسير اي احصاوه بل الاعمار وقصيرها لا يتعذر عليه شي منها ولا يعزب والفعل منه يسر ولو سميت به انسانا انصرف لانه فعيل **قوله تعالي** وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وتري الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فيه اربع مسايل **الاولي** قال ابن عباس فرات حلو واجاج مر وقرا طلحة هذا ملح اجاج بفتح الميم وكسر اللام بغير الف فاما المالح فهو الذي يجعل فيه الملح وقرا عيسي وابن ابي اسحاق سيغ شرابه مثل سيد وميت ومن كل تاكلون لحما طريا لا اختلاف في انه منهما جميعا وقد مضي في النحل الكلام فيه **الثانية** قوله تعالي وتستخرجون حلية تلبسونها مذهب ابي اسحاق ان الحلية انما تستخرج من الملح فقيل منهما لانهما مختلطان وقال غيره انما تستخرج الاصداف التي فيها الحلية من الدر وغيره من المواضع

كل قول بلا فعال هباء

ان العبد اذا قال لا اله الا الله

ان الكلب الاسود شيطان

التي فيها العذب والملح نحو العيون فهو ماخوذ منهما لان في البحر عيونا عذبه وبينهما يخرج اللولوء عند التمازج
وقيل من مطره وقال محمد بن يزيد قولا رابعا قال انما تستخرج الحلية من الملح خاصة النحاس وهو احسنها
وليس هذا عنده لانهما مختلطان ولكن جمعا ثم اخبر عن احدهما كما قال عز وجل وهو الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وكما تقول لو رايت الحسن والحجاج لرايت خيرا او شرا
وكما تقول لو رايت الاصمعي وسيبويه لملات يدك لغة ونحوا فقد عرف معنى هذا وهو كلام فصيح
كثير فكذا ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون منه حلية تلبسونها فاجتمعا في الاول وانفرد الملح
بالثاني

الثالثة

وفي قوله تلبسونها دليل على ان لباس كل شي بحسبه كالخاتم يجعل في الاصبع والسوار
في الذراع والقلادة في العنق والخلخال في الرجل وفي البخاري والنسائي عن ابن سيرين قال قلت لعبيدة
افتراش الحرير كلبسه قال نعم وفي الصحاح عن انس فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس
الحديث

الرابعة

قوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر قال النحاس اي ما الملح خاصة ولولا ذلك
لقال فيهما وقد مخرت السفينة تمخر اذا شقت الماء وقد مضى هذا في النحل لتبتغوا من فضله قال
مجاهد التجارة في الفلك الى البلدان البعيدة في مدة قريبة كما تقدم في البقرة وقيل ما يستخرج من
حليته ويصاد من حيتانه ولعلكم تشكرون على ما اتاكم من فضله وقيل على ما انجاكم من هوله

قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل تقدم في آل عمران وغيرها وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى تقدم في
لقمان بيانه ذلكم الله ربكم له الملك اي هذا الذي من صنعه ما تقرر هو الخالق المدبر والقادر
المقتدر فهو الذي يعبد والذين يدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون من قطمير اي لا يقدرون
ولا على خلقه والقطمير القشرة الرقيقة البيضاء التي بين التمرة والنواة قاله اكثر المفسرين
وقال ابن عباس هو شق النواة وهو اختيار المبرد وقاله قتادة وعن قتادة ايضا عن قطمير القمع
الذي على راس النواة الجوهري ويقال هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة

قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل خبير اي ان تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم لانها جمادات
لا تبصر ولا تسمع ولو سمعوا ما استجابوا لكم اذ ليس كل سامع ناطقا وقال قتادة المعنى ولو سمعوا لم
ينفعوكم وقيل اي لو جعلنا لهم عقولا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا اطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على
الكفر ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يجحدون انكم عبدتموهم ويتبرؤون منكم ثم يجوز ان يرجع هذا
الى المعبود من ما يعقل كالملائكة والجن والانبيا والشياطين اي يجحدون ان يكون ما فعلتموه
حقا وانهم امروكم بعبادتهم كما اخبر عن عيسى بقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ويجوز ان يندرج
فيه الاصنام ايضا اي يحييها الله حتى تخبر بانها ليست اهلا للعبادة ولا ينبئك مثل خبير هو الله عز
وجل اي لا احد اخبر بخلق الله من الله فلا ينبئك مثله في عمله

قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله والله هو الغني الحميد يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اي المحتاجون اليه في بقائكم وكل احوالكم الزمخشري
فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت
الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر
وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من
ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما
اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم
حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم
عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه وتخفيف الهمزة الثانية اجود الوجوه عند الخليل ويجوز تخفيف
الاولى وحدها وتخفيفهما جميعا والله هو الغني الحميد يكون ذا ئدة فلا يكون لها موضع من الاعراب
وتكون مبتداة فيكون موضعها رفعا

قوله تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز ان يشا يذهبكم فيه حذف المعنى ان يشا ان يذهبكم يذهبكم اي يفنيكم ويات بخلق

القطمير القشرة الرقيقة

جديد

جديد اي اطوع منكم وازكى وما ذلك على الله بعزيز اي ممتنع عسير متعذر وقد مضى هذا في ابراهيم

قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا
قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه
والى الله المصير ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم الكلام فيه وهو مقطوع مما قبله والاصل يوزر
حذفت الواو اتباعا ليزر ووازرة نعت لمحذوف اي نفس وازرة وكذا وان تدع مثقلة قال الفراء
اي نفس مثقلة او دابة قال وهذا يقع للمذكر والمونث قال الاخفش وان تدع مثقلة انسانا الى حملها
وهو ذنوبها والحمل ما كان على الظهر والحمل حمل المراة وحمل النخلة حكاهما الكسائي بالفتح لا غير وحكى
ابن السكيت ان حمل النخلة يفتح ويكسر لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى التقدير على قول الاخفش ولو
كان الانسان المدعو ذا قربى واجاز الفراء ولو كان ذو قربى وهذا جائز عند سيبويه ومثله
وان كان ذو عسرة فيكون كان بمعنى وقع او يكون الخبر محذوفا اي وان كان فيمن تطالبون ذو عسرة
وحكى سيبويه الناس مجزيون باعمالهم ان خيرا فخير على هذا وخيرا فخيرا على الاول وروي عن عكرمة
انه قال بلغني ان اليهودي والنصراني يرى الرجل المسلم يوم القيامة فيقول له الم اكن قد اسديت اليك
يدا الم اكن قد احسنت اليك فيقول بلى فيقول انفعني فلا يزال المسلم يسال الله تعالى حتى
ينقص من عذابه وان الرجل لياتي الى ابنه يوم القيامة فيقول الم اكن بك بارا وعليك مشفقا واليك
محسنا وانت ترى ما انا فيه فهب لي حسنة من حسناتك او احمل عني سيئة فيقول ان الذي سالتني
ليسير ولكني اخاف مثل ما تخاف وان الاب ليقول لابنه مثل ذلك فيرد عليه نحوا من هذا وان الرجل
ليقول لزوجته الم اكن احسن العشرة لك فاحملي عني خطيئة لعلي انجو فتقول ان ذلك ليسير ولكني
اخاف مما تخاف منه ثم تلا عكرمة وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى وقال الفضيل بن
عياض هي المراة تلقى ولدها فتقول يا بني الم يكن بطني لك وعاء الم يكن ثديي لك سقاء الم يكن حجري لك وطاء
فيقول بلى يا اماه فتقول يا بني قد اثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول
اليك عني يا اماه فاني بذنبي عنك مشغول انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اي انما يقبل انذارك
من يخشى عقاب الله وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ومن تزكى فانما
يتزكى لنفسه اي ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه والى الله المصير اي اليه مرجع جميع الخلق

قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت
الا نذير وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمومن والجاهل والعالم مثل قل لا يستوي الخبيث والطيب
ولا الظلمات ولا النور قال الاخفش سعيد لا زائدة والمعنى ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور
قال الاخفش والحرور لا يكون الا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل وقيل عكسه وقال رؤبة
بن العجاج الحرور يكون بالليل خاصة والسموم يكون بالنهار خاصة حكاه المهدوي وقال الفراء السموم
لا يكون الا بالنهار والحرور يكون فيهما النحاس وهذا اصح لان الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير
اي الحر المودي قال الشيخ رحمه الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قالت
النار رب اكل بعضي بعضا فاذن لي اتنفس فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف
فما وجدتم من برد او زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر او حرور فمن نفس جهنم وروي من حديث
الزهري عن سعيد عن ابي هريرة فما تجدون من الحر من سمومها وشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها
وهذا يجمع تلك الاقوال وان السموم والحرور يكون بالليل والنهار فتامله وقيل المراد بالظل
والحرور الجنة والنار فالجنة ذات ظل دائم كما قال اكلها دائم وظلها والنار ذات حرور قال
معناه السدي وقال ابن عباس اي ظل الليل وحر السموم بالنهار وقطرب الحرور الحر والظل البرد
وما يستوي الاحياء ولا الاموات قال ابن قتيبة الاحياء العقلاء قال ابن قتيبة الاحياء الاموات
الجهال قتادة كلها امثال اي كما لا تستوي هذه الاشياء كذلك لا يستوي الكافر والمومن ان الله يسمع
من يشاء اي يسمع اولياءه الذين خلقهم لجنته وما انت بمسمع من في القبور اي الكفار الذين اماتت
الكفر قلوبهم اي كما لا تسمع قلوبهم اي كما لا يسمع من مات كذلك لا يسمع من مات قلبه وقرا

العقلاء

الحسن وعيسى الثقفي وعمرو ابن ميمون بمسمع من في القبور بحذف التنوين تخفيفا اي هم بمنزلة المقبور
في انهم لا ينتفعون بما يسمعونه ولا يقبلونه قوله تعالى ان انت الا نذير اي رسول منذر فليس عليك
الا التبليغ ليس لك من الهدى شيء انما الهدى بيد الله عز وجل قوله تعالى انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالجنة
اهل طاعته ونذيرا بالنار اهل معصيته وان من امة الا خلا فيها نذير اي سلف فيها نبي قال ابن جريج الا
العرب قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير وان يكذبوك يعني كفار قريش
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم انبياؤهم يسلي رسوله صلى الله عليه وسلم جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات
الظاهرات والشرائع الواضحات وبالزبر اي بالكتب المكتوبة وبالكتاب المنير الواضح وكرر الزبر والكتاب
وهما واحد لاختلاف اللفظين وقيل يرجع البينات والزبر والكتاب الى معنى واحد وهو ما انزل
على الانبياء من الكتب ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي كيف كان عقوبتي هو واثبت ورش
عن نافع وشيبة الياء في نكيري حيث وقعت في الوصل دون الوقف واثبتها يعقوب في الحالين
وحذفها الباقون في الحالين وقد مضى هذا كله والحمد لله قوله تعالى الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود هذه الاية رؤية القلب والعلم اي الم ينته علمك ورايت بقلبك ان الله انزل فان واسمها
وخبرها سدت مسد مفعولي الرؤية فاخرجنا به ثمرات هو من باب تلوين الخطاب مختلفا الوانها
نصبت مختلفا نعتا لثمرات الوانها رفع بمختلف وصلح ان يكون نعتا لثمرات لما عاد عليه من ذكره
ويجوز في غير القران رفعه ومثله رايت رجلا خارجا ابوه به اي بالماء وهو واحد والثمرات
مختلفة ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها الجدد جمع جده وهي الطرائق المختلفة الالوان
وان كان الجميع حجرا او ترابا قال الاخفش ولو كان جمع جديد لقال جدد بضم الجيم والدال نحو سرير وسرر وقال
زهير كانه اسفع الخدين ذو جدد طاو ويرتع بعد الصيف عريانا
وقيل ان الجدد القطع ماخوذ من جددت الشيء اذا قطعته حكاه عنه ابن بحر قال الجوهري والجدة الخطه
التي في ظهر الحمار تخالف لونه والجدة الطريقة والجمع جدد وقال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها اي طرائق تخالف لون الجبل ومنه قوله ركب فلان جدة من الامر اذا راى فيه رايا
وكساء مجدد فيه خطوط مختلفة الزمخشري وقرا الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة
وجدد وجدائد كسفينة وسفائن وقد فسرها قول ابي ذويب
جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه
موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض ومن الناس والدواب وفي من الدواب
مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرا ولا الضالين لان كل واحد منهما فر من التقاء الساكنين فحرك
ذلك اولهما وحذف هذا اخرهما قاله الزمخشري والانعام مختلف الوانه اي فيهم الاحمر والابيض والاسود
وغير ذلك وكل ذلك دليل على صانع مختار وقال مختلف الوانه فذكر الضمير مراعاة لمن قاله المورخ
وقال ابو بكر بن عياش انما ذكر الكناية لاجل انها مردودة الى ما مضمرة مجازه ومن الناس ومن الدواب
ومن الانعام ما هو مختلف الوانه اي ابيض واحمر واسود وغرابيب سود قال ابو عبيدة الغربيب
الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتاخير والمعنى ومن الجبال سود غرابيب والعرب تقول للشديد
السواد الذي لونه كلون الغراب اسود غربيب قال الجوهري وتقول هذا اسود غربيب اي شديد
السواد واذا قلت غرابيب سود تجعل السود بدلا من غرابيب لان توكيد الالوان لا يتقدم وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشيخ الغربيب يعني الذي يخضب بالسواد قال امرؤ القيس
العين طامحة واليد سامحة والرجل لائحة والوجه غربيب وقال اخر
يصف كرما ومن تعاجيب خلق الله غاطية يعصر منها ملاحي وغربيب
كذلك هنا تمام الكلام اي كذلك تختلف احوال العباد في الخشية ثم استانف فقال انما يخشى الله من
عباده العلما يعني بالعلما الذين يخافون قدرته فمن علم انه عز وجل قدير ايقن بمعاقبته على المعصية

هذا اسود غربيب

كما روى علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس انما يخشى الله من عباده العلما قال الذين علموا ان الله على كل شيء قدير وقال
الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وقال مجاهد انما العالم من خشي الله عز وجل وعن ابن مسعود كفى بخشية
الله علما وبالاغترار جهلا وقيل لسعد بن ابراهيم من افقه اهل المدينة قال اتقاهم لله عز وجل وعن مجاهد قال
انما الفقيه من يخاف الله وعن علي رضي الله عنه قال ان الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص
لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القران رغبة عنه الى غيره انه لا خير في عبادة لا علم فيها
ولا في علم لا فقه فيه ولا قراءة لا تدبر فيها واسند الدارمي ابو محمد عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم تلا هذه الاية انما يخشى الله من عباده العلما ان الله وملائكته
واهل سمواته وارضه والنون في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير الخبر مرسل قال الدارمي وحدثنا
ابو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن يزيد بن حازم قال حدثني عمي جرير بن يزيد انه سمع تبيعا يحدث عن كعب
قال اني لاجد نعت قوم يتعلمون لغير العمل ويتفقهون لغير العبادة ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون
جلود الضان قلوبهم امر من الصبر فبي يغترون اياي يخادعون فبي حلفت لاتيحن لهم فتنة تذر الحكيم فيها حيرانا
خرجه الترمذي مرفوعا من حديث ابي الدردا وقد كتبناه في مقدمة الكتاب والحمد لله الزمخشري
فان قلت فما وجه قراءة من قرا انما يخشى الله بالرفع من عباده العلماء بالنصب وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن
ابي حنيفة قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال
بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبته العصاة وقهرهم
واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى قوله تعالى ان الذين يتلون
كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور هذه اية القرا العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة
الفرض والنفل وكذا في الانفاق وقد مضى في مقدمة الكتاب ما ينبغي ان يتخلق به قارئ القران يرجون تجارة
لن تبور قال احمد بن يحيى خبر ان يرجون ويزيدهم من فضله قيل الزيادة الشفاعة في الاخرة وهذا مثل الاية
الاخرى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى قوله ويزيدهم من فضله وقوله في اخر النسا واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وهناك بيناه انه غفور للذنوب شكور يقبل
القليل من العمل الخالص ويثيب عليه الجزيل من الثواب قوله تعالى والذي اوحينا اليك من
الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران
هو الحق مصدقا لما بين يديه اي من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك
هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب فيه اربع مسائل الاولى هذه الاية مشكلة لانه قال عز وجل اصطفينا من عبادنا
ثم قال فمنهم ظالم لنفسه وقد تكلم العلماء فيها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال النحاس فمن اصح ما روي في
ما روي عن ابن عباس فمنهم ظالم لنفسه قال الكافر رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطا عن ابن عباس وعن ابن عباس
ايضا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال نجت فرقتان ويكون التقدير في العربية
فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه اي كافر وقال الحسن اي فاسق ويكون الضمير الذي يدخلونها يعود على المقتصد
والسابق لا على الظالم وعن عكرمة وقتادة والضحاك والفرا ان المقتصد المومن العاصي والسابق التقي على الاطلاق
قالوا وهذه الاية نظير قوله في سورة الواقعة وكنتم ازواجا ثلاثة الاية قالوا وبعد ان يكون ممن يصطفى
ظالم ورواه مجاهد عن ابن عباس قال مجاهد فمنهم ظالم لنفسه اصحاب المشامة ومنهم مقتصد اصحاب
الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون من الناس كلهم وقيل الضمير في يدخلونها يعود على الثلاثة
الاصناف على ان لا يكون الظالم هنا كافرا ولا فاسقا وممن روي عنه هذا القول عمر وعثمان وابو الدردا وابن
مسعود وعقبة بن عمرو وعايشة والتقدير على هذا القول ان يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغاير والمقتصد
قال محمد بن يزيد هو الذي يعطي الدنيا حقها والاخرة حقها فيكون جنات عدن يدخلونها عايدا على
الجميع على هذا الشرح والتبيين وروي عن ابي سعيد الخدري وقال كعب الاحبار استوت مناكبهم

ورب الكعبة وتفاضلوا باعمالهم وقال ابو اسحاق السبيعي اما الذي سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج
وروي اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية وقال كلهم في الجنة وقرا عمر بن
الخطاب هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا
مغفور له فعلى هذا القول يقدر مفعول الاصطفا من قوله اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
منا فاحذف كما حذف المضاف في واسال القرية التي اي اصطفيناه بينهم فحذف العايد الى الموصول كما حذف
في قوله ولا اقول للذي تزدري اعينكم اي تزدريهم ما لاصطفا اذا موجه الى دينهم كما قال تعالى ان الله
اصطفى لكم الدين قال النحاس وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة
حسناته على سيئاته فيكون جنات عدن يدخلونها للذين سبقوا بالخيرات لا غير وهذا قول جماعة
من اهل النظر لان الضمير في حقيقة النظر لما يليه اولى قال الشيخ رحمه الله القول الوسط اولاها
واصحها انشا الله لان الكافر والمنافق لم يصطفوا بحمد الله ولا اصطفا دينهم وهو قول ستة من الصحابة
وحسبك وسنزيده بيانا وايضاحا في باقي الاية **الثانية** قوله تعالى اورثنا الكتاب اي اعطينا والميراث
عطا حقيقة او مجازا فانه يقال فيما صار للانسان بعد موت اخر والكتاب هاهنا يريد به معاني الكتاب
وعلمه واحكامه وعقايده وكان الله تعالى لما اعطى امة محمد عليه السلم القران وهو قد تضمن معاني الكتب
المنزلة فكانه ورث امة محمد عليه السلم الكتاب الذي كان في الامم قبلنا اصطفينا اي اخترنا واشتقاقه
من الصفو وهو الخلوص من شوايب الكدر واصله اصطفونا فابدلت التا طا واالوا ويا من عبادنا قيل
المراد امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره وكان اللفظ يحتمل جميع المؤمنين من كل امة الا ان
عبارة توريث الكتاب لم يكن الا لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاول لم يرثوه وقيل المصطفون الانبياء
توارثوا الكتاب بمعنى انه انتقل عن بعضهم الى اخر قال الله تعالى وورث سليمان داود وقال يرثني ويرث
من ال يعقوب فاذا جاز ان تكون النبوة موروثة فكذلك الكتاب فمنهم ظالم لنفسه من وقع في صغيرة
قال ابن عطية وهذا قول مردود من غير ما وجه قال الضحاك معنى فمنهم ظالم لنفسه اي من ذريتهم ظالم لنفسه
وهو المشرك الحسن من اممهم على ما تقدم ذكره من الخلاف في الظالم والاية في امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقد اختلفت عبارات ارباب القلوب في الظالم والمقتصد والسابق فقال سهل بن عبد الله السابق
العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري الظالم الذاكر الله بلسانه فقط والمقتصد
الذاكر بقلبه والسابق الذي لا ينساه وقال الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال
والسابق صاحب الاحوال وقال ابن عطا الظالم الذي يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل العقبى
والسابق الذي اسقط مراده بمراد الحق وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار والمقتصد الذي يعبد الله
طمعا في الجنة والسابق الذي يعبده لوجهه لا لسبب وقيل الظالم الزاهد في الدنيا لانه ظلم نفسه فترك
لها حظها وهي المعرفة والمحبة والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل الظالم الذي يجزع عند البلاء
والمقتصد الصابر على البلا والسابق المتلذذ بالبلاء وقيل الظالم الذي يعبد الله على الغفلة والعادة
والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة وقيل الظالم الذي
اعطي فمنع والمقتصد الذي اعطي فبذل والسابق الذي منع فشكر واثر وروي ان عابدين التقيا فقال كيف
احوال اخوانكم بالبصرة قال بخير ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا فقال هذه حالة الكلاب عندنا
ببلخ عبادنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا وقيل الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى
بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل الظالم التالي للقران ولا يعمل به والمقتصد التالي للقران العامل
به والسابق التالي للقران العامل به والعالم به وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل تاذين المؤذن
والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد اذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد اقيمت الصلاة لانه ظلم نفسه الاجر
فلم يحصل لها ما حصله غيره وقال بعض اهل العلم في هذا بل السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك
الفضيلتين والمقتصد الذي ان فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت
الوقت والجماعة فهذا اولى بالظلم وقيل الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب دينه والسابق الذي
يحب ربه وقيل الظالم الذي ينتصف ولا ينصف والمقتصد الذي ينتصف وينصف والسابق الذي
ينصف ولا ينتصف وقالت عايشة رضي الله عنها السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد من اسلم بعد

الظالم الزاهد في الدنيا

الهجرة والظالم من لم يسلم الا بالسيف وهم كلهم مغفور لهم قال الشيخ رحمه الله ذكر هذه الاقوال وزيادة
عليها الثعلبي في تفسيره وبالجملة فهما طرفان وواسطة وهو المقتصد اللازم للقصد وهو ترك الميل
ومنه قول جابر بن جني التغلبي

نعاطي الملوك السلم ما قصدوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

اي نعاطيهم الصلح ما ركبوا بنا القصد اي ما لم يجوروا وليس قتلهم بمحرم علينا ان جاروا فلذلك كان المقتصد
منزلة بين المنزلتين فهو فوق الظالم لنفسه ودون السابق بالخيرات ذلك هو الفضل الكبير يعني ايتاينا
الكتاب لهم وقيل ذلك الاصطفا مع علمنا بعيوبهم هو الفضل الكبير وقيل وعد الجنة لها ولا الثلاثة فضل
كبير **الثالثة** وتكلم الناس في تقديم الظالم على المقتصد والسابق فقيل التقديم في الذكر لا يقتضي
تشريفا كقوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقيل قدم الظالم لكثرة الفاسقين وغلبتهم وان
المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل ذكره الزمخشري ولم يذكره غيره وقيل قدم
الظالم لتاكيد الرجا في حقه اذ ليس له شي يتكل عليه الا رحمة ربه واتكل المقتصد على حسن ظنه والسابق
اتكل على طاعته وقيل قدم الظالم لئلا ييأس من رحمة الله واخر السابق لئلا يعجب بعمله وقال جعفر بن محمد
بن علي الصادق رضي الله عنهم قدم الظالم ليخبر انه لا يتقرب اليه الا بصرف رحمته وكرمه وان الظلم لا
يوثر في الاصطفائية اذا كانت ثم عناية ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابقين
لئلا يامن احد مكر الله وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص لا اله الا الله محمد رسول الله وقال محمد بن علي
الترمذي جمعهم في الاصطفا ازالة للعلل عن العطا لان الاصطفا يوجب الارث لا الارث يوجب
الاصطفا وكذلك قيل في الحكمة صحح النسبة ثم ادعي في الميراث وقيل اخر السابق ليكون اقرب الى الجنان
والثواب كما قدم الصوامع والبيع في سورة الحج على المساجد لتكون الصوامع اقرب الى الهدم والخراب
وتكون المساجد اقرب الى ذكر الله وقيل ان الملوك اذا ارادوا الجمع بين الاشيا بالذكر قدموا الادنى كقوله
لشديد العقاب وانه لغفور رحيم وقوله يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور وقوله لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة قال الشيخ رحمه الله ولقد احسن من قال

وغاية هذا الجود انت وانما
يوافي الى الغايات في اخر الامر

الرابعة قوله تعالى جنات عدن يدخلونها جمعهم في الدخول لانه ميراث والعاق والبار في الميراث
سواء اذا كانوا معترفين بالنسب فالعاصي والمطيع مقرون بالرب وقري جنة عدن على الافراد كانها
جنة مختصة بالسابقين لقلتهم على ما تقدم وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي
يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذا للجميع وهو الصحيح ان شا الله وقرا ابو عمرو يدخلونها بضم اليا
وفتح الخا قال كقوله يحلون وقد مضى في الحج الكلام في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم
فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال ابو ثابت دخل رجل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس
وحدتي ويسر لي جليسا صالحا فقال ابو الدردا لين كنت صادقا فلانا اسعد بذلك منك سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات قال فيجي هذا السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا
واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ويوبخ ويقرع ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وفي لفظ اخر واما الذين ظلموا انفسهم فاوليك يحبسون في طول المحشر
ثم هو الذي يتلاقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
الى قوله ولا يمسنا فيها لغوب وقيل هو الذي يوخذ منه في مقامه يعني يكفر عنه بما يصيبه من الهم والحزن
ومنه قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به يعني في الدنيا قال الثعلبي وهذا التاويل اشبه بالظاهر لانه قال
جنات عدن يدخلونها ولقوله الذين اصطفينا من عبادنا والكافر والمنافق لم يصطفوا قال الشيخ رحمه
الله وهذا هو الصحيح وقد قال صلى الله عليه وسلم ومثل المنافق الذي يقرا القران في الدرك الاسفل من
النار وكثير من الكفار اليهود والنصارى يقرونه في زماننا هذا وقال مالك قد يقرا القران من لا
خير فيه والنصب التعب واللغوب الاعيا **قوله تعالى** والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا

واما الظالم لنفسه

نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير لما ذكر اهل الجنة واحوالهم ومقالتهم ذكر اهل النار واحوالهم ومقالتهم لا يقضي عليهم فيموتوا مثل لا يموت فيها ولا يحيي و لا يخفف عنهم من عذابها مثل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب كذلك نجزي كل كفور اي كافر بالله ورسوله وقرا الحسن فيموتون بالنون ولا يكون للنفي جواب ويكون فيموتون عطفا على يقضي تقديره ولا يقضي عليهم ولا يموتون كقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون قال النساءي ولا يوذن لهم فيعتذرون بالنون في المصحف لانه راس اية ولا يقضي عليهم فيموتوا لانه ليس راس اية ويجوز في كل واحد منهما ما جاز في صاحبه وهم يصطرخون فيها اي يستغيثون في النار بالصوت العالي والصراخ الصوت العالي والصارخ المستغيث والمصرخ المغيث قال

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب

ربنا اخرجنا اي يقولون ربنا اخرجنا من جهنم وردنا الى الدنيا نعمل صالحا قال ابن عباس نقل لا اله الا الله وقولهم غير الذي كنا نعمل اي من الشرك اي نومن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية ونمتثل امر الرسل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر هذا جواب دعائهم اي فيقال لهم فالقول مضمر وترجم البخاري باب من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله اليه في العمر لقوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعني الشيب حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا عمر بن علي حدثنا معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرء اخر اجله حتى بلغ ستين سنة قال الخطابي اعذر اليه اي بلغ به اقصى العذر ومنه قولهم قد اعذر من انذر اي اقام عذر نفسه في تقديم نذارته والمعنى ان من عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر لان الستين قريب من معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع وترقب المنية ولقاء الله تعالى ففيه اعذار بعد اعذار الاول بالنبي صلى الله عليه وسلم والمرتان في الاربعين والستين قال علي وابن عباس وابو هريرة في تاويل قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر انه ستون سنة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في موعظته ولقد ابلغ في الاعذار من تقدم في الانذار وانه لينادي مناد من قبل الله تعالى ابناء الستين ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وذكر الترمذي الحكيم من حديث عطا ابن ابي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نودي ابناء الستين وهو العمر الذي قال الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وعن ابن عباس ايضا انه اربعون سنة وعن الحسن البصري ومسروق مثله ولهذا القول ايضا وجه وهو صحيح والحجة له قوله عز وجل حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الاية ففي الاربعين تناهي العقل وما قبل ذلك وما بعده منتقص عنه والله اعلم وقال مالك ادركت اهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس حتى ياتي لاحدهم اربعون سنة فاذا اتت عليهم اعتزلوا الناس واشتغلوا بالقيامة حتى ياتيهم الموت وقد مضى هذا المعنى في سورة الاعراف والحمد لله وخرج ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك قوله تعالى وجاءكم النذير وقرئ وجاءتكم النذر واختلف فيه فقيل القران وقيل الرسول قاله زيد بن علي وابن زيد وقال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبري هو الشيب وقيل النذير الحمى وقيل الموت الاقارب وقيل كمال العقل والنذير بمعنى الانذار قال الشيخ رحمه الله فالشيب والحمى وموت الاهل كله انذار بالموت قال صلى الله عليه وسلم الحمى والموت وقال الازهري معناه ان الحمى رسول الموت اي كانها تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه والشيب نذير ايضا لانه ياتي في سن الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبي الذي هو سن اللهو واللعب قال

رايت الشيب من نذر المنايا ... لصاحبه وحسبك من نذير

وقال اخر

فقلت لها المشيب نذير عمري ... ولست مسودا وجه النذير

واما موت الاهل والاقارب والاصحاب والاخوان فانذار بالرحيل في كل وقت واوان وحين وزمان قال

اراك تخلهم ولست تردهم ... وكاني بك قد حملت فلم ترده

وقال اخر

الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا

واما كمال العقل فيه تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات فالعاقل يعمل لاخرته ويرغب

من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله اليه في العمر

اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين

فيما عند ربه فهو نذير واما محمد صلى الله عليه وسلم فبعثه الله عز وجل مبشرا ونذيرا الى عباده قطعا لحججهم قال الله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قوله تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير يريد عذاب جهنم لانكم ما اعتبرتم ولا اتعظتم فما للظالمين من نصير اي مانع من عذاب الله قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور تقدم معناه في غير موضع والمعنى علم انه لو ردكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعالم اذا كان بغير تنوين صلح ان يكون للماضي والمستقبل واذا كان منونا لم يجز ان يكون للماضي قوله تعالى هو الذي جعلكم خلايف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم قال قتادة خلفا بعد خلف وقرنا بعد قرن والخلف هو التالي للمتقدم ولذلك قيل لابي بكر يا خليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله وانا راض بذلك فمن كفر فعليه كفره اي جزاء كفره وهو العقاب والعذاب ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي بغضا وغضبا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي هلاكا وضلالا قوله تعالى قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا منصوب بالروية ولا يجوز رفعه وقد يجوز الرفع عند سيبويه في قولهم قد علمت زيدا ابو من هو لان زيدا في المعنى مستفهم عنه ولو قلت ارايت زيدا ابو من هو لم يجز الرفع والفرق بينهما ان معنى هذا اخبرني عنه وكذا معنى هذا اخبروني عن شركايكم الذين تدعون من دون الله اعبدتموهم لان لهم شركة في خلق السموات ام خلقوا من الارض شيئا ام اتيناهم كتابا اي ام عندهم كتاب انزلناه اليهم بالشركة وكان في هذا رد على من عبد غير الله عز وجل لانهم لا يجدون في كتاب من الكتب ان الله عز وجل امر ان يعبد غيره فهم على بينة منه قرا ابن كثير وابو عمرو وحفص وحمزة عن عاصم على بينة بالتوحيد وجمع الباقون والمعنيان متقاربان الا ان قراءة الجمع اولى لانه لا يخلو من قراءة على بينة من ان يكون خلاف السواد الاعظم او يكون جاء به على لغة من قال جاءني طلحة فوقف بالتاء وهي لغة شاذة قليلة قاله النحاس وقال ابو حاتم وابو عبيد الله الجمع اولى لموافقته الخط لانها في مصحف عثمان بينات بالالف والتاء بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اي اباطيل وهو قول السادة للسفلة ان هذه الالهة تنفعكم وتقربكم وقيل ان الشيطان يعد المشركين ذلك وقيل وعدهم بانهم ينصرون عليهم قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا لما بين ان الهتهم لا تقدر على خلق شيء من السموات والارض بين ان خالقهما وممسكهما هو الله فلا يوجد حادث الا بايجاده ولا يبقى الا ببقايه وان في موضع نصب بمعنى كراهة ان تزولا ولئلا تزولا او يحمل على المعنى لان المعنى ان الله يمنع السموات والارض من ان تزولا فلا حاجة على هذا الى اضمار وهذا قول الزجاج ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده قال الفراء اي ولو زالتا ما امسكهما من احد وان بمعنى ما قال وهو مثل قوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وقيل المراد زوالهما يوم القيامة وعن ابراهيم قال دخل رجل من اصحاب ابن مسعود الى كعب الاحبار يتعلم منه العلم فلما رجع قال له ابن مسعود ما الذي اصبت من كعب قال سمعت كعبا يقول ان السماء تدور على قطبة مثل قطبة الرحا في عمود على منكب ملك فقال له عبد الله وددت انك انقلبت براحلتك ورحلها كذب كعب ما ترك يهوديته ان الله تعالى يقول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ان السموات لا تدور ولو كانت تدور لكانت قد زالت وعن ابن عباس نحوه وانه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب ما ترك يهوديته بعد ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والسموات سبع والارضون سبع ولكن لما ذكرهما اجراهما مجرى الشيئين فعادت الكناية اليهما وهو كقوله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم ختم الاية بقوله ان الله كان حليما غفورا لان المعنى فيما ذكره بعض اهل التاويل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا من كفر الكافرين وقولهم اتخذ الله ولدا قال الكلبي لما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله كادت السموات والارض ان تزولا عن امكنتهما فمنعهما الله وانزل هذه الاية فيه وهو قوله لقد جيتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الاية قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا

في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله هم قريش اقسموا قبل ان يبعث الله رسولا محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم واقسموا بالله جل اسمه لئن جاءهم نذير اي نبي ليكونن اهدى من احدى الامم يعني ممن كذب الرسل من اهل الكتاب وكانت العرب تتمنى ان يكون منهم رسولا كما كان الرسل من بني اسرائيل فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من انفسهم نفروا عنه ولم يؤمنوا استكبارا اي عتوا عن الايمان ومكر السيء اي مكر العمل السيء وهو الكفر وخدع الضعفا وصدهم عن الايمان ليكثروا اتباعهم وانث من احدى الامم لتانيث امة قاله الاخفش وقرا حمزة والاعمش ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء فحذف الاعراب من الاول واثبته في الثاني قال الزجاج وهو لحن وانما صار لحنا لانه حذف الاعراب منه وزعم المبرد انه لا يجوز في كلام ولا في شعر لان حركات الاعراب لا يجوز حذفها لانها دخلت للفرق بين المعاني وقد اعظم بعض النحويين ان يكون الاعمش على جلالته ومحله يقرا بهذا قال انما كان يقف عليه فغلط من ادى عنه والدليل على هذا انه تمام الكلام وان الثاني لما لم يكن تمام الكلام اعرب باتفاق والحركة في الثاني اثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين وتداحتج بعض النحويين لحمزة في هذا بقول سيبويه وانشد هو وغيره

اذا اعوججن قلت صاحب قوم	وقال آخر
فاليوم اشرب غير مستحقب	اثما من الله ولا واغل

وهذا لا حجة فيه لان سيبويه لم يجزه وانما حكاه عن بعض النحويين والحديث اذا قيل فيه عن بعض العلما لم يكن فيه حجة فكيف وانما جاء به على الشذوذ ولضرورة الشعر وقد خولف فيه وزعم الزجاج ان ابا العباس انشد

اذا اعوججن قلت صاح قوم	وانه انشد فاليوم اشرب غير مستحقب

ذكر جميعه النحاس الزمخشري وقرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق المكر وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا قال المهدوي ومن سكن الهمزة من قوله ومكر السيء فهو على تقدير الوقف عليه ثم اجري الوصل مجرى الوقف او على انه اسكن الهمزة لتوالي الكسرات والياءات كما قال

فاليوم اشرب غير مستحقب — قال القشيري وقرا حمزة ومكر السيء بسكون الهمز وخطاه اقوام وقال قوم لعله وقف عليه لانه تمام الكلام فغلط الراوي وروي ذلك عنه في الادراج وقد سبق الكلام في امثال هذا وقلنا ما ثبت بالاستفاضة والتواتر ان النبي صلى الله عليه وسلم قراه فلا بد من جوازه ولا يجوز ان يقال انه لحن ولعل مراد من صار الى التخطئة ان غيره افصح منه وان كان هو فصيحا ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا ينزل عاقبة الشرك الا بمن اشرك وقيل هذا اشارة الى قتلهم ببدر وقال الشاعر

وقد دفعوا المنية فاستقلت	ذراعا بعدما كانت تحيق

اي تنزل وهذا قول قطرب وقول الكلبي يحيق بمعنى يحيط والحوق الاحاطة يقال حاق به كذا اي احاط به وعن ابن عباس ان كعبا قال له اني اجد في التوراة من حفر لاخيه حفرة وقع فيها فقال ابن عباس فاني اوجدك في القرآن ذلك قال ابن فقراء ولا يحيق المكر السيء الا باهله وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وروي الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تمكر ولا تعن ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تبغ ولا تعن باغيا فان الله تعالى يقول ومن نكث فانما ينكث على نفسه وقال انما بغيكم على انفسكم وقال بعض الحكما

يا ايها الظالم في فعله	والظلم مردود على من ظلم
الى متى انت وحتى متى	تحصي المصيبات وتنسى النعم

وفي الحديث المكر والخديعة في النار فقوله في النار يعني في الاخرة يدخل اصحابها في النار لانها من اخلاق الكفار لا من اخلاق المومنين الاخيار ولهذا قال عليه السلام في سياق هذا الحديث وليس من اخلاق المومن المكر والخديعة والخيانة وفي هذا ابلغ تحذير عن التخلق بهذه الاخلاق الذميمة والخروج عن اخلاق الايمان الكريمة **قوله تعالى** فهل ينظرون الا سنة الاولين ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي انما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي اجرى الله العذاب على الكفار وجعل ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه

لا ينزل عاقبة الشرك الا بمن اشرك

لا يقدر احد ان يبدل ذلك ولا ان يحول العذاب عن نفسه الى غيره والسنة الطريقة والجمع سنن وقد مضى في آل عمران واضافها الى الله عز وجل وقال في موضع آخر سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا فاضاف الى القوم لتعلق الامر بالجانبين وهو كالاجل تارة يضاف الى الله وتارة الى القوم قال الله ان اجل الله لآت وقال فاذا جاء اجلهم **قوله تعالى** اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا بين السنة التي ذكرها اي اولم يروا ما انزلنا بعاد وثمود وبمدين وامثالهم لما كذبوا الرسل فيتدبروا ذلك بنظرهم الى مساكنهم ودورهم وبما سمعوا على التواتر بما حل بهم افليس فيه عبرة وبيان لهم ليسوا خيرا من اوليك ولا اقوى بل كان اوليك اقوى دليله قوله وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء اي في السموات ولا في الارض اي اذا اراد انزال عذاب بقوم لم يعجزه ذلك انه كان عليما قديرا **قوله تعالى** ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يوخرهم الى اجل مسمى يعني من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة قال ابن مسعود يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام قال الكلبي من دابة يريد الجن والانس دون غيرهما لانهما مكلفان بالعقل وقال ابن جريج والاخفش والحسين بن الفضل اراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم قال الشيخ والاول اظهر لانه عن صحابي كبير قال ابن مسعود كاد الجعل ان يعذب في جحره بذنب ابن آدم وقال يحيى بن ابي كثير امر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر فقال له رجل عليك بنفسك فان الظالم لا يضر الا نفسه فقال ابو هريرة كذب والله الذي لا اله الا هو ثم قال والذي نفسي بيده ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال الثمالي ويحيى بن سلام في هذه الآية يحبس الله المطر فيهلك كل شيء وقد مضى في البقرة نحو هذا عن عكرمة ومجاهد في تفسير ويلعنهم اللاعنون هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم وذكرنا هناك حديث البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال دواب الارض ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قال مقاتل الاجل المسمى ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقال يحيى هو يوم القيامة فان الله كان بعباده اي بمن يستحق العقاب منهم بصيرا ولا يجوز ان يكون العامل في اذا بصيرا كما لا يجوز اليوم ان زيدا خارج ولكن العامل فيها جاء لشبهها بحروف المجازاة والاسماء التي يجازى بها يعمل فيها ما بعدها وسيبويه لا يرى المجازاة باذا الا في الشعر كما قال

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها	خطانا الى اعدائنا فنضارب

تفسير سورة يس

وهي مكية باجماع وهي ثلاث وثمانون آية الا ان فرقة قالت ان قوله ونكتب ما قدموا وآثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم على ما ياتي وفي كتاب ابي داود عن معقل بن يسار قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤوا يس على موتاكم وذكر الآجري من حديث ام الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ميت يقرا عليه سورة يس الا هون الله عليه وفي مسند الدارمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة خرجه ابو نعيم الحافظ ايضا وروى الترمذي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرا يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات قال هذا حديث غريب وفي اسناده هرون ابو محمد شيخ مجهول وفي الباب عن ابي بكر الصديق ولا يصح حديث ابي بكر من قبل اسناده واسناده ضعيف وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس تدعى في التوراة المعمة قيل يا رسول وما المعمة قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه اهاويل الاخرة وتدعى الدافعة والقاضية قيل يا رسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة ومن قراها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كانت له كالف دينار تصدق بها في سبيل الله ومن كتبها وشربها ادخلت جوفه الف دواء والف نور والف يقين والف رحمة والف رافة والف هدى ونزع عنه كل داء وغل ذكره الثعلبي من حديث عائشة والترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه مسندا وفي مسند الدارمي عن شهر بن حوشب قال قال ابن عباس من قرا سورة

فان الظالم لا يضر الا نفسه

يس حين يصبح اعطي يسر يومه حتى يمسي ومن قراها في صدر ليله اعطي يسر ليله حتى يصبح وذكر النحاس عن عبد الرحمن
بن ابي ليلي قال لكل شي قلبا وقلب القران يس ومن قراها نهارا كفي همه ومن قراها ليلا غفر ذنبه وقال
شهر بن حوشب يقرا اهل الجنة طه ويس فقط رفع هذه الاخبار الثلاثة الماوردي تعالى روي الضحاك عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي قلبا وقلب القران يس ومن قراها في ليلة اعطي يسر
تلك الليلة ومن قراها في يوم اعطي يسر ذلك اليوم وان اهل الجنة يرفع عنهم القران فلا يقرون شيا الا طه
ويس وقال يحيي بن ابي كثير بلغني انه من قرا سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ومن قراها حين يصبح لم يزل
في فرح حتى يمسي وقد حدثني من جربها ذكره الثعلبي وابن عطية قال ابن عطية ويصدق ذلك التجربة وذكره الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول عن عبد الاعلى قال حدثنا محمد بن الصلت عن عمرو بن ثابت عن محمد بن مروان عن
ابي قال من وجد في قلبه قساوة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه حدثني ابي رحمه الله قال حدثنا
اصرم بن حوشب عن بقية بن الوليد عن المعتمر بن اشرف عن محمد بن علي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم القران افضل من كل شي دون الله وفضل القران على سائر الكلام كفضل الله على سائر
خلقه فمن وقر القران فقد وقر الله ومن لم يوقر القران لم يوقر الله وحرمة القران عند الله كحرمة الوالد على
ولده القران شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القران شفع ومن محل به القران صدق ومن جعله
امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار حملة القران هم المحفوفون برحمة الله الملبسون نور الله
المعلمون كلام الله من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله يقول الله تعالى يا حملة القران
استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يزدكم حبا ويحببكم الى عباده يدفع عن مستمع القران بلوى الدنيا وبلوى
الاخرة ومن استمع اية من كتاب الله كان له افضل مما تحت العرش الى التخوم وان في كتاب الله لسورة تدعى
العزيزة ويدعا صاحبها الشريف يوم القيامة تشفع لصاحبها اكثر من ربيعة ومضر وهي سورة
يس وذكر الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة يس ليلة الجمعة اصبح مغفورا له
وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل المقابر فقرا سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان
له بعدد من فيها حسنات والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين في يس اوجه من القراات قرا اهل المدينة
والكسائي يس والقران الحكيم بادغام النون في الواو وقرا ابو عمرو والاعمش وحمزة يسن باظهار النون
وقرا عيسى بن عمر ويسن بنصب النون وقرا ابن عباس وابن ابي اسحاق ونصر بن عاصم يسن بالكسر وقرا
هرون الاعور ومحمد بن السميفع يسن بضم النون هذه خمس قراات الاولى بالادغام على ما يجب في العربية
لان النون تدغم في الواو ومن بين قال سبيل حروف الهجاء ان يوقف عليها وانما يكون الادغام في الادراج
وذكر سيبويه النصب وجعله من جهتين احدهما ان يكون مفعولا ولا يصرفه لانه عنده اسم اعجمي بمنزلة
هابيل والتقدير اذكر يسين وجعله سيبويه اسما للسورة وقول الاخر ان يكون مبنيا على الفتح مثل كيف
واين واما الكسر فزعم الفرا انه مشبه بقول العرب جير لا افعل فعلى هذا يكون يسين قسما وقاله ابن
عباس وقال شبه بامس وحذام وهولاء ورقاش واما الضم فمشبه بمنذ وحيث وقط وبالمنادي المفرد
اذا قلت يا رجل قال ابن السميفع وهرون وقد جاء في تفسيرها يا رجل فالاولي بها الضم قال ابن الانباري
يس وقف حسن لمن قال هو افتتاح للسورة ومن قال المعنى يس يا رجل لم يقف عليه وروي عن ابن عباس
وابن مسعود وغيرهما ان معناه يا انسان وقالوا في قوله تعالى سلام على ال ياسين اي على ال محمد
وقال سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم ودليله انك لمن المرسلين قال السيد الحميري

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة — على المودة الا ال ياسينا

وقال ابو بكر الوراق معناه يا سيد البشر وقيل انه اسم من اسماء الله قاله مالك روي عنه اشهب
قال سالته هل ينبغي لاحد ان يتسمى بياسين قال ما اراه ينبغي يقول الله يس والقران الحكيم يقول هذا
اسمي ياسين قال ابن العربي هذا كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب اذا كان
فيه معنى منه كقوله عالم وقادر ومريد ومتكلم وانما منع مالك من التسمية بياسين لانه
اسم من اسماء الله لا يدرى معناه فربما كان معناه ما ينفرد به الرب فلا يجوز ان يقدم عليه
العبد فان قيل فقد قال الله تعالى سلام على ال ياسين قلنا ذلك مكتوب بهجاء فتجوز التسمية

فمن وقر القران فقد وقر الله

به وهذا الذي ليس يتمنحى هو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال والله اعلم وقال بعض العلما افتتح
الله هذه السورة بالياء والسين وفيهما مجمع الخير ودل المفتتح على انه قلب والقلب امير على الجسد وكذلك
ياسين امير على سائر السور مشتمل على جميع القران ثم اختلفوا فيه ايضا فقال سعيد بن جبير وعكرمة
هو بلغة الحبشة وقال الشعبي هو بلغة طي الحسن بلغة كلب الكلبي هو بالسريانية فتكلمت به العرب
فصار من لغتهم وقد مضى هذا المعنى في طه وفي مقدمة الكتاب مستوفا وقد سرد القاضي عياض اقوال
المفسرين في معنى يس فحكي ابو محمد المكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر ان
منها طه ويس اسمان له قال الشيخ رحمه الله وذكر الماوردي عن علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى اسماني في القران بسبعة اسما محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله قال القاضي
وحكي ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله سبحانه وقال الزجاج قيل معناه يا
محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السما
والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه
وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويوكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى
النداء فقد جا قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين
توجيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم
الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا
سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم انتهى كلامه وحكي القشيري قال ابن عباس قالت
كفار قريش لست مرسلا وما ارسلك الله الينا فاقسم الله بالقران المحكم ان محمدا لمن المرسلين والحكيم المحكم
حتى لا يتعرض لبطلان وتناقض كما قال احكمت اياته وكذلك احكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل وقد يكون
الحكيم في حق الله بمعنى المحكم بكسر الكاف كالاليم بمعنى المولم على صراط مستقيم اي دين مستقيم وهو الاسلام
وقال الزجاج على طريق الانبياء الذين تقدموك قال وانك لمن المرسلين خبر ان وانك على صراط مستقيم
خبر ثان اي انك لمن المرسلين وانك على صراط مستقيم وقيل المعنى لمن المرسلين على استقامة فيكون قوله
على صراط مستقيم من صلة المرسلين اي انك من المرسلين الذين ارسلوا على طريقة مستقيمة كقوله وانك
لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله اي الصراط الذي امر الله به قوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم
قرا ابن عامر وحفص ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي وخلف تنزيل بنصب اللام على المصدر اي نزل الله
ذلك تنزيلا فاضاف المصدر فصار معرفة كقوله فضرب الرقاب اي فضربا للرقاب الباقون تنزيل
بالرفع على خبر ابتدا محذوف اي هو تنزيل او الذي انزل اليك تنزيل العزيز الرحيم هذا وقرئ تنزيل
بالجر على البدل من القران والتنزيل يرجع الى القران وقيل الى النبي اي انك لمن المرسلين وانك تنزيل
العزيز الرحيم فالتنزيل على هذا بمعنى الارسال قال الله تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو ويقال
ارسل الله المطر وانزله بمعنى ومحمد صلى الله عليه وسلم رحمة الله انزلها من السما ومن نصب قال انك لمن
المرسلين ارسالا من العزيز الرحيم والعزيز المنتقم ممن خالفه الرحيم باهل طاعته قوله تعالى
لتنذر قوما ما انذر اباوهم فهم غافلون ما لا موضع لها من الاعراب عند اكثر اهل التفسير منهم
قتادة لانها نفي والمعنى لتنذر قوما ما اتى اباهم قبلك نذير وقيل هي بمعنى الذي فالمعنى لتنذرهم مثل
ما انذر اباوهم قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ايضا وقيل ان ما والفعل مصدر اي لتنذر قوما انذار
ابائهم ثم يجوز ان تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر اخبار الانبيا فالمعنى لم ينذروا برسول من انفسهم
ويجوز ان يكون بلغهم الخبر ولكن غفلوا واعرضوا ونسوا ويجوز ان يكون هذا خطابا لقوم لم يبلغهم
خبر نبي وقد قال وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقال لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون اي لم ياتهم نبي وعلى قول من قال بلغهم خبر الانبيا
فالمعنى فهم معرضون الان متغافلون عن ذلك ويقال للمعرض عن الشي انه غافل عنه وقيل فهم غافلون
عن عقاب الله قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون انا جعلنا في
اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون اي وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يومنون

انّ ابا جهل حلف لين راي محمدا يصلي

بانذارك وهذا فيمن سبق في علم الله انه يموت على كفره ثم بيّن سبب تركهم الايمان فقال انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قيل نزلت في ابي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف لين راي محمدا يصلي
ليرضخن راسه بحجر فلما راه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما اوما اليه رجعت يده الي عنقه والتصق الحجر
بيده قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما فهو على هذا تمثيل اي هو بمنزلة من غلت يده الي عنقه فلما عاد
الي اصحابه اخبرهم بما راي فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة انا ارضخ راسه فاتاه وهو يصلي على
حالته ليرميه بالحجر فاعمي الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الي اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال
والله ما رايته ولكن سمعت صوته فقال الثالث والله لاشدخن انا راسه ثم اخذ الحجر وانطلق فرجع القهقري
ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شانك قال عظيم رايت الرجل فلما دنوت منه
اذا فحل يخطر بذنبه ما رايت فحلا قط اعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لاكلني
فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وقرا ابن عباس انا جعلنا في ايمانهم وقال
الزجاج وقري انا جعلنا في ايديهم وقال النحاس وهذه القراءة تفسير ولا يقرا بما خالف المصحف
وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة التقدير انا جعلنا في اعناقهم وفي ايديهم اغلالا فهي الى الاذقان
فهي كناية عن الايدي لا عن الاعناق والعرب تحذف مثل هذا ونظيره سرابيل تقيكم الحر وتقديره
وسرابيل تقيكم البرد فحذف لان ما وقي من الحر وقي من البرد لان الغل اذا كان في العنق فلا بد ان يكون في
اليد ولا سيما وقد قال الله عز وجل فهي الى الاذقان فقد علم انه يراد به الايدي فهم مقمحون اي رافعوا رؤسهم
لا يستطيعون الاطراق لان من غلت يده الى ذقنه ارتفع راسه روي عبد الله بن يحيى ان علي ابن ابي
طالب عليه السلام اراهم الاقماح فجعل يديه تحت لحيته والصقهما ورفع راسه قال النحاس وهذا اجل
ما روي فيه وهو ماخوذ مما حكاه الاصمعي قال يقال اكمحت الدابة اذا جذبت لجامها لترفع راسها قال
النحاس والقاف مبدلة من الكاف لقربها منها كما يقال قهرته وكهرته قال الاصمعي يقال اكمحت الدابة اذا جذبت
عنانها حتى تنتصب راسها قال ومنه قول الشاعر والراس مكمح
ويقال اكمحتها واكفحتها وكبحتها هذه وحدها بلا الف عن الاصمعي وقمح البعير قموحا اذا رفع راسه عند
الحوض وامتنع من الشرب فهو بعير قامح وقمح يقال شرب فتقمح وانقمح بمعنى اذا رفع راسه وترك الشرب
ريا وقد قامحت ابلك اذا وردت ولم تشرب ورفعت راسها من داء يكون بها او برد وهي ابل مقامحة وبعير
مقامح وناقة مقامح ايضا والجمع قماح على غير قياس قال بشر يصف سفينة

ونحن على جوانبها قعود	نغض الطرف كالابل القماح

والاقماح رفع الراس وغض البصر يقال اقمحه الغل اذا ترك راسه مرفوعا من ضيقه وشهرا قماح اشد ما يكون
من البرد وهما الكانونان سميا بذلك لان الابل اذا وردت اذاها برد الماء تقامحت رؤسها ومنه اقمحت
السويق وقيل هو مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعهم من الهدي كامتناع المغلول قاله يحيى بن سلام
وابو عبيدة وكما قال فلان حمار اي لا يبصر الهدي كما قال

لهم عن الرشد اغلال واقياد	

وفي الخبر ان ابا ذويب كان يهوي امراة في الجاهلية فلما اسلم راودته فابي وانشا يقول

فليس كعهد الدار يا ام مالك	ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقايل	سوي العدل شيا فاستراح العواذل

اراد منعنا بموانع الاسلام عن الزنا والفسق وقال الفرا ايضا هذا ضرب مثل اي حبسناهم عن
الانفاق في سبيل الله وهو كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقاله الضحاك وقيل ان هذا وان
صاروا في الاستكبار عن الحق كمن جعل في يده غل فجمعت الى عنقه فبقي رافعا راسه لا يخفضه وغاضا
بصره لا يفتحه والمتكبر يوصف بانتصاب العنق وقال الازهري ان ايديهم لما غلت عند اعناقهم
رفعت الاغلال الاذقان فاهم ورؤسهم صعدا كالابل ترفع رؤسها وهذا المنع بخلق الكفر في قلوب الكفار وعند
قوم بسلبهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم وقيل الاية اشارة الى ما يفعل باقوام غدا في النار من وضع الاغلال
في اعناقهم والسلاسل كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل واخبر عنه بلفظ الماضي فهم مقمحون
تقدم تفسيره وقال مجاهد مقمحون مغللون عن كل خير قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم

سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون قال
مقاتل لما عاد ابو جهل الى اصحابه ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم وسقط الحجر من يده اخذ الحجر رجل اخر من بني مخزوم
وقال انا اقتله بهذا الحجر فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم طمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع
الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فهذا معنى الاية وقال محمد بن اسحق في روايته جلس عتبة وشيبة
ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف يرصدون النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا من اذاه فخرج عليهم وهو
يقرا يس وفي يده تراب فرماهم به وقرا وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاطرقوا حتى مر عليهم
عليه السلام وقد مضى هذا في سورة سبحان ومضى في سورة الكهف الكلام في سدا بضم السين
وفتحها وهما لغتان فاغشيناهم اي غطينا ابصارهم وقد مضى في اول البقرة وقرا ابن عباس وعكرمة
ويحيى بن يعمر فاعشيناهم بالعين غير المعجمة من العشا في العين وهو ضعف بصره حتى لا يبصر بالليل
قال متى تاته تعشو الى ضوء ناره وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
الاية والمعنى متقارب والمعنى اعميناهم كما قال

ومن الحوادث لا ابا لك انني	ضربت على الارض بالاسداد
لا اهتدي فيها لموضع تلعة	بين العذيب وبين ارض مراد

فهم لا يبصرون اي الهدي قاله قتادة وقيل محمدا حين ائتمروا على قتله قاله السدي وقال الضحاك وجعلنا
من بين ايديهم سدا اي الدنيا ومن خلفهم سدا اي الاخرة اي عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرايع في
الدنيا قال الله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اي زينوا الدنيا ودعوهم الى
التكذيب بالاخرة وقيل على هذا امن بين ايديهم سدا اي اغتروا في الدنيا ومن خلفهم سدا اي كذبوا بالاخرة
وقيل ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون تقدم في
البقرة والاية رد على القدرية وغيرهم وعن ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز احضر غيلان القدري فقال
يا غيلان بلغني انك تتكلم بالقدر فقال يكذبون علي يا امير المومنين ثم قال يا امير المومنين ارايت قول
الله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما
شاكرا واما كفورا فقال اقرا يا غيلان فقرا حتى انتهى الى قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فقال
اقرا فقال وما تشاءون الا ان يشاء الله فقال والله يا امير المومنين ان شعرت ان هذا في كتاب الله
قط فقال له يا غيلان اقرا اول سورة يس فقرا حتى بلغ وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
فقال غيلان والله يا امير المومنين لكاني لم اقراها قط قبل اليوم اشهد يا امير المومنين اني تايب فقال
عمر اللهم ان كان صادقا فتب عليه وثبته وان كان كاذبا فسلط عليه من لا يرحمه واجعله اية للمومنين
فاخذه هشام فقطع يديه ورجليه وصلبه قال ابن فانا رايته مصلوبا على باب دمشق فقلنا ما شانك يا
غيلان فقال اصابتني دعوة الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز قوله تعالى انما تنذر من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم يعني القران وعمل به وخشي الرحمن بالغيب
اي ما غاب من عذابه وناره قاله قتادة وقيل اي يخشاه في مغيبه عن ابصار الناس وانفراده بنفسه
فبشره بمغفرة اي لذنبه واجر كريم اي الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم
وكل شيء احصيناه في امام مبين فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى اخبر تعالى باحيايه
الموتى ردا على الكفرة وقال الضحاك والحسن اي نحييهم بالايمان بعد الجهل والاول اظهر اي نحييهم بالبعث
للجزاء ثم توعدهم بذكر كتب الاثار وهي الثانية واحصا كل شيء وكل ما يصنعه الانسان قال قتادة معناه
من عمل وقاله مجاهد وابن زيد ونظيره قوله علمت نفس ما قدمت واخرت وقوله ينبا الانسان يومئذ
بما قدم واخر وقوله اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فاثار المرء التي تبقى وتذكر بعد الانسان
من خير او شر يجازي بها من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبس احتبسوه او بناء بنوه من مسجد
او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم
وشيء احدثه فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها وقيل هي اثار
المشايين الى المساجد وعلى هذا المعنى تاول الاية عمر وابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا
ان معني واثارهم خطاهم الى المساجد قال النحاس وهو اولى ما قيل فيه قال ان الاية نزلت في ذلك لان

نادهم

الانصار وكانت منازلهم بعيدة عن المسجد وفي الحديث مرفوعًا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يكتب
له برجل حسنة ويحط عنه برجل سيئة ذاهبا وراجعا اذا خرج الى المسجد قال الشيخ رحمه الله وفي الترمذي
عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الى المسجد فنزلت هذه الاية
انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا
قال هذا حديث غريب من حديث الثوري وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا
الى قرب المسجد قال والبقاع خالية فبلغ ذلك النبي عم فقال يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم دياركم تكتب
اثاركم فقالوا ما كان يسرنا انا كنا تحولنا وقال ثابت البناني مشيت مع انس بن مالك الى الصلاة فاسرعت
فحبسني فلما انقضت الصلاة قال مشيت مع رسول الله صلعم فاسرعت فحبسني فلما انقضت الصلاة قال
اما علمت ان الاثار تكتب فهذا احتجاج بالاية وقال قتادة ومجاهد ايضا والحسن الاثار في هذه الاية
الخطا وحكى الثعلبي عن انس انه قال الاثار هي الخطا الى الجمعة وواحد الاثار اثر ويقال اثر **الثالثة** في هذه
الاحاديث المفسرة لمعنى الاية دليل على ان البعد من المسجد افضل فلو كان بجوار مسجد فهل له ان يجاوزه
الى الابعد اختلف فيه فروي عن انس انه كان يجاوز المحدث الى القديم وروي عن غيره الابعد فالابعد
من المسجد اعظم اجرا وكره الحسن وغيره هذا وقال لا يدع مسجدا قربه وياتي غيره وهذا مذهب
مالك وفي تخطي مسجد الى المسجد الاعظم قولان وخرج ابن ماجة من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة **الرابعة**
دياركم منصوب على الاغراء اي الزموا ونكتب جزم على جواب ذلك الامر وكل نصب بفعل مضمر يدل عليه
احصيناه كانه قال واحصينا كل شيء احصيناه ويجوز رفعه بالابتداء الا ان نصبه اولى ليعطف ما عمل
فيه الفعل وهو قول الخليل وسيبويه والامام الكتاب المقتدى به الذي هو حجة وقال مجاهد وقتادة
وابن زيد اراد اللوح المحفوظ وقالت فرقة اراد صحايف الاعمال **قوله تعالى** واضرب لهم
مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا
تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم
لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم هذه القرية هي
انطاكية في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي نسبت الى اهل انطبيس وهو اسم الذي بناها ثم غير لما
عرب ذكره السهيلي ويقال فيها انتاكية بالتاء بدل الطاء وكان بها فرعون يقال له انطيحس ابن انطيحس
يعبد الاصنام ذكره المهدوي وحكاه ابو جعفر النحاس عن كعب ووهب فارسل الله اليه ثلاثة وهم صادق
وصدوق وشلوم هو الثالث هذا قول الطبري وقال غيره سمعون ويوحنا وحكى النقاش سمعان ويحيى
ولم يذكروا صادقا وصدوقا ويجوز ان يكون مثلا واصحاب القرية مفعولين لاضرب واصحاب القرية
بدلا من مثلا اي اضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية فحذف المضاف امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار هؤلاء
المشركين ان يحل بهم ما حل بكفار اهل القرية المبعوث اليهم ثلاثة رسل قيل رسل من الله على الابتداء
وقيل ان عيسى بعثهما الى انطاكية للدعاء الى الله وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فاضاف الرب
ذلك الى نفسه لان عيسى ارسلهما بامر الرب وكان ذلك حين رفع عيسى الى السماء فكذبوهما قيل ضربوهما
وسجنوهما فعززنا بثالث اي قوينا وشددنا الرسالة بثالث وقرا ابو بكر عن عاصم فعززنا بثالث
بالتخفيف وشدد الباقون قال الجوهري وقوله تعالى فعززنا بثالث يخفف ويشدد اي قوينا وشددنا
قال ———— الاصمعي انشدني فيه ابو عمرو بن العلا للمتلمس

اجد اذا رحلت تعزز لحمها — واذا تشد بنسعها لا تنبس

اي لا ترغو فعلى هذا يكون القراتان بمعنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزني في الخطاب
والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا وفي القصة ان عيسى ارسل اليهم رسولين فلقيا شيخا يرعى غنيمات
له وهو حبيب النجار صاحب يس فدعوه الى الله وقالا نحن رسولا عيسى يدعوكم الى طاعة الله فطالبهما بالمعجزة
فقالا نحن نشفي المرضى وكان له ابن مجنون وقيل مريض على الفراش فمسحاه فقام باذن الله صحيحا فامن الرجل بالله
وقيل هو الذي جاء من اقصى المدينة يسعى ففشا امرهما وشفيا كثيرا من المرضى فارسل الملك اليهما وكان

يعبد

يعبد الاصنام ليستخبرهما فقالا نحن رسولا عيسى قال وما ايتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونبرئ المريض
باذن الله وندعوك الى عبادة الله وحده فهم الملك بضربهما وقال وهب حبسهما الملك وجلدهما مائة جلدة
فانتهى الخبر الى عيسى فارسل ثالثا قيل شمعون الصفار راس الحواريين لينصرهما فعاشر حاشية الملك
حتى تمكن منهم واستانسوا به ورفعوا حديثه الى الملك فانس به واظهر موافقته في دينه فرضي الملك طريقته
ثم قال يوما للملك بلغني انك حبست رجلين دعواك الى الله فلو سالت عنهما ما وراءهما فقال ان الغضب حال
بيني وبين سؤالهما قال فلو احضرتهما فامر بذلك فقال لهما شمعون ما برهانكما على ما تدعيان فقالا
نبرئ الاكمه والابرص فجيء بغلام ممسوح العينين موضع عينيه كالجبهة فدعوا ربهما فانشق موضع
البصر فاخذا بندقتين طينا فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك وقال ان ههنا
غلاما مات منذ سبعة ايام ولم ادفنه حتى يجيء ابوه فهل يحييه ربكما فدعوا الله علانية ودعا شمعون سرا
فقام الميت حيا فقال للناس اني مت منذ سبعة ايام فوجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية من النار
فاحذركم ما انتم فيه فامنوا بالله ثم فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون
وصاحبيه حتى احياني الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان عيسى روح الله وكلمته وان
هؤلاء هم رسل الله فقالوا له وهذا شمعون ايضا معهم قال نعم وهو افضلهم فاعلمهم شمعون انه رسول
المسيح اليهم فاثر قوله في الملك ودعاه الى الله فامن الملك في قوم كثير وكفر اخرون وحكى القشيري
ان الملك امن ولم يؤمن قومه وصاح جبريل صيحة مات كل من بقي منهم من الكفار وروي ان عيسى لما امرهم
ان يذهبوا الى تلك القرية قالوا يا نبي الله انا لا نعرف ان نتكلم بالسنتهم ولغاتهم فدعا الله لهم فناموا
من مكانهم فهبوا من نومتهم وقد حملتهم الملائكة والقتهم بارض انطاكية فكلم كل واحد منهم صاحبه
بلغة القوم فذلك قوله وايدناه بروح القدس فقالوا جميعا انا اليكم مرسلون فقالوا ما انتم الا بشر مثلنا
تاكلون الطعام وتمشون في الاسواق وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون بامر به ولا بنهي
عنه ان انتم الا تكذبون في دعواكم الرسالة فقالت الرسل ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وان كذبتمونا
وما علينا الا البلاغ المبين في ان الله واحد فقالوا لهم انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم قال مقاتل حبس عنهم
المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم وقيل انهم اقاموا ينذرونهم عشر سنين لئن لم تنتهوا اي
عن انذارنا لنرجمنكم قال الفراء لنقتلنكم قال وعامة ما في القرآن من الرجم معناه القتل وقال
قتادة هو على بابه من الرجم بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقد تقدم جميعه وليمسنكم منا عذاب اليم
وقيل هو القتل وقيل التعذيب المؤلم قبل القتل كالسلخ والقطع والصلب فقالت الرسل طائركم معكم
اي شؤمكم معكم اي حظكم من الخير والشر معكم ولازم في اعناقكم وليس هو من شؤمنا قال معناه الضحاك
وقال قتادة اعمالكم معكم ابن عباس معناه الارزاق والاقدار تتبعكم الفراء طائركم معكم رزقكم وعملكم
والمعنى واحد وقرا الحسن اطيركم اي تطيركم لان ذكرتم قال قتادة ائن ذكرتم تطيرتم وفيه تسعة اوجه من
القراات قرا اهل المدينة ااين ذكرتم بتخفيف الهمزة الثانية وقرا اهل الكوفة ائن بتحقيق الهمزتين والوجه
الثالث ااين ذكرتم بهمزتين بينهما الف ادخلت الالف كراهة للجمع بين الهمزتين والوجه الرابع ااين
بهمزة بعدها الف وبعد الالف همزة مخففة والقراءة الخامسة ااين بهمزتين مفتوحتين بينهما الف
والوجه السادس ان بهمزتين محققتين مفتوحتين وحكى الفراء ان هذه قراءة ابي رزين قال الشيخ رحمه الله
وحكاها الثعلبي عن زر بن حبيش وابن السميقع وقراءة عيسى ابن عمر والحسن البصري قالوا طائركم معكم
اين ذكرتم بمعنى حيث وقرا يزيد بن القعقاع والحسن وطلحة ذكرتم بالتخفيف ذكر جميعه النحاس وذكر
المهدوي عن طلحة بن مصرف وعيسى الهمداني ان ذكرتم بالمد على ان همزة الاستفهام دخلت على همزة
مفتوحة الماجشون ان ذكرتم بهمزة واحدة مفتوحة فهذه تسع قراات وقرا ابن هرمز طيركم معكم
اين ذكرتم اي لان وعظتم وهو كلام مستانف اي ان وعظتم تطيرتم وقيل انما تطيروا لما بلغهم ان كل
نبي دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبة قومه الهلاك بل انتم قوم مسرفون قال قتادة مسرفون في
تطيركم يحيى بن سلام مسرفون في كفركم وقال ابن بحر السرف ههنا الفساد ومعناه بل انتم قوم
مفسدون وقيل مسرفون مشركون والاسراف مجاوزة الحد والمشرك يجاوز الحد **قوله تعالى**
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم

غلام ممسوح العينين

مهتدون ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون هو حبيب بن مري وكان نجارا وقيل اسكافا وقيل
قصارا وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يومن احد بنبي الا بعد ظهوره قال وهب وكان حبيب مجذوما ومنزله عند اقصى باب من ابواب
المدينة وكان عكف على عبادة الاصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضره فما
استجابوا له فلما ابصر الرسل دعوه الى عبادة الله فقال هل من اية قالوا نعم ندعو ربنا القادر فيفرج
عنك ما بك فقال ان هذا لعجب لي ادعو هذه الالهة سبعين سنة تفرج عني فلم تستطع تفرجه في غداة
واحدة قالوا نعم ربنا على ما يشاء قدير وهذه لا تنفع شيئا ولا تضر فامن ودعوا ربهم فكشف الله ما به كان لم
يكن به باس فحينئذ اقبل على التكسب فاذا امسى تصدق بكسبه فاطعم عياله نصفا وتصدق بنصف فلما هم قومه
بقتل الرسل جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين الاية وقال قتادة كان يعبد الله في غار فلما سمع بخبر
المرسلين جاء يسعى فقال للمرسلين اتطلبون على ما جئتم به اجرا قالوا لا ما اجرنا الا على الله قال
ابو العالية فاعتقد صدقهم وامن بهم واقبل على قومه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم
اجرا اي لو كانوا متهمين لطلبوا منكم المال وهم مهتدون فاهتدوا بهم ومالي لا اعبد الذي فطرني
واليه ترجعون وهذا احتجاج منه عليهم واضاف الفطرة الى نفسه لان ذلك نعمة عليه توجب الشكر والبعث
اليهم لان ذلك وعيد يقتضي الزجر فكان اضافة النعمة الى نفسه اظهر شكرا واضافة البعث الى الكافر
ابلغ اثرا ءاتخذ من دونه الهة يعني اصناما ان يردن الرحمن بضر يعني ما اصابه من السقم لا تغن عني شفاعتهم
شيئا ولا ينقذون يخلصوني مما انا فيه من البلاء اني اذا يعني ان فعلت ذلك لفي ضلال مبين اي خسران
ظاهر اني امنت بربكم فاسمعون قال ابن مسعود خاطب الرسل بانه مومن بالله ربهم ومعنى فاسمعون
اي فاشهدوا اي كونوا شهودي بالايمان وقال كعب ووهب انما قال ذلك لقومه اني امنت بربكم الذي
كفرتم به وقيل انه لما قال لقومه اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا رفعوه الى الملك وقالوا قد
تبعت عدونا فطول معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل الى ان قال اني امنت بربكم فوثبوا
عليه فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره والقي في بئر وهي الرس وهم اصحاب
وفي رواية انهم قتلوا الرسل الثلاثة وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه
وقال الكلبي حفروا حفرة وجعلوه فيها وردموا فوقه التراب فمات ردما وقال الحسن حرقوه حرقا
وعلقوه من سور المدينة وقبره في سور انطاكية حكاه الثعلبي وقال القشيري وقال الحسن لما اراد القوم
ان يقتلوه رفعه الله الى السماء فهو في الجنة لا يموت الا بفناء السماء وهلاك الجنة فاذا اعاد الله الجنة
ادخلها وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت روحه الا في الجنة فدخلها
فذلك قوله ادخل الجنة فلما شاهدها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران
ربي لي فما مع الفعل بمنزلة المصدر وقيل بمعنى الذي والعائد من الصلة محذوف ويجوز ان يكون
استفهاما فيه معنى التعجب كانه قال يا ليت قومي يعلمون باي شيء غفر لي ربي اي بغفران ربي لي قاله
واعترضه الكسائي فقال لو صح هذا لقال بم من غير الف وقال الفراء يجوز ان يقال بما بالالف وهو
استفهام وانشد فيه ابياتا الزمخشري بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال
قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت المهدوي واثبات الالف في الاستفهام قليل فيوقف على هذا
على يعلمون وقال جماعة معنى قيل ادخل الجنة وجبت لك الجنة فهو خبر بانه قد استحق دخول الجنة لان دخو
لها يستحق بعد البعث قال الشيخ والظاهر من الاية انه لما قتل رحمه الله ادخل الجنة قال قتادة ادخله الله
الجنة حي يرزق اراد قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
على ما تقدم بيانه في ال عمران والله اعلم قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند
ذلك الفوز العظيم الذي هو بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقرئ المكرمين وفي معنى تمنيه

حرقوه حرقا وعلقوه من سور المدينة وقبره في سور انطاكية

اقوال احدها بمعنى ان يعلموا اجاله ليعلموا احسن ماله وحميد عاقبته الثاني تمني بذلك ليومنوا امثل
ايمانه فيصيروا لامثل حاله قال ابن عباس نصح قومه حيا وميتا رفعه القشيري قال وفي الخبر انه
عليه السلام قال في هذه الاية نصح له في حياته وبعد موته وقال ابن ابي ليلى سباق الامم ثلاثة
لم يكفروا بالله طرفة عين علي ابن ابي طالب وهو افضلهم ومومن ال فرعون وصاحب يس فهم الصديقون
ذكره الزمخشري مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية تنبيه عظيم ودلالة على
وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر
في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير
لقتلته والباغين عليه الغوائل وهم كفرة عبدة الاصنام فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النقمة على قومه
فامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء
وما كنا منزلين اي ما انزلنا عليهم من رسالة ولا نبي بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن قال
الحسن الجند الملائكة النازلون بالوحي على الانبياء وقيل الجند العساكر اي لم احتج في هلاكهم الى ارسال
جنود ولا جيوش ولا عساكر بل اهلكتهم بصيحة واحدة قال معناه ابن مسعود وغيره فقوله وما كنا منزلين
تصغير لامرهم اي اهلكناهم بصيحة واحدة من بعد ذلك الرجل او من بعد رفعه الى السماء وقيل المعنى
وما كنا منزلين على من كان قبلهم الزمخشري فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق
فقال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقال بالف من الملائكة مردفين بثلاثة الاف من الملائكة
بخمسة الاف من الملائكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن قوم لوط
بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء
على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم
يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال
الجنود من عظائم الامور التي لا يوهل لها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك ان كانت الا صيحة واحدة قراءة
العامة صيحة واحدة بالنصب على تقدير ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة فاذا هم جميع وقرا ابو جعفر
بن القعقاع وشيبة والاعرج صيحة واحدة بالرفع هنا وفي قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم
جميع جعلوا الكون بمعنى الوقوع والحدوث فكانه قال ما وقعت عليهم الا صيحة واحدة وانكر هذه القراءة
ابو حاتم وكثير من النحويين بسبب التانيث فهو ضعيف كما تقول ما قامت الا هند ضعيفا من حيث
كان المعنى ما قام احد الا هند قال ابو حاتم فلو كان كما قرا ابو جعفر لقال ان كانت الا صيحة قال
النحاس لا يمتنع شيء من هذا تقول ما جاءتني الا جاريتك بمعنى ما جاءتني امراة او جارية الا جاريتك والتقدير
في القراءة بالرفع ما قاله ابو اسحاق قال المعنى ان كانت عليهم صيحة الا صيحة واحدة وقدره غيره ما
وقعت عليهم الا صيحة واحدة وكان بمعنى وقع كثير في كلام وقرا عبد الرحمن بن الاسود ويقال انه
في حرف عبد الله كذلك ان كانت الا زقية واحدة وهذا مخالف للمصحف وايضا فان اللغة المعروفة زقا يزقو اذا
صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي فكان يجب على هذا ان يكون زقوة ذكره النحاس قال الشيخ رحمه الله قال الجوهري
الزقو والزقي مصدر وقد زقا الصدى يزقو زقاء اي صاح وكل صائح زاق والزقية الصيحة قال الشيخ
رحمه الله وعلى هذا يقال زقوة وزقية لغتان فالقراءة صحيحة لا اعتراض عليها والله اعلم فاذا هم خامدون
اي ميتون هامدون تشبيها بالرماد الخامد وقال قتادة هلكى والمعنى واحد قوله تعالى يا حسرة
على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون منصوب لانه نداء نكرة ولا يجوز فيه غير النصب
عند البصريين وفي حرف ابي يا حسرة العباد على الاضافة وحقيقة الحسرة في اللغة ان يلحق الانسان من
الندم ما يصير به حسيرا وزعم الفراء ان الاختيار النصب وانه لو رفعت النكرة الموصولة بالصلة كان صوابا
واستشهد باشياء منها انه سمع من العرب يا مهتم بامرنا لا تهتم وانشد

يا دار غيرها البلى تغييرا

قال النحاس وفي هذا ابطال باب النداء واكثره
لانه رفع النكرة المحضة ويرفع ما هو بمنزلة المضاف في قوله وتحذف التنوين متوسطا ويرفع ما هو في
المعنى مفعول بغير علة اوجبت ذلك فاما ما حكاه عن العرب فلا يشبه ما اجازه لان تقديره يا مهتم بامرنا
لا تهتم على التقديم والتاخير والمعنى يا ايها المهتم لا تهتم بامرنا وتقدير البيت يا ايتها الدار ثم حول المخاطبة

اي يا هؤلاء عبر هذا الدار البلى كما قال الله عز وجل حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح فحسرة منصوب
على النداء كما تقول يا رجلا اقبل في معنى النداء هذا موضع حضور الحسرة الطبري المعنى يا حسرة من العباد
على انفسهم وتندما وتلهفا في استهزائهم برسل الله عليهم السلام ابن عباس يا حسرة على العباد اي يا ويلا
على العباد وعنه ايضا حل هؤلاء محل من يتحسر عليهم وروى الربيع عن انس عن ابي العالية ان العباد هاهنا
الرسل وذلك ان الكفار لما راوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد فتحسروا على قتلهم وترك الايمان
بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم الايمان وقاله مجاهد وقال الضحاك انها حسرة الملائكة على الكفار
حين كذبوا الرسل وقيل يا حسرة على العباد من قول الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى لما وثب
القوم لقتله وقيل ان الرسل الثلاثة هم الذين قالوا لما قتل القوم ذلك الذي جاء من اقصى المدينة
يسعى وحل بالقوم العذاب يا حسرة على هؤلاء كانهم تمنوا ان يكونوا قد امنوا وقيل هذا من قول القوم
قالوا لما قتلوا الرجل وفارقتهم الرسل او قتلوا الرجل مع الرسل الثلاثة على اختلاف الروايات يا حسرة على
هؤلاء الرسل وعلى هذا الرجل ليتنا امنا بهم في الوقت الذي ينفع الايمان وتم الكلام على هذا ثم ابتدا
فقال ما ياتيهم من رسول وقرا ابن هرمز ومسلم بن جندب وعكرمة يا حسرة على العباد بسكون الهاء للحرص
على البيان وتقرير المعنى في النفس اذ كان موضع وعظ وتنبيه والعرب تفعل ذلك في مثله وان لم يكن
موضعا للوقف ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقطع قراءته حرفا حرفا حرصا على البيان
والافهام ويجوز ان يكون على العباد متعلقا بالحسرة ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف لا بالحسرة فكانه
قدر الوقف على الحسرة فاسكن الهاء ثم قال على العباد اي اتحسر على العباد وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما
يا حسرة العباد مضاف بحذف على وهو خلاف المصحف وجاز ان يكون من باب الاضافة الى الفاعل فيكون
العباد فاعلين كانهم اذا شاهدوا العذاب تحسروا فهو كقولك يا قيام زيد ويجوز ان يكون من باب
الاضافة الى المفعول فيكون العباد مفعولين فكان العباد يتحسر عليهم من يشفق لهم وقراءة من قرا يا
حسرة على العباد مقوية لهذا المعنى **قوله تعالى** اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم
اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون قال سيبويه ان بدل من كم ومعنى كم هاهنا الخبر
فلذلك جاز ان يبدل منها ما ليس باستفهام والمعنى الم يروا ان القرون الذين اهلكناهم انهم اليهم لا يرجعون
وقال الفراء كم في موضع نصب من وجهين احدهما بيروا واستشهد على هذا بانه في قراءة ابن مسعود الم
يروا من اهلكنا والوجه الاخر ان تكون كم في موضع نصب باهلكنا قال النحاس القول الاول محال لان كم
لا يعمل فيها ما قبلها لانها استفهام ومحال ان يدخل الاستفهام في حيز ما قبله وكذا حكمها اذا كانت
خبرا وان كان سيبويه قد اوما الى بعض هذا فجعل انهم بدلا من كم وقد رد ذلك محمد بن يزيد اشد رد وقال
كم في موضع نصب باهلكنا وانهم في موضع نصب والمعنى عنده بانهم اي الم يروا كم اهلكنا قبلهم من
القرون بالاستئصال قال والدليل على هذا انها في قراءة عبد الله من اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم
لا يرجعون وقرا الحسن انهم اليهم لا يرجعون بكسر الهمزة على الاستئناف وهذه الاية رد على من زعم
ان من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت وان كل لما جميع لدينا محضرون يريد يوم القيامة للجزاء
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة وان كل لما بتشديد لما وخفف الباقون فان مخففة من الثقيلة وما بعدها
مرفوع بالابتداء وما بعده الخبر وبطل عملها حين تغير لفظها ولزمت اللام في الخبر فرقا بينها وبين ان التي
بمعنى ما وما عند ابي عبيدة زائدة والتقدير عنده وان كل لجميع قال الفراء ومن شدد جعل لما بمعنى الا وان
بمعنى ما اي ما كل الا جميع كقوله ان هو الا رجل به جنة وحكى سيبويه في قوله سالتك بالله لما فعلت
وزعم الكسائي انه لا يعرف هذا وقد مضى هذا المعنى في هود وفي حرف ابي وان منهم الا جميع لدينا محضرون
قوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا
فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون
نبههم الله تعالى بهذا على احياء الموتى وذكرهم توحيده وكمال قدرته وهي الارض الميتة احييناها بالنبات
واخراج الحب منها فمنه اي من الحب ياكلون وبه يتغذون وشدد اهل المدينة الميتة وخفف الباقون وقد
تقدم وجعلنا فيها اي في الارض جنات اي بساتين من نخيل واعناب وخصصهما بالذكر لانهما اعلى الثمار
وفجرنا فيها من العيون اي في البساتين لياكلوا من ثمره الهاء في ثمره تعود على ماء العيون لان الثمر

منه اندرج قاله الجرجاني والمهدوي وغيرهما وقيل اي لياكلوا من ثمر ما ذكرنا كما قال وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في بطونه وقرا حمزة والكسائي من ثمره بضم الثاء والميم وفتحهما الباقون وعن الاعمش
ضم الثاء واسكان الميم وقد مضى الكلام فيه في الانعام وما عملته ايديهم ما في موضع خفض على العطف
على من ثمره اي ومما عملته ايديهم وقرا الكوفيون وما عملت بغير هاء الباقون عملته على الاصل من غير حذف وحذف
الصلة ايضا في الكلام كثير لطول الاسم ويجوز ان يكون ما نافية لا موضع لها فلا تحتاج الى صلة ولا راجع
اي ولم تعمله ايديهم من الزرع الذي انبته الله لهم وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل وقال غيرهم
المعنى ومن الذي عملته ايديهم اي من الثمار ومن اصناف الحلاوات والاطعمة ومما اتخذوا من الحبوب
بعلاج كالخبز والدهن المستخرج من السمسم والزيتون وقيل يرجع ذلك الى ما يغرسه الناس روي معناه عن
ابن عباس ايضا افلا يشكرون نعمه **قوله تعالى** سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار اذ عبدوا غيره مع ما راوا من نعمه
واثار قدرته وفيه تقدير الامر اي سبحوه ونزهوه عما لا يليق به وقيل فيه معنى التعجب اي عجبا لهؤلاء في
كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الايات ومن تعجب من شيء قال سبحان الله والازواج الانواع و
الاصناف فكل صنف زوج لانه مختلف في الالوان والطعوم والاشكال والصغر والكبر فاختلافها
هو ازدواجها وقال قتادة يعني الذكر والانثى مما تنبت الارض يعني من النبات لانه اصناف ومن
انفسهم يعني وخلق منهم اولادا ازواجا ذكورا واناثا ومما لا يعلمون اي من اصناف خلقه في البر
والبحر والسماء والارض ثم يجوز ان يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر وتعلمه الملائكة ويجوز ان لا يعلمه
مخلوق ووجه الاستدلال في الاية انه اذا انفرد بالخلق فلا ينبغي ان يشرك به **قوله تعالى**
واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون اي وعلامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب
الالهية والسلخ الكشط والنزع يقال سلخه الله من دينه ثم يستعمل بمعنى الاخراج وقد جعل ذهاب
الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء فظهور المسلوخ فهي استعارة ومظلمون داخلون في الظلام يقال
اظلمنا اي دخلنا في ظلام الليل واظهرنا دخلنا في وقت الظهر وكذلك اصبحنا وامسينا واضحينا وقيل
منه بمعنى عنه والمعنى نسلخ عنه ضياء النهار فاذا هم مظلمون اي في ظلمة لان ضوء النهار يتداخل في الهواء
فيضيء فاذا خرج منه اظلم **قوله تعالى** والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
يجوز ان يكون تقديره واية لهم الشمس ويجوز ان يكون الشمس مرفوعا باضمار فعل يفسره الثاني ويجوز ان
يكون مرفوعا بالابتداء تجري في موضع الخبر اي جارية وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفيه عن ابي ذر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال ان هذه
تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من
حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فيقال
لها ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون
متى ذاكم حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولفظ البخاري عن ابي
ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله
اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن
فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري لمستقر
لها ذلك تقدير العزيز العليم ولفظ الترمذي عن ابي ذر قال دخلت المسجد حين غابت الشمس والنبي
صلى الله عليه وسلم جالس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اتدري اين تذهب هذه قال قلت
الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب فتستاذن في السجود فيؤذن لها وكانها قد قيل لها اطلعي من
حيث جئت فتطلع من مغربها قال ثم قرا وذلك مستقر لها قال وذلك قراءة عبد الله قال ابو عيسى
هذا حديث حسن صحيح قال عكرمة ان الشمس اذا غربت دخلت محرابا تحت العرش تسبح الله حتى تصبح فاذا
اصبحت استعفت ربها من الخروج فيقول لها الرب ولم ذلك قالت اذا خرجت عبدت من دونك
فيقول الرب تبارك وتعالى اخرجي فليس عليك من ذلك شيء سابعث اليهم جهنم مع سبعين الف ملك

مطالع النجوم

يتو دونها حتى يدخلوهم فيها وقال الكلبي وغيره المعنى تجري الى ابعد منازلها في الغروب ثم ترجع الى
ادنى منازلها فمستقرها بلوغها الموضع الذي لا تتجاوزه بل ترجع منه كالانسان يقطع مسافة حتى
يبلغ اقصى مقصوده فيقضي وطره ثم يرجع الى منزله الاول الذي ابتدا منه سفره وعن علي تبلغ الشمس
اقصى منازلها وهو مستقرها اذا طلعت الهنعة وذلك اليوم اطول الايام في السنة وتلك الليلة
اقصر الليالي فالنهار خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات ثم ياخذ في النقصان وترجع الشمس فاذا
طلعت الثريا استوى الليل والنهار وكل واحد ثنتا عشرة ساعة ثم تبلغ ادنى منازلها وتطلع النعايم
وذلك اليوم اقصر الايام والليل خمسة عشر ساعة حتى اذا طلع فرغ الدلو المؤخر استوى الليل والنهار
فياخذ الليل من النهار كل يوم عشر ثلث ساعة وكل عشرة ايام ثلث ساعة وكل شهر ساعة تامة حتى يستويا وياخذ
الليل حتى يبلغ خمس عشرة ساعة وياخذ النهار من الليل كذلك وقال الحسن ان للشمس في السنة ثلثمائة
وستين مطلعا تنزل في كل يوم مطلعا ثم لا تنزل الى الحول فهي تجري في تلك المنازل وهي مستقرها وهو معنى
الذي قبله سواء وقال ابن عباس انها اذا غربت وانتهت الى الموضع الذي لا تتجاوزه استقرت تحت
العرش الى ان تطلع قال الشيخ ما قاله ابن عباس يجمع الاقوال فتامله وقيل الى انتهاء امدها عند انقضاء
الدنيا وقرا ابن مسعود وابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي انها تجري في الليل والنهار لا وقوف
لها ولا قرار الى ان يكورها الله يوم القيامة وقد احتج من خالف المصحف فقال انا اقرا بقراءة ابن مسعود
وابن عباس قال ابو بكر الانباري وهذا باطل مردود على من نقله لان ابا عمرو روى عن مجاهد عن ابن عباس
وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عباس والشمس تجري لمستقر لها فهذان السندان عن ابن عباس اللذان
يشهد بصحتهما الاجماع يبطلان ما روي بالسند الضعيف مما يخالف مذهب الجماعة وما اتفقت عليه الامة
قال الشيخ والاحاديث الثابتة التي ذكرناها قوله فما اجراه على كتاب الله فانتبه الله وقوله لمستقر لها
اي الى مستقرها والمستقر موضع القرار ذلك تقدير اي الذي ذكر من امر الليل والنهار والشمس تقدير العزيز
العليم **قوله تعالى** والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تعالى
والقمر يكون تقديره واية لهم القمر ويجوز ان يكون والقمر مرفوعا بالابتداء وقرا الكوفيون والقمر بالنصب
على اضمار فعل وهو اختيار ابي عبيد قال لان قبله فعلا وبعده فعلا قبله نسلخ وبعده قدرناه النحاس
واهل العربية جميعا فيما علمت على خلاف ما قال منهم الفراء قال الرفع اعجب الي وانما كان الرفع عندهم اولى
لانه معطوف على ما قبله ومعناه واية لهم القمر وقوله ان قبله نسلخ فقبله ما هو اقرب منه وهو تجري
وقبله والشمس بالرفع والذي ذكره بعده وهو قدرناه قد عمل في الهاء قال ابو حاتم الرفع اولى لانك
شغلت الفعل عنه بالضمير فرفعته بالابتداء ويقال القمر ليس هو المنازل فكيف قال قدرناه منازل
ففي هذا جوابان احدهما قدرناه ذا منازل مثل واسال القرية والتقدير الاخر قدرنا له منازل
ثم حذفت اللام وكان حذفها حسنا لتعدي الفعل الى مفعولين مثل واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا والمنازل ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل وهي الشرطين البطين الثريا

المنازل ثمانية وعشرون

الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الخرتان الصرفة العوا السماك
الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود
سعد الاخبية الفرغ المقدم الفرغ المؤخر بطن الحوت فاذا صار القمر في اخرها عاد الى اولها
فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ثم يطلع هلالا فيعود في قطع الفلك على المنازل وهي

البروج

منقسمة على البروج لكل برج منزلان وثلث فللحمل الشرطين والبطين وثلث الثريا وللثور ثلثا
الثريا والدبران وثلثا الهقعة ثم كذلك الى سائرها وقد مضى في النساء تسمية البروج والحمد لله وحده
الثانية واعلم ان السنة منقسمة على اربعة فصول لكل فصل سبع منازل فاولها الربيع واوله خمسة

فصول اربعة

عشر يوما من اذار وعدد ايامه اثنان وتسعون يوما تقطع فيه الشمس ثلاثة بروج الحمل والثور والجوزا
وسبعة منازل الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع ثم يدخل
فصل الصيف في خمسة عشر يوما في خمسة وعشرين يوما من حزيران وعدد ايامه اثنان وتسعون يوما
تقطع فيه ثلاثة بروج السرطان والاسد والسنبلة وسبعة منازل وهي النثرة والطرف

والجبهة

والجبهة والخرتان والصرفة والعوا والسماك ثم يدخل فصل الخريف في خمسة عشر يوما من ايلول وعدد
ايامه احد وتسعون يوما يقطع الشمس فيه ثلاثة بروج وهي الميزان والعقرب والقوس وسبعة منازل
الغفر والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة ثم فصل الشتا في خمسة عشر يوما من كانون
الاول وعدد ايامه تسعون يوما وربما كان احد وتسعون يوما تقطع فيه الشمس ثلاثة بروج وهي الجدي والدلو
والحوت تسعة منازل سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرغ المقدم الفرغ المؤخر
بطن الحوت وهذه قسمة السريانيين لشهورها تشرين الاول تشرين الثاني كانون الاول كانون الثاني
شباط اذار نيسان ايار حزيران تموز اب ايلول وكلها احد وثلاثون الا تشرين الثاني ونيسان
وحزيران وايلول فهي ثلاثون وشباط ثمانية وعشرون يوما وربع يوم وانما اردنا بهذا ان تنظر في قدرة
الله تعالى في ذلك قوله والقمر قدرناه منازل فاذا كانت الشمس في منزل اهل الهلال بالمنزل الذي بعده

نور الشمس والقمر

وكان الفجر بمنزلتين من قبله فاذا كانت الشمس بالثريا في خمسة وعشرين يوما من نيسان كان الفجر بالشرطين
واهل الهلال بالدبران ثم يكون له في كل يوم منزلة حتى تقطع في ثمان وعشرين ليلة ثمانيا وعشرون منزلة
وقد قطعت الشمس منزلتين فيقطعهما ثم يطلع في المنزلة التي بعد منزلة الشمس فذلك تقدير العزيز العليم وقيل
ان الله تعالى خلق الشمس والقمر من نار ثم كسيا النور عند الطلوع فاما نور الشمس فمن نور العرش واما نور
القمر فمن نور الكرسي فذلك اصل الخلقة وهذه الكسوة فاما الشمس فتركت كسوتها على حالها لتشعشع وتشرق
واما القمر فامر الروح الامين جناحه على وجهه فمحا ضوءه بسلطان الجناح وذلك انه روح والروح سلطانه
غالب على الاشيا فبقي ذلك المحو على ما يراه الخلق ثم جعل في غلاف من ماء ثم جعل له مجرى فكل ليلة يبدو
للخلق من ذلك الغلاف قمرا بمقدار يقمر لهم حتى ينتهي بدوه ويراه الخلق بكماله واستداراته ثم لا يزال
يعود الى الغلاف كل ليلة شيء منه فينتقص من الروية والاقمار بمقدار ما زاد في البدو ويبتدي في النقصان
من الناحية التي لا يراه الشمس وهو ناحية المغرب حتى يعود كالعرجون القديم وهو العذق المتقوس
ليبسه ودقته وانما قال القمر لانه يقمر اي يبيض الجو ببياضه الى ان يستتر وقوله حتى عاد كالعرجون القديم
قال الزجاج هو عود العذق الذي عليه الشماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف اي سار في
منازله فاذا كان في اخرها دق واستقوس وصار حتى عاد كالعرجون القديم وعلى هذا فالنون زائدة وقال
قتادة هو العذق اليابس المنحني من النخلة ثعلب كالعرجون القديم قال العرجون الذي يبقى من الكباسة
في النخلة اذا قطعت والقديم البالي الخليل في باب الرباعي العرجون العذق وهو اصفر عريض يشبه به
الهلال اذا انحنى الجوهري العرجون اصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا
وعرجنته ضربته بالعرجون فالنون على قول هذا اصلية ومنه شعر اعشى بني قيس

سرق المسك والعنبر بها ... في صفرا كعرجون القمر

فالعرجون اذا عتق ويبس وتقوس شبه القمر في دقته وصفرته به ويقال له ايضا الاهان والكباسة والقنو
واهل مصر يسمونه الاسباطه وقري العرجون بوزن فرجون وهما لغتان كالبزيون والبريون ذكره الزمخشري
وقال هو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة **الثالثة** قوله تعالى القديم قال الزمخشري
القديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة اوجه وقيل اقل الموصوف بالقدم
الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول او اكثر
قال الشيخ رحمه الله قد مضى في البقرة ما يترتب على الاهلة من الاحكام والحمد لله قوله لا الشمس ينبغي
لها ان تدرك القمر رفعت الشمس بالابتداء ولا يجوز ان تعمل لا في معرفة وقد تكلم العلماء في معنى هذه الاية
فقال بعضهم معناها ان الشمس لا تدرك القمر فيبطل معناه اي لكل واحد منهما سلطان على حياله فلا يدخل
احدهما على الاخر فيذهب سلطانه الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك فتطلع الشمس من مغربها على ما تقدم
في اخر الانعام بيانه وقيل اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء روي
معناه عن ابن عباس والضحاك وقال مجاهد اي لا يشبه ضوء احدهما ضوء الاخر وقال قتادة لكل حد وعلم
لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب هذا وقال الحسن انهما لا يجتمعان في السماء ليلة
الهلال خاصة اي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر ولكن اذا غربت الشمس طلع القمر يحيى بن سلام
لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لانه يبادر بالمغيب قبل طلوعها وقيل معناه اذا اجتمعا في

السما كان احدهما بين يدي الاخر في منازل لا يشتركان فيها قاله ابن عباس ايضا وقيل القمر في السماء الدنيا والشمس في السما الرابعة فهي لا تدركه ذكره النحاس والمهدوي قال النحاس واحسن ما قيل في معناها وابينه مما لا يدفع ان سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه في السير ذكره المهدوي ايضا فاما قوله سبحانه وجمع الشمس والقمر فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في اخر الانعام ويأتي في القيامة ايضا وجمعهما علامة لانقضا الدنيا وقيام الساعة كل يعني من الشمس والقمر والنجوم في فلك يسبحون اي يجرون وقيل يدورون ولم يقل تسبح لانه وصفها بفعل من يعقل وقال الحسن الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والارض غير ملصقة ولو كانت ملصقة ما جرت ذكره الثعلبي والماوردي واستدل بعضهم بقوله تعالى ولا الليل سابق النهار على ان النهار مخلوق قبل الليل وان الليل لم يسبقه بخلق وقيل كل واحد منهما يجيء وقته لا يسبق صاحبه الا ان تجمع بين الشمس والقمر يوم القيامة كما قال وجمع الشمس والقمر وانما هذا التعاقب الان لتتم مصالح العباد وليعلموا عدد السنين والحساب ويكون الليل للاجمام والاستراحة والنهار للتصرف كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم من عمل النهار فقوله ولا الليل سابق النهار اي غالب النهار يقال سبق فلان فلانا اي غلبه وذكر المبرد قال سمعت عمارة يقرا ولا الليل سابق النهار فقلت ما هذا فقال اردت سابق النهار فحذف التنوين لانه اخف قال النحاس يجوز ان يكون النهار منصوبا بغير تنوين ويكون التنوين حذف لالتقا الساكنين **قوله تعالى** وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك يحتمل ثلاثة معان احدها عبرة لهم لان في الايات اعتبارا الثاني نعمة عليهم لان في الايات انعاما الثالث انذار لهم لان في الايات انذارا انا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون من اشكل ما في السورة لانهم هم المحمولون فقيل المعنى وآية لاهل مكة انا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون فالضميران مختلفان ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي ابن سليمان انه سمعه يقوله وقيل الضميران جميعا لاهل مكة على ان يكون ذرياتهم اولادهم وضعفاهم فالفلك على القول الاول سفينة نوح وعلى الثاني اسما للجنس خبر عز وجل بلطفه وامتنانه وانه خلق السفن يحمل فيها من يصعب عليه المشي والركوب من الذرية والضعفاء فيكون الضميران على هذا متفقين وقيل الذرية الاباء والاجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح فالابا ذرية والابنا ذرية بدليل هذه الاية قاله ابو عثمان وسمي الابا ذرية لان منهم ذرء الابناء وقول رابع ان الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيها بالفلك المشحون قاله علي ابن ابي طالب ذكره الماوردي وقد مضى في البقرة اشتقاق الذرية والكلام فيها مستوفى والمشحون المملوء الموقر والفلك يكون واحدا وجمعا وقد تقدم في يونس القول فيه **قوله تعالى** وخلقنا لهم من مثله ما يركبون والاصل يركبونه فحذفت الهاء لطول الاسم وانه راس اية وفي معناه ثلاثة اقوال مذهب مجاهد وقتادة وجماعة من اهل التفسير وروي عن ابن عباس ان معنى من مثله للابل خلقها لهم في البر مثل السفن المركوبة في البحر والعرب تشبه الابل بالسفن قال طرفة

كان حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

جمع خلية وهي السفينة العظيمة والقول الثاني انه للابل والدواب وكل ما يركب والقول الثالث انه للسفن النحاس وهو اصحها لانه متصل الاسناد عن ابن عباس وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال خلق لهم سفنا امثالها يركبون فيها وقال ابو مالك انها السفن الصغار خلقها مثل السفن الكبار وروي عن ابن عباس ايضا والحسن وقال الضحاك وغيره هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح قال الماوردي ويجيء على مقتضى تاويل علي رض في ان الذرية في الفلك المشحون هي النطف في بطون النسا قول خامس في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ان يكون تاويله النسا خلقن لركوب الازواج لكن لم اره محكيا **قوله تعالى** وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين اي في البحر فترجع الكناية الى اصحاب الذرية او الى الجميع وهذا يدل على صحة قول ابن عباس ومن قال ان المراد من مثله السفن لا الابل فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم رواه سعيد عن قتادة وروى شيبان عنه فلا منعة لهم لان بعده ما لا يجوز فيه الا الرفع لانه معرفه وهو وهم لا ينقذون والنحويون يختارون لا رجل في الدار ولا زيد ومعنى ينقذون يخلصون من الغرق وقيل من العذاب

الارحمة منا قال الكسائي هو نصب على الاستثنا وقال الزجاج نصب مفعول من اجله اي للرحمة ومتاعا معطوف عليه الى حين الى الموت قاله قتادة يحيى بن سلام الى القيامة اي الى ان يرحمهم ويمتعهم الى اجالهم وان الله عجل عذاب الامم السالفة واخر عذاب امة محمد وان كذبوه الى الموت والقيامة **قوله تعالى** واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون قال قتادة معنى اتقوا ما بين ايديكم اي من الوقائع فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم من الاخرة ابن عباس وابن جبير ومجاهد ما بين ايديكم ما مضى من الذنوب وما خلفكم ما ياتي من الذنوب الحسن ما بين ايديكم ما مضى من اجلكم وما خلفكم ما بقي منه وقيل ما بين ايديكم من الدنيا وما خلفكم من عذاب الاخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس قال ما بين ايديكم من امر الاخرة وما عملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم ما ظهر لكم وما خلفكم ما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير اذا قيل لهم ذلك اعرضوا دليله قوله بعد وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فاكتفى بهذا عن ذلك **قوله تعالى** واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين اي تصدقوا على الفقرا قال الحسن يعني اليهود امروا باطعام الفقرا وقيل هم المشركون قال لهم فقرا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله وذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله اطعمكم استهزاء فلا نطعمكم حتى ترجعوا الى ديننا قالوا انطعم اي انرزق من لو يشاء الله اطعمه كان بلغهم من قول المسلمين ان الرزاق هو الله فقالوا تهزوا انرزق من لو يشاء الله اغناه وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسمعون المومنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعز ولو شاء لكان كذا وكذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزا بالمومنين وبما كانوا يقولون من تعليق الامور بمشيئته وقيل قالوا هذا تعلقا بقول المومنين لهم انفقوا مما رزقكم الله اي فاذا كان الله رزقنا فهو قادر على ان يرزقكم فلم تلتمسوا الرزق منا وكان هذا الاحتجاج باطلا لان الله تعالى اذا ملك عبدا ما لا ثم اوجب عليه فيه حقا فكانه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض وقد صدقوا في قولهم لو شاء الله اطعمهم ولكن كذبوا في الاحتجاج ومثله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا وقالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار اي في سؤال المال وفي اتباعكم محمدا قال معناه مقاتل وغيره وقيل هو من قول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وقيل من قول الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب وقيل ان ابا بكر الصديق رض كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه ابو جهل فقال يا ابا بكر اتزعم ان الله قادر على اطعام هولاء قال نعم قال فما باله لم يطعمهم قال ابتلا قوما بالفقر وقوما بالغنى وامر الفقرا بالصبر وامر الاغنيا بالاعطا فقال والله يا ابا بكر ما انت الا في ضلال اتزعم ان الله قادر على اطعام هولاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم انت فنزلت الاية ونزل قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الايات وقيل نزلت الاية في قوم من الزنادقة وقد كان فيهم اقوام يتزندقون فلا يومنون بالصانع واستهزوا بالمسلمين بهذا القول ذكره القشيري والماوردي **قوله تعالى** ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون لما قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قالوا متى هذا الوعد وكان استهزاء منهم ايضا اي لا تحقيق لهذا الوعيد قال الله ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهي نفخة اسرافيل تاخذهم وهم يخصمون اي يختصمون في امور دنياهم فيموتون في مكانهم وهذه نفخة الصعق وفي يخصمون خمس قراءات قرا ابو عمرو وابن كثير وهم يخصمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد وكذا روى ورش عن نافع فاما اصحاب القراءات واصحاب نافع سوى ورش فرووا عنه وهم يخصمون باسكان الخاء وتشديد الصاد على الجمع بين ساكنين وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة وهم يخصمون باسكان الخاء وتخفيف الصاد من خصمه وقرا عاصم والكسائي وهم يخصمون بكسر الخاء وتشديد الصاد ومعناه يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يختصمون في الحجة انهم لا يبعثون وقد روى ابن جبير عن ابي بكر

ويكون الليل للاجمام والاستراحة والنهار للتصرف

في اطعام الفقرا

عن عاصم وحماد عن عاصم كسر اليا والخا وتشديد الصاد قال النحاس القراة الاولي ابينها والاصل فيها
يختصمون فادغمت التا في الصاد فقلبت حركتها علي الخا وفي حرف ابي وهم يختصمون واسكان
الخا لا يجوز لانه جمع بين ساكنين وليس احدهما حرف مد ولين وقيل اسكنوا الخا علي اصلها والمعني
يخصم بعضكم بعضا فحذف المضاف وجاز ان يكون المعني يخصمون مجادلهم عند انفسهم فحذف المفعول قال
الثعلبي وهي قراة ابي بن كعب قال النحاس فاما يخصمون فالاصل ايضا يختصمون فادغمت اليا في
الصاد ثم كسرت الخا لالتقا الساكنين وزعم الفرا ان هذه القراة اجود واكثر فترك ما هو اولي
من القا حركة التا علي الخا واجلبت لها حركة اخري وجمع بين يا وكسرة وزعم انه اجود واكثر
وكيف يكون اكثر وبالفتح قراة الخلق من اهل مكة واهل بصرة واهل المدينة وما روي عن عاصم من كسر
اليا والخا فللاتباع وقد مضي هذا في البقرة في تخطف ابصارهم وفي يونس في يهدي وقال عكرمة
وفي قوله جل وعلا الا صيحة واحدة قال هي النفخة الاولي في الصور وقال ابو هريرة ينفخ في الصور
والناس في اسواقهم فمن حالب لقحة ومن ذارع ثوبا ومن مار في حاجة وروي نعيم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتي تقوم
الساعة والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتي تقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه فما
يرفعه حتي تقوم الساعة والرجل يرفع اكلته الي فيه فما يبتلعها حتي تقوم الساعة وفي حديث
عبد الله ابن عمرو واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس الحديث فلا يستطيعون
توصية اي لا يستطيع بعضهم ان يوصي بعضا لما في يده من حق وقيل لا يستطيع ان يوصي بعضهم بعضا
بالتوبة والاقلاع بل يموتون في اسواقهم ومواضعهم ولا الي اهلهم يرجعون اذا ماتوا وقيل ان المعني
ولا الي اهلهم يرجعون لا يرجعون اليهم وقال قتادة ولا الي اهلهم يرجعون اي الي منازلهم لانهم
قد اعجلوا عن ذلك **قوله تعالي** ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الي ربهم ينسلون هذه
النفخة الثانية للنشاة وقد بينا في سورة النمل انهما نفختان لا ثلاث وهذه الاية دالة علي ذلك وروي
المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة الاولي
يميت الله بها كل حي والاخري يحيي الله تعالي بها كل ميت وقال قتادة الصور جمع صورة اي نفخ في الصور الارواح
وصورة وصور مثل سورة البنا وسور قال العجاج

ورب ذي سرادق محجور   سرت اليه في اعالي السور

وقد روي عن ابي هريرة انه قرا ونفخ في الصور النحاس والصحيح ان الصور باسكان الواو القرن جاء
بذلك التوقيف عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وذلك معروف في كلام العرب انشد اهل اللغة

نحن نطحناهم غداة الغورين   بالضابحات في غبار النقعين
نطحا شديدا لا كنطح الصورين

وقد مضي هذا في الانعام مستوفي فاذا هم من
الاجداث اي القبور وقري بالفا من الاجداف ذكره الزمخشري يقال جدث وجدف واللغة
الفصيحة الجدث بالثاء والجمع اجدث واجداث قال المتنخل الهذلي

عرفت باجدث فنعاف عرق   علامات كتحبير النماط

والجدث اي اتخذ جدثا الي ربهم ينسلون اي يخرجون قاله ابن عباس وقتادة ومنه قول امري القيس

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

ومنه قيل للولد نسل لانه يخرج من بطن امه
وقيل يسرعون والنسلان والعسلان الاسراع في السير ومنه مشية الذيب قال

عسلان الذيب امسي قاربا   برد الليل عليه فنسل

يقال عسل الذيب ونسل يعسل وينسل من باب ضرب يضرب ويقال ينسل بالضم ايضا الاسراع في
المشي يخرجون مسرعين وفي التنزيل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس وقال يخرجون من الاجداث سراعا كانهم
جراد منتشر وفي سال سائل يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الي نصب يوفضون اي يسرعون
وفي الخبر شكونا الي النبي صلي الله عليه وسلم الضعف فقال عليكم بالنسل اي بالاسراع في المشي فانه ينشط
قوله تعالي قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون قال ابن الانباري يا ويلنا وقف حسن ثم يبتدي

تقوم ... الرجلان
قد نشرا ثوبهما بتبايعانه

من مرقدنا وروي عن بعض القراء يا ويلنا من بعثنا بكسر من والثاء من البعث روي ذلك عن علي رض
فعلي هذا المذهب لا يحسن الوقف علي قوله يا ويلنا حتي تقول من مرقدنا وفي قراة ابي بن كعب من اهبنا
بالوصل من مرقدنا فهذا دليل علي صحة مذهب العامة قال المهدوي قرا ابن ابي ليلي قالوا يا ويلتنا
بزيادة تاء وهو تانيث الويل ومثله يا ويلتا االد وانا عجوز وقراءة علي رض يا ويلنا من بعثنا فمن متعلق
بالويل او حال من ويلنا فتعلق بمحذوف كانه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا وكما يجوز ان يكون خبرا عنه كذلك
يجوز ان يكون حالا منه ومن من قوله من مرقدنا متعلقة بنفس البعث ثم قالوا كيف هذا وهم من المعذبين
في قبورهم فالجواب ان ابي بن كعب قال ينامون نومة وفي رواية فيقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
قال ابو بكر الانباري لا يحمل هذا الحديث علي ان اهبنا من لفظ القران كما قاله من طعن في القران ولكنه
تفسير بعثنا او معبر عن بعض معانيه قال ابو بكر وكذا حفظته من هبنا بغير الف في هبنا مع تسكين
نون من والصواب فيه علي طريق اللغة من اهبنا بفتح النون علي ان فتحة همزة اهب القيت علي نون من
واسقطت الهمزة كما قالت العرب من اخبرك من الملك وهم يريدون من اخبرك ويقال

اهببت النائم فهب النائم   انشدنا احمد بن يحيي النحوي

وعاذلة هبت بليل تلومني   ولم تغتمرني قبل ذاك عذول

وقال ابو صالح اذا نفخ النفخة الاولي رفع العذاب عن اهل القبور وهجعوا هجعة الي النفخة الثانية وبينهما
اربعون سنة فذلك قولهم من بعثنا من مرقدنا وقاله ابن عباس وقتادة وقال اهل المعاني ان الكفار لما عاينوا
جهنم وما فيها من انواع العذاب صار ما عذبوا به في قبورهم الي جنب عذابها كالنوم قال مجاهد
فقال لهم المومنون هذا ما وعد الرحمن وقال قتادة فقال لهم من هدي الله هذا ما وعد الرحمن
وقال الفراء فقال لهم الملائكة هذا ما وعد الرحمن النحاس وهذه الاقوال متفقة لان الملائكة
من المومنين وممن هدي الله عز وجل وعلي هذا اكثر اهل التفسير قول الله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اوليك هم خير البرية وكذا الحديث المومن عند الله خير مما خلق ويجوز ان تكون الملائكة
صلي الله عليهم وغيرهم من المومنين قالوا لهم هذا ما وعد الرحمن وقيل ان الكفار لما قال بعضهم لبعض
من بعثنا من مرقدنا صدقوا الرسل لما عاينوا ما اخبروهم به ثم قالوا هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون فكذبنا به اقروا حين لم ينفعهم الاقرار وكان حفص يقف علي من مرقدنا ثم يبتدي فيقول
هذا قال ابن الانباري من مرقدنا وقف حسن ثم تبتدي هذا ما وعد الرحمن ويجوز ان تقف علي مرقدنا
هذا فتخفض هذا علي الاتباع للمرقد وتبتدي ما وعد الرحمن علي معني بعثكم ما وعد الرحمن اي بعثكم
وعد الرحمن النحاس التمام علي من مرقدنا وهذا في موضع رفع بالابتداء وخبره ما وعد الرحمن ويجوز ان
يكون في موضع خفض علي النعت لمرقدنا فيكون التمام من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن في موضع
رفع من ثلاث جهات ذكر ابو اسحاق منها اثنين قال يكون باضمار هذا والجهة الثانية ان يكون بمعني
حق ما وعد الرحمن بعثكم والجهة الثالثة ان يكون بمعني بعثكم ما وعد الرحمن ان كانت الا صيحة واحدة
يعني ان بعثهم واحياهم كان بصيحة واحدة وقول اسرافيل ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة
والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا وهذا معني قوله الحق يوم
يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج وقال مهطعين الي الداعي علي ما ياتي وفي قراة ابن مسعود ان
صح عنه ان كانت الا زقية واحدة والزقية الصيحة وقد تقدم هذا فاذا هم جميع لدينا محضرون
فاذا هم جميع مبتدا وخبر وجميع نكرة ومحضرة من صفته ومعني محضرون مجموعون احضروا موقف
الحساب وهو كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر **قوله تعالي** فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا
تجزون الا ما كنتم تعملون اي لا ينقص من ثواب عمل ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ما في موضع
نصب من وجهين الاول انه مفعول ثان لما لم يسم فاعله والثاني بنزع حرف الصفة تقديره الا بما كنتم
تعملون اي تعملونه فحذف **قوله تعالي** ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم
في ظلال علي الارايك متكيون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة و
مجاهد شغلهم بافتضاض العذاري وذكر الترمذي الحكيم في كتاب مشكل القران له حدثنا محمد بن حميد
الرازي حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله ابن

مسعود في قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض العذارى حدثنا محمد بن
حميد حدثنا هرون بن المغيرة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مثله وقال ابو قلابة بينما الرجل من
اهل الجنة مع اهله اذ قيل له تحول الى اهلك فيقول انا مع اهلي مشغول فيقال تحول ايضا الى اهلك
وقيل اصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام باهل المعاصي ومصيرهم الى النار
وما هم فيه من اليم العذاب وان كان فيهم اقرباؤهم واهلوهم قاله سعيد بن المسيب وغيره وقال
وكيع يعني في السماع وقال ابن كيسان في شغل اي في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى
وروي انه اذا كان يوم القيامة نادى مناد اين عبادي الذين اطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب
فيقومون كانما وجوههم البدر والكوكب الدري ركبانا على نجب من نور ازمتها من الياقوت
تطير بهم على رؤس الخلائق حتى يقوموا بين يدي العرش فيقول الله عز وجل لهم السلام على عبادي الذين
اطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب انا اصطفيتكم وانا اجتبيتكم وانا اخترتكم اذهبوا فادخلوا الجنة
بغير حساب فلا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فيفتح لهم ابوابها
ثم ان الخلق في المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض يا قوم اين فلان وفلان وذلك حين يسال بعضهم
بعضا فينادي مناد ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وشغل وشغل لغتان قرئ بهما مثل الرعب
والرعب والسحت والسحت وقد تقدم فاكهون قال الحسن مسرورون وقال ابن عباس فرحون مجاهد
والضحاك معجبون السدي ناعمون والمعنى متقارب والفكاهة المزاح والكلام الطيب وقرا ابو جعفر
وشيبة والاعرج فكهون بغير الف وهما لغتان كالفارة والفره والحاذر والحذر قاله الفراء وقال
الكسائي وابو عبيدة الفاكه ذو الفاكهة مثل شاحم ولاحم وتامر ولابن والفكه المتفكه والمتنعم وفكهون
بغير الف في قول قتادة معجبون وقال ابو زيد يقال رجل فكه اذا كان طيب النفس ضحوكا وقرا طلحة
ابن مصرف فاكهين نصبه على الحال هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون مبتدا وخبر ويجوز
ان يكون هم توكيدا وازواجهم عطف على المضمر ومتكئون نعت لقوله فاكهون وقراءة العامة في ظلال
بكسر الظاء والالف وقرا ابن مسعود وعبيد بن عمير والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف في ظلل
بضم الظاء من غير الف فالظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة على الارائك يعني السرر في الحجال واحدها
اريكة مثل سفينة وسفائن قال شعر

كان احمرار الورد فوق غصونه ... بوقت الضحى في روضة المتضاحك
خدود عذارى قد خجلن من الحيا ... تهادين بالرنجان فوق الارائك

وفي الخبر عن ابي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كلما جامعوا النساء عادوا
ابكارا وقال ابن عباس ان الرجل من اهل الجنة ليعانق الحوراء سبعين سنة لا يملها ولا تمله كلما اتاها وجدها
بكرا وكلما رجع اليها عادت اليه شهوته فيجامعها بقوة سبعين رجلا لا يكون بينهما مني يأتي من غير مني منه
ولا منها لهم فيها فاكهة ابتداء وخبر ولهم ما يدعون الدال الثانية مبدلة من تاء لانه يفتعلون من دعا اي
من دعا بشيء اعطيه قاله ابو عبيدة فمعنى يدعون يتمنون من الدعاء وقيل المعنى ان من ادعى منهم شيئا
فهو له لان الله تعالى قد طبعهم على ان لا يدعي احد الا ما يجمل ويحسن ان يدعيه وقال يحيى بن سلام يدعون
يشتهون ابن عباس يسالون والمعنى متقارب قال ابن الانباري ولهم ما يدعون وقف حسن ثم تبتدئ
سلام على معنى ذلك لهم سلام ويجوز ان يرفع السلام على معنى ولهم ما يدعون مسلم خالص فعلى هذا
المذهب لا يحسن الوقف على ما يدعون وقال الزجاج سلام مرفوع على البدل من ما اي ولهم ان يسلم
الله عليهم وهذا منى اهل الجنة وروي من حديث جرير بن عبد الله البجلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من
فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون
اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته
عليهم في ديارهم ذكره الثعلبي والقشيري ومعناه ثابت في صحيح مسلم وقد بيناه في يونس عند قوله للذين
احسنوا الحسنى وزيادة ويجوز ان تكون ما نكرة وسلام نعتا لها اي ولهم ما يدعون مسلم ويجوز ان
تكون ما رفعا بالابتداء وسلام خبر عنها وعلى هذه الوجوه لا يوقف على ولهم ما يدعون وفي قراءة ابن

ادى منادي اين عبادي الذين اطاعوني

مسعود سلاما يكون مصدرا وان شئت في موضع الحال اي ولهم ما يدعون ذا سلام او سلامة او مسلما فعلى
هذا المذهب لا يحسن الوقف على يدعون وقرا محمد بن كعب القرظي سلم على الاستئناف كانه قال ذلك
سلم لهم لا يتنازعون فيه ويكون ولهم ما يدعون تاما ويجوز ان يكون سلام بدلا من قوله ولهم ما يدعون
وخبر ما يدعون لهم ويجوز ان يكون سلام خبرا اخر ويكون معنى الكلام انه لهم خالص من غير منازع فيه
قولا مصدر على معنى قال الله ذلك قولا او بقوله قولا ودل على الفعل المحذوف لفظ مصدره ويجوز ان يكون
المعنى ولهم ما يدعون قولا اي عدة من الله فعلى هذا المذهب الثاني لا يحسن الوقف على يدعون وقال
السجستاني الوقف على قوله سلام تام وهذا خطا لان القول خارج مما قبله قوله تعالى وامتازوا
اليوم ايها المجرمون ويقال تميزوا وامازوا وامتازوا بمعنى ومزته فانماز وميزته فتميز اي يقال لهم
هذا عند الوقوف للسؤال حين يؤمر باهل الجنة الى الجنة اي اخرجوا من جملتهم قال قتادة عزلوا عن
كل خير وقال الضحاك يمتاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة والمجوس
فرقة والصابئون فرقة وعبدة الاوثان فرقة وعنه ايضا ان لكل فرقة في النار بيتا تدخل فيه ويرد بابه
فتكون فيه ابدا لا يرى ولا يرى وقال داود بن الجراح فيمتاز المسلمون من المجرمين الا اصحاب الاهواء فيكونون
مع المجرمين قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين
وان اعبدوني هذا صراط مستقيم العهد هنا بمعنى الوصية اي الم اوصكم وابلغكم على السنة الرسل ان
لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوه في معصيتي قال الكسائي لا للنهي وان اعبدوني بكسر النون على الاصل
ومن ضم كره كسرة بعدها ضمة هذا صراط مستقيم اي عبادتي دين قويم قوله تعالى ولقد اضل
منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون اي اغوى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا قاله مجاهد قتادة جموعا كثيرة الكلبي امما كثيرة
والمعنى واحد وقرا اهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وابو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم واسكان
الباء الباقون جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وشددها الباقون الحسن وابن ابي اسحاق وعيسى بن
عمر وعبيد الله بن عبيد والنضر بن انس وقرا ابو يحيى والاشهب العقيلي جبلا بكسر الجيم واسكان الباء
وتخفيف اللام فهذه خمس قراءات قال المهدوي والثعلبي وكلها لغات بمعنى الخلق النحاس ابينها القراءة
الاولى والدليل على ذلك انهم قد اجمعوا على ان قرءوا والجبلة الاولين فيكون جبلا جمع جبلة والاشتقاق فيه
كله واحد وانما هو من جبل الله عز وجل الخلق اي خلقهم وقد ذكرت قراءة سادسة وهي ولقد اضل منكم
جيلا كثيرا بالياء وقد حكي عن الضحاك ان الجيل الواحد عشرة الاف والكثير ما لا يحصيه الا الله عز وجل ذكره
الماوردي افلم تكونوا تعقلون عداوته وتعلموا ان الواجب طاعة الله هذه جهنم اي يقول لهم خزنة جهنم
هذه جهنم التي وعدتم فكذبتم بها وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة
جمع الله الانس والجن والاولين والاخرين في صعيد واحد ثم اشرف عنق من النار على الخلائق فاحاط
بهم ثم ينادي هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون فحينئذ تجثوا الامم على ركبها
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قوله تعالى
اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا
في صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا
الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فاني لا
اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال
فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل خرجه ايضا من حديث ابي هريرة وفيه ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك
فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله
وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه وخرج الترمذي عن معاوية
بن جندة عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده الى الشام فقال ههنا
الى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على افواهكم الفدام توفون
سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم على الله وان اول ما يعرب عن احدكم فخذه في رواية اخرى

فخذه وكفه الفدام مصفاة الكوز والابريق قاله الليث قال ابو عبيد يعني انهم منعوا الكلام
حتي تكلم افخادهم فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل علي الابريق ثم قيل في سبب الختم اربعة اوجه احدها
لانهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله علي افواههم حتي نطقت جوارحهم قاله ابو موسي الاشعري
الثاني ليعرفهم اهل الموقف فيميزون منهم قاله ابن زياد الثالث لان اقرار غير الناطق ابلغ في الحجة
من اقرار الناطق لخروجه مخرج الاعجاز وان كان يوما لا يحتاج الي اعجاز الرابع ليعلم ان اعضاءه التي كانت
اعوانا في حق نفسه صارت عليه شهودا في حق ربه فان قيل لم قال وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم فجعل ما
كان من اليد كلاما وما كان من الرجل شهادة قيل لان اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة وقول
الحاضر علي غيره شهادة وقول الفاعل علي نفسه اقرار بما قال او فعل فلذلك عبر عما صدر من الايدي
بالقول وعما صدر من الارجل بالشهادة وقد روي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول اول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم علي الافواه فخذه من الرجل اليسري ذكره الماوردي
والمهدوي وقال ابو موسي الاشعري اني لاحسب ان اول ما ينطق منه فخذه اليمني ذكره المهدوي ايضا قال
الماوردي فاحتمل ان يكون تقدم الفخذ بالكلام علي سائر الاعضاء لان لذه معاصيه يدركها بحواسه التي
هي في الشطر الاسفل منها الفخذ فجاز لقربه منها ان يتقدم في الشهادة عليها قال وتقدمت اليسري
لان الشهوة في مياسر الاعضاء اقوي منها في ميامنها فلذلك تقدمت اليسري علي اليمني لقلة شهوتها
قال الشيخ او بالعكس لغلبة الشهوة او كلاهما معا والكف فان بمجموع ذلك يكون تمام الشهوة واللذة
والله اعلم قوله تعالي ولو نشاء لطمسنا علي اعينهم فاستبقوا الصراط حكي الكسائي طمس
يطمس ويطمس والمطموس والطميس عند اهل اللغة الاعمي الذي ليس في عينيه شق قال ابن عباس المعني لاعميناهم
عن الهدي فلا يهتدون ابدا الي طريق الحق وقال السدي والحسن المعني لتركناهم عميا يترددون فالمعني
لاعميناهم فلا يبصرون طريقا الي تصرفهم في منازلهم ولا غيرها وهذا اختيار الطبري وقوله فاستبقوا
الصراط اي استبقوا الطريق ليجوزوا فاني يبصرون اي فمن اين يبصرون وقال عطا ومقاتل وقتادة
وروي عن ابن عباس ولو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم واعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة
الي الهدي فاهتدوا وابصروا رشدهم وتبادروا الي طريق الاخرة ثم قال فاني يبصرون ولم نفعل ذلك
بهم اي فكيف يهتدون وعين الهدي مطموسة علي الضلال باقية وقد روي عن عبد الله بن سلام في تاويل
هذه الاية غير ما تقدم وتاولها علي انها في يوم القيامة وقال اذا كان يوم القيامة ومد الصراط نادي مناد
ليقم محمد صلي الله عليه وسلم وامته فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط فاذا صاروا عليه
طمس الله اعين فجارهم فاستبقوا الصراط فمن اين يبصرونه حتي يجاوزوه ثم ينادي مناد ليقم عيسي صلي الله
عليه وسلم فيقوم فيتبعونه برهم وفاجرهم فيكون سبيلهم تلك السبيل وكذا سائر الانبياء ذكره النحاس
وقد كتبناه في التذكرة بمعناه حسب ما ذكره ابن المبارك في دقائقه وذكر القشيري وقال ابن عباس
اخذ الاسود بن عبد الاسود حجرا ومعه جماعة من بني مخزوم ليطرحه علي النبي صلي الله عليه وسلم فطمس
الله علي بصره والصق الحجر بيده فما ابصر ولا اهتدي ونزلت الاية فيه والمطموس هو الذي لا يكون بين
جفنيه شق ماخوذ من طمس الريح الاثر قاله الاخفش والقتبي قوله تعالي ولو نشاء
لمسخناهم علي مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون المسخ تبديل الخلقة وقلبها حجرا او جمادا
او بهيمة قال الحسن اي لاقعدناهم فلا يستطيعون ان يمضوا امامهم ولا يرجعوا وراءهم وكذلك الجماد لا
يتقدم ولا يتاخر وقد يكون المسخ تبديل صورة الانسان بهيمة ثم تلك البهيمة لا تعقل موضعا يقصده
فيتحير فلا يقبل ولا يدبر ابن عباس المعني لو نشاء لاهلكناهم في مساكنهم وقيل المعني لو نشاء لمسخناهم
في المكان الذي اجترؤا فيه علي المعصية ابن سلام هذا كله يوم القيامة يطمس الله اعينهم علي الصراط
وقرا الحسن والسلمي وزر بن حبيش وعاصم في رواية ابي بكر مكاناتهم علي الجمع الباقون بالتوحيد وقرا ابو حيوة فما
استطاعوا مضيا بفتح الميم والمضي بضم الميم مصدر مضي يمضي مضيا اذا ذهب قوله تعالي ومن نعمره
ننكسه في الخلق افلا يعقلون قرا عاصم وحمزة ننكسه بضم النون الاولي وتشديد الكاف من التنكيس الباقون
ننكسه بفتح النون الاولي وضم الكاف من نكست الشي انكسه نكسا قلبته علي راسه فانتكس قال قتادة المعني
انه يصير الي حال الهرم الذي يشبه حال الصبي وقال سفيان في قوله تعالي ومن نعمره ننكسه في الخلق اذا بلغ

اول عظم من الانسان يتكلم فخذه من الرجل اليسرى

ثمانين

ثمانين سنة يتغير جسمه وضعفت قوته قال الشاعر

من عاش اخلقت الايام جدته ... وخانه ثقتاه السمع والبصر

وطول العمر يغير الشاب هرما والقوة ضعفا والزيادة نقصا وهذا هو الغالب وقد تعوذ صلي الله عليه وسلم
من ان يرد الي ارذل العمر وقد مضي في النحل بيانه افلا تعقلون ان من فعل هذا بكم قادر علي بعثكم وقرا
نافع وابن ذكوان تعقلون بالتاء والباقون بالياء قوله تعالي وما علمناه الشعر وما ينبغي
له ان هو الا ذكر وقران مبين فيه اربع مسايل الاولي اخبر تعالي عن حال نبيه صلي الله عليه وسلم ورد
قول من قال من الكفار انه شاعر وان القران شعر بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وكذلك كان
رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يقول الشعر ولا يزنه وكان اذا حاول انشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه
وانما كان يحرز المعاني فقط من ذلك انه انشد يوما قول طرفه

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ... وياتيك من لم تزود بالاخبار

وانشد يوما وقد قيل له من اشعر الناس فقال الذي يقول

الم تر اني كلما جيت طارقا ... وجدت بها وان لم تطيب طيبا

وانشد يوما ... اتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين الاقرع وعيينه

وقد كان صلي الله عليه وسلم ربما انشد البيت المستقيم في النادر روي انه انشد بيت ابن رواحة

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقال الحسن بن ابي الحسن انشد النبي صلي الله عليه وسلم

كفي بالاسلام والشيب للمرء ناهيا ... فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر

هريرة ودع ان تجهزت غاديا ... كفي الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال ابو بكر وعمر اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن الخليل بن
احمد كان الشعر احب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لا ياتي به الثانية اصابة
الوزن احيانا لا يوجب انه يعلم الشعر وكذلك ما ياتي احيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزن كقوله يوم
حنين وغيره ... هل انت الا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت ... وقوله

انا النبي لا كذب ... انا ابن عبد المطلب

فقد ياتي مثل ذلك في ايات الله وفي كل كلام وليس ذلك بشعر ولا في معناه كقوله تعالي لن تنالوا البر
حتي تنفقوا مما تحبون وقوله نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين وقوله وجفان كالجوابي وقدور
راسيات الي غير ذلك من الايات وقد ذكر ابن العربي منها ايات وتكلم عليها واخرجها عن الوزن علي ان
ابا الحسن الاخفش قال في قوله انا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين ما جاء من السجع
علي جزئين لا يكون شعرا وروي عنه انه من منهوك الرجز وقد قيل لا يكون منهوك الرجز الا بالوقف
علي الباء من قوله لا كذب ومن قوله عبد المطلب ولم يعلم كيف قاله النبي صلي الله عليه وسلم قال ابن العربي
والاظهر من حاله انه قال لا كذب الباء مرفوعة وبخفض الباء من عبد المطلب علي الاضافة وقال
النحاس قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم تكن شعرا لانه اذا فتح الباء
من البيت الاول او ضمها او نونها وكسر الباء من عبد المطلب خرج عن وزن الشعر وقال بعضهم ليس هذا
الوزن من الشعر وهذا مكابرة العيان لان اشعار العرب علي هذا قد رواها الخليل وغيره واما
قوله هل انت الا اصبع دميت فقيل انه من بحر السريع وذلك لا يكون الا اذا كسرت التاء من دميت
فان سكن لم يكن شعرا بحال لان هاتين الكلمتين علي هذه الصفة لا يكون فعولا ولا مدخل لفعول في السريع
ولعل النبي صلي الله عليه وسلم قالها ساكنة التاء او متحركة التاء من غير اشباع والمعول عليه في الانفصال
علي تسليم هذا شعر ويسقط الاعتراض ولا يلزم منه ان يكون النبي صلي الله عليه وسلم عالما بالشعر
ان التمثيل بالبيت النذر واصابة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب لان يكون قائلها عالما بالشعر ولا
يسمي شاعرا باتفاق العقلا كما ان من خاط خيطا لا يكون خياطا قال ابو اسحاق وما علمناه ان يشعر اي
ما جعلناه شاعرا وهذا لا يمتنع ان ينشد شيا من الشعر قال النحاس وهذا من احسن ما قيل في هذا
وقيل انما اخبر الله عز وجل انه ما علمه الله الشعر ولم يخبر انه لا ينشد شعرا وهذا ظاهر الكلام

منا بالشعر

وقد قيل فيه قولين زعم صاحبه انه اجماع من اللغة وذلك انهم قالوا كل من قال قولا موزونا لا يقصد
به الي شعر فليس بشعر وانما وافق الشعر وهذا قول بين قالوا وانما الذي نفاه الله عن نبيه عليه السلام
فهو العلم بالشعر واصنافه واعاريضه وقوافيه والاتصاف بقوله ولم يكن موصوفا بذلك بالاتفاق
الا تري ان قريشا تراوضت فيما يقولون للعرب فيه اذا قدموا عليهم الموسم فقال بعضهم نقول انه شاعر
فقال اهل الفطنة منهم والله ليكذبنكم العرب فانهم يعرفون اصناف الشعر فوالله ما يشبه شيئا منها
وما قوله بشعر وقال انيس اخو ابي ذر لقد وضعت قوله علي اقرا الشعر فلم يلتيم انه شعر اخرجه مسلم وكان
انيس من اشعر العرب وكذلك قال عتبة ابن ربيعة لما كلمه والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ولا السحر
علي ما ياتي من خبره في سورة فصلت ان شا الله تعالي وكذلك قال غيرهما من فصحاء العرب العربا واللسن
البلغا ثم ان ما يجري علي اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد منه ما يجري علي وزن الشعر مع
القصد اليه فقد يقول القايل حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب الكسا • ولا يعد هذا شعرا وقد كان
رجل ينادي في مرضه وهو من عرض العامة العقلا اذهبوا بي الي الطبيب وقولوا قد اكتوى **الثالثة** روي
بن القاسم عن مالك انه سيل عن انشاد الشعر فقال لا تكثرن به فمن عيبه ان الله يقول وما علمناه الشعر
وما ينبغي له قال ولقد بلغني ان عمر ابن الخطاب كتب الي ابي موسي الاشعري ان اجمع الشعرا قبلك وسلهم
عن الشعر وهل بقي معهم معرفة واحضر لبيدا ذلك قال فجمعهم فسالهم فقالوا انا لنعرفه ونقوله وسال
لبيدا فقال ما قلت بيت شعر منذ سمعت الله عز وجل يقول الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال ابن العربي
هذه الاية ليست من عيب الشعر كما لم يكن قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك من
عيب الكتابة فلما لم يكن الامية من عيب الخط كذلك لا يكون نفي النظم عن النبي صلي الله عليه وسلم من عيب
الشعر روي ان المامون قال لابي علي المنقري بلغني انك امي وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن فقال يا امير
المومنين اما اللحن فربما سبق لساني منه شي واما الامية وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلي الله عليه
وسلم لا يكتب ولا يقيم الشعر فقال له سالتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهذا الجهل يا جاهل
ان ذلك كان للنبي صلي الله عليه وسلم فضيلة وهو فيك وفي امثالك نقيصة وانما منع النبي صلي الله عليه وسلم
ذلك لنفي الظنة عنه لا لعيب في الشعر والكتابة **الرابعة** قوله تعالي وما ينبغي له اي وما ينبغي له ان يقوله
وجعل الله عز وجل وعلا علما ذلك عن اعلام نبيه ع لم ليلا تدخل الشبهة علي من ارسل اليه فيظن انه قوي
علي القرآن بما في طبعه من القوة علي الشعر ولا اعتراض لملحد علي هذا بما يتفق الوزن فيه من القرآن
وكلام الرسول لانه ما وافق وزن الشعر ولم يقصد به الي الشعر ليس بشعر ولو كان شعرا لكان كل من
نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعرا علي ما تقدم بيانه وقال الزجاج معني وما
ينبغي اي وما يتسهل له قول الشعر ولا الانشاد ان هو الا ذكر اي هذا الذي نتلوه عليكم الا ذكر وقرآن
مبين **قوله تعالي** لتنذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين اي حي القلب قاله قتادة الضحاك
عاقلا وقيل المعني لتنذر من كان مومنا في علم الله هذا علي قراءة التا خطابا للنبي صلي الله عليه وسلم او القرآن
القرآن وهي قراءة نافع وابن عامر وقرا الباقون بالياء علي معني لينذر الله او لينذر محمد صلي الله عليه وسلم
او لتنذر القرآن وروي ابن السميقع لينذر بفتح التا والذال ويحق القول علي الكافرين ويجب الحجة بالقرآن
علي الكفرة **قوله تعالي** اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم
فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون هذه روية القلب اي اولم
ينظروا ويعتبروا ويتفكروا مما عملت ايدينا اي مما ابدعناه وعملناه من غير واسطة ولا وكالة
ولا شركة وما بمعني الذي وحذفت الها لطول الاسم وان جعلت ما مصدرية لم يحتج الي اضمار الها انعاما
جمع نعم والنعم مذكر فهم لها مالكون ضابطون قاهرون وذللناها لهم اي سخرناها لهم حتي يقود الصبي الجمل
العظيم ويضربه ويصرفه كيف يشا لا يخرج من طاعته فمنها ركوبهم قراءة العامة بفتح الراء اي مركوبهم
كما يقال ناقة حلوب اي محلوب وقرا الحسن والاعمش وابن السميقع فمنها ركوبهم بضم الراء علي المصدر وروي
عن عايشة انها قرات فمنها ركوبتهم وكذا في مصحفها والركوب والركوبة واحد مثل الحلوب والحلوبة
والحمول والحمولة وحكي النحويون الكوفيون ان العرب تقول امراة صبور وشكور بغير هاء ويقولون شاة
حلوبة وناقة ركوبة لانهم ارادوا ان يفرقوا بين ما كان له الفعل وما كان الفعل واقعا عليه فحذفوا الها

سئل عن انشاد الشعر

كان النبي عليه السلام يتمثل ... وهو يكسر ...

امراة صبور وشكور بغير هاء

مما كان فاعلا واثبتوها مما كان مفعولا كما قال
فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم
فيجب ان يكون علي هذا ركوبتهم فاما البصريون فيقولون حذفت الها علي النسب والحجة للقول الاول
ما رواه الجرمي عن ابي عبيدة قال الركوبة تكون للواحد والجماعة والركوب لا يكون الا للجماعة فعلي هذا
يكون لتذكير الجموع وزعم ابو حاتم انه لا يجوز فمنها ركوبهم بضم الراء لانه مصدر والركوب ما يركب واجاز
الفرا فمنها ركوبهم بضم الراء كما تقول فمنها اكلهم ومنها شربهم ومنها ياكلون من لحمانها ولهم فيها
منافع من اصوافها واوبارها واشعارها وشحومها ولحومها وغير ذلك ومشارب يعني البانها ولم ينصرفا
لانهما من الجموع التي لا نظير لها في الواحد افلا يشكرون الله تعالي علي نعمه **قوله تعالي** واتخذوا من
دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا
نعلم ما يسرون وما يعلنون اي قد راوا هذه الايات من قدرتنا ثم اتخذوا من دوننا الهة لا قدرة لها
علي فعل لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم يعني الالهة وجمعوا بالواو والنون لانه اخبر عنهم بخبر
الادميين وهم يعني الكفار لهم اي الالهة جند محضرون قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون عنهم وقال
قتادة اي يغضبون لهم في الدنيا وقيل المعني انهم يعبدون الالهة ويقومون بها فهم لهم بمنزلة الجند
وهي لا تستطيع ان تنصرهم وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة المعني وقيل اي الالهة جند للعابدين محضرون
معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل معناه وهذه الاصنام لهولاء الكفار جند الله عليهم في
جهنم لانهم يلعنونهم ويتبرون من عبادتهم وقيل الالهة جند لهم محضرون يوم القيامة لاعانتهم في ظنونهم
وروي في الخبر انه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله فيتبعونه الي النار فهم لهم جند
محضرون قال الشيخ ومعني هذا الخبر ثابت في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة وفي الترمذي عنه ان
النبي صلي الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد فيطلع عليهم رب العالمين فيقول
الا ليتبع كل انسان ما كان يعبد فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره
ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقي المسلمون وذكر الحديث بطوله فلا يحزنك
قولهم هذه اللغة الفصيحة ومن العرب من يقول يحزنك والمراد تسليه نبيه ع لم اي لا يحزنك قولهم
شاعر ساحر وتم الكلام ثم استانف فقال انا نعلم ما يسرون من القول والعمل وما يظهرون فيجازيهم
بذلك **قوله تعالي** اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين قال ابن عباس
الانسان هو عبد الله بن ابي وقال سعيد بن جبير هو العاص بن وايل السهمي وقال الحسن هو امية بن خلف
وقال قتادة ومجاهد هو ابي بن خلف الجمحي قال ابن اسحق ورواه ابن وهب عن مالك انا خلقناه من نطفة وهو
اليسير من الما نطف اذا قطر فاذا هو خصيم مبين اي مجادل في الخصومة مبين للحجة يريد بذلك انه صار بعد
ان لم يكن شيا مذكورا خصيما مبينا وذلك انه اتي النبي صلي الله عليه وسلم بعظم حايل فقال يا محمد اتري الله
يحيي هذا بعد ما رم فقال النبي صلي الله عليه وسلم نعم ويبعثك الله ويدخلك النار فنزلت هذه الاية
قوله تعالي وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم فيه مسالتان **الاولي** قوله تعالي وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اي
ونسي انا انشاناه من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة اي جوابه من نفسه حاضر ولهذا قال عليه السلام
نعم ويبعثك الله ويدخلك النار ففي هذا دليل علي صحة القياس لان الله جل وعلا احتج علي منكري البعث
بالنشاة الاولي قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية رم العظم فهو رميم ورمام وانما قال رميم ولم
يقل رميمة لانها معدولة عن فاعلة وما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اعرابه كقوله
وما كانت امك بغيا اسقط الهاء لانها مصروفة عن باغية وقيل ان هذا الكافر قال للنبي صلي الله عليه وسلم
ارايت ان سحقتها واذريتها في الرياح ايعيدها الله فنزلت قل يحييها الذي انشاها اول مرة اي من غير
شي فهو قادر علي اعادته في النشاة الثانية من شي وهو عجم الذنب ويقال عجب الذنب بالبا وهو بكل شي
عليم اي كيف يبدي ويعيد **الثانية** في هذه الاية دليل علي ان في العظام حياة وانها تنجس بالموت
وهو قول ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وقال الشافعي لا حياة فيه وقد تقدم هذا في النحل فان قيل
اراد بقوله من يحيي العظام اصحاب العظام واقامة المضاف مقام المضاف اليه كثير في اللغة موجود في

الشريعة قلنا انما يكون اذا احتيج لضرورة وليس ههنا ضرورة تدعوا الى هذا الاضمار ولا يفتقر الى
هذا التقدير اذ البارى سبحانه قد اخبر به وهو قادر عليه والحقيقة تشهد له فان الاحساس
الذي هو علامة الحياة موجودة فيه قاله ابن العربي **قوله تعالى** الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
بلى وهو الخلاق العليم نبه تعالى على وحدانيته ودل على كمال قدرته في احيا الموتى بما يشاهدونه من
اخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب وذلك ان الكافر قال النطفة حارة رطبة بطبع الحياة فخرج
منها الحياة والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف يخرج منه الحياة فانزل الله تعالى الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا اي ان الشجر الاخضر من الما والما بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان فاخرج الله منه
النار فهو القادر على اخراج الضد من الضد وهو على كل شي قدير ويعني بالاية ما في المرخ والعفار وهي زناد
العرب ومنه قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فالعفار الزند وهو الاعلى والمرخ الزندة وهي
الاسفل يوخذ منهما غصنان مثل المسواكين يقطران ما فيحك بعضهما الى بعض فيخرج منهما النار وقال
من الشجر الاخضر نارا ولم يقل الخضر وهو جمع لانه رده الى اللفظ ومن العرب من يقول الشجر الخضر كما قال
عز وجل من شجر من زقوم فمالئون منها البطون ثم قال محتجا او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم اي امثال المنكرين للبعث وقرا سلام ابو المنذر ويعقوب الحضرمي يقدر على ان يخلق مثلهم
على انه فعل بلى اي ان خلق السموات والارض اعظم من خلقهم فالذي خلق السموات والارض يقدر على ان
يبعثهم وهو الخلاق العليم وقرا الحسن باختلاف عنه الخالق **قوله تعالى** انما امره اذا اراد
شيا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي واليه ترجعون قرا الكسائي فيكون
بالنصب عطفا على ان يقول اي اذا اراد خلق شي لا يحتاج الى تعب ومعالجة وقد مضى هذا في غير موضع فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شي نزه نفسه تعالى عن العجز والشرك وملكوت وملكوتى في كلام العرب
بمعنى ملك والعرب تقول جبروتي خير من رحموتي وقال سعيد عن قتادة ملكوت كل شي مفاتح كل شي وقرا
طلحة بن مصرف وابراهيم التيمي والاعمش ملكة وهو بمعنى ملكوت الا انه خلاف المصحف واليه ترجعون
اي تردون وتصيرون بعد مماتكم وقراة العامة بالتا على الخطاب وقرا السلمي وزر بن حبيش واصحاب
عبد الله يرجعون باليا على الخبر خمت السورة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

تفسير سورة والصافات

مكية في قول الجميع بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما
ورب المشارق هذه قراءة اكثر القرا وحمزة بالادغام فيهن وهذه القراءة التي نفر منها احمد بن حنبل
لما سمعها النحاس وهذه بعيدة في العربية من ثلاث جهات احداهن ان التا ليست من مخرج الصاد
ولا من مخرج الزاء ولا من مخرج الذال ولا من اخواتهن وانما اختاها الطا والدال واخت الزاء الصاد
والسين واخت الذال الظا والثا والجهة الثانية ان التا في كلمة وما بعدها كلمة اخرى والجهة
الثالثة انك اذا ادغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين وانما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا
اذا كان في كلمة واحدة نحو دابة وشابة ومجاز قراءة حمزة ان التا قريبة المخرج من هذه الحروف
والصافات قسم الواو بدل من البا والمعنى برب الصافات والزاجرات عطف عليه ان الهكم لواحد
جواب القسم واجاز الكسائي فتح ان في القسم والمراد بالصافات وما بعدها الى قوله والتاليات ذكرا
الملايكة في قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة يصف في السما كصفوف
الخلق في الدنيا للصلاة وقيل تصف اجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يامرها الله بما يريد وهذا كما
تقوم العبيد بين ايدي ملوكهم صفوفا وقال الحسن صفا لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم وقيل هي الطير
دليله قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات والصف ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة
والصافات جمع الجمع يقال جماعة صافة ثم يجمع صافات وقيل الصافات جماعة الناس المومنين اذا
قاموا صفا في الصلاة او في الجهاد ذكره القشيري والزاجرات الملايكة في قول ابن مسعود وابن عباس

ومسروق

ومسروق وغيرهم على ما ذكرنا اما لانها تزجر السحاب وتسوقه في قول السدي واما لانها تزجر عن المعاصي
بالمواعظ والنصايح وقال قتادة هي زواجر القران فالتاليات ذكرا الملايكة تقرا كتاب الله قاله
ابن مسعود والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع
لانه كبير الملايكة فلا يخلو من جنود واتباع وقال قتادة المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه وقيل
هي ايات القران وصفها بالتلاوة كما قال ان هذا القران يقص على بني اسرايل ويجوز ان يقال لايات
القران تاليات لان بعض الحروف تتبع بعضا ذكره القشيري وذكر الماوردي ان المراد بالتاليات
الانبيا يتلون الذكر على اممهم فان قيل ما حكم الفا اذا جاءت عاطفة في الصفات فقيل له اما ان
تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله

يالهف زيابة للحرث	فالصابح فالغانم فالايب

كانه قال الذي صبح فغنم فاب واما على ترتيبها في التفاوت في بعض الوجوه كقولك

خذ الاكمل فالاكمل	والاعمل الاحسن فالاحسن

واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاث ينساق
امر العاطفة من الصافات قاله الزمخشري ان الهكم لواحد جواب القسم قال مقاتل وذلك ان الكفار بمكة
قالوا اجعل الالهة الها واحدا وكيف يسع هذا الخلق فرد اله فاقسم الله بهولاء تشريفا ونزلت
الاية قال ابن الانباري وهو وقف حسن ثم يبتدي رب السموات والارض خبر بعد خبر ويجوز ان يكون بدلا
من واحد قال الشيخ وعلى هذين الوجهين لا يوقف على لواحد وحكى الاخفش رب السموات ورب المشارق
بالنصب على النعت لاسم ان بين سبحانه معنى وحدانيته والوهيته وكمال قدرته بانه رب السموات والارض
خالقهما ومالكهما وما بينهما ورب المشارق اي مالك مطالع الشمس ابن عباس للشمس كل يوم مشرق
ومغرب وذلك ان الله تعالى خلق للشمس ثلثماية وخمسة وستين كوة في مطلعها ومثلها في مغربها على عدد
ايام السنة الشمسية تطلع في كل يوم في كوة منها وتغيب في كوة لا تطلع في تلك الكوة الا في ذلك
اليوم من العام المقبل ولا تطلع الا وهي كارهة فتقول رب لا تطلعني على عبادك فاني اراهم يعصونك
ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وابن الانباري في كتاب الرد عن عكرمة قال قلت لابن عباس ارايت ما
جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في امية بن ابي الصلت امن شعره وكفر قلبه قال هو حق فما انكرتم من ذلك
قلت انكرنا قوله

والشمس تطلع اخر كل ليلة	حمراء يصبح لونها يتورد
ليست بطالعة لهم في رسلها	الا معذبة والا تجلد

ما بال الشمس تجلد فقال والذي نفسي بيده ما طلعت شمس قط حتى ينخسها سبعون الف ملك فيقولون لها
اطلعي اطلعي فتقول لا اطلع على قوم يعبدونني من دون الله فياتيها ملك فيستقل لضيا بني ادم فياتيها
شيطان يريد ان يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها وذلك قول رسول الله ما
طلعت الا بين قرني شيطان ولا غربت الا بين قرني شيطان وما غربت قط الا خرت لله ساجدة
فياتيها شيطان يريد ان يصدها عن السجود فتغرب بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها فذلك قول رسول الله
ولا غربت الا بين قرني شيطان لفظ ابن الانباري وذكر عن عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله
امية ابن ابي الصلت في هذا الشعر

رجل وثور تحت رجل يمينه	والنسر للاخرى وليث مرصد
والشمس تطلع كل اخر ليلة	حمراء يصبح لونها يتورد
ليست بطالعة لهم في رسلها	الا معذبة والا تجلد

قال عكرمة فقلت لابن عباس يا مولاه اتجلد الشمس فقال انما اضطره الروي الى الجلد لكنها تخاف العقاب
ودل بذكر المطالع على المغارب فلهذا لم يذكر المغارب وهو كقوله سرابيل تقيكم الحر وخص المشارق بالذكر
لان الشروق قبل الغروب وقال في سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين اراد بالمشرقين
اقصى مطلع تطلع منه الشمس في الايام الطوال واقصر يوم في الايام القصار على ما تقدم في يس والله اعلم
قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد قال قتادة
خلقت النجوم ثلاثا رجوما للشياطين ونورا يهتدى بها وزينة لسماء الدنيا وقرا مسروق والاعمش والنخعي

وعاصم وحمزة بزينة مخفوض منون الكواكب خفض على البدل من الزينة لانها هي وقرا ابوبكر كذلك الا انه نصب الكواكب بالمصدر الذي هو زينة والمعنى بان زينا الكواكب فيها ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني كانه قال انا زينا ها بزينة اعني الكواكب وقيل هو بدل من زينة على الموضع ويجوز بزينة الكواكب بمعنى بان زينتها الكواكب او بمعنى هي الكواكب على الاضافة والمعنى زينا السما الدنيا بتزيين الكواكب اي بحسن الكواكب ويجوز ان يكون كقراة من نون الا انه حذف التنوين استخفافا وحفظا مصدر اي حفظناها حفظا من كل شيطان مارد لما اخبر ان الملايكة تنزل بالوحي من السماء بين انه حرس السما عن استراق السمع بعد ان زينها بالكواكب والمارد العاتي من الجن والانس والعرب تسميه شيطانا **قوله تعالى** لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب قال ابو حاتم ان لا يسمعوا ثم حذف ان فرفع الفعل والملا الاعلى اهل السماء الدنيا فما فوقها وسمي الكل منهم اعلى بالاضافة الى ملاء الارض والضمير في يسمعون للشياطين وقرا جمهور الناس يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرا حمزة وعاصم في رواية حفص لا يسمعون بتشديد السين والميم من التسميع فينتفي على القراءة الاولى سماعهم وان كانوا يتسمعون وهو المعنى الصحيح ويعضده قوله انهم عن السمع لمعزولون وينتفي على القراءة الخفيفة ان يقع منهم استماع او سماع قال مجاهد كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون وروي عن ابن عباس لا يسمعون الى الملاء قال هو لا يسمعون ولا يتسمعون واصل يسمعون يتسمعون فادغمت التاء في السين لقربها منها واختارها ابو عبيد لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وتقول تسمعت اليه ويقذفون من كل جانب دحورا اي يرمون من كل جانب اي بالشهب دحورا مصدر لان معنى يقذفون يدحرون دحرته دحرا ودحورا اي طردته وقرا السلمي ويعقوب الحضرمي دحورا بفتح الدال يكون مصدرا على فعول واما الفرا فقدره على انه اسم الفاعل اي يقذفون بما يدحرهم اي بدحور ثم حذف البا والكوفيون يستعملون هذا كثيرا كما قال

تمرون الديار ولم تعوجوا

واختلف هل كان هذا القذف قبل المبعث او بعده لاجل البعث على قولين وجاءت الاحاديث بذلك على ما ياتي من ذكره في سورة الجن عن ابن عباس وقد يمكن الجمع بينهما ان يقال ان الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمي بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم رمت اي لم تكن ترمي رميا يقطعها عن السمع ولكنها كانت ترمي وقتا ولا ترمي وقتا وترمي من جانب ولا ترمي من جانب ولعل الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الى هذا المعنى وهو انهم كانوا لا يقذفون الا من بعض الجوانب فصاروا يرمون واصبا وانما كانوا من قبل كالمتجسسة من الانس يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغها غيره ويسلم واحد ولا يسلم غيره بل يقبض عليه ويعاقب وينكل فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وزيد في حفظة السما واعدت لهم شهب لم تكن من قبل ليدحروا به عن جميع جوانب السماء ولا يقروا في مقعد من المقاعد التي كانت لهم منها فصاروا لا يقدرون على سماع شي مما يجري فيها الا ان يختطف احد منهم بخفة حركته خطفه فيتبعه شهاب ثاقب قبل ان ينزل الى الارض فيلقيها الى اخوانه فيحرقه فبطلت من ذلك الكهانة وحصلت الرسالة والنبوة فان قيل ان هذا القذف اذا كان لاجل النبوة فلم دام بعد النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب انه دام بدوام النبوة فان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر ببطلان الكهانة فقال ليس منا من تكهن فلو لم تحرس بعد موته لعادت الجن الى تسمعها وعادت الكهانة ولا يجوز ذلك بعد ان بطل ولان قطع الحراسة عن السما اذا وقع لاجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة على ضعفا المسلمين ولم يومن ان يظنوا ان الكهانة انما عادت لتناهي النبوة فصح ان الحكمة تقتضي دوام الحراسة في حياة النبي وبعد ان توفاه الله الى كرامته ولهم عذاب واصب اي دايم عن مجاهد وقتادة وقال ابن عباس شديد الكلبي والسدي وابو صالح موجع اي الذي يصل وجعه الى القلب ماخوذ من الوصب وهو المرض الا من خطف الخطفة استثنا من قوله ويقذفون من كل جانب دحورا وقيل الاستثنا يرجع الى غير الوحي لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون فيسترق الواحد منهم شيئا مما يتفاوض فيه الملايكة مما سيكون في العالم قبل ان يعلمه اهل الارض وهذا لخفة اجسام الشياطين فيرجمون بالشهب حينيذ وروي في هذا الباب احاديث صحاح مضمنها ان الشياطين كانت تصعد الى السماء فيقعد للسمع واحد

الاولى زينة الكواكب

المارد والعاني من الجن والانس

نوق واحد يتقدم الاجسر نحو السما ثم الذي يليه ثم الذي يليه فيقضي الله تعالى الامر من امر الارض فيتحدث به اهل السماء فيسمعه منهم الشيطان الادنى فيلقيه الى الذي تحته فربما احرقه شهاب وقد القى الكلام وربما لم يحرقه على ما بيناه فتنزل تلك الكلمة الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة ويصدق في تلك الكلمة فيصدق الجاهلون الجميع كما بيناه في الانعام فلما جاء الله بالاسلام حرست السماء بشدة فلا يفلت شيطان سمع بتة والكواكب الراجمة هي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي وليست بالكواكب الجارية في السما لان تلك لا يرى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا وقد مضى في هذا الباب في سورة الحجر من البيان ما فيه كفاية وذكرنا في سبا حديث ابي هريرة وفيه والشياطين بعضهم فوق بعض وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح وفيه عن ابن عباس ويختطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى اوليائهم فما جاوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون قال هذا حديث حسن صحيح والخطف اخذ الشي بسرعة خطف وخطف وخطف وخطف والاصل في المشددات اختطف فادغمت التاء في الطاء لانها اختها وفتحت الخاء لان حركة التاء القيت عليها ومن كسرها فلالتقاء الساكنين ومن كسر الطاء اتبع الكسر الكسر فاتبعه شهاب ثاقب اي مضي قاله الضحاك والحسن وغيرهما وقيل المراد كواكب النار تتبعهم حتى تسقطهم في البحر وقال ابن عباس في الشهب تحرقهم من غير موت وليست الشهب التي يرجم بها من الكواكب الثوابت يدل ذلك رؤية حركاتها والثابتة تجري ولا ترى حركاتها لبعدها وقد مضى هذا وجمع شهاب شهب والقياس في القليل اشهبة وان لم يسمع من العرب وثاقب معناه مضي قاله الحسن ومجاهد وابو مجلز ومنه قوله

وزندك اثقب ازنادها

اي اضوا وحكى الاخفش في الجمع شهب ثقب وثواقب وثقاب وحكى الكسائي ثقبت النار تثقب ثقابة وثقوبا اذا اتقدت واثقبتها انا وقال زيد بن اسلم في الثاقب انه المستوقد من قولهم اثقب زندك اي استوقد نارك وقاله الاخفش وانشد قول الشاعر

بينما المرء شهاب ثاقب | ضرب الدهر سناه فخمد

قوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب اي سلهم يعني اهل مكة ماخوذ من استفتا المعنى اهم اشد خلقا ام من خلقنا قال مجاهد اي من خلقنا من السموات والارض والجبال والبحار وقيل يدخل فيه الملايكة ومن سلف من الامم الماضية يدل على ذلك انه اخبر عنهم بمن قال سعيد بن جبير الملايكة وقال غيره من الامم الماضية وقد هلكوا وهم اشد خلقا منهم نزلت في ابي الاشد بن كلدة سمي بابي الاشدين لشدة بطشه وقوته وسياتي في البلد ذكره ونظير هذه لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله انتم اشد خلقا ام السماء انا خلقناهم من طين لازب اي لاصق قاله ابن عباس ومنه قول علي رضي الله عنه

تعلم فان الله زادك بسطة | واخلاق خير كلها لك لازب

وقال قتادة وابن زيد معنى لازب لازق الماوردي والفرق بين اللاصق واللازق ان اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض واللازق هو الذي يلتزق بما اصابه وقال عكرمة لازب لزج سعيد بن جبير اي جيد حر يلتصق باليد مجاهد لازب لازم والعرب تقول طين لازب ولازم يبدل الباء من الميم ومثله قولهم لاتب ولاتم على ابدال الباء من الميم واللازب الثابت تقول صار الشي ضربة لازب وهو افصح من لازم قال النابغة

ولا يحسبون الخير لا شر بعده | ولا يحسبون الشر ضربة لازب

وحكى الفرا عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب الثابت تقول منه لتب يلتب لتبا ولتوبا مثل لزب يلزب بالضم لزوبا وانشد ابو الجراح في اللاتب

فان يك هذا من نبيذ شربته | فاني من شرب النبيذ لتايب

صداع وتوصيم العظام وفترة | وغم مع الاشراق في الجوف لاتب

واللاتب ايضا اللاصق مثل اللازب عن الاصمعي حكاه الجوهري وقال السدي والكلبي في اللازب انه الخالص مجاهد والضحاك هو المنتن **قوله تعالى** بل عجبت ويسخرون قراة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم بفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اي بل عجبت مما نزل عليك من القران وهم يسخرون

به وهي قراءة شريح وان الله تعالى لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم وقيل المعنى بل عجبت من انكارهم
البعث وقرا الكوفيون الا عاصما بضم التاء واختارها ابو عبيد والفرا وهي مروية عن علي وابن مسعود
رواه شعبة عن الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله بن مسعود انه قرا بل عجبتُ بضم التاء ويروى عن ابن
عباس وقال الفرا في قوله سبحانه بل عجبت ويسخرون قراها الناس بنصب التاء ورفعها والرفع احب
الي لانها عن علي وعبد الله وابن عباس قال ابو زكريا الفرا العجب ان اسند الى الله فليس معناه من الله كمعناه
من العباد وكذلك قوله الله يستهزئ بهم ليس ذلك من الله كمعناه من العباد وفي هذا بيان الكسر
لقول شريح حيث انكر القراءة بها روى جرير عن الاعمش عن ابي وائل شقيق بن سلمة قال قراها عبد الله
يعني ابن مسعود بل عجبتُ ويسخرون وقال شريح ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم قال
الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحا كان يعجبه رايه ان عبد الله كان اعلم من شريح وكان يقرا
عبد الله بل عجبتُ قال الهروي وقال بعض الايمة معنى قوله بل عجبت بل جازيتهم على عجبهم لان الله تعالى
اخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقالوا ان هذا لشيء عجاب
اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فقال تعالى بل عجبت بل جازيتهم على التعجب قال الشيخ وهذا تمام
معنى قول الفرا واختاره البيهقي وقال علي بن سليمان معنى القراءتين واحد والتقدير قل يا محمد بل
عجبتُ لان النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بالقران النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير البيهقي
والاول اصح والمهدوي ويجوز ان يكون اخبار الله عن نفسه بالعجب محمولا على انه ظهر من امره وسخطه
على من كفر ما يقوم مقام العجب من المخلوقين كما يحمل اخباره تعالى عن نفسه بالضحك لمن رضي عنه على ما
جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم على انه اظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك من المخلوقين
مجازا او اتساعا قال الهروي ويقال معنى عجب ربكم اي رضي واثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة
كما قال ويمكرون ويمكر الله معناه ويجازيهم الله على مكرهم ومثله في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم
وقد يكون العجب بمعنى وقوع ذلك العمل عند الله عظيما فيكون معنى قوله بل عجبت اي بل عظم فعلهم
عندي قال البيهقي ويشبه ان يكون هذا معنى حديث عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يعجب ربك من شاب ليست له صبوة قال البيهقي وقد يكون المعنى في هذا الحديث وما ورد من امثاله
انه يعجب ملائكته من كرمه ورافته بعباده حين حملهم على الايمان به بالقتال والاسر في السلاسل حتى
اذا امنوا ادخلهم الله الجنة وقيل معنى بل عجبت بل انكرت حكاه النقاش وقال الحسين بن الفضل التعجب
من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب وقد جاء في الخبر عجب ربكم من الكم وقنوطكم ويسخرون قيل
الواو واو الحال اي عجبت منهم في حال سخريتهم وقيل تم الكلام عند قوله بل عجبت ثم استانف فقال
ويسخرون اي مما جئت به اذا تلوته عليهم وقيل ويسخرون منك اذا دعوتهم **قوله تعالى**
**واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون** في قول قتادة لا يذكرون لا ينتفعون به وقال سعيد اي اذا ذكر
لهم ما حل بالمكذبين من قبلهم اعرضوا عنه ولم يتدبروا واذا راوا اية اي معجزة يستسخرون اي يسخرون
في قول قتادة ويقولون انها سحر واستسخر وسخر بمعنى مثل استقر وقر واستعجب وعجب وقيل يستسخرون
اي يستدعون السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزئون وقيل اي يظنون ان تلك الاية سخرية وقالوا ان
هذا الا سحر مبين اي اذا عجزوا عن مقابلة المعجزات بشيء قالوا هذا سحر وتخييل وخداع ائذا متنا اي انبعث اذا
متنا فهو استفهام انكار منهم وسخرية اذا اباونا الاولون اي او نبعث اباونا دخلت الف الاستفهام على
حرف العطف وقرا نافع او اباونا بسكون الواو وقد مر هذا في قوله اوامن اهل القرى **قوله تعالى**
قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون اي صاغرون اذلاء لانهم اذا راوا
وقوع ما انكروه فلا محالة يذلون وقيل اي ستقوم القيامة وان كرهتم فهو امر واقع على رغمكم
وان انكرتموه اليوم بزعمكم وانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة قاله الحسن وهي النفخة الثانية
وسميت الصيحة زجرة لان مقصودها الزجر اي يزجر بها كزجر الابل والخيل عند السوق فاذا هم قيام
ينظرون اي ينظر بعضهم الى بعض وقيل المعنى ينتظرون ما يفعل بهم وقيل هو مثل قوله فاذا هي
شاخصة ابصار الذين كفروا وقيل اي ينظرون الى البعث الذي انكروه **قوله تعالى** قالوا يا ويلنا

قال شريح ان الله لا يعجب من شيء

هذا يوم الفصل الذي كنتم تكذبون نادوا على انفسهم بالويل لانهم يومئذ يعلمون ما حل بهم وهو منصوب
على انه مصدر عند البصريين وزعم الفرا ان تقديره يا ويلنا وي بمعنى حزن النحاس ولو كان كما قال
لكان منفصلا وهو في المصحف متصل ولا نعلم احدا يكتبه الا متصلا ويوم الدين يوم الحساب وقيل يوم
الجزاء هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون قيل هو من قول بعضهم لبعض اي هذا اليوم الذي كذبناه
وقيل هو من قول الله تعالى لهم وقيل من قول الملائكة اي هذا يوم الحكم بين الناس فيتبين المحق من المبطل ففريق في
الجنة وفريق في السعير **قوله تعالى** **احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من
دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم** هو من قول الله للملائكة اي احشروا المشركين وازواجهم اي
اشياعهم في الشرك والشرك الظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فيحشر الكافر مع الكافر قاله قتادة
وابو العالية وقال عمر بن الخطاب في قول الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال الزاني مع الزاني
وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة مع صاحب السرقة وقال ابن عباس وازواجهم اي اشياعهم
وهذا يرجع الى قول عمر وقيل ازواجهم نساؤهم الموافقات على الكفر قاله مجاهد والحسن ورواه النعمان
بن بشير عن عمر بن الخطاب وقال الضحاك وازواجهم قرناؤهم من الشياطين وهذا قول مقاتل ايضا يحشر كل كافر
مع شيطانه في سلسلة وما كانوا يعبدون من دون الله اي من الاصنام والشياطين وابليس فاهدوهم
الى صراط الجحيم اي سوقوهم الى النار وقيل فاهدوهم اي دلوهم يقال هديته الى الطريق وهديته الطريق
اي دللته عليه واهديت الهدية وهديت العروس ويقال اهديتها اي جعلتها بمنزلة الهدية
قوله تعالى **وقفوهم انهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان
لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا
كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم
لا اله الا الله يستكبرون** وحكى عيسى بن عمر انهم بفتح الهمزة قال الكسائي اي لانهم وبانهم يقال
وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقوفا يتعدى ولا يتعدى اي احبسوهم وهذا يكون قبل السكون
الى الجحيم وفيه تقديم وتاخير اي قفوهم للحساب ثم سوقوهم الى النار وقيل يساقون الى النار اولا ثم يحشرون
للسؤال اذا قربوا من النار انهم مسؤولون عن اعمالهم واقوالهم وافعالهم قاله القرظي والكلبي الضحاك عن
ابن عباس عن جميع اقوالهم وقيل سؤالهم ... لا اله الا الله وعنه ايضا عن ظلم الخلق وفي هذا كله دليل على ان الكافر يحاسب وقد
مضى في الحجر الكلام فيه وقيل سؤالهم ان يقال لهم الم ياتكم رسل منكم اقامة للحجة ويقال لهم ما لكم لا تناصرون
على جهة التقريع والتوبيخ اي ينصر بعضكم بعضا فيمنعه من عذاب الله وقيل هو اشارة الى قول ابي جهل يوم بدر
نحن جميع منتصر واصله تتناصرون وطرحت احدى التاءين تخفيفا وشدد البزي التاء في الوصل قال الله تعالى
بل هم اليوم مستسلمون قال قتادة مستسلمون في عذاب الله جل وعلا ابن عباس خاضعون ذليلون الحسن منقادون
الاخفش ملقون بايديهم والمعنى متقارب واقبل بعضهم على بعض اي الرؤساء والاتباع يتساءلون يتخاصمون
ويقال لا يتساءلون فسقطت لا النحاس وانما غلط الجاهل باللغة فتوهم ان هذا من قوله فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون انما هو لا يتساءلون بالارحام فيقول احدهم اسالك بالرحم الذي بيني وبينك
لما نفعتني او اسقطت لي حقا لك علي او وهبت لي حسنة وهذا بين لان قبله فلا انساب بينهم اي ليس ينتفعون
بالانساب التي بينهم كما جاء في الحديث ان الرجل ليسر بان يصح له على ابيه او على ابنه حق فياخذه منه
لانها الحسنات والسيئات وفي الحديث الاخر رحم الله امرا كان لاخيه عنده مظلمة من مال او عرض فاتاه
فاستحله قبل ان يطالبه فياخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات زيد عليه من سيئات المطالب ويتساءلون
هاهنا انما هو ان يسال بعضهم بعضا ويوبخه في انه اضله او فتح له بابا من المعصية يبين ذلك ان بعده انكم
كنتم تاتوننا عن اليمين قال مجاهد هو قول الكفار للشياطين قتادة هو قول الانس للجن قتادة وهو
وقيل هو من قول الاتباع للمتبوعين دليله قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول الاية قال سعيد عن قتادة اي ياتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها وعن ابن عباس نحو
منه وقيل تاتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاءل بها لتغرونا بذلك من جهة النصح والعرب تتفاءل
بما جاء عن اليمين ياتوننا مجيء من اذا حلف لنا صدقناه وقيل تاتوننا من قبل الدين فتهونون علينا امر

التوليعة وتنفر ونناعها قال الشيخ رحمه الله وهذا القول حسن جدا لان من جهة الدين يكون الخير والشر واليمين بمعنى الدين اي كنتم تزينون لنا الضلالة وقيل اليمين بمعنى القوة اي يمنعوننا بقوة وغلبة وقهر قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين اي بالقوة وقوة الرجل في يمينه وقال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

اي بالقوة والقدرة وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق انه معكم وكله متقارب المعنى قالوا بل لم تكونوا مومنين قال قتادة هذا قول الشياطين لهم وقيل من قول الروسا اي لم يكونوا مومنين قط حتى ننقلكم منه الى الكفر بل كنتم على الكفر فاقمتم عليه للالف والعادة وما كان لنا عليكم من سلطان اي من حجة في ترك الحق بل كنتم قوما طاغين اي ضالين متجاوزين الحد فحق علينا قول ربنا هو ايضا من قول المتبوعين اي وجب علينا وعليكم قول ربنا فكلنا ذايقوا العذاب كما كتب الله واخذ على السنة الرسل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا موافق للحديث ان الله عز وجل كتب للنار اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم فاغويناكم اي زينا لكم ما كنتم عليه من الكفر انا كنا غاوين بالوسوسة والاستدعا ثم قال خبرا عنهم فانهم يومئذ في العذاب مشتركون الضال والمضل انا كذلك اي مثل هذا الفعل نفعل بالمجرمين اي المشركين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي اذا قيل لهم قولوا فاضمر القول ويستكبرون في موضع نصب على خبر كان ويجوز ان يكون في موضع رفع على انه خبر ان وكان ملغاة ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب عند موته واجتماع قريش قولوا لا اله الا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم ابوا وانفوا من ذلك وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله في كتابه فذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قصة المدينة ذكر هذا الخبر البيهقي والذي قبله القشيري

قوله تعالى ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذايقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين اي لقول شاعر مجنون فرد الله عليهم فقال بل جاء بالحق يعني القران والتوحيد وصدق المرسلين فيما جاؤا به من التوحيد انكم لذايقوا العذاب الاليم الاصل لذايقون فحذفت النون استخفافا وخفضت للاضافة ويجوز النصب كما انشد سيبويه

فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا

واجاز سيبويه والمعنى الصلاة على هذا وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا بما عملتم من الشرك الا عباد الله المخلصين استثناء ممن يذوقوا العذاب وقرا اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام يعني الذين اخلصهم الله لطاعته ودينه وولايته الباقون بكسر اللام اي الذين اخلصوا لله العبادة وقيل هو استثناء منقطع اي انكم ايها المجرمون ذايقوا العذاب لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب

قوله تعالى اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم يعني المخلصين لهم عطية معلومة لا تنقطع قال قتادة يعني الجنة وقال غيره يعني رزق الجنة وقيل هو الفواكه التي ذكر قال مقاتل حين يشتهونه وقال ابن السايب انه بمقدار الغداة والعشي قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فواكه جمع فاكهة قال الله تعالى وامددناهم بفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها قاله ابن عباس وهم مكرمون اي ولهم اكرام من الله جل وعلا برفع الدرجات وسماع كلامه ولقايه في جنات النعيم اي في بساتين يتنعمون فيها وقد تقدم ان الجنان سبع في سورة منها النعيم قوله تعالى على سرر متقابلين قال مجاهد وعكرمة لا ينظر بعضهم في قفا بعض تواصلا وتحاببا وقيل الاسرة تدور كيف شاؤا فلا يرى احد قفا احد وقال ابن عباس على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد السرير ما بين صنعا الى الجابية وما بين عدنان الى ايله وقيل تدور باهل المنزل الواحد والله اعلم

قوله تعالى يطاف عليهم بكاس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات لما ذكر مطاعمهم ذكر شرابهم والكاس عند اهل اللغة اسم شامل لكل انا

مع شرابه فان كان فارغا فليس بكاس قال الضحاك والسدي كل كاس في القران فهي الخمر والعرب تقول للانا اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر قالوا انا وقدح النحاس من يوثق به من اهل اللغة ان العرب تقول للقدح اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر فهو قدح كما يقال للخوان اذا كان عليه طعام مايدة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مايدة قال ابو الحسن بن كيسان ومنه ظعينة للهودج اذا كان فيه المراة وقال الزجاج بكاس من معين اي من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الارض والمعين الما الجاري الظاهر بيضا صفة للكاس وقيل للخمر لذة للشاربين قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة قال الزجاج اي ذات لذة فحذف المضاف وقيل هو مصدر جعل اسما اي بيضا لذيذة يقال شراب لذ ولذيذ مثل نبات غض وغضيض فاما قول القايل

ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان

فانه يريد النوم وقيل بيضا اي لم يعتصرها الرجال باقدامهم لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع ولا هم عنها ينزفون اي لا تذهب عقولهم بشربها يقال الخمر غول للحلم والحرب غول للنفوس اي يذهب بها ويقال نزف الرجل ينزف فهو منزوف ونزيف اذا سكر قال امرو القيس

واذ هي تمشي كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البهر

وقال ايضا

نزيف اذا قامت لوجه تمايلت تراشي الفواد الرخص الا تختترا

وقال اخر

فلثمت فاها اخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ما الحشرج

وقرا حمزة والكسايي بكسر الزاي من انزف القوم اذا حان منهم النزف وهو السكر كما يقال احصد الزرع اذا حان حصاده واقطف الكرم اذا حان قطافه واركب المهر اذا حان ركوبه وقيل المعنى لا ينفد شرابهم لنهم دايم يقال انزف الرجل فهو منزوف اذا فنيت خمره قال الحطيئة

لعمري لين انزفتم او صحوتم لبيس الندامى كنتم ال ابجرا

النحاس والقراة الاولى ابين واصح في المعنى لان معنى ينزفون عند جلة اهل التفسير منهم مجاهد لا تذهب عقولهم فنفى الله عز وجل عن خمر الجنة الافات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر ومعنى ينزفون الصحيح فيه انه يقال انزف الرجل اذا نفد شرابه وهو يبعد ان يوصف به شراب الجنة ولكن مجازه ان يكون بمعنى لا ينفد ابدا وقيل لا ينزفون بكسر الزاي لا يسكرون ذكره الزجاج وابو علي على ما ذكره القشيري المهدوي ولا يكون معناه يسكرون لان قبله لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فيكون تكريرا او يسوغ ذلك في الواقعة ويجوز ان يكون معنى لا غول فيها لا يمرضون فيكون معنى ولا هم عنها ينزفون لا يسكرون او لا ينفد شرابهم قال قتادة الغول وجع البطن وكذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد لا فيها غول لا فيها صداع وحكى الضحاك انه قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقي والبول فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال مجاهد لا فيها اذى ابن كيسان مغص وهذه الاقوال متقاربة وقال الكلبي لا فيها غول اي اثم نظيره لا لغو فيها ولا تاثيم وقال الشعبي والسدي وابو عبيدة لا تغتال عقولهم فيذهب بها ومنه قول الشاعر

وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول

اي تصرع واحدا واحدا وانما صرف الله تعالى السكر عن اهل الجنة ليلا ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق في خفا يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره في خفية ومنه الغول والغيلة وهو القتل خفية قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون اي نساء قد قصرن طرفهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغيرهم عكرمة قاصرات الطرف اي محبوسات على ازواجهن والتفسير الاول ابين لانه ليس في الاية مقصورات ولكن في موضع اخر مقصورات يا تي بيانه وقاصرات ماخوذ من قولهم قد اقتصر على كذا اذا اقتنع به وعدل عن غيره وقال امرو القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

ويروي فوق الخد والاول ابلغ والاتب القميص والمحول الصغير من الذر وقال مجاهد ايضا معناه لا يغرن عين عظام العيون الواحدة عينا قاله السدي مجاهد عين حسان العيون الحسن الشديدات بياض

في الخمر اربع خصال

العين الشديدات سوادها والاول اشهر في اللغة يقال رجل اعين وامرأة عيناء واسع العين بين العين والجمع عين واصله فعل بالضم فكسرت العين لئلا تنقلب الواو ياء ومنه قيل لبقر الوحش عين والثور اعين والبقرة عيناء كانهن بيض مكنون اي مصون قال الحسن وابن زيد شبههن ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار فلونه ابيض في صفرة وهو احسن الوان النساء وقال ابن عباس وابن جبير والسدي شبههن ببطن البيض قبل ان تقشر وتمسه الايدي وقال شبههن بالسحا الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض ونحوه قول الطبري قال هو القشر الرقيق الذي على البيضة من ذلك وروي نحو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها قال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

وتقول العرب اذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كانه بيض النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر اي انهن عذارى وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ كقوله تعالى وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون اي في اصدافه قاله ابن عباس ايضا ومنه قول الشاعر

وهي بيضاء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

وانما ذكر المكنون والبيض جمع لانه رد النعت الى اللفظ **قوله تعالى** فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يتفاوضون فيما بينهم احاديثهم في الدنيا وهو من تمام الانس في الجنة وهو معطوف على معنى يطاف عليهم المعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشراب قال بعضهم

وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره **قوله تعالى** قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين اي قال قائل من اهل الجنة اني كان لي قرين اي صديق ملازم يقول ائنك لمن المصدقين اي بالبعث والجزاء وقال سعيد بن جبير قرينه شريكه وقد مضى في الكهف ذكرهما وقصتهما والاختلاف في اسميهما مستوفى عند قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين وفيهما انزل الله عز وجل قال قائل منهم اني كان لي قرين الى من المحضرين وقيل اراد بالقرين قرينه من الشياطين كان يوسوس اليه بانكار البعث وقرئ ائنك لمن المصدقين بتشديد الصاد رواه علي بن كبشة عن سليم عن حمزة قال النحاس ولا يجوز ائنك لمن المصدقين لانه لا معنى للصدقة ههنا وقال القشيري وفي قراءة عن حمزة ائنك لمن المصدقين بتشديد الصاد واعترض عليه بان هذا من التصديق لا من التصدق والاعتراض باطل لان القراءة اذا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مجال للطعن فيها فالمعنى ائنك لمن المصدقين بالمال طلبا في ثواب الاخرة ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي مجزيون محاسبون بعد الموت فقال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون وقيل هو من قول المؤمن لاخوانه في الجنة هل انتم مطلعون الى النار لننظر كيف حال ذلك القرين وقيل هو من قول الملائكة وليس هل انتم مطلعون باستفهام انما هو بمعنى الامر اي اطلعوا قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه لما نزلت آية الخمر قام عمر قائما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع راسه الى السماء ثم قال يا رب بيانا اشفى من هذا في الخمر فنزلت فهل انتم منتهون قال فنادى عمر انتهينا يا ربنا انتهينا يا ربنا وقرا ابن عباس هل انتم مطلعون باسكان الطاء خفيفة فاطلع بقطع الالف مخففة على معنى هل انتم مقبلون فاقبل قال النحاس فاطلع فيه قولان احدهما ان يكون فعلا مستقبلا اي فاطلع انا ويكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والقول الثاني ان يكون فعلا ماضيا ويكون اطلع واطلع بمعنى واحد وقد حكي هل انتم مطلعون بكسر النون وانكره ابو حاتم وغيره النحاس وهو لحن ولا يجوز لانه جمع بين النون والاضافة ولو كان مضافا لكان هل انتم مطلعي وان كان سيبويه والفراء قد حكيا مثله وانشدا

هم القائلون الخير والامرونه اذا ما خشوا من محدث الامر معظما

وانشد الفراء والفاعلونه وانشد سيبويه وحده

ولم يرتفق والناس محتضرونه وهذا شاذ خارج عن كلام العرب وما كان

مل

مثل هذا لم يحتج به في كتاب الله عز وعلا ولا يدخل في الفصيح وقد قيل في توجيهه انه اجرى اسم الفاعل مجرى المضارع لقربه منه فجرى مطلعون مجرى تطلعون ذكره ابو الفتح عثمان بن جني وانشد

ارايت ان جاءت به املودا مرجلا ويلبس البرودا

اقائلن احضروا الشهودا

فاجرى اقائلن مجرى اتقولن وقال ابن عباس في قوله هل انتم مطلعون فاطلع فرآه ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار واهلها وكذلك قال كعب فيما ذكره ابن المبارك قال ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى قال الله فاطلع فرآه في سواء الجحيم اي في وسط النار والحسك حواليه قاله ابن مسعود ويقال تعبت حتى انقطع سوائي اي وسطي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى انقطع سوائي وعن قتادة قال قال بعض العلماء لولا ان الله عز وجل عرفه اياه لما عرفه لقد تغير حبره وسبره فعند ذلك يقول تالله ان كدت لتردين ان مخففة من الثقيلة دخلت على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين في النار وقال الكسائي لتردين اي لتهلكني والردى الهلاك وقال المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار لكان جائزا ولولا نعمة ربي اي عصمته وتوفيقه بالاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من القرين السوء وما بعد لولا مرفوع بالابتداء عند سيبويه والخبر محذوف لكنت من المحضرين قال الفراء اي لكنت معك في النار محضرا واحضر لا يستعمل مطلقا الا في الشر قاله الماوردي **قوله تعالى** افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون وقرئ بمائتين والهمزة في افما للاستفهام دخلت على فاء العطف والمعطوف محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين الا موتتنا الاولى يكون استثناء ليس من الاول ويكون مصدرا لانه منعوت وهو من قول اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت ويقال يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وقيل هو من قول المؤمن على جهة الحديث بنعمة الله في انهم لا يموتون ولا يعذبون اي هذه حالنا وصفتنا وقيل هو من قول المؤمن توبيخا للكافر لما كان ينكره من البعث وانه ليس الا الموت في الدنيا ثم قال المؤمن مشيرا الى ما هو فيه ان هذا لهو الفوز العظيم يكون هو مبتدا وما بعده خبر عنه والجملة خبر ان ويجوز ان يكون هو فاصلا لمثل هذا فليعمل العاملون يحتمل ان يكون من كلام المؤمن لما راى ما اعد الله له في الجنة وما اعطاه قال لمثل هذا العطاء والفضل فليعمل العاملون نظير ما قال له الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل ان يكون من قول الملائكة وقيل هو من قول الله لاهل الدنيا اي قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء ولمثل هذا الجزاء فليعمل العاملون النحاس وتقدير الكلام والله اعلم فليعمل العاملون لمثل هذا فان قال قائل الفاء في العربية تدل على ان الثاني بعد الاول فكيف صار ما بعدها ينوي به التقديم فالجواب ان التقديم مثل التاخير لان حق حروف الخفض وما بعدها ان تكون متاخرة **قوله تعالى** اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم مبتدا وخبر وهو من قول الله عز وجل نزلا على البيان والمعنى انعيم الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم خير نزلا والنزل في اللغة الرزق الذي له سعة النحاس وكذا النزل والنزل الا انه يجوز ان يكون النزل باسكان الزاي لغة ويجوز ان يكون اصله النزل ومنه اقيم للقوم نزلهم واشتقاقه انه الغذاء الذي يصلح ان ينزلوا معه ويقيموا فيه وقد مضى هذا في اخر سورة آل عمران وشجرة الزقوم مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها قال المفسرون وهي في الباب السادس وانها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء فلا بد لاهل النار من ان ينحدر اليها من كان فوقها فياكلون منها وكذلك يصعد اليها من كان اسفل واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا التي تعرفها العرب ام لا على قولين احدهما انها معروفة من شجر الدنيا ومن قال بهذا اختلفوا فيها فقال قطرب انها شجرة مرة تكون بتهامة من اخبث الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل القول الثاني انها لا تعرف في شجر الدنيا فلما نزلت هذه الاية في شجرة الزقوم قالت كفار قريش ما نعرف هذه الشجرة فقدم عليهم رجل من افريقية فسالوه فقال هو عندنا الزبد والتمر فقال ابن الزبعرى اكثر الله في بيوتنا الزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فاتته بزبد وتمر ثم قال لاصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا به محمد يزعم ان النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر

وما بغيت من اللذات الا

شجر الزقوم

انا جعلناها فتنة اي المشركين وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر وتدمضي هذه المعنى في سبحان واستخفافهم في هذا كقولهم في قوله تعالى عليها تسعة عشر ما الذي يخصص هذا العدد حتى قال بعضهم انا اكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين فقال الله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والفتنة الاختبار وكان هذا القول منهم جهلا اذ لا يستحيل في العقل ان يخلق الله في النار شجرا من جنسها لا يأكله النار كما يخلق الله فيها الاغلال والقيود والعقارب وخزنة النار وقيل هذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع الآن للملحدة حتى حملوا الجنة والنار على نعيم او عقاب تتخلله الارواح وحملوا وزن الاعمال والصراط واللوح والقلم على معاني وزرها في انفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد الشرع واذا ورد خبر الصادق بشيء موهوم في العقل فالواجب تصديقه وان جاز ان يكون له تاويل ثم التاويل في موضع اجماع المسلمين على انه تاويل باطل ولا يجوز والمسلمون مجمعون على الاخذ بهذه الاشيا من غير مصير الى علم الباطن وقيل انها فتنة اي عقوبة للظالمين كما قال ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون **قوله تعالى** انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم اي قعر النار ومنشاها ثم هي متفرعة في جهنم طلعها ثمرها سمي طلعا للطلوعه كانه رؤس الشياطين يا عيانهم شبهها برؤسهم لقبحهم ورؤس الشياطين متصور في النفوس وان كان غير مرئي ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة هو كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبرا عن صواحب يوسف ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا التشبيه تخييلي روي معناه عن ابن عباس والقرظي ومنه قول امرئ القيس

ومسنونة زرق كانياب اغوال

وان كان الغول لا يعرف لكن لما تصور من قبحها في النفوس وقد قال الله تعالى شياطين الانس والجن فمردة الانس شياطين مرئية وفي الحديث الصحيح ولكان نخلها رؤس الشياطين وقد ادعى كثير من العرب روية الشياطين والغيلان وقال الزجاج والفراء الشياطين حيات لها رؤس واعراف وهي من اقبح الحيات واخبثها واخفها جسما قال الراجز وقد شبه المراة بحية له عرف

عجيز تحلف حين احلف … كمثل شيطان الحماط اعرف

الواحدة حماطة والاعرف الذي له عرف وقال الشاعر يصف ناقته

تلاعب مثنى حضرمي كانه … تعمج شيطان بذي خروع قفر

التعمج الاعوجاج في السير وسهم عموج يتلوى في ذهابه وتعمجت الحية اذا تلوت في مرها وقال يصف زمام الناقة تلاعب مثنى حضرمي البيت وقيل انما شبه البيت ذلك بنبت قبيح في اليمن يقال له الاستن قال النحاس وليس ذلك معروفا وعند العرب الزمخشري هو شجر خشن منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وقيل الشياطين ضرب من الحيات قباح فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق اهل الجنة وقال في الغاشية ليس لهم طعام الا من ضريع وسيأتي ثم ان لهم عليها اي بعد الاكل من الشجرة لشوبا من حميم الشوب الخلط والشوب لغتان كالفقر والفقر والفتح اشهر قال الفراء شاب الطعام وشرابه اذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبا وشيابة فاخبر انه يشاب لهم والحميم الماء الحار ليكون اشنع قال الله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم السدي يشاب لهم الحميم بغساق اعينهم وصديد من قيح دمائهم وقيل يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظا لعذابهم وتجديدا لبلائهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قيل ان هذا يدل على انهم كانوا حين اكلوا الزقوم في عذاب في غير النار ثم يردون اليها وقال مقاتل الحميم خارج الجحيم ثم يوردون الحميم لشربه ثم يردون الى الجحيم لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن وقرا ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى الجحيم ابو عبيدة يجوز ان يكون ثم بمعنى الواو والقشيري ولعل الحميم في موضع من جهنم على طرف منها **قوله تعالى** انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله اي صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم فهم على آثارهم يهرعون اي يسرعون عن قتادة وقال مجاهد كهيئة الهرولة قال الفراء الاهراع الاسراع برعدة وقال ابو عبيدة يهرعون

يستحثون من خلفهم ونحوه قول المبرد قال المهرع المستحث يقال جاء فلان يهرع الى النار اذا استحثه البرد اليها وقيل يزعجون من شدة الاسراع قاله الفضل الزجاج يقال هرع واهرع اذا استحث وازعج قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الماضية ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي رسلا انذروهم العذاب فكفروا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي اخر امرهم الا عباد الله المخلصين اي الذين استخلصهم الله من الكفر وقد تقدم ثم قيل هو استثناء من المنذرين وقيل هو من قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين **قوله تعالى** ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين من النداء الذي هو استغاثة ودعا بما سأل له هلاك قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلنعم المجيبون له كنا فنجيناه واهله يعني اهل دينه وهم من آمن معه وكانوا ثمانين على ما تقدم من الكرب العظيم وهو الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء الا ولده ونساؤه فذلك قوله وجعلنا ذريته هم الباقين وقال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام ابو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب الهند والسند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم ويافث ابو الصقالب والترك والابر والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك وقال قوم كان لغير ولد نوح ايضا بدليل قوله ذرية من حملنا مع نوح وقوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم فعلى هذا معنى الآية وجعلنا ذريته هم الباقين دون ذرية من كفر فانا اغرقنا اولئك **قوله تعالى** وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه ثناء حسنا في كل امة فانه محبب الى الجميع حتى ان في المجوس من يقول انه افريدون روي معناه عن مجاهد وغيره وزعم الكسائي ان فيه تقديرين احدهما وتركنا عليه في الآخرين يقال سلام على نوح اي تركنا عليه هذا الثناء الحسن وهذا مذهب ابي العباس المبرد اي تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقوله سورة انزلناها والقول الآخر ان يكون المعنى وابقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدا فقال سلام على نوح اي سلامة له من ان يذكر بسوء في الآخرين قال الكسائي وفي قراءة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا اي تركنا عليه ثناء حسنا سلاما وقيل في الآخرين اي في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في الانبياء اذ لم يبعث بعده نبي الا امر بالاقتداء به قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقال سعيد بن المسيب وبلغني انه من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب ذكره ابو عمر في التمهيد وفي الموطا عن خولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل منزلا فليقل اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فانه لن يضره شيء حتى يرتحل وفيه عن ابي هريرة ان رجلا من اسلم قال ما نمت هذه الليلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي شيء فقال له لدغتني عقرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك لو قلت حين امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي نبقي عليهم الثناء الحسن والكاف في موضع نصب اي جزاء كذلك انه من عبادنا المؤمنين هذا بيان احسانه **قوله تعالى** ثم اغرقنا الآخرين اي من كفر وجمعه اخر والاصل فيه ان يكون معه من الا انها حذفت لان المعنى معروف ولا يكون آخر الا وقبله شيء من جنسه وثم ليس للتراخي ها هنا بل هو لتعديد النعم كقوله او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا اي ثم اخبركم اني قد اغرقت الآخرين وهم الذين تاخروا على الايمان **قوله تعالى** وان من شيعته لابراهيم قال ابن عباس اي من اهل دينه وقال مجاهد اي على منهاجه وسنته قال الاصمعي الشيعة الاعوان وهو ماخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد وقال الكلبي والفراء المعنى وان من شيعة محمد لابراهيم فالهاء في شيعته على هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول لنوح وهو الاظهر لانه هو المذكور اولا وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة حكاه الزمخشري **قوله تعالى** اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اي مخلص من الشرك والشك وقال عوف الاعرابي سالت محمد بن سيرين ما القلب السليم فقال الناصح لله في خلقه وذكر الطبري عن غالب القطان وعوف وغيرهما عن محمد بن سيرين انه كان يقول للحجاج

سكين ابو محمد ان عذبه الله فبذنبه وان غفر له فنعم ما له وان كان قلبه سليما فقد اصاب الذنوب
من هو خير منه قال عوف فقلت لمحمد ما القلب السليم قال ان نعلم ان الله حق وان الساعة قايمة وان
الله يبعث من في القبور وقال هشام بن عروة كان ابي يقول لنا يا بني لا تكونوا لعانين الم تروا الي ابراهيم
لم يلعن شيئا قط فقال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم ويحتمل مجيئه الي ربه وجهين احدهما عند دعائه الي توحيد
الي طاعته الثاني عند القائه في النار اذ قال لابيه وهو آزر وقد مضي الكلام فيه وقومه ماذا تعبدون
يكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا خبره ويجوز ان يكون ماذا في موضع نصب بتعبدون ايفكا نصب
علي المفعول به بمعني اتريدون افكا قال المبرد والافك اسوا الكذب وهو الذي لا يثبت ويضطرب
ومنه ائتفكت بهم الارض آلهة بدل من افك دون الله تريدون اي تعبدون ويجوز ان يكون حالا بمعني
اتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم برب العالمين اي ما ظنكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره
فهو تحذير مثل قوله ما غرك بربك الكريم وقيل المعني اي شي توهمتموه حتى اشركتم به غيره والله اعلم
قوله تعالى **فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين** قال ابن زيد عن ابيه
ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا فنظر الي نجم الطالع فقال ان هذا انطلع مع سقمي
وكان علم النجوم مستعملا عندهم منظورا فيه فاوهمهم هو من تلك الجهة واراهم من معتقدهم عذرا
لنفسه وذلك انهم كانوا اهل رعاية وفلاحة وهاتان المعيشتان يحتاج فيهما الي النظر في النجوم وقال
ابن عباس كان علم النجوم من النبوة فلما حبس الله تعالي الشمس علي يوشع بن نون ابطل ذلك فنظر ابراهيم
فيها علما نبويا وحكي جويبر عن الضحاك ان علم النجوم كان باقيا الي زمان عيسى حتي دخلوا عليه في موضع
لا يطلع عليه فقالت لهم مريم من اين علمتم بموضعه قالوا من النجوم فدعا ربه عند ذلك فقال اللهم
لا تفهمهم في علمها فلا يعلم علم النجوم احد فصار حكمها في الشرع محظورا وعلمها في الناس مجهولا قال الكلبي
وكانوا بقرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمزجرد وكانوا ينظرون في النجوم فهذا قول وقال
الحسن المعني انهم لما كلفوه الخروج معهم تفكر فيما يعمل فالمعني علي هذا انه نظر فيما نجم له من الراي اي فيما
طلع له منه فعلم ان كل حي يسقم فقال اني سقيم الخليل والمبرد يقال للرجل اذا فكر في الشي يدبره نظر
في النجوم وقيل كانت الساعة التي دعوه الي الخروج معهم فيها ساعة تغشاه فيها الحمى وقيل المعني فنظر فيما نجم
من الاشياء فعلم ان لها خالقا ومدبرا وانه يتغير كتغيرها فقال اني سقيم وقال الضحاك معني سقيم
ساسقم سقم الموت لان من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت وهذه تورية وتعريض كما قال
للملك لما ساله عن سارة هي اختي يعني اخوة الدين وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك ايضا اشار لهم
الي مرض وسقم يعدي كالطاعون وكانوا يهربون من الطاعون ولذلك تولوا عنه مدبرين اي فارين منه
خوفا من العدوي وروي الترمذي الحكيم حدثنا ابي قال حدثنا عمرو بن حماد عن اسباط عن السدي عن ابي
مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن الهمداني عن ابن مسعود قال قالوا لابراهيم ان لنا عيدا لو
خرجت معنا لاعجبك ديننا فلما كان يوم العيد خرجوا اليه وخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القي نفسه
وقال اني سقيم اشتكي رجلي فوطئوا رجله وهو صريع فلما مضوا نادي في آخرهم وتالله لاكيدن اصنامكم
قال ابو عبد الله وهذا ليس بمعارض لما قال ابن عباس وابن جبير لانه يحتمل ان يكون قد اجتمع له امران
قال الشيخ وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم النبي عليه السلام الا ثلاث كذبات
الحديث وقد مضي في سورة الانبيا وهو يدل علي انه لم يكن سقيما وانما عرض لهم وقد قال جل وعلا انك ميت
وانهم ميتون فالمعني اني سقيم فيما استقبل فتوهموا هم انه سقيم الساعة وهذا من معاريض الكلام
علي ما ذكرنا ومنه المثل السائر كفي بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ... ليصحني فاذا السلامة داء

وقد مات رجل فجاءة فالتفت عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه
فابراهيم صادق ولكنه لما كان الانبياء لقرب محلهم واصطفائهم عد هذا ذنبا ولهذا قال والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقد مضي هذا كله مبينا والحمد لله وقيل اراد سقم النفس
لكفركم والنجوم يكون جمع نجم ويكون واحدا مصدرا قوله تعالى **فراغ الي آلهتهم فقال**
الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين قال السدي ذهب اليهم وقال

ابو مالك جاء اليهم وقال قتادة مال اليهم وقال الكلبي اقبل عليهم وقيل عدل والمعني متقارب
راغ يروغ روغا وروغانا اذا مال وطريق رائغ اي مائل وقال الشاعر

ويريك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

فقال الا تاكلون فخاطبها كما يخاطب من يعقل لانهم انزلوها بتلك المنزلة وكذا ما لكم لا تنطقون
قيل كان بين ايدي الاصنام طعام تركوه ليأكلوه اذا رجعوا من العيد وانما تركوه لتصيبه بركة اصنامهم
بزعمهم وقيل تركوه للسدنة وقيل قرب هو اليها طعاما علي جهة الاستهزاء فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون
فراغ عليهم ضربا باليمين خص الضرب باليمين لانها اقوي والضرب بها اشد قاله الضحاك والربيع بن انس
وقيل المراد باليمين اليمين التي حلفها حين قال وتالله لاكيدن اصنامكم وقال الفرا وثعلب ضربا
بالقوة واليمين القوة وقيل بالعدل واليمين ها هنا العدل ومنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين اي بالعدل فالعدل لليمين والجور للشمال الا تري ان العدو عن الشمال والمعاصي
عن الشمال والطاعة عن اليمين ولذلك قال انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الطاعات فاليمين
هو موضع العدل من المسلم والشمال موضع الجور الا تري انه بايع الله بيمينه يوم الميثاق فالبيعة باليمين
فلذلك يعطي كتابه غدا بيمينه لانه وفي بالبيعة ويعطاه الناكث للبيعة والهارب برقبته من الله
بشماله لان الجور هناك فقوله فراغ عليهم ضربا باليمين اي بذلك العدل الذي كان بايع الله عليه يوم
الميثاق ثم وفا له ها هنا فجعل تلك الاوثان جذاذا اي فتاتا كالجذيذة وهي السويق وليس من قبل
القوة قاله الترمذي الحكيم فاقبلوا اليه يزفون قرا حمزة يزفون بضم اليا الباقون بفتحها اي يسرعون
قاله ابن زيد قتادة يمشون وقيل المعني يمشون بجمعهم علي مهل آمنين ان يصيب احد آلهتهم بسوء وقيل
المعني يتسللون تسللا بين المشي والعدو ومنه رفيف النعامة وقال الضحاك يسعون وحكي
يحيى بن سلام يرعدون غضبا وقيل يختالون وهو مشي الخيلاء قاله مجاهد ومنه اخذ زفاف العروس
الي زوجها وقال

وجاء قريع الشول قبل افالها ... يزف وجاءت خلفه وهي زفف

ومن قرا يزفون فمعناه يزفون غيرهم اي يحملونهم علي التزفيف وعلي هذا فالمفعول محذوف قال
الاصمعي ازففت الابل اي حملتها علي ان تزف وقيل هما لغتان يقال زف القوم وازفوا وزففت العروس
وازففتها وازدففتها بمعني والمزفة المحفة التي تزف فيها العروس حكي ذلك عن الخليل النحاس يزفون
بضم اليا زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفرا وشبهها بقولهم
اطردت الرجل اي صيرته الي ذلك وطردته نحيته وانشد هو وغيره

تمني حصين ان يسود جذاعة ... فامسي حصين قد اذل واقهرا

اي صير الي ذلك فكذلك يزفون يصيرون الي الزفيف قال مجاهد الزفيف الاسراع وقال ابو اسحاق
اول عدو النعام وقال ابو حاتم وزعم الكسائي ان قوما قرؤوا فاقبلوا اليه يزفون خفيفة وزف
يزف مثل وزن يزن قال النحاس فهذه حكاية ابي حاتم وابو حاتم لم يسمع من الكسائي شيئا وروي الفرا
وهو صاحب الكسائي عن الكسائي انه لا يعرف يزفون مخففة قال الفرا وانا لا اعرفها قال ابو اسحق
وقد عرفها غيرهما وزف يزف اذا اسرع قال النحاس ولا نعلم احدا قرا يزفون قال الشيخ هي قراءة عبد
الله بن مسعود زيد فيما ذكر المهدوي الزمخشري ويزفون علي البنا للمفعول ويزفون من زفاه اذا حداه
كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه وذكر الثعلبي عن الحسن ومجاهد وابن السميقع يرقون بالراء من رقيف
النعام وهو ركض بين المشي والطيران قوله تعالى **قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم**
وما تعملون فيه حذف اي قالوا من فعل هذا بآلهتنا فقال محتجا اتعبدون ما تنحتون اي اتعبدون
اصناما انتم تنحتونها بايديكم والنحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية
والمنحت ما ينحت به والله خلقكم وما تعملون ما في موضع نصب اي وخلق ما تعملونه من الاصنام يعني
الخشب والحجارة وغيرهما كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل ان ما استفهام ومعناه
التحقير لعملهم وقيل هي نفي والمعني وما تعملون ذلك لكن الله خالقه والاحسن ان تكون ما مع الفعل
مصدرا والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا هو مذهب اهل السنة ان الافعال خلق لله عز وجل
واكتساب للعباد وفي هذا ابطال مذهب القدرية والجبرية وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه

القلب السليم

علم النجوم

وسلم ان الله صنع كل صانع وصنعته فهو الخالق وهو الصانع سبحانه وقد بيناهما في الكتاب الاسنى في
شرح اسما الله الحسنى قوله تعالى وقالوا ابنوا له بنيانا اي تشاوروا في امره لما غلبهم بالحجة حسب ما تقدم
في الانبيا بيانه فقالوا ابنوا له بنيانا تملونه حطبا فتضرمونه ثم القوه فيه وهو الجحيم قال ابن عباس
بنوا حائطا من حجارة طوله في السما ثلاثون ذراعا وملوه نارا وطرحوه فيها وقال عبد الله بن عمرو
بن العاص فلما صار في البنيان قال حسبي الله ونعم الوكيل والالف واللام في الجحيم تدل على الكناية
اي في جحيمه اي في جحيم ذلك البنيان وذكر الطبري ان قايل ذلك اسمه الهيون رجل من اعراب فارس
وهم الترك وهو الذي جا فيه الحديث بينما رجل يمشي في حلة له يتبختر خسف به فهو يتجلجل في الارض
الي يوم القيامة والله اعلم فارادوا به كيدا اي بابراهيم والكيد المكر اي احتالوا لاهلاكه فجعلناهم
الاسفلين المقهورين المغلوبين اذ انفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ فيه مكرهم ولا
كيدهم **قوله تعالى** وقال اني ذاهب الى ربي فيه مسالتان **الاولى** هذه الاية اصل
في الهجرة والعزلة واول من فعل ذلك ابراهيم وذلك حين خلصه الله تعالى من النار قال اني ذاهب الى ربي
اي مهاجر من بلد قومي ومولدي الي حيث اتمكن من عبادة ربي فانه سيهدين فيما نويت الى الصواب
قال مقاتل هو اول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة الى الارض المقدسة وهي ارض الشام وقيل ذاهب
بعملي وعبادتي وقلبي ونيتي فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن وقد مضى بيان هذا في الكهف مستوفا
وعلى الاول بالمهاجرة الى الشام وبيت المقدس وقيل خرج الى حران فاقام بها مدة ثم قيل قال ذلك
لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخا لهم وقيل قاله لمن هاجر معه من اهله فيكون ذلك منه ترغيبا
وقيل قال هذا قبل القايه في النار وفيه على هذا القول تاويلان احدهما اني ذاهب الى ما قضاه علي
ربي الثاني اني ميت كما يقال لمن مات قد ذهب الى الله تعالى لانه تصور عليه السلام انه يموت بالقايه
في النار على المعهود من حالها في تلف ما يلقى فيها الى ان قيل لها كوني بردا وسلاما فحينئذ سلم ابراهيم منها وفي
قوله سيهدين على هذا القول تاويلان احدهما سيهدين الى الخلاص منها الثاني الى الجنة وقال
سليمان ابن صرد وهو ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لما ارادوا القا ابراهيم في النار جعلوا
يجمعون له الحطب فجعلت المراة العجوز تحمل على ظهرها وتقول اذهب به الى هذا الذي يذكر الهتنا
فلما ذهب به ليطرح في النار قال اني ذاهب الى ربي فلما طرح في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال
الله يا نار كوني بردا وسلاما فقال ابو لوط وكان ابن عمه ان النار لم تحرقه من اجل قرابته مني فارسل الله
عنقا من النار فاحرقه **الثانية** قوله تعالى رب هب لي من الصالحين لما عرفه الله تعالى انه مخلصه دعا
الله ليعضده بولد يانس به في غربته وقد مضى هذا في ال عمران وفي الكلام حذف اي هب لي ولدا
صالحا من الصالحين وحذف هذا كثير قال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم اي انه يكون حليما في كبره
فكانه بشر ببقاء ذلك الولد لان الصغير لا يوصف بذلك وكانت البشرى على السنة الملايكة كما
تقدم في هود وياتي في الذاريات **قوله تعالى** فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام
الاية فيه ستة عشر مسالة **الاولى** قوله تعالى فلما بلغ معه السعي اي فوهبنا له غلاما فلما بلغ معه المبلغ
الذي يسعى مع ابيه في امور دنياه معينا له على اعماله قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقال مجاهد فلما
بلغ معه السعي اي شب وادرك سعيه سعي ابراهيم وقال الفرا كان يومئذ ابن ثلاث عشرة
سنة وقال ابن عباس هو الاحتلام قتادة مشى مع ابيه الحسن ومقاتل هو سعي العقل الذي تقوم به الحجة
ابن زيد هو السعي في العبادة ابن عباس صام وصلى الم تسمع الله عز وجل يقول وسعى لها سعيها وهو مومن
واختلف العلما في الماموز بذبحه فقال اكثرهم الذبيح اسحاق وممن قال ذلك العباس بن عبد المطلب
وابنه عبد الله وهو الصحيح عنه روى الثوري وابن جريج يرفعانه عن ابن عباس قال الذبيح اسحق وهو الصحيح
عن عبد الله بن مسعود ان رجلا قال له انا ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذلك يوسف بن يعقوب
بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وقد روى عن حماد بن زيد يرفعه الى رسول الله قال ان الكريم بن
الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وروى ابو الزبير عن جابر قال الذبيح اسحق وذلك
مروي ايضا عن علي بن ابي طالب وعن عبد الله بن عمر ان الذبيح اسحاق وهو قول عمر فهولا سبعة
من الصحابة ومن التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة

كتاب الاسنى في شرح اسماء الحسنى

المراة العجوز

وسروق

ومسروق وعكرمة والقاسم ابن ابي بزة وعطا ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد
الله بن ابي الهذيل ومالك بن انس كلهم قالوا الذبيح اسحق وعليه اهل الكتابين اليهود والنصارى
واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما قال سعيد بن جبير اري ابراهيم ذبح اسحق في المنام
فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما صرف الله عنه الذبح وامره ان يذبح الكبش
فذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال وقال اخرون هو اسمعيل وممن قال
ذلك ابو هريرة وابو الطفيل عامر بن واثلة وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس ايضا ومن التابعين سعيد
بن المسيب والشعبي ويوسف ابن مهران ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي
وعلقمة وسيل ابو عبيد الضرير عن الذبيح فانشد

ان الذبيح هديت اسمعيل	نطق القران بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا	وانا به التفسير والتاويل

وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح فقال يا اصمعي ابن عزب عنك عقلك ومتى كان
اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وروي عن النبي عم
ان الذبيح اسماعيل والاول اكثر عن النبي وعن الصحابة وعن التابعين واحتجوا بان الله قد اخبر
عن ابراهيم حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع امراته سارة وابن اخيه فقال اني ذاهب الى ربي
سيهدين ثم انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين فقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب ولان الله تعالى قال وفديناه بذبح عظيم فذكر انه في الغلام الحليم
الذي بشر به ابراهيم وانما بشر به اسحق لانه قال فبشرناه باسحق وقال هنا فبشرناه بغلام حليم وذلك
قبل ان يعرف هاجر وقيل ان يصير له اسمعيل وليس في القران انه بشر بولد الا اسحاق احتج من قال
انه اسمعيل بان الله وصفه بالصبر دون اسحاق في قوله واسمعيل واسحق وذا الكفل كل من الصابرين
وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على
الذبح فوفى به ولان الله تعالى قال فبشرناه باسحاق نبيا فكيف يامره بذبحه وقد وعده انه يكون نبيا
وايضا قال فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يومر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد في يعقوب
وايضا ورد في الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على ان الذبيح اسماعيل ولو كان اسحاق لكان
الذبح يقع ببيت المقدس وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع اما قولهم كيف يامره بذبحه وقد وعده
ان يكون نبيا فانه يحتمل ان يكون المعنى وبشرناه بنبوته بعد ان كان من امره ما كان قاله ابن عباس وسيا
ولعله امر بذبح اسحاق بعد ان ولد لاسحق يعقوب او يقال لم يرد في القران ان يعقوب يولد له من اسحق
واما قولهم ولو كان الذبيح اسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير
على ما تقدم وقال الزجاج الله اعلم ايهما الذبيح وهذا مذهب ثالث **الثانية** قوله تعالى يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال مقاتل راى ذلك ابراهيم ثلاث ليال متتابعات وقال محمد بن
كعب كانت الرسل ياتيهم الوحي من الله ايقاظا ورقودا فان الانبيا لا تنام قلوبهم وهذا ثابت في الخبر
المرفوع قال رسول الله عم انا معشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا وقال ابن عباس رويا الانبيا
حق واستدل عليه بهذه الاية وقال السدي لما بشر ابراهيم باسحاق قبل ان يولد له قال هو اذا ذبيح الله
فقيل له في منامه قد نذرت نذرا فف بنذرك ويقال ان ابراهيم راى في ليلة التروية كان قايلا يقول
له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى في نفسه اي فكر اهذا الحلم من الله او من الشيطان فسمي يوم
التروية فلما كانت الليلة الثانية راى ذلك ايضا وقيل له الوعد فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي
يوم عرفة ثم راى في الليلة الثالثة مثله فهم بنحره فسمي يوم النحر وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر
فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وقد اختلف
الناس في وقوع هذا الامر وهي **الثالثة** فقال اهل السنة ان نفس الذبح لم يقع وانما وقع الامر بالذبح
قبل ان يقع الذبح ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل لانه لو حصل الفراغ من امتثال
الامر بالذبح ما تحقق الفدا وقوله تعالى قد صدقت الرويا اي حققت ما نبهناك عليه وفعلت ما
امكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا اصح ما قيل به في هذا وقالت طايفة ليس هذا مما ينسخ

بوجه لان معنى ذعت الشيء قطعته واستدل على هذا بقول مجاهد قال اسحق لابراهيم لا تنظر الي فترحمني
ولكن اجعل وجهي الى الارض فاخذ ابراهيم السكين فامرها على حلقه فانقلبت فقال له ما لك قال
انقلبت السكين فقال اطعني بها طعنا وقال بعضهم كان كلما قطع جزا التام وقالت طايفة وجد حلقه
نحاسا او مغشيا بنحاس وكان كلما اراد قطعا وجد منعا وهذا كله جايز في القدرة الالهية لكنه
يفتقر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما طريقه الخبر وان كان قد جرى ذلك لبينه الله تعالى
تعظيما لرتبة اسماعيل وابراهيم وكان اولى بالبيان من الفدا وقال بعضهم ان ابراهيم ما امر بالذبح
الحقيقي الذي هو فري الاوداج وانهار الدم وانما راى انه اضجعه للذبح فتوهم انه امر بالذبح الحقيقي
فلما اتى بما امر به من الاضجاع قيل له قد صدقت الرويا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل
والذبيح ان يفهما من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وايضا لو صحت هذه الاشيا
لما احتيج الى الفدا **الرابعة** قوله تعالى فانظر ماذا ترى قرا اهل الكوفة غير عاصم ماذا تري بضم التا
وكسر الراي من ارى ترى قال الفرا فانظر ماذا تري من صبرك وجزعك قال الزجاج لم يقل هذا احد
غيره وانما قال العلما ماذا تشير اي ماذا تريك نفسك من الراي وانكر ابو عبيدة تري وقال انما يكون
هذا من روية العين خاصة وكذا قال ابو حاتم النحاس وهذا غلط وهذا يكون من روية العين وغيرها وهو
مشهور يقال اريت فلانا الصواب وارينه رشده وهذا ليس من روية العين الباقون ترى مضارع
رايت وقد روي عن الضحاك والاعمش ترى غير مسمى الفاعل ولم يقل له ذلك على جهة المؤامرة في امر الله
وانما شاوره ليعلم صبره لامر الله ولتقر عينه اذا راى من ابنه طاعة الله في امر الله قال يا ابت افعل ما
تومر اي ما تومر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فوصل الفعل الى الضمير
فصار تومره ثم حذفت الهاء كقوله وسلام على عباده الذين اصطفى اي اصطفاهم على ما تقدم وما معنى
الذي ستجدني ان شا الله من الصابرين قال بعض اهل الاشارة لما استثنى وفقه الله للصبر وقد مضى الكلام
في يا ابت وكذلك في يا بني في يوسف وغيرها **الخامسة** قوله تعالى فلما اسلما اي انقادا لامر الله وقرا ابن
مسعود وابن عباس وعلي فلما اسلما اي فوضا امرهما الى الله وقال ابن عباس استسلما وقال قتادة اسلم احدهما
نفسه لله عز وجل واسلم الاخر ابنه وتله للجبين قال قتادة كبه وحول وجهه الى القبلة وجواب لما محذوف
عند البصريين تقديره فلما اسلما وتله للجبين فديناه بكبش وقال الكوفيون ناديناه والواو زايدة مقحمة كقوله
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه اي اوحينا وقوله وهم من كل حدب ينسلون واقترب
اي اقترب وقوله فلما جاوها وفتحت ابوابها وقال اي قال لهم وقال امرو القيس

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ... اي انتحى والواو زايدة وقال

حتى اذا احملت بطونكم ... ورايتم ابناكم شبوا
وقلبتم ظهر المجن لنا ... ان اللييم الفاجر الخب

اراد قلبتم وقال النحاس الواو من حروف العطف لا يجوز ان يزاد في الخبر ان الذبيح قال لابراهيم حين اراد ذبحه
يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها شي من دمي فتراه امي فتحزن
واسرع مر السكين على حلقي ليكون الموت اهون علي واقذفني للوجه لئلا تنظر الى وجهي فترحمني ولئلا
انظر الى الشفرة فاجزع فاذا اتيت امي فاقرها مني السلام فلما جز ابراهيم السكين ضرب الله عليه صفيحة
من نحاس فلم تعمل السكين شيا ثم ضربه على جبينه وحز في قفاه فلم تعمل السكين شيا فذلك قوله وتله
للجبين كذلك قال ابن عباس معناه كبه على جبهته فنودي يا ابراهيم قد صدقت الرويا فالتفت فاذا
بكبش ذكره المهدوي وقد تقدمت الاشارة الى عدم صحته وان المعنى لما اعتقد الوجوب وتهيا للعمل هذا
بهيئة الذبح وهذا بصورة المذبوح اعطيا محلا للذبح فدا ولم يكن هناك مر سكين وعلى هذا يتصور النسخ
قبل الفعل على ما تقدم والله اعلم قال الجوهري وتله للجبين اي صرعه كما تقول كبه لوجهه الهروي التل
الدفع والصرع ومنه حديث ابي الدردا وتركوك لمتلك اي لمصرعك وفي حديث اخر فجاء بناقة كوما فتلها
اي اناخها وفي الحديث بينا انا نايم اوتيت بمفاتيح خزاين الارض فتلت في يدي قال ابن الانباري اي
فالقيت في يدي يقال تللت الرجل اذا القيته وقال ابن الاعرابي فصبت في يدي والتل الصب
يقال تل يتل اذا صب وتل يتل اذا سقط **قلت** وفي صحيح مسلم عن سهيل بن سعد ان رسول الله اتي

فتراه امي فتحزن

بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره اشياخ فقال للغلام اتاذن لي ان اعطي هولا فقال
الغلام لا اوثر بنصيبي منك احدا فتله رسول الله في يده يريد جعله في يده وقال بعض اهل الاشارة
ان ابراهيم ادعى محبة الله ثم نظر الى الولد بالمحبة فلم يرض حبيبه محبة مشتركة فقيل له يا ابراهيم اذبح
ولدك في مرضاتي فشمر واخذ السكين واضجع ولده ثم قال اللهم تقبله مني في مرضاتك فاوحى الله اليه
يا ابراهيم لم يكن المراد ذبح الولد وانما المراد ان ترد قلبك الينا فلما رددت قلبك الينا بكليته رددنا ولدك
اليك وقال كعب وغيره لما اري ابراهيم ذبح ولده في منامه قال الشيطان والله لين لم افتن عند هذا ال ابراهيم
لا افتن منهم احدا فتمثل الشيطان لهم في صورة الرجل ثم اتى ام الغلام وقال اتدرين اين يذهب ابراهيم
بابنك قالت لا قال انه يذهب به ليذبحه قالت كلا هو اراف به من ذلك فقال انه يزعم ان ربه امره
بذلك قالت فان كان ربه قد امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه ثم اتى الغلام فقال اتدري اين يذهب بك
ابوك قال لا قال فانه يذهب بك ليذبحك قال ولم قال زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره الله به
سمعا وطاعة لامر الله ثم جا ابراهيم فقال اين تريد والله اني لاظن ان الشيطان قد جاءك في منامك
فامرك بذبح ابنك فعرفه ابراهيم فقال اليك عني يا عدو الله لامضين لامر ربي فلم يصب الملعون منهم
شيا وقال ابن عباس لما امر ابراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم مضى ابراهيم لامر الله تعالى واختلف
في الموضع الذي اراد ذبحه فيه فقيل بمكة في المقام وقيل في المنحر بمنى عند الجمار التي رمى بها ابليس قاله ابن عباس
وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب وحكي عن سعيد بن جبير انه ذبحه على الصخرة التي باصل
ثبير بمنى وقال ابن جريج ذبحه بالشام وهو من بيت المقدس على ميلين والاول اكثر فانه ورد في
الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل انه ذبح بمكة وقال ابن عباس فوالذي نفسي بيده لقد كان اول
الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه من الميزاب ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس اجاب من قال ان الذبح
وقع بالشام لعل الراس حمل من الشام الى مكة والله اعلم **السادسة** قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين
اي نجزيهم بالخلاص من الشدايد في الدنيا والاخرة ان هذا لهو البلاء المبين اي النعمة الظاهرة يقال
ابلاه الله ابلاء وبلاء اذا انعم عليه وقد يقال بلاه قال زهير

فزعم قوم انه جاء باللغتين وقال اخرون ... بلاهما خير البلاء الذي يبلو

بل الثاني من بلاه يبلوه اذا اختبره ولا يقال من الاختبار الا بلاه يبلوه ولا يقال من الابتلاء يبلوه
واصل هذا كله من الاختبار ان يكون بالخير والشر قال الله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال
ابو زيد هذا في البلاء الذي نزل به في ان يذبح ابنه قال وهذا من البلاء المكروه قوله تعالى وفديناه
بذبح عظيم الذبح اسم المذبوح وجمعه ذبوح كالطحن اسم المطحون والذبح بالفتح اسم المصدر وعظيم اي عظيم القدر
ولم يرد عظيم الجثة وانما عظم قدره لانه فدي به الذبيح او لانه متقبل قال النحاس عظيم في اللغة يكون
للكبير والشريف واهل التفسير على انه هاهنا الشريف او المتقبل وقال ابن عباس هو الكبش الذي
تقرب به هابيل وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله به اسماعيل وعنه ايضا انه كبش ارسله الله من الجنة كان قد
رعى في الجنة اربعين خريفا وقال الحسن ما فدي اسماعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير فذبحه
ابراهيم فدا عن ابنه وهذا قول علي رضي الله عنه فلما راه ابراهيم اخذه فذبحه واعتنق ابنه وقال
يا بني اليوم وهبت لي وقال ابو اسحاق الزجاج قد قيل انه فدي بوعل والوعل التيس الجبلي واهل التفسير
على انه فدي بكبش **السابعة** في هذه الاية دليل على ان الاضحية بالغنم افضل من الابل والبقر وهذا
مذهب مالك واصحابه قالوا افضل الضحايا الفحول من الضان واناث الضان خير من فحول المعز
وفحول المعز خير من اناثها واناث المعز خير من الابل والبقر وحجتهم قوله سبحانه وفديناه بذبح عظيم
اي ضخم الجثة سمين وذلك كبش لا جمل ولا بقرة وروي مجاهد وغيره عن ابن عباس انه ساله رجل اني نذرت
ان انحر ابني فقال يجزيك كبش سمين ثم قرا وفديناه بذبح عظيم وقال بعضهم لو علم الله حيوانا افضل
من الكبش لفدى به اسحاق وضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين واكثر ما ضحى به الكباش
وذكر ابن ابي شيبة عن ابن علية عن ليث عن مجاهد قال الذبح العظيم الشاة **الثامنة** واختلفوا ايما
افضل الاضحية او الصدقة بثمنها فقال مالك واصحابه الضحية افضل الا بمنى لانه ليس موضع الضحية

فضيلة الضحية

حكاه ابو عمر وقال ابن المنذر روينا عن بلال انه قال ما ابالي ان لا اضحي الا بديك ولان اضعه في يتيم قد ترب فيه هكذا قال المحدث احب الي من اضحي به وهذا قول الشعبي ان الصدقة افضل وبه قال مالك وابو ثور وفيه قول ثان وهو ان الضحية افضل هذا قول ربيعة وابي الزناد وبه قال اصحاب الراي زاد ابو عمر واحمد بن حنبل قالوا الضحية افضل من الصدقة لان الصدقة سنة وكيدة كصلاة العيد ومعلوم ان صلاة العيد افضل من سائر النوافل وكذلك صلوات السنن افضل من التطوع كله قال ابو عمر وقد روي في فضل الضحايا اثار حسان فمنها ما رواه سعيد بن داود بن ابي زبير عن مالك عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفقة بعد صلة الرحم افضل عند الله من اهراق الدم قال ابو عمر وهو حديث غريب من حديث مالك وعن عايشة قالت يا ايها الناس ضحوا وطيبوا انفسا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد توجه باضحيته الى القبلة الا كان دمها وفرثها وصوفها حسنات محضرات في ميزانه يوم القيامة فان الدم ان وقع في التراب فانما يقع في حرز الله حتى يوفيه صاحبه يوم القيامة ذكره ابو عمر وفي كتاب التمهيد وخرجه الترمذي ايضا منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ادمي من عمل يوم النحر احب الى الله من اهراق الدم انه لتاتي يوم القيامة بقرونها واشعارها واظلافها وان الدم ليقع عند الله بمكان قبل ان يقع على الارض فطيبوا بها نفسا قال وفي الباب عن عمران بن حصين وزيد بن ارقم وهذا حديث حسن **التاسعة** الضحية ليست بواجبة ولكنها سنة ومعروف وقال عكرمة كان ابن عباس يبعثني يوم الاضحى بدرهمين اشتري له لحما ويقول من لقيت فقل هذه اضحية ابن عباس قال ابو عمر ومحمل هذا وما روي عن ابي بكر وعمر انهما لا يضحيان عند اهل العلم ليلا يعتقد فيها للمواظبة عليها انها واجبة فرض وكانوا ائمة يقتدي بهم من بعدهم ممن ينظر في دينه اليهم لانهم الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين امته فساغ لهم من الاجتهاد في ذلك ما لا يسوغ اليوم لغيرهم وقد حكى الطحاوي في مختصره قال ابو حنيفة الاضحية واجبة على المقيمين الواجدين من اهل الامصار ولا تجب على المسافر قال ويجب على الرجل من الاضحية على ولده الصغير مثل الذي يجب عليه عن نفسه وخالفه ابو يوسف ومحمد فقالا ليست بواجبة ولكنها سنة غير مرخص لمن وجد السبيل اليها في تركها قال وبه ناخذ قال ابو عمر وهذا قول مالك قال لا ينبغي لاحد تركها مسافرا كان او مقيما فان تركها فبيس ما صنع الا ان يكون له عذر الا الحاج بمنى وقال الشافعي هي سنة على جميع الناس وعلى الحاج بمنى وليست بواجبة وقد احتج من اوجبها بان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابا بردة بن نيار ان يعيد ضحية اخرى لان ما لم يكن فرضا لم يومر به بالاعادة احتج الاخرون بحديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل العشر واراد احدكم ان يضحي قالوا فلو كان كذلك واجبا لم يجعل ذلك الى الارادة المضحي وهو قول ابي بكر وعمر وابي مسعود البدري وبلال **العاشرة** والذي يضحى به باجماع المسلمين الازواج الثمانية وهي الضان والمعز والابل والبقر قال ابن المنذر وقد حكي عن الحكم بن صالح انه قال يضحى ببقرة الوحش عن سبعة وبالظبي عن رجل وقال الشافعي لو نزا ثور وحشي ببقرة انسية او ثور انسي ببقرة وحشية لا يجوز شي من هذا اضحية وقال اصحاب الراي جايز لان ولدها بمنزلة امه وقال ابو ثور يجوز اذا كان منسوبا الى الانعام **الحادية عشرة** قد مضى في سورة الحج الكلام في وقت الذبح والاكل من الاضحية مستوفا وفي صحيح مسلم عن انس قال ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما في رواية ويقول بسم الله والله اكبر وقد مضى في اخر الانعام حديث عمران بن حصين ومضى في المايدة القول في التذكية وبيانها وما يذكى به وان ذكاة الجنين ذكاة امه مستوفي وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بكبش اقرن يطا في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد فاتي به ليضحي به فقال لها يا عايشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به وقد اختلف العلماء في هذا فكان الحسن البصري يقول في الاضحية بسم الله والله اكبر هذا منك ولك تقبل من فلان وقال مالك ان فعل ذلك فحسن وان لم يفعل وسمى الله اجزاه وقال الشافعي والتسمية على الذبيحة بسم الله فان زاد بعد ذلك شيا من ذكر الله او صلى على محمد عم لم اكرهه وقال اللهم تقبل مني او قال تقبل من فلان فلا باس وقال النعمان يكره

ان يذكر مع اسم الله غيره ويكره ان يقول اللهم تقبل من فلان عند الذبح ولا باس اذا كان قبل التسمية وقبل ان يضجع للذبح وحديث عايشة يرد هذا القول وقد تقدم ان ابراهيم عليه السلام قال لما اراد ذبح ابنه الله اكبر والحمد لله فبقي سنة **الثانية عشرة** روي البرا ابن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل ماذا يتقي من الضحايا فاشار بيده وقال اربع وكان البرا يشير بيده ويقول يدي اقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم العرجا البين ضلعها والعورا البين عورها والمريضا البين مرضها والعجفا التي لا تنقي لفظ مالك لا اختلاف فيه واختلف في اليسير من ذلك وفي الترمذي عن علي رض قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن وان لا يضحى بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقا ولا خرقا قال والمقابلة ما قطع طرف اذنها والمدابرة ما قطع من جانب الاذن والشرقا المشقوقة والخرقا المثقوبة قال هذا حديث حسن صحيح وفي الموطا عن نافع ان عبد الله بن عمر كان يتقي من الضحايا والبدن التي لم تسنن والتي نقص من خلقها قال مالك وهذا احب ما سمعت الي قال القتبي لم تسنن اي لم تنبت اسنانها كانها لم تعط اسنانا وهذا كما يقال فلان لم تلبن اي لم نعط لبنا ولم يسمن اي لم يعط سمنا ولم يعسل اي لم يعط عسلا وهذا مثل النهي في الاضاحي عن الهتما قال ابو عمر ولا باس ان يضحى عند مالك بالشاة الهتما اذا كان سقوط اسنانها من الكبر والهرم وكانت سمينة فان كانت ساقطة الاسنان وهي فتية لم يجز ان يضحى بها لانه عيب غير خفيف والنقصان كله يكره وشرحه وتفصيله في كتب الفقه وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم استفرهوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم ذكره الزمخشري **الثالثة عشرة** ودلت الاية على ان من نذر نحر ابنه او ذبحه انه يفديه بكبش كما فدي به ابراهيم ابنه قال ابن عباس وعنه رواية اخرى ينحر مائة من الابل كما فدي به عبد المطلب ابنه روي الروايتين عنه الشعبي وروي عنه القاسم بن محمد يجزيه كفارة يمين وقال مسروق لا شي عليه وقال الشافعي هو معصية يستغفر الله منها وقال ابو حنيفة هي كلمة يلزمه بها في ولده ذبح شاة ولا يلزمه في غير ولده شي وقال محمد عليه في الحلف بنحر عبده مثل الذي عليه في الحلف بنحر ولده اذا حنث وذكر ابن عبد الحكم عن مالك فيمن قال انا انحر ولدي عند مقام ابراهيم في يمين ثم حنث فعليه هدي قال ومن نذر ان ينحر ابنه ولم يقل عند مقام ولا اراده فلا شي عليه قال ومن جعل ابنه هديا اهدي عنه قال القاضي ابن العربي يلزمه شاة كما قال ابو حنيفة لان الله تعالى جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح الشاة شرعا فالزم الله ابراهيم ذبح الولد واخرجه عنه بذبح شاة وكذلك اذا نذر العبد ذبح ولده يلزمه ان يذبح شاة لان الله تعالى قال ملة ابيكم ابراهيم والايمان التزام اصلي والنذر التزام فرعي فيجب ان يكون محمولا عليه فان قيل فكيف يومر ابراهيم بذبح الولد وهي معصية والامر بالمعصية لا يجوز قلنا هذا اعتراض على كتاب الله تعالى ولا يكون ذلك ممن يعتقد الاسلام فكيف بمن يفتي عن الحلال والحرام وقد قال الله تعالى افعل ما تومر والذي يجلوا الالتباس عن قلوب الناس في ذلك ان المعاصي والطاعات ليست باوصاف ذاتية للاعيان وانما الطاعات عبارة عما تعلق به الامر من الافعال والمعصية عبارة عن ما تعلق به النهي من الافعال فلما تعلق الامر بذبح الولد اسمعيل من ابراهيم صار طاعة وابتلاء ولهذا قال الله تعالى ان هذا لهو البلاء المبين في الصبر على ذبح الولد والنفس ولما تعلق النهي بنا في ذبح ابنائنا صار معصية فان قيل كيف يصير نذرا وهو معصية قلنا انما يكون معصية لو كان يقصد ذبح الولد بنذره ولا ينوي الفدا فان قيل فلو وقع ذلك وقصد المعصية ولم ينو الفدا قلنا لو قصد ذلك لم يضره في قصده ولا اثر في نذره لان ذبح الولد صار عبارة عن ذبح الشاة شرعا **الرابعة عشرة** قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي على ابراهيم ثناء جميلا في الامم بعده فما من امة الا تصلي عليه وتحبه وقيل هو دعا ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقال عكرمة هو السلام على ابراهيم اي سلاما منا وقيل سلامة له من الافات مثل سلام على نوح في العالمين حسب ما تقدم وكذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين اي من الذين اعطوا العبودية حقها حتى استحقوا الاضافة الى الله تعالى **الخامسة عشرة** قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين قال ابن عباس بشر بنبوته وذهب الى ان البشارة كانت مرتين فعلى هذا الذبيح هو اسحاق بشر بنبوته جزاء على صبره ورضاه بامر ربه واستسلامه له وباركنا عليه وعلى اسحق اي ثنينا عليهما النعمة وقيل كثرنا ولدهما اي باركنا على ابراهيم وعلى اولاده وعلى اسحاق حين اخرج انبيا بني اسرايل

من صلبه وقد قيل ان الكناية في عليه تعود على اسمعيل وانه هو الذبيح قال المفضل الصحيح الذي نزل عليه القران انه اسماعيل وذلك انه قص قصة الذبيح فلما قال في اخر القصة وفديناه بذبح عظيم ثم قال سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين قال وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه اي على اسمعيل وعلى اسحق كنى عنه لانه تقدم ذكره ثم قال ومن ذريتهما فدل على انهما ذريته اسماعيل واسحاق وليس تختلف الرواة في ان اسماعيل كان اكبر من اسحاق بثلاث عشرة سنة قلت قد ذكرنا اولا ما يدل على ان اسحاق اكبر من اسماعيل وان المبشر به هو اسحاق بنص التنزيل فاذا كانت البشارة باسحاق نصا فالذبيح لاشك هو اسحاق وبشر به ابراهيم مرتين الاولى بولادته والثانية بنبوته كما قال ابن عباس ولا تكون النبوة الا في حال الكبر ونبيا نصب على الحال والهاء في باركنا عليه عائدة الى ابراهيم وليس لاسماعيل في الاية ذكر حتى ترجع الكناية اليه واما ما روي من طريق معاوية قال سمعت رجلا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال معاوية ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله ان سهل الله عليه حفرها ليذبحن احد ولده فسهل الله عليه امرها فوقع السهم على عبد الله فمنعه اخواله بنو مخزوم وقالوا افد ابنك ففداه بمائة من الابل وهو الذبيح واسماعيل هو الذبيح الثاني فلا حجة فيه لان سنده لا يثبت على ما ذكرنا في كتاب الاعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام ولان العرب تجعل العم ابا قال الله تعالى نعبد الهك واله اباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق وقال الله تعالى ورفع ابويه على العرش وهما ابوه وخالته وكذلك ما روي عن الشاعر الفرزدق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لو صح اسناده فكيف والفرزدق في نفسه مقال

السادسة عشرة قوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه لما ذكر البركة في الذرية والكثرة قال منهم محسن ومنهم مسيء وان المسيء لا ينفعه بنوة النبوة فاليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحق والعرب وان كانوا من ولد اسماعيل فلا بد من الفرق بين المحسن والمسيء والمومن والكافر وفي التنزيل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية اي ابناء رسل الله فراوا لانفسهم فضلا وقد تقدم قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهرون لما ذكر انجا اسحاق من الذبح وما من عليه بعد من النبوة ذكر ما من به ايضا على موسى وهرون من ذلك وقوله من الكرب العظيم قيل من الرق الذي لحق بني اسرائيل وقيل من الغرق الذي لحق فرعون ونصرناهم قال الفرا لموسى وهرون وحدهما وهذا على ان الاثنين جمع له قوله واتيناهما وهديناهما وقيل الضمير لموسى وهرون وقومهما وهذا هو الصواب لان قبله ونجيناهما وقومهما والكتاب المستبين التوراة يقال استبان كذا اي صار بينا واستبانه فلان مثل تبين الشي بنفسه وتبينه فلان والصراط المستقيم الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام وتركنا عليهما في الاخرين يريد الثنا الجميل سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين تقدم قوله وان الياس لمن المرسلين قال المفسرون الياس نبي من بني اسرائيل وروي عن ابن مسعود قال واسرايل هو يعقوب والياس هو ادريس وقرا وان ادريس وقال عكرمة وقال هو من مصحف عبد الله وان ادريس لمن المرسلين وانفرد بهذا القول وقال ابن عباس هو عم اليسع وقال ابن اسحاق وغيره كان القيم بامر بني اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل عظمت الاحداث في بني اسرائيل ونسوا عهد الله وعبدوا الاوثان من دونه فبعث الله اليهم الياس نبيا وتبعه اليسع وامن به فلما عتا عليه بنو اسرائيل ان يريحه منهم فقيل له اخرج يوم كذا وكذا الى موضع كذا وكذا فما استقبلك من شي فاركبه ولا تهبه فخرج يوما ومعه اليسع فقال يا الياس ما تامرني فقذف اليه بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك اخر العهد به وقطع الله عن الياس لذة المطعم والمشرب وكساه الريش والبسه النور وطار مع الملائكة فكان انسيا ملكا سمائيا ارضيا قال ابن قتيبة وذلك ان الله تعالى قال لالياس سلني اعطك قال ترفعني وتوخر عني مذاقة الموت فصار يطير مع الملائكة وقال بعضهم كان قد مرض واحس بالموت فبكى فاوحى الله اليه لم تبكي حرصا على الدنيا او جزعا من الموت او خوفا من النار قال لا ولا لشي من هذا وعزتك انما جزعي كيف يحمدك الحامدون بعدي ولا احمدك ويذكرك الذاكرون بعدي ولا اذكرك

ويصوم الصايمون بعدي ولا اصوم ويصلي المصلون ولا اصلي فقيل له يا الياس وعزتي لاخرنك الى وقت لا يذكرني فيه ذاكر يعني يوم القيامة وقال عبد العزيز بن ابي داود ان الياس والخضر عليهما السلام يصومان شهر رمضان في كل عام ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وذكر ابن ابي الدنيا انهما يقولان عند افتراقهما من الموسم ما شا الله ما شا الله ما شا الله لا يسوق الخير الا الله ما شا الله ما شا الله ما شا الله لا يصرف السوء الا الله ما شا الله ما شا الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شا الله ما شا الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل وقد مضى في الكهف وذكر من طريق مكحول عن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابيض الراس واللحية عليه ثياب بيض طوله اكثر من ثلثمائة ذراع فلما نظر الي قال انت رسول النبي قلت نعم قال ارجع اليه واقره مني السلام وقل هذا اخوك الياس يريد لقاءك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما شي من السما يشبه السفرة فدعواني فاكلت معهما فاذا فيها كماة ورمان وكرفس فلما اكلت قمت فتنحيت وجاءت سحابة فاحتملته فاذا انا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوي به فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي هذا الطعام الذي اكلنا من السماء نزل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سالته عنه فقال يأتيني به جبريل في كل اربعين يوما اكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رايته على الجب يملا بالدلو فيشرب وربما سقاني

قوله تعالى اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب ابائكم الاولين اذ قال لقومه يعني لبني اسرائيل الا تتقون يعني الله عز وجل وتخافون عقابه اتدعون بعلا اسم صنم لهم كانوا يعبدونه وبذلك سميت مدينتهم بعلبك قال ثعلب اختلف الناس في قوله عز وجل ها هنا بعلا فقالت طائفة البعل ها هنا الصنم وقالت طائفة البعل ها هنا ملك وقال ابن اسحاق امراة كانوا يعبدونها والاول اكثر وروى الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس اتدعون بعلا قال صنما وروى عطا بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس اتدعون بعلا قال ربا النحاس والقولان صحيحان اي اتدعون صنما عملتموه ربا يقال هذا بعل الدار اي ربها والمعنى اتدعون ربا اختلقتموه واتدعون بمعنى اتسمون حكى ذلك سيبويه وقال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي البعل الرب بلغة اليمن وسمع ابن عباس رجلا من اهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال من بعل هذه اي من ربها ومنه سمي البعل زوجا وقال ابو داود ورايت بعلك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا مقاتل صنم كسره الياس وهرب منهم وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس واهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك كما ذكرنا وتذرون احسن الخالقين اي احسن من قيل له خالق وقيل المعنى احسن الصانعين لان الناس يصنعون ولا يخلقون الله ربكم ورب ابائكم الاولين بالنصب في الاسما الثلاثة قرا الربيع بن خثيم والحسن وابن ابي اسحق وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي واليها يذهب ابو عبيد وابو حاتم وحكى ابو حاتم عن عبيد انها على النعت النحاس وهو غلط وانما هو على البدل ولا يجوز النعت ها هنا لانه ليس بتحلية وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وابو جعفر وشيبة ونافع بالرفع قال ابو حاتم بمعنى هو الله ربكم النحاس واولى مما قال انه مبتدا وخبر بغير اضمار ولا حذف ورايت علي بن سليمان يذهب الى ان الرفع اولى واحسن لان قبله راس اية والاستيناف اولى ابن الانباري من نصب او رفع لم يقف على احسن الخالقين على جهة التمام لان الله عز وجل مترجم عن احسن الخالقين من الوجهين جميعا

قوله تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الاخرين سلام على ال ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين فكذبوه اخبر عن قوم الياس انهم كذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب الا عباد الله المخلصين اي من قومه فانهم نجوا من العذاب وقرئ المخلصين بكسر اللام وقد تقدم وتركنا عليه في الاخرين تقدم سلام على ال ياسين قراءة الاعرج وشيبة ونافع وقرا عكرمة وابو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي سلام على ال ياسين وقرا الحسن سلام على الياسين بوصل الالف كانها ياسين دخلت عليهما الالف

واللام التي للتعريف والمراد الياس عليه السلام وعليه وقع التسليم ولكنه اسم اعجمي والعرب تضطرب في هذه الاسما الاعجمية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا فياسين والياس والياسين شي واحد الزمخشري وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وقرى على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة اليا والنون في السريانية معنى النحاس ومن قرا سلام على آل ياسين فكانه والله اعلم جعل اسمه الياس وياسين ثم سلم على اله اي اهل دينه ومن كان على مذهبه واعلم انه اذا سلم على آله من اجله فهو داخل في السلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وقال الله عز وجل ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ومن قرا الياسين فللعلما فيه غير قول فروي هرون عن ابن ابي اسحاق قال الياسين مثل ابراهيم يذهب الى انه اسم له وابو عبيدة يذهب الى انه جمع جمع التسليم على انه واهل بيته فسلم عليهم وانشد

قدني من نصر الخبيبين قدي — يقال قدني وقدي بمعنى حسب وانما يريد ابا خبيب

عبد الله بن الزبير فجمعه على ان من كان على مذهبه داخل معه وغير ابو عبيدة يرويه الخبيبين على التثنية يريد عبد الله ومصعبا ورايت علي بن سليمان يشرحه باكثر من هذا قال العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى هذا سلام على الياسين وقد ذكر سيبويه في كتابه شيئا من هذا الا انه ذكر ان العرب تفعل هذا على وجه النسبة فيقولون الاشعرون يريدون به النسب المهدوي ومن قرا الياسين فهو جمع يدخل فيه الياس فهو جمع الياسي فحذف يا النسبة كما حذفت يا النسبة في الجمع الكثير في نحو المهالبة في جمع مهلبي لذلك حذفت في المسلم فقيل المهلبون وقد حكى سيبويه الاشعرون والنميرون يريد الاشعريين والنميريين السهيلي وهذا لا يصح بل هي لغة في اليا ولو اراد ما قالوه لادخل الالف واللام كما يدخل في المهالبة والاشعريين فكان يقول سلام على الالياسين لان العلم اذا جمع نكر حتى يعرف بالالف واللام فالياس عليه السلام فيه ثلاث لغات النحاس واحتج ابو عبيد في قراءة سلام على الياسين وانه اسمه كما ان اسمه الياس لانه ليس في التورة سلام على آل لغيره من الانبيا صلى الله عليهم وسلم فلما سمي الانبيا كذا سمي هو وهذا الاحتجاج لابي عمرو وهو غير لازم لانا قد بينا قول اهل اللغة انه اذا سلم على اله من اجله فهو سلام عليه والقول بان اسمه الياسين يحتاج الى دليل ورواية فقد وقع في الامر اشكال قال الماوردي وقرا الحسن سلام على ياسين باسقاط الالف واللام وفيه وجهان احدهما انهم ال محمد قاله ابن عباس الثاني انهم آل الياس فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان احدهما انها زيدت لتساوي الاي كما قال في موضع طور سينا وفي موضع آخر طور سينين فعلى هذا يكون السلام على اهله دونه وتكون الاضافة اليه تشريفا له الثاني انها دخلت للجمع فيكون داخلا في جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم قال السهيلي قال بعض المتكلمين في معاني القرآن آل ياسين آل محمد عليه السلام ونزع الى قول من قال ياسين في تفسير يا محمد وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة احدها ان سياقة الكلام في قصة الياسين يلزم ان يكون كما هي في قصة ابراهيم ونوح وموسى وهرون وان التسليم راجع اليهم ولا معنى للخروج عن مقصود الكلام لقول قيل في تلك الاية الاخرى مع ضعف ذلك القول ايضا فان يس وحم والم ونحو ذلك القول فيها واحد انما هي حروف مقطعة اما ماخوذة من اسما الله تعالى كما قال ابن عباس واما من صفات القرآن واما كما قال الشعبي لله في كل كتاب سر وسره في القرآن فواتح القرآن وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي خمسة اسما ولم يذكر فيها ياسين وايضا فان ياسين جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف ولو كان اسما للنبي صلى الله عليه وسلم لقال ياسين بالضم كما قال يوسف ايها الصديق واذا ابطل هذا القول لما ذكرناه فالياسين هو الياس المذكور وعليه وقع التسليم وقال ابو عمرو بن العلا هو مثل ادريس وادراسين وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وان ادريس لمن المرسلين ثم قال سلام على ادراسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين تقدم قوله تعالى

وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين تقدم قصة لوط ثم دمرنا الاخرين اي بالعقوبة وانكم لتمرون عليهم مصبحين خاطب العرب اي تمرون عليهم ايضا ثم الكلام ثم قال افلا تعقلون تعتبرون وتتدبرون قوله تعالى وان

يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فيه ثمان مسائل الاولى قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين يونس هو ذو النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز التي نزل عليها الياس فاستخفا عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبي يرضع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتوانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ثم ان الياس سيم ضيق البيوت فلحق بالجبال ومات ابن المراة يونس فخرجت في اثر الياس تطوف وراه في الجبال حتى وجدته فسالته ان يدعو الله لها لعله يحيي لها ولدها فجاء الياس الى الصبي بعد اربعة عشر من موته فتوضا وصلى ودعا الله فاحيى الله يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام وارسل الله يونس الى اهل نينوى من ارض الموصل وكانوا يعبدون الاصنام ثم تابوا حسب ما تقدم بيانه في سورة يونس ومضى في الانبيا قصة يونس في خروجه مغاضبا واختلف في رسالته هل كانت قبل التقام الحوت اياه او بعده فقال الطبري عن شهر بن حوشب ان جبريل عليه السلام اتى يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد حضرهم قال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك قال التمس حذا قال الامر اعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست السفينة لا تتقدم ولا تتاخر قال فساهموا قال فسهم فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودي الحوت ايا حوت انا لم نجعل لك يونس رزقا انا جعلناك له حرزا او مسجدا فالتقمه الحوت من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم انطلق حتى مر به على دجلة ثم انطلق حتى القاه بنينوى حدثني الحارث قال حدثنا الحسن قال حدثنا ابو هلال قال حدثنا شهر بن حوشب عن ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت واستدل هاولاء بان الرسول لا يخرج مغاضبا لربه فكان ما جرى منه قبل النبوة وقال اخرون كان ذلك منه بعد دعا من ارسل اليهم امره الله بدعائهم اليه وتبليغه اياهم رسالة ربه ولكنه وعدهم نزول ما كان حذرهم من باس الله في وقت وقته لهم ففارقهم اذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله فلما اظل القوم العذاب وغشيهم كما قال الله تعالى في تنزيله تابوا الى الله فرفع الله العذاب عنهم وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي كان وعدهموه فغضب من ذلك وقال وعدتهم وعدا فكذب وعدي فذهب مغاضبا ربه وكره الرجوع اليه وقد جربوا عليه الكذب رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد مضى بيان هذا في الانبيا وهو الصحيح على ما ياتي عند قوله وارسلناه الى ماية الف ولم ينصرف يونس لانه اسم اعجمي ولو كان عربيا لانصرف وان كان في اوله اليا لانه ليس في الكلام يفعل كما انك اذا سميت بيعفر صرفته وان سميت بيعفر لم تصرفه الثانية قوله تعالى اذ ابق قال المبرد اصل ابق تباعد ومنه غلام ابق وقال غيره انما قيل ليونس ابق لانه خرج بغير امر الله عز وجل مستترا من الناس الى الفلك المشحون اي المملو والفلك يذكر ويونث ويكون واحدا وجمعا وقد تقدم وقال الترمذي الحكيم سماه ابقا لانه ابق عن العبودية وانما العبودية ترك الهوى وبذل النفس عن امور الله تعالى فلما لم يبذل نفسه عندما اشتدت عليه العزمة من الملك حسب ما تقدم في الانبيا واثر هواه لزمه اسم الابق وكانت عزمة الملك في امر الله لا في امر نفسه وبحظ حق الله لا بحظ نفسه فتحرى يونس فلم يصب الصواب الذي عند الله فسماه ابقا ومليما الثالثة قوله تعالى فساهم قال المبرد اي فقارع قال واصله من السهام التي تجال فكان من المدحضين قال من المغلوبين قال الفرا دحضت حجته وادحضها الله واصله من الزلق قال الشاعر

قتلنا المدحضين بكل فج — فقد قرت بقتلهم العيون

اي المغلوبين الرابعة قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم اي اتى بما يلام عليه فاما الملوم فهو الذي يلام استحق ذلك او لم يستحق وقيل المليم المعيب يقال لام الرجل اذا عمل شيا فصار معيبا بذلك العمل فلولا انه كان من المسبحين قال الكسائي لم تكسر ان لدخول اللام لان اللام ليست لها الخبر والامر كما قال انما اللام في جواب لولا فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون عقوبة له اي يكون بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة واختلف كم اقام في بطن الحوت فقال السدي والكلبي ومقاتل ابن سليمان اربعين يوما الضحاك عشرين يوما عطا سبعة ايام مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وقيل ساعة واحدة الخامسة روى الطبري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله سبحانه وتعالى ذكره حبس يونس في بطن الحوت اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدش لحما ولا تكسر عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تبارك

وتعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا التسبيح دواب البحر قال فسبح وهو في بطن الحوت قال فسمعت الملائكة
تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن
الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له
عند ذلك فامر الحوت بقذفه في الساحل كما قال الله وهو سقيم وكان سقمه الذي وصفه الله تعالى ذكره انه القاه
الحوت على الساحل كالصبي المنفوس قد نشر اللحم والعظم وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس
فيه ويونس يسبح لم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا ذكره الزمخشري
في تفسيره قال ابن العربي اخبرني غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن
يوسف الجويني انه سئل هل الباري في جهة فقال لا هو يتعالى عن ذلك قيل له ما الدليل عليه قال الدليل
عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل له ما وجه الدليل من هذا الخبر فقال
لا اقوله حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها اثنين
لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس بن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في
ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين كما اخبر الله ولم يكن محمد صلى الله عليه و
حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه
بما ناجاه به واوحى اليه ما اوحى باقرب الى الله من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر **السادسة** ذكر الطبري

حكاية يونس عليه السلام

ان يونس عليه السلام لما ركب في السفينة اصاب اهلها عاصف من الريح فقالوا هذه خطيئتي فالقوني في البحر
وانهم ابوا عليه حتى افاضوا سهامهم فساهمهم فكان من المدحضين فقال لهم قد اخبرتكم ان هذا الامر بذنبي
وانهم ابوا عليه حتى افاضوا سهامهم الثانية فكان من المدحضين وانهم ابوا ان يلقوه في البحر حتى اعادوا
سهامهم الثالثة فكان من المدحضين فلما راى ذلك القى نفسه في البحر وذلك تحت الليل فابتلعه الحوت
وروي انه لما ركب السفينة تقنع ورقد فساروا غير بعيد اذ جاءتهم ريح كادت السفينة ان تغرق فاجتمع
اهل السفينة فدعوا فقالوا ايقظوا الرجل النائم يدعو معنا فدعا الله معهم فرفع الله عنهم تلك الريح ثم انطلق
يونس الى مكانه فرقد فجاءت ريح كادت السفينة ان تغرق فايقظوه ودعوا الله فارتفعت الريح قال
فبينما هم كذلك اذ رفع حوت عظيم راسه اليهم اراد ان يبتلع السفينة فقال لهم يونس يا قوم هذا من اجلي
فلو طرحتموني في البحر لسرتم ولذهب الريح عنكم والروع قالوا لا نطرحك حتى نتساهم فمن وقعت عليه رميناه
في البحر قال فتساهموا فوقع على يونس فقال لهم يا قوم اطرحوني فمن اجلي اتيتم فذلك قول الله عز وجل فساهم
فكان من المدحضين اي وقع السهم عليه فانطلقوا الى صدر السفينة ليلقوه في البحر فاذا بحوت فاتح فاه
ثم جاؤوا الى جانب السفينة فاذا بالحوت ثم رجعوا به الى الجانب الاخر فاذا بالحوت فاتح فاه فلما راى ذلك القى
بنفسه فالتقمه الحوت فاوحى الله تعالى الى الحوت اني لم اجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك له وعاء
فمكث في بطن الحوت اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين على ما تقدم وياتي ففي هذا من الفقه ان القرعة كانت
معمولا بها في شرع من قبلنا وجاءت في شرعنا على ما تقدم في آل عمران بيانه قال ابن العربي وقد وردت

جواز القرعة في شرع من قبلنا

القرعة في الشرع في ثلاث مواطن الاول كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن
خرج سهمها خرج بها معه الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع اليه ان رجلا اعتق ستة اعبد لا مال له غيرهم
فاقرع بينهم فاعتق اثنين وارق اربعة الثالث ان رجلين اختصما اليه في مواريث قد درست فقال
اذهبا وتوخيا الحق واستهما وليحلل كل واحد منكما صاحبه فهذه ثلاثة مواطن وهي القسم في النكاح والعتق
والقسمة وجريان القرعة فيها لرفع الاشكال وحسم داء التشهي واختلف علماؤنا في القرعة بين الزوجات
في الغزو على قولين الصحيح منهما الاقراع وبه قال فقهاء الامصار وذلك ان السفر بجميعهن لا يمكن واختيار
واحدة منهن ايثار فلم يبق الا القرعة وكذلك في مسالة الاعبد الستة فان كل اثنين منهما ثلث وهو القدر
الذي يجوز له فيه العتق في مرض الموت وتعيينهما بالتشهي لا يجوز شرعا فلم يبق الا القرعة وكذلك
التشاجر اذا وقع في اعيان المواريث لم يميز الحق الا القرعة فصارت اصلا في تعيين المستحق اذا اشكل
قال والحق عندي ان تجري في كل مشكل فذلك ابين لها واقوى لفصل الحكم فيها واجلى لرفع الاشكال
عنها ولذلك قلنا ان القرعة بين الزوجات في الطلاق كالقرعة بين الاماء في العتق **السابعة**

الاقتراع على القاء الآدمي في البحر لا يجوز وانما كان ذلك في يونس وزمانه مقدمة لتحقيق برهانه وزيادة
في ايمانه فانه لا يجوز لمن كان عاصيا ان يقتل ولا يرمى به في النار والبحر وانما تجري عليه الحدود والتعزير على
مقدار جنايته وقد ظن بعض الناس ان البحر اذا هال على القوم فاضطروا الى تخفيف السفينة ان القرعة
تضرب عليهم فيطرح بعضهم تخفيفا وهذا فاسد فانها لا تخف برمي بعض الرجال وانما ذلك في الاموال
ولكنهم يصبرون على قضاء الله عز وجل **الثامنة** اخبر الله عز وجل ان يونس كان من المسبحين وان تسبيحه كان
سبب نجاته ولذلك قيل ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر قال ابن عباس من المسبحين من المصلين قال
قتادة كان يصلي قبل ذلك فحفظ الله عز وجل فنجاه وقال الربيع بن انس لولا انه كان له قبل ذلك عمل صالح
للبث في بطنه الى يوم يبعثون قال ومكتوب في الحكمة ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر وقال مقاتل من
المسبحين من المصلين المطيعين قبل المعصية وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت
ولكنه قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره الله به في حال الشدة وان العمل الصالح ليرفع عن صاحبه واذا
عثر وجد متكأ قلت ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم ان يكون له خبء من
عمل صالح فليفعل فليجتهد العبد ويحرص على خصلة من صالح عمله يخلص فيها بينه وبين ربه ويدخرها ليوم
فاقته وفقره ويخبأها بجهده ويسترها عن خلقه يصل اليه نفعها احوج ما كان اليه وقد خرج البخاري ومسلم
من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما ثلاثة نفر في رواية ممن كان قبلكم يتماشون
اخذهم المطر فاووا الى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال
بعضهم لبعض انظروا اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها الحديث بكماله وهو مشهور
شهرته اغنت عن تمامه وقال سعيد بن جبير لما قال في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين قذفه الحوت وقيل من المسبحين من المصلين في بطن الحوت قلت والاظهر انه تسبيح اللسان
الموافق للجنان وعليه يدل حديث ابي هريرة المذكور قبل الذي ذكره الطبري قال فسبح في بطن الحوت
قال فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وتكون كان على هذا القول
زائدة اي فلولا انه من المسبحين وفي كتاب ابي داود عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال دعاء ذا النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع به رجل مسلم في شيء قط
الا استجيب له وقد مضى هذا في سورة الانبياء فيونس عليه السلام كان قبل مصليا مسبحا وفي بطن الحوت
كذلك وفي الخبر فنودي الحوت انا لم نجعل يونس لك رزقا انما جعلناك له حرزا ومسجدا وقد تقدم
قوله تعالى **فنبذناه بالعراء وهو سقيم** روي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل
وقال ابن قسيط عن ابي هريرة طرح يونس بالعراء وانبت الله عليه يقطينة فقلنا يا ابا هريرة وما اليقطينة قال
شجرة الدباء هياها الله له تاويه وخشة تاكل من خشاش الارض فتفشج عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة
حتى نبت وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج به يعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر فطرحه مثل الصبي
المنفوس لم ينقص من خلقه شيء وقيل ان يونس لما القاه الحوت على ساحل البحر انبت الله عليه شجرة من يقطين وهي
فيما ذكر شجرة القرع يتقطر عليه من اللبن حتى رجعت اليه قوته ثم رجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها يبست فحزن
وبكى عليها فعوتب فقيل له احزنت على شجرة وبكيت عليها ولم تحزن على مائة الف وزيادة من بني اسرائيل
من اولاد ابراهيم خليلي اسرى في ايدي العدو واردت هلاكهم جميعا وقيل هي شجرة التين وقيل شجرة الموز
تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره والاكثر على انها كانت شجرة اليقطين على ما ياتي
ثم ان الله تبارك وتعالى اجتباه فجعله من الصالحين ثم امره ان ياتي قومه ويخبرهم ان الله قد تاب عليهم فعمد
اليهم حتى لقي راعيا فساله عن قوم يونس وعن حالهم وكيف هم فاخبره انهم بخير وانهم على رجاء ان يرجع اليهم
رسولهم فقال له فاخبرهم اني لقيت يونس فقال لا استطيع الا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه فقال
هذه تشهد لك انك لقيت يونس قال وهذه البقعة التي انت فيها تشهد لك انك لقيت يونس قال وماذا
قال وهذه الشجرة تشهد انك لقيت وانه رجع الراعي الى قومه فاخبرهم انه لقي يونس فكذبوه وهموا به شرا
فقال لا تعجلوا علي حتى اصبح فغدا بهم الى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها فاخبرتهم انه لقي يونس واستنطق
الشاة والشجرة فاخبرتاهم انه لقي يونس ثم ان يونس اتاهم بعد ذلك ذكر هذا الخبر وما قبله الطبري رحمه الله
ونبذناه طرحناه وقيل تركناه بالعراء بالصحراء قاله ابن العزي الاخفش بالفضاء ابو عبيدة الواسع من

الارض العزا العراء المكان الخالي قال وقال ابو عبيدة العراء وجه الارض وانشد لرجل من خزاعة

رفعت رجلا لا اخاف عثارها   ونبذت بالبلد العراء ثيابي

وحكي الاخفش في جمع سقيم سقامي وسقام وقال في هذه السورة فنبذناه بالعراء وقال في نون والقلم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم والجواب ان الله عز وجل خبر ها هنا انه نبذ بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمه الله عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم قاله النحاس **قوله تعالى**

وانبتنا عليه شجرة من يقطين وانبتنا عليه اي عنده كقوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي وقيل علي بمعني له شجرة من يقطين اليقطين شجرة الدبا وقيل غيرها ذكره ابن الاعرابي وفي الخبر الدبا والبطيخ من الجنة وقد ذكرناه في التذكرة وقال المبرد يقال لكل شجرة ليس لها ساق يفترش ورقها على الارض يقطينة نحو الدبا والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق يقلها فهي شجرة فقط وان كانت قايمة اي بعروق لا تفترش فهي نجمة وجمعها نجم قال الله تعالي والنجم والشجر يسجدان وروي نحوه عن ابن عباس والحسن ومقاتل قالوا كل نبت يمتد ويبسط على الارض ولا يبقي على استواء وليس له ساق نحو القثا والبطيخ والقرع والحنظل فهو يقطين وقال سعيد بن جبير هو كل شي ينبت ثم يموت من عامه فيدخل في هذا الموز قلت وهو مما له ساق الجوهري واليقطين ما لا ساق له كشجرة القرع ونحوه الزجاج اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان اي اقام به فهو يفعيل وقيل هو اسم اعجمي وقيل انما خص اليقطين بالذكر لانه لا ينزل عليه الذباب وقيل ما كان ثم يقطين فانبته الله في الحال القشيري وفي الاية ما يدل على انه كان مفروشا ليكون له ظل الثعلبي كانت تظله فراي خضرتها فاعجبته فيبست فجعل يتحزن عليها فقيل له يا يونس انت الذي لم تخلق ولم تسق ولم تنبت تحزن على شجيرة فانا الذي خلقت ماية الف من الناس او يزيدون تريد مني ان استاصلهم في ساعة واحدة وقد تابوا وتبت عليهم فاين رحمتي يا يونس انا ارحم الراحمين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس وقال انس قرب للنبي صلى الله عليه وسلم مرق فيه دبا وقديد فجعل يتتبع الدبا من حوالي القصعة قال انس فلم ازل احب الدبا من يوميذ خرجه الايمة **قوله تعالى** **وارسلناه الي ماية الف او يزيدون** قد تقدم عن ابن عباس ان رسالة يونس عليه السلام انما كانت بعد ما نبذه الحوت وليس له طريق الا عن شهر بن حوشب النحاس واجود منه اسنادا واصح ما حدثناه علي بن الحسين قال حدثنا عمر قال حدثنا عمرو العنقزي قال حدثنا اسرايل عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال حدثنا عبد الله بن مسعود في بيت المال عن يونس النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يونس وعد قومه العذاب واخبرهم انه ياتيهم الي ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وخرجوا فجاروا الي الله عز وجل فاستغفروا فكف الله عنهم العذاب وغدا يونس عليه السلام ينتظر العذاب فلم ير شيا وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فخرج يونس مغاضبا فاتي قوما في سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت السفينة والسفن تسير يمينا وشمالا فقالوا ما لسفينتكم قالوا لا ندري فقال يونس عليه السلام ان فيها عبدا ابق من ربه عز وجل انها لن تسير حتى تلقوه قالوا اما انت يا نبي الله فانا نلقيك قال فاقترعوا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس فابوا ان يدعوه قال فاقترعوا ثلاثا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس ثلاث مرات او قال ثلاثا فوقع وقد وكل الله به عز وجل حوتا فابتلعه وهو يهوي به الي قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم قال كهيية الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش قال وانبت الله عليه شجرة من يقطين فنبتت فكان يستظل بها ويصيب منها فيبست فبكي عليها فاوحي الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على ماية الف او يزيدون اردت ان تهلكهم قال وخرج يونس صلى الله عليه وسلم فاذا هو بغلام يرعى قال يا غلام من انت قال من قوم يونس قال فاذا جيتهم فاخبرهم انك قد لقيت يونس قال ان كنت يونس فقد علمت انه من كذب قبل اذا لم تكن له بينة فمن يشهد لي قال هذه الشجرة وهذه البقعة قال فمرهما قال لهما يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم قال فرجع الغلام الي قومه فكان في منعة وكان له اخوة فاتى الملك فقال اني قد لقيت يونس وهو يقرا عليك السلام قال فامر به ان يقتل فقالوا ان له بينة فارسلوا معه فاتي الشجرة والبقعة فقال لهما انشدكما بالله عز وجل اتشهدا

لا ينزل الذباب على اليقطين

ابي

ابي لقيت يونس قالتا نعم قال فرجع القوم مذعورين يقولون شهدت له الشجرة والارض فاتوا الملك فاخبروه بما راوا قال عبد الله فتناول الملك يد الغلام فاجلسه في مجلسه فقال انت احق مني بهذا المكان قال عبد الله فاقام لهم ذلك الغلام امرهم اربعين سنة قال ابو جعفر النحاس فقد بين في هذا الحديث ان يونس كان قد ارسل قبل ان يلتقمه الحوت بهذا الاسناد الذي لا يوخذ بالقياس وفيه ايضا من الفايدة ان قوم يونس امنوا وندموا قبل ان يروا العذاب لان فيه انه اخبرهم انه ياتيهم العذاب الي ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وهذا هو الصحيح في الباب وانه لم يكن حكم الله عز وجل فيهم كحكمه في غيرهم في قوله عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت الاية وقال بعض العلما انهم راوا مخايل العذاب فتابوا وهذا لا يمتنع وقد تقدم ما للعلما في هذا في سورة يونس فلينظر هناك قوله تعالي او يزيدون قد مضي في البقرة محامل او في قوله او اشد قسوة وقال الفرا او بمعني بل وقال غيره انها بمعني الواو ومنه قول الشاعر

فلما اشتد امر الحرب فينا   تاملنا رياحا او رزاما

اي ورزاما وهكذا قوله تعالي وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقرا جعفر بن محمد الي ماية الف ويزيدون بغير همزة فيزيدون في موضع رفع بانه خبر مبتدا محذوف اي وهم يزيدون النحاس ولا يصح هذان القولان لان عند البصريين وانكروا كون او بمعني بل وبمعني الواو لان بل للاضراب عن الاول والايجاب لما بعده وتعالي الله عز وجل عن ذلك او الخروج من شي الي شي وليس هذا موضع ذلك والواو معناها خلاف معني او فلو كان احدهما بمعني الاخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان وارسلناه الي اكثر من ماية الف اخصر وقال المبرد المعنى وارسلناه الي جماعة لو رايتموهم لقلتم هم ماية الف او اكثر وانما خوطب العباد على ما يعرفون وقيل هو كما تقول جاني زيد او عمرو وانت تعرف من جاك منهما الا انك ابهمت على المخاطب وقال الاخفش والزجاج اي او يزيدون في تقديركم قال ابن عباس زادوا على ماية الف عشرون الفا ورواه ابي بن كعب مرفوعا وعن ابن عباس ثلاثين الفا الحسن والربيع بضعا وثلاثين الفا وقال مقاتل بن حيان سبعين الفا فامنوا فمتعناهم الي حين اي الي منتهي اجالهم

قوله تعالى **فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفي البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين** لما ذكر اخبار الماضين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم احتج على كفار قريش في قولهم ان الملايكة بنات الله فقال فاستفتهم وهو معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة اي فاسال يا محمد اهل مكة الربك البنات وذلك ان جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار زعموا ان الملايكة بنات الله وهذا سوال توبيخ ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون اي حاضرون لخلقنا اياهم وهذا كما قال وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ثم قال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون في قولهم ان لله ولدا وهو الذي لم يلد ولم يولد وان بعد الا مكسورة لانها مبتدا وحكي سيبويه انها تكون بعد اما مفتوحة ومكسورة فالفتح على ان تكون اما بمعني حقا والكسر على ان تكون بمعني الا النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول يجوز فتحها بعد الا تشبيها باما فاما في الاية فلا يجوز الا كسرها لان بعدها اللام والرفع بتمام الكلام لكاذبون ثم يبتدي اصطفي على معني التقريع والتوبيخ كانه قال ويحكم اصطفي البنات اي اختار البنات وترك البنين وقراءة العامة اصطفي بقطع الالف لانها الف الاستفهام دخلت على الف الوصل فحذفت الف الوصل وبقيت الف الاستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها مثل اطلع الغيب على ما تقدم وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وحمزة اصطفي بوصل الالف على الخبر بغير استفهام واذا ابتدا كسر الهمزة وزعم ابو حاتم انه لا وجه لها لان بعدها ما لكم كيف تحكمون فالكلام جار على التوبيخ النحاس هذه القراءة وان كانت شاذة فهي تجوز من جهتين احدهما ان يكون تبيينا وتفسيرا لما قالوه من الكذب ويكون ما لكم كيف تحكمون منقطعا مما قبله والجهة الثانية انه قد حكي النحويون منهم الفرا ان التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما قال عز وجل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقيل هو على اضمار القول اي ويقولون اصطفي البنات او يكون بدلا من قوله ولد الله لان ولادة البنات

واتخاذهن اصطفا لهن فلابد لمثال الماضي من مثال الماضي فلا يوقف على هذا على الكاذبون افلا تذكرون في انه لا يجوز ان يكون له ولد ام لكم سلطان مبين اي حجة وبرهان فاتوا بكتابكم اي بحجتكم ان كنتم صادقين في قولكم قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون اكثر اهل التفسير على ان الجنة ههنا الملائكة روي ابن ابي نجيح عن مجاهد قال قالوا يعني كفار قريش الملائكة بنات الله عز وجل فقال ابو بكر رض فمن امهاتهم قالوا مخدرات الجن وقال اهل الاشتقاق قيل لهم جنة لانهم لا يرون وقال مجاهد انهم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وروي عن ابن عباس وروي اسرائيل عن السدي عن ابي مالك قال انما قيل لهم جنة لانهم خزان على الجنان والملائكة كلهم جنة نسبا مصاهرة قال قتادة والكلبي ومقاتل قالت اليهود ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهم وقال مجاهد والسدي ومقاتل ايضا القائل ذلك كنانة وخزاعة قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن وقال الحسن اشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قلت قول الحسن هذا حسن دليله قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين اي في العبادة وقال ابن عباس والضحاك والحسن ايضا هو قولهم ان الله تعالى وابليس اخوان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قوله تعالى ولقد علمت الجنة اي الملائكة انهم يعني قائلي هذا القول لمحضرون في النار قاله قتادة وقال مجاهد للحساب الثعلبي الاول اولى لان الاحضار مكرر في هذه السورة ولم يرد الله به تعالى غير العذاب سبحان الله عما يصفون اي تنزيها لله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم ناجون من النار قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما بمعنى الذي وقيل بمعنى المصدر اي فانكم وعبادتكم لهذه الاصنام وقيل اي فانكم مع ما تعبدون من دون الله يقال جاء فلان وفلان مع فلان ما انتم عليه اي على الله بفاتنين بمضلين النحاس اهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى ما انتم بمضلين احدا الا من قدر الله عز وجل عليه ان يضل وقال الشاعر

فرد بنعمته كيده عليه	وكان لنا فاتنا

اي مضلا الثانية في هذه الاية رد على القدرية قال عمرو بن ذر قدمنا على عمر بن عبد العزيز فذكر عنده القدر فقال عمر لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس وهو راس الخطية وان في ذلك لعلما في كتاب الله عز وجل عرفه من عرفه وجهله من جهله ثم قرا فانكم وما تعبدون من دون ما انتم عليه بفاتنين الا من كتب الله عليه ان يصلى الجحيم وقال فصلت هذه الاية بين الناس وفيها من المعاني ان الشياطين لا يصلون الى اضلال احد الا من كتب الله عليه انه لا يهتدي ولو علم الله انه يهتدي لحال بينه وبينهم وعلى هذا قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك اي لست تصل الى شيء منهم الا الى ما في علمي وقال لبيد بن في تثبيت القدر فاحسن

ان تقوى ربنا خير نفل	وباذن الله ريثي وعجل
احمد الله فلا ند له	بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى	ناعم البال ومن شاء اضل

قال الفراء اهل الحجاز يقولون فتنته واهل نجد يقولون افتنته الثالثة روي عن الحسن انه قال الا من هو صال الجحيم بضم اللام النحاس وجماعة اهل التفسير يقولون انه لحن لانه لا يجوز هذا قاض المدينة ومن احسن ما قيل فيه ما سمعت علي بن سليمان يقوله قال هو محمول على المعنى من جماعة فالتقدير صالون فحذف النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين وقيل اصله فاعل الا انه قلب من صال الى صايل وحذفت الياء وبقيت اللام مضمومة فهو مثل شفا جرف هار ووجه ثالث ان تحذف لام صال تخفيفا وجري الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما ابليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنا الجنتين دان وله الجوار المنشات اجري الاعراب على العين قاله الزمخشري والاصل في قراءة الجماعة صالي بالياء فحذفها الكاتب من الخط لسقوطها في اللفظ قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون هذا من قول الملائكة تعظيما لله عز وجل وانكارا منهم عبادة من عبدهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون قال مقاتل هذه الثلاث الايات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال النبي صلى الله

عليه وسلم اهنا تفارقني فقال ما استطيع ان اتقدم عن مكاني وانزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم الايات والتقدير عند الكوفيين وما منا الا من له مقام معلوم فحذف الموصول وتقديره عند البصريين وما منا ملك الا له مقام معلوم اي مكان معلوم في العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وقالت عائشة قال النبي صلى الله عليه وسلم ما في السماء موضع قدم الا وعليه ملك ساجد او قائم وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت اني كنت شجرة تعضد خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن غريب ويروى من غير هذا الوجه ان ابا ذر قال لوددت اني كنت شجرة تعضد ويروى عن ابي ذر موقوفا وقال قتادة كان يصلي الرجال والنساء جميعا حتى نزلت هذه الاية وما منا الا له مقام معلوم فتقدم الرجال وتاخر النساء وانا لنحن الصافون قال الكلبي صفوفهم كصفوف اهل الدنيا في الارض وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في المسجد فقال الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يا رسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف وكان عمر يقول اذا قام الى الصلاة اقيموا صفوفكم واستووا انما يريد الله بكم هدي الملائكة ويقرا وانا لنحن الصافون تاخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر وقد مضى في الحجر بيانه وقال ابو مالك كان الناس يصلون متبددين فانزل الله وانا لنحن الصافون فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يصطفوا وقال الشعبي جاء جبريل او ملك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ان الملائكة لتصلي وتسبح ما في السماء ملك فارغ وقيل اي لنحن الصافون اجنحتنا في الهواء وقوفا ننتظر ما نؤمر به وقيل اي نحن الصافون حول العرش وانا لنحن المسبحون اي المصلون قاله قتادة وقيل اي المنزهون الله عما اضافه اليه المشركون والمراد انهم يخبرون انهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وليسوا معبودين ولا بنات الله وقيل وما منا الا له مقام معلوم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين للمشركين اي لكل واحد منا ومنكم في الاخرة مقام معلوم وهو مقام الحساب وقيل اي منا من له مقام الخوف ومنا من له مقام الرجاء ومنا من له مقام الاخلاص ومنا من له مقام الشكر الى غيرها من المقامات قلت والاظهر ان ذلك راجع الى قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم والله اعلم قوله تعالى وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون عاد الى الاخبار عن المشركين اي كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اذا عيروا بالجهل قالوا لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي لو بعث الينا نبي ببيان الشرايع لاتبعناه ولما خففت ان دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقا بين النفي والايجاب والكوفيون يقولون ان بمعنى ما واللام بمعنى الا وقيل معنى لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين لكنا عباد الله المخلصين اي لو جاءنا ذكر كما جاء الاولين لاخلصنا العبادة فكفروا به اي بالذكر والفراء يقدره على حذف اي فجاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر فكفروا به وما وفوا بما قالوا فسوف يعلمون قال الزجاج يعلمون مغبة كفرهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قال الفراء اي بالسعادة وقيل اراد بالكلمة قوله عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي قال الحسن لم يقتل من اصحاب الشرائع احد قط انهم لهم المنصورون اي سبق الوعد بنصرهم بالحجة والغلبة وان جندنا لهم الغالبون على المعنى ولو كان على اللفظ لكان هو الغالب مثل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب وقال الشيباني جاء ههنا على الجمع من اجل انه راس اية قوله تعالى فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فتول عنهم اي اعرض عنهم حتى حين قال قتادة الى الموت وقال الزجاج الى الوقت الذي امهلوا اليه وقال ابن عباس يعني القتل ببدر وقيل يعني فتح مكة وقيل الاية منسوخة باية السيف وابصرهم فسوف يبصرون قال قتادة سوف يبصرون حين لا ينفعهم الابصار وعسى من الله للوجوب وعبر بالابصار عن تقريب الامر اي عن قريب يبصرون وقيل المعنى فسوف يبصرون العذاب يوم القيامة افبعذابنا يستعجلون كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب اي لا يستعجلون

ما في السماء موضع قدم الا وعليه ملك ساجد

فانه واقع بكم **قوله تعالى** فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين فاذا نزل بساحتهم
اي العذاب قال الزجاج وكان عذاب هاؤلاء بالقتل ومعنى بساحتهم اي بدارهم عن السدي وغيره
والساحة والسحسحة في اللغة فنا الدار الواسع قال الفرا نزل بساحتهم ونزل بهم فساء صباح المنذرين
اي بئس صباح الذين انذروا بالعذاب وفيه اضمار اي فساء الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر لان
العذاب كان يا تيهم فيه ومنه الحديث الذي رواه انس رض قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي فقالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بقوم فساء صباح المنذرين وهو بمعنى
فاذا نزل بساحتهم يريد النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** وتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون كرر تاكيدا وكذا وابصر فسوف يبصرون تاكيدا ايضا **قوله تعالى**
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فيه اربع مسايل
الاولى قوله تعالى سبحان ربك نزه نفسه سبحانه عما اضاف اليه المشركون رب العزة على البدل الزجاج
ويجوز النصب على المدح والرفع بمعنى هو رب العزة عما يصفون اي من الصاحبة والولد وسيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال هو تنزيه الله تعالى عز وجل عن كل سوء وقد مضى في البقرة
مستوفى الثانية سيل محمد بن سحنون عن معنى رب العزة لم جاز ذلك والعزة من صفات الذات
ولا يقال رب القدرة ونحوها من صفات ذاته عز وجل فقال العزة تكون صفة ذات وصفة
فعل فصفة الذات نحو فلله العزة جميعا وصفة الفعل نحو قوله تعالى رب العزة والمعنى رب العزة
التي يتعاذ بها الخلق فيما بينهم فهي من خلق الله عز وجل قال وقد جا في التفسير ان العزة يراد بها
ههنا الملائكة قال وقال بعض علمائنا من حلف بعزة الله فان اراد عزته التي هي صفته حنث فعليه
الكفارة وان اراد التي جعلها الله بين عباده فلا كفارة عليه الماوردي رب العزة يحتمل وجهين احدهما
مالك العزة الثاني رب كل شي متعزز من ملك او متجبر قلت وعلى الوجهين فلا كفارة اذا نوا
الحالف الثالثة روي من حديث ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل
ان يسلم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ذكره الثعلبي
قلت قرأت على الشيخ المحدث الحافظ ابي علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالجزيرة
قبالة المنصورة من الديار المصرية قال اخبرتنا الحرة ام المويد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن
الشعري بنيسابور في المرة الاولى اخبرنا ابو محمد اسمعيل ابن ابي بكر القاري حدثنا ابو الحسن عبد
الغافر بن محمد الفارسي حدثنا ابو سهيل بشر بن احمد الاسفرايني حدثنا ابو سليمان داود بن الحسين البيهقي
حدثنا ابو زكريا يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري حدثنا هشيم بن ابي هرون العبدي
عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في اخر صلاته
او حين ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين الماوردي
وروى الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة
فليقل في اخر مجلسه حين يريد ان يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين ذكره الثعلبي من حديث علي رض عنه مرفوعا الرابعة قوله تعالى وسلام على المرسلين اي من
الذين بلغوا عن الله تعالى التوحيد والرسالة وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على
المرسلين فانما انا رسول من المرسلين وقيل معنى وسلام على المرسلين اي امن لهم من الله عز وجل يوم
الفزع الاكبر والحمد لله رب العالمين اي على ارسال الانبياء مبشرين ومنذرين وقيل اي على جميع
ما انعم الله به على الخلق اجمعين وقيل اي على هلاك المشركين دليله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين قلت والكل مراد والحمد لله بعم والله اعلم ومعنى يصفون يكذبون والتقدير عما يصفون من الكذب

تفسير سورة ص

مكية في قول الجميع وهي ست وثمانون اية وقيل ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ص قراءة العامة ص بجزم الدال على الوقف لانه حرف من حروف الهجا مثل الم المر

وقرا ابي بن كعب وابن ابي اسحاق ونصر بن عاصم صاد بكسر الدال بغير تنوين ولقراته مذهبان احدهما انه من
صادى يصادي اذا عارض ومنه فانت له تصدى اي تعرض والمصاداة المعارضة ومنه الصدى وهو ما يعارض
الصوت في الاماكن الخالية ومعنى صاد القران بعملك اي عارضه بعملك وقابله به فاعمل باوامره وانته
عن نواهيه النحاس وهذا المذهب يروي عن الحسن انه فسر به قراءته رواية صحيحة وعنه ان المعنى اتله وتعرض
لقراءته والمذهب الاخر الدال مكسورة لالتقاء الساكنين وقرا عيسى بن عمر صاد بفتح الدال ومثله ق ونون
بفتح اخرها وله في ذلك ثلاثة مذاهب احدها ان يكون بمعنى اتل صاد والثاني ان يكون فتح لالتقا الساكنين
واختار الفتح للاتباع ولانه اخف الحركات والثالث ان يكون منصوبا على القسم بغير حرف كقولك
والله لافعلن وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى امنوا به وقرا ابن
ابي اسحاق ايضا صاد بكسر الدال والتنوين على ان يكون مخفوضا على حذف حرف القسم وهذا بعيد وان
كان سيبويه قد اجاز مثله ويجوز ان يكون مشبها بما لا يتمكن من الاصوات وغيرها وقرا هارون
الاعور ومحمد بن السميقع ص وق ونون بضم اخرهن لانه المعروف بالبناء في غالب الحال نحو منذ وقط وقبل
وبعد وصاد اذا جعلته اسما للسورة لم ينصرف كما انك اذا سميت مذكرا بمونث لم ينصرف وان قلت
حروفه وقاله ابن عباس وجابر بن عبد الله وقد سيلا عن صاد فقالا لا ندري ما هي وقال عكرمة سال نافع
بن الازرق ابن عباس عن صاد فقال صاد كان بحرا بمكة وكان عليه عرش الرحمن اذ لا ليل ولا نهار وقال سعيد
بن جبير ص نحو يحيي الله به الموتى بين النفختين وقال الضحاك معناه صدق الله وعنه ان ص قسم اقسم الله به
وهو من اسمايه تعالى وقاله السدي وروي عن ابن عباس وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله تعالى صمد
وصانع المصنوعات وصادق الوعد وقال قتادة هو اسم من اسما الرحمن وعنه انه اسم من اسما القران
وقال مجاهد هو فاتحة السورة وقيل هو مما استاثر الله بعلمه وهو معنى القول الاول وقد تقدم جميع هذا
في البقرة **قوله تعالى** والقران ذي الذكر والقران خفض بواو القسم والواو بدل من البا اقسم
بالقران تنبيها على جلالة قدره فان فيه بيان كل شي وشفاء لما في الصدور ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
ذي الذكر خفض على النعت وعلامة خفضه اليا وهو اسم معتل والاصل فيه ذوي على فعل قال ابن العربي
عباس ومقاتل معنى ذي الذكر ذي البيان الضحاك ذي الشرف اي من امن به كان شرفا له في الدارين كما قال الله
تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وايضا القران شريف في نفسه لاعجازه واشتماله على ما
لا يشتمل عليه غيره وقيل ذي الذكر اي فيه ذكر ما يحتاج اليه من امر الدين وقيل ذي الذكر اي فيه ذكر اسما
الله وتمجيده وقيل اي ذي الموعظة والذكر وجواب القسم محذوف واختلف فيه على اوجه فقيل جواب
القسم ص لان معناه حق فهو جواب لقوله والقران كما تقول حقا والله نزل والله وجب والله فيكون الوقف
من هذا الوجه على قوله والقران ذي الذكر حسنا وعلى في عزة وشقاق تماما قاله ابن الانباري وحكى معناه
الثعلبي عن الفرا وقيل الجواب بل الذين كفروا في عزة وشقاق لان بل نفي لامر سبق واثبات لغيره قاله
القتيبي فكانه قال والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق عن قبول الحق وعداوة لمحمد صلى الله
عليه وسلم او والقران ذي الذكر ما الامر كما يقولون من انك ساحر كذاب لانهم يعرفونك بالصدق
والامانة بل هم في تكبر عن قبول الحق وهو كقوله ق والقران المجيد بل عجبوا وقيل الجواب كم اهلكنا
فانه قال والقران لكم اهلكنا فلما تاخرت كم حذفت اللام منها كقوله تعالى والشمس وضحاها ثم قال قد افلح
اي لقد افلح قال المهدوي وهذا مذهب الفرا ابن الانباري فمن هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله في عزة
وشقاق وقال الاخفش جواب القسم ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ونحو منه قوله تعالى تالله ان كنا لفي ضلال
مبين وقوله والسما والطارق ان كل نفس لما عليها حافظ ابن الانباري وهذا اقبح لان الكلام قد طال
فيما بينهما وكثرت الايات والقصص وقال الكسائي جواب القسم قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ابن
الانباري وهذا اقبح من الاول لان الكلام اشد طولا فيما بين القسم وجوابه وقيل الجواب قوله ان هذا
لرزقنا ما له من نفاد وقال قتادة الجواب محذوف تقديره والقران ذي الذكر لتبعثن ونحوه والله اعلم
قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي في تكبر
وامتناع من قبول الحق كما قال عز وجل واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم والعزة عند العرب
الغلبة والقهر يقال من عز بز من غلب سلب ومنه وعزني في الخطاب اراد غلبني وقال جرير

من حلف بعزة الله تعالى

يعدو على الطريق منكبه   كما ابترك الخليع على القداح

زاد بغلب وشقاق اي في اظهار خلاف ومباينة وهو من الشق كان هذا في شق وذلك في شق وقد مضى في البقرة مستوفى قوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من قوم كانوا امنع من هؤلاء وكم لفظة التكثير فنادوا اي بالاستغاثة والتوبة والنداء رفع الصوت ومنه الخبر القه على بلال فانه اندى منك صوتا اي ارفع ولات حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل النحاس وهذا تفسير منه لقوله تعالى ولات حين مناص فاما اسرائيل فروى عن ابي اسحق عن التميمي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا فرار قال ضبط القوم جميعا قال الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار والهزيمة فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله عز وجل ولات حين مناص قال القشيري وعلى هذا فالتقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة بقية الكلام عليه اي ليس الوقت وقت ما تنادون به وفي هذا نوع تحكم اذ يبعد ان يقال كل من هلك من القرون كانوا يقولون مناص عند الاضطرار وقيل معنى ولات حين مناص اي لا خلاص وهو نصب بوقوع لا عليه قال القشيري وفيه نظر لانه لا معنى على هذا للواو في ولات حين مناص وقال الجرجاني اي فنادوا حين لا مناص اي ساعة لا منجى ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما اقتضى الحال اذا جعل ابتداء وخبرا مثل قولك جاء زيد راكبا فاذا جعلته مبتدأ وخبرا اقتضى الواو مثل جاءني زيد وهو راكب فحين ظرف لقوله فنادوا والمناص بمعنى التاخر والفرار والخلاص اي نادوا لطلب الخلاص في وقت لا يكون لهم فيه خلاص قال الفراء النوص التاخر وانشد لامرئ القيس

امن ذكر ليلى اذ ناتك تنوص

يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا اي فر وراغ النحاس ويقال ناص ينوص اذا تقدم قلت فعلى هذا يكون من الاضداد والنوص الحمار الوحشي واستناص اي تاخر قاله الجوهري وتكلم النحويون في ولات حين وفي الوقف عليه وكثر فيه ابو عبيد القاسم بن سلام في كتاب القراءات وكل ما جاء به الا يسيرا مردود فقال سيبويه لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر اي ليست احياننا حين مناص وحكي ان من العرب من يرفع بها فيقول ولات حين مناص وحكي ان الرفع قليل ويكون الخبر محذوفا في النصب كما كان الاسم محذوفا اي ولات حين مناص لنا والوقف عليها عند سيبويه والفراء ولات بالتاء ثم يبتدي حين مناص وهو قول ابن كيسان والزجاج قال ابو الحسن بن كيسان والقول كما قال سيبويه لانه شبهها بليس فكما يقال ليست يقال لات والوقوف عليها عند الكسائي بالهاء ولاه وهو قول المبرد محمد بن يزيد وحكى عنه علي بن سليمان ان الحجة في ذلك انها دخلت عليها الهاء لتانيث الكلمة كما يقال ثمة وربه وقال القشيري وقد يقال ثمت بمعنى ثم وربت بمعنى رب فكانهم زادوا في لا ها فقالوا لاه كما قالوا في ثم ثمه عند الاصل فصارت تاء وقال الثعلبي وقال اهل اللغة ولات حين مفتوحتان فانهما كلمة واحدة وانما هي لا زيدت فيها التاء نحو رب وربت وثم وثمت قال ابو زيد الطائي

طلبوا صلحنا ولات اوان   فاجبنا ان ليس حين بقاء

وقال اخر

تذكر حب ليلى لات حينا   واضحى الشيب قد قطع القرينا

ومن العرب من يخفض بها وانشد الفراء

فلتعرفن خلائقا مشمولة   ولتندمن ولات ساعة مندم

وكان الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والاخفش يذهبون الى ان ولات حين التاء منقطعة من حين ويقولون معناها وليست وكذلك هو في المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء من حين والى هذا كان يذهب ابو عبيدة معمر بن المثنى وقال ابو عبيد القاسم بن سلام الوقف عندي على هذا الحرف ولا والابتداء تحين مناص فتكون التاء مع حين وقال بعضهم لات ثم يبتدي فيقول حين مناص قال المهدوي وذكر ابو عبيد ان التاء في المصحف متصلة بحين وهو غلط عند النحويين وهو خلاف قول المفسرين ومن حجة ابي عبيد ان قال انا لم نجد العرب تزيد هذه التاء الا في حين واوان والآن وانشد لابي وجزة السعدي

العاطفون تحين ما من عاطف   والمطعمون زمان اين المطعم

معنى ولات حين مناص

وانشد لابي زيد الطائي

طلبوا صلحنا ولات اوان   فاجبنا ان ليس حين بقاء

فادخل التاء في اوان قال ابو عبيد ومن ادخالهم التاء في الآن حديث ابن عمر وساله رجل عن عثمان رضي الله عنه فذكر مناقبه ثم قال اذهب بها تلان معك وكذلك قول الشاعر

نولي قبل يوم توجمانا   وصلينا كما زعمت تلانا

قال ابو عبيد ثم مع هذا كله اني تعمدت النظر في الذي يقال له الامام مصحف عثمان فوجدت التاء متصلة مع حين قد كتبت تحين قال ابو جعفر النحاس اما البيت الاول الذي انشده لابي وجزة فرواه العلماء باللغة على اربعة اوجه كلها على خلاف ما انشده وفي احدها تقديران رواه ابو العباس محمد بن يزيد العاطفون ولات ما من عاطف والرواية الثانية العاطفون ولات حين تعاطف والرواية الثالثة رواها ابن كيسان العاطفونه حين ما من عاطف وجعلها هاء في الوقف وتاء في الادراج وزعم انها لبيان الحركة شبهت بهاء التانيث والرواية الرابعة العاطفونه حين ما من عاطف وفي هذه الرواية تقديران احدهما وهو مذهب اسمعيل بن اسحاق الهاء في موضع نصب كما تقول الضاربون زيدا فاذا كنيت قلت الضاربوه واجاز سيبويه في الشعر الضاربونه فجاء اسمعيل بالبيت على مذهب سيبويه في اجازته مثله والتقدير الاخر العاطفونه على ان الهاء لبيان الحركة كما تقول مر بنا المسلمونه في الوقف ثم اجريت في الوصل مجراها في الوقف كما قرا اهل المدينة ماليه هلك عني سلطانيه واما البيت الثاني فلا حجة له فيه لانه يوقف ولات اوان غير ان فيه شيئا مشكلا لانه يروى ولات اوان بالخفض وانما يقع ما بعد لات مرفوعا او منصوبا وان كان قد روي عن عيسى بن عمر انه قرا ولات حين مناص فبنى لات على الكسر ونصب حين فاما ولات اوان ففيه تقديران قال الاخفش فيه مضمر اي ولات حين اوان قال النحاس وهذا القول بين الخطا والتقدير الاخر عن ابي اسحاق قال تقديره ولات اواننا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يعرب وكسره لالتقاء الساكنين وانشده محمد بن يزيد ولات اوان بالرفع واما البيت الثالث فبيت مولد لا يعرف قائله ولا تصح به حجة على ان محمد بن يزيد رواه كما زعمت الآن وقال غيره المعنى كما زعمت انت الآن فاسقط الهمزة من انت والنون واما احتجاجه بحديث ابن عمر لما ذكر للرجل مناقب عثمان فقال له اذهب بها تلان الى اصحابك فلا حجة فيه لان المحدث انما يروي هذا المعنى والدليل على هذا ان مجاهدا روى عن ابن عمر هذا الحديث وقال فيه اذهب فاجهد جهدك ورواه الاخر اذهب بها الآن معك واما احتجاجه بانه وجدها في الامام تحين فلا حجة فيه لان معنى الامام انه امام المصاحف فان كان مخالفا لها فليس بامام لها وفي المصاحف كلها ولات فلو لم يكن في هذا الا هذا الاحتجاج لكان مقنعا وجمع مناص مناوص قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا شيء عجاب ان في موضع نصب والمعنى من ان جاءهم قيل هو متصل بقوله في عزة وشقاق اي في عزة وشقاق وعجبوا وقوله كم اهلكنا معترض وقيل لا بل هذا ابتداء كلام اي ومن جهلهم انهم اظهروا التعجب من ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر اي يجيء بالكلام المموه الذي يخدع به الناس وقيل يفرق بسحره بين الوالد وولده والرجل وزوجته كذاب اي في دعوى النبوة قوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا مفعولان اي صير الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي عجيب وقرا السلمي عجاب بالتشديد والعجاب والعجاب والعجيب سواء بمعنى وقد فرق الخليل بين عجيب وعجاب فقال العجيب العجب والعجاب الذي قد تجاوز حد العجب مثل الطويل والطوال وقال الجوهري العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد اكثر منه وكذلك الاعجوبة وقال مقاتل عجاب لغة ازدشنوءة وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض ابو طالب فجاءت قريش وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وعند راس ابي طالب مجلس رجل فقام ابو جهل كي يمنعه قال وشكوه الى ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال يا عم انما اريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها الجزية العجم فقال كلمة واحدة قال وما هي قال لا اله الا الله قال فقالوا اجعل الالهة الها واحدا قال فنزل فيهم القرآن ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق حتى بلغ ان هذا الا اختلاق خرجه الترمذي ايضا بمعناه وقال هذا حديث حسن صحيح وقيل لما اسلم عمر بن

الخطاب رضي الله عنه شق علي قريش اسلامه فاجتمعوا الي ابي طالب وقالوا اقض بيننا وبين ابن اخيك
فارسل ابو طالب الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي هاؤلاء قومك تسألك ذا السواء فلا تمل كل الميل
علي قومك فقال وماذا يسألوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك قال النبي صلي الله عليه
وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها
وعشر امثالها فقال النبي صلي الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا فقالوا
اجعل الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد فانزل الله فيهم هذه الايات الي قوله كذبت
قبلهم قوم نوح **قوله تعالى** وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا علي الهتكم ان هذا
لشيء يراد والملاء الاشراف والانطلاق الذهاب بسرعة اي انطلق هاؤلاء الكافرون من عند رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول بعضهم لبعض ان امشوا اي امضوا علي ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه
واصبروا علي الهتكم وقيل هو اشارة الي مشيهم الي ابي طالب في مرضه كما سبق وفي رواية محمد بن اسحق
انهم ابو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وامية بن خلف والعاصي بن وائل
وابو معيط جاؤا الي ابي طالب فقالوا انت سيدنا وانصفنا في انفسنا فاكفنا امر ابن اخيك وسفهاء
معه فقد تركوا الهتنا وطعنوا في ديننا فارسل ابو طالب الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال له ان قومك
يدعونك الي السواء والنصفة فقال النبي صلي الله عليه وسلم انما ادعوهم الي كلمة واحدة فقال
ابو جهل وعشرا فقال تقولون لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا الايات
ان امشوا ان في موضع نصب والمعني بان امشوا وقيل ان بمعني اي اي وانطلق الملاء منهم ان امشوا ان
وهذا تفسير انطلاقهم لانهم تكلموا بهذا اللفظ وقيل المعني وانطلق الاشراف منهم فقالوا للعوام امشوا
واصبروا علي الهتكم اي علي عبادة الهتكم ان هذا اي هذا الذي جاء به محمد صلي الله عليه وسلم لشيء يراد اي
يراد باهل الارض من زوال نعم قوم وغير تنزل بهم وقيل ان هذا الشيء يراد كلمة تحذير اي انما يريد محمد بما يقول
الانقياد له ليعلو علينا ونصير له اتباعا فيتحكم فينا بما يريد فاحذروا ان تطيعوه وقيل لما ان عمر لما اسلم
وقوي به الاسلام شق ذلك علي قريش فقالوا ان اسلام عمر في قوة الاسلام لشيء يراد **قوله تعالى**
ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق قال ابن عباس والقرظي وقتادة ومقاتل والكلبي
والسدي يعنون ملة عيسي النصرانية وهي اخر الملك والنصاري يجعلون مع الله الها وقال مجاهد وقتادة
ايضا يعنون ملة قريش وقال الحسن ما سمعنا ان هذا يكون في اخر الزمان وقيل ما سمعنا من اهل الكتاب
ان محمدا رسول حق ان هذا الا اختلاق اي كذب وتخرص عن ابن عباس وغيره يقال خلق واختلق اي ابتدع
وخلق الله عز وجل الخلق من هذا اي ابتدعهم عن غير مثال **قوله تعالى** اانزل عليه الذكر من بيننا
بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب هو استفهام انكار والذكر ها هنا القرآن انكروا اختصاصه
بالوحي من بينهم فقال الله تعالى بل هم في شك من ذكري اي من وحي وهو القرآن اي قد علموا انك لم تزل
صدوقا فيما بينهم وانما شكوا فيما انزلته عليك هل هو من عندي ام لا بل لما يذوقوا عذابي اي انما اغتروا
بطول الامهال ولو ذاقوا عذابي علي الشرك لزال عنهم الشك ولما قالوا ذلك ولكن لا ينفع الايمان
حينئذ ولما بمعني لم وما زائدة كقوله عما قليل فبما نقضهم ميثاقهم **قوله تعالى** ام عندهم
خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فليرتقوا
في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قيل ام لهم هذا فيمنعوا محمدا صلي الله عليه وسلم
مما انعم الله به عز وجل عليه من النبوة وام قد ترد بمعني التقريع اذا كان الكلام متصلا بكلام قبله كقوله الم
تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه وقد قيل ان قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك
متصل بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فالمعني ان الله عز وجل يرسل من يشاء لان خزائن السموات
والارض له ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي فان ادعوا ذلك فليرتقوا في الاسباب
اي فليصعدوا الي السموات وليمنعوا الملائكة من انزال الوحي علي محمد صلي الله عليه وسلم يقال رقي يرقي
وارتقي يرتقي اذا صعد ورقي يرقي رقيا مثل رمي رميا من الرقية وقال الربيع بن انس الاسباب
ادق من الشعر واشد من الحديد ولكن لا تري والسبب في اللغة كل ما يوصل به الي المطلوب من حبل
او غيره وقيل الاسباب ابواب السموات التي تنزل الملائكة منها قاله مجاهد وقتادة وقال زهير

وانما ادعوكم الي كلمة واحدة فقال ابو جهل وعشرا

ولو رام اسباب السماء بسلم وقيل الاسباب السموات نفسها اي فليصعدوا
سماء سماء وقال السدي في الاسباب في الفضل والدين وقيل فليعلوا في اسباب القوة اي ظنوا انها مانعة
وهو معني قول ابي عبيدة وقيل الاسباب الحبال اي ان وجدوا حبلا او سببا يصعدون فيه الي السماء
فليرتقوا وهذا امر توبيخ وتعجيز ثم وعد نبيه صلي الله عليه وسلم بالنصر عليهم فقال جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب ما صلة وتقديره هم جند فجند خبر مبتدا محذوف مهزوم اي مقموع ذليل اي قد انقطعت
حجتهم لانهم لا يصلون الي ان يقولوا هذا لنا ويقال تهزمت القربة اذا انكسرت وهزمت الجند كسرته
والكلام مرتبط بما قبل اي بل الذين كفروا في عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون
فلا يغمك عزتهم وشقاقهم فاني اهزم جميعهم واسلب عزهم وهذا تبشير للنبي صلي الله عليه وسلم
وقد فعل بهم هذا يوم بدر قال قتادة وعد الله انه سيهزمهم وهو بمكة فجاء تاويلها يوم بدر وهنالك
اشارة لبدر وهو موضع تحزبهم لقتالهم لمحمد وقيل المراد بالاحزاب الذين اتوا المدينة وتحزبوا علي النبي
صلي الله عليه وسلم وقد مضي ذلك في الاحزاب والاحزاب الجند كما يقال جند من قبائل شتي وقيل اراد بالاحزاب
القرون الماضية من الكفار اي هؤلاء جند علي طريقة اولئك كقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه
فانه مني اي علي ديني ومذهبي قال الفراء المعني هم جند مغلوب اي ممنوع ان يصعد الي السماء وقال
القتبي يعني انهم جند لهذه الالهة مهزوم فهم لا يقدرون علي ان يدعوا لشيء من الهتهم ولا لانفسهم
شيئا من خزائن رحمة الله ولا من ملك السموات والارض **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق
عقاب ذكر هذا تعزية لنبيه صلي الله عليه وسلم وتسلية له اي هؤلاء من قومك يا محمد جند من الاحزاب
المتقدمين الذين تحزبوا علي انبيائهم وقد كانوا اقوي من هؤلاء فاهلكوا وذكر الله بلفظ التانيث
واختلف اهل العربية في ذلك علي قولين احدهما انه قد يجوز فيه التذكير والتانيث الثاني انه مذكر اللفظ
لا يجوز تانيثه الا ان يقع المعني علي العشيرة والقبيلة فيغلب في اللفظ حكم المعني المضمر تنبيها عليه كقوله
تعالي كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره ولم يقل ذكرها لانه لما كان المضمر فيه مذكرا ذكره وان كان اللفظ
مقتضيا للتانيث ووصف فرعون بانه ذو الاوتاد وقد اختلف في تاويل ذلك فقال ابن عباس ذو البناء
المحكم وقال الضحاك كان كثير البنيان والبنيان يسمي اوتادا وعن ابن عباس ايضا وقتادة وعطاء انه
كانت له اوتاد وارسان وملاعب يلعب له عليها وعن الضحاك ايضا ذو القوة والبطش وقال الكلبي ومقاتل
كان يعذب الناس بالاوتاد وكان اذا غضب علي احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل
عليه العقارب والحيات حتي يموت وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الي سارية
مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتي يموت وقيل ذو الاوتاد اي ذو الجنود الكثيرة فسميت الجنود اوتادا
لانهم يقوون امره كما يقوي الوتد البيت وقال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد وملك ثابت
الاوتاد يريدون دائما شديدا واصل هذا ان البيت من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم بالاوتاد قال الاسود بن
يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد
وواحد الاوتاد وتد بالكسر وبالفتح لغة وقال الاصمعي يقال وتد واتد كما يقال شغل شاغل وانشد
لاقت علي الماء جذيلا واتدا ولم يكن يخلفها المواعدا
قال شبه الرجل بالجذل وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اي الغيضة وقد مضي ذكرها في الشعراء وقرا نافع
وابن كثير وابن عامر ليكة بفتح اللام والتاء من غير همز والباقون بكسر التاء وقد تقدم هذا اولئك
الاحزاب اي هم الموصوفون بالقوة والكثرة كقولك فلان هو الرجل ان كل بمعني ما كل الا كذب الرسل فحق
عقاب اي فنزل بهم العذاب لذلك التكذيب واثبت يعقوب الياء في عذابي وعقابي في الحالين وحذفها
الباقون في الحالين ونظير هذه الاية قوله عز وجل وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
مثل داب قوم نوح وعاد وثمود فسمي هذه الامم احزابا **قوله تعالى** وما ينظر هاؤلاء الا صيحة
واحدة ما لها من فواق ينظر بمعني ينتظر ومنه انظرونا نقتبس من نوركم هاؤلاء يعني كفار مكة الا صيحة
واحدة اي نفخة القيامة اي ما ينتظرون بعد ما اصيبوا ببدر الا صيحة القيامة وقيل ما ينتظر احياؤهم
الان الا الصيحة التي هي النفخة في الصور كما قال ما ينتظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون

فلا يستطيعون توصية وهذا اخبار عن قرب القيامة والموت وقيل اي ما ينتظر كفار اخر هذه الامة المتدينين بدين اوليك الا صيحة واحدة وهي النفخة وقال عبد الله بن عمرو لم تكن صيحة في السما الا بغضب من الله على اهل الارض ما لها من فواق اي من تردد عن ابن عباس رض مجاهد ما لها رجوع قتادة من مثنوية السدي ما لها من افاقة وقرا حمزة والكسائي ما لها من فواق بضم الفا الباقون بالفتح الجوهري والفواق والفواق ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب يقال ما اقام عنده الا فواقا وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة وقوله تعالى ما لها من فواق يقرا بالفتح وبالضم اي ما لها من نظرة وراحة وافاقة والفيقة بالكسر اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين صارت الواو يا لكسرة ما قبلها قال الاعشى يصف بقرة

حتى اذا فيقة في ضرعها اجتمعت ... جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

والجمع فيق ثم افواق مثل شبر واشبار ثم افاويق قال ابن همام السلولي

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ... افاويق حتى ما يدر لها ثعل

والافاويق ايضا ما اجتمع في السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة وافاقت الناقة افاقة اي اجتمعت الفيقة في ضرعها فهي مفيق ومفيقة عن ابي عمرو والجمع مفاويق وقال الفرا وابو عبيد وغيرهما من فواق بفتح الفا اي راحة لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه ومن فواق بضم الفا من انتظار وقد تقدم انها بمعنى وهو ما بين الحلبتين قال الشيخ المص رحمه الله والمعنى المراد انها ممتدة لا تقطيع فيها وروى ابو هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في طايفة من اصحابه الحديث وفيه يامر الله عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السماء واهل الارض الا من شا الله ويامره فيمدها ويديمها ويطولها يقول الله عز وجل ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وذكر الحديث خرجه علي بن معبد وغيره وقد ذكرناه في التذكرة **قوله تعالى** وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال مجاهد اي عذابنا وكذا قال قتادة نصيبنا من العذاب الحسن نصيبنا من الجنة لنتنعم به في الدنيا وقاله سعيد بن جبير ومعروف في اللغة ان يقال للنصيب قط وللكتاب المكتوب بالجايزة قط قال الفرا القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل للصك قط وقال ابو عبيدة والكسائي والقط الكتاب بالجوايز والجمع القطوط قال الاعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته ... بغبطته يعطي القطوط ويافق

يعني كتب الجوايز ويروى بامته بدل بغبطته اي بنعمته وحاله الجليله ويافق يصلح ويقال في جمع قط ايضا قطلة وفي القليل اقط واقطاط ذكره النحاس وقال السدي سالوا ان تمثل لهم منازلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسمعيل بن ابي خالد المعنى عجل لنا ارزاقنا وقيل معناه عجل لنا ما يكفينا من قولهم قطني اي يكفيني وقيل انهم قالوا ذلك استعجالا لكتبهم التي يعطونها بايمانهم وشمايلهم حين تلي عليهم بذلك القران وصوفوا له فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه وراء ظهره واصل القط القط وهو القطع ومنه قط القلم فالقط اسم للقطعة من الشي كالقسم والقسم فانطلق على النصيب والكتاب والرزق لقطعه عن غيره الا انه في الكتاب اكثر استعمالا واقوى حقيقة قال امية بن ابي الصلت

قوم لهم ساحة العراق وما ... يجبى اليه والقط والقلم

قبل يوم الحساب اي قبل القيامة في الدنيا ان كان الامر على ما يقوله محمد وكل هذا استهزا منهم **قوله تعالى** اصبر على ما يقولون امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر لما استهزوا به وهذه منسوخة باية السيف **قوله تعالى** واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب لما ذكر من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذاهم وسلاه بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبيا ليتسلى بصبر من صبر منهم وليعلم ان له في الاخرة اضعاف ما اعطيه داود وغيره من الانبياء وقيل المعنى اصبر على قولهم واذكر لهم اقاصيص الانبيا لتكون برهانا على صحة نبوتك ذا الايد اي ذا القوة في العبادة وكان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد الصوم وافضله وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر اذا لاقى العدو وكان قويا في الدعا الى الله تعالى وقوله عبدنا اظهار لشرفه بهذه الاضافة ويقال الايد والاد كما يقول العيب والعاب قال لم يكن يناد فامسى انآد

معنى قط على التفصيل

ومنه رجل ايد اي قوي وتايد الشي تقوى قال الشاعر

اذا القوس وترها ايد ... رمى فاصاب الكلى والذرى

يقول اذا الله تعالى وتر القوس التي في السحاب رمى كلى الابل واسنمتها بالشحم يعني من النبات الذي يكون من المطر انه اواب قال الضحاك اي تواب وعن غيره انه كلما ذكر ذنبه او خطر على باله استغفر منه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة ماية مرة ويقال اب يئوب اذا رجع كما قال

وكل ذي غيبة يؤوب ... وغايب الموت لا يؤوب

فكان داود رجاعا الى طاعة الله تعالى ورضاه في كل امر فهو اهل لان يقتدى به **قوله تعالى** انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى يسبحن في موضع نصب على الحال ذكر تعالى ما اتاه من البرهان والمعجزة وهي تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود اذا ذكر الله عز وجل ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال وقال ابن عباس يسبحن يصلين وانما يكون هذا معجزة اذا راه الناس وعرفوه وقال محمد بن اسحق اوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوي حسن وما يصغي لحسنه وتصوت معه فهذا تسبيح الجبال والطير وقيل سخرها الله تعالى لتسير معه فذلك تسبيحها لانها دالة على تنزيه الله تعالى عن شبه المخلوقين وقد مضى القول في هذا في سبا وفي سبحان عند قوله وان من شي الا يسبح بحمده وان ذلك تسبيح مقال على الصحيح من الاقوال والله اعلم بالعشي والاشراق الاشراق ابيضاض الشمس بعد طلوعها يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت فكان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها الثانية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كنت امر بهذه الاية بالعشي والاشراق ولا ادري ما هي حتى حدثتني ام هاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضو فتوضا ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلاة الاشراق وقال عكرمة قال ابن عباس كان في نفسي شي من صلاة الضحى حتى وجدتها في القران يسبحن بالعشي والاشراق قال عكرمة وكان ابن عباس لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وروي ان كعب الاحبار قال لابن عباس اني اجد في كتاب الله تعالى صلاة بعد طلوع الشمس هي صلاة الاوابين فقال ابن عباس وانا اوجدك في القران ذلك في قصة داود يسبحن بالعشي والاشراق الثالثة صلاة الضحى نافلة مستحبة وهي في الغداة بازا العصر في العشي لا ينبغي ان تصلى الا حتى تبيض الشمس طالعة ويرتفع كدرها وتشرق بنورها كما لا يصلى العصر اذا اصفرت الشمس وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الاوابين حين ترمض الفصال والفصال والفصلان جمع فصيل وهو الذي يفطم عن الرضاعة من الابل والرمضاء شدة الحر في الارض وخص الفصال هنا بالذكر لانها هي التي ترمض قبل انتهاء شدة الحر التي ترمض بها امهاتها لقلة جلدها وذلك يكون في الضحى او بعده بقليل وهو الوقت المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها قال القاضي ابو بكر بن العربي ومن الناس من يبادر بها قبل ذلك استعجالا لاجل شغله فيخسر عمله لانه يصليها في الوقت المنهي عنه وياتي بعمل هو عليه لا له الرابعة روى الترمذي من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب في الجنة قال حديث غريب وفي صحيح مسلم عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال اوصاني خليلي بثلاث لا ادعهن حتى اموت صوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر لفظ البخاري وقال مسلم وركعتي الضحى وخرجه من حديث ابي الدردا كما خرجه البخاري من حديث ابي هريرة وهذا كله يدل على ان اقل الضحى ركعتان واكثره ثنتي عشرة والله اعلم واصل السلامى بضم السين عظام الاصابع والاكف والارجل ثم استعمل في ساير عظام الجسد ومفاصله وروي من حديث عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه خلق كل انسان من بني ادم على ستين وثلثماية مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس او شوكة او عظما عن طريق الناس وامر بمعروف او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثماية السلامى فانه يمشي يوميذ وقد زحزح نفسه عن النار وقال ابو توبة وربما

قال عيسى خرجه مسلم وقوله ويجزي من ذلك ركعتان اي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الاعضاء ركعتان
وذلك ان الصلاة عمل بجميع اعضاء الجسد فاذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه في الاصل والله
اعلم قوله تعالى والطير محشورة كل له اواب معطوف على الجبال قال الفراء ولو قرئ والطير
محشورة لجاز لانه لم يظهر الفعل قال ابن عباس رضي الله عنهما كان داود اذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت اليه
الطير فسبحت معه فاجتماعها اليه حشرها فالمعنى سخرنا الطير مجموعة اليه لتسبح لله معه وقيل اي وسخرنا
الريح لتحشر الطيور اليه لتسبح معه او امرنا الملائكة تحشر الطيور كل له لداود اواب اي مطيع اي يأتيه ويسبح
معه وقيل الهاء لله عز وجل قوله تعالى وشددنا ملكه اي قويناه حتى ثبت قيل بالهيبة والقاء الرعب
منه في القلوب وقيل بكثرة الجنود وقيل بالتاييد والنصر وهذا اختيار ابن العربي فلا ينفع الجيش الكثير
التفافه على غير منصور وغير معان وقال ابن عباس كان داود اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه
كل ليلة نيف وثلاثون الف رجل فاذا اصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله والملك عبارة عن كثرة الملك
فقد يكون للرجل ملك ولكن لا يكون ملكا حتى يكثر ذلك فلو ملك الرجل دارا وامراة لم يكن ملكا حتى يكون
له خادم يكفيه مؤنة التصرف في المنافع التي يفتقر اليها الضرورة الادمية وقد مضى هذا المعنى في براءة
وحقيقة الملك في النمل مستوفى قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب فيه مسالتان
المسالة الاولى قوله تعالى واتيناه الحكمة اي النبوة عن السدي مجاهد العدل ابو العالية العلم بكتاب
الله تعالى قتادة السنة شريح العلم والفقه وفصل الخطاب قال ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة يعني الفصل في
القضاء وهو قول ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل وقال ابن عباس بيان الكلام علي بن ابي طالب رض
الله عنه هو البينة على المدعي واليمين على من انكر وقاله شريح والشعبي وقتادة ايضا وقال ابو موسى الاشعري
والشعبي وقتادة ايضا هو قوله اما بعد وهو اول من تكلم بها وقيل فصل الخطاب البيان الفاصل بين الحق والباطل
وقيل هو الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل والمعنى في هذه الاقوال متقارب وقول علي ابن ابي طالب
رض الله يجمعه لان مدار الحكم عليه في القضا ما عدا قول ابي موسى الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي فاما
علم القضا فلعمر والاهكم انه لنوع من العلم مجرد وفصل منه مؤكد عند معرفة الاحكام والبصر بالحلال والحرام
ففي الحديث اقضاكم علي واعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل فقد يكون الرجل بصيرا باحكام الافعال
عارفا بالحلال والحرام ولا يقوم بفصل القضا يروى ان علي بن ابي طالب رض قال لما بعثني رسول الله صلى
الله عليه وسلم حفر قوم زبية للاسد فوقع فيها الاسد وازدحم الناس على الزبية فوقع فيها رجل وتعلق باخر
حتى صاروا اربعة فجرحهم الاسد فيها فهلكوا وحمل القوم السلاح وكاد يكون بينهم قتال فاتيتهم فقلت
اتقتلون مائتي رجل من اجل اربعة اناس تعالوا اقضي بينكم بقضاء فان رضيتموه فهو قضا بينكم وان ابيتم رفعتم
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو احق بالقضا فجعل للاول ربع الدية وجعل للثالث نصف الدية
وجعل للرابع الدية وجعل الديات على من حفر الزبية على القبايل الاربع فسخط بعضهم ورضي بعضهم ثم قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصوا عليه القصة فقال انا اقضي بينكم فقال قائل ان عليا قد قضى بيننا فاخبروه
بما قضى علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاء كما قضا علي وكذلك يروى في المعرفة بالقضا ان ابا
حنيفة جاء اليه رجل فقال ان ابن ابي ليلى وكان قاضيا بالكوفة جلد امراة مجنونة قالت لرجل يا ابن الزانيين
حدين في المسجد وهي قائمة فقال اخطا من ستة اوجه قال ابن العربي وهذا الذي قاله ابو حنيفة بالبديهة
لا يدركه احد بالروية الا العلما فاما قضيته فلا يدركها الشادي ولا يلحقها بعد التمرن في الاحكام
الا العاكف المتمادي وتحقيقها ان هؤلاء الاربعة مقتولون خطا بالتزاحم على الحفرة من الحاضرين عليها
فلهم الديات على من حضر على وجه الخطا بيد ان الاول مقتول بالمدافعة قاتل ثلاثة بالمجاذبة فله الدية
بما قتل وعليه ثلاثة ارباع الدية بالثلاثة الذين قتلهم واما الثاني فله ثلث الدية وعليه الثلثان
بالاثنين الذين قتلهما بالمجاذبة واما الثالث فله نصف الدية وعليه نصف لانه قتل واحدا بالمجاذبة
فوقعت المحاصة وغرمت العواقل هذا التقدير بعد القضا الجاري فيه وهذا من بديع الاستنباط
واما ابو حنيفة فانه نظر الى المعاني المتعلقة فراها ستة الاول المجنون لا حد عليه لان الجنون يسقط
التكليف وهذا اذا كان القذف في حالة الجنون واما اذا كان يجن مرة ويفيق اخرى فانه يحد بالقذف
في حال افاقته الثاني قولها يا ابن الزانيين فجلدها حدين لكل اب حدا فانما خطا ابو حنيفة على مذهبه

فصل الخطاب البيان الفاصل بين الحق والباطل

في ان الحد يتداخل لانه عنده حق الله تعالى كحد الخمر والزنا واما الشافعي ومالك فانما يريان ان الحد بالقذف
حق للادمي فيتعدد بتعدد المقذوف الثالث انه جلد بغير مطالبة المقذوف ولا يجوز اقامة حد القذف
باجماع من الامة الا بعد المطالبة باقامة من يقول انه حق الله تعالى ومن يقول انه حق الادمي اذ لو كان حقا
لله لما وقف على المطالبة كحد الزنا الرابع انه والى بين الحدين ومن وجب عليه حدان لم يوال عليه بينهما
بل يحد لاحدهما ثم يترك حتى يندمل الضرب ثم يقام عليه الحد الاخر الخامس انه حدها قائمة ولا تحد المراة
الا جالسة مستورة قال بعض الناس في زنبيل السادس انه اقام الحد في المسجد ولا يقام الحدود فيه اجماعا
وفي القضا في المسجد والتعزير فيه خلاف قال القاضي فهذا هو فصل الخطاب وعلم القضا الذي وقعت
الاشارة اليه على احد التاويلات الحديث المروي اقضاكم علي واما من قال انه الايجاز فذلك للعرب
دون العجم ولمحمد صلى الله عليه وسلم دون العرب وقد بين هذا بقوله واوتيت جوامع الكلم واما من
قال انه قوله اما بعد فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته اما بعد ويروى ان اول من قالها في
الجاهلية سحبان بن وائل اول من امن بالبعث واول من توكا على عصى وعمر مائة وثمانين سنة
ولو صح ان داود قالها لم تكن ذلك منه بالعربية على هذا النظر وانما كان بلسانه والله اعلم قوله تعالى
وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى
بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب
فيه اثنان وعشرون مسالة الاولى الخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة لان اصله المصدر قال

وخصم غضاب ينفضون لحاهم   كنفض البراذين العراب المخاليا

النحاس ولا خلاف بين اهل التفسير انه يراد به هاهنا ملكان وقال تسوروا وان كانا اثنين حملا على الخصم
اذ كان بلفظ الجمع ومضارعا له مثل الركب والصحب وتقدير للاثنين ذوا خصم وللجماعة ذوو خصم ومعنى
تسوروا اتوه من اعلى سوره يقال تسور الحائط تسلقه والسور حائط المدينة وهو بغير همز وكذلك السور
جمع سورة مثل بسرة وبسر وهي كل منزلة من البنا ومنه سورة القران لانها منزلة بعد منزلة مقطوعة
عن الاخرى وقد مضى في مقدمة الكتاب بيان هذا وقول النابغة

الم تر ان الله اعطاك سورة   يرى كل ملك دونها يتذبذب

يريد شرفا ومنزلة فاما السؤر بالهمز فهو بقية الطعام في الاناء ابن العربي والسور الوليمة بالفارسية
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب ان جابرا قد صنع لكم سورا فحي هلا بكم والمحراب
هنا الغرفة لانهم تسوروا عليه فيها قاله يحيى بن سلام وقال ابو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب
وقد مضى القول فيه في غير موضع اذ دخلوا على داود جاءت اذ مرتين لانهما فعلان وزعم الفراء ان
احداهما بمعنى لما وقول اخر ان تكون الثانية مع ما بعدها تبيينا لما قبلها قيل انهما كانا انسيين قاله
النقاش وقيل ملكين قاله جماعة وعينهما جماعة فقال انهما جبريل وميكائيل وقيل ملكين في صورة انسيين
بعثهما الله اليه في يوم عبادته فمنعهما الحرس الدخول فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو في الصلاة الا وهما
بين يديه جالسين وهو قوله تعالى وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب اي علوا ونزلوا عليه من فوق المحراب
قاله سفيان الثوري وغيره وسبب ذلك ما حكاه ابن عباس ان داود حدث نفسه ان ابتلي ان يعتصم فقيل له
انك ستبتلى وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فاخذ الزبور ودخل المحراب ومنع من الدخول عليه
فبينا هو يقرا الزبور اذ جاء طائر كاحسن ما يكون من الطير فجعل يدرج بين يديه فهم ان يتناوله بيده
فاستدرج حتى وقع في كوة المحراب فدنا منه لياخذه فانقض فاطلع ليبصره فاشرف على امراة فلما راته
غطت جسدها بشعرها قال السدي فوقعت في قلبه قال ابن عباس وكان زوجها غازيا في سبيل الله وهو
اوريا بن حنان فكتب داود الى امير الغزاة ان يجعل زوجها في حملة التابوت وكان حملة التابوت اما ان
يفتح الله عليهم او يقتلوا فقدمه فيهم فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود واشترطت عليه ان ولدت
غلاما ان يكون الخليفة بعده وكتب عليه بذلك كتابا واشهدت عليه خمسين رجلا من بني اسرائيل

سبب ابتلاء داود عليه السلام

لم تستقر نفسه حتى ولدت سليمان وتسور الملكان وكان من شانهما ما قص الله في كتابه
ذكره الماوردي وغيره ولا يصح وقال ابن العربي وهو من امثل ما روي في ذلك قال الشيخ رحمه الله ورواه
مرفوعا بمعناه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن يزيد الرقاشي سمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي ع لم حين نظر الى المراة فهم بها قطع على بني اسرائيل بعثا واوصى
صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا وسماه قال فقربه بين يدي التابوت وكان ذلك التابوت
في ذلك الزمان يستنصر به فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش الذي يقاتله
فقدم فقتل زوج المراة ونزل الملكان على داود فقصا عليه القصة قال سعيد عن قتادة كتب الى زوجها وذلك
في حصار عمان مدينة بلقاء ان ياخذ واغلقه الباب وفيه الموت الاحمر فتقدم فقتل وقال الثعلبي قال

سبب ابتلاء داود عليه السلام

قوم من العلما انما امتحن الله داود بالخطيئة لانه تمنى يوما على ربه منزلة ابراهيم واسحاق ويعقوب وساله
ان يمتحنه نحو ما امتحنهم ويعطيه نحو ما اعطاهم وكان داود قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه
بين الناس ويوم يخلو فيه بعبادة ربه ويوم يخلو فيه بنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقراء من الكتب فضل ابراهيم
واسحاق ويعقوب فقال يا رب ان الخير كله قد ذهب به اباءي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ابتلاء لم
يبتل بها غيرهم فصبروا عليها ابتلى ابراهيم بنمرود وبالنار وبذبح ابنه وابتلى اسحاق بالذبح وابتلى يعقوب
بالحزن على يوسف وذهاب بصره ولم تبتل انت بشيء من ذلك فقال داود فابتلني بمثل ما ابتليتهم واعطني
مثل ما اعطيتهم فاوحى الله اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم الجمعة فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه
واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينا هو كذلك اذ مثل له الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها من
كل لون حسن فوقفت بين رجليه فمد يده لياخذها فيدفعها لابن له صغير فطارت غير بعيد ولم
تؤيسه من نفسها فامتد اليها لياخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب لياخذها
فطارت فنظر داود يرتفع في اثرها ليبعث اليها من ياخذها فنظر امراة في بستان على شط بركة
تغتسل قاله الكلبي وقال السدي تغتسل عريانة على سطح لها فراى اجمل النسا خلقا فابصرت ظله فنقضت
شعرها فغطى بدنها فزاده اعجابا بها وكان زوجها اوريا في غزاة مع ايوب بن صوريا اخت داود
فكتب داود الى ايوب ان ابعث باوريا الى مكان كذا وكذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم قبل
التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله او يستشهد فقدمه ففتح له فكتب الى داود يخبره بذلك
قال الكلبي وكان اوريا سيف الله في ارضه في زمان داود وكان اذا ضرب ضربة وكبر كبر جبريل
عن يمينه وميكائيل عن شماله وكبرت ملائكة السماء بتكبيره حتى ينتهي ذلك الى العرش فتكبر ملائكة
العرش بتكبيره قال وكان سيوف الله هكذا ثلاثة كالب بن يوفنا في زمن موسى واوريا في زمن داود

وكان سيوف الله ثلاثة

وحمزة بن عبد المطلب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كتب ايوب الى داود يخبره ان الله قد فتح
على اوريا كتب داود اليه ان ابعثه في بعث كذا وقدمه قبل التابوت ففتح الله عليه فقتل في الثالثة شهيدا
فتزوج داود تلك المراة حين انقضت عدتها فهي ام سليمان بن داود عليهما السلام وعلى نبينا وقيل
سبب امتحان داود عليه السلام ان نفسه حدثته انه يطيق قطع يوم بغير مقارفة شي قال الحسن ان داود جزا
الدهر اربعة اجزاء جزاء لنسائه وجزا للعبادة وجزاء لبني اسرائيل يذاكرونه ويذاكرهم ويبكونه
ويبكيهم ويوما للقضا فتذاكروا هل يمر على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود انه يطيق ذلك
فاغلق الباب على نفسه يوم عبادته وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراءة الزبور فوقعت حمامة من ذهب
بين يديه وذكر نحو ما تقدم قال علماؤنا وفي هذا دليل وهي **الثانية** على انه ليس على الحاكم ان ينتصب
للناس كل يوم وانه ليس للانسان ان يترك وطي نسائه وان كان مشتغلا بالعبادة وقد مضى هذا المعنى
في النساء وحكم كعب بذلك بحضر عمر رضي الله عنهما وقد قال ع لم لعبد الله بن عمرو ان لزوجك حقا الحديث
وقال الحسن ايضا ومجاهد ان داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين استخلف والله لاعدلن بينكم ولم يستثن
فابتلي بهذا وقال ابو بكر الوراق كان داود كثير العبادة فاعجب بعمله وقال هل في الارض احد يعمل كعملي
فاوحى الله جبريل فقال ان الله تعالى يقول لك عجبت بعبادتك والعجب ياكل العبادة كما تاكل النار الحطب
فان اعجبت ثانية وكلتك الى نفسك قال يا رب كلني الى نفسي سنة قال ان ذلك لكثير قال فشهرا
قال ان ذلك لكثير قال فيوما قال ان ذلك لكثير قال يا رب فكلني الى نفسي ساعة قال فشانك

بها فوكل الاحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في عبادته اذ وقع الطاير
بين يديه فكان من امر المراة ما كان وقال سفيان الثوري قال داود ذات يوم يا رب ما من يوم الا ومن ال
داود فيه صايم وما من ليلة الا ومن آل داود فيها قايم فاوحى الله اليه يا داود منك ذلك او مني وعزتي
لاكلنك الى نفسك قال يا رب اعف عني قال اكلك الى نفسك سنة قال لا بعزتك قال فشهرا قال
لا بعزتك قال فاسبوعا قال لا بعزتك قال فيوما قال لا بعزتك قال فساعة قال لا بعزتك قال فلحظة فقال
له الشيطان ما قدر لحظة قال كلني الى نفسي لحظة فوكله الله الى نفسه لحظة وقيل له هي في يوم كذا
في وقت كذا فلما جاء ذلك اليوم جعله للعبادة ووكل الاحراس حول مكانه قيل اربعة الاف وقيل ثلاثين الفا
او ثلاثة وثلاثين الفا وخلى بعبادة ربه ونشر الزبور بين يديه فجاءت الحمامة فوقعت له فكان من امره
في لحظته مع المراة ما كان وارسل الله اليه عز وجل الملكين بعد ولادة سليمان وضربا له المثل بالنعاج
فلما سمع المثل ذكر خطيئته فخر ساجدا اربعين ليلة على ما ياتي **الثالثة** قوله تعالى ففزع منهم لانهما
اتياه ليلا في غير وقت دخول الخصوم وقيل لدخولهم عليه بغير اذنه وقيل لانهم تسوروا عليه المحراب
ولم ياتوه من الباب قال ابن الاعرابي العربي وكان محراب داود عليه السلام من الامتناع بالارتفاع
بحيث لا يرتقي اليه ادمي بحيلة الا ان يقيم اياما فيها واشهرا بحسب طاقته مع اعوان يكثر عددهم والات
جمة مختلفة الانواع ولو قلنا انه يوصل اليه من باب المحراب لما قال الله تعالى مخبرا عن ذلك تسوروا المحراب اذ لا
يقال تسوروا المحراب والغرفة لمن طلع من درجها وجاءها من اسفلها الا ان يكون ذلك مجازا واذا شاهدت
الكوة التي دخل منها الخصمان علمت قطعا انهما ملكان لانها من العلو بحيث لا ينالها الا علوي قال
الثعلبي وقد قيل كان المتسوران اخوين من بني اسرائيل لاب وام فلما قضى داود بينهما بقضيته قال له ملك
من الملائكة فهلا قضيت بذلك نفسك يا داود قال الثعلبي والاول احسن انهما كانا ملكين نبهاه داود
على ما فعل قال الشيخ رحمه الله على هذا اكثر اهل التاويل فكيف يجوز ان يقول الملكان خصمان بغى
بعضنا على بعض وذلك كذب والملائكة عن مثله منزه فالجواب عنه انه لا بد في الكلام من تقدير فكانهما

قال لما ادخلكما على قالا لا تخف خصمان

قالا قدرنا خصمين بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق وعلى ذلك يحمل قولهما ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
لان ذلك وان كان بصورة الخبر فالمراد ايراده على طريق التقرير لتنبيه داود على ما فعل والله اعلم **الرابعة**
ان قيل لم فزع داود وهو نبي قد قويت نفسه بالنبوة واطمانت بالوحي ووثقت بما اتاه الله من المنزلة واظهر
على يديه من الايات وكان من الشجاعة في غاية المكانة قيل له ذلك سبيل الانبياء قبله لم يامنوا القتل
والاذاية ومنها كان يخاف الا ترى الى موسى وهرون كيف قالا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال
الله عز وجل لا تخافا وقالت الرسل للوط لا تخف انا رسل ربك لن يصلوا اليك وكذا قال الملكان هنا لا تخف
قال محمد بن اسحاق بعث الله اليه ملكين يختصمان وهو في محرابه مثلا ضربه الله له ولاوريا فراهما واقفين
على راسه فقال ما ادخلكما علي قالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فجيناك لتقضي بيننا **الخامسة**
قال ابن العربي فان قيل كيف لم يامر باخراجهم اذ قد علم مطلبهم ولا ادبهم ودخلوا عليه بغير اذن فالجواب
عليه من اربعة اوجه الاول انا لم نعلم كيفية شرعه في الحجاب والاذن فيكون الجواب بحسب تلك الاحكام
وقد كان ذلك في ابتداء شرعنا مهملا عن هذه الاحكام حتى اوضحها الله بالبيان الثاني انا لو نزلنا الجواب
على احكام الحجاب لاحتمل ان يكون الفزع الطارى عليه اذهله عما كان يجب في ذلك له الثالث انه اراد
ان يستوفي كلامهما الذي دخلا له حتى يعلم اخر الامر منه ويرى هل يحتمل التقحم بغير اذن ام لا وهل يقترن
بذلك عذر لهما ام لا يكون لهما عذر فيه فكان من اخر الحال ما انكشف انه بلاء ومحنة ومثل ضربه الله في
القصة وادب وقع على دعوى العصمة الرابع انه يحتمل ان يكون في مسجد ولا اذن في المسجد لاحد اذ لا حجة
فيه على احد قال الشيخ رحمه الله وقول خامس ذكره القشيري وهو انهما قالا لما لم ياذن لنا الموكلون
بالحجاب توصلنا الى الدخول بالتسور وخفنا ان يتفاقم الامر بيننا فقبل داود عذرهم واصغى الى قولهم
السادسة قوله تعالى خصمان ان قيل كيف قال خصمان وقبل هذا اذ تسوروا المحراب فقيل لان الاثنين
جمع قال الخليل كما تقول نحن فعلنا اذا كنتما اثنين وقال الكسائي جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر
وجات المخاطبة خبر الاثنان عن انفسهما فقالا خصمان وقال الزجاج المعنى نحن خصمان وقال غيره
القول محذوف اي نقول خصمان بغى بعضنا على بعض قال الكسائي ولو كان بغى بعضهما على بعض لجاز الماوردي

وكانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين ولا ياتي منهما كذب وتقديره كلامهما ما تقول ان اتاك خصمان قال لا بغي بعضنا على بعض وقيل اي نحن فريقان من الخصوم بغي بعضنا على بعض وعلى هذا يحتمل انه كانت الخصومة بين اثنين ومع كل واحد جمع ويحتمل ان يكون لكل واحد من هذا الفريق خصومة مع واحد من الفريق الاخر فيحضر والخصومات ولكن ابتداء منهم اثنان فعرف داود بذكر النكاح القصة واغنى بذلك عن التعرض للخصومات الاخر والبغي التعدي اي والخروج عن الواجب يقال بغي الجرح اذا افرط وجعه وترامي الى ما يفحش ومنه بغت المراة اذا اتت الفاحشة **السابعة** قوله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط لا تجر قاله السدي وحكي ابو عبيد شططت عليه واشططت اي جرت وفي حديث تميم الداري انك لشاطي اي جائر علي في الحكم وقال قتادة لا تمل الاخفش لا تسرف وقيل لا تفرط والمعنى متقارب والاصل فيه البعد من شططت الدار اي بعدت شطت الدار تشط وتشط شطا وشطوطا بعدت واشط في القضية اي جار واشط في السوم واشتط اي ابعد واشطوا في طلبي اي امعنوا قال ابو عمرو والشطط مجاوزة القدر في كل شي وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط اي لا نقصان ولا زيادة وفي التنزيل لقد قلنا اذا شططا اي جورا من القول وبعدا عن الحق واهدنا الى سواء الصراط اي ارشدنا الى قصد السبيل **الثامنة** قوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة اي قال الملك الذي تكلم عن اوريا ان هذا اخي اي على ديني واشار الى المدعى اليه وقيل اخي اي صاحبي له تسع وتسعون نعجة وقرا الحسن تسع وتسعون بفتح التاء فيهما وهي لغة شاذة وهي الصحيح من قراءة الحسن قاله النحاس والعرب تكني عن المراة بالنعجة والشاة لما هي عليه من السكون والمعجزة وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والحجرة والناقة لان الكل مركوب قال ابو فرعون

انا ابوهن ثلاث هنه ● رابعة في البيت صغراهنه ●
ونعجتي خمسا توفيهنه ● الا فتى سمح يغذيهنه ●
طي النقا في الجوع يطويهنه ● ويل الرغيف ويله منهنه ●

وقال عنترة

يا شاة ما قنص لمن حلت له ● حرمت علي وليتها لم تحرم ●
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي ● فتجسسي اخبارها لي واعلم ●
قالت رايت من الاعادي غرة ● والشاة ممكنة لمن هو مرتم ●
فكانما التفتت بجيد جداية ● رشا من الغزلان حر ارثم ●

وقال اخر

فرميت غفلة عينه عن شاته ● فاصبت حبة قلبها وطحالها ●

وهذا من احسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء قال الحسن بن الفضل هذا من الملكين تعريض وتنبيه كقولهم ضرب زيد عمرا وما كان ضرب ولا نعاج على التحقيق كانه قال نحن خصمان هذه حالنا وقال ابو جعفر النحاس احسن ما قيل في هذا المعنى يقول خصمان بغى بعضنا على بعض على جهة المسالة كما يقول رجل لامرانه كرا ما يجب عليه قال الشيخ رحمه الله وقد ذكرنا قوله في الموطا وغيره المزني صاحب الشافعي في هذه الاية وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث بن شهاب الذي خرجه هو لك يا عبد بن زمعه على نحو هذا قال المزني يحتمل هذا الحديث عندي والله اعلم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم اجاب عن المسالة فاعلمهم بالحكم ان هكذا ان يكون اذا ادعى صاحب فراش وصاحب زنا لا انه قبل على عتبة قول اخيه سعد ولا على زمعه قول ابنه انه ولد زنا لان كل واحد منهما اخبر عن غيره وقد اجمع المسلمون انه لا يقبل اقرار احد على غيره وقد ذكر الله في كتابه مثل ذلك في قصة داود والملائكة اذ دخلوا عليه ففزع منهم قالوا لا تخف ولم يكونوا خصمين ولا كان لواحد منهما تسع وتسعون نعجة ولكنهم كلموه على المسالة ليعرف بها ما ارادوا تعريفه فيحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم حكم في هذه القصة على المسالة وان لم يكن احد يوسف على هذا التاويل في الحديث فانه عندي صحيح والله اعلم **التاسعة** قال النحاس وفي قراءة ابن مسعود ان هذا اخي كان له تسع وتسعون نعجة انثى وكان هنا مثل قوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما فاما قوله انثى فهو تاكيد كما يقال هو رجل ذكر وهو تاكيد وقوله قيل لما كان يقال هذه مائة نعجة وان كان فيها من [illegible] قال ابن العربي ان كان جميعهن احرارا فذلك شرعه وان كن اماء فذلك شرعنا والظاهر ان شرع من

قبلنا لم يكن محصورا بالعدد وانما الحصر في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لضعف الابدان وقلة الاعمار وقال القشيري ويجوز ان يقال لم يكن له هذا العدد بعينه ولكن المقصود ضرب مثل كما تقول لو جئتني مائة مرة لم اقض حاجتك اي مرارا كثيرة قال ابن العربي قال بعض المفسرين لم يكن لداود مائة امراة وانما ذكر التسعة والتسعين مثلا المعنى هذا غني عن الزوجة وانا مفتقر اليها وهذا فاسد من وجهين احدهما ان العدول عن الظاهر بغير دليل لا معنى له ولا دليل يدل عليه انه شرع من قبلنا كان مقصورا من النساء على ما في شرعنا الثاني انه روى البخاري وغيره ان سليمان قال لاطوفن الليلة على مائة امراة تلد كل امراة غلاما يقاتل في سبيل الله ونسي ان يقول ان شاء الله وهذا نص **العاشرة** قوله تعالى ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة فقال اكفلنيها اي انزل لي عنها حتى اكفلها وقال ابن عباس اعطنيها وعنه تحول لي عنها وقاله ابن مسعود وقال ابو العالية ضمها الي حتى اكفلها وقال ابن كيسان اجعلها كفلي ونصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني قال الضحاك ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش مني يقال عزه يعزه بضم العين في المستقبل عزا غلبه وفي المثل من عز بز اي من غلب سلب والاسم العزة وهي القوة والغلبة قال

قطاة عزها شرك فباتت ● تجاذبه وقد علق الجناح

وقرا عبد الله بن مسعود وعبيد بن عمير وعازني في الخطاب اي غالبني من المعازة وهي المغالبة عازه اي غالبه قال ابن العربي واختلف في سبب الغلبة فقيل معناه غلبني ببيانه وقيل غلبني بسلطانه لانه لما سأله لم يستطع خلافه كان ببلادنا امير يقال له سير بن ابي بكر فكلمته في ان يسال لي رجلا حاجة فقال لي اما علمت ان طلب السلطان للحاجة غصب لها فقلت اما اذا كان عدلا فلا فعجبت من عجمته وحفظه لما تمثل به وفطنته كما عجب من جوابي له واستغربه **الحادية عشرة** قوله تعالى لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه قال النحاس فيقال ان هذه كانت خطيئة داود لانه قال لقد ظلمك من غير تثبت ببينة ولا اقرار من الخصم هل كان هذا كذا ام لم يكن فهذا قول قال الشيخ رح وسياتي بيانه في المسالة بعد هذا وهو حسن ان شاء الله تعالى قال ابو جعفر النحاس فاما قول العلماء الذين لا يدفع قولهم منهم عبد الله بن مسعود وابن عباس فانهم قالوا ما زاد داود صلى الله عليه وسلم على ان قال للرجل انزل لي عن امراتك قال ابو جعفر فعاتبه الله عز وجل على هذا ونبه عليه وليس هذا بكبير من المعاصي ومن تخطى الى غير هذا فانما ياتي بما لا يصح عن عالم ويلحقه فيه اثم عظيم كذا قال في كتاب اعراب القران وقال في كتاب معاني القران له بمثله قال الشيخ رحمه الله قد جاءت اخبار وقصص في امر داود عليه السلام واوريا واكثرها لا يصح ولا يتصل اسناده ولا ينبغي ان يجترا على مثلها الا بعد المعرفة بصحتها واصح ما روي في ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود قال ما زاد داود عليه السلام على ان قال اكفلنيها اي انزل لي عنها وروى المنهال عن سعيد بن جبير قال ما زاد داود عليه السلام على ان قال اكفلنيها اي تحول لي عنها وضمها الي قال ابو جعفر فهذا اجل ما روي في هذا والمعنى عليه ان داود عليه السلام سال اوريا ان يطلق امراته كما يسال الرجل الرجل ان يبيعه جاريته فنبهه الله عز وجل على ذلك وعاتبه لما كان نبيا وكان له تسع وتسعون انكر عليه ان يتشاغل بالدنيا بالتزيد منها فاما غير هذا فلا ينبغي الاجتراء عليه قال ابن العربي اما قولهم انها لما اعجبته امر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا باطل قطعا فان داود صلى الله عليه وسلم لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه وانما كان من الامر ان داود قال لبعض اصحابه انزل لي عن اهلك وعزم عليه في ذلك كما يطلب الرجل من الرجل الحاجة برغبة صادقة كانت في الاهل او في المال وقد قال سعيد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف حين اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ان لي زوجتين انزل لك عن احسنهما فقال له بارك الله لك في اهلك وما يجوز فعله ابتداء يجوز طلبه وليس في القران ان ذلك كان ولا انه تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها ولا ولادتها لسليمان فعمن يروي هذا او يسند على من في نقله يعتمد وليس ياثره عن الثقات الاثبات احد اما ان في سورة الاحزاب نكتة تدل على ان داود قد صارت له المراة زوجة وذلك قوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني في احد الاقوال تزوج داود المراة التي نظر اليها كما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الا ان تزوج زينب كان من غير سؤال للزوج في فراق بل امره بالتمسك بزوجيتها وكان تزوج داود للمراة بسؤال زوجها فراقها فكانت هذه المنقبة لمحمد صلى الله عليه وسلم على داود مضافة الى مناقبه العلية صلى الله عليه وسلم ولكن قد قيل ان

كنى بالنعاج عن النساء

قصة اوريا

معنى سنة الله في الذين خلوا من قبل تزوج الانبيا من غير صداق من وهبت نفسها لهم من النسا وقيل اراد بقوله
سنة الله في الذين خلوا من قبل ان الانبيا صلوات الله عليهم فرض لهم بما يمتثلونه في النكاح وغيره
وهذا اصح الاقوال وقد روى المفسرون ان داود صلى الله عليه وسلم نكح ماية امراة وهذا نص القران
وروي ان سليمان كانت له ثلاثماية امراة وسبعماية جارية فربك اعلم وذكر الكيا الطبري في احكامه في قوله
تعالى وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب الاية ذكر المحققون الذين يرون تنزيه الانبيا عليهم السلام عن الكباير
ان داود عليه السلام كان قد اقدم على خطبة امراة قد خطبها غيره يقال هو اوريا فمال القوم الى تزويجها
من داود راغبين فيه وزاهدين في الخاطب الاول ولم يكن بذلك داود عارفا وقد كان يمكنه ان يعرف ذلك
فيعدل عن هذه الرغبة وعن الخطبة بها فلم يفعل ذلك من حيث اعجب بها اما وصفا او مشاهدة على غير تعمد وقد
كان لداود عليه السلام من النساء العدد الكثير وذلك الخاطب لا امراة له فنبهه الله تعالى على ما فعل
من تسور الملكين وما اورداه من التمثيل على وجه التعريض لكي يفهم من ذلك موقع العتب فيعدل عن هذه

ثلاثماية امراة وسبعماية جارية

وسلم لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من الخليطين فانهما يتراجعان
بينهما بالسوية وروي فانهما يترادان الفضل ولا موضع لترادّ الفضل بين الشركا فاعلمه واحكام الخلطة
مذكورة في كتب الفقه ومالك واصحابه وجمع من العلما لا يرون على من ليس في حصته ما يجب فيه
الزكاة وقال ربيعة والليث وجمع من العلما منهم الشافعي اذا كان في جميعها ما يجب فيه الزكاة
اخذت منها الزكاة قال مالك وان اخذ المصدق بهذا ترادوا بينهم للاختلاف في ذلك ويكون كحكم حاكم
اختلف فيه **الرابعة عشرة** قوله تعالى ليبغي بعضهم على بعض اي يتعدى ويظلم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم يعني الصالحين اي قليل هم فما زايدة وقيل بمعنى الذي وتقديره وقليل الذين
هم وسمع عمر رض رجلا يقول في دعايه اللهم اجعلني من عبادك القليل ما هم فقال عمر الناس افقه منك
يا عمر **الخامسة عشرة** وظن داود انما فتناه اي ابتليناه وظن معناه ايقن قال ابو عمرو والفراء ظن بمعنى
ايقن الا ان الفرا شرحه بانه لا يجوز في المعاين ان يكون الظن الا بمعنى اليقين والقراءة فتناه بتشديد

حكمه عندكم قلنا اما من قال ان نبيًا زنى فانه يقتل واما من نسب اليه ما دون ذلك من النظر والملامسة فقد اختلف الناس في ذلك فان صمم احد على ذلك فيه ونسبه اليه قتلته فانه ينافض التعزير المامور به فاما قولهم انه وقع بصره على امراة تغتسل عريانة فلما رأته اسبلت شعرها فسترت جسدها فهذا لا حرج عليه فيه باجماع من الامة لان النظرة الاولى تكشف المنظور اليه ولا يأثم الناظر بها فاما النظرة الثانية فلا اصل لها واما قولهم انه ان مات زوجها تزوجها فلا شي فيه اذ لم يعرضه للموت واما قولهم انه خطب على خطبة اوريا فباطل يرده القران والاثار التفسيرية كلها وقد روى اشهب عن مالك قال بلغني ان تلك الحمامة اتتمه فوقعت قريبًا من داود عليه السلام وهي من ذهب فلما راها اعجبته فقام ليأخذها فكانت قرب يده ثم صنع مثل ذلك مرتين ثم طارت واتبعها ببصره فوقعت عينه على تلك المراة وهي تغتسل ولها شعر طويل فبلغني انه اقام اربعين ليلة ساجدًا حتى نبت العشب من دموع عينيه قال ابن العربي اما قول المفسرين ان الطاير درج عنده فهم باخذه واتبعه فهذا لا ينافض العبادة لانه مباح فعله لا سيما وهو حلال وطلب الحلال فريضة وانما اتبع الطاير لذاته لا لجماله فانه لا منفعة له فيه وانما ذكرهم لحسن الطاير خرق في الجهالة اما انه روي انه كان طايرًا من ذهب فاتبعه ليأخذه لانه من فضل الله سبحانه كما روي في الصحيح ان ايوب عليه السلام كان يغتسل عريانًا فخر عليه رجل من جراد فجعل يحثي منه ويجعل في ثوبه فقال له الله تعالى يا ايوب الم اكن اغنيتك قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقال القشيري فهم داود لان يأخذه ليدفعه الى ابن له صغير فطار ووقع على كوة البيت وقاله الثعلبي ايضا وقد تقدم

التاسعة عشرة

قوله تعالى وخر راكعا واناب اي خر ساجدًا وقد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر

فخر على وجهه راكعا ... وتاب الى الله من كل ذنب

قال ابن العربي لا خلاف بين العلما ان الركوع هاهنا السجود فان السجود هو الميل والركوع هو الانحناء واحدهما يدخل على الاخر ولكنه قد يختص كل واحد بهيئته ثم جاء على هذه التسمية احدهما بالاخر فسمي السجود ركوعا وقال المهدوي وكان ركوعهم سجودًا وقيل بل كان سجودهم ركوعًا وقال مقاتل فوقع من ركوعه ساجدًا لله اي لما احس بالامر قام الى الصلاة ثم وقع من الركوع الى السجود لاشتمالهما جميعًا على الانحناء وقال الحسن بن الفضل سالني عبد الله بن طاهر وهو الوالي عن قول الله عز وجل وخر راكعا هل يقال للراكع خر قلت لا قال فما معنى الاية قلت معناها فخر بعد ان كان راكعا فسجد واناب اي تاب من خطيئته ورجع الى الله

الموفيه عشرين

واختلف في سجدة ص هل هي من عزايم السجود المامور به في القران ام لا فروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر ص والقران ذي الذكر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم اخر قرا بها فتشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم للسجود ونزل وسجد وهذا لفظ ابي داود وفي البخاري وغيره عن ابن عباس انه قال ص ليست من عزايم القران وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وقد روي من طريق عن ابن مسعود انه قال ص توبة نبي لا يسجد فيها وعن ابن عباس انها توبة نبي ونبيكم ممن امر ان يقتدي به قال ابن العربي والذي عندي انها ليست موضع سجود ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها فسجدنا بالاقتدا به ومعنى السجود ان داود سجد خاضعًا لربه معترفا بذنبه تائبًا من خطيئته فاذا سجد احد فيها فليسجد بهذه النية فلعل الله ان يغفر له بحرمة داود الذي اتبعه وسوا قلنا ان شرع من قبلنا شرع لنا ام لا فان هذا امر مشروع في كل ملة لكل احد والله اعلم الثالثة قال ابن خواز منداد قوله وخر راكعا واناب فيه دلالة على ان السجود للشكر مفردًا لا يجوز لانه ذكر معه الركوع وانما الذي يجوز ان ياتي بركعتين شكرًا فاما سجدة مفردة فلا وذلك ان البشارات كانت تاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمة بعده فلم ينقل ان احدًا منهم سجد شكرًا ولو كان ذلك مفعولا لهم لنقل نقلا متظاهرًا لحاجة العامة الى جوازه وكونه قربة وفي سنن ابن ماجة عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بشر براس ابي جهل ركعتين وحديث من حديث ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه امر يسره او يسر به خر ساجدًا شكرًا لله وهذا قول الشافعي وغيره وروى الترمذي وغيره واللفظ للغيران رجلا من الانصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل يستتر بشجرة وهو يقرا ص والقران ذي الذكر فلما بلغ السجدة سجد وسجدت معه الشجرة فسمعها وهي تقول اللهم اعظم لي بهذه السجدة

قال الله تعالى يا ايوب الم اكن اغنيتك
قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك

اجرًا وارزقني بها شكرًا قال الشيخ رحمه الله خرج ابن ماجة في سننه عن ابن عباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل فقال اني رايت البارحة فيما يرى النايم كاني اصلي الى اصل شجرة فقرات السجدة فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم احطط عني بها وزرا واكتب لي بها اجرًا واجعلها لي عندك ذخرًا قال ابن عباس فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا السجدة فسجد فسمعته يقول في سجوده مثل الذي اخبره الرجل عن قول الشجرة وذكره الثعلبي عن ابي سعيد الخدري قال قلت يا رسول الله رايتني في النوم كاني تحت شجرة والشجرة تقرا ص فلما بلغت السجدة سجدت فيها فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها اجرًا واحطط بها عني وزرًا وارزقني بها شكرًا وتقبل مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته فقال النبي صلى الله عليه وسلم افسجدت انت يا ابا سعيد فقلت لا والله يا رسول الله فقال لقد كنت احق بالسجود من الشجرة ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل ما قالت الشجرة

الحادي والعشرون

قوله تعالى فغفرنا له ذلك اي فغفرنا له ذنبه قال ابن الانباري فغفرنا له ذلك تام ثم تبتدي وان له وقال القشيري ويجوز الوقف على وغفرنا ثم تبتدي ذلك وان له لقوله هذا وان للطاغين اي الامر ذلك وقال عطا الخراساني وغيره ان داود سجد اربعين يومًا حتى نبت المرعى حول وجهه وغمر راسه فنودي اجايع فتطعم ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج المرعى من حر جوفه فغفر له وستر بها فقال يا رب هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غفرته وكيف بفلان وكذا وكذا رجلا من بني اسرايل تركت اولادهم ايتامًا ونساءهم ارامل قال يا داود لا يجاوزني يوم القيامة ظلم امكنه منك ثم استوهبك منه بثواب الجنة قال يا رب هكذا تكون المغفرة الهنية ثم قيل يا داود ارفع راسك فذهب ليرفع راسه فاذا به قد نشب في الارض فاتاه جبريل فاقتلعه عن وجه الارض كما تقتلع من الشجرة صمغها رواه الوليد بن مسلم عن جابر عن عطا قال الوليد واخبرني منير بن الزبير قال فلصق موضع مساجده على الارض من فروة وجهه ما شا الله قال الوليد قال ابن لهيعة وكان يقول في سجوده سبحانك هذا شراب دموعي وهذا طعامي رماد بين يدي في رواية انه سجد اربعين يومًا لا يرفع راسه الا للصلاة المكتوبة فبكى حتى نبت العشب من دموعه وروي مرفوعًا من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود مكث اربعين ليلة ساجدًا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جبينه وهو يقول في سجوده يا رب داود زل زلة بعد بها ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثًا في الخلق من بعده فقال جبريل بعد اربعين سنة ان الله قد غفر لك الهم الذي قد هممت به وقال وهب ان داود عليه السلام نودي اني قد غفرت لك فلم يرفع راسه حتى جاءه جبريل فقال لم لا ترفع راسك وربك قد غفر لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدًا فقال الله لجبريل اذهب الى داود فقل له يذهب الى قبر اوريا فيتحلل منه فانا اسمعه نداك فلبس داود المسوح وجلس عند قبر اوريا ونادى يا اوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع عني لذتي وايقظني فقال انا اخوك داود اسالك ان تجعلني في حل فاني عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل وقال الحسن وغيره كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطيين ويقول تعالوا الى داود الخطا ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الرماد والملح فياكل ويقول هذا اكل الخاطيين وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر ثم صام بعد الدهر كله وقام الليل كله وقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته منقوشة في كفه فكان لا يبسطها لطعام ولا شراب ولا شي الا راها فابكته وان كان ليوتى بالقدح ثلثاه ما فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه عن شفته حتى يفيض من دموعه وروى الوليد بن مسلم حدثني ابو عمرو الاوزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل عيني داود مثل القربتين تنطفان ولقد خدت الدموع في وجه داود خديد الما في الارض قال الوليد حدثنا عثمان ابن ابي العاتكة انه كان من قول داود اذ هو خلو من الخطيئة شدة قوله في الخطايين ان كان يقول اللهم لا تغفر للخطايين ثم صار الى ان يقول رب اغفر للخطايين لكي تغفر لداود معهم سبحان خالق النور الهي خرجت اسال اطبا عبادك ان يداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني الهي اخطات خطيئة قد خفت ان تجعل حصادها عذابك يوم القيامة ان لم تغفرها سبحان خالق النور الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت الارض برحبها علي واذا ذكرت رحمتك ارتد الي روحي وفي الخبر ان داود كان اذا علا المنبر رفع بيمينه

فاستقبل بها الناس ليريهم نقش خطيئته وكان ينادي الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها
واذا ذكرت رحمتك ارتد الي روحي رب اغفر للخاطئين كي تغفر لداود معهم وكان يقعد على سبعة
افرشة من الليف محشوة بالرماد فكان يستنقع دموعه تحت رجليه حتى تنفذ الافرشة كلها وكان
اذا كان يوم نوحه نادى مناد في الطرق والاسواق والاودية والشعاب وعلى رؤوس الجبال وافواه الغيران
الا ان هذا يوم نوح داود فمن اراد ان يبكي على ذنبه فليات داود فيسعده فتهبط السباع من الغيران
والاودية وترتج الاصوات حول منبره والوحوش والسباع والطير عكف وبنو اسرائيل حول منبره فاذا
اخذ في العويل والنوح وثارت الحرقات منابع دموعه صارت الجماعة ضجة واحدة نوحا وبكاء حتى
يموت حول منبره بشر كثير في مثل ذلك اليوم ومات عليه السلام فيما قيل يوم السبت فجاءه اتاه
ملك الموت وهو يصعد في محرابه وينزل فقال جئت لاقبض روحك فقال دعني حتى انزل او ارتقي فقال
مالي الى ذلك سبيل نفذت الايام والشهور والسنون والاثار والارزاق فما انت بمؤثر بعدها اثرا قال
فسجد داود على مرقاة من الدرج فقبض نفسه على تلك الحال وكان بينه وبين موسى عليه السلام خمسمائة وتسع وستون
سنة وقيل تسع وسبعون وعاش مائة سنة واوصى الى ابنه سليمان عليهما السلام **الثانية والعشرون**
قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب قال محمد بن كعب ومحمد بن قيس وان له عندنا لزلفى قربة بعد المغفرة
وحسن مآب قالا والله ان اول من يشرب الكاس يوم القيامة داود وقال مجاهد عن عبد الله بن عمر الزلفى الدنو
من الله عز وجل يوم القيامة وعن مجاهد قال يبعث داود يوم القيامة وخطيئته منقوشة في كفه فاذا راى
اهاويل يوم القيامة لم يجد منها محرزا الا ان يلجا الى رحمة الله تعالى قال ثم يرى خطيئته فيقلق فيقال له
ههنا ثم يرى فيقلق فيقال له ها هنا ثم يرى فيقلق فيقال له ها هنا فذلك قوله وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب ذكره الترمذي الحكيم قال حدثنا الفضل بن محمد قال حدثنا عبد الملك بن الاصبغ قال
حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا ابراهيم بن محمد الفزاري عن عبد الملك بن ابي سليمان عن مجاهد فذكره
قال الترمذي ولقد كنت امر زمانا طويلا بهذه الايات فلا ينكشف لي المراد والمعنى من قوله وقالوا ربنا
عجل لنا قطنا والقط الصحيفة في اللغة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم فاما من اوتي
كتابه بيمينه وقال لهم انكم ستجدون هذا كله في صحائفكم تعطونها بشمائلكم فقالوا ربنا عجل لنا
قطنا اي صحيفتنا قبل يوم الحساب قال الله اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد فقص قصة
خطيئته الى منتهاها فكنت اقول امره بالصبر على ما قالوا وامره بذكر داود فاي شيء اريد من هذا الذكر وكيف
اتصل هذا بذاك فلا اقف على شيء يسكن قلبي عليه حتى هداني الله له يوما فالهمته ان هؤلاء انكروا قول
انهم يعطون كتبهم بشمائلهم فيها ذنوبهم وخطاياهم استهزاء بامر الله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل
يوم الحساب فاوجعه ذلك من استهزائهم فامره بالصبر على مقالتهم وان يذكر عبده داود سال تعجيل
خطيئته ان يراها منقوشة في كفه فنزل به ما نزل من انه كان اذا راها اضطرب وامتلا القدح من
دموعه وكان اذا راها بكى حتى تنفذ سبعة افرشة من الليف محشوة بالرماد فانما سالها بعد المغفرة
وبعد تبعة ضمان الخصم وان الله تبارك وتعالى اسمه يستوهبه منه وهو حبيبه ووليه وصفيه فرؤية
نقش الخطيئة بصورتها مع هذه المرتبة صنعت به هكذا فكيف كان يحل باعداء الله وبعصاته من خلقه واهل
حزبه لو عجلت لهم صحائفهم فنظروا الى صور تلك التي عملوها على الكفر والجحود فما ذا يحل بهم اذا نظروا
اليها في تلك الصحائف وقد اخبر الله عنهم فقال فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال
هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فداود صلوات الله عليه مع المغفرة والبشرى
والعطف لم يتم لرؤية صورتها وقد روينا في هذا الحديث اذا راها يوم القيامة منقوشة في كفه تلق
حتى يقال له ههنا ثم يرى فيقلق ثم يقال له ها هنا ثم يرى فيقلق حتى يقرب فيسكن قوله تعالى
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل
الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فيه خمس مسائل **المسالة**
الاولى قوله تعالى جعلناك خليفة اي ملكناك لتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فتخلف من كان قبلك من
الانبياء والائمة الصالحين وقد مضى في البقرة القول في الخليفة واحكامه مستوفى والحمد لله **الثانية**
قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل وهذا امر على الوجوب وقد ارتبط هذا بما قبله وذلك ان الذي

عوتب

عوتب عليه داود طلبه المراة من زوجها وليس ذلك بعدل فقيل له بعد هذا فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع
الهوى اي لا تقتدي بهواك المخالف لامر الله فيضلك عن سبيل الله اي عن طريق الجنة ان الذين يضلون عن
سبيل الله اي يحيدون عنها ويتركونها لهم عذاب شديد في النار بما نسوا يوم الحساب اي بما تركوا من سلوك
طريق الله فقوله نسوا اي تركوا الايمان به او تركوا العمل به فصاروا كالناسين ثم قيل هذا لداود لما اكرمه
الله بالنبوة وقيل بعد ان تاب عليه وغفر خطيئته **الثالثة** قال العلماء الاصل في الاقضية قوله تعالى يا
داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله لتحكم بين
الناس بما اراك الله وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الاية وقد مضى القول
فيه **الرابعة** قال ابن عباس في قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا
تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال ان ارتفع لك الخصمان فكان لك في احدهما هوى فلا تشتهي في نفسك
الحق له ليفلح على صاحبه فان فعلت محوت اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا اهل كرامتي فدل هذا على بيان
وجوب الحكم بالحق وان لا يميل الى احد الخصمين لقرابة او رجاء نفع او سبب يقتضي الميل من صحبة او صداقة
او غيرها وقال ابن عباس انما ابتلي سليمان بن داود عليهما السلام لانه تقدم اليه خصمان فهوي ان يكون
الحق لاحدهما وقال عبد العزيز بن ابي داود بلغني ان قاضيا كان في بني اسرائيل بلغ من اجتهاده ان طلب
الى ربه ان يجعل بينه وبينه علما اذا هو قضى بالحق عرف ذلك واذا هو قصر عرف ذلك فقيل له ادخل منزلك
ثم مد يدك في جدارك ثم انظر كيف تبلغ اصابعك من الجدار فاخطط عندها خطا فاذا انت قمت من مجلس
القضاء فارجع الى ذلك الخط فامدد يدك اليه فانك متى كنت على الحق فانك ستبلغه وان قصرت عن الحق
قصر بك فكان يغدو الى القضاء وهو مجتهد فكان لا يقضي الا بحق واذا قام من مجلسه وفرغ لم يذق طعاما
ولا شرابا ولم يفض الى اهله بشيء من الامور حتى ياتي ذلك الخط فاذا بلغه حمد الله وافضى الى كل ما احل الله
له من اهل او مطعم او مشرب فلما كان ذات يوم وهو في مجلس القضاء اقبل اليه رجلان يريدانه فوقع في
نفسه انهما يريدان ان يختصما اليه وكان احدهما له صديقا فلما قام من مجلسه ذهب الى خطه كما كان يذهب
كل يوم فمد يده الى الخط فاذا الخط قد ذهب وتشمر الى السقف فاذا هو لا يبلغه فخر ساجدا وهو يقول
يا رب شيئا لم اتعمده ولم ارده فبينه لي فقيل له اتحسبن ان الله تعالى لم يطلع على خيانة قلبك حيث
احببت ان يكون الحق لصديقك فتقضي له به قد اردته واحببته ولكن الله قد رد الحق الى اهله وانت كاره
وعن ليث قال تقدم الى عمر بن الخطاب خصمان فاقامهما ثم عادا فاقامهما ثم عادا ففصل بينهما فقيل
له في ذلك فقال تقدما الي فوجدت لاحدهما ما لم اجد لصاحبه فكرهت ان افصل بينهما على ذلك ثم عادا
فوجدت بعض ذلك ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما وقال الشعبي كان بين عمر وابي خصومة
فتقاضيا الى زيد بن ثابت فلما دخلا عليه اشار لعمر الى وسادته فقال عمر هذا اول جورك اجلسني
واياه مجلسا واحدا فجلسا بين يديه **الخامسة** هذه الاية تمنع من حكم الحاكم بعلمه لان الحكام لو مكنوا
ان يحكموا بعلمهم لم يشا احدهم اذا اراد ان يحفظ وليه ويهلك عدوه اذا ادعى علمه فيما حكم به ونحو ذلك
روي عن جماعة من الصحابة منهم ابو بكر قال لو رايت رجلا على حد من حدود الله ما اخذته حتى يشهد على ذلك
غيري وروي ان امراة جاءت الى عمر فقالت له احكم لي على فلان بكذا فانك تعلم ما لي عنده فقال ان اردت
ان اشهد لك فنعم فاما الحكم فلا وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى فرسا فجحده البائع فلم يحكم عليه بعلمه وقال من يشهد لي
فقام خزيمة فشهد فحكم خرج الحديث ابو داود وغيره وقد مضى في البقرة قوله تعالى
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من
النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار باطلا
اي هزلا ولعبا اي ما خلقناهما الا لامر صحيح وهو الدلالة على قدرتنا ذلك ظن الذين كفروا اي حسبان
الذين كفروا ان الله خلقهما باطلا فويل للذين كفروا من النار ثم وبخهم فقال ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
صلة تقديره انجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض فكان في هذا رد على المرجئة
لانهم يقولون يجوز ان يكون المفسد كالصالح او ارفع درجة منه وبعده ايضا ام نجعل المتقين كالفجار
اي انجعل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كالكفار قاله ابن عباس وقيل هو عام في المسلمين المتقين والفجار

فان فعلت محوت اسمك من نبوتي

احسبت ان الله تعالى لم يطلع على خيانة قلبك

ربنا عجل لنا قطنا

الكافرين وهو احسن وهو رد على منكري البعث الذين جعلوا سبيل المطيع والعاصي الى شي واحد **قوله تعالى**
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب اي هذا كتاب
انزلناه اليك يا محمد ليدبروا اي ليتدبروا فادغمت التاء في الدال وفي هذا دليل على وجوب معرفة
معاني القران ودليل على ان الترتيل افضل من الهذاذ لا يصح التدبر مع الهذ على ما بيناه في كتاب التذكار
وقال الحسن تدبر ايات الله اتباعها وقراءة العامة ليدبروا وقرا ابو جعفر وشيبة لتدبروا اياته بتخفيف
الدال وهي قراءة علي رضي الله عنه والاصل لتتدبروا فحذف احدى التائين تخفيفا وليتذكر اولوا الالباب
اي اصحاب العقول واحدها لب وقد جمع على الب كما جمع بؤس على ابؤس ونعم على انعم قال ابو طالب
قلبي اليك مشرف الالب … وربما اظهروا التضعيف في ضرورة الشعر قال
الكميت
اليكم ذوي ال النبي تطلعت … نوازع من قلبي ظماء والبب

قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق لما ذكر داود ذكر سليمان واواب معناه مطيع اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد يعني
الخيل جمع جواد للفرس اذا كان شديد الحضر كما يقال للانسان جواد اذا كان كثير العطية غزيرها يقال
قوم اجواد وخيل جياد جاد الرجل بماله يجود جودا فهو جواد وقوم جود فهو مثال قذال وقذل وانما سكنت
الواو لانها حرف علة واجواد واجاود وجودا وكذلك امراة جواد ونسوة جود مثل نوار ونور قال
الشاعر
صناع باشفاها حصان بشكرها … جواد بقوت البطن والعرق زاخر
ويقول سرنا عقبة جوادا او عقبتين جوادين وعقبا جيادا وجاد الفرس اي صار رائعا يجود جودة بالضم فهو جواد
للذكر والانثى من خيل جياد واجياد واجاويد وقيل انها الطوال الاعناق ماخوذ من الجيد وهو العنق لان طول
اعناق الخيل من صفات فراهتها وفي الصافنات ايضا وجهان احدهما ان صفونها قيامها قال القتبي
والفرا الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل او غيرها ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من سره ان يقوم له الرجال صفوفا فليتبوا مقعده من النار اي يديمون له القيام
حكاه قطرب ايضا وانشد قول
النابغة
لنا قبة مضروبة بفنائها … عتاق المهاري والجياد الصوافن
وهذا قول قتادة الثاني ان صفونها رفع احدى اليدين على طرف الحافر حتى يقوم على ثلث كما قال
الشاعر
الف الصفون فما يزال كانه … مما يقوم على الثلاث كسيرا
وقال عمرو
بن كلثوم
تركنا الخيل عاكفة عليه … مقلدة اعنتها صفونا
وهذا قول مجاهد قال الكلبي غزا سليمان اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل
ورث سليمان من ابيه داود الف فرس وكان ابوه اصابها من العمالقة وقال الحسن بلغني انها كانت
خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وقال الضحاك وانها كانت خيلا اخرجت لسليمان من البحر منقوشة
ذات اجنحة ابن زيد اخرج الشيطان لسليمان الخيل من البحر وكانت لها اجنحة وكذلك قال علي رضي الله
عنه كانت عشرين فرسا ذوات اجنحة وقيل كانت مائة فرس وفي الخبر عن ابراهيم التيمي انها كانت
عشرين الفا فالله اعلم قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي يعني بالخير الخيل والعرب تسميها الخير
وتعاقب بين الراء واللام فتقول انهملت العين وانهمرت وختلت وخترت اذا خدعت قال
الفرا الخير في كلام العرب والخيل واحد النحاس في الحديث الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة
فكانها سميت خيرا لهذا وفي الحديث لما وفد زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم قال له انت زيد الخير
وهو زيد بن مهلهل الشاعر وقيل انما سميت خيرا لما فيها من المنافع وفي الخبر ان الله تعالى عرض على ادم
جميع الدواب وقيل له اختر منها واحدا فاختار الفرس فقال له اخترت عزك فصار اسمه الخير من
هذا الوجه وسمي خيلا لانها موسومة بالعز وسمي فرسا لانه يفترس مسافات الجو افتراس الاسد
وثبانا ويقطعها كالالتهام بيديه على شي خبطا وتناولا وسمي عربيا لانه جي به من بعد ادم
لاسمعيل جزاء على رفع قواعد البيت واسمعيل عربي فصارت له نحلة من الله فسمي عربيا
وحب مفعول في قول الفرا والمعنى اني اثرت حب الخير وغيره يقدره مصدرا الى المفعول اي احببت

من سره ان يقوم له الرجال صفوفا فليتبوا مقعده من النار

الخير والخيل واحد

الخير حبا فالهاني عن ذكر ربي وقيل ان معنى احببت قعدت وتاخرت من قولهم احب البعير اذا برك
وتاخر واحب فلان اي طاطا راسه قال ابو زيد يقال بعير محب وقد احب احبابا وهو ان يصيبه
مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرا او يموت وقال ثعلب يقال ايضا للبعير الحسير محب
فالمعنى قعدت عن ذكر ربي وحب على هذا مفعول له وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان احببت
بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذا احبا حتى توارت بالحجاب يعني الشمس كناية عن غير مذكور
مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة اي على ظهر الارض وتقول العرب هاجت باردة اي هاجت
الريح باردة وقال الله تعالى حتى اذا بلغت الحلقوم وقال انها ترمي بشرر ولم يتقدم للنار ذكر وقال
الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشي او دليل الذكر وقد جرى هاهنا الدليل وهو قوله بالعشي
والعشي ما بعد الزوال والتواري الاستتار عن الابصار والحجاب جبل اخضر محيط بالخلائق قاله
قتادة وكعب وقيل هو من جبل قاف وقيل هو جبل دون قاف والحجاب الليل سمي حجابا لانه يستر ما فيه
وقيل حتى توارت اي الخيل في المسابقة وذلك ان سليمان كان له ميدان مستدير يسابق فيه بين
الخيل حتى توارت عنه وتغيب عن عينه في المسابقة لان الشمس لم يجر لها ذكر وذكر النحاس ان سليمان
عليه السلام كان في صلاة فجي اليه بخيل لتعرض عليه قد غنمت فاشار بيده لانه كان يصلي حتى توارت
الخيل وسترتها جدر الاصطبلات فلما فرغ من صلاته قال ردوها علي فطفق مسحا اي فاقبل يمسحها
مسحا وفي معناه قولان احدهما انه اقبل يمسح سوقها واعناقها بيده اكراما منه لها وليرى ان الجليل
لا يقبح ان يفعل مثل هذا بخيله وقال قائل هذا القول كيف يقتلها وفي ذلك افساد المال ومعاقبة من
لا ذنب له وقيل المسح هاهنا هو القطع اذن له في قتلها قال الحسن والكلبي ومقاتل صلى سليمان الصلاة
الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه وكانت الف فرس فعرض عليه منها تسعمائة فتنبه لصلاة
العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم فقال ردوها علي فرد
فعقرها بالسيف قربة لله وبقي منها مائة فما في ايدي الناس اليوم من الخيل العتاق فهي من نسل
تلك الخيل قال القشيري وقيل ما كان في ذلك الوقت صلاة ظهر ولا صلاة عصر بل كانت تلك
الصلاة نافلة فشغل عنها وكان سليمان رجلا مهيبا فلم يذكره احد ما نسي من الفرض او النفل وظنوا
التاخر مباحا فتذكر سليمان تلك الصلاة الفائتة وقال على سبيل التلهف اني احببت حب الخير عن ذكر
ربي اي عن الصلاة وامر برد الافراس اليه وامر بضرب عراقيبها واعناقها ولم يكن ذلك معاقبة
للافراس اذ ذبح البهائم جائز اذا كانت ماكولة بل عاقب نفسه حتى لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة
ولعله عرقبها ليذبحها فحبسها بالعرقبة عن النفار ثم ذبحها في الحال ليتصدق بلحمها ولان ذلك كان مباحا
في شرعه فاتلفها لما شغلته عن ذكر الله حتى يقطع عن نفسه ما يشغله عن الله فاثنى الله عليه بهذا وبين
انه اثابه بان سخر له الريح فكان يقطع عليها من المسافة في يوم ما يقطع مثله على الخيل في شهرين غدوا
ورواحا وقد قيل ان الهاء في قوله ردوها على للشمس لا للخيل قال ابن عباس سالت عليا عن هذه الاية
فقال ما بلغك فيها فقلت سمعت كعبا يقول ان سليمان يعرض الافراس حتى توارت الشمس بالحجاب
وفاتته الصلاة قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي الاية ردوها علي يعني الافراس وكانت اربع عشرة
فضرب سوقها واعناقها بالسيف وان الله سلبه ملكه اربع عشرة يوما لانه ظلم الخيل فقال علي بن
ابي طالب كذب كعب لكن سليمان اشتغل بعرض الافراس للجهاد حتى توارت اي غربت الشمس بالحجاب
فقال بامر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردوها يعني الشمس فردوها حتى صلى العصر في وقتها وان
انبيا الله لا يظلمون لانهم معصومون قال الشيخ رحمه الله الاكثر في التفسير ان الذي توارت
بالحجاب هي الشمس وتركها لدلالة السامع عليها بما ذكر مما يرتبط بها ويتعلق بذكرها حسب
ما تقدم بيانه وكثيرا ما يضمرون الشمس حتى قال لبيد
حتى اذا القت يدا في كافر … واجن عورات الثغور ظلامها
والهاء في ردوها للخيل ومسحها قال الزهري وابن كيسان كان يمسح سوقها واعناقها ويكشف
الغبار عنها حبا لها وقاله ابن عباس والحسن وقتادة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم رئي وهو
يمسح وجه فرسه بردائه وقال انى عوتبت الليلة في الخيل خرجه الموطا عن يحيى بن سعيد مرسلا وهو في

غير الموطا مرسلا مسند متصل عن مالك عن يحيي بن سعيد عن انس وقد مضي في الانفال قوله ع لم واسحوا
بنواصيها واكفالها وروي بن وهب عن مالك انه مسح اعناقها وسوقها بالسيوف قال الشيخ رحمه الله
وقد استدل الشبلي وغيره من الصوفية في تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان هذا وهو استدلال
فاسد لانه لا يجوز ان ينسب الي نبي معصوم انه فعل الفساد والمفسرون اختلفوا في معني الاية فمنهم من قال
مسح علي اعناقها وسوقها اكراما لها وقال انت في سبيل الله فهذا اصلاح ومنهم من قال عرقبها ثم ذبحها
وذبح الخيل واكل لحمها جايز وقد مضي في النحل بيانه وعلي هذا فما فعل شي عليه فيه جناح فاما افساد
ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجايز ان يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا
وقد قيل انما فعل بالخيل ما فعل باباحة الله عز وجل له ذلك وقد قيل ان مسحه اياها وسمها بالكي وجعلها في سبيل
الله والله اعلم وقد ضعف هذا القول من حيث ان السوق ليست بمحل الوسم بحال وقيل يقال للكي علي الساق
علاط وعلي العنق وثاق والذي في الصحاح للجوهري علط البعير علطا كواه في عنقه بسمة العلاط
والعلاطان جانبا العنق قال الشيخ رحمه الله ومن قال ان الها في ردوها ترجع للشمس فذلك من معجزاته
وقد اتفق مثل ذلك لنبينا صلي الله عليه وسلم خرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسما بنت عميس من طريقين
ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يوحي اليه وراسه في حجر علي فلم يصلي العصر حتي غربت الشمس فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم ان كان في طاعتك وطاعة
رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت علي الجبال والارض
وذلك بالصهبا في خيبر قال الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات قال الشيخ رحمه الله
وضعف ابو الفرج الجوزي هذا الحديث فقال وغلو الرافضة في حب علي رض حملهم علي ان وضعوا احاديث
كثيرة في فضايله منها ان الشمس غابت ففاتت عليا رض صلاة العصر فردت له الشمس وهذا من
حيث النقل محال ومن حيث المعني فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد لا يرد الوقت ومن قال ان
الها ترجع الي الخيل وانها كانت تبعد عن عين سليمان في السباق ففيه دليل علي المسابقة بالخيل وهو
امر مشروع وقد مضي القول فيه في يوسف **قوله تعالى** ولقد فتنا سليمان قيل فتن سليمان بعد
ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة ذكره الزمخشري وفتنا اي ابتلينا وعاقبنا وسبب
ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اختصم الي سليمان عليه السلام فريقان احدهما من اهل
جرادة امراة سليمان وكان يحبها فهوي ان يقع القضا لهم ثم قضي بينهما بالحق فاصابه الذي اصابه
عقوبة لذلك الهوي وقال سعيد بن المسيب ان سليمان عليه السلام احتجب عن الناس ثلاثة ايام لا يقضي
بين احد ولا ينصف مظلوما من ظالم فاوحي الله تعالي اليه اني لم استخلفك لتحتجب عن عبادي ولكن لتقضي
بينهم وتنصف مظلومهم وقال شهر بن حوشب ووهب بن منبه ان سليمان سبا بنت ملك غزاه في
جزيرة من جزاير البحر يقال لها صيدون فالقيت عليه محبتها وهي تعرض عنه لا تنظر اليه الا شزرا ولا
تكلمه الا نزرا وكان لا يرقا لها دمع حزنا علي ابيها وكانت في غاية من الجمال ثم انها سالته ان يصنع
لها تمثالا علي صورة ابيها حتي تنظر اليه فامر فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجدت معها جواريها وصار
صنما معبودا في داره وهو لا يعلم حتي مضت اربعون ليلة وفشا خبره في بني اسرايل وعلم به سليمان فكسره وحرقه
ثم ذراه في البحر وقيل ان سليمان لما اصاب ابنة ملك صيدون واسمها جرادة فيما ذكر الزمخشري اعجب
بها فعرض عليها الاسلام فابت فخوفها فقالت اقتلني ولا اسلم فتزوجها وهي مشركة فكانت
تعبد صنما لها من ياقوت اربعين يوما وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه وقال
الحسن انه قارب بعض نسايه في شي من حيض او غيره وقيل انه امر ان لا يتزوج امراة الا من بني
اسرايل فتزوج امراة من غيرهم فعوقب علي ذلك فالله اعلم **قوله تعالى** والقينا علي كرسيه
جسدا ثم اناب والقينا علي كرسيه جسدا قيل شيطان في قول اكثر اهل التفسير القي الله شبه سليمان
عليه واسمه صخر بن عمير صاحب البحر وهو الذي دل سليمان علي الماس حين امر سليمان ببنيت المقدس فصوتت
الحجارة لما صنعت بالحديد فاخذوا الماس وجعلوا يقطعون به الحجارة والفصوص وغيرها ولا تصوت
قال ابن عباس كان ماردا لا يقوي عليه جميع الشياطين ولم يزل يحتال حتي ظفر بخاتم سليمان
وكان سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر في صورة سليمان حتي اخذ الخاتم من امراة من نساء

تمثالا علي صورة ابيها حتي تنظر اليه

قصة الخاتم

سليمان ام ولده يقال لها الامينة قاله شمر ووهب وقال ابن عباس وابن جبير اسمها جرادة فقام اربعين
يوما علي ملك سليمان وسليمان هارب حتي رد الله عليه الخاتم والملك وقال سعيد بن المسيب كان سليمان
قد وضع خاتمه تحت فراشه فاخذه الشيطان من تحته وقال مجاهد اخذ الشيطان من يد سليمان لان سليمان
سال الشيطان وكان اسمه آصف كيف تضلون الناس فقال له الشيطان اعطني خاتمك حتي اخبرك
فاعطاه خاتمه فلما اخذ الشيطان الخاتم جلس علي كرسي سليمان متشبها بصورته داخلا علي نسايه يقضي
بغير الحق ويامر بغير الصواب واختلف في اصابته لنسا سليمان فحكي عن ابن عباس ووهب بن منبه انه كان
ياتيهن في حيضهن وقال مجاهد منع من اتيانهن وزال عن سليمان ملكه فخرج هاربا الي ساحل البحر يتضيف
الناس ويحمل سموك الصيادين بالاجر واذا اخبر انه سليمان اكذبوه قال قتادة ثم ان سليمان بعد ان استنكر
بنو اسرايل حكم الشيطان اخذ حوتة من صياد قيل انه استطعمها وقال ابن عباس اخذها اجرة في حمل حوت
وقيل ان سليمان صادها فلما شق بطنها وجد خاتمه فيها وذلك بعد اربعين يوما من زوال ملكه عنه
وهي عدد الايام التي عبد الصنم في داره وانما وجد الخاتم في بطن الحوت لان الشيطان الذي اخذه القاه
في البحر وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه بينما سليمان علي شاطي البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط منه في
البحر وكان ملكه في خاتمه وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلي الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان
بن داود لا اله الا الله محمد رسول الله وحكي يحيي بن ابي عمرو الشيباني ان سليمان وجد خاتمه بعسقلان
فمشي منها الي بيت المقدس تواضعا لله تعالي قال ابن عباس وغيره ثم ان سليمان لما رد الله عليه ملكه اخذ
صخرا الذي اخذ خاتمه ونقر له صخرة وادخله فيها وسد عليها باخري واوثقها بالحديد والرصاص وختم
عليها بخاتمه والقاها في البحر وقال هذا محبسك الي يوم القيامة وقال علي رضي الله عنه لما اخذ سليمان
الخاتم اقبلت اليه الشياطين والجن والانس والطير والوحش والريح وهرب الشيطان الذي خلف في
اهله فاتي جزيرة في البحر فبعث اليه الشياطين فقالوا لا نقدر عليه ولكنه يرد عينا في الجزيرة في كل سبعة
ايام يوما لا نقدر عليه حتي نسكره قال فنزح سليمان ماءها وجعل فيها خمرا فجاء يوم ورده فاذا هو بالخمر فقال
والله انك لشراب طيبة الا انك تطيشين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ثم عطش عطشا شديدا ثم اتاها
فقال مثل مقالته ثم شربها فغلبت علي عقله فاروه الخاتم فقال سمعا وطاعة فاتوا به سليمان فاوثقه
وبعث به الي جبل فذكروا انه جبل الدخان فقالوا ان الدخان الذي ترون من نفسه والما الذي يخرج من
الجبل من بوله وقال مجاهد اسم ذلك الشيطان آصف وقال السدي اسمه حبقيق والله اعلم وقد ضعف
هذا القول من حيث ان الشيطان لا يتصور بصورة الانبيا ثم من المحال ان يلتبس علي اهل مملكة سليمان
الشيطان بسليمان حتي يظنوا انهم مع نبيهم في حق وهم مع الشيطان في باطل وقيل ان الجسد ولد ولد لسليمان
وانه لما ولد اجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ابن لم ينفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة
فتعالوا نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان فامر الريح حتي حملته الي السحاب وغدا ابنه في السحاب خوفا من
مضرة الشيطان فعاقبه الله لخوفه من الشياطين فلم يشعر الا وقد وقع علي كرسيه ميتا قال معناه
الشعبي فهو الجسد الذي قال الله تعالي والقينا علي كرسيه جسدا وحكي النقاش وغيره ان اكثر ما وطي
سليمان جواريه طلبا للولد فولد له نصف انسان فهو كان الجسد الملقي علي كرسيه جاءت به القابلة فالقته
هناك وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن
الليلة علي تسعين امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل ان شا
الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الذي نفس محمد بيده لو قال
ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ان الجسد هو آصف بن برخيا الصديق كاتب
سليمان وذلك ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده الي يده فسقط فايقن
بالفتنة فقال له آصف انك مفتون ولذلك لا يتماسك الخاتم في يدك ففر الي الله تايبا من ذلك وانا
اقوم مقامك في عالمك الي ان يتوب الله عليك ولك من حيث افتتنت اربعة عشر يوما ففر سليمان
هاربا الي ربه واخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وكان عنده علم من الكتاب واقام آصف في ملك
سليمان وعياله يسير بسيره ويعمل بعمله الي ان رجع سليمان الي منزله تايبا الي الله ورد الله عليه ملكه
فاقام آصف من مجلسه وجلس علي كرسيه واعاد الخاتم وقيل ان الجسد سليمان نفسه وذلك انه مرض مرضا

شديدًا حتى صار جسدًا وقد يوصف به المريض المضني فيقال كالجسد الملقى

صفة كرسي سليمان وملكه

روي عن ابن عباس قال كان سليمان يوضع له ستمائة كرسي ثم تجي اشراف الناس فيجلسون مما يليه ثم تاتي اشراف الجن فيجلسون مما يلي الانس ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتقلهم وتسير بالغداة الواحدة مسيرة شهر وقال وهب وكعب وغيرهما ان سليمان لما ملك بعد ابيه امر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضا وامر ان يعمل بديعًا مهولًا بحيث اذا راه مبطل او شاهد زور ارتدع وتهيب فامر ان يعمل من انياب الفيلة مفضضة بالدر والياقوت والزبرجد وان يحف بنخيل الذهب فحف باربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على راس نخلتين منهما طاووسان من ذهب وعلى راس نخلتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جنبتي الكرسي اسدين من ذهب على راس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار كروم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث اظل عريش الكروم النخل والكرسي وكان سليمان اذا اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي عليه بما فيه ودار الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس

اذا كان هذا عطاؤه لا تبعة فيه لانه من طريق المنة فكيف يكون اخر الانبياء دخولا الجنة وهو سبحانه يقول وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وفي الصحيح ان لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته الحديث وقد تقدم فجعل له من قبل السؤال حاجة مقتضية فلذلك لم يكن عليه تبعة ومعنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي اي ان يساله فكانه سال منع السؤال بعده حتى لا يتعلق به امل لاحد ولم يسال منع الاجابة وقيل ان سؤاله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ليكون محله وكرامته من الله ظاهرًا في خلق السماء والارض فان الانبيا عليهم السلام لهم تنافس في المحل عنده فكل يحب ان يكون له خصوصية يستدل بها على محله عنده ولهذا لما اخذ النبي صلى الله عليه وسلم العفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه اراد ربطه ثم تذكر قول اخيه سليمان رب اغفر لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده خاسئا فلو اعطي احد بعده مثله ذهبت الخصوصية فكانه كره صلى الله عليه وسلم ان يزاحمه في تلك الخصوصية بعد ان علم انه شي هو الذي خص به من سخرة الشياطين وانه اجيب ان لا يكون لاحد بعده والله اعلم

قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة مع قوتها وشدتها حتى لا تضر

الموضع الذي يغتسل فيه قاله مقاتل الجوهري واغتسلت بالماء والغسول الماء الذي يغتسل به وكذلك
المغتسل تقول هذا مغتسل بارد وشراب والمغتسل ايضا الذي يغتسل فيه والمغسل والمغسل بكسر
السين وفتحها مغسل الموتى والجمع المغاسل واختلف كم بقي ايوب في البلاء فقال ابن عباس سبع سنين
وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب بن منبه اصاب ايوب البلا سبع سنين وترك
يوسف في السجن سبع سنين وعذب بخت نصر وحول في السباع سبع سنين ذكره ابو نعيم وقيل عشر سنين
وقيل ثماني عشرة سنة رواه انس مرفوعا فيما ذكره الماوردي قال الشيخ رحمه الله وذكره ابن المبارك
اخبرنا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب وما اصابه من
البلا الذي اصابه كان به ثماني عشرة سنة وذكر الحديث القشيري وقيل اربعين سنة **قوله تعالى**
ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة تقدم
في الانبيا الكلام فيه رحمة منا اي نعمة منا وذكرى لاولي الالباب اي عبرة لذوي العقول
قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه
اواب فيه سبع مسائل **الاولى** كان ايوب حلف في مرضه ان يضرب امراته مائة جلدة وفي سبب ذلك
اربعة اقاويل احدها ما حكاه ابن عباس ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب فقال
لها اداويه على انه اذا برئ قال انت شفيتني لا اريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت على ايوب بذلك فحلف
ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان الثاني ما حكاه سعيد بن المسيب انها جاءته بزيادة على ما كانت
تاتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها الثالث ما حكاه يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان اغواها
ان تحمل ايوب على ان يذبح سخلة تقربا اليه وانه يبرا فذكرت ذلك له فحلف ان عوفي ليضربنها مائة
الرابع وقيل باعت ذوائبها برغيفين اذ لم تجد شيئا تحمله الى ايوب وكان ايوب يتعلق بها اذا اراد القيام
فلهذا حلف ليضربنها فلما شفاه الله امره ان ياخذ ضغثا فيضرب به فاخذ شماريخ قدر مائة فضربها
ضربة واحدة وقيل الضغث قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وقال ابن عباس انه اثكال النخل
الجامع لشماريخه **الثانية** تضمنت الاية جواز ضرب الرجل امراته تاديبا وذلك ان امراة ايوب
اخطات فحلف ليضربنها مائة فامره الله تعالى ان يضربها بعثكول من عثاكيل النخل وهذا لا يجوز في
الحدود وانما امره الله بذلك لئلا يضرب امراته فوق حد الادب وذلك انه ليس للزوج ان يضرب
امراته فوق حد الادب ولهذا قال عليه السلام واضربوهن ضربا غير مبرح على ما تقدم في النساء
بيانه **الثالثة** واختلف العلما في هذا الحكم هل هو عام او خاص بايوب وحده فروي عن مجاهد انه
عام للناس ذكره ابن العربي وحكي عنه القشيري ان ذلك خاص بايوب وحكى المهدوي عن عطا بن رباح
انه ذهب الى ان ذلك حكم باق وانه اذا ضرب بمائة قضيب ونحوه ضربة واحدة بر وروي نحوه عن الشافعي
وروي نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المقعد الذي حملت منه الوليدة وامر ان يضرب بعثكول فيه
مائة شمراخ ضربة واحدة وقال القشيري وقيل لعطا هل يعمل بهذا اليوم فقال ما انزل القران الا ليعمل
به ويتبع ابن العربي وروي عن عطا انه لايوب خاص وكذلك روى ابو زيد عن ابن القاسم عن مالك من
حلف ليضربن عبده مائة فجمعها فضربه ضربة واحدة لم يبر قال بعض علمائنا يريد مالك بقوله تعالى لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا اي ذلك منسوخ بشريعتنا قال ابن المنذر وقد روينا عن علي انه جلد الوليد بن
عقبة بسوط له طرفان اربعين جلدة وانكر مالك هذا وتلا قول الله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
كل واحد منهما مائة جلدة وهذا مذهب اصحاب الراي وقد احتج الشافعي لقوله بحديث وقد تكلم في
اسناده والله اعلم قال الشيخ رحمه الله الحديث الذي احتج به الشافعي خرجه ابو داود في سننه قال
حدثنا احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال اخبرني يونس عن ابن شهاب قال اخبرني ابو امامة
بن سهل بن حنيف انه اخبره بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انه اشتكى رجل منهم حتى اضني
فعاد جلدة على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه
اخبرهم بذلك وقال استفتوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني قد وقعت على جارية دخلت علي فذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما راينا باحد من الناس من الضر مثل الذي هو به لو حملناه
اليك لتفسخت عظامه ما هو الا جلد على عظم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياخذوا له مائة

جواز ضرب الرجل امراته تاديبا

شمراخ

شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة قال الشافعي اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربا ولم يقل ضربا
شديدا ولم ينو ذلك بقلبه مثل هذا الضرب المذكور في الاية ولا يحنث قال ابن المنذر واذا حلف
الرجل ليضربن عبده مائة فضربه ضربا خفيفا فهو بار عند الشافعي وابو ثور واصحاب الراي وقال
مالك ليس الضرب الا الضرب الذي يولم **الرابعة** قوله تعالى ولا تحنث دليل على ان الاستثنا في اليمين
لا يرفع حكمها اذا كان متراخيا وقد مضى القول فيه في المائدة يقال حنث في يمينه يحنث اذا لم يبر
بها وعند الكوفيين الواو مقحمة اي فاضرب لا تحنث **الخامسة** قال ابن العربي قوله تعالى فاضرب
به ولا تحنث يدل على احد وجهين اما ان يكون انه لم يكن في شرعهم كفارة وانما كان البر والحنث والثاني
ان يكون صدر منه نذر لا يمين واذا كان النذر معينا فلا كفارة فيه عند مالك وابي حنيفة وقال
الشافعي في كل نذر كفارة قال الشيخ رحمه الله قوله انه لم يكن في شرعهم كفارة ليس بصحيح فان
ايوب عليه السلام لما بقي في البلاء ثماني عشرة سنة كما في حديث ابن شهاب قال له صاحباه لقد اذنبت
ذنبا ما اظن احدا بلغه فقال ايوب صلى الله عليه وسلم ما ادري ما تقولان غير ان ربي عز وجل يعلم اني
كنت امر على الرجلين يتزاعمان فكل يحلف بالله او على النفر يتزاعمون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم
ارادة ان لا ياثم احد يذكره ولا يذكره الا بحق فنادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وذكر
الحديث فقد افادك هذا الحديث ان الكفارة كانت من شرع ايوب وان من كفر عن غيره بغير اذنه
فقد قام بالواجب عنه وسقطت عنه الكفارة **السادسة** استدل بعض جهال المتصوفة وطغام
المتزهدة بقوله تعالى لايوب اركض برجلك على جواز الرقص قال ابو الفرج الجوزي وهذا احتجاج بارد
لانه لو كان امر بضرب الرجل فرحا كان له فيه شبهة وانما امر بضرب الرجل لينبع الماء قال ابن عقيل
اين الدلالة في مبتلى امر عند كشف البلايا ان يضرب برجله الارض لينبع الماء اعجازا من الرقص ولئن
جاز ان يكون تحريك رجل قد انحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الاسلام جاز ان يجعل قوله
سبحانه لموسى اضرب بعصاك الحجر دلالة على ضرب المخاد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع
وقد احتج بعض قاصريهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال
لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل ومنهم من احتج بان الحبشة زفنت
والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليهم والجواب اما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فاين هو
والرقص وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي يفعل عند اللقاء للحرب **السابعة** قوله تعالى انا وجدناه
صابرا اي على البلاء نعم العبد انه اواب اي تواب رجاع مطيع وسئل سفيان عن عبدين ابتلي احدهما
فصبر وانعم على الاخر فشكر فقال كلاهما سواء لان الله تعالى اثنى على عبدين احدهما صابر والاخر
شاكر ثناء واحدا فقال في وصف ايوب نعم العبد انه اواب وقال في وصف سليمان نعم العبد
انه اواب قال الشيخ رحمه الله وقد رد هذا الكلام صاحب القوت واستدل بقصة ايوب في
تفضيل الفقر على الغنى وذكر كلاما كثيرا شيد به كلامه وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من كتاب منهج
العباد ومحجة السالكين والعباد وخفي عليه ان ايوب عليه السلام كان احد الاغنياء من الانبياء قبل البلاء
وبعده وانما ابتلي بذهاب ماله وولده وعظيم البلاء في جسده وكذلك الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم صبروا على ما به امتحنوا وفتنوا فايوب عم دخل في البلاء على صفة فخرج منه كما دخل فيه
وما تغير منه حال ولا مقال وكذلك سليمان عم دخل في الملك وخرج منه وما تغير له حال ولا
مقال فقد اجتمع مع ايوب في المعنى المقصود وهو عدم التغير الذي يفضل فيه بعض الناس بعضا وبهذا
الاعتبار يكون الغني الشاكر والفقير الصابر سواء وهو كما قال سفيان والله اعلم وفي حديث ابن شهاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ايوب خرج لما كان يخرج اليه من حاجته فاوحى الله اليه اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب فاغتسل فاعاد الله لحمه وشعره وبشره على احسن ما كان ثم شرب
فاذهب الله كل ما كان في جوفه من الم او ضعف فانزل الله عليه ثوبين من السما ابيضين فاتزر
باحدهما وارتدى بالاخر ثم اقبل يمشي الى منزله وراث على امراته فاقبلت حتى لقيته وهي لا تعرفه
فسلمت عليه وقالت اي يرحمك الله رايت هذا الرجل المبتلى قال من هو قالت نبي الله ايوب اما والله ما رايت
احدا قط اشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني ايوب واخذ ضغثا فضربها به فزعم ابن شهاب ان ذلك

فقال امسك ويروي في الخبر انه سخر له الشياطين لمن شاء من عليه بالعتق والتخلية وان شاء امسكه
وقاله قتادة والسدي على ما روى عكرمة عن ابن عباس اي جامع من شئت من نسائك واترك
جماع من شئت منهن لا حساب عليك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب اي انعمنا عليه في الدنيا فله في
الاخرة قربة وحسن مرجع **قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه** امر للنبي صلى الله عليه وسلم
بالاقتداء بهم في الصبر على المكاره ايوب بدل اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
وقرا عيسى بن عمر اني بكسر الهمزة اي قال قال الفرا واجمعت القراء على ان قراوا بنصب بضم النون
والتخفيف النحاس وهذا غلط وبعده مناقضة وغلط ايضا لانه قال اجمعت القراء على هذا وحكى بعد انهم
ذكروا عن يزيد بن القعقاع انه قرا بنصب بفتح النون والصاد فغلط عن ابي جعفر وانما قراءة ابي جعفر بنصب
بضم النون والصاد كذا حكاه ابو عبيد وغيره وهو مروي عن الحسن فاما بنصب فقراءة عاصم الجحدري
ويعقوب الحضرمي وقد رويت هذه القراءة عن الحسن وقد حكي بنصب بفتح النون وسكون الصاد عن ابي
جعفر وهذا كله عند اكثر النحويين بمعنى النصب فنصب ونصب كحزن وحزن وقد يجوز ان يكون نصب
جمع نصب كوثن ووثن ويجوز ان يكون نصب بمعنى نصب حذفت منه الضمة فاما وما ذبح على النصب فقيل
انه جمع نصاب وقال ابو عبيدة وغيره النصب الشر والبلاء والنصب التعب والاعيا وقد قيل في معنى
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي ما يلحقه من وسوسته لا غير والله اعلم ذكره النحاس وقيل ان
النصب ما اصابه في بدنه والعذاب ما اصابه في ماله وفيه بعد وقال المفسرون ان ايوب كان روميا
من البثنية وكنيته ابو عبد الله في قول الواقدي اصطفاه الله بالنبوة واتاه جملة عظيمة من
الثروة في انواع الاموال والاولاد وكان شاكرا لانعم الله مواسيا لعباد الله برا رحيما ولم يومن به
الا ثلاثة نفر وكان لابليس موقف من السماء السابعة في يوم من العام فوقف به ابليس على عبادته فقال
الله له او قيل له عنه اقدرت من عبدي ايوب على شيء فقال يا رب وكيف اقدر منه على شيء وقد
ابتليته بالمال والعافية فلو ابتليته بالبلاء والفقر ونزعت منه ما اعطيته لحال عن حاله ولخرج
عن طاعته قال الله قد سلطتك على اهله وماله فانحط عدو الله فجمع عفاريت الجن فاعلمهم وقال قايل
منهم اكون اعصارا فيه نار اهلك ماله فجاء ايوب في صورة قيم ماله فاعلمه بما جرى فقال الحمد لله هو
اعطاه وهو منعه ثم جاء قصره باهله وولده فاحتمل القصر من نواحيه حتى القاه على اهله وولده
ثم جاءه واعلمه فالقى التراب على راسه وصعد ابليس الى السماء فسبقته توبة ايوب قال يا رب سلطني
على بدنه قال قد سلطتك على بدنه الا على لسانه وقلبه وبصره فنفخ في جسده نفخة اشتعل فصار
في جسده ثاليل فحك باظفاره حتى دميت ثم بالفخار حتى تساقط لحمه فقال عند ذلك مسني الشيطان
ولم يخلص الى شيء من حشوة البطن لانه لا بقاء للنفس الا بها فهو ياكل ويشرب فمكث كذلك ثلاث
سنين فلما غلب ايوب اعترض لامراته في هيئة اعظم من هيئة بني ادم في القدر والجمال وقال
لها انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت ولو سجدت لي سجدة واحدة لرددت
عليه حاله وماله وهو عندي وعرض لها في بطن الوادي ذلك كله في صورته اي اظهره لها فاخبرت
ايوب فاقسم ان يضربها ان عافاه الله وذكروا كلاما طويلا في مراجعته لربه وتبرمه من البلاء
الذي نزل به وان النفر الثلاثة الذين امنوا به نهوه عن ذلك واعترضوا عليه وقيل استغاث به
مظلوم فلم ينصره فابتلي من سبب ذلك وقيل استضاف يوما الناس فمنع فقيرا الدخول فابتلي
بذلك وقيل كان ايوب يغزو ملكا وكان له غنم في ولايته فداهنه لاجلها بترك غزوه فابتلي
وقيل كان الناس يتعدون امراته ويقولون نخشى العدوى وكانوا يستقذرونها فلهذا قال
مسني الضر وامراته ليا بنت يعقوب وكان ايوب في زمن يعقوب وكانت امه ابنة لوط وقيل
كانت زوجة ايوب رحمة ابنة افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام ذكر القولين الطبري
رحمه الله قال ابن العربي ما ذكره المفسرون من ان ابليس كان له مكان في السماء السابعة يوما من
العام فقول باطل لانه اهبط منها بلعنة وسخط الى الارض فكيف يرقى الى محل الرضا ويجول في مقامات
الانبياء ويخترق السموات العلى ويعلو الى السابعة الى منازل الانبياء فيقف موقف الخليل
ان هذا الخطب من الجهالة عظيم واما قولهم ان الله تعالى قال له هل قدرت من عبدي ايوب على

اقدرت من عبدي ايوب على شي

استضاف يوما الناس فمنع فقيرا الدخول فابتلي بذلك

شيء باطل قطعا لان الله عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم جند ابليس الملعون فكيف يكلم من تولى
اضلالهم واما قولهم ان الله تعالى قال قد سلطتك على ماله وولده فذلك ممكن في القدرة ولكنه
بعيد في هذه القصة وكذلك قولهم انه نفخ في جسده حين سلطه عليه فهو ابعد والباري سبحانه قادر على
ان يخلق ذلك كله من غير ان يكون للشيطان فيه كسب حتى تقر له لعنة الله عليه عين بالتمكن من الانبيا
في اموالهم واهليهم وانفسهم واما قولهم انه قال لزوجته انا اله الارض ولو تركت ذكر الله وسجدت انت
لي لعافيته فاعلموا وانكم لتعلمون انه لو عرض لاحدكم وبه الم وقال هذا الكلام ما جاز عنده ان
يكون الها في الارض وانه يسجد له وانه يعافي من البلا فكيف ان يستريب زوجة نبي ولو كانت زوجة
سوادي او فدم بربري ما ساغ ذلك عندها واما تصويره الاموال والاهل في واد للمراة فذلك ما لا
يقدر عليه ابليس بحال ولا هو في طرق السحر فيقال انه من جنسه ولو تصور لعلمت المراة سحر كما نعلمه نحن
وهي فوقنا في المعرفة بذلك فانه لم يخل زمان قط من السحر وحديثه وجريه بين الناس وتصويره
قال القاضي والذي جراهم على ذلك وتذرعوا به الى ذكر هذا قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب فلما راوه انه قد شكى من الشيطان اضافوا اليه من رايهم ما سبق من التفسير في هذه
الاقوال وليس الامر كما زعموا والافعال كلها خيرها وشرها في ايمانها وكفرها طاعتها وعصيانها خالقها
هو الله لا شريك له في خلقه ولا في خلق شيء غيرها ولكن الشر لا ينسب اليه ذكرا وان كان موجودا
منه خلقا ادبا ادبنا به وتحميدا علمناه وكان من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لربه به قوله من جملته
والخير في يديك والشر ليس اليك على هذا المعنى ومنه قول ابراهيم واذا مرضت فهو يشفين وقال
الفتى للكليم وما انسانيه الا الشيطان واما قولهم انه استغاث به مظلوم فلم ينصره فمن
لنا بصحة هذا القول ولا يخلو ان يكون قادرا على نصره فلا يحل لاحد تركه فيلام على انه عصى وهو منزه
عن ذلك او كان عاجزا فلا شيء عليه في ذلك وكذلك قولهم انه منع فقيرا من الدخول ان كان علم به
فهو باطل عليه وان لم يعلم به فلا شيء عليه فيه واما قولهم انه داهن على غنمه الملك الكافر فلا يقل داهن
ولكن قل دارى او دفع الكافر والظالم عن النفس او المال بالمال جائز نعم وحسن الكلام قال ابن العربي
القاضي ابو بكر رض ولم يصح عن ايوب في امره الا ما اخبرنا الله عنه في كتابه في ايتين الاولى قوله
تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر والثانية في ص اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
واما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه انه ذكره بحرف واحد الا قوله بينا ايوب يغتسل اذ خر عليه رجل
من جراد من ذهب الحديث وان لم يصح فيه قران ولا سنة الا ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع الى ايوب
خبره ام على اي لسان سمعه والاسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات فاعرض عن سطورها
بصرك واصمم عن سماعها اذنيك فانها لا تعطي فكرك الا خيالا ولا تزيد فوادك الا خبالا وفي الصحيح
واللفظ للبخاري ان ابن عباس قال يا معشر المسلمين تسالون اهل الكتاب وكتابكم الذي انزل
على نبيكم احدث الاخبار بالله تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب قد بدلوا من كتب
الله وغيروا وكتبوا بايديهم الكتب فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولا ينهاكم
ما جاءكم من العلم عن مسالتهم فلا والله ما راينا رجلا منهم يسالكم عن الذي انزل اليكم وقد انكر النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث الموطا على عمر قراءته التوراة **قوله تعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد
وشراب** الركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة وركض ثوبه برجله وقال المبرد الركض التحريك
ولهذا قال الاصمعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبها رجليه
ولا فعل لها في ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر وحزنته فحزن
وفي الكلام اضمار اي قلنا له اركض قاله الكسائي وهذا لما عافاه الله هذا مغتسل بارد وشراب
اي فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به فذهب الداء من ظاهره فشرب منه فذهب الداء باطنه
وقال قتادة هما عينان بارض الشام في ارض يقال لها الجابية فاغتسل من احداهما فاذهب الله
تعالى ظاهر دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله تعالى باطن دائه ونحوه عن الحسن ومقاتل قال
مقاتل نبعت عين حارة واغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فشرب منها ماء عذبا باردا وقيل
امر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده والمغتسل الماء الذي يغتسل به قاله القتبي وقيل انه

الضعف كان تماما ورد الله اليه اهله ومثلهم معهم واقبلت سحابة حتى سجلت في اندر قمحة ذهبا حتى
امتلا، واقبلت سحابة اخرى الى اندر شعيره وقطانيه فسجلت فيه ورقا حتى امتلا **قوله تعالى**
واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولوا الايدي والابصار وقرا ابن عباس عبدنا باسناد
صحيح رواه ابن عيينة عن عمرو عن عطا عنه وهي قراءة مجاهد وحميد وابن كثير وابن محيصن فعلى
هذه القراءة يكون ابراهيم بدلا من عبدنا واسحق ويعقوب عطف والقراءة بالجمع ابين وهي اختيار
ابي عبيد وابي حاتم ويكون ابراهيم وما بعده على البدل النحاس وشرح هذا من العربية انك اذا قلت
رايت اصحابنا زيدا وعمرا وخالدا فزيد وعمرو وخالد بدل وهم الاصحاب واذا قلت رايت صاحبنا
زيدا وعمرا وخالدا فزيد وحده بدل وهو صاحبنا وزيد وعمرو عطف على صاحبنا وليسا بداخلين
في المصاحبة الا بدليل غير هذا غير انه قد علم ان قوله واسحاق ويعقوب داخل في العبودية وقد استدل
بهذه الاية من قال ان الذبيح اسحاق لا اسماعيل وهو الصحيح على ما ذكرناه في كتاب الاعلام بمولد النبي
عليه السلام اولي الايدي والابصار قال النحاس اما الابصار فمتفق على تاويلها انها البصائر في الدين
والعلم واما الايدي فمختلف في تاويلها فاهل التفسير يقولون انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي
جمع يد وهي النعمة اي هم اصحاب النعم اي الذين انعم الله عليهم وقيل هم اصحاب النعم والاحسان لانهم قد
احسنوا وقدموا خيرا وهذا اختيار الطبري وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي الذين اصطفاهم من
الادناس واختارهم لرسالته ومصطفين جمع مصطفي والاصل مصتفي وقد مضى في البقرة عند قوله
المصطفي والاخيار جمع خير وقرا الاعمش وعبد الوارث والحسن وعيسى الثقفي اولي الايد بغير يا في الوصل
والوقف على معنى اولي القوة في طاعة الله ويجوز ان يكون كمعنى قراءة الجماعة وحذفت اليا تخفيفا **قوله تعالى**
انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار قراءة العامة بخالصة
منونة وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا نافع وشيبة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر بخالصة ذكرى
الدار بالاضافة فمن نون خالصة فذكرى الدار بدل منها التقدير انا اخلصناهم بان يذكروا الدار الاخرة
ويتاهبوا لها ويرغبوا فيها ويرغبوا الناس ويجوز ان يكون خالصة مصدرا لخلص وذكرى في موضع رفع
بانها فاعلة والمعنى اخلصناهم بان خلصت لهم ذكرى الدار اي تذكير الدار الاخرة ويجوز ان يكون
خالصة مصدرا لاخلصت فحذفت الزيادة فيكون ذكرى على هذا في موضع نصب التقدير بان اخلصوا
ذكرى الدار والدار يجوز ان يراد بها الدنيا اي ليذكروا الدنيا ويزهدوا فيها ويخلص لهم بالثنا الحسن
عليهم كما قال وجعلنا لهم لسان صدق عليا ويجوز ان يراد بها الدار الاخرة وتذكير الخلق بها ومن اضاف
خالصة الى الدار فهي مصدر بمعنى الاخلاص والذكرى مفعول به اضيف اليه المصدر اي باخلاصهم ذكرى الدار
ويجوز ان يكون المصدر مضافا الى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص اي بان خلصت لهم ذكرى
الدار وهي الدار الاخرة او الدنيا على ما تقدم وقال ابن زيد معنى انا اخلصناهم اي الاخرة اي يذكرون
الاخرة ويرغبون ويزهدون في الدنيا وقال مجاهد المعنى انا اخلصناهم بان ذكرنا الجنة لهم
قوله تعالى **واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين**
لحسن ماب جنات عدن مفتحة لهم الابواب مضى ذكر اليسع في الانعام وذا الكفل في الانبيا وكل من
الاخيار اي ممن اختير للنبوة هذا ذكر بمعنى هذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يذكرون به في الدنيا ابدا وان
للمتقين لحسن ماب اي لهم مع هذا الذكر الجميل في الدنيا حسن المرجع في القيامة ثم بين ذلك عز وجل
بقوله جنات عدن والعدن في اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام وقال عبد الله بن عمرو ان في الجنة
عدن قصرا في الجنة له خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبره لا يدخله الا نبي او صديق
او شهيد مفتحة حال لهم الابواب رفعت الابواب لانه اسم ما لم يسم فاعله قال الزجاج اي مفتحة لهم
الابواب منها وقال الفرا مفتحة لهم ابوابها واجاز الفرا مفتحة لهم الابواب بالنصب قال الفرا
اي مفتحة الابواب ثم جئت بالتنوين فنصبت وانشد هو وسيبويه

ونأخذ بعده بذناب عيش ... اجب الظهر ليس له سنام

وانما قال مفتحة ولم يقل مفتوحة لانها تفتح لهم بالامر لا بالمس قال الحسن تكلم انفتحي فتنفتح انغلقي
فتنغلق وقيل تفتح لهم الملائكة الابواب **قوله تعالى** **متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة**

من قال ان الذبيح اسحاق لا اسمعيل

كثيرة وشراب متكئين فيها هو حال قدمت على العامل فيها وهو قوله يدعون فيها اي يدعون في الجنات
متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة اي بالوان الفواكه وشراب اي وشراب كثير فحذف
لدلالة الكلام عليه **قوله تعالى** **وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب**
وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى هذا في والصافات
اتراب على سن واحد وميلاد امراة واحدة وقد تساوين في الحسن والشباب بنات ثلاث وثلاثين
سنة قال ابن عباس يريد الادميات واتراب جمع ترب وهو نعت لقاصرات نكرة وان كان مضافا الى
معرفة والدليل على ذلك ان الالف واللام يدخلانه كما قال من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر
فوق الاتب منها لاثرا **قوله تعالى** **هذا ما يوعدون ليوم الحساب** اي هذا الجزاء الذي وعدتم به وقرا
العامة بالتا اي ما توعدون ايها المؤمنون وقرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب
باليا على الخبر وهي قراءة السلمي واختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله وان للمتقين فهو خبر ليوم الحساب
اي في يوم الحساب قال الاعشى

المهينين ما لهم لزمان السو ... حتى اذا ما افاق افاقوا

اي في زمان السو
قوله تعالى **ان هذا لرزقنا ما له من نفاد** دليل على ان نعيم الجنة دائم لا ينقطع كما قال
عطاء غير مجذوذ وقال لهم اجر غير ممنون **قوله تعالى** **هذا وان للطاغين لشر ماب** لما ذكر ما
للمتقين ذكر ما للطاغين قال الزجاج هذا خبر ابتدا محذوف اي هذا الامر او الامر هذا فيوقف
على هذا قال ابن الانباري هذا وقف حسن ثم يبتدي به وان للطاغين وهم الذين كذبوا الرسل لشر
ماب اي منقلب يصيرون اليه ثم بين بقوله جهنم يصلونها فبئس المهاد اي بئس ما مهدوا لانفسهم او بئس
الفراش لهم ومنه مهد الصبي وقيل فيه حذف اي بئس موضع المهاد وقيل اي هذا الذي وصفت لهم وللمتقين
ثم قال وان للطاغين لشر ماب مرجع فيوقف على هذا ايضا **قوله تعالى** **هذا فليذوقوه حميم**
وغساق هذا في موضع رفع بالابتداء وخبره حميم على التقديم والتاخير اي هذا حميم وغساق
فليذوقوه ولا يوقف على فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا في موضع رفع بالابتداء وفليذوقوه في
موضع الخبر ودخلت الفاء للتنبيه الذي في هذا فيوقف على فليذوقوه ويرتفع حميم على تقدير هذا
حميم قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا وحميم وغساق اذا لم تجعلهما خبرا ورفعتهما على معنى
هو حميم وغساق والفرا يرفعهما بمعنى منه حميم وغساق وانشد

حتى اذا ما اضاء الصبح في غلس ... وغودر البقل ملوي ومحصود

وقال اخر

لها متاع واعوان غدون لها ... قتب وغرب اذا ما افرغ انسحقا

ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره فليذوقوه كما يقال زيدا اضربه والنصب
في هذا اولى فيوقف على فليذوقوه ويبتدي حميم وغساق على تقدير هذا حميم وغساق وقرا اهل
المدينة واهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين في وغساق وقرا يحيى بن وثاب والاعمش و
حمزة والكسائي وغساق بالتشديد وهما لغتان بمعنى واحد في قول الاخفش وقيل معناهما مختلف
فمن خفف فهو اسم مثل عذاب وجواب وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل نقل الى فعال للمبالغة
نحو ضراب وقتال وهو فعال من غسق يغسق فهو غساق وغاسق قال ابن عباس هو الزمهرير يخوفهم
ببرده وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده وقال غيرهما انه يحرق ببرده
كما يحرق الحميم بحره وقال عبد الله بن عمرو هو قيح غليظ لو وقع منه شي بالمشرق لانتن من في المغرب
ولو وقع شي منه في المغرب لانتن من في المشرق وقال قتادة هو ما يسيل من فروج الزناة ومن
نتن لحوم الكفرة وجلودهم من الصديد والقيح والنتن وقال محمد بن كعب هو عصارة اهل النار
وهذا القول اشبه باللغة يقال غسق الجرح يغسق غسقا اذا خرج منه ما اصفر قال الشاعر

اذا ما تذكرت الحياة وطيبها ... الي جرى دمع من العين غاسق

اي بارد ويقال ليل غاسق لانه ابرد من النهار وقال السدي الغساق الذي يسيل من اعينهم ودموعهم
يسقونه مع الحميم وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم يجمع في حياض النار فيسقونه والصديد الذي
يخرج من جلودهم والاختيار على هذا وغساق حتى يكون مثل سيال وقال كعب الغساق عين في جهنم

ايس اليها سم كل ذي جمة من حية وعقرب وقيل هو ماخوذ من الظلمة والسواد والغسق اول ظلمة الليل وقد غسق الليل يغسق اذا اظلم وفي الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا قال الشيخ رحمه الله وهذا اشبه على الاشتقاق الاول كما بينا الا انه يحتمل ان يكون الغساق مع سيلانه اسود مظلما فيصح الاشتقاقان والله اعلم **قوله تعالى** واخر من شكله ازواج قال ابو عمرو واخر جمع اخرى مثل الكبرى والكبر الباقون واخر مفرد مذكر وانكر ابو عمرو واخر لقوله ازواج اي لا يخبر بواحد عن جماعة وانكر عاصم الجحدري واخر قال ولو كانت واخر لكان من شكلها وكلا الردين لا يلزم والقراءتان الصحيحتان واخر اي عذاب اخر سوى الحميم والغساق من شكله قال قتادة من نحوه قال ابن مسعود هو الزمهرير وارتفع واخر بالابتداء وازواج مبتدا ثان ومن شكله خبره والجملة خبر اخر ويجوز ان يكون واخر مبتدا والخبر مضمر دل عليه وازواج مبتدا هذا فليذوقوه حميم وغساق لان فيه دليلا على انه لهم فكانه قال ولهم اخر ويكون من شكله ازواج صفة لاخر والمبتدا يتخصص بالصفة وازواج مرفوع بالظرف ومن قرا واخر اراد وانواع من العذاب اخر ومن جمع وهو يريد الزمهرير فعلى انه جعل الزمهرير اجناسا فجمع لاختلاف الاجناس او على انه جعل لكل جزء منه زمهريرا ثم جمع كما قالوا شابت مفارقه او على انه جمع لما في الكلام من الدلالة على جواز الجمع لانه جعل الزمهرير الذي هو نهاية البرد بازاء الجمع في قوله هذا فليذوقوه حميم وغساق والضمير في شكله يجوز ان يعود على الحميم او الغساق او على معنى واخر من شكله صفة وفيه ذكر يعود على المبتدا وازواج خبر المبتدا ولا يجوز ان يحمل على تقدير ولهم اخر ومن شكله صفة لاخر وازواج مرتفعة بالظرف كما جاء في الافراد لان الصفة لا ضمير فيها من حيث ارتفع ازواج بالظرف ولا ضمير في الظرف والهاء في شكله لا تعود على اخر لانه جمع والضمير مفرد قاله ابو علي وازواج اي اصناف والوان من العذاب وقال يعقوب الشكل بالفتح المثل وبالكسر الدل **قوله تعالى** هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني الاتباع والفوج الجماعة مقتحم معكم اي داخل النار معكم فقالت السادة لا مرحبا بهم اي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة ومنه رحبة المسجد وهو في مذهب الدعاء ولذلك نصب قال النابغة

فلا مرحبا بغد ولا اهلا به ... ان كان تفريق الاحبة في غد

وقال ابو عبيدة العرب تقول لا مرحبا بك اي لا رحبت عليك الارض ولا اتسعت انهم صالوا النار قيل هو من قول القادة اي انهم صالوا النار كما صليناها وقيل هو من قول الملائكة متصل بقولهم هذا فوج مقتحم معكم قالوا بل انتم لا مرحبا بكم هو من قول الاتباع وحكى النقاش ان الفوج الاول قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر والفوج الثاني اتباعهم ببدر والظاهر من الاية انها عامة في كل تابع ومتبوع انتم قدمتموه لنا اي دعوتمونا الى العصيان فبئس القرار لنا ولكم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا قال الفراء من سوغ لنا هذا وسنه وقال غيره من قدم لنا هذا العذاب بدعائه ايانا الى المعاصي فزده عذابا ضعفا في النار اي عذابا بكفره وعذابا بدعائه ايانا فصار ذلك ضعفا قال ابن مسعود يعني عذابا ضعفا في الدنيا الحيات والافاعي ونظير هذه الاية قوله ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار **قوله تعالى** وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقالوا يعني اكابر المشركين ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال ابن عباس يريدون اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقول ابو جهل اين بلال اين صهيب اين عمار اولئك في الفردوس واعجبا لابي جهل مسكين اسلم ابنه عكرمة وابنته جويرية واسلمت امه واسلم اخوه وكفر هو قال

ونورا اضاء الارض شرقا ومغربا ... وموضع رجلي منه اسود مظلم

اتخذناهم سخريا قال مجاهد اتخذناهم سخريا في الدنيا فاخطانا ام زاغت عنهم الابصار فلم نعلم مكانهم قال الحسن كل ذلك فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم في الدنيا محقرة لهم وقيل معنى ام زاغت عنهم الابصار اي اهم معنا في النار فلا نراهم وكان ابن كثير والاعمش وابو عمرو وحمزة

فقالت السادة لا مرحبا بهم

والكسائي

والكسائي يقرءون من الاشرار اتخذناهم بحذف الالف في الوصل لانه قد استغنى عنها فمن قرا بحذف الالف لم يقف على الاشرار لان اتخذناهم حال وقال النحاس والسجستاني هو نعت لرجال قال ابن الانباري وهذا خطا لان النعت لا يكون ماضيا ولا مستقبلا ومن قرا اتخذناهم بقطع الالف وقف على الاشرار قال الفراء والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب ام زاغت عنهم الابصار اذا قرات بالاستفهام كانت ام للتسوية واذا قرات بغير الاستفهام فهي بمعنى بل وقرا ابو جعفر ونافع وشيبة والمفضل وهبيرة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي سخريا بضم السين الباقون بالكسر قال ابو عبيدة من كسر جعله من الهزء ومن ضم جعله من التسخير وقد تقدم ان ذلك لحق تخاصم اهل النار لحق خبر ان وتخاصم خبر مبتدا محذوف بمعنى هو تخاصم ويجوز ان يكون بدلا من حق ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون بدلا من ذلك على الموضع اي ان تخاصم اهل النار في النار لحق يعني قولهم لا مرحبا بكم الاية وشبهه من قول اهل النار **قوله تعالى** قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل انما انا منذر اي مخوف عقاب الله لمن عصاه وقد تقدم وما من اله اي معبود الا الله الواحد القهار الذي لا شريك له رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار بالرفع على النعت وان نصبت الاول نصبته ويجوز رفع الاول ونصب ما بعده على المدح والعزيز معناه المنيع الذي لا مثل له الغفار الستار لذنوب خلقه **قوله تعالى** قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون اي قل لهم يا محمد هو نبا عظيم اي ما انذرتكم به من الحساب والثواب والعقاب خبر عظيم القدر فلا ينبغي ان تستخف به قال معناه قتادة نظيره قوله تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني القران الذي انباتكم به خبر جليل وقيل عظيم المنفعة انتم عنه معرضون **قوله تعالى** ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون الملا الاعلى هم الملائكة في قول ابن عباس والسدي اختصموا في امر ادم حين خلق فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وقال ابليس انا خير منه وهذا بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر عن قصة ادم وغيره وذلك لا يتصور الا بتاييد الهي فقد قامت المعجزة على صدقه فما بالهم اعرضوا عن تدبر القران ليعرفوا صدقه ولهذا وصل قوله بقوله قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون وقول ثان رواه ابو الاشهب عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالني ربي فقال يا محمد فيم اختصم الملا الاعلى قلت في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات قلت المشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في السبرات والتعقيب في المساجد انتظار الصلوات بعد الصلوات قال وما الدرجات قلت افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام خرجه الترمذي بمعناه عن ابن عباس وقال فيه حسن غريب وعن معاذ بن جبل ايضا وقال حديث حسن صحيح وقد كتبناه بكماله في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى واوضحنا اشكاله والحمد لله وقد مضى في يس القول في المشي الى المساجد وان الخطا تكفر السيئات وترفع الدرجات وقيل الملا الاعلى الملائكة والضمير في يختصمون لفرقتين يعني قول من قال هم الملائكة بنات الله وقيل الملا الاعلى ها هنا قريش يعني اختصامهم فيما بينهم سرا فاطلع الله نبيه على ذلك **قوله تعالى** ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي ان يوحى الي الا الانذار وقرا ابو جعفر بن القعقاع الا انما بكسر الهمزة لان الوحي قول كانه قال يقال لي انما انا نذير مبين ومن فتحها جعلها في موضع رفع لانها اسم ما لم يسم فاعله قال الفراء كانك قلت ما يوحى الي الا الانذار النحاس ويجوز ان يكون في موضع نصب بمعنى الا لانما **قوله تعالى** اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين اذ من صلة يختصمون المعنى ما كان لي من علم بالملا الاعلى حين يختصمون اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين وقيل واذ قال بدل من اذ يختصمون ويختصمون متعلق بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم فاذا سويته اذا ترد الماضي الى المستقبل لانها تشبه حروف الشرط وجوابها كجوابه اي خلقته ونفخت فيه من روحي اي من الروح الذي املكه ولا يملكه غيري فهذا معنى الاضافة وقد مضى هذا المعنى مجودا في النساء في قوله في عيسى وروح منه فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون اي امتثلوا الامر وسجدوا خضوعا له وتعظيما لله بتعظيمه الا ابليس انف من السجود له جهلا بان السجود له طاعة لله والانفة من طاعة الله استكبارا

كفر ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن امر الله تعالى وقد مضى الكلام في هذا في البقرة مستوفى **قوله تعالى** **قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** قال يا ابليس ما منعك اي صرفك وصدك ان تسجد اي عن ان تسجد لما خلقت بيدي اضاف خلقته الى نفسه تكريما له وان كان خالق كل شيء وهذا كما اضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد فخاطب الخلق بما يعرفونه من تعاملهم فان الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئا بيده الا على سبيل الاعظام والتكرم فذكر اليد هاهنا بمعنى هذا قال مجاهد اليد هاهنا بمعنى التاكيد والصلة مجازه لما خلقت بيدي انا كقوله ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك وقيل التثنية في اليد في خلق الله تعالى دليل على انه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة وانما هما صفتان من صفات ذاته تعالى وقيل اراد باليد القدرة يقال ما لي بهذا الامر يد وما لي بالحمل الثقيل يدان ويدل عليه ان الخلق لا تقع الا بالقدرة بالاجماع وقال الشاعر

تحملت من ذلفاء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان

وقيل لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة استكبرت اي عن السجود ام كنت من العالين اي من المتكبرين على ربك وقرا محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير واهل مكة بيدي استكبرت موصولة الالف على الخبر وتكون ام منقطعة بمعنى بل مثل ام يقولون افتراه وشبهه ومن استفهم فام معادلة لهمزة الاستفهام وهو تقرير وتوبيخ اي استكبرت بنفسك حين ابيت عن السجود لادم ام كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت لهذا قوله تعالى انا خير منه قال الفراء من العرب من يقول انا اخير منه واشر وهذا هو الاصل الا انه حذف منه لكثرة الاستعمال خلقتني من نار وخلقته من طين فضل النار على الطين وهذا جهل منه لان الجواهر متجانسة فقاس فاخطا القياس وقد مضى في الاعراف بيانه قال فاخرج منها يعني من الجنة فانك رجيم اي مرجوم بالكواكب والشهب وان عليك لعنتي اي طردي وابعادي من رحمتي الى يوم الدين تعريف باصراره على الكفر لان اللعن ينقطع حينئذ ثم بدخوله النار يظهر تحقيق اللعن قال رب فانظرني الى يوم يبعثون وهي النفخة الاخرة اراد الملعون انه لا يموت فلم يجب الى ذلك واخر الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم يموت الخلق فيه فاخر اليه تهاونا به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لما طرده بسبب ادم حلف بعزة الله انه يضل بني ادم بتزيين الشهوات وادخال الشبه عليهم فمعنى لاغوينهم لاستدعينهم الى المعاصي وقد علم انه لا يصل الا الى الوسوسة ولا يفسد الا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه ولهذا قال الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصتهم لعبادتك وعصمتهم مني وقد مضى هذا في الحجر **قوله تعالى** **قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين** هذه قراءة اهل الحرمين واهل البصرة والكسائي وقرا ابن عباس ومجاهد وعاصم والاعمش وحمزة برفع الاول واجاز الفراء فيه الخفض ولا اختلاف في الثاني انه منصوب باقول ونصب الاول على الاغراء اي فاتبعوا الحق واستمعوا الحق والثاني بايقاع القول عليه وقيل هو بمعنى احق الحق اي افعله قال ابو علي الحق الاول منصوب بفعل مضمر اي يحق الله الحق او على القسم وحذف حرف الجر كما تقول الله لافعلن ومجازه قال فالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه والحق اقول جملة اعترضت بين القسم والمقسم عليه وهي توكيد القصة واذا جعل الحق منصوبا باضمار فعل كان لاملان على ارادة القسم وقد اجاز الفراء وابو عبيد ان يكون الحق منصوبا بمعنى حقا لاملان جهنم وذلك عند جماعة من النحويين خطا لا يجوز زيدا لاضربن لان ما بعد اللام مقطوع مما قبلها فلا يعمل فيه والتقدير على قولهما لاملان جهنم حقا ومن رفع الحق رفعه بالابتداء اي فانا الحق او الحق مني رويا جميعا عن مجاهد ويجوز ان يكون التقدير هذا الحق وقول ثالث على مذهب سيبويه والفراء ان معنى فالحق لاملان جهنم بمعنى فالحق ان املا جهنم وفي الخفض قولان وهي قراءة ابن السميقع وطلحة بن مصرف احدهما انه على حذف حرف القسم هذا قول الفراء قال كما يقول الله عز وجل لافعلن وقد اجاز مثل هذا سيبويه وغلط فيه ابو العباس ولم يجز الخفض لان حروف الخفض لا تضمر والقول الاخر ان تكون الفاء بدلا من واو القسم كما انشدوا

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا

لاملان جهنم منك اي من نفسك وذريتك وممن تبعك من بني ادم اجمعين **قوله تعالى** **قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين** قل ما اسالكم عليه من اجر اي من جعل على تبليغ الوحي وكنى به عن غير مذكور وهو راجع الى قوله اانزل

عليه

(margin: وان عليك لعنتي اي طردي وابعادي من رحمتي الى يوم الدين)

عليه الذكر من بيننا وما انا من المتكلفين اي لا اتكلف ولا اتخرص ما لم اومر به وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال من سئل عما لا يعلم فليقل لا اعلم ولا يتكلف فان قوله لا اعلم علم وقد قال عز وجل لنبيه عليه السلام قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم وروى الدارقطني من حديث نافع عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فسار ليلا فمروا على رجل جالس عند مقراة له فقال له عمر يا صاحب المقراة اولغت السباع الليلة في مقراتك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا صاحب المقراة لا تخبره هذا متكلف لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور وفي الموطا عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ان عمر بن الخطاب خرج في ركب فيهم عمرو بن العاصي حتى وردوا حوضا فقال عمرو بن العاص لصاحب الحوض يا صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع فقال عمر بن الخطاب يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد على السباع وترد علينا وقد مضى القول في المياه في سورة الفرقان **قوله تعالى** **ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين** ان هو يعني القران الا ذكر للعالمين من الجن والانس ولتعلمن نباه بعد حين اي نبا الذكر وهو القران انه حق بعد حين قال قتادة بعد الموت وقاله الزجاج وقال ابن عباس وعكرمة وابن زيد يعني يوم القيامة وقال الفراء بعد الموت وقبله اي لتظهر لكم حقيقة ما اقول بعد حين اي في المستانف اذا اخذتكم سيوف المسلمين قال السدي وذلك يوم بدر وكان الحسن يقول يا ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وسئل عكرمة عمن حلف ليصنعن كذا الى حين قال ان من الحين ما لا يدركه كقوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين ومنه ما يدركه كقوله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها من صرام النخل الى طلوعه ستة اشهر وقد مضى القول في هذا في البقرة وابراهيم والحمد لله تمت

تفسير سورة الزمر

ويقال الغرف قال وهب بن منبه من احب ان يعرف قضاء الله في خلقه فليقرا سورة الغرف وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقال ابن عباس الا ايتين نزلتا بالمدينة احداهما الله نزل احسن الحديث والاخرى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وقال اخرون الا سبع ايات من قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى اخر السبع نزلت في وحشي واصحابه على ما ياتي وروى الترمذي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا الزمر وبني اسرائيل وهي خمس وسبعون اية وقيل ثنتان وسبعون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم** تنزيل الكتاب رفع بالابتداء وخبره من الله العزيز الحكيم ويجوز ان يكون مرفوعا بمعنى هذا تنزيل قاله الفراء واجاز الكسائي والفراء ايضا تنزيل بالنصب على انه مفعول به قال الكسائي اي اتبعوا واقرؤوا تنزيل الكتاب وقال الفراء هو على الاغراء مثل كتاب الله عليكم اي الزموا والكتاب القران يسمى بذلك لانه مكتوب **قوله تعالى** **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص** انا انزلنا اليك الكتاب اي هذا تنزيل الكتاب من الله وقد انزلناه بالحق اي بالصدق وليس بباطل وهزل فاعبد الله مخلصا فيه مسالتان الاولى مخلصا نصب على الحال اي موحدا لا تشرك به شيئا له الدين اي الطاعة وقيل العبادة وهو مفعول به الا لله الدين الخالص اي الذي لا يشوبه شيء وفي حديث الحسن عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله اني اتصدق بالشيء واصنع الشيء اريد به وجه الله وثناء الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئا شورك فيه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لله الدين الخالص وقد مضى هذا المعنى في البقرة والنساء والكهف مستوفى الثانية قال ابن العربي هذه الاية دليل على وجوب النية الخالصة في كل عمل واعظمه الوضوء الذي هو شطر الايمان خلافا لابي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك اللذين يقولان ان الوضوء يكفي من غير نية وما كان ليكون من الايمان شطرا ولا ليخرج الخطايا من بين الاظافر والشعر بغير نية **قوله تعالى** **والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار** والذين اتخذوا من دونه اولياء يعني الاصنام والخبر محذوف اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن خلق

السموات والارض وانزل من السماء ماء قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الاصنام قالوا ليقربونا الى
الله ويشفعون لنا عنده قال الكلبي جواب هذا الكلام في الاحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا الهة الاية والزلفى القربة اي ليقربونا اليه تقريبا فوضع زلفى موضع المصدر
وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وفي حرف ابي والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ذكره النحاس قال
والحكاية في هذا بينة ان الله يحكم بينهم اي بين اهل الاديان يوم القيامة فيجازي كلا بما يستحق ان الله لا
يهدي من هو كاذب كفار اي من سبق له القضاء بالكفر لم يهتد اي للدين الذي ارتضاه وهو دين الاسلام
كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا وفي هذا رد على القدرية وغيرهم على ما تقدم قوله تعالى
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار اي لو اراد ان يسمي
احدا من خلقه بهذا ما جعله عز وجل اليهم سبحانه اي تنزيها له من الولد هو الله الواحد القهار
قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اي هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد
ومن كان هكذا فحقه ان يفرد بالعبادة لا ان يشرك به ونبه بهذا على ان له ان يتعبد العباد بما شاء وقد
فعل قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى الا هو العزيز الغفار قال الضحاك اي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوير في
اللغة وهو طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع اي القى بعضه على بعضه ومنه كور العمامة وقد روي
عن ابن عباس هذا في معنى الاية قال ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل
وهو معنى قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقيل تكوير الليل على النهار تغشيته اياه حتى
يذهب ضوءه ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو معنى قوله تعالى يغشي الليل النهار
يطلبه حثيثا وسخر الشمس والقمر اي بالطلوع والغروب لمنافع العباد كل يجري لاجل مسمى اي في فلكه
الى ان تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة حين تنفطر السماء وتنتثر الكواكب وقيل الاجل المسمى هو الوقت الذي
ينتهي فيه سير الشمس والقمر الى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها قال الكلبي يسيران الى اقصى منازلهما
ثم يرجعان الى ادنى منازلهما لا يجاوزانه وقد تقدم بيان هذا في سورة يس الا هو العزيز الغفار الا
تنبيه اي تنبهوا فاني انا العزيز الغالب الغفار اي الساتر لذنوب خلقه برحمته قوله تعالى
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون
امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون
خلقكم من نفس واحدة يعني ادم عليه السلام ثم جعل منها زوجها يعني حواء ليحصل التناسل وقد مضى هذا في
الاعراف وغيرها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اخبر عن الازواج بالنزول لانها تكونت بالنبات
والنبات بالماء المنزل وهذا يسمى التدريج ومنه قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا الاية وقيل انزل انشا
وقال سعيد بن جبير خلق وقيل ان الله خلق هذه الانعام في الجنة ثم انزلها الى الارض كما قيل في قوله وانزلنا
الحديد فيه باس شديد فان ادم لما اهبط الى الارض انزل معه الحديد وقيل انزل لكم من الانعام اي اعطاكم
وقيل جعل الخلق انزالا لان الخلق انما يكون بامر ينزل من السماء فالمعنى خلق لكم كذا بامره النازل قال
قتادة من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين كل واحد زوج وقد تقدم هذا يخلقكم
في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال قتادة والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما ابن زيد خلقا
في بطون امهاتكم من بعد خلقكم في ظهر ادم وقيل خلقا في ظهر الاب ثم خلقا في بطن الام ثم خلقا بعد الوضع ذكره
الماوردي في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة
والضحاك وقيل ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المراة وظلمة الرحم وهذا مذهب ابي عبيد وقال
ابن جبير ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل والقول الاول اصح اي لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين
ذلكم الله ربكم اي الذي خلق هذه الاشياء هو ربكم لا اله الا هو فانى تصرفون اي كيف تنقلبون وتنصرفون
عن عبادته الى عبادة غيره وقرا حمزة امهاتكم بكسر الهمزة والميم والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم الباقون
بضم الهمزة وفتح الميم قوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ان تكفروا فان
الله غني عنكم شرط وجوابه ولا يرضى لعباده الكفر اي ان يكفروا اي لا يحب ذلك منهم وقال ابن عباس والسدي

فان ادم لما اهبط الى الارض انزل معه الحديد

معناه

معناه لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكقوله عينا
يشرب بها عباد الله اي المؤمنون وهذا على قول من لا يفرق بين الرضى والارادة وقيل لا يرضى الكفر وان اراده
فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبارادته كفر ولا يرضاه ولا يحبه فهو يريد كون ما لا يرضاه وقد اراد الله عز وجل
خلق ابليس وهو لا يرضاه فالارادة غير الرضا وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى وان تشكروا
يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات
الصدور اي يرضى الشكر لكم لان تشكروا ابدل عليه وقد مضى القول في الشكر في البقرة وغيرها ويرضى بمعنى
يثيب ويثني فالرضى على هذا اما ثوابه فيكون صفة فعل لئن شكرتم لازيدنكم واما ثناؤه فهو صفة ذات
ويرضه بالاسكان في الهاء قرا ابو جعفر وابو عمرو وشيبة وهبيرة عن عاصم واشبع الضمة ابن ذكوان وابن كثير
وابن محيصن والكسائي وورش عن نافع واختلس الباقون ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور تقدم في غير موضع قوله تعالى واذا مس الانسان
ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن
سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار واذا مس الانسان يعني الكافر ضر اي الشدة من
الفقر والبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مخبتا مطيعا له مستغيثا به في ازالة تلك الشدة
عنه ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه وملكه يقال خولك الله الشيء اي ملكك اياه وكان ابو عمرو بن العلا
ينشد

هنالك ان يستخولوا المال يخولوا ... وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا

وخول الرجل حشمه الواحد خائل وقال ابو النجم

اعطى فلم يبخل ولم يبخل ... كوم الذرى من خول المخول

نسي ما كان يدعو اليه من قبل اي نسي ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضر عنه فما على هذا الوجه
لله عز وجل وقيل بمعنى الذي وقيل بمعنى من كقوله وما انتم عابدون ما اعبد والمعنى واحد وقيل نسي
الدعاء الذي كان يتضرع به الى الله عز وجل اي ترك كون الدعاء منه الى الله فما والفعل على هذا القول
مصدر وجعل لله اندادا اي اوثانا واصناما وقال السدي يعني اندادا من الرجال يعتمدون عليهم
في جميع امورهم ليضل عن سبيل الله اي ليقتدي به الجهال قل تمتع بكفرك قليلا اي قل لهذا الانسان
تمتع وهو امر تهديد فمتاع الدنيا قليل انك من اهل النار اي مصيرك الى النار قوله تعالى امن هو
قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب بين ان المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره وقرا الحسن وابو عمرو وعاصم
والكسائي امن بالتشديد وقرا نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة امن بالتخفيف على معنى
النداء كانه قال يا من هو قانت قال الفراء الالف بمنزلة يا تقول يا زيد اقبل وازيد اقبل وحكى ذلك سيبويه
وجميع النحويين كما قال اوس بن حجر

ابني لبينى لستم بيد ... الا يدا ليست لها عضد

وقال اخر هو ذو الرمة

اذا زعزوي نحت العين عبرة ... فما الهوى يرفض او يترقرق

والتقدير على هذا قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يا من هو قانت انك من اصحاب الجنة كما يقال
في الكلام فلان لا يصلي ولا يصوم فيا من يصلي ويصوم ابشر فحذف لدلالة الكلام عليه وقيل
ان الالف في امن الف استفهام اي امن هو قانت اناء الليل افضل امن جعل لله اندادا والتقدير الذي هو
قانت خير ومن شدد امن فالمعنى العاصون المتقدم ذكرهم خير امن هو قانت فالجملة التي عادلت
ام محذوفة والاصل ام من فادغمت في الميم النحاس وام بمعنى بل ومن بمعنى الذي والتقدير ام الذي
هو قانت افضل ممن ذكر وفي قانت اربعة اوجه احدها انه المطيع قاله ابن مسعود الثاني انه الخاشع
في صلاته قاله ابن شهاب الثالث انه القائم في صلاته قاله يحيى بن سلام الرابع انه الداعي لربه
وقول ابن مسعود يجمع ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الصلاة افضل فقال
طول القنوت وتاوله جماعة من اهل العلم على انه طول القيام وروى عبيد الله عن نافع عن ابن عمر سئل عن
القنوت فقال ما اعرف القنوت الا طول القيام وقراءة القرآن وقال مجاهد القنوت طول الركوع وغض
البصر وكان العلماء اذا وقفوا في الصلاة غضوا ابصارهم وخضعوا ولم يلتفتوا في صلاتهم ولم يعبثوا

ولم يذكروا اشياء من امر الدنيا الا ناسين قال النحاس اصل هذا ان القنوت الطاعة فكل ما قيل فيه فهو طاعة لله عز وجل فهذه الاشيا كلها داخلة في الطاعة وما هو اكثر منها كما قال نافع قال لي ابن عمر قم فصل فقمت اصلي وكان علي ثوب خلق فدعاني فقال لي ارايت لو وجهتك في حاجة اكنت تمضي هكذا فقلت كنت اتزين فقال فالله احق ان يتزين له واختلف في تعيين القانت هنا فذكر يحيى بن سلام انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه هو ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال ابن عمر هو عثمان رض وقال مقاتل انه عمار بن ياسر الكلبي وصهيب وابو ذر وابن مسعود وعن الكلبي ايضا انه مرسل فيمن كان على هذه الحال اناء الليل قال الحسن ساعاته اوله واوسطه واخره وعن ابن عباس اناء الليل جوف الليل قال ابن عباس من احب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه وقيل ما بين المغرب والعشا وقول الحسن عام يحذر الاخرة قال سعيد بن جبير اي عذاب الاخرة ويرجوا رحمة ربه اي نعيم الجنة وروي عن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجوا فقال هذا امتمن ولا يقف على قوله رحمة ربه ومن خفف امن هو قانت على معنى النداء لان قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون متصل الا ان يقدر في الكلام حذفا وهو ابشر على ما تقدم بيانه قال الزجاج اي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذا لا يستوي المطيع والعاصي وقيل غيره الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به فاما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم انما يتذكر اولوا الالباب اي اصحاب العقول من المومنين **قوله تعالى** قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم اي قل يا محمد لعباد المومنين اتقوا ربكم اتقوا معاصيه والتاء مبدلة من واو وقد تقدم وقال ابن عباس يريد جعفر بن ابي طالب والذين خرجوا معه الى الحبشة ثم قال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني بالحسنة الاولى الطاعة وبالثانية الثواب في الجنة وقيل المعنى للذين احسنوا في الدنيا حسنة في الدنيا فيكون ذلك زيادة على ثواب الاخرة والحسنة الزائدة في الدنيا الصحة والعافية والظفر والغنيمة قال القشيري والاول اصح لان الكافر قد نال نعم الدنيا قال الشيخ رحمه الله وينالها معه المومن ويزاد في الجنة اذا شكر تلك النعم وقد تكون الحسنة في الدنيا الثنا الحسن وفي الاخرة الجزاء وارض الله واسعة فهاجروا فيها ولا تقيموا مع من يعمل بالمعاصي وقد مضى القول في هذا مستوفى في النسا وقيل المراد ارض الجنة رغبهم في سعتها وسعة نعيمها كما قال وجنة عرضها السموات والارض والجنة قد تسمى ارضا قال الله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فنعم اجر العاملين والاول اظهر فهو امر بالهجرة اي ارحلوا من مكة الى حيث تامنون الماوردي ويحتمل ان يريد بسعة الارض سعة الرزق لانه يرزقهم من الارض فيكون معناه ورزق الله واسع وهو اشبه لانه اخرج سعتها مخرج الامتنان قال الشيخ رحمه الله فتكون الاية دليلا على الانتقال من الارض الغالية الى الارض الراخية كما قال سفيان الثوري كن في موضع تملا فيه جرابك خبزا بدراهم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اي بغير تقدير وقيل يزاد على الثواب لانه لو اعطي بقدر ما عمل لكان بحساب اي بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا والصابرون هنا الصائمون دليله قوله عم مخبرا عن الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به قال اهل العلم كل اجر يكال كيلا ويوزن وزنا الا الصوم فانه يحثوا حثوا ويغرف غرفا وحكي عن علي رضي الله عنه وقال مالك بن انس في قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال هو الصبر على فجايع الدنيا واحزانها ولا شك ان كل من سلم فيما اصابه وترك ما نهي عنه فلا مقدار لاجره وقال قتادة لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان حدثني انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تنصب الموازين فيوتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين وكذلك الصلاة والحج ويوتى باهل البلا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان ويصب عليهم الاجر بغير حساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسامهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اد الفرايض تكن من اعبد الناس وعليك بالقنوع تكن من اغنى الناس يا بني ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا ثم تلى

سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو

كن في موضع تملا فيه جرابك خبزا بدراهم

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولفظ صابر يمدح به وانما هو لمن صبر عن المعاصي واذا اردت انه صبر على المعصية قلت صابر على كذا قاله النحاس وقد مضى في البقرة مستوفى **قوله تعالى** قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين تقدم اول السورة وامرت لان اكون اول المسلمين من هذه الامة وكذلك كان فانه اول من خالف دين ابايه وخلع الاصنام وحطمها واسلم لله وامن به ودعا اليه صلى الله عليه وسلم واللام في قوله لان اكون صلة زائدة قاله الجرجاني وغيره وقيل لام اجل وفي الكلام حذف اي امرت بالعبادة لان اكون **قوله تعالى** قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يريد عذاب يوم القيامة وقال حين دعاه قومه الى دين ابايه قاله اكثر المفسرين وقال ابو حمزة الثمالي وابن المسيب هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فكانت هذه الاية من قبل ان يغفر ذنب النبي عم **قوله تعالى** قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين قل الله اعبد نصب باعبد مخلصا له ديني طاعتي وعبادتي فاعبدوا ما شئتم من دونه امر تهديد ووعيد وتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم وقيل منسوخة باية السيف قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة قال ميمون بن مهران عن ابن عباس ليس من احد الا وقد خلق الله عز وجل له زوجة في الجنة فاذا دخل النار خسر نفسه واهله عن ابن عباس فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والاهل الى ما كان له قبل ذلك وهو قوله اوليك هم الوارثون **قوله تعالى** لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون سمى ما تحتهم ظللا لانها تظل من تحت وهذه الاية نظير قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ذلك يخوف الله به عباده قال ابن عباس اولياءه يا عباد فاتقون يا اوليائي فخافون وقيل هو عام في المومن والكافر وقيل خاص بالكفار **قوله تعالى** والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اوليك الذين هداهم الله واوليك هم اولوا الالباب قال الاخفش الطاغوت جمع ويجوز ان يكون واحده مونثة وقد تقدم اي تباعدوا من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها قال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدي هي الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل انه اسم اعجمي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت وقيل انه اسم عربي مشتق من الطغيان وان في موضع نصب بدلا من الطاغوت تقديره الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وانابوا الى الله اي رجعوا الى عبادته وطاعته لهم البشرى في الحياة الدنيا بالجنة في العقبى روي انها نزلت في عثمان رض وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير سالوا ابا بكر رضي الله عنه فاخبرهم بايمانه فامنوا وقيل نزلت في عمرو بن نفيل وابي ذر وغيرهما ممن وحد الله تعالى قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فبشر عبادي الذين يستمعون الحق فيتبعون احسنه قال ابن عباس هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون القران وغيره فيتبعون القران وقيل يستمعون القران واقوال الرسول فيتبعون احسنه اي محكمه فيعملون به وقيل يستمعون عزما وترخيصا فياخذون بالعزم دون الرخص وقيل يستمعون العقوبة الواجبة لهم والعفو فياخذون بالعفو وقيل ان احسن القول على من جعل الاية فيمن وحد الله قبل الاسلام لا اله الا الله وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها في جاهليتهم واتبعوا احسن ما صار من القول اليهم اوليك الذين هداهم الله اي لما يرضاه واوليك هم اولوا الالباب اي الذين انتفعوا بعقولهم **قوله تعالى** افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الاية قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان وكرر الاستفهام في قوله افانت تاكيدا لطول الكلام وكذا قال سيبويه في قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون على ما تقدم والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه والكلام شرط وجوابه وجي بالاستفهام ليدل على التوقيف

والتقدير وقال الفرا المعنى افانت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب والمعنى واحد وقيل ان في الكلام
حذفا والتقدير افمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه وما بعده مستانف وقال افمن حق عليه وقال
في موضع آخر حقت كلمة العذاب لان الفعل اذا تقدم ووقع بينه وبين الموصوف به حائل جاز التذكير
والتانيث على ان التانيث هنا ليس بحقيقي بل الكلمة في معنى الكلام والقول اي افمن
حق عليه قول العذاب **قوله تعالى** لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية
تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد لما بين ان للكفار ظللا من النار من فوقهم ومن
تحتهم بين ان للمتقين غرفا فوقها غرف لان الجنة درجات يعلو بعضها بعضا ولكن ليس للاستدراك
لانه لم يات نفي كقولك ما رايت زيدا لكن عمرا بل هو لترك قصة الى قصة مخالفة للاولى كقولك جاني
زيد لكن عمرو لم يات غرف مبنية قال ابن عباس من زبرجد وياقوت تجري من تحتها الانهار اي هي جامعة
لاسباب النزهة وعد الله نصب على المصدر لان معنى لهم غرف وعدهم الله ذلك وعدا ويجوز الرفع
بمعنى ذلك وعد لا يخلف الله الميعاد اي ما وعد الفريقين **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم
يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب الم تر ان الله انزل من السماء ماء اي انه لا يخلف
الميعاد في احياء الخلق والتمييز بين المومن والكافر وهو قادر على ذلك كما انه قادر على انزال الماء من السما
انزل من السما اي من السحاب ماء اي المطر فسلكه اي فادخله في الارض واسكنه فيها كما قال واسكناه في
الارض ينابيع جمع ينبوع وهو يفعول من نبع ينبع وينبع وينبع بالرفع والنصب والخفض
النحاس وحكي لنا ابن كيسان في قول الشاعر

ينباع من ذفرى غضوب جسرة ... ان معناه ينبع فاشبع الفتحة فصارت

الفا ينبوعا خرج والينبوع عين الماء والجمع الينابيع وقد مضى في سبحان ثم يخرج به زرعا اي بذلك
الماء الخارج من ينابيع الارض زرعا هو للجنس اي زروعا شتى لها الوان مختلفة حمرة وصفرة وزرقة
وخضرة ونوارا قال الشعبي والضحاك كل ما في الارض فمن السما نزل انما ينزل من السماء الى الصخرة
ثم تقسم منها العيون والركايا ثم يهيج اي ييبس فتراه اي بعد خضرته مصفرا قال المبرد قال
الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا ادبر نبتها وولى قال وكذلك هاج النبت قال وكذلك قال
غير الاصمعي وقال الجوهري هاج النبت هياجا اي يبس وارض هايجة يبس بقلها واصفر واهاجت
الريح النبت ايبسته واهيجنا الارض اي وجدناها هايجة النبات وهاج هايجه اي ثار غضبه وهدا
هايجه اي سكنت فورته ثم يجعله حطاما اي فتاتا مكسرا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس والمعنى
ان من قدر على هذا قدر على الاعادة وقيل هو مثل ضربه الله للقران ولصدور من في الارض
اي انزل من السما قرانا فسلكه في قلوب المومنين ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اي دينا مختلفا
بعضه افضل من بعض فاما المومن فيزداد ايمانا ويقينا واما الذي في قلبه مرض فانه يهيج كما يهيج
الزرع وقيل مثل ضربه الله للدنيا اي كما يتغير النبت الاخضر فيصفر كذلك الدنيا بعد بهجتها ان
في ذلك لذكرى لاولي الالباب **قوله تعالى** افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من
ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين شرح فتح ووسع قال ابن عباس وسع
صدره للاسلام حتى ثبت فيه وقال السدي وسع صدره للاسلام للفرح به والطمانينة اليه
فعلى هذا لا يجوز ان يكون هذا الشرح الا بعد الاسلام وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون الشرح
قبل الاسلام فهو على نور من ربه اي على هدى من ربه كمن طبع على قلبه واقساه ودل على هذا الحذف
قوله فويل للقاسية قلوبهم قال المبرد يقال قسا القلب اذا اصلب وكذلك عتا وعسا مقاربة
لها وقلب قاس اي صلب لا يرق ولا يلين والمراد بمن شرح الله صدره هاهنا فيما ذكر المفسرون
علي وحمزة رض وحكى النقاش انه عمر بن الخطاب وقال مقاتل عمار بن ياسر وعنه ايضا والكلبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاية عامة فيمن شرح الله صدره بخلق الايمان فيه وروى مرة عن ابن مسعود
قال قلنا يا رسول الله قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كيف انشرح صدره
للاسلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفتح قلنا يا رسول وما علامة ذلك قال

كل ما في الارض فمن السما نزل

الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وخرجه الترمذي الحكيم
في نوادر الاصول من حديث ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اي المومنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا
واحسنهم له استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع قالوا فما اية ذلك يا نبي الله قال
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت فذكر صلى الله
عليه وسلم خصالا ثلاثة ولا شك ان من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الايمان فان الانابة هي اعمال
البر لان دار الخلود انما وضعت جزاء لاعمال البر الا ترى كيف ذكره الله تعالى في مواضع في تنزيله
ثم قال بعقب ذلك جزاء بما كنتم تعملون فالجنة جزاء الاعمال فاذا انكمش العبد في اعمال البر فهو انابته
الى دار الخلود واذا خمد حرصه عن الدنيا ولها عن طلبها وقبل على ما يغنيه منها فاكتفى به وقنع فقد تجافى عن
دار الغرور واذا احكم اموره بالتقوى فكان ناظرا في كل امر واقفا متادبا متثبتا حذرا يتورع عن
ما يريبه الى ما لا يريبه فقد استعد للموت فهذه علاماتهم في الظاهر وانما صار هكذا لرؤية الموت
ورؤية صرف الاخرة عن الدنيا ورؤية الدنيا دار الغرور وانما صارت له هذه الرؤية بالنور
الذي ولج القلب وقوله فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله قيل المراد ابو لهب وولده ومعنى من ذكر الله
ان قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره وقيل ان من بمعنى عن والمعنى قست عن قبول ذكر الله وهذا اختيار
الطبري وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اطلبوا الحوائج من السمحا
فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وقال مالك بن دينار
ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم الا نزع الرحمة من قلوبهم **قوله تعالى**
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من
هاد فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث يعني القران لما قالوا فيتبعون احسنه
بين ان احسن ما يسمع ما انزله القران وهو القران قال سعيد بن ابي وقاص قال اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو حدثتنا فانزل الله تعالى الله نزل احسن الحديث فقالوا لو قصصت علينا فنزل نحن
نقص عليك احسن القصص فقالوا لو ذكرتنا فنزل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية
وعن ابن مسعود رض ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت والحديث ما يحدث
به المحدث وسمي القران حديثا لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث به اصحابه وقومه وهو كقوله فباي
حديث بعده يومنون وقوله افمن هذا الحديث تعجبون وقوله ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا وقوله ومن
اصدق من الله حديثا وقوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث قال القشيري وتوهم قوم ان الحديث من
الحدوث فليدل على ان كلامه محدث وهو وهم لانه لا يريد لفظ الحديث على ما في قوله ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث وقالوا ان الحدوث يرجع الى التلاوة لا الى المتلو وهو كالذكر مع المذكور اذا ذكرنا اسما الرب
تعالى كتابا نصب على البدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا متشابها يشبه بعضه بعضا
في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف وقال قتادة يشبه بعضه بعضا في الاي
والحروف وقيل يشبه كتب الله المنزلة على انبيائه لما يتضمنه من امر ونهي وترغيب وان كان اعم واعجز
ثم وصفه فقال مثاني تثنى فيه القصص والمواعظ والاحكام وثني للتلاوة فلا يمل تقشعر تضطرب
وتتحرك بالخوف بما فيه من الوعيد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي عند اية الرحمة وقيل الى العمل
بكتاب الله والتصديق به وقيل الى ذكر الله يعني الاسلام مسالة وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق
رض الله عنه وعنها قالت كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرئ عليهم القران كما نعتهم الله
تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قيل لها فان اناسا اليوم اذا قرئ عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه
فقالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال سعيد بن عبد الرحمن الجمحي مر ابن عمر برجل من اهل العراق
ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القران او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله
وما نسقط ثم قال ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقال عمر بن عبد العزيز ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القران فقال بيننا
وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان ر

اطلبوا الحوائج من السمحا

المفلس في الاخرة

قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة
بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وضرب هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا
فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل انقضا ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار خرجه مسلم وقد مضي هذا المعني مجودا في آل عمران وفي البخاري عن ابي
هريرة ان رسول الله صلعم قال من كانت له عند اخيه مظلمة من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل
ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات اخذ من
سيات صاحبه وفي الحديث المسند اول ما تقع الخصومات في الدما وقد ذكرنا هذا الباب
مستوفي في كتاب التذكرة والحمد لله قوله تعالى فمن اظلم ممن كذب علي الله وكذب بالصدق
اذ جاءه اليس في جهنم مثوي للكافرين فمن اظلم اي لا احد اظلم ممن كذب علي الله فزعم ان له ولدا او
شريكا وكذب بالصدق يعني القرآن اليس في جهنم استفهام تقرير مثوي للكافرين اي مقاما للجاحدين
فهو مشتق من ثوي بالمكان اذا اقام به يثوي ثواء وثويا مثل مضي مضاء ومضيا ولو كان من اثوي لكان
مثوي وهذا يدل علي ان ثوي هي اللغة الفصيحة وحكي ابو عبيد اثوي وانشد الاعشي

اثوي وقصر ليله ليزودا ... فمضت واخلف من قتيلة موعدا

والاصمعي لا يعرف الا ثوي ويروي البيت اثوي علي الاستفهام واثوت غيري يتعدي ولا يتعدي
قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند
ربهم ذلك جزاء المحسنين والذي جاء بالصدق في موضع رفع بالابتداء وخبره اولئك هم المتقون
واختلف في الذي جاء بالصدق وصدق به فقال علي رض الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم
وصدق به ابو بكر رضي الله عنه السدي الذي جاء بالصدق جبريل ص لعم والذي صدق به محمد ص لعم
وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة الذي جاء بالصدق النبي عم وصدق به المومنون واستدلوا علي ذلك
بقوله اولئك هم المتقون كما قال هدي للمتقين وقال النخعي ومجاهد الذي جاء بالصدق وصدق به المومنون
الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة فيقولون هذا الذي اعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه فيكون الذي علي
هذا بمعني جمع كما تكون من بمعني جمع وقيل بل حذفت النون منه لطول الاسم وتاوله الشعبي علي انه واحد
وقال الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به محمد ص لعم فيكون علي هذا خبره جماعة
كما يقال لمن يعظم هو فعلوا او يقال فعلوا كذا وكذا وقيل ان ذلك عام في كل من دعا الي توحيد الله عز وجل
قاله ابن عباس وغيره واختار الطبري وفي قراءة ابن مسعود والذي جاؤا بالصدق وصدقوا به مخففا
علي معني وصدق بمجيئه به اي صدق في طاعة الله عز وجل وقد مضي في البقرة الكلام في الذي وانه
يكون واحدا ويكون جمعا لهم ما يشاؤن عند ربهم اي من النعيم في الجنة كما يقال لك اكرام عندي
اي ينالك مني ذلك جزاء المحسنين الثنا في الدنيا والثواب في الاخرة قوله تعالى ليكفر الله
عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اي صدقوا ليكفر الله عنهم اسوأ الذي
عملوا اي يلزمهم ولا يواخذهم بما عملوا قبل الاسلام ويجزيهم اجرهم اي يثيبهم علي الطاعات في الدنيا
باحسن الذي كانوا يعملون وهي الجنة قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من
دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهدي الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام
حذفت اليا من كاف لسكونها وسكون التنوين بعدها وكان الاصل ان لا يحذف في الوقف لزوال التنوين الا
انها حذفت ليعلم انها كذلك في الوصل ومن العرب من يثبتها في الوقف علي الاصل فيقول كافي وقراءة العامة
عبده بالتوحيد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يكفيه الله وعيد المشركين وكيدهم وقرا حمزة والكسائي
عباده وهم الانبيا او الانبيا والمومنون بهم واختار ابو عبيد قراءة الجماعة لقوله عقيبه ويخوفونك
بالذين من دونه ويحتمل ان يكون العبد لفظ الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر وعلي هذا تكون القراءة
الاولي راجعة الي الثانية والكفاية شر الاصنام فانهم كانوا يخوفون المومنين بالاصنام حتي قال
ابراهيم عم وكيف اخاف ما اشركتم به ولا تخافون انكم اشركتم بالله وقال الجرجاني ان الله كاف
عبده المومن وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وذلك
انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان فقالوا اتسب آلهتنا لئن لم تكف عن ذكرها لتخبلنك

او تصيبك بسوء وقال قتادة مشي خالد بن الوليد الي العزي ليكسرها بالفاس فقال له سادنها احذركها
يا خالد فان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد الي العزي فهشم انفها حتي كسرها بالفاس وتخويفهم لخالد
تخويف النبي صلعم لانه الذي وجه خالدا ويدخل في الاية تخويفهم النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة جمعهم
وقوتهم كما قال ام يقولون نحن جميع منتصر ومن يضلل الله فما له من هاد تقدم ومن يهدي الله فما له من
مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام اي ممن عاداه وعادا رسله قوله تعالى ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون
ولئن سالتهم اي ولئن سالتهم يا محمد من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع عبادتهم الاوثان
مقرون بان الخالق هو الله واذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بالهتهم التي هي مخلوقة لله وانت رسول
الله صلعم الذي خلقها وخلق السموات والارض قل افرايتم اي قل لهم يا محمد افرايتم بعد اعترافهم بهذا
افرايتم ان ارادني الله بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره يعني هذه الاصنام او ارادني برحمة نعمة ورخا
هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا تدفع
شيا قدره الله ولكنها تشفع فنزلت قل حسبي الله وترك الجواب لدلالة الكلام عليه يعني فسيقولون
لا تقل حسبي الله اذا عليه توكلت اي اعتمدت وعليه فليتوكل المتوكلون يعتمد المعتمدون وقد تقدم
الكلام في التوكل وقرا نافع وابن كثير والكوفيون ما عدا عاصما كاشفات ضره بغير تنوين وقرا ابو
عمرو وشيبة وهي المعروفة من قراءة الحسن وعاصم هل هن كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين
علي الاصل وهي قراءة ابي عبيد وابي حاتم لان اسم فاعل في معني الاستقبال واذا كان كذلك كان
التنوين اجود قال الشاعر

الضاربون عميرا عن بيوتهم ... بالليل يوم عمير ظالم عادي

وان كان ماضيا لم يجز فيه التنوين وحذف التنوين علي التخفيف فاذا حذفت التنوين لم يبق بين الاسمين
حاجز فخفضت الثاني بالاضافة وحذف التنوين كثير في كلام العرب موجود حسن قال الله تعالى
هديا بالغ الكعبة وقال انا مرسلوا الناقة قال سيبويه ومثل ذلك غير محلي الصيد وانشد سيبويه

هل انت باعث دينار لحاجتنا ... او عبد رب اخا عون بن مخراق

وقال النابغة

احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت ... الي حمام شراع وارد الثمد

معناه وارد الثمد فحذف التنوين مثل كاشفات ضره قوله تعالى قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم
اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم
اني عامل اي علي مكانتي اي علي جهتي التي تمكنت عندي فسوف تعلمون وقرا ابو بكر مكاناتكم وقد مضي في
الانعام من ياتيه عذاب يخزيه اي يهينه ويذله اي في الدنيا وذلك بالجوع والسيف ويحل عليه اي في
الاخرة عذاب مقيم قوله تعالى انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدي فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل تقدم الكلام في هذه الاية مستوفي في غير موضع
قوله تعالى الله يتوفي الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيه اربع مسايل الاولي
قوله تعالى الله يتوفي الانفس اي يقبضها عند فناء اجالها والتي لم تمت في منامها اختلف فيه فقيل يقبضها
عن التصرف مع بقاء ارواحها في اجسادها فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الاخري وهي
النائمة فيطلقها بالتصرف الي اجل موتها قاله ابن عيسي وقال الفرا المعني ويقبض التي لم تمت في منامها
عند انقضا اجلها قال وقد يكون توفيها نومها فيكون التقدير علي هذا والتي لم تمت وفاتها نومها وقال
ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح الاحيا والاموات تلتقي في المنام فيتعارف ما شا الله منها
فاذا اراد جميعها الرجوع الي الاجساد امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحيا الي
اجسادها وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض ارواح الاموات اذا ماتوا وارواح الاحيا اذا ناموا فتتعارف
ما شا الله ان تتعارف فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الاخري فيعيدها قال علي رضي الله عنه
فما راته نفس النائم وهي في السما قبل ارسالها الي جسدها فهي الرؤيا الصادقة وما راته بعد ارسالها
وقبل استقرارها في جسدها يلقيها الشيطان ويخيل اليها الاباطيل فهي الرؤيا الكاذبة قال

بنفسه فهو صادق وقال ابو عمران الجوني وعظ موسي عليه السلام بني اسرائيل ذات يوم فشق رجل قميصه فاوحي الله الي موسي قل لصاحب القميص لا يشق قميصه فاني لا احب المبذرين يشرح لي عن قلبه مسألة قال زيد بن اسلم قرا ابي بن كعب عند النبي صلي الله عليه وسلم فرقوا فقال النبي صلي الله عليه وسلم اغتنموا الدعا عند الرقة فانها رحمة وعن العباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جلد المومن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما تتحات عن الشجرة البالية ورقها وعن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا حرمه الله علي النار وعن شهر بن حوشب عن ام الدردا قالت انما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة اما تجد الا قشعريرة قلت بلي قالت فادع الله فان الدعا عند ذلك مستجاب وعن ثابت البناني قال قال فلان اني لاعلم متي يستجاب لي قالوا ومن اين تعلم ذلك قال اذا اقشعر جلدي ووجل قلبي وفاضت عيناي فذلك حين يستجاب لي يقال اقشعر جلد الرجل اقشعرارا فهو مقشعر والجمع قشاعر فتحذف الميم لانها زائدة يقال اخذته قشعريرة قال امري القيس

فبت اكابد ليل التمام والقلب من خشيته يقشعر

وقيل ان القران لما كان في غاية الجزالة والبلاغة فكانوا اذا راوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه اعظاما وتعجبا من حسن ترصيعه وتهيبا لما فيه وهو كقوله تعالي لو انزلنا هذا القران علي جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فالتصدع قريبا من الاقشعرار والخشوع قريبا من قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم من ذكر الله ومعني لين القلب رقته وطمانينته وسكونه ذلك هدي الله اي القران هدي الله وقيل اي الذي وهبه الله لها ولا من خشية عذابه ورجاء ثوابه هدي الله ومن يضلل الله فما له من هاد اي من خذله فلا مرشد له وهو يرد علي القدرية وغيرهم وقد مضي هذا كله مستوفي في غير موضع والحمد لله ووقف ابن كثير وابن محيصن علي قوله هاد في الموضعين بالياء الباقون بغير ياء قوله تعالي افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون قال عطا بن زيد يرمي به مكتوفا في النار فاول شي تمس منه النار وجهه وقال مجاهد يجر علي وجهه في النار وقال مقاتل هو ان الكافر يرمي في النار مغلولة يداه الي عنقه وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه فحرها ووهجها علي وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من اجل الاغلال والخبر محذوف قال الاخفش اي افمن يتقي بوجهه سوء العذاب افضل ام من سعد مثل افمن يلقي في النار خير ام من ياتي يوم القيامة وقيل للظالمين اي وتقول الخزنة للكافرين ذوقوا ما كنتم تكسبون اي جزا كسبكم من المعاصي ومثله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قوله تعالي كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون تقدم معناه وقال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من شي قد ذاقته اي وصل اليها كما تصل الحلاوة والمرارة الي الذائق لهما قال والخزي المكروه والخزاية من الاستحيا ولعذاب الاخرة اكبر اي مما اصابهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قوله تعالي ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون اي من كل مثل يحتاجون اليه مثل قوله تعالي ما فرطنا في الكتاب من شي وقيل اي ما ذكرنا من اهلاك الامم السالفة مثل لهؤلاء لعلهم يتذكرون يتعظون قرانا عربيا عربيا نصب علي الحال قال الاخفش لان قوله عز وجل هذا القران معرفة وقال علي بن سليمان عربيا نصب علي الحال وقرانا توطية للحال كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا فقولك صالحا هو المنصوب علي الحال وقال الزجاج عربيا منصوب علي الحال قال وقرانا توكيد غير ذي عوج النحاس احسن ما قيل فيه قول الضحاك قال غير مختلف وهو قول ابن عباس ذكره الثعلبي وعن ابن عباس ايضا غير مخلوق ذكره المهدوي وقاله السدي فيما ذكر الثعلبي وقال عثمان بن عفان غير متضاد وقال مجاهد غير ذي لبس وقال بكر بن عبد الله المزني غير ذي لحن وقيل غير ذي شك قاله السدي فيما ذكر الماوردي قال

وقد اتاك يمين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب

لعلهم يتقون الكفر والكذب قوله تعالي ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون قال الكسائي نصب رجلا لانه ترجمة للمثل وتفسير له وان شيت نصبته بنزع الخافض مجازه ضرب الله مثلا برجل فيه شركاء متشاكسون

علامة التقوى اقشعرار الجلد ووجل القلب وضيق العين

مالد

قال الفراء اي مختلفون وقال المبرد اي متعاسرون من شكس يشكس شكسا فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر يقال رجل شكس وضرس وشرس وضبس يقال رجل ضبس وضبيس اي شرس عسر شكس قاله الجوهري الزمخشري التشاكس والتشاخس الاختلاف يقال تشاكست احواله وتشاخست اسنانه ويقال شاكسني فلان اي ما كسني وشاحني في حقي قال الجوهري رجل شكس بالتسكين اي صعب الخلق قال الراجز

شكس عبوس عنبس عذور وقوم شكس مثال رجل صدق وقوم صدق وقد شكس بالكسر شكاسة وحكي الفرا رجل شكس وهو القياس وهذا مثل من عبد الالهة كثيرة ورجلا سالما لرجل اي خالصا لسيد واحد وهو مثل من يعبد الله وحده هل يستويان مثلا هذا الذي يخدم جماعة شركا اخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة لا يلقاه رجل الا جره واستخدمه فهو يلقا منهم العنا والنصب والتعب العظيم وهو مع ذلك كله لا يرضي واحدا منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه احد الا اطاعه وحده عرف ذلك له وان اخطا صفح عن خطايه فايهم اقل تعبا او علي هدي مستقيم وقرا اهل الكوفة واهل المدينة ورجلا سلما وقرا ابن عباس ومجاهد والحسن وعاصم وابو عمرو وابن كثير ويعقوب ورجلا سالما واختاره ابو عبيد لصحة التفسير فيه قال لان السالم الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب ولا موضع للحرب هنا النحاس وهذا الاحتجاج لا يلزم لان الحرف اذا كان له معنيان لم يحمل الا علي احدهما فهذا وان كان السلم ضد الحرب فله موضع اخر كما يقال لك في هذا المنزل شركا فصار سلما لك ويلزمه ايضا في سالم ما الزم غيره لانه يقال شي سالم اي لا عاهة به والقراتان حسنتان قراء بهما الايمة واختار ابو حاتم قراة اهل المدينة سلما قال وهو الذي لا تنازع فيه وقرا سعيد بن جبير وعكرمة وابو العالية ونصر سلما بكسر السين وسكون اللام وسلما وسلما مصدران والتقدير ورجلا ذا سلم فحذف المضاف ومثلا صفة علي التمييز والمعني هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز علي الواحد لبيان الجنس الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيتبعونه قوله تعالي انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقرا ابن محيصن وابن ابي عبلة وعيسي بن عمرو بن ابي اسحاق انك مايت وانهم مايتون وهي قراءة حسنة وبها قرا عبد الله بن الزبير النحاس ومثل هذه الالف تحذف في الشواذ ومايت في المستقبل كثير في كلام العرب ومثله ما كان مريضا وانه لمارض من هذا الطعام وقال الحسن والفرا والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح فلذلك لم يخفف هنا قال قتادة نعيت الي النبي صلي الله عليه نفسه ونعيت اليكم انفسكم وقال ثابت البناني نعي رجل الي صلة بن اشيم اخا له فوافقه ياكل فقال ادن فكل فقد نعي الي اخي منذ حين قال وكيف وانا اول من اتاك بالخبر قال ان الله تعالي نعاه الي فقال انك ميت وانهم ميتون وهو خطاب للنبي عم اخبر بموته وموتهم فاحتمل خمسة اوجه احدها ان يذكر ذلك تحذيرا من الاخرة الثاني ان يذكره حثا علي العمل الثالث ان يذكره توطية للموت الرابع لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الامم في غيره حتي ان عمر رضي الله عنه لما انكر موته احتج ابو بكر رضي الله عنه بهذه الاية فامسك الخامس ليعلمه ان الله تعالي قد سوي فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره لتكثر فيه السلوة وتقل فيه الحسرة ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يعني تخاصم الكافر والمومن والظالم والمظلوم قاله ابن عباس وغيره وفي خبر فيه طول ان الخصومة تبلغ يوم القيامة الي ان يحاج الروح الجسد وقال الزبير لما نزلت هذه الاية قلنا يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتي يودي الي كل ذي حق حقه فقال الزبير والله ان الامر لشديد وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نري هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقلنا وكيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد حتي رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها فينا نزلت وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا علي بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وقال ابراهيم النخعي لما نزلت هذه الاية جعل اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يقولون ما خصومتنا بيننا فلما قتل عثمان رض قالوا هذه خصومتنا بيننا وقيل تخاصمهم هو تحاكمهم الي الله تعالي فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مظلمته ويردها في حسنات من وجبت له وهذا عام في جميع المظالم كما في حديث ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم

ابن زيد النوم وفاة والموت وفاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما تنامون فكذلك تموتون وكما
توقظون فكذلك تبعثون وقال عمر النوم اخو الموت روي مرفوعا من حديث جابر بن عبد الله قيل يا
رسول الله اينام اهل الجنة قال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها خرجه الدارقطني وقال
ابن عباس في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي
بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وهذا قول ابن الانباري والزجاج
قال القشيري ابو نصر في هذا بعد اذ المفهوم من الآية ان النفس المقبوضة في الحالين شيء واحد ولهذا
قال فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فاذا يقبض الله الروح في حالين في
حالة النوم وحالة الموت فما قبضه في حال النوم فمعناه انه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكانه شيء
مقبوض وما قبضه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله الى يوم القيامة وقوله ويرسل الاخرى اي يزيل
الحابس عنه فيعود كما كان فتوفي الانفس في حال النوم بازالة الحس وخلق الغفلة والآفة في محل الادراك
وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وازالة الحس بالكلية فيمسك التي قضى عليها الموت بان لا
يخلق فيها الادراك كيف وقد خلق فيها الموت ويرسل الاخرى بان يعيد اليها الاحساس **الثانية**
وقد اختلف الناس في هذه الآية في النفس والروح هل هما شيء واحد او شيئان على ما ذكرنا والاظهر انهما
شيء واحد وهو الذي يدل عليه الآثار الصحاح على ما نذكره في هذا الباب من ذلك حديث ام سلمة قالت
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي سلمة وقد شق بصره فاغمضه ثم قال ان الروح اذا قبض تبعه البصر
وحديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تروا الانسان اذا مات شخص بصره قال
فذلك حين يتبع بصره نفسه خرجهما مسلم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحضر الملائكة فاذا كان الرجل صالحا
قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض
غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء وذكر الحديث واسناده صحيح خرجه ابن
ماجة وقد ذكرناه في التذكرة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال اذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان
بها وذكر الحديث وقال بلال في حديث الوادي اخذ بنفسي يا رسول الله الذي اخذ بنفسك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقابلا له في حديث زيد بن اسلم في حديث الوادي يا ايها الناس ان الله قبض
ارواحنا ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا **الثالثة** والصحيح فيه انه جسم لطيف مشابك للاجسام
المحسوسة يجذب ويخرج وبه الى السماء يعرج لا يموت ولا يفنى وهو مما له اول وليس له آخر وهي
بعينين ويدين وانه ذو ريح طيبة وخبيثة كما في حديث ابي هريرة وهذه صفة الاجسام لا صفة الاعراض
وقد ذكرنا الاخبار بهذا كله في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الآخرة وقال تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم يعني النفس عند خروجها من الجسد وهذه صفة الجسم والله اعلم **الرابعة** خرج البخاري ومسلم من
حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اوى احدكم الى فراشه فليأخذ داخلة ازاره
فلينفض بها فراشه وليسم الله فانه لا يعلم ما خلفه على فراشه فاذا اراد ان يضطجع فليضطجع على شقه
الايمن وليقل سبحانك ربي باسمك وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وقال
البخاري وابن ماجة والترمذي فارحمها بدل فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
الصالحين زاد الترمذي واذا استيقظ فليقل الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي واذن
لي بذكره وخرج البخاري عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه من الليل وضع
يده تحت خده ثم يقول اللهم باسمك اموت واحيا واذا استيقظ قال الحمد لله الذي احيانا بعد
ما اماتنا واليه النشور **قوله تعالى** فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى
اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيمسك التي قضى عليها الموت هذه قراءة العامة
على انه مسمى الفاعل الموت نصبا اي قضى الله عليها وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله في اول
الآية الله يتوفى الانفس فهو يقضي عليها وقرأ الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي قضي عليها الموت
على ما لم يسم فاعله النحاس والمعنى واحد غير ان القراءة الاولى ابين واشبه بنسق الكلام لانهم قد اجمعوا
على ويرسل ولم يقرؤوا ويرسل وفي الآية تنبيه على عظيم قدرته وانفراده بالوهية وانه يفعل ما
يشاء ويحيي ويميت لا يقدر على ذلك سواه ان في ذلك لآيات يعني في قبض الله نفس الميت والنائم

اذا اخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ويقول

وارساله نفس النائم وحبسه نفس الميت لقوم يتفكرون وقال الاصمعي سمعت معتمرا يقول روح الانسان
مثل كبة الغزل فترسل الروح فتمضي ثم تمضي ثم تطوى فتجيء فتدخل فمعنى الآية انه يرسل من الروح شيء
في حال النوم ومعظمها في البدن متصل بما يخرج منها اتصالا خفيا فاذا استيقظ المرء جذب روحه ما
انبسط منها فعادت وقيل غير هذا وفي التنزيل ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي اي لا يعلم
حقيقته الا الله وقد تقدم في سبحان **قوله تعالى** ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا
يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون
اي بل اتخذوا يعني الاصنام وفي الكلام ما يتضمن ما رأى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
ام يتفكرون ولكنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة ولا يعقلون لانها
جمادات وهذا استفهام انكار قل لله الشفاعة نص في ان الشفاعة لله وحده كما قال من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه فلا شافع الا من شفاعته ولا يشفعون الا لمن ارتضى جميعا نصب على الحال
فان قيل جميعا انما يكون للاثنين فصاعدا والشفاعة واحدة فالجواب ان الشفاعة مصدر والمصدر
يؤدي عن الاثنين والجمع له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون **قوله تعالى** واذا
ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون واذا ذكر الله وحده نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه وعلى الحال عند يونس اشمأزت
قال المبرد انقبضت وهو قول ابن عباس ومجاهد وقال قتادة نفرت واستكبرت وكفرت وتعصت
وقال المؤرج انكرت واصل الاشمئزاز النفور والازورار قال عمرو بن كلثوم

اذا عض الثقاف بها اشمأزت … وولته عشوزنة زبونا

العشوزنة الصلب الشديد الغليظ والانثى عشوزنة وقال

بيضاء قناة … عشوزنة اذا غمزت ارنت … تشج قفا المثقف والجبينا

قال ابو زيد اشمأز الرجل ذعرا من الفزع وهو المذعور وكان المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبروا
نفروا وكفروا واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان حين القى في امنية النبي صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة
والنجم

تلك الغرانيق العلى … وان شفاعتهن ترتجى

قاله جماعة من المفسرين اذا هم يستبشرون اي يظهر في وجوههم البشر والسرور **قوله تعالى**
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون قل اللهم فاطر السموات والارض نصب لانه نداء مضاف وكذا عالم الغيب ولا يجوز عند سيبويه ان
يكون نعتا انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون وفي صحيح مسلم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف
قال سألت عائشة ام المؤمنين باي شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح صلاته اذا قام من الليل
افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت
تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط
مستقيم ولما بلغ الربيع بن خثيم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهم قرأ قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة الآية وقال سعيد بن جبير اني لاعرف موضع آية ما قرأها احد قط فسأل الله شيئا
الا اعطاه اياه قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون **قوله تعالى** ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم
سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون اي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى
هذا في آل عمران والرعد وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من اجل ما روي فيه ما رواه منصور عن
مجاهد قال عملوا اعمالا توهموا انها حسنات فاذا هي سيئات وقال السدي وقيل عملوا اعمالا توهموا
انهم يتوبون منها قبل الموت فادركهم الموت قبل ان يتوبوا وقيل كانوا ظنوا انهم ينجون بالتوبة ويجوز
ان يكونوا توهموا انه يغفر لهم من غير توبة فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من دخول النار وقال
سفيان الثوري في هذه الآية ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء هذه آيتهم وقصتهم وقال عكرمة ابن
عمار جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديدا فقيل له ما هذا الجزع قال اخاف آية من كتاب الله

اذا قام من الليل يصلي افتتح صلاته

وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانا اخشى ان يبدو لي ما لم اكن احتسب وبدا لهم اي ظهر لهم
سيئات ما كسبوا اي عقاب سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي وحاق بهم اي احاط بهم ونزل ما كانوا
به يستهزءون قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته
على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قيل انما نزلت في ابي حذيفة بن المغيرة ثم اذا خولناه
نعمة منا قال انما اوتيته على علم قال قتادة على علم عندي بوجوه المكاسب وعنه ايضا على علم على خير عندي
وعلى علم اي على علم من الله بفضلي وقال الحسن على علم اي بعلم علمني الله اياه وقيل المعنى انه قال قد علمت اني
اذا اوتيت هذا في الدنيا ان لي عند الله منزلة فقال الله بل هي فتنة اي بل النعمة التي اوتيتها فتنة
يختبر به قال الفراء انث هي لتانيث الفتنة ولو كان بل هو فتنة لجاز النحاس التقدير بل عطيته فتنة
ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون ان اعطاءهم المال اختبار قوله تعالى قد قالها الذين
من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء
سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين قد قالها انث على تانيث الكلمة الذين من قبلهم يعني
الكفار قبلهم كقارون وغيره حيث قال انما اوتيته على علم عندي فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما للجحد
اي لم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا وقيل اي فما الذي اغنى اموالهم فما استفهام فاصابهم
سيئات ما كسبوا اي جزاء سيئات اعمالهم وقد يسمى جزاء السيئة سيئة والذين ظلموا اي اشركوا من
هؤلاء الامة سيصيبهم سيئات ما كسبوا اي بالجوع والسيف وما هم بمعجزين اي فائتين الله ولا سابقيه
وقد تقدم قوله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون خص المؤمنين بالذكر لانه هو الذي يتدبر الايات وينتفع بها ويعلم ان سعة الرزق قد
تكون مكرا واستدراجا وتقتيره رفعة واعظاما قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وان
شئت حذفت الياء لان النداء موضع حذف النحاس وما اجل ما روي فيه ما رواه محمد بن اسحق عن نافع عن
ابن عمر عن عمر قال لما اجتمعنا على الهجرة اتعدت انا وهشام بن العاصي بن وائل السهمي وعياش بن ابي
ربيعة بن عتبة فقلنا الموعد اضاة بني غفار وقلنا من تاخر منا فقد حبس فليمض صاحبه فاصبحت
انا وعياش بن عتبة وحبس عنا هشام واذا به قد فتن فافتتن فكنا نقول بالمدينة هؤلاء قوم قد
عرفوا الله عز وجل وامنوا برسوله صلى الله عليه وسلم ثم افتتنوا لبلاء لحقهم لا نرى لهم توبة وكانوا هم ايضا
يقولون هذا في انفسهم فانزل الله عز وجل في كتابه قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله الى قوله تعالى اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قال عمر فكتبتها بيدي ثم بعثت بها الى
هشام قال هشام فلما قدمت علي خرجت بها الى ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها فعرفت انها نزلت فينا
فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان
قوم من المشركين قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم او بعثوا اليه ان ما تدعو اليه
لحسن لو تخبرنا ان لنا توبة فانزل الله عز وجل الاية قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ذكره البخاري بمعناه ومسلم وقد مضى في اخر الفرقان وعن ابن عباس ايضا نزلت في اهل مكة
قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له وكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله
الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قوم من المسلمين اسرفوا على انفسهم
في العبادة وخافوا ان لا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهلية وقال ابن عباس ايضا وعطاء نزلت في
وحشي قاتل حمزة لانه ظن ان الله لا يقبل اسلامه روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اتى وحشي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد كنت احب ان اراك على غير جوار فاما اذا اتيتك مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله قال
فاني اشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت هل يقبل الله مني توبة فصمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى نزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله ولا يزنون الى اخر الاية
فتلاها عليه فقال ارى شرطا فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدعا به فتلاها عليه فقال فلعلي ممن لا يشاء انا في جوارك

سبب نزول الآية

حتى اسمع كلام الله فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال نعم الان
لا ارى شرطا فاسلم وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسماء انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي
انه هو الغفور الرحيم وفي مصحف ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء قال ابو جعفر النحاس وهاتان
القراءتان على التفسير اي يغفر الله لمن يشاء وقد عرف الله عز وجل من شاء ان يغفر له وهو التائب او من عمل صغيرة
ولم تكن كبيرة ودل على انه يريد التائب ما بعده وانيبوا الى ربكم فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا
يدل على ذلك واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا فهذا لا اشكال فيه وقال علي بن ابي طالب
ما في القران اوسع من هذه الاية قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقد
مضى هذا في سبحان وقال عبد الله بن عمر وهذه ارجى اية من كتاب الله فرد الله عليهم ابن عباس وقال ارجى اية
في كتاب الله قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقد مضى في الرعد وقرئ لا تقنطوا بكسر
النون وفتحها وقد مضى في الحجر بيانه قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون اي ارجعوا اليه بالطاعة لما بين ان من تاب من الشرك يغفر له امر بالتوبة والرجوع اليه
والانابة الرجوع الى الله بالاخلاص واسلموا اي اخضعوا له واطيعوا من قبل ان ياتيكم العذاب في الدنيا
ثم لا تنصرون اي لا تمنعون من عذابه وروي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من
السعادة ان يطيل الله عمر العبد في طاعة الله ويرزقه الانابة وان من الشقوة ان يعمل المرء ويعجب بعمله
قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
احسن ما انزل هذا القران وكله حسن والمعنى ما قال الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معصيته وقال
السدي الاحسن ما امر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل انزل
الله كتاب التوراة والانجيل والزبور ثم انزل القران وامر باتباعه فهو الاحسن وهو المعجز وقيل هو احسن
لانه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة وقيل يعني العفو لان الله تعالى خير نبيه بين العفو
والقصاص وقيل ما علم الله النبي صلى الله عليه وسلم وليس بقران فهو حسن وما اوحي اليه من القران فهو الاحسن
وقيل احسن ما انزل اليكم من اخبار الامم الماضية قوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ان في موضع نصب اي كراهة ان تقول وعند الكوفيين لئلا تقول وعند
البصريين حذر ان تقول وقيل اي من قبل ان تقول نفس لانه قال قبل هذا من قبل ان ياتيكم العذاب الزمخشري
فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يريد نفسا متميزة من الانفس
اما بلجاج في الكفر شديد او بعقاب عظيم ويجوز ان يراد بالتكثير كما قال الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت ولا يقصد
الا التكثير يا حسرتا والاصل يا حسرتي فابدل من الياء الفا لانها اخف وامكن في الاستغاثة بمد
الصوت وربما الحقوا بها الهاء وانشد الفراء

يا مرحباه بحمار ناجيه ... اذا اتى قربته للسانيه

وربما الحقوا بها الياء بعد الالف ليدل على الاضافة وكذلك قراها ابو جعفر يا حسرتاي والحسرة الندامة
على ما فرطت في جنب الله قال الحسن في طاعة الله وقال الضحاك اي في ذكر الله عز وجل قال يعني القران
والعمل به وقال ابو عبيدة في جنب الله اي في ثواب الله وقال الفراء الجنب القرب والجوار يقال فلان يعيش
في جنب فلان اي في جواره ومنه والصاحب بالجنب اي على ما فرطت في طلب جواره وقربه وهو الجنة
وقال الزجاج اي على ما فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني اليه والعرب تسمي السبب
والطريق الى الشيء جنبا تقول تجرعت في جنبك غصصا اي لاجلك وسبيلك ولاجل مرضاتك وقيل
في جنب الله اي في الجانب الذي يؤدي الى رضى الله عز وجل وثوابه والعرب تسمي الجانب جنبا قال
الشاعر

قسم مجهودا لذاك القلب ... الناس جنب والامير جنب

يعني الناس من جانب والامير من جانب وقال ابن عرفة اي تركت من امر الله يقال ما فعلت ذلك في
جنب حاجتي قال كثير شعر

الا تتقين الله في جنب عاشق　　له كبد حري عليك تقطع

وكذا قال مجاهد اي ضيعت من امر الله ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس الرجل مجلسا ولا مشا ممشا ولا اضطجع مضجعا لم يذكر الله عز وجل فيه الا كان عليه ترة يوم القيامة اي حسرة خرجه ابو داود بمعناه وقال ابراهيم التيمي من الحسرات يوم القيامة ان يري الرجل ماله الذي اتاه الله في الدنيا يوم القيامة في ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له اجره وعلى الاخر وزره ومن الحسرات ان يري الرجل عبده الذي خوله الله اياه في الدنيا اقرب منزلة من الله عز وجل او يري رجلا يعرفه اعمى في الدنيا قد ابصر يوم القيامة وعمي هو وان كنت لمن الساخرين اي وما كنت الا من المستهزئين بالقرآن وبالرسول في الدنيا وباولياء الله قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل ان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وقيل وما كنت الا في سخر ولعب وباطل اي كان سعيي في عبادة غير الله تعالى **قوله تعالى** اوتقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين تري العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلي قد جاتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين او تقول هذه النفس لو ان الله هداني اي ارشدني الى دينه لكنت من المتقين اي الشرك والمعاصي وهذا القول لو ان الله هداني لاهتديت قول صدق وهو قريب من احتجاج المشركين فيما اخبر الرب عز وجل عنهم في قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا فهي كلمة حق اريد بها باطل كما قال علي رضي الله عنه لما قال قايل من الخوارج لا حكم الا لله او تقول يعني هذه النفس حين تري العذاب لو ان لي كرة اي رجعة فاكون نصب على جواب التمني وان شيت كان معطوفا على كرة لان معناه ان اكر كما قال الشاعر

للبس عباءة وتقر عيني　　احب الي من لبس الشفوف　　وانشد الفرا

فمالك منها غير ذكري وخشية　　وتسال عن ركبانها اين يمموا

فنصب وتسال على موضع الذكري لان موضع الكلام فما لك منها الا ان تذكر ومنه للبس عباءة اي لان البس عباءة وتقر وقال ابو صالح كان رجل عالم في بني اسرائيل وجد رقعة ان العبد ليعمل الزمن الطويل بعبادة الله فيختم له عمله بعمل اهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بمعصية الله ثم يختم له عمله بعمل رجل من اهل الجنة فيدخل الجنة فقال ولاي شي اتعب نفسي فترك عمله واخذ في الفسوق والمعصية وقال له ابليس لك عمر طويل فتمتع في الدنيا ثم تتوب فاخذ في الفسوق وانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان فندم حين لا ينفعه الندم فانزل الله خبره في القران وقال قتادة هولاء اصناف صنف منهم قال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وصنف منهم قال لو ان الله هداني لكنت من المتقين وقال اخر لو ان لي كرة فاكون من المحسنين فقال الله تعالى رد الكلامهم بلي قد جاتك اياتي قال الزجاج بلي جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي ولكن معني لو ان الله هداني ما هداني وكان هذا القايل يقول ما هديت فقيل بلي قد بين لك طريق الهدي وكنت بحيث لو اردت ان تومن امكنك ان تومن اياتي اي القران وقد عني بالايات المعجزات اي وضح الدليل فانكرته وكذبته واستكبرت اي تكبرت عن الايمان وكنت من الكافرين وقال استكبرت وكنت وهو خطاب المذكر لان النفس تقع على الذكر والانثي يقال ثلاثة انفس وقال المبرد تقول العرب نفس واحد اي انسان واحد وروي الربيع بن انس عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قرا قد جاتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين وقرا الاعمش بلي قد جاته اياتي وهذا يدل على التذكير والربيع بن انس لم يلحق ام سلمة الا ان القراءة جايزة لان النفس تقع للمذكر والمونث وقد انكر هذه القراءة بعضهم وقال يجب اذا كسر التا ان يقول وكنت من الكوافر او من الكافرات قال النحاس وهذا لا يلزم الا تري ان قبله ان تقول نفس ثم قال وان كنت لمن الساخرين ولم يقل من السواخر ولا من الساخرات والتقدير في العربية على كسر التاء واستكبرت وكنت من جميع الساخرين اي من الناس الساخرين او من القوم الساخرين **قوله تعالى** ويوم القيامة تري الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوي للمتكبرين ويوم القيامة تري الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اي مما احاط بهم من غضب الله ونقمته وقال الاخفش تري غير عامل في قوله

وجوههم مسودة انما هو ابتدا وخبر الزمخشري جملة في موضع الحال ان كان تري من روية البصر ومفعول ثان ان كان من روية القلب اليس في جهنم مثوي للمتكبرين وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم معني الكبر فقال عليه السلام سفه الحق وغمص الناس اي احتقارهم وقد مضي في البقرة وغيرها وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة كالذر يلحقهم الصغار حتي يوتي بهم الى سجن في جهنم **قوله تعالى** وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شي وهو على كل شي وكيل وينجي وقري وينجي الله الذين اتقوا اي الشرك والمعاصي بمفازتهم على التوحيد قراءة العامة لانه مصدر وقرا الكوفيون بمفازاتهم وهو جايز كما تقول بسعاداتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير هذه الاية من حديث ابي هريرة قال يحشر الله مع كل امرء عمله فيكون عمل المومن معه في احسن صورة واطيب ريح فكلما كان رعب او خوف قال لا تروع فما انت بالمراد به ولا انت بالمعني به فاذا كثر ذلك عليه قال ما احسنك من انت فيقول اما تعرفني انا عملك الصالح حملتني على ثقلي فوالله لاحملنك ولادفع عنك فهي التي قال وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شي وهو على كل شي وكيل اي حافظ وقايم به وقد تقدم **قوله تعالى** له مقاليد السموات والارض واحدها مقليد وقيل مقلاد واكثر ما يستعمل فيه اقليد والمقاليد المفاتيح عن ابن عباس وغيره وقال السدي خزاين السموات والارض قال غيره خزاين السموات المطر وخزاين الارض النبات وفيه لغة اخري اقاليد وعليها يكون واحدها اقليد قال الجوهري والاقليد المفتاح والمقلد مفتاح كالمنجل وربما تقلد به الكلا كما يقلد القت اذا جعل حبالا اي يفتل والجمع المقاليد واقلد البحر على خلق كثير اي غرقهم كانه اغلق عليهم وخرج البيهقي عن ابن عمر ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالني عنها احد تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير ذكره الثعلبي في تفسيره وزاد لمن قالها اذا اصبح وامسي عشر مرات اعطاه الله ست خصال اولها يحرس من ابليس والثانية يحضره اثنا عشر الف ملك والثالثة يعطي قنطارا من الاجر والرابعة ترفع له درجة والخامسة يزوجه الله من الحور العين والسادسة يكون له من الاجر كمن قرا القران والتوراة والانجيل والزبور وله ايضا من الاجر كمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته فان مات من ليلته مات شهيدا وروي الحرث عن علي قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد فقال يا علي لقد سالت عن عظيم المقاليد ان تقول عشرا اذا اصبحت وعشرا اذا امسيت لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شي قدير من قالها عشر مرات اذا اصبح وعشرا اذا امسي اعطاه الله خصالا ستا اولها يحرسه من الشيطان وجنوده فلا يكون له عليهم سلطان والثانية يعطي قنطارا في الجنة هو اثقل في ميزانه من جبل احد والثالثة ترفع له درجة لا ينالها الا الابرار والرابعة يزوجه الله من الحور العين والخامسة يشهده اثنا عشر الف ملك يكتبونها له في رق منشور ويشهدون له بها يوم القيامة والسادسة يكون له من الاجر كانما قرا التوراة والانجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر فقبل الله حجه وعمرته وان مات من يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهدا وقيل المقاليد الطاعة يقال القي الى فلان بالمقاليد اي اطاعه فيما يامره فمعني الاية له طاعة من في السموات والارض **قوله تعالى** والذين كفروا بايات الله اوليك هم الخاسرون والذين كفروا بايات الله اي بالقران والحجج والدلالات اوليك هم الخاسرون تقدم **قوله تعالى** افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك حين دعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ما هم عليه من عبادة الاصنام وقالوا هو دين ابايك وهو نصب باعبد على تقدير اعبد غير الله فيما تامرونني ويجوز ان تنصب بتامروني على حذف حرف الجر التقدير افتامروني بغير الله ان اعبده لان ان مقدرة وان مقدرة لعبادة غير الله وقرا نافع تامروني بنون واحدة مخففة وفتح اليا وقرا ابن عامر تامرونني بنونين مخففتين على الاصل الباقون بنون واحدة مشددة على الادغام واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة وقرا نافع على حذف النون الثانية وانما كانت المحذوفة

لمن قالها عشر مرات اعطاه الله ست خصال

الثانية لان التكبير والتثقيل يقع بها ايضا حذف الاول لا يجوز لانها دلالة الرفع وقد مضى في الانعام بيانه عند
قوله تعالى اتحاجوني اعبد ان اعبد فلما حذف ان دفع قاله الكسائي ومنه قول الشاعر

الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى — والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرا

اعبد بالنصب **قوله تعالى** ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين قيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولقد اوحي اليك لئن اشركت واوحي
الى الذين من قبلك لذلك وقيل هو على بابه قال مقاتل اي اوحي اليك والى الانبيا قبلك بالتوحيد
والتوحيد محذوف ثم قال لئن اشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل
الخطاب له والمراد امته اذ قد علم الله انه لا يشرك ولا يقع منه اشراك والاحباط الابطال والفساد
قال القشيري فمن ارتد لم تنفعه طاعته السابقة ولكن احباط الردة العمل مشروط بالموافاة على الكفر ولهذا
قال من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فالمطلق هنا محمول على المقيد ولهذا
قلنا من حج ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام لا يجب عليه اعادة الحج قال الشيخ رحمه الله هذا مذهب الشافعي وعند
مالك تجب عليه الاعادة وقد مضى في البقرة بيان هذا مستوفى **قوله تعالى** بل الله فاعبد وكن
من الشاكرين النحاس في كتابي عن ابي اسحاق لفظ اسم الله عز وجل منصوب باعبد قال ولا اختلاف في هذا
بين البصريين والكوفيين قال النحاس وقال الفرا يكون منصوبا باضمار فعل حكاه المهدوي عن الكسائي
فاما الفا فقال الزجاج انها للمجازاة وقال الاخفش هي زائدة وقال ابن عباس فاعبد فوحد وقال غيره
بل الله فاطع وكن من الشاكرين لنعمه بخلاف المشركين **قوله تعالى** ما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون
قال المبرد ما عظموه حق عظمته من قولك فلان عظيم القدر قال النحاس والمعنى على هذا وما عظموه حق
عظمته اذ عبدوا معه غيره وهو خالق الاشيا ومالكها ثم اخبر عن قدرته وعظمته فقال والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ثم نزه نفسه عن ان يكون بجارحة فقال
سبحانه وتعالى عما يشركون وفي الترمذي عن عبد الله قال جا يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والخلايق على اصبع
ثم يقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال ما قدروا الله حق قدره قال
هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله
الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي الترمذي عن عايشه
انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه قالت قلت فاين الناس يوميذ يا رسول الله قال على جسر جهنم في رواية قال على الصراط
يا عايشة قال حديث حسن صحيح فقوله والارض جميعا قبضته فقبض الله الارض عبارة عن قدرته
واحاطته بجميع مخلوقاته يقال ما فلان الا في قبضتي بمعنى ما فلان الا في قدرتي والناس يقولون الا
شيا في قبضته يريدون في ملكه وقدرته وقد يكون بمعنى القبض والطي افنا الشي واذهابه فقوله عز
وجل والارض جميعا قبضته يحتمل ان يكون المراد به والارض جميعا ذاهبة فانية يوم القيامة والمراد
بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات لان الموضع موضع تفخيم
فهو مقتض للمبالغة وقوله والسموات مطويات بيمينه ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وانما المراد
بذلك الفنا والذهاب يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه وجانا غيره وانطوى عنا دهر بمعنى المضي والذهاب
واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم يريد به
الملك وقال لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة اي لاخذنا قوته وقدرته قال الفرا والمبرد
اليمين القدرة والقوة — وانشدوا

اذا ما راية رفعت لمجد	تلقاها عرابة باليمين

وقال آخر

ولما رايت الشمس اشرق نورها	تناولت منها حاجتي بيمين
قتلت شنيفا ثم فاران بعده	وكان على الايات غير امين

وانما خص يوم القيامة بالذكر وان كانت قدرته شاملة لكل شي ايضا لان الدعاوي تنقطع ذلك اليو

حتى بدت نواجذه

كما قال والامر يوميذ لله وقال مالك يوم الدين حسب ما تقدم في الفاتحة ولذلك قال في الحديث ثم يقول انا الملك
اين ملوك الارض وقد زدنا هذا الباب في التذكرة بيانا وتكلمنا على ذكر الشمال في حديث ابن عمر قوله ثم
يطوي الارض بشماله **قوله تعالى** ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون بين ما يكون بعد قبض الارض وطي السما وهو النفخ
في الصور وانما هما نفختان يموت الخلق في الاولى منهما ويحيون في الثانية وقد مضى الكلام في هذا في النمل
والانعام ايضا والذي ينفخ في الصور هو اسرافيل عليه السلم وقد قيل انه يكون معه جبريل لحديث عن ابي
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبي الصور بايديهما او في ايديهما قرنان يلاحظان
النظر حتى يومران خرجه ابن ماجة في السنن وفي كتاب ابي داود عن ابي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم صاحب الصور وقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكاييل واختلف في المستثنى من هم فقيل
هم الشهدا متقلدين اسيافهم حول العرش روي مرفوعا من حديث ابي هريرة فيما ذكر القشيري ومن حديث
عبد الله بن عمر فيما ذكر الثعلبي وقيل جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وروي من
حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله
فقالوا يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى قال هم جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت
فيقول الله لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو اعلم فيقول يا رب بقي جبريل وميكاييل واسرافيل
وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس اسرافيل وميكاييل فيخران ميتان كالطودين العظيمين
فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل يا جبريل من بقي فيقول الله تباركت وتعاليت يا ذا الجلال
والاكرام وجهك الباقي الدايم وجبريل الميت الفاني فيقول الله تعالى يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا
يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان فضل خلقه على خلق ميكاييل كالطود العظيم على الضرب من الضراب ذكره الثعلبي وذكره النحاس
ايضا من حديث محمد بن اسحاق عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز
وجل فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله قال جبريل وميكاييل وحملة العرش وملك الموت
واسرافيل وفي هذا الحديث ان آخرهم موتا جبريل صلى الله عليه وسلم وحديث ابي هريرة في الشهدا
اصح على ما تقدم في النمل وقال الضحاك هو رضوان والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب النار وحياتها
وقال الحسن هو الله الواحد القهار وما يدع احدا من اهل السموات والارض الا اذاقه الموت وقال قتادة
الله اعلم بثنياه وقيل الاستثنا في قوله الا من شا الله يرجع الى من مات قبل النفخة الاولى اي فيموت من
في السموات والارض الا من سبق موته لانهم كانوا قد ماتوا وفي الصحيح وابن ماجة واللفظ له عن ابي هريرة
قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده فلطمه
قال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال الله
عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
فاكون اول من رفع راسه فاذا انا بموسى اخذ بقايمة من قوايم العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي او كان ممن
استثنى الله ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وخرجه الترمذي ايضا وقال فيه حديث حسن صحيح
قال القشيري ومن حمل الاستثنا على موسى والشهدا فهولا قد ماتوا غير انهم احيا عند الله فيجوز ان
يكون الصعقة بزوال العقل دون زوال الحياة ويجوز ان يكون بالموت ولا يبعد ان يكون الموت والحياة
فكل ذلك مما يجوزه العقل والامر في وقوعه موقوف على خبر صدق قال الشيخ رحمه الله جا في بعض طرق
ابي هريرة انه عليه السلام قال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا
موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي ام كان ممن استثنى الله خرجه مسلم ونحوه
عن ابي سعيد الخدري والافاقة انما تكون عن غشية وزوال عقل لا عن موت برد الحياة والله اعلم
قوله تعالى فاذا هم قيام ينظرون اي فاذا الاموات من اهل الارض والسما احيا بعثوا من قبورهم
واعيدت اليهم ابدانهم وارواحهم فقاموا ينظرون ماذا يومرون وقيل قيام على ارجلهم ينظرون الى
البعث الذي وعدوا به وقيل هذا النظر بمعنى الانتظار اي ينتظرون ما يفعل بهم واجاز الكسائي
قياما بالنصب كما تقول خرجت فاذا زيد جالسا **قوله تعالى** واشرقت الارض بنور ربها

حتى هم الذين استثنى الله تعالى
فيقول الله تعالى خذ نفس
اسرافيل وميكاييل

اشراقها اضاءتها يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت ومعنى بنور ربها بعدل ربها قاله الحسن وغيره وقال الضحاك بحكم ربها والمعنى واحد اي انارت واضاءت بعدل الله وقضائه بالحق بين عباده والظلم ظلمات والعدل نور وقيل ان الله يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الارض فتشرق الارض به وقال ابن عباس النور المذكور هاهنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه الله فيضيء به الارض وروي ان الارض يومئذ من فضة تشرق بنور الله تعالى حين ياتي لفصل القضا والمعنى انها اشرقت بنور خلقه الله تعالى فاضاف النور اليه على حد اضافة الملك الى المالك وقيل انه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لانه نهار لا ليل فيه وقرا ابن عباس وعبيد بن عمير واشرقت الارض على ما لم يسم فاعله وهي قراءة على التفسير وقد ضل قوم هاهنا فتوهموا ان الله عز وجل من جنس النور والضيا المحسوس وهو متعال عن مشابهة المحسوسات بل هو منور السموات والارض فمنه كل نور خلقا وانشاء وقال ابو جعفر النحاس وقوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها يبين هذا الحديث المرفوع من طرق كثيرة صحاح تنظرون الى الله عز وجل لا تضامون في رؤيته وهو يروى على اربعة اوجه لا تضامون ولا تضارون ولا تضامون ولا تضارون فمعنى لا تضامون لا يلحقكم ضيم كما يلحقكم في الدنيا في النظر الى الملوك ولا تضارون لا يلحقكم ضير ولا تضامون لا ينضم بعضكم الى بعض ليساله ان يريه ولا تضارون لا يخالف بعضكم بعضا يقال ضاررته مضارة وضرارا اي خالفته قوله تعالى ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون قال ابن عباس يريد اللوح المحفوظ وقال قتادة يريد الكتب والصحف التي فيها اعمال بني ادم فاخذ بيمينه واخذ بشماله وجيء بالنبيين اي جيء بهم فيسالوا عما اجابتهم به اممهم والشهداء الذين يشهدون على الامم من امة محمد عليه السلام كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله قاله السدي وقال ابن زيد هم الحفظة الذين يشهدون على الناس باعمالهم قال الله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق يسوقها الى الحساب والشهيد يشهد عليها وهو الملك الموكل بالانسان على ما ياتي بيانه في ق وقضي بينهم بالحق اي بالصدق والعدل وهم لا يظلمون قال سعيد بن جبير لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ووفيت كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون قال سعيد بن جبير اي من خير او شر وهو اعلم بما يفعلون في الدنيا ولا حاجة به جل وعز الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزاما للحجة قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين هذا تبيين توفية كل نفس عملها فيساق الكافر الى النار والمومن الى الجنة والزمر الجماعات واحدها زمرة كظلمة وغرفة وقال الاخفش وابو عبيدة زمرا جماعات متفرقة بعضها اثر بعض قال الشاعر

وترى الناس الى منزله ... زمرة تتبعها بعد زمرة

وقال آخر ... حتى احزالت زمرة بعد زمره

وقيل دفعا وزجرا بصوت كصوت المزمار حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها جواب اذا وهي سبعة ابواب وقد مضى في الحجر وقال لهم خزنتها واحدهم خازن نحو سادن وسدنة يقولون لهم تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم اي من انفسكم يتلون عليكم ايات ربكم اي الكتب المنزلة على الانبيا وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى اي قد جاءتنا وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وهي قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ادخلوا جهنم وقد مضى الكلام في ابوابها قال وهب تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعهم فانه ليقع في الدفعة الواحدة الى النار بعدد ربيعة ومضر فبئس مثوى المتكبرين تقدم بيانه قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا منها حيث نشاء فنعم اجر العاملين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا يعني من

الشهدا

الشهدا والزهاد والعلما والقرا وغيرهم ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته وقال في حق الفريقين وسيق بلفظ واحد فسوق اهل النار طردهم بالخزي والهوان كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى قتل او حبس وسوق اهل الجنان سوق مراكبهم الى دار الكرامة والرضوان لانه لا يذهب بهم الا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها قيل الواو هاهنا للعطف عطف جملة على جملة والجواب محذوف قال المبرد اي سعدوا وفتحت ابوابها وحذف الجواب بليغ في كلام العرب وانشد

فلو انها نفس تموت جميعة ... ولكنها نفس تساقط انفسا

فحذف جواب لو والتقدير لكان اروح وقال الزجاج حتى اذا جاءوها دخلوها وهو قريب من الاول وقيل الواو زائدة قاله الكوفيون وهو خطا عند البصريين وقد قيل ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل ان ياتوا لكرامتهم على الله تعالى والتقدير حتى اذا جاءوها وابوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحذفت الواو في قصة اهل النار لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم اذلالا وترويعا لهم ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس قبله قال النحاس فاما الحكمة في اثبات الواو في الثاني وحذفها من الاول فقد تكلم فيه بعض اهل العلم بقول لا اعلم انه سبقه اليه احد وهو انه لما قال الله عز وجل في اهل النار حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها دل بهذا على انها كانت مغلقة ولما قال في اهل الجنة حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها دل بهذا على انها كانت مفتحة قبل ان يجيئوها والله اعلم وقيل انها واو الثمانية وذلك ان من عادة قريش انهم يعدون من واحد فيقولون خمسة ستة سبعة فاذا بلغوا قالوا وثمانية قاله ابو بكر بن عياش قال الله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقال التائبون العابدون الحامدون ثم قال في الثامن والناهون عن المنكر وقال ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ثيبات وابكارا وقد مضى القول في هذا في براءة مستوفى وفي الكهف ايضا قال الشيخ رحمه الله وقد استدل من قال بهذا ان ابواب الجنة ثمانية وذكروا حديث عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد يتوضا فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء خرجه مسلم وغيره وقد خرج الترمذي حديث عمر هذا وقال فيه فتح له من ابواب الجنة ثمانية ابواب يوم القيامة بزيادة من وهو يدل على ان ابوابها اكثر من ثمانية وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة وانتهى عددها الى ستة عشر بابا وذكرنا هناك عظم ابوابها وسعتها حسب ما رواه في الحديث من ذلك فمن اراده وقف عليه هناك وقال لهم خزنتها قيل الواو ملغاة تقديره حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم اي في الدنيا قال مجاهد بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح حكاه النقاش والمعنى واحد وقال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان واصحابه سلام عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين قال الشيخ رحمه الله خرج البخاري حديث القنطرة هذا في جامعه من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وحكى النقاش ان على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المومنون من احديهما فتطهر اجوافهم وذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب ابشارهم فعندها يقول لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وهذا يروى معناه عن علي رضي الله عنه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده اي اذا دخلوا الجنة قالوا هذا واورثنا الارض اي ارض الجنة قيل انهم ورثوا الارض التي تكون لاهل النار لو كانوا مومنين قاله ابو العالية وابو صالح وقتادة والسدي واكثر المفسرين وقيل انها ارض الدنيا على التقديم والتاخير مجازه فنعم اجر العاملين قيل هو من قولهم اي نعم الثواب هذا وقيل هو من قول الله تعالى اي نعم ثواب المحسنين هذا الذي اعطيتهم قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وترى الملائكة يا محمد حافين اي محدقين من

ابواب الجنة ستة عشر بابا

وحكي ان على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان

حول العرش في ذلك اليوم يسبحون بحمد ربهم متلذذين بذلك لا متعبدين به اي يصلون حول العرش شكرا لربهم والحافون اخذ من حافات الشيء ونواحيه قال الاخفش واحدهم حاف وقال الفرا لا واحد له اذ لا يقع لهم الاسم الا مجتمعين ودخلت من على حول لانه ظرف والفعل يتعدى الى الظرف بحرف وبغير حرف وقال الاخفش من زايدة اي حافين حول العرش وهو كقوله ما جاء من احد فمن توكيد الثعلبي والعرب تدخل الباء احيانا في التسبيح وتحذفها احيانا فيقولون سبح بحمد ربك العظيم وقضي بينهم بالحق بين اهل الجنة والنار وقيل فقضي بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهدا او بين اممهم بالحق والعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقولون المومنون الحمد لله على ما اثابنا من نعمه واحسانه ونصرنا على من ظلمنا وقال قتادة في هذه الاية افتتح الله اول الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وختم بالجملة فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فلزم الاقتدا به والاخذ في ابتداء كل امر بحمد الله وخاتمته بحمده وقيل ان الحمد لله رب العالمين من قول الملايكة فعلى هذا يكون حمدهم لله تعالى على عدله وقضايه ويروي من حديث ابن عمر ان رسول الله صلعم قرا على المنبر اخر سورة الزمر فتحرك المنبر مرتين

تفسير سورة المومن

وتسمى سورة الطول وهي مكية في قراءة الحسن وعطا وعكرمة وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها نزلتا بالمدينة وهما ان الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون اية وقيل ثنتان وثمانون اية وفي مسند الدارمي حدثنا جعفر بن عوف عن مسعر عن سعيد بن ابراهيم قال كن الحواميم ان يسمين العرايس وروي من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحواميم ديباج القران وروي عن ابن مسعود قوله قال الجوهري وابو عبيدة وال حم سور في القران قال ابن مسعود ال حم ديباج القران قال الفرا انما هو كقولك ال فلان وال فلان كانه نسب السورة كلها الى حم قال الكميت

وجدنا لكم في ال حم اية ... تاولها منا تقي ومعرب

قاله ابو عبيدة هكذا رواها الاموي بالزاي وكان ابو عمرو يرويها بالراء فاما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب قال ابو عبيدة الحواميم سور في القران على غير قياس وانشد

وبالحواميم التي قد سبعت

قال والاولى ان تجمع بذوات حم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء ثمرة وثمرة القران ذوات حم هن روضات حسنات مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الحواميم في القران كمثل الحبرات في الثياب ذكرهما الثعلبي وقال ابو عبيد وحدثني حجاج بن محمد عن ابي معشر قال راي رجل سبع جوار حسنات مزينات فقال لمن انتن بارك الله فيكن فقلن لمن قرانا نحن ال حم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

حم اختلف في معناه فقال عكرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم حم اسم من اسماء الله تعالى وهي مفاتيح خزاين ربك وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وعنه ايضا اسم من اسماء الله تعالى اقسم به وقال قتادة انه اسم من اسماء القران مجاهد فواتح السور وقال عطا الخراساني الحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحنان وحكيم والميم افتتاح اسمه ملك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور ويدل عليه ما روي انس ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لساننا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بدو اسما وفواتح سور وقال الضحاك والكساءي معناه قضي ما هو كاين كانه اراد الاشارة الى تهجي حم لانها تصير حم بضم الحا وتشديد الميم اي قضي ووقع وقال كعب بن مالك

فلما تلاقيناهم ودارت بنا الرحا ... وليس لامر الله حمه الله دافع

وعنه ايضا ان المعنى حم امر الله اي قرب كما قال الشاعر

قد حم يومي فسر قوم ... قوم بهم غفلة ونوم

ومنه سميت الحمى لانها تقرب من المنية والمراد المعنى قرب نصره لاوليايه وانتقامه من اعدايه كيوم بدر وقيل حروف هجاء قال الجرمي ولهذا يقرا ساكنة الحروف فخرجت مخرج التهجي واذا سميت سورة بشيء من هذه الحروف اعربت فتقول قرات حم فتنصب قال الشاعر

يذكر

يذكرني حم والرمح شاجر ... فهلا تلا حم قبل التقدم

وقرا عيسى بن عمر الثقفي حم بفتح الميم على معنى اقرا حم او لالتقاء الساكنين وابن ابي اسحاق وابو السمال بكسرها والامالة وبالكسر لالتقاء الساكنين او على وجه القسم وقرا ابو جعفر بقطع الحا من الميم الباقون بالوصل وكذلك في حم عسق وقرا ابو عمرو وابو بكر وحمزة والكساءي وخلف وابن ذكوان بالامالة في الحا وروي عن ابي عمرو بين اللفظين وهي قراءة نافع وابي جعفر وشيبة الباقون بالفتح مشبعا قوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب ابتدا والخبر من الله العزيز الحكيم ويجوز ان يكون تنزيل خبرا لمبتدا محذوف اي هذا تنزيل ويجوز ان يكون حم مبتدا وتنزيل خبره والمعنى ان القران انزله الله وليس منقولا ولا مما يجوز ان يكذب به قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قال الفرا جعلها كالنعت للمعرفة وهي نكرة وقال الزجاج هي خفض على البدل النحاس وتحقيق الكلام في هذا وتلخيصه ان غافر الذنب وقابل التوب يجوز ان يكونا معرفتين على انهما للماضي فيكونا نعتين ويجوز ان يكونا للمستقبل والحال فيكونا نكرتين ولا يجوز ان يكونا نعتين على هذا ولكن يكون خفضهما على البدل ويجوز النصب على الحال فاما شديد العقاب فهو نكرة ويكون خفضه على البدل قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا اله الا الله وقال ثابت البناني كنت الى سرادق مصعب بن الزبير في مكان لا تمر فيه الدواب قال فاستفتحت حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم فمر علي رجل على دابة فلما قلت غافر الذنب قال قل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي فلما قلت قابل التوب قال قل يا قابل التوب تقبل توبتي فلما قلت شديد العقاب قال قل يا شديد العقاب اعف عني فلما قلت ذي الطول قال قل يا ذا الطول طل علي بخير فقمت اليه فاخذ ببصري فالتفت يمينا وشمالا فلم ار شيا وقال اهل الاشارة غافر الذنب فضلا وقابل التوب وعدا شديد العقاب عدلا لا اله الا هو اليه المصير وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له يتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام الله عليك وانا احمد الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الى قوله واليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعا له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقروها قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكي ثم نزع فاحسن النزع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم احدا قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه والتوب يجوز ان يكون مصدر تاب يتوب توبا ويحتمل ان يكون جمع توبة نحو دومة ودوم وعزمة وعزم ومنه قوله

فيخبو ساعة ويهب ساعا

ويجوز ان يكون التوب بمعني التوبة قال ابو العباس الذي يسبق الى قلبي ان يكون مصدرا اي يقبل هذا الفعل كما تقول قال قولا واذا كان جمعا فمعناه يقبل التوبات ذي الطول على البدل على النعت لانه معرفة واصل الطول الانعام والفضل يقال منه اللهم طل اي انعم وتفضل قال ابن عباس ذي الطول ذي النعم وقال مجاهد ذي الغنى والسعة ومنه قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا اي غنى وسعة وعن ابن عباس ايضا ذي الطول ذي الغنا عن من لا يقول لا اله الا الله وقال عكرمة ذي الطول ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي الطول ذي التفضل احسان غير مستحق والطول ماخوذ من الطول كانه طال بانعامه على غيره وقيل لانه طالت مدة انعامه لا اله الا هو اليه المصير قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي في دفع ايات الله الا الذين كفروا وسجل سبحانه على المجادلين في ايات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الباطل واطفا نور الله وقد دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقد مضى هذا المعنى في البقرة عند قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه مستوفى فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي تصرفهم في البلاد فاني وان امهلتهم فلا اهملهم بل اعاقبهم قال ابن

بكتب عمر رضي الله عنه

واصل الطول الانعام والفضل

عباس يريد تجارتهم من مكة الي الشام والي اليمن وقيل لا يغررك ما هم فيه من الخير والسعة في الرزق
فانه متاع قليل في الدنيا وقال الزجاج لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وقال
ابو العالية ايتان ما اشدهما علي الذين يجادلون في القران قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا
وقوله ان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح و
الاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم
فكيف كان عقاب كذبت قبلهم قوم نوح علي تانيث الجماعة اي كذبت الرسل والاحزاب من بعدهم اي
والامم الذين تحزبوا علي انبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود فمن بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه
اي ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة والسدي ليقتلوه والاخذ يرد بمعنى الاهلاك كقوله فاخذتهم
فكيف كان نكير والعرب تسمي الاسير الاخيذ لانه ماسور للقتل وانشد قطرب قول الشاعر

فاما تاخذوني تقتلوني ... ومن اخذ فليس الي خلود

وفي وقت اخذهم لرسولهم قولان احدهما عند دعائه لهم الثاني عند نزول العذاب بهم وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق اي ليزيلوا ومنه مكان دحض اي مزلقة والباطل داحض لانه يزلق ويزل فلا يستقر
قاله يحيي بن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان فاخذتهم اي بالعذاب فكيف كان عقاب
اي عاقبة الامم المكذبة اي اليس وجدوه حقا **قوله تعالى** وكذلك حقت كلمة ربك علي الذين
كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين
تابوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
وكذلك حقت اي وجبت ولزمت اي ماخوذ من الحق لانه اللازم كلمة ربك هذه قراة العامة علي التوحيد
وقراء نافع وابن عامر كلمات علي الجمع جمعا علي الذين كفروا انهم كفروا قال الاخفش اي لانهم وبانهم قال
الزجاج انهم بكسر الهمزة اصحاب النار اي المعذبون بها وتم الكلام ثم ابتداء فقال الذين يحملون العرش ومن
حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا وروي ان حملة العرش ارجلهم في الارض
السفلي ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشراف الملائكة وافضلهم ففي
الحديث ان الله تبارك وتعالي امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام علي حملة العرش تفضيلا لهم علي
سائر الملائكة ويقال خلق الله العرش من جوهرة خضراء بين القايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع
ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم
سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم علي عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم
مائة الف صف قد وضعوا الايمان علي الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما يسبح به الاخر وقرا ابن عباس
العرش بضم العين ذكر جميعه الزمخشري وقيل اتصل هذا بذكر الكفار لان المعني والله اعلم الذين يحملون
العرش ومن حوله ينزهون الله عز وجل عما يقوله الكفار ويستغفرون للذين امنوا اي يسالون لهم
المغفرة من الله تعالي واقاويل اهل التفسير علي ان العرش هو السرير وانه جسم مجسم خلقه الله عز وجل
وامر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الارض بيتا وامر بني ادم بالطواف به
واستقباله في الصلاة روي ابراهيم بن طهمان عن موسي بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله
الانصاري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من الملائكة الله من حملة
العرش ما بين شحمة اذنه الي عاتقه مسيرة سبع مائة عام ذكره البيهقي وقد مضي في البقرة في اية الكرسي
عظم العرش وانه اعظم المخلوقات خلقا وروي ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب الاحبار انه قال
لما خلق الله تعالي العرش قال لن يخلق الله خلقا اعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية للحية سبعة الف جناح
في الجناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون
الف لسان يخرج من افواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصي والثري
وعدد ايام الدنيا وعدد الملائكة اجمعين فالتوت الحية بالعرش فالعرش الي نصف الحية وهي ملتوية به
وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب
ظلمة ربنا اي يقولون وسعت كل شي رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شي فلما نقل الفعل عن الرحمة
والعلم نصب علي التفسير فاغفر للذين تابوا اي من الشرك والمعاصي واتبعوا سبيلك اي دين

قيل حول العرش سبعون الف صنف من الملائكة

فطوقه الله العرش بحية للحية سبعة الف جناح

الاسلام وقهم عذاب الجحيم اي اصرف عنهم حتي لا يصل اليهم قال ابراهيم النخعي كان اصحاب عبد الله يقولون
الملائكة خير من ابن الكوا هم يستغفرون لمن في الارض وابن الكوا يشهد عليهم بالكفر قال ابراهيم وكانوا
يقولون لا يحجبون الاستغفار عن احد من اهل القبلة وقال مطرف بن عبد الله وجدنا انصح عباد الله لعباد
الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشيطان وتلي هذه الاية وقال يحيي بن معاذ الرازي لاصحابه
في هذه الاية افهموا فما في العالم جنة ارجي منها ان ملكا واحدا لو سال الله تعالي ان يغفر لجميع المؤمنين
لغفر لهم كيف وجميع الملائكة وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين وقال خلف بن هشام البزار القاري كنت
اقرا علي سليم بن عيسي فلما بلغت ويستغفرون للذين امنوا بكي وقال يا خلف ما اكرم المؤمن علي الله
نائما علي فراشه والملائكة يستغفرون له **قوله تعالى** ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم يروي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار
ما جنات عدن قال قصور من ذهب في الجنة يدخله النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وائمة
العدل التي وعدتهم التي في محل نصب نعتا للجنات ومن صلح من في محل نصب عطفا علي الهاء والميم في قوله
وادخلهم ومن صلح بالايمان من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وقد مضي في الرعد نظير هذه الاية قال سعيد
بن جبير يدخل الرجل الجنة فيقول يا رب اين ابي وجدي وامي واين ولدي وولد ولدي واين زوجاتي فيقال
انهم لم يعملوا كعملك فيقول يا رب كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ثم تلي الذين يحملون العرش ومن حوله
الي ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ويقرب من هذه الاية والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم **قوله تعالى** وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك الفوز
العظيم وقهم السيئات قال قتادة وقهم ما يسوءهم وقيل التقدير وقهم عذاب السيئات وهو امر من وقاه الله
يقيه وقاية بالكسر اي حفظه ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي بدخول الجنة وذلك الفوز العظيم
النجاة الكبيرة **قوله تعالى** ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون
الي الايمان فتكفرون قال الاخفش لمقت هذه لام الابتداء وقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم والنداء قول
وقال غيره المعني يقال لهم لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الي الايمان فتكفرون اكبر من مقت بعضكم
بعضا يوم القيامة لان بعضهم عادي بعضا ومقته يوم القيامة فاذعنوا عند ذلك وخضعوا وطلبوا الخروج
من النار وقال الكلبي يقول كل انسان من اهل النار لنفسه مقتك يا نفس فتقول الملائكة لهم وهم
في النار لمقت الله اياكم اذ انتم في الدنيا وقد بعث اليكم الرسل فلم تؤمنوا اشد من مقتكم انفسكم اليوم وقال
الحسن يعطون كتابهم فاذا نظروا الي سيئاتهم مقتوا انفسهم فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الي
الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وقال معناه مجاهد وقال قتادة المعني لمقت الله لكم
اذ تدعون الي الايمان اكبر من مقتكم انفسكم اذ عاينتم النار فان قيل كيف يصح ان يمقتوا انفسهم
ففيه وجهان احدهما انهم احلوها بالذنوب محل الممقوت الثاني انهم لما صاروا الي حال زال عنهم الهوي
وعلموا ان نفوسهم هي التي اوبقتهم في المعاصي مقتوها وقال محمد بن كعب القرظي ان اهل النار لما يئسوا
مما عند الخزنة وقال لهم مالك انكم ماكثون علي ما ياتي قال بعضهم لبعض يا هؤلاء انه قد نزل بكم
من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر اهل الطاعة علي طاعة الله فنفعهم
الصبر اذ صبروا فاجمعوا رايهم علي الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي من ملجا فقام ابليس عند ذلك فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم الي قوله ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي يقول بمغن عنكم شيئا اني كفرت بما اشركتمون من قبل
فلما سمعوا مقالته مقتوا انفسهم قال فنودوا لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الي قوله فهل الي خروج من
سبيل قال فرد عليهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير
ذكره ابن المبارك **قوله تعالى** قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا
فهل الي خروج من سبيل اختلف اهل التاويل في معني قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فقال
ابن عباس وابن مسعود وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب ابائهم ثم اماتهم ثم احياهم ثم اماتهم
الموتة التي لا بد منها في الدنيا ثم احياهم للبعث والقيامة فهاتان حياتان وموتتان وهو كقوله
تعالي كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا

ثم احياهم في قبورهم للمسالة ثم اميتوا ثم احيوا في الاخرة وانما صار الى هذا لان لفظ الميت لا يطلق في العرف على النطفة واستدل العلما من هذا في اثبات سوال القبر ولو كان الثواب والعقاب للروح دون الجسد فما معنى الاحيا والامانة والروح عند من يقصر احكام الاخرة على الارواح لا تموت ولا تتغير ولا تفسد وهو حي لنفسه لا يتطرق اليه موت ولا غشية ولا فنا وقال ابن زيد ربنا امتنا اثنتين الاية قال خلقهم في ظهر ادم واستخرجهم واحياهم واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم ثم احياهم في الدنيا ثم اماتهم وقد مضى هذا في البقرة فاعترفنا بذنوبنا اعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف وندموا حيث لا ينفعهم الندم فهل الى خروج من سبيل اي هل نرد الى الدنيا لنعمل بطاعتك نظيره فهل الى مرد من سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا وقوله يا ليتنا نرد الاية **قوله تعالى** ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا فالحكم لله العلي الكبير ذلكم في موضع رفع اي الامر ذلكم او ذلكم العذاب الذي انتم فيه بكفركم وفي الكلام متروك تقديره فاجيبوا بان لا سبيل الى الرد وذلكم لانكم اذا دعي الله اي وحد الله وحده كفرتم وانكرتم ان تكون الالوهية له خاصة وان اشرك به مشرك صدقتموه وامنتم بقوله قال الثعلبي وسمعت بعض العلما يقول وان يشرك به بعد الرد الى الدنيا لو كان تومنوا تصدقوا المشرك نظيره ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالحكم لله العلي الكبير عن ان يكون له صاحبة او ولد **قوله تعالى** هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون هو الذي يريكم اياته اي دلايل توحيده وقدرته وينزل لكم من السماء رزقا جمع بين اظهار الايات وانزال الرزق لان بالايات قوام الاديان وبالرزق قوام الابدان وهذه الايات هي السموات والارضون وما بينهما وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والانهار والعيون والجبال والاشجار واثار قوم هلكوا وما يتذكر الا من ينيب اي لا يتعظ بهذه الايات فيوحد الله الا من ينيب اي يرجع الى طاعة الله اي اعبدوه مخلصين له الدين اي العبادة وقيل الطاعة ولو كره الكافرون عبادة الله فلا تعبدوا انتم غيره **قوله تعالى** رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشا من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار رفيع الدرجات ذو العرش على اضمار مبتدا قاله الاخفش ويجوز نصبه على المدح ومعنى رفيع الدرجات اي رفيع الصفات وقال ابن عباس والكلبي وسعيد بن جبير رفيع السموات السبع وقال يحيى بن سلام هو رفعه درجات اوليائه في الجنة فرفيع على هذا بمعنى رافع فعيل بمعنى فاعل وهو على القول الاول من صفات الذات ومعناه الذي لا ارفع قدرا منه وهو المستحق لدرجات الثنا والمدح وهي اصنافها وابوابها لا مستحق لها غيره قاله الحليمي وقد ذكرناه في الكتاب الاسنى ذو العرش اي خالقه ومالكه لا انه محتاج اليه وقيل هو من قولهم ثل عرش فلان اي زال ملكه وعزه فهو سبحانه ذو العرش بمعنى ثبوت ملكه وسلطانه وقد بيناه في الاسنى يلقي الروح من امره اي الوحي والنبوة على من يشا من عباده وسمى ذلك روحا لان الناس يحيون به اي يحيون من موت الكفر كما تحيى الابدان بالارواح وقال ابن زيد الروح القران قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل الروح جبريل قال الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال نزله روح القدس من ربك بالحق من امره اي من قوله وقيل من قضايه وقيل من بمعنى البا اي بامره على من يشا من عباده وهو ان يكونوا انبيا وليس لاحد فيهم مشية لينذر يوم التلاق اي انما يبعث الرسول لانذار يوم البعث فقوله لينذر يرجع الى الرسل وقيل اي لينذر الله ببعث الرسل الى الخلق يوم التلاق وقرا ابن عباس وابن السميقع لتنذر بالتا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم يوم التلاق وقال ابن عباس وقتادة يوم تلتقي اهل السموات واهل الارض وقال قتادة وابو العالية ومقاتل يلتقي فيه الخلق والخالق وقيل العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقي كل انسان جزا عمله وقيل يلتقي الاولون والاخرون على صعيد واحد روي معناه عن ابن عباس وكله صحيح المعنى يوم هم بارزون يكون بدلا من يوم الاول وقيل هم في موضع رفع بالابتدا وبارزون خبره والجملة في موضع خفض بالاضافة فلذلك حذف التنوين من يوم وانما يكون هذا عند سيبويه اذا كان الظرف بمعنى اذ تقول لقيتك يوم زيد امير فان كان بمعنى اذا لم يجز نحو انا القاك يوم زيد امير ومعنى بارزون خارجون من قبورهم لا يسترهم شي لان الارض يومئذ قاع صفصف لا عوج فيها ولا امتا على ما تقدم في طه بيانه لا يخفى على الله منهم

وقيل الروح جبرئيل عليه السلام

شي

شي قيل ان هذا هو العامل في يوم هم بارزون اي لا يخفى عليه شي منهم ومن اعمالهم يوم هم بارزون لمن الملك اليوم وذلك عند فنا الخلق قال الحسن هو السايل تعالى وهو المجيب لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار النحاس واصح ما قيل فيه ما رواه ابو وايل عن ابن مسعود قال يحشر الناس على ارض بيضا مثل الفضة لم يعص الله عليها فيومر مناد ينادي لمن الملك اليوم فتقول العباد مومنهم وكافرهم لله الواحد القهار فيقول المومنون هذا السرور وتلذذا ويقول الكافرون هذا رغما وانقيادا وخضوعا فاما ان يكون هذا والخلق غير موجودين فبعيد فانه لا فايدة فيه والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هذا مما يوخذ بالقياس ولا بالتاويل قال الشيخ رحمه الله والاول ظاهر جدا لان المقصود اظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوي المدعين وانتساب المنتسبين اذ قد ذهب كل ملك وملكه ومتكبر وملكه وانقطعت نسبهم ودعاويهم ودل على هذا قوله الحق عند قبض الارواح وطي السما انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وعند قوله سبحانه لمن الملك اليوم هو انقطاع زمن الدنيا وبعده يكون البعث والنشر قال محمد بن كعب قوله سبحانه لمن الملك بين النفختين حين تفنى الخلايق وبقي الخالق فلا يرى غير نفسه مالكا ولا مملوكا فيقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد لان الخلق اموات فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار لانه بقي وحده وقهر خلقه وقيل انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيب اهل الجنة لله الواحد القهار ذكره الزمخشري فالله اعلم **قوله تعالى** اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب اي يقال لهم اذا اقروا بالملك يومئذ لله وحده اليوم تجزى كل نفس بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم اي لا ينقص احد شيا مما عمله ان الله سريع الحساب اي لا يحتاج الى تفكر وعقد يد كما يفعله الحساب لانه العالم الذي لا يعزب عن علمه شي فلا يوخر جزا احد للاشتغال بغيره وكما يرزقهم في ساعة واحدة وفي الخبر لا ينتصف النهار حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار **قوله تعالى** وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وانذرهم يوم الازفة اي يوم القيامة سميت بذلك لانها قريبة اذ كل ما هو ات قريب وازف فلان اي قرب يازف ازفا قال النابغة

> ازف الترحل غير ان ركابنا — لما تزل برحالنا وكان قد

اي قرب ونظير هذه الاية ازفت الازفة اي قربت الساعة وكان بعضهم يتمثل ويقول

> ازف الرحيل وليس لي من زاد — غير الذنوب لشقوتي ونكاد

اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين على الحال وهو محمول على المعنى قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم واجاز الفرا ان يكون التقدير وانذرهم كاظمين واجاز رفع كاظمين على انه خبر للقلوب وقال المعنى اذ هم كاظمون وقال الكسائي يجوز رفع كاظمين على الابتدا وقد قيل ان المراد بيوم الازفة يوم حضور المنية قاله قطرب وكذا اذ القلوب لدى الحناجر عند حضور المنية والاول اظهر قال قتادة وقعت في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا تعود في امكنتها وهذا لا يكون الا يوم القيامة كما قال وافيدتهم هوا وقيل هو اخبار عن نهاية الجزع كما قال وبلغت القلوب الحناجر واضيف اليوم الى الازفة على تقدير يوم القيامة الازفة او يوم المجادلة الازفة وعند الكوفيين هو من باب اضافة الشي الى نفسه مثل مسجد الجامع وصلاة الاولى ما للظالمين من حميم اي من قريب ينفع ولا شفيع يطاع فيشفع فيهم **قوله تعالى** يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشي ان الله هو السميع البصير قال المورج فيه تقديم وتاخير اي يعلم الاعين الخاينة وقال ابن عباس هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المراة فيسارقهم النظر اليها وعنه هو الرجل ينظر الى المراة فاذا نظر اليه اصحابه غض بصره فاذا راى منهم غفلة تدسس بالنظر فاذا نظروا اليه اصحابه غض بصره وقد علم الله عز وجل منه انه يود لو نظر الى عورتها وقال مجاهد هي مسارقة الاعين الى ما نهى الله عنه وقال قتادة هي الهمزة بعينه واغماضه فيما لا يحب الله تعالى وقال الضحاك هو قول الانسان ما رايت وقد راى او رايت وما راى وقال السدي انه الرمز بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة الثانية وما تخفي الصدور النظرة الاولى وقال ابن عباس وما تخفي الصدور اي هل يزني بها اذا خلا بها او لا وقيل وما تخفي الصدور ما تضمره وتكنه ولما جي بعبد الله ابن ابي سرح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمان اهل مكة وطلب له الامان عثمان رضي الله عنه صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم

من باب اضافة الشي الى نفسه

طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله ما صمت الا ليقوم اليه بعضكم
فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومات الي يا رسول الله فقال ان النبي لا ينبغي ان يكون له
خائنة اعين والله يقضي بالحق اي يجازي من غض بصره عن المحارم ومن نظر اليها ومن عزم على مواقعة
الفواحش اذا قدر عليها والذين تدعون من دونه يعني الاوثان لا يقضون لانها لا تعلم ولا تقدر عليه
ولا تملك وقراءة العامة بالياء على الخبر عن الظالم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقراءة نافع وشيبة
وهشام تدعون بالتاء ان الله هو السميع البصير هو زائدة فاصلة ويجوز ان يكون في موضع رفع بالابتداء
وما بعدها خبر عنها والجملة خبر ان قوله تعالى **اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف**
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان
لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي
شديد العقاب اولم يسيروا في الارض فينظروا في موضع جزم عطف على يسيروا ويجوز ان يكون في موضع
نصب على انه جواب والجزم والنصب في التثنية والجمع واحد كيف كان عاقبة اسم كان والخبر في كيف
وواق في موضع خفض معطوف على اللفظ ويجوز ان يكون في موضع رفع على الموضع فرفعه وخفضه واحد
لان الياء تحذف وتبقى الكسرة دالة وقد مضى الكلام عليها في معنى هذه الاية في غير موضع فاغنى عن
الاعادة قوله تعالى **ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون**
فقالوا ساحر كذاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي التسع الايات المذكورة في قوله تعالى ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات وقد مضى تعيينها وسلطان مبين اي حجة واضحة بينة وهو يذكر وبؤنث
وقد مضى تعيينها وقيل اراد بالسلطان التوراة الى فرعون وهامان وقارون خصهم بالذكر لان
مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الاموال
والكنوز فجمعه الله معهما لان عمله في الكفر والتكذيب كاعمالهما فقالوا ساحر كذاب لما عجزوا عن
معارضته حملوا المعجزات على السحر قوله تعالى **فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء**
الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد فرعون الا في ضلال فلما جاءهم بالحق من عندنا
وهي المعجزة الظاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه قال قتادة هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون
كان قد امسك عن قتل الولدان وقت ولادة موسى فلما بعث الله موسى اعاد القتل على بني اسرائيل عقوبة
لهم فيمتنع الناس من الايمان فلئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من اولادهم فشغلهم الله عن ذلك
بما انزل عليهم من انواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان الى ان خرجوا من مصر فاغرقهم
الله وهذا معنى قوله تعالى وما كيد فرعون الا في ضلال اي في خسران وهلاك وان الناس لا يمتنعون
من الايمان وان فعل بهم مثل هذا فكيده يذهب باطلا قوله تعالى **وقال فرعون ذروني اقتل**
موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد اقتل جزم لانه جواب وليدع
جزم لانه امر وذروني ليس بمجزوم وان كان امرا ولكن لفظه لفظ المجزوم وهو مبني وقيل هذا على
انه قيل لفرعون انا نخاف ان يدعو عليك فيجاب فقال وليدع ربه اي لا يهولنكم ما يذكر من ربه
فانه لا حقيقة له وانا ربكم الاعلى اني اخاف ان يبدل دينكم اي عبادتكم لي الى عبادة ربه وان يظهر في
الارض الفساد اي يقع بين الناس بسببه الخلاف وقراءة المدنيين وابي عبد الرحمن السلمي وابن عامر وابي
عمرو وان يظهر في الارض الفساد وقراءة الكوفيين او ان يظهر بفتح الياء في الارض الفساد بالرفع
وكذلك هي في مصاحف الكوفيين او بالف واليه يذهب ابو عبيد قال لان فيه زيادة حرف وفيه فصل
ولان او تكون بمعنى الواو النحاس وهذا عند حذاق النحويين لا يجوز ان يكون بمعنى الواو لان في ذلك
بطلان المعاني ولو جاز ان يكون بمعنى الواو لما احتيج الى هذا هاهنا لان معنى الواو واني اخاف الامرين جميعا
ومعنى او لاحد الامرين اي اني اخاف ان يبدل دينكم فان اعوزه ذلك اظهر في الارض الفساد
قوله تعالى **وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب** لما هدده فرعون
بالقتل استعاذ موسى بالله من كل متكبر اي متعظم عن الايمان بالله وصفته انه لا يومن بيوم الحساب
قوله تعالى **وقال رجل مومن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي**
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض

الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فيه اربع مسائل **المسالة الاولى** قوله تعالى وقال
رجل مومن ذكر بعض المفسرين ان اسم هذا الرجل حبيب وقيل شمعان بالشين المعجمة قال السهيلي وهو اصح
ما قيل فيه وفي تاريخ الطبري رحمه الله اسمه خبر وقيل حزقيل ذكره الثعلبي عن ابن عباس واكثر العلماء
الزمخشري واسمه سمعان او حبيب واختلف هل كان اسرائيليا او قبطيا فقال الحسن وغيره كان قبطيا
ويقال انه كان ابن عم فرعون قاله السدي قال وهو الذي نجا مع موسى عليه السلام ولهذا قال من ال فرعون
وهو المراد بقوله وجاء رجل من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا موسى الاية وهذا قول مقاتل وقال ابن عباس
لم يكن من ال فرعون مومن غيره وامراة فرعون وغير المومن الذي انذر موسى فقال ان الملا ياتمرون بك
وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تعجب من مشركي قومك وكان هذا الرجل له وجاهة عند
فرعون فلهذا لم يتعرض له بسوء وقيل كان هذا الرجل من بني اسرائيل يكتم ايمانه من ال فرعون عن السدي
ايضا ففي الكلام على هذا تقديم وتاخير والتقدير وقال رجل مومن يكتم ايمانه من ال فرعون فمن جعل الرجل
قبطيا فمن عنده متعلقة بمحذوف صفة لرجل التقدير وقال رجل مومن منسوب من ال فرعون ومن جعله
اسرائيليا فمن متعلقة بيكتم في موضع مفعول ثان ليكتم القشيري ومن جعله اسرائيليا ففيه بعد لانه
يقال كتمه امر كذا ولا يقال كتم منه قال الله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان فرعون يحتمل من
بني اسرائيل مثل هذا القول قوله تعالى اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي لان يقول ومن اجل ان يقول ربي
فان في موضع نصب بنزع الخافض وقد جاءكم بالبينات من ربكم يعني الايات التسع من ربكم فان يك كاذبا
فعليه كذبه ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن تلطفا في الاستكفاف واستنزالا عن
الاذى ولو كان وان يكن بالنون جاز ولكن حذفت النون لكثرة الاستعمال على قول سيبويه ولانها نون
الاعراب على قول ابي العباس وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم الا بعض الذي يعدكم
به هلكتم ومذهب ابي عبيدة ان معنى بعض الذي يعدكم كل الذي يعدكم وانشد قول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها … او يرتبط بعض النفوس حمامها

فبعض بمعنى كل لان البعض اذا اصابهم اكل لا محالة لدخوله في الوعيد وهذا ترفيق الكلام في الوعظ ذكره
الماوردي ان البعض قد يستعمل في الكل تلطفا في الخطاب وتوسعا في الكلام كما قال الشاعر

قد يدرك المتاني بعض حاجته … وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقيل ايضا قال ذلك لانه حذرهم انواعا من العذاب كل نوع منها مهلك فكانه حذرهم ان يصيبهم بعض
تلك الانواع وقيل وعدهم موسى بعذاب الدنيا او بعذاب الاخرة ان كفروا فالمعنى يصبكم احد العذابين
وقيل اي يصبكم هذا العذاب الذي يقوله في الدنيا وهو بعض الوعيد ثم يترادف العذاب في الاخرة
ايضا وقيل وعدهم العذاب ان كفروا والثواب ان امنوا فاذا كفروا يصبهم بعض ما وعدوا ان الله لا يهدي
من هو مسرف على نفسه كذاب على ربه اشارة الى موسى ويكون هذا من قول المومن وقيل مسرف في عناده
كذاب في ادعائه اشارة الى فرعون ويكون هذا من قول الله تعالى **الثانية** قال القاضي ابو بكر بن العربي
ظن بعضهم ان المكلف اذا كتم ايمانه ولم يلفظ بلسانه انه لا يكون مومنا باعتقاده وقد قال مالك ان الرجل اذا
نوى بقلبه طلاق زوجته انه يلزمه كما يكون مومنا بقلبه وكافرا بقلبه فجعل مدار الايمان على القلب وانه كذلك
لكن ليس على الاطلاق وقد بيناه في اصول الفقه بيانه ان المكلف اذا نوى الكفر بقلبه كان كافرا وان لم
يلفظ بلسانه واما اذا نوى الايمان بقلبه فلا يكون مومنا بحال حتى يلفظ بلسانه ولا تمنعه التقية والخوف
من ان يتلفظ بلسانه فيما بينه وبين الله تعالى انما تمنعه التقية من ان يسمعه غيره وليس من شرط الايمان
ان يسمعه الغير في صحته من التكليف وانما يشترط سماع الغير له ليكف عن نفسه وماله **الرابعة** روى
البخاري عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط
فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فاقبل ابو بكر
فاخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم لفظ البخاري خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث جعفر بن محمد عن
ابيه عن علي رضي الله عنهم قال اجتمعت قريش بعد وفاة ابي طالب بثلاث فارادوا قتل رسول الله صلى

في الثاني

وينادي المنادي بالشقوة والسعادة

الله عليه وسلم فاقبل هذا اجاءه وهذا ينتلتله فاستغاث النبي صلى الله عليه وسلم يوميذ فلم يغثه يوميذ احد
الا ابو بكر وله ضفيرتان فاقبل يجاذ او يتلتل ويقول باعلى صوته ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والله
انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت احدى ضفيرتي ابي بكر يوميذ فقال علي والله ليوم ابي بكر خير من
مومن آل فرعون ان ذلك رجل كتم ايمانه فاثنى الله عليه في كتابه وهذا ابو بكر اظهر ايمانه يريد في اول امره
بخلاف الصديق فانه اظهر ايمانه ولم يكتمه والا فالقران مصرح بان مومن آل فرعون اظهر ايمانه لما ارادوا
قتل موسى عليه السلام على ما ياتي بيانه وفي نوادر الاصول عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها قالوا لها ما اشد
شي رايت من المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون قعود في المسجد
يتذاكرون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهتهم فبينما هم كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقاموا اليه باجمعهم وكانوا اذا سالوه عن شي صدقهم فقالوا له الست تقول كذا في الهتنا قال بلى
قال فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى ابي بكر فقال له ادرك صاحبك فخرج من عندنا وان له غدايرفدخل
المسجد وهو يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات من ربكم فلهوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر فرجع الينا ابو بكر فجعل لا يمس شيا من غدايره الا جا معه وهو يقول
تباركت يا ذا الجلال والاكرام اكراما اكراما **قوله تعالى** يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض
فمن ينصرنا من باس الله ان جانا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا قوم
لكم الملك اليوم هذا من قول مومن آل فرعون وفي قوله يا قوم دليل على انه قبطي وكذلك اضافهم الى نفسه
فقال يا قوم ليكونوا اقرب الى قبول وعظه لكم الملك فاشكروا الله على ذلك ظاهرين في الارض اي غالبين وهو
نصب على الحال اي في حال ظهوركم والمراد بالارض ارض مصر في قول السدي وغيره كقوله وكذلك مكنا ليوسف
في الارض اي في ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جانا اي من عذاب الله تحذيرا لهم من نقمه اذ كان موسى صادقا
فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور حجته فقال ما اريكم الا ما ارى قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ما اشير عليكم الا
بما ارى لنفسي وما اهديكم الا سبيل الرشاد في تكذيب موسى والايمان بي **قوله تعالى** وقال
الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما
الله يريد ظلما للعباد وقال الذي امن يا قوم زادهم في الوعظ اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب يعني ايام
العذاب التي عذب فيها المتحزبون على الانبيا المذكورون فيما بعد **قوله تعالى** ويا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد زاد في الوعظ والتخويف وافصح عن ايمانه اما مستسلما موطنا نفسه
على القتل او واثقا بانهم لا يقصدونه بسوء وقد وقاه الله شرهم بقوله الحق فوقاه الله سيات ما مكروا وقرا
العامة التناد بتخفيف الدال وهو يوم القيامة وقال امية بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحاها ... فهم سكانها حتى التناد

سمي بذلك لمناداة الناس بعضهم بعضا فينادي اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم وينادي اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادي اصحاب النار ان افيضوا علينا من الماء وينادي المنادي
اهلها بالشقوة والسعادة الا ان فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا الا ان فلان بن فلان
قد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وهذا عند وزن الاعمال وتنادي الملائكة اصحاب الجنة ان تلكموا
الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وينادي حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود
لا موت وينادي كل قوم بامامهم الى غير ذلك من النداء وقرا الحسن وابن السميقع ويعقوب وابن كثير
ومجاهد التنادي باثبات اليا في الوصل والوقف على الاصل وقرا ابن عباس والضحاك وعكرمة يوم التناد
بتشديد الدال قال بعض اهل العربية هذا لحن لانه من ند يند اذا مر على وجهه هاربا كما قال الشاعر

وبرك هجود قد اثارت مخافتي ... نواديها اسعى بعضب مجرد

قال فلا معنى لهذا في القيامة قال ابو جعفر النحاس وهذا غلط والقراءة بها حسنة على معنى يوم التنافر
قال الضحاك ذلك اذا سمعوا بزفير جهنم ندوا هربا فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا وجدوا صفوفا
من الملائكة فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله يوم التناد وقوله يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا الاية وقوله والملك على ارجائها

احوال القلب

ذكره ابن المبارك بمعناه قال واخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال حدثنا عبد الجبار بن عبيد الله بن سلمان
في قوله اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم تستجيب لهم اعينهم بالدمع فيبكون حتى ينفد
الدمع فتغور اعينهم كالخرق في الطين وقيل ان هذا يكون عند نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الفزع
ذكره علي بن معبد الطبري وغيرهما من حديث ابي هريرة فتكون الارض كالسفينة في البحر تضربها
الامواج فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما في بطونها وتشيب الولدان وتطير الشياطين
هاربة فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهي التي يقول الله تعالى
يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد الحديث بكماله وقد ذكرناه في
كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هناك وروى علي بن نصر عن ابي عمرو اسكان الدال من التناد في الوصل
خاصة وهو مذهب ورش والمشهور عن ابي عمرو حذفها في الحالين وكذلك سائر السبعة سوى ورش على ما
ذكرنا عنه وسوى ابن كثير على ما تقدم وقيل سمي يوم القيامة يوم التناد لان الكافر ينادي فيه بالويل
والحسرة والثبور قاله ابن جريج وقيل فيه اضمار اي اني اخاف عليكم عذاب يوم التناد فالله اعلم يوم تولون مدبرين على
البدل من يوم التناد ومن يضلل الله فما له من هاد اي من خلق الله في قلبه الضلال فلا هادي له وفي قايله قولان
احدهما الثاني موسى الثاني مومن ال فرعون وهو الاظهر والله اعلم **قوله تعالى** ولقد جاكم يوسف من قبل
بالبينات فما زلتم في شك مما جاكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل
الله من هو مسرف مرتاب قيل ان هذا من قول موسى وقيل هو من تمام وعظ مومن ال فرعون ذكرهم قديم عتوهم
على الانبيا واراد يوسف بن يعقوب جاءهم بالبينات ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قال ابن جريج
هو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولا الى القبط بعد موت الملك من قبل موسى بالبينات وهي الرويا وقال
ابن عباس هو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولا عليهم السلام اقام فيهم نبيا عشرين سنة وحكى النقاش
عن الضحاك ان الله تعالى بعث اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف وقال وهب بن منبه ان فرعون موسى هو
فرعون يوسف عمر وغيره يقول هو آخر النحاس وليس في الاية ما يدل على انه هو لانه اذا اتى بالبينات نبي
لمن معه ولمن بعده فقد جاءهم جميعا بها وعليهم ان يصدقوه بها فما زلتم في شك مما جاكم به اي اسلافكم
كانوا في شك حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي من يدعي الرسالة كذلك يضل الله اي
مثل ذلك الضلال يضل الله من هو مسرف مشرك مرتاب شاك في وحدانيته الله تعالى **قوله تعالى**
الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار الذين يجادلون في ايات الله اي في حججه الظاهرة بغير سلطان اي
بغير حجة وبرهان والذين في موضع نصب على البدل من من وقال الزجاج اي كذلك يضل الله الذين يجادلون
في ايات الله فالذين نصب قال ويجوز ان يكون رفعا على معنى هم الذين او على الابتداء والخبر كبر مقتا قيل
هذا من كلام مومن ال فرعون وقيل ابتدا خطاب من الله تعالى مقتا على البيان اي كبر جدالهم مقتا
كقوله كبرت كلمة ومقت الله تعالى ذمه لهم ولعنه اياهم واحلال العذاب بهم كذلك اي كما طبع على
قلوب هولاء المجادلين فكذلك يطبع اي يختم على كل قلب متكبر جبار حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق وقراءة
العامة على كل قلب متكبر باضافة قلب الى المتكبر واختاره ابو حاتم وابو عبيد وفي الكلام حذف والمعنى
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فحذف الثانية لتقدم ما يدل عليه واذا لم يقدر حذف كل لها
لم يستقم المعنى لانه يصير معناه انه يطبع على جميع قلبه وليس المعنى عليه وانما المعنى انه يطبع على قلوب
المتكبرين الجبارين قلبا قلبا ومما يدل على حذف كل قول ابي داود

اكل امرء تحسبين امرءا ... ونار توقد بالليل نارا

يريد وكل نار وفي قراءة ابن مسعود على قلب كل متكبر فهذه قراءة على التفسير والاضافة وقرا ابو عمرو وابن محيصن
وابن ذكوان عن اهل الشام قلب منون على ان متكبر نعت للقلب فكنى بالقلب عن الجملة لان القلب هو الذي
يتكبر وسائر الاعضا تبع له ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد
واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهي القلب ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل
الصفة لصاحب القلب **قوله تعالى** وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا لما قال مومن ال فرعون ما قال وخاف فرعون ان

يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب القوم او هزانه بمنحي ما جاء به من التوحيد فان بان له صوابه لم يخفه عنهم
وان لم يصح ثبتهم على دينهم فامر وزيره هامان ببناء الصرح وقد مضى في القصص ذكره لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات بدل من الاول واسباب السماء ابوابها في قول قتادة والسدي والاخفش وانشد

ومن خاف اسباب المنايا ينلنه ‍ ‍ ‍ ولو رام اسباب السماء بسلم

وقال ابو صالح اسباب السموات طرقها وقيل الامور التي تستمسك بها السموات وكرر اسباب
تفخيما لان الشيء اذا ابهم ثم اوضح كان تفخيما لشانه فاطلع الى اله موسى فانظر اليه نظر مشرف
عليه توهم انه جسم تحويه الاماكن وكان فرعون يدعي الالهية ويرى تحقيقها بالجلوس في مكان مشرف
وقراءة العامة فاطلع بالرفع نسقا على قوله ابلغ وقرا الاعرج والسلمي وعيسى وحفص فاطلع بالنصب
قال ابو عبيدة على جواب لعل بالفا النحاس ومعنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت الاسباب
اطلعت ومعنى الرفع لعلي ابلغ الاسباب ثم لعلي اطلع بعد ذلك الا ان ثم اشد تراخيا من الفاء واني لاظنه
كاذبا اي واني لاظن موسى كاذبا في ادعائه الها دوني وانما افعل ما افعل لازاحة العلة وهذا يوجب
شك فرعون في امر الله وقيل ان الظن بمعنى اليقين اي وانا اتيقن انه كاذب وانما اقول ما اقوله لازالة
الشبهة عمن لا يتيقن ما تيقنته **قوله تعالى** وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن
السبيل وما كيد فرعون الا في تباب اي كما قال هذه المقالة وارتاب زين له الشيطان او زين له سوء
عمله اي الشرك والتكذيب وصد عن السبيل قراءة الكوفيين وصد على ما لم يسم فاعله واختيار ابي عبيدة
وابي حاتم ويجوز على هذه القراءة وصد بكسر الصاد نقلت كسرة الدال على الصاد وهي قراءة يحيى بن وثاب
وعلقمة وقرا ابن ابي اسحاق وعبد الرحمن بن ابي بكرة وصد عن السبيل بالرفع والتنوين الباقون وصد بفتح
الصاد والدال اي صد فرعون الناس عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب اي في خسران وضلال
ومنه تبت يدا ابي لهب وقوله وما زادوهم غير تتبيب وفي موضع غير تخسير فبدا الله صرحه وغرقه
هو وقومه على ما تقدم **قوله تعالى** وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
هذا من تمام ما قاله مومن ال فرعون اي اقتدوا بي في الدين اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى وهو
الجنة وقيل من قول موسى وقرا معاذ بن جبل الرشاد بتشديد الشين وهو لحن عند اكثر اهل العربية
لانه انما يقال ارشد يرشد ولا يقال فعال من افعل انما يكون من الثلاثي فان اردت التكثير من الرباعي
قلت مفعال قال النحاس يجوز ان يكون الرشاد بمعنى يرشد لا على انه مشتق منه ولكن كما يقال لال من
اللؤلؤ فهو بمعناه وليس جاريا عليه ويجوز ان يكون رشاد من رشد يرشد اي صاحب رشاد كما قال

كليني لهم يا اميمة ناصب

الزمخشري وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام
او من رشد بالفتح كعباد وقيل من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجئ الا في عدة
احرف نحو دراك وسئار وحصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد
كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل ووقع في المصحف اتبعون بغير ياء وقراها يعقوب وابن كثير بالاثبات
في الوصل والقطع وحذفها ابو عمرو ونافع في الوقف واثبتوها في الوصل الا ورشا حذفها في الحالين وكذلك
الباقون لانها وقعت في المصحف بغير ياء ومن اثبتها فعلى الاصل **قوله تعالى** يا قوم انما
هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل
صالحا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي يتمتع بها قليلا
ثم تنقطع بالدار الاخرة الجنة والنار لانهما لا يفنيان بين ذلك بقوله من عمل سيئة يعني الشرك
فلا يجزى الا مثلها وهو العذاب ومن عمل صالحا قال ابن عباس يريد قول لا اله الا الله وهو مومن
بقلبه لله وللانبيا فاولئك يدخلون الجنة بضم الياء على ما لم يسم فاعله وهي قراءة ابن كثير
وابن محيصن وابي عمرو ويعقوب وابي بكر عن عاصم يدل عليه يرزقون فيها بغير حساب الباقون
يدخلون بفتح الياء **قوله تعالى** ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر
بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له
دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون
ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى طريق الايمان

الظن بمعنى اليقين

الموصل الى الجنان وتدعونني الى النار بين ان ما قال فرعون من قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد سبيل الغي
عاقبته النار وكانوا دعوه الى اتباعه ولهذا قال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وهو فرعون
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم تقدم الكلام فيه ومعناه حقا انما تدعونني اليه ما بمعنى الذي ليس
له دعوة قال الزجاج ليس له استجابة دعوة تنفع وقال غيره ليس له دعوة توجب له الالوهية في الدنيا
ولا في الاخرة وقال الكلبي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الاخرة وكان فرعون اولا يدعو الناس الى
عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فاذا هرمت امر بذبحها ثم دعا باخرى
لتعبد ثم لما طال عليه الزمان قال انا ربكم الاعلى وان المسرفين هم اصحاب النار قال قتادة وابن سيرين
يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي هم السفهاء السفاكون للدماء بغير حقها وقال عكرمة الجبارون
المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله وهذا جامع لما ذكر وان في المواضع الثلاثة في موضع نصب
باسقاط حرف الجر فعلى ما حكاه سيبويه من الخليل من ان لا جرم رد لكلام يجوز ان يكون موضع ان رفعا على
تقدير وجب انما تدعونني اليه كانه قال وجب بطلان ما تدعونني اليه والمرد الى الله وكون المشركين اصحاب
النار وقوله فستذكرون ما اقول لكم تهديد ووعيد وما يجوز ان يكون بمعنى الذي اي الذي اقوله لكم ويجوز ان
يكون مصدرية اي فستذكرون قولي لكم اذا حل بكم العذاب وافوض امري الى الله اي اتوكل عليه واسلم امري
الى الله وقيل هذا يدل على انهم ارادوا قتله وقال مقاتل هرب هذا المومن الى الجبل فلم يقدروا عليه وقد
قيل القائل موسى والاظهر انه مومن ال فرعون وهو قول ابن عباس **قوله تعالى** فوقاه الله سيئات
ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة
ادخلوا ال فرعون اشد العذاب فوقاه الله سيئات ما مكروا اي من الحاق انواع العذاب به فطلبوه
فما وجدوه لانه فوض امره الى الله قال قتادة وكان قبطيا فنجاه الله مع بني اسرائيل فالهاء على هذا المومن
ال فرعون وقيل انها لموسى على ما تقدم من الخلاف وحاق بال فرعون سوء العذاب قال الكسائي
يقال حاق يحيق حيقا وحيوقا اذا نزل ولزم ثم بين العذاب فقال النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وفيه
ستة اوجه يكون رفعا على البدل من سوء ويجوز ان يكون بمعنى هو النار ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء
وقال الفراء يكون مرفوعا بالعائد على معنى النار يعرضون عليها فهذه اربعة اوجه في الرفع واجاز الفراء
النصب لان بعدها عائدا وقبلها ما يتصل به واجاز الاخفش الخفض على البدل من العذاب والجمهور على ان
هذا العرض في البرزخ واحتج بعض اهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا ما دامت الدنيا كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال هذه الاية تدل على
عذاب القبر في الدنيا الا تراه يقول عن عذاب الاخرة ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
وفي الحديث عن ابن مسعود ان ارواح ال فرعون ومن كان مثلهم من الكفار يعرض على النار بالغداة
والعشي فيقال هذه داركم وعنه ايضا ان ارواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين
فذلك عرضها وروى شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت ميمون بن ميسرة يقول كان ابو هريرة اذا اصبح
ينادي اصبحنا والحمد لله وعرض ال فرعون على النار واذا امسى نادى امسينا والحمد لله وعرض ال فرعون
على النار فلا يسمع ابا هريرة احد الا تعوذ بالله من النار وفي حديث صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر اذا مات عرض على النار بالغداة والعشي ثم تلا النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا وان المومن اذا مات عرض روحه على الجنة بالغداة والعشي وخرج البخاري ومسلم
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله
اليه يوم القيامة قال الفراء في الغداة والعشي بمقادير ذلك في الدنيا وهو قول مجاهد قال غدوا وعشيا قال
من ايام الدنيا وقال حماد بن محمد الفزاري قال رجل للاوزاعي رايناطيورا تخرج من البحر تاخذ ناحية الغرب
بيضا صغارا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله فاذا كان العشاء رجعت مثلها سودا قال تلك الطيور في
حواصلها ارواح ال فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى اوكارها وقد احترقت رياشها وصارت
سودا فينبت عليها من الليل ريشا بيضا وتتناثر السود ثم تغدو فتعرض على النار غدوا وعشيا ثم ترجع
الى وكرها فذلك دابها ما كانت في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ادخلوا ال فرعون

رايناطيورا تخرج من البحر
بيضا صغارا فوجا فوجا

اشد العذاب وهو الهاوية قال الاوزاعي بلغنا انهم الفا الف وستمائة الف وعدوا مصدر جعل ظرفا
على السعة وعشيا عطف عليه وتم الكلام ثم تبتدي ويوم تقوم الساعة على ان ينتصب يوما بقولهم ادخلوا
ويجوز ان يكون منصوبا بيعرضون على معنى يعرضون على النار في الدنيا ويوم تقوم الساعة فلا يوقف
عليه وقرا نافع واهل المدينة وحمزة والكسائي ادخلوا بقطع الالف وكسر الخاء من ادخل وهي اختيار ابي
عبيد اي يامر الله الملائكة ان يدخلوهم ودليله النار يعرضون عليها الباقون ادخلوا بوصل الالف
وضم الخاء من دخل اي يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب وهو اختيار ابي حاتم قال في القراة
الاولى مفعول واشد مفعول ثان بحذف الجر وفي القراءة الثانية منصوب لانه نداء مضاف وال فرعون
من كان على دينه وعلى مذهبه واذا كان من كان على دينه ومذهبه في اشد العذاب كان هو اقرب الى ذلك
وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد يولد مومنا ويحيا مومنا ويموت مومنا منهم يحيى بن
زكريا ولد مومنا وحيي مومنا ومات مومنا وان العبد ليولد كافرا ويحيي كافرا ويموت كافرا منهم فرعون
ولد كافرا وحيي كافرا ومات كافرا ذكره النحاس وجعل الفرا في الاية تقديما وتاخيرا مجازه ادخلوا
ال فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فجعل العرض في الاخرة وهو خلاف ما ذهب
اليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدم والله اعلم **قوله تعالى** وَاذ يتحاجون في النار
فيقول الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله نصيبا
من النار وقال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد واذ يتحاجون في
النار اي يختصمون فيها فيقول الضعفا للذين استكبروا عن الانقياد للانبيا انا كنا لكم تبعا فيما دعوتمونا
اليه من الشرك في الدنيا فهل انتم مغنون اي متحملون عنا نصيبا من النار اي جزءا من العذاب والتبع
يكون واحدا وجمعا في قول البصريين واحده تابع وقال اهل الكوفة هو جمع لا واحد له كالمصدر فلذلك
لم يجمع ولم يقل اتباع قال الذين استكبروا انا كل فيها اي في جهنم قال الاخفش كل مرفوع بالابتداء واجاز
الكسائي والفرا انا كلا فيها بالنصب على النعت والتاكيد للضمير في انا وكذلك قرا ابن السميقع
وعيسى بن عمر والكوفيون يسمون التاكيد نعتا ومنع ذلك سيبويه قال لان كلا لا تنعت ولا ينعت بها
ولا يجوز فيها البدل لان المخبر عن نفسه لا يبدل منه غيره وقال معناه المبرد قال لا يجوز ان يبدل من
المضمر هنا لانه مخاطب ولا يبدل من المخاطب ولا من المخاطب لانهما لا يشكلان فيبدل منهما هذا نص
كلامه ان الله قد حكم بين العباد اي بان لا يوخذ احد بذنب غيره فكل منا كافر **قوله تعالى**
وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم
رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقال الذين في النار لخزنة
جهنم من الامم الكافرة ومن العرب من يقول اللذون على انه جمع مسلم معرب ومن قال الذين في الرفع بناه
كما كان في الواحد مبنيا وقال الاخفش ضمت النون الى الذين فاشبه خمسة عشر فبني على الفتح لخزنة جهنم
جمع خازن ويقال خزان وخزن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب يخفف جواب مجزوم وان كان
بالفا كان منصوبا الا ان الاكثر في كلام العرب في جواب الامر وما اشبهه ان يكون بغير فاء وعلى
هذا جاء القران بافصح اللغات كما قال ———
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل قال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل
النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من
العذاب فسالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فردت عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال الخبر بطوله وفي الحديث عن ابي الدردا اخرجه
الترمذي وغيره قال يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون منه فيغاثون
بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فياكلونه فلا يغني عنهم شيا فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة
فيغصون به فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالما فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم الحميم
بالكلاليب فاذا دنى من وجوههم شواها فاذا وقع في بطونهم قطع امعاءهم وما في بطونهم فيستغيثون
بالملائكة يقولون ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي خسار وتبار **قوله تعالى** انا لننصر

في حق فرعون

رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة
ولهم سوء الدار انا لننصر رسلنا ويجوز حذف الضمة لثقلها فيقال رسلنا والمراد موسى عليه السلام والذين
امنوا في موضع نصب عطف على الرسل والمراد المومن الذي وعظ وقيل هو عام في الرسل والمومنين ونصرهم بالغلبة
بالحجج والفلاح في قول ابي العالية وقيل بالانتقام من اعدائهم قال السدي ما قتل قوم قط نبيا او قوما من
دعاة الحق من المومنين الا بعث الله عز وجل من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وان قتلوا قوله تعالى ويوم
يقوم الاشهاد يعني يوم القيامة قال زيد بن اسلم الاشهاد اربعة الملائكة والنبيون والمومنون والاجساد
وقال مجاهد والسدي الاشهاد الملائكة تشهد للانبيا بالابلاغ وعلى الامم بالتكذيب وقال قتادة الملائكة
والانبيا ثم قيل الاشهاد جمع شهيد مثل شريف واشراف وقال الزجاج الاشهاد جمع شاهد مثل صاحب
واصحاب النحاس ليس باب فاعل ان يجمع على افعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء منه مسموعا ادي على ما يسمع
وكان على حذف الزائد واجاز الاخفش والفرا ويوم تقوم الاشهاد بالتاء على تانيث الجماعة وفي الحديث
عن ابي الدردا وبعض المحدثين يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه المسلم كان حقا على الله
عز وجل ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا انا لننصر رسلنا والذين امنوا وعنه عليه السلام انه قال من حمى مومنا من
منافق يغتابه بعث الله عز وجل ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من النار ومن ذكر مسلما بشي يشينه به وقفه
الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال يوم بدل من الاول لا ينفع الظالمين معذرتهم قرا نافع والكوفيون ينفع بالياء
الباقون بالتاء ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اللعنة البعد من رحمة الله وسوء الدار جهنم **قوله تعالى**
ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب ولقد اتينا موسى
الهدى هذا داخل في نصرة الرسل في الدنيا والاخرة اي اتيناه التوراة والنبوة وسميت التوراة هدى بما فيها
من الهدى والنور في التنزيل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور واورثنا بني اسرائيل الكتاب يعني
التوراة جعلناها لهم ميراثا وهدى بدل من الكتاب ويجوز بمعنى هو هدى يعني ذلك الكتاب وذكرى لاولي
الالباب اي موعظة لاصحاب العقول **قوله تعالى** فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير اي فاصبر يا محمد على اذى المشركين كما
صبر من قبلك ان وعد الله حق بنصرك واظهارك كما نصرت موسى وبني اسرائيل وقال الكلبي نسخ هذا باية
السيف واستغفر لذنبك قيل لذنب امتك حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل لذنب نفسك
على من يجوز الصغائر على الانبيا ومن قال لا يجوز قال هذا تعبد للنبي صلى الله عليه وسلم بالدعا كما قال
واتنا ما وعدتنا والفايدة زيادة الدرجات وان يصير الدعا سنة لمن بعده فاستغفر الله من ذنب صدر
منك قبل النبوة وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار يعني صلاة الفجر وصلاة العصر قاله الحسن وقتادة وقيل
هي صلاة كانت بمكة قبل ان تفرض الصلوات الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية عن الحسن ايضا ذكره الماوردي
فيكون هذا مما نسخ والله اعلم وقوله بحمد ربك اي بالشكر له والثنا عليه وقيل وسبح بحمد ربك اي استدم
التسبيح في الصلاة وخارجا منها لتشتغل بذلك عن استعجال النصر **قوله تعالى** ان الذين يجادلون
في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع
البصير ان الذين يجادلون يخاصمون في ايات الله بغير سلطان اي حجة اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما
هم ببالغيه قال الزجاج المعنى ما في صدورهم الا كبر ما هم ببالغي ارادتهم فيه قدره على الحذف
وقال غيره المعنى ما هم ببالغي الكبر على غير حذف لان هؤلاء قوم راوا انهم ان اتبعوا النبي صلى الله عليه
وسلم قل ارتفاعهم ونقصت احوالهم وانهم يرتفعون اذا لم يكونوا تبعا فاعلم الله عز وجل انهم لا يبلغون
الارتفاع الذي املوه بالتكذيب والمراد المشركون وقيل اليهود فالاية مدنية على هذا كما تقدم اول
السورة والمعنى ان تعظموا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الدجال سيخرج عن قرب فيرد الملك
الينا وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله تعالى فنزلت الاية فيهم قاله ابو العالية وغيره وقد تقدم
في ال عمران انه يخرج ويطا البلاد كلها الا مكة والمدينة وقد ذكرناه مستوفى في كتاب التذكرة وهو يهودي
واسمه صاف ويكنى ابا يوسف وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا احسن لانه يعم وقال مجاهد
معناه في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها والمعنى واحد وقيل المراد بالكبر الامر الكبير اي يطلبون النبوة

او امر اكبر ما يصلون به اليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك او يتمنون موتك قبل ان يتم دينك ولا يبلغونه
قوله تعالى فاستعذ بالله قيل من فتنة الدجال على قول من قال ان الاية نزلت في اليهود وعلى القول الاخر
من شر الكفار وقيل من ما ابتلوا به من الكبر والكفر انه هو السميع البصير هو يكون فاصلا ويكون مبتدا
وما بعده خبره والجملة خبر ان على ما تقدم **قوله تعالى** لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس ولكن اكثرهم لا يعلمون لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس مبتدا وخبره
قال ابو العالية اي اعظم من خلق الدجال حين عظمته وقال يحيى بن سلام هو احتجاج على منكري البعث اي هما
اكبر من اعادة خلق الناس فلم اعتقدوا عجزي عنها ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك **قوله تعالى**
وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون وما يستوي
الاعمى والبصير اي المومن والكافر والضال والمهتدي والذين امنوا وعملوا الصالحات اي ولا يستوي العامل للصالحات
ولا المسيء الذي يعمل السيئات قليلا ما تتذكرون قراءة العامة بياء على الخبر واختاره ابو عبيد وابو حاتم
لاجل ما قبله من الخبر وما بعده وقرا الكوفيون بالتاء على الخطاب **قوله تعالى** ان الساعة لاتية لا ريب
فيها ولكن اكثر الناس لا يومنون ان الساعة لاتية هذه لام التاكيد دخلت في خبر ان وسبيلها ان تكون
في اول الكلام لانها توكيد الجملة لا انها تزحلف عن موضعها كذا قال سيبويه تقول ان عمرا لخارج وانما اخرت
عن موضعها لئلا يجمع بينها وبين ان لانهما يوديان عن معنى واحد وكذا لا يجمع بين ان وان عند البصريين
واجاز هشام ان ان زيدا لمنطلق حق فان حذفت حقا لم يجز عند احد من النحويين علمته قاله النحاس لا ريب
فيه لا شك ولا مرية ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بها وعندها يتبين فرق ما بين الطائع والعاصي
قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين روى النعمان بن بشير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الدعا هو العبادة ثم قرا وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح
فدل هذا ان الدعا هو العبادة وكذا قال اكثر المفسرين وان المعنى وحدوني واعبدوني اتقبل عبادتكم
واغفر لكم وقيل هو الذكر والدعا والسوال قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم ربه حاجته
كلها حتى شسع نعله اذا انقطع ويقال الدعا هو ترك الذنوب وحكى قتادة ان كعب الاحبار قال اعطيت هذه
الامة ثلاثا لم تعطهن امة قبلهن الا نبي كان اذا ارسل نبي قيل انت شاهد على امتك وقال تعالى لهذه
الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم ليس عليك في الدين من حرج وقال
لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي ادعني استجب لكم وقال لهذه الامة ادعوني
استجب لكم قال الشيخ رحمه الله مثل هذا لا يقال من جهة الراي وقد جا مرفوعا رواه ليث عن شهر بن حوشب
عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعطيت امتي ثلاثا لم تعط الا الانبيا كان
الله تعالى اذا بعث النبي قال ادعني استجب لك وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم وكان الله اذا بعث
النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما جعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من
حرج وكان الله اذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهدا على الناس ذكره
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وكان خالد الربعي يقول عجبت لهذه الامة قيل لها ادعوني استجب لكم
امرهم بالدعا ووعدهم الاجابة وليس بينهما شرط قال له قائل مثل ماذا قال مثل قوله تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق فليس فيه شرط العمل ومثل قوله ادعوا الله مخلصين له الدين فها هنا شرط وقوله ادعوني
استجب لكم ليس فيه شرط فكانت الامة تفزع الى انبيائها في حوائجهم حتى تسال الانبياء لهم ذلك وقد
قيل ان هذا من باب المطلق والمقيد على ما تقدم في البقرة بيانه اي استجب لكم ان شئت كقوله فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء وقد يكون الاستجابة في غير عين المطلوب على حديث ابي سعيد الخدري على ما تقدم
في البقرة بيانه فتامله وقرا ابن كثير وابن محيصن ورويس عن يعقوب وعباس عن ابي عمرو وابو بكر والمفضل
عن عاصم سيدخلون بضم اليا وفتح الخا على ما لم يسم فاعله الباقون يدخلون بفتح اليا وضم الخا ومعنى داخرين
صاغرين اذلا وقد تقدم **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله
لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون جعل هنا بمعنى خلق والعرب تفرق بين جعل اذا كانت
بمعنى خلق وبين جعل اذا لم يكن بمعنى خلق فاذا كانت بمعنى خلق فلا يعديها الا الى مفعول واحد واذا

اعطيت امتي ثلاثا لم تعط الا الانبيا

لم يكن بمعنى خلق عدتها الى مفعولين نحو قولنا انا جعلناه قرانا عربيا وقد مضى هذا المعنى في غير موضع والنهار
مبصرا اي مضيا للبصر وانيه حوائجكم وتتصرفوا في طلب معاشكم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون فضله وانعامه عليهم **قوله تعالى** ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون
كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء بين الدلالة على وحدانيته وقدرته لا اله
الا هو فانى تؤفكون اي كيف تنقلبون وتنصرفون عن الايمان بعد ان بينت لكم الدلالة كذلك اي كما صرفتم
عن الحق مع قيام الدليل عليه فكذلك يصرف عن الحق الذين كانوا بايات الله يجحدون **قوله تعالى** الله الذي
جعل لكم الارض قرارا والسما بنا وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك
الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين الله الذي جعل لكم
الارض قرارا زاد في تاكيد التعريف والدليل اي جعل لكم الارض مستقرا لكم في حياتكم وبعد الموت والسما
بنا تقدم وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم في احسن صورة وقرا ابو رزين والاشهب العقيلي صوركم بكسر
الصاد قال الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة وينشد هذا البيت على هذه اللغة يصف
الجواري

اشبهن من بقر الخلصا اعينها ... وهن احسن من صيرانها صورا

وقد جمعها الشاعر بقوله

اذا لاح الصوار ذكرت ليلى ... واذكرها اذا نفخ الصوار

والصيار لغة فيه ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين تقدم هو الحي اي الباقي الذي لا
يموت لا اله الا هو فادعوا الله مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة الحمد لله رب العالمين قال الفرا هو خبر
وفيه اضمار امر اي ادعوه واحمدوه وقد مضى هذا كله مستوفى في البقرة وغيرها وقال ابن عباس من
قال لا اله الا الله فليقل الحمد لله رب العالمين **قوله تعالى** قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين اي قل يا محمد نهاني الله الذي
هو الحي ولا اله غيره ان اعبد غيره لما جاءني البينات من ربي اي دلائل توحيده وامرت ان اسلم اي اذل واخضع
لرب العالمين وكانوا دعوه الى دين ابائه فامر ان يقول هذا **قوله تعالى** هو الذي خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى
من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وقد تقدم هذا ثم لتبلغوا
اشدكم وهي حالة اجتماع القوة وتمام العقل وقد مضى في الانعام بيانه ثم لتكونوا شيوخا بضم الشين قراءة
نافع وابن محيصن وحفص وهشام ويعقوب وابو عمرو على الاصل لانه جمع فعل نحو قلب وقلوب وراس ورووس
وقرا الباقون بكسر الشين لمراعاة اليا وكلاهما جمع كثرة وفي العدد القليل اشياخ والاصل اشيخ
مثل فلس وافلس الا ان الحركة في اليا ثقيلة وقرئ وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم
واقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس وفي الصحاح جمع الشيخ شيوخ واشياخ وشيخة وشيخان ومشيخة
ومشايخ ومشيوخا والمراة شيخة قال عبيد

كانها شيخة رقوب

وقد شاخ الرجل يشيخ شيخا بالتحريك على اصله وشيخوخة واصل اليا متحركة فسكنت لانه ليس في
الكلام فعلول وشيخت تشييخا اي شاخ ودعوته شيخا للتبجيل وتصغير الشيخ شييخ وشيخ ايضا بكسر الشين
ولا تقل شويخ النحاس وان اضطر شاعر جاز ان يقول اشيخ مثل عين واعين الا انه حسن في عين لانها مونثة
والشيخ من جاوز اربعين سنة ومنكم من يتوفى من قبل ان يكون شيخا او من قبل هذه الاحوال اذا
خرج سقطا ولتبلغوا اجلا مسمى قال مجاهد الموت للكل واللام لام العاقبة ولعلكم تعقلون ذلك فتعلموا
ان لا اله غيره **قوله تعالى** هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون هو
الذي يحيي ويميت زاد في التنبيه اي هو الذي يقدر على الاحيا والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد فعله
قال له كن فيكون ونصب فيكون ابن عامر على جواب الامر وقد مضى في البقرة القول فيه **قوله تعالى**
الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا
فسوف يعلمون قال ابن زيد هم المشركون بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا وقال
اكثر المفسرين نزلت في القدرية قال ابن سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت في القدرية فلا ادري فيمن
نزلت وقال ابو قبيل لا احسب المكذبين بالقدر الا الذين يجادلون الذين امنوا وقال عقبة بن عامر
قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في القدرية ذكره المهدوي **قوله تعالى** اذ الاغلال

في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من
دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيا كذلك يضل الله الكافرين اذ الاغلال في اعناقهم
اي عن قريب يعلمون بطلان ما هم فيه فاذا دخلوا النار وغلت ايديهم الى اعناقهم قال التيمي لو ان غلا من
اغلال جهنم جعل على جبل لوهصه حتى يبلغ الماء الاسود الوهص كسر الشي الرخو وقد وهصه والوهص شدة
الوطي وفي الحديث ان ادم عليه السلام حين اهبط من الجنة وهصه الله كانه رمي به وعمزه الى الارض قاله في
الصحاح والسلاسل بالرفع قراءة العامة عطفا على الاغلال قال ابو حاتم يسحبون مستانف على هذه القراءة
وقال غيره هو في موضع نصب على الحال والتقدير اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل مسحوبين وقرا ابن عباس
وابو الجوزا وعكرمة وابن مسعود والسلاسل بالنصب يسحبون بفتح الياء والتقدير في هذه القراءة ويسحبون
السلاسل قال ابن عباس اذا كانوا يجرونها فهو اشد عليهم وحكي عن بعضهم والسلاسل بالجر ووجهه انه محمول
على المعنى لان المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل قاله الفرا وقال الزجاج ومن قرا السلاسل يسحبون
بالخفض فالمعنى عنده وفي السلاسل يسحبون قال ابن الانباري والخفض على هذا المعنى غير جائز لانك اذا
قلت في الدار لم يحسن ان تضمر في فتقول زيد الدار ولكن الخفض جائز على معنى اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل
فتخفض السلاسل على النسق على تاويل الاغلال لان الاغلال في تاويل خفض كما تقول خاصم عبد زيد العاقلين
فتنصب العاقلين ويجوز رفعها لان احدهما اذا خاصم صاحبه فقد خاصمه صاحبه انشد الفرا

قد سالمت الحيات منه القدما ... الافعوان والشجاع الشجعما

فنصب الافعوان على الاتباع للحيات اذا سالمت القدم فقد سالمها القدم فمن نصب السلاسل وخفضها
لم يقف عليها والحميم المتناهي في الحر وقيل الصديد المغلي ثم في النار يسجرون اي يطرحون فيها فيكونون وقودا
لها قاله مجاهد يقال سجرت التنور اذا اوقدته وسجرته ملاته ومنه البحر المسجور اي المملو فالمعنى على
هذا تملا بهم النار وقال الشاعر يصف وعلا

اذا شاء طالع مسجورة ... ترى حولها النبع والساسما

اي عينا مملوءة ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله وهذا تقريع وتوبيخ قالوا ضلوا عنا اي هلكوا
وذهبوا عنا وتركونا في العذاب من ضل الماء في اللبن اي خفي وقيل اي صاروا بحيث لا نجدهم بل لم نكن ندعوا من
قبل شيا اي شيا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا انكار العبادة الصنم بل هو اعتراف بان
عبادتهم الاصنام كانت باطلة قال الله تعالى كذلك يضل الله الكافرين اي كما فعل بهؤلاء من الاضلال يفعل
بكل كافر **قوله تعالى** ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ذلكم اي ذلكم العذاب بما كنتم تفرحون بالمعاصي
يقال لهم ذلك توبيخا اي انما نالكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال
والاتباع والصحة وقيل ان فرحهم بما عندهم انهم قالوا للرسل نحن نعلم انا لا نبعث ولا نعذب وكذا قال
مجاهد في قوله عز وجل فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وبما كنتم تمرحون قال مجاهد
وغيره اي تبطرون وتاشرون وقد مضى في سبحان بيانه وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان
وروى خالد عن ثور عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البذخين الفرحين ويحب
كل قلب حزين ويبغض اهل بيت لحمين ويبغض كل حبر سمين فاما اهل بيت لحمين الذين ياكلون لحوم الناس بالغيبة
واما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر بعلمه الناس يعني المستكثر من علمه ولا ينتفع به الناس ذكره الماوردي
وقد قيل في اللحمين انهم الذين يكثرون اكل اللحم ومنه قول عمر اتقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر
ذكره المهدوي والاول قول سفيان الثوري ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ذلك اليوم وقد قال
الله تعالى لها سبعة ابواب فبئس مثوى المتكبرين تقدم جميعه **قوله تعالى** فاصبر ان وعد
الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون هذا تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم اي انا ننتقم لك منهم اما في حياتك او في الاخرة فاما نرينك في موضع جزم بالشرط وما زائدة
للتوكيد وكذا النون وزال الجزم وبني الفعل على الفتح او نتوفينك عطف عليه فالينا يرجعون الجواب
قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك

ان الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين ويبغض اهل بيت لحمين ويبغض كل حبر سمين

المبطلون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك عزاه ايضا بما لقيت الرسل قبله منهم من قصصنا عليك اي انبانا
باخبارهم وما لقوا من قومهم ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية اي من قبل نفسه الا
باذن الله فاذا جاء امر الله اي اذا جاء الوقت المسمى لعذابهم اهلكهم الله وانما التاخير لاسلام من علم الله
اسلامه ولمن في اصلابهم من المومنين وقيل اشار بهذا الى القتل ببدر وقضي بينهم بالحق وخسر هنالك
المبطلون الذين يتبعون الباطل والشرك **قوله تعالى** الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها
ومنها تاكلون الله الذي جعل لكم الانعام قال ابو اسحاق الزجاج الانعام ها هنا الابل لتركبوا منها
ومنها تاكلون فاحتج من منع اكل الخيل واباح اكل الجمال بان الله عز وجل قال في الانعام ومنها تاكلون
وقال في الخيل والخيل والبغال والحمير لتركبوها ولم يذكر اباحة اكلها وقد مضى هذا في النحل مستوفى في
قوله تعالى ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون
ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ولكم فيها منافع في الوبر والصوف والشعر واللبن والزبد والجبن
والسمن وغير ذلك ولتبتغوا عليها حاجة في صدوركم اي تحمل الاثقال والاسفار وقد مضى في النحل بيان
هذا كله فلا معنى لاعادته ثم قال وعليها يعني الانعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون ويريكم اياته
اي اياته الدالة على وحدانيته وقدرته فيما ذكر فاي ايات الله تنكرون لان الاستفهام له صدر الكلام
فلا يعمل فيه ما قبله ولو كان مع الفعل هاء لكان الاختيار في اي الرفع ولو كان الاستفهام بالالف او هل
وكان بعدها اسم بعده فعل معه هاء لكان الاختيار النصب اي اذا كنتم لا تنكرون ان هذه الاشيا
من الله فلم تنكرون قدرته على البعث والنشر **قوله تعالى** افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
اولم يسيروا في الارض حتى يشاهدوا اثار الامم السالفة كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من الابنية والاموال وما ادالوا به من الاولاد والاتباع وعلى هذا ما للجحد اي فلم يغن عنهم
ذلك شيا وقيل ما للاستفهام اي اي شي اغنى عنهم كسبهم حين هلكوا ولم ينصرف اكثر لانه على وزن افعل
من كذا وانه لا يجوز صرفه بوجه في معرفة ولا غيره اذا كانت معه من قال ابو العباس ولو كانت من المانعة
من صرفه لوجب ان لا يقال مررت بخير منك وشر من عمرو **قوله تعالى** فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
اي بالايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم في معناه ثلاثة اقوال قال مجاهد ان الكفار الذين
فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن اعلم منهم لن نعذب ولن نبعث وقيل فرح الكفار بما عندهم من علم
الدنيا نحو يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل لما كذبهم قومهم اعلمهم الله عز وجل انه
مهلك الكافرين والمومنين ومنجيهم فرحوا بما عندهم من العلم بنجاة المومنين وحاق بهم اي بالكفار ما
كانوا به يستهزءون اي استهزاؤهم بما جاء به الرسل **قوله تعالى** فلما راوا باسنا قالوا امنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت
في عباده وخسر هنالك الكافرون فلما راوا باسنا اي عاينوا العذاب قالوا امنا بالله وحده
وكفرنا اي بالاوثان التي اشركناهم في العبودية فلم يك ينفعهم ايمانهم بالله عند معاينة العذاب وحين
راوا الباس سنة الله مصدر لان العرب تقول سن يسن سنا وسنة اي سن الله عز وجل في الكفار انه لا ينفعهم
الايمان اذا راوا العذاب وقد مضى هذا مبينا في النسا ويونس وان التوبة لا تقبل بعد روية العذاب
وحصول العلم وقيل اي احذروا يا اهل مكة سنة الله في اهلاك الكفرة فسنة منصوب على التحذير
والاغراء وخسر هنالك الكافرون قال الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك الا انه تبين لنا الخسران
لما راوا العذاب وقيل فيه تقديم وتاخير اي لم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وخسر هنالك الكافرون
كسنتنا في جميع الكافرين فسنة نصب بنزع الخافض اي كسنة الله في الامم كلها تمت السورة

تفسير سورة فصلت

مكية في قول الجميع وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب

حكاية غريبة عجيبة

فصلت اياته وهذا قول البصريين وقال الفرا يجوز ان يكون رفعه على اضمار هذا ويجوز ان يقال كتاب بدل
من قوله تنزيل وقيل نعت لقوله تنزيل وقيل حم اي هذه حم كما تقول باب كذا اي هو باب كذا فحم خبر ابتدا
مضمر اي هو حم وقوله تنزيل مبتدا اخر وقوله كتاب خبره **فصلت اياته** اي بينت وفسرت قال
قتادة ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته الحسن بالوعد والوعيد سفيان بالثواب والعقا
وقري فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل اي
تباعد من البلد **قوله تعالى قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون** قرانا عربيا في نصبه وجوه قال الاخفش هو نصب على المدح وقيل على اضمار فعل اي اذكر قرانا
عربيا وقيل على اعادة الفعل اي فصلنا قرانا عربيا وقيل على الحال اي فصلت اياته في حال كونه قرانا
عربيا وقيل لما شغل التفصيل بالايات حتى صارت بمنزلة الفاعل انتصب القران لوقوع البيان عليه
وقيل على القطع لقوم يعلمون قال الضحاك اي ان القران منزل من عند الله وقال مجاهد يعلمون انه اله واحد
في التوراة والانجيل وقيل يعلمون العربية فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي لما علموه قال الشيخ
رحمه الله هذا اصح والسورة نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش في اعجاز القران بشيرا ونذيرا حالان
من الايات والعامل فيه فصلت وقيل هما نعتان للقران بشيرا لاولياء الله نذيرا لاعدائه وقري
بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدا محذوف فاعرض اكثرهم يعني اهل مكة فهم لا يسمعون سماعا
ينتفعون به روي ان الربان بن حرملة قال قال الملا من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم
رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد
سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفى علي ان كان كذلك فقالوا ائته فحدثه فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد انت خير ام قصي بن كلاب انت خير ام هشام انت خير
ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا وتسفه احلامنا وتذم ديننا فان
كان تريد الرياسة عقدنا لك الوية فكنت رئيسنا ما بقيت وان كنت تريد الباءة زوجناك
عشر نسا من اي بنات قريش ما شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به انت وعقبك
من بعدك وان كان هذا الذي ياتيك رئيا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك من اموالنا في الطلب
ما تتداوى به او نغلب فيك والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال قد فرغت يا ابا الوليد
قال نعم فقال يا ابن اخي اسمع قال اسمع بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
اياته قرانا عربيا الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب عتبة ووضع
يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الله والرحم ليسكتن ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فجاءه
ابو جهل وقال اصبوت الى محمد ام اعجبك طعامه فغضب عتبة واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله
لقد تعلمون اني من اكثر قريش مالا ولكني لما اقتصصت عليه القصة اجابني بشي والله ما هو بشعر
ولا كهانة ولا سحر ثم تلا عليهم ما سمع منه الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود وامسكت بفيه وناشدته
بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فوالله لقد خفت ان ينزل بكم العذاب
يعني الصاعقة وقد روى هذا الحديث ابو بكر الانباري في كتاب الرد له عن محمد بن كعب القرظي
وان النبي صلى الله عليه وسلم قرا حم فصلت حتى انتهى الى السجدة فسجد وعتبة مصغ يستمع قد اعتمد على يديه من
وراء ظهره فلما قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة قال له يا ابا الوليد قد سمعت الذي قرات
عليك فانت وذلك فانصرف عتبة الى قريش في ناديها فقالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه
الذي مضى به من عندكم ثم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال والله لقد سمعت من محمد كلاما ما سمعت
مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة فاطيعوني في هذه وانزلوها بي خلوا محمدا وشانه
واعتزلوه والله ليكونن لما سمعت من كلامه نبا فان اصابته العرب كفيتموه بايدي غيركم وان كان ملكا
او نبيا كنتم اسعد الناس به لان ملكه ملككم وشرفه شرفكم فقالوا هيهات سحرك محمد فقال هذا رايي لكم
فاصنعوا ما شئتم **قوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون** الاكنة جمع كنان وهو الغطا وقد مضى في البقرة قال
مجاهد الكنان للقلب كالجنة للنبل وفي اذاننا وقر اي صمم فكلامك لا يدخل اسماعنا وقلوبنا مستورة

عن فهمه ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين لانهم يعبدون الاصنام وهو يعبد الله عز وجل قال معناه
الفرا وغيره وقيل ستر مانع عن الاجابة وقيل ان ابا جهل استغشى على راسه ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك
حجاب استهزاء منه حكاه النقاش وذكره القشيري فالحجاب هنا الثوب فاعمل اننا عاملون اي اعمل في هلاكنا
فانا عاملون في مثل ذلك قاله الكلبي وقال مقاتل اعمل لالهك الذي ارسلك فانا نعمل لالهتنا
التي نعبدها وقيل اعمل بما يقتضيه دينك فانا عاملون بما يقتضيه ديننا ويحتمل خامسا فاعمل لاخرتك فانا
نعمل لدنيانا ذكره الماوردي **قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون** قل انما انا بشر مثلكم اي لست بملك بل انا من بني
ادم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع يوحى الي اي من السماء على ايدي الملائكة انما الهكم اله واحد فامنوا
به واستغفروه واستقيموا اليه اي وجهوا وجوهكم بالدعاء له والمسالة اليه كما يقول الرجل استقم الى
منزلك واستغفروه اي من شرككم وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة قال ابن عباس لا يشهدون
ان لا اله الا الله وهي زكاة الانفس وقال قتادة لا يقرون بالزكاة انها واجبة وقال الضحاك ومقاتل
لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة قرعهم بالشح الذي يانف منه الفضلاء وفيه دلالة على ان الكافر يعذب
بكفره مع منع وجوب الزكاة عليه وقال الفرا وغيره كان المشركون ينفقون النفقات ويسقون الحجيج
ويطعمونهم فحرموا ذلك على من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فيهم وهم بالاخرة هم كافرون
فلهذا لا ينفقون في الطاعة ولا يستقيمون ولا يستغفرون الزمخشري فان قلت لم خص من بين
اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالاخرة قلت لان احب شي الى الانسان ماله وهو شقيق
روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته الا ترى الى قوله جل وعلا الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما
خدع المولفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقويت عصبتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث المومنين على اداء
الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع ماخوذ من مننت الحبل اذا قطعته ومنه قول ذي الاصبع

> اني لعمرك ما بابي بذي غلق … على الصديق ولا خيري بممنون

وقال اخر

> فترى خلفها من الرجع … والوقع منينا كانه اهباء

يعني بالمنين الغبار المنقطع الضعيف وعن ابن عباس ايضا ومقاتل غير منقوص ومنه المنون لانها تنقص منه الانسان
اي قوته وقاله قطرب وانشد قول زهير

> فضل الجواد على الخيل البطا … فلا يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا

قال الجوهري المن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم اجر غير ممنون وقال لبيد

> غبسا كواسب لا يمن طعامها

وقال مجاهد غير ممنون غير محسوب وقيل غير
ممنون عليهم به قال السدي نزلت في الزمنى والمرضى والهرمى اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر
كاصح ما كانوا يعملون فيه **قوله تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين** اينكم بهمزتين الثانية بين بين وابنكم بالف بين همزتين وهو استفهام معناه التوبيخ
امره بتوبيخهم والتعجب من فعلهم اي لم تكفرون بالله وهو خالق السموات والارض في يومين الاحد والاثنين
وتجعلون له اندادا اي اضدادا وشركا ذلك رب العالمين وجعل فيها اي في الارض رواسي من فوقها
يعني الجبال قال وهب لما خلق الله الارض مادت على وجه الماء فقال لجبريل ثبتها يا جبريل فنزل فامسكها
فغلبته الرياح قال يا رب انت اعلم لقد غلبت فيها فثبتها بالجبال وارساها وبارك فيها بما خلق فيها من
المنافع قال السدي انبت فيها شجرها وقدر فيها اقواتها قال السدي والحسن ارزاق اهلها ومصالحهم
وقال قتادة ومجاهد خلق فيها انهارها واشجارها ودوابها في يوم الثلاثا والاربعا وقال عكرمة والضحاك
معنى قدر فيها اقواتها اي ارزاق اهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع في كل

احب شي الى الانسان ماله وهو شقيق الروح

بلدة ما لم يجعله في الاخري ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الي بلد قال عكرمة حتي انه في بعض
البلاد ليتبايعون الملح بالذهب مثلا بمثل وقال مجاهد والضحاك السابري من سابور والطيالسة من الري
والحبر اليمانية من اليمن في اربعة ايام يعني في تتمة اربعة ايام ومثاله قول القايل خرجت من البصرة الي بغداد
في عشرة ايام والي الكوفة في خمسة عشر يوما اي في تتمة خمسة عشر يوما قال معناه ابن الانباري وغيره
سواء للسايلين قال الحسن المعني في اربعة ايام مستوية تامة الفرا في الكلام تقديم وتاخير والمعني
وقدر فيها اقواتها سواء للمحتاجين واختاره الطبري وقرا الحسن البصري ويعقوب الحضرمي سواء للسايلين
بالجر وعن ابن القعقاع سواء بالرفع النصب علي المصدر وسوا بمعني استوا اي استوت استواء وقيل
علي الحال والقطع والجر علي النعت لايام واربعة اي في اربعة ايام مستوية تامة والرفع علي الابتداء والخبر
للسايلين او علي تقدير هي سوا للسايلين وقال اهل المعاني معني سوا للسايلين ولغير السايلين اي خلق
الارض وما فيها لمن سال ولمن لم يسال ويعطي من سال ومن لم يسال **قوله تعالي** ثم استوي
الي السما وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين ثم استوي الي السما
وهي دخان اي عمد الي خلقها وقصد لتسويتها والاستوا من صفة الافعال علي اكثر الاقوال يدل عليه قوله
تعالي ثم استوي الي السماء فسواهن سبع سموات وقد مضي القول هناك وروي ابو صالح عن ابن عباس في قوله
ثم استوي الي السماء يعني صعد امره الي السماء قاله الحسن ومن قال انه صفة ذاتية زايدة قال استوي في الازل
بصفاته ثم يرجع الي نقل السما من صفة الدخان الي حالة الكثافة وكان ذلك الدخان من تنفس الما حين
تنفس علي ما مضي في البقرة عن ابن مسعود وغيره فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها اي جيئا بما
خلقت فيكما من المنافع والمصالح واخرجاها لخلقي وقال ابن عباس قال الله للسما اطلعي شمسك وقمرك
وكواكبك واجري رياحك وسحابك وقال للارض شقي انهارك واخرجي شجرك وثمارك طايعتين او كارهتين
قالتا اتينا طايعين وفي الكلام حذف اي اتينا امرك طايعين وقيل معني هذا الامر التسخير اي كونا
فكانتا كما قال تعالي انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فعلي هذا قال ذلك قبل خلقهما وعلي القول
الاول قال ذلك بعد خلقهما وهو قول الجمهور وفي قوله تعالي لهما وجهان احدهما انه قول تكلم به الثاني انها قدرة
منه ظهرت لهما فقاما مقام الكلام في بلوغ المراد ذكره الماوردي قالتا اتينا طايعين فيه ايضا وجهان
احدهما انه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا واجابا فقام مقام قولهما ومنه قول الراجز

امتلا الحوض وقال قطني ... مهلا رويدا قد ملات بطني

يعني ظهر ذلك فيه وقال اكثر اهل العلم بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما اراد تعالي قال ابو نصر السكسكي
فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السما ما بحيالها فوضع الله تعالي فيه حرمه وقال طايعين ولم يقل
طايعتين علي اللفظ ولا طايعات علي المعني لانهما سماوات وارضون لانه اخبر عنهما وعمن فيهما وقيل
لما وصفهن بالقول والاجابة وذلك من صفات من يعقل اجراهما في الكناية مجري من يعقل ومثله رايتهم لي
ساجدين وقد تقدم وفي حديث ان موسي عليه السلام قال يا رب لو ان السموات والارض حين قلت لهما
ايتيا طوعا او كرها عصتاك ما كنت صانعا بهما قال كنت امر دابة من دوابي فتبتلعهما قال يا رب
واين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال يا رب واين ذلك المرج قال في علم من علمي ذكره الثعلبي وقرا
ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة اتيا بالمد والفتح وكذلك قوله اتينا طايعين علي معني اعطينا
الطاعة من انفسكما قالتا اتينا طايعين فحذف المفعولين جميعا ويجوز وهو احسن ان يكون اتينا مفعول
واحد من قرا اتيا فالمعني جينا بما فينا علي ما تقدم بيانه **قوله تعالي** فقضاهن سبع سموات
في يومين واوحي في كل سما امرها وزينا السما الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
فقضاهن سبع سموات في يومين اي اكملهن وفرغ منهن وقيل احكمهن كما قال

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود او صنع السوابغ تبع

في يومين سوي الاربعة الايام التي خلق الله فيها الارض فوقع خلق السموات والارض في ستة ايام كما قال
تعالي خلق السموات والارض في ستة ايام علي ما تقدم في الاعراف بيانه قال مجاهد ويوم من الستة الايام
كالف سنة مما تعدون وعن عبد الله بن سلام قال خلق الله الارض في يومين وقدر فيها اقواتها في يومين
وخلق السموات والارض في يومين خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وقدر فيها اقواتها يوم الثلاثا ويوم

سؤال موسى عليه السلام

الاربعا وخلق السموات في يوم الخميس ويوم الجمعة واخر ساعة في يوم الجمعة خلق الله ادم في عجل وهي التي تقوم
فيها الساعة وما خلق الله من دابة الا وهي تفزع من يوم الجمعة الا الانس والشيطان علي هذا اهل التفسير
الا ما رواه مسلم من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة
يوم السبت الحديث وقد تكلمنا علي اسناده في اول سورة الانعام واوحي في كل سما امرها قال قتادة والسدي
خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وافلاكها وخلق في كل سما خلقها من الملايكة والخلق الذي فيها من البحار
وجبال البرد والثلوج وهو قول ابن عباس قال ولله في كل سما بيت تحج اليه وتطوف به الملايكة بحذاء الكعبة
والذي في السما الدنيا هو البيت المعمور وقيل اوحي الله في كل سماء امرها اي اوحي فيها ما اراده وما امر به فيها
والايحاء قد يكون امرا كقوله ان ربك اوحي لها وقوله واذ اوحيت الي الحواريين اي امرتهم وهو امر تكوين وزينا السما
الدنيا بمصابيح اي بكواكب تضي وقيل ان في كل سما كواكب تضي وقيل بل الكواكب مختصة بالسما الدنيا وحفظا
اي وحفظناها حفظا اي من الشياطين الذين يسترقون السمع وهذا الحفظ بالكواكب التي ترجم بها الشياطين
علي ما تقدم في الحجر بيانه وظاهر هذه الاية يدل علي ان الارض خلقت قبل السما وقال في اية اخري ام السماء
بناها قال والارض بعد ذلك دحاها وهذا يدل علي خلق السما اولا فقال قوم خلقت الارض قبل السما فاما قوله
والارض بعد ذلك دحاها فالدحو غير الخلق فالله خلق الارض ثم خلق السموات ثم دحي الارض اي مدها
وبسطها قاله ابن عباس وقد مضي هذا المعني مجودا في البقرة والحمد لله ذلك تقدير العزيز العليم **قوله
تعالي** فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاتهم الرسل من بين ايديهم
ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شا ربنا لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون فان اعرضوا
يعني كفار قريش عما تدعوهم اليه يا محمد من الايمان فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي خوفتكم
هلاكا مثل هلاك عاد وثمود اذ جاتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم يعني ممن ارسل اليهم والي من
قبلهم الا تعبدوا الا الله موضع ان نصب باسقاط الخافض اي بان لا تعبدوا وقالوا لو شاء ربنا لانزل
ملايكة بدل الرسل فانا بما ارسلتم به كافرون من الانذار والتبشير قيل هذا استهزاء منهم وقيل اقرار منهم
بارسالهم ثم بعده جحود وعناد **قوله تعالي** فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من
اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فاما عاد فا
ستكبروا في الارض علي عباد الله هود ومن امن به بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اغتروا باجسامهم
حين تهددهم بالعذاب وقالوا نحن نقدر علي دفع العذاب عن انفسنا بفضل قوتنا وذلك انهم كانوا ذوي
اجسام طوال وخلق عظيم وقد مضي في الاعراف عن ابن عباس ان اطولهم كان مائة ذراع واقصرهم
كان ستون ذراعا فقال الله تعالي ردا عليهم اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وقدرة
وانما يقدر العبد باقدار الله فالله اقدر اذا وكانوا باياتنا يجحدون اي بمعجزاتنا يكفرون
قوله تعالي فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ولعذاب الاخرة اخزي وهم لا ينصرون هذا تفسير الصاعقة التي ارسلها عليهم اي ريحا
باردة شديدة البرد وشديدة الصوت والهبوب ويقال اصلها صرر من الصر فابدل لوا مكان الرا الوسطي
فاء الفعل لقولهم كبكبوا اصله كببوا وتجفجف الثوب اصله تجفف ابو عبيدة معني صرصر شديدة صاعقة عكرمة
وسعيد بن جبير شديدة البرد وانشد قطرب قول الحطيئة

المطعمون اذا هبت بصرصرة ... والحاملون اذا استودوا علي الناس

استودوا اذا سيلوا الدية مجاهد الشديدة السموم روي معمر عن قتادة قال باردة قاله عطاء لان صرصرا
ماخوذ من صر والصر في كلام العرب البرد كما قال

لها عذر كقرون النساء ركبن في يوم ريح وصر

وقال السدي الشديدة الصوت ومنه صر القلم والباب يصر صريرا اي صوت ويقال
درهم صري وصري للذي له صوت اذا نقر قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد
ويجوز ان يكون من صرير الباب ومن الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت امراته في صرة وصرصر اسم
نهر بالعراق في ايام نحسات اي مشوبات قاله مجاهد وقتادة كن اخر شوال من يوم الاربعا الي يوم
الاربعا وذلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما قال ابن عباس ما عذب قوم الا في يوم الاربعا وقيل

نحسات باردات حكاه النقاش وقيل متتابعات عن ابن عباس وعطية والضحاك شداد وقيل ذات غبار حكاه ابن عيسى ومنه قول الراجز

قد اغتدي قبل طلوع الشمس　　للصيد في يوم قليل النحس

قال الضحاك وغيره امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودوت عليهم الرياح عليهم في غير مطر وخرج قوم منهم الى مكة يستسقون بها لعاد وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد طلبوا الى الله تعالى الفرج منه وكانت طلبتهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام مكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة عارف حرمتها ومكانها من الله تعالى وقال جابر بن عبد الله التيمي اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو نحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس الذي هو مصدر وصف به الباقون نحسات بكسر الحاء اي ذوات نحس ومما يدل على ان النحس مصدر قوله في يوم نحس مستمر ولو كان صفة لم يضف اليوم اليه وبهذا كان يحتج ابو عمرو على قراءته واختاره ابو حاتم واختار ابو عبيد القراءة الثانية وقال لا نصح حجة ابي عمرو لانه اضاف اليوم الى النحس فاسكن وانما يكون حجة لو نون اليوم ونعت وسكن فقال في يوم نحس وهذا لم يقرا به احد نعلمه قال المهدوي ولم يسمع في نحس الا الاسكان قال الجوهري وقرى في قوله في يوم نحس على الصفة والاضافة اكثر واجود وقد نحس الشي بالكسر فهو نحس ايضا قال الشاعر

ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم طيا　　وبهراء قوم نصرهم نحس

ومنه قيل ايام نحسات لنذيقهم اي لكي نذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا بالريح العقيم ولعذاب الاخرة اي اعظم واشد وهم لا ينصرون **قوله تعالى** فاما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون

اي بينا لهم الهدى والضلال عن ابن عباس وغيره وقرا الحسن وابن ابي اسحاق وغيرهما فاما ثمود بالنصب وقد مضى الكلام فيه في الاعراف فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على الايمان وقال ابو العالية اختاروا العمى على البيان السدي اختاروا المعصية على الطاعة فاخذتهم صاعقة العذاب الهون الهون بالضم الهوان وهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر اخو كنانة واسد واهانه استخف به والاسم الهوان والمهانة واضيفت الصاعقة الى العذاب لان الصاعقة اسم للمبير المهلك فكانه قال مهلك العذاب اي العذاب المهلك والهون وان كان مصدرا فمعناه الاهانة والاهانة عذاب فجاز ان يجعل احدهما وصفا للاخر فكانه قال صاعقة الهون وهو كقولك عندي علم اليقين وعندي العلم اليقين ويجوز ان يكون الهون اسما مثل الدون يقال عذاب هون اي مهين كما قال ما لبثوا في العذاب المهين وقيل اي صاعقة العذاب ذي الهون بما كانوا يكسبون من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة على ما تقدم ونجينا الذين امنوا يعني صالحا ومن امن به اي ميزناهم عن الكفار فلم يحل بهم ما حل بالكفار وهكذا نفعل يا محمد بمؤمني قومك وكفارهم **قوله تعالى** ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون

قراءة نافع نحشر بالنون الباقون يحشر بياء مضمومة اعداء بالرفع ومعناهما بين واعداء الله الذين كذبوا رسله وخالفوا امره فهم يوزعون يساقون ويدفعون الى جهنم قال قتادة والسدي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا قال ابو الاحوص فاذا تكاملت العدة بدئ بالاكابر فالاكابر جرما وقد مضى في النمل الكلام في يوزعون مستوفى **قوله تعالى** حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون حتى اذا ما جاؤوها ما زائدة شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون الجلود يعني بها الجلود باعيانها في قول اكثر المفسرين وقال السدي وعبيد الله بن ابي جعفر والفراء اراد بالجلود الفروج وانشد بعض الادباء لعامر بن جوية

المرء يسعى للسلامة　　والسلامة حسبه

او سالم من قد تثنى　　جلده وابيض راسه

وقال جلده كناية عن فرجه وقالوا يعني الكفار لم شهدتم علينا وانما كنا نجادل عنكم قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي لما خاطبت وخوطبت اجريت مجرى من يعقل وهو خلقكم اول مرة اي ركب الحياة فيكم بعد

ان كنتم نطفا فمن قدر عليه قدر على ان ينطق الجلود وغيرها من الاعضاء وقيل وهو خلقكم اول مرة ابتداء كلام من الله واليه ترجعون وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وفي حديث ابي هريرة ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه خرجه مسلم ايضا **قوله تعالى** وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون يجوز ان يكون هذا من قول الجوارح لهم ويجوز ان يكون من قول الله عز وجل او الملائكة وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فقال احدهم اترون الله يسمع ما نقول فقال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فهو يسمع اذا اخفينا فانزل الله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم الاية خرجه الترمذي فقال اختصم عند البيت ثلاثة نفر ثم ذكره بلفظه حرفا حرفا وقال حديث حسن صحيح حدثنا هناد قال حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله كنت مستترا باستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم قرشي وختناه ثقفيان او ثقفي وختناه قرشيان فتكلموا بكلام لم افهمه فقال احدهم اترون الله يسمع كلامنا هذا فقال الاخر انا اذا رفعنا اصواتنا سمعه واذا لم نرفع اصواتنا لم يسمعه فقال الاخر ان سمع منا شيئا سمعه كله فقال عبد الله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم الى قوله فاصبحتم من الخاسرين قال هذا حديث حسن قال الثعلبي والثقفي عبد ياليل وختناه ربيعة وصفوان بن امية ومعنى تستترون تستخفون في قول اكثر العلماء حذرا من شهادة الجوارح عليكم لان الانسان لا يمكنه ان يخفي من نفسه عمله فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية وقيل الاستتار بمعنى الاتقاء اي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم في الاخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة قال معناه مجاهد وقال قتادة وما كنتم تستترون اي تظنون ان يشهد عليكم سمعكم بان تقول سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي ولا ابصاركم فتقول رايت ايات الله وما اعتبرت ونظرت الى ما لا يجوز من المعاصي ولا جلودكم تقدم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملونه من اعمالكم فجادلتم على ذلك حتى شهدت عليكم جوارحكم باعمالكم روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم قال يدعون يوم القيامة مقدمة افواههم بفدام فاول ما يبين عن الانسان فخذه وكفه وقال عبد الله بن عبد الاعلى الشامي فاحسن

العمر ينقص والذنوب تزيد　　وتقال عثرة الفتى فتعود

هل يستطيع جحود ذنب واحد　　رجل جوارحه عليه شهود

والمرء يسال عن سنيه فيشتهي　　تقليلها وعن الممات يحيد

وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على ابن ادم الا ينادي فيه يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا ويقول الليل مثل ذلك ذكره ابو نعيم الحافظ وقد ذكرناه في التذكرة في باب شهادة الارض والليالي والايام والمال وقال محمد بن بشير فاحسن

مضى امسك الادنى شهيدا معدلا　　ويومك هذا بالفعال شهيد

فان تك بالامس اقترفت اساءة　　فثن باحسان وانت حميد

ولا ترج فعل الخير منك الى غد　　لعل غدا ياتي وانت فقيد

قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين اردكم اي اهلككم
فاوردكم النار وقال قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يموت احدكم الا وهو
يحسن بالله الظن فان قوما اساوا الظن بربهم فاهلكهم فذلك قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارداكم وقال الحسن البصري ان قوما الهتهم الاماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول احدهم
اني احسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل وتلى قول الله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وقال قتادة من استطاع منكم ان يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل
فان الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي وقال عمر بن الخطاب في هذه الاية هاؤلاء قوم كانوا يدمنون
المعاصي ولا يتوبون منها ويتوكلون على المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ثم قرا وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين قوله تعالى فان يصبروا فالنار مثوى لهم
وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي فان يصبروا في الدنيا على اعمال اهل النار فالنار مثوى لهم
نظيره فما اصبرهم على النار على ما تقدم وان يستغيثوا في الدنيا وهم مقيمون على كفرهم فما هم
من المعتبين وقيل المعنى فان يصبروا في النار اي يجزعوا فالنار مثوى لهم اي لا محيص لهم عنها ودل
على الجزع قوله وان يستعتبوا لان المستعتب جزع والمعتب المقبول عتابه قال النابغة

فان اك مظلوما فعبد ظلمته ... وان تك ذا عتبي فمثلك يعتب

اي مثلك من قبل الصلح والمراجعة اذا سيل قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومداركة الموجدة تقول
عاتبته معاتبة وبينهم اعتوبة يتعاتبون بها يقال اذا تعاتبوا اصلح ما بينهم العتاب واعتبني فلان اذا عاد لي
مسرتي راجعا عن الاساءة والاسم منه العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضي العاتب واستعتب
واعتب بمعنى واستعتب ايضا طلب ان يعتب تقول استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني فمعنى وان
يستعتبوا اي طلبوا الرضى لم ينفعهم ذلك بل لا بد لهم من النار وفي التفاسير وان يستقيلوا ربهم فما هم من
المقالين وقرا عبيد بن عمير وابو العالية وان يستعتبوا بفتح التاء الثانية وضم الياء على الفعل المجهول
فما هم من المعتبين بكسر التاء اي ان اقالهم الله وردهم الى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله تعالى
من الشقا قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكره الهروي وقال ثعلب يقال اعتب اذا غضب
واعتب اذا رضي قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق
عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قال النقاش اي هيانا لهم
شياطين وقيل سلطنا عليهم قرناء يزينون عندهم المعاصي وهاؤلاء القرناء من الجن والشياطين ومن الانس ايضا
اي سببنا لهم قرناء يقال قيض الله فلانا لفلان اي جاءه به واتاحه له ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء
القشيري ويقال قيض الله لي رزقا اي اباحه كما كنت اطلب والتقييض الابدال ومنه المقايضة قايضت
الرجل مقايضة اي عاوضته بمتاع وهما قيضان كما تقول بيعان فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا
فحسنوه لهم حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم حسنوا لهم بعد مماتهم ودعوهم الى التكذيب بامور الاخرة
عن مجاهد وقيل المعنى قيضنا لهم قرناء في النار فزينوا لهم اعمالهم في الدنيا والمعنى قدرنا عليهم ان ذلك
سيكون وحكمنا به عليهم وقيل المعنى احوجناهم الى الاقران اي احوجنا الفقير الى الغني لينال
منه والغني الى الفقير ليستعين به فزين بعضهم لبعض المعاصي وليس قوله وما خلفهم عطفا على ما بين
ايديهم بل المعنى وانسوهم ما خلفهم ففيه هذا الاضمار وقال ابن عباس ما بين ايديهم تكذيبهم بامور الاخرة
وما خلفهم التسويف والترغيب في الدنيا الزجاج ما بين ايديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على ان يعملوه
وقد تقدم قول مجاهد وقيل المعنى لهم مثل ما تقدم من المعاصي وما خلفهم ما يعمل بعدهم وحق عليهم القول
في امم اي وجب عليهم من العذاب ما وجب على الامم الذين من قبلهم الذين كفروا ككفرهم وقيل في بمعنى
مع فالمعنى هم داخلون في الامم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه وقيل في امم في جملة امم ومثله قول الشاعر

ان يك عن احسن الصنيعة ... مافوكا ففي اخرين قد افكوا

يريد فانت في جملة اخرين لست في ذلك باوحد ومحل في امم النصب على الحال من الضمير في عليهم
اي حق عليهم القول كاينين في جملة امم انهم كانوا خاسرين اعمالهم في الدنيا وانفسهم واهليهم يوم
القيامة قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم

لو احسن الظن لاحسن العمل

تغلبون لما اخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح وغيرهم اخبر عن مشركي قريش وانهم كذبوا القران فقالوا لا
تسمعوا وقيل معنى لا تسمعوا لا تطيعوا يقال سمعت لك اي اطعتك والغوا فيه قال ابن عباس قال ابو جهل
اذا قرا محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول وقيل انهم فعلوا ذلك لما اعجزهم القران وقال
مجاهد المعنى والغوا فيه بالمكا والتصفيق والتخليط في المنطق حتى يصير لغوا وقال الضحاك
اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال ابو العالية وابن عباس ايضا قعوا فيه وعيبوه لعلكم
تغلبون محمدا على قراءته فلا يظهر ولا يستميل القلوب وقرا عيسى بن عمر والجحدري وابن ابي اسحق
وابو حياة وبكر بن حبيب السهمي والغوا بضم الغين وهي لغة من لغا يلغو وقراءة الجماعة من لغي يلغى وقال
الهروي وقوله والغوا فيه قيل عارضوه بكلام لا يفهم يقال لغوت الغو والغي ولغي يلغى ثلاث لغات
وقد مضى معنى اللغو في البقرة وهو ما لا يعلم له حقيقة ولا تحصيل قوله تعالى فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله النار لهم
فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون قد تقدم ان الذوق يكون محسوسا ومعنى والعذاب
الشديد ما يتوالى فلا ينقطع وقيل هو العذاب في جميع اجزايهم ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون
اي ولنجزينهم في الاخرة جزاء قبح اعمالهم التي عملوها في الدنيا واسوا الاعمال الشرك قوله تعالى ذلك
جزاء اعداء الله اي ذلك العذاب الشديد ثم بينه بقوله النار وقرا ابن عباس ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها
دار الخلد فترجم بالدار عن النار وهو مجاز الاية وذلك ابتدا وجزاء الخبر والنار بدل من جزاء او خبر مبتدا
مضمر والجملة في موضع بيان للجملة الاولى قوله تعالى وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا
من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين وقال الذين كفروا يعني في النار وذكر
بلفظ الماضي والمراد المستقبل ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعني ابليس وابن ادم الذي
قتل اخاه عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع ما من مسلم يقتل
ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من ذنبه لانه اول من سن القتل ويروي اسس القتل خرجه الترمذي
وقيل هو بمعنى الجنس وبني على التثنية لاختلاف الجنسين نجعلهما تحت اقدامنا سالوا ذلك حتى
يشتفوا منهم بان يجعلوهم تحت اقدامهم ليكونا من الاسفلين في النار وهو الدرك الاسفل سالوا
ان يضعف الله عذاب من كان سبب ضلالتهم من الجن والانس وقرا ابن محيصن والسوسي عن ابي
عمرو وابن عامر وابو بكر والمفضل ارنا باسكان الراء وعن ابي عمرو ايضا باختلاسها واشبع الباقون كسرها
وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون قال عطا عن ابن عباس
نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان المشركين قالوا ربنا الله والملايكة بناته
وهاؤلاء شفعاونا عند الله فلم يستقيموا وقال ابو بكر ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد صلى الله عليه وسلم
عبده ورسوله فاستقام وفي الترمذي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قال الناس ثم كفر اكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام
قال حديث غريب ويروي في هذه الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله
عنهم معنى استقاموا ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا
لا اسال عنه احدا بعدك وفي رواية غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم زاد الثعلبي قلت يا رسول الله ما
اخاف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال
ثم استقاموا لم يشركوا بالله شيا وروي عن الاسود بن هلال انه قال لاصحابه ما تقولون في هاتين
الايتين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا استقاموا
فلم يذنبوا ولم يلبسوا ايمانهم بخطيية فقال ابو بكر لقد حملتموها على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فلم يلتفتوا الى اله غيره ولم يلبسوا ايمانهم بشرك اولئك لهم الامن وهم مهتدون وروي عن عمر رضي
الله عنه انه قال على المنبر وهو يخطب ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال استقاموا والله على
الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب وقال عثمان رضي الله عنه ثم اخلصوا العمل لله وقال
علي رضي الله عنه ثم ادوا الفرايض واقوال التابعين قال ابن زيد وقتادة استقاموا على طاعة الله

الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته فاجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة
ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال سفيان الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال الربيع عما سوى الله
وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل استقاموا اسرارا كما استقاموا اقرارا
وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وقال انس لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
امتي ورب الكعبة وقال الامام بن فورك السين سين الطلب مثل استسقى اي سالوا من الله ان
يثبتهم على الدين وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة قال الشيخ
رحمه الله وهذه الاقوال وان تداخلت فتلخيصها اعتدلوا على طاعة الله تعالى عقلا وقولا وفعلا ودا موا
على ذلك تتنزل عليهم الملائكة قال ابن زيد ومجاهد عند الموت وقال مجاهد وقتاده ومقاتل اذا قاموا من
قبورهم للبعث وقال ابن عباس هي بشرى تكون لهم من الملائكة في الاخرة وقال وكيع وابن زيد البشرى
في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ان لا تخافوا اي بان لا تخافوا فحذف الجار قال
مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم فان الله خليفتكم عليهم وقال عطا ابن ابي رباح لا تخافوا
رد ثوابكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وقال عكرمة لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على
ما خلفكم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي
الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم اي تقول لهم الملائكة
الذين تتنزل عليهم بالبشارة نحن اولياؤكم قال مجاهد اي نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا فاذا كان
يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة وقال السدي اي نحن الحفظة لاعمالكم في الدنيا واولياكم
في الاخرة ويجوز ان يكون من قول الله تعالى والله ولي المومنين ومولاهم ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اي من
الملائكة ولكم فيها ما تدعون تسالون وتمنون نزلا اي رزقا وضيافة وقد تقدم في ال عمران وهو منصوب
على المصدر اي انزلناه نزلا وقيل على الحال وقيل هو جمع نازل اي لكم ما تدعون نازلين فيكون حالا
من الضمير المرفوع في يدعون او من مجرور لكم ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا وقال انني من المسلمين هذا توبيخ للذين تواصوا باللغو في القران والمعنى اي كلام احسن من القران
ومن احسن قولا من الداعي الى الله وطاعته وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا تلا هذه الاية يقول هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حبيب
الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا والله احب اهل الارض الى الله اجاب الله في دعوته
ودعا الناس الى ما اجاب اليه وقالت عائشة رض وعكرمة وقيس بن ابي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين
قال فضيل بن رفيدة كنت مؤذنا لاصحاب عبد الله بن مسعود فقال لي عاصم بن هبيرة اذا اذنت فقلت
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فقل وانا من المسلمين ثم قرا هذه الاية قال ابن العربي والاول
اصح لان الاية مكية والاذان مدني وانما يدخل فيها بالمعنى لا بانه كان المقصود وقت القول ويدخل فيه ابو
بكر الصديق حين قال في النبي صلى الله عليه وسلم وقد خنقه الملعون اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ويتضمن
كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد والايمان قال الشيخ رحمه الله وهو قول ثالث وهو احسنها قال
الحسن هذه الاية عامة في كل من دعا الى الله وكذا قال قيس بن ابي حازم قال نزلت في كل مومن قال ومعنى
وعمل صالحا الصلاة بين الاذان والاقامة وقال عكرمة وعمل صالحا صلى وصام وقال الكلبي انه ادا الفرض
قال الشيخ رحمه الله وهذا احسنها مع اجتناب المحارم وكثرة المندوب والله اعلم وقال انني من المسلمين
قال ابن العربي وما تقدم يدل على الاسلام لكن لما كان الدعا بالقول والسيف يكون للاعتقاد ويكون للحجة
وكان العمل للريا والاخلاص دل على انه لا بد من التصريح بالاعتقاد لله في ذلك وان العمل لوجهه
لما قال تعالى وقال انني من المسلمين ولم يقل له اشترط ان شا الله كان ذلك رد على من يقول انا مسلم ان شا
الله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة قال الفرا لا صلة اي ولا تستوي الحسنة
والسيئة وانشد ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر
اراد ابو بكر وعمر اي لا يستوي ما انت عليه من التوحيد وما المشركون عليه من الشرك قال ابن عباس
الحسنة لا اله الا الله والسيئة الشرك وقيل الحسنة الطاعة والسيئة الشرك وهو الاول بعينه وقيل
الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقال الضحاك الحسنة العلم

ولم يقل له اشترط ان شا الله

والسيئة الفحش وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحسنة حب ال الرسول صلى الله عليه وسلم والسيئة بغضهم
قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن نسخت بالسيف وبقي المستحب من ذلك حسن العشرة والاحتمال
والاغضا قال ابن عباس اي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك وعنه ايضا هو الرجل يسب الرجل فيقول
الاخر ان كنت صادقا على يغفر الله لي وان كنت كاذبا فيغفر الله لك وكذلك يروى في الاثر ان ابا بكر رض قال
لرجل نال ذلك منه وقال مجاهد بالتي هي احسن يعني السلام اذا لقي من يعاديه وقاله عطا وقول ثالث ذكره القاضي
ابو بكر بن العربي في الاحكام وهو المصافحة وفي الاثر تصافحوا يذهب الغل ولم ير مالك المصافحة وقد اجتمع مع سفيان
فتكلما فيها فقال سفيان قد صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفرا حين قدم من ارض الحبشة فقال له
مالك وذلك خاص فقال له سفيان ما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصنا وما عمه يعمنا والمصافحة ثابتة
فلا وجه لانكارها وقد روي قتادة قال قلت لانس هل كانت المصافحة في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم وهو حديث صحيح وفي الاثر من تمام المحبة الاخذ باليد ومن حديث محمد بن اسحاق وهو امام مقدم عن
الزهري عن عروة عن عايشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فقرع
الباب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه والله ما رايته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه و
قبله قال الشيخ رحمه الله قد روي عن مالك جواز المصافحة وعليها جماعة العلما وقد مضى ذلك في
يوسف وذكرنا هناك حديث البرا بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان
فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا القيت ذنوبهما بينهما قوله تعالى فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي قريب صديق قال مقاتل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان مؤذيا للنبي
صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان عدوا بالمصاهرة التي وقعت بينه وبين النبي صلى الله عليه
وسلم ثم اسلم فصار وليا في الاسلام حميما بالقرابة وقيل هذه الاية نزلت في ابي جهل ابن هشام كان يوذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه ذكره الماوردي والاول ذكره الثعلبي
والقشيري وهو اظهر لقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي وقيل كان هذا قبل الامر
بالقتال قال ابن عباس امره تعالى في هذه الاية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة
فاذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم فروي ان رجلا شتم قنبرا مولى علي بن
ابي طالب رض فناداه علي يا قنبر دع شاتمك واله عنه ترضي الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب شاتمك
فما عوقب الاحمق بمثل السكوت عنه وانشدوا

> ولا الكف عن شتم اللئيم تكرما ... اضر له من شتمه حين يشتم

وقال آخر

> وما شي احب الى سفيه ... اذا سب الكريم من الجواب
> متاركة السفيه الى جواب ... اشد على السفيه من السباب

وقال محمود الوراق

> سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وان كثرت منه لدي الجرايم
> وما الناس الا واحد من ثلثة ... شريف ومشروف ومثلي مقاوم
> فاما الذي فوقي فاعرف قدره ... واتبع فيه الحق والحق لازم
> واما الذي دوني فان قال صنت ... عن اجابته عرضي وان لام لايم
> واما الذي مثلي فان زل او هفي ... تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

وما يلقاها يعني هذه الفعلة الكريمة والخصلة الشريفة الا الذين صبروا بكظم الغيظ واحتمال الاذي وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم اي نصيب وافر من الخير قاله ابن عباس وقال قتادة الحظ العظيم الجنة وقال
الحسن والله ما عظم حظ قط دون الجنة وقيل الكناية في يلقاها عن الجنة اي ما يلقاها الا الصابرون والمعنى
متقارب قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع
العليم واما ينزغنك من الشيطان نزغ تقدم في اخر الاعراف مستوفا فاستعذ بالله من كيده وشره
انه هو السميع لاستعاذتك العليم بافعالك واقوالك قوله تعالى ومن اياته الليل والنهار والشمس
والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا
فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ومن اياته اي علاماته الدالة على وحدانيته
وقدرته الليل والنهار والشمس والقمر وقد مضى في غير موضع ثم نهى عن السجود لهما لانهما وان كانا خلقين

جواز المصافحة

نيته

عجيبين فليس ذلك لفضيلة لهما في انفسهما فيستحقان بهما العبادة مع الله لان خالقهما هو الله ولو شاء
لاعدمهما واطمس نورهما واسجدوا لله الذي خلقهن وسخرهن فالكناية ترجع الي الشمس والقمر والليل
والنهار وقيل للشمس والقمر خاصة لان الاثنين جمع وقيل الضمير عائد علي معني الاية ان كنتم اياه تعبدون وانما
انث علي جمع التكسير ولم يجز علي طريق التغليب للمذكر والمونث لانه فيما لا يعقل فان استكبروا اي
الكفار عن السجود لله فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون اي لا يملون عبادته

قال زهير

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا ابالك يسام

مسالة هذه اية سجدة بلا خلاف واختلفوا في موضع السجود منها فقال مالك موضعه ان كنتم اياه تعبدون
لانه متصل بالامر وكان علي وابن مسعود يسجدان عند قوله اياه تعبدون وقال ابن وهب والشافعي موضعه
وهم لا يسامون لانها تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال وبه قال ابو حنيفة وقال ابن عباس يسجد
عند قوله يسامون وقال ابن عمر اسجد بالاخرة منهما وكذلك يروي عن مسروق وابي عبد الرحمن السلمي
وابراهيم النخعي وابي صالح ويحيي ابن وثاب وطلحة وزبيد اليامين والحسن وابن سيرين وكان ابو وايل وقتادة
وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله يسامون قال ابن العربي والامر قريب والله اعلم **مسالة** ذكر ابن خواز منداد
ان هذه الاية تضمنت صلاة كسوف الشمس والقمر وذلك ان العرب كانت تقول ان الشمس والقمر لا يكسفان
الا لموت عظيم فصلي النبي صلي الله عليه وسلم صلاة الكسوف قال الشيخ رحمه الله صلاة الكسوف ثابتة في
الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما واختلفوا في كيفيتها اختلافا كثيرا لاختلاف الاثار وحسبك ما في
صحيح مسلم من ذلك وهو العمدة في الباب وهو الموفق للصواب **قوله تعالي** ومن اياته انك تري
الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتي انه علي كل شيء قدير
ومن اياته انك تري الارض خاشعة الخطاب لكل عاقل اي ومن اياته الدالة علي انه يحيي الموتي انك تري الارض
خاشعة اي يابسة جدبة هذا وصف الارض بالخشوع وقال النابغة

رماد ككحل العين لايا ابينه ... ونوي كجذم الحوض اثلم خاشع

والارض الخاشعة الغبراء التي لا تنبت وبلدة خاشعة اي مغبرة لا منزل بها ومكان خاشع فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت اي بالنبات قاله مجاهد اهتز الانسان اي تحرك ومنه

تراه كنصل السيف يهتز للندا ... اذا لم تجد عند امر السوء مطمعا

وربت اي انتفخت وعلت قبل ان تنبت قاله مجاهد اي تصعدت عن النبات بعد موتها وعلي هذا التقدير يكون
في الكلام تقديم وتاخير وتقديره ربت واهتزت والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الارض
وقد يكونان بعد خروج النبات الي وجه الارض فربوها ارتفاعها ويقال للموضع المرتفع ربوة ورابية
فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا وقرا ابو جعفر وخالد وربات ومعناه
عظمت من الربية وقيل اهتزت استبشرت بالمطر وربت اي انتفخت بالنبات والارض اذا انشقت
بالنبات وصفت بالضحك فيجوز وصفها بالاستبشار ايضا ويجوز ان يقال الربو والاهتزاز واحد وهي
حالة خروج النبات وقد مضي هذا المعني في الحج ان ذلك لمحيي الموتي وهو علي كل شيء قدير تقدم في غير موضع
قوله تعالي ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقي في النار خير ام من ياتي امنا
يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين يلحدون في اياتنا اي يميلون عن الحق
في ادلتنا والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه اميل الي ناحية منه يقال الحد في دين الله
اي حاد عنه وعدل ولحد لغة فيه وهذا يرجع الي الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وهم الذين
الحدوا في اياته ومالوا عن الحق فقالوا ليس القران من عند الله او هو شعر او سحر فالايات ايات القران
قال مجاهد يلحدون في اياتنا اي عند تلاوة القران بالمكاء والتصدية واللغو والغناء وقال ابن عباس
هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وقال قتادة يلحدون في اياتنا يكذبون في اياتنا وقال
السدي يعاندون ويشاقون وقال ابن زيد يشركون ويكذبون والمعني متقارب وقال مقاتل نزلت
في ابي جهل وقال الايات المعجزات وهو يرجع الي الاول فان القران معجز افمن يلقي في النار علي وجهه وهو
ابو جهل في قول ابن عباس وغيره ام من ياتي امنا يوم القيامة قيل النبي صلي الله عليه وسلم قاله مقاتل
وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل حمزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي

المخزومي وقيل المومنون وقيل انها علي العموم فالذي يلقي في النار الكافر والذي ياتي يوم القيامة المومن
قاله ابن بحر اعملوا ما شئتم امر تهديد اي بعد ما علمتم انهما لا يستويان فلا بد لكم من الجزاء انه بما تعملون
بصير وعيد فتهدد وتوعد **قوله تعالي** ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب
عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذكر ها هنا القران في قول
الجميع لان فيه ذكر ما يحتاج اليه من الاحكام والخبر محذوف تقديره هالكون او معذبون وقيل الخبر اوليك ينادون
من مكان بعيد واعترض قوله ما يقال لك ثم رجع الي الذكر فقال ولو جعلناه قرانا اعجميا ثم قال اوليك
ينادون والاول الاختيار قال النحاس عند النحويين جميعا فيما علمت وانه لكتاب عزيز اي عزيز علي الله قاله
ابن عباس وعنه عزيز من عند الله وقيل كريم علي الله وقيل عزيز اي اعزه الله فلا يتطرق اليه باطل وقيل
ينبغي ان يعز ويجل وان لا يلغي فيه وقيل عزيز من الشيطان ان يبدله قاله السدي مقاتل منع من الشيطان
والباطل السدي غير مخلوق فلا مثل له وقاله ابن عباس ايضا عزيز اي ممتنع عن الناس ان يقولوا مثله
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يكذبه شيء مما انزل الله من قبل ولا ينزل بعده كتاب يبطله وينسخه
قاله الكلبي وقال السدي وقتادة لا ياتيه الباطل يعني الشيطان من بين يديه ولا من خلفه لا يستطيع
ان يغير ولا ينقص ولا يزيد وقال سعيد بن جبير لا ياتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه ابن جريج
لا ياتيه الباطل فيما اخبر عما مضي ولا فيما اخبر عما يكون وعن ابن عباس من بين يديه من الله تعالي ولا من
خلفه يريد من جبريل صلي الله عليه وسلم ولا من محمد صلي الله عليه وسلم تنزيل من حكيم حميد ابن عباس حكيم
في خلقه حميد اليهم قتادة حكيم في امره حميد الي خلقه **قوله تعالي** ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ما يقال لك اي من الاذي والتكذيب الا ما قد
قيل للرسل من قبلك يعزي نبيه ويسليه ان ربك لذو مغفرة لك ولاصحابك وذو عقاب اليم يريد
لاعدائك وجميعا وقيل اي ما يقال لك من اخلاص العبادة الا ما قد اوحي من قبلك ولا خلاف بين
الشرايع فيما يتعلق بالتوحيد وهو كقوله ولقد اوحي اليك والي الذين من قبلك لين اشركت ليحبطن
عملك اي لم تدعهم الا الي ما دعوا اليه جميع الانبيا فلا معني لانكارهم عليك وقيل هو استفهام
اي اي شي يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل ان ربك كلام مبتدا وما قبله كلام
تام اذا كان الخبر مبتدا وقيل هو متصل بما قبله لك اي ان ما يقال لك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب
اي انما امرت بالانذار والتبشير **قوله تعالي** ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته ااعجمي وعربي فيه ثلاث مسايل **الاولي** قوله تعالي ولو جعلناه قرانا اعجميا اي بلغة غير لغة
العرب لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلغتنا فاننا عرب لا نفهم عجمية فبين انه انزله بلسانهم
ليتقرر به معني الاعجاز اذ هم اعلم الناس بانواع الكلام نظما ونثرا واذا عجزوا عن معارضته كان من
ادل الدليل علي انه من عند الله ولو كان بلسان العجم لما قالوا لا علم لنا بهذا اللسان **الثانية** واذا
ثبت هذا ففيه دليل علي ان القران عربي وانه نزل بلغة العرب وانه ليس اعجميا وانه اذا نقل منها الي
غيرها لم يكن قرانا **الثالثة** قوله تعالي ااعجمي وعربي قرا ابو بكر وحمزة والكسائي ءاعجمي وعربي بهمزتين
مخففتين والعجمي الذي ليس من العرب كان فصيحا او غير فصيح والاعجمي الذي لا يفصح كان من العرب
او من العجم والاعجم ضد الفصيح وهو الذي لا يبين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق اعجم ومنه صلاة
النهار عجماء اي لا يجهر فيها بالقراءة فكانت النسبة الي الاعجم اكد لان الرجل العجمي الذي ليس من العرب
قد يكون فصيحا بالعربية والعربي قد يكون غير فصيح فالنسبة الي الاعجمي اكد في البيان والمعني اقران
اعجمي ونبي عربي وهو استفهام انكار وقرا الحسن وابو العالية ونصر بن عاصم والمغيرة وهشام عن ابن
عامر اعجمي بهمزة واحدة علي الخبر والمعني لولا فصلت اياته فكان منها عربي تفهمه العرب واعجمي تفهمه العجم
وروي سعيد بن جبير قال قالت قريش لولا انزل القران اعجميا وعربيا فيكون بعض اياته عجميا وبعضه عربيا
فنزلت الاية وانزل في القران من كل لغة فمنه سجين وهي فارسية واصلها سنك كيل اي طين وحجر ومنه
الفردوس رومية وكذلك القرطاس وقرا اهل الحجاز وابو عمرو وابن ذكوان وحفص علي الاستفهام الا انهم
لينوا الهمزة علي اصولهم والقراءة الفصيحة قراءة الاستفهام والله اعلم **قوله تعالي** قل هو للذين
امنوا هدي وشفاء والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمي اوليك ينادون من مكان

بعيد اعلم الله ان القرآن هدى وشفا لكل من امن به من الشك والريب والاوجاع والذين لا يومنون في
اذانهم وقر اي صمم عن سماع القرآن وبهذا تواصوا باللغو فيه ونظيره هذا وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقد مضى مستوفي وقرأ العامة عما على المصدر وقرا ابن
عباس وعبد الله بن الزبير وعمرو بن العاصي ومعاوية وسليمان ابن قته وهو عليهم عم بكسر الميم اي لا يتبين
لهم واختار ابو عبيدة القراءة الاولى لاجماع الناس فيها ولقوله اولا هدى وشفا ولو كان هاد وشاف
لكان الكسر في عمي اجود ليكون نعتا مثلهما تقديره والذين لا يومنون في ترك قبوله بمنزلة من في اذانهم وقر
وهو يعني القران عليهم ذو عمي لانهم لا يفقهون فحذف المضاف وقيل المعنى والوقر عليهم عمي اولئك ينادون
من مكان بعيد تقول ذلك لمن لا يفهم على التمثيل وحكي اهل اللغة انه يقال للذي يفهم انت تسمع من قريب
ويقال للذي لا يفهم انت تنادي من بعيد اي كانه ينادي من موضع بعيد منه فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه
وقال الضحاك ينادون يوم القيامة باقبح اسمائهم من مكان بعيد فيكون ذلك اشد لتوبيخهم وفضيحتهم
وقيل اي من لم يتدبر القران صار كالاعمى الاصم فهو ينادي من مكان بعيد فينقطع صوت المنادي
عنه وهو لم يسمع وقال علي رضي الله عنه ومجاهد اي بعيد من قلوبهم وفي التفاسير كانما ينادون من
السما فلا يسمعون وحكي معناه النقاش **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب ولقد اتينا موسى الكتاب
يعني التوراة فاختلف فيه اي امن به قوم وكذب به قوم والكناية ترجع الى الكتاب وهو تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابهم وقيل الكناية ترجع
الى موسى ولولا كلمت سبقت من ربك اي في امهالهم لقضي بينهم اي بتعجيل العذاب وانهم لفي شك
منه من القرآن مريب اي شديد الريبة وقد تقدم وقال الكلبي في هذه الاية لولا ان الله اخر عذاب هذه
الامة الى يوم القيامة لاتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الامم وقيل تاخير العذاب لما يخرج من
اصلابهم من المومنين **قوله تعالى** من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وما ربك بظلام
للعبيد من عمل صالحا فلنفسه شرط وجوابه وكذا ومن اسا فعليها والله عز وجل مستغن عن طاعة
العباد فمن اطاع فالثواب له ومن اسا فالعقاب عليه وما ربك بظلام للعبيد نفي للظلم عن نفسه
عز وجل قليله وكثيره واذا انتفت المبالغة انتفى غيرها دليله قوله الحق ان الله لا يظلم الناس
شيئا وروي العدول الثقات والائمة الاثبات عن الزاهد العدل عن امين الارض عن امين السماء
عن الرب عز وجل يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث وايضا
فهو الحكيم المالك وما يفعله المالك في ملكه لا اعتراض عليه اذ له التصرف في ملكه بما يريد
قوله تعالى اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا
تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركاءي قالوا اذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما
كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص اليه يرد علم الساعة اي حين وقتها انهم قالوا يا محمد
ان كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت وما تخرج من ثمرة من زائدة اي وما تخرج ثمرة من اكمامها
اي من اوعيتها فالاكمام اوعية الثمرة واحدها كمة وهي كل ظرف لمال او غيره ولذلك سمي قشر الطلع
اعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة قال ابن عباس الكمة الكفرى قبل ان ينشق فاذا انشقت فليست
بكمة وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة الرحمن وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات على الجمع الباقون
ثمرة بالتوحيد والمراد الجمع لقوله وما تحمل من انثى والمراد الجمع يقول اليه يرد علم الثمار والنتاج
ويوم يناديهم اي ينادي الله المشركين اين شركاءي الذين زعمتم في الدنيا انها الهة تشفع قالوا يعني
الاصنام وقيل المشركون ويحتمل ان يريدهم جميعا العابد والمعبود قالوا اذناك اسمعناك واعلمناك
يقال اذن يوذن اذا اعلم قال

اذنتنا ببينها اسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء

ما منا من شهيد اي يعلمك ما منا احد يشهد بان لك شريكا منهم لما عاينوا القيامة تبرءوا من الاصنام وتبرت
الاصنام منهم كما تقدم في غير موضع وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا وظنوا
اي ايقنوا وعلموا ما لهم من محيص اي فرار عن النار وما هنا حرف وليس باسم فلذلك لم يعمل فيه الظن

واذا انتفت المبالغة انتفى غيرها

وجعل الفعل ملغا تقديره وظنوا انهم ما لهم من محيص ولا مهرب حاص يحيص حيصا ومحيصا اذا هرب
وقيل ان الظن هنا اي هو اغلب الراي لا يبالون في انهم اصحاب النار ولكن يطمعون ان يخرجوا منها
وليس يبعد ان يكون لهم ظن ورجا الى ان يوبسوا **قوله تعالى** لا يسام الانسان من دعا الخير
وان مسه الشر فيوس قنوط الخير هنا المال والصحة والسلطان والعز قال السدي والانسان ههنا
يراد به الكافر قيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة ابني ربيعة وامية بن خلف وفي قراءة عبد
الله لا يسام الانسان من دعا المال وان مسه الشر الفقر والمرض فيوس من روح الله قنوط من رحمته
وقيل يوس من اجابة الدعا قنوط بسوء الظن بربه وقيل يوس اي ييس من زوال ما به من المكروه قنوط اي يظن
انه يدوم والمعنى متقارب **قوله تعالى** ولين اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي
وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبين الذين كفروا بما
عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ولين اذقناه رحمة منا ورخاء وغناء من بعد ضراء مسته ضر
وسقم وشدة وفقر ليقولن هذا لي اي هذا شيء استحقه على الله لرضاه بعملي فيرى النعمة حتما واجبا على
الله ولم يعلم انه ابتلاه بالنعمة والمحنة ليتبين شكره وصبره وقال ابن عباس هذا لي اي هذا من عندي
وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة واللام للتاكيد يتمنى الاماني
بلا عمل قال الحسن ابن محمد بن علي ابن ابي طالب للكافر امنيتان اما في الدنيا فيقول لين رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى واما في الاخرة فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ويا ليتني كنت ترابا فلننبين
الذين كفروا بما عملوا اي لنجزينهم قسم اقسم الله عليه ولنذيقنهم من عذاب غليظ **قوله تعالى**
واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر فذو دعا عريض واذا انعمنا على
الانسان يريد الكافر اعرض ونا بجانبه وقال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وامية بن
خلف اعرضوا عن الاسلام وتباعدوا ومعنى ناى بجانبه اي ترفع عن الانقياد للحق وتكبر على انبيا الله وقيل
ناى تباعد يقال ناىته ونايت عنه وانى عنه نايا بمعنى اي بعدت عنه وانايته فانتاى اي ابعدته فبعد
وتنا وا تباعدوا والمنتاى الموضع البعيد قال النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتاى عنك واسع

وقرا يزيد بن القعقاع وناء بجانبه بالف قبل الهمزة فيكون من ناء اذا نهض ويجوز ان يكون على قلب الهمزة بمعنى
الاول واذا مسه الشر اي اصابه المكروه فذو دعاء عريض كثير والعرب تستعمل الطول والعرض
في الكثرة يقال اطال فلان في الكلام واعرض في الدعا اذا اكثر وقال ابن عباس فذو دعا عريض
فذو تضرع واستغاثة والكافر يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء **قوله تعالى** قل ارايتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد قل ارايتم اي قل لهم يا محمد
ارايتم يا معشر المشركين ان كان هذا القران من عند الله ثم كفرتم به من اضل اي فاي الناس اضل اي لا احد
اضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم وقيل قوله ان كان من عند الله يرجع الى الكتاب المذكور في قوله اتينا
موسى الكتاب والاول اظهر وهو قول ابن عباس **قوله تعالى** سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من
لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم اي علامات وحدانيتنا وقدرتنا
في الافاق يعني خراب منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلايا والامراض وقال ابن زيد في الافاق ايات
السماء وفي انفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الافاق فتح القرى فيسر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
وللخلفا من بعده ونصار دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية المغرب خصوصا
من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفا الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم
على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة عن المعهود خارقا للعادات
وفي انفسهم فتح مكة وهو اختيار الطبري وقاله المنهال بن عمرو والسدي وقال قتادة والضحاك في الافاق وقائع
الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر وقال عطا وابن زيد ايضا في الافاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس
والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال
والبحار وغيرها وفي الصحاح الافاق النواحي واحدها افق وافق مثل عسر وعسر ورجل افقي بفتح الهمزة

والآفاق اكان من افاق الارض حكاه ابونصر وبعضهم يقول افق بضمها وهو القياس وانشد غيرا الجوهري

احذنا بافاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

وفي انفسكم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى في سبيل الغايط والبول فان الرجل يشرب وياكل من مكان

واحد ويتميز ذلك من مكانين وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرتا ماء ينظر بهما من السماء الي

تفسير سورة الشورى

وسناه وقدرته ان لا يجذب من عاد بلا اله الا الله مخلصا من قلبه وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير الحاء

من الرحمن والميم من المجيد والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر وقال مجاهد فواتح

السور وقال عبد الله بن بريدة انه اسم الجبل المحيط بالدنيا وذكر الغشيري واللفظ للثعلبي ان النبي

صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية عرفت الكآبة في وجهه فقيل له يا رسول الله ما احزنك قال

اخبرت ببلايا تنزل بامتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر وايات متتابعات

ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما قاله الزمخشري وقال مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشياطين وقد تقدم الا ان الله هو الغفور الرحيم قال بعض العلما هيب وعظم عز وجل في الابتداء والطف وبشر في الانتهاء **قوله تعالى** والذين اتخذوا من دونه اولياء يعني اصناما يعبدونها الله حفيظ عليهم اي يحفظ اعمالهم ليجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل وهذه منسوخة باية السيف وفي الخبر اطت السماء وحق لها ان تئط اي صوتت من ثقل سكانها لكثرتهم فهم مع كثرتهم لا يفترون من عبادة الله وهؤلاء الكفار يشركون به **قوله تعالى** وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا اي وكما اوحينا اليك والى من قبلك هذه المعاني كذلك اوحينا اليك قرانا عربيا بيناه بلغة العرب وقيل اي انزلنا عليك القران قرانا عربيا بلسان العرب قومك كما ارسلنا كل رسول بلسان قومه والمعنى واحد لتنذر ام القرى يعني مكة وقيل لمكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها ومن حولها من سائر الخلق وتنذر يوم الجمع اي يوم الجمع وهو يوم القيامة لا ريب فيه لا شك فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ابتدا وخبر واجاز الكسائي النصب على تقدير لتنذر فريقا في الجنة وفريقا في السعير **قوله تعالى** ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قال الضحاك اهل دين واحد اهل ضلالة او اهل هدى ولكن يدخل من يشاء في رحمته قال انس بن مالك في الاسلام والظالمون رفع على الابتداء والخبر ما لهم من ولي ولا نصير عطف على اللفظ ويجوز ولا نصير بالرفع على الموضع ومن زائدة **قوله تعالى** ام اتخذوا اي بل اتخذوا من دونه اوليا يعني اصناما فالله هو الولي اي وليك يا محمد وولي من اتبعك لا ولي سواه وهو يحيي الموتى يريد عند البعث وهو على كل شي قدير وغيره من الاولياء لا يقدر على شي **قوله تعالى** وما اختلفتم فيه من شي حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمومنين اي وما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين من امر الدين فقولوا لهم حكمه الى الله لا اليكم وقد حكم ان الدين هو الاسلام لا غيره وامور الشرائع انما تتلقى من بيان الله ذلكم الله ربي اي الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده وفيه اضمار اي قل لهم يا محمد ذلكم الله الذي يحيي الموتى ويحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت اي اعتمدت واليه انيب ارجع **قوله تعالى** فاطر السموات والارض بالرفع على النعت لاسم الله او على تقدير هو فاطر ويجوز النصب على النداء والجر على البدل من الهاء في عليه والفاطر المبدع والخالق وقد تقدم جعل لكم من انفسكم ازواجا قيل معناه اناثا وانما قال من انفسكم لانه خلق حوا من ضلع ادم وقال مجاهد نسلا بعد نسل ومن الانعام ازواجا يعني الثمانية التي ذكرها في الانعام ذكور الابل والبقر والضان والمعز واناثها يذروكم فيه اي يخلقكم وينشئكم فيه اي في الرحم وقيل في البطن وقال الفرا وابن كيسان فيه بمعنى به وكذلك قال الزجاج معنى يذروكم فيه يكثركم فيه اي يكثركم يجعلكم ازواجا اي حلايل لانهن سبب النسل وقيل ان الها في فيه للجعل ودل عليه جعل فكانه قال يخلقكم ويكثركم في الجعل ابن قتيبة يذروكم فيه اي في الزوج اي يخلقكم في بطون الاناث قال ويكون فيه الرحم وفيه بعد لان الرحم مونثة ولم يتقدم لها ذكر ليس كمثله شي وهو السميع البصير وقيل ان الكاف زائدة للتوكيد اي ليس مثله شي قال

فادخل على الكاف كافا　　　وصاليات ككما يوثفين

تاكيد التشبيه وقيل المثل زائدة للتوكيد وهو قول ثعلب اي ليس كهو شي نحو قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به وفي حرف بن مسعود فان امنوا بما امنتم به فقد اهتدوا وقال اوس بن حجر

وقتلي كمثل جذوع النخل　　　يغشاهم مطر منهمر

اي كجذوع والذي يعتقد في هذا الباب ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به شي وانما جا مما اطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي او صفات القديم جل وعلا بخلاف صفات المخلوق اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل باسمائه وصفاته على ما بيناه في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى تعالى وكفى في هذا قوله الحق ليس كمثله شي وقد قال بعض العلما المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم **قوله تعالى** له مقاليد السموات والارض تقدم في الزمر بيانه النحاس والذي يملك المفاتيح يملك الخزاين يقال للمفتاح اقليد

ام القرى يعني مكة

التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات

وجمعه على غير قياس كمحاسن والواحد حسن يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شي عليم تقدم ايضا في غير موضع **قوله تعالى** شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى شرع لكم اي الذي له مقاليد السموات والارض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ثم بين ذلك بقوله اي اقيموا الدين وهو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبساير ما يكون الرجل بامامته مسلما ولم يرد الشرايع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقد تقدم القول فيه ومعنى شرع نهج واوضح وبين المسالك وقد شرع لهم يشرع شرعا اي سن والشارع الطريق الاعظم وشرع المنزل اذا كان على طريق نافذ وشرعت الابل اذا امكنتها من الشريعة وشرعت الاديم اذا سلخته وقال يعقوب اذا شققت ما بين الرجلين قال وسمعته من ام الحمارس البكرية وشرعت في هذا الامر شروعا اي خضت ان اقيموا الدين لو وقف على هذا الوجه على بن عيسى ان في محل الرفع على تقدير والذي وصى به نوحا ان اقيموا الدين ووقف على هذا الوجه على بن عيسى وقيل هو نصب اي شرع لكم اقامة الدين وقيل هو جر بدلا من الها في به كانه قال به اقيموا الدين ولا يوقف على عيسى على هذين الوجهين ويجوز ان تكون ان مفسرة مثل ان امشوا ولا يكون لها محل من الاعراب الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير ولكن ايتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى الارض فياتون نوحا فيقولون له انت اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان ادم اول رسول نبي بغير اشكال الا ان ادم لم تكن معه الا نبوة ولم تفرض له الفرايض ولا شرعت له المحارم وانما كان تنبيها على بعض الامور واقتصارا على ضرورات المعاش واخذا بوظايف الحياة والبقا فاستقر المدى الى نوح فبعثه الله بتحريم الامهات والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات واوضح له الاداب في الديانات ولم يزل ذلك يتاكد بالرسل ويتناصر بالانبياء صلوات الله عليهم واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان اكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان المعنى اوصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا يعني في الاصول التي لا تختلف فيها الشريعة وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله تعالى بصالح العمل والزلف اليه بما يرد القلب والجارحة اليه والصدق والوفا بالعهد واداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذاية للخلق كيف ما تصرفت والاعتدا على الحيوان كيف ما دار واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروات فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة متحدة لم تختلف على السنة الانبيا وان اختلفت اعدادهم وذلك **قوله تعالى** ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اي اجعلوه قايما يريد دايما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وفا بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه واختلفت الشرايع ورا هذا في معاني حسبما اراده الله مما اقتضت المصلحة واوجبت الحكمة وضعه في الازمنة على الامم والله اعلم قال مجاهد لم يبعث الله نبيا قط الا وصاه باقامة الصلاة وايتا الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقاله الوالبي عن ابن عباس وهو قول الكلبي وقال قتادة يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والاخوات والبنات وما ذكره القاضي يجمع هذه الاقوال ويزيد عليها وخص نوحا وابراهيم وموسى وعيسى بالذكر لانهم ارباب الشرايع **قوله تعالى** كبر على المشركين اي عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض الاوثان قال قتادة كبر على المشركين واشتد عليهم شهادة ان لا اله الا الله وضاق بها ابليس وجنوده فابى الله عز وجل الا ان ينصرها ويعليها ويظفرها على من ناواها ثم قال الله يجتبي اليه من يشاء اي يختار والاجتبا الاختيار اي يختار للتوحيد من يشاء ويهدي اليه من ينيب اي يستخلص لدينه من رجع اليه وما تفرقوا يعني قريشا الا من بعد ما جاءهم العلم محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يتمنون ان يبعث اليهم نبي دليله قوله تعالى في سورة فاطر واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير يريدون نبيا وقال في سورة البقرة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به على ما تقدم بيانه هناك وقيل امم الانبيا المتقدمين فانهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فامن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس ايضا يعني اهل الكتاب دليله في سورة المنفكين وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فالمشركون قالوا لم خص بالنبوة واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى بغيا من بعضهم اي بغيا من بعضهم على بعض طلبا للرياسة فليس

تفرقتهم في قصور للبيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك
في تاخير العقاب عنهم الى اجل مسمى قيل القيامة لقوله تعالى والساعة موعدهم وقيل الى الاجل
الذي قضي فيه بعذابهم لقضي بينهم اي بين من امن وبين من كفر بنزول العذاب وان الذين اورثوا
الكتاب يريد اليهود والنصارى من بعدهم اي من بعد المختلفين في الحق لفي شك من القران او من محمد
وقال مجاهد يعني من بعدهم من قبلهم يعني من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى **قوله تعالى**
فلذلك فادع واستقم لما جاز ان يكون الشك لليهود والنصارى او لقريش قيل له فلذلك فادع
واستقم اي فبسبب شكهم فادع الى الله اي الى ذلك الدين الذي شرعه الله للانبيا ووصاهم به فاللام
بمعنى الى كقوله بان ربك اوحى لها اي اليها وذلك بمعنى هذا وقد تقدم في اول البقرة والمعنى فلهذا
القران فادع وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك
فادع وقيل ان اللام على بابها والمعنى فمن اجل ذلك الذي تقدم ذكره فادع واستقم قال ابن عباس اي
الى القران فادع الخلق واستقم خطاب له عليه السلام قال قتادة اي استقم على امر الله وقال
سفيان اي استقم على القران وقال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة ولا تتبع اهواءهم اي لا تنظر الى
خلاف من خالفك وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله اي اعدل لقوله وامرت
ان اسلم لرب العالمين وقيل هي لام كي اي لكي اعدل قال ابن عباس وابو العالية لاسوي بينكم في الدين
فاومن بكل كتاب وبكل رسول وقال غيرهما لاعدل في جميع الاحوال وقيل هذا العدل في الاحكام وقيل في التبليغ
الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود لنا ديننا
ولكم دينكم قال ثم نسخت بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية قال مجاهد ومعنى لا حجة
بيننا وبينكم لا خصومة بيننا وبينكم وقيل ليس بمنسوخ لان البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت
فلم يبق الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال قال النحاس ويجوز ان يكون معنى لا حجة بيننا وبينكم على ذلك
القول لم نومر ان نحتج عليكم ونقاتلكم ثم نسخ هذا كما ان قائلا لو قال من قبل ان تحول القبلة لا تصل الى الكعبة
ثم حول الناس بعد لجاز ان يقال نسخ ذلك الله يجمع بيننا يريد يوم القيامة واليه المصير اي فهو يحكم بيننا اذا
صرنا اليه ويجازي كلا بما كان عليه وقيل ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة
وقد سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع عن دعوته ودينه الى دين قريش على ان يعطيه الوليد نصف
ماله ويزوجه شيبة بابنته **قوله تعالى** والذين يحاجون في الله رجع الى المشركين من بعد ما
استجيب له قال مجاهد من بعد ما اسلم الناس قال وهؤلاء قوم توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة الذين
يحاجون في الله اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون
لانفسهم الفضيلة بانهم اهل كتاب وانهم اولاد الانبيا وكان المشركون يقولون اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا فقال الله تعالى ان هؤلاء الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة اي لا ثبات
لها كالشي الذي يزول عن موضعه والهاء في له يجوز ان يكون لله عز وجل اي من بعد ما وحدوا الله وشهدوا له
بالوحدانية ويجوز ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم اي من بعد ما استجيب لمحمد صلى الله عليه وسلم في
دعوته من اهل بدر ونصر الله المومنين يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله والادحاض
الازلاق ومكان دحض ودحض ايضا بالتحريك اي زلق ودحضت رجله تدحض دحضا زلقت ودحضت
الشمس عن كبد السما زالت وعليهم غضب يريد في الدنيا ولهم عذاب شديد يريد في الاخرة عذاب دائم
قوله تعالى الله الذي انزل الكتاب يعني القران وساير الكتب المنزلة بالحق بالصدق والميزان
اي العدل قاله ابن عباس واكثر المفسرين والعدل يسمى ميزانا لان الميزان الة الانصاف
والعدل وقيل الميزان ما بين في الكتاب مما يجب على كل انسان ان يعمل به وقال قتادة الميزان
العدل فيما امر به ونهى عنه وهذه الاقوال متقاربة المعنى وقيل هو الجزاء على الطاعة بالثواب
وعلى المعصية بالعقاب وقيل انه الميزان نفسه الذي يوزن به انزله من السما وعلم العباد الوزن
به لكيلا يكون بينهم تظالم وتباخس قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط قال مجاهد هو الذي يوزن به ومعنى انزل الميزان هو الهامه
للخلق ان يعملوه ويعملوا به وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينكم بكتاب الله وما يدريك لعل

ودحضت حجته دحوضا

الساعة

الساعة قريب فلم يخبره بها ليحضه على العمل بالكتاب والعدل والتسوية والعمل بالشرايع قبل ان يفاجئ
اليوم الذي يكون فيه المحاسبة ووزن الاعمال فيوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف فلذلك قال
لعل الساعة قريب اي منك وانت لا تدري وقال قريب ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقي لانها كالوقت
قاله الزجاج والمعنى لعل البعث او لعل مجي الساعة قريب وقال الكسائي قريب نعت ينعت به المونث والمذكر
والجميع بمعنى ولفظ واحد قال الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الشاعر

وكنا قريبا والديار بعيدة ... فلما وصلنا نصب اعينهم غبنا

قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يومنون بها يعني على طريق الاستهزا ظنا منهم انها غير اتية او
ايهاما للضعفة انها لا تكون والذين امنوا مشفقون منها اي خايفون وجلون لاستقصارهم انفسهم مع
الجهد في الطاعة كما قال والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ويعلمون انها الحق
اي التي لا شك فيها الا ان الذين يمارون في الساعة اي يشكون ويخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال
بعيد اي عن الحق وطريق الاعتبار اذ لو تذكروا لعلموا ان الذي انشاهم من تراب ثم من نطفة الى ان
بلغوا ما بلغوا قادر على بعثهم **قوله تعالى** الله لطيف بعباده قال ابن عباس حفي بهم وقال عكرمة بار
بهم وقال السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم وقال
القرظي لطيف بهم في العرض والمحاسبة قال غدا عند مولى الخلق للخلق موقف يسايلهم فيه الجليل فيلطف
وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين يلطف بهم في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات
والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم في القران وتفصيله
وتفسيره وقال الجنيد لطف باوليايه حتى عرفوه ولو لطف باعدايه لما جحدوه وقال محمد بن علي
الكتاني اللطيف بمن لجا اليه من عباده اذا ييس من الخلق توكل عليه ورجع اليه فحينيذ يقبله
ويقبل عليه وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يطلع على القبور الدوارس فيقول امحت اثارهم
واضمحلت صورهم وبقي عليهم العذاب وانا اللطيف وانا ارحم الراحمين خففوا عنهم العذاب
فيخفف عنهم قال ابو علي الثقفي

امر بافنا القبور كانني ... اخو بطنه والثوب فيه خفيف
ومن شق فاه الله قدر رزقه ... وربي بمن يلجا اليه لطيف

وقيل اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه
وسلم يا من اظهر الجميل وستر القبيح وقيل هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل هو الذي يجبر
الكسير وييسر العسير وهو الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي يبذل لعبده
النعمة فوق الهمة ويكلفه الطاعة فوق الطاقة قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقال ما جعل الله عليكم في الدين من حرج يريد الله ان يخفف عنكم وقيل
هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل
هو الذي لا يرد سايله ولا يويس امله وقيل هو الذي يعفو عمن يهفو وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم
وقيل هو الذي اوقد في اسرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجا
واجزل لهم من سحاب بره ماء ثجاجا وقد مضى في الانعام قول ابي العالية والجنيد وقد ذكرنا جميع
هذا في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى عند اسمه اللطيف والحمد لله يرزق من يشا ويحرم
من يشا وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض الى البعض كما قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فكان هذا
لطفا بالعباد وايضا ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني كما قال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
على ما تقدم وبيانه وهو القوي العزيز **قوله تعالى** من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه
الحرث العمل والكسب ومنه قول عبد الله بن عمرو

واحرث لدنياك كانك تعيش ابدا ... واعمل لاخرتك كانك تموت غدا

ومنه سمي الرجل حارثا والمعنى اي من طلب بما رزقناه حرثا لاخرته فادى حقوق الله وانفق في اعزاز الدين
فانما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشرا الى سبعماية فاكثر ومن كان يريد حرث الدنيا اي طلب
المال فاتاه الله رياسة الدنيا والتوصل الى المحظورات فانا لا نحرمه الرزق اصلا ولكن لا حظ
له في الاخرة من ماله قال الله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد ثم جعلنا

جي

بمعنى اللطيف

مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعي لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا وقيل نزد له في حرثه نوفقه للعبادة ونسهلها عليه وقيل حرث الاخرة الطاعة اي من اطاع فله الثواب وقيل نزد له في حرثه اي نعطيه الدنيا مع الاخرة وقيل الاية في الغزو اي من اراد بغزوه الاخرة اوتي الثواب ومن اراد بغزوه الغنيمة اوتي منها قال القشيري والظاهر ان الاية في الكافر يوسع عليه الدنيا اي لا ينبغي ان يغتر بذلك لان الدنيا لا تبقي وقال قتادة ان الله يعطي علي نية الاخرة ما شا من امر الدنيا ولا يعطي علي نية الدنيا الا الدنيا وقال ايضا يقول الله تعالي من عمل لاخرته زدناه في عمله واعطيناه من الدنيا ما كتبنا له ومن اثر دنياه علي اخرته لم نجعل له نصيبا في الاخرة الا النار ولم يصب من الدنيا الا رزقا قد قسمناه له لا بد ان كان يوتاه مع ايثار او غير ايثار قال الشيخ رحمه الله قول قتادة حسن والاية تعم روي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال وقوله عز وجل من كان يريد حرث الاخرة من كان من الابرار يريد بعمله الصالح ثواب الاخرة نزد له في حرثه اي في حسناته ومن كان يريد حرث الدنيا اي من كان من الفجار يريد بعمله الحسن الدنيا نوته منها ثم نسخ ذلك بقوله في سبحان من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد والصواب ان هذا ليس بنسخ لان هذا خبر والاشيا كلها بارادة الله عز وجل الا تري انه قد صح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت وقد قال قتادة ما تقدم ذكره عنه وهو يبين لك ان لا نسخ وقد ذكرنا في هود ان هذا من باب المطلق والمقيد وان النسخ لا يدخل في الاخبار والله المستعان مسالة هذه الاية تبطل مذهب ابي حنيفة في قوله انه من توضا تبردا انه يجزيه عن فريضة الوضو الموظف عليه فان فريضة الوضو من حرث الاخرة والتبرد من حرث الدنيا فلا يدخل احدهما علي الاخر ولا تجزي نيته عنه بظاهر هذه الاية قاله ابن العربي **قوله تعالي** ام لهم شركاء اي الهم والميم صلة والهمزة للتقريع وهذا متصل بقوله شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان كانوا لا يومنون به فهل لهم الهة شرعوا لهم الشرك الذي لم ياذن به الله واذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك فمن اين تدينون ولو لا كلمة الفصل يوم القيامة حيث قال بل الساعة موعدهم لقضي بينهم في الدنيا فعاجل الظالم بالعقوبة واثاب الطايع وان الظالمين اي المشركين لهم عذاب اليم في الدنيا القتل والاسار والقهر وفي الاخرة عذاب النار وقرا ابن هرمز وان بفتح الهمزة علي العطف علي كلمة والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب لو لا جايز ويجوز ان يكون موضع ان رفعا علي تقدير وجب ان الظالمين لهم عذاب اليم فيكون منقطعا مما قبله كقراءة الكسر فاعلمه **قوله تعالي** تري الظالمين مشفقين اي خايفين مما كسبوا اي من جزاء ما كسبوا والظالمون هاهنا الكافرون بدليل التقسيم بين المومن والكافر وهو واقع بهم اي نازل بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات الروضة الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضي في الروم لهم ما يشاوون عند ربهم اي من النعيم والثواب الجزيل ذلك هو الفضل الكبير اي لا يوصف ولا تهتدي العقول الي كنه صفته لان الحق اذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره **قوله تعالي** ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا قري يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشر وفيه حذف اي يبشر الله به عباده المومنين ليتعجلوا السرور ويزدادوا جدا في الطاعة **قوله تعالي** قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي فيه مسيلتان الاولي قل لا اسالكم عليه اجرا اي قل يا محمد لا اسالكم علي تبليغ الرسالة جعلا الا المودة في القربي قال الزجاج الا المودة استثنا ليس من الاول اي الا ان تودوني لقرابتي فتحفظوني والخطاب لقريش خاصة قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الي ابن عباس نساله عنها فكتب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان اوسط الناس في قريش فليس بطن من بطونهم الا وقد ولده فقال الله له قل لا اسالكم عليه اجرا الا ان تودوني في قرابتي منكم او تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني فالقربي هاهنا قرابة الرحم فانه قال اتبعوني للقرابة ان لم تتبعوني للنبوة قال عكرمة وكانت قريش تصل ارحامها فلما بعث النبي صلي الله عليه وسلم قطعته فقال صلوني كما كنتم تفعلون فالمعني علي هذا قل لا اسالكم عليه اجرا لكن اذكركم قرابتي علي انه استثنا ليس من

الاول ذكره النحاس وفي البخاري عن طاووس عن ابن عباس انه سيل عن قوله الا المودة في القربي فقال سعيد بن جبير قربي ال محمد فقال ابن عباس عجلت ان النبي صلي الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بينكم من القرابة فهذا قول وقيل القربي قرابة الرسول صلي الله عليه وسلم اي لا اسالكم اجرا الا ان تودوا اقرابي واهل بيتي كما امر باعظامهم ذوي القربي وهذا قول علي بن حسين لما انزل الله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي قالوا يا رسول الله من هاولاء الذين نودهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ايضا ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الي النبي صلي الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضي ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمايلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلي الله عليه وسلم حرمت الجنة علي من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الي احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وقال قتادة والحسن المعني الا ان يتوددوا الي الله ويتقربوا اليه بطاعته والقربي علي هذا بمعني القربة يقال قربة وقربي بمعني كالزلفة والزلفي وروي قزعة بن سويد عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قل لا اسالكم علي ما اتيتكم به اجرا الا ان تودوا وتقربوا اليه بالطاعة وروي منصور عن عوف قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي قال تتوددون الي الله عز وجل وتتقربون منه بطاعته وقال قوم الاية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون يوذون رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وامرهم الله بمودة نبيه صلي الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر اوته الانصار ونصروه واراد الله ان يلحقه باخوانه من الانبيا حيث قالوا وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا علي رب العالمين فانزل الله تعالي قل لا اسالكم عليه من اجر فهو لكم ان اجري الا علي الله فنسخت بهذه الاية وبقوله قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون قاله الضحاك والحسين بن الفضل ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال الثعلبي وليس بقوي وكفي قبحا بقول من يقول ان التقرب الي الله بطاعته ومودة نبيه صلي الله عليه وسلم واهل بيته منسوخا وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم من مات علي حب ال محمد مات شهيدا ومن مات علي حب ال محمد جعل الله زوار قبره الملايكة والرحمة ومن مات علي حب ال محمد مات علي السنة والجماعة ومن مات علي بغض ال محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه ايس اليوم من رحمة الله ومن مات علي بغض ال محمد لم يرح رايحة الجنة ومن مات علي بغض ال بيتي فلا نصيب له في شفاعتي قال الشيخ رحمه الله وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره باطول من هذا فقال وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من مات علي حب ال محمد مات شهيدا الا ومن مات علي حب ال محمد مات مومنا مستكمل الايمان الا ومن مات علي حب ال محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات علي حب ال محمد يزف الي الجنة كما تزف العروس الي بيت زوجها الا ومن مات علي حب ال محمد فتح له من قبره بابان الي الجنة الا ومن مات علي حب ال محمد جعل الله قبره مزار ملايكة الرحمة الا ومن مات علي حب ال محمد مات علي السنة والجماعة الا ومن مات علي بغض ال محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله الا ومن مات علي بغض ال محمد مات كافرا الا ومن مات علي بغض ال محمد لم يشم رايحة الجنة قال النحاس ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة قال كانوا يصلون ارحامهم فلما بعث النبي صلي الله عليه وسلم قطعوه فقال قل لا اسالكم عليه اجرا الا ان تودوني وتحفظوني لقرابتي ولا تكذبوني قال الشيخ رحمه الله وهذا هو معني قول ابن عباس في البخاري والشعبي عنه بعينه وعليه لا نسخ قال النحاس وقول الحسن حسن ويدل علي صحته الحديث المسند عن رسول الله صلي الله عليه وسلم كما حدثناه احمد بن محمد الازدي قال اخبرنا الربيع بن سليمان المرادي قال اخبرنا اسد بن موسي قال حدثنا قزعة وهو ابن يزيد البصري قال حدثنا عبد الله ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا اسالكم علي ما انبيكم به من البينات والهدي اجرا الا ان توادوا الله عز وجل وان تتقربوا اليه بطاعته فهذا المبين عن الله عز وجل قد قال هذا وكذا قالت الانبيا صلي الله عليهم قبله ان اجري الا علي الله الثانية واختلفوا في سبب نزولها فقال ابن عباس لما قدم النبي

من مات علي حب ال محمد مات علي السنة والجماعة

صلى الله عليه وسلم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق لا يسعها ما في يديه فقالت الانصار ان هذا الرجل
هداكم الله به وهو ابن اخيكم وتنوبه نوائب وحقوق لا يسعها ما في يديه فنجمع له ففعلوا ثم اتوه به فنزلت
قال الحسن نزلت حين تفاخرت الانصار والمهاجرين بقراباتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مقسم
عن ابن عباس قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فخطب فقال للانصار الم تكونوا اذلاء فاعزكم
الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي الم تكونوا خائفين فامنكم الله بي الا تردون علي فقالوا بم نجيبك
قال تقولون الم يطردك قومك فاويناك الم يكذبك قومك فصدقناك فعدد عليهم قال فجثوا على
ركبهم فقالوا انفسنا واموالنا لك فنزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقال
قتادة قال المشركون لعل محمدا فيما يتعاطاه يطلب اجرا فنزلت هذه الاية ليحثهم على مودته ومودة
اقربائه قال الشعبي وهذا اشبه بالاية لان السورة مكية **قوله تعالى** **ومن يقترف حسنة**
اي يكتسب واصل القرف الكسب يقال فلان يقرف لعياله اي يكتسب والاقتراف الاكتساب وهو ماخوذ
من قولهم رجل قرفة اذا كان محتالا وقد مضى في الانعام القول فيه وقال ابن عباس ومن يقترف حسنة
قال الحب المودة لال محمد صلى الله عليه وسلم نزد له فيها حسنا اي نضاعف له الحسنة بعشر فصاعدا
ان الله غفور شكور قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور لذنوب ال محمد
عليه السلام شكور لحسناتهم **قوله تعالى** **ام يقولون افترى على الله كذبا** الميم صلة والتقدير
ايقولون افترى واتصل الكلام بما قبل لان الله لما قال وقل امنت بما انزل الله من كتاب وقال الله نزل
الكتاب بالحق قال اتمام البيان ام يقولون افترى على الله كذبا يعني كفار قريش قالوا ان محمدا اختلق
الكذب على الله فان يشا الله يختم شرط وجوابه على قلبك قال قتادة يطبع على قلبك فينسيك القران
فاخبرهم الله انه لو افترى عليه لفعل بمحمد صلى الله عليه وسلم ما اخبرهم به في هذه الاية وقال مجاهد
ومقاتل ان يشا الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل المعنى
ان نشا نزل تمييزك وقيل المعنى لو حدثت نفسك ان تفتري على الله كذبا لطبع على قلبك قاله ابن عيسى وقيل
فان يشا الله يختم على قلوب الكفار وعلى السنتهم وعاجلهم بالعقاب فالخطاب له والمراد الكفار ذكره القشيري
ثم ابتداء فقال ويمح الله الباطل قال ابن الانباري يختم على قلبك تام وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير
والله يمح الباطل فحذف منه الواو في المصحف وهو في موضع رفع كما حذفت من قوله سندع الزبانية ويدع
الانسان ولانه عطف على قوله يختم على قلبك وقال الزجاج قوله ام يقولون افترى على الله كذبا تام وقوله
ويمح الله الباطل احتجاج على من انكر ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم اي لو كان ما اتى به باطلا لمحاه كما جرت
به عادته في المفترين ويحق الحق اي الاسلام فيثبته بكلماته اي بما انزله من القران انه عليم بذات الصدور عام اي
بما في قلوب العباد وقيل خاص والمعنى انك لو حدثت نفسك ان تفتري على الله كذبا لعلمه وطبع على قلبك
قوله تعالى **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه
اجرا الا المودة في القربى قال قوم في نفوسهم ما يريد الا ان يحثنا على اقاربه من بعده فاخبر جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم انهم قد اتهموه فانزل ام يقولون افترى على الله كذبا الاية فقال القوم يا رسول الله
فانا نشهد انك صادق وتوبوا فنزلت وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس اي عن اوليائه
واهل طاعته والاية عامة وقد مضى الكلام في معنى التوبة واحكامها ومضى هذا اللفظ في براءة
ويعفو عن السيئات اي عن الشرك قبل الاسلام ويعلم ما تفعلون اي من الخير والشر وقرا حمزة والكسائي
وحفص وخلف بالتاء على الخطاب وهي قراءة ابن مسعود واصحابه الباقون على الخبر واختاره ابو عبيد وابو
حاتم لانه بين خبرين الاول وهو الذي يقبل التوبة عن عباده والثاني ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
قوله تعالى **ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات** الذين في موضع نصب اي
ويستجيب الذين امنوا اي يقبل عبادة من اخلص له بقلبه واطاع ببدنه وقيل يعطيهم مسالتهم اذا دعوه
وقيل ويجيب دعا المومنين بعضهم لبعض يقال اجاب واستجاب بمعنى واحد وقد مضى في البقرة وقال
ابن عباس ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال يشفعهم
في اخوان اخوانهم وقال المبرد معنى ويستجيب الذين امنوا وليستدع الذين امنوا الى الاجابة هكذا حقيقة
معنى استفعل فالذين في موضع رفع والكافرون لهم عذاب شديد **قوله تعالى** **ولو بسط**

الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فيه مسالتان **الاولى** في نزولها قيل انها نزلت في قوم من اهل
الصفة تمنوا سعة الرزق وقال خباب بن الارت فينا نزلت نظرنا الى اموال بني النضير وقريظة وبني
قينقاع فتمنيناها فنزلت ولو بسط الله معناه وسع وبسط الشي نشره وبالصاد ايضا لبغوا في الارض
لطغوا وعصوا وقال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا
بعد ملبس وقيل لو اراد اعطاهم الكثير لطلبوا ما هو اكثر منه كقوله لو كان لابن ادم واديان من
ذهب لابتغى اليهما ثالثا وهذا هو البغي وهو معنى قول ابن عباس وقيل لو جعلناهم سوا في المال لما انقاد
بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع وقيل اراد بالرزق المطر لو دام المطر لتشاغلوا به عن الدعا فيقبض
تارة ليتضرعوا ويبسط اخرى ليشكروا وقيل كانوا اذا اخصبوا اغار بعضهم على بعض فلا يبعد حمل البغي
على هذا الزمخشري لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة
ماشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها
ولبعض العرب

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا ... وبين بني رومان نبعا وشوحطا

يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتفاتن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض
وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد ولكن ينزل بقدر ما يشا اي ينزل بقدر ما يشا لكفايتهم
وقال مقاتل ينزل بقدر ما يشا يجعل من يشاء غنيا ومن يشا فقيرا **الثانية** قال علماونا افعال الرب
سبحانه لا تخلو عن مصالح وان لم يجب على الله الاستصلاح فقد يعلم من حال عبد انه لو بسط عليه قاده ذلك
الى الفساد فيزوي عنه الدنيا مصلحة له فليس ضيق الرزق هوانا ولا سعة الرزق فضيلة وقد اعطى
اقواما مع علمه بانهم يستعملونه في الفساد ولو فعل بهم ما فعل لكانوا اقرب من الصلاح والامر على الجملة
مفوض الى مشيئته ولم يلزم مذهب الاستصلاح في كل فعل من افعال الله تعالى وروى انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاسرع
شي الى نصرة اوليائي واني لاغضب لهم كما يغضب الليث الحرد وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي
في قبض روح عبدي المومن يكره الموت وانا اكره اساءته ولا بد له منه وما تقرب الي عبدي المومن بمثل
ما افترضت عليه وما يزال عبدي المومن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا
وبصرا ولسانا ويدا ومويدا فان سالني اعطيته وان دعاني اجبته وان من عبادي المومنين من يسالني
الباب من العبادة واني عليم اني لو اعطيته اياه لدخله العجب فافسده وان من عبادي المومنين من لا يصلحه
الا الغنى ولو افقرته لافسده الفقر وان من عبادي المومنين من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده
الغنى واني لادبر عبادي لعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير ثم قال انس اللهم اني من عبادك المومنين الذين لا
يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني برحمتك **قوله تعالى** **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا**
قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد وابو عمرو ويعقوب وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي
وينزل مخففا الباقون بالتشديد وقرا ابن وثاب ايضا والاعمش وغيرهما قنطوا بكسر النون وقد تقدم جميع
هذا والغيث المطر وسمي الغيث غيثا لانه يغيث الخلق وقد غاث الغيث الارض اي اصابها وغاث الله
البلاد يغيثها غيثا وغيثت الارض تغاث غيثا فهي ارض مغيثة ومغيوثة وعن الاصمعي قال مررت ببعض
قبائل العرب وقد مطروا فسالت عجوزا منهم كم اتاكم المطر فقالت غثنا ما شينا اي مطرنا وقال ذو الرمة
قاتل الله امة بني فلان ما افصحها قلت لها كيف كان المطر عندكم فقالت غثنا ما شينا ذكر الاول الثعلبي
والثاني الجوهري وربما سمي السحاب والنبات غيثا والقنوط الاياس قاله قتادة وغيره قال قتادة ذكر
ان رجلا قال لعمر بن الخطاب يا امير المومنين قحط المطر وقل الغيث وقنط الناس فقال مطرتم ان شا الله ثم قرا
وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا والغيث ما كان نافعا في وقته والمطر قد يكون ضارا او نافعا
في وقته وغير وقته قاله الماوردي وينشر رحمته قيل المطر وهو قول السدي وقيل ظهور الشمس بعد
المطر ذكره المهدوي وقال مقاتل نزلت في حبس المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر
وقيل نزلت في الاعرابي الذي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم المطر يوم الجمعة في خبر الاستسقاء ذكره
القشيري والله اعلم وهو الولي الحميد الولي الذي ينصر اولياءه الحميد المحمود بكل لسان **قوله تعالى**
ومن اياته خلق السموات والارض اي علاماته الدالة على قدرته وما بث فيهما من دابة قال

قال قوم في نفوسهم ما يريد الا ان يحثنا على اقاربه

مجاهد يدخل في هذا الملائكة والناس وقد قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقال الفراء اراد ما بث في الارض
دون السماء كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال ابو علي تقديره
وما بث في احدهما فحذف المضاف وقوله يخرج منهما اي من احدهما وهو على جمعهم اي يوم القيامة اذا
يشاء قدير **قوله تعالى** وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قرا نافع وابن عامر بما كسبت
بغير فا والباقون بالفا فيهما واختاره ابو عبيد وابو حاتم للزيادة في الحرف والاجر قال المبرد وان قدرت
ان ما الموصولة جاز حذف الفا واثباتها والاثبات احسن وان قدرتها التي للشرط لم يحسن الحذف
عند سيبويه واجاز الاخفش واحتج بقوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون والمصيبة هنا الحدود على المعاصي
قاله الحسن وقال الضحاك ما تعلم رجل القران ثم نسيه الا بذنب قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ثم قال واي مصيبة اعظم من نسيان القران ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز ابن ابي رواد
عنه قال ابو عبيد انما هذا على الترك فاما الذي هو دايب في تلاوته حريص على حفظه الا ان النسيان
يغلبه فليس من ذلك في شي ومما يحقق ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشي من القران حتى
يذكره من ذلك حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع قراءة رجل في المسجد فقال ماله رحمه
الله لقد اذكرني ايات كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وقيل ما بمعنى الذي والمعنى الذي اصابكم
فيما مضى بما كسبت ايديكم وقال علي رضي الله عنه هذه الاية ارجى اية في كتاب الله عز وجل واذا كان
يكفر عني بالمصايب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي
الله عنه قال علي بن ابي طالب الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا به النبي صلى الله عليه وسلم
ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم الاية على ما اصابكم من مرض وعقوبة او بلاء في الدنيا
فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما عفا عنه في الدنيا فالله احلم
من ان يعاقب به بعد عفوه وقال الحسن لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج
عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وقال الحسن دخلنا على عمران بن
حصين فقال رجل لا بد ان اسالك عما ارى بك من الوجع فقال عمران يا اخي لا تفعل فوالله اني
لاحب الوجع ومن احبه كان احب الناس الى الله قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم فهذا مما كسبت يدي وعفو ربي عما بقي اكثر وقال مرة الهمداني
رايت على ظهر كف شريح قرحة فقلت يا ابا امية ما هذا قال هذا بما كسبت ايديكم ويعفو عن
كثير وقال ابن عون ان محمد بن سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم هذا
بذنب اصبته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري قيل لابي سليمان الداراني ما بال
العقلاء ازالوا اللوم عمن اساء اليهم فقال انهم علموا ان الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله
ليغفره له الا بها او لينال درجة لم يكن يوصله اليها الا بها وروي ان رجلا قال لموسى سل الله لي في حاجة
يقضيها لي هو اعلم بها ففعل موسى فلما نزل اذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يا رب ما بال
هذا فقال الله تعالى يا موسى انه سالني درجة علمت انه لا يبلغها بعمله فاصبته بما ترى لاجعلها وسيلة
له في نيل تلك الدرجة فكان ابو سليمان الداراني اذا ذكر هذا الحديث يقول سبحان من كان قادرا على ان ينيله
تلك الدرجة بلا بلوى ولكنه يفعل ما يشا قال الشيخ رحمه الله ونظير هذه الاية في المعنى قوله تعالى من
يعمل سوءا يجز به وقد مضى القول فيه قال علماؤنا وهذا في حق المومنين فاما الكافر فعقوبته موخرة الى
الاخرة وقيل هذا خطاب للكفار وكانوا اذا اصابهم شر قالوا هذا بشوم محمد فرد عليهم وقال
هذا بشوم كفركم والاول اكثر واظهر واشهر قال ثابت البناني انه كان يقال ساعات الاذى
يذهبن ساعات الخطايا ثم فيها قولان احدهما انها خاصة في البالغين ان تكون عقوبة لهم وفي الاطفال
ان تكون مثوبة لهم الثاني انها عقوبة عامة للبالغين في انفسهم والاطفال في غيرهم من والد ووالدة
ويعفو عن كثير من المعاصي ان لا يكون عليها حدود وهو مقتضى قول الحسن وقيل اي يعفو عن كثير
من العصاة ان لا يعجل عليهم بالعقوبة وما انتم بمعجزين في الارض اي بفايتين الله اي لن تعجزوه ولن
تفوتوه وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير تقدم في غير موضع **قوله تعالى** ومن اياته الجوار

الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله

في البحر كالاعلام اي ومن علاماته الدالة على قدرته السفن الجارية في البحر كانها من عظمها اعلام
والاعلام الجبال وواحد الجواري جارية قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية سميت جارية
لانها تجري في الماء والجارية هي المراة الشابة سميت بذلك لانها يجري فيها ماء الشباب وقال مجاهد
الاعلام القصور واحدها علم ذكره الثعلبي وذكر الماوردي عنه انها الجبال وقال الخليل كل شي مرتفع عند
العرب فهو علم قالت الخنساء ترثي اخاها صخرا

وان صخرا لتاتم الهداة به ... كانه علم في راسه نار

ان يشا يسكن الرياح كذا قراءة اهل المدينة الرياح بالجمع فيظللن رواكد على ظهره فتبقى السفن
سواكن على ظهر البحر لا تجري ركد الماء ركودا سكن وكذلك الريح والسفينة والشمس اذا قام قائم الظهيرة
وكل ثابت في مكان فهو راكد وركد الميزان استوى وركد القوم هدؤوا والمراكد المواضع التي يركد
فيها الانسان وغيره وقرا قتادة فيظللن بكسر اللام على ان يكون لغة مثل ظللت اظل وفتح اللام
هي اللغة المشهورة ان في ذلك لايات وعلامات لكل صبار شكور اي صبار على البلوى شكور على النعماء
قال قطرب نعم العبد الصبار الشكور الذي اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر وقال عون بن عبد الله فكم من
منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر **قوله تعالى** او يوبقهن بما كسبوا اي وان
يشا يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن اي يغرقهن بذنوب اهلها وقيل يوبق اهل السفن ويعفو عن
كثير من اهلها قال يغرقهم معها حكاه الماوردي وقيل ويعفو عن كثير اي ويتجاوز عن كثير من
من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك قال القشيري والقراءة الفاشية ويعف بالجزم وفيها اشكال
لان المعنى ان يشا يسكن الرياح فتبقى تلك السفن رواكد او يهلكها بذنوب اهلها فلا يحسن عطف
يعف على هذا لانه يصير المعنى ان يشا يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط
المشية فهو اذا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرا قوم ويعفو بالرفع وهي
جيدة في المعنى ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص يعني الكفار اي اذا توسطوا البحر وغشيتهم
الرياح من كل مكان او بقيت السفن رواكد علموا انهم لا ملجا لهم سوى الله ولا دافع لهم ان اراد الله
اهلاكهم فيخلصون له العبادة وقد مضى هذا المعنى في غير موضع ومضى القول في ركوب البحر في
البقرة وغيرها ومضى في ركوب بما يغني عن اعادته وقرا نافع وابن عامر ويعلم بالرفع الباقون بالنصب
فالرفع على الاستيناف بعد الشرط والجزا كقوله في سورة البقرة ويعذبهم وينصركم عليهم ثم قال ويتوب
الله على من يشاء رفعا ونظيره في الكلام ان تاتني اتك وينطلق عبد الله او على انه خبر ابتدا محذوف
والنصب على الصرف كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم
الى النصب استخفافا وكراهية لتوالي الجزم كقول النابغة

فان يهلك ابو قابوس يهلك ... ربيع الناس والبلد الحرام
ونمسك بعده بذناب عيش ... اجب الظهر ليس له سنام

وهذا معنى قول الفراء قال ولو جزم ويعلم جاز وقال الزجاج نصب على اضمار ان لان قبلها جزما تقول ما
تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت قلت واكرمك بالجزم وفي بعض المصاحف وليعلم وهذا
يدل على ان النصب بمعنى ليعلم او لان يعلم وقال ابو علي والمبرد النصب باضمار ان على ان يجعل الاول
على تقدير المصدر ويكون منه عفو وان يعلم فلما حمله على الاسم اضمر ان كما تقول ان تاتني وتعطيني
اكرمك فتنصب تعطيني اي ان يكن منك اتيان وان تعطيني ومعنى من محيص من فرار ومهرب
قاله قطرب السدي من ملجا وهو ماخوذ من قولهم حاص به البعير حيصة اذا رمى به ومنه قولهم
فلان يحيص عن الحق اي يميل عنه **قوله تعالى** فما اوتيتم من شي يريد من الغنى والسعة في الدنيا
فمتاع اي فانما هو متاع في ايام قليلة ينقضي ويذهب فلا ينبغي ان يتفاخر به والخطاب للمشركين وما عند
الله خير وابقى يريد من الثواب على الطاعة للذين امنوا صدقوا ووحدوا وعلى ربهم يتوكلون نزلت
في ابي بكر الصديق حين انفق جميع ماله في طاعة الله فلامه الناس وجاء في الحديث انه انفق ثمانين
الفا **قوله تعالى** والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون
فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى الذين يجتنبون الذين في موضع جر معطوف على قوله خير وابقى

للذين امنوا اي وهو للذين يجتنبون كبائر الاثم وقد مضى القول في الكبائر في النسا وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم فالواحد قد يراد به الجمع عند الاضافة كقوله وان تعدوا نعمة الله وكما جاء في الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها الباقون بالجمع هنا وفي النجم والفواحش قال السدي يعني الزنا وقاله ابن عباس وقال كبير الاثم الشرك وقال قوم كبائر الاثم ما تقع الصغائر مغفورة عند اجتنابها والفواحش داخلة في الكبائر ولكنها تكون افحش واشنع كالقتل بالنسبة الى الجرح والزنا بالنسبة الى المراودة وقيل الفواحش والكبائر بمعنى واحد فكرر لتعدد اللفظ اي يجتنبون المعاصي لانها كبائر وفواحش وقال مقاتل الفواحش موجبات الحدود **الثانية** قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون اي يتجاوزون ويحلمون عمن ظلمهم قيل نزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في ابي بكر حين لامه الناس على انفاق ماله كله وحين شتم فحلم وعن علي رضي الله عنه قال اجتمع لابي بكر مال مرة فتصدق به كله في سبيل الخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت وما اوتيتم من شيء الى قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال ابن عباس شتم رجل من المشركين ابا بكر فلم يرد عليه شيا فنزلت الاية وهذه من محاسن الاخلاق يشفقون على ظالمهم ويصفحون لمن جهل عليهم يطلبون بذلك ثواب الله تعالى وعفوه كقوله تعالى في ال عمران والكاظمين الغيظ وهو ان يتناولك الرجل فتكظم غيظك عنه وانشد بعضهم

انى عفوت لظالمي ظلمي ... ووهبت ذلك له على علمي
ما زال يظلمني وارحمه ... حتى بكيت له من الظلم

قوله تعالى والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تعالى والذين استجابوا لربهم قال عبد الرحمن بن زيد هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان بالرسول حين انفذ اليهم اثني عشر نقيبا منهم قبل الهجرة واقاموا الصلاة اي ادوها لمواقيتها بشروطها وهيآتها **الثانية** قوله تعالى وامرهم شورى بينهم اي يتشاورون في الامور والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والذكرى ونحوه فكانت الانصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم اليهم اذا ارادوا امرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به قاله النقاش اي لانهم لا ينفردون برأي بل ما لم يجتمعوا عليه لا يقدمون عليه وقيل اي انهم لا انقياد لهم الى الراي في امورهم متفقين لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم قال الحسن ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امورهم وقال الضحاك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد النقباء اليهم حتى اجتمع رايهم في دار ابي ايوب على الايمان به والنصرة له وقيل تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستاثر بعضهم بخبر دون بعض وقال ابن العربي الشورى الفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب الى الصواب وما تشاور قوم قط الا هدوا وقد قال الحكيم

اذا بلغ الراي المشورة فاستعن ... براي لبيب او مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... مكان الخوافي نافع للقوادم

فمدح الله المشاورة في الامور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه في الاراء كثير ولم يكن يشاورهم في الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام واما الصحابة بعد استيثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون في الاحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة واول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص عليها حتى كان فيها بين ابي بكر والانصار ما سبق بيانه وقال عمر نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وتشاوروا في اهل الردة فاستقر راي ابي بكر على القتال واختلفوا في الجد وميراثه وفي حد الخمر وعدده وتشاوروا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلما في المغازي فقال له الهرمزان مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له ريش وله جناحان ورجلان فان كسر احد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والراس وان كسر الجناح الاخر نهضت الرجلان والراس وان شدخ الراس ذهب الرجلان والجناحان والراس كسرى والجناح الواحد قيصر والاخر فارس فمر المسلمين فلينفروا الى وذكر الحديث وقال بعض العقلاء ما اخطات قط اذا حزبني امر شاورت قومي ففعلت الذي يرون فان اصبت فهم المصيبون وان اخطات فهم المخطئون **الثانية** تقدم في آل عمران ما تضمنته الشورى من الاحكام عند قوله وشاورهم في الامر

مدح المشاورة في الامور

والمشورة بركة والمشورة الشورى وكذلك المشورة بضم الشين تقول منه شاورته في الامر واستشرته بمعنى وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاؤكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاؤكم واموركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها قال حديث غريب

قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اي ومما اعطيناهم يتصدقون وقد تقدم في البقرة

قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله لمن عزم الامور فيه احدى عشرة مسالة **الاولى** قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي اي اصابهم بغي المشركين قال ابن عباس وذلك ان المشركين بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه واذوهم واخرجوهم من مكة فاذن الله لهم بالخروج ومكن لهم في الارض ونصرهم على من بغى عليهم وذلك في قوله في سورة الحج اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا الايات كلها وقيل هو عام في بغي كل باغ من كافر وغيره اي اذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه وهذه اشارة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود قال ابن العربي ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في موضع اخر في معرض المدح فاحتمل ان يكون احدهما راجعا الى الاخر واحتمل ان يكون ذلك راجعا الى حالتين احداهما ان يكون الباغي معلنا بالفجور وقحا في الجمهور مؤذيا للصغير والكبير فيكون الانتقام منه افضل وفي مثله قال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق الثانية ان تكون الفلتة او يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسال المغفرة فالعفو ها هنا افضل وفي مثله نزلت وان تعفوا اقرب للتقوى وقوله فمن تصدق به فهو كفارة له وقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم قال الشيخ رحمه الله هذا حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري في احكامه قال قوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون يدل ظاهره على ان الانتصار في هذا الموضع افضل الا ترى انه قرنه الى ذكر الاستجابة لله سبحانه واقام الصلاة وهو محمول على ما ذكر ابراهيم النخعي انهم كانوا يكرهون للمؤمنين ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فهذا فيمن تعدى واصر على ذلك والموضع الماموربه بالعفو اذا كان الجاني نادما مقلعا وقد قال عقيب هذه الاية ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ويقتضي ذلك اباحة الانتصار لا الامر به وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وهو محمول على الغفران على غير المصر فاما المصر على البغي والظلم فالافضل الانتصار بدلالة الاية التي قبلها وقيل اي اذا اصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزيلوه عنهم ويدفعوه قاله ابن بحر وهو راجع الى العموم على ما ذكرنا **الثانية** وجزاء سيئة سيئة مثلها قال العلماء جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن الظالم فبدا بذكرهم في قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم ثم بين حد الانتصار بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فينتصر ممن ظلمه من غير ان يعتدي قال مقاتل وهشام بن حجيرة هذا في المجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره من سب او شتم وقاله الشافعي وابو حنيفة وسفيان قال سفيان وكان ابن شبرمة يقول ليس بمكة مثل هشام وتاول الشافعي في هذه الاية ان للانسان ان ياخذ من مال من خانه مثل ما خانه من غير علمه واستشهد في ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم لهند زوج ابي سفيان خذي من ماله ما يكفيك وولدك فاجاز لها اخذ ذلك بغير اذنه وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في البقرة قال ابن ابي نجيح انه محمول على المقابلة في الجراح واذا قال اخزاه الله او لعنه الله ان يقول مثله ولا يقابل القذف بقذف ولا الكذب بكذب وقال السدي قال انما مدح الله من انتصر ممن بغى عليه من غير اعتداء بالزيادة على مقدار ما فعل به يعني كما كانت العرب تفعله وسمى الجزاء سيئة لانه في مقابلتها فالاهدى في مال او بدن وهذا القصاص يسوءه بمثل ذلك وقد مضى هذا كله مستوفى في البقرة **الثانية** قوله تعالى فمن عفا واصلح قال ابن عباس من ترك القصاص واصلح بينه وبين الظالم بالعفو فاجره على الله اي ان الله ياجره على ذلك قال مقاتل فكان العفو من الاعمال الصالحة وقد مضى في آل عمران في هذا ما فيه كفاية والحمد لله وذكر ابو نعيم الحافظ عن علي بن الحسين رضي الله عنهم قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ايكم اهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من انتم قالوا اهل

والمشورة

الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا اذا جهل علينا جهلنا واذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا قالوا ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وذكر الحديث انه لا يحب الظالمين اي من بدا بالظلم قاله سعيد بن جبير وقيل لا يحب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد قاله ابن عيسى الرابعة قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه اي المسلم اذا انتصر من الكافر فلا سبيل الى لومه بل يحمد على ذلك مع الكافر ولا لوم ان انتصر الظالم من المسلم فالانتصار من الكافر حتم ومن المسلم مباح والعفو مندوب الخامسة في قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل دليل على ان له ان يستوفي ذلك من نفسه وهذا ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يكون قصاصا في بدن يستحقه ادمي فلا حرج عليه ان استوفاه من غير عدوان وثبت حقه عند الحكام لكن يزجره الامام في تفرده بالقصاص لما فيه من الجراة على سفك الدم وان كان حقه غير ثابت عند الحاكم فليس عليه بينه وبين الله حرج وهو في الظاهر مطالب وبفعله مواخذ ومعاقب القسم الثاني ان يكون حد الله تعالى لا حق لادمي فيه كحد الزنى وقطع السرقة فان لم يثبت ذلك عند حاكم اخذ به وعوقب عليه وان ثبت عند حاكم نظر فان كان قطعا في سرقة سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعه ولم يجب عليه في ذلك حق لان التعزير ادب وان كان جلدا لم يسقط به الحد لتعديه مع بقاء محله فكان ماخوذا بحكمه القسم الثالث ان يكون حقا في مال فيجوز لصاحبه ان يغالب على حقه حتى يصل اليه ان كان من هو عالم به وان كان غير عالم نظر فان امكنه الوصول اليه عند المطالبة لم يكن له الا الاستسرار باخذه وان كان لا يصل اليه بالمطالبة لجحود من هو عليه من عدم بينة تشهد به ففي جواز استسراره باخذه مذهبان احدهما جوازه وهو قول مالك والشافعي الثاني المنع وهو قول ابي حنيفة السادسة قوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي بعدوانهم عليهم في قول اكثر العلماء وقال ابن جريج اي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم ويبغون في الارض بغير الحق اي في النفوس والاموال في قول الاكثرين وقال مقاتل بغيهم عملهم بالمعاصي وقال ابو مالك هو ما يرجوه كفار قريش ان يكون بمكة غير الاسلام دينا وعلى هذا الحد قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وان هذا للمشركين خاصة وقول قتادة انه عام وكذا يدل ظاهر الكلام وقد بيناه والحمد لله السابعة قال ابن العربي هذه الاية في مقابلة الاية المتقدمة في براءة وهي قوله ما على المحسنين من سبيل فكما نفى الله السبيل عمن احسن فكذلك نفاها على من ظلم واستوفى بيان القسمين الثامنة واختلف علماؤنا في السلطان يضع على اهل بلد مالا معلوما ياخذهم به ويؤدونه على قدر اموالهم هل لمن قدر على الخلاص من ذلك ان يفعل وهو اذا تخلص اخذ سائر اهل البلد بتمام ما جعل عليهم فقيل لا وهو قول سحنون من علمائنا وقيل نعم له ذلك ان قدر على الخلاص واليه ذهب ابو جعفر احمد بن نصر الداودي ثم المالكي قال ويدل عليه قول مالك في الساعي ياخذ من غنم احد الخلطاء شاة وليس في جميعها نصاب انها مظلمة على من اخذت له لا يرجع على اصحابه بشيء قال ولست اخذ بما روي عن سحنون لان الظلم لا اسوة فيه ولا يلزم احدا ان يولج نفسه في ظلم مخافة ان يضاعف الظلم على غيره والله سبحانه يقول انما السبيل على الذين يظلمون الناس التاسعة واختلف العلماء في التحليل فكان ابن المسيب لا يحلل احدا من عرض ولا مال وكان سليمان بن يسار ومحمد بن سيرين يحللان من العرض والمال وراي مالك التحليل من المال دون العرض روى ابن القاسم وابن وهب عن مالك وسئل عن قول سعيد بن المسيب لا احلل احدا فقال ذلك يختلف فقلت له يا ابا عبد الله الرجل يسلف الرجل فيهلك ولا وفاء له قال ارى ان يحلله وهو افضل عندي فان الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فقيل له الرجل يظلم الرجل فقال لا ارى ذلك هو عندي مخالف للاول يقول الله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويقول تعالى ما على المحسنين من سبيل فلا ارى ان يجعله من ظلمه في حل قال ابن العربي فصار في المسالة ثلاثة اقوال احدها لا يحلله بحال قاله سعيد بن المسيب الثاني يحلله قاله محمد بن سيرين الثالث ان كان مالا حلله وان كان ظلما لم يحلله وهو قول مالك وجه الاول ان لا يحلل ما حرم الله فيكون كالتبديل لحكم الله ووجه الثاني انه حقه فله ان يسقطه كما يسقط دمه وعرضه ووجه الثالث الذي اختاره مالك هو ان الرجل اذا غلب اداء حقك فمن الرفق به ان يحلله وان كان ظالما فمن الحق ان لا تتركه لئلا يغتر الظلمة ويسترسلوا في افعالهم القبيحة وفي صحيح مسلم حديث ابي اليسر

السلطان يضع علي اهل بلد مالا معلوما

الطويل وفيه انه قال لغريمه اخرج الي فقد علمت اين انت فخرج فقال ما حملك على ان اختبات مني قال انا والله احدثك ثم لا اكذبك خشيت والله ان احدثك فاكذبك وان اعدك فاخلفك وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله معسرا قال قلت الله قال الله قال فاتى بصحيفة فمحاها فقال ان وجدت قضاء فاقض والا فانت في حل وذكر الحديث قال ابن العربي وهذا في الحي الذي يرجى له الاداء لسلامة الذمة ورجاء التحلل فكيف بالميت الذي لا محالة له ولا ذمة معه فقال تحلل اي استحل فهو متحلل قاله الجوهري العاشرة قال بعض العلماء ان من ظلم واخذ له مال فانما له ثواب ما احتبس عنه الى موته ثم يرجع الثواب الى ورثته ثم كذلك الى اخرهم لان المال يصير بعد الموارث قال ابو جعفر الداودي هذا صحيح في النظر وعلى هذا القول ان مات الظالم قبل من ظلمه ولم يترك شيا او ترك ما لم يعلمه وارثه فيه بظلم لم تنتقل تباعة المظلوم الى ورثة الظالم لانه لم يبق للظالم ما يستوجبه ورثة المظلوم الحادية عشرة قوله تعالى ولمن صبر وغفر اي صبر على الاذى وغفر ترك الانتصار لوجه الله وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلى هذه الاية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة رضي الله عنهما بحضرته فكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري خرجه مسلم في صحيحه بمعناه وقيل صبر عن المعاصي وستر على المساوي ان ذلك لمن عزم الامور اي من عزائم الله التي امر بها وقيل من عزائم الصواب التي وفق لها وذكر الكلبي والفراء ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه مع ثلاث ايات قبلها وقد شتمه بعض الانصار فرد عليه ثم امسك وهي المدنيات من هذه السورة وقيل هذه الايات في المشركين وكان هذا في ابتداء الاسلام قبل الامر بالقتال ثم نسخها اية القتال وهو قول ابن زيد وقد تقدم وفي تفسير ابن عباس ولمن انتصر بعد ظلمه يريد حمزة وعبيدة وعليا وجميع المهاجرين رضوان الله عليهم فاولئك ما عليهم من سبيل يريد حمزة بن عبد المطلب وعبيدة وعليا وجميع المهاجرين رضوان الله عليهم انما السبيل على الذين يظلمون الناس يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وابا جهل والاسود وكل من قاتل من المشركين يوم بدر ويبغون في الارض يريد بالظلم والكفر اولئك لهم عذاب اليم يريد وجيع ولمن صبر وغفر يريد ابا بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح ومصعب بن عمير وجميع اهل بدر رضوان الله عليهم ان ذلك لمن عزم الامور حيث قبلوا الفداء وصبروا على الاذى قوله تعالى ومن يضلل الله اي يخذله فما له من ولي من بعده هذا فيمن اعرض عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما دعاه اليه من الايمان بالله والمودة في القربى ولم يصدقه في البعث وان الدنيا متاع قليل اي من اضله الله عن هذه الاشياء فلا يهديه هاد قوله تعالى وترى الظالمين اي الكافرين لما راوا العذاب يعني جهنم وقيل راوا العذاب عند الموت يقولون هل الى مرد من سبيل يطلبون ان يردوا الى الدنيا ليعملوا بطاعة الله فلا يجابون الى ذلك قوله تعالى وتراهم يعرضون عليها اي على النار لانها عذابهم فكنى عن العذاب المذكور بحرف التانيث لان ذلك العذاب هو النار وان شئت جهنم ولو راعى اللفظ لقال عليه ثم قيل هم المشركون جميعا يعرضون على جهنم عند انطلاقهم اليها قاله الاكثرون وقيل ال فرعون خصوصا تحبس ارواحهم في اجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح فهو عرضهم عليها قاله ابن مسعود وقيل انهم عامة المشركين تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم ويعرضون على العذاب في قبورهم وهذا معنى قول ابي الحجاج خاشعين من الذل ذهب بعض القراء الى الوقف على خاشعين وقوله من الذل متعلق بينظرون وقيل هو متعلق بخاشعين والخشوع الانكسار والتواضع ومعنى ينظرون من طرف خفي اي لا يرفعون ابصارهم للنظر رفعا تاما لانهم ناكسو الرؤوس والعرب تصف الذليل بغض الطرف كما يستعملون في ضده حديد النظر اذا لم يتهم بريبة فيكون عليه منها غضاضة وقال مجاهد من طرف خفي اي ذليل قال وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وعين القلب طرف خفي وقال قتادة والسدي والقرظي وسعيد بن جبير يسارقون النظر من شدة الخوف وقيل المعنى ينظرون من عين ضعيفة النظر وقال يونس من بمعنى الباء اي ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من الذل والخوف ونحو

عن الاخفش وقال ابن عباس بطرف ذابل ذليل وقيل اي يفزعون ان ينظروا اليها بجميع ابصارهم لما يرون
من اصناف العذاب وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة اي
يقول المومنون في الجنة لما عاينوا ما حل بالكفار ان الخسران في الحقيقة ما صار اليه هولاء فانهم
خسروا انفسهم لانهم في العذاب المخلد وخسروا اهليهم لان الاهل ان كان في النار فلا انتفاع بهم
وان كان في الجنة فقد حيل بينه وبينهم وقيل خسران الاهل انهم لو امنوا لكان لهم اهل في الجنة من
الحور العين وفي سنن ابن ماجة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا
وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات ندخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله
تعالى اوليك هم الوارثون وقد تقدم وفي مسند الدارمي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من احد يدخله الله الجنة الا زوجه الله اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين وسبعين من
ميراثه من اهل النار وما منهن واحدة الا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني قال هشام بن خالد من ميراثه
من اهل النار يعني رجالا ادخلوا النار فورث اهل الجنة نساهم كما ورثت امراة فرعون الا ان الظالمين
في عذاب مقيم اي دايم لا ينقطع يجوز ان يكون هذا من قول المومنين ويجوز ان يكون ابتداء من الله تعالى
قوله تعالى وماكان لهم من اوليا اي اعوانا ونصرا ينصرونهم من دون الله اي من عذابه ومن
يضلل الله فما له من سبيل اي طريق يصل به الى الحق في الدنيا والجنة في الاخرة لانه قد سدت عليه
طريق الجنة **قوله تعالى استجيبوا لربكم** اي اجيبوه الى ما دعاكم اليه من الايمان به والطاعة استجاب
واجاب بمعني وقد تقدم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يريد يوم القيامة اي لا يرده احد بعد
ما حكم الله به وجعله اجلا ووقتا ما لكم من ملجا اي ملجا ينجيكم من العذاب وما لكم من نكير اي ناصر ينصركم
قاله مجاهد وقال النكير بمعني المنكر كالاليم بمعني المولم اي لا تجدون منكرا لما ينزل بكم من العذاب
حكاه ابن ابي حاتم وقاله الكلبي الزجاج معناه انهم لا يقدرون ان ينكروا الذنوب التي يوقفون
عليها وقيل اي انكار لما ينزل بكم من العذاب والنكير الانكار تغيير المنكر **قوله تعالى فان
اعرضوا** اي عن الايمان فما ارسلناك حفيظا عليهم اي حافظا لاعمالهم حتي تحاسبهم عليها وقيل موكلا
بهم لا تفارقهم دون ان يومنوا اي ليس لك اكراههم على الايمان ان عليك الا البلاغ وقيل نسخ هذا
باية القتال وانا اذا اذقنا الانسان الكافر منا رحمة رخاء وصحة فرح بها بطر بها وان تصبهم سيئة بلاء
وشدة فان الانسان كفور اي لما تقدم من النعمة فيعدد المصايب وينسى النعم **قوله تعالى
لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا** فيه اربع مسايل **الاولى** قوله تعالى لله ملك السموات
والارض ابتدا وخبر يخلق ما يشا من الخلق يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشا الذكور قال عبيد يهب لمن
يشا اناثا لا ذكور معهن ويهب لمن يشا الذكور لا اناث معهن وادخل الالف واللام على الذكور دون الاناث
لانهم اشرف فميزهم بسمة التعريف وقال واثلة بن الاسقع ان من يمن المراة تبكيرها بالانثي قبل الذكر
وذلك ان الله تعالى قال ويهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور فبدا بالاناث او يزوجهم ذكرانا
واناثا قال مجاهد هو ان تلد المراة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية
هو ان تلد توما غلاما وجارية او يزوجهم ذكرانا واناثا قال القتبي التزويج هاهنا هو الجمع بين
البنين والبنات تقول العرب زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والكبار ويجعل من يشاء عقيما
اي لا يولد له يقال رجل عقيم وامراة عقيم وعقمت المراة تعقم عقما مثل حمد يحمد حمدا وعقمت تعقم مثل
عظم يعظم واصله القطع ومنه الملك عقيم اي تقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق خوفا على الملك
وريح عقيم لا تلقح سحابا ولا شجرا ويوم القيامة يوم عقيم لانه لا يوم بعده ويقال نسا عقم وعقم قال
الشاعر
عقم النسا فما يلدن شبيهه ... ان النساء بمثله عقم
وحكي النقاش ان هذه الاية نزلت في الانبيا خصوصا وان عم حكمها فوهب للوط البنات ليس معهن
ذكور ووهب لابراهيم الذكور وليس معهن انثي ووهب لاسماعيل واسحاق الذكور والاناث وجعل
عيسى ويحيى عقيمين ونحوه عن ابن عباس واسحاق بن بشر قال اسحاق نزلت في الانبيا ثم عمت يهب لمن
يشاء اناثا يعني لوطا عليه السلام لم يولد له ذكر وانما ولد له ابنتان ويهب لمن يشا الذكور يعني
ابراهيم عليه السلام لم يولد له انثي بل له ثمانية ذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني رسول الله صلى الله عليه

ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار

وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل من يشا عقيما يعني يحيى بن زكريا عليهما السلام لم يذكر عيسى
ابن العربي قال علماونا يهب لمن يشا اناثا يعني لوطا كان له بنات ولم يكن له ابن ويهب لمن يشا الذكور
يعني ابراهيم كان له بنون ولم يكن له بنت وقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني ادم كانت حوا تلد له
في كل بطنين ولدين توامين ذكر وانثي ويزوج الذكر من هذا البطن من الانثي من البطن الاخر حتي احكم الله
التحريم في شرع نوح عليه السلام وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان له ذكور واناث من الاولاد القاسم
والطيب والطاهر وعبد الله وزينب وام كلثوم ورقية وفاطمة وكلهم من خديجة رضي الله عنها وابرهيم
وهو من مارية القبطية وكذلك قسم الله الخلق من لدن ادم الي زماننا الي ان تقوم الساعة على هذا التقدير
المحدود بحكمته البالغة ومشيته النافذة ليبقي النسل ويتمادي الخلق وينفذ الوعد ويحق الامر وتعمر الدنيا
وتاخذ الجنة وجهنم ما يملا كل واحدة وقد في الحديث ان النار لن تمتلي حتي يضع الجبار فيها قدمه
فيقول قط قط واما الجنة فيبقي منها فينشي الله لها خلقا اخر **الثانية** قال ابن العربي ان الله تعالى بعموم
قدرته وشديد قوته يخلق الخلق ابتداء من غير شي وبعظيم لطفه وبديع بالغ حكمته يخلق شيا من شي
لا عن حاجة فانه قدوس عن الحاجات سليم عن الافات كما قال القدوس السلام فخلق ادم من الارض
وخلق حوا من ادم وخلق النشاة من بينهما منهما مرتبا على الوطي كاينا عن الحمل موجودا في الجنين بالوضع كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا سبق ما الرجل ما المراة ذكرا واذا سبق ما الرجل انثا وكذلك في الصحيح ايضا
اذا علا ما الرجل ما المراة اشبه الولد اعمامه واذا علا ما المراة ما الرجل اشبه الولد اخواله قال الشيخ رحمه
الله هذا معني حديث عايشة لا لفظه خرجه مسلم من حديث عروة ابن الزبير عنها ان امراة قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تغتسل المراة اذا احتلمت وابصرت الماء فقال نعم فقالت لها عايشة تربت
يداك ذالت قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعيها وهل يكون الشبه الا من قبل ذلك اذا علا
ماوها ما الرجل اشبه الرجل اخواله واذا علا ما الرجل ماءها اشبه اعمامه قال علماونا فعلى مقتضى هذا
الحديث ان العلو يقتضي الشبه وقد جا في حديث ثوبان خرجه مسلم ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهودي
ما الرجل ابيض وما المراة اصفر فاذا اجتمعا فعلى مني الرجل مني المراة اذكرا باذن الله واذا علا مني
المراة مني الرجل انثا باذن الله الحديث فجعل في هذا الحديث ايضا العلو يقتضي الذكورة والانوثة
فعلى مقتضى الحديثين يلزم اقتران الشبه للاعمام والذكورة ان علا مني الرجل وكذلك يلزم اذا علا مني
المراة اقتران الشبه للاخوال والانوثة لانهما معلولا علة واحدة وليس الامر كذلك بل الوجود بخلاف
ذلك لانا نجد الشبه للاخوال والذكورة والشبه للاعمام والانوثة فتعين تاويل احد الحديثين
والذي يتعين تاويله الذي في حديث ثوبان فيقال ان ذلك العلو معناه سبق الما الي الرحم ووجهه ان العلو
لما كان معناه الغلبة من قولهم سابقني فلان فسبقته اي غلبته ومنه قوله تعالى وما نحن بمسبوقين
اي مغلوبين قيل عليه علا ويويد هذا التاويل قوله في الحديث اذا سبق ما الرجل ما المراة اذكرا واذا
سبق ما المراة ما الرجل انثا وقد بني القاضي ابو بكر بن العربي على هذه الاحاديث بناء فقال ان للماءين اربعة
احوال الاول ان يخرج ما الرجل اولا الثاني ان يخرج ما المراة اولا الثالث ان يخرج ما الرجل اولا
ويكون اكثر الرابع ان يخرج ما المراة اولا ويكون اكثر ويتم التقسيم بان يخرج ما الرجل اولا ثم
يخرج ما المراة بعده فيكون اكثر او بالعكس فاذا خرج ما الرجل اولا وكان اكثر جا الولد ذكرا بحكم
السبق واشبه الولد اعمامه بحكم الكثرة وان خرج ما المراة اولا وكان اكثر جا الولد انثي بحكم السبق واشبه
اخواله بحكم الغلبة وان خرج ما الرجل اولا لكن لما خرج ما المراة بعده كان اكثر كان الولد ذكرا بحكم
السبق واشبه اخواله بحكم غلبة ما المراة لكن لما خرج ما الرجل كان اعلى من ما المراة كان الولد انثي
بحكم سبق ما المراة واشبه اعمامه بحكم غلبة ما الرجل قال وبانتظام هذه الاقسام يستتب الكلام
ويرتفع التعارض عن الاحاديث فسبحان الخالق العليم **الثالثة** قال علماونا كانت الخلقة مستمرة
ذكرا وانثي الي ان وقع في الجاهلية الاولى فاتي به فريض العرب ومعمرها عامر بن الضرب فلم يدر ما
يقول فيه وارجاهم عنه فلما جن عليه الليل تنكر موضعه واقض عليه مضجعه وجعل يتلقي ويتقلب
ويجي به الافكار وتذهب الي ان انكرت خادمه حاله فقالت ما بك قال لها سهرت لامر قصدت
به فلم ادر ما اقول فيه فقالت ما هو قال لها رجل له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث قالت

له الامة وذرئة من حيث يبول نفعلناه واصبح فعرضها وانقلبوا بها راضين وجاء الاسلام على ذلك فلم ترل الا في عهد علي رضي الله عنه نقضى فيها وقد روى الفرضيون عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن مولود له قبل وذكر من اين يورث قال من حيث يبول وروي انه اتي بخنثى من الانصار قال اورثوه من اول ما يبول وكذا روى محمد بن الحنفية عن علي ونحوه عن ابن عباس وبه قال ابن المسيب وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وحكاه المزني عن الشافعي وقال قوم لا دلالة في البول فان خرج البول منهما قال ابو يوسف يحكم بالاكثر وانكره ابو حنيفة وقال اتكيله ولم يجعل اصحاب الشافعي للكثرة حكما وحكي عن علي والحسن انه قال تعد اضلاعه فان المراة تزيد على الرجل بضلع واحد وقد مضى ما للعلما في اية المواريث في النساء محمودا والحمد لله **الرابعة** قال القاضي ابو بكر بن العربي وقد انكر قوم من رؤس العوام وجود الخنثى لان الله تعالى قسم الخلق الى ذكر وانثى قلنا هذا جهل باللغة وغباوة عن مقطع الفصاحة وقصور عن معرفة سعة القدرة فاما قدرة الله سبحانه فانه واسع عليم واما ظاهر القران فلا ينفي وجود الانثى لان الله تعالى قال لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه لان القدرة تقتضيه واما قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشا عقيما فهذا اخبار عن الغالب والموجودات وسكت عن ذكر النادر لدخوله تحت عموم الكلام الاول والوجود يشهد له والعيان يكذب منكره وقد كان يقرا معنا برباط ابي سعد على الامام الشهيد من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك اعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحيا عن سواله ويودي اليوم لو كاشفته عن حاله **قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا** فيه مسالتان **الاولى** قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا سبب ذلك ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت قوله الا وحيا ذكره النقاش والواحدي والثعلبي وحيا قال مجاهد نفث ينفث في قلبه فيكون الهاما ومنه قوله عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها واجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم او من وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل رسولا كارساله جبريل عليه السلام وقيل الا وحيا رؤيا يراها في منامه قاله زهير بن محمد او من وراء حجاب قال زهير كما كلم موسى او يرسل رسولا قال زهير هو جبريل عليه السلام فيوحي باذنه ما يشا وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم للانبيا يسمعونه نطقا ويرونهم عيانا وهكذا كانت حال جبريل عليه السلام على كل شيء فلم يوح منهم الا محمد وعيسى وموسى وزكريا عليهم السلام فاما غيرهم فكان وحيا الهاما في المنام وقيل الا وحيا بارسال جبريل او من وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل رسولا الى الناس كافة وقرا الزهري وشيبة ونافع او يرسل رسولا فيوحي برفع الفعلين الباقون بنصبهما فالرفع على الاستيناف اي وهو يرسل وقيل يرسل بالرفع في موضع الحال والتقدير الا موحيا او مرسلا ومن نصب عطفه على محل الوحي لان معناه وما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي او يرسل ويجوز ان يكون النصب على تقدير حذف الجار من ان المضمرة ويكون في موضع الحال التقدير او بان يرسل رسولا ولا يجوز ان يعطف او يرسل بالنصب على ان يكلمه لفساد المعنى لانه يصير ما كان لبشر ان يرسله او يرسل اليه رسولا وهو قد ارسل الرسول من البشر وارسل اليهم **الثانية** احتج بهذه الاية من راى فيمن حلف الا يكلم رجلا فارسل اليه رسولا فانه حانث لان المرسل قد سمي فيها مكلما للمرسل اليه الا ان ينوي الحالف المواجهة بالخطاب قال ابن المنذر واختلفوا في الرجل ان لا يكلم فلانا فكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا فقال الثوري الرسول ليس بكلام وقال الشافعي لا يتبين ان يحنث وقال النخعي والحكم في الكتاب يحنث وقال مالك يحنث في الكتاب والرسول وقال مرة الرسول اسهل من الكتاب وقال ابو عبيد الكلام سوى الخط والاشارة وقال ابو ثور لا يحنث في الكتاب قال ابن المنذر لا يحنث في الكتاب والرسول قال الشيخ رحمه الله وهو قول مالك قال ابو عمر ومن حلف ان لا يكلم رجلا فسلم عليه عامدا او ساهيا او سلم على جماعة هو فيهم فقد حنث في ذلك كله عند مالك وان ارسل اليه رسولا او سلم عليه في الصلاة لم يحنث قال الشيخ رحمه الله يحنث في الرسول الا ان ينوي المشافهة للاية وهو قول مالك وابن الماجشون وقد مضى في اول مريم هذا المعنى عن علمائنا والحمد لله **قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا**

وسكت عن ذكر النادر لدخوله تحت العموم

من امرنا فيها اربع مسائل **الاولى** قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي وكالذي اوحينا الى الانبيا قبلك اوحينا اليك روحا اي نبوة قاله ابن عباس الحسن وقتادة رحمة من عندنا السدي وحيا الكلبي كتابا الربيع هو جبريل الضحاك هو القران وهو قول مالك بن دينار وسماه روحا لان فيه حياة من موت الجهل وجعله من امره بمعنى انزله كما شا على من يشا من النظم المعجز والتاليف المعجب ويمكن ان يحمل قوله ويسالونك عن الروح على القران ايضا قل الروح من امر ربي اي يسالونك من اين لك هذا القران قل انه من امر الله انزله علي معجزا ذكره القشيري وكان مالك بن دينار يقول يا اهل القران ماذا زرع القران في قلوبكم فان القران ربيع القلوب كما ان الغيث ربيع الارض **الثانية** ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي لم تكن تعرف الطريق الى الايمان وظاهر هذا يدل على انه ما كان قبل الايحا متصفا بالايمان قال القشيري وهو من مجوزات العقول والذي صار اليه المعظم ان الله ما بعث نبيا الا كان مومنا به قبل البعثة وفيه تحكم الا ان يثبت ذلك بتوقيف مقطوع به قال القاضي ابو الفضل عياض واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصحيح انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبيا بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه قال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لا تحزني على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا وقال ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابوه داود وحكي الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثنا عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابدا خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القا ابراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلا اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفا الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما قال القاضي ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم ان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله قال القاضي وانا اقول ان قريشا رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباوهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم

يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم **الثالثة** وتكلم العلما في نبينا صلى الله عليه وسلم هل كان متعبدا بدين قبل
الوحي ام لا فمنهم من منع ذلك مطلقا واحاله عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا
هذا على التحسين والتقبيح وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشي
في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهذا مذهب ابي المعالي
وقالت فرقة ثالثة انه كان متعبدا بشرع من قبله وعاملا به ثم اختلف هولاء في التعيين فذهبت
الى انه كان على دين عيسى فانه ناسخ لجميع الاديان والملل قبلها فلا يجوز ان يكون النبي على دين منسوخ وذهبت
طائفة الى انه كان على دين ابراهيم لانه من ولده وهو ابو الانبيا وذهبت طائفة الى انه كان على دين موسى
لانه اقدم الاديان وذهبت المعتزلة الى انه لا بد ان يكون على دين ولكن عين الدين غير معلومة عنده وقد
ابطل هذه الاقوال كلها ايمتنا اذ هي اقوال متعارضة وليس فيها دلالة قاطعة وان كان العقل يجوز كل ذلك
والذي يقطع به انه عليه السلام لم يكن منسوبا الى واحد من الانبيا نسبة تقتضي ان يكون واحدا من امته
ومخاطبا بكل شريعته بل شريعته مستقلة بنفسها مفتتحة من عند الله الحاكم عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم
كان مومنا بالله عز وجل ولا سجد لصنم ولا اشرك بالله ولا زنا ولا شرب الخمر ولا شهد السامر ولا حضر
حلف المطر ولا حلف المطيب بل نزهه الله وصانه عن ذلك فان قيل فقد روى عثمان ابن ابي شيبة حدثنا
بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه
احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم
يشهدهم بعد فالجواب ان هذا حديث انكره الامام احمد بن حنبل وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع
وقال الدارقطني ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت
اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله في
قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي
طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسلني
بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما
بدالك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله اياه له انه كان قبل نبوته يخالف
المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج وكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام فان
قيل فقد قال تعالى قل بل ملة ابراهيم وقال ان اتبع ملة ابراهيم وقال شرع لكم من الدين الاية وهذا
يقتضي ان يكون متعبدا بشرع فالجواب ان ذلك فيما لا يختلف فيه الشرايع من التوحيد واقامة الدين
على ما تقدم بيانه في غير موضع وفي هذه السورة عند قوله شرع لكم من الدين والحمد لله **الرابعة** اذا تقرر
هذا فاعلم ان العلما اختلفوا في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقال جماعة معنى الايمان في
هذه الاية شرائع الايمان ومعالمه ذكره الثعلبي وقيل تفاصيل هذا الشرع اي كنت غافلا عن هذه التفاصيل
ويجوز اطلاق لفظ الايمان على تفاصيل الشرع ذكره القشيري وقيل ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ
القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان ونحوه عن ابي العالية وقال ابو بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرائض
والاحكام قال وكان قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل ازداد بالتكليف ايمانا وهذه
الاقوال الاربعة متقاربة وقال ابن خزيمة عنى بالايمان الصلاة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي
صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص وقال الحسين بن الفضل اي ما كنت تدري ما
الكتاب ولا اهل الايمان وهو من باب حذف المضاف اي من الذي يومن ابو طالب او العباس او غيرهما وقيل ما
كنت تدري شيئا اذ كنت في المهد وقبل البلوغ وحكى الماوردي نحوه عن علي بن عيسى قال ما كنت تدري ما الكتاب
لولا الرسالة ولا الايمان لولا البلوغ وقيل ما كنت تدري ما الكتاب لولا انعامنا عليك ولا الايمان لولا
هدايتنا لك وهو محتمل وفي هذا الايمان وجهان احدهما انه الايمان بالله وهذا يعرفه بعد بلوغه وقبل نبوته
الثاني انه دين الاسلام وهذا لا يعرفه بعد النبوة قال الشيخ رحمه الله الصحيح انه عليه السلام كان مومنا
بالله عز وجل من حين نشا الى حين بلوغه على ما تقدم وقيل ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي كنت من قوم
اميين لا يعرفون الكتاب ولا الايمان حتى تكون قد اخذت ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم وهو كقوله

فقال سل عما بدالك

تعالى

تعالى ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روي معناه عن ابن عباس ولكن
جعلناه نورا قال ابن عباس والضحاك يعني الايمان السدي القران وقيل الوحي اي جعلنا هذا الوحي نورا
نهدي به من نشا اي من نختاره للنبوة لقوله يختص برحمته من يشا ووحد الكناية لان الفعل في كثرة اسمائه
بمنزلة الفعل في الاسم الواحد الا ترى انك تقول اقبالك وادبارك يعجبني وهما اثنان وانك لتهدي اي تدعوا
وترشد الى صراط مستقيم دين قويم لا اعوجاج فيه وقال علي الى كتاب مستقيم وقرا عاصم الجحدري وحوشب وانك
لتهدى غير مسمى الفاعل اي لتدعى الباقون لتهدي مسمى الفاعل وفي قراءة ابي وانك لتدعوا قال النحاس وهذا
لا يقرا به لانه مخالف للسواد وانما يحمل ما كان مثله على انه من قايله على جهة التفسير كما قال سفيان في قوله
عز وجل وانك لتهدي اي لتدعوا وروى معمر عن قتادة في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال ولكل
قوم هاد صراط الله بدل من الاول بدل المعرفة من النكرة قال علي هو القران وقيل هو الاسلام ورواه النواس
بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا وعبدا وخلقا الا الى الله
تصير الامور وعيد بالبعث والجزاء قال سهل ابن ابي الجعد احترق مصحف فلم يبق الا قوله الا الى الله تصير
الامور وغرق مصحف فامحى كله الا قوله الا الى الله تصير الامور ختمت السورة المباركة

تفسير سورة الزخرف

مكية باجماع وقال مقاتل الا قوله واسال من ارسلنا قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تبارك وتعالى**

حم والكتاب تقدم الكلام فيه وقيل حم قسم والكتاب المبين قسم ثان ولله ان يقسم بما شا والجواب انا جعلناه
وقال ابن الانباري من جعل جواب والكتاب حم كما تقول نزل والله وجبت والله وقف على الكتاب المبين ومن جعل
جواب القسم انا جعلنا لم يقف على الكتاب المبين ومعنا انا جعلناه اي سميناه ووصفناه ولذلك تعدى الى
مفعولين كقوله ما جعل الله من بحيرة وقال السدي اي انزلناه قرانا مجاهد قلناه الزجاج وسفيان الثوري
بيناه عربيا اي انزل بلسان العرب لان كل نبي انزل كتابه بلسان قومه قاله سفيان الثوري وغيره وقال
مقاتل لان لسان اهل السما عربي وقيل المراد بالكتاب جميع الكتب المنزلة على الانبيا لان الكتاب اسم جنس
فكانه اقسم بجميع ما انزل من الكتب انه جعل القران عربيا والكناية في قوله جعلناه ترجع الى القران وان لم
يجر له ذكر في هذه السورة كقوله انا انزلناه في ليلة القدر لعلكم تعقلون اي تفهمون احكامه ومعانيه
فعلى هذا القول يكون خاصا للعرب دون العجم قاله ابن عيسى وقال ابن زيد المعنى لعلكم تتفكرون فعلى
هذا يكون خطابا عاما للعرب والعجم ونعت الكتاب بالمبين لان الله بين فيه احكامه وفرائضه على ما تقدم
في غير موضع **قوله تعالى** **وانه في ام الكتاب** يعني القران في اللوح المحفوظ لعلي حكيم اي رفيع محكم لا
يوجد فيه اختلاف ولا تناقض قال الله تعالى وانه لقران كريم في كتاب مكنون وقال بل هو قران مجيد في
لوح محفوظ وقال ابن جريج المراد بقوله وانه اعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة ومعصية لعلي اي رفيع عن
ان ينال فيبدل حكيم اي محفوظ من نقص او تغيير وقال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما
يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وكسر الهمزة من ام الكتاب حمزة والكسائي
وضم الباقون وقد تقدم **قوله تعالى** **افنضرب عنكم الذكر صفحا** يعني القران عن الضحاك وغيره
وقيل المراد بالذكر العذاب اي افنضرب عنكم الذكر العذاب ولا نعاقبكم على اسرافكم وكفركم قاله
مجاهد وابو صالح والسدي ورواه العوفي عن ابن عباس وقال ابن عباس افحسبتم ان يصفح عنكم العذاب
ولما تفعلوا ما امرتم به وعنه ايضا ان المعنى اتكذبون بالقران ولا تعاقبون وقال السدي افنترككم
سدى لا نامركم ولا ننهاكم وقال قتادة المعنى افنهلككم ولا نامركم ولا ننهاكم وعنه ايضا فنمسك
عن انزال القران من قبل انكم لا تومنون به فلا ننزله عليكم وقاله ابن زيد قال قتادة والله لو كان هذا
القران رفع حين ردته اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله كرره عليهم برحمته وقال الكسائي افنطوي
عنكم الذكر طيا فلا توعظون ولا تومرون وقيل الذكر التذكير فكانه قال انترك تذكيركم لان كنتم قوما
مسرفين في قراءة من فتح ومن كسرها جعلها للشرط وما قبلها جوابا لها لانها لم تعمل في اللفظ ونظيره وذروا
ما بقي من الربا ان كنتم مومنين وقيل الجواب محذوف دل عليه ما تقدم كما تقول انت ظالم ان فعلت ومعنى

الكسر عند الزجاج الحال لان في الكلام التقرير والتوبيخ ومعنى صفحا اعراضا يقال صفحت عن فلان
اذا اعرضت عن ذنبه وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته والاصل فيه صفحة العنق يقال
اعرضت عنه اي وليته صفحة عنقي قال الشاعر

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة ... فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وانتصب صفحا على المصدر لان معنى افنضرب افنصفح وقيل التقدير افنضرب عنكم الذكر صافحين
كما يقال جاء فلان مشيا ومعنى مسرفين مشركين واختار ابو عبيد الفتح في ان وهي قراءة ابن كثير
وابي عمرو وعاصم وابن عامر قال لان الله تعالى عاتبهم على ما كان منهم وعلمه قبل ذلك من فعلهم **قوله تعالى**
وكم ارسلنا من نبي في الاولين كم هنا خبرية والمراد بها التكثير والمعنى ما اكثر ما ارسلنا من الانبياء
كما قال كم تركوا من جنات وعيون اي ما اكثر ما تركوا وما يأتيهم من نبي اي لم يكن يأتيهم نبي الا كانوا به
يستهزؤون كاستهزاء قومك بك يعزي نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ويسليه فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي قوما اشد منهم قوة والكناية في منهم ترجع الى المشركين المخاطبين بقوله افنضرب عنكم الذكر
صفحا فكنى عنهم بعد ان خاطبهم واشد نصب على الحال وقيل هو مفعول اي فقد اهلكنا اقوى من هؤلاء
المشركين في ابدانهم واتباعهم ومضى مثل الاولين اي عقوبتهم عن قتادة وقيل صفة الاولين وخبرهم
بانهم اهلكوا على كفرهم حكاه النقاش والمهدوي والمثل الوصف والخبر **قوله تعالى** ولئن سالتهم
يعني المشركين من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فاقروا له بالخلق والايجاد ثم عبدوا
معه غيره جهلا منهم وقد مضى في غير موضع **قوله تعالى** الذي جعل لكم الارض مهادا وصف نفسه
سبحانه بكمال القدرة وهذا ابتدا اخبار عنه عن نفسه ولو كان هذا اخبارا عن قول الكفار لقال الذي جعل
لنا الارض مهادا فراشا وبساطا وقد تقدم وقرا الكوفيون مهدا وجعل لكم فيها سبلا اي معايش وقيل
طرقا لتسلكوا منها الى حيث اردتم لعلكم تهتدون فتستدلون بمقدوراته على قدرته وقيل لعلكم
تهتدون في اسفاركم قاله ابن عيسى وقيل لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم قاله سعيد بن جبير وقيل
تهتدون الى معايشكم **قوله تعالى** والذي نزل من السماء ماء بقدر قال ابن عباس اي لا كما انزل
على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم بل هو بقدر لا طوفان مغرق ولا قاصر عن الحاجة حتى يكون معاشا لكم ولا
نعامكم فانشرنا اي احيينا به اي بالماء بلدة ميتا اي مقفرا من النبات كذلك تخرجون اي من قبوركم لان
من قدر على هذا اقدر على ذلك وقد مضى في الاعراف مجودا وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي
وابن ذكوان عن ابن عامر تخرجون بفتح التاء وضم الراء الباقون على الفعل المجهول **قوله تعالى**
والذي خلق الازواج كلها فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى والذي خلق اي والله هو الذي خلق
الازواج قال سعيد بن جبير اي الاصناف كلها وقال الحسن الشتاء والصيف والليل والنهار والسموات
والارض والشمس والقمر والجنة والنار وقيل ازواج الحيوان من ذكر وانثى قاله ابن عيسى وقيل اراد ازواج
النبات كما قال وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر
وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى قال الشيخ رحمه الله وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها بعمومه وجعل لكم
من الفلك السفن والانعام الابل ما تركبون في البر والبحر لتستووا على ظهوره ذكر الكناية لانه رد الى ما في قوله
ما تركبون قاله ابو عبيد وقال الفراء اضاف الظهور الى كل واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد في معنى
الجمع بمنزلة الجيش والجند فلذلك ذكر وجمع الظهور اي على ظهور هذا الجنس الثانية قال سعيد بن جبير
الانعام هنا الابل والبقر وقال ابو معاذ الابل وحدها وهو الصحيح لقوله عليه السلام بينما رجل راكب
بقرة اذ قالت له لم اخلق لهذا انما خلقت للحرث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت بذلك انا وابو
بكر وعمر وما هما في القوم وقد مضى هذا في اول سورة النحل مستوفى والحمد لله الثالثة قوله تعالى لتستووا
على ظهوره يعني به الابل خاصة بدليل ما ذكرنا ولان الفلك انما تركب بطونها ولانه ذكرهما جميعا في اول
الاية وعطف اخرهما على احدهما ويحتمل ان يجعل ظاهرهما باطنهما لان الماء غمره وسترة وباطنها ظاهر
لانه انكشف للظاهرين وظهر للمبصرين الرابعة ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي ركبتم عليه وذكر
النعمة هو الحمد لله على تسخير ذلك لنا في البر والبحر وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
اي ذلل لنا هذا المركب وفي قراءة علي بن ابي طالب سبحان من سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين

قال سعيد بن جبير اي الاصناف كلها

في قول ابن عباس والكلبي وقال الاخفش وابو عبيدة مقرنين ضابطين وقيل مماثلين في الايدي والقوة
من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله في القوة ويقال فلان مقرن لفلان اي ضابط له واقرنت كذا اي
اطقته واقرن له اي اطاقه وقوي عليه كانه صار له قرنا قال الله تعالى وما كنا له مقرنين اي مطيقين
وانشد قطرب قول عمرو بن معدي كرب

لقد علم القبائل ما عقيل ... لنا في النائبات بمقرنينا

وقال اخر

ركبتم صعبتي اشرا وجبنا ... ولستم للصعاب بمقرنينا

والمقرن ايضا الذي غلبته ضيعته يكون له ابل او غنم ولا معين له عليها او يكون يسقي ابله ولا ذائد له يذودها
قاله ابن السكيت وفي اصله قولان احدهما انه ماخوذ من الاقران يقال اقرن يقرن اقرانا اذا اطاق
واقرنت كذا اذا اطقته وحكمته كانه جعله في قرن وهو الحبل فاوثقه به وشده والثاني انه ماخوذ
من المقارنة وهو ان يقرن بعضها ببعض في السير تقول قرنت كذا بكذا اذا ربطته وجعلته قرينه
الخامسة علمنا الله سبحانه ما نقول اذا ركبنا الدواب وعرفنا في اية اخرى على لسان نوح صلى الله عليه
وسلم ما نقول اذا ركبنا السفن وهي قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور
رحيم فكم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين
في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر محظور واتصالا باسباب من اسباب
التلف امر ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه
ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقضاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون
ركوبه من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه حكى سليمان بن يسار ان قوما كانوا في سفر فكانوا اذا ركبوا
قالوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وكان فيهم رجل على ناقة له رازم وهي التي لا تتحرك
هزالا فقال اما انا فاني لهذه لمقرن قال فقمصت به فدقت عنقه وروي ان اعرابيا ركب قعودا له
وقال اني لمقرن له فركضت به القعود حتى صرعته فاندقت عنقه ذكر الاول الماوردي والثاني ابن
العربي وقال ما ينبغي لعبد ان يدع قول هذا وليس بواجب ذكره باللسان وانما الواجب
اعتقاده بالقلب اما انه يستحب له ذكره باللسان فيقول متى ما ركب وخاصة في السفر سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل
والمال اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل
والمال يعني بالحور بعد الكور تشتت امر الرجل بعد اجتماعه وقال عمرو بن دينار ركبت مع ابي جعفر الى ارض
له نحو حائط يقال لها مدركة فركب على جمل صعب فقلت له يا ابا جعفر اما تخاف ان يصرعك فقال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال على سنام كل بعير شيطان اذا ركبتموها فاذكروا اسم الله كما امركم ثم امتهنوها
لانفسكم فانما يحمل الله وقال علي بن ربيعة شهدت علي بن ابي طالب ركب دابة يوما فلما وضع رجله في
الركاب قال بسم الله فلما استوى على الدابة قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله والله اكبر ثلاثا اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر
لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت له ما اضحكك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع
كما صنعت وقال كما قلت ثم ضحك فقلت له ما يضحكك يا رسول الله قال العبد او قال عجبا للعبد ان يقول
اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه لا يغفر الذنب غيره
خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وابو عبد الله محمد بن خويزمنداد في احكامه وذكر الثعلبي نحوه مختصرا
عن علي رضي الله عنه ولفظه عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله
فاذا استوى قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
واذا نزلتم من الفلك والانعام فقولوا اللهم انزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين وروى ابن ابي نجيح
عن مجاهد قال من ركب ولم يقل سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
قال له الشيطان تغنه فان لم يحسن قال له تمنه ذكره النحاس ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه
تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون
يسقون حتى تمل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان

فيقول متى ما ركب

ولا يمتثلون الا اوامره الزمخشري ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة
شهر فلم يصح الا بعد ما اطمانت به الدار فلم يشعر بسيره ولا احس به فلم يبن فعل اوليك الراكبين
وبين ما امر الله به في هذه الاية **قوله تعالى** وجعلوا له من عباده جزءا اي عدلا عن قتادة يعني
ما عبد من دون الله عز وجل الزجاج والمبرد الجزء هاهنا البنات عجب المومنون من جهلهم اذا اقروا بان
خالق السموات والارض هو الله ثم جعلوا له شريكا او ولدا ولم يعلموا ان من قدر على خلق السموات
والارض لا يحتاج الى شي يعتضد به او يستانس به لان هذا من صفات النقص قال الماوردي والجزء
عند اهل العربية البنات يقال قد اجزات المراة اذا ولدت البنات قال الشاعر

ان اجزات حرة يوما فلا عجب ... قد تجزي الحرة المذكار احيانا

الزمخشري ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعا ان الجزو في لغة العرب اسم للاناث
وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزات المراة
ثم صنعوا بيتا وبيتا ان اجزات حمدة يوما فلا عجب ... زوجتها من بنات الاوس مجزية
وانما قالوا وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليعترفن به
وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعني من عباده جزءا
ان قالوا الملايكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له وقري جزا
بضمتين ان الانسان لكفور مبين قال الحسن يعد المصايب وينسي النعم مبين مظهر الكفر **قوله تعالى**
ام اتخذ مما يخلق بنات الميم صلة تقديره اتخذ ما يخلق بنات كما زعمتم ان الملايكة بنات الله فلفظه
لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ واصفاكم بالبنين اي اختصكم واخلصكم بالبنين يقال اصفيته بكذا
اي اثرته به واصفيته الود اخلصته وصافيته وتصافينا تخالصنا عجب من اضافتهم الى الله اختيار البنات
مع اختيارهم لانفسهم البنين وهو مقدس عن ان يكون له ولد فهلا اضاف اليه ارفع الجنسين ولم جعل
هاولا لانفسهم اشرف الجنسين وله الاخس وهذا كما قال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى
قوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بانه ولدت له بنت ظل وجهه اي صار
وجهه مسودا قيل ببطلان مثله الذي ضربه وقيل بما بشر به من الانثي دليله في سورة النحل اذا
بشر احدهم بالانثي ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت له بنت اغتم وارْبدّ وجهه غيظا وتاسفا
وهو مملو من الكرب وعن بعض العرب ان امراته وضعت انثي فهجر البيت الذي فيه المراة فقالت

ما لابي حمزة ما ياتينا ... فظل في البيت الذي يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا ... وانما ناخذ ما اعطينا

وقري مسود ومسواد وفي قراة الجماعة يكون وجهه اسم ظل ومسودا خبره ويجوز ان يكون في ظل ضمير
عايد على احد وهو اسمها ووجهه بدل من الضمير ومسودا خبر ظل ويجوز ان يكون رفع وجهه بالابتدا
ورفع مسودا على انه خبره وفي ظل اسمها والجملة خبرها وهو كظيم اي حزين قال قتادة وقيل مكروب
قاله عكرمة وقيل ساكت حكاه ابن ابي حاتم وذلك لفساد مثله وبطلان حجته ومن اجاز ان تكون الملايكة
بنات الله فقد جعل الملايكة شبها لله لان الولد من جنس الوالد وشبهه ومن اسود وجهه بما يضاف
اليه مما لا يرضي اولي ان يسود وجهه باضافة مثل ذلك الى من هو اجل منه فكيف الى الله عز وجل وقد مضي
في النحل في معني هذه الاية ما فيه كفاية **قوله تعالى** اومن ينشا في الحلية فيه مسيلتان
الاولي قوله تعالى اومن ينشا اي يربي ويشب والنشو التربية يقال نشات في بني فلان نشا
ونشوا اذا شبت فيهم ونشي وانشي بمعني وقرا ابن عباس والضحاك وابن وثاب وحفص وحمزة والكسايي
وخلف ينشا بضم اليا وفتح النون وتشديد الشين اي يربي ويكبر في الحلية واختاره ابو عبيد لان
الاسناد فيها اعلا وقرا الباقون ينشا بفتح اليا واسكان النون واختاره ابو حاتم اي يرسخ وينبت
واصله من نشا اي ارتفع قاله الهروي فينشا متعد وينشا لازم الثانية قوله تعالى في الحلية اي
في الزينة قال ابن عباس وغيره هن الجواري زيهن غير زي الرجال قال مجاهد رخص للنسا في الذهب
والحرير وقرا هذه الاية قال الكيا فيه دلالة على اباحة الحلي للنسا والاجماع منعقد عليه والاخبار
فيه لا تحصي قال الشيخ رحمه الله روي عن ابي هريرة انه كان يقول لابنته يا بنية اياك والتحلي

بالذهب

وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المراة

بالذهب واني اخاف عليك اللهب **قوله تعالى** وهو في الخصام غير مبين اي في المجادلة والادلا بالحجة
قال قتادة ما تكلمت امراة ولها حجة الا جعلتها على نفسها وفي مصحف عبد الله وهو في الكلام غير مبين
ومعني الاية ايضاف الى الله من هذا وصفه اي لا يجوز ذلك وقيل المنشا في الحلية اصنامهم التي صاغوها من
من فضة وذهب وحلوها قاله ابن زيد والضحاك ويكون معني وهو في الخصام غير مبين على هذا القول اي ساكت
عن الجواب ومن في محل نصب اي اتخذوا لله من ينشا في الحلية ويجوز ان يكون رفعا على الابتداء والخبر
مضمر قاله الفرا وتقديره او من كان على هذه الحالة يستحق العبادة وان شيت قلت خفض ردا الى اول
الكلام وهو قوله بما ضرب او على ما في قوله مما يخلق بنات وكون البدل في هذين الموضعين ضعيف
لكون الف الاستفهام حايلة بين البدل والمبدل منه وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قرا
الكوفيون عباد بالجمع واختاره ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلي ولان الله تعالى انما كذبهم في قولهم انهم
بنات الله فاخبرهم انهم عبيد وانهم ليسوا بناته وعن ابن عباس انه قرا عباد الرحمن فقال سعيد بن جبير
ان في مصحفي عند الرحمن فقال امحها واكتبها عباد الرحمن وتصديق هذه القراءة قوله تعالى بل عباد
مكرمون وقوله افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا **قوله تعالى** ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم وقرا الباقون عند الرحمن بنون واحدة ساكنة اي الذين واختاره
ابو حاتم وتصديق هذه القراءة ان الذين عند ربك وقوله وله ما في السموات وما في الارض ومن عنده
والمقصود ايضاح كذبهم وبيان جهلهم في نسبة الاولاد الى الله في حكمهم بان الملايكة اناث وبنات
الله وذكر العباد مدح لهم اي كيف عبد وهو امن هو في نهاية العبادة ثم كيف حكموا بانهم اناث من غير دليل
والجعل هنا بمعني القول والحكم تقول جعلت زيدا اعلم الناس اي حكمت له بذلك اشهدوا خلقهم اي
احضروا حالة خلقهم حتي حكموا بانهم اناث وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم وقال فما يدريكم انهم
اناث فقالوا سمعنا ذلك من ابايكم ونحن نشهد انهم لم يكذبوا في انهم اناث فقال الله تعالى ستكتب
ويسالون اي يسالون عنها في الاخرة وقرا نافع اوشهدوا بهمزة استفهام داخلة على همزة مضمومة
مسهلة ولا يمد سوي ما روي المسيبي عنه انه يمد وروي المفضل عن عاصم مثل ذلك وتحقيق الهمزتين
والباقون اشهدوا بهمزة واحدة للاستفهام وروي عن الزهري اشهدوا خلقهم على الخبر ستكتب قراءة
العامة بضم التاء على الفعل المجهول شهادتهم رفعا وقرا السلمي وابن السميقع وهبيرة عن حفص سنكتب بنون
شهادتهم نصبا بتسمية الفاعل وعن ابي رجا ستكتب شهاداتهم بالجمع **قوله تعالى** وقالوا لو شاء
الرحمن يعني قال المشركون على طريق الاستهزا والسخرية لو شا الرحمن على زعمكم ما عبدنا هذه الملايكة
وهذا منهم كلمة حق اريد بها باطل وكل شي بارادة الله وارادته تجب وكذا علمه فلا يمكن الاحتجاج بهما
وخلاف المعلوم والمراد مقدور وان لم يقع ولو عبدوا الله بدل الاصنام لعلمنا ان الله اراد منهم ما
حصل منهم وقد مضي هذا المعني في الانعام عند قوله سيقول الذين اشركوا لو شا الله ما اشركنا
وفي يس انطعم من لو يشا الله اطعمه وقوله ما لهم بذلك من علم مردود الى قوله وجعلوا الملايكة الذين هم عند
الرحمن اناثا اي ما لهم بقولهم الملايكة بنات الله من علم قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد وابن جريج
يعني الاوثان اي ما لهم بعبادة الاوثان من علم من صلة ان هم الا يخرصون اي يحرصون ويكذبون فلا
عذر لهم في عبادة غير الله وكان في ضمن كلامهم ان الله امرنا بهذا او رضي ذلك منا ولهذا لم ينهنا ولم
يعاجلنا بالعقوبة **قوله تعالى** ام اتيناهم كتابا من قبله هذا معادل لقوله اشهدوا خلقهم
ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران اي بما ادعوه فهم به مستمسكون يعملون بما فيه بل قالوا انا وجدنا
اباءنا على امة فيه مسيلتان الاولي قوله تعالى على امة على طريقة ومذهب قاله عمر بن عبد العزيز وكان يقرا
هو ومجاهد وقتادة على امة بكسر الالف والامة الطريقة قال الجوهري والامة بالكسر النعمة والامة ايضا
لغة في الامة وهي الطريقة والدين عن ابي عبيد قال عدي بن زيد في النعمة

ثم بعد الفلاح والملك والامة ... واراتهم هناك القبور

عن غير الجوهري وقال قتادة وعطية على امة على دين ومنه قول قيس بن الحطيم

كنا على امة ابايتا ... ويقتدي بالاول الاخر

قال الجوهري والامة الطريقة والدين يقال فلان لا امة له اي لا دين له ولا نحلة قال الشاعر

وهل يستوي ذو امة وكفود — وقال مجاهد وقطرب على دين على ملة وفي بعض المصاحف
قالوا انا وجدنا اباءنا على امة اي على ملة وهذه الاقوال متقاربة وحكي الفرا على مثل على قبلة الاخفش
على استقامة وانشد قول النابغة

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة — وهل يأثمن ذو امة وهو طائع

الثانية وانا على اثارهم مهتدون اي نهتدي بهم وفي الاية الاخرى مقتدون اي نقتدي بهم والمعنى واحد وقال قتادة مقتدون متبعون وفي هذا دليل على ابطال التقليد لذمه اياهم على تقليد ابائهم وتركهم النظر فيما دعاهم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد مضى القول في هذا مستوفى في البقرة وحكى مقاتل ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وابي سفيان وابي جهل وعتبة وشيبة بن ربيعة من قريش اي وكما قالوا ولا فقد قال من قبلهم ايضا يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ونظيره ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك والمترف المنعم والمراد هنا الملوك والجبابرة قوله تعالى قل اولو جئتكم باهدى اي قل يا محمد لقومك اوليس قد جئتكم من عند الله باهدى يريد بارشد مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون يعني بكل ما ارسل به الرسل فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولفظه لفظ الجمع لان تكذيبه تكذيب لمن سواه وقرئ قل اولو جئتكم وجئناكم قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم قالوا انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى وقد مضى في البقرة القول في التقليد وذمه فلا معنى لاعادته قوله تعالى فانتقمنا منهم بالقتل والقحط والسبي فانظر كيف كان عاقبة المكذبين اخر امر من كذب الرسل وقراءة العامة قل اولو جئتكم وقرا ابن عامر وحفص قال اولو جئتكم على الخبر عن النذير انه قال لهم هذه المقالة وقرا ابو جعفر قل اولو جئناكم بنون والف على ان المخاطبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جميع الرسل قوله تعالى واذ قال اي ذكرهم اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون البراء يستعمل للواحد فما فوقه فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لانه مصدر وضع موضع النعت لا يقال البراءان والبراءون لان المعنى ذو البراء قال الجوهري وتبرات من كذا وانا منه براء وخلاء منه لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل مثل سمع سماعا فاذا قلت انا منه بريء وجلي ثنيت وجمعت وقلت في الجمع نحن منه براء مثل فقيه وفقهاء وبراء ايضا مثل كرام وكرام وابرا مثل شريف واشراف وابريا مثل نصيب وانصبا وبريون وامراة بريئة وهما بريئتان وهن بريئات وبرايا ورجل بريء وبراء مثل عجيب وعجاب والبراء بالفتح اول ليلة من الشهر سميت بذلك لتبري القمر من الشمس الا الذي فطرني استثناء متصل لانهم عبدوا الله مع الهتهم قال قتادة كانوا يقولون الله ربنا مع عبادة الاوثان ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن الذي فطرني فهو يهدين قال ذلك ثقة بالله وتنبيها لقومه ان الهداية من ربه قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وجعلها كلمة الضمير في وجعلها عائد على قوله الا الذي فطرني وضمير الفاعل في جعلها لله عز وجل اي وجعل الله هذه الكلمة باقية في عقبه وهم ولده وولد ولده اي انهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله واوصى بعضهم بعضا في ذلك والعقب من يأتي بعده وقال السدي هم ال محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس قوله في عقبه اي في خلقه وفي الكلام تقديم وتاخير والمعنى فانه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها كلمة باقية في عقبه اي قال لهم ذلك لعلهم يتوبون عن عبادة غير الله قال مجاهد وقتادة الكلمة لا اله الا الله قال قتادة لا يزال في عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة وقال الضحاك الكلمة ان لا تعبدوا الا الله عكرمة الاسلام لقوله تعالى هو سماكم المسلمين القرظي وجعل وصية ابراهيم التي وصى بها بنيه وهو قوله يا بني ان الله اصطفى لكم الدين الاية المذكورة في البقرة كلمة باقية في ذريته وبنيه وقال ابن زيد الكلمة قوله اسلمت لرب العالمين وقرا هو سماكم المسلمين من قبل وقيل الكلمة النبوة قال ابن العربي ولم تزل النبوة باقية في ذرية ابراهيم والتوحيد هم اصله وغيرهم فيه تبع لهم الثانية قال ابن العربي انما كانت لابراهيم في الاعقاب موصولة في الاحقاب بدعوتيه المجابتين احداهما في قوله اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فقد قال نعم الا من ظلم منهم فلا عهد الثانيتها قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقيل بل الاولى قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين فكل امة تعظمه بنوه وغيرهم ممن يجمع

البراء يستعمل للواحد فما فوقه فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث

معه في سام او نوح الثالثة قال ابن العربي جرى ذكر العقب هاهنا موصولا في المعنى وذلك مما يدخل وتترتب عليه عقود العمرى والتحبيس قال النبي صلى الله عليه وسلم ايما رجل اعمر عمرى له ولعقبه فانها للذي اعطيها لا ترجع الى الذي اعطاها لانه اعطى عطاء وقعت فيه المواريث وهي ترد على احد عشر لفظا اللفظ الاول الولد وهو عند الاطلاق عبارة عمن وجد من الرجل وامراته من الاناث والذكور وعن ولد الذكور دون الاناث لغة وشرعا ولذلك وقع الميراث على الولد المعين واولاد الذكور من المعين دون ولد الاناث لانه من قوم اخرين ولذلك يدخلوا في الحبس بهذا اللفظ قاله مالك في المجموعة وغيرها وقال الشيخ رحمه الله هذا مذهب مالك وجميع اصحابه المتقدمين ومن حجتهم على ذلك الاجماع على ان ولد البنات لا ميراث لهم مع قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر وقد ذهب جماعة من العلماء ان ولد البنات من الاولاد والاعقاب يدخلون في الاحباس يقول المحبس حبست على ولدي او على عقبي وهذا اختيار ابي عمر بن عبد البر وغيره واحتجوا بقول الله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم قالوا فلما حرم الله البنات فحرمت بذلك بنت البنت باجماع علم انها بنت ووجب ان تدخل في حبس ابيها اذا حبس على ولده او عقبه وقد مضى هذا المعنى في الانعام مستوفى اللفظ الثاني البنون فان قال هذا حبس على ابني فلا يتعدى الابن المعين ولا يتعدد ولو قال ولدي لتعدد وتعدى في كل من ولد ولو قال على بني دخل فيه الذكور والاناث قال مالك من تصدق على بنيه وبني بنيه فان بناته يدخلن في ذلك روى عيسى عن ابن القاسم فيمن حبس على بناته فان بنات بنيه يدخلن في ذلك مع بنات صلبه والذي عليه جماعة اصحابه ان ولد البنات لا يدخلون في البنين فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن ابن ابنته ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين قلنا هذا مجاز وانما اشار به الى تشريفه وتقديمه الا ترى انه يجوز نفيه عنه فيقول الرجل في ولد بنته ليس بابني ولو كان حقيقة ما جاز نفيه عنه لان الحقائق لا تنتفي على مسمياتها الا ترى انه ينتسب الى ابيه دون امه ولذلك قيل في عبد الله بن عباس انه هاشمي وليس بهلالي ولو كانت امه هلالية قال الشيخ رحمه الله هذا الاستدلال غير صحيح بل هو ولد على الحقيقة في اللغة لوجود معنى الولادة فيه ولان اهل العلم قد اجمعوا على تحريم بنت البنت من قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وقوله تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله من الصالحين فجعل عيسى من ذريته وهو ابن ابنته على ما تقدم بيانه هناك فان قيل فقد قال الشاعر

شعر

بنونا بنو ابنائنا وبناتنا — بنوهن ابناء الرجال الاباعد

قيل لهم هذا لا دليل فيه لان معنى قوله انما هو ان ولد بنيه الذكران هم الذين لهم حكم بنيه في الموارثة والنسب وان ولد بناته ليس لهم حكم بناته في ذلك اذ ينتسبون الى غيرهم فاخبر بافتراقهم بالحكم مع اجتماعهم في التسمية ولم ينف عن ولد البنات اسم الولد لانه ابنا وقد يقول الرجل في ولده ليس هو بابني ولا يطيعني ولا يرى لي حقا ولا يريد بذلك نفي اسم الولد عنه وانما يريد ان ينفي عنه حكمه ومن استدل بهذا البيت على ان ولد البنت لا يسمى ولدا فقد افسد معناه وابطل فائدته وتاول على قائله ما لا يصح اذ لا يمكن ان يسمى ولد الابن في اللسان العربي ابنا ولا يسمى ولد الابنة ابنا من اجل ان معنى الولادة الذي اشتق منها اسم الولد فيه ابين واقوى لان ولد الابنة هو ولدها بحقيقة الولادة وولد الابن انما هو ولده بما له مما كان سببا للولادة ولم يخرج مالك رحمه الله اولاد البنات من حبس على ولده من اجل ان اسم الولد غير واقع عليه عنده في اللسان وانما اخرجهم منه قياسا على الموارثة وقد مضى هذا في الانعام والحمد لله اللفظ الثالث الذرية وهي ماخوذة من ذرا الله الخلق فيدخل فيه ولد البنات لقوله ومن ذريته داود وسليمان الى ان قال وزكريا ويحيى وعيسى وانما كان من ذريته من قبل امه وقد مضى في البقرة اشتقاق الذرية وفي الانعام الكلام على ومن ذريته الاية فلا معنى للاعادة اللفظ الرابع العقب وهو في اللغة عبارة عن شيء بعد شيء كان من جنسه او من غير جنسه يقال اعقب الله بخير اي جاء بعد الشدة بالرخاء واعقب الشيب السواد وعقب يعقب عقوبا وعقبا اذا جاء شيئا بعد شيء ولهذا قيل لولد الرجل عقبه والمعقبات من النساء التي تلد ذكرا بعد انثى هكذا ابدا وعقب الرجل ولده وولد ولده الباقون بعده والعاقبة الولد قال يعقوب في القران وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل بل الورثة كلهم عقبه والعاقبة الولد وكذلك فسره مجاهد هنا وقال ابن زيد هاهنا هم الذرية

في عقبه الذرية

وقال ابن شهاب هم الولد وولد الولد وقيل غير علي ما تقدم عن السدي وفي الصحاح والعقب بكسر القاف
مؤخر القدم وهي مؤنثة وعقب الرجل ايضا ولده وولد ولده وفيه لغتان عقب وعقب بالتسكين وهي
ايضا مؤنثة عن الاخفش وعقب فلان مكان ابيه عاقبه اي خلفه وهو اسم جاء بمعني المصدر لقوله ليس
لوقعتها كاذبة ولا فرق عند احد من العلما بين لفظ العقب والولد في المعني واختلف في الذرية
والنسل فقيل انهما بمنزلة الولد والعقب لا يدخل ولد البنات فيهما علي مذهب مالك وقيل انهم يدخلون
فيهما وقد مضي الكلام في الذرية هنا وفي الانعام **اللفظ الخامس** نسلي وهو عند علمائنا كقوله ولدي وولد
ولدي فانه يدخل فيه ولد البنات ووجب ان يدخلوا لان نسل بمعني خرج وولد البنات قد خرجوا منه بوجه
ولم يقترن به ما خصه كما اقترن بقوله عقبي ما تناسلوا وقال بعض علمائنا ان النسل بمنزلة الولد والعقب
لا يدخل فيه ولد البنات الا ان يقول المحبس نسلي ونسل نسلي كما اذا قال عقبي وعقب عقبي فاما اذا قال
ولدي او عقبي مفردا فلا يدخل فيه البنات **اللفظ السادس** الال وهم الاهل وهو **اللفظ السابع** قال
ابن القاسم هما سوا وهم العصبة والاخوة والاخوات والبنات والعمات ولا يدخل فيه الخالات
واصل اهل الاجتماع يقال مكان اهل اذا كان فيه جماعة وذلك بالعصبة ومن دخل في العقد والعصبة
مشتقة منه وهي اخص به وفي حديث الافك يا رسول الله اهلك ولا نعلم الا خيرا يعني عايشة ولكن لا
تدخل فيه الزوجة باجماع وان كانت اصل التاهل لان ثبوتها ليس بيقين اذ قد يتبدل ربطها وينحل
بالطلاق وقد قال مالك ال محمد كل تقي وليس من هذا الباب وانما اراد ان الايمان اخص من القرابة
فاشتملت عليه الدعوة وقصد بالرحمة وقد قال ابو اسحاق التونسي يدخل في الاهل كل من كان من جهة الاب
فوفي الاشتقاق حقه وغفل عن العرف ومطلق الاستعمال وهذه المعاني انما تبني علي الحقيقة او علي
العرف المستعمل عند الاطلاق فهذان لفظان **اللفظ الثامن** قرابة فيه اربعة اقوال الاول قال
مالك في كتاب محمد وابن عبدوس انهم الاقرب فالاقرب بالاجتهاد ولا يدخل فيه ولد البنات ولا ولد
الخالات الثاني يدخل فيه اقاربه من قبل ابيه وامه قاله علي ابن زياد والثالث قال اشهب يدخل فيه
كل رحم من الرجال والنسا الرابع قال ابن كنانة يدخل فيه الاعمام والعمات والاخوات والخالات وبنات
الاخت وقد قال ابن عباس في تفسير قوله تعالي قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي قال الا ان
تصلوا قرابة ما بيني وبينكم وقال لم يكن بطن من قريش الا كانت بينه وبين النبي صلي الله عليه وسلم قرابة
فهذا يضبطه والله اعلم **اللفظ التاسع** العشيرة ويضبطه الحديث الصحيح ان الله تعالي لما انزل وانذر عشيرتك
الاقربين دعا النبي صلي الله عليه وسلم بطون قريش وسماهم كما تقدم ذكرهم وهم العشيرة الاقربون
وسواهم عشيرة في الاطلاق واللفظ يحمل علي الاخص الاقرب بالاجتهاد كما تقدم من قول علمائنا
اللفظ العاشر القوم يحمل ذلك علي الرجال خاصة من العصبة دون النسا والقوم يشمل الرجال والنسا
وان كان الشاعر قد قال

> وما ادري وسوف اخال ادري اقوم ال حصن ام نساء

ولكنه اراد ان الرجل اذا دعي قومه للنصرة عنا الرجال واذا دعاهم للحرمة دخل فيهم الرجال والنساء فتعمه
الصفة وتخصه القرينة **اللفظ الحادي عشر** الموالي قال مالك يدخل فيه موالي ابيه وابنه مع مواليه وقال
ابن وهب يدخل فيه اولاد مواليه قال ابن العربي والذي يتحصل منه انه يدخل فيه من يرثه بالولا قال وهذه
فصول الكلام واصوله المرتبطة بظاهر القران والسنة المبينة له والتفريع والتتميم في كتب المسايل
والله اعلم **قوله تعالى بل متعت هؤلاء واباءهم** اي في الدنيا بالامهال حتى جاءهم الحق اي محمد صلي الله
عليه وسلم بالتوحيد والاسلام الذي هو اصل دين ابراهيم وهو الكلمة التي بقاها الله في عقبه ورسول مبين
اي يبين لهم ما بهم اليه حاجه ولما جاءهم الحق يعني القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون جاحدون وقالوا لو
لا نزل اي هلا نزل هذا القران علي رجل وقري رجل بسكون الجيم من القريتين عظيم اي من احدي القريتين
لقوله يخرج منهما اللولو والمرجان اي من احدهما او علي احد رجلين من القريتين القريتان مكة والطايف
والرجلان الوليد بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم عم ابي جهل والذي من الطايف ابو مسعود عروة بن مسعود
الثقفي قاله قتادة وقيل عمير بن عبد ياليل الثقفي من الطايف وعتبة بن ربيعة من مكة وهو قول مجاهد
وعن ابن عباس ان عظيم الطايف حبيب ابن عمرو الثقفي وقال السدي كنانة بن عبد بن عمرو وروي ان الوليد

في قوله نسلي وعقبي وذريتي

بن المغيرة وكان يسمي ريحانة قريش كان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل علي او علي ابن مسعود فقال
الله تعالي اهم يقسمون رحمة ربك يعني النبوة فيضعونها حيث شاوا نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا اي افقرنا قوما واغنينا قوما فاذا لم يكن امر الدنيا اليهم فكيف يفوض امر النبوة اليهم قال قتادة
تلقاه ضعيف القوة قليل الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له وتلقاه شديد الحيلة بسيط اللسان
وهو مقتر عليه وقرا ابن عباس ومجاهد وابن محيصن في رواية عنه معايشهم وقالوا اي نحن اعطينا عظيم القريتين
ما اعطينا من الكرامة بما علي وانا قادر علي نزع النعمة عنهما فاي فضل وقدر لهما ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات اي فاضلنا بينهم فمن فاضل ومفضول ورئيس ومرؤوس قاله مقاتل وقيل بالحرية والرق فبعضهم
مالك وبعضهم مملوك وقيل بالغني والفقر فبعضهم غني وبعضهم فقير وقيل بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال السدي وابن زيد خولا وخداما يسخر الاغنيا الفقرا فيكون
بعضهم سببا لمعاش بعض وقال قتادة والضحاك يعني ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التي بمعني
الاستهزا اي ليستهزي الغني بالفقير قال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت منه وضحكت به
وهزيت منه وبه كل يقال والاسم السخرية بالضم والسخري والسخري بالضم والكسر وكل الناس ضموا سخريا
الا ابن محيصن ومجاهد فانهما قرا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون اي افضل مما يجمعون من الدنيا ثم قيل
الرحمة النبوة وقيل الجنة وقيل تمام الفرايض خير من كثرة النوافل وقيل ما يتفضل به عليهم خير مما يجازيهم
عليه من اعمالهم **قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة** فيه خمس مسايل **الاولي** قال العلما معني الكلام ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها وانها
عنده من الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهبا وفضة لولا غلبة حب الدنيا علي القلوب
فيحمل ذلك علي الكفر قال الحسن المعني لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الي الدنيا وتركهم الاخرة
لاعطيناهم في الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عند الله عز وجل وعلي هذا اكثر المفسرين ابن عباس
والسدي وغيرهم وقال ابن زيد ولولا ان يكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا واختيارها علي الاخرة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وقال الكسايي المعني لولا ان يكون في الكفار غني وفقير وفي
المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا هذا لهوانها **الثانية** قرا ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين
واسكان القاف علي الواحد ومعناه الجمع اعتبارا بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم وقرا الباقون بضم السين
والقاف علي الجمع مثل رهن ورهن قال ابو عبيد ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف نحو كثيب وكثب ورغيف
ورغف قاله الفرا وقيل هو جمع سقوف فيصير جمع الجمع سقف وسقوف نحو فلس وفلوس ثم انهم جعلوا فعولا
لانه اسم واحد فجمعوه علي فعل وروي عن مجاهد سقفا باسكان القاف وقيل اللام في لبيوتهم بمعني علي اي علي بيوتهم
وقيل بدل كما تقول فعلت هذا لزيد لكرامته قال الله تعالي ولابويه لكل واحد منهما السدس لذلك قال هنا
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة **الثالثة** قوله تعالي ومعارج يعني الدرج قاله ابن عباس وهو
قول الجمهور واحدها معراج والمعراج السلم ومنه ليلة المعراج والجمع معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح
لغتان ومعاريج قرا ابو رجا العطاردي وطلحة بن مصرف وهي المراقي والسلاليم قال الاخفش ان شئت جعلت
الواحد معرج مثل مرقاة ومرقاة عليها يظهرون اي علي المعارج يرتقون يقال ظهرت علي البيت اي علوت سطحه
وهذا لان من علا شيا وارتفع عليه ظهر للناظرين ويقال ظهرت علي الشي اي علمته وظهرت علي العدو اي
غلبته وانشد نابغة بن جعدة رسول الله صلي الله عليه وسلم

> علونا السما عزة ومهابة وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

اي مصعدا فغضب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال الي اين قال الي الجنة قال اجل ان شا الله قال الحسن والله
لقد مالت الدنيا باكثر اهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل **الرابعة** استدل بعض العلما بهذه الاية علي ان السقف
لا حق فيه لرب العلو لان الله تعالي جعل السقوف للبيوت كما جعل الابواب لها وهذا مذهب مالك رحمه الله
قال ابن العربي وذلك لان البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب فمن له البيت فله اركانه ولا خلاف
ان العلو له الي السما واختلفوا في السفل فمنهم من قال هو له ومنهم من قال ليس له في باطن الارض شي وفي مذهبنا
القولان وقد بين حديث الاسرايلي الصحيح فيما تقدم ان رجلا باع من رجل دارا فبناها فوجد فيها جرة من
ذهب فجا بها الي البايع فقال انما اشتريت الدار دون الجرة وقال البايع انما بعت الدار بما فيها وكلهم يدافعها

احكام العلو والسفل

فقضى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرج احدهما وله من بيت الاخر ويكون المال لهما والصحيح ان العلو والسفل
له الا ان يخرج عنهما بالبيع فاذا باع احدهما احد الموضعين فله منه ما ينتفع به وباقيه للمبتاع منه الخامسة
من احكام العلو والسفل اذا كان العلو والسفل بين رجلين فيعتل السفل او يريد صاحبه هدمه فذكر سحنون
عن اشهب انه قال اذا اراد صاحب السفل ان يهدم او اراد صاحب العلو ان يبني علوه فليس لصاحب
السفل ان يهدم الا من ضرورة ويكون هدمه له ارفق لصاحب العلو لئلا ينفذ وبانهدامه العلو وليس
لرب العلو ان يبني على علوه شيئا لم يكن قبل ذلك الا الشي الخفيف الذي لا يضر بصاحب السفل ولو انكسرت خشبة
من سقف العلو لادخل مكانها خشبة ما لم تكن اثقل منها ويخاف ضررها على صاحب السفل قال اشهب وباب الدار
على صاحب السفل قال ولو انهدم السفل اجبر صاحبه على بنائه وليس على صاحب العلو ان يبني السفل فان ابى
صاحب السفل من البنا قيل له بع ممن يبني وروى ابن القاسم عن مالك في السفل لرجل والعلو لاخر فاعتل السفل
ان صلاحه على رب السفل وعليه تعليق العلو حتى يصلح سفله لان عليه اما ان يحمله على بنيان او على تعليق
وكذلك لو كان على العلو علو حتى يبني الاسفل وحديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القايم على
حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في
اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم
وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا اصل في هذا الباب وهو حجة لمالك واشهب
وفيه دليل على ان صاحب السفل ليس له ان يحدث على صاحب العلو ما يضر به وانه لو احدث عليه ضررا لزمه
اصلاحه دون صاحب العلو وان لصاحب العلو منعه من الضرر لقوله عليه السلام فان اخذوا على ايديهم
نجوا ونجوا جميعا ولا يجوز الاخذ الا على يد الظالم او من هو ممنوع من احداث ما لا يجوز له في السنة وفيه
دليل على استحقاق العقوبة بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد مضى في الانفال وفيه دليل على جواز
القرعة واستعمالها وقد مضى في ال عمران فتامل كلا في موضعه تجده مبينا والحمد لله **قوله تعالى**
ولبيوتهم ابوابا اي وجعلنا لبيوتهم وقيل لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر بالرحمن ابوابا اي من فضة
وسررا كذلك وهو جمع السرير وقيل جمع الاسرة والاسرة جمع السرير فيكون جمع الجمع يتكيون عليها
الاتكا والتوكو التحامل على الشي ومنه اتوكا عليها ورجل تكاه مثال همزة كثير الاتكا والتكاة ما يتكا
عليه واتكا على الشي فهو متكي والموضع متكا وطعنه حتى اتكاه على افعله اي القاه على هيات المتكي وتوكات على
العصا واصل التا في جميع ذلك واو ففعل به ما فعل باتزن واتعد وزخرفا الزخرف هنا الذهب عن ابن عباس
وغيره نظيره او يكون لك بيت من زخرف وقد تقدم وقال ابن زيد هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الامتعة
والاثاث وقال الحسن النقوش واصله الزينة يقال زخرفت الدار اي زينتها وتزخرف فلان اي تزين وانتصب
زخرفا على معنى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا بنزع الخافض والمعنى لجعلنا لهم سقفا وابوابا وسررا من فضة
ومن ذهب فلما حذف من قال ورخرفا فنصب وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا قرا عاصم وحمزة وهشام عن
ابن عامر وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا بالتشديد الباقون بالتخفيف وقد ذكر هذا وروي عن ابي
رجا كسر اللام من لما فما عنده بمنزلة الذي والعايد عليها محذوف والتقدير وان كل ذلك للذي هو متاع
الحياة الدنيا وحذف الضمير هاهنا كحذفه في قراءة من قرا مثلا ما بعوضة فما فوقها وتماما على الذي
احسن ابو الفتح ينبغي ان تكون كل على هذه القراءة منصوبة لان ان مخففة من الثقيلة وهي اذا خففت
وبطل عملها لزمها اللام في اخر الكلام للفرق بينهما وبين ان النافية التي بمعنى ما كقولك ان زيد لقايم ولا
لام هنا سوى الجارة والاخرة عند ربك للمتقين يريد الجنة لمن اتقى وخاف وقال كعب اني لاجد في بعض كتب الله
المنزلة لولا ان يحزن عبدي المومن لكللت راس عبدي الكافر بالاكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق
بوجع وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وعن
سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة وفي الباب عن ابي هريرة وقال حديث حسن غريب وانشدوا

فلو كانت الدنيا جزا المحسن … اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبيا كرامة … وقد شبعت فيها بطون البهايم
تمتع من الايام ان كنت حازما … فانك فيها بين ناه وامر

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه … فما فاته منها فليس بضاير
فلم تزن الدنيا جناح بعوضة … ولا وزن زف من جناح لطاير
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمحسن … ولا رضي الدنيا عقابا لكافر

قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقرا ابن عباس وعكرمة ومن يعش عن
ذكر بفتح الشين ومعناه يعمى يقال منه عشي يعشى عشا اذا عمي ورجل اعشى وامراة عشوا اذا كان لا يبصر ومنه
قول الاعشى … رات رجلا عايب الوافدين … ومختلف الخلق اعشى ضريرا
وقوله … ان راته رجلا اعشى اضر به … ريب المنون ودهر مفند خبل
الباقون بالضم من عشا يعشو اذا لحقه ما يلحق العليل الاعشى وقال الخليل العشو هو النظر ببصر ضعيف
وانشد … متى تاته تعشو الى ضوء ناره … تجد خير نار عندها خير موقد
وقال الاخر … لنعم الفتى تعشو الى ضوء ناره … اذا الريح هبت والمكان جديب
الجوهري والعشا مقصور مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمراة عشوا وامراتان
عشواوان واعشاه الله فعشي بالكسر يعشى عشا وهما يعشيان ولم يقولوا يعشوان لان الواو لما صارت
في الواحد ياء لكسرة ما قبلها تركت في التثنية على حالها وتعاشى اذا ارى من نفسه انه اعشى والنسبة الى
اعشى اعشوي والى العشية عشوي والعشوا الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شي وركب فلان
العشوا اذا خبط امره على غير بصيرة وفلان خابط خبط عشوا وهذه الاية تتصل بقوله اول السورة افنضرب
عنكم الذكر صفحا اي نواصل لكم الذكر فمن يعش عن ذلك الذكر بالاعراض الى اقاويل المضلين واباطيلهم
نقيض له شيطانا اي نسبب له شيطانا جزا له على كفره فهو له قرين قيل في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه
على الحرام وينهاه عن الطاعة ويامره بالمعصية وهو معنى قول ابن عباس وقيل في الاخرة اذا قام من قبره
قاله سعيد الجريري انه وفي الخبر ان الكافر اذا خرج من قبره شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخلا النار وان
المومن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه ذكره المهدوي وقال القشيري والصحيح فهو له قرين في الدنيا
والاخرة وقال ابو الهيثم والازهري عشوت الى كذا اي قصدته وعشوت عن كذا اي اعرضت عنه فتفرق
بين الى وعن مثل ملت اليه وملت عنه وكذا قال قتادة يعش يعرض وهو قول الفرا النحاس وهو غير معروف
في اللغة وقال القرظي يولي ظهره والمعنى واحد وقال ابو عبيدة والاخفش يظلم عينه وانكر القتبي عشوت
بمعنى اعرضت قال وانما الصواب تعاشيت والقول قول ابي الهيثم والازهري وكذلك قال جميع اهل
المعرفة وقرا السلمي وابن ابي اسحاق ويعقوب وعصمة عن عاصم وعن الاعمش يقيض بالياء لذكر الرحمن اولا اي
يقيض له الرحمن شيطانا الباقون بالنون وعن ابن عباس يقيض له شيطان فهو له قرين اي ملازم ومصاحب
قيل فهو كناية عن الشيطان على ما تقدم وقيل عن التعرض عن القران اي هو قرين للشيطان وانهم ليصدونهم
عن السبيل وان الشيطان ليصدونهم عن سبيل الهدى وذكر بلفظ الجمع لان من في قوله ومن يعش في معنى
الجمع ويحسبون اي ويحسب الكفار انهم لمهتدون وقيل ويحسب الكفار ان الشياطين مهتدون فيطيعونهم
حتى اذا جانا على التوحيد قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص جانا يعني الكافر يوم القيامة الباقون
جاانا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة فيقول الكافر يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين اي مشرق الشتا ومشرق الصيف كما قال رب المشرقين ورب المغربين ونحوه قول قتادة
وقراة التوحيد وان كان ظاهرها الافراد فالمعنى لهما جميعا لانه قد عرف ذلك بما بعده كما قال

وعين لها حدرة بدره … شقت ما فيهما من اخر

قال مقاتل يتمنى الكافر ان بينهما بعد مشرق اطول يوم في السنة الى مشرق اقصر يوم في السنة ولذلك قال
بعد المشرقين وقال الفرا اراد المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما كما يقال القمران للشمس والقمر والعمران
لابي بكر وعمر والبصرتان للكوفة والبصرة والعصران للغداة والعصر وقال الشاعر

اخذنا بافاق السماء عليكم … لنا قمراها والنجوم الطوالع

وانشد ابو عبيدة لجرير … ما كان يرضى رسول الله فعلهم … والطيبان ابو بكر ولا عمر
وانشد سيبويه … قدني من نصر الخبيبين قدي

يريد عبد الله ومصعبا
ابني الزبير وانما ابو خبيب عبد الله فبيس القرين اي فبيس الصاحب انت لانه يورده الى النار وقال

ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير به الى النار

قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ بدل من اليوم اي يقول الله للكافر لن ينفعكم اليوم اذا اشركتم في الدنيا هذا الكلام وهو قول الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اي لا تنفع الندامة اليوم انكم بالكسر في العذاب مشتركون وهي قراءة ابن عامر باختلاف عنه الباقون بالفتح وهي في موضع رفع تقديره ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لان لكل واحد نصيبه الاوفر منه كما اعلم الله تعالى انه منع اهل النار التاسي كما يتاسى اهل المصائب في الدنيا وذلك ان التاسي يستروحه اهل الدنيا فيقول احدهم لي في البلاء والمصيبة اسوة فيسكن ذلك من حزنه كما قالت الخنسا

فلولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل اخي ولكن ... اعز النفس عنه بالتاسي

فاذا كان في الاخرة لم ينفعهم التاسي شيئا لشغلهم بالعذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لان قرناكم وانتم في العذاب مشتركون كما اشتركتم في الكفر قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي يا محمد ومن كان في ضلال مبين اي ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفروا وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه رد على القدرية وغيرهم وان الهدى والرشد والخذلان في القلب خلق الله يهدي من يشا ويضل من يشا قوله تعالى فاما نذهبن بك يريد نخرجنك من مكة من اذى قريش فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم وهو الانتقام منهم في حياتك فانا عليهم مقتدرون قال ابن عباس قد اراه الله ذلك يوم بدر وهذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة هي في اهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن ونذهبن بك على هذا نتوفينك وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فاكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به فلم ير في امته الا التي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وليس من نبي الا وقد اري النقمة في امته روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما لقيت امته من بعده فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله عز وجل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا واذا اراد الله بامة عذابا عذبها ونبيها حي لتقر عينه كما كذبوه وعصوا امره قوله تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك يريد القران وان كذب به من كذب فانك على صراط مستقيم يوصلك الى الله ورضاه وثوابه وانه لذكر لك ولقومك يعني القران شرف لك ولقومك من قريش اذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم نظيره لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وشرفكم فالقران نزل بلسان قريش واياهم خاطب فاحتاج اهل اللغات كلها الى لسانهم كل من امن بذلك فصاروا عيالا عليهم لان اهل كل لغة احتاجوا الى ان ياخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عني به من الامر والنهي وجميع ما فيه من الانباء فشرفوا بذلك على سائر اهل اللغات ولذلك سمي عربيا وقيل بيان لك ولامتك فيما بكم اليه حاجة وقيل تذكروه تذكرون به امر الدين وتعملون به وقيل وانه لذكر لك ولقومك يعني الخلافة فانها في قريش لا تكون في غيرهم قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال مالك هو قول الرجل حدثني ابي عن ابيه حكاه ابن ابي سلمة عن ابيه عن مالك بن انس فيما ذكر الماوردي والثعلبي وغيرهما قال ابن العربي ولم اجد في الاسلام هذه الرتبة لاحد الا ببغداد فان بني التميمي بها يقولون حدثني ابي قال حدثني ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك شرفت اقدارهم وعظم الناس شانهم وتهمت الخلافة بهم ورايت بمدينة السلام ابني ابي محمد رزق الله بن عبد الوهاب ابي الفرج بن عبد العزيز بن الحرث بن اسد بن الليث بن سليمان بن اسود بن سفيان بن يزيد بن اكينه بن عبد الله التميمي وكانا يقولان سمعنا ابانا رزق الله يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت علي ابن ابي طالب وقد سيل عن الحنان المنان فقال الحنان الذي يقبل على من اعرض عنه والمنان الذي يبدا بالنوال قبل السوال والقايل سمعت عليا اكينه بن عبد الله جدهم الاعلى والاقوى ان يكون المراد بقوله وانه لذكر لك ولقومك يعني القران فعليه انبني الكلام واليه يرجع المصير والله اعلم قال الماوردي ولقومك فيه قولان احدهما من اتبعك من امتك قاله قتادة وذكره الثعلبي عن الحسن الثاني لقومك من قريش فيقال ممن هذا فيقال من العرب فيقال من اي العرب فيقال من قريش قاله مجاهد

سئل عن الحنان والمنان

قال الشيخ رحمه الله الصحيح انه شرف لمن عمل به كان من قريش او غيرهم روي ابن عباس قال اقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم من سرية او غزاة فدعا فاطمة فقال فاطمة اشتري نفسك من الله فاني لا اغني عنك من الله شيئا وقال مثل ذلك لنسوته وقال مثل ذلك لعترته ثم قال صلى الله عليه وسلم ما بنو هاشم باولى الناس بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون ولا الانصار اولى الناس بامتي انما اولى الناس بامتي المتقون انما انتم من رجل وامراة وانتم كجمام الصاع ليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام يفتخرون بفحم من فحم جهنم او يكونوا اشر عند الله من الجعلان التي تدفع النتن بانفها كلكم بنو ادم وادم من تراب ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء مؤمن تقي وفاجر شقي خرجهما الطبري وسياتي لهذا مزيد بيان في الحجرات ان شا الله تعالى وسوف تسالون اي عن الشكر عليه قاله مقاتل والفرا وقال ابن جريج اي تسالون انت ومن معك على ما اتاك وقيل تسالون عما عملتم فيه والمعنى متقارب قوله تعالى واسال من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون قال ابن عباس وابن زيد لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله ادم ومن ولد من المرسلين وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم فاذن جبريل صلى الله عليه وسلم ثم اقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل صلى الله عليهما سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسال قد اكتفيت قال ابن عباس وكانوا سبعين نبيا منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فلم يسالهم لانه كان اعلم بالله منهم في غير رواية ابن عباس فصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة صفوف المرسلون ثلثة صفوف والنبيون اربعة وكان يلي ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابرهيم خليل الله وعلى يمينه اسماعيل وعلى يساره اسحق ثم موسى ثم ساير المرسلين فصلى فاتهم ركعتين فلما انفتل قام فقال ان ربي اوحى الي ان اسالكم هل ارسل احد منكم يدعو الى عبادة غير الله فقالوا يا محمد انا نشهد انا ارسلنا اجمعين بدعوة واحدة ان لا اله الا الله وان ما تعبدون من دونه باطل وانك خاتم النبيين وسيد المرسلين قد استبان لنا ذلك بامامتك ايانا وان لا نبي بعدك الى يوم القيامة الا عيسى ابن مريم فانه مامور ان يتبع اثرك وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا قال لقي الرسل ليلة اسري به وقال الوليد بن مسلم في قوله تعالى واسال من ارسلنا قبلك من رسلنا قال سالت عن ذلك خليد بن دعلج فحدثني عن قتادة قال سالهم ليلة اسري به اي الانبيا ولقي ادم ومالك خازن النار قال الشيخ رحمه الله وهذا هو الصحيح في تفسير الاية ومن التي قبل رسلنا على هذا القول غير زايدة وقال المبرد وجماعة من العلما ان المعنى واسال امم من ارسلنا من قبلك من رسلنا وروي ان في قراءة ابن مسعود وسل الذين ارسلنا اليهم قبلك رسلنا وهذه قراءة مفسرة فمن على هذا زايدة وهو قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة وعطا والحسن وابن عباس ايضا اي واسل مؤمني اهل الكتابين التوراة والانجيل وقيل المعنى سلنا يا محمد عن الانبيا الذين ارسلنا قبلك فحذفت عن والوقف على رسلنا على هذا تام ثم ابتدا بالاستفهام على طريق الانكار وقيل المعنى واسال تباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا فحذف المضاف والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اخبر عن الالهة كما اخبر عمن يعقل فقال يعبدون ولم يقل تعبد ولا يعبدون لان الالهة جرت عنده مجرى من يعقل فاجرى الخبر عنهم مجرى الخبر عمن يعقل وسبب هذا الامر بالسوال انه اليهود والمشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان ما جيت به مخالف لمن كان قبلك فامره الله بسواله الانبيا على جهة التوقيف والتقرير لا لانه كان في شك منه واختلف اهل التاويل في سوال النبي صلى الله عليه وسلم لهم على قولين احدهما انه سالهم فقالت الرسل بعثنا بالتوحيد قاله الواقدي الثاني انه لم يسالهم ليقينه بالله عز وجل حتى حكى ابن زيد ان ميكائيل قال لجبريل هل سالك محمد عن ذلك فقال جبريل هو اشد ايمانا واعظم يقينا من ان يسال عن ذلك وقد تقدم هذا المعنى في الزمر حيث ما ذكرنا قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين لما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم بانه منتقم له من عدوه واقام الحجة باستشهاد الانبيا واتفاق الكل على التوحيد اكد ذلك بقصة موسى وفرعون وما كان من فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الاغراق والتعذيب اي ارسلنا موسى بالمعجزات وهي التسع الايات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة له فكذلك انت ومعنى يضحكون استهزا

وسخرية يوهموا اتباعهم ان تلك الايات سحر وتخييل وانهم قادرون عليها وقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر
من اختها اي كانت ايات موسى من كبار الايات وكانت كل واحدة اعظم مما قبلها وقيل ان لا هي اكبر
من اختها لان الاولى تقتضي علما والثانية تقتضي علما فتنضم الثانية الى الاولى فيزداد الوضوح ومعنى
الاخوة المشاكلة والمناسبة كما يقال هذه صاحبة هذه اي هما قريبتان في المعنى واخذناهم بالعذاب
اي على تكذيبهم بتلك الايات الاخيرة عذابا لهم وايات لموسى لعلهم يرجعون من كفرهم وقالوا يا ايه الساحر
لما عاينوا العذاب قالوا يا ايه الساحر نادوه بما كانوا ينادونه من قبل ذلك على حسب عادتهم وقيل كانوا
يسمون العلما سحرة فنادوه بذلك على سبيل التعظيم قال ابن عباس يا ايها الساحر يا ايها العالم وكان الساحر
فيهم عظيما يوقرونه ولم يكن السحر صفة ذم وقيل يا ايها الذي غلبنا بسحره يقال ساحرته فسحرته اي غلبته
بالسحر كقول العرب خاصمته فخصمته اي غلبته بالخصومة وفاصلته ففصلته ونحوها ويحتمل ان يكون ارادوا
به الساحر على الحقيقة على معنى الاستفهام فلم يلمهم على ذلك رجاء ان يومنوا وقرا ابن عامر وابو جاه ويحيى
بن وثاب ايه الساحر بغير الف والها مضمومة وعلتها ان الها خلطت بما قبلها والزمت ضم اليا الذي
اوجبه النداء المفرد وانشد الفرا

شعر

يا ايها القلب اللجوج النفس … افق عن البيض الحسان اللعس

فضم الها حملا على ضم اليا وقد مضى في النور معنى هذا ووقف ابو عمرو وابن ابي اسحاق ويحيى والكسائي ايها
بالالف على الاصل الباقون بغير الف لانها كذلك وقعت في المصحف ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا
عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا فسله يكشف عنا اننا لمهتدون اي فيما يستقبل فلما كشفنا عنهم
العذاب اي فدعا فكشفنا فاذا هم ينكثون اي ينقضون العهد الذي جعلوه على انفسهم فلم يومنوا وقيل
قولهم اننا لمهتدون اخبار منهم على انفسهم بالايمان فلما كشف عنهم العذاب ارتدوا **قوله تعالى**
ونادى فرعون في قومه قيل لما راى تلك الايات خاف ميل القوم اليه فجمع قومه فنادى بمعنى قال قاله ابو
مالك فيجوز ان يكون عنده عظما القبط فرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط وكانه نودي
به بينهم وقيل انه امر من ينادي في قومه قال ابن جريج قال يا قوم اليس لي ملك مصر اي لا ينازعني فيه احد
قيل انه ملك منها اربعين فرسخا في مثلها حكاه النقاش وقيل المراد بالملك هنا الاسكندرية وهذه الانهار
تجري من تحتي يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قال
قتادة كانت جنانا وانهارا تجري من تحت قصوره وقيل من تحت سريره وقيل من تحتي اي تصرفي نافذ فيها
من غير صانع وقيل كان اذا امسك عنانه امسك النيل عن الجري قال القشيري ويجوز ظهور خوارق العادة
على مدعي الربوبية اذ لا حاجة في تمييز الاله من غير الاله الى فعل خارق للعادة وقيل معنى وهذه الانهار
تجري من تحتي اي القواد والروسا والجبابرة يسيرون تحت لوائي قاله الضحاك وقيل اراد بالانهار الاموال
وعبر عنها بالانهار لكثرتها وظهورها وقوله تجري من تحتي اي افرقها على من يتبعني لان الترغيب والقدرة في
الاموال دون الانهار افلا تبصرون عظمتي وقوتي وضعف موسى وقيل قدرتي على نفقتكم وعجز موسى والواو
في وهذه يجوز ان تكون عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها ويجوز ان يكون واو
الحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وفتح اليا من تحتي اهل
المدينة والبزي وابو عمرو واسكن الباقون وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها احسن عبيدي فولاها
الخصيب وكان على وضوه وعن عبد الله بن طاهر انه قرا لما وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره
قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي عندي اقل من ان ادخلها فثنى عنانه
ثم صرح بحاله فقال ام انا خير قال ابو عبيدة والسدي ام بمعنى بل وليست بحرف عطف على قول اكثر المفسرين
والمعنى قال فرعون لقومه بل انا خير من هذا الذي هو مهين اي لا عز له فهو يمتهن نفسه في حاجاته لحقارته
وضعفه ولا يكاد يبين يعني ما كان في لسانه من العقدة على ما تقدم في طه وقال الفرا في ام وجهان ان شئت
جعلتها من الاستفهام الذي جعل بام لاتصاله بكلام قبله وان شئت جعلتها نسقا على قوله اليس لي
ملك مصر وقيل هي زائدة وروى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زائدة والمعنى انا خير من هذا الذي هو
مهين وقال الاخفش في الكلام حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون كما قال

ايا ظبية الوعساء بين جلاجل … وبين النقا آانت ام ام سالم

يا ايها الذي علمنا سحر

اي انت احسن ام ام سالم ثم ابتدا فقال انا خير منه وقال الخليل وسيبويه المعنى افلا تبصرون ام انتم بصرا
فعطف بام على افلا تبصرون لان معنى ام انا خير اي ام تبصرون وذلك انهم اذا قالوا له انت خير منه كانوا
عنده بصرا وروي عن عيسى الثقفي ويعقوب الحضرمي انهما وقفا على ام على ان يكون التقدير افلا تبصرون
ام تبصرون فحذف تبصرون الثاني وقيل من وقف على ام جعلها زائدة وكانه وقف على تبصرون من قوله افلا
تبصرون ولا يتم الكلام على تبصرون عند الخليل وسيبويه لان ام تقتضي الاتصال بما قبلها وقال قوم الوقف
على قوله افلا تبصرون ثم ابتدا ام انا خير بمعنى بل انا خير انشد الفرا

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى … وصورتها ام انت في العين املح

معناه بل انت املح وذكر الفرا ان بعض القرا قرا اما انا خير ومعنى هذا الست خيرا وروي عن مجاهد انه وقف
على ام ثم يبتدي انا خير وقد ذكر **قوله تعالى** **فلولا** اي هلا القي عليه اساورة من ذهب انما قال
ذلك لانه كان عادة الوقت وزي اهل الشرف وقرا حفص اسورة جمع سوار كحمار واحمرة وقرا ابي اساور
جمع اسوار وابن مسعود اساوير والباقون اساورة جمع الاسورة فهو جمع الجمع ويجوز ان يكون اساورة
جمع اسوار والحقت الهاء في الجمع عوضا من اليا فهو مثل زناديق وزنادقة وبطاريق وبطارقة وشبهه
وقال ابو عمرو بن العلا واحد الاساورة والاساور والاساوير اسوار وهي لغة في سوار قال مجاهد كانوا
اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته فقال فرعون هلا القي رب
موسى عليه اساورة من ذهب ان كان صادقا او جاء معه الملائكة مقترنين يعني متتابعين في قول قتادة
مجاهد يمشون معا ابن عباس يعاونونه على من خالفه والمعنى هلا ضم اليه الملائكة التي يزعم انها عند ربه
حتى يتكثر بهم ويصرفهم على امره ونهيه فيكون ذلك اهيب في القلوب فاوهم قومه ان رسل الله ينبغي
ان يكونوا كرسل الملوك في الشاهد ولم يعلم ان رسل الله انما ايدوا بالجنود السماوية وكل عاقل يعلم ان حفظ
الله موسى مع تفرده ووحدته من فرعون مع كثرة اتباعه وامداد موسى بالعصا واليد البيضا كان ابلغ من
ان يكون له اسورة او ملائكة يكونون معه اعوانا في قول مقاتل او دليلا على صدقه في قول الكلبي وليس
يلزم هذا لان الاعجاز كاف وقد كان في الجائز ان يكذب مع مجي الملائكة كما كذب مع ظهور الايات وذكر فرعون
الملائكة حكاية عن لفظ موسى لانه لا يومن بالملائكة من لا يعرف خالقهم **قوله تعالى** **فاستخف
قومه** قال ابن الاعرابي المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه لخفة احلامهم وقلة عقولهم يقال استخفه
الفرح اي ازعجه واستخفه اي حمله على الجهل ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقيل استفزهم
بالقول فاطاعوه على التكذيب وقيل استخف قومه اي وجدهم خفاف العقول وهذا لا يدل على انه
يجب ان يطيعوه فلابد من اضمار بعد تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم الى الغواية فاطاعوه وقيل
اي استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه يقال استخفه خلاف استثقله واستخف به اهانه انهم كانوا قوما
فاسقين اي خارجين عن طاعة الله **قوله تعالى** **فلما اسفونا انتقمنا منهم** روى الضحاك عن
ابن عباس اي غاضونا واغضبونا وروي عن علي بن ابي طلحة اسخطونا قال الماوردي ومعناهما مختلف
والفرق بينهما ان السخط اظهار الكراهة والغضب ارادة الانتقام القشيري والاسف هاهنا بمعنى
الغضب والغضب من الله اما ارادة العقوبة فيكون من صفات الذات واما عين العقوبة فيكون من
صفات الفعل وهو معنى قول الماوردي وقال عمر بن ذر يا اهل معاصي الله لا تغتروا بطول حلم الله عنكم
واحذروا اسفه فانه قال فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل اسفونا اغضبوا رسلنا واولياءنا المومنين
نحو السحرة وبني اسرائيل وهو كقوله يوذون الله ويحاربون الله اي اولياءه ورسله **قوله تعالى**
فجعلناهم سلفا اي جعلنا قوم فرعون سلفا قال ابو مجلز سلفا لمن عمل عملهم ومثلا لمن لم يعمل عملهم وقال
مجاهد سلفا اخبارا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومثلا اي عبرة لهم وعنه ايضا سلفا لكفار قومك يتقدمهم
الى النار قتادة سلفا الى النار ومثلا عظة لمن ياتي بعدهم والسلف المتقدم يقال سلف يسلف سلفا مثل
طلب طلبا اي تقدم ومضى وسلف له عمل صالح اي تقدم والقوم السلاف المتقدمون وسلف الرجل اباوه
المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقراءة العامة سلفا بفتح السين واللام جمع سالف كخادم وخدم
وراصد ورصد وحارس وحرس وقرا حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام قال الفرا هو جمع سليف
نحو سرير وسرر قال ابو حاتم هو جمع سلف نحو خشب وخشب وثمرة وثمر ومعناهما واحد وقرا علي وابن

مسعود وعلقمة وابو وائل والنخعي وحميد بن قيس سُلُفًا بضم السين وفتح اللام جمع سلفة اي فرقة متقدمة قال
المورج والنضر بن شميل سُلُفًا جمع سلفة نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وظلمة وظلم **قوله تعالى**
وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ لما قال تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون تعلق المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد الا ان نتخذه الها كما اتخذت
النصارى عيسى بن مريم الها قاله قتادة ونحوه عن مجاهد قال ان قريشا قالت ان محمدا يريد ان نعبده كما
عبد قوم عيسى عيسى فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس اراد به مناظرة عبد الله بن الزبعري مع النبي
صلى الله عليه وسلم في شان عيسى وان الضارب لهذا المثل عبد الله بن الزبعري السهمي حالة كفره لما قالت
له قريش ان محمدا يتلوا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الاية فقال لو حضرته
لرددت عليه قالوا وما كنت تقول قال كنت اقول هذا المسيح تعبده النصارى واليهود تعبد عزيرا
افهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته وراوا انه قد خصم وذلك معنى قوله يصدون فانزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ولو تامل ابن الزبعري الاية ما اعترض عليها لانه
قال وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون وانما اراد الاصنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح ولا الملائكة
وان كانوا معبودين وقد مضى هذا في اخر سورة الانبيا وروى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لقريش يا معشر قريش لا خير في احد يعبد من دون الله قالوا اليس تزعم ان عيسى كان عبدا نبيا وعبدا
صالحا فان كان كما تزعم فقد كان يعبد من دون الله فانزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
اي يضجون كضجيج الابل عند حمل الاثقال قرا نافع وابن عامر والكسائي يصدون بضم الصاد ومعناه يعرضون
وقاله النخعي وكسر الباقون قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون وينمون ومعناه يضجون قال
الجوهري وصد يصد ويصد صديدا اي ضج وقيل انه بالضم من الصدود وهو الاعراض وبالكسر من الضجيج قاله
قطرب واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال ابو عبيد لو كانت من الصد وعن الحق لكانت اذا قومك عنه
يصدون يضجون الفراء هما سواء منه وعنه وقال ابن المسيب يصدون الضحاك يعجون ابن عباس يضحكون
ابو عبيدة من ضم فمعناه يعدلون فيكون المعنى من اجل المثل يعدلون ولا يعدى يصدون بمن ومن كسر
فمعناه يضجون فمن متصلة بيصدون والمعنى يضجون منه **قوله تعالى** وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ
اي الهتنا خير ام عيسى قاله السدي وقال خاصموه وقالوا ان كل من عبد من دون الله في النار فنحن نرضى
ان تكون الهتنا مع عيسى والملائكة وعزير فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون الاية وقال قتادة ام هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وفي قراءة ابن مسعود الهتنا خير ام هذا وهو
يقوي قول قتادة فهو استفهام تقديره في ان الهتهم خير وقرا الكوفيون ويعقوب االهتنا بتحقيق الهمزتين ولين
الباقون وقد تقدم ما ضربوه لك الا جدلا حال اي جدلين يعني ما ضربوا لك هذا المثل الا ارادة
الجدل لانهم علموا ان المراد بحصب جهنم ما اتخذوه من الموات بل هم قوم خصمون مجادلون بالباطل وفي
صحيح مسلم الترمذي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا
اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
قوله تعالى إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ اي ما عيسى الا عبد انعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلا لبني اسرائيل
اي اية وعبرة يستدل بها على قدرة الله تعالى فان عيسى كان من غير اب ثم جعل اليه من احيا الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه مع ان بني اسرائيل كانوا يومئذ خير الخلق واحبه
الى الله عز وجل والناس دونهم ليس احد عند الله عز وجل مثلهم وقيل المراد بالعبد المنعم عليه محمد صلى الله عليه
وسلم والاول اظهر ولو نشا لجعلنا منكم اي بدلا منكم ملائكة يكونون خلفا عنكم قاله السدي ونحوه عن
مجاهد قال ملائكة يعمرون الارض بدلا منكم وقال الازهري ان من قد تكون للبدل بدليل هذه الاية
قال الشيخ رحمه الله قد تقدم هذا المعنى في براءة وغيرها وقيل لجعلنا من الانس ملائكة وان لم تجر العادة
بذلك والجواهر جنس واحد والاختلاف بالاوصاف والمعنى لو نشا لاسكنا الارض الملائكة وليس في اسكانه
اياهم السماء شرف حتى يعبدوا او يقال لهم بنات الله ومعنى يخلفون يخلف بعضهم بعضا قاله ابن عباس
قوله تعالى وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير يريد القران لانه يدل على قرب
مجي الساعة او به تعلم الساعة واهوالها واحوالها وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة

لا خير في احد يعبد من دون الله

ايضا

ايضا انه خروج عيسى عليه السلام وذلك من اعلام الساعة لان الله ينزله من السما قبل قيام الساعة كما ان
خروج الدجال من اعلام الساعة وقرا ابن عباس وابو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك وانه لعلم
الساعة بفتح العين واللام اي امارة وقد روي عن عكرمة وانه للعلم بلامين وذلك خلاف للمصاحف
وعن عبد الله بن مسعود قال لما كان ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ابراهيم وموسى وعيسى
عليهم السلام فتذاكروا الساعة فبدوا بابراهيم فسالوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم سالوا موسى فلم يكن
عنده منها علم فرد الحديث الى عيسى ابن مريم قال قد عهد الي فيما دون وجبتها فاما وجبتها لا يعلمها الا الله عز
وجل فذكر خروج الدجال قال فانزل فاقتله وذكر الحديث خرجه ابن ماجة في سننه وفي صحيح مسلم فبينما
هو كذلك يعني المسيح الدجال اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق بين
مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل لكافر
ان يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله الحديث
وذكر الثعلبي والزمخشري وغيرهما من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن
مريم من السما عليه السلام على ثنية من الارض المقدسة يقال لها افيق بين ممصرتين وشعر راسه دهين
وبيده حربة يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر والامام يؤم بهم فيتاخر الامام
فيتقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب
البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وروى خالد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانبيا اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى الناس بعيسى بن مريم وانه ليس بيني وبينه نبي
وانه اول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام قال الماوردي وحكي بن عيسى عن
قوم انهم قالوا اذا نزل عيسى رفع التكليف لئلا يكون رسولا الى ذلك الزمان يامرهم عن الله تعالى وينهاهم
وهذا قول مردود لثلاثة امور منها الحديث ولان بقا الدنيا يقتضي التكليف فيها ولانه ينزل امرا بمعروف
وناهيا عن منكر وليس يستنكر ان يكون امر الله تعالى له مقصورا على تاييد الاسلام والامر به والدعا
اليه قال الشيخ رحمه الله ثبت في صحيح مسلم وابن ماجة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن وليتركن القلاص فلا يسعى عليها
وليذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب تدري ما
امكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال علماؤنا رحمة الله عليهم
فهذا نص على انه ينزل مجددا لدين النبي صلى الله عليه وسلم للذي درس منه لا بشرع مبتدا والتكليف
والتكليف باق على ما بيناه هنا وفي كتاب التذكرة وقيل وانه لعلم الساعة اي وان احيا عيسى الموتى دليل
على الساعة وبعث الموتى قاله ابن اسحاق قال الشيخ ويحتمل ان يكون المعنى وانه وان محمدا لعلم الساعة بدليل
قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى خرجه البخاري ومسلم وقال الحسن اول
اشراطها محمد صلى الله عليه وسلم فلا تمترن بها اي فلا تشكون فيها يعني الساعة قاله يحيى بن سلام وقال
السدي فلا تكذبون بها ولا تجادلون فيها فانها كائنة لا محالة واتبعون اي في التوحيد وفيما ابلغكم عن الله
هذا صراط مستقيم اي طريق قويم الى الله اي الى جنته واثبت اليا يعقوب في قوله واتبعون في الحالين
وكذلك واطيعون وابو عمرو واسمعيل عن نافع في الوصل دون الوقف وحذف الباقون في الحالين ولا
يصدنكم الشيطان اي لا تغتروا بوساوسه وشبه الكفار المجادلين فان شرايع الانبيا لم تختلف في التوحيد
ولا فيما اخبروا به من علم الساعة وغيرها مما تضمنته من جنة ونار انه لكم عدو مبين تقدم في البقرة وغيرها
قوله تعالى وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قال ابن عباس يريد احيا الموتى وابرا الاسقام وخلق الطير
والمائدة وغيرها والاخبار بكثير من الغيوب وقال قتادة البينات هنا الانجيل قال قد جئتكم
بالحكمة اي النبوة قاله السدي ابن عباس علم ما يؤدي الى الجميل ويكف عن القبيح وقيل الانجيل ذكره القشيري
والماوردي ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال مجاهد من تبديل التوراة الزجاج المعنى لابين لكم في
الانجيل تختلفون فيه وبين لكم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل بين لهم بعض الذي اختلفوا فيه من
احكام التوراة على قدر ما سالوه ويجوز ان يختلفوا في اشيا غير ذلك ولم يسالوه عنها وقيل ان بني اسرائيل

اختلفوا بعد موت موسى في اشياء من امر دينهم واشياء من امر دنياهم فبين لهم امر دينهم ومذهب ابو عبيدة
ان البعض بمعنى الكل ومنه قوله تعالى يصبكم بعض الذي يعدكم وانشد الاخفش قول لبيد

ترّاك امكنة اذا لم ارضها او تعتلق بعض النفوس حمامها

والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض ويقال للمنية علوق وعلاقة قال المفضل البكري

وسائلة بثعلبة بن سير وقد علقت بثعلبة العلوق

وقال مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم يعني ما احل في الانجيل مما كان محرما في التوراة
كلحم الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت فاتقوا الله اي اتقوا الشرك ولا تعبدوا الا
الله وحده واذا كان هذا قول عيسى فكيف يجوز ان يكون الاها او ابن الاله واطيعون فيما ادعوكم اليه من
التوحيد وغيره ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي عبادة الله صراط مستقيم وما سواه
معوج لا يودي سالكه الى الحق **قوله تعالى** وَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قال قتادة يعني ما بينهم
وفيهم قولان احدهما انهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضا قاله مجاهد والسدي
الثاني فرق النصارى من النسطورية والملكية واليعاقبة واختلفوا في عيسى فقالت النسطورية
هو ابن الله وقالت اليعاقبة هو الله وقالت الملكية ثالث ثلاثة احدهم الله قاله الكلبي ومقاتل وقد مضى
هذا في مريم فويل للذين ظلموا اي كفروا واشركوا كما في مريم من عذاب يوم اليم اي اليم عذابه ومثله ليل
نائم اي ينام فيه هل ينظرون يريد الاحزاب لا ينتظرون الا الساعة يريد القيامة ان تاتيهم بغتة
اي فجاة وهم لا يشعرون يفطنون وقد مضى في غير موضع وقيل المعنى لا ينتظر مشركو العرب الا
الساعة ويكون الاحزاب على هذا الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين ويتصل
هذا بقوله ما ضربوه لك الا جدلا **قوله تعالى** الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ يريد يوم القيامة بعضهم لبعض
عدو اي اعداء يعادي بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا الا المتقين فانهم اخلاء في الدنيا والاخرة قال معناه
ابن عباس ومجاهد وغيرهما وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في امية بن خلف الجمحي وعقبة بن ابي معيط
كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد صبا عقبة بن ابي معيط فقال له امية
وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا ولم تتفل في وجهه ففعل عقبة ذلك فنذر النبي صلى الله عليه وسلم قتله فقتله
يوم بدر صبرا وقتل امية في المعركة وفيهم نزلت هذه الاية وذكر الثعلبي عن علي رضي الله عنه في هذه
الاية قال كان خليلان مومنان وخليلان كافران فمات احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني
بطاعتك وطاعة رسولك وكان يامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله
بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع الله بينهما فيقول الله تعالى ليثن
كل واحد منكما على صاحبه فيقول يا رب انه كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني
عن الشر ويخبرني اني ملاقيك فيقول الله تعالى نعم الخليل ونعم الاخ ونعم الصاحب كان قال ويموت احد
الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني
اني غير ملاقيك واسالك يا رب ان لا تهده بعدي وان تضله كما اضللتني وان تهينه كما اهنتني فاذا مات
خليله الكافر قال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول يا رب انه كان يامرني بمعصيتك ومعصية رسولك
ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فاسالك ان تضاعف عليه العذاب فيقول الله
بيس الصاحب والاخ والخليل كنت فليلعن كل واحد منكما صاحبه قال الشيخ رحمه الله والاية عامة في كل مومن
ومتقي وكافر ومضل **قوله تعالى** يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ قال مقاتل
ورواه المعتمر بن سليمان عن ابيه ينادي مناد في العرصات لا خوف عليكم فيرفع اهل العرصة رؤوسهم فيقول
المنادي الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان رؤوسهم غير المسلمين وذكر المحاسبي في الرعاية
وقد روي في الحديث ان المنادي ينادي يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرفع
الخلائق رؤوسهم يقولون نحن عباد الله ثم ينادي الثانية الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤوسهم
ويبقى الموحدون رافعي رؤوسهم ثم ينادي الثالثة الذين امنوا وكانوا يتقون فينكس اهل الكبائر رؤوسهم
ويبقى اهل التقوى رافعي رؤوسهم قد زال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم لانه اكرم الاكرمين لا يخذل
وليه ولا يسلمه عند الهلكة وقرئ يا عباد **قوله تعالى** الَّذِينَ آمَنُوا قال الزجاج الذين نصب

سبب النزول

على النعت لعبادي لان عبادي منادى مضاف وقيل الذين امنوا ابتدا وخبره محذوف تقديره هم الذين امنوا
والذين امنوا يقال لهم ادخلوا الجنة وقرا ابو بكر وزر بن حبيش يا عبادي بفتح الياء واثبتها في الحالين وكذلك
اثبتها نافع وابن عامر وابو عمرو ورويس ساكنة في الحالين وحذفها الباقون في الحالين لانها وقعت مثبتة في
مصاحف المدينة والشام لا غير ادخلوا الجنة اي يقال لهم ادخلوا الجنة او يا عبادي الذين امنوا ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم المسلمات في الدنيا وقيل قرناؤكم من المومنين وقيل زوجاتكم من الحور العين تحبرون
تكرمون قاله ابن عباس والكرامة في المنزلة الحسن تفرحون والفرح في القلب قتادة تنعمون والنعيم في
البدن مجاهد تسرون والسرور في العين ابن ابي نجيح تعجبون والعجب هاهنا درك ما يستطرف يحيى بن ابي
كثير هو التلذذ بالسماع وقد مضى هذا في الروم **قوله تعالى** يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَكْوَابٍ فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب اي لهم في الجنة اطعمة
واشربة يطاف بها عليهم في صحاف من ذهب واكواب ولم يذكر الاطعمة والاشربة لانه يعلم انه لا معنى للاطافة
بالصحاف والاكواب عليهم من غير ان يكون فيها شي وذكر الذهب في الصحاف واستغنى به عن الاعادة في
الاكواب لقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الصحيحين عن حذيفة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في انية الذهب والفضة ولا تاكلوا في صحافها فانها لهم في
الدنيا ولكم في الاخرة وقد مضى في سورة الحج ان من اكل فيهما في الدنيا او لبس الحرير في الدنيا ولم يتب حرم ذلك
في الاخرة تحريما موبدا والله اعلم وقال المفسرون يطوف على ادناهم في الجنة منزلة سبعون الف غلام
بسبعين الف صحيفة من ذهب يغدى عليه بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها ياكل من اخرها كما ياكل
من اولها لا يشبه بعضه بعضا ويجد طعم اخرها كما يجد طعم اولها لا يشبه بعضه بعضا ويراح عليه بمثلها
ويطوف على ارفعهم درجة كل يوم سبعمائة الف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في
صاحبتها ياكل في اخرها كما ياكل في اولها ويجد طعم اخرها كما يجد طعم اولها لا يشبه بعضه بعضا واكواب اي
ويطاف عليهم باكواب كما قال ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب وذكر ابن المبارك قال اخبرنا معمر عن
رجل عن ابي قلابة قال يوتون بالطعام والشراب فاذا كان اخر ذلك اتوا بالشراب الطهور فتضمر لذلك
بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم اطيب من ريح المسك ثم قرا شرابا طهورا وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون
ولا يتغوطون قالوا فما بال الطعام قال جشا ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد في رواية كما يلهمون
النفس **الثانية** روى الايمة من حديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي يشرب في انية الذهب
والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وقال لا تشربوا في انية الذهب والفضة ولا تاكلوا في صحافها
وهذا يقتضي التحريم ولا خلاف في ذلك واختلف الناس في استعمالهما في غير ذلك قال ابن العربي والصحيح
انه لا يجوز للرجال استعمالهما في شي لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الذهب والحرير هذان حرام لذكور
امتي حلال لاناثها والنهي عن الاكل والشرب فيهما يدل على تحريم استعمالهما لانه نوع من المتاع فلم يجز الا
كل والشرب ولان العلة في ذلك استعجال امر الاخرة وذلك يستوي فيه الاكل والشرب وساير اجزا الا
نتفاع ولانه صلى الله عليه وسلم قال هي لهم في الدنيا ولنا في الاخرة فلم يجعل لنا فيها حظا في الاخرة **الثالثة**
اذا كان الاناء مضببا بهما او فيه حلقة منهما فقال مالك لا يعجبني ان يشرب فيه وكذلك المراة تكون فيها
الحلقة من الفضة ولا يعجبني ان ينظر فيها وجهه وقد كان عند انس اناء مضبب بفضة وقال لقد سقيت فيه
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين كانت فيه حلقة حديد فاراد انس ان يجعل فيه حلقة فضة فقال
ابو طلحة لا اغير شيا مما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه **الرابعة** اذا لم يجز استعمالهما لم يجز اقتناوها
لان ما لا يجوز استعماله لا يجوز اقتناوه كالصنم والطنبور وفي كتب علمائنا انه يلزم الغرم في قيمتها وهو
معنى فاسد فان كسرها واجب فلا ثمن لقيمتها ولا يجوز تقويمها في الزكاة بحال وغير هذا لا يلتفت اليه
قوله تعالى بِصِحَافٍ قال الجوهري الصحيفة كالقصعة والجمع صحاف قال الكسائي اعظم القصاع الجفنة
ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع
الرجل والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحايف **قوله تعالى** وَأَكْوَابٍ قال الجوهري الكوب كوز لا عروة
له والجمع اكواب قال الاعشى يصف الخمر

شعر

صريفية طيب طعمها   لها زبد بين كوب ودن   وقال اخر

متكيا تصفق ابوابه   يسعى عليه بالكوب

وقال قتادة الكوب المدور القصير العروة والابريق المستطيل العنق الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب الاباريق التي لاخراطيم لها وقال قطرب هي الاباريق التي ليست لها عرى وقال مجاهد انها الانية المدورة الافواه السدي هي التي لا اذان لها ابن عزيز اكواب اباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب قال الشيخ رحمه الله وهو معنى قول مجاهد والسدي وهو مذهب اهل اللغة انها لا اذان لها ولا عرى

قوله تعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين روى الترمذي عن سليمان بن بريدة عن ابيه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل في الجنة من خيل قال ان الله ادخلك الجنة فلا تشا ان تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمرا تطير بك حيث شئت قال وساله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وقرا اهل المدينة وبن عامر واهل الشام وفيها ما تشتهيه الانفس الباقون تشتهي الانفس اي تشتهيه الانفس تقول الذي ضربت زيدا اي الذي ضربته زيد وتلذ الاعين تقول لذ الشي يلذ لذاذا ولذاذة ولذذت بالشي الذ بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل لذاذا ولذاذة اي وجدته لذيذا والتذذت به وتلذذت به بمعنى اي في الجنة ما تستلذه العين فكان حسن المنظر وقال سعيد بن جبير وتلذ الاعين النظر الى الله عز وجل كما في الخبر اسالك لذة النظر الى وجهك وانتم فيها خالدون باقون دائمون لانها لو تقطعت لتبغضت

قوله تعالى وتلك الجنة اي يقال لكم هذه تلك الجنة التي كانت توصف لكم في الدنيا وقال ابن خالويه اشار تعالى الى الجنة بتلك والى جهنم بهذه ليخوف بجهنم ويوكد التحذير منها وجعلها بالاشارة القريبة كالحاضر التي ينظر اليها التي اورثتموها بما كنتم تعملون قال ابن عباس خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر وقد تقدم هذا مرفوعا في قد افلح المومنون من حديث ابي هريرة وفي الاعراف ايضا **قوله تعالى** لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون الفاكهة معروفة واجناسها الفواكه والفاكهاني الذي يبيعها وقال ابن عباس هي الثمار كلها رطبها ويابسها اي لهم في الجنة سوى الطعام والشرب فاكهة كثيرة تاكلون منها **قوله تعالى** ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لما ذكر احوال اهل الجنة ذكر احوال اهل النار ايضا ليبين فضل المطيع على العاصي لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم ذلك العذاب وهم فيه مبلسون اي ايسون من الرحمة وقيل ساكتون سكوت ياس وقد مضى في الانعام وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم الظالمين انفسهم بالشرك ويجوز ولكن كانوا هم الظالمون بالرفع على الابتداء والخبر والجملة خبر كان **قوله تعالى** ونادوا يا مالك وهو خازن جهنم خلقه لغضبه اذا زجر النار زجرة اكل بعضها بعضا وقرا علي وابن مسعود رضي الله عنهما ونادوا يا مال وذلك خلاف المصحف وقال ابو الدردا وابن مسعود قرا النبي صلى الله عليه وسلم ونادوا يا مال باللام خاصة يعني رخم الاسم وحذف الكاف والترخيم الحذف ومنه ترخيم الاسم في الندا وهو ان يحذف من اخره حرف او اكثر فتقول في مالك يا مال وفي حارث يا حار وفي فاطمة يا فاطم وفي عائشة يا عائش وفي مروان يا مرو وهكذا قال

امرو القيس   يا حار لا ارمين منكم بداهية   لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك   وقال

احار ترى برقا اريك وميضه   كلمع اليدين في حبي مكلل   وقال

ايضا   افاطم مهلا بعض هذا التدلل   وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي

اخر   يا مرو ان مطيتي محبوسة   ترجو الحبا وربها لم يياس

وفي صحيح الحديث اي فل هلم وللك في اخر الاسم المرخم وجهان احدهما ان يبقيه على ما كان عليه قبل الحذف والاخر ان يبنيه على الضم مثل يا زيد كانك انزلته منزلته ولم تراع المحذوف وذكر ابو بكر الانباري حدثنا محمد بن يحيى المروزي حدثنا محمد وهو بن سعدان حدثنا حجاج عن شعبة عن الحكم بن عيينة عن مجاهد قال كنا لا ندري ما الزخرف حتى وجدناه في قراءة عبد الله بيت من ذهب وكنا لا ندري ونادوا يا مالك او يا ملك بفتح اللام وكسرها حتى وجدناه بقراءة عبد الله ونادوا يا مال على الترخيم قال ابو بكر لا يعمل على هذا الحديث لانه مقطوع لا يقبل مثله عن الرواية عن الرسول عليه السلام وفي صحيح البخاري عن صفوان ابن يعلى عن ابيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك باثبات الكاف وقال محمد بن كعب

القرظي

هل في الجنة من ابل

ومنه ترخيم الاسم في الندا وهو ان يحذف من اخره حرف او اكثر

القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فسالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه من العذاب فردت عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فلما ييسوا من عند الخزنة نادوا مالكا وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى اقصاها كما يرى ادناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قال سالوه الموت قال فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة قال والسنة ستون وثلاثماية يوم والشهر ثلاثون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ عليهم بعد الثمانين فقال انكم ماكثون وذكر الحديث ذكره بن المبارك وفي حديث ابي الدردا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون قال الاعمش ثبت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام خرجه الترمذي وقال ابن عباس يقولون ذلك فلا يجيبهم الف سنة ثم يقول انكم ماكثون وقال مجاهد ونوف البكالي بين ندائهم واجابته اياهم ماية سنة وقال عبد الله بن عمرو اربعون سنة ذكره بن المبارك **قوله تعالى** لقد جئناكم بالحق يحتمل ان يكون من قول مالك لهم اي انكم ماكثون في النار لانا جئناكم في الدنيا بالحق فلم تقبلوا ويحتمل ان يكون من كلام الله لهم اليوم اي بينا لكم الادلة وارسلنا اليكم الرسل ولكن اكثركم قال ابن عباس ولكن اكثركم اي ولكن كلكم وقيل اراد بالكثرة الروسا والقادة منهم واما الاتباع فما كان لهم اثر للحق اي للاسلام ودين الله كارهون **قوله تعالى** ام ابرموا امرا فانا مبرمون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة حين استقر امرهم على ما اشار به ابو جهل عليهم ان يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبة بدمه فنزلت هذه الاية وقتل الله جميعهم ببدر ابرموا احكموا والابرام الاحكام ابرمت الشي احكمته وابرم الفتال اذا احكم الفتل وهو الفتل الثاني والاول سحيل كما قال من سحيل ومبرم فالمعنى انهم احكموا كيدا فانا محكمون لهم كيدا قاله ابن زيد ومجاهد قتادة ام اجمعوا على التكذيب فانا مجمعون على الجزاء بالبعث الكلبي ام قضوا امرا فانا قاضون عليهم بالعذاب وام بمعنى بل وقيل ام ابرموا عطف على قوله اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وقيل اي ولقد جئناكم بالحق فلم يسمعوا ام سمعوا فاعرضوا لانهم في انفسهم ابرموا امرا امنوا به العقاب **قوله تعالى** ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يسرونه في انفسهم ويتناجون به بينهم بلى نسمع ونعلم ورسلنا لديهم يكتبون اي الحفظة عندهم يكتبون عليهم وروي ان هذا نزل في ثلاثة نفر كانوا بين الكعبة واستارها فقال احدهم اترى ان الله يسمع كلامنا وقال الثاني اذا جهرتم يسمع واذا اسررتم لم يسمع وقال الثالث ان كان يسمع اذا اعلنتم فهو يسمع اذا اسررتم قاله محمد بن كعب وقد مضى هذا المعنى عن ابن مسعود في سورة فصلت **قوله تعالى** قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اختلف في معناه فقال ابن عباس والحسن والسدي المعنى ما كان للرحمن ولد فانا بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تاما ثم تبتدي فانا اول العابدين اي الموحدين من اهل مكة على انه لا ولد له والوقف على العابدين تام وقيل المعنى قل يا محمد ان ثبت لله ولد فانا اول من يعبد ولده ولكن يستحيل ان يكون له ولد وهو كما تقول لمن تناظره ان ثبت ما قلت بالدليل فانا اول من يعتقده وهذا مبالغة في الاستبعاد اي لا سبيل الى اعتقاده وهذا ترفيق في الكلام كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين والمعنى على هذا فانا اول العابدين لذلك الولد لان تعظيم الولد تعظيم للوالد وقال مجاهد المعنى ان كان للرحمن ولد فانا اول من عبده وحده على انه لا ولد له وقال السدي ايضا المعنى لو كان له ولد كنت اول من عبده على ان له ولدا ولكن لا ينبغي ذلك قال المهدوي فان على هذه الاقوال للشرط وهو الاجود وهو اختيار الطبري لان كونها بمعنى ما يتوهم معه ان المعنى لم يكن له فيما مضى وقيل ان معنى العابدين الانفين وقال بعض العلما لو كان لذلك لكان العبدين وكذلك قرا ابو عبد الرحمن اليماني فانا اول العبدين بغير الف يقال عبد يعبد عبدا بالتحريك اذا انف وغضب فهو عبد والاسم العبدة مثل الانفة عن ابي زيد قال الفرزدق

اولئك اجلاسي فجيني بمثلهم   واعبد ان اهجو كليبا بدارم   وينشد

ايضا   اولئك اناس لو هجوني هجوتهم   واعبد ان تهجى كليب بدارم

قال الجوهري وقال ابو عمرو وقوله تعالى فانا اول العابدين من الانف والغضب وقال الكسائي والقتبي حكاه الماوردي عنهما وقال الهروي وقوله تعالى فانا اول العابدين قيل هو من عبد يعبد اي من الانفين وقال ابن عرفة انما يقال عبد يعبد فهو عبد وقل ما يقال عابد والقران لا ياتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ ولكن

المعني فانا اول من يعبد الله عز وجل على انه واحد لا ولد له وروي ان امراءة دخلت على زوجها فولدت منه لستة
اشهر فذكر ذلك لعثمان فامر برجمها فقال له علي قال الله تعالي وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في اية اخرى
وفصاله في عامين فوالله ما عبد عثمان ان ابعث اليها ترد قال عبد الله بن وهب يعني ما استنكف ولا انف
وقال ابن الاعرابي اي الغضاب الانفين وقيل فانا اول العابدين اي انا اول من يعبده على الوحدانية مخالفا لكم
ابو عبيدة معناه الجاحدين وحكي عبد بني حقني اي جحدني وقرا اهل الكوفة الا عاصما وُلْد ابضم الواو وسكون اللام
الباقون وعاصم ولدا وقد تقدم وسبحان رب السموات والارض اي تنزيها له وتقديسا نزه نفسه عن كل
ما يقتضي الحدوث وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما يصفون اي عما يقولون من الكذب **قوله تعالى**
فذرهم يخوضوا ويلعبوا يعني كفار مكة حين كذبوا بعذاب الآخرة اي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اما العذاب في الدنيا او في الاخرة وقيل ان هذا منسوخ باية السيف وقيل
هو محكم وانما اخرج مخرج التهديد وقرا ابن محيصن ومجاهد وحميد بن القعقاع وابن السميقع حتى يلقوا بفتح الياء
واسكان اللام من غير الف وفتح القاف هنا وفي الطور والمعارج الباقون يلاقوا **قوله تعالى** وهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله هذا تكذيب لقولهم في ان لله شريكا وولدا اي هو المستحق للعبادة في السماء
والارض وقال عمر رضي الله عنه وغيره المعنى وهو الذي في السماء اله في الارض وكذلك قراءة والمعنى انه يعبد
فيهما وروي انه قراه هو وابن مسعود وغيرهما وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله وهذا خلاف المصحف والاه
رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي وهو الذي في السماء هو اله قاله ابو علي وحسن حذفه لطول الكلام وقيل في بمعنى
على كقوله في جذوع النخل اي على جذوع النخل اي هو القادر على السماء والارض وهو الحكيم العليم تقدم
قوله تعالى وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم
وعنده علم الساعة اي وقت قيامها واليه ترجعون بالياء قرا ابن كثير وحمزة والكسائي واليه يرجعون بالياء
الباقون بالتاء وكان بن محيصن وحميد ويعقوب وابن ابي اسحق يفتحون اوله على اصولهم وضم الباقون
قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون فيه مسالتان
الاولى قوله تعالى الا من شهد بالحق من في موضع الخفض واراد بالذين يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والمعنى
ولا يملك هاؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وامن على علم وبصيرة قاله سعيد بن جبير وغيره قال وشهادة الحق
لا اله الا الله وقيل من في محل رفع اي ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة يعني الالهة في قول قتادة اي لا يشفع
لعابديها الا من شهد بالحق يعني عزيرا وعيسى والملائكة فانهم يشهدون بالحق والوحدانية لله وهم يعلمون
حقيقة ما شهدوا به وقيل انها نزلت بسبب ان النضر بن الحرث ونفرا من قريش قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن
نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة لنا منه فانزل الله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد
بالحق اي اعتقدوا ان الملائكة او الاصنام او الجن او الشياطين تشفع لهم ولا شفاعة لاحد يوم القيامة الا من
شهد بالحق يعني المومنين اذا اذن لهم قال ابن عباس الا من شهد بالحق اي شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقيل اي لا يملك هاؤلاء العابدون من دون الله ان يشفع لهم احد الا من شهد بالحق فان من شهد بالحق
يشفع له ولا يشفع لمشرك والا بمعنى لكن اي لا ينال المشركين الشفاعة لكن ينال الشفاعة من شهد بالحق
فهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة ويقال شفعته
وشفعت له مثل كلته وكلت له وقد مضى في البقرة معنى الشفاعة واشتقاقها فلا معنى لاعادتها وقيل
الا من شهد بالحق الا من تشهد له الملائكة بانه كان على الحق في الدنيا مع علمهم بذلك منه بان يكون الله اخبرهم
به او بان شاهدوه على الايمان **قوله تعالى** الا من شهد بالحق وهم يعلمون يدل على معنيين احدهما
ان الشهادة بالحق غير نافعة الا مع العلم وان التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة والثاني ان شرط
سائر الشهادات في الحقوق وغيرها ان يكون الشاهد عالما بها ونحوه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع وقد مضى في البقرة **قوله تعالى** ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله اي لاقروا بان الله خلقهم بعد ان لم يكونوا شيئا فاني يوفكون اي كيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون
عنها حتى اشركوا به غيره رجاء شفاعتهم له يقال افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله تعالى
قالوا اجئتنا لتافكنا عما وجدنا عليه اباءنا وقيل اي ولئن سالت الملائكة وعيسى من خلقهم لقالوا الله فاني
يوفكون اي فاني يوفك هاؤلاء في ادعائهم اياهم الهة **قوله تعالى** وقيله يا رب ان هاؤلاء

قوله

قرا بالياء والتا

قوم لا يومنون فيه ثلاث قراات النصب والجر والرفع فاما الجر فهي قراءة عاصم وحمزة وبقية السبعة
بالنصب واما الرفع فهي قراءة الاعرج وقتادة وابن هرمز ومسلم بن جندب فمن جر حمله على معنى وعنده علم الساعة
وعلم قيله ومن نصب فعلى معنى وعنده علم الساعة ويعلم قيله وهي اختيار الزجاج وقال الفرا والاخفش يجوز
ان يكون قيله عطفا على قوله انا لا نسمع سرهم ونجواهم قال ابن الانباري سالت ابا العباس بن يزيد المبرد فاي
شي تنصب القيل فقال انصبه على وعنده علم الساعة ويعلم قيله فمن هذا الوجه لا يحسن الوقف على ترجعون
ولا على تعلمون ويحسن الوقف على يكتبون واجاز الفرا والاخفش ان ينصب القيل على معنى لا نسمع سرهم
ونجواهم وقيله كما ذكرنا فمن هذا الوجه لا يحسن الوقف على يكتبون واجاز الفرا والاخفش ايضا ان ينصب
على المصدر كانه قال وقال قيله وشكى شكواه الى الله عز وجل كما قال كعب بن زهير
يمشي الوشاة جنابيها وقيلهم ... انك يا ابن ابي سلمى لمقتول
اراد ويقولون قولهم ومن رفع قيله فالتقدير وعنده قيله وقيله مسموع او قيله هذا القول الزمخشري
والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا
ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع
على قولهم ايمن الله ولعمرك ويكون قوله ان هاؤلاء قوم لا يومنون جواب القسم كانه
قيل واقسم بقيله يا رب او قيله يا رب قسمي ان هاؤلاء قوم لا يومنون جواب القسم قال ابن الانباري ويجوز
في العربية وقيله بالرفع على ان ترفعه بان هاؤلاء قوم لا يومنون المهدوي او يكون على تقدير وقيله
قيله يا رب فحذف قيله الاول الذي هو خبر وموضع يا رب نصب بالخبر المضمر ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع حذف
بعض الموصول وبقاء بعضه لان حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور والهاء في قيله لعيسى وقيل لمحمد عليه
السلام وقد جرى ذكره اذ قال قل ان كان للرحمن ولد وقرا ابو قلابة يا رب بفتح الباء والقيل مصدر كالقول
ومنه الخبر نهى عن قيل وقال ويقال قلت قولا وقيلا وقالا وفي النسا ومن اصدق من الله قيلا والله اعلم
قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون قال قتادة امر بالصفح عنهم ثم امر بقتالهم
فصار الصفح منسوخا بالسيف ونحوه عن ابن عباس قال فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وقل سلام اي معروف
اي قل للمشركي اهل مكة فسوف تعلمون ثم نسخ هذا في سورة براءة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم الاية وقيل هي محكمة لم تنسخ وقراءة العامة فسوف يعلمون بالياء على انه خبر من الله تعالى لنبيه بالتهديد
وقرا نافع وابن عامر تعلمون بالتاء على انه خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين بالتهديد وسلام رفع بابتداء
عليكم قاله الفرا ومعناه الامر بتوديعهم بالسلام ولم يجعله تحية لهم حكاه النقاش وروي شعيب
الحجاب انه عرفه بذلك كيف السلام عليهم والله اعلم ختمت هذه السورة المباركة بمنه وكرمه

تفسير سورة الدخان

مكية باتفاق الا قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا وهي سبع وخمسون اية وقيل تسع وفي مسند
الدارمي عن ابي رافع قال من قرا الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وزوج من الحور العين رفعه الثعلبي
من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وفي لفظ
اخر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك
وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا حم الدخان ليلة الجمعة بنى الله له بيتا
في الجنة بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم والكتاب المبين ان جعلت
حم جواب القسم تم الكلام عند قوله المبين ثم تبتدي انا انزلناه وان جعلت انا كنا منذرين جواب القسم الذي
هو الكتاب وقفت على منذرين وابتدات فيها يفرق كل امر حكيم وقيل الجواب انا انزلناه وانكر بعض
النحويين من حيث كان صفة للمقسم به ولا يكون صفة المقسم به جوابا للقسم والهاء في انزلناه للقران
ومن قال اقسم بسائر الكتب فقوله انا انزلناه كنى به عن غير القران على ما تقدم بيانه في اول الزخرف
والليلة المباركة ليلة القدر ويقال ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسما الليلة المباركة وليلة
البراءة وليلة الصك وليلة القدر ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات
والثواب وروي قتادة عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من

انزلت الكتب في رمضان

رمضان وانزلت التوراة لست مضين من رمضان وانزل الزبور لاثني عشرة من رمضان وانزل الانجيل لثمان عشرة خلت من رمضان وانزل القران لاربع وعشرين مضين من رمضان ثم قيل انزل القران كله الى السماء الدنيا في هذه الليلة ثم انزل نجما نجما في سائر الايام على حسب اتفاق الاسباب وقيل كان ينزل في كل ليلة القدر ما ينزل في سائر السنة وقيل كان ابتداء الانزال في هذه الليلة وقال عكرمة الليلة المباركة هاهنا ليلة النصف من شعبان والاول اصح لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر قال قتادة وابن زيد انزل الله القران كله في ليلة القدر من ام الكتاب الى بيت العزة في سماء الدنيا ثم انزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والايام في ثلاث وعشرين سنة وقد مضى هذا المعنى في البقرة ويأتي آنفا ان شاء الله **قوله تعالى** فيها يفرق كل امر حكيم قال ابن عباس يحكم الله امر الدنيا الى قابل في ليلة القدر ما كان من حياة او موت او رزق وقاله قتادة ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل الا الشقاوة والسعادة فانهما لا يتغيران قاله ابن عمر قال المهدوي ومعنى هذا القول امر الله عز وجل الملائكة بما يكون في ذلك العام ولم يزل ذلك في علمه عز وجل وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم احد ولا ينقص منهم احد وروى عثمان بن المغيرة عن عثمان بن المغيرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فان الله ينزل لغروب الشمس الى سماء الدنيا يقول الا مستغفر فاغفر له الا مبتلى فاعافيه الا مسترزق فارزقه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر ذكره الثعلبي وخرج الترمذي بمعناه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب وفي الباب عن ابي بكر الصديق قال ابو عيسى حديث عائشة لا نعرفه مرفوعا الا من حديث الحجاج بن ارطاة عن يحيى بن ابي كثير عن عروة عن عائشة وسمعت محمدا يضعف هذا الحديث وقال يحيى بن ابي كثير لم يسمع من عروة والحجاج بن ارطاة لم يسمع من يحيى بن ابي كثير قال الشيخ رحمه الله وقد ذكر حديث عائشة مطولا صاحب كتاب العروس واختار ان الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم ليلة النصف من شعبان وانها تسمى ليلة البراءة وقد ذكرنا قوله والرد عليه في غير هذا الموضع وان الصحيح انما هي ليلة القدر على ما بيناه روى حماد بن سلمة قال اخبرنا ربيعة بن كلثوم قال سأل رجل الحسن وانا عنده فقال يا ابا سعيد ارأيت ليلة القدر افي كل رمضان هي قال اي والذي لا اله الا هو انها لفي كل رمضان انها الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم فيها يقضي الله كل خلق واجل ورزق وعمل الى مثلها وقال ابن عباس يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال في هذه الآية انك لترى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وهذه الابانة لاحكام السنة انما هي للملائكة الموكلين باسباب الخلق وقد ذكرنا هذا المعنى آنفا وقال القاضي ابو بكر بن العربي وجمهور العلماء على انها ليلة القدر ومنهم من قال انها ليلة النصف من شعبان وهو باطل لان الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع شهر رمضان الذي انزل فيه القران فنص على ان ميقات نزوله رمضان ثم عين من زمانه الليل هاهنا بقوله في ليلة مباركة فمن زعم انه في غيره فقد اعظم الفرية على الله وليلة النصف من شعبان ليس فيها حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا اليها الزمخشري وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطي كل عامل بركات اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه نفرق بالنون كل امر حكيم كل شأن ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة **قوله تعالى** امرا من عندنا قال النقاش الامر هو القران انزله الله من عنده وقال ابن عيسى هو ما قضاه الله في الليلة المباركة من احوال عباده وهو مصدر في موضع الحال وكذلك رحمة من ربك وهما عند الاخفش حالان تقديرهما انزلناه آمرين به وراحمين المبرد امرا في موضع المصدر والتقدير انزلناه انزالا وقال الفراء والزجاج امرا نصب بيفرق

مثل قولك يفرق فرقا فامر بمعنى فرق فهو مصدر مثل قولك يضرب ضربا وقيل يفرق يدل على يؤمر فهو مصدر عمل فيه ما قبله انا كنا مرسلين رحمة من ربك قال الفراء رحمة مفعوله بمرسلين والرحمة النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج رحمة مفعول له من اجله اي ارسلناه للرحمة وقيل هي بدل من قوله امرا وقيل هي مصدر الزمخشري امرا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بانه وصف بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا وفي قراءة زيد بن علي امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة على تلك هي رحمة وهي تنصر انتصابها بانه مفعول له رب السموات والارض قرأ الكوفيون رب بالجر الباقون بالرفع على قوله انه هو السميع العليم وان شئت على الابتداء والخبر لا اله الا هو او يكون خبر ابتداء محذوف تقديره هو رب السموات والارض والجر على البدل من ربك وكذلك ربكم ورب آبائكم الاولين بالجر فيهما رواه الشيزري عن الكسائي الباقون بالرفع على الاستئناف ثم يحتمل ان يكون هذا الخطاب مع المعترف بان الله خلق السموات والارض اي ان كنتم موقنين به فاعلموا ان له ان يرسل الرسل وينزل الكتب ويجوز ان يكون الخطاب مع من لا يعترف انه الخالق اي ينبغي ان يعرفوا انه الخالق وانه الذي يحيي ويميت وقيل الموقن هاهنا هو الذي يريد اليقين ويطلبه كما تقول فلان ينجد اي يريد نجدا ويتهم اي يريد تهامة لا اله الا هو يحيي ويميت اي هو خالق العالم فلا يجوز ان يشرك به غيره فمن لا يقدر على خلق شيء وهو يحيي ويميت اي يحيي الاموات ويميت الاحياء ربكم ورب آبائكم الاولين اي مالككم ومالك من تقدم منكم واتقوا تكذيب محمد لئلا ينزل بكم العذاب بل هم في شك يلعبون اي ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الايمان والاقرار في قولهم ان الله خالقهم وانما يقولونه لتقليد الآباء لهم من غير علم فهم في شك وان توهموا انهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن لهم من غير حجة وقيل يلعبون يضيفون الى النبي صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ويقال لمن اعرض عن الوعظ لاعب وهو كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عاقبته **قوله تعالى** فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ارتقب معناه انتظر اي انتظر يا محمد هؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين قاله قتادة وقيل معناه احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين ولذلك سمي الحافظ رقيبا وفي الدخان اقوال ثلاثة الاول انه من اشراط الساعة لم يجئ بعد وانه يمكث في الارض اربعين يوما يملأ ما بين السماء والارض فاما المؤمن فيصيبه مثل الزكام واما الكافر والفاجر فيدخل في انوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق انفاسهم وهو من آثار جهنم يوم القيامة وممن قال ان الدخان لم يأت بعد علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة وزيد بن علي والحسن وابن ابي مليكة وغيرهم وروى ابو سعيد الخدري مرفوعا انه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه ذكره الماوردي وفي صحيح مسلم عن ابي الطفيل عن ابي اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم في رواية ان الساعة لا تكون حتى يكون عشر آيات خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الارض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وخرجه الثعلبي ايضا عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اول الآيات خروج الدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا وتصبح معهم اذا اصبحوا وتمسي معهم اذا امسوا قلت يا نبي الله وما الدخان قال هذه الآية فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام واما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخره وعينيه واذنيه وقيل القول الثاني ان الدخان هو ما اصاب قريشا من الجوع بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى من السماء والارض دخانا قاله ابن مسعود قال وقد كشفه الله عنهم ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم والحديث عنه بهذا في صحيح البخاري ومسلم والترمذي قال البخاري حدثني يحيى قال حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله انما كان هذا لان قريشا لما استعصت على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم

الدخان لا تقوم قبل عشر آيات

سنين كسني يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السما فيرى ما بينه وبينها
هيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم تات السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب
اليم قال فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت قال لمضر انك
لجري فاستسقي فسقوا فنزلت انكم عايدون فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين اصابتهم الرفاهية
فانزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال يعني يوم بدر وقال ابو عبيدة الدخان الجدب
القحط سمي دخانا ليبس الارض منه حتى يرتفع منها كالدخان **القول الثالث** انه يوم فتح مكة لما حجبت
السما الغبرة قاله عبد الرحمن الاعرج يغشى الناس في موضع الصفة للدخان فان كان قد مضى على ما قال
ابن مسعود فانه خاص بالمشركين من اهل مكة وان كان من اشراط الساعة فهو عام على ما تقدم هذا عذاب
اليم ان يقول الله لهم هذا عذاب اليم فمن قال ان الدخان قد مضى فقوله هذا عذاب اليم حكاية حال ماضية
ومن جعله مستقبلا فهو حكاية حال اتية وقيل هذا بمعنى ذلك وقيل اي يقول الناس لذلك الدخان
هذا عذاب اليم وقيل هو اخبار عن دنو الامر كما تقول هذا الشتا فاعد له قوله **قوله تعالى**
ربنا اكشف عنا العذاب اي يقولون ذلك اكشف عنا العذاب فانا مومنون اي نؤمن بك ان كشفته
عنا قيل ان قريشا اتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كشف الله تعالى عنا العذاب اسلمنا ثم نقضوا
هذا القول قال قتادة العذاب هنا الدخان وقيل الجوع حكاه النقاش قال الشيخ رحمه الله ولا تناقض
فان الدخان لم يكن الا من الجوع الذي اصابهم على ما تقدم وقد يقال للجوع والقحط الدخان ليبس الارض
في سنة الجدب وارتفاع الغبار بسبب قلة الامطار ولهذا يقال لسنة الجدب الغبرا وقيل ان العذاب
هنا الثلج قال الماوردي وهذا لا وجه له لان هذا انما يكون في الاخرة او في اهل مكة ولم تكن مكة من بلاد
الثلج غير انه منقول فحكيناه **قوله تعالى** **انى لهم الذكرى** اي من اين يكون لهم التذكر والاتعاظ عند حلول
العذاب وقد جاءهم رسول مبين يبين لهم الحق والذكرى والذكر واحد قاله البخاري ثم تولوا عنه اي اعرضوا
قال ابن عباس اي متى يتعظون والله ابعدهم من الاتعاظ والتذكر بعد توليهم عن محمد عليه السلام من تكذيبهم
اياه وقيل اي انى ينفعهم قولهم انا مومنون بعد ظهور العذاب غدا او بعد ظهور اعلام الساعة فقد صارت
المعارف ضرورية هذا اذا جعلت الدخان انه مرتقبة وقالوا معلم مجنون اي علمه بشر او علمه الكهنة والشياطين
ثم هو مجنون وليس برسول **قوله تعالى** **انا كاشفوا العذاب قليلا** اي وقتا قليلا وعدا ان نكشف
عنهم ذلك العذاب قليلا اي في زمان قليل ليعلم انهم لا يفون بقولهم بل يعودون الى الكفر بعد كشفه قاله
ابن مسعود فلما كشف ذلك عنهم باستسقا النبي صلى الله عليه وسلم لهم عادوا الى تكذيبه ومن قال ان الدخان
منتظر قال اشار بهذا الى ما كان من الفرجة بين اية واية من ايات قيام الساعة ثم من قضي عليه بالكفر يستمر
على كفره ومن قال هذا في القيامة قال اي لو كشفنا عنكم لعدتم الى الكفر وقيل معنى انكم عايدون الينا اي مبعوثون
بعد الموت وقيل المعنى انكم عايدون الى جهنم ان لم تؤمنوا **قوله تعالى** **يوم نبطش البطشة الكبرى**
انا منتقمون يوم محمول على ما دل عليه منتقمون اي ينتقم منهم يوم نبطش البطشة الكبرى وابعده بعض النحويين
بسبب ان ما بعد ان لا يفسر ما قبلها وقيل ان العامل فيه منتقمون وهو بعيد ايضا لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها
ولا يحسن تعلقه بقوله عايدون ولا بقوله انا كاشفوا العذاب اذ ليس المعنى عليه ويجوز نصبه باضمار فعل
كانه قيل اذكر لهم او اذكر ويجوز ان يكون المعنى انكم عايدون فاذا عدتم انتقم منكم يوم نبطش البطشة الكبرى
ولهذا اوصل هذا بقصة فرعون فانهم وعدوا موسى الايمان ان كشف عنهم العذاب ثم لم يومنوا حتى غرقوا
وقيل انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون كلام تام ثم ابتداء يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
اي ننتقم من جميع الكفار وقيل المعنى وارتقب الدخان وارتقب يوم نبطش فحذف واو العطف كما تقول
اتق النار اتق العذاب والبطشة الكبرى في قول ابن مسعود يوم بدر وهو قول ابن عباس وابي بن كعب
ومجاهد والضحاك وقيل عذاب جهنم يوم القيامة قاله الحسن وعكرمة وابن عباس ايضا واختاره الزجاج
وقيل دخان يقع في الدنيا او جوع او قحط يقع قبل القيامة الماوردي ويحتمل انها قيام الساعة لانها خاتمة
بطشاته في الدنيا ويقال انتقم الله منه اي عاقبه والاسم منه النقمة والجمع نقمات وقيل الفرق بين النقمة
والعقوبة والعقوبة بعد المعصية لانها من العاقبة والنقمة قد تكون قبلها قاله ابن عباس وقيل العقوبة
ما تقدرت والانتقام غير مقدر **قوله تعالى** **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون** اي ابتليناهم

الدخان الجوع والقحط

ومعنى هذه الفتنة والابتلا الامر بالطاعة والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعثه موسى اليهم فكذبوا فاهلكوا
فهكذا افعل باعدايك يا محمد ان لم يومنوا وقيل فتناهم عذبناهم بالغرق وفي الكلام تقديم وتاخير
والتقدير ولقد جاء ال فرعون رسول كريم وفتناهم اي اغرقناهم لان الفتنة كانت بعد مجي الرسل والواو
لا ترتيب ومعنى كريم اي كريم في قومه وقيل كريم الاخلاق بالتجاوز والصفح وقال الفرا كريم على ربه
اختصه بالنبوة واسماع الكلام ان ادوا الي عباد الله قال ابن عباس المعنى جاءهم فقال ان اتبعوني فعباد
الله منادى وقال مجاهد المعنى ارسلوا معي عباد الله واطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا مفعول
وقيل ادوا الي سمعكم حتى ابلغكم رسالة ربي وقيل المعنى ادوا الي عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله اي ادوا
الي سمعكم حتى ابلغكم رسالة ربكم اني لكم رسول امين اي امين على الوحي فاقبلوا نصحي وقيل امين على ما استاديه
منكم فلا اخون فيه وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه ولا ترتفعوا عن طاعته وقال قتادة
لا تبغوا على الله ابن عباس لا تفتروا على الله والفرق بين البغي والافترا بالقول وقال ابن جريج لا تعظموا
على الله يحيى بن سلام لا تستكبروا على عباد الله والفرق بين التعظيم والاستكبار ان التعظيم
تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر ذكره الماوردي اني اتيكم بسلطان مبين قال قتادة
بعذر بين وقال يحيى بن سلام بحجة بينة والمعنى واحد اي برهان بين **قوله تعالى** **واني عذت**
بربي وربكم ان ترجمون كانهم توعدوه بالقتل فاستجار بالله قال قتادة ترجمون بالحجارة وقال ابن عباس
تشتموني فتقولوا ساحر كذاب واظهر الذال من عذت نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب وادغم
الباقون والادغام طلبا للتخفيف والاظهار على الاصل ثم قيل اني عذت بالله فيما مضى لان الله وعده
فقال فلا يصلون اليكما وقال اني اعوذ كما تقول نشدتك بالله واقسمت عليك بالله اي اقسم
قوله تعالى **وان لم تؤمنوا لي** اي لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لاجل برهاني فاللام في لي لام اجل
وقيل اي وان لم تؤمنوا بي كقوله فامن له لوط اي به فاعتزلون اي دعوني كفافا لا لي ولا علي قاله مقاتل
وقيل اي كونوا بمعزل مني وانا بمعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل فخلوا سبيلي وكفوا عن اذاي والمعنى
متقارب **قوله تعالى** **فدعا ربه** فيه حذف اي فكفروا فدعا ربه انهؤلاء بفتح ان اي بان هؤلاء
قوم مجرمون اي مشركون قد استعدوا من اطلاق بني اسرائيل ومن الايمان **قوله تعالى** **فاسر بعبادي**
ليلا فيه مسئلتان **الاولى** قوله تعالى فاسر بعبادي ليلا اي فاجبنا دعاه واوحينا اليه ان اسر بعبادي
اي بمن امن بالله من بني اسرائيل ليلا اي قبل الصباح انكم متبعون وقرا اهل الحجاز فاسر بوصل الالف
وكذلك ابن كثير من سرى الباقون فاسر بالقطع من اسرى وقد تقدم وتقدم خروج فرعون وراء موسى
في البقرة والاعراف وطه والشعرا ويونس واغراقه وانجاء موسى فلا معنى للاعادة **الثانية** امر موسى
عليه السلام بالخروج ليلا وسير الليل في الغالب انما يكون عن خوف والخوف يكون لوجهين اما من العدو
فيتخذ الليل سترا مسدلا فهو من اسرار الله تعالى واما من خوف المشقة على الدواب والابدان بحر
وجدت فيتخذ السرى مصلحة من ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسري ويدلج ويترفق ويستعجل بحسب الحاجة
وما تقتضيه المصلحة وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها وفي الخصب
فاعطوا الابل حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها وقد مضى في اول النحل والحمد لله
قوله تعالى **واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون** قال ابن عباس رهوا اي طريقا وقاله كعب والحسن
وعن ابن عباس ايضا سمتا الضحاك والربيع سهلا عكرمة يبسا كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقيل
مفترقا مجاهد منفرجا وعنه يابسا وعنه ساكنا وهو المعروف في اللغة وقاله قتادة والهروي وقال
غيرهما منفرجا وقال ابن عرفة وهما يرجعان الى معنى واحد وان اختلف لفظاهما لانه اذا سكن جريه
انفرج وكذلك كان البحر يسكن جريه وانفرج لموسى عليه السلام والرهو عند العرب الساكن يقال جاءت
الخيل رهوا اي ساكنة قال

والخيل تمزع رهوا في اعنتها ... كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد

الجوهري ويقال افعل ذلك رهوا اي ساكنا على هينتك وعيش راه اي ساكن رافه وخمس راه اذا كان سهلا
ورها البحر اي سكن وقال ابو عبيدة رها بين رجليه يرهو رهوا اي فتح ومنه قوله تعالى واترك البحر رهوا
والرهو السير السهل يقال جاءت الخيل رهوا قال ابن الاعرابي رها يرهو في السير اي رفق قال القطامي

في نعت الركاب   يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة   ولا الصدور على الاعجاز تتكل
والرهو والرهوة المكان المرتفع والمنخفض ايضا يجتمع فيه الماء وهو من الاضداد وقال ابو عبيدة الرهو
الجوبة تكون في محلة القوم يسيل فيها ما المطر وغيره وفي الحديث انه قضا ان لا شفعة في فنا ولا طريق ولا
منقبة ولا ركح ولا رهو والجمع رها والرهو المزادة الواسعة الفم حكاه النضر بن شميل والرهو ضرب
من الطير وقيل هو الكركي قال الهروي ويجوز ان يكون رهوا من نعت موسى عليه السلام وقاله القشيري
اي سر ساكنا على هينتك فالرهو من نعت موسى وقومه لا من نعت البحر والاول من نعت البحر اي اتركه ساكنا كما هو قد انفرق
فلا يامره بالانضمام حتى يدخل فرعون وقومه قال قتادة اراد موسى ان يضرب البحر لما قطعه بعصاه حتى يلتئم وخاف
ان يتبعه فرعون فقيل له هذا وقيل ليس الرهو من السكون بل هو الفرجة بين الشيئين يقال رها ما بين الرجلين
اي فرج فقوله رهوا اي منفرجا وقال الليث الرهو مشي في سكون يقال رها يرهو رهوا فهو راه وعيش راه وادع
خافض وافعل ذلك سهوا رهوا اي ساكنا بغير شدة وقد ذكرنا انفا انهم اي ان فرعون وقومه جند مغرقون اخبر موسى
بذلك ليسكن قلبه **قوله تعالى** كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم كم للتكثير وقد مضى
الكلام في معنى هذه الاية في الشعرا استوفي ونعمة كانوا فيها فاكهين النعمة بالفتح التنعيم يقال نعمه الله وناعمه
فتنعم وامراة منعمة ومناعمة بمعنى والنعمة بالكسر اليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك وكذلك النعمى فان
فتحت النون مددت وقلت النعما والنعيم مثله وفلان واسع النعمة اي واسع المال جميعه عن الجوهري وقال
عمر المراد بالنعمة نيل مصر ابن لهيعة الفيوم ابن زياد ارض مصر لكثرة خيرها وقيل ما كانوا فيه من السعة والدعة وقد
يقال نعمة ونعمة بفتح النون وكسرها حكاه الماوردي قال وفي الفرق بينهما وجهان احدهما انها بكسر النون
في الملك وبفتحها في البدن والدين قاله النضر بن شميل الثاني انها بالكسر من المنة وهو الافضال والعطية
وبالفتح من التنعيم وهو سعة العيش والراحة قاله ابن زياد قال الشيخ رحمه الله هذا الفرق هو الذي وقع في
الصحاح وقد ذكرناه وقرا ابو رجا والحسن وابو الاشهب والاعرج وابو جعفر وشيبة فكهين بغير الف ومعناه
اشرين بطرين قال الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر
وقرى ونعمة كانوا فيها فاكهين اي اشرين وفاكهين اي ناعمين القشيري فاكهين لاهين مازحين يقال انه لفاكه
اي مزاح الثعلبي وقيل هما لغتان كالحاذر والحذر والفاره والفره وقيل ان الفاكه هو المستمتع بانواع اللذة
كما يتمتع الرجل بانواع الفواكه والفاكهة فضل على القوت الذي لا بد منه **قوله تعالى** كذلك
واورثناها قوما اخرين قال الزجاج اي الامر كذلك فيوقف على ذلك وقيل الكاف في موضع نصب على تقدير نفعل
فعلا كذلك بمن يريد اهلاكه وقال الكلبي كذلك افعل بمن عصاني وقيل كذلك كان امرهم فاهلكوا واورثنا
قوما اخرين يعني بني اسرائيل ملكهم الله تعالى ارض مصر بعد ان كانوا فيها مستعبدين فصاروا لها وارثين
لوصول ذلك اليهم كوصول الميراث ونظيره واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها الاية **قوله تعالى** فما بكت عليهم السماء والارض اي لكفرهم وما كانوا منظرين اي موخرين
بالغرق وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم بكت له السما والارض اي عمت مصيبته الاشيا حتى بكته السما
والارض والريح والبرق وبكته الليالي الشاتيات قال الشاعر

الريح تبكي شجوه	والبرق يلمع في غمامه
وقال اخر	
والشمس طالعة ليست بكاسفة	تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقالت الخارجية
ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل بالغة في وجوب
الجزع والبكا عليه والمعنى انهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد لهم فقد وقيل في الكلام اضمار اي ما بكى
عليهم اهل السما والارض من الملايكة كقوله واسال القرية بل سروا بهلاكهم قاله الحسن وروى يزيد الرقاشي
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مومن الا له في السماء بابان باب ينزل منه رزقه
وباب يدخل منه كلامه وعمله فاذا مات فقداه فبكيا عليه وتلا فما بكت عليهم السما والارض
يعني انهم لم يعملوا على الارض عملا صالحا تبكي عليه لاجله ولا صعد لهم الى السما عمل صالح فتبكي فقد ذلك
وقال مجاهد ان السماء والارض يبكيان على المومن اربعين صباحا قال ابو يحيى فعجبت من قوله فقال اتعجب وما
للارض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود وما للسما لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي
النحل وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما انه يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء وتقدير الاية

ها هنا فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السما ولا مواضع عبادتهم من الارض وهو معنى قول سعيد بن جبير وفي
بكا الارض والسما ثلاثة اوجه احدها انه كالمعروف من بكا الحيوان ويشبه ان يكون قول مجاهد وقال
شريح الحضرمي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا الا لا غربة على المومن وما مات
مومن في غربة غايبا عنه بواكيه الا بكت عليه السما والارض ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم
السما والارض ثم قال الا انهما لا يبكيان على الكافر قال الشيخ رحمه الله وذكر ابو نعيم محمد بن معمر قال حدثنا
ابو شعيب الحراني قال حدثنا يحيى بن عبد الله قال حدثنا الاوزاعي قال حدثني عطا الخراساني قال ما من عبد
يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقيل بكاوها حمرة
اطرافها قاله علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وعطا والسدي والترمذي ومحمد بن علي وحكاه عن الحسن وقال
السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السما والارض وبكاوها حمرتها وحكى جرير عن يزيد بن
ابي زياد قال لما قتل الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهما احمر له افاق السما اربعة اشهر قال يزيد
واحمرارها بكاوها وقال محمد بن سيرين اخبرونا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي
رضي الله عنهما وقال سليمان القاضي مطرنا دما يوم قتل الحسين قال الشيخ رحمه الله روى الدارقطني من
حديث مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفق الحمرة وعن عبادة بن
الصامت وشداد بن اوس قالا الشفق شفقان الحمرة والبياض فاذا غابت الحمرة حلت الصلوات وعن ابي
هريرة قال الشفق الحمرة وهذا يرد ما حكاه ابن سيرين وقد تقدم في سبحان عن قرة بن خالد قال ما بكت
السما على احد الا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي وحمرتها بكاوها وقال محمد بن علي الترمذي والبكا
ادرار الشي فاذا ادرت العين بمائها قيل بكت واذا ادرت السما حمرتها قيل بكت واذا ادرت الارض
بغبرتها قيل بكت لان المومن نور ومعه نور الله فالارض مضيية بنوره وان غاب فاذا فقد نور المومن اغبر
فدرت باغبرارها لانها كانت غبرا بخطايا اهل الشرك وانما صارت مضيية بنور المومن فاذا قبض
المومن منها درت بغبرتها وقال انس لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء كل
شي فلما كان اليوم الذي قبض فيه اظلم كل شي وانا لفي دفنه لما نفضنا الايدي منه حتى انكرنا قلوبنا واما
بكا السما فحمرتها كما قال الحسن وقال نضر بن عاصم ان اول الايات حمرة تظهر وانما ذلك لدنو الساعة
فتدر بالبكا لخلايها من انوار المومنين وقيل بكاوها امارة تظهر منهما تدل على حزن واسف قال
الشيخ رحمه الله والاظهر القول الاول اذ لا استحالة في ذلك واذا كانت السموات والارض تسبح وتسمع
وتتكلم كما بيناه في سبحان وحم فصلت ومريم فكذلك تبكي مع ما جاء من الخبر في ذلك والله اعلم
قوله تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين يعني ما كانت القبط تفعل بهم بامر فرعون
من قتل الابناء واستخدام النساء واستعبادهم اياهم وتكليفهم الاعمال الشاقة من فرعون بدل من
العذاب المهين فلا تتعلق من بقوله من العذاب لانه قد وصف وهو لا يعمل بعد الوصف عمل الفعل وقيل
اي انجيناهم من العذاب ومن فرعون انه كان عاليا من المسرفين اي جبارا من المشركين وليس هذا
علو مدح بل هو علو في الاسراف كقوله ان فرعون علا في الارض وقيل هذا العلو هو الترفع عن عباد الله
قوله تعالى ولقد اخترناهم يعني بني اسرائيل على علم اي على علم منا بهم لكثرة الانبيا منهم على
العالمين اي عالمي زمانهم بدليل قوله لهذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس وهذا قول قتادة وغيره وقيل على
كل العالمين بما جعل فيهم من الانبيا وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى والزمخشري
وغيرهما ويكون قوله كنتم خير امة اي بعد بني اسرائيل والله اعلم وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخليصهم من
الغرق وايراثهم الارض بعد فرعون **قوله تعالى** واتيناهم من الايات اي من معجزات موسى ما فيه
بلا مبين قال قتادة الايات انجاوهم من عدوهم وفلق البحر لهم وظلل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى
ويكون هذا الخطاب متوجها الى بني اسرائيل وقيل انها العصا واليد ويشبه ان يكون قول الفرا ويكون
الخطاب متوجها الى قوم فرعون وقول ثالث انه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي امرهم به قاله عبد
الرحمن بن زيد ويكون الخطاب متوجها الى الفريقين معا من قوم فرعون وبني اسرائيل وفي قوله بلا مبين
اربعة اوجه احدها نعمة ظاهرة قاله الحسن وقتادة كما قال الله تعالى وليبلي المومنين منه بلاء حسنا وقال

فابلاهم اخبر البلا الذي يبلوا الثاني عذاب شديد قاله الفرا الثالث اختبار
يتميز به المومن من الكافر قاله عبد الرحمن بن زيد وعنه ايضا ابتلاهم بالرخا والشدة وقرا ونبلوكم بالشر
والخير فتنة **قوله تعالى** ان هاؤلاء ليقولون يعني كفار قريش ان هي الا موتتنا الاولى ابتدا
وخبر مثل ان هي الا فتنتك ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين فاتوا بابائنا ان
كنتم صادقين ان انشر الله الموتى فنشروا او قد تقدم والمنشورون المبعوثون قيل ان هذا من كفار
قريش ابو جهل قال يا محمد ان كنت صادقا في قولك فابعث لنا رجلين من ابائنا احدهما قصي بن كلاب
فانه كان رجلا صادقا لنسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول من ابي جهل من اضعف الاقوال
الشبهات لان الاعادة انما هي للجزاء لا للتكليف فكانه قال ان كنت صادقا في اعادتهم للجزا فاعدهم
للتكليف وهو كقول قايل لو قال ان كان ينشا بعدنا قوم من الابنيا فلم لا يرجع من مضى من الابا حكاه
الماوردي ثم قيل فاتوا بابائنا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحده لقوله رب ارجعون قاله الفرا
وقيل مخاطبة له ولاتباعه **قوله تعالى** اهم خير ام قوم تبع هذا استفهام انكار اي انهم
مستحقون في هذا القول العذاب اذ ليسوا خيرا من قوم تبع والامم المهلكة واذا اهلكنا اوليك فكذا هؤ
ولا وقيل المعنى اهم اظهر نعمة واكثر اموالا ام قوم تبع وقيل اهم اعز واشد وامنع ام قوم تبع وليس
المراد بتبع رجلا واحدا بل المراد ملوك اليمن وكانوا يسمون ملوكهم التبابعة فتبع لقب للملك منهم كالخليفة
للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وقال ابو عبيدة سمي كل واحد منهم تبعا لانه يتبع صاحبه
قال الجوهري والتبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع والتبع ايضا الظل وقال برد المياه خضيره ونقيضه
ورد الغطاة اذا اسمال التبع يعني اذا حضر الظل نصف النهار فالوح والتبع ايضا ضرب من الطير وقال
السهيلي التبع اسم لكل ملك ملك اليمن والسحر وحضرموت وان ملك اليمن وحدها لم يقل له تبع قاله
المسعودي فمن التبابعة الحرث الرايش وهو ابن همال ذي شدد وابرهة ذو المنار وعمرو ذو الاذعار
وشمر بن ملك الذي تنسب اليه سمرقند وافريقيس بن قيس الذي ساق البربر الى افريقية من ارض
كنعان وبه سميت افريقية والظاهر من الايات ان الله سبحانه انما اراد واحدا من هاؤلا وكانت
العرب تعرفه بهذا الاسم اشد من معرفته غيره وكذلك قال عليه السلام ولا ادري اتبع لعين ام لا
ثم قد روي عنه انه قال لا تسبوا فانه كان مومنا فهذا يدلك على انه كان واحدا بعينه والله اعلم ابو
كرب الذي كسا البيت بعد ما اراد غزوه وبعد غز المدينة واراد خرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها
مهاجر نبي اسمه احمد وقال شعرا اودعه عند اهلها وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبي صلى
الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال كان الكتاب والشعر عند ابي ايوب خالد بن زيد وفيه

شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

وذكر الزجاج وابن ابي الدنيا والزمخشري وغيرهم انه حفر له قبر بصنعا ويقال بناحية حمير في الاسلام
فوجد فيه امراتان صحيحتان وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حبا لميس ويروى
ايضا حبا وتماضر ويروى ايضا هذا قبر رضوى وقبر حبى ابنتا تبع ماتتا وهما يشهدان ان لا اله الا الله
ولا يشركان به شيا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما قال الشيخ رحمه الله وروى ابن اسحاق وغيره
انه كان في الكتاب الذي كتبه اما بعد فاني امنت بك وبكتابك الذي انزل عليك وانا على دينك وسنتك
وامنت بربك ورب كل شي وامنت بكل ما جاء من ربك من شرايع الاسلام فان ادركتك فبها ونعمت وان
لم ادركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من امتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وانا على
ملتك وملة ابيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب على
عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع
الاول وقد ذكرنا بقية خبره واوله في اللمع اللولوية في شرح العشريات النبوية للفازازي رحمه الله
وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لا تزيد ولا
تنقص واختلف هل كان نبيا او ملكا فقال ابن عباس كان تبع نبيا وقال كعب كان تبع ملكا من الملوك
وكان قومه كهانا وكان معه قوم من اهل الكتاب فامر الفريقين ان يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا

فابعث لنا رجلين من ابائنا

المراد بتبع ملك اليمن

تقبل قربان اهل الكتاب فاسلم وقالت عايشة رضي الله عنها لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وحكى
قتادة ان تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حير الحيرة واتى سمرقند فهدمها حكاه الماوردي
وحكى الثعلبي عن قتادة انه تبع الحميري وكان سار بالجيوش حتى عبر الحيرة وبنا سمرقند وقتل وهدم
البلاد وقال الكلبي تبع هذا ابو كرب اسعد بن ملكيكرب وانما سمي تبعا لانه تبع من قبله وقال
سعيد بن جبير هو الذي كسى البيت الحبرات وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه وضرب بهم لقريش مثلا
لقربهم من دارهم وعظمهم في نفوسهم فلما اهلكهم الله تعالى ومن قبلهم لانهم كانوا مجرمين كان من اجرم مع
ضعف اليد وقلة العدد احدى بالهلاك وافتخر اهل اليمن بهذه الاية اذ جعل الله قوم تبع خيرا من قريش وقيل
سمي اولهم تبعا لانه اتبع قرن الشمس وسافر في الشرق مع العساكر **قوله تعالى** والذين من
قبلهم اهلكناهم الذين في موضع رفع عطف على قوم تبع اهلكناهم صلته ويكون من قبلهم متعلقا به ويجوز
ان يكون من قبلهم صلة الذين ويكون في الظرف عايد الى الموصول واذا كان كذلك كان اهلكناهم على احد
امرين اما ان يقدر معه قد فيكون في موضع الحال او يقدر حذف موصوف كانه قال اهلكناهم والتقدير
افلا يعتبرون انا قدرنا على اهلاك هاؤلاء المذكورين قدرنا على اهلاك المشركين ويجوز ان يكون الذين
من قبلهم ابتدا خبره اهلكناهم ويجوز ان يكون الذين في موضع نصب باضمار فعل دل عليه اهلكناهم
قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اي غافلين قاله مقاتل
وقيل لاهين وهو قول الكلبي ما خلقناهما الا بالحق اي الا بالامر الحق قاله مقاتل وقيل الا للحق قاله الكلبي
والحسن وقيل الا لاقامة الحق واظهاره من توحيد الله والتزام طاعته وقد مضى هذا المعنى في الانبيا
ولكن اكثرهم يعني اكثر الناس لا يعلمون ذلك **قوله تعالى** ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين
يوم الفصل هو يوم القيامة وسمي بذلك لان الله يفصل فيه بين خلقه دليله قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم
ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ونظيره ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فيوم الفصل ميقات
الكل كما قال ان يوم الفصل كان ميقاتا اي الوقت المجعول لتمييز المسي من المحسن والفصل بينهما فريق
في الجنة وفريق في السعير وهذا غاية في التحذير والوعيد ولا خلاف بين القرا في رفع ميقاتهم على انه خبر ان
واسمها يوم الفصل واجاز الكسايي والفرا نصب ميقاتهم بان ويوم الفصل ظرف في موضع خبر ان اي ان
ميقاتهم يوم الفصل **قوله تعالى** يوم لا يغني مولى عن مولى شيا يوما بدل من يوم الاول والمولى
الولي وهو ابن العم والناصر اي لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه ولا هم
ينصرون اي لا ينصر المومن الكافر لقرابته ونظير هذه الاية واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا الاية
الا من رحم الله من رفع على البدل من المضمر في ينصرون كانك قلت لا يقوم احد الا فلان او على الابتدا
والخبر مضمر كانه قال الا من رحم الله فمغفور له او فيغني عنه ويشفع وينصر او على البدل من مولى
الاول كانه قال لا يغني الا من رحم الله وهي عند الكسايي والفرا نصب على الاستثنا المنقطع اي لكن
من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه الى من ينفعهم من المخلوقين ويجوز ان يكون استثنا متصلا اي لا
يغني قريب عن قريب الا المومنين فانه يوذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض انه هو العزيز الرحيم اي المنتقم
من اعدايه الرحيم باوليايه كما قال شديد العقاب ذي الطول فقرن الوعد بالوعيد **قوله تعالى**
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كل ما في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالها الا حرفا واحدا في سورة
الدخان ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قاله ابن الانباري والاثيم الفاجر قاله ابو الدردا وكذلك قراها ابن
مسعود قال همام بن الحرث كان ابو الدردا يقري رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل يقول طعام
اليتيم فلما لم يفهم قال له طعام الفاجر قال ابو بكر الانباري حدثني ابي حدثنا نصر حدثنا ابو عبيد حدثنا
نعيم بن حماد عن عبد العزيز بن محمد عن ابن عجلان عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال علم عبد الله بن
مسعود رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فقال الرجل طعام اليتيم فاعاد عبد الله الصواب واعاد الرجل
الخطا فلما راى عبد الله ان لسان الرجل لا يستقيم قال له اما تحسن ان تقول طعام الفاجر قال بلى قال فافعل
ولا حجة في هذا للجهال من اهل الزيغ انه يجوز ابدال الحرف من القران بغيره لان ذلك انما كان من عبد الله
تقريبا للمتعلم وتوطية منه للرجوع الى الصواب واستعمال الحق والتكلم بالحرف على انزل الله وحكى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جايز اذا كانت موديه

معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية على الشريطة وهو ان يودي القاري المعاني على كمالها
من غير ان يخرم منها شيئا قال وهذه الشريطة تشهد بانها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا
في القران الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطايف المعاني والاغراض ما لا يستقل
باداية لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن
تحقق وتبصر وروي عن علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة
بالفارسية وشجرة الزقوم التي خلقها الله في جهنم وسماها الشجرة الملعونة فاذا جاع اهل النار التجوا
اليها فاكلوا منها فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار وشبه ما يصير منها الي بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب وقراءة
العامة تغلي بالتاء حملا على الشجرة وقرا ابن كثير وحفص وابن محيصن ورويس عن يعقوب يغلي بالياء حملا
على الطعام وهو في المعنى الشجرة ولا يحمل على المهل لانه ذكر للتشبيه والاثيم الاثيم من اثم باثم اثما قاله القشيري
وابن عيسى فقيل هو المشرك المكتسب للاثم قاله يحيي بن سلام وفي الصحاح وقد اثم الرجل بالكسر اثما
ومانما اذا وقع في الاثم فهو اثم واثيم واثوم ايضا فمعني طعام الاثيم اي ذو الاثم الفاجر وهو ابو جهل وذلك
انه قال يعدنا محمد ان في جهنم الزقوم وانما هو الثريد بالزبد والتمر فبين الله خلاف ما قاله وحكي النقاش
عن مجاهد ان شجرة الزقوم ابو جهل قال الشيخ رحمه الله ولا يصح هذا عن مجاهد وهو مردود بما ذكرناه في هذه
السورة وفي سورة الصافات وسبحان ايضا **قوله تعالى** خذوه فاعتلوه اي يقال للزبانية
خذوه يعني الاثيم فاعتلوه اي جروه وسوقوه والعتل ان تاخذ بتلابيب الرجل فتعتله اي تجره اليك لتذهب
به الي حبس وبلية عتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر قال
يصف فرسا

نفرعه فرعا ولسنا نعتله ... وفيه لغتان عتله وعتنه

باللام والنون قاله ابن السكيت وقرا الكوفيون وابو عمرو فاعتلوه بالكسر وضم الباقون الي سواء الجحيم وسط
الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قال مقاتل يضرب مالك خازن النار ضربة على راس ابي جهل بمقمع
من حديد فتنفتت راسه عن دماغه فيجري دماغه على جسده ثم يصب الملك ماء حميما قد انتهي حره فيقع في بطنه
فيقول الملك ذق العذاب ونظيره يصب من فوق رؤسهم الحميم **قوله تعالى** ذق انك انت العزيز
الكريم قال ابن الانباري اجمعت العوام على كسر ان وروي عن الحسن عن علي رحمه الله ذق انك بفتح
ان وبها يقرا الكسائي فمن كسر ان وقف على ذق ومن فتحها لم يقف على ذق لان المعني ذق لانك وبانك انت
العزيز الكريم قال قتادة نزلت في ابي جهل كان قد قال ما فيها اعز مني ولا اكرم فلذلك قيل له ذق انك
انت العزيز الكريم وقال عكرمة التقي النبي صلي الله عليه وسلم وابو جهل فقال النبي صلي الله عليه وسلم ان الله
امرني ان اقول لك اولي لك فاولي فقال باي شي تهددني والله لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا
اني لمن اعز هذا الوادي واكرمه على قومه فقتله الله يوم بدر واذله ونزلت هذه الاية اي يقول له الملك ذق
انك انت العزيز الكريم بزعمك وقيل هو على معني الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والاهانة والتنقيص
اي قال له انك انت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب لشعيب انك لانت الحليم الرشيد يعنون السفيه
الجاهل في احد التاويلات على ما تقدم وهذا قول سعيد بن جبير ان هذا ما كنتم به تمترون اي تقول لهم
الملايكة ان هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا **قوله تعالى** ان المتقين في مقام امين لما ذكر مستقر
الكافرين وعذابهم ذكر نزل المومنين ونعيمهم وقرا نافع وابن عامر في مقام بضم الميم الباقون بالفتح قال
الكسائي المقام المكان والمقام الاقامة كما قال

عفت الديار محلها فمقامها

قال الجوهري فاما المقام والمقام فقد يكون كل واحد
منهما بمعني الاقامة وقد يكون بمعني موضع القيام لانك اذا جعلته من قام يقوم فمفتوح وان جعلته من اقام
يقيم فمضموم لان الفعل اذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لانه مشبه ببنات الاربعة نحو دحرج وهذا
مدحرجا وقيل المقام بالفتح المشهد والمجلس وبالضم يمكن ان يراد به المكان ويمكن ان يكون مصدرا ويقدر
فيه المضاف اي في موضع اقامة امين يومن فيه من الافات في جنات وعيون بدل من مقام امين يلبسون
من سندس واستبرق متقابلين لا يري بعضهم قفا بعض متواجهين يدور بهم مجلسهم حيث داروا والسندس
ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد مضي في الكهف **قوله تعالى** كذلك اي الامر كذلك
الذي ذكرناه فيوقف على كذلك وقيل اي كما ادخلناهم الجنة وفعلنا بهم ما تقدم ذكره لذلك اكرمناهم

شجرة الزقوم

ما يسير

بازرز وجناهم حورا عينا وقد مضي الكلام في العين في والصافات والحور البيض في قول قتادة والعامة
جمع حوراء والحوراء البيضا الذي يري ساقها من وراء ثيابها ويري الناظر وجهه في كعبها كالمراة من رقة
الجلد ونضاضة البشرة وصفا اللون ودليل هذا التاويل انها في حرف ابن مسعود بعيس عين وذكر ابن
الانباري اخبرنا احمد بن الحسين حدثنا حسن حدثنا عماد بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا في
حم الدخان بعيس عين لا يذوقون طعم الموت الا الموتة الاولي والعيس البيض ومنه قيل للابل البيض عيس
واحدها بعير اعيس وناقة عيسا قال امرو القيس

يرعن الي صوتي اذا ما سمعنه ... كما يرعوي عيس الي صوت اعيسا

يعني الحور هنا الحسان الثاقبات البياض بحسن وذكر ابن المبارك اخبرنا معمر عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون الاودي
عن ابن مسعود قال ان المراة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة
كما يري الشراب الاحمر في الزجاجة البيضا وقال مجاهد انما سميت الحور حورا لانهن يحار الطرف في حسنهن
وبياضهن وصفا لونهن وقيل انما قيل لهن حور لحور اعينهن والحور شدة بياض العين في شدة سوادها
امراة حوراء بينة الحور يقال احورت عينه احورارا واحور الشي ابيض قال الاصمعي ما ادري ما
الحور في العين وقال ابو عمرو والحور ان تسود العين كلها مثل اعين الظبا والبقر وقال ليس في بني ادم حور
وانما قيل للنسا حور عين لانهن شبهن بالظبا والبقر وقول العجاج

باعين محورات بيض ... يعني الاعين النقيات البياض

الشديدات سواد الحدق وجمع عينا وهي الواسعة العظيمة العينين وعن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز وعن ابي قرصافة سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول
اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين وعن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال كنس المساجد مهور الحور العين ذكرها
الثعلبي رحمه الله وقد افردنا لهذا المعني بابا مفردا في كتاب التذكرة والحمد لله واختلف ايما افضل في
الجنة نساء الادميات ام الحور فذكر ابن المبارك قال واخبرنا رشدين عن ابن انعم عن حبان بن ابي جبلة
قال ان نسا الادميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وروي مرفوعا ان
الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف وقيل ان الحور العين افضل لقوله عليه السلام في
دعائه وابدله زوجا خيرا من زوجه والله اعلم وقرا عكرمة بحور عين مضاف والاضافة والتنوين في بحور
عين سوا **قوله تعالى** يدعون فيها بكل فاكهة امنين قال قتادة امنين من الموت والوصب
والشيطان وقيل امنين من انقطاع ما هم فيه من النعيم او من ان ينالهم من اكلها اذي او مكروه
قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولي اي لا يذوقون فيها الموت البتة لانهم
خالدون فيها ثم قال الا الموتة الاولي على الاستثنا المنقطع اي لكن الموتة الاولي قد ذاقوها في الدنيا
وانشد سيبويه

من كان اسرع في تفرق فالج ... فلبونه جربت معا واعدت

ثم استثني بما ليس من الاول فقال

الا الناشرة التي ضيعتم ... كالغصن في غلوانه المتنبت

وقيل ان الا بمعني بعد كقوله ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك اي بعد رجل عندك وقيل الا بمعني سوي
اي سوي الموتة التي ماتوها في الدنيا كقوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف اي سوي ما قد
سلف وهو كما تقول ما ذقت اليوم طعاما سوي ما اكلت امس وقال القتبي الا الموتة الاولي معناه ان المومن
اذا اشرف على الموت استقبلته ملايكة الرحمة ويلقي الروح والريحان وكان موته في الجنة لاتصافه
باسبابها فهو استثنا صحيح والموت عرض لا يذاق ولكن جعل كالطعام الذي يكره ذوقه فاستعير فيه
لفظ الذوق ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك اي فعل ذلك بهم تفضلا عليهم منه ففضلا مصدر عمل
فيه يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم وقيل فعل مضمر وقيل معني الكلام الذي قبله لانه تفضل منه عليهم
اذ وفقهم في الدنيا الي اعمال يدخلون بها الجنة ذلك هو الفوز العظيم اي السعادة والربح العظيم والنجاة
العظيمة وقيل هو من قولك فاز بكذا اي ناله وظفر به **قوله تعالى** فانما يسرناه بلسانك يعني
القران اي سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقروه لعلهم يتذكرون يتعظون وينزجرون ونظيره ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر فختم السورة بالحث على اتباع القران وان لم يكن مذكورا كما قال

انما سميت الحور حورا

في مفتتح السورة انا انزلناه في ليلة مباركة انا انزلناه في ليلة القدر على ما تقدم فارتقب انهم مرتقبون
اي انتظر ما وعدتك من النصر عليهم انهم منتظرون لك الموت حكاه النقاش وقيل انتظر الفتح من ربك
انهم منتظرون بزعمهم قهرك وقيل انتظر ان يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك ريب الحدثان
والمعنى متقارب وقيل ارتقب يوم القيامة ما وعدتك من الثواب فانهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب
وقيل ارتقب يوم القيامة فانه يوم الفصل وان لم يعتقدوا وقوع القيامة جعلوا كالمرتقبين لان عاقبتهم ذلك

تفسير سورة الجاثية

مكية كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة الا آية وهي قل للذين امنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكره الماوردي وقال المهدوي والنحاس عن
ابن عباس انها نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فانزل الله
قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ثم نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فالسورة على
هذا مكية كلها من غير خلاف وهي سبع وثلثون اية وقيل ست بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم مبتدا وتنزيل خبره وقال بعضهم حم اسم السورة
وتنزيل الكتاب مبتدا وخبره من الله والكتاب القرآن والعزيز المنيع الحكيم في فعله وقد تقدم جميع هذا
قوله تعالى ان في السموات والارض اي في خلقهما لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من
دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض
بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون تقدم جميعه مستوفي في البقرة وغيرها وقراءة العامة
وما يبث من دابة ايات وتصريف الرياح ايات بالرفع فيهما وقرا حمزة والكسائي بكسر التاء فيهما ولا خلاف
في الاول انه بالنصب على اسم ان وخبرها في السموات ووجه الكسر في ايات الثاني العطف على ما عملت فيه ان
التقدير وان في خلقكم وما يبث من دابة ايات فاما الثالث فقيل ان وجه النصب فيه تكرير ايات لما طال
الكلام كما تقول ضربت زيدا زيدا وقيل انه على الحمل على ما عملت فيه ان على تقدير حذف في التقدير وفي
اختلاف الليل والنهار ايات فحذفت في لتقدم ذكرها وانشد سيبويه في الحذف

اكل امرء تحسبين امرأ ... ونار توقد بالليل نارا

فحذف كل المضاف الى نار المجرورة لتقدم ذكرها وقيل هو من باب العطف على عاملين ولم يجزه سيبويه واجازه
الاخفش وجماعة من الكوفيين فعطف اختلاف على قوله وفي خلقكم ثم قال وتصريف الرياح ايات فيحتاج الى
العطف على عاملين والعطف على عاملين قبيح من اجل ان حروف العطف تنوب مناب العامل فلم تقو ان تنوب
مناب عاملين مختلفين اذ لو ناب مناب رافع وناصب لكان رافعا ناصبا في حال واما قراءة الرفع فحملا
على موضع ان مع ما عملت فيه وقد الزم النحويون في ذلك ايضا العطف على عاملين لانه عطف على واختلاف
على وفي خلقكم وعطف ايات على موضع ايات الاول ولكنه يقدر على تكرير في ويجوز ان يرفع على القطع
مما قبله فيرتفع بالابتداء وما قبله خبره ويكون عطف جملة على جملة وحكى الفراء رفع اختلاف وايات
جميعا وجعل الاختلاف هو الايات قوله تعالى تلك ايات الله اي هذه ايات الله اي حججه وبراهينه
الدالة على وحدانيته وقدرته نتلوها عليك بالحق اي بالصدق الذي لا باطل ولا كذب فيه وقرئ يتلوها
بالياء فباي حديث بعد الله اي بعد حديث الله وقيل بعد قرآنه واياته يؤمنون وقراءة العامة بالياء
على الخبر وقرا ابن محيصن وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي تؤمنون بالتاء على الخطاب قوله تعالى
ويل لكل افاك اثيم ويل واد في جهنم توعد من ترك الاستدلال باياته والافاك الكذاب والافك الكذب
اثيم اي مرتكب الاثم والمراد فيما روي النضر بن الحرث وعن ابن عباس انه الحارث ابن كلدة وحكى
الثعلبي انه ابو جهل واصحابه يسمع ايات الله تتلى عليه يعني ايات القرآن ثم يصر مستكبرا اي يتمادى على
كفره متعظما في نفسه عن الانقياد ماخوذ من صر الصرة اذا شدها قال معناه ابن عباس وغيره وقيل
اصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه وان من كان مخففة من الثقيلة كانه لم يسمعها
والضمير ضمير الشان كما في قوله

ويوما توافينا بوجه مقسم ... كان ظبية تعطوا الى ناضر السلم

ومحل الجملة النصب اي يصر مثل غير السامع وقد تقدم في اول لقمان القول في معنى هذه الاية وتقدم معنى
فبشره بعذاب اليم في البقرة قوله تعالى واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا نحو قوله في الزقوم
انه الزبد والتمر وقوله في خزنة جهنم ان كانوا تسعة عشر فانا اكفيهم وحدي اولئك لهم عذاب مهين
مذل مخزي من ورائهم جهنم اي من وراء ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق جهنم وقال ابن عباس
من ورائهم جهنم اي امامهم نظيره ومن ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد اي من امامه قال

اليس ورائي ان تراخت منيتي ... ادب مع الولدان ازحف كالنسر

ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا اي من المال والولد نظيره لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ولا ما
اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام ولهم عذاب عظيم اي دائم مؤلم قوله تعالى هذا
هدى ابتدا وخبر يعني القران وقال ابن عباس يعني كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا بايات
ربهم اي جحدوا دلايله لهم عذاب من رجز اليم الرجز العذاب اي لهم عذاب من عذاب اليم دليله قوله
تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء اي عذابا وقيل الرجز القذر مثل الرجس وهو كقوله ويسقى من
ماء صديد اي لهم عذاب من تجرع الشراب القذر فضم الرجز هنا الرجس ابن محيصن حيث وقع وقرا ابن
كثير وابن محيصن وحفص اليم بالرفع على معنى لهم عذاب اليم من رجز الباقون بالخفض نعتا للرجز
قوله تعالى الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره الاية ذكر كمال قدرته وتمام نعمته
على عباده وبين انه خلق ما خلق لمنافعهم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يعني ان ذلك
فعله وخلقه احسان منه وقرا ابن عامر والجحدري وغيرهما جميعا منه بكسر الميم وتشديد النون وتنوين
الهاء منصوبا على المصدر قال ابو عمرو وكذلك سمعت مسلمة يقروها منه اي تفضلا وكرما وعن مسلمة
بن محارب جميعا منه على اضافة المن الى هاء الكناية وهو عند ابي حاتم خبر ابتداء محذوف اي ذلك
او هو منه وقراءة الجماعة ظاهرة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله تعالى قل للذين امنوا
يغفروا جزم على جواب قل تشبيها بالشرط والجزاء كقولك قم تصب خيرا وقيل هو على حذف اللام وقيل
على معنى قل لهم اغفروا يغفروا فهو جواب قاله علي ابن عيسى واختاره ابن العربي ونزلت الاية بسبب
ان رجلا من قريش شتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهم ان يبطش به قال ابن العربي وهذا لم يصح وذكر الواحدي
والقشيري وغيرهما عن ابن عباس ان الاية نزلت في عمر مع عبد الله ابن ابي في غزوة بني المصطلق فانهم نزلوا
على بير يقال لها المريسيع فارسل عبد الله غلامه ليستقي فابطاء عليه فقال له ما حبسك قال غلام عمر بن الخطاب
قعد على فم البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر وملا لمولاه فقال
عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ عمر رضي الله عنه قوله فاشتمل
على سيفه يريد التوجه اليه ليقتله فانزل الله هذه الاية هذه رواية عن ابن عباس وروي عنه ميمون بن مهران
قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص احتاج رب محمد قال
فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه فجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان ربك يقول لك قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله واعلم ان عمر قد اشتمل على
سيفه وخرج في طلب اليهودي فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه فلما جاء قال يا عمر ضع
سيفك فقال يا رسول الله صدقت اشهد ان الله ارسلك بالحق قال فان ربك يقول للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله قال لا جرم والذي بعثك بالحق لا يرى الغضب في وجهي قال الشيخ المؤلف
رحمه الله وما ذكره المهدوي والنحاس فهو رواية الضحاك عن ابن عباس وهو قول القرظي والسدي
وعليه يتوجه النسخ في الاية وعلى ان الاية نزلت بالمدينة او في غزوة بني المصطلق فليست بمنسوخة
ومعنى يغفروا يعفوا ويتجاوزوا ومعنى لا يرجون ايام الله اي لا يرجون ثوابه وقيل اي لا يخافون باس الله
ونقمته وقيل الرجا بمعنى الخوف كقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون له عظمة والمعنى لا تخشون
مثل عذاب الامم الخالية والايام يعبر بها عن الوقائع وقيل لا يامُلون نصر الله لاوليائه وايقاعه
باعدائه وقيل المعنى لا يخافون البعث ليجزي قوما بما كانوا يكسبون قراءة العامة ليجزي بالياء
على معنى ليجزي الله وقرا حمزة والكسائي وابن عامر لنجزي بالنون على التعظيم وقرا ابو جعفر والاعرج
وشيبة ليجزى بياء مضمومة بفتح الزاي على الفعل المجهول قوما بالنصب قال ابو عمرو وهذا لحن ظاهر

شرح البيت المشهور

قال شيخ البرهان [illegible]

وقال الكسائي معناه ليجزي الجزاء قوما نظيره وكذلك نجي المؤمنين على قراة ابن عامر وابي بكر في سورة الانبيا
قال الشاعر   ولو ولدت فقيرة جرو كلب   لسبّ بذلك الجرو الكلابا
اي لسبّ السبّ قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون تقدم
قوله تعالى ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة والحكم والنبوة الحكم الفهم في الكتاب
وقيل الحكم على الناس والقضا والنبوة يعني الانبيا من وقت يوسف الى زمن عيسى ورزقناهم من الطيبات
اي الحلال من الاقوات والثمار والاطعمة التي كانت بالشام وقيل يعني المن والسلوى في التيه وفضلناهم
على العالمين اي على عالمي زمانهم على ما تقدم في الدخان بيانه واتيناهم بينات من الامر قال ابن عباس
يعني امر النبي صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته بانه يهاجر من تهامة الى يثرب وينصره اهل يثرب
وقيل بينات الامر شرائع واضحات في الحلال والحرام ومعجزات فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم
يريد يوشع بن نون فامن بعضهم وكفر بعضهم حكاه النقاش وقيل من بعد ما جاءهم العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فاختلفوا فيها بغيا بينهم اي حسدا على النبي صلى الله عليه وسلم قال معناه الضحاك وقيل معنى بغيا اي بغي بعضهم
على بعض بطلب الفضل والرياسة وقتلوا الانبيا وكذا مشركوا عصرك يا محمد قد جاءتهم البينات ولكن اعرضوا عنها
للمنافسة في الرياسة ان ربك يقضي بينهم اي يحكم ويفصل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا
قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها فيه مسالتان الاولى قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة
الشريعة في اللغة المذهب والملة ويقال لمشرعة الماء وهي مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع لانه طريق الى المقصد
فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين والامر الشرائع والشرائع في الدين المذاهب التي شرعها الله لخلقه فمعنى
جعلناك على شريعة من الامر اي على منهاج واضح من امر الدين يشرع بك الى الحق وقال ابن عباس على شريعة
اي على من الامر وقال قتادة الشريعة الامر والنهي والحدود والفرايض وقال مقاتل البينة لانها طريق الى الحق
وقال الكلبي السنة لانه يستن بطريقة من قبله من الانبياء وقال ابن زيد الدين لانه طريق النجاة
قال ابن العربي والامر يرد في اللغة بمعنيين احدهما بمعنى الشان كقوله واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون
برشيد والثاني احد اقسام الكلام الذي يقابله النهي وكلاهما يصح ان يكون مرادا هاهنا وتقديره ثم
جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الاسلام كما قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا خلاف
ان الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينهما في الفروع حسب
ما علمه سبحانه الثانية قال ابن العربي ظن بعض من تكلم في العلم ان هذه الاية دليل على ان شرع من قبلنا ليس
بشرع لنا لان الله تعالى افرد النبي صلى الله عليه وسلم وامته في هذه الاية بشريعة ولا ينكر ان النبي صلى
الله عليه وسلم وامته منفردان بشريعة واحكام وانما الخلاف فيما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه من
شرع من قبلنا في معرض المدح والثنا هل يلزم اتباعه ام لا قوله تعالى ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون يعني المشركين وقال ابن عباس قريظة والنضير وعنه نزلت لما دعته قريش الى دين ابائه
قوله تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي ان اتبعت اهواءهم لا يدفعون عنك من عذاب
الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اي اصدقا وانصار واحباب قال ابن عباس يريد ان المنافقين
اولياء اليهود والله ولي المتقين اي ناصرهم ومعينهم والمتقون هنا الذين اتقوا الشرك والمعاصي
قوله تعالى هذا بصائر للناس ابتدا وخبر اي هذا الذي انزلت عليك براهين ودلايل ومعالم
للناس في الحدود والاحكام وقرئ هذه بصائر اي هذه الايات وهدى اي رشد وطريق يودي الى الجنة لمن اخذ
به ورحمة في الاخرة لقوم يوقنون قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات اي اكتسبوها والاجتراح
الاكتساب ومنه الجوارح وقد تقدم في المايدة ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات قال الكلبي الذين
اجترحوا عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والذين امنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم
حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم وقيل نزلت في قوم من المشركين قالوا انهم يعطون في الاخرة خيرا
مما يعطاه المومن كما اخبر الرب عنهم في قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله ام حسب
استفهام معطوف معناه الانكار واهل العربية يجوزون ذلك من غير عطف اذا كان متوسطا للخطاب
وقوم يقولون فيه اضمار اي والله ولي المتقين افيعلم المشركون ذلك ام حسبوا انا نسوي بينهم وقيل هي
ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان وقراءة العامة سواء بالرفع على انه خبر ابتدا مقدم اي

محياهم ومماتهم سواء والضمير في محياهم ومماتهم يعود على الكفار اي محياهم محيا سوء ومماتهم كذلك وقرا
حمزة والكسائي والاعمش سواء بالنصب واختاره ابو عبيد وقال معناه نجعلهم سواء وقرا الاعمش ايضا وعيسى بن
عمر ومماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم فلما اسقط الخافض انتصب ويجوز ان يكون محياهم
ومماتهم بدلا من الهاء والميم في نجعلهم المعنى اي نجعل محياهم ومماتهم سواء كمحيا الذين امنوا ومماتهم ويجوز
ان يكون الضمير في محياهم ومماتهم للكفار والمومنين جميعا قال مجاهد المومن يموت مومنا ويبعث مومنا
والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا وذكر ابن المبارك اخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي الضحى عن مسروق
قال قال رجل من اهل مكة هذا مقام تميم الداري لقد رايته ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا
اية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا
الصالحات الاية كلها وقال بشير بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الاية
فمكث ليله حتى اصبح لم يعدها ببكا شديد وقال ابراهيم بن الاشعث كثيرا ما رايت الفضيل بن عياض
يردد من اول الليل الى اخره هذه الاية ونظيرها ثم يقول ليت شعري من اي الفريقين انا وكانت
هذه الاية تسمى مبكاة العابدين قوله تعالى وخلق الله السموات والارض
بالحق اي بالامر الحق ولتجزى اي ولكي تجزى كل نفس بما كسبت في الاخرة وهم لا يظلمون قوله تعالى افرايت
من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه
وقال عكرمة افرايت من جعل الهه الذي يعبده ما يهواه او يستحسنه فاذا استحسن شيئا وهويه اتخذه
الها قال سعيد بن جبير كان احدهم يعبد الحجر فاذا راى ما هو احسن منه رمى به وعبد الاخر وقال
مقاتل نزلت في الحارث بن قيس السهمي احد المستهزئين لانه كان يعبد ما تهواه نفسه وقال سفيان بن
عيينة انما عبدوا الحجارة لان البيت حجارة وقيل المعنى افرايت من ينقاد لهواه انقياده لالهه ومعبوده
تعجيبا لذوي العقول من هذا الجهل وقال الحسين بن الفضل في الاية تقديم وتاخير افرايت من اتخذ هواه الهه
وقال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال ابن عباس ما ذكر الله هوى في القران الا ذمه
قال الله تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال واتبع هواه وكان امره فرطا وقال بل اتبع الذين ظلموا
اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى
يكون هواه تبعا لما جيت به وقال ابو امامة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما عبد تحت السما اله ابغض
الى الله من الهوى وقال شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال عليه السلام اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا
موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث
مهلكات وثلاث منجيات فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمنجيات خشية الله في
السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والرضى وقال ابو الدرداء اذا اصبح الرجل
اجتمع هواه وعمله وعلمه فان كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء وان كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح
وقال الاصمعي سمعت رجلا يقول ان الهوان هو الهوى قلب اسمه فاذا هويت فقد لقيت هوانا وسيل
ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه فنظمه شاعر فقال

نون الهوان من الهوى مسروقة	فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال اخر

ان الهوى لهو الهوان بعينه	فاذا هويت فقد كسبت هوانا
واذا هويت فقد تعبدك الهوى	فاخضع لحبك كائنا من كانا

ولعبد الله بن المبارك

ومن البلاء للبلاء علامة	ان لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها	والحر يشبع تارة ويجوع

ولابن دريد

اذا طالبتك النفس يوما بشهوة	وكان اليها للخلاف طريق
فدع وخالف ما هويت فانما	هواك عدو والخلاف صديق

ولابي عبيد الطوسي

والنفس ان اعطيتها مناها	فاغرة نحو هواها فاها

وقال احمد بن ابي الحواري مررت براهب فوجدته نحيفا فقلت له انت عليك قال نعم قلت منذ كم قال

عبارت شرع من قبلنا ليس بشرع لنا

ثلاث مهلكات وثلاث منجيات

هواك عدو والخلاف صديق

مذ عرفت نفسي قلت فتداوي قال اعيا بي الدوا وقد عزمت على الكي قلت وما الكي قال مخالفة الهوى
وقال سهل بن عبد الله التستري هواك داؤك فان خالفته فدواؤك وقال وهب اذا شككت في
امرين ولم تدر خيرهما فانظر ابعدهما من هواك فاته وللعلماء في هذا الباب في ذم الهوى ومخالفته كتب وانما
اشرنا اليها فيه كفاية منه وحسبك بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي الماوى واما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى **قوله تعالى** وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ اي على
علم قد علمه منه وقيل اضله عن الثواب على علم منه بانه لا يستحقه وقال ابن عباس اي على علم قد سبق عنده
انه سيضل وقال مقاتل على علم منه انه ضال والمعنى متقارب وقيل على علم من عابد الصنم انه لا ينفع ولا يضر
ثم قيل على علم يجوز ان يكون حالا من الفاعل المعنى اضله على علم منه به اي اضله عالما بانه من اهل الضلال
في سابق علمه ويجوز ان يكون حالا من المفعول فيكون المعنى اضله في حال علم الكافر بانه ضال وختم على سمعه
وقلبه اي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى وجعل على بصره غشاوة
اي غطاء حتى لا يبصر الرشد وقرا حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين من غير الف وقد مضى في البقرة
وقال الشاعر
اما والذي انا عبد له يمينا وما لك ابدي اليمينا
لئن كنت البستني غشوة لقد كنت اصفيتك الود حينا
فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله الله افلا تذكرون تتعظون وتعرفون انه قادر على ما يشاء
وهذه الاية ترد على القدرية والامامية ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد اذ هي مصرحة بمنعهم الهداية
ثم قيل وختم على سمعه وقلبه انه خارج مخرج الخبر عن احوالهم او انه خارج مخرج الدعا بذلك عليهم كما تقدم
في اول البقرة وحكى ابن جريج انها نزلت في الحارث بن قيس من الغياطلة وحكى النقاش انها نزلت في الحرث
بن نوفل بن عبد مناف وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن
المغيرة فتحدثا في شان النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل والله اني لاعلم انه صادق فقال له مه وما
دلك على ذلك قال يا ابا عبد شمس كنا نسميه في صباه الصادق الامين فلما تم عقله وكمل رشده نسميه
الكذاب الخائن والله اني لاعلم انه لصادق قال فما يمنعك ان تصدقه وتؤمن به قال تتحدث عني بنات
قريش اني قد اتبعت يتيم ابي طالب من اجل كسرة واللات والعزى ان اتبعته ابدا فنزلت وختم على سمعه
وقلبه **قوله تعالى** وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا هذا انكار منهم للاخرة وتكذيب
للبعث وابطال للجزاء ومعنى نموت ونحيا اي نموت نحن ويحيا اولادنا قاله الكلبي وقرى ونحيى
بضم النون وقيل نموت بعضنا ويحيى بعضنا وقيل فيه تقديم وتاخير اي نحيى ونموت وهي قراءة
ابن مسعود وما يهلكنا الا الدهر قاله مجاهد يعني السنين والايام وقال قتادة الا العمر والمعنى واحد
وقرى الا دهر يمر وقال ابن عيينة كان اهل الجاهلية يقولون الدهر الذي يهلكنا وهو الذي يميتنا ويحيينا
فنزلت هذه الاية وقال قطرب وما يهلكنا الا الموت وانشد قول ابي ذويب
امن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
وقال عكرمة اي وما يهلكنا الا الله وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اهل الجاهلية يقولون ما
يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر فقال الله تعالى يوذيني ابن
ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار قال الشيخ رحمه الله قوله فقال الله اخرجه
البخاري ولفظه وخرجه مسلم ايضا وابو داود وفي الموطا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من اسما
الله وقال من لم يجعله من العلما اسما انما خرج ردا على العرب في جاهليتها فانهم كانوا يعتقدون ان الدهر
هو الفاعل كما اخبر الله عنهم في هذه الاية فكانوا اذا اصابهم ضر او ضيم او مكروه نسبوا ذلك الى الدهر
فقيل لهم على ذلك لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي الله هو الفاعل لهذه الامور التي تضيفونها الى الدهر
فيرجع اليه سبحانه فنهوا عن ذلك ودل على صحة هذا ما ذكرناه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله يوذيني ابن ادم الحديث ولقد احسن من قال وهو ابو علي الثقفي
يا عايب الدهر اذا نابه لا تلم الدهر على غدره
الدهر مامور له امر ينتهي الدهر الى امره

كم كافر امواله جمة تزداد اضعافا على كفره
ومومن ليس له درهم يزداد ايمانا على فقره
وروي ان سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فزجره ابوه وقال اياك يا بني وذكر الدهر وانشد
فما الدهر بالجاني لشي بحبه ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا
ولكن متى ما يبعث الله باعثا على معشر يجعل مياسرهم عسرا
وقال ابو عبيدة ناظرت بعض الملحدة فقال الا تراه يقول فان الله هو الدهر فقلت وهل كان احد يسب
الله في اباد الدهر بل كانوا يقولون كما قال الاعشى
ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا
استاثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا
قال ابو عبيد ومن شان العرب ان يذموا الدهر عند المصايب والنوايب
حتى ذكروه في اشعارهم ونسبوا الاحداث اليه قال عمرو بن قميئة
رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس برامي
فلو انها نبل اذا لاتقيتها ولكنني ارمى بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا انوء ثلاثا بعدهن مقامي
ومثله كثير في الشعر ينسبون ذلك الى الدهر ويضيفونه والله سبحانه الفاعل لا رب سواه وما لهم من
علم اي علم ومن زائدة اي قالوا ما قالوه شاكين انهم الا يظنون اي ما هم الا يتكلمون بالظن وكان المشركون
اصنافا منهم هاولاء ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ومنهم من كان يشك في البعث ولا يقطع بانكاره
وحدث في الاسلام اقوام ليس يمكنهم انكار البعث خوفا من المسلمين فيتاولون ويرون القيامة موت البدن ويرون
الثواب والعقاب على خيالات تقع للارواح بزعمهم فشر هاولاء اضر من شر جميع الكفار لان هاولاء
يلبسون على الحق ويغتر بتلبيسهم الظاهر والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم وقيل نموت ونحيا اثارنا
فهذه احيادة الذكر وقيل اشاروا الى التناسخ اي يموت الرجل فتجعل روحه في موات فتحيا به **قوله تعالى**
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ اي واذا تقرا على هاولا المشركين اياتنا المنزلة في جواز البعث لم يكن
لهم دفع يعتمد خبر كان والاسم الا ان قالوا ايتوا باباينا الموتى نسالهم عن صدق ما تقولون فرد الله عليهم
بقوله قل الله يحييكم يعني بعد كونكم نطفا امواتا ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة كما احياكم في الدنيا
ولكن فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله يعيدكم كما بداهم قال الزمخشري فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس
بحجة قلت لانهم ادلوا بها كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم
وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قوله
تحية بينهم ضرب وجيع
كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون
لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقوله ايتوا باباينا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا
البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي
يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا او اصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم
الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان باباينهم وكان اهون شي عليه
قوله تعالى وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خلقا وملكا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ
الْمُبْطِلُونَ يوم الاول منصوب بيخسر ويومئذ تكرير للتاكيد او بدل وقيل ان التقدير ولله الملك يوم تقوم
الساعة والعامل في يومئذ يخسر ومفعول يخسر محذوف والمعنى يخسرون منازلهم في الجنة **قوله تعالى**
وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً اي من هول ذلك اليوم والامة هنا اهل كل ملة وفي الجاثية تاويلات خمس الاول
قال مجاهد مستوفزة قاله مجاهد وقال سفيان المستوفز الذي لا يصيب الارض منه الا ركبتاه واطراف
انامله وقال الضحاك ذلك عند الحساب الثاني مجتمعة قاله ابن عباس قال الفرا المعنى وترى اهل كل دين مجتمعين
الثالث متميزة قاله عكرمة الرابع خاضعة بلغة قريش قاله مورج الخامس باركة على الركب قاله الحسن والجثو
الجلوس على الركب جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما وقد مضى في مريم واصل الجثوة
الجماعة من كل شي قال طرفة يصف قبرين
شعر

تري حثوتين من تراب عليهما ... صفايح ضم من صفيح منضد

ثم قيل هو خاص بالكفار قاله يحيي بن سلام وقيل انه عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب وقد روي سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبد الله بن باباه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كاني اراكم بالكوم جاثين دون جهنم ذكره الماوردي وقال سلمان ان في يوم القيامة لساعة وهي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ان ابرهيم عليه السلام لينادي لا اسالك اليوم الا نفسي كل امة تدعي الى كتابها قال يحيي بن سلام الى حسابها وقيل الى كتابها الذي كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير وشر قاله مقاتل ومعني قول مجاهد وقيل كتابها ما كتب الملائكة عليها وقيل كتابها المنزل عليها لينظر هل عملوا بما فيه وقيل الكتاب هاهنا اللوح المحفوظ وقرا يعقوب الحضرمي كل امة بالنصب على البدل من كل الاول لما في الثانية من الايضاح الذي ليس في الاول اذ ليس في جثوها شي من حال شرح الجثو كما في الثانية من ذكر السبب الداعي اليه وهو استدعاها الى كتابها وقيل انتصب باعمال تري مضمرا والرفع على الابتداء اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير او شر **قوله تعالى** هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق من قول الله لهم وقيل من قول الملائكة ينطق عليكم بالحق اي يشهد وهو استعارة يقال نطق الكتاب بكذا اي بين وقيل انهم يقرؤونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا فكانه ينطق عليهم دليله قوله ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وفي المومنين ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون وقد تقدم وينطق في موضع الحال من الكتاب او من ذا او خبر ثان لذا او يكون كتابنا بدلا من هذا وينطق الخبر انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي بامر نسخ ما كنتم تعملون قال علي رضي الله عنه ان لله ملايكة ينزلون كل يوم بشي يكتبون فيه اعمال بني ادم وقال ابن عباس ان الله وكل ملايكة مطهرين فينسخون من ام الكتاب في رمضان كل ما يكون من اعمال بني ادم فيعارضون حفظة الله على العباد كل خميس فيجدون ما جاء به الحفظة من اعمال العباد موافقا لما في كتابهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب لا زيادة فيه ولا نقصان قال ابن عباس وهل يكون النسخ الا من كتاب وقال الحسن نستنسخ ما كتبته الحفظة على بني ادم لان الحفظة ترفع الى الخزنة صحايف الاعمال وقيل تحمل الحفظة كل يوم ما كتبوا على العبد ثم اذا عادوا الى مكانهم نسخ منه الحسنات والسيات ولا تحول المباحات الى النسخة الثانية وقيل ان الملايكة اذا رفعت اعمال العباد الى الله عز وجل امر بان يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب **قوله تعالى** فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي الجنة ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم ذلك وهو استفهام توبيخ فاستكبرتم عن قبولها وكنتم قوما مجرمين اي مشركين تكسبون المعاصي يقال فلان جريمة اهله اذا كان كاسبهم فالمجرم من اكتسب نفسه المعاصي وقد قال الله سبحانه افنجعل المسلمين كالمجرمين فالمجرم ضد المسلم فهو المذنب بالكفر اذا **قوله تعالى** واذا قيل ان وعد الله حق اي البعث كائن والساعة لا ريب فيها وقرا حمزة والساعة بالنصب عطفا على وعد الباقون بالرفع على الابتدا او العطف على موضع ان وعد الله حق ولا يحسن على الضمير الذي في المصدر لانه غير موكد والضمير المرفوع انما يعطف عليه بغير تاكيد في الشعر قلتم ما ندري ما الساعة هل هي حق ام باطل ان نظن الا ظنا تقديره عند المبرد ان نحن الا نظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل اي وقلتم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ان الساعة اتية **قوله تعالى** وبدا لهم سيات ما عملوا اي ظهر لهم جزاء سيات ما عملوا وحاق بهم اي نزل بهم واحاط ما كانوا به يستهزؤون من عذاب الله **قوله تعالى** وقيل اليوم ننساكم اي نترككم في النار كما تركتم لقاء يومكم هذا اي تركتم العمل له وماواكم النار اي مسكنكم ومستقركم وما لكم من ناصرين من ينصركم **قوله تعالى** ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله يعني القران هزوا ولعبا وغرتكم الحياة الدنيا اي خدعتكم باباطيلها وزخارفها فظننتم ان ليس غيرها وان لا بعث فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون يسترضون وقد تقدم وقرا حمزة والكسائي فاليوم لا يخرجون بفتح اليا وضم الرا لقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الباقون بضم اليا وفتح الرا لقوله تعالى ربنا اخرجنا ونحوه **قوله تعالى** فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وقرا مجاهد وابن محيصن وحميد رب السموات ورب الارض رب العالمين بالرفع فيها كلها على معني هو رب وله الكبرياء اي العظمة والجلال والبقا والسلطان والقدرة والكمال في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

لان الحفظة ترفع الى الخزنة صحايف الاعمال

سورة

تفسير سورة الاحقاف

مكية في قول جميعهم وهي اربع وثلاثون اية وقيل خمس بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تقدم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق تقدم وايضا واجل مسمي يعني القيامة في قول ابن عباس وغيره والاجل الذي ينتهي اليه السموات والارض وقيل انه الاجل المقدور لكل مخلوق والذين كفروا عما انذروا خوفوه معرضون مولون لاهون غير مستعدين له ويجوز ان يكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم **قوله تعالى** قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض الى قوله صادقين فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله اي ما تعبدون من الاصنام والانداد من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك اي نصيب في السموات اي في خلق السموات مع الله ايتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا القران الثانية قوله تعالى او اثارة من علم قراءة العامة او اثارة بالف بعد الثا قال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم هو خط كانت تخطه العرب في الارض ذكره المهدوي والثعلبي قال ابن العربي ولم يصح في مشهور الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من الانبيا يخط فمن وافق خطه فذاك ولم يصح هذا ايضا قال المولف رحمه الله هو ثابت من حديث معاوية بن الحكم السلمي خرجه مسلم واسند النحاس حدثنا محمد بن احمد يعرف بالجرجي قال حدثنا بندار قال حدثنا يحيي بن سعيد عن سفيان الثوري عن صفوان بن سليم عن ابي سلمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل او اثارة من علم قال الخط وهذا صحيح قال ابن العربي واختلفوا في تاويله فمنهم من قال جاء لاباحة الضرب لان بعض الانبيا كان يفعله ومنهم من قال جاء للنهي عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال فمن وافق خطه فذاك ولا معرفة الى طريق النبي صلى الله عليه وسلم المتقدم فيه فاذا لا سبيل الى العمل به

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصا ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وحقيقته عند اربابه ترجع الى صور الكواكب فيدل ما يخرج منها على ما تدل عليه تلك الكواكب من سعد او نحس يحل بهم فصار ظنا مبنيا على ظن وتعلقا بامر غايب قد درست طريقه وفات تحقيقه وقد نهت الشريعة عنه واخبرت ان ذلك مما اختص الله به وقطعه عن الخلق وان كانت لهم قبل ذلك اسباب يتعلقون بها عن درك الاشيا المغيبة فان الله قد رفع تلك الاسباب وطمس تلك الابواب وافرد نفسه بعلم الغيب فلا يجوز مزاحمته في ذلك ولا يحل لاحد دعواه وطلبه عنا ولو لم يكن فيه نهي فانه قد ورد النهي فطلبه معصية او كفر بحسب قصد الطالب قال المولف رحمه الله ما اختاره هو قول الخطابي قال الخطابي قوله عليه السلام فمن وافق خطه فذاك هذا يحتمل الزجر اذ كان ذلك علما لنبوته وقد انقطعت فنهينا عن التعاطي لذلك قال القاضي عياض الاظهر من اللفظ خلاف هذا وتصويب خط من يوافق خطه لكن من اين تعلم الموافقة والشرع منع من التخرص وادعا الغيب جملة فان ما معناه ان من وافق خطه فذلك الذي تجدون اصابته لانه يريد اباحة ذلك لفاعله على ما تاوله بعضهم وحكي مكي في تفسير قوله كان نبي من الانبيا يخط انه كان يخط باصبعه السبابة والوسطى في الرمل ثم يزجر وقال ابن عباس في تفسير قوله ومنا رجال يخطون هو الخط الذي يخطه الحازي فيعطيه حلوانا فيقول له اقعد حتى اخط لك وبين يدي الحازي غلام معه ميل ثم ياتي الى ارض رخوة فيخط الاستاذ خطوطا معجلة لئلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحو على مهل خطين خطين فان بقي خطان فهي علامة النجح وان بقي واحد فهو علامة الخيبة والعرب تسميه الاسحم وهو عندهم مشوؤم **الثالثة** قال ابن العربي ان الله سبحانه لم يبق من الاسباب الدالة على الغيب التي اذن الله في التعلق بها والاستدلال منها الا الرويا فانه اذن فيها واخبر انها جزء من النبوة وكذلك الفال واما الطيرة والزجر فانه نهي عنهما والفال هو الاستدلال بما يسمع من الكلام على ما يريد من الامر اذا كان حسنا فان سمع مكروها فهو تطير امره الشرع بان يفرح بالفال ويمضي على امره مسرورا واذا سمع المكروه اعرض عنه ولم يرجع لاجله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك وقد روي بعض الادبا الفال والزجر والكهان كلهم مضللون ودون الغيب اقفال

اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك

وهذا كلام صحيح الا في الفال فان الشرع استثناه وامر به فلا يقبل من هذا الشاعر ما نطه فيه فانه تكلم بجهل وصاحب الشرع اصدق واعلم واحكم قال المؤلف رحمه الله تقدم في الفال والطيرة وفي الفرق بينهما ما كفي في المائدة وغيرها ومضي في الانعام ان الله سبحانه متفرد بعلم الغيوب وان احدا لا يعلم من ذلك الا ما اعلمه الله او يجعل علي ذلك دلالة عادية يعلم بها ما يكون علي جري العادة وقد علف مثاله اذا راي نخلة قد اطلعت فانه يعلم انها ستثمر واذا راها قد تناثر طلعها علم انها لا تثمر وقد يجوز ان ياتي عليها افة تهلك ثمرها فلا تثمر كما انه جائز ان تكون النخلة التي قد تناثر طلعها يطلع الله فيها طلعا ثانيا فتثمر وكما انه يجوز ايضا ان لا يلي شهره شهر ولا يومه يوم ان اراد الله افنا العالم ذلك الوقت الي غير ذلك مما تقدم في الانعام بيانه **الرابعة** قال ابن خويز منداد قوله تعالي او اثارة من علم يريد الخط وقد كان مالك يحكم بالخط اذا عرف الشاهد خطه واذا عرف الحاكم خطه او خط من كتب اليه حكم به ثم رجع عن ذلك حين ظهر في الناس ما ظهر من الحيل والتزوير وقد روي عنه قال يحدث الناس فجورا فتحدث لهم اقضية فاما اذا شهد الشهود علي الخط المحكوم به مثل ان يشهدوا ان هذا خط الحاكم وكتابه اشهدنا علي ما فيه وان لم يعلموا ما في الكتاب وكذلك الوصية او خط الرجل باعتراف مال لغيره ليشهدون انه خطه ونحو ذلك فلا يختلف مذهبه انه يحكم به وقيل او اثارة من علم اي بقية من علم قاله ابن عباس والكلبي وابو بكر بن عياش وغيرهم وفي الصحاح واثارة من علم بقية منه وكذلك الاثرة بالتحريك ويقال سمنت الابل علي اثارة اي بقية شحم كان قبل ذلك وانشد الماوردي والثعلبي قول الراعي

وذات اثارة اكلت عليها ... نباتا في اكمته فصارا

وقال الهروي والاثارة والاثرة البقية يقال ما ثم عين ولا اثر وقال ميمون بن مهران وابو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة او اثارة من علم خاصة من علم وقال مجاهد رواية تاثرونها عمن كان قبلكم وقال عكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء وقال القرظي هو الاسناد الحسن المعني شي يثار او يستخرج وقال الزجاج او اثارة اي علامة والاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة واصل الكلمة من الاثر وهو الرواية يقول اثرت الحديث اثره اثارة واثرا فانا اثر اذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث ماثور اي نقله خلف عن سلف قال الاعشي

ان الذي فيه تماريتما ... بين للسامع والاثر

وقري او اثرة بضم الهمزة وسكون الثاء ويجوز ان يكون معناه بقية من علم ويجوز ان يكون معناه بقية من شيئا ماثورا من كتب الاولين والماثور ما يتحدث به مما صح سنده عمن تحدث به عنه وقرا السلمي والحسن وابو رجا بفتح الهمزة والثا من غير الف اي خاصة من علم اوتيتموها او اوثرتم بها علي غيركم وروي عن الحسن ايضا وطايفة اثرة مفتوحة الالف ساكنة الثا ذكر الاول الثعلبي والثانية الماوردي وحكي الثعلبي عن عكرمة او ميراث من علم ان كنتم صادقين **الخامسة** قوله تعالي ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم فيه بيان مسالك الادلة باسرها فاولها المعقول وهو قوله تعالي قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات وهو احتجاج بدليل العقل في ان الجماد لا يصح ان يدعا من دون الله فانه لا يضر ولا ينفع ثم قال ايتوني بكتاب من قبل هذا فيه بيان ادلة السمع او اثارة من علم **قوله تعالي** **ومن اضل** اي ولا احد اضل واجهل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الي يوم القيامة وهي الاوثان وهم عن دعايهم غافلون يعني لا يسمعون ولا يفهمون فاخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني ادم اذ قد مثلتها عبدتها بالملوك والامرا التي تخدم **قوله تعالي** **واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء** يريد يوم القيامة اي هاؤلاء المعبودون اعداء الكافرين يوم القيامة فالملايكة اعداء الكفار والجن والشياطين يتبرون غدا من عبدتهم ويلعن بعضهم بعضا ويجوز ان يكون الاصنام للكفار الذين عبدوها اعداء علي تقدير خلق الحياة لها دليله قوله تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل عادوا معبودهم لانهم كانوا سبب هلاكهم وجحدوا المعبودون عبادتهم وهو قوله وكانوا بعبادتهم كافرين **قوله تعالي** **واذا تتلي عليهم اياتنا بينات** يعني القران قال الذين كفروا للذين امنوا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه الميم صلة التقدير ايقولون افتراه اي تقوله محمد وهو اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا ومعني الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قال دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتي يقوله ويفتريه علي الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به

والاثر ما يتحدث به مما صح سنده

الايات قل ان افتريته علي سبيل الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا يقدرون ان يردوا عني عذاب الله فكيف افتري علي الله لاجلكم هو اعلم بما تفيضون فيه اي تقولونه عن مجاهد وقيل تخوضون فيه من التكذيب والافاضة في الشي الخوض فيه والاندفاع افاضوا في الحديث اي اندفعوا فيه وافاض البعير اي دفع جرته من كرشه فاخرجها ومنه قول الشاعر

وافضن بعد كظومهن بجرة

وافاض الناس من عرفات الي مني اي دفعوا وكل دفعة افاضة كفي به شهيدا نصب علي التمييز بيني وبينكم اي هو يعلم صدقي وانكم مبطلون وهو الغفور لمن تاب الرحيم بعباده المومنين **قوله تعالي** **قل ما كنت بدعا من الرسل** اي اول من ارسل قد كان قبلي رسل عن ابن عباس وغيره والبدع الاول وقرا عكرمة وغيره بدعا بفتح الدال علي تقدير حذف المضاف والمعني ما كنت صاحب بدع وقيل بدع وبديع بمعني مثل نصف ونصيف وابدع الشاعر جاء بالبديع وشي بدع بالكسر اي مبتدع وفلان بدع في هذا الامر اي بديع وقوم ابداع عن الاخفش وانشد قطرب قول عدي بن زيد

فلا انا بدع من حوادث تعتري ... رجالا عرت من بعد بوسي باسعد

وما ادري ما يفعل بي ولا بكم يريد يوم القيامة ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا ولولا انه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فنزلت ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فنسخت هذه الاية وارغم الله انف الكفار وقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ما هو فاعل بنا فنزلت ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية ونزلت وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قاله انس وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك وقالت ام العلا امراة من الانصار اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون بن حذافة بن جمح فانزلناه ابياتنا فتوفي فقلت رحمك الله ان الله اكرمك فقال النبي صلي الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي وامي يا رسول الله فمن قال اما هو فقد جاءه اليقين وما راينا الا خيرا فوالله اني لارجو له الجنة ووالله اني لرسول الله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قالت فوالله لا ازكي بعده احدا ابدا ذكره الثعلبي وقال انما قال هذا حين لم يعلم بغفران ذنبه وانما غفر الله له ذنبه في غزوة الحديبية قبل موته باربع سنين قال المؤلف رحمه الله حديث ام العلا اخرجه البخاري وروايتي فيه وما ادري ما يفعل به ليس فيه بي ولا بكم وهو الصحيح ان شا الله علي ما ياتي بيانه والاية ليست بمنسوخة لانها خبر قال النحاس محال ان يكون في هذا ناسخ ومنسوخ من جهتين احدهما انه خبر والاخر انه من اول السورة الي هذا الموضع خطاب للمشركين واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم فوجب ان يكون هذا ايضا خطابا للمشركين كما كان قبله وما بعده ومحال ان يقول صلي الله عليه وسلم للمشركين ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة ولم يزل صلي الله عليه وسلم من اول مبعثه الي وفاته يخبر ان من مات علي الكفر مخلد في النار ومن مات علي الايمان واتبعه واطاعه فهو في الجنة فقد راي صلي الله عليه وسلم ما يفعل به وبهم في الاخرة وليس يجوز ان يقول لهم ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة فيقولون كيف نتبعك وانت لا تدري اتصير الي خفض ودعة ام الي عذاب وعقاب والصحيح في الاية قول الحسن كما قري علي محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسي قال حدثنا وكيع قال حدثنا ابو بكر الهذلي عن الحسن وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا قال ابو جعفر وهذا اصح قول واحسنه لا يدري صلي الله عليه وسلم ما يلحقه واياهم من مرض وصحة ورخص وغلا وغني وفقر ومثله قول ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير وذكر الواحدي وغيره عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم راي في المنام انه يهاجر الي ارض ذات نخل وشجر وماء فقصها علي اصحابه فاستبشروا بذلك وراوا فيها فرجا مما هم فيه من اذي المشركين ثم انهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقالوا يا رسول الله متي نهاجر الي الارض التي رايت فسكت النبي صلي الله عليه وسلم فانزل الله تعالي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم يعني لا ادري اخرج الي الموضع الذي رايته في منامي ام لا ثم قال انما هو شي رايته في منامي ما اتبع الا ما يوحي الي اي لم يوح الي ما اخبرتكم به قال القشيري فعلي هذا لا نسخ في الاية وقيل المعني ما ادري ما يفرض علي وعليكم من الفرايض واختار الطبري ان يكون المعني ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا اتومنون ام تكفرون ام تعاجلون بالعذاب ام تؤخرون

ما يلحقني واياهم من مرض وصحة ورخص وغلاء

قال المؤلف رحمه الله وهو معنى قول الحسن والسدي وغيرهما قال الحسن ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اما في الاخرة ومعاذ الله قد علم انه في الجنة حين اخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اخرج كما اخرجت الانبياء قبلي او اقتل كما قتلت الانبيا قبلي ولا ادري ما يفعل بي ولا بكم امتي المصدقة ام المكذبة ام امتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا ام مخسوف بها خسفا ثم نزلت هو الذي ارسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يقول سيظهر دينه على الاديان ثم قال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فاخبره الله بما يصنع به وبامته ولا نسخ على هذا كله والحمد لله وقال الضحاك ايضا ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي ما تومرون به وتنهون عنه وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول للمومنين ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في القيامة ثم بين الله تعالى ذلك بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وبين فيما بعد ذلك حال المومنين ثم بين حال الكافرين قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا معنى القول الاول الا انه اطلق فيه النسخ بمعنى البيان وانه امر ان يقول ذلك للمومنين والصحيح ما ذكرناه عن الحسن وغيره وما فيما يفعل يجوز ان تكون موصولة وان تكون استفهامية مرفوعة ان اتبع الا ما يوحى الي وقرئ يوحي اي الله عز وجل وما انا الا نذير مبين تقدم في غير موضع **قوله تعالى** قل ارايتم ان كان من عند الله يعني القرآن وكفرتم به قال الشعبي المراد محمد صلى الله عليه وسلم وشهد شاهد من بني اسرائيل قال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد هو عبد الله بن سلام شهد على اليهود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكور في التوراة وانه نبي من عند الله وفي الترمذي عنه ونزلت في ايات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقد تقدم في اخر سورة الرعد وقال مسروق هو موسى والتوراة لا ابن سلام لانه اسلم بالمدينة والسورة مكية وقال وقوله وكفرتم به مخاطبة لقريش قال الشعبي هو من امن من بني اسرائيل بموسى والتوراة لا ان ابن سلام لان ابن سلام انما اسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين والسورة مكية قال القشيري ومن قال الشاهد موسى قال السورة مكية واسلم ابن سلام قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بعامين ويجوز ان تكون الاية نزلت بالمدينة وتوضع في سورة مكية فان الاية كانت تنزل فيقول النبي صلى الله عليه وسلم ضعوها في سورة كذا والاية في محاجة المشركين ووجه الحجة انهم كانوا يراجعون اليهود في اشيا اي شهادتهم لي وشهادة نبيهم لي من اوضح الحجج ولا يبعد ان تكون السورة في محاجة اليهود ولما جاء ابن سلام الى النبي مسلما من قبل ان يعلم اليهود باسلامه قال يا رسول الله اجعلني حكما بينك وبين اليهود فسالهم عنه اي رجل هو فيكم قالوا سيدنا وعالمنا فقال انه قد امن بي فاساؤا القول فيه الحديث وقد تقدم وقال ابن عباس رضيت اليهود بحكم ابن سلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شهد لك اتؤمن بك فسئل فشهد ثم اسلم على مثله اي على مثل ما جئتم به فشهد موسى على التوراة وشهد محمد على القرآن وقال الجرجاني مثل صلة اي وشهد شاهد عليه انه من عند الله فامن اي هذا الشاهد واستكبرتم انتم عن الايمان وجواب ان كان محذوف تقديره فامن اتومنون قاله الزجاج وقيل الزجاج فمن اضل منكم قاله الحسن وقيل فامن واستكبرتم اليس قد ظلمتم بينه ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقيل فامن واستكبرتم افتامنون عذاب الله وارايتم لفظ موضوع للسوال والاستفهام وكذلك لا يقتضي مفعولا وحكى النقاش وغيره ان في الاية تقديما وتاخيرا وتقديره قل ارايتم ان كان من عند الله وشهد شاهد من بني اسرائيل فامن هو وكفرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين **قوله تعالى** وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اختلف في سبب نزولها على اقوال ستة الاول ان ابا ذر الغفاري دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام بمكة فاجاب واستجاب به قومه فاتاه زعيمهم فاسلم ثم دعاهم الزعيم فاسلموا فبلغ ذلك قريشا فقالوا غفار الحلفا لو كان خيرا ما سبقونا اليه فنزلت هذه الاية قاله ابو المتوكل الثاني ان زنيرة اسلمت فاصيب بصرها فقالوا لها اصابك اللات والعزى فرد الله عليها بصرها فقال عظما قريش لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل الله هذه الاية قاله عروة بن الزبير الثالث ان الذين كفروا هم بنو عامر وغطفان وتميم واسد وحنظلة واشجع قالوا لمن اسلم من غفار واسلم وجهينة ومزينة وخزاعة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاة البهم اذ نحن اعز منهم قاله الكلبي والزجاج وحكاه القشيري عن ابن عباس وقال قتادة نزلت في مشركي قريش قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه

ان يقول للمؤمنين ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في القيامة

بلال وصهيب وعمار وفلان وفلان وهو القول الرابع القول الخامس ان الذين كفروا من اليهود قالوا للذين امنوا يعني عبد الله بن سلام واصحابه لو كان دين محمد حقا ما سبقونا اليه قاله اكثر المفسرين حكاه الثعلبي وقال مسروق ان الكفار قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه فنزلت هذه الاية المعارضة من الكفار في قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه من اكبر المعارضات بانقلابها عليهم لكل من خالفهم حتى يقال لهم لو كان ما انتم عليه خيرا ما عدلنا عنه ولو كان تكذيبكم للرسول خيرا ما سبقتمونا اليه ذكره الماوردي ثم قيل قوله ما سبقونا اليه يجوز ان يكون من قول الكفار لبعض المومنين ويجوز ان يكون على الخروج من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واذ لم يهتدوا به يعني الايمان وقيل القرآن وقيل محمدا صلى الله عليه وسلم فسيقولون هذا افك قديم اي لما لم يصيبوا الهدى بالقرآن ولا بمن جاء به عادوه ونسبوه الى الكذب وقالوا هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل لبعضهم هل في القرآن من جهل شيا عاداه فقال نعم قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومثله بل كذبوا بما لم يحيطوا به علما **قوله تعالى** ومن قبله اي ومن قبل القرآن كتاب موسى اي التوراة اماما يقتدى بما فيه ورحمة من الله وفي الكلام حذف اي فلم يهتدوا به وذلك انه كان في التوراة نعت النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به فتركوا ذلك واماما نصب على الحال لان المعنى وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة معطوف عليه وقيل انتصب باضمار فعل اي انزلناه اماما ورحمة وقال الاخفش على القطع لان كتاب موسى معرفة بالاضافة لان النكرة اذا اعيدت او اضيفت او ادخل عليها الالف واللام صارت معرفة وهذا كتاب يعني القرآن مصدق يعني التوراة ولما قبله من الكتب وقيل مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم لسانا عربيا منصوب على الحال اي مصدق لما قبله عربيا ولسانا توطئة للحال اي تاكيد كقولهم جاءني زيد رجلا صالحا فيذكر رجلا توكيدا وقيل نصب باضمار فعل تقديره هذا كتاب مصدق واعني لسانا عربيا وقيل نصب باسقاط حرف الخفض تقديره بلسان عربي وقيل ان لسانا مفعول والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم اي وهذا كتاب مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم لانه معجزته والتقدير مصدق ذا لسان عربي واللسان منصوب بمصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم ويبعد ان يكون اللسان القرآن لان المعنى يكون يصدق نفسه **قوله تعالى** لينذر الذين ظلموا قراءة العامة لينذر بالياء خبرا عن الكتاب اي لينذر الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية وقيل هو خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن عامر والبزي بالتاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انما انت منذر وبشرى للمحسنين بشرى في موضع رفع اي وهو بشرى وقيل عطفا على الكتاب اي وهذا كتاب مصدق وبشرى ويجوز ان يكون منصوبا باسقاط حرف الخافض اي لينذر الذين ظلموا وللبشرى فلما حذف الخافض نصب وقيل على المصدر اي وبشر المحسنين بشرى فلما جعل مكان وبشر بشرى او بشارة نصب كما تقول اتيتك لازورك وكرامة لك وقضاء لحقك يعني لازورك واكرمك واقضي حقك فنصب الكرامة بفعل مضمر **قوله تعالى** ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية تقدم معناها وقال ابن عباس نزلت في ابي بكر الصديق والاية تعم جزاء نصب على المصدر **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله من المسلمين فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا بين اختلاف حال الانسان مع ابويه فقد يطيعهما وقد يخالفهما اي فلا يبعد مثل هذا في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقومه حتى يستجيب له البعض ويكفر البعض فهذا وجه اتصال الكلام بعضه ببعض قاله القشيري الثانية قوله تعالى حسنا قراءة العامة حسنا وكذا هو في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام وقرا ابن عباس والكوفيون احسانا وحجتهم قوله في الانعام وبني اسرائيل وبالوالدين احسانا وكذا هو في مصاحف الكوفة وحجة القراءة الاولى قوله في العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيها والحسن خلاف القبح والاحسان خلاف الاساءة والتوصية الامر وقد مضى القول في هذا وفيمن نزلت الثالثة قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها اي بكره ومشقة وقراءة العامة بفتح الكاف واختاره ابو عبيد قال وكذلك لفظ الكره في كل القرآن بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم لان ذلك اسم وهذه كلها مصادر وقرا الكوفيون كرها بالضم قيل هما لغتان مثل الضعف والضعف والشهد والشهد قاله الكسائي وكذلك هو عند جميع البصريين وقال الكسائي ايضا والفراء في الفرق بينهما ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل على غيره اي قهرا وغضبا ولهذا قال بعض اهل العربية ان كرها بالفتح

نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه

لحن الرابعة قوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت تسعة اشهر ارضعت احدا
وعشرين شهرا وان حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروي ان عثمان اتي بامراة قد ولدت
لستة اشهر فاراد ان يقضي عليها بالحد فقال له علي ليس ذلك عليها قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون
شهرا وقال والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فالرضاع اربع وعشرون شهرا والحمل ستة اشهر
فرجع عثمان عن قوله ولم يحدها وقد مضي في البقرة وقيل لم يعد ثلاثة اشهر في ابتداء الحمل لان الولد فيها نطفة
وعلقة ومضغة فلا يكون له ثقل يحس وهو معني قوله فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به والفصال
الفطام وقد تقدم في لقمان الكلام فيه وقرا يعقوب والحسن وغيرهما وفصله بفتح الفا وسكون الصاد
وروي ان الاية نزلت في ابي بكر الصديق وكان حمله وفصاله في ثلاثين شهرا حملته امه تسعة اشهر وارضعته
امه احدي وعشرين شهرا وفي الكلام حذف اي ومدة حمله ومدة فصاله ثلاثون شهرا ولولا هذا
الاضمار لنصب ثلاثون على الظرف وتغير المعني الخامسة قوله تعالى حتي اذا بلغ اشده قال ابن عباس ثماني عشرة
سنة وقال في رواية عطا عنه ان ابا بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله
عليه وسلم ابن عشرين وهم يريدون الشام للتجارة فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم
في ظلها ومضي ابو بكر الي راهب هناك فساله عن الدين فقال الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال
ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال هذا والله نبي وما استظل تحتها احد بعد عيسى فوقع في قلب
ابي بكر اليقين والتصديق فكان لا يكاد يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره وحضره فلما نبي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة صدق ابو بكر واسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان
وثلثين سنة قال رب اوزعني الاية وقال الشعبي وابن زيد الاشد الحلم وقال الحسن هو بلوغ الاربعين
وعنه قيام الحجة عليه وقد مضي في الانعام الكلام في الاشد وقال السدي والضحاك نزلت في سعد ابن ابي
وقاص وقد تقدم وقال الحسن هي مرسله نزلت على العموم السادسة قوله تعالى قال رب اوزعني اي
الهمني ان اشكر في موضع نصب على المصدر اي اشكر نعمتك علي اي ما انعمت به علي من الهداية وعلي والدي
بالتحنن والشفقة حتي ربياني صغيرا وقيل انعمت علي بالصحة والعافية وعلي والدي بالغني والثروة
وقال علي رضي الله عنه هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين
ابواه غيره فاوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده ووالده ابو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد
تيم وامه ام الخير واسمها سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد وامراة ابيه ابي قحافة قتيله بالياء المعجمة
باثنتين من تحتها وامراة ابي بكر اسمها قتلة بالتاء المعجمة باثنتين من فوقها بنت عبد العزي وان
اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس فاجابه الله فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر
بن فهيرة ولم يدع شيا من الخير الا اعانه الله عليه وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اصبح منكم اليوم صايما قال ابو بكر انا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال ابو بكر انا قال فمن اطعم
اليوم منكم مسكينا قال ابو بكر انا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما اجتمعن في امرء الا دخل الجنة السابعة قوله تعالى واصلح لي في ذريتي اي اجعل ذريتي صالحين قال
ابن عباس فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة الا امنوا بالله وحده ولم يكن احد من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم اسلم هو وابواه واولاده وبناته كلهم الا ابو بكر وقال سهل بن عبد الله المعني اجعلهم لي خلف صدق
ولك عبيد حق وقال ابو عثمان اجعلهم ابرارا اي مطيعين لك وقال ابن عطا وفقهم لصالح اعمال
ترضي بها عنهم وقال محمد بن علي لا تجعل للشيطان والهوي والنفس عليهم سبيلا وقال مالك بن مغول
اشتكي ابو معشر ابنه الي طلحة بن مصرف فقال استعن عليه بهذه الاية رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلي والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك قال ابن عباس رجعت عن الامر الذي
كنت عليه واني من المسلمين اي المخلصين بالتوحيد قوله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما
عملوا ويتجاوز عن سياتهم قراءة العامة بضم اليا منهما وقري ويتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما
لله تعالى وقرا حفص وحمزة والكسائي نتقبل ونتجاوز بالنون فيهما اي نغفرها ونصفح عنها والتجاوز اصله
من جزت الشي اذا لم تقف عليه وهذه الاية تدل على ان الاية قبلها ووصينا الانسان الي اخرها مرسله نزلت
على العموم وهو قول الحسن ومعني يتقبل عنهم اي يتقبل منهم الحسنات ويتجاوز عن السيات قال زيد بن

فقال هذا والله نبي

بن اسلم ويحكيه مرفوعا انهم اذا اسلموا اقبلت حسناتهم وغفرت سياتهم وقيل الاحسن ما يقتضي الثواب
من الطاعات وليس في الحسن المباح ثواب ولا عقاب حكاه ابن عيسى في اصحاب الجنة في بمعني مع اي مع
اصحاب الجنة تقول اكرمك واحسن اليك في جميع اهل البلد اي مع جميعهم وعد الصدق نصب لانه مصدر
موكد لما قبله اي وعد الله اهل الايمان ان يتقبل من حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وعد الصدق وهو من
اضافة الشي الي نفسه لان الصدق هو ذلك الوعد الذي وعده الله وهو كقوله حق اليقين وهذا عند
الكوفيين فاما عند البصريين فتقديره وعد الكلام الصدق والكتاب الصدق فحذف الموصوف وقد
مضي هذا في غير موضع الذي كانوا يوعدون في الدنيا على السنة الرسل وذلك الجنة قوله تعالى والذي
قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج اي ان ابعث وقد خلت القرون من قبلي قراءة نافع وحفص
وغيرهما اف مكسور منون وقرا ابن كثير وابن محيصن وابن عامر والمفضل عن عاصم اف بالفتح من غير تنوين
الباقون بالكسر غير منون وكلها لغات وقد مضي في بني اسرائيل وقراءة العامة اتعدانني بنونين
مخففتين وفتح ياءه اهل المدينة ومكة واسكن الباقون وقرا ابو حياة والمغيرة وهشام اتعداني بنون
واحدة مشددة وكذلك هي في مصاحف اهل الشام والعامة على ضم الالف وفتح الراء من ان اخرج
وقرا الحسن ونصر وابو العالية والاعمش وابو معمر بفتح الالف وضم الراء قال ابن عباس والسدي وابو
العالية ومجاهد نزلت في عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما وكان يدعوه ابواه الي الاسلام فيجيبهما بما اخبر
الله عز وجل وقال قتادة والسدي ايضا هو عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه وكان ابوه وامه ام رومان
يدعوانه الي الاسلام ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله تعالى عنه وكان هذا منه قبل الاسلام
وروي ان عايشة رضي الله عنها انكرت ان تكون نزلت في عبد الرحمن وقال الحسن وقتادة ايضا هي نعت
عبد كافر عاق لوالديه وقال الزجاج كيف يقال نزلت في عبد الرحمن قبل اسلامه والله عز وجل يقول
اوليك الذين حق عليهم القول اي العذاب ومن ضرورته عدم الايمان وعبد الرحمن من افاضل المومنين
والصحيح انها نزلت في عبد عاق لوالديه وقال محمد بن زياد كتب معاوية الي مروان حتي يبايع الناس
ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جيتم بها هرقلية اتبايعون لابنايكم فقال مروان هو الذي يقول
الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما الاية فقال والله ما هو به ولو شيت لسميت ولكن الله لعن اباك وانت
في صلبه فانت فضض من لعنة الله قال المهدوي ومن جعل الاية في عبد الرحمن كان قوله بعد ذلك
اوليك الذين حق عليهم القول يراد به من اعتقد ما تقدم ذكره فاول الاية خاص واخرها عام وقيل
ان عبد الرحمن لما قال وقد خلت القرون من قبلي قال مع ذلك فاين عبد الرحمن بن جدعان واين عثمان
بن عمرو واين عامر بن كعب ومشايخ قريش حتي اسالهم عما يقولون فقوله اوليك الذين حق عليهم القول
يرجع الي اوليك الاقوام قال المولف رحمه الله قد مضي من خبر عبد الرحمن بن ابي بكر في سورة الانعام
عند قوله تعالى له اصحاب يدعونه الي الهدى ما يدل على نزول هذه الاية اذ كان كافرا وعند اسلامه
وفضله تعين انه ليس المراد بقوله اوليك الذين حق عليهم القول وهما يستغيثان الله
اي يدعوان الله له بالهدي او يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب وقيل الاستغاثة
الدعا فلا حاجة الي الباء قال الفرا اجاب الله دعاه وعوانه ويلك امن اي صدق بالبعث ان وعد الله حق اي صدق
لا خلف فيه فيقول ما هذا اي ما يقوله والداه الا اساطير الاولين اي احاديثهم وما سطروه مما لا اصل
له اوليك الذين حق عليهم القول يعني الذين اشار اليهم ابن ابي بكر في قوله احيوا لي مشايخ قريش وهم
المعنيون في قوله وقد خلت القرون من قبلي فاما ابن ابي بكر عبد الله او عبد الرحمن فقد اجاب الله دعاء
ابيه فيه في قوله واصلح لي في ذريتي على ما تقدم ومعني حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهي كلمة
الله هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي في امم اي مع امم قد خلت تقدمت ومضت
من قبلهم من الجن والانس الكافرين انهم اي تلك الامم الكافرة كانوا خاسرين لاعمالهم اي ضاع سعيهم
وخسروا الجنة قوله تعالى ولكل درجات اي ولكل واحد من الفريقين المومنين والكافرين من
الجن والانس مراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم قال ابن زيد درجات اهل النار في هذه الاية
تذهب سفالا ودرج اهل الجنة علوا وليوفيهم اعمالهم قرا ابن كثير وابن محيصن وعاصم وابو عمرو
ويعقوب بالياء لذكر الله قبله وهو قوله ان وعد الله حق واختاره ابو حاتم الباقون بالنون ردا على قوله

فاول الاية خاص واخرها عام

ووصينا الانسان بوالديه وهو اختيار ابي عبيد وهم لا يظلمون اي لا يزاد على مسي ولا ينقص من محسن
قوله تعالى ويوم يعرض اي ذكرهم يا محمد يوم يعرض الذين كفروا على النار اي يكشف الغطا
فيقربون من النار وينظرون اليها اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا اي يقال لهم اذهبتم فالقول مضمر
وقرا الحسن ونصر وابو العالية ويعقوب وابن كثير اذهبتم بهمزتين مخففتين واختاره ابو حاتم وقرا ابو
حياة وهشام أذهبتم بهمزة واحدة مطولة على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة من غير مد على الخبر
وكلها لغات فصيحة ومعناها التوبيخ والعرب توبخ بالاستفهام وبغير الاستفهام وقد تقدم واختار
ابو عبيد ترك الاستفهام لانه قراة اكثر ائمة السبعة نافع وعاصم وابو عمرو وحمزة والكسائي
مع من وافقهم شيبة والزهري وابن محيصن والمغيرة بن ابي شهاب ويحيى ابن الحرث والاعمش ويحيى
بن وثاب وغيرهم فهذه عليها جلة الناس وترك الاستفهام احسن لان اثباته يوهم انهم لم يفعلوا ذلك
كما تقول انا ظلمتك يريد انا لم اظلمك واثباته حسن ايضا تقول القائل اذهبت فعلت كذا يوبخ ويقول اذهبت
فعلت كل ذلك جايز ومعنى اذهبتم طيباتكم اي تمتعتم بالطيبات في الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات
يعني المعاصي فاليوم تجزون عذاب الهون اي عذاب الخزي والفضيحة قال مجاهد الهون الهوان قتادة
بلغة قريش بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق اي تستعلون على اهلها بغير استحقاق وبما كنتم تفسقون
في افعالكم بغيا وظلما وقيل اذهبتم طيباتكم اي افنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي قال ابن بحر الطيبات
الشباب والقوة ماخوذ من قولهم ذهب اطيباه اي شبابه وقوته قال الماوردي ووجدت الضحاك قاله
ايضا قال المولف رحمه الله القول الاول اظهر روي الحسن عن الاحنف بن قيس انه سمع عمر بن الخطاب
يقول لانا اعلم بخفض العيش ولو شئت لجعلت اكبادا وصلاء وصبابا وصلايق ولكني استبقي حسناتي فان
الله عز وجل وصف اقواما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها قال ابو عبيد في حديث
عمر لو شئت لدعوت بصلايق وصناب وصنابق وكراكر واسنمة وفي بعض الحديث وافلاد قال ابو عمرو وغيره
الصلا بالكسر والمد الشوا سمي بذلك لانه يصلي بالنار والصلا ايضا صلا النار فان فتحت الصاد قصرت
وقلت صلا النار والصناب الاصبغة المتخذ من الخردل والزبيب قال ابو عمرو ولهذا قيل للبرذون
صنابي انما يشبه لونه بذلك قال والسلايق بالسين هو ما سلق من البقول وغيرها وقال غيره
هي الصلايق بالصاد قال جرير

> تكلفني معيشة آل زيد ... ومن لي بالصلايق والصناب

والصلايق الخبز الرقاق العريض وقد مضى هذا المعنى في الاعراف واما الكراكر فكراكر الابل واحدها
كركرة وهي معروفة هذا قول ابي عبيد وفي الصحاح والكركرة رحى زور البعير وهي احدى الثفنات
الخمس والكركرة ايضا الجماعة من الناس وابو مالك عمرو بن كركرة رجل من علما اللغة قال ابو عبيد واما
الافلاد فان واحدها فلذ وهي القطعة من الكبد قال

> اعشى باهله تكفيه حزة فلذ ان الم بها ... من الشوا ويروي شربة الغمر

وقال قتادة ذكر لنا ان عمر قال لو شئت كنت اطيبكم طعاما والينكم لباسا ولكني استبقي طيباتي للاخرة
ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا
من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال لين كان حظنا من
الدنيا هذا الحطام وذهبوا هم في حظهم بالجنة فلقد باينونا بونا بعيدا وفي صحيح مسلم وغيره ان عمر رضي
الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مشربته حين هاجر نساءه قال فالتفت فلم ار شيا يرد البصر
الا اهبا جلودا معطونة قد سطع ريحها فقلت يا رسول الله انت رسول الله وخيرته وهذا كسرى وقيصر في
الديباج والحرير قال فاستوى جالسا وقال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم
في حياتهم الدنيا فقلت استغفر لي فقال اللهم اغفر له وقال حفص بن ابي العاصي كنت اتغدى عند
عمر بن الخطاب الخبز والزيت والخل واللبن والخبز والقديد واقل ذلك اللحم العريض فقال عرض الشي عرضا
مثل صغر صغرا فهو عريض اي طري يقال لحم عريض وكان يقول لا تنخلوا الدقيق فانه طعام كله فجي بخبز
متقطع فجعل ياكل ويقول كلوا فجعلنا لا ناكل فقال ما لكم لا تاكلون فقلنا والله يا امير المومنين
نرجع الى طعام الين من هذا فقال يا ابن ابي العاصي اما ترى باني عالم ان لو امرت بعناق سمينة فتلقي

لا انا اعلم بخفض العيش ولو شئت لجعلت اكبادا وصلاء وصبابا وصلايق

عنها شعرها ثم تخرج مصلية كانها كذا وكذا اما ترى باني عالم ان لو امرت بصاع او صاعين من زبيب
فاجعله في سقا ثم اشن عليه من الما فيصبح كانه دم غزال فقلت يا امير المومنين اجاد ما تنعت العيش
قال اجل والله الذي لا اله الا هو لولا اني اخاف ان تنقص حسناتي يوم القيامة لشاركناكم في العيش
ولكني سمعت رسول الله عز وجل يقول لقوم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون
عذاب الهون اي الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق اي تتعظمون عن طاعة الله وعلى عباد الله
وبما كنتم تفسقون تخرجون عن طاعة الله وقال جابر اشتهى اهلي لحما فاشتريت لهم فمررت بعمر بن الخطاب
فقال ما هذا يا جابر فاخبرته فقال اوكلما اشتهى احدكم شيا جعله في بطنه اما تخشى ان تكون من اهل هذه
الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قال ابن العربي وهذا عتاب منه له على التوسع بابتياع اللحم والخروج
عن جلف الخبز والما فان تعاطي الطيبات من الحلال تستشري بها الطباع وتستمر بها العادة فاذا
فقدتها استسهلت في تحصيلها بالشبهات حتى تقع في الحرام المحض بغلبة العادة واستشرا الهوى على
النفس الامارة بالسوء فاخذ عمر الامر من اوله وحماه من ابتدايه كما يفعله مثله والذي يضبط هذا الباب
ويحفظ قانونه على المرء ان ياكل ما وجد طيبا كان او قفارا ولا يتكلف الطيب ويتخذه عادة وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم يشبع اذا وجد ويصبر اذا عدم وياكل الحلوى اذا قدر عليها ويشرب العسل اذا اتفق له
وياكل اللحم اذا تيسر ولا يعتمده اصلا ولا يجعله ديدنا ومعيشة النبي صلى الله عليه وسلم معلومة وطريقة
الصحابة منقولة فاما اليوم عند استيلاء الحرام وفساد الحطام فالخلاص عسير والله يهب الاخلاص ويعين
على الخلاص برحمته وقيل ان التوبيخ واقع على ترك الشكر لا على تناول الطيبات المحللة وهو حسن فان تناول
الطيب الحلال ماذون فيه فاذا ترك الشكر عليه واستعان به على ما لا يحل له فقد اذهبه **قوله تعالى**
واذكر اخا عاد هو هود بن عبد الله بن رباح عليه السلام كان اخاهم في النسب لا في الدين اذ انذر قومه بالاحقاف
اي اذكر لهؤلاء المشركين قصة عاد ليعتبروا بها وقيل امره ان يتفكر في نفسه قصة هود ليقتدي به ويهون
عليه تكذيب قومه والاحقاف ديار عاد وهي الرمال العظام في قول الخليل وغيره وكانوا قهروا اهل الارض
بفضل قوتهم والاحقاف جمع حقف وهو ما استطال من الرمل العظيم واعوج ولم يبلغ ان يكون جبلا والجمع
حقاف واحقاف واحقوقف الرمل والهلال اي اعوج وقيل الحقف جمع حقاف والاحقاف جمع الجمع ويقال
حقف احقف قال الاعشي

> بات الى ارطاة حقف احقفا

اي رمل مستطيل مشرف والفعل منه احقوقف قال العجاج

> طي الليالي زلفا فزلفا ... سماوة الهلال حتى احقوقفا

اي انحنى واستدار وقال امرؤ القيس

> كحقف النقا يمشي الوليدان فوقه ... بما احتسبا من لين مس وتسهال

وفيما اريد بالاحقاف ها هنا مختلف فيه فقال ابن زيد هي رمال مشرفة مستطيلة كهيئة الجبال ولم تبلغ ان
تكون جبالا وشاهده ما ذكرناه وقال قتادة هي جبال مشرفة بالشحر والشحر قريب من عدن يقال شحر عمان وشحر
عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن وعنه ايضا ذكر لنا ان عادا كانوا احيا باليمن اهل رمل مشرفين على البحر بارض
يقال لها الشحر وقال مجاهد هي ارض من حسمى تسمى بالاحقاف وحسمى وحسم بكسر الحا وضم الحا اسم ارض بالبادية
فيها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتام تفارقها قال النابغة

> فاضحى عاقلا بجبال حسمى ... دقاق الترب محترق القتام

قاله الجوهري وقال ابن عباس والضحاك الاحقاف جبل بالشام وعن ابن عباس ايضا واد بين عمان ومهرة وقال
مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليه ينسب الابل المهرية فيقال ابل مهرية
ومهاري وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقال الكلبي
احقاف الجبل ما نضب عنه الما زمان الغرق كان ينضب الما من الارض ويبقى اثره وروي الطفيل عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه انه قال خير واديين في الناس واد بمكة وواد نزل به ادم بارض الهند وشر واديين في الناس
واد بالاحقاف وواد بحضرموت يدعى برهوت يلقي فيه ارواح الكفار وخير بير في الناس بير زمزم وشر
بير في الناس بير برهوت وهو في ذلك الوادي الذي بحضرموت وقد خلت النذر اي مضت الرسل من بين
يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي ومن بعده قاله الفرا وفي قراة ابن مسعود من بين يديه ومن بعده
ان لا تعبدوا الا الله هذا من قول الرسل فهو كلام معترض ثم قال هود اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم

نسهال

وخير بير في الناس بير زمزم وشر بير برهوت

وقيل ان لا تعبدوا الا الله من كلام هود والله اعلم **قوله تعالى** قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا
فيه وجهان احدهما لتزيلنا عن عبادتها بالافك الثاني لتصرفنا عن الهتنا بالمنع قاله الضحاك قال عروة بن اذينه

ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ... ففي اخرين قد افكوا

يقول ان لم توفق للاحسان ... فانت في قوم قد صرفوا

فاتنا بما تعدنا هذا يدل على ان الوعد قد يوضع موضع الوعيد ان كنت من الصادقين انك نبي قال انما
العلم بوقت مجي العذاب عند الله لا عندي وابلغكم ما ارسلت به عن ربكم ولكني اراكم قوما تجهلون
في سؤالكم استعجال العذاب فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قال المبرد والضمير في راوه يعود الى
غير مذكور وبينه قوله عارضا فالضمير يعود الى السحاب اي فلما راوا السحاب عارضا فعارضا نصب على التكرير
سمي بذلك لانه يبدو في عرض السما وقيل نصب على الحال وقيل يرجع الضمير الى قوله فاتنا بما تعدنا
فلما راوه حسبوه سحابا يمطرهم وكان المطر قد ابطا عنهم فلما راوه مستقبل اوديتهم استبشروا وكان
قد جاءهم من واد جرت العادة ان ما جاءهم منه يكون غيثا قاله ابن عباس وغيره قال الجوهري والعارض
السحاب يعترض في الافق ومنه قوله تعالى هذا عارض ممطرنا اي ممطر لنا لانه معرفة لا يجوز ان يكون
صفة لعارض وهو نكرة والعرب انما تفعل مثل هذا في الاسما المشتقة من الافعال دون غيرها قال
جرير

يا رب عارضنا لو كان يطلبكم ... لاقي مباعدة منكم وحرمانا

ولا يجوز ان يقال هذا رجل غلامنا وقال اعرابي بعد الفطر رب صايمه لن تصومه وقايمه لن
تقومه فجعله نعتا للنكرة واضافه الى المعرفة قال المولف رحمه الله قوله لا يجوز ان يكون صفة لعارض
خلاف قول النحويين والاضافة في تقدير الانفصال فهي اضافة لفظية لا حقيقية لانها لم تفد الاول
تعريفا بل الاسم نكرة على حاله فلذلك جرى نعتا على النكرة هذا قول النحويين في الاية والبيت ونعت
النكرة نكرة ورب لا تدخل الا على النكرة بل هو اي قال هود لهم والدليل عليه قراءة من قرا قال هود بل هو
وقرى قل بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل بل هو ما استعجلتم به يعني قولهم فاتنا بما تعدنا ثم بين
ما هو فقال ريح فيها عذاب اليم والريح التي عذبوا بها نشات من ذلك السحاب الذي راوه وخرج هود
من بين اظهرهم فجعلت تحمل الفساطيط وتحمل الظعينة فترفعها كانها جرادة ثم يضرب بها الصخور
قال ابن عباس اول ما راوا العارض قاموا فمدوا ايديهم فاول ما عرفوا انها عذاب راوا ما كان
خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والارض مثل الريش فدخلوا بيوتهم واغلقوا
ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع
ليال وثمانية ايام حسوما ولهم انين ثم امر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمتهم
في البحر فهي التي قال الله تعالى تدمر كل شي بامر ربها اي كل شي مرت به من رجال عاد واموالها قال ابن
عباس اي كل شي بعثت اليه والتدمير الهلاك وكذلك الدمار وقرى يدمر كل شي من دمر دمارا يقال
دمره تدميرا ودمارا ودمر عليه بمعنى ودمر يدمر دمورا دخل بغير اذن وفي الحديث من سبق طرفه
استيذانه فقد دمر مخفف الميم وتدمر بلد بالشام ويربوع تدمري اذا كان صغيرا قصيرا بامر ربها
باذن ربها وفي البخاري عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم قال وكان اذا راى غيما او ريحا عرف في وجهه قالت
يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رايته عرف في وجهك الكراهية
فقال يا عايشة ما يومنني ان يكون فيه عذاب عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا
عارض ممطرنا خرجه مسلم والترمذي وقال فيه حديث حسن وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وذكر الما وردي ان القايل هذا عارض
ممطرنا من قوم عاد بكر بن معاوية ولما راى السحاب قال اني لارى سحابا مرمدا لا يدع من عاد احدا
وذكر عمرو بن ميمون انها كانت تاتيهم بالرجل الغايب حتى تقذفه في ناديهم قال ابن اسحق واعتزل هود
ومن معه من المومنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه منها الا ما تلين اعليه الجلود وتلتذ الانفس بها
لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا وحكى الكلبي ان شاعرهم قال
في ذلك

فدعا عليهم هود دعوة اصحوا هودا ... عصفت ريح عليهم تركت عادا خمودا

سخرت سبع ليال لم تدع في الارض عودا ... وعمر هود في قومه بعدهم مائة وخمسين سنة

فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قراءة عاصم وحمزة لا يرى الا مساكنهم بالياء غير مسمى الفاعل وكذا روى
حماد بن سلمة عن ابن كثير الا انه قرا ترى بالتاء وقد روي ذلك عن ابي بكر عن عاصم الباقون ترى
بتاء مفتوحة مساكنهم بالنصب اي لا ترى يا محمد الا مساكنهم قال المهدوي ومن قرا بالتاء غير
مسمى الفاعل فعلى لفظ الظاهر الذي هو المساكن المونثة وهو قليل لا يستعمل الا في الشعر وقال
ابو حاتم لا يستقيم هذا في اللغة الا ان يكون فيه اضمار كما تقول في الكلام لا ترى النسا الا زينب
ولا يجوز لا ترى الا زينب وقال سيبويه معناه لا ترى اشخاصهم الا مساكنهم واختار ابو عبيد وابو
حاتم قراءة عاصم وحمزة قال الكسائي معناه لا يرى شي الا مساكنهم فهو محمول على المعنى كما تقول
ما قام الا هند والمعنى ما قام احد الا هند وقال الفرا الا ترى الناس لانهم كانوا تحت الرمل فانما
ترى مساكنهم لانها قايمة كذلك نجزي القوم المجرمين اي مثل هذه العقوبة نعاقب بها المشركين
قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قيل ان ان زايدة تقديره ولقد مكناهم فيما
مكناكم فيه وهذا قول القتبي وانشد الاخفش

يرجي المرء ما ان لا يراه ... ويعرض دون ادناه الخطوب

وقال اخر ... فما ان طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة اخرينا

وقيل ان ما بمعنى الذي وان بمعنى ما والتقدير ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه قاله المبرد
وقيل شرطية وجوابها مضمر محذوف وتقديره ولقد مكناهم في ما ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر
وعنادكم اشد وتم الكلام ثم ابتدا فقال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة يعني قلوبا
يفقهون بها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي من عذاب الله اذ كانوا يجحدون
بايات الله وحاق بهم احاط بهم ما كانوا به يستهزون **قوله تعالى** ولقد اهلكنا ما حولكم
من القرى يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوهما مما كان يجاور بلاد الحجاز وكانت اخبارهم متواترة عندهم
وصرفنا الايات يعني الحجج والدلالات وانواع البينات والعظات اي بيناها لاهل تلك القرى
لعلهم يرجعون فلم يرجعوا وقيل اي صرفنا ايات القران في الوعد والوعيد والقصص والاعجاز
لعل هولاء المشركين يرجعون **قوله تعالى** فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة
لولا بمعنى هلا اي هلا نصرهم الهتهم التي تقربوا بها بزعمهم الى الله لتشفع لهم حيث قالوا هولاء شفعاو
عند الله ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة
والجمع قرابين كالرهبان والرهابين واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني الهة وقربانا
حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدل منه لفساد المعنى قاله الزمخشري وقرى قربانا
بضم الرا بل ضلوا عنهم اي هلكوا عنهم وقيل بل ضلوا عنهم اي ضلت عنهم الهتهم لانها لم تصبهم ما اصابهم
اذ هي جماد وقيل ضلوا عنهم اي تركوا الاصنام وتبروا منها وذلك افكهم اي والالهة التي ضلت عنهم هي
افكهم في قولهم انها تقربهم الى الله زلفى وقراءة العامة افكهم بكسر الهمزة وسكون الفا اي كذبهم
والافك الكذب وكذلك الافيكة والجمع الافايك ورجل افاك اي كذاب وقرا ابن عباس ومجاهد
وابن الزبير وذلك افكهم بفتح الهمزة والكاف والفا على الفعل اي ذلك القول صرفهم عن التوحيد
والافك بالفتح مصدر قولك افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشي وقرا عكرمة افكهم بتشديد
الفا على التاكيد والتكثير قال ابو حاتم يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعم وذكر المهدوي عن ابن عباس
ايضا افكهم بالمد وكسر الفا بمعنى صادقهم وعن عبد الله ابن الزبير باختلاف عنه افكهم بالمد فجاز
ان يكون افعلهم اي اصارهم الى الافك وجاز ان يكون فاعلهم كخادعهم ودليل قراءة العامة افكهم
قوله وما كانوا يفترون اي يكذبون وقيل افكهم مثل افكهم الافك والافك كالحذر والحذر
قاله المهدوي **قوله تعالى** واذ صرفنا اليك نفرا من الجن هذا توبيخ لمشركي قريش اي ان
الجن سمعوا القران فامنوا به وعلموا انه من عند الله وانتم معرضون مصرون على الكفر ومعنى صرفنا
وجهنا اليك وبعثنا وذلك انهم صرفوا عن استراق سمع السماء برجوم الشهب على ما ياتي ولم يكونوا
بعد عيسى قد صرفوا عنه الا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال المفسرون ابن عباس وسعيد

فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام حسوما

تدمر بلدة بالشام

رجل افاك اي كذاب

يفقهون بها

بن جبير ومجاهد وغيرهم لما مات ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم وحده الى الطائف يلتمس
من ثقيف النصرة فقصد عبد ياليل ومسعود وحبيبا وهم اخوة بنو عمرو بن عمير وعندهم امراة من
قريش من بني جمح فدعاهم الى الايمان وسالهم ان ينصروه على قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب
الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا
اكلمك كلمة ابدا ان كان الله ارسلك كما تقول فانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام وان
كنت تكذب فما ينبغي لي ان اكلمك ثم اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع
عليه الناس والجاوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فقال للجمحية ماذا لقينا من احمائك ثم قال
اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين
وانت ربي لمن تكلني لعبد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي ولكن عافيتك
هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول
الا بك فرحمه ابنا ربيعة وقالا لغلام لهما نصراني يقال له عداس خذ قطفا من العنب وضعه في هذا
الطبق ثم ضعه بين يدي هذا الرجل فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بسم الله ثم
اكل فلما نظر عداس الى وجهه قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلد فقال النبي صلى الله عليه
وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك قال انا نصراني من اهل نينوى فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك ما يونس بن متى قال ذاك اخي كان نبيا وانا
نبي فانكب عداس حتى قبل راس النبي صلى الله عليه وسلم يديه ورجليه فقال له ابنا ربيعة لم فعلت
هكذا فقال يا سيدي ما في الارض خير من هذا اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي ثم انصرف النبي صلى الله
عليه وسلم حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي فمر به نفر من جن اهل نصيبين
وكان سبب ذلك ان الجن كانوا يسترقون السمع فلما حرست السما ورموا بالشهب قال ابليس ان هذا
الذي حدث في السماء لشي حدث في الارض فبعث سراياه ليعرف الخبر اولهم ركب نصيبين وهم
اشراف الجن الى تهامة فلما بلغوا بطن نخلة سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن
نخلة ويتلو القران فاستمعوا له وقالوا انصتوا وقالت طائفة بل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان
ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن من نينوى
وجمعهم له فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني اريد ان اقرا القرآن على الجن الليلة فايكم يتبعني
فاطرقوا ثم قال الثانية فاطرقوا ثم قال الثالثة فاطرقوا فقال ابن مسعود انا يا رسول الله قال ابن
مسعود ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل النبي صلى الله عليه وسلم شعبا
يقال له شعب الحجون وخط لي خطا وامرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق
حتى قام فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور تمشي وتهوي في رفرفها وسمعت لغطا وغمغمة
حتى خفت على النبي صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع
صوته ثم طفقوا ينقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي صلى الله عليه وسلم مع الفجر فقال انمت
فقلت لا والله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا
قال لو خرجت لم امن عليك ان يخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا مستثفرين
ثيابا بيضا قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا
يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروثة قلت يا نبي الله وما
يغني ذلك عنهم قال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم
اكل فقلت يا رسول الله لقد سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل بينهم فتحاكموا الي فقضيت
بينهم بالحق ثم تبرز النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتاني فقال هل معك ماء فقلت يا نبي الله معي اداوة فيها
شي من نبيذ التمر فصببت على يديه فتوضا وقال تمرة طيبة وماء طهور روى معناه معمر عن قتادة
وشعبة ايضا عن ابن مسعود وليس في حديث معمر ذكر نبيذ التمر وروي عن ابي عثمان النهدي ان
ابن مسعود ابصر زطا فقال ما هؤلاء قالوا هؤلاء الزط قال ما رايت شبههم الا الجن ليلة الجن
وكانوا مستنفرين يتبع بعضهم بعضا وذكر الدارقطني عن عبد الله ابن لهيعة حدثني قيس بن الحجاج

قال بسم الله اكل

ان هذا الذي حدث في السماء لشي حدث في الارض

تفصيل ليلة الجن

عن

عن حنش عن ابن عباس عن ابن مسعود انه وضا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن بنبيذ فتوضا به وقال
شراب وطهور ابن لهيعة لا يحتج به وبهذا السند عن ابن مسعود انه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امعك ما يا ابن مسعود فقال معي نبيذ في اداوة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم صب علي منه فتوضا وقال هو شراب وطهور تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث قال الدارقطني وقيل
عن ابن مسعود لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن كذلك رواه علقمة ابن قيس وابو عبيدة بن
عبد الله وغيرهما عنه انه قال ما شهدت ليلة الجن حدثنا ابو محمد بن صاعد حدثنا ابو الاشعث حدثنا
بشر بن المفضل حدثنا داود بن ابي هند عن عامر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود اشهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم احد منكم ليلة اتاه داعي الجن قال لا قال الدارقطني هذا اسناد صحيح لا يختلف في
عدالة رواته وعن عمرو بن مرة قال قلت لابي عبيدة حضر عبد الله بن مسعود ليلة الجن فقال لا وقال
ابن عباس كان الجن سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم النبي صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال زر
بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وقال قتادة انهم من اهل نينوى وقال مجاهد من اهل حران وقال
عكرمة من جزيرة الموصل وقيل انهم كانوا سبعة ثلاثة من اهل نجران واربعة من اهل نصيبين وروى ابن
ابي الدنيا ان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وذكر فيه نصيبين فقال رفعت الي حتى رايتها فدعوت
الله ان يكثر مطرها وينضر شجرها وان يغزر نهرها وقال السهيلي ويقال كانوا سبعة وكانوا يهودا فاسلموا
ولذلك قالوا انزل من بعد موسى وقيل في اسمائهم شاصر وماصر ومنشي وماشي والاحقب ذكر هؤلاء الخمسة
ابن دريد ومنهم عمرو بن جابر ذكره ابن سلام من طريق ابي اسحاق السبيعي عن اشياخه عن ابن مسعود انه كان
في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار ثم جاء اعصار اعظم منه فاذا حية قتيل فعمد
رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل فاذا امراتان تسالان ايكم دفن عمرو بن جابر
فقلنا ما ندري من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين
منهم فقتل عمرو وهو الحية التي رايتم وهو من النفر الذين استمعوا القران من محمد عليه الصلاة والسلام ثم
ولوا الى قومهم منذرين وذكر ابن سلام رواية اخرى ان الذي كفنه هو صفوان بن المعطل قال المؤلف وذكر
هذا الخبر الثعلبي بنحوه فقال وقال ثابت بن قطبة جاء اناس الى ابن مسعود فقالوا انا كنا في سفر فراينا حية
متشحطة في دمها فاخذها رجل منا فواريناها فجاءهم ناس فقالوا ايكم دفن عمرا قالوا وما عمرو قالوا الحية
قالوا الحية التي دفنتم في مكان كذا اما انه كان من النفر الذين سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وكان
بين حيين من الجن مسلمين وكافرين قتال فقتل ففي هذا الخبر ان ابن مسعود لم يكن في سفر ولا حضر الدفن
فالله اعلم وذكر ابن ابي الدنيا عن رجل من التابعين سماه ان حية دخلت عليه في خبائه تلهث عطشا فسقاها
ثم انها ماتت فدفنها فاتي من الليل وسلم عليه وشكر واخبره ان تلك الحية كانت رجلا من جن نصيبين اسمه
زوبعة قال السهيلي وبلغنا في فضائل عمر بن عبد العزيز مما حدثنا به ابو بكر بن طاهر الاشبيلي ان عمر بن عبد
العزيز كان يمشي بارض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فاذا قائل يقول يا سرق اشهد
لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة فيكفنك رجل صالح فقال ومن انت يرحمك الله فقال
رجل من الجن الذين استمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد
مات وقد قتلت عايشة رضي الله عنها حية راتها في حجرتها تستمع وعايشة تقرا فاتيت في المنام فقيل لها
انك قتلت رجلا مؤمنا من الجن الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لو كان مؤمنا ما دخل
على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل ما دخل عليك الا وانت متقنعة وما جاء الا ليستمع الذكر
فاصبحت عايشة فزعة واشترت رقابا فاعتقتهم قال السهيلي وقد ذكرنا من اسماء القوم هؤلاء الجن ما
حضرنا فان كانوا سبعة فالاحقب منهم وصف لاحدهم وليس باسم علم فان الاسماء التي ذكرناها انفا ثمانية
بالاحقب والله اعلم قال المؤلف رحمه الله وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه هامة بن الهيثم بن لاقيس
بن ابليس قيل انه من مؤمني الجن وممن لقي النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه سورة الواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والحمد والمعوذتين وذكر انه حضر قتل هابيل وشرك في دمه وهو غلام
ابن اعوام وانه لقي نوحا وتاب على يديه وهودا وصالحا ويعقوب ويوسف والياس وموسى بن عمران وعيسى
بن مريم عليهم السلام وقد ذكر الماوردي ومجاهد اسماهم فقال حسي ومسي ومنشي وشاصر وماصر

اسامي جن نصيبين

والادد وابيان والاحقب وذكرها ابو عمر وعثمان بن احمد المعروف بابن السماك حدثنا محمد بن البراء حدثنا الزبير بن بكار قال كان حمزة بن عتبة بن ابي لهب يسمي جن نصيبين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول حسا ومسا وشاصر وناصر والاخرد والارد وابيان **قوله تعالى** فلما حضروه
اي حضروا النبي صلى الله عليه وسلم وهو من باب تلوين الخطاب وقيل لما حضروا القران واستماعه قالوا انصتوا اي قال بعضهم لبعض اسكتوا لاستماع القران قال ابن مسعود هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا قالوا صه وكانوا سبعة احدهم زوبعة فانزل الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى ضلال مبين وقيل انصتوا لسماع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى متقارب فلما قضي وقرا لاحق بن حميد وحبيب بن عبد الله بن الزبير فلما قضى بفتح القاف والضاد يعني النبي صلى الله عليه وسلم قبل الصلاة وذلك انهم خرجوا حين حرست السماء من استراق السمع ليستخبروا ما اوجب ذلك فجاؤوا وادي نخلة والنبي صلى الله عليه وسلم يقرا في صلوة الفجر وكانوا سبعة فسمعوه وانصرفوا الى قومهم منذرين ولم يعلم بهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويقرا عليهم القران فصرف الله اليه نفرا من الجن ليستمعوا منه وينذروا قومهم فلما تلى عليهم القران وفرغ انصرفوا بامره قاصدين من وراءهم من قومهم من الجن منذرين لهم مخالفة القران ومحذرين اياهم باس الله ان لم يومنوا وهذا يدل على انهم امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه ارسلهم ويدل على هذا قولهم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به ولولا ذلك لما انذروا قومهم وقد تقدم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا الى قومهم فعلى هذا الليلة الجن ليلتان وقد تقدم هذا المعنى مستوفى وفي صحيح مسلم ما يدل على ذلك على ما ياتي بيانه في قل اوحي الي وفي صحيح مسلم عن معن قال سمعت ابي قال سالت مسروقا من اذن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا الجن القران فقال حدثني ابوك يعني ابن مسعود انه اذنته بهم سمرة **قوله تعالى** قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى اي القران وكانوا مومنين بموسى قال عطا كانوا يهودا فاسلموا ولذلك قالوا انزل من بعد موسى وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى ولذلك قالت من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني ما قبله من التوراة يهدي الى الحق دين الحق والى طريق مستقيم دين الله القويم يا قومنا اجيبوا داعي الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد عليه الصلاة والسلام قال المولف رحمه الله يدل على قوله ما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة قال مجاهد الاحمر والاسود الجن والانس وفي رواية من حديث ابو هريرة وبعثت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وامنوا به اي بالداعي وهو محمد عليه السلام وقيل به اي بالله لقوله يغفر لكم من ذنوبكم قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم سبعون رجلا فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقوه بالبطحاء فقرا عليهم القران وامرهم ونهاهم
هذه الاية تدل على ان الجن كالانس في الامر والنهي والثواب والعقاب وقال الحسن ليس لمومني الجن ثواب غير نجاتهم من النار يدل عليه قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وبه قال ابو حنيفة قال ليس ثواب الجن الا ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وقال اخرون انهم كما يعاقبون في الاساءة يجازون في الاحسان مثل الانس واليه ذهب مالك والشافعي وابن ابي ليلى وقد قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون قال القشيري والصحيح ان هذا مما لا يقطع فيه بشيء والعلم عند الله قال المولف رحمه الله **قوله تعالى** ولكل درجات مما عملوا يدل على انهم يثابون ويدخلون الجنة لانه قال في اول الاية يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي الى ان قال ولكل درجات مما عملوا والله اعلم وسياتي لهذا في سورة الرحمن مزيد بيان **قوله تعالى** ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا يفوت الله ولا يسبقه وليس له من دونه اولياء اي انصار يمنعونه من عذاب الله اولئك في ضلال مبين

امنوا الجن للنبي عليه السلام

الاحمر والاسود الجن والانس

قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الروية هنا بمعنى العلم وان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي الروية ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى احتجاج على منكري البعث ومعنى لم يعي يعجز ويضعف عن ابداعهن يقال عي بامره وعيي اذا لم يهتد لوجهه والادغام اكثر ويقول في الجمع عيوا مخففا اذا لم يهتد لوجهه فاعيا في هو وقرا الحسن ولم يعي بكسر العين واسكان الياء وهو شاذ قليل لم يات اعتلال العين وتصحيح اللام الا في اسما قليلة نحو غاية واية ولم يات في الفعل سوى بيت انشده الفرا وهو قول الشاعر

وكانها بين النسا سبيكة ... تمشي لسدة بيتها فتعي

بقادر قال ابو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كالباء في قوله وكفى بالله شهيدا وقوله تنبت بالدهن وقال الكسائي والفرا والزجاج الباء فيه حلف الاستفهام والجحد في اول الكلام قال الزجاج والعرب تدخلها مع الجحد تقول ما ظننت ان زيدا بقائم ولا يقول ان زيدا بقائم وهذا كدخول ما ودخول ان للتوكيد والتقدير اليس الله بقادر كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر وقرا ابن مسعود والاعرج والجحدري وابن ابي اسحاق ويعقوب يقدر واختاره ابو حاتم لان دخول الباء في خبر ان قبيح واختار ابو عبيد قراة العامة لانها في قراة عبد الله خلق السموات والارض قادر بغير باء **قوله تعالى** ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي ذكرهم يوم يعرضون فيقال لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فيقول لهم المقرر فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بكفركم **قوله تعالى** واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قال ابن عباس ذوو الحزم والصبر قال مجاهد هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وهم اصحاب الشرائع وقال ابو العالية اولوا العزم نوح وهود وابراهيم فامر الله نبيه عليه السلام ان يكون رابعهم وقال السدي انهم ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وقيل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعرا وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه مدة وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر على البير والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وايوب وليس منهم يونس ولا سليمان ولا ادم وقال الشعبي والكلبي ومجاهد ايضا هم الذين امروا بالقتال واظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر ابراهيم واسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا واختاره الحسين بن الفضل لقوله في عقبه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ابن عباس ايضا كل الرسل كانوا اولي عزم واختاره علي بن مهدي قال وانما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما تقول اشتريت اردية من البز واكسية من الخز اي اصبر كما صبر الرسل وقيل كل الانبيا اولوا عزم الا يونس بن متى الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي ان يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه حين ولى مغاضبا لقومه فابتلاه الله بثلاث سلط عليه العمالقة حتى اغاروا على اهله وماله وسلط الذيب على ولده فاكله وسلط عليه الحوت فابتلعه قاله ابو القاسم الحكيم وقال بعض العلما اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل بالشام فعصوهم فاوحى الله الى الانبيا اني مرسل عذابي الى عصاة بني اسرائيل فشق ذلك على المرسلين فاوحى الله اليهم اختاروا لانفسكم ان شئتم انزلت بكم العذاب وانجيت بني اسرائيل وان شئتم نجيتكم وانزلت العذاب ببني اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رايهم على ان ينزل بهم العذاب وينجي الله بني اسرائيل فانجى الله بني اسرائيل وانزل باولئك العذاب وذلك انه سلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من سلخ جلدة راسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات ومنهم من حرق بالنار والله اعلم وقال الحسن اولوا العزم اربعة منهم ابراهيم وموسى وداود وعيسى فاما ابراهيم فقيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلي في ماله وولده ووطنه ونفسه فوجد صادقا وافيا في جميع ما ابتلي به واما موسى فعزمه حين قال له قومه انا لمدركون فقال كلا ان معي ربي سيهدين واما داود فاخطا خطيئة فنبه عليها فاقام يبكي اربعين سنة حتى نبتت من دموعه شجرة فقعد تحت ظلها واما عيسى فعزمه لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها فكان الله تعالى يقول لرسوله

نجباء الرسل ثمانية عشر

اولوا العزم اثنا عشر نبيا

صلى الله عليه وسلم اصبر اي كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق ابراهيم واتقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى
مهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود وزاهد في الدنيا مثل زهد عيسى ثم قيل هي منسوخة باية السيف
وقيل محكمة والاظهر انها منسوخة لان السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم احد فامره الله تعالى ان يصبر على ما اصابه كما صبر اولوا العزم من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتا له والله
اعلم ولا تستعجل لهم قال مقاتل بالدعا عليهم وقيل في احلال العقاب بهم فان ابعد غاياتهم يوم القيامة
ومفعول الاستعجال محذوف وهو العذاب كانهم يوم يرون ما يوعدون قال يحيى من العذاب وقال النقاش
من الاخرة لم يلبثوا اي في الدنيا حتى جاءهم العذاب وهو مقتضى قول يحيى وقال النقاش في قبورهم حتى
بعثوا للحساب الا ساعة من نهار يعني في جنب يوم القيامة وقيل نساهم هول ما عاينوا من العذاب طول
لبثهم في الدنيا ثم قال بلاغ اي هذا القرآن بلاغ قاله الحسن فبلاغ رفع على اضمار مبتدا ودليله قوله هذا بلاغ
للناس ولينذروا به وقوله ان في هذا البلاغا لقوم عابدين والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل ان ذلك اللبث بلاغ
قاله ابن عيسى فيوقف على هذا على بلاغ وعلى نهار وذكر ابو حاتم ان بعضهم وقف على ولا تستعجل ثم ابتدا لهم
على معنى لهم بلاغ قال ابن الانباري وهذا خطا لانك قد فصلت بين البلاغ وبين اللام وهي رافعه لشي ليس
منها ويجوز في العربية بلاغا وبلاغ النصب على معنى الا ساعة بلاغا على المصدر او على النعت للساعة والخفض
على معنى من نهار بلاغ وبالنصب قرا عيسى بن عمر والحسن وروا عن بعض القرا ابلغ على الامر فعلى هذه القراءة
يكون الوقف من نهار ثم يبتدي بلغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن امر الله قاله ابن عباس
وغيره وقرا ابن محيصن فهل يهلك الا القوم على اسناد الفعل الى القوم وقال ابن عباس اذا عسر على المراة
ولدها اكتب هاتين الايتين والكلمتين في صحيفة ثم يغسل ويسقى منها وهي بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم كانهم يوم
يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ صدق
الله العظيم وعن قتادة لا يهلك الله الا هالك مشرك وقيل هذه اقوى اية في الرجا ختمت السورة المباركه

تفسير سورة القتال

مدنية في قول ابن عباس ذكره النحاس وقال الماوردي في قول الجميع الا ابن عباس وقتادة فانهما قالا الا اية
منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزل عليه وكاين
من قرية هي اشد قوة من قريتك وقال الثعلبي انها مكية وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير
وهي تسع وثلثون اية وقيل ثمان بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم قال ابن عباس ومجاهد هم اهل مكة كفروا بتوحيد الله وصدوا
انفسهم والمؤمنين عن دين الله وهو الاسلام بنهيهم عن الدخول فيه وقاله السدي وقال الضحاك عن سبيل الله
عن بيت الله بمنع قاصديه ومعنى اضل اعمالهم ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل
الدائرة عليهم قاله الضحاك وقيل ابطل ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك
الاساري وقرا الاضياف وحفظ الجوار وقال ابن عباس نزلت في المطعمين ببدر وهم اثنا عشر رجلا ابو جهل
والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي وامية بن خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وابو البختري
بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل قوله تعالى والذين امنوا وعملوا
الصالحات وامنوا بما نزل على محمد قال ابن عباس ومجاهد هم الانصار وقال مقاتل انها نزلت خاصة في ناس من
قريش وقيل هما عامتان فيمن كفر وامن ومعنى اضل اعمالهم ابطلها وقيل اضلهم عن الهدى بما صرفهم عنه
من التوفيق وعملوا الصالحات من قال انهم الانصار فهي المساواة في مساكنهم وامنوا لهم ومن قال انهم من
قريش فهي الهجرة ومن قال بالعموم فالصالحات جميع الاعمال التي ترضي الله تعالى وامنوا بما نزل على محمد لم
يخالفوه في شي قاله سفيان الثوري وقيل صدقوا محمدا فيما جاء به وهو الحق من ربهم يريد ان ايمانهم هو الحق
من ربهم وقيل اي ان القرآن هو الحق من ربهم نسخ به ما قبله كفر عنهم سياتهم اي ما مضى من سياتهم قبل الايمان
واصلح بالهم اي شانهم عن مجاهد وغيره وقال قتادة حالهم ابن عباس امورهم والثلاثة متقاربة وهي متاولة
على اصلاح ما تعلق بدنياهم وحكى النقاش ان المعنى اصلح نياتهم ومنه قول الشاعر

فان تقبلي بالود اقبل بمثله وان تدبري اذهب الى حال باليا
وهو على هذا التاويل محمول على صلاح دينهم والبال كالمصدر ولا يعرف منه فعل ولا يجمع الا في ضرورة الشعر
فيقولون فيه بالات المبرد قد يكون البال في موضع اخر بمعنى القلب يقال ما يخطر فلان على بالي اي على قلبي
الجوهري والبال رخا النفس يقال فلان رخي البال والبال الحال يقال ما بالك وقولهم ليس هذا من بالي
اي مما اباليه والبال الحوت العظيم من حيتان البحر والبالة وعاء الطيب فارسي معرب واصله بالفارسية
بيله قال ابو ذويب كان عليها بالة لطمية لها من خلال الدايتين اريج
قوله تعالى ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم
ذلك في موضع رفع اي الامر ذلك او ذلك الاضلال والهدى المتقدم ذكرهما سببه هذا فالكافر اتبع الباطل
والمومن اتبع الحق والباطل الشرك والحق التوحيد والايمان كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي لهذا البيان
الذي بين يبين الله للناس امر الحسنات والسيات والضمير في امثالهم يرجع الى الذين كفروا والذين امنوا
قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فيه اربع
مسائل الاولى قوله فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب لما ميز بين الفريقين امر بجهاد الكفار قال
ابن عباس الكفار المشركون عبدة الاوثان وقيل كل من خالف دين الاسلام من مشرك او كتابي اذا لم يكن
صاحب عهد ولا ذمة ذكره الماوردي واختاره ابن العربي وقال وهو الصحيح لعموم الاية فيه فضرب
الرقاب مصدر قال الزجاج اي فاضربوا الرقاب ضربا وخص الرقاب بالذكر لان القتل اكثر ما يكون بها
وقيل نصب على الاغراء قال ابو عبيدة هو كقولك يا نفس صبرا وقيل التقدير اقصد واضرب الرقاب
وقال فضرب الرقاب ولم يقل فاقتلوهم لان في العبارة بضرب الرقاب من الغلظة والشدة ما ليس في
لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه
واوجه اعضائه الثانية حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم القتل وقد مضى في الانفال عند قوله حتى
يثخن في الارض فشدوا الوثاق اي اذا اسرتموهم والوثاق اسم الايثاق وقد يكون مصدرا واوثقه ايثاقا
ووثاقا واما الوثاق بالكسر فهو اسم الشي الذي يوثق به كالرباط قاله القشيري قال الجوهري واوثقه في
الوثاق اي شده وقال تعالى فشدوا الوثاق والوثاق بكسر الواو لغة فيه وانما امر بشد الوثاق لئلا
يفلتوا فاما منا عليهم بالاطلاق من غير فدية واما فداء ولم يذكر القتل ها هنا اكتفاء بما تقدم من القتل
في صدر الكلام ومنا وفداء نصب باضمار فعل وقري فدى بالقصر مع فتح الفاء اي فاما ان تمنوا عليهم
منا واما ان تفادوهم فداء ادي عن بعضهم انه قال كنت واقفا على راس الحجاج حين اتي بالاسرى من اصحاب
عبد الرحمن بن الاشعث وهم اربعة الاف وثمانمائة فقتل منهم نحو من ثلاثة الاف حتى قدم اليه رجل من
كندة فقال يا حجاج لا جزاك الله عن السنة والكرم خيرا قال ولم ذاك قال ان الله تعالى قال يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما
فداء فنحن الذين كفروا فوالله ما مننت ولا فديت وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من
مكارم الاخلاق ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم اذا اثقل الاعناق حمل المغارم
فقال الحجاج اف لهذه الجيف اما كان فيهم من يحسن مثل هذا الكلام خلوا سبيل من بقي فخلى يومئذ عن
بقية الاسرى وهم زهاء الفين بقول ذلك الرجل الثالثة اختلف العلماء في تاويل هذه الاية على خمسة
اقوال الاول انها منسوخة وهي في اهل الاوثان لا يجوز ان تفادوا ولا يمن عليهم والناسخ لها عندهم
قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وقوله
فاقتلوا المشركين كافة الاية قاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج والعوفي عن ابن عباس وقاله
كثير من الكوفيين وقال عبد الكريم الجزري كتب الى ابي بكر في اسير اسر فذكروا انهم التمسوه بفداء
كذا وكذا فقال اقتلوه لقتل رجل من المشركين احب الي من كذا وكذا الثاني انها في الكفار جميعا وهي
منسوخة على قول جماعة من العلماء واهل النظر منهم قتادة وجماعة قالوا اذا اسر المشرك لم يجز
ان يمن عليه ولا ان يفادى به فيرد الى المشركين ولا يجوز ان يفادي عندهم الا بالمراة لانها لا تقتل
والناسخ لها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اذ كانت براءة اخر ما نزل بالتوقيف فوجب ان يقتل كل
مشرك الا من قامت الدلالة على تركه من النسا والصبيان ومن توخذ منه الجزية وهو المشهور من

حتي قدم رجل من كندة

مذهب ابي حنيفة خيفة ان يعود واحربا للمسلمين ذكر عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة فاما منا بعد واما
فداء نسختها فشرد بهم من خلفهم وقال مجاهد نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهو قول
الحكم الثالث انها ناسخة قاله الضحاك وغيره روي الثوري عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم قال نسختها فاما منا بعد واما فداء وقال ابن المبارك عن ابن جريج عن عطا فاما منا بعد
واما فداء فلا يقتل المشرك ولكن يمن عليه ويفادي كما قال الله عز وجل قال الاشعث كان الحسن يكره ان
يقتل الاسير ويتلوا فاما منا بعد واما فداء وقال الحسن ايضا في الاية تقديم وتاخير فكانه قال
فضرب الرقاب حتى تضع الحرب اوزارها ثم قال حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وزعم انه ليس
للامام اذا حصل الاسير في يديه ان يقتله لكنه بالخيار في ثلاثة منازل اما ان يمن او يفادي او يسترق
الرابع قول سعيد بن جبير لا يكون فداء ولا اسر الا بعد الاثخان والقتل بالسيف لقوله تعالى ما كان لنبي
ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض فاذا اسر بعد ذلك فللامام ان يحكم بما راه من قتل او غيره الخامس
ان الاية محكمة والامام مخير في كل حال رواه علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس وقاله كثير من العلما منهم
ابن عمر والحسن وعطا وهو مذهب مالك والشافعي والثوري والاوزاعي وابي عبيد وغيرهم وهو الاختيار
لان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين فعلوا كل ذلك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة ابن
ابي معيط والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا وفادي سائر اساري بدر ومن فوله ومن الى قوله ومن على ابي
عزوة الجمحي وقتل بني قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصار ولي بيده سلما ومن على ثمامة بن اثال
الحنفي وهو اسير في يده واخذ من سلمة بن الاكوع جارية ففدي بها اناسا من المسلمين وهبط على النبي صلى
الله عليه وسلم ومن عليهم وقد من على سبي هوازن وهذا كله ثابت في الصحيح وقد مضي في الانفال وغيرها
قال النحاس وهذا على ان الايتين محكمتان معمول بهما وهو قول حسن لان النسخ انما يكون لشيء قاطع فاذا
امكن العمل بالايتين فلا معني للقول بالنسخ اذا كان يجوز ان يقع التعبد اذا لقينا الذين كفروا قتلناهم واذا
كان الاسر جاز القتل والاسترقاق والمفاداة والمن على ما فيه الصلاح للمسلمين وهذا القول يروي
عن اهل المدينة والشافعي وابي عبيد وحكاه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور عنه ما قدمناه
وبالله عز وجل التوفيق **الرابعة** قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها قال مجاهد وابن جبير هو خروج
عيسى عليه السلام وعن مجاهد ايضا ان المعني حتى لا يكون دين الا دين الاسلام فيسلم كل يهودي ونصراني
وصاحب ملة وتامن الشاة من الذيب ونحوه عن الحسن والكلبي والفرا والكسائي قال الكسائي حتى
يسلم الخلق وقال الفرا حتى يومنوا ويذهب الكفر وقال الكلبي حتى يظهر الاسلام على الدين كله وقال
الحسن حتى لا يعبدوا الا الله وقيل معنى الاوزار السلاح فالمعني شدوا الوثاق حتى تامنوا وتضعوا
السلاح وقيل معناه حتى تضع الحرب اي الاعدا المحاربين اوزارهم وهو سلاحهم بالهزيمة او الموادعة
ويقال للكراع اوزار قال الاعشي

شعر

واعددت للحرب اوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا

ومن نسج داود يحدي بها ... على اثر الحي عيرا فعيرا

وقيل حتى تضع الحرب اوزارها اي اثقالها والوزر الثقل ومنه وزير الملك لانه يتحمل عنه الاثقال
واثقالها السلاح ليقل حملها قال ابن العربي قال الحسن وعطا في الاية تقديم وتاخير المعني فضرب الرقاب
حتى تضع الحرب اوزارها فاذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وليس للامام ان يقتل الاسير وقد روي
عن الحجاج انه دفع اسيرا الى عبد الله بن عمر ليقتله فابي وقال ليس بهذا امرنا الله وقرا حتى اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق قلنا قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله وليس في تفسير الله لكم والفدا منع من
غيره فقد بين الله في الزنا حكم الجلد وبين النبي صلى الله عليه وسلم حكم الرجم ولعل ابن عمر كره ذلك من يد
الحجاج فاعتذر بما قال وربك اعلم **ذلك ولو يشا الله لانتصر منهم** ذلك في موضع رفع على
ما تقدم اي الامر الذي ذكرت وبينت وقيل هو منصوب على معني افعلوا ذلك ويجوز ان يكون مبتدا المعني
ذلك حكم الكفار وهي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلام الى كلام وهو كما قال هذا وان للطاغين
لشر ماب اي هذا حق وانا اعرفكم ان للظالمين كذا ومعني لانتصر منهم اي اهلكهم بغير قتال
وقال ابن عباس لاهلكهم بجند من الملايكة ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي امركم بالحرب ليبلو ويختبر

بعضكم

اخذ من سلمة بن الاكوع جارية ففدى بها اناسا من المسلمين

والوزر الثقل ومنه وزير الملك لانه يتحمل عنه الاثقال

بعضكم ببعض اي امركم بالحرب ليبلو ويختبر بعضكم ببعض فيعلم المجاهدين منكم والصابرين كما في السورة
نفسها والذين قتلوا في سبيل الله يريد قتلى احد من المومنين فلن يضل اعمالهم قراءة العامة قاتلوا وهي
اختيار ابي عبيد وقرا ابو عمرو وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء وكذلك قرا الحسن الا انه شدد التاء على
التكثير وقرا الجحدري وعيسى بن عمر وابو حيوة قتلوا بفتح القاف والتاء من غير الف يعني الذين قتلوا
المشركين قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد فشت
فيهم الجراحات والقتل وقد نادي المشركون اعل هبل ونادي المسلمون الله اعلى واجل فقال المشركون يوم
بيوم بدر والحرب سجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا سواء قتلانا احياء عند ربهم وقتلاكم في النار
يعذبون فقال المشركون ان لنا العزي ولا عزي لكم فقال المسلمون الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم
ذكر ذلك في ال عمران **سيهديهم** قال القشيري قراءة ابي عمرو قتلوا بعيده
لقوله سيهديهم ويصلح بالهم والمقتول لا يوصف بهذا قال غيره يكون المعني سيهديهم الى الجنة او سيهدي
من بقي منهم اي يحقق لهم الهداية وقال ابن زياد سيهديهم الى محاجة منكر ونكير في القبر قال ابو المعالي وقد
ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها من ذلك قوله تعالى
في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم
ويدخلهم الجنة عرفها لهم اي اذا دخلوها يقال لهم تفرقوا الى منازلكم فهم اعرف
بمنازلهم من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم قال معناه مجاهد واكثر المفسرين وفي البخاري ما يدل
على صحة هذا القول عن ابي سعيد الخدري قال قال صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون
على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم
اهدي بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا وقيل عرفها لهم اي بينها حتى عرفوها من غير استدلال قال
الحسن وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف اي عرف طرقها
ومنازلها ومساكنها وبيوتها لهم فحذف المضاف وقيل التعريف بدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين
يديه ويتبعه العبد حتى ياتي العبد منزله ويعرفه الملك جميع ما جعل له في الجنة وحديث ابي سعيد يرده
وقال ابن عباس عرفها لهم اي طيبها لهم بانواع الملاذ ماخوذ من العرف وهو الرايحة الطيبة وطعام معرف
اي مطيب تقول العرب عرفت القدر اذا طيبتها بالملح والابازير وقال الشاعر

عرفت كابيات عرفته اللطايم ... يخاطب رجلا ويمدحه

يقول كما عرف الاتب وهو النقير والمعتبر والبقير الاتب وهو قميص لا كمي له تلبسه النسا وقيل هو من وضع
الطعام بعضه على بعض وهو من العرف المتتابع كعرف الفرس وقيل عرفها لهم اي وفقهم للطاعة حتى استوجبوا
الجنة وقيل عرف اهل السما انها لهم اظهار الكرامتهم فيها وقيل عرف المطيعين انها لهم
يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ينصركم على الكفار نظيره ولينصرن الله
من ينصره وقد تقدم وقال قطرب ان تنصروا نبي الله ينصركم الله والمعني واحد ويثبت اقدامكم اي عند القتال
وقيل على الاسلام وقيل على الصراط وقيل المراد تثبيت القلوب بالامن فيكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر
والمعونة في موطن الحرب وقد مضي في الانفال هذا المعني وقال هناك اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم
فثبتوا الذين امنوا فاثبت هناك واسطة ونفاها هنا كقوله قل يتوفاكم ملك الموت ثم نفاه بقوله هو الذي
خلقكم ثم يميتكم الذي خلق الموت والحياة ومثله كثير فلا فاعل الا الله وحده **والذين
كفروا** يحتمل الرفع على الابتدا والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا فتعسا لهم نصب
على المصدر بسبيل الدعا قاله الفرا مثل سقيا له ورعيا وهو نقيض لعا له قال الاعشي

فالتعس اولى لها من ان اقول لعا

وفيه عشرة اقوال الاول بعدا لهم قاله ابن عباس وابن
جريج الثاني حزنا لهم الثالث شقا لهم قاله ابن زيد الرابع شتما لهم من الله قاله الحسن الخامس هلاكا لهم قاله
ثعلب السادس خيبة لهم قاله الضحاك وابن زياد السابع قبحا لهم قاله النقاش الثامن رغما لهم قاله الضحاك
ايضا التاسع شرا لهم قاله ثعلب ايضا العاشر شقوة لهم قاله ابو العالية وقيل ان التعس الانحطاط والعثار
قال ابن السكيت التعس ان يخر على وجهه والنكس ان يخر على راسه قال والتعس ايضا الهلاك قال الجوهري واصله
الكب وهو ضد الانتعاش وقد تعس بفتح العين يتعس تعسا واتعسه الله قال مجمع بن هلال

الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه ويتبعه العبد

تقول وقد افردتها من خليلها　　　تعست كما اتعستني يا مجمع

يقال تعسًا للفلان اي الزمه الله هلاكًا قال القشيري وجوّز فوم تعِس بكسر العين قال المؤلف رحمه الله ومنه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط لم يرض خرّجه البخاري وفي بعض طرق هذا الحديث تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش خرّجه ابن ماجة **واضلّ اعمالهم** اي ابطلها لانها كانت في طاعة الشيطان ودخلت الفاء في قوله فتعسًا لاجل الابهام الذي في الذين وجاء واضل اعمالهم على الخبر حملًا على لفظ الذي لانه خبر في اللفظ فدخول الفاء حملًا على المعنى واضل حملًا على اللفظ **ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله** اي ذلك الاضلال والاتعاس لانهم كرهوا ما انزل الله من الكتاب والشرايع فاحبط اعمالهم اي ما لهم من صور الخيرات كعمارة المسجد وقرا الضيف واصناف القرب ولا يقبل الله العمل الا من مؤمن وقيل احبط اعمالهم اي عبادة الصنم **افلم يسيروا في الارض** بين احوال المؤمن والكافر نبّههم على وجوب الايمان ثم وصل هذا بالنظر اي الم يسيروا هؤلاء في ارض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بهم فينظروا بقلوبهم كيف كان اخر امر الكافرين قبلهم دمّر الله عليهم اي اهلكهم واستاصلهم يقال دمّره تدميرًا ودمّر عليه بمعنى ثم تواعد مشركي مكة فقال وللكافرين امثالها اي امثال هذه الفعلة يعني التدمير وقال الزجاج والطبري الهاء تعود على العاقبة اي وللكافرين من قريش امثال عاقبة تكذيب الامم السالفة ان لم يؤمنوا **ذلك بان الله مولى الذين امنوا** اي وليهم وناصرهم وفي حرف ابن مسعود ذلك بان الله ولي الذين امنوا والمولى الناصر هاهنا قاله ابن عباس وغيره قال ـــــ

فغدت كلا الفرجين تحسب انه　　　مولى المخافة خلفها وامامها

قتادة نزلت يوم احد والنبي صلى الله عليه وسلم في الشعب اذ صاح المشركون يوم بيوم لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم وان الكافرين لا مولى لهم اي لا ينصرهم احد من الله **ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار** تقدم في غير موضع والذين كفروا يتمتعون في الدنيا كانهم انعام ليس لهم همّة الا بطونهم وفروجهم ساهون عما في غدهم وقيل المؤمن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع والنار مثوى لهم اي مقام ومنزل **وكاين من قرية** تقدم الكلام في كاين في ال عمران وهي هنا بمعنى كم اي وكم من قرية وانشد الاخفش قول ـــــ لبيد

وكاين راينا من ملوك وسوقة　　　ومفتاح قيد للاسير المكبّل

فيكون معناه وكم من اهل قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك اهلها اهلكناهم فلا ناصر لهم قال قتادة وابن عباس لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال اللهم انت احب البلاد الى الله وانت احب البلاد الي ولولا المشركون اهلك اخرجوني لما خرجت منك فنزلت ذكره الثعلبي وهو صحيح **افمن كان على بينة من ربه** الالف الف تقرير ومعنى على بينة اي على ثبات ويقين قاله ابن عباس ابو العالية هو محمد صلى الله عليه وسلم والبينة الوحي لمن زين له سوء عمله اي عبادة الاصنام وهو ابو جهل والكفار واتبعوا اهواءهم اي ما اشتهوا وهذا التزيين من جهة الله تعالى خلقا ويجوز ان يكون من الشيطان دعاء ووسوسة ويجوز ان يكون من الكافر اي زين لنفسه سوء عمله واصر على الكفر وقال سوء على لفظ من واتبعوا على معناه **مثل الجنة التي وعد المتقون** لما قال عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات وصف تلك الجنات اي صفة الجنة المعدة للمتقين وقد مضى الكلام في هذا في الرعد وقرا علي ابن ابي طالب مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن اي غير متغير الرائحة والاسن من الماء مثل الاجن وقد اسن الماء ياسن وياسن اسونا اذا تغيرت رائحته وكذا اجن الماء ياجن وياجن اجنا واجونا ويقال بالكسر فيهما اسن واجن ياسن وياجن اسنا واجنا قاله اليزيدي واسن الرجل ايضًا ياسن بالكسر لا غير اذا دخل البير فاصابته ريح منتنة من ريح البير وغير ذلك فغشي عليه او دار راسه قال ـــــ زهير

قد اترك القرن مصفرا انامله　　　يميد في الرمح ميد المائح الاسن

ويروى الوسن وتاسن الماء تغير قال ابو زيد تاسن علي باسنا اعتل وابطا ابو عمرو وتاسن الرجل اباه

اخذ اخلاقه وقال اللحياني اذا نزع اليه في الشبه وقراءة العامة اسن بالمد وقرا حميد وابن كثير اسن بالقصر وهما لغتان مثل حاذر وحذر وقال الاخفش اسن للحال واسن مثل فاعل يراد به الاستقبال وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم يحمض بطول المقام كما تتغير البان الدنيا الى الحموضة وانهار من خمر لذة للشاربين اي لم تدنسها الارجل ولم ترنقها الايدي كخمر الدنيا فهي لذيذة الطعم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون يقال شراب لذ ولذيذ بمعنى واستلذه عده لذيذًا وانهار من عسل مصفى العسل ما يسيل من لعاب النحل وفي الترمذي مصفى اي من الشمع والقذى خلقه الله كذلك لم يطبخ على نار ولا دنسه النحل وفي الترمذي عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة وقال كعب نهر دجلة نهر ماء الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر والعسل يذكر ويونث وقال ابن عباس من عسل مصفى اي لم يخرج من بطون النحل ولهم فيها من كل الثمرات من زيادة للتاكيد ومغفرة من ربهم اي لذنوبهم كمن هو خالد في النار قال الفرا المعنى افمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار وقال الزجاج اي افمن كان على بينة من ربه واعطي هذه الاشيا كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار فقوله كمن بدل من قوله افمن زين له سوء عمله وقال ابن كيسان مثل هذه الجنة التي فيها الثمار والانهار كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم ومثل اهل الجنة في النعيم المقيم كمثل اهل النار في العذاب المقيم وسقوا ماء حميما اي حارا شديد الغليان اذا دنا منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم واخرجها من دبورهم والامعا جمع معى والتثنية معيان وهو جميع ما في البطن من الحوايا **ومنهم من يستمع اليك** اي من هؤلاء الذين يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام وزين لهم سوء عملهم قوم يستمعون اليك وهم المنافقون عبد الله ابن ابي ابن سلول ورفاعة بن التابوت وزيد بن الصليت والحارث بن عمرو ومالك بن دخشم كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فاذا سمعوا ذكر المنافقين فيها اعرضوا عنه فاذا خرجوا سالوا عنه قاله الكلبي ومقاتل وقيل كانوا يحضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين فيستمعون منه ما يقول فيعيه المؤمن ولا يعيه الكافر فاذا خرجوا من عندك اي اذا فارقوا مجلسك قالوا للذين اوتوا العلم قال عكرمة هو عبد الله ابن عباس قال ابن عباس كنت ممن يسال اي كنت من الذين اوتوا العلم وفي رواية عن ابن عباس انه يريد عبد الله بن مسعود وكذا قال عبد الله بن بريدة هو عبد الله بن مسعود وقال القاسم بن عبد الرحمن هو ابو الدردا وقال ابن زيد انهم الصحابة ماذا قال انفا اي الان على جهة الاستهزاء اي انا لم التفت الى قوله وانفا يراد به الساعة التي هي اقرب الاوقات من قولك استانفت الشيء اي ابتدات به ومنه امر انف وروضة انف اي لم يرعها احد وكاس انف اذا لم يشرب منها شيء كانه استونف شربها مثل روضة انف قال ـــــ الشاعر

ويحرم سر جارتهم عليهم　　　وياكل جارهم انف القصاع

وقال اخر

ان الشواء والنشيل والرغف　　　والقينة الحسناء والكاس الانف

للطاعنين الخيل والخيل خنف

النشيل لحم يطبخ بلا توابل والرغف جمع رغيف يقال رغف ورغفان وقال امرء القيس قد غدا يحملني في انفه اي في اوله وانف كل شيء اوله وقال قتادة في هؤلاء المنافقين الناس رجلان رجل عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل ولم ينتفع بما سمع وكان يقال الناس ثلثه فسامع عامل وسامع عاقل وسامع غافل تارك **اولئك الذين طبع الله على قلوبهم** فلم يؤمنوا واتبعوا اهواءهم في الكفر والذين اهتدوا اي للايمان زادهم الله هدى وقيل زادهم النبي صلى الله عليه وسلم هدى وقيل ما يستمعونه من القران هدى اي يتضاعف يقينهم وقال الفرا زادهم اعراض المنافقين واستهزاؤهم وقيل زادهم نزول الناسخ هدى وفي الهدى الذي زادهم اربعة اقوال احدها زادهم علما قاله الربيع الثاني انهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا قاله الضحاك الثالث زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا لنبيهم قاله الكلبي الرابع شرح صدورهم بما هم عليه من الايمان واتاهم تقواهم اي الهمهم اياها وقيل فيه خمسة اوجه احدها اتاهم الخشية قاله

اي لم يدنسها الارجل ولم ترنقها الايدي

وكاس انف اذا لم يشرب منها احد

الله مولانا ولا مولى لكم

الربيع الثاني ثواب تقواهم في الاخرة قاله السدي الثالث وفقهم للعمل الذي فرض عليهم قاله مقاتل الرابع بين لهم ما يتقون قاله ابن زياد والسدي الخامس انه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ قاله عطية وحمل سادسا انه ترك الرخص والاخذ بالعزائم وقري واعطاهم بدل واتاهم وقال عكرمة هذه نزلت فيمن امن من اهل الكتاب فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي فجاة وهذا وعيد للكفار فقد جاء اشراطها اي اماراتها وعلاماتها وكانوا قد قروا في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخر الانبيا فبعثته من اشراطها وادلتها قاله الضحاك والحسن وفي الصحيح عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى لفظ مسلم وخرجه البخاري والترمذي وابن ماجة ويروي بعثت انا والساعة كفرسي رهان وقيل اشراط الساعة اسبابها التي هي دون معظمها ومنه يقال للدون من الناس الشرط وقيل يعني بعلامات الساعة انشقاق القمر والدخان قاله الحسن ايضا وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقد اتينا على هذا الباب في كتاب التذكرة مستوفي والحمد لله وواحد الاشراط شرط واصله الاعلام ومنه قيل الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها ومنه الشرط في البيع وغيره قال ابو الاسود

فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا ... فقد جعلت اشراط اوله تبدوا

ويقال اشرط فلان نفسه في عمل كذا اي اعلمها وجعلها له قال اوس بن حجر يصف رجلا تدلي بحبل من راس جبل الي نبعه ليقطعها يتخذ منها قوسا فاشرط نفسه فيها وهو معصم

والقي باسباب له وتوكلا

ان تاتيهم بغتة ان بدل الاشتمال من الساعة نحو قوله ان تطوهم من قوله رجال مومنون ونساء مومنات وقري بغتة بوزن جربه وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو والزمخشري وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي عن ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين كقراءة الحسن وروي ابو جعفر الرواسي وغيره عن اهل مكة ان تاتيهم بغتة قال المهدوي ومن قرا ان تاتيهم بغتة قال الوقف على الساعة ثم استانف الشرط وما يحتمله الكلام من الشك مردود الي الخلق كانه قال ان شكوا في مجيئها فقد جاء اشراطها فاني لهم اذا جاءتهم ذكراهم ذكراهم ابتدا واني لهم الخبر والضمير المرفوع في جاءتهم الساعة التقدير فمن اين لهم التذكر اذا جاءتهم الساعة قال معناه قتادة وغيره وقيل فكيف لهم بالنجاة اذا جاءتهم الذكري عند مجي الساعة قاله ابن زيد وفي الذكري وجهان احدهما تذكيرهم بما عملوه من خير او شر الثاني هو دعاوهم باسمايهم تبشيرا وتخويفا روي ابان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احسنوا اسماءكم فانكم تدعون بها يوم القيامة يا فلان قم الي نورك يا فلان قم لا نور لك ذكره الماوردي فاعلم انه لا اله الا الله قال الماوردي وفيه وان كان الرسول عالما بالله ثلاثة اوجه الاول اعلم ان الله اعلمك ان لا اله الا الله الثاني ما علمته استدلالا فاعلمه خبرا يقينا الثالث فاذكر ان لا اله الا الله فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه وعن سفيان بن عيينة انه سيل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حين بدا به فقال فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الي قوله سابقوا الي مغفرة من ربكم وقال اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد ذلك فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد قوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين احدهما يعني استغفر الله ان يقع منك ذنب الثاني استغفر الله ليعصمك من الذنوب وقيل لما ذكر له حال الكافرين والمومنين امره بالثبات على الايمان اي اثبت على ما انت عليه من التوحيد والاخلاص والحذر عما يحتاج معه الي استغفار وقيل الخطاب له والمراد به الامة وعلى هذا القول توجب الاية استغفار الانسان لجميع المسلمين وقيل كان عليه السلام يضيق صدره من كفر الكفار والمنافقين فنزلت الاية فاعلم انه لا كاشف يكشف ما بك الا الله فلا تعلق قلبك باحد سواه وقيل امر بالاستغفار لتقتدي به الامة وللمومنين والمومنات اي ولذنوبهم وهذا امر بالشفاعة وروي مسلم عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس المخزومي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واكلت من طعامه فقلت يا رسول الله غفر الله لك فقال له صاحبي هل استغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم ولك ثم تلا هذه الاية واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ثم تحولت فنظرت الي خاتم النبوة بين كتفيه جمع خيلان كانه الثاليل والله يعلم متقلبكم ومثواكم فيه خمسة اوجه احدها يعلم اعمالكم في تصرفاتكم

علامات الساعة

فيه خمسة اوجه

وانا منكم الثاني متقلبكم في اعمالكم نهارا ومثواكم في ليلكم نياما وقيل متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الدنيا والاخرة قاله ابن عباس والضحاك وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب الاباء الي ارحام الامهات ومثواكم مقامكم في الارض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر الي بطن الي الدنيا ومثواكم في القبور قال المولف رحمه الله والعموم ياتي على هذا كله فلا يخفي عليه سبحانه شي من حركات بني ادم وسكناتهم وكذا جميع خلقه فهو عالم بجميع ذلك قبل كونه جملة وتفصيلا اولي واخري سبحانه لا اله الا هو قوله تعالى ويقول الذين امنوا اي المومنون المخلصون لولا نزلت سورة اشتياقا للوحي وحرصا على الجهاد وثوابه ومعنى لولا هلا فاذا انزلت سورة محكمة لا نسخ فيها قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين وفي قراءة عبد الله فاذا احدثت سورة محدثة اي محدثة النزول وذكر فيها القتال اي فرض فيها الجهاد وقري فاذا انزلت وذكر فيها القتال على البنا للفاعل ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي نظر المغمومين مغتاظين بتحديد وتحديق كمن يشخص بصره عند الموت وذلك لجبنهم عن القتال جزعا وهلعا ولميلهم في السر الي الكفار قوله تعالى فاولي لهم طاعة وقول معروف اولي لهم قال الجوهري قولهم اولي لك تهدد ووعيد قال الشاعر

فاولي ثم اولي ثم اولي ... وهل للدر يحلب من مرد

قال الاصمعي معناه قاربه ما يهلكه اي نزل به وانشد

فعادي بين هاديتين منها ... واولي ان يزيد على الثلاث

اي قارب ان يزيد قال ثعلب ولم يقل احد في اولي احسن مما قال الاصمعي وقال المبرد لمن هم بالعطب ثم افلت اولي لك اي قاربت العطب كما روي ان اعرابيا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولي لك ثم رمي صيدا فقاربه ثم افلت منه فقال

فلو كان اولي يطعم القوم صدتهم ... ولكن اولي يترك القوم جوعا

وقيل هو كقول الرجل لصاحبه يا محروم واي شي فاتك وقال الجرجاني هو ماخوذ من الويل فهو افعل ولكن فيه قلب وهو ان عين الفعل وقع موقع اللام وقد تم الكلام على قوله فاولي لهم قال قتادة كانه قال العقاب اولي لهم وقيل اي وليهم المكروه ثم قال طاعة وقول معروف اي طاعة وقول معروف مثل واحسن وهو مذهب الخليل وسيبويه وقيل ان التقدير امرنا طاعة وقول معروف فحذف المبتدا فيوقف على فاولي لهم وكذا من قدر يقولون منا طاعة وهي قراءة ابي يقولون طاعة يقولون ان الاية الثانية متصلة بالاولي واللام في قوله لهم بمعنى البا اي الطاعة اولي واليق بهم واحق لهم من ترك امتثال امر الله وقيل ان طاعة نعت لسورة على تقدير واذا انزلت سورة ذات طاعة فلا يوقف على هذا على فاولي قال ابن عباس ان قولهم طاعة اخبار من الله عز وجل عن المنافقين والمعنى لهم طاعة وقول معروف قيل وجوب الفرائض عليهم فاذا نزلت الفرائض شق عليهم نزولها فيوقف على هذا على فاولي قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد القتال او وجب فرض القتال كرهوه فكرهوه جواب اذا وهو محذوف وقيل المعنى فاذا عزم اصحاب الامر فلو صدقوا الله اي في الايمان والجهاد لكان خيرا لهم من المعصية والمخالفة قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم اختلف في معنى ان توليتم فقيل هو من الولاية قال ابو العالية المعنى فهل عسيتم ان توليتم الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا في الارض باخذ الرشا وقال الكلبي اي فهل عسيتم ان توليتم امر الامة ان تفسدوا في الارض بالظلم وقال كعب المعنى فهل عسيتم ان توليتم الامر ان يقتل بعضكم بعضا وقيل من الاعراض عن الشي قال قتادة اي فهل عسيتم ان توليتم عن كتاب الله عز وجل ان تفسدوا في الارض بسفك الدما الحرام وتقطعوا ارحامكم وقال ابن جريج فهل عسيتم ان توليتم عن طاعة الله ان تفسدوا في الارض بالمعاصي وقطع الارحام وقيل فهل عسيتم اي فلعلكم ان اعرضتم عن القتال وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض فتعودوا الي جاهليتكم وقري بفتح السين وكسرها وقد مضى في البقرة القول فيه وقال بكر المزني انها نزلت في الحرورية والخوارج وفيه بعد والاظهر انها انما عني بها المنافقين وقال ابن حيان قريش ونحوه قال ابن المسيب بن شريك والفرا نزلت في بني امية وبني هاشم ودليل هذا التاويل ما روي عبد الله بن مغفل قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض ثم قال هم هذا الحي من قريش اخذ الله عليهم ان ولوا الناس ان لا تفسدوا في الارض ولا يقطعوا ارحامهم و

مكم

فلو صدقوا الله اي في الايمان والجهاد لكان خيرا لهم

على ابن ابي طالب ان توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام وهي قراءة ابن ابي اسحاق ورواها رويس عن
يعقوب يقول ان تولينكم ولاة جائرة خرجتم معهم في الفتنة وحاربتموهم وتقطعوا ارحامكم بالبغي
والظلم والقتل وقرا يعقوب وسلام وعيسى وابو حاتم وتقطعوا بفتح اليا وتخفيف القاف من القطع
اعتبارا بقوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل وروي هذه القراءة هرون عن ابي عمرو وقراءة
الحسن وتقطعوا مقطعة الحروف مشددة اعتبارا بها له وتقطعوا امرهم بينهم الباقون وتقطعوا بضم
التاء مشددة الطا من التقطيع على التكثير وهي اختيار ابي عبيد وتقدم ذكر عسيتم في البقرة وقال
الزجاج في قراءة نافع لو جاز هذا لجاز عسى بالكسر قال الجوهري يقال عسيت ان افعل ذلك وعسيت
بالكسر وقرئ فهل عسيتم بالكسر قال الشيخ رحمه الله ويدل قوله هذا على انها لغتان وقد مضى القول فيه
في البقرة مستوفى اولئك الذين لعنهم الله اي طردهم وابعدهم من رحمته فاصمهم عن الحق واعمى ابصارهم
اي قلوبهم عن الخير فاتبع الاخبار بان من فعل ذلك حقت عليه لعنته وتسلبه الانتفاع بسمعه وبصره
حتى لا ينقاد للحق وان سمعه فجعله كالبهيمة التي لا تعقل وقال فهل عسيتم ثم قال اولئك الذين لعنهم الله
فرجع من الخطاب الى الغيبة على عادة العرب في ذلك **الثانية** قوله تعالى افلا يتدبرون القران اي
يتفهمونه فيعلمون ما اعد الله للذين امنوا ولم يتولوا عن الاسلام ام على قلوب اقفالها اي بل على قلوب
اقفال اقفلها الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون وهذا يرد على القدرية والامامية قولهم وفي حديث
مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليها اقفالا كاقفال الحديد حتى يكون الله يفتحها واصل
القفل اليبس والصلابة ويقال لما يبس من الشجر القفل والقفيل مثله ايضا نبت والقفيل السوط قال
الراجز

كيف قربت شيخك الادبا لما اتاك يابسا قرشبا
قمت اليه بالقفيل ضربا كيف قربت شيخك الادبا

القرشب بكسر القاف المسن عن الاصمعي واقفله الصوم اي ايبسه قاله القشيري والجوهري والاقفال
هاهنا اشارة الى ارتياح القلب وخلوه عن الايمان اي لا يدخل قلوبهم الايمان ولا يخرج منها الكفر لان
الله طبع على قلوبهم وقال على قلوب اقفالها لانه لو قال على قلوبهم لم يدخل قلب غيرهم في هذه الجملة
والمراد ام على قلوب هؤلاء وقلوب من كانوا بهذه الصفة اقفالها **الثالثة** في صحيح مسلم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك
من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك لك ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم الاية
وظاهرها انها خطاب لجميع الكفار وقال قتادة وغيره معنى الاية فلعلكم او يخاف عليكم ان اعرضتم عن الايمان
ان تعودوا الى الفساد في الارض بسفك الدما قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى الم
تسفكوا الدما الحرام وتقطعوا الارحام وعصوا الرحمن فالرحم على هذا رحم دين الاسلام والايمان التي
قد سماها الله تعالى اخوة بقوله انما المؤمنون اخوة وعلى قول الفرا ان الاية نزلت في بني هاشم وبني امية
والمراد من اضمر منهم نفاقا فاشار بقطع الرحم الى ما كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم من القرابة
بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القتال وبالجملة فالرحم على وجهين خاصة وعامة فالعامة
رحم الدين وتجب مواصلتها بملازمة الايمان والمحبة لاهله ونصرتهم والنصيحة لهم وترك مضارتهم والعدل
بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم والصلاة
عليهم ودفنهم وغير ذلك من الحقوق المرتبة لهم واما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طرفي الرجل ابيه وامه فتجب
لهم الحقوق العامة وزيادة كالنفقة وتفقد احوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم في اوقات ضروراتهم
وتتاكد في حقهم حقوق الرحم العامة حتى اذا تزاحمت الحقوق بدي بالاقرب فالاقرب وقال بعض اهل العلم
ان الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم فلا تجب عليه في بني الاعمام وبني الاخوال وقيل بل هذا في كل رحم ممن
ينطلق عليه ذلك من ذوي الارحام في المواريث محرما كان او غير محرم فيخرج من هذا ان رحم الام التي لا
يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم وهذا ليس بصحيح والصواب ان كل ما يشمله ويعمه الرحم تجب
صلته على كل حال قربة ودينية على ما ذكرناه اولا والله اعلم وقد ذكر ابو داود الطيالسي في مسنده قال
حدثنا شعبة قال اخبرني محمد بن عبد الجبار قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن ابي هريرة قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للرحم لسانا يوم القيامة تحت العرش يقول يا رب قطعت يا رب
ظلمت يا رب اسي الي فيجيبها ربها الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وفي صحيح مسلم عن جبير بن
مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع رحم قال ابن ابي عمر قال سفيان يعني قاطع رحم ورواه
البخاري **الرابعة** قوله عليه السلام ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم خلق بمعنى اخترع واصله التقدير
كما تقدم والخلق هنا بمعنى المخلوق ومنه قوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه ومعنى فرغ منهم كمل خلقهم
لا انه اشتغل بهم ثم فرغ من شغله بهم اذ ليس فعله بمباشرة ولا مناولة ولا خلقه بالة ولا محاولة تعالى
عن ذلك وقوله فقامت الرحم فقالت يحمل على احد وجهين احدهما ان يكون الله تعالى اقام من يتكلم عن الرحم
من الملائكة فيقول ذلك وكانه وكل بهذه العبادة من يناضل عنها ويكتب ثواب من وصلها ووزر من قطعها
كما قد وكل الله بسائر الاعمال كراما كاتبين وبمشاهدة اوقات الصلاة ملايكة متعاقبين وثانيهما
ان ذلك على جهة التقدير والتمثيل المفهوم للاعيا وشدة الاعتنا فكانه قال لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم
لقالت هذا الكلام كما قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم
قال وتلك الامثال نضربها للناس فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة مقصود هذا الكلام الاخبار
بتاكد امر صلة الرحم وانه تعالى قد نزلها بمنزلة من استجار به فاجاره فادخله في ذمته وحمايته واذا كان كذلك
فجار الله غير مخذول وعهده غير منقوض ولذلك قال مخاطبا للرحم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع
من قطعك وهذا كما قال عليه السلام من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشي فانه
من يطلبه بذمته بشي يدركه ثم يكبه في النار على وجهه قوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم
قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعدما عرفوا نعته عندهم وقاله ابن جريج
وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون قعدوا عن القتال بعدما علموه في القران الشيطان
سول لهم اي زين لهم خطاياهم قاله الحسن واملى لهم اي مد لهم الشيطان في الامل ووعدهم طول العمر عن
الحسن ايضا وقيل ان الذي املى لهم في الامل ومد في اجالهم هو الله عز وجل قاله الفرا والمفضل وقال الكلبي
ومقاتل ان معنى املى لهم امهلهم فعلى هذا يكون الله تعالى املى لهم بالامهال في عذابهم وقرا ابو عمرو وابن ابي
اسحاق وعيسى بن عمر وابو جعفر وشيبة واملي لهم بضم الهمزة وكسر اللام وفتح اليا على ما لم يسم فاعله وكذلك
قرا ابن مسعود ومجاهد والجحدري ويعقوب الا انهم سكنوا اليا على وجه الخبر من الله عز وجل عن نفسه انه يفعل ذلك بهم
كانه قال وانا املي لهم واختاره ابو حاتم قال لان فتح الهمزة يوهم ان الشيطان يملي لهم وليس كذلك فلهذا
عدل الى الضم قال المهدوي ومن قرا واملى لهم فالفاعل اسم الله تعالى وقيل الشيطان واختار ابو عبيد
قراءة العامة قال لان المعنى معلوم لقوله ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه رد
التسبيح على اسم الله والتوقير والتعزير على اسم الرسول قوله تعالى ذلك بانهم قالوا
اي ذلك الاملاء لهم حتى يتمادوا في الكفر بانهم قالوا يعني المنافقين واليهود للذين كرهوا ما نزل الله وهم
المشركون سنطيعكم في بعض الامر اي في مخالفة محمد والتظاهر على عداوته والقعود عن الجهاد معه
وتوهين امره في السر وهم انما قالوا ذلك سرا فاخبر الله نبيه وقراءة العامة اسرارهم بفتح الهمزة
جمع سر وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا الكوفيون ابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وحفص
عن عاصم اسرارهم بكسر الهمزة على المصدر نحو قوله تعالى واسررت لهم اسرارا جمع لاختلاف ضروب
السرور قوله تعالى فكيف اي فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة يضربون اي ضاربين
فهو في موضع الحال ومعنى الكلام التخويف والتهديد اي ان تاخر عنهم العذاب فالى انقضاء العمر وقد
مضى في الانفال والنحل وقال ابن عباس لا يتوفى احد على معصيته الا بضرب شديد لوجهه وقفاه وقيل
ذلك عند القتال نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الملائكة وجوههم عند الطلب وادبارهم عند
الهرب وقيل ذلك في القيامة عند سوقهم الى النار قوله تعالى ذلك اي ذلك جزاؤهم بانهم
اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه قال ابن عباس هو كتمانهم ما في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وان حملت على المنافقين فهو اشارة الى ما اضمروا عليه من الكفر وكرهوا رضوانه يعني الايمان فاحبط
اعمالهم اي ما عملوه من صدقة وصلة رحم وغير ذلك على ما تقدم قوله تعالى ام حسب الذين في
قلوبهم مرض نفاق وشك يعني المنافقين ان لن يخرج الله اضغانهم الاضغان ما يضمر من المكروه واختلف

في صلة الرحم

فالرحم على وجهين

اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك

في معناه فقال السدي غشهم وقال ابن عباس حسدهم وقال قطرب عداوتهم وانشد قول الشاعر

قل لابن هند ما اردت بمنطق ساء الصديق وشيد الاضغانا

وقيل احقادهم واحدها ضغن قال وذي ضغن كففت النفس عنه وقد تقدم وقال عمرو بن كلثوم وان الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا

وتضاغن القوم واضطغنوا ابطنوا على الاحقاد واطعنت الصبي اذا اخذته تحت حضنك وانشد الاحمر

كانه مضطغن صبيا اي حامله في حجره وقال ابن مقبل

اذا اضطغنت سلاحي عند مغرضها ومرفق كرئاس السيف اذ شسفا

وفرس ضاغن لا يعطي ما عنده من الجري الا بالضرب والمعنى ام حسبوا ان لن يظهر الله عداوتهم وحقدهم لاهل الاسلام ولو نشاء لاريناكهم اي لعرفناكهم قال ابن عباس وقد عرفهم اياهم في سورة براءة بقول العرب سارايك ما اصنع اي ما علمك ومنه قوله تعالى بما اراك الله اي بما اعلمك فلتعرفنهم بسيماهم اي بعلاماتهم قال انس ما خفي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم قال ولقد كنا في غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشكوهم الناس فاصبحوا ذات ليلة وعلى جبهة كل واحد مكتوب هذا منافق فذلك سيماهم وقال ابن زيد قدر الله اظهارهم وامر ان يخرجوا من المسجد فابوا الا ان يتمسكوا بلا اله الا الله فحقنت دماؤهم ونكحوا وانكحوا بها ولتعرفنهم في لحن القول اي في فحواه ومعناه ومنه قول الشاعر

وخير الكلام ما كان لحنا اي ما عرف بالمعنى ولم يصرح به مأخوذ من اللحن في الاعراب وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض اي اذهب بها في الجواب لقوته على تصريف الكلام ابو زيد لحنت له بالفتح الحن لحنا اذا قلت له قولا يفهمه عنك ويخفى على غيره ولحنه هو عني بالكسر يلحنه لحنا اي فهمه والحنته انا اياه ولاحنت الناس فاطنتهم قال الفزاري وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق رائع وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا يريد انها تتكلم وهي تريد غيره وتعرض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها وقد قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقال القتال الكلابي

ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب وقال مرار الاسدي

ولحنت لحنا فيه غش ورابني صدودك ترضين الوشاة الاعاديا

قال الكلبي فلم يتكلم بعد نزولها منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه وقيل كان المنافقون يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم بكلام تواضعوه فيما بينهم والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر المعتاد فنبهه الله عليه فكان بعد هذا يعرف المنافقين اذا سمع كلامهم قال انس فلم يخف منافق بعد هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه الله ذلك بوحي او علامة عرفها بتعريف الله اياه والله يعلم اعمالكم اي لا يخفى عليه شيء منها **قوله تعالى** ولنبلونكم اي نتعبدكم بالشرائع وان علمنا عواقب الامور وقيل لنعاملنكم معاملة المختبر حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين عليه قال ابن عباس حتى نعلم حتى نميز وقال علي رضي الله عنه حتى نعلم حتى نرى وقد مضى في البقرة وقراءة العامة بالنون في نبلونكم ونعلم ونبلو وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء فيهن وروى رويس عن يعقوب اسكان الواو من نبلو على القطع مما قبل ونصب الباقون ردا على قوله حتى نعلم وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزاء لانه انما يجازيهم باعمالهم لا بعلمه القديم عليهم فتاويله حتى نعلم المجاهدين منكم علم شهادة لانهم اذا امروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا فالجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة ونبلو اخباركم نختبرها ونظهرها قال ابراهيم بن الاشعث كان الفضيل بن عياض اذا قرا هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا **قوله تعالى** ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يرجع الى المنافقين او الى اليهود وقال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر نظيره ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وشاقوا الرسول اي عادوه وخالفوه من بعد ما تبين لهم الهدى اي علموا انه نبي بالحجج والآيات لن يضروا الله شيئا بكفرهم وسيحبط اعمالهم اي ثواب ما عملوه **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لما بين حال الكفار امر المؤمنين بلزوم الطاعة في اوامره والرسول في سننه ولا تبطلوا اعمالكم

اللحن في الاعراب هو الذهاب عن الصواب

اي حسناتكم بالمعاصي قاله الحسن وقال الزهري بالكبائر وقال ابن جريج بالرياء والسمعة وقال مقاتل والثمالي بالمن وهو خطاب لمن كان يمن على النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وكله متقارب وقول الحسن يجمعه وفيه اشارة الى ان الكبائر تحبط الطاعات والمعاصي تخرج عن الايمان الثانية احتج علماؤنا وغيرهم بهذه الآية على ان التحلل من التطوع صلاة كان او صوما بعد التلبس به لا يجوز لان فيه ابطال العمل وقد نهى الله عنه وقال من اجاز ذلك وهو الشافعي وغيره المراد بذلك ابطال ثواب العمل المفروض فنهى الله عن احباط ثوابه فاما ما كان نفلا فلا لانه ليس واجبا عليه فان زعموا ان اللفظة تمام والعام يجوز تخصيصه ووجه تخصيصه ان النفل تطوع والتطوع يقتضي تخييرا وعن ابي العالية كانوا يرون انه لا يضر مع الاسلام ذنب حتى نزلت هذه الآية فخافوا الكبائر ان تحبط الاعمال وقال مقاتل يقول الله تعالى اذا عصيتم الرسول فقد ابطلتم اعمالكم **قوله تعالى** ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اخرج غيرهم ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم بين ان الاعتبار بالوفاة على الكفر يوجب الخلود في النار وقد مضى في البقرة الكلام فيه وقيل ان المراد بالآية اصحاب القليب وحكمها عام **قوله تعالى** فلا تهنوا وتدعوا الى السلم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله فلا تهنوا اي تضعفوا عن القتال والوهن الضعف وهو وهن الانسان ووهنه غيره يتعدى ولا يتعدى قال اني لست بموهن فقير ووهن ايضا بالكسر وهنا اي ضعف وقرئ فما وهنوا بضم الهاء وكسرها وقد مضى في آل عمران الثانية قوله تعالى وتدعوا الى السلم اي الصلح وانتم الاعلون اي وانتم اعلم منهم وقيل وانتم الاعلون في الحجة وقيل المعنى وانتم الغالبون لانكم مؤمنون وان غلبوكم في الظاهر في بعض الاحوال وقال قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها الثالثة اختلف العلماء في حكمها فقيل انها ناسخة لقوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لان الله تعالى منع من الميل الى الصلح اذا لم يكن بالمسلمين حاجة الى الصلح وقيل منسوخة بقوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقيل هي محكمة والآيتان نزلتا في وقتين مختلفي الاحوال وقيل ان قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها مخصوص في قوم باعيانهم والاخرى عامة فلا يجوز مهادنة الكفار الا عند الضرورة وذلك اذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين وقد مضى هذا المعنى مستوفى والله معكم بالنصر والمعونة مثل وان الله لمع المحسنين ولن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم عن ابن عباس وغيره ومنه الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول منه وتره يتره وترا وترة ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اي ذهب بهما وكذلك وتره حقه اي نقصه وقوله تعالى لن يتركم اعمالكم اي لن ينتقصكم في اعمالكم كما تقول دخلت البيت وانت تريد في البيت قاله الجوهري الفراء ولن يتركم هو مشتق من الوتر وهو الدخل وقيل هو مشتق من الوتر وهو الفرد فكان المعنى ولن يفردكم بغير ثواب **قوله تعالى** انما الحياة الدنيا لعب ولهو تقدم في الانعام وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم شرط وجوابه ولا يسألكم اموالكم اي لا يأمركم باخراج جميعها في الزكاة بل امر باخراج قاله ابن عيينة وغيره وقيل لا يسألكم اموالكم انما يسألكم امواله لانه املك لها وهو المنعم باعطائها وقيل لا يسألكم محمد اموالكم اجرا على تبليغ الرسالة نظيره قل ما اسألكم عليه من اجر الآية ان يسألكموها فيحفكم يلح عليكم يقال احفى بالمسألة والحف والح بمعنى واحد والحفي المستقصي في السؤال وكذلك الاحفاء الاستقصاء في الكلام والمنازعة ومنه احفى شاربه اي استقصى في اخذه تبخلوا ويخرج اضغانكم اي يخرج البخل اضغانكم قال قتادة قد علم الله ان في سؤال المال خروج الاضغان وقرا ابن عباس ومجاهد وابن محيصن وحميد وتخرج بتاء مفتوحة وراء مضمومة اضغانكم بالرفع لكونه الفاعل وروى الوليد عن يعقوب الحضرمي ونخرج بالنون وابن معمر من عبد الوارث عن ابي عمرو ويخرج بالرفع في الجيم على القطع والاستئناف والمشهور عنه ويخرج كسائر القراء عطف على ما تقدم **قوله تعالى** ها انتم هؤلاء تدعون اي ها انتم هؤلاء ايها المؤمنون تدعون لتنفقوا في سبيل الله اي في الجهاد وطريق الخير فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي على نفسه اي يمنعها الاجر والثواب والله الغني اي انه ليس بمحتاج الى اموالكم وانتم الفقراء اليها وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم اي اطوع لله منكم روى الترمذي عن ابي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقومه قال حديث غريب في اسناده مقال وقد روى عبد الله بن جعفر بن نجيح والد علي بن المديني ايضا هذا الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا

فضرب على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقومه

استبدلوا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان في جنب الي جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضرب
رسول الله فخذ سلمان قال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجل
من فارس وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم قال المحاسبي فلا احد بعد العرب من جميع اجناس
الاعاجم احسن دينا ولا كانت منهم العلماء الا الفرس وقيل انهم اهل اليمن وهم الانصار قاله شريح بن عبيد
وابن عباس وعنه انهم الملائكة وعنه انهم التابعون وقال مجاهد انهم من شاء من سائر الناس ثم لا يكونوا امثالكم
قال الطبري اي في البخل بالانفاق في سبيل الله وحكي عن ابي موسى الاشعري انه لما نزلت هذه الاية فرح بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي احب الي من الدنيا ختمت السورة المباركة بحمد الله والمنة

تفسير سورة الفتح

مدنية باجماع وهي تسع وعشرون اية ونزلت ليلا بين مكة والمدينة في شان الحديبية روي محمد بن اسحق عن
الزهري عن عروة بن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شان الحديبية
من اولها الى اخرها وفي الصحيحين عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض
اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فساله عمر عن شيء فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه فقال
عمر بن الخطاب ثكلتك في بعض نسخ ذلك وعليه تصحيح ام عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
كل ذلك لا يجيبك فقال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قران فما نشبت
ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قران فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك
فتحا مبينا لفظ البخاري وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح وفي صحيح مسلم عن قتادة ان انس بن مالك
حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن
والكابة وقد نحر الهدي بالحديبية فقال لقد انزلت علي اية هي احب الي من الدنيا جميعا وقال عطا عن
ابن عباس ان اليهود شمتوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله وما ادري ما يفعل بي ولا
بكم وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ونحوه قال مقاتل بن سليمان قال لما نزل
قوله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل
به ولا باصحابه فنزلت بعد ما رجع من الحديبية انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا قضاء فنسخت هذه
الاية تلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورة ما يسرني بها حمر النعم وقال المسعودي بلغني
ان من قرا سورة الفتح في اول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله في ذلك العام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلف في هذا الفتح ما هو ففي البخاري حدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة
قال سمعت قتادة عن انس انا فتحنا لك فتحا قال الحديبية وقال جابر ما كنا نعد فتح مكة الا يوم الحديبية وقال
البراء تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا نعد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا
بغير قتال وكان الصلح من الفتح وقال مجاهد هو منحره بالحديبية وحلقه راسه وكان فتح الحديبية اية عظيمة
نزح ماؤها فمج فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقال موسى بن عقبة قال رجل منصرفهم عن
الحديبية ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون
ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسالوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا
وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال هو فتح الحديبية لقد اصاب فيها ما لم يصب في غزوة غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبويع بيعة الرضوان واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت
الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لقد كان الحديبية اعظم
الفتوح وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليها في الف واربع مائة فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم
في بعض وعلموا وسمعوا عن الله فما اراد احد الاسلام الا تمكن فما مضت تلك السنتان الا والمسلمون

قالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به. فنزل

قد جاؤوا الى مكة في عشرة الاف وقال مجاهد ايضا والعوفي هو فتح خيبر والاول اكثر وخيبر انما كانت
وعدا وعدوه على ما ياتي بيانه في قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم كثيرة تاخذونها
فعجل لكم هذه وقال مجمع بن حارثة وكان احد القراء الذين قرؤوا القران شهدنا الحديبية مع النبي
صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا اوحي
الله الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا نبي الله صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم فلما اجتمع
الناس قرا النبي صلى الله عليه وسلم قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر بن الخطاب اوفتح هو يا رسول الله قال
نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية وقيل ان قوله تعالى فتحا يدل على ان مكة
فتحت عنوة لان اسم الفتح لا يقع مطلقا الا على ما فتح عنوة هذا هو حقيقة الاسم وقد يقال فتح البلد
صلحا فلا يفهم الصلح الا بان يقترن بالفتح فصار الفتح في الصلح مجازا والاخبار دالة على انها فتحت عنوة وقد
مضى القول فيها وياتي **قوله تعالى** ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال ابن الانباري
فتحا مبينا غير تام لان قوله ليغفر لك الله ما تقدم متعلق بالفتح كانه قال انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع
الله لك مع الفتح المغفرة فيجمع لك به ما تقر به عينك في الدنيا والاخرة وقال ابو حاتم السجستاني هي لام
القسم وهذا خطا لان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد بتأويل ليقومن زيد
الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من
الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك
فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين واعراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح
مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب وفي الترمذي عن انس قال انزلت على النبي
صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لقد انزلت علي اية احب الي مما على وجه الارض ثم قراها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد
بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات حتى بلغ فوزا
عظيما قال هذا حديث حسن صحيح وفيه عن مجمع بن حارثة واختلف اهل التاويل في معنى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقيل ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر بعدها قاله مجاهد ونحوه قال الطبري
وسفيان الثوري وقال الطبري هو راجع الى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر الى وقت
نزول هذه الاية وقال سفيان الثوري ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ما عملته في الجاهلية قبل ان يوحى
اليك وما تاخر كل شيء لم تعمله وقاله الواحدي وقد مضى الكلام في جريان الصغائر على الانبياء في البقرة
فهذا قول وقيل ما تقدم قبل الوحي وما تاخر بعد الوحي وقيل ما تقدم قبل نزول هذه الاية وما تاخر
بعدها وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابويك ادم وحوى وما تاخر من ذنوب امتك
وقيل من ذنب ابيك ابراهيم وما تاخر من ذنوب النبيين وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تاخر من
ذنب يوم حنين وذلك ان الذنب المتقدم يوم بدر انه جعل يدعو ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض ابدا وجعل يردد هذا القول دفعات فاوحى الله اليه من اين تعلم انه لو اهلكت هذه
العصابة لا اعبد ابدا فكان هذا الذنب المتقدم واما الذنب المتاخر فيوم حنين لما انهزم الناس قال لعمه العباس
ولابن عمه ابي سفيان ناولاني كفا من حصباء الوادي فناولاه فاخذه بيده ورمى به في وجوه المشركين
وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون فانهزم القوم عن اخرهم ولم يبق احد الا امتلأت عيناه رملا
وحصباء ثم نادى في اصحابه فرجعوا فقال لهم عند رجوعهم لو لم ارمهم لم ينهزموا فانزل الله وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى فكان هذا الذنب المتاخر وقال ابو علي الروذباري يقول لو كان لك ذنب قديم او حديث
لغفرناه لك **قوله تعالى** ولتتم نعمته عليك قال ابن عباس في الجنة وقيل بالنبوة والحكمة
وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من تجبر ويهديك صراطا
مستقيما اي يثبتك على الهدى الى ان يقبضك اليه وينصرك الله نصرا عزيزا اي غالبا منيعا لا يتبعه
ذل **قوله تعالى** هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
السكينة السكون والطمانينة قال ابن عباس كل سكينة في القران هي الطمانينة الا التي في البقرة وتقدم

معنى زيادة الايمان في ال عمران وقال ابن عباس بعث النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوه فيها زادهم الصلاة فلما صدقوه زادهم الزكاة فلما صدقوه زادهم الصيام فلما صدقوه زادهم الحج ثم اكمل لهم دينهم فذلك قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي تصديقا بشرائع الايمان مع تصديقهم بالايمان وقال الربيع بن انس خشية مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم ولله جنود السموات والارض قال ابن عباس يريد الملائكة والجن والشياطين والانس وكان الله عليما حكيما عليما باحوال خلقه حكيما فيما يريده

قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري اي انزل السكينة ليزدادوا ايمانا ثم تلك الزيادة سبب ادخالهم الجنة وقيل اللام في ليدخل متعلق بما تعلق به اللام في قوله ليغفر لك الله ما تقدم وكان ذلك اي ذلك الوعد من دخول مكة وغفران الذنوب عند الله فوزا عظيما اي نجاة من كل غم وظفرا بكل مطلوب وقيل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قالوا هنيا لك يا رسول الله فنزلت واتممت عليكم نعمتي فلما قال ويهديك صراطا مستقيما نزل في حق الامة ويهديكم صراطا مستقيما ولما قال وينصرك الله نصرا عزيزا انزل وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهو كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال وهو الذي يصلي عليكم ذكره القشيري **قوله تعالى** ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اي باتصال الهموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وبان يسلط النبي صلى الله عليه وسلم قتلا واسرا واسترقاقا الظانين بالله ظن السوء يعني ظنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرجع الى المدينة ولا احد من اصحابه حين خرج الى الحديبية وان المشركين يستاصلونهم كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وقال الخليل وسيبويه السوء هنا الفساد عليهم دائرة السوء في الدنيا بالقتل والسبي والاسر وفي الاخرة جهنم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وفتح الباقون قال الجوهري ساءه يسوءه سوءا بالفتح ومساءة ومسائية نقيض سره والاسم السوء بالضم وقرئ عليهم دائرة السوء يعني الهزيمة والشر ومن فتح فهو من المساءة وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما تقدم في غير موضع جميعه والحمد لله لما جرى صلح الحديبية قال ابن ابي ابظن محمد انه اذا اصلح اهل مكة او فتحها لا يبقى له عدو فاين فارس والروم فبين الله عز وجل ان جنود السموات والارض اكثر من فارس والروم وقيل يدخل فيه جميع المخلوقات وقال ابن عباس ولله جنود السموات الملائكة وجنود الارض المؤمنون واعاد لان الذي سبق عقيب ذكر المشركين من قريش وهذا عقيب ذكر المنافقين وسائر المشركين والمراد في الموضعين التخويف والتهديد فلو اراد هلاك المشركين والمنافقين لم يعجزه ذلك ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى **قوله تعالى** انا ارسلناك شاهدا قال قتادة على امتك بالبلاغ وقيل شاهدا عليهم باعمالهم من طاعة او معصية وقيل مبينا لهم ما ارسلناك به اليهم وقيل شاهدا عليهم يوم القيامة فهو شاهد افعالهم اليوم والشهيد عليهم يوم القيامة وقد مضى في النساء عن سعيد بن المسيب هذا المعنى مبينا ومبشرا لهم بالجنة ونذيرا من النار لمن عصى وقد مضى في البقرة اشتقاق البشارة والنذارة ومعناهما وانتصب شاهدا ومبشرا ونذيرا على الحال المقدرة حكى سيبويه مررت برجل معه صقر صائدا به غدا فالمعنى انا ارسلناك مقدرين شهادتك يوم القيامة وعلى هذا تقول رايت عمرا قائما غدا لتؤمنوا بالله ورسوله قرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو ليؤمنوا بالياء وكذلك يعزروه ويوقروه ويسبحوه كله بالياء على الخبر واختاره ابو عبيد لذكر المؤمنين قبله وبعده فاما قبله فقوله ليدخل المؤمنين واما بعده فقوله ان الذين يبايعونك الباقون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم وتعزروه اي تعظموه وتفخموه قاله الحسن والكلبي والتعزير التعظيم والتوقير وقال قتادة تنصروه وتمنعوا منه ومنه التعزير في الحد لانه مانع قال القطامي

الا بكرت مي بغير سفاهة   تعاتب والود ينفعه العزر

وقال ابن عباس وعكرمة تقاتلون معه بالسيف وقال بعض اهل اللغة تطيعوه وتوقروه اي تسودوه قاله السدي وقيل تعظموه والتوقير التعظيم والترزين ايضا والهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم وهنا وقف تام ثم تبتدي وتسبحوه اي تسبحوا الله بكرة واصيلا اي عشيا وقيل الضمائر كلها لله تعالى فعلى هذا يكون تاويله ويعزروه ويوقروه اي يثبتوا له صحة الربوبية وينفوا عنه عن ان

الملكة وجنود

والمراد في الموضعين التخويف والتهديد

يكون له ولدا او شريك واختار هذا القول القشيري والاول قول الضحاك وعليه يكون بعض الكلام راجعا الى الله سبحانه وهو وتسبحوه بغير خلاف وبعضه راجعا الى رسوله وهو وتعزروه وتوقروه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية وفي وتسبحوه وجهان احدهما تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح والثاني هو فعل الصلاة التي فيها التسبيح بكرة واصيلا اي غدوة وعشيا وقد مضى القول فيه وقال الشاعر

لعمري لانت البيت اكرم اهله   واجلس في افنائه بالاصائل

قوله تعالى ان الذين يبايعونك اي بالحديبية يا محمد انما يبايعون الله بين ان بيعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم انما هي بيعة الله كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان على ما ياتي بيانها في هذه السورة ان شاء الله يد الله فوق ايديهم قيل المعنى يده في الثواب فوق ايديهم في الوفا ويده في المنة عليهم بالهداية فوق ايديهم في الطاعة وقال الكلبي معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة وقال ابن كيسان قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم فمن نكث بعد البيعة فانما ينكث على نفسه اي يرجع ضرر النكث عليه لانه حرم نفسه الثواب والزمها العقاب ومن اوفى بما عاهد عليه الله قيل في البيعة وقيل في ايمانه فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الجنة وقرا حفص والزهري عليه الله بضم الهاء وجرها الباقون وقرا نافع وابن كثير وابن عامر فسنؤتيه بالنون واختاره الفراء وابو معاذ وقرا الباقون بالياء وهو اختيار ابو عبيد وابي حاتم لقربه من اسم الله منه **قوله تعالى** سيقول لك المخلفون من الاعراب قال مجاهد وابن عباس يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم واشجع والديل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد السفر الى مكة عام الفتح بعد ان كان استنفرهم ليخرجوا معه حذرا من قريش واحرم بعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقلوا عنه واعتلوا بالشغل فنزلت وانما قال المخلفون لان الله خلفهم عن صحبة نبيه والمخلف المتروك وقد مضى في براءة شغلتنا اموالنا واهلونا اي ليس لنا من يقوم بهما فاستغفر لنا جاءوا يطلبون الاستغفار واعتقادهم بخلاف ظاهرهم ففضحهم الله تعالى بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا هو النفاق المحض قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا قرا حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد هنا فقط اي امرا يضركم وقال ابن عباس الهزيمة الباقون بالفتح وهو مصدر ضررته ضرا وبالضم اسم لما ينال الانسان من الهزال وسوء الحال والمصدر يؤدي عن المرة واكثر واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لانه قابله بالنفع وهو ضد الضر وقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفقر والضعف والضعف او اراد بكم نفعا اي نصرا وغنيمة وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن الرسول يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع **قوله تعالى** بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس لا يرجعون وزين ذلك اي النفاق في قلوبهم وهذا التزيين من الشيطان او يخلق الله ذلك في قلوبهم وظننتم ظن السوء ان الله لا ينصر رسوله وكنتم قوما بورا اي هلكى قاله مجاهد وقال قتادة فاسدين لا يصلحون لشيء من الخير قال الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه قال عبد الله بن الزبعرى السهمي

يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور وامراة بور ايضا حكاه ابو عبيد وقوم بور هلكى قال تعالى وكنتم قوما بورا وهو جمع بائر مثل حائل وحول وقد بار فلان اي هلك واباره الله اهلكه وقيل بورا اشرارا قاله ابن بحر قال حسان بن ثابت

لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد   يهدي الاله سبيل المعشر البور

اي الهالك **قوله تعالى** ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وعيد لهم وبيان انهم كفروا بالنفاق **قوله تعالى** ولله ملك السموات والارض اي هو غني عن عباده وانما ابتلاهم بالتكليف ليثيب من امن ويعاقب من كفر وعصى **قوله تعالى** سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر لان الله وعد اهل الحديبية فتح خيبر وانها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر قال ابو اسحق وكان المتولي للقسمة بخيبر جبار بن صخر الانصاري من بني سلمة وزيد بن ثابت من بني النجار كانا حاسبين قاسمين ذرونا نتبعكم اي دعونا تقول ذره اي دعه وهو يذره اي يدعه واصله وذره يذره مثال وسعه يسعه وقد اميت مصدره لا يقال وذره ولا واذر ولكن تركه وهو تارك قال مجاهد

ق

تخلفوا عن الخروج الي مكة فلما خرج النبي صلي الله عليه وسلم واخذ قوما ووجه بهم قالوا ذرونا نتبعكم فنقاتل معكم يريدون ان يبدلوا اي يغيروا كلام الله قال ابن زيد هو قوله تعالي فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا الاية وانكر هذا القول الطبري وغيره بسبب ان غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة وقيل المعني يريدون ان يغيروا وعد الله الذي وعد لاهل الحديبية وذلك ان الله تعالي جعل لهم غنائم خيبر عوضا من فتح مكة اذ رجعوا من الحديبية علي صلح قاله مجاهد وقتادة واختاره الطبري وعليه عامة اهل التاويل وقرا حمزة والكسائي كلم الله باسقاط الالف وكسر اللام جمع كلمة نحو سلمة وسلم الباقون كلام علي المصدر واختاره ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا بقوله اني اصطفيتك علي الناس برسالاتي وبكلامي والكلام ما استقل بنفسه من الجمل قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع علي القليل والكثير والكلم لا يكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبقة ونبق ولهذا قال سيبويه هذا باب علم ما الكلم من العربية ولم يقل ما الكلام لانه اراد نفس ثلاثة اشيا الاسم والفعل والحرف فجا بما لا يكون الا جمعا وترك ما يمكن ان يقع علي الواحد والجماعة وتميم تقول هي كلمة بكسر الكاف وقد مضي في براءة القول فيها كذلكم قال الله من قبل اي من قبل رجوعنا من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة فسيقولون بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم وقيل قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان خرجتم لم امنعكم الا انه لا سهم لكم فقالوا هذا حسد فقال المسلمون قد اخبر الله بالحديبية بما سيقوله وهو قوله فسيقولون بل تحسدوننا فقال الله تعالي بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون الا امر الدنيا وقيل لا يفقهون من امر الدين الا قليلا وهو من ترك النفاق **قوله تعالي** قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الي قوم اولي باس شديد فيه اربع مسائل الاولي قوله تعالي قل للمخلفين من الاعراب اي قل لهولاء الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الي قوم اولي باس شديد قال ابن عباس وعطا ابن ابي رباح ومجاهد وابن ابي ليلي وعطا الخراساني هم فارس وقال كعب والحسن وعبد الرحمن بن ابي ليلي الروم وعن الحسن ايضا فارس والروم وقال ابن جبير هوازن وثقيف وقال عكرمة هوازن وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة وقال رافع بن خديج والله لقد كنا نقرا هذه الاية فيما مضي ستدعون الي قوم اولي باس شديد فلا نعلم من هم حتي دعانا ابو بكر الي قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة لم تات هذه الاية بعد وظاهر الاية يرده الثانية في هذه الاية دليل علي صحة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لان ابا بكر دعاهم الي قتال بني حنيفة وعمر دعاهم الي قتال فارس والروم واما قول عكرمة وقتادة ان ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين فلا لانه يمتنع ان يكون الداعي لهم الرسول عليه الصلاة والسلام لانه قال لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل علي ان المراد داع غير محمد صلي الله عليه وسلم ومعلوم انه لم يدع هولاء القوم بعد النبي صلي الله عليه وسلم الا ابو بكر وعمر قال الزمخشري فان صح ذلك عن قتادة فالمعني لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم علي ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او علي قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلي الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم والله اعلم الثالثة **قوله تعالي** تقاتلونهم او يسلمون هذا حكم من لا تؤخذ منه الجزية وهو معطوف علي تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة واما الاسلام لا ثالث لهما وفي حرف ابي او يسلموا بمعني حتي يسلموا كما تقول كل او تشبع اي حتي تشبع قال

فقلت له لا تبك عينك انما　　نحاول ملكا او نموت فنعذرا

وقال الزجاج قال او يسلمون لان المعني او هم يسلمون من غير قتال وهذا في قتال المشركين لا في اهل الكتاب الرابعة **قوله تعالي** فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا الغنيمة والنصر في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما وهو عذاب النار **قوله تعالي** ليس علي الاعمي حرج الاية قال ابن عباس لما نزلت فان تتولوا يعذبكم عذابا اليما قالت اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فنزلت ليس علي الاعمي حرج ولا علي المريض حرج ولا علي الاعرج حرج اي لا اثم عليهم في التخلف عن الجهاد لعماهم وزمانتهم وضعفهم وقد مضي في براءة وغيرها والعرج افة تعرض لرجل واحدة فاذا كان ذلك موثرا فخلل الرجلين اولي ان يوثر وقال مقاتل هم اهل الزمانة الذين تخلفوا عن الحديبية وقد عذرهم اي من شاء ان يسير منهم معكم الي خيبر فليفعل ومن يطع الله ورسوله فيما امره يدخله جنات تجري من تحتها

لا يعلمون الا امر الدنيا ولا يفقهون من امر الدين الا قليلا

الانهار قرا نافع وابن عامر ندخله بالنون علي التعظيم الباقون بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لتقدم الاسم اولا ومن يتول يعذبه عذابا اليما **لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة** هذه بيعة الرضوان وكانت بالحديبية وهذا خبر الحديبية علي اختصار وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم اقام منصرفه من غزوة بني المصطلق في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا واستنفر الاعراب الذين حول المدينة فابطا عنه اكثرهم وخرج صلي الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والانصار ومن اتبعه من العرب وجميعهم نحو الف واربع مائة وقيل الف وخمسمائة وقيل غير هذا علي ما ياتي وساق معه الهدي فاحرم رسول الله صلي الله عليه وسلم ليعلم الناس انه لم يخرج لحرب فلما بلغ خروجه قريشا خرج جمعهم صادين لرسول الله عن المسجد الحرام ودخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه دون ذلك وقدموا خالد بن الوليد في خيل الي كراع الغميم فورد الخبر بذلك علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو بعسفان وكان المخبر له بشر بن سفيان الكعبي فسلك طريقا يخرج به في ظهورهم وخرج الي الحديبية من اسفل مكة وكان دليله فيه رجلا من اسلم فلما بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد جرت الي قريش تعلمهم بذلك فلما وصل رسول الله صلي الله عليه وسلم الي الحديبية بركت ناقته صلي الله عليه وسلم فقال الناس خلات خلات فقال النبي صلي الله عليه وسلم ما خلات وما هو لها بخلق ولكنها حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم الي خطة يسالوني فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ثم نزل صلي الله عليه وسلم هنالك فقيل يا رسول الله ليس بهذا الوادي ماء فاخرج عليه السلام سهما من كنانته فاعطاه رجلا من اصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش بالماء الرواء حتي كفي جميع اهل الجيش وقيل ان الذي نزل بالسهم في القليب ناجية بن جندب بن عمير الاسلمي وهو سائق بدن النبي صلي الله عليه وسلم يومئذ وقيل نزل بالسهم في القليب البراء بن عازب ثم جرت السفراء بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين كفار قريش وطال التراجع والتنازع الي ان جاءه سهيل بن عمرو العامري فقاضاه علي ان ينصرف عليه السلام عامه ذلك فاذا كان من قابل اتي معتمرا ودخل هو واصحابه مكة بلا سلاح حاشا السيوف في قربها فيقيم بها ثلاثا ويخرج وعلي ان يكون بينه وبينهم صلح عشرة اعوام يتداخل فيها الناس ويامن بعضهم بعضا وعلي ان من جاء من الكفار الي المسلمين مسلما من رجل او امراة رد الي الكفار ومن جاء من المسلمين الي الكفار مرتدا لم يردوه الي المسلمين فعظم ذلك علي المسلمين حتي كان لبعضهم فيه كلام وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اعلم بما علمه الله من انه سيجعل للمسلمين فرجا فقال لاصحابه اصبروا فان الله يجعل هذا الصلح سببا الي ظهور دينه فانس الناس الي قوله هذا بعد نفار منهم وابي سهيل بن عمرو ان يكتب في صدر صحيفة الصلح من محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالوا له لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد ولا بد ان تكتب باسمك اللهم فقال لعلي وكان يكتب صحيفة الصلح امح يا علي واكتب باسمك اللهم فابي علي ان يمحو بيده محمد رسول الله فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم اعرضه علي فاشار اليه فمحاه صلي الله عليه وسلم بيده وامره ان يكتب من محمد بن عبد الله واتي ابو جندل بن سهيل يومئذ باثر كتاب الصلح وهو يرسف في قيوده فرده رسول الله صلي الله عليه وسلم الي ابيه فعظم ذلك علي المسلمين فاخبرهم صلي الله عليه وسلم واخبر ابا جندل ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل الصلح قد بعث عثمان بن عفان الي مكة رسولا فجاء خبر الي رسول الله بان اهل مكة قتلوه فدعا رسول الله صلي الله عليه وسلم حينئذ الي المبايعة له علي الحرب والقتال لاهل مكة فروي انه بايعهم علي الموت وروي انه بايعهم علي ان لا يفروا وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة التي اخبر الله تعالي انه رضي عن المبايعين لرسول الله صلي الله عليه وسلم تحتها واخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم انهم لا يدخلون النار وضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم بيمينه علي شماله لعثمان فهو كمن شهدها وذكر وكيع عن اسمعيل بن ابي خالد عن الشعبي قال اول من بايع رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية ابو سفيان الاسدي وفي صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر قال كنا يوم الحديبية الفا واربعمائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة قال بايعناه علي ان لا نفر ولم نبايعه علي الموت وعنه انه سمع جابرا يسال كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختبا تحت بطن بعيره وعن سالم بن ابي الجعد قال سالت جابر بن عبد الله عن اصحاب الشجرة فقال لو كنا مائة الف لكفانا كنا الفا وخمسمائة وفي رواية كنا خمس عشرة مائة وعن عبد الله بن ابي اوفي قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وكان اسلم من المهاجرين وعن يزيد بن ابي عبيد

قال قلت لسلمة عن اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت وعن البراء بن عازب قال كتب علي رضي الله عنه الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين يوم الحديبية فكتب هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا تكتب رسول الله فلو نعلم انك رسول الله لم نقاتلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امحه فقال لما انا بالذي امحاه فمحاه رسول الله بيده وكان فيما اشترطوا ان يدخلوا مكة فيقيموا فيها ثلاثا ولا يدخلها بسلاح الا جلبان السلاح القراب وما فيه وعن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو اما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم فقال اكتب من محمد رسول الله قالوا لو علمنا انك رسوله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب من محمد بن عبد الله فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاء منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وعن ابي وائل قال قام سهل بن حنيف يوم صفين قال يا ايها الناس اتهموا انفسكم لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله السنا على حق وهم على باطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله ابدا قال فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا فاتى ابا بكر فقال يا ابا بكر السنا على حق وهم على باطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله ابدا قال فنزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح فارسل فاقراه اياه فقال يا رسول الله او فتح هو قال نعم فطابت نفسه ورجع **قوله تعالى** فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفا قاله الفراء وقال ابن جريج وقتادة من الرضا بامر البيعة على ان لا يفروا وقال مقاتل من كراهة البيعة على ان يقاتلوا معه على الموت فانزل السكينة عليهم حتى بايعوا وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكابة بصد المشركين اياهم وتخلف رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم اذ راى انه يدخل الكعبة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذلك رؤيا منام وقال الصديق لم يكن فيها في هذا العام والسكينة الطمانينة وسكون النفس الى صدق الوعد وقيل الصبر واثابهم فتحا قريبا قال قتادة ابن ابي ليلى فتح خيبر وقيل فتح مكة وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها يعني اموال خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال وكانت خيبر بين الحديبية ومغانم على هذا بدلا من فتحا قريبا والواو مقحمة وقيل ومغانم فارس والروم **قوله تعالى** وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها قال ابن عباس ومجاهد انها المغانم التي تكون الى يوم القيامة وقال ابن زيد هي مغانم خيبر فعجل لكم هذه اي خيبر قاله مجاهد وقال ابن عباس عجل لكم صلح الحديبية وكف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة كفهم عنكم بالصلح وقال قتادة كف ايدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية وخيبر وهو اختيار الطبري لان كف ايدي المشركين بالحديبية مذكور في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وقال ابن عباس في كف ايدي الناس عنكم يعني عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النضري ومن كان معهما اذ جاؤا لينصروا اهل خيبر والنبي صلى الله عليه وسلم محاصر لهم فالقى الله عز وجل في قلوبهم الرعب وكفهم عن المسلمين ولتكون اية للمؤمنين اي ولتكون هزيمتهم وسلامتكم اية للمؤمنين فيعلموا ان الله يحرسهم في مشهدهم ومغيبهم وقيل اي ولتكون كف ايديهم عنكم اية للمؤمنين وقيل اي ولتكون هذه التي عجلها لكم اية للمؤمنين على صدقك حيث وعدتهم ان يصيبوها والواو في ولتكون مقحمة عند الكوفيين وقال البصريون عاطفة على مضمر اي وكف ايدي الناس عنكم لتشكروه ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما اي يزيدكم هدى او يثبتكم على الهداية **قوله تعالى** واخرى اخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها قال ابن عباس هي الفتوح التي فتحت على المسلمين كارض فارس والروم وجميع ما فتحه المسلمون وهو قول الحسن ومقاتل وابن ابي ليلى وعن ابن عباس ايضا والضحاك وابن زيد وابن اسحاق هي خيبر وعدها الله نبيه قبل ان يفتحها ولم يكونوا يرجونها حتى اخبرهم بها وعن الحسن ايضا وقتادة هو فتح مكة وقال عكرمة حنين لانه قال لم تقدروا عليها وهذا يدل على تقدم

قال العبس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار

محاولة لها وفوات درك المطلوب في الحال كما كان في مكة قاله القشيري وقال مجاهد هي ما يكون الى يوم القيامة ومعنى قد احاط الله بها اي اعدها لكم فهي كالشيء الذي قد احيط به من جوانبه فهو محصور لا يفوت فانتم وان لم تقدروا عليها في الحال فهي محبوسة عليكم لا تفوتكم وقيل احاط الله بها علم انها ستكون لكم كما قال وان الله قد احاط بكل شيء علما وقيل حفظها الله عليكم ليكون فتحها لكم وكان الله على كل شيء قديرا **قوله تعالى** ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار قال قتادة يعني كفار قريش في الحديبية وقيل ولو قاتلكم غطفان واسد والذين ارادوا نصرة اهل خيبر لكانت الدائرة عليهم ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل يعني طريقة الله وعادته السالفة نصر اوليائه على اعدائه وانتصب سنة على المصدر وقيل سنة الله اي كسنة الله والسنة الطريقة والسيرة قال

فلا تجزعن من سنة انت سرتها ... فاول راض سنة من يسيرها

والسنة ايضا ضرب من تمر المدينة ولن تجد لسنة الله تبديلا **قوله تعالى** وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وهي الحديبية من بعد ان اظفركم عليهم روى يزيد بن هرون قال حدثنا حماد بن سلمة عن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذناهم سلما فاستحييناهم وانزل الله هذه الاية **قوله تعالى** وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم في عهد احد وهل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وذكر ابن هشام عن وكيع وكانت قريش قد جاء منهم نحو سبعين رجلا او ثمانين رجلا للايقاع بالمسلمين وانتهاز الفرصة في اطرافهم ففطن المسلمون لهم فاخذوهم اسرا وكان ذلك والسفراء يمشون بينهم في الصلح فاطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الذين يسمون العتقاء ومنهم معاوية وابوه وقال مجاهد اقبل النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا اذ اخذ اصحابه ناسا من الحرم غافلين فارسلهم النبي صلى الله عليه وسلم فذلك الاظفار ببطن مكة وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له زنيم اطلع الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا فاتوا باثني عشر فارسا من الكفار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل لكم علي ذمة قالوا لا فارسلهم فنزلت وقال ابن ابزى وقال الكلبي هم اهل الحديبية كف الله ايديهم عن المسلمين حتى وقع الصلح وكانوا خرجوا باجمعهم وقصدوا المسلمين وكف ايدي المسلمين عنهم وقد تقدم ان خالد بن الوليد كان في خيل المشركين قال القشيري فهذه رواية والصحيح انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت وقد قال سلمة بن الاكوع كانوا في امر الصلح اذ اقبل ابو سفيان فاذا الوادي يسير بالرجال والسلاح قال فجئت بستة من المشركين اسوقهم متسلحين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فاتيت بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر قال في الطريق يا رسول الله تاتي قوما حربا وليس معنا سلاح ولا كراع فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الطريق فاتوه بكل سلاح وكراع كان فيها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عكرمة ابن ابي جهل خرج اليك في خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد هذا ابن عمك اتاك في خمسمائة فقال خالد بن الوليد انا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فخرج ومعه خيل وهزم الكفار ودفعهم الى حوائط مكة وهذه الرواية اصح وكان بينهم قتال بالحجارة وقيل بالنبل والظفر وقيل اراد بكف اليد انه شرط في الكتاب ان من جاءنا منهم فهو رد عليهم فخرج اقوام من مكة مسلمون وخافوا ان يردهم النبي عليه السلام الى المشركين فلحقوا بالساحل ومنهم ابو بصير وجعلوا يغيرون على الكفار وياخذون عيرهم حتى جاء كبار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اضممهم اليك حتى نامن فقبل وقيل همت غطفان واسد منع المسلمين من يهود خيبر لانهم كانوا خلفاءهم فمنعهم الله عن ذلك فهو كف اليد ببطن مكة فيه قولان احدهما يريد به مكة الثاني الحديبية لان بعضها مضاف الى الحرم قال الماوردي وفي قوله من بعد ان اظفركم عليهم بفتح مكة ويكون هذه نزلت بعد فتح مكة وفيها دليل على ان مكة فتحت صلحا لقوله تعالى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم قال المؤلف رحمه الله الصحيح ان هذه الاية نزلت في الحديبية قبل فتح

سمي خالد بن الوليد سيف الله

مكة حسب ما قدمناه عن اهل التاويل من الصحابة والتابعين وروى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثني سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان ثمانين هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح وهم يريدون ان يقتلوه فاخذوا اخذا واعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم واما فتح مكة فالذي يدل عليه الاخبار انها انما فتحت عنوة وقد مضى القول في ذلك في الحج وغيرها وكان الله بما تعملون بصيرا

قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى هم الذين كفروا يعني قريشا منعوكم دخول المسجد الحرام عام الحديبية حين احرم النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه بعمرة ومنعوا الهدي وحبسوه عن ان يبلغ محله وهذا كانوا لا يعتقدونه ولكنهم حملتهم الانفة ودعتهم حمية الجاهلية الى ان يفعلوا ما لا يعتقدونه دينا فوبخهم الله على ذلك وتوعدهم عليه وادخل الانس على رسول الله ببيانه ووعده الثانية **قوله تعالى** والهدي معكوفا اي محبوسا وقيل واقفا وقرا ابو عمرو بن العلا مجموعا قال الجوهري عكفه اي حبسه ووقفه يعكفه ويعكفه عكفا ومنه قوله تعالى والهدي معكوفا يقال ما عكفك عن كذا ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس ان يبلغ محله اي منحره قاله الفراء وقال الشافعي الحرم وكذا قال ابو حنيفة المحصر محل هديه الحرم والمحل بكسر الحاء غاية الشيء وبالفتح هو الموضع الذي يحله الناس وكان الهدي سبعين بدنة ولكن الله بفضله جعل ذلك الموضع له محلا وقد اختلف العلماء في هذا على ما تقدم في البقرة عند قوله فان احصرتم والصحيح ما ذكرناه وفي صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وعنه اشتركنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحج والعمرة كل سبعة في بدنة فقال رجل لجابر ايشترك في البدنة ما يشترك في الجزور قال ما هي الا من البدن وحضر جابر الحديبية قال ونحرنا يومئذ سبعين بدنة اشتركنا كل سبعة في بدنة وفي البخاري عن ابن عمر قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه وحلق راسه قيل ان الذي حلق راسه خراش بن امية ابن ابي العيص الخزاعي وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان ينحروا ويحلقوا ففعلوا بعد توقف كان منهم اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ام سلمة لو نحرت لنحروا فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم هديه ونحروا بنحره وحلق راسه ودعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة وراى كعب بن عجرة والقمل يسقط على وجهه فقال ايؤذيك هوامك قال نعم فامره ان يحلق راسه وهو بالحديبية خرجه البخاري والدارقطني وقد مضى في البقرة الثالثة قوله تعالى الهدي والهدي لغتان وقرئ حتى يبلغ الهدي محله بالتخفيف والتشديد الواحد هدية وقد مضى في البقرة ايضا وهو معطوف على الكاف والميم من صدوكم ومعكوفا حال وموضع ان من قوله ان يبلغ محله نصب على تقدير الحمل على صدوكم اي صدوكم وصدوا الهدي عن ان يبلغ ويجوز ان يكون مفعولا له كانه قال وصدوا الهدي كراهية ان يبلغ محله وقال ابو علي لا يصح حمله على العطف لانا لا نعلم عكف جاء متعديا ومجيء معكوفا في الاية يجوز ان يكون محمولا على المعنى كانه لما كان حبسا حمل المعنى على ذلك كما حمل الرفث على معنى الافضاء فعدي بالى فان حمل على ذلك كان موضعه نصبا على قياس قول سيبويه وجرا على قياس قول الخليل او يكون مفعولا له كانه قال محبوسا كراهة ان يبلغ محله ويجوز تقدير الجر في ان لان ان تقدمت فكانه قال وصدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدي عن ان يبلغ محله ومثله ما حكاه سيبويه عن يونس مررت برجل ان زيد وان عمرو فاضمر الجار لتقدم ذكره **قوله تعالى** ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله ولولا رجال مومنون يعني المستضعفين من المومنين بمكة وسط الكفار كسلمة بن هشام وعياش ابن ابي ربيعة وابي جندل بن سهيل واشباههم لم تعلموهم اي تعرفوهم وقيل لم تعلموا انهم مومنون ان تطؤهم بالقتل والايقاع بهم يقال وطئت القوم اي اوقعت بهم ويجوز ان يكون رفعا على البدل من رجال ونساء كانه قال ولولا وطؤكم رجالا مومنين ونساء مومنات ويجوز ان يكون نصبا على البدل من الهاء والميم في تعلموهم فيكون التقدير لم تعلموا وطاهم وهو في الوجهين بدل الاشتمال ولم تعلموهم نعت لرجال ونساء وجواب لولا محذوف والتقدير ولولا ان تطؤوا رجالا مومنين ونساء مومنات لم تعلموهم لاذن الله لكم في دخول مكة ولسلطكم عليهم ولكنا صنا من كان فيها يكتم ايمانه خوفا وقال الضحاك لولا من في اصلاب الكفار

فقال ايؤذيك هوامك قال نعم فامره ان يحلق راسه

وارحام نسائهم من رجال مومنين ونساء مؤمنات لم تعلموا ان تطؤوا اباءهم فتهلك ابناءهم الثانية قوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم المعرة العيب وهي مفعلة من العر وهو الجرب اي يقول المشركون قد قتلوا اهل دينهم وقيل المعنى تصيبكم من قتلهم ما يلزمكم من اجله كفارة قتل الخطا لان الله تعالى انما اوجب على قاتل المومن في دار الحرب اذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم بايمانه الكفارة دون الدية في قوله وان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مؤمنة الكلبي ومقاتل وغيرهما وقد مضى في النساء القول فيه وقال ابن زيد معرة اثم وقاله الجوهري ابن اسحق غرم الدية تطرب شدة وقيل غم الثالثة قوله تعالى بغير علم تفضيل للصحابة واخبار عن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية والعصمة عن التعدي حتى انهم لو صابوا من ذلك احدا لكان عن غير قصد وهذا كما وصفت النملة عن جند سليمان في قولها لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون **قوله تعالى** ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا فيه اربع مسائل الاولى قوله ليدخل الله اللام في ليدخل متعلقة بمحذوف اي لو قتلتموهم لادخلهم الله في رحمته ويجوز ان تتعلق بالايمان ولا يحمل على مومنين دون مؤمنات ولا على مؤمنات دون مومنين لان الجميع يدخلون في الرحمة وقيل المعنى لم ياذن الله لكم في قتال المشركين ليسلم بعد الصلح من قضى ان يسلم من اهل مكة وكذلك كان اسلم الكثير منهم وحسن اسلامه ودخلوا في رحمته اي في جنته الثانية قوله تعالى لو تزيلوا اي تميزوا قاله القتبي وقيل لو تفرقوا قاله الكلبي وقيل لو زال المؤمنون من بين اظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف قاله الضحاك ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار وقال علي رضي الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا فقال هم المشركون من اجداد نبي الله ومن كان بعدهم وفي عصرهم كان في اصلابهم قوم مومنون فلو تزيل المؤمنون عن اصلاب الكافرين لعذب الله تعالى الكافرين عذابا اليما الثالثة هذه الاية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن اذ لا يمكن اذاية الكافر الا باذاية المؤمن قال ابو زيد قلت لابن القاسم ارايت لو ان قوما من المشركين في حصن من حصونهم حصرهم اهل الاسلام وفيهم قوم من المسلمين اسارى في ايديهم ايحرق هذا الحصن ام لا قال سمعت مالكا وسئل عن قوم من المشركين في مراكبهم ايرمى في مراكبهم بالنار ومعهم الاسارى في مراكبهم قال فقال مالك لا ارى ذلك لقول الله تعالى لاهل مكة لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما وكذلك لو تترس كافر بمسلم لم يجز رميه وان فعل ذلك فاعل فاتلف احدا من المسلمين فعليه الدية والكفارة فان لم تعلموا فلا دية ولا كفارة وذلك انهم اذا علموا فليس لهم ان يرموا فاذا فعلوا صاروا قتلة خطا والدية على عواقلهم فان لم تعلموا فلهم ان يرموا واذا ابيح الفعل لم يجز ان تبقى عليهم فيها تباعة قال ابن العربي وقد قال جماعة ان معناه لو تزيلوا عن بطون النساء واصلاب الرجال وهذا ضعيف لان من في الصلب او في البطن لا يوطا ولا تصيب منه معرة وهو سبحانه قد صرح فقال ولولا رجال مؤمنون ونساء مومنات لم تعلموهم ان تطؤوهم وذلك لا ينطلق على من في بطن المراة وصلب الرجال وانما ينطلق على مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش ابن ابي ربيعة وابي جندل بن سهيل وكذلك قال مالك وقد حاصرنا مدينة الروم فحبس عنهم الماء وكانوا ينزلون الاسارى يستقون لهم الماء فلا يقدر احد على رميهم بالنبل فيحصل لهم الماء بغير اختيارنا وقد جوز ابو حنيفة واصحابه والثوري الرمي في حصون المشركين وان كان فيهم اسارى من المسلمين واطفالهم ولو تترس كافر بولد مسلم رمي المشرك وان اصيب احد من المسلمين فلا دية فيه ولا كفارة وقال الثوري فيه الكفارة ولا دية وقال الشافعي بقولنا وهذا ظاهر وان التوصل الى المباح بالمحظور لا يجوز سيما بروح المسلم فلا قول الا ما قاله مالك والله اعلم قال المؤلف رحمه الله قد يجوز قتل الترس ولا يكون فيه اختلاف ان شاء الله وذلك اذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية فمعنى كونها ضرورية انها لا يحصل الوصول الى الكفار الا بقتل الترس ومعنى انها كلية انها راجعة لكل الامة حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين وان لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على كل الامة ومعنى كونها قطعية ان تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعا قال علماؤنا وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي ان يختلف في اعتبارها لان الفرض ان الترس مقتول قطعا فاما بايدي العدو فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو على كل المسلمين واما بايدي المسلمين فيهلك العدو وينجو المسلمون اجمعون ولا يتاتى لعاقل ان يقول لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه لانه يلزم منه ذهاب الترس والاسلام والمسلمين لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية

من المفسدة تنفرت منها نفس من لم يمعن النظر فيها فان تلك المفسدة بالنسبة الى ما يحصل منها عدما او كالعدم والله اعلم الرابعة قراة العامة لو تزيلوا الا ابا حياة فانه قرا تزايلوا وهذا امثل تزيلوا في المعنى والتزايل التباين وتزيلوا تفعلوا من زلت وقيل هو تفيعلوا لعذبنا الذين كفروا قيل اللام جواب الكلام من احدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا وقيل جواب لولا محذوف وقد تقدم ولو تزيلوا ابتدا كلام **قوله تعالى** اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية العامل في اذ قوله لعذبنا اي لعذبناهم اذ فعلوا هذا او فعل مضمر تقديره واذكر الحمية فعيلة وهي الانفة يقال حميت عن كذا حمية بالتشديد ومحمية اذا انفت منه وداخلك عار وانفت ان تفعله ومنه قول المتلمس

الا انني منهم وعرضي عرضهم ... كذا الراس يحمي انفه ان يهشما

اي يمنع قال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم له من دخول مكة وكان الذي امتنع من كتابه بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله سهيل بن عمرو وعلى ما تقدم وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم لالهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى والانفة من ان يعبدوا غيرها وقيل حمية الجاهلية انهم قالوا قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا واللات والعزى لا يدخلها ابدا فانزل الله سكينته اي الطمانينة والوقار على رسوله وعلى المومنين وقيل ثبتهم على الرضا والتسليم ولم يدخل قلوبهم ما ادخل قلوب اوليك من الحمية والزمهم كلمة التقوى قيل لا اله الا الله روي مرفوعا من حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول علي وابن عمر وابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وطلحة بن مصرف والربيع والسدي وابو زيد وقاله عطا الخراساني وزاد محمد رسول الله وعن علي وابن عمر ايضا هي لا اله الا الله والله اكبر وقال عطا ابن ابي رباح ومجاهد ايضا هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير وقال الزهري بسم الله الرحمن الرحيم يعني ان المشركين لم يقروا بهذه الكلمة فخص الله بها المومنين وكلمة التقوى هي التي يتقى بها من الشرك وعن مجاهد ايضا ان كلمة التقوى الاخلاص وكانوا احق بها واهلها اي احق بها من كفار مكة لان الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه وكان الله بكل شي عليما **قوله تعالى** لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق الاية قال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام انه يدخل مكة على هذه الصفة فلما صالح قريشا بالحديبية ارتاب المنافقون حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق فاعلمهم انهم سيدخلون في غير ذلك العام وان روياه صلى الله عليه وسلم حق وقيل ان ابا بكر هو الذي قال ان المنام لم يكن موقتا بوقت وانه سيدخل وروي ان الرويا كانت بالحديبية وان رويا الانبيا حق والرويا احد وجوه الوحي الى الانبيا لتدخلن اي في العام المسجد الحرام ان شا الله قال ابن كيسان انه حكاية ما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في منامه خوطب في منامه بما جرت به العادة فاخبر الله عن رسوله انه قال ذلك ولهذا استثنى تادب بادب الله حيث قال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وقيل خاطب الله العباد بما يجب ان يفعلوه كما قال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وقيل استثنى فيما يعلم ليعلم الخلق الاستثنا فيما لا يعلمون قاله ثعلب وقيل كان الله علم انه يميت بعض هولا الذين كانوا معه بالحديبية فوقع الاستثنا لهذا المعنى قاله الحسين بن الفضل وقيل الاستثنا من امنين وذلك راجع الى مخاطبة العباد على ما جرت به العادة وقيل معنى ان شا الله ان امركم الله بالدخول وقيل اي ان سهل الله وقيل ان شا الله اي كما شا الله وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ اي اذ شا الله كقوله اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين اي اذ كنتم وفيه بعد لان اذ في الماضي من الفعل واذا في المستقبل وهذا الدخول في المستقبل فوعدهم دخول المسجد الحرام وعلقه بشرط المشية وذلك عام الحديبية فاخبر اصحابه بذلك فاستبشروا ثم تاخر ذلك عن العام الذي طمعوا فيه فساهم ذلك واشتد عليهم وصالحهم ورجع ثم اذن الله في العام المقبل فانزل الله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وانما قيل له في المنام لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله فحكي في التنزيل ما قيل له في المنام فليس هنا شك فان بمعنى اذ امنين اي من العدو محلقين روسكم ومقصرين والتحليق والتقصير جميعا للرجال ولذلك غلب المذكر على المونث والحلق افضل وليس للنسا الا التقصير وقد مضى القول في هذا في البقرة وفي الصحيح ان معاوية اخذ من شعر النبي صلى الله عليه وسلم على المروة بمشقص وهذا كان في العمرة لا في الحج لان النبي صلى الله عليه وسلم حلق في حجته لا تخافون حال

وكلمة التقوى هي التي يتقى بها من الشرك

من المحلقين والمقصرين والتقدير غير خايفين نعلم ما لم تعلموا اي علم ما في تاخير الدخول من الخير والصلاح ما لم تعلموه انتم وذلك انه عليه السلام لما رجع مضى منها الى خيبر وافتتحها ورجع باموال خيبر واخذ من العدة والقوة اضعاف ما كان فيها في ذلك العام واقبل الى مكة على هيبته وقوة وعدة باضعاف ذلك وقال الكلبي اي علم ان دخولها الى سنة ولم تعلموه انتم وقيل علم ان بمكة رجالا مومنين ونساء مومنات لم تعلموهم فجعل من دون ذلك فتحا قريبا اي من دون رويا النبي صلى الله عليه وسلم فتح خيبر قاله ابن زيد والضحاك وقيل فتح مكة وقال مجاهد هو صلح الحديبية وقاله اكثر المفسرين قال الزهري ما فتح في الاسلام كان من صلح الحديبية لانه انما كان القتال حين تلتقي الناس فلما كانت الهدنة وضعت الحرب اوزارها فامن الناس بعضهم بعضا فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة فلم يكلم احد بالاسلام يعقل شيا الا دخل فيه فلقد دخل في تلك السنتين في الاسلام مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك واكثر يدلك على ذلك انهم كانوا سنة ست يوم الحديبية الفا واربعمائة وكانوا بعد عام الحديبية سنة ثمان في عشرة الاف **قوله تعالى** هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي يعليه على كل الاديان فالدين اسم بمعنى المصدر ويستوي فيه لفظ الواحد والجمع وقيل اي ليظهر رسوله على الدين الذي هو شرعه بالحجة ثم باليد والسيف ونسخ ما عداه وكفى بالله شهيدا نصب على التفسير والباء زايدة اي كفى الله شهيدا لنبيه عليه السلام وشهادته له تبين صحة نبوته بالمعجزات وقيل شهيدا على ما ارسل به لان الكفار ابوا ان يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد رسول الله **قوله تعالى** محمد رسول الله الى اخر السورة فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى محمد رسول الله محمد مبتدا ورسول خبره وقيل محمد ابتدا ورسول الله نعته والذين معه عطف على المبتدا والخبر فيما بعده فلا يوقف على هذا التقدير على رسول الله وعلى الاول يوقف على رسول لان صفاته صلى الله عليه وسلم تزيد على ما وصف به اصحابه فيكون محمد ابتدا ورسول الله الخبر والذين معه ابتدا ثان واشدا خبره ورحما خبر ثان وكون الصفات في جملة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الاشبه قال ابن عباس اهل الحديبية اشدا على الكفار رحما بينهم اي يرحم بعضهم بعضا وقيل متعاطفون متوادون وقرا الحسن اشدا على الكفار رحما بينهم بالنصب على الحال كانه قال والذين معه في حال شدتهم على الكفار وتراحمهم بينهم تراهم ركعا سجدا اخبار عن كثرة صلاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي يطلبون الجنة ورضا الله تعالى الثانية قوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود السيما العلامة وفيها لغتان المد والقصر اي لاحت علامات التهجد بالليل وامارات السهر وفي سنن ابن ماجة حدثنا اسمعيل بن محمد الطلحي حدثنا ثابت بن موسى ابو يزيد عن شريك عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقال ابن العربي ودسه قوم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الغلط وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه ذكر بحرف وقد روى ابن وهب عن مالك سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مما يتعلق بجباههم من الارض عند السجود وبه قال سعيد بن جبير وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى صبيحة احدى وعشرين من رمضان وقد وكف المسجد وكان على عريش فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وعلى جبهته وارنبته اثر الماء والطين وقال الحسن هو بياض يكون في الوجه يوم القيامة وقاله سعيد بن جبير ايضا ورواه العوفي عن ابن عباس وقال الزهري وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة وفيه حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد ان يخرج برحمته من اهل النار من اراد امر الملايكة ان يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيا ممن اراد الله ان يرحمه ممن يقول لا اله الا الله فيعرفونهم في النار باثر السجود تاكل النار ابن ادم الا اثر السجود حرم الله على النار ان تاكل اثر السجود وقال شهر بن حوشب يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال ابن عباس ومجاهد السيما في الدنيا وهو السمت الحسن وعن مجاهد ايضا هو الخشوع والتواضع قال منصور سالت مجاهدا عن قوله تعالى سيماهم في وجوههم هو اثر يكون بين عيني الرجل قال لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو اقسى قلبا من الحجارة ولكنه نور في وجوههم من الخشوع وقال ابن جريج هو الوقار والبها وقال شمر بن عطية هو صفرة الوجه من قيام الليل قال الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال الضحاك اما انه ليس بالندب في وجوههم ولكنه الصفرة وقال سفيان الثوري يصلون بالليل فاذا اصبحوا راي ذلك في وجوههم بيانه قوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقد مضى القول فيه انفا وقال عطا الخراساني دخل في الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس الثالثة قوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم

في الانجيل قال الفرا فيه وجهان ان شئت قلت المعنى ذلك مثلهم في التوراة وفي الانجيل ايضا كمثلهم في القران
فيكون الوقف على الانجيل وان شئت قلت تمام الكلام ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدا فقال ومثلهم في الانجيل
وكذا قال ابن عباس وغيره هما مثلان احدهما في التوراة والاخر في الانجيل فيوقف على هذا على التوراة وقال
مجاهد هو مثل واحد يعني ان هذه صفتهم في التوراة والانجيل فلا يوقف على التوراة على هذا ويوقف على الانجيل
ويبتدي كزرع اخرج شطأه على معنى وهم كزرع وشطأه يعني فراخه واولاده قاله ابن زيد وغيره
وقال مقاتل هو نبت واحد فاذ اخرج ما بعده فقد شطأه قال الجوهري شط الزرع والنبات فراخه والجمع
اشطاء وقد اشطا الزرع خرج شطاه قال الاخفش في قوله اخرج شطاه اي طرفه وحكاه الثعلبي عن الكسائي
وقال الفرا اشطا الزرع فهو مشطئ اذا اخرج قال الشاعر

اخرج الشطا على وجه الثرى ومن الاشجار افنان الثمر

وقال الزجاج اخرج شطاه اي نباته وقيل ان الشطا شوك السنبل والعرب ايضا تسميه السفا والبهم
قاله قطرب وقيل انه السنبل فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمانون قاله الفرا حكاه الماوردي وقرا
ابن كثير وابن ذكوان شطاه بفتح الطا واسكن الباقون وقرا انس ونصر بن عاصم وابن وثاب شطاه مثل
عصاه وقرا الجحدري وابن ابي اسحق شطه بغير همز وكلها لغات فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يعني انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون فكان النبي صلى الله عليه وسلم حين بدا بالدعا الى دينه
ضعيفا فاجابه الواحد بعد الواحد حتى قوي امره كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفا فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ
ساقه وافراخه فكان هذا من اصح مثل واوضح بيان وقال قتادة مثل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الانجيل
مكتوب انه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فآزره اي قواه و
اعانه وشده اي قوى الشطا الزرع وقيل بالعكس اي قوى الزرع الشطا وقراءة العامة آزره بالمد وقرا
ابن ذكوان وابو حيوة وحميد بن قيس فازره مقصورة مثل فعله والمعروف المد قال امرو القيس

بمحنية قد آزر الضال نبتها مجر جيوش غانمين وخيب

فاستوى على سوقه اي على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقا له والسوق جمع الساق يعجب الزراع اي يعجب هذا
الزرع زراعه وهو مثل كما بينا فالزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطا اصحابه كانوا قليلا فكثروا وضعفا فقووا
ليغيظ بهم الكفار اللام متعلقة بمحذوف اي فعل الله هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم ليغيظ بهم الكفار الرابعة قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا اي وعد الله هولاء الذين مع محمد وهم المومنون الذين عملوا الصالحات مغفرة واجرا عظيما
اي ثوابا لا ينقطع وهو الجنة وليست من في قوله منهم مبعضة لقوم من الصحابة دون قوم ولكنها عامة مجنسة
مثل قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان لا تقصد للتبعيض لكنه يذهب الى الجنس اي فاجتنبوا الرجس من جنس
الاوثان اذ كان الرجس يقع من اجناس شتى منها الزنا والربا وشرب الخمر والكذب فادخل من يفيد بها الجنس
وكذا منهم اي من هذا الجنس يعني جنس الصحابة ويقال انفق نفقة من الدراهم اي اجعل نفقتك هذا الجنس وقد
يخصص اصحاب محمد بوعد المغفرة تفضيلا لهم وان وعد جميع المومنين المغفرة وفي الاية جواب اخر وهو ان
مؤكدة للكلام والمعنى وعدهم الله كلهم مغفرة واجرا عظيما فجرى مجرى العربي قطعت من الثوب قميصا يريد
قطعت الثوب كله قميصا ولم ينتقص شيئا وشاهد هذا من القران قوله تعالى وننزل من القران ما هو شفا
ورحمة للمومنين معناه وننزل القرآن شفا لان كل حرف منه يشفي وليس الشفا مختصا به بعضه دون بعض
على ان من اللغويين من يقول من مجنسة تقديره ننزل الشفاء من جنس القرآن ومن جهة القران ومن
ناحية القران قال زهير

امن ام اوفى دمنة لم تكلم اراد من ناحية ام اوفى دمنة امر من منازلها دمنة

وقال اخر

اخو رغايب يعطيها ويسالها ياني الظلامة منه النوفل الزفر

فمن لم تبعض شيا اذ كان المقصد يابي الظلامة لانه نوفل زفر والنوفل الكثير العطا والزفر حامل الاثقال
والمون عن الناس الخامسة روى ابو عروة الزبيري من ولد الزبير كنا عند مالك بن انس فذكروا
رجلا ينتقص اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرا مالك هذه الاية محمد رسول الله والذين معه حتى بلغ يعجب
الزراع ليغيظ بهم الكفار فقال مالك من اصبح من الناس في قلبه غيظ على احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد
اصابته هذه الاية ذكره الخطيب ابو بكر قال المولف رحمه الله لقد احسن مالك في مقالته واصاب في تاويله

فمن نقص واحدا منهم او طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وابطل شرايع المسلمين
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه الاية وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
الى غير ذلك من الاي التي تضمنت الثنا عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح قال الله تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه وقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم الى قوله اولئك هم الصادقون
ثم قال عز من قائل والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الى قوله واولئك هم المفلحون وهذا كله مع علمه
تبارك وتعالى بحالهم ومال امرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وقال
لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه خرجهما البخاري وفي خبر اخر
فلو ان احدكم انفق ما في الارض لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه قال ابو عبيد معناه لم يدرك مد احدهم
اذا تصدق به ولا نصف المد فالنصيف هو النصف هنا وكذلك يقول للعشر عشير وللخمس خميس وللتسع تسيع
وللثمن ثمين وللسبع سبيع وللسدس سديس وللربع ربيع ولم تقل العرب للثلث ثليث وفي البزار عن جابر
مرفوعا صحيحا ان الله اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي اربعة
يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي وقال في اصحابي كلهم خير وروى عويم بن ساعدة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اختارني واختار لي اصحابا فجعل لي منهم وزرا واختانا واصهارا
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا والاحاديث
بهذا المعنى كثيرة فحذار من الوقوع في احد منهم كما فعل من طعن في الدين فقال ان المعوذتين ليستا
من القران وما صح حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تثبيتهما ودخولهما في جملة التنزيل الا من
عقبة بن عامر وعقبة بن عامر ضعيف لم يوافقه غيره فروايته مطرحة وهذا رد لما ذكرناه من الكتاب
والسنة وابطال لما نقلته لنا الصحابة من الملة فان عقبة بن عامر بن عيسى الجهني ممن روى لنا الشريعة
في الصحيحين وغيرهما فهو ممن مدحهم الله ووصفهم واثنى عليهم ووعدهم مغفرة واجرا عظيما فمن نسبه
او واحدا من الصحابة الى كذب فهو خارج عن الشريعة مبطل للقران طاعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتى الحق
واحد منهم تكذيبا فقد سب لانه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله اعظم من الكذب وقد لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سب اصحابه فالمكذب لاصغرهم ولا صغير فيهم داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم والزمها كل من سب واحدا من اصحابه او طعن عليه وعن عمر بن حبيب قال حضرت
مجلس هرون الرشيد فجرت مسالة تنازعها الحضور وعلت اصواتهم فاحتج بعضهم بحديث يرويه ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قايلون منهم لا يقبل هذا
الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ابا هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورايت الرشيد قد
نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت انا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما
يرويه عن النبي فنظر الى الرشيد نظر مغضب وقمت من المجلس فانصرفت الى منزلي فلم البث حتى قيل صاحب
البريد بالباب فدخل فقال اجب امير المومنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم اني دفعت
عن صاحب نبيك واجللت نبيك ان يطعن على اصحابه فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي
من ذهب حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصرني قال لي يا عمر بن حبيب ما تلقاني
من الرد والدفع بما تلقيتني به فقلت يا امير المومنين ان الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدرا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا كان اصحابه كذابين والشريعة باطلة والفرايض والاحكام في الصيام والصلاة والطلاق
والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول فرجع الى نفسه فقال احييتني يا عمر بن حبيب احياك الله
وامر لي بعشرة الاف قال المولف رحمه الله فالصحابة كلهم عدول اولياء الله تعالى واصفياوه وخيرته من خلقه
بعد انبيايه ورسله هذا مذهب اهل السنة والذي عليه الجماعة من ايمة هذه الامة وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة
بهم الى ان حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الامر فقال
انهم كانوا على العدالة اذ ذاك ثم تغيرت بهم الاحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك فلا بد من البحث وهذا
مردود وان خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن اثنى الله عليهم وزكاهم
ورضي عنهم وارضاهم ووعدهم الجنة بقوله واجرا عظيما وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة باخبار الرسول
هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والامور الجارية عليهم بعد نبيهم باخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط

يقولون للعشر عشير

حكاية الرشيد

من مرتبتهم وفضلهم اذ كانت تلك الامور مبنية على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب وسياتي الكلام في تلك الامور في سورة الحجرات مبينا ان شا الله تعالى • ختمت السورة المباركة • بالتمام والكمال • ولله الجلال •

تفسير سورة الحجرات

مدنية باجماع وهي ثمان عشرة اية. بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فيه ثلاث مسايل المسالة الاولى قال العلما كان في العرب جفاء وسوء ادب في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلقيب الناس فالسورة في الامر بمكارم الاخلاق ورعاية الاداب وقرا الضحاك ويعقوب الحضرمي لا تقدموا بفتح التا والدال من التقدم والباقون تقدموا بضم التاء وكسر الدال من التقديم ومعناهما ظاهر اي لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله ان تاخذوه عنه من امر الدين والدنيا ومن قدم قوله او فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قدمه على الله تعالى لان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر عن امر الله عز وجل الثانية واختلف في سبب نزولها على اقوال ستة الاول ما الذي ذكره الواحدي من حديث ابن جريج حدثني ابن ابي مليكة ان عبد الله ابن الزبير اخبره انه قدم ركب من بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد وقال عمر امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الى قوله ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم رواه البخاري عن الحسن بن محمد بن الصباح ذكره المهدوي ايضا الثاني ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستخلف على المدينة رجلا اذ مضى الى خيبر فاشار عليه عمر برجل اخر فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ذكره المهدوي ايضا الثالث ما ذكره الماوردي عن الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم انفذ اربعة وعشرين رجلا من اصحابه الى بني عامر فقتلوهم الا ثلاثة تاخروا عنهم فسلموا وانكفوا الى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم فسالوهما عن نسبهما فقالا من بني عامر لانهم اعز من سليم فقتلوهما فجاء نفر من بني سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان بيننا وبينك عهدا وقد قتل منا رجلان فوداهما النبي صلى الله عليه وسلم بمائة بعير ونزلت هذه الاية في قتلهم الرجلين وقال قتادة ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا لو انزل في كذا فنزلت هذه الاية وقال ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يدي كلامه وقال مجاهد لا تفتاتوا على الله ورسوله حتى يقضي الله على لسان رسوله ذكره البخاري ايضا وقال الحسن نزلت في قوم ذبحوا قبل ان يصلي النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وقال ابن جريج لا تقدموا اعمال الطاعات قبل وقتها الذي امر الله تعالى به رسوله قال المولف رحمه الله هذه الاقوال الخمسة المتاخرة ذكرها القاضي ابو بكر ابن العربي وسردها قبله الماوردي قال القاضي وهي كلها صحيحة تدخل تحت العموم فالله اعلم ما كان السبب المثير للاية منها ولعلها نزلت دون سبب والله اعلم قال القاضي اذا قلنا انها نزلت في تقديم الطاعات على اوقاتها فهو صحيح لان كل عبادة موقتة بميقات لا يجوز تقديمها عليه كالصلاة والصوم والحج وذلك ان العلما اختلفوا في الزكاة لما كانت عبادة مالية وكانت مطلوبة لمعنى مفهوم وهو سد خلة الفقير ولان النبي صلى الله عليه وسلم استعجل من العباس صدقة عامين ولما جاء من جمع صدقة الفطر قبل يوم الفطر حتى يعطى لمستحقها يوم الوجوب وهو يوم الفطر فاقتضى ذلك كله جواز تقديمها العام والاثنين فان جاء راس العام والنصاب بحاله وقعت موقعها وان جاء راس العام وقد تغير النصاب تبين انها صدقة تطوع وقال اشهب لا يجوز تقديمها على الحول لحظة كالصلاة وكانه طرد الاصل في العبادات فراى انها احد دعايم الاسلام فوفاها حقها في النظام وحسن الترتيب وراى سائر علمائنا ان التقديم اليسير فيها جائز لانه معفو عنه في الشرع بخلاف الكثير وما قاله اشهب اصح فان مفارقة اليسير الكثير في اصول الشريعة صحيح لمعان تختص بالكثير دون اليسير فاما في مسالتنا فاليوم فيه كالشهر والشهر كالسنة فاما تقديم كلي كما قال ابو حنيفة والشافعي واما حفظ العبادة على ميقاتها كما قال اشهب الثالثة قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اصل في ترك التعرض لاقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايجاب اتباعه والاقتداء به وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عايشة لحفصة قولي له ان ابا بكر رجل اسيف وانه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكا فمر عمر فليصل بالناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم انكن لانتن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس يعني قوله صواحبات

لا تقدموا اعمال الطاعات قبل وقتها

انكن لانتن صواحب يوسف

يعني قوله صواحب يوسف

يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس اي الفتنة بالرد عن الجائز الى غير الجائز وربما احتج نفاة القياس بهذه الاية وهو باطل منهم فان ما قلت قامت دلالته فليس في فعله تقديم بين يديه وقد قامت دلالة الكتاب والسنة على وجوب القول بالقياس في فروع الشرع فليس اذا تقدم بين يديه واتقوا الله يعني في التقدم المنهي عنه ان الله سميع لقولكم عليم بفعلكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي روى البخاري والترمذي عن ابن ابي مليكة قال حدثني عبد الله بن الزبير ان الاقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت اصواتهما فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي فقال ما اردت خلافك قال فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي قال فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه قال وما ذكر ابن الزبير جده يعني ابا بكر قال هذا حديث حسن غريب وقد رواه بعضهم عن ابن ابي مليكة مرسلا لم يذكر فيه عن عبد الله بن الزبير قال المولف رحمه الله هو البخاري قال عن ابن ابي مليكة كاد الخيران يهلكا ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فاشار احدهما بالاقرع بن حابس اخي بني مجاشع واشار الاخر برجل اخر قال نافع لا احفظ اسمه فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي قال ما اردت خلافك فارتفعت اصواتهما في ذلك فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية فقال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن ابيه يعني ابا بكر الصديق وذكر المهدوي عن علي رضي الله عنه نزل قوله يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي فينا لما ارتفعت اصواتنا انا وجعفر وزيد بن حارثة نتنازع ابنة حمزة لما جاء بها زيد من مكة فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر لان خالتها عنده وقد تقدم هذا الحديث في ال عمران وفي الصحيحين عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله انا اعلم لك علمه فاتاه فوجده جالسا في بيته منكسا راسه فقال له ما شانك فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من اهل النار فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انه قال كذا وكذا فقال موسى فرجع اليه المرة الاخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من اهل النار ولكنك من اهل الجنة لفظ البخاري وثابت هذا هو ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي يكنى ابا محمد بابنه محمد وقيل ابا عبد الرحمن قتل له يوم الحرة ثلاثة من الولد محمد ويحيى وعبد الله وكان خطيبا بليغا معروفا بذلك كان يقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال لحسان شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا المفاخرة قام خطيبهم فافتخر ثم قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة جزلة فغلبهم وقام شاعرهم وهو الاقرع بن حابس فانشد

شعر

اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا	اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رءوس الناس من كل معشر	وان ليس في ارض الحجاز كدارم
وانا لنا المرباع في كل غارة	تكون بنجد او بارض التهائم

فقام حسان فقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم	يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم	لنا خول من بين ظير وخادم

في ابيات لهما فقالوا خطيبهم اخطب من خطيبنا وشاعرهم اشعر من شاعرنا فارتفعت اصواتهم فانزل الله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول وقال عطا الخراساني حدثتني ابنة ثابت بن قيس قالت لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية دخل ابوها بيته واغلق عليه بابه ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يساله ما خبره فقال انا رجل شديد الصوت اخاف ان يكون حبط عملي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير قال ثم انزل الله ان الله لا يحب كل مختال فخور فاغلق بابه وطفق يبكي ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فاخبره فقال يا رسول الله اني احب الجمال واحب ان اسود قومي فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قالت فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة فلما التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى

ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد منهما له حفرة فثبتا
وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فراه ثابت في منامه فقال
له اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فاخذ
درعي ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفا الدرع برمة وفوق البرمة رحل فات
خالد فمره ان يبعث الى درعي فياخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
ابا بكر رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان فاتى الرجل خالدا فاخبره
فبعث الى الدرع فاتي بها وحدث ابا بكر برؤياه فاجاز وصيته قال ولا يعلم احدا اجيزت وصيته بعد
موته غير ثابت رحمه الله ذكره ابو عمر في الاستيعاب **الثانية** **قوله تعالى** ولا تجهروا له
بالقول اي لا تخاطبوه يا محمد ويا احمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله توقيرا له وقيل كان المنافقون يرفعون
اصواتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم ليقتدي بهم ضعفة المسلمين فنهي المسلمون عن ذلك وقيل لا تجهروا
له اي لا تجهروا عليه كما يقال سقط لفيه اي على فيه كجهر بعضكم لبعض وفي هذا دليل على انهم لم ينهوا عن
الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم ان لا يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر
المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط
سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم اي من اجل ان تحبط اعمالكم اي تبطل هذا قول البصريين
وقال الكوفيين اي لئلا تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون **الثالثة** معنى الاية الامر بتعظيم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته اي اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا
باصواتكم فوق وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان لا تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبا لكلامكم وجهره
باهرا لجهركم حتى يكون مزيته عليكم لائحة وسابقه واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق لا ان
تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم وقد كره
بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفا
لهم اذ هم ورثة الانبياء **الرابعة** قال القاضي ابو بكر بن العربي حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته
حيا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه فاذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر
ان لا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به وقد نبه الله سبحانه
على دوام الحرمة المذكورة على مرور الازمنة بقوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وكلام النبي
صلى الله عليه وسلم من الوحي وله من الحكمة مثل ما للقرآن الا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه **الخامسة**
وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون
انما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف
الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا
رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند
او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس
يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه
فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة

زجر ابي عروة السباع اذا … اشفق ان يختلطن بالغنم

زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه **السادسة** قال الزجاج ان
تحبط اعمالكم التقدير لان تحبط اي فتحبط اعمالكم فاللام المقدرة لام الصيرورة وليس قوله ان تحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون بموجب ان يكفر الانسان وهو لا يعلم فكما لا يكون الكافر مؤمنا الا باختياره
الايمان على الكفر كذلك لا يكون المؤمن كافرا من حيث يقصد الى الكفر ويختاره باجماع كذلك لا يكون
الكافر كافرا من حيث لا يعلم **قوله تعالى** ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي يخفضون
اصواتهم عنده اذا تكلموا اجلالا له او كلموا غيره بين يديه اجلالا له قال ابو هريرة لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم
قال ابو بكر رضي الله عنه والله لا ارفع صوتي الا كاخي السرار وذكر سنيد قال حدثنا عباد بن العوام عن محمد
بن عمرو عن ابي سلمة قال لما نزلت لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال ابو بكر والذي بعثك بالحق لا اكلمك

بعدها الا كاخي السرار وقال عبد الله بن الزبير لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم ما حدث عمر عند النبي صلى
الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع كلامه حتى يستفهمه مما يخفض فنزلت ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول
الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قال الفراء اي اخلصها للتقوى وقال الاخفش اي اختصها للتقوى
وقال ابن عباس امتحن الله قلوبهم للتقوى طهرهم من كل قبيح وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى وقال
عمر رضي الله عنه اذهب عن قلوبهم الشهوات والامتحان افتعال من محنت الاديم محنا حسن اوسعته فمعنى امتحن
الله قلوبهم للتقوى وسعها وشرحها للتقوى على الاقوال المتقدمة امتحن قلوبهم فاخلصها كقولك امتحنت
الفضة اي اختبرتها حتى خلصت ففي الكلام حذف يدل عليه الكلام وهو الاخلاص وقال ابو عمرو كل شيء
جهدته فقد محنته وانشد

قد محنت واضطربت اطلالها … اتت رذايا باديا كلالها

لهم مغفرة واجر عظيم **قوله تعالى** ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
قال مجاهد وغيره نزلت في اعراب بني تميم قدم الوفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا
النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته ان اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا
لفداء ذراري لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قام للقائلة وروي ان الذي نادى الاقرع بن حابس وانه
القائل ان مدحي زين وذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله ذكره الترمذي عن البراء بن عازب
ايضا وروى زيد بن ارقم فقال اتى اناس النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا
فنحن اسعد الناس باتباعه وان يكن ملكا نعش في جناحه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه وهو في
حجرته يا محمد يا محمد فانزل الله تعالى هذه الاية قيل انهم كانوا من بني تميم قال مقاتل كانوا تسعة نفر وقال قيس
بن عاصم والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وسويد بن هاشم وخالد بن مالك وعطاء بن حابس والقعقاع بن
معبد ووكيع بن وكيع وعيينة بن حصن وهو الاحمق المطاع وكان من الجرارين يجر عشرة الاف قناة اي تتبعه
وكان اسمه حذيفة وسمي عيينة لشتر كان في عينيه ذكر عبد الرزاق في عيينة هذا انه الذي نزلت فيه
قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وقد مضى في آخر الاعراف من قوله لعمر رضي الله عنه ما فيه ما ذكره
البخاري وروي انهم وفدوا وقت الظهيرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا
فاستيقظ وخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد
الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات
جمع ظلمة وقيل الحجرات جمع الحجر والحجر جمع حجرة فهو جمع الجمع فيه لغتان ضم الجيم وفتحها قال

ولما راونا باديا ركباتنا … على موطن لا نخلط الجد بالهزل

والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة وقرا ابو
جعفر بن القعقاع الحجرات بفتح الجيم استثقالا للضمتين وقرئ الحجرات بتسكين الجيم تخفيفا واصل الكلمة
المنع وكل ما منعت ان توصل اليه فقد حجرت عليه ثم يحتمل ان يكون المنادي بعضا من الجملة فلهذا قال اكثرهم لا يعقلون
اي ان الذين ينادونك من جملة قوم الغالب عليهم الجهل **قوله تعالى** ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
اي لو انتظروا خروجك لكان اصلح لهم في دينهم ودنياهم وكان عليه السلام لا يحتجب عن الناس الا في اوقات
يشتغل فيها بمهمات نفسه فكان ازعاجه في تلك الحالة من سوء الادب وقيل كانوا جاءوا شفعاء في اسارى بني
عنبر فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى على النصف ولو صبروا لاعتق جميعهم بغير فداء والله
غفور رحيم **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فيه سبع مسائل **الاولى** قيل نزلت هذه الاية في الوليد بن عقبة بن ابي معيط وسبب ذلك ما رواه سعيد عن
قتادة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق فلما ابصروه اقبلوا نحوه
فهابهم في رواية لاحنة كانت بينه وبينهم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انهم قد ارتدوا عن الاسلام
فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وامره ان يتثبت ولا يعجل فانطلق خالد حتى اتاهم ليلا فبعث
عيونه فلما جاءوا اخبروا خالدا انهم متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم فلما اصبحوا اتاهم خالد وراى
صحة ما ذكروه فعاد الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية فكان يقول نبي الله التاني من الله والعجلة
من الشيطان في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق بعد اسلامهم فلما سمعوا به ركبوا اليه
فلما سمع بهم خافهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان القوم قد هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم

امتحن الله قلوبهم للتقوى

وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء

فهم رسول الله صلي الله عليه وسلم بغزو وهم فينا هم كذلك اذ قدموا ندم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا اليه لنكرمه ونودي اليه ما قبلنا من الصدقة فاستمر راجعا
وبلغنا انه يزعم لرسول الله انا خرجنا لنقاتله والله ما خرجنا لذلك فانزل الله تعالي هذه الاية وسمي الوليد
فاسقا كاذبا قاله بني بريد ومقاتل وسهل بن عبد الله الفاسق الكذاب وقال ابو الحسين الوراق هو المعلن بالذنب
وقال ابن طاهر الذي لا يستحيي من الله وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبيت الباقون فتبينوا من
التبيين ان تصيبوا اي لئلا تصيبوا فان في محل نصب باسقاط الخافض قوما بجهالة اي خطا فتصبحوا نادمين
علي العجلة وترك التاني الثانية في هذه الاية دليل علي قبول خبر الواحد اذا كان عدلا لانه انما امر فيها بالتثبت
عند نقل خبر الفاسق ومن ثبت فسقه بطل قوله في الاخبار اجماعا لان الخبر امانة والفسق قرينة يبطلها وقد
استثني الاجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوي والجحود واثبات حق مقصود علي الغير مثل ان تقول هذا
عندي فانه يقبل قوله واذا قال قد انفذ فلان هذا لك هدية فانه يقبل ذلك وكذلك يقبل في مثله خبر
الكافر وكذلك اذا اقر لغيره بحق علي نفسه فلا يبطل اجماعا واما في الانشا علي غيره فقال الشافعي
رحمه الله وغيره لا يكون وليا في النكاح وقال ابو حنيفة ومالك يكون وليا لانه يلي مالها فيلي بضعها كالعدل
وهو ان كان فاسقا في دينه الا ان غيرته موفرة وبها يحمي الحريم وقد يبذل المال ويصون الحرمة واذا ولي المال
فالنكاح اولي الثالثة قال ابن العربي ومن العجب ان يجوز الشافعي ونظراوه امامة الفاسق ومن لا
يؤتمن علي حبة مال يصح ان يؤتمن علي قنطار دين وهذا انما كان اصله ان الولاة الذين كانوا يصلون بالناس
لما فسدت اديانهم ولم يمكن ترك الصلاة وراءهم ولا استطيعت ازالتهم صلي معهم ووراءهم كما قال
عثمان الصلاة احسن ما يفعل الناس فاذا احسنوا فاحسن واذا اساؤوا فاجتنب اساءتهم ثم كان من الناس من
اذا صلي معهم بعده اعادوا الصلاة لله ومنهم من كان يجعلها صلاته وبوجوب الاعادة اقول فلا ينبغي لاحد
ان يترك الصلاة مع من لا يرضي من الائمة ولكن يعيد سرا في نفسه ولا يؤثر ذلك عند غيره الرابعة
واما احكامه ان كان واليا فينفذ منها ما وافق الحق ويرد ما خالفه ولا ينقض حكمه الذي امضاه بحال ولا
تلتفتوا الي غير هذا من القول من رواية او قول يحكي فان الكلام كثير والحق ظاهر الخامسة لا خلاف
في انه يصح ان يكون رسولا عن غيره في قول يبلغه او شي يوصله او اذن يعلمه اذا لم يخرج عن حق المرسل والمبلغ
فان تعلق به حق لغيره لم يقبل قوله وهذا جائز للضرورة الداعية اليه فانه لو لم يتصرف من الخلق
في هذه المعاني الي العدول لم يحصل منها شي لعدمهم في ذلك والله اعلم السادسة وفي الاية دليل علي فساد
قول من قال ان المسلمين كلهم عدول حتي تثبت الجرحة لان الله تعالي امر بالتثبت قبل القبول ولا معني
للتثبت بعد انفاذ الحكم فان حكم الحاكم قبل التثبت فقد اصاب المحكوم عليه بجهالة السابعة فان قضي بما يغلب
علي الظن لم يكن ذلك عملا بجهالة كالقضا بالشاهدين العدلين وقبول قول العالم المجتهد وانما العمل
بالجهالة قبول قول من لا يحصل عليه الظن بقوله ذكر هذه المسالة القشيري والتي قبلها المهدوي
قوله تعالي واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تكذبوا فان الله يعلمه انباءكم فتفتضحوا لو يطيعكم في
كثير من الامر لعنتم اي لو تسارع الي ما اردتم قبل وضوح الامر لنالكم مشقة واثم فانه لو قتل القوم
الذين سعي بهم الوليد بن عقبة اليه لكان خطا ولعنت من اراد ايقاع الهلاك باولئك القوم لعداوة كانت
بينه وبينهم ومعني طاعة الرسول لهم الايتمار بما يامرونه فيما يبلغونه عن الناس والسماع منهم والعنت
الاثم يقال عنت الرجل والعنت ايضا الفجور والزنا كما في سورة النسا والعنت ايضا الوقوع في امر شاق وقد
مضي في اخر براءة القول في عنتم باكثر من هذا ولكن الله حبب اليكم الايمان هذا خطاب للمومنين المخلصين الذين
لا يكذبون النبي صلي الله عليه وسلم ولا يخبرون بالباطل اي جعل الايمان احب الاديان اليكم وزينه بتوفيقه
في قلوبكم اي حسنه اليكم حتي اخترتموه وفي هذا رد علي القدرية والامامية وغيرهم حسب ما تقدم في غير موضع
فهو سبحانه المنفرد بخلق ذوات الخلق وخلق افعالهم وصفاتهم واختلاف السنتهم والوانهم لا شريك له وكره
اليكم الكفر والفسوق قال ابن عباس يريد به الكذب خاصة وقاله ابن زيد وقيل كل ما اخرج عن الطاعة مشتق من
فسقت الرطبة خرجت من قشرها والفارة من جحرها وقد مضي في البقرة القول فيه مستوفي والعصيان
جميع المعاصي ثم انتقل من الخطاب الي الخبر فقال اولئك يعني هم الذين وفقهم الله فحبب اليهم الايمان وكره
اليهم الكفر اي قبحه عندهم هم الراشدون كقوله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم

الصلاة احسن ما يفعل الناس

المضعفون

المضعفون قال النابغة

يا دار مية بالعلياء فالسند ... اقوت وطال عليها سالف الامد

والرشد الاستقامة علي طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوازع

وانشد

كل صخرة رشادة

وغير مقلد وموشمات ... صلين الضوء من صم الرشاد

فضلا من الله ونعمة اي فعل الله ذلك بكم فضلا اي الفضل والنعمة فهو مفعول له والله عليم حكيم عليم بما
يصلحكم حكيم في تدبيركم **قوله تعالي** وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما
فيه عشر مسائل الاولي قوله تعالي وان طائفتان روي المعتمر بن سليمان عن انس بن مالك قال قلت يا نبي الله
لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلي الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي
ارض سبخة فلما اتاه النبي صلي الله عليه وسلم قال اليك عني فوالله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار
والله لحمار رسول الله صلي الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما
اصحابه فكان بينهم حرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انه انزل فيهم هذه الاية وان طائفتان من المومنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما وقال مجاهد نزلت في الاوس والخزرج قال مجاهد تقاتل حيان من الانصار بالعصي
والنعال فنزلت الاية ومثله عن سعيد بن جبير ان الاوس والخزرج كان بينهم علي عهد رسول الله صلي الله عليه
وسلم قتال بالسعف والنعال ونحوه فانزل الله هذه الاية فيهم وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار
كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال احدهما لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته ودعاه الاخر الي ان
يحاكمه الي النبي صلي الله عليه وسلم فابي ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتي تواقعوا وتناول بعضهم بعضا
بالايدي والنعال والسيوف فنزلت هذه الاية وقال الكلبي نزلت في حرب سمير وحاطب وكان سمير قتل
حاطبا فاقتتل الاوس والخزرج حتي اتاهم النبي صلي الله عليه وسلم فنزلت وامر الله نبيه صلي الله عليه
وسلم والمومنين ان يصلحوا بينهما وقال السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل من غير
الانصار فتخاصمت مع زوجها ارادت ان تزور قومها فحبسها زوجها وجعلها في علية لا يدخل عليها احد من
اهلها وان المراة بعثت الي اهلها فجاء قومها فانزلوها لينطلقوا بها فخرج الرجل فاستغاث اهله فجاؤوا
بنو عمه ليحولوا بين المراة واهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت الاية والطائفة تتناول الرجل الواحد
والجمع والاثنين فهو مما حمل علي المعني دون اللفظ لان الطائفتين في معني القوم والناس وفي قراءة عبد
الله حتي تفيئوا الي امر الله فان فاؤوا فخذوا بينهم بالقسط وقرا ابن ابي عبلة اقتتلا علي لفظ الطائفتين وقد
مضي في اخر براءة القول فيه وقال ابن عباس في قوله عز وجل وليشهد عذابهما طائفة من المومنين قال الواحد
فما فوقه والطائفة من الشي قطعة فاصلحوا بينهما بالدعا الي كتاب الله لهما او عليهما فان بغت احداهما علي
الاخري تعدت ولم تجب الي حكم الله وكتابه والبغي التطاول والفساد فقاتلوا التي تبغي حتي تفيء الي امر
الله اي ترجع الي كتابه فان فاءت رجعت فاصلحوا بينهما بالعدل اي احملوهما علي الانصاف واقسطوا ايها
الناس فلا تقتتلوا وقيل اقسطوا اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين المحقين الثانية قال العلماء لا
تخلوا الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا علي سبيل البغي منهما جميعا او لا فان كان الاول فالواجب
في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقامتا علي
البغي صيرا الي مقاتلتهما واما ان كان الثاني وهو ان يكون احداهما باغية علي الاخري فالواجب ان يقاتل
فئة البغي الي ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل فان التحم القتال
بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين
القاطعة علي مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا علي شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع
الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين والله اعلم الثالثة في هذه الاية دليل علي وجوب
قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها علي الامام او علي احد من المسلمين وعلي فساد قول من منع من قتال
المومنين واحتج بقول النبي صلي الله عليه وسلم قتال المومن كفر ولو كان قتال المومن كفرا لكان الله تعالي
قد امر بالكفر تعالي الله عن ذلك وقد قاتل الصديق رضي الله عنه من تمسك بالاسلام وامتنع من الزكاة وامر
ان لا يتبع مول ولا يجهز علي جريح ولم تحل اموالهم بخلاف الواجب في الكفار وقال الطبري لو كان الواجب

في كل اختلاف يكون بين الفريقين الحرب منه ولزوم المنازل لما انتم جد ولا ابطل باطل ولوجد اهل النفاق
والفجور سبيلا الي استحلال كل ما حرم الله عليهم من اموال المسلمين وسبي نساهم وسفك دماهم بان يتحزبوا
عليهم ويكف المسلمون ايديهم عنهم وذلك مخالف لقوله عليه السلام خذوا علي ايدي سفهائكم الرابعة
قال القاضي ابوبكر بن العربي هذه الاية اصل في قتال المسلمين والعمدة في حرب المتاولين وعليها عول
الصحابة واليها لجا الاعيان من اهل الملة واياها عني النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تقتل عمار الفية
الباغية وقوله عليه السلام في شان الخوارج يخرجون علي حين فرقة او علي خير فرقة والرواية الاولى اصح
لقوله عليه السلام تقتلهم اولي الطايفتين الي الحق وكان الذي قتلهم علي بن ابي طالب ومن كان معه فتقرر
عند علما المسلمين وثبت بدليل الدين ان عليا رضي الله عنه كان اماما وان كل من خرج عليه باغ وان قتاله واجب
حتي تفي الي الحق وتنقاد الي الصلح لان عثمان رضي الله عنه قتل والصحابة برا من دمه لانه منع من قتال من
ثار عليه وقال لا اكون اول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته بالقتل وصبر علي البلاء واستسلم
للمحنة وفدا بنفسه الامة ثم لم يكن ترك الناس سدا فعرضت علي باقي الصحابة الذين ذكرهم في الشورى وتدافعوها
وكان علي احق بها واهلها فقبلها حوطة علي الامة ان يسفك دماها بالتهارج والباطل او يتخرق امرها الي ما
لا يتحصل فربما يتغير الدين وانقض عمود الاسلام فلما بويع له طلب اهل الشام في شرط البيعة التمكن من
قتلة عثمان واخذ القود منهم فقال لهم علي عليه السلام ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه
فقالوا لا نستحق بيعة وقتلة عثمان معك براهم صباحا ومساء فكان علي في ذلك اسد رايا واصوب قيلا
لان عليا لو تعاطي القود منهم لتعصبت لهم قبايل وصارت حربا ثالثة فانتظر بهم ان يستوسق الامر وتنعقد
البيعة ويقع الطلب من الاوليا في مجلس الحكم فيجري فيه القضا بالحق ولا خلاف بين الامة انه يجوز للامام
تاخير القصاص اذا ادي ذلك الي اثارة الفتنة او تشتيت الكلمة وكذلك جري طلحة والزبير فانهما ما
خلعا عليا من ولاية ولا اعترضا عليه في ديانة وانما راوا ان البداية بقتل اصحاب عثمان اولي قال
الشيخ المؤلف رحمه الله فهذا قول في سبب الحرب الواقع بينهم وقال جلة من اهل العلم ان الوقعة بالبصرة
كانت بينهم علي غير عزيمة منهم علي الحرب بل فجاءة علي سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن انفسهم لظنه
ان الفريق الاخر قد غدر به لان الامر كان انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق علي الرضا فخاف قتلة عثمان رض
من التمكين منهم والاحاطة بهم فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ثم اتفقت اراهم علي ان يفترقوا فريقين
ويبدوا بالحرب سحرة في العسكرين وتختلف السهام بينهم ويصيح الفريق الذي في عسكر علي غدر طلحة و
والفريق الذي في عسكر طلحة والزبير غدر علي فتم لهم ذلك علي ما ذكروه ونشبت الحرب فكان كل فريق
دافع لمكره عند نفسه ومانع من الاشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة الله تعالى اذ وقع
القتال والامتناع منهما علي هذه السبيل وهذا هو الصحيح المشهور والله اعلم الخامسة قوله تعالى فقاتلوا
التي تبغي امر بالقتال وهو فرض علي الكفاية اذا قام به البعض سقط عن البعض الباقين ولذلك
تخلف قوم من الصحابة رض عن هذه المقامات كسعد ابن ابي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم
وصوب ذلك علي ابن ابي طالب لهم واعتذر اليه كل واحد منهم بعذر قبله منه ويروي ان معاوية رضي الله
عنه لما افضي اليه الامر عاتب سعدا علي ما فعل وقال له لم تكن ممن اصلح بين الفيتين حين اقتتلا ولا ممن
قاتل الفية الباغية فتبين انه ليس علي الكل درك فيما فعل وانما كان تصرفا في حكم الاجتهاد واعمالا بمقتضى
الشرع والله اعلم السادسة قوله تعالى فان فات فاصلحوا بينهما بالعدل ومن العدل في صلحهم ان لا يطالبوا
بما جري بينهم من دم ولا مال فانه تلف علي تاويل وفي طلبهم تنفير لهم عن الصلح واستشرا في البغي وهذا
اصل في المصلحة وقد قال لسان الامة ان حكمة الله تعالى في حرب الصحابة التعريف منهم لاحكام قتال اهل
التاويل اذ كان احكام قتال اهل الشرك قد عرفت علي لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله السابعة
اذا خرجت علي الامام العدل خارجة باغية ولا حجة لها قاتلهم الامام بالمسلمين كافة او بمن فيه كفاية
ويدعوهم قبل ذلك الي الطاعة والدخول في الجماعة فان ابوا من الرجوع والصلح قوتلوا ولا يقتل اسيرهم
ولا يتبع مدبرهم ولا يذفف علي جريحهم ولا تسبي ذراريهم ولا اموالهم واذا قتل العادل الباغي او الباغي
العادل وهو وليه لم يتوارثا ولا يرث قاتل عمدا علي حال وقد قيل ان العادل يرث الباغي قياسا علي
القصاص الثامنة وما استهلكه البغاة والخوارج من دم او مال ثم تابوا لم يواخذوا به وقال ابوحنيفة

وان شئت قلت ان عليا كان اماما وان كل من خرج عليه باغ

طلحه وزبير

يضمنون وللشافعي قولان ووجه قول ابي حنيفة انه اتلاف بعد وان فيلزم الضمان والمعول في ذلك عندنا
ان الصحابة رض في حروبهم لم يتبعوا مدبرا ولا ذففوا علي جريح ولا قتلوا اسيرا ولا ضمنوا نفسا ولا
مالا وهم القدوة وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اتدري كيف حكم الله فيمن بغي من
هذه الامة قال الله ورسوله اعلم فقال لا يجهز علي جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم
فيها فاما ما كان قايما رد بعينه هذا كله فيمن خرج بتاويل يسوغ له وذكر الزمخشري في تفسيره ان كانت
الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفية ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وان كانت
كثيرة ذات منعة وشوكة لم يضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فان كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فا
واما قبل التجمع والتجند او حين يتفرق عند وضع الحرب اوزارها ما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل
في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل علي مذهب محمد واضح منطبق علي لفظ التنزيل وعلي قول غيره وجهه ان يحمل علي كون
الفية الباغية قلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغاين وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات
ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط قال الزمخشري فان قلت فلم قرن بالاصلاح
الثاني العدل دون الاول قلت لان المراد بالاقتتال في اول الاية ان يقتتلا باغيتين او راكبتي شبهة وايهما
كان فالذي يجب علي المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ
الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما
فان الضمان متجه علي الوجهين المذكورين التاسعة ولو تغلبوا علي بلد واخذوا الصدقات واقاموا الحدود وحكموا
منهم بالاحكام لم تثن عليهم الصدقات ولا الحدود ولا ينقض من احكامهم الا ما كان خلافا للكتاب والسنة
والاجماع كما ينقض من احكام اهل العدل والسنة قاله مطرف وابن الماجشون وقال ابن القاسم لا يجوز
بحال وروي عن اصبغ انه جايز وروي عنه ايضا لا يجوز كقول ابن القاسم وبه قال ابن القاسم وبه قال
ابو حنيفة لانه عمل بغير حق ممن لا يجوز توليته فلم يجز كما لو لم يكونوا بغاة والعمدة لنا ما قدمناه من ان
الصحابة رضي الله عنهم لما انجلت الفتنة وارتفع الخلاف بالهدنة والصلح لم يعرضوا لاحد منهم في حكم قال القاضي
ابوبكر بن العربي الذي عندي ان ذلك لا يصح لان الفتنة لما انجلت كان الامام هو الباغي ولم يكن هناك
من يعترضه والله اعلم العاشرة لا يجوز ان ينسب الي احد من الصحابة خطا مقطوع به اذ كانوا كلهم اجتهدوا
فيما فعلوه واردوا الله عز وجل وهم كلهم لنا ايمة وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم والا نذكرهم الا باحسن
الذكر لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم وان الله غفر لهم واخبر الله بالرضي عنهم هذا
مع ما قد ورد من الاخبار من طرق مختلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان طلحة شهيد يمشي علي وجه الارض
فلو كان ما خرج اليه من الارض عصيانا لم يكن بالقتل فيه شهيدا وكذلك لو كان ما خرج اليه خطا في التاويل
وتقصيرا في الواجب عليه لان الواجب لان الشهادة لا يكون الا بقتل في طاعة فوجب حمل امرهم علي ما بيناه
ومما يدل علي ذلك ما قد صح وانتشر من اخبار علي بان قاتل الزبير في النار وقوله سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول بشر قاتل ابن صفية بالنار واذا كان كذلك فقد ثبت ان طلحة والزبير غير عاصين ولا
اثمين بالقتال لان ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في طلحة شهيد ولم يخبر ان قاتل الزبير
في النار وكذلك من قعد غير مخطي في التاويل بل صواب اراهم الله الاجتهاد واذا كان كذلك لم يوجب
ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم وابطال فضايلهم وجهادهم وعظيم عنايهم في الدين رضي الله
عنهم وقد سيل بعضهم عن الدما التي اريقت بينهم فقال تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسالون عما كانوا يعملون وسيل بعضهم عنها ايضا فقال تلك دماء قد طهر الله منها يدي فلا اخضب
بها لساني يعني في التحرز من الوقوع في خطا والحكم علي بعضهم بما لا يكون مصيبا فيه قال ابن فورك ومن
اصحابنا من قال ان سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرت بين اخوة يوسف مع يوسف
انهم لم يخرجوا بذلك عن الولاية والنبوة ولذلك الامر فيما جري بين الصحابة وقال المحاسبي فاما الدما
فقد اشكل علينا القول فيها باختلافهم وقد سيل الحسن البصري عن قتالهم فقال قتال شهده اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم وغبنا وعلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا واختلفوا فوقفنا قال المحاسبي فنحن نقول كما قال
الحسن ونعلم ان القوم كانوا اعلم بما دخلوا فيه منا ونتبع ما اجتمعوا عليه ونقف عند ما اختلفوا فيه
ولا نبتدع رايا منا ونعلم انهم اجتهدوا وارادوا الله عز وجل اذ كانوا غير متهمين في الدين ونسال الله

من الصحابة لا يجوز ان ينسب الى احد خطا مقطوع

التوفيق **قوله تعالى** انما المومنون اخوة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى انما المومنون اخوة
اي في الدين والحرمة لا في النسب ولهذا قيل اخوة الدين اثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع
بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله
اخوانا وفي رواية لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض
وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى الصدر
ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه لفظ
مسلم وفي غير الصحيحين عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه
ولا يخذله ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عليه الريح الا باذنه ولا يوذيه بقتار قدره الا ان يغرف
له غرفة ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها الى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها ثم قال النبي صلى الله عليه
وسلم احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل الثانية **قوله تعالى** فاصلحوا بين اخويكم اي بين كل مسلمين
تخاصما وقيل بين الاوس والخزرج على ما تقدم وقال ابو علي اراد بالاخوين الطائفتين لان لفظ التثنية يرد
والمراد به الكثرة كقوله بل يداه مبسوطتان وقال ابو عبيدة اي اصلحوا بين كل اخوين فهو آت على الجميع وقرا
ابن سيرين ونصر بن عاصم وابو العالية والجحدري ويعقوب بين اخوتكم بالتاء على الجمع وقرا الحسن اخوانكم
الباقون اخويكم بالياء على التثنية الثالثة في هذه الاية والتي قبلها دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان
لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين قال الحارث الاعور سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وهو القدوة عن قتال اهل البغي من اهل الجمل وصفين امشركون هم قال لا من الشرك فروا فقيل له امنافقون
فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل له فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى
عسى ان يكونوا خيرا منهم قيل عند الله وقيل خيرا منهم اي معتقدا واسلم باطنا والسخرية الاستهزاء سخرت
منه اسخر سخرا بالتحريك ومسخرا وسخرا بالضم وحكى ابو زيد سخرت به وهو اردا اللغتين وقال الاخفش سخرت
منه وسخرت به وضحكت به وهزئت منه وهزئت به كل يقال والاسم السخرية والسخري والسخري وقرئ بهما
قوله تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقد تقدم وفلان سخرة يتسخر في العمل يقال خادمه سخرة ورجل سخرة
ايضا يسخر منه وسخرة بفتح الخاء يسخر من الناس الثانية واختلف في سبب نزولها فقال ابن عباس نزلت في ثابت
بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فاذا سبقوه الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم اوسعوا له اذا اتى حتى يجلس
الى جنبه ليسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف
النبي صلى الله عليه وسلم اخذ اصحابه مجالسهم منه فربض كل واحد منهم رجل بمجلسه وعضوا فيه فلا يكاد يوسع احد
لاحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا
فتفسحوا له حتى انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد وجدت
مجلسا فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال من هذا قالوا فلان فقال ثابت ابن فلانة يعيره بها يعني اما
له في الجاهلية فاستحيى الرجل فنزلت وقال الضحاك نزلت في وفد تميم الذي تقدم ذكرهم في اول السورة
استهزءوا بفقراء الصحابة مثل عمار وخباب وابن فهيرة وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى ابي حذيفة
وغيرهم لما راوا من رثاثة حالهم فنزلت في الذين امنوا منهم وقال مجاهد هو سخرية الغني من الفقير وقال
ابن زيد لا يسخر من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله فلعل اظهار ذنوبه في الدنيا خير له في الاخرة وقيل نزلت
في عكرمة ابن ابي جهل حين قدم المدينة مسلما وكان المسلمون اذا راوه قالوا ابن فرعون هذه الامة فشكى
ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وبالجملة فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه
اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا وانقى قلبا ممن هو
على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهزاء بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم
وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل
الذي صنع وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا وقوم في
اللغة للمذكرين خاصة قال زهير شعر

وما ادري وسوف اخال ادري … اقوم آل حصن ام نساء

وسموا قوما لانهم يقومون مع داعيهم في الشدائد وقيل انه علم جمع قائم ثم استعمل في كل جماعة وان لم
يكونوا قائمين وقد يدخل في القوم النساء مجازا وقد مضى في البقرة بيانه الثالثة **قوله تعالى**
ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن افرد النساء بالذكر لان السخرية منهن اكثر وقد قال الله تعالى
انا ارسلنا نوحا الى قومه فشمل الجميع قال المفسرون نزلت في امراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
سخرتا من ام سلمة وذلك انها ربطت خصرها بسبيبة وهو ثوب ابيض ومثلها السب وسدلت طرفيها
خلفها فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنها انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب فهذه كانت
سخريتهما وقال انس وابن زيد نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وقيل نزلت
في عائشة اشارت بيدها الى ام سلمة وقالت يا نبي الله انها لقصيرة وقال عكرمة عن ابن عباس ان صفية
بنت حيي بن اخطب اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية
بنت يهوديين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هارون وان عمي موسى وان زوجي محمد فانزل
الله هذه الاية الرابعة في صحيح الترمذي عن عائشة قالت حكيت للنبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال ما يسرني
اني حكيت رجلا وان لي كذا وكذا قالت فقلت يا رسول الله ان صفية امراة وقالت بيدها هكذا تعني انها
قصيرة فقال لقد مزجت بكلمة لو مزج بها البحر لمزج وفي البخاري عن عبد الله بن زمعة قال نهى النبي صلى الله
عليه وسلم ان يضحك الرجل مما يخرج من الانفس وقال لم يضرب احدكم امراته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن
ينظر الى قلوبكم واعمالكم وهذا حديث عظيم يترتب عليه ان لا يقطع بعيب احد لما يرى عليه من صور اعمال
الطاعة او المخالفة فلعل من يحافظ على الاعمال الظاهرة يعلم الله من قلبه وصفا مذموما لا يصح معه تلك الاعمال
ولعل من راينا عليه تفريطا او معصية يعلم الله من قلبه وصفا محمودا يغفر له بسببه فالاعمال امارات
ظنية لا ادلة قطعية ويترتب عليها عدم الغلو في تعظيم من راينا عليه افعالا صالحة وعدم الاحتقار لمسلم
راينا عليه افعالا سيئة بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيئة لا تلك الذات المسيئة فتدبر هذا فانه نظر دقيق
وبالله التوفيق **قوله تعالى** ولا تلمزوا انفسكم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ولا تلمزوا
اللمز العيب وقد مضى في براءة عند قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال الطبري اللمز باليد والعين
واللسان والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان وهذه الاية مثل قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا
يقتل بعضكم بعضا لان المومنين كنفس واحدة فكانه بقتل اخيه قاتل نفسه وكقوله فسلموا على انفسكم يعني يسلم
بعضكم على بعض والمعنى لا يعب بعضكم بعضا وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير لا يطعن
بعضكم على بعض وقال الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا وقرا لا تلمزوا بالضم وفي قوله انفسكم تنبيه على ان العاقل
لا يعيب نفسه فلا ينبغي ان يعيب غيره لانه كنفسه قال صلى الله عليه وسلم المومنون كرجل واحد ان اشتكى
عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال بكر بن عبد الله المزني اذا اردت ان تنظر العيوب جمة
فتامل عيابا فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب وقال النبي صلى الله عليه وسلم يبصر احدكم القذاة
في عين اخيه ويدع الجذع في عينه وقيل من سعادة المرء ان يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره قال
الشاعر

المرء ان كان عاقلا ورعا … اشغله عن عيوبه ورعه
كالسقيم المريض يشغله … عن وجع الناس كلهم وجعه

آخر

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا … فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا … ولا تعب احدا منهم بما فيكا

الثانية قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب النبز بالتحريك اللقب والجمع الانباز والنبز بالتسكين المصدر
تقول نبزه ينبزه نبزا اي لقبه وفلان ينبز بالصبيان اي يلقبهم شدد للكثرة وقيل النبز والنزب لقب
السوء وتنابزوا بالالقاب اي لقب بعضهم بعضا وفي الترمذي عن ابي جبيرة ابن الضحاك قال كان الرجل
منا يكون له الاسمين والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب
قال هذا حديث حسن وابو جبيرة هو اخو ثابت بن الضحاك ابن خليفة الانصاري وابو زيد سعيد بن الربيع
صاحب الهروي ثقة وفي مصنف ابي داود عنه قال فينا نزلت هذه الاية في بني سلمة ولا تنابزوا بالالقا

ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم

لا يطعن بعضكم على بعض

السقيم المريض

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب فهذا قول وقول ثالث قال الحسن ومجاهد كان الرجل يعير بعد اسلامه بكفره يا يهودي يا نصراني فنزلت وروي عن قتادة وابي العالية وعكرمة وقال قتادة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق وقال مجاهد والحسن ايضا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس ان يسمى الرجل كافرا او زانيا بعد اسلامه وتوبته قاله ابن زيد وقيل المعنى ان من لقب اخاه او سخر منه فهو فاسق وفي الصحيح من قال لاخيه كافر فقد باء بها احدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية والهمز والنبز فذلك فسوق وذلك لا يجوز وقد روي ان ابا ذر رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فنازعه رجل فقال له الرجل يا ابن اليهودية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى ها هنا من احمر واسود ما انت بافضل منه يعني بالتقوى ونزلت ولا تنابزوا بالالقاب وقال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب فنهى الله ان يعير بما سلف يدل عليه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من عير مؤمنا بذنب تاب منه كان حقا على الله ان يبتليه به ويفضحه فيه في الدنيا والاخرة الثالثة وقع مستثنى ما غلب عليه الاستعمال كالاعرج والاحدب ولم يكن له فيه كسب يجد في نفسه منه عليه فجوزته الامة واتفق على قوله اهل اللغة قال ابن العربي وقد ورد لعمر والله من ذلك في كتبهم ما لا اضاه في صالح جزرة لانه صحف خرزة فلقب بها وكذلك قولهم محمد بن سليمان الحضرمي مطين لانه وقع في طين ونحو ذلك مما غلب على المتاخرين ولا اراه سائغا في الدين وقد كان موسى بن علي بن رباح المصري يقول لا اجعل احدا صغر اسم ابي فكان الغالب على اسمه التصغير بضم العين والذي يضبط هذا كله ان كل ما يكرهه الانسان اذا نودي به فلا يجوز لاجل الاذاية والله اعلم قال الشيخ المؤلف رحمه الله وعلى هذا المعنى ترجم البخاري رحمه الله في كتاب الادب في الجامع الصحيح في باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير لا يراد به شين الرجل قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول ذو اليدين قال ابو عبد الله بن خويز منداد تضمنت الاية المنع من تلقيب الانسان بما يكره ويجوز تلقيبه بما يحب الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لقب عمر الفاروق وابا بكر الصديق وعثمان ذا النورين وخزيمة ذا الشهادتين وابا هريرة وذا الشمالين وذا اليدين في اشباه ذلك الزمخشري روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على المؤمن ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر الفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وقال الماوردي فاما مستحب الالقاب ومستحسنها فلا يكره وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة من اصحابه باوصاف صارت لهم من اجل الالقاب قال الشيخ المؤلف رحمه الله فاما ما يكون ظاهرها الكراهة اذا اريد بها الصفة لا العيب فذلك كثير وقد سئل ابن المبارك عن الرجل يقول حميد الطويل وسليمان الاعمش وحميد الاعرج ومروان الاصفر فقال اذا اردت صفته ولم ترد عيبه فلا باس به وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال رايت الاصلع يعني عمر في رواية الاصيلع قوله تعالى ومن لم يتب اي عن هذه الالقاب التي يتاذى بها السامعون فاولئك هم الظالمون لانفسهم بارتكاب هذه المناهي

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الى قوله تواب رحيم

فيه تسع مسائل قوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن قيل انها نزلت في رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر ضم الرجل المحتاج الى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان الى رجلين فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما فقالا له انطلق فاطلب لنا من النبي صلى الله عليه وسلم طعاما وادما فذهب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى اسامة بن زيد فقل له ان كان عندك فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن النبي صلى الله عليه وسلم فذهب اليه فقال اسامة ما عندي شيء فرجع اليهما فاخبرهما فقالا قد كان عنده ولكنه بخل ثم بعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالا لو بعثنا سلمان

حق المؤمن على المؤمن

الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة شيء فراهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا يا نبي الله والله ما اكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره فقال ولكنكما ظلتما تاكلان لحم سلمان واسامة فنزلت يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ذكره الثعلبي اي لا تظنوا باهل الخير سوءا اذا كنتم تعلمون من ظاهر امرهم الخير الثانية ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا لفظ البخاري قال علماؤنا الظن هنا وفي الاية هو التهمة ومحل التحذير والنهي انما هو تهمة لا سبب لها يوجبها كمن يتهم بالفاحشة او بشرب الخمر مثلا ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله بعد هذا ولا تجسسوا وذلك انه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء فيريد ان يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويستمع ليحقق ما وقع له من تلك التهمة فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وان شئت قلت والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لا يعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وانست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد به والخيانة محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمن الظن بالناس فيه حرام وانت اليوم في زمن اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت الثالثة للظن حالتان حالة تعرف وتقوى بوجه من وجوه الادلة فيجوز الحكم بها واكثر احكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتلفات واروش الجنايات والحالة الثانية ان يقع في النفس شيء من غير دلالة فلا يكون ذلك اولى من ضده فهذا هو الشك فلا يجوز الحكم به وهو المنهي عنه على ما قررناه انفا وقد انكرت جماعة من المبتدعة تعبد الله بالظن وجواز العمل به تحكما في الدين ودعوى في المعقول وليس في ذلك اصل يعول عليه فان الباري تعالى لم يذم جميعه وانما ورد الذم في بعضه وربما تعلقوا بحديث ابي هريرة اياكم والظن وهذا لا حجة فيه لان الظن في الشريعة قسمان محمود ومذموم فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه والمذموم ضده بدلالة قوله تعالى ان بعض الظن اثم وقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقوله وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم مادحا اخاه فليقل احسب كذا ولا ازكي على الله احدا وقال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض خرجه ابو داود وذهب اكثر العلماء على ان الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وانه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح قاله المهدوي الرابعة قوله تعالى ولا تجسسوا وقرا ابو رجاء والحسن باختلاف وغيرهما ولا تحسسوا بالحاء واختلف هل هما بمعنى واحد او بمعنيين فقال الاخفش ليس يبعد احدهما من الاخرى لان التجسس البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها وقيل ان التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس اذا كان يبحث عن الامور وبالحاء هو ما ادركه الانسان ببعض حواسه وقول ثان في الفرق انه بالحاء تطلبه لنفسه وبالجيم ان يكون رسولا لغيره قاله ثعلب والاول اعرف جسست الاخبار وتجسستها اي تفحصت عنها ومنه الجاسوس ومعنى الاية خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين اي لا يبحث احدكم عن عيب اخيه حتى يطلع عليه بعد ان ستره الله وفي كتاب ابي داود عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان تفسدهم فقال ابو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها وعن المقدام بن معدي كرب عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الامير اذا ابتغى الريبة في الناس افسدهم وعن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء ناخذ به وعن ابي برزة الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته وقال عبد الرحمن بن عوف حرست ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة اذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم اصوات مرتفعة ولغط فقال عمر هذا بيت ربيعة بن امية

الظن في الشريعة قسمان محمود ومذموم

الجاسوس

بن خلف وهو لان شرب فما نري تلك ادري انا قد اتينا ما نهي الله عنه قال الله تعالي ولا تجسسوا وقال لا تجسسنا فانصرف وتركهم وقال ابو قلابة حدث عمر بن الخطاب ان ابا محجن الثقفي يشرب الخمر مع اصحاب له في بيته فانطلق عمر بن الخطاب رض حتي دخل عليه فاذا ليس عنده الا رجل فقال ابو محجن ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فخرج عمر وتركه وقال زيد بن اسلم خرج عمر وعبد الرحمن يعسان اذ تبينت لهما نار فاستاذنا ففتح الباب فاذا رجل وامراة تغني وعلي يد الرجل قدح فقال عمر وانت يا فلان بهذا فقال وانت بهذا يا امير المومنين قال عمر فمن هذه منك قال امراتي قال فما في القدح قال ماء زلال فقال للمراة وما الذي تغنين فقالت

تطاول هذا الليل واسود جانبه … وارقني الا خليل الاعبه
فوالله لولا الله اني اراقبه … لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكن عقلي والحياء يكفني … واكرم بعلي ان تنال مراكبه

ثم قال الرجل ما بهذا امرنا يا امير المومنين قال الله تعالي ولا تجسسوا قال صدقت قال الشيخ المولف رحمه الله لا يفهم من هذا الخبر ان المراة كانت غير زوجة الرجل لان عمر لا يقر علي الزنا وانما غنت بتلك الابيات تذكارا لزوجها وانها قالتها في مغيبة عنها والله اعلم وقال عمرو بن دينار كان رجل من اهل المدينة له اخت فاشتكت وكان يعودها فماتت فدفنها فكان هو الذي نزل في قبرها فسقط من كمه كيس فيه دنانير فاستعان ببعض اهله فنبشوا قبرها فاخذ الكيس وقال لاكشفن حتي انظر ما آل حال اختي اليه فكشف عنها فاذا القبر مشتعل نارا فجاء الي امه فقال اخبريني ما كان عمل اختي فقالت قد ماتت اختك فما سوالك عن عملها فلم يزل بها حتي قالت له كان من عملها انها كانت توخر الصلاة عن مواقيتها وكانت اذا نام الجيران قامت الي بيوتهم فالقمت اذنها ابوابهم فتجسس عليهم وتخرج اسرارهم فقال بهذا هلكت

الخامسة قوله تعالي ولا يغتب بعضكم بعضا نهي جل وعز عن الغيبة وهي ان يذكر الرجل بما فيه فان ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان ثبت معناه في صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته يقال اغتابه اغتيابا اذا وقع فيه والاسم الغيبة وهو ذكر العيب بظهر الغيب قال الحسن الغيبة ثلاثة اوجه كلها في كتاب الله تعالي الغيبة والافك والبهتان فاما الغيبة فهو ان تقول في اخيك ما هو فيه واما الافك فان تقول فيه ما بلغك عنه واما البهتان فان تقول فيه ما ليس فيه وعن شعبة قال قال لي معاوية يعني بن قرة لو مر بك رجل اقطع فقلت هذا اقطع كان غيبة قال شعبة فذكرته لابي اسحق فقال صدق وروي ابو هريرة ان الاسلمي ماعزا جاء الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فشهد علي نفسه بالزنا فرجمه رسول الله صلي الله عليه وسلم فسمع نبي الله صلي الله عليه وسلم رجلين من اصحابه يقول احدهما للاخر انظر الي هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتي رجم رجم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتي مر بجيفة حمار شايل برجله فقال اين فلان وفلان فقالا نحن ذا يا رسول الله قال انزلا وكلا من جيفة هذا الحمار فقالا يا نبي الله ومن ياكل من هذا قال فما نلتما من عرض اخيكما اشد من الاكل منه والذي نفسي بيده انه الان لفي انهار الجنة ينغمس فيها قوله تعالي **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه** مثل الله تعالي الغيبة باكل الميتة لان الميت لا يعلم باكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه وقال ابن عباس انما ضرب الله هذا المثل للغيبة لان اكل لحم الميت حرام مستقذر وكذلك الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس قال قتادة كما يمتنع احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا كذلك يجب ان يمتنع من غيبته حيا واستعمل اكل اللحم مكان الغيبة لان عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر

فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم … وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وقال النبي صلي الله عليه وسلم ما صام من ظل ياكل لحوم الناس فشبه الوقيعة في الناس باكل لحومهم فمن تنقص مسلما او ثلب عرضه فهو كالاكل لحمه حيا ومن اغتابه فهو كالاكل لحمه ميتا وفي كتاب ابي داود عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هاولاء يا جبريل فقال هاولاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وعن المستورد ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من اكل برجل مسلم اكلة فان الله يطعمه مثلها من

جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فان الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة وقد تقدم وقوله عليه السلام يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين وقوله للرجلين ما لي اري خضرة اللحم في افواهكما وقال ابو قلابة الرقاشي سمعت ابا عاصم يقول ما اغتبت احدا مذ عرفت ما في الغيبة وكان ميمون بن سياه لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده ينهاه فان انتهي والا قام وذكر الثعلبي من حديث ابي هريرة قال قام رجل من عند النبي صلي الله عليه وسلم فراوا في قيامه عجزا فقالوا يا رسول الله ما اعجز فلانا فقال اكلتم لحم اخيكم واغتبتموه وعن سفيان الثوري قال ادني الغيبة ان تقول ان فلانا جعد قطط الا انه يكره ذلك وقال عمر بن الخطاب رض اياكم وذكر الناس فانه داء وعليكم بذكر الله فانه شفاء وسمع علي بن الحسين رض عنهما رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار وقيل لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك فلان حتي رحمناك قال اياه فارحموا وقال رجل للحسن بلغني انك تغتابني فقال لم يبلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي **السادسة** ذهب قوم الي ان الغيبة لا تكون الا في الدين ولا تكون في الخلقة والحسب وقالوا ذلك فعل الله به وذهب اخرون الي عكس هذا فقالوا لا تكون الغيبة الا في الخلق والخلق والحسب والغيبة في الخلق اشد فان من عيب صنعة فانما عيب صانعها وهذا كله مردود اما الاول فيرده حديث عايشة حين قالت في صفية انها قصيرة فقال لها النبي ص لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته خرجه ابو داود وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح وما كان في معناه حسب ما تقدم واجماع العلما قديما علي ان ذلك غيبة اذا اريد به العيب واما الثاني فمردود ايضا عند جميع العلما لان العلما من اول الدهر من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والتابعين بعدهم لم يكن الغيبة عندهم في شي اعظم من الغيبة في الدين لان عيب الدين اعظم العيب فكل مومن يكره ان يذكر في دينه اشد مما يكره في بدنه وكفي ردا لمن كان هذا القول قوله عليه السلام اذا قلت في اخيك ما يكره فقد اغتبته الحديث فمن زعم ان ذلك ليس بغيبة فقد رد ما قال النبي صلي الله عليه وسلم نصا وكفي بعموم قول النبي صلي الله عليه وسلم دماوكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام وذلك عام للدين والدنيا وقول النبي صلي الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة في عرضه او ماله فليتحلله منه فعم كل عرض فمن خص من ذلك شيا دون شي فقد عارض ما قال النبي صلي الله عليه وسلم **السابعة** لا خلاف ان الغيبة من الكباير وان من اغتاب احدا التوبة الي الله عز وجل وهل يستحل المغتاب اختلف فيه فقالت فرقة ليس عليه استحلاله وانما هي خطيية بينه وبين ربه واحتجت بانه لم ياخذ من ماله ولا اصاب من بدنه ما ينقصه فليس ذلك بمظلمة يستحلها منه وانما المظلمة ما يكون منه البدل والعوض في المال والبدن وقالت فرقة هي مظلمة وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه واحتجت بحديث يروي عن الحسن قال كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وقالت فرقة هي مظلمة وعليه الاستحلال منها واحتجت بقول النبي صلي الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض ومال فليتحلله منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فزيد علي سياته خرجه البخاري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من كانت له مظلمة لاخيه من عرضه او شي فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون له دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فحمل عليه وقد تقدم هذا المعني في سورة آل عمران عند قوله تعالي ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا وقد روي من حديث عايشة ان امراة دخلت عليها فلما قامت قالت امراة ما اطول ذيلها فقالت عايشة لقد اغتبتيها فاستحليها فدلت الاثار عن النبي صلي الله عليه وسلم انها مظلمة يجب علي المغتاب استحلالها واما قول من قال انما الغيبة في البدن والمال فقد اجمعت العلما علي ان علي القاذف للمقذوف مظلمة ياخذه بالحد حتي يقيمه عليه وذلك ليس في البدن ولا في المال ففي ذلك دليل ان الظلم في العرض والبدن والمال وقد قال الله تعالي في القاذف فان لم ياتوا باربعة شهدا الي قوله فاوليك هم الفاسقون وقال النبي صلي الله عليه وسلم من بهت مومنا بما ليس فيه حبسه الله في طينة الخبال وذلك كله في غير المال والبدن واما من قال انها مظلمة وكفارة المظلمة ان تستغفر لصاحبها فقد ناقض اذ سماها مظلمة ثم قال كفارتها ان تستغفر لصاحبها لان قوله مظلمة يثبت ظلامة المظلوم فاذا ثبتت الظلامة لم يزلها عنه الا احلال المظلوم له واما قول الحسن فليس بحجة وقد قال النبي ص لع م من كانت له عند اخيه مظلمة في عرض او مال فليتحللها منه وقد ذهب بعضهم الي ترك التحليل لمن ساله وراي انه لا يحل له ما حرم عليه منهم سعيد

الغيبة ثلاثة اوجه

فان لم يكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه

بن المسيب قال لا احلل من ظلمني وقيل لابن سيرين يا ابا بكر هذا رجل سالك ان تحله من مظلمة هي لك عنده
قال اني لم احرمها عليه فاحلها ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله عليه ابدا وخبر النبي صلى الله عليه
وسلم يدل على التحليل وهو الحجة والمبين والتحليل يدل على الرحمة وهو من وجه العفو وقد قال الله تعالى فمن عفا
واصلح فاجره على الله **الثامنة** ليس من هذا الباب غيبة الفاسق المعلن به المجاهر فان في الخبر من القى جلباب
الحيا فلا غيبة له وقال عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس فالغيبة اذا في المرء الذي يستر
نفسه وروي عن الحسن انه قال ثلاثة ليست لهم حرمة صاحب الهوى والفاسق المعلن والامام الجاير وقال
الحسن لما مات الحجاج اللهم انت امته فاقطع عنا سنته ود في رواية شيبة فانه اتانا اخيفش اعيمش يمد بيد
قصيرة البنان والله ما عرق فيها عيار في سبيل الله يرجل جمته ويخطر في مشيته ويصعد المنبر فيهذر حتى
تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته ماية الف او يزيدون لا تقول له قايل الصلاة
ايها الرجل ثم تقول الحسن هيهات حال دون ذلك السيف والسوط وروى الربيع بن صبيح عن الحسن قال ليس لا
هل البدع غيبة ولذلك قولك للقاضي تستعين به على اخذ حقك ممن ظلمك فتقول فلان ظلمني وعصبني
او خانني او ضربني وقذفني او اساء الي ليس بغيبة وعلما الامة على ذلك مجمعه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواحد يحل عرضه وعقوبته من ذلك الاستفتا كقول
هند للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي واخذ من غير علمه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم نعم فخذي فذكرته بالشح والظلم لها ولولدها ولم يرها مغتابة لانه لم يغير عليها بل
اجابها عليه بالفتيا لها وكذلك اذا كان في ذكره بالسوء فايدة كقوله عليه السلام اما معاوية فصعلوك
لا مال له واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه فهذا جايز وكان مقصوده الا تغتر فاطمة بنت قيس بهما
قال جميعه المحاسبي رحمه الله **التاسعة** قوله تعالى ميتا وقرئ ميتا وهو نصب على الحال من اللحم ويجوز ان
ينتصب على الاخ ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه وفيه
وجهان احدهما فكرهتم اكل الميتة فكذلك فاكرهوا الغيبة روي معناه عن مجاهد الثاني فكرهتم ان يغتابكم
الناس فاكرهوا غيبة الناس وقال الفراء فقد كرهتموه فلا تفعلوه وقيل لفظه خبر ومعناه امر اي
اكرهوه واتقوا الله عطف عليه وقيل عطف على قوله اجتنبوا ولا تجسسوا ان الله تواب رحيم قوله تعالى
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحوا
ونزلت الاية في ابي هند ذكره ابو داود في المراسيل حدثنا عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد قالا حدثنا بقية
بن الوليد حدثني الزهري قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة ان يزوجوا ابا هند امراة منهم
فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بناتنا موالينا فانزل الله انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا الاية قال الزهري نزلت في ابي هند خاصة وقيل انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل
الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت قال رايت ابيض واسود واحمر قال
فانك لا تفضلهم الا بالتقوى فنزلت في ثابت هذه الاية ونزلت في الرجل الذي لم يتفسح له يا ايها الذين
امنوا اذا قيل لكم تفسحوا الاية قاله ابن عباس وقال مقاتل لما كان فتح يوم مكة امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلالا حتى على ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب ابن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لا يرى
هذا اليوم وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان
يرد الله شيا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف ان يخبر به رب السما فاتى جبريل عليه السلام
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله تعالى هذه
الاية زجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدرا بالفقرا فان المدار على التقوى
اي ان الجميع من ادم وحوا انما الفضل بالتقوى وفي الترمذي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خطب بمكة فقال يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها باباءها فالناس
رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو ادم وخلق الله ادم من تراب قال
الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ان الله عليم خبير خرجه من حديث عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وهو ضعيف ضعفه

يحيى بن معين وغيره وخرج الطبري في كتاب اداب النفوس وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا
اسمعيل قال حدثنا سعيد الجريري عن ابي نضرة قال حدثني او حدثنا من شهد خطبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنى في وسط ايام التشريق وهو على بعير فقال يا ايها الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد
الا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود الا بالتقوى الا
هل بلغت قالوا نعم قال ليبلغ الشاهد الغايب وفيه عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله لا ينظر الى احسابكم ولا الى اجسامكم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فمن كان
له قلب صالح تحنن الله عليه وانما انتم بنو ادم واحبكم الى الله اتقاكم ولعلي رضي الله عنه في هذا المعنى
وهو مشهور من شعر

الناس في جهة التمثيل اكفا • ابوهم ادم والام حوا •
نفس كنفس وارواح مشاكلة • واعظم خلقت فيهم واعضا •
فان يكن لهم من اصلهم حسب • يفاخرون به والطين والما •
ما الفضل الا لاهل العلم انهم • على الهدى لمن استهدى ادلا •
وقدر كل امرء ما كان يحسنه • وللرجال على الافعال سيما •
وضد كل امرء ما كان يجهله • والجاهلون لاهل العلم اعدا •
ففز بعلم تعش حيا به ابدا • الناس موتى واهل العلم احيا •

الثانية بين الله سبحانه وتعالى في هذه الاية انه خلق الخلق من الذكر والانثى وكذلك في اول سورة النسا
ولو شاء لخلقه دونهما كخلقه لادم او دون ذكر كخلقه لعيسى عليه السلام او دون انثى كخلقه لادم من احدى
الجهتين وهذا الجايز في القدرة لم يرد به الوجود وقد جا ان ادم خلق الله منه حوا من ضلع انتزعها من
اضلاعه فلعله هذا القسم قاله ابن العربي الثالثة خلق الله الخلق بين الذكر والانثى انسابا واصهارا
وقبايل وشعوبا وخلق لهم منها التعارف وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها وهو اعلم بها فصار كل
احد يحوز نسبه فاذا انفاه رجل عنه استوجب الحد بقذفه مثل ان ينفيه عن رهطه وحسبه بقوله للعربي
يا عجمي وللعجمي يا عربي ونحو ذلك مما يقع به النفي حقيقة **الرابعة** ذهب قوم من الاوايل ان الجنين انما يكون
من ماء الرجل وحده ويتربى في رحم الام ويستمد من الدم الذي يكون فيه واحتجوا بقوله تعالى الم نخلقكم
من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين قوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى
فدل على ان الخلق من ماء واحد والصحيح ان الخلق انما يكون من ماء الرجل والمراة لهذه الاية فانها نص لا
يحتمل التاويل وقوله تعالى خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترايب والمراد منه اصلاب الرجال
وترايب النساء على ما ياتي بيانه واما ما احتجوا به فليس فيه اكثر من ان الله تعالى خلق الانسان من الماء والطين
والنطفة ولم يضفهما الى احد الابوين دون الاخر فدل على ان السلالة لهما والنطفة منهما بدلالة ما ذكرنا
وبان المراة تمني كما يمني الرجل وعن ذلك يكون الشبه حسب ما تقدم بيانه اخر الشورى وقد قال في قصة
نوح فالتقى الماء على امر قد قدر وانما اراد ما السماء وما الارض لان الالتقا لا يكون الا من اثنين
فلا ينكر ان يكون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من ماء مهين وقوله الم نخلقكم من ماء مهين ويريد
ماء لين والله اعلم **الخامسة** قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا الشعوب رؤس القبايل مثل ربيعة
ومضر والاوس والخزرج واحدها شعب بفتح الشين سموا به لتشعبهم واجتماعهم كتشعب اغصان الشجرة
والشعب من الاضداد يقال شعبته اذا جمعته ومنه المشعب بكسر الميم وهو الاشفي لانه يجمع به ويشعب
قال

فكان على جر الجنبين ومنق • بمدريه كانه ذلق مشعب

وشعبته اذا فرقته ومنه سميت المنية شعوب لانها مفرقة فاما الشعب بالكسر فهو الطريق في الجبل والجمع
الشعاب قال الجوهري الشعب ما تشعب من قبايل العرب والعجم والجمع الشعوب والشعوبية فرقة
لا تفضل العرب على العجم واما الذي في الحديث ان رجلا من الشعوب اسلم فانه يعني من العجم والشعب القبيلة
العظيمة وهو ابو القبايل الذي ينتسبون اليه اي يجمعهم ويضمهم قال ابن عباس الشعوب الجمهور مثل مضر
والقبايل الافخاذ وقال مجاهد الشعوب البعيد من النسب والقبايل دون ذلك وعنه ايضا ان الشعوب
النسب الاقرب وقاله قتادة ذكر الاول عنه المهدوي والثاني الماوردي قال الشاعر

رايت سعودا من شعوب كثيرة • فلم ار سعدا مثل سعد بن مالك

وقال اخر قبائل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب

وقيل ان الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل من ربيعة ومضر وسائر عدنان وقيل ان الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب وقال ابن عباس في رواية ان الشعوب الموالي والقبائل العرب قال القشيري وعلى هذا فالشعوب من لا يعرف لهم اصل نسب كالهند والجبل والترك والقبائل من العرب قال الماوردي ويحتمل ان الشعوب هم المضافون الى النواحي والشعاب والقبائل هم المشتركون في الانساب

قال الشاعر وتفرقوا شعبا بكل جزيرة فيها امير المؤمنين ومنبر

وحكى ابو عبيد عن ابن الكلبي عن ابيه الشعب اكبر من القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ وقيل الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ثم العشيرة وقد نظمها بعض الادباء فقال

اقصد الشعب فهو اكثر حي عددا في الحواء ثم القبيلة
ثم تتلوها العمارة ثم البطن والفخذ بعدها والفصيلة
ثم من بعدها العشيرة لكن هي في جنب ما ذكرنا قليلة

وقال اخر

قبيلة قبلها شعب وبعدها عمارة ثم بطن تلوه فخذ
وليس يؤوي الفتى الا فصيلته ولا سداد لسهم ماله قذذ

السادسة قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم قد تقدم في سورة الزخرف عند قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفي اول السورة هذه الاية ما يدل على ان التقوى هي المراعى عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا تتفاخر بالانساب قيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسابكم وفي الترمذي عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحسب المال والكرم التقوى قال هذا حديث حسن صحيح غريب وذلك يرجع الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد جاء منصوصا عنه عليه السلام من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله والتقوى معناها مراعاة حدود الله سبحانه امرا ونهيا والاتصاف بما امرك ان تتصف به والتنزه عما نهاك عنه وقد مضى هذا في غير موضع وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابي هريرة ان الله تعالى يقول يوم القيامة اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم اتقاكم وابيتم ان لا تقولوا فلان بن فلان وانا اليوم ارفع نسبي واضع انسابكم اين المتقون اين المتقون وروى الطبري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اوليائي المتقون يوم القيامة وان كان نسب اقرب من نسب يا تي الناس بالاعمال وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد فاقول هكذا وهكذا واعرض في كلا عطفيه وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان ال ابي ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اكرم الناس فقال يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال عن معادن العرب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وانشدوا

ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي
من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي

السابعة ذكر الطبري حدثني عمر بن محمد قال حدثنا عبيد بن اسحاق العطار قال حدثنا مندل بن علي عن ثور بن يزيد عن سالم بن ابي الجعد قال تزوج رجل من الانصار امراة فطعن عليها في حسبها فقال الرجل اني لم اتزوجها لحسبها انما تزوجتها لدينها وخلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ان لا تكون من ال حاجب بن زرارة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى جاء بالاسلام فرفع به الخسيسة واتم به الناقصة واذهب به اللوم فلا لوم على المسلم انما اللوم لوم الجاهلية وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان اكون اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي وكذلك كان اكرم البشر على الله تعالى قال ابن العربي وهذا الذي لحظ مالك في الكفاءة في النكاح روى عبد الله عن مالك يتزوج المولى العربية واحتج بهذه الاية وقال ابو حنيفة والشافعي يراعى الحسب والمال وفي الصحيح عن عائشة ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وكان ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم تبنى سالما وانكحه هندا بنت اخيه الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامراة من الانصار وضباعة بنت الزبير كانت تحت المقداد بن الاسود قال الشيخ المؤلف رحمه الله واخت عبد الرحمن بن عوف كانت تحت بلال وزينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثة فدل على جواز نكاح المولى العربية وانما تراعى الكفاءة في الدين والدليل

عليه

عليه ما روى سهل بن سعد في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه رجل فقال ما تقولون في هذا قالوا حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع وان قال ان يسمع قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا قالوا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال لا يسمع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا وقال صلى الله عليه وسلم تنكح المراة لمالها وجمالها ودينها وفي رواية ولحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك وقد خطب سلمان الى ابي بكر ابنته فاجابه وخطب الى عمر ابنته فالتوى عليه ثم ساله ان ينكحها فلم يفعل سلمان وخطب بلال بنت البكير فابى اخوتها فقال بلال يا رسول الله ماذا لقيت من بني البكير خطبت اليهم اختهم فمنعوني واذوني فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجل بلال فبلغهم الخبر فاتوا اختهم فقالوا ماذا لقينا من سببك فقالت اختهم امري بيد رسول الله فزوجوها فقال النبي صلى الله عليه وسلم في ابي هند حين حجمه ابو طيبة انكحوا ابا هند وانكحوا اليه وهو مولى بني بياضة وروى الدارقطني من حديث الزهري عن عروة عن عائشة ان ابا هند مولى بني بياضة كان حجاما فحجم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى من صور الله الايمان في قلبه فلينظر الى ابي هند وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوه وانكحوا اليه قال القشيري ابو نصر وقد يعتبر النسب في الكفاءة في النكاح وهو الاتصال بشجرة النبوة او بالعلماء الذين هم ورثة الانبياء او بالمرموقين في الزهد والصلاح والتقي المؤمن افضل من الفاجر النسيب وان كانا تقيين فحينئذ يقدم النسيب منهما كما يقدم الشيخ على الشاب في الصلاة اذا استويا في التقوى قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا نزلت في اعراب بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة واظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فاعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس نزلت في اعراب ارادوا ان يتسموا باسم الهجرة قبل ان يهاجروا فاعلم الله ان لهم اسماء الاعراب لا اسماء المهاجرين وقال السدي نزلت في الاعراب المذكورين في سورة الفتح اعراب مزينة وجهينة واسلم وغفار والديل واشجع قالوا امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى المدينة تخلفوا فنزلت وبالجملة فالاية خاصة لبعض الاعراب لان منهم من يؤمن بالله واليوم الاخر كما وصف الله تعالى ومعنى ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا خوف القتل والسبي وهذه صفة المنافقين لانهم اسلموا في ظاهر ايمانهم ولم تؤمن قلوبهم وحقيقة الايمان التصديق بالقلب واما الاسلام فقبول ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر وذلك يحقن الدم وان تطيعوا الله ورسوله يعني ان تخلصوا الايمان لا يلتكم اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا لاته يليته وبلوته نقصه وقرا ابو عمرو لا يالتكم بهمزة من الت يالت التا وهي اختيار ابي حاتم اعتبارا بقوله تعالى وما التناهم من عملهم من شيء قال الشاعر

شعر

ابلغ بني ثعل عني مغلغلة جهد الرسالة لا التا ولا كذبا

واختار الاول ابو عبيد قال رؤبة

وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني عن سراها ليت

اي لم يمنعني عن سراها مانع وكذلك الاته عن وجهه فعل وافعل بمعنى ويقال ايضا ما الاته من عمله شيئا اي ما نقصه مثل التته قاله الفراء وانشد

شعر

ويا كلن ما اغنى الولي فلم يلت كان بحافات النهاء المزارعا

قوله فلم يلت اي لم ينقص منه شيئا واغنى بمعنى انبت يقال ما اغنت الارض شيئا اي ما انبتت والولي المطر بعد الوسمي سمي وليا لانه يلي الوسمي ولم يقل لا يلتاكم لان طاعة الله طاعة الرسول قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي صدقوا ولم يشكوا وحققوا ذلك بالجهاد والاعمال الصالحة اولئك هم الصادقون في ايمانهم لا من اسلم خوف القتل ورجاء الكسب فلما نزلت حلف الاعراب انهم مؤمنون في السر والعلانية وكذبوا فنزلت قل اتعلمون الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا اشارة الى قولهم جئناك بالاثقال والعيال وان في موضع نصب على تقدير لان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم اي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان في موضع نصب تقديره بان وقيل لان وفي مصحف عبد الله اذ هداكم ان كنتم صادقين انكم مؤمنين وقرا عاصم ان هداكم بالكسر وفيه بعد لقوله ان كنتم صادقين ولا يقال يمكن عليكم ان يهديكم

ان صدقتم والقراءة الظاهرة ان هداكم وهذا لا يدل على انهم كانوا مومنين لان تقدير الكلام ان امنتم فذلك منة الله عليكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون قرا ابن كثير وابن محيصن بالياء ردا على قوله قالت الاعراب الباقون بالتاء على الخطاب تمت السورة المباركة بعون الله المنان

تفسير سورة ق

مكية وهي اربعون وخمس ايات في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب وفي صحيح مسلم عن ام هشام بنت حارثة بن النعمان قالت لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا سنتين او سنة وبعض سنة وما اخذت ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس وعن عمر بن الخطاب رض سال ابا واقد الليثي ما كان يقرا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاضحى والفطر قال كان يقرا فيهما بقاف والقران المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر وعن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الفجر بقاف والقران المجيد وكانت صلاته بعد تخفيفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ق والقران المجيد قراءة العامة قاف بالجزم وقراءة الحسن وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم قاف بكسر الفاء لان الكسر اخو الجزم فلما سكن اخره حركوه بحركة الخفض وقرا عيسى الثقفي بفتح الفاء حركة الى اخف الحركات وقرا هرون ومحمد بن السميفع قاف بالضم لانه في غالب الامر حركة البنا نحو منذ وقط وقبل وبعد واختلف في معنى قاف ما هو فقال ابن زيد وعكرمة والضحاك هو جبل محيط بالسموات والارض من زمردة خضرا اخضرت السماء منه وعليه طرف السما والسما عليه معسه وما اصاب الناس من زمرد كان مما يساقط من ذلك الجبل ورواه ابو الجوزا عن عبد الله بن عباس قال الفرا كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب في قاف لانه اسم وليس بهجا قال ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كقول القائل قلت لها قفي فقالت قاف اي انا واقفة وهذا وجه حسن وقد تقدم اول البقرة وقال وهب اشرف ذو القرنين على جبل قاف فراي تحته جبالا صغارا فقال له ما انت قال انا قاف قال فما هذه الجبال حولك قال هي عروقي وما من مدينة الا وفيها عرق من عروقي فاذا اراد الله ان يزلزل مدينة امرني فحركت عروقي في ذلك فتزلزلت تلك الارض فقال له يا قاف اخبرني بشي من عظمة الله قال ان شان ربنا العظيم وان ورائي ارضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا لولا هي لاحرقت من حر جهنم فقال زدني قال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة الف ملك فاولئك الملائكة وقوفا بين يدي الله تعالى منكسو رووسهم فاذا اذن الله لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يعني قول لا اله الا الله وقال الزجاج قوله ق اي قضي الامر كما قيل في حم اي حم الامر وقال ابن عباس ق اسم من اسما الله تعالى اقسم به وعنه ايضا انه اسم من اسما القران وهو قول قتادة وقال القرظي افتتاح اسما الله عز وجل قدير وقاهر وقريب وقاض وقابض وقال الشعبي فاتحة السورة وقال ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولا تعدهما وقال محمد بن عاصم الانطاكي هو قرب الله من عباده بيانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال ابن عطا اقسم الله بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله والقران المجيد اي الرفيع القدر وقيل الكريم قاله الحسن وقيل الكثير ماخوذ من كثرة القدر والمنزلة لا من كثرة العدد لامن قولهم كثر فلان في النفوس ومنه قول العرب في المثل السائر لها في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر هاذان النوعان من النار فزاد على سائر الشجر قاله ابن بحر وجواب القسم قيل هو قد علمنا ما تنقص الارض منهم على ارادة اللام اي لقد علمنا وقيل ان هو في ذلك لذكرى وهو اختيار الترمذي محمد بن علي قال ق قسم باسم هو اعظم الاسما التي خرجت الى العباد وهو القدرة واقسم ايضا بالقران المجيد ثم اقتص ما خرج من القدرة من خلق السموات والارضين وارزاق العباد وخلق الادميين وصفة يوم القيامة والجنة والنار ثم قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فرفع القسم على هذه الكلمة كانه قال ق اي بالقدرة والقران المجيد اقسمت ان فيما اقتصصت في هذه السورة لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال ابن كيسان جوابه ما يلفظ من قول وقال اهل الكوفة جواب هذا القسم بل عجبوا وقال

جبل قاف

الاخفش جوابه محذوف كانه قال قاف والقران المجيد لتبعثن يدل عليه ائذا متنا وكنا ترابا قوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم ان في موضع نصب على تقدير كان جاءهم منذر منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير للكفار وقيل للمومنين والكفار جميعا ثم ميز بينهم بقوله فقال الكافرون ولم يقل فقالوا بل قبح حالهم ووصفهم بالكفر كما تقول جا فلان فاسمعني المكروه وقال لي الفاسق انت كذا وكذا هذا شي عجيب العجيب الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد اكثر منه وكذلك الاعجوبة وقال قتادة عجبهم ان دعوا الى اله واحد وقيل من انذارهم بالبعث والنشور والذي نص عليه القران اولى قوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا نبعث ففيه اضمار ذلك رجع بعيد الرجع الرد اي هو رد بعيد اي محال يقال رجعته ارجعه رجعا ورجع هو يرجع رجوعا وفيه اضمار اخر اي وقالوا نبعث ائذا متنا وذكر البعث وان لم يجر هاهنا فقد جرى في مواضع والقران كالسورة الواحدة وايضا ذكر البعث منطو تحت قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم لانه انما ينذر بالعقاب والحساب في الاخرة قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل من اجسادهم فلا يضل عنا شي حتى تتعذر علينا الاعادة وفي التنزيل قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي الصحيح كل ابن ادم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقد تقدم وثبت ان الانبيا والاوليا والشهدا لا تاكل الارض اجسادهم حرم الله على الارض اجسادهم وقد بينا هذا في كتاب التذكرة وتقدم ايضا في هذا الكتاب وقال السدي النقص هنا الموت يقول قد علمنا منهم من يموت ومن يبقى لان من مات دفن فكان الارض تنقص من الناس وعن ابن عباس هو من يدخل في الاسلام من المشركين وعندنا كتاب حفيظ اي بعدتهم واسمائهم فهو فعيل بمعنى فاعل وقيل اللوح المحفوظ اي محفوظ من الشياطين او محفوظ فيه كل شي وقيل الكتاب عبارة عن العلم والاحصا كما تقول كتبت عليك هذا اي حفظته وهذا ترك الظاهر من غير ضرورة وقيل اي وعندنا كتاب حفيظ لاعمال بني ادم لنحاسبهم عليها قوله تعالى بل كذبوا بالحق اي القران في قول الجميع حكاه الماوردي وقال الثعلبي بالحق القران وقيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم فهم في امر مريج اي مختلط يقولون مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن قاله الضحاك وابن زيد وقال قتادة مختلف الحسن ملتبس والمعنى متقارب وقال ابو هريرة فاسد ومنه مرجت امانات الناس فسدت ومرج الدين والامر اختلط قال ابو دواد

مرج الدين واعددت له · مشرف الحارك محبوك الكتد

وقال ابن عباس المريج الامر المنكر وقال عنه عمران ابن ابي عطا مريج مختلط وانشد

فجالت والتمست به حشاها · فخر كانه خوط مريج

الخوط الغصن وقال عنه العوفي في امر ضلالة وهو قولهم ساحر شاعر مجنون كاهن وقيل متغير واصل المرج الاضطراب والقلق يقال مرج امر الناس ومرج الدين ومرج الخاتم في اصبعي اذا قلق من الهزال وفي الحديث كيف بك يا عبد الله اذا كنت في قوم قد مرجت عهودهم واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين اصبعيه خرجه ابو داود وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى افلم ينظروا الى السما فوقهم نظر اعتبار وتفكر وان القادر على ايجادها قادر على الاعادة كيف بنيناها فرفعناها بلا عمد وزيناها بالنجوم وما لها من فروج جمع فرج وهو الشق ومنه قول امرو القيس

تسد به فرجها من دبر

وقال الكسائي ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق والارض مددناها والقينا فيها رواسي تقدم في الرعد بيانه وانبتنا فيها من كل زوج اي من كل نوع من النبات بهيج اي حسن يسر الناظرين وقد تقدم في الحج تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة لندل به على كمال قدرتنا وقال ابو حاتم نصب على المصدر يعني جعلنا ذلك تبصيرا وتنبيها على قدرتنا وذكرى معطوف عليه لكل عبد منيب راجع الى الله مفكر في قدرته قوله تعالى ونزلنا من السما اي من السحاب ماء مباركا اي كثير البركة فانبتنا به جنات وحب الحصيد التقدير وحب النبت الحصيد وهو كل ما يحصد هذا قول البصريين وقال الكوفيون هو من باب اضافة الشي الى نفسه كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول وحق اليقين وحبل الوريد ونحوها قاله الفرا والاصل الحب الحصيد فحذفت الالف واللام واضيف المنعوت الى النعت وقال الضحاك حب الحصيد البر والشعير وقيل كل حب يحصد ويدخر ويقتات والنخل باسقات نصب على الحال ردا على قوله وحب الحصيد وباسقات حال والباسقات الطوال قاله مجاهد وعكرمة وقتادة وقال عبد الله بن شداد بسوقها استقامتها في الطول وقال سعيد بن جبير مستويات وقال الحسن وعكرمة

ابنا والعزا مواقير حوامل يقال للشاة اذا بسقت ولدت قال الشاعر

فلما تركنا الدار ظلت منيفة … بفران فيها الباسقات المواقر

والاول في اللغة اشهر واكثر لبسوق النخل بسوقا اي طال قال

لنا خمر وليست خمر كرم … ولكن من نتاج الباسقات

كرام في السماء ذهبن طولا … وفات ثمارها ايدي الجنات

ويقال بسق فلان على اصحابه اي علاهم وابسقت الناقة اذا وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج فهو مبسق ونوق مباسيق وقال قطبة بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا باصقات بالصاد ذكره الثعلبي قال الشيخ المولف رحمه الله الذي في صحيح مسلم عن قطبة بن مالك قال صليت وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا ق والقران المجيد حتى قرا والنخل باسقات قال فجعلت ارددها ولا ادري ما قال الا انه يجوز ابدال الصاد من السين لاجل القاف لها طلع نضيد الطلع هو اول ما يخرج من ثمرة النخل يقال طلع الطلع طلوعا واطلعت النخلة وطلعها كفراها قبل ان ينشق نضيد اي متراكب وقد نضد بعضه على بعض وفي البخاري النضيد الكفرى ما دام في اكمامه ومعناه منضود بعضه على بعض فاذا خرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا للعباد اي رزقناهم رزقا او على معنى انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له اي انبتناها لنرزقهم والرزق ما كان مهيا للانتفاع به وقد تقدم القول فيه واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج اي من القبور كما احيى الله هذه الارض الميتة فكذلك يخرجكم احيا بعد موتكم فالكاف في محل رفع على الابتداء وقد مضى هذا المعنى في غير موضع وقال ميتا لان المقصود المكان ولو قال ميتة لجاز **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح اي كما كذب هولاء فكذلك كذب اولئك فحل بهم العقاب ذكرهم تنبيها من كان قبلهم من المكذبين وخوفهم ما اخذهم وقد ذكرنا قصصهم في غير موضع عند ذكرهم كل كذب الرسل من هذه الامم المكذبة فحق عليهم وعيدي وعقابي قوله تعالى افعيينا بالخلق الاول اي افعيينا به فنعيا بالبعث وهذا توبيخ لمنكري البعث وجواب قولهم ذلك رجع بعيد يقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه بل هم في لبس من خلق جديد اي في حيرة من البعث منهم مصدق ومنهم مكذب يقال لبس عليه الامر يلبسه لبسا **قوله تعالى** ولقد خلقنا الانسان يعني الناس وقيل ادم ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يختلج سره وقلبه وضميره وفي هذا زجر عن المعاصي الذي يستخفي بها ومن قال ان المراد بالانسان ادم فالذي وسوست به نفسه هو الاكل من الشجرة ثم هو عام لولده والوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي قال الاعشى

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت … كما استعان بريح عشرق زجل

وقد مضى في الاعراف ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان من يمين وشمال روي معناه عن ابن عباس وغيره وهو المعروف في اللغة والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهذا تمثيل للقرب اي نحن اقرب اليه من حبل وريده الذي هو منه وليس على وجه قرب المسافة وقيل اي ونحن املك به من حبل وريده مع استيلائه عليه وقيل اي ونحن اعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده الذي هو من نفسه لانه عرق يخالط القلب فعلم الرب اقرب اليه من علم القلب روي معناه عن مقاتل قال الوريد عرق يخالط القلب وهذا القرب قرب العلم والقدرة وابعاض الناس يحجب البعض البعض ولا يحجب علم الله شي **قوله تعالى** اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد اي نحن اقرب من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكلان به اي نحن اعلم باحواله فلا يحتاج الى ملك يخبر ولكنهما وكلا به الزاما للحجة وتوكيدا للامر عليه قال الحسن ومجاهد وقتادة المتلقيان ملكان يتلقيان عملك احدهما عن يمينك يكتب حسناتك والاخر عن شمالك يكتب سياتك قال الحسن حتى اذا مت طويت صحيفة عملك وقيل لك يوم القيامة اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك وقال مجاهد وكل الله بالانسان مع علمه باحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان اثره الزاما للحجة احدهما عن يمينه يكتب الحسنات والاخر عن شماله يكتب السيئات فذلك قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال سفيان بلغني ان كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا اذنب قال لا تعجل لعله يستغفر الله روي معناه من حديث ابي امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات

النضيد المكنون ما دام في اكمامه

امين

امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وروي من حديث علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك فلا تستحيي من الله ولا منهما وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ورواه عوف عن الحسن قال وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وانما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قاله سيبويه ومنه قول الشاعر

نحن بما عندنا وانت بما … عندك والامر مختلف

وقال الفرزدق

اني ضمنت لمن اتاني ما جنى … واتى وكان وكنت غير غدور

ولم يقل راضيان ولا غدورين ومذهب المبرد ان الذي في التلاوة اول اخر اتساعا وحذف الثاني لدلالة الاول عليه ومذهب الاخفش والفرا ان الذي في التلاوة يودي عن الاثنين والجمع ولا اختلاف في الكلام وقعيد بمعنى قاعد كالسميع والعليم والقدير والشهيد وقيل قعيد بمعنى مقاعد مثل اكيل ونديم بمعنى مواكل ومنادم وقال الجوهري وفعيل وفعول مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع كقوله انا رسول رب العالمين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير وقال الشاعر في الجمع انشده الثعلبي

الكني اليها وخير الرسول … اعلمهم بنواحي الخبر

والمراد بالقعيد هاهنا الملازم الثابت لا ضد القيام **قوله تعالى** ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اي ما يتكلم بشي الا كتب عليه ماخوذ من لفظ الطعام وهو اخراجه من الفم وفي الرقيب ثلاثة اوجه احدها انه المتتبع للامور الثاني انه الحافظ قاله السدي الثالث انه الشاهد قاله الضحاك وفي العتيد وجهان احدهما انه الحاضر الذي لا يغيب الثاني انه الحافظ المعد اما للحفظة واما للشهادة قال الجوهري العتيد الحاضر المهيا وقد عتده تعتيدا واعتده اعتادا اي اعده ليوم ومنه قوله تعالى واعتدت لهن متكا وفرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرها المعد للجري قال المولف رحمه الله وكله يرجع الى معنى الحضور ومنه قول الشاعر

لئن كنت مني في العيان مغيبا … فذكرك عندي في الفواد عتيد

قال ابو الجوزا ومجاهد يكتب على الانسان كل شي حتى الانين في مرضه وقال عكرمة لا يكتب عليه الا ما يوجر به او يوزر عليه وقيل يكتب عليه كل ما يتكلم به فاذا كان اخر النهار محي منه ما كان مباحا نحو انطلق اقعد كل ما لا يتعلق به اجر ولا وزر والله اعلم وروي عن ابي هريرة وانس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من حافظين يرفعان الى الله ما حفظا فيرى في اول الصحيفة وفي اخرها خيرا الا قال الله للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة وقال علي رضي الله عنه ان لله ملائكة معهم صحف بيض فاملوا في اولها وفي اخرها خيرا يغفر لكم ما بين ذلك وخرج ابو نعيم الحافظ حدثنا ابو طاهر محمد بن الفضل محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا جدي محمد بن اسحق حدثنا محمد بن موسى الجرشي حدثنا سهيل بن عبد الله قال سمعت الاعمش يحدث عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحافظين اذا نزلا على العبد او الامة معهما كتاب مختوم فيكتبان ما يلفظ العبد او الامة فاذا ارادا ان ينهضا قال احدهما للاخر فك الكتاب المختوم الذي معك فيفكه له فاذا فيه ما كتب سوا فذلك قوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد غريب من حديث الاعمش عن زيد لم يروه عنه الا سهيل وروي من حديث انس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بعبده ملكان يكتبان عليه فاذا مات قالا ربنا قد مات فلان فاذن لنا ان نصعد الى السما فيقول الله تعالى ان سماواتي مملوءة من ملائكتي يسبحونني فيقولان ربنا فنقيم في الارض فيقول الله تعالى ان ارضي مملوءة من خلقي يسبحونني فيقولان يا رب فاين نكون فيقول الله تعالى كونا على قبر عبدي فكبراني وهللاني واذكراني واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيامة **قوله تعالى** وجاءت سكرة الموت بالحق اي غمرته وشدته فالانسان ما دام حيا يكتب عليه اقواله وافعاله ليحاسب بها فتجيه الموت وهو ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله وعده واوعده وقيل الحق هو الموت سمي حقا اما لاستحقاقه واما لانتقاله الى دار الحق فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتاخير وتقديره وجاءت سكرة الحق بالموت وكذلك في قراءة ابي بكر وابن مسعود رضي الله عنهما لان السكرة هي الحق فاضيفت الى نفسها لاختلاف اللفظين وقيل يجوز ان يكون الحق على هذه القراءة هو الله تعالى اي جاءت سكرة امر الله بالموت وقيل الحق هو الموت والمعنى

وجاءت سكرة الموت بالموت ذكره المهدوي وقد زعم من طعن على القران فقال اخالف المصحف كما خالفه
ابو بكر الصديق فقرا وجاءت سكرة الحق بالموت واحتج عليه بان ابا بكر رويت عنه روايتان احداهما موافقة
للمصحف فعليها العمل والاخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان منه ان كان قالها او الغلط من بعض من
نقل الحديث قال ابو بكر الانباري حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا جرير عن منصور عن
ابي وائل عن مسروق قال لما احتضر ابو بكر ارسل الى عائشة فلما دخلت عليه قالت هذا كما قال الشاعر

اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال لها ابو بكر الا قلت كما قال الله وجاءت سكرة
الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وذكر الحديث والسكرة واحدة السكرات وفي الصحيح عن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة او علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله
الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت يده خرجه البخاري وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول
عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيامة وقال عيسى بن مريم عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا
الله ان يهون عليكم هذه السكرة يعني سكرات الموت وروي ان الموت اشد من ضرب بالسيوف ونشر
بالمناشير وقرض بالمقاريض ذلك ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك ما كنت تفر منه وتميل
عنه يقال حاد عن الشيء يحيد حيودا وحيدة وحيدودة مال عنه وعدل واصله حيدودة بتحريك الياء
فسكنت لانه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق وتقول في الاخبار عن نفسك حدت عن الشيء احيد
حيدا ومحيدا اذا ملت عنه قال طرفة

ابا منذر رمت الوفاء فهبته — وحدت كما حاد البعير عن الدحض

قوله تعالى ونفخ في الصور هي النفخة الاخرة للبعث ذلك يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار ان يعذبهم
فيه وقد مضى الكلام في النفخ في الصور مستوفى والحمد لله **قوله تعالى** وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد اختلف في السائق والشهيد قال ابن عباس السائق من الملائكة والشهيد من نفسه وقال الضحاك
السائق من الملائكة والشهيد من انفسهم الايدي والارجل رواه العوفي عن ابن عباس وقال ابو هريرة السائق
الملك والشهيد العمل وقال الحسن وقتادة المعنى سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها وقال ابن مسلم
السائق قرينها من الشياطين سمي سائقا لانه يتبعها وان لم يحثها وقال مجاهد السائق والشهيد ملكان وعن
عثمان بن عفان رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد سائق ملك يسوقها الى
امر الله وشهيد ملك يشهد عليها بعملها قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا اصح فان في حديث جابر بن عبد الله قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن ادم لفي غفلة مما خلقه الله عز وجل له ان الله لا اله غيره اذا
اراد خلقه قال للملك اكتب رزقه واثره واجله واكتب شقيا او سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا
اخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان ثم جاء
ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فاذا ادخل حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه
ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانشطا
كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والاخر شهيد ثم قال الله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا
بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم امرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم خرجه ابو نعيم الحافظ
من حديث جعفر بن محمد بن علي عن جابر وقال فيه حديث غريب من حديث جعفر وحديث جابر تفرد به عنه جابر
الجعفي وعنه المفضل ثم في الاية قولان احدهما انها عامة في المسلم والكافر وهو قول الجمهور الثاني انها خاصة
في الكافر قاله الضحاك **قوله تعالى** لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك قال
ابن زيد المراد به النبي صلى الله عليه وسلم اي لقد كنت يا محمد في غفلة من الرسالة مع قريش في جاهليتهم وقال
ابن عباس والضحاك ان المراد به المشركون اي كانوا في غفلة من عواقب امورهم وقال اكثر المفسرين ان المراد
البر والفاجر وهو اختيار الطبري وقيل اي لقد كنت ايها الانسان في غفلة عن ان كل نفس معها سائق وشهيد لان
هذا لا يعرف الا بالنصوص الالهية فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اي علمك وفيه اربعة اوجه احدها اذا كان
في بطن امه فولد قاله السدي الثاني اذا كان في القبر فنشر وهذا معنى قول ابن عباس الثالث وقت العرض

وقت العرض في القيامة قاله مجاهد الرابع انه نزول الوحي وتحمل الرسالة وهذا معنى قول ابن زيد فبصرك
اليوم حديد قيل يراد به بصر القلب كما يقال هو بصير بالفقه فبصر القلب وبصيرته تبصر بها شواهد الافكار
ونتائج الاعتبار كما تبصر العين ما قابلها من الاشخاص والاجسام وقيل المراد به بصر العين وهو الظاهر
اي بصر عينك اليوم حديد اي قوي نافذ يرى ما كان محجوبا عنك قال مجاهد فبصرك اليوم حديد يعني نظرك
الى لسان ميزانك حين توزن سيئاتك وحسناتك وقاله الضحاك وقيل لا يغيب عن ما يصير اليه من ثواب
وعقاب وهو معنى قول ابن عباس وقيل يعني ان الكافر يحشر وبصره حديد ثم يزرق ويعمى وقرئ لقد كنت فبصرك
بالكسر على خطاب النفس **قوله تعالى** وقال قرينه يعني الملك الموكل به في قول الحسن وقتادة والضحاك
هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي من كتابة عمله معد محفوظ وقال مجاهد يقول هذا الذي وكلتني به من
بني ادم قد احضرته واحضرت ديوان عمله وقيل المعنى هذا ما عندي من العذاب حاضر وعن مجاهد ايضا
قرينه الذي قيض له من الشياطين وقال ابن زيد في رواية ابن وهب عنه انه قرينه من الانس فيقول الله تعالى لقرينه
القيا في جهنم قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين فيقول ويلك
ادخلاها وازجراها وخذاه واطلقاه للواحد قال الفراء تقول للواحد قوما عنا واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل
في ابله وغنمه ورفقته في سفره اثنان فجرى كلام الرجل على صاحبيه ومنه قولهم للواحد في الشعر خليلي
ثم يقول يا صاح قال امرؤ القيس

خليلي مرا بي على ام جندب — نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال ايضا

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل — بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال اخر

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر — وان تدعواني احم عرضا ممنعا

وقيل جاء كذلك لان القرين يقع للجماعة والاثنين وقال المازني قوله القيا يدل على الق الق وقال المبرد هي تثنية على
التوكيد المعنى الق الق فناب القيا مناب التكرار ويجوز ان يكون القيا تثنية على خطاب الحقيقة من قول الله تعالى يخاطب
به الملكين وقيل هو من مخاطبة السائق والحافظ وقيل ان الاصل القين بالنون الخفيفة وهي تقلب في الوقف
الفا فحمل الوصل على الوقف وقرا الحسن القين بالنون الخفيفة نحو قوله وليكونا من الصاغرين وقوله لنسفعا كل كفار
عنيد اي معاند قاله مجاهد وعكرمة وقال بعضهم العنيد المعرض عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا اي
خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف مناع للخير يعني الزكاة
المفروضة وكل حق واجب معتد في منطقه وسيرته وامره ظالم مريب شاك في التوحيد قاله الحسن وقتادة
اراب الرجل فهو مريب اذا جاء بالريبة وهذا المشرك يدل عليه قوله تعالى الذي جعل مع الله الها اخر وقيل نزلت
في الوليد بن المغيرة واراد بقوله مناع للخير انه كان يمنع بني اخيه للاسلام فالقياه في العذاب الشديد
تاكيد للامر الاول قال قرينه ربنا ما اطغيته يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر العنيد تبرا منه
وكذبه ولكن كانوا في ضلال بعيد عن الحق وكان طاغيا باختياره انما دعوته فاستجاب لي وقرينه هنا هو
شيطانه بغير اختلاف حكاه المهدوي وحكى الثعلبي وقال ابن عباس ومقاتل قرينه الملك وذلك ان الوليد بن
المغيرة يقول للملك الذي كان يكتب سيئاته رب انه اعجلني فيقول الملك ربنا ما اطغيته ما اعجلته وقال
سعيد بن جبير يقول الكافر رب انه زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي ما زدت عليه في الكتابة
فيقول الله تعالى لا تختصموا لدي يعني الكافرين وقرناءهم من الشياطين قال القشيري وهذا يدل على ان القرين
الشيطان وقد قدمت اليكم بالوعيد اي ارسلت الرسل وقيل هذا خطاب لكل من اختصم وقيل هو للاثنين وجاء
بلفظ الجمع ما يبدل القول لدي قيل هو قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال الفراء اي ما يكذب عندي اي ما يزاد في
القول ولا ينقص لعلمي بالغيب وما انا بظلام للعبيد اي ما انا بمعذب من لم يجرم قاله ابن عباس وقد مضى القول
في معناه في الحج وغيرها **قوله تعالى** يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد قرا نافع وابو بكر
يوم يقول بالياء اعتبارا بقوله لا تختصموا لدي الباقون بالنون على الخطاب من الله تعالى وهي نون التعظيم وقرا الحسن
يوم اقول وعن ابن مسعود وغيره يوم يقال وانتصب يوم على معنى ما يبدل القول لدي يوم وقيل بفعل مقدر
معناه وانذرهم يوم نقول لجهنم هل امتلات لما سبق من وعده اياها انه يملاها وهذا الاستفهام على سبيل
التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتقريع لاعدائه والتنبيه لجميع عباده وتقول جهنم هل من مزيد اي ما

فاذا ادخل حفرته رد الروح في جسده

بقي في موضع للزيادة لقوله عليه السلام هل ترك لنا عقيل من ربع او منزل اي ما ترك فمعني الكلام
الجحد ويحتمل ان يكون استفهاما بمعني الاستزادة اي هل من مزيد فازاد وانما صلح هذا للوجهين لان في
الاستفهام ضربا من الجحد وقيل ليس ثم قول وانما هو علي طريق المثل اي انها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة
بذلك كما قال الشاعر امتلاء الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملات بطني
وهذا تفسير مجاهد وغيره اي هل في من مسلك قد امتلات وقيل ينطق الله النار حتي يقول هذا كما انطق
الجوارح وهذا اصح علي ما بيناه في سورة الفرقان وفي صحيح مسلم والبخاري والترمذي عن انس بن مالك
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتي يضع رب العزة فيها قدمه
فتقول قط قط وعزتك فينزوي بعضها الي بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة
فضل حتي ينشي الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة لفظ مسلم وفي رواية اخري من حديث ابي هريرة فاما
النار فلا تمتلي حتي يضع الله عليها رجله يقول قط قط فهنالك تمتلي وتزوي بعضها الي بعض فلا يظلم الله
من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشي لها خلقا قال علماونا رحمهم الله معني القدم هنا قوم يقدمهم
الله الي النار قد سبق في علمه انهم من اهل النار وكذلك الرجل وهو العدد الكثير من الناس وغيرهم يقال
رايت رجلا من الناس ورجالا من جراد قال الشاعر

فمر بنا رجل من الناس وانزوي اليهم من الحي اليمانين ارجل
قبايل من لخم وعك وحمير علي ابني نزار بالعداوة احفل

ويبين هذا المعني ما روي عن ابن مسعود انه قال ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت الا
وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته فاذا استوفي كل واحد
منهم ما امر به وما ينتظره ولم يبق منهم احد قال الخزنة قط قط حسبنا حسبنا اي اكتفينا اكتفينا وحينئذ
تنزوي جهنم علي من فيها وتنطبق اذ لم يبق احد ينتظر فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ويشهد
لهذا التاويل قوله في نفس الحديث ولا يزال في الجنة فضل حتي ينشي الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة وقد
زدنا هذا المعني بيانا ومهدناه في كتاب الاسما والصفات من كتاب الاسني والحمد لله وقال النضر بن شميل
في معني قوله عليه السلام حتي يضع الجبار فيها قدمه اي من سبق في علمه انه من اهل النار **قوله تعالي**
وازلفت الجنة للمتقين اي قربت منهم قيل هذا قبل الدخول في الجنة الدنيا اي قربت من قلوبهم حين
قيل لهم اجتنبوا المعاصي وقيل بعد الدخول قربت لهم مواضعهم فيها فلا تبعد غير بعيد اي منهم وهو تاكيد
هذا ما توعدون اي ويقال لهم هذا الجزا الذي وعدتم في الدنيا علي السنة الرسل وقراة العامة توعدون
بالتا علي الخطاب وقرا ابن كثير بالياء علي الخبر لانه اتي بعد ذكر المتقين لكل اواب حفيظ اواب اي رجاع
الي الله عن المعاصي يذنب ثم يرجع هكذا قاله الضحاك وغيره وقال ابن عباس وعطا الاواب المسبح من قوله
يا جبال اوبي معه وقال الحكيم بن عيينة هو الذاكر الله تعالي في الخلوة وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر
ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله منها وهو قول ابن مسعود وقال عبيد بن عمير هو الذي لا يجلس مجلسا حتي
يستغفر الله فيه وعنه قال كنا نحدث ان الاواب الحفيظ الذي اذا قام من مجلسه قال سبحان ربي وبحمده
اللهم اني استغفرك مما اصبت في مجلسي هذا وفي الحديث من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم
وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان في ذلك المجلس وهكذا كان النبي صلي الله عليه
وسلم يقول وقال بعض العلما انا احب ان اقول استغفرك واسالك التوبة ولا احب ان اقول واتوب
اليك الا علي حقيقة قال المولف رحمه الله هذا استحسان واتباع الحديث اولي وقال ابو بكر الوراق هو المتوكل
علي الله في السرا والضرا وقال القاسم هو الذي لا يشتغل الا بالله عز وجل حفيظ قال ابن عباس هو الذي يحفظ
ذنوبه حتي يرجع عنها وقال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته وعن ابن عباس ايضا
هو الحافظ لامر الله وقال مجاهد هو الحافظ لحق الله بالاعتراف ولنعمه بالشكر وقال الضحاك الحافظ لوصية
الله تعالي بالقبول وروي مكحول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من حفظ علي اربع ركعات
من اول النهار كان اوابا حفيظا ذكره الماوردي **قوله تعالي** **من خشي الرحمن بالغيب** من في محل خفض
علي البدل من قوله لكل اواب او في موضع الصفة لاواب ويجوز الرفع علي الاستيناف والخبر ادخلوها علي تقدير
حذف جواب الشرط والتقدير فيقال لهم ادخلوها والخشية بالغيب ان يخافه ولم يره وقال الضحاك والسدي

ما في النار بيت ولا سلسلة الا وعليه اسم صاحبه

من قال اذا قام من مجلسه غفر الله له ما كان في ذلك المجلس

يعني في الخلوة حين لا يراه احد وقال الحسن اذا ارخي الستر واغلق الباب وجا بقلب منيب مقبل علي الطاعة
وقيل مخلص وقال ابو بكر الوراق علامة المنيب ان يكون لحرمته مواليا له متواضعا لجلاله تاركا لهوي نفسه
قال الشيخ المولف رحمه الله ويحتمل ان يكون القلب المنيب القلب السليم كما قال الله تعالي الا من اتي الله بقلب
سليم علي ما تقدم والله اعلم ادخلوها اي يقال لاهل هذه الصفات ادخلوها بسلام اي بسلامة من العذاب
وقيل بسلام من الله وملايكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم وقال ادخلوها وفي اول الكلام من خشي لان
من يكون بمعني الجمع **قوله تعالي** **لهم ما يشاوون فيها** يعني ما تشتهيه انفسهم وتلذ اعينهم ولدينا
مزيد من النعم مما لم يخطر علي بالهم وقال انس وجابر المزيد النظر الي الله عز وجل بلا كيف وقد ورد ذلك في اخبار
مرفوعة الي النبي صلي الله عليه وسلم في قوله تعالي للذين احسنوا الحسني وزيادة قال الزيادة النظر الي وجه الله
الكريم وذكر ابن المبارك ويحيي بن سلام قال اخبرنا المسعودي عن المنهال بن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد
بن عتبة عن ابن مسعود قال يسارعوا الي الجمعة فان الله تبارك وتعالي يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة كثيب
من كافور ابيض فيكونون منه في القرب قال ابن المبارك علي قدر تسارعهم الي الجمعة في الدنيا وقال يحيي بن
سلام لمسارعتهم الي الجمع في الدنيا وزاد فيحدث الله لهم من الكرامة شيا لم يكونوا راوه قبل ذلك قال
يحيي وسمعت غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله ولدينا مزيد قال الشيخ المولف رحمه الله قوله في كثيب
تزيد اهل الجنة اي وهم علي كثيب كما في مرسل الحسن قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اهل الجنة ينظرون
الي ربهم في كل يوم جمعة علي كثيب من كافور الحديث وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقيل ان المزيد ما يزوجون
به من الحور العين رواه ابو سعيد الخدري مرفوعا **قوله تعالي** **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** اي
كم اهلكنا يا محمد قبل قومك من هم اشد منهم بطشا وقوة فنقبوا في البلاد اي ساروا فيها طلبا للهرب وقيل
اثروا في البلاد قاله ابن عباس وقال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر بن شميل دوروا وقال قتادة طوفوا
وقال المورج تباعدوا ومنه قول امري القيس

وقد نقبت في الافاق حتي رضيت من الغنيمة بالاياب

ثم قيل طافوا في اقاصي البلاد طلبا للتجارة وهل وجدوا من الموت محيصا وقيل طوفوا في البلاد يلتمسون محيصا
من الموت وجالوا في الارض كل مجال وقرا الحسن وابو العالية فنقبوا في البلاد بفتح القاف وتخفيفها والنقب
هو الخرق والدخول في الشي وقيل النقب الطريق في الجبل وكذلك المنقب والمنقبة عن ابن السكيت ونقب
الجدار نقبا واسم تلك النقبة نقب ايضا وجمع النقب النقوب اي خرقوا البلاد وساروا في نقوبها وقيل اثروا
فيها كتاثير الحديد فيما ينقب وقرا السلمي ويحيي بن يعمر فنقبوا بكسر القاف والتشديد علي الامر للتهديد والوعيد
اي طوفوا البلاد وسيروا فيها فانظروا واهل من الموت محيص ومهرب ذكره الثعلبي وحكي القشيري فنقبوا
بكسر القاف مع التخفيف اي اكثروا السير فيها حتي نقبت دوابهم قال الجوهري ونقب البعير بالكسر اذا رقت
اخفافه وانقب الرجل اذا انقب بعيره ونقب الخف الملبوس اي تخرق والمحيص مصدر حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا
ومحيصا ومحاصا وحيصانا اي عدل وحاد يقال ما عنه محيص اي محيد ومهرب والانحياص مثله يقال للاولياء
حاصوا عن العدو وللاعداء انهزموا **قوله تعالي** **ان في ذلك لذكري** اي فيما ذكرناه في هذه السورة
تذكرة وموعظة لمن كان له قلب اي عقل يتدبر به فكني بالقلب عن العقل لانه موضعه قال معناه مجاهد وغيره وقيل
لمن كان له حياة ونفس مميزة فعبر عن النفس الحية بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها كما قال امرو القيس

اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تامري القلب يفعل

وفي التنزيل لينذر من كان حيا وقال يحيي بن معاذ القلب قلبان قلب محتش باشغال الدنيا حتي اذا حضر امر
من امور الاخرة لم يدر ما يصنع وقلب قد احتشي باهوال الاخرة حتي اذا حضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع
لذهاب قلبه في الاخرة او القي السمع اي استمع القران يقول العرب الق الي سمعك اي استمع وقد مضي في طه
كيفية الاستماع وثمرته وهو شهيد اي شاهد القلب قال الزجاج اي وقلبه حاضر فيما يسمع وقال سفيان
اي لا يكون حاضرا وقلبه غايب ثم قيل الاية لاهل الكتاب قاله مجاهد وقتادة وقال الحسن انها في اليهود والنصاري
خاصة وقال محمد بن كعب وابو صالح انها في اهل القران خاصة **قوله تعالي** **ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام** وما مسنا من لغوب تقدم في الاعراف وغيرها واللغوب التعب والاعيا تقول منه
لغب يلغب بالضم لغوبا ولغب بالكسر يلغب لغوبا لغة ضعيفة فيه والغبته انا اي انصبته وقال قتادة والكلبي

هذه الاية نزلت في يهود المدينة زعموا ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت فجعلوه راحة فاكذبهم الله في ذلك **قوله تعالى** فاصبر على ما يقولون وسبح فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى فاصبر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره بالصبر على ما يقوله المشركون اي هون امرهم عليك ونزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة وقيل هو ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم وامته وقيل معناه فاصبر على ما يقوله اليهود من قولها ان الله استراح يوم السبت الثانية قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها الاية انه يراد به الصلوات الخمس قال ابو صالح قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة العصر ورواه جرير بن عبد الله مرفوعا قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال اما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصر والفجر ثم قرا جرير وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها متفق عليه واللفظ لمسلم وقال ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة العشاءين وقيل المراد تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قاله عطا الخراساني وابو الاحوص وقال بعض العلماء في قوله قبل طلوع الشمس قال ركعتين الفجر وقبل الغروب الركعتين قبل المغرب وقال ثمامة بن عبد الله بن انس كان ذووا الالباب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصلون الركعتين قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا في المدينة فاذا اذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فركعوا ركعتين حتى ان الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب ان الصلاة قد صليت من كثرة من يصليها وقال قتادة ما ادركت احدا يصلي الركعتين قبل المغرب الا انسا وابا برزة الاسلمي الثالثة قوله تعالى ومن الليل فسبحه فيه اربعة اقوال الاول هو تسبيح الله تعالى في الليل قاله ابو الاحوص الثاني انها صلاة الليل كله قاله مجاهد الثالث انها ركعتا الفجر قاله ابن مجاهد الرابع انها صلاة العشاء الاخرة قاله ابن زيد قال ابن العربي من قال انه التسبيح في الليل فيعضده الصحيح من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله واما من قال انه الصلاة بالليل فان الصلاة تسمى تسبيحا لما فيها من تسبيح الله ومنه سبحة الضحى واما من قال انها صلاة الفجر والعشاء فلانها من صلاة الليل والعشاء اوضحه قوله تعالى وادبار السجود قال عمر وعلي وابو هريرة والحسن بن علي والحسن البصري والنخعي والشعبي والاوزاعي والزهري ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر ورواه العوفي عن ابن عباس وقد رفعه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ركعتان بعد المغرب ادبار السجود ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي وروي عن ابن عباس قال بت ليلة عند النبي صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين قبل الفجر ثم خرج الى الصلوات فقال يا ابن عباس ركعتان قبل الفجر ادبار النجوم وركعتان بعد المغرب ادبار السجود وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلاته في عليين قال انس يقرا في الركعة الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد قال مقاتل ووقتها ما لم يغب الشفق وعن ابن عباس ايضا هو الوتر وقال ابن زيد هو النوافل بعد الصلوات ركعتان بعد كل صلاة مكتوبة قال النحاس والظاهر يدل على هذا الا ان الاولى اتباع الاكثر وهو صحيح عن علي بن ابي طالب رض وقال ابو الاحوص هو التسبيح في ادبار السجود قال ابن العربي فهو الاقوى في النظر وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقيل انه منسوخ بالفرائض فلا يجب على احد الا خمس صلوات نقله الجماعة الخامسة قرا نافع وابن كثير وحمزة وادبار السجود بكسر الهمزة على المصدر من ادبر الشيء ادبارا اذا ولى الباقون بفتحها جمع دبر وهي قراءة علي وابن عباس ومثالها طنب واطناب او دبر كقفل واقفال وقد استعملوه ظرفا نحو جيتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلوات ولا خلاف في اخر والطور وادبار النجوم انه بالكسر مصدر وهو ذهاب ضوئها اذا طلع الفجر الثاني وهو البياض المنشق من سواد الليل **قوله تعالى** واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب مفعول الاستماع محذوف اي استمع النداء او الصوت او الصيحة وهي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية والمنادي جبريل وقيل اسرافيل قال الزمخشري وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي فينادي بالحشر ويقول هلموا الى الحساب فالنداء على هذا في المحشر وقيل تسمع نداء الكفار بالويل والثبور من مكان قريب اي يسمع الجميع فلا يبعد احد عن ذلك النداء قال عكرمة ينادي

ركعتان قبل الفجر وادبار النجوم

منادي الرحمن فكانما ينادي في اذانهم وقيل المكان القريب صخرة بيت المقدس ويقال انها وسط الارض واقرب الارض الى السما باثني عشر ميلا وقال كعب بثمانية عشر ميلا ذكر الاول القشيري والزمخشري والثاني الماوردي فيقف جبريل واسرافيل على الصخرة فينادي بالحشر ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة ويا عظاما نخرة ويا اكفانا فانية ويا قلوبا خاوية ويا ابدانا فاسدة ويا عيونا سايلة قوموا لعرض رب العالمين قال قتادة هو اسرافيل صاحب الصور يوم يسمعون الصيحة بالحق يعني صيحة البعث بالخروج والاجتماع الى الحساب ذلك يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي ونميت نحيي الموتى ونميت الاحيا اثبت هنا الحقيقة ونفي يوم تشقق الارض عنهم سراعا الى المنادي صاحب الصور الى بيت المقدس ذلك حشر علينا يسير اي هين سهل وقرا الكوفيون تشقق بتخفيف الشين على حذف التا الاولى الباقون بالادغام التا في الشين واثبت ابن محيصن وابن كثير ويعقوب المنادي في الحالين على الاصل واثبتها نافع وابو عمرو في الاصل لا غير وحذف الباقون في الحالين قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد زادت السنة هذه الاية بيانا وروي الترمذي عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده الى الشام فقال ههنا الى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على افواهكم الفدام توفون سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم على الله وان اول ما يعرب عن احدكم فخذه في رواية اخرى فخذه وكفه وخرج علي بن معبد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ثم يقول يعني الله لاسرافيل انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الارواح كانها النحل قد ملات ما بين السما والارض فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح في الارض الى الاجساد ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الاجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنكم وانا اول من تنشق الارض عنه فتخرجون منها شبابا كلكم ابنا ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية وذكر الحديث وقد ذكرنا جميع هذا وغيره في التذكرة مستوفى والحمد لله **قوله تعالى** نحن اعلم بما يقولون اي من تكذيبك وشتمك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام فيكون الاية منسوخة بالامر بالقتال والجبار من الجبرية والتسليط اذ لا يقال جبار بمعنى مجبر كما لا يقال خراج بمعنى مخرج حكاه القشيري وقال النحاس وقيل معنى جبار لست تجبرهم وهو خطا لانه لا يكون فعال من افعل وحكى الثعلبي وقال ثعلب قد جاءت احرف فعال بمعنى مفعل وهي شاذة جبار بمعنى مجبر ودراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وبكاء بمعنى مبكي وعدا بمعنى معدي وقد قرئ وما اهديكم الا سبيل الرشاد بتشديد الشين بمعنى المرشد وهو موسى وقيل هو الله وكذلك قرا واما السفينة فكانت لمساكين يعني ممسكين وقال ابو حامد الخارزنجي تقول العرب سيف سقاط بمعنى مسقط وقيل بجبار يعني بمصيطر كما في الغاشية لست عليهم بمصيطر وقال الفرا سمعت من العرب من يقول جبره على الامر اي قهره فالجبار من هذه اللغة بمعنى القهر صحيح وقيل الجبار من قولهم جبرته على الامر اي اجبرته وهي لغة كنانية وهما لغتان قال الجوهري واجبرته على الامر اكرهته عليه واجبرته ايضا نسبته الى الجبر كما تقول اكفرته نسبته الى الكفر فذكر بالقران من يخاف وعيد قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما اعددته لمن عصاني من العذاب فالوعيد العذاب والوعد الثواب قال الشاعر

شعر

واني وان اوعدته او وعدته | لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وكان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك واثبت الياء في وعيدي يعقوب في الحالين واثبتها ورش في الوصل دون الوقف وحذف الباقون في الحالين ختمت السورة المباركة بعون الله

تفسير سورة والذاريات

مكية في قول الجميع وهي ستون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والذاريات ذروا قال ابو بكر الانباري حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن عن يزيد بن خصيفة عن السايب بن يزيد ان رجلا قال لعمر رحمه الله اني مررت برجل يسال عن تفسير مشكل القران فقال عمر اللهم امكني منه فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا وعمامة وعمر يقرا اليه يقري القران فلما فرغ الرجل فقال يا امير المؤمنين ما الذاريات ذروا فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال البسوه ثيابا واحملوه على قتب وابلغوا به حيه ثم ليقم خطيبا فليقل ان صبيغا

تبة

طلب العلم فاخطاه فلم يزل وضيعا في قومه بعد ان كان سيدا فيهم وعن عامر بن واثلة ان ابن الكوا سال عليا رضي الله عنه فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا فقال ويلك سل تفقها ولا تسل تعنتا والذاريات ذروا الرياح فالحاملات وقرا السحاب فالجاريات يسرا السفن فالمقسمات امرا الملايكة وروي الحرث عن علي والذاريات ذروا قال الرياح فالحاملات وقرا قال السحاب يحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر فالجاريات يسرا قال السفن وقوله والمقسمات امرا قال الملايكة تاتي بامر مختلف جبريل بالغلظه وميكايل صاحب الرحمة وملك الموت ياتي بالموت وقاله الفرا وقيل ياتي بامر مختلف من الخصب والجدب والمطر والموت والحوادث يقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا واذرته تذريه ذريا ثم قيل والذاريات وما بعده اقسام واذا اقسم الرب لشي اثبت له شرفا وقيل المعني ورب الذاريات والجواب انما توعدون اي الذي توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب لصادق لا كذب فيه ومعني صادق لصدق ووقع الاسم موقع المصدر وان الدين لواقع يعني الجزا نازل بكم ثم ابتدا قسما اخر فقال والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف وقيل ان الذاريات النسا الولودات لان في ترايبهن ذرو الخلق لانهن يذرين الاولاد فصيرن ذاريات واقسم بهن لما في ترايبهن من خيرة عباده الصالحين وخص النسا بذلك دون الرجال وان كان كل واحد منهما ذاريا لامرين احدهما لانهن اوعية دون الرجال فلاجتماع الذروين فيهن خصصن بالذكر الثاني ان الذرو فيهن اطول زمانا وهن بالمباشرة اقرب عهدا فالحاملات السحاب وقيل الحاملات من النسا اذا ثقلن بالحمل والوقر بكسر الواو ثقل الحمل على ظهر او في بطن يقال جاء يحمل وقره وقد اوقر بعيره واكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار والوسق في حمل البعير وهذه امراة موقرة بفتح القاف اذا حملت حملا ثقيلا واوقرت النخلة كثر حملها يقال نخلة موقرة وموقر وموقرة وحكي موقر وهو على غير القياس لان الفعل للنخلة وانما قيل موقر بكسر القاف على قولك امراة حامل لان حمل الشجر مشبه بحمل النسا فاما موقر بالفتح فشاذ وقد روي في قول لبيد يصف ـــــ نخلا

عصب كوارع في خليج محلم ... حملت فمنها موقر مكموم

والجمع مواقر فاما الوقر بالفتح فهو ثقل الاذن وقد وقرت اذنه توقر وقرا اي صمت وقياس مصدره التحريك الا انه جاء بالتسكين وقد تقدم في الانعام القول فيه فالجاريات يسرا السفن تجري بالرياح يسرا الي حيث سيرت وقيل السحاب وفي جريها يسرا على هذا القول وجهان احدهما الي حيث سيرها الله تعالي من البلاد والبقاع الثاني هو سهولة تسييرها وذلك معروف عند العرب كما قال ـــــ الاعشي

كان مشيتها من بيت جارتها ... مشي السحابة لا ريث ولا عجل

قوله تعالى والسماء ذات الحبك قيل المراد بالسماء هاهنا السحاب الذي يظل الارض وقيل السما المرفوعة قال ابن عمر هي السما السابعة ذكره المهدوي وغيرهم وفي الحبك اقوال سبعة الاول قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع ذات الخلق الحسن المستوي وقاله عكرمة قال الم تر الي النساج اذا نسج الثوب فاجاد نسجه يقال منه حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا اي اجاد نسجه قال ابن الاعرابي كل شي احكمته واحسنت عمله فقد احتبكته الثاني ذات الزينة قاله الحسن وسعيد بن جبير وعن الحسن ايضا ذات النجوم وهو الثالث الرابع قال الضحاك ذات الطريق يقال لما تراه في الماء والرمل اذا اصابته الريح ونحوه قول الفرا قال الحبك تكسر كل شي كالرمل اذا مرت به الريح الساكنة والماء القايم اذا مرت به الريح ودرع الحديد لها حبك والشعرة الجعدة تكسرها حبك وفي حديث الدجال ان شعره حبك قال زهير

مكلل باصول النجم تنسجه ... ريح خريق لضاحي مايه حبك

ولكنها تبعد من العباد فلا يرونها الخامس ذات الشدة قاله ابن زيد وقرا وبنينا فوقكم سبعا شدادا والمحبوك الشديد الخلق من الفرس وغيره قال ـــــ امري القيس

قد غدا يحملني في انفه لاحق ... الاطلين محبوك ممر

اخر

مرج الدين فاعددت له ... مشرف الحارك محبوك الكتد

وفي الحديث ان عايشة رضي الله عنها كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة اي تشد الازار وتحكمه السادس ذات الصفاقة قاله خصيف ومنه ثوب صفيق ووجه صفيق بين الصفاقة السابع ان المراد بالطرق المجرة التي في السماء سميت بذلك لانها كاثر المجر والحبك جمع حباك قال ـــــ الراجز

كانما جللها الحواك ... طنفسة في وشيها حباك

والحباك والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه وجمع الحباك حبك وجمع الحبيكة حبايك والحبكة مثل العبكة وهي الحبة من السويق عن الجوهري وروي عن الحسن في قوله ذات الحبك الحبك والحبك والحبك كالجماعة وروي عن عكرمة وابي مجلز الحبك ما يحبك واحدها حبيكة والحبك مخففة منه والحبك واحدها حبكة ومن قرا الحبك فالواحدة حبكة كبرقة وبرق وحبكة كظلمة وظلم ومن قرا الحبك فهو كابل واطل والحبك مخفف منه ومن قرا الحبك فهو شاذ ليس في كلام العرب فعل وهو محمول على تداخل اللغات كانه كسر الحا ليكسر البا ثم تصور الحبك فضم البا قال جميعه المهدوي **قوله تعالى** انكم لفي قول مختلف هذا جواب القسم الذي هو والسما اي انكم يا اهل مكة في قول مختلف في محمد والقران فمن مصدق ومكذب وقيل نزلت في المقتسمين وقيل اختلافهم قولهم ساحر بل شاعر بل افتراه بل هو مجنون بل هو كاهن بل هو اساطير الاولين وقيل اختلافهم ان منهم من نفي الحشر ومنهم من شك فيه وقيل المراد عبدة الاوثان والاصنام يقرون بان الله خالقهم ويعبدون غيره **قوله تعالى** يوفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان بمحمد والقران من صرف عن الحق وعنه وقيل المعني يصرف عن الايمان من اراده بقوله هو سحر وكهانة واساطير الاولين وقيل المعني يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشي ومنه قوله تعالي قالوا اجيتنا لتافكنا وقال مجاهد معني يوفك عنه من افك يوفن عنه من افن والافن فساد العقل قال الزمخشري وقري عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع يوفن اذا نهكه حلبا وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال اليزيدي يدفع عنه من دفع والمعني واحد وكله راجع الي معني الصرف **قوله تعالى** قتل الخراصون دل في التفسير لعن الكذابون وقال ابن عباس اي قتل المرتابون يعني الكهنة وقال الحسن هم الذين يقولون لسنا نبعث ومعني قتل ايها ولاء ممن يجب ان يدعي عليهم بالقتل على ايدي المومنين وقال الفرا معني قتل لعن قال والخراصون الكذابون الذين يتخرصون بما لا يعلمون فيقولون ان محمدا مجنون كذاب ساحر شاعر وهذا دعا عليهم اي قالوا قتل الخراصون لانه من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك قال ابن الانباري علمنا الدعا عليهم اي قالوا قتل الخراصون فهو جمع خارص والخرص الكذب والخراص الكذاب وقد خرص يخرص بالضم خرصا اي كذب يقال خرص واخترص وخلق واختلق ونسك وانتسك وسرج وسرج ومان بمعني كذب حكاه النحاس والخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وقد خرصت النخل والاسم الخرص بالكسر يقال كم خرص نخلك والخراص الذي يخرصها فهو مشترك واصل الخرص القطع على ما تقدم بيانه في الانعام ومنه الخريص للخليج لانه ينقطع اليه الماء والخرص حبة القرط اذا كانت منفردة لانقطاعها عن اخواتها والخرص العود لانقطاعه عن نظايره بطيب رايحته والخرص الذي به جوع وبرد لانه منقطع به يقال خرص الرجل بالكسر فهو خرص اي جايع مقرور ولا يقال للجوع بلا برد خرص ويقال للبرد بلا جوع حصر والخرص والخرص بالضم والكسر الحلقة من الذهب او الفضة والجمع الخرصان ويدخل في الخرص قول المنجمين وكل من يدعي الحدس والتخمين وقال ابن عباس هم المقتسمون الذين اقتسموا اعقاب مكة واقتسموا القول في نبي الله صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الايمان به **قوله تعالى** الذين هم في غمرة ساهون الغمرة ما ستر الشي وغطاه ومنه نهر غمر اي يغمر من دخله ومنه غمرات الموت ساهون اي لاهون غافلون عن امر الاخرة **قوله تعالى** يسالون ايان يوم الدين اي متي يوم الحساب يقولون ذلك استهزا وشكا في القيامة يوم هم على النار يفتنون نصب يوم على تقدير الجزاء اي هذا الجزاء يوم هم يفتنون اي يحرقون وهو من قولهم فتنت الذهب اي احرقته لتختبره واصل الفتنة الاختبار وقيل انه مبني بني لاضافته الي غير متمكن وموضعه نصب على التقدير المتقدم او رفع على البدل من يوم الدين وقال الزجاج يقول يجبني يوم انت قايم ويوم انت تقوم وان شيت فتحت وهو في موضع رفع فانما انتصب لهذا وهو في المعني رفع وقال ابن عباس يفتنون يعذبون ومنه قول ـــــ الشاعر

كل امري من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون

قوله تعالى ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد وقال مجاهد حريقكم وقال ابن عباس اي تكذيبكم يعني جزاءه الفرا اي عذابكم الذي كنتم تستعجلون به في الدنيا وقال هذا

او وقر حمل البغل والحمار

ب

ولم يقل هذه لان الفتنة هنا بمعنى العذاب **قوله تعالى** إنّ المتقين في جنات وعيون لما ذكر ما للكفار ذكر ما للمؤمنين اي هم في بساتين فيها عيون جارية على نهاية ما يتنزه اخذين نصب على الحال ما اتاهم ربهم اي اعطاهم من الثواب وانواع الكرامات قاله الضحاك وقال ابن عباس وسعيد بن جبير اخذين ما اتاهم ربهم اي عاملين بالفرائض انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنة في الدنيا محسنين بالفرائض وقال ابن عباس المعنى كانوا قبل ان يفرض عليهم الفرائض محسنين في اعمالهم **قوله تعالى** كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الى قوله والمحروم وفيه خمس مسائل المسألة الاولى قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون معنى يهجعون ينامون والهجوع النوم ليلا والتهجاع النومة الخفيفة قال ابو قيس بن الاسلت

قد حصت البيضة راسي فما اطعم يوما غير تهجاع

وقال عمرو بن معدي كرب يتشوق اخته وكان اسرها الصمة قال ابو دريد بن الصمة

امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع

يقال هجع يهجع هجوعا وهبع يهبع هبوعا بالغين المعجمة اذا نام قاله الجوهري واختلف في ما فقيل صلة زائدة قاله ابراهيم النخعي والتقدير كانوا قليلا من الليل يهجعون اي ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره قال عطا وهذا لما امروا بقيام الليل وكان ابو ذر يحتجز ثم ياخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة قم الليل الا قليلا الاية وقيل ليس ما صلة بل الوقف عند قوله قليلا ثم يبتدي من الليل ما يهجعون فما للنفي وهو نفي النوم عنهم البتة قال الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا فجدوا الى السحر وروي عن يعقوب الحضرمي انه قال اختلفوا في تفسير هذه الاية فقال بعضهم كانوا قليلا معناه كان عددهم يسيرا ثم ابتدا فقال من الليل ما يهجعون قال ابن الانباري وهذا فاسد لان الاية انما تدل على قلة نومهم لا على قلة عددهم وبعد فلو ابتدانا من الليل ما يهجعون على معنى من الليل يهجعون لم يكن في هذا امدح لهم لان الناس كلهم يهجعون من الليل الا ان يجعل ما جحدا قال الشيخ المؤلف رحمه الله وعلى ما تاوله بعض الناس وهو قول الضحاك من ان عددهم كان يسيرا يكون الكلام متصلا بما قبل من قوله انهم كانوا محسنين اي كان المحسنون قليلا ثم استانف فقال من الليل ما يهجعون وهو قول الضحاك وعلى التاويل الاول والثاني يكون كانوا من الليل خطابا مستانفا بعد تمام ما تقدمه ويكون الوقف على ما يهجعون وكذلك ان جعلت قليلا خبر كان ويرتفع ما بمعنى قليل كانه قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم فما يجوز ان تكون نافية ويجوز ان تكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون رفعا على البدل من اسم كان التقدير كان هجوعهم قليلا من الليل وانتصاب قوله قليلا ان قدرت ما زائدة مؤكدة بيهجعون على تقدير كانوا وقتا قليلا او هجوعا قليلا يهجعون وان لم تقدر ما زائدة كان قوله قليلا خبر كان ولم يجز نصبه بيهجعون لانه اذا قدر نصبه بيهجعون مع تقدير ما مصدرا قدمت الصلة على الموصول وقال انس وقتادة في تاويل الاية اي كانوا يصلون بين العشائين بين المغرب والعشا وقال ابو العالية كانوا لا ينامون بين العشائين وقاله ابن وهب وقال نزلت في الانصار كانوا يصلون العشائين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يمضون الى قبا وقال محمد بن علي بن الحسين كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة قال الحسن كانه عد هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة وقال ابن عباس ومطرف كل ليلة لا ياتي عليهم الا يصلون لله فيها اما من اولها واما من وسطها الثانية روي عن بعض المتهجدين انه اتاه ات في منامه فانشده

وكيف تنام الليل عين قريرة ولم تدر في اي المجالس تنزل

وروي عن رجل من الازد انه قال كنت لا انام الليل فنمت في اخر الليل فاذا انا بانسانين احسن ما رايت ومعهما حلل فوقفا على كل مصل وكسوه حلة ثم انتهوا الى النيام فلم يكسوهم فقلت لهما اكسواني من حللكما هذه فقالا لي انها ليست حلة لباس انما هي رضوان الله تحل على كل مصل ويروى عن ابن خلاد انه قال حدثني صاحب لي قال بينما انا نائم ذات ليلة اذ مثلت لي القيامة فنظرت الى قوم من اخواني قد اضاءت وجوههم واشرقت الوانهم وعليهم الحلل من دون الخلايق فقلت ما بال هؤلاء مكتسون والناس عراة ووجوههم مشرقة ووجوه الناس مغبرة فقال لي قائل الذين رايتهم مكتسون فهم المصلون

بين الاذان والاقامة والذين وجوههم مشرقة فاصحاب السهر والتهجد قال ورايت اقواما على نجائب فقلت ما بال هؤلاء ركبانا والناس مشاة حفاة فقالوا لي هؤلاء الذين قاموا على اقدامهم تقربا لله فاعطاهم الله بذلك خير الثواب قال فصحت في منامي واها للعابدين ما اشرف مقامهم ثم استيقظت من منامي وانا خائف الثالثة **قوله تعالى** وبالاسحار هم يستغفرون مدح ثان وليستغفرون اي من ذنوبهم قاله الحسن والسحر وقت يرجى فيه اجابة الدعا وقد مضى في ال عمران القول فيه وقال ابن عمر ومجاهد اي يصلون وقت السحر فسموا الصلاة استغفارا وقال الحسن في قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون مدوا الصلاة من اول الليل الى السحر ثم استغفروا في السحر وقال ابن وهب هي في الانصار يعني انهم كانوا يغدون من قبا فيصلون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد ابن ابي حبيب قال كانوا ينضحون لناس من الانصار بالدلا على الثمار ثم يهجعون قليلا ثم يصلون اخر الليل الضحاك صلاة الفجر وقال الاحنف بن قيس عرضت عملي على اعمال اهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا لا نبلغ اعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وعرضت عملي على اعمال اهل النار فاذا قوم لا خير فيهم يكذبون بكتاب الله وبرسول الله وبالبعث بعد الموت فوجدنا خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الرابعة **قوله تعالى** وفي اموالهم حق للسائل والمحروم مدح ثالث قال محمد بن سيرين وقتادة الحق هنا الزكاة المفروضة وقيل انه حق سوى الزكاة يصل به رحما او يقري به ضيفا او يحمل به كلا او يغني به محروما قاله ابن عباس لان السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة وقال ابن العربي والاقوى في هذه الاية انه الزكاة في قوله تعالى في سورة سال سايل وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والحق المعلوم هو الزكاة التي بين الشرع قدرها وجنسها ووقتها فاما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم لانه غير مقدر ولا مجنس ولا موقت الخامسة قوله تعالى للسائل والمحروم السائل الذي يسال الناس لفاقته قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما والمحروم الذي حرم المال واختلف في تعيينه فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب المحروم المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم وقالت عايشة رضي الله عنها المحروم المحارف الذي لا يتيسر له مكسبه يقال رجل محارف بفتح الرا اي محدود محروم وهو خلاف قولك مبارك وقد حورف كسب فلان اذا شدد عليه في معاشه كانه ميل برزقه عنه وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسال الناس شيا ولا يعلم بحاجته وقال الحسن ومحمد بن الحنفية المحروم الذي يجي بعد الغنيمة وليس فيها سهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فاصابوا وغنموا فجا قوم بعد ما فرغوا فنزلت هذه الاية وفي اموالهم وقال عكرمة المحروم الذي لا يبقى له مال وقال زيد بن اسلم هو الذي اصيب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وقال القرظي المحروم الذي اصابته الجايحة ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون نظيره في قصة اصحاب الجنة حيث قالوا بل نحن محرومون وقال ابو قلابة كان رجل من اهل اليمامة له مال فجا سيل فذهب بماله فقال رجل من الصحابة هذا المحروم فاقسموا له وقيل انه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه وهو مروي عن ابن عباس ايضا وقال عبد الرحمن بن حميد المحروم المملوك وقيل انه الكلب روي ان عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجا كلب فانتزع عمر رحمه الله كتف شاة فرمى بها اليه وقال يقولون انه المحروم وقيل انه من وجبت نفقته بالفقر من ذوي الانساب لانه قد حرم كسب نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره وروى ابن وهب عن مالك انه الذي يحرم الرزق وهذا قول حسن فانه يعم جميع الاقوال وقال الشعبي لي اليوم سبعون سنة منذ احتلمت اسال عن المحروم فما انا اليوم باعلم مني فيه يومئذ رواه شعبة عن عاصم الاحول عن الشعبي واصله في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع قال علقمة ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه

انا توجه والمحروم محروم

وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للاغنيا من الفقرا يوم القيمة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا الذي فرضت لنا عليهم فيقول الله وعزتي لاقربنكم ولابعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ذكره الثعلبي **قوله تعالى** وفي الارض ايات للموقنين لما ذكر امر الفريقين بين ان في الارض علامات تدل على قدرته على البعث والنشور فمنها عود النبات بعد ان صار هشيما ومنها انه قدر الاقوات فيها قواما للحيوانات ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها اثار الهلاك النازل بالامم المكذبة والموقنون هم العارفون المحققون وحدانية ربهم وصدق نبوة نبيهم خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بتلك الايات وتدبرها **قوله تعالى** وفي انفسكم افلا

يبصرون قيل التقدير وفي الارض وفي انفسكم ايات للموقنين وقال قتادة المعني من سار في الارض راى
ايات وعبرا ومن تفكر في نفسه علم انه خلق ليعبد الله قال ابن الزبير ومجاهد المراد سبيل الخلا والبول
وقال السايب بن شريك ياكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب لبنا محضا لخرج منه
الماء ومنه الغايط فتلك الاية في النفس وقال ابن زيد المعني انه خلقكم من تراب وجعل لكم السمع والابصار والا
فيدة ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال السدي وفي انفسكم اي في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من
طعامكم وقال الحسن في الكبر بعد الشباب والضعف بعد القوة والشيب بعد السواد وقيل المعني وفي خلق
انفسكم من نطفة وعلقة ومضغة وعظم ولحم الي نفخ الروح وفي اختلاف الالسنة والالوان والصور الي
غير ذلك من الايات الباطنة والظاهرة وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من انواع
المعاني والفنون وبالالسن والنطق ومخارج الحروف والابصار والاطراف وساير الجوارح وتاتيها لما خلقت
له وما سوي في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا اجلبنا شي منها جاء العجز واذا استرخي
اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين افلا تبصرون يعني بصر القلوب لتعرفوا كمال قدرته وقيل انه
لجج العاجز وحرمان الحازم قال الشيخ المؤلف رحمه الله كل ما ذكر مراد في الاعتبار وقد قدمناه في اية التوحيد
من سورة البقرة ان ما في بدن الانسان الذي هو العالم الصغير شي الا وله نظير في العالم الكبير
وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر **قوله تعالى** وفي السماء رزقكم وما توعدون
قال سعيد بن جبير والضحاك الرزق هنا ما ينزل من السماء من ثلج ومطر ينبت به الزرع ويحيي به الخلق قال سعيد
كل عين قايمة فانها من الثلج وعن الحسن انه كان اذا راي السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه
بخطاياكم وقال اهل المعاني وفي السماء رزقكم معناه وفي المطر رزقكم سمي المطر سما لانه عن السماء ينزل قال
اذا اسقط السماء بارض قوم   رعيناه وان كانوا غضابا   قال ابن كيسان يعني وعلي رب
السماء رزقكم نظيره وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها وقال سفيان الثوري وفي السماء رزقكم اي
عند الله في السماء رزقكم وقيل المعني وفي السماء تقدير رزقكم وما قسمه لكم مكتوب في ام الكتاب وعن سفيان
قال قرا واصل الاحدب وفي السماء رزقكم فقال الا اري رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فدخل خربة
فمكث ثلثا لا يصيب شيا فاذا هو في الثالثة بدوخلة رطب وكان له اخ احسن نية منه فدخل معه فصارتا
دوخلتين فلم يزل ذلك دابهما حتي فرق الله بينهما بالموت وقرا ابن محيصن ومجاهد وفي السماء رازقكم بالالف
وكذلك في اخرها ان الله هو الرازق وما توعدون قال مجاهد يعني من خير وشر وقال غيره من خير خاصة
وقيل الشر خاصة وقيل الجنة عن سفيان بن عيينة وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار وقال
ابن سيرين وما توعدون من امر الساعة وقاله الربيع **قوله تعالى** فورب السماء والارض انه
لحق اكد ما اخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق فاقسم عليه بانه لحق ثم اكده بقوله مثل ما انكم
تنطقون وخص النطق من بين ساير الحواس لان ما سواه من الحواس يدخله التشبيه كالذي يري في المراة
واستحالة الذوق عند غلبة الصفرا ونحوها والدوي والطنين في الاذنين والنطق سالم من ذلك ولا يعترض
بالصدا لانه لا يكون الا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به وقال بعض الحكما كما ان كل انسان
ياكل رزق غيره وقال الحسن بلغني ان نبي الله صلي الله عليه وسلم قال قاتل الله اقواما اقسم لهم ربهم بنفسه
ثم لم يصدقوه قال الله تعالي فورب السماء والارض انه لحق وقال الاصمعي اقبلت ذات مرة من مسجد البصرة
اذ طلع اعرابي جلف جاف علي قعود له متقلدا سيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال ممن الرجل قلت من اصمع
قال انت الاصمعي قلت نعم قال ومن اين اقبلت قلت من موضع يتلي فيه كلام الرحمن قال وللرحمن كلام يتلوه
الادميون قلت نعم قال فاتل علي منه شيا فقرات والذاريات حتي وصلت الي قوله وفي السماء رزقكم فقال
يا اصمعي حسبك ثم قام الي ناقته فنحرها وقطعها بجلدها وقال اعني علي توزيعها ففرقناها علي من اقبل وادبر
ثم عمد الي سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرحل وولي نحو البادية وهو يقول وفي السماء رزقكم وما توعدون
فمقت نفسي ولمتها ثم حججت مع الرشيد فبينا انا اطوف اذ ابصرت دقيق فاذا انا بالاعرابي ناحل مصفر
فسلم علي واخذ بيدي وقال اتل علي كلام الرحمن واجلسني من وراء المقام فقرات والذاريات
حتي وصلت الي قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون فقال الاعرابي لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا وقال
وهل غير هذا قلت نعم يقول الله تعالي فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون قال فصاح الاعرابي

يا سبحان الله ما الذي اغضب الخليل حتي حلف الم يصدقوه في قوله حتي الجؤه الي اليمين فقالها ثلاثا وخرجت
بها نفسه وقال يزيد بن مرثد ان رجلا جاع بمكان ليس له فيه شي فقال اللهم رزقك الذي وعدتني به فاتني به
فشبع وروي من غير طعام ولا شراب وروي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
لو ان احدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت اسنده الثعلبي رحمه الله وفي سنن ابن ماجه عن حبة وسواء
ابني خالد قالا دخلنا علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو يعالج شيا فاعناه عليه فقال لا تيئسا من الرزق ما تهززت
رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه وروي ان قوما من الاعراب زرعوا زرعا
فاصابته جايحة فحزنوا لاجله فخرجت عليهم اعرابية فقالت ما لي اراكم قد نكستم رؤسكم وضاقت صدوركم
هو ربنا والعالم بنا رزقنا عليه ياتينا من حيث شاء ثم انشات تقول

لو كان في صخرة في البحر راسية	صما ململمة ملس نواحيها
رزق لنفس براها الله لانفلقت	حتي يودي اليها كل ما فيها
او كان بين طباق السبع مسلكها	لسهل الله في المرقي مراقيها
حتي تنال الذي في اللوح خط لها	ان لم تنله والا سوف ياتيها

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وفي هذا المعني قصة الاشعريين حين ارسلوا رسولهم الي النبي صلي الله عليه وسلم
فسمع قوله وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها فرجع ولم يكلم النبي صلي الله عليه وسلم وقال ليس الاشعريون
باهون علي الله من الدواب وقد ذكرناه في سورة هود وقال لقمان انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة
وقد مضي في لقمان وقد استوفينا هذا الباب في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة والحمد لله وهذا هو التوكل
الحقيقي الذي لا يشوبه شي وهو فراغ القلب مع الرب رزقنا الله اياه ولا احالنا علي احد سواه بمنه وكرمه
قوله تعالي مثل قراءة العامة بالنصب اي كمثل ما انكم فهو منصوب علي تقدير حذف الكاف اي كمثل نطقكم وما
زايدة قاله بعض الكوفيين وقال الزجاج والفرا يجوز ان ينصب علي التوكيد اي لحق حقا مثل نطقك فكانه
نعت لمصدر محذوف وقال سيبويه انه مبني بني حين اضيف الي غير متمكن وما زايدة للتوكيد المازني مثل
مع ما بمنزلة شي واحد فبني علي الفتح كذلك واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال ولان من العرب من يجعل
مثلا منصوبا ابدا فيقول قال لي رجل مثلك ومررت برجل مثلك نصب وقرا ابو بكر وحمزة والكسايي
والاعمش مثل بالرفع علي انه صفة لحق لانه نكرة وان اضيف الي معرفة اذ لا يختص بالاضافة لكثرة الاشيا
التي تقع بعدها التماثل بين المتماثلين ومثل مضاف الي انكم وما زايدة ولا تكون ما مع ما بعدها بمنزلة
المصدر اذ لا فعل معها تكون معه مصدرا ويجوز ان يكون بدلا من الحق **قوله تعالى** هل اتاك حديث ضيف
ابراهيم المكرمين ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ليبين بها انه اهلك المكذب باياته كما فعل بقوم لوط
هل اتاك اي الم ياتك وقيل هل بمعني قد كقوله هل اتي علي الانسان حين من الدهر وقد مضي الكلام في ضيف
ابراهيم في هود والحجر المكرمين اي عند الله دليله قوله تعالي بل عباد مكرمون قال ابن عباس يريد جبريل وميكايل
واسرافيل زاد عثمان بن محصن ورفايل عليهم السلم وقال محمد بن كعب كان جبريل ومعه تسعة وقال عطا
وجماعة كانوا ثلاثة جبريل وميكايل ومعهما ملك اخر قال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم غير مدعوين وقال
مجاهد سماهم مكرمين لخدمة ابراهيم اياهم بنفسه قال عبد الوهاب قال لي علي بن عياض عندي هريسة ما احسن
راي فيها قال امض بنا فدخلت الدار فنادي الغلام فاذا هو غايب فما راعني الا به ومعه القمقمة والطست
وعلي عاتقه المنديل فقلت انا لله وانا اليه راجعون لو علمت يا ابا الحسن ان الامر هكذا قال هون عليك فانك
عندنا مكرم والمكرم انما يخدم بالنفس انظر الي قوله تعالي هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
قوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما تقدم في الحجر قال سلام اي عليكم سلام ويكون بمعني
امري سلام او ردي لكم سلام وقرا اهل الكوفة الا عاصما سلم بكسر السين قوم منكرون اي انتم قوم منكرون
غربا لا نعرفكم وقيل انه راهم علي غير صور البشر وعلي غير صور الملايكة الذي كان يعرفهم فنكرهم فقال
قوم منكرون وقيل انكرهم لانهم دخلوا عليه من غير استيذان وقيل انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض
وقيل خافهم يقال انكرته اذا خفته قال الشاعر

فانكرتني وما كان الذي نكرت	من الحوادث الا الشيب والصلعا

قوله تعالى فراغ الي اهله قال الزجاج اي عدل الي اهله وقد مضي في والصافات ويقال اراغ وارتاغ بمعني طلب

الرزق ما ينزل من السماء من الثلج والمطر

اخذ ناه اي فاخذ تهم الصاعقة واخذت قوم نوح او نبذ ناهم في اليم ونبذنا قوم نوح او يكون بمعني اذكر
قوله تعالى والسما بنيناها بايد وانا لموسعون لما بين هذه الايات قال وفي السماء ايات وعبر تدل
علي ان الصانع قادر علي الكمال فعطف امر السماء علي الارض قصة قوم نوح لانها ابيان ومعني بايد اي بقوة وقيل
عن ابن عباس وغيره وانا لموسعون قال ابن عباس لقادرون وقيل لذي وانا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها
لا يضيق علينا شي نريده وقيل اي وانا لموسعون الرزق علي خلقنا عن ابن عباس ايضا وقال الحسن اي وانا
لمطيقون وعنه ايضا وانا لموسعون الرزق بالمطر وقال الضحاك اغنيناكم دليله علي الموسع قدره وقال
القتبي ذو سعة علي خلقنا والمعني متقارب وقيل جعلنا بينهما وبين الارض سعة الجوهري واوضع الرجل
اي صار ذا سعة وغني ومنه قول الله تعالى والسما بنيناها بايد وانا لموسعون اي اغنيا قادرون فشمل جميع
الاقوال والارض فرشناها اي بسطناها كالفراش علي وجه الماء ومددناها فنعم الماهدون اي فنعم الماهدون
نحن لهم والمعني في الجمع التعظيم مهدت الفراش مهدا بسطته ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها
قوله تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين اي صنفين ونوعين مختلفين قال ابن زيد اي ذكرا وانثي
وحلوا وحامضا ونحو ذلك وقال مجاهد يعني الذكر والانثي والسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار
والنور والظلام والسهل والجبل والجن والانس والشر والخير والبكرة والعشا وكالاشيا المختلفة الالوان
من الطعوم والارايح والاصوات اي جعلنا هذا هكذا دلالة علي قدرتنا ومن قدر علي هذا فليقدر علي
الاعادة وقيل ومن كل شي خلقنا زوجين لتعلموا ان خالق الازواج فرد فلا يقدر علي صفته حركة ولا سكون ولا
ضيا ولا اظلام ولا قعود ولا قيام ولا ابتدا ولا انتها اذ هو عز وجل وتر ليس كمثله شي لعلكم تذكرون
قوله تعالى ففروا الي الله اني لكم منه نذير مبين لما تقدم ما جرى من تكذيب اممهم لانبيائهم واهلاكهم
كذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد اي قل لقومك ففروا الي الله اي فروا من معاصيه وقال
ابن عباس فروا الي الله بالتوبة من ذنوبكم وعنه فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن
عثمان بن عفان ففروا الي الله اخرجوا الي مكة وقال الحسين بن الفضل احترزوا من كل شي دون الله فمن فر الي
غيره لم يمتنع منه وقال ابو بكر الوراق فروا من طاعة الشيطان الي طاعة الرحمن وقال الجنيد الشيطان
داع الي الباطل ففروا الي الله يمنعكم منه وقال ذو النون المصري ففروا من الجهل الي العلم ومن الكفر
الي الشكر وقال عمرو بن عثمان فروا من انفسكم الي ربكم وقال ايضا فروا الي ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا
علي حركاتكم وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوي الله الي الله اني لكم منه نذير مبين اي انذركم عقابه علي
الكفر والمعصية **قوله تعالى** ولا تجعلوا مع الله الها اخر امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا للناس
وهو النذير وقيل هو خطاب من الله للخلق اي اني لكم منه اي من محمد وسيوفه نذير اي انذركم باسه وسيفه
ان اشركتم بي قاله ابن عباس **قوله تعالى** كذلك ما اتي الذين من قبلهم من رسول هذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم اي كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم والكاف
من كذلك يجوز ان تكون نصبا علي تقدير انذركم انذارا كانذار من تقدمني من الرسل الذين انذروا
قومهم او رفعا علي تقدير الامر كذلك اي كالاول والاول تخويف لمن عصاه من الموحدين والثاني لمن
اشرك به من الملحدين والتمام علي قوله كذلك عن يعقوب وغيره **قوله تعالى** اتواصوا به
اي اوصي اولهم اخرهم بالتكذيب وتواطئوا عليه والالف للتوبيخ والتعجب بل هم قوم طاغون اي لم يوص
بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الكفر **قوله تعالى** فتول عنهم اي اعرض
عنهم فما انت بملوم عند الله لانك اديت ما عليك من تبليغ الرسالة ثم نسخ هذا بقوله وذكر فان الذكرى
تنفع المومنين وقيل نسخ باية السيف والاول قول الضحاك قال لانه قد امر بالاقبال عليهم بالموعظة وقال
مجاهد فتول عنهم فاعرض عنهم فما انت بملوم اي ليس يلومك ربك علي تقصير كان منك وذكر اي بالعظة فان
العظة تنفع المومنين وقال قتادة وذكر بالقران فان الذكرى به تنفع المومنين وقيل ذكرهم بالعقوبة
وايام الله وخص المومنين لانهم المنتفعون بها **قوله تعالى** وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قيل ان هذا خاص فيمن سبق في علم الله انه يعبده فجا بلفظ العموم ومعناه الخصوص المعني وما خلقت اهل
السعادة من الجن والانس الا ليوحدون قال القشيري والاية دخلها التخصيص علي القطع لان المجانين
والصبيان ما امروا بالعبادة حتي يقال اراد منهم العبادة وقد قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من

من كل شي صنفين ونوعين مختلفين

الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة فالاية محمولة علي المومنين منهم وهو كقوله قالت
الاعراب امنا وانما قال فريق منهم ذكره الضحاك والكلبي والفرا والقتبي وفي قراءة عبد الله وما خلقت
الجن والانس من المومنين الا ليعبدون وقال علي رضي الله عنه وما خلقت الجن والانس الا لامرهم بالعبادة
واعتمد الزجاج علي هذا القول ويدل عليه قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا فان قيل كيف
كفروا وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لامره ومشيئته قيل قد تذللوا لقضائه عليهم لان قضاءه جار عليهم
لا يقدرون علي الامتناع منه وانما خالفه من كفر في العمل بما امره به فاما التذلل لقضائه فانه غير ممتنع منه
وقيل الا ليعبدون الا ليقروا لي بالعبادة طوعا او كرها رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس فالكره
ما يري فيهم من اثر الصنعة وقال مجاهد الا ليعرفوني وقال الثعلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف
وجوده وتوحيده ودليل هذا التاويل قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وما اشبه هذا من الايات وعن مجاهد ايضا الا
لامرهم وانهاهم زيد بن اسلم هو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة فخلق السعدا من الجن والانس للعبادة
وخلق الاشقيا منهم للمعصية وعن الكلبي ايضا الا ليعبدون الا ليوحدون فاما المومن فيوحده في الشدة
والرخا واما الكافر فيوحده في الشدة والبلا دون النعمة والرخا يدل عليه قوله تعالى واذا غشيهم موج
كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقال عكرمة الا ليعبدون ويطيعون فاثيب العابد واعاقب
الجاحد وقيل المعني الا لاستعبدهم والمعني متقارب تقول عبد بين العبودة والعبودية واصل العبودية
الخضوع والذل والتعبيد التذليل يقال طريق معبد قال

وظيفا وظيفا فوق مور معبد

والتعبيد الاستعباد وهو ان تتخذه عبدا وكذلك
الاعتباد والعبادة الطاعة والتعبد التنسك فمعني ليعبدون ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا ما اريد منهم
من رزق من صلة اي رزقا بل انا الرزاق والمعطي وقال ابن عباس وابو الجوزا اي ما اريد ان يرزقوا انفسهم
ولا ان يطعموها وقيل المعني ما اريد ان يرزقوا عبادي ولا ان يطعموهم ان الله هو الرزاق وقرا ابن
محيصن وغيره الرازق ذو القوة المتين اي الشديد القوي وقرا الاعمش ويحيي بن وثاب والنخعي المتين بالجر
علي النعت للقوة الباقون بالرفع علي النعت للرزاق او ذو من قوله ذو القوة او يكون خبرا ابتدا محذوف
او نعتا لاسم ان علي الموضع او خبرا بعد خبر قال الفرا كان حقه المتينة فذكره لانه ذهب بها الي الشي المبرم
المحكم الفتل يقال حبل متين وانشد الفرا

شعر

لكل دهر قد لبست اثوبا | حتي اكتسي الراس قناعا اشيبا
من ريطة واليمنة المعضبا

فذكر المعضب لان اليمنة صنف من الثياب ومن هذا الباب فمن
جاءه موعظة اي وعظ واخذ الذين ظلموا الصيحة اي الصياح والصوت قصه اي قطعه وكذلك قصبه
بالقضب والقضب القطع **قوله تعالى** فان للذين ظلموا اي كفروا من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب
اصحابهم اي نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الامم السالفة وقال ابن الاعرابي يقال يوم ذنوب اي
طويل الشر لا ينقضي واصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة وكانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك علي
الانصبا فقيل للذنوب نصيب من هذا قال الراجز

لنا ذنوب ولكم ذنوب | فان ابيتم فلنا القليب

وقال علقمة

وفي كل يوم قد خبطت بنعمة | فحق لشاس من نداك ذنوب

وقال اخر

لعمرك والمنايا طارقات | لكل بني اب منها ذنوب

قال الجوهري
والذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب النصيب والذنوب لحم اسفل المتن والذنوب الدلو الملاي ماء
وقال ابن السكيت فيها ما قريب من الملء يونث ويذكر ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب والجمع في ادني العدد
اذنبة والكثير ذنائب مثل قلوص وقلايص فلا يستعجلون اي فلا تستعجلوا نزول العذاب بهم لانهم قالوا
يا محمد ايتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فنزل بهم يوم بدر ما حقق الله تعالى به وعده وعجل به انتقامه
ثم لهم في الاخرة العذاب الدائم والخزي القائم الذي لا انقطاع له ولا نفاد ولا غاية ولا اباد

ختمت

وماذا تزيغ اي تريد وتطلب وَاراغ الي كذا اي مال اليه سرا وحاد فعلى هذا يكون راغ وَاراغ لغتان بمعني
فجاء بعجل سمين اي جاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في هود فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ويقال ان ابراهيم
انطلق الي منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا علي ما يريد ان يتخذ لهم من الطعام **قوله تعالى**
فقربه اليهم يعني العجل فقال الا تاكلون قال قتادة كان عامة مال ابراهيم البقر واختاره لهم سمينا زيادة
في اكرامهم وقيل العجل في بعض اللغات الشاة ذكره القشيري وفي الصحاح العجل ولد البقرة والعجول
مثله والجمع العجاجيل والانثي عجلة عن ابي الجراح وبقرة معجل ذات عجل وعجل بتيلة من ربيعة **قوله تعالى**
فاوجس منهم خيفة اي احس في نفسه خوفا وقيل اضمر لما لم يتحرموا بطعامه ومن اخلاق الناس ان من
تحرم بطعام انسان امنه وقال عمرو بن دينار قالت الملائكة لا ناكل الا بثمن قال كلوا واَدوا ثمنه قالوا
وما ثمنه قال تسمون الله اذا اكلتم وتحمدونه اذا فرغتم فنظر بعضهم الي بعض وقالوا لهذا اتخذك الله
خليلا وقد تقدم هذا في هود ولما راوا ما بابراهيم من الخوف قالوا لا تخف واعلموه انهم ملائكة الله ورسله
وبشروه بغلام عليم اي بولد يولد له من سارة زوجته وقيل لما اخبروه انهم ملائكة لم يصدقهم فدعوا
الله فاحي العجل الذي قربه اليهم وروي عون بن ابي شداد ان جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتي لحق
بامه وام العجل في الدار ومعني عليم اي يكون بعد بلوغه من اولي العلم بالله وبدينه والجمهور علي ان المبشر به
هو اسحق وقال مجاهد وحده هو اسمعيل وليس بشيء فان الله تعالي يقول فبشرناها باسحاق وهذا نص
قوله تعالى فاقبلت امراته في صرة اي صيحة وضجة وعن ابن عباس وغيره ومنه اخذ صرير الباب
وهو صوته وقال عكرمة وقتادة انها الرنة والتاوه ولم يكن هذا الاقبال من مكان الي مكان قال
الفرا وانما هو كقولك اقبل يشتمني اي اخذ في شتمي وقيل اقبلت في صرة اي في جماعة من الناس تسمع كلام
الملائكة قال الجوهري الصرة الضجة والصيحة والصرة الجماعة والصرة الشدة من كرب وغيره قال
امرؤ القيس فالحقه بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل
يحتمل هذا البيت الوجوه الثلاثة وصرة القيظ شدة حره فلما سمعت سارة البشارة صكت وجهها اي
ضربت يدها علي وجهها علي عادة النسوان عند التعجب قاله سفيان الثوري وغيره وقال ابن عباس صكت
وجهها لطمته واصل الصك الضرب صكه اي ضربه قال الراجز
يا كروانا صك فاكبانا فشن بالسلح فلما شنا
بل الذنابي عبسا مبنا
فال الاموي كبي الصبي اذا لطأ بالارض واكبان انقبض
وقالت عجوز عقيم اي اتلد عجوز عقيم الزجاج اي وقالت انا عجوز عقيم فكيف الد كما قال تعالي يا ويلتي االد وانا
عجوز قالوا كذلك اي كما قلنا لك واخبرناك قال ربك فلا تشكي فيه وكان بين البشارة والولادة سنة وكانت
سارة لم تلد قبل ذلك فولدت وهي بنت تسع وتسعين وابراهيم يومئذ ابن مائة سنة وقد مضي هذا انه
هو الحكيم العليم حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه **قوله تعالى** فما خطبكم ايها المرسلون لما
تيقن ابراهيم عليه السلام انهم ملائكة باحياء العجل والبشارة قال لهم فما خطبكم ايها المرسلون قالوا
انا ارسلنا الي قوم مجرمين يريد قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين اي لنرجمهم بها مسومة اي معلمة قيل كانت
مخططة ببياض وسواد وقيل بسواد وحمرة وقيل مسومة اي معروفة بانها حجارة العذاب وقيل علي كل حجر
اسم من يهلك به وقيل عليها امثال الخواتيم وقد مضي هذا كله في هود فجعلت الحجارة تتبع مسافريهم وشذاذهم
فلم تفلت منهم مخبر عند ربك اي عند الله وتداعدها للرجم من قضي برجمه ثم قيل كانت مطبوخة طبخ الاجر قاله
ابن زيد وهو معني قوله تعالي حجارة من سجيل علي ما تقدم بيانه في هود وقيل هي الحجارة التي نراها واصلها طين
وانما تصير حجارة باحراق الشمس اياها علي ممر الدهور وانما قال من طين ليعلم انها ليست حجارة الماء التي هي البرد
حكاه القشيري **قوله تعالى** فاخرجنا من كان فيها من المومنين اي لما اردنا اهلاك قوم لوط
اخرجنا من كان في قومه من المومنين لئلا يهلك المومنون وذلك قوله فاسر باهلك فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين يعني لوطا وبنتيه وفيه اضمار اي فما وجدنا فيها غير اهل بيت وقد يقال بيت شريف يراد به
الاهل وقوله فيها كناية عن القرية ولم يتقدم لها ذكر لان المعني مفهوم وايضا فقوله تعالي انا ارسلنا الي قوم
مجرمين يدل علي القرية لان القوم انما يسكنون قرية وقيل الضمير فيها للجماع والمومنون والمسلمون هنا سوا
فجنس اللفظ لئلا يتكرر كما قال انما اشكو بثي وحزني الي الله وقيل الايمان تصديق القلب والاسلام الانقياد
بالظاهر فكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا فسماهم في الاية الاولي مومنين لانه ما من مومن الا وهو مسلم وقد

عمر ابرهيم وساره

معني هذا المعني في البقرة وغيرها وقوله تعالي قالت الاعراب امنا الاية يدل علي الفرق بين الايمان
والاسلام وهو مقتضي حديث جبريل عليه السلام في صحيح مسلم وغيره وقد بيناه في غير موضع **قوله تعالى**
وتركنا فيها اية اي عبرة وعلامة لاهل ذلك الزمان ومن بعدهم نظيره ولقد تركنا منها اية بينة
لقوم يعقلون ثم قيل الاية المتروكة نفس القرية الخربة وقيل الحجارة المنضودة التي رجموا بها هي الاية
للذين يخافون لانهم المنتفعون **قوله تعالى** وفي موسي اي وتركنا ايضا في قصة موسي اية وقال الفرا هو
معطوف علي قوله وفي الارض ايات وفي موسي اذ ارسلناه الي فرعون بسلطان مبين اي بحجة بينة وهي العصا
وقيل اي بالمعجزات من العصا وغيرها **قوله تعالى** فتولي بركنه يعني فرعون اعرض عن الايمان
بركنه اي بجموعه واجناده قاله ابن زيد وهو معني قول مجاهد ومنه قوله او اوي الي ركن شديد يعني المنعة
والعشيرة وقال ابن عباس وقتادة بقوته ومنه قول عنترة
فما اوهي مراس الحرب ركني ولكن ما تقادم من زماني
وقيل بنفسه وقيل الاخفش بجانبه كقوله اعرض ونأي بجانبه وقاله المورج الجوهري وركن الشيء جانبه الا
وهو ياوي الي ركن شديد اي عز ومنعة وقال القشيري والركن جانب البدن وهذا عبارة عن المبالغة
في الاعراض عن الشيء وقال ساحر او مجنون او بمعني الواو لانهم قد قالوا هما جميعا قاله المورج والفرا وانشد
بيت جرير اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا
وقد توضع او بمعني الواو كقوله تعالي ولا تطع منهم اثما او كفورا والواو بمعني او كقوله تعالي فانكحوا ما
طاب لكم من النساء مثني وثلاث ورباع وقد تقدم جميع هذا فاخذناه وجنوده لكفرهم وتوليهم عن الايمان
فنبذناهم اي طرحناهم في اليم وهو مليم يعني فرعون لانه اتي ما يلام عليه **قوله تعالى** وفي عاد
اي وتركنا في عاد اية لمن تامل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا ولا رحمة فيها ولا بركة
ولا منفعة ومنه امراة عقيم لا تحمل ولا تلد ثم قيل هي الجنوب روي ابن ابي ذيب عن الحرث بن عبد الرحمن
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الريح العقيم الجنوب وقال مقاتل هي الدبور كما في الصحيح عن النبي صلي الله عليه
وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقال ابن عباس هي النكبا وقال عبيد بن عمير مسكنها الارض الرابعة
وما نفخ علي عاد منها الا كقدر منخر الثور وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد انها الصبا والله اعلم **قوله تعالى**
ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهشيم يقال للنبات اذا يبس وتفتت رميم وهشيم
قال ابن عباس كالشيء الهالك البالي وقاله مجاهد ومنه قول الشاعر
تركتني حين كف الدهر من بصري واذ بقيت كعظم الرمة البالي وقال قتادة انه الذي ديس من
يابس النبات وقال ابو العالية والسدي كالتراب المدقوق قطرب الرميم الرماد وقال يمان ما رمته الماشية
من الكلا برمتها ويقال للشفة المرمة والمقمة بالكسر والمرمة بالفتح لغة فيه واصل الكلمة من رم العظم
اذا بلي تقول منه رم العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم قال
ورأي عواقب خلف ذاك مذمة تبقي عليه والعظام رميم
والرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام ونظير هذه الاية تدمر كل شيء بحسب ما تقدم **قوله تعالى**
وفي ثمود اي وفيهم ايضا عبرة واية حين قيل لهم عيشوا متمتعين بالدنيا حتي حين اي الي وقت الهلاك وهو
ثلاثة ايام كما في هود تمتعوا في داركم ثلاثة ايام وقيل معني تمتعوا اي اسلموا وتمتعوا الي وقت فناء اجالكم
فعتوا عن امر ربهم اي خالفوا امر الله فعقروا الناقة فاخذتهم الصاعقة اي الموت وقيل هي علي كل عذاب
مهلك قال الحسين بن واقد كل صاعقة في القران فهو العذاب وقرا عمر بن الخطاب وحميد وابن محيصن ومجاهد
والكسائي الصعقة يقال صعق الرجل صعقة وتضعافا اي غشي عليه وصعقتهم السما اذا القت عليهم الصاعقة
والصاعقة ايضا صيحة العذاب وقد مضي في البقرة وغيرها وهم ينظرون اليها نهارا فما استطاعوا من
قيام قيل معناه من نهوض وقيل ما اطاقوا ان يستقلوا بعذاب الله وان يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن
انفسهم تقول لا اقوم لهذا الامر اي لا اطيقه وقال ابن عباس اي ذهبت اجسامهم وبقيت ارواحهم في العذاب
وما كانوا منتصرين اي ممتنعين من العذاب حتي اهلكوا اي ما كان لهم ناصر **قوله تعالى** وقوم
نوح من قبل قرا حمزة والكسائي وابو عمرو وقوم نوح بالخفض اي وفي قوم نوح اية ايضا الباقون بالنصب
علي معني واهلكنا قوم نوح او يكون معطوفا علي الهاء والميم في نبذناهم او الهاء في اخذتهم او الهاء في

الصاعقة

هد

مكية في قول الجميع وهي ثمان واربعون اية روي الايمة عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرا بالطور في المغرب متفق عليه بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
والطور اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى اقسم الله تعالى به تشريفا وتكريما وتذكيرا بما فيه من الايات
وهو احد جبال الجنة روي اسمعيل بن اسحاق قال اخبرنا اسمعيل بن ابي اويس حدثنا كثير بن عبد الله بن
عمرو بن عوف عن ابيه عن جده انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة اجبال من جبال الجنة واربعة
انهر من انهار الجنة واربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل فمن الاجبل قال جبل احد يحبنا ونحبه والطور جبل من
جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة وذكر الحديث وقد استوفيناه في كتاب التذكرة قال مجاهد هو بالسريانية
والمراد به طور سينا وقاله السدي وقال مقاتل ابن حيان هما طوران يقال لاحدهما طور سينا وللاخر طور زيتا
لانهما ينبتان التين والزيتون وهو جبل بمدين واسمه زبير قال الجوهري والزبير الجبل الذي كلم الله
عليه موسى عليه السلام قال الشيخ المولف رحمه الله ومدين بالارض المقدسة وهي قرية شعيب عليه السلام
وقيل ان الطور كل جبل انبت وما لا ينبت فليس بطور قاله ابن عباس وقد مضى في البقرة مستوفى في قوله تعالى
وكتاب مسطور اي مكتوب يعني القران يقروه المومنون من المصاحف ويقروه الملايكة من اللوح
المحفوظ كما قال الله تعالى انه لقران كريم في كتاب مكنون وقيل يعني ساير الكتب المنزلة على الانبيا وكان كل
كتاب في رق ينشره اهله لقراته وقال الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم
وقال الفرا هو صحايف الاعمال فمن اخذ كتابه بيمينه واخذ كتابه بشماله نظيره ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا وقوله واذا الصحف نشرت وقيل انه الكتاب الذي كتبه تعالى للملايكة في السماء يقرون
فيه ما كان وما يكون وقيل المراد ما كتب الله في قلوب الاوليا من المومنين بيانه اولئك كتب الله في
قلوبهم الايمان قال الشيخ المولف رحمه الله وفي هذا القول تجوز لانه عبر بالقلوب عن الرق قال المبرد الرق
ما رقق من الجلد ليكتب فيه والمنشور المبسوط وكذا قال الجوهري في الصحاح قال والرق بالفتح ما يكتب
فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى في رق منشور والرق ايضا العظيم من السلاحف قال ابو عبيدة
وجمعه رقوق والمعنى المراد ما قاله الفرا والله اعلم وكل صحيفة فهي رق لرقة حواشيها ومنه قول
المتلمس

فكانما هي من تقادم عهدها رق اتيح كتابها مسطور

واما الرق بالكسر فهو الملك يقال عبد مرقوق وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الرق بالفتح ما بين المشرق والمغرب
قوله تعالى والبيت المعمور قال علي وابن عباس وغيرهما هو بيت في السما حيال الكعبة
يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم يخرجون منه فلا يعودون اليه قال علي رضي الله عنه هو في السما
السادسة وقيل في السما الرابعة روي انس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتي بي الى السما الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فاذا هو حيال الكعبة لو خر خر عليها
يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا اليه بعد ذكره الماوردي وحكى القشيري
عن ابن عباس انه في السما الدنيا وقال ابو بكر الانباري سال ابن الكوا عليا رض قال فما البيت المعمور
قال بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح وكذا في الصحاح والضراح بالضم بيت
في السماء وهو البيت المعمور عن ابن عباس وعمرانه كثرة غاشيته من الملايكة وقال المهدوي عنه حذا
العرش والذي في صحيح مسلم عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاسراء ثم رفع الي
البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
اذا خرجوا منه لم يعودوا اليه اخر ما عليهم وذكر الحديث وفي حديث ثابت عن انس بن مالك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق الحديث وفيه ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل
عليه السلام فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل
يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وعن ابن عباس ايضا قال لله في السموات والارضين خمسة عشر
بيتا سبعة في السموات وسبعة في الارض والكعبة وكلها مقابلة للكعبة وقال الحسن البيت
المعمور هو الكعبة البيت الحرام الذي هو معمور من الناس يعمره الله كل سنة ستمائة الف فان عجز الناس
عن ذلك اتمه الله بالملايكة وهو اول بيت وضعه الله للعبادة في الارض وقال الربيع بن انس

اربعة اجبال من جبال الجنة

ان البيت المعمور كان في الارض موضع الكعبة في زمن ادم عليه السلام فلما كان زمان نوح امرهم
ان يحجوه فابوا عليه وعصوه فلما طغى الما رفع فجعل بحذايه في السما الدنيا فيعمره كل يوم سبعون
الف ملك ثم لا يرجعون اليه حتى ينفخ في الصور قال فبوا الله عز وجل لابراهيم مكان البيت الحرام حيث
كان قال الله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطايفين والعاكفين
والقايمين والركع السجود والسقف المرفوع يعني السما سماها سقفا لانها للارض كالسقف للبيت
بيانه وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة والبحر المسجور قال
مجاهد الموقد وقد جاء في الخبر ان البحر يسجر يوم القيامة فيكون نارا وقال قتادة المملو وانشد
النحويون للنمر بن تولب

اذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والسماسما

يريد وعلا يطالع عينا مسجورة مملوة فيجوز ان يكون المملو نارا فيكون كالقول المتقدم وكذا قال
الضحاك وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والاخفش انه الموقد المحما بمنزلة التنور المسجور ومنه قيل
للمسعر مسجر ودليل هذا التاويل قوله واذا البحار سجرت اي اوقدت سجرت التنور اسجره سجرا
اذا احميته ومنه قول سعيد بن المسيب قال علي رض الله عنه لرجل من اليهود اين جهنم قال البحر قال
ما اراك الا صادقا وتلى البحر المسجور واذا البحار سجرت مخففة وقال عمر بن عبد الله لا يتوضا بماء البحر
لانه طبق جهنم وقال كعب يسجر البحر غدا فيزاد في نار جهنم فهذا قول وقول ابن عباس المسجور الذي
ذهب ماؤه وقاله ابو العالية وروي عطية وذو الرمة الشاعر عن ابن عباس قال خرجت امة لتستقي
فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ قال ابن ابي داود ليس لذي الرمة حديث سوى هذا وقيل المسجور
اي المفجور دليله واذا البحار فجرت اي تنشقها الارض فلا يبقى فيها ما، وقول ثالث قاله علي رض الله
عنه وعكرمة قال ابو مكين سالت عكرمة عن البحر المسجور فقال هو بحر دون العرش وقال علي تحت العرش
فيه ما غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في
قبورهم وقال الربيع بن انس المسجور المختلط العذب بالمالح قال الشيخ المولف رحمه الله واليه يرجع معنى
فجرت في احد التاويلين اي فجر عذبها في مالحها والله اعلم وسياتي وروي علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
قال المسجور المحبوس ان عذاب ربك لواقع هذا جواب القسم اي واقع بالمشركين قال جبير بن
مطعم قدمت المدينة لاسال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فوافيته يقرا في صلاة
المغرب والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي فاسلمت خوفا من نزول
العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مكاني الا حتى يقع بي العذاب وقال هشام بن حسان انطلقت
انا ومالك بن دينار الى الحسن وعنده رجل يقرا والطور حتى اذا بلغ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع
فبكى الحسن وبكى اصحابه وجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه ولما ولي بكار القضا جا اليه رجلان
يختصمان فتوجهت على احدهما اليمين فرغب الى الصلح بينهما وانه يعطي خصمه من عنده عوضا من يمينه
فابى الا اليمين فاحلفه باول الطور الى ان قال له قل ان عذاب الله لواقع ان كنت كاذبا فقالها فخرج
نكسر من جنبه قوله تعالى يوم تمور السما مورا العامل في يوم قوله واقع اي يقع العذاب
بهم يوم القيامة وهو اليوم الذي تمور فيه السما قال اهل اللغة مار الشي يمور مورا اي تحرك وجاء وذهب
كما تتكفا النخلة العيدانة اي الطويلة والتمور مثله وقال الضحاك تموج بعضها في بعض وقال مجاهد
تدور دورا ابو عبيدة والاخفش تكفا وانشد بيت الاعشى

كان مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل

وقيل تجري جريا ومنه قول جرير

وما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ما دجلة اشكل

وقال ابن عباس تمور السما يومئذ بما فيها وتضطرب
وقيل تدور اهلها فيها ويموج بعضهم في بعض وناقة موارة اليد والمور ايضا الطريق ومنه قول طرفة

والمور الموج وناقة موارة اليد اي سريعة والبعير يمور عضداه فوق مور معبد

اذا ترددا في عرض جنبه قال الشاعر على ظهر موار الملاط حصان

الملاط الجنب وقولهم لا ادري اغار ام مار اي اتى غورا ام دار فرجع الى نجد والمور بالضم الغبار
بالريح وقيل ان السما هاهنا الفلك ومورة اضطراب نظمه واختلاف سيره قاله ابن بحر وتسير الجبال

ان

سيرا قال مقاتل تسير عن اماكنها حتي تستوي بالارض وقيل تسير كسير السحاب اليوم في الدنيا وتري
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقد مضي هذا المعني في الكهف فويل يومئذ للمكذبين وويل كلمة تقال
للهالك وانما دخلت الفا لان في الكلام معني المجازاة الذين هم في خوض يلعبون اي في تردد في الباطل
وهو خوضهم في امر محمد بالتكذيب وقيل في خوضهم في اسباب الدنيا يلعبون لا يذكرون حسابا ولا جزاء
وقد مضي في براءة **قوله تعالي** يوم يدعون يوم بدل من يومئذ ويدعون معناه يدفعون الي جهنم
بشدة وعنف فقال دععته ادعه دعا اي دفعته ومنه قوله تعالي فذلك الذي يدع اليتيم وفي التفسير
ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الي اعناقهم ويجمعون نواصيهم الي اقدامهم ثم يدفعونهم في النار دفعا علي وجوههم
وزجا في اعناقهم حتي يردوا النار وقرا ابو رجا العطاردي وابن السميقع يوم يدعون الي نار جهنم دعا
بالتخفيف من الدعا فاذا دنوا من النار قالت لهم الخزنة هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا
قوله تعالي افسحر هذا استفهام معناه التوبيخ والتقريع اي يقال لهم افسحر هذا الذي ترون
الان باعينكم ام انتم لا تبصرون وقيل ام بمعني بل اي بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون
قوله تعالي اصلوها اي تقول لهم الخزنة ذوقوا حرها بالدخول فيها فاصبروا او لا تصبروا سوا
عليكم اي سوا كان لكم فيها صبر ام لم يكن فسوا خبره محذوف اي سوا عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم
شي كما اخبر عنهم انهم يقولون سوا علينا اجزعنا ام صبرنا انما تجزون ما كنتم تعملون **قوله تعالي**
ان المتقين في جنات ونعيم لما ذكر حال الكفار ذكر حال المومنين فاكهين اي ذو فاكهة كثيرة يقال رجل
فاكه اي ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر ذو لبن وتمر قال

وغررتني وزعمت انك لابن ... بالصيف تامر اي ذو لبن وتمر

وقرا الحسن وغيره فكهين
بغير الف ومعناه متعجبين ناعمين في قول ابن عباس وغيره يقال فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس
مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر وقد مضي في الدخان القول في هذا بما اتاهم اعطاهم ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا اي يقال لهم ذلك هنيا الهني ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر
قال الزجاج اي ليهنيكم ما صرتم اليه هنيا وقيل اي متعتم بنعيم الجنة امتاعا هنيا وقيل اي كلوا وا
شربوا هنيا فهو صفة في موضع المصدر وقيل هنيا اي حلالا وقيل لا اذي فيه ولا غائلة وقيل هنيا
اي لا تموتون فان ما لا يبقي او لا يبقي الانسان معه منغص غير هني **قوله تعالي** متكين علي سرر
سرر جمع سرير وفي الكلام حذف تقديره متكين علي نمارق علي سرر مصفوفة قال ابن الاعرابي موصو
بعضها الي بعض حتي تصير صفا وفي الاخبار انها تصف في السما بطول كذا وكذا فاذا اراد العبد ان يجلس عليها
تواضعت له فاذا جلس عليها عادت الي حالها قال ابن عباس هي سرر من ذهب مكللة بالزبرجد
والدر والياقوت والسرير ما بين مكة وايلة وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بها قال يونس بن حبيب
تقول العرب زوجته امراة وتزوجت بامراة وليس من كلام العرب تزوجت بامراة قال وقول الله
عز وجل وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن من قول الله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي
وقرناءهم وقال الفرا تزوجت بامراة لغة في ازد شنوءة وقد مضي القول في معني الحور العين **قوله تعالي**
والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم قراءة العامة واتبعتهم بوصل الالف وتشديد التا وفتح العين
والتا وقرا ابو عمرو واتبعناهم بقطع الالف واسكان التا ونون اعتبارا بقوله الحقنا بهم ليكون الكلام
علي نسق واحد فاما قوله ذرياتهم الاول فقراها بالجمع ابن عامر وابو عمرو ويعقوب ورواها عن نافع الا ان
ابا عمرو كسر التا علي المفعول وضم الباقون وقرا الباقون ذريتهم علي التوحيد وضم التا وهو المشهور عن نافع فاما
الثانية فقراها نافع وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بكسر التا علي الجمع الباقون ذريتهم علي التوحيد
وفتح التا واختلف في معناه فعن ابن عباس اربع روايات الاولي قال ان الله ليرفع ذرية المومن اليه
وان كانوا دونه في العمل لتقر عينه وتلي هذه الاية ورواه مرفوعا النحاس في الناسخ والمنسوخ له عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ليرفع ذرية المومن معه
في درجته فان كان لم يبلغها بعمله لتقر بهم عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الاية
وقال ابو جعفر فصار الحديث مرفوعا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وكذا يجب ان يكون لان ابن عباس
لا يقول هذا الا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم لانه اخبار عن الله عز وجل بما يفعله وبمعني انه انزلها

وليس من كلام العرب تزوجت بامراة

جل ثناوه وقال الزمخشري فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة
الاخوان المومنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم وعن ابن عباس ايضا قال ان الله ليلحق بالمومن ذريته
الصغار الذين لم يبلغوا الايمان قال المهدوي والذرية تقع علي الصغار والكبار فان جعلت الذرية هاهنا
للصغار كان قوله بايمان في موضع الحال من المفعولين وكان التقدير بايمان من الابا وان جعلت الذرية
للكبار كان قوله بايمان حالا من الفاعلين القول الثالث عن ابن عباس ان الذين امنوا المهاجرون والانصار
والذرية التابعون وفي رواية عنه ان كان الابا ارفع درجة رفع الله الابنا الي الابا وان كان الابنا ارفع
درجة رفع الله الابا الي الابنا فالابا داخلون في اسم الذرية كقوله تعالي واية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون وعن ابن عباس يرفعه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة سال
احدهم عن ابويه وعن زوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا ما ادركت فيقول رب اني عملت لي ولهم
فيومر بالحاقهم به وقالت خديجة سالت النبي صلي الله عليه وسلم عن ولدين لي ماتا في الجاهلية فقال لي هما
في النار فلما راي الكراهية في وجهي قال لي لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك
قال في الجنة ثم قال ان المومنين واولادهم في الجنة والمشركين واولادهم في النار ثم قرا والذين امنوا
واتبعتهم ذريتهم الاية وما التناهم من عملهم من شي اي ما نقصنا الابنا من ثواب اعمالهم لقصر اعمارهم
او ما نقصنا الابا من ثواب اعمالهم شيئا بالحاق الذريات بهم والها والميم راجعتان الي قوله والذين امنوا
وقال ابن زيد المعني واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بالذرية ابناءهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل فالها
والميم علي هذا القول للذرية وقرا ابن كثير وما التناهم بكسر اللام وفتح الباقون وعن ابن هرمز التناهم
بالمد قال ابن الاعرابي التة يالتة لتا والته يولته ايلاتا ولاته يليته ليتا كلها اذا نقصه وفي الصحاح
ولاته عن وجهه يلوته ويليته اي حبسه عن وجهه وصرفه وكذلك الاته عن وجهه فعل وافعل بمعني
ويقال ايضا ما الاته من عمله شيئا اي ما نقصه مثل التة وقد مضي في الحجرات كل امرء بما كسب رهين
يرجع الي اهل النار قال ابن عباس ارتهن اهل جهنم باعمالهم وصار اهل الجنة الي نعيمهم ولهذا قال
كل امرء بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وقيل هو عام لكل انسان مرتهن بعمله فلا ينقص احد من
ثواب عمله فاما الزيادة علي ثواب العمل فهي بفضل من الله ويحتمل ان يكون هذا في الذرية الذين لم يومنوا
فلا يلحقون اباءهم المومنين بل يكونون مرتهنين بكفرهم **قوله تعالي** وامددناهم بفاكهة ولحم
مما يشتهون اي اكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله امدهم بها غير الذي كان لهم **قوله تعالي**
يتنازعون فيها كاسا اي يتناولها بعضهم من بعض وهو المومن وزوجاته وخدمه في الجنة والكاس انا الخمر
وكل انا مملو من شراب او غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا وشاهد التنازع والكاس في اللغة قول الاخطل

وشارب مربح بالكاس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوار
نازعته طيب الراح الشمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

وقال امرو القيس

فلما تنازعنا الحديث واسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

وقد مضي هذا في والصافات لا لغو فيها اي في الكاس اي لا يجري بينهم لغو ولا تاثيم ولا ما فيه اثم والتاثيم
تفعيل من الاثم اي تلك الكاس لا تجعلهم اثمين لانه مباح لهم وقيل لا لغو فيها اي في الجنة قال ابن عطا اي لغو
يكون في مجلس محله جنة عدن وسقاتهم الملايكة وشربهم علي ذكر الله وريحانهم وتحيتهم من عند الله والقوم اضياف
الله ولا تاثيم اي ولا كذب قاله ابن عباس وقال الضحاك يعني لا يكذب بعضهم بعضا وقرا ابن كثير وابن محيصن
وابو عمرو لا لغو ولا تاثيم بفتح اخره الباقون بالرفع والتنوين وقد مضي هذا في البقرة عند قوله ولا خلة
ولا شفاعة **قوله تعالي** ويطوف عليهم غلمان لهم اي بالفواكه والتحف والطعام والشراب
دليله يطاف عليهم بصحاف من ذهب يطاف عليهم بكاس من معين ثم قيل هم الاطفال من اولادهم الذين سبقوهم
فاقر الله تعالي بهم اعينهم وقيل انهم من اخدمهم الله تعالي اياهم من اولاد غيرهم وقيل هم غلمان خلقوا في
الجنة قال الكلبي لا يكبرون ابدا كانهم في الحسن والبياض لولو مكنون في الصدف والمكنون المصون
وقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون قيل هم اولاد المشركين وهم خدم اهل الجنة وليس في الجنة
نصب ولا حاجة الي خدمة ولكنه اخبر بانهم علي نهاية التنعيم وعن عايشة رضي الله عنها ان نبي صلي الله عليه
وسلم قال ان ادني اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه الف كلهم لبيك لبيك وعن عبد الله

ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه وعن الحسن انهم قالوا يا رسول الله اذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدوم فقال بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين اصغر الكواكب قال الكسائي كننت الشيء سترته وصنته من الشمس واكننته في نفسي اسررته قال ابو زيد كننته واكننته بمعنى من في الكن وفي النفس جميعا يقول كننت العلم واكننته فهو مكنون ومكن وكننت الجارية واكننتها فهي مكنونة ومكنة قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عباس اذا بعثوا من قبورهم سال بعضهم بعضا وقيل في الجنة يتساءلون اي يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من البعث والخوف من العاقبة ويحمدون الله على زوال الحزن عنهم وقيل يقول بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي قال كل مسؤول منهم لسائله انا كنا قبل اي في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله فمن الله علينا بالجنة والمغفرة وقيل بالتوفيق والهداية ووقانا عذاب السموم قال الحسن اسم من اسماء النار وطبقة من طبقات جهنم وقيل هو النار كما يقول جهنم وقيل اي عذاب نار السموم والسموم الريح الحارة تؤنث يقال منه سم يومنا فهو مسموم والجمع سمائم قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس اكثر قال الراجز

اليوم يوم بارد سمومه • من جزع اليوم فلا تلومه

قوله تعالى انا كنا من قبل ندعوه انه اي في الدنيا بان يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا وقيل ندعوه اي نعبده انه هو البر الرحيم قرا نافع والكسائي انه بفتح الهمزة اي لانه الباقون بالكسر على الابتداء والبر اللطيف قاله ابن عباس وعنه ايضا الصادق فيما وعد وقاله ابن جريج قوله تعالى فذكر اي فذكر يا محمد قومك بالقرآن فما انت بنعمة ربك يعني برسالة ربك بكاهن تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي ولا مجنون وهذا رد لقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم فعقبة ابن ابي معيط قال انه مجنون وشيبة بن ربيعة قال ساحر وغيرهما قال كاهن فاكذبهم الله ورد عليهم ثم قيل ان معنى فما انت بنعمة ربك القسم اي ونعمة الله ما انت بكاهن ولا مجنون وقيل ليس قسما وانما هو كما تقول ما انت بحمد الله بجاهل اي قد براك الله من ذلك قوله تعالى ام يقولون شاعر اي بل يقولون محمد شاعر قال سيبويه خوطب العباد بما جرى في كلامهم قال ابو جعفر النحاس فهذا كلام حسن الا انه غير مبين ولا مشروح يريد سيبويه ان ام في كلام العرب لخروج من حديث الى حديث كما قال

اتهجر غانية ام تلم • فتم الكلام ثم خرج الى شيء آخر فقال • ام الحبل واه بها منجذم

فما جاء في كتاب الله من هذا فمعناه التقرير والتوبيخ والخروج من حديث الى حديث والنحويون يمثلونها ببل نتربص به ريب المنون قال قتادة قال ناس من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بني فلان قال الضحاك هما والابنو عبد الدار نسبوه الى انه شاعر اي يهلك عن قريب كما هلك من قبل من الشعراء وان اباه مات شابا فربما يموت كما مات ابوه وقال الاخفش نتربص به الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما تقول قصدت زيدا وقصدت الى زيد والمنون الموت في قول ابن عباس قال ابو الغول الطهوي

هم منعوا حمى الوقبى بضرب • يؤلف بين اشتات المنون

اي المنايا يقول ان الضرب يجمع بين قوم متفرقي الامكنة لو اتتهم مناياهم في امكنتهم لاتتهم متفرقة فاجتمعوا في موضع واحد فاتتهم المنايا مجتمعة وقال السدي عن ابي مالك عن ابن عباس ريب شك الا مكانا واحدا في الطور ريب المنون لعلها تطلق يوما او يموت حليلها وقال مجاهد ريب المنون حوادث الدهر والمنون هو الدهر قال ابو ذؤيب

امن المنون وريبه نتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقال الاعشى

ان رات رجلا اعشى اضر به • ريب المنون ودهر متبل خبل

قال الاصمعي المنون الليل والنهار وسميا بذلك لانهما ينقصان الاعمار ويقطعان الآجال وعنه انه قيل للدهر منون لانه يذهب بمنة الحيوان اي قوته وكذلك المنية وقال ابو عبيدة قيل للدهر منون لانه مضعف من قولهم حبل منين اي ضعيف والمنين الغبار الضعيف قال الفراء والمنون مؤنثة وتكون واحدا وجمعا وقال الاصمعي المنون واحد لا جماعة له وقال الاخفش هو جماعة لا واحد له والمنون تذكر وتؤنث فمن ذكره جعله الدهر او الموت ومن انث فعلى الحمل على المعنى كانه اراد المنية قوله تعالى قل تربصوا اي قل

فربما يموت كما مات ابوه

لهم يا محمد تربصوا اي انتظروا فاني معكم من المتربصين اي من المنتظرين بكم العذاب فعذبوا يوم بدر بالسيف ام تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا اي بالكذب عليك ام هم قوم طاغون اي ام طغوا بغير عقول وقيل ام بمعنى بل اي بل كفروا طغيانا وان ظهر لهم الحق وقيل لعمرو بن العاصي ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل فقال تلك عقول كادها الله اي لم يصحبها بالتوفيق وقيل احلامهم اي اذهانهم لان العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن وانما يعطى الكافر الذهن فصار عليه حجة والذهن يقبل العلم جملة والعقل يميز العلم ويقدر المقادير بحدود الامر والنهي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما اعقل فلانا النصراني فقال مه ان الكافر لا عقل له اما سمعت قول الله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفي حديث ابن عمر فزجره النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال مه ان العاقل من عمل بطاعة الله ذكره الترمذي الحكيم ابو عبد الله باسناده ام يقولون تقوله اي افتعله وافتراه يعني القرآن والتقول تكلف القول وانما يستعمل في الكذب في غالب الامر ويقال قولتني ما لم اقل واقولتني ما لم اقل اي ادعيته علي وتقول عليه اي كذب عليه واقتال عليه تحكم قال

ومنزلة في دار صدق وغبطة • وما اقتال من حكم علي طبيب

فام الاولى للانكار والثانية للايجاب اي ليس كما يقولون بل لا يؤمنون جحدا واستكبارا فليأتوا بحديث مثله اي بقرآن يشبهه من تلقاء انفسهم ان كانوا صادقين في ان محمدا افتراه وقرا الجحدري فليأتوا بحديث مثله بالاضافة والهاء في مثله للنبي صلى الله عليه وسلم واضيف الحديث الذي يراد به القرآن اليه لانه المبعوث به والهاء على قراءة الجماعة للقرآن قوله تعالى ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام صلة زائدة والتقدير اخلقوا من غير شيء قال ابن عباس من غير رب خلقهم وقدرهم وقيل من غير ام ولا اب فهم كالجماد لا يعقلون ولا يقوم لله عليهم حجة ليسوا كذلك اليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة قاله ابن عطا وقال ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا سدى من غير شيء اي لغير شيء فمن بمعنى اللام اي هم الخالقون اي ايقولون انهم خلقوا انفسهم فلا يأتمرون لامر الله وهم لا يقولون ذلك واذا اقروا ان ثم خالقا غيرهم فما الذي يمنعهم من الاقرار له بالعبودية دون الاصنام ومن الاقرار بانه قادر على البعث ام خلقوا السموات والارض اي ليس الامر كذلك فانهم لم يخلقوا شيئا بل لا يوقنون بالحق ام عندهم خزائن ربك اي ام عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن امر الله قال ابن عباس خزائن ربك المطر والرزق وقيل مفاتيح الرحمة وقال عكرمة النبوة اي افبايديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاؤوا وضرب المثل بالخزائن لان الخزانة بيت يهيأ لجمع انواع مختلفة من الذخائر ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية لها ام هم المصيطرون قال ابن عباس المسلطون الجبارون وعنه ايضا المبطلون وقاله الضحاك وعن ابن عباس ايضا اهم المتولون وقال عطا ام هم ارباب قاهرون قال عطا يقال تسيطرت علي اي اتخذتني خولا لك وقاله ابو عبيدة وفي الصحاح والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا ابن بحر ام هم المصيطرون اي هم الحفظة ماخوذ من تسطير الكتاب الذي يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هنا حافظ ما كتبه الله في اللوح المحفوظ وفيه ثلاث لغات الصاد وبها قرا العامة والسين وهي قراءة ابن محيصن وحميد ومجاهد وقنبل وهشام وابي حيوة وباشمام الصاد الزاي وهي قراءة حمزة كما تقدم في الصراط قوله تعالى ام لهم سلم اي ايدعون ان لهم مرتقى الى السماء ومصعدا وسببا يستمعون فيه اي عليه الاخبار ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد بطريق الوحي فليأت مستمعهم بسلطان مبين اي بحجة بينة ان هذا الذي هم عليه حق والسلم واحد السلاليم الذي يرتقى عليها وربما سمي الغرز بذلك قال ابو الربيس الثعلبي يصف ناقته

مطارة قلب ان ثنى الرجل ربها • بسلم غرز في مناخ تعاجله

وقال زهير

ومن هاب اسباب المنية يلقها • ولو رام اسباب السماء بسلم

وقال آخر

تجنيت لي ذنبا وما ان جنيته • لتتخذي عذرا الى الهجر سلما

وقال ابن مقبل في الجمع

لا تحرز المرء احجاء البلاد ولا • تبنى له في السموات السلاليم

الاحجاء النواحي

تفسير سورة والنجم

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا آية وهي قوله تعالى الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الاية وهي احدى وستون آية وقيل اثنان وستون وقيل ان السورة مدنية
والصحيح انها مكية لما روي ابن مسعود انه قال هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة وحكى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن
والانس وعن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم فسجد لها فما بقي احد من القوم الا
سجد فاخذ رجل من القوم كفا من حصا او تراب فرفعه الى وجهه وقال يكفيني هذا قال عبد الله
فلقد رايته بعد قتل كافرا متفق عليه الرجل يقال هو امية بن خلف وفي الصحيحين عن زيد بن ثابت
انه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم اذا هوى ولم يسجد وقد مضى في اخر الاعراف القول
في هذا والحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
والنجم اذا هوى قال ابن عباس ومجاهد ومعنى والنجم اذا هوى والثريا اذا سقطت مع الفجر والعرب
تسمي الثريا نجما وان كانت في العدد نجوما يقال انها سبعة انجم منها ستة ظاهرة وواحد خفي يمتحن
الناس به ابصارهم وفي الشفا للقاضي عياض ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر
نجما وعن مجاهد ايضا ان المعنى والقران اذا نزل لانه كان ينزل نجوما وقاله الفرا وعنه ايضا يعني
نجوم السماء كلها حين تغرب وهو قول الحسن قال اقسم الله بالنجم اذا غاب وليس يمتنع ان يعبر
عنها بلفظ واحد ومعناه جمع كقول الراعي

فباتت تعد النجم في مستحيرة ... سريع بايدي الاكلين جمودها

المستحير سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه وقال عمر ابن ابي ربيعة

احسن النجم في السماء الثريا ... والثريا في الارض زين النسا

وقال الحسن ايضا المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقال السدي ان النجم هاهنا الزهرة
لان قوما من العرب كانوا يعبدونها وقيل المراد به النجوم التي يرجم بها الشياطين وسببه ان الله
تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده فذعر اكثر العرب
منها وفزعوا الى كاهن كان لهم ضريرا كان يخبرهم بالحوادث فسالوه عنها فقال انظروا البروج الاثني
عشر فان انقض منها شي فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شي فسيحدث في الدنيا امر عظيم
فاستشعروا ذلك فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم الذي استشعروه فانزل
الله تعالى والنجم اذا هوى اي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت وقيل النجم هنا النبت
الذي له ساق وهوى اي سقط على الارض وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين والنجم يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السماء ليلة المعراج وعن عروة بن الزبير ان عتبة ابن ابي لهب
وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لاتين محمدا فلا اوذينه
فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه ورد
عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب
حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى
الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب
لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها
حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان

فمن يرجع العام الى اهله ... فما اكيل السبع بالراجع

واصل النجم الطلوع يقال نجم السن ونجم فلان ببلد كذا اي خرج على السلطان والهوي النزول
والسقوط يقال هوى يهوي هويا مثل مضى يمضي مضيا قال زهير

فشج بها الاماعز وهي تهوي ... هوي الدلو اسلمها الرشا

وقال اخر

بينما نحن بالبلاكث فالقاع ... سراعا والعيس تهوي هويا

تسمي الثريا نجما وان كانت في العدد نجوما

خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنا فما استطعت مضيا

وقال الاصمعي هوى بالفتح يهوي هويا اي سقط الى اسفل قال وكذلك الهوي في السير اذا مضى فيه وهوى
والهوي لغتان بمعنى وقد جمعهما الشاعر في قوله

ومنزلة لولاي طحت كما هوى ... باجرامه من قلة النيق منهوى

ويقال في الحب هوي بالكسر يهوي اي احب قوله تعالى **ما ضل صاحبكم وما غوى** هذا جواب
القسم اي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق وما حاد عنه وما غوى الغي ضد الرشد اي ما صار غاويا
وقيل اي ما تكلم بالباطل وقيل اي ما خاب مما طلب والغي الخيبة قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

اي من خاب في طلبه لامه الناس ثم يجوز ان يكون هذا اخبارا عما بعد الوحي ويكون ان يكون اخبارا عن
احواله على التعميم اي كان ابدا الله موحدا وهو الصحيح على ما بيناه في الشورى عند قوله ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان قوله تعالى **وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى** فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى وما ينطق عن الهوى قال قتادة وما ينطق بالقران عن هواه ان هو الا وحي يوحى اليه وقيل عن
الهوى اي بالهوى قاله ابو عبيدة كقوله تعالى فاسال به خبيرا اي فاسال عنه قال النحاس قول قتادة
اولى وتكون عن على بابها اي ما يخرج نطقه عن رايه انما هو بوحي من الله عز وجل لان بعده ان هو الا وحي
يوحى الثانية قد يحتج بهذه الاية من لا يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الحوادث وفيها ايضا
دلالة على ان السنة كالوحي المنزل في العمل وقد تقدم في مقدمة الكتاب حديث المقدام بن معدي في
ذلك قال السجستاني ان شئت ابدلت ان هو الا وحي يوحى من ما ضل صاحبكم قال ابن الانباري وهذا
غلط لان ان الخفيفة لا تكون مبدلة من ما الدليل على هذا انك لا تقول والله ما قمت ان انا لقاعد قوله
تعالى **علمه شديد القوى** يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين سوى الحسن
فانه قال هو الله عز وجل ويكون قوله ذو مرة على قول الحسن تمام الكلام ومعناه ذو القوة من صفات
الله تعالى واصله من شدة فتل الحبل كانه استمر به الفتل حتى بلغ الى غاية يصعب معها الحل ثم قال
فاستوى يعني الله عز وجل اي استوى على العرش روي معناه عن الحسن وقال الربيع بن انس والفرا فاستوى
وهو بالافق الاعلى اي استوى جبريل ومحمد عليهما السلام وهذا على العطف على المضمر المرفوع بهو واكثر
العرب اذا ارادوا العطف في مثل هذا الموضع اظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان
وقلما يقولون استوى وفلان وانشد الفرا

الم تر ان النبع يصلب عوده ... ولا يستوي والخروع المتقصف

اي لا يستوي هو والخروع ونظيره اذا كنا
ترابا واباؤنا والمعنى اذا كنا ترابا نحن واباؤنا ومعنى الاية استوى جبريل هو ومحمد ليلة الاسرى بالافق الا
على واجاز العطف على المضمر لئلا يتكرر وانكر ذلك الزجاج الا في ضرورة الشعر وقيل المعنى فاستوى
جبريل بالافق الاعلى وهو اجود واذا كان المستوي جبريل فمعنى ذو مرة في وصفه ذو منطق حسن قاله
ابن عباس وقال قتادة ذو خلق طويل حسن وقيل معناه ذو صحة جسم وسلامة من الافات ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقال امرؤ القيس

وكنت فيهم ابدا ذا حيلة ... محكم المرة مامون العقد

وقد قيل ذو مرة ذو قوة وقال الكلبي وكانت شدة جبريل عليه السلام انه اقتلع مداين قوم لوط
من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكهم
ثم قلبها وكان من شدته ايضا انه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه
بجناحه نفحة القاه باقصى جبل بالهند وكان من شدته صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فاصبحوا جاثمين
خامدين وكانت شدته هبوطه من السماء على الانبياء وصعوده اليها في اسرع من الطرف وقال قطرب تقول
العرب لكل جزيل الراي حصيف العقل ذو مرة قال الشاعر

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة ... عندي لكل مخاصم ميزانه

وكانت جزالة رايه وحصافة عقله ان الله ائتمنه على وحيه الى جميع رسله قال الجوهري والمرة احد الطبائع
الاربع والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مرير اي قوي ذو مرة قال

مثل الارجي واحدها اجي ورجي مقصود ويروي اعني البلاد والاعنا ايضا الجوانب والنواحي واحدها
عنو بالكسر وقال ابن الاعرابي واحدها مقصور عني مقصور وجانا اعني من الناس واحدهم عنو بالكسر
وهم قوم من قبايل شتي يستمعون فيه وقال الزجاج اي الهم جبريل الذي ياتي النبي صلى الله عليه وسلم
بالوحي **قوله تعالى** امر له البنات ولكم البنون سفه احلامهم توبيخا لهم وتقريعا اي اتضيفون
الى الله البنات مع انفتكم منهم ومن كان عقله هذا فلا يستبعد منه انكار البعث امر تسالهم اجرا اي
على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون اي فهم من المغرم الذي يطلبهم به مثقلون مجهودون
لما كلفتهم به ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي يكتبون للناس ما اراده من علم الغيوب وقيل اي ام عندهم
علم ما غاب عن الناس حتى علموا انما اخبرهم به الرسول من امر القيامة والجنة والنار والبعث باطل
وقال قتادة لما قالوا نتربص به ريب المنون قال الله تعالى ام عندهم الغيب حتى علموا متى يموت
محمد او الى ما يؤول اليه امره وقال ابن عباس ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون
الناس فيه وقال القتبي يكتبون يحكمون والكتاب الحكم ومنه قوله تعالى كتب ربكم اي حكم وقوله عليه
السلام والذي نفسي بيده لاحكمن بينكم بكتاب الله اي بحكم الله **قوله تعالى** ام يريدون
كيدا اي مكرا بك في دار الندوة والذين كفروا هم المكيدون اي الممكورون بهم ولا يحيق المكر السيء
الا باهله وذلك انهم قتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يخلق ويرزق ويمنع سبحان الله نزه نفسه عن
ان يكون له شريك قال الخليل كل ما في سورة والطور من ذكر ام فكلمة استفهام وليس بعطف
قوله تعالى وان يروا كسفا من السما ساقطا قال ذلك جوابا لقولهم فاسقط علينا كسفا من
السماء وقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فاعلم انه لو جعل ذلك لقالوا سحاب مركوم اي بعضه
فوق بعض سقط علينا وليس سما وهذا فعل المعاند او فعل من استولى عليه التقليد وكان في المشركين
القسمان والكسف جمع كسفة وهي القطعة من الشي يقال اعطني كسفة من ثوبك ويقال في جمعها
ايضا كسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله واحدا ومن
قرا كسفا جعله جمعا وقد تقدم القول في هذا في سبحان وغيرها **قوله تعالى** فذرهم منسوخ
باية السيف حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون بفتح اليا قراة العامة وقرا ابن عامر وعاصم بضمها
قال الفرا هما لغتان صعق وصعق مثل سعد وسعد قال قتادة يوم يموتون وقيل هو يوم بدر وقيل عند
النفخة الاولى وقيل يوم القيامة ياتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم وقيل يصعقون بضم اليا
من اصعقه الله **قوله تعالى** يوم لا يغني عنهم كيدهم شيا اي ما كادوا به النبي صلعم في
الدنيا ولا هم ينصرون من الله وهو منصوب على البدل من يومهم الذي فيه يصعقون **قوله تعالى**
وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك قيل قبل موتهم قال ابن زيد مصايب الدنيا من الاوجاع
والاسقام والبلايا وذهاب الاموال والاولاد وقال مجاهد هو الجوع والجهد سبع سنين وقال
ابن عباس هو القتل وعنه عذاب القبر وقال البرا ابن عازب وعلي رض فدون بمعنى غير وقيل عذابا اخف
من عذاب الاخرة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم وقيل ولكن اكثرهم لا يعلمون ما يصيرون
اليه **قوله تعالى** واصبر لحكم ربك فانك باعيننا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى واصبر
لحكم ربك قيل لقضا ربك فيما حملك من رسالته وقيل لبلائه فيما ابتلاك به من قومك ثم نسخ باية
السيف الثانية قوله تعالى فانك باعيننا اي بمراي ومنظر منا نري ونسمع ما تقول وتفعل وقيل بحيث
نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك والمعني قوله تعالى لموسي ولتصنع على عيني اي بحفظي
وحراستي وقد تقدم **قوله تعالى** وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار
النجوم فيه مسالتان الاولى قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم اختلف في تاويل حين تقوم فقال عوف
بن مالك وابن مسعود وعطا وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابو الاحوص يسبح الله حين يقوم
من مجلسه فيقول سبحان الله وبحمده او سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت ثنا حسنا
وان كان غير ذلك كان كفارة له ودليل هذا التاويل ما خرجه الترمذي الحكيم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم
وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك قال

سحاب مركوم اي بعضه فوق بعض

حديث

حديث حسن صحيح غريب وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع المعني حين تقوم الى الصلاة قال الضحاك
يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا قال الكيا الطبري وهذا فيه بعد فان
قوله حين تقوم لا يدل على التسبيح بعد التكبير فان التكبير هو الذي يكون بعد القيام والتسبيح يكون
وراء ذلك فدل ان المراد به حين يقوم من كل مكان كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وقال ابو الجوزاء
وحسان بن عطية المعني حين تقوم من منامك قال حسان ليكون مفتتحا لعمله بذكر الله وقال الكلبي واذكر
الله باللسان حين تقوم من فراشك الى ان تدخل الصلاة وهي صلاة الفجر وفي هذا روايات مختلفة صحاح
منها حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم
قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضا قبلت صلاته وخرجه البخاري تعار الرجل من الليل اذا
هب من نومه مع صوت ومنه عار الظليم يعار عرارا وهو صوته وبعضهم يقول عر الظليم يعر عرارا
كما قالوا زمر النعام يزمر زمارا وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام الى الصلاة
من جوف الليل اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت قيام السموات
والارض ومن فيهن ولك الحمد انت رب السموات والارض ومن فيهن انت الحق ووعدك الحق وقولك
الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك اسلمت وعليك
توكلت وبك امنت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت واخرت واسررت
واعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك متفق عليه وعن ابن عباس ايضا انه عليه
السلام كان اذا استيقظ من الليل مسح النوم عن وجهه ثم قرا العشر الايات الاواخر من سورة ال
عمران وقال زيد بن اسلم المعني حين تقوم من نوم القايلة لصلاة الظهر قال ابن العربي اما نوم القايلة
فليس فيه اثر وهو ملحق بنوم الليل وقال الضحاك انه التسبيح في الصلاة اذا قام اليها وقال الماوردي
وفي هذا التسبيح قولان احدهما وهو قوله سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الاعلى في السجود
الثاني انه التوجه في الصلاة يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
قال ابن العربي من قال انه التسبيح للصلاة فهو افضله والاثار في ذلك كثيرة اعظمها ما ثبت عن علي بن
ابي طالب رض عن النبي عليه السلام انه كان اذا قام الى الصلاة قال وجهت وجهي الحديث وقد ذكرناه وغيره في اخر
سورة الانعام وفي البخاري عن ابي بكر الصديق قال قلت يا رسول الله علمني دعا ادعو به في صلاتي فقال
قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي من عندك مغفرة وارحمني انك
انت الغفور الرحيم الثانية قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم تقدم في ق مستوفى عند قوله ومن
الليل فسبحه وادبار السجود واما ادبار النجوم فقال علي وابن عباس وجابر وانس هي يعني ركعتي الفجر فحمل
بعض العلما الاية على هذا القول على الندب وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس وعن الضحاك وابن زيد
ان قوله وادبار النجوم يريد به صلاة الصبح وهو اختيار الطبري وعن ابن عباس انه التسبيح في ادبار
الصلوات وبكسر الهمزة في ادبار النجوم قرا القرا السبعة على المصدر حسب ما بيناه في ق وقرا
سالم بن ابي الجعد ومحمد بن السميفع وادبار بالفتح ومثله روي عن يعقوب وسلام وايوب
وهو جمع دبر ودبر ودبر الامر ودبره اخره وروي الترمذي من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب
عن ابيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود الركعتين بعد
المغرب قال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين
وسالت محمد بن اسماعيل عن محمد ورشدين بن كريب ايهما اوثق فقال ما اقربهما ومحمد عندي
ارجح قال وسالت عبد الله بن عبد الرحمن عن هذا فقال ما اقربهما ورشدين بن كريب ارجحهما عندي
قال الترمذي والقول عندي ما قال ابو محمد ورشدين ارجح من محمد واقدم وقد ادرك رشدين ابن
عباس وراه وفي صحيح مسلم عن عايشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شي من النوافل اشد معاهدة
منه على ركعتين قبل الصبح وعنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما
فيها

ختمت السورة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحي الله اليه ان الجنة حرام علي الانبياء حتي تدخلها انت يا
محمد وعلي الامم حتي تدخلها امتك **قوله تعالى ماكذب الفواد ماراي** اي لم يكذب قلب محمد
ليلة المعراج وذلك ان الله تعالي جعل بصره في فواده حتي راي ربه تعالي وجعل الله تلك روية وقيل كانت
روية حقيقة بالبصر والاول مروي عن ابن عباس في صحيح مسلم انه راه بقلبه وهو قول ابي ذر وجماعة
من الصحابة والثاني قول انس وجماعة وروي عن ابن عباس ايضا فانه قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم
والكلام لموسي والروية لمحمد صلي الله عليه وسلم اجمعين وعن ابن عباس ايضا اما نحن بنو هاشم فنقول
ان محمدا راي ربه مرتين وقد مضي القول في هذا في الانعام عند قوله تعالي لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وروي محمد بن كعب قال قالوا يا رسول الله رايت ربك قال رايته بفوادي مرتين ثم قرا ماكذب
الفواد ماراي وقول ثالث انه راي جلالته وعظمته قاله الحسن وروي ابو العالية قال سيل رسول الله صلي
الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نورا اراني اراه المعني غلبني من النور وبهرني منه ما منعني من
رويته ودل علي هذا الرواية الاخري وقال ابن مسعود راي جبريل علي صورته مرتين وقرا هشام عن
ابن عامر واهل الشام ماكذب بالتشديد اي ما كذب قلب محمد ماراي بعينه تلك الليلة بل صدقه فما
مفعوله بغير حرف منقد لانه يتعدي مشددا بغير حرف ويجوز ان يكون ما بمعني الذي والعايد محذوف
ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا الباقون مخففا اي ما كذب الفواد فواد محمد فيما راي فاسقط حرف
الصفة قال حسان

لو كنت صادقة الذي حدثتني ... لنجوت منجا الحارث بن هشام

اي في الذي حدثتني ويجوز ان مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون بمعني الذي اي ما كذب فواد محمد الذي
راي **قوله تعالى افتمارونه علي مايري** بفتح التاء من غير الف علي معني افتجحدونه واختاره ابو
عبيد لانه قال لم يماروه وانما جحدوه يقال مراه حقه اي جحده ومريته انا قال الشاعر

لين هجوت اخا صدق ومكرمة ... لقد مريت اخا ما كان يمريكا

اي جحدته وقال المبرد يقال امراه عن حقه وعلي حقه اذا امنعه منه او دفعه قال ومثل علي بمعني عن قول
ابي كعب بن ربيعة عليك اي عنك وقرا الاعرج ومجاهد افتمرونه بضم التاء من غير الف من امريت
اي يريبونه ويشككونه الباقون افتمارونه بالالف اي افتجادلونه وتدافعونه في انه راي الله والمعنيان
متداخلان لان مجادلتهم جحدا وقيل ان الجحود كان دايما منهم وهذا جدال جديد قالوا صف لنا بيت
المقدس واخبرنا عن عيرنا التي في طريق الشام علي ما تقدم **قوله تعالى ولقد راه نزلة اخري**
نزلة مصدر في موضع الحال كانه قال ولقد راه نازلا نزلة اخري قال ابن عباس راي محمد ربه مرة اخري
بقلبه روي مسلم عن ابي العالية عنه ماكذب الفواد ماراي ولقد راه نزلة اخري قال راه بفواده مرتين
فقوله نزلة اخري تعود الي محمد صلي الله عليه وسلم فانه كان له صعود ونزول مرارا بحسب اعداد الصلاة
المفروضة فلكل عرجة نزلة وعلي هذا قوله عند سدرة المنتهي اي ومحمد عند سدرة المنتهي وفي بعض
تلك النزلات وقال ابن مسعود وابو هريرة في تفسير قوله تعالي ولقد راه نزلة اخري انه جبريل
ثبت هذا ايضا في صحيح مسلم وقال النبي صلي الله عليه وسلم رايت جبريل بالافق الاعلي له ستمايه جناح
يتناثر من ريشه الدر والياقوت ذكره المهدوي **قوله تعالى عند سدرة المنتهى** عند من صلة
راه علي ما بينا والسدر شجر النبق وهي في السما السادسة وجا في السابعة والحديث بهذا في صحيح
مسلم الاول رواه مرة عن عبد الله قال لما اسري برسول الله صلي الله عليه وسلم انتهي به الي سدرة
المنتهي وهي في السما السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها اذ يغشي السدرة ما يغشي
قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيا الحديث الثاني رواه قتادة عن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال لما رفعت الي سدرة المنتهي في السما السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة يخرج
من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت يا جبريل ما هذا قال اما الباطنان ففي الجنة واما
الظاهران فالنيل والفرات لفظ الدارقطني والنبق بكسر الباء ثمر السدر الواحدة نبقة ويقال نبق بفتح
النون وسكون الباء ذكرهما يعقوب في الاصلاح وهي لغة البصريين والاولي افصح وهي التي ثبتت عن النبي
صلي الله عليه وسلم وروي الترمذي عن اسما بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم

ينزل

قال رايته بفوادي مرتين

قال ابن مسعود ٤

يقول وذكر له سدرة المنتهي قال يسير الراكب في ظل الفنن منها مايه سنة او يستظل بظلها مايه راكب شك
يحيي فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال قال ابو عيسي هذا حديث حسن صحيح قلت وكذا لفظ مسلم من
حديث ثابت عن انس ثم ذهب الي سدرة المنتهي واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها
من امر الله ما غشي فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها واختلف لم سميت السدرة المنتهي
علي اقوال ثمانية الاول ما تقدم عن ابن مسعود انه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها الثاني
انه ينتهي منها علم الانبيا اليها ويعزب علمهم عما وراءها قاله ابن عباس الثالث لان الاعمال تنتهي
اليها وتقبض منها قاله الضحاك الرابع لانتها الملايكة والانبياء اليها ووقوفهم عندها قاله كعب الخامس
سميت سدرة المنتهي لانها ينتهي اليها ارواح الشهدا قاله الربيع ابن انس السادس ياوي اليها
ارواح المومنين قاله قتادة السابع لانه ينتهي اليها كل من كان علي سنة رسول الله صلي الله عليه
وسلم ومنهاجه قاله علي رضي الله عنه والربيع بن انس ايضا الثامن هي شجرة علي روس حملة العرش اليها
ينتهي علم الخلايق قاله كعب ايضا قلت يريد والله اعلم ان ارتفاعها واعالي اغصانها قد جاوزت روس حملة
العرش دليله ما تقدم ان اصلها في السما السادسة واعلاها في السما السابعة ثم علت فوق ذلك حتي
جاوزت روس حملة العرش والله اعلم التاسع سميت بذلك لان من رفع اليها فقد انتهي في الكرامة وعن
ابي هريرة لما اسري برسول الله صلي الله عليه وسلم انتهي به الي السدرة فقيل له هذه سدرة المنتهي
ينتهي اليها كل احد خلا من امتك علي سنتك فاذا هي شجرة يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفي واذا هي شجرة يسير الراكب المسرع في
ظلها مايه عام لا يقطعها والورقة منها تغطي الامة كلها ذكره الثعلبي **قوله تعالى عندها
جنة الماوى** تعريف لموضع جنة الماوي انها عند سدرة المنتهي قراءة علي وابو هريرة وانس وابو سبرة الجهني
وعبد الله بن الزبير ومجاهد عندها جنة الماوي يعني جنة المبيت قال مجاهد يريد اجنة وانها للنبي
صلي الله عليه وسلم وقال الاخفش ادركه كما تقول جنة الليل ادركه وستره وقراءة العامة جنة الماوي
قال الحسن هي التي يصير اليها المتقون وقيل انها جنة يصير اليها ارواح الشهدا قاله ابن عباس وهي عن يمين
العرش وقيل هي الجنة التي اوي اليها ادم عليه السلام الي ان اخرج وهي في السما الرابعة وقيل ان ارواح
المومنين كلهم في جنة الماوي وانما قيل لها جنة الماوي لانها تاوي اليها ارواح المومنين وهي تحت
العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها وقيل لان جبريل وميكايل ياويان اليها فالله اعلم
قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن عباس والضحاك وابن مسعود واصحابه فراش
من ذهب ورواه مرفوعا ابن مسعود وابن عباس الي النبي صلي الله عليه وسلم وقد تقدم في صحيح مسلم عن
ابن مسعود قوله وقال الحسن غشيها نور رب العالمين فاستنارت قال القشيري وسيل رسول الله صلي
الله عليه وسلم ما غشيها قال فراش من ذهب وفي خبر اخر غشيها نور من الله حتي ما يستطيع احد ان ينظر
اليها وقال الربيع بن انس غشيها نور رب العالمين الرب والملايكة تقع عليها كما يقع الغربان علي الشجرة
وعن النبي صلي الله عليه وسلم قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت علي كل ورقة ملكا
قايما يسبح الله وذلك قوله اذ يغشي السدرة ما يغشي ذكره المهدوي والثعلبي وقال انس بن مالك اذ يغشي
السدرة ما يغشي قال جراد من ذهب وقد رواه مرفوعا وقال مجاهد انه رفرف اخضر وعنه عليه السلام
يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن عباس غشيها رب العزة اي امره كما في صحيح مسلم مرفوعا فلما غشيها
من امر الله ما غشي وقيل هو تعظيم الامر كانه قال اذ يغشي السدرة ما اعلم الله به من دلايل ملكوته
وهكذا قوله فاوحي الي عبده ما اوحي وقوله والموتفكة اهوي فغشاها ما غشي ومثله الحاقة ما الحاقة
قوله تعالى مازاغ البصر وما طغى قال ابن عباس ما عدل يمينا ولا شمالا ولا تجاوز الحد الذي
راي وقيل ما جاوز ما امر به وقيل لم يمد بصره الي غير ما راي من الايات وهذا وصف اداب النبي
صلي الله عليه وسلم في ذلك المقام اذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا وقال الماوردي في معاني القران
له فان قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قيل لان السدرة تختص بثلاثة
اوصاف ظل مديد وطعام لذيذ ورايحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها
من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورايحتها بمنزلة القول لظهوره وروي

سدرة المنتهى

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وحشوثيابه اسد مزير

وقال لقيط

حتى استمرت على شزر مريرته ... من العزيمة لا رثا ولا ضرعا

وقال مجاهد وقتاده

ذو مرة ذو قوة ومنه قول خفاف بن ندبة ... اني امرؤ ذو مرة فاستبقني

فيما ينوب من الخطوب صليب

فالقوة تكون من صفة الله عز وجل ومن صفة المخلوق فاستوى يعني جبريل عليه السلام على ما بينا اي ارتفع وعلا الى مكانه في السما بعد ان علم محمدا صلى الله عليه وسلم قاله سعيد بن المسيب وابن جبير وقيل فاستوى اي قام في صورته التي خلقه الله عليها لانه كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما ياتي الى الانبيا فساله النبي صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التي جبله الله عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما في الارض ففي الافق الاعلى وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض الى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فلما افاق النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما ظننت ان الله خلق احدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما نشرت جناحين من اجنحتي وان لي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب فقال ان هذا العظيم فقال وما انا في جنب ما خلق الله الا يسيرا ولقد خلق الله اسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع اجنحتي وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله حتى يكون بقدر الوصع يعني العصفور الصغير دليله قوله ولقد راه بالافق المبين فاما في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبيا على تلك الصورة الا نبي الله صلى الله عليه وسلم وقول ثالث ان معنى فاستوى اي استوى القران في صدره وفيه على هذا وجهان احدهما في صدر جبريل حين نزل به عليه السلام الثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه وقول رابع ان معنى فاستوى فاعتدل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفيه على هذا وجهان احدهما فاعتدل في قوته الثاني في رسالته ذكرهما الماوردي قال الشيخ المؤلف رحمه الله وعلى الاول يكون تمام الكلام ذو مرة وعلى الثاني شديد القوى وقول خامس ان معناه فارتفع وفيه على هذا وجهان احدهما انه جبريل ارتفع الى مكانه على ما ذكرنا انفا الثاني انه النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع بالمعراج وقول سادس يعني الله عز وجل اي استوى على العرش على قول الحسن وقد مضى القول فيه في الاعراف **قوله تعالى** وهو بالافق الاعلى جملة في موضع الحال والمعنى فاستوى عاليا اي استوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يراه عليها حتى ساله اياها على ما ذكرنا والافق ناحية السماء وجمعه آفاق وقال قتادة هو الموضع الذي تاتي منه الشمس وكذا قال سفيان هو الموضع الذي تطلع منه الشمس ونحوه عن مجاهد ويقال افق وافق مثل عسر وعسر وقد مضى في حم السجدة وفرس افق بالضم اي رايع وكذلك الانثى قال الشاعر

ارجل لمتي واجر ذيلي ... وتحمل شكتي افق كميت

وقيل وهو اي والنبي صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى يعني ليلة الاسرى وهذا ضعيف لانه يقال استوى هو وفلان ولا يقال استوى وفلان الا في ضرورة الشعر والصحيح استوى جبريل عليه السلام وجبريل بالافق الاعلى على صورته الاصلية لانه كان يتمثل للنبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل بالوحي في صورة رجل فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراه على صفته الحقيقية فاستوى في افق المشرق فملا الافق **قوله تعالى** ثم دنا فتدلى اي دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي المعنى انه لما راى النبي صلى الله عليه وسلم من عظمته ما راى وهاله ذلك رده الله الى صورة ادمي حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الله الى جبريل وكان جبريل قاب قوسين او ادنى قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم وعن ابن عباس ايضا في قوله ثم دنا فتدلى ان معناه ان الله تعالى دنى من محمد عليه السلام وروي نحوه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى دنى منه امره وحكمه واصل التدلي النزول الى الشيء حتى يقرب منه فوضع موضع القرب قال لبيد

فتدليت عليه قافلا ... وعلى الارض غيابات الطفل

وذهب الفرا الى ان الفا في فتدلى بمعنى الواو والتقدير ثم تدلى جبريل عليه السلام ودنى ولكنه جائز اذا كان معنى الفعلين واحدا او كالواحد قدمت ايهما شئت فقلت فدنى فقرب وقرب فدنى وشتمني فاساواسا

فاحب رسول الله ان يراه على صفته الحقيقية

فشتمني لان الشتم والاساة شيء واحد وكذلك قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر المعنى والله اعلم انشق القمر واقتربت الساعة وقال الجرجاني في الكلام تقديم وتاخير اي تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو وقال ابن الانباري ثم تدلى جبريل اي نزل من السما فدنا من محمد وقال ابن عباس تدلى الرفرف لمحمد عليه السلام ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه وسيأتي ومن قال المعنى فاستوى جبريل ومحمد بالافق الاعلى قد يقول ثم دنى محمد من ربه دنو كرامة فتدلى اي هوى للسجود وهذا قول الضحاك قال القشيري وقيل على هذا تدلى تدلل مثل تظنى بمعنى تظنن وهذا بعيد لان الدلال غير مرضي في صفة العبودية **قوله تعالى** وكان قاب قوسين او ادنى اي كان محمد من ربه او من جبريل قاب قوسين اي قدر قوسين عربيتين قاله ابن عباس وعطا والفرا الزمخشري فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذف هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله

وقد جعلتني من حزيمة اصبعا

اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون وفي الصحاح وتقول بينهما قاب قوسين وقيب قوس وقاد قوس وقيد قوس وقدر قوس وقد قرا زيد بن علي قاد وقرى قيد وقدر ذكره الزمخشري والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قابان وقال بعضهم في قوله تعالى قاب قوسين اراد قابي قوس فقلبه وفي الحديث ولقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وفي الصحيح عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ولقاب قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف في القاب والله اعلم قال القاضي عياض اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى السما على احد الوجوه نزول واجمال وقبول واحسان قال القاضي وقوله فكان قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراق على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والرتبة من الله ويتاول فيه ما يتاول في قوله عليه السلام من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول وقد قيل ثم دنا جبريل من ربه فكان قاب قوسين او ادنى قاله مجاهد يدل عليه ما روي في الحديث ان اقرب الملايكة من الله جبريل عليه السلام وقيل او بمعنى الواو اي قاب قوسين وادنى وقيل بمعنى بل اي بل ادنى وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فاخبر ان جبريل قرب من محمد كقرب قاب قوسين وقال سعيد بن جبير وعطا وابو اسحاق الهمداني وابو وايل شقيق بن سلمة فكان قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شي وهي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة ازد شنوءة ايضا وقال الكسائي في قوله فكان قاب قوسين او ادنى اراد قوسا واحدا كقول الشاعر

ومهمهين قذفين مرتين ... قطعتهما بالسمت لا بالسمتين

اراد مهمها واحدا والقوس تذكر وتونث فمن انث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس وفي المثل هو من خير قويس سهما والجمع قسي واقواس وقياس وانشد ابو عبيدة

ووتر الاساور القياسا

والقوس ايضا بقية التمر في الجلة اي الوعا والقوس برج في السما فاما القوس بالضم فصومعة الراهب قال الشاعر

وذكرها مراة لا ستفتنني ... وذا المسيح في القوس

قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحي اليه وتقدم معنى الوحي وهو القا الشي بسرعة ومنه الوحا الوحا والمعنى فاوحى الله تعالى الى عبده محمد ما اوحى وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما اوحى وقيل المعنى فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما اوحى اليه ربه قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة قال قتادة اوحى الله الى جبريل واوحى جبريل الى محمد ثم قيل هذا الوحي هل هو مبهم لا نطلع نحن عليه وتعبدنا بالايمان به على الجملة او هو معلوم مفسر فيه قولان وبالثاني قال سعيد بن جبير قال اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم الم يجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك

يقول ضازي وضوزي بالهمز وحكي ابو حاتم عن ابي زيد انه سمع العرب تهمز ضيزى قال غيره وبها قرا ابن
كثير جعله مصدرا مثل ذكرى وليس بصفة اذ ليس في الصفات فعلى ولا يكون اصلها فعلى اذ ليس
فيها ما يوجب القلب وهي من قولهم ضازته اي ظلمته والمعنى قسمة ذات ظلم وقد قيل هما لغتان بمعنى
وحكي فيها ايضا سواها ضيزى وضازي وضوزي وقال المؤرخ كرهوا ضم الضاد في ضيزى وخافوا انقلاب
الياء واوا وهي من بنات الواو فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا في جمع ابيض بيض والاصل بوض مثل
حمر وصفر وخضر فاما من قال ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل شورى قوله تعالى ان هي الا اسماء
سميتموها اي ما هي يعني هذه الاوثان الا اسماء سميتموها يعني نحتموها وسميتموها الهة انتم واباؤكم اي قلدتموهم
في ذلك ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل بها حجة ولا برهانا ان يتبعون الا الظن عاد من الخطاب
الى الخبر اي ما يتبع هؤلاء الا الظن وما تهوى الانفس اي تميل اليه وقراءة العامة يتبعون بالياء وقرا عيسى
بن عمر وايوب وابن السميقع يتبعون بالياء على الخطاب وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ولقد جاءهم من
ربهم الهدى اي البيان من جهة الرسول انها ليست بالهة ام للانسان ما تمنى اي اشتهى اي ليس ذلك له
وقيل ام للانسان ما تمنى من البنين ان يكون له دون البنات وقيل ام للانسان ما تمنى من غير جزاء ليس
الامر كذلك وقيل ام للانسان ما تمنى من البنوة ان يكون فيه دون غيره وقيل ام للانسان ما تمنى
من شفاعة الاصنام نزلت في النضر بن الحارث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في سائر الكفار فلله الاخرة
والاولى يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا ما يتمنى احد قوله تعالى وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة
والاصنام وزعم ان ذلك يقربه الى الله فاعلم ان الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع
الا لمن اذن ان يشفع له قال الاخفش الملك موحد ومعناه جمع وهو كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين
وقيل انما ذكر ملكا واحدا لان كم تدل على الجمع قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة
هم الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله والاصنام بنات الله ليسمون الملائكة تسمية الانثى اي يعتقدون
ان الملائكة اناث وانهم بنات الله وما لهم بذلك من علم اي انهم لم يشاهدوا خلقة الملائكة ولم يسمعوا
ما قالوه من رسول ولم يروه في كتاب ان يتبعون اي ما يتبعون الا الظن في ان الملائكة اناث وان
الظن لا يغني من الحق شيئا قوله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القران والايمان وهذا
منسوخ باية السيف ولم يرد الا الحياة الدنيا نزلت في النضر وقيل في الوليد ذلك مبلغهم من العلم اي
انما يبصرون امر دنياهم ويجهلون امر دينهم قال الفرا صغرهم وازدرى بهم اي ذلك قدر عقولهم
ونهاية علمهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل ان جعلوا الملائكة والاصنام بنات الله ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله اي حاد عن دينه وهو اعلم بمن اهتدى فيجازي كلا باعمالهم قوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا اللام متعلقة بالمعنى الذي دل عليه ولله ما
في السموات وما في الارض كانه قال هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن باحسانه والمسيء
باساءته وقيل ولله ما في السموات وما في الارض معترض في الكلام والمعنى ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ليجزي وقيل هي لام العاقبة اي ولله ما في السموات وما في الارض اي
وعاقبة امر الخلق ان يكون فيهم مسيء ومحسن فللمسيء السوءى وهي جهنم وللمحسن الحسنى وهي الجنة
قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فيه ثلاث مسائل المسالة الاولى
قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش هذا نعت للمحسنين اي هم لا يرتكبون كبائر الاثم وهو الشرك
لانه اكبر الاثام وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي كبير الاثم على التوحيد وفسره ابن عباس بالشرك
والزنا وقال مقاتل كبائر الاثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقد مضى في النساء القول في هذا
ثم استثنى استثناء منقطعا وهي الثانية فقال الا اللمم وهي الصغائر الذي لا يسلم من الوقوع فيها الا من
عصمه الله وحفظه وقد اختلف في معناه فقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي اللمم كل ما دون الزنا
وذكر مقاتل بن سليمان ان هذه الاية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار كان له حانوت يبيع فيه تمرا
فجاءته امراة تشتري منه تمرا فقال لها ان داخل الدكان ما هو خير من هذا فلما دخلت راودها فابت
وانصرفت فندم نبهان فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما من شيء يصنعه الرجل

لام العاقبة

الاوند فعلته الا الجماع فقال لعل زوجها غاز فنزلت هذه الاية وقد مضى في اخر هود وكذا قال ابن مسعود
وابو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق وعن عبد الله بن مسعود قال زنا العينين النظر وزنا اليدين
وزنا الرجلين المشي وانما يصدق ذلك او يكذبه الفرج فان تقدم كان زنا وان تاخر كان لمما وفي صحيح
البخاري ومسلم عن ابن عباس قال لم ار شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق
والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه والمعنى ان الفاحشة العظيمة والزنا التام
الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الاخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الاثم والله اعلم وفي رواية ابي
صالح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك
لا محالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها
البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه خرجه مسلم وقد ذكر
الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الاذن واليد والرجل وزاد فيه بعد العينين واللسان
وزنا الشفتين القبلة فهذا قول وقال ابن عباس ايضا هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب قال الم تسمع النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقول ان تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما
رواه عمرو بن دينار عن عطا عن ابن عباس قال النحاس هذا اصح ما قيل فيه واجلها اسنادا وروى شعبة
عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل الا اللمم قال هو ان يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده
قال الشاعر
ان تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألما
وكذلك قال مجاهد والحسن هو الذي ياتي الذنب ثم لا يعاوده ونحوه عن الزهري قال اللمم ان يزني
ثم يتوب فلا يعود وان يسرق او يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود ودليل هذا التاويل قوله تعالى والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الاية ثم قال اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم فضمن لهم المغفرة كما قال عقيب اللمم ان ربك واسع المغفرة فعلى هذا التاويل يكون الا اللمم
استثناء متصلا قال عبد الله بن عمرو بن العاصي اللمم ما دون الشرك وقيل اللمم الذنب بين الحدين
وهو ما لم يات عليه حد في الدنيا ولا توعد عليه بعذاب في الاخرة تكفره الصلوات الخمس قاله ابن زيد
وعكرمة والضحاك وقتادة ورواه العوفي والحكم بن عيينة عن ابن عباس وقال الكلبي اللمم على
وجهين كل ذنب لم يذكر الله عز وجل عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي يكفره الصلوات
الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به الانسان المرة بعد المرة فيتوب
منه وعن ابن عباس ايضا وابي هريرة وزيد بن ثابت هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به وذلك
ان المشركين قالوا للمسلمين انما كنتم بالامس تعملون معنا فنزلت وقاله زيد بن اسلم وابنه كقوله
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقيل اللمم هو ان ياتي بذنب لم يكن له به عادة قاله نفطويه
قال والعرب تقول ما ياتينا الا لماما اي في الحين بعد الحين قال ولا يكون ان تلم ولا تفعل لان العرب
لا تقول الم بنا الا اذا فعل الانسان لا اذا هم ولم يفعله وفي الصحاح والم الرجل من اللمم وهو صغار
الذنوب ويقال هو مقاربة المعصية من غير مواقعة وانشد غير الجوهري
بزينب الم قبل ان يرحل الركب ... وقل ان تملينا فما ملك القلب
اي اقرب وقال عطا بن ابي رباح اللمم عادة النفس الحين بعد الحين وقال سعيد بن المسيب هو ما الم على
القلب اي خطر وقال محمد بن الحنفية كلما هممت به من خير او شر فهو لمم ودليل هذا التاويل قوله عليه
السلام ان للشيطان لمة وللملك لمة الحديث وقد مضى في البقرة عند قوله الشيطان يعدكم الفقر
وقال ابو اسحاق الزجاج اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا
يقيم عليه يقال المممت به اذا زرته وانصرفت عنه ويقال ما فعلته الا لمما والماما اي الحين بعد
الحين وانما زيارتك الماما ومنه الماما الخيال قال الاعشى
الم خيال من قتيلة بعدما ... وهي حبلها من حبلنا فتصرما
وقيل الا بمعنى الواو وانكر هذا الفرا قال المعنى الا المتقارب من صغار الذنوب وقيل اللمم النظرة
التي تكون فجاة قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا فيه بعد اذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ

ابو داود في سننه قال حدثنا نصر بن علي قال حدثنا ابو اسامة عن ابن جريج عن عثمان بن ابي سليمان عن
سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن حبشي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قطع
سدرة صوب الله راسه في النار سئل ابو داود عن معنى هذا الحديث فقال هذا الحديث مختصر
يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب
الله راسه في النار **قوله تعالى** لقد راى من ايات ربه الكبرى قال ابن عباس راى رفرفا سد
افق السماء وذكر البيهقي عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر سد افق السماء
وعنه قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في حلة رفرف اخضر قد ملا ما بين
السموات والارض قال البيهقي قوله في الحديث راى رفرفا يريد جبريل عليه السلام في صورته
على رفرف والرفرف البساط ويقال فراش ويقال بل هو ثوب كان لباسا له فقد روي انه راه في حلة
رفرف قال الشيخ المؤلف رحمه الله خرجه الترمذي عن عبد الله قال ما كذب الفؤاد ما راى قال راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة من رفرف قد ملا ما بين السماء والارض قال هذا حديث حسن صحيح
قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى دنا فتدلى انه على التقديم والتاخير اي
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت
عني الاصوات وسمعت كلام ربي فعلى هذا الرفرف ما يقعد ويجلس عليه كالبساط وغيره وهو بالمعنى
الاول جبريل قال عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حيان راى جبريل في صورته التي يكون فيها في السموات
وكذا في صحيح مسلم عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل عليه السلام في صورة
له ستمائة جناح ولا يبعد مع هذا ان يكون في حلة رفرف وعلى رفرف والله اعلم وقال الضحاك راى
سدرة المنتهى وعن ابن مسعود راى ما غشي السدرة من فراش الذهب حكاه الماوردي وقيل المعراج وقيل
هو ما راى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه وهذا احسن دليله لنريه من اياتنا ومن ان
تكون للتبعيض وتكون الكبرى مفعوله لراى وهي في الاصل صفة الايات ووحدت لرووس الايات
وايضا يجوز نعت الجماعة بنعت الاثنين كقوله ولي فيها مارب اخرى وقيل الكبرى نعت محذوف اي راى
من ايات ربه الاية الكبرى ويجوز ان تكون من زائدة اي راى ايات ربه الكبرى وقيل فيه تقديم وتاخير
اي راى الكبرى من ايات ربه **قوله تعالى** افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
لما ذكر الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر من اثار قدرته ما ذكر حاج المشركين اذ عبدوا ما لا يعقل وقيل
افرايتم هذه الالهة التي تعبدونها اوحين اليكم شيئا كما اوحي الى محمد فكانت اللات لثقيف والعزى لقريش
وبني كنانة ومناة لبني هلال وقال هشام وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا فهدمها عام الفتح ثم اتخذوا اللات بالطايف وهي احدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكانت سدنتها
من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء فكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت تسمي العرب زيد اللات
وتيم اللات وكانت في موضع مسجد الطايف اليسرى فلم يزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا العزى وهي احدث من اللات
اتخذها ظالم بن سعد وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون
منها الصوت قال ابن هشام وحدثني ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال كانت العزى شيطانة
تاتي ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد فقال ايت
نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فاتاها فعضدها فلما جا اليه قال هل رايت شيئا قال لا
قال فاعضد الثانية فاتاها فعضدها ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل رايت شيا قال لا قال فا
عضد الثالثة فاتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يدها على عاتقها تصرف باسنانها وخلفها
دبية السلمي وكان سادنها فقال

ياعز كفرانك لا سبحانك … اني رايت الله قد اهانك

ثم ضربها ففلق راسها فاذا هي حممة ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال تلك العزى وقال ابن جبير العزى حجر ابيض كانوا يعبدونه وقال قتادة بيت
كان ببطن نخلة ومناة صنم لخزاعة وقيل ان اللات فيما ذكره بعض المفسرين اخذه المشركون من
اسم الله تعالى والعزى من العزيز ومناة من منى الله الشي اذا قدره وقرا ابن عباس وابن الزبير

ومجاهد

ومجاهد وحميد وابو صالح اللات بتشديد التاء وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج ذكره البخاري عن ابن
عباس فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه قال ابن عباس كان يبيع السويق عند صخرة ويصبه عليها فلما مات
ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق وقال ابو صالح انما كان رجلا بالطايف
فكان يقوم على الهتهم ويلت لهم السويق فلما مات عبدوه وقال مجاهد وكان رجلا في راس جبل له غنيمة
يسلي منها السمن وياخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخله فلما مات
عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة ابن غنم وقيل انه عامر بن ظرب
العدواني قال الشاعر

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها … وكيف ينصركم من ليس ينتصر

والقراءة الصحيحة اللات بالتخفيف اسم صنم والوقف عليها بالتاء وهو اختيار الفرا قال الفرا وقد
رايت الكسائي سال ابا فقعس الاسدي فقال ذاه لذات وقال افرايتم اللاه للات وكذلك قرا
الدوري عن الكسائي والبزي عن ابن كثير اللاه بالهاء في الوقف ومن قال ان اللات من الله وقف بالهاء
ايضا وقيل اصلها لاه مثل شاه وهي من لاهت اي اختفت قال الشاعر

لاهت فما عرفت يوما بخارجة … ياليتها خرجت حتى رايناها

وفي الصحاح واللات اسم صنم لثقيف وكان بالطايف وبعض العرب يقف عليها بالتاء وبعضهم بالهاء
قال الاخفش سمعت من العرب من يقول افرايتم اللات والعزى ويقول هي اللات فيجعلها تاء في السكوت
وهي اللات فاعلم جر في موضع الرفع فهذا مثل امس مكسور على كل حال وهذا اجود منه لان الالف واللام
التي في اللات لا يسقطان وان كانتا زائدتين واما ما سمعنا من الاكثر في اللات والعزى في
السكوت عليها واللات لانها هاء فصارت تاء في الوصل وهي في تلك اللغة مثل كان من الامر كيت وكيت
وكذلك هيهات في لغة من كسر الا انه يجوز في هيهات ان تكون جماعة ولا يجوز ذلك في اللات لان التا
لا تزاد في الجماعة الا مع الالف واللام وان جعلت الالف واللام زائدتين بقي الاسم على حرف واحد
قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي والاعشى
عن ابي بكر ومناءة بالمد والهمز والباقون بترك الهمز لغتان وقيل سمي بذلك لانهم كانوا يريقون عنده
الدما يتقربون بذلك اليه وبذلك سميت منا لكثرة ما يراق فيها من الدما وكان الكسائي وابن كثير
وابن محيصن يقفون بالهاء على الاصل الباقون بالتاء اتباعا للخط وفي الصحاح ومناة اسم صنم كان بين
مكة والمدينة والهاء للتانيث ويسكت عليها بالتاء وهي لغة والنسبة اليها منوي وعبد مناة بن اد بن
طابخة وزيد مناة بن تميم بن مر يمد ويقصر قال هوبر الحارثي

الا هل اتى التيم بن عبد مناة … على الشنء فيما بيننا ابن تميم

الثالثة الاخرى العرب تقول للثالثة اخرى وانما الاخرى نعت للثانية واختلفوا في وجهها فقال
الخليل انما قال ذلك لوفاق رووس الاي كقوله مارب اخرى ولم يقل اخر وقال الحسن بن الفضل في الاية
تقديم وتاخير مجازها افرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل انما قال ومناة الثالثة الا
خرى لانها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى والكلام على نسقه وقد ذكرنا
عن ابن هشام ان مناة كانت اولا في التقديم فلذلك كانت مقدمة عندهم في التعظيم والله اعلم وفي
الاية حذف دل عليه الكلام اي افرايتم هذه الالهة هل نفعت او ضرت حتى تكون شركا لله ثم
قال على جهة التقريع والتوبيخ الكم الذكر وله الانثى ردا عليهم قولهم الملايكة بنات الله والاصنام
بنات الله **قوله تعالى** تلك اذا قسمة ضيزى يعني هذه التسمية قسمة ضيزى اي جايرة عن العدل خارجة
عن الصواب مايلة عن الحق يقال ضاز في الحكم اي جار وضازه حقه يضيزه ضيزا عن الاخفش اي
نقصه وبخسه قال وقد يهمز فيقال ضازه يضازه ضازا وانشد

فان تنا عنا ننتقصك وان تغب … فحقك مضؤوز وانفك راغم

وقال الكسائي ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا وضاز يضاز ضازا اذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص
قال الشاعر بنوا اسد بحكم اذ يجعلون الراس كالذنب وقوله تعالى قسمة ضيزى اي جايرة وهي فعلى مثل طوبى
وحبلى وانما كسروا الضاد لتسلم اليا لانه ليس في الكلام فعلى صفة وانما هو من بناء الاسماء كالشعرى
والدفلى قال الفرا وبعض العرب يقول ضازى وضوزى بالهمز وحكى ابو حاتم عن ابي زيد انه سمع العرب

فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي

قسمة ضيزى اي جائرة

لانه يقع من غير قصد واختيار وقد مضي في النور بيانه واللمم ايضا طرف من الجنون ورجل ملموم اي به
لمم ويقال ايضا اصابت فلانا لمة من الجن وهي المس والشي القليل قال

فادوذلك يا كبيشه لم يكن ... الا كلمة حالم بخيال

الثالثة قوله تعالي ان ربك واسع المغفرة لمن تاب عن ذنبه واستغفر قاله ابن عباس وقال ابو
عمرو بن شرحبيل وكان من افاضل اصحاب ابن مسعود رايت في المنام كاني دخلت الجنة فاذا قباب
مضروبة فقلت لمن هذه فقالوا للذي الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل بعضهم بعضا فقلت وكيف
ذلك فقالوا انهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة قال ابو خالد بلغني ان ذا الكلاع اعتق اثنا
عشر الف بيت **قوله تعالي** هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم يعني اباكم ادم من الطين
وخرج اللفظ علي الجمع قال الترمذي ابو عبد الله وليس هو كذلك عندنا بل وقع الانسان علي التربة
التي رفعت من الارض وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة ثم خرجت من الطينة المياه الي
الاصلاب مع ذرو النفوس علي اختلاف هيئتها ثم استخرجها من صلبه علي اختلاف الهيئات منهم
كالدر يتلالا وبعضهم انور من بعض ومنهم اسود كالحممة وبعضهم اشد سوادا من بعض فكان الانسان واقعا
وعليه حدثنا عيسي بن حماد العسقلاني حدثنا بشر بن بكر قال حدثنا الاوزاعي قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم عرض علي الاولون والاخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة فقال قائل يا رسول الله ومن مضي
من الخلق قال نعم عرض علي ادم فمن دونه فهل كان قبله احد قالوا الرجال ومن في اصلاب الرجال وبطون
الامهات قال نعم مثلوا في الطين فعرفتهم كما علم ادم الاسما كلها قال الشيخ المولف رحمه الله وقد تقدم في
اول الانعام ان كل انسان يخلق من طين البقعة التي يدفن فيها واذ انتم اجنة جمع جنين وهو الولد ما
دام في البطن سمي جنينا لاجتنانه واستتاره قال عمرو بن كلثوم

هجان اللون لم تقرا جنينا ...

وقال مكحول كنا اجنة في بطون امهاتنا فسقط منا
من سقط وكنا فيمن بقي ثم صرنا مراضع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم كنا يفعة فهلك منا من
هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا لا ابا لك فما بعد
هذا ننتظر وروي ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ثابت بن الحارث الانصاري قال كانت اليهود تقول
اذا هلك لهم صبي صغير هو صديق فبلغ ذلك النبي صلي الله عليه وسلم فقال كذبت يهود ما من
نسمة يخلقها الله في بطن امه الا انه شقي او سعيد فانزل الله تعالي عند ذلك هذه الاية هو اعلم بكم اذ
انشاكم من الارض الي اخره ونحوه عن عائشة كان اليهود مثله فلا تزكوا انفسكم اي لا تمدحوها وتثنوا
عليها فانه ابعد من الريا واقرب الي الخشوع هو اعلم بمن اتقي اي اخلص العمل واتقي عقوبة الله عن الحسن
وغيره قال الحسن قد علم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة والي ما هي صائرة وقد مضي في
النسا الكلام في معني هذه الاية عند قوله تعالي الم تر الي الذين يزكون انفسهم فتامله هنالك
وقال ابن عباس ما من احد من هذه الامة ازكيه غير رسول الله صلي الله عليه وسلم **قوله تعالي**
افرايت الذي تولي الايات لما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم معينا بسو فعله
قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلي الله عليه وسلم علي
دينه فعيره بعض المشركين وقال لم تركت دين الاشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار قال اني خشيت
عذاب الله فضمن له انه ان اعطاه شيا من ماله ورجع الي شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فاعطي الذي
عاتبه بعض ما كان ضمن ثم بخل ومنعه فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل كان الوليد مدح القران ثم امسك
عنه فنزل واعطي قليلا واكدي اي من الخير بلسانه واكدي اي قطع ذلك وامسك عنه وعنه انه اعطي
رسول الله صلي الله عليه وسلم عند الايمان ثم تولي فنزلت افرايت الاية وقال ابن عباس والسدي
والكلبي والمسيب بن شريك نزلت في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق في الخير فقال له اخوه
من الرضاعة عبد الله بن ابي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك ان لا يبقي لك شي فقال عثمان ان لي ذنوبا
وخطايا واني اطلب بما اصنع رضي الله تعالي وارجو عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا
وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن بعض ما كان يصنع فانزل الله تعالي
افرايت الذي تولي واعطي قليلا واكدي فعاد عثمان الي احسن ذلك واجمله ذكره الواحدي والثعلبي

وقال

وانا احمل عنك ذنوبك

وقال السدي نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلي الله عليه وسلم في بعض
الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل بن هشام قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الا
خلاق فذلك قوله تعالي واعطي قليلا واكدي وقال الضحاك هو النضر بن الحارث اعطي خمس قلائص
لفقير من المهاجرين حتي ارتد عن دينه وضمن له ان يتحمل عنه ماثم رجوعه واصل اكدي من الكدية
يقال لمن حفر بيرا ثم بلغ الي حجر لا يتهيا له فيه حفر قد اكدي ثم استعملته العرب لمن اعطي ولم يتمم
ولمن طلب شيا فلم يبلغ اخره قال الحطيية

فاعطي قليلا ثم اكدي عطاءه ... ومن يبذل المعروف في الناس يحمد

قال الكسائي وغيره اكدي الحافر واجبل اذا بلغ في حفره كدية او جبلا فلا يمكنه ان يحفر وحفر
فاكدي اذا بلغ الي الصلب ويقال كديت اصابعه اذا كلت من الحفر وكدت يده اذا كلت فلم تعمل
شيا وكدي النبت اذا قل ريعه وكدت الارض تكدو كدوا وكدوا فهي كادية اذا ابطا نباتها عن ابي زيد واكدي
الرجل عن الشي رده عنه واكدي الرجل اذا قل خيره وقوله واعطي قليلا واكدي اي قطع القليل **قوله تعالي**
اعنده علم الغيب فهو يري اي عند هذا المكدي علم ما غاب عنه من امر العذاب فهو يري اي يعلم ما غاب
عنه من امر الاخرة وما يكون من امره حتي يضمن حمل العذاب عن غيره وكفي بهذا جهلا وحمقا وهذه
الروية هي المتعدية الي مفعولين والمفعولان محذوفان كانه قال فهو يري الغيب مثل الشهادة
قوله تعالي ام لم ينبا بما في صحف موسي وابراهيم اي وصحف ابراهيم الذي وفي كما في
سورة الاعلي صحف ابراهيم وموسي اي لا يوخذ نفس بدلا عن اخري كما قال الا تزر وازرة وزر اخري
وخص صحف ابراهيم وموسي بالذكر لانه كان ما بين نوح وابراهيم يوخذ الرجل بجريرة ابنه وابيه
قاله الهذيل بن شرحبيل وان هذه مخففة من الثقيلة وموضعها جر بدلا من ما او تكون في موضع
رفع علي اضمار هو وقرا سعيد بن جبير وقتادة وفي خفيفة ومعناها صدق في قوله وعمله وهي راجعة
الي معني قراءة الجماعة وفي بالتشديد اي قام بجميع ما فرض عليه فلم يخرم منه شيا وقد مضي في
البقرة عند قوله واذ ابتلي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقال ابو بكر الوراق
قام بشرط ما ادعي وذلك ان الله تعالي قال له اسلم قال اسلمت لرب العالمين فطالبه الله تعالي
بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده وافيا فذلك قوله وابراهيم الذي وفي
اي ادعي الاسلام ثم صحح دعواه وقيل وفي عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار رواه الهيثم
عن ابي امامة عن النبي صلي الله عليه وسلم وروي سهل بن سعد الساعدي عن ابيه قال الا اخبركم لم
سمي الله خليله ابراهيم الذي وفي لانه كان يقول كلما اصبح وامسي فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الاية ورواه سهل بن معاذ بن انس عن ابيه عن النبي صلي الله عليه وسلم وقيل وفي اي وفي ما ارسل به
وهو قوله الا تزر وازرة وزر اخري قال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل بذنب غيره
وياخذون الولي بالولي في القتل والجراح فيقتل الرجل بابيه وابنه واخيه وعمه وخاله وابن عمه وقريبه
وزوجته وزوجها وعبده فبلغهم ابراهيم عليه السلام عن الله تعالي الا تزر وازرة وزر اخري وقال
الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في قوله تعالي وفي عمل ما امر به وبلغ رسالات ربه وهذا احسن لانه عام
وكذا قال مجاهد وفي بما فرض عليه وقال ابو مالك الغفاري قوله تعالي الا تزر وازرة وزر اخري
الي قوله فباي الاء ربك تتماري في صحف ابراهيم وموسي وقد مضي في اخر الانعام القول في ولا تزر
وازرة وزر اخري مستوفي **قوله تعالي** وان ليس للانسان الا ما سعي روي عن ابن عباس
انها منسوخة بقوله تعالي والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم فيحصل
الولد الطفل يوم القيامة في ميزان ابيه ويشفع الله تعالي الاباء في الابناء والابناء في الاباء يدل علي ذلك
قوله تعالي لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا وقال اكثر اهل العلم هي محكمة ولا ينفع احدا عمل احد واجمعوا
انه لا يصلي احد عن احد ولم يجز مالك الصيام والحج والصدقة عن الميت الا انه قال ان اوصي بالحج ومات
جاز ان يحج عنه واجاز الشافعي رحمه الله وغيره الحج التطوع عن الميت وروي ان عايشة رضي الله عنها
اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وروي ان سعد بن عبادة قال للنبي صلي الله عليه وسلم
ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الماء وقد مضي جميع هذا

مثنوفي في البقرة وآل عمران والاعراف وقد قيل ان الله عز وجل انما قال وان ليس للانسان الا
ما سعى فاذا تصدق عنه غيره ولام الخفض معناها في العربية الملك والايجاب فليس يجب للانسان
الا ما سعى فاذا تصدق غيره فليس يجب له شي الا ان الله عز وجل يتفضل عليه بما لم يجب له كما يتفضل
على الاطفال بادخالهم الجنة بغير عمل وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان الا ما سعى يعني الكافر واما
المومن فله ما سعى وما سعى له غيره قال الشيخ المؤلف رحمه الله وكثير من الاحاديث تدل على هذا القول
وان المومن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وقد تقدم كثير منها لمن تاملها وليس في الصدقة اختلاف
كذا في صدر كتاب مسلم عن عبد الله بن المبارك وفي الصحيح اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلثة
وفيه او ولد صالح يدعو له وهذا كله تفضل من الله عز وجل كما ان زيادة الاضعاف فضل منه كتب لهم
بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة ضعف الى الف الف حسنة كما قيل لابي هريرة اسمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي
على الحسنة الواحدة الفي الف حسنة فهذا تفضل وطريق العدل ان ليس للانسان الا ما سعى قال
الشيخ المؤلف رحمه الله ويحتمل ان يكون قوله وان ليس للانسان الا ما سعى خاص في السيئة بدليل ما في صحيح
مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها
كتبتها له حسنة فان عملها كتبتها عشر حسنات الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها
عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة وقال ابو بكر الوراق الا ما سعى الا ما نوى بيانه قوله صلى الله عليه
وسلم يبعث الله الناس يوم القيامة على نياتهم **قوله تعالى** وان سعيه سوف يرى اي يريه الله جزاءه
يوم القيامة ثم يجزاه اي يجزي به الجزاء الاوفى قال الاخفش يقال جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سوا
لا فرق بينهما قال الشاعر

ان اجز علقمة بن سعد سعيه | لم اجزه ببلاء يوم واحد

فجمع بين اللغتين **قوله تعالى** وان الى ربك المنتهى اي المرجع والمرد والمصير فيعاقب ويثيب
وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهى الامان وعن ابي بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم وان الى
ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الله تعالى فانتهوا قال
الشيخ المؤلف رحمه الله ومن هذا المعنى قوله عليه السلام ياتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا
وكذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته وقد تقدم اخر الاعراف ولقد احسن
من قال

ولا تفكرن في ذي العلا عز وجهه | فانك تردي ان فعلت وتخذل
ودونك مصنوعاته فاعتبر بها | وقل مثل ما قال الخليل المبجل

قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
من نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى وانه هو اغنى واقنى ذهبت الوسايط وبقيت الحقايق
لله سبحانه وتعالى فلا فاعل الا هو وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت لا والله ما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط ان الميت يعذب ببكاء اهله عذابا وان الله لهو اضحك وابكى ولا تزر وازرة
وزر اخرى وعنها قالت مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك
وانه هو اضحك وابكى فرجع اليهم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتاني جبريل فقال ايت هولاء
فقل لهم ان الله يقول هو اضحك وابكى اي قضا اسباب الضحك والبكا وقال عطا ابن ابي مسلم يعني
يعني افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وقيل لعمر هل كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والله والايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وقد تقدم هذا المعنى
في النمل وبراءة قال الحسن اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك من شاء في الدنيا
بان سره وابكى من شاء بان غمه وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقيل اضحك
الاشجار بالنوار وابكى السحاب بالامطار وقال ذو النون اضحك قلوب المومنين والعارفين بشمس معرفته
وابكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته وقال سهل بن عبد الله اضحك المطيعين بالرحمة
وابكى العاصين بالسخط وقال محمد بن علي الترمذي اضحك المومن في الاخرة وابكاه في الدنيا وقال بسام بن
عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانشد

السن

الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا

السن تضحك والاحشاء تحترق | وانما ضحكها زور ومختلق
يا رب باك بعين لا دموع لها | ورب ضاحك سن ما به رمق

وقيل ان الله خص الانسان بالضحك والبكا من بين سائر الحيوان وليس في سائر الحيوان من يضحك ويبكي
غير الانسان وقد قيل ان القرد وحده يضحك ولا يبكي وان الابل تبكي وحدها ولا تضحك وقال يوسف
بن الحسين سيل طاهر المقدسي اتضحك الملايكة فقال ما ضحكوا ولا كل ما دون العرش منذ خلقت جهنم وانه
هو امات واحيا اي قضى اسباب الموت والحياة وقيل خلق الموت والحياة كما قال هو الذي خلق الموت
والحياة قاله ابن بحر وقيل امات الكافر بالكفر واحيا المومن بالايمان قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه
الاية وقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله على ما تقدم واليه يرجع قول ابن عطا امات
بعدله واحيى بفضله وقول من قال امات بالمنع والبخل واحيا بالجود والبذل وقيل امات النطفة واحيى
النسمة وقيل امات الاباء واحيا الابناء وقيل يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب وقيل انام وايقظ
وقيل امات في الدنيا واحيى للبعث وانه خلق الزوجين اي الذكر والانثى من اولاد ادم ولم يرد ادم
وحوا انهما ما خلقا من نطفة والنطفة الماء القليل مشتق من نطف الماء اذا قطر تمنى تصب في الرحم
وتراق قاله الكلبي والضحاك وعطا ابن ابي رباح يقال مني الرجل وامنى من المني وسميت منا بهذا الاسم
لما يمنى بها من الدماء اي يراق وقيل تمنى تقدر قاله ابو عبيدة يقال منيت الشي اذا قدرته ومني له
اي قدر قال

حتى تلاقي ما يمني لك الماني | اي ما يقدر لك القادر وان

عليه النشاة الاخرى اي اعادة الارواح في الاشباح للبعث وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح
الشين ومد الهمزة اي وعد ذلك ووعده صدق وانه هو اغنى واقنى قال ابن زيد اغنى من شاء وافقر من
شاء ثم قرا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرا يقبض ويبسط واختاره الطبري وعن ابن زيد
ايضا ومجاهد وقتادة والحسن اغنى مول واقنى اخدم وقيل اقنى جعل لكم قنية تقتنونها وهو معنى اخدم
ايضا وقيل معناه ارضى بما اعطا اي اغناه ثم رضاه بما اعطاه قاله ابن عباس وقال الجوهري قني الرجل يقنى
قنى مثل غني يغنى غنا واقناه الله اي اعطاه ما يقتنى من القنية والنشب واقناه ايضا اي رضاه والقنى
الرضى عن ابي زيد قال وتقول العرب من اعطي مائة من المعز فقد اعطي القنى ومن اعطي مائة من الضان
فقد اعطي الغنا ومن اعطي مائة من الابل فقد اعطي المنا ويقال اغناه الله واقناه اي اعطاه ما يسكن اليه
وقيل اغنى واقنى اي اغنى نفسه وافقر خلقه اليه قاله سليمان التيمي وقال سفيان اغنى بالقناعة واقنى
بالرضا وقال الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان اولد وهذا راجع الى ما تقدم وانه هو رب الشعرى
الشعرى الكوكب المضي الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر وهما الشعريان العبور التي في
الجوزاء والشعرى الغميصا التي في الذراع تزعم العرب انهما اختا سهيل وانما ذكر انه رب الشعرى وان كان
ربا لغيره لان العرب كانت تعبده فاعلمهم الله عز وجل ان الشعرى مربوب وليس برب واختلف فيمن
كان يعبده فقال السدي كانت تعبده حمير وخزاعة قال غيره اول من عبده ابو كبشة احد
اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته وبذلك كان مشركوا قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم ابن
ابي كبشة حين دعا الى الله وخالف اديانهم وقالوا ما لقينا من ابن ابي كبشة وقال ابو سفيان يوم الفتح
وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر عليه لقد امر ابن ابي كبشة وقد
كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم قال الشاعر

مضى ايلول وارتفع الحرور | واخبت نارها الشعرى العبور

وقيل ان العرب تقول في خرافاتها ان سهيلا والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل فصار يمانيا فاتبعته
الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا فبكيت لفقد سهيل حتى غمصت عيناها
فسميت الغميصا لانها اخفى من الاخرى وانه اهلك عادا الاولى سماها الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود وقيل
ان ثمودا من نسل عاد قال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانها اول امة اهلكت بعد نوح عليه السلام وقال ابن
اسحق هما عادان فالاولى اهلكت بالريح الصرصر ثم كانت الاخرة فاهلكت بالصيحة وقيل عاد الاولى هو عاد
بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعاد الثانية من ولد عاد الاولى والمعنى متقارب وقيل ان عاد الاخرة
الجبارون وهم قوم هود وقراءة العامة عادا الاولى ببيان التنوين والهمز وقرا نافع وابن محيصن وابو

مضى ايلول وارتفع الحرور

عمرو عاد الاولى بنقل حركة الهمزة على اللام وادغام التنوين فيها الا ان قالون والمسيبي يظهرون الهمزة الساكنة وقلبها الباقون واوا على اصلها والعرب تقلب هذا القلب فيقولون قم لان عنا وقم لاثنين اي قم الآن وقم الاثنين وثمودا فما ابقى ثمود هم قوم صالح اهلكوا بالصيحة وقرئ ثمودا وثمود وقد تقدم وانتصب على العطف على عاد وقوم نوح من قبل اي واهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى وذلك لطول مدة نوح فيهم حتى كان الرجل فيهم ياخذ بيد ابيه فينطلق به الى نوح فيقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي قد مشى بي الى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية ابيه وقيل الكناية ترجع الى كل من ذكر من عاد وثمود وقوم نوح اي كانوا اكفر من مشركي العرب واطغى فيكون فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وكانه يقول له فاصبر انت ايضا فالعاقبة الحميدة لك والمؤتفكة اهوى يعني مداين قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت وصار عاليها سافلها يقال افكته اي قلبته وصرفته اهوى اي خسف بهم بعد رفعها الى السماء رفعها جبريل ثم اهوى بها الى الارض وقال المبرد جعلها تهوى ويقال هوى بالفتح يهوي هويا اي سقط واهوى اي اسقط فغشاها ما غشى اي البسها ما البس من الحجارة قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل وقيل الكناية ترجع الى جميع هذه الامم اي غشاها من العذاب ما غشاهم وابهم لان كلا منهم اهلك بضرب غير ما اهلك به الآخر وقيل هذا تعظيم الامر فباي آلاء ربك تتمارى اي فباي نعم ربك تشك والمخاطبة للانسان المكذب والآلاء النعم واحدها الى والى وقرا يعقوب تمارى بادغام التائين في الاخرى والتشديد **قوله تعالى** هذا نذير من النذر الاولى قال ابن جريج ومحمد بن كعب يريد ان النبي صلى الله عليه وسلم نذير بالحق الذي انذر به الانبياء قبله فان اطعتموه افلحتم والا حل بكم ما حل بمكذبي الرسل السالفة وقال قتادة يريد القرآن وانه نذير بما انذرت الكتب الاولى وقيل اي هذا الذي اخبرنا به من اخبار الامم الذين هلكوا تخويف لهذه الامة من ان ينزل بهم ما نزل باولئك من النذر اي مثل النذر والنذر في قول بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار اي هذا انذار لكم وقال ابو مالك هذا الذي انذرتكم به من وقائع الامم الخالية هو في صحف ابراهيم وموسى وقال السدي اخبرني ابو صالح قال هذه الحروف التي اخبر ذكر الله تعالى بها من قوله عز وجل ام لم ينبا بما في صحف موسى الى قوله هذا نذير من النذر الاولى كل هذه في صحف ابراهيم وموسى **قوله تعالى** ازفت الآزفة اي قربت الساعة ودنت القيامة وسماها آزفة لقرب قيامها عنده كما قال يرونه بعيدا ونراه قريبا وقيل سماها آزفة لدنوها من الناس وقربها منهم ليستعدوا لها لان كل ما هو آت فقريب قال

ازف الترحل غير ان ركابنا ... لما تزل برحالنا وكان قد

وفي الصحاح ازف الترحل يازف ازفا اي اقترب ومنه قوله تعالى ازفت الآزفة يعني القيامة وازف الرجل اي عجل فهو آزف على فاعل والمتآزف القصير وهو المتداني قال ابو زيد قلت لاعرابي ما المحبنطئ قال المتكاكئ قلت ما المتكاكئ قال المتآزف قلت ما المتآزف قال انت احمق وتركني ومر ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها من دون الله من يؤخرها او يقدمها وقيل كاشفة اي انكشاف اي لا يكشف عنها ولا يبديها الا الله فالكاشفة اسم بمعنى المصدر والهاء فيه كالهاء في العاقبة والعافية والداهية والباقية كقولهم ما لفلان من باقية اي بقاء وقيل اي لا احد يرد ذلك اي ان القيامة اذا قامت لا يكشفها احد من آلهتهم ولا ينجيهم غير الله وقد سميت القيامة الغاشية فاذا كانت غاشية كان ردها كشفا فالكاشفة على هذا نعت مؤنث محذوف اي نفس كاشفة او فرقة كاشفة او حال كاشفة وقيل ان كاشفة بمعنى كاشف والهاء للمبالغة مثل راوية وداهية **قوله تعالى** افمن هذا الحديث تعجبون يعني القرآن وهذا استفهام توبيخ تعجبون تكذيبا به وتضحكون استهزاء ولا تبكون انزجارا وخوفا من الوعيد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم ما روي بعد نزول هذه الآية ضاحكا الا تبسما وقال ابو هريرة لما نزلت افمن هذا الحديث تعجبون قال اهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاءهم بكى معهم فبكينا ببكائه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ثم اتى بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم انه هو الغفور الرحيم وقال ابو حازم نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يبكي فقال له من هذا فقال هذا فلان فقال جبريل انا نزن اعمال بني آدم كلها الا البكاء فان الله ليطفي بالدمعة الواحدة بحورا من جهنم

قال الاعرابي انت احمق

قوله تعالى وانتم سامدون اي لاهون معرضون عن ابن عباس رواه الوالبي والعوفي عنه وقال عكرمة عنه هو الغناء بلغة حمير يقال سمد لنا اي غن لنا فكانوا اذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا وقال الضحاك سامدون شامخون متكبرون وفي الصحاح سمد سمودا رفع راسه تكبرا وكل رافع راسه فهو سامد قال

سوامد الليل خفاف الازواد ... يقول ليس في بطونها علف

وقال ابن الاعرابي سمدت سمودا علوت وسمدت الابل في سيرها جدت والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال للقينة اسمدينا اي الهينا بالغناء وتسميد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد وتسميد الراس استيصال شعره لغة في التسبيد واسمادّ الرجل بالمد اسميدادا اي ورم وروي عن علي رضي الله عنه ان معنى سامدون ان يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلاة وقال الحسن واقفون للصلاة قبل وقوف الامام ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج والناس ينتظرونه قياما فقال ما لي اراكم سامدين حكاه الماوردي وذكر المهدوي عن علي انه خرج الى الصلاة فراى الناس قياما فقال ما لكم سامدون قال المهدوي والمعروف في اللغة سمد يسمد سمودا اذا لها واعرض وقال المبرد سامدون خامدون قال الشاعر

اتى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدور سمدن له سمودا

وقال صالح ابو الخليل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون لم ير ضاحكا ولا متبسما حتى مات صلى الله عليه وسلم ذكره النحاس **قوله تعالى** فاسجدوا لله واعبدوا قيل المراد به سجود تلاوة القرآن وهو قول ابن مسعود وبه قال ابو حنيفة والشافعي وقد تقدم اول السورة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وسجد معه المشركون وقيل انما سجد معه المشركون لانهم سمعوا اصوات الشياطين في اثناء قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وانه قال تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى كذا في رواية سعيد بن جبير ترتجى وفي رواية ابي العالية وشفاعتهن ترتضى ومثلهن لا ينسى ففرح المشركون وظنوا انه من قول محمد عليه السلام على ما تقدم بيانه في الحج فلما بلغ الخبر بالحبشة من كان بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجعوا ظنا منهم ان اهل مكة آمنوا فكان اهل مكة اشد عليهم واخذوا في تعذيبهم الى ان كشف الله عنهم وقيل المراد سجود الفرض في الصلاة وهو قول ابن عمر كان لا يراها من عزائم السجود وبه قال مالك وروى ابي بن كعب كان آخر فعل النبي صلى الله عليه وسلم ترك السجود في المفصل والاول اصح وقد مضى القول فيه آخر الاعراف والحمد لله

تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى

تفسير سورة القمر

مكية في قول الجمهور وقال مقاتل مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر الى قوله تعالى والساعة ادهى وامر ولا يصح على ما ياتي وهي خمس وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اقتربت الساعة وانشق القمر

اي قربت

اقتربت مثل ازفت الآزفة على ما بيناه فهي بالاضافة الى ما مضى قريبة لانه قد مضى اكثر الدنيا كما روى قتادة عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب فقال ما بقي من دنياكم الا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى وما يرى من الشمس الا يسيرا وقال كعب ووهب الدنيا ستة آلاف سنة قال وهب قد مضت منها خمسة آلاف وستمائة سنة ذكره النحاس ثم قال تعالى وانشق القمر اي وقد انشق القمر وكذا قرا حذيفة اقتربت الساعة وقد انشق القمر بزيادة قد وعلى هذا الجمهور من العلماء ثبت ذلك في الصحيح للبخاري وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وانس وجبير بن مطعم وابن عباس رضي الله عنهم وعن انس قال سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب قال ابو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح ولفظ البخاري عن انس قال انشق القمر فرقتين وقال قوم لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر اي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر وان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره كذا قال القشيري وقال قوم وذكر الماوردي ان هذا قول الجمهور وقال لانه اذا انشق ما بقي احد الا رآه لانها آية والناس في الآيات سواء وقال الحسن اقتربت الساعة فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية وقيل وانشق القمر اي وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح قال

اقيموا بني امي صدور مطيكم ... فاني الى قوم سواكم لاميل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت لطيات مطايا وارحل

من حمت الحاجات اي قضيت وقدرت وعجلت قال الاصمعي يقال

عجلت بنا وبكم حمة الفراق اي قدر الفراق وطيات جمع طية وهي النية تقول منه مضي لطيته

اي لنيته التي انتواها وبعدت عنا طيته وهو المنزل الذي انتواه ومضي لطيته وطيته بعيده اي شاسعة

عن الخليل وقيل انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في اثنائها كما يسمي الصبح فلقا لانفلاق الظلمة

عنه وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داع

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد ثبت بنقل الاحاديث العدول ان القمر انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل ولا يلزم

ان يستوي الناس فيها لانها اية ليلية وانما كانت باستدعا النبي صلي الله عليه وسلم من الله تعالي عند التحدي

فروي ان حمزة بن عبد المطلب حين اسلم غضبا من سب ابي جهل لرسول الله صلي الله عليه وسلم طلب ان يريه اية

يزداد بها يقينا في ايمانه وقد تقدم في الصحيح ان اهل مكة هم الذين سالوا وطلبوا ان يريهم اية فاراهم انشقاق

القمر فلقتين كما في حديث ابن مسعود وغيره وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت

وان القمر قد انشق علي عهد نبينا صلي الله عليه وسلم وقيل علي التقديم والتاخير وتقديره انشق القمر

واقتربت الساعة قاله ابن كيسان وقد مضي عن الفرا ان الفعلين اذا كانا متقارب المعني فلك ان تقدم وتوخر

عند قوله ثم دنا فتدلي **قوله تعالي** وان يروا اية يعرضوا ويقولوا هذا يدل علي انهم راوا انشقاق

القمر قال ابن عباس اجتمع المشركون الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالوا ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين

نصف علي ابي قبيس ونصف علي قعيقعان فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ان فعلت تومنون قالوا نعم وكانت

ليلة بدر فسال رسول الله صلي الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلي الله

عليه وسلم ينادي المشركين يا فلان يا فلان اشهدوا وفي حديث ابن مسعود انشق القمر علي عهد رسول الله صلي

الله عليه وسلم فقالت قريش هذا من سحر ابن ابي كبشة سحركم فسالوا السفار فقالوا قد راينا القمر انشق فنزلت

اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا اي ان يروا اية تدل علي صدق محمد صلي الله عليه وسلم اعرضوا

عن الايمان ويقولوا سحر مستمر اي ذاهب من قولهم مر الشي واستمر اذا ذهب قاله انس وقتادة ومجاهد

والفرا والكسائي وابو عبيدة واختاره النحاس وقال ابو العالية والضحاك محكم قوي شديد وهو من المرة

وهي القوة كما قال لقيط حتي استمرت علي شزر مريرته مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا

وقال الاخفش هو ماخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله وقيل معناه مر من المرارة يقال امر الشي صار مرا

وكذلك مر الشي بالفتح مرارة فهو مر وامره غيره ومره وقال الربيع مستمر نافذ وقيل ماض

وقال ابو عبيدة باطل وقيل دايم قال وليس علي شي فويم بمستمر اي بدايم وقيل يشبه بعضه بعضا

اي قد استمرت افعال محمد علي هذا الوجه فلا ياتي بشي له حقيقة بل الجميع تخييلات وقيل معناه قد مر من

الارض الي السما وكذبوا نبينا واتبعوا اهواءهم اي ضلالاتهم واختياراتهم وكل امر مستقر اي يستقر

لكل عامل عمله فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقرا شيبة مستقر بفتح القاف

اي لكل وقت يقع فيه من غير تقدم وتاخر وقد روي عن ابي جعفر بن القعقاع وكل امر مستقر بكسر القاف

والرا جعله نعتا لامر وكل علي هذا يجوز ان يرتفع بالابتداء والخبر محذوف كانه قال وكل امر مستقر

في ام الكتاب كاين ويجوز ان يكون يرتفع بالعطف علي الساعة المعني اقتربت الساعة وكل امر مستقر

اي اقتربت استقرار الامور يوم القيامة ومن رفعه جعله خبرا عن كل **قوله تعالي** ولقد

جاءهم من الانباء اي من بعض الانباء فذكر سبحانه من ذلك ما علم انهم يحتاجون اليه وان لهم فيه

شفا وكان هناك امور اكثر من ذلك وانما اقتص علينا ما علم ان بنا اليه الحاجة وسكت عما سوي ذلك

وذلك قوله ولقد جاءهم من الانبا اي جاء هولاء الكفار من اخبار الامم الماضية ما فيه مزدجر اي

ما يزجرهم عن الكفر لو قبلوه واصله مزتجر فقلبت التاء دالا لان التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور

فابدل من التاء دال توافقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر ومزدجر من الزجر وهو الانتهاء يقال زجره و

ازدجره فانزجر وازدجر وزجرته انا فانزجر لي كففته فكف كما قال

فاصبح ما يطلب الغانيات مزدجرا عن هواه ازدجارا

وفي مزدجر تقلب تاء الافتعال دالا وادغم الزاي فيها حكاه الزمخشري حكمه باللغة يعني القران

قالوا ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين

وهو بدل من ما من قوله ما فيه مزدجر ويجوز ان يكون خبر ابتداء محذوف اي هو حكمة فما تغني النذر اذا

كذبوا وخالفوا كما قال فما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون فما تغني اي ليست تغني عنهم النذر

ويجوز ان يكون استفهاما بمعني التوبيخ اي فاي شي تغني النذر عنهم وهم معرضون عنها والنذر يجوز

ان يكون بمعني الانذار ويجوز ان يكون جمع نذير **قوله تعالي** فتول عنهم اي اعرض عنهم قيل هذا

منسوخ باية السيف وقيل هو تمام الكلام ثم قال يوم يدع الداع العامل في يوم يخرجون من الاجداث او خشعا

او فعل مضمر تقديره واذكر يوم وقيل علي حذف حرف الفا وما عملت فيه من جواب الامر تقديره فتول عنهم

فان لهم يوم يدع الداع وقيل اي تول عنهم يا محمد فقد اقمت الحجة وابصرهم يوم يدع الداعي وقيل اي

اعرض عنهم يوم القيامة ولا تسال عنهم وعن احوالهم فانهم يدعون الي شي نكر وينالهم عذاب شديد وهو

كما تقول لا تسال عما جري علي فلان اي اخبرته بامر عظيم وقيل اي وكل امر مستقر يوم يدع الداعي وقرا

ابن كثير نكر باسكان الكاف وضمها الباقون وهما لغتان كعسر وعسر وشغل وشغل ومعناه الامر الفظيع

العظيم وهو يوم القيامة والداعي اسرافيل عليه السلام وقد روي عن قتادة ومجاهد انهما قرا الي

شي نكر بكسر الكاف وفتح الرا علي الفعل المجهول خشعا ابصارهم الخشوع في البصر الخضوع والذلة واضاف

الخشوع الي الابصار لان اثر العز والذل في ناظر الانسان قال الله تعالي ابصارهم خاشعة وقال خاشعين

من الذل ينظرون من طرف خفي ويقال خشع واختشع اذا ذل وخشع ببصره اذا غضه وقرا حمزة والكسائي

وابو عمرو خاشعا بالالف ويجوز في اسما الفاعلين اذا تقدمت علي الجماعة التوحيد نحو خاشعا ابصارهم

والتانيث نحو خاشعة ابصارهم ويجوز الجمع نحو خشعا ابصارهم قال

وشباب حسن اوجههم من اياد بن نزار بن معد

وخشعا جمع خاشع والنصب فيه علي الحال من الها والميم في عنهم فيقبح الوقف علي هذا التقدير علي عنهم ويجوز

ان يكون حالا من المضمر في يخرجون فيوقف علي عنهم وقري خشع ابصارهم علي الابتدا والخبر ومحل الجملة

النصب علي الحال كقوله حاضراه الجود والكرم يخرجون من الاجداث اي القبور واحدها

جدث كانهم جراد منتشر مهطعين الي الداعي وقال في موضع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فهما صفتان

في وقتين مختلفين احدهما عند الخروج من القبور يخرجون فزعين لا يهتدون اين يتوجهون فيدخل

بعضهم في بعض فهم حينيذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها فاذا سمعوا المنادي

قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر لان الجراد له وجه يقصدها ومهطعين معناه مسرعين قاله

ابو عبيدة ومنه قول الشاعر بدجلة دارهم ولقد اراهم بدجلة مهطعين الي السماع

وقال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين وقال ابن عباس ناظرين وقال عكرمة فاتحين اذانهم الي

الصوت والمعني متقارب يقال هطع الرجل يهطع هطوعا اذا اقبل علي الشي ببصره لا يقلع عنه

واهطع اذا مد عنقه وصوب راسه قال الشاعر

تعبدني نمر بن سعد وقد اري ونمر بن سعد لي مطيع

ومهطع وبعير مهطع في عنقه تصويب خلقة واهطع في عدوه اي اسرع يقول الكافرون هذا يوم عسر

يعني يوم القيامة لما ينالهم فيه من الشدة **قوله تعالي** كذبت قبلهم قوم نوح ذكر جملا من وقايع

الامم الماضية تانيسا للنبي صلي الله عليه وسلم وتعزية له قبلهم اي قبل قومك فكذبوا عبدنا يعني نوحا

قال الزمخشري فان قلت ما معني قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا

اي كذبوه تكذيبا علي عقب تكذيب كلما مضي منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح

الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة

الرسل وقالوا مجنون اي هو مجنون وازدجر اي زجر عن دعوي النبوة بالسب والوعيد بالقتل وقيل

انما قيل وازدجر بلفظ ما لم يسم فاعله لانه راس اية فدعا ربه اي دعا عليهم حينيذ نوح وقال رب

اني مغلوب فانتصر اي غلبوني بتمردهم فانتصر اي فانتصر لي وقيل ان الانبيا كانوا لا يدعون علي

قومهم بالهلاك الا باذن الله عز وجل لهم فيه ففتحنا ابواب السما اي فاجبنا دعاه وامرناه باتخاذ السفينة

وفتحنا ابواب السما بما منهمر اي كثير قاله السدي قال الشاعر

اعيني جودا بالدموع الهوامر علي خير باد من معد وحاضر

يج

وقيل انه المنصب المندفق ومنه قول امرء القيس يصف غيثا

راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

والهمر الصب وقد همر الماء والدمع يهمر همرا وهمر ايضا اذا اكثر الكلام واسرع وهمر له من ماله اي اعطاه قال ابن عباس ففتحنا ابواب السماء بماء من غير سحاب لم ينقطع اربعين يوما وقرا ابن عامر ويعقوب فتحنا مشددا على التكثير الباقون ففتحنا مخففا ثم قيل انه فتح رتاجها وسعة مسالكها وقيل انه المجرة وهي شرج السما ومنها فتحت بماء منهمر قاله علي رضي الله عنه وفجرنا الارض عيونا قال عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماءها فتفجرت بالعيون وان عينا تاخرت غضب عليها فجعل ماءها مرا اجاجا الى يوم القيامة فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي على مقدار لم يزد احدهما على الاخر حكاه ابن قتيبة اي كان ماء السما وماء الارض سوا وقيل قد ربمعنى قضي عليهم قال قتادة قدر لهم اذا كفروا ان يغرقوا وقال محمد بن كعب كانت الاقوات قبل الاجساد وكان القدر قبل البلاء وتلى هذه الاية وقال التقى الماء والالتقا انما يكون في اثنين فصاعدا لان الما يكون جمعا وواحدا وقيل لانهما لما اجتمعا صارا ماء واحدا وقرا الجحدري فالتقى الماان وقرا الحسن فالتقى الماوان وهما خلاف المرسوم قال القشيري وفي بعض المصاحف فالتقى الماوان وهي لغة طي وقيل كان ماء السماء باردا مثل الثلج وماء الارض حارا مثل الحميم وحملناه على ذات الواح اي على سفينة ذات الواح ودسر قال قتادة يعني المسامير التي دسرت بها السفينة اي شدت وقاله القرظي وابن زيد وابن جبير ورواه الوالبي عن ابن عباس وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة هي صدر السفينة التي تضرب بها الموج سميت بذلك لانها تدسر الماء اي تدفعه والدسر الدفع والمخروزرواه العوفي عن ابن عباس قال الدسر كلكل السفينة وقال الليث الدسار خيط ليف يشد به الواح السفينة وفي الصحاح الدسار واحد الدسر وهي خيوط تشد بها الواح السفينة ويقال هي المسامير وقال تعالى على ذات الواح ودسر ودسر ايضا مثل عسر وعسر والدسر الدفع قال ابن عباس في العنبر انما هو شي يدسره البحر دسرا اي يدفعه ودسره بالرمح ورجل مدسر تجري باعيننا بمراي منا وقيل بامرنا وقيل بحفظ منا وكلاءة وقد مضى في هود ومنه قول الناس للمودع عين الله عليك اي حفظه وكلاءته وقيل بوحينا وقيل باعين نابعة اي في اعين الماء التي انبعناها من الارض وقيل باعين اولياينا من الملائكة الموكلين بحفظها وكل ما خلق الله يمكن ان تضاف اليه وقيل اي تجري باوليائنا كما في الخبر مرض عين من عيوننا فلم نعده جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك ثوابا وجزاء لنوح على صبره على اذي قومه وهو المكفور به فاللام في لمن لام المفعول له وقيل كفر اي جحد فمن كناية عن نوح وقيل كناية عن الله والجزا بمعنى العقاب اي عقابا لكفرهم بالله وقرا يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفا بمعنى كان الغرق جزاء وعقابا لمن كفر بالله وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء الى حجزته وسبب نجاته ان نوحا احتاج الى خشبة الساج لبنا السفينة فلم يمكنه نقلها فحمل عوج تلك الخشبة اليه من الشام فشكر الله له ذلك ونجاه من الغرق ولقد تركناها اية يريد هذه الفعلة عبرة وقيل اراد السفينة تركها اية لمن بعد قوم نوح يعتبرون بها فلا يكذبون الرسل قال قتادة ابقاها الله بباقردى من ارض الجزيرة عبرة واية حتى نظرت اليها اوايل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا فهل من مدكر متعظ خائف مفتعل واصله مذتكر مفتعل من الذكر فثقلت على الالسنة فقلبت التاء دالا لتوافق الدال في الجهر وادغمت الدال فيها فكيف كان عذابي ونذري اي انذاري قال الفرا الانذار والنذر مصدران وقيل نذر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار قوله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر اي سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا سرجه والجمه قال

وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع

وقال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرا كله ظاهرا الا القران وقال غيره ولم يكن هذا لبني اسرائيل ولم يكونوا يقرؤون التوراة الا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم ومن اجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين احرقت على ما تقدم بيانه في سورة براءة فيسر الله تعالى على هذه الامة حفظ كلامه ليذكروا ما فيه اي يتعظوا الذكر والاتعاظ

سبب نجاة عوج بن عنق

هو ان يجمع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب فيهم فهل من مدكر قارئ يقروه وقال ابو بكر الوراق وابن شوذب فهل من طالب علم وخير فيعان عليه وكرر في هذه السورة للتنبيه والافهام وقيل ان الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الامة انبا الامم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الامم وما كان من عقبى امورهم وامور المرسلين فكان في كل قصة من انباء الامم يقوله هل من مدكر لان هل كلمة استفهام تستدعي افهامهم التي ركبت في اجوافهم وجعلها حجة عليهم فاللام من هل للاستعراض والها للاستخراج قوله تعالى كذبت عاد هم قوم هود فكيف كان عذابي ونذر وقعت نذري في هذه السورة في ستة اماكن محذوفة اليا في جميع المصاحف وقراها يعقوب مثبتة في الحالين وورش في الوصل لا غير وحذف الباقون ولا خلاف في حذف اليا من قوله فما تغن النذر والواو من قوله يدع فاما الياء من الداعي الاول فاثبتها في الحالين ابن محيصن وحميد ويعقوب والبزي وورش وابو عمرو في الوصل وحذف الباقون واما الداع الثانية فاثبتها يعقوب وابن محيصن وابن كثير في الحالين واثبتها ابو عمرو ونافع في الوصل وحذف الباقون انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي شديدة البرد قاله قتادة والضحاك وقيل شديدة الصوت وقد مضى في حم السجدة في يوم نحس اي في يوم كان مشوما عليهم وقال ابن عباس اي في يوم كانوا يتشاءمون به وقال الزجاج قيل في يوم اربعا ابن عباس كان اخر اربعا في الشهر افنى صغيرهم وكبيرهم وقراها رون الاعور نحس بكسر الحاء وقد مضى القول في حم السجدة في ايام نحسات وفي يوم نحس اي دائم الشوم استمر عليهم بنحوسه واستمر فيه العذاب الى الهلاك وقيل استمر بهم الى نار جهنم وقال الضحاك كان مرا عليهم وكذا حكى الكسائي ان قوما قالوا هو من المرارة يقال مر الشي وامر اي كان كالشي المر تكرهه النفوس وقد قال فذوقوا والذي يذاق قد يكون مرا وقيل هو من المرة بمعنى القوة اي في يوم نحس مستحكم الشوم كالشي المحكم الفتل الذي لا يطاق نقضه فان قيل فاذا كان يوم الاربعا يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر وقد مضى في البقرة حديث جابر بذلك فالجواب والله اعلم ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان الله تعالى يامرك ان تقضي باليمين مع الشاهد وقال يوم الاربعا يوم نحس مستمر ومعلوم انه لم يرد بذلك انه نحس على الصالحين بل اراد انه نحس على الفجار والمفسدين كما كانت الايام النحسات المذكورة في القران نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمومنين به منهم واذا كان كذلك لم يبعد ان يمهل الظالم من اول يوم الاربعا الى ان تزول الشمس فاذا ادبر النهار ولم يحدث رجعة استجيب دعا المظلوم عليه وكان اليوم نحسا على الظالم ودعا النبي صلى الله عليه وسلم انما كان على الكفار وقول جابر في حديثه لم ينزل امر غليظ اشارة الى هذا والله اعلم قوله تعالى تنزع الناس في موضع الصفة للريح اي تقلعهم من مواضعهم قيل قلعتهم من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها وقال مجاهد كانت تقلعهم من الارض فترمي بهم على رؤسهم فتندق اعناقهم وتبين رؤسهم من اجسادهم وقيل تنزع الناس من البيوت وقال محمد بن كعب عن ابيه قال النبي صلى الله عليه وسلم انتزعت الناس الريح من قبورهم وقيل حفروا احفرا ودخلوها فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم وتبقى تلك الحفر كانها اصول نخل قد هلك ما كان فيها فتبقى مواضعها منقعرة ويروي ان سبعة منهم حفروا حفرا وقاموا فيها ليردوا الريح قال ابن اسحاق لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة سمي لنا منهم ستة من اشد عاد واجسمها منهم عمرو بن الحلي والحارث بن شداد والهلقام وابنا تقن وخلجان بن سعد فاولجوا العيال في شعب بين جبلين ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عن من في الشعب من العيال فجعلت الريح تجعفهم رجلا رجلا فقالت امراة من عاد ذهب الدهر بعمرو بن حلي والهنيات ثم بالحارث والهلقام طلاع الثنيات والذي سد مهب الريح ايام البليات قال الطبري في الكلام حذف والمعنى تنزع الناس فتتركهم كانهم اعجاز نخل منقعر فالكاف في موضع نصب بالمحذوف وقال الزجاج الكاف في موضع نصب على الحال والمعنى تنزع الناس مشبهين اعجاز نخل والتشبيه قيل انه للحفر التي كانوا فيها والاعجاز جمع عجز وهو موخر الشي وكانت عاد موصوفين بطول القامة فشبهوا بالنخل انكبت لوجوهها وقال اعجاز نخل منقعر للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكر ويونث والمنقعر المنقلع من اصله قعرت النخلة قعرا قلعتها من اصلها فانقعرت قال الكسائي قعرت البير اي نزلت حتى انتهيت الى قعرها وكذلك الاناء اذا شربت

مانيه حتى انثنيت الى قعره قال وانقعرت البير اي نزلت حتى انثنيت اي جعلت لها قعرا وقال ابو بكر بن
الانباري سئل المبرد بحضرة اسمعيل القاضي عن الف مسالة هذه من جملتها فقيل له ما الفرق بين
قوله تعالى ولسليمان الريح وجاءتها ريح عاصف وقوله كانهم اعجاز نخل خاوية واعجاز نخل منقعر فقال
كلما ورد عليك من هذا الباب فان شئت رددته الى اللفظ تذكيرا او الى المعنى تانيثا وقيل ان النخل
والنخيل بمعنى يذكر ويونث كما ذكرنا فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر
تقدم **قوله تعالى** كذبت ثمود بالنذر هم قوم صالح كذبوا الرسل ونبيهم او كذبوا بالايات التي هي
النذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه ونذع جماعة وقرا الاشهب وابن السميقع وابو سماك العدوي
ابشر بالرفع واحد كذلك رفع بالابتداء والخبر نتبعه الباقون بالنصب على معنى انتبع بشرا منا
واحدا نتبعه وقرا ابو السماك ابشر بالرفع منا واحدا بالنصب رفع ابشر باضمار فعل يدل عليه
التي كانه قال اينبا بشر منا وقوله واحدا يجوز ان يكون حالا من المضمر في منا والناصب لها الظرف
والتقدير اينبا بشر كاين منا منفردا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في نتبعه منفردا لا ناصر له
انا اذا لفي ضلال وسعر اي ذهاب عن الصواب وسعر اي جنون من قولهم ناقة مسعورة اي كانها من
شدة نشاطها مجنونة ذكره ابن عباس قال الشاعر يصف ناقة

تخال بها سعرا اذا السفر هزها ... ذميل وايقاع من السير متعب

الذميل ضرب من سير الابل قال ابو عبيدة اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن
ذلك فهو الذميل ثم الرسيم يقال ذمل يذمل ويذمل ذميلا قال الاصمعي ولا يذمل بعير يوما وليلة
الا مهري قاله الجوهري وقال ابن عباس ايضا السعر العذاب وقاله الفراء وقال مجاهد بعد من الحق السدي
في احتراق قال

اصحوت اليوم ام شاقتك هر ... ومن الحب جنون مستعر

اي متقد ومحترق قال ابو عبيدة هو جمع سعير وهو لهيب النار والبعير المجنون يذهب كذا وكذا
لما يتلهب به من الحدة ومعنى الاية انا اذا لفي شقاء وعناء مما يلزمنا **قوله تعالى** القي الذكر
عليه من بيننا اي خصص بالرسالة من بين ال ثمود وفيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا وهذا الا
ستفهام معناه الانكار بل هو كذاب اشر اي ليس كما يدعيه وانما يريد ان يتعاظم ويلتمس التكبر علينا
من غير استحقاق والاشر المرح والتجبر والنشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا قال امرؤ القيس
يصف كلبا

فيدركنا فغم داجن ... سميع بصير طلوب نكر
الص الضروس حني الضلوع ... تبوع اريب نشيط اشر

وقيل اشر بطر والاشر البطر قال الشاعر

اشرتم بلبس الخز لما لبستم ... ومن قبل لا تدرون من فتح القرى

وقد اشر يا لكسر ياشر اشرا فهو اشر واشران وقوم اشارى مثل سكران وسكارى قال الشاعر

وخلت وعول اشارى بها ... وقد ازهف الطعن ابطالها

يقال ازهفت الدابة اي صرعته وازهف الشيء اي ذهب به فهو مزهف وازهفه فلان اي ذهب
به واهلكه قاله في الصحاح وقيل انه المتعدي الى منزلة لا يستحقها والمعنى واحد وقال ابن زيد وعبد
الرحمن بن حماد الاشر الذي لا يبالي ما قال وقرا ابو جعفر وابو قلابة اشر بفتح الشين وتشديد الراء
يعني به اشرنا واخبثنا سيعلمون غدا اي سيرون العذاب يوم القيامة او في حال نزول العذاب
بهم في الدنيا وقرا ابن عامر وحمزة بالتاء على انه من قول صالح لهم على الخطاب الباقون بالياء اخبارا من
الله لصالح عنهم وقوله غدا على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب

ان مع اليوم غدا ... قال للموت فينا سهام غير مخطية
من لم يكن ميتا في اليوم مات غدا ... وقال ابو الطماح
الا عللاني قبل نوح النوائح ... وقبل اضطراب النفس بين الجوانح
وقبل غد يا لهف نفسي على غد ... اذا راح اصحابي ولست برائح

انما اراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه من الكذاب الاشر قرا ابو قلابة الاشر بفتح الشين وتشديد
الراء جاء به على الاصل قال ابو حاتم لا تكاد العرب تتكلم بالاشر والاخير الا في ضرورة الشعر كقول

هو ضرب من سير الابل

رؤبة

بلال خير الناس وابن الاخير

وانما يقولون هو خير قومه وهو شر الناس قال الله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس وقال فستعلمون من هو شر مكانا وعن ابي حيوة فتح الشين وتخفيف
الراء وعن مجاهد وسعيد بن جبير ضم الشين والراء والتخفيف قال النحاس وهو معنى الاشر ومثله رجل
حذر وحذر **قوله تعالى** انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الهضبة التي سالوا فروي ان صالحا
صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عينوها عن سنامها فخرجت ناقة عشراء وبرا فتنة لهم اي
اختبارا وهو مفعول له فارتقبهم اي انتظر ما يصنعون واصطبر اي اصبر على اذاهم واصل الطاء في
اصطبر تاء فحولت طاء لتكون موافقة للصاد في الاطباق ونبئهم اي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم اي بين
ال ثمود وبين الناقة لها يوم ولهم يوم كما قال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس كان يوم
شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم واذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم
يبق لهم شيئا وانما قال بينهم لان العرب اذا اخبروا عن بني ادم مع البهائم غلبوا بني ادم وروى ابو الزبير
عن جابر قال لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك قال ايها الناس لا تسالوا الايات
هؤلاء قوم صالح سالوا نبيهم ان يبعث لهم ناقة فبعث الله عز وجل اليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج
فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غبها وهو معنى قوله تعالى ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر الشرب بالكسر الحظ من الماء وفي المثل اخرها اقلها شربا واصله في
سقي الابل لان اخرها يرد وقد نزف الحوض ومعنى محتضر اي يحضره من هو له فالناقة تحضر الماء يوم وردها
وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون
اللبن يوم وردها فيحتلبون **قوله تعالى** فنادوا صاحبهم يعني بالخطاب عقرها فتعاطى فعقر اي
ومعنى تعاطى تناول الفعل من قولهم عطوت اي تناولت ومنه قول حسان

كلتاهما حلب العصير فعاطني ... بزجاجة ارخاهما للمفصل

قال محمد بن اسحق كمن لها في اصل الشجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف
فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقبها حتى اتى
صخرة في راس جبل فرغا ثم لاذ بها فاتاهم صالح عليه السلام فلما راى الناقة قد عقرت بكى وقال
انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله وقد مضى في الاعراف بيان هذا المعنى قال ابن عباس وكان الذي
عقرها احمر ازرق اشقر اكشف افقى ويقال في اسمه قدار بن سالف وقال
الافوه الاودي

وفيكم لقد رجن تابعة ... على الغواية اقوام فقد بادوا

والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشؤوم ال ثمود قال مهلهل

انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ... ضرب القدار نقيعة القدام

وذكره زهير

فتنتج لكم غلمان اشام كلهم ... كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم

يريد احمر ثمود فكنى عن ثمود بعاد **قوله تعالى** انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يريد صيحة جبريل
وقد مضى في هود فكانوا كهشيم المحتظر وقرا الحسن وقتادة وابو العالية المحتظر بفتح الظاء اراد الحظيرة
الباقون بالكسر اراد صاحب الحظيرة وفي الصحاح والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وقرى كهشيم المحتظر
من كسره جعله الفاعل ومن فتحه جعله المفعول به ويقال للرجل القليل الخير انه لنكد الحظيرة قال ابو عبيد
اراه سمى امواله حظيرة لانه حظرها عنده ومنعها وهي فعيلة بمعنى مفعولة قال المهدوي من فتح الظاء
من المحتظر فهو مصدر والمعنى كهشيم الاحتظار ويجوز ان يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة قال
ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم
قال

اثرن عجاجة كدخان نار ... تشب بغرقد بال هشيم

وعنه كحشيش تاكله الغنم وعنه ايضا كالعظام النخرة المحترقة وهو قول قتادة وقال سعيد بن جبير
هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري هو ما تناثر من الحظيرة اذا ضربتها
بالعصا وهو فعيل بمعنى مفعول وقال ابن زيد العرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما والحظر المنع
والمحتظر المفتعل يقال منه احتظر على ابله وحظر اي جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد
الريح والسباع عن ابله قال الشاعر

ترى جيف المطي بجانبيه　　كأن عظامها خشب الهشيم

وعن ابن عباس ايضا انهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم والمحتظر على هذا الذي يتخذ حظيرة على زرعه والهشيم فتات السنبلة والتبن **قوله تعالى كذبت قوم لوط بالنذر** اخبر عن قوم لوط ايضا لما كذبوا لوطا انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا ترميهم بالحصبا وهي الحصا قال النضر الحاصب الحصبا في الريح وقال ابو عبيدة الحاصب الحجارة وفي الصحاح والحاصب الريح الشديدة الذي تثير الحصبا وكذلك الحصبة قال لبيد

جرت عليها ان خوت من اهلها　　اذيالها كل عصوف حصبه

عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف وقال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا　　بحاصب كنديف القطن منثور

الا ال لوط يعني من تبعه على دينه ولم يكن الا بنتاه نجيناهم بسحر قال الاخفش انما اجراه لانه نكرة ولو اراد سحر يوم بعينه لما اجراه ونظيره اهبطوا مصرا لما نكره فلما عرفه في قوله ادخلوا مصر ان شا الله لم يجره وكذا قال الزجاج سحرا اذا كان نكرة يراد به سحر من الاسحار يصرف تقول اتيته سحرا فاذا اردت سحر يومك لم تصرفه تقول اتيته سحر يا هذا واتيته بسحر والسحر هو ما بين اخر الليل وطلوع الفجر وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض اول النهار لان في هذا الوقت يكون مخايل الليل ومخايل النهار نعمة من عندنا انعاما منا على لوط وابنتيه فهو نصب لانه مفعول به كذلك نجزي من شكر اي كما جزينا لوط واهله بالانجا كذلك نجزي من شكر امن بالله واطاعه ولقد انذرهم يعني لوطا خوفهم بطشتنا عقوبتنا واخذنا اياهم بالعذاب فتماروا بالنذر اي شكوا فيما انذرهم به الرسول ولم يصدقوه وهو تفاعلوا من المرية ولقد راودوه عن ضيفه اي ارادوا منه تمكينهم ممن كان اتاه من الملايكة في هيئة الاضياف طلبا للفاحشة على ما تقدم يقال راودته على كذا مراودة ورواد اي اردته وراد الكلا يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا اي طلبه وفي الحديث اذا بال احدكم فليرتد لبوله اي يطلب مكانا لينا او منحدرا فطمسنا اعينهم يروى ان جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا وقيل صارت اعينهم كساير الوجه لا يرى لها شق كما تطمس الريح الاعلام بما تسفي عليها من التراب وقيل لا بل اعماهم الله مع صحة ابصارهم فلم يروهم قال الضحاك طمس الله على ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم فذوقوا عذابي ونذري اي فقلنا لهم ذوقوا والمراد من هذا الامر الخبر اي فاذقتهم عذابي الذي انذرهم به لوط ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر اي دايم عام استقر فيهم حتى يفضي بهم الى عذاب الاخرة وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها وبكرة هنا نكرة فلذلك صرفت فذوقوا عذابي ونذر العذاب الذي نزل بهم من طمس الاعين غير العذاب الذي اهلكوا به فلذلك حسن التكرير ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مذكر **قوله تعالى ولقد جا ال فرعون النذر** يعني القبط والنذر موسى وهرون وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين كذبوا باياتنا معجزاتنا الدالة على توحيدنا ونبوته وهي العصا واليد والسنين والطمسة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل النذر الانذار فاخذناهم اخذ عزيز اي غالب في انتقامه مقتدر اي قادر على ما اراد **قوله تعالى اكفاركم خير من اوليكم** خاطب العرب وقيل اراد كفار امة محمد وهو استفهام انكار ومعناه النفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم ام لكم براءة في الزبر اي في الكتب المنزلة على الانبيا بالسلامة من العقوبة وقال ابن عباس ام لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب ام يقولون نحن جميع منتصر اي جماعة لا نطاق لكثرة عددهم وقوتهم ولم يقل منتصرين اتباعا لرؤس الاي فرد الله عليهم وقال سيهزم الجمع اي جمع كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره وقراءة العامة سيهزم بالياء على ما لم يسم فاعله الجمع بالرفع وقرا رويس عن يعقوب سنهزم الجمع بالنون وكسر الزاي الجمع نصبا ويولون الدبر قراءة العامة بالياء على الخبر عنهم وقرا عيسى وابن ابي اسحق وورش عن يعقوب وتولون بالتاء على الخطاب والدبر اسم جنس كالدرهم والدينار فوحد والمراد الجمع لاجل رؤس الاي وقال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر انتقدم من الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فانزل الله نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال سعيد بن المسيب قال سعد بن ابي وقاص لما نزل قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي الجمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدروع ويقول اللهم ان قريشا جادتك تحادك وتحاد رسولك بفخرها

اذا بال احدكم فليرتد لبوله

اخرجها

كادوا خيلها فاخنهم الغداة ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر اخنى عليه الدهر اي اتى عليه واهلكه ومنه قول النابغة

اخنى عليها الذي اخنى على لبد　　واخنيت عليه افسدت

قال ابن عباس كان بين نزول هذه الاية وبين بدر سبع سنين فالاية على هذا مكية وفي البخاري عن عايشة ام المومنين قالت لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شيت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر بل الساعة موعدهم يريد القيامة والساعة ادهى وامر فيما لحقهم يوم بدر وادهى من الداهية وهي الامر العظيم يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهوا ودهيا وهي توكيد لها **قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر** فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ان المجرمين في ضلال اي بعد عن الحق وسعر اي احتراق وقيل جنون على ما تقدم في هذه السورة يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال جا مشركوا قريش يخاصمون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شي خلقناه بقدر وخرجه الترمذي ايضا وقال حديث حسن صحيح وروى مسلم عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شي بقدر قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم كل شي بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وهذا ابطال لمذاهب القدرية ذوقوا اي يقال لهم ذوقوا ومسها ما يوجد من الالم عند الوقوع فيها وسقر اسم من اسما جهنم مونث لا ينصرف لانه اسم مونث معرفة وكذلك لظى وجهنم وقال عطا سقر الطبق السادس من جهنم وقال قطرب سقر من سقرته الشمس وصقرته لوحته ويوم مصمقر ومسمقر شديد الحر الثانية قوله تعالى انا كل شي قراءة العامة كل بالنصب وقرا ابو السماك كل بالرفع على الابتداء ومن نصب فباضمار فعل وهو اختيار الكوفيين لان ان تطلب الفعل فهي به اولى والنصب ادل على عموم المخلوقات لله تعالى لانك لو حذفت خلقناه المفسر واظهرت الاول لصار انا خلقنا كل شي بقدر ولا يصح كون خلقناه صفة لشي لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف ولا تكون تفسيرا لما يعمل فيما قبله الثالثة الذي عليه اهل السنة ان الله سبحانه قدر الاشيا اي علم مقاديرها واحوالها وازمانها قبل ايجادها ثم اوجد منها ما سبق في علمه انه يوجده على نحو ما سبق في علمه فلا محدث في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته دون خلقه وان الخلق ليس لهم فيها الا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة واضافة وان ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله وقدرته وتوفيقه والهامه سبحانه لا اله الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القران والسنة لا كما قالت القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا قال ابو ذر قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا فنزلت هذه الاية الى قوله انا كل شي خلقناه بقدر فقالوا يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا فقال انتم خصما الله يوم القيامة الرابعة روى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه الامة المكذبون باقدار الله ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم فلا تسلموا عليهم خرجه ابن ماجة في سننه وخرج ايضا عن ابن عباس وجابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهم في الاسلام نصيب اهل الارجا والقدر واسند النحاس وحدثنا ابراهيم بن شريك الكوفي قال حدثنا عقبة بن مكرم الضبي قال حدثنا يونس بن بكير عن سعيد بن ميسرة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية الذين يقولون الخير والشر بايدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا انا منهم ولا هم مني وفي صحيح مسلم ان ابن عمر تبرا منهم واخبر انه بري منهم وانهم برآ منه قال فوالذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما تقبل الله منه حتى يومن بالقدر وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وهذا واضح وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن **قوله تعالى وما امرنا الا واحدة** اي الا مرة واحدة كلمح بالبصر اي قضاي في خلقي اسرع من لمح البصر واللمح النظر بالعجلة يقال لمح البرق ببصره وفي الصحاح لمحه والمحه

اذا ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمحا اي لمع **قوله تعالى** ولقد اهلكنا اشياعكم
اي اشباهكم في الكفر من الامم الخالية وقيل اتباعكم واعوانكم فهل من مدكر اي من يتذكر
وكل شيء فعلوه في الزبر اي جميع ما فعلته الامم قبلهم من خير او شر كان مكتوبا عليهم وهذا بيان قوله انا كل شيء
خلقناه بقدر في الزبر اي في اللوح المحفوظ وقيل في كتب الحفظة وقيل في ام الكتاب وكل صغير وكبير
مستطر اي كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامله قبل ان يفعلوه ليجازوا ومكتوب اذ فعلوه سطر يسطر
سطرا اكتب واستطر مثله **قوله تعالى** **ان المتقين في جنات ونهر** لما وصف الكفار وصف المؤمنين
ايضا ونهر يعني انهار الماء والخمر والعسل قاله ابن جريج ووحد لانه راس الاية ثم الواحد قد ينبئ عن الجميع
وقيل في نهر في ضياء وسعة ومنه النهار لضيائه ومنه انهرت الجرح قال الشاعر

ملكت بها كفي فانهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

قال ابو مجلز وابو نهيك والاعرج وطلحة بن مصرف وقتادة وهو بضمتين كانه جمع نهار لا ليل لهم كسحاب
وسحب قال الفراء انشدني بعض العرب ... ان تك ليليا فاني نهر

متى ارى الصبح فلا انتظر ... اي صاحب النهار وقال اخر

لولا الثريد ان هلكنا بالضمر ... ثريد ليل وثريد بالنهر

في مقعد صدق اي مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وهو الجنة عند مليك مقتدر اي يقدر على ما يشاء وعند
هاهنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة قال الصادق مدح الله المكان الصدق
فلا يقعد فيه الا اهل الصدق وقرا عثمان البتي في مقاعد صدق بالجمع والمقاعد مواضع قعود الناس في الاسواق
وغيرها قال عبد الله بن بريدة ان اهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار تبارك وتعالى فيقرؤن القران على
ربهم تبارك وتعالى وقد جلس كل انسان مجلسه الذي هو مجلسه على منابر من الدر والياقوت والزبرجد
والذهب والفضة بقدر اعمالهم فلا تقر اعينهم بشيء قط كما يقر بذلك ولم يسمعوا شيئا اعظم ولا احسن
منه ثم ينصرفون الى منازلهم قريرة اعينهم الى مثلها من الغد وقال ثور بن يزيد عن خالد بن معدان بلغنا
ان الملائكة ياتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون يا اولياء الله انطلقوا فيقولون الى اين فيقولون الى
الجنة فيقول المؤمنون انكم تذهبون بنا الى غير بغيتنا فيقولون فما بغيتكم فيقولون مقعد صدق عند
مليك مقتدر وقد روي هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى في الخبر ان طائفة من العقلاء بالله عز وجل
تزفها الملائكة الى الجنة والناس في الحساب فيقولون للملائكة الى اين تحملوننا فيقولون الى الجنة فيقولون انكم
لتحملوننا الى غير بغيتنا فيقولون وما بغيتكم فيقولون المقعد الصدق مع الحبيب كما اخبر في مقعد صدق
عند مليك مقتدر ... ختمت السورة المباركة بحمد الله المنان ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

تفسير سورة الرحمن

مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطا وجابر وقال جابر الا اية منها وهي قوله تعالى
يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان الاية وهي ست وسبعون اية وقال ابن مسعود ومقاتل
هي مدنية كلها والقول الاول اصح لما روي عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقران بمكة بعد النبي
صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القران يجهر به قط فمن
رجل يسمعوه فقال ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابى ثم قام عند
المقام فقال بسم الله الرحمن الرحيم ... قوله **الرحمن علم**
القران ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش في انديتها فتاملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول الذي
يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا
سورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا به وفي الترمذي عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن فكانوا
احسن منكم مردودا كنت كلما اتيت على قوله فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب
فلك الحمد قال حديث غريب وفي هذا دليل على انها مكية والله اعلم وروي ان قيس بن عاصم المنقري قال
للنبي صلى الله عليه وسلم اتل علي مما انزل عليك فقرا عليه سورة الرحمن فقال اعدها فاعادها ثلاثا

تعالى والله ان له لحلاوة وعليه لطلاوة واسفله لمغدق واعلاه مثمر وما يقول هذا بشر وانا اشهد ان لا
اله الا الله وانك رسول الله وروي علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء عروس وعروس القران
الرحمن بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** **الرحمن علم القران**
قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر وحم ونون فيكون
مجموع هذه الرحمن علم القران اي علمه نبيه صلى الله عليه وسلم حتى اداه الى جميع الناس ونزلت حين قالوا وما
الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فانزل الله
تعالى الرحمن علم القران وقال الزجاج معنى علم القران اي سهله لان يذكر ويقرا كما قال ولقد يسرنا القران
للذكر وقيل جعله علامة لما تعبد الناس به خلق الانسان قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني ادم عليه
السلام علمه البيان اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان الانسان هاهنا
يراد به محمد صلى الله عليه وسلم والبيان بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون
لانه بين عن الاولين والاخرين ويوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما
ينفعه مما يضره وقاله قتادة وقيل الانسان يراد به جميع الناس فهو اسم للجنس والبيان على هذا الكلام
الفهم وهو مما فضل به الانسان على سائر الحيوان وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقال يمان
الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب معلوم
فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة وابو مالك اي يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها
وقال ابن زيد وابن كيسان يعني ان بهما تحسب الاوقات والاعمار والاجال ولولا الليل والنهار والشمس
والقمر لم يدر احد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير
اجالهما اي تجري باجال كاجال الناس فاذا جاء اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى وقال الضحاك
بقدر وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحى يعني قطبها يدوران في مثل القطب والحسبان قد يكون
مصدر حسبته احسبه بالضم حسبا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان وحسابة ايضا اي عددته
وقال الاخفش ويكون جماعة الحساب مثل شهاب وشهبان والحسبان بالضم العذاب والسهام القصار
وقد مضى في الكهف الواحدة حسبانة والحسبانة ايضا الوسادة الصغيرة يقول منه حسبته اذا وسدته
قال ... لثويت غير محسب ... اي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفن والنجم والشجر يسجدان
قال ابن عباس وغيره النجم ما لا ساق له والشجر ما له ساق وانشد ابن عباس قول صفوان بن اسد التميمي

لقد انجم القاع الكبير عضاهه ... وتم به حيا تميم ووائل ... وقال زهير بن ابي سلمى

مكلل باصول النجم تنسجه ... ريح الجنوب لضاحي مائه حبك

واشتقاق النجم من نجم الشيء ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع وسجودهما سجود ظلالهما قاله الضحاك وقال الفراء
سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران
الظل معهما كما قال تتفيا ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السماء وسجوده في قول مجاهد دوران ظله وهو
اختيار الطبري حكاه المهدوي وقيل سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتناء لثمارها حكاه الماوردي
وقيل ان جميع ذلك مسخر لله فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم وعبد كثير من العجم الشجر
والسجود الخضوع والمعنى به اثار الحدوث حكاه القشيري وقال النحاس اصل السجود في اللغة الاستسلام
والانقياد لله عز وجل فهو من الموات كله استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك ويكون
من سجود الصلواة وانشد محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم ... شعر

فباتت تعد النجم في مستحيرة ... سريع بايدي الاكلين جمودها

والسماء رفعها وقراءة
ابو السماك والسماء بالرفع على الابتداء واختار ذلك لما عطفه على الجملة التي هي والنجم والشجر يسجدان
فجعل المعطوف مركبا من ابتداء وخبر كالمعطوف عليه الباقون بالنصب على اضمار فعل يدل عليه ما بعده
ووضع الميزان اي العدل عن مجاهد وقتادة والسدي اي وضع في الارض العدل الذي امر به يقال
وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اي القاه وقيل على هذا الميزان القران لان فيه بيان ما يحتاج اليه
وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن به
لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله واقيموا الوزن بالقسط

والقسط العدل وقيل هو الحكم وقيل اراد وضع الميزان في الاخرة والوزن الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى في الاعراف القول فيه ان لا تطغوا في الميزان موضع ان يجوز ان يكون نصبا على تقدير حذف حرف الجر كانه قال لئلا تطغوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا ويجوز ان لا يكون لان موضع من الاعراب فيكون بمعنى اي ولا تطغوا على هذا التقدير مجزوما كقوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا اي امشوا والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس اي لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه الحكم قال الطغيان التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان وامركم ان لا تطغوا فيه واقيموا الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدرداء اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية وقيل هو كقولك اقام الصلاة اي اتى بها في وقتها واقام الناس اسواقهم اي اتوا بها لوقتها اي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا ولا تبخسوا الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقال قتادة في هذه الاية اعدل يا ابن ادم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح الناس وقيل المعنى ولا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان لحال رؤس الاي وقيل التكرير للامر بايفاء الوزن ورعاية العدل فيه وقراءة العامة تخسروا بضم التاء وكسر السين وقرأ بلال ابن ابي بردة وابان بن عثمان تخسروا بفتح التاء والسين وهما لغتان يقال اخسرت الميزان وخسرته كاجرته وجرته وقيل تخسروا بفتح التاء والسين محمول على تقدير حذف حرف الجر والمعنى ولا تخسروا في الميزان والارض وضعها للانام الانام الناس عن ابن عباس وقال الحسن الجن والانس وقال الضحاك كل ما دب على الارض وهذا عام فيها فاكهة اي ما يتفكه به الانسان من الوان الثمار والنخل ذات الاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام واكمة واكمام والاكاميم ايضا وكم الفسيل اذا اشفق عليه فستر عليه حتى يقوى فستر عليه قال العجاج

بل لو شهدت الناس اذ تكموا

بغمة لو لم تفرج غموا

وتكموا اي اغمي عليهم وغطوا واكمت وكممت اي اخرجت كمامها والكمام بالكسر والكمامة ما يكم فيه فم البعير لئلا يعض تقول منه بعير مكموم اي محجوم وكممت الشيء غطيته والكم ما ستر شيئا وغطاه ومنه كم القميص بالضم والجمع اكمام وكممة مثل حب وحببة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الرأس قال

فقلت لهم كيلوا بكمة بعضكم

دراهمكم اني كذاك اكيل

قال الحسن ذات الاكمام اي ذات الليف فان النخلة قد تكمم بالليف وكمامها ليفها الذي في اعناقها وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاحمال والحب ذو العصف والريحان الحب الحنطة والشعير ونحوهما والعصف التبن عن الحسن وغيره وقال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح وقال سعيد بن جبير بقل الزرع اي اول ما ينبت منه وقاله الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا في الصحاح وعصفت الزرع اي جززته قبل ان يدرك وعن ابن عباس ايضا العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس نظيره فجعلهم كعصف ماكول قال الجوهري وقد اعصف الزرع ومكان معصف اي كثير الزرع قال ابو قيس بن الاسلت الانصاري

اذا جمادى منعت قطرها

ان جنابي عطن معصف

والعصف ايضا الكسب ومنه قول الراجز

بغير ما عصفن ولا اكتساء

ولذلك الاعتصاف

والعصيفة الورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل وقال الهروي والعصف والعصيفة ورق السنبل وحكى الثعلبي وقال ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة

تسقي مذانب قد مالت عصيفتها

حدورها من اتي الماء مطموم

وفي الصحاح والجل بالكسر قصب الزرع اذا حصد والريحان الرزق عن ابن عباس ومجاهد قال الضحاك هي لغة حمير وعن ابن عباس ايضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم وقاله ابن زيد وعن ابن عباس ايضا انه خضرة الزرع وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف الماكول من الزرع والريحان ما لا يوكل وقال الكلبي ان العصف الورق الذي لا يوكل والريحان هو الحب الماكول وقيل

العصف التبن

الريحان هو الحب الماكول

الريحان كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم فهو فعلان روحان من الرائحة واصل الياء في الكلمة واو قلبت ياء للفرق بينه وبين الروحان وهو كل شيء له روح قاله ابن الاعرابي يقال شيء ريحاني وروحاني اي له روح ويجوز ان يكون على وزن فيعلان فاصله ريوحان فابدل من الواو ياء وادغم كهين ولين ثم الزم التخفيف لطوله ولحاق الزائدتين الالف والنون والاصل فيما يتركب من الواو والراء والحاء الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله قال النمر بن تولب

سلام الاله وريحانه

ورحمته وسماء درر

وفي الحديث الولد من ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا واما قوله والحب ذو العصف والريحان فالعصف ساق الزرع والريحان ورقه عن الفراء وقراءة العامة والحب ذو العصف والريحان بالرفع فيها كلها على العطف على الفاكهة ونصبها كلها ابن عامر وابو حيوة والمغيرة عطفا على الارض وقيل باضمار فعل اي وخلق الحب ذا العصف والريحان فمن هذا الوجه يحسن الوقف على ذات الاكمام وجر حمزة والكسائي الريحان عطفا على العصف اي فيها الحب ذو العصف والريحان ولا يمتنع ذلك على قول من جعل الريحان الرزق فيكون كانه قال والحب ذو الرزق والرزق من حيث كان العصف رزقا لان العصف رزق للبهائم والريحان رزق للناس ولا شبهة فيه في قول من قال انه الريحان المشموم فباي الاء ربكما تكذبان خطاب للانس والجن لان الانام واقع عليهما وهذا قول الجمهور يدل عليه حديث جابر المذكور اول السورة خرجه الترمذي وفيه للجن احسن منكم ردا وقيل لما قال خلق الانسان وخلق الجان دل ذلك على ما تقدم وما تاخر لهما وايضا قال سنفرغ لكم ايها الثقلان وهو خطاب للانس والجن وقد قال في هذه السورة يا معشر الجن والانس وقال الجرجاني خاطب الجن مع الانس وان لم يتقدم للجن ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب وقيل سبق ذكر الجن فيما سبق نزوله من القران والقران كالسورة الواحدة فاذا ثبت انهم مكلفون كالانس خوطب الانسان بهذه الايات وقيل الخطاب للانس على عادة العرب في الخطاب للواحد بلفظ التثنية حسب ما تقدم من القول في القيا في جهنم وكذا قولهم

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

خليلي مرا بي

فاما ما بعد خلق الانسان وخلق الجان فانه خطاب للانس والجن والصحيح قول الجمهور لقوله والارض وضعها للانام والالاء النعم وهو قول جميع المفسرين واحدها الى والى مثل معا ومعى والى والي اربع لغات حكاها النحاس قال وفي واحد انا الليل ثلاث لغات يسقط منها المفتوحة الالف المسكنة اللام وقد مضى في الاعراف والنجم وقال ابن زيد انها القدرة وتقدير الكلام فباي قدرة ربكما تكذبان وقاله الكلبي واختاره الترمذي محمد بن علي وقال هذه السورة من بين السور علم القران والعلم امام الجند والجند تتبعه وانما صارت علما لانها سورة صفة الملك والقدرة فقال الرحمن علم القران فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الاسماء ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة العظمى من رحمانيته فقال الرحمن علم القران ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به ثم ذكر حسبان الشمس والقمر وسجود الاشياء مما نجم وشجر وذكر رفع السماء ووضع الميزان وهو العدل ووضع الارض للانام فخاطب هذين الثقلين الجن والانس حين راوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة الى ذلك واشركوا به الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الاشياء بها اليهم فقال سائلا لهم فباي الاء ربكما تكذبان باي قدرة ربكما تكذبان فانما كان تكذيبهم انهم جعلوا له في هذه الاشياء التي خرجت من ملكه وقدرته شريكا يملك معه ويقدر معه فذلك تكذيبهم ثم ذكر خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ثم سالهم فقال فباي الاء ربكما تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان فان له في كل خلق بعد خلق قدرة بعد قدرة فالتكرير في هذه الايات للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة عليهم بما وقفهم على خلق خلق وقال القتبي ان الله تعالى عدد في هذه السورة نعماءه وذكر خلقه الاءه ثم اتبع كل خلة الخلة الخصلة بفتح الخاء وضعها ونعمة وضعها بهذه وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع فيه احسانك وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن صرورة فحججت بك افتنكر هذا الم تكن راجلا فحملتك

الولد من ريحان الله تعالى

أفتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال

كم نعمة كانت لكم كم وكم وكم وقال

لا تقتلي مسلماً إن كنت مسلمة إياك من دمه إياك إياك وقال آخر

لا تقطعن الصديق ما طرفت عيناك من قول كاشح أشر

ولا تملن من زيارته زره وزر وزر وزر وزر

وقال الحسين بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة **قوله تعالى** خلق الإنسان لما ذكر سبحانه
خلق العالم الكبير من السماء والأرض وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم
الصغير فقال خلق الإنسان يعني آدم باتفاق من أهل التأويل من صلصال الصلصال الطين اليابس الذي
يسمع له صلصلة شبهه بالفخار الذي طبخ وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم وأصل
إذا أنتن وقد مضى في الحجر وقال هنا من صلصال كالفخار وقال هناك من صلصال من حمإ مسنون وقال إنا خلقناهم
من طين لازب وقال كمثل آدم خلقه من تراب وذلك متفق المعنى وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فعجنه
فصار طيناً ثم انتقل فصار كالحمإ المسنون ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار وخلق الجان من مارج من
نار قال الحسن الجان إبليس وهو أبو الجن وقيل الجان واحد الجن والمارج اللهب عن ابن عباس وقال خلق الله
الجان من خالص النار وعنه أيضاً من لسانها الذي يكون في طرفها إذا التهبت وقال الليث المارج الشعلة
الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس أنه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض أحمر وأصفر
وأخضر ونحوه عن مجاهد وكله متقارب المعنى وقيل المارج كل مرسل غير ممنوع ونحوه قول المبرد قال المبرد
المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال أبو عبيدة والحسن المارج خلط النار وأصله من مرج إذا اضطرب
واختلط ويروى أن الله تعالى خلق نارين فمزج إحداهما بالأخرى فأكلت إحداهما الأخرى وهي نار السموم
فخلق منها إبليس قال القشيري والمارج في اللغة المرسل والمختلط وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ماء دافق
وعيشة راضية والمعنى ذو مرج وقال الجوهري في الصحاح ومارج من نار نار لا دخان لها خلق منها الجان فبأي
آلاء ربكما تكذبان **قوله تعالى** رب المشرقين ورب المغربين أي هو رب المشرقين وفي والصافات
رب المشارق ورب المغارب وقد مضى الكلام فيه هناك **قوله تعالى** مرج البحرين يلتقيان بينهما
برزخ لا يبغيان مرج أي خلى وأرسل وأهمل يقال مرج السلطان الناس أي أهملهم وأصل المرج الإهمال
كما تمرج الدابة في المرعى ويقال مرج خلط وقال الأخفش ويقول قوم أمرج البحرين مثل مرج فعل وأفعل
بمعنى البحرين قال ابن عباس بحر السماء وبحر الأرض وقاله مجاهد وسعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل
يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج إنه البحر المالح والأنهار العذبة
وقيل بحر المشرق والمغرب يلتقي طرفاهما وقيل بحر اللؤلؤ والمرجان بينهما برزخ حاجز فعلى القول الأول
ما بين السماء والأرض قاله الضحاك وعلى القول الثاني الأرض التي بينهما وهي الحجاز قاله الحسن وقتادة
وعلى غيرهما من الأقوال القدرة الإلهية على ما تقدم في الفرقان وفي الخبر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم أن الله تعالى كلم الناحية الغربية فقال إني جاعل فيك عباداً لي يسبحوني ويكبروني ويهللوني فكيف أنت
لهم قالت أغرقهم يا رب قال فإني أحملهم على يدي وأجعل بأسك في نواحيك ثم كلم الناحية الشرقية فقال
إني جاعل فيك عباداً يسبحوني ويكبروني ويهللوني ويمجدوني فكيف أنت لهم قالت أسبحك معهم إذا سبحوك
وأكبرك معهم إذا كبروك وأهللك معهم إذا هللوك وأمجدك معهم إذا مجدوك فأثابها الله الحلية
وجعل بينهما برزخاً وتحول إحداهما ملحاً أجاجاً وبقي الأخرى على حالته عذباً فراتاً ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم
أبو عبد الله قال حدثنا صالح بن محمد حدثنا القاسم العمري عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة لا يبغيان قال
قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جعل بينهما وبين الناس اليبس وعنه أيضاً ومجاهد لا يبغي أحدهما على صاحبه
فيغلبه وقال ابن زيد المعنى لا يبغيان أن يلتقيا وتقدير الكلام مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ
الذي بينهما لا يبغيان أن يلتقيا وقيل البرزخ ما بين الدنيا والآخرة أي بينهما مدة قدرها الله وهي مدة الدنيا
فهما لا يبغيان فإذا أذن الله في انقضاء الدنيا صار البحران شيئاً واحداً وهو كقوله وإذا البحار فجرت وقال
سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة **قوله تعالى**
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان كما يخرج من التراب الحب والعصف

والريحان وقرأ نافع وأبو عمرو يخرج بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول الباقون يخرج بفتح الياء وضم
الراء على أن اللؤلؤ هو الفاعل وقال منهما وإنما يخرج من الملح لا العذب لأن العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن
أحدهما كقوله يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم وإنما الرسل من الإنس دون الجن قاله الكلبي وغيره
وقال الزجاج قد ذكرهما فإذا خرج من أحدهما شيء فقد خرج منهما وهو كقوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً والقمر في السماء الدنيا ولكن أجمل ذكر السبع فكأن ما في إحداهن فيهن
وقال أبو علي الفارسي هذا من باب حذف المضاف أي من أحدهما كقوله تعالى على رجل من القريتين عظيم أي من
إحدى القريتين عظيم وقال الأخفش سعيد زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ من العذب وقيل هما بحران يخرج من
أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقال ابن عباس بحر السماء والأرض فإذا وقع ماء السماء في صدف البحر انعقد
لؤلؤاً فصار خارجاً منهما وقاله الطبري قال الثعلبي ولقد ذكر لي أن نواة كانت في جوف صدفة فأصابت
القطرة بعض النواة ولم تصب البعض فحيث كان أصاب القطرة من النواة لؤلؤة وسائرها نواة وقيل
إن العذب والملح قد يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح فنسب إليهما كما ينسب الولد إلى الذكر والأنثى
وإن ولدته الأنثى وكذلك قيل إنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضع يلتقي فيه العذب والملح ثم قيل المرجان
عظام اللؤلؤ وكباره قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما واللؤلؤ صغاره وعنهما أيضاً بالعكس إن اللؤلؤ كبار اللؤلؤ
والمرجان صغاره وقاله الضحاك وقتادة وقال ابن مسعود وأبو مالك المرجان الخرز الأحمر **قوله تعالى**
وله الجوار يعني السفن المنشآت قراءة العامة المنشآت بفتح الشين قال قتادة أي المخلوقات للجري مأخوذ
من الإنشاء وقال مجاهد هي السفن التي رفع قلعها قال وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشأة وقال الأخفش
إنها المجريات وفي الحديث أن علياً رضي الله عنه رأى سفناً مقلعة فقال ورب الجواري المنشآت ما قتلت عثمان
ولا مالأت في قتله وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم باختلاف عنه المنشئات بكسر الشين أي المنشئات السير
أضيف الفعل إليها على التجوز والاتساع وقيل الرافعات الشرع أي القلع ومن فتح الشين قال المرفوعات
الشرع كالأعلام أي كالجبال والعلم الجبل الطويل قال إذا قطعنا علماً بدا علم
والسفن في البحر كالجبال في البر وقد مضى في الشورى بيانه وقرأ يعقوب الجواري بياء في الوقف وحذف
الباقون الضمير في عليها للأرض وقد جرى ذكرها في أول
السورة في قوله والأرض وضعها للأنام وقد يقال هو أكرم من عليها يعنون الأرض وإن لم يجر لها ذكر وقال
ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الأرض فنزلت كل شيء هالك إلا وجهه فأيقنت
الملائكة بالهلاك وقاله مقاتل ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت ومع الموت تستوي
الأقدام وقيل وجه النعمة أن الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب ويبقى وجه ربك أي ويبقى
الله فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه قال الشاعر

قضى على خلقه المنايا فكل شيء سواه فان

وهذا الذي ارتضاه المحققون
من علمائنا ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم وقال ابن عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام وقال أبو المعالي وأما الوجه فالمراد به عند معظم أئمتنا وجود الباري تعالى وهو الذي ارتضاه
شيخنا ومن الدليل على ذلك قوله تعالى ويبقى وجه ربك والموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء
وجود الباري تعالى وقد مضى في البقرة القول في هذا عند قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله وذكرناه في
الكتاب الأسنى مستوفى قال القشيري قال قوم هو صفة زائدة على الذات لا تكيف يحصل بها الإقبال
على من أراد الرب تخصيصه بالإكرام والصحيح أن يقال وجهه وجوده وذاته يقال هذا وجه الأمر
ووجه الصواب وعين الصواب وقيل أي يبقى الظاهر بأدلته كظهور الإنسان بوجهه وقيل ويبقى
الجهة التي يتقرب بها إلى الله ذو الجلال الجلال عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات
المدح يقال جل الشيء أي عظم وأجللته أي أعظمته والجلال اسم من جل والإكرام أي هو أهل لأن يكرم عما لا
يليق به من الشرك كما يقول أنا أكرمك عن هذا ومنه إكرام الأنبياء والأولياء وقد أتينا على هذين
الاسمين لغة ومعنى في الكتاب الأسنى مستوفى وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألظوا بيا ذا الجلال
والإكرام وروي أنه من قول ابن مسعود ومعناه الزموا ذلك في الدعاء قال أبو عبيد الإلظاظ لزوم الشيء
والمثابرة عليه ويقال الإلظاظ الإلحاح وعن سعيد المقبري أن رجلاً ألح فجعل يقول اللهم يا ذا الجلال والإكرام

فنودي قد سمعت فاحاجتك — قيل المعنى يساله من في السموات
الرحمة ومن في الارض الرزق وقال ابن عباس وابو صالح اهل السموات يسالونه المغفرة ولا يسالونه الرزق
واهل الارض يسالونهما جميعا وقال ابن جريج وتساله الملايكة الرزق لاهل الارض فكانت المسئلتان
جميعا من اهل السما واهل الارض لاهل الارض وفي الحديث ان من الملايكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه
الانسان وهو يسال الله الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد وهو يسال الله الرزق للسباع ووجه كوجه
الثور وهو يسال الله الرزق للبهايم ووجه كوجه النسر وهو يسال الله الرزق للطير وقال ابن عطا انهم
سالوه القوة على العبادة كل يوم هو في شان هذا كلام مبتدا وانتصب كل يوم ظرفا لقوله في شان او
ظرفا للسوال ثم يبتدي هو في شان وروى ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو في
شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع اقواما ويضع اخرين وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قول الله عز وجل كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقيل من شانه انه
يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق ويمنع وقيل اراد شانه في يومي الدنيا والاخرة قال ابن بحر الدهر
كله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة فشانه سبحانه في ايام الدنيا الابتلا
والاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا والمنع وشانه يوم القيامة الجزاء والحساب
والثواب والعقاب وقيل المراد بذلك الاخبار عن شانه في كل يوم من ايام الدنيا وهو الظاهر والشان
في اللغة الخطب العظيم والجمع الشوون والمراد بالشان هاهنا الجمع كقوله ثم نخرجكم طفلا وقال
الكلبي شانه سوق المقادير الى المواقيت وقال عمرو ابن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو في شان من شانه
ان يميت حيا ويقر في الارحام ما يشاء ويعز ذليلا ويذل عزيزا وسال بعض الامرا وزيره عن قوله كل يوم
هو في شان فلم يعرف معناها فاستمهله الى الغد فانصرف كيبيا الى منزله فقال له غلام له اسود ما
شانك فاخبره فقال عد الى الامير فاني افسرها له فدعاه فقال ايها الامير شانه ان يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي
معافا ويعافي مبتلي ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال له فرجت عني فرج الله
عنك ثم امر بخلع ثياب الوزير وكساها الغلام فقال يا مولاي هذا من شان الله تعالى وعن عبد الله بن
طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها لي وهي قوله تعالى فاصبح
من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيامة وقوله
وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون
توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصايص لم يشركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن
على قتل هابيل ولكن على حمله فاما قوله وان للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه
بواحدة الفا واما قوله كل يوم هو في شان فانها شوون يبديها لا شوون يبتديها فقام عبد الله وقبل
راسه وسوغ خراجه — قوله تعالى سنفرغ لكم ايه الثقلان يقال فرغت من الشغل افرغ فروغا وفراغا
وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلته وليس بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى
سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم وهذا وعيد وتهديد لهم كما يقول القايل لمن يريد تهديده اذا افرغ
لك اي اقصد قصدك وفرغ بمعنى قصد وانشد ابن الانباري في مثل هذا لجرير الان وقد فرغت الى
نمير — فهذا حين كنت لها عذابا — يريد وقد قصدت وقال ايضا انشد النحاس
فرغت الى العبد المقيد في الحجل — وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار
ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب هذا مذمم يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن لك اي اقصد الى ابطال امرك وهذا اختيار
القتيبي والكسايي وغيرهما وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم
مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك وانفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد وقرا عبد
الله وابي سنفرغ لكم وقرا الاعمش وابراهيم سيفرغ لكم بضم اليا وفتح الرا على ما لم يسم فاعله
وقرا ابن شهاب والاعرج سنفرغ لكم بفتح النون والرا قال الكسايي هي لغة تميم يقولون فرغ
يفرغ وحكي ايضا وفرغ يفرغ ورواها هبيرة عن حفص عن عاصم وروى الجعفي عن ابي عمرو سيفرغ
بفتح اليا والرا وروينا عن ابي هرمز وروي عن عيسى الثقفي سنفرغ بكسر النون وفتح الرا وقرا حمزة
والكسايي سيفرغ باليا الباقون بالنون وهي قراءة العامة والثقلان الجن والانس سميا بذلك لعظم شانهما
بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهم ثقل على الارض احيا
وامواتا قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل
المعاني كل شي له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصايده
يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقال سنفرغ لكم
فجمع ثم قال ايه الثقلان لانهما فريقان فكل فريق جمع وكذا قوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ولم يقل ان استطعتما لانهما فريقان في حال الجمع كقوله فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان
اختصموا في ربهم ولو قال سنفرغ لكما وقال ان استطعتما لجاز وقرا اهل الشام ايه الثقلان بضم الها
الباقون بفتحها وقد تقدم مستوفى — منهم مثابون معاقبون كالانس سوا مومنهم لمومنهم وكافرهم
لكافرهم لا فرق بيننا وبينهم في شي من ذلك **قوله تعالى** يا معشر الجن والانس الاية ذكر ابن
المبارك واخبرنا جويبر عن الضحاك قال اذا كان يوم القيامة امر الله السما الدنيا فتشققت باهلها
فتكون الملايكة على حافاتها حتى يامرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن فيها ثم يامر السما
التي تليها فينزلون فيكونون صفا في جوف ذلك الصف ثم السما الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة
ثم السابعة فينزل الملك الاعلى في بهايه وملكه ومجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا
ياتون قطرا من اقطارها الا وجدوا صفوفا من الملايكة فذلك قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان والسلطان العذر وقال
الضحاك ايضا بينما الناس في اسواقهم انفتحت السما ونزلت الملايكة فتهرب الجن والانس فتحدق بهم الملايكة
فذلك قوله تعالى لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس قال الشيخ المولف رحمه الله فعلى هذا يكون في
الدنيا وعلى ما ذكر ابن المبارك يكون في الاخرة وعن الضحاك ايضا ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات
ومن في الارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله تعالى وعنه ايضا ان معنى لا تنفذون
الا بسلطان لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم وقال قتادة لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك
وقيل لا تنفذون الا الى سلطاني الباء بمعنى الى كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي قال الشاعر
اسي بنا او احسني لا ملومة — لدينا ولا مقلية ان تقلت — وقوله فانفذوا امر
تعجيز **قوله تعالى** يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس اي لو خرجتم ارسل عليكما شواظ واخذكما
العذاب المانع من النفوذ وقيل ليس هذا متعلقا بالنفوذ بل اخبر انه يعاقب العصاة عذابا بالنار وقيل اي
بالا ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار عقوبة على ذلك التكذيب وقيل يحاط على الخلايق بالملايكة
وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس فتلك النار قوله يرسل عليكما شواظ من نار والشواظ في قول
ابن عباس وغيره اللهب لا دخان فيه والنحاس الدخان الذي لا لهب فيه ومنه قول امية بن ابي الصلت
يهجو حسان بن ثابت كذا وقع في تفسير الثعلبي والماوردي ابن ابي الصلت وفي الصحاح والوقف
والابتدا لابن الانباري امية — بن خلف

الا من مبلغ حسان عني	مغلغلة تدب الى عكاظ
اليس ابوك فينا كان قينا	لدى القينات فسلا في الحفاظ
يمانيا يظل يشد كيرا	وينفخ دايبا لهب الشواظ

فاجابه حسان فقال

هجوتك فاختضعت لها بذل	بقافية تاجج كالشواظ

وقال رؤبة

ان لهم من وقعنا اقيظا	ونار حرب تسعر الشواظا

وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب
وقاله سعيد بن جبير وقد قيل ان الشواظ النار والدخان جميعا قاله ابو عمرو وحكاه عن الاخفش عن بعض العرب
وقرا ابن كثير شواظ بكسر الشين الباقون بالضم وهما لغتان مثل صوار وصوار لقطيع البقر ونحاس قراءة العامة
ونحاس بالرفع عطف على شواظ وقرا ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو ونحاس بالخفض عطفا على النار قال
المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين واما الجر على قول من جعل

شانه سوق المقادير الى المواقيت

الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف كانه قال يرسل عليكما شواظ
من نار وشيء من نحاس فشيء معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي صفة لشيء وحذفت من لتقدم
ذكرها في من نار كما حذفت على من قولهم على من تنزل انزل عليه فيكون نحاس على هذا مجرورا بمن المحذوفة
وعن مجاهد وحميد وعكرمة وابي العالية ونحاس بكسر النون لغتان كالشواظ والشواظ والنحاس بالكسر ايضا
الطبيعة والاصل يقال فلان كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجار وعن مسلم بن جندب ونحس بالرفع
وعن حنظلة بن مرة بن النعمان الانصاري ونحس بالجر عطف على نار ويجوز ان يكون ونحاس بالكسر جمع نحس كصعب
وصعاب ونحس بالرفع عطف على شواظ وعن الحسن ونحس بالضم فيهن جمع نحس ويجوز ان يكون اصله ونحوس فقصر
بحذف واوه حسب ما تقدم عند قوله وبالنجم هم يهتدون وعن عبد الرحمن بن ابي بكرة ونحس بفتح النون وضم
الحاء وشد السين من حس يحس حسا اذا استاصل ومنه قوله تعالى اذ تحسونهم باذنه والمعنى نقتل بالعذاب
وعلى القراءة الاولى ونحاس فهو الصفر المذاب يصب على رؤسهم قاله مجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس
وعن ابن عباس ايضا وسعيد بن جبير ان النحاس الدخان الذي لا لهب فيه وهو قول الخليل والنحاس هو معروف
وفي كلام العرب قال نابغة بن جعدة

تضيء كضوء سراج السليط — لم يجعل الله فيه نحاسا

قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول السليط دهن السمسم بالشام ولا دخان فيه وقال مقاتل هي خمسة انهار
من صفر مذاب تجري من تحت العرش على رؤس اهل النار ثلاثة انهار على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار
وقال ابن مسعود النحاس المهل وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار الذي له ريح
شديدة فلا تنتصران اي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس **قوله تعالى** فاذا انشقت
السماء اي انصدعت يوم القيامة فكانت وردة كالدهان الدهان الدهن عن مجاهد والضحاك وغيرهما
والمعنى انها صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير وقتادة المعنى
فكانت حمراء وقيل المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمرا
من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقيل الدهان الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيدة
والفراء اي تصير السماء حمرا كالاديم لشدة حر النار قال ابن عباس المعنى فكانت كالفرس الورد يقال
للكميت ورد اذا كان يتلون بالوان مختلفة قال ابن عباس الفرس الورد في الربيع كميت اصفر وفي الشتاء
كميت احمر فاذا اشتد الشتاء كان كميتا اغبر وقال الفراء اراد الفرس الوردة تكون في الربيع وردة الى
الصفرة فاذا اشتد البرد كانت وردة حمرا فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة فشبه تلون السماء
بتلون الورد من الخيل وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا وقال زيد
بن اسلم المعنى انها تصير كعكر الزيت وقيل المعنى انها تمر وتجيء قال الزجاج اصل الواو والراء والدال للمجيء والاتيان
وهذا قريب مما قدمناه من ان الفرس الوردة تتغير الوانها وقال قتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها لون احمر
حكاه الثعلبي وقال الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوائل وبعد المسافة
ترى بهذا اللون الازرق وشبهوا ذلك بعروق البدن وهي حمراء كحمرة الدم وترى بالحائل زرقا فان كان
هذا صحيحا فان السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لانه اصل لونها والله اعلم
قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان هذا مثل قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون وان القيامة مواطن لطول ذلك اليوم فيسأل في بعض ولا يسأل في بعض وهذا قول عكرمة وقيل
المعنى لا يسألون اذا استقروا في النار وقال الحسن وقتادة لا يسألون عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم
وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس وعن الحسن ومجاهد ايضا المعنى لا يسأل الملائكة عنهم لانهم
يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده وقاله مجاهد عن ابن عباس وعنه ايضا في قوله تعالى فوربك لنسألنهم
اجمعين وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم ليعرف ذلك منهم لانه اعلم بذلك منهم
ولكنه يسألهم لم عملتموها سؤال توبيخ وقال ابو العالية لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة كانت
المسألة قبل ثم ختم على افواه القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وفيه قال فيلقى العبد فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الابل والخيل واذرك
ترأس وتربع فيقول بلى فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني
فيقول له ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك

وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع قال فيقول ها هنا اذا ثم يقال الآن نبعث
شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه
وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه وقد مضى هذا الحديث
في حم السجدة وغيرها **قوله تعالى** يعرف المجرمون بسيماهم قال الحسن سواد الوجوه وزرقة الاعين
قال الله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيؤخذ بالنواصي والاقدام
اي تاخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم في النار والنواصي جمع ناصية
وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين
ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار وقيل يفعل ذلك به ليكون اشد لعذابه واكثر لتشويهه وقيل تسحبهم
الملائكة الى النار تارة تاخذ بناصيته وتجره على وجهه وتارة تاخذ بقدميه وتسحبه على راسه
هذه جهنم اي يقال لهم هذه النار التي اخبرتم بها فكذبتم يطوفون بينها وبين حميم آن قال قتادة يطوفون
مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم والجحيم النار والحميم الشراب وفي قوله تعالى آن ثلاثة وجوه احدها انه الذي
قد انتهى حره وحميه قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه قول النابغة الذبياني

وتخضب لحية غدرت وخانت — باحمر من نجيع الجوف آن

قال قتادة آن طبخ منذ خلق الله السموات والارض يقول اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم ذلك وقال
كعب آن واد من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فيغمسون باغلالهم فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم
يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم آن
وعن كعب ايضا انه الحاضر وقال مجاهد انه الذي قد آن شربه وبلغ غايته والنعمة فيما وصف من هول القيامة
وعقاب المجرمين ما في ذلك من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه اتى على شاب في الليل يقرأ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته
العبرة وجعل يقول ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى مثلها
فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك **قوله تعالى** ولمن خاف مقام ربه جنتان
فيه مسألتان الاولى لما ذكر احوال اهل النار ذكر ما اعد للابرار والمعنى خاف قيامه بين يدي ربه للحساب
فترك المعصية فمقام مصدر بمعنى القيام وقيل خاف قيام ربه عليه اي اشرافه واطلاعه عليه بيانه
افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال مجاهد وابراهيم النخعي هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها
من خوفه الثانية هذه الآية دليل على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان
هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه وقاله سفيان الثوري وافتى به وقال محمد بن علي الترمذي
جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد اداء الفرائض وقيل المقام الموضع
اي خاف مقامه بين يدي ربه للحساب كما تقدم ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله وهو كالاجل في قوله
فاذا جاء اجلهم وقوله في موضع آخر ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر جنتان اي لمن خاف جنتان على حدة فلكل خائف
جنتان وقيل جنتان لجميع الخائفين والاول اظهر وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنتان
بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام في وسط كل بستان دار من نور على نور وليس منها شيء
الا يهتز نغمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها نابت ذكره المهدوي والثعلبي ايضا من حديث ابي هريرة
وقيل ان الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه كما يفعل
رؤساء الدنيا وقيل ان احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل ان احدى الجنتين اسافل القصور والاخرى
اعاليها وقال مقاتل هما جنة عدن وجنة النعيم وقال الفراء انما هي جنة واحدة فثنى لرؤس الآي وانكر
القتبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر لمراعاة رؤس الآي
وايضا قال ذواتا افنان وقال ابو جعفر النحاس قال الفراء قد تكون جنة فتثنى في الشعر وهذا القول
من اعظم الغلط على كتاب الله عز وجل يقول الله تعالى عز وجل جنتان ويصفهما بقوله فيهما فيدع الظاهر ويقول
يجوز ان تكون جنة ويحتج بالشعر وقيل انما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة الى جهة وقيل
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين برزت
قاله عطاء وابن شوذب وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه فسال عنه فاخبر انه من غير

حل فاستقاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك اية وتلي هذه الاية

قوله تعالى ذواتا افنان قال ابن عباس وغيره اي ذواتا الوان من الفاكهة الواحد فن وقال مجاهد الافنان الاغصان واحدها فنن قال النابغة

دعا حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني

وقال اخر يصف طايرين

باتا على غصن بان ... في ذري فنن يردد ان

لحونا ذات الوان

اراد باللحون اللغات وقال اخر

ما هاج شوقك من هدير حمامة ... تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو ابا فرخين صادف ضاريا ... ذا مخلبين من الصقور قطاما

والفنن جمعه افنان ثم الافانين وقال يصف رحي

لها زمام من افانين الشجر

وشجرة فناء اي ذات افنان وفنواء ايضا على غير قياس وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحلون اولوا افانين يريد اولوا فنن وهو جمع افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقيل ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على ما سواهما قاله قتادة وعن مجاهد ايضا وعكرمة ان الافنان ظل الاغصان على الحيطان **قوله تعالى** فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عين جارية قاله ابن عباس تجريان ما بالزيادة والكرامة من الله تعالى على اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى العينين التسنيم والاخرى السلسبيل وعنه ايضا عينان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة حصاهما الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحماتهما المسك الاذفر وحافاتهما الزعفران وقال عطية احدهما من ماء غير اسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك وقال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل **قوله تعالى** فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان وكلاهما حلو يستلذ به قال ابن عباس ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وقيل ضربان رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل والطيب وقيل اراد تفضيل هاتين الجنتين على الجنتين اللتين دونهما فانه ذكر هاهنا عينين جاريتين وذكر ثم عينين تنضخان بالماء والنضخ دون الجري فكانه قال في تلك الجنتين من كل فاكهة نوع وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان **قوله تعالى** متكين على فرش هو نصب على الحال والفرش جمع فراش وقرا ابو حيوه فرش باسكان الرا بطاينها جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة والاستبرق ما غلظ من الديباج وخشن اي اذا كانت البطاين التي تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهارة قاله ابن مسعود وابو هريرة وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطاينها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلالا وعن الحسن بطاينها من استبرق وظواهرها من نور جامد وعن الحسن ايضا البطاين هي الظواهر وهو قول الفرا وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهرا فيقولون هذا بطن السما وظهر الارض وقال الفرا قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السما وهذا بطن السما لظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد قوما كالحايط بينك وبين قوم وعلى ذلك امر السما وجنى الجنتين دان الجنى ما يجتنى من الشجر يقال اتانا بجنات طيبة لكل ما يجتنى وثمر جني على فعيل حين جني وقال الشاعر

هذا جناي وخياره فيه ... اذ كل جان يده الى فيه

وقري وجني بكسر الجيم دان قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شا قايما وان شا قاعدا وان شا مضطجعا لا يرد يده بعد ولا شوك **قوله تعالى** فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فيهن اي في الجنتين المذكورتين قال الزجاج وانما قال فيهن لانه عني الجنتين وما اعد لصاحبهما من النعم وقيل فيهن يعود على الفرش التي بطاينها من استبرق اي في هذه الفرش قاصرات الطرف اي نسا قاصرات الطرف قصرن اعينهن على ازواجهن فلا يرين غيرهم وقد مضي في والصافات ووحد الطرف مع الاضافة الى الجمع لانه في معنى المصدر من طرفت عينه تطرف طرفا ثم سميت العين بذلك فادي عن الواحد والجمع كقولهم قوم عدل وصوم الثانية قوله تعالى لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن هولاء احد قال الفرا والطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية

طمثها يطمثها طمثا اذا افتضها ومنه قيل امراة طامث اي حايض وغير الفرا يخالفه في هذا ويقول طمثها بمعنى وطيها على اي الوجوه كان الا ان قول الفرا اعرف واشهر وقرا الكسايي لم يطمثهن بضم الميم يقال طمثت المراة تطمث بالضم حاضت وطمثت بالكسر لغة فهي طامث وقال الفرزدق

وقعن الي لم يطمثهن قبلي ... وهن اصح من بيض النعام

وقيل لم يطمثهن لم يمسسهن قال ابو عمرو والطمث المس وذلك في كل شي ويقال للمرتع ما طمث ذا المرتع قبلنا احد وما طمث هذه الناقة قبل اي ما مسها وقال المبرد اي لم يذللهن انس ولا جان والطمث التذليل وقرا الحسن جان بالهمز الثالثة في هذه الاية دليل على ان الجن تغشى كالانس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات قال ضمرة للمومنين منهم ازواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن وقيل اي لم يطمث ما وهب الله للمومنين من الانس في الجنة من الحور العين ومن الانسيات انس وذلك لان الجن لا تطا بنات ادم في الدنيا ذكره القشيري قلت وقد مضى في النمل القول في هذا وفي سبحان ايضا وانه جايز ان تطا بنات بني ادم وقد قال مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن انس ولا جان يعلمك ان نسا الادميات قد يطمثهن الجان وان الحور العين قد برين من هذا العيب ونزهن والطمث الجماع ذكره الترمذي الحكيم وذكره المهدوي ايضا والثعلبي وغيرهما **قوله تعالى** كانهن الياقوت والمرجان روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نسا اهل الجنة ليرى بياض سوقها من ورا سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله عز وجل يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته ويروى مرفوعا وقال عمرو بن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورا ذلك كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضا وقال الحسن من صفا الياقوت وبياض المرجان **قوله تعالى** هل جزا الاحسان الا الاحسان هل في الكلام على اربعة اوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى على الانسان وهل اتاك وبمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون وبمعنى الجحد كقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل جزا الاحسان الا الاحسان قال عكرمة اي هل جزا من قال لا اله الا الله الا الجنة ابن عباس اي ما جزا من قال لا اله الا الله وعمل بما جا محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة وقيل اي هل جزا من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة قاله ابن زيد وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هل جزا الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم قال هل جزا من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحضرة قدسي برحمتي وقال الصادق هل جزا من احسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه في الابد وقال محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة على الفاجر في الدنيا والبر في الاخرة **قوله تعالى** ومن دونهما جنتان اي وله من دون الجنتين الاولتين جنتان اخريان قال ابن عباس ومن دونهما في الدرج ابن زيد ومن دونهما في الفضل ابن عباس والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الاوليين النخل والشجر وفي الاخريين الزرع والنبات وما انبسط الماوردي ويحتمل ان يكون ومن دونهما جنتان لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته احداهما للحور العين والاخرى للولدان المخلدين ليتميز بهما الذكور من الاناث وقال ابن جريج هي اربع جنات منها جنتان للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان وقال ابن زيد ان الاولين من ذهب للمقربين والاخريين من ورق لاصحاب اليمين قلت الى هذا ذهب الحليمي ابو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب منهاج الدين له واحتج بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ولمن خاف مقام ربه جنتان الى قوله مدهامتان قال تانك للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابي موسى الاشعري نحوه ولما وصف الله الجنتين اشار الى الفرق بينهما فقال في الاوليين فيهما عينان تجريان وقال في الاخريين فيهما عينان نضاختان اي فوارتان ولكنهما بالنسبة كالجاريتين لان النضخ دون الجري وقال في الاوليين فيهما من كل فاكهة زوجان نعم ولم يغير وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولم يقل من كل فاكهة وقال في الاوليين متكين على فرش بطاينها من استبرق وهو الديباج وفي الاخريين متكين على رفرف خضر وعبقري حسان العبقري الوشي ولا شك ان الديباج اعلى من الوشي والرفرف كسر الخبا ولا شك ان الفرش المعدة للاتكا عليها افضل

من فضل الجنا وقال في الاوليين في صور الحور العين كانهن الياقوت والمرجان وفي الاخريين فيهن خيرات
حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان وقال في الاوليين ذواتا افنان وفي الاخريين مدهامتان
اي خضراوان كانهما من شدة خضرتهن سوداوان ووصف الاوليين بكثرة الاغصان والاخريين بالخضرة
وحدها وان هذا كله تحقيق المعنى الذي قصدنا بقوله ومن دونهما جنتان ولعل ما لم يذكر من تفاوت بينهما
اكثر مما ذكر فان قيل كيف لم يذكر اهل هاتين الجنتين كما ذكر اهل الجنتين الاوليين قيل الجنان الاربع
لمن خاف مقام ربه الا ان الخايفين لهم مراتب فالجنتان الاوليان لاعلى العباد رتبة في الخوف من الله
تعالى والجنتان الاخرتان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى ومذهب الضحاك ان الجنتين الاوليين
من ذهب وفضة والاخريين من ياقوت وزمرد وهما افضل من الاوليين وقوله ومن دونهما اي من امامهما
ومن قبلهما والى هذا القول ذهب ابو عبد الله محمد الترمذي الحكيم في نوادر الاصول قال ومعنى ومن دونهما
جنتان اي دون هذي الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش واخذ يفضلهما على الاوليين بما سنذكره
عنه وقال مقاتل الجنتان الاولتان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة
الماوى **قوله تعالى** مدهامتان اي خضراوان من الري قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد مسودتان
والدهمة في اللغة السواد ويقال فرس ادهم وبعير ادهم وناقة دهما اي اشتدت زرقته حتى ذهب
البياض الذي فيه وان زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو جون وادهم الفرس ادهاما اي صار ادهم
وادهام الشي ادهيماما اي اسود قال الله تعالى مدهامتان اي مسودتان من شدة الخضرة من
الري والعرب تقول لكل اخضر اسود وقال لبيد

يرى قتلى هوازن وجاوابه في هودج ووراه كتايب خضر في نسيج السنور

السنور لبوس من قد كالزرع وسميت قرى العراق سواد الكثرة خضرتها ويقال لليل المظلم اخضر ويقال
اباد الله خضراهم **قوله تعالى** فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء عن ابن عباس والنضخ
بالخاء اكثر من النضح بالحاء وعنه ان المعنى نضاختان بالخير والبركة وقاله الحسن ومجاهد وابن مسعود
وابن عباس ايضا وانس تنضح على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة ما ينضح رش
المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والما الترمذي قالوا ان الفواكه والنعم والجواري المزينات
والدواب المسرجات والثياب الملونات قال الترمذي وهذا يدل على ان النضخ اكثر من الجري قال
ينبعان ثم يجريان **قوله تعالى** فيهما فاكهة ونخل ورمان فيه مسئلتان الاولى قال بعض العلما
ليس الرمان والنخل من الفاكهة لان الشي لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره وهذا ظاهر الكلام وقال
الجمهور هما من الفاكهة وانما اعاد ذكر الرمان والنخل لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة كقوله حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقد تقدم وقيل
انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهما في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان
كالثمرات فكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار التي يعجبون بها
وانما ذكر الفواكه ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من
ارض اليمن فاخرجهما في الذكر من الفواكه وافرد الفواكه على حدتها وقيل افردا بالذكر لان النخل ثمرة فاكهة
وطعام والرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله وهي المسالة الثانية اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا
او رطبا لا يحنث وخالفه صاحباه والناس قال ابن عباس الرمانة في الجنة مثل البعير المقتب وذكر
ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد
اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال
والدلا اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس فيه عجم قال وحدثنا المسعودي
عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة قال نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت
ثمرة عادت مكانها اخرى وان ماءها ليجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا **قوله تعالى**
فيهن خيرات حسان فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى فيهن خيرات حسان يعني النسا الواحدة خيرة
على فعلة قال ابو عبيدة وانما قيل خيرات لانه اصله خيرات فخفف كهين ولين ابن المبارك اخبرنا الاوزاعي عن حسان
بن عطية عن سعيد بن عامر قال لو ان خيرة من خيرات حسان اطلعت من السماء لاضاءت لها ولغلب ضوؤها

الشمس والقمر ولنصيف تكساه خير من الدنيا وما فيها حسان اي حسان الخلق واذا قال تعالى حسان
فمن ذا الذي يقدر يصف حسنهن وقال الزهري وقتادة خيرات الاخلاق حسان الوجوه وروي ذلك عن
النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ام سلمة وقال ابو صالح لانهن عذارى ابكار وقرا قتادة وابن السميقع
وابو رجا العطاردي وبكر بن حبيب السهمي خيرات بالتشديد على الاصل وقيل ان خيرات جمع خير والمعنى
ذوات خير وقيل مختارات قال الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله فابدع خلقهن باختياره فاختيار
الله لا يشبه اختيار الادميين ثم قال حسان فوصفهن بالحسن فاذا وصف خالق الحسن شيا بالحسن فانظر
ما هناك وفي الاوليين ذكر بانهن قاصرات الطرف وفي الحديث ان الحور العين ياخذ بعضهن بايدي بعض
ويتغنين باصوات لم تسمع الخلايق باحسن منها ولا بمثلها

نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن المقيمات فلا نظعن ابدا
ونحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن الناعمات فلا نباس ابدا

ونحن خيرات حسان حبيبات لازواج كرام خرجه الترمذي بمعناه من حديث علي رضي الله عنه قالت عايشة
رضي الله عنها ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابهن المومنات من نسا اهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن
ونحن الصايمات وما صمتن ونحن المتوضيات وما توضاتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت
عايشة فغلبنهن والله النابية واختلف ايهما اكثر حسنا وابهر جمالا الحور ام الادميات فقيل الحور لما ذكر من
وصفهن في القران والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعايه للميت وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل
الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف روي مرفوعا وذكر ابن المبارك اخبرنا رشدين عن
ابن انعم عن حبان بن ابي جبلة قال ان نسا الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا
وقيل ان الحور العين المذكورات في القران هن المومنات من ازواج النبيين والمومنين يخلقن في الاخرة
على احسن صورة قاله الحسن البصري والمشهور ان الحور العين لسن من نسا اهل الدنيا انما هن مخلوقات في
الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نسا اهل الدنيا مطموثات ولان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان اقل ساكني الجنة النسا فلا يصيب كل واحد منهم امراة ووعد الحور العين الجماعة منهم فثبت انهن من غير
نسا الدنيا **قوله تعالى** حور مقصورات في الخيام حور جمع حورا وهي الشديدة بياض العين الشديدة
سواد العين وقد تقدم مقصورات محبوسات مستورات في الخيام في الحجال لسن طوافات في الطرق قاله
ابن عباس وقال ابن عمر رضي الله عنه الجنة درة مجوفة وقاله ابن عباس وقال هو فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف
مصراع من ذهب وقال الترمذي الحكيم ابو عبد الله في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام بلغنا في الرواية
ان سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطي الانهار سعتها
اربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل ولي الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان ابصار المخلوقين
من الملايكة والخدم لم تاخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن ابصار المخلوقين والله اعلم وقال في الاوليين فيهن
قاصرات الطرف قصرن طرفهن على الازواج ولم يذكر انهن مقصورات فدل على ان المقصورات
اعلى وافضل وقال مجاهد مقصورات قد قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا منهم وفي الصحاح وقصرت
الشي اقصره قصرا ومنه مقصورة الجامع وقصرت الشي على كذا اذا لم تجاوز به الى غيره وامراة قصيرة
وقصورة اي مقصورة في البيت لا تترك ان تخرج قال كثير

وانت التي حببت كل قصيرة الي وما تدري بذاك القصاير
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد قصار الخطا شر النسا البحاتر

وانشد الفرا قصورة ذكره ابن السكيت وروي انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري
بي في الجنة بنهر حافتاه قباب المرجان فنوديت السلام عليك يا رسول الله فقلت من هؤلاء يا جبريل
قال هؤلاء جوار من الحور العين استاذن ربهن فاذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ابدا نحن الناعمات
فلا نباس ابدا نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ازواج رجال كرام ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم حور مقصورات
في الخيام اي محبوسات حبس صيانة وتكرمة وروي عن اسما بنت عبيد الاشهلية انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله انا معشر النسا محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحوامل اولادكم فهل نشارككم
في الاجر فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم اذا احسنتن تبعل ازواجكن وطلبتن مرضاتهم

لم يطمثهن اي لم يمسسن على ما تقدم قبل وقراءة العامة لم يطمثهن بكسر الميم وقرا ابو حيوة الشامي وطلحة بن
مصرف والاعرج والشيرزي عن الكسائي بضم الميم في الحرفين وكان الكسائي يكسر احداهما ويضم الاخرى
ويخير في ذلك فاذا رفع الاولى كسر الثانية واذا كسر الاولى رفع الثانية وهي قراءة ابي اسحق السبيعي قال
ابو اسحق كنت اصلي خلف اصحاب علي فيرفعون وكنت اصلي خلف اصحاب عبد الله فيكسرونها فاستعمل الكسائي
الامرين وهما لغتان طمث وطمث مثل يعرشون ويعرشون ويعكفون ويعكفون فمن ضم فللجمع بين اللغتين ومن كسر
فلانها اللغة السائرة وانما اعاد قوله لم يطمثهن ليبين ان صفة الحور المقصورات في الخيام صفة الحور القاصرات
الطرف تقول اذا اصحرت كانت لهم الخيام في تلك الحال قوله تعالى متكئين على رفرف خضر الرفرف
المجالس وقال ابن عباس الرفرف فضول الفرش والبسط وعنه ايضا الرفرف المجالس يتكئون على فضولها وقاله
قتادة وقال الحسن والقرظي هي البسط وقال ابن عيينة هي الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وقاله
الحسن ايضا وقال ابو عبيدة هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من الثياب الخضر تبسط وقيل الفرش المرتفع
وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال ابن مقبل وانا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من اطراف
ربط ورفرف وهذه الاقوال متقاربة وفي الصحاح والرفرف ثياب خضر تتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة
وقال سعيد بن جبير وابن عباس ايضا الرفرف رياض الجنة واشتقاق الرفرف من رف يرف اذا ارتفع
ومنه رفرفة الطير لتحريكه جناحيه في الهوا وربما سموا الظليم رفرافا بذلك لانه يرفرف بجناحيه بعده
ورفرف اذا حرك جناحيه حول الشيء يريد ان يقع عليه والرفرف ايضا كاسر الخبا وجوانب الدرع وما تدلى
منها الواحدة رفرفة وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقة
اي رفع طرف الفسطاط وقيل اصل الرفرف من رف البيت يرف اذا صار ناعما بصيرا حكاه الثعلبي وقاله
القتبي يقال للشيء اذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز رف يرف رفيفا حكاه الهروي
وقد قيل ان الرفرف شيء اذا استوى عليه صاحبه رفرف به واهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا
وخفضا يتلذذ به مع انيسه قاله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد ذكرناه في التذكرة قال الترمذي
فالرفرف اعظم خطرا من الفرش فذكر في الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال
هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شيء اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار
به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح واصله من رفرف بين يدي الله عز وجل روي لنا في حديث المعراج
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ السدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سند العرش
فذكر انه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا
يهوي به حتى اداه الى جبريل صلوات الله وسلامه عليه وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من
الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة
بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين الدانيتين هو متكاهما وفرشهما يرفرف بالولي
على حافات تلك الانهار وشطوطها حيث شاء الى خيام ازواجه الخيرات الحسان ثم قال وعبقري حسان
والعبقريات منقوشة تبسط فاذا قال خالق النفوس انها حسان فما ظنك بتلك العباقر وعبقري
حسان وقرا عثمان رضي الله عنه والجحدري والحسن وغيرهم متكئين على رفارف بالجمع غير مصروف و
ولذلك وعباقري حسان جمع رفرف وعبقري رفرفه وعبقرية والرفارف والعباقري جمع الجمع والعبقري
الطنافس الثخان منها قاله الفرا وقيل الزرابي عن ابن عباس وغيره الحسن هي البسط مجاهد الديباج القتبي
كل ثوب وشي عند العرب عبقري قال ابو عبيدة هو منسوب الى ارض يعمل فيها الوشي فينسب اليها
كل شيء جيد قال ذو الرمة حتى كان رياض القف البسها من وشي عبقر تجليل وتنجيد
وقيل عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة وقال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية يسكنها
الجن ينسب اليها كل فائق جليل وقال الخليل كل جليل نفيس فاضل من الرجال والنسا وغيرهم عند العرب
عبقري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه وقال
ابو عمرو بن العلاء وقد سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم فلم ار عبقريا يفري فريه فقال رئيس قوم وجليلهم
وقال زهير بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا
وقال الجوهري العبقر موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد

كهول وشبان كجنة عبقر ثم نسبوا اليه كل شيء يعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته
فقالوا عبقري وهو واحد وجمع وفي الحديث انه كان يسجد على عبقري وهو هذه البسط التي فيها الاصباغ
والنقوش حتى قالوا ظلم عبقري وهذا عبقري قوم رجل القوي وفي الحديث فلم ار عبقريا يفري فريه ثم
خاطبهم الله تعالى بما تعارفوه فقال عبقري حسان وقراءة بعضهم عباقري وهو خطا لان المنسوب
لا يجمع على نسبته وقال قطرب ليس بمنسوب بل هو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي وروى ابو بكرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان ذكره الثعلبي وضم الضاد من خضر
قليل قوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم ذي الجلال
والاكرام اي العظمة وقد تقدم والاكرام وقرا ابن عامر ذو الجلال بالواو وجعله وصفا للاسم وذلك
تقوية لكون الاسم هو المسمى الباقون ذي الجلال جعلوا ذي صفة لربك وكانه يريد الاسم الذي به افتتح السورة
فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن ووصف خلق السموات والارض وصنعه وانه
كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها وصفة اهل النار ثم ختمها بصفة
الجنان ثم قال في اخر هذه السورة تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة
كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السما والارض والخلق والخليقة والجنة
والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال ذي الجلال والاكرام جليل في ذاته كريم في افعاله ولم
يختلف القرا في اجرا النعت على الوجه بالرفع في اول السورة على ان المراد به وجه الله الذي يلقى المؤمنون
عندما ينظرون اليه فيستبشرون بحسن الجزا وجميل اللقا وحسن العطا تمت السورة المباركة بحمد الله

تفسير سورة الواقعة

مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا اربع ايات منها اثنان افبهذا الحديث انتم مدهنون
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفر وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين نزلتا في سفره
الى المدينة وهي سبع وتسعون اية وقال مسروق من اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين ونبا اهل الجنة
ونبا اهل النار ونبا اهل الاخرة فليقرا سورة الواقعة وذكر ابو عمر بن عبد البر في التمهيد والثعلبي ايضا
ان عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي
قال رحمة ربي قال افلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني قال افلا امر لك بعطائك قال لا حاجة
لي فيه حبسته عني في حياتي وتدفعه الي بعد مماتي قال يكون لبناتك من بعدك قال اتخشى على بناتي الفاقة من بعدي
اني امرتهن ان يقران سورة الواقعة كل ليلة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه فاقة بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
اذا وقعت الواقعة اي قامت القيامة والمراد النفخة الاخيرة وسميت واقعة لانها تقع عن قرب وقيل
لكثرة ما يقع فيها من الشدائد وفيها اضمار اي اذكر اذا وقعت الواقعة وقال الجرجاني اذا صلة اي وقعت
الواقعة كقوله اقتربت الساعة واتى امر الله وكما يقال قد جاء الصوم اي دنا واقترب وعلى الاول اذا للوقت
والجواب قوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة الكاذبة مصدر بمعنى الكذب
والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغو والمعنى ليس لها كذب
قال الكسائي ومنه قول العامة عائذا بالله اي معاذ الله وقم قائما اي قم قياما ولبعض نسا العرب ترقص
ابنها قم قائما قم قائما اصبت عبدا نائما وقيل الكاذبة صفة والموصوف محذوف اي لوقعتها
حالة كاذبة او نفس كاذبة اي كل من يخبر عن وقعتها صادق وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة اي لا يردها
شيء ونحوه قول الحسن وقتادة وقال الثوري ليس لوقعتها احد يكذب بها وقال الكسائي ايضا ليس لها تكذيب
اي ينبغي ان لا يكذب بها احد وقيل ان قيامها جد لا هزل فيه قوله تعالى خافضة رافعة قال
عكرمة ومقاتل والسدي خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت من نا يعني
اسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت
اقواما في عذاب الله ورفعت اقواما في طاعة الله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفضت اعدا الله في

النار ورفعت اوليا الله في الجنة محمد بن كعب خفضت اقواما كانوا في الدنيا مرفوعين ورفعت اقواما كانوا في الدنيا مخفوضين وقال ابن عطا خفضت اقواما بالعدل ورفعت اخرين بالفضل والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيمة توسعا ومجازا على عادة العرب في اضافتها الفعل الى المجاز والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون ليل قايم ونهار صايم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع على الحقيقة انما هو الله وحده فرفع اولياءه في اعلا الدرجات وجعل اعداءه في اسفل الدركات وقرا الحسن وعيسى الثقفي خافضة رافعة بالنصب الباقون بالرفع على اضمار مبتدا ومن نصب فعلى الحال وهو عند الفرا على اضمار فعل والمعنى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة وقعت خافضة رافعة والقيمة لاشك في وقعتها وانها ترفع اقواما وتضع اخرين على ما بيناه **قوله تعالى** **اذا رجت الارض رجا** اي زلزلت وحركت عن مجاهد وغيره يقال رجه يرجه رجا اي حركه وزلزله وناقة رجا اي عظيمة السنام والرجرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت امواجه قال الكلبي ان الله تعالى اوحي اليها اضطربت فرقا من الله تعالى قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شي عليها من الجبال وغيرها وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة ويسمع لها صوت وموضع اذا نصب على البدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج وبس الجبال لان عند ذلك تخفض ما هو مرتفع وترفع ما هو منخفض وقيل اذا وقعت الواقعة اذا رجت الارض قاله الزجاج والجرجاني وقيل اي اذكر اذا رجت رجا مصدر وهو دليل على تكرار الزلزلة **قوله تعالى** **وبست الجبال بسا** اي فتتت عن ابن عباس مجاهد كما يبس الدقيق اي تلت والبسيسة السويق والدقيق يلت بالسمن وبالزيت ثم يوكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز

لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حبسا

وذكر ابو عبيدة انه لص من غطفان اراد ان يخبز فخاف ان يعجل عن ذلك فاكله عجينا والمعنى انها خلطت وسارت كالدقيق الملتوت بشي من الماء اي تصير الجبال ترابا فيختلط البعض بالبعض وقال الحسن بست اي قلعت من اصلها فذهبت نظيرها ينسفها ربي نسفا وقال بست كالرماد والتراب وقيل البس السوق اي سيقت الجبال قال ابو زيد البس السوق وقد بسست الابل ابسها بالضم بسا وقال ابو عبيدة بسست الابل وابسست لغتان اذا زجرتها وقلت بس بس وفي الحديث تخرج قوم من المدينة الى اليمن والشام والعراق ويبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ومنه الحديث الاخر جاكم اهل اليمن يبسون عيالاتهم والعرب تقول جي به من حسك وبسك ورواها ابو زيد بالكسر فمعناه من حيث احسسته وبسسته من حيث بلغه مشترك وقال مجاهد سالت سيلا عكرمة هدت هدا محمد بن كعب سيرت سيرا ومنه قول الاغلب العجلي وقال الحسن قطعت قطعا والمعنى متقارب **قوله تعالى** **فكانت هباء منبثا** قال علي رضي الله عنه الهبا المنبث الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب فجعل الله اعمالهم كذلك قال مجاهد الهباء هو الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وروي نحوه عن ابن عباس وعنه ايضا ما تطاير من النار اذا اضطربت يطير منه شرار فاذا وقع لم يكن شيا وقاله عطية وقد مضى في الفرقان عند قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقراءة منبثا بالثا المثلثة اي متفرقا من قوله تعالى وبث فيها من كل دابة اي فرق ونشر وقرا مسروق والنخعي وابو حيوة منبتا بالتا باثنتين اي منقطعا من قوله بتة الله اي قطعه ومنه البتات **قوله تعالى** **وكنتم ازواجا ثلاثة** اي اصنافا ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة ثم بين منهم فقال واصحاب الميمنة ما واصحاب المشامة والسابقون واصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال الذي يوخذ بهم ذات الشمال الى النار قاله السدي والمشامة الميسرة وكذلك المشامة يقال فعل فلان شامه ويقال يا فلان شايم بصاحبك اي خذ بهم ذات الشمال والعرب تقول لليد الشمال الشومي وللجانب الشمال الاشام وكذلك يقال لما جا عن اليمين اليمين ولما جا من الشمال المشوم قال ابن عباس والسدي اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين ادم حين اخرجت الذرية فقال الله لهم هولا الى الجنة ولا ابالي وقال زيد بن اسلم اصحاب الميمنة هم الذين اخذوا من شق ادم الايمن يوميذ واصحاب المشامة هم الذين اخذوا من شق ادم الايسر وقال عطا ومحمد بن كعب اصحاب الميمنة من اوتي كتابه بيمينه واصحاب المشامة من اوتي

تقول العرب جي به من حسك وبسك

كتابه

كتابه بشماله وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اهل الحسنات واصحاب المشامة هم اهل السيئات وقال الحسن والربيع اصحاب الميمنة الميامين على انفسهم بالاعمال الصالحة واصحاب المشايم على انفسهم بالاعمال السيئة القبيحة وفي صحيح مسلم من حديث الاسرا عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم عليه السلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد اصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشامة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين والتكرير في ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة للتفخيم والتعجيب كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة كما يقال زيد ما زيد وفي حديث ام زرع مالك وما مالك والمقصود تكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب ولاصحاب المشامة من العقاب وقيل اصحاب رفع بالابتدا والخبر ما اصحاب الميمنه كانه قيل واصحاب الميمنة ما هم المعنى اي شي هم وقيل يجوز ان يكون ما توكيدا والمعنى بالذين يوتون كتابهم بايمانهم هم اصحاب التقدم وعلو المنزلة **قوله تعالى** **والسابقون السابقون** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السابقون الذين اعطوا الحق قبلوه واذا سالوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ذكره المهدوي وقال محمد بن كعب القرظي انهم الانبيا الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل امة ونحوه عن عكرمة محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين دليله قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال مجاهد وغيره هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلاة وقال علي رضي الله عنه هم السابقون الى الصلوات الخمس الضحاك الى الجهاد وسعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال اوليك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقيل انهم اربعة منهم سابق امة موسى وهو حزقيل مومن ال فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقان في امة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابن عباس حكاه الماوردي وقال شميط بن عجلان الناس ثلاثة فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وقيل هم كل من سبق الى شي من اشيا الصلاح ثم قيل السابقون رفع بالابتدا والثاني توكيد له والخبر اوليك المقربون وقال الزجاج السابقون رفع بالابتدا والثاني خبره والمعنى السابقون الى طاعة الله هم السابقون الى رحمة الله اوليك هم المقربون من صفتهم وقيل اذا خرج من السابقين المقربين من منزلة في الجنة كان له ضوء يعرف به من دونه **قوله تعالى** **ثلة من الاولين** اي جماعة من الامم الماضية قليل من الاخرين اي ممن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم بكرمك وسموا قليلا بالاضافة الى من كان قبلهم لان الانبيا المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان بهم فزادوا على عدد من سبق الى التصديق من امتنا وقيل لما نزل هذا شق على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة بل نصف اهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكانه اراد انها منسوخة والاشبه انها محكمة لانها خبر ولان ذلك في جماعتين مختلفتين قال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلذلك وقليل من الاخرين وقال وقليل من الاخرين وقال في اصحاب وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال ابو بكر رضي الله عنه كلا الثلتين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في اول امته ومنهم من هو في اخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل ثلة من الاولين اي من اول هذه الامة وقليل من الاخرين يسارع في الطاعة حتى يلحق درجة الاولين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم سوى في اصحاب اليمين بين الاولين والاخرين والثلة من تثليث الشي اذا قطعته فالثلة بمعنى الفرقة قال الزجاج **قوله تعالى** **على سرر موضونة** قال ابن عباس منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة

بالدر والياقوت والزبرجد والوضن النسج المضاعف والمفضل فقال وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض وهو موضون ودرع موضونة اي محكمة في النسج مثل مرفوضة قال الاعشى

ومن نسج داود موضونة　　تساق مع الحي عيرا فعيرا　　وقال ايضا

وبيضا كالنهي موضونة　　لها قونس فوق جيب البدن

والسرير الموضون الذي سطحه بمنزلة المنسوج ومنه الوضين بطان من سيور ينسج فتدخل بعضه في بعض ومنه قوله اليك يعدو قلقا وضينها متكئين عليها اي على السرر متقابلين اي لا يرى بعضهم قفا بعض بل تدور بهم الاسرة وهذا في المؤمن وزوجته واهله اي يتكئون متقابلين قاله مجاهد وغيره وقال الكلبي طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت **قوله تعالى** يطوف عليهم ولدان مخلدون اي غلمان لا يموتون قاله مجاهد والحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس

وهل ينعمن الا سعيد مخلد　　قليل الهموم ما يبيت باوجال

وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد وجماعة الحلي الخلد وقيل مسورات ونحوه عن الفراء قال الشاعر

ومخلدات باللجين كانما　　اعجازهن اقاوز الكثبان

وقيل مقرطون يعني ممنطقون من المناطق وقال عكرمة مخلدون منعمون وعن ابن عباس واحد انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم كما يشاء من غير ولادة وقاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن الطبري الولدان هاهنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة انما يتم اليوم باحتفاف الخدم والولدان بالانسان باكواب واباريق اكواب جمع كوب وقد مضى في الزخرف وهي الانية التي لا عرى لها ولا خراطيم والاباريق التي لها عرى وخراطيم واحدها ابريق سمي بذلك لانه يبرق لونه من صفائه وكاس من معين مضى في والصافات القول فيه والمعين الجاري من ماء او خمر غير ان المراد به في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون وقيل الظاهرة للعيون فيكون معين مفعول من المعاينة وقيل هو فعيل من المعن وهو الكثرة وبين انها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلف ومعالجة **قوله تعالى** لا يصدعون عنها ولا ينزفون اي لا تتصدع رؤسهم من شربها اي انها لذة بلا اذى بخلاف شراب الدنيا ولا ينزفون تقدم في والصافات اي لا يسكرون وتذهب عقولهم وقرا مجاهد لا يصدعون ولا ينزفون لقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرا اهل الكوفة ينزفون بكسر الزاي اي لا ينفد شرابهم ولا يفنى خمرهم ومنه قول الشاعر

لعمري لئن انزفتم او صحوتم　　لبئس الندامى كنتم لنا آل ابجرا

وروى الضحاك عن ابن عباس قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول وقد ذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال **قوله تعالى** وفاكهة مما يتخيرون اي يتخيرون ما شاؤا لكثرتها وقيل وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار ولحم طير مما يشتهون روى الترمذي عن انس بن مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما الكوثر فقال ذاك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها قال هذا حسن خرجه الثعلبي من حديث ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة طيرا مثل اعناق البخت تصطف على يد ولي الله فيقول احدها يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل مني فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه اكل احدها فتخر بين يديه على الوان مختلفة فياكل منها ما اراد فاذا شبع تجمع عظام الطائر فطار يرعى في الجنة حيث شاء فقال عمر يا نبي الله انها لناعمة فقال اكلها انعم منها وعن ابي سعيد الخدري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لطيرا في الطائر الف ريشة فيقع على صحفة الرجل من اهل الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون طعام ابيض من الثلج وابرد والين من الزبد واعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه صاحبه فياكل منه ما اراد ثم يذهب فيطير **قوله تعالى** وحور عين قرئ بالرفع والنصب والجر فمن جر وهو حمزة والكسائي وغيرهما جاز ان يكون معطوفا على باكواب وهو محمول على

المعنى لان المعنى يتنعمون باكواب وفاكهة ولحم وحور قاله الزجاج وجاز ان يكون معطوفا على جنات اي هم في جنات النعيم وفي حور على تقدير حذف المضاف كانه قال وفي معاشرة حور عين الفراء الجر على الاتباع في اللفظ وان اختلفا في المعنى لان الحور لا يطاف بهن قال الشاعر

اذا ما الغانيات برزن يوما　　وزججن الحواجب والعيونا

والعين لا تزجج وانما تكحل وقال

ورايت زوجك في الوغى　　متقلدا سيفا ورمحا

وقال قطرب هو معطوف على الاكواب والاباريق من غير حمل على المعنى قال ولا ينكر ان يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذة ومن نصب وهو النخعي والاشهب العقيلي وعيسى بن عمر الثقفي وهو كذلك في مصحف ابي فهو على تقدير اضمار فعل كانه قال ويزوجون حورا عينا والحمل في النصب على المعنى ايضا حسن لان المعنى يطاف عليهم به يعطونه ومن رفع وهو الجمهور وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم فعلى معنى وعندهم حور عين لانه لا يطاف عليهم بالحور العين وقال الكسائي ومن قال الحور العين بالرفع وعلل بانه لا يطاف بهن يلزمه في ذلك في فاكهة ولحم لان ذلك لا يطاف وليس يطاف الا بالخمر وحدها وقال الاخفش يجوز ان يكون محمولا على المعنى لان المعنى لهم اكواب ولهم حور عين وجاز ان يكون معطوفا على ثلة وثلة ابتدا وخبره على سرر موضونة وكذلك وحور عين وابتدا بالنكرة لتخصصها بالصفة كامثال اي مثل امثال اللؤلؤ المكنون اي الذي لم تمسه الايدي ولم يقع عليه الغبار فهو اشد ما يكون صفاء وتلالؤا اي هن في تشاكل اجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن قال الشاعر

كانما خلقت في قشر لؤلؤة　　فكل اكنافها وجه لمرصاد

جزاء بما كانوا يعملون اي ثوابا ونصبه على المفعول له ويجوز ان يكون على المصدر لان معنى ويطوف عليهم ولدان مخلدون يجازون وقد مضى القول في الحور العين في الطور وغيرها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله الحور العين من الزعفران وقال خالد بن الوليد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل من اهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح الجنة فتنفلق في يده فيخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لاخجلت الشمس من حسنها من غير ان ينقص من التفاحة فقال له رجل يا ابا سليمان ان هذا لعجب ولا ينقص من التفاحة قال نعم كالسراج الذي توقد منه سراج آخر وسرج فلا ينقص والله على ما يشاء قدير وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله الحور العين من اصابع رجليها الى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الاذفر ومن ثدييها الى عنقها من العنبر الاشهب ومن عنقها الى راسها من الكافور الابيض عليها سبعون الف حلة مثل شقائق النعمان اذا اقبلت يتلالا وجهها نورا ساطعا كما تتلالا الشمس لاهل الدنيا يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها في راسها سبعون الف ذوابة من المسك الاذفر لكل ذوابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي هذا ثواب الاولياء جزاء بما كانوا يعملون **قوله تعالى** لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما قال ابن عباس باطلا ولا كذبا واللغو ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر اثمته اي قلت له اثمت محمد بن كعب ولا تاثيما شتما ولا ماثما الا قيلا سلاما سلاما منصوبان بالقول اي الا انهم يقولون الخير والمصدر اي الا ان يقول بعضهم لبعض سلاما او يكون وصفا لقيلا والسلام الثاني بدل من الاول والمعنى الا قيلا يسلم فيه من اللغو ويجوز الرفع على تقدير سلام عليكم قال ابن عباس يحيي بعضهم بعضا وقيل تحييهم الملائكة او يحييهم ربهم جل وعز وعلا **قوله تعالى** واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين رجع الى ذكر منازل اصحاب اليمين وهم السابقون على ما تقدم والتكرير لتعظيم شان النعيم الذي هم فيه في سدر مخضود اي في نبق قد خضد شوكه اي قطع قاله ابن عباس وغيره وذكر ابن المبارك اخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسائلهم قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا موذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا تفتق الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيه لون يشبه الآخر قال ابو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطائف مخصب فاعجبهم سدره فقالوا يا رسول الله يا ليت لنا مثل هذا فنزلت وقال امية بن ابي الصلت يصف الجنة

ان الحدائق في الجنان ظليلة　　فيها الكواعب سدرها مخضود

وقال الضحاك ومجاهد وقتادة وابن حيان في سدر مخضود هو الموقر حملا وهو قريب مما ذكرنا في الخبر سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال وقد مضى هذا في سورة النجم عند قوله تعالى سدرة المنتهى وان ثمرها مثل قلال هجر من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** وطلح منضود الطلح شجر الموز واحده طلحة قاله اكثر المفسرين علي وابن عباس وغيرهما وقال الحسن ليس موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وابو عبيدة شجر عظام له شوك قال بعض الحداة وهو الجعدي

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والاجبالا

فالطلح كل شجر عظيم كثير الشوك الزجاج يجوز ان يكون في الجنة وقد ازيل شوكه وقال الزجاج ايضا كما قال الحرام عيلان نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر احلى من العسل وقرا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وطلع منضود بالعين وتلي هذه الآية طلعها هضيم وهو خلاف المصحف في رواية انه قال قرئ بين يديه وطلح منضود فقال ما شان الطلح انما هو وطلع منضود ثم قال طلع نضيد فقيل له افلا تحولها فقال لا ينبغي ان يهاج القرآن ولا يحول فقد اختار هذه القراءة ولم يرا اثباتها في المصحف لمخالفة ما رسمه مجمع عليه قال القشيري واسنده ابو بكر الانباري قال حدثنا ابي قال حدثنا حسن بن عرفة قال حدثنا عيسى بن يونس عن مجالد عن الحسن بن سعيد عن قيس بن عبد قال قرات على علي او قرئ على علي شك مجالد وطلح منضود فقال علي رضي الله عنه ما بال الطلح اما تقرا وطلع منضود فقيل له يا امير المؤمنين انحكها في المصحف قال لا يهاج القرآن اليوم قال ابو بكر ومعنى هذا انه رجع الى ما في المصحف وعلم انه الصواب وابطل الذي كان فرط من قوله والمنضود المتراكب الذي نضد اوله واخره بالحمل ليست له سوق بارزة بل هو مرصوص والنضد هو الرص والمنضد هو المرصوص قال النابغة

خلت سبيل اتي كان يحبسه ورفعته الى السجفين فالنضد

وقال مسروق اشجار الجنة من عروقها الى افنانها نضيدة ثمر كله كلما اكل ثمرة عاد مكانها احسن منها **قوله تعالى** وظل ممدود اي دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل وذلك بين الغداة وهي ما بين الاسفار الى طلوع الشمس حسب ما تقدم بيانه هناك والجنة كلها ظل لا شمس معه قال الربيع بن انس يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وقال ابو عبيدة تقول العرب الدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الطويل الذي لا ينقطع ممدود وقال لبيد

غلب العزاء وكان غير مغلب دهر طويل دائم ممدود

وفي صحيح الترمذي وغيره من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وماء مسكوب اي جار لا ينقطع واصل السكب الصب يقال سكبه سكبا والسكوب انصبابه يقال سكب سكوبا وانسكب انسكابا اي وماء مصبوب يجري الليل والنهار في غير اخدود لا ينقطع عنهم وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة بخلاف ذلك ووصف لهم اسباب النزهة المعروفة في الدنيا وهي الاشجار وظلالها والمياه والانهار واطرادها **قوله تعالى** وفاكهة كثيرة اي ليست بالقليلة العزيزة كما كانت في بلادهم مقطوعة اي في وقت من الاوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ولا ممنوعة اي لا يحظر عليها كثمار الدنيا وقيل ولا ممنوعة اي لا يمنع من ارادها بشوك ولا بعد ولا حائط اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها قال الله تعالى ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا وقيل ليست مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان **قوله تعالى** وفرش مرفوعة روى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة قال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث ان الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والارض وقيل ان الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدم لهن ذكر ولكن قوله عز وجل وفرش مرفوعة دال لانها محل النساء فالمعنى ونساء مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن دليله قوله تعالى انا انشاناهن انشاء اي خلقناهن خلقا وابدعناهن ابداعا والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا

وازارا وقد قال تعالى هن لباس لكم ثم قيل على هذا هن الحور العين اي خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نساء بني ادم اي خلقناهن خلقا جديدا وهو الاعادة اي اعدناهن الى حال الشباب والكمال والجمال والمعنى انشانا العجوز والصبية انشاء واحدا واضمرت ولم يتقدم لهن ذكر لانهن قد دخلن في اصحاب اليمين ولان الفرش كناية عن النساء كما تقدم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا انشاناهن انشاء قال منهن البكر والثيب وقالت ام سلمة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء اسنده النحاس عن انس قال حدثنا احمد بن هارون بن عمرو قال حدثنا عمر بن علي قال حدثنا ابو عاصم عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك رفعه انا انشاناهن انشاء قال هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وقال هن عجائز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع عربا جمع عروب قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما العرب العواشق لازواجهن وعن ابن عباس ايضا انها العروب الملقة عكرمة الغنجة ابن زيد بلغة اهل المدينة ومنه قول لبيد

وفي الخباء عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى ضوءها البصرا

وهي الشكلة بلغة اهل مكة وعن زيد بن اسلم ايضا الحسنة الكلام وعن عكرمة ايضا وقتادة العرب المتحببات الى ازواجهن واشتقاقه من اعرب اذا بين فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن كلام وقيل الحسنة التبعل لتكون الذ استمتاعا وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عربا قال كلامهن عربي وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم عربا باسكان الراء وضم الباقون وهما جائزان في جمع فعول اترابا على ميلاد واحد في سن واحد ثلاث وثلاثين سنة يقال في النساء اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الصبا من النساء وانحطت عن الكبر وقيل اترابا امثالا واشكالا قاله مجاهد والسدي اتراب في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد لاصحاب اليمين قيل الحور العين للسابقين والاتراب العرب لاصحاب اليمين **قوله تعالى** ثلة من الاولين وثلة من الاخرين يرجع الكلام الى قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين اي هم ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقد مضى الكلام في معناه وقال ابو العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة من اخرها يدل عليه ما روي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم جميعا من امتي وقال الواحدي اصحاب الجنة نصفان نصف من الامم الماضية ونصف من هذه الامة وهذا يرده ما رواه ابن ماجه في سننه والترمذي في جامعه عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قال ابو عيسى هذا حديث حسن وثلة رفع بالابتداء او على اضمار حرف الجر وحذف الصفة ومجازه لاصحاب اليمين ثلتان ثلة من هؤلاء وثلة من هؤلاء فالاولون الامم الماضية والاخرون هذه الامة على القول الثاني **قوله تعالى** واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال ذكر منازل اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم ياخذون كتابهم بشمالهم ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم السموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن والمراد هنا حر النار ولفحها وحميم اي ماء حار قد انتهى حره اذا احرقت النار اكبادهم واجسادهم فزعوا الى الحميم كالذي يفزع من النار الى الماء ليطفئ به الحر فيجده حميما حارا في نهاية الحرارة والغليان وقد مضى في القتال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وظل من يحموم اي يفزعون من السموم الى الظل كما يفزع اهل الدنيا فيجدونه ظلا من يحموم اي من دخان جهنم اسود شديد السواد عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وكذلك اليحموم في اللغة الشديد السواد وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار وقيل هو ماخوذ من الحمم وهو الفحم وقال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل ما فيها اسود وعن ابن عباس ايضا قال النار سوداء وقال ابن زيد اليحموم جبل في جهنم يستغيث الى ظله اهل النار لا بارد بل حار لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذب عن الضحاك وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقيل وظل من يحموم اي من النار يعذبون بها

لقوله تعالى ومن فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل انهم كانوا قبل ذلك مترفين اي انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام والمترف المنعم عن ابن عباس وغيره وقال السدي مترفين اي مشركين وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي يقيمون على الشرك عن الحسن والضحاك وابن زيد وقال قتادة ومجاهد الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكبائر يقال حنث في يمينه اي لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام انداد الله فذلك حنثهم قال الله تعالى مخبرا عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وفي الخبر كان يتحنث في حراء اي يفعل ما يسقط عن نفسه الحنث وهو الذنب وكانوا يقولون ائذا متنا هذا استبعاد منهم لامر البعث وتكذيب له قال الله تعالى قل لهم يا محمد ان الاولين من ابائكم والاخرين منكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يريد يوم القيامة ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في قوله تعالى لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم لمجموعون قسما حقا خلاف قسمكم الباطل ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لاكلون من شجر من زقوم وهو شجر كريه المنظر كريه الطعم وهي التي ذكرت في سورة والصافات فمالئون منها البطون اي من الشجر لان المقصود من الشجر ثمرها ويجوز ان تكون من الاولى زائدة ويجوز ان يكون المفعول محذوفا كانه قال لاكلون من شجر من زقوم طعاما وقوله من زقوم صفة لشجر والصفة اذا قدرت الجار ابدا نصب على المعنى وجر على اللفظ فان قدرت المفعول محذوفا لم تكن الصفة الا في موضع جر **قوله تعالى** فشاربون عليه اي على الزقوم او على الاكل او على الشجر لانه يذكر ويونث من الحميم وهو الماء المغلي الذي قد اشتد غليانه وهو صديد اهل النار اي يورثهم حر ما ياكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشا فيشربون ما يظنون انه يزيل العطش فيجدونه حميما مغلى **قوله تعالى** فشاربون شرب الهيم قراءة نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين الباقون بفتحها لغتان جيدتان تقول العرب شربت شربا وشربا بضمتين وقال ابو زيد سمعت العرب تضم السين وتفتحها وتكسرها والفتح الصحيح لان كل مصدر من ذوات الثلاثة فاصله فعل لانك ترده الى المرة الواحدة فتقول فعله نحو شربة وبالضم الاسم وقيل ان الفتح والاسم مصدران فالشرب كالاكل والشرب كالذكر والشرب بالكسر المشروب كالطحن المطحون والهيم الابل العطاش التي لا تروي ابدا لضعفها عن ابن عباس وعكرمة وعطا وقتادة والسدي وغيرهم وقال عكرمة ايضا هي الابل المراض ابن عباس الهيم الابل يصيبها داء فلا تزال تشرب حتى تموت وتعطش منه عطشا شديدا والجمل اهيم والانثى هيما ويقال لذلك الداء الهيام وقال قيس بن الملوح

يقال به داء الهيام اصابه ... وقد علمت نفسي مكان سقائيا

وقوم هيم ايضا اي عطاش وقد هاموا هياما ومن العرب من يقول في الابل هايم وهايمة والجمع هيم قال لبيد

اجزت الى معارفها بشعث ... واطلاح من المهري هيم

والاخفش وابن عيينة وابن كيسان الهيم الارض السهلة ذات الرمل وروي ايضا عن ابن عباس فيشربون شرب الرمال التي لا تروي بالماء المدوي ويقال لكل ما لا يروي من الابل والرمال اهيم وهيما وفي الصحاح والهيام بالضم اشد العطش والهيام من العشق والهيام داء ياخذ من الابل تهيم في الارض لا ترعى يقال ناقة هيما والهيما ايضا المفازة لاماء بها والهيام بالفتح الرمل الذي لا يتماسك ان يسيل من اليد للينه والجمع هيم مثل قذال وقذل والهيام بالكسر الابل العطاش الواحد هيمان وناقة هيما مثل عطشان وعطشى **قوله تعالى** هذا نزلهم يوم الدين اي رزقهم الذي يعد لهم كالنزل الذي يعد للاضياف تكرمة لهم وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي السعد الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ... جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرا يونس بن حبيب وعباس عن ابي عمرو هذا نزلهم باسكان الزاي وقد مضى في اخر ال عمران القول فيه يوم الدين يوم الجزا يعني في جهنم **قوله تعالى** نحن خلقناكم فلولا تصدقون اي فهلا تصدقون بالبعث لان الاعادة كالابتدا وقيل المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تومنوا **قوله تعالى** افرايتم ما تمنون اي ما تصبونه من المني في ارحام النسا أانتم تخلقونه تصورونه الانسان ام نحن الخالقون المقدرون المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيان للاية الاولى اي اذا اقررتم باننا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث وقرا ابو السماك وابن السميقع واشهب العقيلي

تمنون بفتح التا وهما لغتان امنى ومنى وامذى ومذى يمني ويمني ويمذي ويمذي الماوردي ويحتمل ان يختلف معناهما عندي فيكون امنى اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل عن احتلام وفي تسمية المني منيا وجهان احدهما لامنائه وهو اراقته الثاني لتقديره ومنه المني الذي يوزن به لانه مقدار لذلك كذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة **قوله تعالى** نحن قدرنا بينكم الموت احتجاج ايضا الذي يقدر على الاماتة يقدر على الخلق واذا قدر على الخلق قدر على البعث وقرا مجاهد وحميد وابن محيصن وابن كثير قدرنا بتخفيف الدال الباقون بالتشديد وقال الضحاك اي سوينا بين اهل السما واهل الارض وقيل قضينا وقيل كتبنا والمعنى متقارب فلا احد يبقى غيره جل وعلا وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي اردنا ان نبدل امثالكم لم يسبقنا احد اي يغلبنا والمسبوقين معناه بمغلوبين وقال الطبري المعنى نحن قدرنا بينكم الموت بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في اجالكم اي لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيات قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المومن ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه سعيد بن جبير قوله فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف وبرهوت واد باليمن وقال مجاهد يعني فيما لا تعلمون في اي خلق شئنا وقيل المعنى ننشئكم في عالم لا تعلمون وفي مكان لا تعلمون **قوله تعالى** ولقد علمتم النشاة الاولى اي اذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا عن مجاهد وغيره قتادة والضحاك يعني خلق ادم عليه السلام فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور وقراءة العامة النشاة بالقصر وقرا مجاهد والحسن وابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وقد مضى في العنكبوت بيانه **قوله تعالى** افرايتم ما تحرثون هذه حجة اخرى اي اخبروني عما تحرثون من ارضكم فتطرحون فيها البذر انتم تنبتونه وتحصلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن نفعل ذلك وانما منكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم بان اخراج السنبلة من الحب ليس اليكم فكيف تنكرون اخراج الاموات من الارض واعادتهم واضاف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم وكذلك ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله قال ابو هريرة الم تسمعوا قوله تعالى أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون والمستحب لكل من يلقي البذر في الارض ان يقرا بعد الاستعاذة افرايتم ما تحرثون الاية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الافات الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجرب فوجد كذلك ومعنى أانتم تزرعونه اي تجعلونه زرعا وقد يقال فلان زراع كما يقال حراث اي يفعل ما يوول الى ان يكون زرعا وفي التنزيل يعجب الزراع وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الارض وتكريبها تجوزا قلت فهو نهي ارشاد وادب لا نهي حظر وايجاب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وقد مضى في يوسف القول فيه وقد بالغ بعض العلما وقال لا تقل حرثت واصبت بل تقول اعانني الله فحرثت واعطاني بفضله ما اصبت قال الماوردي وتتضمن هذه الاية امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم بعد بلاشي بذره وانتقاله الى استوا حاله من العفن والتتريب حتى صار زرعا اخضر ثم صار قويا مشتدا اضعاف ما كان عليه فهو باعادة من امات احق عليه واقدر وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة ثم قال لو نشا لجعلناه حطاما اي متكسرا يعني الزرع والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذا فنبه بذلك على امرين احدهما ما اولاهم به من النعم في زرعهم ان لم يجعله حطاما ليشكروه الثاني ليعتبروا بذلك في انفسهم كما انه يجعل الزرع حطاما اذا شا كذلك يهلكهم اذا شا ليتعظوا فينزجروا فظلتم تفكهون اي تعجبون بذهابها وتندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتادة وغيرهما وفي الصحاح وتفكه اي تعجب ويقال تندم قال الله تعالى فظلتم تفكهون اي تندمون وتفكهت بالشي تمتعت به

وقال يمان تندمون على نفقاتكم دليله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وقال عكرمة تلامون
وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي اوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم ابن كيسان
تحزنون والمعنى متقارب وفيه لغتان تفكهون وتفكنون قاله الفرا والنون لغة عكل وفي الصحاح
التفكن التندم على ما فات وقيل التفكه التكلم فيما لا يعنيك ومنه قيل للمزاح فكاهة بالضم
فاما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا وقراءة العامة فظلتم
بفتح الظا وقرا عبد الله فظلتم بكسر الظاء ورواها هرون عن حسين عن ابي بكر فمن فتح فعلى الاصل والاصل
ظللتم فحذف اللام الاولى تخفيفا ومن كسر نقل كسرة اللام الاولى الى الظاء ثم حذفها انا لمغرمون
قرا ابو بكر والمفضل آانا بهمزتين على الاستفهام ورواه عاصم عن زر بن حبيش الباقون بهمزة واحدة
على الخبر اي يقولون انا لمغرمون اي معذبون عن ابن عباس وقتادة قالا والغرام العذاب ومنه قول
ابن محلم

ويقت بان الحفظ مني سجيته … وان فؤادي مبتلى بك مغرم

وقال مجاهد ايضا لملقون شرا وقال مقاتل بن حيان مهلكون النحاس لمغرمون ماخوذ من الغرام
وهو الهلاك كما قال

يوم النسار ويوم الجفار … كان عذابا وكان غراما

الضحاك وابن كيسان هو من الغرم والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض اي غرمنا الحب الذي بذرناه
وقال مرة الهمداني محاسبون بل نحن محرومون اي حرمنا ما طلبنا من الريع والمحروم المحدود الممنوع من
الرزق والمحروم ضد المرزوق وهو المحارف في قول قتادة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بارض
الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث فقالوا الجدوبة فقال لا تفعلوا فان الله يقول انا الزارع ان شئت
زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا افرايتم ما تحرثون آانتم
تزرعونه ام نحن الزارعون قلت وفي هذا الخبر والحديث الذي قبله ما يصحح قول من ادخل الزارع
في اسماء الله تعالى واباه الجمهور من العلماء وقد ذكرنا ذلك في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى
قوله تعالى افرايتم الماء الذي تشربون لتحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم لان الشراب
انما يكون تبعا للمطعوم ولهذا جاء الطعام مقدما في الاية الا ترى انك تسقي ضيفك بعد ان تطعمه
الزمخشري ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلا

اذا سقيت ضياف الناس محضا … سقوا اضيافهم سمعا ولالا

وسقى بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة انتم انزلتموه
من المزن اي السحاب الواحدة مزنة قال الشاعر

فنحن كماء المزن ما في نصابنا … كهام ولا فينا يعد بخيل

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما
ان المزن السحاب وعن ابن عباس ايضا والثوري المزن السماء والسحاب وفي الصحاح ابو زيد المزنة
السحابة البيضاء والجمع مزن والمزنة المطرة قال الشاعر

الم تر ان الله انزل مزنة … وعفر الظباء في الكناس تقمع

ام نحن المنزلون اي فاذا عرفتم باني انزلته فلم لا تشكرون باخلاص العبادة لي ولم تنكرون قدرتي على
الاعادة لو نشاء جعلناه اجاجا اي ملحا شديد الملوحة قاله ابن عباس الحسن مرا قعاعا لا ينتفعون به في
شرب ولا زرع ولا غيرهما فلولا اي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم قوله تعالى
افرايتم النار التي تورون اي اخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب أانتم انشاتم
شجرتها التي يكون منها الوقود وهي المرخ والعفار ومنه قولهم في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار
اي استكثرا منها كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما ويقال لانهما يسرعان الوري يقال اوريت النار
اقدحتها ووري الزند يري بالكسر فيهما ام نحن المنشئون اي المخترعون الخالقون اي فاذا عرفتم
قدرتي فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على البعث قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة يعني
نار الدنيا موعظة للنار الكبرى قاله قتادة مجاهد تبصرة للناس من الظلام وصح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله ان كانت
لكافية قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها ومتاعا للمقوين قال الضحاك اي
منفعة للمسافرين سموا بذلك لنزولهم القوا وهو القفر الفرا انما يقال للمسافرين مقوين اذا
نزلوا القي وهي الارض القفر التي فيها وكذلك القوي والقوا بالمد والقصر ومنزل قوا لا انيس

به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اي خلت من سكانها قال النابغة

يا دار مية بالعلياء فالسند … اقوت وطال عليها سالف الابد

وقال عنترة

حييت من طلل تقادم عهده … اقوى واقفر بعد ام الهيثم

ويقال اقوى اي قوي وقوي اصحابه واقوى اذا سافر اي نزل القوي والقي وقال مجاهد للمقوين المستمتعين
بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلا والاستضاءة ويتذكر بها نار جهنم فيستجار
بالله منها وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيئا وبات
فلان القوا وبات القفر اذا بات جائعا على غير طعام قال الشاعر

واني لاختار القوا طاوي الحشا … مخافة من ان يقال لئيم

وقال الربيع والسدي للمنزلين المقوين الذين لا زاد معهم يعني نارا يوقدون فيختبزون بها ورواه
العوفي عن ابن عباس وقال قطرب المقوي من الاضداد يكون بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغنى يقال
اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد واقوى اذا قويت دوابه وكثر ماله المهدوي والاية تصلح للجميع لان
النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغني والفقير وحكى الثعلبي ان اكثر المفسرين على القول الاول
وخص المسافر بالانتفاع بها لان انتفاعه بها اكثر من منفعة المقيم لان اهل البادية لا بد لهم من
النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع وفي كثير من حوائجهم قوله تعالى فسبح باسم ربك
العظيم اي فنزه الله عما اضافه اليه المشركون من الانداد والعجز عن البعث قوله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى فلا اقسم لا صلة في قول اكثر المفسرين
والمعنى فاقسم بدليل قوله تعالى وانه لقسم وقال الفرا هي نفي والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف
اقسم وقد يقول الرجل لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام تقدم اي ليس الامر
كما ذكرت بل هو كذا وقيل لا بمعنى الا للتنبيه كما قال

الا عم صباحا ايها الطلل البالي

ونبه بهذا على فضيلة القرآن ليتدبروه وانه ليس
بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا وقرا الحسن وحميد وعيسى بن عمر فلاقسم بغير الف بعد اللام على التحقيق
وهو فعل حال ويقدر مبتدا محذوف والتقدير فلانا اقسم بذلك ولو اريد به الاستقبال للزمت النون وقد
جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال وهو شاذ الثانية قوله تعالى بمواقع النجوم مواقع النجوم
مساقطها ومغاربها في قول قتادة وغيره عطاء بن ابي رباح منازلها الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة
الضحاك هي الانواء التي كانت اهل الجاهلية تقول اذا مطروا مطرنا بنوء كذا الماوردي ويكون قوله تعالى فلا
اقسم مستعملا على حقيقته من نفي القسم القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله
تعالى وصفاته القديمة قلت يدل على هذه قراءة الحسن فلاقسم وبما اقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع
من كتابه وقال ابن عباس المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما انزله الله تعالى من اللوح المحفوظ في السماء
العليا الى السفرة الكاتبين فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
عشرين سنة فهو ينزله على الاحداث من امته حكاه الماوردي عن ابن عباس والسدي وقال ابو بكر الانباري
حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضي قال حدثنا حجاج بن المنهال قال حدثنا همام عن الكلبي عن ابي
صالح عن ابن عباس قال نزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وفرق بعد ذلك خمس
آيات واقل واكثر وذلك قول الله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن
كريم وحكى الفرا عن ابن مسعود ان مواقع النجوم هو محكم القرآن وقرا حمزة والكسائي بموقع على التوحيد
وهي قراءة عبد الله بن مسعود والنخعي والاعمش وابن محيصن ورويس عن يعقوب الباقون على الجمع فمن
افرد فلانه اسم جنس يؤدي الواحد فيه عن الجمع ومن جمع فلاختلاف انواعه الثالثة قوله تعالى انه لقرآن
كريم قيل الهاء تعود على القرآن اي ان القسم لقسم عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اي ما اقسم الله به عظيم
انه لقرآن كريم ذكر المقسم عليه اي اقسم بمواقع النجوم ان هذا القرآن قرآن ليس بسحر ولا كهانة وليس
بمفترى بل هو قرآن كريم محمود جعله الله تعالى معجزة لنبيه وهو كريم على المؤمنين لانه كلام ربهم وشفاء صدورهم
كريم على اهل السماء لانه تنزيل ربهم ووحيه وقيل كريم اي غير مخلوق وقيل كريم لما فيه من كريم الاخلاق
ومعاني الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قارئه الرابعة قوله تعالى في كتاب مكنون مصون عند الله

تعالى وقيل مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب في السما قاله ابن عباس وقال جابر بن زيد وابن عباس
ايضا هو اللوح المحفوظ عكرمة التوراة والانجيل فيهما ذكر القران ومن ينزل عليه السدي الزبور مجاهد
هو المصحف الذي في ايدينا الخامسة قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون اختلف في معنى لا يمسه الا المطهرون
هل هو حقيقة في المس بالجارحة او معنى وكذا اختلف في المطهرون منهم فقال انس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك
الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة وكذا قال ابو العالية وابن زيد انهم هم الذين طهروا من الذنوب
كالرسل من الملائكة والرسل من بني ادم فجبريل النازل به مطهر والرسل الذين يجيبهم بذلك مطهرون الكلبي
هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال احسن ما سمعت
في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون انها بمنزلة الاية التي في عبس وتولى فمن شاء ذكره في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة يريد ان المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة
عبس وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء وقيل لا
يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون قيل ان اسرافيل هو الموكل بذلك
حكاه القشيري ابن العربي وهذا باطل لان الملائكة تناله في وقت لا تصل اليه بحال ولو كان المراد به
ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال واما من قال انه الذي بايدي الملائكة في الصحف فهو قول محتمل واما من قال
انه الذي بايدي وهو الذي اختاره مالك وقيل المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا وهو الاظهر وقد
روى مالك وغيره ان في كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسخته من محمد
النبي الى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال قيل ذي رعين ومعافر وهمدان
اما بعد وكان في كتابه ان لا يمس القران الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يمس القران
الا وانت طاهر وقالت اخت عمر لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعى بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون
فقام واغتسل واسلم وقد مضى في اول سورة طه وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره لا يمسه الا المطهرون
من الاحداث والانجاس الكلبي من الشرك الربيع من الذنوب والخطايا وقيل معنى لا يمسه لا يقرؤه الا المطهرون
الا الموحدون قاله محمد بن فضيل وعبده قال عكرمة كان ابن عباس ينهى ان يمكن احدا من اليهود والنصارى
من قراءة القران وقال الفرا لا يجد نفعه وطعمه وبركته الا المطهرون اي المومنون بالقران ابن
العربي وهو اختيار البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقال الحسين بن الفضل لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهره الله من
الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يوفق للعمل به الا السعدا وقيل المعنى لا يمس ثوابه الا المومنون
ورواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قيل ظاهر الاية خبر عن الشرع اي لا يمسه الا المطهرون
شرعا فان وجد خلاف ذلك فهو عن الشرع وهذا اختيار القاضي ابي بكر ابن العربي وابطل ان يكون لفظه
لفظ الخبر ومعناه الامر وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة المهدوي يجوز ان يكون نهيا ويكون ضمة
السين بنا والفعل مجزوم السادسة واختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع
من مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد
وعطا والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقها منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية عن
ابي حنيفة فروي عنه انه يمسه المحدث وقد روي هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس والشعبي
وغيرهما وروي عنه انه يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه واما الكتاب فلا يمسه الا طاهر
ابن العربي وهذا ان نسلمه مما يقوي الحجة عليه لان حريم الممنوع ممنوع وفيما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن حزم اقوى دليل عليه وقال مالك لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة وقال ابو حنيفة
لا باس بذلك ولم يمنع من حمله بعلاقة او مسه بحائل للمسلم والكافر طاهرا او محدثا الا ان داود قال
لا يجوز للمشرك حمله واحتجوا في اباحته بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر وهو موضع ضرورة
فلا حجة فيه وفي مس الصبيان اياه على وجهين احدهما المنع اعتبارا بالبالغ والثاني الجواز لانه لو منع لم
يحفظ القران لان تعلمه حال الصغر ولان الصبي وان كانت له طهارة الا انها ليست بكاملة لان
النية لا تصح منه فاذا جاز ان يحمله على غير طهارة كاملة جاز ان يحمله محدثا السابعة قوله تعالى
تنزيل من رب العالمين اي نزل لقولهم ضرب الامير ونسج اليمن وقيل تنزيل صفة لقوله تعالى انه

المداهنة

لقران كريم وقيل اي هو تنزيل قوله تعالى افبهذا الحديث يعني القران انتم مدهنون اي مكذبون
قاله ابن عباس وعطا وغيرهما والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه شبه بالدهن في سهولة ظاهره
وقال مقاتل بن سليمان وقتادة انتم مدهنون اي كافرون نظيره ودوا لو تدهن فيدهنون وقال
الزجاج المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق
واصله اللين وان يسر خلاف ما يظهر قال ابو قيس بن الاسلت الحزم والقوة خير من الادهان
والفهة والهاع وادهن وداهن واحد وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت
وقال الضحاك مدهنون معرضون مجاهد ممالئون الكافر على كفره ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق
الله عليه ويدفعه بالعلل وقال بعض اللغويين مدهنون تاركون للجزم في قبول القران قوله تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال ابن عباس تجعلون شكركم التكذيب وذكر الهيثم بن عدي ان من
لغة ازدشنوءة ما رزق فلان اي ما شكره وانما صلح ان يوضع اسم الرزق مكان شكره لان شكر الرزق
يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا على هذا المعنى فقيل وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم الذي لو وجد
منكم لعاد رزقا لكم انكم تكذبون بالرزق اي تضعون الكذب مكان الشكر لقوله تعالى وما كان صلاتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة
ففيه بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بان تكون
اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان مكروها تعبدا
له وتذللا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا وتجعلون شكركم انكم
تكذبون حقيقة عن ابن عباس ايضا ان المراد به الاستسقا بالانوا وهو قول العرب مطرنا بنوا كذا ورواه علي
ابن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال
بعضهم لقد صدق نو كذا وكذا قال فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت
الله فسقيتم لعلكم تقولون هذا المطر بنو كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانوا فصلى ركعتين ودعا ربه
فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف
بقدح له وهو يقول سقينا بنو كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
اي شكركم الله على رزقه اياكم انكم مكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنو كذا كقولك جعلت
احساني اليك اساءة منك الي وجعلت انعامي لديك ان اتخذتني عدوا وفي الموطا عن زيد بن خالد
الجهني انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سما كانت من الليل
فلما انصرف اقبل على الناس قال اتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي
مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب قال الشافعي لا احب
لاحد ان يقول مطرنا بنو كذا وان كان النو عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا
يحبس شيا من المطر والذي احب ان يقول مطرنا وقت كذا كما تقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا
بنو كذا وهو يريد ان النو انزل الما كما كان بعض اهل الشرك من الجاهلية يقوله فهو كافر حلال دمه
ان لم يتب وقال ابو عمر بن عبد البر واما قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله سبحانه اصبح من عبادي مومن
بي وكافر فمعناه عندي على وجهين اما احدهما فان المعتقد بان النو هو الموجب لنزول الما وهو المنشي
السحاب دون الله عز وجل فذلك كافر كفرا صريحا يجب استتابته عليه وقتله لنبذه الاسلام ورده
القران والوجه الاخر ان يعتقد ان النو ينزل الله به الما وانه سبب الما على ما قدره الله وسبق في علمه فهذا
وان كان وجها مباحا فان فيه ايضا كفرا بنعمة الله عز وجل وجهلا بلطيف حكمته لانه ينزل الما متى شا مرة بنو كذا
ومرة دون النو وكثيرا ما يخوي النو فلا ينزل معه شي من الما وذلك من الله تعالى لا من النو ولذلك
كان ابو هريرة يقول اذا اصبح وقد مطر مطرنا بنو الفتح ثم يتلو ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له قال ابو عمر وهذا عندي نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مطرنا بفضل
الله ورحمته ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس بن عبد المطلب حين استسقى به

يا عم رسول الله كم بقي من نوء الثريا فقال العباس العلماء يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد سقوطها فما
مضت سابعة حتى مطروا فقال عمر الحمد لله هذا بفضل الله وبرحمته وكان عمر رضي الله عنه قد علم ان نوء
الثريا وقت يرجى فيه المطر وسال عنه اخرج ام بقيت منه بقية وروى سفيان بن عيينة عن اسمعيل
بن امية ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا في بعض اسفاره يقول مطرنا ببعض عثانين الاسد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت بل هو سقيا الله عز وجل قال سفيان عثانين الاسد الذراع والجبهة
وقراءة العامة تكذبون من التكذيب وقراءة المفضل عن عاصم ويحيى بن وثاب تكذبون بفتح التاء
مخففا ومعناه ما قدمناه من قول من قال انه مطرنا بنوء كذا وثبت من حديث انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلث لن يزلن في امتي التفاخر في الاحساب والنياحة والانواء ولفظ مسلم في
هذا اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم
والنياحة **قوله تعالى** فلولا اذا بلغت الحلقوم اي فهلا اذا بلغت النفس او الروح الحلقوم ولم يتقدم
لها ذكر لان المعنى معروف قال حاتم   ايادي ما يغني الثراء عن الفتى   اذا حشرجت يوما وضاق بها
الصدر   وفي حديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهي
بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت وانتم حينئذ تنظرون امري وسلطاني وقيل تنظرون الى الميت
لا تقدرون له على شيء وقال ابن عباس يريد من حضر من اهله ينظرون الى من يخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم
في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي فهلا ردوا روح الواحد منهم اذا بلغت الحلقوم
وقيل المعنى فهلا اذا بلغت الحلقوم نفس احدكم عند النزع وانتم حضور امسكتم روحه في جسده مع حرصكم
على امتداد عمره وحبكم لبقائه وهذا رد قولهم نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقيل هو خطاب لمن هو
في النزع اي ان لم يكن ما بك من الله فهلا حفظت على نفسك الروح ونحن اقرب اليه منكم اي بالقدرة
والعلم والرؤية قال عامر بن عبد الله ما نظرت الى شيء الا رايت الله اقرب الي فيه وقيل اراد ورسلنا الذين
يتولون قبضه اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون اي لا ترونهم **قوله تعالى** فلولا ان كنتم
غير مدينين اي فهلا ان كنتم غير محاسبين ولا مجزيين باعمالكم ومنه قوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون
محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين ولا مقهورين قال الفراء وغيره دنته اي ملكته وانشد
لقد دنست امر سك حتى تركتنهم ادق من الطحين   يعني ملكت ودانه اي اذله واستعبده
الخطيئة
دنته فدان وقد مضى في الفاتحة القول في هذا عند قوله تعالى مالك يوم الدين ترجعونها ان كنتم
صادقين ترجع الروح الى الجسد ان كنتم صادقين اي ولن ترجعوها فبطل زعمكم انكم غير مملوكين
ولا محاسبين وترجعونها جواب لقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين
اجاز بجواب واحد قاله الفراء وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فاما ياتينكم
مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجاز بجواب واحد وهما شرطان وقيل
حذف احدهما لدلالة الاخر وقيل فيها تقديم وتاخير مجازها فلولا وهلا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
تردونها اي نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت الحلقوم **قوله تعالى** واما ان كان من المقربين
ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث وبين درجاتهم فقال واما ان كان هذا المتوفى من المقربين
وهم السابقون فروح وريحان وجنة نعيم وقراءة العامة فروح ومعناه عند ابن عباس وغيره فراحة
من الدنيا وقال الحسن الروح الرحمة الضحاك الروح الاستراحة القتبي المعنى له في القبر طيب نسيم وقال
ابو العباس ابن عطا الروح النظر الى وجه الله تعالى والريحان الاستماع بكلامه ووحيه وجنة نعيم هو ان
لا يحجب فيها عن الله عز وجل وقرا الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب
فروح بضم الراء وروي عن ابن عباس قال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقالت عائشة قرا النبي
صلى الله عليه وسلم فروح بضم الراء ومعناه فبقاء له وحياة في الجنة وهذا هو الرحمة وريحان قال
مجاهد وسعيد بن جبير اي رزق الله قال مقاتل هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت لطلب ريحان الله اي
رزقه قال النمر بن تولب   سلام الله وريحانه   ورحمته وسماء درر   وقال قتادة انه الجنة
الضحاك الرحمة وقيل هو الريحان المعروف الذي يشم قاله الحسن وقتادة ايضا والربيع بن خثيم هذا
عند الموت والجنة مخبوءة له الى ان يبعث ابو الجوزاء هذا عند قبض روحه تتلقاه الملائكة بالريحان ابو

العالية لا يفارق احد من المقربين روحه في الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان فيشمها ثم يقبض روحه فيها
واصل ريحان واشتقاقه تقدم في اول سورة الرحمن وقد سرد الثعلبي في الروح والريحان اقوالا
كثيرة سوى ما ذكرنا من اراده وجدها هناك **قوله تعالى** واما ان كان من اصحاب اليمين اي
ان كان هذا المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى منهم الا ما تحب من السلامة
فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاهتمام لهم والمعنى
واحد وقيل اي اصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بان يصلي الله عليك ويسلم وقيل المعنى انهم يسلمون
عليك يا محمد وقيل معناه سلمت ايها العبد مما تكره فانك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيى
بالسلام اكراما فعلى هذا في محل السلام ثلاثة اقاويل احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك
الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك
السلام وقد مضى هذا في سورة النحل عند قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الثاني عند مساءلته
في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله اليها قلت
وقد يحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلاث ويكون ذلك اكراما بعد اكرام والله اعلم وجواب ان عند
المبرد محذوف والتقدير مهما يكن من شيء فسلام لك من اصحاب اليمين اي ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك من اصحاب اليمين فحذف جواب الشرط لدلالة ما تقدم عليه كما حذف الجواب في نحو قولك انت ظالم
ان فعلت لدلالة ما تقدم ومذهب الاخفش ان الفاء جواب اما وان ومعنى ذلك ان الفاء جواب اما وقد
سدت مسد جواب ان على التقدير المتقدم والفاء جواب لهما على هذا الحد ومعنى اما عند الزجاج
الخروج من شيء الى شيء اي دع ما كنا فيه وخذ في غيره **قوله تعالى** واما ان كان من المكذبين
بالبعث الضالين عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم اي فلهم رزق من حميم كما قال ثم انكم ايها الضالون
المكذبون لآكلون الى ان قال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وتصلية جحيم ادخال في النار وقيل اقامة في
الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر هاهنا يضاف
الى المفعول كما يقال لفلان عطاء مال اي يعطى المال وقرئ وتصلية بكسر التاء اي ونزل من تصلية جحيم
ثم ادغم ابو عمرو التاء في الجيم وهو بعيد ان هذا لهو حق اليقين اي هذا الذي قصصناه محض اليقين
وخالصه وجاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما قال المبرد هو كقولك عين اليقين
ومحض اليقين فهو من باب اضافة الشيء الى نفسه عند الكوفيين وعند البصريين يعني حق الامر اليقين
او الخبر اليقين وقيل هو توكيد وقيل اصل اليقين ان يكون نعتا للحق فاضيف المنعوت الى النعت
على الاتساع والمجاز كقوله ولدار الاخرة وقال قتادة في هذه الاية ان الله تعالى ليس تاركا احدا من
الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القران فاما المؤمن فايقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة حين
لا ينفعه اليقين فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالى عن السوء والباء زائدة اي سبح ربك الاسم
المسمى وقيل فسبح اي فصل وبامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه عن عقبة بن عامر لما نزلت
فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى
قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه ابو داود   تمت السورة بحمد الله   المنان

تفسير سورة الحديد

مدنية في قول الجميع وهي تسع وعشرون اية عن العرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ
بالمسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن اية افضل من الف اية يعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف
والجمعة والتغابن بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات
والارض اي مجد الله ونزهه من السوء وقال ابن عباس صلى لله ما في السموات ممن خلق من الملائكة والارض
من شيء فيه روح او لا روح فيه وقيل هو تسبيح الدلالة وانكر الزجاج هذا وقال لو كان تسبيح الدلالة وظهور
اثار الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان هذا التسبيح تسبيح دلالة فاي تخصيص لداود قلت وما ذكره هو الصحيح
وقد مضى بيانه والقول فيه في سبحان عند قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو العزيز الحكيم

قوله تعالى **له ملك السموات والارض** اي انفرد بذلك الملك عبارة عن الملك وتفرد الامر فهو سبحانه
الملك القادر والقاهر وقيل اراد خزاين المطر والنبات وساير الرزق يحيي ويميت الاحياء في الدنيا ويحيي
الاموات للبعث وقيل يحيي النطف وهي اموات ويميت الاحيا وموضع يحيي ويميت رفع على معنى وهو
يحيي ويميت ويجوز ان يكون نصبا بمعنى له ملك السموات والارض محييا ومميتا على الحال من المجرور في له والجار
عاملا فيها وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء قوله تعالى **هو الاول والاخر والظاهر والباطن** اختلف
في معاني هذه الاسما وقد بيناها في الكتاب الاسنى وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن
كل قول وقال في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك
شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر عنا
بالظاهر الغالب والباطن العالم والله اعلم وهو بكل شيء عليم بما كان او يكون لا يخفى عليه شيء قوله تعالى
هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف مستوفى
قوله تعالى **يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها** اي يدخل فيها من مطر وغيره وما يخرج منها من نبات وغيره
وما ينزل من السماء من رزق ومطر وملك وما يعرج فيها من الملايكة واعمال العباد وهو معكم يعني بقدرته
وسلطانه وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر اعمالكم ويراها فلا يخفى عليه شيء منها وقد جمع في هذه الاية
بين استوى على العرش وبين معكم والاخذ بالظاهر تناقض فدل على انه لا بد من التاويل والاعراض عن التاويل
اعتراف بالتناقض وقد قال الامام ابو المعالي ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا لم يكن باقرب من الله
عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت وقد تقدم قوله تعالى **له ملك السموات والارض**
هذا التكرير للتاكيد اي هو المعبود على الحقيقة والى الله ترجع الامور اي امور الخلايق في الاخرة وقرا الحسن والاعرج
ويعقوب وابن عامر وابو حيوة وابن محيصن وحميد والاعمش وحمزة والكسائي وخلف ترجع بفتح التاء وكسر
الجيم الباقون ترجع وهو قوله تعالى **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** تقدم في ال عمران وهو
عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه الضماير ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز ان يعبد سواه قوله تعالى
امنوا بالله ورسوله اي صدقوا ان الله تعالى واحد وان محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل
انفقوا في سبيل الله وقيل المراد الزكاة المفروضة وقيل غيرها من وجوه الطاعات وما يقرب منه مما جعلكم
مستخلفين فيه دليل على ان اصل الملك لله سبحانه وتعالى وان العبد ليس له فيه الا التصرف الذي يرضي
الله تعالى فيثيبه بذلك الجنة فمن انفق منها في حقوق الله وهان عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل
النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه كان له الثواب الجزيل والاجر وقال الحسن مستخلفين فيه بوراثتكم اياه عن
من كان قبلكم وهذا يدل على انها ليست باموالكم وما انتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلا فاغتنموا الفرصة
فيها باقامة الحق قبل ان يزول عنكم الى من بعدكم والذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وهو الجنة
قوله تعالى **وما لكم لا تومنون بالله** استفهام يراد به التوبيخ اي اي لا عذر لكم في ان لا تومنوا وقد ازيحت
العلل والرسول يدعوكم بين بهذا انه لا حكم قبل ورود الشرايع قرا ابو عمرو وقد اخذ ميثاقكم على غير مسمى
الفاعل والباقون مسمى الفاعل اي اخذ الله ميثاقكم قال مجاهد هو الميثاق الاول الذي كان وهم في ظهر ادم
بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم بان ركب فيكم العقول واقام عليكم الحجج والدلايل وقيل اي
ان كنتم مومنين يوما من الايام والان قد صحت براهينه وقيل ان كنتم مومنين بان الله خلقكم وكانوا يعترفون
بهذا وقيل هذا خطاب لقوم امنوا واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقهم فارتدوا وقوله ان كنتم مومنين
اي ان كنتم تقرون بشرايط الايمان قوله تعالى **هو الذي ينزل على عبده ايات بينات** يريد
القران وقيل المعجزات اي لزمكم الايمان بمحمد لما معه من المعجزات والقران اكبرها واعظمها ليخرجكم اي بالقران
وقيل بالرسول وقيل بالدعوة من الظلمات وهو الشرك والكفر الى النور وهو الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم
قوله تعالى **وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله** فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا
في سبيل الله اي اي شيء يمنعكم من الانفاق في سبيل الله وما يقربكم من ربكم وانتم تموتون وتخلفون اموالكم
وهي صايرة الى الله تعالى ومعنى الكلام التوبيخ على عدم الانفاق ولله ميراث السموات والارض اي انهما
راجعتان اليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث الى المستحق له الثانية قوله تعالى لا يستوي منكم من
انفق من قبل الفتح وقاتل اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح فتح مكة وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية

قال قتادة كانا قتالين احدهما افضل من الاخر ونفقتان احدهما افضل من الاخرى كان القتال والنفقة
قبل فتح مكة افضل من القتال والنفقة بعد ذلك وفي الكلام حذف اي لا يستوي من انفق من قبل
الفتح وقاتل ومن انفق بعد وقاتل فحذف لدلالة الكلام عليه وانما كانت النفقة قبل الفتح اعظم لان حاجة
الناس كانت اكثر لضعف الاسلام وفعل ذلك على المنفقين حينيذ اشق والاجر على قدر النصب والله اعلم
المسالة الثالثة روى اشهب عن مالك قال ينبغي ان يقدم اهل الفضل والعزم وقد قال الله تعالى لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل وقال الكلبي نزلت في ابي بكر ففيها دليل واضح على تفضيل ابي بكر
ولانه اول من انفق على نبي الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده ابو بكر وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل عليه السلام فقال يا نبي الله ما لي
ارى ابا بكر عليه عباة قد خللها في صدره بخلال قال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول
لك اقرا على ابي بكر السلام ويقول لك انت راض في فقرك ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي اني عن
ربي لراض اني عن ربي لراض قال فان الله يقول لك قد رضيت عنك كما انت راض فبكى ابو بكر فقال جبريل
والله بعثك يا محمد بالحق لقد تخللت حملة العرش بالعبي مثل تخلل صاحبك هذا بالعبا ولهذا قدمه الصحابة
على انفسهم واقروا له بالتقديم والسبق وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سبق النبي صلى الله عليه وسلم
وصلى ابو بكر وثلث عمر فلا اوتى برجل فضلني على ابي بكر الا جلدته جلد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة
فقد نال المتقدمون من المشقة اكثر مما نال من بعدهم وكانت بصايرهم ايضا انفذ الرابعة التقدم والتاخر
قد يكون في احكام الدنيا فاما في احكام الدين فقالت عايشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ننزل الناس منازلهم واعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل
بالناس الحديث وقال يوم القيامة القوم اقروهم لكتاب الله تعالى وقال وليومكما اكبركما من حديث
مالك بن الحويرث وقد تقدم وفهم منه البخاري وغيره من العلما انه اراد كبر المنزلة كما قال صلى الله عليه
وسلم الولاء للكبير ولم يعن كبر السن وقد قال مالك وغيره ان للسن حقا وراعاه الشافعي وابو حنيفة
وهو احق بالمراعاة لانه اذا اجتمع العلم والسن في خيرين قدم العلم واما احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام
الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الاثار ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف
لعالمنا حقه وفي الحديث الثابت في الافراد ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه
وانشدوا
يا عايبا للشيوخ من اشر ... داطر الصبا ومن مدح
اذكر اذا شيبت نعيبهم ... جدك واذكر اباك
يا ابن اخي واعلم بان الشباب ... مسلخ عنك وما وزره بمنسلخ
من لا يعز الشيوخ لا بلغت يوما به سنه ... الى الشيخ
الخامسة قوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى اي المتقدمون المتناهون والمتاخرون اللاحقون
وعدهم الله جميعا مع تفاوت الدرجات وقرا ابن عامر وكل بالرفع وكذلك هو بالرفع في مصاحف اهل الشام
الباقون وكلا بالنصب على ما في مصاحفهم فمن نصب فعلى ايقاع الفعل عليه اي وعد الله كلا الحسنى
ومن رفع فلان المفعول اذا تقدم ضعف عمل الفعل والهاء محذوفة من وعده قوله تعالى **من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا** ندب الى الانفاق في سبيل الله وقد مضى في البقرة القول فيه والعرب تقول لكل من
فعل فعلا حسنا قد اقرض كما قال
واذا جوزيت قرضا فاجزه ... انما يجزي الفتى ليس الجمل
وسماه قرضا لان القرض اخرج لاسترداد البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى يبدله الله اضعافا
كثيرة قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا اي محتسبا من قلبه بلا من ولا اذى فيضاعفه له ما بين سبع
الى سبع مائة الى ما شاء الله تعالى من الاضعاف وقيل القرض الحسن هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر رواه سفيان عن ابي حيان وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل الحسن التطوع بالعبادات
وقيل انه عمل الخير والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء القشيري والقرض الحسن ان يكون
المتصدق صادق النية طيب النفس يبتغي به وجه الله دون الريا والسمعة وان يكون من الحلال ومن القرض
الحسن ان لا يقصد الى الردي فيخرجه لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وان يتصدق في حال
يامل الحياة فان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن افضل الصدقة فقال ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش ولا تمهل
حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وان يخفي صدقته لقوله تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقرا
فهو خير لكم وان لا يمن لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وان يستحقر كثيره لان الدنيا

كلها فليله وان يكون من احب ماله لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان يكون كثير القوله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها فيضاعفه له قرا ابن كثير وابن عامر فيضعفه له باسقاط الالف الا ابن عامر ويعقوب نصبوا الفاء وقرا نافع واهل الكوفة والبصرة فيضاعف بالالف وتخفيف العين الا ان عاصما نصب الفاء ورفع الباقون عطفا على يقرض وبالنصب جوابا على الاستفهام وقد مضى في البقرة القول مستوفى وله اجر كريم يعني الجنة **قوله تعالى** يوم ترى المؤمنين والمؤمنات العامل في يوم فله اجر كريم وفي الكلام حذف اي فله اجر كريم في يوم ترى فيه المومنين والمؤمنات يسعى نورهم اي يمضي على الصراط في قول الحسن وهو الضيا الذي يمرون فيه بين ايديهم اي اقدامهم وبايمانهم قال الفرا الباء في بمعنى في ايمانهم او بمعنى عن ايمانهم قال الضحاك نورهم هداهم وبايمانهم كتبهم واختاره الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم فالباء على هذا بمعنى في ويجوز على هذا ان يوقف على بين ايديهم ولا يوقف اذا كانت بمعنى عن وقرا سهل بن سعد الساعدي وابو حيوة وبايمانهم بكسر الالف اراد الايمان الذي هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف لان معنى الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف والمعنى يسعى كائنا بين ايديهم وكائنا بايمانهم قوله بين ايديهم متعلق بنفس يسعى وقيل اراد بالنور القران وعن ابن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره على قدر النخلة ومنهم من يؤتى نوره على قدر الرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله فيطفى مرة ويوقد اخرى قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضيء نوره كما بين المدينة وعدن او من اليمن او صنعاء ودون ذلك لا يكون منهم من لا يضيء نوره الا موضع قدمه قال الحسن ليستضيئوا به على الصراط كما تقدم وقال مقاتل يكون دليلا لهم الى الجنة **قوله تعالى** بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار التقدير يقال لهم بشراكم اليوم دخول جنات ولا بد من تقدير حذف المضاف لان البشرى حدث والجنة عين ولا تكون هي هي تجري من تحتها الانهار اي من تحتهم مجاري اللبن والماء والخمر والعسل من تحت مساكنهم خالدين فيها حال من الدخول المحذوف بشراكم اليوم دخول جنات تجري من تحتها الانهار مقدرين الخلود فيها ولا يكون الحال من بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول ويجوز ان يكون مما دل عليه البشرى كانه قال يبشرون خالدين ويجوز ان يكون الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم وجنات بدل من البشرى على تقدير حذف المضاف كما تقدم وخالدين حال حسب ما تقدم واجاز الفرا نصب جنات على الحال على ان يكون اليوم خبرا من بشراكم وهو بعيد اذ ليس في جنات معنى الفعل واجاز ان يكون بشراكم نصبا على معنى يبشرونهم بشرى وينصب جنات بالبشرى وفيه تفرقة بين الصلة والموصول **قوله تعالى** يوم يقول المنافقون والمنافقات العامل في يوم ذلك هو الفوز العظيم وقيل هو بدل من اليوم الاول انظرونا قراءة العامة بوصل الالف مضمومة الطاء من نظر والنظر الانتظار اي انتظرونا وقرا الاعمش وحمزة ويحيى بن وثاب انظرونا بقطع الالف وكسر الطاء من الانظار اي امهلونا واخرونا انظرته اخرته واستنظرته اي استمهلته وقال الفرا تقول العرب انظرني اي انتظرني وانشد لعمرو بن كلثوم

ابا هند فلا تعجل علينا	وانظرنا نخبرك اليقينا

اي انتظرونا نقتبس من نوركم اي نستضيء من نوركم قال ابن عباس وابو امامة يغشى الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل القضاء يعطون نورا يمشون فيه قال المفسرون يعطي الله المومنين يوم القيامة نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم دليله قوله تعالى وهو خادعهم وقيل انما يعطون النور لان جميعهم اهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه قاله ابن عباس وقال ابو امامة يعطي المومن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور وقال الكلبي بل يستضيء الكافر والمنافق بنور المومن ولا يعطون النور فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفا بذلك نور المنافقين فذلك قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا يقوله المومنون خشية ان لا يسلبوه كما سلبه المنافقون فاذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا اي قالت لهم الملائكة ارجعوا وقيل بل هو قول المومنين لهم ارجعوا وراءكم الى الموضع الذي اخذنا منه النور فاطلبوا هنالك لانفسكم نورا فانكم لا تقتبسون من نورنا فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ضرب بينهم بسور اي سورا والباء صلة قاله الكسائي والسور حاجز بين الجنة والنار وروي ان ذلك السور بيت المقدس

عند موضع يعرف بوادي جهنم باطنه فيه الرحمة يعني ما يلي منه المؤمنين وظاهره من قبله العذاب يعني ما يلي المنافقين قال كعب الاحبار هو الباب الذي ببيت المقدس المعروف بباب الرحمة وقال عبد الله بن عمرو انه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم ونحوه عن ابن عباس وقال زياد بن ابي سوادة قام عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكا وقال من ها هنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم وقال مجاهد انه حجاب كما في الاعراف وقد مضى القول فيه وقيل ان الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين **قوله تعالى** ينادونهم الم نكن معكم اي ينادي المنافقون المؤمنين الم نكن معكم في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون ونغزو مثل ما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون قالوا بلى اي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي استعملتموها في الفتنة وقال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالمعاصي قاله ابو سنان وقيل بالشهوات واللذات رواه ابو نمير الهمداني وتربصتم اي تربصتم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين الدوائر وقيل تربصتم بالتوبة وارتبتم اي شككتم في التوحيد والنبوة وغرتكم الاماني اي الاباطيل وقيل طول الامل وقيل هو ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان وقيل الدنيا قاله عبد الله بن عباس وقال ابو سفيان هو قولهم سيغفر لنا وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة القاؤهم في النار وغركم اي خدعكم بالله الغرور اي الشيطان قاله عكرمة وقيل الدنيا قاله الضحاك وقال بعض العلماء ان الباقي بالماضي معتبر والاول للاخر مزدجر والسعيد من لا يغتر بالطمع ولا يركن الى الخدع ومن ذكر المنية نسي الامنية ومن اطال الامل نسي العمل وغفل عن الاجل وجاء الغرور على لفظ المبالغة للكثرة وقرا ابو حياة ومحمد بن السميفع وسماك بن حرب الغرور بضم الغين يعني الاباطيل وهو مصدر وعن ابن عباس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم خط لنا خطوطا وخط بينها خطا ناحية فقال اتدرون ما هذا هذا مثل ابن ادم ومثل التمني وتلك الخطوط الامال بينما هو يتمنى اذ جاءه الموت وعن ابن عباس قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسطه خطا وجعله خارجا منه وخط عن يمينه وشماله خطوطا صغارا فقال هذا ابن ادم وهذا اجله محيط به وهذا امله قد جاوز اجله وهذه الخطوط الصغار الاعراض فان اخطاه هذا نهشه هذا وان اخطاه هذا نهشه هذا **قوله تعالى** فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ايها المنافقون ولا من الذين كفروا اياسهم من النجاة وقراءة العامة يؤخذ بالياء لان التانيث غير حقيقي ولانه قد فصل بينهما وبين الفعل وقرا ابن عامر ويعقوب تؤخذ بالتاء واختاره ابو حاتم لتانيث الفدية والاول اختيار ابي عبيد اي لا يقبل منكم بدل ولا عوض ولا نفس اخرى مأواكم النار اي مقامكم ومنزلكم هي مولاكم اي اولى بكم والمولى من يتولى مصالح الانسان ثم استعمل فيمن كان ملازما للشيء وقيل اي النار تملك امركم يعني ان الله تعالى يركب فيها الحياة والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطبت في قوله يوم نقول لجهنم وبئس المصير اي ساءت مرجعا ومصيرا **قوله تعالى** الم يان للذين امنوا اي يقرب ويحين قال الشاعر

الم يان لي مما قلت ان اترك الجهلا	وان يحدث الشيب المبين لنا عقلا

وماضيه انى بالقصر يانى ويقال ال لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا اي حان مثل انى لك وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت

الما يان لي ان تجلى عمايتي	واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا

فجمع بين اللغتين وقرا الحسن الما يان واصلها الم زيدت ما فيها فهي نفي لقول القائل قد كان كذا ولما نفي لقوله قد كان كذا وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله اي تذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق روي ان المزاح والضحك كثر في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا في المدينة فنزلت الاية ولما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم ان الله يستبطئكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك سالوا سلمان ان يحدثهم بعجائب التوراة فنزلت الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص ما جرم ان هذا القصص احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوه مثل الاول فنزلت الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فعلى

هذا التاويل يكون الذين امنوا في العلانية باللسان قال السدي وعنى الم يان للذين امنوا بالظاهر واسروا
الكفر ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المومنين قال سعيد قيل يا رسول لو قصصت علينا فنزل نحن
نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزلت الله نزل احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا فانزل
الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ونحوه عن ابن مسعود وقال ما كان
بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين فجعل ينظر بعضنا الى بعض ويقول ما احدثنا قال
الحسن يستبطوهم وهم احب الخلق اليه وقيل هذا الخطاب لمن امن بموسى وعيسى دون محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين لانه قال عقيب هذا الذين امنوا بالله ورسوله اي الم يان للذين امنوا بالتوراة والانجيل
ان تلين قلوبهم للقران ولا يكذبوا المتقدمين قوم موسى وعيسى اذ طال عليهم الامد بينهم وبين نبيهم
فقست قلوبهم **قوله تعالى** ولا يكونوا اي وان لا تكونوا فهو منصوب عطفا على تخشع وقيل مجزوم
على النهي مجازه ولا يكونن ودليل هذا التاويل رواية رويس عن يعقوب ولا تكونوا بالتاء وهي قراءة
عيسى وابن اسحاق يقول لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا التوراة والانجيل فطالت الازمان
بهم قال ابن مسعود ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد فقست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند انفسهم
استحلته انفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
ثم قال اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم والا فاقتلوهم ثم اصطلحوا الى ان يرسلوا
الى عالم من علمائهم وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان ابى قتلناه فلا يختلف علينا بعده احد
فارسلوا اليه فكتب كتاب الله في ورقة وجعلها في قرن وعلقها على عنقه ثم لبس عليه ثيابه واتاهم فعرضوا
عليه كتابهم وقالوا اتومن بهذا فضرب بيده على صدره وقال امنت بهذا يعني المعلق على صدره فافترقت
بنو اسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن قال عبد الله ومن يعش منكم فيرى
منكرا وحسب احدكم اذا رأى المنكر لا يستطيع ان يغيره اذ يعلم الله في قلبه انه له كاره وقال مقاتل بن
حيان يعني مؤمني اهل الكتاب طال عليهم الامد واستبطؤا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست
قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين
به من الفقه ويخالف من يعلم وقيل هم من لا يومن في علم الله ثبتت طائفة منهم على دين عيسى حتى بعث النبي
صلى الله عليه وسلم فامنوا به وطائفة رجعوا عن دين عيسى وهم الذين فسقهم الله وقال محمد بن كعب كانت
الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابوا الريف والنعمة ففتروا عما كانوا فيه فقست قلوبهم فوعظهم
الله فافاقوا وذكر ابن المبارك اخبرنا مالك بن انس قال بلغني ان عيسى عليه السلام قال لقومه لا
تكثروا الكلام بغير الله فتقسي قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ولا تنظروا
في ذنوب الناس كانكم ارباب وانظروا فيها او قال في ذنوبكم كانكم عبيد فانما الناس رجلان معافى ومبتلى
فارحموا اهل البلا واحمدوا الله على العافية وهذه الاية الم يان للذين امنوا ان تخشع كانت سبب توبة
الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما الله تعالى ذكر ابو المطرف عبد الرحمن بن مروان القلانسي قال
حدثنا ابو محمد الحسن بن رشيق قال انا علي بن يعقوب الزيات قال انبانا الحسن قال سيل عبد الله بن المبارك
من بدو زهده قال كنت يوما مع اخواني في بستان لنا وذلك حين حملت الثمار من الفواكه واكلنا وشربنا
حتى الليل فنمنا وكنت مولعا بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له
راشين السحر واراد البستاني يغني وطائر يصيح فوق راسي على شجرة والعود بيدي لا يجيبني الى ما
اريد واذا به ينطق كما ينطق الانسان يعني الذي بيده وهو يقول الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى والله وكسرت العود وصرفت من كان عندي وكان هذا اول هدي و
تشميري وبلغنا عن الشعر الذي اراد ابن المبارك ان يضرب به في العود

الم يان لي منك ان ترحما ... وتعصي العواذل واللوما
وترثي لصب بكم مغرم ... اقام على هجركم ماثما
يبيت اذا جنه ليله ... يراعي الكواكب والانجما
وماذا على الظبي لو انه ... احل من الوصل ما حرما

واما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته انه عشق جارية فواعدته ليلا فبينما هو يرتقي الجدران اليها

كنت يوما مع اخواني في بستان لنا

اذ سمع تاليا يقرا الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد ان فاواه
الليل الى خربة وفيها جماعة من السابلة وبعضهم يقول لبعض ان فضيلا يقطع الطريق اي ان بالليل اسعى
في معاصي الله وقوما من المسلمين يخافونني اللهم اني قد تبت اليك وجعلت توبتي اليك جوار بيتك الحرام
قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها اي الجدبة بعد موتها بالمطر وقال صالح المري يعني
تلين القلوب بعد قسوتها وقال جعفر بن محمد يحييها بالعدل بعد الجور وقيل المعنى فكذلك يحيي الكافر بالهدى
الى الايمان بعد موته بالكفر والضلالة وقيل كذلك يحيي الموتى من الامم ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسي
قلبه قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي احيا الله الارض بعد موتها دليل على قدرة الله وانه يحيي الموتى
قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات قرا ابن كثير وابوبكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق
اي المصدقين والمصدقات فادغمت التاء في الصاد وكذلك هي في مصحف ابي وهو حث على الصدقات
ولهذا قال واقرضوا الله قرضا حسنا بالنفقة والصدقة في سبيل الله قال الحسن كلما في القران من القرض
الحسن فهو التطوع وقيل هو العمل الصالح من الصدقة وغيرها محتسبا صادقا وانما عطف بالفعل على الاسم لان ذلك
الاسم في تقدير الفعل اي ان الذين صدقوا واقرضوا يضاعف لهم امثالها وقراءة العامة بفتح العين على ما لم يسم
فاعله وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة هاء وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه بتشديد
العين وفتحها ولهم اجر كريم يعني الجنة **قوله تعالى** والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء
عند ربهم لهم اجرهم ونورهم اختلف في الشهداء هل هو مقطوع مما قبل او متصل به فقال مجاهد وزيد بن
اسلم ان الشهداء والصديقين هم المؤمنون وانه متصل وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يوقف
على هذا والصديقون وهذا قول ابن مسعود في تاويل الاية قال القشيري قال الله تعالى اولئك الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فالصديقون هم الذين يتلون الانبياء والشهداء هم الذين
يتلون الصديقين والشهداء والصالحين يتلون فيجوز ان تكون هذه الاية في جملة من صدق بالرسل اعني
والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء ويكون المعنى بالشهداء من شهد لله بالوحدانية فيكون
صديق فوق صديق في الدرجات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنان العلى يراهم من دونهم كما يرى
احدكم الكوكب في افق السموات ابوبكر وعمر منهم وانعما وروي عن ابن عباس ومسروق ان الشهداء غير الصديقين
فالشهداء على هذا منفصل مما قبله والوقف على قوله الصديقون حسن والمعنى والشهداء عند ربهم لهم اجر انفسهم
ونور انفسهم وفيه قولان احدهما انهم الرسل يشهدون على اممهم بالتصديق والتكذيب قاله الكلبي ودليله
قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الثاني انهم امم الرسل يشهدون يوم القيامة وفيما يشهدون به قولان
احدهما انهم يشهدون على انفسهم بما عملوا من طاعة ومعصية وهذا معنى قول مجاهد الثاني يشهدون
لانبيائهم بتبليغهم الرسالة الى اممهم قاله الكلبي وقال مقاتل قولا ثالثا انهم القتلى في سبيل الله تعالى ونحوه
عن ابن عباس ايضا قال اراد شهداء المومنين والواو واو الابتداء والصديقون على هذا القول مقطع من
الشهداء وقد اختلف في تعيينهم فقال الضحاك ثمانية نفر ابوبكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل بن حيان الصديقون
هم الذين امنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين مثل مومن ال فرعون وصاحب ال ياسين وابي بكر الصديق وصاحب
الاخدود **قوله تعالى** والذين كفروا وكذبوا باياتنا اي بالرسل والمعجزات اولئك اصحاب الجحيم فلا اجر
لهم ولا نور **قوله تعالى** اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الاية وجه الاتصال ان الانسان قد يترك
الجهاد خوفا على نفسه من القتل وخوفا من لزوم الموت فبين ان الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي ان يترك امر الله
محافظة على ما لا يبقى وما صلة وتقديره اعلموا ان الحياة الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي وقال لعب ولهو
اكل وشرب وقيل انه على المعهود من اسمه قال مجاهد كل لعب لهو وقد مضى هذا المعنى في الانعام وقيل اللعب ما
رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة اي شغل عنها وقيل اللعب الاقتنا واللهو النسا وزينة الزينة ما يتزين
به فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للاخرة وكذلك من تزين بغير طاعة الله وتفاخر بينكم اي يفخر بعضكم على
بعض بها وقيل بالخلقة والقوة وقيل بالانساب على عادة العرب في المفاخرة بالاباء وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد وصح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اربع في امتي من امر الجاهلية الفخر في الاحساب الحديث وقد تقدم جميع هذا وتكاثر في الاموال والاولاد

لان عادة الجاهلية ان يتكاثروا بالابناء والاموال وتكاثر المومنين بالايمان والطاعة قال بعض المتاخرين
لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر
الدهقان وقيل ان المعنى ان هذه الاشيا في الزوال والفنا وعن علي رضي الله عنه انه قال لعمار لا تحزن على
الدنيا فان الدنيا ستة اشيا ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل
وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج
دودة وافضل المشموم المسك وهو دم فارة وافضل مركوبها الفرس وعليها يقتل الرجال واما المنكوح
فالنسا وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها ليراد به اقبحها ثم ضرب الله لها مثلا بالزرع
في غيث فقال كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار نباته الكفار هنا الزراع لانهم يغطون البذر والمعنى ان الحياة
الدنيا كزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته بكثرة الامطار ثم لا يلبث ان يصير هشيما كان لم يكن واذا اعجب
الزراع فهو غاية ما يستحسن وقد مضى هذا المثل في يونس والكهف وقيل الكفار هنا الكافرون بالله عز وجل
لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا من المومنين وهذا قول حسن فان اصل الاعجاب لهم وفيهم ومنهم يظهر
وهو التعظيم للدنيا وما فيها وفي الموحدين من ذلك فرع يحدث من شهواتهم وتقل عندهم ويدق اذا ذكروا
الاخرة وموضع الكاف رفع على الصفة ثم يهيج اي يجف بعد خضرته فتراه مصفرا اي متغيرا عما
كان عليه من النضرة ثم يكون حطاما اي فتاتا وتبنا فيذهب بعد حسنه كذلك دنيا الكافرين وفي الاخرة
عذاب شديد اي للكافرين والوقف عليه حسن ويبتدا ومغفرة من الله ورضوان اي للمومنين وقال الفرا
وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة تقديره اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد وما
الحياة الدنيا الا متاع الغرور وهذا تاكيد ما سبق اي تغر الكفار واما المومن فالدنيا له متاع بلاغ
الى الجنة وقيل العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيدا في العمل للدنيا وترغيبا للعمل في الاخرة
قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم
وقيل سارعوا بالتوبة لانها تؤدي الى المغفرة قاله الكلبي وقيل التكبيرة الاولى من الامام قاله مكحول وقيل
الصف الاول وجنة عرضها كعرض السما والارض فوصل بعضها ببعض قال الحسن يعني جميع السموات
والارض مبسوطتان كل واحدة الى صاحبتها وقيل يريد لرجل واحد اي لكل واحد جنة بهذه السعة
قال ابن كيسان عني به جنة واحدة من الجنان والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشي
بعرضه دون طوله قال
كان بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل
وقد مضى هذا كله في ال عمران وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت
قول الله عز وجل عرضها كعرض السماء والارض فاين النار فقال عمر ارايت الليل اذا ولى وجاء النهار اين
يكون الليل فقالوا لقد نزعت بما في التوراة مثله اعدت للذين امنوا بالله ورسله بشرط الايمان لا غير وفيه
تقوية الرجا وقد قيل شرط الايمان هنا وفيه زاد عليه فقال اعدت للمتقين الذين ينفقون في السرا والضرا
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ذلك فضل الله يوتيه من يشا اي ان الجنة لا تنال ولا تدخل
الا برحمته وفضله وقد مضى هذا في الاعراف وغيرها والله ذو الفضل العظيم قوله تعالى
ما اصاب من مصيبة في الارض قال مقاتل القحط وقلة النبات والثمار وقيل الجوائح في الزروع ولا
في انفسكم بالاوصاب والاسقام قاله قتادة وقيل اقامة الحدود وقال ابن حبان وقيل ضيق المعاش
وهذا معنى رواه ابن جريج الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها الضمير في نبراها
عائد على النفوس او الارض او المصائب او الجميع وقال ابن عباس من قبل ان نخلق المصيبة وقال سعيد
بن جبير من قبل ان نخلق الارض والنفس ان ذلك على الله يسير اي خلق ذلك وحفظ جميعه على الله يسير
حين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت فقال لي ما يبكيك قلت ابكي لما ارى بك
ولما تذهب اليه فقال فلا تبك فانه كان في علم الله ان يكون الم تسمع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الاية وقال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب ما هو كائن الى يوم القيمة
وقد ترك جماعة من الفضلا الدوا والهدى الاية في امراضهم فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه وقالوا
قد علم الله ايام المرض وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا قال الله سبحانه
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها فقد قيل ان هذه الاية

لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشيا ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح

متصل

متصل بما قبل وهو ان الله سبحانه هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد وما يصيبهم من قتل او جرح وبين ان ما
يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له وانما
على المرء امتثال الامر ثم ادبهم فقال لكيلا تاسوا على ما فاتكم اي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق وذلك
انهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم تاسوا على ما فاتهم منه وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه ثم قرا
لكيلا تاسوا على ما فاتكم اي كيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا فانه لم يقدر لكم ولو قدر لكم لم يفتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم اي من الدنيا قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير من العافية والخصب وروى عكرمة عن ابن عباس
ليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المومن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي
عنهما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز قال الله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اي متكبر بما اوتي من الدنيا
فخور به على الناس وقراءة العامة اتاكم بمد الالف اي اعطاكم من الدنيا واختاره ابو حاتم وقراة ابو
العالية ونصر بن عاصم وابو عمرو اتاكم بقصر الالف واختاره ابو عبيدة اي جاكم وهو معادل لفاتكم ولهذا
لم يقل افاتكم قال جعفر بن محمد يا ابن ادم ما لك تاسى على مفقود لا يرده عليك الفوت وتفرح بموجود
لا يتركه في يدك الموت وقيل لبزرجمهر ايها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو ات قال
لان الفايت لا يتلافى بالعبرة والاتي لا يستدام بالحبرة وقال الفضيل بن عياض في هذا المعنى الدنيا مبيد ومفيد
فما باد فلا رجعة له وما افاد اذن بالرحيل وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه والفخور الذي ينظر الى
الناس بعين الاستحقار وكلاهما شرك خفي والفخور بمنزلة المصراة تشد اخلافها ليجتمع فيها اللبن
فيتوهم المشتري ان ذلك معتاد وليس كذلك فكذلك الذي يرى من نفسه حالا ورتبة وموضع ذلك مدع
فهو الفخور قوله تعالى الذين يبخلون اي لا يحب المختالين الذين يبخلون الذين في موضع خفض نعتا للمختال
وقيل رفع بالابتداء اي الذين يبخلون فالله غني عنهم قيل اراد رؤسا اليهود الذين يبخلون ببيان صفة
محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يومن به الناس فتذهب ماكلتهم قاله السدي والكلبي وقال سعيد
بن جبير الذين يبخلون اي بالعلم ويامرون الناس بالبخل بان لا يعلموا الناس شيا زيد بن اسلم انه البخل باداء
حقوق الله تعالى وقيل انه البخل بالصدقة والحقوق قاله ابن عباس عامر بن عبد الله الاشعري وقال
طاوس انه البخل بما في يديه وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة المعنى وفرق اصحاب الخواطر بين البخل والسخا
بفرقين احدهما ان البخيل الذي يلتذ بالامساك والسخي الذي يلتذ بالعطا وقيل البخيل الذي يعطي عند
السوال والسخي الذي يعطي بغير سوال ومن يتول عن الايمان فان الله غني عنه ويجوز ان يكون لما حث على الصدقة
اعلمهم الله ان الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بها فان الله غني عنهم وقراءة العامة بالبخل بضم البا
وسكون الخا وقرا انس وعبيد بن عمر ويحيى بن يعمر ومجاهد وحميد وابن محيصن وحمزة والكسائي بالبخل
بفتحتين وهي لغة الانصار وقرا ابو العالية وابن السميقع البخل بفتح البا واسكان الخا وعن نصر بن عاصم
البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة وقد تقدم والفرق بين البخل والشح في اخر ال عمران وقرا نافع وابن
عامر فان الله الغني الحميد بغير هو والباقون هو على ان يكون فصلا ويجوز ان يكون مبتدا والغني خبره
والجملة خبر ان ومن حذفها فالاحسن ان يكون فصلا لان حذف الفصل اسهل من حذف المبتدا
قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة وقيل
الاخلاص لله تعالى في العبادة واقام الصلاة وايتا الزكاة الى ذلك دعت الرسل نوح فمن دونه الى محمد
نبينا صلى الله عليه وسلم عليهم وانزلنا معهم الكتاب اي الكتب اي اوحينا اليهم خبر ما كان قبلهم والميزان
قال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل في معاملاتهم وقوله بالقسط يدل
على انه اراد الميزان المعروف وقال قوم اراد به العدل قال القشيري واذا حملناه على الميزان المعروف
فالمعنى انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان وهو من باب علفتها تبنا وماء باردا ويدل على هذا قوله والسما
رفعها ووضع الميزان ثم قال واقيموا الوزن بالقسط وقد مضى القول فيه وانزلنا الحديد فيه باس
شديد وروى عمران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى انزل اربع بركات من السما الى الارض
الحديد والنار والما والملح وروى عكرمة عن ابن عباس قال ثلاثة اشيا نزلت مع ادم عليه السلام الحجر الاسود
وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى وكانت من اس الجنة طولها عشرة اذرع مع طول موسى والحديد وانزل

ثلاثة اشيا السندان والكلبتان والمنقعة وهي المطرقة ذكره الماوردي وقال الثعلبي قال ابن عباس
نزل ادم من الجنة ومعه من الحديد خمسة اشيا من الة الحدادين السندان والكلبتان والمنقعة
والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال والمنقعة ما يحدد به يقال انقعت الحديدة لقعها اي حددتها
وفي الصحاح والميقعة والموضع الذي يالفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار الذي يدق عليها
والمطرقة والمسن الطويل وروي ان الحديد انزل في يوم الثلاثا فيه باس شديد اي لهراق الدما
وكذلك ما نهي عن الفصد والحجامة في يوم الثلثا لانه يوم جري فيه الدم وروي عن رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان في يوم الثلثا ساعة لا يرقا فيها الدم وقيل انزلنا الحديد اي انشاناه وخلقناه
لقوله تعالي وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وهذا قول الحسن فيكون من الارض غير منزل
من السماء وقال اهل المعاني اي اخراج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه فيه باس شديد
يعني السلاح والكراع والجنة وقيل اي ان فيه من خشية القتل خوف شديد ومنافع للناس قال
مجاهد يعني جنة وقيل يعني انتفاع الناس بالماعون من الحديد مثل السكين والفاس ونحوه وليعلم الله
من ينصره اي انزل الحديد ليعلم من ينصره وقيل هو عطف علي قوله تعالي ليقوم الناس بالقسط اي ارسلنا
رسلنا وانزلنا معهم الكتاب وهذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق وليري الله من ينصر دينه وينصر
رسله بالغيب قال ابن عباس ينصرونهم لا يكذبونهم ويومنون بهم بالغيب اي وهم لا يرونهم
ان الله قوي عزيز قوي في اخذه عزيز اي منيع غالب وقد تقدم وقيل بالغيب بالاخلاص

قوله تعالي ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم فصل ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب واخبر انه ارسل
نوحا وابراهيم وجعل النبوة في نسلهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي جعلنا بعض ذريتهما الانبيا
وبعضهم امما يتلون الكتب المنزلة من السما والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن عباس
الكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من امم ابراهيم ونوح مهتد وقيل المنهم مهتد اي من ذريتهما مهتدون
وكثير منهم فاسقون كافرون خارجون عن الطاعة **قوله تعالي** ثم قفينا علي اثارهم برسلنا
فيه اربع مسايل الاولي قوله تعالي ثم قفينا اي اتبعنا علي اثارهم اي علي اثار الذرية وقيل علي اثار نوح
وابراهيم برسلنا موسي والياس وداود ويونس وغيرهم وقفينا بعيسي ابن مريم فهو من ذرية ابراهيم
من جهة امه واتيناه الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد تقدم اشتقاقه في سورة ال عمران الثانية
قوله تعالي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه علي دينه يعني الحواريين واتباعهم رافة ورحمة اي مودة وكانوا
موادين بعضهم بعضا وقيل هذا اشارة الي انهم امروا في الانجيل بالصلح وترك ايذا الناس والان الله قلوبهم
لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه والرافة اللين والرحمة الشفقة
وقيل الرافة تخفيف الكل والرافة تحمل الثقل وقيل الرافة اشد الرحمة وتم الكلام ثم قال ورهبانية ابتدعوها
اي من قبل انفسهم والاحسن ان تكون الرهبانية منصوبة باضمار فعل قال ابو علي وابتدعوها رهبانية
ابتدعوها وقال الزجاج اي ابتدعوها رهبانية كما تقول رايت زيدا وعمرا اكلمت وقيل انه معطوف علي الرافة
والرحمة والمعني علي هذا ان الله تعالي اعطاهم اياها فغيروا وابتدعوا قال الماوردي وفيها قراتان
احداهما بفتح الراء وهي الخوف من الرهب الثانية بضم الراء وهي منسوبة الي الرهبان وذلك لانهم حملوا
علي انفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع وذلك
ان ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسي عليه السلام
ارتكبوا المحارم ثلثماية سنة فانكرها عليهم من كان قد بقي علي منهاج عيسي فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم
نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة
الرهبانية التي ابتدعوها رفض النسا واتخاذ الصوامع وفي خبر مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال
ما كتبناها عليهم ولا امرناهم بها قاله ابن زيد وقوله الا ابتغاء رضوان الله اي ما امرناهم الا بما يرضي
الله قاله ابن مسلم وقال الزجاج ما كتبناها عليهم معناه لم يكتب عليهم شيا البتة ويكون الا ابتغاء رضوان
الله بدلا من الها والالف في كتبناها والمعني ما كتبنا عليهم الا ابتغا رضوان وقيل الا ابتغا استثناء
منقطع والتقدير ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها
حق القيام وهذا خصوص لان الذين لم يرعوها بعض القوم وانما نسبوا بالترهب الي طلب الرياسة علي

الرهبانية التي ابتدعوها رفض النسا، واتخاذ الصوامع

الناس

الناس واكل اموالهم كما قال تعالي يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس
بالباطل ويصدون عن سبيل الله وهذا في قوم ادام الرهبان الي طلب الرياسة في اخر الامر وروي
سفيان الثوري عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالي ورهبانية ابتدعوها
قال كانت ملوك بعد عيسي بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مومنون يقرون التوراة والانجيل
ويدعون الي دين الله فقال اناس لملوكهم لو قتلت هذه الطايفة فقال المومنون نحن نكفيكم انفسنا
وطايفة قالت ابنوا لنا اسطوانة ارفعونا فيها واعطونا شيا نرفع طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وطايفة
قالت دعونا نهيم في الارض ونسيح ونشرب كما يشرب الوحوش في البرية فان قدرتم علينا فاقتلونا وطايفة
قالت ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول فلا تروننا وليس احد من اوليك الا وله
حميم منهم ففعلوا فمضي اوليك علي منهاج عيسي وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فقالوا نسيح ونتعبد
كما تعبد اوليك وهم علي شركهم لا علم لهم بايمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم فذلك قوله تعالي ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الاية تقول ابتدعها هولا الصالحون فما رعوها المتاخرين واتينا الذين
امنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها اولا ورعوها وكثير منهم فاسقون يعني المتاخرين فلما بعث الله
محمدا صلي الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل جاوا من الكهوف والصوامع والغيران فامنوا
برسول الله صلي الله عليه وسلم الثالثة هذه الاية دالة علي ان كل محدث بدعة فينبغي لمن ابتدع خيرا
ان يدوم عليه ولا يعدل عنه الي ضده فيدخل في الاية وعن ابي امامة الباهلي واسمه صدي بن عجلان
قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم انما كتب عليكم الصيام فدوموا علي القيام اذا فعلتموه ولا
تتركوه فان ناسا من بني اسرايل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها فعابهم الله بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغا رضوان الله
فما رعوها حق رعايتها الرابعة وفي الاية دليل علي ان العزلة عن الناس في الصوامع والبيوت وذلك
مندوب اليه عند فساد الزمان وتغير الاحوال والاصدقا وقد مضي هذا في سورة الكهف مستوفي
والحمد لله وفي مسند احمد بن حنبل من حديث ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله
صلي الله عليه وسلم في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شي من ما فحدث نفسه بان يقيم في ذلك
الغار فيعوته ما كان فيه شي من ما ويصيب ما حوله من البقل ويتخلي من الدنيا قال قال لو اني اتيت النبي صلي
الله عليه وسلم فذكرت ذلك فان اذن لي فعلت والا لم افعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني
من الماء والبقل فحدثتني نفسي بان اقيم فيه واتخلي من الدنيا قال فقال النبي صلي الله عليه وسلم اني لم ابعث
باليهودية ولا بالنصرانية ولكن بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفسي بيده لغدوة او روحة في سبيل
الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة وروي الكوفيون
عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم هل تدري اي الناس اعلم قال قلت الله ورسوله
اعلم قال اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا في العمل وان كان يزحف
علي استه هل تدري من اين اتخذ بنو اسرايل الرهبانية ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسي يعملون بمعاصي
الله فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا
ان افنونا لم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نفترق في الارض الي ان يبعث الله النبي الامي الذي وعدنا
عيسي يعنون محمدا صلي الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه
ومنهم من كفر وتلا ورهبانية ابتدعوها الاية اتدري ما رهبانية امتي الهجرة والجهاد والصوم والصلاة والحج
والعمرة والتكبير علي التلاع يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم من النصاري علي اثنين وسبعين
فرقة وهلك سايرهم واختلف من كان قبلكم من اليهود علي احدي وسبعين فرقة فنجا منها فرقة وهلك
سايرهم ونجا من النصاري ثلاث فرق وهلك سايرها فرقة وازرت الملوك وقاتلتهم عن دين الله ودين
عيسي عليه السلام حتي قتلوا وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك اقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم
الي دين الله ودين عيسي فاخذتهم الملوك وقطعتهم بالمناشير وقتلتهم وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة
الملوك بان همموا بين ظهراني قومهم تدعوهم الي دين الله ودين عيسي فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهي التي
قال الله فيهم ورهبانية ابتدعوها الاية فمن امن بي واتبعني وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يومن

فاولئك هم الفاسقون يعني الذين تهودوا وتنصروا وقيل هاؤلاء الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم
اي ان الاولين اصروا على الكفر ايضا فلا تعجب من اهل عصرك ان اصروا على الكفر **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين من
رحمته اي مثلين من الاجر على ايمانهم بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا مثل قوله تعالى اولئك يؤتون
اجرهم مرتين وقد تقدم القول فيه والكفل الحظ والنصيب وقد مضى في النساء وهو في الاصل كساء يحتفل
الراكب فيحفظه من السقوط قاله ابن جرير ونحوه قال الازهري اشتقاقه من الكساء الذي يحويه راكب
البعير على سنامه اذا ارتدفه لئلا يسقط فتاويله يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي كما
يحفظ الكفل الراكب وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة عن ابن زيد كفلين اجر الدنيا
والاخرة وقيل لما نزلت اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا افتخر مومنوا اهل الكتاب على اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقد استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان الحسنة انما لها من الاجر
مثل فقال الحسنة اسم عام ينطلق على كل نوع من الايمان وينطبق على عمومه فان انطلقت الحسنة على نوع
واحد فليس له عليها من الثواب الا مثل واحد وان انطلقت على حسنة تشتمل على نوعين كان الثواب
عليها مثلين بدليل هذه الاية فانه قال كفلين من رحمته والكفل النصيب كالمثل فجعل لمن اتقى الله وامن
برسوله نصيبين نصيبا لتقوى الله ونصيبا لايمانه برسوله فدل على ان الحسنة التي جعل لها عشرا هي
التي جمعت عشرة انواع من الحسنات وهو الايمان الذي جمع الله في صفته عشرة انواع بقوله تعالى
ان المسلمين والمسلمات الاية بكمالها فكانت هذه الانواع العشرة التي هي ثوابها امثالها فيكون لكل نوع
منها مثل وهذا تاويل فاسد لخروجه عن عموم الظاهر لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها بما لا
يحتمله تخصيص العموم لاما جمع عشر حسنات فليس يجزا عن كل حسنة الا بمثلها وبطل ان يكون جزا الحسنة
عشر امثالها والاخبار دالة عليه وقد تقدم ذكرها ولو كان كما ذكر لما كان بين الحسنة والسيئة فرق
ويجعل لكم نورا تمشون به اي بيانا وهدى عن مجاهد قال ابن عباس هو القران وقيل ضياء يمشون
فيه في الاخرة على الصراط وفي القيمة الى الجنة وقيل تمشون به في الناس يدعونهم الى الاسلام فيكونوا
رؤسا في دين الاسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك بانهم خافوا ان تزول رياستهم لو امنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله تعالى لا الرياسة
الحقيقية في الدين ويغفر لكم والله غفور رحيم **قوله تعالى** لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون
اي ليعلم وان صلة زائدة مؤكدة قاله الاخفش وقال الفرا معناه لان يعلم ولا صلة زائدة في كل كلام
دخل عليه جحد قال قتادة حسد اهل الكتاب المسلمون فنزلت لئلا يعلم اهل الكتاب اي لان يعلم اهل الكتاب
انهم لا يقدرون على شي من فضل الله وان الفضل بيد الله قال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي
يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا فنزلت لئلا يعلم اي ليعلم اهل الكتاب الا يقدرون على
شي يعني انهم لا يقدرون كقوله تعالى الا يرجع اليهم قولا وعن الحسن ليلا يعلم اهل الكتاب وروي ذلك
ابن مجاهد وروي قطرب بكسر اللام واسكان الياء وفتح لام الجر لغة معروفة ووجه اسكان الياء ان همزة ان حذفت
وصارت لن فادغمت النون في اللام فصار الا فلما اجتمع اللامات ابدل الوسطى منها ياء كما قالوا في اما ايما
وكذلك القول في قراة من قرا ليلا بكسر اللام الا انه ابقى اللام على اللغة المشهورة فيها فهو اقوى من هذه
الجهة وعن ابن مسعود لكيلا يعلم وعن خطاب بن عبد الله لان يعلم وعن عكرمة ليعلم وهو خلاف المرسوم من فضل
الله قيل الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى وان الفضل بيد الله ليس
بايديهم فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل وان الفضل بيد الله اي هو له يؤتيه
من يشاء وفي البخاري حدثنا الحكم بن نافع قال حدثنا شعيب عن الزهري قال اخبرني سالم بن عبد الله ان
عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيما سلف
قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس فاعطي اهل التورية التورية فعملوا بها حتى انتصف
النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا بها حتى صلاة العصر ثم عجزوا
فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل
التورية ربنا هؤلاء اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم من شي قالوا لا قال ذلك فضل الله

فدل على ان الحسنة التي جعل لها عشر امثالها هي التي جمعت عشرة انواع من الحسنات

اوتيه من اشاء وفي رواية فغضب اليهود والنصارى وقالوا ربنا تمت السورة المباركة ولله الحمد والمنة

تفسير سورة المجادلة

مدنية في قول الجميع الا رواية عن عطاء ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزلت جميعها بالمدينة
غير قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قد سمع
الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله التي اشتكت هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت حكيم وقيل اسمها
جميلة وخولة اصح وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وقد مر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في خلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم
قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب
وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستني
من اول النهار الى اخره لا زلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هذه خولة بنت ثعلبة سمع قولها الله
من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وقالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه كل
شي اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول
يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك فما برحت
حتى نزل جبريل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك وتشتكي الى الله خرجه ابن ماجة في السنن والذي في
البخاري من هذا عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة تشكو الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا في ناحية البيت ما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
قال الماوردي هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت خويلد وليس هذا اختلاف لان احدهما ابوها والاخر جدها
فنسبت الى كل واحد منهما وزوجها اوس بن الصامت قال الثعلبي قال ابن عباس هي خولة بنت خويلد الخزرجية
كانت تحت اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجزها
فاعجبه امرها فلما انصرفت اراد ها فابت فغضب عليها قال عكرمة وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال
انت علي كظهر امي وكان الظهار والايلاء من الطلاق في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت
عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا ثم قالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي
وقد نفضت له بطني فقال حرمت عليه فما زالت تراجعه ويراجعها حتى نزلت عليه الاية وروي الحسن انها قالت يا رسول
الله اوحي اليك في كل شي وطوي عنك هذا فقال ما هو قلت لك فقالت الى الله اشكو لا الى رسوله فانزل الله
تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الاية وروي الدارقطني من حديث قتادة ان انس
بن مالك حدثه قال ان اوس بن الصامت ظاهر من امراته خولة بنت ثعلبة فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ظاهر حين كبر سني ورق عظمي فانزل الله تعالى اية الظهار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاوس اعتق رقبة قال ما لي بذلك يدان قال فصم شهرين متتابعين قال اما اني اذا اخطاني ان اكل في اليوم كل بصري
قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة قال فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له والله رحيم قال وكانوا يرون ان عنده مثلها وذلك لستين مسكينا وفي الترمذي
وسنن ابن ماجة ان سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امراته وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اعتق رقبة
قال فضربت صفحة عنقي بيدي فقلت لا والذي بعثك بالحق ما اصبحت املك غيرها قال فصم شهرين قلت
يا رسول الله وهل اصابني ما اصابني الا من الصيام قال فاطعم ستين مسكينا الحديث وذكر ابن العربي في احكامه
روي ان خولة بنت الذبيح ظاهر منها زوجها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد حرمت عليه قالت اشكو الى الله حاجتي وعائشة تغسل شق راسه الايمن ثم تحولت الى الشق الاخر
وقد نزل عليه الوحي فذهبت ان تعود فقالت عائشة اسكتي وقد نزل الوحي على فلما نزل القران قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لزوجها اعتق رقبة قال لا اجد قال صم شهرين متتابعين قال ان اكل في اليوم خفت ان يعشو بصري
قال فاطعم ستين مسكينا قال فاعني قال فاعانه بشي قال ابو جعفر النحاس هذا التفسير على انها خولة وزوجها
اوس بن الصامت واختلفوا في نسبها فقال بعضهم هي انصارية وهي بنت ثعلبة وقال بعضهم هي ابنة دليج وقيل

وقيل هي بنة خويلد وقال بعضهم هي ابنة صامت وقال بعضهم هي امة كانت لعبد الله ابن ابي وفيها انزل الله ولا تكرهوا فتياتكم علي البغا ان اردن تحصنا الاية يكرهها علي الزنا وقيل هي بنة حكيم قال النحاس وهذا ليس بمتناقض يجوز ان تنسب مرة الي ابيها ومرة الي جدها ومرة الي امها ويجوز ان تكون امة كانت لعبد الله بن ابي فقيل لها انصارية بالولا ولانه كان في عداد الانصار وان كان من المنافقين الثانية قري قد سمع بالادغام وقد سمع بالاظهار والاصل في السماع ادراك المسموعات وهو اختيار الشيخ ابي الحسن وقال ابن فورك الصحيح انه ادراك المسموع وقال الحاكم ابو عبد الله في معني السميع انه المدرك للاصوات التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الي ان الاصوات لا تخفي عليه وان كان غير موصوف بالحس المركب في الاذن كالاصم من الناس لما لم يكن له هذه الحاسة لم يكن اهلا لادراك الصوت والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما وشكي واشتكي بمعني واحد وقري تحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك اي تسايلك **قوله تعالي** الذين يظهرون منكم من نسائهم فيه ثلاثة وعشرون مسالة **الاولي** قوله تعالي الذين يظهرون قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف يظاهرون بفتح اليا وتشديد الظا والف وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب يظهرون بحذف الالف وتشديد الها والظا وفتح اليا وقرا ابو العالية وعاصم وزر بن جبيش يظاهرون بضم اليا وتخفيف الظا والف وكسر الها وقد تقدم هذا في الاحزاب وفي قراءة ابي يتظاهرون وهو معني قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وذكر الظهر كناية عن معني الركوب والادمي انما يركب بطنها ولكن كني عنه بالظهر لان ما يركب من غير الادميات فانما يركب ظهره فكني بالظهر عن الركوب وتعال عن امراته اي طلقها كانه نزل عن مركوب ومعني انت علي كظهر امي انت علي محرمة لا يحل لي ركوبك الثانية حقيقة الظهار تشبيه ظهر بظهر والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل بظهر محرم ولهذا اجمع الفقها علي ان من قال لزوجته انت علي كظهر امي يظاهر واكثرهم علي انه ان قال لها انت علي كظهر ابنتي واختي او غير ذلك من ذوات المحارم انه يظاهر وهو مذهب مالك وابي حنيفة وغيرهما واختلف فيه عن الشافعي رضي الله عنه عن كلهم فروي عنه نحو قول مالك لانه شبه امراته بظهر محرم عليه موبدا كالام وروي عنه ابو ثور ان الظهار لا يكون الا بالام وحدها وهو مذهب [illegible] والشعبي والاول قول الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري الثالثة اصل الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وانما ذكر الله الظهر كناية عن البطن وسترا فان قال انت علي كامي ولم يذكر الظهر او قال انت علي مثل امي فان اراد الظهار فله نيته وان اراد الطلاق كان طلاقا البتة عند مالك وان لم يكن له نية في طلاق ولا ظهار كان مظاهرا ولا ينصرف صريح الظهار بالنية الي الطلاق البتة الرابعة الفاظ الظهار ضربان صريح وكناية فالصريح انت علي كظهر امي وانت عندي وانت مني وانت معي كظهر امي وكذلك انت علي كبطن امي او كراسها او فرجها او نحوه وكذلك فرجك او راسك او ظهرك او بطنك او رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر مثل قوله يدك او رجلك او راسك او فرجك طالق يطلق عليه وقال الشافعي في احد قوليه لا يكون ظهارا وهذا ضعيف منه لانه قد وافقنا علي انه يصح اضافة الطلاق اليه خلافا لابي حنيفة فصح اضافة الظهار اليه ومتي شبهها بامه او باحدي جداته من قبل ابيه وامه فهو ظهار بلا خلاف وان شبهها بغيرهن من ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالبنت والاخت والعمة والخالة كان مظاهرا عند اكثر الفقها وعند الامام الشافعي رضي الله عنه علي الصحيح من المذهب كما ذكرنا والكناية ان يقول انت علي كامي او مثل امي فانه يعتبر فيه النية فان اراد الظهار وان لم ينو الظهار لم يكن مظاهرا عند الشافعي وابو حنيفة وقد تقدم مذهب مالك في ذلك والدليل عليه انه اطلق تشبيه امراته بامه فكان ظهارا اصله اذا ذكر الظهر وهذا قوي فان معني اللفظ فيه موجود واللفظ بمعناه ولم يلزم حكم الظهر للفظ وانما الزمه بمعناه وهو التحريم قاله ابن العربي الخامسة اذا شبه جملة اهله بعضو من اعضا امه كان مظاهرا خلافا لابي حنيفة رحمه الله في قوله انه ان شبهها بعضو يحل النظر اليه لم يكن مظاهرا وهذا لا يصح لان النظر اليه علي طريق الاستمتاع لا يحل له وفيه التشبيه واياه قصد المظاهر وقد قال الشافعي في قول انه لا يكون ظهارا الا في الظهر وحده وهذا فاسد لان كل عضو منها محرم فكان التشبيه به ظهارا كالظهر ولان المظاهر انما يقصد تشبيه المحلل بالمحرم فلزم علي المعني السادسة ان شبه امراته باجنبية فان ذكر الظهر كان ظهارا حملا علي الاول وان لم يذكر الظهر فاختلف فيه علماونا فمنهم من قال يكون ظهارا ومنهم من قال يكون طلاقا وقال ابو حنيفة والشافعي لا يكون شيا قال ابن العربي وهذا فاسد لانه شبه محللا من المراة بمحرم فكان مقيدا بحكمه كالظهر والاسما بمعانيها عندنا وعندهم

وسعني انت علي كظهر امي انت علي محرمة

بالفاظها وهذا بعض الاصل منهم قال الشيخ المولف رحمه الله الخلاف في الظهار بالاجنبية قوي عند مالك واصحابه منهم من لا يري الظهار الا بذات المحارم خاصة ولا يري الظهار بغيرهن شيا ومنهم من لا يجعله شيا ومنهم من يجعله في الاجنبية طلاقا وهو عند مالك اذا قال كظهر ابني او غلامي او كظهر زيد او كظهر اجنبية ظهارا لا يحل له وطيها في حين يمينه وقد روي عنه ايضا ان الظهار بغير ذوات المحارم ليس بشي كما قال الكوفي والشافعي وقال الاوزاعي لو قال لها انت علي كظهر فلان رجل فهو يمين يكفرها السابعة اذا قال انت حرام كظهر امي كان ظهارا ولم يكن طلاقا لان قوله انت حرام يحتمل التحريم بالطلاق فهي مطلقة ويحتمل التحريم بالظهار فلما صرح به كان تفسيرا لاحد الاحتمالين يقضي به فيه الثامنة الظهار لازم في كل زوجة مدخول بها او غير مدخول بها علي اي الاحوال كانت من كل زوج يجوز طلاقه وكذلك عند مالك من يجوز له وطيها من امايه اذا ظاهر منهن لزمه الظهار فيهن وقال ابو حنيفة والشافعي لا يلزم قال القاضي ابو بكر بن العربي وهي مسالة عسيرة جدا علينا لان مالكا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم فكيف يبطل فيها صريح التحريم ويصح كنايته لكن تدخل الامة في عموم قوله من نسائكم لانه اراد من محللاتكم والمعني فيه انه لفظ يتعلق بالبضع دون رفع العقد فصح في الامة اصله الحلف بالله تعالي التاسعة ويلزم الظهار قبل النكاح اذا نكح التي ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند الشافعي وابي حنيفة كقوله من نسائهم وهذه ليس من نسائه وقد مضي اصل هذه المسالة في سورة براءة عند قوله ومنهم من عاهد الله الاية العاشرة الذمي لا يلزم ظهاره وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي يصح ظهار الذمي ودليلنا قوله تعالي منكم يعني من المسلمين وهذا يقتضي خروج الذمي من الخطاب فان قيل هذا استدلال بدليل الخطاب قلنا هو استدلال بالاشتقاق والمعني فان انكحة الكفار فاسدة فلا يتعلق عليها حكم طلاق ولا ظهار وذلك كقوله تعالي واشهدوا ذوي عدل منكم واذا خلت الانكحة عن شروط الصحة فهي فاسدة ولا ظهار في النكاح الفاسد بحال الحادية عشرة قوله تعالي منكم يقتضي صحة ظهار العبد خلافا لمن منعه وحكاه الثعلبي عن مالك لانه من جملة المسلمين واحكام النكاح في حقه ثابتة وان تعذر عليه العتق والاطعام فانه قادر علي الصيام الثانية عشرة قال مالك رحمه الله ليس علي النسا ظهار انما قال الله تعالي والذين يظهرون منكم من نسائهم ولم يقل اللائي يظهرن منكن من ازواجهن انما الظهار علي الرجال قال ابن العربي هكذا روي عن القاسم وسالم ويحيي بن سعيد وربيعة وابي الزناد وهو صحيح معني لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال ليس بيد المراة منه شي وهذا اجماع قال ابو عمر علي النسا ظهار في قول جمهور العلما قال الحسن ابن زياد هي مظاهرة وقال الثوري وابو حنيفة ومحمد ليس ظهار المراة من الرجل قبل النكاح كان او بعده وقال الشافعي لا ظهار للمراة من الرجل وقال الاوزاعي اذا قالت المراة لزوجها انت علي كظهر فلانة فهي يمين تكفرها وكذلك قال اسحاق قال لا يكون امراة متظاهرة من رجل ولكن عليها يمين يكفرها وقال الزهري اري ان تكفر كفارة الظهار ولا يحول قولها هذا بينها وبين زوجها ان يصيبها رواه عنه معمر وابن جريج عن عطا قال حرمت ما احل الله عليها كفارة يمين وهو قول ابي يوسف وقال محمد بن الحسن لا شي عليها الثالثة عشرة من يتلم وانتظمت له في بعض الاوقات الكلم لزم ظهاره لما روي في الحديث ان خولة بنت ثعلبة وكان زوجها اوس بن الصامت وكان به لمم فاصابه بعض لممه فظاهر من امراته الرابعة عشرة من غضب فظاهر من امراته او طلق لم يسقط غضبه حكمه وفي بعض طرق هذا الحديث قال يوسف بن عبد الله بن سلام حدثتني خولة امراة اوس بن الصامت قال كان بينه وبيني شي فقال انت علي كظهر امي ثم خرج الي نادي قومه فقولها كان بيني وبينه شي فقال انت علي كظهر امي دليل علي منازعة اخرجته فظاهر منها والغضب لغو لا يرفع حكما ولا يغير شرعا وكذا السكران الخامسة عشرة يلزمه حكم الظهار والطلاق في حال سكره اذا عقل قوله ونظم كلامه لقوله تعالي حتي تعلموا ما تقولون علي ما تقدم في النسا بيانه السادسة عشرة ولا يقرب المظاهر امراته ولا يباشرها ولا يتلذذ منها بشي حتي يكفر خلافا للشافعي في احد قوليه لان قوله انت علي كظهر امي يقتضي تحريم كل استمتاع بلفظه ومعناه فان وطيها قبل ان يكفر وهي السابعة عشرة استغفر الله وامسك عنها حتي يكفر كفارة واحدة وقال مجاهد وغيره عليه كفارتان روي سعيد عن قتادة ومطر عن رجا ابن حيوة عن قبيصة بن ذويب عن عمرو بن العاصي في المظاهر اذا وطي قبل ان يكفر عليه كفارتان ومعمر عن قتادة قال قبيصة ابن ذويب عليه كفارتان وروي جماعة من الايمة منهم ابن ماجة والنسا عن ابن عباس ان رجلا ظاهر

من امراته فغشيها قبل ان يكفر فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال ما حملك على ذلك قال يا رسول
الله رايت بياض خلخالها في ضوء القمر فلم املك نفسي ان وقعت عليها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامره ان لا يقربها حتى يكفر وروي ابن ماجة رحمه الله والدارقطني عن سليمان ابن يسار عن سلمة بن صخر
انه ظاهر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقع بامراته قبل ان يكفر فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر ذلك له فامره ان يكفر تكفيرا واحدا الثامنة عشرة اذا تظاهر من اربع نسوة في كلمة
واحدة كقوله انتن علي كظهر امي كان مظاهرا من كل واحدة منهن ولم يجز له وطء احداهن واجزته كفارة
واحدة وقال الشافعي يلزمه اربع كفارات وليس في الاية دليل على شي من ذلك لان لفظ الجمع انما وقع
في عامة المومنين والمعول على المعنى وقد روى الدارقطني عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب يقول اذا
كان تحت الرجل اربع نسوة فظاهر منهن تجزيه كفارة واحدة فان ظاهر منهن واحدة بعد اخرى لزمه في كل واحدة
منهن كفارة وهذا اجماع التاسعة عشرة وان قال لاربع نسوة ان تزوجتكن فانتن علي كظهر امي
فتزوج احداهن لم يقربها حتى يكفر ثم قد سقط عنه اليمين في سايرهن وقد قيل لا يطا البواقي منهن حتى
يكفر والاول هو المذهب الموفية عشرين وان قال لامراته انت علي كظهر امي وانت طالق البتة لزمه الطلاق
والظهار معا ولم يكفر حتى ينكحها بعد زوج ولا يطاها اذا نكحها حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي
كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار لان المبتوتة لا يلحقها طلاق الحادية والعشرون قال بعض العلما
لا يصح ظهار غير المدخول بها وقال المزني لا يصح الظهار من المطلقة الرجعية وهذا ليس بشي لان احكام
الزوجية في الموضعين ثابتة وكما يلحقها الطلاق لذلك يلحقها الظهار قياسا ونظرا والله اعلم الثانية
والعشرون ما هن امهاتهم اي ما نساوهم بامهاتهم وقراءة العامة امهاتهم بخفض التاء على لغة اهل الحجاز
كقوله ما هذا بشرا وقرا ابو معمر والسلمي وغيرهما امهاتهم بالرفع على لغة تميم قال الفرا اهل نجد وبنو تميم يقولون
ما هذا بشر وما هن امهاتهم بالرفع ان امهاتهم الا اللاي ولدنهم اي ما امهاتهم الا الوالدات وفي المثل ولدك
من دمى عقبيك وتقدم القول في اللاي في الاحزاب الثالثة والعشرون قوله تعالى وانهم ليقولون منكرا
من القول وزورا اي فظيعا من القول لا يعرف في الشرع والزور الكذب وان الله لعفو غفور اذ جعل الكفارة
عليهم مخلصة لهم عن هذا القول المنكر قوله تعالى والذين يظهرون من نسايهم فيه اثنتا
عشرة مسالة الاولى قوله تعالى والذين يظهرون من نسايهم هذا ابتدا والخبر فتحرير رقبة وحذف عليهم لدلالة
الكلام عليه اي فعليهم تحرير رقبة وقيل اي وكفارتهم عتق رقبة والمجتمع عليه عند العلما في الظهار قول
الرجل لامراته انت علي كظهر امي وهو قول المنكر والزور الذي عنى الله بقوله وانهم ليقولون منكرا من القول
وزورا فمن قال هذا القول حرم عليه وطي امراته فمن عاد لما قال لزمه كفارة الظهار كقوله عز وجل والذين
يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة وهذا يدل على ان كفارة الظهار لا تلزم بالقول
خاصة حتى ينضم اليها العود وهذا حرف مشكل اختلف الناس فيه على اقوال سبعة الاول انه العزم
على الوطي وهو مشهور قول العراقيين ابي حنيفة واصحابه وروي عن مالك فان عزم على وطيها كان عودا
وان لم يعزم لم يكن عودا الثاني العزم على الامساك بعد التظاهر منها قاله مالك الثالث العزم عليهما
وهو قول مالك في موطيه قال مالك في قول الله عز وجل والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا
قال سمعت ان تفسير ذلك ان يظاهر الرجل من امراته ثم يجمع على اصابتها وامساكها فان اجمع على ذلك
فقد وجبت عليه الكفارة وان طلقها ولم يجمع بعد تظاهره منها على امساكها واصابتها فلا كفارة عليه
قال مالك وان تزوجها بعد ذلك لم يمسها حتى يكفر كفارة الظهار القول الرابع انه الوطء نفسه
فان لم يطا لم يكن عودا قاله الحسن ومالك ايضا الخامس قال الشافعي هو ان يمسكها زوجة بعد الظهار
مع القدرة على الطلاق لانه لما ظاهر قصد التحريم فان وصل به الطلاق فقد جرى على خلاف ما
ابتداه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه وان سكت عن الطلاق فقد عاد الى ما كان عليه فتجب عليه
الكفارة السادس ان الظهار يوجب تحريما لا يرفعه الا الكفارة ومعنى العود عند القايلين بهذا انه لا يستبيح
وطيها الا بكفارة يقدمها قاله ابو حنيفة واصحابه والليث ابن سعد السابع هو تكرير الظهار بلفظه
وهذا قول اهل الظاهر النافين للقياس قالوا اذا كرر اللفظ بالظهار فهو العود وان لم يكرر فليس بعود
ويسند ذلك الى بكير بن الاشج وابي العالية وابي حنيفة ايضا وهو قول الفرا قال ابو العالية وظاهر الاية

يشهد

الظهار قول الرجل لامرته انت علي كظهر امي

يشهد له لانه قال ثم يعودون لما قالوا اي الى قول ما قالوا وروى علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله
عز وجل والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا هو ان يقول لها انت علي كظهر امي فاذا قال
لها ذلك فليست تحل له حتى يكفر كفارة الظهار قال ابن العربي فاما القول بان العود الى لفظ الظهار
فهو باطل قطعا لا يصح عن بكير وانما يشبه ان يكون من جهالة داود واشياعه وقد رويت قصص المتظاهرين
وليس في ذكر الكفارة عليهم ذكر لعود القول منهم وايضا فان المعنى ينقضه لان الله وصفه بانه منكر من
القول وزور فكيف يقال اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليك الكفارة وهذا
لا يعقل الا ترى ان كل سبب يوجب الكفارة لا تشترط فيه الاعادة من قتل ووطي في صوم وغيره قال
الشيخ المولف رحمه الله قوله يشبه ان يكون من جهالة داود واشياعه حمل منه عليه وقد قال بقول داود
من ذكرناه عنهم واما قول الشافعي بانه ترك الطلاق مع القدرة عليه فينقضه ثلثة امور امهات
الاول انه قال ثم وهذا بظاهره يقتضي التراخي الثاني ان قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل من جهته
ومرور الزمان ليس بفعل منه الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي البقا على الملك فلم يسقط حكم الظهار
كالايلا فان قيل فاذا راها كالام لم يمسكها اذ لا يصح امساك الام بالنكاح وهذه عمدة اهل ما
وراء النهر قلنا اذا عزم على خلاف ما قال وراها خلاف الام كفر وعاد الى اهله وتحقيق هذا القول
ان العزم قول نفسي وهذا رجل قال قولا اقتضى التحليل وهو النكاح وقال قولا اقتضى التحريم وهو الظهار
ثم عاد لما قال وهو التحليل ولا يصح ان يكون منه ابتدا عقد لان العقد باق فلم يبق الا انه قول عزم يخالف
ما اعتقده وقاله في نفسه من الظهار الذي اخبر عنه بقوله انت علي كظهر امي واذا كان ذلك كفر وعاد
الى اهله من قبل ان يتماسا هذا تفسير بالغ الثالثة قال بعض اهل التاويل الاية فيها تقديم وتاخير
والمعنى والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون الى ما كانوا عليه من الجماع فتحرير رقبة لما قالوا اي
فعليهم تحرير رقبة من اجل ما قالوا فالجار في قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذي هو خبر الابتداء وهو
عليهم قاله الاخفش وقال الزجاج المعنى ثم يعودون الى ارادة الجماع من اجل ما قالوا وقيل المعنى
الذين كانوا يظهرون من نسايهم في الجاهلية ثم يعودون لما كانوا قالوه في الجاهلية في الاسلام
فكفارة من عاد ان يحرر رقبة الفرا اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عن ما قالوا ويريدون الوطء وقال
الاخفش لما قالوا والى ما قالوا واحد واللام والى يتعاقبان قال الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال
واهدوهم الى صراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح الثالثة قوله تعالى فتحرير اي
فعليه اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة يجب ان تكون كاملة سليمة من كل عيب
ومن كمالها اسلامها عند مالك والشافعي كالرقبة في كفارة القتل وعند ابي حنيفة واصحابه تجزي
الكافرة ومن فيها شعبة رق كالمكاتبة وغيرها الرابعة فان اعتق نصفي عبدين فلا يجزيه عندنا ولا عند
ابي حنيفة وقال الشافعي يجزيه لان نصف العبدين في معنى العبد الواحد ولان الكفارة بالعتق
طريقها المال فجاز ان يدخلها التبعيض والتجزي كالاطعام ودليلنا قوله تعالى فتحرير رقبة وهذا الاسم
عبارة عن شخص واحد وبعض الرقبة ليس برقبة وذلك مما يدخله التلفيق لان العبادة المتعلقة بالرقبة
لا يقوم النصف من رقبتين مقامها اصله اذا اشترك رجلان في اضحيتين ولانه لو امر رجلين ان
يحجا عنه لم يجز ان يحج واحد منهما نصفها كذلك هذا ولانه لو اوصى بان يشترى رقبة فيعتق لم يجز ان يعتق
عنه نصف عبدين كذلك في مسالتنا وبهذا يبطل دليلهم والاطعام وغيره لا يتجزى في الكفارة عندنا
الخامسة قوله تعالى من قبل ان يتماسا اي يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطء قبل التكفير فان وطي عصى ولا يسقط
عنه التكفير وحكي عن مجاهد انه اذا وطي قبل ان يشرع في التكفير لزمته كفارة اخرى وعن غيره ان الكفارة
الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شي اصلا لان الله سبحانه اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس
فاذا اخرها حتى مس فقد فات وقتها والصحيح ثبوت الكفارة لانه بوطيه ارتكب اثما فلم يكن ذلك
مسقطا للكفارة وياتي بها قضاء كما لو اخر الصلاة عن وقتها وفي حديث اوس بن الصامت لما اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم بانه وطي امراته امره بالكفارة وهذا نص سواء كانت كفارته بالعتق او الصوم او الاطعام
وقال ابو حنيفة ان كانت كفارته بالاطعام جاز ان يطا ثم يطعم فاما غير الوطء من القبلة والمباشرة و
التلذذ فلا يحرم في قول اكثر العلما وقاله الحسن وسفيان وهو الصحيح من مذهب الشافعي وقيل كل ذلك

محرم وكل معا في المسيس وهو قول مالك واحد قولي الشافعي وقد تقدم السادسة قوله تعالى ذلكم توعظون
به اي تؤمرون به والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره السابعة من لم يجد الرقبة ولا ثمنها او كان مالكا لها
الا انه شديد الحاجة اليها لخدمته او كان مالكا لثمنها الا انه يحتاج اليه لنفقته او كان له مسكن ليس له غيره
ولا يجد شيئا سواه فله ان يصوم عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصوم وعليه العتق ولو كان محتاجا
الى ذلك وقال مالك من له دار وخادم لزمه العتق فان عجز عن الرقبة وهي الثامنة فعليه صوم شهرين
متتابعين فان افطر في اثنائها بغير عذر استانفهما وان افطر بعذر من سفر او مرض فقيل يبني قاله
ابن المسيب والحسن وعطا ابن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي وهو احد قولي الشافعي وهو الصحيح من
مذهبه وقال مالك انه اذا مرض في صيام كفارة الظهار بنى اذا صح ومذهب ابي حنيفة انه يبتدي
وهو احد قولي الشافعي التاسعة اذا ابتدا الصيام ثم وجد الرقبة اتم الصيام واجزاه عند مالك والشافعي
لانه بذلك امر حتى دخل فيه ويهدم الصوم ويعتق عند ابي حنيفة واصحابه قياسا على الصغيرة المعتدة
بالشهور ترى الدم قبل انقضائها فانها تستانف الحيض اجماعا من العلما واذا ابتدا سفرا في صيامه فافطر
ابتدا الصيام عند مالك والشافعي وابي حنيفة لقوله متتابعين وبنى في قول الحسن البصري لانه عذر
وقياسا على رمضان وان تخللهما زمان لا يحل صومه في الكفارة كالعيدين وشهر رمضان انقطع التتابع
العاشرة وان وطي المتظاهر في خلال الشهرين نهارا ابطل التتابع في قول الشافعي وليلا فلا يبطل لانه ليس
محلا للصوم وقال مالك وابو حنيفة يبطل بكل حال ووجب عليه ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا
وهذا الشرط عائد الى جملة الشهرين والى ابعاضهما فاذا وطي قبل تقضيهما فليس هو الصيام المامور به
فلزمه استينافه كما لو قال صل قبل ان تكلم زيدا وكلم زيدا في الصلوة او قال صل قبل ان تبصر زيدا
فابصره في الصلوة لزمه استينافها لان هذه الصلوة ليست هي الصلوة المامور بها كذلك هذا الحادية عشر
ومن تطاول مرضه طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر وجاز له العدول عن الصيام الى الاطعام
ولو كان مرضه مما يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطي امراته كان الاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام
ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزاه الثانية عشرة ومن تظاهر وهو معسر ثم ايسر لم يجزه الصوم
وان تظاهر وهو موسر ثم اعسر قبل ان يكفر صام وانما ينظر الى حاله يوم يكفر ولو جامعها في عدمه وعسره فلم
يصم حتى ايسر لزمه العتق ولو ابتدا بالصوم ثم ايسر فان كان مضى من صومه صدر صالح نحو الجمعة وشبهها تمادى وان
كان اليوم واليومين ونحوهما ترك الصوم وعاد الى العتق وليس ذلك بواجب عليه الا ترى انه غير واجب على من طرا الما عليه
وهو قد دخل بالتيمم في الصلوة ان يقطع ويبتدي الطهارة عند مالك الثالثة عشرة ولو اعتق رقبتين عن كفارتي
ظهار وقتل او فطر في رمضان واشرك بينهما في كل واحدة منهما لم يجزه وهو بمنزلة من اعتق رقبة واحدة
عن كفارتين وكذلك لو صام عنهما اربعة اشهر حتى يصوم عن كل واحدة شهرين وقد قيل ان ذلك يجزيه ولو ظاهر
من امراتين له واعتق رقبة عن احداهما بغير عينها لم يجز له وطي واحدة منهما حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عين
الكفارة الاخرى عن احداهما جاز له ان يطاها قبل ان يكفر الكفارة عن الاخرى ولو ظاهر من اربع نسوة واعتق
عنهن ثلاث رقاب وصام شهرين لم يجزه العتق ولا الصيام لانه انما صام عن كل واحدة خمسة عشر يوما فان كفر
عنهن بالاطعام جاز ان يطعم عنهن مايتي مسكين وان لم يقدر فرق بخلاف العتق والصيام لان صيام الشهرين
لا يفرق والاطعام يفرق والله اعلم **فصل** وفيه ست مسايل الاولى ذكر الله عز وجل الكفارة هنا مرتبة فلا سبيل
الى الصيام الا عند العجز عن الرقبة وكذلك لا سبيل الى الاطعام الا عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق
الصيام وجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم وان اطعم مدا بمد هشام
وهو مدان الا ثلث او اطعم مدا ونصفا بمد النبي صلى الله عليه وسلم اجزاه قال ابو عمرو بن عبد البر وافضل ذلك مدان
بمد النبي صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل لم يقل في كفارة الظهار من اوسط ما تطعمون اهليكم فواجب قصد الشبع
قال ابن العربي وقال مالك في رواية ابن القاسم وابن عبد الحكم مد بمد هشام وهو الشبع هاهنا لان الله تعالى
اطلق الطعام ولم يذكر الوسط وقال في رواية اشهب مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم قيل له الم تكن قلت
مد هشام قال بلى ومدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم احب الي فكذلك قال عنه ابن القاسم ايضا قال الشيخ المولف
رحمه الله وهي رواية ابن وهب ومطرف عن مالك انه يعطي مدين لكل مسكين بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذهب
ابي حنيفة واصحابه ومذهب الشافعي وغيره مد واحد لكل مسكين لا يلزمه اكثر من ذلك لانه تكفير بالاطعا

من تطاول مرضه طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر

ولم يلزمه صرف على زيادة المد اصله كفارة الفطر واليمين ودليلنا قوله تعالى فاطعام ستين مسكينا والاطلاق
الاطعام يتناول الشبع وذلك لا يحصل بالعادة بمد واحد الا بزيادة عليه وكذلك قال اشهب قلت لمالك
اختلف الشبع عندنا وعندكم قال نعم الشبع عندنا مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر
لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا بالبركة دونكم فانتم تاكلون اكثر مما ناكل وقال ابو الحسن القابسي
انما اخذ اهل المدينة بمد هشام في كفارة الظهار لتغليظها على المتظاهرين الذين شهد الله عليهم انهم يقولون
منكرا من القول وزورا قال ابن العربي وقع الكلام هاهنا في مد هشام كما ترون ووددت ان يهشم الزمان ذكره
ويمحي من الكتب رسمه فان المدينة التي نزل بها الوحي واستقر الرسول ووقع عندهم الظهار وقيل لهم فيه فاطعام ستين مسكينا
فهموا وعرفوا المراد به وانه الشبع وقدره معروف عندهم متقرر لديهم وقد ورد ذلك الشبع في الاخبار كثيرا
واستمرت الحال على ذلك ايام الخلفاء الراشدين المهديين حتى نفخ الشيطان في اذن هشام فراى ان مد النبي
صلى الله عليه وسلم لا يشبعه ولا مثله من حواشيه ونظرائه فسول له ان يتخذ مدا يكون فيه شبعه فجعله رطلين
وحمل الناس عليه فاذا ابتل عاد نحو الثلاثة الارطال فغير السنة واذهب محل البركة في مدهم وصاعهم مثل ما بارك
لابراهيم بمكة فكانت البركة تجري بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مده فسعى الشيطان في تغيير هذه
السنة واذهاب هذه البركة فلم يستجب له في ذلك الا هشام فكان من حق العلما ان يلغوا ذكره ويمحوا رسمه ولم
يغيروا امره واما ان يحلوا على ذكره في الاحكام ويجعلوه مفسرا لما ذكر الله ورسوله بعد ان كان مفسرا عند
الصحابة الذين نزل عليهم فخطب جسيم ولذلك كانت رواية اشهب في ذكر مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم
في كفارة الظهار احب الينا من الرواية بانها بمد هشام الا ترى كيف نبه مالك على هذا العلم بقوله الشبع
عندنا بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا بالبركة وبهذا اقول
فان العبادة اذا اديت بالسنة فان كانت في البدن كان اسرع الى القبول وان كانت في المال كان قليلها
اثقل في الميزان وابرك في يد الاخذ واطيب في شدقه واقل افة في بطنه واكثر اقامة لقلبه والله الموفق
لا رب غيره الثانية ولا يجزي عند مالك والشافعي ان يطعم اقل من ستين مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع
حتى يكمل العدد اجزاه الثالثة قال القاضي ابو بكر بن العربي من غريب الامر ان ابا حنيفة قال ان الحجر على الحر
باطل واحتج بقوله تعالى فتحرير رقبة ولم يفرق بين السفيه والرشيد وهذا فقه ضعيف لا يناسب قدره
فان هذه الاية عامة وقد كان القضاء بالحجر في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشيا والنظر يقتضيه
ومن كان عليه حجر الصغر والولاية وبلغ سفيها قد نهي عن دفع المال اليه كيف ينفذ فعله والخاص يقضي على
العام فيه الرابعة وحكم الظهار عند بعض العلماء ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا وقد روي معنى
ذلك عن ابن عباس وابي قلابة وغيرهما الخامسة قوله تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي ذلك الذي
وصفنا من التغليظ في الكفارة لتؤمنوا اي لتصدقوا ان الله امر به وقد استدل بعض العلماء على ان هذه
الكفارة ايمان بالله سبحانه لما ذكرها واوجبها قال ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي ذلك لتكونوا
مطيعين لله تعالى واقفين على حدوده لا تتعدوها فسمى التكفير لانه طاعة ومراعاة للحد ايمانا
فثبت ان كل ما اشبهه فهو ايمان فان قيل معنى قوله ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لئلا تعودوا الى الظهار
الذي هو منكر من القول وزور قيل له يجوز ان يكون هذا مقصودا والاول مقصودا فيكون المعنى
ذلك لئلا تعودوا فتقولوا المنكر والزور بل تدعوه طاعة لله ورسوله اذ كان قد حرمه ولتجتنبوا
المظاهر منها الى ان تكفروا اذ كان الله منع من مسيسها وتكفروا اذا كان الله امر بالكفارة والزم اخراجها
منكم فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله لانها حدود تحفظونها وطاعات تؤدونها والطاعة
لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ايمان وبالله التوفيق السادسة قوله تعالى وتلك حدود الله اي
بين معصيته وطاعته فمعصيته الظهار وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب اليم اي لمن لم يصدق
باحكام الله عذاب جهنم **قوله تعالى** ان الذين يحادون الله ورسوله لما ذكر المؤمنين الواقفين
عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها والمحادة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو مثل قوله ان الذين
يشاقون الله ورسوله وقيل يحادون الله اي اولياء الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة وقال الزجاج المحادة ان تكون في حد يخالف حد صاحبك واصلها الممانعة ومنه الحديد
ومنه الحداد للبواب كبتوا قال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم

وقيل كبتوا اي سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى للمومنين بالنصر واخرج الكلام بلفظ الماضي تقريبا للمخبر عنه وقيل هو بلغة مدحج وقد انزلنا آيات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا بهم وللكافرين عذاب مهين **قوله تعالى** يوم نصب بعذاب مهين او بفعل مضمر تقديره اذكر تعظيما لليوم يبعثهم الله جميعا اي الرجال والنسا يبعثهم الله من قبورهم في حالة واحدة فينبئهم اي يخبرهم بما عملوا في الدنيا احصاه الله عليهم في صحايف اعمالهم ونسوه هم حتى ذكرهم به في صحايفهم ليكون ابلغ في الحجة عليهم والله على كل شي شهيد مطلع وناظر لا يخفى عليه شي **قوله تعالى** الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سر ولا علانية ما يكون من نجوى قراءة العامة بالياء لاجل الحايل بينهما وقرا ابو جعفر بن القعقاع والاعرج وابو حيوة وعيسى تكون بتا التانيث الفاعل النجوى السرار وهو مصدر والمصدر قد يوصف به يقال قوم نجوى اي ذو نجوى ومنه قوله تعالى واذ هم نجوى وقوله ثلاثة خفض باضافة النجوى اليها قال الفرا ثلاثة نعت للنجوى وانخفضت وان شئت اضيفت نجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز وهي قراءة ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه قال الزمخشري ويجوز رفع ثلاثة على البدل من موضع نجوى ثم قيل كل سرار نجوى وقيل النجوى ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيا ويتناجون به والسرار ما كان بين اثنين الا هو رابعهم يعلم ويسمع نجواهم يدل عليه افتتاح الاية بالعلم ثم ختمها بالعلم وقيل النجوى من النجوة وهو ما ارتفع من الارض فالمتناجيان يتخلوان بسرهما كخلوا من يقع من الارض عما يتصل به والمعنى ان سمع الله محيط بكل كلام وقد سمع مجادلة المراة التي ظاهر منها زوجها ولا ادنى من ذلك ولا اكثر قرا سلام ويعقوب وابو العالية ونصر وعيسى بالرفع على موضع من نجوى قبل دخول من لان تقديره ما يكون نجوى ثلاثة ويجوز ان يكون مرفوعا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وقد مضى في البقرة بيان هذا مستوفى وقرا الزهري وعكرمة اكبر بالبا والعامة بالتا وفتح الراء على اللفظ وموضعها جر وقال الفرا في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم قال المعنى غير مصمود والعدد غير مقصود لانه تعالى انما قصد وهو اعلم انه مع كل عدد قل او كثر يعلم ما يقولون سرا وجهرا فلا يخفى عليه خافية فمن اجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض وقيل معنى ذلك ان الله معهم بعلمه حيث كانوا من غير زوال ولا انتقال ونزل ذلك في قوم من المنافقين كانوا فعلوا شيا سرا فاعلم الله انه لا يخفى عليه ذلك قاله ابن عباس وقال قتادة ومجاهد نزلت في اليهود ثم ينبئهم يخبرهم بما عملوا من حسن وسي يوم القيامة ان الله بكل شي عليم **قوله تعالى** الم تر الى الذين نهوا عن النجوى فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى قيل ان هذا في اليهود والمنافقين حسب ما قدمناه وقيل في المسلمين قال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمومنين ويتغامزون باعينهم فيقول المومنون لعلهم بلغهم عن اخواننا وقراباتنا من المهاجرين والانصار قتل او مصيبة او هزيمة ويسوهم ذلك فكثرت شكواهم الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت وقال مقاتل كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المومنين تناجوا بينهم حتى يظن المومن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وقال عبد الرحمن بن زيد ابن اسلم كان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيساله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون لذلك فنزلت الثانية روى ابو سعيد الخدري قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقرا حمزة وخلف ورويس عن يعقوب وينتجون في وزن يفتعلون وهي قراءة عبد الله واصحابه وقرا الباقون ويتناجون في وزن يتفاعلون واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله اذا تناجيتم وتناجوا النحاس وحكى سيبويه ان تفاعلوا وافتعلوا ياتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا وتقاتلوا واقتتلوا فعلى هذا يتناجون وينتجون واحد ومعنى بالاثم والعدوان اي الكذب والظلم ومعصية الرسول اي مخالفته وقرا الضحاك ومجاهد وحميد ومعصيات الرسول بالجمع الثالثة قوله تعالى واذا

جاوك حيوك بما لم يحيك به الله لا خلاف بين النقلة ان المراد بها اليهود كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم وفي رواية اخرى وعليكم قال ابن العربي وهي مشكلة وكانوا يقولون لو كان محمد نبيا لما امهلنا الله بسبه والاستخفاف به وجهلوا ان الباري تعالى حليم لا يعاجل من سبه وكيف من سب نبيه وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا احد اصبر على الاذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم فانزل الله تعالى كشفا لسرايرهم وفضحا لبواطنهم ومعجزة لرسوله وقد ثبت عن قتادة عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه فقال السام عليكم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتدرون ما قال هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال قال كذا ردوه علي فردوه قال قلت السام عليكم قال نعم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت وانزل الله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله قال الشيخ المولف رحمه الله خرجه الترمذي فقال هذا حديث حسن صحيح وثبت عن عايشة انها قالت جا ناس من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقلت السام عليكم وفعل الله بكم وفعل فقال عليه السلام يا عايشة فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش فقلت يا رسول الله الست ترى ما يقولون فقال الست ترين ارد عليهم ما يقولون اقول وعليكم ونزلت هذه الاية بما لم يحيك به الله اي ان الله سلم عليك وهم يقولون السام عليك والسام الموت خرجه البخاري بمعناه وفي الصحيحين من حديث انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم كذا الرواية وعليكم بالواو وتكلم عليها العلما لان الواو العاطفة تقتضي التشريك فلزم منه ان يدخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت او من سامة ديننا وهو الملال يقال سيم يسام سامة وساما فقال بعضهم الواو زايدة كما زيدت في قول الشاعر فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي لما اجزنا انتحى فزاد الواو وقال بعضهم هي للاستيناف كانه قال والسام عليكم وقال بعضهم هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم روى ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سلم ناس من يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم قال وعليكم فقالت عايشة وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا خرجه مسلم ورواية الواو احسن معنى واثباتها اصح رواية واشهر وقد اختلف في رد السلام على اهل الذمة هل هو واجب كالرد على المسلمين واليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة للامر بذلك وذهب مالك فيما روى عنه اشهب وابن وهب الى ان ذلك ليس بواجب فان رددت فقل عليك وقد اختار ابن طاوس ان يقول في الرد عليهم علاك السلام اي ارتفع عنك واختار بعض اصحابنا السلام بكسر السين يعني الحجارة وما قاله مالك اولى اتباعا للسنة والله اعلم وروى مسروق عن عايشة قالت اتى النبي صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم قال وعليكم قالت عايشة قلت بل عليكم السام والذام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة لا تكوني فاحشة فقالت ما سمعت ما قالوا فقال او ليس قد رددت عليهم الذي قالوا قلت وعليكم في رواية قال ففطنت بهم عايشة فسبتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا عايشة فان الله لا يحب الفحش والتفحش وزاد فانزل الله تبارك تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله الى اخر الاية الذام بتخفيف الميم هو العيب ومنه المثل لا تعدم الحسنا ذاما اي عيبا ويهمز ولا يهمز يقال ذامه يذامه مثل ذاب عليه يذاب والمفعول مذوم مهموز ومنه مذوما مدحورا ويقال ذامه يذيمه مخففا كرامه يرومه **قوله تعالى** ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول قالوا لو كان محمد نبيا لعذبنا الله بما نقول فهلا يعذبنا الله وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام والموت فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبيا قد يغضبون ولا يعاجل من يغضبهم بالعذاب حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم عقابا غدا وبيس المصير اي المرجع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم نهى المومنين ان يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم اي تساررتم فلا تتناجوا هذه قراءة العامة وقرا ابن وثاب وعاصم ورويس عن يعقوب فلا تنتجوا من الانتجاء بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر اي بالطاعة والتقوى بالعفاف عما نهى الله عنه وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا بزعمهم وقيل اي يا ايها

يا عايشة لا تكوني فاحشة

فقال ما هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى

امنوا المومني واتقوا الله الذي اليه تحشرون يجمعون في الاخرة **قوله تعالى** انما النجوى من الشيطان
الاية فيه مسئلتان الاولى قوله انما النجوى من الشيطان من تزين الشيطان ليحزن الذين امنوا اذ توهموا
ان المسلمين اصيبوا في السرايا او ارادوا اجتماعهم على مكايدة المسلمين وربما كانوا يناجون النبي صلى الله
عليه وسلم فيظن المسلمون انهم ينتقصونهم عند النبي صلى الله عليه وسلم وليس بضارهم اي التناجي شيا الا باذن
الله اي بمشيئته وقيل بعلمه وعن ابن عباس بامره وعلى الله فليتوكل المومنون اي يكلون امرهم اليه ويفوضون
جميع شونهم الى عونه ويستعيذون به من الشيطان وبي كل شر فهو الذي سلط الشيطان على الوساوس
ابتلا للعبد وامتحانا ولو شا لصرفه عنه الثانية في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا
يتناجى اثنان دون الواحد حتى يختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو ان يجد
الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل فجا اخر الحديث يريد ان يناجيه فلم
يناجيه حتى دعا رابعا فقال له وللاول تاخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة خرجه الموطا وفيه ايضا التنبيه
على التعليل بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه ما يحزن لاجله وذلك بان يقدر في نفسه ان الحديث عنه بما
يكره او انه لم يروه اهلا ليشركوه في حديثهم الى غير ذلك من القات الشيطان وحديث النفس وحصل ذلك
كله من بقايه وحده فاذا كان معه غيره امن ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة
دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن واوقع فيكون
بالمنع اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه عدد يتاتى ذلك فيه المعنى وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال
واليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور وسوا كان التناجي في مندوب او مباح او واجب فان الحزن يقع به وقد
ذهب بعض الناس الى ان ذلك كان في اول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المومنين
فلما فشى الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع التي لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما في الحضر
وبين العمارة ولا فانه يجد من نفسه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم الغوث والله اعلم **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم فيه سبع مسائل الاولى لما بين
ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه
حتى لا يضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتالف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا من الاستماع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر اليه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم
فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقاله الضحاك وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب
قال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه على الصف الاول
ولا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي
صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وذلك يوم الجمعه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم اهل
بدر من المهاجرين والانصار فجا ناس من اهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجالس فقاموا حيال
النبي صلى الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لمن حوله من غير اهل بدر قم انت يا فلان وانت يا فلان وانت يا فلان بعدد القايمين من اهل بدر فشق ذلك
على من اقيم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فغمز المنافقون وتكلموا بان قالوا ما انصف
محمد هولاء وقد احبوا القرب منه فسبقوا الى المكان فانزل الله هذه الاية تفسحوا اي توسعوا وفسح فلان
لاخيه في مجلسه يفسح فسحا اي اوسع له ومنه قولهم بلد فسيح ولك في كذا فسحة وفسح يفسح مثل منع يمنع اي وسع
في المجالس وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اي صار واسعا ومنه مكان فسيح الثانية قرا السلمي وزر بن حبيش
وعاصم في المجالس وقرا قتادة وداود بن ابي هند والحسن باختلاف عنه اذا قيل لهم تفاسحوا الباقون تفسحوا في
المجلس فمن جمع فلان فلان قوله تفسحوا ينبي ان لكل واحد مجلسا ويجوز ان يراد به مجلس النبي صلى الله عليه وسلم
وجمع لان لكل جالس مجلسا وكذلك ان اريد به الحرب وكذلك يجوز ان اريد بالمجلس المفرد مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان يراد به الجمع على مذهب الجنس كقولهم كثر الدينار والدرهم قال الشيخ المولف رحمه الله الصحيح في
الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة فان كل
واحد احق بمكانه الذي سبق اليه ولكن يوسع لاخيه ما لم يتاذى بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه رواه البخاري

امر المسلمين بالتعاطف والتالف حتى يفسح بعضهم لبعض

ومسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه
وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا
وتوسعوا وكان ابن عمر يكره ان يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه لفظ البخاري الثالثة
اذا قعد واحد من الناس في موضعه لا يجوز لغيره ان يقيمه حتى يقعد مكانه لما روي عن
ابي الزبير عن جابر رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم
الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا **فرع** القاعد في المكان
اذا قام حتى يقعد غيره موضعه نظر فان كان الموضع الذي قام اليه مثل الاول في سماع
كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان ابعد من الامام كره له ذلك لان فيه
تفويت حظه **فرع** اذا امر انسان انسانا ان يبكر الى الجامع فياخذ له مكانا
يقعد فيه لا يكره فاذا جاء قام له منه **فرع** وعلى هذا من ارسل بساطا او سجادة فتبسط
له في موضع من المسجد **الرابعة** روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا قام احدكم وفي حديث ابي عوانة من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو احق
به قال علماونا هذا يدل على صحة القول بوجوب اختصاصه بموضعه الى ان يقوم منه لانه
اذا كان اولى به بعد قيامه فقبله اخرى واولى وقد قيل ان ذلك على الندب
لانه موضع غير متملك لاحد قبل الجلوس ولا بعده وهذا فيه نظر وهو ان يقال سلمنا
انه غير مملوك لكنه يختص به الى ان يفرغ منه فصار كانه يملك منفعته اذ قد منع
غيره من ان يزاحمه عليه والله اعلم **الخامسة** قوله تعالى يفسح الله لكم اي في قبوركم
وقيل في قلوبكم وقيل يوسع عليكم في الدنيا والاخرة واذا قيل انشزوا فانشزوا وقرا
نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما وكسر الباقون وهما لغتان مثل يعكفون ويعرشون
والمعنى انهضوا الى الصلاة والجهاد وعمل الخير قاله اكثر المفسرين وقال مجاهد
والضحاك اذا نودي للصلاة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت
وقال الحسن ومجاهد ايضا اي انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد في بيت النبي صلى الله عليه
وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون اخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذا
قيل انشزوا فانشزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فان له حوايج فلا تمكثوا وقال
قتادة المعنى اجيبوا اذا دعيتم الى امر بمعروف وهذا هو الصحيح لانه يعم والنشز
الارتفاع ماخوذ من نشز الارض وهو ارتفاعها يقال نشز ينشز وينشز اذا انتحى عن موضعه
اي ارتفع منه وامراة ناشز منتحية عن زوجها واصل هذا من النشز والنشز هو ما ارتفع
من الارض وتنحى ذكره النحاس **السادسة** قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات اي في الثواب في الاخرة وفي الكرامة في الدنيا فرفع
المومن على من ليس بمومن والعالم على من ليس بعالم وقال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء في هذه
الاية والمعنى انه يرفع الله الذين اوتوا العلم درجات على الذين لم يوتوا العلم درجات في
دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقيل كان اهل الغنى يكرهون ان يزاحمهم من يلتمس الصدقة
فيسبقون الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم وراى صلى الله عليه وسلم رجلا من
اهل الغنى يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقراء اراد ان يجلس اليه فقال يا فلان احسبت ان
يتعدى غناك اليه او فقره اليك وبين في هذه الاية ان الرفعة عند الله بالعلم والايمان
لا بالسبق الى صدور المجالس وقيل اراد بالذين اوتوا العلم الذين قرووا القران وقال
يحيى بن يحيى عن مالك يرفع الله الذين امنوا منكم الصحابة والذين اوتوا العلم
درجات يرفع بها الله العالم والطالب للحق قلت والعموم اوقع في المسالة واولى
فرفع المرء بايمانه ولا ثم بعلمه ثانيا وفي الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله
بن عباس على الصحابة فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسالهم عن تفسير اذا جاء نصر الله
والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه فقال

عمر ما نعلم منها الا ما تعلم وفي البخاري عن عبد الله بن عباس قال قدم عيينة بن حصين بن
حذيفة من بلد فنزل عند ابن اخيه الحر بن قيس بن حصن وكان من النفر الذين يدنيهم
عمر وكان القراء اصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا او شبانا الذين كانوا كهولا
او شبانا الحديث وقد مضى في اخر الاعراف وفي صحيح مسلم ان نافع بن عبد الحرث لقي عمر
بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على اهل الوادي فقال
ابن ابزي فقال ومن ابن ابزي قال مولى من موالينا قال فاستخلفت عليهم مولى قال
انه قارئ لكتاب الله وانه عالم بالفرائض فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه
وسلم قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين وقد مضى في اول الكتاب
ومضى القول في فضل العلم والعلماء في غير موضع في هذا الكتاب وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر
سبعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم
الشهداء فاعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس خير سليمان صلى الله عليه وسلم بين العلم والمال والملك فاختار
العلم فاعطي المال والملك معه **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول**
فيه ثلث مسائل **الاولى** قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول تناجيتم
قال ابن عباس نزلت بسبب ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله عز وجل ان يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما قال
ذلك كف المشركون كثير من الناس ثم وسع الله عليهم بالاية التي بعدها وقال الحسن نزلت
بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون بالنبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم
من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك وامرهم الله تعالى بالصدقة عند
النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال ابن زيد بن اسلم نزلت بسبب ان المنافقين واليهود
كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كل ما قيل له وكان لا
يمنع احدا مناجاته وكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم ناجوه
بان جموعا اجتمعت لقتاله فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول الاية فلم ينتهوا فانزل الله تعالى هذه الاية فانتهى اهل
الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا
عن النجوى لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بما بعد الاية **الثانية**
قال ابن العربي وفي هذا الخبر عن زيد ما يدل على ان الاحكام لا تترتب بحسب المصالح
فان الله تعالى قال ذلك خير لكم واطهر ثم نسخه مع كونه خيرا واطهر وهذا رد على المعتزلة
عظيم في التزام المصالح لكن راوي الحديث عن زيد ابنه عبد الرحمن وقد ضعفه العلماء والامر
في قوله تعالى ذلك خير لكم واطهر نص متواتر في الرد على المعتزلة والله اعلم **الثالثة**
روى الترمذي عن علي بن علقمة الانماري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت
يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي
النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت
لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد فنزلت أأشفقتم ان تقدموا
بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله عن هذه الامة قال ابو عيسى هذا حديث
حسن من هذا الوجه ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب قال ابن العربي وهذا
يدل على مسالتين حسنتين اصوليتين الاولى نسخ العبادة قبل فعلها والثانية النظر في المقدرات
بالقياس خلافا لابي حنيفة قلت الظاهر ان النسخ انما وقع بعد فعل الصدقة وقد روي
عن مجاهد ان اول من تصدق في ذلك علي بن ابي طالب رضي الله عنه وناجى النبي صلى الله عليه وسلم

نزلت بسبب ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل

روي انه تصدق بخاتم وذكر القشيري وغيره عن علي بن ابي طالب قال في كتاب الله اية
ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة كان لي دينار فبعته فكنت اذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد
فنسخت بالاية الاخرى أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وكذلك قال ابن عباس
نسخها الله بالاية التي بعدها فقال ابن عمر لقد كان لعلي ثلاثة لو كان لي واحدة منهن لكان احب
الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى ذلك خير لكم اي من
امساكها واطهر لقلوبكم من المعاصي فان لم تجدوا يعني الفقراء فان الله غفور رحيم **قوله
تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات** فيه مسئلتان **الاولى** قوله
تعالى أأشفقتم استفهام معناه التقرير قال ابن عباس اي بخلتم بالصدقة اي خفتم والاشفاق الخوف
من المكروه اي خفتم وبخلتم بالصدقة وشق عليكم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
قال مقاتل بن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان ذلك الا ليلة
واحدة وقال ابن عباس ما هي الا ساعة من النهار حتى نسخ وكذلك قال قتادة **الثانية** قوله تعالى
فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم اي نسخ الله ذلك الحكم وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به
فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان
على جواز النسخ قبل الفعل وما روي عن علي ضعيف لان الله تعالى قال فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان
احدا لم يتصدق بشيء واطيعوا الله في فرائضه ورسوله في سننه والله خبير بما تعملون **قوله
تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم** قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود
ما هم منكم ولا منهم يقولون ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين مذبذبين بين ذلك
يحملون اخبار المسلمين اليهم قال السدي ومقاتل نزلت في عبد الله بن ابي ونبتل المنافقون كان
احدهما يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل الان عليكم قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل
عبد الله بن نبتل وكان ازرق اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال صلى الله عليه وسلم تشتمني انت واصحابك
وحلف بالله ما فعل ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه
فنزلت هذه الايات وقال معناه ابن عباس وروى عكرمة عنه قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم جالسا في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه اذ قال يجيئكم الساعة رجل ينظر اليكم
نظر شيطان فنحن على ذلك اذ اقبل رجل ازرق فدعا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني
انت واصحابك فقال دعني اجيك بهم فمر فجاء بهم فحلفوا جميعا انه ما كان من ذلك شيء
فانزل الله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا الى قوله هم الخاسرون واليهود مذكورون في القران
بغضب الله عليهم واعد لهم اي لهؤلاء المنافقين عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الاسفل
من النار انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس الاعمال اعمالهم اتخذوا ايمانهم جنة يستجنون
بها من القتل وقرا الحسن وابو العالية ايمانهم بكسر الهمزة هنا وفي المنافقين اي اقرارهم
اتخذوه جنة فامنت السنتهم من خوف القتل وكفرت قلوبهم فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل
وفي الاخرة بالنار والصد المنع عن سبيل الهدى اي عن الاسلام وقيل في قتلهم بالكفر لما اظهروه
من النفاق وقيل بالقاء الاراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد **قوله تعالى لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا** اي من عذابه شيئا وقال مقاتل قال المنافقون ان
محمدا يزعم انه ينصر يوم القيامة لقد شقينا اذا فوالله لننصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا و
اولادنا ان كانت قيامة فنزلت الاية **قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا الى قوله عذاب
مهين** يوم يبعثهم فيحلفون له كما يحلفون لكم اليوم وهذا امر عجيب وهو مغالطتهم باليمين
غدا وقد صارت المعارف ضرورية وقال هو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون انهم على
شيء بانكارهم وحلفهم قال ابن زيد ظنوا في الاخرة وقيل يحسبون في الدنيا انهم على شيء
لانهم في الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه
ينادي مناد يوم القيامة اين خصماء الله فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم

ما لم يرشد فهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا اصناما ولا اوثانا ولا
اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون
انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون هم والله القدرية ثلاثا قوله تعالى استحوذ
عليهم الشيطان اي غلب واستعلى اي بوسوسته في الدنيا وقيل قوي عليهم وقال
المفضل احاط بهم ويحتمل رابعا اي جمعهم وضمهم يقال احوذ الشيء اي جمعه وضم بعضه الى بعض
واذا جمعهم فقد غلبهم وقوي عليهم واحاط بهم فانساهم ذكر الله اي اوامره في العمل
بطاعته وقيل زواجره في النهي عن معصيته والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة ويكون بمعنى
الترك والوجهان محتملان هنا اولئك حزب الشيطان اي طائفته ورهطه الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون في بيعهم لانهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة قوله
تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله تقدم اول السورة اولئك في الاذلين اي من
جملة الاذلاء لا اذل منهم كتب الله لاغلبن اي قضى الله ذلك وقيل كتب في اللوح
المحفوظ عن قتادة الفراء كتب بمعنى قال انا توكيد ورسلي من بعث منهم بالحرب فان الرسول
غالب بالحرب ومن بعث منهم بالحجة فانه غالب بالحجة قال مقاتل قال المومنون لئن فتح الله
لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا الله ان يظهرنا على فارس والروم فقال عبد الله
بن ابي بن سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم اكثر
عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قوله تعالى
لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اي يحبون
ويوالون من حاد الله ورسوله تقدم ولو كانوا اباءهم قال السدي نزلت في عبد الله بن ابي
جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ماء فقال له ابنه بالله يا رسول الله
ما ابقيت فضلة من شرابك اسقيها ابي لعل الله يطهر بها قلبه فافضل له فاتاه بها فقال له عبد
الله ما هذه فقال هي فضلة من شراب النبي صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر بها قلبك
فقال له ابوه فهلا جئتني ببول امك فانه اطهر منها فغضب وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
يا رسول الله اما اذنت لي في قتل ابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ترفق به واحسن اليه وقال
ابن جريج حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ابنه ابو بكر صكة
سقط منها على وجهه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك فقال او فعلت لا تعد لذلك
فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته فنزلت وقال ابن مسعود
نزلت في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وقيل يوم بدر وكان الجراح
يتصدى لابي عبيدة وابو عبيدة يحيد عنه فلما اكثر قصد اليه ابو عبيدة فقتله فانزل الله
حين قتل اباه لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر الاية قال الواقدي كذلك يقول اهل
الشام ولقد سالت رجالا من بني الحرث بن فهر فقالوا توفي ابوه من قبل الاسلام وابناءهم
يعني ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة السمع والبصر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير
قتل اخاه يعني عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل
خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم
بدر وقيل ان الاية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة لما كتب الى اهل مكة بمسير النبي صلى الله عليه
وسلم عام الفتح على ما ياتي بيانه اول سورة الممتحنة انشاء الله تعالى فبين ان الايمان يفسد
بموالاة الكفار وان كانوا اقارب الثانية استدل مالك رحمه الله من هذه الاية على معاداة
القدرية وترك مجالستهم قال اشهب عن مالك لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقوله
عز وجل لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله قلت وفي معنى
اهل القدر جميع اهل الظلم والعدوان وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت

فشرب النبي عليه السلام ماء فقال له ابنه عبد الله يا رسول الله ما ابقيت فضلة تسقيها لابي

نبين يصحب السلطان. وعن عبد العزيز بن ابي داود انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب
منه وتلاها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت
فيما اوحيت لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر قوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم
الايمان اي خلق التصديق في قلوبهم يعني من لم يوال من حاد الله ورسوله وقيل كتب اثبت
قاله الربيع بن انس وقيل قبل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله
فساكتبها للذين يتقون. وقيل كتب اي جمع ومنه الكتيبة اي لم يكونوا ممن يقول
نومن ببعض ونكفر ببعض. وقراءة العامة بفتح الكاف من كتب ونصب النون من الايمان
بمعنى كتب الله وهو اجود لقوله تعالى وايدهم بروح منه ويدخلهم. وقرا ابو العالية
وزر بن حبيش والمفضل عن عاصم كتب على ما لم يسم فاعله الايمان برفع النون. وقرا زر
بن حبيش او عشيراتهم بالف وكسر التاء على الجمع ورواها الاعشى عن ابي بكر عن عاصم. وقيل
كتب في قلوبهم اي على قلوبهم كقوله في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع
الايمان وايدهم قواهم ونصرهم بروح منه. قال الحسن بنصر منه وقال الربيع بن انس
بالقرآن وحججه. وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة من الله وقال بعضهم
ايدهم بجبريل عليه السلام ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم
قبل اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون. قال
سعيد بن ابي سعيد الجرجاني عن بعض مشايخه قال داود عليه السلام الهي من حزبك وحول عرشك
فاوحى الله اليه يا داود الغاضة ابصارهم النقية قلوبهم السليمة اكفهم اولئك حزبي وحول
عرشي سورة الحشر مدنية في قول الجميع وهي اربع وعشرون اية. روي ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر لم يبق شيء من الجنة والنار والعرش والكرسي
والسموات والارض والهوام والريح والسحاب والمطر والدواب والشجر والجبال والشمس
والقمر والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا له فان مات من يومه او ليلته مات
شهيدا اخرجه الثعلبي. واخرج ايضا عن يزيد الرقاشي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرا اخر سورة الحشر لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى اخرها فمات من ليلته مات
شهيدا. وروى الترمذي عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرا ثلاث ايات
من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في يومه مات
شهيدا ومن قراها حين يمسي فكذلك قال حديث حسن غريب.
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما
في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم. قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر قال سورة النضير
وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لمحمد
صلى الله عليه وسلم وكان من امرهم ما نص الله عليه المسالة الثانية قوله تعالى لاول
الحشر الحشر الجمع وهو على اربعة اوجه حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله
تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر. قال الزهري
كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في
الدنيا وكان اول حشر حشروا في الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر
في الشام فليقرا هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض
المحشر. قال قتادة هذا اول الحشر قال ابن عباس هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج
وقيل انهم اخرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر واخره

اخراج عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى نجد واذرعات وقيل بها داري وذلك
لكفرهم ونقض عهدهم واما الحشر الثاني فهو حشرهم قرب المدينة. قال قتادة تأتي
نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا
وتأكل من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح وقد ذكرناه في كتاب التذكرة
ونحوه روى ابن وهب عن مالك قال قلت لمالك هو جلاؤهم من ديارهم فقال لي الحشر
يوم القيامة حشر اليهود قال واجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى خيبر حين
سألوا عن المال فكتموه فاستحلهم بذلك. قال ابن العربي الحشر اول ووسط
وآخر فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء خيبر والآخر حشر يوم القيمة. وعن الحسن
هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا
حكاه الثعلبي **المسألة الثالثة** قال الطبري ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من
ديارهم من غير شيء لا يجوز وانما كان ذلك في اول الاسلام ثم نسخ والآن فلا بد من
قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم **قوله تعالى ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا
انهم مانعتهم حصونهم فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا** يريد لعظم امر اليهود ومنعتهم
وقوتهم في صدور المسلمين واجتماع كلمتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم قيل هي الوطيح
والنطاة والسلالم والكتيبة من الله اي من امره كانوا اهل حلقة اي سلاح كثيرة
وحصون منيعة فلم يمنعهم شيء منها فاتاهم الله اي امره وعذابه من حيث لم يحتسبوا اي
لم يظنوا وقيل من حيث لم يعلموا وقيل لم يحتسبوا بقتل ابن الاشرف قاله ابن جريج والسدي
وابو صالح **قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب** بقتل سيدهم كعب بن الاشرف
وكان الذي قتله محمد بن مسلمة وابو نائلة سلكان بن سلامة وكان اخا كعب بن الاشرف
من الرضاعة وعباد بن بشر والحرث بن اوس وابا عبس بن جبير وخبره مشهور في السيرة وفي
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالرعب من مسيرة شهر فكيف لا ينصر به مسيرة
ميل من المدينة الى محلة بني النضير وهذه خصيصى محمد صلى الله عليه وسلم دون غيره
قوله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم قرا العامة بالتخفيف من اخرب اي يهدمون
وقرا السلمي والحسن ونصر بن عاصم وابو العالية وقتادة وابو عمرو يخربون بالتشديد من
التخريب قال ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن وبنو
النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم يؤيده قوله تعالى بايديهم وايدي المؤمنين
وقال الآخرون التخريب والاخراب بمعنى واحد والتشديد بمعنى التكثير. وحكى
سيبويه ان معنى فعلت وافعلت يتعاقبان نحو اخربته وخربته وافرحته وفرحته واختار
ابو عبيدة وابو حاتم الاول. قال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج
ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا به ما خرب من حصنهم فروي انهم صالحوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته الله
في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب
بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم صبحهم بالكتائب
فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب. وقيل
استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس اليهم عبد الله بن
ابي المنافق واصحابه لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن
اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها احدى وعشرين ليلة فلما قذف
الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ما يأتي
بيانه. وقال الزهري وابن زيد وعروة بن الزبير لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم

نصرت بالرعب من مسيرة شهر

على ان لهم ما اقلت الابل كانوا يستحسنون الخشبة او العمود فيهدمون بيوتهم
ويحملون ذلك على ابلهم ويخرب المؤمنون ما فيها وعن ابن زيد ايضا كانوا يخربونها
لئلا يسكنها المسلمون بعدهم. وقال ابن عباس كانوا كلما ظهر المسلمون على
دار من دورهم هدموها ليتسع موضع القتال وهم ينقبون دورهم من ادبارها
الى التي بعدها فيتحصنون ويرمون بالتي اخرجوا منها المسلمون وقيل ليسدوا
بها ازقتهم. وقال عكرمة بايديهم في اخراب دواخلها وما فيها لئلا ياخذها المسلمون
وبايدي المؤمنين في خراب ظاهرها ليصلوا بذلك اليها. قال عكرمة كانت منازل
مزخرفة فحسدوا المؤمنين ان يسكنوها فخربوها من داخل وخربها المسلمون من
خارج. وقيل يخربون بيوتهم بنقض الموادعة وايدي المؤمنين بالمقاتلة قاله الزهري
ايضا. وقال ابو عمرو بن العلاء بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين في اجلائهم
عنها. قال ابن العربي التناول للافساد اذا كان باليد كان حقيقة واذا كان بنقض
العهد كان مجازا الا ان قول الزهري في المجاز مثل قول ابي عمرو بن العلاء **قوله تعالى
فاعتبروا يا اولي الابصار** اي يا اصحاب العقول والالباب وقيل يا من عاين ذلك
ببصره فهو جمع البصر ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا بالحصون من الله فانزلهم الله
منها ومن وجوهه انه سلط عليهم من كان ينصرهم ومن وجوهه ايضا انهم هدموا اموالهم
بايديهم ومن لم يعتبر في نفسه اعتبر لغيره وفي الامثال الصحيحة السعيد من وعظ بغيره
**قوله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
النار** اي لولا انه قضى انه سيجليهم عن دارهم وانهم يبقون مدة فيؤمن بعضهم ويولد لهم
من يؤمن لعذبهم في الدنيا اي بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة والجلاء مفارقة الوطن
يقال جلا بنفسه جلاء واجلاه غيره اجلاء والفرق بين الجلاء والاخراج وان كان معناهما
في الابعاد واحدا من وجهين احدهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد الثاني ان الجلاء ما
يكون لجماعة والاخراج يكون لواحد ولجماعة قاله الماوردي **قوله تعالى ذلك
بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب** اي ذلك الجلاء بانهم
شاقوا الله اي عادوه وخالفوا امره ومن يشاق الله قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميفع
ومن يشاقق الله باظهار التضعيف كالتي في الانفال وادغم الباقون **قوله تعالى
ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين**
فيه خمس مسائل **الاولى** قوله تعالى ما قطعتم من لينة ما في محل نصب بقطعتم كانه قال
اي شيء قطعتم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بني النضير وهي البويرة حين
نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم احد امر بقطع نخيلهم واحراقها واختلفوا في عدد ذلك
فقال قتادة والضحاك انهم قطعوا من نخيلهم واحرقوا ست نخلات. وقال محمد بن اسحق
انهم قطعوا نخلة واحرقوا نخلة وان ذلك عن اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم او بامره
اما لاضعافهم بها او لسعة المكان بقطعها فشق ذلك عليهم فقالوا وهم يهود اهل
الكتاب الم تزعم انك نبي تريد الصلاح افمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر فهل وجدت
فيما انزل الله عليك اباحة الفساد في الارض فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ووجد
المسلمون في انفسهم حتى اختلفوا فقال بعضهم لا تقطعوا مما افاء الله علينا. وقال بعضهم
اقطعوا لنغيظهم فنزلت الآية بتصديق من نهى عن القطع وتحليل من قطع من الاثم
واخبر ان قطعه وتركه باذن الله تعالى. قال شاعرهم سماك اليهودي في ذلك

الستا ورثنا الكتاب الحكيم ... على عهد موسى ولم نصرف
وانتم رعاء لشاء عجاف ... بسهل تهامة والاخيف
ترون الرعاية مجدا لكم ... لذي كل دهر لكم مجحف

ظهر

فيا ايها الشاهدون انتهوا عن الظلم والمنطق المؤلف •
لعل الليالي وصرف الدهور • تزيل من العادل المنصف •
بقتل النضير واجلائها • وعقر النخيل ولم تقطف •

فاجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه

معاقد معشر نصروا قريشا • وليس لهم ببلدتهم نصير •
هم اوتوا الكتاب فضيعوه • وهم عمي عن التوراة بور •
كفرتم بالتوراة وقد ابيتم • بتصديق الذي قال النذير •
وهان على سراة بني لوي • حريق بالبويرة مستطير •

فاجابه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب •

ادام الله ذلك من صنيع • وحرق في نواحيها السعير •
ستعلم اينا منها بستره • وتعلم اي اراضينا تضير •
فلو كان النخيل بها ركابا • لقالوا لا مقام لكم فسيروا •

الثانية كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول اول السنة الرابعة من الهجرة وتحصنوا منه في الحصون وامر بقطع النخل واحراقها وحينئذ نزل تحريم الخمر ودس عبد الله بن ابي بن سلول ومن معه من المنافقين الى بني النضير انا معكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فاغتروا بذلك فلما جاءت الحقيقة خذلوهم واسلموهم فالقوا بايديهم وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكف عن دمائهم ويجليهم على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا السلاح فاحتملوا كذلك الى خيبر ومنهم من صار الى الشام وكان ممن صار الى خيبر اكابرهم حيي بن اخطب وسلام بن ابي الحقيق وكنانة بن ابي الربيع فدانت لهم خيبر الثالثة ثبت في صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير وحرق ولها يقول حسان

وهان على سراة بني لوي • حريق بالبويرة مستطير

وفي ذلك نزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها الاية واختلف المفسرون في تخريب دار العدو وحرقها وقطع ثمارها على قولين الاول ان ذلك جائز قاله في المدونة الثاني ان علم المسلمون ان ذلك لهم لم يفعلوا وان ييسوا فعلوا قاله مالك في الواضحة وعليه يناظر اصحاب الشافعي بن العربي والصحيح الاول وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نخل بني النضير كان له لكن قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم ووهنا فيهم حتى يخرجوا منها واتلاف بعض المال لاصلاح باقيه مصلحة جائزة شرعا مقصودة عقلا الرابعة قال الماوردي ان في هذه الاية دليلا على ان كل مجتهد مصيب قال الكيا الطبري وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكتوا فتلقوا الحكم من تقريره فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم والاجتهاد مع حضور النبي صلى الله عليه وسلم انما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه فيه اخذا بعموم الاذاية للكفار ودخولا في الاذن للكل بما يقضي عليهم بالاجتياح والبوار وذلك قوله تعالى وليخزي الفاسقين الخامسة اختلف في اللينة على عشرة اقوال احدها النخلة كلها الا العجوزة قاله السعد الزهري ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل وابن عباس ومجاهد والحسن انها النخل ولا يستثنون عجوزة ولا غيرها • وعن ابن عباس ايضا انها لون من النخل • وعن الثوري انها كرام النخل • وعن ابي عبيدة انها جميع الوان التمر سوى العجوة والبرني • وقال جعفر بن محمد ايضا العجوة خاصة • وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح عليه السلام في السفينة

العتيق النخل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي • وقيل هي ضرب من النخل يقال لثمره اللون تمره اجود التمر وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف • وقيل النخلة القريبة من الارض وانشد الاخفش • قد شجاني الحمام حين تغنى • بفراق الاحباب من فوق لينة • وقيل اللينة الفسيلة لانها الين من النخلة ومنه قول الشاعر •

غرسوا لينها بمجرى معين • ثم حفوا النخل بالآكام •

وقيل ان اللينة الاشجار كلها للينها بالحياة قال ذو الرمة

طراق الخوافي واقع فوق لينة • ندى ليله في ريشه يترقرق •

والقول العاشر انها الدقل قاله الاصمعي • قال واهل المدينة يقولون لا تنتفخ الموائد حتى توجد الالوان يعنون الدقل قال ابن العربي الصحيح ما قاله الزهري ومالك لوجهين احدهما انهما اعرف ببلدهما واشجارها الثاني ان الاشتقاق يعضده واهل اللغة يصححونه فان اللينة وزنها لونة واعتلت على اصولهم فآلت الى لينة فاذا دخلت الها كسروا الها كبرك الصدر بفتح الباء وبركة بكسرها لاجل الها • وقيل لينة اصلها لونة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وجمع اللينة لين • وقيل ليان قال امرؤ القيس يصف عنق فرسه •

وسالفة كسحوق الليان • اضرم فيها الغوي السعر •

قال الاخفش انما سميت لينة اشتقاقا من اللون لا من اللين المهدوي واختلف في اشتقاقها فقيل هي من اللون واصلها لونة • وقيل اصلها لينة من لان يلين • وقرا عبد الله ما قطعتم ولا تركتم قوما على اصولها اي قائمة على سوقها • وقرا الاعمش ما قطعتم من لينة او تركتموها قوما على اصولها المعنى لم تقطعوها وقرئ قوما على اصلها وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل كرهن ورهن والثاني اكتفى فيه بالضمة على الواو وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله اي بامره وليخزي الفاسقين اي ليذل اليهود والكفار به وبنبيه وكتبه قوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب • فيه عشر مسائل الاولى قوله تعالى وما افاء الله اي رده الله على رسوله من اموال بني النضير فما اوجفتم اوضعتم والايجاف الايضاع في السير وهو الاسراع يقال وجف الفرس اذا اسرع واوجفته انا اي حركته واتعبته • ومنه قول تميم بن مقبل •

مذاويد بالبيض الحديد صقالها • عن الركب احيانا اذا الركب اوجفوا •

والركاب الابل واحدها راحلة تقول لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا واجلاهم واخذ اموالهم • فسال النبي صلى الله عليه وسلم المسلمون ان يقسم لهم فنزلت ما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه الاية فجعل اموال بني النضير خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم يضعها حيث شاء فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين • قال في رواية بن وهب عن مالك ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر محتاجين منهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقيل انما اعطى رجلين سهلا وابا دجانة ونفل سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم ولم يسلم من بني النضير الا رجلان سفيان بن عمير وسعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها • وفي صحيح مسلم عن عمر قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب وكان للنبي صلى الله عليه

وسلم خاصة وكان ينفق على اهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة
في سبيل الله • وقال العباس لعمر رضي الله عنهما فيما افاء الله على رسوله من اموال بني النضير
فقال عمر انعلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قال
عمر ان الله عز وجل كان خص رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لم يخصص بها احد غيره فقال
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ما ادري هل قرا الآية التي قبلها ام لا
فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير فوالله ما استاثرها عليكم ولا اخذها
دونكم حتى بقي هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه نفقة سنة
ثم يجعل ما بقي اسوة المال الحديث بطوله خرجه مسلم وقيل لما ترك بنو النضير ديارهم
واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ كالغنائم فبين الله انها فيء وكان
قد جرى بعض قتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء ولم يكن
قتال على التحقيق بل جرى مبادي القتال وجرى الحصار وخص الله تلك الاموال برسول
الله صلى الله عليه وسلم • وقال مجاهد اعلمهم الله تعالى وذكرهم انما نصر رسوله ونصرهم
بغير كراع ولا عدة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي من اعدائه وفي هذا بيان
ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه **الثانية**
قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وهما بالمدينة
وفدك على ثلاثة اميال من المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله لرسوله وبين ان في ذلك
المال الذي خصه بالرسول صلى الله عليه وسلم سهمانا لغير الرسول نظرا منه بعباده وقد تكلم
العلماء في هذه الآية والتي قبلها هل معناهما واحد او مختلف والآية التي في الانفال فقال
قوم من العلماء ان قوله صلى الله عليه وسلم من اهل القرى منسوخ بما في سورة الانفال
من كون الخمس لمن سمي له والاخماس الاربعة لمن قاتل وكان في اول الاسلام تقسم الغنيمة
على هذه الاقسام فلا يكون لمن قاتل عليها شيء وهذا قول يزيد بن رومان وقتادة وغيرهما
ونحوه عن مالك وقال قوم انما غنمتم بصلح من غير ايجاف ولا ركاب فيكون لمن سمى الله فيه
والاولى للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة اذا اخذ منه حاجته كان الباقي في مصالح المسلمين وقال
معمر الاولى للنبي صلى الله عليه وسلم والثانية هي الجزية المذكورة فيه **الثالثة** الغنيمة في
سورة الانفال للغانمين وقال قوم منهم الشافعي ان معنى الآيتين واحد اي ما حصل من
اموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا وسهم لذوي
القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم
للمساكين وسهم لابن السبيل واما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذي كان من الفيء
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي في قول الى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور
لانهم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم وفي قول اخر له يصرف الى مصالح المسلمين من
سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر تقدم الاهم فالاهم وهذا في اربعة اخماس
الفيء فاما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته
صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال صلى الله عليه وسلم ليس لي من غنائمكم الا الخمس والخمس
مردود فيكم وقد مضى القول فيه في سورة الانفال وكذلك ما خلفه من المال
غير موروث بل هو صدقة يصرف عنه الى مصالح المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم انا لا
نورث ما تركناه صدقة وقد كان مال الفيء لنبيه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ما افاء
الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فاضافه اليه غير انه كان لا يتاثل مالا انما كان ياخذ
بقدر حاجة عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين • قال ابن العربي لا اشكال
انها ثلاثة معان في ثلاث آيات اما الآية الاولى وهي قوله هو الذي اخرج الذين كفروا
من ديارهم لاول الحشر ثم قال تعالى ما افاء الله على رسوله منهم يعني من اهل الكتاب معطوفا

يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار

عليهم بريد فما اوجفتم عليهم بريد كما بينا فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر انها كانت خالصة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير وما كان مثلها فهذه واحدة ومعنى الآية
الثانية قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول وهذا كلام
مبتدا غير الاول لمستحق غير الاول وسمى الآية الثالثة آية الغنيمة ولا شك انه معنى
اخر باستحقاق بل المستحق اخر بيد ان الآية الاولى والثانية اشتركتا في ان كل واحدة
منهما تضمنت شيئا افاءه الله على رسوله فاقتضت الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت
الآية الثالثة وهي قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال
وبغير قتال فنشا الخلاف من طائفة قالت هي ملحقة بالاولى وهو مال الصلح كله ونحوه
ومن طائفة قالت هي ملحقة بالثانية وهي آية الانفال والذين قالوا انها ملحقة بآية الانفال
اختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم او محكمة والحاقها بشهادة الله التي قبلها اولى لان
فيه تجديد فائدة ومعنى ومعلوم ان حمل الحرف من الآية فضلا عن الآية على فائدة متجددة
اولى من حمله على فائدة معادة وروى ابن وهب عن مالك في قوله تعالى فما اوجفتم عليه من
خيل ولا ركاب هي بنو النضير لم يكن فيها خمس ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب كانت
صافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها بين المهاجرين وثلاثة من الانصار حسب ما تقدم وقوله
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى وهي قريظة وكانت قريظة والخندق في يوم واحد قال
ابن العربي قول مالك ان الآية الثانية في بني قريظة اشارة الى ان معناها يعود الى آية الانفال ويلحقها
النسخ وهو اقوى من سائر الاقوال بالاحكام لا اعتبارا الا ما تسميا وبينا ان الآية الثانية لها
معنى مستجد حسب ما دللنا عليه والله اعلم قلت ما اختاره حسن وقد قيل ان سورة الحشر
نزلت بعد الانفال فمحال ان ينسخ المتقدم المتاخر • قال ابن ابي نجيح المال ثلاثة مغنم
او فيء او صدقة وليس منه درهم الا وقد بين الله موضعه وهذا اشبه • الثالثة الاموال
التي للائمة والولاة فيها مدخل ثلاثة اضرب ما اخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات
والزكاة والثاني الغنائم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين من اموال الكافرين بالحرب
والقهر والغلبة والثالث الفيء وهو ما رجع للمسلمين من اموال الكافرين عفوا صفوا من غير
قتال ولا ايجاف كالصلح والجزية والخراج والعشور الماخوذة من تجار الكفار ومثل ان يهرب
المشركون ويتركوا اموالهم او يموت احد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فاما الصدقة
فمصرفها الفقراء والمساكين والعاملون عليها حسب ما ذكره الله وقد مضى في براءة
واما الغنائم فكانت في صدر الاسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شاء كما قال
في الانفال قل الانفال لله والرسول ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الآية وقد
مضى في الانفال بيانه واما الفيء فقسمته وقسمة الخمس سواء والامر عند مالك فيهما الى الامام
فان راى حبسهما لنوازل تنزل بالمسلمين فعل وان راى قسمتهما او قسمة احدهما
قسمه كله بين الناس وسوى بين عربيهم ومولاهم ويبدا بالفقراء من رجال او نساء
حتى يغنوا ويعطوا ذوو القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء سهمهم على ما يراه
الامام وليس لهم حد معلوم • واختلف في اعطاء الغني منهم فاكثر الناس على اعطائه
لانه حق لهم وقال مالك لا يعطى منهم غير فقرائهم لانه جعل لهم عوضا من الصدقة • وقال
الشافعي ان ما فضل من اموال الكفار بغير قتال كان يقسم في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خمس وعشرين سهما عشرون سهما للنبي صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما شاء
والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة • قال ابو جعفر احمد بن نصر وهذا قول ما سبقه
به احد علمناه بل كان ذلك خالصة له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبينا للآية ولو كان هذا
لكان قوله خالصة لك من دون المومنين يدل على انه يجوز الموهوبة لغيره وان قوله
خالصة يوم القيامة يجوز ان يشركهم فيها غيرهم وقد مضى قول الشافعي مع عباسي

ذلك ومذهب الشافعي رحمه الله ان سبيل خمس الفيء خمس الغنيمة وان اربعة اخماسه كانت للنبي
صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما شاء والخمس وله قولان احدهما بعده للمرصدين انفسهم للقتال
خاصة كما تقدم **الرابعة** قال علماؤنا ويقسم كل مال في البلد جبي منه ولا ينقل
عن ذلك البلد الذي جبي فيه حتى يغنوا ثم ينقل الى الاقرب من غيرهم الا ان ينزل بغير البلد
الذي جبي فيه فاقة شديدة فينقل ذلك الى اهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر رضي الله عنه
في اعوام الرمادة وكانت خمسة اعوام او ستة وقد قيل عامين وقيل عام وفيه اشتد
الطاعون والجوع وان لم يكن ما وصفنا وراى الامام ايقاف الفيء او وقفه لنوائب المسلمين و
يعطي منه المنفوس ويبتدا بمن ابوه فقير والفيء حلال للاغنياء ويساوي بين الناس فيه الا
انه يؤثر اهل الحاجة والفاقة والتفضيل فيه انما يكون على قدر الحاجة ويعطي منه الغرما
ما يؤدون به ديونهم ويعطي منه الجائزة والصلة ان كان ذلك اهلا ويرزق القضاة والحكام
ومن فيه منفعة للمسلمين واولاهم بتوفر الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا ومن اخذ من الفيء
شيا في الديوان كان عليه ان يغزو اذا اغزي **الخامسة** قوله تعالى كيلا يكون دولة
قراة العامة يكون بالياء دولة بالنصب اي كيلا يكون الفيء دولة وقرا ابو جعفر والاعرج
وهشام وابو حياة تكون بتاء ودولة بالرفع اي كيلا تقع دولة وكان تامة ودولة رفع على
اسم كان ولا خبر له ويجوز ان يكون ناقصة وخبرها بين الاغنياء منكم وصفا الدولة
وقراة العامة بضم الدال وقرا ابو حياة بالنصب قال عيسى بن عمر ويونس والاصمعي
هما لغتان بمعنى واحد وقال ابو عمرو بن العلا الدولة بالفتح الظفر في الحرب وغيره وهي
المصدر وبالضم اسم الشيء الذي يتداول من الاموال وكذا قال ابو عبيدة الدولة اسم
الشيء الذي يتداوله والدولة الفعل ومعنى الاية فعلنا ذلك في هذا الفيء كي لا تقسمه
الرؤساء والاغنياء والاقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء لان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا
اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهي المرباع ثم يصطفي منها شيا بعد المرباع ما شاء وفيها قال
شاعرهم • لكم المرباع منها والصفايا • يقول ليلا يعمل فيها كما كان يعمل في الجاهلية
فجعل الله هذا لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه في المواضع التي امر بها ليس فيها خمس واذا جا خمس
وقع بين المسلمين جميعا **السادسة** قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه اي ما اعطاكم
من مال الغنيمة فخذوه وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا قاله الحسن وغيره
السدي ما اعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم فلا تطلبوه وقال ابن
جريج ما اتاكم من طاعتي فافعلوا وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه الماوردي
وقيل انه محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه لا يامر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد
قلت هذا هو معنى القول الذي قبله فهي ثلاثة اقوال **السابعة** قال المهدوي
قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا يوجب ان كل ما امر به
النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى والاية وان كانت في الغنايم فجميع اوامره صلى الله عليه
وسلم ونواهيه داخل فيها • وقال الحكم بن عمير وكانت صحبة قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان هذا القران صعب مستصعب عسر على من تركه يسير على من اتبعه وطلبه وحديثي
صعب مستصعب وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القران ومن تهاون
بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة وامرتم ان تاخذوا بقولي وتكتنفوا امري وتتبعوا
سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران ومن استهزا بقولي فقد استهزا بالقران قال
الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا **الثامنة** قال عبد الله
بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك فقال الرجل اتقرا علي بهذا اية
من كتاب الله قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • وقال عبد الله
بن محمد بن هرون الفريابي سمعت الشافعي يقول سلوني عما شيتم اخبركم من كتاب الله تعالى

الدولة الظفر في الحرب

وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور فقال
بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وحدثنا سفين بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر حدثنا سفين بن عيينة
عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه امر بقتل الزنبور قال علماؤنا وهذا الجواب في غاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور في
الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتداء به وان الله
سبحانه امر بقبول ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فجواز قتله مستنبط من الكتاب
والسنة وقد مضى هذا المعنى من قول عكرمة حين سيل عن امهات الاولاد فقال هن
احرار في سورة النسا عند قوله فاطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله
الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ
ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت
فقال وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت لقد قرات
ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لين كنت قراتيه فقد وجدتيه اما قرات وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث وقد
مضى القول فيه في النساء مستوفى **التاسعة** قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وان جاء
بلفظ الايتاء وهو المناولة فان معناه الامر بدليل قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فقابله
بالنهي ولا يقابل الامر الا بالنهي والدليل على فهم ذلك ما ذكرناه قبل مع قوله صلى الله عليه وسلم اذا
امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوا وحكى الكلبي انها
نزلت في روسا المسلمين فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموال المشركين يا رسول
الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشدوه
• لك المرباع منها والصفايا • وحكمك والنشيط والفضول •
فانزل الله تعالى هذه الاية **العاشرة** قوله تعالى واتقوا الله اي عذاب الله انه شديد
لمن عصاه وقيل اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب لمن
خالف ما امر به **قوله تعالى للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اوليك هم الصادقون** اي
الفيء والغنايم للفقرا والمهاجرين وقيل كيلا يكون دولة بين الاغنيا منكم ولكن يكون
للفقرا وقيل هو بيان لقوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فلما ذكروا
باصنافهم قيل المال لهؤلا لانهم فقرا ومهاجرين ليلا يكون المال دولة للاغنيا من بني الدنيا
وقيل والله شديد العقاب للمهاجرين اي شديد العقاب للكفار بسبب المهاجرين والفقرا
اي من اجلهم ودخل في هؤلا الفقرا المتقدم ذكرهم في قوله تعالى ولذي القربى واليتامى
وقيل هو عطف على ما مضى ولم يات بواو العطف كقوله هذا المال لزيد لبكر لفلان
لفلان والمهاجرون هاهنا من هاجر الى الله ونبيه صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له
قال قتادة هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والاهلين والاوطان
حبا لله ولرسوله • حتى ان الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من
الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها • وقال عبد الرحمن بن ابزى
وسعيد بن جبير كان ناس من المهاجرين لاحدهم العبد والزوجة والدار والناقة يغزوا
ويحج عليها فنسبهم الله الى الفقر وجعل لهم سهما في الزكاة ومعنى اخرجوا من ديارهم
اي اخرجهم كفار مكة اي احوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل سبعون يطلبون

وفضلا من الله اي غنيمة في الدنيا ورضوانا في الاخرة اي مرضاة ربهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد في سبيل الله اولئك هم الصادقون في فعلهم ذلك وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية فقال من اراد ان يسال عن القران فليات ابي بن كعب ومن اراد ان يسال عن الفرايض فليات زيد بن ثابت ومن اراد ان يسال عن الفقه فليات معاذ بن جبل ومن اراد ان يسال عن المال فلياتني فان الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما الا واني بادٍ بازواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ثم بالمهاجرين الاولين انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا

قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم فيه احدى عشرة مسايل **الاولى** قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم لا خلاف ان الذين تبوءوا الدار هم الانصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين اليها والايمان نصب بفعل غير تبوءوا لان التبوء انما كان في الاماكن ومن قبلهم صلة تبوءوا والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين واعتقدوا الايمان واخلصوا لان الايمان ليس بمكان يتبوء كقوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم اي وادعوا شركاءكم ذكره ابو علي والزمخشري وغيرهما ويكون من باب قوله علفتها تبنا وماء باردا ويجوز حمله على حذف المضاف كانه قال تبوءوا الدار ومواضع الايمان ويجوز حمله على ما دل عليه تبوءوا كانه قال لزموا الدار ولزموا الايمان فلم يفارقوهما ويجوز ان يكون تبوءوا الدار على طريق المثل كما يقال تبوء من بني فلان الصميم والتبوء التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار امنوا قبل المهاجرين بل اراد امنوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم **الثانية** واختلفوا ايضا هل هذه الاية مقطوعة مما قبلها او معطوفة فتاول قوم انها معطوفة على قوله للفقراء المهاجرين وان الايات التي في الحشر كلها معطوفة بعضها على بعض ولو تاملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا اليه لان الله تعالى يقول هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا الى الفاسقين فاخبر عن بني النضير وبني قينقاع ثم قال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء فاخبر ان ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم لانه لم يوجف عليه حين جلوا وما تقدم فيهم من القتال وقطع شجرهم فقد كانوا رجعوا عنه وانقطع ذلك الامر ثم قال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا كلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوءوا الدار والذين حلوا ابتدا كلام في مدح الانصار والثناء عليهم فانهم سلموا ذلك الفيء للمهاجرين وكانه قال الفيء للفقراء والمهاجرين والانصار يحبون لهم لم يحسدوهم على ما صفا لهم من الفيء وكذا والذين جاءوا من بعدهم ابتداء كلام يقولون ربنا اغفر لنا وقال اسمعيل بن اسحق ان قوله والذين تبوءوا الدار والذين جاءوا معطوف على ما قبل وانهم شركاء في الفيء اي هذا المال للمهاجرين والذين تبوءوا الدار وقال مالك بن اوس قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهاولاء ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه فقال هذه لهاولاء ثم قرا قوله ما افاء الله على رسوله حتى بلغ الفقراء والمهاجرين والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم ثم قال وقال ابن عشت ليبلغن الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه وقيل انه دعا المهاجرين والانصار واستشارهم فيما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم تثبتوا الامر وتدبروه ثم اغدوا علي فتفكر في ليلته فتبين له ان هذه الايات في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال قد مررت البارحة بالايات التي في سورة الحشر

علفتها تبنا وماء باردا

وتلي ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى قوله للفقراء المهاجرين فلما بلغ قوله اولئك هم الصادقون فقال ما هي لهاولاء فقط وتلي والذين جاءوا من بعدهم الى قوله رءوف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك **الثالثة** روى مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر قال لولا من ياتي من اخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفي الروايات المستنبطة من الطرق الكثيرة ان عمر ابقى سواد العراق ومصر وما ظهر عليه من الغنايم ليكون من اعطيات المقاتلة وارزاق الحشوة والذراري وان الزبير وبلالا وغير واحد من الصحابة ارادوه على قسم ما فتح عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك فقيل انه استطاب انفس اهل الجيش فمن رضي له بترك حظه بغير ثمن ليبقيه للمسلمين ومن ابى اعطاه ثمن حقه فمن قال انما ابقى الارض بعد استطابة انفس القوم جعل فعله كفعل النبي صلى الله عليه وسلم لانه قسم خيبر لان اشتراءه اياها وترك من ترك عن طيب نفسه بمنزلة قسمها وقيل انه ابقاها بغير شيء اعطاه اهل الجيوش وقيل انه تاول في ذلك قول الله عز وجل للفقراء المهاجرين الى قوله انك رءوف رحيم على ما تقدم والله اعلم **الرابعة** اختلف العلماء في قسمة العقار فقال مالك للامام ان يوقفها لمصالح المسلمين وقال ابو حنيفة الامام مخير بين ان يقسمها او يجعلها وقفا لمصالح المسلمين وقال الشافعي ليس للامام حبسها عنهم بغير رضاهم بل يقسمها كساير الاموال فمن طاب نفسا عن حقه للامام ان يجعلها وقفا عليهم فله ومن لم تطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب نفوس الغانمين او اشتراها فلت وعلى هذا يكون قوله والذين جاءوا من بعدهم يكون مقطوعا مما قبله وانهم ندبوا بالدعاء للاولين والثناء عليهم **الخامسة** قال ابن وهب سمعت مالكا يذكر المدينة على غيرها من الافاق فقال ان المدينة تبوئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا الاية والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الاية وقد مضى الكلام في هذا وفي فضل الصلاة في المسجدين مسجد الحرام ومسجد المدينة فلا معنى للاعادة **السادسة** قوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني لا يجدون المهاجرين على ما خصوا به من مال الفيء وغيره كذلك قال الناس وفيه تقدير حذف مضاف فمس حاجة من فقد ما اوتوا وكل ما لا يجد الانسان في صدره مما لا يحتاج الى ازالته فهو حاجة وكان المهاجرون في دار الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم منازلهم واشراكهم في الاموال ثم قال ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار شيا الا الثلاثة الذين ذكرناهم ويحتمل ان يريد به ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اذ كانوا قليلا يقنعون به ويرضون عنه وقد كانوا على هذه الحالة حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه وسلم حكم الدنيا وقد انذرهم صلى الله عليه وسلم وقال ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض **السابعة** قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة في الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا بات به ضيف فلم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبية واطفي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الاية ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال هذا حديث حسن خرجه مسلم ايضا وخرج عن ابي هريرة قال جاء رجل

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت
والذي بعثك بالحق ما عندي الا ما ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن
كلهن مثل ذلك والذي بعثك بالحق ما عندي الا ما فقال من يضيف هذا الليلة
رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق الى رحله فقال
لامراته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني فقال عليهم بشيء فاذا دخل
ضيفنا فاطفي السراج واريه انا ناكل فاذا اهوى لياكل فقومي الى السراج
لتطفيه فقالت فقعدوا واكل الضيف فلما اصبح غدا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال قد عجب الله عز وجل من صنيعكما الليلة بضيفكما ه في رواية عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ليضيفه فلم يكن عنده
ما يضيفه فقال الا رجل يضيف هذا رحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة
فانطلق به الى رحله وساق الحديث بنحو الذي قبله وذكر فيه نزول الاية ه وذكر
المهدوي ان هذا نزل في ثابت بن قيس رجل من الانصار نزل به ثابت يقال له ابو المتوكل
فلم يكن عند ابي المتوكل الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته اطفي السراج ونومي
الصبية فنزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله فاولئك هم
المفلحون وقيل ان فاعل ذلك ابو طلحة ه وذكر القشيري قال ابن عمر اهدي لرجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الي
هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعثه به واحد الى واحد حتى تناولها سبعة ابيات
حتى رجعت الى اولئك فنزلت ويؤثرون على انفسهم ذكره العقيلي عن انس قال
اهدي لرجل من الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جاره فتناوله سبعة
انفس في سبعة ابيات ثم عاد الى الاول فنزلت ويؤثرون على انفسهم الاية ه وقال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم بني النضير ان شئتم قسمت للمهاجرين
من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه القسمة وان شئتم كانت
لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم من الغنيمة شيئا فقالت الانصار بل نقسم
لاخواننا من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة فنزلت ويؤثرون على انفسهم الاية
والاول اصح ه وفي الصحيح عن انس ان الرجل كان يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات
من ارضه حتى فتحت عليه قريظة والنضير فعد ذلك يرد عليه ما كان اعطاه لفظ
مسلم وقال الزهري عن انس بن مالك لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا
وليس بايديهم شيء وكان الانصار اهل ارض وعقار فقاسمهم الانصار على ان اعطوهم
انصاف ثمار اموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤونة وكانت ام انس بن مالك تدعى
ام سليم وكانت ام عبد الله بن ابي طلحة اخا لانس لامه وكانت اعطت ام انس رسول
الله صلى الله عليه وسلم عذاقا لها فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن مولاته ام
اسامة بن زيد قال ابن شهاب فاخبرني انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما فرغ من قتال اهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم
التي كانوا منحوهم من ثمارهم قال فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امي عذاقها
واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن مكانهن من حائطه خرجه مسلم ايضا

الثامنة الايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في
الحظوظ الدينية وذلك ينشا عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة
يقال اثرته بكذا اي خصصته وفضلته ومفعول الايثار محذوف اي يؤثرونهم
على انفسهم اي باموالهم ومنازلهم لا عن غنى بل مع احتياجهم اليه حسب ما تقدم بيانه
ه وفي الموطا عن مالك انه بلغه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان مسكينا

سالها وهي صائمة وليس في بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها اعطه اياه فقالت ليس لك
ما تفطرين عليه فقالت اعطه اياه قالت ففعلت فلما امسينا اهدى لنا اهل بيت
او انسان ما كان يهدي لنا شاة وكفنها فدعتني عائشة فقالت كلي من هذا فهو
خير من قرصك قال علماؤنا هذا من المال الرابح والفعل الزاكي عند الله يعجل منه ما شاء ولا
ينقص ذلك مما يدخر عنده ومن ترك لله شيئا لم يجد فقده وعائشة في فعلها هذا من الذين اثنى الله
عليهم بانهم يؤثرون على انفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة ومن فعل ذلك فقد وقي شح
نفسه وافلح فلاحا لا خسارة بعده ومعنى شاة وكفنها فان العرب او بعض العرب او بعض
وجوههم كان هذا من طعامهم ياتون الى الشاة او الى الخروف ليسلخوه عطوه كله
بعجين البر وكفنوه به ثم علقوه في التنور فلا يخرج من ودكه شيء الا في ذلك الكفن
وذلك من اطيب الطعام عندهم وروى النسائي عن نافع ان ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا
فاشتري له عنقود بدرهم فجاء مسكين فسال فقال اعطوه اياه فخالف انسان فاشتراه
بدرهم ثم جاء به اليه ثم اراد السائل ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر انه ذلك العنقود ما
ذاقه لان ما خرج لله لا يعود فيه ه وذكر ابن المبارك قال اخبرنا محمد بن مطرف
قال انبانا ابو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن مرفوع عن مالك الدار ان عمر بن الخطاب
اخذ اربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح
ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال يقول
لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حوائجك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي
يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها فرجع
الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بهذا الى معاذ
بن جبل وتله في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها اليه فقال يقول لك امير
المومنين اجعل هذه في بعض حوائجك فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبي بيت
فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امراة معاذ فقالت ونحن والله مساكين
فاعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران فدحا بهما اليها فرجع الغلام الى عمر فاخبره فسر
بذلك عمر وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة في اعطاء معاوية وكان
عشرة الاف وكان المنكدر دخل عليها فان قيل وردت اخبار صحيحة في النهي عن
التصدق بجميع ما يملكه المرء قيل له انما يكره ذلك في حق من لا يوثق منه الصبر
على الفقر ويخاف ان يتعرض للمسالة اذا انفذ ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى
الله عليهم بالايثار على انفسهم فلم يكونوا بهذه الصفة بل كانوا كما قال الله تعالى
والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس وكان الايثار فيهم افضل من الامساك
والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسالة اولى من الايثار وروي ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال ياتي
احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس **التاسعة**
الايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ه ومن الامثال السائرة
ه والجود بالنفس اقصى غاية الجود ه ومن عبارات الصوفية الرشيقة في
حد المحبة انها الايثار الا ترى ان امراة لما تناهت في حبها ليوسف صلى الله عليه
وسلم اثرته على نفسها فقالت انا راودته عن نفسه وافضل الجود بالنفس الجود على
حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ه ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على النبي صلى الله عليه
وسلم يوم احد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع ليرى القوم فيقول له ابو
طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي

اهدي لرجل من الصحابة راس شاة

شي من الماء انا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار براسه اي نعم
فاذا برجل يقول اه اه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاصي فقلت
اسقيك فاشار الي ان نعم فسمع اخر يقول اه اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجيته فاذا هو
قد مات فرجعت الي هشام فاذا هو قد مات فرجعت الي ابن عمي فاذا هو قد مات وقال
ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد ما غلبني الا شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا
يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا
كلاب بلخ عندنا فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا
وجدنا اثرنا • وسيل ذو النون المصري ما حد الزاهد المنشرح صدره قال ثلاث تفريق
المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت • وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه
اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان
واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد منهم شيا
ايثارا لصاحبه على نفسه **العاشرة** قوله تعالى ولو كان بهم خصاصة الخصاصة الحاجة
التي تختل بها الحال واصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة الانفراد
بالحاجة اي ولو كانت بهم فاقة وحاجة • ومنه قول الشاعر •

اما الربيع اذا يكون خصاصة ۵ عاش السقيم به واثرى المقتري •

الحادية عشر قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون الشح والبخل سوا
يقال رجل شحيح من الشح والشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم

۵ ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها مهينا ۵

وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص يقول شححت بالكسر
تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح وقوم شحاح واشحة والمراد بالاية الشح بالزكاة
وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام والضيافة وما يشاكل ذلك فليس بشحيح ولا بخيل
من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه • وروي الاسود عن ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال
اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه
فاوليك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد ان يخرج من يدي شيا فقال ابن مسعود ليس ذلك
بالشح الذي ذكره الله في القران انما الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبيس الشي
البخل ففرق رضي الله عنه بين الشح والبخل • وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده
والشح ان يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام ولا يقنع ابن
جبير الشح منع الزكاة وادخار الحرام • ابن عيينة الشح الظلم • الليث الشح ترك الفرايض
وانتهاك المحارم • ابن عباس من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح • ابن زيد من لم ياخذ
شيا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح امر الله به فقد وقاه الله شح نفسه • وقال انس قال النبي صلى الله
عليه وسلم بري من الشح من ادى الزكاة واقرى الضيف واعطى في النايبة • وعنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووساوسها
وقال ابو الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف اللهم قني شح نفسي ولا يزيد على ذلك
فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل ذلك فاذا الرجل عبد الرحمن
بن عوف قلت يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة
واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا المحارم
وقد بيناه في ال عمران • وقال كسرى لاصحابه اي شي اضر بابن ادم قالوا الفقر قال كسرى
الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا **قوله تعالى**
والذين جاوا من بعدهم فيه اربع مسايل **المسالة الاولى** قوله تعالى والذين جاوا من
بعدهم يعني التابعين ومن دخل في الاسلام الى يوم القيامة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث

الشح اشد من البخل

منازل

منازل المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاوا من بعدهم فاجهد ان لا تخرج من
هذه المنازل وقال بعضهم كن شمسا فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن كوكبا
مضيا فان لم تستطع فكن كوكبا صغيرا ومن جهة النور لا ينقطع ومعنى هذا كن مهاجرا
فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم فان لم تستطع فاحبهم
واستغفر لهم كما امرك الله وروى مصعب بن سعد قال الناس على ثلاث منازل فمضت
منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما عليه ان تكونوا عليه بهذه المنزلة التي بقيت • وعن جعفر
بن محمد عن علي عن ابيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنه انه جاءه رجل فقال له يا ابن بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول في عثمان قال يا ابن اخي انت من قوم قال الله فيهم
للفقرا المهاجرين الاية قال لا قال فانت من قوم قال الله فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان
الاية قال لا قال فوالله لين لم تكن من اهل الاية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهي قوله
والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية
وقد قيل ان محمد بن علي بن الحسين روي عن ابيه ان نفرا من اهل العراق جاوا اليه فسبوا
ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم قالوا
لا قال افمن الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم فقالوا لا فقال قد تبراتم من هذين
الفريقين انا اشهد انكم لستم من الذين قال الله عز وجل والذين جاوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
امنوا قوموا فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس **المسالة الثانية** هذه الاية دليل على محبة
الصحابة رضي الله عنهم لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفي ما اقاموا على محبتهم وموالاتهم
والاستغفار لهم وان من سبهم او واحدا منهم او اعتقد فيه شرا انه لا حق له في الفي
روي ذلك عن مالك وغيره • قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه عليهم غل فليس له حق من في الاسلام ثم قرا والذين جاوا
من بعدهم الاية **المسالة الثالثة** هذه الاية تدل على ان الصحيح من اقوال العلما قسمة
المنقول وابقا العقار والارض سبيلا بين المسلمين اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه
الا ان يجتهد الوالي امرا فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس عليه وان هذه الاية قاضية بذلك
لان الله تعالى اخبر بذلك عن الفي وجعله لثلاث طوايف المهاجرون والانصار وهم معلومون
والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا
تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا فهي عامة في جميع التابعين والاتين بعدهم الى يوم القيامة
• وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم
مومنين وانا ان شا الله بكم لاحقون وددت ان رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا
اخوانك فقال بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم
كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا بعد ذلك • وعن
الحسن ايضا والذين جاوا من بعدهم من قصد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع
الهجرة **المسالة الرابعة** هو قوله يقولون نصب في موضع الحال اي قايلين ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فيه وجهان احدهما امروا ان يستغفروا لمن سبق هذه
الامة من مومني اهل الكتاب قالت عايشة رضي الله عنها فامروا ان يستغفروا لهم
فسبوهم • الثاني امروا ان يستغفروا للسابقين الاولين من المهاجرين والانصار • قال
ابن عباس امر الله بالاستغفار لاصحاب محمد فسبوهم سمعت نبيكم صلى الله عليه
وسلم يقول اوراينم الذين سبوا اصحابي فقولوا لعن الله شركم • وقال العوام بن حوشب
ادركت هذه الامة يقولون اذكروا محاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تالف عليهم
القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجرشوا الناس عليهم • وقال الشعبي تفاضلت

اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا اي حقدا وحسدا ربنا انك رؤف رحيم **قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب** تعجب من اغترار اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر معهم مع علمهم انهم لا يعتقدون دينا ولا كتابا ومن جملة المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد وقيل رفاعة بن التابوه واوس بن قيظي كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا قالوا لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل هو من قول لقريظة بني النضير وقوله ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم لا نطيع في قتالكم وفيه دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة علم الغيب لانهم خرجوا فلم يخرجوا وقاتلوا فلم ينصروهم قال الله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم وفعلهم **قوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون** اي منهزمين ثم لا ينصرون وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم هذا على ان الضميرين متفقان وقيل هما مختلفان والمعنى لئن اخرج اليهود لا يخرج معهم المنافقون ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم اي ولئن نصروا اليهود المنافقون ليولن الادبار وقيل لئن اخرجوا لا يخرجون معهم اي علم الله منهم انهم لا يخرجون ان خرجوا ولئن قوتلوا لا ينصرونهم علم منهم ذلك ثم قال ليولن الادبار اخبر عما قد اخبر انه لا يكون كيف كان لو كان وهو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل يعني ولئن نصروهم ولئن شئنا ان ينصروهم زينا ذلك لهم ليولن الادبار **قوله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون** لانتم اشد يا معشر المسلمين اشد رهبة اي خوفا وخشية في صدورهم من الله يعني صدور بني النضير وقيل صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع الى الفريقين اي يخافون منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك الخوف ذلك بانهم قوم لا يفقهون اي لا يفقهون قدر عظمة الله تعالى وقدرته **قوله تعالى لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة** اي بالحيطان والدور يظنون انها تمنعهم منكم او من وراء جدر اي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم وقراءة العامة جدر على الجمع وهو اختيار ابي عبيدة وابي حاتم لانها نظير قوله تعالى في قرى محصنة وذلك جمع وقرا ابن عباس ومجاهد وابن كثير وابن محيصن وابو عمرو جدار على التوحيد لان التوحيد يؤدي عن الجمع وروي عن بعض المكيين جدر بفتح الجيم واسكان الدال وهي لغة في الجدار ويجوز ان يكون معناه من وراء نخلهم وشجرهم يقال اجدر النخل اذا اطلعت رؤوسه في اول الربيع والجدر نبت واحدته جدرة وقرئ جدر بضم الجيم واسكان الدال جمع الجدار ويجوز ان يكون الالف في الواحد كالف كتاب وفي الجمع كالف ظراف ومثله ناقة هجان ونوق هجان لانك تقول في التثنية هجانان فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللفظ مختلفين في المعنى قاله ابن جني **قوله تعالى باسهم بينهم شديد** يعني عداوة بعضهم لبعض وقال مجاهد باسهم بينهم شديد اي بالكلام والوعيد لنفعلن كذا وقال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد وقيل باسهم بينهم شديد اذا لم يلقوا عدوا ونسبوا انفسهم الى الشدة والباس ولكن اذا لقوا العدو انهزموا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني اليهود والمنافقين قاله مجاهد وعنه ايضا يعني

يقال اجد النخل اذا اطلعت رؤوسه

المنافقين الثوري هم المشركون واهل الكتاب وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين على امر ورأي وقلوبهم شتى اي متفرقة فاهل الباطل مختلفة اراؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة اهواؤهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وعن مجاهد ايضا اراد ان دين المنافقين يخالف لدين اليهود وهذا ليقوي انفس المؤمنين عليهم قال الشاعر

الى الله اشكو نية شقت العصى ۞ هي اليوم شتى وهي امس جميع ۞

(في الهامش: وقرئ شتى مقطع بسبب ... [illegible])

اشت بمعنى اشد تشتيتا اي اشد اختلافا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي ذلك التشتيت والكفر بانهم لا عقل لهم يعقلون به امر الله تعالى **قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم** قال ابن عباس يعني به بني قينقاع امكن الله منهم قبل قريظة مجاهد يعني كفار قريش يوم بدر وقيل هو عام في كل من انتقم منه على كفره قبل من النضير من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وبال جزاء كفرهم ومن قال هم بنو قريظة جعل وبال امرهم نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم لهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وهو قول الضحاك ومن قال المراد بني النضير قال وبال امرهم الجلاء والنفي وكان بين بني قريظة والنضير سنتان وكانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا وقد قال قوم غزوة بني النضير بعد وقعة احد ولهم عذاب اليم في الاخرة **قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر** هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف كثير كما تقول انت عاقل انت كريم انت عالم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان اكفر راهب نزلت عنده امراة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت فقتلها خوفا من ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاؤوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرأ منه ذكره القاضي اسمعيل وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره خبرا مطولا ابن عامر ووهب بن منبه ولفظهما مختلف قال ابن عباس في قوله كمثل الشيطان كان راهبا في الفترة يقال برصيصا قد تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيا ابليس فجمع ابليس جنوده ومردة الشياطين فقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فجاء جبريل فدخل بينهما فدفعه بيده حتى وقع باقصى الهند فذلك قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قال انا اكفيكه فتزيا بزي الرهبان فحلق وسط راسه حتى اتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة ايام يوما وكان لا يفطر الا في كل عشرة ايام وكان يواصل العشرة الايام والعشرين والاكثر فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا من صلاته راى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم حيث لم يجبه فقال له ما حاجتك قال ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فقال اني في شغل عنك ثم اقبل على صلاته واقبل الابيض ايضا على الصلاة فلما راى برصيصا شدة اجتهاده وعبادته قال له ما حاجتك قال ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فاقام الابيض معه حولا لا يفطر الا في كل اربعين يوما يوما واحدا ولا ينفتل عن صلاته الا في كل اربعين يوما وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه ثم قال الابيض عندي دعوات يشفي الله بها السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها ثم جاء الى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه ثم قال لاهله وقد تصور في صورة

حكاية برصيصا

الادميين ان بصاحبكم جنونا فاظنه قالوا نعم فقال اني لا اقوى على جنيته ولكن اذهبوا
به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب
فجاوا به فدعى بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فجعل الابيض يفعل بالناس
ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون فانطلق الى جارية من بنات الملوك بين ثلاثة
اخوة وكان ابوهم ملكا فمات واستخلف اخاه وكان عمها ملكا في بني اسرائيل
فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل مستطب ليعالجها فقال ان شيطانها مارد
لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها
فبرئت فقالوا لا يجيبنا الى هذا قالوا ابنوا صومعة في جانب صومعته ثم ضعوها فيها
وقولوا هي امانة عندك فاحتسب فيها فسالوه ذلك فابى فبنوا صومعة ووضعوا
فيها الجارية فلما اقبل من صلاته وعاين الجارية وما بها من الجمال فاسقط في يده
فجاءها الشيطان فخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض بها لبرصيص ثم جاءه
الشيطان فقال ويحك واقعها فما تجد مثلها ثم تتوب بعد ذلك فلم يزل به حتى جامعها
فحملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها
ثم تتوب ولا تفتضح فاذا جاؤك وسالوك فقل جاء شيطانها وذهب بها فقتلها
برصيص ودفنها ليلا فاخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي خارجا من التراب ورجع برصيص
الى صلاته ثم جاء الشيطان الى اخوتها في المنام فقال ان برصيصا فعل باختكم كذا
وكذا وقتلها ودفنها في جبل كذا وكذا فاستعظموا ذلك وقالوا لبرصيص
ما فعلت باختنا فقال ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا ثم جاء الشيطان الى اخوتها
في المنام فقال انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ردائها خارج من التراب
فانطلقوا فوجدوها عند صومعته فانزلوه وخنقوه وحملوه الى الملك فاقر على نفسه
فامر بقتله فلما صلب قال الشيطان اتعرفني قال لا والله قال انا صاحبك الذي علمك
الدعوات اما اتقيت الله اما استحييت وانت اعبد بني اسرائيل ثم لم يكفك صنيعك
حتى فضحت نفسك واقررت عليها وفضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه
الحالة لم يفلح احد من نظرائك بعدك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة
وانجيك منهم واخذ باعينهم قال وما ذلك قال تسجد لي سجدة فقال انا افعل فسجد
له من دون الله فقال يا برصيص هذا اردت منك كان عاقبة امرك ان كفرت
بربك اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين وقال وهب بن منبه ان عابدا

حكاية برصيصا على رواية

كان في بني اسرائيل وكان من اعبد اهل زمانه وكان في زمانه ثلاثة اخوة
لهم اخت وكانت بكرا وليس لهم اخت غيرها فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من
يخلفون اختهم ولا من يامنون عليها ولا عند من يضعونها قال فاجمع رايهم على ان
يجعلوها عند عابد بني اسرائيل وكان ثقة في انفسهم فاتوه وسالوه ان يجعلوها عنده
فتكون في كنفه وجواره الى ان يقفلوا من غزاتهم فابى ذلك عليهم وتعوذ
بالله منهم ومن اختهم قالوا فلم يزالوا به حتى اطاعهم فقال انزلوها في بيت حذاء صومعتي
قال فانزلوها في ذلك البيت فانطلقوا وتركوها فمكثت في ذلك البيت زمانا
ينزل اليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته
ثم يامرها فتخرج من بيتها فتاخذ ما وضع لها من الطعام قال فتلطف له الشيطان فلم يزل
يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه ان يراها احد فيعلقها فلم
يزل يرغبه في الخير ولم يزل به حتى مشى بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها فلبث
بذلك زمانا ثم جاءه ورغبه في الخير والاجر وحضه اليه وقال له لو كنت تكلمها
وتحدثها فتانس بحديثك فانها قد استوحشت وحشة شديدة قال فلم يزل بها حتى حدثها

زمانا

زمانا يطلع عليها من فوق صومعته قال ثم اتاه ابليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل اليها
فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها وتحدثك كان آنس لها فلم
يزل به حتى انزله واجلسه على باب صومعته يحدثها وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على
باب بيتها فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال
لو دنوت من باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من باب بيتها ففعل وكان ينزل من صومعته
ويقعد على باب بيتها ويحدثها بذلك حينا فجاءه ابليس فقال له لو دخلت البيت تحدثها
ولم تتركها تبرز لاحد وجهها كان احسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل
يحدثها نهاره كله فاذا امسى صعد في صومعته قال ثم اتاه ابليس بعد ذلك فلم
يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها فلم يزل به ابليس يحسنها في عينه
ويسول له حتى وقع عليها فاحبلها فولدت له غلاما فجاءه ابليس فقال ارايت ان جاء
اخوة هذه الجارية وقد ولدت منك فكيف تصنع لا آمن عليك ان تفتضح او يفضحوك
فاعمد الى ابنها واذبحه وادفنه فانها ستكتم عليك مخافة اخوتها ان يطلعوا
على ما صنعت بها ففعل فقال له اوتراها تكتم اخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها
خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل حتى ذبحها والقاها في الحفرة مع ابنها واطبق
عليها صخرة عظيمة وسوى عليها التراب وصعد في صومعته يتعبد بذلك ما شاء الله
ان يمكث حتى قفل اخوتها من الغزو فجاؤه وسالوه عنها فنعاها لهم وترحم وبكى لهم
وقال كانت خير امة وهذا قبرها فانظروا اليه فاتوا اخوتها القبر فبكوا اختهم
وترحموا على قبرها اياما ثم انصرفوا الى اهاليهم فلما جن عليهم الليل واخذوا مضاجعهم
اتاهم الشيطان في النوم في صورة رجل مسافر فبدا باكبرهم وساله عن اختهم
فاخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف اراهم موضع قبرها فكذبه
الشيطان وقال لم يصدقكم امر اختكم انه قد احبل اختكم وولدت منه غلاما
فذبحه وذبحها معه فرقا منكم والقاها في حفرة احتفرها خلف الباب الذي كانت فيه
عن يمين من دخله فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانكم
ستجدونهما هناك كما اخبرتكم قال واتى الاوسط في منامه فقال له مثل ذلك
ثم اتى الاصغر فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لما راى
كل واحد منهم فاقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رايت عجبا
فاخبر بعضهم بعضا بما راى فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا
فقال اصغرهم لا ابغي حتى اتي ذلك المكان فانظر فيه قال فانطلقوا جميعا حتى دخلوا
البيت الذي كانت اختهم فيه ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في
منامهم فوجدوا اختهم وابنها مذبوحين في الحفرة كما قيل لهم فسالوا العابد عنها
فصدق قول ابليس فيما صنع بهما فاستعدوا عليه الى ملكهم فانزل من صومعته وقدموه
ليصلب فلما اوثقوه على الخشبة اتاه الشيطان فقال له قد علمت اني صاحبك الذي فتنتك
في المراة حتى احبلتها وذبحتها وابنها فان انت اطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك
خلصتك مما انت فيه قال فكفر العابد بالله فلما كفر خلى عنه الشيطان بينه وبين
اصحابه فصلبوه قال ففيه نزلت هذه الاية كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر
فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين الى قوله جزاء الظالمين قال
ابن عباس رضي الله عنه هذا مثلا للمنافقين مع اليهود وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يجلي بني النضير من المدينة فدس اليهم المنافقون لا تخرجوا من دياركم
فان قاتلوكم كنا معكم فحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم فخذلهم المنافقون
وتبرؤوا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا العابد فكان الرهبان بعد ذلك

لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق والفجور في الاحبار فرموهم
بالفجر والبهتان حتى كان امر جريج الراهب وبراءة الله فانبسطت بعده يد الرهبان
وطهر والابنا[ر] وقيل المعنى مثل المنافقين في عدتهم بني النضير كمثل ابليس اذ قال
للكفار قريش لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقال مجاهد المراد
بالانسان جميع الناس في غرور الشيطان اياهم ومعنى قوله تعالى قال له اكفر
اي اغراه حتى قال اني كافر وليس قول الشيطان اني اخاف الله رب العالمين
حقيقة انما هو على وجه التبري من الانسان فهو تاكيد لقوله تعالى اني بري
منك وفتح الياءين نافع وابن كثير وابو عمرو واسكن الباقون فكان عاقبتهما
اي عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين فيها نصب على الحال
والتثنية ظاهرة لمن جعل الاية مخصوصة في الراهب والشيطان ومن جعلها
في الجنس فالمعنى فكان عاقبة الفريقين او الصنفين ونصب عاقبتهما على انه خبر
كان والاسم انهما في النار وقرا الحسن فكان عاقبتهما بالرفع على الضد من ذلك
وقرا الاعمش خالدان فيها بالرفع وذلك خلاف المرسوم ورفعه على انه خبر ان
والظرف ملغى **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** اتقوا الله في اوامره
ونواهيه واداء فرايضه واجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني يوم القيمة
والعرب تكنى عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة — العرب تكنى عن المستقبل بالغد
كما قال ° وان غدا للناظرين قريب ° وقال الحسن وقتادة
قرب الساعة حتى جعلها كالغد ولا شك ان كل ات قريب والموت لا محالة
ات ومعنى ما قدمت لغد يعني من خير او شر واتقوا الله اعاد هذا تكرارا كقوله
اعجل اعجل ارم ارم وقيل التقوى الاولى التوبة فيما مضى من الذنوب والثانية اتقا
المعاصي في المستقبل ان الله خبير بما تعملون قال سعيد بن جبير اي بما يكون منكم
**قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك
هم الفاسقون** اي تركوا امره فانساهم انفسهم ان يعملوا لها خيرا قاله ابن حبا[ن]
وقيل نسوا حق الله فانساهم حق انفسهم قاله سفين وقيل نسوا الله بترك شكره
وتعظيمه فانساهم انفسهم بالعذاب ان يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى
وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم عند التوبة
ونسب تعالى الفعل الى نفسه في انساهم اذ كان ذلك بسبب امره ونهيه الذي تركوه
وقيل معناه وجدهم تاركين امره ونهيه كقولك احمدت الرجل اذا وجدته محمودا
وقيل نسوا الله في الرخا فانساهم انفسهم في الشدايد اولئك هم الفاسقون قال
ابن جبير العاصون وقال ابن زيد الكاذبون واصل الفسق الخروج اي الذين خرجوا
عن طاعة الله **قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب
الجنة هم الفايزون** اي في الفضل والرتبة اصحاب الجنة هم الفايزون اي
المقربون المكرمون وقيل الناجون من النار وقد مضى الكلام في معنى هذه
الاية في المايدة عند قوله قل لا يستوي الخبيث والطيب وفي سورة السجدة
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وفي سورة ص ام نجعل الذين
امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
فلا معنى للاعادة والحمد لله **قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون** حث على تامل مواعظ القران وهو انه لا عذر في ترك التدبر فانه

فانه لو خوطب بهذا القران الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرايتها
على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة اي متشققة من خشية الله الخاشع الذليل
والمتصدع المتشقق وقيل خاشعا لله بما كلفه من طاعته متصدعا من خشيته ان
يعصيه فيعاقبه وقيل هو على وجه المثل للكفار لقوله تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس اي انه لو انزل هذا القران على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده
وانتم ايها المقهورون باعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده وقيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران يا محمد على جبل لما ثبت
ولانصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا
عليه ان ثبته لما لم تثبت عليه الجبال للاية وقيل وان الله تعالى لو انذر بهذا القران
الجبال لتصدعت من خشية الله والانسان اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم
بحقه ان اطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب
قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
قال ابن عباس عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالاخرة
والدنيا وقيل الغيب ما لم تعلم العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموا او شاهدوا
وهو الرحمن الرحيم تقدم **قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس**
اي المنزه عن كل نقص والطاهر عن كل عيب والقدس بالتحريك السطل بلغة اهل
الحجاز لانه يتطهر فيه ومنه القادوس لواحد الاواني التي يستخرج بها من البير بالسانية
وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح بفتح اولهما وحكى ابو حاتم عن يعقوب انه
سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا يكنى ابا الدينار يقرا القدوس بفتح القاف قال
ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل هبود وكلوب وتنور وسمور وسفود
الا السبوح والقدوس فان الفتح فيهما اكثر وقد يفتحان وكذلك الذروح
بالضم وقد تفتح اللام اي ذو السلامة من النقايص قال ابن العربي اتفق العلماء رحمة
الله عليهم على معنى قولنا في الله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا في
ترجمة النسبة على ثلاثة اقوال الاول معناه الذي سلم من كل عيب وبري من
كل نقص الثاني معناه الذي سلم الخلق من ظلمه قلت وهذا قول الخطابي وعليه
والذي قبله يكون صفة فعل وعلى انه البري من العيوب والنقايص يكون صفة
ذات وقيل السلام معناه المسلم لعباده المومن المصدق لرسله باظهار معجزاته
عليهم وتصديق المومنين ما وعدهم من الثواب ومصدق الكافرين ما اوعدهم
من العقاب وقيل المومن الذي يومن اولياءه من عذابه ويومن عباده من ظلمه يقال
امنه من الامان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى وامنهم من خوف فهو مومن
قال النابغة ° والمومن العايذات الطير يمسحها ° ركبان مكة بين الغيل والسعد
وقال مجاهد المومن الذي وحد نفسه فقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقال
ابن عباس اذا كان يوم القيمة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق
اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى للباقين انتم
المسلمون وانا السلام وانتم المومنون وانا المومن فيخرجهم من النار ببركة هذين
الاسمين المهيمن العزيز تقدم الكلام في المهيمن في المايدة وفي العزيز في غير موضع
الجبار قال ابن عباس هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على هذا القول
صفة ذات من قولهم نخلة جبار قال امري القيس
° سوامق جبار اثيث فروعه ° وعالين قنوانا من البسر احمرا °
يعني النخل الذي فاتت اليد وكان هذا الاسم يدل على عظمة الله وتقديسه

من ان ينالها النقايص وصفات الحدث وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح يقال جبرت العظم
فجبر اذا اصلحته بعد الكسر فهو فعال من جبر اذا اصلح الكسر واغنى الفقر وقال الفراء
هو من اجبره على الامر اي قهره قال ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك
من ادرك وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته المتكبر الذي تكبر بربوبيته
فلا شيء مثله وقيل المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث
والذم واصل التكبر والكبر الامتناع وقلة الانقياد قال حميد بن
ثور ۝ عفت مثل ما يعفو الفضيل فاصبحت بها كبرياء المصعب وهو ذلول ۝
والكبرياء في صفات الله تعالى مدح وفي صفات المخلوقين ذم وفي الصحيح عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى
انه قال الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته
ثم قذفته في النار وقيل المتكبر معناه العالي وقيل معناه الكبير لانه اجل من
ان يتكلف كبرا وقد يقال تظلم بمعنى ظلم وتشتم بمعنى شتم واستقر بمعنى قر
فكذلك المتكبر بمعنى الكبير وليس كما يوصف به المخلوق اذا وصف بتفعل اذا نسب
الى ما لم يكن منه ثم نزه نفسه فقال سبحان الله اي تنزيها لجلاله وعظمته سبحان الله عما
يشركون **قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما
في السموات والارض وهو العزيز الحكيم** الخالق هنا المقدر والبارئ المنشئ
المخترع والمصور مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة فالتصوير مرتب على الخلق
والبراية وتابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل وخلق الله في ارحام الامهات
ثلاث خلق خلقه علقة وخلقه مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون
به صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها فتبارك الله احسن الخالقين
وقال النابغة ۝ الخالق البارئ المصور في الارحام ماء حتى يصير دما ۝
وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير وليس كذلك انما التصوير اخرا والتقدير
اولا والبراية بينهما ومنه قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقال زهير
۝ ولانت تخلق ما فريت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ۝
فلانت تفري ما خلقت تقول تقدر ما تقدر ثم تقطعه على وفق تقديرك وغيرك
يقدر ما لا يتم له ولا يقع فيه مراده اما لقصور في تصور تقديره او لعجزه عن تمام
مراده وقد اتينا على ذلك في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى والحمد لله
وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي برأ
المصور يعني الصورة تتفاوت الهيئات ذكره الزمخشري له الاسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال سألت خليلي ابا القاسم صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال يا ابا هريرة عليك
باخر سورة الحشر فاكثر قراءتها فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد
علي ۝ وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية ۝ وعن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
۝ وعن ابي امامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل او نهار
فقبضه الله في تلك الليلة او ذلك اليوم فقد اوجب الله له الجنة ۝

تفسير سورة الممتحنة مدنية

في قول الجميع وهي ثلاث
عشرة اية ۝ الممتحنة بكسر الحاء اي المختبرة واضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة
المبعثرة والمفضحة لما كشفت عن عيوب المنافقين ومن قال في هذه السورة الممتحنة
بفتح الحاء فانه اضافها الى المرأة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط

خلق الله تعالى في ارحام الامهات ثلاث خلق

قال الله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الاية وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف ولدت له
ابراهيم بن عبد الرحمن بسم الله الرحمن الرحيم ۝
قوله تعالى ۝ يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء اتخذ
يتعدى الى مفعولين وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على
زنة المصدر اوقع على الجماعة ايقاعه على الواحد وفي هذه الاية سبع مسائل **المسالة
الاولى** قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم روى الائمة واللفظ
لمسلم عن علي رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال
ائتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن
بالمرأة فقلنا اخرجي الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة
يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا
قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرا ملصقا في قريش قال سفين كان حليفا لهم ولم يكن
من انفسها وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم فاحببت
اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعله كفرا ولا ارتدادا
عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر دعني اضرب
عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء قيل اسم المرأة سارة من موالي قريش وكان في الكتاب اما بعد
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم
بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله بكم ولانجز له وعده فيكم فان الله وليه
وناصره ذكره بعض المفسرين ۝ وذكر القشيري والثعلبي ان حاطب بن ابي بلتعة كان رجلا
من اهل اليمن وكان له حلف بمكة في بني اسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام وقيل
كان حليفا للزبير فقدمت المرأة من مكة اسمها سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هشام
بن عبد مناف الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة وقيل كان هذا زمن
الحديبية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امهاجرة جئت فاشارت فقالت لا فقال
امسلمة جئت قالت لا قال ما حاجتك قالت كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد
ذهبت الموالي قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني
فقال صلى الله عليه وسلم واين انت من شباب اهل مكة وكانت مغنية فقالت ما طلب
مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على اعطائها
فكسوها وحملوها واعطوها فخرجت الى مكة واعطاها حاطب عشرة دنانير
وبردا على ان يبلغ هذا الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل فاخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك فبعث عليا والزبير وابا مرثد الغنوي وفي رواية عليا والزبير
والمقداد وفي رواية ارسل عمار بن ياسر وفي رواية عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة
والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه لكم
فاضربوا عنقها فادركوها في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت ما معها
كتاب ففتشوا امتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا
ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن
عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذوائبها وفي رواية من حجزها فخلوا سبيلها ورجعوا

توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل

بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى حاطب فقال اتعرف الكتاب قال
نعم وذكر الحديث بنحو ما تقدم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح
الا اربعة هو احدهم **المسألة الثانية** السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار
وقد مضى في غير موضع من ذلك قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون
المومنين يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى ومثله كثير وذكر ان حاطبا لما سمع ذلك قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان **الثالثة** قوله تعالى يلقون اليكم
بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص في سلامة فواده وخلوص اعتقاده والباء في
بالمودة وخروجها سواء ويجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز
ان يكون استينافا ومعنى تلقون اليهم بالمودة تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم قاله
الزجاج **الرابعة** من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف
عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا اذا كان فعله لغرض دنياوي واعتقاده
على ذلك سليم كما فعل حاطب قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو ردة عن الدين
الخامسة اذا قلنا لا يكون بذلك كافرا فهل يقتل بذلك حدا ام لا اختلف الناس
فيه فقال مالك وابن القاسم واشهب يجتهد في ذلك الامام وقال عبد الملك اذا
كانت عادته تلك قتل لانه جاسوس وقال مالك يقتل الجاسوس وهو صحيح لاضراره
بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل ابن الماجشون انما اتخذ التكرار في هذا
لان حاطبا اخذ في اول فعله والله اعلم **السادسة** وان كان الجاسوس كافرا فقال
الاوزاعي يكون نقضا لعهده وقال اصبغ الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس المسلم والذمي
يعاقبان الا ان يظاهرا على الاسلام فيقتلان وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان وامر به ان يقتل فصاح
يا معشر الانصار انا اقتل وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلى سبيله ثم قال ان منكم من اكله الى ايمانه منهم
فرات بن حيان وقد كفروا اخبار اما من لا تتخذوا واما من يلقون اي لا تتولوهم او توادوهم
وهذه حالهم وقرا الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم من الحق
السابعة قوله تعالى يخرجون الرسول استيناف كلام كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال
من كفروا واياكم ان تومنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون المعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم
من مكة لان تومنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن اخرج مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي وقيل في الكلام حذف والمعنى
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تلقوا اليهم بالمودة وقيل ان كنتم
خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي شرط وجوابه تقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا
في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ونصب جهادا وابتغاء لانه مفعول له وقوله
تسرون اليهم بالمودة بدل من الافعال ومن يفعل ذلك يلق اثاما وانشد سيبويه

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

وقيل هو على تقدير انتم تسرون اليهم بالمودة فيكون استينافا وهذا كله معاتبة لحاطب
وهو يدل على فضله وكرامته ونصحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان المعاتبة لا تكون
الا من محب لحبيب كما قال

اعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابني منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

اي بعين من المشركين اسمه فرات بن حيان

ومعنى بالمودة اي بالنصيحة في الكتاب اليهم والباء زائدة كما ذكرنا **قوله تعالى**
وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل اخفيتم
اضمرتم وما اعلنتم اظهرتم والباء في بما زائدة يقال اعلمت كذا وعلمت بكذا وقيل وانا
اعلم من كل احد كما يقال فلان اعلم وافضل من غيره وقال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم
في صدوركم وبما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار والتوحيد ومن يفعله منكم اي من يسر
اليهم ويكاتبهم منكم فقد ضل سواء السبيل اي اخطا قصد الطريق **قوله تعالى**
ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا
لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم لما اعتذر حاطب بان له ارحاما واولادا ان
يثقفوكم يلقوكم ويصادفوكم ومنه المثاقفة اي طلب مصادفة العزة في المثاقفة
وشبهها وقيل يثقفوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والقتل والسنتهم بالشتم وودوا لو
تكفرون بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم **قوله تعالى**
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم لن تنفعكم ارحامكم لما اعتذر
حاطب بان له ارحاما واولادا فيما بينهم بين الرب جل وعز ان الاهل والاولاد لا ينفعون
شيئا يوم القيامة ان عصي من اجل ذلك يفصل بينكم فيدخل المومنين الجنة ويدخل الكافرين
النار وفي يفصل قراءات سبع قراءة عاصم يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرا حمزة
والكسائي يفصل بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددا وقرا الحسن وابن عامر يفصل
كذلك مشددا الا انه على ما لم يسم فاعله وقرا طلحة والنخعي بالنون وكسر الصاد مشددة
وروي عن علقمة كذلك بالنون مخففة وقرا قتادة وابو حيوة يفصل بضم الياء وكسر الصاد
مخففا من افصل وقرا الباقون يفصل بياء مضمومة وتخفيف الفاء وفتح الصاد على الفعل
المجهول واختاره ابو عبيد فمن خفف فلقوله وهو خير الفاصلين وقوله تعالى ان
يوم الفصل ومن شدد فان ذلك ابين في الفعل الكثير المكرر المتردد ومن اتى
به على ما لم يسم فاعله فان الفاعل معروف ومن اتى به مسمى الفاعل رد الضمير الى الله تعالى
ومن قرا بالنون فعلى التعظيم والله بما تعملون بصير **قوله تعالى قد كانت لكم**
اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا لما نهى عن موالاة
الكفار ذكر قصة ابراهيم وان من سيرته التبري من الكفار اي فاقتدوا به وائتموا الا في استغفاره
لابيه والاسوة ما يتاسى به مثل القدوة والقدوة يقال هو اسوتك اي مثلك وانت مثله
وقرا عاصم اسوة بضم الهمزة لغتان والذين معه يعني اصحاب ابراهيم من المومنين وقال
ابن زيد هم الانبياء اذ قالوا لقومهم الكفار انا براء منكم ومما تعبدون من
دون الله اي الاصنام وبراء جمع بري مثل شريك وشركاء وظريف وظرفاء وقرا العامة
على وزن فعلاء وقرا عيسى بن عمر وابن ابي اسحق براء بكسر الباء على وزن فعال مثل قصير وقصار
وطويل وطوال وظريف وظراف ويجوز ترك الهمزة حتى تقول برا وبون وقرئ براء على الوصف
بالمصدر وقرئ براء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب والاية نص في الامر بالاقتداء
بابراهيم صلى الله عليه وسلم في فعله وذلك يصحح ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما اخبر الله ورسوله
كفرنا بكم اي بما امنتم به من الاوثان وقيل اي بافعالكم وكذبناها وانكرنا
ان تكونوا على الحق وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دابنا معكم
ما دمتم على امركم حتى تومنوا بالله وحده فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفرون للمشركين
فانه كان عن موعدة وعدها اياه قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء

ان ابراهيم هجر قومه وباعدهم الا في الاستغفار لابيه ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا
دليل على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبيا لانا حين امرنا به امرنا امرا مطلقا في قوله
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالملة بالاقتدا بابراهيم
استثنى بعض افعاله وقيل هو استثنا منقطع اي لكن قول ابراهيم لاستغفرن لك انما
جرى لانه ظن انه اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا يجوز الاستغفار لمن ظن
انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالوهم وما املك لك من الله من شي وهذا
من قول ابراهيم لابيه اي ما ادفع عنك من عذاب الله شيا ان اشركت به ربنا عليك توكلنا
هذا من دعا ابراهيم واصحابه وقيل علم المومنين ان يقولوا هذا اي تبروا من الكفار
وتوكلوا على الله وقولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير
لك الرجوع في الاخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهر عدونا علينا فيظنوا انهم
على حق فيفتتنوا بذلك وقيل لا تسلطهم علينا فيفتنونا ويعذبونا واغفر لنا ربنا انك انت
العزيز الحكيم **قوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة** اي في التبري
من الكفار وقيل كرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول وما اكثر المكررات في القران
على هذا الوجه ومن يتول اي عن الاسلام وقبول هديه فان الله هو الغني لم يتعبدهم لحاجته
اليهم الحميد في نفسه وصفاته ولما نزلت عادى المسلمون اقرباهم من المشركين فعلم الله
شدة وجد المومنين في ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة وهذا بان يسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم
المسلمون كابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل المودة
تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فلانت عند ذلك عريكة
ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة قال ابن عباس كانت المودة بعد الفتح
تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت تحت عبد الله بن جحش
وكانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة فاما زوجها فتنصر وسالها ان تتابعه على دينه
فابت وصبرت على دينها ومات زوجها على النصرانية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
الى النجاشي يخطبها فقال النجاشي لاصحابه من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد بن
العاص قال فزوجها من نبيكم ففعل وامهرها النجاشي من عنده اربعماية دينار وقيل
خطبها النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما زوجه اياها فلما بعث الى
النجاشي فيها ساق عنه المهر وبعث بها اليه فقال ابو سفيان وهو مشرك لما بلغه تزويج
النبي صلى الله عليه وسلم ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه **قوله تعالى لا ينهاكم**
الله عن الذين لم يقاتلوكم فيه ثلاث مسايل **الاولى** هذه الاية رخصة من الله تعالى
في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام
عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخها فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقيل كان هذا الحكم لعلة وهو الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة
نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى وقيل هي مخصوصة في حلفا النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه
وبينه عهد لم ينقض قاله الحسن الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف
وقاله ابو صالح وهم خزاعة وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين امنوا ولم يهاجروا
وقيل يعني به النسا والصبيان لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله في برهم حكاه بعض
المفسرين وقال اكثر اهل التاويل هي محكمة واحتجوا بان اسما بنت ابي بكر رضي
الله عنها سالت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل امها حين قدمت عليها وهي مشركة قال نعم
خرجه البخاري ومسلم وقيل ان الاية فيها نزلت روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه
ان ابا بكر رضي الله عنه طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر فقدمت

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان

عليهم

عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار
قريش فاهدت الى اسما بنت ابي بكر قرطا واشيا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين فذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده
الثانية قوله تعالى ان تبروهم ان في موضع جر على البدل من الذين اي لا ينهاكم الله عن
ان تبروا الذين لم يقاتلوكم وهم خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه
ولا يعينوا عليه احدا فامر ببرهم والوفا لهم الى اجلهم حكاه الفرا وتقسطوا اليهم اي
تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل واجب
فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي **الثالثة** قال ابن العربي استدل به بعض
من تعقد الخناصر عليه على وجوب نفقة الابن المسلم على ابيه الكافر وهذه وهلة عظيمة
ان الاذن في الشي او ترك النهي عنه لا يدل على وجوبه وانما يعطيك الاباحة خاصة
وقد بينا ان اسمعيل بن اسحق القاضي دخل عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك
فتلا هذه الاية عليهم **قوله تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم**
في الدين اي جاهدوكم على الدين فاخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة
وظاهروا اي عاونوا على اخراجكم وهم مشركو اهل مكة ان تولوهم في موضع جر على
البدل على ما تقدم في ان تبروهم ومن يتولهم اي يتخذهم اولياء وانصارا واحبابا فاوليك
هم الظالمون **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاكم المومنات مهاجرات**
فيه ستة عشر مسالة **الاولى** قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاكم المومنات لما امر المسلمين
بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المومنين عن بلاد الشرك الى بلاد الاسلام
وكان التناكح من اكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النسا قال ابن عباس
جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم فجاءت
سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
بعد فاقبل زوجها وهو كافر واسمه صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد
اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله
تعالى هذه الاية وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فجا اهلها يسالون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاصي ومعها اخوها
عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ردها علينا بالشرط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال
لا في النسا فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الحديبية ان لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا حتى انزل
الله في المومنات ما انزل يومي الى ان الشرط في رد النسا نسخ بذلك وقيل ان التي جاءت
اسما بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ وقال المهدوي وروي وهب عن خالد
ان هذه الاية نزلت في اسما بنت بشر من بني عمرو بن عوف وهي ام حسان بن الدحداح وتزوجها
بعد هجرتها سهل بن حنيف وقال مقاتل انها سعيدة زوجة صيفي بن الراهب مشرك من اهل
مكة والاكثر من اهل العلم انها ام كلثوم بنت عقبة **الثانية** واختلف اهل
العلم هل دخل النسا في عقد اهل المهادنة لفظا او عموما فقالت طايفة منهم قد كان
شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وبقاه
في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم له ان يجتهد رايه في الا
حكام ولكن لا يقره الله على الخطا وقالت طايفة من اهل العلم لم يشترط ردهن في العقد
لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم وكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال

حكام

بين الله تعالى حكم وجمعهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين فقال احدهما لانهن ذوات
فروج يحرم عليهن الثاني انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المعتمد منهن على شرطها فمردودة
عليهم **الثالثة** قوله تعالى وامتحنوهن قيل انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها فقالت
سأهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتحانهن
واختلف فيما كان يمتحنهن به على ثلاثة اقوال الاول قال ابن عباس كانت المحنة ان يستحلف
بالله انها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشق رجل منا
بل حبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي
صلى الله عليه وسلم مهرها زوجها وما انفق عليها ولم يردها وذلك قوله تعالى فان علمتموهن
مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الثاني ان المحنة كانت
تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قاله ابن عباس ايضا الثالث ما بينه في السورة بعد
من قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك قالت عايشة رضي الله عنها ما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بالاية التي قال الله اذا جاءك المومنات يبايعنك رواه
معمر عن الزهري عن عايشة خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح **الرابعة** اكثر
العلماء على ان هذا ناسخ لما كان عليه السلام عاهد عليه قريشا من انه يرد عليهم من جاءه
منهم مسلما فنسخ من ذلك النسا وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقران وقال بعض العلماء
كله منسوخ في الرجال والنساء ولا يجوز ان يهادن الامام العدو على ان يرد عليهم من جاءه
مسلما لان اقامة المسلم بارض الشرك لا يجوز وهذا مذهب الكوفيين وعقد الصلح على ذلك جايز
عند مالك وقد احتج الكوفيون لما ذهبوا اليه من ذلك بحديث اسمعيل ابن ابي خالد
عن قيس عن ابي حازم عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى قوم من خثعم
فاعتصموا بالسجود فقتلهم فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الدية وقال انا بريء
من كل مسلم اقام مع مشرك في دار الحرب لا تراءى نارهما قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين
الى المشركين اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد برئ ممن اقام معهم في دار الحرب
ومذهب مالك والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ وقال الشافعي وليس لاحد هذا العقد
الا الخليفة او رجل يامره لانه يلي الاموال كلها فمن عقد غير الخليفة هذا فهو مردود
الخامسة قوله تعالى الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن لانه
متولي السراير فان علمتموهن مومنات قبل الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن اي لم يحل الله مومنة لكافر ولا نكاح مومن لمشركة وهذا اول
دليل على ان الذي اوجب فرقة المسلمة من زوجها اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة
الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين واليه اشار في مذهب مالك بل عبارته والصحيح الاول
لان الله تعالى قال لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فبين ان العلة عدم الحل بالاسلام وليس باختلاف
الدار والله اعلم وقال ابو محمد ولا فرق بين الدارين في الكتاب ولا في السنة ولا في القياس
وانما المراعاة في ذلك الزمان فباختلافهما يقع الحكم وباجتماعهما لا بالدار والله المستعان
السادسة قوله تعالى واتوهم ما انفقوا امر الله تعالى اذا امسكت المراة المسلمة
ان يرد على زوجها ما انفق وذلك من الوفاء بالعهد لانه لما منع من اهله بحرمة الاسلام امر برد المال اليه حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين الزوجة والمال **السابعة** ولا غرم الا اذا طالب الزوج
الكافر فاذا حضر وطالب منعناها وغرمنا ما واذا ماتت قبل حضور الزوج لم يغرم شيئا
لانه لا قيمة له وللشافعي في هذه الاية قولان احدهما ان هذا منسوخ قال الشافعي واذا
جاءتنا المراة الحرة من اهل الهدنة مسلمة مهاجرة من دار الحرب الى الامام في دار الاسلام
وفي دار الحرب فمن طلبها من ولي سوى زوجها منع منها بلا عوض واذا طلبها زوجها لنفسه
او غيره بوكالة ففيه قولان احدهما العوض والقول ما قال الله عز وجل وفيه قول
اخر انه يعطي الزوج المشرك الذي جاءت زوجته مسلمة العوض فان شرط الامام

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى قوم من خثعم فاعتصموا بالسجود فقتلهم فوداهم

رد النسا كان الشرط رد النسا منسوخا وليس عليه عوض لان الشرط المنسوخ باطل ولا عوض
للباطل **الثامنة** امر الله سبحانه وتعالى برد مثل ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب
بهذا الامام ينفذ مما بين يديه من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وقال مقاتل يرده
المهر الذي يتزوجها من المسلمين فان لم يتزوجها من المسلمين احد فليس لزوجها الكافر
شي وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نسا اهل العهد واما من لا عهد بينه
وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق والامر كما قال رحمه الله تعالى **التاسعة** قوله تعالى
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن يعني اذا اسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت من تحريم نكاح المشركة
والمعتدة فان اسلمت قبل الدخول ثبت النكاح في الحال ولها التزوج **العاشرة**
قوله تعالى اذا اتيتموهن اجورهن اباح نكاحها بشرط المهر لان الاسلام فرق بينها وبين
زوجها الكافر **الحادية عشر** قوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر قراءة العامة
بالتخفيف من الامساك وهي اختيار ابي عبيدة كقوله تعالى فامسكوهن بمعروف وقراءة
الحسن وابو العالية وابو محمد ولا تمسكوا مشددة من التمسك يقال مسك يمسك تمسكا
بمعنى امسك يمسك وقرئ ولا تمسكوا بنصب التاء اي لا تتمسكوا والعصم جمع العصمة
وهو ما اعتصم به والمراد بالعصمة هاهنا النكاح يقول من كانت له امراة كافرة
بمكة فلا يعتد بها فليست له امراة فقد انقطعت عصمتها لاختلاف الدارين وعن النخعي
هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون
يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك في هذه الاية فطلق عمر بن الخطاب امراتين له بمكة
مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية ابن ابي سفين وهما على شركهما فلما ولي
عمر قال ابو سفين لمعاوية طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك فابى معاوية من ذلك
وكانت عند طلحة بن عبيد اروى بنت ربيعة بن الحارث ابن المطلب ففرق الاسلام
بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاصي وكانت ممن فر الى النبي صلى الله
عليه وسلم من نسا الكفار فحبسها وزوجها خالدا وزوج صلى الله عليه وسلم زينب ابنته
وكانت كافرة من ابي العاص بن الربيع ثم اسلمت واسلم زوجها بعدها ذكر عبد الرزاق
عن ابن جريج عن رجل عن ابن شهاب قال اسلمت زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وهاجرت
بعد النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة الاولى وزوجها ابو العاص بن الربيع من عبد العزى
بمكة مشرك الحديث وفيه اسلم بعدها ولذلك قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى
زوجها المدينة فامنته فاسلم فردها عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو داود عن عكرمة
عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمر في حديثه بعد ست سنين وقال
الحسن بن علي بعد سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو امن وجهين اما انها لم تحض حتى اسلم
زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقول الله عز وجل وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني في
ذلك وهذا انما لاختلاف فيه بين العلما انه عني به العدة وقال الزهري في قصة زينب
وهذه كانت قبل ان تنزل الفرايض قال قتادة كان هذا قبل ان تنزل سورة براءة
بقطع العهود بينهم وبين المشركين **الثانية عشرة** قوله تعالى بعصم الكوافر المراد بالكوافر
هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها خاصة في الكوافر من غير اهل الكتاب
وقيل هي عامة نسخ منها نسا اهل الكتاب ولو كان الى ظاهر الاية لم يحل تزويج كافرة
بحال وعلى هذا القول الاول فاذا اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق بينهما وهذا قول
بعض اهل العلم ومنهم من قال تنتظر بها تمام العدة لمن قال يفرق بينهما في الوقت ولا ينتظر
تمام العدة اذا عرض عليها الاسلام ولم تسلم مالك بن انس وهو قول الحسن وطاوس ومجاهد
وعطا وعكرمة وقتادة والحكم واحتجوا بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر

وقال الزهري ينتظر بها العدة وهذا قول الشافعي واحمد واحتجوا ان ابا سفين بن
حرب اسلم قبل هند بنت عتبة امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة
وهند بها مقيمة على كفرها فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت

فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال

بعده بايام واستقرا على نكاحهما لان عدتها انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام
اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي رحمه الله لا يجوز
لمن احتج بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر لان نساء المومنين محرمات
على الكفار كما ان المسلمين لا يحل لهم الكوافر الوثنيات والمجوسيات لقوله تعالى
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله هذا انه لا يحل بعضهم
لبعض الا ان يسلم الثاني منهما في العدة واما الكوفيون سفين وابو حنيفة رحمه
الله واصحابه فانهم قالوا في الكافرين المومنين اذا اسلمت المراة عرض على الزوج
الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي امراته حتى تحيض
ثلاث حيضات اذا كانا جميعا في دار الحرب او في دار الاسلام وان كان احدهما
في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت بينهما فراعى هو الدار وليس بشيء وقد
تقدم

الثالثة عشر

هذا الاختلاف انما هو في المدخول فان كانت غير مدخول
بها فلا نعلم اختلافا في انقطاع العصمة اذ لا عدة عليها ولذلك يقول مالك في
المراة ترتد وزوجها مسلم انقطعت العصمة بينهما وحجته ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو
هذا قول الحسن البصري والحسن بن صالح ومذهب الشافعي واحمد انه ينتظر بها
تمام العدة

الرابعة عشر

فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة ففيه
ايضا اختلاف فمذهب الشافعي ومالك واحمد الوقوف الى تمام العدة وهو قول
قتادة وكذا الوثني يسلم وزوجته انه اسلم في عدتها فهو احق بها كما كان صفوان بن
امية وعكرمة ابن ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتهما على حديث ابن شهاب ذكره
في الموطا للامام مالك قال ابن شهاب كان بين اسلامه وبين اسلام امراته نحو من شهر قال ابن
شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم
بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان يقدم زوجها مهاجرا قبل ان تنقضي
عدتها ومن العلماء من قال ينفسخ قال ابن زيد بن علقمة اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو قول طاوس وجماعة غيره منهم عطا والحسن وعكرمة قالوا
لا سبيل عليها الا بخطبة

الخامسة عشر

قوله تعالى واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا
قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار
هاتوا مهرها ويقال للمسلمين ان جا احد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار
مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين وكان ذلك حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في
تلك النازلة خاصة باجماع الامة قاله ابن العربي

السادسة عشرة

قوله تعالى
ذلكم حكم الله اي ما ذكره في هذه الاية والله عليم حكيم تقدم في غير موضع

قوله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار

فيه ثلاث مسائل

الاولى

قوله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم في الجيران المسلمين قالوا رضينا بما حكم
الله فكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزلت قوله وان فاتكم شي من ازواجكم
الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا روى الزهري عن عروة
عن عايشة رضي الله عنها قالت حكم الله عز وجل بينهم واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا
فكتب اليهم المسلمون قد حكم الله بيننا بانه ان جاتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها
وان جاتنا امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اليهم اما نحن فلا نعلم لكم عندنا
شيا فان كان لنا عندكم شي فوجهوا به فانزل الله وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار

الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا وقال ابن عباس يقول الله ذلكم
حكم الله يحكم بينكم اي بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم
على بعض قال الزهري ولولا العهد لامسك النسا ولم يرد عليهم صداقا وقال قتادة
ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفي والغنيمة
وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد وقالا لمعنى فعاقبتم فاقتصصتم فاتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا يعني الصدقات فهي عامة في جميع الكفار وقال قتادة ايضا
وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد واتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا بما في سورة براءة وقال الزهري انقطع هذا
يوم الفتح وقال سفيان الثوري لا يعمل به اليوم وقال قوم هو ثابت الحكم الان ايضا حكاه
القشيري

الثانية

قوله تعالى فعاقبتم قراه علقمة والنخعي وحميد والاعرج فعقبتم
مشددة وقرا مجاهد فاعقبتم صنعتم كما صنع بكم وقرا الزهري فعقبتم مخففة بعد القاف
وقرا مسروق وشقيق بن سلمة فعقبتم بكسر القاف خفيفة وقال غنمتم وكلها لغات بمعنى
واحد يقال عاقب وعقب واعقب وتعقب وتعاقب اذا غنم قال القتبي فعاقبتم
فغزوتم معاقبين غزوا بعد غزو وقال ابن بحر فعاقبتم المرتد بالقتل ولزوجها مهرها من غنايم
المسلمين

الثالثة

قوله تعالى فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا قال ابن عباس
يقول ان لحقت امراة مومنة بكفار اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج
مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهرا من الغنيمة قبل ان تخمس وقال
الزهري يعطى من مال الفي وعنه يعطى من صداق من لحق بنا وقيل ان امتنعوا ان يغرموا
مهر هذه المراة التي ذهبت اليهم فانبذوا العهد اليهم حتى اذا ظفرتم فخذوا ذلك منهم
وقال الاعمش هي منسوخة وقال عطا بل حكمها ثابت وقد تقدم جميع هذا القشيري
والاية نزلت في ام الحكم بنت ابي سفيان ارتدت وتركت زوجها عياض بن غنم القرشي
ولم ترتد من قريش امراة غيرها ثم عادت الى الاسلام وحكى الثعلبي عن ابن عباس هن ست نسوة
رجعن عن الاسلام ولحقن بالمشركين من نساء المومنين المهاجرين ام الحكم بنت ابي سفين
كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة
وكانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما هاجر عمر ابت وارتدت وبروع
بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزي كانت تحت
هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشهبة
بنت غيلان فاعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسايهم من الغنيمة واتقوا الله الذي
انتم به مومنون احذروا ان تعتدوا وما امرتم به

قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاك المومنات مهاجرات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم

فيه ثمان مسايل

الاولى

قوله
تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه نسا اهل
مكة يبايعنه فامر ان ياخذ عليهن ان لا يشركن وفي صحيح مسلم عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم قال كان المومنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله يا ايها النبي
اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا ولا يزنين ولا يسرقن الى اخر الاية قالت
عايشة فمن اقر بهذا من المومنات فقد اقر بالمحنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما
مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة قط غير انه يبايعهن بالكلام قالت عايشة
والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النسا قط الا ما امره الله عز وجل وما مست
كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول لهن اذا اخذ عليهن قد

بايعتكن كلاما وروي انه صلى الله عليه وسلم بايع النسا بين يديه وبين ايديهن ثوب وكان
يشترط عليهن وقيل لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل فجعل يشترط على النسا
البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلفت امراة وقفت على الصفا فبايعتهن وذلك
ضعيف وانما ينبغي المعول على ما في الصحيح وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة جمع نسا الانصار في بيت ثم ارسل اليهن عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم هرون
عليه وسلم فقال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيا الاية فقلن نعم فمد يده
من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروي عن عمرو بن سعيد عن
ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النسا دعا
بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم امر النسا ان يغمسن ايديهن فيه **الثانية** روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما قال على ان لا يشركن بالله شيا قالت هند بنت عتبة وهي متنقبة خوفا من
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد والله انك لتاخذ علينا امرا
ما رايتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله قوتنا
فقال ابو سفيان هو لك حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فعرفها وكانت هند فقالت عفا
الله عما سلف ثم قال ولا يزنين فقالت هند اوتزني الحرة فقال لا فقال ولا يقتلن اولادهن
اي لا يدفن الموودات ولا يسقطن الاجنة فقالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا افانتم وهم
اعلم فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى وكان حنظلة بن ابي سفيان وهو بكرهما قتل يوم بدر
ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن قيل معنى ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى
بين ارجلهن فروجهن وقيل ما كان بين ايديهن من قبلة او جسة وبين ارجلهن الجماع وقيل المعنى لا يلحقن
برجالهن ولدا من غيرهن وهذا قول الجمهور وكانت المراة تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها
وتقول هذا ولدي منك وكان هذا من البهتان والافترا وقيل ما بين يديها ورجليها كناية
عن الولد لان بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلد منه بين رجليها وهذا
عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهي عن الزنا وروي ان هندا لما سمعت
ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح ما تامر الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال ولا
يعصينك في معروف قال قتادة لا ينحن ولا يخلون امراة منهن الا بذي رحم محرم وقال
سعيد بن المسيب ومحمد بن السايب وزيد بن اسلم هو ان لا يخمشن وجها ولا يشققن جيبا
ولا يدعون ويلا ولا ينشرن شعرا ولا يحدثن الرجال الا ذا رحم وروت ام عطية ان النبي صلى
الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف قال هو النوح وفي صحيح مسلم عن ام عطية لما نزلت هذه
الاية يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا ولا يعصينك في معروف قال كان منه النياحة فقلت
يا رسول الله الا ال بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي ان اسعدهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ال فلان وعنها قالت اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة
ان لا ننوح فما وفت منا امراة الا خمسا ام سليم وام العلا وابنة ابي سبرة امراة معاذ او امراة
ابنة ابي سبرة وامراة معاذ وقيل ان المعروف هاهنا الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
قاله ميمون بن مهران وقال بكر بن عبد الله المزني لا يعصينك في كل امر فيه رشدهن الكلبي
هو عام في كل معروف امر الله عز وجل به فروي ان هندا قالت عند ذلك ما جلسنا في مجلسنا
هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي **الثالثة** ذكر الله عز وجل هذه الاية ورسول الله صلى الله
عليه وسلم في صفة البيعة خصالا شتى صرح فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر اركان
النهي وهي ستة ايضا وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان
النهي دايم في كل الاوقات وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدايم اكد وقيل
ان هذه المناهي كان في النسا كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف الحسب فخصت بالذكر

رسول

فقالت هند ان ابا سفين رجل شحيح واني اصبت من ماله قوتنا فقال ابو سفين هو لك حلال فضحك النبي عليه السلام

بهذا ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم والنقير والمزفت
فنبههم على ترك المعصية في شرب الخمر دون ساير المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا
ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سايرها مما لا شهوة له فيها **الرابعة** لما قال النبي
صلى الله عليه وسلم في البيعة ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله ان ابا سفين رجل شحيح ممسك فهل
علي ان اخذ منه ما يكفيني وولدي قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان تقتصر على ما يعطيها
فتضيع او تاخذ اكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه
وسلم لا اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة الى اكثر من الحاجة
قال ابن العربي وهذا انما هو فيمن لا يخزن عنها في حجاب ولا يضبط بقفل فانه اذا هتكته الزوجة
واخذت منه كانت سارقة تعصي بها وتقطع يدها **الخامسة** قال عبادة بن الصامت
اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخذ على النسا ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا يعضه بعضكم بعضا ولا تعصوا في معروف امركم به
معنى يعضه يسحر والعضيه السحر ولهذا قال ابن العربي بحر وغيره في قوله تعالى ولا ياتين ببهتان
انه السحر وقال الضحاك هذا نهي عن البهتان اي لا يبهتن رجلا ولا امراة ببهتان اي بسحر
والله اعلم يفترينه بين ايديهن وارجلهن والجمهور على ان معنى ببهتان بولد يفترينه بين ايديهن
ما اخذته لقيطا وارجلهن في البخاري عن ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف قال انما
هو شرط شرطه الله للنسا واختلف في معناه على ما ذكرناه والصحيح انه عام في جميع ما
يامر به النبي صلى الله عليه وسلم وينهى عنه فيدخل فيه النوح وتخريق الثياب وجز الشعر في الخلوة
بغير محرم الى غير ذلك وهذه كلها كباير ومن افعال الجاهلية وفي صحيح مسلم عن ابي مالك
الاشعري انه عليه السلام قال اربع في امتي من امر الجاهلية فذكر منها النياحة وروي يحيى بن
كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النوايح يجعلن
يوم القيمة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة ثم يومر بهن الى النار وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تصلي الملايكة على نايحة ولا مرنة وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع نايحة
فاتاها فضربها بالدرة حتى وقع خمارها عن راسها فقيل يا امير المومنين المراة قد وقع خمارها
قال انها لا حرمة لها اسند جميعه الثعلبي رحمه الله واما تخصيص قوله بمعروف مع قوة قوله
ولا يعصينك ففيه قولان احدهما انه تفسير للمعنى على التاكيد كما قال تعالى قل رب احكم بالحق
لانه لو قال احكم لكفى الثاني انما شرط المعروف في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون
تنبيها على ان غيره اولى بذلك والزم له فانتفى الاشكال **السابعة** روى البخاري
عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله
شيا ولا تزنوا ولا تسرقوا وقرا اية النسا واكثر لفظ سفين قرا هذه الاية فمن وفى منكم فاجره
على الله ومن اصاب من ذلك شيا فعوقب فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيا فستره الله فهو
الى الله ان شا عذبه وان شا غفر له منها وفي الصحيح عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم
الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة
ثم يخطب فنزل نبي الله فكاني انظر اليه حين يجلس الرجال بيده ثم اقبل يشقهم حتى اتى النسا
مع بلال فقال يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا ولا يسرقن ولا
يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن حتى فرغ
من الاية كلها ثم قال حين فرغ من الاية انتن على ذلك فقالت امراة واحدة لم يجبه غيرها
نعم يا رسول الله لا يدري الحسن من هي قال فتصدقن وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم
في ثوب بلال لفظ البخاري **الثامنة** قال المهدوي اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط
عليهن هذا والامر بذلك ندب لا الزام وقال بعض اهل النظر اذا احتيج الى المحنة من اجل تباعد الدار

السادسة

كان على إمام المسلمين إقامة المحنة **قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور** غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك أن ناسا من فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين ويواصلوهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الآخرة يعني اليهود قاله ابن زيد وقيل هم المنافقون وقال الحسن هم اليهود والنصارى قال ابن مسعود معناه أنهم تركوا العمل للآخرة وآثروا الدنيا وقيل المعنى يئسوا من ثواب الآخرة قاله مجاهد وقيل المعنى كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم قاله الحسن وقتادة قاله ابن عرفة وهم الذين قالوا وما يهلكنا إلا الدهر وقيل الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن أبي بلتعة وغيره قال ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا أي لا توالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله إلى حاطب بن أبي بلتعة يريد أن كفار قريش قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الآخرة من رحمة تعالى وقال القاسم في قول الله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال من مات من الكفار يئس من الخير

سورة الصف مدنية في قول الجميع

فيما ذكر الماوردي وقيل إنها مكية ذكره النحاس عن ابن عباس وهي أربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم تقدم **قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** فيه خمس مسائل **الأولى** روى الدارمي أبو محمد في مسنده أنبأنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا وقلنا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فأنزل الله سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال أبو سلمة فقرأها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها فقرأها علينا الأوزاعي فقرأها علينا محمد فقرأها علينا الدارمي وقال ابن عباس وقال عبد الله بن رواحة لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المؤمنون يا رسول الله لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لسارعنا فنزلت هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلم ما هي لاشتريناها بالأموال والأهلين والأنفس فدلهم الله عليها بقوله يؤمنون بالله واليوم الآخر ويجاهدون في سبيل الله فابتلوا يوم أحد ففروا فعيرهم بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لا نفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وأبلينا ولم يفعلوا وقال صهيب كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر وأنكاهم فقتله فقال رجل يا نبي الله إني قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف يا صهيب أما أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قتلت فلانا فإن فلانا انتحله فأخبره فقال أكذلك يا أبا يحيى قال نعم والله يا رسول الله فنزلت الآية في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا **الثانية** يوجب على كل من ألزم نفسه عملا فيه طاعة أن يفي بها وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أنه بعث إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرءوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين

لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزل الجهاد كرهوه

صح

أما قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله فثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة وأما قوله شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة فمعنى ثابت في الدين فإن من التزم شيئا لزمه شرعا والملتزم على قسمين أحدهما النذر وهو على قسمين نذر تقرب كقوله لله علي صلاة وصوم وصدقة ونحوه من القرب وهذا يلزم الوفاء به إجماعا ونذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله إن قدم غائبي فعلي صدقة أو علق بشرط رهبة كقوله إن كفاني الله شر كذا فعلي صدقة فاختلف العلماء فيه فقال مالك وأبو حنيفة يلزمه الوفاء به وقال الشافعي في أحد أقواله لا يلزمه الوفاء وعموم الآية حجة لنا لأنها بمطلقها تتناول ذم من قال ما لا يفعله على أي وجه كان من مطلق أو مقيد بشرط وقد قال الصحابة إن النذر إنما يكون بما القصد منه القربة مما هو من جنس القربة وهذا وإن كان من جنس القربة لكنه لم يقصد به القربة وإنما قصد منع نفسه عن فعل أو الإقدام على فعل وإن قلنا القرب الشرعية مشقات وكلف وإن كانت قربات وهذا تكلف التزام هذه القربة بمشقة لجلب نفع أو دفع ضر فلم يخرج عن سنن التكليف ولا زال عن قصد التقرب قال ابن العربي فإن كان القول منه وعدا فلا يجوز أن يكون منوطا بسبب كقوله إن تزوجت أعنتك بدينار أو ابتعت جارية كذا أعطيتك فهذا لازم إجماعا من أهل الفقه وإن كان وعدا مجردا فقيل يلزم بتعليقه وتعلقوا بسبب الآية فإنه روي أنهم كانوا يقولون لو نعلم أي الأعمال أفضل وأحب إلى الله لعملناه فأنزل الله هذه الآية وهو حديث لا بأس به وقد روي عن مجاهد أن عبد الله بن رواحة لما سمعها قال لا أزال حبيسا حتى أقتل في سبيل الله والصحيح عندي أن الوعد يجب الوفاء به على كل حال إلا لعذر قال الشيخ المصنف رحمه الله قال مالك فأما العدة مثل أن يسأل الرجل الرجل أن يهب له الهبة فيقول له نعم ثم يبدو له أن لا يفعل فما أرى ذلك يلزمه وقال ابن القاسم إذا وعد الغرماء فقال أشهدكم أني قد وهبت له من أن يؤدي السلم فإن هذا يلزمه وأما أن يقول نعم أنا أفعل ثم يبدو له فلا أرى ذلك قال الشيخ المصنف رحمه الله أي لا يقضى بذلك فأما في مكارم الأخلاق وحسن المروءة فنعم وقد أثنى الله تعالى على من صدق وعده ووفى بنذره فقال والموفون بعهدهم إذا عاهدوا وقال واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد وقد تقدم بيانه **الثالثة** قال النخعي ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ويا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرءون كتاب الله ولا يعملون وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمروني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله تعالى **الرابعة** قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله أما في الماضي فيكون كذبا وأما في المستقبل فيكون خلفا وكلاهما مذموم وتأول سفيان بن عيينة قوله لم تقولون ما لا تفعلون أي لم تقولون ما ليس الأمر فيه إليكم فلا تدرون هل تفعلون أو لا تفعلون فعلى هذا يكون الكلام محمولا على ظاهره في إنكار القول **الخامسة** قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون قد يحتج به في وجوب الوفاء في اللجاج والغضب على أحد قولي الشافعي وأن رفع بالابتداء وما قبلها الخبر وكأنه قال قولكم ما لا تفعلون مذموم ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف الكسائي أن في موضع رفع لأن كبر فعل بمعنى بئس رجلا أخوك ومقتا نصب بالتمييز المعنى كبر قولهم ما لا يفعلون مقتا وقيل هو حال والمقت والمقاتة مصدران يقال رجل مقيت وممقوت إذا لم يحبه الناس **قوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا**

كانهم بنيان مرصوص فيه ثلاث مسايل المسئلة الاولى قوله تعالى صفا اي يصفون صفا
والمفعول مضمر اي يصفون انفسهم صفا كانهم بنيان مرصوص قال الفراء مرصوص
بالرصاص وقال المبرد هو من رصصت البنا اذا لايمت وقربت حتى تصير كقطعة واحدة وقيل
هو من الرصيص وهو انضمام الاسنان بعضها الى بعض والتراص التلاصق ومنه وتراصوا في الصف
ومعنى الاية يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البنا وقال سعيد بن
جبير هذا تعليم من الله للمومنين كيف يكونوا عند قتال عدوهم الثانية وقد استدل بعض اهل
التاويل بهذا على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لا يصطفون على هذه الصفة المهدوي
وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس في الاجر والغنيمة ولا يخرج الفرسان من معنى الاية
لان معناه الثبات الثالثة لا يجوز الخروج عن الصف الا لحاجة تعرض للانسان او في
رسالة يرسلها الامام او منفعة تظهر في المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن
الصف للمبارزة خلاف على قولين احدهما انه لا باس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة
وتحريضا على القتال وقال اصحابنا لا يبرز احد طالبا لذلك لان فيه ريا وخروجا الى ما نهى الله
عنه من لقاء العدو وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر وفي غزوة خيبر وعليه درج السلف وقد مضى القول
مستوفى في هذا في البقرة في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قوله تعالى
واذ قال موسى لقومه يا قوم لم توذونني لما ذكر امر الجهاد بين ان موسى وعيسى امرا بالتوحيد
وجاهدا في سبيل الله وحل العقاب لمن خالفهما واذكر لقومك يا محمد هذه القصة قوله
تعالى لم توذونني وذلك حين رموه بالادرة حسبما تقدم في اخر الاحزاب ومن الاذى ما ذكر
في قصة قارون انه دس على امراة تدعي على موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم
الهة وقوله فاذهب انت وربك فقاتلا وقولهم انك قتلت هرون وقد تقدم هذا في
الاعراف قوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
والله لا يهدي القوم الفاسقين والرسول يحترم ويعظم ودخلت قد تعلمون للتاكيد كانه
قال ويعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه فلما زاغوا اي مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي امالها
عن الهدى وقيل فلما زاغوا عن الطاعة ازاغ الله قلوبهم عن الهداية وقيل فلما زاغوا عن الايمان
ازاغ الله قلوبهم عن الثواب وقيل اي لما تركوا ما امروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة
الرب خلق الله في قلوبهم الضلالة عقوبة لهم على فعلهم قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم
يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين واذ قال عيسى ابن مريم
اي واذكر لهم هذه القصة ايضا وقال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسبة له فيهم
فيكونوا قومه اني رسول الله اليكم اي بالانجيل مصدقا لما بين يدي من التوراة لان في التوراة
صفتي واني لم اتكم بشي يخالف التوراة فتنفروا عني ومبشرا برسول مصدقا ومبشرا نصب
على الحال والعامل فيها معنى الارسال واليكم صلة للرسول ياتي من بعدي اسمه احمد قرا
نافع وابن كثير وابو عمرو من بعدي بفتح الياء وهي قراءة السلمي وزر بن حبيش وابو بكر عن عاصم
واختاره ابو حاتم لانه اسم مثل الكاف من بعدك والتاء من قمت الباقون بالاسكان
وقري من بعد اسمه بحذف الياء من اللفظ واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم وهو اسم علم منقول
من صفة لا من فعل فتلك الصفة افعل التي يراد بها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين
لربه والانبيا كلهم صلوات الله عليهم حامدون لربهم ونبينا احمد اكثرهم حمدا
واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهي في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار
فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من الكرم مرة بعد مرة وكذلك
الممدوح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سماه قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من اعلام

وس على امراة تدعي على موسى الفجور

نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدي اليه ونفع به من العلم والحكمة
وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا
حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد
فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك
امة محمد فقال اللهم اجعلني من امة محمد واحمد ذكره قبل ان يذكره محمدا لان حمده لربه كان
قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك الشفاعة يحمد ربه بالمحامد
التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اسمي في التوراة احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي في الزبور الماحي محا الله بي
عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القران محمد لاني محمود في اهل السما والارض وفي
الصحيح لي خمسة اسما انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر
الله الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم فلما جاءهم بالبينات قيل عيسى وقيل محمد صلى الله
عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين قرا الكسائي وحمزة ساحر نعتا للرجل وروي انها قراءة ابن مسعود
الباقون سحر نعتا لما جا به الرسول قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى
الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب
تقدم في غير موضع وهو يدعى الى الاسلام وهذا تعجب ممن كفر بعيسى ومحمد بعد المعجزات
التي ظهرت لهما وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعي بفتح الياء والدال وشدها وكسر العين اي ينتسب
ويدعي وينتسب سوا والله لا يهدي القوم الظالمين اي من كان في حكمه انه يختم له
بالضلالة قوله تعالى يريدون ليطفوا نور الله بافواههم الاطفا هو الاخماد يستعملان
في النار ويستعملان في ما يجري مجراها من الضيا والظهور ويفترق الاطفا والاخماد من وجه وهو
ان الاطفا يستعمل في القليل والكثير والاخماد انما يستعمل في الكثير دون القليل فيقال
اطفات السراج ولا يقال اخمدت السراج وفي نور الله هنا خمسة اقاويل احدها انه القران
يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن عباس وابن زيد الثاني انه الاسلام يريدون دفعه
بالكلام قاله السدي الثالث انه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف قاله
الضحاك الرابع حجج الله ودلايله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم قاله ابن جريج
الخامس انه مثل مضروب اي من اراد اطفا الشمس بفيه وجده مستحيلا ممتنعا كذلك من
اراد ابطال الحق حكاه ابن عيسى وسبب نزول هذه الاية حكاه عطا عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم ابطا عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر اليهود ابشروا
فان الله قد اطفا نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان الله ليتم نوره فحزن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية واتصل الوحي بعدها حكاه الماوردي رحمه الله تعالى
قوله تعالى والله متم نوره ولو كره الكافرون اي باظهاره في الافاق وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم والله متم نوره بالاضافة على نية الانفصال كقوله
كل نفس ذايقة الموت وشبهه حسبما تقدم بيانه في ال عمران الباقون متم نوره لانه
فيما يستقبل فعل ولو كره الكافرون من سائر الاصناف قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون بالهدى اي محمدا بالحق والرشاد
ليظهره على الدين كله اي بالحجج ومن الظهور الغلبة باليد في القتال وليس المراد بالظهور ان
لا يبقى دين اخر من الاديان بل المراد يكون اهل الاسلام عالين غالبين ومن الاظهار ان لا يبقى
دين سوى الاسلام في اخر الزمان قال مجاهد وذلك اذا نزل عيسى لم يكن في الارض دين الا دين
الاسلام في اخر الزمان وقال ابو هريرة ليظهره على الدين كله بخروج عيسى وحينئذ لا
يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن
ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص

اسم النبي عليه السلام في التوراة احيد وفي الزبور الماحي وفي الانجيل احمد وفي القران محمد

فلا يسقى عليها وليذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وقيل ليظهره اي ليطلع محمدا على سائر الاديان حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها وبما حرفوا وغيروا منها على الدين كله اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر به عن الجمع **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم** فيه خمس مسائل **الاولى** قال مقاتل نزلت في عثمن بن مظعون وذلك انه قال يا رسول الله لو اذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر بنهار ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصا امتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله لوددت يا رسول الله اي التجارات احب الى الله فاتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اي سادلكم والتجارة والجهاد قال الله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وهذا خطاب لجميع المومنين وقيل لاهل الكتاب **الثانية** تنجيكم اي تخلصكم من عذاب اليم اي مولم وقد تقدم وقراءة العامة تنجيكم باسكان النون وقرا الحسن وابن عامر وابو حيوة تنجيكم مشددا من التنجية ثم بين التجارة وهي **المسالة الثالثة** فقال يؤمنون بالله ورسوله ويجاهدون الكفار في سبيل الله باموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون وتؤمنون عند المبرد والزجاج في معنى امنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر وفي قراءة عبد الله امنوا بالله وقال الفراء يغفر لكم جواب الاستفهام وهذا انما يصح على الحمل على المعنى وذلك ان يكون تؤمنون وتجاهدون عطف بيان على قوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم كان التجارة لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هما في المعنى فكانه قال هل تؤمنون بالله وتجاهدون يغفر لكم قال المهدوي فان لم يقدر هذا التقدير لم يصح المسالة لان التقدير يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما نعت بالقبول والايمان لا بالدلالة قال الزجاج ليس اذا دلهم على ما ينفعهم غفر لهم انما غفر لهم اذا امنوا وجاهدوا وقرا ابن زيد على يؤمنوا ويجاهدوا على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شي تبالا اراد لتفد وادغم بعضهم فقال يغفر لكم والاحسن ترك الادغام لان الراء حرف متكرر قوي فلا يحسن ادغامه في اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف الزمخشري وقال الفراء ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة للايمان فكانه قيل هل تجزون بالايمان والجهاد يغفر لكم **الرابعة** ومساكن طيبة خرج ابو الحسين الاجري عن الحسين قال سالت عمران بن حصين وابا هريرة عن تفسير هذه الاية ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار سبعين بيتا من زبرجدة خضرا في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امراة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله تبارك وتعالى المومن من القوة في غداة واحدة ما ياتي على ذلك كله في جنات عدن اي اقامة ذلك الفوز العظيم اي السعادة الدائمة الكبيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب **الخامسة** قوله تعالى واخرى تحبونها قال الاخفش اخرى معطوفة على تجارة في محل خفض وقيل محلها رفع اي ولكم خصلة اخرى وقيل رفع على البدل من اخرى او تجارة اخرى تحبونها نصر من الله اي هو من الله وفتح قريب اي هو نصر من الله فنصر على هذا التفسير اخرى وقيل رفع على البدل من اخرى اي ولكم نصر من الله وفتح قريب اي غنيمة في عاجل الدنيا قيل فتح مكة وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وبشر المومنين برضى الله عنهم **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال ابن مريم للحواريين من**

عيسى

ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام

انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طايفة من بني اسرائيل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين كونوا انصار الله اكد امر الجهاد اي كونوا حواري نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما اظهر حواري عيسى على من خالفهم وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع انصارا لله بالتنوين قالوا لان معناه اثبتوا وكونوا اعوانا لله بالسيف على اعدائه وقرا الباقون من اهل البصرة والكوفة والشام انصار الله بلا تنوين وحذفوا لام الاضافة من اسم الله تعالى واختاره ابو عبيد لقوله تعالى نحن انصار الله ولم ينون ومعناه كونوا انصار الدين الله ثم قيل في الكلام اضمار اي قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتدا خطاب من الله اي كونوا انصارا كما فعل اصحاب عيسى فكانوا بحمد الله انصارا وكانوا حواريين والحواريون خواص الرسل قال معمر كان ذلك بحمد الله اي نصروه وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقيل هم قريش وسماهم قتادة ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وابو عبيدة واسمه عامر وعثمن بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب ولم يذكر سعيدا فيهم وذكر جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه كما قال عيسى بن مريم للحواريين وهم اصفياوه اثنا عشر رجلا وقد مضت اسماوهم في ال عمران وهم اول من امن به من بني اسرائيل قاله ابن عباس وقال قتادة قال الله عيسى اذا دخلت القرية فات النهر الذي عليه القصارون فسلهم النصر فاتاهم عيسى وقال من انصاري الى الله قال مقاتل اي من انصاري مع الله كما تقول الذود الى الذود ابل اي مع الذود وقيل اي من انصاري فيما تقرب الى الله وقد مضى هذا القول في ال عمران فامنت طايفة من بني اسرائيل وكفرت طايفة فالطايفتان في زمن عيسى افترقوا بعد رفعه الى السما على ما تقدم في ال عمران بيانه فايدنا الذين امنوا على عدوهم الذين كفروا بعيسى فاصبحوا ظاهرين غالبين قال ابن عباس ايد الله الذين امنوا في زمن عيسى باظهار محمد على دين الكفار وقال مجاهد ايدوا في زمانهم على من كفر بعيسى وقيل ايدنا الان المسلمين على الفرقتين الضالتين من قال كان الله فارتفع ومن قال كان ابن الله فرفعه الله اليه لان عيسى لم يقاتل احدا ولم يكن في دين اصحابه بعده قتال وقال زيد بن علي وقتادة فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان لانهم فيما روي قالوا الستم تعلمون ان عيسى كان ينام والله لا ينام وان عيسى كان ياكل والله لا ياكل وقيل نزلت هذه الاية في رسل عيسى صلوات الله عليه وسلم قال ابن اسحق وكان الذي بعثهم عيسى من الحواريين والاتباع فطرس وبولس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التي ياكل اهلها الناس وتوماس الى الارض بابل من ارض المشرق وفيلبس الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوبس الى اوري سلم وهي بيت المقدس وابن تلمى الى الاعرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر ويهودا وبودس الى اسكندرية وما حولها فايدهم الله بالحجة فاصبحوا ظاهرين اي غالبين من قولك ظهرت على الحائط اي علوت عليه ○

تفسير سورة الجمعة مدنية في قول الجميع ○

وهي احدى عشرة اية وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه وقرا ابو العالية ونصر بن عاصم الملك القدوس العزيز الحكيم

تباع

كلها رفعا اي هو الملك قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا قال ابن عباس الاميون
العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل كتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون
وكذلك كانت قريش وروي عن ابراهيم قال الامي الذي يقراء ولا يكتب وقد مضى في
البقرة رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا ولرسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه الا بني تغلب فان الله طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لنصرانيتهم
فلم يجعل لهم عليه ولادة ثم قال امنا لم يقراء من كتاب الله ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم قال الماوردي
فان قيل فما وجه الامتنان بان بعث نبيا امنا فالجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها
لموافقته ما تقدم من بشارة الانبياء الثاني لمشاكلة حاله لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم
الثالث لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التي قراها والحكم التي تلاها
قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته قوله تعالى
يتلوا عليهم اياته يعني القرآن ويزكيهم اي يجعلهم ازكيا القلوب بالايمان قاله ابن عباس
وقيل يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقال السدي باخذ زكاة
اموالهم ويعلمهم الكتاب يعني القرآن والحكمة السنة قاله الحسن وقال ابن عباس الكتاب
الخط بالقلم لان الخط انما فشا في العرب بالشرع لما امروا بتقييده بالخط وقال مالك بن انس
الحكمة الفقه في الدين وقد مضى القول في هذا في البقرة وان كانوا من قبل اي من قبله وقبل
ان يرسل اليهم لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن الحق قوله تعالى واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو
العزيز الحكيم واخرين منهم عطف على الاميين اي بعث في الاميين وبعث في اخرين منهم ويجوز ان يكون
منصوبا بالعطف على الهاء والميم في يعلمهم ويزكيهم اي يزكيهم ويعلم اخرين من المومنين لان التعليم
اذا تناسق الى اخر الزمان كان مستندا الى اوله فكانه الذي تولى كلما وجد منه قوله
تعالى لما يلحقوا بهم اي لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم
وفي صحيح مسلم والبخاري عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة
الجمعة فلما قرا واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه
وسلم حتى ساله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وفي رواية لو كان الدين عند
الثريا لذهب به رجل من فارس او قال ابناء فارس حتى يتناوله لفظ مسلم وقال عكرمة هم التابعون
مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين بعث الله فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن
زيد ومقاتل بن حيان قالا هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وروى
سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة
بغير حساب ثم تلى قوله واخرين منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول اثبت وقد روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال رايت اني اسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر فقال يا نبي الله
اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كذلك اولها الملك يعني جبريل رواه ابن ابي ليلى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه قوله تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقيل يعني الاسلام فضل الله يوتيه
من يشاء قاله الكلبي وقيل يعني الوحي والنبوة قاله مقاتل وقول رابع انه المال ينفق في الطاعة
وهو معنى قول ابي صالح وقد روى مسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة ان فقراء المهاجرين اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك
قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا
نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم
وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول

فينا سلمان الفارسي فوضع النبي عليه السلام
يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان

الله قال تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقراء
المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء وقول خامس انه انقياد الناس الى
تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته والله اعلم قوله تعالى مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا مثل الذين حملوا التوراة ضرب
مثلا لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا التوراة اي كلفوا
العمل بها عن ابن عباس وقال الجرجاني هو من الحمالة بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام التوراة
كمثل الحمار يحمل اسفارا هي جمع سفر وهو الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قري
قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبل فهكذا اليهود وفي هذا
تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق
هؤلاء
زوامل للاسفار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك لا يدري البعير اذا غدا * باوساقه او راح ما في الغرائر
وقال يحيى بن يمان يكتب احدهم الحديث ولا يتفهم ولا يتدبر فاذا سئل احدهم عن مسالة
جلس كانه مكاتب قال الشاعر
ان الرواة على جهل بما حملوا * مثل الجمال عليها يحمل الودع
لا الودع ينفعه حمل الجمال له * ولا الجمال بحمل الودع تنتفع
وقال منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله انفق بما شئت حدا انصارا او زم لحسفار اابجل حمارا
تحمل ما وضعت من اسفار * مثله كمثل الحمار
يحمل اسفارا له وما درى * ان كان ما فيها صوابا او خطا
ان سيلوا قالوا كذا رويناه * ما ان كذبنا ولا اعتدينا
كبيرهم يصغر عند الحفل * لانه قلد اهل الجهل
ثم لم يحملوها اي يعملوا بها شبههم والتوراة في ايديهم وهم لا يعملون بها بالحمار يحمل كتبا
وليس له الا ثقل الحمل من غير فائدة ويحمل في موضع نصب على الحال اي حاملا ويجوز ان يكون في
موضع جر على الوصف لان الحمار كاللئيم قال ولقد امر على اللئيم يسبني
قوله تعالى بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لا يهدي القوم الظالمين
بئس مثل القوم المثل الذي ضربناه لهم فحذف المضاف والله لا يهدي القوم الظالمين اي من سبق في
علمه انه يكون كافرا قوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من
دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن
ابناء الله واحباؤه قال الله تعالى ان كنتم اولياء الله من دون الناس فللاولياء عند الله الكرامة
فتمنوا الموت لتصيروا الى ما يصير اليه اولياء الله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي اسلفوه
من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه لماتوا فكان في ذلك بطلان قولهم وما
ادعوه من الولاية وفي حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الاية والذي نفسي
بيده لو تمنوا الموت لما بقي على ظهرها يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى معنى هذه الاية في البقرة في قوله قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قوله تعالى قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وها هنا قال
فانه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزاء اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم
ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه قال زهير
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه * ولو رام اسباب السماء بسلم

ويجوز أن يتم الكلام عند قوله الذي تفرون منه ثم يبتدي فإنه ملاقيكم وقال
طرفه ° وكفى بالموت فاعلم واعظا * لمن الموت عليه قد قدر °
° فاذكر الموت وحاذر ذكره * إن في الموت لذي اللب عبر °
° كل شيء سوف يلقى حتفه * في مقام أو على ظهر سفر °
° والمنايا حوله ترصده * ليس ينجيه من الموت المفر °
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فيه ثلاث عشرة
مسألة المسألة الأولى قرأ عبد الله بن الزبير والأعمش وغيرهما الجمعة بإسكان
الميم على التخفيف وهما لغتان وجمعهما جمع وجمعات قال الفراء يقال الجمعة بسكون
الميم والجمعة بضم الميم والجمعة بفتح الميم فيكون صفة اليوم أي يجمع الناس كما يقال
ضحكة للذي يضحك قال ابن عباس نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم فاقرؤوها
جمعة يعني بضم الميم وقال الفراء وأبو عبيد والتخفيف أحسن وأقيس نحو غرف وغرفة
وطرفه وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة بني عقيل وقيل إنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم
وعن سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما سميت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم وقيل
لأن الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمعت فيها جميع المخلوقات وقيل لتجتمع
الجماعات فيها وقيل لاجتماع فيها للصلاة ومن بمعنى في أي في يوم الجمعة كقوله أروني ما
ذا خلقوا من الأرض أي في الأرض الثانية قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤي
وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال ليوم الجمعة العروبة وقيل
أول من سماها الجمعة الأنصار وقال ابن سيرين جمع أهل المدينة من قبل أن يقدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وذلك أنهم
قالوا إن لليهود يوما يجتمعون فيه في كل سبعة أيام وهو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك
فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله فيه ونصلي ونستذكر أو كما قالوا فقالوا يوم السبت
لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة أبو أمامة
رضي الله عنه فصلى بهم يومئذ ركعتين فذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه فذبح
لهم أسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم فهذا أول جمعة في الإسلام قال الشيخ
المصنف رحمه الله وروي أنهم كانوا اثني عشر رجلا على ما يأتي وجاء في هذه الرواية أن الذي
جمع بهم وصلى سعد بن زرارة وكذا في حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب
على ما يأتي وقال البيهقي وروينا عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أن مصعب بن
عمير كان أول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه
بأصحابه فقال أهل السير والتواريخ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقباء
على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد
الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ فأقام بقباء إلى يوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج
يوم الجمعة إلى المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ
القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال
فيها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من
يكفر به وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله
بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة
من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد
رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى
الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله واحذروا
ما حذركم الله من نفسه فإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق

أول من سمى الجمعة الجمعة وكان يقال ليوم الجمعة العروبة

أول خطبة خطبها بالمدينة

على

على ما يبغون من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه
الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان
مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد
هو الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا
بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر
عنه سيئاته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وإن تقوى الله توقي مقته
وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وإن تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة
خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين
صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فإنه
من يصلح ما بينه وبين الله تعالى يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على
الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأول جمعة جمعت بعدها جمعة بقرية يقال لها
جواثى من قرى البحرين وقد قيل إن أول من سماه الجمعة لؤي بن كعب بن غالب لاجتماع الناس
فيه إلى كعب على ما تقدم والله أعلم الثالثة خاطب الله تعالى المؤمنين بالجمعة دون
الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا أيها الذين آمنوا ثم خصه بالنداء وإن كان قد دخل
في عموم قوله وإذا ناديتم إلى الصلاة ليدل على وجوبه وتأكيد فرضه قال بعض العلماء كون
صلاة الجمعة هاهنا معلوما بالإجماع لا من نفس اللفظ قال ابن العربي وعندي أنه معلوم
من نفس اللفظ وهي قوله من يوم الجمعة وذلك يفيده وذلك لأن النداء الذي يختص بذلك اليوم
هو نداء تلك الصلاة فأما غيرها فهو عام في سائر الأيام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة
لما كان لتخصيصه بها وإضافته إليها معنى ولا فائدة الرابعة قد تقدم حكم الأذان
في سورة المائدة مستوفى وقد كان الأذان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
في سائر الصلوات مؤذن واحد إذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وكذلك كان يفعل
أبو بكر وعمر وعلي بالكوفة رضي الله عنهم ثم زاد عثمان على المنبر أذانا ثالثا على داره التي تسمى
الزوراء حين كثر الناس بالمدينة فإذا سمعوا أقبلوا حتى إذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذن
النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخطب عثمان خرجه ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري
عن السائب بن يزيد قال ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مؤذن واحد إذا خرج
أذن وإذا نزل أقام وأبو بكر وعمر كذلك فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء على دار
في السوق يقال لها الزوراء فإذا خرج أذن وإذا نزل أقام خرجه البخاري من طرق بمعناه
وفي بعضها أن التأذين الثاني يوم الجمعة أمر به عثمان بن عفان حين كثر أهل المسجد
وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام وقال الماوردي فأما الأذان الأول
فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس لحضور الجمعة عند اتساع المدينة وكثرة
أهلها وقد كان عمر رضي الله عنه أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن
بيوعهم فإذا اجتمعوا أذن في المسجد فجعله عثمان رضي الله عنه أذانين في المسجد قال ابن العربي
وفي الحديث الصحيح أن الأذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان
زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في الحديث ثالثا لأنه أضافه إلى الإقامة كما
قال عليه السلام بين كل أذانين صلاة لمن شاء يعني الأذان والإقامة ويتوهم
الناس أنه أذان أصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد
فكان وهما على وهم ورأيتهم بمدينة السلام يؤذنون بعد أذان المنار بين يدي الإمام

في جماعة كما كانوا يفعلون في الدولة الماضية وكل ذلك محدث **الخامسة**
قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع اختلف في معنى السعي هنا على ثلاثة اقوال
القول الاول القصد قال الحسن والله ما يسعى على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية
القول الثاني انه العمل كقوله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله ان
سعيكم لشتى وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وهذا قول الجمهور وقال زهير

ٮ يسعى بعدهم قوم لكي يدركوهم ٮ وقال ايضا

• سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما ٮ تبزل ما بين العشيرة بالدم ٮ

اي فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه من الغسل والتطهر والتوجه اليه
القول الثالث ان المراد السعي على الاقدام وذلك فضل وليس بشرط ففي البخاري
ان ابا عبس بن جبر واسمه عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة مشى الى الجمعة راجلا وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار
ويحتمل ظاهره رابعا وهو الاشتداد والجري قال ابن العربي وهو الذي انكره الصحابة
الاعلمون والفقهاء الاقدمون فقراها عمر فامضوا الى ذكر الله فرارا عن طريق الجري
والاشتداد الذي يدل عليه الظاهر وقرا ابن مسعود كذلك وقال لو قرات فاسعوا
لسعيت حتى يسقط ردائي وقرا ابن شهاب فامضوا الى ذكر الله سالكا تلك السبيل وهو
كله تفسير منهم لا قراءة قرآن منزل وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير قال
ابو بكر الانباري وقد احتج من خالف المصحف بقراءة عمر وابن مسعود وان خرشة بن
الحر قال راني عمر رضي الله عنه ومعي قطعة فيها فاسعوا الى ذكر الله فقال لي عمر من اقرأك
هذا قلت ابي قال ان ابيا اقرانا للمنسوخ ثم قرا عمر فامضوا الى ذكر الله حدثناه ادريس
حدثنا خلف بن هشام عن المغيرة عن ابراهيم عن خرشة فذكره وحدثنا محمد بن يحيى انبانا محمد
وهو ابن سعدان حدثنا سفين بن عيينة عن الزهري عن سالم عن ابيه قال ما سمعت عمر يقرا
قط الا فامضوا الى ذكر الله واخبرنا ادريس حدثنا خلف حدثنا هشام عن المغيرة عن ابراهيم
عن عبد الله بن مسعود قرا فامضوا الى ذكر الله وقال لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط
ردائي قال ابو بكر فاحتج عليه بان الامة اجمعت على فاسعوا برواية ذلك عن الله رب
العالمين ورسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله بن مسعود فما صح عنه فامضوا لان
السند غير متصل اذ ابراهيم النخعي لم يسمع من عبد الله بن مسعود شيئا وانما ورد فامضوا عن عمر
رحمه الله وحده فاذا انفرد احد بما خالف الامة والجماعة كان ذلك نسيانا منه
والعرب مجمعة على ان السعي يأتي بمعنى المضي غير انه لا يخلو من الجد والانكماش
قال زهير ٮ سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما • تبزل ما بين العشيرة بالدم ٮ
اراد بالسعي المضي بجد وانكماش ولم يقصد العدو والاسراع في الخطو وقال الفراء
وابو عبيدة معنى السعي في الاية المضي واحتج الفراء بقولهم هو يسعى في البلاد يطلب
فضل الله معناه وهو يجد واجتهاد واحتج ابو عبيدة بقول الشاعر ٮ

• اسعى على جل بني مالك ٮ كل امرئ في شانه ساع ٮ

فهل يحتمل السعي في هذا البيت الا مذهب المضي بالانكماش ٮ
ومحال ان يخفى المضي على ابن مسعود على فصاحته واتقان عربيته قال الشيخ المصنف
رحمه الله ومما يدل على انه ليس المراد هنا العدو قوله عليه السلام اذا اقيمت الصلاة
فلا تاتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية
والخشوع وقال قتادة السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهذا احسن فانه جمع الاقوال
الثلاثة وقد جاء في الاغتسال للجمعة والطيب والتزين باللباس احاديث مذكورة
في كتب الحديث **السادسة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي**

للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون يا ايها الذين امنوا خطاب للمكلفين باجماع ويخرج منه المرضى والزمنى والمسافرون
والعبيد والنساء بالدليل والعميان والشيخ الذي لا يمشي الا بقائد عند ابي حنيفة وروى
ابو الزبير عن جابر ان رسول الله قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة يوم
الجمعة الا مريض او مسافر او امراة او صبي او مملوك فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله
عنه والله غني حميد خرجه الدارقطني وقال علماؤنا رحمة الله عليهم ولا يتخلف احد
عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر لا يمكنه معه الاتيان اليها مثل المرض الحابس او خوف
الزيادة في المرض او خوف جور السلطان عليه في مال او بدن دون القضاء عليه بحق والمطر
الوابل مع الوحل عذر ان لم ينقطع ولم يره مالك عذرا له حكاه المهدوي ولو تخلف عنها متخلف
على ولي حميم له قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يقوم بامره رجي ان يكون في سعة
وقد فعل ذلك ابن عمر ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه ان يصلي
قبله وهو في تخلفه عنها مع امكانه ذلك عاص لله بفعله **السابعة قوله تعالى**
اذا نودي يختص بوجوب الجمعة القريب الذي يسمع النداء فاما البعيد الدار الذي لا
يسمع النداء فلا يدخل تحت الخطاب واختلف الناس فيمن ياتي الجمعة من الداني
والقاصي فقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان من المصر على ستة
اميال وقال ربيعة اربعة اميال وقال مالك والليث ثلاثة اميال وقال
الشافعي اعتبار سماع الاذان ان يكون المؤذن صيتا والاصوات هادئة والريح ساكنة وموقف
المؤذن عند سور البلد وفي الصحيح عن عائشة ان الناس كانوا ينتابون الجمعة من العوالي
فياتون في العباء ويصيبهم الغبار فيخرج منهم الريح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو اغتسلتم ليومكم هذا قال علماؤنا والصوت اذا كان رفيعا والناس في هدوء وسكون
فاقصى سماع الصوت ثلاثة اميال والعوالي من المدينة اقربها على ثلاثة اميال وقال احمد
بن حنبل واسحق تجب الجمعة على من سمع النداء وروى الدارقطني من حديث عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما الجمعة على من سمع النداء وقال
ابو حنيفة واصحابه تجب على من في المصر سمع النداء او لم يسمع ولا تجب على من هو خارج المصر
وان سمع النداء حتى سئل هل تجب الجمعة على اهل زبارة بينها وبين الكوفة مجرى نهر فقال
لا وروي عن ربيعة انها تجب على من اذا سمع النداء وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلاة
وقد روي عن الزهري انها تجب عليه اذا سمع الاذان **الثامنة** قوله اذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله دليل على ان الجمعة لا تجب الا بالنداء والنداء لا يكون الا
بدخول الوقت بدليل قوله عليه السلام اذا حضرت الصلاة فاذنا ثم اقيما وليؤمكما
كما قال لمالك بن الحويرث وصاحبه وفي البخاري عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس وقد روي عن ابي بكر الصديق واحمد بن حنبل انها تصلى قبل
الزوال وتمسك احمد في ذلك بحديث سلمة بن الاكوع كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ننصرف وليس للحيطان ظل وبحديث ابن عمر ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة ومثله
عن سهل خرجه مسلم وحديث سلمة محمول على التبكير رواه هشام بن عبد الملك بن يعلى
بن الحارث عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابيه وروى وكيع بن يعلى عن اياس عن ابيه قال
كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفيء وهذا مذهب
الجمهور من السلف وقياسا على صلاة الظهر وحديث ابن عمر وسهل دليل على انهم كانوا يبكرون
الجمعة تبكيرا كثيرا عند الغداة او قبلها فلا يتناولون ذلك الا بعد انقضائها وتاول قوله صلى الله
عليه وسلم من راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة الحديث انه كله ساعة
واحدة وحمله سائر العلماء على ساعات النهار الزمانية الاثنا عشر ساعة المستوية او

من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله تعالى على النار

المختلفة بحسب زيادة النهار ونقصانه قال ابن العربي وهذا أصح لحديث ابن عمر كانوا
يقيلون ولا يتغدون إلا بعد الجمعة لكثرة البكور إليها **التاسعة** فرض الله الجمعة
على كل مسلم ردا على من يقول إنها فرض على الكفاية ونقل عن بعض الشافعية
ونقل عن مالك من لم يحقق أنها سنة وجمهور الأمة والأئمة أنها فرض على الأعيان لقوله سبحانه
إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع وثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن
من الغافلين وهذا حجة واضحة في وجوب الجمعة وفرضيتها وفي سنن ابن ماجه عن أبي الجعد
الضمري وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة
ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على قلبه إسناده صحيح وحديث جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير ضرورة طبع الله على قلبه ابن العربي
وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرواح إلى الجمعة واجب على كل مسلم
العاشرة أوجب الله السعي إلى الجمعة مطلقا من غير شرط وثبت شرط الوضوء بالقرآن
والسنة في جميع الصلوات لقوله عز وجل إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور وأغربت طائفة فقالت إن غسل
الجمعة فرض ابن العربي وهذا باطل لما روى النسائي وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل وفي حديث مسلم عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم راح
إلى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس

من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم راح
إلى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له

الحصا فقد لغا وهذا نص وفي الموطأ أن رجلا دخل يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب الحديث
إلى أن قال ما زدت على أن توضأت قال عمر والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل فأمر عمر بالغسل ولم يأمره بالرجوع فدل أنه محمول على الاستحباب
فلم يمكن وقد تلبس بالفرض وهو الحضور والإنصات للخطبة أن يرجع عنه إلى السنة وذلك
بمحضر فحول الصحابة وكبار المهاجرين حول عمر وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم **الحادية
عشرة** لا تسقط الجمعة لكونها في يوم عيد خلافا لأحمد بن حنبل حين قال إذا اجتمع عيد وجمعة
سقط فرض الجمعة لتقدم العيد عليها واشتغال الناس به عنها وتعلق في ذلك بما روي أن
عثمان أذن في يوم عيد لأهل العوالي أن يتخلفوا عن الجمعة وقول الواحد من الصحابة ليس بحجة
إذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه والأمر بالسعي متوجه يوم العيد كتوجهه في سائر
الأيام وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد
وفي الجمعة سبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال وإذا اجتمع العيد والجمعة
في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين **الثانية عشرة** قوله تعالى إلى ذكر الله أي الصلاة وقيل
إلى الخطبة والمواعظ قاله سعيد بن جبير ابن العربي والصحيح أنه واجب في الجميع وأوله الخطبة
سنة والدليل على وجوبها أنها تحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لأن المستحب لا يحرم المباح
وإذا قلنا إن المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة والعبد يكون ذاكرا لله بفعله
كما يكون مسبحا لله بفعله الزمخشري فإن قلت كيف تفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذكر
الله قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه
الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فأما ما عدا ذلك
من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان
وهو من ذكر الله على مراحل **الثالثة عشرة** قوله تعالى وذروا البيع منع الله منه عند صلاة
الجمعة وحرمه في وقتها على من كان مخاطبا بفرضها والبيع لا يخلو عن شراء فاكتفى بذكر أحدهما
كقوله سرابيل تقيكم الحر وخص البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق ومن لا يجب

عليه

حضور الجمعة فلا ينهى عن البيع والشراء وفي وقت التحريم قولان أنه من بعد الزوال إلى الفراغ
منها قاله الضحاك والحسن وعطاء الثاني من وقت أذان الخطبة إلى وقت الصلاة قاله
الشافعي ومذهب مالك أن يترك البيع إذا نودي للصلاة ويفسخ عنده ما وقع من ذلك
من البيع في ذلك الوقت ولا يفسخ العتق والطلاق والنكاح وغيره إذ ليس من عادة
الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك الشركة والهبة والصدقة
نادر ولا يفسخ ابن العربي والصحيح فسخ الجميع لأن البيع إنما منع منه للاشتغال به فكل أمر يشغل
عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ ردعا المهدوي ورأى بعض العلماء
البيع في الوقت المذكور جائزا وتأول النهي عنه ندبا واستدل بقوله ذلكم خير لكم
إن كنتم تعلمون قال الشيخ المص رحمه الله وهذا مذهب الشافعي فإن البيع ينعقد
عنده ولا يفسخ وادعى الزمخشري في تفسيره أن عامة العلماء على أن ذلك لا يؤدي فساد البيع
قالوا لأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في
الأرض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس أنه فاسد
قال الشيخ المص رحمه الله الصحيح فساده وفسخه لقوله عليه السلام كل عمل ليس
عليه أمرنا فهو رد أي مردود والله أعلم **قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في
الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** هذا أمر إباحة كقوله وإذا
حللتم فاصطادوا يقول إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف
في حوائجكم من فضل الله أي من رزقه وكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف
على باب المسجد فقال اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني
فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين وقال جعفر بن محمد في قوله وابتغوا من فضل
الله إنه العمل في يوم السبت وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع
وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة
أخ في الله تعالى **قوله تعالى** واذكروا الله كثيرا أي بالطاعة واللسان وبالشكر على ما به أنعم
عليكم من التوفيق لأداء فرائضه لعلكم تفلحون كي تفلحوا وقال سعيد بن جبير
الذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح
وهذا مضى هذا مرفوعا في البقرة **قوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها
وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** فيه سبع
عشرة مسألة **الأولى** في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب
قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا في
رواية أنا فيهم فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها
وتركوك قائما فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر الكلبي وغيره أن الذي قدم بها
دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج
إليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند أحجار الزيت وضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه
فخرج الناس إلا اثنا عشر رجلا وقيل أحد عشر رجلا وقال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة
فانفضوا إليها وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال لا وحكاه الثعلبي عن ابن
عباس وذكر الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله قال فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير تحمل الطعام حتى نزلت بالبقيع فالتفتوا إليها وانفضوا إليها
وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أربعين رجلا إلا أنا فيهم قال وأنزل فيهم قال
وأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك
قائما قال الدارقطني لم يقل في هذا الإسناد إلا أربعين رجلا غير علي بن عاصم
عن حصين وخالفه أصحاب حصين فقالوا لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا

وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادي نارا
ذكره الزمخشري وروي في حديث مرسلا الاسما الاثنا عشر رجلا رواه اسد بن عمرو
والراشد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعلي وعثمان
وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح
وسعيد بن زيد وبلال بن عبد الله وعبد الله بن مسعود في احدي روايتين وفي الرواية
الاخري وعمار بن ياسر قال الشيخ المص رحمه الله لم يذكر جابرا وقد ذكر مسلم انه
كان فيهم والدارقطني فيكونوا ثلاثة عشر وان كان عبد الله بن مسعود فيهم
اربعة عشر وقد ذكر ابو داود في مراسليه السبب الذي يرخصوا لانفسهم في ترك
سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم الا تفعلوا فقال محمود بن خالد قال انبانا
الوليد قال اخبرني ابو معاد بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان
يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال ان دحية
بن خليفة قدم بتجارته وكان دحية اذا قدم يلقاه اهله بالدفاف فخرج الناس فلم
يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شي فانزل الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاة فكان لا يخرج
لرعاف او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه
التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان من
المنافقين من ثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين
قام المنافق الي جنبه مستترا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
الاية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم قال قتادة وبلغنا انهم فعلوه ثلاث
مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم
لقدوم دحية الكلبي بتجارته ونظرهم الي العير ثم لغوا لا فائدة فيه الا انه ان كان
مما لا اثم فيه لو وقع على غير ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القران وهجنه باسم
اللهو ما نزل وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلما يلهو به الرجل باطل
الا رميه بقوسه الحديث وقد مضى في الانفال وقال جابر بن عبد الله وكان الجواري
اذا نكحن يمرون بالمزامير والطبل فانفضوا اليها فنزلت وانما رد الاية الي التجارة لانها
اهم وقرا طلحة بن مصرف واذا راوا اللهو والتجارة انفضوا اليها وقيل المعني
واذا راوا تجارة انفضوا اليها فحذف لدلالته كما قال

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف

وقيل الاجود في العربية ان يجعل الراجع في الذكر للاخر من الاسمين
واختلف العلماء في العدد الذي ينعقد به الجمعة على اقوال فقال الحسن تنعقد الجمعة
باثنين وقال الليث وابو يوسف بثلاثة وقال سفين الثوري وابو حنيفة باربعة
وقال ربيعة باثني عشر رجلا وذكر النجاد ابو بكر احمد بن سلمان انبانا ابو خالد
يزيد بن الهيثم بن طهمان الدقاق نا صحح بن دينار المعافي بن عمران نا معقل بن عبد الله
عن الزهري بسنده الي مصعب بن عمير ان نبي الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وانه نزل
في دار سعد بن معاذ فجمع بهم وهم اثنا عشر رجلا ذبح لهم يومئذ شاة وقال الشافعي باربعين
رجلا قال فكل قرية فيها اربعون رجلا بالغين احرارا مقيمين لا يظعنون شتاء ولا
صيفا الا ظعن حاجة وجبت عليهم الجمعة وقال احمد واسحق الي هذا القول

يوم الجمعة النبي يخطب فدخل رجل فقال ان دحية بن خليفة
قدم بتجارته

ولم يشترط هذه الشروط وقال مالك اذا كانت قرية فيها سوق ومسجد فعليهم الجمعة
وقال ابو حنيفة لا تجب الجمعة من غير اعتبار عدد وكتب عمر بن عبد العزيز اي قرية اجتمع
فيها ثلاثون بيتا فعليهم الجمعة وقال ابو حنيفة لا تجب الجمعة على اهل السواد والقري
لا يجوز لهم اقامتها فيها واشترط في وجوب الجمعة وانعقادها المصر الجامع والسلطان
القاهر والسوق القائمة والنهر الجاري واحتج بحديث علي رض لا جمعة ولا تشريق الا في
مصر جامع ورفقه بعينهم وهذا يرده حديث ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرية يقال لها جواثي من البحرين خرجه البخاري
وحجة الشافعي في اربعين حديث جابر المذكور الذي خرجه الدارقطني وفي سنن ابن ماجة
والدارقطني ايضا ودلائل النبوة للبيهقي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد ابي
حين ذهب بصره فاذا خرجت به الي الجمعة فسمع الاذان صلى على ابي امامة واستغفر له قال
فمكث كذلك احيانا لا يسمع الاذان بالجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابتا استغفارك
لابي امامة كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال اي بني هو اول من جمع بالمدينة من حرة
بني بياضة يقال له نقيع الخضمات قال قلت كم انتم يومئذ قال اربعون رجلا وقال
جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة اماما وفي كل اربعين فما فوق ذلك جمعة
واضحى وفطر وذلك انهم جماعة خرجه الدارقطني رحمه الله وروي ابو بكر احمد بن سليمان
النجاد قرا على الملك بن محمد الرقاشي وانا اسمع حدثني جابر بن سلمة قال كلت لابي هريرة
على كم تجب الجمعة من رجل قال لما بلغ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين جمع
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا على عبد الملك بن محمد وانا اسمع نا رجا بن سلمة حدثنا
عباد بن عباد المهلبي عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تجب الجمعة على خمسين رجلا ولا تجب على من دون ذلك قال ابن المنذر
وكتب عمر بن عبد العزيز ايما قرية اجتمع فيها خمسون رجلا فليصلوا الجمعة وروي الزهري عن
ام عبد الله الدوسية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة واجبة في كل
قرية وان لم يكن فيها الا اربعة يعني بالقري المداين لا يصح هذا عن الزهري في رواية
الجمعة واجبة على كل قرية وان لم يكونوا الا ثلاثة رابعهم امامهم لا يصح سماعه من
الدوسية والحكم متروك الثالثة وتصح الجمعة بغير اذن الامام وحضوره وقال
ابو حنيفة من شرطها الامام او خليفته ودليلنا ان الوليد بن عقبة والي الكوفة ابطا يوما
فصلى ابن مسعود بالناس من غير اذنه وروي ان عليا صلى الجمعة يوم حصر عثمان ولم
ينقل انه استاذنه وروي ان سعيد بن العاصي والي المدينة لما خرج من المدينة صلى ابو
موسى بالناس من غير استئذان وقال مالك ان لله فرايض في ارضه لا يضيعها وليها
او لم يليها الرابعة قال علماؤنا من شرط ادائها المسجد المسقف قال ابن العربي
ولا اعلم وجهه قال الشيخ المصنف رحمه الله وجهه قوله تعالى وطهر بيتي وقوله
في بيوت اذن الله ان ترفع وحقيقة البيت ان يكون ذا حيطان وسقف هذا العرف
والله اعلم الخامسة قوله تعالى وتركوك قائما شرط في قيام الخطيب على المنبر
اذا خطب قال علقمة سئل عبد الله اكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا
فقال اما تقرا وتركوك قائما وفي صحيح مسلم عن كعب بن عجرة انه دخل المسجد وعبد الرحمن
ابن ام الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا الي هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال
الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وخرج عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب فمن نبّاك
انه كان يخطب جالسا فقد كذب فقد والله صليت معه اكثر من الفي صلاة
وعلى هذا جمهور العلماء وائمة الفقها وقال ابو حنيفة ليس القيام بشرط فيها وروي

من شرط ادائها المسجد المسقف
قال ابن العربي ولا اعلم وجه

ان اول من خطب قاعدا معاوية وخطب عثمان قايما حتى رق فخطب قاعدا وقد قيل ان معاوية
انما خطب قاعدا لسنة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قايما ثم يقعد ثم يقوم
ولا يتكلم في قعدته رواه جابر بن سمرة وروي بن عمر في كتاب البخاري **السادسة**
الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تتم الا بها وهو قول جمهور العلما وقال الحسن هي مستحبة
وكذا قال ابن الماجشون انها سنة وليست بفرض وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة
الركعتين من صلاة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلاة الظهر
والدليل على وجوبها قوله تعالى وتركوك قايما وهذا ذم والواجب هو الذي يذم
تاركه شرعا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصليها الا بخطبة **السابعة** ويخطب
متوكيا على قوس او عصى وفي سنن ماجة ثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن سعد بن
عمار بن سعد حدثني ابي عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب
في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصى **الثامنة** ويسلم اذا
صعد على المنبر على الناس عند الشافعي وغيره ولم يره مالك وقد روى بن ماجة من حديث
جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم **التاسعة**
فان خطب على غير طهارة الخطبة كلها او بعضها اسا عند مالك ولا اعادة عليه اذا
صلى طاهرا وللشافعي قولان في ايجاب الطهارة شرطها في الجديد ولم يشترطها في
القديم وهو قول ابي حنيفة **العاشرة** واقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله ويصلي على نبيه
صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوي الله ويقرا اية من القران ويجب في الثانية اربع كالاولى
الا ان الواجب بدلا من قراته الاية في الاولى الدعا قاله اكثر الفقها وقال
ابو حنيفة لو اقتصر على التحميد او التسبيح او التكبير اجزاه وعن عثمان رض انه صعد المنبر
فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم
الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطبة ثم نزل فصلى وكان ذلك
بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه احد وقال ابو حنيفة يومئذ ومحمد ما تناوله الواجب
اسم خطبة وهو قول الشافعي قال ابو عمر بن عبد البر وهذا اصح ما قيل في ذلك **الحادية**
عشرة في صحيح مسلم عن يعلى بن امية انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك
وفيه عن عمرة بنت عبد الرحمن عن اخت لعمرة قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا من في رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يقرا بها على المنبر في كل جمعة وقد مضى في اول ق
وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله
نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور انفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله
فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا
بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا ان
يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن به وله وعنه
قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب كلما هو ات قريب
لا بعد لما هو ات لا يعجل الله لعجلة احد ولا يخف لامر الناس ما شا الله لا ما شا
الناس يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شا الله كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب
الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شي الا باذن الله عز وجل وقال جابر كان النبي صلى الله
عليه وسلم يوم الجمعة يخطب فيقول بعد ان يحمد الله ويصلي على انبيايه ايها الناس ان لكم
معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان العبد المومن
بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قد قاض فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله
صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر
ومن الحياة قبل الممات فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد

اقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله ويصلي على نبيه ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القران

الدنيا

الدنيا من دار الا الجنة او النار اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وقد تقدم ما خطب عليه
السلام اول جمعة عند قدومه المدينة **الثانية عشرة** السكوت للخطبة واجب على من
سمعها ويجب سنة والسنة ان يسكت لها من سمع ومن لم يسمع وهما ان شا الله في الاجر سوا ومن تكلم
حينئذ لغا ولا تفسد صلاته بذلك وفي الصحيح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت الزمخشري واذا قال المنصت
لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام
ونكد الايام **الثالثة عشرة** ويستقبل الناس الامام اذا صعد المنبر لما رواه ابو داود
مرسلا عن ابان بن عبد الله قال كنت مع عدي بن ثابت يوم الجمعة فلما خرج الامام او قال
صعد المنبر استقبله وقال هكذا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون برسول الله
صلى الله عليه وسلم خرجه بن ماجة عن عدي بن ثابت عن ابيه فزاد في الاسناد عن ابيه
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام على المنبر استقبله اصحابه بوجوههم قال
بن ماجة ارجوا ان يكون متصلا قال الشيخ المصنف رحمه الله وخرج ابو نعيم الحافظ
حدثنا محمد بن معمر قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية قال حدثنا عباد بن يعقوب قال
حدثنا محمد بن الفضل الخراساني عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا تفرد به محمد بن الفضل بن عطية
عن منصور **الرابعة عشرة** ولا يركع من دخل المسجد والامام يخطب عند مالك رحمه الله وهو
قول ابن شهاب وغيره وفي الموطا عنه عن ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه
يقطع الكلام وهذا مرسل وفي صحيح مسلم من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا جا احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما وهذا نص في الركوع
وبه يقول الامام الشافعي وغيره **الخامسة عشرة** بن عون عن ابن سيرين قال
كانوا يكرهون النوم والامام يخطب ويقولون فيه قولا شديدا قال ابن عون ثم
لقيني بعد ذلك فقال تدرون تدري ما يقولون قال يقولون مثلهم كمثل سرية اخفقوا
لم يغنم شيا وعن سمرة بن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم
فليتحول الى مقعد صاحبه وليتحول صاحبه الى مقعده **السادسة عشرة** يذكر فيها
من فضل الجمعة وفضيلتها ما لم يذكره روى الايمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله عز وجل شيا
الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها وفي صحيح مسلم من حديث ابي موسى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضي الصلاة وروي من حديث انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطا علينا ذات يوم فلما خرج قلنا يا رسول الله احتبست
قال ذلك بان جبريل اتاني بكهيئة المراة البيضا فيها نكتة سودا فقلت ما هذه
يا جبريل قال هذه الجمعة فيها خير لك ولامتك وقد ارادها اليهود والنصارى
فاخطاوها وهداكم الله لها قلت يا جبريل ما هذه النكتة السودا قال هذه
الساعة التي في يوم الجمعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله فيها شيا الا اعطاه اياه او ادخر له مثله
يوم القيامة او صرف عنه من السو مثله وانه خير الايام عند الله تعالى وان اهل الجنة
يسمونه يوم المزيد وذكر الحديث وذكر بن المبارك ويحيى بن سلام وحدثنا المسعودي عن
المنهال بن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال تسارعوا الى الجمعة
فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور ابيض
فيكونون منه في القرب قال ابن المبارك على قدر تسارعهم في الدنيا الى الجمعة وقال
يحيى بن سلام لمسارعتهم الى الجمع في الدنيا وزاد فيحدث لهم من الكرامة شيا لم يكونوا
راوه قبل ذلك قال يحيى وسمعت غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله ولدينا مزيد

قال الشيخ المصنف رحمه الله قوله كثيب يريد اهل الجنة اي وهم على كثيب كما روي الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ينظرون الى ربهم في كل جمعة على كثيب من كافور لا يري طرفاه وفيه نهر جار حافتاه المسك عليه جوار يقرون القران باحسن اصوات سمعها الاولون والاخرون فاذا انصرفوا الى منازلهم اخذ كل واحد بيد ما شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لولو الى منازلهم فلولا ان الله يهديهم الى منازلهم ما اهتدوا اليها لما يحدث الله لهم في كل جمعة ذكره يحيى بن سلام وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي رايت تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوة من الملايكة يسبحون الله ويقدسونه يقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة ذكره الثعلبي وخرج القاضي الشريف ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه باسناد صحيح عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبعث الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها محفوفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم احد الا المؤذنون المحتسبون • وفي سنن ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة الى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم تغش الكبائر خرجه مسلم بمعناه • وعن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة اجر صيامها وقيامها • وعن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس توبوا قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتوجروا واعلموا ان الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من تركها في حياتي او بعد مماتي وله امام عادل او جائر استخفافا بها وجحودا لها فلا جمع الله له شمله ولا بارك له في امره الا ولا صلاة له ولا زكاة ولا حج له الا ولا صوم له ولا بركة حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه الا لا تؤمن امراة رجلا ولا اعرابي مهاجرا ولا يوم فاجر مؤمنا الا ان يقهره سلطان يخاف سيفه او سوطه • وقال ميمون بن ابي شبيبة اردت الجمعة مع الحجاج فتهيات للذهاب ثم قلت اين اذهب اصلي خلف هذا الفاجر فقلت مرة اذهب ومرة لا اذهب ثم اجتمع رايي على الذهاب فناداني مناد من جانب البيت يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع

السابعة عشرة قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فيها وجهان احدهما ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم الثاني ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما اصبتموه من لهوكم وتجارتكم وقرا ابو رجاء العطاردي قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين امنوا والله خير الرازقين اي خير من رزق واعطى فمنه فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خير الدنيا والاخرة ٥

تفسير سورة المنافقين مدنية في قول الجميع وهي احدى عشرة اية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

روي البخاري عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله ابن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الى قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله صدقك خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح • وفي الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا فيسبق الاعرابي اصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء اصحابه قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعتم الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عمي فقال ما اردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمنافقون قال فوقع علي من جرأتهم ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت براسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال شيئا الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح • وسئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه • وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث • اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وعن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر اخبر عليه السلام ان من جمع هذه الخصال كان منافقا وخبره صدق وروي عن الحسن انه ذكر هذا الحديث فقال ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا انما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقا عليهم ان يفضي بهم الى النفاق وليس المعنى ان من ندرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق وقد مضى القول في هذا في براءة مستوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد انجز واذا اؤتمن وفى والمعنى المؤمن الكامل من اذا حدث صدق والله اعلم قوله قالوا نشهد انك لرسول الله قيل معنى نشهد نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحلف

والشهادة اثباتا لامر مغيب ومنه قول قيس بن ذريح • واشهد عند الله اني احبها
فهذا لها عندي فما عندها ليا • ويحتمل ان يكون ذلك محمولا على ظاهره انهم يشهدون
ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعترافا بالايمان ونفيا للنفاق عن انفسهم وهو
الاشبه والله يعلم انك لرسوله كما قالوا بالسنتهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي فيما
اظهروا من شهادتهم وحلفهم بالسنتهم • وقال الفرا والله يشهد انهم لكاذبون بضمايرهم
فالتكذيب راجع الى الضماير وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب • وعلى ان الكلام
الحقيقي كلام القلب • ومن قال شيا واعتقد خلافه فهو كاذب وقد مضى هذا المعنى
في اول سورة البقرة مستوفى وقيل اكذبهم الله في ايمانهم وهو قوله يحلفون بالله انهم
لمنكم قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا
يعملون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى جنة سترة وليس يرجع الى قوله نشهد انك
لرسول الله وانما يرجع الى سبب الاية التي نزلت عليه حسبما ذكره البخاري والترمذي عن
ابن ابي انه حلف ما قال وقد قال الضحاك يعني حلفهم انهم لمنكم وقيل يعني بايمانهم ما اخبر
الرب عنهم في سورة براءة اذ قال يحلفون بالله ما قالوا الثانية من قال اقسم بالله او اشهد
بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او اشهدت او عزمت او حلفت فقال
في ذلك كله بالله فلا خلاف انها يمين وكذلك عند مالك واصحابه ان قال اقسم او
اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وحكاه
الكيا عن الشافعي اذا قال اشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد لقد كان
كذا دون النية كان يمينا لهذه الاية لان الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم
جنة وعند الشافعي لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله اتخذوا ايمانهم ليس يرجع
الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما في براءة من قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا الثالثة قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا وهو من الصدود او صرفوا
المومنين عن اقامة حكم الله عليهم من القتل والسبي واخذ الاموال فهو من الصد او
منعوا الناس عن الجهاد بان يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم وقيل فصدوا اليهود والمشركين
من الدخول في الاسلام بان يقولوا ها نحن كافرون بهم ولو كان محمد حقا لعرفه هذا
منا ولجعلنا نكالا فبين الله ان حالهم لا يخفى عليه ولكن حكمه ان من اظهر الايمان اجرى عليه
في الظاهر حكم الايمان انهم ساء ما كانوا يعملون اي بيس اعمالهم الخبيثة من نفاقهم
وايمانهم الكاذبة وصدهم عن سبيل الله اعمالا قوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا
فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون هذا اعلام من الله تعالى بان المنافق
كافر اي اقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل نزلت الاية في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع الله
على قلوبهم قوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم
خشب مسندة اجسامهم اي هياتهم ومناظرهم وان يقولوا تسمع لقولهم يعني عبد الله بن
ابي قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي وسيما جسيما صحيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي
صلى الله عليه وسلم مقالته وصفه الله تعالى بتمام الصورة وحسن الابانة وقال الكلبي
المراد ابن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم اجسام ومناظر وفصاحة وفي صحيح مسلم
وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شي كانهم خشب مسندة شبههم بخشب
مسندة الى الحايط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقيل
شبههم بالخشب التي قد تاكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها وقرا قنبل
وابو عمرو والكسائي خشب باسكان الشين وهي قراءة البراء بن عازب واختيار ابي عبيد
لان واحدتها خشبة كما تقول بدنة وبدن وليس في اللغة فعلة تجمع على فعل ويلزم من
ثقلها ان يقول البدن فيقرا والبدن وذكر اليزيدي انه جماع الخشباء لقوله عز وجل وحدائق

اقسم بالله واشهد بالله

غلبا واحدتها حديقة وقرا الباقون بالتثقيل وهي رواية البزي عن ابن كثير وعياش عن ابي عمرو
واكثر الروايات عن عاصم واختاره ابو حاتم كانه جمع خشبات وخشب نحو ثمرة وثمار
وثمر وان شيت جمعت خشبة على خشب كما قالوا بدنة وبدن وقد روي عن ابن المسيب
فتح الخاء والشين في خشب قال سيبويه خشبة وخشب مثل بدنة وبدن قال ومثله بغيرها
اسد واسد ووثن ووثن ويقرا اخشب وهو جمع الجمع خشبة وخشاب وخشب مثل ثمرة وثمار
وثمر والاسناد الامالة يقول اسندت الشي اي املته ومسندة للتكثير اي استندوا
الى الايمان بحقن دمايهم قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم
قاتلهم الله انى يوفكون كل صيحة عليهم هم العدو وفي موضع المفعول الثاني على ان الكلام
لا ضمير فيه يصفهم بالجبن والخور قال مقاتل والسدي اي اذا نادى مناد في العسكر
ان انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوا انهم هم المرادون لما في قلوبهم من الرعب كما قال
الشاعر • مازلت تحسب كل شي بعدهم • خيلا تكر عليهم ورجالا •
وقيل يحسبون كل صيحة عليهم كلام ضميره فيه لا يفتقر الى ما بعده وتقديره يحسبون
كل صيحة عليهم انهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لان الريبة خوف ثم استانف الله خطاب
نبيه صلى الله عليه وسلم فقال هم العدو وهذا معنى قول الضحاك وقيل يحسبون كل صيحة عليهم
يسمعونها في المسجد انها عليهم وان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر فيها بقتلهم فهم ابدا وجلون من
ان ينزل فيهم امر يبيح به دماءهم ويهتك به استارهم وفي هذا المعنى قال الشاعر •
فلو انها عصفورة لحسبتها • مسومة تدعو عبيدا وازنما •
ثم وصفهم الله تعالى بقوله هم العدو فاحذرهم حكاه عبد الرحمن بن ابي حاتم وفي قوله فاحذرهم
وجهان احدهما فاحذر ان تثق بقولهم او تميل الى كلامهم الثاني فاحذر ممايلتهم لاعدايك
وتخذيلهم لاصحابك قاتلهم الله اي لعنهم قاله ابن عباس وابو مالك وهي كلمة ذم وتوبيخ
وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره يضعونه موضع التعجب وقيل معنى قاتلهم الله اي
احلهم محل من قاتله عدو قاهر لان الله تعالى قاهر لكل معاند حكاه ابن عيسى انى يوفكون اي
يكذبون قاله ابن عباس قتادة معناه يعدلون عن الحق الحسن معناه يصدفون عن الرشد وقيل
معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلايل وهو من الافك وهو الصرف وانى بمعنى
كيف وقد تقدم قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رووسهم لما نزل القران بصفتهم مشى اليهم عشايرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى
رسول الله من النفاق واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا رووسهم اي حركوها استهزاء واباء
قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن ابي موقف في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة
رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فاته يستغفر
لك فابى وقال لا اذهب اليه وسبب نزول هذه الايات ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني
المصطلق على ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فازدحم اجير لعمر يقال له جهجاه مع حليف
لعبد الله بن ابي يقال له سنان على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه بالمهاجرين يا للمهاجرين وصرخ
سنان يا للانصار فلطم جهجاه سنانا فقال عبد الله بن ابي او قد فعلوها والله ما مثلنا
ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك اما والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل • يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا
تنفقوا على من عنده حتى ينفضوا ويتركوه فقال زيد بن ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله
الذليل المنتقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله
لا احبك بعد كلامك هذا ابدا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فاقسم بالله ما فعل ولا قال فعذره النبي صلى الله عليه وسلم
قال زيد فوجدت في نفسي ولامني الناس فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب

عبد الله فقيل لعبد الله قد نزلت فيك ايات شديدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر
لك فالوى براسه فنزلت الايات خرجه البخاري ومسلم والترمذي بمعناه وقد تقدم اول
السورة وقيل يستغفر لكم يستتبكم من النفاق لان التوبة استغفار **قوله تعالى**
ورايتهم يصدون وهم مستكبرون اي يعرضون عن الرسول متكبرين عن الايمان
وقرا نافع لووا بالتخفيف وشدد الباقون واختاره ابو عبيد وقال هو فعل وغلط في هذا لانه
نزل في عبد الله بن ابي لما قيل له تعالى يستغفر لك رسول الله حرك راسه استهزاء فان قيل كيف
اخبر عنه بفعل الجماعة قيل له العرب تفعل هذا اذا كنت عن الانسان وانشد سيبويه لحسان ○

○ ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم ○ وفينا رسول عنده الوحي ينزل ○

وانما خاطب حسان بن الابيرق في شيء سرقه بمكة وقصته مشهورة وقد يجوز ان يخبر
عنه وعمن فعل فعله وقيل قال ابن لما لوى راسه امرتموني ان اومن فقد امنت وان اعطي
زكاة مالي وقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد **قوله تعالى سواء عليهم استغفرت**
لهم ام لم تستغفر لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين سواء عليهم استغفرت ام
لم تستغفر لن يغفر كذلك سوا لا ينفع استغفارك شيئا لان الله تعالى لا يغفر لهم
نظيره سوا عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون سوا علينا اوعظت ام لم تكن من
الواعظين وقد تقدم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين اي من سبق في علم الله انه يموت
فاسقا **قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله**
خزاين السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون ذكرنا سبب النزول فيما تقدم
وابن ابي قال لا تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا يتفرقوا فاعلمهم الله ان خزاين السموات
والارض وقال الجنيد خزاين السموات الغيوب وخزاين الارض القلوب فهو علام الغيوب
ومقلب القلوب وكان الشبلي يقول ولله خزاين السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون
انه اراد امرا ايسيرا **قوله تعالى لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة**
ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون القايل ابن ابي كما تقدم وقيل انه لما قال
ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم يلبث الا اياما يسيرة حتى مات فاستغفر له رسول الله
صلى الله عليه وسلم والبسه قميصه فنزلت هذه الاية لن يغفر الله لهم وقد مضى بيان هذا في براة مستوفى
وروي ان عبد الله بن ابي سلول قال لابيه والله الذي لا اله الا هو لا تدخل المدينة حتى يقول ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاعز وانا الاذل فقاله توهموا ان العزة بكثرة الاموال والاتباع فبين الله ان
العزة والمنفعة والقوة لله **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن**
يفعل ذلك فاوليك هم الخاسرون حذر المومنين اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا باموالكم
كما فعل المنافقون اذ قالوا للشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله عن ذكر الله اي عن الحج
والزكاة وقيل عن قراة القران وقيل عن اقامة الذكر وقيل عن الصلوات الخمس قاله
الضحاك وقال الحسن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله وقيل هو خطاب
للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك اي من يشتغل بالمال والولد عن طاعة
ربه فاوليك هم الخاسرون **قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم**
الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين ولن يوخر الله
نفسا اذا جا اجلها والله خبير بما يعملون فيه اربع مسايل قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل
ان ياتي احدكم الموت يدل على وجوب تعجيل اداء الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك
ساير العبادات اذا تعينت وفيها **الثانية** قوله تعالى فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب سال
الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا وروي الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال من كان
له مال يبلغه حج بيت ربه او يجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سال الرجعة عند الموت
فقال رجل يا ابن عباس اتق الله انما سالت الرجعة الكفار فقال ساتلو عليك قرانا يا ايها الذين

الاولي

امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاوليك هم الخاسرون
وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكاة قال اذا بلغ المال مايتين فصاعدا
قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة قال الشيخ المصنف رحمه الله ذكره الحليمي ابو عبد
الله الحسين بن الحسين في كتاب منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كان عنده ما يبلغه الحج الحديث فذكره وقد تقدم في ال عمران لفظه
الثالثة قال ابن العربي اخذ ابن عباس بعموم الاية في انفاق الواجب خاصة دون النفل
واما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عموما وتقديرا بالمايتين واما القول في الحج ففيه اشكال
لانا ان قلنا ان الحج على التراخي ففي المعصية في الموت قبل الحج خلاف بين العلما فلا تخرج الاية
عليه وان قلنا ان الحج على الفور فالاية في العموم صحيح لان من وجب عليه الحج فلم يوده لقي من الله
ما يود انه رجع ليتي بما ترك من العبادات واما تقدير الامر بالزاد والراحلة ففي ذلك
خلاف مشهور بين العلما وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا تدخل
في المسايل المجتهد فيها ولا المختلف عليها وانما يدخل في المتفق عليه والصحيح تناوله للواجب
من الانفاق كيف تصرف بالاجماع او بنص القران لاجل ان ما عدا ذلك لا يتطرق اليه تحقيق
الوعيد **الرابعة** قوله تعالى لولا اخرتني اي هلا فيكون استفهاما وقيل لا صلة فيكون
الكلام بمعنى التمني فاصدق نصب على جواب التمني بالفا واكون عطف على فاصدق وهي قراة
ابي عمرو وابن محيصن ومجاهد وقرا الباقون واكن بالجزم عطفا على موضع الفا لان قوله فاصدق
لو لم يكن الفا لكان مجزوما اي اصدق ومثله ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم
قال ابن عباس هذه الاية اشد على اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع في الدنيا والتاخر فيها احد
له عند الله خير في الاخرة قال الشيخ المصنف رحمه الله الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع
حتى يقتل لما يرى من الكرامة والله خبير بما تعملون من خير وشر وقرا العامة بالتا على الخطاب
وقرا ابو بكر عن عاصم بالتا على الخبر عمن مات وقال هذه المقالة

تفسير سورة التغابن مدنية في قول الاكثرين

وقال الضحاك والكلبي مكية ومدنية وثماني عشرة اية وعن ابن عباس ان سورة التغابن نزلت
بمكة الا ايات من اخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم جفا اهله وولده فانزل الله عز وجل فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من
ازواجكم واولادكم الى اخر السورة وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مولود يولد الا وفي تشابيك راسه خمس ايات من فاتحة سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى يسبح لله ما في السموات**
وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تقدم في غير موضع **قوله تعالى هو الذي**
خلقكم فمنكم مومن ومنكم كافر او يعيدهم في القيمة مومنا وكافرا وروى ابو سعيد
الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيا مما يكون فقال يولد الناس على طبقات
شتى يولد الرجل مومنا ويعيش مومنا ويموت مومنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت
مومنا وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى
بن زكريا في بطن امه مومنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
فيما يبدو حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها خرجه البخاري والترمذي وليس فيه ذكر
الباع وفي صحيح مسلم عن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل
بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو

خل

للناس وهو من اهل الجنة قال علماونا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري بما علم
علم واراد وحكم فقد اراد انما تحضر على عموم الاحوال وقد يرتين الى وقت معلوم وكذلك
الكفر وقيل في الكلام محذوف فمنكم مومن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف
لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود
ذكر الطرفين وقال جماعة من اهل العلم ان الله خلق الخلق ثم كفروا وامنوا قالوا
وتمام الكلام هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن
كقوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه قالوا فالله خلقهم
والمشي فعلهم واختاره الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مومنين وكافرين لما وصفهم
بفعلهم في قوله فمنكم كافر ومنكم مومن فاحتجوا بقوله عليه السلام كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه الحديث وقد مضى في الروم مستوفى وقال الضحاك
فمنكم كافر في السر مومن في العلانية كالمنافق ومنكم مومن في السر كافر في العلانية
كعمار وذويه وقال عطا ابن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكوكب ومنكم مومن بالله كافر
بالكوكب يعني في شان الانواء وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه الايمة
والجمهور من الامة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخالق
المومن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر
بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من
كل واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدر عجز ووجود
خلاف المعلوم جهل ولا يليقان بالله تعالى وفي هذا سلامة من الجبر والقدر كما
قال الشاعر ٥ يا ناظرا في الدين ما الامر ٥ لا قدر صح ولا جبر ٥
وقال سيلان قدم اعرابي البصرة فقيل له ما تقول في القدر فقال امر تغالت فيه الظنون
واختلف فيه المختلفون فالواجب ان نرد ما اشكل علينا من حكمه الى ما سبق من علمه
قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم
واليه المصير تقدم في غير موضع اي خلقها حقا يقينا لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام
اي خلقها للحق وهو ان يجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وصوركم
فاحسن صوركم يعني آدم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل الثاني جميع
الخلائق وقد مضى معنى التصوير وانه التخطيط والتشكيل فان قيل كيف احسن صوركم
قيل جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته
على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال
جل وعز في احسن تقويم على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى واليه المصير اي المرجع فيجازي كلا
بعمله قوله تعالى يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور تقدم في غير موضع فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شي
قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب
اليم الخطاب لقريش اي الم ياتكم خبر كفار الامم الماضية فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا
ولهم في الاخرة عذاب اليم اي موجع وقد تقدم قوله تعالى ذلك بانه كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني
حميد ذلك اي هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل تاتيهم بالبينات اي بالدلائل الواضحة
فقالوا ابشر يهدوننا انكروا ان يكون الرسول من البشر وارتفع ابشر على الابتداء
وقيل باضمار فعل والجمع على معنى البشر ولهذا قال يهدوننا وقد ياتي الواحد بمعنى
الجمع فيكون اسما للجنس وواحده انسان لا واحد له من لفظه وقد ياتي الجمع بمعنى
الواحد نحو ما هذا الا بشرا اي فكفروا بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا

ان الله

ان الله يبعث من يشا الى عباده وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان
والموعظة واستغنى الله اي بسلطانه عن طاعة عباده قاله مقاتل وقيل استغنى الله بما
اظهره لهم من البرهان واوضحه من البيان عن زيادة تدعو الى الرشد وتقود الى الهداية
قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم وذلك على الله يسير والزعم هو القول بالظن وقال شريح لكل شي
كنية وكنية الكذب زعموا وقيل نزلت في العاصي بن وايل السهمي مع خباب حسبما تقدم
بيانه في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر قل يا محمد قل بلى وربي لتبعثن اي لتخرجن من قبوركم
احيا ثم لتنبؤن لتخبرون بما عملتم اي باعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة اسهل
من الابتدا قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله
بما تعملون خبير امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة والنور الذي انزلنا وهو
القران وهو نور يهتدى به من ظلمة الضلال والله بما تعملون خبير قوله تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فيه ثلاث مسائل العامل في يوم لتنبؤن او خبير
لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكروا الغبن النقص
يقال غبنه غبنا اذا اخذ الشي بدون قيمته وقراة العامة يجمعكم بالياء لقوله والله
خبير بما يعملون فاخبر ولذكر اسم الله اولا وقرا نصر وابن ابي اسحق والجحدري ويعقوب وسلام
نجمعكم بالنون اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا ويوم الجمع يوم يجمع الله الاولين والاخرين
والانس والجن واهل السما واهل الارض وقيل هو يوم يجمع فيه بين كل نبي وامته
وقيل لانه يجمع فيه بين ثواب اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصي ذلك يوم التغابن
اي يوم القيامة قال ٥ وما ارتجي بالعيش في دار فرقة ٥ الا انما الراحات يوم التغابن ٥
وسمي يوم القيامة يوم التغابن لانه غبن فيه اهل الجنة اهل النار اي ان اهل الجنة اخذوا
الجنة واخذ اهل النار النار على طريق المبادلة فوقع الغبن لاجل مبادلتهم الخير بالشر والجيد
بالردي والنعيم بالعذاب يقال غبنت فلانا اذا بايعته او شاريته فكان النقص عليه
والغلبة لك وكذا اهل الجنة واهل النار على ما ياتي بيانه يقال غبنت الثوب وخبنته
اذا طال عن مقدارك فخطت منه شيا فهو نقصان ايضا والمغبن ما انثنى من الخلق نحو
الابطين والفخذين قال المفسرون فالمغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة
ويظهر يوميذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مومن بتقصيره في الاحسان وتضييعه
الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان دون منزلته
الثانية فان قيل فاي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها قيل له هو تمثيل
الغبن في الشرا والبيع كما قال اوليك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
ولما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر
ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشترى اهل
النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله تعالى
الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار ومنازل الكل موضوعة في الجنة والنار
فقد يسبق الخذلان على العبد كما بيناه في هذه السورة وغيرها فيكون من اهل النار
فيحصل الموفق على منزل المخذول ومنزل الموفق في النار للمخذول فكانه وقع التبادل فحصل
التغابن والامثال موضوعة للبيان في حكم اللغة والقران وذلك كله
مجموع في من يشا الا ثار وقد جاءت مفرقة في هذا الكتاب وقد يخبر عن هذا التبادل
بالوراثة كما بيناه في قد افلح المومنون والله اعلم وقد يقع التغابن في غير ذلك اليوم
على ما ياتي بيانه بعد ولكنه اراد التغابن الذي لا جبران لنهايته وقال
الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن في ثلاثة اصناف رجل علم علما فعلمه وضيعه هو ولم

بماله فشقي به وعمل به من بعمله فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح عليه
وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فيه فعمل
ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه
فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروي النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
تعالى يقيم الرجل والمراة يوم القيامة بين يديه فيقول لهما قولا فما انتما بقايلين
فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حرام وحلال وهاولاء الخصوم يطلبون
ولم يبق لي ما اوفي به فتقول المراة يا رب وما عسى ان اقول اكتسبه حراما واكلته
حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى صدقت
فيومر به الى النار ويومر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول له غبناك
غبناك **الثالثة** قال ابن العربي استدل بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم التغابن على
انه لا يجوز الغبن في المعاملة الدنيوية لانه تعالى خصص التغابن بيوم القيمة فقال ذلك
يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع
فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بوجوه منها قوله صلى
الله عليه وسلم لحبان بن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا وهذا فيه نظر
طويل بيناه في مسائل الخلاف نكتته ان الغبن في الدنيا ممتنع بالاجماع في حكم الدين
اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه لاحد
فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده لم ينفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه حتى اذا كان كثيرا امكن
الاحتراز منه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير اصل في الشريعة معلوم فقدر
علماؤنا الثلث لهذا الحد اذ راوه في الوصية وغيرها وتكون معنى الاية على هذا ذلك
يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك
ابدا الان تغابن يستدرك له ابدا وقد قال بعض علماء الصوفية ان الله
كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء
للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب وفي الاثر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله
احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد **قوله تعالى**
ومن يومن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات قرا نافع وابن عامر
فيهما بالنون والباقون بالياء **قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا**
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير لما ذكر ما للمومنين ذكر ما للكفار كما تقدم
في غير موضع **قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله** اي ارادته
وقضائه وقال الفرا يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزولها ان الكفار
قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا فبين الرب
تعالى ان ما اصاب من مصيبة في نفس او مال او قول او فعل يقتضيهما او يوجب عقابا
عاجلا او آجلا فبعلم الله وقضائه **قوله تعالى ومن يومن بالله** اي يصدق
ويعلم انه لا يصيب مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للصبر والرضى وقيل يثبته على الايمان
وقال ابو عثمن الجيري من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل ومن يومن بالله
يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير وقال ابن عباس
هو ان يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه
وقال الكلبي هو الذي اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر يهد
قلبه الى نيل الثواب في الجنة وقراءة العامة يهد بفتح الياء وكسر الدال لذكر اسم
الله اولا وقرا السلمي وقتادة يهد قلبه بضم الياء وفتح الدال على الفعل المجهول
ورفع الياء لانه اسم فعل لم يسم فاعله وقرا طلحة بن منصور والاعرج يهد بنون على

العظيم

رجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه فسعد

قصة حبان بن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة

ان الله كتب الغبن على الخلق اجمعين

العظيم قلبه بالنصب وقرا عكرمة يهدا قلبه بهمزة ساكنة ورفع الباء اي يسكن ويطمئن وقرا
مثله مالك بن دينار الا انه لين الهمزة والله بكل شيء عليم لا يخفى تسليم من انقاد وسلم
لامره ولا كراهة من كرهه **قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول** اي
هونوا على انفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول
في العمل بسنته فان توليتم عن الطاعة فليس على الرسول الا البلاغ
المبين الله لا اله الا هو لا معبود سواه ولا خالق غيره فعليه توكلوا **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فيه خمس مسائل
الاولى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي كان
ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا اليه ورققوه فقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الاية كلها بالمدينة
في عوف بن مالك الاشجعي وبقية الاية الى اخر السورة بالمدينة وروى الترمذي عن ابن
عباس وساله رجل عن هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا
في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية هذا حديث حسن صحيح **الثانية** قال القاضي
ابو بكر بن العربي هذا يبين وجه العداوة فان العدو لم يكن عدوا لذاته انما كان
عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة
بين العبد وبين الطاعة وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم فقال اتومن وتذر دينك ودين ابائك فخالفه
فامن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر
ثم قعد له في طريق الجهاد فقال له اتجاهد وتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم
مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون
بوجهين احدهما يكون بالوسوسة والثاني بان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد
والصاحب قال الله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
وفي حكمة عيسى عليه السلام من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان للدنيا عبدا وفي صحيح
الحديث بيان ادنى من ذلك في حال العبد قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس واذا
شيك فلا انتقش ولا دناءة اعظم من عبادة الدينار والدرهم ولا همة اخس من
همة ترتفع بثوب جديد **الثالثة** كما ان الرجل يكون له ولده وزوجه عدوا كذلك
المراة يكون لها ولدها وزوجها عدوا وبهذا المعنى بعينه وعموم قوله من ازواجكم
يدخل فيه الذكر والانثى لدخولهما في كل اية والله اعلم **الرابعة** قوله
فاحذروهم معناه على انفسكم والحذر على النفس يكون بوجهين اما لضرر في البدن
واما الضرر في الدين وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالاخرة فحذر
الله العبد من ذلك وانذره **الخامسة** قوله تعالى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا
فان الله غفور رحيم روى الطبري عن عكرمة في قوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فاحذروهم قال كان الرجل يريد ان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول له اهله
اين تذهب وتدعنا قال فاذا اسلم وفقه قال لارجعن الى الذين كانوا ينهون عن
هذا الامر فلافعلن ولافعلن قال الله عز وجل وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان
الله غفور رحيم قال مجاهد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولاد

كم

من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان للدنيا عبدا

عدوا لكم قال ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم لهم على ان اخذوا لهم الحرام فاعطوه اياهم والآية عامة في كل معصية يرتكبها الانسان بسبب الاهل والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم **قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة** اي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وقال القتبي فتنة اي اغرام يقال فتن الرجل بالمرأة اي شغف بها وهي فتنة محنة ومنه قول الشاعر رضي الله عنه ه

ه لقد فتن الناس في دينهم ه وخلى ابن عفان شرا طويلا ه

وقال ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال واهل وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن في قوله ان من ازواجكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما وروى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان فلم اصبر حتى قطعت حديثي فرفعتهما ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم يعني الجنة فهي الغاية ولا اجر اعظم منها في قول المفسرين وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون اي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقد تقدم ولا شك في ان الرضى غاية الآمال وانشد الصوفية رضي الله عنهم في تحقيق ذلك ه ه

ه امتحن الله به خلقه ه فالنار والجنة في قبضته ه

فهجره اعظم من ناره ه ووصله اطيب من جنته ه

قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم فيه خمس مسائل **الاولى** ذهب جماعة من اهل التاويل الى ان هذه الآية ناسخة لقوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته منهم قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد ذكره الطبري وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال انبانا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اتقوا الله حق تقاته قال جاء امر شديد قالوا ومن يعرف قدر هذا او يبلغه فلما عرف الله انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الآية الاخرى فاتقوا الله ما استطعتم وكيف يجوز الامر باجتماع الامر باتقاء الله وقيل هي محكمة لا نسخ فيها قال ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته انها لم تنسخ ولكن حق تقاته ان يجاهد لله حق جهاده ولا تاخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وآبائهم وابنائهم وقد تقدم **الثانية** فان قيل فاذا كانت هذه الآية محكمة غير منسوخة فما وجه قوله في هذه السورة فاتقوا الله ما استطعتم وكيف يجوز اجتماع الامر باتقاء الله حق تقاته والامر باتقائه ما استطعنا والامر باتقائه حق التقاة ايجاب القرآن بغير خصوص ولا وصل بشرط والامر باتقائه ما استطعنا امر باتقائه موصولا بشرط قيل له قوله فاتقوا الله ما استطعتم بمعزل مما دل عليه قوله اتقوا الله حق تقاته وانما عنى بقوله فاتقوا الله ما استطعتم فاتقوا الله يا ايها الناس وراقبوه فيما جعل فتنة لكم من اموالكم واولادكم

رأى النبي عليه السلام الحسن والحسين في الخطبة فقطع الخطبة ورفعهما

ولا شك في ان الرضى غاية الآمال

ان تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة ما استطعتم بمعنى وانتم للهجرة مستطيعون وذلك ان الله جل ثناؤه قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر انه قد عفا عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فكذلك معنى قوله ما استطعتم من الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها بفتنة اموالكم واولادكم ومما يدل على صحة ذلك هذا ان قوله فاتقوا الله ما استطعتم عقيب قوله يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين السلف من اهل العلم بتاويل القرآن ان هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تاخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك حسبما تقدم وهذا كله اختيار الطبري وقيل فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله فاتقوا الله حق تقاته اشتد على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا عليهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قاله ابن جبير قال الماوردي ويحتمل ان لم يثبت هذا النقل ان المكره على المعصية غير مؤاخذ بها لانه لا يستطيع اتقاءها

الثالثة قوله تعالى واسمعوا واطيعوا اي اسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وقال مقاتل اسمعوا اي اصغوا الى ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع واطيعوا الرسول فيما امركم او نهاكم قال قتادة بويع النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وقيل واسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون وعبر عنه بالسماع لانه فائدته قال الشيخ المصنف رحمه الله وقد تغلغل الحجاج في هذه الآية حين تلاها وقصرها على عبد الملك بن مروان فقال فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا هي لعبد الملك امين الله وخليفته ليس فيها مثنوية والله لو امرت رجلا ان يخرج من باب المسجد فخرج من غيره لحل لي دمه وكذب في تاويلها بل هي للنبي صلى الله عليه وسلم اولا ثم لاولي الامر من بعده دليله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

الرابعة قوله تعالى وانفقوا قيل هو الزكاة قاله ابن عباس وقيل هو النفقة في النفل وقال الضحاك هو النفقة في الجهاد وقال الحسن هو نفقة المؤمن لنفسه قال ابن العربي وانما اوقع هذا القول لانفسكم وخفي عليه ان نفقة الفرض والنفل في نفقة الرجل على نفسه قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وكلما يفعله الرجل من خير فانما هو لنفسه والصحيح انها عامة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل عندي دينار قال انفقه على نفسك قال عندي آخر قال انفقه على عيالك قال عندي آخر قال انفقه على ولدك قال عندي آخر قال تصدق به فبدأ بالنفس والاهل والولد وجعل الصدقة بعد ذلك وهو الاصل في الشرع

الخامسة قوله تعالى خيرا لانفسكم خيرا نصب بفعل مضمر عند سيبويه دل عليه وانفقوا كانه قال ائتوا في الانفاق خيرا لانفسكم وقدموا خيرا لانفسكم من اموالكم وهو عند الكسائي والفراء نعت لمصدر محذوف اي انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وهو عند ابي عبيدة خبر كان مضمرة اي يكن خيرا لكم ومن جعل الخير المال فهو منصوب بانفقوا **قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم** تقدم الكلام فيه وكذا ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم تقدم الكلام فيه ايضا في البقرة وسورة الحديد ويغفر لكم والله شكور حليم تقدم معنى الشكور في البقرة والحليم الذي لا يعجل

في طاعة اولي الامر

قوله تعالى عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وحضر وهو العزيز الغالب القاهر فهو من
صفات الافعال ومنه قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اي من
الله القاهر المحكم خالق الاشيا وقال الخطابي وقد يكون بمعنى نفاسة القدر
يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شي وانه
لا مثل له والله اعلم الحكيم في تدبير خلقه قال ابن الانباري الحكيم هو المحكم
لخلق الاشيا صرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب
الحكيم معناه المحكم فصرف من مفعل الى فعيل

تفسير سورة الطلاق مدنية في قول الجميع

وهي احدى عشرة اية او اثنتا عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
**قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا
العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة
مبينة** فيه اربع عشرة مسالة **المسالة الاولى** قوله تعالى يا ايها النبي الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجماعة تعظيما وتفخيما وفي سنن ابن ماجة عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم
راجعها وروى قتادة عن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها
فاتت اهلها فانزل الله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقيل
له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري
والثعلبي زاد القشيري ونزل في خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال
الكلبي سبب نزول هذه الاية غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة لما اسر
اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة واحدة فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض ثم تطهر فان اراد ان يطلقها فليطلقها
حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق بها النسا وقد قيل
ان رجالا فعلوا مثل فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاصي وعتبة بن غزوان
فنزلت الاية فيهم قال ابن العربي وهذا كله ان لم يكن صحيحا فالقول الاول امثل
والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدا وقيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة فصيحة كما قال اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة تقديره يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وهذا
هو قوله ان الخطاب له وحده والمعنى له وللمومنين واذا اراد الله بالخطاب المومنين
لاطفه بقوله يا ايها النبي فاذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال
يا ايها الرسول قال الشيخ المصنف رحمه الله ويدل على صحة هذا القول نزول العدة
في اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية ففي كتاب ابي داود عنها انها طلقت على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله سبحانه حين طلقت اسما بالعدة
للطلاق فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق وقيل المراد به نداء النبي صلى الله عليه

اول من انزل فيها العدة للطلاق

وسلم تعظيما ثم ابتدا فقال اذا طلقتم النساء كقوله يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام الاية فذكر الاية على معنى تقدمهم والمكرمين بهم ثم
افتتح فقال انما الخمر والميسر والانصاب الاية **المسالة الثانية** روى الثعلبي من
حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله تعالى الطلاق
وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب
الذواقين ولا الذواقات وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف
بالطلاق ولا استحلف به الا منافق اسند جميعه الثعلبي رحمه الله في كتابه وروي

يونان عن الدارقطني حدثنا ابو العباس محمد بن موسى بن علي الدولابي ويعقوب بن ابراهيم
قالا حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا اسمعيل بن عياش عن حميد بن مالك اللخمي عن مكحول
عن معاذ بن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله على وجه الارض
شيا احب اليه من العتق ولا خلق الله شيا ابغض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه
انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا له واذا قال الرجل لامراته انت طالق فله استثناوه
ولا طلاق عليه حدثنا محمد بن موسى بن علي نا حميد بن الربيع حدثنا يزيد بن هرون
نا اسمعيل بن عياش باسناده نحوه قال حميد قال لي يزيد بن هارون واي حديث
لو كان حميد بن مالك معروفا قلت هو جدي قال يزيد سررتني سررتني الان صار
حديثا نا عثمان بن احمد الدقاق نا اسحق بن ابراهيم بن خالد حدثنا حميد بن مالك اللخمي
حدثنا مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق فمن طلق واستثنى فله ثنياه قال ابن المنذر
واختلفوا في الاستثنا في الطلاق والعتق فقالت طايفة ذلك جايز وروينا هذا
القول عن طاووس وبه قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي ولا يجوز
الاستثنا في الطلاق في قول مالك والاوزاعي وهذا قول قتادة في الطلاق خاصة
قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول **الثالثة** روى الدارقطني من حديث
عبد الرزاق اخبرني عمي وهب بن نافع قال سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس يقول الطلاق
على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرام فاما الحلال فان يطلقها طاهرا عن غير
جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها وهي حايض او يطلقها
حين يجامعها لا يدري اشتمل الرحم على ولد ام لا **الرابعة** قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
في كتاب ابي داود عن اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية انها طلقت على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله حين طلقت اسما بالعدة للطلاق
فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق وقد تقدم **الخامسة** قوله تعالى
لعدتهن يقتضي انهن اللاتي دخل بهن من الازواج لان غير المدخول بهن خرجت بقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم
عليهن من عدة تعتدونها **السادسة** من طلق في طهر لم يجامع فيه نفذ طلاقه واخطا
السنة وقال سعيد بن المسيب في اخرين لا يقع الطلاق في الحيض لانه خلاف
السنة واليه ذهبت الشيعة وفي الصحيحين واللفظ للدارقطني عن عبد الله بن عمر قال
طلقت امراتي وهي حايض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ليراجعها ثم ليمسكها حتى تحيض حيضة مستقبلة سوى حيضتها التي طلقها
فيها فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا من حيضتها قبل ان يمسها فذلك الطلاق
للعدة كما امر الله وكان عبد الله بن عمر طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها
عبد الله بن عمر كما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال هي واحدة وهذا نص وهو يرد على الشيعة قولهم **السابعة** عن عبد
الله بن مسعود قال طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة فاذا كان اخر ذلك
فتلك العدة التي امر الله بها رواه الدارقطني عن الاعمش عن ابي اسحق عن ابي الاحوص
عن عبد الله قال علماونا طلاق السنة ما جمع شروطا سبعة وهو ان يطلقها واحدة وهي
ممن تحيض طاهرا لم يمسها في ذلك الطهر ولا تقدمه طلاق في حيض ولا تبعه طلاق في طهر
يتلوه وخلا عن العوض وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي
طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر خاصة ولو طلقها ثلاثا في طهر لم يكن بدعة وقال
ابو حنيفة طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر طلقة وقال الشعبي يجوز ان يطلقها

في طهر جامعها فيه فعلنا وناقالوا يطلقها واحدة في طهر لم تمس فيه ولا يتبعه طلاق في عدة ولا يكون الطهر تاليا لحيض وقع فيه الطلاق لقول النبي صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك وان شاء طلق فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وتعلق الشافعي بظاهر قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن وهذا عام في كل طلاق كان واحدة او اثنين او اكثر وانما راعى الله سبحانه الزمان في هذه الاية ولم يعتبر العدد وكذلك حديث ابن عمر لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه الوقت لا العدد قال ابن العربي وهذه اغفلة من الحديث الصحيح فانه قال مره فليراجعها وهذا يدافع الثلاث وفي الحديث انه قال ارايت لو طلقها ثلاثا قال حرمت عليك وبانت منك بمعصية وقال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الطلاق الثلاث والواحدة سوا وهذا مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك قوله تعالى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الاية وكذلك قال اكثر العلما وهو بديع لهم واما مالك فلم يخف عليه اطلاق الاية كما قالوا ولكن الحديث فسرها كما قلنا واما قول الشعبي انه يجوز الطلاق في طهر جامعها فيه فيرده حديث ابن عمر بنصه ومعناه اما نصه فقد قدمناه فلانه اذا منع من طلاق الحائض لعدم الاعتداد فالطهر المجامع فيه اولى بالمنع لانه يسقط الاعتداد به مخافة شغل الرحم وبالحيض التالي له قال الشيخ المصنف رحمه الله وقد احتج الشافعي في طلاق الثلاث بكلمة واحدة بما رواه الدارقطني عن سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن طلق امراته تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام ابي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فلم يبلغنا ان احدا من اصحابه عاب ذلك قال وحدثنا سلمة بن ابي سلمة عن ابيه ان حفص بن المغيرة طلق امراته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات في كلمة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه واحتج بحديث عويمر العجلاني لما لاعن قال يا رسول الله هي طالق ثلاثا فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقد انفصل علماونا على هذا احسن انفصال بيانه في غير هذا الموضع وقد ذكرناه في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن انس وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل بطلاق السنة فخالفه **الثامنة** قال الجرجاني اللام في قوله لعدتهن بمعنى في كقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر فقوله لعدتهن اي في عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وحصل الاجماع على ان الطلاق في الحيض ممنوع وفي الطهر ماذون فيه ففيه دليل على ان القرء هو الطهر وقد مضى القول فيه في البقرة فان قيل معنى فطلقوهن لعدتهن اي في قبول عدتهن او لقبول عدتهن وهي قراة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عمر في صحيح مسلم وغيره فقبول العدة اخر الطهر حتى يكون القرء الطهر قيل له هذا هو الدليل الواضح لمالك ومن قال بقوله على ان الاقرا هي الاطهار ولو كان كما قال الحنفي ومن تبعه لوجب ان يقال ان من طلق في اول الطهر لا يكون مطلقا لقبل الحيض لان الحيض لم يقبل بعد وايضا اقبال الحيض يكون بدخول الحيض وبانقضا الطهر لا يتحقق اقبال الحيض ولو كان اقبال الشي ادبار ضده لكان الصايم مفطرا قبل مغيب الشمس اذ الليل يكون مقبلا في ادبار النهار قبل انقضا النهار ثم اذا طلق في اخر الطهر فبقية الطهر قرء ولان بعض القرء يسمى طهرا كقوله تعالى الحج اشهر معلومات الاول ذو القعدة وبعض ذو الحجة كقوله فمن تعجل في يومين وهو ينفر في بعض اليوم الثاني وقد مضى هذا كله في البقرة مستوفى والله اعلم **التاسعة** واحصوا العدة يعني في المدخول بها لا عدة عليها وله ان يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضا العدة ويكون بعدها كاحد الخطاب ولا تحل له في الثلاث الا بعد زوج **العاشرة** قوله

المنع عن طلاق الحائض

واحصوا العدة معناه احفظوها اي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى اذا انفصل المشروط منه وهو الثلاثة قروء في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء حلت للازواج وهذا يدل على ان العدة هي الاطهار وليست بالحيض ويويده ويفسره قراة النبي صلى الله عليه وسلم لقبل عدتهن وقبل الشي بعضه لغة وحقيقة بخلاف استقباله فانه يكون غيره **الحادية عشرة** من المخاطب بامر الاحصا وفيه ثلاثة اقوال احدها انهم الازواج الثاني انهم الزوجات الثالث انهم المسلمون ابن العربي والصحيح ان المخاطب بهذا اللفظ الازواج لان الضماير كلها من طلقتم واحصوا ولا تخرجوهن على نظام واحد فيرجع الى الازواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق بالزوج لان الزوج يحصي ليراجع وينفق او يقطع وليسكن او يخرج وليلحق نسبه او يقطع وهذه كلها امور مشتركة بينه وبين المراة وتنفرد المراة دونه بغير ذلك وكذلك الحاكم يفتقر الى الاحصا للعدة للفتوى عليها وفصل الخصومة عند المنازعة فيها وهذه فوايد الاحصار المامور به **الثانية عشرة** قوله تعالى واتقوا الله ربكم اي لا تعصوه لا تخرجوهن من بيوتهن اي ليس للزوج ان يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة ولا يجوز لها الخروج ايضا لحق الزوج الا لضرورة ظاهرة فان خرجت اثمت ولا تنقطع العدة والرجعية والمبتوتة في هذا سوا وهذا لصيانة ماء الرجل وهذا معنى اضافة البيوت اليهن لقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقوله وقرن في بيوتكن فهو اضافة اسكان وليس اضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن يقتضي ان يكون حقا على الازواج ويقتضي قوله ولا يخرجن انه حق على الزوجات وفي صحيح الحديث عن جابر بن عبد الله قال طلقت خالتي فارادت ان تجد نخلها فزجرها رجل ان تخرج فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلى فجدي نخلك فانك عسى ان تصدقي او تفعلي معروفا خرجه مسلم ففي هذا الحديث دليل لمالك والشافعي وابن حنبل والليث على قولهم ان المعتدة تخرج بالنهار في حوايجها وانما تلزم منزلها بالليل وسواء عند مالك كانت رجعية او باينة وقال الشافعي في الرجعية لا تخرج لا ليلا ولا نهارا وانما تخرج نهارا المبتوتة وقال ابو حنيفة ذلك في المتوفى عنها زوجها واما المطلقة فلا تخرج ليلا ولا نهارا والحديث يرد عليه وفي الصحيح ان ابا حفص بن عمرو خرج مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اليمن فارسل الى امراته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وامر لها الحارث بن هشام وعياش بن ابي ربيعة بنفقة فقالا لها والله ما لك من نفقة الا ان تكوني حاملا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة لك فاستاذنته في الانتقال فاذن لها فقالت اين يا رسول الله فقال الى ابن ام كلثوم وكان اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلما مضت عدتها انكحها النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فارسل اليها مروان قبيصة بن ذويب يسالها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم نسمع هذا الا من امراة سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان فبيني وبينكم القران قال الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن قالت هذا لمن كانت له رجعة فاي امر يحدث بعد الثلاث فكيف يقولون لا نفقة لها اذا لم تكن حاملا فعلام تحبسونها لفظ مسلم فتبين ان الاية في تحريم الاخراج والخروج انما هو في الرجعية وكذلك استدلت فاطمة بان الاية التي تليها انما تضمنت النهي عن خروج المطلقة الرجعية لانها بصدد ان يحدث لمطلقها راي في ارتجاعها ما دامت في عدتها فكانها تحت تصرف الزوج في كل وقت واما البائن فليس لها شي من ذلك فيجوز ان تخرج اذا دعتها الى ذلك حاجة او خافت عورة منزلها كما اباح لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك

وفي مسلم قالت فاطمة يا رسول الله زوجي طلقني ثلاثا واخاف ان يقتحم علي فامرها فتحولت وفي البخاري عن عائشة انها كانت في مكان وحش فخيف على ناحيتها فلذلك ارخص النبي صلى الله عليه وسلم لها وهذا كله يرد على الكوفي في قوله وفي حديث فاطمة ان زوجها ارسل اليها بتطليقة كانت بقيت من طلاقها فهو حجة لمالك وحجة على الشافعي وهو صحيح من حديث سلمة بن ابي سلمة عن ابيه ان حفص بن المغيرة طلق امراته ثلاث تطليقات في كلمة على ما تقدم

الثالثة عشرة قوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد هو الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وعن ابن عباس ايضا والشعبي انه البذاء على احمائها فيحل لهم اخراجها وروي عن سعيد بن المسيب انه قال في فاطمة تلك امراة استطالت على احمائها بلسانها فامرها عليه السلام ان تنتقل وفي كتاب ابي داود قال سعيد تلك امراة فتنت الناس انها كانت لسنة فوضعت على يدي ابن ام مكتوم الاعمى قال عكرمة في مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم ويقوي هذا ان محمد بن ابراهيم بن الحارث روى ان عائشة قالت لفاطمة بنت قيس اتق الله فانك تعلمين لم اخرجت وعن ابن عباس ايضا الفاحشة كل معصية كالزنا والسرقة والبذاء على الاهل وهو اختيار الطبري وعن ابن عمر ايضا والسدي الفاحشة خروجها من بيتها في العدة وتقدير الاية الا ان ياتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق اي لو خرجت كانت عاصية وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز فتتحول من بيته قال ابن العربي اما من قال انه الخروج للزنا فلا وجه له لان ذلك الخروج هو خروج القتل والاعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا حرام واما من قال انه البذاء فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس واما من قال انه كل معصية فوهم لان الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الاخراج ولا الخروج واما من قال انه الخروج بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعا الا ان يخرجن تعديا

الرابعة عشرة قوله تعالى وتلك حدود الله اي هذه الاحكام التي بينها الله احكام الله على العباد وقد منع التجاوز عنها فمن تجاوز فقد ظلم نفسه واوردها مورد الهلاك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة فيها الى الرغبة عنها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها وقال جميع المفسرين اراد بالامر ههنا الرغبة في الرجعة ومعنى القول التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث لانه اذا طلق ثلاثا اضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد عند الرجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك اي بعد طلقة او طلقتين امرا اي المراجعة من غير خلاف

قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اي قاربن انقضاء العدة كقوله اذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن اي قربن من انقضاء الاجل فامسكوهن بمعروف يعني المراجعة بالمعروف اي بالرغبة من غير قصد المضارة في الرجعة تطويلا لعدتها كما تقدم في البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن وفي قوله فاذا بلغن اجلهن ما يوجب ان يكون القول قول المراة في انقضاء العدة اذا ادعت ذلك على ما بيناه في البقرة عند قوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن الاية

قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم فيه ست مسائل

الاولى قوله تعالى واشهدوا امر بالاشهاد على الطلاق وقيل على الرجعة والظاهر رجوعه الى الرجعة لا الى الطلاق فان راجع من غير اشهاد ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم

في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث

الثانية الاشهاد عند اكثر العلماء على الرجعة ندب واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة او تكلم بالرجعة يريد به الرجعة فهو مراجع عند مالك وان لم يرد بذلك الرجعة فليس بمراجع وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة قالوا والنظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهو رجعة وقد قيل وطؤه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وروي ذلك عن طائفة من اصحاب مالك واليه ذهب الليث وكان مالك يقول اذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود لوطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الاولى وليس له رجعة في هذا الاستبراء

الثالثة اوجب الاشهاد في الرجعة احمد بن حنبل في احد قوليه والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول فلم تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق وخصوصا حل الظهار بالكفارة قال ابن العربي وركب اصحاب الشافعي على وجوب الاشهاد في الرجعة انه لا يصح ان يقول كنت راجعت امس وانا اشهد اليوم على الاقرار بالرجعة ومن شرط الرجعة الاشهاد فلا تصح دونه وهذا فاسد مبني على ان الاشهاد في الرجعة تعبد ونحن لا نسلم فيها ولا في النكاح بان نقول انه موضع للتوثق وذلك موجود في الاقرار كما هو موجود في الانشاء

الرابعة من ادعى بعد انقضاء العدة انه راجع امراته في العدة فان صدقته جاز وان انكرت حلفت فان اقام بينة انه راجعها في العدة ولم تعلم بذلك لم يضره جهلها بذلك وكانت زوجته وان كانت قد تزوجت ولم يدخل بها ثم اقام الاول البينة على رجعتها فعن مالك في ذلك روايتان احداهما ان الاول احق بها والاخرى ان الثاني احق بها فان كان الثاني قد دخل بها فلا سبيل للاول اليها

الخامسة قوله تعالى ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي مذكر ولذلك قال علماؤنا لا مدخل للنساء فيما عدا الاموال وقد مضى ذلك في سورة البقرة

السادسة قوله تعالى واقيموا الشهادة لله اي تقربا الى الله في اقامة الشهادة على وجهها اذا مست الحاجة اليها من غير تبديل ولا تغيير وقد مضى في البقرة معناه عند قوله واقوم للشهادة

قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فاما غير المؤمن فلا ينتفع بهذه المواعظ

قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس ايضا يجعل الله له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل الله له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه وقيل ومن يتق الله في الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجا بالكفاية وقال عمر بن عثمان الصدفي ومن يتق الله فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن النار الى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو وقال ابن عيينة هو البركة في الرزق وقال ابو سعيد الخدري

يعني المراجعة بالمعروف

ومن تبرا من حوله وقوته الى الله بالرجوع يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة له وتاول ابن مسعود
ومسروق الاية على العموم وقال ابوذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم لو اخذ
بها الناس لكفتهم ثم تلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا
من شبهات الدنيا وعن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وقال اكثر المفسرين
فيما ذكر الثعلبي انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن
عباس قال جاء عوف بن مالك الاشجعي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
ابني اسره العدو وجزعت الام وعن جابر بن عبد الله نزلت في عوف بن مالك الاشجعي
اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفاقة
وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال اتق الله واصبر وامرك
واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامراته
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا
بالله فقالت نعم ما امرنا فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه
وهي اربعة الاف شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له وفي
رواية انه جاء وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا قال الكلبي اصاب خمسين
بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه
وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا فسال النبي صلى الله عليه وسلم ايحل لي ان اكل مما اتى به
ابني قال نعم ونزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية فروى الحسين عن عمران بن الحصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث
لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي اذا اتقى واثر
الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم من اكثر في الاستغفار جعل الله له من كل
هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب قوله تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره اي من فوض اليه امره كفاه ما اهمه وقيل اي من اتقى
الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد
الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل ان الله بالغ امره وقال مسروق
يعني قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر
عنه سيئاته ويعظم له اجرا وقراءة العامة بالغ منونا امره نصبا وقراءة عاصم
بالغ امره بالاضافة وحذف التنوين استخفافا وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله
قد جعل الله خبر ان وبالغا حال وقرا داود بن ابي هند بالغ امره بالتنوين ورفع الراء
وقال الفراء اي امره بالغ وقيل امره مرتفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير
بالغ امره ما اراد قد جعل الله لكل شيء قدرا اي لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا
ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو قدر الحيض في الاجل والعدة وقال عبد الله بن
رافع لما نزل قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن
اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت ان الله بالغ امره اي فيكم وعليكم
قال الربيع بن خثيم ان الله بالغ امره اي فيكم وعليكم قد قال الربيع بن خثيم
ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن
وثق به نجاه ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم
بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان قوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فيه سبع مسائل

من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب
من اكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب

الاولى لما بين الله تعالى الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء
عرفوها في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم وقال ابو عثمن عمر بن سالم لما نزلت عدة
النساء سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا
يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت واللائي
يئسن من المحيض الاية وقال مقاتل لما نزل قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي تحض وعدة التي
انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني قعدن عن المحيض
وقيل ان معاذ بن جبل سال عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت الاية والله اعلم وقال مجاهد
الاية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو ام دم علة الثانية قوله تعالى ان
ارتبتم اي شككتم وقيل تيقنتم وهو من الاضداد يكون شكا ويقينا كالظن واختيار
الطبري ان يكون المعنى اي شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها
وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها القشيري وفي هذا نظر لانا اذا
شككنا هل بلغت سن الياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر والمعتبر في سنين في اقوى اقضى
عادة امراة في العالم وفي قول نساء غالب عشيرة المراة وقال مجاهد قوله ان ارتبتم
للمخاطبين يعني ان لم تعلموا ان الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض المعهود ومن
الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر وقال عكرمة وقتادة من الريبة المراة المستحاضة
التي لا يستقيم لها الحيض في اول الشهر مرارا وفي الاشهر مرة وقيل انه متصل باول
السورة والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن ان ارتبتم في انقضاء العدة وهو اصح ما قيل فيه
الثالثة المرتابة في عدتها لا تنكح حتى تستبرئ نفسها من ريبتها ولا تخرج من العدة
الا بارتفاع الريبة وقيل في المرتابة التي يرفعها حيضها وهي لا تدري ما يرفعها انها
تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها منها تسعة اشهر استبراء وثلاثة عدة فان طلقها
فحاضت حيضة او حيضتين ثم ارتفع عنها بغير ياس منها انتظرت تسعة اشهر ثم ثلاثة
من يوم طهرت من حيضتها ثم حلت للازواج وقاله الشافعي بالعراق فعلى قياس هذا القول
تقيم الحرة المتوفى عنها المستريبة بعد التسعة اشهر اربعة اشهر وعشرا والامة شهرين
وخمس ليال بعد التسعة اشهر وروي عن الشافعي ايضا ان اقراءها على ما كانت حتى تبلغ
سن مثلها الايسات وهو قول النخعي والثوري وغيرهما وحكاه ابو عبيد عن اهل العراق وان
كانت المراة شابة وهي المسئلة الرابعة استؤني بها هل هي حامل ام لا فان
استبان حملها فاجلها وضعه وان لم يستبن فقال مالك عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة
سنة وبه قال احمد بن اسحق ورووه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره واهل العراق
يرون ان عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها ولو مكثت عشرين
سنة الا ان تبلغ من الكبر مبلغا تياس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر
قال الثعلبي وهذا الاصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء وروي ذلك عن ابن
مسعود واصحابه قال الكيا وهو الحق لان الله تعالى جعل عدة الايسة ثلاثة اشهر والمرتابة
ليست ايسة الخامسة واما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك وابن القاسم وعبد
الله بن اصبغ تعتد تسعة اشهر ثم ثلاثة اشهر وقال اشهب هي كالمرضع بعد الفطام
بالحيض او بالسنة وقد طلق حبان بن منقذ امراته وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل
الرضاع ثم مرض حبان فخاف ان ترثه فخاصمها الى عثمن وعنده علي وزيد فقالا نرى ان ترثه
لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات حبان فورثته واعتدت عدة الوفاة
السادسة ولو تاخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لا حيض فيها تسعة اشهر
ثم ثلاثة على ما ذكرنا فتحل ما لم ترتب بحمل فان ارتابت بحمل اقامت اربعة اعوام او

خمسة اعوام او سبعة على اختلاف الروايات عن علمائنا ومشهورها خمسة اعوام فان تجاوزتها حلت وقال اشهب لا تحل ابدا حتى ينقطع عنها الريبة قال ابن العربي وهو الصحيح لانه جاز ان يبقى الولد في بطنها خمسة اعوام جاز ان يبقى عشرة واكثر من ذلك وقد روي عن مالك مثله **السابعة** واما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة اقوال قال ابن المسيب تعتد سنة وهو قول الليث قال الليث عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا كانت مستحاضة سنة وهو مشهور قول علمائنا سواء علمت دم حيضها من دم استحاضة وميزت ذلك او لم تميزه عدتها في ذلك عند مالك في تحصيل مذهبه سنة منها تسعة اشهر استبراء وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد اقواله عدتها ثلاثة اشهر وهو قول جماعة من التابعين والمتاخرين من القرويين ابن العربي وهو الصحيح عندي وقال ابو عمر المستحاضة اذا كان دمها ينفصل اذا علمت اقبال حيضها وادبارها اعتدت ثلاثة قروء وهذا اصح في النظر واثبت في القياس والاثر قوله تعالى **واللائي لم يحضن** يعني الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر فاضمر الخبر وانما كانت عدتها بالاشهر لعدم الاقراء فيها عادة والاحكام انما اجراها الله على العادة فهي تعتد بالاشهر فاذا رات الدم في زمن احتماله عند النساء انتقلت الى الدم لوجود الاصل واذا وجد الاصل لم يبق للبدل حكم كما ان المسنة اذا اعتدت بالدم ثم انقطع عادت الى الاشهر وهذا اجماع قوله تعالى **واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن** فيه مسئلتان **الاولى** وضع الحمل وان كان ظاهرا في المطلقة لانه عليها عطف واليها رجع عقب الكلام فانه في المتوفى عنها زوجها كذلك لعموم الاية وحديث سبيعة وقد مضى القول فيه في البقرة مستوفى **الثانية** اذا وضعت المراة ما وضعت من مضغة او علقة حلت وقال الشافعي وابو حنيفة لا تحل الا بما يكون ولدا وقد مضى القول فيه في البقرة والرعد قوله تعالى **ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا** قال الضحاك اي من يتق الله في طلاق السنة يجعل له من امره يسرا في الرجعة مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له امرا في توفيقه للطاعة ذلك امر الله اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي يعمل بطاعته ويكفر عنه سيئاته من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ويعظم له اجرا اي في الاخرة قوله تعالى **اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم** فيه اربع مسائل قال اشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها ويتركها في المنزل لقوله تعالى اسكنوهن فلو كان معها ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال مالك في قول الله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم يعني المطلقات اللائي بن من ازواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملا فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة لانها بائن منه لا يتوارثان ولا رجعة له عليها وان كانت حاملا فلها النفقة والكسوة والسكنى حتى تنقضي عدتها فاما من لم تبن منهن فانهن نساؤهم يتوارثون ولا يخرجن حتى ياذن لهن ازواجهن ما كن في عدتهن ولم يؤمروا بالسكنى لهن لان ذلك لازم لازواجهن مع نفقتهن وكسوتهن حوامل او غير حوامل وانما امر الله بالسكنى للائي بن من ازواجهن قال الله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل الله عز وجل للائي بن من ازواجهن السكنى والنفقة ابن العربي وبسط ذلك وتحقيقه ان الله سبحانه لما ذكر السكنى اطلقها لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان المطلقة البائن لا نفقة لها وهي مسالة عظيمة قد مهدنا سبيلها قرانا وسنة ومعنى في مسائل الخلاف وهذا ماخذها من القران قال الشيخ المصنف رحمه الله اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى

ولا نفقة لها ومذهب ابو حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى على حديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني وهذا ابن عم زوجي يزعم ان ليس لي السكنى ولا النفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة على من له عليها الرجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسالني عن ذلك وان عبد الله يقول ان لها السكنى والنفقة خرجه الدارقطني ولفظ مسلم عنها انه طلقها زوجها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فان كانت لي نفقة اخذت الذي يصلحني وان لم يكن لي نفقة لا اخذ شيئا قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا نفقة لك ولا سكنى وذكر الدارقطني عن الاسود قال قال عمر لما بلغه قول فاطمة بنت قيس لا نجيز في المسلمين قول امراة وكان يجعل للمطلقة ثلاثا السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ المصنف رحمه الله ما احسن هذا وقد قال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله اسكنوهن على ما قبله وهي المطلقة الرجعية والله اعلم ولان السكنى تابع للنفقة وجارية مجراها فلما لم تجب للمبتوتة نفقة لم يجب لها السكنى وحجة ابي حنيفة ان للمبتوتة النفقة قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وترك النفقة من اكبر الاضرار وانكار عمر على فاطمة قولها ما بين هذا ولانها معتدة تستحق السكنى عن طلاق وكانت لها النفقة كالرجعية ولانها محبوسة عليه فاستحقت النفقة كالزوجة دليل مالك قوله تعالى وان كن اولات حمل الاية على ما تقدم بيانه وقد قيل ان الله ذكر المطلقة الرجعية واحكامها اول الاية الى قوله ذوي عدل منكم ثم ذكر بعد ذلك حكما يعم المطلقات كلهن من تعديد الاشهر وغير ذلك وهو عام في كل مطلقة فرجع ما بعد ذلك من الاحكام الى كل مطلقة **الثانية** قوله تعالى من وجدكم اي من سعتكم يقال وجدت في المال اجد اوجد والوجد الغنى والمقدرة وقراءة العامة بضم الواو وقرا الاعرج والزهري بفتحها ويعقوب بكسرها وكلها لغات فيها **الثالثة** قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مجاهد في السكنى مقاتل في النفقة وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها **الرابعة** قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثا او اقل منهن حتى تضع حملها فاما الحامل المتوفى عنها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه ينفق عليها من جميع المال وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم لا ينفق عليها الا من نصيبها وقد مضى في البقرة بيانه قوله تعالى **فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى** فيه اربع مسائل **المسالة الاولى** قوله تعالى فان ارضعن لكم يعني المطلقات اولادكم منهن فعلى الاباء ان يعطوهن اجرة رضاعهن وللرجل ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وتقدم القول في الرضاع في البقرة والنساء **المسالة الثانية** قوله تعالى واتمروا بينكم بمعروف هو خطاب للازواج والزوجات اي وليقبل بعضكم من بعض

اذا وضعت المراة ما وضعت من مضغة

ما امره بالمعروف الجميل والجميل منها ارضاع الولد من غير اجرة والجميل منه توفير اجرة لها للارضاع وقيل ايتمروا في رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحق الولد اضرار وقيل هو الكسوة والدثار وقيل معناه لا تضار والدة ولا مولود له بولده **الثالثة** قوله تعالى وان تعاسرتم اي في اجرة الرضاع فابي الزوج ان يعطي الام رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس لها اكراهها وليستاجر مرضعا غير امه وقيل معناه وان تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها وهو خبر في معنى الامر وقال الضحاك اذا ابت الام ان ترضع استاجر لولدها اخرى فان لم تقبل امه اجبرت على رضاعه بالاجر وقد اختلف العلماء فيمن يجب عليه رضاع الولد على ثلاثة اقوال قال علماؤنا رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا لموضعها وشرفها فعلى الاب رضاعه حينئذ في ماله الثاني قال ابو حنيفة لا يجب على الام بحال الثالث يجب عليها في كل حال **الرابعة** فان طلقها فلا يلزمها رضاعه الا ان يكون غير قابل ثدي غيرها فيلزمها الارضاع فان اختلفا في الاجر فان دعت الى اجر مثلها وامتنع الاب الا تبرعا فالام اولى باجر المثل وان امتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب باجرتها اخذت جبرا برضاع ولدها **قوله تعالى** لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا فيه اربع مسائل **المسألة الاولى** قوله تعالى لينفق اي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليهما اذا كان موسعا عليه ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك فتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة فينظر المعنى الى قدر حاجة المنفق عليه ثم ينظر الى حالة المنفق فان احتملت الحاجة امضاها عليه وان قصرت حالته عن حاجة المنفق عليه ردها الى قدر احتماله وقال الشافعي واصحابه النفقة مقدرة محدودة ولا اجتهاد لحاكم ولا لمفت فيها وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسره وعسره ولا يعتبر بحالها وكفايتها قالوا فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فان كان الزوج موسرا لزمه مدان وان كان متوسطا فمد ونصف وان كان معسرا فمد واستدلوا بقوله لينفق ذو سعة من سعته الاية فجعل الاعتبار بالزوج في العسر واليسر دونها لان الاعتبار بكفايتها لا سبيل الى علمه للحاكم ولا لغيره فيؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تلتمس فوق كفايتها وهي تزعم ان الذي يطلب بمطلبه قدر كفايتها فجعلها مقدرة قطعا للخصومة والاصل في هذا عندهم قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته كما ذكرنا وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره والجواب ان هذه الاية لا يعطي اكثر من فرق بين نفقة الغني والفقير وانها تختلف بيسر الزوج وعسره وهذا مسلم فاما انه لا اعتبار بحال الزوجة على وجه فليس فيه وقد قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وذلك يقتضي تعلق المعروف في حقهما لانه لم يخص في ذلك واحدا منهما وليس من المعروف ان يكون كفاية الغني مثل نفقة الفقير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فاحالها على الكفاية حين علم السعة من حال ابي سفيان الواجب عليه بطلبها ولم يقل لها الاعتبار بكفايتك وان الواجب لك شيء مقدر بل ردها الى ما يعلمه من قدر كفايتها ولم تعلقه بمقدار معلوم ثم ما ذكروه من التحديد يحتاج الى التوقيف والاية لا تقتضيه **المسألة الثانية** روي ان عمر رضي الله عنه فرض للمنفوس مائة درهم وفرض لها خمسون درهما قال ابن العربي احتمل ان يكون هذا الاختلاف بحسب اختلاف السنين او بسبب حال القدر في التسعير لثمن القوت والملبس وقد

روي محمد بن هلال المزني قال حدثني ابي وجدتي انها كانت ترد على عثمان ففقدها فقال لاهله ما لي لا ارى فلانة فقالت امراته يا امير المومنين ولدت الليلة فبعث اليها بخمسين درهما وشقيقة سنبلانية فقال هذا عطاء ابنك وهذه كسوته فاذا مرت له سنة رفعناه الى مائة وقد اتي علي رضي الله عنه بمنبوذ ففرض له مائة قال ابن العربي هذا الفرض قبل الفطام مما اختلف فيه العلماء فمنهم من رآه مستحبا لانه داخل في حكم ابويه ومنهم من رآه واجبا لما تجدد من حاجته وعرض من مؤنته وبه اقول ولكن يختلف قدره بحاله عند الولادة وبحاله عند الفطام وقد روى سفيان بن وهب ان عمر اخذ المدي بيد والقسط بيد فقال اني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مدي حنطة وقسطي خل وقسطي زيت زاد غيره وقال انا قد اجرينا لكم اعطياتكم وارزاقكم في كل شهر فمن انتقصها فعل الله به كذا وكذا فدعا عليه قال ابو الدرداء سنة واشد به مهديه قد سنها عمر في امة محمد صلى الله عليه وسلم والمد والقسط كيلان شاميان في الطعام والادام وقد درسا بعرف آخر فاما المدي فهو درب الى الكيلجة واما القسط فقد درس الى الكيل ولكن التقدير فيه عندنا ربعان في الطعام وثمنان في الادام واما الكسوة فبقدر العادة قميص وسراويل وجبة في الشتاء وكساء وازار وحصير وهذا الاصل ويتزيد بحسب الاحوال والعادة **الثالثة** هذه الاية اصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد بن المواز اذ يقول انها على الابوين على قدر الميراث قال ابن العربي ولعل محمدا اراد انها على الام عند عدم الاب وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم تقول لك المراة انفق علي والا طلقني ويقول لك العبد انفق علي واستعملني ويقول لك الابن انفق الي من تكلني تعاضد القران والسنة وتواردا في شرعة واحدة **الرابعة** قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها اي لا يكلف الله الفقير مثل ما يكلف الغني سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد الضيق غنى وبعد الشدة سعة **قوله تعالى** وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور لما ذكر الاحكام ذكر وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول العذاب بهم وقد مضى القول في كاين في آل عمران ان عتت عن امر ربها اي عصت يعني القرية والمراد اهلها فحاسبناها حسابا شديدا اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وسائر المصائب وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا والنكر المنكر وقرئ مخففا ومثقلا وقد مضى القول في الكهف فذاقت وبال امرها اي عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي هلاكا في الدنيا بما ذكرنا في الاخرة بجهنم وجيء بلفظ الماضي كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد اعد الله لهم عذابا شديدا بين ذلك الخسر وانه عذاب جهنم في الاخرة فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا اي العقول الذين آمنوا بدل من اولي الالباب او نعت لهم اي يا اولي الالباب الذين آمنتم بالله اتقوا الله الذي انزل عليكم القرآن اي خافوه واعملوا بطاعته وانتهوا عن مناهيه وقد تقدم رسولا قال الزجاج انزال الذكر دليل على اضمار ارسل اي انزل اليكم قرآنا وارسل رسولا وقيل ان المعنى قد انزل الله اليكم صاحب ذكر رسولا فرسولا نعت للذكر على تقدير حذف المضاف وقيل

ان الرسول معمول للذكر لانه مصدر والتقدير انزل الله اليكم ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله ويجوز ان يكون رسولا بدلا من ذكر على ان يكون رسولا بمعنى رسالة او على ان يكون على بابه ويكون على المعنى كانه قال قد اظهر الله لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشي من الشي وهو هو ويجوز ان ينتصب رسولا على الاغرا كانه قال اتبعوا رسولا وقيل الذكر هنا الشرف وهو قوله قد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله وانه لذكر لك ولقومك ثم بين هذا الشرف فقال رسولا والاكثر على ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هو جبريل فيكونا جميعا منزلين يتلو عليكم ايات الله بعث لرسول وايات الله القران مبينات قراة العامة بفتح اليا اي بينها الله وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها اي يبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام والاولى قراة ابن عباس واختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله قد بينا لكم الايات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي من الكفر الى النور بالهدى والايمان قال ابن عباس نزلت في مومني اهل الكتاب واضاف الاخراج الى الرسول لان الايمان حصل منه بطاعته قال الله تعالى

ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ومن يومن قرا نافع وابن عامر بالياء والباقون بالنون قد احسن الله له رزقا اي وسع له في الجنات **قوله تعالى** الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما دل على كمال قدرته وانه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في السموات انها سبع بعضها فوق بعض دل على ذلك حديث الاسرا وغيره ثم قال ومن الارض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن على قولين احدهما وهو قول الجمهور انها سبع ارضين طباقا فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين كل سما وسما وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها مطلقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات والاول اصح لان الاخبار دالة عليه في الترمذي والنسائي وغيرها وقد مضى ذلك مبينا في البقرة وخرج ابو نعيم قال حدثنا محمد بن علي بن حبش قال اسمعيل بن اسحق السراج وحدثنا ابو محمد بن حيان قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية قال حدثنا سويد بن سعيد قال حدثنا حفص بن ميسرة عن موسى بن عقبة عن عطا بن ابي مروان عن ابيه ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها قال ابو نعيم هذا حديث ثابت من حديث موسى بن عقبة تفرد به عن عطا ورواه عنه ابن ابي الزناد وغيره وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين ومثله عن عايشة وابين منهما حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد شبرا من الارض بغير حقه الا طوقه الله الى سبع ارضين يوم القيامة قال الماوردي فعلى انها سبع ارضين بعضها فوق بعض تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم فيمن غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم ضوءها قولان احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضيا منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والقول الثاني انهم لا يشاهدون

ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها

السما

السما فان الله تعالى خلق لهم ضيا يستمدونه وهذا قول من جعل الارض كالكرة وفي الاية قول ثالث حكاه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض يفرق بينها البحار ويظل جميعهم السما فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى احتمل ان يلزمهم دعوة الاسلام باهل هذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان يلزمهم دعوة الاسلام عند امكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا يلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها مامورا والله اعلم ما استاثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه ثم قال يتنزل الامر بينهن قال مجاهد يتنزل الامر بينهن من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سما وارض والامر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعليه فقوله بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التي هي ادناها وبين السما السابعة التي هي اعلاها وقيل الامر القضاء والقدر وهو قول الاكثر فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السما السابعة التي هي اعلاها وقوله يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات وياتي بالليل والنهار في الصيف والشتا ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهياتها وينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا القول على مجال اللغة واتساعها كما يقال امر الله والريح والسحاب ونحوها لتعلموا ان الله على كل شي قدير يعني ان من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه اقدر ومن العفو والانتقام امكن وان استوى كل ذلك في مقدرته ومكنته وان الله قد احاط بكل شي علما فلا يخرج شي عن علمه وقدرته ونصب علما على المصدر المولد لانه احاط بمعنى علم وقيل بمعنى ان الله احاط احاطة علما

تفسير سورة التحريم مدنية في قول الجميع

وهي اثنتا عشرة اية وتسمى سورة النبي بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم

فيه خمس مسايل **المسالة الاولى** ثبت في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا ما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم اني اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسايه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت اليها امراة من قومها عكة من عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة فقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحله العرفط وساقول ذلك له وقوليه انت يا صفية فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والذي لا اله الا هو لقد كدت ان اناديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله اكلت

بما فيه قال لا قالت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله
العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل
على حفصة قالت يا رسول الله اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان
الله لقد حرمناه قال قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شرب عندها
العسل حفصة وفي الاول زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس انه شربه عند
سودة وقد قيل انها ام سلمة رواه اسباط عن السدي وقاله عطا ابن ابي مسلم ابن العربي
وهذا كله جهل او تصور بغير علم فقال باقي نسائه حسدا او غيرة لمن شرب ذلك
عندها انا نجد منك ريح المغافير والمغافير بقلة او صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة
واحدها مغفور وجرست اكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر وكان عليه السلام
يحب ان يوجد منه الريح الطيب ويجدها ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك وهذا
قول وقول اخر انه اراد بذلك المراة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
فلم يقبلها لاجل ازواجه قاله ابن عباس وعكرمة والمراد ام شريك وقول
ثالث ان النبي حرم مارية القبطية وكان قد اهداها له ملك المقوقس ملك
الاسكندرية قال ابن العربي هي من كورة انصنا من بلد يقال له حفن فواقعها
في بيت حفصة روى الدارقطني عن ابن عباس عن ابن عمر قال دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بام ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له تدخلها
بيتي لم صنعت بي هذا من بين نسائك الا من هواني عليك فقال لها لا تذكري
هذا لعايشة هي علي حرام ان قربتها قالت حفصة فكيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف
لها ان لا يقربها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تذكري لاحد فذكرته
لعايشة فالى لا يدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة فانزل الله عز
وجل لم تحرم ما احل الله لك الاية **المسالة الثانية** اصح هذه الاقوال اولها واضعفها
اوسطها قال ابن العربي اما ضعفه في السند فلعدم عدالة رواته واما
ضعفه في معناه فلان رد النبي صلى الله عليه وسلم الموهوبة ليس تحريما لها لان من رد من
وهب له لم يحرم عليه انما حقيقة التحريم بعد التحليل واما من روى انه حرم مارية
فهو امثل في السند واقرب الى المعنى لكنه لم يدون في الصحيح وروي مرسلا وقد
روى ابن وهب عن زيد بن اسلم قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ابراهيم فقال
انت علي حرام فقال والله لا اتيتك فانزل الله عز وجل في ذلك يا ايها النبي لم تحرم ما
احل الله لك وروى مثله ابن القاسم وروى اشهب عن مالك قال راجعت عمر امراة
من الانصار في شي فاقشعر من ذلك وقال ما كان النسا هكذا قالت بلى وقد
كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه فاخذ ثوبه وخرج الى حفصة فقال
اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ولو اعلم انك تكره ما فعلت
فلما بلغ عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هجر نساءه قال رغم انف حفصة
وانما الصحيح انه كان في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عايشة
وحفصة وجرى ما جرى فحلف ان لا يشربه واسر ذلك ونزلت الاية في الجميع
المسالة الثالثة قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك ان كان النبي صلى الله عليه
وسلم حرم ولم يحلف فليس ذلك بيمين عندنا ولا يحرم بقول الرجل هذا علي حرام
شيا حاشى الزوجة وقال ابو حنيفة اذا اطلق حمل على الماكول والمشروب وكانت
يمينا توجب الكفارة وقال زفر هو يمين في الكل حتى في الحركة والسكون
وعول المخالف على ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمته الكفارة وقد قال
الله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فسماه يمينا ودليلنا قول الله تعالى يا ايها الذين

ريح المغافير

امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من
رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون فذم الله المحرم للحلال
ولم يوجب عليه كفارة قال الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله ولم يجعل لنبيه
عليه السلام ان يحرم الا ما حرم الله فمن قال لزوجته او امته انت علي حرام فان لم ينو
طلاقا ولا ظهارا فهذا اللفظ يوجب عليه كفارة اليمين ولو خاطب بهذا اللفظ جمعا
من الزوجات والاما فعليه كفارة واحدة ولو حرم على نفسه طعاما او شيا اخر لم يلزمه
بذلك كفارة عند الشافعي ومالك وتجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وابي
حنيفة **المسالة الرابعة** اختلف العلما في الرجل يقول لزوجته انت علي حرام
على ثمانية عشر قولا احدها لا شي عليه وبه قال الشعبي ومسروق وربيعة وابو سلمة واصبغ
وهو عندهم كتحريم الماء والطعام قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احل الله وقال تعالى ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير
بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي
وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم
ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم عليه وكفر وثانيها انها يمين قاله
ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعايشة رضي الله عنهم والاوزاعي
وهو مقتضى اللغة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس اذا حرم عليه امراته فانما هي يمين يكفرها
وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان حرم جاريته فقال الله تعالى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله تعالى قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم فكفر يمينه وصير الحرام يمينا اخرجه الدارقطني وثالثها انها تجب فيها كفارة
وليست بيمين قاله ابن مسعود وابن عباس ايضا في احدى روايتيه وعند الشافعي في احد قوليه
وفي هذا القول نظر والاية ترده على ما ياتي ورابعها هي ظهار ففيها كفارة الظهار وقاله
عثمان واحمد بن حنبل واسحق وخامسها انه ان نوى الظهار وهو ينوي انها محرمة كتحريم
ظهر امه كان ظهارا وان نوى تحريم عينها عليه بغير طلاق تحريما مطلقا وجبت كفارة يمين
قاله الشافعي وسادسها انها طلقة رجعية قاله عمر بن الخطاب والزهري وعبد العزيز
ابن ابي سلمة الماجشون وسابعها انها طلقة باينة قاله زيد بن ثابت وهو قول حماد
ابن ابي سليمان ورواه ابن خويز منداد عن مالك وثامنها انها ثلاث تطليقات قاله علي
ابن ابي طالب وزيد بن ثابت ايضا وابو هريرة وتاسعها هي في المدخول بها وينوى في غير
المدخول بها قاله علي بن زيد والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك وعاشرها
هي ثلاث ولا ينوى بحال ولا في محله وان لم يدخل قاله عبد الملك في المبسوط
وبه قال ابن ابي ليلى وحادي عشرها هي في التي لم يدخل بها واحدة وفي التي دخل
بها واحدة ثلاث قاله مصعب ومحمد بن عبد الحكم وثاني عشرها انه ان نوى
الطلاق والظهار كان ما نوى فان نوى الطلاق فواحدة باينة الا ان ينوي ثلاثا
فان نوى اثنين فواحدة فان لم ينو شيا فواحدة كانت يمينا وكان الرجل موليا
من امراته قاله ابو حنيفة واصحابه وبمثله قال زفر الا انه قال اذا نوى اثنتين الزمناه
وثالث عشرها انه لا تنفعه نية الظهار وانما يكون طلاقا قاله ابن القاسم
ورابع عشرها قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم يجز له وطيها حتى يكفر كفارة
الظهار وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده وان نوى واحدة
فهي رجعية وهو قول الشافعي وروي مثله عن ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين
وسادس عشرها ان نوى ثلاثا فثلاثا وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا

استعمال حرام

عي

في يمين وان لم ينو شيا فلا شي وهو قول سفين ومثله قال الاوزاعي وابوثور الا انهما قالا ان
لم ينو شيا فهو واحدة وسابع عشرها له نيته ولا اقل من واحدة قاله ابن شهاب
وثامن عشرها ان لم ينو شيا لم يكن شيا قال ابن العربي ورايت لسعيد بن جبير
وهو التاسع عشر ان عليه عتق رقبه فان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم له وجها ولا يبعد في
المقالات عندي قلت قد ذكره الدارقطني في سننه عنه عن ابن عباس رضي الله
فقال انبانا الحسن بن اسمعيل حدثنا محمد بن منصور انبانا روح انبانا سفين الثوري عن سالم
الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت امراتي علي حراما
فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ الكفارات
عتق رقبه وقد قال جماعة من اهل التفسير انه لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه
بعتق رقبة وعاد الى مارية صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره **الخامسة**
قال علماونا سبب الاختلاف في هذا الباب انه ليس في كتاب الله ولا سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم نص ولا ظاهر صحيح نعتمد عليه في هذه المسالة فتجاذبها العلماء لذلك فمن
تمسك بالبراءة الاصلية فقال لا حكم فلا يلزم بها شي واما من قال انها يمين فقال
سماها الله يمينا واما من قال يجب فيها كفارة وليست بيمين فبناه على احد امرين احدهما
انه ظن انه اوجب الكفارة فيها وان لم تكن يمينا والثاني ان معنى اليمين عنده التحريم
فوقعت الكفارة على المعنى واما من قال انها طلقة رجعيه فانه حمل اللفظ على اقل
وجوهه والرجعية محرمة الوطء وكذلك فيحمل اللفظ عليه وهذا يلزم مالكا
لقوله ان الرجعية محرمة الوطء وكذلك وجه من قال انها ثلاث يحمله على
اكثر معناه وهو الطلاق الثلاث واما من قال انه ظهار فلانه اقل درجات
التحريم فانه تحريم لا يرفع النكاح واما من قال انه طلقة بائنة فعول على ان
الطلاق الرجعي لا يحرم المطلقة وان الطلاق البائن يحرمها واما في قول يحيى
بن عمر فانه احتاط بان جعله طلاقا فلما ارتجعها احتاط بان يلزمه الكفارة ابن
العربي وهذا لا يصح فانه جمع بين المتضادين فانه لا يجمع ظهار وطلاق في معنى لفظ
واحد فلا وجه للاحتياط فيما لا يصح اجتماعه في الدليل واما من قال انه ينوي في
التي لم يدخل بها فلان الواحدة تبينها وتحرمها وتنوعها انواعا وكذلك قال
ومن لم يحكم باعتبار نية الواحدة تكفي قبل الدخول في التحريم بالاجماع
فيكفي اخذا بالاقل المتفق عليه واما من قال انه ثلاث فيهم فلانه اخذ بالحكم
الاعظم فانه لو صرح بالثلاث لنفذت في التي لم يدخل بها نفوذها في التي دخل
بها ومن الواجب ان يكون المعنى مثله وهو التحريم وهذا كله في الزوجة واما في
الامة فلا يلزم فيها شي من ذلك الا ان نوى به العتق عند مالك وذهب عامة
العلما ان عليه كفارة يمين ابن العربي والصحيح انها طلقة واحدة
الا ان تعتقد وذلك اذا اجرا التحريم يكون اقله الا ان بعيد وهابا لا كثر فسيل ان تقول
انت علي حرام الا بعد زوج فهذا نص على المراة قلت اكثر المفسرين على ان
الاية نزلت في حفصة لما خلا النبي صلى الله عليه وسلم بجاريته في بيتها ذكره الثعلبي وعلى
هذا فكانه قال لا يحرم عليك ما حرمته بما ليك ولكن عليك كفارة اليمين وان كان في
تحريم العسل والجارية ايضا فكانه قال لم تحرم عليك ما حرمته عليك ولكن ضممت
الى التحريم يمينا فكفر عن اليمين وهذا اصح فان النبي صلى الله عليه وسلم حرم
ثم حلف كما ذكره الدارقطني وذكر البخاري معناه في قصة العسل عن عبيد
بن عمير عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عند زينب
بنت جحش ويمكث عندها فتواصيت انا وحفصة رضي الله عنهما على ايتنا دخل

لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه

على

عليها فليقل اكلت مغافير اي اجد ريح منك ريح مغافير قال لا ولكن شربت
عسلا ولن اعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك احدا يبتغي بذلك مرضات
ازواجه فيعني بقوله وان له على جهة التحريم وبقوله حلفت اي بالله ل
بيان ان الله تعالى انزل عليه عند ذلك معاتبته على ذلك وحواله على كفارة
اليمين بقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي تفعل ذلك طلبا
لرضاهن والله غفور رحيم لما اوجب المعاتبة رحيم برفع المواخذة
وقد قيل ان ذلك كان ذنبا من الصغاير والصحيح انه معاتبة
على ترك الاولى وانه لم يكن له صغيرة ولا كبيرة قال الله تعالى
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله عليم حكيم فيه ثلاث مسايل
المسالة الاولى تحليل اليمين كفارتها اي اذا احنثتم استباح
المحلوف عليه وهو قوله في سورة المايدة فكفارته اطعام عشرة مساكين
ويتحصل من هذا ان من حرم شيا من الماكول او المشروب لم يحرم عليه
عندنا لان الكفارة لليمين لا للتحريم كما بيناه وابو حنيفة يراه
يمينا في كل شي ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما
فقد حلف على اكله او امة فعلى وطيها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم تكن
نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين وكذلك
ان نوى ثنتين او ثلاثا وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله
تعالى ولا يدين في القضا بابطال الايلا وان قال كل حلال علي حرام فعلى
الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن
في الكفارة وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده على ما تقدم فان حلف
ان لا ياكله حنث وبر بالكفارة **المسالة الثانية** فان حرم
امته او زوجته فكفارة يمين كما في صحيح مسلم عن ابن عباس قال اذا حرم الرجل
امراته فهو يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
المسالة الثالثة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن
يمينه وعن الحسن لم يكفر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر به الامة والاول
اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الامة تقتدي به
في ذلك وقد قدمنا عن زيد بن اسلم انه صلى الله عليه وسلم كفر بعتق رقبة
وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية
والله اعلم وقد قيل ان الله قد فرض لكم تحليل ملك اليمين فبين في
قوله ما كان على المومنين من حرج فيما فرض الله له اي فيما شرعه له في النسا
المحللات اي حلل لكم ملك اليمين فلم تحرم مارية على نفسك مع تحليل الله
اياها لك وقيل تحلة اليمين الاستثنا اي فرض الله لكم الاستثنا المخرج
من اليمين ثم عند قوم يجوز الاستثنا من الايمان متى شاء وان تخلل مدة وعند
المعظم لا يجوز الا متصلا فكانه اتصل استثنى بعد هذا فيما يحلف
عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة والاصل تحللة فادغمت وتفعلة
من مصادر فعل كالتوصية والتسمية فالتحلة تحليل اليمين فاليمين عقد
والكفارة حل وقيل التحلة الكفارة اي انها تحل للحالف ما حرم على
نفسه اي اذا كفر صار كمن لم يحلف والله مولاكم وليكم
وناصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه على انفسكم وبالترخيص لكم

في تحليل ايمانكم بالكفارة وبالثواب على ما تخرجونه في الكفارة والله اعلم

قال الله تعالى **وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير** واذ اسر النبي اي واذكر اذ اسر الى حفصة حديثا يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامه اياها ذلك وقال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتي على امتي من بعدي وقاله ابن عباس قال اسر امر الخلافة بعده الى حفصة فذكرته حفصة . روى الدارقطني في سننه عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال اطلعت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ام ابراهيم فقال لا تخبري عائشة وقال لها ان اباك واباها سيملكان او سيليان بعدي فلا تخبري عائشة قال فانطلقت حفصة فاخبرت عائشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض عن بعض اي اعرض عن قولها ان اباك واباها يكونا بعدي كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينشر ذلك في الناس فلما نبأت به اي اخبرت عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه اي اطلعه الله على انها قد نبأت به وقرأ طلحة بن مصرف فلما انبأت وهما لغتان انبأ ونبأ ومعنى عرف بعضه واعرض عن بعض عرف حفصة بعض ما اوحي اليه من انها اخبرت عائشة رضي الله عنها بما نهاها عن ان تخبرها واعرض عن بعض تكرما قاله السدي . وقال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعائشة وهو حديث ام ولده ولم يخبرها ببعض ما قالت لعائشة ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده وقراءة العامة عرف مشددا ومعناه ما ذكرناه واختاره ابو عبيدة وابو حاتم يدل عليه قوله واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولو كانت مخففة لقال في ضده وانكر بعضا وقرأ علي وطلحة بن مصرف وابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكلبي والكسائي والاعمش عن ابي بكر عرف مخففة قال كان ابو عبد الرحمن السلمي اذا قرأ عليه الرجل عرف مشددة حصبه بالحجارة قال الفراء وتأويل قوله عز وجل عرف بعضه بالتخفيف اي غضب فيه وجازى عليه وهو كقولك لمن اساء اليك لاعرفن لك ما فعلت اي لاجازينك عليه وجازاها عليه صلى الله عليه وسلم بان طلقها طلقة واحدة . وقال عمر لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها وشفع جبريل فيها فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا وقعد في مشربة مارية ام ابراهيم حتى نزلت آية التخيير على ما تقدم وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة فلم يطلقها فلما نبأها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت له من انباك هذا رسول الله عني وظنت ان عائشة رضي الله عنها

ان اباك واباها سيملكان بعدي

اخبرته فقال عليه السلام نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء وهذا اسد مسد مفعول انبأ ونبأ الاول تعدى الى مفعول ونبأ الثاني تعدى الى مفعول واحد لان نبأ وانبأ اذا لم يدخلا على الابتداء والخبر تعدى كل واحد منهما الى ثلاثة مفعولين ولم يجز الاقتصار على الاثنين دون الثالث لان الثالث هو خبر المبتدأ في الاصل فلا يقتصر دونه كما لا يقتصر على المبتدأ دون الخبر **قوله تعالى ان تتوبا الى الله** يعني حفصة وعائشة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق وهو انهما احبتا ما كره النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه السلام يحب العسل والنساء قال ابن زيد مالت قلوبهما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول الله وقيل فقد مالت قلوبكما الى التوبة وقال فقد صغت قلوبكما ولم يقل فقد صغت قلباكما ومن شأن العرب اذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل وقد مضى هذا القول في المائدة في قوله فاقطعوا ايديهما وقيل كلما ثبتت الاضافة فيه مع التثنية فلفظ الجمع اليق به لانه امكن واخف وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزاء للشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجواب الشرط محذوف للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما **قوله تعالى وان تظاهرا عليه** اي تعاونا وتظاهرا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والايذاء وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر بن الخطاب عن آية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع فكنا في بعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فلما رجع قلت يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك فقال لا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث فان الله هو مولاه اي وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما وجبريل وصالح المؤمنين قال عكرمة وسعيد بن جبير ابو بكر وعمر لانهما ابوا عائشة وحفصة وقد كانا عونا له عليهما وقيل صالح المؤمنين وقيل خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله ان الانسان لفي خسر قاله الاخفش وقيل صالح المؤمنين الانبياء قاله العلاء بن زياد وقتادة وسفيان وقال ابن زيد هم الملائكة السدي اصحاب رسول الله وقيل صالح المؤمنين ليس لفظ الواحد وانما هو صالحوا المؤمنين فاضاف الصالحين الى المؤمنين وكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف شرع فيه دون وضع الخط وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال حدثني عمر ابن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله نساءه قال دخلت المسجد فاذا الناس الحصى ويقولون طلق رسول الله نساءه وذلك قبل ان يؤمر بالحجاب فقال عمر فقلت لاعلمن ذلك اليوم قال فدخلت على عائشة فقلت يا ابنة ابي بكر لقد بلغ من شانك ان تؤذي رسول الله فقالت ما لي وما لك يا ابن الخطاب عليك بعيبتك قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها يا حفصة لقد بلغ من شانك ان تؤذي رسول الله والله لقد علمت ان رسول الله لا يحبك ولولا انا لطلقك فبكت اشد البكاء فقلت لها اين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت هو في خزانته في المشربة فدخلت فاذا انا برباح غلام رسول الله قاعد على اسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب وهو جذع يرقى عليه رسول الله وينحدر فناديت يا رباح استاذن لي عندك على رسول الله فنظر رباح الى الغرفة ثم نظر الي فلم يقل شيئا ثم رفعت صوتي فقلت يا رباح استاذن لي عندك على رسول الله فاني اظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن اني جئت من اجل حفصة والله لئن امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لاضربن عنقها ورفعت صوتي فاومأ الي ان ارقه فدخلت على رسول الله وهو مضطجع على حصير فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا

اصل ان يكتفا فيهما بمفعول واحد وبمفعولين فاذا دخلا على الابتداء او الخبر

الحصير قد اثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انا
بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظا في ناحية الغرفة واذا افيق معلق
قال فابتدرت عيناي بالبكا قال ما يبكيك يا ابن الخطاب قلت
يا رسول الله ما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك لا ارى
فيها الا ما ارى وذلك قيصر وكسرى في الثمار والانهار وانت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصفوته وهذه خزانتك فقال يا ابن الخطاب اما ترضى ان
ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قلت بلى قال وكنت دخلت عليه حين دخلت
وانا ارى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من امر النساء
فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكايل
وانا وابو بكر والمومنون معك وقلما تكلمت واحمد الله تعالى بكلام
الا رجوت ان يكون الله عز وجل ان يصدق قولي ونزلت هذه الاية
اية التخيير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن
وقوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكة
بعد ذلك ظهير وكانت عايشة بنت ابي بكر رضي الله عنها تظاهر ان
على ساير نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت رسول الله اطلقتهن
قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون
يقولون رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه افانزل فاخبرهم
انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فلم ازل احدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه
وحتى كشر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من احسن الناس
ثغرا ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت فنزلت اتشبث بالجذع
ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما يمشي على الارض ما يمسه
بيده فقال يا رسول انما كنت في الغرفة تسعا وعشرين قال ان الشهر
يكون تسعا وعشرين فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي
لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت
هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا
استنبطت ذلك الامر وانزل الله اية التخيير ٥

قوله تعالى

وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ
ذَلِكَ ظَهِيرٌ

قوله تعالى وجبريل فيه لغات تقدمت في البقرة ويجوز ان يكون
معطوفا على مولاه والمعنى الله وليه وجبريل وليه فلا وقف على مولاه
ويوقف على جبريل ويكون صالح المومنين مبتدا
والملائكة معطوفا عليه والخبر ظهير
وهو بمعنى الجمع وصالح المومنين ابو بكر
قاله السدي وابن شريك وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه

وعكرمه

حين دخلت وانا ارى في وجهه الغضب

وقال عكرمة ابو بكر وعمر وروى شقيق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تبارك وتعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين
قال ان صالح المومنين ابي بكر وقيل هو علي عن اسما بنت عميس قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المومنين علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه وقيل غير هذا مما تقدم والقول فيه ويجوز ان يكون جبريل
وصالح المومنين معطوفا على مولاه فيوقف على المومنين ويكون والملائكة
بعد ذلك ظهير ابتدا وخبر ومعنى ظهير اعوان وهو في معنى ظهرا كقوله وحسن
اوليك رفيقا ٥ وقال ابو علي قد جاء فعيل للكثرة كقوله ولا يسال
حميم حميما يبصرونهم ٥ وقيل كان التظاهر منهما في التحكم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفقة ولهذا الى منهن شهرا واعتزلهن
وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال دخل ابو بكر يستاذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم
قال فاذن لابي بكر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل
عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما
ساكتا قال فاقول لا قولن شيا اضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها
فوجات عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي
كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجاء عنقها وقام عمر
الى حفصة يجاء عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ليس عنده قلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابدا ما ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت هذه
الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما
الحديث وقد ذكرناه في سورة الاحزاب

قال تعالى

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ
أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ

عسى ربه ان طلقكن قد تقدم في الصحيح ان هذه الاية نزلت على لسان عمر رضي الله عنه
ثم قيل كل عسى في القران واجب الا هذا وقيل هو واجب ولكن الله عز
وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن ان يبدله ازواجا خيرا منكن
لانكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال معناه السدي وقيل هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه
لو طلقهن في الدنيا ان يزوجه في الدنيا نساء خيرا منهن وقرى ان يبدله
بالتشديد والتخفيف والتبديل والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال
والله كان عالما بانه كان لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن
ابدله خيرا منهن تخويفا لهن وهو كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وهو
اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان من في الوجود من هو خير من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تبارك وتعالى

مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ
عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا

قوله تعالى مسلمات يعني مخلصات قاله سعيد بن جبير وقيل معناه مسلمات لامر الله تعالى وامر رسوله مومنات مصدقات بما امرن به ونهين عنه قانتات مطيعات والقنوت الطاعة وقد تقدم تائبات من ذنوبهن قاله السدي وقيل راجعات الى امر الرسول صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن عابدات اي كثيرات العبادة لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القران فهي التوحيد سائحات صائمات قاله ابن عباس والحسن بن جبير وقال زيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن ويمان مهاجرات فقال زيد وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفرا والقتيبي وغيرهما سمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب وقد مضى في براءة ثيبات وابكارا اي منهن ثيب ومنهن بكر وقيل انما سميت الثيب ثيبا لانها راجعة الى زوجها ان اقام معها والى غيره ان فارقها وقيل لانها ثابت الى بيت ابويها وهذا اصح لان ليس كل ثيب تعود الى زوج واما البكر فهي العذراء سميت بكرا لانها على اول حالتها التي خلقت بها وقال الكلبي اراد بالثيب مثل آسية امراة فرعون وبالبكر مثل مريم ابنة عمران قلت وهذا انما يمشي على قول من قال ان التبديل وعد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لو طلقهن في الدنيا زوجه في الاخرة خيرا منهن والله اعلم

اراد بالثيب مثل آسية امراة فرعون وبالبكر مثل مريم ابنة عمران

قال الله تبارك وتعالى

يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد

قوا انفسكم واهليكم نارا فيه مسالة واحدة وهي الامر بوقاية الانسان واهله النار قال الضحاك قوا انفسكم واهلوكم فليقوا انفسهم نارا وروي عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوا انفسكم وامروا اهليكم بالذكر حتى يقيهم الله بكم وقال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم ابن العربي وهو الصحيح والفقه الذي يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل كقوله

علفتها تبنا وماء باردا وكقوله

ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا

فعلى الرجل ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعي للرعية ففي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسوول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسوول عنهم والرجل راع على اهل بيته وهو مسوول عنهم وعن هذا عبر الحسن في هذه الاية بامرهم ونهيهم وقال بعض العلماء لما قال قوا انفسكم دخل فيه الولد لان الولد بعض منه كما دخلوا في قوله ليس عليكم ان تاكلوا من بيوتكم فلم يفردوا بالذكر افرادا سائر القرابات فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي والاثام وغير ذلك من الاحكام وقال عليه السلام حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ... وفرقوا بينهم في المضاجع خرجه جماعة وهذا لفظ ابي داود وخرج ايضا عن سمرة بن ... قال قال رسول الله عم مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها وكذلك يخبر اهله بوقت الصلاة ووجوب الصيام ووجوب الفطر اذا وجب مستندا في ذلك الى روية الهلال وقد روي

مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوتر يقول قومي فاوتري يا عائشة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرا قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان لم تقم رش وجهها بالماء رحم الله امراة قامت من الليل فصلت وايقظت زوجها فان لم يقم رشت وجهه بالماء ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ايقظوا صواحب الحجر ويدخل هذا في عموم قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وذكر القشيري ان عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية يا رسول الله نقي انفسنا وكيف لنا باهلينا فقال تنهوهم عما نهاكم الله عنه وتامروهم بما امر الله وقال مقاتل ذلك حق عليه في نفسه وولده واهله وعبيده واماءه قال الكيا فعلينا تعليم اولادنا واهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الادب وهو قوله وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ونحو قوله للنبي صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين وفي الحديث مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع وقودها الناس والحجارة تقدم في البقرة القول فيه عليها ملائكة غلاظ شداد يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني ادم اكل الطعام والشراب شداد اي شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد على فلان اي قوي عليه يعذبهم بانواع العذاب وقيل اراد بالغلاظ ضخامة اجسامهم والشدة القوة قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين الف انسان في قعر جهنم وذكر ابن وهب قال وحدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب **قوله تعالى** لا يعصون الله ما امرهم اي لا يخالفونه في امره من زيادة او نقصان ويفعلون ما يومرون اي في وقته فلا يوخرونه ولا يقدمونه وقيل اي لذتهم في امتثال امر الله كما ان سرور اهل الجنة في الكون في الجنة ذكره بعض المعتزلة وعندهم انه يستحيل التكليف غدا ولا يخفى معتقد اهل الحق في ان الله يكلف العبد اليوم وغدا ولا ينكر التكليف غدا في حق الملائكة ولله ان يفعل ما يشاء **قوله تعالى** يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم فان عذركم لا ينفع وهذا النهي لتحقيق الياس انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وقد تقدم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى توبوا امر بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وكل الازمان وقد تقدم بيانها والقول فيها في النساء وغيرها توبة نصوحا اختلفت عبارة العلماء وارباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا فقيل هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع روي عن عمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ورفعه معاذ الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة النصوح الصادقة الناصحة وقيل الخالصة يقال نصح اي اخلص له القول وقال الحسن ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقيل هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها وقيل هي التي لا يحتاج معها الى توبة وقال الكلبي التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاطمئنان على انه لا يعود وقال سعيد بن جبير هي التوبة المقبولة ولا يقبل ما لم يكن فيها ثلاث شروط خوف ان لا يقبل ورجاء ان يقبل وادمان الطاعات وقال سعيد بن المسيب توبة تنصحون بها انفسكم وقال القرظي يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وقال سفيان الثوري علامة التوبة النصوح اربعة القلة والعلة والذلة والغربة وقال الفضيل بن عياض هو ان يكون الذنب بين عينيه فلا يزال كانه ينظر اليه ونحوه عن ابن السماك ان ينصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينيك وتستعد لمنتظرك وقال ابو بكر الوراق هو ان تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا وقال ابو بكر الواسطي هو توبة لا لفقد عوض لان من اذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الاخرة فتوبته على حفظ نفسه لا لله وقال ابو بكر الدقاق المصري التوبة النصوح هي رد المظالم واستحلال الخصوم وادمان الطاعات وقال رويم هو ان تكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه وقال ذو النون علامة التوبة النصوح ثلاث قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام وقال شقيق هو ان يكثر صاحبها لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة لينجو من افاتها بالسلامة وقال سري السقطي لا تصلح التوبة النصوح الا بنصيحة النفس والمومنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقال الجنيد التوبة النصوح هي ان ينسى الذنب فلا يذكره ابدا لان من صحت توبته صار محبا لله ومن احب الله نسي ما دون

التوبة النصوح

الله وقال ابو الاذنان هو ان يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح وقال فتح الموصلي علامتها
ثلاث مخالفة الهوي وكثرة البكا ومكابد الجوع والظما وقال شريك بن عبد الله العسري هي التوبة لاهل
السنة والجماعة لان المبتدع لا توبة له بدليل قوله صلي الله عليه وسلم حجب الله عن كل صاحب بدعة ان يتوب
وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه واصل التوبة النصوح من الخلوص
يقال هذا عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل هي ماخوذة من النصاحة وهي الخياطة وفي اخذها منه وجهان
احدهما لانها توبة قد احكمت طاعته واوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه الثاني لانها قد
جمعت بينه وبين اوليايه والصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض وقراءة العامة وبين
اوليا نصوحا بفتح النون علي نعت التوبة مثل امراة صبور اي توبة بالغة في النصح وقرا الحسن وخارجة وابو بكر
عن عاصم بضمه وتاويله علي هذه القراءة توبة نصح لانفسكم وقيل يجوز ان يكون نصوحا جمع نصح وان يكون
مصدرا يقال نصح نصاحة ونصوحا وقد يتفق فعالة وفعول في المصادر نحو الذهاب والذهوب وقال المبرد اراد
توبة ذات نصح يقال نصحت نصحا ونصاحة ونصوحا الثانية في الاشيا التي مات منها وكيف التوبة منها قال
العلما الذنب الذي يكون التوبة منه لا تخلوا اما ان يكون حقا لله او للادميين فان كان حقا لله كترك صلاة
فان التوبة لا تصح منها حتي تنضم الي الندم قضا ما فات منها وهكذا ان كان ترك صوم او تفريطا في الزكاة
وان كان ذلك قتل نفس بغير حق فان تمكن من القصاص ان كان عليه وكان مطلوبا به وان كان قد فا يوجب
الحد فيبدل ظهره للجلد ان كان مطلوبا به فان عفي عنه كفاه الندم والعزم علي ترك العود بالاخلاص
وكذلك ان عفي عنه في القتل بمال فعليه ان يوديه ان كان واجدا له قال الله تعالى فمن عفي له من اخيه شي
فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وان كان ذلك حدا من حدود الله ما كان فانه اذا تاب الي الله تعالى
بالندم الصحيح يسقط عنه وقد نص الله تعالى علي سقوط الحد عن المحاربين اذا تابوا قبل القدرة عليهم
وفي ذلك دليل علي انها لا تسقط عنهم اذا تابوا بعد القدرة عليهم حسب ما تقدم بيانه وكذلك الشراب
والسراق والزناة اذا اصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا الي الامام فلا ينبغي له ان يحدهم وان
رفعوا اليه فقال تبنا لم يتركوا وهم في تلك الحال كالمحاربين اذا غلبوا هذا مذهب الشافعي فان كان
الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه الا برده الي صاحبه والخروج عنه عينا كان او غيره ان كان قادرا
عليه فان لم يكن قادرا فالعزم ان يوديه اذا قدر في اعجل وقت واسرعه وان كان الذنب لواحد من المسلمين
وذلك الواحد لا يشعر به او لا يدري من اين فان يريد ذلك الفقر عنه ثم فسله ان يعفوا عنه
وليستغفر له فاذا عفي فقد سقط الذنب عنه وان ارسل من يسال له ذلك له فعفا ذلك المظلوم عن ظالمه
عرفه بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح وان اسا رجل الي رجل بان فزعه بغير حق او غمه او لطمه او صفعه
بغير حق او ضربه بسوط فالمه ثم جاءه مستعفيا نادما علي ما كان منه عازما علي ان لا يعود فلم يزل
يتذلل له حتي طابت نفسه فعفي عنه سقط الذنب عنه وهكذا ان كان شتمه شانه بشتم لا حد فيه **قوله تعالى**
عسي ربكم ان يكفر عنكم سياتكم عسي من الله واجبة وهو معني قوله عليه السلام التايب من الذنب كمن لا ذ
له قوله تعالى ويدخلكم معطوف علي يكفر وقرا ابن ابي عبلة ويدخلكم مجزوما عطفا علي محل عسي ان يكفر كانه قيل
توبوا يوجب تكفير سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي العامل في يومئذ
يدخلكم او فعل مضمر ومعني يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه ولا يعذب الذين امنوا معه نورهم يسعي بين
ايديهم وبايمانهم تقدم في الحديد يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك علي كل شي قدير قال ابن
عباس ومجاهد وغيرهما هذا دعا المومنين حين اطفا الله نور المنافقين حسب ما تقدم في سورة الحديد
قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فيه مسالة واحدة وهو التشديد في
دين الله فامره ان يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعا الي الله والمنافقين بالغلظة واقامة
الحجة وان يعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به الصراط مع المومنين وقال الحسن اي جاهدهم
باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود وكانت الحدود تقام عليهم وما واهم جهنم يرجع
الي الصنفين وبيس المصير اي المرجع **قوله تعالى** ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة
لوط ضرب الله هذا المثل تنبيها علي انه لا يغني احد في الاخرة عن قريب ولا نسيب اذا فرق بينهما الدين وكان
اسم امراة نوح والهة واسم امراة لوط والعة قاله مقاتل وقال الضحاك وعن عايشة رضي الله عنها

الذنب الذي يكون التوبة منه لا تخلوا اما ان يكون حقا لله تعالى او للادميين

ان جبريل عليه السلام نزل علي النبي صلي الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح واغله وامراة لوط والهة
فخانتاهما قال عكرمة والضحاك بالكفر وقال سليمان بن قنه عن ابن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه
مجنون وكانت امراة لوط تخبر باضيافه وعنه ما بغت امراة نبي قط وهذا اجماع من المفسرين فيما ذكر القشيري
انما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما النميمة اذا اوحي
اليهما شيا افشتاه الي المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة لوط اذا نزل به ضيف دخنت ليعلم قومها
انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال فلم يغنيا عنهما من الله شيا اي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما
علي الله تعالى عن زوجتيهما لما عصتا شيا من عذاب الله تنبيها بذلك علي ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة
ويقال ان كفار مكة استهزوا وقالوا ان محمدا صلي الله عليه وسلم يشفع لنا فبين الله تعالى ان شفاعته لا تنفع
كفار مكة وان كانوا اقربا كما لا تنفع شفاعة نوح لامراته مع قربهما لهما لكفرهما وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين
في الاخرة كما يقال لكفار مكة وغيرهم ثم قيل يجوز ان تكون امراة بدلا من قوله مثلا علي تقدير حذف المضاف
اي ضرب الله مثلا مثل امراة نوح ويجوز ان يكونا مفعولين **قوله تعالى** وضرب الله مثلا للذين امنوا
امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم قال يحيي بن سلام قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا مثل ضربه
الله تعالى يحذر به عايشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم ضرب لهما
مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات علي الدين وقيل هذا حث
علي المومنين علي الصبر في الشدة ان لا يكونوا في الصبر عند الشدة اضعف من امراة فرعون حين صبرت علي
اذي فرعون وكانت اسية امنت بموسي وقيل هي عمة موسي امنت به قال ابو العالية اطلع فرعون علي ايمان
امراته فخرج علي الملا فقال لهم ما تعلمون من اسية ابنة مزاحم فاثنوا عليها فقال لهم فانها تعبد ربا غيري
قالوا له اقتلها فاوتد لها اوتادا وشد يديها ورجليها فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ووافق ذلك
حضور فرعون فضحكت حين رات بيتها في الجنة فقال فرعون الا تعجبون من جنونها انا نعذبها وهي تضحك فقبض
روحها وقال سلمان الفارسي فيما روي عنه عثمان النهدي كانت تعذب بالشمس فاذا اذاها حر الشمس اظلتها
الملايكة باجنحتها وقيل سمر يديها ورجليها في الشمس ووضع علي ظهرها رحي فاطلعها الله حين رات
مكانها في الجنة وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبني وقيل انه من درة وعن
الحسن ولما قالت ونجني نجاها الله اكرم نجاة فرفعها الي الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم ومعني من فرعون
وعمله يعني بالعمل الكفر ويقال من عمله وظلمه وشماتته وقال ابن عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين
قال الكلبي اهل مصر مقاتل القبط قال الحسن وابن كيسان نجاها الله اكرم نجاة ورفعها الي الجنة فهي فيها
تاكل وتشرب **قوله تعالى** ومريم ابنة عمران اي واذكر مريم وقيل هو عطف علي امراة فرعون والمعني
وضرب الله مثلا لمريم ابنة عمران وصبرها علي اذا اليهود التي احصنت فرجها اي عن الفواحش وقال
المفسرون انه اراد بالفرج هنا الجيب ولانه قال فنفخنا فيه من روحنا وجبريل عليه السلام انما نفخ في
جيبها ولم ينفخ في فرجها وهي في قراءة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا وكل خرق في الثوب يسمي فرجا ومنه
قوله وما لها من فروج ويحتمل ان يكون احصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها ومعني فنفخنا ارسلنا جبريل
فنفخ في جيبها من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو روح عيسي وقد مضي في اخر النسا بيانه مستوفي
وصدقت بكلمات ربها قراءة العامة وصدقت بالتشديد وقرا حميد والاموي وصدقت بالتخفيف
بكلمات ربها قول جبريل لها انما انا رسول ربك الاية وقال مقاتل يعني بالكلمات عيسي وانه نبي وعيسي
كلمة الله وقد تقدم وقرا الحسن وابو العالية بكلمة ربها وكتابه قال ابو عمرو وحفص عن عاصم
وكتبه جمعا ومن ابي رجا وكتبه مخفف التا والباقون بكتابه علي التوحيد والكتاب يراد به الجنس
فيكون في معني كل كتاب انزل الله تعالى وكانت من القانتين اي من المطيعين وقيل من المصلين بين
المغرب والعشا وانما لم يقل من القانتات لانه اراد وكانت من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا
الي ابيها فانهم كانوا مطيعين لله وعن معاذ بن جبل ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود
بنفسها اتكرهين ما قد نزل بك ولقد جعل الله في الكره خيرا فاذا اتيت ضراتك فاقريهن مني السلام
مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلمة او قال حليمة بنت عمران اخت موسي بن عمران فقالت
بالرفا والبنين يا رسول الله وروي قتادة عن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال وحسبك من نساء

العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون بنت مزاحم وتقدم في
ال عمران الكلام في هذا والله اعلم تمت السورة المباركة بحمد الله وعونه وتوفيقه

تفسير سورة تبارك الملك

مكية في قول الجميع وتسمى الواقية والمنجية وهي ثلاثون اية روي الترمذي الحكيم عن ابن عباس قال ضرب
رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرا سورة
الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب
انه قبر فاذا قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية
تنجيه من عذاب القبر قال حديث حسن وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الذي
بيده الملك في قلب كل مؤمن ذكره الثعلبي وعن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان سورة من
كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل اخرجته من النار يوم القيامة وادخلته الجنة وهي سورة
تبارك خرجه الترمذي بمعناه وقال فيه حديث حسن وقال ابن مسعود اذا وضع الميت في قبره فيؤتى
من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل فانه كان يقوم بسورة الملك على رجليه ثم يؤتى من قبل راسه
فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرا سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة
سورة الملك من قراها في ليلة فقد اكثر واطيب وروي انه من قراها في كل ليلة لم يضره الفتان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى **تبارك الذي بيده الملك** تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو الدائم الذي لا اول لوجوده
ولا اخر لدوامه الذي بيده الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة وقال ابن عباس بيده
الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع وقال محمد بن اسحق له ملك
النبوة الذي اعز بها من اتبعه وذل بها من خالفه فهو على كل شي قدير من انعام وانتقام قوله تعالى
الذي خلق الموت والحيوة فيه مسئلتان الاولى قوله الذي خلق الموت والحياة في الاخرة وقدم الموت
على الحياة لان الموت الى القهر اقرب كما قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشاء اناثا وقيل قدمه لانه
تقدم لان الاشيا في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه وقال قتادة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حيوة ثم دار موت وجعل الاخرة دار
جزاء ثم دار بقاء وعن ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاطا ابن ادم راسه الفقر
والمرض والموت وانه مع ذلك لوثاب المسالة الثانية الموت والحيوة قدم الموت على الحياة لان اقوى
الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى العرض المسوق له الاية اهم وقال
العلما الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة
بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار والحياة عكس ذلك وحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ان الموت
والحيوة جسمان فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحيوة على صورة
فرس انثى بلقا وهي التي كان جبريل والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون
البغل لا تمر بشي يجد ريحها الا حيي ولا تطا على شي الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل
حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي معناه عن مقاتل والكلبي قال الشيخ المؤلف
رحمه الله وفي التنزيل قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
توفته رسلنا ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها فالوسايط ملائكة مكرمون صلوات الله عليهم وهو سبحانه
المميت على الحقيقة اما انه يمثل الموت بالكبش في الاخرة ويذبح على الصراط حسب ما ورد به الخبر الصحيح
وما ذكر عن ابن عباس يحتاج الى خبر صحيح يقطع العذر والله اعلم وعن مقاتل ايضا خلق الموت يعني النطفة
والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح فصار انسانا قال الشيخ المؤلف
رحمه الله وهذا قول حسن يدل عليه قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وتقدم الكلام في سورة الكهف وقال
السدي في قوله الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثركم للموت ذكرا واحسن
استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا وقال ابن عمر تلا النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي بيده الملك

وقدم الموت على الحياة لان الموت اقرب الى القهر

حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال اورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقيل معنى ليبلوكم ليعاملكم معاملة
المختبر اي ليبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحياة ليبين شكره وقيل خلق الموت للبعث
والجزاء وخلق الحياة للابتلاء واللام في ليبلوكم تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت ذكره الزجاج وقال
الفراء والزجاج ايضا لم تقع البلوى على اي لان فيما بين البلوى واي اضمار فعل كما يقول بلوتكم لانظر
ايكم اطوع ومثله سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم فايهم رفع بالابتداء واحسن خبره والمعنى
ليبلوكم فيعلم او فينظر احسن عملا وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب عليه قوله تعالى
الذي خلق سبع سموات طباقا اي بعضها فوق بعض والملتزق منها اطرافها كذا روي عن ابن عباس وطباقا نعت
لسبع فهو وصف بالمصدر وقيل مصدر بمعنى المطابقة اي خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا او مطابقة
او على طوبقت طباقا وقال سيبويه نصب طباقا لانه مفعول ثان قال الشيخ المؤلف رحمه الله فيكون خلق بمعنى
صير وجعل وطباق جمع طبق مثل جمل وجمال وقيل جمع طبقة وقال ابن زيد ابان بن تغلب سمعت بعض الاعراب
يذم رجلا فقال شره طباق وخيره غير باق ويجوز في غير القران سبع سموات طباق بالخفض على النعت
للسموات ونظيره سبع سنبلات خضر ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قراء حمزة والكسائي من تفوت
بغير الف مشددة وهي قراءة ابن مسعود واصحابه الباقون من تفاوت بالف وهما لغتان مثل التعاهد
والتعهد والتحمل والتحامل والتظهر والتظاهر وتصاغر وتصغر وتضاعف وتضعف وتباعد وتبعد كله بمعنى
واختار ابو عبيد من تفوت واحتج بحديث عبد الرحمن بن ابي بكر امثلي يتفوت عليه في بناته النحاس وهذا
امر مردود على ابي عبيد لان يتفوت يفتات بهم وتفاوت في الاية كما يقال تباين يقال تفاوت الامر
اذا تباين وتباعد اي فات بعضها بعضا الا ترى ان قبله الذي خلق سبع سموات طباقا والمعنى ما ترى
في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت
صوره وقيل المراد بذلك السموات خاصة اي ما ترى في خلق الرحمن من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت
شي شيا فيقع الخلل لقلة استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال ابو عبيدة يقال تفوت الشي اي فات
ثم امر بان ينظروا في خلقه ليعتبروا به فيتفكروا في قدرته فقال فارجع البصر هل ترى من فطور اي اردد
طرفك الى السما ويقال قلب البصر في السما ويقال اجتهد بالنظر في السماء والمعنى متقارب وانما قال
فارجع بالفا وليس قبله فعل مذكور لانه قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور قاله قتادة
والفطور الشقوق عن مجاهد والضحاك وقال قتادة من خلل السدي من خروق ابن عباس من وهن واصله
من التفطر والانفطار وهو الانشقاق قال الشاعر

بنا لكم بلا عمد سما	وزينها فما بها فطور

وقال اخر

شققت القلب ثم ذررت فيه	هواك فليم فالتام الفطور

تغلغل حيث لم يبلغ
شراب ولا سكر ولم يبلغ سرور قوله تعالى **ثم ارجع البصر كرتين** في موضع المصدر لان معناه رجعتين
اي مرة بعد اخرى وانما امر بالنظر مرتين لان الانسان اذا نظر في الشي مرة لا يرى عيبه ما لم ينظر اليه
مرة اخرى فاخبر الله تعالى انه وان نظر الى السما مرتين لا يرى فيها عيبا بل يتحير بالنظر اليها فذلك قوله
تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا اي خاشعا صاغرا متباعدا عن ان يرى شيا من ذلك يقال خسات الكلب
اي ابعدته وطردته وخسا الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى وانخسا الكلب ايضا وخسا بخسا خسا وخسوا
اي سدر ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وقال ابن عباس الخاسئ الذي لم ير ما يهوي وهو حسير
اي قد بلغ الغاية في الاعيا فهو بمعنى فاعل من الحسور الذي هو الاعيا ويجوز ان يكون مفعولا من حسره بعد الشي
وهو معنى قول ابن عباس ومنه قول الشاعر

من مد طرفا الى فوق غايته	ارتد حسان منه الطرف قد حسرا

ويقال حسر بصره يحسر حسورا اي كل وانقطع نظره
من طول مدى وما اشبه ذلك فهو حسير ومحسور ايضا قال نظرت اليها بالمحصب من منى

فعاد الي الطرف وهو حسير	

وقال اخر

نظرت اليها بالمحصب من منى	
ناقة تنظرها نظر العينين محسور	نصب سطرها على الطرف اي نحوها

وقال اخر

والخيل شعث ما تزال جيادها	حسرى تغادر بالطريق سخالها

وقيل انه النادم ومنه قول الشاعر

ما انا اليوم على شي خلا	يا ابنة العين تولى بمحسر

والمراد بكرتين هاهنا

التكثير والدليل على ذلك قوله ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وذلك دليل على كثرة النظر
قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح جمع مصباح وهو السراج وتسمى الكواكب مصابيح
لاضائتها وجعلناها رجوما اي جعلنا منها شهبا فحذف المضاف دليله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب
وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها وقيل ان الضمير راجع الى المصابيح على ان الرجم من انفس الكواكب
ولا يسقط الكوكب نفسه انما ينفصل منه شيء يرجم به من غير ان ينقص ضوءه ولا صورته قاله ابو علي جوابا لمن
قال كيف يكون زينة وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق من موضع الكواكب
والتقدير الاول على ان يكون الاستراق من الهوى الذي هو دون موضع الكواكب القشيري والامثل من قول
ابي علي ان يقول هي زينة قبل ان ترجم بها الشياطين والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به قال قتادة
خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها في البحر والبر والاوقات
فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم وقال محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل
الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة واعتدنا لهم عذاب السعير اي اعتدنا
للشياطين اشد الحريق يقال سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل وللذين كفروا بربهم عذاب
جهنم وبئس المصير قوله تعالى اذا القوا فيها يعني الكفار سمعوا لها شهيقا اي صوتا قال ابن عباس الشهيق
لجهنم عند القاء الكفار فيها تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف وقيل الشهيق
من الكفار عند القائهم في النار قاله عطا والشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في هود وهي تفور
اي تغلي ومنه قول حسان

تركتم قدركم لا شيء فيها ... وقدر القوم حامية تفور

قال مجاهد تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير وقال ابن عباس تغلي بهم على المرجل وهذا من شدة لهب
النار من شدة الغضب كما يقول فلان يفور غيظا قوله تعالى تكاد تميز من الغيظ يعني تتقطع وينفصل
بعضها من بعض قال سعيد بن جبير وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد يتفرق من الغيظ من شدة الغيظ
على اعداء الله تعالى وقيل من الغيظ من الغليان واصل تميز تتميز كلما القي فيها فوج اي جماعة من الكفار سألهم
خزنتها على جهة التوبيخ والتقريع الم يأتكم نذير اي رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا قالوا بلى
قد جاءنا نذير انذرنا وخوفنا فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء اي على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال
كبير اعترفوا بتكذيب الرسل اعترفوا بتكذيب الرسل ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار لو كنا نسمع
من النذر يعني من الرسل ما جاءوا به ونعقل عنهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى ونعقله او لو كنا نسمع سماع
من يعي ويتفكر او نعقل عقل من يميز وينظر ودل على ان الكافر لم يعط من العقل شيئا وقد مضى في الطور ما كنا في
اصحاب السعير يعني ما كنا من اهل النار وعن ابي سعيد الخدري رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لقد ندم الفاجر يوم القيامة قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال الله تعالى فاعترفوا
بذنبهم فسحقا اي بتكذيبهم الرسل والذنب هاهنا بمعنى الجمع لان فيه معنى الفاعل الفعل يقال خرج عطاء الناس
اي اعطيتهم فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم من رحمة الله وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم
يقال له السحق وقرا الكسائي وابو جعفر فسحقا بضم الحاء ورويت عن علي والباقون باسكانها وهما لغتان
مثل السحت والرعب الزجاج وهو منصوب على المصدر اي اسحقهم الله سحقا اي باعدهم قال امرؤ القيس

يجول باطراف البلاد مغربا ... وتسحقه ريح الصبا كل مسحق

وقال ابو علي القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف كما قيل ... وان اهلك فذلك كان قدري
اي تقديري وقيل ان قوله تعالى ان انتم الا في ضلال كبير من قول خزنة جهنم لاهلها قوله تعالى
ان الذين يخشون ربهم بالغيب نظيره من خشي الرحمن بالغيب وقد مضى الكلام فيه اي يخافون الله ويخافون
عذابه الذي هو بالغيب وهو عذاب يوم القيامة لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة قوله تعالى
واسروا قولكم او اجهروا به اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد
صلى الله عليه وسلم او جهرتم به فانه عليم بذات الصدور يعني بما في القلوب من الخير والشر قال ابن عباس
نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم
كيلا يسمع رب محمد فنزلت قوله واسروا قولكم يعني في محمد وقيل سائر الاقوال او اجهروا به اعلموه
انه عليم بذات الصدور وذات الصدور ما فيها كما يسمى ولد المرأة وهو جنين ذا بطنها ثم قال الا يعلم

ودل على ان الكافر لم يعط من العقل شيئا

من خلق يعني الا يعلم السر من خلق السر يقول انا خلقت السر في القلوب افلا اكون عالما بما في القلوب
العباد وقال اهل المعاني ان شئت جعلت من اسما للخالق عز وجل ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان شئت
جعلته اسما للمخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن السكيت
بينما رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل اترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق
نودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال الاستاذ ابو اسحق
الاسفرايني من اسامي صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات
ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل ان يكون ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقائق الاوصاف ومنها
الشهيد ويختص بان يعلم الغائب والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى
ومنها المحصي ويختص بانه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم
عند ذلك اجزاء الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا اي سهلة تستقرون عليها والذلول المنقاد الذي
يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد اي لم يجعل الارض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظة
وقيل اي ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت تتكفأ متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل اشار الى التمكن
من الزرع والغرس وشق العيون والانهار وحفر الابار وامشوا في مناكبها هو امر اباحة وفيه اظهار
الامتنان وقيل هو خبر بلفظ الامر اي لكي تمشوا في اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن
عباس وقتادة وبشير بن كعب في مناكبها في جبالها وروي ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتني
ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا الدرداء
فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها وقاله السدي والحسن
وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه واصل الكلمة الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء وتنكب
فلان عن فلان يقول امشوا حيث اردتم فقد جعلتها لكم ذلولا لا تمتنع وحكى قتادة عن ابي الجلد ان الارض
اربعة وعشرون الف فرسخ للسودان اثنا عشر الفا وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاثة الاف وللعرب
الف وكلوا من رزقه اي مما احله لكم قاله الحسن وقيل مما انبته لكم واليه النشور المرجع وقيل معناه ان الذي
خلق السماء لا تفاوت فيها والارض ذلولا قادر على ان ينشركم قوله تعالى اامنتم من في السماء
قال ابن عباس امنتم عذاب الله من في السماء ان عصيتموه وقيل تقديره اامنتم من في السماء قدرته وسلطانه
وعرشه ومملكته وخص السماء وان عم ملكه تنبيها على ان الاله الذي تنفذ قدرته في السماء لا من
يعظمونه في الارض وقيل هو اشارة الى الملائكة وقيل الى جبريل وهو الملك الموكل بالعذاب قال الشيخ المؤلف
رحمه الله ويحتمل ان يكون المعنى اامنتم خالق من في السماء ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون فاذا هي تمور
اي تذهب وتجيء والمور الاضطراب بالذهاب والمجيء قال الشاعر

رمين فاقعدن القلوب ولن يرى ... الاجوى في الحيازم جمع حيزوم وهو وسط

الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور وقال المحققون امنتم من فوق السماء كقوله فسيحوا
في الارض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير وقيل معناه امنتم من في السماء كقوله لاصلبنكم
في جذوع النخل اي عليها ومعناه انه مدبرها ومالكها كما يقال فلان على العراق والحجاز اي واليها واميرها والاخبار
الصحيحة من هذا الباب كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه
عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع
الايدي بالدعاء الى السماء لان السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة واليها
ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة قبلة للصلاة ولانه خلق الامكنة وهو غير
محتاج اليها فكان في ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الان على ما عليه
كان وقرا قنبل عن ابن كثير النشور وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا وتخفيف الثانية وقرا الكوفيون والبصريون
واهل الشام سوى ابي عمرو وهشام بتحقيق الهمزتين وخفف الباقون وقد تقدم جميعه قوله تعالى
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل
ريح فيها حجارة وحصباء وقيل سحاب فيها حجارة فستعلمون كيف نذير اي انذاري وقيل النذير بمعنى المنذر

يعني محمدا صلي الله عليه وسلم اي سيعلمون صدقه وعاقبة تكذيبهم **قوله تعالى** ولقد كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب مدين واصحاب الرس وقوم فرعون فكيف كان نكيري انكاري وقد تقدم واثبت ورش الياء في نذيري ونكيري في الوصل واثبتها يعقوب في الحالين وحذف الباقون اتباعا للمصحف **قوله تعالى** اولم يروا الي الطير فوقهم صافات اي كما ذلل الارض للادمي ذلل الهوا للطيور وصافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن اي يضربن بها جنوبهن قال ابو جعفر النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمهما فاصابا جنبيه قابض لانه يقبضهما كما قال ابو خراش

يبادر جنح الليل فهو موايل كث الجناح بالتبسط والقبض

وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران وهو معطوف علي صافات عطف المضارع علي اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل علي المضارع في قول الشاعر بات يغشيها بغضب باتر يقصد في اسوقها وجائر ما يمسكهن اي ما يمسك الطير في الجو وهي تطير الا الله عز وجل انه بكل شي بصير **قوله تعالى** امن هذا الذي هو جند لكم قال ابن عباس حزب ومنعة لكم ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم ان عصيتموه ولفظ الجند يوحد ولذلك قال هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام انكار اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اي من سوء الرحمن ان الكافرون الا في غرور من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب **قوله تعالى** امن هذا الذي يرزقكم اي يعطيكم منافع الدنيا وقيل المطر من الهتكم ان امسك يعني الله تعالى رزقه بل لجوا اي تمادوا واصروا في عتو طغيان ونفور عن الحق **قوله تعالى** افمن يمشي مكبا علي وجهه ضرب مثلا للمومن والكافر مكبا اي منكسا راسه لا ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله فهو لا يامن العثور والانكباب علي وجهه كمن يمشي سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله قال ابن عباس هذا في الدنيا ويجوز ان يريد به الاعمي الذي لا يهتدي الي الطريق فيعتسف ولا يزال ينكب علي وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وقال قتادة هو الكافر اكب علي معاصي الله في الدنيا فحشره الله يوم القيامة علي وجهه وقال ابن عباس والكلبي عني بالذي يمشي مكبا علي وجهه ابا جهل وبالذي يمشي سويا النبي صلي الله عليه وسلم وقيل ابو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قاله عكرمة وقيل هو عام في الكافر والمومن اي ان الكافر لا يدري اعلي حق هو ام باطل اي هذا الكافر اهدي والمسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق وهو علي صراط مستقيم وهو الاسلام ويقال اكب الرجل علي وجهه فيما لا يتعدي بالالف فاذا تعدي قيل كبه الله لوجهه بغير الف **قوله تعالى** قل هو الذي انشاكم امر نبيه ان يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم بان الله خلقهم وجعل لكم السمع والابصار والافيدة يعني القلوب قليلا ما تشكرون اي لا تشكرون هذه النعم ولا توحدون الله تعالي تقول قلما افعل كذا اي لا افعله **قوله تعالى** قل هو الذي ذراكم في الارض قاله ابن عباس وقيل نشركم فيها وفرقكم علي ظهرها قاله ابن شجرة واليه تحشرون حتي يجازي كلا بعمله ويقولون متي هذا الوعد ان كنتم صادقين اي متي يوم القيامة ومتي هذا العذاب الذي تعدوننا به وهذا استهزاء منهم وقد تقدم **قوله تعالى** قل انما العلم عند الله اي قل لهم يا محمد علم وقت قيام الساعة عند الله ولا يعلمه غيره نظيره قوله قل انما علمها عند ربي الاية وانما انا نذير مبين اي مخوف لكم ومعلم قوله تعالي فلما راوه زلفة مصدر بمعني مزدلفا ام اي قريبا قاله مجاهد الحسن عيانا واكثر المفسرين علي ان المعني فلما راوه يعني العذاب وهو عذاب الاخرة وقال مجاهد يعني عذاب بدر وقيل ان راوا ما وعدوا من الحشر قريبا منهم ودل عليه تحشرون وقال ابن عباس لما راوا عملهم السيء قريبا سيئت وجوه الذين كفروا اي فعل بها السوء وقال الزجاج تبين فيها السوء اي ساءهم ذلك العذاب وظهر علي وجوههم سمة تدل علي كفرهم كقوله تعالي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقرا نافع وابن محيصن وابن عامر والكسائي سيئت باشمام الضم وكسر الباقون بغير اشمام طلبا للخفة ومن ضم لاحظ الاصل وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قال الفراء تدعون تفتعلون من الدعا وهو قول اكثر العلماء اي تتمنون وتسالون وقال ابن عباس تكذبون وتاويله هذا الذي كنتم من اجله تدعون الاباطيل والاحاديث قاله الزجاج وقراءة العامة تدعون بالتشديد وتاويله ما ذكرناه وقرا قتادة وابن ابي اسحق والضحاك ويعقوب تدعون مخففة قال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما الاية وقال ابو العباس تدعون تستعجلون يقال دعوت

اي منكسا راسه لا ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله

بكذا اذا طلبته وادعيت افتعلت منه النحاس تدعون وتدعون بمعني واحد كما يقال قدر واقتدر وعدي واعتدي الا ان في افتعل معني شي بعد شي وفعل يقع القليل والكثير **قوله تعالى** قل ارايتم ان اهلكني الله اي قل لهم يا محمد يريد مشركي مكة وكانوا يتمنون موت محمد صلي الله عليه وسلم كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ارايتم ان متنا او رحمنا فاخرت اجالنا فمن يجيركم من عذاب الله فلا حاجة بكم الي التربص ولا الي استعجال قيام الساعة واسكن الياء في اهلكني ابن محيصن والمسيبي وشيبة والاعمش وحمزة وفتحها الباقون وكلهم فتح الياء في من معي الا اهل الكوفة فانهم سكنوها فستعلمون قرا الكسائي بالياء علي الخبر ورواه عن علي الباقون بالتاء علي الخطاب وهو تهديد لهم ويقول اخر مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا فيقال لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل علي ما انتم عليه متوكلون من رجالكم واموالكم قاله الزمخشري قوله تعالي قل ارايتم يا معشر قريش ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الدلاء وكان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون فمن ياتيكم بماء معين اي جار قاله قتادة والضحاك فلا بد لهم من ان يقولوا لا ياتينا به الا الله فقل لهم فلم تشركون به من لا يقدر علي ان ياتيكم يقال غار الما يغور غورا اي نضب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل عدل ورضي وقد مضي في الكهف ومضي القول في المعين في سورة المومنين وعن ابن عباس بماء معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الماء اي كثر فهو علي هذا فعيل وعن ابن عباس ايضا ان المعني فمن ياتيكم بماء عذب تمت

تفسير سورة ن والقلم

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة من اولها الي قوله تعالي سنسمه علي الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الي قوله تعالي من الصالحين اكبر لو كانوا يعلمون مدني ومن بعد ذلك الي قوله يكتبون مكي ومن بعد ذلك الي قوله تعالي من الصالحين مدني وما فيها مكي حكاه الماوردي وهي ثنتان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ن والقلم ادغم النون الثانية من هجائها في الواو ابو بكر والمفضل وهبيرة وورش وابن محيصن وابن عامر والكسائي ويعقوب والباقون باظهارها وقرا عيسي بن عمر بفتحها كانه اضمر فعلا وقرا ابن عباس ونصر وابن ابي اسحاق بكسرها علي اضمار حرف القسم وقرا هرون ومحمد بن السميقع بضمها علي البناء واختلف في تاويله فروي معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه الي النبي صلي الله عليه وسلم انه قال نون لوح من نور وروي ثابت البناني ان نون الدواة وقاله الحسن وقتادة وروي الوليد بن مسلم حدثنا مالك بن انس عن سمي مولي ابي بكر عن ابي صالح السمان عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الي يوم القيامة من عمل او اجل او رزق او اثر فجري القلم بما هو كائن الي يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الي يوم القيامة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته وعن مجاهد قال نون هو الحوت التي تحت الارض السابعة قال والقلم الذي كتب به الذكر قاله مقاتل ومرة الهمداني وعطا الخراساني والسدي والكلبي ان النون هو الحوت الذي عليه الارضون ورواه ابن ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجري بما هو كائن ثم رفع بخار الماء فخلق منه السما ثم خلق النون فبسط الارض علي ظهره فمادت الارض فاثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر علي الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم الاية وقال مقاتل والكلبي اسمه البهموت قال الراجز

مالي اراكم كلكم سكوتا والله ربي خلق البهموتا

وقال ابو اليقظان والواقدي ليوثا وقال كعب لوثوثا وقال بلهموثا قال كعب ان ابليس تغلغل الي الحوت الذي علي ظهره الارضون والسموات فوسوس في قلبه فقال اتدري ما علي ظهرك يا لوثوثا من الدواب والشجر والارضين وغيرها لو نفضتهم والقيتهم عن ظهرك اجمع فهم ليوثا ان يفعل فبعث الله اليه دابة دخلت منخره وصلت الي دماغه فضج الحوت الي الله تعالي منها فاذن الله لها فخرجت قال كعب فوالله لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشي من ذلك عادت كما كانت وقال الضحاك عن ابن عباس ان نون اخر حرف من حروف الرحمن قال الر وحم ون الرحمن تعالي منقطعة وقال ابن زيد هو قسم اقسم الله به وقال ابن كيسان

اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته

هو فاتحة السورة وقيل اسم السورة وقال عطا ابو العالية هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر وقال محمد بن
كعب اقسم الله تعالى بنصره للمومنين وهو حق بيانه قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين وقال
جعفر الصادق هو نهر من انهار الجنة يقال له نون وقيل هو المعروف من حروف المعجم لانه لو كان غير ذلك
لكان معربا وهذا اختيار القشيري ابو نصر عبد الرحيم في تفسيره قال لان نون حرف لم يعرب فلو كان كلمه
تامة اعرب كما اعرب القلم فهو اذا حرف هجا كما في سائر مفاتيح السور وعلى هذا قيل هو اسم للسورة اي هذه
سورة نون ثم قال والقلم اقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من في السموات
ومن في الارض ومنه قول ابي الفتح البستي اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم
وللشعرا في تفضيل القلم على السيف ابيات كثيرة ماذكرناه اعلاها وقال ابن عباس هذا قسم بالقلم
الذي خلقه الله فامره فجرى بكتابه جميع ما هو كاين الى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السما
والارض ويقال خلق الله القلم ثم نظر اليه فانشق نصفين فقال اجر فقال يا رب بما اجري فقال بما هو كاين
الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ وقال الوليد بن عبادة بن الصامت اوصاني ابي عند موته فقال
يا بني اتق الله واعلم انك لن تتقي ولن تبلغ العلم حتى تومن بالله وحده والقدر خيره وشره سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال يا رب وما اكتب قال اكتب القدر فجرى
القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كاين الى الابد قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب
بما هو كاين فكتب فيما كتب تبت يدا ابي لهب وقال قتادة القلم نعمة من الله على عباده قال غيره فخلق الله القلم
الاول فكتب ما يكون في الذكر ووضعه عنده فوق عرشه ثم خلق القلم الثاني ليكتب به في الارض على ما يأتي
في سورة اقرا باسم ربك الذي **قوله تعالى** وما يسطرون اي وما يكتبون يريد الملايكة يكتبون
اعمال بني ادم قاله ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس معنى وما يسطرون
وما يعلمون وما موصولة او مصدرية اي ومسطوراتهم او سطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة على
الخلائق ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو نفي وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه
وسلم انه مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم
وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بمجنون اي برحمة ربك والنعمة ها هنا الرحمة ويحتمل ثانيا ان النعمة
ها هنا قسم وتقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون لان الواو والبا من حروف القسم وقيل هو كما تقول
ما انت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد
لله ومنه قول لبيد وافردت في الدنيا بفقد عشيرتي وفارقني جار باربد نافع وقال النابغة
لم يحرموا حسن الغذاء وامهم طفحت عليك بناتق مذكار
اي هو ناتق والبا في بنعمة ربك متعلقة بمجنون منفيا كما تتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل
ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك وان لك لاجرا اي ثوابا على ما
تحملت من اثقال النبوة غير ممنون اي غير مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين
قال الشاعر عبسا كواسب لا يمن طعامها اي لا ينقطع وقال مجاهد غير ممنون غير محسوب
الحسن غير ممنون غير مكدر بالمن الضحاك اجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وهو التفضيل لان الجزاء مقدر
والتفضيل غير مقدر ذكره الماوردي وهو معنى قول مجاهد والله اعلم **قوله تعالى** وانك لعلى
خلق عظيم على دين عظيم فيه مسيلتان الاولى قال ابن عباس ومجاهد على خلق عظيم من الاديان ليس دين
احب الى الله ولا ارضى عنده منه وفي صحيح مسلم عن عايشة ان خلقه كان القران وقال علي رضي الله عنه و
عطية هو ادب القران وقيل هو رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله
وينتهي عنه مما نهى الله عنه وقيل اي انك على طبع كريم الماوردي وهو الظاهر وحقيقة الخلق في اللغة ما
هو ياخذ به الانسان نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب
فهو الخيم بالكسر السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه وخيم اسم جبل فيكون الخلق الطبع المتكلف
والخيم الطبع الغريزي وقد اوضح الاعشى ذلك في شعره فقال
واذا ذو الفضول ضن على المولى وعادت لخيمها الاخلاق

اقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان

ان اول ما خلق الله القلم

اي رجعت الاخلاق الى طبايعها قال الشيخ المولف رحمه الله عايشة وفي صحيح مسلم اصح الاقوال وسيلت ايضا
عن خلقه عليه السلام فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا كان للنبي صلى الله عليه وسلم الامنة الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه
عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه يدل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق وقيل لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقد روي عنه عليه السلام انه قال ادبني ربي ادبا حسنا اذ قال
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما قبلت ذلك منه قال انك لعلى خلق عظيم الثانية روى الترمذي
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث ما كنت واتبع السيية الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن قال حديث حسن صحيح وعن ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شي اثقل في ميزان
العبد المومن يوم القيامة من خلق حسن فان الله يبغض الفاحش البذي قال حديث حسن صحيح وعنه قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من شي يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ
درجة صاحب الصلاة والصوم قال حديث غريب من هذا الوجه وعن ابي هريرة قال سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل الناس النار
فقال الفم والفرج قال هذا حديث حسن صحيح وعن عبد الله بن المبارك انه وصف حسن الخلق فقال هو بسط
الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم
مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون
والمتفيهقون قالوا يا رسول الله لقد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقين قال المتكبرون قال وفي الباب
عن ابي هريرة وقال هذا حديث حسن صحيح **قوله تعالى** فستبصر ويبصرون قال ابن عباس معناه
فستعلم ويعلمون يوم القيامة وقيل فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل بايكم المفتون
البا زايدة اي فستبصر ويبصرون ايكم المفتون اي الذي فتن بالجنون كقوله تنبت بالدهن ويشرب بها
عباد الله وهذا قول قتادة وابي عبيدة والاخفش وقال الراجز
نحن بنو جعدة اصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج
وقيل البا ليست بزايدة والمعنى بايكم المفتون اي الفتنة وهو مصدر على وزن المفعول ويكون معناه
الفتون كما قالوا ما لفلان مجلود ولا معقول اي عقل ولا جلادة وقاله الحسن والضحاك وابن عباس وقال
الراعي حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفواده معقولا اي عقلا
وقيل في الكلام تقدير حذف مضاف والمعنى بايكم فتنة المفتون وقال الفرا البا بمعنى
في اي فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون ابالفرقة التي انت فيها من المومنين ام بالفرقة الاخرى
فالمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب في النار
اذا حميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ومعظم السورة نزلت في الوليد بن المغيرة
وابي جهل وقيل المفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون ان به شيطانا وعنوا بالمجنون هذا
فقال الله تعالى فسيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اي الذين هم على الهدى فيجازي
كلا غدا بعمله **قوله تعالى** فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه ان يكف عنهم
ليكفوا عنه فبين الله تعالى ان ممايلتهم كفر وقال الله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا
قليلا وقيل اي فلا تطع المكذبين فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث نزلت في مشركي قريش حين دعوه الى
دين ابايه **قوله تعالى** ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدي
ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس ايضا ودوا لو ترخص لهم فيرخصوا لك وقال الفرا والكلبي
لو تلين فيلينون لك والادهان التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفرا وقال مجاهد المعنى ودوا لو
ركنت اليهم وتركت الحق فيمالونك وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب
عن هذا الامر فيذهبون معك الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم وعنه ايضا ودوا لو ترفض

ادبني ربي فاحسن

وصف حسن الخلق

بعض امرك فيرفضون بعض امرهم زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينا فقون ويراؤون وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقيل ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في اديانهم قاله القتبي وعنه طلبوا منه ان يعبد الهتهم مدة ويعبدوا الهه مدة فهذه اثنا عشر قولا ابن العربي ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوي على اللغة والمعنى امثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون قال الشيخ المؤلف رحمه الله كلها ان شاء الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة في الكلام والتليين في القول قال الشاعر

لبعض الغشم احزم في امور | تنوبك من مداهنة العدو

وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فهي على هذا الوجه مذمومة وعلى الوجه الاول غير مذمومة وكل شيء منها لم يكن قال المبرد ادهن في دينه وداهن في امره اي خان فيه واظهر خلاف ما يضمر وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قاله الجوهري وقال فيدهنون فساقه على العطف ولو جاء به جواب النهي لقال فيدهنوا وانما اراد انهم تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه ولا مكافاة وانما هو تمثيل وتنظير **قوله تعالى** ولا تطع كل حلاف مهين يعني الاخنس بن شريق في قول الشعبي والسدي وابن اسحق وقيل الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن ابن الاسود قاله مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف انه يعطيه ان رجع عن دينه قاله مقاتل وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين الضعيف القلب عن مجاهد ابن عباس الكذاب والكذاب مهين وقيل المكثار في الشر قاله الحسن وقتادة وقال الكلبي المهين الفاجر العاجز وقيل معناه الحقير عند الله وقال ابن شجرة انه الذليل الرماي المهين الوضيع لاكثاره من القبيح وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة وهي هنا القلة في الشر او التمييز وهو فعيل بمعنى مفعل والمعنى مهان همّاز قال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقال الحسن هو الذي يهمز ناحية في المجلس بقوله همزه وقيل اللماز الذي يذكر الناس في وجوههم والهماز الذي يذكرهم في مغيبهم قاله ابو العالية وعطا ابن ابي رباح والحسن ايضا وقال مقاتل ضد هذا الكلام ان الهمزة الذي يغتاب بالغيبة واللمزة الذي يغتاب من الوجه وقال مرة هما سواء وهو القتات الطعان للمرء اذا غاب ونحوه عن ابن عباس وقتادة وقال الشاعر

تدلي بود اذا لاقيتني كذبا | وان اغب فانت الهامز اللامز

مشاء بنميم اي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم نما ونميما ونميمة اي يمشي ويسعى بالفساد وفي صحيح مسلم عن حذيفة انه بلغه ان رجلا ينم الحديث فقال حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة نمام قال الشاعر

ومولى كبيت النمل لا خير عنده | لمولاه الا سعيه بنميم

قال الفراء هما لغتان وقيل النميم جمع نميمة مناع للخير اي للمال ان ينفق في وجوهه وقال ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه بشيء ابدا معتد اي على الناس في الظلم متجاوز على الحد صاحب باطل اثيم اي ذي اثم ومعناه ماثوم فهو فعيل بمعنى مفعول عتل بعد ذلك زنيم العتل الجافي الشديد في كفره وقال الكلبي والفراء هو الشديد الخصومة بالباطل وقيل انه الذي يعتل الناس فيجرهم الى حبس او عذاب ماخوذ من العتل وهو الجر ومنه قوله تعالى خذوه فاعتلوه وفي الصحاح وعتلت الرجل عتله واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر وقال يصف فرسا

نفرعه فرعا ولسنا نعتله

قال ابن السكيت عتله وعتنه باللام والنون جميعا والعتل الغليظ الجافي والعتل ايضا الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال لا انعتل معك اي لا ابرح مكاني وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك من اولئك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا وقال علي بن ابي طالب والحسن العتل الفاحش السيء الخلق وقال معمر هو الفاجر اللئيم قال الشاعر

بعتل من الرجال زنيم | غير ذي نجدة وغير كريم

وفي صحيح مسلم عن حارثة بنت وهب سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر في رواية عنه كل جواظ زنيم متكبر الجواظ قيل هو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال وذكر الماوردي عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ورواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري

المهين الفاجر والحقير عند الله

ولا العتل الزنيم فقال رجل ما الجواظ وما الجعظري وما العتل الزنيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجواظ الذي جمع ومنع والجعظري الغليظ والعتل الزنيم الشديد الخلق والرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس ذكره الثعلبي عن شداد بن اوس لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قلت وما الجواظ قال كل جماع مناع قلت وما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت وما العتل الزنيم قال الرحيب الجوف الوتير الخلق الاكول الشروب الغشوم الظلوم قال الشيخ المؤلف رحمه الله فهذا التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم في العتل قد اربى على اقوال المفسرين ووقع في كتاب ابي داود في تفسير الجواظ انه الفظ الغليظ ذكره من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري قالوا الجواظ الفظ الغليظ ففيه تفسيران مرفوعا حسب ما ذكرناه اولا وقد قيل انه الجافي القلب وعن زيد بن اسلم في قوله عتل بعد ذلك زنيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكي السماء من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وتبكي السماء من الشيخ الزاني ما تكاد الارض تقله والزنيم الملصق الملصق بالقوم الدعي عن ابن عباس وغيره قال الشاعر

زنيم تداعاه الرجال زيادة | كما زيد في عرض الاديم اكارعه

وعن ابن عباس ايضا انه رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة وروي عنه بن جبير انه الذي يعرف بالشر كما يعرف الشاة بزنمتها وقال عكرمة هو اللئيم الذي يعرف بلومه كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل هو الذي يعرف بالابنة وهو مروي عن ابن عباس ايضا وعنه انه الظلوم فهذه ستة اقوال وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام له اصبع زائدة وعنه ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه | بغي الام ذو حسب لئيم

وانت زنيم نيط في ال هاشم | كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا هو القول الاول بعينه وعن علي رضي الله عنه انه الذي لا اصل له والمعنى واحد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الرحمن بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك بان يعمهم الله بعقاب وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال الشيخ المؤلف رحمه الله اما الحديث الاول والثاني فما اظن لهما سندا يصح واما حديث ميمونة وقال عكرمة ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث خرجه البخاري وكثرة الخبث ظهور الزنا واولاد الزنا كذا فسره العلما وقول عكرمة قحط المطر تبيين لما يكون به الهلاك وهذا يحتاج الى توقيف وهو اعلم من اين قاله ومعظم المفسرين على ان هذا نزل في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام وينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يدخن احد بكراع الا ومن اراد الحيس فليات الوليد بن المغيرة فكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقال محمد بن اسحاق نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما في هذه الاية بعيب لم يعرف حتى قتل فعرف وكان له زنمة في عنقه معلقة يعرف بها وقال مرة الهمداني انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة **قوله تعالى** ان كان ذا مال وبنين قال ابو جعفر وابن عامر وابو حيوة والمغيرة والاعرج ان كان بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرا ابو بكر وحمزة والمفضل ان كان بهمزتين محققتين وقرا الباقون بهمزة واحدة على الخبر فمن قرا بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان على معنى الان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يقول اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام

ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل في ان تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا تعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما موخرا في حال ويجوز ان يكون المعنى لانطعه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا بالاستفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان وبان كان فان متعلقة بما قبلها قال غيره يجوز ان يتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان يتعلق بعتل واساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم وخرافاتهم وقد تقدم **قوله تعالى** سنسمه على الخرطوم فيه مسئلتان الاولى قال ابن عباس معنى سنسمه على الخرطوم سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات وقال قتادة سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها وسمه وسما وسمة اذا اثرت فيه سمة وكي وقد قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهذه علامة ظاهرة قال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة فافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الاخرة فيعرف بسواد وجهه والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم سادتهم قال الفرا وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشي يعبر به عن الكل وقال الطبري سنبين امره تبيانا واضحا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا يخفى السمة على الخراطيم وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة حتى يكون كمن وسم على انفه قال القتبي تقول العرب للرجل يسب سبة سوء قبيحة باقية قد وسم ميسم سوء اي الصق به عار لا يفارقه كما ان السمة لا تمحى اثرها قال جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمي … وعلى البعيث جدعت انف الاخطل

البعيث اسم شاعر من تميم اراد بالهجا قال وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا يعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوب احد ما بلغه منه فالحقه به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على الخرطوم وقيل هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار قاله ابن بحر واستشهد بقول الاعشى

فدعها وما يغنيك واعمد لغيرها … بشعرك واعلب انف من انت واسم

وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم قال الشاعر

تظل يومك في لهو وفي طرب … وانت بالليل شراب الخراطيم

وقال اخر

صهباء خرطوما عقارا قرقفا … وقال اخر

انا حاضر من يزف نعرف زناؤه … ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

الثانية قال ابن العربي كان الوسم في الوجه لذي المعصية قديما عند الناس حتى انه روي كما تقدم ان اليهود لما اهملوا رجم الزاني اعتاضوا منه بالضرب وتحميم الوجه وهذا وضع باطل ومن الوسم الصحيح في الوجه ما راى العلماء من تسويد وجه شاهد الزور علامة على قبح المعصية وتشديدا لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنبه كما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته فقد كان عزيزا بقول الحق وقد صار مهينا بالمعصية واعظم الاهانة اهانة الوجه وكذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سببا لخيرة الابد والتحريم له على النار فان الله قد حرم على النار ان تاكل من ابن ادم اثر السجود حسب ما ثبت في الصحيح **قوله تعالى** انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة فيه ثلاث مسائل الاولى بلوناهم يريد اهل مكة والابتلا الاختبار والمعنى اعطيناهم الاموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك انها كانت بارض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعا ويقال بفرسخين كانت لرجل يودي حق الله فيها فلما هلك صارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين صنعا فرسخان ابتلاهم الله بان احرق جنتهم وقيل هي جنة بضوران وضوران على فراسخ من صنعا وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلا فكانوا يجدون التمر ليلا من اجل المساكين وكانوا ارادوا حصاد زرعها وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها فاذا هي قد اقتلعت من اصلها فاصبحت كالصريم اي كالليل ويقال ايضا للنهار صريم فان كان اراد الليل فلاسوداد موضعها وكانهم وجدوا موضعها حماة وان كان اراد بالصريم النهار فلذهاب الشجر والزرع ونقا الارض منه فكان الطايف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها من اصلها فيقال انه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطايف ولذلك سميت الطايف وليس في ارض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب غيرها وقال البكري في المعجم سميت الطايف لان رجلا من الصدف يقال له الدمون بنا حايطا وقال قد بنيت لكم طايفا حول بلدكم فسميت الطايف والله اعلم الثانية قال بعض العلماء على من حصد زرعا وجد ثمرة ان يواسي منها من حضره وذكر انه معنى قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده وانه غير الزكاة على ما تقدم في الانعام بيانه وقال بعضهم وعليه ترك ما اخطاه الحصادون فكان بعض العباد يتحرون اقواتهم من هذا وروي انه نهي عن الحصاد بالليل فقيل له انه لما ينقطع عن المساكين في ذلك من الرفق وتاول من قال هذه الاية التي في سورة ن والقلم وقيل انما نهي عن ذلك خشية الحيات وهوام الارض قال الشيخ المولف رحمه الله الاول اصح والثاني حسن وانما قلنا الاول اصح لان العقوبة كانت بسبب ما ارادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى وروي اسباط عن السدي قال كان قوم باليمن وكان ابوهم رجل صالح وكان اذا بلغ ثماره اتاه المساكين فلم يمنعهم من دخولها وان ياكلوا منها ويتزودوا فلما مات قال بنوه بعضهم لبعض على ما نعطي اموالنا هولاء المساكين فلنذهب فنصيبه منها قبل ان يعلم المساكين ولم يستثنوا فانطلقوا وبعضهم يقول لبعض خفتا لا يدخلنا اليوم عليكم مسكين فذلك قوله تعالى اذ اقسموا يعني حلفوا فيما بينهم ليصرمنها مصبحين يعني ليجدنها وقت الصبح قبل ان تخرج المساكين ولا يستثنون يعني لم يقولوا ان شا الله وقال ابن عباس كانت تلك الجنة دون صنعا بفرسخين غرسها رجل من اهل الصلاح وكان له ثلاث بنون وكان للمساكين كلما تعداه المنجل فلم يجزه من الكرم فاذا طرح على البساط فكل شي عن البساط فهو ايضا للمساكين فاذا حصد وازرعهم فكل شي تعداه المنجل فهو للمساكين واذا درسوا كان لهم كل شي انتثر وكان ابوهم يتصدق منها على المساكين وكان يعيش في ذلك في حياة ابيهم اليتامى والارامل والمساكين فلما مات ابوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم فقالوا قل المال وكثر العيال فتحالفوا بينهم ليغدون غدوة قبل خروج الناس ثم ليصرمنها ولا يعرف المساكين وهو قوله اذ اقسموا اي حلفوا ليصرمنها ليقطعن ثمر نخلهم اذا اصبحوا بسدفة من الليل لئلا ينتبه المساكين لهم والصرم القطع يقال صرم العذق عن النخلة واصرم النخل اي حان وقت صرامه مثل اركب المهر واحصد الزرع اي حان ركوبه وحصاده ولا يستثنون اي ولم يقولوا ان شا الله فتنادوا مصبحين ينادي بعضهم بعضا ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين عازمين على الصرام والجذاذ قال قتادة حاصدين زرعكم وقال الكلبي ما كان في جنتهم من زرع ولا نخيل وقال مجاهد كان حرثهم عنبا ولم يقولوا ان شا الله وقال ابو صالح كان استثناؤهم قولهم سبحان الله ربنا وقيل معنى ولا يستثنون اي لا يستثنون حق المساكين قاله عكرمة فجاؤوها ليلا فراوا الجنة مسودة قد طاف عليها طايف من ربك وهم نايمون قيل الطايف جبريل عليه السلام على ما تقدم ذكره وقال ابن عباس امر من ربك وقال قتادة عذاب من ربك ابن جريج عنق من نار خرج من وادي جهنم والطايف لا يكون الا بالليل قاله الفرا الثالثة قال الشيخ المولف رحمه الله في هذه الاية دليل على ان العزم مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظير هذه الاية قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قلنا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى مبينا في ال عمران عند قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون **قوله تعالى** فاصبحت كالصريم اي كالليل المظلم عن ابن عباس والفرا وغيرهما قال الشاعر

تطاول ليلك الجون البهيم … فما ينجاب عن صبح لهيم

اي احترقت فصارت كالليل الاسود وعن ابن عباس ايضا كالرماد الاسود قال والصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة الثوري كالزرع المحصود فالصريم بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه وقال الحسن صرم عنها الخير اي قطع فالصريم مفعول ايضا وقال المورج اي كالرملة انصرمت من معظم الرمل يقال صريمة وصرايم والرملة لا تنبت شيا ينتفع به وقال الاخفش كالصبح انصرم من الليل وقال المبرد اي كالنهار فلا شي فيها قال شمر الصريم الليل والصريم النهار اي ينصرم هذا عن ذلك وذاك عن هذا وقيل سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل قال القشيري وفي هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا يقطع عن تصرف **قوله تعالى** فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتسارون اي يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم احد قاله عطا وقتادة وهو من خفت يخفت اذا سكن ولم يبين كما قال دريد بن الصمة

وكان اذا بلغ ثماره اتاه المساكين

وَاني لو اهلك سلا لاوَلوامت حُفا ثا وكلا طنه عودى وقيل يخفون انفسهم من الناس
حتي لا يرو نهم وكان ابوهم يخبر الفقرا والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصرام وغدوا علي حرد قادرين
اي علي قصد وقدرة في انفسهم ويظنون انهم تمكنوا من مرادهم قال ابن عباس وغيره الحرد القصد حرد يحرد
بالكسر حرْدًا اقصد يقول حردت حردك اي قصدت قصدك ومنه قول الراجز

اقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنة المغله	انشده النحاس
قد جاء سيل من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة	قال المبرد

المغلة ذات الغلة وقال غيره المغلة التي تجري الماء في غللها اي في اصولها ومنه تغللت الغالية
ومنه تغليت ابدل من اللام يا ومن قال تغلفت فمعناه عنده جعلتها غلافا وقال قتادة ومجاهد
علي جرد اي علي جد الحسن علي حاجة وفاقة وقال ابو عبيدة والقتبي علي حرد علي منع من قولهم حاردت
الابل حرادا اي قلت البانها والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها
وقال السدي وسفين علي حرد علي غضب والحرد الغضب قال ابو نصر احمد بن حاتم صاحب الاصمعي
وهو مخفف وانشد

اذا جياد اعل جاءت تردي	مملوءة من غضب وحرد

وقال ابن السكيت وقد تحرك يقول منه حرد بالكسر حرْدًا فهو حارد وحردان ومنه قيل اسد حارد وليوث
حوارد وقيل علي حرد علي انفراد يقال حرد يحرد حرودا اي تنحي عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم وقال ابو زيد
رجل حريد من قوم حردا وقد حرد يحرد حرودا اذا ترك قومه وتحول عنهم وكوكب حريد اي معتزل عن الكواكب
قال الاصمعي رجل حريد اي فريد وحيد وقال والمنحرد المنفرد في لغة هذيل وانشد لابي ذؤيب

كانه كوكب في الجو منحرد	ورواه ابو عمرو بالجيم وفسره منفرد قال وهو سهيل

وقال الازهري حرد اسم قريتهم السدي اسم جنتهم وفيه لغتان حرد وحرد وقراءة العامة بالاسكان وقرا ابو العالية وابن
السميقع بالفتح وهما لغتان ومعني قادرين قد قدروا امرهم وبنوا عليه قاله الفرا وقال قتادة قادرين
علي جنتهم عند انفسهم وقال الشعبي قادرين يعني علي المساكين وقيل معناه من الوجود اي منعوا وهم واجدون
قوله تعالي فلما راوها قالوا انا لضالون اي لما راوها محترقة لا شي فيها قد صارت كالليل الاسود
ينظرون اليها كالرماد انكروها وشكوا فيها وقال بعضهم لبعض انا لضالون اي ضللنا الطريق الي جنتنا قاله
قتادة وقيل اي انا لضالون عن الصواب في غدونا علي نية منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اي
حرمنا جنتنا بما صنعنا روي اسباط عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اياكم والمعاصي
ان العبد ليذنب فيحرم به رزقا كان هي له ثم تلي فطاف عليها طايف من ربك الايتين
قال اوسطهم اي امثلهم واعدلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون وكان استثناوهم
تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل علي ان هذا الاوسط امرهم بالاستثنا فلم يطيعوه قال ابو صالح
كان استثناوهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه علي ما اعطاكم قال
النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد هذا التسبيح في موضع ان شا الله لان المعني تنزيه الله
ان يكون شي الا بمشيته وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال
لهم حين عزموا علي ذلك وذكرهم انتقامه من المجرمين قالوا سبحان ربنا اعترفوا بالمعصية ونزهوا الله عن
ان يكون ظالما فيما فعل وقال ابن عباس في قولهم سبحان ربنا اي نستغفر الله ربنا من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا
في منعنا المساكين فاقبل بعضهم علي بعض يتلاومون اي يلوم هذا في القسم ومنع المساكين ويقولون بل انت امرت
علينا بهذا قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي عاصين بمنع حق الفقرا وترك الاستثنا وقال ابن كيسان طغينا نعم
الله فلم نشكرها كما شكرها اباونا من قبل عسي ربنا ان يبدلنا خيرا منها تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا
منها لنصنعن كما صنعت اباونا فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها وامر جبريل
ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود
ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا
وقال اليماني ابو خالد دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم وقال الحسن قول اهل الجنة
انا الي الله راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او علي حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فيوقف
في كونهم مومنين وسيل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال قد كلفتني تعبا والمعظم

يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري وقراءة العامة يبدلنا بالتخفيف وقرا اهل المدينة
وابو عمرو بالتشديد وهما لغتان وقيل التبديل تغيير الشي او تغيير حاله وعين الشي قايم والابدال رفع الشي
ووضع اخر مكانه وقد مضي في النسا القول في هذا **قوله تعالي** كذلك العذاب اي عذاب الدنيا
وهلاك الاموال عن ابن زيد وقيل ان هذا وعظ لاهل مكة بالرجوع الي الله لما ابتلاهم بالجدب لدعا النبي عليه
السلام اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدي حدودنا في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقال ابن
عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الي بدر وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه وليرجعوا الي مكة حتي يطوفوا
بالبيت ويشربوا الخمور وتضرب القينات علي رووسهم فاخلف الله ظنهم فقتلوا واسروا وانهزموا كاهل هذه
الجنة لما خرجوا عازمين علي الصرام فخابوا ثم قيل ان الحق الذي منعه اهل الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا
ويحتمل انه كان تطوعا والاول اظهر والله اعلم وقيل السورة مكية فبعد حمل الاية علي ما اصاب اهل مكة من
القحط وعلي قتال اهل بدر **قوله تعالي** ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم تقدم القول فيه اي للمتقين
في الاخرة جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا وكان صناديد قريش
يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان
صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا
واقصي امرهم ان يساوونا فقيل افنجعل المسلمين كالمجرمين اي كالكفار وقال ابن عباس وغيره قالت كفار
مكة انا نعطي في الاخرة خيرا مما يعطون فنزل افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون
هذا الحكم الاعوج كان امر الجزا مفوض اليكم حتي تحكموا فيه بما شيتم ان لكم من الخير ما للمسلمين ام لكم كتاب
فيه تدرسون اي الكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي ان لكم فيه لما تخيرون تختارون تشتهون والمعني
ان لكم بالفتح ولكنه كسر لدخول اللام تقول علمت انك عاقل بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر والعامل في ان لكم
لما تخيرون تدرسون في المعني ومنعت اللام من فتح ان وقيل تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدا فقال
ان لكم فيه لما تخيرون اي ان لكم في هذا الكتاب اذا ما تتخيرون اي ليس لكم ذلك والكناية في فيه الاولي والثانية
راجعة الي الكتاب ثم زاد في التوبيخ فقال ام لكم ايمان اي عهود ومواثيق علينا بالغة موكدة والبالغة الموكدة
بالله تعالي ام لكم عهود علي الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ان لكم لما تحكمون كسرت ان لدخول اللام في
الخبر وهي من صلة ايمان والموضع النصب ولكن كسرت لاجل اللام تقول حلفت ان لك لكذا وقيل تم الكلام
بقوله الي يوم القيامة ثم قال ان لكم لما تحكمون اذ ان اي ليس الامر كذلك وقرا ابن هرمز ان لكم فيه لما تخيرون
ان لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا وقرا الحسن البصري بالغة بالنصب علي الحال اما من الضمير في لكم
لانه خبر عن ايمان ففيه ضمير واما الضمير في علينا وصفنا الايمان لا متعلقا بنفس الايمان
لان فيه ضميرا منه كما يكون اذا كان خبرا عنه ويجوز ان يكون حالا من ايمان وان كانت نكرة كما اجاز والنصب
حقا من متاع في قوله متاعا بالمعروف حقا علي المتقين والعامة بالغة بالرفع نعت لايمان **قوله تعالي**
سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل يا محمد هولا المتقولين علي ايهم كفيل بما تقدم ذكره ما للمسلمين والزعيم الكفيل
والضمين قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن كيسان الزعيم هنا القايم بالحجة والدعوي وقال الحسن الزعيم الرسول
ام لهم شركا الهم والميم صلة شركا اي شهدا فلياتوا بشركايهم ليشهدوا علي ما زعموا ان كانوا صادقين
في دعواهم وقيل اي فلياتوا بشركايهم ان امكنهم فهو امر معناه التعجيز **قوله تعالي** يوم يكشف عن ساق
يجوز ان يكون العامل في يوم فلياتوا اي فلياتوا بشركايهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركا لهم
ويجوز ان ينتصب باضمار فعل اي اذكر يوم يكشف عن ساق فيوقف علي صادقين ولا يوقف عليه علي التقدير الاول
وقري يوم نكشف بالنون وقرا ابن عباس يوم تكشف عن ساق بتا مسمي الفاعل اي تكشف الشدة والقيامة
عن ساقها كقولهم شمرت الحرب عن ساقها قال الشاعر

	فتي الحرب ان عضت به الحرب عضها	وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
اخر	قد كشفت عن ساقها فشدوا	وجد بالحرب بكم فجدوا
وقال اخر	عجبت من نفسي ومن اشفاقها	ومن طراد الطير عن ارزاقها
	في سنة قد كشفت عن ساقها	حمرا تبري اللحم عن عراقها
اخر	كشفت لهم عن ساقها	وبدا من الشر الصراح

تقول علمت انك عاقل

وعن ابن عباس ايضا والحسن وابي العالية يكشف بياء غير مسمى الفاعل وهذه القراءة راجعة الي معني يكشف فكانه قال يوم يكشف القيامة عن شدة وقرى يوم تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وذكر ابن المبارك اخبرنا اسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الي السجود قال كرب وشدة اخبرنا ابن جريج عن مجاهد قال شدة الامر وجده وقال مجاهد قال ابن عباس هي اشد ساعة في القيامة وقال ابو عبيدة اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه ان من وقع في شي محتاج فيه الي الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقيل ساق الشي اصله الذي به قوامه كساق الشجرة وساق الانسان يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقايق الامور واصلها وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يريد وقت اقتراب الاجل وضعف البدن اي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه المؤذن الي الصلاة ولا يمكنه ان يقوم ويخرج فاما ما روي ان الله يكشف عن ساقه فانه يتعالي عن التبعيض والاعضاء وان ينكشف ويتغطي ومعناه اي يكشف عن العظيم من امره وقيل يكشف عن نوره وروى ابو موسى عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله عز وجل عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وقال ابو الليث السمرقندي في تفسيره حدثنا الخليل بن احمد قال حدثنا ابن منيع قال حدثنا هدبة قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن ابي بردة بن ابي موسى قال حدثني ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا ويبقي اهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون فقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه اذا رايتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الي الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقي اقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فينظرون الي الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله يوم يكشف عن ساق ويدعون الي السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال الله لا اله الا هو لقد حدثك ابوك هذا الحديث فحلف له ثلاثة ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا وقال قيس بن السكن حدث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب فقال اذا كان يوم القيامة قام الناس لرب العالمين اربعين عاما شاخصة ابصارهم الي السماء حفاة عراة يلجمهم العرق فلا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم اربعين عاما ثم ينادي مناد ايها الناس اليس عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوركم وامانكم واحياكم ثم عبدتم غيره ان تولي كل قوم ما تولوا قالوا نعم قال فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونها حتى تقذفهم في النار فيبقي المسلمون والمنافقون فيقال لهم الا تذهبون قد ذهب الناس فيقولون حتى ياتينا ربنا فيقال لهم او تعرفونه فيقولون ان اعترف لنا عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلي لهم فيخر من كان يعبده مخلصا ساجدا ويبقي المنافقون لا يستطيعون كان في ظهورهم السفافيد فيذهب بهم الي النار ويدخل هؤلاء الجنة فذلك قوله ويدعون الي السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم اي ذليلة متواضعة ونصبه علي الحال ترهقهم ذلة وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم ووجوههم اشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى ترجع اشد سوادا من القار قال الشيخ المؤلف رحمه الله معني حديث ابي موسى وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري وغيره قوله تعالى وقد كانوا يدعون الي السجود اي في الدنيا وهم سالمون معافون اصحا قال ابراهيم التيمي اي يدعون بالاذان فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقيل اي بالتكليف الموجه عليهم في الشرع والمعني متقارب وقد مضي في البقرة الكلام في وجوب صلاة الجماعة وكان الربيع بن خثيم قد فلج فكان يهادى بين الرجلين الي المسجد فقيل يا ابا يزيد لو صليت في بيتك لكانت لك رخصة فقال من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبوا وقيل لسعيد بن المسيب ان طارقا يريد قتلك فتغيب فقال ايحيث لا يقدر الله علي فقيل له اجلس في بيتك فقال اسمع حي علي الفلاح فلا اجيب قوله تعالى فذرني اي دعني ومن يكذب من مفعول معه او معطوف علي ضمير المتكلم بهذا الحديث يعني القران قاله السدي وقيل يوم القيامة وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانا اجازيهم وانتقم منهم ثم قال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون معناه سناخذهم علي غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال سفيان الثوري يسبغ عليهم النعم وينسيهم الشكر وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابو روق اي كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم

الاستغفار

الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وقيل هو ان ياخذهم قليلا ولا يباغتهم وفي حديث ان رجلا من بني اسرائيل قال يا رب اعصيك وانت لا تعاقبني قال فاوحي الله الي نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج مني لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله النقل من حال الي حال كالتدرج ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا ويقال درجه الي كذا واستدرجه بمعني ادناه منه علي التدريج فتدرج هو واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة والملاوة المدة من الدهر واملي الله له اي اطال له والملوان الليل والنهار وقيل واملي لهم اي لا اعاجلهم بالموت والمعني واحد وقد مضي في الاعراف بيانه ان كيدي متين اي ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني احد قوله تعالى ام تسالهم اجرا عاد الكلام الي ما تقدم من قوله ام لهم شركاء اي ام تلتمس منهم ثوابا علي ما تدعوهم اليه من الايمان بالله فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يشق عليهم من بذل المال اي ليس عليهم كلفة بل يستولون بمتابعتك علي خزاين الارض ويصلون الي جنات النعيم قوله تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي علم ما غاب عنهم فهم يكتبون وقيل اينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون وعن ابن عباس الغيب هنا اللوح المحفوظ فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به ويكتبون انهم افضل منكم وانهم لا يعاقبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم ما يريدون قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك والحكم هنا القضاء وقيل اصبر علي ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك قال قتادة اي لا تعجل ولا تغاضب فلا بد من نصرك وقيل انه منسوخ باية السيف ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة قال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه عليه السلام ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت وقد مضي خبره في يونس والانبياء والصافات والفرق بين اضافة ذي وصاحب في يونس فلا معني للاعادة اذ نادي اي حين دعا من بطن الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مكظوم اي مملوء غما وقيل كربا الاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول عطاء وابي مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم فلان كظم غيظه اي حبس غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقد مضي هذا وغيره في يوسف قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه قراءة العامة تداركه وقرا ابن هرمز والحسن تداركه بتشديد الدال وهو مضارع ادغمت التاء منه في الدال وهو علي تقدير حكاية الحال كانه قال لولا ان كان يقال فيه تتداركه نعمة ابن عباس وابن مسعود تداركته وهو خلاف المرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل علي معني النعمة لان تانيث النعمة غير حقيقي وتداركته علي لفظها واختلف في معني النعمة هنا فقيل النبوة قاله الضحاك وقيل عبادته التي سلفت قاله ابن جبير وقيل نداؤه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قاله ابن زيد وقيل نعمة الله عليه اخراجه من بطن الحوت قاله ابن بحر وقيل اي رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء وهو مذموم لنبذ مذموما ولكنه نبذ سقيما غير مذموم ومعني مذموم في قول ابن عباس مليم وقال بكر بن عبد الله مذنب وقيل مذموم مبعد من كل خير والعراء الارض الواسعة الفضاء التي ليس فيها جبل ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت الي يوم القيامة ثم نبذ بعراء القيامة مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الي يوم يبعثون فاجتباه ربه اي اصطفاه واختاره فجعله من الصالحين قال ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقيل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله الي مائة الف او يزيدون قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ان هي المخففة من الثقيلة ليزلقونك بابصارهم اخبر بشدة عداوتهم النبي صلى الله عليه وسلم وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها فيقولون يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم هذه الناقة فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيئا يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الابل او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى تسقط منها طايفة هالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم انشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون

الغم في القلب والكرب في الانفاس

فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم فنزلت وان يكاد الذين كفروا وذكر نحوه الماوردي وان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه وماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله تعالى هذه الاية قال القشيري وفي هذا نظر لان الاصابة بالعين انما تكون مع الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهية والبغض ولهذا قال ويقولون انه لمجنون اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك تقرا القران قال المؤلف رحمه الله اقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله ولا يمنع كراهة الشي من ان يصاب بالعين عداوة حتى يهلك وقرا ابن عباس وابن مسعود والاعمش وابو وائل ومجاهد ليزهقونك اي ليهلكونك وهذه قراة على التفسير من زهقت نفسه وازهقها وقال اهل المدينة ليزلقونك بفتح اليا وضمها الباقون وهما لغتان بمعنى يقال زلقه يزلقه وازلقه يزلقه ازلاقا اذا نحاه وابعده وزلق راسه يزلقه زلقا اذا حلقه وكذلك اذلقه وزلقه تزليقا ورجل زلق وزملق مثل هدبد وزمالق وزملق بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري وغيره فمعنى الكلمة اذا التنحية والازالة وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه وسلم الا بهلاكه وموته قال الهروي اراد ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذي اقامك الله فيه عداوة لك وقال ابن عباس ينفذونك بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا انفذ وهو قول مجاهد اي ينفذونك من شدة نظرهم قال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي وسعيد بن جبير يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وقال العوفي يرمونك وقال المورج يزيلونك وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك وقال عبد العزيز بن يحيى ينظرون اليك نظرا شزرا بتحديق شديد وقال ابن زيد ليمسونك وقال جعفر الصادق لياكلونك وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك وهذا كما قال الشاعر

قال الشاعر	صرعني بطرفه وقلبني بعينه
ترميك مزلقة العيون بطرفها	وتكل عند نضال نبل الرامي

وقال اخر

يتقارضون اذا التقوا في مجلس	نظرا يزيل مواطن الاقدام

وقيل المعنى انهم ينظرون اليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك وهذا كله راجع الى ما ذكرناه وان المعنى الجامع يصيبونك بالعين والله اعلم وما هو الا ذكر للعالمين اي وما القران الا ذكر للعالمين وقيل اي وما محمد الا ذكر للعالمين يتذكرون به وقيل معناه شرف اي القران كما قال وانه لذكر لك ولقومك والنبي صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين ايضا شرفوا باتيانه والايمان به صلى الله عليه وسلم تسليما تمت السورة المباركة بحمد الله الملك القاهر القدير القادر

تفسير سورة الحاقة

مكية في قول الجميع وهي احدى وخمسين اية وروى ابو الزاهرية عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا احدى عشر اية من سورة الحاقة اجير من فتنة الدجال ومن قراها كانت له يوم القيامة نورا من فوق راسه الى قدمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة يريد القيامة سميت بذلك لان الامور تحق فيها قاله الطبري كانه جعلها من باب ليل نائم وقيل سميت حاقة لانها تكون من غير شك وقيل سميت بذلك لانها احقت لاقوام الجنة واحقت لاقوام النار وقيل سميت بذلك لان فيها يصير كل انسان حقيقا بجزاء عمله وقال الازهري يقال حاققته فحققته احقه اي غالبته فغلبته فالقيامة حاقة لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي كل مخاصم وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق فاذا غلبه قيل حقه ويقال للرجل الرجل اذا خاصم في صغار الاشيا انه لنزق الحقاق ويقال ما له فيه حق ولا احقاق اي خصومة والتحاق التخاصم والاحتقاق الاختصام والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى وقال الكسائي والمورج الحاقة يوم الحق وتقول العرب لما عرف الحقه مني هرب والحاقة الاولى رفع بالابتدا والخبر المبتدا الثاني وخبره وهو ما الحاقة لان معناها ما هي واللفظ استفهام ومعناه التعظيم والتفخيم لشانها كما تقول زيد ما زيد على التعظيم لشانه وما ادراك ما الحاقة استفهام ايضا اي اي شي اعلمك ما ذلك اليوم والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيمة ولكن بالصفة فقيل تفخيما لشانها وما ادراك ما هي كانك لست تعلمها اذا لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شي في القران وما ادراك فقد ادراه اياه وعلمه وكل شي قال وما يدريك فهو مما لم يعلمه وقال سفيان ابن عيينة كل شي قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة ذكر من كذب بالقيامة والقارعة القيامة سميت بذلك لانها تقرع الناس باهوالها يقال اصابتهم

قوارع الدهر اي اهواله وشدائده ونعوذ بالله من قوارع الدهر وقوارعه وقوارض لسانه جمع قارضة وهي الكلمة الموذية وقوارع القران الايات التي يقراها الانسان اذا فزع من الجن والانس نحو اية الكرسي كانها تقرع الشيطان وقيل القارعة ماخوذة من القرعة من رفع قوم وحط اخرين قاله المبرد وقيل عني بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال محمد بن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف الرمل ما بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي خلق وبسطة ذكره محمد بن اسحق وقد تقدم قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فيه اضمار اي بالفعلة الطاغية وقال قتادة اي بالصيحة الطاغية اي المجاوزة للحد اي لحد الصيحات من الهول كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الماء اي جاوز الحد وقال الكلبي بالطاغية بالصاعقة وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعاقبة اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية عاقر الناقة قاله ابن زيد اي اهلكوا بما اقدم عليه طاغيهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما هلك الجميع لانهم رضوا بفعله ومالوه وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة قوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار ماخوذ من الصر وهو البرد قاله الضحاك وقيل انها الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية على خزانها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله وقيل عتت على عاد فقهرتهم روى سفين الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما انزل الله من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح فان الماء يوم قوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء الاية والريح لما كان يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال اي ارسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشي بالاقتدار سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعة لا تفتر ولا تنقطع عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما قال الفرا الحسوم التباع من حسم الدا وهو الكي لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليه قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي

ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وقال المبرد هو من قولك حسمت الشي اذا قطعته وفصلته عن غيره وقال الحسم الاستيصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو كما يريده من بلوغ عداوته

قال الشاعر	حسام اذا ما قمت معتضدا به	كفى العود منه البدء ليس بمعضد

المعنى انها حسمتهم حتى قطعتهم واذهبتهم فهي القاطعة بعذاب الاستيصال قال ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم احد وعنه انها حسمت الليالي والايام حتى استوفتها لانها بدات بطلوع الشمس من اول يوم وانقطعت بغروب الشمس من اخر يوم وقال الليث الحسوم الشوم يقال هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها قال في الصحاح وقال عكرمة والربيع بن انس مشائيم دليله قوله تعالى في ايام نحسات عطية العوفي حسوما اي حسمت الخير عن اهلها واختلف في اولها فقيل غداة يوم الاحد قاله السدي وقيل غداة يوم الجمعة قاله الربيع بن انس وغداة يوم الاربعا قاله يحيى بن سلام ووهب بن منبه قال وهب وهذه الايام هي التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد وريح شديدة وكان اولها يوم الاربعا واخرها يوم الاربعا ونسبت الى العجوز لان عجوزا من عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن وقيل سميت ايام العجوز لانها في عجز الشتا وهي في اذار من شهور السريانيين ولها اسامي مشهورة وفيها يقول الشاعر وهو ابن احمر

كسع الشتا بسبعة غبر ايام شهلتنا من الشهر فاذا انقضت ايامها ومضت صن وصنبر مع الوبر وبامر واخيه مؤتمر ومعلل وبمطفي الجمر ذهب الشتا موليا عجلا واتتك واقدة من الجمر الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفي الجمر وحسوما نصب على الحال وقيل على المصدر قال الزجاج اي تحسمهم حسوما اي تفنيهم وهو مصدر موكد ويجوز ان يكون مفعولا له اي سخرها عليهم هذه المدة للاستيصال اي لقطعهم واستيصالهم ويجوز ان يكون جمع حاسم وقال السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى اي في تلك الليالي والايام صرعى يعني موتى وقيل فيها اي في الريح كانهم اعجاز اي اصول نخل خاوية اي بالية قاله ابو الطفيل وقيل خالية الاجواف لا شي فيها والنخل يذكر ويونث وقد قال تعالى في موضع اخر كانهم اعجاز نخل منقعر فيحتمل انهم شبهوا بالنخل التي

ايام برد العجوز ولها اسامي مشهورة

صرعت من اهلها وهو اخبار عن عظم اجسامهم ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم
حتى صاروا كاصول النخل خاوية اي الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف وقال ابن شجرة
كانت الريح تدخل في اجوافهم من الحلقوم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ويحتمل ان يكون المعنى كانهم اعجاز نخل
خاوية عن اصولها من البقاع كما قال فتلك بيوتهم خاوية اي خربة لا سكان فيها ويحتمل الخاوية بمعنى البالية
كما ذكرنا لانها اذا بليت خلت اجوافها فشبهوا بعد ان هلكوا بالنخل الخاوية **قوله تعالى** فهل ترى لهم من
باقية اي من فرقة باقية او نفس باقية وقيل من بقية وقيل من بقاء فاعله بمعنى نحو العاقبة والعافية ويجوز ان يكون
اسما اي هل ترى لهم احدا باقيا وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احياء في عذاب الله من الريح فلما
امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم من باقية وقوله فاصبحوا لا
ترى الا مساكنهم **قوله تعالى** وجاء فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو والكسائي ومن قبله بكسر القاف
وفتح الباء اي ومن معه وتبعه من جنوده واختاره ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا بقراءة عبد الله وابي ومن معه
وقرا ابو موسى الاشعري ومن تلقاه الباقون قبله بفتح القاف وسكون الباء اي ومن تقدمه من القرون
الخالية والامم الماضية والمؤتفكات اي اهل قرى لوط وقراءة العامة بالالف وقرا الحسن والجحدري والمؤ
تفكة على التوحيد قال قتادة انما سميت قرى قوم لوط مؤتفكات لانها ائتفكت بهم اي انقلبت وذكر الطبري
عن محمد بن كعب القرظي قال خمس قريات صبعه وصعده وعمره ودوما وسدوم وهي القرية العظمى
بالخاطئة اي بالفعلة الخاطئة وهي المعصية والكفر وقال مجاهد بالخطايا التي كانوا يفعلونها وقال الجرجاني
اي بالخطا العظيم فالخاطئة مصدر **قوله تعالى** فعصوا رسول ربهم قال الكلبي هو موسى وقيل هو لوط
لانه اقرب وقيل يعني موسى ولوطا عليهما السلام كما قال فقولا انا رسول رب العالمين وقيل رسول بمعنى رسالة
وقد يعبر عن الرسالة بالرسول قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بسر ولا ارسلتهم برسول

فاخذهم اخذة رابية اي عالية زائدة على الاخذات وعلى عذاب الامم ومنه الربا اذا اخذ في الذهب
والفضة اكثر مما اعطى يقال ربا يربو اي زاد وتضاعف ومجاهد شديدة كانه اراد زائدة في الشدة
قوله تعالى انا لما طغى الماء ارتفع وعلا وقال علي رض طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه
فلم يقدروا على حبسه قال قتادة زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا وقال ابن عباس طغى الماء من نوح على
خزانه وكثر عليهم فلم يدروا كم خرج عليهم وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك
اليوم وقد مضى هذا مرفوعا اول السورة والمقصود من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه
الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ثم من عليهم بان جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم اي
حملنا اباكم وانتم في اصلابهم في الجارية اي في السفن الجارية والمحمول في الجارية نوح واولاده وكل من
على وجه الارض من نسل اولئك لنجعلها لكم تذكرة وتعيها يعني نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة
لهذه الامة حتى ادركها اوايلهم في قول قتادة قال ابن جريج كانت الواحها على الجودي والمعنى ابقيت لكم تلك
الخشبات حتى تتذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباكم وكم من سفينة هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها
شيء وقيل لنجعل تلك الفعلة من اغراق قوم نوح وانجاء من امن معه موعظة لكم ولهذا قال وتعيها اذن
واعية اي تحفظها وتسمعها اذن حافظة لما جاء من عند الله والسفينة لا توصف بهذا قاله الزجاج ويقال
وعيت كذا اي حفظته في نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلت كله بمعنى واوعيت المتاع في الوعاء
قال الزجاج يقال لكل ما حفظته في غير نفسك اوعيته بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف
وقرا طلحة وحميد والاعرج وتعيها باسكان العين تشبيها بارنا واختلف فيها عن عاصم وابن كثير الباقون
بكسر العين ونظيره هذه قوله وتعيها اذن واعية ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال قتادة الاذن
الواعية اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل وروى مكحول ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية سالت ربي ان يجعلها اذن علي قال مكحول فكان علي رضي الله يقول ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فنسيته الا وحفظته ذكره الماوردي وعن الحسن نحوه ذكره الثعلبي
قال لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه وسلم سالت ربي ان يجعلها اذنك يا علي قال
علي فوالله ما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى وقال ابو برزة الاسلمي قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي

يا علي ان الله تعالى امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وان تعي وحق على الله ان تعي **قوله تعالى**
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة قال ابن عباس هي النفخة الاولى لقيام الساعة فلا يبقى احد الا مات
وجاز تذكير نفخ لان تانيث النفخة غير حقيقي وقيل ان هذه النفخة هي الاخيرة وقال نفخة واحدة اي لا تثنى
قال الاخفش وقع الفعل على النفخة اذ لم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة ويجوز نفخة نصبا على المصدر وبه
قرا ابو السمال او يقال اقتصر على الاخبار عن الفعل كما يقول ضرب ضربا وقال الزجاج في الصور يقوم
مقام ما لم يسم فاعله **قوله تعالى** وحملت الارض والجبال قراءة العامة بتخفيف الميم اي رفعت من
اماكنها فدكتا اي فتتا وكسرتا دكة واحدة لا يجوز في دكة الا النصب لارتفاع الضمير في دكتا وقال
الفراء لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات
والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة كما قال اذا زلزلت الارض زلزالها وقيل دكتا اي
بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وقد مضى في الاعراف القول فيه وقرا
عبد الحميد عن ابن عامر وحملت الارض والجبال بالتشديد على اسناد الفعل الى المفعول الثاني كانه في
الاصل وحملت قدرتنا او ملكا من ملايكتنا الارض والجبال ثم اسند الفعل الى المفعول الثاني فبني
له ولو جيء بالمفعول الاول لاسند الفعل اليه وكانه قال وحملت قدرتنا الارض وقد يجوز بناؤه للثاني
على وجه القلب فيقال حملت الارض الملك كقولك البس زيد الجبة والبست الجبة زيدا **قوله تعالى**
فيومئذ وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء اي انصدعت وتفطرت وقيل تنشق لنزول
ما فيها من الملائكة دليله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقد تقدم فهي يومئذ واهية
اي ضعيفة يقال وهى البناء يهي وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اي ضعيف فقيل انها تصير
بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي ويكون ذلك لنزول الملائكة كما ذكرنا وقيل لهول يوم القيامة وقيل واهية
متخرقة قاله ابن شجرة ماخوذ من قولهم وهى السقاء اذا انخرق ومن امثالهم

خل سبيل من وهى سقاؤه ... ومن هريق بالفلاة ماؤه

اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك يعني الملائكة اسم للجنس على ارجائها اي اطرافها حين تنشق
لان السماء مكانهم عن ابن عباس الماوردي ولعله قول مجاهد وقتادة وحكاه الثعلبي عن الضحاك قال على اطرافها
مما لم ينشق منها يريد ان السماء مكان الملائكة فاذا انشقت صاروا في اطرافها وقال سعيد بن جبير المعنى
والملك على ارجاء الدنيا اي ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها وقيل اذا صارت السماء
قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في انفسها وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم
فندوا كما تند الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا وقيل على
ارجائها ينتظرون ما يؤمرون به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا
كله يرجع الى معنى قول ابن جبير ويدل عليه ونزل الملائكة وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض على ما بيناه هناك والارجاء النواحي والاقطار بلغة هذيل
واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل عصا وعصوان قال الشاعر

فلا يرمى بي الرجوان اني ... اقل القوم من يغني مكاني

ويقال ذلك بحفر البير والقبر **قوله تعالى** ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ابن عباس هي
ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله وقال ابن زيد هم ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم
ثمانية ام ثمانية الاف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة
ايدهم الله باربعة اخرين فكانوا ثمانية ذكره الثعلبي وخرجه الماوردي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحمله اليوم اربعة وهم يوم القيامة ثمانية وقال العباس بن عبد المطلب هم ثمانية املاك
على صورة الاوعال ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان لكل ملك منهم اربعة اوجه وجه رجل
ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس ولما انشد بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم قول امية بن ابي الصلت

رجل وثور تحت رجل يمينه ... والنسر للاخرى وليث مرصد

والشمس تصبح كل اخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتورد

ليست بطالعة لهم في رسلها ... الا معذبة والا تجلد

قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق وفي الخبر ان فوق السماء السا

ثمانية وخرجه ابو موسى الترمذي من حديث بن عبد المطلب وقد مضى في البقرة بكماله وذكر نحوه الثعلبي ولفظه وفي حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطاير المسرع وفي تفسير الكلبي ثمانية اجزاء من تسعة اجزاء من الملايكة ثم ذكر عدد الملايكة بما يطول ذكره حكى الاول عنه الثعلبي والثاني القشيري وقال الماوردي عن ابن عباس ثمانية اجزاء من تسعة وهم الكروبيون والمعنى ينزل بالعرش ومعنى فوقهم اي فوق رؤوسهم قال السدي العرش تحمله الملايكة الحملة فوقهم ولا يحمل حملة العرش الا الله وقيل فوقهم اي ان حملة العرش فوق الملايكة الذين في السما على ارجائها وقيل فوقهم اي فوق القيمة قوله تعالى يومئذ تعرضون اي على الله دليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا يعلم به ما لم يكن عالما به بل معناه الحساب وتقرير الاعمال عليهم للمجازاة وروى الحسن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله خرجه الترمذي قال ولا يصح من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة لا تخفى منكم خافية اي هو عالم بكل شي من اعمالكم فخافية على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها من اعمالهم قاله ابن شجرة وقيل لا يخفى عليه انسان لا يحاسب وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى المومن من الكافر ولا البر من الفاجر وقيل لا يستتر منكم عورة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة عراة وقرا الكوفيون الا عاصما لا يخفى بالياء لان تانيث الخافية غير حقيقي نحو فاخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال بين الفعل وبين اسم المونث الجار والمجرور الباقون بالتا واختاره ابو حاتم لتانيث الخافية قوله تعالى واما من اوتي كتابه بيمينه اعطا الكتاب باليمين دليل على النجاة وقال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر قال هيهات هيهات زفته الملايكة الى الجنة ذكره الثعلبي وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب التذكرة والحمد لله فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه اي يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلايل الفرح والشمال من دلايل الغم قال الشاعر

ابيني افي يمنى يديك جعلتني … فافرح ام صيرتني في شمالك

وسعني هاؤم تعالوا قاله ابن زيد وقال مقاتل هلم وقيل اي خذوا ومنه الخبر في الربا الا ها وها اي يقول كل واحد لصاحبه خذ قال ابن السكيت والكسائي العرب تقول ها يا رجل اقرا وللاثنين هاوما يا رجلان وهاؤم يا رجال وللمراة هاء بكسر الهمزة وهاؤ والاصل هاكم فابدلت الهمزة من الكاف قاله القتبي وقيل ان هاؤم كلمة وضعت لاجابة الداعي عند النشاط والفرح روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداه اعرابي بصوت فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم يطول صوته وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرءوا لانه اقرب العاملين والاصل كتابي فادخلت الها لتبيين فتحة اليا وكان الها للوقف وكذلك في اخواته حسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه وقراءة العامة بالهاء فيهن في الوقف والوصل معا لانهن وقعن في المصحف بالها فلا تترك واختار ابو عبيد ان يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة في الحاق الهاء في السكت ويوافق الخط وقرا ابن محيصن وحميد ومجاهد ويعقوب بحذف الهاء في الوقف فيهن جمع ووافقهم حمزة في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة وجملة هذه الحروف سبعة واختار ابو حاتم قراءة يعقوب ومن معه اتباعا للغة ومن قرا من في الوصل بالها فهو على نية الوقف اني ظننت اي ايقنت وعلمت عن ابن عباس وغيره وقيل اي اني ظننت ان يواخذني الله بسيئاتي عذبني فقد تفضل علي بعفوه ولم يواخذني بها قال الضحاك كل ظن في القران من المومن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن في هذه الاية ان المومن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق اساء بربه الظن فاسا العمل اني ملاق حسابيه اي في الاخرة ولم انكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للاخرة فهو في عيشة راضية اي في عيش يرضاه لا مكروه فيه وقال ابو عبيدة والفرا راضية اي مرضية كقوله ماء دافق اي مدفوق وقيل ذات رضي اي يرضى بها صاحبها مثل لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بوسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا في جنة عالية اي عظيمة من النفوس

المومن احسن الظن بربه

قطوفها

قطوفها دانية اي قريبة التناول اي يتناولها القايم والقاعد والمضطجع على ما ياتي بيانه في سورة الانسان والقطوف جمع قطف بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف كلوا واشربوا اي يقال لهم ذلك هنيئا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الدنيا وقال كلوا بعد قوله في عيشة راضية لقوله فاما من اوتي كتابه ومن تتضمن معنى الجمع وذكر الضحاك ان هذه الاية نزلت في ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وقاله مقاتل والاية التي تليها في اخيه الاسود بن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك ايضا قاله الثعلبي ويكون هذا الرجل واخوه سبب نزول هذه الايات ويعم المعنى جميع اهل الشقاوة واهل السعادة يدل عليه كلوا واشربوا وقد قيل ان المراد بذلك كل من كان متبوعا في الخير يدعو اليه ويامر به ويكثر تبعه عليه دعي باسمه واسم ابيه فيتقدم حتى اذا دنى اخرج له كتاب ابيض بخط ابيض في باطنه السيات وفي ظاهره الحسنات فيبدا بالسيات فيقروها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سياتك قد غفرت لك فيفرح عند ذلك فرحا شديدا ثم يقلب كتابه فيقرا حسناته فلا يزداد الا سرورا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض وجهه ويوتى بتاج فيوضع على راسه ويكسى حلتين وعلى كل مفصل منه ويطول ستين ذراعا وهي قامة ادم ويقال له انطلق الى اصحابك فبشرهم واخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا قال هاؤم اقرءوا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه قال الله تعالى فهو في عيشة راضية اي مرضية قد رضيها في جنة عالية في السما قطوفها ثمارها وعناقيدها دانية ادنيت منهم فيقول لاصحابه هل تعرفوني فيقولون قد غمرتك كرامة الله من انت فيقول انا فلان بن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اي قدمتم في ايام الدنيا واذا كان الرجل راسا في الشر يدعو اليه ويامر به فيكثر تبعه عليه نودي باسمه واسم ابيه فيتقدم الى حسابه فيخرج له كتاب اسود بخط اسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيات فيبدا بالحسنات فيقروها ويظن انه سينجو فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرا سياته فلا يزداد الا حزنا ولا يزداد وجهه الا سوادا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سياتك وقد ضوعفت عليك اي يضاعف عليه العذاب ليس المعنى انه يزاد عليه ما لم يعمل قال فيعظم للنار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سرابيل القطران ويقال له انطلق الى اصحابك واخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية يتمنى الموت هلك عني سلطانيه تفسير ابن عباس هلكت عني حجتي وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال ابن زيد يعني سلطانه في الدنيا الذي هو الملك وكان هذا الرجل مطاعا في اصحابه قال الله تعالى خذوه فغلوه قيل يبتدره ماية الف ملك ثم تجمع يده الى عنقه وهو قوله فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي اجعلوه يصلى الجحيم ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الله اعلم باي ذراع قاله الحسن وقال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال نوف كل ذراع سبعون باعا وكل باع ابعد ما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال مقاتل لو ان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص وقال كعب لو ان حلقة من السلسلة التي قال الله تعالى ذرعها سبعون ذراعا ان حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا فاسلكوه قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه وقال مقاتل والمعنى ثم اسلكوا فيه سلسلة وقيل يدخل عنقه فيها ثم يجر بها وجاء في الخبر انها تدخل من دبره وتخرج من منخريه وفي خبر اخر تدخل من فيه وتخرج من دبره فينادي اصحابه هل تعرفوني فيقولون لا ولكن قد نرى ما بك من الخزي فمن انت فينادي اصحابه فلان لكل انسان منكم مثل هذا قال الشيخ المولف رحمه الله اصح ما قيل في هذه الاية يدل عليه قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وفي الباب حديث ابي هريرة بمعناه خرجه الترمذي وقد ذكرناه في سورة سبحان فتامله هناك انه كان لا يومن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين اي على الاطعام كما يوضع العطا موضع الاعطا قال الشاعر

اكفرا بعد رد الموت عني … وبعد عطايك الماية الرتاعا

اراد بعد اعطايك فبين انه عذب على ترك الاطعام وعلى الامر بالبخل كما عذب بسبب الكفر والحض التحريض والحث واصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين واضيف للمسكين للملابسة التي بينهما ومن اعمال الطعام كما يعمل الاطعام فموضع المسكين نصب والتقدير على الطعام المطعم المسكين فحذف

الفاعل واضيف المصدر الي المفعول **قوله تعالى** فليس له اليوم هاهنا حميم خبر ليس قوله له ولا يكون
الخبر قوله هاهنا لان المعنى ليصير ليس هاهنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعام غيره وهاهنا
متعلق بما في له من معنى الفعل والحميم هاهنا القريب اي ليس له قريب يرق له ويدفع عنه وهو ماخوذ من الحميم
وهو الماء الحار كانه الصديق الذي يرق ويحترق قلبه له والغسلين فعلين من الغسل فكانه ينغسل من
ابدانهم وهو صديد اهل النار السائل من جروحهم وفروجهم عن ابن عباس وقال الضحاك والربيع بن انس
هو شجر ياكله اهل النار والغسل بالكسر ما يغسل به الراس من خطمي وغيره الاخفش ومنه الغسلين وهو ما
انغسل من لحوم اهل النار ودمائهم وزيد فيه اليا كما زيد في عفرين وقال قتادة هو شر الكلام واتبعه
بن زيد لا نعلم وما هو ولا الزقوم وقال في موضع اخر ليس لهم طعام الا من ضريع يجوز ان يكون الضريع
من الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فليس له اليوم هاهنا حميم الا من غسلين ويكون
الماء الحار ولا طعام اي وليس لهم طعام ينتفعون به لا ياكله الا الخاطئون اي المذنبون وقال ابن عباس يعني
المشركون وقرا الخاطيون بابدال الهمزة والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطيون كلنا نخطوا وروي
عنه بن الاسود الدولي ما الخاطيون انما الخاطون ما الصابون انما الصابيون ويجوز ان يراد الذين يخطون
الحق الي الباطل ويتعدون حدود الله عز وجل **قوله تعالى** فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
المعنى اقسم بالاشياء كلها ما ترون منها وما لا ترون ولا صلة وقيل هو رد لكلام سبق اي ليس الامر كما يقوله المشركون
وقال مقاتل سبب ذلك ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فقال
الله عز وجل فلا اقسم اي اقسم وقيل لا هاهنا نفي للقسم اي لا يحتاج في هذا الى قسم لوضوح الحق في ذلك
وعلى هذا فجوابه كجواب القسم انه يعني القران لقول رسول كريم يريد جبريل قاله الحسن والكلبي ومقاتل دليله
وانه لقول رسول كريم ذي قوة وقال الكلبي ايضا والقتبي الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله وما
هو بشاعر وليس القران من قول الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو من قول الله عز وجل ونسب القول الى الرسول
لانه قائله ومبلغه والعامل به لقولنا هذا قول مالك **قوله تعالى** وما هو بقول شاعر لانه مباين
لصنوف الشعر كلها ولا بقول كاهن لانه ورد بسب الشياطين وشتمهم ولا ينزلون شيئا على من يسبهم
وما زائدة في قوله قليلا ما يومنون وقليلا ما يذكرون والمعنى قليلا يومنون وقليلا يذكرون وذلك
القليل من ايمانهم هو انهم اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله ولا يجوز ان يكون ما مع الفعل مصدرا وينتصب
قليلا بما بعد لما فيه من تقديم الصلة على الموصول لان ما عمل فيه المصدر من صلة المصدر وقرا ابن محيصن
وابن كثير وابن عامر ويعقوب ما يومنون ويذكرون بالياء والباقون بالتاء لان الخطاب قبله وبعده
اما قبله فقوله تبصرون واما بعده فما منكم الاية **قوله تعالى** تنزيل اي هو تنزيل من رب العالمين
وهو عطف على قوله انه لقول رسول كريم اي انه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين
ولو تقول علينا بعض الاقاويل تقول اي تكلف واي تقول من قبل نفسه وقري ولو تقول على البناء للمفعول
لاخذنا منه باليمين لان قوة كل شي في ميامنه قاله القتبي وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول
الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد … تلقاها عرابة باليمين

عرابة اسم رجل من الانصار من الاوس اي بالقوة . وقال اخر

ولما رايت الشمس اشرق نورها … تناولت منها حاجتي بيمين

وقال السدي والحكم باليمين بالحق قال بلغها عرابة باليمين اي بالاستحقاق وقال الحسن لقطعنا يده
اليمنى وقيل المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف قال نفطويه وقال ابو جعفر الطبري ان هذا الكلام خرج
مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب كما يقول السلطان لمن يريد هوانه خذوا بيديه
اي لامرنا بالاخذ بيديه وبالغنا في عقابه ثم لقطعنا منه الوتين يعني نياط القلب اي لاهلكناه وهو عرق
يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه قاله ابن عباس واكثر الناس قال اذا بلغتني وحملت رحل عرابة
فاشرقي بدم الوتين وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوة ومات
صاحبه والموتون الذي قطع وتينه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال الكلبي انه عرق بين
العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما ينبت العرق وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع
لا ان جاع عرف ولا ان شبع عرف **قوله تعالى** فما منكم من احد عنه حاجزين ما نفي واحد في معنى

بالجمع اي فما منكم قوم يحجزون عنه كقوله لا نفرق بين احد من رسله هذا جمع لان بين لا يقع الا على اثنين فما زاد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد سود الروس قبلكم لفظه واحد ومعناه الجمع ومن زائدة والحجز المنع
وحاجزين يجوز ان يكون صفة لاحد على المعنى كما ذكرنا فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز ان يكون منصوبا
على انه خبر ومنكم ملغي ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر في هذا كما لم يمتنع الفصل به في
ان فيك زيدا راغب قوله تعالى وانه يعني القران لتذكرة للمتقين اي الخائفين الذين يخشون الله ونظيره فيه
هدى للمتقين حسب ما بيناه اول البقرة وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** وانا لنعلم
ان منكم مكذبين قال الربيع بالقران وانه لحسرة يعني التكذيب والحسرة الندامة وقيل اي وان القران
لحسرة على الكافرين يوم القيامة اذا راوا ثواب من امن به وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته
عند تحديهم ان ياتوا بسورة مثله وانه لحق اليقين يعني ان القران تنزيل من الله فهو الحق اليقين وقيل اي حقا
يقينا ليكونن ذلك حسرة عليهم يوم القيامة فعلى هذا وانه لحسرة اي لتحسر فهو مصدر بمعنى
التحسر فيجوز تذكيره وقال ابن عباس انما هو كقولك لعين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز ان
يضاف اليه كما لا يقول هذا رجل الظريف وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين فسبح باسم ربك
العظيم اي فصل لربك قاله ابن عباس وقيل اي نزه الله عن السوء والنقائص تمت السورة المباركة

تفسير سورة المعارج

وهي مكية باتفاق وهي اربع واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
سال سائل قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز الباقون بالهمز فمن همز فهو من السوال والباء يجوز ان تكون
زائدة ويجوز ان تكون بمعنى عن والسوال بمعنى الدعاء اي دعا داع بالعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا
على فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا اي التمست احضاره اي التمس ملتمس عذابا للكافرين
وهو واقع بهم لا محالة يوم القيامة وعلى هذا فالباء زائدة كقوله تنبت بالدهن وقوله وهزي اليك بجذع
النخلة فهي تاكيد اي سال سائل عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين وهو النضر بن الحرث حيث قال اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم بدر
صبرا هو وعقبة ابن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد وقيل ان السائل هنا هو
الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي رض من كنت مولاه فعلي
مولاه ركب ناقته فجاء حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا فقبلناه منك ونزكي اموالنا فقبلناه منك وان نصوم شهر
رمضان في كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا
فهذا شي منك ام من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى
الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل
الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزل سال سائل بعذاب واقع الاية وقيل ان
السائل هنا ابو جهل وهو القائل لذلك قاله الربيع وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل انه هو نوح عليه
السلام سال العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعا عليه السلام بالعقاب وطلب
ان يوقعه الله بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام الى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اي لا تستعجل
فانه قريب فاذا كانت الباء بمعنى عن وهو قول قتادة فكان سائلا يسال عن العذاب بمن يقع او متى يقع قال الله
تعالى فاسال به خبيرا اي اسال عنه وقال علقمة

فان تسالوني بالنساء فانني … بصير بادواء النساء طبيب

اي عن النساء ويقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان فالمعنى
سالوا بمن يقع العذاب ولمن يكون فقال الله للكافرين قال ابو علي وغيره واذا كان من السوال فاصله ان يتعدى
الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير سال سائل النبي صلى الله عليه
وسلم والمسلمين بعذاب او بمن عذاب ومن قرا بغير همز فله وجهان احدهما انه لغة في السوال وهي لغة قريش تقول
العرب سال يسال مثل نال ينال وخاف يخاف والثاني ان يكون من السيلان ويويده قراءة ابن عباس سال سال
قال عبد الرحمن بن زيد سال واد من اودية جهنم يقال له سائل وهذا قول زيد بن ثابت قال الثعلبي والاول

فوالله ما وصل الى ناقته
حتى رماه الله بحجر فوقع
على دماغه فخرج من دبره

احسن كقول الاعشي في تخفيف الهمزة   سالتاني الطلاق اذ رأتاني   قل مالي قد جيتكما بنكر
وفي الصحاح قال الاخفش يقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته فيقال سال يسال وقال

ومرهق سال امتاعا باصدته   لم يستعن وحوامي الموت يغشاه

المرهق الذي ادرك ليقتل والاصدة بالضم قميص صغير يلبس تحت الثوب المهدوي من قرا سال جاز ان
يكون خفف الهمزة بابدالها الفا وهو البدل على غير قياس وجاز ان يكون الالف منقلبة عن واو على لغة من قال سلت
اسال كخفت اخاف على غير قياس وجاز ان يكون الالف عن يا النحاس حكي سيبويه سلت اسال مثل خفت اخاف بمعني سالت
وانشد

سالت هذيل رسول الله فاحشة   ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

ويقال هما يتسايلان المهدوي وجاز ان يكون مبدلة من يا من سال يسيل ويكون سايل واديا في جهنم فهمزة سايل
على القول الاول اصلية وعلى الثاني بدل من واو وعلى الثالث بدل من يا القشيري وسايل مهموز لانه ان كان من
سال بالهمز فهو مهموز وان كان من غير الهمز كان مهموزا ايضا نحو قايل وخايف لان العين اعتل في الفعل واعتل في
الاسم الفاعل ايضا ولم يكن الاعتلال بالحذف لخوف الالتباس فكان بالقلب الي الهمزة ولك تخفيف الهمزة
حتي تكون بين بين واقع اي يقع بالكفار بين انه من الله ذي المعارج وقال الحسن انزل الله تعالي سال سايل بعذاب
واقع فقال لمن هو فقال للكافرين فاللام للكافرين متعلقة بواقع وقال الفرا التقدير بعذاب للكافرين
واقع فالواقع من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب اي للواقع اي هذا العذاب للكافرين في الاخرة لا يدفعه
عنهم احد وقيل ان اللام بمعني على والمعني واقع على الكافرين وروي انها في قراءة ابي كذلك وقيل بمعني عن اي
ليس له دافع عن الكافرين من الله اي ذلك العذاب من الله ذي المعارج اي ذي العلو والدرجات الفواضل
والنعم قاله بن عباس وقتادة والمعارج مراتب الفاضلة على الخلق وقيل ذي العظمة والعلي وقال مجاهد
هي معارج السما وقيل هي معارج الملايكة لان الملايكة تعرج الي السما فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج
الغرف اي انه ذو الغرف اي جعل لاوليايه في الجنة غرفا وقرا عبد الله ذي المعاريج بالياء يقال معرج ومعراج
ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح والمعارج الدرجات ومنها ومعارج عليها يظهرون تعرج الملايكة
والروح اليه اي تصعد في المعارج التي جعلها الله لهم وقرا ابن مسعود واصحابه والسلمي والكسائي يعرج بالياء
على ارادة الجمع وكقوله ذكروا الملايكة ولا تؤنثوهم وقرا الباقون بالتاء على ارادة الجماعة والروح جبريل
عليه السلام قاله ابن عباس دليله قوله تعالي نزل به الروح الامين وقيل هو ملك اخر عظيم الخلقة وقال
ابو صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين تقبض
اليه اي الي المكان الذي هو محلهم وهو في السما لانها محل بره وكرامته وقيل هو كقول ابراهيم اني ذاهب الي ربي اي
الي الموضع الذي امرني به وقيل اليه اي الي عرشه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال وهب والكلبي
ومحمد بن اسحق اي عروج الملايكة الي المكان الذي هو محلهم في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين
وقال وهب ايضا ما بين اسفل الارض الي العرش مسيرة خمسين الف سنة وهو قول مجاهد وجمع بين هذه الاية
وقوله في يوم كان مقداره الف سنة في سورة السجدة فقال في يوم كان مقداره خمسين الف سنة من منتهي امره
من اسفل الارضين الي منتهي امره من فوق الارض السموات خمسون الف سنة وقوله في الم تنزيل الكتاب في يوم
كان مقداره الف سنة يعني بذلك نزول الامر من سما الدنيا الي الارض ومن الارض الي السما في يوم واحد فذلك
مقدار الف سنة لان ما بين السماء الي الارض مسيرة خمسمائة عام وعن مجاهد ايضا والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا
من اول ما خلقت الي اخر ما بقي خمسون الف سنة لا يدري احد كم مضي ولا كم بقي الا الله وقيل اراد يوم القيامة
اي مقدار الحكم فيه لو تولاه مخلوق خمسين الف سنة قال عكرمة ايضا والكلبي ومحمد بن كعب يقول وانا افرغ
منه في ساعة وقال الحسن هو يوم القيامة ولكن يوم القيامة لا نفاد له فالمراد ذكر موقفهم للحساب فهو في خمسين
الف سنة من سني الدنيا ثم حينيذ يستقر اهل الدارين في الدارين وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون
موطنا كل موطن الف سنة وقال ابن عباس هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين الف سنة ثم
يدخلون النار للاستقرار قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا القول احسن ما قيل في الاية ان شا الله بدليل ما رواه
قاسم بن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم كان مقداره خمسين الف
سنة فقلت ما اطول هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه يخفف عن المومن حتي يكون اخف
عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاستدل النحاس على صحة هذا القول بما رواه سهيل عن ابيه

عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لم يود زكاة ماله الا جعل شجاعا من نار يكوي به جبهته وظهره
وجنبه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتي يقضي الله بين الناس قال فهذا يدل على انه يوم القيامة وابراهيم
التيمي ما قدر ذلك اليوم على المومن الا قدر ما بين الظهر والعصر وروي هذا المعني مرفوعا من حديث معاذ
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسبكم الله تعالي بمقدار ما بين الصلاتين وكذلك سمي نفسه سريع الحساب
واسرع الحاسبين ذكره الماوردي وقيل بل يكون الفراغ لنصف يوم لقوله تعالي اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا
واحسن مقيلا وهذا على قدر فهم الخلايق والا فلا يشغله شان عن شان كما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة
قال الله تعالي ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وعن ابن عباس ايضا انه سيل عن هذه الاية وعن قوله في يوم كان
مقداره الف سنة فقال ايام سماها الله عز وجل هو اعلم بها كيف تكون واكره ان اقول فيها ما لا اعلم وقيل معني
ذكر الف خمسين الف سنة تمثيل وهو تعريف طول مدة الدنيا القيامة من الموقف وما يلقي الناس فيه من
الشدايد والعرب تصف ايام الشدة بالطول وايام الفرح بالقصر   قال الشاعر

ويوم كظل الرمح قصر طوله   دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعني سال سايل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة تعرج الملايكة والروح اليه وهذا القول هو معني ما اخترناه والموفق الاله ٥
قوله تعالي فاصبر صبرا جميلا اي على اذي قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوي
لغير الله وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو والمعني متقارب وقال ابن زيد
هي منسوخة باية السيف انهم يرونه بعيدا يريد اهل مكة يرون العذاب بالنار بعيدا اي غير كاين ونراه
قريبا لان ما هو ات فهو قريب وقال الاعمش يرون البعث قريبا بعيدا لانهم لا يومنون به كانهم يستبعدونه
على جهة الاحالة كما يقول لمن يناظره هذا بعيد لا يكون وقيل اي يرون هذا اليوم بعيدا ونراه اي نعلمه
لان الرؤية انما تتعلق بالموجود وهو كقولك الشافعي يري في هذه المسالة كذا وكذا قوله تعالي
يوم تكون السما كالمهل العامل في يوم الواقع تقديره يقع بهم العذاب يوم القيامة وقيل نراه ويبصرونهم
او تكون بدلا من قريب والمهل دردي الزيت وعكره في قول ابن عباس وغيره وقال ابن مسعود ما اذيب
من الرصاص والنحاس والفضة وقال مجاهد كالمهل كقيح من دم وصديد وقد مضي في الدخان والكهف القول
فيه وتكون الجبال كالعهن اي كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف عهن الا ان يكون مصبوغا وقال الحسن
تكون الجبال كالعهن وهو الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف ومنه   قول   زهير

كان فتات العهن في كل منزل   نزلن به حب الفنا لم يحطم

الفتات القطع والعهن الصوف الاحمر واحده عهنة وقيل العهن الصوف ذو الالوان فشبه الجبال به في تلونها
الوانا والمعني انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع وقيل اول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا
ثم عهنا منفوشا ثم هباء منبثا ولا يسال حميم حميما اي عن شانه لشغل كل انسان بنفسه قاله قتادة
كما قال لكل امرئ يوميذ شان يغنيه وقيل لا يسال حميم عن حميمه فحذف الجار ووصل الفعل وقراءة العامة
يسال بفتح الياء وقرا شيبة والبزي عن عاصم ولا يسال بالضم على ما لم يسم فاعله اي لا يسال حميم عن
حميمه ولا ذو قرابة عن قرابته بل كل انسان يسال عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت رهينة قوله تعالي
يبصرونهم اي يرونهم وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس فيبصر
الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته ولا يساله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم وقال ابن عباس يتعارفون
ساعة ثم لا يتعارفون بعد ذلك الساعة وفي بعض الاخبار ان اهل القيامة يفرون من المعارف مخافة
المظالم وقال ابن عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم
على هذا للكفار والها والميم للاقربا وقال مجاهد المعني يبصر الله المومنين الكفار يوم القيامة فالضمير في
يبصرونهم للتابعين والها والميم للمتبوعين وقيل انه يبصر المظلوم ظالمه والمقتول قاتله وقيل يبصرونهم
يرجع الي الملايكة اي يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الي ما يليق بهم وتم الكلام عند قوله يبصرونهم
ثم قال يود المجرم اي يتمني الكافر لو يفتدي من عذاب يوميذ يعني من عذاب جهنم باعز من كان عليه في الدنيا من
اقاربه فلا يقدر ثم ذكرهم فقال ببنيه وصاحبته زوجته واخيه وفصيلته اي عشيرته التي تنصره قاله
مجاهد وابن زيد وقال مالك امه التي تربيه حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب وقال ثعلب هم اباوه الادنون

اولا يتغير الجبال تصير رملا

وقال ابو عبيدة الفصيلة دون القبيلة وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضا الجسد وهي دون القبيله وسميت عشيرة الرجل فصيلته تشبيها بالبعض منه وقد مضي في الحجرات القول في القبيلة وغيرها وهنا مسلة وهي اذا حبس علي فصيلته او وصي لها فمن ادعي العموم حمله علي العشيرة ومن ادعي الخصوص حمله علي الاباء الادنا فالادني والاول اكثر في النطق والله اعلم ومعني تؤويه تضمه وتومنه من خوف ان كان به ومن في الارض جميعا اي ويود لو فدي بهم لافتدي ثم ينجيه اي يخلصه ذلك الفدا فلا بد من هذا الاضمار لقوله وانه لفسق اي وان اكله لفسق وقيل يود المجرم يقتضي جوابا بالغا لقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب في هذه الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي فينجيه الافتدا قوله تعالي كلا تقدم القول فيه في كلا وانها تكون بمعني حقا وبمعني لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت من حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعني لا كانت تمام الكلام عليها اي ليس ينجيه من عذاب الله الافتدا ثم قال انها لظي اي هي جهنم اي تتلظي نيرانها كقوله فانذرتكم نارا تلظي واشتقاق لظي من التلظي والتظا النار التهابها وتلظيها تلهبها وقيل كان اصلها لظظا اي دامت لدوام عذابها فقلبت احدي الظا بن الفا فبقيت لظي وقيل هي الدركة الثانية من طبقات جهنم وهي اسم مونثة معرفة فلا تنصرف نزاعة للشوي قرا ابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم في رواية ابي بكر عنه والاعمش وابو عمرو وحمزة والكسائي نزاعة بالرفع وروي ابو عمرو وعن عاصم نزاعة بالنصب فمن رفع فله خمسة اوجه احدها ان يجعل لظي خبر ان ويرفع نزاعة باضمار هي فمن هذا الوجه يحسن الوقف علي لظي والوجه الاخر يكون لظي ونزاعة خبران لان كما تقول انه خلق مخاصم والوجه الثالث ان يكون نزاعة بدلا من لظي ولظي خبر ان والوجه الرابع ان يكون لظي بدلا من اسم ان ونزاعة خبر ان والوجه الخامس ان يكون الضمير في انها للقصة ولظي مبتدا ونزاعة خبر الابتدا والجملة خبر ان المعني ان القصة والخبر لظي نزاعة للشوي ومن نصب نزاعة حسن له ان يقف علي لظي وينصب نزاعة علي القطع من لظي اذ كانت نكرة متصلة بمعرفة ويجوز نصبها علي الحال المؤكدة كما قال هو الحق مصدقا ويجوز ان ينتصب علي معني انها تتلظي نزاعة للشوي اي في حال نزعها للشوي والعامل فيها ما دل عليه الكلام من معني التلظي ويجوز ان يكون حالا علي انه حال للمكذبين بخبرها ويجوز نصبها علي المدح كما تقول مررت بزيد العاقل الفاضل فهذه خمسة اوجه للنصب ايضا والشوي جمع شواة وهي جلدة الراس قال الاعشي

قالت قتيلة ما له ... قد جللت شيبا شواته

لا صحت هذه الحوادث هذه ... لها فشواة الراس بادٍ قتيرها

القتير الشيب وفي الصحاح والشوي جمع شواة وهي جلدة الراس فالشوي اليدان والرجلان والراس من الادميين وكل ما ليس مقتلا يقال رماه فاشواه اذا لم يصب المقتل قال الهذلي

فان من القول التي لا شوي لها ... اذا زل عن ظهر اللسان انفلاتها

يقول ان من القول كلمة لا تسوي ولكن تقتل قال الاعشي

قالت قتيلة ما له ... قد جللت شيبا شواته

قال ابو عبيدة انشدها ابو الخطاب الاخفش ابا عمرو بن العلا فقال له صحفت انما هو سراته فسكت ابو الخطاب ثم قال لنا بل هو صحف انما هو شواته وشوي الفرس قوائمه لانه يقال عبل الشوي ولا يكون هذا الراس لانهم وصفوا الخيل باسالة الخدين ورقة الوجه وعتق الوجه وبموقته والشوي رذال المال والشوي هو الشي الهين اليسير وقال ثابت البناني والحسن نزاعة للشوي اي لمكارم وجهه ابو العالية لمحاسن وجهه قتادة لمكارم خلقته واطرافه وقال الضحاك تفري اللحم والجلد عن العظم حتي لا يترك منه شيا وقال الكسائي هي المفاصل وقال بعض الايمة هي القوائم والجلود وقال امرو القيس

سليم الشظا عبل الشوي ... له حجبات مشرفات علي الفال

وقال ابو صالح اطراف اليدين والرجلين قال الشاعر

اذا نظرت عرفت الفخر منها ... وعينيها ولم تعرف شواها

يعني اطرافها وقال الحسن ايضا الشوي الهام تدعوا من ادبر وتولي اي تدعو لظي من ادبر في الدنيا عن طاعة الله وتولي عن الايمان ودعاوها ان تقول يا مشرك الي يا كافر وقال ابن عباس تدعوا الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح الي يا كافر الي يا منافق ثم تلتقطهم كما تلتقط الطير الحب وقال ثعلب تدعوا اي تهلك يقول العرب دعاك الله اي اهلكك وقال الخليل انه ليس كالدعا تعالي ولكن دعوتها اياهم تمكنها من تعذيبهم وقيل الداعي خزنة جهنم اضيف دعاوهم اليها وقيل هو ضرب مثل اي ان مصير من ادبر وتولي اليها فكانها

الداعية لهم ومثله قول الشاعر

ولقد هبطنا الواديين فواديا ... يدعو الانيس به العصيص الا بكم

العصيص الابكم الرباب وهو لا يدعو وانما طنينه ينبه عليه فدعا عليه قال الشيخ المولف الاول هو الحقيقة حسب ما تقدم بيانه باي القران والاخبار الصحيحة القشيري ودعا لظي بخلق الحيوة حتي تدعوا وخوارق العادة بعد كثيرة وجمع فاوعي اي جمع المال فجعله في وعايه ومنع منه حق الله تعالي فكان جموعا منوعا قال الحكم كان عبد الله بن عليم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فاوعي قوله تعالي ان الانسان خلق هلوعا يعني الكافر عن الضحاك والهلع في اللغة اشد الحرص واسوا الجزع والفحشه وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما وهذا هلع بالكسر يهلع فهو هلع وهلوع علي التكثير والمعني انه لا يصبر في خير ولا شر حتي يفعل فيهما ما لا ينبغي عكرمة هو الضجور الضحاك هو الذي لا يشبع والمنوع هو الذي اذا اصاب المال منع منه حق الله تعالي وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ويسخطه ثم تعبده الله بانفاق ما يحب والصبر علي ما يكره وقال ابو عبيدة الهلوع الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الضر لم يصبر وقاله ثعلب وقال ثعلب ايضا قد فسر الله الهلوع هو الذي اذا ناله الشر اظهر شدة الجزع واذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس وقال النبي صلي الله عليه وسلم شر ما اعطي العبد شح هالع وجبن خالع والعرب تقول ناقة هلوع وهلواع اذا كانت سريعة السير خفيفة قال

سكاء ذعلبة اذا استدبرتها ... حرج اذا استقبلتها هلواع

الذعلب والذعلبة الناقة السريعة وجزوعا ومنوعا نعتان لهلوع علي ان ينوي بهما التقديم قبل اذا وقيل هو خبر كان مضمر قوله تعالي الا المصلين دال علي ان ما قبله في الكفار فالانسان اسم جنس بدليل الاستثنا الذي يعقبه كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا قال النخعي المراد بالمصلين الذين يودون صلاة المكتوبة ابن مسعود هم الذين يصلونها لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المومنون عامة فانهم يغلبون فرط الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم الذين هم علي صلاتهم دايمون اي علي مواقيتها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدايم الساكن ومنه نهي عن البول في الماء الدايم اي الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها والذين في اموالهم حق معلوم يريد الزكاة المفروضة قاله قتادة وابن سيرين وقال مجاهد سوي الزكاة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس صلة رحم وحمل كل والاول اصح لانه وصف الحق بانه معلوم وسوي الزكاة ليس بمعلوم انما هو علي قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر السايل والمحروم تقدم في والذاريات والذين يصدقون بيوم الدين اي بيوم الجزاء وهو يوم القيامة وقد مضي في الفاتحة القول فيه والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خايفون ان عذاب ربهم غير مامون قال ابن عباس لمن اشرك او كذب انبياه وقيل لا يامنه احد بل الواجب علي كل احد ان يخافه ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون الا علي ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغي وراء ذلك فاوليك هم العادون تقدم القول فيه في قد افلح المومنون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم ايضا والذين هم بشهاداتهم قايمون علي من كانت من قريب او بعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وقد مضي القول في الشهادة واحكامها في البقرة وقال ابن عباس بشهاداتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وقري لاماناتهم علي التوحيد وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن فالامانة اسم جنس فيدخل فيها امانات الدين فان الشرايع امانات ايتمن الله عليها عباده ويدخل فيها امانات الناس من الودايع وقد مضي هذا كله مستوفي في النسا وقرا ابن عباس والدوري عن ابي عمرو ويعقوب بشهاداتهم جمعا والباقون بشهادتهم علي التوحيد لانه يودي عن الجمع والمصدر قد يفرد وان اضيف الي جمع لقوله لصوت الحمير وقال الفرا ويدلك علي انها بشهادتهم توحيد قوله تعالي والذين هم علي صلاتهم يحافظون قال قتادة علي وضوها وركوعها وسجودها وقال ابن جريج التطوع وقد مضي في المومنين والدوام خلاف المحافظة فدوامهم عليها ان يحافظوا علي ادايها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشي من الشواغل ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضو لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المايم فالدوام يرجع الي نفس الصلوات والمحافظة الي احوالها اوليك في جنات مكرمون اي اكرمهم الله بانواع الكرامات قوله تعالي فمال الذين كفروا قبلك مهطعين قال الاخفش مسرعين قال بمكة اهله

ولقد اراهم اليه مهطعين الي السماع

والمعني ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حواليك ولا يعملون بما يامرهم وقيل ما بالهم مسرعين في التكذيب لك وقيل اي ما بال الذين كفروا يسرعون الي السماع

نهي عن البول في الماء الدايم

منك ليجيبوك ويستهزوا بك وقال عطية مهطعين معرضين الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتادة عامدين والمقنع متقا دسه اي ما بالهم مسرعين عليك مادين اعناقهم مديمي النظر اليك وذلك من نظر العدو وهو منصوب على الحال نزلت في جمع من المنافقين المستهزين كانوا يحضرونه عليه السلام ولا يومنون به وقبلك اي وحولك عن اليمين وعن الشمال عزين اي عن يمين النبي عليه السلام وشماله حلقا حلقا وجماعات والعزين جماعات في تفرقة قاله ابو عبيدة ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على اصحابه فراهم حلقا فقال مالي اراكم عزين الا تصفون كما تصف الملايكة عند ربها قال وكيف تصف الملايكة عند ربها قال يتمون الصف الاول ويتراصون في الصف خرجه مسلم وغيره وقال الشاعر

ترانا عنده والليل داج ... على ابوابه حلقا عزينا

وقال الراعي

اخليفة الرحمن ان عشيرتي ... امسى سراتهم اليك عزينا

اي متفرقين وقال اخر

كان الجماجم من وقعها خناطيل ... يهوين شتا عرينا

وقال الراجز

فلما ان اتين على اضاخ ... ضرحن حصاه اشتاتا عزينا

وقال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا ... كتايب جندل شتى عزينا

وقال عنترة

وقرن قد تركت لدى ... ولي عليه الطير كالعصب العزين

وواحد عزين عزة جمع بالواو والنون ليكون ذلك عوضا مما حذف منها واصلها عزهة فاعتلت كما اعتلت سنة فيمن جعل اصلها سنهة وقيل اصلها عزوة من عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره فكل واحد من الجماعات مضافة الى الاخرى والمحذوف منها الواو وفي الصحاح والعزه الفرقة من الناس والهاء عوض من التاء والجمع عزى على فعل وعزون وعزون ايضا بالضم ولم يقولوا عزاة كما قالوا ثبات قال الاصمعي يقال في الدار عزون اي اصناف من الناس وعن اليمين وعن الشمال متعلق بمهطعين ويجوز ان يتعلق بعزين على حد قولك اخذته عن زيد ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم قال المفسرون كان المشركون يجتمعون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فيكذبونه ويكذبون عليه ويستهزون باصحابه ويقولون لين دخل هاولاء الجنة ليدخلنها قبلهم ولين اعطوا منها شي له فلنعطين اكثر منه فنزلت ايطمع الاية وقيل كان المستهزون خمسة ارهط وقرا الحسن وطلحة بن مصرف والاعرج ان يدخل بفتح الياء وضم الخاء مسمى الفاعل ورواه المفضل عن عاصم الباقون ان يدخل على الفعل المجهول كلا لا يدخلونها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق ساير جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما يستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا يستوجبون ليستهزون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون من القذر فلا يليق بهم هذا التكبر وقال قتادة في هذه الاية انما خلقت يا ابن ادم من قذر فاتق الله روي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راي المهلب بن ابي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته نظم الكلام محمود الوراق فقال

عجبت من معجب بصورته ... وكان في الاصل نطفة مذرة

وهو غدا بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقال اخر

هل في ابن ادم غير الراس مكرمة ... وهو بخمس من الاوساخ مضروب

انف يسيل واذن ريحها سهك ... والعين مرمصة والثغر ملعوب

يا ابن التراب وماكول التراب غدا ... قصر فانك ماكول ومشروب

وقيل معناه من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب كقول الاعشى

ازمعت من ال ليلى ابتكارا ... وشطت على ذي هوى ان تزارا

اي من اجل ليلى قوله تعالى فلا اقسم اي اقسم ولا صلة برب المشارق والمغارب اي هي مشارق الشمس ومغاربها وقد مضى الكلام فيها وقرا ابو حيوة وابن محيصن وحميد برب المشرق والمغرب على التوحيد انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم يقولون نقدر على اهلاكهم والذهاب بهم والمجي بخير منهم في الفضل والطوع والمال وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتنا شي ولا يعجزنا امر نريده قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا في دنياهم على جهة الوعيد واشتغل انت بما امرت به ولا يعظمن عليك امر شركهم فان لهم يوما يلقوا

فيه ما وعدوا وقرا ابن محيصن ومجاهد وحميد حتى يلقوا يومهم وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث يوم بدل من يومهم الذي قبله وقراءة العامة يخرجون بفتح الياء وضم الراء على انه مسمى الفاعل وقرا السلمي والمغيرة والاعشى عن عاصم يخرجون بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول والاجداث القبور واحدها جدث وقد مضى في يس سراعا حين يسمعون الصيحة الاخرة الى اجابة الداعي وهو نصب على الحال كانهم الى نصب يوفضون قراءة العامة بفتح النون وجزم الصاد وقرا ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وقرا عمرو بن ميمون وابو رجاء وغيرهما بضم النون واسكان الصاد والنصب والنصب لغتان مثل الضعف والضعف الجوهري والنصب ما نصب فعبد من دون الله وكذلك النصب بالضم وقد يحرك قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ... والله ربك فاعبدا

اراد فاعبدن فوقف بالالف كما تقول رايت زيدا والجمع الانصاب وقوله وذا النصب يعني اياك وذا النصب والنصب الشر والبلاء ومنه قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب وقال الاخفش والفراء النصب جمع النصب مثل رهن ورهن والانصاب جمع النصب فهو جمع الجمع وقيل النصب والانصاب واحد وقيل النصب جمع نصاب وهو حجر او صنم يذبح عليه ومنه قوله وما ذبح على النصب وقد قيل نصب ونصب بمعنى واحد كما قيل عمر وعمر ذكره النحاس قال ابن عباس الى نصب الى غاية وهي التي ينصب اليها بصرك وقال الكلبي الى شي منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على اخرهم يوفضون يسرعون والايفاض الاسراع قال الشاعر

فوارس ذبيان تحت الحديد ... كالجن يوفضن من عبقر

عبقر موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد

كهول وشبان كجنة عبقر

وقال الليث وفضت الابل تفضي وفضا واوفضها صاحبها والايفاض متعد والذي في الاية لازم يقال وفض واوفض واستوفض بمعنى اسرع قوله تعالى خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله ترهقهم ذلة اي تغشاهم الهوان قال قتادة هو سواد الوجوه والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق اذا غشي الاحتلام رهقه بالكسر يرهقه رهقا اي غشيه ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب واخراج الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله به يكون لا محالة

تمت تفسير سورة المعارج بحمد الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل

تفسير سورة نوح عليه السلام

مكية وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه قد مضى القول في ان نوحا عليه السلام اول رسول ارسل في الاعراف ورواه قتادة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض فلذلك لما كفروا اغرق الله الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلايل بن انوش بن قينان بن شيت بن ادم عليه السلام قال وهب وكلهم مومنون ارسل الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلاث مائة وخمسين سنة وقد مضى في العنكبوت القول فيه والحمد لله ان انذر قومك اي بان انذر قومك فموضع ان نصب باسقاط الخافض وقيل موضعها جر لقوة خدمتها مع ان ويجوز ان بمعنى المفسرة فلا يكون لها موضع في الاعراب لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضمار الباء وقراءة عبد الله انذر قومك بغير ان بمعنى قلنا له انذر قومك وقد تقدم معنى الانذار في اول سورة البقرة من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال ابن عباس يعني عذاب الدنيا في الاخرة وقال الكلبي هو ما نزل عليهم من الطوفان وقيل انذرهم العذاب على الجملة ان لم يومنوا فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى منهم مجيبا وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقد مضى هذا مستوفى في سورة العنكبوت والحمد لله قوله تعالى قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي مخوف مبين اي مظهر لكم بلسانكم الذي تعرفونه ان اعبدوا الله واتقوه وان المفسرة على ما تقدم في ان انذر اعبدوا اي وحدوا واتقوا خافوا واطيعون اي فيما امركم به فاني رسول الله اليكم يغفر لكم من ذنوبكم جزم يغفر بجواب الامر ومن صلة زايدة ومعنى الكلام يغفر لكم ذنوبكم قاله السدي

وقيل لا يصح كونها زائدة لان من لا تزاد في الواجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين وقيل هي لبيان الجنس وفيه بعد اذ لم يتقدم جنس يبينونه وقال زيد بن اسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها ويؤخركم الى اجل مسمى قال ابن عباس اي ينسي في اعماركم ومعناه ان الله تعالى كان قضى قبل خلقهم انهم ان امنوا بارك في اعمارهم وان لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب وقال مقاتل يؤخركم الى منتهى اجالكم في عافية فلا يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا يؤخركم من العقوبات والشدائد الى اجالكم وقال الزجاج اي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستاصلين بالعذاب وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفرا وعلى القول الاول اجل مسمى عند الله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر اي اذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي اثبته وقد يضاف الى القوم كقوله فاذا جا اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى ان اي ان كنتم تعلمون وقال الحسن معناه لو كنتم تعلمون ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر **قوله تعالى** قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي سرا وجهرا وقيل اي واصلت الدعا فلم يزدهم دعائي الا فرارا اي تباعدا من الايمان وقراءة العامة بفتح اليا من دعاءي واسكنها الباقون الكوفيون ويعقوب والدوري عن ابي عمرو **قوله تعالى** واني كلما دعوتهم اي الى سبب المغفرة وهي الايمان بك والطاعة لك جعلوا اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا دعاءي واستغشوا ثيابهم اي غطوا بها وجوههم لئلا يروني وقال ابن عباس جعلوا ثيابهم على رؤسهم لئلا يسمعوا كلامي فاستغشا الثياب زيادة في سد الاذان حتى لا يسمعوا او لتنكيرهم انفسهم حتى يسكت او ليعرفوه اعراضهم عنه وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس لي فلان ثياب العداوة واصروا اي على الكفر فلم يتوبوا واستكبروا عن قبول الحق لانهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون استكبارا تجبرا **قوله تعالى** ثم اني دعوتهم جهارا اي مظهرا لهم الدعوة وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعا احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصا بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة المصدر دعاء جهارا اي مجاهرا او يكون مصدرا في موضع الحال اي دعوتهم مجاهرا لهم بالدعوة ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي لم ابق مجهودا وقال مجاهد معنى اعلنت صحت واسررت لهم اسرارا بالدعا عن بعضهم من بعض وقيل اسررت لهم اتيتهم في منازلهم وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الدعا وتلطف في الاستدعاء وفتح اليا من اني اعلنت الحرميون وابو عمرو واسكن الباقون **قوله تعالى** فقلت استغفروا ربكم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله استغفروا ربكم اي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة باخلاص الايمان انه كان غفارا وهذا منه ترغيب في التوبة وقد روى حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاستغفار ممحاة للذنوب وقال الفضيل يقول العبد استغفر الله وتفسيرها اقلني الثانية قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل ماء السماء ففيه اضمار وقيل السما المطر قال الشاعر

اذا سقط الماء بارض قوم ... رعيناه وان كانوا غضابا

ومدرارا غيث كثير وجزم يرسل جوابا للامر وقال مقاتل لما كذبوا نوحا زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت مواشيهم وزروعهم فساروا الى نوح واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا اي لم يزل كذلك لمن اناب اليه ثم قال ترغيبا في الايمان يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه وسلم انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى طاعة الله فان في طاعة الله درك الدنيا والاخرة الثالثة في هذه الاية والتي في هود دليل على ان الاستغفار يستنزل به الرزق والامطار وقال الشعبي خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت فقال لقد طلبت المطر بمجاديح السما التي يستنزل بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقال ابن صبيح شكا رجل الى الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكا اليه اخر الفقر فقال له استغفر الله وقال له اخر ادع الله ان يرزقني ولدا فقال له استغفر

مبالغة في الدعا وتلطف في الاستدعا

لما كذبوا نوحا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة

الله وشكا اليه اخر جفاف بساتينه فقال له استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال ما قلت من عندي شيء ان الله تعالى يقول في سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية وقد مضى في ال عمران كيفية الاستغفار وان ذلك يكون عن اخلاص واقلاع من الذنوب وهو الاصل في الاجابة **قوله تعالى** ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل الرجا هنا بمعنى الخوف اي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اي عذر لكم في ترك الخوف من الله وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطا بن ابي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا وقال الوالبي والعوفي عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقال ابن عباس ايضا ومجاهد ما لكم لا ترون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج لم ابال والوقار العظمة والتوقير التعظيم وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة كان المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل ما لكم لا توحدون الله لان من عظمه فقد وحده وقيل ان الوقار الثبات لله عز وجل ومنه وقرن في بيوتكن اي اسكن ومعناه ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وانه الهكم لا اله لكم سواه قاله ابن بحر ثم دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا اي جعل لكم في انفسكم اية تدل على توحيده قال ابن عباس اطوارا يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة اي طورا بعد طور الى تمام الخلق كما ذكر في سورة المؤمن والطور في اللغة المرة اي من فعل هذا وقدر عليه فهو حق ان يعظموه وقيل اطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وضعفا ثم اقويا وقيل اطوارا اي انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل ان الاطوار اختلافهم في الاخلاق والافعال **قوله تعالى** الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ذكر لهم دليلا اي الم تعلموا ان الذي قدر على هذا فهو الذي يجب ان يعبد ومعنى طباقا بعضها فوق بعض كل طبقة على الاخرى كالقباب قاله ابن عباس والسدي وقال الحسن خلق الله سبع سموات طباقا على سبع ارضين بين كل ارض وارض وسما وسما خلق وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما تقول الم ترني كيف صنعت بفلان كذا وطباقا نصب على انه مصدر اي مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات واقام طباقا مقامه وجعل القمر فيهن نورا اي في السما الدنيا كما يقال اتاني بنو تميم والمراد بعضهم قاله الاخفش وقال ابن كيسان اذا كان في احداهن فهو فيهن وقال قطرب فيهن بمعنى معهن وقال الكلبي اي خلق القمر والشمس مع خلق السموات والارض وقال جلة اهل اللغة في قول امري القيس

وهل ينعمن من كان اخر عهده ... ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال

في بمعنى مع النحاس وسالت ابا الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال جواب النحويين انه اذا جعله في احدهن فقد جعله فيهن كما تقول اعطني الثياب المعلمة فان كنت انما اعلمت احدها وجواب اخر انه يروى ان وجه القمر الى داخل السما وان كان الى داخلها فهو متصل بالسموات ومعنى نورا اي لاهل الارض قاله السدي وقال عطا نورا لاهل السموات والارض قال ابن عباس وابن عمر وجهه يضيء لاهل الارض وظهره يضيء لاهل السماء وجعل الشمس سراجا اي مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم وفي اذاتها لاهل السما القولان الاولان حكاه الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس ان الشمس وجهها في السموات وقفاها في الارض وقيل على العكس وقيل لعبد الله بن عمرو ما بال الشمس تقلينا احيانا وتبرد علينا احيانا فقال انها في الصيف في السماء الرابعة وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن ولو كانت في السما الدنيا لما قام لها شيء **قوله تعالى** والله انبتكم من الارض نباتا يعني ادم عليه السلام خلقه من اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد مضى في البقرة والانعام بيان ذلك وقال خالد بن معدان خلق الانسان من طين فانما تلين القلوب في الشتا ونباتا مصدر على غير المصدر لان مصدره انبت انباتا فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر وقد مضى بيانه في ال عمران وغيرها وقيل هو مصدر محمول على المعنى لان معنى انبتكم جعلكم تنبتون نباتا قاله الخليل والزجاج وقيل انبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا نصب على المفعول الصريح والاول اظهر وقال ابن بحر انبتهم في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها اي عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا بالنشور للبعث يوم القيامة **قوله تعالى** والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة لتسلكوا منها سبلا فجاجا السبل الطرق والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفرا وقيل الفج المسلك بين الجبلين وقد

مضي في الانبيا ولج **قوله تعالى** قال نوح رب انهم عصوني شكاهم الي الله وانهم عصوه ولم
يتبعوه فيما امرهم به من الايمان قال اهل التفسير لبث فيهم ما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما داعيا
لهم وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس رجا نوح عليه الابنا بعد الابا فياتي لهم الولد بعد الولد حتى
بلغوا سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا
قال الحسن كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين حكاه الماوردي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني كبرهم
واغنياهم الذين لم يزدهم كفرهم واموالهم واولادهم الا ضلالا في الدنيا وهلاكا في الاخرة وقرا اهل المدينة والشام
وعاصم وولده بفتح الواو واللام الباقون ولده بضم الواو وسكون اللام وهي لغة في الولد ويجوز ان يكون جمعا
للولد كالفلك فانه واحد وجمع وقد تقدم **قوله تعالى** ومكروا مكرا كبارا اي كبيرا عظيما يقال كبير
وكبار مثل عجيب وعجاب وعجاب بمعنى ومثله طويل وطوال وطوال ويقال رجل حسن وحسان وجميل وجمال
وقرا للقران ووضا للوضي وانشد ابن السكيت

بيضاء تصطاد القلوب وتستبي	بالحسن قلب المسلم القرا

وقال اخر

والمرء يلحقه بفتيان الندي	خلق الكريم وليس بالوضاء

وقال المبرد كبارا بالتشديد للمبالغة وقرا ابن
محيصن وحميد ومجاهد كبارا بالتخفيف واختلف في مكرهم ما هو فقيل هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح
وقيل هو تعزيرهم الناس بما اوتوا من الدنيا والولد حتى قالت الضعفة لولا انهم على الحق لما اتوا هذه النعم وقال
الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد وقيل مكرهم كفرهم وقال مقاتل هو قول كبرائهم لاتباعهم لا
تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا **قوله تعالى** وقالوا لا تذرن
الهتكم الاية قال ابن عباس وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور
وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر بعد قوله
لا تذرن الهتكم ويكون بعد الكلام كما قال قوم نوح لاتباعهم لا تذرن الهتكم قالت العرب لاولادهم
وقومهم لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ثم عاد بالذكر بعد ذلك الى قوم نوح وعلى القول
الاول الكلام مستوفى كله في قوم وقال عروة بن الزبير وغيره اشتكى ادم عليه السلام وعنده بنوه
ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب القرظي كان لادم خمس بنين
ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور لكم
مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره حتى ماتوا
كلهم وصورهم وتنقصت الاشيا كما تنتقص اليوم الى ان تركوا عبادة الله بعد حين فقال لهم الشيطان
ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا وما نعبد قال الهتكم واله ابائكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها من
دون الله حتى بعث الله نوحا فقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية وقال محمد بن كعب ايضا
ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم تبع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس ان يصوروا صورهم
ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها فصورهم فلما ماتوا وجا اخرون قالوا ليت شعري هذه الصور ما كان
اباؤنا يصنعون بها فجاءهم الشيطان فقال كان اباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها
فابتدا عبادة الاوثان من ذلك الوقت قال الشيخ المؤلف رحمه الله وبهذا المعنى فسر ما جاء في صحيح مسلم من حديث
عايشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رايتها بالحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا
فيه تلك الصور اوليك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وذكر الثعلبي عن ابن عباس قال هذه الاصنام اسما رجال
صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا
وسموها باسمائهم تذكروهم بها ففعلوا فلم يعبد حتى اذا هلك اوليك ونسخ العلم عبدت من دون الله وذكر عن ابن عباس ايضا
ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم على جبل بالهند فيمنع الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان
ان هولا يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنوا ادم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به فصور
لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان ايام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة
حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب قال الماوردي فاما ود فانه اول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد
قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطا ومقاتل وفيه يقول شاعر

ا اصوركم مثلها اذا انظرتم اليه ذكرتمره

لنا النساء وان الدين قد عزما	حياك ود فانا لا يحل لنا

واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم واما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول
قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان الثعلبي واتخذت اعلى وانعم وهما من طي واهل جرش من مذحج يغوث
فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجية ارادوا نزعه من انعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحارث
ابن كعب من خزاعة ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون معه
لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه وينزلون حوله
واما يعوق فكان لهمدان ببلخ في قول قتادة وعكرمة وعطا ذكره الماوردي وقال الثعلبي واما يعوق فكان
لكهلان من سبا ثم توارثه بنوه الاكبر حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

ولا تبري يعوق ولا يريش	يريش الله في الدنيا ويبري

واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ونحوه عن مقاتل وقال الواقدي كان ود على صورة رجل
وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير والله
اعلم وقرا نافع ولا تذرن ودا بضم الواو وفتحها الباقون قال الليث ود بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وود
بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد كانهم سكنوا التا وادغموها
في الدال والود في قول امري القيس

وتواريه اذا ما تعتكر	تظهر الود اذا ما اشجذت

قال ابن دريد هو اسم جبل وود صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب وكان بدومة الجندل ومنه سمي عبد
ود وقال لا تذرن الهتكم ثم قال ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية خصصها بالذكر لقوله واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وقد اضلوا كثيرا هذا من قول نوح اي اضل كبراوهم كثيرا من اتباعهم فهو عطف
على قوله ومكروا مكرا كبارا وقيل ان الاصنام اضلوا كثيرا اي ضل بسببها كثير نظيره قول ابراهيم رب
انهن اضللن كثيرا من الناس فاجرى عليهم وصف ما يعقل لاعتقاد الكفار فيهم ذلك ولا تزد الظالمين
الا ضلالا اي عذابا قاله ابن بحر واستشهد بقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل
الا فتنة بالمال والولد وهو محتمل قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا ما صلة مؤكدة والمعنى من
خطاياهم وقال الفرا المعنى من اجل خطاياهم فادت ما هذا المعنى قال وما يدل على المجازاة وقراة
ابن عمرو خطاياهم على جمع التكسير الواحدة خطيئة وكان الاصل في الجمع خطايي على فعايل فلما اجتمعت
الهمزتان قلبت الثانية ياء لان قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل وهو معتل مع ذلك فقلبت الياء الفا
ثم قلبت الهمزة الاولى ياء لخفايها بين الالفين الباقون خطيئاتهم على جمع السلامة قال ابو عمرو قوم كفروا
الف سنة فلم يكن لهم الا خطيئات يريد ان الخطايا اكثر من الخطيئات وقال قوم خطايا وخطيئات واحد
جمعان مستعملان في القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله وقال الشاعر

واسيافنا يقطرن من نجدة دما	لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى

وقري خطيئاتهم وخطيتهم بقلب الهمزة ياء وادغامها وعن الجحدري وعمرو بن عبيد والاعمش وابو حيوة
واشهب العقيلي خطيئتهم على التوحيد والمراد الشرك فادخلوا نارا اي بعد اغراقهم قال القشيري وهذا
يدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا مستحقين دخول النار او عرض عليهم اماكنهم من النار كما قال
يعرضون عليها غدوا وعشيا وقيل اشار الى ما في الخبر من قوله البحر نار في نار وروى ابو روق عن الضحاك
في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا مع الغرق في حالة واحدة كانوا يغرقون
في جانب ويحترقون في الماء من جانب ذكره الثعلبي انشد ابو القاسم الحسني قال انشدنا ابو سعيد احمد بن محمد
زميح انشدنا ابو بكر بن الانباري

والحادثات فنون ذات اطوار	الخلق مجتمع طورا ومفترق
فالله يجمع بين الماء والنار	لا تعجبن لاضداد اذا اجتمعت

فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي من يدفع عنهم العذاب **قوله تعالى** وقال نوح رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فيه اربع مسايل الاولى دعا عليهم حين يئس من اتباعهم اياه وقال قتادة
دعا عليهم بعد ان اوحى الله اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن فاجاب الله دعوته واغرق امته وهذا
كقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعايه ان رجلا
من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح فقال احذر هذا فانه يضلك فقال له يا ابه انزلني فانزله

فرما، فتنبه لحبيبه غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما هذا قال حين اخرج
الله كل مومن من اصلابهم وارحام نسابهم واعقم ارحام النسا واصلاب الرجال قبل العذاب سبعين سنه
وقيل باربعين قال قتادة ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب وقال الحسن وابو العالية لو اهلك الله اطفالهم معهم
كان عذابا من الله لهم وعدلا فيهم ولكن الله اهلك اطفالهم وذريتهم بغير عذاب ثم اهلكهم بالعذاب
بدليل قوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل الثانية قال ابن العربي دعا نوح على الكافرين اجمعين ودعا النبي صلى
الله عليه وسلم على من تحزب على المومنين والب عليهم وكان هذا اصلا في الدعا على الكافرين في الجملة فاما كافر معين
لم تعلم خاتمته لا يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي
صلى الله عليه وسلم بالدعا عتبة وشيبة واصحابه لعلمه بمالهم وبما كشف له من الغطا عن حالهم قال الشيخ
المؤلف رحمه الله قد مضت هذه المسالة مجودة في البقرة والحمد لله الثالثة قال ابن العربي ان قيل لم جعل نوح
دعوته على قومه سببا لتوقفه عن طلب الشفاعة للخلق من الله في الاخرة قلنا قال الناس في ذلك وجهين احدهما
ان تلك الدعوة نشات عن غضب وقسوة والشفاعة تكون عن رضى ورقة فخاف ان يعاتب بها ويقال دعوت
على الكفار بالامس وتشفع لهم اليوم الثاني انه دعا غضبا بغير نص ولا اذن صريح في ذلك فخاف الدرك فيه الى
يوم القيامة كما قال موسى اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها قال الشيخ وبهذا اقول قال الشيخ المؤلف رحمه الله وان
كان لم يومر بالدعا نصا فقد قيل له انه لن يومن من قومك الا من قد امن فاعلم عواقبهم فدعا بالهلاك كما دعا نبينا
عليه السلام على شيبة وعتبة ونظرائهم فقال اللهم عليك بهم لما اعلم عواقبهم وعلى هذا يكون فيه معنى الامر
بالدعا الرابعة قوله ديارا اي من يسكن الديار قاله السدي واصله ديوار على فيعال من دار يدور وقلبت الواو يا
وادغمت احداهما في الاخرى مثل القيام اصله قيوام ولو كان فعالا لكان دوارا وقال القتبي اصله من الدار
اي نازل بالدار يقال ما بالدار ديار اي احد ويقال الديار صاحب الدار **قوله تعالى** رب اغفر لي
ولوالدي دعا لنفسه ولوالديه وكانا مومنين وهو لامك بن متوشلخ وسمحا بنت انوش ذكره القشيري والثعلبي
وحكى الماوردي في اسم امه منجل وقال سعيد بن جبير اراد بوالديه اباه وجده وقرا سعيد بن جبير لوالدي
بكسر الدال على الواحد قال الكلبي كان بينه وبين ادم عشرة اباكلهم مومن وقال ابن عباس لم يكفر لنوح والد فيما
بينه وبين ادم عليهما السلام ولمن دخل بيتي مومنا اي مسجدي ومصلاي اي مصليا مصدقا بالله وكان انما يدخل
بيوت الانبيا من امن منهم فجعل المسجد سببا للدعا في المغفرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الملايكة تصلي
على احدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه ما لم يحدث فيه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه الحديث وقد تقدم وهذا
قول ابن عباس بيتي مسجدي حكاه الثعلبي وقاله الضحاك وعن ابن عباس ايضا اي ولمن دخل ديني فالبيت بمعنى الدين
حكاه القشيري وقاله جويبر وعن ابن عباس ايضا يعني صديقي الداخل الى منزلي حكاه الماوردي وقيل اراد
داري وقيل سفينتي وللمومنين والمومنات عامة الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي انه محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل من قومك والاول اظهر ولا تزد الظالمين اي الكافرين هي عامة في كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركي قومه
والتبار الهلاك وقيل الخسران حكاهما السدي ومنه قوله ان هاولا متبر ما هم فيه وقيل التبار الدمار والمعنى واحد

تفسير سورة قل اوحي

مكية في قول الجميع وهي ثمانية وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى قل اوحي الي قل يا محمد لامتك اوحى الله الي
على لسان جبريل انه استمع الي نفر من الجن وما كان عليه السلام عالما به قبل ان اوحى الله هكذا قال ابن عباس وغيره
على ما ياتي وقرا ابن ابي عبلة وحي على الاصل يقال اوحى اليه ووحى فقلبت الواو همزة ومنه واذا الرسل اقتت وهو
من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه
وغيره الثانية واختلف هل راهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فظاهر القران يدل على انه لم يرهم لقوله استمع
وقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال ما قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق
عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم
قال حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شي حدث فاضربوا مشارق الارض

ومغاربها فمر النفر الذي اخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا
القران استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما، فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا
عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه
استمع نفر من الجن زاد الترمذي عن ابن عباس قال قول الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه
لبدا قال لما راه يصلي واصحابه يصلون بصلاته ويسجدون معه فعجبوا من طواعية اصحابه له قالوا لقومهم لما
قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا هذا حديث حسن صحيح ففي هذا الحديث دليل على انه عليه السلام لم ير
الجن ولكن حضروه وسمعوا قراته وفيه دليل على ان الجن كانوا مع الشياطين حين تجسسوا الخبر بسبب الشياطين لما رموا
بالشهب وكان المرميون بالشهب من الجن ايضا وقيل لهم شياطين كما قال شياطين الانس والجن فان الشيطان كل
متمرد خارج من طاعة الله وفي الترمذي عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السما، يستمعون الوحي فاذا سمعوا
الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا
الامر الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما يصلي بين جبلين اراه
قال بمكة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض هذا حديث حسن صحيح فدل هذا الحديث ان
الجن رموا كما رميت الشياطين وفي رواية السدي انهم لما رموا اتوا ابليس فاخبروه بما كان من امرهم فقال ايتوني من
كل ارض بقبضة من تراب اشمها فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث نفرا من الجن قيل كانوا سبعة وقيل تسعة
منهم زوبعة وروى عاصم عن زر قال قدم رهط زوبعة واصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثمالي
بلغني انهم من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا واقواهم شوكة وهم عامة جنود ابليس وروى ايضا عاصم عن
زر انهم كانوا سبعة ثلاثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين وحكى جويبر عن الضحاك انهم كانوا تسعة من
اهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق وقيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى
وقد مضى بيان هذا في الاحقاف قال عكرمة والسورة التي كان يقروها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك
وقد مضى في الاحقاف التعريف باسم النفر من الجن فلا معنى لاعادة ذلك وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم راى الجن
ليلة الجن وهو اثبت روى عامر الشعبي قال سالت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة الجن فقال علقمة انا سالت ابن مسعود فقلت هل شهد احد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم
فلما اصبح اذا هو جا من قبل حرا فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات
بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القران فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم
وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل
بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم قال ابن العربي
وابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة وقد قيل ان الجن اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس
قال البيهقي الذي حكاه عبد الله بن مسعود انما هو في اول ما سمعت الجن قراة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت
حاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما حكاه ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب معه وقرا عليهم القران
كما حكاه عبد الله بن مسعود قال البيهقي والاحاديث الصحاح تدل على ان ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه
وسلم ليلة الجن وانما كان معه حين انطلق به وبغيره يريه اثار الجن واثار نيرانهم قال وقد روي من غير وجه انه كان
معه ليلتيذ وقد مضى هذا المعنى في الاحقاف والحمد لله وروي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
امرت ان اتلو القران على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقال عبد الله بن مسعود
انا اذهب معك يا رسول الله فانطلق حتى جا الحجون عند شعب ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى
الى الحجون فانحدر عليه امثال الحجل يحدرون الحجارة باقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة
في دفوفها حتى غشوه فلا اراه فقمت فاومى الي بيده ان اجلس فتلا القران فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض
حتى ما اراهم فلما انفتل الي قال اردت ان تاتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هاولا الجن اتوا
يستمعون القران ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوا الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احدكم

بعظم ولا بعر قال عكرمة وكانوا اثني عشر الفا من جزيرة الموصل وفي رواية انطلق عليه السلام حتى اذا جئنا
المسجد الذي عند حائط عوف خط لي خطا فاتاه نفر منهم فقال اصحابنا كانهم رجال الزط وكان وجوههم المكاكي
فقالوا ما انت قال انا نبي الله قالوا فمن يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها
تقاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدين قالت انك رسول الله فرجعت كما جاءت تجر بعروقها
الحجارة لها تقاقع حتى عادت كما كانت ثم روي انه عليه السلام لما فرغ وضع راسه على حجر ابن مسعود فرقد
ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوة فيها نبيذ فقال هل هو الا تمر وماء فتوضا منه الثالثة
قد مضى الكلام في الماء في سورة الحجر وما يستنجي به في براءة فلا معنى للاعادة الرابعة واختلف اهل العلم
في اصل الجن فروى اسمعيل عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون
وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله ومن كان من هؤلاء وهؤلاء
كافرا فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين وهم يؤمنون ومنهم المؤمن
ومنهم الكافر والشياطين هم ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس واختلفوا في دخول مؤمن الجن الجنة على حسب
الاختلاف في اصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية
ابليس فلهم فيه قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها الثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها وان صرفوا عن النار حكاه
الماوردي وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان بيان انهم يدخلونها الخامسة قال
الشعبي في روايته وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لكم كل عظم دليل على انهم ياكلون ويطعمون وقد
انكر جماعة من كفرة الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا انهم بسائط ولا يصح طعامهم اجتراء على الله وافتراء عليه والقرآن
والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب ليس بواحد
كيف ما تصرف حاله وليس يمتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى الملائكة واكثر ما يتصورون
لنا في صور الحيات ففي الموطا ان رجلا حديث عهد بعرس استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار ان
يرجع الى اهله الحديث وفيه فاذا حية عظيمة منطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها وذكر الحديث
وفي الصحيح انه عليه السلام قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهبت
والا فاقتلوه فانه كافر وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم وقد مضى في البقرة بيان التحرج عليهن وقد ذهب
قوم الى ان ذلك مخصوص بالمدينة لقوله في الصحيح ان بالمدينة جنا قد اسلموا وهذا لفظ مختص بها فيختص
حكمها قلنا هذا يدل على ان غيرها من البيوت مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصا
وانما علل بالاسلام وذلك عام في غيرها الا ترى قوله في الحديث مخبرا عن الجن الذي لقي وكانوا من جن الجزيرة
ويعضده قوله ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام وقد مضى في البقرة القول فيه فلا معنى للاعادة

قوله تعالى فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا اي في فصاحة كلامه وقيل عجبا في بلاغة مواعظه وقيل عجبا في
عظم بركته وقيل قرآنا عزيزا لا يوجد مثله وقيل يعنون عظيما يهدي الى الرشد يهدي الى الرشد مراشد الامور
وقيل الى معرفة الله تعالى ويهدي في موضع الصفة اي هاديا فامنا به اي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله ولن
نشرك بربنا احدا اي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه لانه الذي كان بعثهم لياتوه بالخبر ثم رمي الجن بالشهب وقيل
لا نتخذ مع الله الها آخر لانه المنفرد بالربوبية وفي هذا تعجب المؤمنين بذهاب مشركي قريش عما ادركته الجن
بتدبرها القرآن وقوله استمع نفر من الجن اي استمعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فعلموا انما يقرؤه كلام الله
ولم يذكر المستمع اليه لدلالة الحال عليه والنفر الرهط قال الخليل ما بين ثلاثة الى عشرة وقرا عيسى الثقفي يهدي
الى الرشد بفتح الراء والشين **قوله تعالى** وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا كان علقمة ويحيى
والاعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص والسلمي ينصبون ان في جميع السورة في اثني عشر موضعا
وهو وانه تعالى جد وانه كان يقول وانا ظننا وانه كان رجال من الانس وانهم ظنوا وانا لمسنا السماء وانا كنا نقعد
وانا لا ندري وانا ظننا ان لن نعجز الله وانا لما سمعنا الهدى وانا منا المسلمون عطفا على قوله انه استمع نفر
وانه استمع لا يجوز فيه الا الفتح لانها في موضع اسم فاعل اوحي فما بعده معطوف عليه وقيل هو محمول على الهاء
في آمنا به اي وبانه تعالى جد ربنا وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكثرة حذف حرف الجر مع ان وقيل المعنى اي وصدقنا
انه جد ربنا وقرا الباقون كلها بالكسر وهو الصواب واختاره ابو عبيد وابو حاتم عطفا على قوله فقالوا انا سمعنا
لانه كله من كلام الجن واما ابو جعفر وشيبة فانهما فتحا ثلاثة مواضع وهي قوله وانه تعالى جد ربنا وانه كان يقول

وانه كان رجال قالا لانه من الوحي وكسرا ما بقي لانه من كلام الجن واما قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فكلهم فتحوا
الا نافعا وشيبة وزر بن حبيش وابو بكر والمفضل عن عاصم فانهم كسروا ولا خلاف في فتح همزة انه استمع
وان لو استقاموا وان المساجد لله وان قد ابلغوا وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد القول نحو قوله فقالوا انا سمعنا
وقال انما ادعو ربي وقل اني لا املك وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد فاء الجزاء نحو قوله فان له نار جهنم وفانه
يسلك من بين يديه لانه موضع ابتداء قوله تعالى جد ربنا الجد في اللغة العظمة والجلال ومنه قول انس كان
الرجل اذا حفظ البقرة وآل عمران جد في عيوننا اي عظم فمعنى جد ربنا اي عظمته وجلاله قال عكرمة ومجاهد
وقتادة وعن مجاهد ايضا ذكره وقال انس بن مالك والحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل للحظ جد ورجل
مجدود اي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيدة والخليل اي ذا الغنى منك الغنى انما
ينفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرته الضحاك فعله وقال القرظي والضحاك ايضا الاؤه ونعمه على خلقه وقال
ابو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه وقال السدي امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى
ربنا وقيل عنوا بذلك الجد الذي هو اب الاب ويكون هذا من قول الجن وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر
الصادق والربيع ليس لله تعالى جد وانما قالته الجن للجهالة فلم يؤخذوا به قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ
الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى وقال عكرمة جد بكسر الجيم
على ضد الهزل وكذلك قرا ابو حيوة ومحمد بن السميقع ويروى عن ابن السميقع ايضا وابي الاشهب جدي ربنا
وهو الجدوى والمنفعة وقرا عكرمة ايضا جدا بالتنوين ربنا بالرفع على انه مرفوع بتعالى وجدا منصوب على التمييز
وعن عكرمة ايضا جد بالتنوين والرفع ربنا بالرفع على تقدير تعالى جد ربنا فجد الثاني بدل من الاول وحذف
واقيم المضاف اليه مقامه ومعنى الاية فانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ صاحبة وولدا للاستيناس بهما او الحاجة
اليهما والرب تعالى عن ذلك كما يتعالى عن الانداد والنظراء **قوله تعالى** وانه كان يقول سفيهنا
على الله شططا في انه للامر او الحديث وفي كان اسمها وما بعدها الخبر ويجوز ان يكون كان زائدة والسفيه
هنا ابليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة ورواه ابو بردة عن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل المشركون من الجن قال قتادة عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الانس والشطط والاشطاط
الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور الكلبي هو الكذب واصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده من العدل
وعن الكذب لبعده عن الصدق وقال الشاعر

باية حال حكموا فيك فاشتطوا
وما ذاك الا حين يممك الوخط

قوله تعالى وانا ظننا اي حسبنا ان لن
تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك صدقناهم في ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق وقرا
يعقوب والجحدري وابن ابي اسحق ان لن تقول وقيل انقطع الاخبار عن الجن ها هنا فقال الله وانه كان رجال من الانس
فمن فتح وجعله من قول الجن ردها الى قوله انه استمع ومن كسر جعلها مبتدا من قول الله تعالى والمراد به ما كانوا
يفعلونه من قول الرجل اذا نزل بواد اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح
قاله الحسن وابن زيد وغيرهما قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا
ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال كردم بن ابي السائب خرجت مع ابي الى المدينة
اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء الذئب فاخذ حملا من الغنم
فقال الراعي يا عامر الوادي جارك فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد وانزل الله على رسوله
بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم اي زاد الجن الانس رهقا اي خطيئة واثما قاله
ابن عباس ومجاهد وقتادة والرهق الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه
قوله تعالى ترهقهم ذلة وقال الاعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها
هل تشتفي وامق ما لم يصب رهقا

يعني اثما واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا
سببا لها وقال مجاهد ايضا زادوهم اي ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس
والجن وقال قتادة ايضا وابو العالية والربيع وابن زيد ازداد الانس بهذا فرقا وخوفا من الجن وقال سعيد بن جبير
كفرا ولا خفاء ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك وقيل لا ينطلق لفظ الرجال على الجن
فالمعنى وانه كان رجال من الانس وكان الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي
قال القشيري وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن **قوله تعالى** وانهم ظنوا كما ظننتم

ان لن يبعث الله احدا هذا من قول الله تعالى للانس وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله الخلق كما ظننتم الكلبي المعنى ظنت الجن كما ظننتم ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم وهذا توكيد للحجة على قريش اي اذا امن هؤلاء الجن بمحمد فانتم احق بذلك **قوله تعالى** وانا لمسنا السماء هذا من قول الجن اي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها قد ملئت حرسا شديدا اي حفظة يعني الملائكة والحرس جمع حارس وشهبا جمع شهاب وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع وقد مضى القول فيه في سورة الحجر والصافات ووجد يجوز ان يقدر متعديا الى مفعولين فالاول الهاء والالف وملئت في موضع المفعول الثاني ويجوز ان يتعدى الى مفعول واحد ويكون ملئت في موضع الحال على اضمار قد وحرسا نصب على المفعول الثاني بملئت وشديدا من نعت الحرس اي ملئت ملائكة شدادا ووحد الشديد على لفظ الحرس وهو كما يقال السلف الصالح بمعنى الصالحين وجمع السلف اسلاف وجمع الحرس احراس قال

تجاوزت احراسا واهوال معشر

ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة **قوله تعالى** وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا منها اي من السماء ومقاعد مواضع يقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السماء اي ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة اخبار السماء حتى يلقوها الى الكهنة على ما تقدم فحرسها الله حين بعث رسوله بالشهب المحرقة فقالت الجن حينئذ فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكوكب المحرق وقد تقدم بيان ذلك ويقال لم يكن انقضاض الكوكب الا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو اية من اياته واختلف السلف هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث او كان ذلك امرا حدث لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال الكلبي وقال قوم لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد عليه السلام منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب قال الشيخ المؤلف رحمه الله ورواه عطية العوفي عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب ومنعت عن الدنو من السماء وقال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى نبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك قبل المبعث وانما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انذارا بحاله وهو معنى قوله قد ملئت اي زيد في حرسها وقاله اوس بن حجر وهو جاهلي وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وهذا قول الاكثرين وقد انكر الجاحظ هذا البيت وقال كل شعر روي فيه فهو موضوع وان الرمي لم يكن قبل المبعث والقول بالرمي اصح لقوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا وهذا اخبار عن الجن انه زيد في حرس السماء حتى امتلات منها ومنهم ولما روي ابن عباس قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم فقال النبي عليه السلام انها لا ترمى لموت ولا لحياة ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم يسبح اهل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء ويخطف الجن فيرمون فما جاؤوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وهذا يدل على ان الرجم كان قبل المبعث وروي الزهري نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب عن ابن عباس وفي اخره قيل للزهري اكان يرمى في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله سبحانه وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قال القتبي قال ابن قتيبة كان يرمى ولكن اشتدت الحراسة بعد المبعث فكانوا من قبل يسترقون السمع ويرمون في بعض الاحوال فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعت من ذلك اصلا وقد تقدم بيان هذا في والصافات عند قوله ويقذفون بالغيب من كل جانب دحورا الاية قال الحافظ فلو قال قائل كيف تتعرض الجن لاحراق نفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار معلوما لهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة كما ينسى ابليس في كل وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين ولولا هذا لما تحقق التكليف والرصد قيل من الملائكة اي ورصدا من الملائكة والرصد

الحافظ للشيء والجمع ارصاد وهو في غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا كالحرس والواحد راصد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهابا قد ارصد له ليرجم به فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفض **قوله تعالى** وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اي هذا الحرس الذي حرست به السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا قال ابن زيد قال ابليس لا ندري هل اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان يستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة للوحي وقيل لا بل هذا قول قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما امنوا اشفقوا ان لا يؤمن كثير من اهل الارض فقالوا انا لا ندري ايكفر اهل الارض بما امنا به او يؤمنون **قوله تعالى** وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك هذا من قول الجن اي قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد عليه السلام وانا كنا قبل استماع القران منا الصالحون ومنا الكافرون وقيل ومنا دون ذلك اي ومن دون الصالحين في الصلاح وهو اشبه من حمله على الايمان والشرك كنا طرائق قددا اي فرقا شتى قاله السدي الضحاك اديانا مختلفة قتادة اهواء متباينة ومنه قول الشاعر

القابض الباسط الهادي بطاعته في فتنة الناس اذ اهواؤهم قدد

والمعنى اي لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين منهم كفار ومنهم مؤمنون صلحاء ومنهم مؤمنون غير صلحاء وقال المسيب كانوا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وقال السدي في قوله طرائق قددا قال في الجن مثلكم قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية وقال اي وانا بعد استماع القران مختلفون منا المسلمون ومنا الكافرون ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهوا في الصلاح والاول احسن لانه كان في الجن من امن بموسى وعيسى وقد اخبر الله عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعاهم الى الايمان وايضا فلا فائدة في قولهم نحن الان منقسمون الى مؤمن والى كافر والطرائق جمع طريقة وهي مذهب الرجل اي كنا فرقا مختلفة ويقال القوم طرائق اي على مذاهب شتى والقدد نحو من الطرائق وهو توكيد لها واحدها قدة يقال لكل طريق قدة واصلها من قد السيور وهو قطعها قال لبيد يرثي اخاه اربد

لم تبلغ العين كل نهمتها يوم تمشي الجياد بالقدد

وقال اخر

ولقد قلت وزيد حاسر يوم ولت خيل عمرو قددا

والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ما له قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف من خشب **قوله تعالى** وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله وانا ظننا ان لن تقول وانهم ظنوا اي علمنا بالاستدلال والتفكر في ايات الله انا في قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره وهربا مصدر في موضع الحال اي هاربين **قوله تعالى** وانا لما سمعنا الهدى يعني القران امنا به وبالله وصدقنا محمدا على رسالته وكان عليه السلام مبعوثا الى الانس والجن قال الحسن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن ولا من اهل البادية ولا من النساء وذلك قوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى وقد تقدم هذا المعنى وفي الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود اي الجن والانس فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم قال الاعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

الوامق المحب وقد ومقه يمقه بالكسر اي احبه فهو وامق وهذا قول حكاه الله تعالى عن الجن لقوة ايمانهم وصحة اسلامهم وقراءة العامة فلا يخاف رفعا على تقدير فانه لا يخاف وقرا الاعمش ويحيى وابراهيم فلا يخف جزما على جواب الشرط والغاء الفاء **قوله تعالى** وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اي وانا بعد استماع القران مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق قسط اذا جار واقسط اذا عدل قال الشاعر

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمرا وهم قسطوا على النعمان

فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق والايمان وكانوا

الجن خطبا اي وفودا وقوله فكانوا اي في علم الله تعالى **قوله تعالى** وان لو استقاموا على الطريقة
هذا من قول الله تعالى اي لو امن هولاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وهذا محمول على الوحي
اي اوحي الي ان لو استقاموا ذكره ابن بحر كلما في هذه السورة من ان المكسورة المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين
استمعوا القران فرجعوا الى قومهم منذرين وكل ما فيها من ان المفتوحة المخففة فهي وحي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابن الانباري ومن كسر الحروف وفتح وان لو استقاموا اضمر يمينا تاما تاويلها والله ان لو استقاموا
على الطريقة كما يقال في الكلام والله ان لقمت لقمت ووالله لو قمت لقمت قال الشاعر

اما والله ان لو كنت حرا ... وما بالحر انت ولا العتيق

ومن فتح ما قبل المخففة نسقها اعني الخفيفة على اوحي الي انه وان لو استقاموا او على امنا به وبان لو استقاموا
ويجوز لمن كسر الحروف كلها ان المخففة ان يعطف المخففة على اوحي الي او على امنا به وليستغني عن اضمار اليمين
وقراءة العامة بكسر الواو من لو لالتقاء الساكنين وقرا ابن وثاب والاعمش بضم الواو وماء غدقا اي واسعا
كثيرا وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع سنين يقال غدقت العين تغدق فهي غدقة اذا كثر ماوها وقيل المراد
الخلق كلهم اي لو استقاموا على الطريقة طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مومنين مطيعين لاسقيناهم
ماء غدقا اي كثيرا لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم وقال عمر في هذه الاية اينما كان الماء كان
المال واينما كان المال كانت الفتنة فمعنى لاسقيناهم لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق الكثير بذلك
مثلا لان الخير والرزق كله بالمطر يكون فاقيم مقامه لقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض وقوله ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم اي بالمطر والله اعلم وقال سعيد بن المسيب وعطا ابن ابي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل
وعطية وعبيد بن عمير والحسن كان والله اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز
كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان وقال الكلبي وغيره وان لو
استقاموا على الطريقة التي هم عليها من الكفر وكانوا كلهم كفارا لاوسعنا ارزاقهم مكرا بهم واستدراجا لهم حتى
يفتتنوا فيعذبهم بها في الدنيا والاخرة وهذا قول قاله الربيع بن انس وزيد بن اسلم وابنه والكلبي والثمالي ويمان
بن رباب وابن كيسان وابو مجلز واستدلوا بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي الاية وقوله
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية والاول اشبه لان الطريقة
معرفة بالالف واللام فالاوجب ان تكون طريقة الهدى ولان الاستقامة لا تكون الا مع الهدى وفي صحيح مسلم
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا
قالوا وما زهرة الدنيا قال بركات الارض وذكر الحديث وقال عليه السلام والله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى
عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم

قوله تعالى ومن يعرض عن ذكر ربه يعني القران قاله ابن زيد وفي اعراضه عنه وجهان احدهما
عن القبول ان قيل انها في اهل الكفر الثاني عن العمل ان قيل انها في المومنين وقيل ومن يعرض عن ذكر ربه اي لم يشكر
نعمه يسلكه عذابا صعدا اقرا الكوفيون وعياش عن ابي عمرو يسلكه بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لذكر
الله اولا فقال ومن يعرض عن ذكر ربه الباقون نسلكه بالنون وروي عن مسلم بن جندب ضم النون وكسر اللام
وكذلك قراءة طلحة والاعرج وهما لغتان سلكه واسلكه بمعنى اي ندخله عذابا صعدا اي شاقا شديدا
قال ابن عباس هو جبل في جهنم عن ابي سعيد الخدري كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن عباس ان المعنى مشقة
من العذاب وذلك معلوم في اللغة ان الصعد المشقة تقول تصعد في الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر
ما تصعدني شي ما تصعدني خطبة النكاح اي ما شق علي وعذاب صعد اي شديد
والصعد مصدر يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه
فلا يطيقه وقال ابو عبيد الصعد مصدر اي عذابا ذا صعد والمشي في الصعود يشق والصعود العقبة
الكوود وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم وقال الكلبي
يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه
بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ اعلاها في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف ايضا
صعودها فذلك دابه ابدا وهو قوله سارهقه صعودا **قوله تعالى** وان المساجد لله

فيه ست مسائل الاولى ان بالفتح قيل هو مردود الى قوله قل اوحي الي اي اوحي الي ان المساجد لله وقال الخليل اي ولان
المساجد لله والمراد البيوت المبنية التي بناها اهل الملل للعبادة وقال سعيد بن جبير قالت الجن كيف
لنا ان ناتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناوون عنك فنزلت وان المساجد لله اي بنيت لذكر الله
وطاعته وقال الحسن اراد بها كل البقاع لان الارض كلها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقول اينما كنتم فصلوا
فاين ما صليتم فهو مسجد وفي الصحيح وجعلت لي الارض كلها مسجدا وطهورا وقال سعيد بن المسيب وطلق بن
حبيب اراد بالمساجد الاعضا التي يسجد عليها العبد وهي القدمان والركبتان واليدان والوجه يقول
هذه الاعضا انعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله قال عطا مساجدك اعضاوك التي امرت
ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان
اسجد على سبعة اعظم الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين وقال العباس
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وقيل المساجد هي الصلوات اي
لان السجود لله قاله الحسن ايضا فان جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم ويقال بالفتح حكاه الفرا
وان جعلتها الاعضا فواحدها مسجد بفتح الجيم وقيل هو جمع مسجد وهو السجود يقال سجدت سجودا كما يقول
ضربت في الارض ضربا ومضربا اذا سرت في ابتغا الرزق وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة
وسميت مكة المساجد لان كل احد يسجد اليها والقول الاول اظهر هذه الاية الاقوال ان شا الله وهو مروي عن
ابن عباس رحمه الله الثانية قوله لله اضافة تشريف وتكريم ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال وطهر بيتي
وقال عليه السلام لا تعمل المطي الا الى ثلاث مساجد الحديث خرجه الايمة وقد مضى الكلام فيه وقال عليه
السلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال ابن العربي وقد روي
من طريق لا باس بها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا
المسجد الحرام فان صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي ولو صح هذا لكان نصا قال الشيخ المولف
رحمه الله هو صحيح بنقل العدل عن العدل حسب ما بيناه في سورة ابراهيم الثالثة المساجد وان كانت
ملكا لله وتشريفا فانها قد تنسب الى غيره تعريفا فيقال مسجد فلان وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم سابق بين الخيل التي اضمرت من الحفيا وامدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية
الى مسجد بني زريق وتكون هذه الاضافة بحكم المحلية كانها في قبلتهم وقد تكون بتحبيسهم ولا خلاف بين الامة
في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك الرابعة من ان المساجد لله لا يذكر
فيها الا الله فانه تجوز القسمة فيها للاموال ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المسلمين
وكل من جاء اكل ويجوز حبس الغريم فيها وربط الاسير والنوم فيه وسكنى المريض فيه وفتح الباب للجار اليه
وانشاد الشعر فيه اذا عري عن الباطل وقد مضى هذا كله مبينا في براءة والنور وغيرهما الخامسة قوله
فلا تدعوا مع الله احدا هو توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله غيره في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت
اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه والمومنين ان يخلصوا لله الدعوة
اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر
الله ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا ولا طرقا ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا وفي الصحيح من انشد ضالة
في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد مضى في النور ما فيه كفاية من احكام المساجد
والحمد لله السادسة روى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله
اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزايرك وعلى كل مزور حق وانت خير
مزور اسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ولا تجعل معيشتي كدا
واجعل لي في الارض جدا **قوله تعالى** وانه لما قام عبد الله يدعوه يجوز الفتح اي اوحي الي انه
ويجوز الكسر على الاستيناف وعبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران
حسب ما تقدم اول السورة يدعوه اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا لهم الى الله تعالى
كادوا يكونون عليه لبدا قال الزبير بن العوام هم الجن حين استمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم
اي كاد يركب بعضهم بعضا ازدحاما ويسقطون حرصا على سماع القران وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله
الضحاك ابن عباس رغبة في سماع الذكر وروى برد عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن
لما رجعوا الي قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وايتمامهم به في الركوع والسجود
وقيل المعني كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا علي النبي صلي الله عليه وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد
لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن علي هذا الامر ليطفيوه فابي الله الا ان ينصره ويتم نوره
واختاره الطبري ان يكون المعني كادت العرب يجتمعون علي النبي صلي الله عليه وسلم ويتظاهرون علي
اطفاء النور الذي جاء به وقال مجاهد قوله لبدا جماعات وهو من تلبد الشي علي الشي اي تجمع ومنه اللبد الذي
يفرش لتراكم صوفه وكل شي الصقته الصاقا شديدا فقد لبدته وجمع اللبد لبدة مثل قربة وقرب ويقال
للشعر الذي علي ظهر الاسد لبدة وجمعها لبد وقال زهير

لدي اسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد اظفاره لم تقلم

ويقال للجراد الكثير لبد وفيه اربع لغات وقراات فتح الباء وكسر اللام وهي قراءة العامة وضم اللام وفتح
الباء وهي قراءة مجاهد وابن محيصن وهشام عن اهل الشام واحدتها لبدة وبضم الباء واللام وهي قراءة ابي
حياة ومحمد بن السميفع وابي الاشهب العقيلي والجحدري واحدها لبد مثل سقف وسقف ورهن ورهن
وبضم اللام وشد الباء وفتحها وهي قراءة الحسن وابي العالية والاعرج والجحدري ايضا واحدها لابد مثل
راكع وركع وساجد وسجد وقيل اللبد بضم اللام وفتح الباء الشي الدايم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لدوامه
وبقايه قال النابغة

اخني الذي اخني علي لبد

القشيري وقري لبدا بضم اللام والباء وهو جمع لبيد وهو الجوالق الصغير وفي الصحاح واهلكت مالا لبدا اي جمعا ويقال ايضا الناس لبد اي مجتمعون
واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر

من امري ذي سماح لا تزال له ... بزلا يعيا بها الجثامة اللبد

والبزلاء الراي الجيد وفلان نهاض ببزلا اذا كان ممن يقوم بالامور العظام قال الشاعر

اني اذا شغلت قوما فروجهم ... رحب المسالك نهاض ببزلا

قال ابو عبيدة وهو اشبه ولبد اخر نسور لقمان وهو ينصرف لانه ليس معدول وتزعم العرب ان لقمان هو
الذي بعثته عاد في وفدها الي الحرم ليستسقي لها فلما اهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر من اظب عفر
في جبل وعر لا يمسها القطر وبقاء سبعة انسر كلما اهلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور وكان اخر نسوره يسمي
لبدا وقد ذكرته الشعراء

اضحت خلاء وامسي اهلها احتملوا ... اخني عليها الذي اخني علي لبد

واللبد الجوالق الصغير يقال البدت القربة جعلتها في لبيد ولبيد اسم شاعر من بني عامر **قوله تعالي** قال انما ادعوا
ربي اي قال النبي صلي الله عليه وسلم انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا وكذا قرا اكثر القرا قال علي الخبر وقرا عاصم
وحمزة قل علي الامر وسبب نزولها ان كفار قريش قالوا له انك جيت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم
فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزلت **قوله تعالي** قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر
ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدي انما علي التبليغ
وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو الاول بعينه وقيل الضر الموت والرشد الحياة **قوله تعالي**
قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عذابه عني احد ان استحقيته وهذا لانهم قالوا اترك ما تدعوا اليه
ونحن نجيرك وروي ابو الجوزا عن ابن مسعود قال انطلقت مع النبي صلي الله عليه وسلم ليلة الجن حتي اتي الحجون
فخط علي خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان انا ارحلهم عنك فقال اني لن يجيرني
من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل معنيين احدهما لن يجيرني مع اجارة الله لي احد الثاني ان يجيرني
مما قدره الله تعالي علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الجا اليه قاله قتادة وعنه نصيرا وموالاه
السدي حرزا الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل وليا ولا مولي وقيل مذهبا ولا مسلكا
حكاه ابن شجرة والمعني واحد ومنه قول الشاعر

يا لهف نفسي ولهفا غير مجدية ... عني وما من قضا الله ملتحد

الا بلاغا من الله ورسالاته فان فيه الامان والنجاة
قاله الحسن وقال قتادة الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بتوفيق الله فاما الكفر فلا املكه فعلي هذا يكون
مردودا الي قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا املك الا ان ابلغكم وقيل هو استثنا منقطع
من قوله لا املك ضرا ولا رشدا الا ان ابلغكم ما ارسلت به قاله الفرا وقال الزجاج هو منصوب

علي البدل في قوله ملتحدا اي ولن اجد من دونه ملتحدا الا ان ابلغ ما ياتيني من الله ورسالاته اي ومن رسالاته
التي امرني بتبليغها او الا ان ابلغ عن الله واعمل برسالاته فاخذ نفسي بما امرني به غيري وقيل هو مصدر ولا
بمعني لم وان للشرط والمعني لن اجد من دونه ملتحدا اي ان لم ابلغ رسالات ربي بلاغا **قوله تعالي**
ومن يعص الله ورسوله في التوحيد والعبادة فان له نار جهنم كسرت ان لان ما بعد فا الجزا موضع ابتداء وقد
تقدم خالدين نصب علي الحال وجمع لان المعني لكل من فعل ذلك فوحد اولا اللفظ ثم جمع للمعني حتي اذا راوا ما
يوعدون في هذا ابدا علي ان العصيان هنا هو الشرك وقيل هو المعاصي غير الشرك ويكون معني خالدين
فيها ابدا الا ان اعفوا ويلحقهم شفاعة ولا محالة اذا خرجوا من الدنيا علي الايمان يلحقهم العفو وقد مضي هذا
المعني مبينا في النسا وغيره **قوله تعالي** حتي اذا راوا ما يوعدون من عذاب الاخرة او ما يوعدون
من عذاب الدنيا وهو القتل ببدر فسيعلمون حينيذ من اضعف ناصرا اهم ام المومنون واقل عددا معطوف
قوله تعالي قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني قيام الساعة وقيل عذاب الدنيا اي لا ادري
وان بمعني ما او لا اي لا اعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام القيامة الا الله فهو غيب لا اعلم منه الا ما
يعرفنيه الله وما في قوله ما توعدون يجوز ان يكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون بمعني الذي ويقدر
حذف العايد ام يجعل له ربي امدا اي غاية واجلا وروي ابن العامة باسكان اليا من ربي وقرا الحرميان
وابو عمرو بالفتح **قوله تعالي** عالم الغيب فيه مسالتان الاولي قوله عالم رفعا نعتا لقوله ربي
وقيل اي هو عالم الغيب والغيب ما غاب عن العباد وقد تقدم بيانه في اول البقرة فلا يظهر علي غيبه احدا
الا من ارتضي من رسول فانه يظهره علي ما يشاء من غيبه لان الرسل مويدون بالمعجزات ومنها الاخبار
عن بعض الغايبات وفي التنزيل وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال ابن جبير
الا من ارتضي من رسول وهو جبريل وفيه بعد والاول ان يكون المعني اي لا يظهر علي غيبه الا من ارتضي
اي اصطفي للنبوة فانه يطلعه علي ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالا علي نبوته الثانية قال العلما لما تمدح
سبحانه بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل علي انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثني من
ارتضي من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة علي نبوتهم
وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصي وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه
علي ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلما وليت شعري ما
يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان علي اختلاف احوالهم وتباين رتبهم فيهم الملك والسوقة والعالم
والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم
فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة فان قال المنجم قبحه الله انما اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون علي
مقتضي ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها علي اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما
يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فايدة اذا في عمل المواليد ولا دلالة فيها علي شقي ولا سعيد ولم يبق الا
معاندة القران العظيم وفيه استحلال دمه علي هذا التنجيم ولقد احسن الشاعر حيث قال

حكم المنجم ان طالع مولدي ... يقضي علي بموتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل ... ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لامير المومنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد لقا الخوارج اتلقاهم والقمر في العقرب
فقال علي رضي الله عنه فاين قمرهم وكان ذلك في اخر الشهر فانظر الي هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها
من المبالغة في الرد علي من يقول بالتنجيم والافحام لكل جاهل يحقق احكام النجوم وقال له مسافر بن عوف
يا امير المومنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له علي رضي الله عنه
ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة
التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلي الله عليه وسلم
منجم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بايات من التنزيل فمن صدقك في هذا القول لم امن
عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك
ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها ثم اقبل علي الناس فقال
يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار

ما يقول المنجم في سفينة

انما المنجم كالكافر

والمنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لين بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك
في الحبس ما بقيت ولاحرمنك العطا ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم
وهي وقعة النهروان الثابتة في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال
قايل سار في الساعة التي امره بها المنجم ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فتح الله علينا بلاد
كسرى وقيصر وساير البلدان ثم قال ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي عمن سواه فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رصدا يعني ملايكة يحفظونه عن ان يقرب منه شيطان فيحفظ الوحي من استراق
الشياطين والالقاء الى الكهنة قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملايكة يحرسونه من الشياطين
ان يتشبهوا بصورة الملك فاذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جا
الملك قالوا هذا رسول ربك وقال ابن عباس وابن زيد رصدا اي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه
وسلم من امامه وورايه من الجن والشياطين قال قتادة وسعيد بن المسيب هو اربعة من الملايكة حفظة
وقال الفرا المراد جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزلت معه ملايكة يحفظونه من ان يستمع الجن الوحي
فيلقونه الى كهنتهم فيسبقوا به الرسول وقال السدي رصدا اي حفظة يحفظون الوحي فما جاء من عند
الله قالوا انه من عند الله وما القاه الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا انتصب على المفعول وفي الصحاح
والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمونث وربما قالوا ارصادا والراصد للشي
الراقب له يقول رصده يرصده رصدا او رصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد قوله تعالى ليعلم
قال مقاتل وقتادة اي ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف يتعلق
به اللام اي اخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق وقيل
ليعلم محمد ان قد ابلغ جبريل ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير قال ولم ينزل بالوحي الا ومعه اربعة
حفظة من الملايكة عليهم السلام وقيل اي ليعلم الرسل ان الملايكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الرسول
اي رسول كان ان الرسل سواه بلغوا رسالات وقيل اي ليعلم ابليس ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة
من تخليطه واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة اي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل عليهم ولم يكونوا هم
المتكفين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وقراءة
الجماعة ليعلم بفتح اوله وتاويله ما ذكرناه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم الياء اي ليعلم
الناس ان الرسل قد بلغوا وقال الزجاج اي ليعلم الله ان رسله قد بلغوا رسالاته بفتح اليا كقوله ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين المعنى اي ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا واحاط بما لديهم اي احاط
علمه بما عندهم اي بما عند الرسل وما عند الملايكة وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم
فيبلغوا رسالاته واحصى كل شي عددا اي احاط بعدد كل شي وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شي وعددا انتصب
على الحال اي احصى كل شي في حال العدد وان شيت على المصدر اي احصى وعدد كل شي في حال العدد فيكون فعل
الفعل محذوف فهو سبحانه المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شي وقد بينا جميعه في الكتاب الاسنى في شرح
اسما الله الحسنى والحمد لله ثم تفسير السورة المباركة بعون الله الملك الوهاب

تفسير سورة المزمل عليه السلام

كلها مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها واصبر على ما يقولون
والتي تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي قوله ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل
بالمدينة وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
يا ايها المزمل فيه سبع مسايل الاولى قال الاخفش سعيد المزمل اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي وكذلك
المدثر وقرا ابي بن كعب على الاصل المتزمل والمتدثر وفي اصل المزمل قولان احدهما انه المحتمل يقال زمل
الشي اذا حمله ومنه الزاملة تحمل القماش الثاني ان المزمل هو المتلفف يقال تزمل وتدثر بثوبه اذا تغطى
وزمل غيره اذا غطاه وكل شي لفف فقد زمل ودثر قال امرو القيس
كبير اناس في بجاد مزمل
الثانية قوله تعالى يا ايها المزمل خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وفيه ثلاثة اقوال الاول قول عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه اي يا هذا الذي
زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر وكان يقرا يا ايها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول
وكذلك المدثر والمعنى المزمل نفسه والمدثر نفسه او الذي زمله غيره الثاني يا ايها المزمل بالقران قاله ابن
عباس الثالث بثيابه قاله قتادة وغيره قال النخعي كان متزملا بقطيفة عايشة بمرط طوله اربعة عشر ذراعا
نصفه علي وانا نايمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسم
ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا القول من عايشة يدل
على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة وما ذكر من انها مكية لا يصح والله اعلم
وقال الضحاك تزمل بثيابه لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوء فيه فاشتد عليه فتزمل في ثيابه وتدثر
فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل هذا في ابتداء ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته
الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني معناه عن ابن عباس وقالت الحكماء انما خاطبه بالمزمل والمدثر في اول
الامر لانه لم يكن بعد ادثر شيا من تبليغ الرسالة قال ابن العربي واختلف في تاويل يا ايها المزمل فمنهم من حمله
على حقيقته قيل له يا من تلفف في ثيابه او في قطيفته قاله ابراهيم وقتادة ومنهم من حمله على المجاز كانه قيل
له يا من تزمل بالنبوة قاله عكرمة وانما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول
الذي لم يسم فاعله واما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل قال الشيخ المولف رحمه الله قد بينا انها على حذف المفعول
وقد قري بها فهي صحيحة المعنى قال واما من قال انه زمل القران فهو صحيح في المجاز لكنه كما قدمنا لا يحتاج اليه
الثالثة قال السهيلي ليس المزمل باسم من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم يعرف به كما ذهب به بعض الناس وعدوه
في اسمايه عليه السلام وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه
بهذا الاسم فايدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم
مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نايم وقد
لصق بجنبه التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام
لحذيفة قم يا نومان وكان نايما ملاطفة له واشعارا لترك العتب والتانيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم يا ايها المزمل قم الليل فيه تانيس وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفايدة الثانية التنبيه لكل متزمل
راقد ليله ليتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك
العمل واتصف بتلك الصفة الرابعة قوله تعالى قم الليل قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقراءة ابو
السمال بضم الميم اتباعا لضمة القاف وحكى الفتح لخفته قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هربا
من التقاء الساكنين فباي حركة تحرك فقد وقع الغرض وهو من الافعال القاصرة الغير المتعدية الى مفعول
فاما ظرف الزمان والمكان فسايغ فيه الا ان ظرف المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة لا تقول قمت الدار
حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل ان قم هنا معناه صل عبر به عنه واستعير له حتى صار
عرفا بكثرة الاستعمال الخامسة الليل حد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم بيانه في البقرة
واختلف هل كان قيامه فرضا وحتما او كان ندبا وحضا والدليل يقوي ان قيامه كان حتما وفرضا وذلك ان
الندب والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون وقت وايضا فقد جاء
التوقيت بذلك من عايشة وغيرها على ما ياتي واختلف ايضا هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده
او عليه وعلى من كان قبله من الانبيا او عليه وعلى امته ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب
اليه الثاني قول ابن عباس كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله الثالث قول عايشة
وابن عباس ايضا وهو الصحيح كما في صحيح مسلم عن زرارة ان سعيد بن هشام بن عامر اراد ان يغزو في سبيل الله الحديث
وفيه فقلت لعايشة انبييني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا يا ايها المزمل قلت بلى
قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في هذه السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله
عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله عز وجل في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل
تطوعا بعد فريضة وذكر الحديث وذكر وكيع ويعلى قالا حدثنا مسعر عن سماك الحنفي قال سمعت ابن عباس
يقول لما نزلت اول يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين اولها
واخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل
فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم السادسة قوله تعالى الا قليلا

استثنا من الليل اي صل الليل كله الا يسيرا منه لان قيام جميعه على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة
الجسد والقليل من الشي ما دون النصف فحكي عن وهب بن منبه انه قال القليل ما دون المعشار والسدس
وقال الكلبي ومقاتل الثلث ثم قال تعالى نصفه او انقص منه قليلا وكان ذلك تخفيفا اذ لم يكن زمان القيام
محدودا فقام الناس حتى ورمت اقدامهم ثم نسخ ذلك بقوله علم ان لن تحصوه وقال الاخفش نصفه اي او
نصفه يقال اعطه درهما درهمين ثلاثة يريد او درهمين او ثلاثة وقال الزجاج نصفه بدل من الليل والا قليلا
استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف المعنى قم نصف الليل او انقص من النصف قليلا اي الثلث
او زد عليه قليلا الى الثلثين وكانه قال قم ثلثي الليل او نصفه او ثلثه وقيل او نصفه بدل من قوله قليلا
وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين الناقص منه وبين قيام الزايد عليه كان تقدير
الكلام قم الليل الا نصفه او اقل من نصفه واكثر من نصفه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ينزل الله عز وجل الى السماء الدنيا كل ليلة تمضي من الليل الاول فيقول انا الملك من ذا الذي
دعاني فاستجيب له من ذا الذي يسالني فاعطيه من ذا الذي يستغفرني فاغفر له ولا يزال كذلك حتى
يضي الصبح ونحوه عن ابي هريرة وابي سعيد جميعا وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطر الليل او ثلثاه ينزل الله الحديث رواه
من طريقين عن ابي هريرة هكذا على الشك وقد جاء في كتاب النسا عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما قالا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من
داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه ابو محمد عبد الحق فبين هذا الحديث
مع صحته معنى النزول وان ذلك يكون عند نصف الليل وخرج بن ماجة من حديث بن شهاب عن ابي سلمة وابي
عبد الله الاغر عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله ربنا تبارك وتعالى حين يبقى
ثلث الليل الاخر كل ليلة فيقول من يسالني فاعطيه من يدعوني فاستجيب له من يستغفرني فاغفر له
حتى يطلع الفجر وكانوا يستحبون صلاة اخر الليل على اوله قال علماؤنا وبهذا الترتيب انتظم الحديث
والقران فانهما مبصران من مشكاة واحدة وفي الموطا وغيره من حديث بن عباس انه بات عند خالته ميمونة
حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الى شن معلق
فتوضا وضوءا خفيفا وذكر الحديث السابعة اختلف العلما في الناسخ الامر بقيام الليل فعن بن عباس وعايشة
ان الناسخ قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخر الاية السورة وقيل قوله علم ان لن تحصوه
وعن ابن عباس ايضا هو منسوخ بقوله علم ان لن سيكون منكم مرضى وعن عايشة ايضا والشافعي ومقاتل
وابن كيسان هو منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الناسخ لذلك قوله فاقروا ما تيسر منه قال ابو عبد
الرحمن السلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزل فاقروا ما تيسر منه
قال بعض العلما فهو فرض نسخ به فرض كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله كما قال ومن الليل فتهجد
به نافلة لك قال الشيخ المولف رحمه الله القول الاول يعم جميع هذه الاقوال وقد قال واقيموا الصلاة تدخل
فيها قول من قال ان الناسخ الصلوات الخمس وقد ذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلاة الليل فريضة على كل
مسلم ولو على قدر حلب شاة وعن الحسن ايضا انه قال في هذه الاية الحمد لله تطوع بعد فريضة وهو الصحيح
انشا الله تعالى لما جاء في قيامه من الترغيب والفضل في القران والسنة وعن عايشة رضي الله عنها قالت
كنت اجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى جماعتهم كره ذلك
وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون اليهم فقال ايها الناس
اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملون فان خير العمل ادومه وان قل فنزلت
يا ايها المزمل وكتب عليهم وانزل بمنزلة الفريضة حتى ان كان احدهم له بط فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر
فرحمهم الله وانزل ان ربك يعلم انك تقوم الاية فردهم الله الى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا
به قال الشيخ المولف رحمه الله حديث عايشة هذا ذكره الثعلبي ومعناه ثابت في الصحيح الى قوله وان قل
وباقيه يدل على ان قوله تعالى يا ايها المزمل نزل بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم عنها في
صحيح مسلم حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكر غيره عنها وذكر عن ابن عباس
انه كان بين اول المزمل واخرها سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه وفي نسخه

القليل من الشي ما دون النصف

ترغيب قيام ثلث الليل

سجه الفجر

عنه قولان احدهما انه كان فرضا عليه الى ان قبضه الله تعالى الثاني انه نسخ عنه كما نسخ عن امته وفي مدة فرضه
الى ان نسخ قولان احدهما المدة المفروضة على امته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا وقول عايشة
ستة عشر شهرا الثاني انها عشر سنين الى ان خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف ليتميز بفعل الرسالة قاله
بن جبير قال المولف رحمه الله هذا خلاف ما ذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير حسب ما تقدم فتامله وسياتي
لهذه المسالة زيادة بيان اخر السورة ان شا الله تعالى الثامنة قوله تعالى ورتل القران ترتيلا
اي لا تعجل بقراءة القران بل اقراه في مهل وبيان مع تدبر المعاني وقال الضحاك اقراه حرفا حرفا وقال مجاهد
احب الناس الى الله في القراءة اعقلهم عنه والترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام ومنه ثغر رتل ورتل بكسر
العين وفتحها اذا كان حسن التنضيد وقد تقدم بيانه في مقدمة الكتاب وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر برجل يقرا اية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله تعالى ورتل القران ترتيلا هذا الترتيل وسمع علقمة رجلا
يقرا قراءة حسنة فقال رتل القران فداك ابي وامي وقال ابو بكر بن طاهر تدبر في لطايف خطابه وطالب
نفسك بالقيام باحكامه وقلبك بفهم معانيه وسرك بالاقبال عليه وروى عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم يؤتى بقارئ القران يوم القيامة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا وارق ورتل
كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقروها خرجه ابو داود وقد تقدم في اول الكتاب
وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته بالقراءة مدا **قوله تعالى** انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا هو متصل بما فرض من قيام الليل اي سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا
يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيامه واكثره لم يتهيا له ذلك الا بحمل شديد على النفس ومجاهدة
للشيطان فهو امر يثقل على العبد وقيل اي سنوحي اليك القران وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرايعه
قال قتادة يثقل والله فرايضه وحدوده مجاهد حلاله وحرامه الحسن العمل به ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد
والحلال والحرام محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم
وسب الهتهم والكشف عما حرفه اهل الكتاب السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقيل علي اي يكرم
علي الفرا ثقيلا رزينا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا وقال الحسين بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب
مويد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان
يوم القيامة وقيل ثقيلا اي ثابتا كثبوت الثقيل في محله ويكون معناه انه ثابت الاعجاز لا تزول اعجازه
ابدا وقيل هو القران نفسه كما جاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها
يعني صدرها على الارض فما يستطيع ان يتحرك حتى يسرى عنه وفي الموطا وغيره انه عليه السلام سيل كيف
ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي
الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عايشة رضي الله عنها ولقد رايته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليتفصد عرقا قال ابن العربي وهذا اولى لانه الحقيقة وقد جاء وما جعل عليكم في الدين من
حرج وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وقيل القول في هذه السورة هو قول لا اله الا الله اذ في
الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان ذكره القشيري **قوله تعالى** ان ناشية الليل
فيه خمس مسايل الاولى قال العلما ان ناشية الليل اي اوقاته وساعاته لان اوقاته تنشا اولا فاولا يقال
نشا الشي ينشا اذا ابتدا واقبل شيا بعد شي فهو ناشي وانشاه الله فنشا ومنه نشات السحابة اذا بدات
وانشاها الله فناشية فاعلة من نشات تنشا فهي ناشية ومنه قوله تعالى اومن ينشا في الحلية وهو
في الخصام غير مبين والمراد ان ساعات الليل الناشية فاكتفى بالوصف عن الاسم فالتانيث للفظ الساعة
لان كل ساعة تحدث وقيل الناشية مصدر بمنزلة الخاطية والكاذبة اي نشاة الليل هي اشد وطا وقيل ان
ناشية الليل قيام الليل قال ابن مسعود الحبشة يقولون نشا اي قام فلعله اراد ان الكلمة عربية ولكنها شايعة
في كلام الحبشة غالبة عليهم والا فليس في القران ما ليس من لغة العرب وقد تقدم بيان هذا في مقدمة
الكتاب مستوفى الثانية بين تعالى في هذه الاية فضل صلاة الليل على صلاة النهار وان الاستكثار من
صلاة الليل بالقراءة فيها ما امكن اعظم للاجر واجل للثواب واختلف العلما في المراد بناشية الليل فقال
ابن عمر وانس بن مالك هو ما بين المغرب والعشا تمسكا بان لفظ نشا يعطي الابتدا وكان بالاولية
احق ومنه قول الشاعر
ولولا ان يقال صبا نصيب … لعلت بنفسي النشا الصغار

وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذه ناشئة الليل وقال عطا وعكرمة انه بدو الليل وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه نشا بعد النهار وهو الذي اختاره مالك بن انس بن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ ويقتضيه اللغة وقالت عايشة وابن عباس ايضا ومجاهد انما الناشية القيام بالليل بعد النوم ومن قام اول الليل قبل النوم فما قام ناشية وقال يمان وابن كيسان هو القيام من اخر الليل وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل وذلك ان الانسان اذا قام لا يدري متي يستيقظ وفي الصحاح وناشية الليل اول ساعاته وقال القتبي انه ساعات الليل لانها تنشا ساعة وعن الحسن ومجاهد هي ما بعد العشا الاخرة الي الصبح وعن الحسن ايضا ما كان بعد العشا فهو ناشية ويقال ما ينشا في الليل من الطاعات حكاه الجوهري الثالثة **قوله تعالى** هي اشد وطا قرا ابو العالية وابو عمرو وابن ابي اسحق ومجاهد وحميد بن محيصن وابن عامر والمغيرة وابو حيوة وطا بكسر الواو وفتح الطا والمد واختاره ابو عبيد الباقون وطا بفتح الواو وسكون الطا مقصورة واختاره ابو حاتم من قولك اشتدت علي القوم وطاة سلطانهم اي ثقل عليهم ما حملهم من المؤن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك علي مضر فالمعني انها اثقل علي المصلي من ساعات النهار وذلك ان الليل وقت منام وتودع واجمام فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة ومن مد فهو مصدر واطات وطاء ومواطاة اي وافقته قال ابو زيد واطانه علي الامر مواطاة اذا وافقته من الوفاق وفلان يواطي اسمه اسمي وتواطوا عليه اي توافقوا فالمعني اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن ابي مليكة وغيرهما وقال ابن عباس بمعناه اي يواطي السمع القلب قال الله تعالى ليواطيوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقيل المعني اشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر والوطا خلاف الغطا وقيل اشد وطاء بسكون الطاء وفتح الواو اي اشد ثباتا من النهار فان الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل وانفي لما يلهي ويشغل القلب والوطا الثبات تقول وطيت الارض بقدمي وقال الاخفش اشد قياما الفرا اثبت قراءة وقياما وعنه اشد وطا اي اثبت للعمل وادوم لمن اراد الاستكثار من العبادة والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي اشد وطا واقوم اي اشد نشاطا للعمل لانه في زمان راحته وقال عبادة اشد واحفظ واثبت للقراءة الرابعة **قوله تعالى** واقوم قيلا اي القراءة بالليل اقوم منها بالنهار اي اشد استقامة واستمرارا علي الصواب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة فلا يضطرب علي المصلي ما يقرؤه قال قتادة ومجاهد اي اصوب للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم وقال ابو علي اقوم قيلا اي اشد استقامة لفراغ البال من الليل وقيل اي اعجل اجابة للدعا حكاه ابن شجرة وقال عكرمة قتادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة وعن زيد بن اسلم اجدر ان تفقه في القران وعن الاعمش قال انس بن مالك ان ناشية الليل هي اشد وطا واصوب قيلا فقيل له واقوم قيلا فقال اقوم واصوب واهيا سواء قال ابو بكر الانباري وقد ترامي ببعض هولاء الزايغين الي ان قال ان من قرا بحرف يوافق معني حرف من القران فهو مصيب اذا لم يخالف ولم يات بغير ما اراد الله وقصد له واحتجوا بقول انس هذا وهذا قول لا يعرج عليه ولا يلتفت الي قايله لانه لو قري بالفاظ تخالف الفاظ القران اذا قاربت معانيها واشتملت علي عامتها لجاز ان يقرا في موضع الحمد لله رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الامر في هذا حتي يبطل لفظ جميع القران ويكون التالي مفتريا علي الله جل وعز كاذبا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل القران علي سبعة احرف انما هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل لان هذا الحديث يوجب ان القراءات الماثورة المنقولة بالاسانيد الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اختلفت الفاظها واتفقت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعالي واقبل فاما ما لم يقرا به نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم رضي الله عنهم فانه من اورد حرفا منه في القران بهت ومان وخرج عن مذاهب الصواب قال ابو بكر والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة لا يصح عن احد من اهل العلم لانه مبني علي رواية الاعمش عن انس فهو مقطوع ليس بمتصل فيوخذ به من قبل ان الاعمش راي انسا ولم يسمع منه الخامسة **قوله تعالى** ان لك في النهار سبحا طويلا قراءة العامة بحاء غير معجمة اي تصرفا في حوايجك واقبالا وادبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امرو القيس

مسح اذا ما السابحات علي الونا ... اثرن غبارا بالكديد المركل

وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار وقيل ان لك في النهار سبحا اي نوما والتسبيح التمدد ذكره الخليل وعن ابن عباس وعطا سبحا طويلا يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك فاجعل ناشية الليل لعبادتك وقال ان فاتك في الليل شي فلك في النهار فراغ للاستدراك وقرا يحيي وابن يعمر وابو وايل سبخا بالخاء المعجمة قال المهدوي ومعناه النوم ذكر ذلك عن القاريين بهذه القراءة وقيل معناه الخفة والسعة والاستراحة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة وقد دعت علي سارق رداها لا تسبخي بدعايك عليه اي لا تخففي عنه اثمه قال الشاعر

فسبخ عليك الهم واعلم بانه ... اذا قدر الرحمن شيا فكاين

الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمي اي خففها وسبخ الحر فتر وخف والتسبيخ النوم الشديد والتسبيخ توسع القطن والكتان والصوف وتنفيشها يقال للمراة سبخي قطنك والتسبيخ من القطن ما يسبخ بعد الندف اي تلف لتغزله بعد الندف لتضعه المراة والقطعة منه سبيخة وكذلك من الصوف ويقال لقطع القطن سبايخ قال الاخطل يصف القناص والكلاب

فارسلوهن يذرين التراب كما ... يذري سبايخ قطن ندف اوتار

وقال ثعلب السبخ التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الحمي من فيح جهنم فسبخوها بالماء اي سكنوها وقال ابو عمرو والسبخ النوم والفراغ قال المولف رحمه الله فعلي هذا يكون من الاضداد ويكون بمعني السبح بالحاء غير المعجمة **قوله تعالى** واذكر اسم ربك فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تعالى واذكر اسم ربك اي ادعه باسمايه الحسني ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة وقيل اقصد بعملك وجه ربك وقال سهل اقرا باسم ربك الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلواتك توصلك بركة قراءتها الي ربك وتقطعك عما سواه وقيل واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر علي طاعته وتعدل عن معصيته وقال الكلبي صل لربك اي بالنهار قال الشيخ المولف وهذا احسن لانه لما ذكر الليل ذكر النهار اذ هو قسيمه وقد قال وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر علي ما تقدم الثانية قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا التبتل الانقطاع الي عبادة الله عز وجل اي انقطع بعبادتك اليه ولا تشرك به غيره يقال بتلت الشي اي قطعته ومنه قولهم طلقها بتة بتلة وهذه صدقة بتة بتلة اي باينة منقطعة عن صاحبها اي قطع ملكه عنها بالكلية ومنه مريم البتول لانقطاعها الي الله تعالى ويقال للراهب متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده بالعبادة عن التبتل وهو الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة والاول اقوي لما ذكرنا ويقال كيف قال تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل لان معني تبتل بتل نفسه فجي به علي معناه مراعاة علي الفواصل الثالثة قد مضي في المايدة في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم كراهة لمن تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه كفاية قال ابن العربي واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولي الحرام علي الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزبة افضل من التاهل ولكن معني الاية انقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله وكذلك قال مجاهد معناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتل ماموراً في القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث ليبين للناس ما نزل اليهم فالتبتل الماموربه الانقطاع الي الله باخلاص العبادة كما قال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصاري في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن **قوله تعالى** رب المشرق والمغرب قرا اهل الحرمين وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو وابن ابي اسحق وحفص رب بالرفع علي الابتداء والخبر وقيل علي اضمار هو الباقون رب بالخفض علي نعت الرب تعالى في قوله واذكر اسم ربك رب المشرق ومن علم انه رب المشارق والمغارب انقطع بعمله واملة اليه فاتخذه وكيلا اي قايما بامورك وقيل كفيلا بما وعدك **قوله تعالى** واصبر علي ما يقولون اي من الاذى والسب والاستهزا ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعايهم واهجرهم هجرا جميلا اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان في ذلك ترك الدعا الي الله وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر بعد بقتالهم وقتلهم فنسخت اية القتال ما كان قبلها من الترك قاله قتادة وغيره وقال ابو الدردا انا لنكشر في وجوه اقوام ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم او لتلعنهم **قوله تعالى** وذرني والمكذبين اي ارض لي عقابهم نزلت في صناديد قريش ورؤسا مكة من المستهزيين وقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم في الانفال وقال يحيي بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير

اسبيل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة

اخبرت انهم اثنا عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغنى والترفه واللذة في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الى مدة اجالهم قالت عايشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الاية لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر وقيل ومهلهم قليلا مدة الدنيا **قوله تعالى** ان لدينا انكالا وجحيما الانكال القيود عن الحسن ومجاهد وغيرهما واحدها نكل وهو ما منع الانسان من الحركة وقيل سمي نكلا لانه ينكل به قال الشعبي اترون ان الله تعالى جعل الانكال في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا لا والله ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت بهم وقال الكلبي الانكال الاغلال والاول اعرف في اللغة ومنه قول الخنسا

دعاك فقطعت انكاله ... وقد كن قبلك لا تقطع

وقيل انه انواع العذاب الشديد قاله مقاتل وقد جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يحب النكل على النكل بالتحريك قاله الجوهري قيل وما النكل قال الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب ذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك الغل وكل عذاب قوي فاشتد والجحيم النار المتاججة وطعاما ذا غصة اي غير سايغ ياخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم الضريع كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع وهو شوك كالعوسج وقال مجاهد هو الزقوم كما قال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والمعنى واحد وقال حمران بن اعين قرا النبي صلى الله عليه وسلم ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة فصعق وقال خليد بن حسان امسى الحسن عندنا صايما فاتيته بطعام فعرضت له هذه الاية ان لدينا انكالا وجحيما فقال ارفع الطعام فلما كانت الثانية اتيته بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعوه ومثله في الثالثة فانطلق ابنه الى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكا فحدثهم فجاووه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق والغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق من عظم وغيره وجمعها غصص والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فانت غاص بالطعام وغصان واغصصته انا والمنزل غاص بالقوم اي ممتلئ بهم **قوله تعالى** يوم ترجف الارض والجبال اي تتحرك وتضطرب بمن عليها وانتصب يوم على الظرف اي ينكل بهم ويعذبون يوم ترجف الارض وقيل بما في لدينا وقيل بنزع الخافض يعني هذه العقوبة في يوم ترجف الارض والجبال وقيل العامل ذرني اي وذرني والمكذبين يوم ترجف الارض والجبال اي وتكون والكثيب الرمل المجتمع قال حسان

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحي في الورق القشيب

والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطيته بالقدم زل من تحتها واذا احدث اسفله انهال وقال ابن عباس مهيلا اي رملا سايلا اهاله وهيلا متناثرا واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا صببته يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر

قد كان قومك يحسبونك سيدا ... وا اخال انك سيد معيون

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انهم شكوا اليه الجذوبة فقال اتكيلون ام تهيلون قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واهلت الدقيق لغة في هلت فهو مهال ومهيل حذفت الواو لان اليا ثقل فيها الضمة فحذفت فسكنت هي والواو لالتقاء الساكنين **قوله تعالى** انا ارسلنا اليكم رسولا يريد النبي عليه السلام ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى فعصى فرعون الرسول اي كذب به ولم يومن قال مقاتل ذكر موسى وفرعون لان اهل مكة ازدروا محمدا عليه السلام واستخفوا لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى موسى لانه رباه ونشا فيما بينهم كما قال الم نربك فينا وليدا قال المهدوي ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذلك في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم قوله وبيلا اي شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديدا قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا قال اكلت بنيك اكل الضب حتى وجدت مرارة الكلا الوبيل واستوبل فلان كذا اي لم يحمد عاقبته وماء وبيل اي وخيم اي غير مري وكلا مستوبل اذا لم يمر ولم يستمر قال زهير

فقضوا منايا بينهم اذ صدروا ... الى كلا مستوبل متوخم

وقالت الخنسا

لقد اكلت بجيله يوم لاقت ... فوارس مالك اكلا وبيلا

امسى عند الحسن صايما فاتيته بالطعام

والوبيل ايضا العصا الضخمة قال

لو اصبح في يمنى يدي زمامها ... وفي كفي الاخرى وبيل تحاذره

وكذلك الموبل بكسر البا والموبل ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفة

عقيلة شيخ كالوبيل اليندد

قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا هو تقريع وتخويف اي كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قراءة عبد الله وعطية قال الحسن اي باي صلاة تتقون العذاب باي صوم تتقون وفيه اضمار اي كيف تتقون عذاب يوم وقال قتادة والله ما يتقي من كفر بالله ذلك اليوم بشي ويوما مفعول بتتقون على هذه القراءة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول كفرتم وقال بعض المفسرين وقف التمام على قوله ان كفرتم والابتداء يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل والفعل لله عز وجل كانه قال يجعل الله الولدان شيبا في يوم ابن الانباري وهذا لا يصح لان اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله المهدوي والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله عز وجل ويجوز ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك اذا كان الضمير لله عز وجل الا مع تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم احتاج الى صفة كفرتم بيوم فان احتج محتج بان الصفة قد تحذف وتنصب ما بعدها احتججنا عليه بقراءة عبد الله وكيف تتقون يوما قال الشيخ المولف رحمه الله هذه القراءة ليست متواترة وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر بمعنى الجحود فيوما مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء وقرا ابو السماك قعنب فكيف تتقون بكسر النون على الاضافة والولدان الصبيان وقال السدي هم اولاد الزنا وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اي يشيب فيه الصغير من غير كبر وذلك حين يقال لادم يا ادم قم فابعث بعث النار على ما تقدم في اول سورة الحج قال القشيري ثم اهل الجنة يغير الله احوالهم واوصافهم على ما يريد وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لان يوم القيامة لا يكون فيه ولدان ولكن معناه ان هيبة ذلك بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب راسه من الهيبة ويقال هذا وقت الفزع قبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق والله اعلم الزمخشري وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اليوم اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيوخة والشيب **قوله تعالى** السما منفطر به اي متشققة لشدته ومعنى به اي فيه اي في ذلك اليوم لهوله هذا احسن ما قيل فيه ويقال مثقلة به اثقالا يودي الى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض وقيل به اي له اي لذلك اليوم يقال فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك والباء واللام وفي متقاربة في مثل هذا الموضع قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة اي في يوم القيامة وقيل به اي بالامر اي السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اي بامره وقال ابو عمرو بن العلا لم يقل منفطرة لان مجازها السقف تقول هذا سما البيت قال الشاعر

فلو رفع السماء اليه قوما ... لحقنا بالسماء وبالسحاب

وفي التنزيل وجعلنا السما سقفا محفوظا وقال الفرا السما تذكر وتونث وقال ابو علي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر وقال ابو علي هو من باب هو من ايضا اي السماء ذات انفطار كقولهم امراة مرضع اي ذات ارضاع فجرى على طريق النسب كان وعده اي بالقيامة والجزا والحساب مفعولا كاينا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله **قوله تعالى** ان هذه تذكرة يريد هذه السورة او الايات عظة وقيل ايات القران اذ هو كالسورة الواحدة فمن شا اتخذ الى ربه اي من اراد ان يومن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته وليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلايل وقيل نسخت باية السيف وكذلك قوله فمن شا ذكره قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ والله اعلم **قوله تعالى** ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخر السورة فيه ثلاثة عشر مسالة الاولى هذه الاية تفسير لقوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه كما تقدم

وهي الناسخة لفريضة صلاة الليل كما تقدم تقوم معناه تصلي وادنى اي اقل وقرا ابن السميقع وابو حيوة وهشام عن اهل الشام ثلثي باسكان اللام ونصفه وثلثه بالخفض قراءة العامة عطفا على ثلثي المعنى وتقوم ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله علم ان لن تحصوه فكيف يقومون نصفه او ثلثه وهم لا يحصونه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى التقدير تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه قال الفراء وهو اشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة القشيري وعلى هذه القراءة يحتمل انهم كانوا يصيبون الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون في الزيادة اصابة المقصود فاما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل انهم امروا بقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة والنقصان فكانوا ينتهون في الزيادة الى قريب من الثلثين وفي النصف الى الثلث ويحتمل انهم قدر لهم النصف وانقص الى الثلث والزيادة الى الثلثين وكان منهم من يفي بذلك ومنهم من يترك ذلك الى ان نسخ عنهم وقال قوم انما افترض عليهم الربع فكانوا ينقصون من الربع وهذا القول يحكم به الثانية **قوله تعالى** والله يقدر الليل والنهار اي يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها وانتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطا علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به وقيل ان لن تطيقوا قيام الليل والاول اصح فان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطي فانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم فقال تعالى علم ان لن تحصوه وان مخففة من الثقيلة اي علم انكم لن تحصوه لانكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكليف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم الثالثة **قوله تعالى** فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو وهذا يدل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل اي فتاب عليكم من فرض القيام اذ عجزتم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع لكم من تثقيل الى تخفيف ومن عسر الى يسر وانما امروا بحفظ الاوقات على طريق التحري فخفف عنهم ذلك التحري وقيل المعنى والله يقدر الليل والنهار يخلقهما مقدرين لقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم وانما يربط ما شاء من وظائف التكليف الرابعة **قوله تعالى** فاقرؤوا ما تيسر من القرآن فيه قولان احدهما ان المراد نفس القراءة اي فاقرؤوا فيما تصلونه بالليل ما خف عليكم قال السدي مائة آية الحسن من قرا مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرا في ليلة مائة آية كتب من القانتين ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو وقد ذكرناه في مقدمة الكتاب والحمد لله القول الثاني فاقرؤوا ما تيسر منه اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلاة تسمى قرآنا كقوله وقرآن الفجر اي صلاة الفجر ابن العربي وهو الاصح لانه عن الصلاة اخبر واليها يرجع القول قال الشيخ المؤلف رحمه الله الاول اصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الثاني مجاز فانه من تسمية الشيء ببعض ما هو من اعماله الخامسة قال بعض العلماء قوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه احتمل قول الله عز وجل فاقرؤوا ما تيسر منه معنيين احدهما ان يكون فرضا ثانيا لانه ازيل به فرض غيره والاخر ان يكون فرضا منسوخا ازيل بغيره كما ازيل به غيره وذلك لقول الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فاحتمل قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي تتهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه قال الشافعي فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلاة الا الخمس السادسة قال القشيري ابو نصر والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدي فالهدي لا بد منه كذلك لم يكن بد من صلاة الليل ولكن فوض قدره الى اختيار المصلي وعلى هذا فقال قوم فرض قيام الليل بالقليل وهو مذهب الحسن وقال قوم نسخ بالكلية ولا يجب صلاة الليل اصلا وهو مذهب الشافعي ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم هي هذا وهي قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه معناه اقرؤوا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم وصار قوم الى ان النسخ بالكلية تقرر في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فما كانت صلاة الليل واجبة عليه وقوله نافلة لك على حقيقة النفل ومن قال النسخ المقدار بقي اصل

وجوب

واصل التوبة الرجوع

وجوب قيام الليل ثم نسخ فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلوات لقوله اقم الصلاة لدلوك الشمس قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وما في الخبر من ان الزيادة على الصلوات الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة كما ان الفريضة وان خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا كانت عامة له ولغيره وقد قيل ان فريضة قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نسخ قول الله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى وجوب صلاة الليل السابعة **قوله تعالى** علم ان سيكون منكم مرضى الآية بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل فان الخلق منهم المريض ويشق عليهم قيام الليل ويشق عليهم ان تفوتهم الصلاة والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل والمجاهد كذلك فخفف الله عن الكل لاجل هؤلاء وان في سيكون مخففة من الثقيلة اي علم انه سيكون الثامنة سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله وروى ابراهيم عن علقمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء وقرا واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحلي ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق بيعه في السعر فقال التجار للوكيل ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال وتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي ويروى ان غلاما من اهل مكة كان ملازما للمسجد فافتقده ابن عمر فمشى الى بيته فقالت امه هو على طعيم له يبيعه فلقيه فقال له يا بني ما لك وللطعام فهلا ابلا فهلا بقرا فهلا غنما ان صاحب الطعام يحب المحل وصاحب الماشية يحب الغيث الخامسة **قوله تعالى** فاقرؤوا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب الله من صلاة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس على ما تقدم قال ابن العربي وقد قال قوم ان فرض قيام الليل سنن في ركعتين من هذه الآية قاله البخاري وغيره وعقد بابا وذكر فيه حديث يعقد الشيطان على قافية راس احدكم ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وذكر حديث سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا قال اما الذي يثلغ راسه بالحجر فانه ياخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وحديث عبد الله بن مسعود قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام الليل كله فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنه قال ابن العربي وهذه احاديث مقتضية مطلق الصلاة المكتوبة فيحمل المطلق على المقيد لاحتماله وليسقط الدعوى ممن عينه لقيام الليل وفي الصحيح واللفظ للبخاري قال عبد الله بن عمر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا ما اقره النبي صلى الله عليه وسلم ولا اخبر بمثل هذا الخبر عنه بل كان يذمه غاية الذم وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت غلاما شابا عزبا وكنت انام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت في النوم كان ملكين اخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البئر واذا لها قرنان واذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت اقول اعوذ بالله من النار قال ولقيت ملكا فقال لي لم ترع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام من الليل الا قليلا فلو كان نزل

القيام معصية لما قال له الملك لم تنوع العاشرة اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض وان قوله فاقرؤوا ما تيسر من القران فاقرؤوا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراءة في الصلاة فاختلف العلماء في قدر ما يلزمه ان يقرا به في الصلاة فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا يجزي العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل سورة ذكره القول الاول الماوردي والثاني ابن العربي والصحيح ما ذهب اليه مالك والشافعي على ما بيناه في سورة الفاتحة اول الكتاب والحمد لله وقيل ان المراد به قراءة القران في غير الصلاة قال الماوردي فعلى هذا يكون مطلق هذا الامر محمولا على الوجوب او على الاستحباب دون الوجوب وهذا قول الاكثرين لانه لو وجب عليه ان يقراه لوجب ان يحفظه الثاني محمول على الوجوب ليقف بقراءته على اعجازه وما فيه من دلايل التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه اذا قراه وعرف اعجازه ودلايل التوحيد منه ان يحفظه لان حفظ القران من القرب المستحبة دون الواجبة وفي قدر ما تضمنه هذا الامر من القراءة خمسة اقاويل احدها جميع القران لان الله تعالى يسره على عباده قاله الضحاك الثاني ثلث القران حكاه جويبر الثالث مايتا اية حكاه الماوردي الرابع مائة اية قاله ابن عباس الخامس ثلاث ايات كاقصر سورة قاله ابو خالد الكناني الحادية عشرة **قوله تعالى** وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها وآتوا الزكاة الواجبة في اموالكم قاله عكرمة وقتادة وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل افعال الخير وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص له والله اعلم الثانية عشرة **قوله تعالى** وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقد مضى في سورة الحديد بيانه وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله الثالثة عشرة **قوله تعالى** وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ كما تقدم في البقرة وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتخذ حيسا يعني تمرا بلبن فجاءه مسكين فاخذه ودفعه اليه فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين ما هو فقال عمر لكن رب المسكين يدري ما هو فكانه تاول وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا اي مما تركتم وخلفتم ومن الشح والتقصير واعظم اجرا قال ابو هريرة الجنة ويحتمل ان يكون اجرا لاعطائه بالحسنة عشرا ونصب خيرا واعظم على المفعول الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين لا محل له في الاعراب واعظم اجرا تمييز واستغفروا الله اي سلوه المغفرة لذنوبكم ان الله غفور رحيم لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير تم تفسير السورة بحمد الله والمنة

تفسير سورة المدثر

مكية في قول الجميع وهي ست وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فيه ست مسايل الاولى قوله يا ايها المدثر اي يا ذا الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام واصله المتدثر فادغمت التاء في الدال لتجانسها وقرا ابي المتدثر على الاصل وقال معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثثت منه فرقا فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وفي رواية قبل ان تفرض الصلاة وهي الاوثان قال ثم تتابع الوحي خرجه الترمذي ايضا وقال حديث حسن صحيح قال مسلم وحدثنا زهير بن حرب قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى يقول سالت ابا سلمة اي القران انزل قبل قال يا ايها المدثر فقلت او اقرا فقال سالت جابر بن عبد الله اي القران انزل قبل قال يا ايها المدثر فقلت او اقرا فقال جابر احدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم ار احدا ثم نوديت فنظرت فلم ار احدا ثم نوديت فرفعت راسي فاذا هو على العرش في الهوى يعني جبريل صلى الله عليه وسلم فاخذتني رجفة شديدة فاتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني فصبوا علي ماء فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر خرجه البخاري وقال فيه فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ابن العربي وقد قال بعض المفسرين انه جرى على النبي صلى الله عليه وسلم من عقبة امر فرجع الى منزله مغموما فقلق واضطجع فنزلت يا ايها المدثر وهذا باطل قال القشيري ابو نصر وقيل بلغه قول كفار مكة انت ساحر فوجد من ذلك غما وحم فتدثر بثيابه فقال الله تعالى قم فانذر اي لا تفكر في قولهم وبلغهم الرسالة وقيل اجتمع ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وايل والمطعم بن عدي وقالوا قد اجتمعت وفود العرب في ايام الحج وهم يتساءلون عن امر محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قائل يقول مجنون واخر يقول كاهن واخر يقول شاعر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام منهم رجل فقال شاعر فقال الوليد سمعت كلام ابن الابرص وامية بن ابي الصلت وما يشبه كلام محمد كلام واحد منهما فقالوا كاهن فقال الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد قط فقام اخر فقال مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط وانصرف الوليد الى بيته فقالوا صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل وقال ما لك يا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه انك قد احتجت وصبات فقال الوليد ما لي الى ذلك حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت ما يكون من الساحر فقيل يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المراة وزوجها فقلت انه ساحر فشاع هذا في الناس وصاحوا يقولون ان محمدا ساحر ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة ونزلت يا ايها المدثر وقال عكرمة معنى يا ايها المدثر اي المدثر بالنبوة واثقالها ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن تنبا بعد وعلى انها اول القران لم يكن تمكن منها بعد ان كانت ثاني ما نزل الثانية **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد ويا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في المزمل ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اذ نام في المسجد قم ابا تراب وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه واصابه ترابه خرجه مسلم ومثله قوله عليه السلام لحذيفة ليلة الخندق قم يا نومان وقد تقدم الثالثة **قوله تعالى** قُمْ فَأَنْذِرْ اي خوف اهل مكة وحذرهم العذاب اي ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته لانه مقدمة الرسالة وقيل هو دعاؤهم الى التوحيد لانه المقصود بها وقال الفراء قم فصل وامر بالصلاة الرابعة **قوله تعالى** وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ اي سيدك ومالكك ومصلح امرك فعظم وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي حديث انهم قالوا بم تفتتح الصلاة فنزلت وربك فكبر اي صفه بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة فانه مراد به التكبير والتقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه وقد روي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكرا بقوله الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارده منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالذبائح لله تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافرادا لما شرع لامره بالسفك قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد تقدم في اول البقرة ان هذا اللفظ الله اكبر هو المتعبد في الصلاة المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي التفسير انه لما نزل قوله وربك فكبر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة وعلمت انه الوحي من الله تعالى ذكره القشيري الخامسة الفاء في قوله فكبر دخلت على معنى جواب الجزاء كما دخلت في فانذر اي قم فانذر وقم فكبر ربك قاله الزجاج وقال ابن جني هو كقولك زيدا فاضرب اي زيدا اضرب فالفاء زائدة السادسة **قوله تعالى** وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ فيه ثمانية اقاويل احدها ان المراد بالثياب العمل الثاني القلب الثالث النفس الرابع الجسم الخامس الاهل السادس الخلق السابع الدين الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر فمن ذهب الى الاول قال تاويل الاية وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح وكان الرجل اذا كان خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان حسن العمل قالوا ان فلانا طاهر الثياب ونحوه عن السدي ومنه قول الشاعر

لاهم ان عامر بن جهم … اوذم حجا في ثياب دسم

ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء في ثوبيه الذي مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ومن ذهب الى الثاني قال تاويل الاية وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير دليله قول امرئ

القرض الحسن ما قصد به وجه الله

القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي اي قلبي من قلبك قال الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان احدهما
معناه وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي قاله ابن عباس وقتادة الثاني وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر
فتكون دنس الثياب وهذا مروي عن ابن عباس واستشهد بقول الشاعر هو غيلان بن سلمة الثقفي
بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدره اتقنع
ومن ذهب الى الثالث قال تاويل الاية ونفسك فطهر اي من الذنوب والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن
عباس ومنه قول عنترة فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
وقال امرئ القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي وقال
ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم عند المشاهد غران اي انفس بني عوف طهارى ومن ذهب
الى الرابع قال تاويل الاية وجسمك فطهر اي عن المعاصي الظاهرة ومما جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب
قول ليلى وذكرت ابلا رموها باثواب خفاف ولا ترى لها شبها الا النعام المنفرا
اي ركبوها فرموها بانفسهم ومن ذهب الى الخامس قال تاويل الاية واهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتاديب
والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال الله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن الماوردي ولهم في تاويل
الاية وجهان احدهما معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف الثاني الاستمتاع بهن في القبل دون
الدبر في الطهر والحيض حكاه ابن بحر ومن ذهب الى السادس قال تاويل الاية وخلقك فحسن قاله الحسن والقرظي لان خلق
الانسان مشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه وقال الشاعر
ويحيى لا يلام بسوء خلق ويحيى طاهر الاثواب حر
اي حسن الاخلاق ومن ذهب الى السابع قال تاويل الاية ودينك فطهر ففي الصحيحين عنه عليه السلام قال ورايت
الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب وعليه ازار يجره فقال يا رسول الله ما
اولت ذلك قال الدين وروى ابن وهب عن مالك انه قال ما يعجبني ان اقرا القران الا في الصلاة والمساجد
لا في الطرق قال الله تعالى وثيابك فطهر يريد مالك انه كنى عن الثياب بالدين وقد روى عبد الله بن نافع عن ابي بكر
بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن مالك بن انس في قوله وثيابك فطهر اي لا تلبسها على غدرة ومنه
قول ابي كبشة ثياب بني عوف طهارى نقية وجوههم عند المشاهد غران
يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم عن الدناءات ويعني بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات او جمالهم في الخلقة
او كليهما قاله ابن العربي وقال سفين بن عيينة لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم وقاله عكرمة
ومنه قول الشاعر او دفرجا في ثياب دسم اي قد دسمها بالمعاصي وقال النابغة
رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب
ومن ذهب الى الثامن وقال ان المراد بها الثياب الملبوسات فلهم في تاويله اربعة اوجه احدها معناه وثيابك
فانق ومنه قول امرئ القيس ثياب بني عوف طهارى نقية الثاني وثيابك فشمر وقصر وان تقصير
الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على الارض لم يؤمن ان يصيبها ما ينجسها قاله الزجاج وطاوس
الثالثة وثيابك فطهر من النجاسة بالماء قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء الرابع لا تلبس ثيابك الا من
كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام وعن ابن عباس لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر
ابن العربي وذكر بعض ما ذكرناه ليس بممتنع ان يحمل الاية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز واذا حملنا
على الثياب المعلومة الظاهرة فهي تتناول معنيين احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست
ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام من الانصار وقد راى رداءه مسترخيا ارفع ازارك
فانه اتقى وانقى وابقى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ازرة المومن الى انصاف ساقيه لا جناح
عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغاية في
لباس الازار الكعب وتوعد ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون
رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر وقائده العجب بمن لم يجعل الله معه غيره ولا الحق به سواه قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا ينظر الله الى من جر ثيابه خيلا ولفظ الصحيح من جر ازاره خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيامة قال
ابو بكر يا رسول الله ان احد شقي ازاري ليسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لست ممن يصنعه خيلا فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي واستثنى الصديق فاراد الادنيا الحاق

التسم

لا يلبس ثيابك الا من كسب حلال او يتقصير ان زيل [?]

انتسم بالرفعا وليس ذلك لهم والمعنى الثاني غسلها عن النجاسة وهو ظاهر منها صحيح فيها المهدوي وبه استدل
بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب قال ابن سيرين وابن زيد لا يصلى الا في ثوب طاهر واحتج بها الشافعي
على وجوب طهارة الثوب وليست طهارة الثوب عند مالك واهل المدينة بفرض وكذلك طهارة البدن ويدل
على ذلك الاجماع على جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل وقد مضى هذا المعنى في سورة براءة مستوفى
قوله تعالى والرجز فاهجر قال مجاهد وعكرمة يعني الاوثان دليله قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من
الاوثان وقاله ابن عباس وابن زيد وعن ابن عباس ايضا والماثم فاهجر اي فاترك وكذى روى مغيرة عن ابراهيم
النخعي قال الرجز الاثم وقال قتادة اساف ونائلة صنمان كانا عند البيت وقيل الرجز العذاب على تقدير حذف
المضاف والمعنى وعمل الرجز فاهجر والعمل المؤدي الى العذاب واصل الرجز العذاب قال الله تعالى لئن
كشفت عنا الرجز وقال فارسلنا عليهم رجزا من السماء فسميت الاوثان رجزا لانها تؤدي الى العذاب
وقراءة العامة الرجز بكسر الراء وقرا الحسن وعكرمة ومجاهد وابن محيصن وحفص عن عاصم والرجز بضم الراء
وهما لغتان مثل الذكر والذكر وقال ابو العالية والربيع والكسائي الرجز بالضم الصنم وبالكسر النجاسة
والمعصية وقال الكسائي ايضا بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدي الرجز بنصب الرا الوعيد
قوله تعالى ولا تمنن تستكثر فيه احدى عشر تاويلات الاول لا تمنن على ربك بما تتحمله من
اثقال النبوة كالذي يستكثر ما تحمله بسبب الغير الثاني لا تعط عطية تلتمس بها افضل منها قاله ابن
عباس وعكرمة وقتادة وقال الضحاك هذا حرمه الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه مامور باشرف
الاداب واجل الاخلاق واباحه لامته وقاله مجاهد الثالث عن مجاهد ايضا لا تضعف ان تستكثر
من الخير من قولك حبل متين اذا كان ضعيفا ودليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير الرابع عن
مجاهد ايضا والربيع لا يعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله عليك قال ابن كيسان
لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل لك سبيلا الى عبادته الخامس قال الحسن
لا تمنن على الله بعملك فتستكثره السادسة لا تمنن بالنبوة والقران على الناس فتاخذ منهم اجرا تستكثر به
السابع قال القرظي لا تعط مالك مصانعة الثامن قال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك التاسع
لا تقل دعوت فلم يستجب لي العاشر لا تعمل طاعة تطلب ثوابها ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذي يثيبك
عليها الحادي عشر لا تفعل الخير لترائي به الناس الثانية هذه الاقوال وان كانت مرادة فاظهرها قول ابن عباس
لا تعط لتاخذ اكثر مما اعطيت من المال يقال مننت فلانا كذا اي اعطيته ويقال للعطية المن فكانه امر بان تكون
عطاياه لله لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها لانه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال ما لي مما افاء الله عليكم
الا الخمس والخمس مردود فيكم فكان ما يفعل من نفقة عياله مصروفا الى مصالح المسلمين ولهذا لم يورث لانه
كان لا يملك لنفسه الادخار والاقتناء وقد عصمه الله عن الرغبة في شيء من الدنيا ولهذا حرمت عليه الصدقة
وابيحت له الهدية وكان يقبلها ويثيب عليها وقال لو دعيت الى ذراع لاجبت ولو اهدي الى كراع لقبلت
ابن العربي فكان يقبلها سنة ولا يستكثرها شرعة واذا كان لا يعطي عطية يستكثر بها فالاغنياء اولى
بالاجتناب لانها باب من ابواب المذلة وكذلك قول من قال ان معناه لا تعطي عطية تنتظر ثوابها فان
الانتظار تعلق بالاطماع وذلك في حيز بحكم الامتناع وقد قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وذلك جائز لسائر الخلق لانه من
متاع الدنيا وطلب الكسب والتكاثر بها واما من قال اراد به العمل اي لا تمنن على الله بعملك فتستكثره فهو صحيح
فان ابن ادم لو اطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر الثالثة قوله تعالى ولا تمنن قراءة العامة
باظهار التضعيف وقرا ابو السماك العدوي واشهب العقيلي والحسن ولا تمن مدغمة مفتوحة تستكثر قراءة
العامة بالرفع وهو في معنى الحال تقول جاء زيد يركض اي راكضا اي لا تعط شيئا مقدرا ان تاخذ بدله ما هو
اكثر منه وقرا الحسن بالجزم على جواب النهي وهو ردي لانه ليس بجواب ويجوز ان يكون بدلا من تمنن
كانه قال لا تستكثر وانكره ابو حاتم وقال لان المن ليس بالاستكثار فيبدل منه ويحتمل ان يكون اسكن
تخفيفا كعضد او ان يعتبر حال الوقف وقرا الاعمش ويحيى تستكثر بالنصب توهم لام كي كانه قال ولا تمنن
لتستكثر وقيل هو باضمار ان كقوله الا ايهاذا الزاجري احضر الوغا ويؤيده قراءة
ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر قال الكسائي فاذا حذف ان رفع وكان المعنى واحدا وقد يكون المن بمعنى

التعداد على المنعم عليه بالنعم فيرجع الى القول ويعضده قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقد
يكون مراده في هذه الاية **قوله تعالى** ولربك فاصبر اي ولسيدك ومالكك فاصبر على اداء فرايضه
وعبادته وقال مجاهد على ما اوذيت وقال ابن زيد حملت امرا عظيما محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله
وقيل فاصبر تحت موارد القضا لاجل الله تعالى وقيل فاصبر على البلوى لانه يمتحن اولياءه واصفياءه
وقيل على اوامره ونواهيه وقيل على فراق الاهل والاوطان **قوله تعالى** فاذا نقر في الناقور
اذا نفخ في الصور والناقور فاعول من النقر كانه الذي من شانه ان ينقر فيه للتصويت والنقر في كلام
العرب الصوت ومنه قول امري القيس اخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفا غير جاف غضيض
وهم يقولون نقر باسم الرجل اذا دعاه مختصا له بدعايه قال مجاهد وغيره هو كهيئة البوق ويعني به النفخة
الثانية وقيل الاولى لانها اول الشدة الهايلة العامة وقد مضى الكلام في هذا مستوفي في النمل والانعام
وفي كتاب التذكرة والحمد لله وعن ابي حباب قال امنا زرارة بن ابي اوفى فلما بلغ اذا نقر في الناقور خر ميتا
فذلك يومئذ يوم عسير اي فذلك اليوم يوم شديد على الكافرين اي على من كفر بالله وبانبيائه صلى الله عليهم
غير يسير اي غير سهل ولا هين وذلك ان عقدهم لا ينحل الا الى عقدة اشد منها بخلاف المومنين الموحدين
المذنبين فانها تنحل الى ما هو اخف حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى ويومئذ نصب على تقدير فذلك يومئذ يوم
عسير وقيل بتقديره في محل رفع فذلك في يومئذ وقيل يجوز ان يكون رفعا الا انه بني على الفتح لاضافته
الى غير متمكن **قوله تعالى** ذرني ومن خلقت وحيدا ذرني اي دعني وهي كلمة وعيد وتهديد
ومن خلقت اي دعني والذي خلقته وحيدا فوحيدا على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف اي خلقته وحده
لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته والمفسرون على انه الوليد بن المغيرة المخزومي وان كان
الناس خلقوا مثل خلقه وانما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وايذا الرسول عليه السلام وكان يسمى الوحيد
في قومه قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير
وكان يسمى الوحيد فقال الله تعالى ذرني ومن خلقته بزعمه وحيدا لا ان الله صدقه بانه وحيد وقال قوم ان
قوله وحيدا يرجع الى الرب تعالى على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل
منتقم والثاني اني انفردت بخلقه ولم يشركني فيه احد فانا اهلكه ولا احتاج الى ناصر في هلاكه
فوحيدا على هذا حال من ضمير الفاعل وهي التاء في خلقت والاولى قول مجاهد اي خلقته وحيدا في بطن
امه لا مال له ولا ولد فانعمت عليه فكفر فقوله وحيدا على هذا يرجع الى الوليد اي لم يكن له شيء فملكته
وقيل اراد بذلك ليدله على انه يبعث وحيدا كما خلق وحيدا وقيل الوحيد الذي لا يعرف ابوه وكان الوليد
معروفا فانه دعي كما ذكرنا في قوله عتل بعد ذلك زنيم وهي صفة الوليد ايضا **قوله تعالى**
وجعلت له مالا ممدودا اي خولته فاعطيته مالا ممدودا وهو ما كان للوليد بين مكة والطايف
من الابل والحجور والنعم والجنان والعبيد والجواري كذا كان ابن عباس يقول وقال مجاهد غلة الف
دينار وقاله سعيد بن جبير وابن عباس وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري وقتادة
اربعة الاف دينار الثوري ايضا الف الف دينار مقاتل كان له بستان لا ينقطع رزقه بل يتوالى كالضرع
والزرع والتجارة **قوله تعالى** وبنين شهودا اي حضورا لا يغيبون عنه في تصرف قال مجاهد وقتادة
كانوا عشرة وقيل اثنا عشر قاله السدي والضحاك قال الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا
بالطايف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلاثة خالد
وهشام والوليد بن الوليد قال فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك
وقيل شهودا اذا ذكر ذكروا معه قاله ابن عباس وقيل شهودا اي قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده
والقيام بما كان يباشره وقول السدي اي حاضرين مكة لا يظعنون عنه في تجارة ولا يغيبون
قوله تعالى ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بسطا حتى اقام ببلدته مطمينا
مترفها يرجع الى رايه والتمهيد عند العرب التوطية والتهنية ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس
ومهدت له تمهيدا اي وسعت له ما بين اليمن الى الشام وقاله مجاهد وعن مجاهد ايضا في مهدت له تمهيدا
انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش **قوله تعالى** ثم يطمع ان ازيد ثم ان الوليد يطمع
بعد هذا كله ان ازيد في المال والولد كلا ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم وقال الحسن وغيره

انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير

اي ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي فقال الله ردا عليه
وتكذيبا له كلا اي لست ازيده فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك وثم في قوله
ثم يطمع ليست بثم التي للنسق ولكنها للتعجب وهي كقوله وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون وذلك كما تقول اعطيتك ثم انت تجفوني كالمتعجب من ذلك وقيل يطمع ان اترك ذلك في عقبه
وذلك انه كان يقول ان محمدا مبتور اي ابتر وينقطع ذكره بموته وكان يظن ان ما رزق لا ينقطع بموته
وقيل اي ثم يطمع ان انصره على كفره وكلا قطع الرجا عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا
بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويكون ابتدا انه يعني الوليد لاياتنا عنيدا اي معاندا للنبي
عليه السلام وما جاء به يقال عاند فهو عنيد مثل جالس فهو جليس قاله مجاهد وعند يعند بالكسر
اي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد
والجمع عند مثل راكع وركع قاله ابو عبيدة وانشد قول الحارثي

> اذا ركبت فاجعلاني وسطا ... اني كبير لا اطيق العندا

وقال ابو صالح عنيدا معناه مباعدا قال الشاعر

> ارانا على حال تفرق بيننا ... نوى غربة ان الفراق عنود

قتادة جاحدا مقاتل
معرضا ابن عباس جحودا وقيل انه المجاهر المجاهر بعداوته وعن مجاهد ايضا قال مجانبا للحق معاندا له معرضا
عنه والمعنى كله متقارب والعرب تقول عند الرجل اذا عتا وجاوز قدره والعنود من الابل
التي لا تخالط الابل انما هي في ناحية ورجل عنود اذا كان يحل وحده لا يخالط الناس والعنيد من التجبر
وعرق عاند اذا لم يرقا دمه كل هذا قياس واحد وقد مضى في سورة ابراهيم وجمع العنيد عند مثل رغيف
ورغف **قوله تعالى** سارهقه صعودا اي ساكلفه وكان ابن عباس يقول سالجيه والارهاق
في كلام العرب ان يحمل الانسان على الشيء صعودا الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا
ثم يهوي به كذلك فيه ابدا رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذي وقال
فيه حديث غريب وروى عطية عن ابي سعيد قال صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت فاذا رفعوها
عادت قال فيبلغ اعلاها في اربعين سنة يجذب امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى اذا بلغ اعلاها
رمي به الى اسفلها فذلك دابه ابدا وقد مضى هذا المعنى في سورة قل اوحي وفي تفسير الاية صخرة ملسا
يكلف صعودها فاذا صار في اعلاها حدر في جهنم فيقوم يهوي الف عام من قبل ان يبلغ قرار جهنم يحترق
في كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقا جديدا وقال ابن عباس المعنى ساكلفه مشقة من العذاب
لا راحة له فيه ونحوه عن الحسن وقتادة وقيل انه تصاعد نفسه للنزع وان لم يتعقبه موت ليعذب من
داخل جسده كما يعذب من خارجه **قوله تعالى** انه فكر وقدر يعني الوليد فكر في شان النبي
صلى الله عليه وسلم والقران وقدر اي وهيا الكلام في نفسه والعرب تقول قدرت الشيء اذا هياته
وذلك انه لما نزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم العليم الى قوله اليه المصير سمعه الوليد يقروها
فقال والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وعليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت قريش صبا
الوليد لتصبون قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا
فقال له ما لي اراك حزينا فقال له وما لي لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك
ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب
الوليد وتكبر وقال انا احتاج الى كسر محمد وصاحبه فانتم تعلمون قدر مالي واللات والعزى ما بي حاجة الى
ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه قط يخنق قالوا لا والله قال فتزعمون انه كاهن فهل
رايتموه تكهن قط ولقد راينا الكهنة واسجاعها وتخالجها فهل رايتموه كذلك قالوا لا والله قال وتزعمون انه شاعر
فهل رايتموه نطق بشعر قط قالوا لا قال فتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط فقالوا لا وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الامين من كثرة صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس
فقال ما هذا الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل والمراة واهله وولده ومواليه فذلك قوله تعالى انه فكر
اي في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول فيهما فقتل اي لعن وكان بعض اهل التاويل يقول

معناها قهر وغلب وكل مذلل مقتل قال وما ذرفت عيناك الا لتقدحي بسهميك في اعشار قلب مقتل
وقال الزهري عذب وهو من باب الدعا كيف قدر قال ناس كيف تعجب كما يقال للرجل تتعجب من صنعه
كيف فعلت هذا وذلك كقوله انظر كيف ضربوا لك الامثال ثم قتل اي لعن لعنا بعد لعن وقيل فقتل
بضرب من العقوبة ثم قتل بضرب آخر من العقوبة ثم قتل كيف قدر اي على اي حال قدر ثم نظر باي شي يرد
الحق ويدفعه ثم عبس اي قطب بين عينيه في وجوه المؤمنين وذلك انه لما حمل قريشا على ما حملهم عليه من
القول في محمد صلى الله عليه وسلم بانه ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم
وقيل عبس وبسر على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا يعبس عبسا وعبوسا
اذا قطب والعبس ما يتعلق باذناب الابل من ابعارها وابوالها قال ابو النجم

كان في اذنابهن الشول من عبس | الصف قرون الابل وبسر الي كلح وجهه وتغير لونه

قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر بن ابي حازم

صبحنا تميما غداة الجفا | بشهبا ململمة باسرة

قال آخر

وقد رابني منها صدود رايته | واعراضها عن حاجتي وبسورها

قوله بشهبا اراد بكتيبة شهبا ومنه قول عنترة

وكتيبة لبستها بكتيبة | شهبا باسلة يخاف رداها

ويقال كتيبة ململمة
وملمومة ايضا اي مجتمعة مضمومة بعضها الى بعض وصخرة ململمة وململمة اي مستديرة صلبة قاله الجوهري
وقيل اي ظهور العبوس في الوجه بعد المحاورة وظهور العسور في الوجه قبل المحاورة وقال قوم بسر وقف
لا يتقدم ولا يتاخر قالوا وكذلك تقول اهل اليمن اذا وقف المركب فلم يجي ولم يذهب قد بسر المركب
وابسر اي وقف وقد ابسرنا والعرب تقول وجه باسر بين البسور اذا تغير واسود ثم ادبر اي ولى واعرض
ذاهبا الى اهله واستكبر اي تعظم عن ان يومن وقيل ادبر عن الايمان واستكبر اي تعظم حين دعي اليه فقال
ان هذا الذي اي محمد صلى الله عليه وسلم الا سحر يوثر اي ياثره عن غيره والسحر الخديعة وقد تقدم بيانه في البقرة
وقال قوم السحر اظهار الباطل في صورة الحق والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره اذا ذكرته عن غيرك ومنه
قيل حديث ماثور اي ينقله خلف عن سلف قال امرؤ القيس

ولو عن ساغيره جاءني | وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول ما لا يزال | يوثر عني يد المسند

يريد آخر الدهر وقال الاعشى

ان الذي فيه تماريتما | بين للسامع والآثر

ويروى بين ان هذا الا قول البشر اي ما هذا الا كلام المخلوقين يخدع به القلوب كما يخدع بالسحر قال
السدي يعنون انه من قول ابي يسار عبد بني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه الى انه تعلم منه
ذلك وقيل اراد انه تلقنه من اهل بابل وقيل عن مسيلمة وقيل عن عدي الحضرمي الكاهن وقيل انما تلقنه ممن ادعى
النبوة من قبل فنسج على منوالهم وقال ابو سعيد الضرير ان هذا الا سحر يوثر اي يورث سأصليه سقر اي سادخله
سقر كي يصلى حرها انما سميت سقر من سقرته الشمس اذا اذابته ولوحته واحرقت جلدة وجهه ولا ينصرف
للتعريف والتانيث قال ابن عباس هو الطبق السادس من جهنم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سال موسى ربه فقال اي رب اي عبادك افقر فقال صاحب سقر ذكره الثعلبي وما ادراك ما سقر
هذا مبالغة في وصفها اي وما اعلمك اي شي هي وهي كلمة تعظيم ثم فسر حالها فقال لا تبقي ولا تذر
اي لا تترك لهم لحما ولا عظما ولا دما الا احرقته وكرر اللفظ تاكيدا وقيل لا تبقي منهم شيئا ثم يعادون
خلقا جديدا ولا تذر ان يعاودوا احراقهم هكذا ابدا وقال مجاهد لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا
تحرقهم كلما جددوا وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما لواحة للبشر اي مغيرة من لاح اذا غيره
وقراءة العامة لواحة بالرفع نعت لسقر في قوله وما ادراك ما سقر وقرا عطية العوفي ونصر بن عاصم
وعيسى بن عمر لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل وقال ابو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعها اشد سوادا
من الليل وقاله مجاهد والعرب تقول لاحه البرد والحر والسقم والحزن اذا غيره ومنه قول الشاعر

تقول ما لاحك يا مسافر | يا بنة عمي لاحني الهواجر

وقال

وتعجب هند ان راتني شاحبا | تقول لشي لوحته السمائم

وقال روبة بن العجاج

لوح منه بعد بدن شبق | تلويحك الضامر يطوي للسبق

السحر اظهار الباطل في صورة الحق

وقيل ان اللوح شدة العطش ولوحه اي عطشه والمعنى انها معطشة للبشر اي لاهلها قاله الاخفش وانشد

سقتني على لوح بشربة | سقاها به الله الرهام العواذبا

يعني باللوح شدة العطش والتاح اي عطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطر الضعيفة وارهمت
السحابة اتت بالرهام وقال ابن عباس لواحة اي تلوح للبشر من مسيرة خمس مائة عام الحسن وابن كيسان
تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره وبرزت الجحيم للغاوين وفي البشر وجهان احدهما الانس من اهل
النار قاله الاخفش والاكثرون الثاني انه جمع بشرة وهي جلدة الانسان الظاهرة قاله مجاهد وقتادة
وجمع البشر ابشار وهذا على التفسير الاول واما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه الا الناس لا الجلود
لانه من لاح الشي يلوح اذا لمع **قوله تعالى** عليها تسعة عشر اي على سقر تسعة عشر من الملايكة
هم خزنتها مالك وثمانية عشر ملكا ويحتمل ان تكون التسعة عشر نقيبا ويحتمل ان يكون تسعة
عشر ملكا باعيانهم وعلى هذا اكثر المفسرين قال الثعلبي ولا ينكر هذا فاذا كان ملك واحد يقبض ارواح
الخلايق كان احرى ان يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلق وقال ابن جريج نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم خزنة جهنم فقال كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم من
القوة مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرميهم في النار ويرمي عليهم الجبل قال
الشيخ المولف رحمه الله وذكر ابن المبارك قال اخبرنا حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس عن رجل من بني تميم
قال كنا عند ابي العوام فقرا هذه الاية وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها
تسعة عشر فقال ما تسعة عشر تسعة عشر الف ملك او تسعة عشر ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا
قال واني تعلم ذلك فقلت يقول الله عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا قال صدقت هم
تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها سبعين الفا وعن عمرو بن دينار
واحد منهم يدفع الدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وخرج الترمذي عن عبد الله قال قال
ناس من اليهود لاناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى نسال
فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب اصحابك اليوم فقال وبما ذا غلبوا قال سالهم يهود هل
يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فما ذا قالوا قالوا لا ندري حتى نسال نبينا قال افغلب قوم سيلوا عما لا يعلمون فقالوا
لا نعلم حتى نسال نبينا لكنهم قد سالوا نبيهم فقالوا ارنا الله جهرة علي باعدا الله اني سايلهم عن تربة الجنة
وهي الدرمك فلما جاوا قالوا يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة
قالوا نعم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا ثم قالوا خبزة يا ابا القاسم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخبز من الدرمك قال ابو عيسى هذا حديث انما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد عن الشعبي
عن جابر وذكر ابن وهب قال وحدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين
منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب وقال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان
يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين الف انسان في قعر جهنم قال الشيخ المولف رحمه الله والصحيح ان شا الله
ان هولاء التسعة عشر هم الروسا والنقبا واما جملتهم فالعبارة عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد
ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف
زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل عليها تسعة عشر قال
ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم اي العدد
والشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم قال السدي فقال ابو الاسد بن كلدة الجمحي لا يهولنكم التسعة
عشر انا ادفع بمنكبي الايمن عشرة من الملايكة وبمنكبي الايسر التسعة ثم تمرون الى الجنة يقولها مستهزيا في
رواية ان الحارث بن كلدة قال انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين وقيل ان ابا جهل قال افيعجز
كل مائة ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فنزل قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة اي لم نجعلهم
رجالا فتتعاطون مغالبتهم وقيل جعلهم ملايكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم
ما ياخذ المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق بحق الله وبالغضب له فيومن هوادتهم
ولانهم اشد الخلق باسا واقوى بطشا وما جعلنا عدتهم الا فتنة اي بلية وروي عن ابن عباس من غير وجه
قال ضلالة للذين كفروا يريد ابا جهل وذويه وقيل الا عذابا كما قال يوم هم على النار يفتنون ذوقوا

فتنتكم اي جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب ذلك العذاب وفي تسع عشر سبع قراات قراة العامة تسعة
عشر وقرا ابو جعفر بن القعقاع وطلحة بن سليمان تسعة عشر باسكان العين وعن ابن عباس تسعة عشر
بضم الهاء وعن انس بن مالك تسعة وعشرة عنه ايضا تسعة عشر وعنه ايضا تسعة اعشر وعنه ايضا تسعة
وعشر ذكرها المهدوي وقال من قرا تسعة عشر اسكن العين لتوالي الحركات ومن قرا تسعة وعشر جاء
به على الاصل قبل التركيب وعطف عشرا على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال واسكن الرا من عشر
على نية السكوت عليها ومن قرا تسعة عشر فكانه من التداخل كانه اراد العطف وترك التركيب فرفع على التاء
ثم راجع البنا فاسكن واما تسعة اعشر فغير معروف وقد انكرها ابو حاتم وكذلك تسعة وعشر لانها محمولة
على تسعة اعشر والواو بدل من الهمزة وليس كذلك وجه عند النحويين الزمخشري وقرى تسعة اعشر
جمع عشير مثل يمين وايمن **قوله تعالى** ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليوقن الذين اعطوا
التوراة والانجيل ان عدد خزنة جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم
ثم يحتمل انه يريد الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام ويحتمل ان يريد الكل ويزداد الذين امنوا ايمانا بذلك
لانهم كلما صدقوا بما في كتاب الله امنوا ثم ازدادوا ايمانا لتصديقهم بعدد خزنة جهنم ولا يرتاب اي ولا
يشك الذين اوتوا الكتاب اي اعطوا الكتاب والمومنون المصدقون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في ان عدد
خزنة جهنم تسعة عشر وليقول الذين في قلوبهم مرض اي في صدورهم شك ونفاق من منافقي اهل المدينة
الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة وقيل المعنى اي وليقول
المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة والكافرون اي اليهود والنصارى ماذا اراد الله
بهذا مثلا يعني بعدد خزنة جهنم وقال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض
في هذه الاية الخلاف والكافرون اي مشركو العرب وعلى القول الاول اكثر المفسرين ويجوز ان يراد بالمرض
الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله تعالى اخبارا عنهم
ماذا اراد الله اي ما اراد الله بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا من الحديث قال الليث المثل الحديث
ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها كذلك اي كاضلال الله ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة
جهنم يضل الله من يشا اي يخزي من يشا كارشاده اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذلك يضل الله عن الجنة
من يشا ويهدي اليها من يشا وما يعلم جنود ربك الا هو وما يدري عدد ملائكة ربك الذين خلقهم
لتعذيب اهل النار الا هو اي الا الله جل ثناوه وهو جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد من الجنود الا تسعة
عشر وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم غنايم حنين فاتاه جبريل فجلس عنده فاتى ملك
فقال ان ربك يامرك بكذا وكذا فخشي النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون شيطانا فقال يا جبريل اتعرفه
قال هو ملك وما كل ملايكة ربك اعرف وقال الاوزاعي قال موسى يا رب من في السما قال ملايكتي
قال كم عدتهم قال اثني عشر سبطا قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب ذكرهما الثعلبي وفي الترمذي
عن النبي صلى الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
لله ساجدا **قوله تعالى** وما هي الا ذكرى للبشر يعني الدلايل والحجج والقران وقيل وما هي اي وما
هذه النار التي هي سقر الا ذكرى للبشر اي عظة للبشر للخلق وقيل نار الدنيا تذكرة لنار الاخرة
قاله الزجاج وقيل اي وما هي اي عدة خزنة جهنم الا ذكرى للبشر اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وانه لا يحتاج
الى اعوان وانصار والكناية على هذا في قوله وما هي ترجع الى الجنود لانه اقرب مذكور **قوله تعالى**
كلا والقمر قال الفرا كلا صلة للقسم التقدير اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين
التقديرين على كلا واجاز الطبري الوقف عليها وجعلها ردا للذين زعموا انهم يقاومون خزنة
جهنم اي ليس الامر كما يقول من زعم انه يقاوم خزنة النار ثم اقسم على ذلك جل وعز بالقمر وبما بعده
فقال والليل اذ ادبر اي ولى وكذلك دبر وقرا نافع وحمزة وحفص اذ دبر الباقون اذا دبر بالف
وبغير الف وهما لغتان بمعنى يقال دبر وادبر وكذلك قبل الليل واقبل وقد قالوا امس الدابر والمدبر
قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي ولقد قتلتكم ثناء وموحدا
وتركت مرة مثل امس الدابر ويروى المدبر وهذا قول الفرا والاخفش وقال بعض اهل اللغة
دبر الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقال مجاهد سالت ابن عباس عن قوله والليل اذا دبر فسكت

قال موسى يا رب من في السما قال ملايكتي

فسكت حتى اذا ادبر قال يا مجاهد هذا حين دبر الليل وقرا محمد بن السميقع والليل اذا ادبر الفين وكذلك
في مصحف عبد الله وابي بالفين وقال قطرب من قرا ادبر فيعني اقبل من قول العرب دبر فلان اذا جاء
من خلفي قال ابو عمرو وهي لغة قريش وقال ابن عباس في رواية عنه الصواب ادبر انما يدبر ظهر البعير
واختار ابو عبيد دبر قال لانها اكثر موافقة للحروف الذي تليه الا تراه يقول والصبح اذا اسفر
فكيف يكون احدهما اذ والاخر اذا وليس في القران قسم يعقبه اذا وانما يتعقبه اذا ومعنى اسفر اضاء وقراة
العامة اسفر بالالف وقرا ابن السميقع وهما لغتان يقال سفر وجه فلان واسفر اذا اضا وفي الحديث
اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر اي صلوا صلاة الصبح مسفرين ويقال طولوها الى الاسفار
والاسفار الانارة واسفر وجهه حسنا اي اشرق واسفرت المراة كشفت عن وجهها فهي سافر
ويجوز ان يكون من سفر الظلام اي كنسه كما يسفر البيت اي يكنس ومنه السفير لما سقط من ورق الشجر
وتحات ويقال انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والمسفرة المكنسة مسالة تقدم الخلق
في هذه الاية على الاسفار بالصبح **قوله تعالى** انها لاحدى الكبر جواب القسم اي ان هذه النار
لاحدى الكبر اي لاحدى الدواهي وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسما النار وروي عن ابن عباس انها اي ان
تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي لكبيرة من الكباير وقيل اي ان قيام الساعة لاحدى
الكبر والكبر هي العظايم من العقوبات قال الراجز يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر
داهية الدهر وصما الغير وواحد الكبر كبرى مثل الصغرى والصغر والعظمى والعظم
وقراة العامة لاحدى وهو اسم بني ابتدا للتانيث وليس مبنيا على المذكر نحو عقبى واخرى والفه
الف قطع لا يذهب في الوصل وروى جرير بن حازم عن ابن كثير انها لحدى الكبر بحذف الهمزة نذيرا للبشر
يريد النار اي ان هذه النار الموصوفة نذير للبشر فهو نصب على الحال من المضمر في انها قاله الزجاج وذكر ان
معناه معنى العذاب اراد ذات انذار على معنى النسب كقولهم امراة طالق وطاهر وقال الخليل
النذير مصدر كالنكير ولذلك يوصف به المونث وقال الحسن والله ما انذر الخلايق بشي ادهى منها وقيل المراد
بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم اي قم نذيرا للبشر اي مخوفا لهم فنذيرا حال من قم في اول السورة حين قال
قم فانذر قاله ابو علي الفارسي وابن عيسى وروي ذلك عن ابن زيد قال ابن الانباري وقال بعض المفسرين معناه
يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وقيل هو من صفة الله تعالى
روى ابو معاوية الضرير حدثنا اسمعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر قال يقول الله عز وجل
انا لكم منها نذير فاتقوها ونذيرا على هذا نصب على الحال وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة منذرا بذلك
البشر وقيل هو حال من هو في قوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل هو في موضع المصدر كانه قال
انذارا للبشر قال الفرا يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا فهو كقوله فكيف كان نذيري
انذاري فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة اي قم فانذر انذارا وقيل هو منصوب باضمار فعل وقرا
ابن ابي عبلة نذير بالرفع على اضمار هو وقيل اي ان القران نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد
قوله تعالى لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اللام متعلقة بنذيرا اي نذيرا لمن شاء منكم ان
يتقدم الى الخير والطاعة او يتاخر الى الشر والمعصية نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم اي في الخير
ولقد علمنا المستاخرين عنه قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله فمن شا فليومن
ومن شا فليكفر وقال بعض اهل التاويل معناه لمن شا الله ان يتقدم او يتاخر فالمشية متصلة بالله
جل ثناوه والتقديم الايمان والتاخير الكفر وكان ابن عباس يقول هذا تهديد واعلام ان من تقدم الى
الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله
عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع وقال السدي لمن شا منكم ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر
عنها الى الجنة **قوله تعالى** كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما خلصها واما
اوبقها وليست رهينة تانيث رهين في قوله كل امري بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصد
الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما هو اسم بمعنى الرهن كالشتيمة
بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهين ومنه بيت الحماسة
ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

قال رهين رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك بها الا اصحاب اليمين فانهم لا يرتهنون بذنوبهم واختلف في تعيينهم فقال ابن عباس الملايكة وعلي ابن ابي طالب اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم الضحاك الذين سبقت لهم منا الحسنى عن ابن جريج قال كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا قال مقاتل ايضا قال هم اهل الجنة الذين كانوا عن يمين ادم يوم الميثاق حين قال الله لهم هولاء في الجنة ولا ابالي وقال الحسن وابن كيسان هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابو جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا اهل البيت فهم المرتهنون وقال الحكم هم الذين اختارهم الله لخدمته فلم يدخلوا في الرهن لانهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم وقال القاسم كل نفس ماخوذة بكسبها من خير او شر لان من اعتمد على الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة فكل من اعتمد على الكسب فهو مرهون وكل من اعتمد على الفضل فهو غير ماخوذ به في جنات اي في بساتين يتساءلون اي يسالون عن المجرمين اي المشركين ما سلككم اي ادخلكم في سقر كما تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته فيه قال الكلبي يسال الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان وفي قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلكك في سقر وعنه قال قرا عمر ابن الخطاب يا فلان سلككم في سقر وهي قراءة على التفسير لا انها قران كما زعم من طعن في القران قاله ابو بكر بن الانباري وقيل ان المومنين يسالون الملايكة عن اقربايهم فيسال الملايكة المشركين فيقولون ما سلككم في سقر قال الفرا في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب قالوا يعني اهل النار لم نك من المصلين اي المومنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي لم نك نتصدق وكنا نخوض مع الخائضين اي كنا نخالط اهل الباطل في باطلهم وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين اي في امر محمد عليه السلام وهو كقولهم كاهن مجنون شاعر ساحر وقال السدي اي وكنا نكذب مع المكذبين وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقيل معناه وكنا اتباعا ولم نك متبوعين وكنا نكذب بيوم الدين اي لم نك نصدق بيوم القيامة يوم الجزا والحكم **قوله تعالى** حتى اتانا اليقين اي جانا ونزل بنا الموت ومنه قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين **قوله تعالى** فما تنفعهم شفاعة الشافعين هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين وذلك ان قوما من اهل التوحيد عذبوا بذنوبهم ثم شفع فيهم فرحمهم الله بتوحيدهم وبالشفاعة فاخرجوا من النار وليس للكفار شفيع يشفع فيهم وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملايكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود فهولاء الذين يبقون في جهنم وقد ذكرنا اسناده في التذكرة **قوله تعالى** فما لهم عن التذكرة معرضين اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا عما جيتهم به وفي تفسير مقاتل الاعراض عن القران من وجهين احدهما الجحود والانكار والوجه الاخر ترك العمل بما فيه ومعرضين نصب على الحال على معنى الفعل كانهم اي كان هولاء الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفرة قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية وقرا نافع وابن عامر بفتح الفا اي منفرة مذعورة واختاره ابو عبيد وابو حاتم الباقون بالكسر اي نافرة يقال نفرت واستنفرت بمعنى مثل عجبت واستعجبت وسخرت واستسخرت وانشد الفرا

امسك حمارك انه مستنفر ... في اثر احمرة عمدن لغرب

قوله تعالى فرت اي نفرت وهربت من قسورة اي من رماة يرمونها وقال بعض اهل اللغة ان القسورة الرامي وجمعه القسورة وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن يسار القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطا عن ابن عباس وابو ظبيان عن ابي موسى الاشعري وقيل انه الاسد قال ابو هريرة وابن عباس ايضا ابن عرفة من القسر بمعنى القهر اي انه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع وروى ابو جمرة عن ابن عباس قال ما اعلم القسورة الاسد في لغة احد من العرب ولكنها عصب الرجال قال والقسورة جمع الرجال وانشد

يا بنت كوني خيرة لخيرة ... اخوالها الجن واهل القسورة

وعنه ركز الناس اي حسهم واصواتهم وعنه ايضا فرت من قسورة اي من حبال الصيادين وعنه ايضا

هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين

القسورة بلسان العرب الاسد وبلسان الحبشة الرماة وبلسان فارس شير وبلسان القبط اريا وقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل اي فرت من ظلمة الليل وقاله عكرمة ايضا وقيل هو سواد اول الليل ولا يقال لاخر سواد الليل قسورة وقال زيد بن اسلم من رجال اقويا وكل شديد عند العرب فهو قسورة وقسور وقال لبيد بن ربيعة

اذا ما هتفنا هتفة في ندينا ... اتانا الرجال العائدون القساور

قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة اي يعطى كتبا مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد ايتنا بكتب من رب العالمين اي قد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم نطيعه لن نومن لك حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براته وامنه من النار قال مطر الوراق ارادوا ان يعطوا بغير عمل وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرايل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك وقال مجاهد ارادوا ان ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل الى فلان بن فلان وقيل المعنى ان يذكر بذكر جميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب علينا فما بالنا لا نرى ذلك كلا اي ليس يكون ذلك وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم لا يخافون الاخرة اي لا اعطيهم ما يتمنون لانهم لا يخافون الاخرة اغترارا بالدنيا وقرا سعيد بن جبير صحفا منشرة بسكون الحا والنون فاما تسكين الحا فتخفيف واما تسكين النون فشاذ انما تقول نشرت الثوب وشبهه ولا يقال انشرت ويجوز ان يكون شبه الصحيفة بالميت كانها ميتة بطيها فاذا نشرت حييت فجاء على انشر الله الميت كما شبه احيا الميت بنشر الثوب فقيل فيه نشر الله الميت فهي لغة فيه **قوله تعالى** كلا انها تذكرة اي حقا ان القران عظة فمن شاء ذكره اي اتعظ به وما يذكرون اي ما يتعظون الا ان يشا الله اي ليس يقدرون على الاتعاظ والتذكر الا بمشية الله ذلك لهم وقراءة العامة تذكرون بالتا واختاره ابو حاتم لانه اعم واتفقوا على تخفيفها هو اهل التقوى واهل المغفرة في الترمذي وسنن ابن ماجة عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له لفظ الترمذي وفيه حديث حسن غريب وفي بعض التفسير قال اهل المغفرة لمن تاب اليه من الذنوب الكبار واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار باجتناب الذنوب الكبار وقال محمد بن نصر انا اهل ان يتقيني عبدي فان لم يفعل كنت اهلا ان اغفر له ختم تفسير السورة المباركة بحمد الله الملك الودود

تفسير سورة القيامة

مكية وهي تسع وثلاثون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لا اقسم بيوم القيامة قيل ان لا صلة وجاز وقوعها في اول السورة لان القران متصل بعضه ببعض فهو في حكم كلام واحد ولهذا قد يذكر الشي في سورة ويجي جوابه في سورة اخرى كقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة اخرى وما انت بنعمة ربك بمجنون ومعنى الكلام اقسم بيوم القيامة قاله ابن عباس وابن جبير وابو عبيدة ومثله قول الشاعر

ذكرت ليلى فاعترتني صبابة ... فكاد صميم القلب لا يتقطع

وحكى ابو الليث السمرقندي ان معنى لا اقسم اقسم واختلفوا في تفسير لا فقال بعضهم لا زيادة في الكلام للزينة ويجري في كلام العرب زيادة لا كما قال في اية اخرى قال ما منعك ان لا تسجد يعني ان تسجد وقال بعضهم لا رد لكلامهم حيث انكروا البعث فقال ليس الامر كما ذكرتم قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا قول الفرا وكثير من النحويين يقولون لا صلة ولا يجوز ان يبتدا جحد ثم يجعل صلة لان هذا لو كان كذا لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه ولكن القران جا بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجا الاقسام بالرد عليهم وذلك كقولهم لا والله لا افعل فلا رد لكلام قد مضى وكذلك كقولك لا والله ان القيمة لحق كانك اكذبت قوما انكروه وانشد غير الفرا لامري القيس

فلا وابيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم اني افر

وقال غوية بن سلمى

الا نادت امامة باحتمالي ... لتحزنني فلا بك ما ابالي

وفايدتها توكيد القسم في الرد قال الفرا وكان من لا يعرف هذه الجهة يقرا لاقسم بغير الف كانها لام تاكيد

دخلت على اقسم وهو صواب لان العرب تقول لا اقسم بالله وهي قراءة الحسن وابن كثير والزهري وابن هرمز بيوم القيامة اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم ولله عز وجل ان يقسم بما شاء ولا اقسم بالنفس اللوامة لاخلاف في هذا بين القرا انه سبحانه انما اقسم بيوم القيامة تعظيما لشانه وهي قراءة ابن كثير اقسم بالاولي ولم يقسم بالثانية وقيل ولا اقسم بالنفس اللوامة رد اخر وابتدا اقسم بالنفس اللوامة لاخلاف في هذا بين القرا انه سبحانه انما اقسم بيوم القيامة تعظيما لشانه وهي قراءة ابن كثير اي بنفس المومن الذي لا تراه الا يلوم نفسه تقول ما اردت بكذا او لا تراه الا هو يعاتب نفسه قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم قال الحسن هي والله نفس المومن ما نري المومن الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديث نفسي والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشي لم فعلته وعلي الخير لم لا تستكثر منه وقيل انها ذات اللوم وقيل انها تلوم نفسها بما تلوم عليها غيرها فعلي هذه الوجوه تكون اللوامة بمعني اللايمة وهي صفة مدح وعلي هذا يجي القسم بها سايغا حسنا وفي بعض التفسير انه ادم عليه السلام لم يزل لايما لنفسه على معصيته التي اخرج بها من الجنة وقيل اللوامة بمعني الملومة المذمومة عن ابن عباس ايضا فهو صفة ذم وهو قول من نفي ان يكون قسما اذ ليس للعاصي خطر يقسم به ثم قيل التي تلام على سوء ما فعلت وقيل التي لا صبر لها على محن الدنيا وشدايدها فهي كثيرة اللوم وقال مقاتل هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الاخرة على ما فرط في جنب الله وقال الفرا ليس من نفس محسنة او مسيية الا وهي تلوم نفسها فالمحسن يلوم نفسه ان لو كان ازداد احسانا والمسي يلوم نفسه ان لا يكون ارعوي من اساته **قوله تعالي** أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه فنعيدها خلقا جديدا بعد ان صارت رفاتا قال الزجاج اقسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث فهذا جواب القسم وقال النحاس جواب القسم محذوف اي لتبعثن ودل عليه قوله أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه للبعث والاحيا والانسان هنا الكافر المكذب بالبعث والاية نزلت في عدي بن ربيعة ابن ابي رباح ختن الاخنس بن شريق قال للنبي صلي الله عليه وسلم حدثني عن يوم القيامة حتي يكون وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلي الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم او من او يجمع الله العظام ولهذا كان عليه السلام يقول اللهم اكفني جاري السو عدي بن ربيعة ابن ابي رباح والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل حين انكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لان العظام قالب الخلق بلي وقف حسن ثم يبتدي قادرين قال سيبويه على معني نجمعها قادرين بلي نقدر قادرين قال الفرا قادرين نصب على الخروج من نجمع اي نقدر ونقوي قادرين على اكثر من ذلك وقال ايضا يصلح نصبه على التكرير اي بلي فليحسبنا قادرين وقيل المضمر كنا اي كنا قادرين في الابتدا وقد اعترف به المشركون وقرا ابن ابي عبلة وابن السميقع بلي قادرون بتاويل نحن قادرون على ان نسوي بنانه البنان عند العرب الاصابع واحدها بنانة قال النابغة

بمخضب رخص كان بنانه	عنم يكاد من اللطافة يعقد
وقال عنترة	
وان الموت طوع يدي اذا ما	وصلت بنانها بالهندواني

فنبه بالبنان على بقية الاعضا وايضا فانها اصغر العظام فخصها بالذكر كذلك قال القتبي والزجاج ان الله لا يبعث الموتي فلا يقدر على جمع العظام فقال الله تعالي بلي قادرين على ان نعيد السلاميات على صغرها ونولف بينها حتي تستوي ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار اقدر وقال ابن عباس وعامة المفسرين المعني على ان نسوي بنانه اي نجعل اصابع رجليه ويديه شيا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار او كظلف الخنزير ولا يمكنه ان يعمل به شيا ولكنا فرقنا اصابعه حتي ياخذ بها ما شا وكان الحسن يقول جعل لك اصابع فانت تبسطهن وتقبضهن ولو شا لجمعهن فلم تتق الارض الا بكفيك وقيل اي نقدر ان نعيد الانسان في هيية البهايم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشيكم فيما لا تعلمون قال الشيخ المولف رحمه الله والتاويل الاول اشبه بمساق الاية والله اعلم **قوله تعالي** بل يريد الانسان ليفجر امامه قال ابن عباس يعني الكافر يكذب بما امامه من البعث والحساب وقاله عبد الرحمن بن زيد ودليله يسال ايان يوم القيامة اي يسال متي يكون على وجه الانكار والتكذيب فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب ولكن ياثم لما بين يديه ومما يدل على ان الفجور التكذيب

ماذكره القتبي وغيره ان اعرابيا قصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشكا اليه نقب ابله ودبرها وساله ان يحمله على غيرها فلم يحمله فقال الاعرابي اقسم بالله ابو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر فاغفر له اللهم ان كان فجر يعني ان كان كذبني فيما ذكرت وعن ابن عباس ايضا يعجل المعصية ويسوف التوبة وفي بعض الحديث قال يقول سوف اتوب ولا يتوب فهو قد اخلف وكذب وهذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف اتوب سوف اتوب حتي ياتيه الموت على شر احواله وقال الضحاك هو الامل يقول سوف اعيش واصيب من الدنيا ولا يذكر الموت وقيل اي يعزم على المعصية ابدا وان كان لا يعيش الا مدة قليلة فالها على هذه الاقوال للانسان وقيل الها ليوم القيامة والمعني بل يريد الانسان ليكفر بالحق بين يدي يوم القيامة والفجور اصله الميل عن الحق قال ايان يوم القيامة اي متي يكون يوم القيامة **قوله تعالي** فاذا برق البصر قرا نافع وابان عن عاصم برق بفتح ومعناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف قال مجاهد وغيره هذا عند الموت وقال الحسن هذا يوم القيمة قال وفيه معني الجواب عما سال عنه الانسان كانه قال يوم القيامة اذا برق البصر وخسف القمر الباقون بالكسر برق ومعناه تحير فلم يطرف قاله ابو عمرو والزجاج وغيرهما قال ذو الرمة

ولو ان لقمان الحكيم تعرضت	لعينيه مي سافرا كاد يبرق

الفرا والخليل برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المتحير المبهوت قد برق فهو برق وانشد الفرا

فنفسك فانع ولا تنعني	وداو الكلوم ولا تبرق

اي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك وبرق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحها قاله ابو عبيدة وانشد قول الكلابي

لما اتاني ابن عمير راغبا	اعطيته عيساء منها فبرق

اي فتح عينيه وقيل ان كسر الرا وفتحها لغتان بمعني قوله تعالي وخسف القمر اي ذهب ضووه والخسوف في الدنيا الي انجلا بخلاف الاخرة فانه لا يعود ضووه ويحتمل ان يكون بمعني غاب ومنه قوله تعالي فخسفنا به وبداره الارض وقرا ابن ابي اسحاق وعيسي والاعرج وخسف القمر بضم الخا وكسر السين يدل عليه وجمع الشمس والقمر وقال ابو حاتم محمد بن ادريس اذا ذهب بعضه فهو الكسوف واذا ذهب كله فهو الخسوف وجمع الشمس والقمر اي جمع بينهما في ذهاب ضوهما فلا ضو للشمس كما لا ضو للقمر بعد خسوفه قاله الزجاج والفرا قال الفرا ولم يقل جمعت لان المعني جمع بينهما وقال ابو عبيدة هو على تغليب المذكر وقال الكسايي هو محمول على المعني كانه قال الضوان المبرد التانيث غير حقيقي وقال ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما اي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين مقرنين كانهما ثوران عقيران وقد مضي الحديث بهذا المعني في اخر سورة الانعام وفي قراءة عبد الله وجمع بين الشمس والقمر وقال عطا بن يسار جمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله العظمي الكبري وقال علي وابن عباس يجعلان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما تفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم وفي مسند ابي داود الطيالسي عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك يرفعه الي النبي صلي الله عليه وسلم قال قال النبي صلي الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران عقيران في النار وقيل هذا الجمع انهما يجتمعان ولا يفترقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر فكان المعني جمع حرهما عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار **قوله تعالي** يقول الانسان يومئذ اين المفر اي يقول ابن ادم ويقال هو ابو جهل اي اين المهرب قال الشاعر

اين المفر والكباش تنتطح	واي كبش حاد عنها يفتضح

الماوردي يحتمل وجهين احدهما اين المفر من الله استحياء منه الثاني اين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المومن لثقة المومن ببشري ربه الثاني ان يكون من قول المومن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا وقراءة العامة المفر بفتح الفا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانه مصدر وقرا ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة بكسر الفا مع فتح الميم قال الكسايي هما لغتان مثل مدب ومدب ومصح ومصح وعن الزهري بكسر الميم وفتح الفا المهدوي من فتح الميم والفا من المفر فهو مصدر بمعني الفرار ومن فتح الميم وكسر الفا فهو الموضع الذي يفر اليه ومن كسر الميم وفتح الفا فهو الانسان الجيد الفرار فالمعني اين الانسان الجيد الفرار ولن ينجو مع ذلك قال

الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الاخرة على ما فرط

الشيخ المؤلف رحمه الله ومنه قول امرء القيس   مكر مفر مقبل مدبر معا   بل
يريد انه حسن الكر والفر   جيد كلا اي لا مفر فكلا رد وهو من قول الله تعالى
ثم فسر هذا الرد فقال لا وزر اي لا ملجا من النار فكان ابن مسعود يقول لا حصن وكان الحسن يقول لا جبل
وابن عباس يقول لا منجا وابن جبير لا محيص ولا منعة والمعنى في ذلك كله واحد والوزر في اللغة
ما يلجا اليه من حصن او جبل او غيرهما قال الشاعر لعمري ما للفتى من وزر من الموت يدركه والكبر
قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم لا وزر يعصمكم يومئذ مني فالطرفة
ولقد نعلم بكراتنا فاضلوا الراي وفي الروع وزر   اي ملجا الخائف ويردي وقرا الى ربك
المستقر اي المنتهى قاله قتادة نظيره وان الى ربك المنتهى وقال ابن مسعود الى ربك المصير والمرجع وقيل
اي المستقر في الاخرة حيث يقره الله اذ هو الحاكم بينهم وقيل ان كلا من قول الانسان لنفسه اذا علم
انه ليس مفر قال لنفسه كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر **قوله تعالى** ينبا الانسان يومئذ
اي يخبر ابن ادم برا كان او فاجرا يوم القيامة بما قدم اي بما اسلف من عمل سيء او صالح او اخر من سنة سيئة
او صالحة يعمل بها بعده قاله ابن عباس والمعنى وابن مسعود وروى منصور عن مجاهد قال ينبا باول عمله
واخره وقاله النخعي وقال ابن عباس ايضا اي بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وهو قول قتادة وقال ابن
زيد بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلفه للورثة وقال الضحاك ينبا بما قدم من فرض واخر من فرض قال
القشيري وهذا الانبا يكون في القيمة عند وزن الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت قال الشيخ المؤلف
رحمه الله الاول اظهر لما اخرجه بن ماجة في سننه من حديث الزهري حدثني ابو عبد الله الاغر عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره او ولدا صالحا تركه
او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اجراه او صدقة خرجها من ماله في صحته تلحقه
من بعد موته وخرجه ابو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبع يجري اجره للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما او كرى نهرا او حفر بيرا او غرس نخلا او بنى
مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر له بعد موته فقوله بعد موته وهو في قبره نص على ان ذلك
لا يكون عند الموت وانما يخبر بذلك عند وزن عمله وان كان يبشر بذلك في قبره ودل على هذا ايضا قوله
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وهذا لا يكون الا في الاخرة
بعد وزن الاعمال والله اعلم وفي الصحيح من سن في الاسلام سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها بعده
من غير ان ينقص من اجورهم شي ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شي **قوله تعالى** بل الانسان على نفسه بصيرة قال الاخفش
جعله هو من البصيرة كما تقول للرجل انت حجة على نفسك وقال ابن عباس بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه
عليه يداه بما بطش بهما ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه بما ابصر بهما والبصيرة الشاهد وانشد الفرا

كان على ذي العقل عينا بصيرة   بمقعده او منظر هو ناظره
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم   من الخوف لا يخفى عليهم سرائره

ودليل هذا التاويل من التنزيل قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجا
تانيث البصيرة لان المراد بالانسان هاهنا الجوارح لانها شاهدة على نفس الانسان وكانه قال بل الجوارح
على نفس الانسان بصيرة قال معناه القتبي وغيره وناس يقولون هذه الها في قوله بصيرة هي التي تسميها
اهل الاعراب هاء المبالغة كالهاء في قولهم داهية وعلامة وراوية وهو قول ابي عبيدة وقيل المراد بالبصيرة
الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير او شر يدل عليه قوله ولو القى معاذيره فيمن جعل المعاذير الستور
وهو قول السدي والضحاك وقال بعض اهل التفسير المعنى بل على الانسان من نفسه بصيرة اي شاهد فحذف
حرف الجر ويجوز ان يكون بصيرة نعتا لاسم مونث فيكون تقديره بل الانسان على نفسه عين بصيرة وانشد
الفرا   كان على ذي العقل عينا بصيرة   وقال الحسن في قوله بل الانسان على نفسه بصيرة
يعني بصير بعيوب غيره جاهل بعيوب نفسه ولو القى معاذيره اي ولو ارخى ستوره والستر بلغة اهل
اليمن معذار قاله الضحاك قال الشاعر   ولكنها ضنت بمنزل ساعة
علينا واطت فوقها بالمعاذر   قال الزجاج المعاذير الستور والواحد

سبع يجري اجره للعبد بعد موته وهو في قبره

معذار

معذار اي وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه وقيل اي ولو اعتذر وجادل فقال لم افعل
شيا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب
عذره قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وابو العالية وعطا والفرا والسدي
ايضا ومقاتل قال مقاتل اي لو ادلى بعذر وحجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
وقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون فالمعاذير على هذا ماخوذ من العذر قال الشاعر

واياك والامر الذي ان توسعت   موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن ان يعذر المرء نفسه   وليس له من سائر الناس عاذر

واعتذر رجل الى ابراهيم النخعي فقال له قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب
وقال ابن عباس ولو القى معاذيره اي لو تجرد من ثيابه حكاه الماوردي قال الشيخ المولف رحمه الله والاظهر
انه الادلا بالحجة والاعتذار من الذنب ومنه قول النابغة

ها ان ذي عذرة ان لا تكن نفعت   فان صاحبها مشارك النكد

الحرمان الحال
والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار والله ربنا ما كنا مشركين وقوله في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وفي الصحيح انه يقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت
وتصدقت ويثني بخير ما استطاع الحديث وقد تقدم في حم السجدة وغيرها والمعاذير جمع معذرة ويقال
عذرته فيما صنع اعذره عذرا وعذرا والاسم المعذرة والعذرى قال الشاعر

اني حددت ولا عذرى لمحدود   وكذلك العذرة وهي مثل الركبة والجلسة قال
النابغة   ها ان تا عذرة ان لا تكن نفعت   فان صاحبها قد تاه في البلد

وتضمنت الاية خمس مسائل الاولى قال القاضي ابو بكر بن العربي قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة
ولو القى معاذيره فيها دليل على قبول اقرار المرء على نفسه لانها شهادة منه عليها قال الله سبحانه يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فلا خلاف فيه لانه اخبار على وجه تنتفي التهمة عنه لان
العاقل لا يكذب على نفسه وقد قال الله في كتابه الكريم واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقال تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا
صالحا واخر سيئا وهو في الاثار كثير قال النبي صلى الله عليه وسلم واغد يا انيس على امراة هذا فان
اعترفت فارجمها فاما اقرار الغير على الغير بوارث او دين وهي المسالة الثانية فقال مالك الامر المجتمع
عليه عندنا في الرجل يهلك وله بنون فيقول احدهم قد اقر ابي ان فلانا ابنه ان ذلك النسب لا يثبت
بشهادة انسان واحد ولا يجوز اقرار الذي اقر الا على نفسه في حصته من مال ابيه يعطي الذي شهد
له قدر الذي يصيبه من المال الذي في يده قال مالك وتفسير ذلك ان يهلك الرجل ويترك اثنين
ويترك ست مائة ثم يشهد احدهما بان اباه الهالك اقر ان فلانا ابنه فيكون على الذي شهد للذي استخلف
مائة دينار وذلك نصيب ميراث المستخلف لو لحق وان اقر له الاخر اخذ المائة الاخرى واستكمل حقه
وثبت نسبه وهو ايضا بمنزلة المراة تقر بالدين على ابيها او على زوجها وينكر ذلك الورثة فعليها ان
تدفع الى الذي اقرت له قدر الذي يصيبها من ذلك الدين لو ثبت على الورثة كلهم ان كانت امراة
فورثت الثمن دفعت الى الغريم ثمن دينه وان كانت ابنة ورثت النصف دفعت الى الغريم نصف دينه
على حساب هذا يدفع اليه من اقر له من النسا الثالثة لا يصح الاقرار الا من مكلف لكن بشرط ان لا
يكون محجورا عليه لان الحجر يسقط قوله اذ كان لحق نفسه فان كان لحق غيره كالمرض كان منه ساقط ومنه
جائز وبيانه في مسائل الفقه وللعبد حالتان في الاقرار احدهما في ابتدائه ولا خلاف فيه على
الوجه المتقدم والثاني في انتهائه وذلك مثل ابهام الاقرار وله صور كثيرة وامهاتها ست الصورة الاولى
ان يقول له عندي شي قال الشافعي لو فسره بتمرة او كسرة قبل منه والذي تقتضيه اصولنا انه لا يقبل
الا فيما له بال فاذا فسره به قبل منه وحلف عليه الصورة الثانية ان يفسره بخمر او خنزير او ما لا يكون
مالا في الشريعة لم يقبل باتفاق ولو ساعده المقر له والله اعلم الصورة الثالثة ان يفسره بمختلف
فيه مثل جلد الميتة او سرقين او كلب فان الحاكم يحكم عليه في ذلك بما يراه من رد وامضا فان رده لم يحكم

عليه حاكم اخر لبني لان الحكم قد نفذ بابطاله وقال بعض اصحاب الشافعي يلزمه الخمر والخنزير وموقوف
باطل وقال ابو حنيفة اذا قال علي شي لم يقبل تفسيره الا بمكيل او موزون لانه لا يثبت في الذمة الا هما
وهذا ضعيف فان غيرهما يثبت في الذمة اذا اوجب ذلك اجماعا الصورة الرابعة اذا قال له عندي
مال قبل تفسيره بما يكون مالا في العادة كالدرهم والدرهمين ما لم يجي من قرينة الحال ما يحكم عليه باكثر
منه الصورة الخامسة ان يقول له عندي مال كثير او عظيم قال الشافعي يقبل في الجبة وقال ابو حنيفة
لا يقبل الا في نصاب الزكاة قال علماونا في ذلك اقوال مختلفة منها السرقة والدية واقله عندي
نصاب السرقة لانه لا يبان عضو المسلم الا في مال عظيم وبه قال اكثر الحنفية ومن تعجب فليتعجب
بقول الليث بن سعد لا يقبل في اثنين وسبعين درهم فقيل له ومن اين تقول ذلك قال لان الله تعالى
قال لقد نصركم الله في مواطن كثيرة وغزواته وسراياه كانت اثنين وسبعين وقد قال الله تعالى
اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة وقال والعنهم لعنا كبيرا الصورة
السادسة اذا قال له عندي عشرة او مائة او الف فانه يفسرها بما شا ويقبل منه فان قلت الف
درهم او مائة وعبد او مائة وخمسون درهما فانه يفسر المبهم ويقبل منه وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة
ان عطف على العدد المبهم مكيلا او موزونا كان تفسيرا القوله مائة وخمسون درهما لان الدرهم تفسير
للخمسين والخمسون تفسير للمائة وقال ابن خيران والاصطخري من اصحاب الشافعي الدرهم لا يكون
تفسيرا في المائة والخمسين لا للخمسين خاصة ويفسر هو المائة بما شا المسالة الرابعة قوله تعالى ولو
القى معاذيره ومعناه ولو اعتذر بعد الاقرار لم يقبل منه وقد اختلف العلما فيمن رجع بعد ما اقر في
الحدود التي هي خالص حق الله تعالى فقال اكثرهم منهم الشافعي وابو حنيفة يقبل رجوعه بعد الاقرار
وقال به مالك في احد قوليه وقال في القول الاخر لا يقبل منه الا ان يذكر لرجوعه وجها صحيحا والصحيح
جواز الرجوع مطلقا لما روى الايمة منهم البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رد المقر بالزنا
مرارا اربعا كل مرة يعرض عنه ولما شهد على نفسه اربع مرات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ابك جنون قال لا قال احصنت قال نعم وفي حديث البخاري لعلك قبلت او غمزت او نظرت وفي النسا
والي داود حين قال في الخامسة انكتها قال نعم قال غاب ذلك منك في ذلك منها قال نعم كما يغيب المرود
في المكحلة والرشا في البير قال نعم قال هل تدري ما الزنا قال نعم اتيت منها حراما مثل ما ياتي الرجل من اهله
حلالا قال فما تريد بهذا القول قال اريد ان تطهرني قال فامر به فرجم قال الترمذي وابو داود فلما مس
الحجارة مر يشتد فضربه رجل بلحي جمل فضربه الناس حتى مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه
وقال ابو داود والنسائي ليتثبت النبي صلى الله عليه وسلم فاما لترك حد فلا وهذا كله طريق للرجوع
وتصريح بقوله في قوله لعلك قبلت او غمزت اشارة الى قول مالك انه يقبل رجوعه اذا ذكر وجها الخامسة
وهذا في الحر المالك لامر نفسه واما العبد فان اقراره لا يخلو من احد قسمين اما ان يقر على بدنه او
على ما في يديه فان اقر على بدنه بما فيه عقوبة من القتل فما دونه نفذ ذلك عليه وقال محمد بن الحسن لا يقبل
ذلك منه لان بدنه مستغرق لحق السيد وفي اقراره اتلاف حقوق السيد في بدنه ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم
من اصاب من هذه القاذورة شيئا فليستتر بستر الله فانه من يبد لنا صفحته نقم عليه الحد المعنى ان محل العقوبة
اصل الخلقة وهي الدمية في الادمية ولا حق للسيد فيها وانما حقه في الوصف والتبع وهي المالية الطارية
عليه الا ترى انه لو اقر بمال لم يقبل حتى قال ابو حنيفة انه لو قال سرقت هذه السلعة انه يقطع بيده
واخذها المقر له وقال علماونا السلعة للسيد ويتبع العبد بقيمتها اذا عتق لان مال العبد للسيد
اجماعا فلا يقبل قوله ولا اقراره عليه لا سيما وابو حنيفة يقول ان العبد لا ملك له ولا يصح ان يملك
ولا يملك ونحن نقول وان قلنا انه يصح تملكه ولكن جميع ما في يده لسيده باجماع على القولين

قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به في الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القران تحرك به لسانه يريد ان يحفظه فانزل الله تبارك
وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك به شفتيه وحرك سفين شفتيه قال ابو عيسى هذا
حديث حسن صحيح ولفظ مسلم عن ابن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل
شدة كان يحرك شفتيه فقال لي ابن عباس انا احركهما كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك

الصحيح جواز الرجوع مطلقا

شفتيه فقال سعيد انا احركهما كما كان ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به
لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقروه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال
فاستمع وانصت ثم علينا ان تقروه قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليهما السلام
استمع واذا انطلق جبريل عليه السلام قراه النبي صلى الله عليه وسلم كما قراه خرجه البخاري ونظير هذه
الاية قوله تعالى فلا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم وقال عامر الشعبي انما كان يعجل
بذكره اذا نزل عليه من حبه وحلاوته في لسانه فنهي عن ذلك حتى يجتمع لان بعضه مرتبط ببعض وقيل
كان عليه السلام اذا نزل عليه الوحي حرك لسانه مع الوحي مخافة ان ينساه فنزلت ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه ونزل سنقرئك فلا تنسى ونزل لا تحرك به لسانك قاله ابن عباس وقرانه
اي وقراته عليك والقراة والقران في قول الفرا مصدران وقال قتادة فاتبع قرانه اي اتبع شرايعه
واحكامه وقوله ثم ان علينا بيانه اي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة وقيل ثم ان علينا
بيانه ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما وقيل اي ان علينا ان نبينه بلسانك قوله تعالى كلا قال
ابن عباس اي ان ابا جهل لا يومن بتفسير القران وبيانه وقيل اي كلا لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة بل
تحبون اي بل تحبون يا كفار اهل مكة العاجلة اي الدار الدنيا والحياة فيها وتذرون اي يدعون الاخرة والعمل
بها وفي بعض التفسير قال الاخرة الجنة وقرا اهل المدينة والكوفيون بل تحبون وتذرون بالتاء فيهما
على الخطاب واختاره ابو عبيد قال ولولا الكراهة لخلاف هولاء القرا لقراتها بالياء لذكر الانسان قبل
ذلك الباقون بالياء على الخبر وهو اختيار ابي حاتم فمن قرا بالياء فردا على قوله قوله ينبا الانسان وهو بمعنى
الناس ومن قرا بالتاء فعلى انه واجههم بالتقريع لان ذلك ابلغ في المقصود نظيره ان هولاء يحبون العاجلة
ويذرون وراءهم يوما ثقيلا **قوله تعالى** وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الاولى من
النضرة التي هي الحسن والنعمة والثاني من النظر اي وجوه المومنين مشرقة حسنة ناعمة يقال نضرهم الله ينضرهم
نضرة ونضارة وهو الاشراق والعيش والغنى ومنه الحديث نضر الله امرا سمع مقالتي الى ربها الى خالقها
ومالكها ناظرة اي تنظر الى ربها على هذا جمهور العلما وفي الباب حديث صهيب خرجه مسلم وقد مضى في
يونس عند قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وكان ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى
وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه الاية وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وروى يزيد النحوي عن عكرمة
قال تنظر الى ربها وكان الحسن يقول نضرت وجوههم ونظروا الى ربهم وقيل ان النظر هنا انتظار ما لهم عند
الله من الثواب روي عن ابن عمر ومجاهد وقال عكرمة تنتظر امر ربها حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة
وليس معروفا الا عن مجاهد وحده واحتجوا بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذا القول ضعيف
جدا خارج عن مقتضى هذه الاية واخبار الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى
اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر
الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال هذا حديث
غريب وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه وفي صحيح مسلم عن ابي بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان
ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكبريا على وجهه في جنة عدن وروى جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرا
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه وخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن صحيح وخرج ابو داود عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى الله عز وجل مخليا به يوم
القيامة قال نعم يا ابا رزين وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا
به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم وفي كتاب النسائي عن
صهيب قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر ولا اقر لاعينهم
وفي التفسير لابي اسحق الثعلبي عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل
حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة قال الثعلبي وقول

مجاهد انها بمعنى لتنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه فتاويل مدخول لان العرب اذا ارادت بالنظر
الانتظار قالوا نظرته كما قال تعالى هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا تاويله وما ينظرون
الا صيحة واحدة واذا ارادت به التفكر والتدبر قالوا نظرت فيه فاما اذا كان النظر مقرونا
بذكر الى وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الروية والعيان وقال الازهري ان قول مجاهد تنتظر ثواب
ربها خطا لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القايل نظرت الى فلان ليس الا روية
عين كذلك تقوله العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر العين واذا ارادوا الانتظار
قالوا نظرته قال　　فانكما ان تنظراني ساعة　　من الدهر تنفعني لدى ام جندب
لما ارادوا الانتظار قال تنظراني ولم يقل تنظران الي واذا ارادوا نظر العين قالوا نظرت اليه

فيها فيقول ملك الموت يا فلان اصعد بها واظهر عاصم وقوم النون في قوله من راق واللام في قوله بل ران لئلا
تشبه مراق وهو بايع المرقة وبران في سنة البر والصحيح ترك الاظهار وكسرة القاف في مراق وفتحة النون
في بل ران يكفي في ذلك اللبس واشل بما ذكر قصد الوقف على من وبل والاهل والمال والولد وذلك قوله تعالى
وظن اي ايقن الانسان انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين عاين الملايكة
وقال الشاعر　　فراق ليس يشبهه فراق　　قد انقطع الرجاء عن التلاق
والتفت الساق بالساق اي فاتصلت الشدة شدة اخر الدنيا لشدة اول الاخرة قاله ابن عباس والحسن
وغيرهما وقال الشعبي وغيره المعنى التفت ساقا الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة
اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما ساقا
الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الحسن ايضا

قال الشاعر فاولي ثم اولي ثم اولي وهل للدر يحلب من مرد

قال قتادة اقبل ابو جهل بن هشام يتبختر واخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال اولى لك فاولي ثم اولى
لك فاولى فقال ما يستطيع انت ولا ربك لي شيئا لاني اعز من بين جبليها فلما كان يوم بدر اشرف على
المسلمين فقال لا يعبد الله بعد هذا اليوم ابدا فضرب عنقه وقتله شر قتله وقيل معناه الويل لك

ومنه قول الخنسا هممت بنفسي بعض الهموم فاولي لنفسي اولى لها
ساحمل نفسي على اله فاما عليها واما لها

الاله الحالة والالة السرير ايضا الذي يحمل عليه الميت وعلى هذا التاويل قيل هو من المقلوب كانه قال
اويل ثم اخر الحرف المعتل والمعنى الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث يوم يدخل النار وهذا
التكرير اي لك كما قال لك الويلات انك مرجل اي لك الويل ثم الويل ثم الويل وضعف هذا القول
وقيل معناه الذم لك اولى من تركه الا انه كثرت في الكلام فحذف وقيل المعنى انت اولى واجدر
بهذا العذاب وقال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك
كانه يقول قد وليت الهلاك قد دانيت الهلاك واصله من الولي وهو القرب قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي يقربون منكم وانشد الاصمعي

واولى ان يكون له الولا اي قارب ان يكون له وانشد ايضا
اولى لمن هاجت له ان يكمدا اي قد دنا صاحبها الكمد وكان ابو العباس ثعلب يستحسن قول

الاصمعي ويقول السن ويقول ليس احد يفسر كتفسير الاصمعي النحاس العرب تقول اولى لك كذب تهلك ثم اولى لك
وكان تقديره اولى لك واولى بك الهلكة المهدوي ولا يكون اولى افعل منك ويكون خبر مبتدا محذوف
كانه قال الوعيد اولى له من غيره لان ابا زيد قد حكى اولاه الا انا اذا وعد وا فدخول علامة التانيث دليل على انه
ليس كذلك ولك خبر عن اولى ولم ينصرف اولى لانه صار علما للوعيد كرجل اسمه احمد وقيل التكرير فيه
على معنى الذم لك على عملك السيئ الاول ثم على الثاني والثالث والرابع كما تقدم **قوله تعالى**
ايحسب الانسان اي يظن ابن ادم ان يترك سدى اي ان يخلى مهملا فلا يؤمر ولا ينهى قاله ابن زيد ومجاهد
ومنه ابل سدى اي ترعى بلا راع وقيل ايحسب ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث قال الشاعر
واقسم بالله جهد اليمين ما ترك الله شيئا سدى **قوله تعالى**

الم يك نطفة من مني يمنى اي من قطرة ماء يمنى في الرحم اي يراق فيه وكذلك سميت منى لاراقة الدماء وقد
تقدم والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء اذا قطر اي الم تك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المراة
وقرا حفص من مني يمنى بيا وهي قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن ابي عمرو واختاره ابو عبيد لاجل
المني الباقون بالتاء لاجل النطفة واختاره ابو حاتم ثم كان علقة اي دما بعد النطفة نبه بهذا كله
على اصله خسة قدره ثم قال فخلق اي قدر فسوى اي فسواه تسوية وعدله بقدد لا يجعل الروح فيه فجعل
منه اي من الانسان وقيل من المني الذكر والانثى اي الرجل والمراة وقد احتج بهذا من راى اسقاط
الخنثى وقد مضى في سورة الشورى ان هذه الاية وقرينتها انما خرجتا مخرج الغالب وقد مضى في اول سورة
النسا ايضا القول فيه وذكرنا في اية المواريث حكمها فلا معنى لاعادته اليس ذلك بقادر اي اليس الذي
قدر على خلق هذه النسمة من قطرة من ما بقادر على ان يحيي الموتى اي على ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها
للبعث بعد البلى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك اللهم وبلى وقال
ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة
الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره ذكره الثعلبي من حديث ابي اسحق السبيعي عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس ختمت السورة المباركة بتمامها وكمالها بحمد الله الملك الوهاب

تفسير سورة الانسان

مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وقال الجمهور مدنية وقيل فيها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى اخر السورة وما تقدمه مدني وهي احدى وثلثون اية وذكر ابن وهب قال
وحدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد

ابل سدى اى ترعى بلاراع

انزلت عليه وعنده رجل اسود كان يسال النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عمر بن الخطاب حسبك لا تثقل
على النبي صلى الله عليه وسلم قال دعه يا ابن الخطاب قال فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده فلما قراها
عليه وبلغ صفتها زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم او اخيكم الشوق
الى الجنة وروي عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ وسياتي وقال القشيري ان هذه السورة نزلت في علي رضي
الله عنه والمقصود من السورة عام وهكذا القول من كل ما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا هل بمعنى قد قاله الكسائي والفرا وابو عبيدة
وقد حكي عن سيبويه هل بمعنى قد قال الفرا هل يكون جحدا ويكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل
اعطيتك تقرره بانك اعطيته والجحد ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقيل هي بمنزلة الاستفهام
والمعنى اتى والانسان هنا ادم عليه السلام قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي وروي عن ابن عباس
حين من الدهر قال ابن عباس في رواية ابي صالح اربعون سنة مرت به قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين
مكة والطايف وعن ابن عباس ايضا في رواية الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من صلصال
اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وزاد ابن مسعود فقال اقام وهو من تراب اربعين سنة فتم
خلقه بعد مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور هنا لا يعرف مقداره عن ابن عباس ايضا
حكاه الماوردي لم يكن شيئا مذكورا قال الضحاك عن ابن عباس لا في السماء ولا في الارض وقيل اي كان
جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا
قاله الفرا وقطرب وثعلب وقال يحيى بن سلام لم يكن شيئا في الخلق وان كان عند الله شيئا مذكورا وقيل ليس
هذا الذكر بمعنى الاخبار فان اخبار الرب عن الكاينات قديم بل هذا الذكر بمعنى الاخطار والشرف والقدر
يقول فلان مذكور اي له شرف وقدر وقد قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي قد اتى على الانسان
حين لم يكن له قدر عند الخليقة ثم لما عرف الله الملايكة انه جعل ادم خليفة وحمله الامانة التي عجز عنها
السموات والارض والجبال ظهر فضله على الكل فصار مذكورا قال القشيري وعلى الجملة ما كان مذكورا
للخلق وان كان مذكورا لله وحكى محمد بن الجهم عن الفرا لم يكن شيئا قال كان شيئا ولم يكن مذكورا
وقال قوم النفي يرجع الى الشيء اي قد مضى مدد من الدهر وادم لم يكن شيئا يذكر في الخليقة لانه اخر ما خلقه
من اصناف الخليقة والمعدوم ليس بشيء حتى ياتي عليه حين والمعنى قد مضت ازمنة وما كان ادم شيئا
ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد من الخليقة وهذا معنى قول قتادة ومقاتل قال قتادة انما خلق الانسان
حديثا ما نعلم من خليقة الله جل ثناؤه خليقة كانت بعد الانسان وقال مقاتل في الكلام تقديم
وتاخير وتقديره هل اتى حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق
بعده حيوانا وقد قيل الانسان في قوله تعالى هل اتى على الانسان عني به الجنس من ذرية ادم وان الحين تسعة
اشهر مدة حمل الانسان في بطن امه لم يكن شيا مذكورا اذ كان علقة ومضغة لانه في هذه الحالة جماد لا
خطر له وقال ابو بكر رضي الله عنه لما قرا هذه الاية ليتها تمت ولا نبتلى اي ليت المدة التي اتت على ادم لم
تكن شيا مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا يبتلى اولاده وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرا هل اتى على الا
نسان حين من الدهر الى قوله مذكورا فقال ليتها تمت **قوله تعالى** **انا خلقنا الانسان** اي ابن ادم
من غير خلاف من نطفة اي من ما يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة لقول عبد الله بن رواحة
يعاتب نفسه ما لي اراك تكرهين الجنة هل انت الا نطفة في شنه وجمعها نطف قال روبة

تطرح كل معجل نشاج لم يكس جلدا في دم امشاج

ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وقال المبرد واحد الامشا
ج مشيج يقال مشج يمشج اذا اختلط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم قال الشماخ

طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين

وقال الفرا امشاج اختلاط ما الرجل وما المراة والدم والعلقة ويقال للشي من هذا اذا اختلط مشيج
كقولك خليط وممشوج كقولك مخلوط وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة في البيا
ض وهذا قول يختاره كثير من اهل اللغة قال الهذلي كان الريش والفوقين منه خلاف النصل

ينشط به منشج وعن ابن عباس ايضا يختلط ما الرجل وهو ابيض غليظ بماء المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المراة وقد روي هذا مرفوعا ذكره البزار وروي عن ابن مسعود امشاجها عروقها المضغة وعنه ما الرجل وما المراة وهما لونان وقال مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا ونطفة المراة خضرا وصفرا وقال ابن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ماء الفرج والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم ونحوه وقال قتادة هي اطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم نكسوا العظام لحما كما قال في سورة المؤمنين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال ابن السكيت الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع فخلق الانسان منها ذا طبائع مختلفة وقال اهل المعاني الامشاج ما جمع وهو في معنى الواحد لانه نعت للنطفة كما يقال برمة اعشار وثوب اخلاق وروي عن ابي ايوب الانصاري قال جاء حبر من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني عن ماء الرجل وماء المراة فقال ماء الرجل ابيض غليظ وماء المراة اصفر رقيق فاذا علا ماء المراة انثت واذا علا ماء الرجل اذكرت فقال الحبر اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتقدم هذا مستوفى في سورة الشورى نبتليه اي نختبره وقيل نقدر فيه الابتلا وهو الاختبار وفيما يختبر به وجهان احدهما نختبره بالخير والشر قاله الكلبي والثاني نختبر شكره في السرا وصبره في الضرا قاله الحسن وقيل نبتليه نكلفه وفيه ايضا وجهان احدهما العمل بعد الخلق قاله مقاتل الثاني الدين ليكون مامورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي وروي عن ابن عباس نبتليه نصرفه خلقا بعد خلق لنبتليه بالخير والشر وحكى محمد بن الجهم عن الفرا قال المعنى والله اعلم جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهي مقدمة معناها التاخير لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل جعلناه سميعا بصيرا يعني جعلنا له سمعا يسمع الهدى وبصرا يبصر به الهدى **قوله تعالى انا هديناه السبيل** اي وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث الرسول فامن او كفر كقوله وهديناه النجدين وقال مجاهد اي بينا له السبيل الى الشقا والسعادة وقال الضحاك وابو صالح والسدي السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله اما شاكرا واما كفورا اي ايهما فعل فقد بينا له قال الكوفيون ان ها هنا تكون جزا وما زائدة اي بينا له الطريق ان شكر او كفر واختاره الفرا ولم يجزه البصريون اذ لا تدخل ان للجزا على الاسما الا ان يضمر بعدها فعل وقيل اي هديناه الرشد اي بينا له سبل التوحيد بنصب الادلة عليه ثم ان خلقنا له الهداية اهتدى وامن وان خذلناه كفر وهو كما تقول قد نصحت لك ان شئت فاقبل وان شئت فاترك اي فان شئت فحذف الفا وكذا فاما شاكرا او والله اعلم ويقال هديته السبيل وللسبيل والى السبيل وقد تقدم في الفاتحة وغيرها وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفيا للمبالغة في الشكر واثباتا لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يودى فانتفت عنه المبالغة ولم تنتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره وان قل مع الاحسان اليه حكاه الماوردي **قوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا** بين حال الفريقين وانه تعبد العقلا وكلفهم ومكنهم مما امرهم فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب والسلاسل القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مضى في الحاقة وقرا نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا منونا الباقون بغير تنوين ووقف قنبل عن ابن كثير وحمزة الباقون بالف فاما قواريرا الاول فنونه نافع وابن كثير والكسائي وابو بكر عن عاصم ولم ينون الباقون ووقف يعقوب وحمزة بغير الف والباقون بالالف واما قواريرا الثانية فنونه ايضا نافع والكسائي وابو بكر ولم ينون الباقون فمن نون قراها بالالف ومن لم ينون اسقط منها الالف واختار ابو عبيد التنوين في الثلاثة والوقف بالالف اتباعا لخط المصحف قال رايت في مصحف عثمان سلاسلا بالالف وقواريرا الاول بالالف وكان الثاني مكتوبا بالالف فحكت فرايتها اثرها هنا بينا فمن صرف فله اربع حجج احدها ان هذه الجموع اشبهت الاحاد فجمعت جمع الاحاد فجعلت في حكم الاحاد فصرفت الثانية كان الاخفش عن العرب صرف جمع ما لا ينصرف الا افعل منك وكذا قال الكسائي والفرا هو على لغة من يجر الاسما كلها الا قولهم هو اظرف منك فانهم لا يجرونه وانشد ابن الاعرابي في ذلك قول عمرو بن كلثوم

كان سيوفنا فينا وفيهم

ممن كفر فله العقاب
ومن وحد فله الثواب

محاريق بايدي لاعبينا وقال السدي
وجزور ايسار دعوت لحتفها … بمغالق متشابه اعلامها
وقال لبيد ايضا
فضلا وذو كرم يعين على الندا … سمح كسوب رغائب غنامها

فصرف محاريق ومغالق ورغائب وسبيلها ان لا تنصرف والحجة الثالثة ان يقول نونت قواريرا الاول لانه راس اية ورؤس الاي جاءت بالنون كقوله جل وعز مذكورا سميعا بصيرا فنونا الاولى ليوفق بين رؤس الاي ونونا الثاني على الجوار الاول والحجة الرابعة اتباع المصاحف وذلك انهما جميعا في مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالالف وقد احتج من لم يصرفهن بان قال ان كل جمع بعد الالف منه ثلاثة احرف او حرفان او حرف مشدد لا ينصرف في معرفة ولا نكرة فالذي بعد الالف منه حرفين وكذلك قوله ثلاثة احرف قولك قناديل ودنانير ومناديل والذي بعد الالف منه حرفا قول الله عز وجل لهدمت صوامع وبيع لان بعد الالف حرفين وكذلك قوله ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا والذي بعد الالف منه حرف مشدد شواب ودواب وقال خلف سمعت يحيى بن ادم يحدث عن ابن ادريس قال في المصاحف الاولى الحرف الاول والثاني بغير الف فهذا حجة لمذهب حمزة وقال خلف رايت في مصحف ينسب الى قراءة ابن مسعود الاول بالالف والثاني بغير الف واما افعل منك ولا يقولون احد من العرب في شعره ولا في غيره هو افعل منك منونا لان من يقوم مقام الاضافة فلا يجمع بين تنوين واضافة في حرف لانهما دليلان من دلايل الاسما ولا يجمع بين دليلين قاله الفرا **قوله تعالى واغلالا** جمع غل تغل بها ايديهم الى اعناقهم وعن جبير بن نفير عن ابي الدردا كان يقول ارفعوا هذه الايدي الى الله جل ثناؤه قبل ان تغل بالاغلال وقال الحسن ان الاغلال لم تجعل في اعناق اهل النار لانهم اعجزوا الرب سبحانه ولكن اذلالا وسعيرا تقدم القول فيه **قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس** الابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل امر الله وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد وقيل جمع بر مثل نهر وانهار وفي الصحاح وجمع البر الابرار وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه والام برة بولدها وروي ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله عز وجل الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما ان لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذي لا يوذي الذر وقال قتادة الابرار الذين يودون حق الله تعالى ويوفون بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يوذون احدا يشربون من كاس اي من اناء فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر والكاس في اللغة الانا فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا قال الشاعر هو عمرو بن كلثوم

صببت الكاس عنا ام عمرو … وكان الكاس مجراها اليمينا

قال الاصمعي يقال صبت عنا الهدية اوما كان من معروف تصبن صبنا بمعنى كففت قال الجوهري كان مزاجها اي شوبها وخلطها قال

كان سبيئة من بيت راس … يكون مزاجها عسل وماء

ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفرا والسودا والحرارة والبرودة قال ابن عباس هو اسم عين ماء في الجنة يقال له عين الكافور اي يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا وقال سعيد عن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم بالمسك وقاله مجاهد وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل انما الكافور في ريحها لا في طعمها وقيل اراد كالكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب لقوله حتى اذا جعله نارا اي كنار وقال ابن كيسان طيبت بالمسك والكافور والزنجبيل وقال مقاتل ليس بكافور الدنيا ولكن سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي لها القلوب وقوله كان مزاجها كان زائدة اي من كاس مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله قال الفرا ان الكافور اسم العين ما في الجنة فعينا بدل من كافور على هذا وقيل بدل من كاس على الموضع وقيل هي حال من المضمر في مزاجها وقيل نصب على المدح كما يذكر الرجل فيقول العاقل اللبيب اي ذكرتم العاقل اللبيب فهو نصب باضمار اعني وقيل يشربون عينا وقال الزجاج المعنى من عين ويقال كافور وقافور والكافور ايضا وعا طلع النخل ولذلك الكفرى قاله الاصمعي واما قول الراعي

تكسو المفارق واللبات ذا ارج … من قصب معتلف الكافور دراج

فان الظبي يكون الذي منه المسك انما يرعى سنبل الطيب فجعله كافورا يشرب بها قال الفرا يشرب بها ويشربها سواء في المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينقع بها وانشد شمر بن نمار

بها البحر ثم ترفعت … متى لجج خضر لهن نئيج

قال ومثله يتكلم بكلام حسن

وتكلم كلاما حسنا وقيل المعنى يشربها والباء زايدة وقيل الباء بدل من تقديره يشرب منها قاله القتبي
يفجرونها تفجيرا فينالها الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد الى قصوره وشدة قضيب يشير به الى الما فيجري
معه حيث مادار في منازله على مستوى الارض على غير اخدود ويتبعه حيث ما صعد من اعالي قصوره
وذلك قوله عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا اي يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر ههنا وههنا
الى حيث يريد وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد يفجرونها تفجيرا يقودونها حيث شاوا ويتبعهم حيث مالوا مالت
معهم وروى ابو مقاتل عن صالح بن سعيد عن ابي سهل عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع
عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش احداهما التي ذكر الله يفجرونها تفجيرا والاخرى الزنجبيل
وعينان نضاختان من فوق العرش احداهما التي ذكر الله سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الترمذي الحكيم في
نوادر الاصول قال التسنيم للمقربين خاصة شربا لهم والكافور للابرار شربا لهم ومزج للابرار من التسنيم
شرابهم واما الزنجبيل والسلسبيل فللابرار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك
لمن هي شرب فما كان للابرار مزاج فهو للمقربين وما كان للابرار صرف فهو لساير اهل الجنة مزاج والابرار
هم الصادقون والمقربون هم الصديقون **قوله تعالى** يوفون بالنذر اي لا يخلفون اذا نذروا
وقال معمر عن قتادة بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات
وقال مجاهد وعكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله جل ثناؤه وقال الفرا والجرجاني وفي الكلام اضمار اي كانوا
يوفون بالنذر في الدنيا والعرب قد تزيد مرة كان وتحذف اخرى والنذر حقيقته ما اوجبه المكلف
على نفسه من شي يفعله وان شئت قلت في حد النذر هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يوجبه
لم يلزمه وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتمون العهود والمعنى واحد وقد قال الله تعالى ثم ليقضوا
تفثهم وليوفوا نذورهم اي اعمال نسكهم التي ألزموها انفسهم باحرامهم بالحج وهذا يقوي قول قتادة ان النذر
يندرج فيه ما التزمه المرا بما انه من امتثال امر الله تعالى قاله القشيري وروى اشهب عن مالك انه قال
يوفون بالنذر هو نذر العتق والصيام والصلاة وروى عنه ابو بكر بن عبد العزيز قال قال مالك
يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين **قوله تعالى** ويخافون اي يحذرون يوما اي يوم القيمة
كان شره مستطيرا اي عاليا داهيا فاشيا وهو في اللغة ممتدا والعرب تقول استطار الصدع
في القارورة والزجاجة واستطال اذا امتد قال الاعشى

فبانت وقد اورثت اسارت في الفواد صدعا على نايها مستطيرا

ويقال استطار الحريق اذا انتشر واستطار الفجر اذا انتشر الضوء قال حسان

وهان على سراة بني لوي حريق بالبويرة مستطير

فكان قتادة يقول استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملا السموات والارض وقال مقاتل كان شره فاشيا في السموات
فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملايكة وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه
قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال ابن عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له وقال
الداراني على حب الله وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وكان الربيع بن خثيم اذا جاءه
السايل قال اطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر مسكينا اي ذا مسكنة فروى ابو صالح عن ابن عباس
قال هو الطواف يسالك مالكا ويتيما اي من يتامى المسلمين وروى منصور عن الحسن ان يتيما كان يحضر طعام
ابن عمر فدعا ذات يوم بطعامه فطلب اليتيم فلم يجده وجاء بعدما فرغ ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام
فدعا له بسويق وعسل فقال دونك هذا فوالله ما غبنت قال الحسن وابن عمر والله ما غبن واسيرا
اي الذي يوسر فيحبس روى ابو صالح عن ابن عباس قال الاسير من اهل الشرك يكون في ايديهم وقاله قتادة
وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الاسير هو المحبوس وكذا قال سعيد بن جبير وعطا هو المسلم يسجن بحق
وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة وابن جبير قال قتادة لقد امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم
يوميذ لاهل الشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وقال عكرمة الاسير العبد وقال ابو حمزة الثمالي
الاسير المراة يدل عليه قوله عليه السلام استوصوا بالنسا خيرا فانهن عوان عندكم اي اسيرات
وقال ابو سعيد الخدري قرا النبي صلى الله عليه وسلم ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
فقال المسكين الفقير واليتيم الذي لا اب له والاسير المملوك والمسجون ذكره الثعلبي وقال سعيد

طعام المسكين انه الصدقات وطعام الاسير السيف قاله سعيد بن جبير وقال غيره بل هو ثابت الحكم
واطعام اليتيم والمسكين على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى ان يتخير فيه الامام الماوردي ويحتمل
ان يريد بالاسير الناقص العقل لانه في اسر خبله وجنونه واسر المشرك انتقام يقف على راي الامام وهذا
بر واحسان وعن عطا قال الاسير من اهل القبلة وغيرهم قال الشيخ فكان هذا القول عام يجمع جميع الاقوال
ويكون اطعام الاسير المشرك قربة الى الله تعالى غير انه من صدقة التطوع فاما المفروضة فلا والله اعلم ومعنى
القول في المسكين واليتيم والاسير واستقاق ذلك من اللغة في البقرة مستوفى والحمد لله **قوله تعالى**
انما نطعمكم لوجه الله اي يقولون بالسنتهم للمسكين واليتيم والاسير انما نطعمكم في الله جل ثناؤه فزعا
من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد منكم جزاء اي مكافاة ولا شكورا اي ولا ان تثنوا علينا بذلك قال
ابن عباس كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا وعن سالم عن مجاهد قال اما انهم ما تكلموا به ولكن علم الله
جل ثناؤه منهم فاثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب وقاله سعيد بن جبير حكاه عن القشيري وقيل ان هذه
الاية نزلت في مطعم بن ورقا الانصاري نذر نذرا فوفى به وقيل نزلت فيمن تكفل باسير بدر وهم سبعة من
المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وابو عبيدة رضي الله عنهم ذكره الماوردي
وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم في واحد واحد مسكينا ويتيما واسيرا وقال ابو حمزة الثمالي
بلغني ان رجلا قال يا رسول الله اطعمني فاني والله مجهود فقال والذي نفسي بيده ما عندي ما اطعمك ولكن
اطلب فاتى رجلا من الانصار وهو يتعشى مع امراته فساله واخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقالت المراة
اطعمه واسقه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم يتيم فقال يا رسول الله اطعمني فاني مجهود فقال ما عندي ما اطعمك
ولكن اطلب فاستطعم ذلك الانصاري فقالت المراة اطعمه واسقه فاطعمه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
اسير فقال يا رسول الله اطعمني فاني مجهود فقال والله ما معي ما اطعمك ولكن اطلب فجاء الانصاري فطلب فقالت
المراة اطعمه واسقه فنزلت ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ذكره الثعلبي
وقال اكثر المفسرين نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة قال الشيخ المولف
رحمه الله والصحيح انها نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا فهي عامة وقد ذكر النقاش والثعلبي
والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثا لا يصح ولا يثبت رواه ليث
عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عز وجل يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما عمومة
العرب فقالوا يا ابا الحسن ورواه جابر الجعفي عن قنبر مولى علي قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن رجع الحديث الى حديث ليث بن ابي سليم
لو نذرت عن ولدك نذرا وكل نذر لا يكون له وفا فليس بشي فقال علي ان برا ولداي صمت لله ثلاثة ايام شكرا
حديث الجعفي وقال الحسن والحسين مثل ذلك علينا وقالت فاطمة مثل ذلك وفي فالبس علامات العافية
وليس عند ال محمد قليل ولا كثير فانطلق علي الى شمعون بن جار الخيبري وكان يهوديا فاستقرض منه
ثلاثة اصوع شعير فجاء به فوضعه ناحية البيت فقامت فاطمة الى صاع فطحنته واختبزته وصلى علي مع
النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه وفي حديث الجعفي فقامت الجارية الى صاع
من شعير فخبزت منه خمسة اقراص لكل واحد منهم قرص فلما فضى صيامهم الاول وضع بين ايديهم الخبز
والملح الجريش اذ اتاهم مسكين فوقف بالباب فقال السلام عليكم اهل بيت محمد في حديث الجعفي انا مسكين من
مساكين امة محمد والله اطعموني اطعمكم الله على موايد الجنة فسمعه علي وانشا يقول

افاطم ذات السداد واليقين	يا ابنة خير الناس اجمعين
اما ترين البايس المسكين	قد قام بالباب له حنين
يشكوا الى الله ويستكين	يشكوا الينا جايع حزين
كل امري بكسبه رهين	وفاعل الخير سيستبين
موعدنا جنة عليين	حرمها الله على الظنين
وللبخيل موقف مهين	يهوي به النار سجين
شرابه الحميم والغسلين	من يفعل الخير يقم سمين

استطار النجم اذا انتشر الضوء

وبدخل الجنة اي جن ... فانشات فاطمة رضي الله عنها
امرك يا ابن عم سمع وطاعة ... ومابي من لوم ولا وضاعة
عديت في الخبز له صناعة ... ساطعمه لا انهنه ساعة
ارجوا ان اشبعت من مجاعة ... ان الحق الاخيار والجماعة
وادخل الجنة لي شفاعة ... امرك عندي يا ابن عم طاعة
مالي مال ولا بضاعة ... عدلت في الخبز له صناعة
اطعمه ولا ابالي الساعة ... ارجوا اذا اشبعت والمجاعة
ان الحق الاخيار والجماعة ... فادخل الخلد ولي شفاعة

فاعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح فلما ان كان اليوم الثاني قامت الى صاع وطحنته واختبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين ايديهم فوقف بالباب يتيم فقال السلام عليكم اهل بيت محمد يتيم من الاولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة اطعموني اطعمكم الله على موائد الجنة فسمعه علي فانشا يقول

افاطم بنت السيد الكريم ... بنت نبي ليس بالزنيم
قد اتى الله بذي اليتيم ... من يرحم الله يكن رحيم
ويدخل الجنة اي سليم ... قد حرم الله الجنة للئيم
الا لا يجوز الصراط المستقيم ... يزل في النار الى الجحيم
شرابه الصديد والحميم ... فانشات فاطمة تقول

ساطعمه ولا ابالي ... واوثر الله على عيالي
امسوا جياعا وهم اشبالي ... اصغرهما يقتل في القتال
بكربلا يقتل باغتيالي ... يا ويل القاتل مع وبالي
يهوي في النار الى سفالي ... وفي يديه الغل والاغلالي
كبوله زادت على الاكبالي

فاعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح فلما ان كان في اليوم الثالث قامت الى الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه اذ اتاهم اسير فوقف بالباب فقال السلام عليكم اهل بيت محمد تاسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا اطعموني فاني اسير محمد فسمعه علي فانشا يقول

افاطم يا ابنة النبي احمد ... بنت نبي سيد مسود
سماه الله فهو محمد ... قد زانه الله بحسن اغيد
هذا اسير للنبي المهتد ... مثقل في غلة مقيد
يشكوا الينا الجوع قد تمدد ... من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ... ما يزرع الزارع سوف يحصد
اعطيه لا تجعليه ينكد ... فانشات فاطمة تقول

لم يبق مما جاء غير صاع ... قد ذهبت كفي مع الذراع
ابناي والله هما جياع ... يارب لا تتركهما ضياع
ابوهما للخير ذو اصطناع ... يصطنع المعروف بابتداع
عبل الذراعين شديد الباع ... وما على راسي من قناع
الا قناعا نسجه انساع

فاعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة ايام ولياليها لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح فلما ان كان في اليوم الرابع وقد قضى الله النذر اخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين فاقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما ابصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا الحسن ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم انطلق بنا الى ابنتي فاطمة فانطلقوا اليها وهي في محرابها قد لصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها من شدة الجوع فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف المجاعة في وجهها بكى وقال واغوثاه بالله اهل محمد يموتون جوعا فهبط جبريل وقال السلام يقرئك السلام يا محمد خذه هنيئا في اهل بيتك قال وما اخذ يا جبريل فاقراه هل اتى على الانسان حين من الدهر الى قوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قال الترمذي

الحكيم ابو عبدالله في نوادر الاصول فهذا حديث مزوق قد تطرق فيه صاحبه حين تشبه على المستمعين فالجاهل بهذا الحديث بعض شفتيه تلهفا الا ان يكون بهذه الصفة ولا يعلم ان صاحب هذا الفعل مذموم وقال الله تعالى في تنزيله ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك وجرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة بان خير الصدقة ما كان على ظهر غنى وابدا بنفسك ثم بمن تعول وافترض الله على الازواج نفقة اهاليهم واولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقول افيحسب عاقل ان عليا جهل هذا الامر حتى اجهد صبيانا صغارا من ابناء خمس او ست على جوع ثلاثة ايام ولياليهن حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون منهم لخلاء اجوافهم حتى ابكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد هب انه اثر على نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يحمل اهله على ذلك وهب ان اهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له ان يحمل على اطفاله جوع ثلاثة ايام بلياليهن ما يروج مثل هذا الا على حمقى جهال ابى الله لقلوب متنبهة ان يظن بعلي مثل هذا وليت شعري من حفظ هذه الابيات كل ليلة عن علي وفاطمة واجابة كل واحد منهما صاحبه حتى اداه الى هؤلاء الرواة فهذا واشباهه من حديث اهل السجون فيما ارى بلغني ان قوما يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون احاديث في السمر واشباهه ومثل هذه الاحاديث مفتعلة فاذا صارت الى الجهابذة رموا بها وزيفوها وما من شيء الا له افة ومكيدة وافة الدين وكيده اكثر **قوله تعالى** انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا عبوسا من صفة اليوم اي يوما يعبس فيه الوجوه من هوله وشدته والمعنى نخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من عينيه عرق مثل القطران وعن ابن عباس العبوس الضيق والقمطرير الطويل قال الشاعر

شديدا عبوسا قمطريرا ... وقيل القمطرير الشديد تقول
العرب يوم قمطرير وقماطر وعصيب بمعنى وانشد الفراء

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ... عليكم اذا ما كان يوم قماطر

بضم القاف واقمطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله من البلاء قال الشاعر

ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها ... ولج بها اليوم العبوس القماطر

وقال الكسائي يقال اقمطر اليوم وازمهر اقمطرارا وازمهرارا وهو الزمهرير والقمطرير ويوم مقمطر اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي

بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة ... ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب

وقال مجاهد العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم وانشد ابن الاعرابي

يغدو على الصيد يعود منكسر ... ويقمطر ساعة ويكفهر

وقال ابو عبيدة يقال رجل قمطرير اي متقبض ما بين العينين وقال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم زائدة قال اسد بن ناعصة

واصطليت الحروب في كل يوم ... باسل الشر قمطرير الصباح

قوله تعالى فوقاهم الله اي دفع عنهم شر ذلك اليوم اي باسه وشدته وعذابه ولقاهم اي اتاهم واعطاهم حين لقوه اي رأوه نضرة اي حسنا وسرورا اي حبورا قال الحسن ومجاهد نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وفي النضرة ثلاثة اوجه احدها انه البياض والنقا قاله الضحاك الثاني الحسن والبهاء قاله ابن جبير الثالث انها اثر النعمة قاله ابن زيد **قوله تعالى** وجزاهم بما صبروا على الفقر وقال القرظي على الصوم وقال عطاء على الجوع ثلاثة ايام وهي ايام النذر وقيل بصبرهم على طاعة الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه وما مصدرية وهذا على ان الاية نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على اداء الفرائض والصبر على اجتناب المحارم والصبر على المصائب جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير اي يسمى بحرير الدنيا وكذلك الذي في الاخرة ما شاء الله عز وجل من الفضل وقد تقدم ان من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وانما السيه من السيه في الجنة عوضا عن حبسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها **قوله تعالى** متكئين فيها اي في الجنة ونصب متكئين على الحال من الهاء والميم في جزاهم والعامل فيها جزى ولا تعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا

والاتكاء في الآخرة وقال الفراء ان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال جزاؤهم جنة متكئين فيها
على الارائك السرر في الحجال وقد تقدم وجاءت عن العرب اسماء تحتوي على صفات احدها الاريكة
لا تكون الا في الحجلة على سرير ومنها السجل وهو الدلو الممتلئة ماء فاذا صفرت لم تسم سجلا وكذلك الذنوب
لا تسمى ذنوبا حتى تملأ والكاس لا تسمى كاسا حتى يترع من الخمر وكذلك المطبق الذي يهدى عليه
الهدية مهدى فاذا كان فارغا قيل طبق او خوان قال ذو الرمة

خدود جفت في السير حتى كانما ... يباشرن بالمعزاء مس الارائك

اي الفرش على السرر ومهدي بكسر الميم قال ابن الاعرابي ولا يسمى الطبق مهدى الا وفيه ما يهدى
والمهدى ايضا المكان الذي من عادته ان يهدى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي لا يرون في الجنة شدة
حر كحر الشمس ولا زمهريرا اي ولا بردا مفرطا قال الاعشى

منعمة طفلة كالمهاة لم ... تر شمسا ولا زمهريرا

وعن ابي صالح عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها عز وجل فقالت يا رب اكل بعضي بعضا
فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة
ما تجدون من الحر في الصيف من سمومها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هواء الجنة سجسج
لا حر ولا برد والسجسج الظل الممدود كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقال مرة الهمداني الزمهرير
البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان هو شيء مثل رؤوس الابر ينزل من السماء في غاية البرد وقال ابن مسعود
هو لون من العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سألوا الله ان يعذبهم بالنار الف
سنة اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا وقال ابو النجم

لو كنت ريحا كانت زمهريرا

وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طيء قال شاعرهم

وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر اي لم يطلع القمر فالمعنى لا يرون
فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا اي انهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار لان ضوء النهار
بالشمس وضوء الليل بالقمر وقد مضى هذا المعنى مجودا في سورة مريم عند قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وقال ابن عباس بينما اهل الجنة في الجنة راوا نورا ظنوه شمسا قد اشرقت بذلك النور الجنة فيقولون
قال ربنا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا فما هذا النور فيقول لهم رضوان ليست هذه شمس ولا قمر ولكن
هذه فاطمة وعلي ضحكا فاشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما انزل الله تعالى هل اتى على الانسان وانشد

انا مولى لفتى انزل فيه هل اتى ... ذاك علي المرتضى وابن عم المصطفى

قوله تعالى ودانية عليهم ظلالها اي ظل الاشجار في الجنة قريبة من الابرار فهي مظلة عليهم زيادة
في نعيمهم وان كان لا شمس ثم كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ ولا شعث ويقال
ان ارتفاع الاشجار في الجنة مقدار مائة عام فاذا اشتهى ولي الله ثمرتها تدانت منه حتى يتناولها
وانتصب دانية على الحال عطفا على متكئين كما تقول في الدار عبد الله متكئا ومرسلة عليه الحجال
وقيل انتصب نعتا للجنة اي وجزاهم جنة دانية فهي صفة لموصوف محذوف وقيل على معنى لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا ويرون دانية وقيل على المدح اي دنت دانية قال الفراء والظلال مرفوعة
بدانية ولو قرا برفع دانية على ان يكون الظلال مبتداة ودانية الخبر كان ويكون الجملة في موضع الحال
من الهاء والميم في جزاهم وقد قرئ بذلك وفي قراءة عبد الله ودانيا عليهم لتقدم الفعل وفي حرف ابي ودان
ان رفع على الاستيناف وذللت اي سخرت لهم قطوفها اي ثمارها تذليلا اي تسخيرا فيتناولها القائم
والقاعد والمضطجع لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك قاله قتادة وقال مجاهد ان قام ارتفعت
له وان جلس تذللت عليه وان اضطجع دنت منه فاكل منها وعنه ايضا ارض الجنة من ورق وترابها الزعفران
وطينها مسك اذفر واصول شجرها ذهب وورق وافنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والثمر تحت
ذلك كله فمن اكل منها قائما لم يؤذه ومن اكل منها قاعدا لم يؤذه ومن اكل منها مضطجعا لم يؤذه وقال
ابن عباس اذا هم ان يتناول من ثمارها تدلت اليه حتى يتناول منها ما يريد وتذليل القطوف تسهيل التناول
والقطوف الثمار الواحد قطف بكسر القاف سمي به لانه يقطف كما سمي الجنى لانه يجنى تذليلا تاكيد لما وصف
به من الذل كقوله ونزلناه تنزيلا وكلم موسى تكليما الماوردي ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها

من اوصاف الجنة

الابرز

يبرز لهم من اكمامها وتخلص لهم من نواها قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا فيه بعد فقد روى ابن المبارك
قال اخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب
احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلاء اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس فيه عجم قال ابو جعفر النحاس ويقال المذلل الذي قد ذلله
الماء اي ارواه ويقال المذلل الذي تفيئه ادنى ريح لنعمته ويقال المذلل المسوى لان اهل الحجاز يقولون
ذلل نخلك اي سوه ويقال المذلل القريب المتناول ومن قولهم حائط ذليل اي قصير قال ابو جعفر وهذه
الاقوال التي حكيناها ذكرها اهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس

وساق كانبوب السقي المذلل

قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب اي يدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشراب بآنية من فضة قال ابن عباس ليس في
الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء اي ما في الجنة اشرف واعلى وانقى ثم لم ينف الاواني الذهبية
بل المعنى يسقون في اواني الفضة وقد يسقون في اواني الذهب وقد قال يطاف عليهم بصحاف من ذهب
واكواب وقيل نبه بذكر الفضة على الذهب كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فنبه بذكر احدهما على
الثاني والاكواب الكيزان العظام التي لا اذان لها ولا عرى الواحد منها كوب قال عدي

متكئا تقرع ابوابه ... يسعى عليه العبد بالكوب

وقد مضى في الزخرف كانت قوارير قوارير من فضة اي في صفاء القوارير وبياض الفضة فصفاؤها
صفاء الزجاج وهي من فضة وقيل ارض الجنة من فضة والاواني تتخذ من تربة الارض التي هي منها ذكره
ابن عباس وقال ليس في الجنة شيء الا قد اعطيتم في الدنيا شبهه الا القوارير من فضة وقال لو اخذت
فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم ير من ورائها الماء ولكن قوارير الجنة مثل
الفضة في صفاء القوارير قدروها تقديرا قراءة العامة بفتح القاف والدال اي قدروها
لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة
ولا نقصان الكلبي وذلك الذ واشهى والمعنى قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم وعن ابن عباس
ايضا قدروها على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بثقل او بافراط صغر وقيل ان الشاربين
قدروا لها مقادير في انفسهم على ما اشتهوا وقدروا وقرا عبيد بن عمير والشعبي وابن سيرين
قدروها بضم القاف وكسر الدال اي جعلت لهم على قدر ارادتهم وذكر هذه القراءة المهدوي
عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وقال من قرا قدروها فهو راجع الى معنى القراءة الاخرى وكان
الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت عليهم وانشد سيبويه

آليت حب العراق الدهر اطعمه ... والحب ياكله في القرية السوس

وذهب الى ان المعنى على حب العراق وقيل هذا التقدير هو ان الاقداح تطير فتغترف بمقدار
شهوة الشارب وذلك قوله قدروها تقديرا اي لا يفضل عن الري ولا ينقص منه فقد الهمت الاقداح
معرفة مقدار ري المشتهي حين تغترف بذلك المقدار ذكر هذا القول الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
قوله تعالى ويسقون فيها كاسا وهي الخمر في الاناء كان مزاجها زنجبيلا كان صلة مزاجها
زنجبيلا او كان في حكم الله زنجبيلا وكانت العرب تستلذ من الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب
رائحته لانه يحذو اللسان ويهضم الماكول فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب
وقال المسيب بن علس يصف ثغر المرأة

وكان طعم الزنجبيل به ... اذ ذقته وسلافة الخمر

ويروى الكرم وقال آخر

كان جنيا من الزنجبيل بات بفيها ... واريا مشورا

ونحوه قول الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل ... باتا بفيها واريا مشورا

وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الابرار وكذا قال قتادة الزنجبيل اسم العين
التي يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هي عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل
وقيل ان فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل والمعنى كان فيها زنجبيلا عينا بدل من كان ويجوز
ان ينتصب باضمار فعل اي يسقون عينا ويجوز نصبه باسقاط الخافض اي من عين على ما تقدم
من قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله فيها اي في الجنة تسمى سلسبيلا السلسبيل الشراب

اللذيذ وهو فعليل من السلاسة فقول العرب هذا شراب سلس وسلسال وسلسل وسلسبيل
بمعنى اي طيب الطعم لذيذه وفي الصحاح وتسلسل الماء في الحلق جرى وسلسلته انا صببته
فيه وماء سلسل وسلسال سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه والسلاسل بالضم مثله
وقال الزجاج السلسبيل في اللغة اسم لما كان في غاية السلاسة وكان العين سميت بصفتها وعن
مجاهد قال سلسبيلا حديد الجرية تسيل في حلوقهم انسلالا لا وعن عن ابن عباس انها الحديدة
الجري ذكره الماوردي ومنه قول حسان بن ثابت يسقون من ورد البريض عليهم
كاسا يصفق بالرحيق السلسل وقال ابو العالية ومقاتل انما سميت سلسبيلا
لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنة وقال
قتادة سلسلة منقادة ماؤها حيث شاؤا ونحوه عن عكرمة وقال القفال اي تلك عين شريفة فسل سبيلا
اليها وروي هذا عن علي رضي الله عنه وقال ابن عباس هذا عن علي رضي الله عنه وقوله يسمى اي انها
مذكورة عند الملائكة وعند الابرار واهل الجنة بهذا الاسم وصرف سلسبيل لانه راس اية كقوله الظنونا
والسلسبيلا **قوله تعالى** ويطوف عليهم ولدان مخلدون بين من الذي يطوف بالانية
اي ويخدمهم ولدان مخلدون فانهم اخف في الخدمة ثم قال مخلدون اي باقون على ما هم عليه من الشباب
والغضاضة والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مرور الازمنة وقيل
مخلدون لا يموتون وقيل مسورون مقرطون اي محلون والتخليد التحلية وقد تقدم هذا اذا
رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا اي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء الوانهم لؤلؤا مفرقا في عرصة المجلس
واللؤلؤ اذا نثر بساط منسوج من ذهب كان احسن منه منظوما وعن المامون انه ليلة زفت اليه
بوران بنت الحسين بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخليفة
اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا
حيث يقول كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب
وقيل انما شبههم بالمنثور لانهم سراع في الخدمة بخلاف الحور العين اذ شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون
لانهن لا يمتهن بالخدمة **قوله تعالى** واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا
ثم ظرف مكان اي هناك في الجنة والعامل في ثم معنى رايت اي واذا رايت اي واذا رايت ببصرك في
الجنة ثم وقال الفراء في الكلام ما مضمرة اي واذا رايت ما ثم لقوله تعالى لقد تقطع بينكم
اي ما بينكم وقال الزجاج ما موصولة بثم على ما ذكره الفراء ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة
ولكن رايت يتعدى في المعنى الى ثم والمعنى اذا رايت ببصرك ثم ويعني بثم الجنة وقد ذكر الفراء
هذا ايضا والنعيم سائر ما يتنعم به والملك الكبير استيذان الملائكة عليهم قاله السدي وغيره
قال الكلبي هو ان ياتي الرسول من عند الله بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف
الى ولي الله وهو في منزله فيستاذن عليه فذلك الملك العظيم وقال مقاتل بن سليمان الملك الكبير
هو ان يكون لاحدهم سبعون حاجبا حاجبا دون حاجب فبينما ولي الله فيما هو فيه من اللذة والسرور
اذ يستاذن عليه ملك من عند الله قد ارسله الله بكتاب وهدية وتحفة من رب العالمين لم يرها ذلك
الولي في الجنة قط فيقول للحاجب الخارج استاذن على ولي الله وان معي كتابا وهدية من رب العالمين
فيقول ذلك الحاجب للحاجب الذي يليه هذا رسول من رب العالمين معه هدية وكتاب يستاذن على
ولي الله فيستاذن كذلك حتى يبلغ الى الحاجب الذي يلي ولي الله فيقول له يا ولي الله هذا رسول من رب
العالمين يستاذن عليك معه كتاب وتحفة من رب العالمين افتاذن له فيقول نعم وائذنوا له فيقول
ذلك الحاجب للذي يليه فائذنوا له فيقول الذي يليه كذلك حتى يبلغ الحاجب الاخر فيقول له نعم ايها
الملك قد اذن لك فيدخل فيسلم عليه ويقول السلام يقرؤك السلام وهذه تحفة وهذا كتاب
من رب العالمين اليك فاذا هو مكتوب عليه من الحي الذي لا يموت فيفتحه فاذا فيه سلام على عبدي وولي
ورحمتي وبركاتي اما ان لك ان تشتاق الى رؤية ربك فيستخفه الشوق ويركب البراق فيطير به
البراق شوقا الى زيارة علام الغيوب فيعطيه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وقال سفيان الثوري بلغنا ان الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم دليله قوله تعالى والملائكة

يدخلون

الملك الكبير هو ان يكون لاحدهم سبعون حاجبا

يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقيل الملك الكبير كون التيجان على رؤسهم
كما يكون على راس ملك من الملوك وقال الترمذي الحكيم يعني ملك التكوين اذا ارادوا شيئا قالوا له
كن وقال ابو بكر الوراق ملك لا يتعقبه هلك وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك الكبير هو ادناهم
منزلة ينظر في ملكه مسيرة الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه قال وان افضلهم منزلة من ينظر في وجه
ربه تعالى كل يوم مرتين **قوله تعالى** ثياب سندس خضر واستبرق قرا نافع وحمزة وابن محيصن عاليهم
ساكنة الياء واختاره ابو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما عاليتهم وبتفسير ابن
عباس اما رايت الرجل عليه ثياب يعلوها افضل منها الفراء وهو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب سندس واسم
الفاعل يراد به الجمع ويجوز في قول الاخفش ان يكون افراده على انه فعل متقدم وثياب مرتفعة به وسدت
مسد الخبر والاضافة فيه في تقدير الانفصال لانه لم يمض وابتدي به لانه اختص بالاضافة وقرا الباقون
عاليهم بالنصب قال الفراء هو كقولك فوقهم والعرب تقول قومك داخل الدار فينصبون داخل على الظرف
لانه محل وانكر الزجاج هذا وقال هو مما لا يعرفه في الظروف ولو كان ظرفا لم يجز اسكان الياء ولكنه
نصبا على الحال من شيئين احدهما الهاء والميم في قوله يطوف عليهم اي على الابرار ولدان عاليا الابرار
ثياب سندس اي يطوف عليهم في هذه الحال والثاني ان يكون حالا من الولدان اي اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا في حال علو الثياب ابدانهم وقال ابو علي العامل في الحال اما لقاهم نضرة وسرورا واما جزاهم
بما صبروا قال ويجوز ان يكون ظرفا فصرف المهدوي ويجوز ان يكون اسم فاعل ظرفا كقولك هو ناحية
من الدار وقيل ان عاليا لما كان بمعنى فوق اجرى مجراه فجعل ظرفا وقرا ابن محيصن وابن كثير وابو بكر
عن عاصم خضر بالجر على نعت السندس واستبرق بالرفع نسقا على الثياب ومعناه عليهم سندس واستبرق
وقرا ابن عامر وابو عمرو ويعقوب خضر رفعا نعتا للثياب واستبرق بالخفض نعتا للسندس واختاره ابو
عبيد وابو حاتم لجودة معناه لان الخضر احسن ما كان نعتا للثياب فهي مرفوعة واحسن ما عطف جنس
على جنس والمعنى ثياب خضر من سندس واستبرق اي من هذين النوعين وقرا نافع وحفص كلاهما بالخفض
ويكون قوله خضر نعتا للسندس والسندس اسم جنس واجاز الاخفش وصف اسم الجنس بالجمع على استقباح
له يقول اهلك الناس الدينار الاصفر والدرهم البيض ولكنه مستبعد في الكلام والمعنى على هذه
القراءة عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وثياب بالرفع ويكون خضر نعتا للثياب لانهما جميعا بلفظ
الجمع واستبرق عطفا على الثياب وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي كلاهما وكلهم صرف
الاستبرق الا ابن محيصن فانه فتحه ولم يصرفه فقرا واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف
لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف يقول الاستبرق الا انه ابن عمر بن محيصن انه قد
يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرا واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من
البريق وليس بشيء ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره والسندس مارق من الديباج
والاستبرق ما غلظ منه وقد تقدم قوله تعالى وحلوا عطف على ويطوف اساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون
اساور من ذهب وفي الحج يحلون من اساور من ذهب ولؤلؤا فقيل حلي الرجال الفضة وحلي النساء الذهب وقيل
يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران
من لؤلؤ ليجتمع من محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب وقيل اي لكل قوم ما تميل اليه نفوسهم وسقاهم ربهم
شرابا طهورا قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة
مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم
ولا تشعث اشعارهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى ثم يستقبلهم خزنة الجنة
فيقول لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وابو قلابة هو اذا شربوه بعد
اكلهم طهرهم فصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على
باب الجنة ينبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان من خوفه
من اذى وندد وهذا معنى ما روي عن علي الا انه في قول مقاتل عين واحدة وعليه فيكون فعول للمبالغة
ولا يكون فيه حجة للحنفي انه بمعنى الطاهر وقد مضى بيانه في الفرقان والحمد لله وقال طيب الجمال صليت
خلف سهل بن عبد الله العتمة فقرا وسقاهم ربهم شرابا طهورا وجعل يحرك شفتيه وفمه كانه يمص شيئا فلما

فرغ نقيل له اشرب ام نقرا فقال والله لولم اجد لذته عند قرانه كلذته عند شربه ما فرات ته
قوله تعالى ان هذا كان لكم جزا اي يقال لهم انما هذا جزاء لكم اي ثواب وكان سعيكم اي عملكم
مشكورا اي من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته وثناوه عليه واثابته اياه وروي سعيد عن قتادة قال
غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقال مجاهد مشكورا اي مقبولا والمعني متقارب فانه سبحانه اذا قبل العمل شكره
واذا شكره اثاب عليه الجميل اذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم روي عن ابن عمر ان رجلا حبشيا قال يا رسول الله
فضلتم علينا بالصور والالوان والنبوة افرايت ان امنت بما امنت به وعملت بما عملته اكاين انا معك في
الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليري بياض الاسود في الجنة وضياؤه مسيرة الف عام ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عند الله عهد ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له بها عند الله ماية
الف حسنة واربعة وعشرون الف حسنة فقال رجل كيف يهلك بعدها يا رسول الله فقال ان الرجل لياتي يوم
القيامة لو وضع علي جبل لاثقله فتجي النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله الا ان يتعطف الله برحمته
قال ثم نزلت هل اتي علي الانسان الي قوله وملكا كبيرا فقال الحبشي يا رسول الله وان عيني لتري ما تري عيناك في الجنة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فبكا الحبشي حتي فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حفرته ويقول ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا قلنا يا رسول الله وما هو قال والذي نفسي بيده
لقد اوقفه الله ثم قال اي عبدي لابيضن وجهك ولابوينك من الجنة حيث شئت وجهك فنعم اجر العاملين
قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا ما افتريته ولا جيت به من عندك ولا من تلقاء
نفسك كما يدعيه المشركون ووجه اتصال هذه الاية بما قبل انه سبحانه لما ذكر اوصاف الوعد والوعيد بين ان
هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر وانه حق وقال ابن عباس انزل القران
متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلنا وقد مضي هذا مبينا والحمد لله قوله تعالى
فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك وروي الضحاك عن ابن عباس قال اصبر علي اذا المشركين هكذا قضيت
ثم نسخ باية القتال وقيل اصبر لما حكم به عليك من الطاعات وانتظر حكم الله اذ وعدك انه ينصرك عليهم
ولا تستعجل فانه كاين لا محالة ولا تطع منهم اثما او كفورا اي لا تطع الكفار فروي معمر عن قتادة قال قال
ابو جهل ان رايت محمدا يصلي لاطان علي عنقه وانزل الله عز وجل ولا تطع منهم اثما او كفورا ويقال في عتبة بن
ربيعة والوليد بن المغيرة وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج علي ان
يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت ولا تطع منهم اثما او كفورا قال مقاتل الذي عرض التزويج عتبة بن ربيعة
قال ان بناتي من اجمل نساء قريش فانا ازوجك ابنتي بغير مهر وارجع عن هذا الامر وقال الوليد ان كنت
صنعت ما صنعت من اجل المال فانا اعطيك من المال حتي ترضي وارجع عن هذا الامر فنزلت ثم قيل اذ في قوله
اثما او كفورا اوكد من الواو واذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما كان غير عاص لانه امره ان لا
يطيع الاثنين فاذا قيل لا تطع منهم اثما او كفورا فاو قد دلت علي ان كل واحد منهما اهل ان يعصي كما انك
اذا قلت لا تخالف الحسن او ابن سيرين او اتبع الحسن وابن سيرين فقد قلت هذان اهل ان يتبعا
وكل واحد منهما اهل لان يتبع قاله الزجاج وقال الفراء او هنا بمنزلة لا كانه قال ولا كفورا قال
الشاعر
لا وجد ثكلي كما وجدت ولا … وجد عجوز اضلها ربع
او وجد شيخ اضل ناقته … يوم توافي الحجيج فاندفعوا
اراد ولا وجد شيخ وقيل الاثم المنافق والكفور الكافر
الذي يظهر الكفر اي لا تطع منهم اثما ولا كفورا وهو قريب من قول الفرا قوله تعالى واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره ففي اوله صلاة الصبح وفي اخره صلاة الظهر
والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء الاخرة وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل
قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق سوا
كان في الصلاة او في غيرها وقال ابن زيد وغيره ان قوله وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات الخمس
وقيل هو ندب وقيل هو مخصوص للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم القول في مثله في المزمل وقول ابن
حبيب حسن وجمع الاصيل الاصايل والاصل كقولك سفاين وسفن قال ولا باحسن منها اذا دنا الاصل
وقال من الاصايل وهو جمع الجمع
لعمري لانت البيت اكرم اهله … واقعد في افنايه بالاصايل
وقد مضي هذا في اخر الاعراف مستوفي ودخلت من علي الظرف للتبعيض كما دخل علي المفعول في قوله يغفر

كل تسبيح في القرآن فهو صلاة

لكم من ذنوبكم قوله تعالى ان هاولاء يحبون العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة
الدنيا ويذرون اي يدعون وراءهم اي بين ايديهم يوما ثقيلا اي عسيرا شديدا كما قال ثقلت في السموات
والارض اي يتركون الايمان بيوم القيامة وقيل وراءهم اي خلفهم اي ويذرون الاخرة خلف ظهورهم فلا
يعملون لها وقيل نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وحبهم العاجلة
اخذهم الرشا علي ما كتموه وقيل المراد المنافقون لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا والاية تعم واليوم
الثقيل يوم القيامة وانما سمي ثقيلا لشدايده واهواله وقيل للقضاء فيه بين عباده قوله تعالى
نحن خلقناهم اي من طين وشددنا اسرهم اي خلقهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم والاسر
الخلق قال ابو عبيدة يقال فرس شديد الاسر اي الخلق ويقال اسره الله جل ثناؤه اذا احكم خلقه قال
لبيد
ساهم الوجه شديد اسره … مشرف الحارك محبوك الكتف
وقال الاخطل
من كل مجتنب شديد اسره … سلس القياد تخاله مختالا
وقال ابو هريرة
والحسن والربيع شددنا مفاصلهم واوصال بعضها الي بعض بالعروق والعصب وقال مجاهد في تفسير
الاسر هو الشرج اذا خرج الغايط والبول تقبض الموضع وقال ابن زيد الاسر القوة وقال ابن احمر يصف
فرسا
يمشي باوظفة شداد اسرها … شم السنابك لا تقي بالجدجد
واشتقاقه من
الاسار وهو القد الذي يشد به الاقتاب يقول اسرت القتب اسرا اي شددته وربطته ويقال
ما احسن اسر قتبه اي شده وربطه ومنه قولهم خذه باسره اذا اراد وا ان يقولوا هو لك كله كانهم ارادوا
تعكيمه وشده لم يفتح ولم ينقص منه شي ومنه الاسير لانه كان يكتف بالاسار والعكم شد المتاع يقال عكمت المتاع شددته
والعكام الخيط الذي يعكم به وعكمت البعير شددت عليه العكم والكلام خرج مخرج الامتنان
عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية اي سويت خلقك واحكمته بالقوي ثم انت تكفرني واذا شينا بدلنا
امثالهم تبديلا قال ابن عباس يقول لو نشا لاهلكناهم وجينا باطوع لله منهم وعنه ايضا لغيرنا محاسنهم
الي اسمج الصور واقبحها كذا روي الضحاك عنه والاول رواه عنه ابو صالح قوله تعالى ان هذه اي السورة
تذكرة اي موعظة فمن شا اتخذ الي ربه سبيلا اي طريقا موصلا الي طاعته وطلب مرضاته وقيل سبيلا
اي وسيلة وقيل وجهة فطريقا الي الخير والمعني واحد وما تشاؤون اي الطاعة والاستقامة
واتخاذ السبيل الي الله الا ان يشا الله فاخبر ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا ينفذ مشيته
احد ولا يبعدها الا ان تنفذ مشيته سبحانه وقرا ابن كثير وابو عمرو وما يشاؤون بالياء علي
معني الخبر عنهم والباقون بالتاء علي معني المخاطبة وقيل ان الاية الاولي منسوخة بالثانية والاشبه
انه ليس بنسخ بل هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشيته قال الفرا وما تشاؤون الا ان يشا الله جواب
لقوله فمن شا اتخذ الي ربه سبيلا ثم اخبرهم ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاؤون ذلك السبيل
الا ان يشا الله لكم ان الله كان عليما باعمالكم حكيما في امره ونهيه لكم وقد مضي في غير موضع يدخل من يشاء في
رحمته اي يدخله الجنة راحما له والظالمين اي ويعذب الظالمين فنصبه باضمار يعذب قال الزجاج نصب
الظالمين لان قبله منصوب اي يدخل من يشا في رحمته ويعذب الظالمين اي المشركين ويكون اعد لهم
تفسيرا لهذا المضمر كما قال الشاعر
اصبحت لا احمل السلاح ولا … املك راس البعير ان نفرا
والذيب اخشاه ان مررت به … وحدي واخشي الرياح والمطرا
اي اخشي الذيب اخشاه قال الزجاج والاختيار النصب وان جاز الرفع تقول اعطيت زيدا وعمرا اعددت
له برا فيختار النصب وبررت عمرا وابوه اي وقوله في حم عسق يدخل من يشا في رحمته والظالمون ارتفع
لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينتصب في المعني فلم يجز العطف علي المنصوب قبله فارتفع بالابتدا وها
هنا قوله اعد لهم عذابا يدل علي ويعذب فجاز النصب وقرا ابان بن عثمان والظالمون رفعا بالابتدا والخبر
اعد لهم عذابا اليما اي مولما موجعا وقد تقدم في البقرة وغيرها • ختمت السورة بحمد الله للمنان

تفسير سورة والمرسلات

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها وهو قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا
يركعون مدنية وهي خمسون اية وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا علي النبي صلى الله عليه وسلم

ليلة الجن ونحن معه بسير حتى اوينا الى غار بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه لرطب بها اذ وثبت
حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن كريب
مولى ابن عباس قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت
والله يا بني لقد اذكرتني بقراتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في
صلاة المغرب بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والمرسلات عرفا
جمهور المفسرين على ان المرسلات الرياح وروي مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة ارسلت بالمعروف
من امر الله تعالى ونهيه والخير والوحي وهو قول ابو هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي وقيل هم الانبياء
ارسلوا بلا اله الا الله قاله ابن عباس وقال ابو صالح انهم الرسل يرسل بما يعرفون به من المعجزات وعن ابن عباس
وابن مسعود انها الرياح كما قال وارسلنا الرياح وقال ويرسل الرياح ومعنى عرفا يتبع بعضهم بعضا كعرف
الفرس تقول العرب الناس على فلان عرف واحد او توجهوا اليه فاكثروا فهو نصب على الحال من والمرسلات
اي والرياح التي ارسلت متتابعة ويجوز ان يكون مصدرا اي تباعا ويجوز ان يكون النصب على تقدير حذف
حرف الجر كانه قال والمرسلات بالعرف والملائكة او الملائكة والرسل وقيل يحتمل ان يكون المراد بالمرسلات
السحاب لما فيها من نعمه ونقمه عارفة بما ارسلت فيه ومن ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ وعرفا
على هذا التاويل متتابعات كعرف الفرس قاله ابن مسعود وقيل جاريات قاله الحسن يعني في القلوب
وقيل معروفات في العقول فالعاصفات عصفا الرياح بغير اختلاف المهدوي وعن ابن مسعود هي الرياح
العواصف تاتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه كما قال او يرسل عليكم قاصفا وقيل العاصفات
الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشيء اي اباده
واهلكه وناقة عصوف اي يعصف تراها فتمر كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم
وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والخسوف والناشرات نشرا الملائكة الموكلون بالسحاب
ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد هي الرياح ينشرها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته اي بنشر السحاب
للغيث وروي ذلك عن ابي صالح وعنه ايضا الامطار لانها تنشر النبات فالنشر بمعنى الاحيا يقال نشر الله
الميت وانشره اي احياه وروي عنه السدي انها الملائكة تنشر كتب الله عز وجل وروي الضحاك عن ابن عباس
قال يريد ما تنشر من الكتب واعمال بني ادم الضحاك انها الصحف تنشر على الله باعمال العباد وقال الربيع انه البعث
للقيامة ينشر فيه الارواح وقال والناشرات نشرا بالواو ولانه استيناف قسم اخر فالفارقات فرقا الملائكة
تنزل بالفرق بين الحق والباطل قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك عن ابن عباس قال ما يفرق الملائكة من
الاقوات والارزاق والاجال وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الفارقات الرياح تفرق بين السحاب
وتبدده وعن سعيد عن قتادة قال الفارقات الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحلال والحرام
وقاله الحسن وابن كيسان وقيل يعني الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهى عنه اي بينوا ذلك وقيل السحاب
الماطرة بسببها بالناقة الفارق وهي الحامل التي تخرج وتنبذ في الارض حين تضع وفوق فوارق وفوق فسرو
السحابة التي تنفرد من السحاب بهذه الناقة قال ذو الرمة

وفرقة فارق تجلوا غواربها ... تبوح اي تسكن البرق والظلما عجلوم

فالملقيات ذكرا الملائكة باجماع اي يلقي كتب الله عز وجل الى الانبياء عليهم السلام قاله المهدوي وقيل هو
جبريل وسمي باسم الجمع لانه كان ينزل بها وقيل المراد الرسل يلقون الى اممهم ما انزل عليهم قاله قطرب
وقرا ابن عباس فالملقيات بالتشديد مع فتح القاف وهو كقوله وانك لتلقى القران عذرا او نذرا اي تلقي الوحي
اعذارا من الله تعالى وانذارا الى عباده خلقه من عذابه قاله الفرا وروي عن ابي صالح قال يعني الرسل يعذرون
وينذرون وروي سعيد عن قتادة عذرا قال عذرا لله جل ثناؤه الى خلقه ونذرا للمومنين ينتفعون
به وياخذون به وروي الضحاك عن ابن عباس عذرا اي ما يقبله الله عز وجل من معاذير اوليائه وهي
التوبة ونذرا ينذر اعداءه وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص نذرا باسكان الذال وجميع السبعة
على اسكان الذال عذرا سوى ما رواه الجعفي والاعشى عن ابي بكر عن عاصم انه ضم الذال وروي ذلك
عن ابن عباس والحسن وغيرهما وقرا ابراهيم التيمي وقتادة عذرا ونذرا بالواو العاطفة ولم يجعلا بينهما
الفا وهما منصوبان على الفعل له اي للاعذار والانذار وقيل على المفعول به وقيل على البدل من ذكرا اي

انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى

فالملقيات عذرا او نذرا وقال ابو علي يجوز ان يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله هذا
نذير من النذر الاولى فيكون نصبا على الحال من الالقاء اي يلقون الذكر في حال العذر والانذار ويكون مفعو
الذكر اي فالملقيات اي تذكر عذرا او نذرا وقال المبرد هما بالتثقيل جمع والواحد عذير ونذير انما توعدون
لواقع هذا جواب ما تقدم من القسم اي ما توعدون من امر القيامة لواقع بكم ونازل عليكم ثم بين وقت
وقوعه فقال واذا النجوم طمست اي ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس الكتاب يقال طمس الشيء اذا درس وطمس
فهو مطموس والريح تطمس الاثار فتكون الريح طامسة والاثر طامسا بمعنى مطموس واذا السماء فرجت اي فتحت
وشقت ومنه قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا وروي الضحاك عن ابن عباس قال فرجت للطي واذا الجبال
نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة يقال نسفت الشيء وانتسفته اذا اخذته كله بسرعة وكان ابن عباس
والكلبي يقول سويت بالارض والعرب تقول فرس نسوف اذا كان يوخر الحزام بمرفقيه قال

نشر نسوف للحزام بمرفقيها ... ولنسفت الناقة الكلا اذا رعته وقال المبرد نسفت

قلعت من موضعها يقول الرجل للرجل يقتلع رجليه من الارض انتسفت رجلاه وقيل النسف تفريق الاجزا
حتى تذروها الرياح ومنه نسفت الطعام لانه تحرك حتى تذهب الريح بعض ما فيه من التبن واذا الرسل
اقتت اي جمعت لوقتها ليوم القيامة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر اليه فالمعنى جعل
لها وقت واجل للفصل والقضا بينهم وبين الامم كما قال يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا في الدنيا اي جمعت
الرسل لميقاتها التي ضرب لها في انزال العقاب بمن كذبهم فان الكفار ممهلون وانما تزول الشكوك يوم القيامة
والاول احسن لان التوقيت معناه شيء يقع يوم القيامة كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السماء ولا يليق
به التاقيت قبل يوم القيامة قال ابو علي اي جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقيل وقتت وعدت واجلت
وقيل اقتت اي ارسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله وارادوا الهمزة في اقتت بدل من الواو قاله الفرا
والزجاج قال الفرا وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز ان يبدل منها همزة تقول صلى القوم احدانا
يريد وحدانا ويقولون هذه وجوه حسان وهذا لان ضمة الواو ثقيلة ولم يجز البدل في قوله ولا تنسوا
الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة وقرا ابو عمرو وحميد والحسن ونصر بن عاصم ومجاهد وقتت بالواو وتشديد
القاف على الاصل قال ابو عمرو وانما يقرا اقتت من قال في وجوه اجوه وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج وقتت
بالواو وتخفيف القاف وهو فعلت من الوقت ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن ايضا ووقتت بواوين وهو فوعلت
من الوقت ايضا مثل عوهدت ولو قلبت الواو في هاتين القرائتين لجاز وقد قرا يحيى وايوب وخالد بن الياس
وسلام اقتت بالهمز والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف بالالف لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا تعظيم
لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم اي ليوم الفصل اجلت روي سعيد عن قتادة قال يفصل فيه بين الناس
باعمالهم الى الجنة او الى النار وفي الحديث اذا حشر الناس يوم القيامة قاموا اربعين عاما على رؤسهم
الشمس شاخصة ابصارهم الى السما ينتظرون يوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل اتبع التعظيم
تعظيما اي وما علمك بيوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين اي عذاب وخزي لمن كذب بالله وبرسله وكتبه وبيوم
الفصل فهو وعيد وكرره في هذه السورة عند كل اية لمن كذب لانه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب
بشيء عذاب سوى تكذيبه بغيره لانه افتح في تكذيبه واعظم في الرد على الله فانما يقسم له من الويل على قدر ذلك
وعلى قدر وفاقه وهو قوله جزاء وفاقا وروي عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوان من العذاب
وقاله ابن عباس وغيره قال ابن عباس اذا خبت جهنم اخذ من جمره فالقي عليها فيا كل بعضها بعضا وروي ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت علي جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي انه مجمع ما يسيل
من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل الشيء فيما سفل من الارض وانتغر وقد علم العباد في الدنيا ان شر
المواضع في الدنيا ما استنقع فيها مياه الادناس والاقذار والغسالات من الجيف وما الحمامات فذكر
ان ذلك الوادي مستنقع صديد اهل الكفر والشرك لتعلم العقول انه لا شيء اقذر منه قذارة ولا
انتن منه نتنا ولا اشد مرارة منه ولا اشد منه سوادا ثم وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يتضمن من
العذاب وانه اعظم واد في جهنم فذكره الله تعالى في وعيده في هذه السورة **قوله تعالى** الم نهلك
الاولين اخبر عن اهلاك الكفار من الامم الماضين من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم نتبعهم الاخرين
اي نلحقهم نلحق الاخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي بمثل ما فعلناه بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما

بالسيف واما بالهلاك وقراءة العامة ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وقرا الاعرج نتبعهم بالجزم عطفا على
نهلك الاولين كما يقول الم نزرني ازاكرمك والمراد انه اهلك قوما بعد قوم على اختلاف اوقات
المرسلين ثم استانف بقوله كذلك نفعل بالمجرمين يريد من نهلك فيما بعد ويجوز ان يكون بالاسكان
تخفيفا من نتبعهم لتوالي الحركات وقد روي عن ابي عمرو في قوله يوم يجمعكم وانما نطعمكم وثم نتبعهم الاخلاس
لتوالي الحركات وروي عنه الاسكان للتخفيف وفي قراءة ابن مسعود وثم نستتبعهم والكاف من لذلك
في موضع نصب اي مثل ذلك الهلاك نفعله لكل مشرك ثم قيل معناه التهويل لهلاكهم في الدنيا وقيل هو
اخبار بعذابهم في الاخرة **قوله تعالى** الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم
وهذه الاية اصل لمن قال ان خلق الجنين انما هو من ماء الرجل وحده وقد مضى القول فيه فجعلناه في قرار مكين
اي مكان حريز وهو الرحم الى قدر معلوم قال مجاهد الى ان يصور وقيل الى وقت الولادة فقدرنا قرا نافع والكسائي
فقدرنا بالتشديد وخفف الباقون وهما لغتان بمعنى قاله الكسائي والفراء والقتبي قال القتبي قدرنا
بمعنى قدرنا مشددة يقال قدرت كذا وقدرته ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال اذا غم عليكم
فاقدروا له اي قدروا له المسير والمنازل وقال محمد بن الجهم عن الفراء فقدرنا قال وذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه
وتخفيفها قال ولا يبعدن ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا لان العرب تقول قدر عليه الموت
وقدر قال الله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد وقدر عليه رزقه وقدر قال واحتج
الذين خففوا فقالوا لو كانت كذلك لكانت فنعم المقدرون قال الفراء وتجمع العرب بين اللغتين قال
الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب
والصلعا وروي عن عكرمة فقدرنا مخففة من القدرة وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم والكسائي
بقوله فنعم القادرون ومن شدد فهو من التقدير اي فقدرنا الشقي والسعيد فنعم المقدرون رواه ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى قصيرا او طويلا ونحوه ابن عباس قدرنا ملكنا المهدوي
وهذا التفسير اشبه بقراءة التخفيف قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهو صحيح فان عكرمة الذي
قدرنا مخففا قال معناه فملكنا فنعم المالكون فافادت الكلمتان معنيين متغايرين اي قدرنا وقت الولادة
واحوال النطفة في التنقيل من حالة الى حالة حتى صارت بشرا سويا او الشقي والسعيد او الطويل والقصير
كله على قراءة التشديد وقيل هما بمعنى على ما ذكرنا **قوله تعالى** الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
فيه مسئلتان قوله تعالى كفاتا اي ضامة تضم الاحياء على ظهورها والاموات في بطنها وهذا يدل على وجوب
مواراة الميت ودفنه ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه ومنه قوله عليه السلام قصوا اظافيركم وادفنوا
قلاماتكم وقد مضى في البقرة بيانه يقال كفت الشيء اكفته اذا جمعته وضممته والكفت الضم والجمع وانشد
سيبويه
كرام حين تنكفت الافاعي ... الى احجارهن من الصقيع
وقال ابو عبيدة كفاتا اوعية ويقال للنحي كفت وكفيت لانه يحوي اللبن ويضمه قال
فانت اليوم فوق الارض حيا ... وانت غدا تضمك في كفات
وخرج الشعبي في جنازة فنظر الى الجبان فقال هذه كفات الاموات ثم نظر الى البيوت وقال هذه كفات
الاحياء وروي عن ربيعة في النباش قال يقطع يده فقيل له لم قلت ذلك قال ان الله عز وجل يقول الم نجعل الارض
كفاتا احياء وامواتا فالارض حرز وقد مضى هذا في سورة المائدة وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة
يضم الموتى فالارض تضم الاحياء الى منازلهم والاموات في قبورهم وايضا استقرار الناس على وجه الارض ثم
اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها وقيل هي كفات للاحياء يعني دفن ما يخرج من الانسان من الفضلات
في الارض اذ لا ضم في كون الناس عليها والضم يشير الى الاحتفاف من جميع الوجوه وقال الاخفش وابو عبيدة
ومجاهد في احد قوليه الاحياء والاموات ترجع الى الارض اي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت
وهو الذي لا ينبت وقال الفراء انتصب احياء وامواتا بوقوع الكفات عليه اي الم نجعل الارض كفات احياء
وامواتا فاذا نونت نصبت كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقيل نصب على الحال من الارض اي منها
كذا ومنها كذا وقال الاخفش كفاتا جمع كافتة والارض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع وقال الخليل التكفيت
تقليب الشيء ظهرا لبطن او بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم اي انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون
على ظهرها وينقلبون اليها فيدفنون فيها اي في الارض رواسي شامخات يعني الجبال والرواسي الثوابت والشامخات

الطوال ومنه يقال شمخ بانفه اذا رفعه كبرا واسقيناكم ماء فراتا اي جعلنا لكم سقيا والفرات الماء العذب يشرب
ويسقى به الزرع اي خلقنا الجبال وانزلنا الماء الفرات وهذه الامور اعجب من البعث وفي بعض الحديث
قال ابو هريرة في الارض من الجنة الفرات والعجوة ونهر الاردن وفي صحيح مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات
كل من انهار الجنة **قوله تعالى** انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال للكفار سيروا الى ما كنتم به تكذبون
من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل اي دخان ذي ثلاث شعب يعني الدخان الذي
يرتفع ثم يتشعب الى ثلاث شعب وكذلك شان الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب ثم وصف الظل فقال
لا ظليل اي ليس كالظل الذي يقي حر الشمس ولا يغني من اللهب اي لا يدفع من لهب جهنم شيئا واللهب ما
يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر وقيل ان الشعب الثلاث هو الضريع والزقوم والغسلين
قاله الضحاك وقيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة احوال هي غاية اوصاف النار اذا اضطرمت
واشتدت وقيل عنق يخرج من النار فتتشعب ثلاث شعب فاما النور فيقف على رؤوس المؤمنين واما الدخان
فيقف على رؤوس المنافقين واما اللهب الصافي فيقف على رؤوس الكافرين وقيل هو السرادق وهو لسان
من النار يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم الى النار وقيل هو الظل من يحموم
كما قال تعالى في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم على ما تقدم وفي الحديث ان الشمس تدنو من رؤوس
الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم اكنان فتلفحهم الشمس وتاخذ بانفاسهم ومد ذلك اليوم ثم ينجي الله
برحمته من يشاء الى ظل من ظله فهناك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا
الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب فيكون اولياء الله جل ثناؤه
في ظل عرشه او حيث شاء من الظل الى ان يفرغ من الحساب ثم يؤمر بكل فريق الى مستقره من الجنة ثم وصف
النار فقال انها ترمي بشرر كالقصر الشرر واحده شررة والشرار واحده شرارة وهو ما تطاير من
النار في كل جانب واصله من شررت الثوب اي بسطته للشمس ليجف والقصر البناء العالي وقراءة العامة
كالقصر باسكان الصاد اي الحصون والمدائن في العظم وهو واحد القصور قاله ابن عباس وابن مسعود وهو
في معنى الجمع على طريق الجنس وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمرة وجمر وتمرة وتمر والقصرة
الواحدة من جزل الحطب الغليظ وفي البخاري عن ابن عباس انها ترمي بشرر كالقصر قال كنا نرفع الخشب بقصر
ثلاثة اذرع او اقل فنرفعه للشتاء فنسميه القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هي اصول الشجر والنخل
العظام اذا وقع وقطع وقيل اعناقه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي كالقصر بفتح الصاد اراد اعناق
النخل والقصر العنق جمع قصرة وقصرات وقال قتادة اعناق الابل وقرا سعيد بن جبير بكسر القاف
وفتح الصاد وهي ايضا جمع قصرة مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع وحلقة وحلق الحديد قال
ابو حاتم ولعله لغة كما قالوا حاجة وحوج وقيل القصر الجبل فشبه الشرر بالقصر في مقاديره ثم شبهه
في لونه بالجمالات الصفر وهي الابل السود والعرب تسمي السود من الابل صفرا قال الشاعر
تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر اولادها كالزبيب
اي هن سود وانما سميت السود من الابل الصفر لانه يشوب سوادها شيء من صفرة لا قيل لبيض الظباء الادم
لان بياضها تعلوه كدرة والشررة اذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار اشبه شيء بالابل السود لما
يشوبها من صفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي
دعتهم باعلى صوتها ورمتهم ... بمثل الجمال الصفر نزاعة للشوى
وضعف الترمذي الحكيم هذا القول وهذا القول محال في اللغة ان يكون شيء يشوبه شيء قليل فينسب كله الى ذلك
الشائب والعجب لمن قال هذا وقد قال الله تعالى صفر فلا نعلم شيئا من هذا في اللغة ووجهه عندنا ان النار
خلقت من النور فهي نار مضيئة فلما خلق الله جهنم وهو موضع النار حشا ذلك الموضع بتلك النار وبعث
اليها سلطانه وغضبه فاسودت من سلطانه وازدادت حدة وصارت اشد سوادا من النار ومن
كل شيء سوادا فاذا كان يوم القيامة وجيء بجهنم في الموقف رمت بشررها على اهل الموقف غضبا لغضب الله
والشرر هو اسود لانه من نار اسود فاذا رمت النار بشررها فانها ترمي الاعداء به فهي سود من سواد النار لا
يصل ذلك الى الموحدين لانهم في سرادق الرحمة قد احاط بهم في الموقف وهو الغمام الذي ياتي فيه الرب
تعالى ولكن يعاينون ذلك الرمي فاذا عاينوه نزع الله السلطان والغضب عنه في راي العين منهم حتى

اي قدرنا وقت الولادة

يروها صفر البعلم الموحدون انهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه وكان ابن عباس يقول الجمالات الصفر حبال
السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الرجال ذكره البخاري وكان يقروها جمالات بضم الجيم وكذلك
قرا مجاهد وحميد جمالات بضم الجيم وهي الحبال الغلاظ وهي قلوس السفينة اي حبالها وواحد القلوس قلس وعن
ابن عباس وعلي انها قطع النحاس والمعروف من الحبل الغليظ جمل بتشديد الميم كما تقدم من الاعراف وجمالات
بضم الجيم جمع جمالة بكسر الجيم موحدا كانه جمع جمل نحو حجر وحجارة وقرا يعقوب وابن ابي اسحق وعيسى الجحدري
جمالة بضم الجيم موحدا وهي الشي العظيم المجموع بعضه الى بعض نحو حجر وحجارة وذكر وذكارة وقرا حفص
وحمزة والكسائي جماله وبقية السبعة جمالات قال الفرا يجوز ان تكون الجمالات جمع جمال كما يقال
رجل ورجال ورجالات وقيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لمتابعة بعضها بعضا والقصر واحد
القصور وقصر الظلام اختلاطه ويقال اتيته قصرا اي عشيا فهو مشترك قال كانهم قصرا مصابيح راهب
بموزن روي بالسليط ذبالها مسالة في هذه الاية دليل على جواز ادخال الحطب والفحم وان لم يكن من
القوت فانه من مصالح المرء ومعاني مفاقره وذلك مما يقتضي النظر ان يكتسبه في غير وقت حاجته ليكون
ارخص وحالة وجوده امكن كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخر القوت في غير وقت عموم وجوده من كسبه
وماله وكل شي وكل شي محمول عليه وقد بين ابن عباس هذا بقوله كنا نعمد الى الخشبة فيقطعها ثلاثة اذرع
وفوق ذلك ودونه ويدخره للشتاء وكنا نسميه القصر وهذا اصح ما قيل في ذلك والله اعلم **قوله تعالى**
هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون اي لا يتكلمون ولا يوذن لهم فيعتذرون اي ان يوم القيمة
لهم مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت الذي لا يتكلمون فيها ولا يوذن لهم في الاعتذار وعن عكرمة عن
ابن عباس قال ساله ابن الازرق عن قوله هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا وقد قال واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون فقال الله عز وجل يقول وان يوما عند ربك كالف سنة فان لكل مقدار من هذه الايام لونا
من هذه الالوان وقيل لا ينطقون بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق قال الحسن لا
ينطقون بحجة وان كانوا ينطقون وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسوا فيها ولا تكلمون وقد تقدم وقال
ابو عثمان اسكتتهم روية الهيبة وحيا الذنوب وقال الجنيد اي عذر لمن اعرض عن منعمه وجحده وكفر اياديه
ونعمه ويوم بالرفع قراءة العامة على الابتدا والخبر اي تقول الملايكة هذا يوم لا ينطقون ويجوز ان يكون
قوله انطلقوا من قول الملايكة ثم يقول الله لاوليايه هذا يوم لا ينطق الكفار ومعنى اليوم الساعة والوقت
وروى يحيى بن سليمان عن ابي بكر عن عاصم هذا يوم لا ينطقون بالنصب ورويت عن ابي هرمز وغيره فجاز ان
يكون مبنيا لاضافته الى الفعل وموضعه رفع وهذا مذهب الكوفيين وجاز ان يكون في موضع نصب على ان
تكون الاشارة الى غير اليوم وهذا مذهب البصريين لانه انما بني عندهم اذا اضيف الى المبني ومن الفعل
هاهنا معرب وقال الفرا في قوله ولا يوذن لهم فيعتذرون الفا نسق عطف على يوذن واجيز ذلك لان
اواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الايات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب وكله
صواب ومثله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالنصب والرفع **قوله تعالى** هذا
يوم الفصل اي ويقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلايق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والاولين
قال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا والذين كذبوا النبيين من قبله رواه عنه الضحاك فان كان لكم
كيد اي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون اي فاحتالوا لانفسكم وقاووني ولن تجدوا ذلك وقيل
اي فان كان لكم كيد اي قدرتم على حرب فكيدون اي حاربوني كذا روى الضحاك عن ابن عباس قال
يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدا صلى الله عليه وسلم وتحاربوني فاليوم حاربوني وقيل اي انكم كنتم
في الدنيا تعملون بالمعاصي وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع عن انفسكم وقيل انه من قول النبي صلى الله عليه
وسلم فيكون كقول هود فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون **قوله تعالى** ان المتقين في ظلال وعيون
اخبر بما اصير اليه المتقون والمراد بالظلال ظلال الاشجار وظلال القصور مكان الظل في الشعب
الثلاث وفي سورة يس هم وازواجهم في ظلال على الارايك متكيون وفواكه مما يشتهون اي يتمنون
وقراءة العامة ظلال وقرا الاعرج والزهري وطلحة ظلل جمع ظلة يعني في الجنة كلوا واشربوا
اي يقال لهم غدا هذا بدل ما يقال لهم في الدنيا فان كان لكم كيد فكيدوني فكلوا واشربوا في موضع الحال
من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك انا كذلك

هذا يوم لا ينطقون

نجزي المحسنين اي نثيب الذين احسنوا في تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واعمالهم في الدنيا **قوله تعالى**
كلوا وتمتعوا قليلا هذا مردود الى ما تقدم قبل المتقين وهو وعيد وتهديد وهو من حال المكذبين
اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون اي كافرون وقيل مكتسبون فعلا
يضركم في الاخرة من الشرك والمعاصي **قوله تعالى** واذا قيل لهم اركعوا اي قيل لهولاء المشركين
اركعوا اي صلوا لا يركعون لا يصلون قاله مجاهد وقال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة فنزل ذلك
فيهم قال مقاتل قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلاة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود يذكر ان مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد
صلاة العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام فركع
ولم يحاجه بما يراه مذهبا فقيل له في ذلك فقال خشيت ان اكون من الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وقال
ابن عباس انما يقال لهم هذا في الاخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون قتادة هذا في الدنيا ابن العربي
هذه الاية حجة على وجوب الركوع وانزاله ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه وظن قوم ان هذا انما يكون
في القيامة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون الى السجود كشفا لحال
الناس في الدنيا فمن كان يسجد لله تمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا وقيل اي اذا قيل
لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما ذكر الصلاة لانها اصل الشرايع بعد
التوحيد وقيل الامر بالصلاة امر بالايمان لانها لا تصح من غير ايمان **قوله تعالى** فباي حديث
بعده يومنون اي ان لم يصدقوا بالقران الذي هو المعجز والدال على صدق الرسول عليه السلام فباي
شي يصدقون وكرر ويل يوميذ للمكذبين لمعنى تكرار التخويف والوعيد وقيل ليس بتكرار لانه اراد بكل
قول منه غير الذي اراده بالاخر كانه ذكر شيا فقال ويل لمن يكذب بهذا ثم ذكر شيا اخر فقال
ويل لمن يكذب بهذا ثم كذلك الى اخرها والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

تفسير سورة النبا

مكية وهي اربعون او احدى واربعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى عم يتساءلون عم لفظ استفهام ولذلك سقط منها الف ما ليتميز الخبر عن الاستفهام
وكذلك فيم ومم اذا استفهمت والمعنى عن اي شي يسال بعضهم بعضا وقال الزجاج اصل عم عن ما فادغمت
النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة والضمير في يتساءلون لقريش روى ابو صالح عن ابن عباس قال كانت قريش
تجلس لما نزل القران فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت عم يتساءلون وقيل عم
بمعنى فيم يتشدد المشركون ويختصمون **قوله تعالى** عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون
كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون اي يتساءلون عن النبا العظيم فعن ليس تتعلق بيتساءلون الذي في
التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون اعن النبا العظيم كقولك كم مالك اثلاثون ام اربعون
فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه بيتساءلون الذي في التلاوة وانما يتعلق بيتساءلون اخر مضمر وحسن ذلك
لتقدم يتساءلون قاله المهدوي وذكر بعض اهل العلم ان الاستفهام في قوله عم مكرر الا انه مضمر كانه
قال عم يتساءلون اعن النبا العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالاية الاولى والنبا العظيم اي الخبر الكبير
الذي هم فيه مختلفون اي يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب الاخر فروى ابو صالح عن ابن
عباس قال هو القران دليله قوله تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون فالقران نبا وخبر وحديث
وقصص وهو نبا عظيم الشان وروى سعيد عن قتادة قال هو البعث بعد الموت صار الناس فيه
رجلين مصدق ومكذب وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم وروى الضحاك عن ابن عباس قال وذلك
ان اليهود سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن اشيا كثيرة فاخبره الله جل ثناوه باختلافهم ثم هددهم
فقال كلا سيعلمون اي سيعلمون عاقبة القران او سيعلمون البعث احق هو ام باطل وكلا
رد عليهم في انكارهم البعث او تكذيبهم القران فيوقف عليها ويجوز ان يكون بمعنى حقا او الا فيبتدا بها
والاظهر ان سوالهم انما كان عن البعث قال بعض علماينا والذي يدل عليه قوله عز وجل ان يوم الفصل
كان ميقاتا يدل على انهم كانوا يتساءلون عن البعث ثم كلا سيعلمون اي حقا ليعلمون صدق ما

جا به محمد صلى الله عليه وسلم من القران ومما ذكروا لهم من البعث بعد الموت وقال الضحاك كلا سيعلمون
يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعني المومنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس ايضا
وقال الحسن هو وعيد بعد وعيد وقراءة العامة فيهما بالياء على الخبر لقوله يتساءلون وقوله هم فيه
مختلفون وقرا الحسن وابو العالية ومالك بن دينار بالتاء فيهما **قوله تعالى** الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا
وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من
المعصرات ماء ثجاجا دلهم على قدرته على البعث اي قدرتنا على ايجاد هذه الامور اعظم من قدرتنا على الاعا[دة]
والمهاد الوطا والفراش وقد قال الذي جعل لكم الارض فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي
وهو ما يمهد له فينوم عليه والجبال اوتادا اي لتسكن ولا تتكفا ولا تميل باهلها وخلقناكم ازواجا اي اصنافا
ذكرا وانثى وقيل الوانا وقيل يدخل في هذا كل زوج من قبيح وحسن وطويل وقصير لتختلف الاحوال فيقع الا
عتبار فيشكر الفاضل ويصبر المفضول وجعلنا نومكم جعلنا معناه صيرنا ولذلك تعدت الى مفعولين
سباتا المفعول الثاني اي راحة لابدانكم ومنه يوم السبت اي يوم الراحة اي قيل لبني اسرائيل استريحوا في
هذا اليوم فلا يعملون فيه شيا وانكر ابن الانباري هذا وقال لا يقال للراحة سبات وقيل اصله التمدد
يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته وارسلته فالسبات كالممدود ورجل مسبوت الخلق اي ممدود واذا
اراد الرجل ان يستريح تمدد فسميت الراحة سبتا وقيل اصله القطع يقال سبت شعره سبتا حلقه وكانه
اذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال فالسبات يشبه الموت الا انه لم تفارقه الروح ويقال سير
سبت اي سهل لين قال الشاعر

ومطوية الاقراب اما نهارها فسبت واما ليلها فذميل

وجعلنا الليل لباسا اي تلبسكم ظلمته وتغشيكم قاله الطبري وقال ابن جبير والسدي اي سكنا لكم وجعلنا
النهار معاشا فيه اضمار اي وقت معاش اي متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش فيه من المطعم والمشرب
وغير ذلك فمعاشا على هذا اسم زمان ليكون الثاني هو الاول ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى العيش على
تقدير حذف المضاف وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات محكمات اي محكمة الخلق وثيقة البنيا[ن]
وجعلنا سراجا وهاجا اي وقادا وهي الشمس وجعل هنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول واحد والوهاج
الذي له وهج يقال وهج يهج وهجا ووهجا ووهجانا ويقال للجوهر اذا تلالا توهج وقال ابن عباس وهاجا منيرا
متلاليا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا قال مجاهد وقتادة المعصرات الرياح وقال ابن عباس كانها تعصر
السحاب وعن ابن عباس ايضا انها السحاب وقاله سفيان والربيع وابو العالية والضحاك اي السحاب التي
تنعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمراة المعصر التي قد دنا حيضها ولم تحض قال ابو النجم

فكان مجني دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وقال اخر

وذو اشر كالاقحوان يزينه ذهاب الصبي والمعصرات الدوالج

فالرياح تسمى معصرات يقال اعصرت الريح تعصر اعصارا اذا اثارت العجاج والسحب ايضا تسمى
المعصرات لانها تمطر وقال قتادة المعصرات السماء النحاس هذه الاقوال صحاح يقال للرياح
التي تاتي بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر والمطر ينزل من الريح على هذا
ويجوز ان تكون الاقوال واحدة ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ماء ثجاجا
واصح الاقوال ان المعصرات السحاب تنعصر بالمطر وعصر القوم اي مطروا ومنه قرا بعضهم وفيه
يعصرون والمعصر الجارية اول ما ادركت وحاضت يقال قد اعصرت كانها دخلت في عصر شبابها
او بلغته قال الراجز

جارية بسفوان دارها تمشي الهوينا ساقطا خمارها
قد اعصرت او قد دنا اعصارها ينحل من غلمتها ازارها

والجمع معاصر ويقال هي التي قاربت الحيض لان الاعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام سمعته
من ابي الغوث الاعرابي قال غيره والمعصر السحابة التي حان لها ان تمطر يقال اجن الزرع فهو مجن اي
صار الى ان يجن وكذلك السحاب اذا صار الى ان يمطر فقد اعصر وقال المبرد يقال سحاب معصر
اي ممسك للماء ويعتصر منه شي بعد شي ومنه العصر بالتحريك للملجا الذي يلجا اليه والعصرة بالضم
ايضا الملجا وقد مضى هذا المعنى في يوسف وانشد ابو زبيد شعرا

صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

ومنه المعصر للجارية التي قربت من البلوغ يقال لها معصر لانها تحبس في البيت فيكون البيت لها عصرا
وفي قراءة ابن عباس وعكرمة وانزلنا بالمعصرات والذي في المصاحف من المعصرات قال ابي ابن كعب
والحسن وابن جبير وزيد بن اسلم ومقاتل ابن حيان من المعصرات اي من السماوات ماء ثجاجا صبابا
متتابعا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما يقال ثججت دمه فانا اثجه ثجا وقد ثج الدم يثج ثجوجا وكذلك الماء فهو
لازم ومتعد والثجاج في الاية المنصب وقال الزجاج اي الصباب وهو متعد كانه يثج نفسه اي يصب
وقال عبيد بن الابرص

فثج اعلاه ثم ارتج اسفله وضاق ذرعا بحمل الماء فانصاح

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الحج المبرور فقال العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج
اراقة الدما وذبح الهدايا وقال ابن زيد ثجاجا كثيرا والمعنى واحد **قوله تعالى** لنخرج به حبا ونباتا
وجنات الفافا لنخرج به اي بذلك الماء حبا كالحنطة والشعير وغير ذلك ونباتا وهو ما تاكله الدواب
من الحشيش وجنات اي بساتين الفافا اي ملتفة بعضها ببعض لتشعب اغصانها ولا واحد له كالاوزاع
والاخياف وقيل واحد الالفاف لف بالكسر ولف بالضم ذكره الكسائي قال

جنة لف وعيش مغدق ونداما كلهم بيض زهر

وعنه ايضا وابي عبيدة لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع الجمع حكاه الكسائي يقال جنة لفا ونبت
لف والجمع لف بضم اللام مثل حمر ثم يجمع اللف الفافا الزمخشري ولو قيل جمع ملتفة بتقدير حذف
الزائد لكان وجيها ويقال شجرة لفا وشجر لف وامراة لفا اي غليظة الساق مجتمعة اللحم وقيل التقدير
ونخرج به جنات الفافا فحذف لدلالة الكلام عليه ثم هذا الالتفاف والانضمام معناه ان الاشجار
في البساتين تكون متقاربة فالاغصان من كل شجرة متقاربة لقوتها **قوله تعالى** ان يوم الفصل
كان ميقاتا اي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والاخرين لما وعد الله من الجزاء والثواب وسمي يوم الفصل
لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه **قوله تعالى** يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا يوم ينفخ في الصور
اي للبعث فتاتون اي الى موضع العرض افواجا اي امما كل امة مع امامها وقيل زمرا وجماعات الواحد
فوج ونصب يوما بدلا من اليوم الاول وروي من حديث معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله ارايت قول الله تعالى
يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سالت عن امر عظيم
ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال تحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين
وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين ارجلهم اعلاهم
ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم
فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم لعابا يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلبين على جذوع من النار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جلابيب
سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما
الذين على صورة الخنازير فاهل السحت والحرام والمكس واما المنكسون رءوسهم ووجوههم فاكلة الربو
والعمي من يجور في الحكم والصم البكم الذين يعجبون باعمالهم والذين يمضغون السنتهم فالعلما والقصاص
الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة ايديهم وارجلهم فالذين يوذون الجيران والمصلبين على جذوع النار
فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات والذين
يلبسون الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلا **قوله تعالى** وفتحت السما فكانت ابوابا وسيرت
الجبال فكانت سرابا اي لنزول الملائكة كما قال ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا
وقيل تقطعت فكانت قطعا كالابواب فانتصاب الابواب على هذا التاويل بحذف الكاف وقيل التقدير
فكانت ذوات ابواب لانها تصير كلها ابوابا وقيل ابوابها طرقها وقد تحل وتتنا ثر حتى تصير فيها ابوابا
وقيل ان لكل عبد بابان في السماء بابا لعمله وبابا لرزقه فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وفي حديث
الاسرا ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا وسيرت الجبال فكانت سرابا اي لا شي كما ان السراب كذلك يظنه الراي ماء
وليس بماء وقيل سيرت نسفت من اصولها وقيل ازيلت من مواضعها **قوله تعالى** ان جهنم كانت

تحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا

مرصادا للطاغين مآبا مرصاد مفعال من الرصد والرصد كل شي كان امامك قال الحسن ان على النار رصدا لا يدخل احد الجنة حتي يجتاز عليه فمن جاء بجواز جاز وان لم يجئ بجواز حبس وعن سفيان قال عليها ثلاث قناطر وقيل مرصادا ذات ارصاد على النسب اي ترصد من يمر بها وقال مقاتل محبسا وقيل طريقا وممرا فلا سبيل الي الجنة حتي يقطع جهنم وفي الصحاح والمرصاد الطريق وذكر القشيري ان المرصاد المكان الذي يرصد فيه الواحد العدو نحو المضمار للموضع الذي تضمر فيه الخيل اي هي معدة لهم فالمرصاد بمعني المحل فالملائكة يرصدون الكفار حتي ينزلوا بجهنم وذكر الماوردي عن ابي سنان انها بمعني راصدة تجازيهم بافعالهم وفي الصحاح الراصد للشي الراقب له يقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد الاصمعي رصدته ارصده ترقبته وارصدته اعددت له والكسائي مثله قال الشيخ رحمه الله جهنم معدة مترصدة متفعل من الرصد وهو الترقب اي هي مطلعة لما يأتي والمرصاد مفعال من ابنية المبالغة كالمعطار والمعمار فكانه يكثر من جهنم انتظار الكفار للطاغين مآبا بدل من قوله مرصادا والمآب المرجع اي مرجعا يرجعون اليها يقال آب يؤوب اوبة اذا رجع وقال قتادة مأوي ومنزلا والمراد بالطاغين من طغي في دينه بالكفر او في دنياه بالظلم **قوله تعالي** لابثين فيها احقابا اي ماكثين في النار ما دامت الاحقاب وهي التي لا تنقطع فكلما مضي حقب جاء حقب والحقب بضمتين الدهر والاحقاب الدهور والحقبة بالكسر السنة والجمع حقب قال متمم بن نويرة التميمي

وكنا كندماني جذيمة حقبة … من الدهر حتي قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا … لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر واقل علي ما ياتي والجمع احقاب والمعني في الاية لابثين فيها احقاب الاخرة التي لا نهاية لها فحذف الاخرة لدلالة الكلام عليه اذ في الاخرة ذكر الاخرة وهو كما يقال ايام الاخرة اي ايام بعد ايام الي غير نهاية وانما كان يدل علي التوقيت لو قال خمسة احقاب او عشرة ونحوه وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شي عندهم فتكلم بما يذهب اليه اوهامهم ويعرفونها وهو كناية عن التابيد اي يمكثون فيها ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون الايام اهول في القلوب وادل علي الخلود والمعني متقارب وهذا الخلود في حق المشركين ويمكن حمل الاية علي العصاة الذين يخرجون من النار بعد احقاب وقيل الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع اخر من العقاب ولهذا قال لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ولابثين اسم فاعل من لبث ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب وقرا حمزة والكسائي لبثين بغير الف وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد وهما لغتان يقال رجل لابث ولبث مثل طمع وطامع وفره وفاره ويقال هو لبث بمكان كذا اي قد صار اللبث شانه فشبه بما هو خلقة في الانسان نحو حذر وفرق لان باب فعل انما هو لما يكون خلقة في الشي في الاغلب وليس كذلك اسم الفاعل من لابث والحقب ثمانون سنة في قول ابي عمرو وابن عباس وابي هريرة والسنة ثلثمائة يوم وستون يوما كل يوم مثل الدنيا قاله ابن عباس وروي ابن عمر هذا مرفوعا الي النبي صلي الله عليه وسلم وقال ابو هريرة والسنة ثلثمائة يوم وستون يوما كل يوم مثل الدنيا وعن ابن عمر ايضا الحقب اربعون سنة السدي سبعون سنة وقيل انه الف شهر رواه ابو امامة مرفوعا بشير بن كعب ثلثمائة سنة الحسن الاحقاب لا يدري احدكم هي ولكن ذكروا انها مائة والحقب الواحد منها سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون وعن ابي امامة ايضا عن النبي صلي الله عليه وسلم ان الحقب الواحد ثلاثون الف سنة ذكره المهدوي والاول الماوردي وقال قطرب هو الدهر الطويل الغير محدود وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال النبي صلي الله عليه وسلم والله لا يخرج من النار من دخلها حتي يكون فيها احقابا الحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد علي ان يخرج من النار ذكره الثعلبي القرظي الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذه اقوال متعارضة والتحديد في الاية للخلود تحتاج الي توقيف يقطع العذر وليس ذلك بثابت عن النبي صلي الله عليه وسلم وانما المعني والله اعلم ما ذكرناه اولا اي لابثين فيها ازمانا ودهورا كلما مضي زمن تعقبه زمن ودهر تعقبه دهر هكذا ابدا الابدين من غير انقطاع وقال ابن كيسان لابثين فيها احقابا لا غاية لها ولا انتهاء فكانه قال

والحقب ثمانون سنة

ابدا

ابدا وقال ابن زيد ومقاتل هي منسوخة بقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل قال الشيخ رحمه الله وهذا بعيد لانه خبر وقد قال تعالي ولا يدخلون الجنة حتي يلج الجمل في سم الخياط علي ما تقدم وهذا في حق الكفار فاما العصاة الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعني التخصيص والله اعلم وقيل المعني لابثين فيها احقابا اي في الارض اذ قد تقدم ذكرها ويكون الضمير في لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا لجهنم وقيل واحد الاحقاب حقب وحقبة قال

فان تناء عنها حقبة لا تلاقها … فانك مما احدثت بالمجرب

وقال الكميت

من لها بعد حقبة وحقب

قوله تعالي لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شي احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا لا يذوقون فيها اي في الاحقاب بردا ولا شرابا البرد النوم في قول ابي عبيدة وغيره قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم … وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وقاله مجاهد والكسائي والسدي والفضيل بن خالد وابو معاذ النحوي وانشدوا قول الكندي

بردت مراشفها علي فصدني … عنها وعن تقبيلها البرد

يعني النوم والعرب تقول منع البرد البرد يعني اذهب البرد النوم قال الشيخ رحمه الله وقد جاء الحديث انه عليه السلام سئل هل في الجنة نوم فقال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها فكذلك النار وقد قال لا يقضي عليهم فيموتوا وقال ابن عباس البرد برد الشراب وعنه ايضا البرد النوم والشراب الماء وقال الزجاج اي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد برد كل شي له راحة وهذا برد ينفعهم فاما الزمهرير فهو برد يتاذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله اعلم به وقال الحسن وعطاء وابن زيد بردا اي روحا وراحة قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحي نستطيعه … ولا الفيء اوقات العشي نذوق

وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا جملة في موضع الحال من الطاغين او نعت للاحقاب والاحقاب ظرف زمان والعامل فيه لابثين او لبثين علي تعدية فعل الا حميما وغساقا استثناء منقطع في قول من جعل البرد النوم ومن جعله من البرودة كان بدلا منه والحميم الماء الحار قاله ابو عبيدة وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه قال النحاس اصل الحميم الماء الحار ومنه اشتق الحمام ومنه الحمي ومنه وظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم وقيل الزمهرير وقرا حمزة والكسائي بتشديد السين وقد مضي في ص القول فيه جزاء وفاقا اي موافقا لاعمالهم عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما فالوفاق بمعني الموافقة كالقتال بمعني المقاتلة وجزاء نصب علي المصدر اي جازيناهم جزاء وافق اعمالهم قاله الفراء والاخفش وقال الفراء ايضا هو جمع الوفق والوفق واللفق واحد وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله بما يسوؤهم انهم كانوا لا يرجون اي لا يخافون حسابا اي محاسبة علي اعمالهم وقيل معناه لا يرجون ثواب حساب الزجاج اي انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم وكذبوا باياتنا كذابا اي بما جاءت به الانبياء وقيل بما انزلنا من الكتب وقراءة العامة كذابا بتشديد الذال وكسر الكاف علي كذب اي كذبوا تكذيبا كبيرا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا وكل فعل في وزن فعل فمصدره فعال مشدد في لغتهم وانشد بعض الكلابيين

لقد طال ما ثبطني عن صحابتي … وعن حاجة قضاؤها من شفائيا

وقرا علي رضي الله عنه كذابا بالتخفيف وهو مصدر ايضا قال ابو علي التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة كقول الشاعر الاعشي

فصدقتها وكذبتها … والمرء ينفعه كذابه

ابو الفتح جاء جميعا مصدر كذب وكذب جميعا الزمخشري كذابا بالتخفيف مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معني كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعني المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة وقرا ابن عمر كذابا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قاله ابو حاتم ونصبه علي الحال الزمخشري وقد يكون الكذاب بمعني الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب

كقولك حسّان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وفي الصحاح وقوله وكذبوا
بآياتنا كذابا وهو احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجي على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب
وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق وكل شي احصيناه كتابا كل نصب باضمار فعل يدل
عليه احصيناه اي واحصينا كل شي احصيناه وقرا ابو السمال وكل شي بالرفع على الابتداء كتابا نصب على
المصدر لان معنى احصينا كتبنا اي كتبناه كتابا ثم قيل اراد به العلم فان ما كتب كان ابعد من النسيان
وقيل اي كتبناه في اللوح المحفوظ لتعريفه الملائكة وقيل اراد ما كتب على العباد من اعمالهم فهذه
كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بامر الله اياهم بالكتابة دليله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال ابو برزة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في القران فقال
قوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها وكلما خبت زدناهم
سعيرا **قوله تعالى** ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا فذكر جزاء من
اتقى مخالفة امر الله مفازا موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه اهل النار وكذلك قيل للفلاة اذا قل ماؤها مفازة
تفاؤلا بالخلاص منها حدائق واعنابا هذا تفسير الفوز وقيل ان للمتقين مفازا ان للمتقين حدائق جمع حديقة
وهي البستان المحوط عليه يقال احدق به اي احاط والاعناب جمع عنب اي كروم اعناب فحذف وكواعب
اترابا كواعب جمع كاعب وهي الناهد يقال كعبت الجارية تكعب كعوبا وكعبت تكعب تكعيبا ونهدت تنهد
نهودا وقال الضحاك الكواعب العذارى ومنه قول قيس بن عاصم

وكم من حصان قد حوينا كريمة ... ومن كاعب لم تدر ما البوس معصر

والاتراب الاقران في السن وقد مضى في الواقعة الواحد ترب وكاسا دهاقا قال الحسن وقتادة وابن زيد
وابن عباس مترعة مملوة يقول ادهقت الكاس اي ملاتها وكاس دهاق اي ممتلئة قال

الا فاسقني صرفا سقاني الساقي ... من مائها بكاسك الدهاق

وقال خداش بن زهير

اتانا عامر يبغي قرانا ... فاترعنا له كاسا دهاقا

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابن عباس ايضا متتابعة يتبع بعضها بعضا ومنه ادهقت الحجارة ادهاقا
وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض فالمتتابع كالمتداخل وعن عكرمة ايضا وزيد بن اسلم صافية قال الشاعر

لانت الى الفؤاد احب قربا ... من الصادي الى كاس دهاق

وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر فالتقدير وخمرا ذات دهاق اي عصرت
وصفيت قاله القشيري وفي الصحاح وادهقت الماء اي افرغته افراغا شديدا قاله ابو عمرو والدهق بالتحريك
ضرب من العذاب وهو بالفارسية اشكنجه المبرد والمدهوق المعذب بجميع العذاب الذي لا فرجة
فيه ابن الاعرابي دهقت الشي كسرته وقطعته وكذلك دهرقته وانشد لحجر بن خالد

ندهرق بضع اللحم للباع والندى ... وبعضهم تغلي بذم مراجله

ودهمقته بزيادة الميم مثله وقال الاصمعي الدهمقة لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك كل شي لين ومنه
حديث عمر لو شئت ان يدهمق لي لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها **قوله تعالى** لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا لا يسمعون
فيها اي في الجنة لغوا ولا كذابا اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك
انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت وذلك ان اهل الجنة اذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم
يتكلموا بلغو بخلاف اهل الدنيا ولا كذابا تقدم اي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يسمعون كذبا وقرا الكسائي
كذابا بالتخفيف من كاذبت كذابا اي لا يتكاذبون في الجنة وقيل هما مصدران للتكذيب وانما خففها هاهنا
لانها ليست مقيدة بفعل يصير مصدرا له وشدد قوله وكذبوا بآياتنا كذابا لان كذبوا يقيد المصدر
بالكذاب جزاء من ربك جزاء نصب على المصدر لان المعنى جازاهم بما تقدم ذكره جزاء وكذلك
عطاء لان معنى اعطاهم وجازاهم واحد اي اعطاهم عطاء حسابا اي كثيرا قاله قتادة يقال احسبت فلانا
اي كثرت له العطاء حتى قال حسبي قال

ونقفي وليد الحي ان كان جائعا ... ونحسبه ان كان ليس بجائع

وقال القتبي ونرى اصل هذا ان تعطيه حتى يقول حسبي وقال
الزجاج حسابا اي ما يكفيهم وقاله الاخفش يقال احسبني كذا اي كفاني وقال الكلبي حاسبهم فاعطاهم

والاتراب الاقران

بالحسنة عشرا وقال مجاهد حسابا لما عملوا فالحساب بمعنى العد اي بقدر ما وجب له في وعد الرب فانه وعد للحسنة
عشرا ووعد لقوم بسبعمائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كما قال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقرا ابو هاشم عطاء حسابا بفتح الحاء وتشديد السين على وزن فعال اي كفافا قال
الاصمعي تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد اذا اكرمته وانشد قول الشاعر

اذا اتاه ضيفه يحسبه

وقرا ابن عباس حسانا بالنون **قوله تعالى** رب
السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا قرا ابن مسعود ونافع وابو عمرو وابن كثير
وزيد عن يعقوب والمفضل عن عاصم رب بالرفع على الاستئناف الرحمن خبره او بمعنى هو رب السموات
ويكون الرحمن مبتدا ثانيا وقرا ابن عامر ويعقوب وابن محيصن كلاهما بالخفض نعتا لقوله جزاء من ربك
اي جزاء من ربك رب السموات الرحمن وقرا ابن عباس وعاصم وحمزة والكسائي رب السموات خفضا
على النعت الرحمن رفعا على الابتداء اي هو الرحمن واختاره ابو عبيد وقال هذا اعدلها خفض رب لقربه
من قوله من ربك فيكون نعتا له ورفع الرحمن لبعده منه على الاستئناف وخبره لا يملكون منه خطابا اي لا
يملكون ان يسالوا الا فيما اذن لهم فيه وقال الكسائي لا يملكون منه خطابا بالشفاعة له الا باذنه وقيل الخطاب
الكلام اي لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار اي لا
يملكون منه خطابا فاما المؤمنون فيشفعون قال الشيخ رحمه الله بعد ان يؤذن لهم لقوله تعالى من
ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا **قوله تعالى**
يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يوم نصب على
الظرف اي لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح واختلف في الروح على اقوال ثمانية الاول انه ملك من
الملائكة قال ابن عباس ما خلق الله مخلوقا بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا
وقامت الملائكة كلهم صفا فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم ونحو منه عن ابن مسعود قال الروح ملك اعظم من
السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وهو حيال السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر الف تسبيحة
يخلق الله من كل تسبيحة ملكا فيجي يوم القيامة وحده صفا وسائر الملائكة صفا الثاني انه جبريل عليه السلام
قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع
والارضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل كل يوم فيه سحرا فيغتسل فيزداد نورا على نوره وجمالا على جماله
وعظما على عظمه ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه سبعين الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون
الفا البيت المعمور والكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه الى يوم الساعة وقال وهب ان جبريل عليه السلام
واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه ... منكسة رؤسهم فاذا اذن الله لهم في الكلام قالوا لا اله الا انت وهو قوله يوم
يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يعني قول لا اله الا الله الثالث
روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح في هذه الاية جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم
رؤس وايدي وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال هؤلاء جند وهؤلاء جند
وهذا قول ابي صالح ومجاهد وعلى هذا انهم خلق على صورة بني ادم كالناس وليسوا بناس الرابع انهم اشراف
الملائكة قاله مقاتل بن حيان الخامس انهم حفظة على الملائكة قاله ابن ابي نجيح السادس انهم بنو ادم قاله
الحسن وقتادة فالمعنى ذوو الروح وقال العوفي والقرظي هذا مما كان يكتمه ابن عباس الروح خلق من خلق
الله على صورة بني ادم وما نزل ملك من السماء الا ومعه واحد من الروح السابع ارواح بني ادم تقوم صفا
وتقوم الملائكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجساد قاله عطية الثامن انه القران قاله زيد بن
اسلم وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا مصدر اي يقومون صفوفا والمصدر ينبي عن الواحد
والجمع كالعدل والصوم ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال في موضع اخر وجاء ربك والملك صفا صفا
هذا يدل على الصفوف وهذا حين العرض والحساب قال معناه القتبي وغيره وقيل يقوم الروح صفا
والملائكة صفا فهم صفان وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون اي لا يشفعون الا من اذن له
الرحمن في الشفاعة وقال صوابا يعني حقا في الدنيا وعمل به قاله الضحاك ومجاهد وقال ابو صالح لا اله الا الله
وروى الضحاك عن ابن عباس قال يشفعون لمن قال لا اله الا الله واصل الصواب السداد من القول والفعل
وهو من اصاب يصيب اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح

الذين قاموا صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرب في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا
وانهم يوحدون الله ويسبحونه وقال الحسن ان الروح يقول يوم القيامة لا يدخل الجنة احد الا بالرحمة
ولا النار الا بالعمل وهو معنى قوله وقال صوابا قوله تعالى ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ
الى ربه مابا ذلك اليوم الحق اي الكائن الواقع فمن شاء اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا بالعمل الصالح كانه اذا
عمل خيرا رده الى الله عز وجل واذا عمل شرا باعده منه وينظر الى هذا المعنى قوله عليه السلام والخير كله
بيديك والشر ليس اليك وقال قتادة مابا سبيلا قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا يخاطب كفار قريش ومشركي العرب
لانهم قالوا لا نبعث والعذاب عذاب الاخرة وكل ما هو آت فهو قريب وقد قال الله تعالى كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال معناه الكلبي وغيره وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين
قال مقاتل هي قتل قريش ببدر والاظهر انه عذاب الاخرة وهو الموت والقيامة لان من مات فقد قامت
قيامته فان كان من اهل الجنة راى مقعده من الجنة وان كان من اهل النار راى الخزي والهوان ولهذا
قال يوم ينظر المرء ما قدمت يداه بين وقت ذلك العذاب اي انذرناكم عذابا قريبا في ذلك اليوم
وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي يراه وقيل ينظر الى ما قدمت فحذف الى والمرء ها هنا المؤمن
في قول الحسن اي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا ولما قال ويقول
الكافر علم انه اراد بالمرء المؤمن وقيل المرء ها هنا ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط ويقول الكافر
ابو جهل وقيل هو عام في كل احد وانسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب وقال مقاتل نزلت قوله يوم
ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في اخيه الاسود
بن عبد الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر ها هنا ابليس وذلك انه عاب آدم بانه خلق
من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة والرحمة
وراى ما فيه من الشدة والعذاب تمنى انه بمكان آدم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته في بعض التفاسير
للقشيري ابي نصر وقيل اي يقول ابليس يا ليتني خلقت من التراب ولم اقل انا خير من آدم وعن ابن عمر اذا كان
يوم القيامة مدت الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يوضع القصاص بين البهائم
حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص بينها قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا ونحوه عن ابي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وقد ذكرناه في التذكرة مجودا
والحمد لله ذكر ابو جعفر النحاس حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق
قال حدثنا معمر قال اخبرني جعفر بن برقان الجزري عن يزيد بن الاصم عن ابي هريرة قال ان الله يحشر الخلق
كلهم من دابة وطائر وانسان ثم يقال للبهائم والطير كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
وقال قوم يا ليتني كنت ترابا اي لم ابعث كما قال يا ليتني لم اوت كتابيه وقال ابو الزناد اذا قضي بين الناس
وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا
فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال
عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا
اصح وقد مضى في الرحمن بيان هذا وانهم مكلفون يثابون ويعاقبون فهم كبني آدم والله اعلم بالصواب

تفسير سورة والنازعات

مكية باجماع وهي خمس او ست واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
والنازعات غرقا اقسم سبحانه بهذه الاشياء التي ذكرها على ان القيامة حق والنازعات الملائكة التي تنزع
ارواح الكفار قاله علي رضي الله عنه وكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد هي الملائكة تنزع
نفوس بني آدم قال ابن مسعود يريد انفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت
الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها في اجسادهم ثم ينزعها
فهذا عمله بالكفار وقاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها
في النار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وقال السدي والنازعات هي النفوس حين تغرق

في الصدور مجاهد هو الموت ينزع النفوس الحسن وقتادة هي النجوم تنزع من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع
اليه اي ذهب او من قولهم نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها تغرق وتغيب وتطلع من افق الى آخر وقاله
ابو عبيدة وابن كيسان والاخفش وقيل النازعات القسي تنزع بالسهام قاله عطاء وعكرمة وغرقا بمعنى اغراقا
واغراق النازع في القوس ان يبلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل يقال اغرق في القوس اي استوفى مدها
وذلك بان ينتهي الى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه والاستغراق الاستيعاب ويقال لقشرة
البيضة الداخلة غرقئ وقيل هم الغزاة الرماة قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهو والذي قبله سواء لانه اذا
اقسم بالقسي فالمراد النازعون بها تعظيما لها وهو مثل قوله والعاديات ضبحا والله اعلم واراد بالاغراق
المبالغة في النزع وهو سائغ في جميع وجوه تاويلها وقيل هي الوحش تنزع من الكلأ وتنفر حكاه يحيى بن
سلام ومعنى قوله غرقا اي ابعادا في النزع قوله تعالى والناشطات نشطا قال ابن عباس يعني
الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه وحكى هذا القول الفراء
ثم قال والذي سمعت من العرب ان يقولوا انشطت وكانما انشط من عقال وربطها نشطها والرابط
الناشط واذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته فانت ناشط واذا حللته فقد انشطته وانت
منشط وعن ابن عباس ايضا هي انفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ما من مؤمن الا
ويعرض عليه الجنة من قبل ان يموت فيرى فيها ما اعد الله له من ازواجه واهله من الحور العين فهم يدعونه
اليها فنفسه اليهم نشيطة ان تخرج فتاتيهم وعنه ايضا قال يعني انفس الكفار والمنافقين تنشط كما
ينشط العقب الذي يعقب به السروج العقب بالتحريك العصب الذي تعمل منه الاوتار الواحدة عقبة
تقول منه عقبت السهم والقدح والقوس عقبا اذا لويت شيئا منه عليه والنشط الجذب بسرعة ومنه
الانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا اجذبت مثل عقدة التكة وقال ابو زيد نشطت الحبل انشطه
نشطا عقدته انشوطة وانشطته اي حللته وانشطت الحبل اي مددته حتى ينحل وقال الفراء انشط
العقال اي حل ونشط اي ربط الحبل في يديه وقال الليث انشطته بانشوطة وانشوطتين اي اوثقته
وانشطت العقال اي مددت انشوطته فانحلت قال ويقال نشط بمعنى انشط لغتان
بمعنى وعليه يصح قول ابن عباس المذكور اولا وعنه ايضا ان الناشطات الملائكة لنشاطها تذهب
وتجيء بامر الله حيث ما كان وعنه ايضا وعن علي رضي الله عنهما الملائكة تنشط ارواح الكفار ما
بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من اجوافهم نشطا بالكرب والغم كما ينشط الصوف من سفود الحديد وهو
النشط بمعنى الجذب يقال نشطت الدلو انشطها بالكسر وانشطها بالضم اي نزعتها قال الاصمعي
بئر انشاط اي قريبة القعر تخرج الدلو منها بجذبة واحدة وبئر نشوط قال وهي التي لا يخرج منها الدلو
حتى تنشط كثيرا وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان السدي هي النفوس حين تنشط من القدمين
وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق عكرمة
وعطاء هي الاوهاق تنشط السهام وعن عطاء ايضا وقتادة والحسن والاخفش هي النجوم تنشط من افق
الى افق اي تذهب وكذا في الصحاح والناشطات نشطا يعني النجوم من برج الى برج كالثور الناشط
من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها قال هميان بن قحافة

امست همومي تنشط المناشطا ... الشام بي طورا وطورا واسطا

ابو عبيدة وعطاء ايضا الناشطات هي الوحش حين تنشط من بلد الى بلد كما ان الهموم تنشط الانسان
من بلد الى بلد وانشد بيت هميان امست همومي البيت وقيل النازعات للكافرين والناشطات
للمؤمنين فالملائكة يجذبون روح المؤمن برفق والنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق وقيل هما
جميعا للكفار والاثنان بعدهما للمؤمنين عند فراق الدنيا قوله تعالى والسابحات سبحا قال
علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبح بارواح المؤمنين الكلبي هي الملائكة تقبض ارواح المؤمنين كالذي
يسبح في الماء فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وقال
مجاهد وابو صالح هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لامر الله كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع
في جريه وعن مجاهد ايضا الملائكة تسبح في نزولها وصعودها وعنه ايضا السابحات الموت يسبح في نفوس
بني آدم وقيل هي خيل الغزاة قال عنترة ... والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا

وقال امرؤ القيس
مسح اذا ما السابحات على الونى ... أثرن الغبار بالكديد المركل
قتادة والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال الله تعالى كل في فلك يسبحون
عطا هي السفن تسبح في الماء ابن عباس السابحات ارواح المؤمنين تسبح شوقا الى لقاء الله ورحمته
حين تخرج **قوله تعالى فالسابقات سبقا** قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي
الى الانبيا عليهم السلام وقاله مسروق ومجاهد وعن مجاهد ايضا وابي روق هي الملائكة سبقت ابن ادم
بالخير والعمل الصالح وقيل تسبق بني ادم الى العمل الصالح فتكتبه ومن مجاهد ايضا الموت تسبق الانسان
مقاتل هي الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة ابن مسعود هي انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة
الذي يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله ورحمته ونحوه عن الربيع قال هي النفس تسبق
بالخروج عند الموت وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم تسبق بعضها في السير عطا هي الخيل التي تسبق
الى الجهاد وقيل يحتمل ان تكون السابقات ما يسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة او نار حكاه الماوردي
وقال الجرجاني ذكر فالسابقات بالفا لانها مشتقة من التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن تقول قام
فذهب فهذا يوجب ان يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يكن القيام سببا للذهاب
قوله تعالى فالمدبرات امرا قال القشيري اجمعوا على ان المراد الملائكة وقال الماوردي فيه قولان
احدهما الملائكة قاله الجمهور والقول الثاني هي الكواكب السبعة حكاه خالد ابن معدان عن معاذ بن
جبل وفي تدبيرها الامر وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها والثاني تدبير ما قضاه الله تعالى
فيها من تقلب الاحوال وحكى هذا القول ايضا القشيري في تفسيره وان الله تعالى علق كثيرا من تدبير
امر العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره وعلى
ان المراد بالمدبرات الملائكة فتدبيرها نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قاله ابن عباس وقتادة
وغيرهما وهو الى الله جل ثناؤه ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك كما قال عز وجل نزل به الروح الامين
وكما قال فانه نزله على قلبك يعني جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم والله عز وجل هو الذي انزله
وروي عطا عن ابن عباس فالمدبرات امرا الملائكة وكلت بتدبير اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك
قال عبد الرحمن بن سابط تدبير امر الدنيا الى اربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل واسرافيل
فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض
الارواح والانفس في البر والبحر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس من الملائكة اقرب من اسرافيل
بينه وبين العرش مسيرة خمسماية عام وقيل اي وكلوا باموره عرفهم الله بها ومن اول السورة الى هنا قسم
اقسم الله به ولله ان يقسم بما شا من خلقه وليس لنا ذلك الا به جل وعز وجواب القسم مضمر كانه قال والنازعات
كذا وكذا لتبعثن ولتحاسبن اضمر لمعرفة السامعين بالمعنى قاله الفرا ويدل عليه قوله اذا كنا عظاما
نخرة الست ترى انه كالجواب لقولهم اذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفى بقوله اذا كنا عظاما نخرة وقال قوم
وقع القسم على قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وهذا اختيار الترمذي محمد بن علي اي فيما اقتصصت من ذكر يوم
القيامة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى ولان يقع القسم على ما في السورة مذكورا بارزا ظاهرا احرى
واحق من ان يؤتى بشيء وليس بمذكور فيها قال ابن الانباري وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما
وقيل جواب القسم هل اتاك حديث موسى لان المعنى قد اتاك وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة على تقدير ليوم
ترجف فحذف اللام وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات
غرقا وقال السجستاني يجوز ان يكون هذا من التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات
ابن الانباري وهذا خطا لان الفا لا يفتتح بها الكلام والاول الوجه وقيل انما قسم على ان قلوب اهل النار
تجف وابصارهم تخشع فانتصاب يوم ترجف الراجفة على هذا المعنى ولكن لم يقع عليه قال الزجاج اي
قلوب واجفة يوم ترجف وقيل انتصب باضمار اذكر وترجف اي تضطرب والراجفة اي المضطربة كذا قال
عبد الرحمن ابن زيد قال هي الارض والرادفة الساعة مجاهد الراجفة زلزلة تتبعها الرادفة الصيحة وعنه
ايضا وابن عباس والحسن وقتادة هما الصيحتان اي النفختان اما الاولى فتميت كل شيء باذن الله واما
الثانية فتحيي كل شيء باذن الله وجاء الحديث عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينهما اربعون سنة
وقال مجاهد ايضا الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فتدك دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة

وقيل

فالمدبرات امرا الملائكة
وكلت بتدبير اهل الارض

وقيل الراجفة تحرك الارض والرادفة زلزلة اخرى تفني الارضين فالله اعلم وقد مضى اخر النمل ما فيه كفاية
في النفخ في الصور واصل الرجفة الحركة قال الله تعالى يوم ترجف الارض وليست الرجفة هاهنا من الحركة
فقط بل هي من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اي اظهر الصوت والحركة ومنه سميت الاراجيف
لاضطراب الاصوات بها وافاضة الناس فيها قال
ابا الاراجيف يا ابن اللوم توعدني ... وفي الاراجيف خلت اللوم والخورا
وعن ابي ابن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذهب ربع الليل قام ثم قال يا ايها الناس اذكروا الله
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قلوب يومئذ واجفة اي خائفة وجلة قاله ابن عباس
وعليه عامة المفسرين وقاله السدي زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وقال
المورج قلقة مستوفزة مرتكضة غير ساكنة وقال المبرد مضطربة والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار
يقال وجف القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبا ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو
والايجاف حمل الدابة على السير السريع قال
بدلن بعد جرة صريفا ... وبعد طول النفس الوجيفا
وقلوب رفع بالابتدا وواجفة صفتها وابصارها خاشعة
خبرها مثل قوله ولعبد مومن خير من مشرك ومعنى خاشعة منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة والمعنى ابصار اصحابها فحذف المضاف يقولون اي يقول هؤلاء المكذبون المنكرون
للبعث اذا قيل لهم انكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين انرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احيا كما قبل الموت
وهو كقولهم ائنا لمبعوثون خلقا جديدا يقال رجع فلان في حافرته وعلى حافرته اي رجع من حيث جاء قاله
قتادة وانشد ابن الاعرابي
احافرة على صلع وشيب ... معاذ الله من سفه وعار
يقول ارجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبي بعد ان شبت وصلعت ويقال رجع على حافرته اي
الطريق الذي جاء منه وقولهم في المثل النقد عند الحافرة قال يعقوب اي عند اول كلمة ويقال التقى القوم
فاقتتلوا عند الحافرة اي عند اول ما التقوا وقيل الحافرة العاجلة اي انا لمردودون الى الدنيا فنصير
احياء كما كنا كما قال الشاعر
آليت لا انساكم فاعلموا ... حتى يرد الناس في الحافرة
وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم فهي بمعنى المحفورة كقوله ماء دافق وعيشة راضية والمعنى انا لمردودون
في قبورنا احياء قاله مجاهد والخليل والفرا وقيل سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت القدم
ارضا لانها على الارض والمعنى انا الراجعون بعد الموت الى الارض فنمشي على اقدامنا وقال ابن زيد الحافرة
النار وقرا تلك اذا كرة خاسرة وقال مقاتل وزيد بن اسلم هي اسم من اسماء النار وقال ابن عباس الحافرة
في كلام العرب الدنيا وقرا ابو حيوة الحفرة بغير الف مقصور من الحافرة وقيل الحفرة الارض المنتنة
باجساد موتاها من قولهم حفرت اسنانه اذا ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها يقال في اسنانه حفر بالتحريك
وقد حفرت تحفر حفرا مثال كسر يكسر كسرا اذا فسدت اصولها وبنو اسد يقولون في اسنانه حفر
بالتحريك وقد حفرت مثال تعب تعبا وهي اردا اللغتين قاله في الصحاح ائذا كنا عظاما نخرة اي بالية
متفتتة يقال نخر العظم بالكسر اي بلي وتفتت يقال عظام نخرة وكذا قرا الجمهور من اهل المدينة ومكة والشام
والبصرة واختاره ابو عبيد وقال لان الاثار التي تذكر فيها العظام نظرنا فيها فراينا ها نخرة لا ناخرة وقرا
عمر وابنه عبد الله وابن مسعود وابن الزبير وحمزة والكسائي وابو بكر ناخرة بالف واختاره الفرا والطبري
وابو معاذ النحوي لوفاق رؤوس الاي وفي الصحاح والناخر من العظام الذي يدخل الريح فيه ثم يخرج منه
ولها نخير اي ما بها احد حكاه يعقوب عن الباهلي وقال ابو عمرو بن العلا الناخرة التي لم تنخر بعد اي لم تبل ولا
بد ان تنخر وقيل الناخرة المجوفة وقيل هما لغتان بمعنى كذلك تقول العرب نخر الشيء فهو نخر وناخر كقولهم طمع
فهو طمع وطامع وحذر وحاذر وبخل وباخل وفره وفاره قال الشاعر
يظل بها الشيخ الذي كان بادنا ... يدب على عوج له نخرات
عوج يعني قوائم وفي بعض التفسير ناخرة بالالف بالية ونخرة تنخر فيها الرياح اي تمر فيها على عكس القول الاول
قال
من بعد ما كانت عظاما ناخرة
وقال بعضهم الناخرة التي اكلت اطرافها
وبقيت اوساطها والنخرة التي فسدت كلها وقال مجاهد نخرة اي مرفوتة كما قال عظاما ورفاتا ونخرة الريح بالضم
شدة هبوبها والنخرة ايضا والنخرة مثال الهمزة مقدم انف الفرس والحمار والخنزير يقال هشم نخرته اي انفه

قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة خايبة كاذبة باطلة اي ليست كاينة قاله الحسن وغيره الربيع بن انس
خاسرة على من كذب بها وقيل هي اي كرة خسران والمعنى اهلها خاسرون كما يقال تجارة رابحة اي يربح صا
حبها ولا شي اخسر من كرة تقتضي المصير الى النار وقال قتادة ومحمد بن كعب اي لين رجعنا احياء بعد
الموت لنخسرن بالنار وانما قالوا هذا لانهم اوعدوا بالنار والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا
يتعدى والكرة المرة والجمع الكرات فانما هي زجرة واحدة ذكر جل ثناؤه سهوله البعث عليه فقال فانما هي
زجرة واحدة وروي الضحاك عن ابن عباس قال نفخة واحدة فاذا هم اي الخلايق اجمعون بالساهرة اي على
وجه الارض بعد ما كانوا في بطنها قال الفرا اسميت هذا الاسم لانها نوم الحيوان وسهرهم والعرب تسمي
الفلاة ووجه الارض ساهرة بمعنى ذات سهر لانه يسهر فيها خوفا منها فوصفتها بصفة ما فيها واستدل
ابن عباس والمفسرون بقول ابن امية ابن ابي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهوا به لهم مقيم
وقال اخوهم يوم ذي قار الفرسه ... اقدم محاج انها الاساورة
ولا يهولنك رجل نادرة ... فانما قصرك ترب الساهرة
ثم تعود بعدها في الحافرة ... من بعد ما كانت عظاما ناخرة

وفي الصحاح ويقال الساهور ظل الساهرة وهي وجه الارض ومنه قوله فاذا هم بالساهرة قال ابو كبير الهذلي

يرتدن ساهرة كان جميمها ... وعميمها اسداف ليل مظلم

ويقال الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف وانشدوا قول امية ابن ابي الصلت

قمر وساهور يسل ويغمد

وانشد والاخر في وصف امراة

كانها عرق سام عند ضاربه ... او شقة خرجت من جوف ساهور

يريد شقة القمر وقيل الساهرة الارض البيضا وروي الضحاك عن ابن عباس قال ارض من فضة لم يعص الله
جل ثناؤه عليها قط خلقها حينيذ وقيل ارض يجددها الله يوم القيامة وقيل الساهرة اسم الارض الثا
نية يا تي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلايق وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة
ارض الشام وهب بن منبه جبل بيت المقدس عثمان ابن ابي العاتكة انه اسم مكان من الارض بالشام وهو
الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسبان يمده الله كيف شا قتادة هي جهنم اي فاذاهم في جهنم
وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون عليها حينيذ وقيل الساهرة بمعنى الصحرا على شفير جهنم اي يوقفون
بارض القيامة فيدوم السهر حينيذ وقيل الساهرة الارض البيضا المستوية سميت بذلك لان السراب
يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الما وفي ضدها باية قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا ... لاقطارها قد جبتها متلثما

اولان سالكها لا ينام خوف الهلكة **قوله تعالى** هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية
الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة
والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى هل اتاك حديث موسى اي قد جاءك وبلغك وهذه التسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم اي ان فرعون كان اقوي من كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك هاولاء وقيل بمعنى ما اي ما اتاك
ولكني اخبرتك به فان فيه عبرة لمن يخشى وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية وفي طوى ثلاث
قراات قرا ابن محيصن وابن عامر والكوفيون طوي منونا واختاره ابو عبيد لخفة الاسم الباقون بغير
تنوين لانه معدول مثل عمر وقثم قال الفرا طوى واد بين المدينة ومصر قال وهو معدول من طاو كما عدل
عمر من عامر وقرا الحسن وعكرمة طوى بكسر الطاء وروي عن ابي عمرو على معنى المقدس مرة بعد مرة قاله الزجاج
وانشد

اعاذل ان اللوم في غير كنهه ... على طوى من غيك المتردد

اي هو لوم مكرر على وقيل ضم الطاء وكسرها لغتان وقد مضى في طه القول فيه اذهب الى فرعون اي ناداه
ربه اذهب فحذف لان النداء قول وكانه قال له ربه اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز القدر في العصيان
وروي عن الحسن ايضا قال كان فرعون علجا من همدان وعن مجاهد قال كان من اهل اصطخر وعن الحسن ايضا
قال كان من اهل اصبهان يقال له ذو ظفر طوله اربعة اشبار فقل هل لك الى ان تزكى اي تسلم فتطهر من

الساهرة ارض الشام

ك

الذنوب وروي الضحاك عن ابن عباس قال هل لك الى ان تشهد ان لا اله الا الله واهديك الى ربك اي وارشدك
الى طاعة ربك فتخشى اي فتخافه وتتقيه وقرا نافع وابن كثير تزكى بتشديد الزاي على ادغام التاء في الزاي
لان اصلها تتزكى الباقون تزكى بتخفيف الزاي على معنى طرح التاء وقال ابو عمرو تزكى بالتشديد الصدقة
وتزكى تكون زكيا مومنا وانما دعى فرعون ليكون زكيا مومنا قال فلهذا اخترنا التخفيف وقال صخر بن جويرية
لما بعث الله موسى الى فرعون قال له اذهب الى فرعون الى قوله واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال
رب وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله اليه ان امض الى ما امرت به فان في السما اثني عشر
الف ملك يطلبون علم القدر فلن يبلغوه ولا يدركوه فاراه الاية الكبرى اي العلامة العظمى وهي
المعجزة قيل العصا وقيل اليد البيضا تبرق كالشمس وروي الضحاك عن ابن عباس الاية الكبرى قال العصا
الحسن يده وعصاه وقيل فلق البحر وقيل الاية اشارة الى جميع اياته ومعجزاته فكذب اي كذب نبي الله موسى
وعصى اي عصى ربه عز وجل ثم ادبر يسعى اي ولى مدبرا معرضا عن الايمان يسعى اي يعمل بالفساد في الارض
وقيل يعمل في نكاية موسى وقيل ادبر يسعى هاربا من الحية فحشر اي جمع اصحابه ليمنعوه منها وقيل جمع جنوده
للقتال والمحاربة والسحرة للمعارضة وقيل حشر الناس للحضور فنادى اي قال لهم بصوت عال انا ربكم الاعلى
اي لا رب فوقي ويروى ان ابليس تصور لفرعون في صورة الانسان بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له
ابليس ويحك اما تعرفني قال لا قال وكيف وانت خلقتني الست القايل انا ربكم الاعلى ذكره الثعلبي في كتاب
العرايس وقال عطا كان صنع لهم اصناما صغارا وامرهم بعبادتها فقال انا رب اصنامكم وقيل اراد القا
والسادة هو ربهم اوليك هم ارباب السفلة وقيل في الكلام تقديم وتاخير فنادى فحشر لان النداء
يكون قبل الحشر فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي نكال قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله بعد انا
ربكم الاعلى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وكان بين الكلمتين اربعون سنة قاله ابن عباس والمعنى
امهله في الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه بكلمتيه وقيل نكال الدنيا هو ان اغرقه ونكال الاخرة العذاب
في الاخرة قاله قتادة وغيره وقال مجاهد عذاب اول عمره واخره وقيل الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى
تكذيبه لموسى عن قتادة ايضا ونكال منصوب على المصدر المؤكد في قول الزجاج لان معنى اخذه الله نكل الله به
فاخرج مكان مصدر من معناه لا من لفظه وقيل نصب بنزع حرف الصفة اي فاخذه الله بنكال الاخرة فلما نزع الخافض
نصب وقال الفرا اي اخذه الله اخذا نكالا اي للنكال والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اي عقوبة له حتى يعتبر
به يقال نكل فلان بفلان اذا اثخنه عقوبة والكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد
وقد مضى في المزمل ان في ذلك لعبرة اي اعتبارا وعظة لمن يخشى اي لمن يخاف الله عز وجل **قوله تعالى**
ءانتم اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها يريد اهل مكة اي خلقكم بعد الموت اشد في تقديركم ام السماء
فمن قدر على السماء قدر على الاعادة وهذا كقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله او
ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم فمعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف السما
فقال بناها اي رفعها فوقكم كالبناء رفع سمكها اي اعلى سقفها في الهوا يقال سمكت الشي اي رفعته في
الهوا وسمك الشي سموكا ارتفع وقال الفرا كل شي حمل شيا من البناء وغيره فهو سمك وبناء مسموك وسنا
سامك نامك اي عال والمسموكات السموات ويقال اسمك في الريم اي اصعد في الدرجة **قوله تعالى**
فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها
والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم اي خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور
واغطش ليلها اي جعله مظلما غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل
بنفسه واغطشه الله كما يقال اظلم الليل واظلمه الله والغطش والغبش الظلمة ورجل اغطش اي اعمى او شبيه
به وقد غطش والمراة غطشا ويقال ليلة غطشا وليل اغطش وفلاة غطشى لا يهتدي لها قال الاعشى

ويهماء بالليل غطشى الفلاة ... يونسني صوت فيادها

وقال الاعشى ايضا

عقرت لهم ناقتي موهنا ... وغامرهم مدلهم غطش

يعني بغامرهم ليلهم لانه غمرهم بسواده واضاف الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس
مضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل واخرج ضحاها اي ابرز نهارها وضوءها وشمسها
واضاف الضحى الى السماء كما اضاف الظلمة لان منها سبب الظلام والضيا بغروب الشمس وطلوعها

والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها وهذا يشير الى كون الارض بعد السماء وقد مضى القول فيه في اول البقرة عند قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء مستوفي والعرب تقول دحوت الشيء ادحوه دحوا اذا بسطته ويقال لعش النعامة ادحي لانه مبسوط على وجه الارض قال امية بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحيها — فهم قطانها حتى التنادي

وانشد المبرد

دحاها فلما راها استوت — على الماء ارسى عليها الجبالا

وقيل دحاها سواها ومنه قول زيد بن عمرو

واسلمت وجهي لمن اسلمت — له الارض تحمل ثقالا صخرا

دحيها فلما استوت شدها — بايد وارسى عليها الجبالا

وعن ابن عباس خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان تخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وذكر بعض اهل العلم ان بعد في موضع مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كما قال عتل بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق قال الشاعر

فقلت لها فيء اليك فانني — حرام واني بعد ذاك لبيب

اي مع ذلك وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل القرآن قال ابو كبير الهذلي

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا — خراش وبعض الشر اهون من بعض

وزعموا ان خراشا نجى قبل عروة وقيل دحوها حرثها وشقها قاله ابن زيد وقيل دحاها مهدها للاقوات والمعنى متقارب وقراءة العامة والارض بالنصب اي دحا الارض وقرا الحسن وعمرو بن ميمون والارض بالرفع على الابتداء لرجوع الهاء ويقال دحى يدحو دحوا ودحى يدحي دحيا كقولهم طغى يطغو وطغى يطغي ومحى يمحو ويمحي ولحا العود يلحي ويلحو فمن قال يدحو قال دحوت ومن قال يدحي قال دحيت اخرج منها اي من الارض ماءها اي العيون المتفجرة بالماء ومرعاها اي النبات الذي يرعى وقال القتبي دل بشيئين على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لان النار من العيدان والملح من الماء والجبال ارساها قراءة العامة والجبال بالنصب اي وارسى الجبال ارساها يعني اثبتها فيها اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو بن ميمون وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم والجبال بالرفع على الابتداء ويقال هلا ادخل حرف العطف على اخرج فيقال لانه حال باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم متاعا لكم اي منفعة لكم ولانعامكم من الابل والبقر والغنم ومتاعا نصب على المصدر من غير اللفظ لانه معنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا قوله تعالى

فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى

الطامة الكبرى اي الداهية العظمى وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه وهو قول الحسن وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شيء فتعم ما سواها لعظم هولها اي تغلبه وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القري المبرد الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وانما اخذت فيما احسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري وطم الماء اذا ملاء النهر كله غيره هي ماخوذة من طم السيل الركية اي دفنها والطم الدفن والعلو وقال القاسم بن الوليد الهمداني الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وهو معنى قول مجاهد وقال سفيان هي الساعة التي يسلم اهل النار الى الزبانية اي الداهية التي طمت وعظمت قال

ان بعض الحب يعمي ويصم — وكذاك البغض ادهى واطم

يوم يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل من خير او شر وبرزت الجحيم اي اظهرت لمن يرى قال ابن عباس يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقيل المراد الكافر لانه الذي يرى النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلى الكافر بالنار وجواب فاذا جاءت الطامة الكبرى محذوف اي اذا جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقرا مالك بن دينار وبرزت الجحيم عكرمة وغيره لمن ترى بالتاء اي لمن تراه الجحيم او لمن تراه انت يا محمد والخطاب له عليه السلام والمراد به الناس قوله تعالى

فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى

فاما من طغى اي تجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في النضر وابنه الحارث وهي عامة في كل كافر اثر الحياة الدنيا على الاخرة وروي عن يحيى بن ابي كثير قال من اتخذ طعاما واحدا ثلاثة الوان

فقد طغى وروى جويبر عن الضحاك قال قال حذيفة اخوف ما اخاف على هذه الامة ان يوثروا ما يرون على ما يعلمون ويروى انه وجد في الكتب ان الله جل ثناؤه قال لا يوثر عبد لي دنياه على اخرته الا بثثت عليه همومه وضيعته ثم لم ابال في ايها هلك فان الجحيم هي الماوى اي ماواه والالف واللام بدل من الهاء واما من خاف مقام ربه اي حذر مقامه بين يدي ربه وقال الربيع مقامه يوم الحساب وكان قتادة يقول ان الله عز وجل مقاما قد خافه المؤمنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي والمحارم وقال سهل ترك الهوى مفتاح الجنة كقول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وقال عبد الله بن مسعود انتم في زمان يقود الحق الهوى وسياتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان فان الجنة هي الماوى اي المنزل والايتان نزلتا في مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير فروى الضحاك عن ابن عباس قال اما من طغى فهو اخ لمصعب بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه في فدائه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه وهي السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال عند الله احتسبك وقال لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب وقيل ان مصعب بن عمير قتل اخاه عامرا يوم بدر وعن ابن عباس ايضا قال نزلت هذه الاية ~~واما من خاف مقام ربه في ابي بكر المخزو~~ ومصعب بن عمير العبدري وقال السدي نزلت هذه الاية واما من خاف مقام ربه في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان ابا بكر كان له غلام ياتيه بطعام وكان يساله من اين اتيت بهذا فاتاه يوما بطعام فلم يساله واكله فقال له غلامه لم لا تسالني اليوم فقال نسيت فمن اين لك هذا الطعام قال تكهنت لقوم في الجاهلية فاعطونيه فتقياه من ساعته وقال يا رب ما بقي في العروق فانت حبسته فنزلت واما من خاف مقام ربه وقال الكلبي نزلت فيمن هم بمعصية وقدر عليها في خلوة ثم تركها من خوف الله ونحوه عن ابن عباس يعني من خاف عند المعصية مقامه بين يدي الله فانتهى عنها والله اعلم قوله تعالى

يسالونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها

قال ابن عباس سال مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون الساعة استهزاء فانزل الله عز وجل الاية وقال عروة بن الزبير في قوله فيم انت من ذكراها لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن الساعة حتى نزلت هذه الاية الى ربك منتهاها ومعنى مرساها اي قيامها قال الفراء رسوها قيامها كرسو السفينة وقال ابو عبيدة اي منتهاها ومرسى السفينة حيث تنتهي وهو قول ابن عباس الربيع بن انس متى زمانها والمعنى متقارب وقد مضى في اخر الاعراف بيان ذلك وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة الا بغضبة يغضبها ربك فيم انت اي في اي شيء انت يا محمد من ذكر القيامة والسوال عنها وليس لك السوال عنها وهذا معنى ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن الساعة حتى نزلت فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها الى منتهى علمها فكانه عليه السلام لما اكثروا عليه سال الله ان يعرفه ذلك فقيل له لا تسل فلست في شيء من ذلك ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسالتهم له اي فيم انت من ذلك حتى يسالونك بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس والذكرى بمعنى الذكر الى ربك منتهاها اي منتهى علمها فلا يوجد عند غيره وهو كقوله قل انما علمها عند ربي وقوله ان الله عنده علم الساعة انما انت منذر اي مخوف وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا لكل مكلف وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقراءة العامة منذر بالاضافة غير منون طلب التخفيف والا فاصله التنوين للمستقبل وانما لا ينون في الماضي قال الفراء التنوين وتركه كقوله بالغ امره وبالغ امره وموهن كيد الكافرين وموهن كيد الكافرين والتنوين الاصل وبه قرا ابو جعفر وشيبة والاعرج وابن محيصن وحميد وعباس عن ابي عمرو منذر منونا وتكون من في موضع نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك من يخشى الساعة وقال ابو علي يجوز ان تكون الاضافة للماضي نحو ضارب زيد امس لانه قد فعل الانذار والاية رد على من قال احوال الاخرة غير محسوسة

وانما هي راحة الروح اي تالمها من غير حس كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم الا عشية اي قدر عشية او ضحاها اي او قدر الضحى عن ابن عباس كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا يوما واحدا وقيل لم يلبثوا الا ساعة من نهار وروى الضحاك عن ابن عباس كانهم يوم يرونها في قبورهم الا عشية او ضحاها وذلك انهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول وقال الفراء يقول القايل

وهل للعشية ضحى   انما الضحى لضوء النهار

ولكن اضيفت الضحى الى العشية وهو اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب يقولون اتيتك الغداة او عشيتها واتيتك العشية او غداتها فتكون العشي في معنى اخر النهار والغداة في معنى اول النهار قال وانشد بعض بني عقيل

نحن صبحنا عامرا في دارها   جردا تعادي طرفي نهارها

عشية الهلال او سرارها

اراد عشية الهلال او عشية سرار العشية فهذا اشد من اتيتك الغداة او عشيتها ختمت

تفسير سورة الاعمى

مكية في قول الجميع وهي احدى واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عبس وتولى فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى عبس اي كلح بوجهه يقال عبس وبسر وقد تقدم وتولى اي اعرض بوجهه ان جاءه ان في موضع نصب لانه مفعول له المعنى لان جاءه الاعمى اي الذي لا يبصر بعينيه فروى اهل التفسير اجمع ان قوما من اشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع في اسلامهم فاقبل عبد الله بن ام مكتوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع عبد الله عليه كلامه فاعرض عنه ففيه نزلت هذه الاية قال مالك ان هشام بن عروة حدثه عن عروة انه قال نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا محمد استدنني وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخر ويقول يا فلان هل ترى بما اقول باسا فيقول لا والدماء ما ارى بما تقول باسا فانزل الله عبس وتولى وفي الترمذي مسندا قال حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي حدثنا ابي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخر ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا انزل قال حديث غريب الثانية الاية عتاب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في اعراضه وتوليه عن عبد الله ابن ام مكتوم ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو ابن قيس بن زايدة بن الاصم وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وكان قد تشاغل عنه برجل من عظماء المشركين يقال كان الوليد بن المغيرة ابن العربي قاله المالكية من علماينا وهو يكنى ابا عبد شمس وقال قتادة هو امية بن خلف وعنه ابي بن خلف وقال مجاهد كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وقال عطا عتبة بن ربيعة سفيان الثوري كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس الزمخشري كان عنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجا ان يسلم باسلامهم غيرهم قال ابن العربي اما قول علماينا انه الوليد بن المغيرة فقد قال الاخرون انه امية بن خلف والعباس وهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين وذلك ان امية والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وكان موتهما كافرين احدهما قبل الهجرة والاخر في بدر ولم يقصد قط امية المدينة ولا حضر معه مفردا ولا مع احد الثالثة اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم الى الله تعالى وقد قوي طمعه في اسلامهم اسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن ام مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هولاء انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس واعرض عنه فنزلت الاية قال الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا راى ابن ام مكتوم يبسط له رداءه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال انس فرايته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء الرابعة قال علماونا ما فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما

[في الهامش: وكان قد تشاغل عنه برجل من عظماء المشركين]

بان

بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكن الله تعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب اهل الصفة او ليعلم ان المومن الفقير خير من الغني وكان النظر الى المومن اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الامر الاخر وهو الاقبال على الاغنيا طمعا في ايمانهم وان كان ذلك ايضا نوعا من المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية على ما تقدم وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن ام مكتوم من الايمان كما قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار على وجهه الخامسة قال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن ام مكتوم وابى الا ان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان في هذا نوع جفاء منه ومع هذا انزل الله في حقه على نبيه عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغايب تعظيما له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب تانيسا فقال وما يدريك اي يعلمك لعله يعني ابن ام مكتوم يزكى بما استدعى منك تعليمه اياه من القران والدين بان يزداد طهارة في دينه وزوال ظلمة الجهل عنه وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كاين وقرا الحسن ان جاءه الاعمى بالمد على الاستفهام فان متعلقة بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى التقدير ان جاءه اعرض عنه وتولى فيوقف على هذه القراءة على تولى ولا يوقف عليه على قراءة الخبر وهي قراءة العامة السادسة نظير هذه الاية في العتاب قوله تعالى في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك قوله في سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا وما كان مثله والله اعلم قوله تعالى او يذكر فتنفعه الذكرى اي يتعظ بما تقول فتنفعه الذكرى اي العظة وقراءة العامة فتنفعه بضم العين عطفا على يزكى وقرا عاصم وابن ابي اسحاق وعيسى فتنفعه نصبا وهي قراءة السلمي وزر بن حبيش على جواب لعل لانه غير موجب كقوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب ثم قال فاطلع قوله تعالى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى اي كان ذا ثروة وغنى فانت له تصدى اي تعرض له وتصغي لكلامه والتصدي الاصغاء قال الراعي

تصدى لوضاح كان جبينه   سراج الدجى تحني اليه الاساور

واصله تتصدى من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد داره اي قبالتها نصب على الظرف وقيل هو من الصدى وهو العطش اي تتعرض له كما يتعرض العطشان للماء والمصاداة المعارضة وقراءة العامة تصدى بالتخفيف على طرح التاء الثانية تخفيفا وقرا نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام وما عليك الا يزكى اي لا يهتدي هذا الكافر ولا يومن انما انت رسول ما عليك الا البلاغ قوله تعالى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى يسعى بطلب العلم لله وهو يخشى اي يخاف الله فانت عنه تلهى اي تعرض بوجهك عنه وتشتغل بغيره واصله تتلهى يقال لهيت عن الشي الهى اي تشاغلت عنه والتلهي التغافل فلهيت عنه وتلهيت بمعنى قوله تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة كلا كلمة ردع وزجر اي ما الامر كما تفعل مع الفريقين اي لا تفعل بعدها مثلها من اقبالك على الغني واعراضك عن المومن الفقير والذي جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الاولى كما تقدم ولو حمل على صغيرة لم يبعد قاله القشيري والوقف على كلا على هذا الوجه جايز ويجوز ان يقف على تلهى ثم يبتدي كلا على معنى حقا انها اي السورة او ايات القران تذكرة اي موعظة وتبصرة للخلق فمن شاء ذكره اي اتعظ بالقران قال الجرجاني انها اي القران والقران مذكر الا انه لما جعل القران تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز كما قال تعالى في موضع اخر كلا انه تذكرة ويدل على انه اراد القران قوله فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى فمن شاء ذكره قال من شاء الله تبارك وتعالى الهمه ثم اخبر عن جلالته فقال في صحف جمع صحيفة مكرمة اي عند الله قاله السدي الطبري مكرمة في الدين لما فيها من العلم والحكم وقيل مكرمة لانها نزل بها كرام الحفظة ولانها نازلة من اللوح المحفوظ وقيل مكرمة لانها نزلت من كريم لان كرامة الكتاب من كرامة صاحبه وقيل المراد كتب الانبياء ودليله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى مرفوعة رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة عنده تبارك وتعالى وقيل مرفوعة في السماء السابعة قاله يحيى بن سلام الطبري مرفوعة الذكر والقدر

وقيل مرفوعة عن الشبه والتناقض مطهرة قاله الحسن من كل دنس وقيل مصانة عن ان ينالها الكفار وهو معنى قول السدي وعن الحسن ايضا مطهرة من ان ينزل على المشركين وقيل اي القران اثبت للملائكة في صحف يقرؤنها في مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة اي الملائكة الذين جعلهم سفرا بينهم وبين رسله فهم بررة لم يتدنسوا بمعصية وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مطهرة بجعل التطهير لمن حملها بايدي سفرة قال كتبة وقاله مجاهد ايضا وهم الملائكة الكرام الكاتبون لاعمال العباد في الاسفار التي هي الكتب واحدهم سافر كقولك كاتب وكتبة ويقال سفرت اي كتبت والكتاب هو السفر وجمعه اسفار قال الزجاج وانما قيل للكتاب سفر بكسر السين وللكاتب سافر لان معناه انه يبين الشيء ويوضحه يقال اسفر الصبح اذا اضاء وسفرت المراة اذا كشفت النقاب عن وجهها قال ومنه سفرت بين القوم اسفر سفارة اصلحت بينهم وقاله الفرا وانشد

فما ادع السفارة بين قومي ... ولا امشي بغش ان مشيت

والسفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفرا مثل فقيه وفقها ويقال للوراقين سفرا بلغة العبرانية وقال قتادة السفرة هنا هم القرا لانهم يقرؤن الاسفار وعنه ايضا كقول ابن عباس وقال وهب بن منبه بايدي سفرة هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن العربي لقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة كراما بررة ولكن ليسوا بمرادين بهذه الاية ولا قاربوا المراد بها بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم وروي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي يقرا القران وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ومثله الذي يقرا وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله اجران متفق عليه واللفظ للبخاري عن ابن عباس في كرام قال يتكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا بزوجته او تبرز لغائطه وقيل اي يؤثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم بررة جمع بار مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر وبار اذا كان اهلا للصدق ومنه بر فلان في يمينه اي صدق وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه فمعنى بررة مطيعين لله صادقين لله في اعمالهم وقد مضى في سورة الواقعة قوله تعالى انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون انهم الكرام البررة في هذه السورة **قوله تعالى** قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفه خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره قتل اي لعن وقيل عذب والانسان الكافر وروى الاعمش عن مجاهد قال ما كان في القران قتل الانسان فانما عني به الكافر وروى الضحاك عن ابن عباس قال نزلت في عتبة ابن ابي لهب وكان قد امن فلما نزلت والنجم ارتد وقال امنت بالقران كله الا النجم فانزل الله جل ثناوه فيه قتل الانسان اي لعن عتبة حيث كفر بالقران ودعى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبك اسد الغاضرة فخرج من فوره ذلك بتجارة الى الشام فلما انتهى الى الغاضرة تذكر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل لمن معه الف دينار ان هو اصبح حيا فجعلوه في وسط الرفقة وجعلوا المتاع حوله فبينما هم على ذلك اقبل الاسد فلما دنا من الرجال وثب فاذا هو فوقه فمزقه وقد كان ابوه ندبه وبكى وقال ما قال محمد شيا قط الا كان وروى ابو صالح عن ابن عباس ما اكفره اي شي اكفره وقيل ما تعجب وعادة العرب اذا تعجبوا من شي قالوا قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل ما اكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه على التعجب ايضا قال ابن جريج اي ما اشد كفره وقيل ما استفهام اي اي شي دعاه الى الكفر فهو استفهام توبيخ وما تحتمل التعجب وتحتمل معنى اي فيكون الاستفهام من اي شي خلقه اي من اي شي خلق الله هذا الكافر فيتكبر اي اعجبوا لخلقه من نطفة اي من ماء يسير مهين جماد خلقه فلم يغلط في نفسه قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين فقدره في بطن امه كذا روى الضحاك عن ابن عباس اي قدر يديه ورجليه وعينيه وساير اراده وحسنا ودميما وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا وقيل قدره اي فسواه كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وقال خلقك فسواك وقيل فقدره اطوارا اي من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره قال ابن عباس في رواية عطا وقتادة والسدي ومقاتل يسره للخروج من بطن امه مجاهد يسره لطريق الخير والشر اي بين له ذلك دليله انا هديناه السبيل وهديناه النجدين وقاله الحسن وعطا وابن عباس ايضا في رواية ابي صالح عنه وعن مجاهد ايضا قال سبيل الشقاء والسعادة ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو بكر بن طاهر يسر على كل احد ما خلقه له وقدر عليه دليله قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا يوارى فيه

على نزلت والنجم ارتد

اكراما ولم يجعله مما يلقى على وجه الارض تاكله الطير والعوافي قاله الفرا وقال ابو عبيدة اقبره جعل له قبرا وامر ان يقبر قال ابو عبيد ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه اقبرنا صالحا فقال دونكموه وقال اقبره ولم يقل قبره لان القابر هو الدافن بيده قال الاعشى

لو اسندت ميتا الى نحرها ... عاش ولم ينقل الى قابر

يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اي صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا تقول العرب بترت ذنب البعير وابتره الله وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اي صيره طريدا ثم اذا شا انشره اي احياه بعد موته وقراءة العامة انشره بالالف وروى ابو حيوة عن نافع وشعيب بن ابي حمزة نشره بغير الف لغتان فصيحتان بمعنى يقال انشر الله الميت ونشره قال الاعشى

حتى يقول الناس مما راوا ... يا عجبا للميت الناشر

قوله تعالى كلا لما يقض ما امره قال مجاهد وقتادة لما يقض لا يقضي احد ما امر به وكان ابن عباس يقول لما يقض ما امره لم يف بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم ثم قيل كلا ردع وزجر اي ليس الامر كما يقول الكافر فان الكافر اذا اخبر بالنشور قال لئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى ربما يقول قد قضيت ما امرت به فقال كلا لم يقض شيا بل هو كافر بي وبرسولي وقال الحسن اي حقا لم يقض اي لم يعمل بما امر به وما في قوله لما عماد للكلام كقوله فبما رحمة من الله وقوله عما قليل ليصبحن نادمين وقال الامام ابن فورك اي كلا لم يقض لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره بما لم يقض له ابن الانباري الوقف على كلا قبيح والوقف على امره وانشره جيد فكلا على هذا بمعنى حقا **قوله تعالى** فلينظر الانسان الى طعامه لما ذكر جل ثناؤه ابتداء خلق الانسان ذكر ما يسر من رزقه اي فلينظر كيف خلق الله طعامه وهذا النظر نظر القلب بالفكر اي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته وكيف هيا له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وروي عن الحسن ومجاهد قال فلينظر الانسان الى طعامه اي الى مدخله ومخرجه وروى ابن ابي خيثمة عن الضحاك بن سفيان الكلابي قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال فان الله قد ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا وقال ابي بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل مطعم ابن ادم مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فلينظر الى ماذا يصير وقال ابو الوليد سالت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلا فينظر ما يخرج منه قال ياتيه الملك فيقول انظر ما بخلت به الى ما صار **قوله تعالى** انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم قراءة العامة انا بالكسر على الاستيناف وقرا الكوفيون ورويس عن يعقوب انا بفتح الهمزة فان في موضع خفض على الترجمة عن الطعام فهو بدل منه كانه قال فلينظر الانسان الى طعامه الى انا صببنا الماء فلا يحسن الوقف على طعامه من هذه القراءة وكذلك ان رفعت ان باضمار هو انا صببنا لانها في حال رفعها مترجمة عن الطعام وقيل المعنى لانا صببنا الماء فاخرجنا به الطعام اي كذلك كان وقرا الحسن بن علي انا ممال بمعنى كيف فمن اخذ بهذه القراءة قال الوقف على طعامه تام ويقال معنى انا اني الا ان فيها كناية عن الوجوه وفيها معنى اي وجه صببنا الماء قال الكميت

اني ومن اين الك الطرب ... من حيث لا صبوة ولا ريب

صببنا الماء صبا يعني الغيث والامطار ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها حبا اي قمحا وشعيرا وسلتا وساير ما يحصد ويدخر وعنبا وقضبا وهو القت والعلف عن الحسن سمي بذلك لانه يقضب اي يقطع بعد ظهوره مرة بعد اخرى قاله القتبي وثعلب واهل مكة يسمون القت القضب وقال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من النخل ولانه ذكر العنب قبله وعنه ايضا انه الفصفصة وهو القت الرطب قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة وقيل بالسين فاذا يبست فهو قت قال والقضب اسم يقع على ما يقضب من اغصان الشجر ليتخذ منها سهام او قسي ويقال قضبا يعني جميع ما يقضب مثل الكراث والقت وساير البقول التي تقطع فينبت وفي الصحاح والقضبة والقضب الرطبة وهو الاسفست بالفارسية والموضع الذي ينبت فيه مقضبة وزيتونا وهي شجرة الزيتون ونخلا يعني النخيل وحدايق اي بساتين واحدها حديقة قال الكلبي كل شي احيط عليه من نخيل او شجر فهو حديقة وما لم يحط به فليس بحديقة غلبا عظاما شجرها يقال شجرة غلباء ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا قال العجاج

ما زلت يوم البين الوي صلبي والراس حتى صرت مثل الاغلب

ورجل اغلب بين الغلب اذا كان غليظ الرقبة والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معد يكرب

يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا

وحديقة غلبا ملتفة وحدائق غلب واغلولب العشب بلغ والتف البعض بالبعض قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلباء وهي الغلاظ وعنه ايضا الطوال قتادة وابن زيد الغلب النخل الكرام ومن ابن زيد ايضا وعكرمه عظام الاوساط والجذوع مجاهد ملتفة وفاكهة اي ما ياكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما واباً هو ما ياكله البهائم من العشب قال ابن عباس والحسن الاب كل ما انبتت الارض مما لا ياكله الناس وما ياكله الادميون هو الحصيد ومنه قول الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

له دعوة ميمونة ريحها الصبا بها ينبت الله الحصيدة والابا

وقيل انما سمي ابا لانه يوب اي يوم وينجع والاب والام اخوان قال

جذنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع

وقال الضحاك الاب كل شي ينبت على وجه الارض وكذا قال ابو رزين هو النبات يدل عليه قول ابن عباس قال الاب ما تنبت الارض مما ياكله الناس والانعام وعن ابن عباس ايضا وابن ابي طلحة الاب الثمار الرطبة وقال الضحاك هو التين خاصة وهو محكي عن ابن عباس ايضا قال الشاعر

فما لهم مرتع للسوام والاب عندهم يقدر

الكلبي هو كل نبات سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطب الثمار والاب يابسها وقال ابراهيم التيمي سيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال انس سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا هذه الاية ثم قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا لعمر والله التكلف وما عليك يا ابن عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجد والله على سبع وانما اراد بقوله خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم علقة الاية والرزق من سبع وهو قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله وفاكهة ثم قال واباً وهو يدل على انه ليس برزق لابن ادم وانه مما يختص به البهائم والله اعلم متاعا لكم نصب على المصدر المؤكد لان انبات هذه الاشياء امتاع لجميع الحيوانات وهذا ضرب مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم كنبات الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه في غير موضع ويتضمن امتنانا عليهم بما انعم به وقد مضى في غير موضع ايضا **قوله تعالى** فاذا جاءت الصاخة لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد ليتزودوا له بالاعمال الصالحة وبالانفاق مما امتن به عليهم والصاخة الصيحة التي تكون عنها القيامة وهي النفخة الثانية تصخ الاسماع اي تصمها فلا تسمع الا ما يدعى به للاحيا وذكر ناس من المفسرين قال تصيخ لها الاسماع من قولك اصاخ الى كذا اي استمع اليه ومنه الحديث وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس وقال الشاعر

يصيخ للنبأة اسماعه اصاخة الناشد للمنشد

قال ابو عبيدة وهذا يوخذ على جهة التسليم للقدما فاما اللغة فمقتضاها القول الاول قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الاذان صخا اي تصمها بشدة وقعتها واصل الكلمة في اللغة الصك الشديد وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اذا صكه قال الراجز

يا جارتي هل لك ان تجالدي جلادة كالصك بالجلامد

ومن هذا الباب قول العرب صختهم الصاخة وباقتهم البايقة وهي الداهية الطبري احسبه من صخ فلان فلانا اذا اصمه ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال بعض حديثي الاسنان حديثي الازمان

اصم بك الناعي وان كنت اسمعا وقال اخر

اصمني سرهم ايام فرقتهم فهل سمعتم بسر يورث الصمما

ولعمر الله ان صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع امور الاخرة **قوله تعالى** يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يوم يفر المرء اي يهرب اي تجي الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه من اخيه اي من موالاة اخيه ومكالمته لانه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه كما قال بعد لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله عن غيره وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه بما بينهم من التبعات وقيل لئلا يروا ما هو فيه من الشدة وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيا كما قال يوم لا يغني مولى عن مولى شيا وقال عبد الله بن طاهر الابهري يفر منهم لما تبين لهم من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيا سوى ربه تعالى وصاحبته اي زوجته وبنيه اي اولاده وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط من امراته وادم من سواة بنيه وقال الحسن اول من يفر يوم القيامة من ابيه ابراهيم واول من يفر من ابنه نوح واول من يفر من امراته لوط قال فيرون ان هذه الاية نزلت فيهم وهذا فرار التبري لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنسا جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال يا عايشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض خرجه الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة اينظر بعضنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال حديث حسن صحيح وقراة العامة يغنيه بالغين المعجمة اي حال يشغله عن الاقربا وقرا ابن محيصن وحميد يعنيه بفتح اليا وعين غير معجمة اي يعنيه امره وقال القتبي يغنيه يصرفه ويصده عن قرابته ومنه يقال اغن عني وجهك اي اصرفه واغن عني السفيه قال خفاف

سيغنيك حرب بني مالك عن الفحش والجهل في المحفل

قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة فرحة مستبشرة مضية قد علمت ما لها من الفوز والنعيم وهي وجوه المؤمنين ضاحكة مستبشرة مسرورة فرحة مستبشرة بما اتاها الله من الكرامة وقال عطا الخراساني مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله جل ثناؤه ذكره ابو نعيم الضحاك من اثار الوضوء ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار يقال اسفر الصبح اذا اضاء ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار ودخان ترهقها اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد كذا قال ابن عباس وعنه ايضا ذلة وشدة والقتر في كلام العرب الغبار جمع القترة عن ابي عبيدة وانشد الفرزدق

متوج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا

وفي الخبر ان البهايم اذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار وقال زيد بن اسلم القترة ما ارتفعت الى السما والغبرة ما انحطت الى الارض والغبار والغبرة واحد اولئك هم الكفرة الفجرة اي الكفرة جمع كافر والفجرة جمع فاجر وهو الكاذب المفتري على الله وقيل الفاسق يقال فجر فجورا اي فسق وفجر اي كذب واصله الميل والفاجر المايل وقد مضى بيانه والكلام فيه والحمد لله ختمت

تفسير سورة اذا الشمس كورت

مكية في قول الجميع وهي تسع وعشرون اية وفي الترمذي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت واذا السما انشقت قال هذا حديث حسن

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا الشمس كورت ۝ واذا النجوم انكدرت ۝ واذا الجبال سيرت ۝ واذا العشار عطلت ۝ واذا الوحوش حشرت ۝ واذا البحار سجرت قال ابن عباس تكويرها ادخالها في العرش الحسن ذهاب ضوءها وقاله قتادة ومجاهد وروي عن ابن عباس ايضا سعيد بن جبير غورت ابو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى وقال الربيع بن خثيم كورت رمي بها ومنه كورته فتكور اي سقط قال الشيخ رحمه الله واصل التكوير الجمع ماخوذ من كار العمامة على راسه يكورها اي لاثها وجمعها فهي تكور ثم يمحى ضوءها ثم يرمى بها والله اعلم وعن ابي صالح كورت نكست واذا النجوم انكدرت اي تهافتت وتناثرت قال ابو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب اذا انكسرت قال العجاج يصف صقرا

ابصر خربان فضاء فانكدر تقضي البازي اذا البازي كسر

وروي ابو صالح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى في السما يومئذ نجم الا سقط في الارض حتى يفزع اهل الارض السابعة مما لقيت واصاب العليا يعني الارض وروي الضحاك عن ابن عباس قال تساقطت وذلك انها قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدي ملايكة

من نور فاذا جاءت النفخة الاولى مات من في السموات ومن في الارض فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من ايدي الملائكة لانها مات من كان يمسكها ويحتمل ان يكون انكدارها طمس اثارها وسميت النجوم نجوما لظهورها في السما بضوءها وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها والمعنى متقارب واذا الجبال سيرت يعني قلعت عن الارض وسيرت في الهواء وهو مثل قوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقيل تسييرها ان تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اي رملا سائلا وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون سرابا مثل السراب الذي ليس بشي وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقد تقدم في غير موضع واذا العشار عطلت اي النوق الحوامل التي في بطونها اولادها الواحدة عشراء وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ايضا ومن عادة العرب ان تسمي الشي باسم المتقدم وان كان قد جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد قرح هاتوا مهري وقربوا مهري تسمية بتقدم اسمه قال عنترة

لا تذكري مهري وما اطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الاجرب

وقال ايضا ... وحملت مهري وسطها فمضاها

وانما خص العشار بالذكر لانها اعز ما يكون على العرب وليس يعطلها اهلها الا حال القيامة وهذا وجه المثل لان في القيامة لا يكون ناقة عشراء ولكن اراد به المثل ان هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه وقيل انهم اذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضا وراوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التي كانت عليهم انفس اموالهم لم يعبأوا بها ولم يهمهم امرها وخوطبت العرب بامر العشار لان مالها وعيشها اكثر من الابل وروى الضحاك عن ابن عباس عطلت عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وقال الاعشى

هو الواهب المائة المصطفاة ... اما مخاضا واما عشارا

وقال اخر

ترى المرء مهجورا اذا قل ماله ... وبيت الغني يهدى له ويزار

وما ينفع الزوار مال مزورهم ... اذا سرحت شول له وعشار

يقال ناقة عشراء وناقتان عشراوان ونوق عشار وعشراوات يبدلون من همزة التانيث واوا وقد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشراء وقيل العشار السحاب تعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر والعرب تشبه السحاب بالحامل وقيل الديار تعطل فلا تسكن وقيل الارض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع والاول اشهر وعليه من الناس الاكثر واذا الوحوش حشرت اي جمعت والحشر الجمع عن الحسن وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس حشرها موتها رواه عنه عكرمة وحشر كل شي الموت غير الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيامة وعن ابن عباس ايضا قال يحشر كل شي حتى الذباب قال ابن عباس تحشر الوحوش غدا اي تجمع حتى تقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت وهذا اصح مما رواه عنه عكرمة وقد بيناه في كتاب التذكرة مستوفى ومضى في سورة الانعام بعضه اي ان الوحوش اذا كانت هذه حالها فكيف ببني ادم وقيل عني بهذا اي انها مع نفرتها اليوم قال معناه ابي بن كعب واذا البحار سجرت اي ملئت من الماء والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرا اذا ملاته وهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة الملآن وروى الربيع بن خثيم سجرت فاضت وملئت وقاله الكلبي ومقاتل والحسن والضحاك قال ابن ابي زمنين سجرت حقيقته ملئت فيفضي بعضها الى بعض فتصير شيئا واحدا وهو معنى قول الحسن وقيل ارسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلات عن الضحاك ومجاهد اي فجرت فصارت بحرا واحدا القشيري وذلك بان يرفع الله الحاجز الذي ذكر في قوله بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت البحار بحرا واحدا وقيل صارت بحرا واحدا من الحميم لاهل النار وعن الحسن ايضا وقتادة وابن حيان تيبس فلا يبقى من مائها قطرة القشيري وهو من سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وما سلط عليه الايقاد نشف ما فيه من الرطوبة وتسير الجبال حينئذ وتصير البحار والارض كلها بساطا واحدا بان يملأ مكان البحار بتراب الجبال وقال النحاس وقد تكون الاقوال متفقة تكون تلبس من الماء بعد ان يفيض بعضها الى بعض فتقلب نارا قال الشيخ رحمه الله ثم تسير الجبال حج كما ذكر القشيري والله اعلم قال ابن زيد وشمر وعطية وسفيان ووهب وابي وعلي بن ابي طالب وابن عباس في رواية الضحاك عنه اوقدت فصارت نارا قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر ثم يبعث عليها

وانما خص العشار بالذكر لانها اعز ما يكون على العرب

ريحا دبورا فتنفخه حتى يصير نارا وكذا في بعض الحديث يامر الله جل ثناؤه الشمس والقمر والنجوم فينتثرون في البحر ثم يبعث الله جل ثناؤه الدبور فيسجرها نارا فتلك نار الله الكبرى التي يعذب بها الكفار قال القشيري قيل في تفسير قول ابن عباس سجرت اوقدت يحتمل ان يكون جهنم في قعور من البحار فهي الان غير مسجورة لقوام الدنيا فاذا انقضت الدنيا سجرت فصارت كلها نارا يدخلها الله اهلها ويحتمل ان يكون تحت البحر نار ثم يوقد الله البحر كله فيصير نارا وفي خبر وقال معاوية بن سعيد بحر الروم وسط الارض اسفله ابار مطبقة بنحاس يسجر يوم القيامة وقيل يكون الشمس في البحر فيصير البحر نارا بحر الشمس ثم جميع ما في هذه الايات يجوز ان يكون في الدنيا قبل القيامة ويكون من اشراطها ويجوز ان يكون يوم القيامة وما بعد هذه الايات فيكون في يوم القيامة قال الشيخ رحمه الله روي عن عبد الله بن عمرو لا يتوضأ بماء البحر لانه طبق جهنم وقال ابي بن كعب ست ايات من قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتحيروا ودهشوا فبينما هم كذلك ينظرون اذ تناثرت النجوم وتساقطت فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثورا ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير وماج بعضها في بعض فذلك قوله واذا الوحوش حشرت ثم قالت الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السما السابعة العليا فبينما كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وقيل معنى سجرت هو حمرة مائها حتى يصير كالدم ماخوذ من قولهم عين سجراء اي حمراء وقرا ابن كثير سجرت وابو عمرو ايضا اخبارا عن حالها مرة واحدة وقرا الباقون بالتشديد اخبارا عن حالها في تكرير ذلك منها مرة بعد اخرى

قوله تعالى واذا النفوس زوجت قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله وقال عمر بن الخطاب يقرن الفاجر مع الفاجر ويقرن الصالح مع الصالح وقال ابن عباس ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلاثة السابقون زوج يعني صنفا واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج وعنه ايضا قال زوجت نفوس المومنين بالحور العين وقرن الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون وعنه ايضا قرن كل شكل بشكله من اهل الجنة واهل النار فيضم المبرز في الطاعة الى مثله والمتوسط الى مثله واهل المعصية الى مثله فالتزويج ان يقرن الشي بمثله والمعنى واذا النفوس قرنت الى اشكالها في الجنة والنار وقيل يضم كل رجل الى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال عبد الرحمن بن زيد جعلوا ازواجا على اشباه اعمالهم ليس بتزويج اصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والسابقون زوج وقد قال جل ثناؤه احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي اشكالهم وقال عكرمة واذا النفوس زوجت قرنت الارواح بالاجساد اي ردت اليها وقال الحسن الحق كل امري بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم ببعض المنافقون بالمنافقين والمومنون بالمومنين وقيل يقرن الغاوي بمن اغواه من شيطان او انسان على جهة البغض والعداوة ويقرن المطيع بمن دعاه الى الطاعة من الانبيا والمومنين وقيل قرنت النفوس باعمالها فصارت لاختصاصها به كالتزويج

قوله تعالى واذا المووءدة سئلت باي ذنب قتلت الموودة المقتولة وهي الجارية تدفن وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيوودها اي يثقلها حتى تموت ومنه قوله تعالى ولا يؤوده حفظهما اي لا يثقله وقال متمم بن نويرة

وموودة مقبورة في مغارة ... بامتها موسومة لم تمهد

وكانوا يدفنونهن احيا لخصلتين احداهما انهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به اما مخافة الحاجة والاملاق واما خوفا من السبي والاسترقاق وقد مضى في سورة النحل هذا المعنى عند قوله ام يدسه في التراب مستوفى وقد كان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر به الفرزدق فقال

ومنا الذي منع الوائدات ... واحيا الوئيد فلم يوءد

يعني جده صعصعة كان يشتريهن من ابائهن فجاء الاسلام وقد احيا سبعين موودة وقال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على راسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردمت التراب عليها وان ولدت غلاما حبسته ومنه قول الراجز

سميتها اذ ولدت تموت ... والقبر صهر ضامن زميت

الزميت الوقور والزميت

مثال الفتيق او قرمن الزميت وفلان ازمت الناس اي اوقرهم وما اشد ترمتهم عن الفرا وقال قتادة
كانت الجاهلية يقتل احدهم ابنته ويغذو كلبه فعابهم الله بذلك وتواعدهم بقوله واذا المووده سئلت
وقال عمر في قوله تعالى واذا الموودة سئلت قال جاء قيس بن عاصم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اني وادت ثماني بنات كن لي في الجاهلية قال فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب
ابل قال فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وقوله سئلت سوال الموودة سوال توبيخ لقاتلها كما يقال
للطفل اذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن اراد الله ان يوبخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب وقال ابن
اسلم باي ذنب ضربت وكانوا يضربونها وذكر بعض اهل العلم في قوله سئلت قال طلبت كانه يريد كما
يطلب بدم القتيل قال وهو كقوله وكان عهد الله مسئولا اي مطلوبا فكانها طلبت منهم فقيل اين اولادهم
وقرا الضحاك وابو الضحى وجابر بن زيد وابو صالح واذا الموودة سئلت فتتعلق الجارية بابيها فتقول باي ذنب
قتلتني فلا يكون له عذر قاله ابن عباس وكان يقرا واذا الموودة سئلت وكذلك هو في مصحف ابي وروى عكرمة
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة التي تقتل ولدها تاتي يوم القيامة متعلقا ولدها
بثدييها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني والقول الاول عليه الجمهور وهو مثل قوله تعالى
لعيسى أانت قلت للناس على جهة التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سوال الموودة توبيخ لوائدها وهو ابلغ من
سوالها عن قتلها لان هذا مما لا يصلح الا بذنب فباي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب له كان اعظم في
البلية وظهور الحجة على قاتلها والله اعلم وقرئ ان قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين
لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بذنب **قوله تعالى** واذا الصحف نشرت اي فتحت بعد
ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملايكة فيها ما فعل اهلها من خير وشر تطوى بالموت
وتنشر في القيامة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها وروى عن مرثد بن وداعة قال اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت
العرش فتقع صحيفة المومن في يده في جنة عالية الى قوله الخالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم الى
قوله ولا كريم وروى عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة
حفاة عراة فقلت يا رسول الله كيف بالنسا قال شغل الناس يا ام سلمة قلت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها
مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقد مضى في سبحان قول ابي السوار العدوي هما نشرتان وطية اما ما حييت
يا ابن ادم فصحيفتك المنشورة فامل فيها ما شئت فاذا مت طويت حتى اذا بعثت نشرت اقرا كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اذا مات المرء طويت صحيفة عمله فاذا كان يوم القيامة نشرت
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال اليك يساق الامر يا ابن ادم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وابو
عمرو نشرت مخففا على نشرها مرة واحدة لقيام الحجة الباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة في
تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرار ذلك من الانسان والملايكة الشهدا عليه **قوله تعالى**
واذا السماء كشطت الكشط قلع عن شدة التزاق فالسما تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره
والقشط لغة فيه وفي قراءة عبد الله واذا السما قشطت وكشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال
سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته وانكشط اي ذهب فالسماء تنزع من مكانها
كما ينزع الغطاء عن الشي وقيل تطوى كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب فكان المعنى قلعت فطويت
والله اعلم **قوله تعالى** واذا الجحيم سعرت اي اوقدت فاضرمت للكفار وزيد في احمائها يقال
سعرت النار واسعرتها وقراءة العامة بالتخفيف من السعير قرا نافع وابن ذكوان ورويس بالتشديد
لانها اوقدت مرة بعد مرة قال قتادة سعرها غضب الله وخطايا بني ادم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وروى موقوفا **قوله تعالى** واذا الجنة
ازلفت اي ادنيت وقربت من المتقين قال الحسن انهم يقربون منها لا انها تقرب وتزول عن موضعها وكان
عبد الرحمن بن زيد يقول زينت والزلفى في كلام العرب القربة قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين
وتزلف فلان تقرب **قوله تعالى** علمت نفس ما احضرت يعني ما عملت من خير وشر وهذا
جواب اذا الشمس كورت وما بعدها قال عمر رضي الله عنه لهذا اجرى الحديث وروى عن ابن عباس

اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش

وعمر رضي الله عنه انهما قرآ فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة فالمعنى على هذا اذا
الشمس كورت وكانت هذه الاشيا علمت نفس ما احضرت من عملها وفي الصحيح عن عدي بن حاتم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه وينظر
اشام منه فلا يرى شيا قدمه وينظر امامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق
تمرة فليفعل وقال الحسن اذا الشمس كورت قسم وقع على قوله علمت نفس ما احضرت كما يقال اذا نفر زيد
نفر عمرو والقول الاول اصح وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله اذا الشمس كورت الى قوله واذا الجنة ازلفت
اثنا عشر خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وقد بينا الستة الاولى بقول ابي ابن كعب **قوله تعالى**
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس اي اقسم ولا زايدة كما تقدم بالخنس الجوار الكنس
هي الكواكب الخمسة الدراري زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة فيما ذكر اهل التفسير
والله اعلم وهو مروي عن علي كرم الله وجهه وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان احدهما لانها تستقبل
الشمس قاله بكر بن عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي النجوم التي
تخنس بالنهار واذا غربت وقاله علي رضي الله عنه قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وتكنس في وقت
غروبها اي تتاخر عن البصر لخفائها فلا ترى وفي الصحاح والخنس الكواكب كلها لانها تخنس في المغيب او لانها
تخفى نهارا ويقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة وقال الفرا في قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس انها النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في مجراها وتكنس اي
تستتر كما تكنس الظبا في المغار وهي الكناس وقيل سميت خنسا لتاخرها لانها الكواكب المتحيرة لانها ترجع و
تستقيم يقال خنس عنه يخنس بالضم خنوسا تاخر واخنسه غيره اذا خلفه ومضى عنه والخنس تاخر الانف
عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنبة والرجل اخنس والمراة خنسا والبقر كلها خنس وقد روى عن عبد
الله بن مسعود في قوله تعالى فلا اقسم بالخنس هي بقر الوحش روى هشيم عن زكريا عن ابي اسحاق عن ابي ميسرة
عن عمرو بن شرحبيل قال قال لي عبد الله بن مسعود انكم قوم عرب فما الخنس قلت هي بقر الوحش قال وانا ارى
ذلك وقاله ابراهيم وجابر بن عبد الله وروى عن ابن عباس انما اقسم الله ببقر الوحش وروى عنه عكرمة قال
الخنس البقر والكنس الظبا فهي خنس اذا راين الانسان خنسن وانقبضن وتاخرن ودخلن كناسهن القشيري
وقيل على هذا الخنس من الخنس في الانف وهو تاخير الارنبة وقصر القصبة وانوف البقر والظبا خنس
والاصح الحمل على النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا فذكر النجوم اليق بذلك قال الشيخ المولف رحمه الله الله ان
يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد وان لم نعلم وجه الحكمة في ذلك وقد جاء عن ابن مسعود وجابر
بن عبد الله صحابيان والنخعي انها بقر الوحش وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انها الظبا وعن الحجاج بن منذر
قال سالت جابر بن زيد عن الجوار الكنس فقال الظبا والبقر فلا يبعد ان يكون المراد والنجوم وقد قيل
انها الملايكة حكاه الماوردي والكنس الغيب ماخوذ من الكناس وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه قال اوس بن حجر

الم تر ان الله انزل مزنة	وعفر الظباء في الكناس تقمع

وقال طرفة

كان كناسي ضالة يكنفانها	واطر قسي تحت صلب موبد

وقيل الكنوس ان تاوي الى مكانسها وهي المواضع التي تاوي اليها الوحوش والظبا قال الاعشى

فلما اتينا الحي اتلع انس	كما اتلعت تحت المكانس ربرب

يقال تلع النهار ارتفع واتلعت الظبية من كناسها اي سمت بجيدها وقال امرو القيس

تعشى قليلا ثم انحى ظلوفه	يثير التراب عن مبيت ومكنس

والكنس جمع كانس وكانسة وكذا الخنس جمع خانس وخانسة والجواري جمع جارية من جرى يجري والليل اذا
عسعس قال الفرا اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر حكاه الجوهري قال وقال بعض اصحابنا انه دنا
من اوله واظلم وكذلك السحاب اذا دنا من الارض المهدوي والليل اذا عسعس ادبر بظلامه عن ابن عباس
ومجاهد وغيرهما وروى عنهما ايضا وعن الحسن وغيره اقبل بظلامه زيد بن اسلم عسعس ذهب الفرا العرب
تقول عسعس الليل وسعسع اذا لم يبق منه الا اليسير الخليل وغيره عسعس الليل اذا اقبل او ادبر المبرد
هو من الاضداد والمعنيان يرجعان الى شي واحد وهو ابتدا الظلام في اوله وادباره في اخره قال علقمة بن قرط
شعر

حتى اذا الصبح لها تنفسا	وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال روبة يا هند ما اسرع ما تسعسعا من بعد ما كان فتى ترعرعا وهو حجة الفرا

وقال امرؤ القيس عسعس حتى لو نشا ادنى كان لنا من ناره مقبس

فهذا يدل على الدنو وقال الحسن ومجاهد عسعس اظلم قال الشاعر

حتى اذا ما ليلهن عسعسا ركبن من حد الظلام حندسا

الماوردي واصل العس الامتلاء ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه فانطلق على اقبال الليل لابتدا امتلائه وانطلق على ادباره لانتهاء امتلائه وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه واما قول امرؤ القيس

الما على الربع القديم بعسعسا

فموضع بالبادية وعسعس ايضا اسم رجل قال الراجز

وعسعس نعم الفتى تبياه

منا يزيد وابو محياه

اي تعتمده ويقال للذيب العسعس والعسعاس والعساس لانه يعس بالليل ويطلبه ويقال للقنافذ العساعس لكثرة ترددها بالليل قال ابو عمرو والتعسعس الشم وانشد كمنخر الذيب اذا تعسعسا والتعسعس ايضا طلب الصيد **قوله تعالى** والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا واضحا يقال للنهار اذا زاد تنفس وكذلك الموج اذا نضح الماء ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وقيل اذا تنفس اي انشق وانفلق ومنه تنفست القوس والنفوس اي تصدعت انه لقول رسول كريم هذا جواب القسم والرسول الكريم جبريل قاله الحسن وقتادة والضحاك والمعنى انه لقول رسول عن الله كريم على الله واضاف الكلام الى جبريل عليه السلام ثم عداه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين ليعلم اهل التحقيق في التصديق ان الكلام لله عز وجل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذي قوة من جعله جبريل فقوته ظاهرة فروى الضحاك عن ابن عباس قال من قوته قلعه مداين قوم لوط بقوادم جناحه عند ذي العرش اي عند الله جل ثناؤه مكين اي ذي منزلة ومكانة فروي عن ابي صالح قال يدخل سبعين سرادقا بغير اذن مطاع ثم اي في السموات قال ابن عباس من طاعة الملائكة جبريل انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها وراى ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له جهنم حتى ينظر اليها فاطاعه وفتح له امين اي مؤتمن على الوحي الذي يجي به ومن قال ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه من اطاع الله عز وجل وما صاحبكم بمجنون يعني محمد صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون حتى يتهم في قوله وهو من جواب القسم وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند ربه عز وجل فقال ما ذاك الي فاذن له الرب فاتاه وقد سد الافق فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم اليه خر مغشيا عليه فقال المشركون انه مجنون فنزلت انه لقول رسول كريم وما صاحبكم بمجنون وانما راى جبريل على صورته فهابه وورد عليه ما لم تحتمل بنيته فخر مغشيا عليه **قوله تعالى** ولقد راه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين اي راى جبريل في صورته له ستمائة جناح بالافق المبين اي بمطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كان منه تطلع الشمس فهو مبين اي من جهته ترى الاشيا وقيل الافق المبين اقطار السماء ونواحيها قال الشاعر

اخذنا بافاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

الماوردي فعلى هذا فيه اقاويل احدها انه راه في افق السماء الشرقي قاله سفيان الثاني في افق السماء الغربي حكاه ابن شجرة الثالث انه راه نحو اجياد وهو مشرق مكة قاله مجاهد وحكى الثعلبي عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السماء فقال لن تقدر على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات قال ذلك بالحرى ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للموقت فاذا هو قد اقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات قد ملا ما بين المشرق والمغرب وراسه في السماء ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل في صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع يعني العصفور

حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل ان محمدا عليه السلام راى ربه عز وجل بالافق المبين وهو معنى قول ابن مسعود وقد مضى القول في هذا في سورة والنجم مستوفى فتامله هناك وفي المبين قولان احدهما انه صفة الافق قاله الربيع الثاني انه صفة لمن راه قاله مجاهد وما هو على الغيب بظنين بالظاء قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي اي بمتهم والظنة التهمة قال الشاعر

اما وكتاب الله لا عن شناءة هجرت ولكن الظنين ظنين

واختاره ابو عبيد قال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه ولان الاكثر في كلام العرب ما هو بكذا ولا يقولون ما هو على كذا انما يقولون ما انت على هذا بمتهم وقرا الباقون بضنين بالضاد اي ببخيل من ضننت بالشي اضن ضنا فروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله واحكامه وقال الشاعر

اجود بمكنون الحديث وانني بسرك عمن سالني لضنين

والغيب القران وخبر السماء ثم هذا صفة محمد عليه السلام وقيل صفة جبريل وقيل بضنين بضعيف حكاه الفراء والمبرد يقال رجل ضنين اي ضعيف وبير ضنون اذا كانت قليلة الماء قال الاعشى

ما جعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتي اذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر

الجد البير تكون في الكلا والظنون التي لا يدري افيها ماء ام لا ويقال القليلة الماء والبوصي ضرب من سفن البحر والماهر السابح والظنون الدين الذي لا يدري ايقضيه اخذه ام لا ومنه حديث علي عليه السلام في الرجل يكون له الدين الظنون قال يزكيه لما مضى اذا قبضه ان كان صادقا والظنون الرجل السيء الخلق فهو لفظ مشترك وما هو يعني القران بقول شيطان رجيم اي مرجوم ملعون كما قالت قريش قال عطا يريد بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد ان يفتنه فاين تذهبون قال قتادة فاين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته كذا روى معمر عن قتادة اي اين تذهبون عن كتابي وطاعتي وقال الزجاج فاي طريقة تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ويقال اين تذهب وحكى الفرا عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها قال سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة وانشدني بعض بني عقيل

تصيح بنا حنيفة اذ راتنا واي الارض تذهب بالصياح

يريد الى اي الارض تذهب فحذف الى وقال الجنيد معنى الاية مقرون باية اخرى وهي قوله وان من شي الا عندنا خزائنه المعنى اي طريق تسلكون ابين من الطريق الذي بينه الله لكم وهذا معنى قول الزجاج ان هو يعني القران الا ذكر للعالمين اي موعظة وزجر وان بمعنى ما وقيل ما محمد الا ذكر لمن شاء منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه وقال ابو هريرة وسليمان بن موسى لما نزلت لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر الينا ان شينا استقمنا وان شينا لم نستقم وهذا هو القدر وهو راس القدرية فنزلت وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فبين بهذا انه لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه وقال الحسن والله ما شاءت العرب الاسلام حتى شاء الله لها وقال وهب بن منبه قرات في سبعة وثمانين كتابا مما انزل الله على الانبيا من جعل الى نفسه شيا من المشية فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله وقال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والاي في هذا كثير وكذلك الاخبار وان الله سبحانه هدى بالاسلام واضل بالكفر كما تقدم في غير موضع والحمد لله رب العالمين ختمت السورة المباركة بحمد الله الملك الوهاب

تفسير سورة الانفطار

مكية عند الجميع وهي تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا السما انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت اذا السما انفطرت اي تشققت بامر الله لنزول الملائكة كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تفطرت اي لهيبة الله تعالى والفطر الشق يقال فطرته

فلما نظر النبي خر مغشيا عليه

ما نفطر ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشي تشقق وسيف فطار اي فيه شقوق
قال عنترة وسيفي كالعقيقة فهو كمعي سلاحي لا افل ولا فطارا
وقد تقدم في غير موضع واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت نثرت الشي انثره نثرا فانتثر
والاسم النثار والنثار بالضم ما تناثر من الشي ودر منثر شدد للكثرة واذا البحار فجرت اي فجر
بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا على ما تقدم وقال الحسن فجرت ذهب ماوها ويبست وذلك انها
اولا راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت فذهب ماوها وهذه الاشيا بين يدي الساعة على ما تقدم
في اذا الشمس كورت واذا القبور بعثرت اي قلبت فاخرج ما فيها من اهلها احياء يقال بعثرت المتاع
قلبته ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته اذا هدمته وجعلت اسفله اعلاه وقال قوم منهم الفرا
بعثرت اخرج ما في بطنها من الذهب والفضة وذلك من اشراط الساعة ان تخرج الارض ذهبها وفضتها
علمت نفس ما قدمت واخرت مثل ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر وتقدم وهذا جواب اذا السماء
انفطرت لانه قسم في قول الحسن وقع على قوله علمت نفس اذا بدت هذه الامور من اشراط الساعة ختمت
الاعمال فعلمت كل نفس ما كسبت فانها لا ينفعها عمل بعد ذلك وقيل اي اذا كانت هذه الاشيا قامت القيامة
فحوسبت كل نفس بما عملت واوتيت كتابها بيمينها او شمالها فتذكرت عند قراته جميع اعمالها وقيل
هو خبر وليس بقسم وهو الصحيح ان شا الله **قوله تعالى** يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي
خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شا ركبك خاطب بهذا منكري البعث وقال ابن عباس الانسان
هو الوليد بن المغيرة وقال عكرمة ابي بن خلف وقيل نزلت في ابي الاسد بن كلدة الجمحي عن ابن عباس ايضا ما
غرك بربك الكريم الذي اي بالذي غرك حتى كفرت بربك الكريم اي المتجاوز عنك قال قتادة غره
شيطانه المسلط عليه الحسن غره شيطانه الخبيث وقيل حمقه وجهله رواه الحسن عن عمر رضي الله عنه
وروى غالب الحنفي قال لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم قال
غره الجهل وقال صالح بن مسمار بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
فقال غره جهله وقال عمر رضي الله عنه قال كما قال الله تعالى انه كان ظلوما جهولا وقيل غره عفو الله اذا
لم يعاقبه في اول مرة قال ابراهيم بن الاشعث قيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيامة
بين يديه فقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال كنت اقول غرني ستورك المرخاة لان الكريم
هو الستار نظمه ابن السماك فقال

يا كاتم الذنب اما تستحي — والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهاله — وستره طول مساويكا

وقال ذو النون المصري كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر وانشد ابو بكر بن طاهر الابهري

يا من غلا في العجب والتيه — وغره طول تماديه
املى لك الله فبارزته — ولم تخف غب معاصيه

وروي عن علي رضي الله عنه انه صيح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال ما لك لم تجبني
فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وناس يقولون ما غرك ما خدعك
وسول لك حتى اضعت ما وجب عليك وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول
له يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين الذي خلقك اي قدر خلقك من نطفة فسواك في بطن امك وجعل لك
يدين ورجلين وعينين وساير اعضايك فعدلك اي جعلك معتدلا سوي الخلق كما يقال هذا شي معدل
وهذه قراءة العامة وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم قال الفرا وابو عبيد يدل عليه قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم وقرا الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي فعدلك مخففا اي امالك وصرفك الى
صورة شاء اما حسنا واما قبيحا واما طويلا واما قصيرا وقال نجدع قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ان
النطفة اذا استقرت في الرحم احضرها الله كل شبه بينها وبين ادم اما قرات هذه الاية في اي صورة
ما شاء ركبك قال ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة حمار وان شا في صورة قرد وان
شا في صورة خنزير وقال مكحول ان شا ذكرا وان شا انثى وقال مجاهد في اي صورة اي في اي شبه من اب او ام
او عم او خال او غيرهما وفي متعلقة بركبك ولا يتعلق بعدلك على قراءة من خفف لانك تقول عدلت
الى كذا ولا تقول عدلت في كذا ولذلك منع الفرا التخفيف لانه قدر في متعلقة بعدلك وما يجوز ان

اخرج ما في بطنها من الذهب والفضة

تكون

تكون صلة مؤكدة اي في صورة شا ركبك ويجوز ان تكون شرطية اي ان شا ركبك في غير صورة الانسان
من صورة قرد او حمار او خنزير فما بمعنى الشرط والجزا اي في صورة ما شا ان يركبك فيها ركبك
قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين يجوز ان تكون كلا بمعنى حقا او الا فيبتدا بها ويجوز ان
تكون بمعنى لا على ان يكون المعنى ليس الامر على ما يقولون من انكم في عبادتكم غير الله محقون يدل على ذلك
قوله ما غرك بربك الكريم ولذلك يقول الفرا يصير المعنى ليس كما غررت به وقيل اي ليس الامر كما
تقولون من انه لا بعث وقيل هو بمعنى الردع والزجر اي لا يغتروا بحلم الله وكرمه فيتركوا التفكر في اياته
ابن الانباري الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك والوقف على كلا قبيح بل تكذبون يا اهل مكة بالدين
اي بالحساب وبل لنفي شي تقدم وتحقيق غيره وانكارهم للبعث كان معلوما وان لم يجر له ذكر في هذه السورة
قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اي رقباء من الملائكة
كراما اي على الله كقوله كرام بررة وها هنا ثلاث مسايل الاولى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكرموا الكرام الكاتبين الا عند احدى حالتين الخرانة والجماع فاذا اغتسل احدكم فليستتر بجرم او بغيره
او ليستره اخوه وروي عن علي رضي الله عنه قال لا يزال الملك مولبا عن العبد ما دام بادي العورة وروي
ان العبد اذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه ملكاه **الثانية** واختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة
ام لا فقال بعضهم لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل بل عليهم
حفظة لقوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال
واما من اوتي كتابه بشماله وقال واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان الكفار يكون لهم كتاب
ويكون عليهم حفظة فان قيل الذي عن يمينه اي شي يكتب ولا حسنة له قيل له الذي يكتب عن شماله يكون
باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب والله اعلم **الثالثة** سيل سفيان كيف تعلم الملايكة ان
العبد قد هم بحسنة او سيئة قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذا هم بسيئة وجدوا
منه ريح النتن وقد مضى في ق عند قوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد زيادة بيان لمعنى هذه الاية
وقد كره العلما الكلام عند الغايط والجماع لمفارقة الملك العبد عند ذلك وقد مضى في اخر ال عمران القول
في هذا وعن الحسن يعلمون لا يخفى عليهم شي من اعمالكم وقيل يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم انفسكم فالله
اعلم **قوله تعالى** ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغايبين
وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم تقسيم مثل قوله فريق في الجنة وفريق في السعير وقال يومئذ يصدعون
فاما الذين امنوا الايتين يصلونها اي يصيبهم لهبها وحرها يوم الدين اي يوم الجزاء والحساب وكرر ذكره تعظيما
لشانه نحو قوله القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة وقال ابن عباس فيما روي عنه كل شي من
القران من قوله وما ادراك فقد ادراه وكل شي من قوله وما يدريك فقد طوي عنه يوم لا تملك نفس لنفس
قرا ابن كثير وابو عمرو يوم بالرفع على البدل من يوم الدين او رد على اليوم الاول فيكون صفة ونعتا
ليوم الدين ويجوز ان يرفع باضمار هو الباقون بالنصب على انه في موضع رفع الا انه نصب لانه مضاف
غير محض كما تقول اعجبني يوم تقوم زيد وانشد المبرد

من اي يومي من الموت افر — ايوم لم يقدر ام يوم قدر

فاليومان الثانيان مخفوضان بالاضافة على الترجمة عن اليومين الاولين الا انهما نصبا في اللفظ
لانهما اضيفا الى غير محض متمكن وهذا اختيار الفرا والزجاج وقال قوم اليوم الثاني منصوب على المحل
كانه قال في يوم لا تملك نفس لنفس شيا وقيل بمعنى ان هذه الاشيا تكون يوما او على معنى يدانون يوم
لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر والامر يومئذ لله اي لا ينازعه فيه احد كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ختمت السورة بحمد الله

تفسير سورة المطففين

مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي اول
سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان ايات من قوله تعالى ان الذين اجرموا

الي اخرها مكي وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وهي ست وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا علي الناس يستوفون

فيه اربع مسايل الاولي روي النساي عن ابن عباس قال لما قدم النبي صلي الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالي ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفرا فهم من اوفي الناس كيلا الي يومهم وعن ابن عباس ايضا قال هي اول سورة نزلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم كانوا اذا اشتروا استوفوا بكيل راجح واذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم اوفي الناس كيلا الي يومهم هذا قال قوم نزلت في رجل يعرف بابي جهينة واسمه عمرو كان له صاعان يوفي باحد وياخذ بالاخر قاله ابو هريرة رضي الله عنه الثانية قوله تعالي ويل للمطففين اي شدة عذاب في الاخرة وقال ابن عباس انه واد في جهنم يسيل فيه صديد اهل النار فهو قوله تعالي ويل للمطففين اي الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم وروي عن ابن عمر قال المطفف الرجل يستاجر المكيال وهو يعلم انه يحيف في كيله فوزره عليه وقال اخرون التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث وفي الموطا قال مالك ويقال لكل شي وفاء وتطفيف وروي عن سالم بن ابي الجعد قال الصلاة بمكيال فمن اوفي اوفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله عز وجل ويل للمطففين الثالثة قال اهل اللغة المطفف ماخوذ من الطفيف وهو القليل والمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل او وزن وقال الزجاج انما قيل للفاعل من هذا مطفف لانه لا يكاد يسرق من الميزان والمكيال الا الشي الطفيف الحقير وانما اخذ من طف الشي وهو جانبه وطفافه المكوك وطفافه بالفتح والكسر ما ملا اصبارة وكذلك طف المكوك وطففه وفي الحديث كلكم بنو ادم طف الصاع لم يملوه وهو ان يقرب ان يمتلي فلا يفعل والمعني بعضكم قريب من بعض فليس لاحد علي احد فضل الا بالتقوي والطفاف بالضم ما فوق المكيال واناء طفان اذا بلغ الكيل طفافه تقول منه اطففت والتطفيف نقص المكيال وهو ان لا تملاه الي اصباره اي جوانبه يقال ادهقت الكاس الي اصبارها واصمارها اي الي راسها وقول ابن عمر حين ذكر النبي صلي الله عليه وسلم سبق الخيل كنت فارسا يوميذ فسبقت الناس حتي طفف بي الفرس مسجد بني زريق كاد يساوي المسجد يعني وثب بي الرابعة المطفف هو الذي يخسر في الكيل والوزن ولا يوفي حسب ما بيناه وروي ابن القاسم عن مالك انه قرا ويل للمطففين فقال لا تطفف ولا تخلب ولكن ارسل وصب عليه صبا حتي اذا استوي ارسل وصب عليه صبا يدك ولا تمسك وقال عبد الملك بن الماجشون نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن مسح الطفاف وقال ان البركة في راسه قال وبلغني ان كيل فرعون كان مسحا بالحديدة قوله تعالي الذين اذا اكتالوا علي الناس يستوفون قال الفرا اي من الناس يقال اكتلت منك اي استوفيت منك وتقول اكتلت ما عليك اي اخذت ما عليك وقال الزجاج اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل والمعني الذين اذا استوفوا اخذوا الزيادة واذا اوفوا او وزنوا لغيرهم نقصوا فلا يرضون للناس ما يرضون لانفسهم الطبري علي بمعني عند قوله تعالي واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فيه مسيلتان الاولي قوله تعالي واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف اللام فتعدي الفعل فنصب ومثله نصحتك ونصحت لك وامرتك وامرت به قاله الاخفش والفرا قال الفرا وسمعت اعرابية تقول اذا صدر الناس اتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين الي الموسم المقبل قال وهو من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج لا يجوز الوقف علي كالوا حتي تصل به هم قال ومن الناس من يجعلها توكيدا يجيز الوقف علي كالوا او وزنوا والاول الاختيار لانها حرف واحد وهو قول الكسايي قال ابو عبيد وكان عيسي بن عمر يجعلها حرفين ويقف علي كالوا او وزنوا ثم يقول هم يخسرون قال واحسب قراءة حمزة كذلك ايضا قال ابو عبيد والاختيار ان يكونا كلمة واحدة من جهتين احدهما الخط وذلك انهم كتبوها بغير الف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا او وزنوا بالالف والاخري انه يقال كلتك ووزنتك بمعني كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربي كما يقال صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك وكذلك شكرتك ونصحتك ونحو ذلك يخسرون اي ينقصون والعرب تقول اخسرت الميزان وخسرته وهم في موضع نصب علي قراءة العامة راجع الي الناس تقديره واذا كالوا الناس او وزنوهم يخسرون وفيه وجهان احدهما ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل

نزلت في رجل يعرف بابي جهينة

كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

اراد جنيت لك والوجه الاخر ان يكون علي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو الكيل والموزون وعلي القراءة الثانية هم في موضع رفع بالابتداء اي واذا كالوا الناس او وزنوا لهم فهم يخسرون ولا يصح لانه يكون الاولي ملغاة ليس لها خبر وانما كانت تستقيم لو كان بعدها واذا كالوا هم ينقصون او وزنوهم يخسرون الثانية قال ابن عباس قال النبي صلي الله عليه وسلم خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الطاعون ولا طففوا الكيل الا منع منهم النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عنهم المطر خرجه ابو بكر البزار بمعناه ومالك بن انس ايضا من حديث ابن عمر وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقال مالك بن دينار دخلت علي جار لي قد نزل به الموت فجعل يقول جبلين من نار جبلين من نار فقلت ما تقول اتهجر قال يا ابا يحيي كان لي مكيالان اكيل باحدهما واكتال بالاخر فقمت فجعلت اضرب احدهما بالاخر حتي كسرتهما فقال يا ابا يحيي كلما ضربت احدهما بالاخر ازداد عظما فمات في وجعه وقال عكرمة اشهد علي كل كيال او وزان انه في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار قال الاصمعي سمعت اعرابية تقول لا تلتمس المروءة ممن مروءته في رؤوس المكاييل ولا السنة الموازين وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وقال عبد خير مر علي رضي الله عنه علي رجل وهو يزن الزعفران وقد ارجح فاكفا الميزان ثم قال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شيت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفضل الواجب من النفل وقال نافع كان ابن عمر يمر بالبايع فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن بالقسط فان المطففين يوم القيامة يوقفون حتي ان العرق ليلجمهم الي انصاف اذانهم وقد روي ان ابا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي صلي الله عليه وسلم الي خيبر واستخلف علي المدينة سباع بن عرفطة فقال ابو هريرة فوجدناه في صلاة الصبح فقرا في الركعة الاولي كهيعص وقرا في الركعة الثانية ويل للمطففين قال ابو هريرة فاقول في صلاتي ويل لابي فلان كان له مكيالان اذا اكتال اكتال بالوافي واذا كال كال بالناقص وعن ابن عباس انكم معاشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون اهل المدينة يكيلون قوله تعالي الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم انكار وتعجب عظيم من حالهم في الاجتراء علي التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون لمسولون عما يفعلون والظن هنا بمعني اليقين اي لا يوقن اوليك ولو ايقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن وقيل الظن بمعني التردد اي ان كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتي يتدبروا ويبحثوا عنه وياخذوا بالاحوط ليوم عظيم شانه وهو يوم القيامة قوله تعالي يوم يقوم الناس لرب العالمين فيه ثلاث مسايل الاولي العامل في يوم فعل مضمر دل عليه مبعوثون والمعني يبعثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ويجوز ان يكون بدلا من يوم في ليوم عظيم وهو مبني وقيل هو في موضع خفض لكنه اضيف الي غير متمكن وقيل هو منصوب علي الظرف اي في يوم ويقال اقم الي يوم يخرج فلان فتنصب يوم فاذا اضافوا الي الاسم فحينيذ يخفضون ويقولون اقم الي يوم خروج فلان وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقدير انهم مبعوثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ليوم عظيم وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطففين قد توجه عليهم بها الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصف ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفي ما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل علي السوية والعدل في كل اخذ واعطا بل في كل قول وعمل الثانية قرا ابو عمرو ويل للمطففين حتي بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكي حتي سقط وامتنع من قراءة ما بعده ثم قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول يوم يقوم الناس لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فمنهم من يبلغ العرق كعبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ اذنيه حتي ان احدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع وروي ناس عن ابن عباس والي يقومون مقدار ثلاث مائة سنة ويهون علي المومنين قدر

خمس بخمس

صلاتهم الفريضة وروي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقومون الف عام في الظلمة
وروي مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم يقوم ماية سنة وقال ابو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم لبشير الغفاري كيف انت صانع في يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلثماية سنة لرب
العالمين لا ياتيهم فيه خبر ولا يومر فيه بامر قال بشير المستعان بالله قال الشيخ رحمه الله قد ذكرنا مرفوعا
من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه من
صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا في سال سائل وعن ابن عباس يهون على المومنين قدر صلاتهم الفريضة وقيل
ان ذلك المقام على المومن كزوال الشمس الدليل على هذا من الكتاب قوله الحق الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ثم وصفهم فقال الذين امنوا وكانوا يتقون جعلنا الله منهم بفضله وكرمه وجوده
ومنه امين وقيل المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم لرب العالمين قاله ابن جبير وفيه بعد لما ذكرنا
من الاخبار في ذلك وهي صحيحة ثابتة وحسبك بما في صحيح مسلم والبخاري والترمذي من حديث ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى نصف اذنيه ثم قيل هذا القيام
يوم يقومون من قبورهم وقيل في الاخرة بحقوق عباده في الدنيا وقال يزيد الرشك يقومون بين يديه للقضاء
القيام لله رب العالمين سبحانه حقير بالاضافة الى عظمته وحقه فاما قيام الناس بعضهم لبعض
فاختلف الناس فيه فمنهم من اجازه ومنهم من منعه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام الى جعفر بن ابي
طالب واعتنقه وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تيب عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار حين طلع
عليه سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وقال ايضا من سره ان يتمثل له الناس قياما فليتبوا مقعده من
النار وذلك يرجع الى حال الرجل ونيته فان انتظر ذلك واعتقده لنفسه فهو ممنوع وان كان على طريق
البشاشة والوصلة فانه جائز وخاصة عند الاسباب كالقدوم من السفر ونحوه وقد مضى في اخر يوسف
شيء من هذا **قوله تعالى** كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ
للمكذبين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين قال قوم من اهل العلم بالعربية كلا ردع وتنبيه اي ليس الامر
على ما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان او تكذيب بالاخرة فليرتدعوا عن ذلك فهي كلمة ردع وزجر ثم استانف
فقال ان كتاب الفجار لفي سجين وقال الحسن كلا بمعنى حقا وروى ناس عن ابن عباس كلا قال الا تصدقون
ان كتاب الفجار فعلى هذا يوقف لرب العالمين وفي تفسير مقاتل ان اعمال الفجار وروى ناس عن ابن عباس قال
ان ارواح الفجار واعمالهم لفي سجين وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال سجين صخرة تحت الارض السابعة
تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب قال كعب تحتها ارواح
الكفار تحت خد ابليس وعن كعب ايضا قال سجين صخرة سوداء تحت الارض السابعة مكتوب فيها اسم كل شيطان
تلقى انفس الفجار عندها قال سعيد بن جبير سجين تحت خد ابليس يحيى بن سلام حجر اسود تحت الارض تكتب
فيه ارواح الكفار وقال عطاء الخراساني هي الارض السابعة السفلى وفيها ابليس وذريته وعن ابن عباس قال
ان الكافر يحضره الموت ويحضره رسل الله فلا يستطيعون لبغض الله وبغضهم اياه ان يوخروه ولا يعجلوه
حتى يجي ساعته فاذا جاءت ساعته قبضوا نفسه ودفعوه الى ملائكة العذاب فاروه ما شاء الله ان يروه من
الشر ثم هبطوا به الى الارض السابعة وهي سجين وهي اخر سلطان ابليس فاثبتوا فيها كتابه وعن كعب الاحبار
في هذه الاية قال ان روح الفاجر اذا قبضت يصعد بها الى السما فتابى السما ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض
فتابى الارض ان تقبلها فتدخل في سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من سجين من
تحت خد ابليس وقال الحسن سجين في الارض السابعة وقيل هو ضرب مثل واشارة الى ان الله تعالى يرد اعمالهم
التي ظنوا انها تنفعهم قال مجاهد المعنى عملهم تحت الارض السابعة لا يصعد منها شيء قال وسجين صخرة في الارض
السابعة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سجين جب في جهنم وهو مفتوح وقال في الفلق
انه جب مغطى وقال انس هي دركة في الارض السفلى وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع
ارضين وقال عكرمة سجين خسار وضلال كقولهم لمن سقط قدره قد زلق بالحضيض وقال ابو عبيدة والاخفش
والزجاج لفي سجين لفي حبس وضيق شديد فعيل من السجن كما يقال فسيق وشريب قال ابن مقبل

ورفقة يضربون البيض ضاحية ... ضربا تواصت به الابطال سجينا

والمعنى كتابهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم او لانه يحل من الاعراض عنه والابعاد له محل الزجر

سجين صخرة سوداء تحت الارض

والهوان وقيل اصله سجيل فابدلت اللام نونا وقد تقدم ذلك ابن اسلم سجين الارض السافلة وسجيل السماء
الدنيا القشيري سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هولاء فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون
وهذا دليل على خبث اعمالهم وتحقير الله اياها ولهذا قال في كتاب الابرار يشهده المقربون وما ادراك ما
سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد انت ولا قومك ثم فسره له فقال كتاب مرقوم اي مكتوب كالرقم في الثوب
لا يمحى ولا يمحا وقال قتادة رقم لهم بشر لا يزاد فيهم احد ولا ينقص منهم احد وقال الضحاك مرقوم مختوم بلغة
حمير واصل الرقم الكتابة قال

سارقم في الماء القراح اليكم ... على بعدكم ان كان للماء راقم

وليس في قوله وما ادراك ما سجين ما يدل على ان لفظ سجين ليس عربيا كما لا يدل في قوله القارعة ما القارعة
وما ادراك ما القارعة بل هو تعظيم لامر سجين وقد مضى في مقدمة الكتاب انه ليس في القران غير عربي
ويل يومئذ للمكذبين اي شدة وعذاب يوم القيامة للمكذبين ثم بين امرهم فقال الذين يكذبون بيوم
الدين اي بيوم الجزاء والحساب والفصل بين العباد وما يكذب به الا كل معتد اثيم اي فاجر جائر عن الحق معتد على
الخلق في معاملته اياهم وعلى نفسه وهو اثيم في ترك امر الله وقيل هذا في الوليد بن المغيرة وابي جهل ونظرائهم
كقوله اذا تتلى عليهم اياتنا قال اساطير الاولين وقراءة العامة تتلى بتاءين وقرا ابو حيوة وابو سماك العدوي
واشهب العقيلي والسلمي اذ ايتلى بالياء واساطير الاولين احاديثهم واباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها واحدها
اسطورة واسطار وقد تقدم **قوله تعالى** كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا ردع
وزجر اي ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناه حقا ران على قلوبهم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه نكتة فاذا نزع واستغفر الله وتاب
صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الذي ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون هذا
حديث حسن صحيح وكذا قال المفسرون هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب قال مجاهد هو الرجل يذنب
الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشي الذنوب قلبه فقال مجاهد هي مثل الاية التي في سورة البقرة بلى من كسب
سيئة الاية ونحوه عن الفرا قال يقول كثرة المعاصي منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها
وروي عن مجاهد ايضا قال القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا اذنب الذنب انقبض وضم اصبعه فاذا اذنب
الذنب انقبض وضم اخرى حتى ضم اصابعه كلها حتى يطبع على قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين
ثم قرا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ومثله عن حذيفة رضي الله عنه سوا وقال بكر بن عبد
الله ان العبد اذا اذنب صار في قلبه كوخزة الابرة ثم اذا اذنب ثانيا صار كذلك ثم اذا كثرت الذنوب صار
القلب كالمنخل او كالغربال لا يعي خيرا ولا يثبت فيه صلاح وقد بينا في البقرة القول في هذا المعنى
بالاخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا معنى لاعادتها وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى
بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس شيئا الله
اعلم بصحته قال هو الران الذي يكون على الفخذين والساق والقدم وهو الذي يلبس في الحرب قال وقال
اخرون الران الخاطر الذي يخطر بقلب الرجل وهذا مما لا يضمن عهدة صحته فالله اعلم فاما عامة اهل
التفسير فعلى ما قد مضى ذكره قبل هذا وكذلك اهل اللغة عليه يقال ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا
اي غلب قال ابو عبيدة في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي غلب وقال ابو عبيد كلما
غلبك فقد رانك وران بك وران عليك وقال الشاعر

وكم ران من ذنب على قلب فاجر ... فتاب من الذنب الذي ران فانجلى

وران الخمر على عقله اي غلبته وران عليه النعاس اذا اعطاه ومنه قول عمر

في الاسيفع اسيفع جهينة فاصبح قد رين به ... اي غلبته الديون وكان يدان ومنه

قول ابي زبيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرا فقال

ثم لما راه رانت به الخمر ... وان لم يرينه باتقاء

فقوله رانت به الخمر اي غلبت على عقله وقال الاموي قد ران القوم فهم مرينون اذا هلكت مواشيهم او هزلت وهذا من الامر
الذي اتاهم مما يغلبهم ولا يستطيعون احتماله قال ابو زيد يقال قد رين بالرجل رينا اذا وقع فيما لا يستطيع
الخروج منه ولا قبل له به وقال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على
القلب وهذا اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع الزجاج الرين هو كالصدا يغشي القلب

كالغيم الرقيق ومثله الغين يقال غين على قلبه غطي عليه والغين شجر ملتف الواحد غينا اي خضراء كثيرة الورق ملتفة الاغصان وقد تقدم قول الفرا انه احاطة الذنوب بالقلوب وذكر الثعلبي عن ابن عباس ران على قلوبهم اي غطى عليها وقيل غطى عليها وهذا هو الصحيح عنه ان شا الله وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابو بكر المفضل ران بالامالة لان فاء الفعل الرا وعينه الف منقلبة من يا فحسنت الامالة لذلك ومن فتح فعلى الاصل لان باب فاء الفعل في فعل الفتح مثل قال وباع ونحوه واختاره ابو عبيد وابو حاتم ووقف حفص بل ثم يبتدي ران وقفا يبين اللام لا للسكت قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا انهم اي حقا انهم يعني الكفار عن ربهم يومئذ اي يوم القيامة لمحجوبون وقيل كلا زجر وردع اي ليس كما يقولون بل انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الزجاج في هذه الاية دليل على ان الله عز وجل يرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الاية فايدة ولا خست منزلة الكفار بانهم محجوبون وقال الله جل ثناؤه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاعلم الله جل ثناؤه ان المؤمنين ينظرون اليه واعلم ان الكفار محجوبون عنه وقال مالك بن انس في هذه الاية لما حجب اعداؤه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم قال اما والله لو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده حجبهم في الاخرة عن رويته وقال مجاهد في قوله لمحجوبون اي عن كرامته ورحمته ممنوعون وقال قتادة هو ان الله لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وعلى الاول الجمهور وانهم محجوبون عن رويته فلا يرونه ثم انهم لصالوا الجحيم اي ملازموها ومحترقون فيها غير خارجين منها كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وكلما خبت زدناهم سعيرا ويقال الجحيم الباب الرابع من النار ثم يقال لهم اي تقول لهم خزنة جهنم هذا الذي كنتم به تكذبون رسل الله في الدنيا قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم كلا بمعنى حقا والوقف على تكذبون وقيل اي ليس الامر كما ظنوا بل كتابهم في سجين وكتاب المؤمنين في عليين وقال مقاتل كلا اي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه ثم استانف فقال ان كتاب الابرار مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم قال ابن عباس اي في الجنة وعنه ايضا قال اعمالهم في كتاب الله في السماء وقال الضحاك ومجاهد وقتادة يعني السماء السابعة فيها ارواح المومنين وروى الاجلح عن الضحاك قال هي سدرة المنتهى ينتهي اليها كل شي من امر الله لا يعدوها فيقولون رب عبدك فلان وهو اعلم به منهم فياتيه كتاب من عند الله عز وجل مختوم بامانه من العذاب فذلك قوله كلا ان كتاب الابرار وعن كعب قال ان ارواح المومنين اذا قبضت صعد بها وفتحت لها ابواب السما وتلقتها الملايكة بالبشرى ثم يخرجون معها حتى ينتهوا الى العرش فيخرج لهم من تحت العرش رق فيرقم ويختم فيه النجاة من الحساب يوم القيامة ويشهده المقربون وقال قتادة ايضا في عليين هي فوق السماء السابعة عند قايمة العرش اليمنى قال البراء بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم عليون في السماء السابعة تحت العرش وعن ابن عباس ايضا هو لوح من زبرجد خضرا معلق بالعرش اعمالهم مكتوبة فيه وقال الفرا عليون ارتفاع بعد ارتفاع وقيل عليون اعلى الامكنة وقيل معناه علو في علو مضاعف كانه لا غاية له ولذلك جمع بالواو والنون وهو معنى قول الطبري قال الفرا هو اسم موضع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقولك عشرين وثلاثين والعرب اذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحد ولا تثنية قالوا في المذكر والمونث بالنون وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع كما تقول هذه قنسرين ورايت قنسرين وقال يونس النحوي واحدها علي وعلية قال ابو الفتح عليين جمع علي وهو فعيل من العلو وكان سبيله ان يقول علية كما قالوا للغرفة علية لانها من العلو فلما حذفت الها من علي عوضوا منها الجمع بالواو والنون كما قالوا في ارضين كانوا ان عليين صفة للملايكة فانهم الملا الاعلى كما يقال فلان في بني فلان اي هو في جملتهم وعددهم والذي في الخبر من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل عليين لينظرون الى الجنة من كذا فاذا اشرف رجل من اهل عليين اشرقت الجنة لضياء وجهه فيقولون ما هذا النور فيقال اشرف رجل من اهل عليين الابرار اهل الطاعة والصدق في خبر اخر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما يرى الكوكب الدري في افق السماء يدل على ان عليين اسم الموضع المرتفع وروى ناس عن ابن عباس في قوله

فيها ارواح المؤمنين

عليين قال اخبار اعمالهم وارواحهم في السماء الرابعة ثم قال وما ادراك ما عليون اي ما الذي اعلمك يا محمد اي شي عليون على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة ثم فسره له فقال كتاب مرقوم يشهده المقربون وقيل ان كتاب مرقوم ليس تفسيرا لعليين بل تم الكلام عند قوله عليون ثم ابتدا وقال كتاب مرقوم اي كتاب الابرار كتاب مرقوم ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار قاله القشيري وروي ان الملايكة تصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شا الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شا الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين قوله تعالى يشهده المقربون اي يشهد عمل الابرار مقربو كل سما من الملايكة وقال وهب بن اسحاق المقربون هنا اسرافيل عليه السلام فاذا عمل المومن عمل البر صعدت الملايكة بالصحيفة ولها نور يتلالا في السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهي بها الى اسرافيل فيختم عليها ويكتب فهو قوله يشهده المقربون اي يشهد كتابتهم قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم على الارايك ينظرون ان الابرار اي اهل الصدق والطاعة لفي نعيم اي نعمة والنعمة بالفتح التنعم يقال نعمه الله ونعمه فتنعم وامراة منعمة ومناعمة بمعنى اي ان الابرار في الجنات يتنعمون على الارايك الاسرة في الحجال ينظرون اي الى ما اعد الله لهم من الكرامات قاله عكرمة وابن عباس ومجاهد وقال مقاتل ينظرون الى اهل النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينظرون الى اعدايهم في النار ذكره المهدوي وقيل على ارايك افضاله ينظرون الى وجهه وجلاله قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجته وغضارته ونوره يقال انضر النبات اذا ازهر ونور وقراة العامة تعرف بفتح التاء وكسر الراء نضرة نصب اي تعرف يا محمد وقرا ابو جعفر بن القعقاع ويعقوب وشيبة وابن ابي اسحق تعرف بضم التاء وفتح الراء على الفعل المجهول نضرة رفعا يسقون من رحيق اي من شراب لا غش فيه قاله الاخفش والزجاج وقيل الرحيق الخمر الصافية وفي الصحاح الرحيق صفوة الخمر والمعنى واحد الخليل اقصى الخمر واجودها وقال مقاتل وغيره هي الخمر العتيقة البيضا الصافية الخالصة من الغش النيرة قال حسان

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

وقال اخر

ام لا سبيل الى الشباب وذكره اشهى الي من الرحيق السلسل

مختوم ختامه مسك قال مجاهد يختم به اخر جرعة وقيل المعنى اذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكاس انختم ذلك بخاتم المسك وكان ابن مسعود يقول يجدون عاقبتها طعم المسك ونحوه عن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي قالا ختامه اخر طعمه وهو حسن لان سبيل الاشربة ان يكون الكدر في اخرها فوصف شراب اهل الجنة بان رايحة اخره رايحة المسك وعن مسروق عن عبد الله قال المختوم الممزوج وقيل مختوم اي ختمت ومنعت من ان يمسها ماس الى ان يفك ختامها الابرار وقرا علي وعلقمة وسفيان والضحاك وطاووس والكسائي خاتمه بفتح الخا والتا والالف بينهما قال علقمة اما رايت المراة تقول للعطار اجعل لي خاتمه مسكا تريد اخره والخاتم والختام متقاربان في المعنى الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر قاله الفرا وفي الصحاح والختام الطين الذي يختم به وكذا قال مجاهد وابن زيد ختامه اناؤه بالمسك بدل من الطين حكاه المهدوي وقال الفرزدق

وبت افض اغلاق الختام

وقال الاعشى

وابرزها وعليها ختم

اي عليها طينة مختومة مثل نفض بمعنى منفوض وقبض بمعنى مقبوض وذكر ابن المبارك وابن وهب واللفظ لابن وهب عن عبد الله بن مسعود في قول الله تعالى ختامه مسك خلطه ليس بخاتم يختم الم تر الى قول المراة من نسايكم ان خلطته من الطيب كذا وكذا انما خلطه مسك ليس بخاتم يختم وذكر ابن المبارك عن ابي الدردا ختامه مسك قال شراب ابيض مثل الفضة يختمون بها اخر شربتهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وروي ابي بن كعب قال قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم قال غدران الخمر وقيل مختوم في الانية وهو غير الذي يجري في الانهار فالله اعلم وفي ذلك اي وفي الذي وصفناه من امر الجنة فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون يقال نفست عليه الشي انفسه نفاسة اي ضننت به ولم احب ان يصير اليه وقيل

الفاء بمعنى الي اي والي ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل تطيبن لمثل هذا فليعمل العاملون ومزاجه
اي ومزاج ذلك الرحيق من تسنيم وهو شراب ينصب عليهم من علو وهو اشرف شراب في الجنة واصل
التسنيم في اللغة الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو الي سفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه
وكذلك تسنيم القبور وروي عن عبد الله قال تسنيم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا ويمزج
منها كاس اصحاب اليمين فتطيب وقال ابن عباس في قوله عز وجل ومزاجه من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل التسنيم عين تجري في الهواء بقدرة الله تعالى فتنصب في اواني اهل
الجنة علي قدر ملئها فاذا امتلات امسك الماء فلا يقع منه قطرة علي الارض ولا يحتاجون الي الاستقاء
قاله قتادة ابن زيد بلغنا انها عين تخرج من تحت العرش وكذا في مراسيل الحسن وقد ذكرناه في سورة الانسان
عينا يشرب بها المقربون اي يشرب منها اهل الجنة العدن وهم افاضل اهل الجنة صرفا وهي لغيرهم مزاج
عينا نصب علي المدح وقال الزجاج نصب علي الحال من تسنيم وتسنيم معرفة ليس يعرف له اشتقاق وان
جعلته مصدرا مشتقا من السنام فعينا نصب لانه مفعول به كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهذا قول
الفرا انه منصوب بتسنيم وعند الاخفش بيسقون اي يسقون عينا او من عين وعند المبرد باضمار اعني
علي المدح **قوله تعالى** ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون
هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وصف احوال الكفار في الدنيا مع المومنين في استهزائهم بهم والمراد رؤسا
قريش من اهل الشرك روي ناس عن ابن عباس قال هو الوليد بن المغيرة وعقبة بن ابي معيط والعاص بن
وائل والاسود بن عبد يغوث والعاص بن هشام وابو جهل والنضر بن الحارث واولئك كانوا من الذين
امنوا من اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وصهيب وبلال يضحكون علي وجه السخرية
واذا مروا بهم عند اتيانهم رسول الله صلي الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم
وقيل اي يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به يقال غمزت الشي بيدي قال

وكنت اذا غمزت قناة قوم　　كسرت كعوبها او تستقيما

وقالت عايشة كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا سجد غمزني فقبضت علي رجلي الحديث وقد مضي في النساء
وغمزته بعيني وقيل الغمز بمعني العيب يقال غمزه اي اعابه وما في فلان غمزة اي عيب وقال مقاتل نزلت
في علي ابن ابي طالب جاء في نفر من المسلمين الي النبي صلي الله عليه وسلم فلمزهم المنافقون وضحكوا عليهم وتغامزوا
واذا انقلبوا اي انصرفوا الي اهلهم اي اصحابهم وذويهم انقلبوا فاكهين اي معجبين منهم وقيل معجبون بما هم
عليه من الكفر متفكهون بذكر المومنين وقرا ابن القعقاع وحفص والاعرج والسلمي فكهين بغير الف الباقون
بالف قال الفرا هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم في الدخان وقيل الفكه الاشر البطر والفاكه
الناعم المتنعم واذا راوهم اي اذا راوا هولاء الكفار اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم قالوا ان هولاء لضالون
في اتباعهم محمدا وما ارسلوا عليهم حافظين لاعمالهم موكلين باحوالهم رقبا عليهم فاليوم اي ففي هذا
اليوم الذي هو يوم القيامة الذين امنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم من الكفار يضحكون كما ضحك الكفار منهم في
الدنيا نظيره في اخر سورة المومنين وقد تقدم وذكر ابن المبارك اخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله
تعالي فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون قال ذكر لنا ان كعبا كان يقول ان بين الجنة والنار كوي
فاذا اراد المومن ان ينظر الي عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوي قال الله تعالي في اية اخري
فاطلع فراه في سواء الجحيم قال ذكر لنا انه اطلع فراي جماجم القوم تغلي وذكر ابن المبارك ايضا اخبرنا
الكلبي عن ابي صالح في قوله تعالي الله يستهزئ بهم قال يقال لاهل النار وهم في النار اخرجوا فتفتح
لهم ابواب النار فاذا راوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمومنون ينظرون اليهم علي
الارائك فاذا انتهوا الي ابوابها غلقت دونهم فذلك قوله يستهزئ بهم ويضحك منهم المومنون حين
غلقت دونهم فذلك قوله تعالي فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون علي الارائك ينظرون هل ثوب
الكفار ما كانوا يفعلون وقد مضي هذا في اول البقرة ومعني هل ثوب اي هل جوزي الكفار فيكون معني هل
وموضعها نصب بينظرون وقيل استيناف لا موضع له وقيل هو علي اضمار القول والمعني يقول بعض
المومنين لبعض هل ثوب اي اثيب وجوزي وهو من ثاب اي رجع فالثواب ما يرجع علي العبد في مقابلة
عمله ويستعمل في الخير والشر والله اعلم ختمت تفسير السورة المباركة بحمد الله وعونه

كان يقول ان بين الجنة والنار كوي

تفسير

تفسير سورة الانشقاق

مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
اذا السما انشقت واذنت لربها وحقت انشقت انصدعت وتفطرت بالغمام والغمام مثل السحاب
الابيض كذا روي ابو صالح عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه قال تنشق من المجرة وقال المجرة باب
السما وهذا من اشراط الساعة وعلاماتها واذنت لربها وحقت اي سمعت وحق لها ان تسمع روي معنا
عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم ما اذن الله لشي كاذنه لنبي صلي الله عليه
وسلم يتغني بالقران اي ما استمع الله لشي قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به　　واذا ذكرت بسوء عندهم اذنوا

اي سمعوا وقال قعنب بن ام صاحب

ان ياذنوا ريبة طاروا بها فرحا　　مني وما اذنوا من صالح دفنوا

وقيل المعني وحق الله عليها الاستماع لامره بالا
نشقاق قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا وطاعة
السماء بمعني انها لا تمتنع مما اراد الله بها ولا يبعد خلق الحياة فيها حتي تطيع وتجيب وقال قتادة حق لها
ان تفعل ذلك ومنه قول كثير

فان تكن العتبي فاهلا ومرحبا　　وحقت لها العتبي لدينا وقلت

قوله تعالى واذا الارض مدت والقت ما فيها
وتخلت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت اي بسطت ودكت جبالها قال النبي صلي الله عليه
وسلم تمد مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوي وقاله ابن عباس وابن مسعود وزاد
في سعتها كذا وكذا لوقوف الخلائق عليها للحساب حتي لا يكون لاحد من البشر الا موضع قدمه يعني لكثرة
الخلائق فيها وقد مضي في سورة ابراهيم ان الارض تبدل بارض اخري وهي الساهرة في قول ابن عباس
علي ما تقدم عنه والقت ما فيها وتخلت اي اخرجت امواتها وتخلت منهم وقال ابن جبير القت ما في بطنها
من الموتي وتخلت ممن علي ظهرها من الاحيا وقيل القت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت منها خلا
جوفها فليس في بطنها شي وذلك يوذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة وقيل تخلت
مما علي ظهرها من جبالها وبحارها وقيل القت ما استودعت وتخلت مما استحفظت لان الله تعالي
استودعها عباده احياء وامواتا واستحفظها بلاده مزارعة واقواتا واذنت لربها وحقت اي في
القاء موتاها وحقت اي وحق لها ان تسمع امره واختلف في جواب اذا فقال الفرا اذنت والواو زائدة
وكذلك والقت ابن الانباري قال بعض المفسرين جواب اذا السما انشقت اذنت وزعم ان الواو مقحمة
وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتي اذا كقوله حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها ومع لما
كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه يا ابراهيم معناه ناديناه والواو لا تقحم في غير هذين وقيل الجواب
فا مضمرة كانه قال اذا السما انشقت فيا ايها الانسان انك كادح وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه
اي اذا السما انشقت لاقي الانسان كدحه وقيل فيه تقديم وتاخير اي يا ايها الانسان انك كادح الي ربك
كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت قاله المبرد وعنه ايضا الجواب فاما من اوتي كتابه بيمينه وهو قول
الكسائي اي اذا السما انشقت فمن اوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا قال ابو جعفر النحاس وهذا اصح ما قيل فيه
واحسنه وقيل هو بمعني اذكر اذا السما انشقت وقيل الجواب محذوف لعلم المخاطبين به اي اذا كانت
هذه الاشياء علم المكذبون بالبعث ضلالتهم وخسرانهم وقيل تقدم منهم سوال عن وقت القيامة
فقيل لهم اذا ظهرت اشراطها كانت القيامة فرايتم عاقبة تكذيبكم بها والقران كالاية الواحدة في
دلالة البعض علي البعض وعن الحسن ان قوله اذا السما انشقت قسم والجمهور علي خلاف قوله من انه
خبر وليس بقسم **قوله تعالى** يا ايها الانسان انك كادح الي ربك كدحا فملاقيه المراد
بالانسان الجنس اي يا ابن ادم وكذا روي سعيد عن قتادة يا ابن ادم ان كدحك لضعيف فمن استطاع
ان يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة الا بالله وقيل هو معين قال مقاتل يعني اسود بن عبد الا
سد ويقال يعني ابي بن خلف ويقال جميع الكفار يعني يا ايها الكافر انك كادح والكدح في كلام العرب
العمل والكسب قال ابن مقبل　　وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخري ابتغي العيش اكدح

وقال آخر
ومضت بشاشته كل عيش صالح ... وبقيت اكدح للحياة وانصب

اي اعمل وروي الضحاك عن ابن عباس انك كادح راجع الي ربك كدحا اي رجوعا لا محاله فملاقيه اي ملاق ربك وقيل ملاق عملك القتبي انك كادح اي عامل ناصب في معيشتك الي لقاء ربك والملاقاة بمعني اللقاء اي تلقا ربك بعملك وقيل اي تلاقي كتاب عملك لان العمل قد انقضي ولهذا قال فاما من اوتي كتابه بيمينه **قوله تعالى** فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الي اهله مسرورا واما من اوتي كتابه بيمينه وهو المومن فسوف يحاسب حسابا يسيرا لا مناقشة فيه كذا روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من حديث عايشة قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من حوسب يوم القيامة عذب قالت فقلت يا رسول الله قد قال الله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذاك الحساب انما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب اخرجه البخاري ومسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح وينقلب الي اهله ازواج في الجنة من الحور العين مسرورا مغتبطا قرير العين ويقال انها نزلت في ابي سلمه بن عبد الله الاسد وهو اول من هاجر من مكة الي المدينة وقيل الي اهله الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته والاول قول قتادة اي الي اهله الذين قد اعدهم الله له في الجنة **قوله تعالى** واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلي سعيرا انه كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلي ان ربه كان به بصيرا نزلت في الاسود بن عبد الاسد اخي ابي سلمة قاله ابن عباس ثم هي عامة في كل مومن وكافر قال ابن عباس يمد يده اليمني لياخذ كتابه فيجذبه مالك فيخلع يمينه فياخذ كتابه بشماله من وراء ظهره وقال قتادة ومقاتل يفك الواح صدره وعظامه ثم يدخل يده ويخرج من ظهره فياخذ كتابه كذلك فسوف يدعوا ثبورا اي بالهلاك يقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلي سعيرا اي ويدخل النار حتي يصلي حرها وقرا الحرميان وابن عامر والكسائي ويصلي بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام كقوله ثم الجحيم صلوه وقوله وتصلية جحيم الباقون ويصلي بفتح الياء مخففا فعل لازم غير متعد كقوله الا من هو صال الجحيم وقوله يصلي النار الكبري وقوله ثم انهم لصالوا الجحيم وقراءة ثالثة رواها ابان عن عاصم وخارجة عن نافع واسمعيل المكي عن ابن كثير ويصلي بضم الياء واسكان الصاد وفتح اللام مخففا كما قرا وسيصلون بضم الياء وكذلك في الغاشية قد قري ايضا يصلي نارا وهما لغتان صلي واصلي لقوله نزل وانزل انه كان في اهله مسرورا اي بالهلاك يقول يا ويلاه يا ثبوراه في الدنيا مسرورا قال ابن زيد وصف الله اهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا فاعقبهم به النعيم والسرور في الاخرة وقرا قول الله تعالي انا كنا قبل في اهلنا مشفقين قال ووصف اهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال انه كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلي اي لن يرجع حيا مبعوثا فيحاسب ثم يثاب او يعاقب ويقال حار يحور اذا رجع قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وقال عكرمة وداود بن ابي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع ويجوز ان تتفق الكلمتان فانهما كلمة اشتقاق ومنه الخبز الحواري لانه يرجع الي البياض وقال ابن عباس ما كنت ادري ما معني يحور حتي سمعت اعرابية تدعو بنية لها حوري حوري اي ارجعي الي فالحور في كلام العرب الرجوع ومنه قوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور يعني من الرجوع الي النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم وفي المثل حور في محار اي نقصان في نقصان يضرب للرجل اذا كان امره يدبر قال الشاعر

واستعجلوا عن خفيف المضغ فازدردوا ... والذم يبقي وزاد القوم في حور

والحور ايضا الاسم من قولك طحنت الطاحنة فما احارت شيا اي ما ردت شيا من الدقيق والحور ايضا الهلكة قال الراجز
في بير لا حور سري وما شعر
قال ابو عبيدة اي في بير حور ولا زائدة وروي بعد الكون ومعناه من انتشار الامر بعد تمامه وسيل معمر عن الحور بعد الكور فقال هو الكنتي فقال له عبد الرزاق وما الكنتي قال الرجل يكون صالحا ثم يتحول رجل سوء قال ابو عمرو يقال للرجل اذا شاخ كنتي كانه نسب الي قوله كنت في شبابي كذا قال

فاصبحت كنتيا واصبحت عاجنا ... وشر خصال المرء كنت وعاجن

عجن الرجل اذا نهض معتمدا علي الارض من الكبر قال ابن الاعرابي الكنتي هو الرجل يقول كنت شابا وكنت شجاعا والكاني هو الذي يقول كان لي مال

وكنت

اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور

وكنت اهب وكان لي خيل وكنت اركب قوله تعالى بلي اي ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويرجع ان ربه كان به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان مرجعه اليه وقيل بلي ليحورن وليرجعن ثم استانف بقوله فقال ان ربه كان به بصيرا من يوم خلقه الي ان بعثه وقيل اي عالما بما سبق له من الشقاء والسعادة **قوله تعالى** فلا اقسم بالشفق اي فاقسم ولا صلة بالشفق اي بالحمرة التي تكون عند مغيب الشمس حتي تاتي صلاة العشا الاخرة قال اشهب وعبد الله بن عبد الحكم ويحيي بن يحيي وغيرهم كثير عددهم عن مالك الشفق الحمرة التي تكون في المغرب فاذا ذهبت الحمرة فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشاء وروي ابن وهب قال اخبرني غير واحد عن علي بن ابي طالب ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وشداد بن اوس وابي هريرة ان الشفق الحمرة وبه قال مالك ابن انس وذكر غير ابن وهب من الصحابة عمر وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وانسا وابا قتادة وجابر بن عبد الله وابن الزبير ومن التابعين سعيد بن جبير وابن المسيب وطاوس وعبد الله بن دينار والزهري وقال به من الفقها الاوزاعي ومالك والشافعي وابو يوسف وابو ثور وابو عبيد واحمد واسحاق وقيل هو البياض روي ذلك عن ابن عباس وابي هريرة ايضا وعمر بن عبد العزيز والاوزاعي وابي حنيفة في احدي الروايتين عنه وروي اسد بن عمرو انه رجع عنه وروي عن ابن عمر ايضا انه البياض والاختيار الاول لان اكثر الصحابة والتابعين والفقها عليه ولان شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له قال الفرا سمعت بعض العرب يقول لثوب عليه مصبوغ كانه الشفق وكان احمر فهذا شاهد للحمرة وقال الشاعر

احمر اللون كحمر الشفق

وقال آخر

قم يا غلام اعني غير مرتبك ... علي الزمان بكاس حشوها شفق

ويقال للمغرة الشفق وفي الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الي قريب من العتمة قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الي وقت العشا الاخرة اذا ذهب قيل غاب الشفق ثم قيل اصل الكلمة من رق الشي يقال شي شفق اي لا تماسك له لرقته واشفق عليه اي رق قلبه عليه والشفقة الاسم من الاشفاق وهو رقة القلب وكذلك الشفق قال الشاعر

تهوي حياتي واهوي موتها شفقا ... والموت اكرم نزال علي الحرم

فالشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فكان تلك الرقة من ضوء الشمس وزعم الحكما ان البياض لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية فرمقت البياض فرايته يتردد من افق الي افق ولم اره يغيب وقال ابن ابي اويس رايته يتمادي الي طلوع الفجر قال علماونا فلما لم يتحدد وقته سقط اعتباره وفي سنن ابي داود عن النعمان بن بشير قال انا اعلمكم بوقت صلاة العشاء الاخرة كان النبي صلي الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر لثالثه وهذا تحديد ثم الحكم معلق باول الاسم لا يقال فينتقض عليكم بالفجر الاول فانا نقول الفجر الاول لا يتعلق به حكم من صلاة ولا امساك لان النبي صلي الله عليه وسلم بين الفجر بقوله وفعله فقال وليس الفجر ان يقول هكذا ورفع يده الي فوق ولكن الفجر ان يقول هكذا وبسطها وقد مضي بيانه في اية الصيام من سورة البقرة فلا معني للاعادة وقال مجاهد الشفق النهار كله الا تراه قال والليل وما وسق وقال عكرمة ما بقي من النهار والشفق ايضا الردي من الاشيا يقال عطا مشفق اي مقلل قال الكميت

ملك اغر من الملوك تحلبت ... للسايلين يداه غير مشفق

قوله تعالى والليل وما وسق اي جمع وضم ولف واصله من سواد السلطان وغضبه فلولا انه خرج الي العباد من باب الرحمة ما تمالك العباد لمجيئه ولكن خرج من باب الرحمة فمزج بها فسكن الخلق اليه ثم انزعوا والتفوا وانقبضوا ورجع كل الي ماواه ليسكن فيه من هوله وحشا وهو قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي بالليل ولتبتغوا من فضله اي بالنهار علي ما تقدم فالليل يجمع ويضم ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه هذا معني قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم قال صابي بن الحرث البرجمي

فاني واياكم وشوقا اليكم ... كقابض ماء لم تسقه انامله

تقول ليس في يدي من ذلك شي كما انه ليس في يد القابض علي الماء شي فاذا جلل الليل الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها والوسق ضمك الشي بعضه الي بعض تقول وسقته اسقه

وسقا ومنه قيل للطعام الكثير المجتمع وسق وهو ستون صاعا وطعام موسوق اي مجموع وابل مستوسقة
اي مجتمعة قال الراجز ان لنا قلايصا حقايقا مستوسقات لو يجدن سايقا
وقال عكرمة وما وسق اي وما ساق من شي الي حيث ياوي فالوسق بمعنى الطرد ومنه قيل للطريدة
من الابل والغنم والحمر وسيقة قال الشاعر
كما قاف اثار الوسيقة قايف
وعن ابن عباس وما وسق اي وما جن وستر وعنه
ايضا وما حمل وكل شي حملته فقد وسقته والعرب تقول لا افعله ما وسقت عيني الما اي حملته ووسقت
الناقة تسق وسقا اي حملت واغلقت رحمها على الما فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل نايم ونيام وصاحب
وصحاب قال بشر بن ابي حازم
الظ بهن بجد وهن حتي
تبتبت الجبال من الوساق
ومواسق ايضا واوسقت البعير حملته حمله واوسقت النخلة كثر حملها وقال يمان والضحاك ومقاتل
بن سليمان حمل من الظلمة قال مقاتل او حمل من الكواكب القشيري ومعنى حمل ضم وجمع والليل يجلل بظلمته
كل شي فاذا جللها فقد وسقها ويكون هذا القسم قسما بجميع المخلوقات لاشتمال الليل عليها كقوله
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال ابن جبير وما وسق اي وما عمل فيه يعني التهجد فيه والاستغفار
بالاسحار قال الشاعر
ويوما ترانا صالحين وتارة
يقوم بنا كالواسق المتلبب
اي كالعامل **قوله تعالى** والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يومنون والقمر اذا اتسق
اي تم واجتمع واستوي قال الحسن اتسق اي امتلا واجتمع ابن عباس استوي قتادة استدار الفرا اتساقه
امتلاوه واستواوه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق الذي هو الجمع يقال وسقته فاتسق كما يقال
وصلته فاتصل ويقال امر فلان متسق اي مجتمع علي الصلاح منتظم ويقال اتسق الشي اذا تتابع لتركبن
طبقا عن طبق قرا ابو عمرو وابن مسعود وابن عباس وابو العالية ومسروق وابو وايل ومجاهد والنخعي
والشعبي وابن كثير وحمزة والكساي لتركبن بفتح البا خطابا للنبي صلي الله عليه وسلم اي لتركبن يا
محمد حالا بعد حال قاله ابن عباس الشعبي لتركبن يا محمد سما بعد سما ودرجة بعد درجة ورتبة بعد
رتبة في القربة من الله تعالي ابن مسعود لتركبن السما حالا بعد حال يعني حالاتها التي وصفها الله تعالي
بها من الانشقاق والطي وكونها مرة كالمهل ومرة كالدهان وعن ابراهيم عن عبد الله طبقا عن طبق قال
السما تقلب حالا بعد حال تكون وردة كالدهان وتكون كالمهل وقيل لتركبن ايها الانسان حالا بعد
حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا فالخطاب للانسان المذكور في قوله
يا ايها الانسان انك كادح وهو اسم للجنس ومعناه الناس وقرا الباقون لتركبن بضم البا خطابا للناس
واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعني بالناس اشبه منه بالنبي صلي الله عليه وسلم لما ذكر قبل هذه
الاية فمن اوتي كتابه بيمينه ومن اوتي كتابه بشماله اي لتركبن حالا بعد حال ودارا بعد دار وحالا بعد
حال من شدايد القيامة او لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الانبياء قال
الشيخ رحمه الله وكله مراد وقد جات بذلك احاديث فروي ابو نعيم الحافظ عن جعفر بن محمد بن علي عن جابر
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان ابن ادم لفي غفلة مما خلقه الله تعالي له ان الله
لا اله غيره اذا اراد خلقه قال للملك اكتب رزقه واثره واجله واكتب شقيا او سعيدا ثم يرتفع ذلك
الملك ويبعث الله ملكا اخر فيحفظه حتي يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيياته فاذا جاه
الموت ارتفع ذلك الملكان ثم جاه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فاذا دخل حفرته رد الروح
في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط
عليه ملك الحسنات وملك السيات فانشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سايق والاخر
شهيد ثم قال الله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد ثم
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلي الله عليه وسلم
ان قدامكم امرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم فقد اشتمل هذا الحديث علي احوال تعتري الانسان من
حين يخلق الي حين يبعث وكله شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزا وفي كل حال من هذه شدايد
وقال صلي الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتي لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه
قالوا يا رسول الله اليهود والنصاري قال فمن خرجه البخاري واما اقوال المفسرين فقال عكرمة حالا بعد

اذا اراد الله خلق ادم

حال

حال فطيما بعد رضيع وشيخا بعد شباب قال الشاعر
كذلك المرء ان ينسا له اجل
يركب علي طبق من بعده طبق
وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه وقال الحسن امرا بعد امر رخاء بعد شدة وشدة
بعد رخاء وغنا بعد فقر وفقر بعد غنا وصحة بعد سقم وسقم بعد صحة سعيد بن جبير منزلة بعد منزلة
قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الاخرة وقوم كانوا في الدنيا مرتفعين فاتضعوا في الاخرة
وقيل منزلة عن منزلة وطبقا عن طبقة ذلك ان كل من كان علي صلاح دعاه الي صلاح فوقه ومن كان
علي فساد دعاه الي فساد فوقه لان كل شي يجر الي شكله ابن زيد لتصيرن من طبق الدنيا الي طبق الاخرة
وقال ابن عباس الشدايد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض والعرب تقول لمن وقع في امر شديد وقع
في بنات طبق واحدي بنات طبق ومنه قيل للداهية الشديدة ام طبق واحدي بنات الطبق واصله من
الحيات اذ يقال للحية ام طبق لتحويها والطبق في اللغة الحال كما وصفنا قال الاقرع بن حابس التميمي
اني امرؤ قد حلبت الدهر اشطره
وساقني طبق منه الي طبق
وهذا ادل دليل علي حدث العالم واثبات الصانع قالت الحكما من كان اليوم علي حالة وغدا علي حالة اخري
فليعلم ان تدبيره الي سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل علي ان لهذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات
وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنية وفسخ العزيمة ويقال اتانا طبق من الناس وطبق من الجراد
اي جماعة وقول العباس في مدح النبي صلي الله عليه وسلم
تنقل من صالب الي رحم
اذا مضي عالم بدا طبق
اي قرن من الناس يكون طباق الارض اي ملاها والطبق ايضا عظم رقيق يفصل بين الفقارين ويقال
مضي طبق من الليل وطبق من النهار اي معظم منه والطبق واحد الاطباق فهو مشترك وقري لتركبن بكسر
البا علي خطاب النفس وليركبن بالبا علي ليركبن الانسان وعن طبق في محل نصب علي انه صفة لطبقا اي
طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة علي
حسب القراءة قوله تعالي فما لهم لا يومنون يعني اي شي يمنعهم من الايمان بعد ما وضحت لهم الايات
والدلالات وهذا استفهام انكار وقيل تعجب اي اعجبوا منهم في ترك الايمان مع هذه الايات
قوله تعالي واذا قري عليهم القران لا يسجدون اي لا يصلون وفي الصحيح ان ابا هريرة قرا
اذا السما انشقت فسجد فيها فلما انصرف اخبرهم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم سجد فيها وقد قال
مالك انها ليست من عزايم السجود لان المعني لا يذعنون ولا يطيعون في العمل بموجباته ابن العربي
والصحيح انها منه وهي رواية المدنيين وقد اعتضد فيها القران والسنة قال ابن العربي لما اممت
بالناس تركت قراتها لاني ان سجدت انكروه وان تركتها كان تقصيرا مني فاجتنبتها الا اذا صليت وحدي
وهذا تحقيق وعد الصادق بان يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا وقد قال صلي الله عليه وسلم لعايشة
لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت البيت ولرددته علي قواعد ابراهيم ولقد كان شيخنا ابو بكر الفهري
يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه وهو مذهب مالك والشافعي وتفعله الشيعة فحضر عندي يوما
في محرس ابن الشبوي بالثغر موضع تدريسي عند صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور فتقدم
الي الصف وانا في موخره قاعد علي طاقات البحر اتنسم الريح من شدة الحر ومعي في صف واحد ابو ثمنة
رييس البحر وقايده مع نفر من اصحابه ينتظر الصلاة ويتطلع علي مراكب تحت المنار فلما رفع الشيخ
يديه في الركوع وفي رفع الراس منه قال ابو ثمنة واصحابه الا ترون الي هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا فقوموا
اليه فاقتلوه وارموا به في البحر فلا يراكم احد فطار قلبي من بين جوانحي وقلت سبحان الله هذا الطرطوشي
فقيه الوقت فقالوا لي ولم يرفع يديه فقلت كذلك كان النبي صلي الله عليه وسلم يفعل وهو مذهب
مالك في رواية اهل المدينة عنه وجعلت اسكنهم واسكتهم حتي فرغ من صلاته وقمت معه الي المسكن
من المحرس وراي تغير وجهي فانكره وسالني فاعلمته فضحك وقال ومن اين لي ان اقتل علي سنة فقلت
له ولا يحل لك هذا فانك بين قوم ان قمت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك فقال دع هذا الكلام
وخذ في غيره **قوله تعالي** بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب
اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون بل الذين كفروا يكذبون محمدا صلي الله

عليه وسلم وما جاء به وقال مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم اثنان منهم وقيل هو في
جميع الكفار والله اعلم بما يوعون اي بما يضمرونه في انفسهم من التكذيب كذا روي الضحاك عن ابن عباس
وقال مجاهد يكتمون من افعالهم ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحات والسيئة ماخوذ من الوعاء الذي
يجمع ما فيه يقال اوعيت الزاد والمتاع اذا جعلته في الوعاء قال الشاعر

الخير ابقي وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد

ووعاه اي حفظه تقول وعيت الحديث اعيه وعيا واذن واعية وقد تقدم فبشرهم بعذاب اليم اي موجع
في جهنم على تكذيبهم اي اجعل ذلك بمنزلة البشارة الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع
كانه قال لكن الذين صدقوا بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وعملوا الصالحات اي ادوا
الفرائض المفروضة عليهم لهم اجر اي ثواب غير ممنون اي غير منقوص ولا مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته
وقد تقدم وسال نافع بن الازرق ابن عباس عن قوله لهم اجر غير ممنون فقال غير مقطوع فقال هل تعرف
ذلك العرب قال نعم قد عرفه اخو يشكر حيث يقول

فترى خلفهن من سرعة الرجع منينا كانه اهباء

قال المبرد المنين الغبار لانها تقطعه وراءها وكل ضعيف
منين وممنون وقيل غير ممنون لا يمن عليهم به وذكر ناس من اهل العلم ان قوله الا الذين امنوا ليس استثناء
وانما هو بمعنى الواو كانه قال والذين امنوا وقد مضى في البقرة القول فيه والحمد لله ختمت

تفسير سورة البروج

مكية باتفاق وهي ثنتان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء
ذات البروج قسم اقسم الله به عز وجل وفي البروج اقوال اربعة احدها ذات النجوم قاله الحسن ومجاهد وقتادة
والضحاك الثاني القصور قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد ايضا قال عكرمة هي قصور في السماء مجاهد البروج
فيها الحرس الثالث ذات الخلق الحسن قاله المنهال بن عمرو الرابع ذات المنازل قاله ابو عبيدة ويحيى بن سلام
وهي اثنا عشر برجا وهي منازل الشمس والقمر يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون
يوما ثم يستتر ليلتين ومسير الشمس في كل برج منها شهر وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد
والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت والبروج في كلام العرب
القصور قال الله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة وقد تقدم قوله تعالى واليوم الموعود وشاهد
ومشهود اليوم الموعود اي الموعود به وهو قسم اخر وهو يوم القيامة من غير اختلاف بين اهل التاويل قال
ابن عباس وعد اهل السماء واهل الارض ان يجتمعوا فيه وشاهد ومشهود اختلف فيهما فقال علي وابن عباس
وابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول الحسن ورواه ابو هريرة
مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد
يوم الجمعة خرجه ابو عيسى الترمذي في جامعه وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث موسى بن
عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره وقد روى شعبة وسفيان الثوري وغير واحد
من الائمة عنه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على كل عامل بما يعمل فيه قال الشيخ رحمه الله وكذلك
سائر الايام والليالي فكل يوم شاهد وكذلك كل ليلة ودليله ما رواه ابو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة
عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على العبد الا ينادي فيه يا ابن ادم
انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك شاهد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا
ويقول الليل مثل ذلك غريب من حديث معاوية تفرد به عنه زيد العمي ولا اعلمه مرفوعا عن النبي صلى
الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال
سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى اسرائيل عن ابي اسحاق عن الحارث
عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقاله النخعي وعن علي ايضا المشهود يوم عرفة
وقال ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما المشهود يوم القيامة لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود قال الشيخ المؤلف رحمه الله وعلى هذا اختلفت اقوال العلماء في الشاهد فقيل الله تعالى
عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير بيانه وكفى بالله شهيدا عن ابن عباس ايضا والحسين بن علي قرا

البروج المشهوره

ابن عباس فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقرا الحسين يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا قال الشيخ رحمه الله واقرانا ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الانبياء يشهدون
على اممهم لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقيل ادم وقيل عيسى ابن مريم لقوله وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم والمشهود امته وعن ابن عباس ايضا ومحمد بن كعب الشاهد الانسان دليله كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا مقاتل اعضاؤه بيانه يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون الحسين
بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم بيانه وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو ادم وقيل الليالي والايام وقد بيناه قال الشيخ رحمه الله
وقد يشهد المال على صاحبه والارض بما عمل عليها ففي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن اعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل او كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه من ياخذه بغير حقه كالذي ياكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة
وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون
ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم
كذا وكذا قال فهذه اخبارها قال حديث حسن صحيح غريب وقيل الشاهد الخلق شهدوا لله عز وجل بالوحدانية
والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى وقيل المشهود يوم الجمعة كما روى ابو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود لان الملائكة تشهده وتنزل فيه الرحمة وكذا
يوم النحر ان شاء الله وقال ابو بكر العطار الشاهد الحجر الاسود يشهد لمن لمسه بصدق واخلاص ويقين
والمشهود الحاج وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم بيانه واذ اخذ الله ميثاق النبيين
الى قوله من الشاهدين قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اي لعن قال ابن عباس
كل شيء في القران قتل فهو لعن وهذا جواب القسم في قول الفراء واللام فيه مضمرة كقوله والشمس وضحاها
ثم قال قد افلح من زكاها اي لقد افلح وقيل فيه تقديم وتاخير اي قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات
البروج قاله ابو حاتم السجستاني ابن الانباري وهذا غلط لانه لا يجوز لقائل ان يقول والله قام زيد على معنى قام
زيد والله وقال قوم جواب القسم ان بطش ربك لشديد وهذا قبيح لان الكلام قد طال بينهما وقيل ان
الذين فتنوا وقيل جواب القسم محذوف اي والسماء ذات البروج لتبعثن وهذا اختيار ابن الانباري والاخدود
الشق العظيم المستطيل في الارض كالخندق وجمعه اخاديد ومنه الخد لمجاري الدموع والمخدة لان الخد
يوضع عليها وقد تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح قال طرفة

ووجه كان الشمس حلت رداءها عليه نقي اللون لم يتخدد

النار ذات الوقود النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال والوقود بفتح الواو قراءة العامة وهو الحطب وقراءة
قتادة وابو رجاء ونصر بن عاصم بضم الواو على المصدر اي ذات الايقاد والالتهاب وقيل ذات الوقود بابدان
الناس وقرا الاشهب العقيلي وابو السمال العدوي وابن السميقع النار ذات بالرفع فيهما اي احرقتهم
النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود اي الذين خددوا الاخاديد وقعدوا عليها يلقون فيها المؤمنين
وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت الرواية في حديثهم والمعنى متقارب
ففي صحيح مسلم عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم كان له ساحر فلما كبر
قال للملك قد كبرت فابعث لي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان في طريقه اذا سلك راهب
فقعد اليه وسمع منه كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب فقعد عليه واذا اتى الساحر
ضربه فشكى ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني
الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الساحر افضل ام الراهب افضل
فاخذ حجرا وقال بسم الله اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس
فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني وقد بلغ من
امرك ما ارى وانك ستبتلى وان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي
الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع
ان انت شفيتني فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فان امنت بالله دعوت الله فشفاك فامن بالله

حكاية الساحر

فشفاه الله فاتا الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك
رب غيري قال ربي وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتي دل علي الغلام فجي بالغلام فقال له الملك
اي بني قد بلغ من سحرك ما تبري الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فاخذه
فلم يزل يعذبه حتي دل علي الراهب فجي بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابي فدعا بالمنشار فوضع المنشار
في مفرق راسه حتي وقع شقاه ثم جي بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابي فوضع المنشار في مفرق
راسه فشقه حتي وقع شقاه ثم جي بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابي فدفعه الي نفر من اصحابه فقال
اذهبوا به الي جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم به ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا
به فصعدوا الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شيت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الي الملك فقال له
الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الي نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا
به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شيت فانكفات بهم السفينة
فغرقوا وجاء يمشي الي الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فقال للملك لست بقاتلي
حتي تفعل ما امرك قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني علي جذع ثم خذ سهما من كنانتي
ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارم به فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس
في صعيد واحد وصلبه علي جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب
الغلام ثم رمي به فوقع السهم في صدغه فوضع يده علي صدغه فمات فقال الناس امنا برب الغلام امنا برب
الغلام فاتي الملك فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد نزل بك والله حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود في
افواه السكك فخدت واضرم النار وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا حتي
جاءت امراة ومعها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا امه اصبري فانك علي الحق خرجه
الترمذي بمعناه وفيه وكان علي طريق الغلام راهب في صومعته قال معمر احسب ان اصحاب الصوامع
كانوا يومئذ مسلمين وفيه ان الدابة التي حبست الناس كانت اسدا وان الغلام دفن قال فيذكر انه اخرج
في زمن عمر بن الخطاب واصبعه علي صدغه كما وضعها حين قتل وقال حديث حسن غريب ورواه الضحاك
عن ابن عباس قال كان ملك بنجران وفي رعيته رجل له بني فبعث الي ساحر يعلمه السحر وكان طريق الفتي
علي راهب يقرا الانجيل فكان يعجبه ما يسمعه من الراهب فدخل في دين الراهب فاقبل يوما فاذا حية عظيمة
قطعت علي الناس طريقهم فاخذ حجرا فقال بسم الله رب السموات والارض وما بينهما فقتلها وذكر نحو ما
تقدم وان الملك لما رماه بالسهم وقتله قال اهل مملكة الملك لا اله الا الله عبد الله بن تامر وكان اسم الغلام
فغضب الملك وامر فخدت اخاديد وجمع فيها حطب ونار وعرض اهل مملكته عليها فمن رجع عن التوحيد
تركه ومن ثبت علي دينه قذفه في النار وجي بامراة مرضع فقيل لها ارجعي عن دينك والا قذفناك وولدك
قال فاشفقت وهمت بالرجوع فقال لها الصبي المرضع يا امي اثبتي ما انت عليه فانما هي غميضة فالقوها
وابنها وروي ابو صالح عن ابن عباس ان النار ارتفعت من الاخدود فصارت فوق الملك واصحابه اربعين
ذراعا فاحرقتهم وقال الضحاك هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم
باربعين سنة اخذهم يوسف ابن شراحيل ابن تبع الحميري وكانوا نيفا وثمانين رجلا وحفر لهم اخدودا
وحرقهم فيه حكاه الماوردي وحكي الثعلبي عنه ان اصحاب الاخدود من بني اسرائيل اخذوا رجالا ونساء
فخدوا لهم الاخاديد ثم اوقدوا فيها النيران ثم اقيموا المومنون عليها وقيل لهم تكفرون او تقذفون
في النار ويزعمون انه دانيال واصحابه وقاله عطية العوفي وروي نحو هذا عن ابن عباس وقال
علي رضي الله عنه ان ملكا سكر فوقع علي اخته ثم اراد ان يجعل ذلك شرعا في رعيته فلم يقبلوا فاشار
عليه ان يخطب بان الله نكاح الاخوات فلم يسمع منه فاشارت عليه ان يخد لهم الاخدود ويلقي فيه
كل من عصاه ففعل قال وبقاياهم ينكحون الاخوات وهم المجوس وكانوا اهل كتاب وروي عن علي رضي الله عنه
ان اصحاب الاخدود كان سببهم ان نبيا بعثه الله الي الحبشة فاتبعه ناس فخد لهم قومهم اخدودا فمن تبع
النبي صلي الله عليه وسلم رمي فيها فجاوا بامراة لها بني رضيع فجزعت فقال لها يا امه امضي ولا تجزعي
وقال ايوب عن عكرمة قال كان اصحاب الاخدود قال كانوا من قومك من السجستان وقال الكلبي هم نصارى
نجران اخذوا بها قوما مومنين فخدوا لهم سبعة اخاديد طول كل اخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر

ذراعا ثم طرح فيها النفط والحطب ثم عرضوهم عليها فمن ابي قذفوه فيها وقيل قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية
زمان قسطنطين وقال مقاتل الاخدود ثلاثة واحد بنجران باليمن والاخر بالشام والاخر بفارس اما الذي
بالشام فانطيانوس الرومي والذي بفارس بخت نصر والذي بارض العرب يوسف بن ذي نواس فلم ينزل
الله في الذي بفارس والشام قرانا وانزل قرانا في الذي كان بنجران وذلك ان رجلين مسلمين احدهما بتهامة
والاخر بنجران اجر احدهما نفسه فجعل يعمل ويقرا الانجيل فرات ابنة المستاجر النور في قراءة الانجيل
فاخبرت اباها فاسلم وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامراة بعدما رفع عيسي فخد لهم يوسف بن ذي
نواس ابن تبع الحميري اخدودا واوقد فيه النار وعرضهم علي الكفر فمن ابي ان يكفر قذفه في النار وقال من رجع عن
دين عيسي لم يقذف وان امراة معها ولدها صغير لم يتكلم فرجعت فقال لها ابنها يا اماه اني اري امامك
نارا لا تطفا فقذفا جميعا انفسهما في النار فجعلهما الله وابنها في الجنة فقذف في يوم واحد سبعة وسبعين
انسانا وقال ابن اسحاق عن وهب بن منبه كان رجل من بقايا اهل دين عيسي ابن مريم عليهما السلام يقال له قيميون
وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا في القرى لا يعرف بقرية الا مضي عنها
وكان بناء يعمل الطين قال محمد بن كعب القرظي وكان اهل نجران اهل شرك يعبدون الاصنام وكان في
قرية من قراها قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان اهل نجران السحر فلما نزل بها قيميون بني خيمة بين نجران
وبين تلك القرية التي بها الساحر فجعل اهل نجران يبعثون غلمانهم الي ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث
اليه التامر عبد الله بن التامر فكان مع غلمان اهل نجران فكان عبد الله اذا مر بصاحب الخيمة اعجبه ما يري
من امر صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتي اسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن اسم الله الا
عظم وكان الراهب يعلمه فكتمه اياه وقال يا ابن اخي انك لن تحمله اخشي ضعفك عنه وكان ابوه التامر
لا يظن الا ان ابنه يختلف الي الساحر كما يختلف الغلمان فلما راي عبد الله ان الراهب قد بخل عليه بتعليم اسم
الله الاعظم عمد الي قداح فجمعها ثم لم يبق لله تعالي اسما يعلمه الا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتي اذا
احصاها اوقد لها نارا ثم جعل يقذفها فيه قدحا قدحا حتي اذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح
حتي خرج منها لم يضره شي فاخذه ثم قام الي صاحبه فاخبره انه قد علم الاسم الاعظم الذي كتمه اياه فقال
وما هو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فاخبره بما صنع فقال له يا ابن اخي قد اصبته فامسك علي نفسك
وما اظن ان تفعل فجعل عبد الله بن التامر اذا دخل نجران لم يبق احد به ضر الا قال يا عبد الله اتوحد الله وتدخل
في ديني فادع الله لك فيعافيك مما انت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعو الله له فيشفي
حتي لم يبق احد بنجران الا اتاه فاتبعه علي دينه ودعا له فعوفي حتي رفع شانه الي ملكهم فدعاه فقال له افسدت
علي اهل قريتي وخالفت ديني ودين ابائي فلامثلن بك قال لا تقدر علي ذلك فجعل يرسل به الي الجبل الطويل
فيطرح عن راسه فيقع علي الارض ليس به باس وجعل يبعث به الي مياه بنجران لا يلقي فيها شي الا اهلك فيلقي فيها
فيخرج ليس به باس فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر والله لا تقدر علي قتلي حتي توحد الله وتومن بما امنت
فانك ان فعلت ذلك سلطت علي وقتلتني فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته ثم ضربه بعصا فشجه شجة
صغيرة ثم بعصا ليست بكبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع اهل نجران علي دين عبد الله بن التامر
وكان علي ما جاء به عيسي ابن مريم عليه السلام من الانجيل وحكمه ثم اصابهم ما اصاب اهل دينهم من الاحداث
فمن ذلك كان اصل النصرانية بنجران فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير فدعاهم الي اليهودية
وخيرهم بين ذلك او القتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتي
قتل منهم عشرين الفا وقال وهب بن منبه اثني عشر الفا وقال الكلبي كان اصحاب الاخدود سبعين الفا
قال وهب ثم لما غلب ارياط علي اليمن خرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق قال ابن اسحاق وذو نواس هذا
اسمه زرعة بن تبان اسعد الحميري وكان ايضا يسمي يوسف وكان له غدائر من شعر تنوس اي تضطرب
فسمي ذا نواس وكان فعل هذا باهل نجران فافلت منهم رجل اسمه دوس ذو ثعلبان فساق الحبشة لينتصر
بهم فملكوا اليمن وهلك ذو نواس في البحر القي نفسه فيه وفيه يقول عمرو بن معدي كرب

اتوعدني كانك ذو رعين	بانعم عيشه او ذو نواس
وكاين كان قبلك من نعيم	وملك ثابت في الناس راس
قديم عهده من عهد عاد	عظيم قاهر الجبروت قاس

ازال الدهر ملكهم فاضحي ... ينقل من اناس في اناس

وذو رعين ملك من ملوك حمير ورعين حصن له وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبا **مسئلة** قال علماونا الله اعلم عز وجل المومنين من هذه الامة بهذه الاية ما كان يلقاه من كان قبلهم من الشدايد يونسهم بذلك وذكر لهم النبي صلي الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا وعلي ما يلقون من الاذي والالام والمشقات التي كانوا عليها ليتاسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به وبذله نفسه في حق اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظيم صبره وكذلك الراهب صبر علي التمسك بالحق حتي نشر بالمنشار وكذلك كثير من الناس لما امنوا بالله ورسخ الايمان في قلوبهم صبروا علي الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم ابن العربي وهذا منسوخ عندنا حسب ما تقدم في سورة النحل قال الشيخ رحمه الله ليس بمنسوخ وان الصبر علي ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه اولي قال الله تعالي مخبرا عن لقمان يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر علي ما اصابك ان ذلك لمن عزم الامور وروي ابو سعيد الخدري ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جاير خرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروي ابن سنجر عن الميمة مولاة النبي صلي الله عليه وسلم قالت كنت اوضي النبي صلي الله عليه وسلم فاتاه رجل فقال اوصني فقال لا تشرك بالله شيا وان قطعت او حرقت بالنار الحديث قال علماونا ولقد امتحن كثير من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم بالقتل والصلب والتعذيب الشديد ولم يلتفتوا الي شي من ذلك ويكفيك قصة عاصم وخبيب واصحابهما وما لقوا من الحروب والقتل والاسر والحرق وغير ذلك وقد مضي في سورة النحل ان هذا اجماع ممن قوي في ذلك فتامله هنالك قوله تعالي قتل اصحاب الاخدود دعاء علي هولاء الكفار بالابعاد من رحمة الله وقيل معناه الاخبار عن قتل اوليك المومنين اي انهم قتلوا بالنار فصبروا وقيل هو اخبار عن اوليك الظالمين فانه روي ان الله قبض ارواح الذين القوا في الاخدود قبل ان يصلوا الي النار وخرجت نار من الاخدود فاحرقت الذين هم عليها قعود وقيل ان المومنين نجوا واحرقت النار الذين قعدوا ذكره النحاس ومعني عليها اي عندها وعلي بمعني عند وقيل عليها علي ما يدنوا منها من حافات الاخدود كما قال

وبات علي النار الندي والمحلق

قوله تعالي النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم علي ما يفعلون بالمومنين شهود والعامل في اذ قتل اي لعنوا في ذلك الوقت وهم علي ما يفعلون بالمومنين شهود اي حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر علي المومنين فمن ابي القوه في النار وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجد في ذلك وقيل علي بمعني مع اي وهم مع ما يفعلون بالمومنين شهود **قوله تعالي** وما نقموا منهم الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد قرا ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وقد مضي في براءة القول اي ما نقم الملك واصحابه من الذين حرقهم الا ان يومنوا اي الا ان صدقوا بالله العزيز اي الغالب المنيع الحميد اي المحمود في كل حال الذي له ملك السموات والارض لا شريك له فيهما ولا نديد والله علي كل شي شهيد اي عالم باعمال خلقه ولا يخفي عليه خافية **قوله تعالي** ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اي حرقوهم بالنار والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته ودينار مفتون ويسمي الصايغ الفتان وكذلك الشيطان وورق فتين اي فضة محرقة ويقال للحرة فتين اي كانما احرقت حجارتها بالنار وذلك لسوادها ثم لم يتوبوا اي من قبيح صنيعهم مع ما اظهر الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الايات البينات علي يدي الغلام فلهم عذاب جهنم اي لكفرهم ولهم عذاب الحريق اي في الدنيا لاحراقهم المومنين بالنار وقد تقدم عن ابن عباس وقيل ولهم عذاب الحريق اي ولهم في الاخرة عذاب زايد علي عذاب كفرهم بما احرقوا المومنين وقيل لهم عذاب جهنم وعذاب الحريق والحريق اسم من اسماء جهنم كالسعير والنار دركات وانواع ولها اسماء وكانهم يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق فالاول عذاب ببردها والثاني عذاب بحرها ان الذين امنوا اي هولاء الذين كانوا امنوا بالله اي صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات لهم جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار من ماء غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفي ذلك الفوز الكبير اي العظيم الذي لا فوز يشبهه

ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ان بطش ربك لشديد اي اخذه الجبابرة والظلمة كقوله جل ثناوه وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القري وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقد تقدم المبرد ان بطش ربك جواب القسم والمعني والسماء ذات البروج ان بطش ربك وما بينهما معترض موكد للقسم وكذلك قال الترمذي الحكيم ان القسم واقع علي ذكر صفته بالشدة انه هو يبدئ ويعيد يعني الخلق عند اكثر العلماء يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث وروي عكرمة قال عجب الكفار من احياء الله جل ثناوه الاموات وقال ابن عباس يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الاخرة وهذا اختيار الطبري وهو الغفور اي الستور لذنوب عباده المومنين لا يفضحهم بها الودود اي المحب لاوليايه فروي الضحاك عن ابن عباس انه قال كما يود احدكم اخاه بالبشري والمحبة وعنه ايضا الودود اي المتودد الي اوليايه بالمغفرة وقال مجاهد الوداد لاوليايه فعول بمعني فاعل وقال ابن زيد الرحيم وحكي المبرد عن اسمعيل بن اسحق القاضي ان الودود هو الذي لا ولد له وانشد قول الشاعر

واركب في الروع عريانة ... ذلول الجناح لقاحا ودودا

اي لا ولد لها تحن اليه ويكون معني الاية انه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من اجله ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء وقيل الودود بمعني المودود كركوب وحلوب اي يوده عباده الصالحون ويحبونه ذو العرش المجيد قرا الكوفيون الا عاصما المجيد بالخفض نعتا للعرش وقيل لربك اي ان بطش ربك المجيد لشديد ولم يمتنع الفصل لانه جار مجري الصفة في التشديد الباقون بالرفع نعتا لذو وهو الله تعالي واختاره ابو عبيد وابو حاتم لان المجد النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه هو المنعوت بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكرم في اخر المومنين تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي تناهيا فيه حتي يقتبس منهما ومعني ذو العرش اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان علي سرير ملكه وان لم يكن علي سرير ويقال ثل عرشه اي ذهب سلطانه وقد مضي بيان هذا في الاعراف وخاصة في الكتاب الاسني في شرح اسماء الله الحسني فعال لما يريد اي لا يمتنع عليه شي يريده الزمخشري فعال خبر ابتداء محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الفرا هو رفع علي التكرير والاستيناف لانه نكرة محضة وقال الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة علي وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم علي ابي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا الا ناتيك بطبيب قال قد راني قالوا فما قال لك قال قال لي انا فعال لما اريد **قوله تعالي** هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب اي قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيايهم يونسه بذلك ويسليه ثم بينهم فقال فرعون وثمود وهما في موضع جر علي البدل من الجنود المعني انك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا انبياءه ورسله بل الذين كفروا اي من هولاء الذين لا يومنون بك في تكذيب لك كذاب من قبلهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك فدل بهما علي امثالهما والله اعلم **قوله تعالي** والله من ورايهم محيط بل هو قران مجيد في لوح محفوظ والله من ورايهم محيط اي يقدر علي ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والمحاط به كالمحصور وقيل اي والله عالم بهم فهو مجاز بهم بل هو قران مجيد اي متناه في الشرف والكرم والبركة وهو بيان ما بالناس الحاجة اليه من احكام الدين والدنيا لا كما زعم المشركون وقيل مجيد اي غير مخلوق في لوح محفوظ اي مكتوب في لوح وهو محفوظ عند الله تعالي من وصول الشياطين اليه وقيل هو ام الكتاب ومنه انتسخ القران والكتب وروي الضحاك عن ابن عباس قال اللوح من ياقوتة حمراء اعلاه معقود بالعرش واسفله في حجر ملك يقال له ماطريون كتابه نور وقلمه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلثماية وستين نظرة ليس منها نظرة الا وهو يفعل ما يشاء يرفع وضيعا ويضع رفيعا ويغني فقيرا ويفقر غنيا يحيي ويميت ويفعل ما يشاء لا اله الا الله وقال انس بن مالك ومجاهد ان اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقيل اللوح المحفوظ الذي فيه اصناف الخلق والخليقة وبيان امورهم وذكر اجالهم وارزاقهم واعمالهم والاقضية النافذة فيهم ومال عواقب امورهم وهو ام الكتاب وقال ابن عباس اول شي كتبه الله تعالي في اللوح المحفوظ اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضايي وصبر علي بلايي وشكر نعمايي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضايي ولم يصبر علي بلايي ولم يشكر نعمايي فليتخذ الها

سوى اي وكتب الحجاج الى محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يتواعده فكتب اليه ابن الحنفية بلغني ان الله تعالى
في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ يعز ويذل ويبتلي ويفرج ويفعل ما يشاء فلعل نظرة منها
يشغلك بنفسك فتشتغل بها فلا تتفرغ وقال بعض المفسرين اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤنه وقرا
ابن السميفع وابو حيوة قران مجيد على الاضافة اي قران رب مجيد وقرا نافع في لوح محفوظ بالرفع نعتا
للقران اي بل هو قران مجيد محفوظ في لوح الباقون بالجر نعتا للوح والقرا متفقون على فتح اللام من لوح
الا ما روي عن يحيى بن يعمر فانه قرا في لوح بضم اللام اي انه يلوح وهو ذو نور وعلو وشرف الزمخشري
واللوح الهواء يعني اللوح فوق السما السابعة الذي فيه اللوح وفي الصحاح لاح الشيء يلوح لوحا اي
لمح ولاحه السفر وغيره ولاح لوحا ولواحا عطش والتاح مثله واللوح الكتف وكل عظم عريض واللوح
الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهواء من السماء والارض والله اعلم بالصواب ـــــ تمت ـــــ

تفسير سورة والطارق

مكية وهي سبع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والسماء
والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والسما والطارق قسمان السماء قسم والطارق قسم
والطارق النجم وقد بينه الله تعالى بقوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب اختلف فيه فقيل هو زحل الكوكب
الذي في السما السابعة ذكره محمد بن الحسن في تفسيره وذكر له اخبارا الله اعلم بصحتها وقال ابن زيد انه الثريا
وعنه ايضا انه زحل وقاله الفرا ابن عباس هو الجدي وعنه ايضا وعن علي رض عنه والفرا النجم الثاقب نجم في
السما السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى
مكانه من السما السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وحكى الفرا ثقب الطائر اذا ارتفع
وعلا وروى ابو صالح عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا مع ابي طالب فانحط نجم فامتلات
الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب
ونزل والسما والطارق وروي عن ابن عباس ايضا والسما والطارق ما يطرق فيها وعن ابن عباس وعطا الثاقب
الذي ترمى به الشياطين قتادة هو عام في ساير النجوم لان طلوعها بليل وكل من اتاك ليلا فهو طارق قال

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع	فالهيتها عن ذي تمائم محول

وقال اخر

الم تر اني كلما جئت طارقا	وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فالطارق النجم اسم جنس سمي بذلك لانه يطرق ليلا ومنه الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرق المسافر اهله
ليلا كي تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقا يقال طرق فلان طروقا اذا جاء
بليل وقد طرق يطرق طروقا فهو طارق ولابن الرومي

يا راقد الليل مسرورا باوله	ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تفرحن بليل طاب اوله	فرب اخر ليل اجج النارا

وفي الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول ـــــ هند
نحن بنات طارق نمشي على النمارق اي ان ابانا في الشرف كالنجم المضي الماوردي واصل الطرق
الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق وقال قوم انه قد يكون نهارا والعرب
تقول اتيتك اليوم طرقتين اي مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقا
يطرق بخير يا رحمن وقال جرير في الطروق

طرقتك صايدة القلوب وليس ذا	حين الزيارة فارجعي بسلام

ثم بين فقال وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب
والثاقب المضي ومنه شهاب ثاقب يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اذا اضاء وثقوبه ضوءه والعرب تقول
اثقب نارك اي اضيها قال

اذاع به في الناس حتى كانه	بعلياء نارا اوقدت بثقوب

الثقوب ما يشعل به النار من دق العيدان وقال مجاهد الثاقب المتوهج القشيري والمعظم على ان الطارق
والثاقب اسم جنس اريد به العموم كما ذكرنا عن مجاهد وما ادراك ما الطارق تفخيما لشان هذا المقسم به وقال
سفيان كل ما في القران وما ادراك فقد اخبره وكل شيء قال فيه وما يدريك لم يخبره به **قوله تعالى**
ان كل نفس لما عليها حافظ قال قتادة حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك واجلك وعنه ايضا قال قرينه

لا تفرحن بليل طاب اوله

يحفظ عليه عمله من خير او شر وهذا هو جواب القسم وقيل الجواب انه على رجعه لقادر في قول الترمذي محمد بن
علي وان مخففة من الثقيلة وما مؤكدة اي ان كل نفس لعليها حافظ وقيل المعنى ان كل نفس الا عليها حافظ
يحفظها من الافات حتى يسلمها الى القدر قال الفرا الحافظ من الله يحفظها حتى يسلمها الى المقادير وقاله الكلبي وقال
ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر
سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قطعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم اي ما كل نفس الا عليها حافظ وهي لغة هذيل يقول
قائلهم نشدتك لما قمت الباقون بالتخفيف على انها زائدة مؤكدة كما ذكرنا ونظير هذه الاية قوله تعالى له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله على ما تقدم وقيل الحافظ هو الله سبحانه فلولا حفظه لها لم تبق وقيل
الحافظ عليه عقله يرشده الى مصالحه ويكفه عن مضاره قال الشيخ رحمه الله العقل وغيره وسايط والحافظ
بالحقيقة هو الله جل وعز قال الله عز وجل فالله خير حافظا وقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وما كان مثله
قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه
لقادر فلينظر الانسان اي ابن ادم مم خلق وجه الاتصال بما قبله توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشاته
الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فليعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره
في عاقبة امره ومم خلق استفهام اي من اي شيء خلق ثم قال خلق وهو جواب الاستفهام من ماء دافق
اي من المني والدفق صب الماء دفقت الماء ادفقه دفقا صببته فهو ماء دافق اي مدفوق كما قالوا سر كاتم اي
مكتوم لانه من قولك دفق الماء على ما لم يسم فاعله ولا يقال دفق الماء ويقال دفق الله روحه اذا دعي عليه
بالموت قال الفرا والاخفش ماء دافق اي مصبوب في الرحم الزجاج من ماء ذي اندفاق يقال دارع وفارس
ونابل اي ذو فرس وذرع ونبل وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق لشدة قوته واراد ماءين ماء الرجل
وماء المراة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما وعن عكرمة عن ابن عباس دافق لزج
يخرج اي هذا الماء من بين الصلب اي الظهر وفيه لغات اربع صلب وصلب وقرئ بهما وصلب بفتح اللام
وصالب على وزن قالب ومنه قول ابن عباس ينقل من صالب الى رحم والترائب اي الصدر الواحدة تريبة وهي موضع
القلادة من الصدر قال

مهفهفة بيضاء غير مفاضة	ترائبها مصقولة كالسجنجل

والصلب من الرجل والترائب من المراة قال ابن عباس الترائب موضع القلادة وعنه ما بين ثدييها وقال
عكرمة وروي عنه يعني الترائب المراة اليدين والرجلين والعينين وبه قال الضحاك وقال سعيد بن جبير
هو الجيد وقال مجاهد ما بين المنكبين والصدر وعنه الصدر وعنه التراقي وعن ابن جبير عن ابن عباس الترائب
اربعة اضلاع من هذا الجانب وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة
الصدر وقال معمر بن ابي حبيبة المدني الترائب عصارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور من كلام العرب
انها عظام النحر والصدر وقال ـــــ دريد بن الصمة

فان تدبروا ناخذكم في ظهوركم	وان تقبلوا ناخذكم في الترائب

وقال اخر

وبدت كان ترائبا لنحرها	جمر الغضا في ساعد يتوقد

وقال اخر

والزعفران على ترائبها	شرق به اللبات والنحر

وعن عكرمة الترائب الصدر ثم انشد

نظام در على ترائبها	

وقال ذو الرمة

ضرجن بردا عن ترائب حرة	اي شققن ويروى صرحن بالحاء اي القين

وفي الصحاح وتريبة واحدة الترائب وهي عظام الصدر ما بين الترقوة والثندوة قال الشاعر

اشرف ثدياها على التريب	

الثندوة للرجل بمنزلة الثدي للمراة
وقال الاصمعي هي مغرز الثدي وقال ابن السكيت هي اللحم التي حول الثدي اذا ضممت اولها همزت واذا فتحته لم تهمز
وقال المثقب العبدي

ومن ذهب يسن على تريب	كلون العاج ليس بذي غضون

عن غير الجوهري وفي التفسير يخلق من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المراة الذي يخرج
من ترائبها اللحم والدم وقاله الاعمش وقد تقدم مرفوعا في اول سورة ال عمران وفي الحجرات انا خلقناكم من ذكر
وانثى وقد تقدم وقيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارض قوله من بين
الصلب لانه ان نزل من الدماغ فانما يمر بين الصلب والترائب وقال قتادة المعنى ويخرج من صلب الرجل

وترايب المراة وحكي الفرا ان مثل هذا ياتي عن العرب يكون معني من بين الصلب من الصلب قال الحسن المعني يخرج من صلب الرجل وترايب الرجل ومن صلب الرجل وترايب المراة ثم انا نعلم ان النطفة من جميع اجزاء البدن ولذلك يشبه الرجل والديه كثيرا وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا المكثر من الجماع يجد وجعا في ظهره وصلبه وليس ذلك الا لخلو صلبه عما كان محتبسا من الماء وروي اسمعيل عن اهل مكة يخرج من بين الصلب بضم اللام وروبت عن عيسى الثقفي حكاه المهدوي وقال ومن جعل المعني يخرج من بين صلب الرجل وترايبه فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من صلب الرجل وترايب المراة فالضمير للانسان وقري الصلب بفتح الصاد واللام وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج في صلب

في صلب مثل العنان المؤدم

وفي مدح النبي صلي الله عليه وسلم ينقل من صالب الي رحم الابيات مشهورة معروفة انه اي ان الله جل ثناؤه علي رجعه اي رد الماء في الاحليل لقادر كذا قال مجاهد والضحاك وعنهما ايضا ان المعني انه علي رد الماء في الصلب وقاله عكرمة وعن الضحاك ايضا ان المعني انه علي رد الانسان ماء كما كان لقادر وعنه ايضا ان المعني انه علي رد الانسان من الكبر الي الشباب ومن الشباب الي الكبر لقادر كذا في المهدوي وفي الماوردي والثعلبي الي الصبي ومن الصبي الي النطفة وقال ابن زيد انه علي حبس ذلك الماء حتي لا يخرج لقادر وقال ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة ايضا انه علي رد الانسان بعد الموت لقادر وهو اختيار الطبري الثعلبي وهو الاقوي لقوله يوم تبلي السرائر الماوردي ويحتمل انه علي ان يعيده الي الدنيا بعد بعثه في الاخرة لان الكفار يسالون الله تعالي فيها الرجعة **قوله تعالي يوم تبلي السرائر** فيه مسئلتان **الاولي** في يوم في قول من جعل المعني انه علي بعث الانسان قوله لقادر ولا يعمل فيه رجعه لما فيه من التفرقة بين الصلة والموصول بخبر ان وعلي الاقوال الاخر التي في انه علي رجعه لقادر يكون العامل في يوم فعل مضمر ولا يعمل فيه لقادر لان المراد في الدنيا وتبلي اي تمتحن وتختبر قال ابو الغول الطهوي

ولا تبلي بسالتهم وان هم … صلوا بالحرب حينا بعد حين

ويروي تبلي بسالتهم فمن رواه تبلي بضم التاء جعله من الاختبار وتكون البسالة علي هذه الرواية الكراهة كانه قال لا يعرف لهم فيها كراهة وتبلي تعرف قال الراجز

قد كنت قبل اليوم تزدريني … فاليوم ابلوك وتبتليني

اي اعرفك وتعرفني ومن رواه تبلي بفتح التاء فالمعني انهم لا يضعفون عن الحرب وان تكررت عليهم زمانا بعد زمان وذلك ان الامور الشداد اذا تكررت علي الانسان هدته واضعفته وقيل تبلي السرائر اي تخرج مخباتها وتظهر وهو كل ما استره الانسان من خير وشر واضمره من الايمان او كفر كما قال الاحوص

سيبقي لكم من مضمر السر والحشا … سريرة ود يوم تبلي السرائر

الثانية روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ايتمن الله تعالي خلقه علي اربع علي الصلاة والزكوة والصيام والغسل وهن السرائر التي يختبرها الله عز وجل يوم القيامة ذكره المهدوي وقال ابن عمر قال النبي عليه السلام ثلاث من حافظ عليهن فهو ولي الله حقا ومن اختانهن فهو عدو الله حقا الصلوة والصوم والغسل من الجنابة ذكره الثعلبي وذكره الماوردي عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الامانة ثلاث الصلوة والصوم والجنابة استامن الله عز وجل ابن ادم علي الصلاة فان شاء قال صليت ولم يصل استامن الله ابن ادم علي الصوم فان شاء قال صمت ولم يصم استامن الله عز وجل ابن ادم علي الجنابة فان شاء قال اغتسلت ولم يغتسل اقروا ان شئتم يوم تبلي السرائر وذكره الثعلبي عن عطا قوله وقال مالك في رواية اشهب عنه وسالته عن قوله تعالي يوم تبلي السرائر ابلغك ان الوضوء من السرائر قال وقد بلغني ذلك فيما يقول الناس فاما حديث احدث به فلا والصلاة من السرائر والصيام من السرائر ان شاء قال صليت ولم يصل ومن السرائر ما في القلوب يجزي الله به العباد قال ابن العربي قال ابن مسعود يغفر للشهيد الا الامانة والوضوء من الامانة والصلاة والزكوة من الامانة والوديعة من الامانة واشد من ذلك الوديعة تمثل له علي هيئتها يوم اخذها فيرمي بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا رجا ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي بن كعب من الامانة ان ايتمنت المراة علي فرجها قال اشهب قال لي سفيان في الحيضة والحمل ان قالت لم احض وانا حامل صدقت ما لم تات بما يعرف فيه انها كاذبة وفي الحديث غسل الجنابة من الامانة وقال ابن عمر يبدي الله يوم القيامة

كل سر خفي فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه والله عالم بكل شي ولكن تظهر علامات الملايكة والمومنين **قوله تعالي فما له من قوة ولا ناصر** فما له اي الانسان من قوة اي منعة تمنعه ولا ناصر ينصره مما نزل به وعن عكرمة فما له من قوة ولا ناصر قال هاولاء الملوك ما لهم يوم القيامة من قوة ولا ناصر وقال سفيان القوة العشيرة والناصر الحليف وقيل فما له من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله وهو معني قول قتادة **قوله تعالي والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا** والسماء ذات الرجع ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر كذا قال عامة المفسرين وقال اهل اللغة الرجع المطر وانشد والمتنخل يصف سيفا شبهه بالماء

ابيض كالرجع رسوب اذا … ما ثاخ في محتفل يختلي

من ثاخت قدمه بالوحل تثوخ وتثيخ خاضت فيه وغابت قاله الجوهري قال الخليل الرجع المطر نفسه والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقد يسمي المطر ايضا اوبا كما يسمي رجعا قال

رباء شماء لا ياوي لقلتها … الا السحاب والا الاوب والسبل

وقال عبد الرحمن بن زيد الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب في اخري وقيل ذات الملايكة لرجوعهم اليها باعمال العباد وهذا قسم والارض ذات الصدع قسم اخر اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار نظيره ثم شققنا الارض شقا الاية والصدع بمعني الشق لانه يصدع الارض فتتصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع للارض وقال مجاهد والارض ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور انه لقول فصل علي هذا وقع القسم اي ان القران يفصل بين الحق والباطل وقد تقدم في مقدمة الكتاب ما رواه الحارث عن علي رض قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول كتاب الله فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغي الهدي في غيره اضله الله وقيل المراد بالقول الفصل ما تقدم من الوعيد في هذه السورة من قوله انه علي رجعه لقادر يوم تبلي السرائر وما هو بالهزل اي ليس القران بالباطل واللعب والهزل ضد الجد وقد هزل يهزل قال الكميت

يجد بنا في كل يوم ونهزل

انهم اي ان اعداء الله يكيدون كيدا اي يمكرون بمحمد عليه السلام واصحابه مكرا واكيد كيدا اي اجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما اوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله استدراجهم من حيث لا يعلمون وقد مضي هذا المعني في اول سورة البقرة عند قوله تعالي الله يستهزي بهم وعيدهم مستوفي فمهل الكافرين اي اخرهم ولا تسال الله تعجيل اهلاكهم وارض بما يدبره في امورهم ثم نسخت باية السيف فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم امهلهم تاكيد ومهل وامهل بمعني مثل نزل وانزل والمهلة الانظار وتمهله تمهيلا والاسم المهلة والاستمهال الاستنظار وتمهل في امره اي اتاد واتمهل اتمهلالا اي اعتدل وانتصب والامتهال ايضا سكون وفتور ويقال مهلا يا فلان اي رفقا وسكونا رويدا اي قريبا عن ابن عباس قتادة قليلا والتقدير امهلهم امهالا قليلا والرويد في كلام العرب تصغير رود كذا قال ابو عبيدة وانشد

كانها ثل تمشي علي رود

اي علي مهل وتصغير رويد مهلا وتفسير رويدك امهل لان الكاف انما تدخل اذا كان بمعني افعل دون غيره وانما حركت الدال لالتقا الساكنين ونصب نصب المصادر وهو مصغر مامور به لانه تصغير الترخيم من ارواد وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر فالاسم نحو قولك رويد عمرا اي امهله والصفة نحو قولك ساروا سيرا رويدا والحال نحو قولك سار القوم رويدا لما اتصل بالمعرفة صار حالا لها والمصدر نحو قولك رويد زيد بالاضافة كقوله تعالي فضرب الرقاب قال جميعه الجوهري والذي في الاية من هذه الوجوه ان يكون نعتا للمصدر اي امهالا رويدا ويجوز ان يكون للحال والله اعلم تمت السورة بحمد الله والمنة وهو حسبي

تفسير سورة الاعلي

مكية في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالي سبح اسم ربك الاعلي** يستحب للقاري اذا قرا سبح اسم ربك الاعلي ان يقول عقبه سبحان ربي الاعلي قاله النبي صلي الله عليه وسلم وقاله جماعة من الصحابة والتابعين علي ما ياتي وروي جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال ان لله ملكا يقال له حزقيايل له ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الي الجناح مسيرة خمس مائة عام فخطر له

خاطر هل تقدر ان تبصر العرش جميعه فزاده الله اجنحة مثلها فكان له ستة وثلثون الف جناح ما بين الجناح
الي الجناح مسيرة خمسماية عام ثم اوحي الله تعالي اليه ايها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ
راس قايمة من قوايم العرش ثم ضاعف الله له في الاجنحة والقوة وامره علي ان يطير فطار مقدار ثلاثين
الف سنة اخري فلم يصل ايضا فاوحي الله اليه ايها الملك لو طرت الي نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ
ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلي فانزل الله تعالي سبح اسم ربك الاعلي فقال النبي صلي الله عليه
وسلم اجعلوها في سجودكم ذكره الثعلبي في كتاب العرائس له وقال ابن عباس والسدي معني سبح اسم ربك الاعلي
اي عظم ربك الاعلي والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمي كما قال لبيد

الي الحول ثم اسم السلام عليكما … ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقيل نزه ربك عن السوء وعما يقول فيه الملحدون
وذكر الطبري ان المعني نزه اسم ربك عن ان يسمي به احد سواه وقيل نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره
الا وانت خاشع معظم ولذكره محترم وجعلوا الاسم بمعني التسمية والاولي ان يكون الاسم هو المسمي روي نافع
عن ابن عمر قال لا تقل علي اسم الله فان اسم الله هو الاعلي وروي ابو صالح عن ابن عباس صل باسم ربك الاعلي قال
وهو ان تقول سبحان ربي الاعلي وروي عن علي رض وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابي موسي وعبد الله ابن مسعود
رض انهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلي امتثالا لامره في ابتدايها فيختار
الاقتداء بهم في قراتهم لا ان سبحان ربي الاعلي من القران كما قاله بعض اهل الزيغ وقيل انها في قراءة ابي سبحان ربي
الاعلي وكان ابن عمر يقروها كذلك وفي الحديث كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قراها قال سبحان ربي الاعلي
قال ابو بكر الانباري حدثني محمد بن شهريار حدثنا حسين بن الاسود حدثنا عبد الرحمن بن ابي حماد حدثنا
عيسي بن عمر عن ابيه قال قرا علي ابن ابي طالب في الصلاة سبح اسم ربك الاعلي ثم قال سبحان ربي الاعلي فلما انقضت
الصلاة قيل له يا امير المومنين اتزيد هذا في القران قال انما هو قالوا سبحان ربي الاعلي قال لا انما امرنا بشي فقلته
وعن عقبة ابن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم
وهذا كله يدل علي ان الاسم هو المسمي لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربي وقيل ان اول من قال سبحان ربي الاعلي
ميكايل عليه السلام وقال النبي صلي الله عليه وسلم لجبريل يا جبريل اخبرني بثواب من قال سبحان ربي الاعلي في
صلاته او في غير صلوة فقال يا محمد ما من مومن ولا مومنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه
اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالي صدق عبدي انا فوق كل شي وليس فوقي شي اشهدوا يا
ملايكتي اني قد غفرت له وادخلته الجنة فاذا مات زاره ميكايل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله علي جناحه
فاوقفه بين يدي الله تعالي فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فيه فاذهب به الي الجنة وقال الحسن
سبح اسم ربك الاعلي اي صل لربك الاعلي وقيل اي صل باسماء الله لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية وقيل
ارفع صوتك بذكر ربك قال جرير

قبح الاله وجوه تغلب كلما … سبح الحجيج وكبروا تكبيرا

قوله تعالي الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي قد تقدم معني التسوية في الانفطار وغيرها اي سوي ما
خلق فلم يكن في خلقه تثبيج وقال الزجاج اي عدل قامته وعن ابن عباس حسن ما خلق وقال الضحاك خلق ادم فسوي
خلقه وقيل خلق في اصلاب الاباء وسوي في ارحام الامهات وقيل الاجساد فسوي الافهام وقيل اي خلق الانسان
للتكليف والذي قدر فهدي قرا علي رض والسلمي والكساي قدر مخففة الدال وشدد الباقون وهما بمعني
واحد اي قدر ووفق لكل شكل شكله فهدي اي ارشد وقال مجاهد قدر الشقاوة والسعادة وهدي للرشد
والضلالة وعنه قال هدي الانسان للسعادة والشقاوة وهدي الانعام لمراعيها وقيل قدر ارزاقهم
واقواتهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وروي عن ابن عباس والسدي ومقاتل
والكلبي في قوله فهدي قال عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثي كما قال في طه اعطي كل شي خلقه ثم هدي
اي الذكر للانثي وقال عطا جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع في الاشيا وهدي الانسان لوجه
استخراجها منها وقيل قدر فهدي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكي ان
الافعي اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العينين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها
فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة علي طولها وعلي عماها حتي تهجم في بعض
البساتين علي شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله تعالي وهدايات
الانسان الي ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوايجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه

والالهامات البهايم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي
الاعلي وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة اشهر واقل واكثر ثم هداه للخروج من الرحم وقال
الفرا اي قدر فهدي واضل فاكتفي بذكر احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يكون بمعني دعا الي الايمان
كقوله وانك لتهدي اي لتدعو وقد دعا الكل الي الايمان وقيل فهدي اي دلهم بافعاله علي توحيده وكونه عالما
قادرا ولا خلاف في ان من شدد الدال من قدر انه من التقدير كقوله تعالي وخلق كل شي فقدره تقديرا ومن خفف
فيحتمل ان يكون من التقدير فيكونان بمعني ويحتمل ان يكون بمعني القدرة والملك اي ملك الاشيا وهدي من
[illegible] الي الشيخ رحمه الله [illegible] منته [illegible] الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي هو تفسير العلو الذي يليق
بجلال الله سبحانه علي جميع مخلوقاته **قوله تعالي** والذي اخرج المرعي فجعله غثاء احوي والذي اخرج المرعي اي
النبات والكلاء الاخضر قال الشاعر

وقد ينبت المرعي علي دمن الثري … وتبقي حزازات النفوس كما هيا

فجعله غثاء احوي الغثاء ما يقذف به السيل علي جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش وكذا الغثاء بالتشديد
والجمع الاغثاء قتادة الغثاء الشي اليابس ويقال للبقل والحشيش تحطم ويبس غثاء وهشيم وكذلك للذي يكون
حول الماء من القماش غثاء كما قال

كان ذرا راس المجيمر غدوة … من السيل والاغثاء فلكة مغزل

وحكي اهل اللغة غثا الوادي واجفي وكذلك الماء اذا علاه من الزبد والقماش ما لا ينتفع به والاحوي الاسود
اي ان النبات يضرب الي الحوة من شدة الخضرة كالاسود والحوة السواد قال الاعشي

لمياء في شفتيها حوة لعس … وفي اللثات وفي انيابها شنب

وفي الصحاح والحوة سمرة الشفة يقال رجل احوي وامراة حوا وقد حويت وبعير احوي اذا خالط خضرته
سواد وصفرة وتصغير احوي احيو في لغة من قال اسيود ثم قيل يجوز ان يكون احوي حالا من المرعي ويكون المعني
كانه من خضرته يضرب الي السواد والتقدير اخرج المرعي احوي فجعله غثاء يقال قد حوي النبت حكاه الكساي
وقال

وغيث من الوسمي حو تلاعه … تبطنته بشيظم صلتان

ويجوز ان يكون احوي صفة لغثاء والمعني انه اذا صار كذلك بعد خضرته قال ابو عبيدة فجعله اسود من احتراقه
وقدمه والرطب اذا يبس اسود وقال عبد الرحمن بن زيد اخرج المرعي اخضر ثم لما يبس اسود ثم صار غثاء تذهب
به الرياح والسيول وهو مثل ضربه الله تعالي للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها **قوله تعالي**
سنقريك فلا تنسي الا ما شاء الله سنقريك اي القران يا محمد فنعلمك فلا تنسي اي فتحفظ رواه ابن وهب
عن مالك وهذه بشري من الله تعالي له بشره بان اعطاه اية بينة وهي ان يقرا عليه جبريل ما يقرا عليه من الوحي
وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه ولا ينساه وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال كان يتذكر مخافة ان ينسي فقيل
كفيتكه قال مجاهد والكلبي كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا نزل جبريل عليه السلام بالوحي لم يفرغ جبريل
من اخر الاية حتي يتكلم النبي صلي الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فنزلت سنقريك فلا تنسي بعد ذلك
شيا فقد كفيتكه ووجه الاستثناء علي هذا ما قاله الفرا الا ما شاء الله وهو لم يشا شيا كقوله تعالي خالدين فيها
ابدا ما دامت السموات والارض الا ما شاء الله ولا يشا ويقال في الكلام لاعطينك كل ما سالت الا ما
شيت والا ان تشا ان امنعك والنية علي ان لا تمنعه شيا فعلي هذا مجاري الايمان يستثني فيها ونية الحالف
التمام وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس فلم ينس بعد نزول هذه الاية حتي مات الا ما شاء الله وعن سعيد عن قتادة
قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم لا ينسي شيا الا ما شاء الله وعلي هذه الاقوال قيل الا ما شاء الله ان ينسي
ولكنه لم ينس شيا منه بعد نزول هذه الاية وقيل الا ما شاء الله ان ينسي ثم يذكر بعد ذلك فاذا قد نسي ولكنه
قد يتذكر ولا ينسي نسيانا كليا وقد روي انه اسقط اية في قراته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال
نسيتها وهو من النسيان اي الا ما شاء الله ان ينسيك ثم قيل ان هذا بمعني النسخ الا ما شاء الله ان ينسخه والا
ستثناء نوع من النسخ وقيل النسيان بمعني الترك اي يعصمك من ان تترك العمل به الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه
اياه فهذا في نسخ العمل والاول في نسخ القراءة قال الفرغاني كان يغشي مجلس الجنيد اهل البسط من
العلوم وكان يغشاه ابن كيسان النحوي وكان رجلا جليلا فقال يوما ما تقول يا ابا القاسم في قوله تعالي
سنقريك فلا تنسي فاجابه مسرعا كانه تقدم له السوال قبل ذلك باوقات لا ينسي العمل به فقال
ابن كيسان لا يفضض الله فاك مثلك من يصدر عن رايه وقوله ولا للنفي لا للنهي وقيل للنهي وانما اثبت

الياء لان رؤس الآي على ذلك والمعنى لا تغفل قراءته وتكراره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار لان الاستثناء من النبي لا يكاد ان يكون موقتا معلوما وايضا فان الياء مثبتة في جميع المصاحف وعليها القراء وقيل معناه الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله وقيل المعنى فجعله غثاء احوى الا ما شاء الله ان يناله بنو آدم والبهائم فانه لا يصير كذلك **قوله تعالى** انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى انه يعلم الجهر اي الاعلان من القول والعمل وما يخفى من السر وعن ابن عباس ما في قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاءها وقيل الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك وما يخفى هو ما نسخ من صدرك ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعنى لليسرى اي للطريقة اليسرى وهي عمل الخير قال ابن عباس نيسرك لان تعمل خيرا ابن مسعود لليسرى اي للجنة وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة السهلة قال معناه الضحاك وقيل اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به **قوله تعالى** فذكر ان نفعت الذكرى اي فعظ قومك يا محمد بالقرآن ان نفعت الذكرى اي الموعظة وروى يونس عن الحسن قال تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر وكان ابن عباس يقول ينفع اوليائي ولا ينتفع اعدائي وقال الجرجاني التذكير واجب وان لم ينفع فالمعنى فذكر ان نفعت الذكرى او لم ينتفع فحذف كما قال سرابيل تقيكم الحر وقيل انه مخصوص في قوم بأعيانهم وقيل ان بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال قاله ابن شجرة وقد ذكر بعض اهل العربية ان ان بمعنى اذا اي اذ وقع كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم فلم يخبر بعلوهم الا بعد ايمانهم وقيل بمعنى قد **قوله تعالى** سيذكر من يخشى اي من يتق الله ويخافه فروى ابو صالح عن ابن عباس قال نزلت في ابن ام مكتوم الماوردي وقد يذكر من يرجوه الا ان تذكرة الخاشي ابلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وان تعلقت بالخشية والرجاء وقيل اي عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء حكاه القشيري **قوله تعالى** ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى اي ويتجنب الذكرى ويبعد عنها الاشقى اي الشقي في علم الله وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي العظمى وهي السفلى من اطباق النار قاله الفراء وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقاله يحيى بن سلام ثم لا يموت فيها ولا يحيى اي لا يموت فيستريح من العذاب ولا يحيى حياة تنفعه كما قال الشاعر الا ما لنفس لا تموت فينقضي عناها ولا تحيا حياة لها طعم وقد مضى في سورة النساء وغيرها حديث ابي سعيد الخدري وان الموحدين من المذنبين اذا دخلوا جهنم وهي النار الصغرى على قول الفراء احترقوا فيها وماتوا الى ان يشفع فيهم خرجه مسلم وقيل اهل الشقاء متفاوتون في شقائهم وهذا الوعيد للاشقى وان كان ثم شقي لا يبلغ هذه المرتبة **قوله تعالى** قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فيه ثلاث مسائل **الاولى** قوله تعالى قد افلح اي صادف البقاء في الجنة اي من تطهر عن الشرك بالايمان قاله ابن عباس وعطا وعكرمة وقال الحسن والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وقال معمر عن قتادة تزكى قال بعمل صالح وعنه وعن عطا وابي العالية نزلت في صدقة الفطر وعن ابن سيرين قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال خرج فصلى بعد ما ادى وقال عكرمة كان الرجل يقول اقدم زكاتي بين يدي صلوتي فقال سفيان قال الله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وروي عن ابي سعيد الخدري وابن عمر ان ذلك في صدقة الفطر وصلوة العيد وكذلك قال ابو العالية وقال اهل المدينة لا يرون صدقة افضل منها ومن سقاية الماء وروى كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله قد افلح من تزكى قال اخرج زكاة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال صلاة العيد وقال ابن عباس والضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد وقيل المراد بالآية زكوة الاموال كلها قاله ابو الاحوص وعطا وروى ابن جريج قال قلت لعطا قد افلح من تزكى للفطر قال هي للصدقات كلها وقيل هذا زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي تطهر في اعماله من الرياء والتقصير لان الاكثر ان يقال في المال زكى لا تزكى وروى جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى اي من شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد اني رسول الله وعن ابن عباس تزكى قال لا اله الا الله وروي عنه عطا قال نزلت في عثمان بن عفان رضي الله قال كان بالمدينة منافق كانت له نخلة بالمدينة مايلة في دار رجل من الانصار اذا هبت الرياح اسقطت البسر والرطب الى دار الانصاري فيأكل هو وعياله فخاصمه المنافق فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه فقال ان اخاك الانصاري

صدقة الفطر وصلاة العيد

ذكر

ذكر ان بسرك ورطبك يقع الى منزله فيأكل هو وعياله فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان عثمان بن عفان اعطاه حائطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى ونزلت في المنافق ويتجنبها الاشقى وذكر الضحاك انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه **الثانية** قد ذكرنا القول في زكوة الفطر في سورة البقرة مستوفى وقد تقدم ان هذه السورة مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر القشيري ولا يبعد ان يكون اثنى على من يمتثل امره في صدقة الفطر وصلاة العيد فيما يامر به في المستقبل **الثالثة** قوله تعالى وذكر اسم ربه اي ذكر ربه وروى عطا عن ابن عباس قال يريد ذكر معاده وموقفه بين يدي الله جل ثناؤه فعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير في اول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلاة معطوفة عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسماء الله عز وجل وهذه مسألة خلاف بين الفقهاء وقد مضى القول في هذا في اول البقرة وقيل هي تكبيرات العيد قال الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى اي صلاة العيد وقيل وذكر اسم ربه هو ان يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ليكون استيفاؤه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه وقيل هو ان يفتتح اول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم فصلى اي وصلى فذكر ولا فرق بين ان يقول اكرمتني فزرتني وبين ان يقول زرتني فاكرمتني قال ابن عباس هذا في الصلوة المفروضة وهي الصلوات الخمس وقيل الدعاء اي دعا الله بحوائج الدنيا والآخرة وقيل صلاة العيد قاله ابو سعيد الخدري وابن عمر وغيرهما وقد تقدم وقيل هو ان يتطوع بصلاة بعد زكاته قاله ابو الاحوص وهو مقتضى قول عطا وروي عن عبد الله قال من اقام الصلوة ولم يؤت الزكاة فلا صلوة له **قوله تعالى** بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قراءة العامة بل تؤثرون بالتاء تصديقه قراءة ابي بل انتم تؤثرون وقرأ ابو عمرو ونصر بن عاصم بل يؤثرون بالياء على الغيبة تقديره بل يؤثرون الاشقون الحياة الدنيا وعلى الاول فيكون تأويلها بل تؤثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب وعن ابن مسعود انه قرأ هذه الآية فقال اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة لان الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها ولذاتها وبهجتها والآخرة غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الآجل وروى ثابت عن انس قال كنا مع ابي موسى في مسير والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا قال ابو موسى يا انس ان هؤلاء يكاد احدهم يفري الاديم بلسانه فريا فتعال فلنذكر ربنا ساعة ثم قال يا انس ما ثبر الناس ما بطأ بهم قلت الدنيا والشيطان والشهوات قال لا ولكن عجلت الدنيا وغيبت الآخرة اما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا ميلوا قوله تعالى والآخرة خير وابقى اي والدار الآخرة خير اي افضل وابقى اي ادوم من الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يضع احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع صحيح وقد تقدم وقال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب تفنى والآخرة من خزف تبقى لكان الواجب ان يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب تبقى والدنيا من خزف يفنى قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى قال قتادة وابن زيد يريد قوله والآخرة خير وابقى وقال لا تتابعت كتب الله جل ثناؤه كما تسمعون ان الآخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن ان هذا لفي الصحف الاولى قال كتب الله جل ثناؤه كلها وقال الكلبي ان هذا لفي الصحف الاولى من قوله قد افلح الى آخر السورة لحديث ابي ذر على ما ياتي وروى عكرمة عن ابن عباس ان هذا لفي الصحف الاولى قال هذه السورة وقال الضحاك ان هذا القرآن لفي الصحف الاولى اي الكتب الاولى صحف ابراهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف وانما هو على المعنى اي ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وروى الآجري من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر في صنع الله عز وجل اليه وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون طاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمأن

اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب ثم هو لا يعمل قال قلت يا رسول الله فهل في ايدينا شي مما كان في يدي ابراهيم
وموسي مما انزل الله عليك قال نعم اقرا يا ابا ذر قد افلح من تزكي وذكر اسم ربه فصلي بل يوثرون الحياة الدنيا
والاخرة خير وابقي ان هذا لفي الصحف الاولي صحف ابراهيم وموسي وذكر الحديث تمت بحمد الله والمنة

تفسير سورة الغاشية

مكية في قول الجميع وهي ست وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى هل
اتاك حديث الغاشية هل بمعني قد كقوله هل اتي علي الانسان قاله قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث
الغاشية اي القيامة التي تغشي الخلايق باهوالها وافزاعها قاله اكثر المفسرين وقال سعيد بن جبير
ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشي وجوه الكفار ورواه ابو صلح عن ابن عباس ودليله قوله تعالي وتغشي
وجوههم النار وقيل تغشي الخلق وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشي الخلق وقيل الغاشية
اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها وقيل معني هل اتاك اي هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك قال ابن عباس
لم يكن اتاه قبل ذلك علي هذا التفصيل المذكور هاهنا وقيل انها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله ومعناه
ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معني قول الكلبي قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة
عاملة ناصبة قال ابن عباس لم يكن اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال وجوه يومئذ اي يوم القيامة خاشعة
قال سفيان اي ذليلة بالعذاب وكل متضايل ساكن خاشع يقال خشع في صلاته اذا تذلل ونكس راسه وخشع
الصوت خفي قال الله تعالي وخشعت الاصوات للرحمن والمراد بالوجوه اصحاب الوجوه وقال قتادة وابن زيد
خاشعة اي في النار والمراد وجوه الكفار كلهم قاله يحيي بن سلام وقيل اراد وجوه اليهود والنصاري قاله
ابن عباس ثم قال عاملة ناصبة فهذا في الدنيا لان الاخرة ليست دار عمل فالمعني
وجوه عاملة ناصبة في الدنيا خاشعة في الاخرة قال اهل اللغة يقال للرجل اذا داب في سيره قد عمل يعمل
عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا وذا سحاب عمل قال الهذلي

حتي شاءها كليل موهنا عمل ... باتت ترابا وبات الليل لم ينم

ناصبة اي تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا تعب ونصبا ايضا وانصبه غيره فروي الضحاك
عن ابن عباس قال هم الذين انصبوا انفسهم في الدنيا علي معصية الله عز وجل وعلي الكفر مثل عبدة الاوثان
وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله جل ثناؤه منهم الا ما كان خالصا له وقال سعيد عن قتادة
عاملة ناصبة قال تكبرت في الدنيا عن طاعة الله عز وجل فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال
وحمل الاغلال والوقوف عراة حفاة في العرصات في يوم كان مقداره الف سنة قال الحسن وسعيد
بن جبير لم يعمل الله في الدنيا ولم ينصب له فاعملها وانصبها في جهنم وقال الكلبي يجرون علي وجوههم في
النار وعنه وعن غيره يكلفون ارتقا جبل من حديد في جهنم فينصبون فيها اشد ما يكون من النصب
بمعالجة السلاسل والاغلال والخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاها في صعود من نار وهبوطها
في حدورها الي غير ذلك من عذابها وقال ابن عباس وقرا ابن محيصن وعيسي وحميد ورواها عبيد عن
شبل عن ابن كثير ناصبة بالنصب علي الحال وقيل علي الذم الباقون بالرفع علي الصفة او علي اضمار مبتدا
فيوقف علي خاشعة ومن جعل المعني في الاخرة جاز ان يكون خبرا بعد خبر عن وجوه فلا يوقف علي خاشعة
وقيل عاملة ناصبة اي عاملة في الدنيا ناصبة في الاخرة وعلى هذا يحمل وجوه يومئذ عاملة في الدنيا
ناصبة في الاخرة خاشعة وقال عكرمة والسدي عملت في الدنيا بالمعاصي وقال سعيد بن جبير وزيد بن
اسلم هم الرهبان واصحاب الصوامع وقاله ابن عباس وقد تقدم في رواية الضحاك عنه وروي عن الحسن قال
لما قدم عمر بن الخطاب رض الشام اتاه راهب شيخ كبير متقهل عليه سواد فلما راه عمر بكي فقيل له يا امير
المومنين ما يبكيك قال هذا المسكين طلب امرا فلم يصبه ورجا رجاء فاخطاه وقرا قول الله عز وجل
وجوه يومئذ عاملة ناصبة قال الكسائي التقهل رثاثة الهيئة ورجل متقهل يابس الجلد سيي الحال مثل
القحل وقال ابو عمرو والتقهل شكوي الحاجة وانشد

لعوا اذا لاقيته تقهلا ... فلا تكونن ركيكا ثيتلا

والقهل كفران الاحسان وقد قهل يقهل قهلا اذا اثني ثناء قبيحا واقهل الرجل تكلف ما لا يعنيه ودنس
نفسه وانقهل ضعف وسقط قاله الجوهري وعن علي رضي الله عنه انهم اهل حروراء يعني الخوارج الذين
ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم
مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث قوله تعالى تصلي نارا حامية اي يصيبها
صلاؤها وحرها حامية شديدة الحر اي قد اوقدت واحميت المدة الطويلة ومنه حمي النهار بالكسر وحمي
التنور حميا فيهما اي اشتد حره وحكي الكسائي اشتد حمي الشمس وحموها بمعني وقرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب
تصلي بضم التا الباقون بفتحها وقري تصلي بالتشديد وقد تقدم القول فيها في اذا السما انشقت الماوردي
فان قيل فما معني وصفها بالحمي وهي لا تكون الا حامية وهو اقل احوالها فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة
قيل قد اختلف في المراد بالحامية هنا علي اربعة اوجه احدها ان المراد انها دايمة الحمي وليست كنار الدنيا
التي ينقطع حميها بانطفايها الثاني ان المراد بذلك انها بالحامية انها حمي من ارتكاب المحظورات وانتهاك
المحارم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمي وان حمي الله محارمه ومن يرتع حول الحمي يوشك ان يقع
فيه الثالث انها تحمي نفسها عن ان تطاق ملامستها او ترام مماستها كما يحمي الاسد عرينه ومثله قول النابغة

تعدو الذياب علي من لا كلاب له ... وتتقي صولة المستاسد الحامي

الرابع انها حامية حمي غيظ وغضب مبالغة في شدة الانتقام ولم يرد حمي جرم وذات كما يقال قد حمي فلان
اذا اغتاظ وغضب عند ارادة الانتقام وقد بين الله تعالى بقوله هذا المعني فقال تكاد تميز من الغيظ
قوله تعالى تسقي من عين انية الاني الذي قد انتهي حره من الايناء بمعني التاخير ومنه انيت واذيت
واناه يونيه ايناء اي اخره وحبسه وابطاه ومنها يطوفون بينها وبين حميم ان وفي التفاسير من عين
انية تناهي حرها فلو وقعت نقطة منها علي جبال الدنيا لذابت وقال الحسن انيه اي حرها ادرك اوقدت
عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشا وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال بلغت اناها وحان شربها
قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع اي لاهل النار طعام الا من ضريع لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم
قال عكرمة ومجاهد الضريع نبت ذو شوك لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق اذا كان رطبا فاذا يبس فهو
الضريع لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل وهو اخبث الطعام واشنعه علي هذا عامة المفسرين
الا ان الضحاك روي عن ابن عباس قال شي يرمي به البحر يسمي الضريع من اقوات الانعام لا الناس فاذا
وقعت فيه الابل لم تشبع وهلكت هزلا والصحيح ما قاله الجمهور انه نبت قال ابو ذويب

رعي الشبرق الريان حتي اذا ذوي ... وعاد ضريعا بان عنه النحايص

وقال الهذلي وذكر ابلا وسو مرعاها

وحبسن في هزم الضريع فكلها ... حدبا دامية اليدين حرود

وقال الكلبي الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمي به البحر وقال الوالبي عن ابن عباس هو شجر من نار
ولو كانت في الدنيا لاحرقت الارض وما عليها وقال سعيد بن جبير هو الحجارة وقاله عكرمة والاظهر انه
شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع شي يكون في النار
يشبه الشوك اشد مرارة من الصبر وانتن من الجيفة واحر من النار سماه الله ضريعا وقال خالد بن زياد سمعت
المتوكل ابن حمدان يسال عن هذه الاية ليس لهم طعام الا من ضريع قال بلغني ان الضريع شجرة من جهنم حملها
القيح والدم اشد مرارة من الصبر فذلك طعامهم وقال الحسن هو بعض ما اخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان
هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون منه الي الله تعالي طلبا للخلاص منه فسمي بذلك لان اكله
يضرعون في ان يعفا منه لكراهته وخشونته قال ابو جعفر النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل
اي ذو ضراعة اي من شربه ذليل تلحقه ضراعة وعن الحسن ايضا هو الزقوم وقيل واد في جهنم فالله اعلم وقد
قال الله تعالي في موضع اخر فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال هنا الا من ضريع
وهو غير الغسلين ووجه الجمع ان النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من
طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبي الضريع في درجة ليس
فيها غيره والزقوم في درجة اخري ولا يجوز ان يحمل الايتان علي حالتين كما قال يطوفون بينها وبين
حميم ان القتبي ويجوز ان يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار او من جوهر لا تاكله النار
وكذلك سلاسل النار واغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت علي ما نعلم ما بقيت علي النار وانما دلنا

الله تعالى على الغائب عنده بالحاضر عندنا فالاسما متفقة الدلالة والمعاني مختلفة وكذلك ما في الجنة
من شجرها وفرشها القشيري وامثل من قول القتبي ان يقول ان الذي يسقي الكافرين في النار ليديم عليهم
العذاب سمي النبات والشجرة الزقوم في النار ليعذب بها الكفار وزعم بعضهم ان الضريع بعينه لا ينبت
في النار ولا انهم ياكلونه فالضريع من اقوات الانعام لا من اقوات الناس واذا وقعت الابل فيه لم تشبع
وهلكوا هزلا فارادان هؤلاء يتناولون ما لا يشبعهم وضرب الضريع له مثلا انهم يعذبون بالجوع كما يعذب
من قوته الضريع قال الترمذي الحكيم وهذا نظر سقيم من اصله وتاويل دني كانه يدل انهم تحيروا في قدرة الله
وان الذي انبت في هذا التراب هذا الضريع قادر على ان ينبته في حريق النار كما جعل لنا في الدنيا في الشجر الاخضر
نارا فلا النار تحرق الشجر ولا رطوبة الماء في الشجر تطفي النار فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا
انتم منه توقدون وكما قال حين نزلت ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم قالوا يا رسول الله فكيف يمشون على وجوههم
فقال ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم فلا يتحير في مثل هذا الا ضعيف القلوب اوليس
قد اخبرنا انه قال كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وقال سرابيلهم من قطران وقال ان لدينا انكالا اي
قيودا وطعاما ذا غصة قيل ذا شوك فانما يتلون عليهم العذاب بهذه الاشيا **قوله تعالى** لا يسمن ولا يغني
من جوع يعني الضريع لا يسمن اكله وكيف يسمن من ياكل الشوك قال المفسرون لما نزلت هذه الاية قال
المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع وكذبوا فان الابل انما ترعاه رطبا
فاذا يبس لم ياكله وقيل اشتبه عليهم امره فظنوه كغيره من النبت النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه
لا يشبع ولا يغني من جوع **قوله تعالى** وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية اي ذات
نعمة وهي وجوه المومنين نعمت بما عاينت من عاقبة امرها وعملها الصالح لسعيها اي لعملها التي عملته
في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها ومجازه لثواب سعيها راضية وفيها واو مضمرة المعنى
ووجوه يومئذ ليفصل بينها وبين الوجوه المتقدمة والوجوه عبارة عن الانفس في جنة عالية اي مرتفعة
لانها فوق السموات حسب ما تقدم وقيل عالية القدر لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وهم فيها
خالدون **قوله تعالى** لا يسمع فيها لاغية اي كلاما ساقطا غير مرضي وقال لاغية واللغو واللغا واللاغية
بمعنى واحد قال عن اللغا ورفث التكلم وقال الفراء والاخفش اي لا يسمع فيها كلمة لغو وفي المراد بها
ستة اوجه احدها يعني كذبا وبهتانا وكفرا بالله تعالى قاله ابن عباس الثاني لا باطل ولا اثم قاله قتادة
الثالث انه الشتم قاله مجاهد الرابع المعصية قاله الحسن الخامس لا تسمع فيها حالف يحلف بكذب قاله الفرا
وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين برة ولا فاجرة السادس لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى لان اهل
الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم قاله الفرا ايضا وهو احسنها لانه يعم
ما ذكر وقرا ابو عمرو وابن كثير لا يسمع بيا غير مسمى الفاعل وكذا نافع الا انه بالتا المضمومة لان اللاغية
اسم مونث فانث الفاعل لتانيثه ومن قرا باليا فلانه حال بين الاسم والفعل الجار والمجرور وقرا الباقون التا
مفتوحة لاغية نصبا على اسناد ذلك للوجوه اي لا تسمع الوجوه فيها لاغية **قوله تعالى** فيها عين جارية
فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة فيها عين جارية اي بما مندفق
وانواع الاشربة اللذيذة على وجه الارض من غير اخدود وقد تقدم في سورة الانسان ان فيها عيونا
فعين بمعنى عيون والله اعلم فيها سرر مرفوعة اي عالية وقد تقدم وروي انه يكون ارتفاعها قدر ما بين
السما والارض ليري ولي الله ملكه حوله واكواب موضوعة اي اباريق واواني والابريق هو ما له عروة وخرطوم
والكوب انا ليس له عروة ولا خرطوم وقد تقدم هذا في الزخرف وغيرها ونمارق اي وسائد الواحدة نمرقة
مصفوفة اي واحدة الى جنب الاخرى قال الشاعر

وانا لنجري الكاس بين شروبنا ... وبين ابي قابوس فوق النمارق

شروب جمع شرب وقال اخر

كهول وشبان حسان وجوههم ... على سرر مصفوفة ونمارق

وفي الصحاح النمرق والنمرقة وسادة صغيرة وكذلك
النمرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل التي لها خمل رقيق نمرقة عن ابي عبيدة
وزرابي مبثوثة قال ابو عبيدة الزرابي البسط وقال ابن عباس الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدتها
زربية وقاله الكلبي والفرا والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقيل بعضها فوق بعض قاله عكرمة وقيل

كثيرة قاله الفرا وقيل متفرقة في المجالس قاله القتبي قال الشيخ رحمه الله هذا اصوب فهي كثيرة متفرقة و
منه وبث فيها من كل دابة وقال ابو بكر الانباري وحدثنا احمد بن الحسين حدثنا حسين بن عرفة حدثنا عمار بن
محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا هل اتاك حديث الغاشية وقرا فيها وزرابي مبثوثة متكئين
فيها ناعمين **قوله تعالى** افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت قال المفسرون لما ذكر الله عز وجل امر اهل
الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا وانكروا فذكرهم الله صنعته وقدرته وانه قادر على كل شي كما خلق الحيوانات
والسما والارض ثم ذكر الابل اولا لانها كثيرة في العرب ولم يروا الفيلة فنبههم الله جل ثناؤه على عظيم من
خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله وليس
ذلك في شي من الحيوان غيره فاراهم عظيما من خلقه مسخرا للصغير من خلقه يدلهم بذلك على توحيده
وعظيم قدرته وعن بعض الحكما انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل بها ففكر ثم
قال يوشك ان يكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماها
ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شي نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه ساير البهايم وقيل
لما ذكر السرر المرفوعة قالوا كيف نصعدها فانزل الله هذه الاية وبين ان الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم
فكذلك تلك السرر تتطامن ثم ترتفع قال معناه قتادة ومقاتل وغيرهما وقيل الابل هنا القطع العظيمة
من السحاب قاله المبرد قال الثعلبي وقيل في الابل هنا السحاب ولم اجد لذلك اصلا في كتب الايمة قال
الشيخ رحمه الله قد ذكر الاصمعي ابو سعيد عبد الملك ابن قريب قال ابو عمرو من قراها افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت بالتخفيف عنى به البعير لانه من ذوات الاربع يبرك فتحمل عليه الحمولة وغيره من ذوات الاربع
لا يحمل عليه الا وهو قايم ومن قراها بالتثقيل فقال الابل عنى بها السحاب التي تحمل الما للمطر وقال الماوردي
وفي الابل هنا وجهان احدهما وهو اظهرهما واشهرهما انها الابل من النعم الثاني انها السحاب فان كان المراد
بها السحاب فلما فيها من الايات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل من النعم
فلان الابل اجمع للمنافع من ساير الحيوان لان ضروبه اربعة حلوبة وركوبة واكولة وحمولة والابل تجمع
هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها اتم وقال الحسن انما خصها الله بالذكر لانها تاكل
النوى والقت وتخرج اللبن وسيل الحسن ايضا عنها وقالوا الفيل اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد
بالفيل ثم هو خنزير لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر
الى الابل كيف خلقت لا واحد لها من لفظها وهي مونثة لان اسما الجموع التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت
لغير الادميين فالتانيث لها لازم واذا صغرتها ادخلتها الها فقلت ابيلة وغنيمة ونحو ذلك وربما قالوا للابل
ابل بسكون البا للتخفيف والجمع اابال **قوله تعالى** والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت
والى الارض كيف سطحت اي رفعت من الارض بلا عمد وقيل رفعت فلا ينالها شي والى الجبال كيف نصبت اي
نصبت على الارض بحيث لا تزول وذلك ان الارض لما دحيت مادت فارساها بالجبال كما قال وجعلنا في الارض
رواسي ان تميد بهم والى الارض كيف سطحت اي بسطت ومدت وقال انس صليت خلف علي رضي كيف خلقت
ورفعت ونصبت بضم التاات اضافة الضمير الى الله تعالى وبه كان يقرا محمد بن السميقع وابو العالية والمفعول
محذوف والمعنى خلقتها وكذلك ساير ها وقرا الحسن وابو حيوة وابو رجا سطحت بتشديد الطا واسكان التا
وكذلك قرا الجماعة الا انهم خففوا الطا وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها لجاز قال القشيري وليس هذا مما
يطلب فيه نوع حكمة وقد قيل هو اقرب الى الناس في حق العرب لكثرتها عندهم وهم من اعرف الناس بها وايضا
مرافق الابل اكثر من مرافق الحيوانات الاخر فهي ماكولة ولبنها مشروب وتصلح للحمل والركوب وقطع المسافات
البعيدة عليها والصبر على العطش وقلة العلف وكثرة الحمل وهي من معظم اموال العرب وكانوا يسيرون
على الابل منفردين مستوحشين عن الناس ومن هذا حاله تفكر فيما يحضره فقد ينظر في مركوبه ثم يمد بصره
الى السماء ثم الى الارض فامروا بالنظر في هذه الاشيا فانها ادل الدليل على الصانع المختار القادر
قوله تعالى فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب
الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم فذكر اي فعظهم يا محمد وخوفهم انما انت مذكر اي واعظ
لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم ثم نسختها اية السيف وقرا هارون الاعور بمسيطر بفتح التا
والمسيطرون وهي لغة تميم وفي الصحاح المسيطر والمصيطر المسلط على الشي ليشرف عليه ويتعهد

احواله ويكتب عمله واصله من الصيبطر لان معني السطر ان لا يتجاوز فالكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا وقال تعالي لست عليهم بمسيطر والذي يفعله مسطر ومسيطر تقال سيطرت علينا وقال تعالي لست عليهم بمسيطر وسطره اي صدعه الامن تولي وكفر استثنا منقطع اي لكن من تولي عن الوعظ والتذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهي جهنم الدايم عذابها وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل ودليل هذا التاويل قراءة ابن مسعود الامن تولي وكفر فانه يعذبه الله وقيل هو استثنا متصل والمعني لست بمسلط الا علي من تولي وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد والله يعذبه بعد ذلك العذاب الاكبر فلا نسخ في الاية علي هذا التقدير وروي ان عليا اتي برجل ارتد فاستتابه ثلاثة ايام فلم يعاود الاسلام فضرب عنقه وقرا الامن تولي وكفر وقرا ابن عباس وقتادة الا علي الاستفتاح والتنبيه كقول امرء القيس الا رب يوم لك منهن صالح ومن علي هذا الشرط والجواب فيعذبه الله والمبتدا بعد الفا مضمر والتقدير فيعذبه الله لانه لو اريد الجواب بالفعل الذي بعد الفاء والكاف الامن تولي وكفر يعذبه الله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت يقال اب يؤوب اي رجع قال لعبيد

وكل ذي غيبة يؤوب وغايب الموت لا يؤوب

وقرا ابو جعفر ايابهم بالتشديد قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله في الصيام وقيل هما لغتان بمعني الزمخشري قرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل ما فعل باصل سيد

والفجر وليال

مكية وهي سبع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

عشر اقسم بالفجر والليالي العشر والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسام خمسة واختلف في الفجر فقال قوم الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا ان النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه اوله وقال ابن محيصن عن عطيه عن ابن عباس يعني فجر المحرم ومثله قال قتادة قال هو فجر اول يوم من المحرم منه تنفجر السنة وعنه ايضا صلاة الصبح وروي ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال والفجر يريد صبيحة يوم النحر لان الله تعالي جل ثناؤه جعل لكل يوم ليلة قبله الا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة بعده فمن ادرك الموقف ليلة بعد عرفة فقد ادرك الحج الي طلوع الفجر فجر يوم النحر وهذا قول مجاهد وقال عكرمة والفجر قال انشقاق الفجر من يوم جمع وعن محمد بن كعب القرظي والفجر قال اخر ايام العشر اذا دفعت من جمع وقال الضحاك فجر ذي الحجة لان الله تعالي قرن الايام به وليال عشر اي ليالي عشر من ذي الحجة وكذا قال مجاهد والسدي والكلبي في قوله وليال عشر هو عشر ذي الحجة وقاله ابن عباس وقال مسروق هي العشر الذي ذكره الله في قصة موسي عليه السلام واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنة وروي ابو الزبير عن جابر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال والفجر وليال عشر قال عشر الاضحي فهي ليال عشر علي هذا القول لان ليلة يوم النحر داخلة فيه اذ قد خصها الله بان قد جعلها موقفا لمن يدرك الوقوف يوم عرفة وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها علي غيرها فلو عرفت لم تستقل بمعني الفضيلة التي في التنكير فنكرت من بين ما اقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها والله اعلم وعن ابن عباس ايضا هي العشر الاواخر من رمضان وقاله الضحاك وقال ابن عباس ايضا ويمان والطبري هو العشر الاول من المحرم التي عاشرها يوم عاشورا وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر والشفع والوتر الشفع الاثنان والوتر الفرد واختلف في ذلك فروي مرفوعا عن عمران بن الحصين عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال الشفع والوتر الصلوة منها شفع ومنها وتر وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلي الله عليه وسلم والفجر وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلي الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وعن ابي ايوب قال سيل النبي صلي الله عليه وسلم عن قوله تعالي والشفع والوتر قال الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وابن عباس ايضا الشفع خلقه قال الله تعالي وخلقناكم ازواجا والوتر

هو الله عز وجل فقيل لمجاهد اترويه عن احد قال نعم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلي الله عليه وسلم ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وابو صالح وقتادة قالوا الشفع الخلق قال الله تعالي ومن كل شي خلقنا زوجين الكفر والايمان والشقاوة والسعادة والهدي والضلال والنور والظلمة والليل والنهار والبرد والحر والشمس والقمر والصيف والشتا والسما والارض والجن والانس والوتر هو الله قال الله تعالي قل هو الله احد الله الصمد وقال النبي صلي الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما والله وتر يحب الوتر وعن ابن عباس ايضا الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب وقال الربيع بن انس وابو العالية هي صلاة المغرب الشفع فيها ركعتان والوتر الثالثة وقال ابن الزبير الشفع يوما مني الحادي عشر والثاني عشر والوتر الثالث قال الله تعالي فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وقال الضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام مني الثلاثة وهو قول عطا وقيل ان الشفع والوتر ادم وحوا كان فردا فشفع بزوجه حوا فصار شفعا بعد وتر رواه ابن ابي نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس وفي رواية الشفع ادم وحوا والوتر هو الله تعالي وقيل الشفع والوتر الخلق لانهم شفع ووتر فكانه اقسم بالخلق وقد يقسم الله تعالي باسمائه وصفاته لعلمه ويقسم بافعاله لقدرته كما قال وما خلق الذكر والانثي ويقسم بمفعولاته لعجايب صنعه كما قال والشمس وضحاها والسماء وما بناها والسما والطارق وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثماني والوتر دركات النار لانها سبعة وهذا قول الحسين بن الفضل كانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة الوتر هو الله وهو الشفع ايضا لقوله تعالي ما يكون من نجوي ثلثة الا هو رابعهم وقال ابو بكر الوراق الشفع تضاد اوصاف المخلوقين العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والحياة والموت والبصر والعمي والسمع والصمم والكلام والخرس والوتر انفراد صفات الله تعالي عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحيوة بلا موت وبصر بلا عمي وكلام بلا خرس وسمع بلا صمم وما وازاها وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان العدد لا يخلو عنهما وهو اقسام بالحساب وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة وهما الحرمان والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وانثي والوتر الجماد وقيل الشفع القران بين الحج والعمرة او التمتع بالعمرة الي الحج والوتر الافراد فيه وقيل الشفع ما ينمي والوتر ما لا ينمي وقيل غير هذا وقرا ابن مسعود واصحابه والكساي وحمزة وخلف والوتر بكسر الواو والباقون بفتح الواو وهما لغتان بمعني واحد وفي الصحاح الوتر بالكسر الفرد والوتر بالفتح الذحل هذه لغة اهل العالية فاما لغة اهل الحجاز فبالضد منهم فاما تميم فبالكسر فيهما قوله تعالي والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر وهذا قسم خامس وبعدما اقسم بالليالي العشر علي الخصوص اقسم بالليل علي العموم ومعني يسري اي يسري فيه كما يقال ليل نايم ونهار صايم قال

لقد لمتنا يا ام غيلان في السري ونمت وما ليل المطي بنايم

ومنه قوله تعالي بل مكر الليل والنهار وهذا قول اكثر اهل المعاني وهو قول القتيبي والاخفش وقال اكثر المفسرين معني يسري سار فذهب وقال قتادة وابو العالية جاء واقبل وروي عن ابراهيم والليل اذا يسري قال اذا استوي قال عكرمة والكلبي ومجاهد ومحمد بن كعب في قوله والليل هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالي وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها وقيل انه اراد عموم الليل كله قال الشيخ رحمه الله وهو الاظهر كما تقدم والله اعلم وقرا ابن كثير وابن محيصن ويعقوب يسري باثبات الياء في الحالين علي الاصل لانها ليست بمجزومة فثبتت فيها الياء وقرا نافع وابو عمرو باثباتها في الوصل وحذفها الباقون في الوقف وروي عن الكساي قال ابو عبيدة كان الكساي يقول مرة باثبات الياء في الوصل وبحذفها في الوقف اتباعا للمصحف ثم رجع الي حذف الياء في الحالين جميعا لانه راس اية وهي قراءة اهل الشام والكوفة واختيار ابي عبيدة اتباعا للخط لانها وقعت في المصحف بغير ياء قال الخليل تسقط الياء منها اتفاقا لرووس الاي قال الفراء قد تحذف العرب الياء وتكتفي بكسر ما قبلها وانشد بعضهم

كفاك كف ما تليق درهما جودا واخري تعط بالسيف دما

يقال فلان ما يليق درهما من جوده اي ما يمسكه ولا يلصق به وقال المورج سالت الاخفش عن العلة في اسقاط الياء من يسر فقال لا اجيبك حتي

تثبت على باب داري سنة فثبت على باب داره سنة فقال الليل لا يسري وانما يسري فيه فهو مصروف
وكلما صرفته عن جهته بخسته من اعرابه الا ترى الى قوله تعالى وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفه
من باغية الزمخشري وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة
وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب
عليهم ربك سوط عذاب وقال ابن الانباري هو ان ربك لبالمرصاد وقال مقاتل هل هنا في موضع ان تقديره
ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم وقيل هل على بابها من الاستفهام الذي معناه
التقرير كقولك الم انعم عليك اذا كنت قد انعمت وقيل المراد بذلك التوكيد لما اقسم به واقسم عليه والمعنى
بل في ذلك مقنع لذي حجر والجواب على هذا ان ربك لبالمرصاد او مضمر محذوف ومعنى لذي حجر اي لذي لب وعقل
قال الشاعر
وكيف يرجى ان يتوب وانما   يرجى من الفتيان من كان ذا حجر

كذا قال عامة المفسرين الا ان ابا مالك قال لذي حجر لذي ستر من الناس وقال الحسن لذي حلم قال الفراء
الكل يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال
لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه
وضبطه عن التصرف ولذلك سميت الحجرة حجرة لامتناع ما فيها بها وقال الفراء العرب تقول انه لذو حجر اذا
كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من حجرت على الرجل **قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد**
ارم ذات العماد اي مالك وخالقك بعاد ارم قراءة العامة بعاد منونا وقرا الحسن وابو العالية بعاد ارم
مضافا فمن لم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم وارم اسم القبيلة وجعله بدلا منه
او عطف بيان ومن قراه بالاضافة ولم يصرفه جعله اسم امهم او اسم بلدتهم وتقديره بعاد اهل ارم كقوله
واسأل القرية ولم يصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقراءة العامة ارم بكسر الهمزة وعن
الحسن ايضا بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرا ابو عمرو بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات
العماد بالاضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل ذات العلم وقرئ بعاد ارم ذات العماد
اي جعل الله ذات العماد رميما وقرا مجاهد والضحاك وقتادة ارم بفتح الهمزة قال مجاهد من قرا بفتح
الهمزة شبههم بالارام التي هي الاعلام واحدها ارم وفي الكلام تقديم وتاخير اي والفجر وكذا وكذا
ان ربك لبالمرصاد الم تر اي الم ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد عام وكان امر عاد وثمود عندهم مشهورا اذ كانوا في بلاد العرب وحجر ثمود
موجود اليوم وامر فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتاب واستفاضت به الاخبار وبلاد
فرعون متصلة بارض العرب وقد تقدم هذا المعنى في البروج وغيرها بعاد اي بقوم هود وروى شهر
بن حوشب عن ابي هريرة قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من حجارة لو اجتمع عليه خمسمائة
من هذه الامة لم يستطيعوا ان يقلوه وان كان احدهم ليدخل قدمه في الارض فتدخل فيها ارم قيل
هو سام بن نوح قاله ابن اسحاق وروى عطاء عن ابن عباس وحكي عن ابن اسحاق ايضا قال عاد بن ارم
فارم على هذا ابو عاد وعاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعلى القول الاول هو اسم جد عاد قال
ابن اسحاق كان سام بن نوح له اولاد منهم ارم بن سام وارفخشد بن سام فمن ولد ارم بن سام العمالقة
والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة والعصاة وقال مجاهد ارم امة من الامم وعنه ايضا ان معنى
ارم القديمة ورواه ابن ابي نجيح وروى عنه ايضا ان معناها القوية وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل
هما عادان فالاولى هي ارم قال الله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى فقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم وقيل الاولى لانهم منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم
ولمن بعدهم عاد الاخرة قال ابن الرقيات
مجدا تليدا بناه اوله   ادرك عادا وقبله ارما
وقال معمر ارم اليه مجمع عاد وثمود
وكان يقال عاد ارم وعاد ثمود وكانت القبائل تنتسب الى ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
قال ابن عباس في رواية عطاء كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع والقصير منهم طوله ثلاثمائة
ذراع بذراع نفسه وعن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم كان سبعين ذراعا ابن العربي وهو باطل
لان في الصحيح ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا في الهواء فلم يزل الخلق ينقص الى الان وزعم قتادة

وياء يسري تحذف في الدرج

ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا

ان طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا وقال ابو عبيدة ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا
ونحوه عن ابن عباس ومجاهد وعن قتادة ايضا كانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم
وعنه ايضا قيل لهم ذلك لانهم كانوا ينتقلون بابياتهم للانتجاع فكانوا اهل خيام واعمدة ينتجعون الغيوث
ويطلبون الكلأ ثم يرجعون الى منازلهم وقيل ذات العماد اي ذات الابنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون
الاعمدة فيبنون عليها القصور وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد وفي الصحاح والعماد
الابنية الرفيعة تذكر وتؤنث قال عمرو بن كلثوم   نظم
ونحن اذا عماد الحي خرت   على الاحفاض نمنع من يلينا

الواحدة عمادة وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلما لزائريه والاحفاض جمع حفض بالتحريك وهو متاع
البيت اذا هيئ ليحمل اي خرت على المتاع ويروى عن الاحفاض اي خرت عن الابل التي تحمل خرثي
البيت وقال الضحاك ذات العماد ذات القوة والشدة ماخوذة من قوة الاعمدة دليله قوله تعالى وقالوا
من اشد منا قوة وروى عوف عن خالد الربعي ارم ذات العماد قال هي دمشق وهو قول عكرمة وسعيد
المقبري ورواه ابن وهب واشهب عن مالك وقال محمد بن كعب القرظي هي الاسكندرية
الضمير في مثلها يرجع الى القبيلة اي لم يخلق مثل القبيلة في البلاد
قوة وشدة وعظم اجساد وطول قامة عن الحسن وغيره وفي حرف عبد الله التي لم يخلق مثلهم في البلاد
وقيل يرجع الى المدينة والاول اظهر وعليه الاكثر حسب ما ذكرناه ومن جعل ارم مدينة قدر حذفا
المعنى كيف فعل ربك بمدينة عاد ارم او بعاد صاحبة ارم وارم على هذا مؤنثة معرفة واختار ابن العربي
انها دمشق لانه ليس في البلاد مثلها ثم اخذ ينعتها بكثرة مياهها وخيراتها ثم قال وان في الاسكندرية
لعجائب لو لم يكن الا المنار فانها مبنية الباطن والظاهر على العمد ولكن لها امثال فاما دمشق فلا مثال لها
وقد روى معن عن مالك ان كتابا وجد في الاسكندرية فلم يدر ما هو فاذا فيه انا شداد بن عاد الذي رفع
العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك ان كان لتمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة وذكر
عن ثور بن زيد انه قال انا شداد بن عاد وانا الذي رفعت العماد وانا الذي سددت بذراعي بطن الوادي
وانا الذي كنزت كنزا على سبعة اذرع لا يخرجه الا امة محمد صلى الله عليه وسلم وروي انه كان لعاد ابنان
شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع
بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي
مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم
صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ
خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة
وقال هذا والله ذلك الرجل وقيل اي لم يخلق مثل ابنية عاد المعروفة بالعمد فالكناية للعماد والعماد على هذا
جمع عمد وقيل الارم الهلاك يقال ارم بنو فلان اي هلكوا وقاله ابن عباس وقرا الضحاك ارم ذات العماد
اي اهلكهم فجعلهم رميما   ثمود قوم صالح وجابوا قطعوا ومنه
فلان يجوب البلاد اي يقطعها وانما سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع قال الشاعر
وكان نزل على ابن الزبير بمكة فكتب اليه يستمنحه فلم يعطه فخرج عنه الى الكوفة

راحت رواحا قلوصي وهي حامدة   آل الزبير ولم تعدل بهم احدا
راحت بستين وسقا في حقيبتها   ما حملت حملها الا دنى مسددا
ما ان رايت قلوصا قبلها حملت   ستين وسقا ولا جابت به بلدا

اي قطعت قال المفسرون اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود فبنوا من المداين الفا وسبعمائة
مدينة كلها من الحجارة ومن الدور والمنازل الفي الف وكل من الحجارة وقد قال تعالى وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا امنين وكانوا لقوتهم يخرقون الصخور ويثقبون الجبال ويجعلونها بيوتا لانفسهم بالوادي اي بوادي
القرى قاله محمد بن اسحاق وروى ابو الاشهب عن ابي نضرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ح في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم

في غزاة تبوك على وادي ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير فانكم في واد ملعون وقيل الوادي كان بين جبال وكانوا ينقبون في تلك الجبال بيوتا ودورا واحواضا وكل منفرج بين جبال او تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد **قوله تعالى** وفرعون ذي الاوتاد اي الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشد ملكه قاله ابن عباس وقيل كان يعذب الناس بالاوتاد ويشدهم بها الى ان يموتوا تجبرا منه وعتوا وهكذا فعل بامراته اسية وماشطة ابنته حسب ما تقدم في اخر التحريم وقال عبد الرحمن بن زيد كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يوخذ الانسان فتوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه وقد مضى في سورة ص من ذكر اوتاده ما فيه كفاية **قوله تعالى** الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب يعني عادا وثمود وفرعون طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان فاكثروا فيها الفساد اي الاذى والجور والذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين فصب عليهم ربك سوط عذاب اي افرغ عليهم والقى يقال صب فلان على خلقه اي القاها عليه قال النابغة

فصب عليه الله احسن صنعه　　　وكان له بين البرية ناصرا

وصوت عذاب اي نصيب عذاب

وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم ساطه يسوطه سوطا اي خلطه فهو سائط فالسوط خلط الشي بعضه ببعض ومنه سمي المسواط وساطه اي خلطه واكثر ذلك يقال سوط فلان اموره قال الشاعر

فسطها ذميم الراي غير موفق　　　فلست على تسويطها بمعان

قال ابو زيد يقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة حكاه عنه يعقوب وقال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب يقال ساط دابته يسوطها اي ضربها بالسوط وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شي عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب **قوله تعالى** ان ربك لبالمرصاد اي يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه به قاله الحسن وعكرمة وقيل اي عليه طريق العباد لا يفوته احد والمرصاد والمرصد الطريق وقد مضى في براءة فروى الضحاك عن ابن عباس قال ان على جهنم سبع قناطر يسال الانسان عند اول قنطرة عن الايمان فان جاء به تاما جاز الى القنطرة الثانية ثم يسال عن الصلاة فان جاء بها جاز الى الثالثة ثم يسال عن الحج والعمرة فان جاء بها جاز الى السادسة ثم يسال عن صلة الرحم فان جاء بها جاز الى السابعة ثم يسال عن المظالم وينادي مناد الا من كانت له مظلمة فلياتي فيقتص للناس منه ويقتص له من الناس فذلك قوله جل ثناؤه ان ربك لبالمرصاد وقال الثوري لبالمرصاد يعني جهنم عليها ثلاث قناطر قنطرة فيها الرحم وقنطرة فيها الامانة وقنطرة فيها الرب تبارك وتعالى قال الشيخ رحمه الله اي حكمه وامره والله اعلم وعن ابن عباس ايضا لبالمرصاد ليسمع ويرى قال الشيخ رحمه الله هذا قول حسن ليسمع اقوالهم ونجواهم ويرى اي يرى اعمالهم واسرارهم فيجازي كلا بعمله وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرا هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر قال الزمخشري عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقطع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه **قوله تعالى** فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فاما الانسان يعني الكافر قال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة وابا حذيفة بن المغيرة وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه ربه اي امتحنه واختبره بالنعمة وما زائدة صلة فاكرمه بالمال ونعمه بما اوسع عليه فيقول ربي اكرمن فيفرح بذلك ولا يحمده واما اذا ما ابتلاه اي امتحنه بالفقر واختبره به فقدر اي ضيق عليه رزقه على مقدار البلغة فيقول ربي اهانني اي اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يومن بالبعث انما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته فاما المومن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المودي الى حظ الاخرة وان وسع عليه في الدنيا حمده وشكره قال الشيخ رحمه الله الايتان صفة كل كافر وكثير من المسلمين يظن ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول بجهله لو لم استحق هذا لم يعطنيه الله وان قتر عليه يظن ان ذلك لهوانه على الله وقراءة العامة فقدر مخففة الدال وقرا ابن عامر مشددا وهما لغتان والاختيار

واما اذا ما ابتلاه اي امتحنه بالفقر

التخفيف لقوله ومن قدر عليه رزقه قال ابو عمرو وقدر اي قتر وقدر امشدد هو ان يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن وقرا اهل الحرمين وابو عمرو ربي بفتح اليا في الموضعين واسكن الباقون واثبت البزي وابن محيصن ويعقوب اليا من اكرمني واهانني في الحالين لانها اسم فلا تحذف واثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف اتباعا للمصحف وخير ابو عمرو في اثباتها في الوصل او حذفها لانها راس اية وحذفها في الوقف لخط المصحف الباقون بحذفها لانها وقعت في الموضعين بغير يا والسنة الا تخالف خط المصحف لانه اجماع الصحابة **قوله تعالى** كلا رد اي ليس الامر كما يظن فليس الغنى لفضله ولا الفقر لهوانه وانما الفقر من تقديري وقضائي وقال الفرا كلا في هذا الموضع بمعنى لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله وعونه عز وجل على الغنى والفقر وفي الحديث يقول الله عز وجل كلا اني لا اكرم من اكرمت بكثرة الدنيا ولا اهين من اهنت بقلتها انما اكرم من اكرمت بطاعتي واهين من اهنت بمعصيتي **قوله تعالى** بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما بل لا تكرمون اليتيم اخبار عما كانوا يصنعونه من منع اليتيم الميراث واكل ماله اسرافا وبدارا ان يكبروا وقرا ابو عمرو ويعقوب يكرمون بالياء ويحضون ويا كلون ويحبون باليا لانه تقدم ذكر الانسان والمراد به الجنس فعبر عنه بلفظ الجمع الباقون بالتاء في الاربعة على الخطاب والمواجهة كانه قال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وترك اكرام اليتيم بدفعه عن حقه واكل ماله كما ذكرنا قال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف ولا يحضون على طعام المسكين اي لا يامرون اهليهم باطعام مسكين يجيئهم وقرا الكوفيون تحاضون بفتح التاء والحاء والف اي يحض بعضهم بعضا واصله يتحاضون فحذف احدى التائين لدلالة الكلام عليها وهو اختيار ابي عبيد وروي عن ابراهيم والشيرزي عن الكسائي والسلمي تحاضون بضم التاء وهو تفاعلون من الحض وهو الحث وياكلون التراث اي ميراث اليتامى واصله الوارث من ورثت فابدلوا الواو تاء كما قالوا في تجاه وتجه وتكاه وتالله ونحو ذلك وقد تقدم اكلا لما اي شديدا قاله السدي وقيل لما جمعا من قولهم لممت الطعام لما اذا اكلته جميعا قاله الحسن وابو عبيدة واصل اللم في كلام العرب الجمع يقال لممت الشي المه لما جمعته ومنه يقال لم الله شعثه اي جمع ما تفرق من اموره قال النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه　　　على شعث اي الرجال المهذب

ومنه قولهم ان داركم لمومة اي تلم الناس وتربهم وتجمعهم وقال المرناق الطائي يمدح علقمة بن سيف

لم الهدى الى الكريم الماجد　　　واحبني حب الصبي ولمني

وقال الليث اللم الجمع الشديد ومنه حجر ملموم وكتيبة ملمومة فالاكل يلم الثريد فيجمعه لقما ثم ياكله وقال مجاهد يسفه سفا وقال الحسن ياكل نصيبه ونصيب غيره وقال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه　　　فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم وقال ابن زيد هو انه اذا اكل ماله الم بمال غيره فاكله ولا يفكر فيما اكل من خبيث وطيب قال وكان اهل الشرك لا يورثون النسا ولا الصبيان بل ياكلون ميراثهم مع ميراثهم وتراثهم مع تراثهم وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا ومهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكل اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون ويحبون المال حبا جما اي كثيرا حلاله وحرامه والجم الكثير يقال جم الشي يجم جموما فهو جم وجام ومنه جم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر وقال الشاعر

ان تغفر اللهم تغفر جما　　　واي عبد لك لا الما

والجمة المكان الذي يجتمع فيه ماؤه والجموم البير الكثيرة الماء والجموم بالضم المصدر يقال جم الماء يجم جموما اذا كثر في البير واجتمع بعد ما استقي فيها **قوله تعالى** كلا اذا دكت الارض دكا دكا كلا اي ما هكذا ينبغي ان يكون الامر فهو رد لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها فان من فعل ذلك يندم يوم تدك الارض ولا ينفعه الندم والدك الكسر والدق وقد تقدم اي زلزلت الارض وحركت تحريكا بعد تحريك وقال الزجاج اي زلزلت فدك بعضها بعضا وقال المبرد اي الصقت وذهب ارتفاعها يقال ناقة دكاء اي لا سنام لها والجمع دك وقد مضى في الاعراف والحاقة القول في هذا ويقولون دك الشي اي هدم قال هل غير غاد دك غارا فانهدم دكا دكا اي مرة بعد مرة زلزلت فكسر بعضها بعضا فتكسر كل شي على ظاهرها وقيل دكت

جبالها وانشادها حتي استوت وقيل دكت استوت في الانفراش فذهب دورها وقصورها وجبالها وساير ابنيتها ومنه سميت الدكان لاستوائه في الانفراش والدك حط المرتفع من الارض بالبسط وهو معني قول ابن مسعود وابن عباس يمد الارض مد الاديم **قوله تعالى** وجاء ربك اي امره وقضاؤه قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف وقيل اي جاءهم الرب بالايات العظيمة وهو كقوله الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة وقيل جعل مجي الايات مجيا له تفخيما لشان تلك الايات ومنه قوله تعالى في الحديث يا ابن ادم مرضت فلم تعدني استسقيتك فلم تسقني استطعمتك فلم تطعمني وقيل وجاء ربك اي زالت الشبهة ذلك اليوم وصارت المعارف ضرورية كما تزول الشبه والشك عند مجي الشي الذي كان يشك فيه وقال اصل الاشارة ظهرت قدرته واستوت والله عز وجل لا يوصف بالتحويل من مكان الي مكان واني له التحول والانتقال ولا مكان له ولا اوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت علي الشي فوت الاوقات ومن فاته الشي فهو عاجز **قوله تعالى** والملك صفا صفا وجي يوميذ بجهنم يوميذ والملك اي الملايكة صفا صفا اي صفوفا وجي يوميذ بجهنم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتي تنصب عن يسار العرش وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يوتي بجهنم يوميذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابو سعيد الخدري وجي يوميذ بجهنم يوميذ تغير لون النبي صلي الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتي اشتد علي اصحابه ثم قال اقراني جبريل كلا اذا دكت الارض دكا دكا الاية وجي يوميذ بجهنم يوميذ قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يوتي بها تقاد بسبعين الف زمام يقود بكل زمام سبعون الف ملك فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لجهنم فتقول مالي ومالك يا محمد ان الله قد حرم لحمك علي فلا يبقي احد الا قال نفسي الا محمد صلي الله عليه وسلم فانه يقول رب امتي امتي **قوله تعالى** يتذكر الانسان واني له الذكري اي يتعظ ويتوب وهو الكافر او من همته معظم الدنيا وان له الذكري اي ومن اين له الاتعاظ والتوبة وقد فرط فيها في الدنيا ويقال اي ومن اين له منفعة الذكري فلا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر وبين واني له الذكري تناف قاله الزمخشري **قوله تعالى** يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي في حياتي فاللام بمعني في وقيل اي قدمت عملا صالحا لحياتي اي لحياة لا موت فيها وقيل حياة اهل النار ليست هنيية فكانهم لا حياة لهم فالمعني يا ليتني قدمت من الخير لنجاتي من النار فاكون فيمن له حياة هنيية **قوله تعالى** فيوميذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد اي لا يعذب كعذاب الله احد ولا يوثق كوثاقه احد والكناية ترجع الي الله تعالي وهو قول ابن عباس والحسن وقرا الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله الكافر يوميذ ولا يوثق كما يوثق الكافر والمراد ابليس لان الدليل قام علي اشد الناس عذابا لاجل اجرامه فاطلق الكلام لاجل ما صحبه من التفسير وقيل انه امية بن خلف حكاه الفرا يعني انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعين احد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه احد لتناهيه في كفره وعناده وقيل اي لا يعذب مكانه احد فلا يوخذ منه فداء والعذاب بمعني التعذيب والوثاق بمعني الايثاق ومنه قول الشاعر

وبعد عطايك المية الرتاعا

وقيل لا يعذب احد ليس بكافر عذاب الكافر واختار ابو عبيد وابو حاتم فتح الذال والثاء وتكون الهاء ضمير الكافر لان ذلك معروف انه لا يعذب احد كعذاب الله وقد روي ابو قلابة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قرا بفتح الذال والثاء وروي ان ابا عمرو رجع الي قراءة النبي صلي الله عليه وسلم وقال ابو علي يجوز ان يكون الضمير للكافر علي قراءة الجماعة اي لا يعذب احد احدا مثل تعذيب هذا الكافر فتكون الهاء للكافر والمراد باحد الملايكة الذين يتولون تعذيب اهل النار **قوله تعالى** يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الي ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي لما ذكر حال من كانت همته الدنيا فاتهم الله في اغنايه وافقاره ذكر حال من اطمانت نفسه الي الله فسلم لامره واتكل عليه وقيل هو من قول الملايكة لاولياء الله عز وجل والطمانينة الساكنة الموقنة وعن مجاهد ايضا الراضية بقضا الله تعالي التي علمت ان ما اخطاها لم يكن ليصيبها وان ما اصابها لم يكن ليخطيها وقال مقاتل الامنة من عذاب الله وفي حرف ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنة المطمينة وقيل

تقاد جهنم بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك

التي عملت علي يقين بما وعد الله في كتابه وقال ابن كيسان المطمينة هنا المخلصة وقال ابن عطا العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين وقيل المطمينة بذكر الله بيانه الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله وقيل المطمينة بالايمان المصدقة بالبعث والثواب وقال ابن زيد المطمينة لانها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع وروي عبد الله بن بريدة عن ابيه قال يعني نفس حمزة والصحيح انها عامة في كل نفس مومن مخلص طايع قال الحسن البصري ان الله تعالي اذا اراد ان يقبض روح عبده المومن اطمانت النفس الي الله تعالي واطمان الله تعالي اليها وقال عمرو بن العاص اذا توفي المومن ارسل الله اليه ملكين وارسل معهما تحفة من الجنة فيقولان لها اخرجي ايتها النفس المطمينة راضية مرضية ومرضيا عنك اخرجي الي روح وريحان ورب راض غير غضبان فيخرج كاطيب ريح المسك وجد احد من انفه علي وجه الارض وذكر الحديث وقال سعيد بن زيد قرا رجل عند النبي صلي الله عليه وسلم يا ايتها النفس المطمينة فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله فقال النبي صلي الله عليه وسلم ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف فجاء طاير لم ير علي خلقته طاير قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية علي شفير القبر لا يدري من تلاها يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الي ربك راضية مرضية وروي الضحاك انها نزلت في عثمان بن عفان رض حين وقف بير رومة وقيل نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الي المدينة فحول الله وجهه نحو القبلة والله اعلم ومعني الي ربك اي الي صاحبك وجسدك قاله ابن عباس وعكرمة وعطا واختاره الطبري ودليله قراءة ابن عباس فادخلي في عبدي علي التوحيد فيامر الله تعالي الارواح غدا ان ترجع الي الاجساد وقرا ابن مسعود في جسد عبدي وقال الحسن ارجعي الي ثواب ربك وكرامته وقال ابو صالح المعني ارجعي الي الله وهذا عند الموت فادخلي في عبادي اي في اجساد عبادي دليله قراءة ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس هذا يوم القيامة وقاله الضحاك والجمهور علي ان الجنة دار الخلود التي هي مسكن الابرار ودار الصالحين والاخيار ومعني في عبادي كما قال ولندخلنهم في الصالحين وقال الاخفش في عبادي اي في حزبي والمعني واحد اي انتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم ختمت السورة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

تفسير سورة البلد

مكية باتفاق وهي عشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لا اقسم بهذا البلد يجوز ان تكون لا زايدة كما تقدم في لا اقسم بيوم القيامة قاله الاخفش اي اقسم لانه قال بهذا البلد وقد اقسم به في قوله وهذا البلد الامين فكيف يجحد القسم به وقد اقسم به وقال الشاعر

تذكرت ليلي فاعترتني صبابة … وكاد صميم القلب لا يتقطع

اي يتقطع ودخل حرف لا صلة ومنه قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك بدليل قوله تعالي في ص ما منعك ان تسجد وقرا الحسن والاعمش وابن كثير لاقسم من غير الف بعد اللام اثباتا واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعني الا وقيل ليست بنفي القسم وانما هو كقول العرب لا والله لا فعلت كذا ولا والله ما كان كذا ولا والله لافعلن كذا وقيل هي نفي صحيح والمعني لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه رواه مكي وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد عليهم وهذا اختيار ابن العربي لانه قال واما من قال انها رد فهو قول ليس له رد لانه يصح به المعني ويتمكن اللفظ والمراد فهو رد لكلام من انكر البعث ثم ابتدا القسم وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور في هذه السورة المغرور بالدنيا اي ليس الامر كما يحسبه من انه لا يقدر عليه احد ثم ابتدا القسم والبلد مكة اجمعوا عليه اي اقسم بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك وقال الواسطي اي يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة نزلت بمكة **قوله تعالى** وانت حل بهذا البلد يعني في المستقبل كقوله انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبو وهو في كلام الله واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا علي انه الاستقبال وان تفسيره بالحال محال لان السورة بالاتفاق مكية قبل الفتح وروي منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت فيه من شي فانت في حل وكذا قال ابن عباس احل له يوم دخل مكة ان يقتل من شا فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم

وروي السدي قال انت في حل ممن قاتلك ان تقاتله وروي ابو صالح عن ابن عباس قال احلت له ساعة من نهار ثم اطبقت وحرمت الي يوم القيامة وذلك يوم فتح مكة وثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الي ان تقوم الساعة فلم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار الحديث وقد تقدم في المايدة ان ذلك لم يكن بها احد حلا لا غير رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل وانت مقيم فيه وهو محلك وقيل انت فيه محسن وانا عنك فيه راض وذكر اهل اللغة انه يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل حرام ومحرم وحرم وقال قتادة انت حل به لست بآثم وقيل هو ثنا على النبي صلي الله عليه وسلم اي انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه اي اقسم بهذا البيت المعظم الذي قد عرفت حرمته فانت مقيم فيه معظم له غير مرتكب فيه ما يحرم عليك وقال شرحبيل بن سعد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي هم يحرمون مكة ان يقتلوا بها صيدا او يعضد وابها شجرة ثم هم مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك **قوله تعالي** **ووالد وما ولد** قال مجاهد وقتادة والضحاك والحسن وابو صالح ووالد آدم عليه السلام وما ولد اي وما نسل من ولده اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله علي وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير وفيهم الانبيا والدعاة الي الله وقيل هو اقسام بادم والصالحين من ذريته واما الطالحون فكانهم بهايم وقيل الوالد ابراهيم وما ولد ذريته قاله ابو عمران الجوني ثم يحتمل انه يريد جميع ذريته ويحتمل انه يريد المسلمين من ذريته قال الفرا اصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وقوله وما خلق الذكر والانثي وهو الخالق للذكر والانثي وقيل ما مع ما بعدها في معني المصدر اي ووالد وما ولده كقوله والسماء وما بناها وقال عكرمة وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وقال ابن عباس وما علي هذا نفي وهو بعيد ولا يصح باضمار الموصول الذي اي ووالد والذي ما ولد وذلك لا يجوز عند البصريين وقيل هو عموم في كل والد وكل مولود قاله عطية العوفي وروي معناه عن ابن عباس ايضا وهو اختيار الطبري الما وردي ويحتمل ان الوالد النبي صلي الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته كقوله عليه السلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في تشريفه عليه السلام **قوله تعالي** **لقد خلقنا الانسان في كبد** الي هنا انتهي القسم وهذا جوابه ولله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته ليعظمها كما تقدم والانسان هنا ابن آدم في كبد في شدة وعناء من مكابدة الدنيا واصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد ومنه الكبد دم تغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته قال لبيد

يا عين هلا بكيت اربد   اذ قمنا وقام الخصوم في كبد

قال ابن عباس والحسن في كبد اي شدة ونصب وعن ابن عباس ايضا في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وغير ذلك من احواله وروي عكرمة عنه قال منتصبا في بطن امه والكبد الاستوا والاستقامة فهذا امتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن امه الا منكبة علي وجهها الا ابن آدم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما ابن كيسان منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن الله ان يخرج من بطن امه قلب راسه الي رجلي امه قال الحسن يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وعنه ايضا يكابد الشكر علي السرا والضرا او يكابد الصبر علي الضرا لانه لا يخلو من احدهما ورواه ابن عمر وقال يمان لم يخلق الله خلقا يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال علماؤنا اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه وتحريك لسانه ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمودب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصايب يكثر تعدادها ونوايب يطول ايرادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة ولا يكابد الا مشقة ثم الموت بعد ذلك كله وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض علي الله الي ان يستقر به القرار اما في جنة واما في نار قال الله تعالي لقد خلقنا الانسان في كبد فلو كان الامر اليه لما اختار هذه الشدايد ودل علي هذا ان له خالقا دبره وقضي عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره وقال ابن زيد الانسان هنا ابن آدم وقوله في كبد اي في وسط السماء وقال الكلبي ان هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له ابو الاشدين وكان ياخذ الاديم

لم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن امه الا منكبة علي وجهها الا ابن آدم

احوال الانسان من الشدايد والمشقة

العكاظي

العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتي يتمزق ولا تزول قدماه وكان من اعداء النبي صلي الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر عليه احد يعني لقوته وروي عن ابن عباس ومعني في كبد اي شديد الخلق وكان من اشد رجال قريش وكذلك ركانة بن هاشم بن المطلب وكانا مثلا في الباس والشدة وقيل في كبد اي جري القلب غليظ الكبد مع ضعف خلقته ومهانة مادته ابن عطا في ظلمته وجهل الترمذي مضيعا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه **قوله تعالي** **ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد** اي ايظن ابن آدم ان لن يعاقبه الله عز وجل يقول اهلكت اي انفقت مالا لبدا اي كثيرا مجتمعا ايحسب ايظن ان لم يره احد اي يعاينه احد بل علم الله عز وجل ذلك منه وكان كاذبا في قوله اهلكت ولم يكن انفقه وروي ابو هريرة قال يوقف العبد فيقال ماذا عملت في المال الذي رزقتك فيقول انفقته وزكيته فيقال كانك انما فعلت ذلك ليقال سخي فقد قيل ذلك ثم يومر به الي النار وعن سعيد عن قتادة انك مسئول عن مالك من اين جمعت وكيف انفقت وعن ابن عباس قال كان ابو الاشدين يقول انفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتي النبي صلي الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين النبي صلي الله عليه وسلم وهذا القول منه يحتمل ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا منه او اسفا عليه فيكون ندما منه وقرا ابو جعفر مالا لبدا بتشديد البا مفتوحة علي جمع لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد وقرا مجاهد وحميد بضم البا واللام مخففا جمع لبود الباقون بضم اللام وكسرها وفتح البا مخففا جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقد مضي في الجن القول فيه وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه يقرا ايحسب بضم السين في الموضعين وقال الحسن يقول اتلفت مالا كثيرا فمن يحاسبني به دعني احسبه الم يعلم ان الله قادر علي محاسبته وان الله جل وعز يري صنيعه ثم عدد عليه نعمه فقال الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به وشفتين يستر بهما ثغره والمعني نحن فعلنا ذلك به ونحن نقدر علي ان نبعثه ونحص عليه ما عمله وقال ابو حازم قال النبي صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي قال يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الي ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق والشفة اصلها شفهة حذفت منها الها وتصغيرها شفيهة والجمع شفاه ويقال شفهات وشفوات والها اقيس والواو اعم تشبيها بالسنوات وقال الازهري يقال هذه شفة في الوصل وشفه بالتا والها وقال قتادة نعم الله ظاهرة يقررك بها حتي تشكر **قوله تعالي** **وهديناه النجدين** يعني الطريقين طريق الخير وطريق الشر اي بينا هما له بما ارسلناه من الرسل والنجد الطريق في ارتفاع وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وروي سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يقول يا ايها الناس انما هو النجدان النجديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك وروي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما الثديين لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فالنجد العلو وجمعه نجود ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة فالنجدان الطريقان العاليان قال امرؤ القيس

فريقان منهم جازع بطن نخلة   وآخر منهم قاطع نجد كبكب

قوله تعالي **فلا اقتحم العقبة وما ادراك** اي فهلا انفق ماله الذي يزعم انه انفقه في عداوة محمد هلا انفقه لاقتحام العقبة فيامن والاقتحام الرمي بالنفس في شي من غير روية يقال منه قحم في الامر قحوما اي رمي بنفسه فيه من غير روية وقحم الفرس فارسه تقحيما علي وجهه اذا رماه وتقحيم النفس في الشي ادخالها فيه من غير روية والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم قحط فدخلوا الريف والقحم صعاب الطريق قال الفرا والزجاج وذكر لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتي تعيد وها في كلام آخر كقوله تعالي فلا صدق ولا صلي ولا هم يحزنون وانما افردها لدلالة آخر الكلام علي معناه فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين آمنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن وقيل هو جار مجري الدعا كقوله لا نجا ولا سلم وما ادراك ما العقبة قال سفيان بن عيينة كل شي قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقال المعني فلا اقتحم العقبة اي فلم يقتحم العقبة كقول زهير

وكان طوي كشحا علي مستكنة ... فلا هو ابداها ولو يتقدم

اي فلم يبدها ولم يتقدم وكذا قال المبرد وابو علي لا بمعني لم وذكره البخاري عن مجاهد اي فلم يقتحم العقبة في الدنيا فلا يحتاج الي الكفو ثم فسر العقبة وركوبها فقال فك رقبة وكذا او كذا فبين وجوها من القرب المالية وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين معني الكلام الاستفهام الذي معناه الانكار تقديره افلا اقتحم العقبة او هلا اقتحم العقبة يقول هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام السغبان ليجاوز به العقبة فيكون خيرا له من انفاقه في عداوة محمد صلي الله عليه وسلم ثم قيل اقتحام العقبة هاهنا ضرب مثل اي هلا تحمل عظام الامور في انفاق ماله في طاعة ربه والايمان به وهذا انما يليق بقول من حمل فلا اقتحم العقبة علي الدعا اي فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا او كذا وقيل شبه عظم الذنوب وثقلها وشدتها بعقبة فاذا اعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب التي تضره وتوذيه وتثقله وقال ابن عمر هذه العقبة جبل في جهنم وعن ابي رجا قال بلغنا ان العقبة مصعدها سبعة الاف سنة ومهبطها سبعة الاف سنة وقال الحسن وقتادة هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط يضرب علي جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان اقتحامه علي المومن كما بين صلاة العصر الي العشا وقيل اقتحامه عليه قدر ما يصلي صلاة مكتوبة وروي عن ابي الدردا انه قال ان وراءنا عقبة انجي الناس منها اخفهم حملا وقيل النار نفسها هي العقبة فروي ابو رجا عن الحسن قال بلغنا انه ما من مسلم يعتق رقبة الا كانت فداه من النار وعن عبد الله بن عمر قال من اعتق رقبة اعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضوا منه من النار وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من اعضائه من النار حتي فرجه بفرجه وفي الترمذي عن ابي امامة وغيره من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم قال ايما امري مسلم اعتق امرا مسلما كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا منه وايما امري مسلم اعتق امراتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا منه وايما امراة مسلمة اعتقت امراة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوا منها قال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل العقبة خلاصه من هول العرض وقال قتادة وكعب هي نار دون الجسر وقال الحسن هي والله عقبة شديدة مجاهدة الانسان نفسه وعدوه وهواه والشيطان وانشد بعضهم

اني بليت باربع يرمينني ... بالنبل قد نصبوا علي شراكا
ابليس والدنيا ونفسي والهوي ... من اين ارجو بينهن فكاكا
يارب ساعدني بعفو انني ... اصبحت لا ارجو لهن سواكا

قوله تعالي ~~وما ادراك ما العقبة~~ فيه حذف اي وما ادراك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لالتزام امر الدين والخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم ليعلمه اقتحام العقبة وقال القشيري وحمل العقبة علي عقبة جهنم بعيد اذ احد في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم الا ان يحمل علي ان المراد فهلا صير نفسه بحيث يمكنه اقتحام عقبة جهنم غدا واختار البخاري قول مجاهد انه لم يقتحم العقبة في الدنيا قال ابن العربي وانما اختار ذلك لانه قال بعد ذلك في الاية الثانية وما ادراك ما العقبة ثم قال في الاية الثالثة فك رقبة وفي الاية الرابعة او اطعام في يوم ذي مسغبة ثم قال في الاية الخامسة يتيما ذا مقربة ثم قال في الاية السادسة او مسكينا ذا متربة فهذه الاعمال انما تكون في الدنيا المعني فلم يات في الدنيا بما يسهل عليه سلوك العقبة في الاخرة **قوله تعالي** ~~فك رقبة~~ فيه ثلاث مسايل ~~الاولي~~ قوله تعالي فك رقبة فكها خلاصها من الاسر وقيل من الرق وفي الحديث وفك الرقبة ان تعين في ثمنها من حديث البراء وقد تقدم في سورة براءة والفك هو حل القيد والرق قيد وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكا كفك الاسير من الاسر قال حسان

كم من اسير فككناه بلا ثمن ... وجز ناصية كنا مواليها

وروي عقبة بن عامر الجهني ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مومنة كانت فداه من النار قال الماوردي ويحتمل ثانيا انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمتنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب ~~الثانية~~ قال اصبغ الرقبة الكافرة ذات الثمن افضل في العتق من الرقبة المومنة القليلة الثمن لقول النبي صلي الله عليه وسلم وقد سيل اي الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها ابن العربي والمراد في هذا الحديث من المسلمين بدليل قوله عليه السلام من اعتق امرا مسلما ومن اعتق رقبة مومنة وما ذكره اصبغ وهلة وانما نظر الي تنقيص المال والنظر الي تجريد المعتق

الترتيب رابع

للعبادة وتفريغه للتوحيد ولي ~~الثالثة~~ العتق والصدقة من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية ادل علي قول ابي حنيفة لتقديم العتق علي الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلي الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار **قوله تعالي** ~~او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة~~ او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع وقرا الحسن واطعام في يوم ذا مسغبة بالالف في ذا وانشد ابو عبيدة

فلو كنت جارا يا ابن قيس بن عاصم ... لما بت شبعانا وجارك ساغبا

واطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال النخعي في قوله تعالي او اطعام في يوم ذي مسغبة قال في يوم عزيز فيه الطعام وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان من موجبات الرحمة اطعام المسلم السغبان يتيما ذا مقربة اي قرابة يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي يعلمك ان الصدقة علي القرابة افضل منها علي غير القرابة كما ان الصدقة علي اليتيم الذي لا كافل له افضل من الصدقة علي اليتيم الذي يجد من يكفله واهل اللغة يقولون سمي يتيما لضعفه يقال يتم الرجل يتما اذا ضعف وذكروا ان اليتيم في الناس من قبل الاب وفي البهايم من قبل الامهات وقد مضي في سورة البقرة مستوفا وقال بعض اهل اللغة اليتيم الذي يموت ابواه وقال قيس بن الملوح

الي الله اشكو فقد ليلي كما شكا ... الي الله فقد الوالدين يتيم

او مسكينا ذا متربة اي لا شي له حتي كانه قد لصق بالتراب من الفقر ليس له ماوي الا التراب وقال ابن عباس هو المطروح علي الطريق لا بيت له مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال عكرمة المديون ابو سنان ذو الزمانة ابن جبير الذي ليس له احد وروي عكرمة عن ابن عباس ذو المتربة البعيد التربة يعني الغريب البعيد عن وطنه وقال ابو حامد الخارزنجي المتربة هنا من التريب وهي شدة الحال يقال ترب اذا افتقر قال الهذلي

وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا ... سفكنا دماء البدن في تربة الحال

وقرا ابن كثير وابو عمرو والكساي فك بنصب الكاف علي الفعل الماضي رقبة نصبا لكونها مفعولا او اطعم بفتح الهمزة ونصب الميم من غير الف علي الفعل الماضي ايضا لقوله ثم كان من الذين امنوا فهذا اشكل بفك والطعم وقرا الباقون فك رفعا علي انه مصدر فككت رقبة خفض بالاضافة او اطعام بكسر الهمزة والف ورفع الميم وتنوينها علي المصدر ايضا واختاره ابو عبيدة وابو حاتم لانه تفسير لقوله تعالي وما ادراك ما العقبة ثم اخبره فقال فك رقبة او اطعام المعني اقتحام العقبة فك رقبة او اطعام ومن قرا بالنصب فهو محمول علي المعني اي ولا فك رقبة ولا اطعم في يوم ذي مسغبة بالنصب علي انه مفعول اطعم اي يطعمون ذا مسغبة ويتيما بدل منه الباقون ذا مسغبة فهو صفة ليوم ويجوز ان يكون قراة النصب صفة لموضع الجار والمجرور لان قوله في يوم ظرف منصوب الموضع فيكون وصفا له علي المعني دون اللفظ **قوله تعالي** ~~ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اوليك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة عليهم نار موصدة~~ يعني انه لا يقتحم العقبة من فك رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة حتي يكون من الذين امنوا اي صدقوا فان شرط قبول الطاعات الايمان بالله فالايمان بعد الانفاق لا ينفع بل يجب ان يكون الطاعة مصحوبة بالايمان قال الله تعالي في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وقالت عايشة يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم الطعام ويفك العاني ويعتق الرقاب ويحمل علي ابله لله فهل ينفعه ذلك شيا قال انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وقيل ثم كان من الذين اي فعل هذه الاشيا وهو مومن ثم بقي علي ايمانه حتي الموافاة نظيره قوله تعالي اني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدي وقيل المعني ثم كان من الذين يومنون بان هذا نافع لهم عند الله تعالي وقيل اي اتي بهذه القرب لوجه الله ثم امن بمحمد صلي الله عليه وسلم وقد قال حكيم بن حزام بعد ما اسلم يا رسول الله انا كنا نتحنث باعمال في الجاهلية فهل لنا منها شي فقال عليه السلام اسلمت علي ما قدمت من الخير وقيل ان ثم بمعني الواو اي وكان هذا المعتق الرقبة والمطعم في المسغبة من الذين امنوا وتواصوا اي اوصي بعضهم بعضا بالصبر علي طاعة الله وعن معاصيه وعلي ما اصابهم من البلايا والمصايب وتواصوا بالمرحمة علي الخلق فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين اوليك اصحاب الميمنة اي الذين يوتون كتبهم بايمانهم قال محمد بن كعب وقال يحيي بن سلام لانهم ميامين علي انفسهم

ابن زيد لانهم اخذ وا من شق ادم الايمن وقيل لان منزلتهم على اليمين قاله ميمون بن مهران والذين كفروا
باياتنا اي القران هم اصحاب المشامه اي ياخذون كتبهم بشمايلهم قاله محمد بن كعب يحيي بن سلام لانهم
مشايم على انفسهم ابن زيد لانهم اخذ وا من شق ادم الايسر ميمون لان منزلتهم عن اليسار قال الشيخ
رحمه الله ويجمع هذه الاقوال ان يقال اصحاب الميمنة اصحاب الجنة واصحاب المشامة اصحاب النار قال
الله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال
في سموم وحميم وما كان مثله ومعني موصدة اي مطبقة مغلقة قال

تحن الي اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة

وقيل مبهمة لايدري ما داخلها واهل اللغة يقولون اوصدت الباب واصدته اي اغلقته فمن قال
اوصدت فالاسم الوصاد ومن قال اصدت فالاسم الاصاد وقرا ابو عمرو وحمزة ويعقوب والشيرزي
عن الكسائي موصدة بالهمز هنا وفي الهمزة الباقون بلا همز وهما لغتان وعن ابي بكر بن عياش لنا
امام يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته. ختمت السورة بحمد الله وعونه

تفسير سورة والشمس

وهي مكية باتفاق وهي خمس عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والشمس وضحها
قال مجاهد وضحاها اي ضوءها واشراقها وهو قسم ثان واضاف الضحي الي الشمس لانه انما يكون بارتفاع الشمس
وقال قتادة نهارها السدي حرها وروي الضحاك عن ابن عباس وضحاها قال جعل فيها الضوء وجعلها
حارة وقال اليزيدي هو انبساطها وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها وبمخلوقات الارض كلها
حكاها الماوردي والضحي مونثة يقال ارتفعت الضحي فوق الضحو وقد تذكر فمن انث ذهب الي انها جمع
ضحوة ومن ذكر ذهب الي انه اسم على فعل نحو صرد وبغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحي وضحي اذا
اردت به ضحي يومك لم تنونه وقال الضحي هو النهار كله كقول قتادة المعروف عند العرب ان
الضحي اذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحا بالمد ومن قال الضحي النهار كله فذلك
لدوام نور الشمس ومن قال انه نور الشمس او حر الشمس فنور الشمس لا يكون الا مع حر الشمس وقد استدل
من قال ان الضحي حر الشمس بقوله تعالى ولا تضحي اي لا يوذيك الحر وقال المبرد اصل الضحي من الضح
وهو نور الشمس والالف مقلوبة من الحاء الثانية تقول ضحوة وضحوات وضحي قالوا ومن ضحوة
مقلوبة عن الحاء الثانية والالف في ضحي مقلوبة عن الواو وقال ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس
على وجه الارض واصله الضحي فاستثقلوا اليا مع سكون الواو فقلبوها الفا قوله تعالى والقمر
اذا تلاها اي تبعها وذلك اذا سقطت رئي الهلال يقال تلوت فلانا اذا اتبعته قال قتادة انما ذلك
ليلة الهلال اذا سقطت الشمس رئي الهلال وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر
تلاها القمر بالطلوع وفي اخر الشهر يتلوها بالغروب الفرا تلاها اخذ منها يذهب الي ان القمر ياخذ من ضوء
الشمس وقال قوم والقمر اذا تلاها حين استوي واستدار فكان مثلها في الضياء والنور وقاله الزجاج
قوله تعالى والنهار اذا جلاها اي كشفها فقال قوم جلي الظلمة وان لم يجر لها ذكر كما تقول
اصبحت باردة تريد اصبحت غداتنا باردة وهذا قول الفرا والكلبي وغيرهما وقال قوم الضمير في
جلاها للشمس والمعني انه يبين بضوء جرمها ومنه قول قيس بن الخطيم

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقيل جلا ما في الارض من حيوانها حتي ظهر لاستتاره ليلا وانتشاره نهارا وقيل جلي الدنيا وقيل الارض
وان لم يجر لهما ذكر ومثله قوله تعالى حتي توارت بالحجاب على ما تقدم انفا قوله تعالى والليل
اذا يغشاها اي يغشي الشمس فيذهب بضوءها عند سقوطها قاله مجاهد وغيره وقيل يغشي الدنيا
بالظلم فيظلم الافاق فالكناية ترجع الي غير مذكور قوله تعالى والسماء وما بناها اي وبنائها
فما مصدرية كما قال بما غفر لي ربي اي بغفران ربي قاله قتادة واختاره المبرد وقيل المعني ومن بناها
قاله مجاهد والحسن وهو اختيار الطبري اي ومن خلقها ورفعها وهو الله تعالى وحكي عن اهل الحجاز سبحان
ما سبحت له اي سبحان من سبحت له قوله تعالى والارض وما طحاها اي وطحوها وقيل ومن طحاها

اصل الضحي من الضح وهو نور الشمس

على ما ذكره انفا اي بسطها كذا قال عامة المفسرين مثل دحاها قال مجاهد والحسن وغيرهما طحاها ودحاها واحد
اي بسطها من كل جانب والطحو البسط طحا يطحو طحوا وطحي يطحي طحيا اي اضطجعت عن ابي عمرو وعن ابن عباس طحاها
قسمها وقيل خلقها قال الشاعر

وما تدري جذيمة من طحاها ولا من ساكن العرش الرفيع

الماوردي ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه حياة لما خلق عليها ويقال في بعض العرب
لا والقمر الطاحي اي المشرف المشرق المرتفع قال ابو عمرو وطحا الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما ادري
اين طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب في كل شي قال علقمة

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

قوله تعالى ونفس وما سواها قيل المعني وتسويتها فما بمعني المصدر وقيل المعني ومن سواها وهو الله
عز وجل وفي النفس قولان احدهما ادم الثاني كل نفس منفوسه وسوي بمعني هيا وقال مجاهد سواها سوي
خلقها وعدل وهذه الاسما كلها مجرورة على القسم اقسم جل ثناوه بخلقه لما فيه من عجايب الصنعة الدالة
عليه قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها اي عرفها كذا روي ابن ابي نجيح عن مجاهد اي عرفها طريق الفجور
والتقوي وقاله ابن عباس وعن مجاهد ايضا عرفها الطاعة والمعصية وعن محمد بن كعب قال اذا اراد الله بعبده
خيرا الهمه الخير فعمل به واذا اراد به السوء الهمه الشر فعمل به وقال الفرا فالهمها قال عرفها طريق الخير
وطريق الشر كما قال وهديناه النجدين وروي الضحاك عن ابن عباس قال الهم المومن المتقي تقواه والهم الكافر
فجوره وعن سعيد عن قتادة قال بين لها فجورها وتقواها والمعني متقارب وروي عن ابي هريرة قال قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالهمها فجورها وتقواها فقال اللهم ات نفسي تقواها زكها انت خير من زكاها
انت وليها ومولاها ورواه جبير عن الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية
فالهمها فجورها وتقواها رفع صوته بها وقال اللهم ات نفسي تقواها انت وليها ومولاها وانت خير من زكاها
وفي صحيح مسلم عن ابي الاسود الديلي قال قال لي عمران ابن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه
اشي قضي ومضي عليهم من قدر ما سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت
بل شي قضي عليهم ومضي عليهم قال فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شي خلق الله
وملك يده فلا يسال عما يفعل وهم يسالون فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سالتك الا لاحزر عقلك ان رجلين
من مزينه اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشي قضي
عليهم ومضي فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شي قضي
عليهم ومضي فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها والفجور والتقوي
مصدران في موضع المفعول به قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها هذا جواب
القسم بمعني لقد افلح قال الزجاج اللام حذفت لان الكلام طال فصار عوضا منها وقيل الجواب محذوف اي والشمس
وكذا لتبعثن الزمخشري تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها
على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شي وقيل هو على التقديم والتاخير بغير حذف والمعني قد افلح من
زكاها وقد خاب من دساها والشمس وضحاها افلح فاز من زكاها اي من زكاها الله نفسه بالطاعة وقد خاب
من دساها اي خسرت نفس دسها الله جل ثناوه بالمعصية وقال ابن عباس خابت نفس اضلها الله واغواها
وقيل افلح من زكي نفسه بطاعة الله وصالح الاعمال وخاب من دس نفسه في المعاصي قاله قتادة وغيره واصل
الزكاة النمو ومنه زكاة الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل وذكر الجميل
وقد تقدم هذا المعني في اول البقرة مستوفا فمصطنع المعروف والمبادر الي اعمال البر شهر نفسه ورفعها
وكانت اجواد العرب تنزل الربي وارتفاع الارض ليشتهر مكانها للمعتفين وتوقد النيران في الليل للطارقين
وكانت اللئام تنزل الاولاج والاطراف والاهضام ليخفي مكانها عن الطالبين فاولئك علوا انفسهم وزكوها
وهاولا اخفوا انفسهم ودسوها وكذا الفاجر ابدا خفي المكان زمر المروة غامض الشخص ناكس الراس بركوب المعاصي
وقيل دسها اغواها قال

وانت الذي دسيت عمرا فاصبحت حلايله منه ارامل ضيعا

قال اهل اللغة والاصل دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشي في الشي فابدلت سينه ياء كما يقال قصيت
اظفاري واصله قصصت اظفاري ومنه قولهم في تقضض تقضي وقال ابن الاعرابي وقد خاب من دسها

اي دس نفسها في جملة الصالحين وليس منهم **قوله تعالى** كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها اي بطغيانها وبخروجها عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وعن ابن عباس بطغواها اي بعذابها الذي وعدت به قال وكان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى لانه طغى عليهم وقال محمد بن كعب باجمعها وقيل هو مصدر وخرج على هذا المخرج لانه اشكل برؤوس الاي وقيل الاصل بطغياها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات اليا ابدلت في الاسم واوا ليفصل بين الاسم والوصف وقراءة العامة بفتح الطاء وقرا الحسن والجحدري وحماد بن سلمة بضم الطاء على انه مصدر كالرجعى والحسنى وشبههما في المصادر وقيل هما لغتان اذ انبعث اي نهض اشقاها لعقر الناقة واسمه قدار بن سالف وقد مضى في الاعراف بيان هذا وهل كان واحدا او جماعة وفي البخاري عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة وذكر الحديث خرجه مسلم ايضا وروى الضحاك عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اتدري من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك فقال لهم رسول الله يعني صالحا ناقة الله ناقة منصوب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي والجدار الجدار اي احذروا ناقة الله اي عقرها وقيل ذروا ناقة الله كما قال تعالى هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء وسقياها اي ذروها وشربها وقد مضى بيانه في الشعراء واقتربت الساعة فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بيرهم ولها شرب يوم مكان ذلك فشق ذلك عليهم فكذبوه اي كذبوا صالحا في قوله انكم تعذبون ان عقرتموها فعقروها اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وقال قتادة ذكر لنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكورهم واناثهم وقال الفرا عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان خير الناس وهذه المراة اشقى القوم فلهذا لم يقل اشقياها **قوله تعالى** فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها اي اهلكهم واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وروى الضحاك عن ابن عباس قال دمدم عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال الفراء دمدم اي ارجف وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده ويقال دممت على الشيء اذا اطبقت عليه ودمم عليه القبر اي اطبقه وناقة مدمومة اي البسها الشحم فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت عليه ودمم عليه القبر اي اطبقه والدمدمة اهلاك باستيصال قاله المؤرخ وفي الصحاح ودمدمت الشيء اذا الزقته بالارض وطحطحته ودمدم الله عليهم اي اهلكهم القشيري وقيل دمدمت على الميت التراب اي سويت عليه فقوله فدمدم عليهم اي اهلكهم فجعلهم تحت التراب فسواها اي سوى عليهم الارض وعلى الاول فسواها اي فسوى الدمدمة والاهلاك عليهم وذلك ان الصيحة اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم وقال ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وقال بعض اللغويين الدمدمة الادامة تقول العرب ناقة مدمومة اي سمينة وقيل فسواها اي سوى الامة في انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم وضيعهم وشريفهم ذكرهم وانثاهم وقرا ابن الزبير فدهدم وهما لغتان كما يقال امتقع لونه واهتقع **قوله تعالى** ولا يخاف عقباها اي فعل الله ذلك بهم غير خائف ان تلحقه تبعة الدمدمة من احد قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والهاء في عقباها يرجع الى الفعلة كقوله من اغتسل يوم الجمعة فبها ونعمت اي بالفعلة والخصلة وقال السدي والضحاك والكلبي ترجع الى العاقر اي لم يخف الذي عقرها عقبى ما صنع وقاله ابن عباس ايضا وفي الكلام تقديم وتاخير مجازه اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها وقيل لا يخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عاقبة اهلاك قومه ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم لانه قد انذرهم ونجاه الله تعالى حين اهلكهم وقرا نافع وابن عامر فلا بالفاء وهو الاجود لانه يرجع الى المعنى الاول اي فلا يخاف الله عاقبة اهلاكهم والباقون بالواو وهي اشبه بالمعنى الثاني اي ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال اخرج الينا مالك رحمه الله مصحفا لجده زعم انه كتبه في ايام عثمان بن عفان حين كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو وكذلك هي في مصاحف اهل مكة والعراقين بالواو واختار ابو عبيد وابو حاتم اتباعا لمصاحفهم

ختمت السورة

من اولها الى اخرها بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد واله وصحبه

قد دمدم عليهم اي اهلكهم

تفسير سورة والليل

وهي مكية وقيل مدنية وهي احدى وعشرون اية باجماع بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى والليل اذا يغشى اي يغطي ولم يذكر مفعولا للعلم به فقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلائق وقيل يغشى كل شيء بظلمته وروى سعيد عن قتادة قال اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيئا مبصرا والنهار اذا تجلى اي انكشف ووضح وظهر وبان بضوئه عن ظلمة الليل وما خلق الذكر والانثى قال الحسن معناه والذي خلق الذكر والانثى فيكون قد اقسم بنفسه جل وعز وقيل معناه وخلق الذكر والانثى فما مصدرية على ما تقدم واهل مكة يقولون للرعد سبحان ما سبحت له فما على هذا بمعنى من وهو قول ابي عبيدة وغيره وقيل المعنى وما خلق من الذكر والانثى فتكون من مضمرة ويكون القسم منه باهل طاعته من اوليائه وانبيائه ويكون قسمه بهم تكرمة لهم وتشريفا وقال ابو عبيدة وما خلق اي ومن خلق وكذلك قوله والسماء وما بناها ونفس وما سواها ما في هذه المواضع بمعنى من وروي عن ابن مسعود انه كان يقرا والنهار اذا تجلى والذكر والانثى ويسقط وما خلق وفي صحيح مسلم عن علقمة قال قدمنا الشام فاتانا ابو الدرداء فقال فيكم احد يقرا على قراءة عبد الله فقلت نعم انا قال فكيف سمعت عبد الله يقرا هذه الاية والليل اذا يغشى قال سمعته يقرا والليل اذا يغشى والذكر والانثى قال وانا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقروها ولكن هؤلاء يريدون ان اقرا وما خلق فلا اتابعهم قال ابو بكر الانباري وحدثنا محمد بن يحيى المروزي حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انا الرازق ذو القوة المتين قال ابو بكر كل من هذين الحديثين مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين والبناء على سندين يوافقان الاجماع اولى من الاخذ بواحد يخالفه الاجماع والامة وما يبنى على رواية واحد اذا حاداه رواية جماعة تخالفه اخذ برواية الجماعة وابطل نقل الواحد لما يجوز عليه من النسيان والاغفال ولو صح الحديث عن ابي الدرداء وكان اسناده مقبولا معروفا ثم كان ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وساير الصحابة رض يخالفونه لكان الحكم العمل بما روته الجماعة ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد الذي يسرع اليه من النسيان ما لا يسرع الى الجماعة وجميع اهل الملة وفي المراد بالذكر والانثى قولان احدهما ادم وحوا قاله ابن عباس والحسن والكلبي الثاني يعني جميع الذكور والاناث من ادم والبهائم لان الله تعالى خلق جميعهم وقيل كل ذكر والانثى من الادميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى ان عملكم لمختلف قاله عكرمة وساير المفسرين السعي العمل فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها يدل عليه قوله عليه السلام الناس غاديان فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه اي ان عملكم لمتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلالة وبعضه هدى اي فمنكم مومن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى لمختلف الجزا فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل اي لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطايش وجواد وبخيل **قوله تعالى** فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للاخرة والاولى فيه خمس مسايل **المسالة الاولى** قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق قال ابن مسعود يعني ابا بكر رض وقاله عامة المفسرين فروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الاسلام عجايز ونسا وقال فقال له ابوه ابو قحافة اي بني لو انك اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون معك فقال يا ابه انما اريد ما اريد وعن ابن عباس في قوله تعالى فاما من اعطى اي بذل واتقى اي محارم الله التي نهى عنها وصدق بالحسنى اي بالخلف من الله على عطائه فسنيسره لليسرى وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروي من حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ما من يوم غربت شمسه الا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين اللهم
اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وانزل الله تعالى في ذلك من القرآن فاما من اعطى واتقى الايات وقال
اهل التفسير فاما من اعطى المعسرين وقال قتادة اعطى حق الله الذي عليه وقال الحسن اعطى الصدق من قلبه
وصدق بالحسنى اي بلا اله الا الله قاله الضحاك والسلمي وابن عباس ايضا وقال مجاهد بالجنة دليله قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى الاية وقال قتادة بموعود الله الذي وعده ان يثيبه زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة
والصوم الحسن بالخلفة من عطائه وهو اختيار الطبري وتقدم عن ابن عباس وكله متقارب المعنى اذ يرجع كله
الى الثواب الذي هو الجنة **الثانية** قوله تعالى فسنيسره لليسرى اي نرشده لاسباب الخير والصلاح
حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن اسلم للجنة وفي الصحيحين والترمذي عن علي رض قال كنا في جنازة في
البقيع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس فجلسنا معه ومعه عود ينكت به في الارض فرفع راسه الى
السماء فقال ما من نفس منفوسة الا كتب مدخلها فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا
فمن كان من اهل السعادة فانه يعمل للسعادة ومن كان من اهل الشقاوة فانه يعمل للشقاوة قال بل اعملوا
فكل ميسر اما من كان من اهل السعادة فانه ييسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فانه ييسر
لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى لفظ الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح وسال غلامان شابان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام في شيء يستانف قال بل فيما
جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل اذا قال اعملوا فكل ميسر لعمله الذي خلق له قالا فالان
نجد ونعمل **الثالثة** قوله تعالى واما من بخل اي ضن بما عنده فلم يبذل خيرا وقد تقدم بيانه ومنعه في الدنيا
في ال عمران وفي الاخرة ماله النار كما في هذه الاية روى الضحاك عن ابن عباس فسنيسره للعسرى قال
سوف احول بينه وبين الايمان بالله وبرسوله وعنه عن ابن عباس قال نزلت في امية بن خلف وروى عكرمة
عن ابن عباس واما من بخل واستغنى يقول بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اي بالخلف وروى
ابن ابي نجيح عن مجاهد وكذب بالحسنى قال بالجنة وباسناد اخر عنه بلا اله الا الله فسنيسره للعسرى
اي نسهل طريقه للعسرى اي للشر وعن ابن مسعود للنار وقيل اي فسنعسر عليه اسباب الخير والصلاح
حتى يصعب عليه فعلها وقد تقدم ان الملك ينادي صباحا ومساء اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا
تلفا رواه ابو الدرداء **الرابعة** قال العلماء ثبت بهذه الاية وبقوله ومما رزقناهم ينفقون وقوله والذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الى غير ذلك من الايات ان الجود من مكارم الاخلاق والبخل من اراذلها
وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطا ولا البخيل الذي يمنع في موضع المنع لكن الجواد الذي يعطي في موضع
العطا والبخيل الذي يمنع في موضع العطا فكل من استفاد بما يعطي اجرا وحمدا فهو الجواد ومن استحق
بالمنع ذما او عقابا فهو البخيل ومن لم يستفد بالعطا اجرا وانما استوجب به ذما فليس بجواد انما هو مسرف
مذموم وهو من المبذرين الذين جعلهم الله اخوان الشياطين واوجب الحجر عليهم ومن لم يستوجب بالمنع عقابا
ولا ذما واستوجب به حمدا فهو من اهل الرشد الذين يستحقون القيام على اموال غيرهم لحسن تدبيرهم
وسداد رايهم **الخامسة** قال الفراء يقول القائل كيف قال فسنيسره للعسرى وهل في العسرى تيسير
فيقال في الجواب هذا في اجازته بمنزلة قوله عز وجل فبشرهم بعذاب اليم والبشارة في الاصل على الفرح فاذا
جمع في كلامين هذا خير وهذا شر جاء التيسير قال الفراء وقوله فسنيسره سنهيئه والعرب
تقول قد يسرت الغنم اذا ولدت او تهيات للولادة قال

هما سيدانا يزعمان وانما ... يسوداننا ان يسرت غنماهما

قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى اي مات يقال ردي الرجل يردى ردى اذا هلك
قال

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى

وقال ابو صالح وزيد بن اسلم اذا تردى
اي سقط في جهنم ومنه المتردية ويقال ردي في البير وتردى اذا سقط في بير او تهور من جبل يقال ما ادري
اين ردي اي اين ذهب وما يحتمل ان يكون جحدا اي ولا يغني عنه ماله شيئا ويحتمل ان يكون استفهاما
معناه التوبيخ اي اي شيء يغني عنه اذا هلك ووقع في جهنم ان علينا للهدى ان نبين طريق الهدى
من طريق الضلال فالهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اي على الله البيان بيان حلاله وحرامه

ان الملك ينادي صباحا ومساء اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا

وطاعته ومعصيته وقاله قتادة وقال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله وعلى الله قصد السبيل يقول
من اراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل انه معناه ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كقوله بيدك
الخير وبيده كل شيء وكما قال سرابيل تقيكم الحر وهي تقي البرد عن الفراء ايضا وقيل اي ان علينا ثواب هداه الذي
هديناه وان لنا للاخرة والاولى للاخرة الجنة والاولى الدنيا وكذا روى عطاء عن ابن عباس اي الدنيا والاخرة
لله تعالى وروى ابو صالح عن ابن عباس قال ثواب الدنيا والاخرة وهو كقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطا الطريق **قوله تعالى** فانذرتكم
نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى فانذرتكم اي حذرتكم وخوفتكم نارا تلظى اي تلهب
وتتوقد واصله تتلظى وهي قراءة عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف لا يصلاها اي لا يجد صلاها
وهو حرها الا الاشقى اي الشقي الذي كذب نبي الله محمدا صلى الله عليه وسلم وتولى اي اعرض عن الايمان
وروى مكحول عن ابي هريرة قال كل يدخل الجنة الا من اباها قالوا يا ابا هريرة ومن ابى ان يدخل الجنة قال
الذي كذب وتولى وقال مالك صلى بنا عمر بن عبد العزيز المغرب فقرا والليل اذا يغشى فلما بلغ فانذرتكم نارا
تلظى وقع عليه البكا فلم يقدر يتعداها من البكا فتركها وقرا سورة اخرى وقال الفراء الا الاشقى الا من
كان شقيا في علم الله جل ثناؤه وروى الضحاك عن ابن عباس قال لا يصلاها الا الاشقى امية ونظراؤه
الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله وقال الفراء لم
يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر عما امر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقي فلان العدو فكذب اذا نكل
ورجع عن اتباعه قال وسمعت ابا ثروان يقول ان بني نمير ليس لجدهم مكذوبة يقول اذا لقوا العدو
صدقوا القتال ولم يرجعوا وكذلك قوله جل ثناؤه ليس لوقعتها كاذبة يقول هي حق وسمعت مسلم ابن الحسن
يقول سمعت ابا اسحاق الزجاج يقول هذه الاية التي من اجلها قال اهل الارجاء بالارجاء فزعموا انه لا
يدخل النار الا كافر لقوله جل ثناؤه لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وليس الامر كما ظنوا هذه نار
موصوفة بعينها لا يصلى هذه النار الا الذي كذب وتولى ولاهل النار منازل فمنها ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار والله سبحانه كلما وعد عليه بجنس من العذاب فجائز ان يعذب به وقال جل ثناؤه ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب لم يكن في قوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فائدة وكان يغفر ما دون ذلك كلاما لا معنى له الزمخشري الاية واردة في الموازنة
بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى
وجعل مختصا بالصلى كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له
وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه **قوله تعالى** وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي
ماله يتزكى اي يكون بعيدا منها الاتقى اي التقي الخائف قال ابن عباس هو ابو بكر رض الله عنه يزحزح عن
النار ثم وصف الاتقى فقال الذي يؤتي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا ولا يطلب بذلك رياء
ولا سمعة بل يتصدق به مبتغيا به وجه الله تعالى وقال بعض اهل المعاني اراد بقوله الاتقى والاشقى اي
التقي والشقي كقول طرفة

تمنى رجال ان اموت وان امت ... فتلك سبيل لست عنه باوحد

اي واحد ووحيد وتوضع افعل موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو اهون عليه بمعنى هين
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى اي ليس
يتصدق ليجازي وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعالي ولسوف يرضى اي بالجزاء فروى عطاء والضحاك
عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني
الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال اتبيعني بلالا قال نعم
فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه الا ليد كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى
اي من يد ومنة تجزى بل ابتغى بما فعل وجه ربه الاعلى وقيل اشترى ابو بكر من امية وابي بن خلف بلالا
ببردة وعشرة اواق فاعتقه فنزلت ان سعيكم لشتى وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف
قال لابي بكر حين قال له ابو بكر اتبيعنيه فقال نعم ابيعه بنسطاس وكان نسطاس عبدا لابي بكر صاحب
عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا فحمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون له ماله فابى

فباعه ابو بكر فقال المشركون ما فعل ابو بكر ببلال هذا الا ليدٍ كانت لبلال عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزي الا ابتغا اي لكن ابتغا فهو استثنا منقطع فلذلك نصب كقولك ما في الدار احد الا حمارًا ويجوز الرفع وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغاوجه ربه بالرفع على لغة من يقول يجوز الرفع في المستثنى وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي حازم

اضحت خلاءً قفارًا لا انيس بها ... الا الجاذر والظلمان تختلف

وقول القايل

وبلدة ليس بها انيس ... الا اليعافير والا العيس

وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل وقد تقدم وجه ربه الاعلى اي مرضاته وما يقرب منه والاعلى من نعت الرب الذي استحق صفات العلو ويجوز ان يكون ابتغا وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يوتي ماله الا ابتغا وجه ربه لا لمكافات نعمة ولسوف يرضى اي سوف يعطيه في الجنة ما يرضى وذلك انه يعطيه اضعاف ما انفق روى ابو حيان التيمي عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله ولما اشتراه ابو بكر قال له بلال هل اشتريتني لعملك او لعمل الله قال بل لعمل الله قال فذرني وعمل الله فاعتقه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا رضي الله عنه وقال عطا وروي عن ابن عباس ان السورة نزلت في ابي الدحداح في النخلة التي اشتراها بحايط له فيما ذكر الثعلبي عن عطا وقال القشيري عن ابن عباس باربعين نخلة ولم يسم الرجل قال عطا كان لرجل من الانصار نخلة يسقط من بلحها في دار جار له فيتناوله صبيانه فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعنيها بنخلة في الجنة فابى فخرج فلقيه ابو الدحداح فقال هل لك ان تبيعنيها بحسنى حايط له فقال هي لك فاتى ابو الدحداح الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده فقال هي لك يا رسول الله فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جار الانصاري فقال خذها فنزلت والليل اذا يغشى الى اخر السورة في بستان ابي الدحداح وصاحب النخلة فاما من اعطى واتقى يعني ابا الدحداح وصدق بالحسنى اي بالثواب فسنيسره لليسرى يعني الجنة واما من بخل واستغنى يعني الانصاري وكذب بالحسنى بالثواب فسنيسره للعسرى يعني جهنم وما يغني عنه ماله اذا تردى مات الى قوله لا يصلاها الا الاشقى يعني بذلك الخزرجي وكان منافقا فمات على نفاقه وسيجنبها الاتقى يعني ابا الدحداح الذي يوتي ماله يتزكى في ثمن تلك النخلة وما لاحد عنده من نعمة تجزي يكافيه عليها يعني ابا الدحداح ولسوف يرضى اذا ادخله الجنة والاكثر ان السورة نزلت في الصديق روى ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وابن عبد الله بن الزبير وغيرهم وقد ذكرنا خبر الدحداح في سورة البقرة عند قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله اعلم تمت السورة المباركه بحمد الله تعالى

في بستان ابي دحداح وصاحب النخلة

تفسير سورة والضحى

وهي مكية باتفاق وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى قد تقدم القول في الضحى والمراد بها النهار لقوله والليل اذا سجى فقابله بالليل وفي سورة الاعراف افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون اي نهارا وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق اقسم بالضحى الذي كلم الله فيه موسى وبليلة المعراج وقيل هي الساعة التي خر فيها السحرة سجدا بيانه قوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقال اهل المعاني فيه وفي امثاله فيه اضمار مجازه ورب الضحى وسجى معناه سكن قاله قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة يقال ليلة ساجية اي ساكنة ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجى الشي يسجو سجوا اذا سكن والبحر اذا سجى سكن قال الاعشى

فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم ... وبحرك ساج ما يواري الدعامصا

وقال الراجز

يا حبذا القمرا والليل الساج ... وطرق مثل ملاء النساج

وقال اخر

ولقد رميتك يوم رحن باعين ... ينظرن من خلل الستور سواج

وقال الضحاك سجى غطى كل شي قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب

وقال الحسن غشى بظلامه وقاله ابن عباس وعنه اذا ذهب وعنه ايضا اذا اظلم وقال سعيد بن جبير اقبل وروى عن قتادة ايضا وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد سجى استوى والقول الاول اشهر في اللغة سجى سكن اي سكن الناس فيه كما يقال نهار صايم وليل نايم وقيل سكونه استقرار ظلامه واستواوه ويقال والضحى والليل اذا سجى يعني عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى وعباده الذين يعبدونه بالليل اذا اظلم ويقال الضحى يعني نور الجنة اذا تنور والليل اذا اظلم ويقال والضحى يعني النور الذي في قلوب العارفين لهيبة النهار والليل اذا سجى يعني السواد الذي في قلوب الكافرين كهيبة الليل فاقسم الله بهذه الاشيا ما ودعك ربك وما قلى هذا جواب القسم وكان جبريل عليه السلام ابطا على النبي صلى الله عليه وسلم

قال امرؤ القيس　　اسيئي بنا او احسني لاملومة　　لدينا ولامقليه ان تقلت
وقال　　ولست بمقلي الخلال ولا قالي

وتاويل الاية ما ودعك ربك وماقلاك فترك الكاف لانه راس اية كما قال عز وجل والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي والذاكرات الله

وَلَلاخرة خيرٌ وابقى لك من الاولى فروى سلمة عن ابن اسحاق قال والاخرة خير لك من الاولى اي ماعندي في مرجعك الي يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا وقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم ما يفتح الله على امته بعده فسر بذلك فنزل جبريل بقوله وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن اسحق الفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل الحوض والشفاعة وعن ابن عباس الف قصر من لولو ابيض ترابه المسك رفعه الاوزاعي فقال حدثنا اسمعيل بن عبد الله عن علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه قال اري النبي صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى الى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فاعطاه جل ثناؤه الف قصر في الجنة ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وعنه قال رضي محمد ان لا يدخل احد من اهل بيته النار وقاله السدي وقيل هي الشفاعة في جميع المومنين وعن علي رضي الله عنه قال يشفعني الله في امتي حتى يقول الله سبحانه لي رضيت يا محمد فاقول يا رب رضيت وفي صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى قول الله في ابراهيم فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكا فقال الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فساله فاخبره فقال الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد فقل له ان الله يقول لك انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال علي رض لاهل العراق انكم تقولون ان ارجى اية في كتاب الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قالوا انا نقول ذلك قال ولكنا اهل البيت يقول ان ارجى اية في كتاب الله قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الحديث لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا والله لا ارضى وواحد من امتي في النار

الم يجدك يتيما فاوى عدد سبحانه مننه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال الم يجدك يتيما لا اب لك قد مات ابوك فاوى اي جعل لك ماوى تاوي اليه عند عمك ابي طالب فكفلك وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم اوتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وعن مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها مثل فمجاز الاية الم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك فاواك الله باصحاب يحفظونك ويحوطونك **ووجدك ضالا فهدى** اي غافلا عما يراد بك من امر النبوة فهداك اي ارشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة كقوله جل ثناؤه لا يضل ربي اي لا يغفل وقال في حق نبيه وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال قوم ضالا لم تكن تدري القران والشرايع فهداك الله الى القران وشرايع الاسلام عن الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما وهو معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان على ما بيناه في سورة الشورى وقال قوم ووجدك ضالا اي في قوم ضلال فهداهم الله بك هذا قول الكلبي والفرا وعن السدي نحوه اي ووجد قومك في ضلال فهداك الى ارشادهم وقيل ووجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ضالا اي ناسيا شان الاستثنا حين سيلت عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فاذكرك كما قال تعالى ان تضل احداهما وقيل ووجدك طالبا للقبلة فهداك اليها بيانه قد نرى تقلب وجهك في السما الاية ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل ووجدك متحيرا عن بيان ما نزل عليك فهداك اليه فيكون الضلال بمعنى التحير لان الضال متحير وقيل ووجدك ضايعا في قومك فهداك اليه ويكون الضلال بمعنى الضياع وقيل ووجدك محبا للهداية فهداك اليها ويكون الضلال بمعنى المحبة ومنه قوله تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي في محبتك قال الشاعر

هذا الضلال اشاب مني المفرقا　　والعارضين ولم اكن متحققا
عجبا لعزة في اختيار قطيعتي　　بعد الضلال فحبلها قد اخلقا

وقيل ضالا في شعاب مكة فهداك ردك الى جدك عبد المطلب وقال ابن عباس ضل النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير في شعاب مكة فراه ابو جهل منصرفا عن اغنامه فرده الى جده عبد المطلب فمن الله

درة يتيمة اذا لم يكن لها مثل

عليه بذلك حين رده الى جده على يدي عدوه وقال سعيد بن جبير خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام الناقة في ليلة ظلما فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقال كعب ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيا لك يا بطحا مكة اليوم يرد اليك النور والدين والبها والجمال قالت فوضعته لاصلح ثيابي فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر الناس اين الصبي فقالوا لم نر شيا فصحت وامحمداه فاذا شيخ كبير يتوكا على عصاه فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه فقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شيت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يدي محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله ان يرده وقال

يا رب رد ولدي محمدا　　اردده واتخذ عندي يدا
يا رب ان محمدا لم يوجدا　　فشمل قومي كلهم تبددا

فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وقيل ووجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال ابو بكر الوراق وغيره ووجدك ضالا تحب ابا طالب فهداك الى محبة ربك وقال بسام بن عبد الله ووجدك ضالا بنفسك لا تدري من انت فعرفك بنفسك وحالك قال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان الكتاب فعلمك بيانه لتبين للناس ما نزل اليهم الاية لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ووجدك ضالا اي لا احد على دينك وانت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الي قال الشيخ رحمه الله هذه الاقوال كلها حسان ثم منها ما هو معنوي ومنها ما هو حسي والقول الاخير اعجب الي لانه يجمع الاقوال المعنوية وقال قوم انه كان على جملة ما كان القوم عليه لا يظهر لهم خلافا في ظاهر الحال فاما الشرك فلا يظن به بل كان على مراسم القوم في الظاهر اربعين سنة وقال الكلبي والسدي على ظاهره اي ووجدك كافرا والقوم كفار فهداك وقد مضى هذا القول والرد عليه في سورة الشورى وقيل ووجدك مغمورا باهل الشرك فميزك عنهم يقال ضل الماء في اللبن ومنه ائذا ضللنا في الارض اي لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كانا لا نتميز من جملته وفي قراءة الحسن ووجدك ضال فهدى اي وجدك الضال فاهتدى بك وهذه قراءة على التفسير وقيل ووجدك لا يهتدي اليك قومك ولا يعرفون قدرك فهدى المسلمين اليك حتى امنوا بك **ووجدك عايلا فاغنى** ووجدك عايلا اي فقيرا لا مال لك فاغناك اي فاغناك بخديجة رضي الله عنها يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال احيحة بن الجلاح

فما يدري الفقير متى غناه　　وما يدري الغني متى يعيل

اي يفتقر وقال مقاتل فرضاك بما اعطاك من الرزق وقال الكلبي قنعك بالرزق وقال ابن عطا ووجدك فقير النفس فاغنى قلبك وقال الاخفش ووجدك ذا عيال دليله فاغنى ومنه قول جرير

الله انزل في الكتاب فريضة　　لابن السبيل وللفقير العايل

وقيل وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فاغناك بها وقيل اغناك بما فتح لك من الفتوح وافاءه عليك من اموال الكفار القشيري وفي هذا نظر لان السورة مكية وانما فرض الجهاد بالمدينة وقراءة العامة عايلا وقرا ابن السميقع عيلا بالتشديد مثل طيب وهين **فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث** فيه اربع مسايل **الاولى** قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تسلط عليه بالظلم ادفع اليه حقه واذكر يتمك فعلى هذا يحتمل ان يكون نهيا عن قهره بظلمه واخذ ماله وخص اليتيم لانه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ في امره بتغليظ العقوبة

علي ظالمه وعن مجاهد فلا تقهر فلا تحتقر وقرا النخعي والاشهب العقيلي تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف
بن مسعود قال الاخفش وهما لغتان بمعني والعرب تعاقب بين الكاف والقاف النحاس وهذا اغلط
انما يقال كهره اذا اشتد عليه وغلظ وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة
برد السلام قال فبابي هو وامي ما رايت معلما قبله ولا بعده احسن تعليما منه يعني رسول الله صلي الله عليه
وسلم فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني الحديث وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر **الثانية** ودلت
الاية علي اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه حتي قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم وروي عن ابي هريرة
ان رجلا شكي الي النبي صلي الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال ان اردت ان يلين فامسح راس اليتيم واطعم
المسكين وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال انا وكافل اليتيم له ولغيره كهاتين
واشار بالسبابة والوسطي ومن حديث ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان اليتيم اذا بكي اهتز
لبكائه عرش الرحمن فيقول الله تعالي يا ملايكتي من هذا الذي ابكي هذا اليتيم الذي غيبت اباه في التراب
فتقول الملايكة ربنا انت اعلم فيقول الله تعالي يا ملايكتي اشهد ان من اسكته وارضاه ان ارضيه
يوم القيامة فكان ابن عمر اذا راي يتيما مسح براسه واعطاه شيا وعن انس قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم من ضم يتيما فكان في نفقته وكفاه مونته كان له حجابا من النار يوم القيامة ومن مسح براس يتيم
كان له بكل شعرة حسنة وقال اكثم بن الصيفي الاذلاء اربعة النمام والكذاب والمديون واليتيم
الثالثة قوله تعالي واما السايل فلا تنهر اي لا تزجره فهو نهي عن اغلاظ القول ولكن رده ببذل يسير
او رد جميل واذكر فقرك قاله قتادة وغيره وروي عن ابي هريرة ان النبي صلي الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم
السايل وان يعطيه اذا سال ولو راي في يده قلبين من ذهب وقال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوال
يحملون زادنا الي الاخرة وقال ابراهيم النخعي السايل بريد الاخرة يجي الي باب احدكم فيقول هل تبعثون
الي اهليكم بشي وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم ردوا السايل ببذل يسير او رد جميل فانه ياتيكم
من ليس من الانس ولا من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله وقيل المراد بالسايل هنا الذي يسال
عن الدين اي فلا تنهره بالغلظة والجفوة واجبه برفق ولين قاله سفيان قال ابن العربي واما المسايل
عن الدين فجوابه فرض علي العالم علي الكفاية كاعطا سايل البر سوا وقد كان ابو الدردا ينظر الي اصحاب
الحديث ويبسط رداه لهم ويقول مرحبا باحبة رسول الله صلي الله عليه وسلم وفي حديث ابي هرون العبدي
عن ابي سعيد الخدري قال كنا اذا اتينا ابا سعيد يقول مرحبا بوصية رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الناس لكم تبع وان رجالا ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون فاذا
اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وفي رواية ياتيكم رجال من قبل المشرق فذكره واليتيم والسايل منصوبان
بالفعل الذي بعده وحق المنصوب ان يكون بعد الفا والتقدير مهما يكن من شي فلا تقهر اليتيم ولا تنهر
السايل وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال سالت ربي مسالة وددت اني لم اسالها قلت يا رب اتخذت
ابراهيم خليلا وكلمت موسي تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن واعطيت فلانا كذا فقال عز وجل
الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك الم اشرح لك صدرك
الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابراهيم خليلا
قلت بلي يا رب **الرابعة** قوله تعالي واما بنعمة ربك فحدث اي انشر ما انعم الله عليك بالشكر والثنا
والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد واما بنعمة ربك فحدث قال بالقران
وعنه قال بالنبوة اي بلغ ما ارسلت به والخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره وعن الحسن
بن علي رض قال اذا اصبت خيرا او عملت خيرا فحدث به الثقة من اخوانك وعن عمرو بن ميمون قال
اذا لقي الرجل من اخوانه من يثق به يقول له رزق الله من الصلاة البارحة كذا وكذا وكان ابو فراس عبد
الله بن غالب اذا اصبح يقول لقد رزقني الله البارحة كذا قرات كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا
وفعلت كذا فيقال له يا ابا فراس ان مثلك لا يقول هذا قال يقول الله تعالي واما بنعمة ربك فحدث
وتقولون انتم لا تحدث بنعمة الله ونحوه عن ابي ايوب السختياني وابو رجا العطاردي رضي الله عنهم وقال
بكر بن عبد الله المزني قال النبي صلي الله عليه وسلم من اعطي خيرا فلم ير عليه سمي بغيض الله معاديا
لنعم الله وروي الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال النبي صلي الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر

فهو نهي عن اغلاظ القول ولكن رده ببذل يسير
او رد جميل

الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب
وروي النساي عن مالك بن نضلة الجشمي قال كنت عند رسول الله صلي الله عليه وسلم جالسا فراني
رث الثياب فقال الك مال قلت نعم يا رسول الله من كل المال قال اذا اتاك الله مالا فلير اثره عليك
وروي ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يري اثر
النعمة علي عبده **فصل** يكبر القاري في رواية البزي عن ابن كثير وقد رواه مجاهد عن ابن عباس
عن ابي بن كعب عن النبي صلي الله عليه وسلم اذا بلغ اخر والضحي كبر بين كل سورة تكبيرة الي ان يختم القران
ولا يصل اخر السورة بتكبيره بل يفصل بينهما بسكتة وكان المعني في ذلك ان الوحي تاخر عن النبي صلي الله عليه
وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه الاية السورة فقال الله اكبر
قال مجاهد قرات علي ابن عباس فامرني به واخبرني به عن ابي عن النبي صلي الله عليه وسلم ولا يكبر في قراءة
الباقين لانها ذريعة الي الزيادة في القران قال الشيخ رحمه الله القران ثبت نقلا متواترا سوره واياته
وحروفه لا زيادة ولا نقصان فالتكبير علي هذا ليس بقران واذا كان بسم الله الرحمن الرحيم المكتوب
في المصحف بخط المصحف ليس بقران فكيف بالتكبير الذي ليس بمكتوب اما انه ثبت سنة بنقل الاحاد فاستحبه
ابن كثير الا انه اوجبه فخطا من تركه ذكر الحاكم ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ في كتاب المستدرك
له علي البخاري ومسلم حدثنا ابو يحيي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقري الامام بمكة في
المسجد الحرام حدثنا ابو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصايغ حدثنا احمد بن محمد بن القاسم بن ابي بزة سمعت
عكرمة بن سليمان يقول قرات علي اسمعيل بن عبد الله بن القسطنطين فلما بلغت والضحي قال لي كبر
عند خاتمة كل سورة حتي تختم فاني قرات علي عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحي قال كبر حتي تختم
واخبر عبد الله بن كثير انه قرا علي مجاهد واخبره مجاهد ان ابن عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان
ابي بن كعب امره بذلك واخبره ابي بن كعب ان النبي صلي الله عليه وسلم امره بذلك هذا حديث صحيح
ولم يخرجاه ختمت السورة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه امين

تفسير سورة الم نشرح

وهي مكية في قول الجميع وهي ثماني ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالي
الم نشرح لك صدرك شرح الصدر فتحه اي الم نفتح صدرك للاسلام وروي ابو صالح عن ابن عباس قال
الم نلين لك قلبك وروي الضحاك عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم وينفسح قالوا
يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الي دار الخلود والاعتداد
للموت قبل نزول الموت وقد مضي هذا المعني في الزمر عند قوله افمن شرح الله صدره للاسلام
وروي عن الحسن قال الم نشرح لك صدرك قال ملي حلما وعلما وفي الصحيحين عن انس بن مالك عن مالك بن
صعصعة رجل من قومه ان نبي الله صلي الله عليه وسلم قال فبينا انا عند البيت بين النايم واليقظان
اذ سمعت قايلا يقول احد الثلاثة فاتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري الي كذا وكذا
قال قتادة قلت ما يعني قال الي اسفل بطني قال فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم اعيد مكانه
ثم حشي ايمانا وحكمة وفي الحديث قصة وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال جاني ملكان في صورة طاير
معهما ماء وثلج فشرح احدهما صدري والاخر بمنقاره فيه فغسله وروي في حديث اخر قال جاني ملك
فشق عن قلبي فاستخرج منه عذرة وقال قلبك وكيع وعيناك بصيرتان واذناك سميعتان انت محمد
رسول الله لسانك صادق ونفسك مطمينة وخلقك قثم وانت قثم قال اهل اللغة قوله وكيع اي يحفظ
ما يوضع فيه يقال سقاء وكيع اي قوي يحفظ ما فيه واستوكعت معدته اذا قويت وقوله قثم اي جامع
يقال رجل قثوم للخير اي جامع او معني الم نشرح قد شرحنا الدليل علي ذلك قوله في النسق عليه ووضعنا
عنك وزرك فهذا عطف علي التاويل لا علي التنزيل لانه لو كان علي التنزيل يقال ونضع عنك وزرك فدل
هذا علي ان الم نشرح قد شرحنا ولم جحد وفي الاستفهام طرف من الجحد اذا وقع جحد علي جحد رجع الي التحقيق كقوله
تعالي اليس الله باحكم الحاكمين ومعناه الله احكم الحاكمين وكذا اليس الله بكاف عبده ومثله قول
جرير يمدح عبد الملك بن مروان شعر

السنتم خير من ركب المطايا واندي العالمين بطون راح

المعنى انتم كذا **قوله تعالى** وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ووضعناك عنك وزرك
اي خططنا عنك ذنبك وقرا انس وحللنا وحططنا وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وهذه الاية مثل
قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فكل الجميع كان قبل النبوة والوزر الذنب اي ووضعنا عنك
ما كنت فيه من امر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم في كثير من مذاهب قومه ولم يكن عبد صنما ولا وثنا
قال قتادة والحسن والضحاك كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب اثقلته فغفرها الله له الذي انقض ظهرك
اي اثقله حتى سمع لنقيضه اي صوته واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقة اذا حملت له صريرا من
شدة الحمل وكذلك سمعت نقيض الرحل اي صريره قال جميل

وحتى تداعت بالنقيض حباله وهمت بواني زوره ان تحطما

بواني زوره اي اصول صدره فالوزر الحمل الثقيل قال المحاسبي يعني ثقل الوزر لو لم يعف الله عنه الذي
انقض ظهرك اي اثقله واوهنه قال وانما وصفت ذنوب الانبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة
اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها وقال السدي ووضعنا عنك وزرك اي وحططنا عنك ثقلك
وهي في قراة عبد الله بن مسعود وحططنا عنك وقرك وقيل اي حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية قال
الحسين بن الفضل يعني الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقال عبد العزيز
بن يحيى وابو عبيدة خففنا عنك اعبا النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتدا يثقل
عليه الوحي حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل الى ان جاءه جبريل واراه نفسه وازيل عنه ما كان يخاف
من تغير العقل وقيل عصمناك عن احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس حتى نزل
عليك الوحي وانت مطهر من الادناس **قوله تعالى** وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ قال مجاهد يعني بالتاذين
وفيه يقول حسان بن ثابت

اعز علينا للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه اذا قال المؤذن في الخمس اشهد

وروي عن الضحاك عن ابن عباس قال يقول الله لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم
الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم التشريق ويوم عرفة وعند الجمار وعلى الصفا والمروة
وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار
وكل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشي وكان كافرا وقيل اي اعلينا ذكرك فذكرناك في
الكتب المنزلة على الانبيا قبلك وامرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا
ذكرك عند الملائكة في السما وفي الارض عند المومنين ونرفع في الاخرة ما نعطيك من المقام المحمود وكرائم
الدرجات **قوله تعالى** فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا اي ان مع الضيقة والشدة يسرا
اي سعة وغنى ثم كرر فقال ان مع العسر يسرا فقال قوم هذا التكرير تاكيد للكلام كما يقال ارم ارم اعجل اعجل
قال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظيره في تكرار الجواب بلى بلى لا لا وذلك
للاطناب والمبالغة قاله الفرا ومنه قول الشاعر

هممت لنفسي بعض الهموم فاولى لنفسي اولى لها

وقال قوم ان من عادة العرب
اذا ذكروا اسما معرفا ثم كرروه فهو هو واذا نكروه ثم كرروه فهو غيره وهما اثنان ليكون اقوى للامل وابعث
على الصبر قاله ثعلب وقال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين ولن يغلب عسر
يسرين وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة انه قال لن يغلب عسر يسرين وقال
ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ولن يغلب عسر يسرين
وكتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر ابن الخطاب رض يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر
رض اما بعد فانه مهما ينزل بعبد مومن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين
وان الله تعالى يقول في كتابه يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال
قوم منهم الجرجاني هذا قول مدخول لانه يجب على هذا التدريج اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس
سيفا ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنان والصحيح ان يقال ان الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
مقلا مخففا فعيره المشركون بفقره حتى قالوا له نجمع لك مالا اغتمّ وظن انهم كذبوه لفقره فعزاه الله

عليه نعمه ووعده الغنى بقوله فان مع العسر يسرا اي لا يحزنك ما عيروك به من الفقر فان مع ذلك
يسرا عاجلا اي في الدنيا فانجز له ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن ووسع ذات يده حتى كان
يعطي الرجل المائتين من الابل ويهب الهبات السنية ويعد لاهله قوت سنة فهذا الفضل كله في امر
الدنيا وان كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعض امته ان شا الله ثم ابتدا فضلا اخر
من امر الاخرة وفيه تاسية وتعزية له صلى الله عليه وسلم فقال مبتدا ان مع العسر يسرا فهو شي اخر
والدليل عليه ابتداوه به تعريه من فا او واو وغيرهما من حروف النسق التي تدل على العطف فهذا وعد عام
لجميع المومنين لا يخرج احد منه اي ان مع العسر في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة لا محالة وربما
اجتمع يسر الدنيا ويسر الاخرة والذي في الخبر لن يغلب عسر يسرين يعني العسر الواحد لن يغلبهما
وانما يغلب احدهما ان غلب وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فكاين لا محالة ولن يغلبه شي ويقال ان
مع العسر وهو اخراج اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة يسرا وهو دخوله يوم فتح مكة مع عشرة
الاف رجل مع عز وشرف **قوله تعالى** فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب فيه مسيلتان
الاولى قال ابن عباس وقتادة اذا فرغت من صلاتك فانصب اي بالغ في الدعاء واساله حاجتك وقال
ابن مسعود اذا فرغت الفرايض فانصب في قيام الليل وقال الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب
اي استغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقال الحسن وقتادة ايضا فاذا فرغت من جهاد عدوك فانصب
لعبادة ربك وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك ونحوه عن الجنيد قال الجنيد اذا فرغت
من امر الخلق فاجتهد في عبادة الحق قال ابن العربي ومن المبتدعة من قرا هذه الاية فانصب بكسر الصاد
والهمزة في اوله وقالوا معناه انصب الامام الذي تستخلفه وهذا باطل في القراءة في المعنى لان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا وقراها بعض الجهال بتشديد الباء معناه اذا فرغت من الجهاد فجد
في الرجوع الى بلدك وهذا باطل ايضا قراة لمخالفة الاجماع لكن معناه صحيح لقول النبي صلى الله عليه وسلم
السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى احدكم نهمته فليعجل الرجوع الى اهله
واشد الناس عذابا واسوؤهم مبا وما من اخذ معنى صحيحا فركب عليه من قبل نفسه قراءة او حديثا فيكون
كاذبا على الله كاذبا على رسوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المهدوي وروي عن ابي جعفر المنصور
انه قرا الم نشرح لك بفتح الحاء وهو بعيد وقد تاول على تقدير النون الخفيفة ثم ابدلت النون الفا للوقف
ثم حمل الوصل على الوقف ثم حذفت الالف وانشد عليه

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسوط قونس الفرس

اراد اضربن وروي عن ابن السماك فاذا فرغت بكسر الراء وهي لغة فيه وقرئ فرغب اي فرغب الناس
الى ما عنده **الثانية** قال ابن العربي روي عن شريح انه مر بقوم يلعبون يوم عيد فقال ما بهذا امر
الفارغ وفيه نظر فان الحبش كانوا يلعبون بالدرق والحراب في المسجد يوم العيد والنبي صلى الله عليه
وسلم ينظر ودخل ابو بكر في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة رضي الله عنها وعندها جاريتا
من جواري الانصار تغنيان فقال ابو بكر رضي الله عنه امزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال دعهما يا ابا بكر فانه يوم عيد وليس يلزم الدوب على العمل بل هو مكروه للخلق تمت

تفسير سورة والتين

وهي مكية في قول الاكثرين وقال ابن عباس وقتادة هي مدنية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطا ابن ابي رباح
وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت
قال الله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وقال ابو ذر اهدي للنبي
صلى الله عليه وسلم سل من تين فقال كلوا واكل منه ثم قال لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فا
كهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن معاذ انه استاك بقضيب
زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة تطيب

الغم وتذهب بالحفر وهي سواكي وسواك الانبيا من قبلي وروي عن ابن عباس ايضا التين مسجد نوح عليه
السلام الذي بني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام
والزيتون المسجد الاقصى ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس قتادة التين الجبل
الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف
والزيتون مسجد ايليا وقال كعب الاحبار وقتادة ايضا وعكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت
المقدس وهذا اختيار الطبري وقال الفرا سمعت رجلا من اهل الشام يقول التين جبال ما بين حلوان
الى همدان والزيتون جبال الشام وقيل هما جبلان يقال لهما طور تينا وطور زيتا بالسريانية سميا
بذلك لانهما ينبتانهما وكذا روي ابو مكين عن عكرمة قال التين والزيتون جبلان بالشام وقال زهير

اتين التين عن عرض

وهذا اسم موضع ويجوز ان يكون ذلك على حذف مضاف
اي ومنابت التين والزيتون ولكن لا دليل على ذلك من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه قاله النحاس
الثانية اصح هذه الاقوال القول الاول لانه الحقيقة ولا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا بدليل وانما اقسم
الله بالتين لانه كان ستر ادم في الجنة لقوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة وكان ورق التين وقيل اقسم
به ليبين وجه المنة العظمى فيه فانه جميل المنظر طيب المخبر نشر الرائحة سهل الجني على قدر المضغة وقد
احسن القائل فيه

انظر الى التين في الغصون ضحى	ممزق الجلد مائل العنق
كانه رب نعمة سلبت	فعاد بعد الجديد في الخلق
اصغر ما في النهود اكبره	لكن ينادي عليه في الطرق

وقال آخر

التين يعدل عندي كل فاكهة	اذا انثنى مائلا في غصنه الزاهي
مخمش الوجه قد سالت حلاوته	كانه راكع من خشية الله

واقسم بالزيتون لانه مثل به ابراهيم في قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة وهو اكثر ادم اهل الشام و المغرب
يصطبغون به ويستعملونه في طبيخهم ويستصبحون به ويداوى به ادوا الجوف والقروح والجراحات
وفيه منافع كثيرة وقال عليه السلام كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وقد مضى في سورة
المومنين القول فيه **الثالثة** قال ابن العربي ولامتنان الباري سبحانه وتعظيم المنة في التين وانه مقتات
مدخر قلنا بوجوب الزكاة فيه وانما فر كثير من العلماء من التصريح بوجوب الزكاة فيه تقية جور الولاة فانهم
يتحاملون في الاموال الزكاتية فياخذونها مغرما حسب ما انذر به الصادق صلى الله عليه وسلم فكره العلماء
ان يجعلوا لهم سبيلا الى مال اخر يتشططون فيه ولكن ينبغي للمرء ان يخرج عن نعمة ربه باداء حقه وقد قال
الشافعي لهذه العلة وغيرها لا زكاة في الزيتون والصحيح وجوب الزكاة فيه **وطور**
سينين روى ابن ابي نجيح عن مجاهد وطور قال جبل سينين قال مبارك بالسريانية وعن عكرمة عن ابن عباس
قال طور جبل وسينين حسن وقال قتادة سينين هو المبارك الحسن وعن عكرمة
قال الجبل الذي نادى الله جل ثناؤه منه موسى عليه السلام وقال مقاتل والكلبي سينين
كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط وعن عمرو بن ميمون قال صليت مع عمر بن الخطاب العشاء
بمكة فقرا والتين والزيتون وطور سينا وهذا البلد قال وهكذا هي في قراءة عبد الله ورفع صوته تعظيما
للبيت وقرا في الركعة الثانية الم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش جمع بينهما ذكره ابن الانباري
النحاس وفي قراءة عبد الله سينا بكسر السين وفي حديث عمرو بن ميمون عن عمر بفتح السين وقال الاخفش طور
جبل وسينين شجر واحدته سينينة وقال ابو علي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه كما
كررت في زحليل للمكان الزلق وكرديدة للقطعة من التمر وخديد للطويل في الصحاح والكرديدة
بالكسر ما يبقى في اسفل الجلة من جانبيها من التمر قال الراجز

واطعمت كرديدة وفدره	من تمرها واعلوطت بسحره

والجمع الكراديد قال الشاعر

القاعدات فلا ينفعن ضيفكم	والاكلات بقيات الكراديد

ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سينا لانه جعل اسما لبقعة او ارض ولو جعل اسما للمكان او للمنزل
او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة
وقد بارك الله فيهما كما قال الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله **قوله تعالى وهذا البلد الامين**

من منافع الزيتون

يعني

يعني مكة سماه امينا لانه امن كما قال انا جعلنا حرما امنا فالامين بمعنى الامن قاله الفرا وغيره قال

الم تعلمي يا اسم ويحك انني	حلفت يمينا لا اخون اميني

يعني امني وبهذا احتج من قال انه اراد بالتين دمشق وبالزيتون بيت المقدس فاقسم الله بجبل دمشق لانه
ماوى عيسى عليه السلام وبجبل بيت المقدس لانه مقام الانبيا عليهم السلام وبمكة لانها اثر ابراهيم ودار
محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل**
سافلين فيه مسئلتان **الاولى** قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر
قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد فعلى هذا نزلت في منكري البعث وقيل المراد بالانسان
ادم وذريته في احسن تقويم وهو اعتداله واستواء شبابه كذا قال عامة المفسرين وهو احسن ما يكون لانه
خلق كل شي منكبا على وجهه وخلقه هو مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها وقال ابو بكر ابن طاهر مزينا
بالعقل موديا للامر مهديا بالتمييز مديد القامة يتناول ماكوله بيده ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن
من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات
الرب سبحانه وعنها عبر بعض العلما ووقع البيان بقوله ان الله خلق ادم على صورته يعني على صفاته التي قدمنا
ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن اين يكون للرحمن صورة متشخصة فلم يبق الا ان تكون معاني وقد
اخبرنا المبارك ابن عبد الجبار الازدي اخبرنا القاضي ابو القاسم علي بن ابي علي القاضي المحسن عن ابيه كان
عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من
القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر
واظهر للمنصور جزعا عظيما فاستحضر الفقها واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا
من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله الرحمن
الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير
المومنين فالانسان احسن الاشيا ولا شي احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل
فاقبل على زوجتك وارسل ابو جعفر المنصور الى زوجته ان اطيعي زوجك ولا تعصيه فما طلقك فهذا
يدلك على ان الانسان احسن خلق الله باطنا وظاهرا جمال هيئته وبديع تركيب الراس بما فيه والصدر
بما جمعه والبطن بما حواه والفرج وما طواه واليد وما بطشتاه والرجلان وما احتملتاه ولذلك قالت
الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات اجمع فيه **قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين**
اي الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة حتى يصير كالصبي في الحال الاول قاله
الضحاك والكلبي وغيرهما وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد ثم رددناه اسفل سافلين الى النار يعني الكافر
وقاله ابو العالية وقيل لما وصفه بتلك الصفات الجليلة التي ركب الانسان عليها طغى وعلا حتى قال
انا ربكم الاعلى وحين علم الله هذا من عبده وقضاؤه صادر من عنده رده اسفل سافلين بان جعله
مملوا قذرا مشحونا نجاسة واخرجها على ظاهره اخراجا منكرا على وجه الاختيار تارة وعلى وجه الغلبة اخرى
حتى اذا شاهد ذلك من امره رجع الى قدره وقرا عبد الله اسفل السافلين وقال اسفل سافلين على الجمع
لان الانسان في معنى جمع ولو قال اسفل سافل جاز لان لفظ الانسان واحد وتقول هذا افضل
قائم ولا تقول افضل قائمين لانك تضمر لواحد فان كان الواحد غير مقصود له رجع اسمه بالتوحيد والجمع
كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وقوله واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان
تصبهم سيئة وقد قيل ان معنى رددناه اسفل سافلين اي رددناه الى الضلال كما قال ان الانسان لفي
خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الا هولاء فلا يردون الى ذلك والاستثناء على قول من قال
اسفل سافلين النار متصل ومن قال انه الهرم فهو منقطع **قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات**
فلهم اجر غير ممنون فانه يكتب لهم حسناتهم وتمحى عنهم سيئاتهم قاله ابن عباس قال وهم الذين ادركهم الكبر
لا يواخذون بما عملوه في كبرهم روى الضحاك قال اذا كان العبد في شبابه كثير الصلاة كثير الصيام والصدقة
ثم ضعف عما كان يفعل في شبابه اجرى الله عز وجل له ما كان يعمل في شبابه وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا سافر العبد او مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا وقيل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانه لا يخرف ولا يهرم ولا يذهب عقله من كان عالما عاملا به وعن عاصم الاحول عن عكرمة قال من قرا

القرآن لم يرد الي ارذل العمر وروي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لمن طال عمره
وحسن عمله وروي ان العبد المومن اذا مات امر الله ملكيه ان يتعبدا على قبره الي يوم القيامة ويكتب له
ذلك فلهم اجر غير ممنون قال الضحاك اجر بغير عمل وقيل غير منقطع **قوله تعالى** فما يكذبك بعد
بالدين قيل الخطاب للكافر توبيخا والزاما للحجة اي اذا عرفت ايها الانسان ان الله خلقك في احسن
تقويم وانه يردك الي ارذل العمر وينقلك من حال الي حال فما يحملك على ان تكذب بالبعث والجزاء وقد اخبرك
محمد صلى الله عليه وسلم به وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي استيقن مع ما جاءك من الله عز
وجل انه احكم الحاكمين روي معناه عن قتادة وقال قتادة ايضا والفرا المعنى فمن يكذبك ايها الرسول
بعد هذا البيان بالدين واختاره الطبري كانه قال فمن يقدر على ذلك اي على تكذيبك بالثواب
والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الانسان والدين الجزاء قال الشاعر

دنا تميما كما كانت اوائلنا | دانت اوائلهم في سالف الزمن

قوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين اي اتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق وقيل باحكم الحاكمين قضاء بالحق
وعدلا بين الخلق وفيه تقدير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم والف الاستفهام اذا دخلت على النفي
وفي الكلام معنى التوقيف صار ايجابا كما قال الستم خير من ركب المطايا وقيل فما يكذبك بعد بالدين
اليس الله باحكم الحاكمين منسوخة باية السيف وقيل هي ثابتة لانه لا تنافي بينهما وكان ابن عباس وعلي ابن
ابي طالب رضي الله عنهما اذا قرا اليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلك من الشاهدين فضاد
ذلك والله اعلم ورواه الترمذي عن ابي هريرة قال من قرا سورة والتين والزيتون فقرا اليس
الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين تمت بحمد الله وعونه

تفسير سورة العلق

وهي مكية باجماع وهي اول ما نزل من القرآن في قول ابي موسى وعايشة رضي الله عنها وهي تسع عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اقرا
باسم ربك الذي خلق هذه السورة اول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين نزل بها جبريل على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو قايم على حرا فعلمه خمس ايات من هذه السورة وقيل ان اول ما نزل يا ايها المدثر قاله
جابر بن عبد الله وقد تقدم وقيل فاتحة الكتاب اول ما نزل قاله ابو ميسرة الهمداني وقال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه اول ما نزل من القرآن قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم والصحيح الاول قالت عايشة
اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة فجاءه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي
خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي خرجه البخاري وفي الصحيحين عنها قالت
اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يري رويا الا جاءت
مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم
يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجيه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا فقال ما انا بقاري
قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فغطني الثانية ثم ارسلني
فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق
خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الحديث بكماله وقال ابو رجا
العطاردي كان ابو موسى الاشعري يطوف علينا في هذا المسجد مسجد البصرة فيقعدنا حلقا فيقرينا
القرآن فكاني انظر اليه بين ثوبين له ابيضين وعنه اخذت هذه السورة اقرا باسم ربك الذي خلق
وكانت اول سورة انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم وروت عايشة رضي الله عنها انها اول سورة
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها ن والقلم ثم بعدها يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره
الماوردي وعن الزهري اول ما نزلت اقرا باسم ربك الي قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا
علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر ومعنى اقرا باسم ربك اي اقرا ما انزل اليك من القرآن مفتتحا باسم ربك
وهو ان يذكر التسمية في اول كل سورة فمحل البا من باسم ربك النصب على الحال وقيل البا بمعنى على

فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح

اي اقرا على اسم ربك يقال فعل كذا باسم الله وعلى اسم الله وعلى هذا فالمقرو محذوف اي اقرا القرآن وافتتحه
بسم الله وقال قوم اسم ربك هو القرآن فهو يقول اقرا باسم ربك اي اسم ربك والباء زائدة كقوله
تنبت بالدهن وكما قال

اراد لا يقران السور | سود المحاجر لا تقرا بالسور

وقيل معنى اقرا باسم ربك اي اذكر اسمه امره ان يبتدي القراءة بسم الله **قوله تعالى** خلق الانسان
من علق خلق الانسان يعني ادم من علق اي من دم جمع علقة والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح
وقال من علق فذكره بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة والعلقة قطعة
من دم رطب سميت بذلك لانها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه فاذا جفت لم تكن علقة وقال الشاعر

تركناه يخر على يديه | يمج عليهما علق الوتين

وخص الانسان بالذكر تشريفا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه بان خلقه من علقة مهينة حتى صار
بشرا سويا وعاقلا مميزا **قوله تعالى** اقرا وربك الاكرم اقرا تاكيد وتم الكلام ثم استانف
فقال وربك الاكرم اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم والاول اشبه
بالمعنى لانه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على كرمه وقيل اقرا وربك اي اقرا يا محمد وربك يعينك ويفهمك
وان كنت غير القاري الاكرم بمعنى المتجاوز عن جهل العباد **قوله تعالى** الذي علم بالقلم فيه ثلاث
مسايل الاولى قوله تعالى علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم وروى سعيد عن قتادة قال
القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه بانه علم عباده
ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الي نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا
يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله
المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت امور الدين والدنيا وسمي قلما لانه يقلم اي يقطع ومنه تقليم
الظفر وقال بعض شعرا المحدثين يصف القلم

فكانه والحبر يخضب راسه | شيخ لوصل خريدة يتصنع
الا الاحظه بعين جلالة | وبه الي الله الصحايف ترفع

وعن عبد الله بن عمر قال يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث
قال نعم فاكتب فان الله علم بالقلم وروى مجاهد عن ابن عمر قال خلق الله عز وجل اربعة اشياء بيده ثم قال
لساير الحيوان كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقاويل احدها
انه ادم عليه السلام لانه اول من كتب قاله كعب الاحبار الثاني ادريس وهو اول من كتب قاله الضحاك الثالث اراد
كل من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله سبحانه وجمع بذلك نعمته عليه في خلقه وبين نعمته عليه في تعليمه
استكمالا للنعمة عليه الثانية صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة قال لما خلق الله الخلق كتب
في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وثبت عنه عليه السلام انه قال اول ما خلق الله القلم
فقال له اكتب فكتب ما يكون الي يوم القيامة فهو عنده في الذكر فوق عرشه وفي الصحيح من حديث ابن مسعود سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق
سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك يقول
يا رب اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج
الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما امر ولا ينقص وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
قال علماونا فالاقلام في الاصل ثلاثة القلم الاول الذي خلقه بيده وامره ان يكتب والقلم الثاني قلم
الملايكة جعله الله بايديهم يكتبون بها المقادير والاكوان والاعمال والقلم الثالث اقلام الناس جعلها الله
بايديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها مارابهم وفي الكتابة فضايل جمة والكتابة من جملة البيان والبيان مما
اختص به الادمي الثالثة قال علماونا كانت العرب اقل الخلق معرفة بالكتاب واقل العرب به معرفة المصطفى
صلى الله عليه وسلم صرف عن علمه ليكون ذلك اثبت لمعجزته واقوى في حجته وقد مضى هذا مبينا في العنكبوت
وروى حماد بن سلمة عن الزبير بن عبد السلام عن ايوب بن عبد الله الفهري عن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال علماونا انما حذرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك لان في اسكانهن الغرف تطلعا الي الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا
تستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن حتى يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة والبلا فحذرهم ان يجعلوا لهن

محرفا ذريعة على الرجال الى الفتنة وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس للنساء خير لهن من ان لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال وذلك انها خلقت من الرجل فنهمتها في الرجل والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكنا له فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سببا للفتنة وذلك اذا علمت الكتابة كتبت الى من تهوى والكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغائب والخط هو آثار يده وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهو ابلغ من اللسان فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينقطع عنهن اسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن **الرابعة** علم الانسان ما لم يعلم قيل الانسان هنا آدم عليه السلام علمه اسما كل شيء حسب ما جاء به القرآن في قوله وعلم آدم الاسماء كلها فلم يبق شيء الا وعلم سبحانه آدم اسمه بكل لغة وذكره آدم للملائكة كما علمه وبذلك ظهر فضله وتبين قدره وثبتت نبوته وقامت حجة الله على الملائكة وحجته وامتثلت الملائكة الامر لما رأت من شرف الحال ورأت من جلال القدرة وسمعت من عظيم الامر ثم توارثت ذلك ذريته خلفا بعد سلف وتناقلوه قوما عن قوم وقد مضى هذا في سورة البقرة مستوفى والحمد لله وقيل الانسان هنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا المعنى يعلمك المستقبل فان هذا من اوائل ما نزل وقيل هو عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا **الخامسة** كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى الى آخر السورة قيل انه نزل في ابي جهل وقيل نزلت السورة كلها في ابي جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فامر الله نبيه عليه السلام ان يصلي في المسجد ويقرأ باسم الرب وعلى هذا فليست السورة من اوائل ما نزل ويجوز ان يكون خمس آيات من اولها اوائل ما نزلت ثم نزلت البقية في شأن ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة لان تأليف السور جرى بامر من الله الا ترى ان قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وكلا بمعنى حقا اذ ليس قبله شيء والانسان هنا ابو جهل والطغيان مجاوزة الحد في العصيان ان رآه اي لان رأى نفسه استغنى اي صار ذا مال وثروة وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه قال لما نزلت هذه الآية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل وقال يا محمد تزعم انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد خيرهم ذلك فان شاؤوا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يسلموا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب المائدة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القوم لا يقبلون ذلك فكف عنهم ابقاء عليهم وقيل ان رآه استغنى بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله ان رآه كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم وقال الفراء لم يقل رأى نفسه كما قيل قتل نفسه لانه رأى من الافعال التي تريد اسما وخبرا نحو الظن والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول رأيتني وحسبتني ومتى تراك خارجا ومتى تظنك خارجا وقرأ مجاهد وحميد وقنبل عن ابن كثير ان رآه استغنى بقصر الهمزة الباقون رآه بمدها وهو الاختيار لان قوله تعالى ان الى ربك الرجعى اي مرجع من هذا وصفه فيجازيه والرجعى والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا ورجعى على وزن فعلى **قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى** الذي ينهى وهو ابو جهل عبدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان ابا جهل قال ان رأيت محمدا يصلي لاطأن على عنقه قاله ابو هريرة فانزل الله هذه الآيات تعجبا منه وقيل في الكلام حذف والمعنى أمن هذا الناهي عن الصلاة من العقوبة **قوله تعالى أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى** اي أرأيت يا ابا جهل ان كان محمد على هذه الصفة أليس ناهيه للتقوى والصلاة هالكا **قوله تعالى أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى** يعني ابا جهل كذب بكتاب الله عز وجل واعرض عن الايمان وقال الفراء المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر اي فما اعجب هذا ثم يقول ويله ألم يعلم ابو جهل بان الله يرى اي يراه ويعلم فعله فهو تقرير وتوبيخ وقيل كل واحد من أرأيت بدل من الاول وألم يعلم بان الله يرى الخبر **قوله تعالى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة** كلا لئن لم ينته اي ابو جهل عن اذاك يا محمد لنسفعا اي لنأخذن بالناصية فلنذلنه وقيل لنأخذن بناصيته يوم القيامة وتطوى مع قدميه ويطرح في النار كما قال فيؤخذ بالنواصي والاقدام فالآية وان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمتنع او يمنع غيره عن الطاعة واهل اللغة يقولون سفعت بالشيء اذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديدا ويقال سفع بناصية فرسه قال حميد

اذا ما سمعنا صارخا معجت بنا / الى صوته ورق المرافق سفع

وقيل هو مأخوذ من سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد قال

اذا كثر الصياح رايتهم / من بين ملجم مهره او سافع

وقيل هو مأخوذ من سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد قال

اثافي سفعا في معرس مرجل / ونؤي كجذم الحوض اثلم خاشع

والناصية شعر مقدم الرأس وقد يعبر بها عن جملة الانسان كما يقال هذه ناصية مباركة اشارة الى جميع الانسان وخص الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن ارادوا اذلاله واهانته اخذوا بناصيته وقال المبرد السفع الجذب بشدة اي لنجرن بناصيته الى النار وقيل السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وكله متقارب المعنى اي يجمع عليه الضرب عند الاخذ ثم يجر الى جهنم ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطئة اي ناصية ابي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها والخاطئ معاقب مأخوذ والمخطئ غير مأخوذ ووصف الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في قوله الى ربها ناظرة وقيل اي صاحبها كاذب خاطئ كما يقال نهاره صائم وليله قائم اي هو صائم في نهاره قائم في ليله **قوله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية** فليدع ناديه اي اهل مجلسه وعشيرته فليستنصر بهم سندع الزبانية اي الملائكة الغلاظ الشداد عن ابن عباس وغيره واحدهم زبني قاله الكسائي وقال الاخفش زابن ابو عبيدة زبنية وقيل زباني وقيل هو اسم للجمع كالابابيل والعباديد وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وهو مأخوذ من الزبن وهو الدفع ومنه المزابنة في البيع وقيل انما سموا الزبانية لانهم يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم حكاه ابو الليث السمرقندي قال وروي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله لنسفعا بالناصية قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعوا عني ربك فقال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما سمع ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا يهددني بالزبانية فلا ادري ما الزبانية ومال الي الفارس فخشيت ان يأكلني وفي الاخبار ان الزبانية رؤوسهم في السماء وارجلهم في الارض فهم يدفعون الكفار في جهنم وقيل انهم اعظم الملائكة خلقا واشدهم بطشا والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه قال الشاعر

مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى / زبانية غلب عظام حلومها

وعن عكرمة عن ابن عباس سندع الزبانية قال قال ابو جهل لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن على عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو فعل لاخذته الملائكة عيانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وروى عن ابن عباس قال مر ابو جهل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند المقام فقال ألم انهك عن هذا يا محمد فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل باي شيء تهددني يا محمد والله اني لاكثر اهل هذا الوادي ناديا فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية العذاب من ساعته خرجه الترمذي بمعناه وقال حديث غريب صحيح والنادي في كلام العرب المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير

لهم مجلس صهب السبال اذله

وقال زهير

وفيهم مقامات حسان وجوههم

وقال آخر

وقال استبت بعدك يا كليب المجلس

وقد ناديت الرجل ناديته اذا جالسته قال زهير

وجار البيت والرجل المنادي / امام الحي عقدهما سواء

قوله تعالى كلا لا تطعه كلا اي ليس الامر على ما يظنه ابو جهل لا تطعه فيما دعاك اليه من ترك الصلاة واسجد اي صل لله واقترب اي تقرب الى الله جل ثناؤه بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت اقترب من الله بالدعاء وروى ابو هريرة عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه واحبه اليه جبهته في الارض ساجدا لله قال علماؤنا وانما ذلك لانها نهاية العبودية والذلة ولله غاية العزة وله العزة التي لا مقدار لها فكلما بعدت من صفته قربت من جنته ودنوت من جواره في داره وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم ولقد احسن من قال

واذا تذللت الرقاب تواضعا / منا اليك فعزها في ذلها

وقال زيد بن اسلم اسجد انت يا محمد مصليا واقترب انت يا ابا جهل من النار **قوله تعالى واسجد واقترب** هذا السجود يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة ويحتمل ان يكون سجود التلاوة في هذه السورة قال ابن العربي والظاهر انه سجود الصلاة لقوله أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا تطعه واسجد واقترب لولا ما ثبت في الصحيح من رواية مسلم وغيره من الائمة عن ابي هريرة انه قال

سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين
فكان هذا ايضا نصا على ان المراد سجود التلاوة وقد روى ابن وهب عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر
بن حبيش عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال عزائم السجود اربع الم وحم تنزيل من الرحمن الرحيم والنجم
واقرا باسم ربك قال ابن العربي وهذا ان صح يلزم عليه السجود الثاني من سورة الحج وان كان مقترنا
بالركوع لانه يكون معناه اركعوا في موضع الركوع واسجدوا في موضع السجود وقد قال ابن نافع ومطرف
وكان مالك يسجد في خاصة نفسه بخاتمة هذه السورة من اقرا باسم ربك وابن وهب يراها من العزائم
قال الشيخ رحمه الله وقد روينا من حديث مالك بن انس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر قال
لما انزل الله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ اكتبها يا معاذ فاخذ معاذ
اللوح والقلم والنون وهي الدواة فكتبها معاذ فلما بلغ كلا لا تطعه واسجد واقترب سجد اللوح وسجد
القلم وسجدت النون وهم يقولون اللهم ارفع به ذكرا اللهم احطط به وزرا اللهم اغفر به ذنبا قال معاذ سجدت
واخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد ختمت والحمد لله على ما منح واعطى

تفسير سورة القدر

وهي مدنية في قول اكثر المفسرين ذكره الثعلبي وحكى الماوردي عكسه قال الشيخ رحمه الله وهي مدنية
في قول الضحاك وهي خمس ايات في احد قولي ابن عباس وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة
بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك
ما ليلة القدر انا انزلناه في ليلة القدر يعني القران وان لم يجر له ذكر في هذه السورة لان المعنى معلوم والقران
كله كالسورة الواحدة وقد قال شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال حم والكتاب المبين انا انزلناه
في ليلة مباركة يريد ليلة القدر وقال الشعبي المعنى انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر وقيل بل نزل به جبريل
عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الى بيت العزة واملاه جبريل
على السفرة ثم كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وكان بين اوله واخره ثلث وعشرون
سنة قاله ابن عباس وقد تقدم في البقرة وحكى الماوردي عن ابن عباس قال نزل القران في شهر رمضان
وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين
في سماء الدنيا فنجمته السفرة الكرام الكاتبين على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا بين جبريل ومحمد عليهما
الصلاة والسلام واسطة قوله تعالى في ليلة القدر قال مجاهد في ليلة الحكم وما ادراك ما ليلة
القدر قال ليلة الحكم والمعنى ليلة التقدير سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من امره الى
مثلها من السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور وهم اربعة من
الملائكة اسرافيل وميكائيل وجبريل وملك الموت عليهم السلام وعن ابن عباس قال يكتب من ام الكتاب
ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت حتى الحاج قال عكرمة يكتب حاج بيت الله تعالى في ليلة
القدر باسمائهم واسماء ابائهم ما يغادر منهم احد ولا يزاد فيهم وقاله سعيد بن جبير وقد مضى في اول
الدخان هذا المعنى وعن ابن عباس ايضا ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى
اربابها في ليلة القدر وقيل انما سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر اي
شرف ومنزلة قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا
وقال ابو بكر الوراق سميت بذلك لان من لم يكن له قدر وخطر يصير في هذه الليلة ذا قدر اذا احياها
وقيل سميت بذلك لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذي قدر على امة ذات
قدر وقيل لانه ينزل فيها ملائكة ذو قدر وخطر وقيل لان الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة
قال سهل سميت بذلك لان الله تعالى قدر فيها الرحمة على المومنين وقال الخليل لان الارض تضيق فيها
بالملائكة كقوله ومن قدر عليه رزقه اي ضيق قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة
القدر خير من الف شهر قال الفرا كل ما في القران من قوله تعالى وما ادراك فقد ادراه وما كان من قوله
وما يدريك فلم يدره وقاله سفيان وقد تقدم ليلة القدر خير من الف شهر بين فضلها وعظمها

وفضيلة الزمان انما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله
في الف شهر والله اعلم وقال اكثر المفسرين اي العمل فيها خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر
وقال ابو العالية ليلة القدر خير من الف شهر رمضان لا يكون فيه ليلة القدر وقيل عني بالف شهر
جميع الدهر لان العرب تذكر الالف في غاية الاشيا كما قال تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني جميع الدهر
وقيل ان العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله الف شهر ثلاثة وثمانين سنة واربعة اشهر فجعل الله تعالى
لامة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدونها وقال ابو بكر الوراق كان ملك سليمان خمس مائة شهر وملك ذي القرنين خمس مائة شهر فصار ملكهما الف شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه
في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقال ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل
لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزل انا انزلناه الاية خير من الف شهر التي لبس
الرجل فيها سلاحه في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس وهب بن منبه فان ذلك الرجل كان مسلما وان امه جعلته
نذرا لله وكان من قومه قوم يعبدون الاصنام وكان سكن قريبا منهم فجعل يغزوهم وحده ويقتل ويسبي
ويجاهد وكان لا يلقاهم الا بلحيي بعير وكان اذا قاتلهم وقاتلوه وعطش انفجر له من اللحيين ماء عذب
فيشرب منه وكان قد اعطي قوة في البطش لا يوجعه حديد ولا غيره وكان اسمه شمسون وقال كعب الاحبار
كان رجلا ملكا في بني اسرائيل فعل خصلة واحدة فاوحى الله الى نبي زمانهم قل لفلان يتمنى فقال يا رب
اتمنى ان اجاهد بمالي وولدي ونفسي فرزقه الله الف ولد وكان يجهز الولد بماله في عسكر ويخرجه مجاهدا
في سبيل الله فيقوم شهرا ويقتل ذلك الولد ثم يجهز اخر في عسكر فكان كل ولد يقتل في الشهر والملك مع
ذلك قائم الليل صائم النهار فقتل الالف ولد في الف شهر ثم تقدم فقاتل فقتل فقال الناس لا احد يدرك
منزلة هذا الملك فانزل الله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر من شهور ذلك الملك في القيام والصيام
والجهاد بالمال والاولاد والنفس في سبيل الله وقال علي وعروة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من
بني اسرائيل فقال عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فذكر ايوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز
ويوشع بن نون فعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد عجبت امتك من
عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين فقد انزل الله عليك خيرا من ذلك ثم قرا انا انزلناه
في ليلة القدر فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك في الموطا من رواية ابن القاسم وغيره سمعت
من اثق به يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الامم قبله فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا
من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر وفي الترمذي عن
الحسن بن علي رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اري بني امية على منبره فساءه ذلك فنزلت
انا اعطيناك الكوثر يعني نهرا في الجنة ونزلت انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة
القدر خير من الف شهر تملكها بعدك بنو امية قال القاسم بن الفضل الحداني فعددنا فاذا هي الف
شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما قال حديث غريب قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
من كل امر سلام هي تنزل الملائكة اي تهبط من كل سماء ومن سدرة المنتهى ومسكن جبريل على وسطها
فينزلون الى الارض ويومنون على دعاء الناس الى وقت طلوع الفجر فذلك قوله تنزل الملائكة والروح اي
جبريل عليه السلام وحكى القشيري ان الروح صنف من الملائكة رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعا ذكره
الماوردي وحكى القشيري قيل هم صنف من خلق الله ياكلون الطعام ولهم ايدي وارجل وليسوا ملائكة
وقيل الروح خلق عظيم يقوم صفا والملائكة كلهم صفا وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل مع الملائكة
في هذه الليلة على اهلها دليله تنزل الملائكة والروح من امره على من يشاء من عباده اي بالرحمة فيها اي
في ليلة القدر باذن ربهم اي بامره من كل امر اي بكل امر قدره الله وقضاه في تلك السنة الى قابل قاله ابن
عباس وقوله يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقراءة العامة تنزل بفتح التاء الا ان البزي شدد التاء
وقرا طلحة بن مصرف وابن السميقع بضم التاء على الفعل المجهول وقرا علي وابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرئ
وروي عن ابن عباس ان معناه من كل ملك وتاولها الكلبي على ان جبريل ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل امرئ
مسلم فمن بمعنى على وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة
من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى قوله تعالى سلام هي
حتى مطلع الفجر قيل ان تمام الكلام من كل امر ثم قال سلام روي ذلك عن نافع وغيره اي ليلة

اي ليلة القدر سلامة وخير لا شر فيها الا حتى مطلع الفجر اي الى طلوع الفجر قال الضحاك لا يقدر الله في تلك
الليلة الا السلامة والخير وفي ساير الليالي يقضي بالبلايا والسلامة وقيل اي سلام اي ذات
سلامة من ان يوثر فيها شيطان في مومن ومومنة وكذا قال مجاهد هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان
ان يعمل فيها سوءا ولا اذى وروي مرفوعا وقال الشعبي هو تسليم الملائكة على اهل المساجد من حين
تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر يمرون على كل مومن ويقولون السلام عليك ايها المومن وقيل يعني
سلام الملائكة بعضهم على بعض فيها وقال قتادة سلام هي خير هي حتى مطلع اي الى مطلع وقرا الكسائي
وابن محيصن بكسر اللام الباقون بالفتح والفتح والكسر لغتان في المصدر والفتح الاصل في فعل يفعل
نحو المقتل والمجمع والكسر على انه مما شذ عن قياسه نحو المشرق والمغرب والمنبت والمسكن والمنسك والمحشر
والمسقط والمجزر حكي في ذلك كله الفتح والكسر على ان يراد به المصدر لا الاسم وهنا ثلاث مسايل
الاولى في تعيين ليلة القدر وقد اختلف العلماء في ذلك والذي عليه المعظم انها ليلة سبع وعشرين
لحديث زر بن حبيش قال قلت لابي بن كعب ان اخاك عبد الله بن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة
القدر فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن لقد علم انها في العشر الاواخر من رمضان وانها ليلة سبع وعشرين
ولكنه اراد ان لا يتكل الناس ثم حلف لا يستثني انها ليلة سبع وعشرين قال قلت باي شي تقول
ذلك يا ابا المنذر قال بالاية التي اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم او بالعلامة ان الشمس تطلع
يومئذ لا شعاع لها قال الترمذي حديث حسن صحيح وخرجه مسلم وقيل هي في شهر رمضان دون ساير
العام قاله ابو هريرة وغيره وقيل هي في ليال السنة كلها فمن علق طلاق امراته او عتق عبده بليلة
القدر لم يقع الطلاق والعتق الى مضي السنة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم
يثبت اختصاصها بوقت فلا ينبغي وقوع الطلاق الا بمضي حول وكذلك العتق وما كان مثله يمين او
غيره وقال ابن مسعود قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك ابن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه
علم انها في شهر رمضان ولكنه اراد ان لا يتكل الناس والى هذا القول ذهب ابو حنيفة رحمه الله انها
في جميع السنة وقيل عنه انها رفعت يعني ليلة القدر وانها انما كانت مرة واحدة والصحيح انها باقية
وروي عن ابن مسعود ايضا انها اذا كانت في يوم من هذه السنة كانت في العام المقبل في يوم اخر والجمهور
على انها في كل عام من رمضان ثم قيل انها الليلة الاولى من الشهر قاله ابو رزين العقيلي وقال الحسن وابن
اسحاق وعبد الله بن الزبير هي ليلة سبع عشرة من رمضان وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة
بدر وكانهم نزعوا بقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وكان ذلك ليلة سبع
عشرة وقيل هي ليلة التاسع عشر والصحيح المشهور انها في العشر الاواخر من رمضان وهو قول مالك
والشافعي والاوزاعي وابي ثور واحمد ثم قال قوم هي ليلة الحادي والعشرين ومال اليه الشافعي رضي الله عنه
لحديث الماء والطين رواه ابو سعيد الخدري خرجه مالك وغيره وقيل ليلة الثالث والعشرين لما رواه
ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت ليلة القدر في سابعة تبقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اري
روياكم قد تواطات على ثلاث وعشرين فمن اراد ان يقوم من الشهر شيا فليقم ليلة ثلاث
وعشرين قال معمر فكان ايوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اني رايت اني اسجد في صبيحتها في ماء وطين قال عبد الله بن انيس فرايته صبيحة
ليلة ثلاث وعشرين في الماء والطين كما اخبر صلى الله عليه وسلم وقيل ليلة خمس وعشرين لحديث ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة تبقى وفي
خامسة تبقى رواه مسلم قال مالك يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين والسابعة ليلة
ثلاث وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين وقيل ليلة سبع وعشرين وقد مضى دليله وهو قول
علي رض وعايشة ومعاوية وابي بن كعب وروي ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة
القدر ليلة سبع وعشرين وقال ابو بكر الوراق قال الله تعالى قسم ليالي هذا الشهر شهر رمضان على كلمات
هذه السورة فلما بلغ السابعة والعشرين اشار اليها فقال هي وايضا فان ليلة القدر كرر ذكرها
ثلاث مرات وهي تسعة احرف فتجي سبعا وعشرين وقيل ليلة تسع وعشرين لما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليلة القدر التاسعة والعشرون او السابعة والعشرون وان الملائكة في تلك الليلة

بعدد الحصى وقد قيل انها في الاشفاع قال الحسن ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين عشرين سنة فرايتها
تطلع بيضا لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار في تلك الليلة وقيل انها مستورة في جميع السنة ليجتهد
المرء في احياء جميع الليالي وقيل اخفاها في جميع شهر رمضان ليجتهدوا في العمل والعبادة ليالي رمضان
طمعا في ادراكها كما اخفى الصلوة الوسطى في الصلوات واسمه الاعظم في اسمائه الحسنى وساعة الاجابة
في ساعات الجمعة وساعات الليل وغضبه في المعاصي ورضاه في الطاعات وقيام الساعة في الاوقات
والعبد الصالح بين العباد رحمة منه وحكمة **الثانية** في علاماتها منها ان الشمس تطلع في صبيحة يومها
بيضاء لا شعاع لها وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر ان من اماراتها انها ليلة سمحة
بلجة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع وقال عبيد بن عمير كنت ليلة السابعة والعشرين
في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسلا **الثالثة** في فضايلها وحسبك بقوله تعالى ليلة القدر خير من
الف شهر وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم وفي الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه رواه ابو هريرة وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر
تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى منهم جبريل ومعهم الالوية ينصب منها لواء على قبري
ولواء على بيت المقدس ولواء على المسجد الحرام ولواء على طور سينا ولا يدع فيها مومنا ولا مومنة الا سلم
عليه الا مدمن خمرا واكل الخنزير والمتضمخ بالزعفران وفي الحديث ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة
حتى يضيء فجرها ولا يستطيع ان يصيب فيها احدا بخبل ولا شي من الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر وقال الشعبي
وليلها كيومها ويومها كليلها وقال الفراء لا يقدر الله في ليلة القدر الا السعادة والنعم ويقدر في غيرها البلايا
والنقم وقد تقدم عن الضحاك ومثله لا يقال من جهة الراي فهو مرفوع والله اعلم وقال سعيد بن المسيب
في الموطا ومثله لا يدرك بالراي وقد روي عبد الرحمن بن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من صلى صلاة المغرب والعشا الاخرة من ليلة القدر في جماعة فقد اخذ بحظه من ليلة القدر ذكره الثعلبي
في تفسيره وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر فما اقول قال قولي اللهم انك
عفو تحب العفو فاعف عني   ختمت بحمد الله وعونه   وحسن توفيقه

تفسير سورة البينة

وهي مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول ابن عباس والجمهور وهي تسع ايات وقد جاء في فضلها حديث لا يصح
رويناه عن محمد بن عبد الله الحضرمي قال قال لي ابو عبد الرحمن بن نمير اذهب الى الهيثم الخشاب فاكتب عنه
فانه قد كتب فذهبت اليه فقال حدثنا مالك بن انس عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن ابي الدرداء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب لعطلوا الاهل والمال فتعلموها
فقال رجل من خزاعة وما فيها من الاجر يا رسول الله قال لا يقروها منافق ابدا ولا عبد في قلبه شك في الله و
ان الملايكة المقربين يقرونها منذ خلق الله السموات والارض ما يفترون من قراتها وما من عبد يقروها
الا بعث الله اليه ملايكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة قال الحضرمي فجيت الى عبد
الرحمن بن نمير فالقيت هذا الحديث عليه فقال هذا قد كفانا مؤونته فلا نعد عليه قال ابن العربي
روي اسحاق بن بشر الكاهلي الكوفي عن مالك بن انس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن ابي الدرداء عن
النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في لم يكن الذين كفروا لعطلوا الاهل والمال ولتعلموها وهذا حديث
باطل وانما الحديث الصحيح ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرا عليك
لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال نعم فبكى قال الشيخ رحمه الله خرجه البخاري ومسلم وفيه من الفقه
قراة العالم على المتعلم قال بعضهم انما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يانف احد من
التعلم والقراة على من دونه في المنزلة وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاراد بقراته عليه ان ياخذ الفاظه ويقرا كما سمع منه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي اذ امر الله رسوله
ان يقرا عليه قال ابو بكر الانباري حدثنا احمد بن الهيثم بن خالد حدثنا علي ابن الجعد حدثنا عكرمة عن
عاصم عن زر قال في قراة ابي بن كعب ابن ادم لو اعطي واديا من مال لالتمس ثانيا ولو اعطي واديين من
مال لالتمس ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب قال عكرمة قرا علي عاصم

لم يكن يلبس آية هذا فيها قاله ابو بكر باطل عند اهل العلم لان قرائتي ابو عمرو وابن كثير متصلتان بابي بن
كعب لا يقرأ فيهما هذا المذكور في لم يكن ماهو معروف في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه
من كلام الرسول عليه السلام لا يحكيه عن رب العالمين في القران وما رواه اثنان معهما الاجماع
اثبت مما يحكيه واحد مخالفا مذهب الجماعة بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن
الذين كفروا كذا قراءة العامة وخط المصحف وقرا ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه
قراءة على التفسير قال ابن العربي وهي جائزة في معرض البيان اي معرض التلاوة فقد قرا النبي صلى الله
عليه وسلم في رواية الصحيح فطلقوهن لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة وهو ما كان في خط المصحف
قوله تعالى من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا
مطهرة فيها كتب قيمة من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين في موضع جر عطفا على اهل الكتاب
قال ابن عباس اهل الكتاب اليهود الذين كفروا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون
الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة والذين حولها وهم مشركو قريش منفكين اي منتهين عن كفرهم زائلين عنه
حتى تاتيهم اي اتتهم البينة اي محمد عليه السلام وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم يكونوا ليبلغوا نهاية
اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء وقيل منفكين زائلين اي لم تكن مدتهم
لتزول حتى تاتيهم رسول من الله والعرب تقول ما انفككت افعل كذا اي مازلت وما انفك فلان قائما اي
مازال قائما واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخلخال قال طرفة

فآليت لا ينفك كشحي بطانة … لعضب رقيق الشفرتين مهند

وقول ذي الرمة

حراجيج لا تنفك الا مناخة … على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا

يريد ما تنفك مناخة فزاد الا وقيل منفكين بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا ويفارقوا الدنيا حتى تاتيهم البينة
قال ابن كيسان اي لم يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد عليه السلام في كتابهم حتى بعث فلما بعث حسدوه
وجحدوه وهو قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الاية وعلى هذا
فقوله والمشركين اي ما كانوا يسيئون القول في محمد عليه السلام حتى بعث فانهم كانوا يسمونه الامين حتى
اتتهم البينة على لسانه وبعث اليهم فحينئذ عادوه وقال بعض اللغويين منفكين هالكين من قولهم انفك
صلا المراة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم فتهلك المعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام
الحجة عليهم بارسال الرسول وانزال الكتب وقال قوم في المشركين انهم من اهل الكتاب فمن اليهود من قال
عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من قال ثالث ثلاثة وقيل
اهل الكتاب كانوا مومنين ثم كفروا بعد انبيائهم والمشركون ولدوا على الفطرة فكفروا حين بلغوا فلهذا
قال والمشركين وقيل المشركون وصف اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد فالنصارى
مثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءني العقلاء والظرفاء وانت تريد قوما باعيانهم
تصفهم بالامرين فالمعنى من اهل الكتاب المشركين وقيل ان الكفر هنا هو الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم اي
لم يكن الذين كفروا بمحمد من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون الذين هم عبدة
الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين قال القشيري وفيه بعد لان الظاهر من قوله حتى
تاتيهم البينة رسول من الله هو محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد عليه السلام
منفكين حتى ياتيهم محمد الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد وقد كانوا من قبل معظمين له بمنتهين
عن هذا الكفر الى ان يبعث محمدا اليهم ويبين لهم الايات فحينئذ يومن قوم وقراءة الاعمش وابراهيم والمشركون
رفعا عطفا على الذين والقراءة الاولى ابين لان الرفع يصير فيه الصنفان كانهم من غير اهل الكتاب وفي حرف
ابي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين وفي مصحف ابن مسعود لم يكن المشركون واهل
الكتاب منفكين وقد تقدم حتى تاتيهم البينة قيل حتى اتتهم البينة محمد صلى الله عليه وسلم رسول من الله اي
بعيث من الله جل ثناؤه قال الزجاج رسول رفع على البدل من البينة وقال الفراء اي هي رسول من الله او هو رسول
من الله لان البينة قد تذكر فيقال بينتي فلان وفي حرف ابي وابن مسعود رسولا بالنصب على القطع يتلو
اي يقرا يقال تلا يتلو تلاوة صحفا جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب مطهرة قال ابن عباس من الزور والشك
والنفاق والضلالة وقال قتادة من الباطل وقيل من الكذب والشبهات والكفر والمعنى واحد اي يقرا

ان هذا الرسول

ما يتضمن الصحف من المكتوب ويدل عليه انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب لانه كان اميا لا يكتب
ولا يقرا مطهرة من نعت الصحف وهو كقوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة فالمطهرة نعت للصحف
في الظاهر وهي نعت لما في الصحف من القران وقيل مطهرة اي ينبغي ان لا يمسها الا المطهرون
كما في سورة الواقعة حسب ما تقدم وقيل الصحف المطهرة هي التي عند الله في ام الكتاب الذي منه نسخ ما
انزل على الانبياء من الكتب كما قال تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ قال الحسن يعني بالصحف المطهرة في
السماء فيها كتب قيمة اي مستقيمة مستوية محكمة من قول العرب قام يقوم اذا استوى وصح وقال بعض
اهل العلم الصحف هي الكتب فكيف قال في صحف فيها كتب فالجواب ان الكتب هنا بمعنى الاحكام قال الله عز
وجل كتب الله لاغلبن بمعنى حكم وقال عليه السلام والله لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم وليس ذكر
الرجم مسطورا في الكتاب فالمعنى لاقضين بينكما بحكم الله وقال الشاعر

وما الولاء بالبلاء فملتم … وما ذاك قال الله اذ هو يكتب

وقيل الكتب القيمة هي القران فجعله كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان قوله تعالى وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى خص اهل الكتاب
بالتفريق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم مظنون بهم علم فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب
له ادخل في هذا الوصف الا من بعد ما جاءتهم اي اتتهم البينة الواضحة والمعني به محمد صلى الله عليه وسلم
اي بالقران موافقا للذي في ايديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته
فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من امن كقوله وما تفرقوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل البينة البيان الذي في كتبهم انه نبي مرسل قال العلماء من اول السورة
الى قوله فيها كتب قيمة حكمها فيمن امن من اهل الكتاب والمشركين وقوله وما تفرق الذين حكمه فيمن لم يومن من اهل الكتاب
بعد قيام الحجج قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة
ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وما امروا اي وما امر هؤلاء الكفار
في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اي ليوحدوه واللام في ليعبدوا بمعنى ان كقوله يريد الله ليبين لكم
اي ان يبين ويريدون ليطفئوا نور الله وامرنا لنسلم وفي حرف عبد الله وما امروا الا ان يعبدوا الله
مخلصين له الدين اي العبادة ومنه قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وفي هذا دليل على وجوب
النية في العبادات فان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه الله تعالى لا غيره الثانية قوله تعالى
حنفاء مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس يقول حنفاء على دين ابراهيم عليه السلام
ويقال الحنيف من اختتن وحج قاله سعيد بن جبير قال اهل اللغة واصله انه تحنف الى الاسلام اي مال اليه
الثالثة قوله تعالى ويقيموا الصلاة اي يجدودها في اوقاتها ويوتوا الزكاة اي يعطوها عند محلها وذلك دين
القيمة اي ذلك الدين الذي امروا به دين القيمة اي الدين المستقيم وقال الزجاج اي ذلك دين الملة
المستقيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف او يقال دين الملة القيمة بالحق اي القائمة بالحق وفي حرف
عبد الله وذلك الدين القيمة قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد وقال الفراء اضاف الدين الى
القيامة وهو نعته لاختلاف اللفظين وعنه ايضا هو من باب اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح
والمبالغة وقيل الهاء راجعة الى الملة او الشريعة وقال محمد بن الاشعث الطالقاني القيمة هاهنا الكتب
التي جرى ذكرها والدين مضاف اليها قوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية
المشركون معطوف على الذين او يكون مجرورا معطوفا على اهل الكتاب في نار جهنم اولئك هم شر البرية قرا نافع
وابن ذكوان بالهمز على الاصل في الموضعين من قولهم برا الله الخلق وهو البارئ الخالق وقال من قبل ان نبراها
الباقون بغير همز وشد الياء عوضا منه قال الفراء ان اخذت البرية من البرا وهو التراب فاصله غير الهمز
تقول منه براه الله يبروه بروا اي خلقه قال القشيري ومن قال البرية من البرا وهو التراب قال
لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة وقيل البرية من بريت القلم اي قدرته فتدخل فيه الملائكة ولكنه قول
ضعيف لانه يجب منه تخطئة من همز وقوله شر البرية اي شر الخليقة فيحتمل ان يكون على التعميم وقال
قوم اي هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كما قال واني فضلتكم على العالمين اي

علي عالمي زمانكم ولا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل هذا من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا خير البرية اما على التعميم او خير برية عصرهم وقد استدل بقراءة الهمز من فضل بني ادم على الملايكة وقد مضى في البقرة القول فيه وقال ابو هريرة رضي الله عنه المومن اكرم على الله عز وجل من بعض الملايكة الذين عنده

قوله تعالى جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه جزاوهم اي ثوابهم عند ربهم اي خالقهم ومالكهم جنات اي بساتين عدن اقامة والمفسرون يقولون جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها تقول عدن بالمكان يعدن عدونا اقام ومعدن الشي مركزه ومستقره قال الاعشى

وان يستضافوا الى حلمه يضافوا الى راجح قد عدن

تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لا يظعنون ولا يموتون رضي الله عنهم اي رضي اعمالهم كذا قال ابن عباس ورضوا عنه اي رضوا هم بثواب الله عز وجل ذلك اي الجنة لمن خشي ربه اي خاف ربه فتناهى عن المعاصي

تفسير سورة الزلزلة

وهي تسع ايات مدنية في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطا وجابر قال العلما وهذه السورة فضلها كثير وتحتوي على عظيم روى الترمذي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت بربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له بثلث القران قال حديث غريب وفي الباب عن ابن عباس كله وروى عبد الله بن عمرو بن العاصي قال لما نزلت اذا زلزلت بكى ابو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا انكم تخطئون وتذنبون ويغفر الله لكم لخلق الله امة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت من اصلها كذا روى عكرمة عن ابن عباس وكان يقول في النفخة الاولى تزلزلها وقاله مجاهد كقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر بالتاكيد ثم اضيف الى الارض كقوله لاعطينك اي عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة رؤس الاي بعدها وقراءة العامة بكسر الزاء من الزلزال وقرا الجحدري وعيسى بن عمر بفتحها وهو مصدر ايضا كالوسواس والقلقال والجرجار وقيل الكسر المصدر والفتح الاسم **قوله تعالى** واخرجت الارض اثقالها قال ابو عبيدة والاخفش الاثقال اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان وقالت الخنساء

ابعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الارض اثقالها

يقال لما دفن عمرو صار حلية لاهل القبور من شرفه وسودده وذكر بعض اهل العلم قال كانت العرب تقول اذا كان سفاكا للدماء كان ثقلا على ظهر الارض فلما مات حطت الارض عن ظهرها ثقلها وقيل اثقالها كنوزها ومنه الحديث تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة **قوله تعالى** وقال الانسان ما لها اي ابن ادم الكافر فروى الضحاك عن ابن عباس قال هو الاسود بن عبد الاسد وقيل اراد كل انسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الاولى من مومن وكافر وهذا قول من جعلها في الدنيا من اشراط الساعة فانهم لا يعلمون جميعا من اشراط الساعة في ابتداء امرها حتى يتحققوا عمومها فلذلك سال بعضهم بعضا عنها وعلى قول من قال ان المراد بالانسان الكفار خاصة جعلها زلزلة القيامة لان المومن معترف بها فهو لا يسال عنها والكافر جاحد لها فلذلك يسال عنها ومعنى ما لها اي ما لها زلزلت وقيل ما لها اخرجت اثقالها وهي كلمة تعجب اي لاي شيء زلزلت ويجوز ان يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الاولى ثم تتحرك الارض فتخرج الموتى وقد راوا الزلزلة وانشقاق الارض عن الموتى احياء فيقولون من الهول ما لها **قوله تعالى** يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يومئذ منصوب بقوله اذا زلزلت وقيل بقوله تحدث اخبارها اي تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان اي يقول الانسان ما لها تحدث اخبارها متعجبا وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا قال فهذه اخبارها قال هذا حديث حسن صحيح غريب قال

الماوردي قوله يومئذ تحدث اخبارها فيه ثلاثة اقاويل احدها تحدث اخبارها باعمال العباد على ظهرها قاله ابو هريرة ورواه مرفوعا وهو قول من زعم انها زلزلة القيامة الثاني تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها قاله يحيى بن سلام وهو قول من زعم انها زلزلة اشراط الساعة قال الشيخ رحمه الله وفي هذا المعنى حديث رواه ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان اجل العبد بارض اوثبته الحاجة اليها حتى اذا بلغ اقصى اثره قبضه الله فتقول الارض يوم القيامة رب هذا ما استودعتني خرجه ابن ماجة في سننه وقد تقدم الثالث انها تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان ما لها قاله ابن مسعود فتخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر الاخرة قد اتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سوالهم ووعيدا للكافرين وانذارا للمومن وفي حديثها باخبارها ثلاثة اقاويل احدها ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك الثاني ان الله تعالى يحدث فيها الكلام الثالث انه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام الطبري تبين اخبارها بالرجة والزلزلة واخراج الموتى بان ربك اوحى لها اي انها تحدث اخبارها بوحي الله تعالى لها اي اليها والعرب تضع لام الصفة موضع الى قال العجاج يصف الارض

اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

وهذا قول ابي عبيدة اوحى لها اي اليها وقيل اوحى لها اي امرها قاله مجاهد وقال السدي اوحى لها اي قال لها وقيل سخرها وقيل المعنى يوم تكون الزلزلة واخراج الارض اثقالها تحدث الارض اخبارها ما كان عليها من الطاعات والمعاصي وما عمل على ظهرها من خير وشر روي ذلك عن الثوري وغيره يومئذ يصدر الناس اشتاتا اي فرقا جمع شت قيل عن موقف الحساب فريق ياخذ جهة اليمين الى الجنة وفريق اخر ياخذ جهة الشمال الى الشمال كما قال تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون وقيل يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب اشتاتا يعني فرقا فرقا ليروا اعمالهم يعني ثواب اعمالهم وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يوم القيامة الا ويلوم نفسه فان كان محسنا يقول لم لا ازددت احسانا وان كان غير ذلك يقول لم لا نزعت عن المعاصي وهذا عند معاينة الثواب والعقاب وكان ابن عباس يقول اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة وقيل هذا الصدر انما هو عند النشور يصدرون اشتاتا من القبور فيصار بهم الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزاء اعمالهم فكانهم وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها والوارد الجائي والصادر المنصرف اي يبعثون من اقطار الارض وعلى القول الاول فيه تقديم وتاخير مجازه تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم واعترض قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين عن موقف الحساب وقراءة العامة ليروا بضم الياء اي ليريهم الله اعمالهم وقرا الحسن والزهري وقتادة والاعرج ونصر بن عاصم وطلحة بفتحها وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فيه ثلاث مسائل الاولى كان ابن عباس يقول من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الاخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المومنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الاخرة اذا مات ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يتقبل ويضاعف له في الاخرة وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله عز وجل انه لا يغفل من عمل ابن ادم صغيرة ولا كبيرة وهو مثل قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم الكلام هناك في الذر وانه لا وزن له وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق بها من التراب فهو الذر وكذا قال ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب ذرة وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مومن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر دليله ما رواه العلماء الاثبات من حديث انس ان هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر ياكل فامسك وقال يا رسول الله وانا لنرى ما عملنا من خير وشر قال ارايت ما تكره فهو مثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال ابو ادريس مصداقه من كتاب الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال مقاتل نزلت في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما

لولا انكم تخطئون وتذنبون ويغفر لكم

كان احدهم يا تيه السايل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما اوعد الله النار على الكبائر فنزلت ترغبهم في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر وقال سعيد بن جبير والاثم الصغير في عين صاحبه يوم القيامة اعظم من الجبال وجميع محاسنه اقل في عينه من كل شي **الثانية** قراة العامة يره بفتح اليا فيهما وقرا الجحدري والسلمي وعيسى ابن عمر وابان عن عاصم يره بضم اليا اي يريه الله اياه والاولى الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية وسكن الها في قوله يره في الموضعين هشام وكذلك رواه الكسائي عن ابي بكر وابو حيوة والمغيرة واختلس يعقوب والزهري والجحدري وشيبة واشبع الباقون وقيل يره اي يرى جزاءه لان ما عمله قد مضى وعدم فلا يرى وانشدوا

ان من يعتدي ويكسب اثما ... وزن مثقال ذرة سيراه

ويجازي بفعله الشر شرا ... وبفعل الجميل ايضا جزاه

هكذا قوله تبارك ربي ... في اذا زلزلت وجل ثناه

الثالثة قال ابن مسعود هذه احكم اية في القران وصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الاية القائلون بالعموم ومن لم يقل به وروي كعب الاحبار انه قال لقد انزل الله على محمد ايتين احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الاية الاية الجامعة الفاذة كما في الصحيح لما سيل عن الحمر وسكت عن البغال والجواب فيهما واحد لان البغل والحمار لا كر فيهما ولا فر فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما في الخيل من الاجر الدايم والثواب المستمر سال السايل عن الحمر لانهم لم يكن عندهم بغل ولا دخل منها الحجاز الا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الدلدل التي اهداها له المقوقس فافتاه في الحمير بعموم الاية وان في الحمار مثاقيل ذر كثيرة قاله ابن العربي وفي الموطا ان مسكينا استطعم عايشة ام المومنين وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت عايشة اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وروي عن سعد بن ابي وقاص انه تصدق بتمرتين فقبض السايل يده فقال للسايل ويقبل الله منا مثاقيل الذر وفي التمرتين مثاقيل ذر كثيرة وروي المطلب بن حنطب ان اعرابيا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها فقال يا رسول الله امثقال ذرة قال نعم فقال الاعرابي واسوااتاه مرارا ثم قام وهو يقولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل قلب الاعرابي الايمان وقال الحسن قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع مثقال ذرة الايات قال لا ابالي الا اسمع من القران غيرها حسبي فقد انتهت الموعظة ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي وروي ان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقريه فقرا عليه هذه الاية فقال صعصعة حسبي حسبي ان عملت مثقال شر رايته وروى معمر عن زيد بن اسلم ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني مما علمك الله فدفعه الى رجل يعلمه فعلمه اذا زلزلت حتى اذا بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعوه فانه قد فقه ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل قدمت واخرت فقال

خذ بطن هرشى او قفاها فانه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

تفسير سورة والعاديات

وهي مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطا ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم **والعاديات ضبحا** اي الافراس تعدو كذا قاله عامة المفسرين واهل اللغة اي تعدو في سبيل الله فتضبح قال قتادة تضبح اذا عدت اي تحمحم وقال الفرا الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون ابن عباس ليس شي من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وقيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة قال ابن العربي اقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يس والقران الحكيم واقسم بحياته فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار من الحجر فقال والعاديات ضبحا الايات الخمس وقال اهل اللغة

وطعنة ذات رشاش واهية ... طعنتها عند صدور العادية

يعني الخيل وقال اخر

والعاديات اسابي الدماء بها ... كان اعناقها انصاب ترجيب

يعني الخيل الاسابي الطرق وقال عنترة

والخيل تعلم حين تضبح ... في حياض الموت ضبحا

وقال اخر

لست بالتبع اليماني ان لم ... تضبح الخيل في سواد العراق

قال اهل اللغة واصل الضبح والضباح للثعالب فاستعير للخيل وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه ولم تبالغ فيه قال الشاعر

فلما ان تلهوجنا شواء ... به اللهبان مقهورا ضبيحا

وانضبح لونه اذا تغير الى السواد قليلا وقال

علقتها قبل انضباح لوني

وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغيرت حالها من فزع او طمع ونصب ضبحا على المصدر اي والعاديات تضبح ضبحا والضبح ايضا الرماد وقال البصريون ضبحا نصب على الحال وقيل مصدر في موضع الحال قال ابو عبيدة ضبحت الخيل ضبحا مثل ضبعت وهو السير وقال ابو عبيدة الضبح والضبع بمعنى العدو والسير وكذا قال المبرد الضبح مد اضباعها في السير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى اناس من بني كنانة فابطا عليه خبرها وكان استعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقبا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم الذين بعث اليهم وممن قال ان المراد بالعاديات الخيل ابن عباس وانس والحسن ومجاهد والمراد الخيل التي يغزو عليها المومنون وفي الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازي ففيه شعبة من النفاق وقول ثان انها الابل وقال مسلم نازعت فيها عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس هي الخيل وقلت قال علي هي الابل في الحج ومولاي اعلم من مولاك وقال الشعبي تمارى علي وابن عباس في العاديات فقال علي هي الابل تعدو في الحج وقال ابن عباس هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعا فهل تثير الا بحوافرها وهل تضبح الا الخيل فقال علي ليس كما قلت لقد رايتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد ثم قال له علي اتفتي الناس بما لا تعلم والله ان كانت لاول غزو في الاسلام وما معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى عرفة قال ابن عباس فرجعت الى قول علي وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي ومنه قول صفية بنت عبد المطلب

فلا والعاديات غداة جمع ... بايديها اذا سطع الغبار

يعني الابل وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو وهو تباعد الارجل في سرعة المشي وقال اخر

راى صاحبي في العاديات نجيبة ... وامثالها في الواضعات القوامس

ومن قال هي الابل فقوله ضبحا بمعنى ضبعا فالحا عنده مبدلة من العين لانه يقال ضبعت الابل وهو ان تمد اعناقها في السير وقال المبرد الضبع مد اضباعها في السير والضبح اكثر ما يستعمل في الخيل والضبع في الابل وقد تبدل الحا من العين ابو صالح الضبح من الخيل الحمحمة ومن الابل التنفس وقال عطا ليس شي من الدواب يضبح الا الفرس والثعلب والكلب وروي عن ابن عباس وقد تقدم عن اهل اللغة ان العرب تقول ضبح الثعلب وضبح في غير ذلك ايضا قال توبة

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت ... علي ودوني تربة وصفايح

لسلمت تسليم البشاشة او زقا ... اليها صدى من جانب القبر صايح

زقا الصدا يزقو زقاء اي صاح وكل زاق صايح والزقية الصيحة **فالموريات قدحا** قال عكرمة وعطا والضحاك هي الخيل حين توري النار بحوافرها وهي سنابكها وروي عن ابن عباس وعنه ايضا اورت بحوافرها غبارا وهذا يخالف سايرما روي عنه في قدح النار وانما هذا في الابل وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد والعاديات ضبحا فالموريات قدحا قال ابن عباس هو في القتال وهو في الحج ابن مسعود هي الابل تطا الحصى فتخرج منها النار واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد واقتدحت الزند واقتدحت المرق غرفته وركي قدوح تغرف باليد والقديح ما يبقى في اسفل القدر فيغرف بجهد والمقدحة ما يقدح به النار والقداحة والقداح الحجر الذي يوري النار يقال ورى الزند بالفتح يري وريا اذا خرجت ناره وفيه لغة اخرى وري الزند بالكسر يري فيهما وقد مضى هذا في الواقعة وقدحا انتصب بما انتصب به ضبحا وقيل هذه الايات في الخيل ولكن ايراءها ان تهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم

خذ حبة من عنب فاعطاها
فجعل ينظر اليها ويتعجب

ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس ومنه قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله روي معناه عن ابن عباس ايضا وقاله قتادة وعن ابن عباس ايضا ان المراد بالموريات قدحا مكر الرجال في الحرب وقاله مجاهد وزيد بن اسلم والعرب تقول اذا اراد ان يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا اكثرت نارها ارهابا وكل من قرب من العدو يوقد نيرانا كثيرة ليظنهم العدو كثيرا فهذا اقسام بذلك قال محمد بن كعب هي النار تجمع وقيل هي افكار الرجال توري نار المكر والخديعة وقال عكرمة هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما يتكلم بها من الحجج واقامة الدلائل وايضاح الحق وابطال الباطل وروى ابن جريج عن بعضهم اي فالمنجحات امرا وعملا كنجاح الزند اذا اوري قال الشيخ رحمه الله هذه الاقوال مجاز ومنه قولهم فلان يوري زناد الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل العرب تسمي تلك النار نار ابي حباحب وكان ابو حباحب شيخا من مضر في الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز ولا لغيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة توقد مرة وتخمد مرة فان استيقظ لها احد كفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

تقد السلوقي المضاعف نسجه ... وتوقد بالصفاح نار الحباحب

قوله تعالى فالمغيرات صبحا الخيل تغير على العدو عند الصبح عن ابن عباس واكثر المفسرين وكانوا اذا ارادوا الغارة سروا ليلا ويأتون العدو صبحا لان ذلك وقت غفلة الناس ومنه قوله تعالى فساء صباح المنذرين وقيل لعنيهم اغاروا نهارا وصبحا على هذا اي علانية تشبيها بظهور الصبح وقال ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما هي الابل تدفع بركبانها يوم النحر من منى الى جمع والسنة الا تدفع حتى تصبح وقال القرطبي والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير قوله تعالى فاثرن به نقعا اي غبارا يعني الخيل تثير الغبار بشدة العدو وفي المكان الذي اغارت به قال عبد الله بن رواحة

عدمت بنيتي ان لم تروها ... تثير النقع من كنفي كداء

والكناية في به ترجع الى المكان او الموضع الذي تقع فيه الاغارة واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر في التصريح كما قال تعالى حتى توارت بالحجاب وقيل فاثرن به اي بالعدو نقعا وقد تقدم ذكر العدو وقيل النقع ما بين مزدلفة الى منى قال محمد بن كعب وقيل انه طريق الوادي ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفي الصحاح النقع الغبار والجمع نقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البئر منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البئر والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء والجمع نقاع وانقع مثل بحر وبحار وابحر قال الشيخ رحمه الله وقد يكون النقع رفع الصوت ومنه حديث عمر حين قيل له ان النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد فقال وما على نساء بني المغيرة ان يسفكن من دموعهن وهن جلوس على ابي سليمان ما لم يكن نقع ولا لقلقة قال ابو عبيدة يعني بالنقع رفع الصوت على هذا رايت قول الاكثر من اهل العلم ومنه قول لبيد نظم

فمتى ينقع صراخ صادق ... يجلبوها ذات جرس وزجل

ويروى يحلبوها ايضا يقول متى ما سمعوا صراخا احلبوا الحرب اي جمعوا لها وقوله ينقع صراخ يعني رفع الصوت وقال الكسائي قوله نقع ولا لقلقة النقع صنعة الطعام يعني في المأتم يقال منه نقعت انقع نقعا قال ابو عبيد ذهب بالنقع الى النقيعة وانما النقيعة عند غيره من العلماء صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في المأتم وقال بعضهم يريد عمر بالنقع وضع التراب على الراس يذهب الى ان النقع هو الغبار ولا احسب عمر ذهب الى هذا ولا خافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهن القيام فقال يسفكن من دموعهن وهن جلوس قال بعضهم النقع شق الجيوب وهو الذي لا ادري ما هو من الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندي في هذا الحديث الا الصوت الشديد واما اللقلقة فشدة الصوت ولم اسمع فيه اختلافا وقرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد اي ارت اثارا ذلك ومن خفف فهو من اثار اذا حرك ومنه واثاروا الارض قوله تعالى فوسطن به جمعا جمعا مفعول بوسطن اي فوسطن بركبانهن العدو اي الجمع الذين اغاروا عليهم وقال ابن مسعود فوسطن به جمعا يعني مزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس بها ويقال

نار ابو حباحب مشهور

وسطت

وسطت القوم اسطهم وسطا وسطة اي صرت وسطهم وقرأ علي رضي الله عنه فوسطن بالتشديد وهي قراءة قتادة وابن سيرين وابو رجاء لغتان بمعنى يقال وسطت القوم بالتشديد والتخفيف وتوسطتهم بمعنى واحد وقيل معنى التشديد جعلنا الجمع قسمين والتخفيف صرن في وسط الجمع وهما يرجعان الى معنى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود هذا جواب القسم اي طبع الانسان على كفران النعمة قال ابن عباس وغيره لكنود لكفور جحود لنعم الله وكذلك قال الحسن وقال يذكر المصائب وينسى النعم اخذه الشاعر فنظمه

يا ايها الظالم في فعله ... والظلم مردود على من ظلم

الى متى انت وحتى متى ... تشكو المصيبات وتنسى النعم

وروى ابو امامة الباهلي قال النبي صلى الله عليه وسلم الكنود الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وروى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده خرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد روي عن ابن عباس ايضا انه قال الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل السيئ الملكة وقاله مقاتل وقال الشاعر

كنود لنعماء الرجال ومن يكن ... كنودا لنعماء الرجال يبعد

اي كفور ثم قيل هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير وقيل الجاحد للحق وقيل انما سميت كندة كندة لانها جحدت اباها وقال ابراهيم بن هرمة الشاعر

دع البخلاء ان شمخوا وصدوا ... وذكرى بخل غانية كنود

وقيل الكنود من كند اذا قطع كانه يقطع ما ينبغي ان يواصله من الشكر ويقال كند الحبل اذا قطعه قال الاعشى

اميطي تميطي بصلب الفؤاد ... وصول حبال وكنادها

فهذا يدل على القطع ويقال كند يكند كنودا اي كفر النعمة وجحدها فهو كنود وامراة كنود ايضا وكند مثله قال الاعشى

احدث لها تحدث لوصلك انها ... كند لوصل الزائر المعتاد

اي كفور للمواصلة وقال ابن عباس الانسان هنا الكافر يقول انه لكفور ومنه الارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال الضحاك نزلت في الوليد بن المغيرة المبرد الكنود المانع لما عليه وانشد لكثير

احدث لها تحدث لوصلك انها ... كند لوصل الزائر المعتاد

وقال ابو بكر الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله في معاصي الله وقال ابو بكر الوراق الكنود الذي يرى النعمة من نفسه واعوانه وقال الترمذي الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم وقال ذو النون المصري الكنود والهلوع هو الذي اذا مسه الشر جزوع واذا مسه الخير منوع وقيل هو الحقود والحسود وقيل الجهول لقدره وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره وقال الشيخ رحمه الله هذه الاقوال كلها ترجع الى معنى الكفران والجحود وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى الكنود بخصال مذمومة واحوال غير محمودة فان صح فهو اعلى ما يقال ولا يبقى لاحد معه مقال قوله تعالى وانه على ذلك لشهيد اي وان الله جل ثناؤه على ذلك من ابن ادم لشهيد كذا روى منصور عن مجاهد وهو قول اكثر المفسرين وهو قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وانه اي وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع وروي عن مجاهد ايضا قوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وانه اي الانسان من غير خلاف لحب الخير اي المال ومنه قوله ان ترك خيرا وقال عدي

ماذا يرجي النفوس من طلب ... الخير وحب الحيوة كاذبها

لشديد اي قوي في حبه للمال وقيل لشديد لبخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

يقال اعتامه واعتماه اي اختاره والفاحش البخيل ايضا ومنه قوله تعالى ويامركم بالفحشاء اي البخل قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى ان يكون شرا وحراما ولكن الناس يعدونه خيرا فسماه الله خيرا لذلك وسمى الجهاد سوءا فقال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء على ما يسميه الناس قال الفراء نظم الاية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال لشديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الاي كقوله في يوم عاصف والعصوف للريح لا الايام فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرح من اخره ذكر الريح كانه قال في يوم عاصف الريح قوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر

مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ اي ابن ادم اذ العثر اي اثير وقلب وبحث فاخرج ما فيها قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اعلاه اسفله وعن محمد بن كعب قال ذلك حين يبعثون قال الفرا سمعت بعض اعراب بني اسد يقرا بحثر بالحاء مكان العين وحكاها الماوردي عن ابن مسعود وبهما بمعنى وحصل ما في الصد وراي ميز ما فيها من خير وشر كذا قال المفسرون وقال ابن عباس ابرز وقرا عبيد بن عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وحصل بفتح الحاء وتخفيف الصاد وفتحها اي ظهر ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي عالم لا يخفى عليه منهم خافية وهو عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه مجازيهم في ذلك اليوم في غيره وقوله اذ ابعثر العامل في اذا بعثر ولا يعلم فيه اذ لا يراد به العلم من الانسان ذلك الوقت انما يراد في الدنيا ولا يعمل فيه خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والعامل في يومئذ خبير وان فصلت اللام بينهما لان موضع اللام الابتداء وانما دخلت في الخبر لدخول ان على المبتدى ويروى ان الحجاج قرا هذه السورة على المنبر يحضهم على الغزو فجرى على لسانه ان ربهم بفتح الالف ثم استدركها فقال خبير بغير لام ولولا اللام لكانت مفتوحة لوقوع العلم عليها وقرا ابو السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير ختمت السورة بحمد الله الملك الوهاب

تفسير سورة القارعة

وهي مكية باجماع وهي عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى **الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ** اي القيامة والساعة كذا قال عليه المفسرون وذلك انها تقرع الخلايق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة اذا وقع بهم امر فظيع قال ابن احمر

وقارعة من الايام لولا ... سبيلهم لزاحت عنك حينا

وقال اخر

متى نقرع بمروتكم نسؤكم ... ولم توقد لنا في القدر نار

وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي الشديدة من شدايد الدهر قوله تعالى ما القارعة استفهام اي اي شي القارعة وكذا وما ادراك ما القارعة كله استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشانها كما قال الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة على ما تقدم قوله تعالى **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ** يوم منصوب على الظرف تقديره تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقاله ابو عبيدة وقال الفرا انه الهمج الطاير من بعوض وغيره ومنه الجراد ويقال هو اطيش من فراشة قال

طويش من نفر اطياش ... اطيش من طايرة الفراش

وقال اخر

وقد كان اقوام رددت قلوبهم ... عليهم وكانوا كالفراش من الجهل

وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدي وفي الباب عن ابي هريرة والمبثوث المتفرق وقال في موضع اخر كانهم جراد منتشر فاول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكون كالجراد لان لها وجها تقصده والمبثوث المتفرق المنتشر وانما ذكر على اللفظ كقوله اعجاز نخل منقعر ولو قال المبثوثة كقوله اعجاز نخل خاوية وقال ابن عباس والفرا كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا كذلك الناس يجول بعضهم في بعض اذا بعثوا قوله تعالى **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ** اي الصوف الذي ينفش باليد اي تصير هباء وتزول كما قال عز وجل في موضع اخر هباء منبثا واهل اللغة يقولون العهن الصوف المصبوغ وقد مضى في سال سايل قوله تعالى **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ** قد تقدم القول في الميزان في الاعراف والكهف والانبيا وان له كفة ولسانا توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيات ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل يزن اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين كما قال فلكل حادثة لها ميزان وقد ذكرناه فيما تقدم وذكرناه ايضا في التذكرة وقيل ان الموازين الحجج والدلايل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر

قد كنت قبل لقايكم ذا مرة ... عندي لكل مخاصم ميزانه

ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه وقيل عيشة راضية اي فاعلة للرضى وهو اللين والانقياد لاهلها فالفعل للعيشة لانها اعطيت الرضى من نفسها وهو اللين والانقياد فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفراش المرفوعة وارتفاعها مقدار مايه عام فاذا دنا منها ولي الله اتضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع كهيتها ومثل الشجرة فروعها كذلك ايضا من الارتفاع فاذا اشتهى ولي الله ثمرتها تدانت منه حتى يتناولها ولي الله قايما وقاعدا وذلك قوله تعالى قطوفها دانية وحيث ما مشى او ينتقل من مكان الى مكان جرى معه نهر حيث شاء علوا وسفلا وذلك قوله تعالى يفجرونها تفجيرا فيروى في الخبر انه يشير بقضيبه فيجري من غير اخدود حيث شاء من قصوره وفي مجالسه فهذه الاشيا كلها عيشة قد اعطيت الرضى من نفسها فهي فاعلة للرضى وهي انذلت وانقادت بذلا وسماحة ومنه فامه هاوية يعني جهنم سماها امه لانه ياوي اليها كما ياوي الى امه قاله ابن زيد ومنه قول امية بن ابي الصلت

فالارض معقلنا وكانت امنا ... فيها مقابرنا وفيها نولد

وسميت النار هاوية لانه يهوي فيها مع بعد قعرها ويروى ان الهاوية اسم الباب الاسفل من النار وقال قتادة معنى فامه هاوية فمصيره الى النار عكرمة لانه يهوي فيها على ام راسه الاخفش امه مستقره والمعنى متقارب وقال الشاعر

يا عمرو لو نالتك ارماحنا ... كنت كمن تهوي به الهاويه

والهاوية والمهواة وتقول هوت امه فهي هاوية اي ثاكلة قال كعب بن سعد الغنوي

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ... وماذا يودي الليل حين يؤوب

والمهوى والمهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض وما ادراك ما هيه الاصل ما هي فدخلت الهاء للسكت وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابن محيصن ما هي نار بغيرها في الوصل ووقفوا بها وقد مضى هذا في الحاقة نار حامية اي شديدة الحرارة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي يوقد ابن ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال انما ثقل ميزان من ثقل ميزانه لانه وضع فيه الباطل وحق لميزان ان يكون فيه الباطل ان يكون خفيفا وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموتى يسالون الرجل يانيهم عن رجل مات قبله فيقول ذاك مات قبلي اما مر بكم فيقولون لا والله انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية فبيست الام وبيست المربية وقد ذكرناه بكماله في التذكرة والحمد لله

تفسير سورة التكاثر

وهي مكية في قول جميع المفسرين وروى البخاري انها مدنية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** فيه خمس مسايل **الاولى** قوله تعالى الهاكم التكاثر الهاكم شغلكم قال

فالهيتها عن ذي تمايم مغيل

اي شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم في المقابر وقيل الهاكم انساكم التكاثر اي من المال والاولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة اي التفاخر بالقبايل والعشاير وقال الضحاك اي الهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة يقال لهيت عن كذا بالكسر الهى لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاه اي شغله ولهاه به تلهية اي علله والتكاثر المكاثرة قال قتادة ومقاتل وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عايدا فكثر بنو عبد مناف سهما ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم سهم فنزلت الهاكم التكاثر باحيايكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات وروى سعيد عن قتادة قال كانوا يقولون نحن اكثر من بني فلان ونحن اعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون الى اخرهم والله مازالوا كذلك حتى صاروا من اهل القبور كلهم

وعن عمرو بن دينار حلف ان هذه السورة نزلت في التجار وعن شيبان عن قتادة قال نزلت في اهل الكتاب
قال الشيخ رحمه الله الاية تعم جميع ما ذكر وغيره وفي صحيح مسلم عن مطرف عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يقرا الهاكم التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك يا ابن ادم من مالك الا ما اكلت
فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت ما سوى ذلك فذاهب وتارك للناس وروى البخاري
قال ابن شهاب اخبرني انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان لابن ادم واديا من ذهب
احب ان يكون له واديان ولن يملأ فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب قال ثابت عن انس عن ابي
كنا نرى هذا من القران حتى نزلت الهاكم التكاثر قال ابن العربي وهذا نص صحيح مليح غاب عن اهل التفسير
فجهلوا واجهلوا والحمد لله على المعرفة وقال ابن عباس قرا النبي صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر قال
تكاثر الاموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الاوعية **الثانية** قوله تعالى حتى زرتم المقابر اي حتى
اتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزل من جنة او نار يقال لمن مات
قد زار قبره وقيل اي الهاكم التكاثر حتى عددتم الاموات على ما تقدم وقيل هذا وعيد اي اشتغلتم
بمفاخرة الدنيا حتى تزوروا القبور فترون ما ينزل بكم من عذاب الله جل وعز **الثالثة** قوله تعالى المقابر
جمع مقبرة ومقبرة بفتح الباء وضمها والقبور جمع القبر قال الذي اهل القصور اذا اميتوا

بنوا فوق المقابر بالصخور ... ابوا الا مباهاة وفخرا ... على الفقراء حتى في القبور

وقد جاء في الشعر المقبر قال

لكل اناس مقبر بفنائهم ... وهو ينقصون والقبور تزيد

وهو المقبري والمقبري لسعيد المقبري وكان يسكن المقابر وقبرت الميت اقبره واقبره قبرا
اي دفنته واقبرته اي امرت بان يقبر وقد مضى في سورة عبس القول فيه **الرابعة** لم يات في التنزيل
ذكر للمقابر الا في هذه السورة وزيارتها من اعظم الدواء للقلب القاسي لانها تذكر الموت والاخرة و
ذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروا القبور فانها تزهد في الدنيا وتذكر في الاخرة رواه ابن مسعود اخرجه ابن ماجة وفي صحيح
مسلم من حديث ابي هريرة فانها تذكر الموت وفي الترمذي عن بريدة فانها تذكر الاخرة قال حديث
حسن صحيح وفيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور قال وفي الباب
عن ابن عباس وحسان بن ثابت قال ابو عيسى وهذا حديث حسن صحيح وقد راى بعض اهل العلم ان هذا
كان قبل ان يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء وقال
بعضهم انما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن قال الشيخ رحمه الله زيارة القبور
للرجال متفق عليه عند العلماء مختلف فيه للنساء اما الشواب فحرام عليهن الخروج واما القواعد فمباح
لهن ذلك جائز لجميعهن ذلك اذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف في هذا ان شاء الله وعلى هذا
المعنى يكون قوله زوروا القبور عاما واما موضع او وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء
فلا يحل ولا يجوز فبينا الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امراة فيفتتن وبالعكس فيرجع كل واحد
من الرجال والنساء مازورا غير ماجور والله اعلم **الخامسة** قال العلماء ينبغي لمن اراد علاج قلبه
وانقياده بسلاسل القهر الى طاعة ربه ان يكثر من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات وموتم
الاطفال البنين والبنات ويواظب على مشاهدة المحتضرين وزيارة قبور اموات المسلمين فهذه
ثلاثة امور ينبغي لمن قسى قلبه ولزمه ذنبه ان يستعين بها على دوائه ويستصرخ بها على فتن
الشيطان واعوانه فان انتفع بالاكثار من ذكر الموت وانجلت قساوة قلبه فذاك وان عظم
عليه ران القلب واستحكمت فيه دواعي الذنب فان مشاهدة المحتضرين وزيارة قبور اموات
المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الاول لان ذكر الموت اخبار للقلب بما اليه المصير وقائم له مقام
التخويف والتحذير وفي مشاهدة من احتضر وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة
فلذلك كان ابلغ من الاول قال صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة رواه ابن عباس فاما الاعتبار
بحال المحتضرين فغير ممكن في كل الاوقات وقد لا يتفق لمن اراد علاج قلبه في ساعة من الساعات
واما زيارة القبور فوجودها اسرع والانتفاع بها اليق واجدر فينبغي لمن عزم على الزيارة
ان يتادب بادابها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها التطواف على الاجداث فقط فان

زيارة القبور

فان هذه حالة يشاركه فيها البهيمة ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه
او نفع الميت بما يتلو عنده من القران والدعاء ويتجنب الدعاء المشي على المقابر واذا وصل الى قبر ميته
الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من تلقاء وجهه لانه في زيارته كمخاطبته حيا ولو خاطبه حيا لكان الادب
استقباله بوجهه فكذلك هاهنا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب
بعد ان قاد الجيوش والعساكر ونافس الاصحاب والعشائر وجمع الاموال والذخائر فجاءه الموت
في وقت لم يحتسبه وهول لم يرتقبه فليتامل الزائر حال من مضى من اخوانه ودرج من اقرانه الذين
بلغوا الامال وجمعوا الاموال كيف انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب محاسن وجوههم
وافترقت في القبور اجزاؤهم وترمل بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم اولادهم واقتسم غيرهم طريفهم
وتلادهم وليتذكر ترددهم في المآرب وحرصهم على نيل المطالب وانخداعهم لمواتاة الاسباب وركونهم الى
الصحة والشباب وليعلم ان ميله الى اللهو واللعب كميلهم وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع و
الهلاك السريع كغفلتهم وانه لابد صائر الى مصيرهم وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا في اغراضه
وكيف تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر الى ما خوله وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه
وقد اكل الدود لسانه ويضحك لمواتاة دهره وقد ابلى التراب اسنانه وليتحقق ان حاله كحاله ومآله
كماله وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الاغيار الدنيوية ويقبل على الاعمال الاخروية
فيزهد في دنياه ويقبل على طاعة مولاه ويلين قلبه وتخشع جوارحه **قوله تعالى** كلا سوف
تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا قال الفراء اي ليس الامر كما انتم عليه من التفاخر والتكاثر والتمام
على هذا كلا سوف تعلمون اي سوف تعلمون عاقبة هذا ثم كلا سوف تعلمون وعيد بعد وعيد قاله مجاهد
ويحتمل ان يكون تكراره على وجه التاكيد والتغليظ وهو قول الفراء وقال ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل
بكم من العذاب في القبر ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب فالاول في القبر والثاني في
الاخرة فالتكرير للحالتين وقيل كلا سوف تعلمون عند المعاينة ان ما دعوتكم اليه حق ثم كلا سوف
تعلمون عند البعث ان ما دعوتكم به صدق وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في
عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله كلا سوف تعلمون يعني في القبور وقيل كلا سوف
تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاءتكم رسلي لنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون اذا دخلتم قبوركم وجاءكم
منكر ونكير وحاط بكم هول السؤال وانقطع منكم الجواب قال الشيخ رحمه الله فتضمنت السورة القول
في عذاب القبر وقد ذكرنا في كتاب التذكرة ان الايمان به واجب والتصديق به لازم حسب ما اخبر به
الصادق وان الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة اليه ويجعل له من العقل في مثل الوصف
الذي عاش عليه ليعقل ما يسال عنه وما يجيب به ويفهم ما اتاه من ربه وما اعد له في قبره من كرامة وهوان
وهذا هو مذهب اهل السنة والذي عليه الجماعة من اهل الملة وقد ذكرناه هنالك مستوفى والحمد لله
وقيل كلا سوف تعلمون عند النشور انكم مبعوثون ثم قال كلا سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون
وعلى هذا تضمنت احوال القيامة من بعث وحشر وسؤال وعرض الى غير ذلك من اهوالها وافزاعها حسب
ما ذكرناه في التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا
سوف تعلمون قال المؤمنون وكذلك كان يقرؤها الاولى بالتاء والثانية بالياء **قوله تعالى**
كلا لو تعلمون علم اليقين اعاد كلا وهو زجر وتنبيه لانه عقب كل واحد شيء اخره كانه قال لا تفعلوا فانكم
تندمون لا تفعلوا فانكم تستوجبون العقاب واضافة العلم الى اليقين كقوله تعالى ان هذا لهو حق
اليقين وقيل اليقين هاهنا الموت قاله قتادة وعنه ايضا البعث لانه اذا جاء زال الشك
اي لو تعلمون علم البعث وجواب لو محذوف اي لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه اذا جاءتكم
نفخة الصور وانشقت اللحود عن جثثكم كيف يكون حشركم لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا
وقيل كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو قد تطايرت الصحف فشقي وسعيد وقيل ان كلا في هذه المواضع
الثلاثة بمعنى الا قاله ابن ابي حاتم وقال الفراء هي بمعنى حقا وقد تقدم الكلام فيها مستوفى **قوله تعالى**
لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين هذا وعيد اخر وهو على اضمار القسم اي لترون الجحيم في الاخرة
والخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار وقيل هو عام كما قال وان منكم الا واردها فهي للكفار دار

وللمومن يمرّ وفي الصحيح فيمرّ اولهم كالبرق ثم كالريح ثم كالطير الحديث وقد مضى في سورة مريم وقرا الكسائي
وابن عامر لترون بضم التاء من ارينه الشي اي يحشرون اليها فترونها وعلى فتح التاء وهي قراءة الجماعة اي
لترون الجحيم بابصاركم على البعد ثم لترونها عين اليقين اي مشاهدة وقيل هو اخبار عن دوام مقامهم
في النار اي رؤية دائمة متصلة والخطاب على هذا للكفار وقيل معنى لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون
اليوم في الدنيا علم اليقين مما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك
الجحيم بعين فؤادك وهو ان تتصور لك تارات القيامة وقطع مسافاتها ثم لترونها عين اليقين اي عند
المعاينة بعين الراس فتراها يقينا لا تغيب عن عينك ثم لتسالن يومئذ عن النعيم في موقف السؤال
والعرض **قوله تعالى** ثم لتسالن يومئذ عن النعيم روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة
قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من
الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا من الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب
فقال كلوا من هذه واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا
من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر
والذي نفسي بيده لتسالن عن نعيم هذا اليوم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم
هذا النعيم خرجه الترمذي وقال هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسالون عنه يوم القيامة
ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وكني الرجل من الانصار فقال ابو الهيثم بن التيهان وذكر قصة قال
الشيخ رحمه الله اسم هذا الرجل الانصاري مالك بن التيهان ويكنى ابا الهيثم وفي هذه القصة يقول
عبد الله بن رواحة يمدح بها ابا الهيثم بن التيهان فلم ار كالاسلام — شعر

فلم ار كالاسلام عزا لامة •	ولا مثل اضياف الاراشي معشرا •
نبي وصديق وفاروق امة •	وخير بني حواء فرعا وعنصرا •
فوافوا لميقات وقدر قضية •	وكان قضاء الله قدرا مقدرا •
الى رجل نجد يباري بجوده •	شموس الضحى جودا ومجدا ومفخرا •
وفارس خلق الله في كل غارة •	اذا لبس القوم الحديد المسمرا •
ففدى وحيا ثم ادنى قراهم •	فلم يقرهم الا سمينا متمرا •

وذكر ابو نعيم الحافظ عن ابي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلا فدعاني فخرجت اليه ثم مر بابي بكر فدعاه فخرج ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل
حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط اطعمنا بسرا فجاء بعذق فوضعه فاكلوا ثم دعا بماء
فشرب فقال لتسالن عن هذا يوم القيامة قال واخذ عمر العذق فضرب به الارض حتى تناثر البسر
نحو وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله انا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من
ثلاث كسرة يسد بها جوعته او ثوب يستر به عورته او جحر ياوي فيه من الحر والقر واختلف
اهل التاويل في النعيم المسؤول عنه على اقوال عشرة احدها الامن والصحة قاله ابن مسعود الثاني
الصحة والفراغ قاله سعيد بن جبير وفي البخاري عنه عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ الثالث الادراك بحواس السمع والبصر قاله ابن عباس وفي التنزيل ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسؤولا وفي الصحيح عن ابي هريرة وابي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له الم اجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا الحديث خرجه الترمذي
وقال فيه حديث حسن صحيح الرابع ملاذ الماكول والمشروب قاله جابر بن عبد الله الانصاري وحديث
ابي هريرة يدل عليه الخامس انه الغداء والعشاء قاله الحسن السادس قول مكحول الشامي انه شبع البطون وبارد
الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ورواه ابن زيد بن اسلم عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لتسالن يومئذ عن النعيم يعني عن شبع البطون فذكره ذكره الماوردي وقال وهذا السؤال

يعم المومن والكافر الا ان سؤال المومن تبشير بان جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الاخرة وسؤال الكافر تقريع
ان قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية وقال قوم هذا السؤال عن كل نعمة انما يكون في حق الكفار فقد
روي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم ابن التيهان
من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنب وماء عذب اتخاف علينا ان يكون هذا من النعيم الذي نسال عنه فقال
عليه السلام ذلك للكفار ثم قرا وهل نجازي الا الكفور ذكره القشيري ابو نصر وقال الحسن
لا يسال عن النعيم الا اهل النار قال القشيري فالجمع بين الاخبار ان الكل يسالون ولكن سؤال
الكافر سؤال توبيخ لانه ترك الشكر وسؤال المومن سؤال تشريف لانه شكر وهذا النعيم في كل نعمة قال
الشيخ رحمه الله هذا القول حسن لان اللفظ يعم ذكر الفريابي قال حدثنا ورقاء عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
في قوله تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قال كل شي من لذة الدنيا وروى ابو الاحوص عن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليعدد نعمه على العبد يوم القيامة حتى يعد عليه سالتني فلانة ان
ازوجكها فيسميها باسمها فزوجتكها وفي الترمذي عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية ثم لتسالن
يومئذ عن النعيم قال الناس يا رسول الله عن اي النعيم نسال فانما هما الاسودان والعدو حاضر
وسيوفنا على عواتقنا قال ان ذلك سيكون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسال
عنه يوم القيامة يعني العبد ان يقال له الم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد قال حديث غريب
وروي من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله
بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيساله عن جاهه كما يساله عن ماله والجاه من نعيم الدنيا لا محالة
وقال مالك رحمه الله انه صحة البدن وطيب النفس وهو القول السابع وقيل النوم مع الامن والعافية
وقال سفيان بن عيينة ان ما سد الجوع وستر العورة من خشن الطعام واللباس لا يسال عنه المرء في
القيامة وانما يسال عن النعيم قال والدليل عليه ان الله تعالى اسكن ادم الجنة فقال له ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى فكانت هذه الاشياء الاربعة ما يسد به الجوع وما يدفع به
العطش وما يستكن به من الحر ويستر به عورته لادم عليه السلام بالاطلاق لا حساب عليه فيها
لانه لا بد له منها قال الشيخ رحمه الله ونحو هذا ذكره القشيري ابو نصر قال ان مما لا يسال عنه العبد
لباسا يواري سواته وطعاما يقيم صلبه ومكانا يكنه من الحر والبرد قال الشيخ رحمه الله وهذا منتزع
من قوله عليه السلام ليس لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف
الخبز والماء خرجه الترمذي وقال النضر بن شميل جلف الخبز ليس معه ادام وقال محمد بن كعب النعيم
هو ما انعم الله علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
وقال الحسن ايضا والمفضل هو تخفيف الشرائع وتيسير القران قال الله تعالى ما جعل عليكم في الدين من
حرج وقال ولقد يسرنا القران للذكر قال الشيخ رحمه الله وكل هذه نعم فيسال العبد عنها هل شكرها ام
كفر والاقوال المتقدمة اظهر والله اعلم • ختمت بفضل الله وكرمه واحسانه • ومننه ونعمائه •

تفسير سورة والعصر

وهي مكية • وقال قتادة مدنية • وروي عن ابن عباس وهي ثلاث ايات •

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى والعصر اي الدهر قاله ابن عباس وغيره فالعصر مثل الدهر ومنه قول الشاعر •

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر •	ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر •

اي عصر اقسم به عز وجل لما فيه من التنبيه بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع
وقيل العصر الليل والنهار قال حميد بن ثور

ولن يلبث العصران يوما وليلة •	اذا طلبا ان يدركا ما تيمما •

والعصران ايضا الغداة والعشي قال

وامطله العصرين حتى يملني •	ويرضى بنصف الدين والانف راغم •

يقول اذا جاءني اول النهار وعدته اخره وقيل انه العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها قاله الحسن وقتادة
ومنه قول الشاعر تروح بنا عمرو وقد قصر العصر وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر

وعن قتادة ايضا هو اخر ساعة من ساعات النهار وقيل هو قسم بصلاة العصر وهي الوسطى لانها افضل الصلوات قاله مقاتل يقال اذن للعصر اي لصلاة العصر وصليت العصر اي صلاة العصر وفي الخبر الصحيح الصلوة الوسطى صلوة العصر وقد مضى في البقرة بيانه وقيل هو قسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النبوة فيه وقيل معناه ورب العصر **الثانية** قال مالك رحمه الله من حلف ان لا يكلم رجلا عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربي انما حمل مالك يمين الحالف ان لا يكلم امرا عصرا على السنة لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله في تغليظ المعنى في الايمان وقد قال الشافعي يبر بساعة الا ان يكون له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال له ما اردت فاذا فسره بما يحتمله منه قبل الا ان يكون الاقل ويجيء على مذهب مالك ان يحلف على ما يفسر والله اعلم **قوله تعالى** إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ هذا جواب القسم والمراد به الكافر قاله ابن عباس في رواية ابي صالح وروى الضحاك عنه قال يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب ابن اسد بن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث وقيل يعني بالانسان جنس الانسان لفي خسر لفي غبن وقال الاخفش هلكة الفراء عقوبة ومنه قوله تعالى وكان عاقبة امرها خسرا ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص والمعنى متقارب وروي عن سلام والعصر بكسر الصاد وقراء الاعرج وطلحة وعيسى الثقفي خسر بضم السين وروى ذلك هارون عن ابي بكر عن عاصم والوجه فيهما الاتباع ويقال هو خسر وخسر مثل عسر وعسر وكان علي يقروها والعصر ونوايب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى اخر الدهر وقال ابراهيم ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا المومنين فانه يكتب لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم نظيره لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين قال وقراءتنا والعصر ان الانسان لفي خسر وانه في اخر الدهر والصحيح ما عليه الامة والمصاحف وقد مضى الرد في مقدمة الكتاب على من خالف مصحف عثمان وان هذا ليس بقران يتلى فتامله هناك الا الذين امنوا استثناء من الانسان اذ هو بمعنى الناس على الصحيح وعملوا الصالحات اي ادوا الفرايض المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب قرات على النبي صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله قال والعصر قسم من الله اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه السلام ومعنى وتواصوا اي تحابوا اوصى بعضهم بعضا وحث بعضهم بعضا بالحق اي بالتوحيد كذا روى الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة بالحق اي القران وقال السدي الحق هنا الله عز وجل وتواصوا بالصبر على طاعة الله عز وجل والصبر عن معاصيه وقد تقدم ● تمت ● بحول الله وقوته والصلاة والسلام على نبيه

تفسير سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم وهي مكية باجماع وهي تسع ايات **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** قد تقدم القول في الويل في غير موضع ومعناه الخزي والعذاب والهلكة وقيل واد في جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله تعالى المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وسياتي في الهمزة القول في النميمة وعن ابن عباس ان الهمزة القتات واللمزة العياب وقال ابو العالية والحسن ومجاهد وعطا بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يغتاب به من خلفه اذا غاب ومنه قول حسان ●

● همزتك فاختضعت بذل نفس ● بقافية تاجج كالشواظ ●

واختار هذا القول النحاس قال ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال مقاتل ضد هذا الكلام ان الهمزة الذي يغتاب بالغيبة واللمزة الذي يغتاب في الوجه وقال قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان في انسابهم وقال ابن زيد الهامز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثوري يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يوذي جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بعينه وراسه وبحاجبيه

وقال مرة هما سواء وهو القتات الطعان للمرء اذا غاب قال زياد الاعجم

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا ... وان اغيب فانت الهامز اللمزة

وقال اخر

اذا لقيتك عن شحط تكاشرني ... وان تغيبت كنت الهامز اللمزة

الشحط البعد والهمزة اسم وضع للمبالغة في هذا المعنى كما يقال سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك بالناس وقرا ابو جعفر محمد بن علي والاعرج همزة لمزة بسكون الميم فيهما فان صح ذلك عنهما فهي في معنى المفعول وهو الذي يتعرض للناس حتى يهمزوه ويضحكوا منه ويحملهم على الاغتياب وقرا عبد الله بن مسعود وابو وائل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة واصل الهمز الكسر والعض على الشيء بعنف ومنه همز الحرف ويقال همزت راسه وهمزت الجوز بكفي كسرته وقيل لاعرابي تهمزون الفارة فقال انما يهمزها الهرة الذي في الصحاح وقيل لاعرابي اتهمز الفار فقال السنور تهمزها والذي في الاصل قاله الثعلبي وهو يدل على ان الهر يسمى الهمزة قال العجاج

ومن همزنا راسه تهشما

وقيل اصل اللمز واللمز الدفع والضرب لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه وكذلك همزه اي دفعه وضربه قال الراجز

ومن همزنا عزه تبركعا ... على استه زوبعة او زوبعا

البركعة القيام على اربع وبركعه فتبركع اي صرعه فوقع على استه قاله في الصحاح والاية نزلت في الاخنس بن شريق فيما روى الضحاك عن ابن عباس وكان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين وقال ابن جريج في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي عليه السلام من ورائه ويقدح فيه في وجهه وقيل نزلت في ابي بن خلف وقيل في جميل بن عامر الثقفي وقيل انها مرسلة على العموم من غير تخصيص وهو قول الاكثرين قال مجاهد ليست بخاصة لاحد بل لكل من كانت هذه صفته وقال الفراء يجوز ان يذكر الشيء العام ويقصد به الخاص قصد الواحد اذا قال لا ازورك ابدا فتقول من لم يزرني فلست بزايره يعني ذلك القايل **قوله تعالى** الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ اي اعده زعم لنوايب الدهر مثل كرم واكرم وقيل احصى عدده قاله السدي وقال الضحاك اي اعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل اي فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كما قال تعالى مناع للخير وقال فجمع فاوعى وقرا الجماعة جمع مخفف الميم وشدها ابن عامر وحمزة والكسائي على التكثير واختاره ابو عبيد لقوله وعدده وقرا الحسن ونصر بن عاصم وابو العالية جمع مخففا وعدده مخففا ايضا فاظهروا التخفيف لان اصله عدده وهو بعيد لانه وقع في المصحف بدالين وقد جاء مثله في الشعر لما ابرزوا التضعيف خففوه قال

مهلا امامة قد جربت من خلقي ... اني اجود لاقوام وان ضننوا

اراد ظنوا وبخلوا فاظهر التضعيف لكن الشعر موضع ضرورة قال المهدوي من خفف وعدده فهو معطوف على المال اي وجمع عدده ولا يكون فعلا على اظهار التضعيف لان ذلك لا يستعمل الا في الشعر **قوله تعالى** يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ يحسب اي يظن ان ماله اخلده اي يبقيه حيا لا يموت قاله السدي وقال عكرمة اي يزيد في عمره وقيل احياه فيما مضى وهو ماض بمعنى المستقبل يقال هلك والله فلان ودخل النار اي يدخل كلا رد لما توهمه الكافر اي لا يخلد ولا يبقى له مال وقد مضى الكلام في كلا مستوفى وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة اذا سمعت الله عز وجل يقول كلا فانه يقول كذبت لينبذن اي ليطرحن وليلقين وقرا الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحميد وابن محيصن لينبذان بالتثنية اي هو وماله وعن الحسن ايضا لينبذنه على معنى لينبذن ماله وعنه ايضا لينبذن اخبار الله تعالى عن نفسه انه ينبذ صاحب المال وعنه ايضا لينبذن بضم الذال على ان المراد الهمزة واللمزة والمال وجامعه في الحطمة وهي نار الله سميت بذلك لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه قال الراجز

انا حطمنا بالقضيب مصعبا ... يوم كسرنا انفه ليغضبا

وهي الطبقة السادسة من طبقات جهنم حكاه الماوردي عن الكلبي وحكى القشيري عنه الحطمة الدرجة الثانية من درج النار وقال الضحاك هي الدرك الرابع ابن زيد اسم من اسماء جهنم وما ادراك ما الحطمة على التعظيم لشانها والتفخيم لامرها ثم فسرها هي بقوله نار الله الموقدة التي اوقد عليها الف عام والف عام والف عام فهي غير خامدة اعدها الله للعصاة التي تطلع على الافئدة قال محمد بن كعب تاكل النار جميع ما في اجسادهم حتى

اذا بلغت الي الفواد خلقوا خلقا جديدا فرجعت تاكلهم وكذا روي خالد بن ابي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افيدتهم انتهت ثم اذا اصدروا تعود فذلك **قوله تعالى**
نار الله الموقدة التي تطلع على الافيدة وخص الافيدة لان الالم اذا صار الي الفواد مات صاحبه اي انهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال لا يموت فيها ولا يحيى فهم اذا احيا في معنى الاموات وقيل معني تطلع على الافيدة اي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب وذلك بما استبقاه الله تعالى من الامارة الدالة عليه يقال اطلع فلان على كذا اي علمه وقد قال الله تعالى تدعوا من ادبر وتولي وقال اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فوصفها بهذا فلا يبعد ان توصف بالعلم **قوله تعالى**
انها عليهم موصدة اي مطبقة قاله الحسن والضحاك وقد تقدم في البلد القول فيه وقيل مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله مجاهد ومنه قول عبد الله بن قيس بن الرقيات

ان في القصر لو دخلنا غزالا ... مصفقا موصدا عليه الحجاب

في عمد ممددة الفاء بمعني الباء اي موصدة بعمد ممددة قاله ابن مسعود وهي في قرائته بعمد ممدودة وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالى يبعث اليهم ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقي فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه ويتشاغل اهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها ابدا وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى انها عليهم موصدة في عمد ممددة وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس ان العمد الممدودة اغلال في اعناقهم وقيل قيود في ارجلهم قاله ابو صالح قال القشيري والمعظم على ان العمد اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار وتشد تلك الاطباق بالاوتاد حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح وقيل ابواب النار مطبقة عليهم وهم في عمد اي في سلاسل واغلال مطولة وهي احكم وارسخ من القصيرة وقيل هم في عمد ممددة اي في عذابها والامها يضربون بها وقيل المعني في دهر ممدود اي لا انقطاع له وقرا حمزة والكسائي وابو بكر في عمد بضم العين والميم جمع عمود وكذلك عمد ايضا قال الفرا والعمد والعمد جمعان صحيحان لعمود مثل اديم وادم وادم وافيق وافق وافق ابو عبيدة عمد جمع عماد مثل اهاب واهب واختار ابو عبيد عمد بفتحتين وكذلك ابو حاتم اعتبارا بقوله تعالى رفع السموات بغير عمد واجمعوا على فتحها قال الجوهري العمود عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما **قوله تعالى** في عمد ممددة وقال ابو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب او حديد وهو اصل للبناء مثل العماد عمدت الشي فانعمد اي اقمته بعماد يعتمد عليه واعمدته جعلت تحته عمدا • حمت بحمد الله المنان • والمان بكل الاوصاف والاحسان •

تفسير سورة الفيل

وهي مكية باجماع وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل فيه خمس مسايل **الاولي** قوله تعالى الم تر اي الم تخبر وقيل اي الم تعلم وقال ابن عباس الم تسمع واللفظ استفهام والمعني تقرير والخطاب للرسول ولكنه عام اي الم تروا ما فعلت باصحاب الفيل اي قد رايتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم فما لكم لا تومنون وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معني الاستفهام **الثانية** قوله تعالى باصحاب الفيل الفيل معروف والجمع افيال وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا تقل افيلة وصاحبه فيال قال سيبويه يجوز ان يكون اصل فيل فعل فكسر من اجل الياء كما قالوا ابيض وبيض وقال الاخفش هذا لا يكون في الواحد انما يكون في الجمع ورجل فيل الراي اي ضعيف الراي والجمع افيال ورجل فال اي ضعيف الراي مخطي الفراسة وقد فيل الراي يفيل فيولة وفيل رايه تفييلا اي ضعفه فهو فيل الراي **الثالثة** في قصة اصحاب الفيل وذلك ان ابرهة بنى القليس بصنعاء وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشي من الارض وكان نصرانيا ثم كتب الي النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها ملك كان قبلك ولست بمنته حتى اصرف اليها حج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ~~فقال من صنع هذه الفيل له صنعه~~ ذلك الي النجاشي غضب رجل من النساة فخرج حتى اتي

الكنيسه

ان الله يبعث اليهم ملائكة باطباق من نار

الكنيسه فقعد فيها اي احدث ثم خرج فلحق بارضه فاخبر بذلك ابرهة فقال من صنع هذا فقيل له صنعه رجل من اهل هذا البيت الذي تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك اصرف اليها حج العرب غضب فجاء فقعد فيها اي انها ليست كذلك باهل فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليسيرن الي البيت حتى يهدمه وبعث رجلا كان عنده الي بني كنانة يدعوهم الي حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد ابرهة ذلك غضبا وحنقا ثم امر الحبشة فتهيات وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل فسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به وراوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا انه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل من اشراف اهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الي حرب ابرهة وجهاده عن بيت الله تعالى وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه من اجابه الي ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر واصحابه واخذ له ذو نفر فاتي به اسيرا فلما اراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك لا تقتلني فانه عسى ان يكون بقاءي معك خيرا لك فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان ابرهة رجلا حليما ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه ابرهة واخذ له نفيل اسيرا فاتي به فلما هم بقتله قال له نفيل ايها الملك لا تقتلني فاني دليلك بارض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقالوا له ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم وبعثوا معه ابا رغال حتى انزله المغمس فلما انزله به مات ابو رغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس وفيه يقول الشاعر

وارجم قبره في كل عام ... كرجم الناس قبر ابي رغال

فلما نزل ابرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهي الي مكة فساق اليه اموال اهل تهامة من قريش وغيرهم واصاب فيها مايتي بعير لعبد المطلب بن هشام وهو يوميذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث ابرهة حناطة الحميري الي مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول اني لم ات لحربكم انما جيت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا له بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حربي فاتني به فلما دخل حناطة مكة سال عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما امره به ابرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام او كما قال فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فانطلق اليه فانه قد امرني ان اتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى اتي العسكر فسال عن ذي نفر وكان صديقا له حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل اسير بيدي ملك ينتظر ان يقتله غدوا او عشيا ما عندي غناء في شي مما نزل بك الا ان انيسا سائس الفيل صديق لي فسارسل اليه واوصيه بك واعظم عليه حقك واساله ان يستاذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر الي انيس فقال ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رووس الجبال وقد اصاب له الملك مايتي بعير فاستاذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال افعل فكلم انيس ابرهة فقال له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك وهو صاحب عين مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رووس الجبال فاذن له عليك فليكلمك في حاجته قال فاذن له ابرهة وكان عبد المطلب اوسم الناس واجمله واعظمه فلما راه ابرهة اجله واعظمه عن ان يجلسه تحته فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه عليه الي جنبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي ان يرد علي الملك مايتي بعير اصابها لي فلما قال له ذلك قال

ابرهة لترجمانه قل له لقد كنت اعجبتني حين رايتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني اتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين ابائك قد جيت لهدمه لا تكلمني فيه قال له عبد المطلب اني انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال انت وذاك فرد عليه ابله وانصرف اليه عبد المطلب الي قريش فاخبرهم الخبر وامرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو اخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان العبد يمنع رحله • فامنع حلالك •
لا يغلبن صليبهم ومحالهم • عدوا محالك •
ان يدخلوا البلد الحرام • فامر ما بدا لك •

تقول اي شي ما بدا لك لم تكن تفعله بنا والحلال جمع حل والمحال القوة وقيل ان عبد المطلب لما اخذ بحلقة باب البيت قال

يارب لا ارجو لهم سواكا • يارب فامنع منهم حماكا •
ان عدو البيت من عاداكا • انهم لن يقهروا قواكا •

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي •

لاهم اخز الاسود بن مقصود • الاخذ الهجمة فيها ذات التقليد •
بين حرا وثبير فالبيد • يحبسها وهي اولات التطريد •
نظمها الي طماطم سود • قد اجمعوا ان لا يكون معبود •
ويهدموا البيت الحرام المعمود • والمروتين والمشاعر السود •
حتى بهم ربي وانت محمود • احفره يارب وانت محمود •

قال ابن اسحاق ثم ارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الي شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما ابرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما اصبح ابرهة تهيا لدخول مكة وهيا فيله وعبا جيشه وكان اسم الفيل محمودا وابرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف الي اليمن فلما وجهوا الفيل الي مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى قام الي جنب الفيل ثم اخذ باذنه فقال له ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جيت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى اصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا في راسه بالطبرزين ليقوم فابى فادخلوا محاجنهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فابى فوجهوه راجعا الي اليمن فقام يهرول ووجهه الي الشام ففعل مثل ذلك ووجهه الي المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الي مكة فبرك وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طاير منها ثلاثة احجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه امثال الحمص والعدس لا تصيب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاوا ويسالون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الي اليمن فقال نفيل بن حبيب حين راي ما انزل الله بهم من نقمته

اين المفر والا لاه الطالب • والاشرم المغلوب ليس الغالب •
حمدت الله اذ ابصرت طيرا • وخفت حجارة تلقي علينا •
فكل القوم تسال عن نفيل • كان علي للحبشان دينا •

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون علي كل سهل واصيب ابرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط انملة انملة كلما سقطت منه انملة اتبعتها منه مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطاير فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون وقال الكلبي ومقاتل ابن سليمان يزيد احدهما وينقص سبب الفيل ما روي ان فتية من قريش خرجوا تجارا الي ارض النجاشي فنزلوا علي ساحل البحر الي بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فاوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف علي النار فاضرمت البيعة نارا فاحترقت فاتي الصريخ الي النجاشي فاخبره فاستشاط غضبا فاتاه ابرهة ابن الصباح وحجر بن شراحيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبة وسبي مكة وكان النجاشي هو الملك وابرهة صاحب الجيش وابو يكسوم نديم وقيل وزير وحجر بن شراحيل من قواده وقال مجاهد ابو يكسوم هو ابرهة بن الصباح فساروا ومعهم الفيل قال الاكثرون هو

ثم ارسل اذنه فبرك الفيل

فيل واحد وقال الضحاك هي ثمانية فيلة ونزلوا بذي المجاز واستاقوا سرح مكة وفيها ابل عبد المطلب واتي الراعي نذيرا فصعد الصفا فصاح واصباحاه ثم اخبر الناس بمجي الجيش والفيل فخرج عبد المطلب وتوجه الي ابرهة بن الصباح وساله في ابله واختلف في النجاشي هل كان معهم فقال قوم كان معهم وقال الاكثرون لم يكن وبصر اهل مكة بالطير قد اقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هذه الطير غريبة بارضنا ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية فانها اشبه اليعاسيب وكان في مناقيرها وارجلها حجارة فلما اظلت على القوم القتها عليهم حتى هلكوا قال عطا ابن ابي رباح جاءت الطير عشية فباتت ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم وقال الكلبي في مناقيرها حصى كحصى الحذف امام كل فرقة طاير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فلما جاءت عسكر القوم وتوافت اهالت ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه المقتول به وقيل كان على كل حجر مكتوب من اطاع الله نجا ومن عصاه غوى ثم انصاعت راجعة من حيث جاءت وقال العوفي سالت عنها ابا سعيد الخدري فقال حمام مكة منها وقيل كان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها ويقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه وكان اصحاب الفيل ستين الفا لم يرجع احد منهم الا اميرهم رجع وشرذمة لطيفة معه فلما اخبروا بما راوا هلكوا وقال الواقدي ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابرهة هو الاشرم سمي بذلك لانه تقاتل مع ارياط حتى تزاحفا ثم اتفقا على ان يلتقيا بشخصيهما فمن غلب فله الامر فتبارزا وكان ارياط جسيما عظيما في يده حربة وابرهة قصيرا حادرا حليما اذا دين في النصرانية ومع ابرهة وزير له يقال له عتود فلما دنوا ضرب ارياط بحربته راس ابرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وانفه وجبينه وشفته فلذلك سمي الاشرم وحمل عتود على ارياط فقتله فاجتمعت الحبشة لابرهة فغضب النجاشي وحلف ليجزن ناصية ابرهة ويطا بلاده فجز ابرهة ناصيته وملا مزودا من تراب ارضه وبعث بهما الي النجاشي وقال انما كان عبدك وانا عبدك وانا اقوم بامر الحبشة وقد جززت راسي وبعثت اليك بتراب ارضي لتطاه وتبر في يمينك فرضي عنه النجاشي ثم بني ابرهة كنيسة بصنعا ليصرف اليها حج العرب على ما تقدم

الرابعة قال مقاتل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقال الكلبي وعبيد كان من قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث وعشرين سنة والصحيح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ولدت عام الفيل وروي عنه انه قال يوم الفيل حكاه الماوردي في التفسير له وقال في كتاب اعلام النبوة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد الفيل بخمسين يوما ووافق من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن انوشروان قال وحكى ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنتين واربعين سنة من ملك انوشروان وقد قيل انه عليه السلام حملت به امه امنة في يوم عاشورا المحرم وولد يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلون من رمضان فكان مدة حمله ثمانية اشهر كملا ويومين من التاسع وقيل انه ولد يوم عاشورا من شهر المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص في فضايل يوم عاشورا الله ابن العربي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقال قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقد روي الناس عن مالك من مروة الرجل ان لا يخبر بسنه لانه ان كان صغيرا استحقروه وان كان كبيرا استهرموه وهذا قول ضعيف لان مالكا لا يخبر بسن النبي صلى الله عليه وسلم ويكتم سنه وهو من اعظم العلماء وقدوة به فلا باس بان يخبر الرجل بسنه كان كبيرا او صغيرا وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اسن منه ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين مقعدين يستطعمان الناس وقيل لبعض القضاة كم سنك قال سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وكان سنه يومئذ دون العشرين **الخامسة** قال علماؤنا كانت قصة الفيل فيما بعد من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله وقبل التحدي لانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلي عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كانت بمكة

الخامسة

عدد كثير ممن شهد تلك الوقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد رأى قائد الفيل وسائقه
اعميين يتكففان الناس وقالت عائشة رضي الله عنها مع حداثة سنها لقد رايت قائد الفيل وسائقه
اعميين مقعدين يستطعمان الناس وقال ابو صالح رايت في دار ام هاني بنت ابي طالب نحوا من قفيزين من تلك
الحجارة سودا مخططة بحمرة **قوله تعالى** ~~الم يجعل كيدهم في تضليل~~ اي في ابطال وتضييع لانهم
ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبي والبيت بالتخريب والهدم ويحكى عن عبد المطلب انه بعث ابنه عبد
الله على فرس له ينظر ما لقوا من تلك الطير فاذا القوم مشدخين جميعا فرجع يركض فرسه كاشفا عن فخذه
فلما رأى ذلك ابوه قال ان ابني هذا افرس العرب وما كشف عن فخذه الا بشيرا او نذيرا فلما دنا من ناديهم
بحيث يسمعهم الصوت قالوا ما وراءك قال هلكوا جميعا فخرج عبد المطلب واصحابه فاخذوا اموالهم
وكانت اموال بني عبد المطلب منها وبها تكاملت رياسة عبد المطلب لانه احتمل ما شاء من صفراء وبيضاء
ثم خرج اهل مكة بعده فنهبوا وقيل ان عبد المطلب حفر حفرتين فملاهما من الذهب والجوهر ثم قال
لابي مسعود الثقفي وكان خليلا لعبد المطلب اختر ايهما شئت ثم اصاب الناس من اموالهم حتى ضاقوا ذرعا
فقال عبد المطلب عند ذلك

انت منعت الحبش والافيالا	وقد رعوا بمكة الاجبالا
وقد خشينا منهم القتالا	وكل امر لهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا	

قال ابن اسحق ولما رد الله الحبشة
من مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم في قصة
اصحاب الفيل

انت الجليل ربنا لم تدنس	انت حبست الفيل بالمغمس
من بعد ما هم بشر مبلس	حبسته في هيئة المكركس
وما لهم من فرج ومنفس	والمكركس المطروح المنكوس

قوله تعالى ~~وارسل عليهم طيرا ابابيل~~ وقال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها
مثلها وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء
والارض تعشش وتفرخ وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كانت
طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عائشة رضي الله عنها
هي اشبه شيء بالخطاطيف وقيل بل كانت اشباه الوطاويط حمرا وسودا وعن سعيد بن جبير هي طير
خضر لها مناقير صفر وقيل كانت بيضا وقال محمد بن كعب هي طير سود بحرية في مناقيرها واظافيرها
الحجارة وقيل انها العنقاء المغرب التي يضرب بها الامثال قاله عكرمة ابابيل اي مجتمعة وقيل متتابعة
بعضها في اثر بعض قاله ابن عباس ومجاهد وقيل مختلفة متفرقة تجيء من كل ناحية من هاهنا وهاهنا قاله
ابن مسعود وابن زيد والاخفش قال النحاس وهذه الاقوال متفقة وحقيقة المعنى انها جماعات عظام
يقال فلان يؤبل على فلان اي يعظم عليه ويكثر وهو مشتق من الابل واختلف في واحد ابابيل فقال
الجوهري قال الاخفش يقال جاءت ابلك ابابيل اي فرقا وطير ابابيل قال وهذا يجيء في معنى التكثير وهو من
الجمع الذي لا واحد له وقد قال بعضهم واحده ابول مثل عجول وقال الكسائي ابيل مثل سكين قال ولم
اجد العرب تعرف له واحدا في غير الصحاح وقيل في واحده اباك وقال رؤبة بن العجاج في الجمع

ولعبت طير بهم ابابيل فصيروا مثل كعصف ماكول	وقال الاعشى
وقال اخر طريق وجبار رواء اصوله	عليه ابابيل من الطير تنعب
وقال اخر تراهم الى الداعي سراعا كانهم	ابابيل طير تحت دجن مسحن
وقال اخر كادت تهد من الاصوات راحلتي	اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

قال الفراء لا واحد له من لفظه وزعم الرواسي وكان ثقة انه سمع في واحدها ابالة مشددا وحكى الفراء ابالة
مخففا قال سمعت بعض العرب يقول ضغث على ابالة يريد خصبا على خصب قال ولو قال قائل ابيالة كان
صوابا مثل دينار ودنانير وقال اسحق بن عبد الله بن الحرث بن نوفل الابابيل ماخوذ من الابل المؤبلة
وهي الاقاطيع **قوله تعالى** ~~ترميهم بحجارة من سجيل~~ في الصحاح حجارة قالوا حجارة من طين طبخت
بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم لقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين وقال عبد الرحمن بن ابزى
من سجيل من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الجحيم وهي سجين ثم ابدلت اللام نونا

كما قيل

طيرا ابابيل كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب

كما قيل في اصيلان اصيلال قال ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا
وانما هو سجين وقال الزجاج من سجيل اي مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتق من السجل وهو الكتاب
وقد مضى القول في سجيل في هود مستوفا قال عكرمة كانت ترميهم بحجارة معها فاذا اصاب احدهم
حجر منها خرج به الجدري لم ير قبل ذلك اليوم وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة وقال ابن عباس كان
الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده فكان ذلك اول الجدري وقراءة العامة ترميهم بالتاء لتانيث
جماعة الطير وقرا الاعرج وطلحة يرميهم بالياء اي يرميهم الله دليله قوله ولكن الله رمى ويجوز ان يكون
راجعا الى الطير لخلوها من علامات التانيث ولان تانيثها غير حقيقي **قوله تعالى** ~~فجعلهم
كعصف ماكول~~ اي جعل الله اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكلته الدواب فرمت به من اسفل
شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزائه روي معناه عن ابن زيد وقد مضى القول في العصف في سورة الرحمن
ومما يدل على انه ورق الزرع قول علقمة

تسقي مذانب قد مالت عصيفتها	حدورها من اتي الماء مطموم
وقال رؤبة بن العجاج ومسهم ما مس اصحاب الفيل	ترميهم حجارة من سجيل
ولعبت طير بهم ابابيل	فصيروا مثل كعصف ماكول

العصف جمع واحدته عصفة وعصافة وعصيفة وادخل الكاف في كعصف للتشبيه مثل نحو قوله تعالى
ليس كمثله شيء ومعنى ماكول ماكول حبه كما يقال بني فلان حسن اي حسن وجهه وقال ابن عباس فجعلهم كعصف
ماكول ان المراد به قشر البر يعني الغلاف الذي يكون فيه فوق حبة القمح ويروى ان الحجر كان يقع على احدهم
فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا اخرجت منه الحنطة وقال ابن مسعود لما رمت الطير بالحجارة
بعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فكانت لا تقع على احد الا هلك ولم يسلم منهم الا رجل
من كندة فقال

وانك لو رايت ولو ترانا	لدى جنب المغمس ما لقينا
خشيت الله اذ قد بث طيرا	وظل سحابة موت علينا
وباتت كلها تدعو بحق	كان لها على الحبشان دينا

ويروى انها لم تصبهم كلهم لكنها اصابت من شاء الله منهم وقد تقدم ان اميرهم رجع وشرذمة لطيفة
معه فلما اخبروا بما راوا هلكوا والله اعلم وقال ابن اسحاق لما رد الله الحبشة من مكة عظمت العرب قريشا
وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم • ختمت •

تفسير سورة قريش

مكية في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك والكلبي وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ~~لايلاف قريش~~ قيل
ان هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى يقول اهلكت اصحاب الفيل لايلاف قريش اي لتاتلف قريش او
لتتفق قريش او لتأمن قريش فتؤلف رحلتيهما وممن عد السورتين واحدة ابي بن كعب ولا فصل بينهما
في مصحفه وقال سفيان بن عيينة كان لنا امام لا يفصل بينهما ويقروهما معا وقال عمرو بن ميمون الاودي صلينا
المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرا في الاولى والتين والزيتون وفي الثانية الم تر ولايلاف
قريش وقال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل
بالحبشة ثم قال لايلاف قريش اي فعلنا ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج
في تجارتها فلا يغار عليها ولا يعزب في الجاهلية يقولون هم اهل بيت الله عز وجل حتى جاء صاحب
الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن يحج الناس اليه واهلكهم الله عز وجل فذكرهم
نعمته اي فجعل الله ذلك لايلاف قريش اي ليالفوا الخروج ولا يجترأ عليهم وهو معنى قول مجاهد وابن
عباس في رواية سعيد بن جبير عنه ذكره النحاس حدثنا احمد بن شعيب قال اخبرني عمرو بن علي قال
حدثني ابي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف
قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وعلى هذا القول يجوز الوقف على رؤس الاي وان لم
يكن الكلام تاما على ما نبينه اثناء السورة ان شاء الله وقيل ليست متصلة لان بين السورتين

بسم الله الرحمن الرحيم وذلك دليل على انقضاء السورة وافتتاح الاخرى وان اللام متعلقة
بقوله فليعبدوا اي فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتيار وكذا قال
الخليل ليست متصلة كانه قال الف الله قريشا ايلافا فليعبدوا رب هذا البيت وعمل ما بعد
الفاء فيما قبلها لانها زائدة غير عاطفة كقولك زيدا فاضرب وقيل اللام في قوله تعالى لايلاف
قريش لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش قاله الكسائي والاخفش وقيل بمعنى الى وقرا ابن عامر
لالاف مهموزا مختلسا بلا ياء وقرا ابو جعفر والاعرج ليلاف بلا همز طلبا للخفة الباقون لايلاف
بالياء مهموزا مشبعا من الفت اولف ايلافا قال

المنعمين اذا النجوم تغيرت ● والظاعنين لرحلة الايلاف ●

ويقال الفته الفا والافا وقراء ابو جعفر ايضا لالف قريش وقد جمعهما من قال

زعمتم ان اخوتكم قريش ● لهم الف وليس لكم الاف ●

قال الجوهري وفلان قد الف هذا الموضع بالكسر يالفه الفا والفه اياه غيره ويقال ايضا الفت
الموضع اولفه ايلافا وكذلك الفته الموضع والفه مؤالفة والافا فصار صورة افعل وفاعل في الماضي
واحد وقراء عكرمة ليالف بفتح اللام على الامر وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وفتح لام الامر لغة
حكاها ابن مجاهد وغيره وكان عكرمة يعيب على من يقراء لايلاف قريش وقراء بعض اهل مكة الاف
قريش واستشهد بقول ابي طالب يوصي اخاه ابا لهب برسول الله صلى الله عليه وسلم

فلا تتركنه ما حييت لمعظم ● وكن رجلا ذا نجدة وعفاف ●
تذود العدى عن عصبة هاشمية ● الافهم في الناس خير الاف ●

واما قريش فهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر
فهو قرشي دون بني كنانة ومن فوقه وربما قالوا قريشي وهو القياس قال الشاعر

بكل قريشي عليه مهابة ● فان اردت بقريش الحي صرفته وان اردت

به القبيلة لم تصرفه قال الشاعر ● وكفى قريش المعضلات وسادها
والتقريش الاكتساب وتقرشوا اي تجمعوا وقد كان قريش متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب
في الحرم حتى اتخذوه مسكنا قال الشاعر ● ابونا قصي كان يدعى مجمعا

به جمع الله القبائل من فهر ● وقد قيل ان قريشا بنو فهر بن مالك
بن النضر فمن لم يلده فهر فليس بقرشي والاول اصح واثبت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اما ولد النضر بن كنانة لا نقفوا امنا ولا ننتفي من ابينا وقال واثلة بن الاسقع قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم صحيح ثابت خرجه البخاري ومسلم وغيرهما واختلف في تسميتهم
قريشا على اقوال احدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع والالتيام قال ابو جلدة اليشكري

اخوة قرشوا الذنوب علينا ● في حديث من دهرهم وقديم

الثاني لانهم كانوا تجارا ياكلون من مكاسبهم والتقرش التكسب وقد قرش يقرش قرشا اذا اكتسب
وجمع قاله الفراء وبه سميت قريش الثالث لانهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة فيسدون خلته
والقرش التفتيش قال الشاعر ايها الشامت المقرش عنا ● عند عمرو فهل له ابقاء

الرابع ما روي ان معاوية سال ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابة في البحر من اقوى دوابه
يقال لها القرش تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد قول تبع

وقريش هي التي تسكن البحر بها ● سميت قريش قريشا ●
تاكل الغث والسمين ولا ● تترك فيها لذي جناحين ريشا ●
هكذا في البلاد حي قريش ● ياكلون البلاد اكلا كميشا ●
ولهم آخر الزمان نبي ● يكثر القتل فيهم والخموشا ●

قوله تعالى ايلافهم قراء مجاهد وحميد ايلفهم ساكنة اللام بغير ياء وروي نحوه عن ابن كثير
وكذلك روت اسماء انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا الفهم وروي عن ابن عباس

وا ختلف في تسميتهم قريشا

وغيره وقرا ابو جعفر والوليد عن اهل الشام وابو حيوة الافهم مهموزا مختلسا بلا ياء وقرا ابو بكر
عن عاصم ائلافهم بهمزتين الاولى مكسورة والثانية ساكنة والجمع بين الهمزتين في الكلمتين
شاذ الباقون ايلافهم بالمد والهمز وهو الاختيار وهو بدل من الايلاف الاول للبيان وهو مصدر
الف اذا جعلته يالف او الف هو الفاعل على ما تقدم ذكره من القراءة اي وما قد الفوه من رحلة الشتاء
والصيف قال لا يشق عليهم رحلة الشتاء ولا الصيف منة منه على قريش وقال الهروي وغيره وكان
اصحاب الايلاف اربعة اخوة هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف فاما هاشم فانه كان
يؤالف ملك الشام اي اخذ منه حبلا وعهدا يامن به في تجارته الى الشام واخوه عبد شمس كان يؤالف
الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس ومعنى يؤالف يجير فكان هؤلاء الاخوة يسمون المجيرين
فكان تجار قريش يختلفون الى الامصار بحبل هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم قال الازهري الايلاف
شبه الاجازة بالخفارة يقال الف يؤلف والف يؤلف اذا اجار الحمائل بالخفارة والحمائل جمع
حمولة قال والتاويل ان قريشا كانوا سكان الحرم ولم يكن لهم زرع ولا ضرع وكانوا يمتارون في الشتاء
والصيف امنين والناس يتخطفون من حولهم فكانوا اذا عرض لهم عارض قالوا نحن اهل حرم الله فلا
يتعرض لهم وذكر ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا في تفسيره حدثنا سعيد بن محمد عن بكر بن سهل
الدمياطي باسناده الى ابن عباس في قول الله عز وجل لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وذلك
ان قريشا كانوا اذا اصابت واحدا منهم مخمصة جرى هو وعياله الى موضع معروف فضربوا على انفسهم
خباء فماتوا حتى كان عمرو بن عبد مناف كان سيدا في زمانه وله ابن يقال له اسد وكان له ترب من بني
مخزوم يحبه ويلعب معه فقال نحن غدا نعتفد قال ابن فارس هذه لفظة في هذا الخبر لا ادري
بالدال هي ام بالراء فلعلها من العفر وهو التراب وان كانت بالدال فما ادري معناها وتاويله
على ما اظنه ذهابهم الى ذلك الخبا وموتهم واحدا بعد واحد قال فدخل اسد على امه يبكي وذكر ما قاله
تربه قال فارسلت ام اسد الى اولئك بشحم ودقيق فعاشوا به اياما ثم ان تربه اتاه ايضا فقال نحن غدا
نعتفد فدخل اسد على ابيه يبكي وخبره خبر تربه فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف فقام خطيبا في قريش
وكانوا يطيعون امره فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتكثر العرب وتذلون وتعز العرب وانتم اهل
حرم الله عز وجل واشرف ولد ادم والناس لكم تبع ويكاد هذا الاعتفاد ياتي عليكم قالوا نحن لك تبع
قال ابتدؤا بهذا الرجل يعني ابا ترب اسد فاغنوه عن الاعتفاد ففعلوا ثم انه نحر البدن وذبح الكباش
والمعز ثم هشم الثريد لقومه واطعم الناس فسمي هاشما وفيه قول الشاعر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ● ورجال مكة مسنتون عجاف

ثم جمع كل بني اب على رحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام للتجارات فما ربح الغني
قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على هذا فلم يكن في العرب بنو اب
اكثر مالا ولا اعز من قريش وهو قول الشاعر

والخالطين فقيرهم بغنيهم ● حتى يصير فقيرهم كالكافي

فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فليعبدوا رب هذا البيت الذي
اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ان تكثر العرب وتقلوا **قوله تعالى رحلة الشتاء والصيف**
رحلة نصب بالمصدر اي ارتحالهم رحلة او بوقوع ايلافهم عليه او على الظرف ولو جعلتها في محل الرفع
على معنى هما رحلة الشتاء والصيف لجاز والاول اولى والرحلة الارتحال وكانت احدى الرحلتين
الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حامية والرحلة الاخرى في الصيف الى الشام لانها بلاد باردة وعن ابن
عباس ايضا قال كانوا يشتون بمكة لدفائها ويصيفون بالطائف لهوائها وهذه من جل النعم ان يكون
للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية باردة تدفع حر الصيف فذكرهم الله تعالى هذه النعم
وقال الشاعر تشتي بمكة نعمة ومصيفها بالطائف **قوله تعالى وهنا اربع مسائل**
الاولى اختار القاضي ابو بكر بن العربي وغيره من العلماء ان قوله تعالى لايلاف متعلق بما قبله ولا يجوز
ان يكون متعلقا بما بعده وهو قوله فليعبدوا رب هذا البيت قال واذا ثبت انه متعلق بالسورة الاخرى
وقد قطع عنه بكلام مبتدا واستئناف بيان وسطر بسم الله الرحمن الرحيم فقد تبين جواز الوقف في القراءة

للقرا، قبل تمام الكلام وليست المواقف التي يتنزع بها القرا شرعا عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرويا وانما ارادوا به تعليم الطلبة المعاني فاذا علموها وقفوا حيث شاؤا فاما الوقف عند انقطاع
النفس فلا خلاف فيه ولا تعد ما قبله اذا اعتراك ذلك ولكن ابدا من حيث وقف بك نفسك
هذا رايي فيه ولا دليل على ما قالوه بحال ولكني اعتمد الوقف على التمام كراهية الخروج عنهم قال الشيخ
رحمه الله ومن الدليل على صحة هذا قراة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم
ثم يقف وقد مضى في مقدمة الكتاب واجمع المسلمون ان الوقف عند قوله كعصف ماكول ليس بقبيح وكان
يقال انه بقبيح وهذه السورة تقرا في الركعة الاولى والتي بعدها في الركعة الثانية فيتخللها مع قطع القراة
اركان وليس احد من العلما يكره ذلك وما كانت العلة فيه الا ان قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول انتهاء اية
فالقياس على ذلك ان لا يمتنع الوقف عند اعجاز الايات سوا كان الكلام يتم والغرض ينتهي او لا يتم
ولا ينتهي وايضا فان الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور ولا خفا
ان الكلام المنظوم احسن فثبت بذلك ان الفواصل من محاسن الكلام المنظوم فمن اظهر فواصله بالوقوف
عليها فقد ابدا محاسنه وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن ويشبه المنظوم بالمنثور وذلك اخلال بحق المقرو
الثانية قال مالك الشتا نصف السنة والصيف نصفها ولم ازل ارى ربيعة ابن ابي عبد الرحمن ومن معه
لا يخلعون عمائمهم حتى تطلع الثريا وهو يوم التاسع عشر من بشانس وهو يوم خمسة وعشرين من عدد الروم
او الفرس واري بطلوع الثريا ان يخرج السعاه ويسير الناس بمواشيهم الى مياههم وان طلوع الثريا
اول الصيف ودبر الشتا وهذا مما لا خلاف فيه بين اصحابه عنه وقال عنه اشهب وحده اذا اسقطت الهقعة
نقص الليل فلما جعل طلوع الثريا اول الصيف وجب ان يكون له في مطلق السنة ستة اشهر ثم يستقبل
الشتا من بعد ذهاب الصيف ستة اشهر وقد سيل محمد بن عبد الحكم عن من حلف انه لا يكلم امرا حتى يدخل
الشتا فقال لا يكلمه حتى يمضي سبعة عشر من اتور ولو قال حتى يدخل الصيف لم يكلمه حتى يمضي سبعة
عشر من بشانس قال القرظي اما ذكر هذا عن محمد في بشانس فهو سهو انما هو تسعة عشر من بشانس لانك اذا
حسبت المنازل على ما هي عليه من ثلاث عشرة ليلة كل منزلة علمت ان ما بين تسعة عشر من اتور لا تنقضي
منازله الا بدخول تسعة عشر من بشانس والله اعلم الثالثة قال قوم الزمان اربعة اقسام شتا وربيع
وصيف وخريف وقال قوم هو شتا وصيف وقيظ وخريف والذي قاله مالك اصح لان قسمة الله للزمان
قسمين ولم يجعل لهما ثالثا الرابعة لما امتن الله عز وجل على قريش برحلتين شتا وصيفا على ما تقدم كان فيه
دليل على جواز تصرف الرجل في الزمانين بين محلين يكون حالهما في كل زمان انعم من الاخر كالجلوس في المجلس
البحري في الصيف وفي القبلي في الشتاء وفي اتخاذ الباد هنجات والخيش للتبريد واللبد واليانوسه
للدفء قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت امرهم الله تعالى بعبادته وتوحيده لاجل ايلافهم رحلتين
ودخلت الفا لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم
الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة والبيت
الكعبة وفي تعريف نفسه لهم بانه رب هذا البيت وجهان احدهما لانه كانت لهم اوثان فميز نفسه
عنها الثاني لانهم بالبيت شرفوا على سائر العرب فذكر ذلك لهم تذكيرا لنعمته وقيل فليعبدوا رب هذا
البيت اي ليالفوا عبادة رب الكعبة كما كانوا يالفون الرحلتين قال عكرمة كانت قريش قد الفوا رحلة الى
بصرى ورحلة الى اليمن فقيل لهم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اي يقيموا بمكة رحلة الشتا الى
اليمن والصيف الى الشام قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع وامنهم من خوف
قال ابن عباس وذلك بدعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا وارزقهم من الثمرات وقال
ابن زيد كانت العرب يغير بعضهم على بعض ويسبي بعضهم من بعض فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم
وقرا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي وقيل شق عليهم السفر في الشتا والصيف فالقى
الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فحملوه فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا
لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذا هم قد جلبوا اليهم طعاما في السفن واغاثوهم بالاقوات وكان اهل
مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل هذا الاطعام هو
انهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد القحط

اذا سقطت الهقعة نقص الليل

فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة
واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان وامنهم من خوف اي من خوف الجذام لا يصيبهم
ببلدهم الجذام وقال الاعمش وامنهم من خوف اي من خوف الحبشة مع الفيل وقال علي رضي الله
عنه وامنهم من ان تكون الخلافة الا فيهم وقيل اي كفاهم اخذ الايلاف من الملوك فالله اعلم واللفظ يعم

تفسير سورة الماعون

وهي مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية في قول له اخر وهو قول قتادة وغيره وهي
سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي
يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن
صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون فيها سبع مسايل بالدين اي بالجزاء
والحساب في الاخرة وقد تقدم في الفاتحة وارايت بثبات الهمزة الثانية اذ لا يقال في رايت ريت ولكن
الف الاستفهام سهلت الهمزة الفا ذكره الزجاج وفي الكلام حذف والمعنى ارايت الذي
يكذب بالدين امصيب هو ام مخطي واختلف فيمن نزل هذا فيه فذكر ابو صالح عن ابن عباس قال
نزلت في العاصي بن وائل السهمي وقاله الكلبي ومقاتل وروى الضحاك عنه قال نزلت في رجل من المنافقين
وقال السدي نزلت في الوليد ابن المغيرة وقيل في ابي جهل الضحاك في عمرو بن عائذ ابن جريج في ابي
سفيان وكان ينحر في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيا فقرعه بعصاه فانزل الله السورة
ويدع اي يدفع كما قال يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد تقدم قاله الضحاك عن ابن عباس الثانية
قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه عن حقه قتادة يقهره ويظلمه والمعنى متقارب
وقد تقدم في النسا انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن
بالسنان ويضرب بالحسام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ضم يتيما من المسلمين حتى
يستغني فقد وجبت له الجنة وقد مضى هذا المعنى في غير موضع الثالثة قوله تعالى ولا يحض على
طعام المسكين اي لا يامر به من اجل بخله وتكذيبه بالجزاء وهو مثل قوله في سورة الحاقة ولا يحض على
طعام المسكين وقد تقدم وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون
لانفسهم يقولون انطعم من لو يشا الله اطعمه فنزلت هذه الاية فيهم وتوجه الذم اليهم فيكون معنى
الكلام لا يفعلونه ان قدروا ولا يحثون عليه ان عسروا الرابعة قوله تعالى فويل للمصلين اي
عذاب لهم وقد تقدم في غير موضع الذين هم عن صلاتهم ساهون فروى الضحاك عن ابن عباس قال
هو المصلي الذي ان صلى لم يرج لها ثوابا وان تركها لم يخش عليها عقابا وعنه ايضا الذين يوخرونها عن
اوقاتها وكذا روى المغيرة عن ابراهيم قال ساهون اضاعة الوقت وعن ابي العالية لا يصلونها لمواقيتها
ولا يتمون ركوعها ولا سجودها قال الشيخ رحمه الله ويدل على هذا قوله تعالى فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة حسب ما تقدم بيانه في سورة مريم وروي عن ابراهيم ايضا انه الذي
اذا سجد قال براسه هكذا ملتفتا وقال قطرب هو ان لا يقرا ولا يذكر الله وفي قراءة عبد الله الذين
هم عن صلاتهم لاهون وقال سعد بن ابي وقاص قال النبي صلى الله عليه وسلم في الذين
هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يوخرون الصلاة عن وقتها تهاونا بها وعن ابن عباس ايضا هم المنافقون
يتركون الصلاة سرا ويصلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الاية ويدل على انها في المنافقين
قوله الذين هم يراءون وقاله ابن وهب عن مالك قال ابن عباس ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في
المؤمنين وقال عطا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم الزمخشري فان قلت اي فرق بين
قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات
اليها وذلك فعل المنافقين والفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة
شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه انسان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له
السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقها باب سجود السهو في كتبهم ابن العربي
لان السلامة عن السهو محال وقد سها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته والصحابة وكل من لا يسهو في

في صلاته فذلك رجل لا يتدبرها ولا يعقل قراءته وانما وهمه في اعدادها وهذا رجل القشور ويرمي اللب وما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته الا لفكرته في اعظم منها اللهم الا انه قد يسهو في صلاته من يقبل على وساوس الشيطان اذا قال له اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يضل الرجل ان يدري كم صلى **الخامسة** قوله الذين هم يراءون اي يرى الناس انه يصلي طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق يرى انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال انه يصلي وحقيقة الريا طلب ما في الدنيا بالعبادة واصله طلب المنزلة في قلوب الناس واولها تحسين السمت وهو من اجزاء النبوة ويريد بذلك الجاه والثنا وثانيها الريا بالثياب القصار والخشنة لياخذ بذلك هيبة الدنيا في الدنيا وثالثها الريا بالقول باظهار السخط على الدنيا واظهار الوعظ والتاسف على ما يفوت من الخير والطاعة ورابعها الريا باظهار الصلاة والصدقة او بتحسين الصلاة لاجل روية الناس وذلك يطول وهذا دليله قاله ابن العربي قال الشيخ رحمه الله قد تقدم في سورة النسا وهود واخر الكهف القول في الريا واحكامه وحقيقته بما فيه كفاية **السادسة** ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرايض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرايض الله لانها اعلام الاسلام وشعار الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الريا ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثني عليه بالصلاح وقال بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الريا والسمعة وقد مضى هذا المعنى في البقرة عند قوله ان تبدوا الصدقات وفي غير موضع والحمد لله على ذلك **السابعة** قوله تعالى ويمنعون الماعون فيه اثنا عشر قولا الاول انه زكاة اموالهم كذا روي الضحاك عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك وقاله مالك والمراد به المنافق يمنعها وقد روى ابو عمر بن عبد البر عن مالك قال بلغني ان قول الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون قال ان المنافق اذا صلى صلى رياء وان فاتته لم يندم عليها ويمنعون الماعون الزكاة التي فرض الله عليهم قال زيد بن اسلم لو خفيت لهم الصلاة كما خفيت لهم الزكاة ما صلوا القول الثاني ان الماعون المال بلسان قريش قاله ابن شهاب وسعيد بن المسيب وقول ثالث انه اسم جامع لمنافع البيت كالفاس والقدر والنار وما اشبه ذلك قاله ابن عباس وروي عن ابن عباس ايضا قال الاعشى

> باجود منه بماعونه ... اذا ما سماؤهم لم تغم

الرابع ذكره الزجاج وابو عبيد والمبرد ان الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والقدر والدلو والقداحة وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير وانشدوا بيت الاعشى قالوا والماعون في الاسلام الطاعة والزكاة وانشد واقول الراعي

> اخليفة الرحمن انا معشر ... حنفاء نسجد بكرة واصيلا
> عرب نرى لله من اموالنا ... حق الزكاة منزلا تنزيلا
> قوم على الاسلام لما يمنعوا ... ماعونهم ويضيعوا التهليلا

يعني الزكوة الخامس انه العارية روي عن ابن عباس ايضا السادس انه المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم قاله محمد بن كعب والكلبي السابع انه الماء والكلا الثامن الماء وحده قال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون الماء وانشدني فيه

> يمج صبيره الماعون صبا ...

الصبير السحاب التاسع انه منع الحق قاله عبد الله بن عمر العاشر انه المستغل من منافع الاموال ماخوذ من المعن وهو القليل حكاه الطبري وابن عيسى قال قطرب اصل الماعون من القلة والمعن الشي القليل تقول العرب ماله سعنة ولا معنة اي شي قليل فسمى الله الزكاة والصدقة ونحوه من المعروف ماعونا لانه قليل من كثير ومن الناس من قال الماعون اصله معونة والالف عوض من الهاء حكاه الجوهري ابن العربي الماعون مفعول من اعان يعين والعون هو الامداد بالقوة والالات والاسباب الميسرة للامر الحادي عشر انه الطاعة والانقياد حكى الاخفش عن اعرابي فصيح لو قد نزلنا لصنعت بناقتك صنيعا تعطيك الماعون اي تنقاد لك وتطيعك قال الراجز

لايكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح

> متى تصادفهن في البرين ... يخضعن او يعطين بالماعون

وقيل هو ما لا يحل منعه كالماء والملح والنار لان عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ما الشي الذي لا يحل منعه قال الماء والنار والملح قلت يا رسول الله هذا الماء فما بال النار والملح قال يا عايشة من اعطى نارا فكانما تصدق بجميع ما طبخ بذلك النار ومن اعطى ملحا فكانما تصدق بجميع ما طيب به ذلك الملح ومن سقى شربة من الماء حيث يوجد الماء فكانما اعتق ستين نسمة ومن سقى شربة حيث لا يوجد فكانما احيا نفسا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ذكره الثعلبي في تفسيره وخرجه ابن ماجة في سننه وفي اسناده لين وهو القول الثاني عشر الماوردي ويحتمل انه المعونة بما خف فعله وقد ثقله الله والله اعلم وقيل لعكرمة مولى ابن عباس من منع شيئا من المتاع كان له الويل فقال لا ولكن من جمع ثلاثهن فله الويل يعني ترك الصلاة والريا والبخل بالماعون قال الشيخ رحمه الله كونها في المنافقين اشبه وبهم اخلق لانهم جمعوا الاوصاف الثلاثة ترك الصلاة والريا والبخل بالمال قال الله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال ولا ينفقون الا وهم كارهون فهذه احوالهم ويبعد ان يوجد من مسلم محقق وان وجد بعضها فيلحقه جزء من التوبيخ وذلك في منع الماعون اذا تعين كالصلاة والزكاة اذا تركها والله اعلم ويكون منعها قبيحا في المروة في غير حال الضرورة

تفسير سورة الكوثر

وهي مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات بسم الله الرحمن الرحيم **انا اعطيناك الكوثر** فيه مسئلتان **الاولى** قراءة العامة انا اعطيناك بالعين وقرا الحسن وطلحة بن مصرف انطيناك بالنون وروته ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي لغة في العطا انطيته واعطيته والكوثر فوعل من الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شي كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا قال سفيان لعجوز رجع ابنها من السفر بم اب ابنك قالت بكوثر اي بمال كثير والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير قال الكميت

> وانت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان ابوك ابن العقايل كوثرا

والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاشياع والكوثر من الغبار الكثير وقد تكوثر قال الشاعر

> وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا

الثانية واختلف اهل التاويل في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم على ستة عشر قولا الاول انه نهر في الجنة رواه البخاري عن انس والترمذي ايضا وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وروي الترمذي ايضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج قال حديث حسن صحيح الثاني انه حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف قاله عطا وفي صحيح مسلم عن انس قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت على انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول انه من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثت بعدك والاخبار في حوضه في الموقف كثيرة ذكرناها في التذكرة وان على اركانه الاربعة خلفاؤه الاربعة رضوان الله عليهم وان من ابغض واحدا منهم لم يسقه الاخر وذكرنا هناك من يطرد عنه فمن اراد الوقوف على ذلك تامله هناك ثم يجوز ان يسمى ذلك النهر والحوض كوثرا لكثرة الواردة والشاربة من امة محمد صلى الله عليه وسلم هناك ويسمى به لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير الثالث ان الكوثر النبوة والكتاب قاله عكرمة الرابع القران قاله الحسن الخامس الاسلام حكاه المغيرة السادس تيسير القران وتخفيف الشرايع قاله الحسين بن الفضل السابع هو كثرة الاصحاب والامة والاشياع قاله ابو بكر بن عياش ويمان بن رياب الثامن انه الايثار قاله ابن كيسان التاسع انه رفعة الذكر حكاه الماوردي العاشر انه نور في قلبك دلك على وقطعك عما

سواي وعند هي الشفاعة وهو الحادي عشر وقيل معجزات الرب هدي بها اهل الاجابة لدعوتك حكاه الثعلبي
وهو الثاني عشر الثالث عشر قال هلال بن يساف هو لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في
الدين وقيل الصلوات الخمس وهما الرابع عشر والخامس عشر وقال ابن اسحق هو العظيم من الامر وذكر بيت
لبيد نظم • وصاحب ملحوب فجعنا بفقده • وعند الرداع بيت اخر كوثر •
اي عظيم قال الشيخ رحمه الله اصح هذه الاقوال الاول والثاني لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص
في الكوثر وسمع انس قوما يتذاكرون الحوض فقال ما كنت اري ان اعيش حتي اري امثالكم يتمارون في الحوض لقد
تركت عجايز خلفي ما تصلي امراة منهن الا سالت الله ان يسقيها من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وفي حوضه
يقول الشاعر • يا صاحب الحوض من يدانيكا • وانت حقا حبيب باديكا •
وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد اعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على حوضه صلى الله عليه وسلم
تسليما كثيرا **قوله تعالى** فصل لربك وانحر فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى فصل اي اقم الصلاة
المفروضة عليك كذا رواه الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة وعطا وعكرمة فصل لربك صلاة العيد
يوم النحر وانحر نسكك وقال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر ثم يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر وقال
سعيد بن جبير ايضا نزلت في الحديبية ومجاهد صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن بمني
وقال سعيد بن جبير ايضا نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله ان
يصلي وينحر البدن وينصرف ففعل ذلك قال ابن العربي اما من قال ان المراد بقوله فصل الصلوات الخمس فلانها
مقرونة بالنحر وهو في ذلك اليوم ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها فخصها من جملة الصلوات لاقترانها
بالنحر قال الشيخ رحمه الله واما من قال انها صلاة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة صلاة عيد باجماع
فيما حكاه ابو عمر وقاله ابن العربي فاما مالك فقال ما سمعت فيه شيا والذي يقع في نفسي ان المراد بذلك
صلاة يوم النحر والنحر بعدها وقال علي رضي الله عنه ومحمد بن كعب المعني ضع اليمني على اليسري حذا النحر
في الصلاة وروي عن ابن عباس ايضا وروي عن علي رضي الله عنه ايضا ان يرفع يديه في التكبير الي نحره
كذلك وقال جعفر بن علي فصل لربك وانحر قال يرفع يديه اول ما يكبر للاحرام الي النحر وعن علي رضي الله عنه قال
لما نزلت فصل لربك وانحر قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذه النحيرة التي امرني الله بها قال
ليست بنحيرة ولاكنه يامرك اذا تحرمت بالصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا رفعت راسك من
الركوع واذا سجدت فانه صلاتنا وصلاة الملايكة الذين في السموات السبع وان لكل شي زينة وان زينة
الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة وعن ابي صالح عن ابن عباس قال استقبل القبلة بنحرك وقاله
الفرا والكلبي وابو الاحوص ومنه قول الشاعر •
• ابا حكم ما انت عم مجالد • وسيد اهل الابطح المتناحر •
اي المتقابل قال سمعت بعض العرب يقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر هذا بنحر هذا اي قبالته
وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل
وروي عن عطا قال امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتي يبدو نحره وقال سليمان التيمي يعني وارفع
يدك بالدعا الي نحرك وقيل فصل معناه واعبد وقال محمد بن كعب القرظي انا اعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر يقول ان ناسا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله وقد اعطيناك الكوثر فلا تكن صلاتك ولا نحرك
الا لله قال ابن العربي والذي عندي انه اراد اعبد ربك وانحر فلا يكن عملك الا لمن خصك بالكوثر وبالحري
ان يكون جميع العمل يوازي هذه الخصوصية من الكوثر وهو الخير الكثير الذي اعطاك الله والنهر الذي طينه
مسك وعدد انيته نجوم السما اما ان يوازي هذا صلاة يوم النحر وذبح كبش او بقرة او بدنة فذلك يبعد
في التقدير والتدبير وموازنة الثواب للعبادة والله اعلم **الثانية** قد مضي في والصافات القول في
القول في الاضحية وفضلها ووقت ذبحها فلا معني لاعادة ذلك وذكرنا ايضا في سورة الحج جملة من احكامها
قال ابن العربي ومن عجيب الامر ان الشافعي قال ان من ضحي قبل الصلاة اجزاه والله تعالي يقول في كتابه
فصل لربك وانحر فبدا بالصلاة قبل النحر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ايضا في البخاري وغيره عن
البرا بن عازب قال اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر من فعل فقد اصاب نسكنا ومن
ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شي واصحابه ينكرونه وحبذا الموافقة **الثالثة**

اي اقم الصلاة المفروضة عليك

واما ما روي عن علي عليه السلام فصل لربك وانحر قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة خرجه الدارقطني
فقد اختلف علماونا في ذلك على ثلاثة اقوال الاول لا توضع في فريضة ولا نافلة لان ذلك من باب الاعتماد
ولا يجوز في الفرض ولا يستحب في النفل الثاني لا يفعلها في الفريضة ويفعلها في النافلة استعانة لانه
موضع ترخص الثالث يفعلها في الفريضة والنافلة وهو الصحيح لانه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه وضع يده اليمني على اليسري من حديث وايل ابن حجر وغيره قال ابن المنذر وبه قال مالك واحمد
واسحق وحكي ذلك عن الشافعي واستحب ذلك اصحاب الراي ورات جماعة ارسال اليد وممن روينا
ذلك عنه ابن الزبير والحسن البصري وابراهيم النخعي قال الشيخ رحمه الله وهو مروي ايضا عن مالك
قال ابن عبد البر ارسال اليدين ووضع اليمين على الشمال كل ذلك من سنة الصلاة **الرابعة** واختلفوا
في المكان الذي توضع عليه اليد فروي عن علي ابن ابي طالب انه وضعهما على صدره وقال سعيد بن جبير
واحمد بن حنبل فوق السرة وقال لا باس ان كان تحت السرة وقالت طايفة توضع تحت السرة روي ذلك
عن علي وابي هريرة والنخعي وابي مجلز وبه قال سفيان الثوري واسحق **الخامسة** واما رفع اليدين
في التكبير عند الافتتاح والركوع والرفع من الركوع والسجود فاختلف في ذلك فروي الدارقطني
من حديث حميد عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه اذا دخل في الصلاة واذا ركع
واذا رفع راسه من الركوع واذا سجد لم يروه عن حميد مرفوعا غير عبد الوهاب الثقفي والصواب
من فعل انس وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الي الصلوة رفع
يديه حتي تكونا حذو منكبيه ثم يكبر وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك حين يرفع راسه من
الركوع ويقول سمع الله لمن حمده ولا يفعل ذلك حين يرفع راسه من السجود قال ابن المنذر وهذا قول
الليث بن سعد والشافعي واحمد واسحق وابي ثور وحكي ابن وهب عن مالك هذا القول وبه اقول
لانه الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت طايفة يرفع المصلي يديه حين يفتتح الصلاة ولا يرفع
فيما سوي ذلك هذا قول سفيان الثوري واصحاب الراي قال الشيخ رحمه الله وهو المشهور من مذهب
مالك لحديث ابن مسعود خرجه الدارقطني من حديث اسحق ابن ابي اسرايل حدثنا محمد بن جابر عن
حماد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر رضي الله
عنهما فلم يرفعوا ايديهم الا عند التكبيرة الاولي في افتتاح الصلاة قال اسحاق به ناخذ في الصلاة
كلها قال الدارقطني تفرد به محمد بن جابر وكان ضعيفا عن حماد عن ابراهيم وحماد بن زيد
عن ابراهيم مرسلا عن عبد الله من فعله غير مرفوع الي النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصواب وقد روي
يزيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلي عن البرا انه راي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح
الصلاة رفع يديه حتي يحاذي بهما اذنيه ثم لم يعد الي شي من ذلك حتي فرغ من الصلاة قال
الدارقطني يزيد في اخر عمره ثم لم يعد فلقنه وكان قد اختلط وفي مختصر ما ليس في المختصر
عن مالك لا يرفع اليدين في شي من الصلاة قال ابن القاسم ولم ار مالكا يرفع يديه عند الاحرام
قال واحب الي ترك رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام **قوله تعالى** ان شانيك هو الابتر
اي مبغضك وهو العاصي بن وايل وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي
البنات ابتر فيقال ان العاصي وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش
مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان من خديجة فانزل الله جل ثناوه ان شانيك هو الابتر اي المقطوع ذكره من خير الدنيا
والاخرة وذكر عكرمة عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما
مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الي اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله جل ثناوه
ان شانيك هو الابتر يعني بذلك ابا جهل وقال شمر بن عطية هو عقبة ابن ابي معيط وقيل ان قريشا
كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه القاسم
بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الاية قاله السدي
وابن زيد وقيل انه جواب لقريش حين قالوا لكعب ابن الاشرف لما قدم مكة نحن اصحاب السقاية
والسدانة والحجابة واللوا وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه

قال كعب بل انتم خير فنزلت الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت الاية ونزلت في قريش ان شانئك هو الابتر قاله ابن عباس ايضا وعكرمة وقال ان الله عز وجل لما اوحى الى رسوله ودعا قريشا الى الايمان قالوا انبتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبتورون قاله ايضا عكرمة وشهر بن حوشب قال اهل اللغة الابتر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل امر انقطع من الخير اثره فهو ابتر والبتر القطع بترت الشي بترا قطعته قبل الاتمام والانبتار الانقطاع والباتر السيف القاطع والابتر المقطوع الذنب تقول منه بتر بالكسر يبتر بترا وفي الحديث ما هذه البتيرا وخطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ابن السكيت الابتران العير والعبد قال سميا ابترين لقلة خيرهما وقد ابتره الله اي صيره ابتر ويقال رجل اباتر بضم الهمزة للذي يقطع رحمه قال الشاعر

لئيم نزت في انفه خنزوانة • على قطع ذي القربى احذ اباتر •

والبترية فرقة من الزيدية نسبوا الى المغيرة بن سعد ولقبه الابتر واما الصنبور فلفظ مشترك قيل هو النخلة تبقى منفردة ويدق اسفلها وينقشر يقال صنبر اسفل النخلة وقيل هو الرجل الفرد لا ولد له ولا اخ وقيل هو مثعب الحوض خاصة حكاه ابو عبيد وانشد ما بين صنبوره الى الازاء والصنبور قصبة تكون في الاداوة من حديد او رصاص يشرب منها حكى جميعه الجوهري رحمه الله

تفسير سورة الكافرون

وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وهي ست ايات وفي الترمذي من حديث انس انها تعدل ثلث القران وفي كتاب الرد لابي بكر الانباري اخبرنا عبد الله بن ناجية حدثنا يوسف حدثنا القعنبي وابو نعيم عن موسى بن وردان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران ورواه موقوفا عن انس قوله وخرج الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الفجر في سفر فقرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال قرات بكم ثلث القران وربعه وروى جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتحب يا جبير اذا خرجت سفرا ان تكون من امثل اصحابك هيئة واكثرهم زادا قلت نعم قال فاقرا هذه السور الخمس من اول قل يا ايها الكافرون الى قل اعوذ برب الناس وافتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم قال فوالله لقد كنت غير كثير المال اذا سافرت اكون ابذهم هيئة واقلهم زادا فمذ قراتهن صرت من احسنهم هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع من سفري ذلك وقال فروة بن نوفل الاشجعي قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال اقرا عند منامك قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك خرجه ابو بكر الانباري وغيره وقال ابن عباس ليس في القران اشد غيظا لابليس منها لانها توحيد وبراءة من الشرك وقال الاصمعي كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان اي انهما يبريان من النفاق وقال ابو عبيدة كما يقشقش الهنا الجرب فيبريه وقال ابن السكيت يقال للقرح والجدري اذا يبس وتقرف وللجرب في الابل اذا قفل قد توسف جلده وتقشقش جلده • بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد ذكر ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس ان سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك فيه واخذنا بحظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون وقال ابو صالح عن ابن عباس انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الالهة لصدقناك فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيئسوا منه واذوه واذوا اصحابه والالف واللام ترجع الى معنى المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت صفة لاي لانها مخاطبة لمن سبق في علم الله تعالى انه سيموت على كفره فهي من الخصوص

قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران

الذي جاء بلفظ العموم ونحوه عن الماوردي نزلت جوابا وعنى بالكافرين قوما معينين لا جميع الكافرين لان منهم من امن فعبد الله ومنهم من مات او قتل على كفره وهم المخاطبون بهذا القول وهم المذكورون قال ابو بكر الانباري وقرا من طعن في القران قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون وزعم ان ذلك هو الصواب وذلك افتراء على رب العالمين وتضعيف لمعنى السورة وابطال لما قصده الله من ان يذل نبيه المشركين بخطابه اياهم بهذا الخطاب الزري والزامهم ما يانف منه كل ذي لب وحجى وذلك ان الذي يدعيه من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل عليه في المعنى وتزيد تاويلا ليس عندهم في باطلهم وتحريفهم فمعنى قراءتنا قل للذين كفروا يا ايها الكافرون دليل صحة هذا ان العربي اذا قال لمخاطبه قل لزيد اقبل الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل الينا فقد وقعت قراءتنا على كل ما عندهم وسقط من باطلهم احسن لفظ وابلغ معنى اذ كان الرسول عليه السلام لا يعتمدهم في ناديهم فيقول لهم يا ايها الكافرون وهو يعلم انهم يغضبون من ان ينسبوا الى الكفر ويدخلوا في جملة اهله الا وهو محروس ممنوع من ان ينبسط عليه منهم يد او تقع به من جهتهم اذية فمن لم يقرا قل يا ايها الكافرون كما انزلها الله اسقط اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل اهل الاسلام ان لا يسارعوا الى مثلها ولا يعتمدوا نبيهم باختزال الفضائل عنه التي منحه الله اياها وشرفه بها واما وجه التكرار فقد قيل انه للتاكيد في قطع اطماعهم كما تقول والله لا افعل كذا ثم والله لا افعله قال اكثر اهل المعاني نزل القران بلسان العرب ومن مذاهبهم التكرار ارادة التاكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز لان خروج الخطيب والمتكلم من شيء الى شيء اولى من اختصاره في المقام على شيء واحد قال الله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان ويل يومئذ للمكذبين وكلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا كل هذا على التاكيد وقد يقول القائل ارم ارم عجل عجل ومنه قوله عليه السلام في الحديث الصحيح فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة مني خرجه مسلم وقال الشاعر

هلا سالت جموع كندة •	يوم ولوا اين اينا • وقال اخر
يا لبكر انشروا لي كليبا •	يا لبكر اين اين الفرار • وقال اخر
يا علقمة يا علقمة يا علقمة •	خير تميم كلها واكرمه • وقال اخر
يا اقرع بن حابس يا اقرع •	انك ان يصرع اخوك تصرع • وقال اخر
الا يا اسلمي ثم اسلمي •	ثلاث تحيات وان لم تكلم •

ومثله كثير وقيل هذا على مطابقة قولهم تعبد الهتنا ونعبد الهك ثم تعبد الهتنا ونعبد الهك ثم تجري على هذا ابدا سنة وسنة فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده اي ان هذا لا يكون ابدا قال ابن عباس قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم نحن نعطيك من المال ما تكون به اغنى رجل بمكة ونزوجك من شئت ونطا عقبك ان تمشي خلفك وتكف عن شتم الهتنا فان لم تفعل فنحن نعرض عليك خصلة واحدة هي لنا ولك صلاح تعبد الهتنا اللات والعزى سنة ونحن نعبد الهك سنة فنزلت السورة فكان التكرار في لا اعبد ما تعبدون لان القوم كرروا عليه مقالهم مرة بعد مرة والله اعلم وقيل انما كرر بمعنى التغليظ وقيل اي لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد ثم قال ولا انا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا انتم في المستقبل عابدون ما اعبد قاله الاخفش والمبرد وقيل انهم كانوا يعبدون الاوثان فاذا ملوا وثنا وسئموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا وثنا غيره لشهوة نفوسهم فاذا مروا بحجارة تعجبهم القوا هذه ورفعوا تلك فعظموها ونصبوها الها يعبدونها فامر ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه الالهة التي بين ايديكم ثم قال ولا انتم عابدون ما اعبد وانما تعبدون الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم الان ولا انا عابد ما عبدتم اي بالامس من الالهة التي رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم عابدون ما اعبد فاني اعبد الهي وقيل قوله لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وقوله ولا انا عابد ما عبدتم على نفي العبادة منه لما عبدوا في الماضي ثم قال ولا انتم عابدون ما اعبد على التكرير في اللفظ دون المعنى من قبل ان التقابل يوجب ان يكون ولا انتم عابدون ما عبدت فعدل عن لفظ عبدت الى اعبد اشعارا بان ما عبد في الماضي هو الذي يعبد في المستقبل مع ان الماضي والمستقبل قد يقع احدهما موقع الاخر واكثر ما ياتي ذلك في اخبار الله عز وجل وقال ما اعبد ولم يقل من اعبد ليقابل به ولا انا عابد ما عبدتم وهي اصنام واوثان

ولا يصلح فيها الاماد ون من حمل الاول على الثاني ليتقابل الكلام ولا يتنافى وقد جاءت ما لمن يعقل ومنه قوله سبحان ما سخركن لنا وقيل ان معنى الايات وتقديرها قل يا ايها الكافرون لا اعبد الاصنام التي تعبدون ولا انتم عابدون الله عز وجل الذي اعبده لاشراككم به واتخاذكم الاصنام فان زعمتم انكم تعبدونه فانتم كاذبون لانكم تعبدونه مشركين فانا لا اعبد ما عبدتم اي مثل عبادتكم فما مصدرية وكذلك ولا انتم عابدون ما اعبد اي ما معناه ولا انتم عابدون مثل عبادتي التي هي توحيد **قوله تعالى** لكم دينكم ولي دين فيه معنى التهديد وهو كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا وكان هذا قبل الامر بالقتال فنسخ باية السيف وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم دينكم اي جزاء دينكم ولي جزاء ديني وسمي دينهم دينا لانهم اعتقدوه وتولوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء وفتح الياء من ولي دين نافع والبزي عن ابن كثير باختلاف عنه وهشام عن ابن عامر وحفص عن عاصم واثبت الباقون في ديني في الحالين نصر بن عاصم وسلام ويعقوب قالوا لانها اسم مثل الكاف في دينك والتاء في قمت الباقون بغير ياء مثل قوله فهو يهدين واتقوا الله واطيعون ونحوه اكتفاء بالكسرة واتباعا لخط المصحف فانه وقع فيه بغير ياء ختمت هذه السورة المباركة بقدرة الله تعالى

تفسير سورة النصر

وهي مدنية باجماع وهي ثلاث ايات وتسمى سورة التوديع وهي اخر سورة نزلت جميعا قاله ابن عباس في صحيح مسلم بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح النصر العون ماخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان على نباتها ومنع من قحطها قال الشاعر

اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي ... بلاد تميم وانصري ارض عامر

ويروي اذا دخل الشهر الحرام فجاوزي بلاد تميم وانصري ارض عامر يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اي اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اي ساله ان ينصره عليه وتناصروا انصر بعضهم بعضا ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول على قريش قاله الطبري وقيل نصره على من قاتله من الكفار فان عاقبة النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة عن الحسن ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد بن جبير هو فتح المدائن والقصور وقيل فتح سائر البلاد وقيل ما فتحه الله من العلوم واذا بمعنى قد اي قد جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويمكن ان يكون معناه اذا يجيئك **قوله تعالى** ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ورايت الناس اي العرب وغيرهم يدخلون في دين الله افواجا اي جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما فتحت مكة قالت العرب اما اذ ظفر محمد باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا امة امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرؤن القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر وعباس وروي عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افئدتهم لينة طباعهم سخية قلوبهم عظيمة خشيتهم فدخلوا في دين الله عز وجل افواجا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا الثاني معناه ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه باهل اليمن وهم الانصار وروي جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي ولفظ الثعلبي وقال ابو عمار حدثني جار لجابر عن حال الناس فاخبرته عن حال اختلافهم وفرقتهم فجعل يبكي وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون من دين الله افواجا **قوله تعالى** فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا اي اذا صليت فاكثر من ذلك وقيل معنى سبح صل عن ابن عباس بحمد ربك اي حامدا له على ما اتاك من الظفر والفتح واستغفره اي سل الغفران وقيل فسبح المراد به التنزيه اي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له وبالاستغفار مع مدامة الذكر والاول اظهر وفي الاية واللفظ للبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن

صلاة بعد ان نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران في غير الصحيح وقالت ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله الى اخرها وقال ابو هريرة اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها حتى تورمت قدماه ونحل جسمه وقل تبسمه وكثر بكاؤه وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الاخرة ما كان منه عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ومنهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه لكما تقول فعاش بعدها ستين يوما ما رئي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر وعباس فقيل لهما ان هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتما نعيت الي نفسي وفي البخاري عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب ياذن لاهل بدر وياذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا ياذن لهذا الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال عمر انه من قد علمتم قال فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا امر الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره وان يتوب اليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت ليس كذلك ولكن اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم حضور اجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر تلومونني عليه وفي البخاري فقال عمر ما اعلم منها الا ما تقول رواه الترمذي قال كان عمر يسالني مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن بن عوف اتساله ولنا بنون مثله فقال له عمر انه من حيث تعلم فسال عن هذه الاية اذا جاء نصر الله والفتح فقلت انما هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه وقرا السورة الى اخرها فقال له عمر والله ما اعلم منها الا ما تعلم قال هذا حديث حسن صحيح فان قيل فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار قيل له كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه رب اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي خطاي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم وانت المؤخر انك على كل شيء قدير فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقصر نفسه لعظيم ما انعم الله عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبا ويحتمل ان يكون بمعنى كن متعلقا به سائلا راغبا متضرعا عن رؤية التقصير في اداء الحقوق لئلا ينقطع الى رؤية الاعمال وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا وقيل ذلك تنبيه لامته لكي لا يامنوا ويتركوا الاستغفار وقيل واستغفره اي استغفر لامتك انه كان توابا اي على المسبحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما الظن بغيره روى مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قالت فقلت يا رسول الله اراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقال خبرني ربي اني سارى علامة في امتي اذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدهما النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير هذا مما تقدم في البقرة بيانه

تفسير سورة ابي لهب

وهي مكية باجماع وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تبت يدا ابي لهب وتب فيه ثلاث مسائل الاولى ثبت في الصحيحين وغيرهما واللفظ لمسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه

فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا ابي لهب وقد تب كذا قراء الاعمش الى اخر السورة زاد الحميدي وغيره فلما سمعت امراته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما اخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة

مذمما عصينا وامره ابينا ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها راتك قال ما راتني لقد اخذ الله بصرها عني وكانت قريش انما تسمي النبي صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان يقول الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد وقيل ان سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى ان امنت بك يا محمد فقال كما يعطى المسلمون قال ما لي عليهم فضل قال واي شيء تبتغي قال تبا لهذا من دين ان اكون انا وهؤلاء سواء فانزل الله تعالى فيه تبت يدا ابي لهب وتب وقول ثالث حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال كان اذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق اليهم ابو لهب فيسالونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون انت اعلم به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتاب لذلك فانزل الله تعالى تبت السورة وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فمنعه الله من ذلك فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب للمنع الذي وقع به ومعنى تبت خسرت قاله قتادة وقيل خابت قاله ابن عباس وقيل ضلت قاله عطا وقيل هلكت قاله ابن جبير وقال يمان بن رياب صفرت من كل خير حكى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول

لقد خلوك وانصرفوا فما ابوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم فتبا للذي صنعوا

وخص اليدين بالتباب لان العمل اكثر ما يكون بهما اي خسرتا وخسر هو وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر عن النفس باليد كما قال الله تعالى بما قدمت يداك اي نفسك وهذا مهيع كلام العرب تعبر ببعض الشيء عن كله تقول اصابه يد الدهر ويد الرزايا والمنايا اي اصابه كل ذلك قال الشاعر

لما اكبت يد الرزايا عليه نادى الا مجير

وتب قال الفراء التب الاول دعاء والثاني خبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وفي قراءة عبد الله وابي وقد تب وابو لهب اسمه عبد العزى وهو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامراته العوراء ام جميل اخت ابي سفيان ابن حرب وكلاهما كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال طارق بن عبد الله المحاربي اني بسوق ذي المجاز اذا انا بانسان يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا محمد عليه السلام زعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروى عطا عن ابن عباس قال قال ابو لهب سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة ويشرب العس من اللبن فما يشبع وان محمدا قد اشبعكم من فخذ شاة وارواكم من عس لبن

الثانية قوله تعالى ابي لهب قيل سمي باللهب لحسنه واشراق وجهه وقد ظن قوم ان هذا دليلا على تكنية المشرك وهو باطل وانما كناه الله تعالى بابي لهب عند العلما لمعان اربعة الاول انه كان اسمه عبد العزى والعزى صنم ولم يضف الله العبودية في كتابه الى صنم الثاني انه كان بكنيته اشهر منه باسمه فصرح بها الثالث ان الاسم اشرف من الكنية فحطه الله عز وجل عن الاشرف الى الانقص اذ لم يكن بد من الاخبار عنه ولذلك دعا الله تعالى الانبياء باسمائهم ولم يكن عن احد منهم ويدلك على شرف الاسم على الكنية ان الله تعالى يسمى ولا يكنى وان كان ذلك لظهوره وبيانه واستحالة نسبة الكنية اليه لتقدسه عنها الرابع ان الله تعالى اراد ان يحقق نسبته بان يدخله النار فيكون ابا لها

لما قتل عثمان رضي الله عنه سمع الناس هاتفا يقول

تحقيقا للنسب وامضا للفال والطيرة التي اختار لنفسه وقد قيل اسمه كنيته فكان اهله يسمونه ابا لهب لتلهب وجهه وحسنه فصرفهم الله عن ان يقولوا ابو النور وابو الضياء الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه واجرى على السنتهم ان يضيفوه الى لهب الذي هو مخصوص بالمكروه والمذموم وهو النار ثم حقق ذلك بان جعلها مقره وقراء مجاهد وحميد وابن كثير وابن محيصن ابي لهب باسكان الها ولم يختلفوا في ذات لهب انها مفتوحة لانهم راعوا فيها رؤس الاي

الثالثة قال ابن عباس لما خلق الله عز وجل القلم قال له اكتب ما هو كاين وكان فيما كتب تبت يدا ابي لهب وقال منصور سيل الحسن عن قوله تبت يدا ابي لهب هل كان في ام الكتاب وكان ابو لهب يستطيع ان لا يصلى النار فقال والله ما كان يستطيع ان لا يصلاها وانها في كتاب الله من قبل ان يخلق ابو لهب وابواه ويويده قول موسى لادم انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملايكته اغويت الناس واخرجتهم من الجنة قال ادم وانت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه واعطاك التوراة تلومني على امر كتب على قبل ان يخلق الله السموات والارض قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى وقد تقدم هذا في حديث همام عن ابي هريرة ان ادم قال لموسى بكم وجدت الله كتب التوراة من قبل ان يخلقني قال بالفي عام قال فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على امر كتب الله على ان افعله من قبل ان اخلق بالفي عام فحج ادم موسى وفي حديث طاوس وابن هرمز والاعرج عن ابي هريرة باربعين عاما

قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب اي ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من جاه وقد قال مجاهد من الولد وولد الرجل من كسبه وقراء الاعمش وما اكتسب ورواه عن ابن مسعود وقال ابو الطفيل جاء بنوا ابي لهب يختصمون عند ابن عباس فاقتتلوا فقام ليحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولده وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه خرجه ابو داود وقال ابن عباس لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي بمالي وولدي فنزل ما اغنى عنه ماله وما كسب وما في قوله ما اغنى يجوز ان يكون نفيا ويجوز ان يكون استفهاما اي اي شيء اغنى وما الثانية يجوز ان يكون بمعنى الذي ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا اي ما اغنى عنه ماله وكسبه

قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب اي ذات اشتعال وتلهب وقد مضى في والمرسلات القول فيه وقراءة العامة سيصلى بفتح اليا وقرا ابو رجاء والاعمش بضم اليا ورواها محبوب عن اسمعيل عن ابن كثير وحسين عن ابي بكر عن عاصم ورويت عن الحسن وقراء اشهب العقيلي وابو سماك العدوي ومحمد بن السميقع سيصلى بضم اليا وفتح الصاد وتشديد اللام ومعناها سيصليه الله من قوله وتصلية جحيم والثانية من الاصلا اي يصليه الله من قوله سيصليه الله من قوله نارا والاولى هي الاختيار لاجماع الناس عليها وهي من قوله الا من هو صال الجحيم

قوله تعالى وامراته حمالة الحطب وامراته ام جميل وقال ابن العربي العوراء ام قبيح وكانت عوراء حمالة الحطب قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة بين الناس تقول العرب فلان يحطب على فلان اذا ورش عليه قال الشاعر

ان بني الادرم حمالوا الحطب هم الوشاة في الولاء والغضب
عليهم اللعنة تترى والحرب من البيض لم تصطد على ظهر لامة
ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

يعني لم تمش بالنمايم وجعل الحطب رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر وقال اكثم بن صيفي لبنيه اياكم والنميمة فانها نار محرقة وان النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر اخذه بعض الشعرا فقال

ان النميمة نار ويك محرقة ففر عنها وجانب من تعاطاها

ولذلك قيل نار الحقد لا تخبو وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقال ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقال من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال كعب الاحبار اصاب بني اسرائيل قحط فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا فقال موسى الهي عبادك فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك لان فيهم رجلا نماما قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما قال فتابوا باجمعهم فسقوا والنميمة من الكباير لا خلاف في ذلك حتى قال الفضيل ابن عياض ثلاثة تهد العمل الصالح

ويفطر الصائم وينقض الوضوء الغيبة والنميمة والكذب وقال عطا ابن السايب ذكرت للشعبي قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يسكن مكة سافك دم ولا مشاء بنميمة ولا تاجر يربي فقلت يا ابا عمرو قرن النمام بالقاتل واكل الربا فقال وهل تسفك الدما وتنتهب الاموال وتهيج الامور العظام الا من اجل النميمة وقال قتادة وغيره كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد والضحاك كانت تحمل العضاة والشوك فتطرحه بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال ابن عباس قال الربيع فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات يوم حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره دليله قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل المعنى حمالة الحطب في النار وفيه بعد وقراءة العامة حمالة بالرفع على ان يكون خبرا وامراته مبتدا ويكون في جيدها حبل من مسد جملة في موضع الحال من المضمر في حمالة او خبرا ثانيا او يكون حمالة الحطب نعتا لامراته والخبر في جيدها حبل من مسد فيوقف على هذا على ذات لهب ويجوز ان يكون وامراته معطوفة على المضمر في سيصلى فلا يوقف على ذات لهب ويوقف على امراته ويكون حمالة الحطب خبر ابتدا محذوف وقرا عاصم حمالة الحطب بالنصب على الذم كانها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص كقوله ملعونين اينما ثقفوا وقرا ابو قلابة حاملة الحطب **قوله تعالى** في جيدها حبل من مسد في جيدها اي عنقها قال امرؤ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ۞ اذا هي نصته ولا بمعطل

حبل من مسد اي من ليف قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها ۞ صريف صريف القعو بالمسد

وقال الراجز

يا مسد الخوص تعوذ مني ۞ ان كنت لدنا لينا فاني

ما شئت من اشمط مقسئن

وقد يكون من جلود الابل او من اوبارها قال

ومسد امر من ايانق ۞ لسن بانياب ولا حقائق

وجمع الجيد اجياد والمسد امساد ابو عبيدة هو حبل يكون من صوف قال الحسن هي حبال من شجر تنبت باليمن تسمى المسد قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا فكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها فخنقها الله عز وجل فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار وقال ابن عباس في رواية ابي صالح في جيدها حبل من مسد قال سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وقاله مجاهد وعروة بن الزبير تدخل من فيها وتخرج من اسفلها ويلوى سايرها على عنقها وقال قتادة حبل من مسد قال قتادة من ودع الودع خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر والكبر قال الشاعر

والحلم حلم صبي يمرث الودعة ۞ والجمع ودعات الحسن انما كان خرزا في عنقها سعيد بن جبير كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله قال مسدا على جنبه وبارمه تقول ان البقل يقوي ظهر هذا الحمار ويشده ودابة ممسودة الخلق اذا كانت شديدة الاسر قال الشاعر

ومسد امر من ايانق صهب ۞ عتاق ذات مخ زاهق

لسن بانياب ولا حقائق ۞ ويروى ولا ضعاف مخهن زاهق

قال الفرا هو مرفوع والشعر مكفا يقول بل مخهن زاهق على الابتدا قال ولا يجوز ان يريد ولا ضعاف زاهق مخهن كما لا يجوز ان تقول مررت برجل ابوه قائم بالخفض وقال غيره الزاهق هنا بمعنى الذاهب كانه قال ولا ضعاف مخهن ثم رد الزاهق على الضعاف ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية حسنة المسد والعصب والجدل والارم وهي ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة في المساب وهو نحي السمن وسقا العسل قال جميعه الجوهري وقد اعترض فقيل ان كان ذلك حبلها الذي تحتطب به فكيف تبقى في النار واجيب عنه بان الله عز وجل قادر على تجديده كلما احترق والحكم ببقاء ابي لهب وامراته في النار مشروط ببقائهما على الكفر الى الموافاة فلما ماتا على الكفر صدق الاخبار عنهما ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فامراته خنقها الله بحبلها وابو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال بعد ان شجته ام الفضل وذلك انه لما قدم الحيسمان مكة يخبر خبر بدر قال له ابو لهب اخبرني خبر الناس قال نعم والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا

يضعون السلاح منا حيث شاوا ومع ذلك ما ملت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق لا والله ما تبقي منا يقول ما تبقي شيا قال ابو رافع وكنت غلاما للعباس انحت الاقداح في صفة زمزم وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جانا من الخبر فرفعت طنب الحجرة فقلت تلك والله الملايكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة منكرة وثاورته وكنت رجلا ضعيفا فاحتملني فضرب بي الارض وبرك على صدري يضربني وتقدمت ام الفضل الى عمود الحجرة ويقول استضعفته ان غاب عنه سيده وتضربه بالعمود على راسه فتفلقه شجة منكرة فقام يجر رجليه ذليلا ورماه الله بالعدسة فمات واقام ثلاثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسلوه بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما يتقى الطاعون ثم احتملوه الى اعلى مكة فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة والله اعلم ختمت

ولله الحمد والمنة

تفسير سورة الاخلاص

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطا وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد

قل هو الله اي الواحد الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك واصل احد وحد قلبت الواو همزة ومنه قول النابغة

على مستانس وحد ۞ وقد تقدم في البقرة الفرق بين واحد واحد وفي كتاب الاسنى ايضا مستوفى واحد مرفوع على معنى هو واحد وقيل احد بدل من قوله الله الصمد وقرا جماعة احد الله بلا تنوين طلبا للخفة وفرارا من التقاء الساكنين ومنه قول الشاعر

ولا ذاكر الله الا قليلا ۞ الله الصمد اي الذي يصمد اليه في الحاجات كذا روى الضحاك عن ابن عباس قال الذي يصمد اليه في الحاجات كما قال جل وعز ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون قال اهل اللغة الصمد السيد الذي يصمد اليه في النوازل والحوايج قال

الا بكر الناعي بخير بني اسد ۞ بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال قوم الصمد الدايم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل تفسيره ما بعده لم يلد ولم يولد قال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولا يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا يورث وقال علي وابن عباس ايضا وابو وايل وشقيق بن سلمة وسفيان الصمد هو السيد الذي قد انتهى سودده في انواع الشرف والسودد ومنه قول الشاعر

علوته بحسام ثم قلت له ۞ خذها حذيف فانت السيد الصمد

وقال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغايب والمستعان في المصايب وقال الحسين بن الفضل انه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال مقاتل انه الكامل الذي لا عيب فيه ومنه قول الزبرقان

سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا ۞ ولا رهينة الا سيد صمد

وقال الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير الصمد المصمت الذي لا جوف له قال الشاعر

شهاب حروب لا تزال جياده ۞ عوابس يعلكن الشكيم المصمدا

قال الشيخ رحمه الله قد اتينا على هذه الاقوال مبينة في الصمد في كتاب الاسنى وان الصحيح منها ما شهد له الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي وقد اسقط من هذه السورة من ابعده الله واخزاه وجعل النار مقامه ومثواه قل هو وقرا الله الواحد الصمد في الصلاة والناس يستمعون فاسقط قل هو وزعم انه ليس من القران وغير لفظ احد وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل والمحال فابطل معنى الاية لان اهل التفسير قالوا نزلت الاية جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من نحاس ام من صفر فقال الله عز وجل ردا عليهم قل هو الله احد ففي هو دلالة على موضع الرد ومكان الجواب فاذا سقط بطل معنى الاية وصح الافترا على الله تعالى والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شي وروي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك قال فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله فذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح قاله الترمذي

قال الشيخ رحمه الله ففي هذا الحديث اثبات لفظ قل هو الله احد وتفسير الصمد وقد تقدم وعن عكرمة نحو
قال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو رد على النصارى وعلى من قال عزير ابن الله
ولم يكن له كفوا احد اي لم يكن له مثلا احد وفيه تقديم وتاخير تقديره ولم يكن له احد كفوا فقدم خبر
كان على اسمها لينساق اواخر الاي على نظم واحد وقرئ كفوا بضم الفاء وسكونها وقد تقدم في البقرة
ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان الا قوله تعالى وجعلوا له من عباده
جزءا لعلة تقدمت وقرا حفص كفوا مضموم الفاء غير مهموز وكلها لغات فصيحة

القول

في الاحاديث الواردة في فضل هذه السورة وفيه ثلاث مسائل **المسالة الاولى** ثبت في
صحيح البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده انها لتعدل ثلث القران وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القران
في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القران خرجه مسلم من
حديث ابي الدرداء بمعناه وخرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا فاني ساقرا عليكم
ثلث القران فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرا قل هو الله احد ثم دخل فقال بعضنا لبعض اني ارى
هذا خبرا جاءه من السماء فذلك الذي ادخله ثم خرج فقال اني قلت لكم ساقرا عليكم ثلث القران الا انها
تعدل ثلث القران قال بعض العلماء انما عدلت ثلث القران لاجل هذا الاسم الذي هو الصمد فانه لا يوجد في
غيرها من السور وكذلك احد وقيل ان القران انزل اثلاثا ثلثا منه احكام وثلثا منه وعد ووعيد وثلثا
منه اسماء وصفات وقد جمعت قل هو الله احد احد الاثلاث وهو الاسماء والصفات ودل على هذا التاويل ما في صحيح
مسلم من حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل جزا القران ثلاثة اجزاء فجعل قل
هو الله احد جزءا من اجزاء القران وهذا انص وبهذا المعنى سميت سورة الاخلاص والله اعلم **الثانية** روى مسلم
عن عائشة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرا لاصحابه في صلاته فيختم بقل هو
الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسالوه فقال لانها
صفة الرحمن فانا احب ان اقرا بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله عز وجل يحبه وروى الترمذي
عن انس بن مالك قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قبا فكان كلما افتتح سورة يقرا لهم في الصلاة فقرا
بها افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرا سورة اخرى وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه اصحابه
فقالوا انك تقرا بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرا بسورة اخرى فاما ان تقرا بها واما ان
تدعها وتقرا سورة اخرى قال ما انا بتاركها ان احببتم ان اؤمكم بها فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا
يرونه افضلهم وكرهوا ان يؤمهم غيره فلما اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال يا فلان ما
يمنعك مما يامرك به اصحابك وما يحملك ان تقرا هذه السورة في كل ركعة فقال يا رسول الله اني احبها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حبها ادخلك الجنة قال حديث حسن غريب صحيح قال ابن العربي فكان هذا دليلا
على انه يجوز تكرار سورة في كل ركعة وقد رايت على باب الاسباط فيما يقرب منه اماما من جملة الثمانية
والعشرين اماما كان يصلي التراويح في رمضان بالاتراك فيقرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد حتى
يختم التراويح تخفيفا عليه ورغبة في فضلها وليس من السنة ختم القران في رمضان قال الشيخ رحمه
الله هذا نص قول مالك قال مالك وليس ختم القران في المساجد بسنة **الثالثة** روى الترمذي عن انس
بن مالك قال اقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة قال هذا حديث حسن صحيح قال الترمذي حدثنا محمد بن مرزوق
البصري قال حدثنا حاتم بن ميمون ابو سهل عن ثابت البناني عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قرا كل يوم مائتي مرة قل هو الله احد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وبهذا الا
سناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مائة
مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب يا عبدي ادخل على يمينك الجنة قال حديث غريب من حديث ثابت
بن انس وفي مسند ابي محمد الدارمي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله
احد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة قال وحدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة قال اخبرني

ابو عقيل انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد عشر مرات
بني له قصر في الجنة ومن قراها عشرين مرة بني له بها قصران في الجنة ومن قراها ثلاثين مرة بني له
ثلاثة قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب رض يا رسول الله اذن لنكثر قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم
الله اوسع من ذلك قال ابو محمد ابو عقيل زهرة بن معبد وزعموا انه كان من الابدال وذكر ابو نعيم الحافظ من
حديث ابي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد
في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى
تجيزه من الصراط الى الجنة قال هذا حديث غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي وذكر ابو
بكر احمد بن علي بن ثابت الحافظ عن عيسى بن ابي فاطمة الرازي قال سمعت مالك بن انس يقول اذا نقس بالناقوس
اشتد غضب الرحمن فتنزل الملائكة فياخذون باقطار الارض فلا يزالون يقرؤون قل هو الله احد حتى يسكن
غضبه عز وجل وخرج من حديث محمد بن خالد الجندي عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمسين
مرة قل هو الله احد فذلك مائتا مرة في اربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله من الجنة او يرى له وقال ابو عمر و
مولى جرير بن عبد الله البجلي عن جرير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد حين يدخل منزله
نفت الفقر عن اهل ذلك المنزل وعن الجيران وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله
احد مرة بورك عليه ومن قراها مرتين بورك عليه وعلى اهله ومن قراها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه
ومن قراها اثني عشر مرة بنى الله له اثنا عشر قصرا في الجنة وتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا
فان قراها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والاموال فان قراها اربعمائة مرة كفر الله
عنه ذنوب مائة سنة فان قراها الف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة او يرى له وعن سهل بن سعد
الساعدي قال شكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دخلت البيت فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على واقرا قل هو الله احد مرة واحدة
ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض على جيرانه وقال انس كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك فطلعت
الشمس بيضاء لها شعاع ونور لم ارها فيما مضى طلعت قط كذلك فاتى جبريل فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا جبريل ما لي ارى الشمس طلعت بيضاء بشعاع لم ارها طلعت كذلك فيما مضى قط فقال ذلك لان معاوية
بن معاوية الليثي توفي بالمدينة اليوم فبعث الله سبعين الف ملك يصلون عليه قال ومم ذلك قال كان يكثر قراءة
قل هو الله احد اناء الليل واناء النهار في ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله ان اقبض لك الارض
فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع ذكره الثعلبي والله اعلم ختمت والى الله المصير

تفسير سورة الفلق

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة وهي خمس ايات وهذه السورة
وسورة الناس والاخلاص تعوذ بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهود على ما ياتي وقيل ان المعوذتين
كان يقال لهما المقشقشتان اي تبريان من النفاق وقد تقدم وزعم ابن مسعود انهما دعاء تعوذ به وليستا من
القران خالف به الاجماع من الصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه
المعوذتين لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما فقدر انهما
بمنزلة اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال ابو بكر الانباري وهذا مردود
على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذكما بكلمات الله التامة من قول
البشر بين وكلام الخالق الذي هو اية لمحمد خاتم النبيين وحجة له باقية على جماعة الكافرين لا يلتبس بكلام الادميين
على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام وافانين القول وقال بعض الناس
لم يكتب عبد الله بن مسعود المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة
الكتاب من مصحفه وما يشك في حفظه واتقانه لهما فرد هذا القول على قائله واحتج عليه بانه قد كتب اذا جاء
نصر الله والفتح وانا اعطيناك الكوثر وقل هو الله احد وهن يجرين مجرى المعوذتين في انهن غير طوال والحفظ
لهن ييسر ونسيانهن مامون وكلهن يخالف فاتحة الكتاب اذ الصلاة لا تتم الا بقراءتها وسبيل كل ركعة

ان يكون المقدمة فيما قبل ما يقرا من بعدها فاسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقاء حفظها
والامن من نسيانها صحيح وليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها وقد مضى هذا المعنى
في الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل اعوذ برب الفلق
من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد فيها
تسع مسائل **الاولى** روى النسائي عن عقبة بن عامر قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدي
على قدمه فقلت اقرئني سورة يوسف فقال لي لن تقرا شيئا ابلغ عند الله من قل اعوذ برب الفلق
وعنه قال بينما انا اسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ باعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما
قال وسمعته يقرا بهما في الصلاة وروى النسائي عن عبد الله قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ذكر كلاما معناه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قل فقلت ما اقول قال قل هو الله احد
والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا تكفك كل شيء وعن عقبة بن عامر الجهني قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم قل قلت ما اقول قال قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس فقراهن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال لم يتعوذ الناس بمثلهن او لا يتعوذ الناس بمثلهن وفي حديث ابن عباس قل اعوذ برب الفلق وقل
اعوذ برب الناس هاتين السورتين وفي صحيح مسلم والبخاري عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى
يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيمينه رجاء بركتها النفث
النفخ ليس معه ريق **الثانية** ثبت في الصحيحين من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره يهودي من يهود بني
زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى يخيل اليه انه كان يفعل الشيء ولا يفعله فمكث كذلك ما شاء الله ان يمكث ثم
قال يا عايشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني ملكان جلس احدهما عند
راسي والاخر عند رجلي قال ما شان الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال في
مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذي اروان فجاء البئر واستخرجه انتهى الصحيح وقال ابن
عباس اما شعرت يا عايشة ان الله اخبرني بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر
كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفة صخرة تترك اسفل البئر يقوم عليها الماتح واخرجوا الجف فاذا
مشاطة راس انسان واسنان من مشط واذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فانزل الله هاتين
السورتين وهما احدى عشرة اية على عدد تلك العقد وامر ان يتعوذ بهما فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد
النبي صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فكانما انشط من عقال وقال ليس به باس وجعل جبريل
يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر حاسد وعين والله يشفيك فقالوا
يا رسول الله الا نقتل الخبيث فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا وذكر القشيري في تفسيره
انه ورد في الصحاح ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود ولم يزالوا به حتى
اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم والمشاطة بضم الميم ما يسقط من الشعر عند المشط واخذ عدة
من اسنان مشطه واعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الاعصم اليهودي وذكر نحوما
تقدم عن ابن عباس **الثالثة** تقدم في البقرة القول في السحر وحقيقته وما ينشا عنه من الالام والمفاسد وحكم
الساحر فلا معنى للاعادة **الرابعة** قوله الفلق اختلف فيه فقيل سجن في جهنم قاله ابن ابي عباس وقال ابي بن كعب
بيت في جهنم اذا فتح صاح اهل النار من حره وقال الحبلي ابو عبد الرحمن هو اسم من اسماء جهنم وقال الكلبي واد في
جهنم وقال عبد الله بن عمر شجرة في النار سعيد بن جبير جب في النار النحاس يقال لما اطمان من الارض فلق فعلى
هذا يصح هذا القول وقال جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ايضا ومجاهد وقتادة والقرظي وابن زيد الفلق
الصبح وقاله ابن عباس تقول العرب هو ابين من فلق الصبح وفرق الصبح وقال الشاعر
يا ليلة لم انمها بت مرتفقا ● ارعى النجوم الى ان نور الفلق ● وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق
اي تتشقق وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله عز وجل ● قال زهير
● ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ● ايدي الركاب بهم من راكس فلقا ● الراكس بطن الوادي وكذلك هو في قول
النابغة ● وعيد ابي قابوس في غير كنهه ● والراكس ايضا الهادي وهو الثور وسط البيدر تدور عليه الثيران
في الرياسة وقيل الرحم تنفلق بالحيوان وقيل انه كلما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى

وكل شي من نبات وغيره قاله الحسن وغيره قال الضحاك الفلق الخلق كله قال
وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ● سرا وقد اوّن تاوين العقق ● قال الشيخ
رحمه الله هذا القول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق فلقت الشي فلقا شققته والتفليق مثله يقال
فلقته فانفلق وتفلق وكل ما انفلق عن شي من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق قال الله تعالى فالق الاصباح
وقال فالق الحب والنوى وقال ذو الرمة يصف الثور الوحشي ● حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق
هاديه في اخريات الليل منتصب ● يعني بالفلق هنا الصبح بعينه والفلق ايضا المطمئن من الارض بين
الربوتين وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا كان ذلك بفالق كذا وكذا يريدون المكان المنحدر بين
الربوتين والفلق ايضا مقطرة السجان فاما الفلق بالكسر فالداهية والامر العجيب تقول منه افلق الرجل وافتلق
وشاعر مفلق وقد جاء بالفلق والفلق ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل واحد منهما فلق ومنه
قولهم جاء بعلق فلق وهي الداهية لا يجري يقال منه اعلقت وافلقت اي جيت بعلق فلق ومر يفتلق في عدوه
اي ياتي بالعجب من شدته وقوله تعالى من شر ما خلق قيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم وقيل هو عام اي من شر كل
ذي شر خلقه الله عز وجل **الخامسة** ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه فقيل هو الليل والغسق اول ظلمة الليل
يقال منه غسق الليل يغسق اي اظلم قال قيس بن الرقيات ● ان هذا الليل قد غسقا ● واشتكيت الهم والارقا
وقال اخر ● يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا ● جيتنا طارقا والليل قد غسقا ● هذا قول ابن عباس
والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ووقب على هذا التفسير اظلم قاله ابن عباس الضحاك دخل قتادة
ذهب يمان بن رياب سكن وقيل نزل يقال وقب العذاب على الكافرين نزل قال الشاعر
وقب العذاب عليهم فكانهم ● لحقتهم نار السموم فاحصدوا
وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج
السباع من اجامها والهوام من اماكنها وينبعث اهل الشر على العبث والفساد وقيل الغاسق الثريا
وذلك انها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن بن زيد
وقيل هو الشمس اذا غربت قاله ابن شهاب وقيل هو القمر قال القتبي اذا وقب القمر اذا دخل في ساهوره
وهو كالغلاف له وذلك اذا خسف به وكل شي اسود فهو غسق قال قتادة اذا وقب اذا غاب وهو اصح لان
في الترمذي عن عايشة رض ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر
هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال احمد بن يحيى ثعلب عن ابن
الاعرابي في تاويل هذا الحديث وذلك ان اهل الريبة يتحينون وجبة القمر وانشد
اراحني الله من اشيا اكرهها ● منها العجوز ومنها الكلب والقمر ● هذا يبوح وهذا يستضاء به ● وهذه خمور قوامة السحر
وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها لان السم يغسق منه اي يسيل ووقب نابها اذا دخل في
اللديغ وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها **السادسة**
ومن شر النفاثات في العقد يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النفخ كما يعمل
من يرقي قال الشاعر ● اعوذ بربي من النافثات ● ومن عضه العاضه المعضه ● وقال متمم
بن نويرة ● نفثت في الخيط شبيه الرقى ● من خشية الجنة والحاسد ● وقال
عنترة ● فان يبرا فلم انفث عليه ● وان يفقد فحق له الفقود **السابعة**
روى النسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر
فقد اشرك ومن تعلق شيا وكل اليه واختلف في النفث عند الرقي فمنعه قوم واجازه اخرون قال عكرمة لا ينبغي
للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقال ابراهيم كانوا يكرهون النفث في الرقى وقال بعضهم دخلت على الضحاك
وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا محمد قال بلى ولكن لا تنفث فعوذته بالمعوذتين وقال ابن جريج قلت لعطا
القران ينفخ به او ينفث قال لا شي من ذلك ولكن تقرؤه هكذا ثم قال بعد انفث ان شيت وسيل محمد بن سيرين
عن الرقية ينفث فيها فقال لا اعلم بها باسا واذا اختلفوا فالحكم بينهم السنة روت عايشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان ينفث في الرقية رواه الايمة وقد ذكرناه اول السورة وفي سبحان وعن محمد بن حاطب ان يده احترقت
فاتت به امه الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وقال محمد بن الاشعث
ذهب بي الى عايشة وفي عيني سوء فرقتني ونفثت واما ما روي عن عكرمة من قوله لا ينبغي للراقي ان ينفث فكانه

ان النبي عليه السلام سحره يهودي

راعوفة

وكل

ذهب فيه الي ان الله تعالي جعل النفث في العقد مما يستعاذ به فلا يكون بنفسه عوذة وليس هذا هكذا لان النفث في العقد اذا كان ماموما لم يجب ان يكون النفث بلا عقد مذموما ولان النفث في العقد انما اريد به السحر المضر بالارواح وهذا النفث لاستصلاح الابدان فلا يقاس ما ينفع بما يضر واما كراهة عكرمة فالمنهج بخلاف السنة قال علي رض اشتكيت فدخل علي النبي صلي الله عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر فارحني وان كان متاخرا فاشفني وعافني وان كان بلاء فصبرني فقال النبي صلي الله عليه وسلم كيف قلت فقلت له فمسحني بيده ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك الوجع بعد وقرا عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط وعيسي بن عمرو رويس عن يعقوب ومن شر النافثات في وزن فاعلات وروي عن عبد الله بن القاسم مولي ابي بكر الصديق رضي الله عنه وروي ان نسا سحرن النبي صلي الله عليه وسلم في احدي عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين احدي عشرة اية قال ابن زيد كن من اليهود يعني السواحر المذكورات وقيل هن بنات لبيد الاعصم **الثامنة** قوله تعالي ومن شر حاسد اذا حسد قد تقدم معني الحسد في النسا وانه تمني زوال النعمة المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها والمنافسة مباحة وهي الغبطة وقد روي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال المومن يغبط والمنافق يحسد وفي الصحيح لا حسد الا في اثنتين يريد لا غبطة وقد مضي في النسا **التاسعة** قال العلما الحاسد لا يضر الا اذا ظهر حسده بفعل او قول وذلك بان يحمله الحسد علي ايقاع الشر بالمحسود فيتبع مساويه ويطلب عثراته قال النبي صلي الله عليه وسلم اذا احسدت فلا تبغ الحديث وقد تقدم والحسد اول ذنب عصي الله به في السماء واول ذنب عصي به في الارض فحسد ابليس ادم وحسد قابيل هابيل والحاسد ممقوت مبغوض مطرود ملعون ولقد احسن من قال

قل للحسود اذا تنفس طعنة • يا ظالما وكانه مظلوم •

العاشرة هذه السورة دالة علي ان الله تعالي خالق كل شر وامر نبيه صلي الله عليه وسلم ان يتعوذ من جميع الشرور فقال من شر ما خلق وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيها علي عظمه وكثرة ضرره والحاسد عدو نعمة الله قال بعض الحكما بارز الحاسد ربه من خمسة اوجه اولها انه ابغض كل نعمة ظهرت علي غيره وثانيها انه ساخط لقسمة ربه فكانه يقول لم قسمت هذه القسمة وثالثها انه ضاد فعل الله اي ان الفضل لله يوتيه من يشا وهو يبخل بفضل الله ورابعها انه خذل اوليا الله او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم وخامسها انه اعان عدوه ابليس وقيل الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملايكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا وغما ولا ينال في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله الا بعدا ومقتا وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ثلثة لا يستجاب دعاوهم اكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه حسد او غل للمسلمين والله اعلم ختمت بعون الله

تفسير سورة الناس

روي الترمذي عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لقد انزل الله علي ايات لم ير مثلهن قل اعوذ برب الناس الي اخر السورة وقل اعوذ برب الفلق الي اخر السورة قال هذا حديث حسن صحيح ورواه مسلم **قوله تعالي**

بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس** قل اعوذ برب الناس اي مالكهم ومصلح امورهم وانما ذكر انه رب الناس وان كان ربا لجميع الخلق لامرين احدهما لان الناس معظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا الثاني لانه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذ منهم وانما قال ملك الناس اله الناس لان في الناس ملوكا فذكر انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه الههم ومعبودهم وانه الذي يجب ان يستعاذ به ويلجا اليه دون الملوك والعظما **قوله تعالي** **من شر الوسواس الخناس** يعني الشيطان والمعني من شر ذي الوسواس فحذف المضاف قال الفرا وهو بفتح الواو بمعني الاسم اي الموسوس وبكسر الواو المصدر يعني الوسوسة وكذا الزلزال والزلزال والوسوسة حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسوسة بكسر الواو ويقال لهمس الصايد والكلاب واصوات الحلي وسواس قال ذو الرمة

فبات يشئزه ثاد ويسهره • تذوب الريح والوسواس والهضب •

وقال الاعشي

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت • كما استعان بريح عشرق زجل •

وقيل ان الوسواس الخناس ابن لابليس جاء به الي حوا ووضعه بين يديها وقال اكفليه فجاء ادم فقال ما هذا يا حوا قالت جاء عدونا بهذا وقال لي اكفليه فقال الم اقل لك لا تطيعيه في شي هو الذي غرنا حتي وقعنا في المعصية وعمد الي الولد فقطعه اربعة ارباع وعلق كل ربع علي شجرة غيظا له فجاء ابليس فقال يا حوا اين ابني فاخبرته بما صنع به ادم فقال يا خناس فحيي فاجابه فجاء به الي حوا فقال اكفليه فجاء ادم فحرقه بالنار وذري رماده في البحر فجاء ابليس فقال يا حوا اين ابني فاخبرته بفعل ادم اياه فذهب الي البحر فقال يا خناس فحيي فاجابه فجاء به الي حوا الثالثة فقال اكفليه فنظر اليه ادم فذبحه وشواه واكلاه جميعا فجاء ابليس فسالها فاخبرته فقال يا خناس فحيي فاجابه من جوف ادم فقال ابليس هذا الذي اردت وهذا مسكنك في صدور بني ادم فهو ملتقم قلب ابن ادم ما دام غافلا يوسوس فاذا ذكر الله لفظ قلبه وانخنس ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن وهب بن منبه وما اظنه يصح والله اعلم ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالي فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفايها بعد ظهورها وقيل لانه يخنس اذا ذكر العبد الله اي يتاخر وفي الخبر ان الشيطان جاثم علي قلب ابن ادم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله خنس اي تاخر واقصر وقال قتادة ان الخناس الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا غفل ابن ادم وسوس له واذا ذكر العبد ربه خنس يقال خنسه فخنس اي اخره فتاخر واخنسته ايضا ومنه قول العلا بن الحضرمي انشده رسول الله صلي الله عليه وسلم

وان دحسوا بالشر فاعف تكرما • وان خنسوا عند الحديث فلا تسل •

الدحس الافساد وعن انس ان رسول الله صلعم قال ان الشيطان واضع خطمه علي قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس واذا نسي الله التقم قلبه فوسوس وقال ابن عباس اذا ذكر الله العبد خنس من قلبه فذهب واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقال ابراهيم التيمي اول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء وقيل سمي خناسا لانه يرجع اذا غفل العبد عن ذكر الله والخنس الرجوع قال الراجز

وصاحب يمتعس امتعاسا • يزداد ان خنسته خناسا •

وقد روي ابن جريج عن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس وجهين احدهما انه الراجع بالوسوسة عن الهدي الثاني انه الخارج بالوسوسة من اليقين **قوله تعالي** **الذي يوسوس في صدور الناس** قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن ادم مجري الدم في العروق سلطه الله علي ذلك فذلك قوله الذي يوسوس في صدور الناس وفي الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجري الدم وهذا يصحح ما قاله مقاتل وروي شهر بن حوشب عن ابي ثعلبة الخشني قال سالت الله ان يريني الشيطان ومكانه من ابن ادم فرايته يداه في يديه ورجلاه في رجليه ومشاعبه في جسده غير ان له خطما كخطم الكلب فاذا ذكر الله خنس ونكس واذا غفل عن ذكر الله اخذ بقلبه فعلي نحو ما وصف ابو ثعلبة انه متشاعب في الجسد اي في كل عضو منه شعبة وروي عن عبد الرحمن بن الاسود او غيره من التابعين انه قال وقد كبرت سنه ما امنت ان يدخل الشيطان في ذكري فيوتده فهذا القول ينبيك انه يتشعب في الجسد وهو معني قول مقاتل ووسوسته هو الدعا الي طاعته بكلام خفي يصل مفهومه الي القلب من غير سماع صوت **قوله تعالي** **من الجنة والناس** اخبر ان الموسوس قد يكون من الناس قال الحسن هما شيطانان اما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فياتي علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الانس والجن وروي عن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال او من الانس شياطين قال نعم لقوله تعالي وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس الاية وذهب قوم الي ان الناس هنا يراد به الجن سموا ناسا كما سموا رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقوما ونفرا فعلي هذا يكون والناس عطفا علي الجنة ويكون التكرير لاختلاف اللفظين وذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقالوا ناس من الجن وهو معني قول الفرا وقيل الوسواس هو الشيطان وقوله من الجنة بيان انه من الجن والناس معطوف علي الوسواس المعني قل اعوذ برب الناس من شر الوسواس الذي هو من الجنة ومن شر الناس فعلي هذا امر بان يستعيذ بالله من شر الجن والانس والجنة جمع جني كما يقال انسي وانس والهاء لتانيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلي هذا يكون في صدور الناس عاما في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدوره وقيل معني من شر الوسواس اي الوسوسة التي تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس وقد ثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم يعمل او تتكلم به رواه ابو هريرة اخرجه مسلم وصلي الله علي محمد واله وصحبه وسلم

ان نسا سحرن النبي عليه السلام

ثلثة لا يستجاب دعاوهم

الوسواس الخناس ابن ابليس

نعيل من ناس